المجلد الاول من تفسير القرطبي

المجلد الاول من تفسير القرطبى

یا کبیکج

ما في الجزء الاول من القرآن العظيم
سورة الفاتحة وسورة البقرة الى قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد
ويبدا في المجلد الثاني بقوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نصبر

تفسير جامع احكام القرآن للشيخ الامام ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن الفرج الانصاري الخزرجي القرطبي المالكي المتوفى سنة ثمان وستين وستمائة رحمه الله تعالى

من كتب العصر مفتي السلطنة العثمانية السيد [illegible] ابن الشيخ محمد عفي عنهما

الجزء الاول من تفسير القرآن العظيم للقرطبي رضي الله عنه

رضي الله عنه

انتقل هذا السفر الشريف بتمامه الى ملك احوج خلق الله [illegible] مصطفى بن عبد الله بن الياس بن شيخ محمد عفا عنهم المنان الملك الاحد في تاريخ سنة [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد واله
يقول العبد الفقير الى ربه المتنصل من ذنبه الراجي رحمة ربه
محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرج الخزرجي الانصاري الاندلسي ثم
القرطبي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين امين الحمد لله
المبتدي بحمد نفسه قبل ان يحمده حامد واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له الرب الصمد الواحد الحي القيوم الذي لا يموت
ذو الجلال والاكرام والمواهب العظام والمتكلم بالقران والخالق
للانسان والمنعم عليه بالايمان والمرسل رسوله بالبيان محمدا صلى الله
عليه وسلم ما اختلف الملوان وتعاقب الجديدان ارسله بكتابه
المبين الفارق بين الشك واليقين الذي اعجزت الفصحا معارضته
واعيت الالبا مناقضته واخرست البلغا مشاكلته فلا ياتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا جعل امثاله عبرا لمن تدبرها واوامره
هدى لمن استبصرها وشرح فيه واجبات الاحكام وفرق فيه بين
الحلال والحرام وكرر فيه المواعظ والقصص للافهام وضرب
فيه الامثال وقص فيه غيب الاخبار فقال تعالى ما فرطنا في الكتاب
من شي خاطب به اولياه ففهموا وبين لهم فيه مراده فعلموا فقراة
القران حملة سر الله المكنون وحفظة علمه المخزون وخلفا انبيايه وامنا
وه وهم اه[illegible] [اهل الله وخاصته] وخيرته واصفياؤه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم [illegible] قالوا يا رسول الله من هم قال هم اهل القران هم اهل
الله وخاصته اخرجه ابن ماجة في سننه وابو بكر البزار في مسنده فما
احق من علم كتاب الله ان يزدجر بنواهيه ويتذكر ما شرح له ويخشى الله ويتقيه

ان لله اهلين

وتفقه ويراقبه ويستحييه فانه قد حمل اعباء الرسل وصار شهيدا في
القيامة على من خالف من اهل الملل قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة
وسطا لتكونوا شهداء على الناس الآية وان الحجة على من علمه فاغفله اوكد
منها على من قصر عنه وجهله ومن اوتي علم القران فلم ينتفع وزجرته
نواهيه فلم يرتدع وارتكب من المآثم قبيحا ومن الجرائم فضوحا كان
القران حجة عليه وخصما لديه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والقران حجة لك او عليك خرجه مسلم فالواجب على من خصه الله بحفظ
كتابه ان يتلوه حق تلاوته ويتدبر حقائق عبارته ويتفهم عجائبه ويتبين
غرائبه قال الله تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته
وقال افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها جعلنا الله ممن يرعاه
حق رعايته ويتدبره حق تدبره ويقوم بقسطه ويوفي بشرطه ولا
ولا يلتمس الهدى في غيره وهدانا لاعلامه الظاهرة واحكامه القاطعة
وجمع لنا به خير الدنيا والآخرة فانه اهل التقوى واهل المغفرة ثم جعل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان ما كان منه مجملا وتفسير ما
كان منه مشكلا وتحقيق ما كان منه محتملا ليكون له مع تبليغ
الرسالة ظهور الاختصاص به ومنزلة التفويض اليه قال الله تعالى
وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ثم جعل الى العلماء بعد رسوله
صلى الله عليه وسلم استنباط ما نبه على معانيه واشار الى اصوله ليتوصلوا
بالاجتهاد فيه الى علم المراد فيمتازوا بذلك من غيرهم ويختصوا بثواب
اجتهادهم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا
العلم درجات وصار الكتاب اصلا والسنة له بيانا واستنباط العلماء

ايضاحا وتبيانا فاظهر الله الذي جعل صدورنا اوعية كتابه واذاننا موارد
سنن نبيه وهممنا مصروفة الى تعلمها والبحث عن معانيهما وغرائبهما طالبين
بذلك رب العالمين ومتدرجين به الى علم الملة والدين **اما بعد**
فلما كان كتاب الله تعالى هو الكفيل بجميع علوم الشرع الذي استقل
بالسنة والفرض ونزل به امين السما الى امين الارض رايت ان
اشتغل به مدة عمري واستفرغ فيه منتهى بان اكتب فيه تعليقا وخبرا
يتضمن نكتا من التفسير واللغات والاعراب والقراات والرد على اهل
الزيغ والضلالات واحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الاحكام ونزول
الايات جامعا بين معانيهما وبيان ما اشكل منهما باقاويل السلف ومن
تبعهم من الخلف وعملته تذكرة لنفسي وذخيرة ليوم رمسي وعملا صالحا
بعد موتي قال الله تعالى ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر وقال
علمت نفس ما قدمت واخرت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
مات المرء انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد
صالح يدعو له خرجه مسلم وشرطي في هذا الكتاب اضافة الاقوال
الى قائلها والاحاديث الى مصنفيها فانه يقال من بركة العلم ان يضاف القول
الى قائله وكثيرا ما يجي الحديث في كتب الفقه والتفسير منهما لا
يعرف من اخرجه الا من اطلع على كتب الحديث فيبقى من لا خبرة له بذلك
حايرا لا يدري الصحيح من السقيم ومعرفة ذلك علم جسيم فلا يقبل منه
الاحتجاج به ولا الاستدلال حتى يضيفه الى من خرجه من الائمة
الاعلام والثقات المشاهير من علماء الاسلام ونحن نشير الى جمل من ذلك
في هذا الكتاب واضربت عن كثير من قصص المفسرين واخبار المورخين

الا

الا ما لا بد منه ولا غنا عنه للتبيين واعتضت من ذلك تبيين
اي الاحكام بمسايل تسفر عن معناها وترشد الطالب الي مقتضاها
اذ ذلك احدى عايدة وانفع فايدة فضمنت كل اية تتضمن حكما او حكمين فما
زاد مسايل نبين فيها ما تحتوي عليه من اسباب النزول والتفسير
والغريب والحكم والقراة والاعراب فان لم تتضمن حكما ذكرت ما فيها من
التفسير والتاويل هكذا الي اخر الكتاب والله الموفق للصواب وسميته
بالجامع لاحكام القران والمبين لما تضمنه من السنة واي الفرقان جعله
الله خالصا لوجهه وان ينفعني به ووالدي ومن اراده بمنه انه سميع الدعا
قريب مجيب وقبل الشروع فيما ذكرنا نذكر جملة من علم القران وحكم قاريه
حسب ما نذكره في ابواب من مقدمة هذا الكتاب فاقول وبالله
المستعان وعليه التكلان

باب ذكر جمل من فضايل القران والترغيب فيه وفضل طالبه وقاريه ومستمعه والعامل به

اعلم ان هذا الكتاب كبير الف فيه العلما كتبا كثيرة نذكر
من ذلك نكتا تدل على فضله وما اعد الله لاهله اذا اخلصوا المطلب
لوجهه وعملوا به فاول ذلك ان يستشعر المومن من فضل القران انه كلام
رب العالمين غير مخلوق كلام من ليس كمثله شي وصفة من ليس له شبيه
ولا ند فهو من نور ذاته جل وعز وان القراات اصوات القرا ونغماتهم
وهي اكتسابهم التي يومرون بها في حال ايجابا في بعض العبادات وندبا
في كثير من الاوقات ويزجرون عنها اذا اجنبوا ويثابون عليها
ويعاقبون على تركها وهذا مما اجمع عليه المسلمون اهل الحق ونطقت به
الاثار ودل عليها المستفيض من الاخبار ولا يتعلق الثواب والعقاب الا

بما هو من اكتساب العبادات ويستحيل ارتباط التكليف والترغيب
والتعنيف بصفة ازلية خارجة عن الممكنات وقبيل المقدورات على ما بيناه
في كتاب التذكار في افضل الاذكار • ولولا انه سبحانه جعل في قلوب
عباده القوة على حمل ما جعله ليتدبروه وليعتبروه وليتذكروا ما فيه
من طاعته واداء حقوقه وفرائضه لضعفت ولاندكت بثقله او
لتضعضعت له واني يطيقه وهو يقول تعالى جده وقوله الحق لو انزلنا هذا
القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله فاين قوة القلب
من قوة الجبال ولكن الله تعالى رزق عباده من القوة على حمله ما شاء ان
يرزقهم فضلا منه ورحمة • واما ما جاء من الاثار في هذا الباب • فاول
ذلك ما خرجه الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الرب تبارك وتعالى من شغله قراءة القران عن مسالتي اعطيته
افضل ما اعطي السائلين قال وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل
الله على خلقه قال حديث حسن غريب وروى ابو محمد الدارمي السمرقندي
في مسنده قال السبع الطوال مثل التورية والمئين مثل الانجيل
والمثاني مثل الزبور وسائر القران بعد فضل واسند عن الحرث عن
علي رضي الله عنه وخرجه الترمذي بمعناه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ستكون فتن كقطع الليل قلت يا رسول الله فما
المخرج منها قال كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبا من قبلكم وخبر ما
بعدكم • وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله
ومن ابتغى الهدى في غيره اضله • هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر
الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به

الالسنة

قال صلى الله تعالى عليه وسلم صح

الا السنة ولا يتشعب معه الآرا ولا يشبع منه العلما ولا يمله الا
تقيا لا يخلق عن كثرة الرد لا ينقضي عجايبه وهو الذي لم ينته الجن اذ
سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا من علم علمه سبق ومن قال به صدق
ومن حكم به عدل ومن عمل به اوجر ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم
خذها اليك يا اعور قال ابو عمر بن عبد البر الحرث رماه الشعبي بالكذب
وليس بشي ولم يبن من الحرث كذب وانما نقم عليه افراطه في حب علي وتفضيله
له على غيره ومن هنا والله اعلم كذب الشعبي لان الشعبي يذهب الى
تفضيل ابي بكر والى انه اول من اسلم واظن الشعبي عوقب لقوله في الحرث
الهمداني حدثني الحرث وكان احد الكاذبين روى مسلم عن زيد بن ارقم
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد الا ايها الناس فانما
بشر يوشك ان ياتي رسول ربي وانا تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب
الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على
كتاب الله تعالى ورغب فيه في رواية كتاب الله والنور من استمسك
به واخذ به كان على الهدى ومن اخطاه ضل في اخرى الا واني تارك فيكم
كتاب الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على وذكر الحديث
واسند ابو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد الانباري في كتاب الرد له على
من خالف مصحف عثمان بن عفان عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا القران مادبة الله تعالى فتعلموا من مادبته ما استطعتم
ان هذا القران هو حبل الله النور المبين والشفا النافع عصمة من تمسك به
ونجاة من اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا ينقضي عجايبه
ولا يخلق عن رد فاتلوه فان الله ياجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات

ثقلين اولهما

اما انى لا اقول لكم ولا انفس احدكم واضعا احدى رجليه يدع ان يقرا
سورة البقرة فان الشيطان يفر من البيت الذى يقرا فيه سورة البقرة
وان اصفر البيوت لجوف اصفر من كتاب الله قال ابو عبيد القاسم
بن سلام في غريبه عن عبد الله قال ان هذا القران مادبة الله فمن
دخل فيه فهو امن قال وتاويل الحديث انه مثل يشبه القران بصنيع
صنعه عز وجل للناس لهم فيه خير ومنافع ثم دعاهم اليه يقال مادبة
ومادبة فمن قال مادبة اراد الصنيع يصنعه الانسان فيدعوا اليه
الناس ومن قال مادبة فانه يذهب به الى الادب يجعله مفعلة من
الادب ويحتج بحديثه الاخر ان هذا القران مادبة الله فتعلموا من
مادبته وكان الاحمر يجعلهما لغتين بمعنى واحد ولم اسمع احدا
يقول هذا غيره والتفسير الاول اعجب الي وروى البخاري عن
عثمان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القران او علمه وروى
مسلم عن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المومن
الذى يقرا القران مثل الاترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المومن
الذى لا يقرا القران مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي
يقرا القران مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي
لا يقرا القران مثل الحنظلة لا ريح وطعمها مر في رواية مثل الفاجر
بدل المنافق وقال البخاري مثل المومن الذى يقرا القران ويعمل به كالاترجة
طعمها طيب وريحها طيب والمومن الذى لا يقرا القران ويعمل به كالتمرة
وذكر الحديث وذكر ابو بكر الانباري وقد اخبرنا احمد بن يحيى الحلواني
قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد قال ثنا هشيم ح واخبرنا ادريس قال

هنا خلف

ثنا خلف قال حدثنا هشيم عن العوام بن حوشب ان ابا عبد الرحمن السلمي
كان اذا ختم عليه الخاتم القران اجلسه بين يديه ووضع يده على راسه
وقال يا هذا اتق الله فما اعرف احدا خيرا منك ان عملت بما علمت وروى
ابو محمد الدارمي عن وهب الذماري قال من اتاه الله القران فقام به اناء الليل
واناء النهار وعمل بما فيه ومات على الطاعة بعثه الله يوم القيامة مع
السفرة والاحكام قال سعد السفرة الملايكة والاحكام الانبياء
وروى مسلم عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر
بالقران مع السفرة الكرام البررة والذي يقرا القران ويتتعتع فيه
وهو عليه شاق له اجران التتعتع التردد في الكلام عيا وصعوبة
وانما كان له اجران من حيث التلاوة ومن حيث المشقة ودرجات
الماهر فوق ذلك لانه قد كان يقرا القران متتعتعا عليه ثم ترقى عن
ذلك الى ان يشبه بالملايكة والله اعلم وروى الترمذي عن عبد الله بن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حرفا من كتاب
الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف الف ولام
حرف وميم حرف قال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه وقد قيل
موقوفا وروى مسلم عن عقبة بن عامر قال خرج علينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونحن في الصفة فقال ايكم يحب ان يغدو كل يوم
الى بطحان او العقيق فياتي منه بناقتين كوماوين في غير اثم ولا قطيعة
رحم فقلنا يا رسول الله نحب ذلك قال افلا يغدو احدكم الى المسجد فيعلم
او يقرا ايتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من
ثلاث واربع خير له من اربع ومن اعدادهن من الابل وعن ابي هريرة

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن مسلم كربة من كرب
الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر
يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا
والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه ومن سلك طريقا
يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من
بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة
وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن
بطأ به عمله لم يسرع به نسبه رواه ابو داود والنسائي والدارمي
عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الجاهر بالقران كالجاهر بالصدقة والمسر بالقران كالمسر بالصدقة
قال الترمذي حديث حسن غريب وروى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجي صاحب القران يوم القيامة
فيقول يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده
فيلبس تاج الكرامة ثم يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقول له اقرا وارق
ويزاد له بكل آية حسنة قال حديث صحيح وروى ابو داود عن
عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال
لصاحب القران اذا دخل الجنة اقرا واصعد فيقرا ويصعد بكل آية
درجة حتى يقرا آخر شي معه واسند ابو بكر الانباري عن ابي امامة
الحمصي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعطي ثلث القران
فقد اعطي ثلث النبوة ومن اعطي ثلثي القران فقد اعطي ثلثي النبوة
ومن قرا القران كله فقد اعطي النبوة كلها غير انه لا يوحى اليه ويقال

له يوم

مطلب من قرا القرآن كله فقد اعطي النبوة كلها

له يوم القيمة اقرأ وارق فيقرا آية ويصعد درجة حتى يخرج ما معه
من القران ثم يقال له اقبض فيقبض ثم يقال له اتدري ما في يديك فاذا
في يده اليمنى الخلد وفي اليسرى النعيم قال وحدثنا ادريس بن خلف
قال ثنا اسمعيل بن عباس عن تمام عن الحسن قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اخذ ثلث القران وعمل به فقد اخذ امر ثلث النبوة
ومن اخذ نصف القران وعمل به فقد اخذ امر نصف النبوة ومن اخذ
القران كله فقد اخذ النبوة كلها وحدثنا محمد بن يحيى المروزي
قال انا محمد وهو بن سعدان قال نبا الحسين ابن محمد عن حفص
عن كثير بن زاذان عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا القران فتلاه
وحفظه ادخله الله الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم
قد وجبت له النار وروى ابو داود قال نبا احمد عمرو
بن السرج قال ثنا بن وهب قال اخبرني يحيى بن ايوب عن
زبان بن فائد عن سهل بن معاذ الجهني عن ابيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من قرا القران وعمل بما فيه البس والده
تاجا يوم القيمة ضوءه احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا
كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل هذا وخرج الحافظ ابو محمد
عبد الغني من حديث مقاتل بن دوال دوز الخراز وهو مقاتل
بن حيان قال حدثني شرحبيل عن جابر بن عبد الله قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا القران او قال من جمع
القران كانت له عند الله دعوة مستجابة ان شاء عجلها له

في الدنيا وان شا ادخرها يوم القيمة وقالت ام الدردا دخلت
على عايشة رضي الله تعالى عنها فقلت لها ما فضل من قرا القران على
من لم يقراه ممن دخل الجنة فقالت عايشة ان عدد آي القرآن على
عدد درج الجنة فليس احد دخل الجنة افضل ممن قرا القرآن وذكر
ابو محمد مكي رحمه الله تعالى قال بن عباس من قرا القران واتبع ما فيه
هداه الله تعالى من الضلالة ووقاه يوم القيمة سو الحساب وذلك
بان الله تبارك وتعالى يقول فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى
قال بن عباس رضي الله تعالى لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا
ولا يشقى في الاخرة ذكره مكي ايضا وقال الليث ما الرحمة الى احد
باسرع منها الى مستمع القران لقول الله عز وجل واذا قرئ القران
فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ولعل من الله واجبة وفي
مسند ابي داود الطيالسي وهو اول مسند في الاسلام عن
عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام
بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بماية آية كتب من القانتين
ومن قام بالف آية كتب من المقنطرين والآثار في هذا الباب كثيرة وفيما
ذكرنا كفاية والله الموفق للهداية **باب كيفية التلاوة**
لكتاب الله تعالى وما يكره منها وما يحرم واختلاف
واختلاف الناس في ذلك روى البخاري عن قتادة قال سالت انسا عن قراة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال كان يمد مدا اقرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد
بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم وروى الترمذي عن ام سلمة قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراته يقول الحمد لله

رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقرأ ملك يوم
الدين قال حديث غريب واخرجه ابوداود بنحوه وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه احسن الناس صوتاً من اذا قرأ ونيته
يخشى الله تعالى وروي عن زياد النميري انه جامع القرا الى بن
ملك فقيل له اقرأ فرفع صوته وطرب وكان رجيع الصوت فكشف
انس عن وجهه الخرقة وكان على وجهه خرقة سودا فقال ما هذا ما
هكذا كانوا يفعلون وكان اذا راى شيئاً ينكره كشف الخرقة عن
وجهه وروي عن قيس بن عبادة انه قال كان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكرهون رفع الصوت عند الذكر وممن روي
عنه كراهة رفع الصوت عند قراءة القرآن سعيد بن المسيب
وسعيد بن جبير والقاسم بن محمد والحسن وبن سيرين والنخعي وغيرهم
وكرهه ملك بن انس واحمد بن حنبل كلهم كره رفع الصوت بالقرآن
والطريب فيه وروي عن سعيد بن المسيب انه سمع عمر بن
عبد العزيز يوم الناس فطرب في قراته فارسل اليه سعيد يقول
اصلحك الله ان الايمة لا تقرأ هكذا فترك عمر التطريب بعد
وروي عن القاسم بن محمد ان رجلاً قرأ في مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم فطرب فانكر ذلك القاسم وقال يقول الله عز وجل كتاب
عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الاية وروي عن
ملك انه سيل عن الترتيل في قراءة القرآن في الصلاة فانكر ذلك
وكرهه كراهة شديدة وانكر رفع الصوت به وروي بن
القاسم عنه انه سيل عن الالحان في الصلاة فقال لا تعجبني وقال

بين يديه صح

انما هو غنا يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم • اجازت طائفة رفع
الصوت بالقران والتطريب به وذلك لانه اذا حسن الصوت
به كان اوقع في النفوس واسمع في القلوب • واحتجوا بقوله عليه
الصلاة والسلام زينوا القران باصواتكم رواه البرا بن عازب
اخرجه ابو داود والنساي • وبقوله عليه الصلوة والسلام ليس منا من لم
يتغن بالقران اخرجه مسلم • وبقول ابي موسى للنبي صلى الله عليه وسلم لو اعلم
انك تسمع لحبرته لك تحبيرا • وبما رواه عبد الله بن المغفل قال قرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح في مسير له سورة الفتح
على راحلته فرجع في قراته • وممن ذهب الى هذا ابو حنيفة واصحابه
والشافعي وابن المبارك والنضر بن شميل وهو اختيار ابي جعفر وابي
الحسن بن بطال والقاضي ابي بكر بن العربي وغيرهم **قلت** القول
الاول اصح لما ذكرناه وياتي • واما ما احتجوا به من الحديث فليس
على ظاهره وانما هو من باب المقلوبات اي زينوا اصواتكم بالقران
قال الخطابي وكذا فسره غير واحد من ائمة الحديث زينوا اصوا
تكم بالقران • وقالوا هو من باب المقلوبات كما قالوا عرضت الناقة
على الحوض وانما هو عرضت الحوض على الناقة • قال ورواه معمر عن
منصور عن طلحة فقدم الاصوات على القران وهو الصحيح
قال الخطابي ورواه طلحة عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال زينوا القران باصواتكم • واتخذوه شعارا
وزينة • وقيل معناه الحض على قراءة القران والدوب عليه وقد روي
عن ~~عمر انه قال حسنوا~~ ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله

اي اشتغلوا [illegible]

عليه

عليه وسلم يقول زينوا اصواتكم بالقران وروي عن ابن عمر انه قال
حسنوا اصواتكم بالقران قلت والى هذا المعنى يرجع قوله
عليه الصلاة والسلام ليس منا من لم يتغن بالقرآن اي ليس منا من لم
يحسن صوته بالقرآن كذلك تاوله عبد الله بن ابي مليكة قال
عبد الجبار سمعت ابن ابي مليكة قال عبد الله بن يزيد مر بنا ابو لبابة
فاتبعناه حتى دخل بيته فاذا رجل رث الهيئة فسمعته يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس منا من لم يتغن بالقران
قال فقلت لابن ابي مليكة ارايت اذا لم يكن حسن الصوت قال
يحسنه ما استطاع ذكره ابو داود واليه يرجع ايضا قول ابي موسى
للنبي صلى الله عليه وسلم اي لو علمت انك تسمع لقراتي لحسنت صوتي
بالقران وزينته به ورتلته وهذا يدل انه كان يجهد في قراته
مع حسن صوته الذي جبل عليه والتجبير التزيين والتحسين فلو علم
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمعه لمد في قراته ورتلها كما
كان يقرا على النبي صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك زيادة في
حسن صوته بالقراة معاذ الله ان يتاول على رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي يقول ان القران يزين بالاصوات او بغيرها فمن تاول
هذا فقد واقع امرا عظيما اي يحوج القران الى من يزينه وهو
النور والضياء والزين الاعلى لمن البس بهجته واستنار بضيائه
وقد قيل ان الامر بالتزيين اكتساب القراات وتزيينها باصواتنا
وتقدير ذلك اي زينوا القراة باصواتكم فيكون القران بمعنى
القراة كما قال تعالى وقرآن الفجر اي قراة الفجر وقوله

فاذا قرأناه فاتبع قرآنه اي قراءته وكما جا في صحيح مسلم عن عبد الله
بن عمرو قال ان في البحر شياطين مسجونة اوثقها سليمان عليه السلام
يوشك ان تخرج فتقرأ على الناس قرآنا اي قراءة وقال الشاعر في عثمان
رضي الله عنه ضحوا باشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
اي قراءة فيكون معناه على هذا التأويل صحيحا الا ان يخرج القراءة التي
هي التلاوة عن حد على ما نبينه فيمتنع وقد قيل ان معنى يتغنى به
يستغني به من الاستغناء الذي هو ضد الافتقار لا من الغنى يقال
تغنيت وتغانيت بمعنى استغنيت وفي الصحاح للجوهري تغنى الرجل
بمعنى استغنى واغناه الله وتغانوا اي استغنى بعضهم عن بعض قال
المغيرة بن حبنا التميمي كلانا غني عن اخيه حياته ونحن اذا متنا اشد
تغانيا والى هذا التأويل ذهب ابن عيينة ووكيع بن الجراح ورواه
سفين عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه وقد روي عن سفيان
ايضا وجه آخر ذكره اسحاق بن راهويه اي يستغني به عما سواه من
الاحاديث والى هذا التأويل ذهب البخاري محمد بن اسماعيل لاتباعه
الترجمة بقوله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم والمراد
الاستغنا بالقرآن عن علم اخبار الامم قاله اهل التأويل وقيل ان معنى
يتغنى به يتحزن به اي يظهر على قارئه الحزن الذي هو ضد السرور
عند قراءته وتلاوته وليس هو من الغنية يقال تغانا به ولم يتغنا به
ذهب الى هذا جماعة من العلما منهم الامام محمد بن حبان البستي
واحتجوا بما رواه مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ولصدره ازيز كازيز المرجل من

البكاء

من الاستغناء صح بياض

البكا الا ان بزيز اين صوت الرعد وغليان القدر قالوا ففي هذا الخبر بيان واضح على ان المراد بالحديث التحزن وعضد وا هذا بما رواه الائمة عن عبد الله قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم اقرا علي فقرأت عليه سورة النسا حتى اذا بلغت فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولاي شهيدا فنظرت اليه فاذا عيناه تدمعان فهذه اربع تاويلات ليس فيها ما يدل على القراة بالالحان والترجيع فيها. وقال ابو سعيد بن الاعرابي في قوله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن. قال كانت العرب تولع بالغنا والتشييد في اكثر احوالها فلما نزل القرآن احبوا ان يكون القرآن هجيرهم مكان الغنا فقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن اي يتلوه ويقروه ويلهج به كما تقدم التاويل الخامس ما تاوله من استدل به والتطريب فذكر عمر بن شيبة قال ذكرت لابي عاصم النبيل تاويل بن عيينة فقال لم يصنع بن عيينة شيا. وسيل الشافعي عن تاويل بن عيينة فقال نحن اعلم بهذا لو اراد النبي صلى الله عليه وسلم الاستغنا لقال من لم يستغن ولكن لما قال يتغن علمنا انه اراد التغني قال الطبري المعروف في كلام العرب ان التغني انما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع. وقال الشاعر ،، تغن بالشعر مهما كنت قائله. ان الغنا لهذا الشعر مضمار ،، قال واما ادعا الزاعم ان تغنيت بمعنى استغنيت فليس في كلام العرب واشعارها ولا نعلم احدا من اهل اللغة قاله. واما احتجاجه بقول الاعشى ،، وكنت امرا زمنا بالعراق خفيف المناخ طويل التغني وزعم انه اراد الاستغنا فانه غلط منه وانما عنا الاعشى في هذا الموضع

الإقامة من قول العرب غني فلان بمكان كذا اي اقام ومنه قوله تعالى
كأن لم يغنوا فيها واما استشهاده بقوله ونحن اذا متنا اشد تغانيا
فانه افتعال منه وذلك ان التغاني تفاعل من نفسين اذا استغنى كل
واحد منهما عن صاحبه كما يقال تضارب الرجلان اذا ضرب كل واحد
منهما صاحبه ومن قال هذا في فعل الاثنين لم يجز ان يقول مثله في
الواحد غيره جائز ان يقال تغانا زيد وتضارب زيد ولذلك غير
جائز ان يقال تغنى بمعنى استغنى **قلت** ما ادعاه الطبري من انه لم
يرد في كلام العرب تغنى بمعنى استغنى فقد ذكره الجوهري كما ذكرنا وذكر
الهروي ايضا واما قوله ان صيغة فاعل انما يكون من اثنين فقد جاءت
من واحد في مواضع كثيرة منها قول ابن عمر وانا يومئذ قد ناهزت
الاحتلام وتقول العرب طارقت النعل وعافيت اللص وداويت
العليل وهو كثير فيكون هذا منها واذا احتمل قوله عليه السلام تغنا
الغنا والاستغنا فليس حمله على احدهما باولى من الآخر بل حمله على
الاستغنا اولى لو لم يكن لنا تاويل غيره لانه مروي عن صحابي كثير
كما ذكر سفيان وقد قال ابن وهب في حق سفين ما رايت اعلم بتاويل
الاحاديث من سفين بن عيينة ومعلوم انه راي الشافعي وعاصره وتاويل
سادس وهو ما جاء من الزيادة في صحيح مسلم عن ابي هريرة انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما اذن الله لشي ما اذنه لنبي حسن الصوت
يتغنى بالقرآن يجهر به قال الطبري ولو كان كما قال ابن عيينة لم يكن
لذكر حسن الصوت والجهر به معنى قلنا قوله يجهر به لا يخلو ان يكون
من النبي صلى الله عليه وسلم او من قول ابي هريرة او غيره فان كان

الاول

الاول وفيه بعد فهو دليل على عدم التطريب والترجيع لانه لم
يقل يطرب به وانما قال يجهر به اي يسمع نفسه ومن يليه بدليل
قوله عليه الصلوة والسلام للذي يسمعه وقد رجع صوته بالتهليل ايها
الناس اربعوا على انفسكم فانكم لستم تدعون اصم ولا غائبا الحديث
وسياتي خرجه مسلم وكذلك ان كان من صحابي او غيره فلا حجة فيه على ما
راموه وقد اختار هذا التاويل بعض علمائنا فقال وهذا اشبه لان
العرب يسمي كل من رفع صوته ووالى به غانيا وفعله ذلك غنا وان لم
يلحنه بتلحين الغنا قال وعلى هذا فسره الصحابي وهو اعلم بالمقال
واقعد بالحال وقد احتج ابو الحسن بن بطال ذاهبا مذهب الشافعي فقال وقد
رفع الاشكال في هذه المسئلة ما رواه ابن ابي شيبة قال حدثنا
زيد بن الحباب قال ثنا موسى بن علي بن رباح عن ابيه عن عقبة بن عامر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا القران وغنوا به واكتبوه
فوالذي نفسي بيده لهو اشد تفصيا من المخاض من العقل قال علماؤنا
وهذا الحديث وان صح سنده فيرده ما يعلم على القطع والبيان من ان
قراءة القران بلغتنا متواترة عن كافة المشايخ جيلا فجيلا الى العصر الكريم
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فيها تلحين ولا تطريب مع كثرة
المتعمقين في مخارج الحروف وفي المد والادغام وغير ذلك من كيفية
القراات ثم ان في الترجيع والتطريب همز ما ليس بمهموز ومد ما ليس
بممدود فترجع الالف الواحدة الفات والواو الواحدة واوات
والشبهة الواحدة شبهات فيؤدي ذلك الى زيادة في القران وذلك
ممنوع وان وافق ذلك موضع نبر وهمز صيروها نبرات وهمزات

عن ابن بحيل بيكر

والشبرة حيث ما وقعت من الحروف فانما هي همزة واحدة لا غير واما ممدوده
واما مقصورة فان قيل فقد روى عبد الله بن المغفل قال قرأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مسير له سورة الفتح على راحلته فرجع في قرائته
وذكره البخاري وقال في صفة الترجيع ا ا ا ا ا ا ثلاث مرات قلنا
ذلك محمول على اشباع المد في موضعه ويحتمل ان يكون حكاية صوته
عند هز الراحلة كما يعتري رافع صوته اذا كان راكبا من انضغاط
صوته وتقطيعه لاجل هز المركوب واذا احتمل هذا فلا حجة فيه وقد روي
بن جريج عن عطا عن بن عباس قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
موذن يطرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاذان سهل
سمح فان كان اذانك سمحا سهلا والا فلا تؤذن خرجه الدارقطني في سننه
فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد منع ذلك في الاذان فاحري
ان لا يجوزونه في قراة القران الذي حفظه الرحمن فقال وقوله الحق
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قلت وهذا الخلاف انما هو ما لم
يفهم معنى القران بترديد الاصوات وكثرة الترخيصات فان زاد الامر
على ذلك حتى لا يفهم معناه فذلك حرام باتفاق كما يفعل القرا بالديار
المصرية الذين يقرون امام الملوك والجنايز وياخذون على ذلك
الاجور والجوائز ضل سعيهم وخاب عملهم فيستحلون بذلك تغيير
كتاب الله ويهونون على انفسهم الاجترا على الله بان يزيد وافي تنزيله
ما ليس فيه جهلا منهم ومروقا عن سنة نبيهم ورفضا لسير الصالحين
فيه من سلفهم ونزوعا الى ما يزين لهم الشيطان من اعمالهم وهم

يحسبون

يحسبون انهم يحسنون صنعا فهم في ريبهم يترددون وبكتاب
الله يتلاعبون فانا لله وانا اليه راجعون لكن قد اخبر الصادق
ان ذلك يكون فكان كما اخبر صلى الله عليه وسلم ذكر الامام الحافظ ابو
الحسن رزين وابو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من
حديث حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرؤا
القران بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق ولحون
اهل الكتابين وسيجي بعدي قوم يرجعون بالقران ترجيع الغنا والنوح
لايجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شانهم
وذكر ابو عمر بن عبد البر في كتابيه التمهيد والاستذكار من حديث
عنيس الغفاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول بادروا بالموت ستا امرة السفها وكثرة الشرط وبيع
الحكم واستخفافا بالدم وقطيعة الرحم ونشوا يتخذون القران
مزامير يقدمون الرجل ليغنيهم بالقران وان كان اقلهم فقها اللحون
جمع لحن وهو التطريب وترجيع الصوت وتحسينه بالقران
والشعر والغنا قال علماونا ويشبه ان يكون هذا الذي يفعله
قرا زماننا بين يدي الوعاظ وفي المجالس من اللحون الاعجمية التي
يقرون بها ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والترجيع
في القراة ترديد الحروف كقراة النصارى والترتيل في القراة هو
هو التاني فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات بالثغر المرتل وهو
المشبه بنور الاقحوان وهو المطلوب في قراة القران قال
الله تعالى ورتل القران ترتيلا وسيلت ام سلمة عن قراة رسول

ن

المطلوب

الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت مالكم وصلاته ثم نعتت
قراته فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا اخرجه النسائي وابو
داود والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب

باب تحذير اهل القران والعلم من الرياء وغيره

قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وقال فمن كان يرجوا
ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وروى مسلم عن
ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
اول الناس يقضى عليه يوم القيمة رجل استشهد فاتى به فعرفه نعمه
فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال
كذبت ولكنك قاتلت ليقال جريء فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه
حتى القي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فاتي به فعرفه نعمه
فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك
القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن
ليقال هو قارئ فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في
النار ورجل وسع الله عليه واعطاه من اصناف المال كله فاتي به
فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب
ان ينفق فيها الا انفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت
ليقال هو جواد فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في
النار وقال الترمذي في هذا الحديث ثم ضرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ركبتي فقال يا ابا هريرة اولئك الثلاثة اول خلق
تسعر بهم النار يوم القيمة قال ابن عبد البر وهذا الحديث فيمن لم

يرد بعلمه وعمله وجه الله تعالى • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من طلب العلم لغير الله او اراد به غير الله فليتبوأ مقعده من
النار • وخرج بن المبارك في رقايقه عن العباس بن عبد المطلب • قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر هذا الدين حتى يجاوز البحار وحتى يخاض
البحار بالخيل في سبيل الله تبارك وتعالى • ثم يأتي اقوام يقرؤن القرآن فاذا قرؤا
قالوا من اقرأ منا ثم اعلم ثم التفت الى اصحابه فقال هل ترون في اولئكم
من خير قالوا لا قال اولئك منكم واولئك من هذه الامة • واولئك
هم وقود النار • وروي ابو داود والترمذي عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغي به وجه
الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة
يوم القيمة يعني ريحها • قال الترمذي حديث حسن وروي عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تعوذوا بالله من
جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم يتعوذ منه
جهنم كل يوم مائة مرة قيل يا رسول الله ومن يدخله قال القراء المرائون
باعمالهم قال هذا حديث غريب • وفي كتاب اسد بن موسى ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في جهنم واديا ان جهنم لتتعوذ من
ذلك الوادي كل يوم سبع مرات وان في ذلك الوادي لجبا ان جهنم
لتتعوذ من شر ذلك الوادي كل يوم سبع مرات وذلك الوادي
لتتعوذان بالله من شر ذلك الجب وان في ذلك الجب لحية ان جهنم والوادي
والجب ليتعوذن بالله من شر تلك الحية سبع مرات اعدها الله للاشقياء
من حملة القرآن الذين يعصون فيجب على حامل القرآن وطالب العلم ا ل

صلى الله تعالى عليه وسلم

يتقي الله في نفسه ويخلص العمل لله فان كان تقدم له شي مما يكره فليبادر
التوبة والانابة وليبتدي الاخلاص في طلبه وعمله فالذي يلزم حامل
القران من التحفظ اكثر مما يلزم غيره كما ان له من الاجر ما ليس لغيره روى
الترمذي عن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انزل الله في بعض الكتب او اوحى الى بعض الانبيا قل للذين يتفقهون
لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة يلبسون
للناس مسوك الكباش وقلوبهم قلوب الذياب السنتهم احلى من العسل
وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزون لاتيحن لهم فتنة
تذر الحليم فيهم حيرانا وخرج الطبري في كتاب اداب النفوس
حدثنا ابو كريب محمد بن العلا قال ثنا المحاربي عن عمرو بن عامر البجلي
بن صدقة عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم او من
حدثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخادع الله فانه من
يخادع الله يخدعه الله ونفسه يخدع لو يشعر قالوا يا رسول وكيف
يخادع الله قال يعمل بما امرك ويطلب به غيره واتقوا الريا فانه
الشرك وان المرايي يدعى يوم القيمة على رؤس الاشهاد باربعة اسما
ينسب اليها يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل عملك وبطل اجرك
فلا خلاق لك اليوم فلتمس اجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع وروى
علقمة بن عبد الله بن مسعود قال كيف انتم اذا لبستكم فتنة
يربوا فيها الصغير ويهرم الكبير ويتخذ سنة مبتدعة يجري عليها
الناس فاذا غير منها شي قيل قد غيرت السنة قيل متى ذلك يا ابا
عبد الرحمن قال اذا كثر قراوكم وقل فقهاوكم وكثر امراوكم وقل

امنا وكم والتمس الدنيا بعمل الاخيرة ويفقه لغير الدين وقال
سفين بن عيينه بلغنا عن ابن عباس انه قال لو ان حملة القران اخذوه
بحقه وما ينبغي لاحبهم الله ولكن طلبوا به الدنيا فابغضهم وهانوا
على الناس وروي عن جعفر بن محمد في قول الله تعالى فكبكبوا فيها
هم والغاوون قال قوم وصفوا الحق والعدل بالسنتهم وخالفوه
الى غيره **باب ما ينبغي لصاحب القران ان ياخذ به
نفسه ولا يغفل عنه** فاول ذلك ان يخلص في طلبه لله عز وجل كما
ذكرنا وان ياخذ نفسه بقراة القران في ليله ونهاره في الصلاة او غير
الصلاة لئلا ينساه روي مسلم عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال انما مثل صاحب القران كمثل المعقلة ان عاهد عليها امسكها
وان اطلقها ذهبت واذا قام صاحب القران فقراه بالليل والنهار
ذكره وان لم يقم به نسيه وينبغي له ان يكون لله حامدا ولنعمته
شاكرا وله ذاكرا وعليه متوكلا وبه مستعينا واليه راغبا وبه
معتصما وللموت ذاكرا وله مستعدا وينبغي له ان يكون خائفا من
ذنبه راجيا عفو ربه ويكون الخوف في صحته اغلب عليه
اذ لا يعلم بما يختم له ويكون الرجا عند حضور اجله اقوى في نفسه
لحسن الظن بالله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم
الا وهو يحسن الظن بالله اي انه يرحمه ويغفر له وينبغي له ان يكون
عالما باهل زمانه متحفظا من سلطانه ساعيا في خلاص نفسه ونجاة
مهجته مقدما بين يديه ما يقدر عليه من عرض دنياه مجاهدا
لنفسه في ذلك ما استطاع وينبغي له ان يكون اهم اموره عنده

الورع في دينه واستعمال تقوى الله ومراقبته فيما امره به ونهاه
عنه وقال بن مسعود رضى الله عنه ينبغي لقاري القرآن ان يعرف
بليله اذ الناس نايمون وبنهاره اذ الناس يفطرون وببكايه اذ النا(س)
يضحكون وبصمته اذ الناس يخوضون وبخشوعه اذ الناس
يختالون وبحزنه اذ الناس يفرحون وقال بن عبد الله بن عمرو
لا ينبغي لحامل القرآن ان يخوض مع من يخوض ولا يجهل مع من يجهل
ولكن يعفو ويصفح لحق القرآن لان في جوفه كلام الله تعالى وينبغي له
ان ياخذ نفسه بالتصاون عن طرق الشبهات ويقل الضحك في مجالس
القرآن وغيرها بما لا فايدة فيه وياخذ نفسه بالحلم والوقار وينبغي
له ان يتواضع للفقرا ويتجنب التكبر والاعجاب ويتجافى عن الدنيا وابنايها
ان خاف على نفسه الفتنة ويترك الجدال والمرا وياخذ نفسه بالرفق والا
دب وينبغي له ان يكون ممن يؤمن شره ويرجى خيره ويسلم من ضره وان لا
يسمع ممن نم عنده ويصاحب من يعاونه على الخير ويدله على الصدق
ومكارم الاخلاق ويزينه ولا يشينه وينبغي له ان يتعلم احكام
القرآن فيفهم عن الله تعالى مراده وما فرض عليه فينتفع بما يقرا
ويعمل بما يتلو فما اقبح لحامل القرآن ان يتلو فرايضه واحكامه عن
ظهر قلب وهو لا يفهم ما يتلوه فكيف يعمل بما لا يفهم وما اقبح ان
يسأل عن فقه ما يتلوه ولا يدريه فما من هذه حالته الا كمثل الحمار
يحمل اسفارا وينبغي له ان يعرف المكي من المدني ليفرق بذلك بين
ما خاطب الله عباده في اول الاسلام وما ندبهم اليه في آخر
الاسلام وما افترض الله تعالى في اول الاسلام وما زاد عليهم

والحزم

من

من الفرائض في آخر فالمدني هو الناسخ للمكي في اكثر القران
ويمكن ان ينسخ المكي المدني لان المنسوخ هو المتقدم في المتروك
قبل الناسخ له ومن كماله ان يعرف الاعراب والغريب فذلك
مما يسهل عليه معرفة ما يقرا ويزيل عنه الشك فيما يتلو وقد قال
ابو جعفر الطبري سمعت الجرمي يقول انا منذ ثلاثين سنة افتي
الناس في الفقه من كتاب سيبويه قال محمد بن يزيد وذلك ان نظر لعله
ابا عمر الجرمي كان صاحب حديث فلما علم كتاب سيبويه تفقه في الحديث
اذا كان كتاب سيبويه يتعلم منه منه النظر والتفتيش ثم ينظر
في السنن الماثورة عن رسوله صلى الله عليه وسلم فيها يصل الطالب
الى مراد الله عز وجل في كتابه وهي يفتح له احكام القران فتحا وقد قال
الضحاك في قوله تعالى كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب قال حق
على كل من تعلم القران ان يكون فقيها وذكر ابن ابي الجوازي قال
اتينا فضيل بن عياض سنة خمس وثمانين ومائة ونحن جماعة فوقفنا
على الباب فلم ياذن لنا بالدخول فقال بعض القوم ان كان
خارجا لشي فيخرج لتلاوة القران فامرنا قاريا يقرا فاطلع علينا
من كوة فقلنا السلام عليك ورحمة وبركاته فقال وعليكم
السلام قلنا كيف انت يا ابا علي وكيف حالك فقال انا من الله
في عافية ومنكم في اذا وانما انتم فيه حدث في الاسلام فانا
لله وانا اليه راجعون ما هاكذا كنا نطلب العلم ولكنا
كنا ناتي المشيخة فلا نرى انفسنا اهلا للجلوس معهم في الحلق
فنجلس معهم دونهم ونسترق السمع فاذا ذكر الحديث سالناهم

اعادته وقيدناه وانتم تطلبون العلم بالجهل وقد ضيعتم كتاب
الله ولو طلبتم كتاب الله لوجدتم فيه شفا لما تريدون قال
قلنا قد تعلمنا القران في تعليمكم القران شغلا لاعماركم واعمار
اولادكم قلنا كيف يا ابا علي قال لن تعلموا القران حتى تعرفوا
اعرابه ومحكمه من متشابهه وناسخه من منسوخه فاذا عرفتم
ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينة ثم قال اعوذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس
قد جاتكم موعظة من ربكم وشفا لما في الصدور وهدى
ورحمة للمومنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
هو خير مما يجمعون قلت فاذا احصلت هذه المراتب
لقاري القران كان ماهرا بالقران وعالما بالفرقان
وهو قريب على من قرب الله عليه ولا ينتفع بشي مما ذكرنا
حتى يخلص النية فيه لله تعالى عند طلبه او بعد طلبه كما
تقدم فقد يبتدي الطالب للعلم يريد به المباهاة والشرف
في الدنيا فلا يزال به فهم العلم حتى يتبين له انه على خطا في
اعتقاده فيتوب من ذلك ويخلص النية لله تعالى فينتفع بذلك
ويحسن حاله قال الحسن كنا نطلب العلم للدنيا فجرنا الى الاخرة
وقاله سفين الثوري وقال حبيب بن ابي ثابت طلبنا هذا الامر
وليس لنا فيه نية ثم جات النية بعد

باب ما جا في اعراب القران وتعليمه والحث عليه وثواب من قرا القران معربا

قال ابو بكر الانباري جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن

اصحابه

اصحابه وتابعيهم رضوان الله عليهم من تفضيل اعراب القرات
والحض على تعليمه وذم اللحن وكراهته ما وجب به على قرا القران
ان ياخذ وا انفسهم بالاجتهاد في تعليمه من ذلك ما حدثنا
يحيى بن سليمان الضبي قال نبا محمد يعني بن سعدان قال نبا معاوية
عن عبد الله بن سعيد المقبري عن ابيه عن جده عن ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اعربوا القران والتمسوا غرايبه قال
وحدثني ابي قال نبا ابراهيم بن القاسم قال نبا آدم يعني بن ابي اياس
قال نبا ابو الطيب المروزي قال نبا عبد العزيز بن ابي رواد عن
نافع عن بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا القران
فلم يعربه وكل به ملك يكتب له كما انزل بكل حرف عشر حسنات
فان اعرب بعضه وكل به ملكان يكتبان له بكل حرف عشرين
حسنة فان اعربه وكل به اربعة املاك يكتبون له بكل حرف
سبعين حسنة وروى جويبر عن الضحاك قال قال عبد الله بن
مسعود جردوا القران وزينوه باحسن الاصوات واعربوه
فانه عربي والله يحب ان يعرب به وعن مجاهد عن بن عمر قال اعربوا
القران وعن محمد بن عبد الرحمن بن زيد قال قال ابو بكر وعمر رضي
الله تعالى عنهما لبعض اعراب القران احب الينا من حفظ حروفه وعن
الشعبي قال قال لنا عمر رضي الله تعالى عنه من قرا القران فاعربه
كان له عند الله اجر شهيد وقال مكحول بلغني ان من قرا باعراب
كان له من الاجر ضعفان ممن قرا بغير اعراب وروى جريج عن عطا
عن بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبوا العرب

لثلاث لاني عربي والقران عربي وكلام اهل الجنة عربي وروي
سفين عن ابي حمزة قال قيل للحسن في قوم يتعلمون العربية قال احسنوا
يتعلمون لغة نبيهم صلى الله عليه وسلم وقيل للحسن ان لنا اماما يلحن
قال اخروه وعن ابن ابي مليكة قال قدم اعرابي في زمن عمر فقال
من يقرئني مما انزل الله على محمد عليه الصلوة والسلام فاقراه رجل براة فقال ان
الله بري من المشركين ورسوله يا عمر فقال الاعرابي او قد بري الله من
رسوله فان يكن الله بري من رسوله فانا بري منه فبلغ عمر مقالة الاعرابي
فدعاه فقال يا اعرابي اتتبرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال امير
المؤمنين اني قدمت المدينة ولا علم لي بالقران فسالت من يقرئني فاقراني
هذا سورة براة فقال ان الله بري من المشركين ورسوله فقلت او قد
بري الله من رسوله ان يكن الله بري من رسوله فانا ابرا منه فقال عمر ليس
هكذا يا اعرابي قال فكيف هي يا امير المؤمنين قال ان الله بري من
المشركين ورسوله فقال الاعرابي انا والله ابرا مما ابرا الله ورسوله
منه فامر عمر بن الخطاب ان لا يقرئ الناس الا عالم باللغة وامر
ابا الاسود فوضع النحو وعن علي بن الجعد قال سمعت شعبة
يقول مثل صاحب الحديث الذي لا يعرف العربية مثل الحمار عليه
مخلاة لا علف فيها وقال حماد بن سلمة من طلب الحديث ولم يتعلم النحو
او قال العربية فهو كمثل الحمار تعلق عليه مخلاة ليس فيها شعير قال
الامام ابو محمد بن عطية اعراب القران اصل في الشريعة لان بذلك
تقوم معانيه التي هي الشرع قال ابن الانباري وجاء عن اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم وتابعيهم رضوان الله تعالى عليهم من الاحتجاج علي

غريب

غريب القران ومشكله باللغة والشعر ما بين صحة مذهب النحويين
في ذلك واوضح فساد مذاهب من انكر عليهم من ذلك ما حدثنا
عبيد بن عبد الواحد بن شريك البزار قال ثنا ابن ابي مريم
قال انا ابن فروخ قال اخبرني اسامة قال اخبرني عكرمة
ان ابن عباس قال اذا سالتموني عن غريب القران فالتمسوه في
الشعر فان الشعر ديوان العرب قال وحدثنا ادريس بن
عبد الكريم قال انا خلف قال نا حماد بن زيد عن علي بن زيد بن
جدعان قال سمعت سعيد بن جبير ويوسف بن مهران
يقولان سمعنا ابن عباس يسئل عن الشي من القران فيقول فيه كذا
وكذا اما سمعتم الشاعر يقول فيه كذا وكذا وعن عكرمة عن
ابن عباس وسأله رجل عن قول الله تعالى وثيابك فطهر قال
لا تلبس ثيابك على غدر وتمثل بقول غيلان الثقفي فاني
بحمد الله لا ثوب غادر لبست ولا من سوءة اتقنع وسال
رجل عكرمة عن الزنيم فقال هو ولد الزنا وتمثل ببيت شعر
زنيم ليس يعرف من ابوه بغي الام ذو حسب لئيم وعنه
ايضا الزنيم الدعي الفاحش اللئيم ثم قال زنيم تداعاه الرجال
زيادة كما زيد في عرض الاديم الاكارع وعنه في قوله تعالى
ذواتا افنان قال ذواتا ظل واغصان الم تسمع الى قول الشاعر
ما هاج شوقك من هديل حمامة تدعو على فنن الغصون
حماما تدعو ابا فرخين صادف طايرا ذا مخلبين من الصقور قطاما
وعن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى فاذا هم بالساهرة قال الارض

بن عباس وقال امية بن ابي الصلت عند لحم صيد ولحم ساهرة
قال بن الانباري والرواة يروون هذا البيت وفيها لحم ساهرة
وبحر وما فاهوا به لهم مقيم وقال نافع بن الازرق لابن عباس اخبرني
عن قول الله عز وجل لا تاخذه سنة ولا نوم ما السنة قال النعاس
وقال زهير بن ابي سلمى لا سنة في طوال الليل ياخذه ولا ينام
ولا في امره فند وقال سعيد بن المسيب بينا عمر بن الخطاب رضي
الله عنه يخطب على المنبر قال يا ايها الناس ما تقولون في قول
الله عز وجل او ياخذهم على تخوف فسكت الناس فقال شيخ من هذيل
هي لغتنا يا امير المومنين التخوف التنقص فخرج رجل فقال يا فلان
ما فعل دينك قال تخوفته اي تنقصته فرجع فاخبر عمر فقال عمر
اتعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير
الهذلي يصف ناقة تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود
النبعة السفن فقال عمر يا ايها الناس عليكم بديوانكم شعر الجاهلية
فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم **قلت** قوله تامكا يعني مرتفعا
وقردا هيئة له اي غالبا يقال تمك السنام يتمك تمكا اي طال
وارتفع فهو تامك والنبعة شجر والسفن القدوم يقال سفن
ويسفن بمعنى يقول تنقص السير سنامها بعد تمكه واكتنازه

باب ما جا في فضل تفسير القران واهله

قال العلما رحمة الله عليهم واما ما جا في فضل التفسير عن الصحابة والتابعين
فمن ذلك ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه ذكر جابر بن عبد الله ووصفه
بالعلم فقال له رجل جعلت فداك تصف جابرا بالعلم وانت انت فقال

انه

انه كان يعرف تفسير قوله تعالى ان الذي فرض عليك القران
لرادك الى معاد وقال مجاهد احب الخلق الى الله تعالى اعلمهم بما انزل
وقال الحسن والله ما انزل الله اية الا احب ان يعلم فيمن انزلت وما
يعني بها وقال الشعبي رحل مسروق الى البصرة في تفسير اية فقيل
له ان الذي يفسرها رحل الى الشام فتجهز ورحل الى الشام حتى علم
تفسيرها وقال عكرمة في تفسير قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى
الله ورسوله طلبت اسم هذا الرجل اربع عشرة سنة حتى وجدته قال
ابن عبد البر هو ضمرة بن حبيب وسياتي وقال ابن عباس مكثت سنتين
اريد ان اسال عمر عن المراتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما يمنعني الا مهابته فسالته فقال هي حفصة وعايشة وقال
اياس بن معاوية مثل الذين يقرؤون القران وهم لا يعلمون تفسيره
كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة
ولا يدرون ما في الكتاب ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم
بمصباح فقروا ما في الكتاب وقال سعيد بن جبير من قرا القران
ثم لم يفسره كان كالاعمى او كالاعرابي وروى عن سفيان الثوري
انه قال اتعبنا عمرنا في الايلا والظهار ونبذنا كتاب الله وراء
ظهورنا فماذا يقول ربنا عز وجل

باب ما جاء في حامل القران من هو وفيمن عاداه

قال ابو عمر بن عبد البر روي من وجوه فيها
ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعظيم جلال الله اكرام ثلاثة
الامام المقسط وذي الشيبة المسلم وحامل القران غير الغالي فيه ولا
الجافي عنه قال ابو عمر وحملة القران هم العالمون باحكامه وحلاله

وحرامه والعاملون بما فيه وروي انس ان النبي صلي الله عليه وسلم
قال للقران وصل من كل شي فمن وقر القران فقد وقر الله ومن
استخف بالقران استخف بحق الله حملة القران المحفوفون برحمة الله
المعظمون كلام الله الملبسون نور الله فمن والاه فقد والي الله
ومن عاداهم فقد استخف بحق الله عز وجل وروي وكيع بن الجراح عن
الاعمش عن زيادة عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمر بن
العاص قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول اكرموا
حملة القران فمن اكرمهم فقد اكرمني ومن اكرمني فقد اكرم الله عز
وجل ان الله تعالي لينصت للقران وليستمع من اهله الا ولا تنقصوا
حملة القران حقوقهم فانهم من الله تعالي بمكان كاد حملة القران
ان يكونوا انبيا الا انه لا يوحي اليهم **باب ما جا يلزم قاري القران
وحامله من تعظيم القران وحرمته** قال الترمذي الحكيم ابو
عبد الله في نوادر الاصول فمن حرمة القران ان لا يمسه الا طاهر
ومن حرمته ان يقراه وهو علي طهارة ومن حرمته ان يستاك
ويتخلل ويطيب فاه اذ هو طريقه قال يزيد بن ابي ملك ان
افواهكم طرق من طرق القران فطيبوها ونظفوها ما
استطعتم ومن حرمته ان يستوي له قاعدا ان كان في غير صلاة
ولا يكون متكيا ومن حرمته ان يتلبس له كما يتلبس للدخول علي
الامير لانه مناج ومن حرمته ان يستقبل القبلة لقرايته وكان
ابو العالية اذا قرا اعتم ولبس وارتدي واستقبل القبلة ومن
حرمته ان يتمضمض كلما تنخع روي شعبة عن ابي حمزة عن ابن عباس انه

كان

كان يكون بين يديه ثورا اذا تنخع مضمض ثم اخذ في الذكر وكان
كلما تنخع مضمض ومن حرمته اذا تثاءب ان يمسك عن القرآن لانه
اذا قرا فهو مخاطب ربه ومناج والتثاوب من الشيطان قال
مجاهد اذا تثاوبت وانت تقرا فامسك عن القرآن تعظيما حتى
يذهب تثاوبك وقاله عكرمة يريد ان في ذلك الفعل اجلالا
للقرآن ومن حرمته ان يستعيذ بالله عند ابتدائه للقراءة من
الشيطان الرجيم ويقرا بسم الله الرحمن الرحيم ان كان ابتدا قراته
من اول السورة او من حيث بلغ ومن حرمته اذا اخذ في سورة
لم يشتغل بشيء حتى يفرغ منها الا من ضرورة ومن حرمته ان يخلو
بقراءته حتى لا يقطع عليه احد بكلام فيخلطه بجوابه لانه اذا
فعل ذلك زال عنه سلطان الاستعاذة في البدء ومن حرمته
ان يقراه على تؤدة وترسل وترتيل ومن حرمته ان يشتغل فيه
ذهنه وفهمه حتى ما يخاطب به ومن حرمته ان يقف على آية
الوعد فيرغب الى الله تعالى ويسأله من فضله وان يقف على اية الوعيد
فيستجير بالله منه ومن حرمته ان يقف على امثاله فيتمثلها ومن
حرمته ان يلتمس غرائبه ومن حرمته ان يؤدي لكل حرف
حقه من الاداء حتى تبرز الكلام باللفظ عليا فان له بكل حرف
عشر حسنات ومن حرمته اذا انتهت قراته ان يصدق ربه
ويشهد بالبلاغ لرسوله صلى الله عليه وسلم ويشهد على
ذلك انه حق فيقول صدقت ربنا وبلغت رسلك ونحن على ذلك
من الشاهدين اللهم اجعلنا من شهداء الحق القائمين بالقسط ثم

يدعوا بدعوات ومن حرمته اذا قراه الا يلتقط الآي من كل سورة
فيقراه فانه روي لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مر
ببلال وهو يقرا من كل سورة شيا فامره ان يقرا السور او كما قال
ومن حرمته اذا وضع الصحيفة اذا قرا ان لا يتركه منشورا وان لا يضع
فوقه شي من الكتب علما كان او غيره ومن حرمته ان يضعه في
حجره اذا قراه او على شي بين يديه ولا يضعه بالارض ومن حرمته الا
يمحوه من اللوح بالبزاق ولكن يغسله بالما ومن حرمته اذا غسله ان
يتوقى النجاسات من المواضع والمواضع التي توطا فان لتلك الغسالة
حرمة وكان من غسلها من السلف منهم من يستشفي بغسالته ومن
حرمته الا يتخذ الصحيفة اذا بليت ودرست وقاية للكتب
فان ذلك جفا عظيم ولكن يمحوها بالما ومن حرمته الا يخلي يوما من
ايامه من النظر في المصحف مرة وكان ابو موسى يقول اني لاستحيي
الا انظر كل يوم في عهد ربي مرة ومن حرمته ان يعطي عينيه حظهما
منه فان العين تودي الى النفس وبين النفس والصدر حجاب والقران
في الصدر فاذا قراه عن ظهر قلب فانما يسمع باذنه فيودي الى
النفس فاذا نظر في الخط كانت العين والاذن قد اشتركتا في الادا
وذلك اوفر للادا وكان قد اخذت العين حظها كالاذن روي
زيد بن اسلم عن عطا بن يسار عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول
الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار
عند عجايبه وروي مكحول عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم افضل عبادة امتي قراة القران نظرا ومن حرمته ان لا
يتاوله عند ما يعرض له من الدنيا حدثنا عمرو بن زياد الحنظلي قال
حدثنا هشيم بن بشير عن المغيرة عن ابراهيم قال كانوا يكرهون ان يتاولوا شيئا
من القران عند ما يعرض له شي من الدنيا والتاويل مثل قولك للرجل
اذا جاءك جئت على قدر يا موسى ومثل كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم
عند حضور الطعام واشباه هذا ومن حرمته ان لا يقال سورة كذا
كقولك سورة النحل وسورة البقرة وسورة النساء ولكن يقال السورة
التي يذكر فيها كذا **قلت** هذا يعارضه قوله عليه السلام الايتان من
اخر سورة البقرة من قراهما في ليلة كفتاه خرجه البخاري ومسلم من حديث
وسياتي اخر سورة البقرة ان شا الله ومن حرمته الا يتلى منكوسا كفعل
معلمي الصبيان يلتمس احدهم بذلك ان يرى الحذق من نفسه والمهارة
فان تلك مجانة ومن حرمته الا يقعر في قراته كفعل هولا الهمزيين المبتدعين
المتنطعين في ابراز الكلام من تلك الافواه المنتنة تكلفا فان ذلك محدث
القاه اليهم الشيطان فقبلوه منه ومن حرمته ان لا يقرا بالحان الغنا
كلحون اهل الفسق ولا بترجيع النصارى ولا نوح الرهبانية فان ذلك
كله زيغ وقد تقدم ومن حرمته ان يجلل تخطيطه وعن ابي حكيمة انه
كان يكتب المصاحف فمر علي رضي الله تعالى عنه فنظر الى كتابته فقال
اجل قلمك فاخذت القلم فقططت من طرفه قطا ثم كتبت وعلي رضي
الله عنه قايم ينظر الى كتابي فقال هكذا نوره كما نوره الله ومن
حرمته الا يجهر بعض على بعض بالقراة فيفسد عليه حتى
يبغض اليه ما يسمع ويكون كهيئة المغالبة ومن حرمته الا

يماري ولا يجادل فيه في القراات ولا يقول لصاحبه ليس هكذا هو
ولعله ان يكون تلك القراة صحيحة جائزة من القران فيكون قد جحد كتاب الله
ومن حرمته ان لا يقرا في الاسواق ولا في مواطن اللغط واللغو ومجمع السفها
الا ترى ان الله تعالى قال وعباد الرحمن واثنى عليهم بانهم اذا مروا
باللغو مروا كراما هذا لمرور بنفسه فكيف اذا مر بالقران الكريم
تلاوة بين ظهراني اهل اللغو ومجمع السفها ومن حرمته ان لا يتوسد
المصحف ولا يعتمد عليه ولا يرمي به لصاحبه اذا اراد ان يناوله
ومن حرمته الا يصغر المصحف روى الاعمش عن ابراهيم عن علي
رضي الله عنه قال لا تصغر المصحف قلت وروي عن عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه انه راى مصحفا صغيرا في يد رجل فقال من كتبه قال
انا فضربه بالدرة وقال عظموا القران وروى عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه نها ان يقال مسجد ومصحف ومن حرمته الا يخلط فيه ما
ليس منه ومن حرمته ان لا يحلى بالذهب ولا يكتب بالذهب فيخلط
به زينة الدنيا وروى مغيرة عن ابراهيم انه كان يكره ان يحلى المصحف
او يكتب بالذهب او يعلم عند رؤس الاي او يصغر وروي من
حديث ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدبار عليكم وقال ابن
عباس وراى مصحفا قد زين بفضة يغرون السارق وزينته في
جوفه ومن حرمته ان لا يكتب على الارض ولا على حايط كما يفعل
بهذه المساجد المحدثة حدثنا محمد بن علي السقيفي عن ابيه عن عبد
الله بن المبارك عن سفين عن محمد بن الزبير قال سمعت عمر بن عبد العزيز

محدث

مطلب حلية القرآن بالذهب

بحدث قال مر رسول الله صلى الله وسلم بكتاب في ارض يقال
من هذيل ماهذا قال من كتاب الله كتبه يهودي فقال لعن الله من
فعل هذا لا تضعوا كتاب الله الا موضعه قال محمد بن الزبير ورأى
محمد بن عبد العزيز ابنا له يكتب القران على حايط فضربه ومن حرمته انه
اذا اغتسل بكتابته مستشفيا من سقم ان لا يصبه على كناسه وفي
موضع نجاسة ولا على موضع يوطي ولكن ناحية من الارض في بقعة لا
يطاه الناس او يحفر حفيرة في موضع طاهر حتى ينصب من جسده في
تلك الحفيرة ثم يكبسها او نهر كبير يختلط بمائه فيجري ومن حرمته
ان يفتتحه كلما ختمه حتى لا يكون كهيئة المهجور ولذلك كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ختم يقرأ من اول القران قدر
خمس ايات ليلا يكون في هيئة المهجور وروى بن عباس قال جار   جل
فقال يا رسول الله اي العمل افضل قال عليك بالحال المرتحل قال
وما الحال المرتحل قال صاحب القران يضرب من اوله حتى يبلغ آخره ثم
يضرب في اوله احل ارتحل **قلت** وخرجه ابو عيسى الترمذي
ايضا في جامعه ويستحب له اذا ختم القران ان يجمع اهله ذكر ابو
الانباري اخبرنا ادريس قال ثنا خلف قال ثنا وكيع عن مسعر
عن قتادة ان انس بن مالك رضي الله تعالى عنه كان اذا ختم القران جمع اهله
ودعا قال واخبرنا ادريس قال ثنا جرير عن منصور عن الحكم قال
كان مجاهد وعنده بن ابي لبابة وقوم يعرضون المصاحف
فاذا ارادوا ان يختموا وجهوا الينا ان احضرونا فان الرحمة تنزل
عند ختم القران قال واخبرنا ادريس ثنا خلف قال حدثنا هشيم عن

مطلب فيما يستحب عند ختم القران

العوام عن ابرهيم التيمي قال من ختم القران اول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي ومن ختم الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح قال فكانوا يستحبون ان يختموا اول الليل واول النهار **قلت** وسمعت من بعض اصحابنا ان الملك يقبل بين عيني القاري اذا ختم القران ذكره ابو نعيم الحافظ عن حبيب بن ابي عمرة قال اذا ختم الرجل القران قبل الملك بين عينيه ومن حرمته ان لا يكتب التعاويذ منه ثم يدخل به الخلاء الا ان يكون في غلاف من ادم او فضة او غيره فيكون كانه في صدرك ومن حرمته اذا كتبته وشربته ان يسمي الله على كل نفس ويعظم النية فيه فان الله يوتيه على قدر نيته روى كعب عن مجاهد قال لا باس ان يكتب القران ثم يسقيه المريض وعن ابي جعفر قال من وجد في قلبه قساوة فليكتب يس في جام بزعفران ثم يشربه **قلت** ومن حرمته ان لا يقال سورة صغيرة وكره ابو العالية ان يقال صغيرة او كبيرة وقال لمن سمعه يقولها انت اصغر منها واما القران فكله عظيم ذكره مكي رحمه الله قلت وقد روى ابو داود ما يعارض هذا من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة الا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بها الناس في الصلاة

باب ما جاء من الوعيد في تفسير القران بالراي والجراة على الله تعالى ومراتب المفسرين

روى عن عايشة رضي الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من كتاب الله الا ايا بعد ان علمهن اياه جبريل قال ابن عطية ومعنى هذا الحديث

في مغيبات

من ع

مطلب

مطلب

ثالث

في مغيبات القرآن وبتفسير مجمله ونحو هذا مما لا سبيل اليه الا بتوفيق
من الله تعالى ومن جملة مغيباته مالم يعلم به كوقت قيام الساعة
ونحوها مما يستفهم من الفاظه كعدد النفخات في الصور وكرتبة
خلق السموات والارض • روى الترمذي عن ابن عباس عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الحديث علي الا ما علمتم •
فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار • ومن قال في
القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وروى ايضا عن جندب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن برأيه
فاصاب فقد اخطأ قال هذا حديث غريب • وقد تكلم
بعض اهل الحديث في سهل بن ابي حزم قلت واخرجه ابو
داود ايضا وتكلم في احد رواته وزاد رزين ومن قال
برأيه فاخطأ فقد كفر وتكلم العلما في معنى هذا الحديث فقال
ابو بكر بن الانباري في كتاب الرد فسر حديث ابن عباس
تفسيرين احدهما من قال في مشكل القرآن بما لا يعرف
من مذهب الاوايل من الصحابة والتابعين فهو متعرض
لسخط الله والجواب الآخر وهو اثبت القولين واصحهما
يعني من قال في القرآن قولا يعلم ان الحق غيره فليتبوأ مقعده
من النار • ومعنى يتبوأ ينزل ويحلل • قال الشاعر وبوئت
في صميم معشرها تيم في قومها منوها وقال في حديث
جندب فحمل بعض اهل العلم هذا الحديث على ان الراي يعني
به الهوي من قال في القرآن قولا يوافق هواه لم ياخذ عن ائمة

السلف فاصاب فقد اخطأ لحكمه على القرآن بما لا يعرف اصله
ولا يقف على مذاهب اهل الاثر والنقل فيه • وقال بن عطية معنى
هذا ان يسئل الرجل عن معنى من كتاب الله فيتسور عليه برايه
دون نظره فيما قاله العلماء او اقتضته قوانين العلم كالنحو والاصول
وليس يدخل في هذا الحديث ان يفسر اللغويون لغته والنحويين
نحوه والفقها معانيه • ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين
علم ونظر فان القائل على هذه الصفة ليس قائلا بمجرد رايه قلت
هذا صحيح وهو الذي اختاره غير واحد من العلما فان من
قال فيه بما سنح في وهمه وخطر على باله من غير استدلال
عليه بالاصول فهو مخطئ • وان من استنبط معناه بحمله على الاصول
المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح • وان سبق اليه كان تاييدا
له وان لم يسبق اليه كان فضلا من الله معه ابتدا ولا يكون
فيه مخالفة للاجماع وذلك ان احدا من الائمة لم يخطر على غيره
ان يكون القول في الاية قوله فقط بل كلهم وصفوا القرآن
بانه العجب الذي لا تنقضي عجائبه والمفيد الذي لا تنقطع فوائده
هذا امير المومنين علي بن ابي طالب لما سئل هل خصكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم بشي قال لا الا من
حتى ترى للقرآن وجوها وقال ابن مسعود من
اراد العلم فليثور القرآن فان فيه علم الاولين والآخرين وقال
بعض العلماء ان التفسير موقوف على السماع لقوله تعالى فان تنازعتم
في شي فردوه الى الله والرسول وهذا فاسد لان النهي عن

تفسير

تفسير القرآن لا يخلو اما ان يكون المراد منه الاقتصار على
النقل والمسموع وترك الاستنباط او المراد به امر آخر وباطل
ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القرآن الا بما سمعه فان
الصحابة رضي الله تعالى عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره
على وجوه وليس كلما قالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم فان
النبي صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس وقال اللهم فقهه في الدين
وعلمه التأويل فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل فما فائدة تخصيصه
بذلك وهذا بين لا اشكال فيه وسيأتي لهذا مزيد بيان في
سورة النساء ان شاء الله عند قوله ولو ردوه الى الرسول والى
اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم نعم اما ما يتعلق
بالرواية واللغة واسباب النزول وكذلك القصص واسامي
الرجال فلا يجوز القول فيها الا عن نقل صحيح واسناد متصل يقطع
العذر وليس للرأي فيه مجال ولا للنظر الى استبدال نقله سبيل
فالوجه فيه الاتباع والفقه اما ما يتعلق بالمعاني مما يمكن انتزاعه
بالاستنباط واعمال الفكر فيه وكل من له آلة النظر وكان عارفا
باصول الدين ومجاري خطاب العرب فله تأويله على ما ذكرنا وقد
قيل ان النهي يحمل على احد وجهين احدهما ان يكون في الشيء رأي
واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه
ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى
لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا النوع يكون تارة
مع العلم الذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته ويعلم

هو

ان ليس المراد بالآية ذلك ولكن مقصوده ان يلبس على خصمه وتارة
يكون مع الجهل وذلك اذا كانت الآية محتملة فيميل وهمه الى الوجه
الذي يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برايه وهواه فيكون قد
فسر برايه اي رايه حمله على ذلك التفسير ولولا رايه لما كان
يترجح عنده ذلك الوجه وتارة يكون له غرض صحيح فيطلب له
دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن
يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله تعالى اذهب الى
فرعون انه طغى ويشير الى قلبه ويومي الى انه المراد بفرعون وهذا
الجنس قد يستعمله الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام
وترغيبا للمستمع وهو ممنوع لانه قياس في اللغة وذلك غير جايز
وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم
الى مذاهبهم الباطلة فينزلون القرآن على وفق رايهم ومذهبهم
على امور يعلمون قطعا انها غير مرادة بها فهذه الفنون احد وجهي
المنع من التفسير بالراي الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القرآن
بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق
بغرايب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه
من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير فمن
لم يحكم بظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية
كثر غلطه ودخل في زمرة من فسر القرآن بالراي فالنقل
والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع
الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط والغرايب

التي لا

التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة ولا مطمع في الوصول الى البتة
قبل احكام الظاهر الا ترى الى قوله تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة
فظلموا بها معناه اية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر بمجرد العربية
يظن ان المراد به ان الناقة كانت مبصرة ولا يدري بما ظلموا وانهم
ظلموا غيرهم وانفسهم فهذا من الحذف والاضمار وامثال هذا
في القران كثير وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي اليه والله تعالى
اعلم قال ابن عطية وكان جملة من السلف كسعيد بن المسيب
وعامر الشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القران ويتوقفون عنه
تورعا واحتياطا لانفسهم مع ادراكهم وتقدمهم قال ابن الانباري
وقد كان الائمة من السلف الماضي يتورعون عن تفسير المشكل
من القران فبعض يقدر ان الذي يفسره لا يوافق مراد الله فيحجم عن
القول وبعض يشفق من ان يجعل في التفسير اماما يبنى على مذهبه
ويقتفى طريقه فلعل متاخرا ان يفسر حرفا برايه ويخطئ فيه ويقول
امامي في تفسير القران بالراي فلان الامام من السلف وعن ابن ابي
مليكة قال سئل ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن تفسير حرف
من القران فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني واين اذهب وكيف
اصنع اذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما اراد تبارك وتعالى
قال ابن عطية وكان جملة من السلف كثير عددهم يفسرون
القران وهم ابقوا على المسلمين في ذلك رضي الله عنهم فاما صدر
المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن ابي طالب رضي الله عنه ويتلوه
ابن عباس وهو تجرد للامر وكمله وتبعه العلماء عليه كمجاهد وسعيد

مطلب في قول ابي بكر الصديق

بن جبير وغيرهما والمحفوظ عن ابن عباس اكثر من المحفوظ عن علي وقال
ابن عباس ما اخذت تفسير القرآن فعن علي بن ابي طالب وكان علي
رضي الله عنه يثني على تفسير ابن عباس ويحض على الاخذ عنه وكان
ابن مسعود يقول نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس وقال علي رضي الله بن
عباس كانما ينظر الى الغيب من ستر رقيق ويتلوه عبد الله بن مسعود
وابي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو بن العاص وكلما اخذ عن
محسن مقدم لشهودهم التنزيل ونزوله بلغتهم قلت وفي كتاب
الرد لابن الانباري عن عامر بن وائله قال شهدت علي بن ابي طالب
رضي الله عنه يخطب فسمعته يقول في خطبته سلوني فوالله لا تسالوني
عن شي يكون الى يوم القيمة الا حدثتكم به سلوني عن كتاب الله
فوالله ما من آية الا اعلم ابليل نزلت ام بنهار ام في سهل نزلت ام في
جبل فقام اليه ابن الكوا فقال يا امير المؤمنين ما الذاريات
ذروا وذكر الحديث وعن المنهال بن عمرو قال قال عبد الله بن
مسعود لو اعلم احدا اعلم في كتاب الله مني تبلغه المطي لاتيته فقال
له رجل اذا لقيت علي بن ابي طالب فقال بلى قد لقيته وعن مسروق قال
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مثل الاخاذ يروي الواحد والاخاذ
يروي الاثنين والاخاذ لو ورد عليه الناس اجمعون لاصدرهم وان
عبد الله بن مسعود من تلك الاخاذ قال ابن الانباري والاخاذ عند
العرب الموضع الذي يحبس الما كالغدير قال وحدثنا الهيثم بن خالد
قال وحدثنا احمد بن عبد الله بن يونس قال حدثنا سلام عن زيد العمي ابي
الصديق الناجي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم ارحم امتي بها ابو بكر واقواهم في دين الله عمر
واصدقهم حيا عثمان واقضاهم علي وافرضهم زيد واقراهم لكتاب
الله ابي بن كعب واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وامين هذه
الامة ابو عبيدة بن الجراح وابو هريرة وعا من العلم وسلمان
بحر من علم لا يدرك وما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء وقال
البطحا من ذي لهجة اصدق من ابي ذر قال بن عطية ومن المبرزين
في التابعين الحسن البصري ومجاهد وسعيد بن جبير وعلقمة قرا
مجاهد عن ابن عباس قراءة تفقه ووقوف عند كل اية ويتلوهم عكرمة
والضحاك وان كان لم يلق ابن عباس وانما اخذ عن ابن جبير واما
السدي فكان عامر الشعبي يطعن عليه وعلي ابي صالح لانهما كانا يراهما
مقصرين في النظر قلت وقال يحيى بن معين الكلبي ليس بشيء وعن
يحيى بن سعيد القطان عن سفين قال قال الكلبي قال ابو صالح كل ما
حدثتك كذب وقال بن حبيب بن ابي ثابت كنا نسميه الدر
وعون يعني ابا صالح مولى ام هاني والدروعزن هو الداب بلغة
الفرس قال بن عطية ثم حمل كتاب الله تعالى عدول كل خلف كما قال
صلى الله عليه وسلم تحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه
تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين خرجه ابو عمر وغيره
قال الخطيب ابو بكر احمد بن علي البغدادي وهذه شهادة من رسول
الله صلى الله وسلم بانهم اعلام الدين وائمة المسلمين لحفظهم الشريعة
من التحريف والانتحال للباطل ورد تاويل الابله الجاهل وانه يجب
الرجوع اليهم والمعول في امر الدين عليهم قال بن عطية والف

الناس فيه كعبد الرزاق والفضل وعلي بن ابي طلحة والبخاري وغيرهم
ثم ان محمد بن جرير رحمه الله تعالى جمع على الناس اشتات التفسير
وقرب البعيد منها ويشفي في الاسناد ومن المبرزين في المتاخرين
ابو اسحاق الزجاج وابو علي الفارسي واما ابو بكر النقاش
وابو جعفر النحاس فكثيرا ما استدرك الناس عليهما وعلى
سننهما مكي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم وابو العباس المهدوي
متقن التاليف وكلهم مجتهد ماجور رحمهم الله ونضر الله وجوههم
قلت اشتهر بعلم التفسير جماعة من الصحابة ثم بعدهم
من التابعين ثم اتباع التابعين منهم عمر وعلي وابن مسعود وابن
عباس وزيد بن ثابت وابي بن كعب والزبير وابو موسى وغيرهم
رضي الله عنهم ثم بعدهم سعيد بن المسيب والقاسم بن
محمد وعروة بن الزبير وعبد الله بن عبد الله بن عتبة وابو سلمة
بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وزيد بن حارثة وعطا بن
يسار وزيد بن اسلم وعطا بن ابي رباح ومجاهد وسعيد بن
جبير وابن سيرين وقتادة وابو العالية ومحمد بن مرة والاسود
وعبيدة السلماني والسدي ومكحول وطاوس اليماني وعطا
الخراساني والضحاك بن مزاحم والضحاك عبد الرحمن بن زيد بن
اسلم ومحمد بن السايب الكلبي ومقاتل بن حيان ورجا بن مصعب
وغيرهم من كبر عددهم من اكابر الامة وعلمايها من السلف
الذين عرفوا بعلم التفسير ثم انهم سلكوا طريق الاستنباط
وذكروا اقاويلا صحيحة على اصول الدين وان لم يكن لهم نقل

متصل

متصل وقد اطلق الغزالي ابو حامد ومن وافقه على ما نقله هو لا الايمة وكتبهم من التفسير اسم القشر والقشور وذلك الاطلاق غير محمود ولا مشكور ولا مشهور ولا مذكور فهو اطلاق محدث ينبغي لاصله ان يجيب ويترك ويهجر ويطمس فلا يذكر واما انه لو قال بما جابه الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من آية الا ولها ظهر وبطن وما من حرف الا وله حد ولكل حد مطلع اي منتهى ينتهي اليه لكان اولى واشكل واعلى

باب تبيين الكتاب بالسنة وما جاء في ذلك

قال الله تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم وقال فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال وانك لتهدي الى صراط مستقيم وفرض طاعته في غير آية من كتابه وقرنها بطاعته عز وجل فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وذكر بن عبد البر في كتاب العلم له عن عبد الرحمن بن يزيد انه راى محرما عليه ثيابه فنهى المحرم فقال ائتني باية من كتاب الله بنزع ثيابه قال فقرات عليه وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وعن هشام بن حجير قال كان طاوس يصلي ركعتين بعد العصر فقال لا ادري ايعذب ام يؤجر لان الله تعالى قال وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم وروى ابو داود عن المقدام بن معدي كرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الا واني اوتيت الكتاب ومثله معه الا يوشك شبعان على اريكته

يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم
فيه من حرام فحرموه الا لا يحل لكم الحمار الاهلي ولا كل ذي ناب من
السباع ولا لقطة معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم
فعليهم ان يقروه فان لم يقروه فله ان يعقبهم بمثل قراه قال الخطابي
في تفسير هذا الحديث قوله اوتيت الكتاب ومثله معه يحتمل وجهين
من التاويل احدهما ان معناه انه اوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما
اوتي من الظاهر المتلو والثاني انه اوتي الكتاب وحيا يتلى واوتي من البيان
مثله اي اذن له ان يبين ما في الكتاب فيعم ويخص ويزيد عليه ويشرع فيكون
في وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن وقوله يو
شك رجل شبعان الحديث يحذر بهذا القول من مخالفة السنن التي
سنها مما ليس له في القرآن ذكر على ما ذهبت اليه الروافض والخوارج
فانهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي قد ضمنت بيان
الكتاب قال فتحيروا وضلوا قال والاريكة السرير ويقال انه لا
يسمى اريكة حتى يكون في حجلة قال وانما اراد بالاريكة اصحاب الترفه
والدعة الذين لزموا البيوت ولم يطلبوا العلم من مظانه وقوله الا
ان يستغني عنها صاحبها معناه ان يتركها صاحبها لمن اخذها استغناء عنها
كقوله وكفروا وتولوا واستغنى الله معناه تركهم الله استغناء عنهم
وقوله فله ان يعقبهم بمثل قراه هذا في حال المضطر الذي لا يجد طعاما
ويخاف التلف على نفسه فله ان ياخذ من مالهم بقدر قراه عوض ما
حرموه من قراه ويعقبهم يروى مشددا ومخففا من المعاقبة ومنه
قوله فان عاقبتم اي فكانت الغلبة لكم فغنمتم منهم فكذلك هذا

ان

ان يغنم من اموالهم بقدر . قال وفي الحديث دلالة على انه لا
حاجة بالحديث الى ان يعرض بالكتاب فانه مهما ثبت عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان حجة بنفسه قال فاما ما رواه بعضهم انه قال اذا جاءكم
الحديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافقه فخذوه فانه حديث
باطل لا اصل له . ثم البيان منه صلى الله عليه وسلم على ضربين بيان لمجمل
الكتاب كسائر الصلوات الخمس في مواقيتها وسجودها وركوعها وسائر
احكامها وكبيانه لمقدار الزكوة ووقتها . وما الذي يؤخذ منه من
الاموال وبيانه لمناسك الحج قال صلى الله عليه وسلم اذ حج بالناس
خذوا عني مناسككم وقال صلوا كما رأيتموني اصلي اخرجه
البخاري . وروى ابن المبارك عن عمران بن حصين انه قال لرجل انك
امرء احمق اتجد الظهر في كتاب الله تعالى مفسرا ان كتاب الله تعالى
ابهم هذا وان السنة تفسر هذا . وروى الاوزاعي عن حسان
بن عطية قال كان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحضره
جبريل بالسنة التي تفسر ذلك وروى سعيد بن منصور قال حدثنا
عيسى بن يونس عن الاوزاعي عن مكحول . قال القرآن احوج الى السنة
من السنة الى القرآن وبه عن الاوزاعي قال قال يحيى بن ابي كثير السنة
قاضية على الكتاب . وليس الكتاب بقاض على السنة . قال الفضل بن
زياد سمعت ابا عبد الله يعني احمد بن حنبل وسئل عن هذا الحديث
الذي روي ان السنة قاضية على الكتاب . فقال ما اجسر على هذا ولكني
اقول ان السنة تفسر الكتاب وتبينه . وبيان آخر وهو زيادة على
حكم الكتاب كتحريم المراة على عمتها وخالتها وتحريم الحمر الاهلية

وكل ذي ناب من السباع والقضا باليمين مع الشاهد وغير ذلك
على ما يأتي بيانه ان شا الله تعالى

باب كيفية العلم والفقه

لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما جا انه سهل على من تقدم
العمل به دون حفظه ذكر ابو عمر الداني في كتاب البيان له باسناده عن
عثمان وابن مسعود وابي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقريهم
العشر فلا يجاوزوهم الى عشر اخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل فيعلمنا
القران والعمل جميعا وذكر عبد الرزاق عن معمر عن عطا بن
السايب عن ابي عبد الرحمن السلمي قال كنا اذا تعلمنا عشر ايات من
القران لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها وامرها
ونهيها وفي موطا ملك انه بلغه ان عبد الله بن عمر مكث على سورة
البقرة ثمان سنين يتعلمها وذكر ابو بكر احمد علي بن ثابت الحافظ في
كتابه المسمى في ذكر اسما من روى عن ملك عن مرداس بن محمد ابي بلال
الاشعري قال حدثنا ملك عن نافع عن ابن عمر قال تعلم عمر البقرة في
اثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحر جزورا وذكر ابو بكر الانباري قال
حدثني محمد بن شهريار قال ثنا الحسين بن الاسود قال ثنا عبيد
الله بن موسى عن زياد بن ابي مسلم ابي عمر عن زياد بن مخراق قال قال
عبد الله بن مسعود انا صعب علينا حفظ القران وسهل علينا العمل به
وان من بعدنا يسهل حفظ القران ويصعب عليهم العمل به حدثنا ابراهيم
بن موسى قال ثنا يوسف بن موسى قال ثنا الفضل بن دكين من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الامة لا يحفظ الا السورة
او نحوها ورزقوا العمل بالقران وان اخر هذه الامة يقرون القران

منهم

منهم الصبي والاعجمي ولا يريدون عملا به حدثني حسن بن عبد الوهاب
ابو محمد بن العنبر قال ثنا ابو بكر بن حماد المقري قال سمعت خلف بن
هشام البزاز يقول ما اظن القرآن الا عارية في ايدينا وذلك انا روينا
ان عمر بن الخطاب حفظ البقرة في بضع عشرة سنة فلما حفظها نحر جزورا
شكرا لله تعالى وان الغلام في دهرنا هذا يجلس بين يدي فيقرا
ثلث القرآن لا يسقط منه حرفا فما احسب القرآن الا عارية في ايدينا
وقال اهل العلم بالحديث لا ينبغي لطالب الحديث ان يقتصر على
سماع الحديث وكتبه دون معرفته وفهمه فيكون قد اتعب نفسه
من غير ان يظفر بطائل وليكن حفظه للحديث على التدريج قليلا
قليلا مع الليالي والايام وممن ورد ذلك عنه من حفاظ الحديث
شعبة وابن عليه ومعمر قال معمر سمعت الزهري يقول من طلب
العلم جملة فاته جملة وانما يدرك العلم حديثا وحديثين
والله اعلم وقال معاذ بن جبل اعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن ياجركم
الله بعلمه حتى تعملوا قال ابن عبد البر وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم قول معاذ من رواية عباد بن عبد الصمد وفيه زيادة ان
العلماء همتهم الوعاية وان السفهاء همتهم الرواية وروي
موقوفا وهو اولى من رواية من رواه مرفوعا وعباد بن
عبد الصمد ليس ممن يحتج به ولقد احسن القائل في نظمه في
فضل العلم وشرف الكتاب والسنة الغرا
ان العلوم وان جلت محاسنها فتاجها ما به الايمان قد وجبا
هو الكتاب العزيز الله يحفظه وبعد ذلك علم فرج الكربا

فذاك ما علم حديث المصطفى فيه نور النبوة سن الشرع والادبا
وبعد علوم لا انتهاء لها ... فاختر لنفسك يا من آثر الطلبا
فالعلم كنز تجده في معادنه يا ايها الطالب ابحث وانظر الكتبا
واتل بفهم كتاب الله فيه اتت كل العلوم فدبر ترى عجبا
واقرا حديث المصطفى ثم سل مولاك ما تشتهي يقضي لك الاربا
من ذاق طعم علوم الدين يشربه اذا تزيد منه قال واحربا

باب معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقروا ما تيسر منه

وبيان حكم القراءة الشاذة روى مسلم عن ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عند اضاة بني غفار فاتاه جبريل فقال ان الله يامرك ان تقرا امتك القرآن على حرف فقال اسل معافاته ومغفرته وان امتي لا يطيق ذلك ثم اتاه الثانية فقال ان الله يامرك ان تقرا امتك القرآن على حرفين فقال اسل الله معافاته ومغفرته وان امتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الثالثة فقال ان الله يامرك ان تقرا امتك القرآن على ثلاثة احرف فقال اسل الله معافاته ومغفرته وان امتي لا تطيق ذلك ثم جاء الرابعة فقال ان الله يامرك ان تقرا امتك القرآن على سبعة احرف فايما حرف قرأوا عليه فقد اصابوا اضاة جمعها اضا مثل نناة وقنا وحصاة وحصا وجمع الجمع اضاء مثل اكام قاله الهروي والجوهري وابن فارس وكلهم قالوا الاضاة الغدير وروى الترمذي عن ابي بن كعب قال لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فقال يا جبريل اني بعثت الى امة امية منهم

العجوز

العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لا يقرا
كتابا قط فقال لي يا محمد ان القران انزل على سبعة احرف قال
هذا حديث حسن صحيح وثبت في الامهات البخاري ومسلم والموطا
وابي داود والنساي وغيرهما من المصنفات والمسندات
قصة عمر مع هشام بن حكيم وسياتي بكماله في اخر الباب مبينا ان شاء
الله وقد اختلف العلما في المراد بالاحرف على خمسة وثلاثين
قولا ذكرها ابو حاتم النساي نذكر منها في هذا الكتاب خمسة
اقوال **الاول** وهو الذي عليه اكثر اهل العلم كسفين بن عيينة
وعبد الله بن وهب والطبري والطحاوي وغيرهم ان المراد سبعة
اوجه من المعاني المتقاربة بالفاظ مختلفة نحو اقبل وتعال وهلم قال
الطحاوي وابين ما ذكر في ذلك حديث ابي بكرة قال جا جبريل
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقرا على حرف فقال ميكاييل
استزده فقال اقرا على حرفين فقال ميكاييل استزده حتى بلغ الى
سبعة احرف فقال اقرا فكل شاف كاف الا ان تخلط اية رحمة
باية عذاب او اية عذاب باية رحمة على نحو هلم وتعال واقبل واذهب
واسرع وعجل وروى ورقا عن ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس
عن ابي بن كعب انه كان يقرا للذين امنوا انظرونا للذين امنوا امهلونا
للذين امنوا اخرونا للذين امنوا ارقبونا وبهذا الاسناد عن
ابي انه كان يقرا كلما اضا لهم مشوا فيه مروا فيه سعوا فيه وفي
البخاري ومسلم قال الزهري انما هذه الاحرف في الامر الواحد
ليس يختلف في حلال ولا حرام قال الطحاوي انما كانت السبعة

للناس في الحروف ولعجزهم عن اخذ القران على غير لغاتهم لانهم كانوا
اميين لا يكتب الا القليل منهم فلما كان يشق على كل ذي لغة ان يتحول
الى غيرها من اللغات ولو رام ذلك لم يتهيا له الا بمشقة عظيمة توسع
لهم في اختلاف الالفاظ اذا كان المعنى متفقا فكانوا كذلك حتى كثر منهم
من يكتب وعادات لغاتهم الى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدروا بذلك
لك تحفظ الفاظه فلم يسعهم حينئذ ان يقرؤوا بخلافها. قال ابن عبد البر
فبان بهذا ان تلك السبعة الاحرف انما كان في وقت خاص لضرورة دعت
الى ذلك ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة احرف
وعاد ما يقرا به القران الى حرف واحد. روى ابو داود عن ابي قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي اني اقريت القران فقيل لي على حرف
او حرفين فقال الملك الذي معي قل على حرفين فقيل لي على حرفين او ثلاثة
فقال الملك الذي معي قل على ثلاث. حتى بلغ سبعة احرف ثم قال ليس منها الا
شاف كاف ان قلت سميعا عليما عزيزا حكيما ما لم تخلط اية عذاب برحمة او
رحمة بعذاب. واسند ثابت بن قاسم نحو هذا الحديث عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم وذكر من كلام ابن مسعود نحوه. قال القاضي ابو
بكر بن الطيب واذا ثبتت هذه الرواية يريد حديث ابي حمل على
ان هذا كان مطلقا ثم نسخ فلا يجوز للناس ان يبدلوا اسما لله في موضع
بغيره مما يوافق معناه او يخالف **القول الثاني** قال قوم هي سبع لغات
في القران على لغات العرب كلها يمنها ونزارها لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يجهل شيئا منها وكان قد اوتي جوامع الكلم وليس معناه ان
يكون في الحرف الواحد سبعة اوجه ولكن هذه اللغات السبع

مفترقة

مفترقة وفي القرآن فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه
بلغة هوازن وبعضه بلغة اليمن قال الخطابي على ان في القرآن ما قد قرئ
بسبعة اوجه وهو قوله وعبد الطاغوت وقوله ارسله معنا غدا نرتع
ونلعب وذكر وجوها كانه يذهب الى ان بعضه انزل على سبعة احرف
لا كله والى هذا القول بان القرآن انزل على سبعة احرف على سبع
لغات ذهب ابو عبيد القاسم بن سلام واختاره ابن عطية قال ابو عبيد
وبعض الاحياء اسعد بها واكثر حظا فيها من بعض وذكر حديث
بن شهاب عن انس ان عثمان قال لهم حين امرهم ان يكتبوا المصاحف ما
اختلفتم انتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش فانه نزل بلغتهم ذكره البخاري
وذكر حديث بن عباس قال نزل القرآن بلغة الكعبين كعب قريش وكعب
خزاعة قيل كيف ذلك قال لان الدار واحدة قال ابو عبيد يعني
ان خزاعة جيران قريش واخذوا بلغتهم قال القاضي بن الطيب رضي
رضي الله عنه معناه قول عثمان فانه نزل بلسان قريش يريد معظمه
واكثره ولم يقم دلالة قاطعة على ان القرآن باسره منزل بلغة قريش
اذ فيه كلمات وحروف هو خلاف لغة قريش وقد قال الله تعالى انا
جعلناه قرآنا عربيا ولم يقل قرشيا وهذا يدل انه منزل بلسان
العرب وليس لاحد ان يقول انه اراد قريشا من العرب دون غيرها
كما انه ليس له ان يقول اراد لغة عدنان دون قحطان او ربيعة
دون مضر لان اسم العرب يتناول جميع هذه القبائل تناولا واحدا
وقال ابن عبد البر قال ان القرآن نزل بلغة قريش معناه في الاغلب والله
اعلم لان غير لغة قريش موجودة في صحيح القراآت من تحقيق الهمزات

ونحوها وقريش لانهم وقال بن عطية معنى قول قول النبي صلى الله
عليه وسلم انزل القران على سبعة احرف اي فيه عبارة سبع قبايل بلغة
جملتها نزل القران فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش ومرة بعبارة
هذيل ومرة بغيره الحسب الافصح والاوجز في اللغة الا ترى
ان فطر معناه عند غير قريش ابتدا فجاءت في القران فلم يتجه لابن عباس حتى
اختصم اليه اعرابيان في بير فقال فطرتها قال بن عباس ففهمت حينيذ
موقع قوله فاطر السموات والارض وقال ما كنت ادري معنى قوله
ربنا افتح بيننا وبين قومنا حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها
تعال افاتحك اي احاكمك وكذلك قال عمر بن الخطاب وكان لا يفهم معنى
قوله تعالى او ياخذهم على تخوف اي تنقص ولذلك اتفق لقطبة بن
ملك اذ سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يقرا في الصلاة والنخل
باسقات ذكره مسلم في باب القراة في الفجر الى غير ذلك من الامثلة
القول الثالث ان هذه اللغات السبع انما تكون في مضر قاله
قوم واحتجوا بقول عثمان نزل القران بلغة مضر وقالوا جايز ان يكون منها
لقريش ومنها لكنانة ومنها لاسد ومنها لهذيل ومنها لتيم ومنها لضبة
ومنها لقيس قالوا فهذه قبايل مضر تستوعب سبع لغات على هذه المراتب
وقد كان بن مسعود يحب ان يكون الذين يكتبون المصاحف من
مضر وانكر آخرون ان يكون كلها في مضر وقالوا في مضر شواذ لا يجوز ان
يقرا القران بها مثل كشكشة قيس وتمتمة تميم فاما كشكشة
قيس فانهم يقلبون كاف المونث شينا فيقولون في جعل ربك تحتك
سريا جعل ربش تحتش سريا واما تمتمة تميم فانهم يقولون في الناس النات

وفي

وفي اكياس اكيات قالوا وهذه لغات يرغب عن قرانها ولا يحفظ
عن السلف فيها شيء وقال آخرون اما ابدال الهمزة عينا وابدال حروف
الحلق بعضها من بعض فمشهور عن الفصحاء وقد قرئ به الجلة واحتجوا بقراءة
ابن مسعود ليسجننه عتى حين ذكرها ابو داود وبقول ذي الرمة

فعيناك عيناها وجيدك جيدها ولونك الا عنها غير طائل يريد الا
انها **القول الرابع** ما ذكره صاحب الدلائل عن بعض العلماء وذكر نحوه القاضي
ابن الطيب قال تدبرت وجوه الاختلاف فوجدتها سبعة منها ما يتغير
حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل هن اطهر واطهر ويضيق صدري
ويضيق ومنها ما لا تتغير صورته ويتغير معناه بالاعراب مثل ربنا باعد
بين اسفارنا وباعد ومنها ما يبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف
مثل ننشزها وننشرها ومنها ما يتغير صورته ويبقى معناه مثل وطلح
منضود وطلع منضود ومنها ما تتغير صورته ويبقى معناه كالعهن
المنفوش وكالصوف المنقوش ومنها بالتقديم والتأخير لقوله
وجاءت سكرة الموت بالحق وجاءت سكرة الحق بالموت ومنها بالزيادة
والنقصان مثل قوله تسع وتسعون نعجة انثى وقوله واما الغلام
فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين وقوله فان الله من بعد اكراههن
لهن غفور رحيم **القول الخامس** ان المراد بالاحرف السبعة معاني كتاب
الله تعالى وهي امر ونهي ووعد ووعيد وقصص ومجادلة وامثال قال
ابن عطية وهذا ضعيف لان هذا لا تسمى احرفا وايضا فالاجماع ان
التوسعة لم تقع في تحليل حلال ولا في تغيير شيء من المعاني وذكر القاضي
ابو الطيب في هذا المعنى حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال

ولكن ليست هذه هي التي اجاز لهم القراة بها وانما الحرف في هذه بمعنى
الجهة والطريقة ومنه قوله تعالى ومن الناس يعبد الله على حرف وكذلك
معنى هذا الحديث على سبع طرائق من تحليل وتحريم وغير ذلك قلت
وقد قيل ان المراد بقوله عليه السلام انزل القران على سبعة احرف
القراات السبع التي قرا بها القرا السبعة لانها كلها صحت عن النبي
صلى الله عليه وسلم ذكره ابو الليث السمرقندي في كتاب البستان له وهذا ليس
بشي لظهور بطلانه على ما ياتي في الباب بعد هذا وقد قال كثير من علمائنا
كالداودي وابن ابي صفرة وغيرهما ان هذه القراات السبعة التي
تنسب لهولاء القرا السبع ليست هي الاحرف السبعة التي اتسعت
الصحابة في القراة بها وانما هي راجعة الى حرف واحد من تلك السبعة
وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف ذكره بن النحاس وغيره وهذه
القراات المشهورة هي اختيارات اوليك الايمة القرا وذلك ان
كل واحد منهم اختار فيما روي وعلم وجهه من القراات ما هو الاحسن
عنده والاولى فالتزمه طريقة ورواه واقرا به واشتهر عنه وعرف
به ونسب اليه فقيل حرف نافع وحرف بن كثير ولم يمنع واحد منهم
اختيار الاخر ولا انكره بل سوغه وجوزه وكل واحد من هذه السبعة
روي عنهم اختياران او اكثر وكل صحيح وقد اجمع المسلمون في
هذه الامصار على الاعتماد على ما صح عن هولاي الايمة مما رووه
ورواه من القراات وكتبوا في ذلك فاستمر الاجماع على الصواب وحصل
ما وعد الله به من حفظ الكتاب وعلى هذا الايمة المتقدمون والفضلا
المحققون كالقاضي ابو بكر بن الطيب والطبري وغيرهما قال بن

عطية

رابع

عطية ومصحف الامصار على قراءة السبعة وبها لانها ثبتت
بالاجماع واما شاذ القراءات فلا يصلى بها لانه لم يجمع الناس عليه
اما ان المروي عنه عن الصحابة رضي الله عنهم وعن علماء التابعين
لا يعتقد فيهم الا انهم رووه واما يوثر عن ابي السماك ومن
قارنه فانه لا يوثق به وقال غير بن عطية اما شاذ القراءة عن
المصاحف المتواترة فليست بقران ولا يعمل بها على انها منه واحسن
محاملها ان يكون بيان تاويل مذهب من نسبت اليه كقراءة بن مسعود فصيام
ثلاثة ايام متتابعات واما لو صرح الراوي بسماعها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاختلف العلماء في العمل بذلك على قولين النفي
والاثبات وجه النافي ان الراوي لم يروه في معرض الخبر بل في معرض
القران ولم يثبت فلا يثبت ووجه الثاني انه وان لم يثبت كونه
قرانا فقد ثبت كونه سنة وذلك يوجب العمل كساير اخبار الاحاد
ذكر معنى حديث عمر وهشام قال بن عطية اباح الله لنبيه عليه
السلام هذه الحروف السبعة وعارضه بها جبريل عليه السلام في
عرضاته على الوجه الذي فيه الاعجاز وجودة الرصف ولم يقع الاباحة
في قوله عليه السلام فاقرؤا ما تيسر منه بان يكون كل واحد
من الصحابة اذا اراد ان يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات
جعلها من تلقاء نفسه ولو كان هذا لذهب اعجاز القران وكان معرضا
ان يبدل هذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله واما وقعت
الاباحة في الحروف السبعة للنبي عليه السلام ليوسع بها
على امته فاقرا مرة لابي بما عارضه به جبريل ومرة لابن مسعود بما

عارضه به ايضا وعلى هذا نحو قراءة عمر بن الخطاب لسورة الفرقان
وقراءة هشام بن حكيم لها والا فكيف يستقيم ان يقول النبي صلى الله
عليه وسلم من كل قراءة منها وقد اختلفتا هكذا اقرأني جبريل على ذلك الا
انه اقرأه مرة بهذه ومرة بهذه وعلى هذا يحمل قول انس حين قرأ ان
ناشئة الليل هي اشد وطأ واصوب قيلا فقيل له انما نقرأ واقوم قيلا
فقال انس واصوب قيلا واقوم قيلا واهيأ واحد فانما معنا هذا
انها مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم والا فلو كان هذا لاحد
عن الناس ان يضعه لبطل معنى قوله عز وجل انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على غير ما اقرؤها
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأنيها فكدت ان اعجل
عليه ثم امهلته حتى انصرف ثم لببته بردائه فجئت به رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على
غير ما اقرأتنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ فقرأ القراءة
التي سمعته يقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم
قال لي اقرأ فقرأت فقال هكذا انزلت ان هذا القرآن انزل على سبعة
احرف فاقرؤوا ما تيسر منه قلت وفي معنى حديث عمر هذا ما
رواه مسلم عن ابي بن كعب قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي
فقرأ قراءة انكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فلما قضينا
الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا
قرأ قراءة انكرتها عليه ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فامرهما النبي

صلى الله عليه وسلم فقرأ آخر غير قراءة النبي صلى الله عليه وسلم شانهما فسقط في نفسي من التكذيب والا اذ اذ كنت في الجاهلية فلما راي النبي صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكاني انظر الى الله تعالى فرقا فقال يا ابي انه ارسل الي ان اقرأ القران على حرف فرددت اليه ان هون على امتي فرد الي الثانية ان اقراه على حرفين فرددت اليه ان هون على امتي فرد الي الثالثة ان اقرا على سبعة احرف ولك بكل ردة رددتكها مسئلة تسئلنيها فقلت اللهم اغفر لامتي اللهم اغفر لامتي واخرت الثالثة ليوم ترغب الي فيه الخلق كلهم حتى ابرهيم عليه السلام قال علماؤنا رحمة الله عليهم قول ابي فسقط في نفسي معناه اعترتني حيرة ودهشة اي اصابته نزغة من الشيطان لسوس عليه حاله ويكدر عليه وقته فانه عظيم عليه من اختلاف القراآت ما ليس عظيما في نفسه والا فاي شي يلزم من المحال والتكذيب من اختلاف القراآت ولم يلزم ذلك والحمد لله في النسخ الذي هو اعظم فكيف بالقراءة ولما راي النبي صلى الله عليه وسلم ما اصابه من ذلك الخاطر نبهه بان ضرب في صدره فاعقب ذلك بان انشرح صدره وتنور باطنه حتى آل به الكشف والانشراح الي حالة المعاينة ولما ظهر له قبح ذلك الخاطر خاف من الله تعالى وفاض بالعرق استحياء من الله فكان هذا الخاطر من قبيل ما قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم حين سالوه انا نجد في انفسنا ما يتعاظم احدنا ان نتكلم به قال وقد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان اخرجه مسلم من حديث ابي

هريرة وسيأتي الكلام عليه في آخر سورة الاعراف ان شاالله تعالى

قال العلماء كان القرآن في مدة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم متفرقا في صدور الرجال وقد كتب الناس منه في صحف وجريد وفي لخاف وظرر وفي خرق وغير ذلك قال الاصمعي اللخاف حجارة بيض واحدة لخفة والظر حجر له حد كحد السكين والجمع ظراز مثل رطب ورطاب وربع ورباع وظران مثل صرد وصردان فلما استحر القتل بالقرا يوم اليمامة في زمن الصديق رضى الله عنه وقتل منهم في ذلك اليوم سبع مائة اشار عمر بن الخطاب رضى الله عنه على ابي بكر الصديق رضى الله عنه بجمع القرآن مخافة ان يموت اشياخ القرا كابي وبن مسعود وزيد فندبا زيد بن ثابت الى ذلك فجمعه غير مرتب السور بعد تعب شديد رضى الله عنه روى البخاري عن زيد بن ثابت قال ارسل الى ابو بكر مقبل اهل اليمامة وعنده عمر فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس واني اخشى ان يستحر القتل بالقرا في المواطن فيذهب كثير من القرآن الا ان يجمعوه واني لارى ان يجمع القرآن قال ابو بكر فقلت لعمر كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو والله خير فلم يزل يراجعني حتى شرح الله لذلك صدري ورأيت الذى رأى عمر قال زيد وعنده عمر

جالس

جالس لا يتكلم فقال ابو بكر انك انك رجل شاب عاقل ولا يتهمك
كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القران فاجمعه
فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان اثقل علي مما امرني به من جمع
قلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ابو بكر هو والله خير فلم ازل اراجعه حتى شرح الله صدري للذي
شرح صدر ابي بكر وعمر فقمت فتتبعت القران اجمعه من الرقاع	له ص
والاكتاف والعسيب وصدور الرجال حتى وجدت من
سورة التوبة ايتين مع خزيمة الانصاري لم اجدهما مع غيره لقد
جاءكم رسول من انفسكم الى اخرها فكانت الصحف التي جمع فيها القرا	ن
عند ابي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند
حفصة بنت عمر وقال الليث حدثني عبد الرحمن بن خالد
عن ابن شهاب وقال ابي خزيمة الانصاري وقال ابو ثابت
حدثنا ابرهيم وقال مع خزيمة وابي خزيمة فان تولوا فقل
حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم
وقال الترمذي ابو عيسى في حديثه عنه فوجدت اخر سورة
براءة مع خزيمة بن ثابت لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز
عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان
تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب
العرش العظيم قال حديث حسن صحيح وفي البخاري عن زيد بن
ثابت قال لما انسخنا الصحف في المصاحف فقدت اية من
سورة الاحزاب كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقرؤها لم اجدها مع احد الا مع خزيمه الانصاري الذي
جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال الترمذي عنه
فقدت آية من سورة الاحزاب كنت اسمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرؤها من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا عليه
فمنهم من قضى نحبه فالتمستها فوجدتها عند خزيمة بن ثابت وابي
خزيمة فالحقتها في سورتها قلت فسقطت الآية الاولى من آخر
براة في الجمع الاول على ما قال البخاري والترمذي وفي الجمع الثاني
فقد آية من سورة الاحزاب وقال الطبري ان آية براة سقطت له في
الجمع الاخير والاول اصح والله اعلم فما وجه جمع عثمان
للناس على مصحفه وقد سبقه به ابوبكر الى ذلك وفرغ منه قيل له ان
عثمان رضي الله عنه لم يقصد بما صنع جمع الناس على تاليف المصحف
الا ترى كيف ارسل الى حفصة ان ارسلي الينا بالمصحف ننسخها في المصاحف
ثم نردها اليك على ما ياتي وانما فعل ذلك عثمان لان الناس اختلفوا
في القراات بسبب تفرق الصحابة في البلدان واشتد الامر في
ذلك وعظم اختلافهم وتشتيتهم ووقع بين اهل الشام والعراق
ما ذكره حذيفة رضي الله عنه وذلك انهم اجتمعوا في غزوة
ارمينية فقرات كل طائفة بما روي لها فاختلفوا وتنازعوا واظهر
بعضهم اكفار بعض والبراة منه وتلاعنوا فاشفق حذيفة
مما راى منهم فلما قدم حذيفة المدينة فيما ذكر البخاري والترمذي
دخل الى عثمان قبل ان يدخل الى بيته فقال ادرك هذه الامة قبل ان تهلك

قال

٢٢

قال فما ذا قال في كتاب الله اني حضرت هذه الغزوة وجعت ناسًا من
العراق والشام والحجاز فوصف له ما تقدم قال اني اخشا عليهم ان
يختلفوا في كتابهم كما اختلف اليهود والنصاري قلت وهذا ادل
دليل على بطلان قول من قال ان المراد بالاحرف السبعة قرآت القراء
القرا السبعة لان الحق لا يختلف فيه وقد روي سويد بن عقلة
عن علي بن ابي طالب ان عثمان قال ما يرون في المصاحف فان الناس قد
اختلفوا في القراة حتى ان الرجل ليقول قراتي خير من قراتك وقراتي افضل
من قراتك وهذا شبيه بالكفر قلنا ما الذي عندك يا امير المومنين
قال الراي عندي ان تجمع الناس على قراة فانكم اذا اختلفتم
اليوم كان من بعدكم اشد اختلافًا قلنا الراي رايك يا امير
المومنين فارسل عثمان الي حفصة ان ارسلي الينا بالمصحف ننسخها في
المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها اليه فامر زيد بن ثابت
وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث
بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين اذا
اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شي من القران فاكتبوه بلسان قريش
فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى نسخوا المصحف في المصاحف ورد عثمان
المصحف الي حفصة وارسل الي كل افق بمصحف مما نسخوا وامر بما
سوي ذلك من القران في كل صحيفة او مصحف ان يحرق وكان هذا من
عثمان رضى الله تعالى عنه بعد ان جمع المهاجرين والانصار واجلة
الاسلام وشاورهم في ذلك فاتفقوا في جمعه بما صح وثبت من القرآات
المشهورة عن النبي صلى الله عليه وسلم واطراح ما سواها واستصوبوا

رايه وكان رايا سديدا موفقا رحمة الله عليه وعليهم اجمعين وقال
الطبري فيما روي ان عثمان قرن بزيد ابان بن سعيد بن العاص وحده
وهذا ضعيف وما ذكره البخاري والترمذي وغيرهما اصح وقال
الطبري ايضا ان الصحف التي كانت عند حفصة جعل اماما في
هذا الجمع الاخير وهذا صحيح قال بن شهاب واخبرني عبيد الله بن
عبد الله ان عبد الله بن مسعود ذكر لزيد بن ثابت نسخ المصاحف
وقال يا معشر المسلمين اعزل عن نسخ المصاحف ويتولاها رجل
والله لقد اسلمت وانه لفي صلب رجل كافر يريد زيد بن
ثابت وكذلك قال عبد الله بن مسعود يا اهل العراق اكتموا
المصاحف الذي عندكم وغلوها فان الله عز وجل يقول ومن يغلل
يأت بما غل يوم القيمة فالقوا الله بالمصاحف خرجه الترمذي وسياتي
الكلام في هذا في سورة آل عمران ان شاء الله تعالى قال ابو بكر
بن الانباري لم يكن الاختيار لزيد من جهة ابي بكر وعمر وعثمان على
عبد الله بن مسعود في جمع القران وعبد الله افضل من زيد واقدم
في الاسلام واكبر سوابق واعظم فضايل الا لان زيدا كان احفظ
للقران من عبد الله اذ وعاه كله ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي
والذي حفظ منه عبد الله في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم نيف
وسبعون سورة ثم تعلم الباقي بعد وفاة الرسول عليه السلام
فالذي حفظ القران وختمه ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي اولى بجمع
المصحف واحق بالايثار والاختيار ولا ينبغي ان يظن جاهل ان في هذا
طعنا على عبد الله بن مسعود لان زيدا اذا كان احفظ للقران منه

فليس

فليس ذلك موجبا تقدمته عليه لان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا
احفظ منهما القران وليس زيد خيرا منهما ولا مساويا لهما في الفضايل
والمناقب قال ابو بكر وما بدا من عبد الله بن مسعود من تكبير ذلك
نشئ نتيجة الغضب ولا يعمل به ولا يوكد به ولا يشك في انه حرم الله
وجهه قد عرف زوال الغضب عنه حسن اختيار عثمان ومن معه
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي على موافقتهم وترك
الخلاف لهم فالشايع الذايع المتعالم عند اهل الرواية والنقل ان عبد
الله بن مسعود تعلم بقية القران بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد قال بعض الايمة مات عبد الله بن مسعود قبل ان يختم
القران قال يزيد بن هارون المعوذتان بمنزلة البقرة وال عمران
من زعم انهما ليستا من القران فهو كافر بالله العظيم فقيل له قول
عبد الله بن مسعود فيهما فقال لا خلاف بين المسلمين في ان عبد الله
بن مسعود مات وهو لا يحفظ القران كله قلت هذا الاجماع
فيه نظر وسياتي يروي اسماعيل بن اسحاق وغيره قال حماد اظنه
عن انس بن مالك قال كانوا يختلفون في الاية فيقولون اقراها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان بن فلان فعسى ان يكون من
المدينة على ثلث ليال فيرسل اليه محا وانه هـ فيقال كيف اقراك
رسول الله صلى الله عليه وسلم اية كذا وكذا فيكتبون كما قال
قال ابن شهاب واختلفوا يومئذ في التابوت فقال زيد التابوت
وقال ابن الزبير وسعيد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم الي
عثمان فقال اكتبوه بالتاء فانه نزل بلسان قريش اخرجه البخاري

والترمذي قال بن عطية قراءة زيد بالهاء والقرشيون بالتاء فاثبتوه
بالتاء وكتبت المصاحف على ما هو عليه غابر الدهر ونسخ منها عثمان
نسخا قال غير بن عطية قيل سبعة وقيل اربعة وهو الاكثر ووجه
بها الى الافاق فوجه للعراق والشام ومصر بامهات فاتخذها
يوما وجد بينها وا القرا السبعة من الاختلاف في حروف
يزيدها بعضهم وينقصها بعضهم فذاك لان كلا منهم اعتمد على ما
بلغه في مصحفه ورواه اذ قد كان عثمان كتب تلك المواضع في
بعض النسخ ولم يكتبها في بعض اشعارا بان كل ذلك صحيح وان كلا منها
جائز قال بن عطية ثم ان عثمان امر بما سواها من المصاحف ان تحرق
او تخرق يروى الحاء غير منقوطة ويروى بالخاء على معنى ثم تدفن ورواية
الحاء غير منقوطة احسن وذكر ابو بكر الانباري في كتاب الرد له عن
سويد بن غفلة قال سمعت علي بن ابي طالب يقول يا معشر الناس
اتقوا الله واياكم والغلو في عثمان وقولكم حراق المصحف فوالله ما
حرقها قال ثم قال علي بن ابي طالب لو كنت الوالي وقت عثمان
لفعلت في المصاحف مثل فعل عثمان قال ابو الحسن بن بطال وفي امر
عثمان بتحريق الصحف والمصاحف حين جمع القران جواز تحريق الكتب
التي فيها اسما الله تعالى فان ذلك اكرام لها وصيانة عن الوطء بالاقدام
وطرحها في ضياع الارض وروى معمر عن ابن طاوس عن ابيه انه كان
يحرق الصحف اذا اجتمعت عنده الرسايل فيها بسم الله الرحمن الرحيم
وحرق عروة بن الزبير كتب فقه كانت عنده يوم الحرة وكره ابراهيم
ان تحرق الصحف اذا كان فيها بسم الله وقول من حرقها اولى بالصواب.

وقد فعله عثمان

وقد فعله عثمان وقال ابو بكر القاضي لسان الامة جاير للامام تحرقها
المصحف التي فيها القران اداة الاجتهاد الى ذلك قال علماؤنا
رحمهم الله عليهم وفي فعل عثمان رضي الله عنهم رد على الحلولية الحشوية
بقدم الحروف والاصوات وان القراة والتلاوة قديمة والايمان
قديم والروح قديم وقد اجتمعت الامة من كل امة النصارى واليهود
والبراهمة بل كل ملحد وموحد ان القديم لا يفعل ولا يتعلق به
قدرة قادر بوجه ولا سبب ولا يجوز العدم على القديم وان
القديم لا يصير محدثا والمحدث لا يصير قديما وان القديم
ما لا اول لوجوده وان المحدث هو ما كان بعد ان لم يكن وهذه
الطايفة فرقت اجماع العقلا من اهل الملل وغيرهم فقالوا يجوز ان
يصير المحدث قديما وان العبد اذا قرا كلام الله تعالى جعل كلاما
لله قديما وكذلك اذا نحت حروفا من الاجر والخشب او صاغ احرفا
من الذهب او نسج ثوبا فنقش عليه اية من كتاب الله تعالى فعلوا هولا
كلام الله قديما وصار كلامه منسوخا قديما ومنحوتا قديما ومصوغا
قديما فيقال لهم ما يقولون في كلام الله تعالى يجوز ان يذاب ويمحا
ويحرق فان قالوا نعم فارقوا الدين وان قالوا لا قيل لهم ما قولكم
في حروف وصورة اية من كتاب الله تعالى من شمع او ذهب او فضة
او خشب او كاغظ فوقعت في النار فذابت او احترقت فهل
تقولون ان كلام الله تعالى احترق فان قالوا نعم تركوا قولهم وان
قالوا لا قيل لهم اليس قلتم ان هذه الكتابة كلام الله وقد احرقت
وقلتم ان هذه الاحرف كلامه وقد ذابت فان قالوا احترقتا

الحروف وكلامه تعالى باق وجعلوا الى الحق والصواب ودانوا بالجواب
وهو الذى قال النبى صلى الله عليه وسلم منبها على ما يقوله اهل الحق
لو كان هذا القران في اهاب ثم وقع في النار ما احترق وقال
الله عز وجل في صحيح الحديث انزلت عليك كتابا لا تغسله بالما يقراه
نايما ويقظانا خرجه مسلم ثبت بهذا ان كلام ليس بحرف ولا يشبه
الحروف والما وان غسل المكتوب في الاهاب والنار وان احرقت
المكتوب فيه القران فان ذلك لا يغسله من صدور الناس ولا
من قلوبهم ولا يبطله من افهامهم بغسل الكتاب واحراقه وقد قيل
ان المراد بالاهاب الانسان اى من كان معه القران وقاه الله من
النار كما وقى ابرهيم الخليل عليه السلام النار والكلام وهذه
المسئلة يطول وتتميمها في كتب الاصول وقد بيناها في
الاسنى في شرح اسما الله الحسنى وصفاته العلى
وقد طعن الرافضه فيحها الله في القران وقالوا ان الواحد يكفي
في نقل الاية والحرف كما فعلتم فانكم اثبتم بقول بقول رجل واحد
وهو خزيمة بن ثابت وحده اخر براة وقوله رجال من المومنين
فالجواب ان خزيمة رضى الله عنه لما جا بها تذكرها كثير من الصحابة وقد
كان زيد يعرفها ولذلك قال فقدت اتين من اخر
سورة التوبة ولو لم يعرفها لم يدر هل فقد شيا ام لا فالاية
انما ثبتت بالاجماع لا بخزيمة وحده جواب ثان انما ثبتت
بشهادة خزيمة وحده لقيام الدليل على صحتها في صفة
النبي صلى الله عليه وسلم فهي قرينة يغنى طلب شاهد اخر

بخلاف

خلاف آية الاحزاب فان تلك ثبتت بشهادة زيد وابي خزيمة
لسماعهما اياها من النبي صلى الله عليه وسلم قال معناه المهلب
وذكر ان خزيمة غير ابي خزيمة وان ابا خزيمة الذي وجدت
معه اية التوبة معروف الامصار وقد عرفه انس وقال
نحن ورثناه والتي في الاحزاب مع خزيمة بن ثابت فلا تعارض والقصة
غير القصة لا اشكال فيها ولا التباس وقال بن عبد البر ابو
خزيمة لا يوقف على صحة اسمه وهو مشهور بكنيته وهو ابو
خزيمة بن اوس بن زيد بن اصرم بن ثعلبة بن ملك النجار شهد بدرا
وما بعدها من المشاهد وتوفي خلافة عثمان بن عفان وهو اخو مسعود
بن اوس ذكر هذا في كتاب الصحابة وقال عن بن شهاب عن عبيد
بن السباق عن زيد بن ثابت وجدت اخر التوبة مع ابي خزيمة
الانصاري وهو هذا ليس بينه وبين الحرث بن خزيمة ابي خزيمة
نسب الا اجتماعها في الانصار احدهما اوسي والاخر خزرجي

روى مسلم والبخاري عن انس قال جمع القران على
عهد النبي صلى الله وسلم اربعة كلهم من الانصار ابي بن كعب
ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد قلت لانس من ابو
زيد قال عمومتي وفي البخاري ايضا عن انس قال مات النبي
عليه الصلوة والسلام ولم يجمع القران غير اربعة ابو الدرداء ومعاذ بن
جبل وزيد وابو زيد ونحن ورثناه وفي اخرى قال مات ابو
زيد ولم يترك عقبا وكان بدريا واسم ابي زيد سعد بن
عبيد قال بن الطيب رضي الله عنه لا تدل هذه الاثار

على ان القران لم يحفظه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وانه لم يجمعه
غير اربعة من الانصار كما قال انس بن مالك فقد ثبت بالطرق
المتواترة انه جمع القران عثمان بن عفان وعلي وتميم الداري وعبادة
بن الصامت وعبد الله بن عمرو بن العاص فقول انس لم يجمع
القران غير اربعة يحتمل انه لم يجمع القران وحده بلغنا في النبي صلى
الله عليه وسلم غير تلك الجماعة فان اكثرهم اخذ بعضه عنه وبعضه
عن غيره وقد تظاهرت الروايات بان الايمة الاربعة جمعوا
القران على عهد النبي عليه الصلوة والسلام لاجل سبقهم الى الاسلام
واعظام الرسول عليه الصلوة والسلام قلت لم يذكر القاضي عبد الله
ابن مسعود وسالما مولى مولى ابي حذيفة رضي الله عنهما فيما
رايت وهما ممن جمع القران روى جرير عن عبد الله بن يزيد
الصهباني عن كميل قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر ومن شا الله فمررنا
بعبد الله بن مسعود وهو يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من هذا الذي يقرا القران فقيل له هذا عبد الله بن ام عبد فقال
ان عبد الله يقرا القران غضا كما انزل الحديث قال بعض العلما
معنى قوله غضا كما انزل اي انه يقرا الحرف الاول الذي انزل عليه
القران دون الحروف السبعة التي رخص النبي صلى الله عليه وسلم
في قراءته عليها بعد معارضة جبريل عليه السلام اياه في
كل رمضان وقد روى وكيع وجماعة معه عن الاعمش عن ابي
ظبيان قال قال لي عبد الله بن عباس اي القراتين تقرا قلت

القراة

القراة الاولي قراه بن ام عبد فقال اي بل هي الاخرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يعرض القران على جبريل في كل عام مرة فلما
كان العام الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض صح
عليه مرتين فحضر ذلك عبد الله فعلم ما نسخ من ذلك وما بدل
وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول خذوا القران من اربعة من بن ام عبد فبدا به
ومعاذ بن جبل وابي بن كعب وسالم مولى ابي حذيفة قلت
فهذه الاخبار تدل على ان عبد الله جمع القران في حياة رسول الله
صلى الله عليه وسلم خلاف ما تقدم والله اعلم وقد ذكر ابو بكر
الانباري في كتاب الرد له حدثنا محمد بن شهريار حدثنا حسين
بن الاسود ثنا يحيى بن ادم عن ابي بكر عن ابي اسحاق قال قال
عبد الله بن مسعود قرات من في رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثنتين وسبعين سورة او ثلاثا وسبعين سورة وقرات عليه
من البقرة الي ويحب التوابين ويحب المتطهرين قال ابو اسحاق
وتعلم عبد الله بقية القران من مجمع بن جارية الانصاري قلت
فان صح هذا مع الاجماع الذي ذكره يزيد بن هارون فلذلك
لم يذكره القاضي ابو بكر بن الطيب مع من جمع القران وحفظه
في حياة النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم قال ابو بكر الانباري
حدثني ابرهيم بن موسى الجوزي ثنا يوسف بن موسى ثنا مالك بن
اسماعيل ثنا زهير عن ابي اسحاق قال سالت الاسود ما كان عبد الله
يصنع بسورة الاعراف فقال ما كان يعلمها حتى قدم الكوفة قال

وقد قال بعض اهل العلم مات عبد الله بن مسعود رحمه الله قبل
ان يتعلم المعوذتين فلهذه العلة لم توجد في مصحفه وقيل غير هذا
على ما ياتي بيانه اخر الكتاب عند ذكر المعوذتين ان شا الله تعالى قال
ابو بكر والحديث المروي الذي حدثناه ابرهيم بن موسى ثنا يوسف
بن موسى ثنا عمر بن هرون الخراساني عن ربيعة بن عثمان عن محمد بن كعب
القرظي قال كان ممن ختم القران ورسول الله صلى الله عليه وسلم
حي عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب وعبد الله ابن مسعود حديث
ليس بصحيح عند اهل العلم انما هو مقصور على محمد بن كعب فهو
مقطوع لا يوخذ به ولا يعمل عليه قلت قوله عليه الصلاة والسلام
خذوا القران من اربعة من بن ام عبد يدل على صحته ومما يبين
لك ذلك ما ذكره الخطابي ابو سليمان ان اصحاب القرات من اهل
الحجاز والشام والعراق كل منهم عزا قراته التي اختارها الى رجل
من الصحابة قراها على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستثن
من جملة القران شيا فاسند عاصم قراته الى ابي واما عبد الله بن
عامر فانه اسند قراته الى عثمان وهولا كلهم يقولون قرانا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسانيد هذه القرات متصلة
ورجالها ثقات

قال القاضي ابو بكر الطيب رحمه الله

ان قال قايل قد اختلف السلف في ترتيب سور القران فمنهم من
كتب في مصحفه السور على تاريخ نزولها وقدم المكي على المدني

ومنهم

ومنهم من جعل في مصحفه الحمد ومنهم من جعل في اوله اقرا باسم
ربك وهذا اول مصحف علي رضي الله عنه واما مصحف بن
مسعود فان اوله ملك يوم الدين ثم البقرة ثم النسا علي ترتيب مختلف
وفي مصحف ابي كان اوله الحمد لله ثم النسا ثم ال عمران ثم
الانعام ثم الاعراف ثم المايدة ثم كذلك علي اختلاف قال
القاضي ابو بكر فالجواب انه يحتمل ان يكون ترتيب السور علي ما
هي عليه اليوم في المصحف كان علي وجه الاجتهاد من الصحابة حين
كتبوا المصاحف وذكر ذلك مكي رحمه الله في تفسير سورة براة
وذكر ان ترتيب الايات والسور ووضع البسملة في الاوايل
هذا من النبي صلي الله عليه وسلم ولما لم يامر بذلك في اول سورة
براة تركت بلا بسملة قلت هذا اصح ما قيل في ذلك وسياتي
ذكر ذلك وقال بن وهب في جامعه قال سمعت سليمان بن بلال يقول
سمعت ربيعة يسال لم تقدمت البقرة وال عمران وقد نزل
قبلهما بضع وثمانون سورة وانما نزلتا بالمدينة فقال ربيعة قد
قدمتا والف القران علي علم ممن الفه وقد اجمعوا علي العلم
بذلك فهذا مما ينتهي اليه ولا يسال عنه وقال قوم من اهل
العلم ان تاليف سور القران علي ما هو عليه في مصحفنا كان
عن توقيف من النبي صلي الله عليه وسلم واما ما روي من اختلاف
مصحف ابي وعلي وعبد الله انما كان قبل العرض الاخير وان
رسول الله صلي الله عليه وسلم رتب لهم تاليف السور بعد ان
لم يكن فعل ذلك روي يونس عن بن وهب قال سمعت ملكا يقول

ينتهي

انما الف القران على ما كانوا يسمعونه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر ابن الانباري في كتاب الرد له ان الله تعالى انزل القران جملة الى
سما الدنيا ثم فرق على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة فكانت
السورة في امر يحدث والاية جوابا لمستخبر تسل ويقف جبريل
رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع السورة والايات فانساق
السور كانتساق الايات والحروف فكله عن محمد خاتم النبيين
عليه السلام عن رب العالمين فمن اخر سورة مقدمة او قدم اخرى
مؤخرة فهو كمن افسد نظم الايات وغير الحروف والكلمات
ولا حجة على اهل الحق في تقديم البقرة على الانعام والانعام نزلت
قبل البقرة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه اخذ هذا الترتيب
وهو كان يقول ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من
القران وكان جبريل عليه السلام يقفه على مكان الايات حدثنا
حسن بن الحباب قال ثنا ابو هشام قال ثنا ابو بكر بن عياش عن ابي
اسحاق عن البراء اخر ما نزل من القران يستفتونك قل الله يفتيكم
في الكلالة قال ابو بكر بن عياش واخطا ابو اسحاق لان محمد بن
السايب حدثنا عن ابي السايب عن عياش قال اخر ما نزل من
القران واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت
وهم لا يظلمون فقال جبريل للنبي عليهما السلام يا محمد ضعها في
راس ثمانين ومائتين من البقرة قال ابو الحسن بن بطال ومن قال
بهذا القول لا يقول ان تلاوة القران في الدرس والصلاة يجب
ان يكون مرتبا على حسب الترتيب الموقف عليه في المصحف بل انما يجب

تاليف

تاليف سورة في الرسم والخط خاصة ولا يعلم ان احدا منهم قال
ان ترتيب ذلك واجب في الصلاة وفي قراة القران ودرسه وانه لا
يحل لاحد ان يتلقن الكهف قبل البقرة ولا الحج بعد الكهف الا ترى
قول عايشة للذي سالها لا يضرك انه قرات قبل وقد كان النبي صلى
الله عليه وسلم يقرا في الصلاة السورة في ركعة ثم يقرا في ركعة اخرى
بغير السورة التي قبلها واما روي عن ابن مسعود وابن عمر انهما كرها
يقرا القران منكوسا وقالا ذلك منكوس القلب فانما عنيا بذلك
من يقرا السورة منكوسة ويبتدي من اخرها الى اولها لان
حرام محظور ومن الناس من يتعاطى هذا في القران والشعر
ليذلل لسانه بذلك ويقدر على الحفظ وهذا حظره الله و
منعه في القران لانه افساد لسورة ومخالفة لما قصد بها ومما
يدل على انه لا يجب اثباته في المصاحف على تاريخ نزوله ما صح وثبت
ان الايات كانت تنزل بالمدينة فتوضع في السورة المكية الا
ترى قول عايشة وما نزلت سورة البقرة والنساء الا وانا عنده
يعني بالمدينة وقد قدمنا في المصحف على ما نزل قبلها من القران
بمكة ولو الفوها على تاريخ النزول لوجب ان ينتقض ترتيب ايات
السور قال ابو بكر الانباري حدثنا اسمعيل بن اسحق القاضي
قال ثنا حجاج بن منهال قال ثنا همام عن قتادة قال نزل بالمدينة
البقرة وال عمران والنساء والمائدة والانفال
وبراة والرعد والنحل والحج والنور والاحزاب ومحمد والفتح
والحجرات والرحمن والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة

ك ه

قدمه

والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق ويا ايها النبي
لم تحرم الى راس العشر واذا زلزلت واذا جا نصر الله هولا
السور نزلت بالمدينة وسايرا لقران نزل بمكة قال ابو بكر ومن بنى
على ترك الاثر والاعراض عن الاجماع ونظم السور على منازلها بمكة
والمدينة لم يدر اين تقع الفاتحة لاختلاف الناس في موضع
نزولها ويضطر الى تاخير الاية التي في راس حمعسق وثلاثين
ومائتين من البقرة الى راس الاربعين ومن افسد نظم القران
فقد كفر به ورد على محمد صلى الله وسلم ما حكاه عن ربه تعالى وقد
قيل ان علة تقديم المدنى على المكي هو ان الله تعالى خاطب العرب
بلغتها وما تعرف من افانين خطابها ومجاوزها فلما كان فن من
كلامهم مبنيا على تقديم المؤخر وتاخير المقدم خوطبوا
بهذا الشي في كتاب الله الذى لو فقدوه من القران لقالوا ما باله
عري من هذا الباب الموجود في كلامنا المستحلى من نظامنا
قال عبيد بن الابرص ، ابتدلت من اهلها وحوشا
وغيرت حالها الخطوب عيناك دمعهما سروب
كان شانيهما شعيب ، اراد عيناك دمعهما سروب
لان تبدلت عن اهلها وحوشا يقدم المؤخر واخر المقدم
ومعنى سروب منصب على وجه الارض من كثرته ومنه السارب
للذاهب على وجهه في الارض ، قال الشاعر اني سربت
وكنت غير سروب وقوله شانيهما الشان واحد الشوون
وهي مواصل قبايل الراس وملتقاها ومنها يجي الدموع سقيت

متفرق

خامس

متفرق **فصل** واما شكل المصحف ونقطه فروي ان عبد الملك
بن مروان امر به وعمله فتجرد لذلك الحجاج بواسط وجد فيه وزاد
تحزيبه وامر وهو والي العراق الحسن ويحيى بن يعمر بذلك والف اثر
ذلك بواسط كتابا في القراات جمع فيه ما روي من
اختلاف الناس فيما وافق الخط ومشى الناس على ذلك زمانا
طويلا الى ان الف ابن مجاهد كتابه في القراات واسند الزبيدي
في كتاب الطبقات الى المبرد ان اول من نقط المصحف
ابو الاسود الدؤلي وذكر ايضا ان ابن سيرين كان له
مصحف نقطه له يحيى بن يعمر واما وضع الاعشار
فقال ابن عطية مررت في بعض التواريخ ان المامون العباسي
امر بذلك وقيل ان الحجاج فعل ذلك وذكر ابو عمرو الداني
في كتاب البيان له باسناده عن عبد الله بن مسعود انه
كره التعشير في المصحف وانه كان يحكه وعن مجاهد انه
كره التعشير والطيب في المصحف وقال اشهب سمعت
مالكا يسئل عن العشور التي تكون في المصحف بالحمرة
وغيرها من الالوان فكره ذلك وقال تعشير المصحف
بالحبر لا باس به وسيل عن المصاحف يكتب فيها خواتم
السور في كل سورة ما فيها من اية قال اني اكره ذلك
في امهات المصاحف ان يكتب فيها شي او يشكل فاما ما
يتعلم به الغلمان من المصاحف فلا ارى بذلك باسا قال
اشهب ثم اخرج الينا مصحفا لجده كتبه اذ كتب عثمان

مطلب اول من نقط المصحف ابو الاسود

مطلب في وضع الاعشار

المصاحف فرأينا خواتمه من حبر على عمل السلف له في طول
السطور ورأيته معجوم الآي بالحبر وقال قتادة به وافتتحوا
ثم خمّسوا ثم عشّروا وقالت يحيى بن ابي كثير كان القران
مجودا في المصاحف فاول ما احدثوا فيه النقط على البا والتا
والثاء وقالوا لا باس به هو نور له ثم احدثوا نقطا عند منتهى
الآي ثم احدثوا الفواتح والخواتم وعن ابي حمزة قال راى ابرهيم
النخعي في مصحفي فاتحة سورة كذا وكذا فقال لي امحه فان عبد الله
بن مسعود قال لا يخلطوا في كتاب الله ما ليس فيه وعن ابي بكر
السراج قال قلت لابي رزين اكتب في مصحفي سورة كذا وكذا
قال اني اخاف ان ينشأ قوم لا يعرفونه فيظنونه من القران قال
الداني رضي الله تعالى عنه وهذه الاخبار كلها يوذن بان التعشير
والتخميس وفواتح السور ورءوس الآي من عمل الصحابة رضي الله
عنهم فانهم الى عمل الاجتهاد واري ان من كره منهم ذلك ومن
غيرهم انما كره ان يعمل بالالوان كالحمرة والصفرة وغيرها على
ان المسلمين في ساير الافاق قد اطبقوا على جواز ذلك واستعماله
في الامهات وغيرها والحرج والخطا مرتفعا عنهم فيما اطبقوا
عليه ان شا الله تعالى   واما عدد حروفه واحزابه فروى
سلام ابو محمد الجماني ان الحجاج بن يوسف جمع القرا والحفاظ والكتاب
فقال اخبروني عن القران كله كم من حرف هو قال وكنت فيهم
فحسبنا فاجمعنا على ان القران ثلثماية الف حرف واربعون الف
حرف وسبع ماية حرف ونيف واربعون حرفا قال فاخبروني الى

اي

اي حرف ينتهي نصف القران فاذا هو في الكهف فليتلطف العلم
وقيل عند قوله هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا قال فاخبروني
بالثلاثة فاذا الثلث راس ماية من براة سيصيب الذين كفروا
منهم عذاب اليم والثلث الثاني راس مايه واحدي وماية من
لحسم الشعرا وقيل ولا تجادلوا اهل الكتاب في العنكبوت والثلث
الثالث ما بقي من القران قال فاخبروني باسباعه على الحروف
فاذا اول سبع في النسا فمنهم من امن به ومنهم من صد في الدال
والسبع الثاني في الاعراف اولئك حبطت في التا والسبع الثالث
في الرعد اكلها دايم في الالف من اخر اكلها والسبع الرابع في
الحج ولكل امة جعلنا منسكا في الالف والسبع الخامس في الاحزاب
وما كان لمومن ولا مومنة في الها والسبع السادس في الفتح
الظانين بالله ظن السو في الوا والسبع السابع ما بقي من القران
قال سلام ابو عمر عملناه في اربعة اشهر وكان الحجاج يقرا في
كل ليلة ربعا واول ربعه خاتمة الانعام وقيل ليتذكر به وذكري
للمؤمنين من الاعراف والربع الثاني في الكهف وليتلطف والربع
الثالث خاتمة الزمر وقيل اي ماية الف اويزيدون من سورة
والصافات والربع الرابع ما بقي من القران قلت وفي
هذه الجملة خلاف مذكور في كتاب البيان لابي عمرو
الداني من اراد الوقوف عليه وجده هناك واما
عدد آي القران في المدني الاول فقال محمد بن عيسى جميع عدد
آي القران في المدني ستة الاف اية قال ابو عمرو الداني

وهو العدد الذي رواه اهل الكوفة عن اهل المدينة لم
يسمّوا في ذلك احدا بعينه يسندونه اليه. واما المدني
الاخير فهو في قول اسماعيل بن جعفر ستة الاف ومايتا اية واربع
عشرة اية. وقال الفضل عدد آي القرآن في قول المكيين ستة
الاف اية ومايتان وتسع عشرة اية. قال محمد بن عيسى وجميع
آي القرآن في قول الكوفيين ستة الاف ومايتا اية وثلاثون
وست ايات وهو العدد الذي رواه سليم والكسائي عن
حمزة واسنده الكسائي الى علي رضي الله عنه قال محمد وجميع عدد
القرآن في قول البصريين ستة الاف ومايتان واربع ايات
وهو العدد الذي مضى عليه خلفهم حتى الان. واما عدد اهل
الشام فقال يحيى بن الحارث الذماري ستة الاف ومايتان
وست وعشرون وفي رواية ستة الاف ومايتان وخمس
وعشرون نقص اية. قال ابن ذكوان فظننت يحيى لم يعد بسم الله
الرحمن الرحيم قال ابو عمرو الداني فهذه الاعداد التي يتداولها
الناس بالنقل ويعدون بها في ساير الافاق قديما وحديثا. واما
كلماته فقال الفضل بن شاذان جميع كلام القرآن في قول
عطا بن يسار سبعة وسبعون الفا واربع ماية وتسع وثلاثون
كلمة وحروفه ثلاث ماية الف وثلاثة وعشرون الفا وخمسة
عشر حرفا. قلت يخالف ما تقدم عن الحماني قبل هذا
وقال عبد الله بن كثير عن مجاهد قال هذا ما احصينا من
القرآن وهو ثلاث ماية الف حرف واحد وعشرون الف حرف

ومائة

وماية وثمانون حرفا

ومعنى السورة في كلام العرب الابانة لها من سورة
اخرى وايصالها عنها وسميت بذلك لانه يرفع فيها من منزلة
الى منزلة قال النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها
يتذبذب ** اى منزلة شرف ارتفعت اليها عن منازل الملوك
وقيل سميت بذلك لشرفها وارتفاعها كما يقال لما ارتفع من الارض
سور ومنه سور المدينة وعلى الحايط الذى نحوها سمي بذلك لارتفاعه
عليها وكذلك السورة هي في نفسها لها منزلة علية وشرف ظاهر
وخص هذا القدر من القران بتسمية سورة لانه اقل ما وقع به التحدي
فهي شرف لرسوله من حيث انها معجزة على ما ياتي وهذا كله بغير
همز وقيل سميت بذلك قطعة من القران على حدة من قول العرب
للبقية سور وجا في اسآر الناس اى بقاياهم فعلى هذا يكون الاصل
سورة بالهمز ثم خففت فابدلت واوا لانضمام ما قبلها وقيل
سميت بذلك لتمامها وكمالها من قول العرب للناقة التامة
سورة وجمع سورة سور بفتح الواو ** ** قال
الشاعر ** سود المحاجر لا يقران بالسور ويجوز ان يجمع على
سورات وسورات واما الآية فهي العلامة بمعنى انها علامة لا
انقطاع الكلام الذى قبلها من الذى بعدها وانفصاله اى
هي بائنة من اختها ومنفردة وتقول العرب ** بيني وبين فلان
آية اي علامة ومن ذلك قوله تعالى ان آية ملكه وقال
النابغة توهمت ايات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع

مطلب في معنى الآية

وقيل سميت بذلك لانها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه
كما يقال خرج القوم بآيتهم اي بجماعتهم قال برج بن مسهر الطائي
خرجنا من النقبين لا حي مثلنا بآياتنا نزجي اللقاح المطافلا
وقيل لانها العجب من قولهم فلان آية في العلم والجمال فكل آية
عجب في نظمها والمعاني المودعة فيها وقيل سميت لانها عجب
لعجز البشر عن التكلم بمثلها واختلف النحويون في اصل آية فقال
سيبويه اصلها أية على فعلها مثل لحمه وشجرة فلما تحركت
الياء وانفتح ما قبلها وانقلبت الفا فصارت آية بهمزة
بعدها مدة وقال الكسائي اصلها آيية على وزن فاعلة
مثل آمنة فقلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم
حذفت لالتباسها بالجمع وقال الفراء اصلها أية بتشديد
الياء الاولى فقلبت الفا كراهية للتشديد فصارت
آية وجمعها آي وآياي وآيات وانشد ابو زيد
لم يبق هذا الدهر من آيائه غير اثافيه وارمدائه واما
الكلمة فهي الصورة الخاتمة القائمة بجميع ما يختلط بها من
الشبهات اي الحروف واطول الكلم في كتاب الله عز وجل
ما بلغ عشرة احرف نحو قوله ليستخلفنكم وانلزمكموها
شبهها فاما قوله فاسقيناكموه فهو عشرة في الرسم واحد
عشرة في اللفظ واقصرهن ما كان على حرفين نحو ما ولا ولك
وله وما اشبه ذلك ولذلك المص والمر وطه ويس وحم
في قول الكوفيين وذلك في فواتح السور فاما في حشوهن

فلا

قال ابو عمر الداني ولا اعلم كلمة هي وحدها اية الا قوله
في الرحمن مدهامتان لا غير وقد كلمتان متصلتان وهما ايتان
وذلك في حم عسق على قول الكوفيين لا غير وقد يكون الكلمة في
غير هذا الاية التامة والكلام القايم بنفسه وان كان كثر او
اقل قال الله عز وجل وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل
بما صبروا قيل انما يعني بالكلمة ها هنا قوله عز وجل ونريد ان
نمن على الذين استضعفوا في الارض الى اخر الايتين وقال عز وجل
والزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله وقال النبي صلى
الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان الى الرحمن
سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقد يسمي العرب القصيدة
باسرها والقصة باسرها كلها كلمة فيقولون قال قس
في كلمته كذا اي في خطبته وقال زهير في كلمته كذا
اي في قصيدته وقال فلان في كلمته يعني في رسالته فيسمى
جملة الكلام كلمة اذا كانت الكلمة منها على عادتهم في
تسميتهم الشي باسم ما هو منه وما قاربه وجاوزه وكان
بسبب منه مجازا واتساعا واما الحرف فهو الشبه القايمة
وحدها من الكلمة وقد يسمى الحرف كلمة والكلمة حرفا على ما
بيناه من الاتساع والمجاز قال ابو عمر الداني فان قيل فكيف
يسمى ما جا من حروف الهجا في الفواتح على حرف واحد نحو ص
وق ون حرفا او كلمة قلنا كلمة لا حرفا وذلك من جهة ان
ان الحرف لا يسكت عليه ولا ينفرد وحده في الصورة ولا

ينفصل مما يختلط به وهذه الحروف مسكوت عنها منفردة
منفصلة كانفراد العلم وانفصالها فلذلك سميت كلمات
لاحروفا قال ابو عمرو وقد يكون الحرف في غير هذا المذهب
والوجه قال الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف
اي على وجه ومذهب ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم
انزل القران على سبعة احرف اي سبعة اوجه من اللغات
والله اعلم

لا اختلاف بين الامة ولا بين الائمة انه ليس في القرآن
كلام مركب على اساليب غير العرب وان فيه اسماء اعلاما لمن لسانه
غير لسان العرب كاسرائيل وجبريل وعمران ونوح ولوط
واختلفوا هل وقع فيه الفاظ غير اعلام مفردة من غير كلام
العرب فذهب القاضي ابو بكر بن الطيب والطبري وغيرهما
الى ان ذلك لا يوجد فيه وان القران عربي صريح وما وجد فيه
من الالفاظ تنسب الى سائر اللغات انما اتفق فيها ان تواردت
اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة وغيرهم وذهب
بعضهم الى ان وجودها فيه وان تلك الالفاظ لقلتها لا
يخرج القرآن عن كونه عربيا مبينا ولا الرسول عن كونه متكلما
بلسان قومه فالمشكاة الكوة ونشا قام من الليل ومنه ان ناشية
الليل ويؤتكم كفلين اي ضعفين وفرت من قسورة اي الاسد
كله بلسان الحبشة والغساق البارد المنتن بلسان الترك
والقسطاس الميزان بلغة الروم والسجيل الحجارة والطين

بلسان

بلسان الفرس والطور الجبل واليم بالسريانية والسود
وجه الارض بالعجمية قال ابن عطية فحقيقة العبارة
عن هذه الالفاظ انها في الاصل اعجمية لكن استعملتها
العرب وعربتها فهي عربية بهذا الوجه وقد كان
للعرب العاربة الذي نزل القران بلسانها بعض مخالطة
لساير الالسنة بتجارات وبرحلتي قريش وعبقر مسافرين
ابي عمرو الى الشام وسفر عمر بن الخطاب وكسفر عمرو
ابن العاص وعمارة بن الوليد الى ارض الحبشة وكسفر الاعشى
الى الحيرة وخمسة ايضا راها مع لوجه جملة في اللغة
فعلقت العرب بهذا كله الفاظا اعجمية غيرت بعضها بالنقص
من حروفها وجرت الى نقل تخفيف العجمة واستعملتها في اشعارها
ومجاوبها حتى جرت مجرى العربي الصحيح ووقع بها اللسان
وعلى هذا الحد نزل بها القران فان جهلها عربي ما فجهله
الصريح بما في لغة غيره كما لم يعرف ابن عباس معنى فاطر
الى غير ذلك على ما تقدم قال ابن عطية وما ذهب اليه الطبري
رحمه الله من ان اللغتين اتفقتا في لفظة لفظة تذلك بعيد بل
احدهما اصل والاخرى فرع لانا ايضا ندفع جواز الاتفاق
قليلا شاذا قلت والاول اصح وقوله هي اصل في كلام
في كلام غيرهم دخيله في كلام ليس باولى من العكس فان
العرب لا يخلوا ان يكون تخاطب بها اولا فان كان الاول
فهي من كلامهم اذ لا معنى للغتهم وكلامهم الا ما كان

كذلك عندهم لا يبعد ان يكون غيرهم قد وافقهم على
بعض كلماتهم وقد قال ذلك الامام الكبير ابو عبيدة فان
قيل البست هذه الكلمات على اوزان العرب فلا يكون منه قلنا
ومن سلّم لكم انكم حضرتم اوزانهم حتى يخرجوا هذه منها نقد
بحث القاضي عن اصول اوزان كلام العرب وردّ هذه الاسماء
اليها على الطريقة النحوية واما ان لم يكن العرب تخاطبت بها
ولا عرفتها استحال ان يخاطبهم الله بما لا يعرفون وحينئذ لا
يكون القران عربيا مبينا ولا يكون الرسول مخاطبا لقومه بلسانهم
والله اعلم قاله علماؤنا رحمة الله عليهم

قال علماؤنا رحمة الله

عليهم المعجزة واحد معجزات الانبياء عليهم السلام الدالة على
صدقهم وسميت معجزة لان البشر يعجزون عن الاتيان بمثلها
وشرائطها خمسة فان اختل منها شرط فلا تكون معجزة
فالشرط الاول من شروطها ان تكون مما لا يقدر عليها
الا الله تعالى وانما وجب حصول هذا الشرط للمعجزة لانه
لو اتانا آتٍ في زمان يصح فيه مجيء الرسل وادعى الرسالة وجعل
معجزته ان يتحرك ويسكن ويقوم ويقعد لم يكن هذا الذي
ادعاه معجزة له ولا دلالة على صدقه لقدرة الخلق على
مثله وانما يجب ان يكون المعجزة كفلق البحر وانشقاق القمر
وما شاكلهما مما لا يقدر عليه البشر والشرط الثاني هو
ان يخرق العادة وانما وجب اشتراط ذلك لانه لو قال

المدعي

المدعي للرسالة آيتي يجي الليل بعد النهار وطلوع الشمس من شرقها
لم يكن فيما ادعاه معجزة لان هذه الافعال وان كان لا يقدر عليها
الا الله فلم تفعل من اجله وقد كانت قبل دعواه على ما هي عليه
في حين دعواه ودعواه في دلالتها على نبوته كدعوى غيره فبان
انه لا وجه له لاستشهاده بها على صدقه والذي يستشهد
الرسول عليه السلام له وجه يدل على صدقه وذلك ان
يقول الدليل على صدقي ان يخرق الله العادة من اجل دعواي
عليه الرسالة فتقلب هذه العصا ثعبانا وتشق الحجر ويخرج من
وسطه ناقة او ينبع الما بين اصابعي كما تنبع من العين او ما
سوى ذلك من الايات الخارقة للعادة التي تنفرد به جبار
الارض والسماوات فتقوم له هذه العلامة مقام الرب
سبحانه لو اسمعنا كلامه العزيز وقال صدق انا بعثته
ومثال هذه المسلة ولله ولرسوله المثل الاعلى ما لو كانت
جماعة بحضرة ملك من ملوك الارض وهم بمرأى ومسمع منه
فقال احد رجاله والملك يسمعه الملك يأمركم ايها الجماعة
بكذا وكذا ودليل ذلك ان الملك يصدقني بفعل من افعاله وهو
ان يخرج خاتمه من يده قاصدا بذلك تصديقي فاذا سمع الملك
كلامه لهم ودعواه فيهم ثم عمل ما استشهد به على صدقه قام
ذلك مقام قوله لو قال صدق فيما ادعاه علي فكذلك اذا عمل
الله سبحانه لا يقدر عليه الا هو وخرق به العادة على يدي الرسول
قام ذلك الفعل مقام قوله كلامه تعالى لو اسمعناه وقال

صدق عبدي في دعوى الرسالة وانا ارسلته اليكم فاسمعوا
له واطيعوا والشرط الثالث هو ان يستشهد بها مدعي
الرسالة على الله عز وجل فيقول ايتي يقلب الله سبحانه هذا الما زيتا
او يحرك الارض عند قولي لها تزلزلي فاذا فعل الله سبحانه ذلك
حصل المتحدى به والشرط الرابع هو ان يقع على وفق دعوى المتحدي
بها المستشهد بكونها معجزة له وانما وجب اشتراط هذا الشرط
لانه لو قال المدعي للرسالة اية نبوتي ودليل حجتي ان تنطق يدي
او هذه الدابة فنطقت يده او الدابة فان قالت كذب وليس هو
نبي فان هذا الكلام الذي خلقه الله تعالى دال على كذب المدعي
للرسالة لان ما فعله الله جل وعز لم يقع على وفق دعواه ولذلك
ما يروى ان مسيلمة الكذاب لعنه الله تفل في بير ليكثر ماؤها فغار
البير وذهب ما فيها من الما فانما فعل الله سبحانه من هذا كان
من الايات المكذبة لمن ظهرت على يديه لانها وقعت على خلاف ما
اراده المتنبي الكذاب والشرط الخامس من شروط المعجزة
ان لا ياتي احد بمثل ما اتى به المتحدي على وجه المعارضة فان
تم الامر المتحدى به المستشهد به على النبوة على هذا الشرط
مع الشروط المتقدمة فهي معجزة دالة على نبوة من ظهرت
على يديه فان اقام الله تعالى من يعارضه حتى ياتي بمثل ما اتى به
ويعمل مثل ما عمل بطل كونه نبيا وخرج ما ظهر على يديه عن
كونه معجزا ولم يدل على صدقه ولهذا قال المولى سبحانه
فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين وقال ام يقولون

التحدي

دالّا

افتراه

٢٧

افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات كانه يقول ان
ادعيتم ان هذا القرآن من نظم محمد صلى الله عليه وسلم وعمله فاعملوا
عشر سور من جنس نظمه فان عجزتم باسركم عن ذلك فاعلموا انه ليس
من نظمه ولا من عمله لا يقال ان المعجزة المقيدة بالشروط الخمسة لا
يظهر الا على ايدى الصادقين فهذا المسيح الدجال فيما رويتم
عن نبيكم يظهر على يديه من الآيات العظام والامور الجسام ما
هو معروف مشهور فانا نقول ذلك يدعي الرسالة وهذا يدعي
الربوبية وبينهما من الفرق ما بين البصراء والعميان وقد قام
الدليل العقلي على ان بعثة بعض الخلق الى بعض غير ممتنعة ولا مستحيلة
فلم يبعد ان يقيم الله سبحانه الادلة صدق مخلوق انبا عنه بالشرع
والملة ودلت الادلة العقلية ايضا على ان المسيح الدجال فيه التصوير
والتغير من حال الى حال وثبت ان هذه الصفات لا يليق الا بالمحدث
تعالى رب البريات عن ان يشبه شيا او يشبهه شي ليس كمثله
شي وهو السميع البصير واذا ثبت هذا فاعلم ان المعجزات على
ضربين الاول ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبي صلى الله
عليه وسلم والثاني ما تواردت الاخبار بصحته وحصوله واستفاضت
بثبوته ووجوده ووقع لسامعي العلم بذلك ضرورة ومن
شرطه ان يكون الناقلون له خلقا كثيرا وجما غفيرا وان يكونوا
عالمين بما نقلوه علما ضروريا وان يستوي في النقل اولهم واخرهم
ووسطهم في كثرة العدد حتى يستحيل عليهم التواطي على الكذب
وهذه صفة نقل القرآن ونقل وجود النبي صلى الله عليه وسلم لان

الائمة رضي الله عنهم لم تزل تنقل القران خلفا عن سلف والسلف
عن سلفه الى ان يتصل ذلك بالنبي عليه السلام المعلوم وجوده
بالضرورة وصدقه بالادلة المعجزات والرسول اخذه عن جبريل
عليه السلام عن ربه جل وعز فنقل القران في الاصل رسولان
معصومان من الزيادة والنقصان على ما يأتي تبيانه في الباب بعد
هذا ونقله الينا بعدهم اهل التواتر الذين لا يجوز عليهم
الكذب فيما ينقلونه ويسمعونه لكثرة العدد لذلك
وقع لنا العلم الضروري بصدقهم فيما نقلوه من وجود محمد صلى
الله عليه وسلم ومن ظهور القران على يديه وتحديه به ونظير ذلك
من علم الدنيا علم الانسان بما نقل اليه من وجود البلدان كالبصرة
والشام والعراق وخراسان والمدينة ومكة واشباه ذلك من
الاخبار الكثيرة الظاهرة المتواترة فالقران معجزة نبينا صلى الله عليه
وسلم الباقية بعده الى يوم القيمة ومعجزة كل نبي انقرضت بانقرا
ضه او دخلها التبديل والتغيير كالتورية والانجيل ووجوه
اعجاز القران العظيم عشرة منها النظم البديع المخالف لكل
نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها لان نظمه ليس من نظم
الشعر في شيء ولذلك قال رب العزة الذي تولى نظمه وما
علمناه الشعر وما ينبغي له وفي صحيح مسلم ان انيسا اخا ابي ذر قال
لابي ذر لقيت رجلا بمكة على دينك يزعم ان الله ارسله قلت فما
يقول الناس يقولون شاعر كاهن ساحر وكان انيس احد الشعراء
قال انيس لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعت

بي

قوله

قوله على اقرا الشعر فلم يلتيم على لسان احد بعدي انه شعر
والله انه لصادق وانتم لكاذبون وكذلك اقر عتبة بن ربيعة انه
ليس بسحر ولا شعر لما قرا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حم
فصلت على ما ياتي بيانه هناك فاذا اعترف عتبة على موضعه
من اللسان وموضعه من الفصاحة والبلاغة بانه ما سمع مثل
القران قط كان في هذا القول مقرا باعجاز القران له ولضربائه
من المحققين ومنها الاسلوب المخالف لجميع اساليب العرب
ومنها الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال وتامل ذلك في سورة
ق والقران المجيد الى اخرها وقوله سبحانه والارض جميعا قبضته
يوم القيمة الى اخر السورة وكذلك قوله سبحانه ولا تحسبن الله غا
عما يعمل الظالمون الى اخر السورة وقال ابو الحسن الحصار في
كتاب شرح السنة له فمن علم ان الله سبحانه هو الحق علم
ان مثل هذه الجزالة لا تصح في خطاب غيره ولا تصح من اعظم ملوك
الدنيا ان يقول لمن الملك اليوم ولا ان يقول ويرسل الصواعق
فيصيب بها من يشا قال ابن الحصار وهذه الثلاثة من النظم والاسلو
والجزالة لازمة كل سورة بل هي لازمة كل اية وبمجموع هذه الثلا
يتميز مسموع كل اية وكل سورة عن ساير كلام البشر وبها وقع
التحدي والتعجيز ومع هذا فكل سورة ينفرد بها الثلاث
من غير ان ينضاف اليها امر اخر من الوجوه العشر فهذه سورة
الكوثر ثلاث ايات قصار وهي اقصر سورة في القران قد تضمنت
الاخبار عن معنيين احدهما الاخبار عن الكوثر وعظمه وسعته

وكثرة اولاده وذلك على المصدقين به اكثر من اتباع ساير الرسل
والثاني الاخبار عن الوليد بن المغيرة وقد كان عند نزول
الآية ذا مال وولد على ما يقتضيه قوله الحق ذرني ومن خلقت
وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ثم اهلك الله سبحانه
ماله وولده وانقطع نسله ومنها التصرف في لسان العرب على وجه
لا يستقل به عربي حتى يقع منهم الاتفاق من جميعهم على اصابته في
وضع كل كلمة وحرف موضعه ومنها الاخبار عن الامور التي
تقدمت من اول الدنيا الى وقت نزوله من امي ما كان يتلو من
قبله من كتاب ولا يخطه بيمينك فاخبر عما كان من قصص الانبيا
مع اممها والقرون الخالية في دهرها وذكر ما سأله اهل الكتاب عنه
وتحدوه به من قصة اهل الكهف وشان موسى والخضر عليهما
السلام وحال ذي القرنين فجاءهم وهو امي من امة امية ليس
لها بذلك علم بما عرفوا من الكتب السالفة صحته فتحققوا صدقه
قال القاضي بن الطيب ونحن نعلم ضرورة ان هذا مما لا سبيل اليه
الا عن تعلم واذا كان معروفا انه لم يكن ملابسا لاهل الاثار
وحملة الاخبار ولا مترددا الى التعلم منهم ولا كان ممن يقرأ فيجوز
ان يقع اليه كتاب فياخذ منه علم انه لا يصل الى علم ذلك الا بتأييد
من جهة الوحي ومنها الوفاة بالوعد بالحس والعيان في كل ما
وعد الله سبحانه وهي تنقسم الى اخباره المطلقة كوعده بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم
واخراج الذين اخرجوه من وطنه والى وعد مقيد بشرط كقوله
ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن يومن بالله يهد قلبه ومن يتق

الله

الله يجعل له مخرجا وان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين
وشبه ذلك ومنها الاخبار عن المغيبات في المستقبل التي لا يطلع عليها
الا بالوحي فمن ذلك ما وعد الله نبيه عليه السلام انه سيظهر دينه
على الاديان بقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
الاية ففعل ذلك وكان ابو بكر رضي الله عنه اغزى جيوشه عرفهم
ما وعدهم الله من اظهار دينه ليثقوا بالنصر وليستيقنوا بالنجح
وكان عمر يفعل ذلك فلم يزل الفتح يتوالى شرقا وغربا برا
وبحرا قال الله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصا
لحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الاية
وقال لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام
ان شاء الله آمنين وقال واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم
وقال الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبو
فهذه كلها اخبار عن الغيوب التي لا رب العالمين او من اوقفه
عليها رب العالمين فدل ان الله تعالى قد اوقف عليها رسوله ليكون
له دلالة على صدقه ومنها ما تضمنه القران من العلم الذي هو
قوام جميع الانام في الحلال والحرام وسائر الاحكام ومنها
الحكمة البالغة التي لم يجر العادة بان تصدر في كثرتها وشرفها
من ادمي ومنها التناسب في جميع ما تضمنه باطنا وظاهرا
من غير اختلاف قال الله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا قلت فهذه عشرة اوجه ذكرها علماؤنا رحمة الله
عليهم ووجه حادي عشر قاله النظام وبعض اهل القدرية وهو

ان وجه الاعجاز هو المنع من معارضته والصرفة عنه التحدي
بمثله وان المنع والصرفة هو المعجزة دون ذات القران وذلك
ان الله تعالى صرف هممهم عن معارضته مع تحديهم ان ياتوا بسورة
من مثله وهذا فاسد لان اجماع الامة قبل حدوث المخالف ان القران
هو المعجز فلو قلنا ان المنع والصرفة هو المعجز لخرج القران ان يكون
معجزا وذلك خلاف الاجماع واذا كان علم ان نفس القران هو المعجز
لان فصاحته وبلاغته امر خارق للعادة اذ لم يوجد قط كلام على
هذا الوجه فلما لم يكن ذلك الكلام مالوفا معتادا منهم دل على
ان المنع والصرفة لم يكن معجزا واختلف من قال بهذه الصرفة على قولين
احدهما انهم صرفوا على القدرة عليه ولو تعرضوا له لعجزوا عنه
الثاني انهم صرفوا عن التعرض له مع كونه في مقدورهم ولو تعرضوا
له لجاز ان يقدروا عليه قال ابن عطية وجه الاعجاز في
القران انما هو بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة الفاظه ووجه
اعجازه ان الله تعالى قد احاط بكل شيء علما واحاط بالكلام كله علما
باحاطته اي لفظه يصلح ان يلي الاولى وتبيين المعنى ثم
كذلك من اول القران الى اخره والبشر معهم الجهل
والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة ان البشر لم يكن
محيطا قط فبهذا جا نظم القران في الغاية القصوى من
الفصاحة وبهذا النظر يبطل قول من قال ان العرب
كانت كانت في قدرتها ان تاتي بمثل القران في الغاية
القصوى من الفصاحة فلما جا محمد صلى الله عليه وسلم

لفصاحة

صرفوا

صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه والصحيح ان الاتيان بمثل القرآن
لم يقع في قدرة احد من المخلوقين ويظهر لك قصور البشر
في ان الفصيح منهم يصنع خطبة او قصيدة يستفرغ فيها
جهده ثم لا يزال ينقحها حولا كاملا ثم تعطى لاخر بعده
فياخذها بقريحة جامعة فيبدل فيها وينقح ثم لا يزال
كذلك فيها مواضع للنظر والبدل وكتاب الله
تعالى لو نزعت منه لفظة ثم ادير لسان العرب ان
يؤخذ احسن منها لم يوجد ومن فصاحة القرآن ان الله
سبحانه ذكر في اية واحدة امرين ونهيين وخبرين
وبشارتين وهي قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان
ارضعيه الاية ولذلك فاتحة سورة المائدة امر بالوفا
ونهى عن النكث وحلل تحليلا عاما ثم استثنى استثنا بعد
استثنا ثم اخبر عن حكمته وقدرته وذلك مما لا يقدر عليه
الا الله تعالى وانبا سبحانه عن الموت وحسرة الفوت والدار
الاخرة وثوابها وعقابها وفوز الفائزين وتردي المجرمين
والتحذير من الغرور بالدنيا ووصفها بالقلة بالاضافة الى
دار البقاء بقوله كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم
يوم القيامة الاية وانبانا ايضا عن قصص الاولين والاخرين
ومآل المترفين وعواقب المهلكين في شطر آية وذلك
قوله تعالى فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من
اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم

من اعرقنا وانبأ جل وعز عن امر السفينة واجرائها واهلاك
الكفرة واستقرار السفينة واستوائها وتوجّه اوامر التسخير
على الارض والسماء بقوله جل وعز وقال اركبوا فيها بسم الله
مجراها ومرساها الى قوله وقيل بعدا للقوم الظالمين الى غير ذلك
فلما عجزت قريش عن الاتيان بمثله وقالت ان النبي صلى الله عليه
وسلم تقوّله انزل الله عز وجل ام يقولون تقوله بل لا يومنون
فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ثم انزل تعجيزا ابلغ
من ذلك فقال ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله
مفتريات فلما عجزوا حطّهم عن هذا المقدار الى مثل سورة
من السور فقال جل ذكره وان كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا فاتوا بسورة من مثله فافحموا عن الجواب وتقطعت
بهم الاسباب وعدلوا الى الحرب والعناد وابروا سبي
الحريم والاولاد ولو قدروا على المعارضة لكان
اهون كثيرا وابلغ في الحجة واشد تاثيرا هذا مع
كونهم ارباب البلاغة واللحن وعنهم يوخذ الفصاحة
واللسان فبلاغة القرآن في اعلا طبقات الاحسان
وارفع درجات الايجاز والبيان بل تجاوزت حد الاحسا
ن والاجادة الى حيز الاربا والزيادة هذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع ما اوتي من جوامع الكلم واختص به
من غرايب الحكم اذا تاملت قوله في صفة الجنان وفيها ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين وقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة

اعين

سادس

اعني هذا اعد وزنا واحسن تركيبا واعذب لفظا واقل حروفا على انه لا يعتبر الا في مقدار سورة او اطول آية لان الكلام كلما طال اتسع فيه مجال التصرف وضاق المقال على القاصر المتكلف وبهذا قامت الحجة على العرب اذ كانوا ارباب الفصاحة ومظنة المعارضة كما قامت الحجة في معجزة عيسى عم على الاطبا ومعجزة موسى عم على السحرة فان الله سبحانه وتعالى انما جعل معجزات الانبيا عليهم الصلاة والسلام بالوجه الشهير ابرع ما يكون في زمن النبي الذي اراد اظهاره فكان السحر في مدة موسى عليه السلام قد انتهى الى غاية وكذلك الطب في زمن عيسى عليه السلام والفصاحة في زمن محمد صلى الله عليه وسلم قال العلما وذكر الله تعالى اقاصيص الانبيا عم في القران وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة بالفاظ متباينة على درجات البلاغة وذكر قصة يوسف عم ولم يكررها فلم يقدر مخالف على ما يكرر ولا على معارضة على المتكرر غير المتكرر والاعجاز لمن تامل

لا خلاف بين الامة ولا بين الايمة اهل السنة ان القران اسم كلام الله تعالى الذي جا به محمد صلى الله عليه وسلم معجزة على ما تقدم وانه محفوظ في الصدور ومقروا بالالسنة مكتوب في المصاحف معلومة على الاضطرار سوره واياته مبراة من الزيادة

والنقصان حروفه وكلماته فلا يحتاج في تعريفه بحد ولا
في حصره بعد فمن ادّعى زيادة عليه او نقصان منه فقد
ابطل الاجماع وبهت النّاس ورد ما جاء به الرّسول عليه السّلام
من القران المنزل عليه ورد قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا وابطل آية رسوله لانه اذا صار
القران مقدورا عليه حين يشب بالباطل وقد رعليه
لم يكن حجّة ولا آية وخرج عن ان يكون معجزا فالقايل بان القران
فيه زيادة ونقص راد لكتاب الله تعالى ولما جاء به الرّسول
وكان كمن قال الصّلوات المفروضات خمسون صلاة وتزوج تسع
من النسا حلال وفرض الله تعالى اياما مع شهر رمضان الى غير
ذلك مما لم يثبت في الدين فاذا ردّ هذا بالاجماع كان الاجماع
على القران اثبت واكد واوجب والزم قال ابوبكر بن
الانباري في كتاب الرد له ولم يزل اهل الفضل والعقل
يعرفون من شرف القران وعلو منزلته ما يوجبه الحق والانصاف
والديانة وينفون قول المبطلين وتمويه الملحدين وتحريف
الزايغين حتى نبع في زماننا هذا زايغ زاغ عن الملة وهجم على الامة
بما حاول به ابطال الشريعة التي لا يزال الله يؤيدها
ويثبت اسها وينمي فروعها ويحرسها من معايب اولي الحيف
والجور ومكايد اهل العداوة والكفر فزعم ان المصحف الذي
جمعه عثمان رضي الله عنه باتفاق اصحاب رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم على تصويبه فانعل لا يشتمل على جميع القران
اذ كان قد سقطت منه خمس مايه حرف وقد قرات ببعضها
ومما قرا بنفسها منها والعصر ونوايب الدهر فقد سقطت من القران
على جماعه المسلمين ونوايب الدهر ومنها حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت
وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان
لم تغن بالامس وما كان الله ليهلكها الا بذنوب اهلها فادعى الانسا ن
انه يسقط على اهل الاسلام وما كان الله ليهلكها الا بذنوب
اهلها وذكر مما يدعي حروفا كثيره وادعى ان عثمان والصحابه رضي
الله عنهم زادوا في القران ما ليس منه فقرا في صلاه الفرض والناس
يسمعون الله الواحد الصمد فاسقط من القران قل هو وغير
لفظ احد وادعى ان هذا هو الصواب والذي عليه الناس هو البا طل
والمحال وقرا في صلاه الفرض قل للذين كفروا لا اعبد ما تعبدون
وطعن على قراه المسلمين وادعى ان المصحف الذي في ايدي النا س
اشتمل على تصحيف وحروف مفسدة مغيره منها
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
فادعى ان الحكمه والعزه لا يشاكلان المغفره وان الصواب وان
تغفر لهم فانك انت الغفور الرحيم وترامى به الغي في هذا واشكاله
حتى اذن المسلمين يصحفون وكان عبد الله والصواب الذي لم يغير
عنده وكان عبد الله وجيها وحتى قرا في صلاه مفترضه على ما
اخبرنا جماعه يسمعوه لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرا به
فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه وحكى لنا اخرون عن اخرين

انهم سمعوه يقرا ولقد نصركم الله ببدر بسيف علي وانتم اذلة
وروى هولاء ايضا لنا عنه قال هذا صراط علي مستقيم واحتجوا بانه
ادخل في القران ما لا يضاهي فصاحة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا يدخل في لسان قومه الذين قال الله عز وجل فيهم وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه نقرا اليس قلت للناس في موضع ءانت
قلت للناس وهذا لا يعرف في مذهب المقرين ولا يحمل على
مذهب النحويين لان العرب لم ليس قمت فاما لست قمت بالتا
فشاذ قبيح خبيث ردي لان ليس لا يجحد الفعل الماضي لم يوجد
مثل هذا الا في قولهم ليس خلق الله مثله وهو لغة شاذة لا
يحمل كتاب الله عليها وادعى ان عثمان رضي الله عنه لما اسند جمع
القران الى زيد بن ثابت لم يصب لان عبد الله بن مسعود
وابي بن كعب كانا اولى بذلك من زيد لقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقرا امتي ابي بن كعب ولقوله عليه
السلام من سره ان يقرا القران غضا كما انزل فليقراه
بقراة ابن ام عبد وقال هذا القايل لي ان اخالف مصحف
عثمان كما خالفه ابو عمرو بن العلا فقرا ان هذين فاصدق
واكون وبشر عبادي الذين بفتح اليا والذي في المصحف
ان هذان بالالف فاصدق واكن بغير واو وبشر عبادي
لما ان الله بغير يا في الموضعين وكما خالف ابن كثير ونافع
وحمزة والكساي مصحف عثمان فقروا وكذلك حقا علينا ننجي
المومنين باثبات نونين بفتح الثانية بعضهم وبسكنها بعضهم

وفي

بها

وفي المصحف نون واحد ومما خالف حمزة المصحف فقرا الممد
بمال بنون واحدة ووقف على اليا وفي المصحف نونان ولا يا
بعدهما ومما خالف حمزة ايضا المصحف فقرا الا ان ثمود كفروا
ربهم بغير تنوين واثبات الالف يوجب التنوين قال ابن
الانباري وكل هذا يشنع به على القرا ما يلزمهم به خلاف
للمصحف قلت قد اشرنا الى اللغة فيما تقدم مما اختلف فيه
المصاحف وسياتي بيان هذه المواضع في مواضعها من هذا الكتاب
ان شا الله تعالى حسب ما ذكر ابن الانباري رحمه الله تعالى قال
ابو بكر وذكر هذا الانسان ان ابي بن كعب هو الذي قرا كان لم تغن
بالامس وما كان الله ليهلكها الا بذنوب اهلها وذلك باطل
لان عبد الله بن كثير قرا على مجاهد ومجاهد قرا على ابن عباس وابن
عباس قرا القران على ابي بن كعب حسبك كان لم تغن بالامس كذلك
يتصل الايات في روايته وقرا ابي القران على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهذا اسناد متصل بالرسول صلى الله عليه وسلم
~~وهذا اسناد متصل بالرسول صلى الله عليه وسلم~~ نقله اهل
العدالة والصيانة واذا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
امر لم يوخذ بحديث يخالفه وقال يحيى بن المبارك اليزيدي
قرات القران على ابي عمرو بن العلا وقرا ابو عمرو على مجاهد
وقرا مجاهد على ابن عباس وقرا ابن عباس على ابي وقرا ابي على
النبي صلى الله عليه وسلم وما فيها وما كان الله ليهلكها الا بذنوب
اهلها لم نجد ان هذه الزيادة انزلها الله تعالى على

نبيه فليس بكافر ولا اثم حدثنا ابي نا نصر بن داود الصاغاني
نا ابو عبيد قال ما يروى من الحروف التي تخالف المصحف
الذي عليه الاجماع من الحروف التي يعرف اسنادها الخاصه
دون العامة مما نقلوا فيه عن ابي وما كان الله ليهلكها الا بذنوب
اهلها وعن ابن عباس ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم في
مواسم الحج وما يحكون عن عمر بن الخطاب انه قرا غير المغضوب
عليهم وغير الضالين مع نظاير لهذه الحروف كثيره لم ينقلها اهل
العلم على ان الصلاه بها تحل وعلى انها تعارض بها مصحف عثمان لانها
حروف لو جحدها جاحد انها من القران لم يكن كافرا والقران
والقران الذي جمعه عثمان بموافقه الصحابه لو انكر بعضه منكر
كان كافرا حكمه حكم المرتد يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه
وقال ابو عبيد لم يزل صنيع عثمان رحمه في جمعه القران
يعد له بانه من مناقبه العظام وقد طعن عليه فيه بعض
اهل الزيغ فانكشف عواره ووضحت فضايحه قال ابو عبيد
حدثت عن يزيد بن زريع عن عمران بن حدير عن ابي مجلز
قال طعن قوم على عثمان رحمه الله بحمقهم جمع القران ثم قرءوا
بما نسخ قال ابو عبيد يذهب ابو مجلز الى ان عثمان اسقط الذي
اسقط بعلم كما اثبت الذي اثبت بعلم قال ابو بكر وفي قول
الله تعالى له انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون دلاله على
كفر هذا الانسان لان الله عز وجل قد حفظ القران من
التغيير والتبديل والزيادة والنقصان فاذا قرا قارى تبت

يدا ابي لهب وقد تب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى
نارا ذات لهب وامرئته حماله الحطب في جيدها حبل من ليف فقد
كذب على الله عز وجل وعلى قوله ما لم يقل وبدل كتابه وحرفه وحاول
ما قد حفظه منه ومنع من اختلاطه به وفي هذا الذى اتاه
توطيه الطريق لاهل الالحاد ليدخلوا في القران ما يحلو به عرى
الاسلام وينسبونه الى قوم كهولا القوم الذين احتال هذا
بالبو الحيل عليهم وفيه ابطال الاجماع الذى به يحرس الاسلام
وبيانه تمام الصلوات ويودى الزكوات ويحرى المتعبدات
وفي قول الله تعالى الر كتاب احكمت اياته دلالة على بدعه هذا
الانسان وخروجه الى الكفر لان معنى احكمت اياته منع الخلق
من القدره على ان يزيدوا فيها او ينقصوا منها او يعارضوها بمثلها
وقد وجدنا هذا الانسان زاد فيها وكفى الله المومنين المومنين
القتال بعلى وكان الله قويا عزيزا فقال في القران هجرا وذكر عليا في
مكان لو سمعه يذكره فيه لامضى عليه الحد وحكم عليه بالقتل
واسقط من كلام الله قل هو وغير احد فقرا الله احد الصمد
واسقاطه ما اسقطه نفى له وكفر ومن كفر بحرف من القران فقد كفر
به كله: وابطل معنى الاية لان اهل التفسير قالوا انزلت الاية
جوابا لاهل الشرك لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم صف
لنا ربك ام من ذهب ام نحاس ام من صفر فقال الله عز وجل رد ا
عليهم قل هو الله احد ففي هذا دلاله على موضع الرد ومكان
الجواب فاذا سقط قل بطل معنى الاية ووضح الافترا على الله عز وجل

والتكذيب لرسوله صلى الله عليه وسلم ويقال لهذا الانسان
ومن يحل نصره واخبرونا عن القران الذي يقراوه ولا
نعرف عن ولا من كان قبلنا من اسلافنا سواه هو مشتمل على جميع
القران من اوله الى اخره صحيح الالفاظ والمعاني عار من الفساد
والخلل ام هو واقع على بعض القران والبعض الاخر غايب عنا
كما غاب عن اسلافنا والمتقدمين من اهل ملتنا فان اجابوا بان
القران الذي معنا مشتمل على جميع القران لا يسقط منه شي صحيح
اللفظ والمعنى سليمهما من كل ذلل وخلل فقد قضوا على انفسهم
بالكفر حين زادوا فيه فليس له اليوم ها هنا حميم وليس له شرا
الا من غسلين من غير مجرى من تحت الجحيم باي زيادة في القران
اوضح من هذه وكيف تخلط بالقران وقد حرسه الله منها ومنع
كل مفتر ومبطل من ان يلحق به مثلها واذا تومّلت وبحث
عن معناها وجدت فاسدة غير صحيحة لا يشاكل كلام البارئ
تعالى ولا يختلط به ولا يوافق معناه وذلك ان بعدها لا ياكله
الخاطون فهذا متناقض يفسد بعضه بعضا لان الشراب
لا يوكل لا يقول العرب اكلت الماء لانهم يقولون شربته وذقته
وطعمته ومعناه فيما انزل الله تبارك وتعالى على الصحة الذي
من خالف حرفا منه كفر ولا طعام الا من غسلين لا ياكله
الا الخاطيون ولا ياكل الطعام الا الخاطون والغسلين
ما يخرج من اجوافهم من الشحم وما يتعلق به من الصديد وغيره
فهذا طعام يوكل عند البليه والنهم والشراب محال ان يوكل

فان

فان ادعى هذا الانسان ان هذا الباطل الذى زاده من قوله من
عين تجرى من تحت الجحيم ليس يعده لا ياكله الا الخاطون ونفى
هذه الاية من القران ليصح له زيادته فقد كفر لما جحد انه
من القران وحسبك بهذا كله ردا لقوله تعالى وفريا لمقاله وما
يوثر عن الصحابة والتابعين انهم قراوا بكذا ولذا انما ذلك على وجه
البيان والتفسير لا ان ذلك قران يتلى ما نسخ لفظه وحكمه او
لفظه دون حكمه ليس بقران على ما ياتى بيانه عند قوله ما ننسخ من اية
ان شاء الله تعالى

لا التفات لما وضعه الواضعون واختلقه
المختلقون من الاحاديث والاخبار الباطلة في فضل سور القران وغير
ذلك من فضايل الاعمال وقد ارتكبها جماعة كثيرة واختلف في
اغراضهم ومقاصدهم في ارتكابها فمن قوم من الزنادقة مثل
المغيرة بن سعيد الكوفي ومحمد بن سعيد الشامي المصلوب في الزندقة
وغيرهما وضعوا احاديث وحدثوا بها ليوقعوا بذلك
التشكيك في قلوب الناس فما رواه محمد بن سعيد عن انس بن
ملك في قوله صلى الله عليه وسلم انا خاتم النبيين لا نبي بعدي
الا ما شاء الله فزاد هذا الاستثنا لما كان يدعوا اليه من الالحاد
والزندقة قلت وقد ذكره ابو عمر في كتاب التمهيد ولم يتكلم
عليه هل هو موضوع ام لا بل تاول الاستثنا على الرويا فالله
اعلم ومنهم قوم وضعوا الحديث لهوى يدعوا الناس
اليه قال شيخ من شيوخ الخوارج بعد ان تاب ان هذه الا

(margin: قه ... حاديث)

دين فانظروا عمن تاخذون دينكم وانكنا اذا هوينا امرا صيرناه
حديثا ومنهم جماعة وضعوا الحديث حسبة كما زعموا يدعون
الناس الى فضايل الاعمال كما روي عن ابي عصمة نوح بن ابي مريم المروزي
ومحمد بن عكاشة الكرماني واحمد بن عبد الله الجويباري وغيرهم قيل
لابي عصمة من اين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة
فقال اني رايت الناس قد اعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه ابي
حنيفه ومغازي محمد بن اسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة
قال علماونا وهكذا الحديث الطويل الذي يروى عن ابي
بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل القرآن سورة سورة
بحث باحث عن مخرجه حتى انتهى الى من اعترف بانه وجماعة وضعوه
وان اثر الوضع عليه لبين ولقد اخطأ الواحدي والثعلبي
ومن ذكره من المفسرين في ايداعه تفاسيرهم ومنهم قوم من
السول والملحدين يقفون في الاسواق والمساجد فيضعون
على رسول الله صلى الله عليه وسلم احاديث باسانيد صحاح قد
حفظوها فيدرون الموضوعات بتلك الاسانيد قال
جعفر بن محمد الطيالسي صلى احمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد
الرصافة فقام بين ايديهما قاص فقال ثنا احمد بن حنبل ويحيى بن معين
قالا ثنا عبد الرزاق قال انا معمر عن قتادة عن انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله يخلق الله من كل كلمة منها
طايرا منقاره من ذهب وريشه مرجان واخذ في قصة نحو من
عشرين ورقة فجعل احمد ينظر الى يحيى ويحيى ينظر الى احمد فقال

انت

ل

ابن حدثك بهذا فقال والله ما سمعت به الا هذه الساعة قال
فسمعهما جميعا حتى فرغ من قصته فقال له يحيى من حدثك بهذا
الحديث قال احمد بن حنبل ويحيى بن معين فقال انا ابن معين وهذا
احمد بن حنبل ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم فان كان ولا بد من الكذب فعلى غيرنا فقال له انت يحيى بن
معين قال نعم قال لم ازل اسمع ان يحيى بن معين احمق وما علمته
الا هذه الساعة فقال له يحيى وكيف علمت اني احمق قال كانه ليس
في الدنيا يحيى بن معين واحمد بن حنبل غيركما كتبت عن سبعة عشر
احمد بن حنبل غير هذا قال فوضع احمد كمه على وجهه وقال دعه
يقوم فقام كالمستهزئ بهما فهولاء الطوايف كذبة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومن يجري مجراهم يذكر ان الرشيد كان
يعجبه الحمام واللهو به فاهدي اليه حمام وعنده ابو البختري
القاضي فقال روى ابو هريرة عن النبي صلى صلى الله عليه
وسلم انه قال لا سبق الا في خف او حافر او جناح فزاد او
جناح وهي لفظة وضعها للرشيد فاعطاه جايزة سنية فلما
خرج قال الرشيد والله لقد علمت انه كذاب وامر بالحمام
ان يذبح فقيل له وما ذنب الحمام قال من اجل كذب على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فترك العلما حديثه لذلك
ولغيره من موضوعاته فلا يكتب العلما حديثه بحال قلت
فلو اقتصر الناسي على ما ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرها
من المصنفات التي تداولها العلما ورواها الايمة الفقها لكان

لهم في ذلك وخرجوا عن حد نبيهم صلى الله عليه وسلم حيث قال اتقوا الحديث علي الا ما علمتم فمن كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار الحديث فتخويفه صلى الله عليه وسلم امته بالنار على الكذب دليل على انه كان يعلم انه سيكذب عليه لحذر مما وضعوه اعدا الدين وزنادقة المسلمين في باب الترغيب والترهيب وغير ذلك واعظمهم ضررا اقوام من المنسوبين الى الزهد وضعوا الحديث حسبة فيما زعموا فتلقاه الناس موضوعا لهم ثقة منهم بهم وركونا اليهم فضلوا واضلوا

التفسير مصدر فسر يفسر

اذا كشف المراد فيه وبينه واصله من التفسير وهو البيان يقال فسرت الشي بتخفيف السين افسره بالكسر فسرا وقيل هو ماخوذ من قولهم فسر الفرس اي ركضه لتنطلق حصره وقيل هو مقلوب سفر والسفر الكشف يقال سفرت المراة عن وجهها اذا

امر الله تعالى بالاستعاذة عند اول كل قراءة فقال تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم اي اذا اردت ان تقرا فاوقع الماضي موقع المستقبل كما قال الشاعر ؎ واني لاتيكم لذكرى الذي مضى من الود واستيناف ما كان في غد اراد ما يكون في غد ومنه قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا

فاغسلوا اي اذا اردتم القيام الى الصلوة فان الطهارة مقدمة
وقوله تعالى اذا طلقتم النسا اي اذا اردتم تطليقهن لانه محال
ابا مريم بالطلاق للعدة بعد مضي الطلاق وقال الشاعر
اذا طحنت فابدى بالميمنه اي اذا اردت الطحين ومثله كثير
وقيل في الكلام تقديم وتاخير وان كل فعلين تقاربا في المعنى
جاز تقديم ايهما شيت كما قال سبحانه وتعالى ثم دنى فتدلى
المعنى فتدلى ثم دنى ومثله اقتربت الساعة وانشق القمر وهو
كثير هذا الامر على الندب في قول الجمهور في
كل قراة في غير صلاة واختلفوا فيه في الصلاه فحكى النقاش عن عطا ان
الاستعاذه واجبه وكان ابن سيرين والنخعي وقوم يتعوذون في
في الصلاه في كل ركعة ويمتثلون امر الله في الاستعاذة على العموم
وابوحنيفه والشافعي يتعوذان في الركعة الاولى من الصلاة ويرى
بان قراة الصلاه كلها قراة واحدة وعن الشافعي ايضا ان قايله في
اول كل ركعه حين يفتتح القراة لحسن ولا امر في شي من الصلاة
كما امر به في اول ركعه ومالك لا يرى التعوذ في الصلاة المفروضة
ويراه في قيام رمضان بعد قراة الفاتحه على ما ياتي بيانه
اجمع العلما على ان التعوذ ليس من القران ولا اية منها
وهو قول القاري اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهذا اللفظ هو
الذي عليه الجمهور من العلما في التعوذ لانه لفظ كتاب الله تعالى
روى عن ابن مسعود انه قال قلت اعوذ بالله السميع العليم من
الشيطان الرجيم فقال هكذا اقرانى جبريل عن اللوح عن القلم

فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن ام عبد
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
في لفظ التعوذ

روى ابو داود وبن ماجه في سننهما عن جبير بن مطعم انه راى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو ولا ادري اي صلاة هي
فقال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا الحمد لله كثيرا الحمد لله كثيرا ثلاثا سبحان
الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه
ونفثه وهمزه قال عمرو وهمزه الموتة ونفثه الشعر ونفخه الكبر وقال
ابن ماجة الموتة يعني الجنون والنفث كلما ما نفخ الرجل من فيه من غير
ان يخرج ريقه والكبر التيه ان شاء الله قلت وهذا الحديث
حجة للشافعي في التعوذ في الصلاة قبل القراءة وروى ابو داود ايضا
عن ابي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام
من الليل كبر ثم قال سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك
ولا اله غيرك ثم يقول لا اله الا الله ثلاثا ثم يقول الله اكبر
ثلاثا اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ثم
يقرا وروى سليمان بن سالم عن ابن القاسم رحمه الله ان الاستعاذه
اعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم بسم
الله الرحمن الرحيم قال ابن عطية واما المقرئون فاكثروا في هذا
من تبديل الصفة في اسم الله تعالى وفي الجهة الاخرى كقول بعضهم
اعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد ونحو هذا مما لا اقول فيه نعمت
البدعة ولا اقول انه لا يجوز قال الهروي اجمع القراء على
اظهار الاستعاذة في اول قراءة سورة الحمد الا حمزة فانه اسرها
وروى المسيبي عن اهل المدينة انهم كانوا يفتتحون القراءة بالبسملة
وذكر ابو الليث السمرقندي في كتاب البستان له عن بعض المفسرين

الكبر

ان

٥٨

ان التعوذ فرض واذا نسيه القارى وذكر في بعض الحزب قطع وتعوذ ثم ابتدا من اوله وبعضهم يقول يستعيذ ثم يرجع الى موضعه الذى وقف فيه والاولى قال اسانيد الحجاز والعراق والثاني قال اسانيد الشام ومصر قال ابن عطية حكى الزهراوي قال نزلت الاية في الصلاة وندبنا الى الاستعاذه في غير الصلاة وليس بفرض قال غيره كانت فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم وحده ثم تاسينا به روى عن ابى هريرة ان الاستعاذة بعد القراه وقاله داود قال القاضي ابو بكر العربي انتهى العي بقوم الى ان قالوا اذا فرغ القارى من قراه القران يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وقد روى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ في صلاته قبل القراة وهذا نص فان قيل فما الفايدة في الاستعاذة من الشيطان وقت القراه قلت فايدتها امتثال الامر وليس للشرع فايدة الا القيام بحق الثواب في امتثالها امرا واجتنابها نهيا وقد قيل فايدتها امتثال الامر بالاستعاذه من وسوسة الشيطان عند القراه كما قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته قال ابن العربي ومن اغرب ما وجدناه قول ملك في المجموعه في تفسير هذه الاية فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم قال ذلك بعد قراه القران ام القران لمن قرا في الصلاه

وهذا قول لم يرد به اثر ولا يعضده نظر فان يا زهذا
كما قال بعض الناس ان الاستعاذ بعد القراة كان تخصيص
ذلك بعد ام القران في الصلاه دعوى عريه ولا نسبه
اصل ملك ولا بغمه فالله اعلم بسر هذه الروايه
في فضل التعوذ جا في الخبر عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه سمع رجلا يقول تعسا للشيطان فقال لا تقل
تعسا للشيطان فانه يتعاظم بعزتي صرعتك ولكن اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم فانه ينصاغر ويصير كالذباب
ولا يكون له عليك في ذلك اليوم سبيل ويروى ان الرجل
اذا خرج من بيته في صبيحة يومه فقال اعوذ بالله من الشيطا
ن الرجيم قال له ملك عن يمينه فاذا قال بسم الله الرحمن
الرحيم قال له ملك عن يساره هديت فاذا قال لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال له ملك امامه وقيت
فاذا مر به ابليس وجنوده في ذلك اليوم فيقال
لهم هذا رجل لا سبيل لكم عليه لانه هدى ونجي ووقي
وروى مسلم عن سليمان بن صرد قال اتيت رجلين عند
النبي صلى الله عليه وسلم فجعل احدهما يغضب ويحمر
وجهه وتنتفخ اوداجه فنظر اليه النبي صلى الله عليه
وسلم فقال اني لاعلم كلمه لو قالها لذهب ذا عنه
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقام الى الرجل رجل سمع
النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل تدري ما قال رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم انفا قال انى لاعلم كلمة لو قالها لذهب
داعنه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال الرجل امجنونا
تراني خرجه البخاري ايضا وروي مسلم عن عثمان بن ابي العاص
الثقفي انه اتا النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان
الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقد انا يلبسها على
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك شيطان يقال له
خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن
يسارك ثلاثا ففعلت فاذهبه الله عني وروى ابوداود
عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر
فاقبل عليه الليل قال يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من
شرك وشر ما خلق فيك ومن شر ما يدب عليك واعوذ بك
من اسد واسود ومن الحيه والعقرب ومن ساكن البلد ووالد
وما ولد وروت خوله بنت حكيم قالت سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم من نزل منزلا ثم قال اعوذ بكلمات الله
التامات من شر ما خلق لم يضره شي حتى يرتحل اخرجه الموطا ومسلم
والترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وما يتعوذ منه
كثير ثابت في الاخبار والله المستعان

معنى الاستعاذة

في كلام العرب الاستجارة والتحيز الى الشي على معنى الامتناع به
من المكروه يقال عذت بفلان واستعذت به اي لجات اليه
وهو عياذي اي ملجاي واعذت غيري به وعوذته بمعنى ويقال
عوذ بالله منك اي اعوذ بالله منك قال الراجز

قالت وفيها حيدة ودعر عودبي منكر وجر

والعرب تقول عند العرب حواله بالضم اي دنا وهو استعادة من الامر والعودة والمعادة والتعويذ كله بمعنى واحد

واصل اعوذ اعود بقلب الضمة الى العين لاستثقالها على الواو

فسكنت الشيطان واحد الشياطين على التكثير

والنون اصلية لانه من شطن اذا بعد عن الخير وشطنت داره

اي بعدت قال الشاعر

بانت سعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها رهين

وبير شطون اي بعيدة القعر والشطن الحبل سمي به لبعد طرفيه

وامتداده ووصف اعرابي فرسا فانه شيطان في اشطان

وسمي الشيطان شيطانا لبعده عن الخير وتمرده وذلك

ان كل عات متمرد من الجن والانس والدواب شيطان

قال جرير ايام يدعونني الشيطان من غزلي وهن يهوينني

اذ كنت شيطانا وقيل ان شيطانا ماخوذ من شاط يشيط

اذا بطل فالنون زايدة وشاط اذا احترق وشيطت

اللحم اذا دخنته ولم تنضجه واشاط الرجل اذا اهدر دمها

وناقة مشياط التي يطير فيها السمن واشاط اذا هلك قال

الاعشى قد يطعن العير في مكنون فائله وقد يشيط على

ارماحنا البطل اي يهلك ويرد على هذا ان سيبويه حكى ان

العرب تقول تشيطن فلان اذا فعل افعال الشياطين فهذا بين

انه فيعل من شطن ولو كان من شاط لقال تشيط ويرد

عليهم

عليهم ايضا ىسـ امية بن ابي الصلت   ايما شاطن عصاه عكاه
ورماه في السجن والاغلال فهذا شاطن من شطن لا شك فيه
الرجيم اي المبعد من الخير المهان واصل
الرجم الرمي بالحجارة وقد رجمته ارجمه فهو رجيم ومرجوم
والرجم ايضا القتل واللعن والطرد والشتم وقد قيل هذا
كله في قوله تعالى لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين
وفي قول ابراهيم لابن لئن لم تنته لارجمنك وسياتي ان شا الله
روى الاعمش عن عبد الله قال قال علي بن ابي
طالب رضي الله عنه رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند
الصفا وهو مقبل على شخص في صورة الفيل وهو يلعنه فقلت
ومن هذا الذي تلعنه يا رسول الله قال هذا الشيطان الرجيم
فقلت والله يا عدو الله لاقتلنك ولاريحن الامة منك
قال ما هذا جزاي منك قلت وما جزاك مني يا عدو الله
قال والله ما ابغضك احد قط الا وقد شركت اباه
في رحم امه
الاولى قال العلما بسم الله الرحمن الرحيم قسم
من ربنا عز وجل انزله عند راس كل اية يقسم لعباده ان هذا
الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة حق فاني اوفي لكم جميع
ما ضمنته في هذه السورة من وعدي ولطفي وبري وبسم الله
الرحمن الرحيم مما انزله الله في كتابنا على هذه الامة خصوصا بعد
سليمان عليه السلام وقال بعض العلما ان بسم الله الرحمن الرحيم

تضمنت جميع الشرع لانها تدل على الذات وعلى الصفات
وهذا صحيح   في فضلها يقال ان من فضل البسمله ان
سليمان عليه السلام لما كتب الى بلقيس انه من سليمان وانه بسم الله
الرحمن الرحيم اعطاه ملكها زيادة الى ملكه بفضل بسم الله الرحمن
الرحيم وانما سبق اسم سليمان على بسم الله الرحمن الرحيم مخافة
من شتم او قدحه فلما علم الله ذلك منه اتاه ملكها والله على كل
شي قدير وقال سعيد بن ابي سكينه بلغني ان علي بن ابي طالب
رضي الله عنه نظر الى رجل يكتب بسم الله الرحمن الرحيم
فقال له جودها فان رجلا جودها فغفر له قال سعيد وبلغني
ان رجلا نظر الى قرطاس فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقبله و و
ضعه على عينيه فغفر له ومن هذا المعنى قصة بشر الحافي
فانه لما رفع الرقعه التي فيها بسم الله وطيبها طيب الله اسمه
ذكره القشيري وروى النسائي عن ابي المليح عن ردف
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا عثرت بك الدابة فلا تقل تعس الشيطان
فانه يتعاظم حتى يصير مثل البيت ويقول بقوتي صنعته
ولكن قل بسم الله فانه يتصاغر حتى يصير مثل الذباب
وقال علي بن الحسين في تفسير قوله تعالى واذا ذكرت
ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا قال
معناه اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم وروي ان
بسم الله الرحمن الرحيم اربع كلمات والذنوب اربع
ذنوب

ذنوب ذنوب الليل وذنوب النهار وذنوب السر وذنو
العلانية فاذا قال العبد هذه الاربع كلمات على الاخلاص
منه والوفا غفر الله اربعة انواع من الذنوب والخطا
وروى وكيع عن الاعمش عن ابي وايل عن عبد الله بن مسعود
قال من اراد ان ينجيه الله من الزبانيه التسعه عشر فليقرا بسم
الله الرحمن الرحيم ليجعل الله تعالى له بكل حرف منها
جنة من كل واحد فالبسمله تسعة عشر حرفا على عدد
ملايكه اهل النار الذين قال الله فيهم عليها تسعه عشر
وهم يقولون في كل افعالهم بسم الله الرحمن الرحيم
فمن هناك هي قوتهم وببسم الله استضلعوا قال بن عطيه
ونظير هذا قولهم في ليله القدر انها ليله سبع وعشرين
مراعاة للفظة هي من كلمات انا انزلناه ونظيره ايضا
قولهم في عدد الملايكه الذين ابتدروا قول القايل
ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فانها بضعة
وثلاثون حرفا فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد
رايت بضعة وثلثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبونها
اول قال بن عطيه وهذا من ملح التفسير وليس من
متين العلم روى الشعبي والاعمش ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم حتى امر ان
يكتب بسم الله فكتبها فلما نزلت قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
كتب بسم الله الرحمن فلما نزلت انه من سليمان وانه

مطلب في فضل البسملة

بسم الله الرحمن الرحيم كتبها وفي مصنف ابي داود قال
الشعبي وابو داود ملك وقتاده وثابت عن عمارة ان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم حتى نزلت
سورة النمل روي عن جعفر الصادق رضي الله
عنه انه قال البسمله تيجان السور قلت وهذا يدل
على انها ليست اية من الفاتحه ولا غيرها وقد اختلف العلما
في هذا المعنى على ثلاثة اقوال الاول ليست باية لا في
الفاتحة ولا غيرها وهو قول ملك الثاني انها اية من
كل سورة وهو قول عبد الله بن المبارك الثالث قال
الشافعي اية في الفاتحه وتردد قوله في ساير السور فمرة قال
هي اية من كل سورة ومرة قال ليست باية الا في الفاتحة
وحدها ولا خلاف بينهم على انها اية من القران في سورة
النمل احتج الشافعي بما رواه الدارقطني من حديث ابي بكر
عبد الحميد بن جعفر الحنفي عن نوح بن ابي بلال عن سعيد بن
ابي سعيد المقبري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا قراتم الحمد لله رب العالمين فاقروا بسم الله الرحمن
الرحيم انها ام القران وام الكتاب والسبع المثاني وبسم
الله الرحمن الرحيم احد اياتها ورفع هذا الحديث عبد الحميد بن
جعفر وعبد الحميد هذا وثقه احمد بن حنبل ويحيى بن معين
ويحيى بن سعيد وابو حاتم يقول فيه محله الصدق وكان
سفين الثوري يضعفه ويحمل عليه ونوح بن ابي بلال ثقة

مشهور

مشهور ورجحه بن المبارك واحد قولي الشافعي ما رواه مسلم
عن انس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
بين اظهرنا اذا اغفى اغفاه ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك
يا رسول الله قال نزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم
انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر وذكر
الحديث وسياتي بكماله في سورة الكوثر ان شا الله تعالى قلت
الصحيح من هذه الاقوال قول مالك لان القران لا يثبت باخبار
الاحاد وانما طريقه التواتر القطعي الذي لا يختلف فيه قال
بن العربي في احكامه ويكفيك انها ليست من القران اختلاف
الناس فيها والقران لا يختلف فيه والاخبار الصحاح التي لا
مطعن فيها دالة على ان البسملة ليست باية من الفاتحة ولا غيرها
الا في النمل وحدها روى مسلم عن ابي هريرة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل قسمت الصلاة
بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سال فاذا قال العبد الحمد لله
رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم
قال اثنى علي عبدي واذا قال ملك يوم الدين قال الله مجدني
عبدي وقال مرة فوض الي عبادي واذا قال اياك
نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي
ما سال فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي
ولعبدي ما سال فقوله سبحانه قسمت الصلاة الفاتحة وسماها

صلاه لان الصلاة لا تصح الا بها فجعل الثلاث الايات لنفسه سبحانه
واختص بها تبارك اسمه ولم يختلف المسلمون فيها ثم الايه الرابعه
جعلها بينه وبين عبده لانها تضمنت تذلل العبد وطلب الاستعانه
منه وذلك يتضمن تعظيم الله تعالى ثم ثلاث ايات تتمة سبع
ايات ومما يدل على انها ثلاث ايات قوله هاولاي لعبدي اخرجه
ملك ولم يقل هاتان فهذا يدل على ان انعمت عليهم ايه قال ابن
نصر قال ملك انعمت عليهم ايه ثم الايه السابعه الى
اخرها فثبت بهذه القسمه قسمها تعالى وبقوله عليه السلام
لابي كيف تقرا اذا افتتحت الصلاة قال فقرات الحمد لله رب
العالمين حتى اتيت على اخرها ان البسمله ليست بايه منها وهذا
عد اهل المدينه واهل الشام والبصره واكثر القرا عدوا
انعمت عليهم ايه وكذا روي قتادة عن ابي نضره عن ابي هريره
رضي الله عنه قال الايه السادسه انعمت عليهم واما اهل
الكوفه من القرا والفقها فانهم عدوا بسم الله الرحمن الرحيم ولم
يعدوا انعمت عليهم فان قيل فانها ثبتت في المصحف وهي
مكتوبه بخطه ونقلت قراته نقله كما نقلت في النمل وذلك متواتر
عنهم قلنا ما ذكرتموه صحيح ولكن لكونها قرانا ولكونها فاصله
بين السور كما روي عن الصحابة كنا لا نعرف انقضا السوره حتى تنزل
بسم الله الرحمن الرحيم اخرجه ابو داود وتبركا بها كما قد
اتفقت الامة على كتبها في اول الكتب والرسايل كل ذلك
محتمل وقد قال الجريري سيل الحسن عن بسم الله الرحمن الرحيم

قال

٦٢

قال صدور الرسايل وقال الحسن ايضا لم تنزل بسم الله الرحمن الرحيم
في شي من القران الا في طس سليمان انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن
الرحيم والفيصل ان القران لا يثبت بالنظر والاستدلال وانما يثبت
بالنقل والتواتر القطعي الاضطراري ثم قد اضطرب قول الشافعي
فيها في اول كل سورة فدل على انها ليست باية من كل سورة
فان قيل فقد روي جماعة قراتها وقد ذكر الدارقطني جمع ذلك
في جز وصححه قلنا لسنا ننكر الرواية بذلك وقد اشرنا اليها ولنا
اخبار ثابته في مقابلتها رواها الايمة الثقات والفقها الاثبات
روت عايشه في صحيح مسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستفتح الصلاة بالتكبير والقراة بالحمد لله رب العالمين الحديث
وسياتي بجماله انشا الله تعالى روي مسلم ايضا عن انس بن ملك قال
صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فكانوا يستفتحون
بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم لا في اول
قراة ولا في اخرها ثم ان مذهبنا يترجح في ذلك بوجه عظيم وهو
المعقول وذلك ان مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينه انقرضت
عليه العصور ومرت عليه الازمنة والدهور من لدن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى زمان ملك ولم يقرا احد قط فيه بسم
الله الرحمن الرحيم اتباعا للسنة وهذا يرد احاديثكم بيدا
ان اصحابنا قروها في النفل وعليه استحبوا حمل الاثار الواردة في
قراتها او على التبعه في ذلك قال ملك ولا باس ان يقراها في النوافل
النافله ومن تعرض القران عرضا وحمله مذهب ملك واصحابه

انها ليست عنده هي ايه من فاتحه الكتاب ولا غيرها ولا يقرا بها
المصلي في المكتوبه ولا في غيرها سرا ولا جهرا ويجوز ان يقرا بها
في النوافل فهذا هو المشهور من مذهبه عند اصحابه وعنه
روايه اخرى انها تقرا اول السوره في النوافل ولا تقرا اول
ام القران وروى عنه بن نافع ابتدا القراه بها في
الصلاه الفرض والنفل ولا تترك بحال ومن اهل المدينه من
يقول انه لا بد فيها من بسم الله الرحمن الرحيم منهم بن عمر وبن
شهاب وبه قال الشافعي واحمد واسحاق وابو ثور وابو
عبيد وهذا يدل على ان المسله مسله اجتهاديه لا قطعيه
كما ظنه بعض الجهال من المتفقهه الذي يلزم على قوله تكفير
المسلمين وليس كما ظن لوجود الخلاف المذكور وقد ذهب
قوم الى الاسرار بها مع الفاتحه منهم ابو حنيفه والثوري
وروى ذلك عن عمر وعلي وبن مسعود وعمار وبن الزبير وهو
وهو قول الحكم وحماد وبه قال احمد بن حنبل وابو عبيد
وروي عن الاوزاعي مثل ذلك حكاه ابو عمر بن عبد البر في
الاستذكار واحتجوا من الاثر في ذلك بما رواه منصور
بن زاذان عن انس بن مالك قال صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلم يسمعنا قراه بسم الله الرحمن الرحيم وبما رواه عمار
بن زريق عن الاعمش عن شعبه عن ثابت بن انس قال صليت خلف
النبي صلى الله عليه وسلم وخلف ابي بكر وعمر فلم يسمع احدا منهم
يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قلت هذا قول حسن وعليه

سفق

سهو الاناد عن انس ولا استشهاد ويحتج به من الخلاف في قراه
البسمله وقد روي عن سعيد بن جبير قال كان المشركون يحضرون
المسجد فاذا قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هذا محمد
يذكر رحمان اليمامه يعنون مسيلمة فامر ان يخافت ببسم الله الرحمن
الرحيم ونزلت ولا تخافت بها قال الترمذي الحكيم ابو عبد الله
فبقا ذلك الى يومنا هذا على ذلك الرسم وان زالت العلة كما بقي
الرمل في الطواف وان زالت العله وبقيت المخافته في صلاه النهار
وان زالت العلة اتفقت الامة على جواز كتبها في اول
كل كتاب من كتب العلم والرسايل فان كان الكتاب ديوان شعر فروى
مجالد عن الشعبي قال اجمعوا ان لا يكتبوا امام الشعر بسم الرحمن الرحيم
وقال الزهري مضت السنه ان لا يكتبوا في الشعر بسم الله
الله الرحمن الرحيم وذهب الى رسم البسمله في اول كتب الشعر سعيد
بن جبير وتابعه على ذلك اكثر المتاخرين قال ابو بكر احمد بن ثابت
الخطيب وهو الذي نختاره ونستحبه قال يعقوب
بن السكيت بسمل الرجل اذا قال بسم الله يقال قد اكثرت
من البسمله اي من قول بسم الله ومثله حوقل الرجل اذا قال
لا حول ولا قوه الا بالله العلي العظيم وهلل اذا قال لا اله الا
الله وسبحل اذا قال سبحان الله وحمدل اذا قال الحمد لله وحيعل
اذا قال حي على الفلاح ولم يذكر المطرزي الحيعله اي اذا قال
حي على الصلاة وجعفل اذا قال جعلت فداك وطبقل اذا قال
ادام الله بقاك ودمعز اذا قال ادام الله عزك ندب

ولا تجهر بصلاتك

الى

الشرع ذكر البسملة في اول كل فعل كالاكل والشرب والنحر
والجماع والطهارة وركوب البحر الى غير ذلك من الافعال قال الله تعالى
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها
ومرساها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغلق بابك واذكر
اسم الله واطفئ مصباحك واذكر اسم الله وخمّر اناءك واذكر اسم
الله واوك سقاءك واذكر اسم الله وقال لو ان احدكم اذا اراد ان
ياتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان
ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان ابدا
وقال لعمر بن ابي سلمة يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك
وقال ان الشيطان ليستحل الطعام ان لا يذكر اسم الله عليه وقال
من لم يذبح فليذبح بسم الله وشكا اليه عثمان بن ابي العاص وجعا
يجده في جسده منذ اسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضع يدك على الذي تالم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع
مرات اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر هذا كله ثابت
في الصحيح وروى بن ماجة والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ستر ما بين الجن وعورات بني ادم اذا دخل الكنيف ان يقول
بسم الله وروى الدارقطني عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا مس طهوره سمى الله ثم يفرغ الما على يديه
قال علماونا وفيها رد على القدرية وغيرهم ممن يقول ان افعالهم
مقدورة وموضع الاحتجاج عليهم من ذلك ان الله سبحانه امرنا
عند الابتدا بكل فعل ان يفتتح بذلك كما ذكرنا فمعنى الله اي بالله

ومعنى

٦٥

ومعنى بالله اي بخلقه وتقديره يوصل الى ما يوصل اليه وقال
بعضهم معنى قوله بسم الله يعني بدات بعون الله وتوفيقه وبركته
وهذا تعلم من الله عباده ليذكروا اسمه عند افتتاح القراة وغيرها
حتى يكون الافتتاح ببركة اسمه جل وعز سبحانه لا اله الا هو
ذهب ابو عبيدة معمر بن المثنى الى اسم صله زايدة واستشهد بقول
لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد
اعتذر فذكر اسم زايد وانما اراد ثم السلام عليكما وقد استدرك
علماؤنا بقول لبيد هذا على الاسم هو المسمى وسياتي الكلام فيه في
هذا الباب وغيره ان شا الله واختلف في زيادة
اسم فقال قطرب زيدت لاجلال ذكره تعالى وتعظيمه وقال
الاخفش ليخرج بذكرها من حكم القسم الى حكم التبرك لان
اصل الكلام بالله واختلفوا ايضا في معنى دخول
البا عليه هل دخلت على معنى الامر والتقدير ابدا بسم الله او على معنى الخبر
والتقدير بدات بسم الله قولان الاول للفرا والثاني للزجاج فبسم في
موضع رفع خبر الابتدا وقيل الخبر محذوف اي ابتداى مستقر وثابت
بسم الله فاذا اظهرته كان بسم الله في موضع نصب بثابت او مستقر
وكان بمنزلة قولك زيد في الدار وفي التنزيل فلما راه مستقرا عنده فعند
في موضع نصب روي عن نحاة اهل البصرة وقيل التقدير ابتداى
بسم الله موجودا وثابت فبسم الله في موضع نصب بالمصدر الذي
هو ابتداى بسم الله تكتب بغير الف
استغنا عنها بالالصاق في اللفظ والخط لكثرة الاستعمال خلاف

قوله اقرا باسم ربك فانها لا تحذف لقلة الاستعمال واختلفوا
في حذفها مع الرحمن والقاهر فقال الكسائي وسعيد الاخفش تحذف
الالف وقال يحيى بن وثاب لا تحذف الا مع بسم الله فقط لان
الاستعمال انما كثر فيه   واختلفوا في باء الجر الجر
على ثلاث معان فقيل لتناسب لفظها عملها وقيل لما كانت الباء لا
تدخل الا على الاسماء خصت بالخفض الذي لا يكون الا في الاسماء
ليفرق بينها وبين ما يكون من الحروف اسما نحو الكاف في قول
الشاعر ورحنا بكاس الماء يجنب وسطنا اي بمثل ابن الماء ما كان
مثله على ما ياتي   اسم وزنه افع والذاهب
الواو لانه من سموت وجمعه اسماء وتصغيره سمي واختلف في تقدير
اصله فقيل فعل وقيل فعل قال الجوهري واسما نحو نجمعا لهذا الوزن
وهو مثل جذع واجذاع وفعل وافعال وقفل واقفال وهذا لا
تدرك صيغته الا بالسماع وفيه اربع لغات اسم واسم بالضم
قال احمد بن يحيى من ضم الالف اخذه من سموت اسمو ومن كسر الالف
اخذه من سميت اسمي ويقال رسم وسم وينشد والله اسماك سما
مباركا آثرك الله به ايثاركا ،، وقال اخر وعامنا اعجبنا مقدمه
يدعى ابا السمح وقرضاب سمه مبتركا لكل عظم يلحمه يقال قرضب
الرجل اذا اكل شيئا يابسا فهو قرضاب سمه بالضم والكسر جميعا
قول الاخر بسم الذي في كل سورة سمه وسكنت السين من بسم
اعتلالا على غير قياس والفه الف وصل وربما جعلها الشاعر
الف قطع للضرورة كقول الاحوص ،، وما انا بالمخسوس في جذم

ملك ولا يسمى ثم يلزم الاسما   يقول في النسب
الى الاسم سمى وان شيت سمى تركته على حاله وجمعه اسما وجمع الاسما
اسمام وحكى الفرا اعترك باسماوات الله   يقول
في النسب الى الاسم على وجهين فقال البصريون هو مشتق من السمو وهو
العلا والرفعه فقيل اسم لان صاحبه بمنزلة المرتفع به وقيل لان
الاسم سموا بالمسمى فيرفعه عن غيره وقيل انما سمى الاسم
لانه على بعونه على قسمى الكلام الحرف والفعل والاسم اقوى منهما
بالاجماع لانه الاصل فلعلوه عليهما سمى اسما فهذه ثلاثة اقوال
وقال الكوفيون انه مشتق من السمة وهي العلامة لان الاسم
علامة لمن وضع له فاصل اسم على هذا وسم والاول اصح لانه
يقال في التصغير سمى وفي الجمع اسما والجمع والتصغير يردان
الاسما الى اصولها فلا يقال وسيم ولا اوسام ويدل على صحته
ايضا فايده الخلاف وهي السابعه عشر ان من قال الاسم مشتق
من العلو يقول لم يزل الله سبحانه موصوفا قبل وجود الخلق وبعد
وجودهم وعند فنايهم لا تاثير لهم في اسمايه ولا صفاته وهذا
قول اهل السنه ومن قال الاسم مشتق من العلامة يقول كان الله
في الازل بلا اسم ولا صفه فلما خلق الخلق جعلوا له اسما وصفاته
فاذا افناهم بقي بلا اسم ولا صفه هذا قول المعتزله وهو خلاف
ما اجتمعت عليه الامة وهو اعظم في الخطا من قولهم ان كلامه مخلوق
تعالى عن ذلك وبهذا الخلاف وقع الكلام في الاسم
والمسمى وهي   فذهب اهل الحق فيما نقل القاضي

ابو بكر بن الطيب ان الاسم هو المسمى وارتضاه بن فورك وهو قول
ابي عبيدة سيبويه فاذا قال قايل الله اعلم فقوله عالم دال على الذات
الموصوفة بكونه عالما فالاسم كونه عالما وهو المسمى بعينه وكذلك
اذا قال الله خالق فالخالق هو الرب وهو بعينه الاسم فالاسم
عندهم هو المسمى بعينه من غير تفصيل قال بن الحصار من نفى الصفات
من المبتدعة يزعم ان لا مدلول للتسميات الا الذات ولذلك
يقول الاسم غير المسمى ومن يثبت الصفات يثبت للمسميات
مدلولات هي اوصاف الذات وهي غير العبارات وهي الاسما
وقال بن عطيه الاسم كزيد واسد وفرس يرد الكلام يراد به
الذات كقولك زيد عالم والاسد شجاع وقد يراد به التسمية
دائما كقولك زيد ثلاثة احرف ففي الاول يقال الاسم هو المسمى
بمعنى يراد به المسمى وفي الثاني لا يراد به المسمى وقد تكلم ما قال
في اخرى ومن ابن مالك رحمه الله سيل عن الاسم اهو المسمى فقال
ليس به ولا هو غيره يريد دايما في كل موضع وقال شيخنا ابو
العباس وقد غلط من قال ان الاسم هو المسمى حقيقة كما قالته
طوايف من جهال الحشوية فانهم صرحوا بذلك واعتقدوه حتى
الزموا على ذلك ان من قال سم مات ومن قال نارا احترق ومن
قال حلو احلاه حلاوة واما من قال من النحويين والمتكلمين
الاسم هو المسمى فحاشاهم ان يريدوا هذه الحماقة وانما ارادوا
انه هو من حيث انه لا يدل الا عليه ولا يعني الا هو وقد
اشبعنا الكلام في هذا في مقدمة الكتاب الاسنى في شرح اسما

الله

٦٧

قوله الله هذا الاسم اكبر اسمايه الله الحسنى

سبحانه وتعالى واجمعها حتى قال بعض العلما انه اسم الله الاعظم حسب

ما بيناه في كتاب الاسنى ولم يتسم به غيره ولذلك لم يثن ولم يجمع وهو

احد تاويلي قوله تعالى هل تعلم له سميا اي من تسمى باسمه الذي هو الله فالله

اسم للموجود الحق الجامع لصفات الالهية المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد

بالوجود الحقيقي لا اله الا هو سبحانه وقيل معناه الذي يستحق ان يعبد وقيل

معناه واجب الوجود الذي لم يزل ولا يزال والمعنى واحد

واختلفوا في هذا الاسم هل هو مشتق او موضوع للذات علم

فذهب الى الاول كثير من العلم واختلفوا في اشتقاقه واصله فروى

سيبويه عن الخليل ان اصله الاه مثل فعال فادخل الالف واللام

بدلا من الهمزة قال سيبويه مثل الناس اصله اناس وقيل اصل

الكلمة لاه وعليه دخلت الالف واللام للتعظيم وهذا اختيار سيبويه

وانشد ٭ لاه ابن عمك لا افضلت في حسب عني ولا انت

دياني فتخزوني في هذه الرواية فتخزوني بالخا المعجمة ومعناه تسوسني

وقال الكساي والفرا معنى بسم الله بسم الاله فحذفوا الهمزة وادغموا

اللام الاولى في الثانية فصارتا لاما مشددة كما قال عز وجل

لكنا هو الله ربي معناه لكن انا كذلك قراها الحسن ثم قيل هو مشتق

من وله اذا تحير والوله ذهاب العقل يقال رجل واله وامراة

والهة ووالهة وما موله ارسل في الصحاري فالله سبحانه وتعالى يحير

الالباب ويذهب في حقايق صفاته والفكر في معرفته فعلى هذا اصله

الاه ولاه وان الهمزة مبدلة من واو كما ابدلوها في اشاح ووشاح

واسادة ووسادة وروي عن الخليل وروي عن الضحاك انه قال
انما سمي الها لان الخلق يتالهون اليه في حوايجهم ويتضرعون اليه عند
شدايدهم وذكر عن الخليل بن احمد انه قال لان الخلق يالهون
اليه بنصب اللام ويالهون بكسرها وهما لغتان وقيل انه مشتق
من الارتفاع فكانت العرب تقول كل شي مرتفع لاها فكانوا يقولون
اذا طلعت الشمس لاهت لاه وقيل هو مشتق من اله الرجل اذا
تعبد وتاله اذا تنسك ومن ذلك قوله تعالى ويذرك والهتك على
هذه القراة فان ابن عباس وغيره قال وعبادتك قالوا فاسم الله
مشتق من هذا فالله سبحانه مقصود بالعبادة ومنه قول الموحدين
لا اله الا الله معناه لا معبود غير الله والا في الكلمة بمعنى غير لا بمعنى
الاستثنا وزعم بعضهم ان الاصل فيه الها التي هي للكناية ثم زيدت
فيه لام الملك اذ قد علموا انه خالق الاشيا ومالكها فصار له ثم زيدت
فيه الالف واللام تعظيما وتفخيما القول الثاني ذهب اليه جماعة
من العلما ايضا منهم الشافعي وابو المعالي والغزالي والمفضل وغيرهم
وروي عن الخليل وسيبويه ان الالف واللام لازمة له لا يجوز
حذفهما فيه قال الخطابي والدليل على ان الالف واللام من بنية
هذا الاسم ولم يدخلا للتعريف دخول ~~حرف النذا~~ حرف الندا عليه
كقولك يا الله وحروف الندا لا تجتمع مع الالف واللام للتعريف
الا ترى انك لا تقول يا الرحمن ولا يا الرحيم كما تقول يا الله فدل
على انه من بنية الاسم والله اعلم وقد انبنا على هذا كله وزيادة عليه
في كتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى

واختلفوا

واختلفوا ايضا في اشتقاق اسمه الرحمن فقال بعضهم لا اشتقاق له لانه
من الاسماء المختصة به سبحانه لانه لو كان مشتقا من الرحمة لاتصل بذكر
المرحوم فجاز ان يقال الله رحمان بعباده كما يقال رحيم بعباده وايضا
لو كان مشتقا من الرحمه لم تنكره العرب حين سموه كانوا الا يذكرون رحمه
ربهم وقد قال الله عز وجل واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن
الاية ولما كتب علي رضي الله عنه في صلح الحديبيه بامر النبي صلى الله عليه
وسلم بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل بن عمرو اما بسم الله الرحمن
الرحيم فما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب ما نعرف
باسمك اللهم الحديث قال القاضي ابو بكر العربي انما جهلوا الصفه دون
الموصوف واستدل على ذلك بقوله وما الرحمن ولم يقولوا ومن الرحمن

لم

قال ابن الحصار وكانه رحمه الله لم يقرا الاية الاخرى وهم يكفرون
بالرحمن وذهب الجمهور من الناس الى ان الرحمن مشتق من الرحمه مبني
على المبالغه ومعناه ذو الرحمة الذي لا نظير له فيها ولذلك لا يثنى
ولا يجمع كما يثنى الرحيم ويجمع قال ابن الحصار ومما يدل على الاشتقاق
ما خرجه الترمذي وصححه عن عبد الرحمن بن عوف انه سمع رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل انا الرحمن خلقت
الرحمة وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته
وهذا نص في الاستقاق فلا معنى للمخالفه والشقاق وانكار العرب
له لجهلهم بالله وبما وجب له

زعم

المبرد فيما ذكر ابن الانباري في كتاب الزاهر له ان الرحمن اسم عبراني
فجامعه بالرحيم وانشد لم يركبوا الجبل ولم يسروا عا لم بالجبل ويجعلوا

السوب ضمرانا اويدعون الى الحسن مجرئهم ومسحلهم صليهم رحمن
رانانا ‌‌‌‌ وقال ابو اسحاق الزجاج في معاني القران وقال احمد
بن يحيى الرحيم عربي والرحمن عبراني فلهذا جمع بينهما وهذا القول
مرغوب عنه وقال ابو العباس البعض قد يقع المدح كما يقول قال
جرير الشاعر وروي مطر عن قتاده في قول الله قلت لذا قال
في التمهيد لا يوقف له على اسم وذكر في كتاب الصحابه الاختلاف في
اسمه والحديث خرجه البخاري عن ابي سعيد بن المعلى قال
كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه
فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي فقال الم يقل الله استجيبوا لله والرسول
اذا دعاكم ثم قال اني لاعلمنك سورة هي اعظم السور في القران
قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدي فلما اراد ان يخرج قلت له
الم تقل لاعلمنك سورة هي اعظم سور القران قال الحمد لله رب
العالمين هي السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته قال بن عبد البر
وعبيد وابو سعيد المعلى من جلة الانصار وسادات الانصار
تفرد به البخاري واسمه رافع ويقال الحارث بن نفيع
بن المعلى ويقال اوس بن المعلى ويقال اتوا سعيد بن اوس
توفي سنة اربع وسبعين وهو ابن اربع وستين وهو اول
من صلى الى القبلة حين حولت وسياتي اسعد حدثنا بن يزيد
بن زريع قال حدثنا روح بن القاسم عن العلا بن عبد الرحمن
عن ابيه عن ابي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ابي وهو يصلي فذكر الحديث بمعناه وخرج ابو بكر

الانبارى

الانباري في كتاب الرده قال حدثني ابي قال حدثنا ابو عبد الله الوراق
قال نا ابو داود قال نا شيبان عن منصور عن مجاهد قال ان ابليس
لعنه الله رن اربع رنات حين لعن وحين اهبط من الجنه وحين بعث
محمد صلى الله عليه وسلم وحين انزلت فاتحه الكتاب وانزلت بالمدينه
واختلف العلما في تفضيل بعض السور على بعض والاى
وتفضيل بعض اسما الله الحسنى على بعض فقال قوم لا فضل لبعض
على بعض لان الكلام كلام الله وكذلك اسماوه لا مفاضله بينها
ذهب الى هذا الشيخ ابو الحسن الاشعري والقاضي ابو بكر بن
الطيب وابو حاتم محمد بن حبان البستي وجماعه من الفقها وروى معناه
عن مالك قال يحيى بن يحيى تفضيل بعض القران على بعض خطا ولذلك كره
مالك ان تعاد سورة او تردد دون غيرها وقال عن مالك في قول الله عز
وجل نات بخير منها او مثلها قال محكمه مكان منسوخه وروى ابن كنانه ذلك
كله عن مالك واحتج هولاي بان قالوا ان الافضل يشعر بنقص المفضول
والذاتيه في الكل واحده وهي كلام الله وكلام الله تعالى لا نقص فيه
قال البستي ومعنى هذه اللفظه ما في التوراه ولا في الانجيل مثل ام القران
ان الله تعالى لا يعطي لقارى التوريه والانجيل مثل ما يعطي لقارئ ام
القران اذ الله بفضله فضل هذه الامة على غيرها من الامم واعطاها
من الفضل على قراة كلامه اكثر مما اعطا غيرها من الفضل على قراه كلامه
وهو فضل منه لهذه الامة قال ومعنى قوله اعظم سوره اراد به في
الاجر لا ان بعض القران افضل من بعض وقال انس بن مالك من قرا الحمد
لله رب العالمين كان اعظم اجرا عند الله ممن قرا التوراه والانجيل

والزبور وقال قوم بالتفضيل وانما تضمنه قوله والهكم اله واحد
لا اله الا هو الرحمن الرحيم واية الكرسي واخر سورة الحشر
وسورة الاخلاص من الدلالات على وحدانيته وصفاته ليس موجودا مثلها
في تبت يدا ابي لهب وما كان مثلها فالتفضيل انما هو بالمعاني العجيبة ولكثرتها
لا من حيث الصفة وهذا هو الحق وممن قال بالتفضيل اسحاق بن راهويه
وغيره من العلما والمتكلمين وهو اختيار ابو حامد الغزالي والقاضي ابو بكر بن
العربي وابن الحصار لحديث ابي سعيد بن المعلى وحديث ابي بن كعب
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي اي اية معك في كتاب الله
اعظم قال قلت الله ورسوله اعلم فقال يا ابي اي اية معك في كتاب الله
اعظم قال قلت الله ورسوله اعلم قال قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم
قال فضرب في صدري وقال ليهنك العلم يا ابا المنذر خرجه البخاري
ومسلم قال ابن الحصار عجبي ممن يذكر الاختلاف مع هذه النصوص وقال
ابن العربي قوله ما انزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في القران مثلها وسكت
عن سائر الكتب كالصحف المنزلة والزبور وغيرها لان هذه المذكورة
افضلها واذا كان الشي افضل الافضل كان افضل الكل كقولك زيد افضل
العلما فهو افضل الناس وفي الفاتحة من الصفات ما ليس لغيرها حتى قيل
ان جميع القران فيها وهي خمس وعشرون كلمة تضمنت جميع علوم
علوم القران ومن شرفها ان الله سبحانه قسمها بينه وبين عبده ولا تصح القربة
الا بها ولا يلحق عمل بثوابها وبهذا المعنى صارت ام القران العظيم كما صارت
قل هو الله احد تعدل ثلث القران اذ القران توحيد واحكام
ووعظ وقل هو الله احد فيها التوحيد كله وبهذا المعنى وقع البيان في

[illegible] وغيرهم

قوله

قوله عليه السلام لابي انه اي اية في القران اعظم قال الله لا اله الا هو
الحي القيوم وانما كانت اعظم اية لانها توحيد كله كما صار قوله افضل ما
قلت انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له افضل الذكر
لانها كلمات حوت جميع العلوم في التوحيد والفاتحة تضمنت التوحيد
والعبادة والوعظ والتذكير ولا يستبعد ذلك في قدرة الله تعالى
وسياتي في قوله متضمنه جميع القران زيادة بيان في اثنا ما نذكره
فيها من المسايل بحول الله تعالى ذكر ابو عمر الداني في كتاب
البازله قال حدثني امية بن عبد الله قال نا محمد بن سعدان قال نا
احمد سليمان الضحاك قال انا اسمعيل بن محمد قال نا محمد بن سورة
صالح المكي قال نا الحرث بن عمير قال نا جعفر بن محمد عن ابيه عن جده
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم
فاتحة الكتاب واية الكرسي وشهد الله انه لا اله الا هو وقل اللهم
مالك الملك هذه الايات معلقات بالعرش ليس بينهن وبين الله حجاب
في اسمايها وهي اربعة عشر اسما الاول الصلاة قال
الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين الحديث وقد تقدم
في البسملة الثاني الحمد لان فيها ذكر الحمد كما يقال سورة الاعراف والانفال
والتوبة ونحوها الثالث فاتحة الكتاب من غير خلاف بين العلماء في
تسميتها بذلك لانه يفتتح قراءة القران بها لفظا وسمي يفتتح بها الكتابة في
المصحف خطا وسمي بها الصلوة الرابع ام الكتاب وفي هذا الاسم
خلاف جوزه الجمهور وكرهه انس والحسن وابن سيرين قال الحسن ام الكتاب
الحلال والحرام ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات وقال

وقال انس وابن سيرين ام الكتاب اسم اللوح المحفوظ قال الله تعالى
وانه في ام الكتاب الخامس ام القران واختلف فيه ايضا فجوزه الجمهور
وكرهه انس وابن سيرين والاحاديث الثابتة ترد هذين القولين روى
الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد
لله ام القران وام الكتاب والسبع المثاني قال هذا حديث حسن
صحيح وفي البخاري قال وسميت ام الكتاب لانه يبتدا بكتابتها في
المصاحف ويبتدا بقراءتها في الصلاة وقال يحيى بن يعمر ام القرى مكة وام
خراسان مرو وام القران سورة الحمد وقيل سميت ام القران لانها اوله
ومتضمنة لجميع علومه وبه سميت مكة ام القرى لانها اول الارض
ومنها دحيت لانها اول ما خلقت من الارض ثم دحيت الارض من
تحتها فهي كالوالدة ومنه سميت الام اما لانها اصل النسل والارض اما
في قول امية بن الصلت ،، فالارض معقلنا وكانت امنا فيها
مقابرنا وفيها نولد ويقال لراية الحرب ام لتقدمها واتباع الجيش
لها واصل ام امهة ولذلك تجمع امهات قال الله تعالى وامهاتكم اللاتي
ارضعنكم ويقال امات بغير ها ،، قال الشاعر فرجت الظلام
باماتك وقيل ان امهات في الناس وامات في البهايم ثم حكاه ابن فارس في
المجمل وغيره السادس المثاني سميت بذلك لانها تثنى في كل ركعة وقيل سميت
بذلك لانها استثنيت لهذه الامة فلم تنزل على احد قبلها ذخرا لها السابع
القران العظيم سميت بذلك لتضمنها جميع علوم القران وذلك
انها تشتمل على الثناء على الله باوصاف كماله وجلاله وعلى الامر بالعبادات
والاخلاص فيها والاعتراف عن العجز بالقيام منها الا باعانته تعالى

ابن م

تثنى

وعلى

ثامن

وعلى الابتهال اليه في الهدايه الى الصراط المستقيم وهداية احوال
السالكين وعلى عاقبته بيان الجاحدين الثامن الشفا روى الدارمي في
مسنده عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاتحة الكتاب شفا من سم التاسع الرقيه ثبت ذلك من
حديث ابي سعيد الخدري وفيه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال للرجل الذي رقا سيد الحي ما ادراك انها رقيه فقال
يا رسول الله شي القي في روعي خرجه الايمه وسياتي بتمامه ان شا الله
تعالى العاشر الاساس شكا رجل الى وجع الخاصرة فقال عليك
باساس القران فاتحة الكتاب سمعت ابن عباس يقول لكل شي
اساس واساس الدنيا مكه لانها منها دحيت واساس السموات
غريبا وهي السما السابعة واساس الارض عجيبا وهي الارض السابعه
السفلى واساس الجنان جنة عدن وهي سرة الجنان عليها اسست
الجنه واساس النار الهاويه وهي الدركه السابعه السفلى عليها
اسست الدركات واساس الخلق ادم واساس الانبيا نوح واسا
بني اسرايل يعقوب واساس الكتب القران واساس القران
الفاتحه واساس الفاتحه بسم الله الرحمن الرحيم فاذا اعتللت او
اواشتكيت فعليك بالفاتحه تشفى الحاديه عشر الوافيه
قال سفين بن عيينه لانها لا تتنصف ولا تحمل الاختزال ولو
قرا من ساير السور نصفها في ركعة ونصفها الاخرى في ركعه لاجزا
ولو نصفت الفاتحه في ركعتين لم يجز الثانية عشر الكافيه
قال يحيى بن ابي كثير لانها تكفي عن سواها ولا يكفي سواها عنها يدل

عليه ما روى محمد بن خلاد الاسكندراني قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم ام القران عوض من غيرها وليس غيرها منها عوضا قلت
هذا ما وقفت عليه لعلماينا في اسمايها ووجدت لها اسمين تتمة
اربع عشرة احدهما المجزية والاخر المنجية دليل الاول قول
ابي هريرة لمن قرا بام القران فقد اجزت ومن زاد فهو افضل
رواه مسلم وسياتي في الباب الثاني ودليل الاسم ما رواه مسلم
ايضا من حديث ابي الجوزا عن عايشه قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولين ادركني ذلك لاجاهدن معك فلما توفي ورقة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايت القسي في الجنة عليه
ثياب الحرير لانه امن بي وصدقني يعني ورقة قال البيهقي رضي الله
عنه هذا منقطع يعني هذا الحديث فان كان محفوظا فيحتمل
ان يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزل عليه اقرا باسم ربك ويايها
المدثر والله اعلم قال بن عطيه ظن بعض العلما
ان جبريل عليه السلام لم ينزل بسورة الحمد رواه مسلم عن بن عباس
قال بينا جبريل عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه
فرفع راسه فقال هذا باب من السما فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم
فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم
فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب
وخواتم سورة البقرة لن تقرا بحرف منها الا اوتيته قال بن عطيه
وليس كما ظن فان هذا الحديث يدل ان جبريل عليه السلام تقدم
الملك الى النبي صلى الله عليه وسلم معلما به وبما ينزل معه وعلى هذا

عنه م

يكون

٧٢

يكون جبريل يشارك في نزولها والله اعلم قلت الظاهر من الحديث
يدل على ان جبريل عليه السلام لم يعلم النبي صلى الله عليه وسلم الشي من
ذلك وقد بينا ان نزولها كان بمكة نزل بها جبريل لقوله تعالى نزل به الروح
الامين وهذا يقتضي جميع القران فيكون جبريل عليه السلام نزل بتلاوتها
بمكة ونزل الملك بثوابها وفضلها بالمدينة والله اعلم وقد قيل انها مكية
ومدنية نزل بها جبريل مرتين حكاه الثعلبي وما ذكرنا اولى فانه جمع بين
العران والسنه ولله الحمد والمنه قد تقدم ان
البسمله ليست باية منها على القول الصحيح واذا ثبت ذلك فحكم المصلي
اذا كبر ان يصله بالفاتحه ولا يسكت ولا يذكر توجيها ولا تسبيحا لحديث
عايشه وانس المتقدمين وغيرهما وقد جات احاديث بالتوجيه
والتسبيح والسكوت قال بها جماعة من العلما فروي عن عمر بن الخطاب
وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما انهما كانا يقولان اذا افتتحا الصلاه
سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وبه قال
سفيان واحمد واسحاق واصحاب الراي وكان الشافعي يقول بالذي روي
عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا افتتح الصلاه كبر ثم قال
وجهت وجهي للذي فطر السموات الحديث ذكره مسلم وسياتي
تمامه في اخر سورة الانعام وهناك ياتي القول في هذه المسئله
مستوفى ان شا الله قال ابن المنذر ثبت ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان اذا كبر في الصلاة سكت هنيه قبل ان يقرا يقول اللهم
باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم
نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم اغسلني من

خطاياي بالثلج والما والبرد واستعمل ذلك ابو هريرة وقال ابو
سلمه بن عبد الرحمن الامام سكتتان فاغتنموا فيها القراة وكان
الاوزاعي وسعيد بن عبد العزيز واحمد بن حنبل يميلون الى حديث
النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب واختلف العلما
في وجوب قراه الفاتحه في الصلاه فقال ملك واصحابه هي متعينه
للامام والمنفرد في كل ركعة قال بن خواز منداد البصري المالكي
لم يختلف قول ملك انه من نسيها من ركعه من صلاه رباعيه او ثلاثيه
تبطل ولا تجزيه وقال مره ليسجد سجدتي السهو وهي رواية بن عبد الحكم
وغيره عن مالك قال بن خواز منداد وقد قيل انه يعيد تلك الركعة
ويسجد للسهو بعد السلام قال بن عبد البر الصحيح من القول الغا
تلك الركعة وياتي بركعة بدلا عنها منها لمن اسقط سجدة سوا وهو اختيار
بن القاسم وقال الحسن البصري واكثر اهل البصرة والمغيره بن عبد
الرحمن المدني اذا قرا بام القران مرة واحدة في الصلاه اجزاه ولم يكن
عليه اعادة لانها صلاه قد قرى فيها بام القران وهي تامة لقوله
عليه السلام لا صلاه لمن يقرا بام القران وهذا قد قرا بها
قلت ويحتمل لا صلاة لمن يقرا بها في كل ركعة وهو الصحيح على ما
ياتي ويحتمل لا صلاة لمن لم يقرا بها في اكثر عدد الركعات وهذا هو
سبب الخلاف والله اعلم وقال ابو حنيفه والثوري والاوزاعي
ان تركها عامدا في صلاته كلها وقرا غيرها اجزاه على اختلاف عن
الاوزاعي في ذلك وقال ابو محمد اقله ثلاث ايات او ايه طويله كامله
كايه الدين وقال الطبري يقرا المصلي في كل ركعه فان لم يقرا لم يجزه الا

مثلها

مثلها من القران عدد ايها وحروفها قال بن عبد البر وهذا لا معنى له لان
النص لها والنص عليها قد خص بهذا الحكم دون غيرها ومحال ان يجي
البدل منها من وجبت عليه فتركها وهو قادر عليها وانما عليه ان يجي
بها ويعود اليها كساير المفروضات المتعينات في العادات

واما الماموم فان ادرك الامام راكعا فالامام يحمل عنه القراة لاجما عهم
على انه اذا ادركه راكعا انه يكبر ويركع ولا يقرا شيا فان ادركه
قايما فانه يقرا وهي المسله ولا ينبغي لاحد ان يدع
القراة خلف امامه في صلاة السر فان فعل فقد اسا ولا شي عليه عند
ملك واصحابه واما اذا جهر الامام وهي المسله الثانيه فلا قراة بفاتحة
الكتاب ولا غيرها في المشهور من مذهب ملك لقول الله تعالى واذا
قري القران فاستمعوا له وانصتوا وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
مالي انازع القران وقوله في الماموم اذا اقرا فانصتوا وقوله من كان له
امام فقراة الامام له قراة وقال الشافعي فيما حكاه عنه البويطي واحمد
بن حنبل لا تجزي احد صلاة حتى يقرا فيها بفاتحة الكتاب في كل ركعة اماما
كان او ماموما جهر امامه او اسر وكان الشافعي بالعراق يقول في
الماموم يقرا اذا اسر ولا يقرا اذا جهر كمشهور مذهب مالك
وقال بمصر فيما جهر فيه الامام بالقراه قولين احدهما ان يقرا والا
خر يجزيه ان لا يقرا ويكتفي بقراه الامام حكاه بن المنذر وقال بن
وهب واشهب وبن عبد الحكم وبن حبيب والكوفيون لا يقرا الماموم
شيا جهر امامه او اسر فقراه الامام له قراه وهذا عام ولقول
جابر من صلى ركعة لم يقرا فيها بام القران فلم يصل الا وراء امام

الصحيح من هذه الاقوال قول الشافعي واحمد ومالك
في القول الاخر وان الفاتحة متعينة في كل ركعة لكل احد على العموم لقوله
عليه السلام لا صلاة لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب وقوله من صلى صلاة لم يقرا
فيها بام القران فهي خداج ثلاثا وقال ابو هريرة امرني رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان انادي لا صلاة الا بفاتحة الكتاب فما زاد اخرجه ابو
داود وقالا ينوب سجود ركعة ولا ركوعها عن ركعة اخرى فكذلك لا ينوب
قراءة ركعة عن غيرها وبه قال عبد الله بن عون وايوب السختياني وابو
ثور وغيره من اصحاب الشافعي وداود بن علي وروي مثله عن الاوزاعي
وبه قال مكحول وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس
وابي هريرة وابي بن كعب وابي ايوب الانصاري وعبد الله بن عمرو
بن العاص وعبادة بن الصامت وابي سعيد الخدري وعثمان بن ابي العاص
وخوات بن جبير انهم قالوا لا صلاة الا بفاتحة الكتاب وهو قول
بن عمر والمشهور من مذهب الاوزاعي فهولاي الصحابة بهم القدوة
وفيهم الاسوة كلهم يوجبون الفاتحة في كل ركعة وقد اخرج الامام
ابو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في سننه ما يرفع الخلاف
والاشكال ويزيل كل احتمال فقال حدثنا ابو كريب نا محمد بن
فضيل ونا سعيد بن علي بن مسهر جميعا عن ابي سفين السعدي
عن ابي نضرة عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا صلاة لمن لم يقرا في كل ركعة الحمد وسورة في فريضة او غيرها وفي
صحيح مسلم انه عليه السلام قال للذي علمه الصلاة وافعل ذلك في
صلاتك كلها وسياتي ومن الحجة في ذلك ايضا ما رواه ابو داود عن نافع

بن محمود

عن محمود بن الربيع الانصاري قال ابطا عبادة عن صلاة الصبح فاقام ابو نعيم المؤذن الصلاة فصلى ابو نعيم بالناس واقبل عبادة بن الصامت وانا معه حتى صففنا خلف ابو نعيم وابو نعيم يجهر بالقراة فجعل عبادة يقرا بام القران فلما انصرفت قلت لعبادة سمعتك تقرا بام القران وابو نعيم يجهر قال اجل صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصلوات التي يجهر فيها بالقراه فالتبست عليه فلما انصرف اقبل علينا بوجهه فقال وهل تقرون اذا جهرت بالقراه فقال بعضنا انا نصنع ذلك قال فلا وانا اقول ما لي ينازعني القران فلا تقراوا شيا من القران اذا جهرت الا بام القران وهذا نص صريح في المأموم واخرجه ابو عيسى الترمذي من حديث محمد بن اسحاق بمعناه وقال حديث حسن والعمل على هذا الحديث في القراة خلف الامام عند اكثر اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين وهو قول ملك بن انس وبن المبارك والشافعي واحمد واسحاق يرون القراه خلف الامام واخرجه الدارقطني وقال هذا اسناد حسن ورجاله كلهم ثقات وذكر ان محمود بن الربيع كان يسكن ايليا وان ابا نعيم اول من اذن في بيت المقدس وقال ابو محمد عبد الحق ونافع بن محمود لم يذكره البخاري في تاريخه ولا ابن ابي حاتم ولا اخرج له البخاري ولا مسلم شيا وقال قال قبله ابو عمر مجهول وذكر الدارقطني عن يزيد بن شريك قال سالت عمر عن القراة خلف الامام فامرني ان اقرا قلت وان كنت انت قال وان كنت انا قلت وان جهرت قال وان جهرت قال الدارقطني هذا اسناد صحيح وروي عن جابر بن عبد الله قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم الامام ضامن فما صنع فاصنعوا قال
ابو حاتم هذا يصحح لمن قال بالقراه خلف الامام وبهذا افتى ابو هريرة
الفارسي ان يقرا بها في نفسه حين قال له اني احيانا اكون وراء الامام ثم
استدل بقوله تعالى قسمت الصلاه بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي
ونصفها لعبدي ولعبدي ما سال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقروا يقول العبد الحمد لله رب العالمين الحديث

اما ما استدل به الاولون من قوله عليه السلام واذا قرا فانصتوا فاخرجه
مسلم من حديث ابي موسى الاشعري وقال في حديث جرير عن سليمان
عن قتادة من الزيادة واذا قرا فانصتوا قال الدارقطني هذه اللفظه
لم يتابع سليمان التيمي فيها عن قتادة وخالفه الحفاظ من اصحاب قتادة
فلم يذكروها منهم شعبه وهشام وسعيد بن ابي عروبه وهمام وابو
عوانه ومعمر وعدي بن ابي عمارة قال الدارقطني باجماعهم يدل على
وهمه وقد روى عن عمه بن عامر عن قتادة متابعه التيمي ولكن ليس هو
بالقوي تركه القطان قلت واخرج هذه الزيادة ايضا ابو داود
من حديث ابي هريره وقال هذه الزيادة اذا قرا فانصتوا ليست
بمحفوظه وذكر ابو محمد عبد الحق ان مسلما صحح حديث ابي هريره وقال
هو عندي صحيح قلت ومما يدل على صحتها ادخالها في كتابه من حديث
ابي موسى وان كانت مما لم يجمعوا عليها وقد صححها الامام احمد بن حنبل
بن المنذر واما قوله تعالى واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا فانه
نزل بمكه وتحريم الكلام في الصلاه نزل بالمدينة كما قال زيد بن ارقم فلا
حجة فيها فان المقصود كان المشركين على ما قال سعيد بن المسيب

وقد روى

وقد روى الدارقطني عن ابي هريرة رضي الله عنه انها نزلت في رفع الصوت
خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة وقال عبد الله بن عامر
ضعيف واما قوله عليه السلام ما لي انازع القران فاخرجه مالك عن بن
شهاب عن بن اكيمة الليثي واسمه فيما قال مالك عمرو وغيره يقول
عامر وقيل يزيد وقيل عمار وقيل عباد يكنى ابا الوليد توفي سنة احدى
ومائة وهو بن تسع وسبعين لم يروعنه الزهري الا هذا الحديث
الواحد وهو ثقة روى عنه محمد بن عمرو وغيره والمعنى في حديثه
لا تجهروا اذا جهرت فان ذلك ينازع ويجاذب ويخالج اقروا
في انفسكم يبينه حديث عبادة وفي الفاروق وابو هريرة الراوي
للحديثين فلو فهم المنع حمله من قوله ما لي انازع القران لما افتى
بخلافه وقول الزهري في حديث بن اكيمه فانتهى الناس عن القراءة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جهر فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالقراءة حين سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد
بالجهر على ما بينا وبالله توفيقنا واما قوله صلى الله عليه وسلم من كان له
امام فقرائه له قراءة فحديث ضعيف اسنده الحسن بن عمارة وهو متروك
وابو حنيفة وهو ضعيف عن موسى بن ابي عايشة عن عبد الله بن شداد
عن جابر اخرجه الدارقطني وقال رواه سفين الثوري وشعبة واسرائيل
بن يونس وشريك وابو خالد الدالاني وابو الاحوص وسفين بن عيينه
وجرير بن عبد الحميد وغيرهم عن موسى بن ابي عايشة عبد الله بن شداد
مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصواب واما قول جابر من صلى
ركعة لم يقرا فيها بام القران فلم يصل الا وراء امام فرواه مالك عن وهب

الامام

بن كيسان عن جابر في قوله قال بن عبد البر ورواه يحي بن سلام صاحب
التفسير عن ملك عن وهب بن كيسان عن جابر عن النبي صلى الله
عليه وسلم وصوابه موقوف على جابر كما في الموطا قلت
خرجه الدارقطني في سننه وقال يحي بن سلام ضعيف قال
ابو عمر وفيه من الفقه ابطال الركعة التي لا يقرا فيها بام القر
ان وهو يشهد بصحة ما ذهب اليه بن القاسم ورواه عن
ملك في الغا الركعة والبنا على غيرها ولا يعتد المصلي بركعة
لا يقرا فيها بفاتحة الكتاب وفيه ايضا ان الامام قراته لمن
خلفه قراة وهذا مذهب جابر وقد خالفه غيره

قال بن العربي لما قال صلى الله عليه
وسلم لا صلاة لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب واختلف الناس في
هذا الاصل هل يحمل هذا النفي على التمام والكمال او على الاجزا
اختلف فيه اهل الفتوى بحسب اختلاف حال الناظر ولما
كان الاشهر في هذا الاصل والاقوى ان النفي على العموم
كان الاقوى من رواية ملك ان من لم يقرا الفاتحة في صلاته
بطلت ثم نظرنا في تكرارها في كل ركعة لمن تاول قول
النبي صلى الله عليه وسلم افعل ذلك في كل صلاتك كلها
لزمه ان يعيد القراة كما يعيد الركوع والسجود والله اعلم
ما ذكرناه في هذا الباب من الاحاديث
والمعاني في تعيين الفاتحة يرد على الكوفيين قولهم في ان الفاتحة
لا تتعين وانها وغيرها من اي القران سوا وقد عينها النبي

صلى الله عليه وسلم بقوله كما ذكرنا وهو المبين عن الله مراده في قوله
واقيموا الصلاة وقد روى ابو داود عن ابي سعيد الخدري قال
امرنا ان نقرا بفاتحه الكتاب وما تيسر فدل هذا الحديث على
قوله عليه السلام للاعرابي اقرا ما تيسر معك من القران ما زاد على
الفاتحه وهو يفسر قوله تعالى فاقروا ما تيسر منه وقد روى مسلم
عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا
صلاه لمن لم يقرا بام القران زاد في روايته فصاعدا على ما ياتي
وقوله صلى الله عليه وسلم هي خداج ثلاثا غير تمام اي غير مجزيه بالادله
المذكوره والخداج النقص والفساد قال الاخفش خدجت الناقه
اذا القت ولدها لغير تمام واخدجت اذا قذفت به قبل وقت
الولادة وان كان تام الخلق والنظر يوجب في النقصان ان لا تجوز
معه الصلاة لانها صلاة لم تتم ومن خرج من صلاه وهي لم تتم
فعليه اعادتها كما امر على حسب حكمها ومن ادعا انها تجوز
مع اقراره بنقصها فعليه الدليل ولا سبيل اليه من وجه يلزم
والله اعلم روى عن ملك ان القراه لا تجب في شي
من الصلاه وكذلك كان الشافعي يقول بالعراق فيمن نسيها ثم رجع
عن هذا بمصر فقال لا تجزى صلاة من يحسن فاتحه الكتاب الا بها
ولا يجزيه ان ينقص حرفا منها فان لم يقراها ونقص منها حرفا اعاد صلاه
وان قرا بغيرها وهذا هو الصحيح في المسله واما ما روى عن عمر
رحمه الله انه صلى المغرب فلم يقرا فيها فذكر ذلك له فقال كيف كان
الركوع والسجود قالوا حسن قال لا باس اذا الحديث منكر اللفظ

منقطع الاسناد لانه يرويه ابراهيم بن الحرث التيمي عن عمر ومرة يرويه
ابراهيم عن ابي سلمه بن عبد الرحمن عن عمر وكلاهما منقطع لاحجه فيه وقد
ذكره ملك في الموطا وهو عند بعض الرواه وليس عند يحيى وطايفه معه
لانه رماه ملك من كتابه باخره وقال ليس عليه العمل لان النبي صلى الله عليه
وسلم قال كل صلاه لا يقرا فيها بام القران فهي خداج وقد روي عن عمر انه
اعاد تلك الصلاة وهو الصحيح عنه روي يحيى بن يحيى النيسابوري
قال نا ابو معاويه عن الاعمش عن ابراهيم النخعي عن همام بن الحارث ان عمر
نسي القراه في المغرب فاعاد بهم الصلاة قال ابن عبد البر وهذا حديث
متصل شهده همام بن عمر روي ذلك من وجوه روي اشهب عن ملك قال
سيل ملك عن الذي نسي القراة ايعجبك ما قال عمر فقال انا انكر ان يكون
عمر فعله وانكر الحديث وقال يرى الناس عمر يصنع هذا في المغرب ولا
يسبحون به اري ان يعيد الصلاه من فعل هذا   اجمع العلما على
ان لا صلاه الا بقراه على ما تقدم من اصولهم في ذلك واجمعوا على ان لا
توقيت في ذلك بعد فاتحه الكتاب الا انهم يستحبون مع فاتحه الكتاب
الا بسورة واحده لانه الاكثر مما جا عن النبي عليه السلام قال ملك
وسنه القراة ان تقرا في الركعتين الاولتين بام القران وسوره وفي
الاخريين بفاتحه الكتاب وقال الاوزاعي يقرا بام القران فان لم يقرا
بام القران وقرا بغيرها اجزاه قال وان نسي ان يقرا في ثلاث ركعات اعاد
وقال الثوري يقرا في الركعتين الاولتين بفاتحه الكتاب وسوره ويسبح
في الاخريين ان شا وان شا قرا وان لم يقرا ولم يسبح جازت الصلاة وهو قول
ابي حنيفه وساير الكوفيين قال ابن المنذر وقد روينا عن علي بن ابي طالب

رضي الله

يقراه

رضي الله عنه انه قال اقرا في الاولتين وسبح في الاخريين قال
النخعي قال سفين قال فان لم يقرا في ثلاث ركعات اعاد الصلاه لانه لا تجزيه
قراه ركعة قال وكذلك ان يقرا في ركعه من صلاه الفجر وقال ابو ثور لا
تجزي صلاة الا بقراه فاتحه الكتاب لقول الشافعي المصري وعليه جماعه اصحاب
الشافعي وكذلك قال بن خواز منداد المالكي قال قراه فاتحه الكتاب
واجبه عندنا في كل ركعه قلت وهو الصحيح في المسله حسب ما
تقدم بيانه من حديث ابي سعيد الخدري وعباده وغيرهما وروى مسلم
عن ابي قتادة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا فيقرا في
الظهر والعصر في الركعتين الاوليين بفاتحه الكتاب وسورتين ويسمعنا
الايه احيانا وكان يطول في الركعة الاولى من الظهر ويقصر الثانيه
وكذلك في الصبح وفي روايه ويقرا في الركعتين الاخريين بفاتحه الكتاب
وهذا نص صحيح وحديث صحيح لما ذهب اليه ملك ونص في
تعين الفاتحة في كل ركعة خلافا لمن ابا ذلك والحجه في السنه لا
فيما خالفها ذهب الجمهور الى ان ما زاد على الفاتحة
من القراه ليس بواجب لما روى مسلم عن ابي هريره قال في كل
صلاه قراه فما اسمعنا النبي صلى الله عليه وسلم اسمعناكم وما اخفى
منا اخفيناه منكم فمن قرا بام القران فقد اجزات عنه ومن
زاد فهو افضل وفي البخاري وان زدت فهو خير وقد ابى كثير
من اهل العلم ترك السورة لضرورة او لغير ضرورة منهم عمران
بن الحصين وابو سعيد الخدري وخوات بن جبير ومجاهد وابو
وايل وبن عمر وبن عباس وغيرهم قالوا لا صلاة لمن يقرا فيها بفاتحه

الكتاب وشي معها من القران فمنهم من اخذ اثنين ومنهم من اخذ به
ومنهم من لم يجد وقال شي من القران معها وكل هذا موجب لتعلم ما
تيسر من القران على كل حال مع فاتحة الكتاب لحديث عبادة وابي
سعيد وغيرهما وفي المدونة وكيع عن الاعمش عن خيثمة قال حدثني
من سمع عمر بن الخطاب يقول لا تجزي صلاة لمن لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب
وشي معها واختلف المذهب في قراءة السورة على ثلاثة اقوال سنة فضيلة
واجبة

من تعذر ذلك عليه بعد بلوغ مجهوده فلم
يقدر على تعليم الفاتحة او شي من القران ولا علق منه بشي لزمه ان يذكر
الله في موضع القراءة بما امكنه من تكبير او تهليل او تحميد او تسبيح او تمجيد
او لا حول ولا قوة الا بالله اذا صلى وحده او مع امام فيما اسر فيه الاما
م لما روى ابو داود وغيره عن عبد الله بن ابي اوفى قال جاء رجل الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني لا استطيع ان اخذ من القران شيا
فعلمني ما يجزيني منه قال قل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله قال هذا لله يا رسول الله
فما لي قال قل اللهم ارحمني وعافني واهدني وارزقني

فان عجز عن اصابة شي من هذا اللفظ فلا يدع
الصلاة مع الامام جهده فالامام ذلك عنه ان شا الله وعليه ابدا
ان يجهد نفسه في تعلم فاتحة الكتاب فما زاد الى ان يحول الموت
دون ذلك وهو بحال الاجتهاد فيعذره الله

لا تجزي صلاة من قرا بالفارسية وهو يحسن العربية
في قول الجمهور وقال ابو حنيفة تجزيه القراءة بالفارسية وان

احسن

احسن العربية لان المقصود اصابة المعنى قال ابن المنذر ولا يجزيه
ذلك لانه خلاف ما امر الله به وخلاف ما علم النبي صلى الله عليه
وسلم وخلاف جماعة المتكلمين ولا نعلم احدا وافقه على ما قال

من افتتح الصلاه بما امر وهو غير عالم بالقراه
فطرا عليه العلم بها في اثنا الصلاه ويتصور ذلك بان يكون سمع
من قراها فتعلقت بحفظه من مجرد السماع فلا يستانف الصلاه لانه
ادى ما مضى على حسب ما امر به فلا وجه لابطاله قاله سحنون

وفيه ثمان مسايل الاولى ليس
لقاري القران ان يقول بعد الفراغ من الفاتحة بعد سكتة
على نون ولا الضالين امين ليتميز ما هو قران مما ليس بقران

ثبت في الامهات من حديث ابي هريره ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا امن الامام فامنوا فانه من
وافق تامينه تامين الملايكه غفر له ما تقدم من ذنبه قال
علماونا رحمة الله عليهم فترتيب المغفره للذنوب على
مقدمات اربع تضمنها هذا الحديث الاولى تامين
الامام الثانيه تامين من خلفه الثالثه تامين الملايكه الرابعه
موافقه التامين قيل في الاجابه وقيل في الزمن وقيل في الصفه
من اخلاص الدعا لقوله عليه السلام ادعوا الله وانتم موقنون
بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعا من قلب غافل

روى ابو داود عن ابي مصبح المقراي قال
كنا نجلس الى ابي زهير النميري وكان من الصحابه فيحدث احسن

الحديث فاذا دعا الرجل منا بدعا قال احمه بامين فان امين مثل
الطابع على الصحيفه قال ابو زهير الا اخبركم عن ذلك خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليله فاتينا على رجل قد الح في المسله
فوقف النبي صلى الله عليه وسلم يسمع منه فقال النبي صلى الله عليه
وسلم اوجب ان ختم فقال له رجل من القوم باي شي يختم قال بامين
فانه ان ختم بامين فقد اوجب فانصرف الرجل الذى سال النبي
صلى الله عليه وسلم فاتا الرجل فقال اختم يا فلان وابشر قال ابو
عمر ابو زهير النميرى اسمه يحى بن نفير بالفاف روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم لا تقتلوا الجراد فانه جند الله الاعظم وقال وهب بن
منبه امين اربعه احرف يخلق الله من كل حرف ملكا يقول اللهم
اغفر لكل من قال امين وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني
جبريل امين عند فراغي من الفاتحة فاتحة الكتاب قال انه كالخاتم
على الكتاب وفي حديث اخر امين خاتم رب العالمين قال ابو بكر
بن الانباري معناه انه طابع الله على عباده لانه يدفع الافات
والبلايا وكان خاتم الكتاب الذى يصونه ويمنع من افساده واظهار
ما فيه وفي حديث اخر امين درجة في الجنة قال ابو بكر معناه
انه حرف يكسب به قايله درجة في الجنة معنى امين عند
اكثر اهل العلم اللهم استجب لنا وضع موضع الدعا قال ابو علي
الفارسي امين جملة مركبة من فعل واسم معناه استجب لي ودليل
ذلك ان موسى عليه السلام دعى على فرعون واتباعه فقال ربنا
اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يومنوا لما قال هارون

عليه السلام

عليه السلام امين فطبق الجمله بالجمله وقال قوم هو اسم من اسما الله
روى عن ابى هريرة رضى الله جعفر بن ومجاهد وهلال بن يساف
ورواه بن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يصح قاله بن العربى
وقيل معناه كذلك فليكن حكاه الجوهرى وروى عن بن عباس
وروى الكلبى عن ابى صالح عن بن عباس قال سالت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما معنى امين قال رب افعل وقال مقاتل هو قوة
الله عادا اسمين الى الرحمه وقال الترمذى معناه لا تخيب رجانا
وفى امين لغتان المد على وزن فاعيل كياسين والقصر
على وزن يمين ، قال الشاعر فى المد يارب لا تسلبنى حبها ابدا
ويرحم الله عبدا قال امينا ، وقال اخر امين امين لا ارضى
بواحدة حتى ابلغها الفين امينا ، وقال اخر فى القصر تباعد
منى فطحل اذ رايته امين فزاد الله ما بيننا بعدا وتشديد الميم خطا
قاله الجوهرى وقد روى عن الحسن وجعفر الصادق التشديد
وهو قول الحسين بن الفضل من ام اذا قصد اى نحن قاصدون
نحوك ومنه قوله تعالى ولا امين البيت الحرام حكاه ابو نصر
عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيرى قال الجوهرى وهو مبنى
على الفتح مثل اين وكيف لاجتماع الساكنين وقال القتبى انه حرف
الندا فيه مضمر والتقدير يا امين ورده ابو جعفر النحاس وقال
لا يصح من طريقه العربيه لانه كان يجب ان يكون مضموما لانه ندا
مفرد ويقال امين لفظه معربه نقلت من اللسان العبرانى امين فلان
تامينا . واختلف العلما هل يقولها الامام وهل

جهر بها فذهب الشافعي و مالك في روايه المدنيين الى ذلك وقال
الكوفيون وبعض المدنيين لا يجهر بها و هو قول الطبري و به قال
ابن حبيب من علمائنا وقال ابن بكير هو مخير وروى ابن القاسم عن مالك ان
الامام لا يقول امين وانما يقول ذلك من خلفه وهو قول ابن القاسم
والمصريين من اصحاب ملك وغيرهم وحجتهم حديث ابي موسى الاشعري ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبنا فبين لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا فقال
اذا صليتم فاقيموا صفوفكم ثم ليومكم احدكم فاذا كبر فكبروا واذا قال
غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا امين يجبكم الله وذكر الحديث
خرجه مسلم ومثله حديث سمي عن ابي هريرة اخرجه ملك والصحيح الاول
لحديث وايل بن حجر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا ولا
الضالين قال امين يرفع بها صوته اخرجه ابو داود والدارقطني وزاد قال
ابو بكر هذه سنه تفرد بها اهل الكوفه هذا صحيح والذي بعده وترجم
البخاري باب جهر الامام بالتامين وقال عطا امين دعا امن ابن الزبير
ومن وراه حتى ان للمسجد للجة قال الترمذي وبه يقول غير واحد من
اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم يرون ان يرفع
الرجل صوته بالتامين لا يخفيها وبه يقول الشافعي واحمد واسحق وفي
الموطا والصحيحين قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
امين وفي سنن ابن ماجه عن ابي هريرة قال ترك الناس امين وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال امين
حتى يسمعها اهل الصف الاول فيرتج بها المسجد واما حديث ابي موسى
وسمي فمعناها التعريف بالموضع الذي يقال فيه امين وهو اذا قال الامام

ولا الضالين

ولا الضالين لكون قولهما معا ولا يتعقد موه بقول امين لما ذكرنا والله اعلم ولقوله عليه السلام اذا امن الامام فامنوا وقال بن نافع في كتاب بن الحارث لا يقولها المأموم الا ان يسمع الامام يقول ولا الضالين وان كان بعد لا يسمعه فلا يفعل وقال بن عبد وس تحري قدر القراة ويقول امين

كلمة امين لم تكن قبلنا الا لموسى وهارون عليهما السلام كما تقدم وذكر الترمذي الحكيم في نوادر الاصول حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنا ابي قال ثنا زربي مؤذن مسجد هشام بن حسان قال ثنا انس بن ملك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى امتي ثلاثا لم يعط احدا قبلهم السلام وهي تحية اهل الجنة وصفوف الملائكة وآمين الا ما كان من موسى وهارون قال ابو عبد الله معناه ان موسى دعا على فرعون وامن هرون فقال الله تبارك اسمه عند ما ذكر دعا موسى في تنزيله قد اجيبت دعوتكما ولم يذكر مقالة هرون وقال موسى ربنا فكان من هارون التامين فسماه داعيا في تنزيله اذ صير ذلك منه دعوه وقد قيل ان امين خاص لهذه الامة لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما حسدتكم اليهود على شي ما حسدكم على السلام والتامين اخرجه بن ماجه من حديث حماد بن سلمة عن سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحديث واخرج ايضا من حديث بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما حسدتكم اليهود على شي ما حسدتكم على امين فاكثروا من قول امين قال علماونا رحمه الله عليهم انما حسدنا اهل الكتاب على امين لان اولها قراة الفاتحة الذي اولها حمد الله وثنا عليه ثم خضوع له واستكانه ثم دعا لنا بالهداية الى الصراط المستقيم ثم الدعا

عليهم مع قولنا امين   قال اصحاب ابي حنيفه الاخفا بامين اولى
من الجهر به لانه دعا وقد قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفيه قالوا والدليل
عليه ما روي في تاويل قوله تعالى قد اجيبت دعوتكما قال كان موسى يدعو وهرون
يومن فسماهما الله داعيين والجواب ان اخفا الدعا انما كان افضل لما يدخله من
الريا واما ما يتعلق بصلاة الجماعة فشهودها اشعار شعار ظاهر واظهار حق
يندب العباد الى اظهاره وقد ندب الامام الى اشعار قراة الفاتحة المشتملة على
الدعا والتامين في اخرها فاذا كان الدعا مما سن الجهر فيه فالتامين على الدعا
كذلك اذ هو تابع له وجار مجراه وهذا بين

فضل الحمد لله

قوله سبحانه الحمد لله روي ابو محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ من حديث ابي هريره
وابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قال العبد الحمد لله قال
الله تعالى صدق عبدي الحمد لي وروي مسلم عن انس بن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليرضى عن العبد ان ياكل الاكله فيحمده ويشرب
الشربة فيحمده عليها وقال الحسن ما من نعمه الا والحمد لله افضل منها وروي ابن ماجه
عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انعم الله على عبد نعمة
الا كان الذي اعطا افضل مما اخذ وفي نوادر الاصول للترمذي الحكيم عن
انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان الدنيا
كلها بحذافيرها في يد رجل من امتي ثم قال الحمد لله لكان الحمد لله افضل من ذلك
قال الترمذي ابو عبد الله معناه عندنا انه قد اعطي الدنيا ثم اعطي على
اثرها هذه الكلمه حتى نطق بها فكانت هذه الكلمه افضل من الدنيا كلها لان الدنيا

فانية

تاسع

فانيه والكلمه باقيه هي من الباقيات الصالحات على ما ياتي وقال هو خير عند ربك
ثوابا وخير املا وقيل في بعض الروايات لكان ما اعطى اكثر مما اخذ فسيد الكلمه
اعطا من العبد والدنيا اخذ من الله فهذا في التدبير لذلك يجري في الكلام
ان هذه الكلمه من العبد والدنيا من الله وكليهما من الله في الاصل الدنيا نعمة
والكلمه منه اعطا الدنيا فاغناه واعطاه الكلمة فشرفه بها في الاخرة روى
بن ماجه عن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم ان عبدا من عباد
الله قال يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك
فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا الى السما فقالا يا
ربنا ان عبدا قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها قال الله وهو اعلم بما
ذي قال عبدي قالا يا رب انه قد قال لك يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال
وجهك وعظيم سلطانك فقال الله لهما اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني
فاجزيه بها قال اهل اللغه اعضل الامر اشتد واستغلق والمعضلات بتشديد
الضاد الشدايد وعضلت المراة والشاه اذا نشب ولدها فلم يسهل مخرجه
بتشديد الضاد ايضا فعلى هذا يجوز اعضلت الملكين او عضلت الملكين بغير يا
والله اعلم وروى مسلم عن ابي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الطهور شطر الايمان والحمد لله تملا الميزان وسبحان الله والحمد لله تملان
او تملا ما بين السما والارض وذكر الحديث الثانية واختلف العلما ايما
افضل قول العبد الحمد لله رب العالمين او قول لا اله الا الله فقالت طايفة قول
العبد الحمد لله رب العالمين افضل لان في ضمنه التوحيد الذي هو لا اله الا هو
ففي قوله توحيد وحمد وفي قول لا اله الا الله توحيد فقط واحتجوا من
الاثر بما روي من حديث ابي هريرة وابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال من قال لا اله الا الله كتبت له عشرون حسنه وحط عنه عشرون
سيئة ومن قال الحمد لله رب العالمين كتبت له ثلاثون حسنه وحط عنه
ثلاثون سيئة وقالت طايفة لا اله الا الله افضل لانها ترفع الكفر والاشراك
وعليها يتقاتل الخلق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله واختار هذا القول ابن عطية في تفسيره قال
الحاكم يدل لك قول النبي صلى الله عليه وسلم افضل ما قلته انا والنبيون
من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له قلت رواه مالك في الموطا مرسلا
عن عبيد الله بن كريز ووصله الدراوردي ويعقوب بن عبد الرحمن
القاري عن عمرو بن ابي عمرو عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن النبي صلى الله
عليه وسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب المقتبس في شرح موطا مالك بن انس
وهذا خير القول لا اله الا الله محمد رسول الله لانها كلمة المنة وبها
يكون ان شا الله دخول الجنه وهي كلمة التوحيد وبها ان شا الله
يكون المزيد وهي كلمة الاخلاص وبها ان شا الله يكون الخلاص
الثالثة اجمع المسلمون على ان الله تعالى محمود على ساير نعمه وان
مما انعم به الايمان فدل على ان الايمان فعله وخلقه والدليل على ذلك
قوله الحمد لله رب العالمين والعالمون جملة المخلوقات على ما ياتي ومن جملتها
الايمان لا كما قال القدرى انه خلق لهم على ما ياتي بيانه الرابعة الحمد
في كلام العرب معناه الثنا الكامل والالف واللام لاستغراق الجنس من
المحامد فهو سبحانه يستحق الحمد باجمعه اذ له الاسما الحسنى والصفات
العلا وقد جمع لفظ الحمد جمع القلة في قول الشاعر
وابلج محمود الثنا خصصته باقضل اقوالي وافضل احمدي

فالحمد

نقيض

نقيض الذم تقول حمدت الرجل احمده حمدا فهو حميد ومحمود والتحميد ابلغ
من الحمد والحمد اعم من الشكر والمحمد الذى كثرت خصاله المحمودة قال
الشاعر الى الصرم الجواد المحمد وبذلك سمي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ؛؛ قال فشق له من اسمه ليجله فذا العرش محمود وهذا احمد
والمحمدة خلاف المذمة واحمد الرجل صار امره الى الحمد واحمدته وجدته محمودا
تقول اتيت موضع كذا فاحمدته اي صادفته محمودا موافقا وذلك اذا
رضيت سكناه ومرعاه ورجل حمدة مثال همزة يكثر حمد الاشيا ويقول
فيها اكثر مما فيها وحده النار بالتحريك صوته التهابها للخامسة
ذهب ابو جعفر الطبري وابو العباس المبرد الى ان الحمد والشكر بمعنى واحد
وليس بمرضي وحكاه ابو عبد الرحمن السلمي في كتاب الحقايق له عن جعفر الصادق
وبن عطا قال بن عطا معناه الشكر لله اذ كان منه الامتنان على تعليمنا اياه
حتى حمدناه واستدل الطبري على انهما بمعنى بصحة قولك الحمد لله شكرا قال
بن عطيه وهو في الحقيقة دليل على خلاف ما ذهب اليه لان قولك شكرا انما
خصصت به الحمد انه على نعمه من النعم واختلفوا ايهما اعم فقال بعضهم
الشكر اعم من الحمد لانه باللسان وبالجوارح والقلب والحمد انما يكون باللسان
خاصة وقيل الحمد اعم لان فيه معنى الشكر ومعنى المدح فهو اعم من الشكر لان
الحمد يوضع موضع الشكر ولا يوضع الشكر موضع الحمد وروي عن بن عباس
انه قال الحمد لله كلمة كل شاكر وان ادم عليه السلام قال حين عطس
الحمد لله وقال الله لنوح وقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين
وقال ابراهيم الحمد لله الذى وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق وقال
في قصة داود وسليمان الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المومنين

وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا وقال
اهل الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن فهي كلمة كل شاكر **قلت**
والصحيح ان الحمد ثنا على المحمود بصفاته من غير سبق احسان والشكر ثنا على
المشكور بما اولى من الاحسان وعلى هذا الحد علماونا الحمد من الشكر لان
الحمد يقع على الثنا وعلى التحميد وعلى الشكر والجزا مخصوص انما يكون مكافاته
اولاك معروفا فصار الحمد اعم في الاية لانه يزيد على الشكر ويذكر
الحمد بمعنى الرضى يقال بلوته محمده اي رضيته ومنه قوله تعالى
مقاما محمودا وقال عليه السلام احمد اليكم غسل الاحليل اي ارضاه لكم
وبذكر عن جعفر الصادق رضي الله عنه في قوله الحمد لله من حمده بصفاته
كما وصف نفسه فقد حمد لان الحمد حا وميم ودال فالحا من الوحدانيه والميم
من الملك والدال من الديمومية فمن عرفه بالوحدانيه والديمومية
والملك فقد عرفه وهذا هو حقيقه الحمد لله وقال شقيق بن ابراهيم
في تفسير الحمد لله قال هو على ثلاثه اوجه احدها اذا اعطاك الله شيا
تعرف من اعطاك والثاني ان ترضى بما اعطاك والثالث ما دام قوته
في جسدك ان لا تعصيه فهذه شرايط الحمد **السادسة** اثنى الله سبحانه
بالحمد على نفسه وافتتح كتابه بحمده ولم ياذن في ذلك لغيره بل نهاهم عن ذلك
في كتابه وعلى لسان نبيه فقال فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وقال
عليه السلام احثوا في وجوه المداحين التراب رواه المقداد وسياتي القول
فيه في النسا ان شا الله تعالى فمعنى الحمد لله رب العالمين اي سبق الحمد مني لنفسي
قبل ان يحمدني احد من العالمين وحمدي نفسي لنفسي في الازل لم يكن لعله وحمد
الخلق مشوب بالعلل وقيل لما علم عجز عباده عن حمده حمد نفسه بنفسه لنفسه

في الازل

في الازل فاستغرق حمد عباده هو محال العجز عن حمده الا ترى سيد المرسلين
كيف اظهر العجز بقوله لا احصي ثنا عليك ،، ،، وانشدوا
اذا نحن اثنينا عليك بصالح فانت كما نثني وفوق ثناي
وقيل حمد نفسه في الازل لما علم من كثرة نعمه على عباده وعجزهم عن القيام بواجب
حمده لحمد نفسه عنهم لتكون النعم اهنا لديهم حيث اسقط عنهم ثقل المنه
السابعة واجمع القرا السبعة وجمهور الناس على رفع الدال من الحمد
لله وروي عن سليمان بن عيينه ورويه بن العجاج الحمد لله بنصب الدال وهذا
على اضمار فعل ويقال الحمد لله بالرفع خبر وسبيل الخبر ان يفيد فما الفايده في
هذا والجواب ان سيبويه قال اذا قال الرجل الحمد لله بالرفع ففيه من المعنى مثل ما
في قولك حمدت الله حمدا الا ان الذي يرفع الحمد يخبر ان الحمد منه ومن جميع
الخلق لله والذي ينصب الحمد يخبر ان الحمد منه وحده لله وقال غير سيبويه
انما يتكلم بهذا تعرضا لعفو الله ومغفرته وتعظيما له وتمجيدا فهو خلاف معنى
الخبر وفيه معنى السوال وفي الحديث من اشغله ذكري عن مسألتي اعطيته
افضل ما اعطي السايلين قال الطبري الحمد لله ثنا اثنى به على نفسه وفي ضمنه
امر عباده ان يثنوا عليه فكانه قال قولوا الحمد لله وعلى هذا يجي قولوا اياك
قال وهذا من حذف العرب ما يدل ظاهر الكلام عليه كما قال الشاعر
،، واعلم انني ساكون رمسا اذا سار النواجع لا يسير ،،
،، فقال السايلون لمن حفرتم فقال القايلون لهم وزيري ،،
المعنى المحفور له وزير فحذف لدلالة ظاهر الكلام عليه وهذا كثير وروي
عن ابن ابي عبله الحمدُ لُله بضم الدال واللام على اتباع الثاني الاول وروي
عن الحسن البصري وزيد بن علي الحمدِ لِله بكسر الدال على اتباع الاول الثاني

كما ذكرنا والتجانس للفظ وطلب التجانس في اللفظ كثير في كلامهم نحو احول
وهو مبحدر من الجبل بضم الدال والجيم قال بن اضرب الساقين امك
هابل بضم النون لاجل الهمزة وفي قراة لاهل مكة مُرُدفين بضم الرا اتباعا
للميم وعلى ذلك مُقُبلين بضم القاف وقالوا مِنِك بكسر الهمزة اتباعا للام ؛؛
وانشد النعمن بن بشير ويلامها في هوا الجو طالبه ولا هل امها الذي في
الارض مطلوب ؛؛ الاصل ويل امها فحذف اللام الاولى واستثقل
ضمة الهمزة بعد الكسرة فنقلها للام واتبع اللام الميم **الثامنة**
قوله تعالى رب العالمين اي مالكهم فكل من ملك شيا فهو ربه فالرب
المالك وفي الصحاح والرب اسم من اسما الله تعالى ولا يقال في غيره الا بالاضافة
وقد قالوه في الجاهلية للملك قال الحرث بن حلزة وهو الرب والشهيد
على يوم الحوارين والبلا بلا والرب السيد ومنه قوله تعالى اذكرني
عند ربك وفي الحديث ان تلد الامة ربتها ويروى ربها اي سيدها كما
بينا في كتاب التذكرة والرب المصلح والمدبر والجابر والقايم قال
الهروي وغيره يقال لمن قام باصلاح شي واتمامه قد ربه يربه فهو
رب له وراب ومنه سمي الربانيون لقيامهم بالكتب وفي الحديث
هل لك من نعمة تربها عليه اي تقوم وتصلحها والرب المعبود ومنه قول
الشاعر ؛؛ ارب يبول الثعلبان برأسه لقد هان من بالت
عليه الثعالب ؛؛ ويقال على التكثير رباه وربيه من التربية حكاه
النحاس وقال النابغة رب عليه الله احسن ملكه وكان له على البرية قادرا
وفي الصحاح ورب فلان ولده يربه ويربيه وترببه بمعنى اي رباه
والمربوب المربى **التاسعة** قال بعض العلما ان هذا الاسم هو اسم

مطلب رب

الله الاعظم لكثرة دعوة الداعين به وتامل ذلك في القران في اخر ال عمران
وسورة وسورة ابرهيم وغيرهما ولما يشعر به هذا الوصف من الصلة بين
الرب والمربوب مع ما يتضمنه العطف والرحمة والافتقار في كل حال
واختلف في اشتقاقه فقيل انه مشتق من التربية فالله سبحانه مدبر لخلقه
ومربيهم ومنه قوله تعالى وربايبكم اللاتي في حجوركم فسمي ولد الزوجه
ربيبه لتربية الزوج لها فعلى انه مدبر لخلقه ومربيهم يكون صفة فعل
وعلى ان الرب بمعنى المالك والسيد يكون صفه ذات فتامله
العاشرة متى دخلت الالف واللام على رب اختص الله تعالى به لانها
للعهد وان حذفتا منه صار مشتركا بين الله تعالى وبين عباده فيقال الله رب
العباد وزيد رب الدار فالله سبحانه رب الارباب يملك المالك
والمملوك وهو خالق ذلك ورازقه وكل رب سواه غير خالق ولا رازق
وكل مملوك فمملوك بعد ان لم يكن ومنتزع ذلك من يده وانما يملك شيا دون
شي وصفه الله تعالى مخالفه لهذه المعاني فهذا الفرق بين صفه الخالق
والمخلوقين يجوز فيه الرفع والنصب فالرفع على القطع اي هو رب
والنصب على المدح والخفض على البدل من الله الحادية عشرة
قوله تعالى العالمين اختلف اهل التاويل في العالمين اختلافا كثيرا فقال قتادة
العالمون جمع عالم وهو كل موجود سوى الله تعالى ولا واحد له من لفظه مثل
رهط وقوم وقيل اهل كل زمان عالم قاله الحسين بن الفضل لقوله تعالى
اتاتون الذكران من العالمين اي من الناس في زمانهم وقال الحجاج فنحدف
هامه هذا العالم وقال جرير الخطفي بصفه البريه وهو بهام وبعضي
العالمون له عيالا وقال ابن عباس العالمون الجن والانس دليله قوله تعالى

هذا
خالق
مطلب العالمين

لئلا يكون للعالمين نذيرا ولم يكن نذيرا للبهايم وقال الفرا وابو عبيد العالم
عبارة عما يعقل وهم اربعة امم الانس والجن والملايكة والشياطين
ولا يقال للبهايم عالم لان الجمع انما هو جمع ما يعقل خاصة قال الاعشى
ما ان سمعت بمثلهم في العالمينا وقال زيد بن اسلم هم المرتزقون
ونحوه قول ابي عمرو بن العلا هم الروحانيون وهو معنى قول بن عباس ايضا
كل ذي روح دب على وجه الارض وقال وهب بن منبه العالمون ثمانية
عشر الف عالم الدنيا منها وقال ابو سعيد الخدري ان لله اربعين الف
عالم في البر واربعين عالم في البحر وروى الربيع بن انس عن ابي العالية قال
الجن عالم والانس عالم وسوى ذلك للارض اربع زوايا في كل زاوية الف
وخمسماية عالم خلقهم الله لعبادته قلت القول الاول هو الاصح
لانه شامل لكل مخلوق وموجود دليله قوله تعالى حكاية عن فرعون قال
فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما وهو
موجود من العلم والعلامة لانه يدل على موجده هكذا قال الزجاج
قال كل ما خلقه الله في الدنيا والاخرة وقال الخليل العلم والعلامة والمعلم
ما دل على الشي فالعالم دال على ان له خالقا ومدبرا وهذا اوضح اذ ليس
في الوجود الا الله وفعله وذكر ان رجلا قال بين الجنيد الحمد لله فقال
له اتمها كما قال الله قل رب العالمين فقال الرجل ومن العالمين حتى يذكر مع
الحق فقال قل يا اخي فان المحدث اذا ذكر مع القديم لا يبقى له اثر الثانية
عشرة قوله تعالى الرحمن الرحيم وصف نفسه تعالى بعد رب
العالمين بانه الرحمن الرحيم لانه لما كان في اتصافه برب العالمين ترهيب
قرنه بالرحمن الرحيم لما تضمن من الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة منه

والرغبة

عالم خ
الف خ
بدي خ
للجنيد خ

والرغبة اليه فيكون اعون على طاعته وامنع من معصيته كما قال نبئ
عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم وقال غافر
الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول وفي صحيح مسلم عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم المومن ما عند الله
من العقوبة ما طمع بجنته احد ولو علم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط
من جنته احد وقد تقدم ما في هذين القسمين من المعاني في البسملة فلا
معنى لاعادته **الثالثة عشرة** قوله تعالى ملك يوم الدين قرا محمد بن
السميفع بنصب مَلِكَ وفيه لغات اربع مالِكِ ومَلِكِ ومَلْكِ مخفف
من مَلِكِ ومَلِيكِ قال الشاعر وايام لنا غر طوال عصينا الملك
فيها ان ندينا وقال اخر فاقنع بما قسم المليك فانما قسم
الخلايق بيننا علامها الخلايق الطبايع التي جبل الانسان عليها وروي
عن نافع اشباع الكسر في مالك فيقرا ملكي وهي لغة للعرب يشبعون
الحركات ذكرها المهدوي وغيره قال ابو جعفر النحاس وفيه من
العربية خمسة وعشرون وجها يقال مالك يوم الدين على النعت والرفع
على اضمار مبتدا والنصب على المدح وعلى النداء وعلى الحال وعلى النعت
على قراءة من قرا رب العالمين فهذه ستة اوجه وفي ملك مثلها وفي مَلْك مثلها
وفي مليك مثلها فهذه اربعة وعشرون وجها والخامس والعشرون
عن ابي حيوة شريح بن يزيد انه قرا ملك يوم الدين وقد روي عنه
انه قرا ملاك يوم الدين قال ابو جعفر جمع مالك ملاك وملك
وجمع ملك املاك وملوكا وجمع املك املاك وملوك وجمع مليك
املكة وملكا **الرابعة عشرة** واختلف العلماء ايما ابلغ ملك او مالك

يق

والقراتان زبر وثبتان عن النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وغيرهما
ذكرهما الترمذي وقيل ملك اعم وابلغ من مالك اذ كل ملك مالك وليس كل
مالك ملكا ولان امر الملك نافذ على المالك في ملكه حتى لا يتصرف الا عن
تدبير الملك قاله ابو عبيد والمبرد وقيل مالك ابلغ لانه يكون مالكا
للناس وغيرهم ابلغ تصرفا واعظم اذ اليه اجرا قوانين الشرع ثم عنده
زيادة التملك وقال ابو علي الفارسي حكى ابو بكر بن السراج عن بعض اخبار
القراء ملك ان الله سبحانه قد وصف نفسه بانه مالك كل شي بقوله
رب العالمين فلا فايدة في قراءة من قرا مالك لانها تكرار قال ابو علي ولا
حجة في هذا لان في التنزيل اشيا على هذه الصورة تقدم العام ثم ذكر
الخاص كقوله هو الله الخالق البارى المصور فالخالق يعم وذكر المصور لما
فيه من التنبيه على الصنعة ووجوه الحكمة وكما قال وبالاخرة هم
يوقنون بعد قوله الذين يومنون بالغيب والغيب يعم الاخرة وغيرها
ولكن ذكرها لعظمها والتنبيه على وجوب اعتقادها والرد على الكفرة
والجاحدين وكما قال الرحمن الرحيم فذكر الرحمن هو عام وذكر الرحيم
بعده ليخصص المومنين في قوله وكان بالمومنين رحيما وقال ابو حاتم
ان مالكا ابلغ في مدح الخالق من ملك وملك ابلغ في مدح المخلوقين
من مالك والفرق بينهما ان المالك من المخلوقين قد يكون غير
ملك واذا كان الله مالكا كان ملكا واختار هذا القول
القاضي ابو بكر بن العربي وذكر ثلاثة اوجه الاول انك تضيفه
الى الخاص والعام فتقول مالك الدار والارض والثوب كما
تقول مالك الملوك الثاني انه ينطلق على مالك القليل والكثير

واذا

وادا انا ملت هذين القولين وجدتهما واحدا والثالث انك
تقول مالك الملك ولا تقول ملك الملك قال ابو الحسن بن
الحصار انما كان ذلك لان المراد من مالك الدلاله على الملك بكسر الميم
وهو لا يتضمن الملك بضم الميم وملك يتضمن الامرين جميعا فهو
اولى بالمبالغه ويتضمن ايضا الكمال ولذلك استحق الملك على من دونه
الا ترى الى قول الله تعالى ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة
في العلم والجسم ويتضمن الاقتدار والاختيار وذلك امر ضروري
في الملك ان لم يكن قادرا مختارا نافذا حكمه وامره قهره عدوه
وغلبه عليه غيره وازدرته رعيته ويتضمن البطش والامر والنهي
والوعد والوعيد الا ترى الى قول سليمان عليه السلام ما لي
لا ارى الهدهد ام كان من الغايبين لاعذبنه الى غير ذلك من
الامور العجيبه والمعاني الشريفه التي لا توجد في المالك
الخامسة عشرة لا يجوز ان يسمى احد بهذا الاسم اعني ملك الملوك
ولا يدعا به الا الله تعالى روى البخارى ومسلم عن ابي هريره قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض الله الارض يوم القيمه
ويطوى السما بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض وعنه
ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اخنع اسم عند الله رجل يسمى
ملك الاملاك زاد مسلم لا مالك الا الله قال سفين مثل شاه شاه
وقال احمد بن حنبل سالت ابا عمرو الشيباني عن اخنع فقال اوضع وعنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغيظ رجل على الله يوم
القيمة واخبثه رجل يسمى ملك الاملاك لا ملك الا الله في انهد المحرم

علي جميع المخلوقين كتخيير ملك الاملاك سوا واما الوصف بملك ومالك وهي السادسة عشرة فيجوز ان يوصف بهما من اتصف بمفهومهما قال الله العظيم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقال صلى الله عليه وسلم ناس من امتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الاسرة او مثل الملوك على الاسرة السابعة عشرة ان قال قايل كيف قال ملك يوم الدين ويوم الدين لم يوجد بعد فكيف وصف نفسه بملك ما لم يوجد قيل له اعلم ان مالكا اسم فاعل من ملك يملك واسم الفاعل في كلام العرب قد يضاف الى ما بعده وهو بمعنى الفعل المستقبل ويكون ذلك عندهم كلاما سديدا معقولا صحيحا كقولك هذا ضارب زيد غدا اي سيضرب زيدا وكذلك هذا حاج بيت الله في العام المستقبل تاويله سيحج في العام المقبل الا ترى ان الفعل قد نسب اليه وهو لم يفعله بعد وانما اريد به الاستقبال وكذلك قوله عز وجل مالك يوم الدين على تاويل الاستقبال اي سيملك يوم الدين او في يوم الدين اذا حضر ووجه ثان ان يكون تاويل المالك راجعا الى القدرة اي انه قادر في يوم الدين او على يوم الدين واحداثه لان المالك للشي هو المتصرف للشي القادر عليه والله عز وجل مالك الاشيا كلها ومصرفها على ارادته لا يمتنع عليه منها شي والوجه الاول امس بالعربية وانفذ في طريقها قاله ابو القاسم الزجاجي وذكر وجها ثالثا فقال يقال اخصص يوم الدين وهو مالك يوم الدين وغيره لان في الدنيا كانوا منازعين في الملك مثل فرعون ونمرود وغيرهما وفي ذلك اليوم لا ينازعه في ملكه وكلهم خضع له كما قال تعالى لمن الملك اليوم فاجاب

جميع

جميع الخلق فيه لله الواحد القهار فلذلك قال مالك يوم الدين
اي في ذلك اليوم لا يكون مالك ولا قاض ولا مجازٍ غيره سبحانه
لا اله الا هو الثامنة عشر ان وصف الله سبحانه بانه ملك
كان ذلك من صفات ذاته وان وصفه بانه مالك كان ذلك
فعله وقد بيناه في كتاب الاسما والصفات والحمد لله التاسع
عشر قوله تعالى يوم الدين عبارة عن وقت طلوع الفجر الى
وقت غروب الشمس فاستعير فيما بين مبتدا القيمة الى وقت استقرار
اهل الدارين فيهما وقد تطلق اليوم على الساعة منه قال الله تعالى
اليوم اكملت لكم دينكم وجمع يوم ايام واصله ايوام فادغم وربما
عبروا عن الشدة باليوم يقال يوم ايوم كما يقال ليلة ليلا قال
الراجز نعم اخو الهيجا في اليوم اليمي وهو مقلوب منه اخر الواو
وقدم الميم ثم قلبت الواو يا حيث صارت طرفا كما قالوا ادل في جمع دلو
الموفية عشرين قوله تعالى الدين الجزا على الاعمال والحساب بها
كذلك قال ابن عباس وابن مسعود وابن جريج وقتادة وغيرهم وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى يوميذ يوفيهم
الله دينهم الحق اي حسابهم وقال اليوم تجزى كل نفس بما كسبت واليوم
تجزون ما كنتم تعملون وقال انا لمدينون اي مجزيون محاسبون وقال
لبيد حصادك يوما ما زرعت وانما يدان الفتى يوما كما هو داين
وقال اخر اذا ما رمونا رميناهم ودناهم مثل ما يقرضونا
وقال اخر واعلم يقينا ان ملكك زايل واعلم بان كما تدين
تدان وحكى اهل اللغة دينه بفعله دينا بفتح الدال ودينا بكسرها

جزيته ومنه الديان في صفة الرب تعالى اي المجازي وفي الحديث
الكيس من دان نفسه اي حاسب وقيل القضاء روي عن بن عباس ايضا
ومنه قول طرفه ،، لعمرك ما كانت حمولة معبد على جدها
حربا لدينك من مضر ،، ومعاني هذه اللفظة متقاربة والدين
ايضا الطاعة ومنه ،، قول عمرو بن كلثوم وايام لنا غر طوال
عصينا الملك فيها ان ندينا ثم قيل هو لفظ مشترك وهي
الحادية والعشرون قال ثعلب دان الرجل اذا اطاع ودان اذا عصى
ودان اذا عز ودان اذا ذل ودان اذا قهر فهو من الاضداد ويطلق
الدين على العادة والشان كما قال كدينك من ام الحويرث
قبلها وجارتها ام الرباب بماسل وقال المثقب يقول اذا درأت
لها وضيني اهذا دينه ابدا وديني والدين سيرة الملك قال
زهير لين حللت بجو في بني اسد في دين عمرو وحالت بيننا فدك اراد
في موضع طاعة والدين الداء عن اللحياني وانشد يا دين قلبك
من سلمى وقد دينا الثانية والعشرون قوله اياك نعبد رجع من الخبر
الى الخطاب على التلوين لان من اول السورة الى ها هنا خبر كقوله
وسقاهم ربهم شرابا طهورا ثم قال ان هذا كان لكم جزاء وعكسه حتى
اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح على ما ياتي ونعبد معناه نطيع والعبادة
الطاعة والتذلل وطريق معبد اذا كان مذللا للسالكين ونطق المكلف
به اقرار بالربوبية وتحقيق لعبادة الله اذ سائر الناس يعبد من سواه
من اصنام وغير ذلك واياك نستعين اي نطلب العون والتاييد والتوفيق
قال السلمي في حقائقه سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت

اباحفص

الفرغاني رحمه

اباحفص يقول من اقر باياك نعبد واياك نستعين فقد برئ من الجبر
والقدر الثالثة والعشرون ان قيل لم قدم المفعول على الفعل قيل له تقدم
اهتماما وشان العرب تقديم الاهم يذكر ان اعرابيا سب آخر فاعرض
عنه المسبوب فقال له الساب اياك اعني فقال له الاخر وعنك اعرض
فقدما الاهم وايضا لان لا يتقدم ذكر العبد والعادة على المعبود فلا
يجوز نعبدك ولا نستعينك ولا نعبد اياك ونستعين اياك فيقدم الفعل
على كنايه المفعول وانما يتبع لفظ القران وقال العجاج اياك ادعوا
فتقبل ملقى اغفر خطاياي وكثر ورقي ويروي وثمر فاما قول الشاعر
اليك حتى بلغت اياك فشاذ لا يقاس عليه والورق بكسر الرا من الدراهم
وبفتحها المال وكرر الاسم لئلا يتوهم اياك نعبد ونستعين غيرك
والاسم ايا وهو اسم مضمر والكاف حرف خطاب قاله الاخفش وسيبويه
وقال الخليل ايا اسم مظهر والكاف اسم مضمر وهو في موضع جر بالا
ضافه واحتج على ذلك برواية رواها عن العرب انما يقول اذا بلغ الرجل
ستين فاياه وايا الشواب مجر الشواب بالاضافه الى ايا وقال الكوفيون
ان الكاف اسم مضمر وايا دعامة للكاف ووصله اليها ولم يبينوا هذه
الدعامة ما هي امضمرة ام مظهرة وقد رد هذا القول بان قيل بان
اكثر الشي لا يكون دعامة لاقله لان اقل ما يكون في هذه الكلمة الكاف
على قولهم وقد ادعمت باربعة احرف ومنها قول لهم ايضا انه بكماله
اسم مضمر وهذا ايضا ضعيف لان اكثر هذه المضمرات مركبات من اسم
وحرف وخاصة المنفصلات مثل انت وانتما وانتم وانتن منه الالف
والنون والباقي حروف خطاب ودلايل تثنيه وجمع وقيل انها كلها

اسم مضمر موضع للنصب لا غير وهذا القول اضعفها لانه لا خلاف
في كون سبحان معرب واياك مبنيا وسبحان قد يوجد التنوين كما
قال سبحانه ثم سبحانا يعود له وقبلنا سبح الجودي والجمد وروى
نعوذ به ولا ينون اياك فلو كان نظير الحارث تنوينه واصح هذه
الاقوال الاول لقيام الدليل على ان الكاف حرف خطاب وانه
وانه لا موضع له من الاعراب في الرفع والنصب والخفض فامتناع الرفع
لانها ليست من ضماير المرفوع وامتناع النصب لانه ليس لها ناصب
وامتناع الجر لان المضمرات لا تضاف لانها معارف لا يفارقها تعريفها ولا
ولا يجوز الاضافة الى غيرها وما ذكره المعلل لم يلزمه اصحاب سيبويه
لعله تلك الحكاية وشذوذها فلا يقاس عليها **الرابعة والعشرون**
الجمهور من القرا والعلما على شد اليا من اياك في الموضعين وقرا عمرو بن
فايد اياك بتخفيف اليا وذلك انه كره تضعيف اليا لثقلها وكون الكسرة
قبلها وهذه قراة مرغوب عنها فان المعنى يصير بشمسك نعبد وضوء
واياه الشمس بكسر الهمزة ضوها وقد يفتح قال سقته اياة الشمس
الا لثاته اسف ولم تكدم عليه باثمد فان اسقطت الهاء مددت
وتقال الاياة الشمس كالهاله للقمر وهي الدارة حولها وقرا الفضل
الرقاشي اياك بفتح الهمزة وهي لغة مشهورة وقرا ابو السوار الغنوي
هياك في الموضعين وهي لغة قال فهياك والامر الذي ان توسعت
موارده ضاقت عليك مصادره **الخامسة والعشرون** قوله
تعالى واياك نستعين عطف جملة على جملة وقرا يحيى بن وثاب والاعمش
نستعين بكسر النون وهي لغة تميم وقيس واسد وربيعة ليدل على انه

من استعان

من استعان فكسرت النون ثم تكسر الالف الوصل واصل نستعين
نستعون فقلبت حركة الواو الى العين فصارت يا والمصدر استعانه
والاصل استعوان فقلبت حركة الواو الى العين فانقلبت الفا ولا يلتقي
ساكنان فحذفت الالف الثانيه لانها زايده وقيل الاولى لان الثانيه
للمعنى ولزمت الها عوضا **السادسة والعشرين** قوله تعالى اهدنا الصراط
المستقيم اهدنا دعا ورغبه وسوال من المربوب الى الرب والمعنى ان
دلنا على الصراط المستقيم وارشدنا اليه وارنا طريق هدايتك الموصله
الى انسك وقربك وقيل المعنى ارشدنا باستعمال السنن في اداء فرضك
وقيل الاصل فيه الاماله ومنه قوله تعالى انا هدنا اليك اي ملنا وخرج
عليه السلام في مرضه يتهادى بين اثنين اي يتمايل ومنه الهدنه لانها
تمال من ملك الى ملك ومنه الهدي للحيوان الذي يساق الى الحرم فالمعنى
مل بقلوبنا الى الحق وقال الفضيل بن عياض الصراط المستقيم طريق الحج وهذا
خاص والعموم اولى قال محمد بن الحنفية في قوله عز وجل اهدنا الصراط
المستقيم قال هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره وقال عاصم
الاحول عن ابي العاليه الصراط المستقيم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصاحباه من بعده قال عاصم فقلت للحسن ان ابا العاليه يقول
الصراط المستقيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه قال صدق
ونصح **السابعة والعشرون** اصل الصراط في كلام العرب الطريق قال
عامر بن الطفيل شحنا ارضهم بالخيل حتى تركناهم اذل من الصراط وقال جرير
امير المومنين على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم وقال اخر
فصد عن نهج الصراط الواضح وحكى النقاش الصراط الطريق بلغة الروم قال

ج

ارضهم

بن عطيه وهذا ضعيف جدا وقرى السراط بالسين من الاستراط
بمعنى الابتلاع كان الطريق يسترط من يسلكه وقرى بين الزاى
والصاد وقرى بزاى خالصه والسين الاصل وحكى مسلمه عن الفرا
قال الزراط باخلاص الزاى لغه لعذره وكلب وبنى العنبر قال
هولا يقولون ازدق في يزدقه وقد قالوا الازد والاسد ولزق
ولسق به ولصق به والصراط نصب على المفعول الثانى لان الفعل
من الهدايه يتعدى الى المفعول الثانى بحرف جر قال الله تعالى
فاهدوهم الى صراط الجحيم وبغير حرف كما في هذه الايه
المستقيم صفه للصراط وهو الذى لا اعوجاج فيه ولا انحراف
ومنه قوله تعالى ان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه واصله مستقوم
نقلت الحركه الى القاف وانقلبت الواو يا لانكسار ما قبلها

الثامنة والعشرون الذين لغه القران الذين في الرفع والنصب
والجر وهذيل تقول اللذون في الرفع ومن العرب من يقول اللذون
ومنهم من يقول الذى في الجمع كما قال الشاعر ان الذى حانت
بفلج دماوهم هم القوم كل القوم يا ام خالد **التاسعة
والعشرون** انعمت عليهم واختلف الناس في المنعم عليهم قال
قال الجمهور من المفسرين منهم بن عباس وقتاده وغيرهما هم
النبيون والشهدا والصالحون وانتزعوا ذلك من قوله عز وجل
ومن يطع الله ورسوله فاوليك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
الايه وهي تقتضي ان هولا على صراط مستقيم وهو المطلوب في ايه الحمد وجميع
ما قيل الى هذا يرجع فلا معنى لتعديد الاقوال والله المستعان

الموقيه للايون

التاسعه والعشرون

الموفيه ثلاثين قرأ عمر بن الخطاب وابن الزبير رضي الله عنهما
صراط من انعمت عليهم وفي عليهم عشر لغات قرى بها منها عليهم
بضم الها واسكان الميم وعليهم بكسر الها واسكان الميم وعليهمي بكسر
الها والميم والحاق يا بعد الكسر وعليهموا بضم الها وبضم الميم
وزياده واو بعد الضمة وعليهموا بضم الها والميم كلتيهما وادخال
واو بعد الميم وعليهم بضم الها والميم من غير زياده واو
وهذه الاوجه السته ماثوره عن الايمه من القرا واوجه اربعه
منقوله عن العرب غير محكيه عن القرا عليهم بضم الها وكسر الميم
وادخال يا بعد الميم حكاها الاخفش البصري عن العرب وعليهم
بضم الها وكسر الميم من غير زيادة يا وعليهم بكسر الها وضم الميم
من غير الحاق واو وعليهم بكسر الها والميم ولا يا بعد الميم وكلها
صواب قاله ابن الانباري الحادية والثلاثون في هذه الايه
رد على القدريه والمعتزله والاماميه لانهم يعتقدون
ان ارادة الانسان كافيه في صدور افعاله منه طاعه كانت
او معصية لان الانسان عندهم خالق لافعاله فهو غير
محتاج في صدورها منه الى ربه وقد اكذبهم الله في هذه الايه
اذ سالوه الهدايه الى الصراط المستقيم فلو كان الامر اليهم
والاختيار بيدهم دون ربهم لما سالوه الهدايه ولا كرروا
السؤال في كل صلاة وكذلك تضرعهم اليه في دفع المكروه وهو
ما يناقض الهدايه حيث قالوا صراط الذين انعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ولا الضالين فكما سالوه ان يهديهم

سالوه ان لا يضلهم وكذلك يدعون فيقولون ربنا لا تزغ
قلوبنا بعد اذ هديتنا على ما ياتي الثلاثة والثلاثون قوله تعالى غير
المغضوب عليهم ولا الضالين اختلف في المغضوب عليهم وفي
الضالين من هم فالجمهور على ان المغضوب عليهم اليهود والضالين
النصارى وجا ذلك مفسرا عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
عدي بن حاتم وقصة اسلامه اخرجه ابو داود الطيالسي في مسنده
والترمذي في جامعه وشهد لهذا التفسير ايضا قوله سبحانه في
اليهود وباوا بغضب من الله وقال وغضب عليهم وقال وباوا
بغضب على غضب وقال في النصارى قد ضلوا من قبل واضلوا
كثيرا وضلوا عن سوا السبيل وقيل في المغضوب عليهم المشركين
والضالون المنافقون وقيل المغضوب عليهم من اسقط فرض هذه
السورة في الصلاة ولا الضالين عن بركة قراتها حكاه السلمي في حقايقه
والماوردي في تفسيره وليس بشي قال الماوردي وهذا وجه مردود
لان ما تعارضت فيه الاخبا وتقابلت فيه الاثار وانتشر فيه
الخلاف لم يجز ان يطلق عليه هذا الحكم وقيل المغضوب عليهم باتباع
البدع ولا الضالين عن سنن الهدي قلت هذا حسن وتفسير النبي
صلى الله عليه وسلم اولى واعلى واحسن وعليهم في موضع رفع لان
المعنى غضب عليهم والغضب في اللغة الشدة ورجل غضوب اي
شديد الخلق والغضوب الحية الخبيثة لشدتها والغضب الدرقة من
جلد البعير يطوى بعضها على بعض سميت بذلك لشدتها ومعنى الغضب
في صفة الله ارادة العقوبة فهو صفة ذات وارادة الله تعالى

من صفات

من صفات ذاته او نفس العقوبه ومنه الحديث ان الصدقه لتطفي غضب الرب فهو صفه فعل ولا الضالين

الضلال في كلام العرب هو الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق ومنه ضل اللبن في الما اي غاب ومنه ايذا ضللنا في الارض اي غبنا بالموت وصرنا ترابا قال الم تسل فتخبرك الديار عن الحي المضلل اين ساروا

والضلضله حجر املس يردده الماء في الوادي وكذلك الغضبه صخره في الجبل يخالفه لونه قال وعصبه في هضبه ما اصعا

قرا عمر بن الخطاب وابي بن كعب غير المغضوب عليهم وغير الضالين بالنصب فيها وروي عنهما الخفض في الحرفين بالخفض على البدل من الذين او من الها والميم في عليهم او صفة للذين والذين معرفه ولا توصف المعارف بالنكرات ولا النكرات بالمعارف الا ان الذين ليس بمقصود قصدهم فهو عام فالكلام بمنزله قولك اني لامر بمثلك فاكرمه او لان غير تعرفت بين شيئين لا وسط بينهما كما تقول الحي غير الميت والقايم غير القاعد قولان لاهل اللسان والنصب في الرا على وجهين على الحال من الذين او من الها والميم في عليهم كانك قلت انعمت عليهم لا مغضوبا عليهم او على الاستثنا كانك قلت الا المغضوب عليهم ويجوز النصب باعني وحكي عن الخليل

لا في قوله ولا الضالين اختلف فيها فقيل هي زايده قاله الطبري ومنه قوله تعالى ما منعك الا تسجد وقيل هي تاكيد دخلت لئلا يتوهم ان الضالين معطوف على الذين حكاه مكي والمهدوي وقال الكوفيون لا بمعنى غير وهي قراه عمر وابي وقد تقدم الاصل

في الضالين الضاللين ثم ادغمت اللام في اللام فاجتمع ساكنان من الالف
واللام المدغمة وقرا ايوب السختياني ولا الضالين بهمزة غير ممدودة
كانه فر من التقا الساكنين وهي لغة حكى ابو زيد قال سمعت عمرو بن
عبيد يقرا فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان فظننت انه قد
لحن حتى سمعت من العرب دابّة وشابّة قال ابو الفتح عثمان رحمه الله وعلى
هذه اللغة قول كثير، اذا ما العوالي بالعبيط احمارّت

قال بعض العلما جعل الله جل وعز عظيم الدعا وجملته
موضوعا في هذه السورة نصفها فيه مجمع الثنا ونصفها فيه مجمع الحاجات
وجعل هذا الدعا في هذه افضل من كل دعا تدعوا به لان هذا كلام قد
تكلم به رب العالمين فانت تدعو بدعا هو كلامه الذي
تكلم به وفي الحديث ليس اكرم على الله من الدعا وقال عليه السلام
الدعا مخ العبادة وليس في القران سورة تجدها هكذا فدل على فضلها
وشرفها على ما تقدم والله اعلم، تم تفسير سورة الحمد والحمد لله

واول ما نبدا به الكلام في نزولها
وفضلها وعدد حروفها وكلمها وما جا فيها فنقول سورة البقرة مدنية
نزلت في مدد شتى وقيل هي اول سورة نزلت بالمدينة الا قوله تعالى
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانه اخر اية نزلت من السما ونزلت
يوم النحر في حجة الوداع بمنى وايات الربا ايضا من اواخر ما نزل من
القران وهذه السورة فضلها عظيم وثوابها جسيم ويقال لها فسطاط
القران قاله خالد بن معدان وذلك لعظمها وبهائها وكثرة احكامها

ومواعظها

ومواعظها وتعلمها عمر بفقهها وما تحتوي عليه في اثني عشرة
سنة وابنه عبد الله في ثمان سنين كما تقدم قال ابن الحربي سمعت
بعض اشياخي يقول الف امر والف نهي والف حكم والف خبر وبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذو عدد وقدم عليهم
احدثهم سنا لحفظه سورة البقرة وقال له اذهب فانت امير هم
خرجه الترمذي عن ابي هريرة وصححه وروى مسلم عن ابي امامة البا
هلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤوا سو رة
البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة قال
معوية بلغني البطلة السحرة وروى ايضا عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان ينفر
من البيت الذي يقرا فيه سورة البقرة وروى الدارمي عن عبد الله
قال ما من بيت يقرا فيه سورة البقرة الا خرج منه الشيطان
وله ضراط وقال ان لكل شيء سناما وان سنام القران سورة
البقرة ومن قراها في بيته ليلا لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام
قال ابو حاتم البستي قوله صلى الله عليه وسلم لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة
ايام اراد مردة الشياطين وروى الدارمي في مسنده عن الشعبي قال قال
عبد الله من قرا عشر ايات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت
شيطان تلك الليلة حتى يصبح اربعا من اولها واية الكرسي واثنين بعدها وثلاث
خواتيمها اولها لله ما في السموات وعن الشعبي عنه لم يقربه ولا اهله يومئذ
شيطان ولا شيء يكرهه ولا يقرأن على مجنون الا افاق وقال المغيرة بن سبيع
وكان من اصحاب عبد الله لم ينس القران وقال اسحق بن عيسى لم ينس ما حفظ ل

ليلا ومن قراها نهارا لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة

ابو محمد الدارمي منهم من يقول المغيره بن سميع او في كتاب الاستيعاب
لابن عبد البر ره ان لبيد بن ربيعه بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعه عامر
بن صعصعه من شعرا الجاهليه ادرك الاسلام فحسن اسلامه وترك
قول الشعر في الاسلام وساله عمر في خلافته عن شعره واستنشده
فقرا سورة البقره فقال انما سالتك عن شعرك ما كنت لاقول بيتا
من شعر بعد ان علمني الله البقره وال عمران فاعجب عمر قوله وكان عطاه
الفين فزاده خمس مايه وقد قال كثير من اهل الاخبار ان لبيد لم يقل شعرا
منذ اسلم وقال بعضهم لم يقل في الاسلام الا قوله الحمد لله الذي لم
ياتني اجلي حتى اكتسبت من الاسلام سربالا وقال بن عبد البر وقد قيل ان
هذا البيت لقرده بن نفاثه السلولي وهو اصح عندي وقال غيره
بل البيت الذي قاله في الاسلام ،، ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء
يصلحه القرين الصالح وسياتي ما ورد في اية الكرسي وخواتيم البقره
وياتي في اول ال عمران زياده بيان لفضل هذه السوره مع ما ذكرنا
وبالله توفيقنا ولا نظير لها في عد ايها وكلامها سته الاف كلمه
واحدى وعشرون كلمه وحروفها خمسه وعشرون الفا وخمس مايه
حرف وهي مايتان وثمانون وخمس ايات في المدنيين والمكي والشامي
وست في الكوفي وسبع في البصري اختلافها احد عشر ايه الم عدها
الكوفي ولم يعدها الباقون عذاب اليم عدها الشامي ولم يعدها الباقون
مصلحون لم يعدها الشامي وعدها الباقون يا اولي الالباب لم يعدها
المدني الاول والمكي وعدها الباقون من خلاق الثاني لم يعدها المدني
الاخير وعدها الباقون ماذا ينفقون الثاني عدها المدني الاول

والمكي

٩٢

والمكي ولم يعدها الباقون لعلكم تتفكرون الاول عدها المدني الاخير
والكوفي والشامي ولم يعدها الباقون قولا معروفا عدها البصري ولم
يعدها الباقون الحي القيوم عدها المدني الاخير والمكي والبصري ولم
يعدها الباقون واجمعوا على عددها في اول آل عمران وعلى اسقاط
في طه من الظلمات الى النور عدها المدني الاول ولم يعدها الباقون
وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدودا باجماع اثنا عشر موضعا اولها
ماله في الآخرة من خلاق وهو الاول وهو يتلون الكتاب فانا هم في شقاق
والانفس والثمرات في بطونهم الا النار طعام مسكين من الهدى والفرقان
والحرمات قصاص عند المشعر الحرام الخبيث منه تنفقون الثالث
ولكن ويسئلونك ماذا ينفقون الاول ولا شهيد وقيل ان المكي يعدها
وليس بصحيح قاله ابو عمرو الداني في كتاب البيان له ❁ بسم الله الرحمن
الرحيم قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين فيه اثنتا
عشرة مسئلة الاولى قوله تعالى الم اختلف اهل التاويل في الحروف
التي في اوايل السور فقال عامر الشعبي وسفين الثوري وجماعة من
المحدثين هي سر الله في القران ولله في كل كتاب سر فهي من المتشابه الذي
انفرد الله تعالى بعلمه ولا يجب ان يتكلم فيها ولكن نومن بها وتمر كما جاءت
وروي هذا القول عن ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان وعلي
وابن مسعود رضي الله عنهم كلهم قالوا الحروف المقطعة من المكتوم
الذي لا يفسر وقال ابو حاتم لم نجد الحروف المقطعة الا في اوايل
السور ولا ندري ما اراد الله عز وجل بها وذكر ابن الانباري عن
الربيع عن خثيم قال ان الله تعالى انزل هذا القران فاستاثر منه بعلم

طه

ن

مطلب في حروف الم في اول البقرة

ما شآ واطلعكم على ما شآ فاما ما استأثر به لنفسه فلستم بما سه فلا
تسالوا عنه واما الذي اطلعكم عليه فهو الذى تسألون عنه وتخبرو
به وما كل القران تعلمون ولا بد لما تعلمون تعلمون قال ابن الانبارى
فهذا يوضح ان حروفا من القران سترت معانيها عن جميع العالم اختبارا
من الله جل وعز وامتحانا فمن امن به اثبت وسعد ومن كفر وشك
اثم وبعد وروى محمد بن علي الترمذى انه قال ان الله اودع جميع ما في
تلك السورة من الاحكام والقصص في الحروف التي ذكرها في اول
السورة ولا يعرف ذلك الا نبي او ولي ثم بين ذلك في جميع السورة
ليفقه الناس وقال جمع كثير من العلما بل يجب ان نتكلم فيها ونلتمس
الفوايد التي تحتها والمعاني التي تخرج عليها لان الله تعالى وصف القران بانه
لسان عربي مبين وقال لتبين للناس ما نزل اليهم وهذا القول يوجب
الغا هذه الحروف واجلاها عن المعاني وكتاب الله تعالى اولى ان يوصف
بخلاف هذه الصفة ولو كان المتشابه في القران مما لا يعرفه على معناه
لم يكن للراسخ في العلم فضل على المقاصر على ما ياتي بيانه في آل عمران ان شا الله
اختلف هولاى في تاويل هذه الحروف على اقوال عديده فروي عن علي وابن
عباس ايضا ان الحروف المقطعة في القران اسم الله الاعظم الا انا لا نعرف
تاويله منها ونحوه عن سعيد بن جبير قال هي اسما الله تعالى مقطعه لو
احسن الناس تاليفها لعلم اسم الله الاعظم الا ترى انك تقول الر
وتقول حم وتقول ن فيكون الرحمن وكذلك سايرها على هذا الوجه
الا انا لا نقدر على وصلها والجمع بينها وقيل ان كل كلمة منها مجموع احرفها
اسم الله تعالى فالم اسم وكذلك المص والر والمر وكهيعص وطه

وطسم

وطسم وطس ويس وحم وحمعسق وق ون فعلى هذا ينادي بها الله
تعالى ويدعى بكل اسم منها فيقال يا الم يا كهيعص يا طه يا يس كما يدعى بسائر
الاسماء وقال قطرب والفراء وغيرهما هي اشارة الى الحروف الهجا اعلم
سبحانه بها العرب تحداهم بالقران انه مؤتلف من حروف هي التي منها
بناء كلامهم ليكون عجزهم عنها ابلغ في الحجة عليهم اذ لم يخرج عن كلامهم
وقال قوم ان المشركين لما اعرضوا عن سماع القران بمكة وقالوا لا
تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون وربما صفقوا او ربما
لغطوا ليغلطوا النبي صلى الله عليه وسلم انزل الله تعالى هذه الحروف
المقطعة ليستغربوها فيفتحون لها اسماعهم فيسمعون القران بعدها
فتجب عليهم الحجه ونحوه عن قطرب وابى روق وغيرهما قالوا كانوا
ينفرون عند استماع القران فلما سمعوا الم والمص استنكروا هذا
اللفظ فلما انصتوا له صلى الله عليه وسلم اقبل عليهم بالقران المؤلف
ليثبته في اسماعهم وآذانهم ويقيم الحجة عليهم وقال جماعة هي حروف
دالة على اسما اخذت منها وحذفت بقيتها لقول بن عباس وغيره الالف
من الله واللام من جبريل والميم من محمد وقيل الالف مفتاح اسمه الله
واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وروى ابو
الضحى عن عباس في قوله الم قال انا الله اعلم الر انا الله ارى المص انا الله
افصل فالالف تودى عن معنى انا واللام تودى عن اسم الله والميم تودى
عن معنى اعلم واختار هذا القول الزجاج وغيره وان كل حرف منها تودى
عن معنى قالوا وقد تكلمت العرب بالحروف المقطعه نظما لها ووضعا
بدل الحروف التي الكلمات منها كقوله فقلت لها قفي فقالت قاف

لا تحسبي انا نخاف الا تخاف اي قالت قد وقفت وقال زهير بالخير
خيرات وان شرا فاولي الريد الشر الا ان تا اراد وان شرا فشر له
واراد الا ان تشا وانشد سيبويه لغيلان نادوهم الا الجموا الا يا
قالوا جميعا كلهم الا فا اراد الا تركبون الا فاركبوا وانشد قطرب
جاريه وعدتني ان تا بدهن راسي وتعلا او تا اراد ان تاتي او تمسح
وفي الحديث من اعان على قتل مسلم بشطر كلمة قال سفين هو ان يقول
في اقتل اق كما قال عليه السلام كفى بالسيف شا معناه شافيا ومن هذا
قول الشاعر في امراته وقد كان قيل له انها تحفظ القران نراها تتعلم
الجد لما رايت انها في حطي اخذت منها بعرون نمط نعبر بلفظ حطي
عن جمله حروف ابجد وقيل هي اقسام اقسم الله بها لشرفها وفضلها
وهي من اسمايه قاله الكلبي وروي عن ابن عباس وقاله عكرمة ورد
بعض العلما هذا القول فقال لا يصح ان يكون اسما لان القسم معقود
على حروف مثل ان وقد ولقد وما ولم يوجد ها هنا من هذه الحروف
فلا يجوز ان يكون يمينا والجواب ان يقال موضع القسم قوله تعالى لا
ريب فيه فلو ان انسانا حلف فقال والله هذا الكتاب لا ريب فيه
لكان الكلام سديدا ويجوز لا جواب القسم فثبت ان قول الكلبي وما
روي عن ابن عباس وعكرمة سديد صحيح فان قيل ما الحكمه في القسم
من الله تعالى وكان القوم في ذلك الزمان على صنفين ولا افعال الا مضارعه
وانما هي بمنزله حروف التهجي فهي محكيه هذا مذهب الخليل وسيبويه
والزجاج ومن قال انها اسما السور فموضعها عند الرفع على انها عند
خبر ابتدا مضمر اي هذه الم كما تقول هذه سورة البقره او يكون رفعا

على

على الابتدا والخبر ذلك كما تقول زيد ذلك الرجل وقال ابن كيسان النحوي الم في موضع نصب كما تقول اقرا الم او عليك الم وقيل في موضع خفض بالقسم لقول ابن عباس انها اقسام اقسم الله بها

قوله تعالى ذلك الكتاب قيل المعنى الكتاب وذلك قد تستعمل في الاشارة الى حاضر وان كان موضوعا للاشارة الى غايب كما قال تعالى في الاخبار عن نفسه جل وعز ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ومنه قول خفاف بن ندبه اقول له والرمح ياطر متنه تامل خفافا انني انا ذلكا اي انا هذا فذلك اشارة الى القران موضوع موضع هذا تلخيصه الم هذا الكتاب لا ريب فيه وهذا قول ابي عبيدة وعكرمة وغيرهما ومنه قوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق اي هذه لكنها لما انقضت صارت كانها بعدت فقيل تلك وفي البخاري وقال معمر ذلك الكتاب هذا القران لقوله ذلكم حكم الله يحكم بينكم هذا حكم الله قلت وقد جا هذا المعنى ذلك على العكس ومنه قوله عليه السلام في حديث ام حرام يركبون ثبج هذا البحر اي ذلك البحر والله اعلم وقيل هو على بابه اشارة الى غايب واختلف في ذلك الغايب على عشرة اقوال فقيل ذلك الكتاب اي الكتاب الذي كتبت على الخلايق بالسعادة والشقاوة والاجل والرزق لا ريب فيه اي مبدل له وقيل ذلك الكتاب اي الذي كتبت على نفسي في الازل ان رحمتي سبقت غضبي وفي صحيح مسلم عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتاب على نفسه فهو موضوع عنده ان رحمتي تغلب

هذا

غضبي وفي رواية سبقت وقيل ان الله تعالى قد وعد نبيه ان
ينزل عليه كتابا لا يمحوه الما فاشار الى ذلك الوعد كما في صحيح مسلم
عن عياض بن حمار المجاشعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله تعالى نظر الى اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا
من اهل الكتاب وقال انما بعثتك لابتليك وابتلي بك وانزلت
عليك كتابا لا يغسله الما تقروه نايما ويقظان الحديث وقيل
الاشارة الى ما قد نزل من القران بمكة وقيل ان الله تعالى لما انزل
على نبيه صلى الله عليه وسلم بمكة انا سنلقي عليك قولا ثقيلا لم يزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم مستبشرا الى انجاز هذا الموعد
من ربه عز وجل فلما انزل عليه بالمدينة الم ذلك الكتاب لا ريب
فيه كان فيه معنى هذا القران الذي انزلته عليك بالمدينة ذلك
الكتاب الذي وعدتك ان اوحيه اليه بمكة وقيل ان ذلك
اشارة الى ما في التورية والانجيل والم اسم للقران والتقدير
هذا القران ذلك الكتاب المفسر في التورية والانجيل يعني ان
التورية والانجيل يشهدان بصحته ويستغرق ما فيهما ويزيد عليهما
ما ليس فيهما وقيل ان ذلك الكتاب اشارة الى التورية والا
نجيل كليهما والمعنى الم ذلك الكتاب ان واشار بذلك الكتابين
اي هذا القران جامع لما في ذينك الكتابين فعبر بذلك عن الاثنين
بشاهد من القران قال الله تعالى انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان
بين ذلك اي عوان بين تلك الفارض والبكر على ما ياتي بيانه وقيل
ان ذلك اشاره الى اللوح المحفوظ وقال الكسائي ذلك اشاره

الي

الى القران الذي في السما لم ينزل بعد وقيل ان الله تعالى كان قد وعد
اهل الكتاب ان ينزل على محمد صلى الله وسلم كتابا فالاشارة الى ذلك
الوعد قال المبرد المعنى هذا القران ذلك الكتاب الذي كنتم
تستفتحون به على الذين كفروا فهذه عشرة اقوال وقول حادي
عشر وهو ان الاشارة الى حروف المعجم في قول من قال الم الحروف
التي تحديتم بالنظم منها قوله تعالى الكتاب مصدر
من كتب يكتب اذا جمع ومنه قيل كتيبة لاجتماعها وتكتب الخيل
صارت كتائب والمكتب اسم للمكان الذي يجمع فيه الصبيان للتعلم
وكتبت البغلة اذا جمعت بين شفري رحمها بحلقة او سير قال الشاعر
لا تامنن فزاريا حللت به على قلوصك واكتبها باسيار والكتبة بضم
الكاف الخرزة والجمع كتب والكتب الخرز قال ذو الرمة
وفراء غرفية اثاى خوارزها مشلشل ضيعته بينها الكتب والكتا
هو خط الكاتب حروف المعجم او متفرقة وسمي كتابا وان كان مكتوبا
كما قال الشاعر تؤمل رجعة مني وفيها كتاب مثل لصق الغرا
فالمكتوب يسمى كتابا كما يسمى المشروب شرابا والشراب مصدر
وتسمية الشي باسم المصدر في كلام العرب كثير فلما كان كلام
الله تعالى في اللوح المحفوظ مكتوبا وفي المصاحف سمي كتابا وقد
يكون بمعنى القضا في القران قال الله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي
وقال قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ويكون بمعنى الجعل والخلق
ومنه قوله تعالى كتب في قلوبهم الايمان ويكون بمعنى الفرض والحكم
والقدر قال الله تعالى كتب عليكم الصيام فرض وقال اوليك

اي

بنا الهم نصيبهم من الكتاب وقال الجعدي يا بنة عمي كتاب الله اخرجني
وهل امنعن الله ما فعلا   قوله تعالى لا ريب فيه لا
نفي عام ولذلك نصب الريب منه وفي الريبة ثلاثة معاني احدها
الشك قال عبد الله بن الزبعري ليس في الحق يا امية ريب انما الريب
ما يقول الجهول ثانيها التهمة قال جميل بثينة قالت يا جميل اربتني فقلت
كلانا يا بثين مريب وثالثها الحاجة قال قضينا من تهامة كل ريب
وخيبر ثم اجمعنا السيوفا فكتاب الله تعالى لا شك فيه ولا ارتياب والمعنى
والمعنى انه في ذاته حق وانه منزل من عند الله وصفة من صفاته غير مخلوق
ولا محدث وان وقع ريب للكافر وقيل هو خبر ومعناه النهي اي لا ترتابوا
وتم الكلام كانه قال ذلك الكتاب حقا وقيل مع بعدها مثل خمسة
عشر ويقول رابني هذا الامر اذا دخل عليك شكا وخوفا واراب
ما ردا ريبه فهو مريب ورابني امره وريب الدهر صروفه
قوله تعالى الهاء في فيه في موضع خفض بفي وفيه خمسة اوجه اجودها فيه
هدى ويليه فيه هدى بضم الهاء بغير واو وهي قراءة الزهري وسلام بن
المنذر ويليه فيهي هدى باثبات الياء وهي قراءة ابن كثير ويجوز فيهو هدى
بالواو ويجوز فيه هدى مدغما وارتفع هدى على الابتداء والخبر
فيه وقيل تم الكلام عند قوله فيه وارتفع هدى على انه خبر ابتدا
مضمر اي هو هدى ونصب على الحال اي هاديا تقديره لا ريب
في هدايته   الهدى في كلام العرب معناه الرشد والبيان
اي فيه كشف لاهل المعرفة ورشد وزيادة بيان وهدى وهو على
ضربين هدى دلالة وهو الذي تقدر عليه الرسل واتباعهم قال

الله

الله تعالى ولكل قوم هاد وقال وانك لتهدي الى صراط مستقيم فاثبت
لهم الدلاله والدعوة والتنبيه وتفرد هو سبحانه بالهدى الذي
معناه التاييد والتوفيق فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم انك لا تهدي
من احببت ولكن الله يهدي من يشا فالهدى على هذا يجي يعني يخلق الايمان
في قلوبهم ومنه قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم على ما ياتي بيانه
والهدى والاهتدى ومعناه راجع الى معنى الارشاد كيف ما
تصرفت قال ابو المعالى وقد يرد الهداية بها ارشاد المومنين
الى مسالك الجنان والطرق المفضيه اليها من ذلك قوله تعالى في صفه
المجاهدين فلن يضل اعمالهم سيهديهم ومنه قوله تعالى فاهدوهم
الى صراط الجحيم معناه فاسلكوهم اليها الهدى
لفظ مونث قال الفراء بعض بني اسد مونث الهدى فيقول هدي
حسنه وقال اللحياني هو مذكر ولم يعرف لانه مقصور والالف لا
تتحرك ويتعدى وبغير حرف وقد مضى في الفاتحه تقول هديته
الطريق والى الطريق والدار والى الدار اي عرفته الاولى لغه
اهل الحجاز والثانيه حكاها الاخفش وفي التنزيل اهدنا الصراط
المستقيم والحمد لله الذي هدانا لهذا وقيل ان الهدى اسم من
اسما النهار لان الناس يهتدون فيه لمعايشهم وجميع ماربهم
قوله تعالى للمتقين خص تعالى المتقين بهدايته وان
كان هدى للخلق اجمعين تشريفا لهم لانهم امنوا وصدقوا
بما فيه وروى عن ابي روق انه قال هدى للمتقين اي كرامة لهم
يعني انما اضافه اليهم اجلالا لهم وكرامة لهم وبيانا لفضلهم وقيل

انما اضافه للمتقين لانتفاعهم به دون الكفار وهو هوله انما انت منذر من يخشاها وان كان نذيرا للكل وقيل اراد هدى للمتقين والكفار فاكتفى بذكر احد الفريقين وهو كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر والبرد ولهذا قال في موضع اخر هدى للناس واصل المتقين الموتقيين بيائين مخففتين حذفت الكسرة من اليا الاولى لثقلها ثم حذفت اليا لالتقا الساكنين وابدلت الواو تا على اصلهم في اجتماع الواو واليا وادغمت التا في التا فصار المتقين

التقوى يقال اصلها في اللغة قلة الكلام حكاه بن فارس في المجمل قلت ومنه قول عمر بن عبد العزيز المتقي ملجم كالمحرم في الحرم والتقوى اصلها وقوى على وزن فعلى فقلبت الواو تا من وقيته اقيه اي منعته ورجل تقي اي خائف اصله وقي وكذلك تقاة كانت في الاصل وقاة كما قالوا تجاه وتراث والاصل وجاه ووراث وكذلك التكلان اصلها وكلان من وكلت والتخمة اصلها وخمة من وخم الطعام اذا لم يستمر

واختلف العلما في معنى التقوى وهي حقيقة المتقي وهي

فقال النبي صلى الله عليه وسلم جماع التقوى في قول الله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية ذكره الثعلبي قلت التقوى فيها جماع الخير كله وهي وصية الله في الاولين والاخرين وهي خير ما يستفيده الانسان كما قال ابو الدردا رضي الله عنه وقد قيل له ان اصحابك يقولون الشعر وانت ما حفظ عنك شي فقال يريد المرء ان يوتى مناه ويابى الله الا ما ارادا يقول المرء فايدتي ومالي وتقوى الله افضل ما استفادا وروى بن ماجة في سننه عن ابي امامة عن النبي صلى الله

عليه وسلم انه كان يقول ما استفاد المرء بعد تقوى الله خيرا له من
زوجة صالحة ان امرها اطاعته وان نظر اليها سرته وان اقسم عليها ابرته
وان غاب عنها نصحته في نفسها وماله في المتقي من هو
فقيل المتقي فوق المومن والطايع وهو الذي يتقي بصالح عمله وخالص دعايه
عذاب الله تعالى ماخوذ من اتقى المكروه بما جعله حاجزا بينك وبينه كما
قال النابغه سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا
باليد ،، وقال الاخر فالقت قناعا دونه الشمس واتقت
باحسن موصولين كف ومعصم وقال ابن عباس المتقي الذي يتقي الشرك
والكباير والفواحش وقيل الذي اتقى الشرك وبرئ من النفاق قال
ابن عطية وهذا فاسد لانه قد يكون كذلك وهو فاسق وقال
عمر بن الخطاب لكعب الاحبار حدثني عن التقوى فقال هل
اخذت طريقا ذا شوك قال نعم قال فماذا عملت فيه قال
حذرت وتشمرت قال كعب ذلك التقوى اخذ هذا المعنى عبد الله
بن المعتز فنظمه خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقوى واصنع
كماش فوق ارض الشوك يحذر ما يرى لا تحقرن صغيرة ان الجبال
من الحصا وقال ابو يزيد البسطامي المتقي من اذا قال قال لله ومن
اذا عمل عمل لله وقال ابو سليمان الداراني المتقون الذين نزع الله من
قلوبهم حب الشهوات وقال سفيان الثوري وفضيل هو الذي يحب
للناس ما يحب لنفسه وقال الترمذي محمد بن علي هو الذي لا خصم
له في الاخرة وخرج ابو محمد عبد الغني الحافظ من حديث سعيد بن
زربي ابي عبيدة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود قال

مطلب في معنى التقوى

قال يوما لابن اخيه يا ابن اخي ترى الناس ما اكثرهم قال نعم قال لاخير
فيهم الا تايب او تقي ثم قال يا ابن اخي ترى الناس ما اكثرهم قلت بلى
قال لاخير فيهم الا عالم او متعلم وقال سهل المتقي من برا من حوله
وقوته وقيل المتقي هو الذي اجتمع فيه تصديق القلب وعبادة البدن
وعبادة الله وعبادة المال قلت وهذا قول حسن وهو معنى
القول الاول وقيل غير هذا الذين يومنون
بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون فيه ست وعشر
ون مسئله قوله تعالى الذين يومنون بالغيب في موضع خفض
نعت للمتقين ويجوز القطع على الرفع اي هم الذين ويجوز النصب
على المدح وقد تقدم ما فيه من اللغات ويومنون يصدقون
والايمان في اللغة التصديق وفي التنزيل وما انت بمومن لنا اي
بمصدق ويتعدي بالبا كما في هذه الايه وباللام كما قال فما امن
لموسى ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم وروى حجاج بن حجاج الاحول
ويلقب بزق العسل قال سمعت قتادة يقول يا ابن ادم ان كنت
لا تريد ان تاتي الخير الا عن نشاط فان نفسك مايله الى السامه والفترة
والمله ولكن المومن هو المتحامل والمومن هو المتقوي هو المتسدد
وان المومنين هم العاجون الى الله الليل والنهار ووالله ما يزال المومن
يقول ربنا في السر والعلانيه حتى استجاب في السر والعلانيه
قوله بالغيب الغيب في كلام العرب كلما غاب عنك
وهو من ذوات اليا يقال منه غابت الشمس تغيب والغيبه معروفه
واغابت المراة فهي مغيبه اذا غاب عنها زوجها ووقعنا في غيبه وغيابه

اي

اي هبطة من الارض والغابة الاجمة وهي جماع الشجر يغاب فيها وسمي
المطمين من الارض الغيب لانه غاب عن البصر واختلف
المفسرون في تاويل الغيب هنا فقالت فرقة الغيب في هذه الاية
الله عز وجل وضعفه ابن العربي في احكامه وقال اخرون القضا والا
والقدر وقال اخرون القران وما فيه من الغيوب وقال
اخرون الغيب كل ما اخبر به الرسول مما لا تهتدي اليه العقول
من اشراط الساعة وعذاب القبر والحشر والنشر والصراط
والميزان والجنة والنار قال ابن عطية وهذه الاقوال لا تتعارض
بل يقع الغيب على جميعها قلت على هذا الايمان بالغيب الايمان بالله
وجميع ما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الايمان
الشرعي المشار اليه في حديث جبريل عليه السلام حين لقي النبي عليه
السلام فاخبرني عن الايمان قال ان تومن بالله وكتبه ورسله واليو م
الاخر وتومن بالقدر خيره وشره قال صدقت وذكر الحديث
خرجه مسلم وذكر الانباري قال ثنا ايوب بن يعقوب القاضي قال ثنا بن
ثنا محمد بن ابي بكر قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفين عن الاعمش
عن عمارة عن حريث عن ظهير عن عبد الله قال ما امن مومن افضل
من ايمان بغيب ثم قرا الذين يومنون بالغيب قلت وفي التنزيل
وما كنا غايبين وقال الذين يخشون ربهم بالغيب فهو سبحانه غا
عن الابصار غير مري في هذه الدار غير غايب بالنظر والاستد
لال فهم يومنون ان لهم ربا قاهرا مجازيا على الاعمال فهم
يخشونه في سرايرهم وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس

لعلمهم باطلاعه عليهم لا كالمنافقين الذين اذا خلوا الى شياطينهم
قالوا انا معكم وعلى هذا سهو الاي ولا تعارض والحمد لله وقيل
بالغيب اي بضمايرهم وقلوبهم بخلاف المنافقين وهذا قول حسن وقال
الشاعر وبالغيب امنا وقد كان قومنا يصلون للاوثان قبل محمد

قوله تعالى ويقيمون الصلاة معطوف جملة على جملة واقامة
الصلاة اداوها باركانها وسننها وهياتها في اوقاتها على ما ياتي بيانه يقال
قام الشي اي دام وثبت وليس من القيام على الرجل وانما هو من قولك
قام الحق اي ظهر وثبت واقام القوم سوقهم اذا استعملوها ولم يعطلوها
وقامت الحرب على ساق قال الشاعر وقامت الحرب بنا على ساق وقال
اخر اذا اقامت غزاله سوق الضراب لاهل العراقين حولا من قيطا والقيط
الحول التام وقال اخر واذا اقال انتم لم يبرح واحي بهم الخيل سوق
طعان وقيل يقيمون يديمون واقامه اي ادامه والى هذا المعنى اشار
بقوله من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها
اضيع ذكر الله تعالى الصلاة واقامتها مجمله غير مفسره
واحال في البيان على نبيه صلى الله عليه وسلم على ما تقدم في مقدمة الكتاب
واذا كان كذلك فلم يكن بد من ذكر ذلك فاقول اقامة الصلاة معروفة
وهي سنة عند الجمهور وانه لا اعادة على تاركها وعند الاوزاعي وعطا
ومجاهد وابن ابي ليلى واجبة وعلى من تركها الاعادة وبه قال
اهل الظاهر وروي عن مالك واختاره ابن العربي قال لان في حديث
الاعرابي واقم فامره بالاقامة كما امره بالتكبير والاستقبال والوضوء
قال فاما انتم الان فقد وقفتم على الحديث فقد تعين عليكم ان

تقولوا

تقولوا نا احدي روايتي ملك الموافقه للحديث وهو ان الاقامة
فرض قال بن عبد البر قوله صلى الله وسلم وتحريمها التكبير دليل على انه
لم يدخل في الصلاه من لم يحرم فما كان قبل الاحرام فحكمه ان لا تعاد
منه الصلاه الا ان يجمعوا على شي فيسلم للاجماع كالطهارة والقبله والوقت
ونحو ذلك وقال بعض علمائنا من تركها عمدا اعاد الصلاه وليس
لوجوبها اد لو كان ذلك لاستوى سهوها وعمدها وانما ذلك للاستخفاف
بالسنن والله اعلم واختلف العلما فيمن سمع الاقامه
هل يسرع ام لا فذهب الاكثر الى انه لا يسرع وان خاف فوت الركعه لقوله
عليه السلام اذا اقيمت الصلاه فلا تاتوها تسعون واتوها تمشون
وعليكم السكينه فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا رواه ابو
هريره اخرجه مسلم وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا ثوب بالصلاه فلا يسع اليها احدكم ولكن ليمش وعليه السكينه
والوقار صل ما ادركت واقض ما سبقك وهذا نص ومن جهه المعنى
انه اذا اسرع انبهر فشوش عليه دخوله في الصلاه وقراتها وخشوعها
وذهب جماعه من السلف منهم بن عمر وبن مسعود على اختلاف عنه
انه اذا خاف فواتها اسرع وقال اسحق يسرع اذا خاف فوات الركعه
وروي عن ملك نحوه وقال لا باس لمن كان على فرس ان يحرك الفرس وتاوله
بعضهم على الفرق بين الماشي والراكب لان الراكب لا يكاد ينبهر كما
ينبهر الماشي قلت واستعمال سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في كل حال اولى فيمشي كما جا الحديث وعليه السكينه والوقار لانه في
صلاه ومحال ان يكون خبره صلى الله عليه وسلم على خلاف ما اخبر كما ان

ان الداخل في الصلاه لزم والوقار والسكون لذلك الماشي حتى يحصل
التشبيه به فيحصل له ثوابه ومما يدل على صحه هذا ما دكرناه من السنه
وما خرجه الدارمي في مسنده قال احمد بن محمد بن يوسف قال ثنا سفين
عن محمد بن عجلان عن المقبري عن كعب بن عجرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا توضات ثم عمدت الى المسجد فلا تشبكن بين اصابعك فانك في
صلاه خرجه ابو داود ايضا فمنع صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وهو
صحيح مما هو اقل من الاسراع وجعله كالمصلي وهذه السنن تبين معنى قوله
تعالى فاسعوا الى ذكر الله وانه ليس المراد به الاسراع على الاقدام وانما عني
به العمل والفعل هكذا فسره مالك وهو الصواب في ذلك والله اعلم
واختلف العلما في تاويل قوله عليه السلام وما فاتكم
فاتموا وقوله فاقض ما سبقك هل هما بمعنى واحد او لا فقيل هما بمعنى
واحد وان القضا قد يطلق ويراد به التمام قال الله تعالى فاذا قضيت
الصلاة وقال فاذا قضيتم مناسككم وقيل معناهما مختلف وهو
الصحيح ويترتب على هذا الخلاف خلاف فيما يدركه الداخل هل هو اول
صلاته او اخرها فذهب الى الاول جماعة من اصحاب مالك منهم ابن
ابن القاسم ولكنه يقضي ما فاته بالحمد وسورة فيكون بانيا في
قاضيا في الاحوال قال ابن عبد البر وهو المشهور وقال ابن خواز منداد
وهو الذي عليه اصحابنا وهو قول الاوزاعي والشافعي ومحمد بن الحسن
واحمد بن حنبل والطبري وداود بن علي وروى اشهب وهو الذي ذكر
ابن عبد الحكم عن مالك ورواه عيسى عن ابن القاسم عن مالك ان ما
ادرك فهو اخر صلاته وانه يكون قاضيا في الافعال والاقوال

وهو قول

وهو قول الكوفيين قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب وهو مشهور
مذهب مالك قال بن عبد البر من جعل ما ادرك اول صلاته فا
راعوا الاحرام لانه لا يكون الا في اول الصلاه والتشهد والتسليم
لا يكون الا في اخرها من ها هنا قالوا انما ادرك فهو اول صلاته مع
ما ورد من السنه في ذلك من قوله فاتموا قالوا والتمام هو الاخر
واحتج الاخرون بقوله فاقضوا والذي يقضيه هو الفايت الا
ان روايه من روى فاتموا اكثر وليس يستقيم على قول من قال ان ما
ادرك اول صلاته ويطرد الا ما قاله عبد العزيز بن ابي سلمه الما
والمزني واسحاق وداود من انه يقرا مع الامام بالحمد وسورة ان ادرك
ذلك معه واذا قام للقضا قرا بالحمد وحدها فهولا اطرد على
اصلهم قولهم وفعلهم رضى الله عنهم الاقامه تمنع من
ابتدا صلاة نافله لقوله صلى الله عليه وسلم اذا اقيمت الصلاة
فلا صلاه الا المكتوبه رواه الايمه من حديث ابي هريرة واختلف
واختلف العلما فيمن دخل المسجد ولم يكن ركع ركعتي الفجر ثم اقيمت
الصلاه فقال مالك يدخل مع الامام ولا يركعهما وان كان لم يدخل
المسجد فان لم يخف فوات ركعة فليركع خارج المسجد ولا يركعهما
في شي من افنية المسجد التي يصلي فيها الجمعة اللاصقه بالمسجد وان
خاف ان يفوته الركعة الاولى فليدخل وليصل معه ثم يصليهما
اذا طلعت الشمس ان احب ولان يصليهما اذا طلعت الشمس
احب الي وافضل من تركهما وقال ابو حنيفه واصحابه ان خشي
ان تفوته الركعتان ولا يدرك الامام قبل رفعه من الركوع

ظنهم

ح جميع

ك

١١٨٠

في الثانيه دخل معه وان رجا ان يدرك ركعه صلى ركعتي الفجر
خارج المسجد ثم يدخل مع الامام وكذلك قال الاوزاعي
الا انه يجوز ركوعهما في المسجد ما لم يخف فوات الركعه الاخره
وقال الثوري ان خشي فوات ركعه دخل معهم ولم يصلهما والا
صلاهما وان كان قد دخل المسجد وقال الحسن بن حي ويقال
ابن حيان اذا اخذ المقيم في الاقامه فلا تطوع ركعتي الفجر وقال
الشافعي من دخل المسجد وقد اقيمت الصلاه دخل مع الامام ولم
يركعهما لا خارج المسجد ولا في المسجد وكذلك قال الطبري
وبه قال احمد بن حنبل وحكي عن مالك وهو الصحيح لقوله عليه السلام
اذا اقيمت الصلاه فلا صلاة الا المكتوبه وركعتا الفجر اما سنة
واما فضيله واما رغيبه والحجة عند التنازع السنه ومن حجة قول
مالك المشهور وابي حنيفه ما روي عن ابن عمر انه جا والامام يصلي
صلاة الصبح فصلاهما في حجرة حفصه ثم انه صلى مع الامام ومن
حجة الثوري والاوزاعي ما روي عن عبد الله بن مسعود مصدق
ويكذب فالمصدق يصدق بغير قسم والمكذب لا يصدق
مع القسم قيل له القران نزل بلغة العرب والعرب اذا اراد
بعضهم ان يوكد كلامه اقسم على كلامه والله تعالى اراد
ان يوكد عليهم الحجه فلا قسم ان القران من عنده وقال قتاده
في قوله الر اسم من اسما القران وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم
الحروف واوايل السور هي اسما للسور المفتتحه بها وان كان قد
يتكرر في مواضع فالتمييز يقع بما بعده نحو الم ذلك الكتاب

وحم

وحم عسق ونحوها وقال ابو العاليه ليس منها حرف الا وهو مفتاح
اسم من اسما الله عز وجل وليس منها حرف الا وهو في الايه
وبالايه وليس منها حرف الا وهو في مده قوم واجال اخرين
وقال بعضهم الراى انزلت عليك هذا الكتاب من اللوح المحفو ط
وقيل انها اظهار الاعجاز القران وصدق محمد عليه السلام والاشاره
فيه ان الله تعالى نبه العرب وتحداهم فقال اني انزلت هذا الكتاب
من جمله الحروف الثمانيه والعشرين التي هي لغتكم ولسانكم وعليها
مباني كلامكم فان زعمتم ان محمد هو يقوله من تلقا نفسه فاتوا بمثله
او بعشر سور من مثله او بسوره مثله فلما عجزوا عن ذلك بعد
التحدي ثبت انه معجز قاله المبرد وجماعه من المعاني وهو معنى قول
قطرب والفرا كما ذكرنا وهو قول حسن وروي الكلبي عن
ابي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله قال مر ابو ياسر بن اخطب ة
برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحه الكتاب وسوره
البقره الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فاتى اخاه حيي بن اخطب
في رجال من يهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما
انزل عليه الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فقالوا انت سمعته
قال نعم فمشى حيي بن اخطب في اوليك النفر من اليهود الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم الم تذكر انك تتلو فيما انزل عليك
الم ذلك الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقال
اجاك بها جبريل من عند الله فقال نعم فقالوا لقد بعث الله قبلك
انبيا ما نعلمه بين لنبي منهم ما مده ملكه وما اجل امته غيرك فقال

حيي بن اخطب واقبل على من معه من اليهود فقال الالف واحد واللام
ثلثون والميم اربعون سنه وهذه احدى وسبعون سنه تدخلون
في دين نبي انما مده ملكه واجل امته احدى وسبعون سنة ثم
اقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هل كان مع هذا
غيره فقال نعم قال ماذا قال المص قال هذه اثقل واطول
الالف واحد واللام ثلاثون والميم اربعون والصاد ستون فهذه
احدى وثلاثون ومائة سنة فهل مع هذا يا محمد غيره قال نعم الر
قال هذه اثقل واطول الالف واحد واللام ثلاثون والرا مائتان
فهذه احدى وثلثون ومائتا سنة فهل مع هذا غيره قال نعم المر قال
هذه اثقل واطول الالف واحد واللام ثلثون والميم اربعون والراء
مائتان فهذه احدي وسبعون ومائتا سنة ثم قال لقد التبس علينا
امرك يا محمد حتى ما ندري اقليلا أُعْطِيتَ ام كثيرًا ثم قاموا عنه
فقال ابو ياسر لاخيه حيي بن اخطب ولمن معه من الاحبار وما يدريكم
لعله قد جمع هذا كله لمحمد احدي وسبعون واحدى وثلاثون ومائة
واحدى وثلثون ومائتان واحدي وسبعون ومائتان فذلك سبع مائة
سنه واربع سنين قالوا لقد تشابه علينا امره فيزعمون ان هذه الايات
نزلت فيهم هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن
ام الكتاب واخر متشابهات ذكره الماوردى قال ويحتمل ان يكون
معنى الم اي الم بكم ذلك الكتاب لا ريب فيه اي نزل عليكم قال
الشاعر أَلَمَّتْ فَحَيَّتْ ثُمَّ قامت فودعتْ فلما تولتْ كادتِ النَّفسُ
تَزهقُ وَالإِلْمامُ الزِّيادةُ نعبر عنه بالالمام لان جبرئيل عليه السلام نزل

به نزول الزايد وتلفظ بحروف هجايه لانه في الكلام الخم وفي النفوس
اعظم والم ثلاثة حروف في الخط وتسعة في الاصل وثمانية في اللفظ
لادغام اخر اللام في اول الميم وقال بعض اهل العلم في الم والر والمر
وكهيعص والمص وطه وطسم وطس وصاد وحم وقاف
ونون هي حروف افتتح الله بها السور ومعناها معروف
عنده مغيب عن الناس وجميع الخلق ليؤمن بها من يؤمن
على اشتباه معناها عنه فيشهد ويكفر بها الكافر ويشك بها
الشاك فيشقى ويبعد فهي وما اشبهها اختبار من الله تعالى
كما اختبر قوم طالوت بالماء فسعد من اطاع وهو لا يعرف
علة ما منع منه وشقي من خالفه وابى ان يطيع ويستعمل الا ما
له العلة فيه قلت وهذا معنى القول الاول وهو احسنها
ان شاء الله لانه مروي عن الخلفاء الاربعة كما ذكرنا والوقف على
هذه الحروف على السكون لنقصانها الا اذا اخبرت عنها
او عطفتها فانك تعربها واختلف هل لها محل من الاعراب وهي
المسئلة الثانية فقيل انها ليست اسماء متمكنة انه دخل المسجد
وقد اقيمت الصلاة فصلى الى اسطوانة المسجد ركعتي الفجر ثم
دخل الصلاة بحضر من حذيفة وابي موسى قالوا واذا جاز ان
يشتغل بالنافلة عن المكتوبة خارج المسجد جاز له ذلك في المسجد
وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مالك بن بحينة قال اقيمت صلاة
الصبح فراى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يصلي
والمؤذن يقيم فقال اتصلي الصبح اربعا قال علماؤنا وهذا انكار

منه عليه السلام على الرجل لصلاته ركعتي الفجر في المسجد والامام يصلي وقد يمكن ان يستدل به ايضا على ان ركعتي الفجر ان وقعت في تلك الحال صحت لانه عليه السلام لم يقطع عليه صلاته مع تمكنه في ذلك والله اعلم قوله تعالى الصلاة الصلاة في اللغة الدعا ماخوذة من صلى يصلي اذا دعا ومنه قوله عليه السلام اذا دعي احدكم الى طعام فليجب فان كان مفطرا فليطعم وان كان صايما فليصل اي فليدع وقد حمله بعض العلما على ان المراد الصلاة المعروفة فيصلي ركعتين وينصرف والاول اشهر وعليه من العلما الاكثر ولما ولدت اسما عبد الله بن الزبير ارسلته الى النبي صلى الله عليه وسلم قالت اسما ثم مسحه وصلى عليه اي دعا له وقال تعالى وصل عليهم اي ادع لهم وقال الاعشى تقول بنتي وقد قربت مرتحلا يا رب جنب ابي الاوصا والوجعا عليك مثل الذي صليت فاغتمضي نوما فان لجنب المرء مضطجعا وقال الاعشى ايضا وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم يقال ارتسم الرجل كبر ودعا قاله في الصحاح وقال قوم هي ماخوذة من الصلا وهو عرق في وسط الظهر ويفترق عند العجب فيكتنفه ومنه اخذ المصلي في سبق الخيل لانه ياتي في الحلبة وراسه عند صلوي السابق فاشتقت الصلاة اما لانها جاءت ثانية للايمان فشبهت بالمصلي من الخيل واما لان الراكع يثني صلواه والصلا مغرس الذنب من الفرس والاثنان صلوان والمصلي تالي السابق لان راسه عند صلاه وقال علي رضي الله عنه سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ابو بكر وثلث عمر وقيل هي ماخوذة من

اللزوم

اللزوم ومنه صلى بالنار اذا لزمها ومنه يصلى نارا حاميه وقال الحرث
بن هناد لم اكن من جناتها علم الله واني لحرها اليوم صالي اي ملازم لحربها ويروى
لحرها وكان المعنى على هذا ملازمه العبد العبادة على الوجه الذي امر
الله تعالى به وقيل هي ماخوذة من صليت العود بالنار اذا قومته
ولينته بالصلا والصلا صلا النار بكسر الصاد مد ودفكان المصلي يقوم
نفسه بالمعاناه فيها ويلين ويخشع قال الخازرجي فلا تعجل بامرك واستدم
لما صلى عصاك مستديم فالصلاه الدعا والصلاه الرحمه ومنه اللهم
صل على محمد الحديث والصلاة العبادة ومنه قوله تعالى فلولا انه
كان من المسبحين اي من المصلين ومنه سبحة الضحى وقد قيل في
تاويل قوله تعالى فسبح بحمد ربك اي صل وقوله نسبح بحمد ربك
اي نصلي والصلاه القراه ومنه قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك فهو
لفظ مشترك وحكى بن فارس اللغوي في كتاب المجمل ان الصلاه بيت
يصلى فيه وقد قيل ان الصلاه اسم علم وضع لهذه العبارة فان الله
تعالى لم يخل زمان من شرع ولم يخل شرع من صلاة حكاه ابو نصر
عبد الرحيم القشيري قلت فعلى هذا القول لا اشتقاق لها وعلى
قول الجمهور وهي اختلف الاصوليون هل هي مبقاه
على اصلها اللغوي الوضع الابتداي وكذلك الايمان والزكاه
والصيام والحج والشرع انما تصرف بالشروط والاحكام واهل
تلك الزيادة من الشرع يصيرها موضوعة كالوضع الابتداي
من قبل الشرع هنا اختلافهم والاول اصح لان الشريعه ثبتت
بالعربيه والقران نزل بلسان عربي مبين ولكن العرف يحكم في الاسما

فالدابه وقعت لكل ما يدب ثم خصصها العرف بالبهايم فكذلك
العرف الشرعي محكم في الاسما والله اعلم واختلف
في المراد بالصلاة هنا فقيل الفرايض وقيل الفرايض والنوافل معا
وهو الصحيح لان اللفظ عام والمتقي ياتي بهما
الصلاة سبب للرزق قال تعالى وامر اهلك بالصلاة الاية على ما
ياتي بيانه اخر طه ان شا الله وشفا من وجع البطن وغيره روى ابن ماجه
عن ابي هريرة قال هجر النبي صلى الله عليه وسلم فهجرت فصليت ثم
جلست فالتفت الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشكنب درد قلت نعم
يا رسول الله قال قم فصل فان في الصلاة شفا في رواية اشكنب درد يعني
يشتكي بطنك بالفارسية وكان عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلاة
الصلاة لا تصح الا بشروط وفروض فمن شروطها الطهارة
وسياتي بيان احكامها في النسا والمايدة وستر العورة ياتي في الاعراف القول
فيها ان شا الله واما فروضها فاستقبال القبلة والنية وتكبيرة الاحرام والقيام
لها وقراة ام القران والقيام لها والركوع والطمانينة فيه ورفع الراس من الركوع
والاعتدال فيه والسجود والطمانينة فيه ورفع الراس من السجود والجلوس
بين السجدتين والطمانينة فيه والسجود الثاني والطمانينة فيه والاصل في هذه
الجملة حديث ابي هريرة في الرجل الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة لما
اخل بها فقال اذا قمت الى الصلاة فاسبغ الوضو ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرا
ما تيسر معك من القران ثم اركع حتى تطمين راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قايما ثم
اسجد حتى تطمين ساجدا ثم ارفع حتى تطمين جالسا ثم افعل ذلك في صلاتك كلها
خرجه مسلم والبخاري ومثله حديث رفاعة بن رافع اخرجه الدارقطني وغيره

فبين صلى الله عليه وسلم اركان الصلاه وسكت عن الاقامة ورفع اليدين
وعن حد القراه وعن تكبير الانتقالات وعن التسبيح في الركوع والسجود وعن
الجلسة الوسطى وعن التشهد وعن الجلسة الاخيره وعن السلام اما الاقامة
وتعيين الفاتحة وهي فقد مضى الكلام فيها واما رفع اليدين
وهي فليس بواجب عند جماعه العلما وعامة الفقها لحديث
ابي هريره ورفاعه بن رافع وقال بعض اصحاب داود بوجوب ذلك عند
تكبيرة الاحرام وقال بعض اصحابه الرفع عند الاحرام وعند الركوع وعند
الرفع من الركوع وان لم يرفع يديه فصلاته باطلة وهو قول الحميدي ورواية
عن الاوزاعي واحتجوا بقوله عليه السلام صلوا كما رايتموني اصلي خرجه البخاري
قالوا فوجب علينا ان نفعل ما رايناه يفعل لانه المبلغ عن الله مراده واما
التكبير ما عدا تكبير الاحرام وهي مسنون عند الجمهور
وكان ابن القاسم صاحب مالك يقول من اسقط من التكبير في الصلوات ثلاث
تكبيرات فما فوقها سجد للسهو قبل السلام وان لم يسجد بطلت صلاته وان
نسي تكبيرة واحدة او اثنتين سجد ايضا للسهو فان لم يفعل فلا شي عليه وروي
عنه ان التكبيرة الواحدة لا سهو على من سهى فيها وهذا يدل على ان عظم
التكبير وجملته عنده فرض وان اليسير منه متجاوز عنه وقال اصبغ بن
الفرج وعبد الله بن عبد الحكم ليس على من لم يكبر في الصلاة من اولها الى اخرها
شي اذا كبر تكبيرة الاحرام فان تركه ساهيا سجد للسهو فان لم يسجد فلا
شي عليه ولا ينبغي لاحد ان يترك التكبير عامدا لانه سنه من سنن الصلاه فان
فعل فقد اسا ولا شي عليه والصلاة ماضية قلت هذا هو الصحيح وهو
الذي عليه جماعة فقها الامصار من الشافعيين والكوفيين وجماعة اهل الحديث

والمالكيين غير من ذهب بن القاسم وقد ترجم البخاري رحمه الله باب اتمام
التكبير في الركوع والسجود وساق حديث مطرف بن عبد الله قال صليت
خلف علي بن ابي طالب رضي الله عنه انا وعمران بن حصين فكان اذا سجد كبر واذا
رفع راسه كبر واذا نهض من الركعتين كبر فلما قضى الصلاة اخذ بيدي عمران بن حصين
فقال لقد ذكرني هذا صلاة محمد صلى الله عليه وسلم او قال لقد صلى بنا صلاة
محمد صلى الله عليه وسلم وحديث عكرمة قال رايت رجلا عند المقام يكبر في
كل خفض ورفع واذا قام واذا وضع فاخبرت بن عباس فقال اوليس تلك صلاة
النبي صلى الله عليه وسلم لا ام لك فذلك البخاري يدل على ان التكبير لم يكن
معمولا به عندهم وروى ابو اسحق السبيعي عن يزيد بن ابي مريم عن ابي موسى
الاشعري قال صلى بنا علي يوم الجمل صلاة اذكرنا بها صلاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يكبر في كل خفض ورفع وقيام وقعود قال ابو موسى فاما نسيناها
او تركناها عمدا قلت افترا هم اعادوا الصلاة فكيف يقال من ترك التكبير بطلت
صلاته ولو كان ذلك لم يكن فرق بين السنة والفرض والشي اذا لم يجب افراده
لم يجب جمعه وبالله التوفيق واما التسبيح في الركوع والسجود وهي
فغير واجب عند الجمهور للحديث المذكور واوجبه
اسحق بن راهويه وان من تركه اعاد الصلاة لقوله عليه السلام اما الركوع
فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا في الدعا فقمن ان يستجاب لكم خرجه
مسلم وغيره واما الجلوس والتشهد وهي فاختلف العلما
في ذلك فقال ملك واصحابه الجلوس الاول والتشهد له سنتان واوجب
جماعة من العلما الجلوس الاول وقالوا هو مخصوص من بين سائر الفروض
بان ينوب عنه السجود كالعرايا من المزابنة والقراض من الاجارات

وكالوقوف

وكالوقوف بعد الاحرام لمن وجد الامام راكعا واحتجوا بانه لو كان سنه
ما كان العامد لتركه تبطل صلاته كما لا تبطل بترك سنن الصلاه احتج
من لم يوجبه بان قال لو كان من فرايض الصلاه لرجع الساهي اليه
حتى ياتي به كما لو ترك سجده او ركعه ويراعى فيه ما يراعى في الركوع
والسجود من الولا والرتبة ثم يسجد لسهوه كما يصنع من ترك
ركعة او سجده واتا بها وفي حديث عبد الله بن بحينه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قام من ركعتين ونسي ان يتشهد فسبح الناس
خلفه كيما يجلس فثبت قايما فلما فرغ من صلاته سجد سجدتي السهو
قبل السلام فلو كان الجلوس فرضا لم يسقطه النسيان ولا السهو
لان الفرايض في الصلاه يستوي في تركها السهو والعمد الا في الماثم
واختلفوا في حكم الجلوس الاخر وما الفرض من ذلك وهي
على خمسة اقوال ان الجلوس فرض والتشهد
فرض والسلام فرض وممن قال ذلك الشافعي واحمد بن حنبل في روايه وحكاه
ابو مصعب في مختصره عن ملك واهل المدينه وبه قال داود وقال
الشافعي من ترك التشهد الاول والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
فلا اعاده عليه وعليه سجدتا السهو لتركه واذا ترك التشهد الاخر
ساهيا او عامدا اعاد واحتجوا بان بيان النبي صلى الله عليه وسلم في
الصلاة فرض لان اصل فرضها مجمل يفتقر الى البيان الا ما خرج بدليل
وقد قال صلوا كما رايتموني اصلي القول الثاني ان الجلوس والتشهد
والسلام ليس بواجب وانما ذلك كله سنه مسنونه هذا قول
البصريين واليه ذهب ابراهيم بن عليه وصرح بقياس الجلسة الاخرة

اصل ٢١٨

على الاولى لخالف الجمهور وشذ الا انه يرى الاعادة على من ترك شيا من
ذلك لله قلت هذا قول متهافت متناقض كيف يكون مسنونا غير
واجب ثم يلزم من تركه الاعادة ومن حجتهم حديث عبد الله بن عمرو بن
العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رفع الامام راسه من اخر سجدة
في صلاته ثم احدث فقد تمت صلاته وهذا حديث لا يصح على ما قاله
ابو عمر وقد بيناه في كتاب القسمين القول الثالث ان الجلوس مقدار
التشهد فرض وليس التشهد ولا السلام بواجب فرضا قاله ابو حنيفه
واصحابه وجماعة من الكوفيين واحتجوا بحديث بن المبارك عن
الافريقي عبد الرحمن بن زياد وهو ضعيف وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا جلس احدكم في اخر صلاته فاحدث قبل ان يسلم فقد تمت صلاته
قال بن العربي وكان شيخنا في الاسلام يفتي نا في الدرس ⁂ ويرى
الخروج من السلام بضرطة ابن الضراط من السلام عليكم ⁂ قال
بن العربي وسلك بعض علمائنا من هذه المسئلة فرعين ضعيفين اما احدهما فروى
عبد الملك عن عبد الملك ان من سلم من ركعتين متلاعبا لخروج البنيان انه
كان على اربع انه يجزيه وهذا مذهب اهل العراق بعينه واما الثاني فوقع
في الكتب المنبوذة ان الامام اذا احدث بعد التشهد متعمدا وقبل السلام
انه يجزي من خلفه وهذا مما لا ينبغي ان يلتفت اليه في الفتوى وان عمرت به المجالس
للذكرى القول الرابع ان الجلوس فرض والسلام فرض وليس التشهد بواجب
وممن قال بهذا مالك بن انس واصحابه واحمد بن حنبل في روايه واحتجوا بان
قالوا ليس شئ من الذكر يجب الا تكبيرة الاحرام وقراءة ام القران والسلام
قلت وهذا هو الصحيح في الباب لحديث عايشه قالت كان رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم يستفتح الصلاه بالتكبير والقراة بالحمد لله رب العالمين
الحديث وقد تقدم وفيه وكان يختم الصلاه بالتسليم والحديث علي رضى
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم خرجه ابوداود والترمذى رواه ابو
سفين الثورى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن الحنفية عن علي رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الصلاه الطهور
وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم وهذا الحديث اصل في ايجاب
التكبير والتسليم وانه لا يجزى عنهما غيرهما كما لا يجزي عن الطهاره غيرها
باتفاق والله اعلم القول الخامس الجلوس والتشهد واجبان وليس
السلام بواجب قاله جماعة منهم اسحق بن راهويه واحتج بحديث
بن مسعود حين علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد وقال له
اذا فرغت من هذا فقد تمت صلاتك وقضيت ما عليك قال
الدارقطني قوله اذا فرغت من هذا فقد تمت صلاتك اخرجه
بعضهم عن زهير في الحديث ووصله بكلام النبي صلى الله عليه وسلم
وفصله شبابه عن زهير وجعله من كلام بن مسعود وقوله اشبه بالصواب.
بقول من ادرجه في حديث النبي صلى الله عليه وسلم وشبابه ثقه
وقد تابعه غسان بن الربيع على ذلك فجعل اخر الحديث من كلام بن
مسعود ولم يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد زدنا هذا الباب.
بيانا في كتاب المقتبس لشرح موطا ملك بن انس والحمد لله
قال بن شهاب الزهرى وسعيد بن المسيب والاوزاعى
وعبد الرحمن وطايفه تكبيره الاحرام ليست بواجبه وقد روى عن ملك
في الماموم ما يدل على هذا القول والصحيح في مذهبه ايجاب تكبيره

الاحرام وانها فرض وركن من اركان الصلاه وهو الصواب وعليه الجمهور
ودل من خالف ذلك محجوج بالسنه وقد ذكرناها
واختلفوا في اللفظ الذي يدخل به في الصلاه فقال ملك
واصحابه وجمهور العلما لا يجزي الا التكبير لا يجزي منه تهليل
ولا تسبيح ولا تعظيم ولا تمجيد هذا قول الحجازيين واكثر
العراقيين ولا يجزي عند ملك الا الله اكبر لا غير ذلك وكذلك
الشافعي وزاد ويجزي الله الاكبر والله الكبير والحجه لملك حديث
عايشه وعلي رضي الله عنهما وقوله عليه السلام للاعرابي في حديث
ابي هريره وكبر وخرج بن ماجه قال حدثنا ابو بكر بن ابي شيبه
وعلي بن محمد الطنافسي قالا ثنا ابو اسامة قال حدثني عبد الحميد
بن جعفر قال ثنا محمد بن عمرو بن عطا قال سمعت ابا حميد الساعدي
يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاه
استقبل القبله ورفع يديه قال الله اكبر وهذا نص صريح وحديث
صحيح وفي صحيح مسلم من حديث عايشه في صلاه الكسوف وكان
اذا ركع قال الله اكبر ثم يركع وقال الشاعر رايت الله اكبر كل
شي مجاوزه واعظمه جنودا ثم انه يتضمن القدم وليس يتضمنه كبير
ولا عظيم فكان ابلغ في المعنى والله اعلم وقال ابو حنيفه ان افتتح بلا اله
الا الله يجزيه وان قال اللهم اغفر لي لم تجزه وبه قال محمد بن الحسن
وقال ابو يوسف لا يجزيه اذا كان يحسن التكبير وكان الحكم بن عتيبه
يقول اذا ذكر الله مكان التكبير اجزاه قال ابن المنذر ولا اعلمهم
يختلفون ان من احسن القراة فهلل وكبر ولم يقرا ان صلاته فاسده لمن

كان

كان هذا مذهبه فاللازم له ان يقول لا يجزيه فكان القراه غيرها
والله اعلم   اتفقت الامه على وجوب النيه مع
تكبيرة الاحرام الا شيء روي عن بعض اصحابنا ياتي الكلام عليه في الطهارة
ان شا الله وحقيقتها قصد التقريب الى الامر بفعل ما امر به على الوجه
المطلوب منه قال ابن العربي والاصل في النيه ان يكون عقد جامع
للتلبس بالفعل المنوي بها او قبل ذلك بشرط استصحابها فان تقدمت
النيه وطرت غفله فوقع التلبس بالعبادة في تلك الحاله لم يعتد بها كما
لم يعتد بالنية اذا وقعت بعد التلبس بالفعل وقد رخص في تقديمها في
الصوم لعظم الحرج في اقترانها باوله قال ابن العربي وقد قال ابو الحسن   لتمام
القروي بثغر عسقلان سمعت امام الحرمين يقول يحضر الانسان عند
التلبس بالصلاه النية ويجرد الناظر في الصانع وحدث العالم والنبوات
حتى ينتهي نظره الى نية الصلاه قال ولا يحتاج ذلك الى زمن طويل وانما
يكون ذلك في اوحى لحظة لان تعليم الجمل يفتقر الى الزمن الطويل وتذكارها   رها
يكون في لحظة ومن تمام النية ان يكون مستصحبه على الصلاه كلها
الا ان ذلك لما كان امرا يتعذر سمح الشرع في عزوب النيه في اثنائها
سمعت شيخنا ابو بكر الفهري بالمسجد الاقصى يقول قال محمد بن سحنون
رايت ابي سحنون ربما كمل الصلاه فيعيدها فقلت له ما هذا فقال
عزبت نيتي في اثنايها فلذلك اعدتها قلت فهذه جمله من احكام
الصلاه المسنه لمحملها في الكتاب في صلاها بفروضها وسننها حسب
ما ذكرنا فقد اداها عند الجميع وسياتي ما للعلما في الركوع وصلاه الجماعه
والمبادرة الى الاوقات وذكر القبله وبعض صلاه الخوف في هذه

السورة مبينا ان شا الله وياتي ذكر قصر الصلاه في السفر والخوف في
النسا والاوقات في هود وسبحان والروم وهل اتى على الانسان
وصلاه الليل في المزمل وهل اتى على الانسان ايضا وسجود التلاوه في
الاعراف وسجود الشكر في ص كل في موضعه ان شا الله تعالى

ومما رزقناهم ينفقون اعطيناهم والرزق

عند اهل السنه ما صح الانتفاع به حلالا كان او حراما خلافا للمعتزله في
قولهم ان الحرام ليس برزق لانه لا يصح تملكه وان الله لا يرزق
الحرام وانما يرزق الحلال والرزق لا يكون الا بمعنى الملك قالوا فلو
نشا صبي مع اللصوص ولم ياكل شيا الا ما اطعمه اللصوص الى ان بلغ وقوي
وصار لصا ثم لم يزل يتلصص وياكل ما تلصصه الى ان مات فان الله لم
يرزقه شيا اذ لم يملكه وانه يموت ولم ياكل من رزق الله شيا وهذا فاسد
والدليل عليه ان الرزق لو كان بمعنى التمليك لوجب ان لا يكون الطفل
مرزوقا ولا البهايم التي ترتع في الصحرا ولا السخال من البهايم لان لبن امهاتها
ملك لصاحبها دون السخال ولما اجتمعت الامة من السلف على ان الطفل
والسخال وساير البهايم مرزوقون وان الله تعالى يرزقهم مع كونهم غير
مالكين علم ان الرزق هو الغذا ولان الامه مجتمعه على ان العبيد والاما
مرزوقون وان الله تعالى يرزقهم مع كونهم غير مالكين فعلم ان الرزق
ما قلناه لا ما قالوه والذي يدل على انه لا رازق سواه قوله الحق هل
من خالق غير الله يرزقكم من السما والارض وقال ان الله هو الرزاق ذو
القوه المتين وقال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وهذا قاطع فالله
تعالى رازق حقيقة وابن ادم مرزوق تجوزا لانه يملك ملكا مبتدعا كما بيناه

أن

زم

بي

٢٢٤

في الفاتحه من ز و تحقيقه في البهايم التي لا ملك لها الا ان الشي اذا كان ماذونا له في تناوله فهو حلال حكما وما كان منه غير ماذ و ن له في تناوله فهو حرام حكما وجميع ذلك رزق وقد خرج بعض النبلا من قوله تعالى كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور قال فذكر المغفرة مشيرا الى ان الرزق قد يكون منه حرام

رزقنا هم الرزق مصدر

رزق يرزق رزقا ورزقا فالرزق بالفتح المصدر وبالكسر الاسم وجمعه ارزاق والرزق العطا والرازقيه ثياب كتان وارتزق الجند اخذوا ارزاقهم والمرزقه المرة الواحدة كذا قال اهل اللغة وقال ابن السكيت الرزق بلغه ازد شنوه الشكر ومنه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكركم التكذيب ويقول رزقني اي شكرني

قوله تعالى ينفقون يخرجون والانفاق اخراج المال من اليد ومنه نفق البيع اي خرج من يد البايع الى المشتري ونفق البيع نفاقا كثر طلابه ونفقت الدابه خرج روحها ومنه النافقا والنفقه فالهمزة جحر اليربوع الذي يخرج منه اذا اخذ من جهه اخرى وكذلك سمي ومنه المنافق لانه يخرج من الايمان او يخرج الايمان من قلبه ونفق السراويل معروف وهو مخرج الرجل منها ونفق المال بالكسر بمعنى فني وانفقه صاحبه وانفق القوم فني زادهم ومنه قوله تعالى اذا لامسكتم خشيه الانفاق

واختلف العلما في المراد بالنفقه هنا فقيل الزكاه المفروضه روي عن ابن عباس لمقارنتها الصلاه وقيل نفقه الرجل على اهله روي عن ابن مسعود لان ذلك افضل النفقه لما في صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبه ودينار تصدقت

به على مسكين ودينار انفقته على اهلك اعظمها اجرا الذي انفقته على اهلك
وروي عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل دينار
ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ودينار ينفقه على دابته في سبيل الله
ودينار ينفقه على اصحابه في سبيل الله قال ابو قلابة وبدا بالعيال واي
رجل اعظم اجرا من رجل ينفق على عيال صغار يعفهم او ينفعهم الله به
ويغنيهم وقيل المراد به صدقة التطوع روي عن الضحاك نظرا الى الزكاة
لا تاتي الا بلفظها المختص بها وهو الزكاة فاذا جاءت بلفظ غير الزكاة احتملت
الفرض والتطوع فاذا جاءت بلفظ الانفاق لم يكن الا التطوع قال الضحاك
كانت النفقة قربانا يتقربون بها الى الله عز وجل على قدر جهدهم حتى نزلت
فرايض الصدقات والناسخات في براءة وقيل انه الحقوق الواجبة العارضة في
الاموال ما عدا الزكاة لان الله تعالى لما قرنه بالصلاة كانت فرضا ولما
عدل عن لفظها كان فرضا سواها وقيل هو عام وهو الصحيح لانه خرج مخرج
المدح والانفاق مما رزقوا وذلك لا يكون الا من الحلال اي يوتون ما الزمهم
الشرع من زكاة وغيرها مما يعن في بعض الاحوال مع ما ندبهم اليه
وقيل الايمان بالغيب حظ القلب واقام الصلاة البدن ومما رزقناهم
حظ ينفقون حظ المال قلت هذا نفيس في معنى الاية وقال بعض
المتقدمين في قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون اي مما علمناهم يعلمون حكاه
ابو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري   والذين يومنون بما
انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون فيه اربع مسائل
قوله تعالى والذين يومنون قيل المراد مومنوا اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام وفيه نزلت ونزلت الاولى في مومني العرب وقيل

الايمان

الايمان جميعا في المومنين وعليه فاعراب الذين خفض على العطف ويصح ان يكون رفعا على الاستيناف اي وهم الذين ومن جعلهما في صنفين فاعراب الذين رفع بالابتدا وخبره اوليك على هدى ويحتمل الخفض عطفا

قوله تعالى بما انزل اليك يعني القران وما انزل من قبلك يعني الكتب السالفه بخلاف ما فعلته اليهود والنصارى حسب ما اخبر الله عنهم في قوله واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نومن بما انزل علينا الايه ويقال لما نزلت هذه الايه الذين يومنون بالغيب قالت اليهود والنصارى نحن امنا بالغيب فلما قال ويقيمون الصلاه قالوا نحن نقيم الصلاة فلما قال ومما رزقناهم ينفقون قالوا نحن نتصدق فلما قال والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك نفروا من ذلك وفي حديث ابي ذر قال قلت يا رسول الله كم كتابا انزل الله قال مايه كتاب واربعه كتب انزل الله على شيث خمسين صحيفه وعلى خنوخ ثلاثين صحيفه وعلى ابراهيم عشر صحايف وانزل على موسى قبل التوريه عشره صحايف وانزل التوريه والانجيل والزبور والفرقان اخرجه ابو الحسين الاجري وابو حاتم محمد بن حبان البستي وغيرهما ان قال قايل كيف يمكن الايمان بجميعها مع تنافي احكامها قيل له جوابان احدهما انه الايمان بان جميعها نزل من عند الله وهو قول من اسقط التعبد بما تقدم من الشرايع الثاني انه الايمان بما لم ينسخ منها وهو قول من اوجب التزام الشرايع المتقدمه على ما ياتي بيانه ان شا الله

قوله تعالى وبالاخره هم يوقنون اي بالبعث والنشر هم عالمون واليقين العلم دون الشك يقال منه يقنت الامر بالكسر يقنا وايقنت واستيقنت وتيقنت كله بمعنى وانا على يقين منه وانما صار

الا واوا في قولك موقن للضمة قبلها واذا صغرته رددته الى وقلت مييقن
والتصغير يرد الاشيا الى اصولها وكذلك الجمع وربما عبر واعن اليقين بالظن
ومنه قول علمايا في اليمين اللغو هو ان يحلف بالله على امر يوقنه ثم يتبين
له خلاف ذلك فلا شي عليه وقال الشاعر تحسب هواس واقبل انني بها
مفيد من واحد لا اغامر يقول لشمر الاسد ما تشتهي يظن انني بها مفيد
منه واسمحي نفسي باتركها له ولا اقتحم المهالك بمقابلته فاما الظن بمعنى
اليقين فورد في التنزيل وهو في الشعر كثير وسياتي والاخرة مشتقة من
التاخر لتاخرها عنا وتاخرنا عنها كما ان الدنيا مشتقة من الدنو على ما ياتي

تعالى اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون فيه اربع مسايل
قوله تعالى اوليك قال النحاس اهل نجد يقولون الال وبعضهم
يقول الالك والكاف للخطاب قال الكسايي من قال اولئك فواحده ذلك
ومن قال الالك فواحده ذلك واولالك مثل اوليك وانشد ابن السكيت
اولالك قومي لم يكونوا اشابه وهل يعظ الضليل الا اولالكا وربما قالوا
اوليك في غير العقلا قال الشاعر ذم المنازل بعد منزلة اللوي
والعيش بعد اولئك الايام وقال تعالى ان السمع والبصر والفواد كل
اولئك كان عنه مسولا   على هدى من ربهم فيه رد على القدرية
في قولهم يخلقون ايمانهم وهداهم تعالى الله عن قولهم ولو كان كما
قالوا لقال على هدى من انفسهم وقد تقدم الكلام فيه وفي الهدى معنا
لاعادة ذلك   قوله تعالى واولئك هم المفلحون هم يجوز ان
تكون مبتدا ثانيا وخبره المفلحون والثاني وخبره خبر الاول ويجوز ان تكون
هم زايدة والبصريون يسمونها فاصلة والكوفيون عمادا والمفلحون خبر اولئك

والفلاح

والفلاح اصله في اللغة الشق والقطع قال الشاعر ان الحديد بالحديد يفلح اي يشق ومنه فلاحة الارض انما هو شقها للحرث قاله ابو عبيد وكذلك سمي الاكار فلاحا ويقال للذي شقت شفته السفلى افلح وهو بين الفلحة وكان المفلح قد قطع المصاعب حتى نال المطلوب وقد يستعمل في الفوز والبقا وهو اصله ايضا في اللغة ومنه قول الرجل لامراته استفلحي بامرك معناه فوزي بامرك وقال الشاعر لو كان حي مدرك الفلاح ادركه ملاعب الرماح وقال الاضبط بن قريع السعدي في الجاهلية الجهلا لكل هم من الهموم سعة والمسي والصبح لا فلاح معه يقول ليس معه كر الليل والنهار بقا وقال اخر نحل بلادا كلها حل قبلنا ونرجوا الفلاح بعد عاد وحمير اي البقا وقال عبيد افلح بما شيت فقد يدرك بالضعف وقد يخدع الاريب اي ابق يبلغ مقام بما شيت من كيس وحمق فقد يرزق الاحمق ويحرم العاقل فمعنى معا واوليك هم المفلحون اي الفايزون بالجنة والباقون فيها وقال ابي ابي اسحق المفلحون هم الذين ادركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا والمعنى واحد وقد استعمل الفلاح في السحور ومنه الحديث حتى كاد يفوتنا الفلاح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت وما الفلاح قال السحور اخرجه ابو داود وكان معنى الحديث ان السحور به يقال الصوم فلهذا اسماه فلاحا والفلاح بتشديد اللام المكاري في قول القايل لها رطل تكيل الزيت فيه وفلاح يسوق لها حمارا ثم الفلاح في العرف الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب مسئلة

ان قال القايل كيف قرا حمزة عليهم واليهم ولديهم ولم يقرا من ربهم
ولا فيهم ولا جنبيهم فالجواب ان عليهم واليهم ولديهم اليا فيه
منقلبة من الف والاصل علاهم ولداهم والاهم فاترك الها
على ضمتها وليس ذلك في فيهم ولا من ربهم ولا جنبيهم ووافقه الكسايي
في عليهم الذلة واليهم اثنين على ما هو معروف من القراة عنهما
قوله تعالى ان الذين كفروا الاية لما ذكر المومنين واحوالهم ذكر
الكافرين وما لهم والكفر ضد الايمان وهو المراد في الاية وقد
تكون بمعنى جحود النعمة والاحسان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
في النسا في حديث الكسوف ورايت النار فلم ار منظرا كاليوم
قط افضع ورايت اكثر اهلها النسا قيل لم يا رسول الله قال
يكفرون بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو احسنت الي
احداهن الدهر كله ثم رات منك شيا قالت ما رايت منك خيرا
قط اخرجه البخاري وغيره واصل الكفر في كلام العرب الستر و
التغطية ومنه قول الشاعر في ليلة كفر النجوم غمامها اي سترها
ومنه سمي الليل كافرا لانه يغطي كل شي سوا قال الشاعر
فتذكرا ثقلا رثيدا بعدما القت ذكا يمينها في كافر ذكا
بضم الدال والمد اسم للشمس ومنه قول الاخر فوردت
قبل انبلاج الفجر وابن ذكا كامن في كفر اي في ليل والكافر
ايضا البحر والنهر العظيم والكافر الزارع والجمع كفار قال
الله تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته يعني الزراع لانهم يغطون
الحب ورماد مكفور سفت الريح عليه التراب والكفر من الارض

ما بعد عن

مابعد عن الناس لا يكاد ينزل ولا يمر به احد ومن حل بتلك
المواضع اهل الكفور ويقال الكفور القرى قوله تعالى
سواء عليهم معناه معتدل عندهم الانذار وتركه اي سوا
عليهم هذا وجي بالاستفهام من اجل التسوية ومثله قوله تعالى
سوا علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين وقال
الشاعر وليل يقول الناس في ظلماته سوا صحيحات العيون
وعورها قوله تعالى انذرتهم الانذار الابلاغ والاعلام ولا
يكاد الا في تخويف يسع زمانه للاحتراز فان لم يتسع زمانه للاحتراز
كان اشعارا ولم يكن انذارا قال الشاعر انذرت عمرا وهو في مهل
قبل الصباح فقد عصى عمرو وتناذر بنو فلان هذا الامر اذا
خوفه بعضهم بعضا واختلف العلما في تاويل هذه الاية فقيل هي
عامة ومعناها الخصوص فيمن حقت عليه كلمة العذاب
وسبق في علم الله انه يموت على كفره اراد الله تعالى ان يعلم ان في الناس
من هذه الحالة دون ان يعين احدا وقال ابن عباس والكلبي
نزلت في روسا اليهود منهم بن اخطب وكعب بن الاشرف ونظايرهما
وقال الربيع بن انس نزلت فيمن قتل يوم بدر من قادة الاحزاب
والاول اصح فان من عين احدا فانما مثل بمن كشف الغيب
بموته على الكفر وذلك داخل في ضمن الاية قوله تعالى لا
يومنون موضعه رفع خبر ان اي ان الذين كفروا لا يومنون
وقيل خبر سوا وما بعده يقوم مقام الصلة قاله بن كيسان وقال
محمد بن يزيد سوا رفع بالابتدا انذرتهم ام لم تنذرهم الخبر والجملة

خبر ان قال النحاس اي انهم نبهوا علم تغن فيهم النذارة شيا واختلف
القرا في قراءة انذرتهم فقرا اهل المدينة وابو عمرو والاعمش وعبد
الله بن ابي اسحق انذرتهم بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية واختارها
الخليل وسيبويه وهي لغة قريش وسعد بن بكر وعليها قول الشاعر
ايا ظبية الوعسا بين جلاجل وبين النقا انت ام ام سالم هجا الث
الف واحده وقال الاخر تطاللت فاستشرفته فعرفته
فقلت له انت زيد الارانب وروى عن ابن محيص انه قرا
انذرتهم ام تنذرهم بهمزة لا الف بعدها فحذف لالتقا الهمزتين
او لان ام تدل على الاستفهام كما قال الشاعر تروح من الحي ام
تبتكر وماذا يضرك لو تنتظر اراد اتروح فاكتفى بام من الالف
وروى عن ابن ابي اسحق انه قرا انذرتهم فحقق الهمزتين
وادخل بينهما الفا لئلا يجتمع بينهما قال ابو حاتم ويجوز ان
يدخل بينهما الفا وتخفف الثانية وابو عمرو ونافع ان
ذلك كثيرا وقرا حمزة وعاصم والكسائي بتحقيق الهمزتين
انذرتهم وهو اختيار ابي عبيد وذلك بعيد عن الخليل وقال
سيبويه يشبه في الثقل ضنوا قال الاخفش ويجوز تخفيف
الاولى من الهمزتين وذلك ردي لانهم انما يخففون بعد
الاستثقال وبعد حصول الواحده قال ابو حاتم ويجوز
تخفيف الهمزتين جميعا فهذه سبع اوجه من القراات
ووجه ثامن يجوز في غير القران لانه مخالف للسواد قال
الاخفش سعيد تبدل من الهمزة ها تقول هانذرتهم كما يقال

هياك

هياك واياك وقال الاخفش في قول الله تعالى ها انتم انما هي انتم **قوله**
تعالى ختم الله على قلوبهم الاية فيها عشر مسايل **الاولى** قوله تعالى
ختم الله بين الله سبحانه في هذه الاية المانع لهم من الايمان بقوله ختم
والختم مصدر ختمت الشي ختما فهو مختوم ومختم يشدد للمبالغة و
معناه التغطية على الشي والاستيثاق منه حتى لا يدخله شي
ومنه ختم الكتاب والباب وما يشبه ذلك حتى لا يوصل الى ما فيه
ولا يوضع فيه غير ما فيه وقال اهل المعاني وصف الله تعالى قلوب
الكفار بعشرة اوصاف بالختم والطبع والضيق والمرض والرين والموت
والقساوة والانصراف والحمية والانكار فقال في الانكار
قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال في الحمية اذ جعل الذين كفروا في
قلوبهم الحمية وقال في الانصراف ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم
قوم لا يفقهون وقال في القساوة فويل للقاسية قلوبهم من ذكر
الله وقال ثم قست قلوبكم من بعد ذلك وقال في الموت او من كان
ميتا فاحييناه وقال في الرين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
وقال في المرض في قلوبهم مرض وقال في الضيق ومن يرد الله ان
يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وقال في الطبع وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون
وقال في الختم ختم الله على قلوبهم وسيا تي بيانها كلها في مواضعها ان
شا الله تعالى **الثانية** الختم يكون محسوسا كما بينا ومعنى كما في هذه
الاية فالختم على القلوب عدم الوعي عن الحق سبحانه مفهوم مخاطباته
والفكر في اياته وعلى السمع عدم فهمهم للقران اذا تلي عليهم او اذا
دعوا الى وحدانيته وعلى الابصار عدم هدايتها للنظر في مخلوقاته
وعجايب مصنوعاته هذا معنى قول بن عباس وبن مسعود وقتادة
وغيرهم رضي الله عنهم **الثالثة** في هذه الاية ادل دليل واوضح سبيل
على ان الله سبحانه خالق الهدى والضلالة والكفر والايمان فاعتبروا

وقال انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله

بكم

ايها السامعون وتعجبوا ايها المتفكرون فى عقول القدرية القايلين بخلق
ايمانهم وهذا هم فان الختم هو الطبع فمن اين لهم الايمان ولو جهدوا
وقد طبع على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل على بصرهم غشاوة فمتى
يهتدون او من يهديهم من بعد الله اذ اضلهم واصمهم واعما
ابصارهم ومن يضلل الله فما له من هاد وكان فعل الله ذلك عدلا
فيمن اضله وخذله اذ لم يمنعه حقا وجب عليه فتزول صفة العدل
وانما منعهم ما كان له ان يتفضل به عليهم الا ما وجب لهم فان قالوا
ان معنى الختم والطبع والغشاوة التسميه والحكم والاخبار لا بموشر
لا الفعل قلنا هذا فاسد لان حقيقة الختم والطبع انما هو فعل
ما يصير به القلب مطبوعا مختوما ولا يجوز ان يكون حقيقة التسميه
والحكم الا ترى انه اذا قيل فلان طبع الكتاب وختمه كان حقيقة انه
فعل ما صار به الكتاب مطبوعا ومختوما لا التسميه والحكم هذا ما
لا خلاف فيه بين اهل اللغة ولان الامة مجمعة على ان الله تعالى
قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين مجازاة
لكفرهم كما قال بل طبع الله عليها بكفرهم واجتمعت الامة على
ان الطبع والختم على قلوبهم من جهة النبى صلى الله عليه وسلم والملايكة
والمومنين ممتنع فلو كان الختم والطبع هو التسمية والحكم لما امتنع
من ذلك الانبيا والمؤمنون لانهم كلهم يسمون الكفار بانهم مطبوع
على قلوبهم وانهم مختوم عليها وانهم ضلال لا يومنون ويحكمون عليهم
بذلك فثبت ان الختم والطبع هو معنى غير التسميه والحكم وانما هو معنى
يخلقه الله فى القلب يمنع من الايمان به دليله قوله تعالى كذلك
نسلكه فى قلوب المجرمين لا يومنون به وقال وجعلنا على قلوبهم اكنة

ان يفقهوه

ان يفقهوه اي لئلا يفقهون وما كان مثله **الرابعة** قوله على
قلوبهم فيه دليل على فضل القلب على جميع الجوارح والقلب للانسان
وغيره وخالص كل شي واشرفه قلبه والقلب موضع الفكر وهو في
الاصل مصدر قلبت الشي اقلبه قلبا اذا رددته على بدائه وقلبت
الاناء رددته على وجهه ثم نقل هذا اللفظ فسمي به هذا العضو الذي هو
اشرف الحيوان لسرعة الخواطر اليه ولترددها عليه كما قيل ما سمي
القلب الا من تقلبه فاحذر على القلب من قلب وتحويل ثم لما نقلت
العرب هذا المصدر لهذا العضو الشريف التزمت فيه تفخيم قافه
تفريقا بينه وبين اصله روى ابن ماجة عن ابي موسى الاشعري عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال مثل القلب مثل ريشة تقلبها الرياح بفلاة
ولهذا المعنى كان عليه الصلوة والسلام يقول اللهم يا مثبت القلوب
ثبت قلوبنا على طاعتك فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول مع عظيم
قدره وجلال منصبه فنحن اولى بذلك اقتداء به قال الله تعالى واعلموا
ان الله يحول بين المرء وقلبه وسياتي **الخامسة** الجوارح وان كانت
تابعة للقلب فقد يتاثر القلب وان كان رئيسها وملكها باعمالها
للارتباط الذي بين الظاهر والباطن قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل
ليصدق فتنكت في قلبه نكتة بيضاء وان الرجل ليكذب الكذبة
فيسود قلبه وروى الترمذي وصححه عن ابي هريرة ان الرجل ليصيب
الذنب فيسود قلبه فان هو تاب صقل قلبه قال وهو الران الذي
ذكره الله في القران في قوله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
وقال مجاهد القلب كالكف يقبض منه بكل ذنب اصبع ثم يطبع
قلت وفي قول مجاهد هذا وقوله عليه السلام ان في الجسد مضغة

اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي دليل على
ان الختم يكون حقيقا والله اعلم وقيل انما القلب يشبه الصوبره وهو
بعض قول مجاهد فالله اعلم وقد روي مسلم عن حذيفة قال حدثنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رايت احدهما وانا انتظر الاخر حدثنا
ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القران فعلموا من
القران وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الامانة قال ينام الرجل النومة
فيقبض الامانة في قلبه فيظل اثرها مثل الوكت ثم ينام النومة فيقبض
الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط
فتراه منتبرا وليس فيه شي ثم اخذ حصاة قد دحرجها على رجله فيصبح
الناس يتبايعون لا يكاد احد يودي الامانة حتى يقال ان في بني
فلان رجلا امينا حتى يقال للرجل ما اجلده ما اظرفه ما اعقله وما في
قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ولقد اتى علي زمان ولا ابالي
ايكم بايعت لين كان مسلما ليردنه على دينه ولين كان نصرانيا او يهوديا
ليردنه على ساعيه فاما اليوم فما كنت ابايع منكم الا فلانا وفلانا ففي قوله
الوكت وهو الاثر اليسير يقال للبسر اذا وقعت فيه نكتة من
الارطاب قد وكت فهو موكت وقوله المجل وهو ان يكون بين الجلد
واللحم ما وقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كجمر دحرجته اي
دورته على رجلك فنفط فتراه منتبرا اي مرتفعا ما يدل على ان ذلك
كله محسوس في القلب يفعل فيه وكذلك الختم والطبع والله اعلم وفي
حديث حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تعرض
الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فاي قلب اشربها نكت
فيه نكتة سودا واي قلب انكرها نكت فيه نكتة بيضا حتى تصير على
قلبين على ابيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات

واالارض والاسود كا صوابه مزيبل سرباده الكوب مجحبا الايعرف معروفا
والاينكر منكرا الاما اشرب من هواه وذكر الحديث مجحيا يعني مايلاً
السادسة القلب قد يعبر عنه بالفواد والصدر قال الله تعالى كذلك
لنثبت به فوادك وقال الم نشرح لك صدرك وقد يعبر به عن العقل قال
الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي عقل لان القلب
محل العقل في قول الاكثرين والفواد على القلب والصدر محل
الفواد والله اعلم السابعة قوله تعالى وعلى سمعهم استدل
من فضل السمع على البصر بتقدمه عليه وقال تعالى قل ارايتم ان
اخذ الله سمعكم وابصاركم وقال وجعل لكم السمع والابصار
والافيدة قال والسمع يدرك به الجهات الست وفي النور والظلمة
ولا يدرك بالبصر الا من جهة المقابلة لان السمع لا يدرك به الا الاصوات
والكلام والبصر يدرك به الاجسام والالوان والهيات كلها قالوا
فلما كانت تعلقاته اكثر كان افضل واجازوا الادراك بالبصر من
الجهات الستة الثامنة ان قال قايل لم جمع الابصار ووحد
السمع قيل له انما وحده لانه مصدر يقع القليل والكثير يقال سمعت
الشي اسمعه سمعا وسماعا فالسمع مصدر سمعت والسمع ايضا
اسم للجارحه المسموع بها سميت بالمصدر وقيل انه لما اضاف السمع
الى الجماعة دل على انه يراد به اسماع الجماعة كما قال الشاعر بها جيف
الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب اغا يريد جلودها
فوحد لانه قد علم انه لا يكون للجماعة جلد واحد وقال اخر مثله
لا تنكر القتل وقد سبينا في حلقكم عظم وقد سجينا يريد في حلوقكم
ومثله قول الاخر كانه وجه تركيين لانه قد علم انه لا يكون للاثنين

العقل

صوات

وجه واحد ومثله كثير جدًا وقري وعلى اسماعهم ويحتمل ان يكون المعنى
وعلى مواضع سمعهم لان السمع لا يختم وانما يختم موضع السمع فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقد يكون السمع بمعنى الاستماع يقال
سمعك حديثي يعجبني اي استماعك الى حديثي يعجبني ومنه قول
ذي الرمة يصف ثورا تسمع الى صوت صايد وكلاب اذا
توحش ركزا مقصر ندس بنباه الصوت ما في سمعه كذب اي
ما في استماعه كذب اي هو صادق الاستماع والندس والنباة
الصوت الخفي وكذلك الركز والسمع بكسر السين واسكان
الميم ذكر الانسان بالجميل يقال ذهب سمعه في الناس اي
ذكره والسمع ايضا ولد الذيب من الضبع والوقف هنا على
سمعهم وغشاوة رفع على الابتدا وما قبله خبره والضماير في قلوبهم
وما عطف عليه لمن سبق في علم الله انه لا يومن من كفار قريش
وقيل من المنافقين وقيل من اليهود وقيل من الجميع وهو اصوب
لانه يعم فالختم على القلوب والاسماع والغشاوة على الابصار
والغشا الغطا وهي التاسعة ومنه غاشية السرج وغشيت
الشي واغشيته قال النابغة هلا سالت هدى وبيان ما حسبي
اذا الدخان تغشى الاشمط وقال اخر صحبتك اذ عيني
عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي الومها قال بن كيسان
فان جمعت غشاوة قلت غشا بحذف الها وحكى الفرا غشاوي مثل
اداوي وقري غشاوةً بالنصب على معنى وجعل فيكون من باب
قوله علفتها تبنا وما باردا وقول الاخر قد غدا يزوجك في
الوغا متقلدا سيفا ورمحا المعنى واسقيتها ما وحاملا رمحا لان الرمح
لا يتقلد قال الفارسي ولا تكاد تجد هذه الاستعمال في حال

سمع واخبار

سعه واختيار فقراءة الرفع احسن وتكون الواو عاطفة حمله على جملة
قال ولم اسمع من الغشاوة فعلا متصرفا بالواو وقال بعض المفسرين
على الاسماع والابصار والوقف على قلوبهم وقال اخرون الختم في
الجميع والغشاوة هي الوقف فالوقف على هذا على غشاوة وقراءة
الحسن غشاوة بضم الغين وقرا ابو حيوة بفتحها وروي عن ابي
عمرو رده الى اصل المصدر قال ابن كيسان ويجوز غشوة وغشوة
واجودها غشاوة كذلك يستعمل العرب في كل ما كان مشتملا
على الشي نحو عمامه وكنانه وقلاده وعصابه وغير ذلك العاشرة
قوله تعالى ولهم اي للكافرين المكذبين عذاب عظيم نعته
والعذاب مثل الضرب بالسوط والحرق بالنار والقطع
بالحديد الى غير ذلك مما يولم الانسان وفي التنزيل وليشهد عذابهما
طايفه من المومنين وهو مشتق من الحبس والمنع يقال في اللغة اعذبه
عن كذا اعن كذا اي احبسه وامنعه ومنه سمي عذوبة الما لانها
قد اعذبت واستعذب بالحبس في الوعا ليصفو ويفارقه ما
خالطه ومنه قول علي رضي الله عنه اعذبوا نساكم عن الخروج اي
احبسوهم وعنه رضي الله عنه وقد تدعو شرية فقالوا اعذبوا
عن ذكر النسا فان ذلكم يكسركم عن الغزو وكل من منعته شيا
فقد اعذبته وفي المثل لالجمنك لجاما معذبا اي مانعا عن ركوب
الناس ويقال اعذب اي امتنع واعذب غيره فهو لازم
ومتعد فسمي العذاب عذابا لان صاحبه يحبس ويمنع عنه
جميع ما يلايم الجسد ويهال عليه اضدادها قوله تعالى
ومن الناس من يقول امنا فيه سبع مسايل الاولى روى ابن جريج
عن مجاهد قال نزلت اربع ايات من سورة البقرة في المومنين

واثنتان في بعث الكافرين وثلاث عشرة في المنافقين وروى اسباط
عن السدي في قوله ومن الناس قال هم المنافقون وقال علما
الصوفيه الناس اسم جنس واسم الجنس لا يخاطب به الا وليا
الثانية واختلف النحاه في لفظ الناس فقيل هو اسم من
اسما الجموع جمع انسان وانسانه على غير اللفظ وتصغيره نويس
فالناس من النوس وهو الحركه يقال ناس ينوس اي تحرك ومنه
حديث ام زرع اناس من حلي اذني وقيل اصله من نسي فاصل ناس
نسي قلبت فصار نيس تحركت اليا فانفتح ما قبلها فانقلبت الفا ثم
دخلت الالف واللام فقيل الناس قال ابن عباس نسي ادم عهد الله
فسمي انسانا وقال عليه السلام نسي ادم فنسيت ذريته وفي التنزيل
ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي وسياتي فعلى هذا فالهمزة زايدة
قال الشاعر لا تنسين تلك العهود فانما سميت لانك ناسي
وقال اخر فان نسيت عهودا منك سالفة فاغفر فاول ناس اول
الناس وقيل سمي انسانا لانسه بحوا وقيل لانسه بربه فالهمزة
اصليه قال الشاعر وما سمي الانسان الا لانسه وما القلب الا
انه يتقلب الثالثة لما ذكر جل وتعالى المومنين ولا بدا بهم لشرفهم
وفضلهم ذكر الكافرين في مقابلتهم اذ الكفر والايمان طرفان ثم ذكر
المنافقين بعدهم والحقهم بالكافرين قبلهم لنفي الايمان عنهم بقوله الحق
وما هم بمومنين ففي هذا رد على الكرامية حيث قالوا ان الايمان قول باللسان
وان لم يعتقد بالقلب واحتجوا بقوله تعالى فاثابهم الله بما قالوا ولم يقل
بما قالوا واضمروا وبقوله عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا
لا اله الا الله فاذا قالوا عصموا مني دماهم واموالهم وهذا منهم قصور
وجمود وترك نظر لما نطق به القران والسنة من العمل مع القول

والاعتقاد

والاعتقاد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالاركان اخرجه ابن ماجة في سننه فما ذهب اليه احمد بن كرام السجستاني واصحابه هو النفاق وعين الشقاق نعوذ بالله من الخذلان وسوء الاعتقاد الرابعة قال علماؤنا رحمهم الله عليهم المؤمن ضربان مؤمن يحبه الله ويواليه ومؤمن لا يحبه الله ولا يواليه بل يبغضه ويعاديه فكل من علم الله انه يوافي بالايمان فالله يحب له موال له راض عنه وكل من علم الله انه يوافي بالكفر فالله مبغض له ساخط عليه معاد له لا لاجل ايمانه ولكن لكفره وضلاله الذي يوافي به والكافر ضربان كافر يعاقب لا محالة وكافر لا يعاقب فالذي يعاقب هو الذي يوافي بالكفر فالله ساخط عليه معاد له والذي لا يعاقب هو الموافي بالايمان فالله غير ساخط على هذا ولا باغض له بل يحب له موال لا لكفره لكن لايمانه الموافي به فلا يجوز ان يطلق القول وهي الخامسة بان المؤمن يستحق الثواب والكافر يستحق العقاب بل يجب تقييده بالموافاة ولاجل هذا ما قلنا ان الله راض عن عمر في الوقت الذي كان يعبد الاصنام ومريد لثوابه ودخوله الجنة لا لعبادة الصنم لكن لايمانه الموافي به وان الله تعالى ساخط على ابليس في حال عبادته لكفره الموافي به وخالفت القدرية في هذا وقالت ان الله لم يكن ساخطا على ابليس في حال عبادته ولا راضيا عن عمر وقت عبادته للصنم وهذا فاسد لما ثبت ان الله سبحانه عالم بما يوافي به ابليس لعنة الله وما يوافي به عمر رضي الله عنه فيما لم يزل فثبت انه كان ساخطا على ابليس محبا لعمر ويدل عليه اجماع الامة على ان الله سبحانه وتعالى غير محب لمن علم انه من اهل النار بل هو ساخط عليه وانه محب لمن علم انه من اهل

الجنة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما الاعمال بالخواتيم ولهذا قال علما
الصوفية ليس الايمان ما يتزين به العبد قولا ولا فعلا لكن الايمان جرى السعادة
في سوابق الازل واما ظهوره على الهيا كل فربما يكون عاريا وربما يكون حقيقة
قلت هذا كما ثبت في صحيح مسلم وغيره عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان احدكم يجمع خلقه في بطن
أمه اربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله
الملك فينفخ فيه الروح ويومر باربع كلمات فيكتب رزقه واجله وعمله وشقي
ام سعيد فو الذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون
بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها
وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق
عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها فان قيل وهي السادسة
فقد خرج الامام الحافظ ابو محمد عبد الغني بن سعيد المصري من حديث
محمد بن سعيد الشامي المصلوب في الزندقة وهو محمد بن ابي قيس عن سليمان
بن موسى وهو الاشدق عن مجاهد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه حدثنا
ابو رزين العقيلي قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اشريك انا
وانت يا ابا رزين لبن لم يتغير طعمه قال قلت كيف يحيي الله الموتى قال اما مررت
بارض لك مجدبة ثم مررت بها مخصبة ثم مررت بها مجدبة ثم مررت بها مخصبة
قلت بلى قال كذلك النشور قال قلت كيف لي ان اعلم اني مومن قال ليس احد
من هذه الامة قال ابن ابي قيس او قال من امتي عمل حسنة وعلم انها حسنة
وان الله جازيه بها خيرا او عمل سيئة وعلم انها سيئة وان الله جازيه بها شرا
او يغفرها الا مومن قلها وهذا الحديث وان كان سنده ليس بالقوي

فان معناه

فان معناه صحيح وليس بمعارض لحديث ابن مسعود فان ذلك موقوف على
الخاتمة كما قال عليه السلام وانما الاعمال بخواتيمها وهذا انما
يدل على انه مومن في الحال والله اعلم السابعة قال علما
اللغة انما سمي المنافق منافقا لاظهاره غير ما يضمر تشبيها باليربوع
له جحر يقال له النافقا واخر يقال له القاصعا وذلك انه يخرق
الارض حتى كاد يبلغ ظاهر الارض ارق التراب فاذا رابه ريب
رفع ذلك التراب براسه فخرج فظاهر جحره تراب وباطنه حفر
وكذلك المنافق ظاهره ايمان وباطنه كفر وقد تقدم هذا المعنى
قوله تعالى يخادعون الله والذين امنوا قال علماونا معنى يخادعون
الله اي يخادعونه عند انفسهم وعلى ظنهم وقيل قال ذلك لعملهم عمل
المخادع وقيل في الكلام حذف تقديره يخادعون رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الحسن وغيره وجعل خداعهم لرسوله خداعا
له لانه دعاهم برسالته وكذلك اذا خادعوا المومنين فقد خادعوا
الله ومخادعتهم ما اظهروه من الايمان خلاف ما ابطنوه من الكفر
ليحقنوا دماهم واموالهم ويظنون انهم قد نجوا وخدعوا قاله
جماعة من المتاولين وحكى قال اهل اللغة اصل الخدع في
كلام العرب الفساد حكاه ثعلب عن ابن الاعرابي وانشد
ابيض اللون لذيذ طعمه طيب الريق اذا الريق الخدع قلت
فيخادعون الله على هذا اي يفسدون ايمانهم واعمالهم فيما
بينهم وبين الله تعالى بالريا وكذا جا مفسرا عن النبي صلى
الله عليه على ما ياتي وفي التنزيل يراون الناس واصله الاخفاء ومنه

مخدع البيت الذي يخبأ فيه الشيء حكاه بن فارس وغيره
ونقول العرب اخدع الضب في جحره قوله تعالى ○
وما يخادعون الا انفسهم نفي وايجاب اي ما يحل عاقبة
الخداع الا بهم ومن كلامهم من خدع من لا يخدع فانما يخدع
نفسه وهذا صحيح لان الخداع انما يكون مع من لا يعرف البواطن
واما من عرف البواطن فمن دخل معه في الخداع فانما يخدع نفسه
ودل هذا على ان المنافقين لم يعرفوا الله اذ لو عرفوا انه لا يخدع
وقد تقدم من قوله عليه السلام انه قال لا تخادع الله فانه من يخادع الله
يخدعه الله ونفسه يخدع لو يشعر قالوا يا رسول الله وكيف
يخادع الله يعمل بما امرك به وتطلب به غيره وسياتي بيان الخدع
من الله تعالى كيف هو عند قوله تعالى الله يستهزي بهم وقرا
نافع وبن كثير وابو عمرو ويخادعون في الموضعين ليتجانس
اللفظان وقرا عاصم وحمزه والكسايي وبن عامر يخدعون
الثاني والمصدر خدع بكسر الخاء وخديعه حكى ذلك ابو زيد
ومورق العجلي يخدعون بضم اليا وفتح الخا وتشديد الدال على
وقرا ابو طالوت عبد السلام بن شداد والجارود بضم
اليا واسكان الخا وفتح الدال على معنى وما يخدعون الا عن
انفسهم فحذف حرف الجر كما قال الله تعالى واختار موسى قومه اي من
قومه قوله تعالى وما يشعرون اي يفطنون ان وبال خدعهم راجع عليهم
فيظنون انهم قد نجوا بخدعهم وفازوا انما ذلك في الدنيا وفي الاخرة يقال لهم ارجعوا
وراكم فالتمسوا نورا على ما ياتي قال اهل اللغه شعرت بالشي فطنت له ومنه الشاعر
لفطنته لانه يفطن لما لا يفطن له غيره

من غريب

الاشارات في هذه الآية لا تعاشر والا من يوافقكم على احوالكم وطريقكم فان من لا يوافقكم لا يرافقكم **قوله** تعالى يختص برحمته اي بنبوته وهدايته عن الحسن ومجاهد وغيرهما بن جريج بالاسلام والقرآن من يشا قال عثمان احمل القول ليبقى معه رجا الراجي وخوف الخايف والله ذو الفضل العظيم

تعالى ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يوده اليك الى قوله يعلمون فيه ثمان مسايل **قوله** قوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يوده **اليك** الى قوله اليه مثل عبد الله بن سلام ومنه من ان تامنه بدينار لا يوده اليك وهو فنحاص بن عازورا اليهودي اودعه رجل دينارا فخانه وقيل كعب بن الاشرف واصحابه قرا بن وثاب والاشهب العقيلي من ان تيمنه على لغة من قرا نستعين وهي لغة بكر وتميم وفي حرف عبد الله مالك لا تيمنا على يوسف الباقون بالف وقرا نافع والكسائي هي بيا في الادراج قال ابو عبيد واتفق ابو عمرو والاعمش وحمزة وعاصم في رواية ابي بكر على وقف الها فقروا يوده اليك قال النحاس اسكان الها لا يجوز الا في الشعر عند بعض النحويين وبعضهم لا يجيزه البتة ويرى انه غلط ممن قرا به وانه توهم ان الجزم يقع على الها وابو عمرو اجل من ان يجوز عليه مثل هذا والصحيح عنه انه كان يكسر الها وهي قراة يزيد بن القعقاع وقال الفرا مذهب بعض العرب يجزمون الها اذا تحرك ما قبلها يقولون ضربته ضربا شديدا كما يسكنون ميم انتم وقمتم واصلها الرفع وانشد

لما راى الا دعه ولا شبع ... مال الى ارطاة حقف فاضطجع

وقيل انما جاز اسكان الها في هذا الموضع لانها وقعت في موضع الجزم وهي اليا الذاهبة وقرا ابو المنذر سلام و[illegible] يوده وقرا قتادة وحميد ومجاهد يوده هو بوا

يعلمون فيه ثمان مسايل الاول

ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يوده اليك صح

يوده

ب ا لـ ١١٧

بواو في الادراج اختير لها الواو لان الواو من الشفة والها بعيدة
المخرج قال سيبويه الواو في المذكر بمنزلة الالف في المونث وتبدل
منها يا لان اليا اخف اذا كانت قبلها كسرة او يا وتحذف اليا وتبقى الكسرة
لان اليا قد تحذف والفعل مرفوع فاثبتت بحالها الثانية اخبر
تعالى ان في اهل الكتاب الامين والخائن والمومنون لا يميزون ذلك
فينبغي اجتناب جميعهم وخص اهل الكتاب بالذكر وان كان المومنون
كذلك لكن الخيانة فيهم اكثر فخرج الكلام على الغالب والله اعلم وقد
مضى تفسير القنطار واما الدينار فاربعة وعشرون قيراطا والقيراط
ثلاث حبات من وسط الشعير فمجموعه اثنان وسبعون حبة وهو
مجمع عليه ومن حفظ الكثير واداه فالقليل اولى ومن خان في اليسير
او منعه فذلك في الكثير اكثر وهذا ادل دليل على القول بمفهوم
الخطاب وفيه بين العلما خلاف مذكور في اصول الفقه وذكر
تعالى قسمين من يودي ومن لا يودي الا بالملازمة عليه وقد يكون
من الناس من لا يودي وان دمت عليه قائما فذكر تعالى القسمين لانه
الغالب المعتاد والثالث نادر فخرج الكلام على الغالب وقرا ابو
عبد الرحمن السلمي وطلحة بن مصرف وغيرهما دمت بكسر الدال وهما
لغتان والكسر لغة ازد السراة من دمت تدام مثل خفت تخاف
وحكى الاخفش دمت تدوم شاذا الثالثة استدل ابو حنيفة على
مذهبه في ملازمة الغريم بقوله الا ما دمت عليه قائما واباه سائر العلما
وقد تقدم في البقرة وقد استدل بعض البغداديين على حبس المديان
بقوله ومنهم من ان تامنه بدينار لا يوده اليك الا ما دمت عليه قائما

كانت

من

فاذا كان له

فاذا كان له ملازمة ومنعه من التصرف جاز حبسه وقيل ان معنى الا ما
دمت عليه قائما اي بوجهك فيهابك ويستحي منك فان الحيا في العينين
الا تري الي قول ابن عباس رضي الله تعالى عنه لا تطلبوا من الاعمى حاجة فان الحيا
في العينين واذا طلبت من اخيك حاجة فانظر اليه بوجهك حتى يستحي
فيقضيها ويقال قائما اي ملازما له وان انظرته انكرك وقيل اراد
بالقيام ادامة المطالبة لا عين القيام والدينار اصله دنّار فعوضت
من احدى النونين ياء طلبا للخفة لكثرة استعماله يدل عليه انه يجمع دنانير
وتصغير دنينير **الرابعة** الامانة عظيمة القدر في الدين ومن
عظم قدرها انها تقوم هي والرحم على جنبتي الصراط كما في صحيح مسلم
فلا يمكن من الجواز الا من حفظها وروي مسلم عن حذيفة قال حدثنا
النبي صلى الله عليه وسلم عن رفع الامانة قال ينام الرجل النومة فتقبض
الامانة من قلبه الحديث وتقدم بكماله اول البقرة وروي ابن ماجة ثنا
محمد بن المصفى ثنا محمد بن حرب عن سعيد بن سنان عن الزاهرية عن ابي شجرة
كثير بن مرة عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل اذا ارا
د
ان يهلك عبدا نزع منه الحيا فاذا نزع منه لم تلقه الا مقيتا ممقتا فاذا
لم تلقه الا مقيتا ممقتا نزعت منه الامانة فاذا نزعت منه الامانة
لم تلقه الا خائنا مخونا فاذا لم تلقه الا خائنا مخونا نزعت منه الرحمة
فاذا نزعت منه الرحمة لم تلقه الا رجيما ملعنا فاذا لم تلقه الا رجيما
ملعنا نزعت منه ربقة الاسلام وتقدم في البقرة معنى قوله عليه السلام
اد الامانة الي من ائتمنك ولا تخن من خانك **الخامسة** ليس في هذه الآية
تعديل لاهل الكتاب ولا لبعضهم خلافا لمن ذهب الي ذلك لان فساق

المسلمين يوجد فيهم من يؤدي الامانة ويؤتمن على المال الكثير ولا يكونون
بذلك عدولا فطريق العدالة والشهادة ليس يجري فيه اداء الامانة في المال
من جهة المعاملة والوديعة ثم انتم قولهم ليس علينا في الاميين سبيل فكيف
يعدل من يعتقد استباحة اموالنا وحريمنا بغير حرج عليه ولو كان
ذلك كافيا في تعديلهم لسمعت شهادتهم على المسلمين **السادسة** قوله تعالى
ذلك بانهم قالوا يعني اليهود ليس علينا في الاميين سبيل قيل ان اليهود كانوا
اذا بايعوا المسلمين يقولون ليس علينا في الاميين سبيل اي حرج في ظلمهم لمخالفتهم
ايانا وادعوا ان ذلك في كتابهم فاكذبهم الله عز وجل ورد عليهم فقال بلى اي
بلى عليهم سبيل العذاب بكذبهم واستحلالهم اموال العرب قال ابو اسحاق
الزجاج وتم الكلام ثم قال من اوفى بعهده واتقى ويقال ان اليهود كانوا قد
استدانوا من الاعراب اموالا فلما اسلم ارباب الحقوق قالت اليهود قالت
اليهود ليس لكم علينا شيء لانكم تركتم دينكم فسقط عنا دينكم وادعوا انه
حكم التوراة فقال الله تعالى بلى ردا لقولهم ليس علينا في الاميين اي كما تقولون
ثم استانف فقال بلى من اوفى بعهده واتقى الشرك فليس من الكاذبين بل
يحبه الله تعالى **السابعة** قال رجل لابن عباس انا نصيب في العهد من
اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة ونقول ليس علينا بذلك باس
فقال له هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين انهم اذا ادوا الجزية
لم تحل لكم اموالهم الا عن طيب انفسهم ذكره عبد الرزاق عن معمر عن ابي اسحق
الهمداني عن صعصعة ان رجلا قال لابن عباس فذكره **الثامنة**
قوله تعالى ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون يدل على ان
الكافر لا يجعل اهلا لقبول شهادته لانه تعالى وصفه بانه كذاب

وفيه رد

وفيه رد على الكفرة الذين يحرمون ويحللون من غير تحليل الله وتحريمه
ويجعلون ذلك من الشرع قال ابن العربي ومن هذا نخرج الرد على من يحكم
بالاستحسان من غير دليل ولست اعلم احدا من اهل القبلة قاله وفي الخبر لما
نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه ما شيء كان في الجاهلية الا وهو
تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر قوله
تعالى بلى من اوفى بعهده من رفع بالابتداء وهو شرط واوفى في موضع جزم
واتقى معطوف عليه اي واتقى الله ولم يكذب ولم يستحل ما حرم عليه فان الله
يحب المتقين اي يحب اولئك وقد تقدم معنى حب الله لاوليائه وا
لهاء في قوله بعهده راجعة الى الله عز وجل وقد جرى ذكره في قوله وقوله
ويقولون على الله ويجوز ان تعود على الموفي ومتقي الكفر والخيانة ونقض
العهد والعهد مصدر مضاف الى الفاعل والمفعول قوله تعالى
ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فيه مسئلتان
الاولى روى الائمة عن الاشعث بن قيس قال كان بيني وبين رجل
من اليهود ارض بنجد فقدمته الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل لك بينة قلت لا قال لليهودي احلف قلت اذا
يحلف فيذهب بمالي فانزل الله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم
ثمنا قليلا الى آخر الاية وروى الائمة ايضا عن ابي امامة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد اوجب الله له النار
وحرم عليه الجنة فقال له رجل وان كان شيئا يسيرا يا رسول الله قال
وان كان قضيبا من اراك وقد مضى في البقرة معنى لا يكلمهم الله ولا
ينظر اليهم ولا يزكيهم الثانية ودلت هذه الاية والاحاديث

ان حكم الحاكم لا يحل المال في الباطن بقضاء الظاهر اذا علم المحكوم له بطلانه وقد روي الايمة عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم تختصمون الي وانما انا بشر ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض وانما اقضي بينكم على نحو مما اسمع منكم فمن قضيت من حق اخيه شيا فلا ياخذه فانما اقطع له قطعة من النار ياتي بها يوم القيمة وهذا لاخلاف فيه بين الامة وانما ناقض ابو حنيفة وغلا فقال ان حكم الحاكم المبني على الشهادة الباطلة يحل الفرج لمن كان محرما عليه كما تقدم في البقرة وزعم انه لو شهد شاهدا زور على رجل بطلاق زوجته وحكم الحاكم بشهادتهما فان فرجها يحل للمتزوجها ممن يعلم ان القضية باطل وقد شنع عليه باعراضه عن هذا الحديث الصحيح الصريح وبانه صان الاموال ولم يرا استباحتها بالاحكام الفاسدة ولم يصن الفروج عن ذلك والفروج احق ان يحتاط لها وتصان وسياتي بطلان قوله في اية اللعان ان شاء الله تعالى قوله تعالى وان منهم لفريقا يعني طائفة من اليهود يلوون السنتهم بالكتاب وقرا ابو جعفر وشيبة يلوون على التكثير والمعنى يحرفون الكلم ويعدلون به عن القصد واصل اللي الميل لوي بيده ولوي براسه اذا اماله ومنه قوله تعالى ليا بالسنتهم ... اي عنادا عن الحق وميلا عنه الي غيره ومعنى ولا تلوون على احد اي لا تعرجون عليه يقال لوي عليه اذا عرج واقام واللي المطل لواه بدينه يلويه ليا وليانا مطله قال قد كنت داينت بها حسانا مخافة الافلاس والليانا يحسن بيع الاصل والعيانا وقال ذو الرمة تريدين لياني وانت ملية واحسن يا ذات الوشاح التقاضيا وفي الحديث لي الواحد يحل عرضه وعقوبته والالسنة جمع لسان في لغة من

ذكر ومن انث

ذكر ومن انث قال السن **قوله** تعالى ما كان لبشر ان يوتيه الله الكتاب
الآية ما كان معناه ما ينبغي كما قال وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ
وما كان لله ان يتخذ من ولد وما كان لنا ان نتكلم بهذا يعني ما ينبغي والبشر
يقع للواحد والجمع لانه بمنزلة المصدر والمراد به هنا عيسى في قول الضحا ك
والسدي والكتاب القرآن والحكم العلم والفهم وقيل ايضا الاحكام
اي ان الله لا يصطفي لنبوته الكذبة ولو فعل ذلك لسلبه الله آيات
النبوة وعلاماتها ونصب ثم يقول على الاشتراك بين ان يوتيه وبين يقول
اي لا يجتمع لنبي اتيان النبوة وقوله كونوا عبادا لي من دون الله ولكن
كونوا ربانيين اي ولكن جائز ان يكون النبي يقول لهم كونوا ربانيين
وهذه الآية قيل انها نزلت في نصارى نجران ولذلك روي ان السورة
كلها الى قوله واذ غدوت من اهلك كان سبب نزولها ولكن مزج
معهم اليهود لانهم فعلوا من الجحد والعناد فعلهم والربانيون
واحدهم رباني منسوب الى الرب والرباني الذي يربي الناس بصغار
العلم قبل كباره كانه يقتدي بالرب سبحانه في تيسير الامور روي
معناه عن ابن عباس قال بعضهم كان في الاصل ربي فادخلت الالف
والنون للمبالغة كما يقال للعظيم اللحية لحياني وللعظيم الجمة جماني
وللغليظ الرقبة رقباني وقال المبرد الربانيون ارباب العلم واحد هم
ربان من قولهم ربه يربه فهو ربان اذا دبره واصلحه فمعناه على
هذا يدبرون امور الناس ويصلحونها والالف والنون للمبالغة
كما قالوا ريان وعطشان ثم ضمت اليه ياء النسبة كما قيل لحياني
ورقباني وقيل وجماني وقال الشاعر لو كنت مرتهنا

في الحول لتزلني منه الحديث وربّاني احبار لمعني الرّباني العالم بدين
الرّب الذي يعمل به لانّه اذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم وقد تقدّم هذا
المعنى في البقرة وقال ابو رزين الرّباني هو العالم الحكيم وروى شعبة
عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود ولكن كونوا ربّانيّين حكما علما
بن جبير حكما اتقيا وقال الضّحاك ولا ينبغي لاحد ان يدع حفظ القران
جهده فانّ الله تعالى يقول ولكن كونوا ربانيّين وقال بن زيد الرّبّانيّون
الولاة والاحبار العلماء وقال مجاهد الرّبانيّون فوق الاحبار قال
النّحاس وهذا قول حسن لانّ الاحبار هم العلماء والرّباني الّذي يجمع
الى العلم البصر بالسّياسة مأخوذ من قول العرب ربّ امر النّاس
يربّه اذا اصلحه وقام به فهو رابّ وربانيّ على التّكثير قال ابو عبيد
سمعت عالما يقول الرّباني العالم بالحلال والحرام والامر والنّهي
العارف بانباء الامّة وما كان ويكون وقال محمّد بن الحنفية يوم مات
بن عبّاس اليوم مات رباني هذه الامّة وروي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم
انّه قال ما من مؤمن ذكر ولا انثى حرّ ولا مملوك الّا ولله عز وجل عليه حق
ان يتعلّم من القرآن ويتفقّه في دينه ثمّ تلى هذه الآية ولكن كونوا ربّانيّين
الآية رواه بن عبّاس قوله تعالى بما كنتم تعلمون قرأه ابو عمرو واهل
المدينة بالتخفيف واختار هذه القراءة ابو حاتم قال ابو عمرو
وتصديقها تدرسون ولم يقل تدرّسون بالتّشديد من التدريس
وقرأ بن عبّاس واهل الكوفة تعلّمون بالتّشديد من التّعليم
واختارها ابو عبيد قال لانها تجمع المعنيين تعلمون وتدرسون
قال مكّي التّشديد ابلغ لانّ كلّ معلّم عالم بمعنى يعلم وليس كلّ من

علم شيأ معلّما

و

علم شيئا معلما فالتشديد يدل على العلم والتعليم والتخفيف انما يدل
على العلم فقط فالتعليم ابلغ وامدح واحتج من رجح قراة التخفيف
بقول ابن مسعود كونوا ربانيين قال الحكما علما فيبعد ان يقال كونوا
فقها حكما علما بتعليمكم قال الحسن كونوا حكما علما بعلمكم وقرا ابو
حيوة تدرسون من ادرس يدرس وقرا مجاهد تعلمون بفتح التا
وشد اللام اي تتعلمون قوله تعالى ولا يامركم قراة ابن
عامر وعاصم وحمزة بالنصب عطفا على ان يؤتيه ويقويه
ان اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم اتريد ان نتخذك ربا
يا محمد فقال الله تعالى ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب الى ولا
يامركم وفيه ضمير البشر اي ولا يامركم البشر يعني عيسى وعزير
وقرا الباقون بالرفع على الاستيناف والقطع من الكلام الاول
وفيه ضمير الله عز وجل اي ولا يامركم الله ان ويقوي هذه القراة
ان في مصحف عبد الله ولن يامركم فهذا يدل على الاستيناف
والضمير ايضا لله عز وجل ذكره مكي وقاله سيبويه والزجاج
وقال ابن جريج وجماعة ولا يامركم محمد عليه السلام وهذه
قراة ابي عمرو والكسائي واهل الحرمين ان تتخذوا اي بان
تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وهذا موجود في النصارى
يعظمون الانبيا والملائكة حتى يجعلوهم لهم اربابا ايامركم
بالكفر بعد اذ انتم مسلمون على طريق الانكار والتعجب
حرم تعالى على الانبيا ان يتخذوا الناس عبادا يتالهون
لهم ولكن الزم الخلق حرمتهم وقد ثبت عن النبي صلى الله

عليه وسلم انه قال لا يقولن احدكم ربي وليقل سيدي وفي
التنزيل اذكرني عند ربك وهنا ل باني بيان هذا المعنى ان شاء
الله تعالى قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من
كتاب وحكمة قيل اخذ الله تعالى ميثاق الانبياء ان يصدق بعضهم
بعضا ويامر بعضهم بالايمان بعضا فذلك معنى النصرة بالتصديق
هذا قول سعيد بن جبير وقتادة وطاوس والحسن والسدي
وهو ظاهر الاية قال طاوس اخذ الله ميثاق الاول من الانبياء
ان يؤمن بما جاء به الاخر وقرا ابن مسعود واذا اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب قال الكسائي يجوز ان يكون واذ اخذ الله
ميثاق النبيين بمعنى واذ اخذ الله ميثاق الذين مع النبيين وقال
البصريون اذا اخذ الله ميثاق النبيين فقد اخذ ميثاق الذين
معهم لانهم قد اتبعوهم وصدقوهم وما في قوله لما بمعنى الذي
قال سيبويه سالت الخليل عن قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة فقال بمعنى الذي قال النحاس
التقدير على قول الخليل الذي اتيتكموه ثم حذف الها لطول
الاسم والذي رفع بالابتداء وخبره من كتاب وحكمة ومن لبيان
الجنس وهذا كقول القايل لزيد افضل منك وهو قول الاخفش
انها لام الابتداء قال المهدوي وقوله ثم جاكم وما بعده
جملة معطوفة على الصلة والعائد منها على الموصول محذوف
التقدير ثم جاكم رسول مصدق به قوله تعالى ثم جاكم
رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الرسول هنا محمد

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم في قول علي وبن عباس رضي الله عنهما واللفظ وان
كان نكرة فالاشارة الى معين لقوله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت
آمنة مطمئنة الى قوله ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذ الله
ميثاق النبيين اجمعين ان يؤمنوا بمحمد عليه السلام وينصروه ان ادر كوه
وامروا ان يأخذوا بذلك الميثاق على اممهم واللام من قوله لتؤمنن
به جواب القسم الذي هو اخذ الميثاق اذ هو بمنزلة الاستحلا ف
وهو كما تقول في الكلام اخذت ميثاقك لتفعلن كذا
كانك قلت استحلفتك وفصل بين القاسم وجوابه بحرف الجر
الذي لما في قراءة بن كثير على ما ياتي ومن فتحها جعلها متلقية هوه
للقسم الذي هو اخذ الميثاق واللام في لتؤمنن به جواب قسم
محذوف اي والله لتؤمنن به وقال المبرد والزجاج والكسائي
ما شرط دخلت عليها لام التحقيق كما تدخل على ان ومعناه
مهما اتيتكم فموضع ما نصب وموضع اتيتكم جزم وثم جاءكم
معطوف عليه لتؤمنن به اللام في قوله لتؤمنن جواب الجزا
كقوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن ونحوه وقال الكسائي لتؤمنن
به معتمد القسم فهو متصل باللام الاول وجواب الجزاء قوله
فمن تولى بعد ذلك ولا يحتاج على هذا الوجه الى تقدير عائد
وقرا اهل الكوفة لما اتيتكم بكسر اللام وهي ايضا بمعنى الذي
وهي متعلقة باخذ اي اخذ الله ميثاقهم لاجل الذي اتاهم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به من بعد
الميثاق لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف كما تقدم قال

النحاس ولابن عبيدة في هذا قول حسن قال المعنى واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتؤمنن به لما اتيتكم من ذكر التوراة
وقيل في الكلام حذف والمعنى واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لتعلمن الناس لما جاكم من كتاب وحكمة ولتاخذن على الناس ان
يؤمنوا ودل على هذا الحذف واخذتم على ذلكم اصري وقيل ان الكلام
في قوله لما في قراة من كسرها بمعنى بعد يعني بعد ما اتيتكم من
كتاب وحكمة قال النابغة ۝ توهمت ايات لها فعرفتها لستة
اعوام وذا العام سابع اي بعد ستة اعوام وقرا سعيد بن جبير
لما بالتشديد ومعناه حين اتيتكم واحتمل ان يكون اصله لمن ما التخفيف
فزيدت من على مذهب من يرى زيادتها في الواجب فصارت
لمن ما وقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات
فحذفت الاولى منهن استخفافا وقرا اهل المدينة اتيناكم على التعظيم
والباقون اتيتكم على لفظ الواحد ثم كل الانبيا لم يؤتوا الكتاب
وانما اوتي البعض ولكن الغلبة للذين اوتوا الكتاب والمراد اخذ
ميثاق جميع الانبيا فمن لم يؤت الكتاب فهو في حكم من اوتي الكتاب
لانه اوتي الحكم والنبوة وايضا من لم يؤت الكتاب امر بان ياخذ
بكتاب من قبله فدخل تحت صفة من اوتي الكتاب قوله تعالى
اقررتم من الاقرار والاصر والاصر لغتان وهو العهد والاصر
في اللغة الثقل سمي العهد اصرا لانه منع وتشديد قال
فاشهدوا اي اعلموا عن ابن عباس الزجاج بينوا لان الشاهد
هو الذي يصحح دعوى المدعي وقيل المعنى اشهدوا وانتم على انفسكم
وعلى اتباعكم

وعلى اتباعكم وانا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم وقال
سعيد بن المسيب قال الله عز وجل للملائكة فاشهدوا عليهم
فيكون كناية عن غير مذكور قوله تعالى فمن تولى من شرط والمعنى
فمن تولى من امم الانبياء عن الايمان بعد اخذ الميثاق فاولئك هم
الفاسقون اي الخارجون عن الايمان والفاسق الخارج عن القصد وقد تقدم
قوله تعالى افغير دين الله يبغون قال الكلبي ان كعب بن الاشرف
واصحابه اختصموا مع النصارى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اينا احق
بدين ابرهيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دينه فقالوا
ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزل افغير دين الله يبغون يعني
يطلبون ونصبت غير بيبغون اي يبغون غير دين الله وقرا ابو عمرو
وحده يبغون فيهما بالياء على الخبر واليه ترجعون بالتاء على المخاطبة قال
لان الاول خاص والثاني عام ففرق بينهما لافتراقهما في المعنى وقرا
حفص وغيره يبغون ويرجعون بالياء فيهما لقوله فاولئك هم الفاسقو
وقرا الباقون بالتاء فيهما على الخطاب لقوله لما اتيتكم من كتاب وحكمة
قوله تعالى وله اسلم من اي استسلم وانقاد وخضع وذل وكل
مخلوق فهو مستسلم منقاد لانه مجبول على ما لا يقدر ان يخرج عنه
قال قتادة اسلم المؤمن طوعا والكافر عند موته كرها ولا ينفعه ذلك
لقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا مجاهد اسلام الكافر كرها
سجوده لغير الله وسجود ظله لله اولم يروا الى ما خلق الله من شيء تتفيؤ ظلاله
عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد من في السماوات
والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال وقيل المعنى ان الله

ن

وقال صح

عز وجل خلق الخلق علي ما اراد فمنهم الحسن والقبيح والطويل والقصير والصحيح
والمريض وكلهم منقاد دون اضطرارا فالصحيح منقاد طايع يحب لذلك
والمريض منقاد خاضع وان كان كارها والطوع الانقياد والاتباع
بسهولة والكره ماكان بمشقة واباء من النفس وطوعا وكرها مصدران
في موضع الحال اي طايعين ومكرهين وروي انس بن ملك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل وله اسلم من في السموات
والارض طوعا وكرها قال الملايكة اطاعوه في السماء والانصار وعبد القيس في
الارض وقال عليه السلام لا تسبوا اصحابي فان اصحابي اسلموا من خوف الله تعالى
واسلم الناس من خوف السيف وعن عكرمة طوعا من اسلم من غير
محاجة وكرها من اضطرته الحجة الي التوحيد يدل عليه قوله عز وجل ولين
سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله الحسن
هو عموم معناه الخصوص وعنه اسلم من في السموات وتم الكلام ثم
قال والارض طوعا وكرها قال والكاره المنافق لا ينفعه عمله وطوعا
وكرها مصدران في موضع الحال وعن مجاهد عن ابن عباس قال اذا
استصعب دابة احدكم وكانت سموصا فليقرا في اذنها هذه الاية افغير
دين الله يبغون الى اخر الاية **قوله** تعالى ومن يبتغ غير الاسلام
دينا غير مفعول يبتغ وينتصب غير على انه حال لدين قال مجاهد
والسدي نزلت هذه الاية في الحرث بن سويد اخو الجلاس بن سويد
وكان من الانصار ارتد عن الاسلام هو واثنا عشر معه ولحقوا بمكة
كفارا فنزلت الاية ثم كتب الي اخيه بطلب التوبة وروي ذلك عن ابن عباس
وغيره قال ابن عباس ان اسلم بعد نزول الآيات وهو في الاخرة من الخاسرين

دا ولا لفرقت بين الصلة والموصول. وقال المازني لا الف واللام مثلها في
الرجل وقد تقدم هذا في البقرة عند قوله وانه في الآخرة لمن الصالحين
قوله تعالى كيف يهدي الله قوما كفروا قال ابن عباس ان رجلا من
الانصار اسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم فارسل الى قومه سلوا رسو ل الله
صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة فجاء قومه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا له هل له من توبة فنزلت كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايما نهم
الى قوله غفور فارسل اليه فاسلم اخرجه النسائي وفي رواية ان رجلا من
الانصار ارتد فلحق بالمشركين فانزل الله كيف يهدي الله قوما كفروا الى
قوله الا الذين تابوا فبعث بها قومه اليه فلما قرئت عليه قال والله ما
كذبني قومي على رسول الله ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله
عز وجل اصدق الثلاثة فرجع تائبا فقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتركه. وقال الحسن نزلت في اليهود لانهم كانوا يبشرون بالنبي صلى الله عليه
وسلم ويستفتحون على الذين كفروا فلما بعث عاندوا وكفروا فانزل الله
اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ثم قيل كيف
لفظه استفهام ومعناه الجحد اي لا يهدي الله ونظيره قوله كيف يكون
للمشركين عهد عند الله وعند رسوله اي لا يكون لهم عهد وقال
الشاعر ○ كيف نومي على الفراش ولما يشمل القوم غارة شعواء
اي لا نوم لي والله لا يهدي القوم الظالمين فان قيل ظاهر الاية من كفر بعد
اسلامه لا يهديه الله ومن كان ظالما لا يهديه الله وقد راينا كثيرا من
المرتدين قد اسلموا وهداهم الله وكثيرا من الظالمين تابوا عن الظلم قيل له
معناه لا يهديهم ما داموا مقيمين على كفرهم وظلمهم ولا يقبلون على الاسلام

فاما اذا اسلموا وتابوا فقد وفقهم الله لذلك **قوله** اوليك جزاوهم
ان عليهم لعنة الله اي ان داموا على كفرهم وقد تقدم معنى لعنة الله والناس
في البقرة فلا معنى للاعادة ولا ينظرون اي لا يوخرون ولا يوجلون
ثم استثنا التايبين فقال الا الذين تابوا هو الحارث بن سويد ويدخل
في الاية كل من راجع الاسلام واخلص **قوله** تعالى ان الذين كفروا بعد
ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم قال قتادة وعطا الخراساني
والحسن نزلت في اليهود كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد
وقال ابو العالية نزلت في اليهود والنصاري كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
بعد ايمانهم بيعثه وصفته ثم ازدادوا كفرا باقامتهم على كفرهم وقيل
ازدادوا كفرا بالذنوب التي اكتسبوها وهذا اختيار الطبري وهي
عنده في اليهود لن تقبل توبتهم مشكل لقوله وهو الذي يقبل التوبة عن
عباده ويعفوا عن السيات فقيل المعنى لن تقبل توبتهم عند الموت
قال النحاس وهذا قول حسن كما قال عز وجل وليست التوبة للذين
يعملون السيات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان وروي
عن الحسن وقتادة وعطا وقد قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر
وسياتي في النسا بيان هذا المعنى وقيل لن تقبل توبتهم التي كانوا عليها
قبل ان يكفروا لان الكفر قد احبطها وقيل لن تقبل توبتهم اذا تابوا من كفر
الي كفر اخر وانما تقبل توبتهم اذا تابوا الى الاسلام وقال قطرب هذه
الاية نزلت في قوم من اهل مكة قالوا نتربص بمحمد صلى الله عليه وسلم ريب
المنون فان بدا لنا الرجعة رجعنا الى قومنا فانزل الله ان الذين كفروا
بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم اي لن تقبل توبتهم وهم

مقيمون على الكفر

للخلافه ولو كانت له كدرا كما ابى ربه موسى على كدر راى وكانت
وقيل او للتخيير اي مثلوهم بهذا او بهذا لا على الاقتصار على احد الامرين
وهذا كما قال في ايه اخرى او كظلمات في بحر لجي وكذلك هاهنا او
للتخيير لا للشك وقال ابن الانباري او هنا للفصل والتمييز اي بعضهم
يشبهون الذين استوقد نارا وبعضهم يشبهون اصحاب الصيب ونظيره
قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى اي قالت اليهود كونوا
هودا وقالت النصارى كونوا نصارى ومثله جاها باسنا بياتا او هم قا يلون
اي جا بعضهم بياتا وبعضهم وقت القيلوله والمعنى او كاصحاب صيب
والصيب المطر واشتقاقه من صاب يصوب اذا نزل قال علقمه
فلا تعدلي بيني وبين مغمر سقتك روايا المزن حيث تصوب وكان
صيوب اجتمعت اليا والواو وسبقت احدهما بالسكون فقلبت
الواو يا وادغمت كما فعلوا في ميت وسيد وهين ولين وقال
الكوفيين اصله صويب على مثال فعيل قال النحاس لو كان
كما قالوا لما جاز ادغامه كما لا يجوز ادغام طويل وجمع صيب صيايب
والتقدير في العربيه مثلهم كمثل الذي استوقد نارا او كصيب
تعالى السما السما تذكر وتونث وتجمع على اسميه وسموات من
وسمي على فعول قال العجاج تلفه الرياح والسمي والسما كل علاك فاظلك
ومنه قيل لسقف البيت سما والسما المطر سمي به لنزوله من السما قال
حسان بن ثابت رضي الله عنه ديار من بني الحسحاس قفر تعفيها الروامس
والسما وقال اخر اذا نزل السما بارض قوم رعيناه وان
كانوا غضابا وسمي الطين والكلا ايضا سما يقال ما زلنا نطا السما

حتى اتينا لم يريدون الحلاو الطين ويقال لظهر الفرس ايضا سما ومنه
قال واحمر كالديباج اما سماؤه فريا واما ارضه فمحول فالسما
ما علا والارض ما سفل على ما تقدم تعالى فيه ظلمات ابتدا وخبره
ورعد وبرق معطوف عليه وقال ظلمات بالجمع اشارة الى ظلمة الليل
وظلمة الدجن وهو الغيم ومن حيث تراكب وتزايد جمعت وقد مضى ما
فيه من اللغات فلا معنى للاعادة وكذا كل ما تقدم ان شاء الله واختلف العلما
في الرعد ففي الترمذي عن ابن عباس قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم
عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة بيده مخاريق من نار يسوق بها
السحاب اذا زجر حتى ينتهي حيث امر قالوا صدقت الحديث بطوله
وعلى هذا التفسير اكثر العلما فالرعد اسم الصوت المسموع قاله علي بن ابي
طالب رضي الله عنه وهو المعلوم في لغة العرب وقد قال لبيد في
جاهليته فجعني الرعد والصواعق بالفارس يوم الكريهة النجد ور
وروي عن ابن عباس انه قال الرعد ريح يختنق بين السحاب فيصوت
ذلك الصوت واختلفوا في البرق فروي عن علي وابن مسعود وابن
عباس رضوان الله عليهم البرق مخراق حديد بيد الملك يسوق به السحاب
قلت وهو الظاهر من حديث الترمذي وعن ابن عباس ايضا
سوط من نور يزجر به السحاب وعنه ايضا البرق ملك
يترايا وقالت الفلاسفة الرعد صوت اصطكاك اجرام
السحاب والبرق ما ينقدح من اصطكاكهما وهذا مردود
ولا يصح به نقل والله اعلم ويقال اصل الرعد من الحركة ومنه
الرعديد للجبان وارتعد اضطرب ومنه الحديث يجي بهما

مطلب الرعد اسم الصوت المسموع

وشك

ترعد فرايصهما اخرجه ابو داود والبرق واصله من البريق
والضو ومنه البراق دابة ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة اسرى به وركبها الانبيا عليهم السلام قبله ورعدت
السما من الرعد وبرقت من البرق ورعدت المراة وبرقت
تحسنت وتزينت ورعد الرجل وبرق تهدد واوعد قال
ابن احمر يا جل ما بعدت عليك بلادنا وطلابنا فابرق بارضك
وارعد وارعد القوم وابرقوا اصابهم رعد وبرق اذا
تهدد وارعد وانكر الاصمعي واحتج عليه بقول الكميت
ابرق وارعد يا يزيد فما وعيدك لي بضاير فقال ليس
الكميت بحجة فائدة روى ابن عباس قال كنا مع عمر بن الخطاب
في سفر بين المدينة والشام ومعنا كعب الاحبار قال فاصابتنا
ريح واصابنا رعد ومطر شديد وبرد وفرق الناس قال
فقال لي كعب انه من قال حين يسمع الرعد سبحان من يسبح
الرعد بحمده والملايكة من خيفته عوفي مما يكون في ذلك
السحاب من الرعد والصواعق قال فقلتها انا وكعب الاحبار
فلما اصبحنا واجتمع الناس قلت لعمر يا امير المومنين كانا في
غير ما كان فيه الناس قال وما ذاك قال فحدثته حديث
كعب قال سبحان الله افلا قلتم لنا فنقول كما قلتم في رواية فاذا
بردة قد اصابت انف عمر فاثرت به وستاتي هذه الرواية
في سورة الرعد ان شا الله ذكر الروايتين ابو بكر احمد بن علي بن
ثابت الخطيب في رواية الصحابة عن التابعين رحمة الله عليهم وعن بن

مطلب

عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع الرعد والصواعق
قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك
خرجه الترمذي   (قوله) تعالى يجعلون اصابعهم في اذانهم جعلهم
اصابعهم في اذانهم لا يسمعوا القران فيومنوا به وبمحمد صلى الله
عليه وسلم وذلك عندهم كفر والكفر موت وفي واحد الاصابع
خمس لغات اصبع بكسر الهمزة وفتح البا واصبع بفتح الهمزة وكسر
البا ويقال بفتحهما جميعا ونصبهما جميعا وبكسرهما جميعا وهي
مونثة وكذلك الاذن وتخفف وتثقل وتصغر فيقال اذينة ولو
سميت بها رجلا ثم صغرته قلت اذين فلم تونث لزوال التانيث
عنه بالنقل الى المذكر فاما قولهم اذينة في الاسم العلم فانما سمي به
مصغرا والجمع اذان وتقول اذنته اذا ضربت اذنه ورجل اذن اذا
كان يسمع مقال كل واحد يستوي فيه الواحد والجمع واذاني عظيم
الاذنين ونعجة اذنا وكبش اذن واذنت النعل وغيرها تاذينا
اذا جعلت لها اذنا واذنت الصبي عركت اذنه   (قوله) تعالى من
الصواعق والصواعق جمع صاعقة قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما (مطلب)
اذا اشتد غضب الرعد الذي هو الملك طار النار من فيه وهي
الصواعق وكذا قال الخليل قال هي الواقعة الشديدة من صوت
الرعد يكون معها احيانا قطعة نار تحرق ما اتت عليه وقال ابو
زيد الصاعقة نار تسقط من السما رعد شديد وحكى الخليل
عن قوم الصاعقة بالسين وقال ابو بكر النقاش يقال صاعقة
وصعقة وصاقعة بمعنى واحد وقرا الحسن من الصواعق بتقديم

القاف

القاف ومنه قول ابي النجم يحكون بالمصقولة القواطع تشقق
البرق عن الصواقع قال النحاس وهي لغة تميم وبعض بني ربيعة ويقال
صعقتهم السما اذا القت عليهم الصاعقة والصاعقة ايضا صيحة
العذاب قال الله تعالى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون ويقال
صعق صعقة وتصعا قا اي غشي عليه ومنه قوله تعالى وخر موسى
صعقا واصعقه غيره قال ابن مقبل ترى النعرات الزرق تحت
لبانه احاد ومثنى اصعقتها صواهله وقوله تعالى فصعق
من في السموات ومن في الارض اي مات وشبه الله تعالى في
هذه الاية احوال المنافقين بما في الصيب من الظلمات والرعد
والبرق والصواعق فالظلمات مثل لما يعتقدونه من الكفر
والرعد والبرق مثل لما يخوفون به وقيل مثل الله تعالى القران
بالصيب لما فيه من الاشكال والعمى هو الظلمات وما فيه من
الوعيد والزجر هو الرعد وما فيه من النور والحجج الباهرة التي
يكاد احيانا ان تبهرهم هو البرق والصواعق مثل لما في القران من
من الدعا الى القتال في العاجل والوعيد في الاجل وقيل الصواعق
تكاليف الشرع التي تكرهونها من الجهاد والزكاة وغيرها
تعالى حذر الموت حذر وحذار بمعنى قال سيبويه هو منصوب
لانه موقع له اي مفعول من اجله وحقيقته انه مصدر وانشد
سيبويه واغفر عورا الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم
تكرما والموت ضد الحياة وقد بيناه في التذكرة وقد مات
يموت ويمات ايضا قال الراجز بنى سيدي البنات عسي

الوعيد

ولانا من ان يمات هو ميت وميت وقوم موتى واموات وميتون
وميتون والموات بالضم الموت والموت بالفتح والارواح فيه
والموات ايضا الارض التى لا مالك لها من الادميين ولا ينتفع بها
احد والموتان بالتحريك خلاف الحيوان يقال اشتر الموتان ولا
تشتر الحيوان اى اشتر الارضين والدور ولا تشتر الرقيق والدواب
والموتان بالضم موت يقع فى الماشيه يقال وقع فى المال موتان
واماته الله وموته شدد للمبالغه قال فعروة مات موتا مستريحا
يجاها نادا اموت كل يوم وامانت الناقه اذا مات ولدها فهى
مميت ومميته قال ابو عبيد وكذلك المراة وجمعها مماويت
وقال ابن السكيت امات فلان اذا مات له ابن او بنون والمماوت
مرصعه الناسك والمراى دموت مانت لقولك ليل لايل
يوحد من لفظه ما يولد به والمستميت للامر المسترسل له قال
رويه وربد البحر ويقال انا ما حسن ما لك اي ما يحصى والمياثه
فى الضحك دون القهقهه قاله الجوهرى والمستميت ايضا
المستقتل الذي لا يبالى فى الحرب من الموت وفى الحديث ارى
القوم مستميتين وهم الذين يقاتلون على الموت والموته بالضم
جنس من الجنون والصرع يعترى الانسان فاذا افاق عاد اليه
كمال عقله كالنايم والسكران ومونه بضم الميم وهمز الواو ارض
قتل بها جعفر بن ابى طالب عليه السلام تعالى والله محيط
بالكافرين اى علما وخبرا اى لا يفوتونه يقال احاط السلطان
بفلان اذا اخذه اخذا حاصرا من كل جهه قال الشاعر

احطنا بهم

احطنا بهم حتى اذا ما تيقنوا بما قد راوا ما لوا جميعا الى السلم و
قوله تعالى واحيط بثمره واصله محيط نقلت حركة اليا الى الحا فسكنت
فالله سبحانه محيط بجميع المخلوقات اى هي في قبضته وتحت قهره
كما قال والارض جميعا قبضته وقيل محيط بالكافرين اى عالم دليله
وان الله قد احاط بكل شي علما وقيل مهلكهم وجامعهم دليله
قوله تعالى الا ان يحاط بكم اى ان تهلكوا جميعا وخص الكافرين
بالذكر لتقدم ذكرهم في الايه والله اعلم تعالى
يكاد البرق يخطف ابصارهم يكاد معناه يقارب يقال كاد
يفعل كذا اذا قارب ولم يفعل ويجوز في غير القران كاد ان
يفعل كما قال روبه قد كاد من طول البلى ان يمصحا مشتق
من المصح وهو الدرس والاجود ان يكون بغير ان لانها لمقاربة
الحال وان تصرف الكلام الى الاستقبال وهذا مناف
قال الله عز وجل يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ومن كلام
العرب كاد النعام يطير وكاد العروس يكون اميرا لقربهما
من تلك الحال وكاد فعل منصرف على فعل يفعل وقد جا خبره
بالاسم وهو قليل قال وما كدت ايبا وهي تجري مجرى كاد كرب
وجعل وقارب وطفق في كون خبرها بغير ان قال الله تعالى
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة لانها كلها بمعنى الحال والمقاربة
والحال لا يكون معها ان فاعلم تعالى يخطف ابصارهم
الخطف الاخذ بالسرعة ومنه سمي الطير خطافا لسرعته وخطف
ويخطف لغتان قرى بهما وقد خطفه بالكسر يخطفه خطفا وهي اللغة

الجيدة واللغه الاخرى حكاها الاخفش خطف يخطف الجوهرى
وهي قليله رديه لا تكاد تعرف وقد قرا ابو يونس في قوله تعالى يكاد
البرق يخطف ابصارهم وقال النحاس في يخطف سبعة اوجه القراة
الفصيحة يخطف وقرا علي بن الحسين ويحيى بن وثاب يخطف بكسر
الطا قال سعيد الاخفش هي لغه وقرا الحسن وقتاده وعاصم الجحدري
وابو رجا العطاردي بفتح اليا وكسر الخا والطا وروى عن الحسن
ايضا انه قرا بفتح الخا قال الفرا وقرا بعض اهل المدينه باسكان الخا
وتشديد الطا قال الكسائي والاخفش يجوز يخطف بكسر اليا والخا
والطا فهذه سته اوجه موافقه للخط والسابعه حكاها عبد الوارث
قال رايت في مصحف ابي بن كعب يتخطف وزعم سيبويه والكسائي
ان من قرا يخطف بكسر اليا والخا فالاصل عنده يختطف ثم ادغم
التا في الطا فالتقا ساكنان فكسرت الخا لالتقا الساكنين قال سيبويه
ومن فتح الخا القا حركة اليا عليها وقال الكسائي ومن كسر اليا فلان
الالف في اختطف مكسوره فاما ما حكاه الفرا عن اهل المدينه من
اسكان الخا والادغام فلا يعرف ولا يجوز لانه جمع بين ساكنين قال
النحاس ابصارهم جمع بصر وهي حاسه الرويه والمعنى يكاد حجج القران
وبراهينه الساطعة تبهرهم ومن جعل البرق مثلا للتخويف فالمعنى
ان خوفهم مما ينزل بهم يكاد يذهب ابصارهم ومن جعله مثلا للبيان
الذي في القران فالمعنى انهم جاهم من البيان ما بهرهم   تعالى
كلما اضا لهم مشوا فيه كلما منصوب لانه ظرف واذا كانت كلما
بمعنى اذا فهي موصوله والعامل فيه مشوا وهو جوابه ولا يعمل فيه

اضا لانه

اضا لانه في صلة ما والمفعول في قول المبرد محذوف والتقدير
عنده كلما اضا لهم البرق الطريق وقيل يجوز ان يكون فعل وافعل بمعنى
كسكت واسكت فيكون اضا وضا سوا فلا يحتاج الى تقدير حذف
مفعول قال الفرا يقال اضا وضا وقد تقدم والمعنى انهم كلما سمعوا
القران وظهرت لهم الحجج انسوا ومشوا معه فاذا نزل من القران ما يعمو
به ويضلون به ايكلفونه قاموا اي ثبتوا على نفاقهم عن بن عباس
وقيل المعنى كلما صلحت احوالهم في زروعهم ومواشيهم وتوالت عليهم
النعم قالوا دين محمد دين مبارك واذا نزلت بهم مصيبة واصابتهم
شدة سخطوه وثبتوا في نفاقهم عن بن مسعود وقتادة قال النحاس وهذا
قول حسن ويدل على صحته ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه
خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه وقال علما الصوفية هذا
مثل ضربه الله تعالى لمن لم يصح له احوال الارادة بدا فارتقى من تلك
الاحوال بالدعاوي الى احوال الاكابر كانت تطي عليه احوال الارادة
لو صححها بملازمة ادابها فلما مزجها بالدعاوي اذهب الله عنه تلك
الانوار وبقي في ظلمات دعاويه لا يبصر طريق الخروج منها وروي عن
بن عباس ان المراد اليهود لما نصر النبي صلى الله عليه وسلم ببدر طمعوا
طمعوا وقالوا هذا والله النبي الذي بشرنا به موسى لا ترد له راية فلما
نكب باحد ارتدوا وشكوا وهذا ضعيف والاية في المنافقين
وهو اصح عن بن عباس والمعنى يتنا ول الجميع تعالى ولو شا الله تعالى
لذهب بسمعهم وابصارهم لو حرف تمني وفيه معنى الجزا وجوابه اللام
والمعنى ولو شا الله لاطلع المومنين عليهم فذهب منهم عز الاسلام

بالاستيلا عليهم وقتلهم واخرجهم من بيتهم وخص السمع والبصر لتقدم
ذكرهما في الايه اولا ولانهما اشرف ما في الانسان وقرى باسماعهم على
الجمع وقد تقدم الكلام في هذا   تعالى ان الله على كل شي قدير عموم
ومعناه عند المتكلمين فيما جوز وصفه تعالى بالقدره عليه واجتمعت الامه على
تسميه الله تعالى بالقدير فهو سبحانه قدير قادر مقتدر والقدير ابلغ في
الوصف من القادر قاله الزجاجي وقال الهروي والقدير والقادر بمعنى واحد
تعال قدرت على الشي اقدر قدرا وقدرا وقدرا ومقدره ومقدره ومقدره
وقدرانا اي قدره والاقتدار على الشي القدره عليه فالله سبحانه
وتعالى قادر مقتدر قدير على كل ممكن يقبل الوجود والعدم فيجب
على كل مكلف ان يعلم ان الله سبحانه قادر له قدره بها فعل ويفعل ما
يشا على وفق علمه واختياره ويجب عليه ايضا ان يعلم ان للعبد قدره
يكتسب بها ما اقدره الله تعالى عليه على مجرى العاده وانه غير مستبد
بقدرته وانما خص هنا سبحانه وتعالى صفته التي هي القدره بالذكر
دون غيرها لانه تقدم ذكر فعل مضمنه الوعيد والاخافه فكان
ذكر القدره مناسبا لذلك والله اعلم فهذه عشرون ايه على عدد
الكوفيين اربع ايات في وصف المنافقين يليها اثنان في ذكر الكافرين
وبقيتها في المنافقين وقد تقدمت الروايه فيها عن ابن جريج وقاله
مجاهد ايضا   تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم
قال علقمه ومجاهد كل ايه اولها يا ايها الناس فانما نزلت بمكه وكل ايه اولها
يا ايها الذين امنوا فانما نزلت بالمدينه قلت وهذا يرده ان هذه
السوره والنسا مدنيتان وفيهما يا ايها الناس واما قولهما في يا ايها الذين

امنوا

امنوا فصحيح وقال عروة بن الزبير ما كان من حد او فريضة فانه
نزل بالمدينة وما كان من ذكر الامم والعذاب فانه نزل بمكة وهذا
واضح ويا في قولك يا ايها حرف نداء اي منادى مفرد مبني على الضم لانه
منادى في اللفظ وها للتنبيه الناس مرفوع صفة لاي عند جماعة
النحويين ما عدا المازني فانه اجاز النصب قياسا على جوازه في يا هذا الرجل
وقيل ضمت اي كما ضم المقصود المفرد وجاؤا بها عوضا عن يا اخرى وانما لم
ياتوا بيا لئلا ينقطع الكلام فجاؤا بها حتى يبقى الكلام متصلا قال
سيبويه كانك كررت يا مرتين وصار الاسم بينهما كما قالوا هاهو ذا
وقيل لما تعذر عليهم الجمع بين حرفي تعريف اتوا في الصورة بمنادى مجرد
عن حرف تعريف واجروا عليه المعرف باللام المقصود بالنداء والتزموا
رفعه لانه المقصود بالنداء فجعلوا اعرابه بالحركة التي كان يستحقها
لو باشرها النداء تنبيها على انه المنادى فاعلمه واختلف من المراد بالناس
هنا على قولين احدهما الكفار الذين لم يعبدوه يدل عليه قوله تعالى
وان كنتم في ريب الثاني عام في جميع الناس فيكون خطابا للمومنين
باستدامة العبادة وللكافرين بابتدائها وهذا احسن
تعالى اعبدوا امر بالعبادة له والعبادة هنا عبارة عن توحيد
والتزام شرايع دينه واصل العبادة الخضوع والتذلل يقال
طريق معبد اذا كانت موطوءة بالاقدام قال طرفه وظيفا وظيفا
فوق مور معبد والعبادة الطاعة والتعبد والتنسك وعبدت
فلانا اتخذته عبدا تعالى الذي خلقكم خص تعالى خلقه لهم
من بين ساير صفاته اذا كانت العرب مقرة بان الله خلقها فذكر ذلك

حجة عليهم وتقريعا لهم وقيل ليذكرهم بذلك نعمته عليهم وفي اصل
الخلق وجهان الثقدير بقيا لخلقت الاديم للسقا اذ قدرته قبل
القطع قال زهير ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم
لا يفري وقال الحجاج ما خلقت الا فريت ولا وعدت الا وفيت
الثاني الانشا والاختراع والابداع قال الله تعالى وتخلقون افكا
تعالى والذين من قبلكم فيقال اذا ثبت عندهم
خلقهم ثبت عندهم خلق غيرهم فالجواب انه انما جرى الكلام
على التنبيه والتذكير ليكون ابلغ في العظمة فذكرهم من قبلهم
ليعلموا ان الذي امات من قبلهم وهو خلقهم يميتهم وليفكروا
فيمن مضى قبلهم كيف كانوا وعلى اي الامور مضوا من اهلاك من اهلك
وليعلموا انهم يبتلون كما ابتلوا والله اعلم تعالى لعلكم
تتقون هذا وما كان مثله مما ورد في كلام الله تعالى من قوله لعلكم
تعقلون لعلكم تتقون لعلكم تشكرون لعلكم تذكرون لعلكم
تهتدون فيه ثلاث تاويلات الاولى لعل على بابها من الترجي
والتوقع والترجي والتوقع انما هو في حيز البشر فكانه قيل لهم
افعلوا ذلك على الرجا منكم والطمع ان تعقلوا وان
تذكروا وان تتقوا هذا قول سيبويه ورؤسا اللسان قال
سيبويه في قوله عز وجل اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له
قولا لينا لعله يتذكر او يخشى قال معناه اذهبا على طمعكما
ورجائكما ان يتذكر او يخشى واختار هذا القول ابو المعالي
الثاني ان العرب استعملت لعل مجردة من الشك بمعنى لام كي

فالمعنى ليعقلوا وليذكروا وليتقوا وعلى ذلك يدل قول الشاعر
وقلتم لنا كفوا الحرب لعلنا نكف ووثقتم لها كل موثق فلما كففنا
الحرب كانت عهودكم كلمع سراب في الملا تالق المعنى كفوا الحرب
لنكف ولو كانت ولو كانت لعل هنا شكا لم يوثقوا لهم كل موثق
وهذا القول عن قطرب والطبري الثالث ان يكون لعل بمعنى
التعرض للشي كانه قيل افعلوا ذلك متعرضين لان تعقلوا
او لان تذكروا او لان تذكروا او لا تتقوا والمعنى في قوله تعالى
لعلكم تتقون اي لعلكم ان تجعلوا بقبول ما امركم الله به
وقاية بينكم وبين النار وهذا من قول العرب اتقاه بحقه اذا
استقبله به فكانه جعل دفعه حقه اليه وقاية له من المطالبة
ومنه قول علي رضي الله عنه كنا اذا احمر الباس اتقينا بالنبي
عليه السلام اي جعلناه وقاية لنا من العدو وقال
عنترة ولقد اكرت المهر يدمي نحره حتى اتقتني الخيل بابني
حذيم وقد تقدم هذا المعنى والحمد لله تعالى
الذي جعل لكم الارض فراشا والسما بنا وانزل من السما
ما فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم
تعلمون فيه تسع مسايل قوله تعالى جعل لكم معناه
صير لتعديه الى مفعولين وياتي بمعنى خلق ومنه قوله تعالى
ما جعل الله من بحيرة وقوله وجعل الظلمات والنور وياتي
بمعنى سمى ومنه قوله تعالى حم والكتاب المبين انا جعلناه
قرانا عربيا وقوله وجعلوا له من عباده جزا وجعلوا الملايكة

الذين هم عباد الرحمن اناثا ويانى بمعنى اخذ كما قال الشاعر
وقد جعلت نفسى يطيب لضغمه لضغمهما ها يقرع العظم نابها
وقد ياتى زايدا كما قال الاخر وقد جعلت ارى الاثنين اربعة
والاربع اثنين لما هدنى الكبر وقد قيل فى قوله تعالى وجعل
الظلمات والنور انها زايدة على ما ياتى وجعل واجتعل بمعنى
واحد قال الشاعر ناطا امر الضعاف واجتعل الليل كحبل العادية
الممدود قوله تعالى فراشا اى وطاء تفترشونها وتستقرون
عليها وما ليس بفراش كالجبال والبحار فهى من مصالح ما يفترش
منها لان الجبال كالاوتاد كما قال تعالى الم نجعل الارض مهادا
والجبال اوتادا والبحار تركب الى سائر منافعها كما قال والفلك
التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس قال اصحاب الشافعى
لو حلف رجل لا يبيت على فراش ولا يستسرج سراجا فبات على
الارض وجلس فى الشمس لم يحنث لان اللفظ لا يرجع اليهما عرفا
واما المالكية فبنوه على اصلهم فى الايمان انها محمولة على النية او
السبب او البساط الذى جرت عليه اليمين وان عدم ذلك
فالعرف قوله تعالى والسما بنا السما للارض كالسقف
للبيت ولهذا قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وكل ما علا فانه
قيل له سما وقد تقدم القول فيه على بنا احسن منه على تقفون
لان قوله الذى جعل لكم الارض فراشا نعت للرب تعالى ويقال
بنى فلان بيتا وبنى على اهله بنا فيهما اى زفها والعامة تقول
بنى باهله وهو خطا وكان الاصل فيه ان الداخل باهله كان يضرب

عليها

عليها فيه ليله دخوله بها فقيل لكل داخل باهل بان وبنى تصور اشد
للكثرة وابنى دارا وبنى بمعنى ومنه بنيان الحايط واصله وضع لبنه
لبنه على اخرى حتى يثبت قوله تعالى وانزل من السما ما
اصل الما موه فقلبت الواو الفا لتحركها وتحرك ما قبلها فقلت ماه
فالتقى حرفان خفيفان فابدلت من الها همزة لانها اجلد وهى بالالف
اشبه فقلت ما الالف الاولى عين الفعل وبعدها الهمزة التى
هى بدل من الها وبعد الهمزة الف بدل من التنوين قال ابو الحسن
لا يجوز ان يكتب الا بالفين عند البصريين وان شيت بثلاث
فاذا جمعوا او صغروا ردوه الى الاصل فقالوا مويه وامواه
ومياه ايضا مثل جمال واجمال قوله تعالى فاخرج به
من الثمرات رزقا لكم الثمرات جمع ثمرة ويقال ثمر مثل سجر
ويقال ثمر مثل خشب ويقال ثمر مثل بدن وثمار مثل اكام
جمع ثمر وسياتى لهذا مزيد بيان فى الانعام ان شا الله وثمار البساط
عقد اطرافها والمعنى فى الايه اخرجنا لكم الوانا من الثمرات وانواعا
من النبات رزقا طعاما لكم وعلفا لانعامكم وقد بين هذا قوله تعالى
انا صببنا الما صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا
وقضبا وزيتونا ونخلا وحدايق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم
ولانعامكم وقد مضى الكلام فى الرزق مستوفى والحمد لله فان
قيل كيف اطلق اسم الرزق على ما يخرج من الثمرات قبل التملك
قيل له لانها معدة لان تملك ويصح بها الانتفاع فهى رزق
قلت ودلت هذه الاية على ان الله تعالى اغنى

الانسان عن كل مخلوق ولهذا قال عليه السلام مشيرا الى هذا
المعنى والله لان ياخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من ان
يسال احدا اعطاه او منعه اخرجه مسلم ويدخل في معنى الاحتطاب
جميع الاشغال من الصنايع وغيرها فمن احوج نفسه الى البشر مثله
بسبب الحرص والامل والرغبة في زخرف الدنيا فقد اخذ بطرف
من جعل لله ندا وقال علما الصوفيه اعلم الله سبحانه في هذه الايه
سبيل الفقر وهو ان يجعل الارض وطا والسما غطا والما طيبا
والكلام طعاما ولا يعبد احدا في الدنيا من الخلق بسبب الدنيا
فان الله عز وجل قد اباح لك ما لابد لك منه من غير منة فيه
لاحد عليك قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا لا ان نهي
تجعلوا مجزوم بالنهي اندادا اي اكفا وامثالا ونظرا واحدها ند
ولذلك قرا محمد بن السميفع ندا وقال الشاعر نحمد الله ولا ند له
عنده الخير وما شا فعل وقال حسان بن ثابت اتهجره وليس له بند
فشركما لخيركما الفدا ويقال ند ونديد ونديدة على المبالغه
قال لبيد لكيلا تكون السندري نديدتي واجعل اقواما
عموما عماعما وقال ابو عبيده اندادا اضدادا النحاس اندادا
اول وله في موضع الثاني الجوهري والند بفتح النون التل المرتفع
في السما والند من الطيب ليس بعربي وند البعير يند ندا وندادا
وندودا نفر وذهب على وجهه ومنه قرا بعضهم يوم الناد
وندد به اي شهره وسمع به قوله تعالى وانتم تعلمون
ابتدا وخبر والجمله في موضع الحال والخطاب للكفار والمنافقين

عن

عصمنا الله من ذلك

عن بن عباس فان قيل كيف وصفتم بالعلم وقد نعتهم بخلاف ذلك
من الختم والطبع والعمى والصم فالجواب من وجهين احدهما وانتم
تعلمون يريد العلم الخاص في ان الله تعالى خلق الخلق وانزل الما وانبت
الرزق فيعلمون انه المنعم عليهم دون الانداد الثاني ان يكون
المعنى وانتم تعلمون وحدانيته بالقوة والامكان لو تدبرتم
ونظرتم والله اعلم وفي هذا دليل على الامر باستعمال حجج العقول
وابطال التقليد وقال بن فورك يحتمل ان يتناول الايه المومنين
فالمعنى لا ترتدوا ايها المومنون وتجعلوا لله اندادا بعد علمكم
الذي هو نفي الجهل بان الله تعالى واحد تعالى وان كنتم
في ريب اي في شك مما نزلنا يعني القران والمراد المشركون الذين
تحدوا فانهم لما سمعوا القران قالوا ما يشبه هذا كلام وانا لفي
شك منه نزلت الايه على عبدنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
والعبد ماخوذ من التعبد وهو التذلل فسمي المملوك من جنس
ما يفعله عبدا لتذلله لمولاه قال طرفه وحتى تحامتني العشيرة
كلها وافردت افراد البعير المعبد اي المذلل قال
بعضهم لما كانت العبادة اشرف الخصال والتسمي بها
اشرف الخطط سمى نبيه عبدا وانشدوا يا قوم قلبي عند
زهرا تعرفه السامع والراء لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف
اسماء فاتوا الفا جواب الشرط اتوا مقصود لانه من باب المجي
قاله بن كيسان وهو امر معناه التعجيز لانه تعالى علم عجزهم عنه
والسورة واحدة السور وقد تقدم الكلام فيها وفي اعجاز

القران فلا معنى للاعادة الا التطويل والاكثار ومن في قوله
من مثله زايده كما قال في سورة اخرى فاتوا بسورة مثله
والضمير في مثله عايد على القران عند الجمهور من العلما وقيل
يعود على التوريه والانجيل المعنى فاتوا بسورة من كتاب مثله
فانها تصدق ما فيه وقيل يعود على النبي صلى الله عليه وسلم المعنى
من بشر امي مثله لا يكتب ولا يقرا فمن على هذين القولين
للتبعيض والوقف على مثله ليس بتمام لان وادعوا نسق عليه ومعنى
شهداكم اعوانكم ونصراكم الفرا الهتكم وقال ابن كيسان
فان قيل كيف ذكر الشهدا هاهنا وانما يكون الشهدا ليشهدوا
امرا او ليخبروا بامر شهدوه وانما قيل لهم فاتوا بسورة من
مثله فالجواب ان المعنى استعينوا بمن وجدتموه من علمايكم
واحضروهم ليشهدوا واما تاتون به فيكون الرد على الجميع
اوكد في الحجه عليهم قلت هذا معنى قول مجاهد في الايه
قال مجاهد معنى وادعوا شهداكم اي ادعوا اناسا يشهدون
لكم اي يشهدون انكم عارضتموه النحاس شهداكم نصب
الفعل جمع شهيد يقال شاهد وشهيد مثل قادر
وقدير من دون الله اي من غيره دون نقيض فوق وهو
تقصير عن الغايه ويكون ظرفا والدون الحقير الخسيس
قال الشاعر اذا ما علا المرا رام العلا ويقنع بالدون
من كان دونه ولا يشتق منه فعل وبعضهم يقول منه
دان يدون دونا ويقال هو ادون من ذا اي اقرب منه

ويقال

ويقال في الاغرا بالشي دونك هو قال تميم للحجاج اقبرنا
صالحا وكان قد صلبه فقال دونكموه تعالى ان كنتم
صادقين اي فيما قلتم من انكم تقدرون على المعارضه لقولهم في
ايه اخرى لو نشا لقلنا مثل هذا والصدق خلاف الكذب وقد
صدق في الحديث والصدق الصلب من الرماح ويقال صدقوهم
القتال والصديق الملازم للصدق ويقال رجل صدق كما
يقال نعم الرجل والصداقه مشتقه من الصدق في النصح والود
فان لم تفعلوا يعني فيما مضى ولن تفعلوا اي تطيقوا ذلك
فيما ياتي والوقف على صادقين على هذا تام وقال جماعه من المفسرين
معنى الايه وادعوا شهداكم من دون الله ان كنتم صادقين وان
تفعلوا فان لم تفعلوا فاتقوا النار فعلى هذا التفسير لا يتم
الوقف على صادقين فان قيل دخلت ان على لم ولا يدخل عامل على
عامل فالجواب ان ان ها هنا غير عامله في اللفظ فدخلت على لم كما
دخلت على الماضي لانها لا تعمل في لم كما لا تعمل في الماضي فمعنى ان لم
تفعلوا اي تركتم الفعل ولن تفعلوا نصب بلن ومن العرب
من يجزم بها ذكره ابو عبيده ومنه بيت النابغه فلن
اعرض ابيت اللعن بالصفد وفي حديث ابن عمر حين ذهب
به الى النار في منامه فقيل لي لن ترع خرجه مسلم هذا على
تلك اللغه وفي قوله ولن تفعلوا اثاره لهممهم وتحريك
لنفوسهم ليكون عجزهم بعد ذلك ابدع وهذا من الغيوب
الذي اخبر بها القران قبل وقوعها وقال ابن كيسان ولن

تفعلوا توقيفا لهم على انه الحق وانهم ليسوا صادقين فيما زعموا
من انه كذب وانه مفترى وانه سحر وانه اساطير الاولين
وهم يدعون العلم ولا ياتون بسورة من مثله تعالى
فاتقوا النار جواب فان تفعلوا وقد تقدم معنى التقوى لغة
ومعنى ويقال ان لغة تميم واسد تقوا النار وحكى سيبويه
تقى يتقي مثل قضى يقضي النار مفعوله التي من نعتها وفيها ثلاث لغات تا
التي واللت بكسر التا واللت باسكانها كالبيت يرى زينه فاصطلد
وهي اسم مبهم للمونث وهي معرفه ولا يجوز نزع الالف منها للتنكير
ولا يتم الا بصله وفي تثنيتها ثلاث لغات ايضا اللتان واللتا بحذف
النون واللتان بشد النون وفي جمعها خمس لغات اللاي وهي
لغة القران واللات بكسر التا بلا يا واللواتي واللوات
بلا يا ، وانشد ابو عبيد من اللواتي والتي واللات زعمن
ان قد كبرت لداتي واللوا باسقاط التا هذا ما حكاه الجوهري
وزاد ابن الشجري اللاء بالهمز واثبات اليا واللا بكسر الهمزه
وحذف اليا واللا بحذف الهمزه فان جمعت الجمع قلت في
اللاتي اللواتي وفي اللاي اللواي قال الجوهري وتصغير التي
اللتيا بالفتح والتشديد قال الراجز بعد اللتيا واللتيا والتي
اذا علتها نفس تردت وبعض الشعرا ادخل على التي حرف الندا
وحروف الندا لا تدخل على ما فيه الالف واللام الا في قولنا
يا الله وحده فكانه شبهها به من حيث كانت الالف واللام
غير مفارقتين لها وقال من اجلك يا التي تيمت قلبي

وانت

وانت مخيلة بالوصف عنى ويقال وقع في اللبتا والى وهما اسما من اسما
الداهيه تعالى وقودها الناس والحجاره ابتدا وخبر والوقود
بالفتح الحطب وبالتوقد والناس عموم ومعناه الخصوص فيمن سبق عليه
القضا انه يكون حطبا لها اجارنا الله منها والحجارة هي حجارة الكبريت عن
بن مسعود والفرا وخصت بذلك لانها تزيد على جميع الحجارة بخمسة انوا ع
من العذاب سرعة الاتقاد نتن الرايحه كثرة الدخان شدة الالتصاق
بالابدان قوة حرها اذا احميت وقيل المراد بالحجارة الاصنام لقوله تعا لي
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اي حطب وعليه فيكون
الحجاره والناس وقودا للنار وذلك تعظيما للنار انها تحرق الحجاره مع
احراقها للناس وعلى التاويل الاول يكونون معذبين بالنار والحجاره وقد
جا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل موذ في النار وفي
تاويله وجهان احدهما ان كل من اذى الناس في الدنيا عذبه الله في
الاخرة الثاني ان كل ما يوذي الناس في الدنيا من السباع والهوام وغيرها
في النار معد لعقوبة اهل النار وذهب بعض اهل التاويل الى ان هذه
النار المخصوصة بالحجارة هي نار الكافرين خاصة والله اعلم وروى مسلم
عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله ان ابا طالب كان
يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار
فاخرجته الى ضحضاح وفي روايه ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار
وقرا الحسن ومجاهد وطلحه بن مصرف وقودها بالضم في الواو وقرا
عبيد بن عمير وقيدها قال الكسائي والاخفش الوقود بفتح الواو
الحطب وبالضم الفعل يقال وقدت النار تقد وقودا بالضم ووقدا

اى توقدت واوقدتها انا واستوقدتها ايضا والايقاد مثل التوقد
والموضع موقد مثل مجلس والنار موقده والوقده شده الحر وهي عشره
ايام او نصف شهر قال النحاس يجب على هذا ان لا يقرا الا وقودها لان
المعنى حطبها الا ان الاخفش قال وحكى ان بعض العرب يجعل الوَقود والوُقود
بمعنى الحطب والمصدر قال النحاس وذهب الى ان الاول اكثر قال كما ان
الوضو الما والوضو المصدر تعالى اعدت للكافرين ظاهره ان
غير الكافرين لا يدخلها وليس كذلك بدليل ما ذكر في غير موضع من الوعيد للمذنبين
وبالاحاديث الثابته في الشفاعه على ما ياتي وفيه دليل على ما يقول اهل الحق
ان النار موجوده مخلوقه خلافا للمبتدعه في قولهم انها لم تخلق حتى
الان قال ابن عطيه وهو القول الذي سقط فيه القاضي منذر بن
سعيد البلوطي الاندلسي قلت ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سمع وجبه فقال النبي صلى
الله عليه وسلم اتدرون ما هذا قال قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا
حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفا فهو يهوي في النار الان حين
انتهى الى قعرها وروى البخاري عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم احتجت النار والجنه فقالت هذه يدخلها الجبارون
والمتكبرون وقالت هذه يدخلني الضعفا والمساكين فقال الله
لهذه انت عذابي اعذب بك من اشا وقال لهذه انت رحمتي ارحم
بك من اشا ولكل واحده منكما ملوها اخرجه مسلم بمعناه لا يقال احتجت
بمعنى يحتج للحديث المتقدم حديث ابن مسعود ولان النبي صلى الله عليه
وسلم قد راهما في صلاة الكسوف وراها ايضا في اسرايه ودخل الجنه فلا معنى

لما خالف

لما خالف ذلك وبالله التوفيق واعد تيجوز ان يكون حالا للنار على معنى
معدة واضمرت معه قد كما قال تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم لغاية
صدورهم ومع حرف قد مضمرة لان الماضي لا يكون حالا الا مع قد
فعلى هذا لا يتم الوقف على الحجارة وجوز ان يكون كلاما منقطعا مما قبله كما
قال تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم وقال السجستاني
اعدت للكافرين من صلة التي كما قال في آل عمران واتقوا النار التي اعدت
للكافرين ابن الانباري وهذا غلط لان التي في سورة البقرة قد وصلت
بقوله وقودها الناس فلا يجوز ان توصل بصلة ثانية وفي آل عمران ليس
لها صلة غير اعدت   تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات
ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي
رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون
فيه سبع مسائل   لما ذكر جل وعز جزاء الكافرين ذكر جزاء المؤمنين
ايضا والتبشير الاخبار بما يظهر اثره على البشرة وهي ظاهر الجلد لتغيرها
باول خبير يرد عليك ثم الغالب ان يستعمل في السرور مقيدا بالخير المبشر
به وغير مقيد ايضا قال الله تعالى فبشرهم بعذاب اليم ويقال بشرته وبشرته
به مخفف ومثقل بشارة بكسر الباء فابشر واستبشر وابشر يبشر اذا
فرح ووجه بشير اذا كان حسنا بين البشارة بفتح الباء والبشرى ما يعطاه
المبشر وتباشير الشيء اوله   اجتمع العلماء على ان الحالف اذا قال
من بشرني من عبيدي بكذا فهو حر فبشره واحد من عبيده فاكثر فان اولهم
يكون حرا دون الثاني واختلفوا اذا قال من اخبرني من عبيدي
بكذا فهو حر فهل يكون الثاني مثل الاول فقال اصحاب الشافعي نعم

لان كل واحد مخبر وقال علما وقال لا لان الحلف انما قصد خبرا يكون بشارة
وذلك مختص بالاول وهذا معلوم عرفا فوجب صرف الاول اليه وفرق محمد بن
الحسن بين قوله اخبرني او حدثني فقال اذا قال الرجل اي غلام لي اخبرني بكذا او
اعلمني بكذا بكذا فهو حر ولا نيه له فاخبره غلام له بكتاب او كلام او رسول
فان الغلام يعتق لان هذا خبر بذلك وان اخبره بعد ذلك غلام له عتق لانه
قال اي غلام اخبرني فهو حر ولو اخبروه كلهم عتقوا وان كان عنى حين
حلف بالخبر كلام مشافهه لم يعتق واحد منهم الا ان يخبره بكلام مشافهه
بذلك الخبر قال واذا قال واي غلام لي حدثني فهذا على المشافهه لا يعتق
واحد منهم قوله تعالى وعملوا الصالحات رد على من يقول ان
ان الايمان بمجرده يقتضي الطاعات لانه لو كان ذلك ما اعادها فالجنه
تنال بالايمان والعمل الصالح وقيل الجنة تنال بالايمان والدرجات
تستحق بالاعمال الصالحات والله اعلم تعالى ان لهم جنات
ان في موضع نصب بيبشر المعنى وبشر الذين امنوا بان لهم او لان لهم فلما
سقط الخافض عمل الفعل وقال الكسائي وجماعة من البصريين ان في
موضع نصب خفض باضمار الباء جنات في موضع نصب اسم ان وان
وما عملت فيه في موضع المفعول الثاني والجنات البساتين وانما
سميت جنات لانها تجن من فيها اي تستره بشجرها ومنه الجن والجنين
والجنه وتجري في موضع النعت لجنات وهو مرفوع لانه فعل مستقبل
فحذفت الضمة من اليا لثقلها معها من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها
ولم يجر لها ذكر لان الجنات داله عليها الانهار اي ما الانهار فنسب الجرى
الى الانهار توسعا وانما يجري الما وحده فحذف اختصارا كما قال

واسال القرية

واسل القرية اي اهلها وقال الشاعر نبئت ان النار بعدك اوقدت
واستب بعدك يا كليب المجلس اراد اهل المجلس فحذف والنهر ماخوذ من
انهرت اي وسعت ومنه قول قيس بن الحطيم ملكت بها كفي فانهرت
فتقها يرى قايم من دونها ما وراها اي وسعتها نصف طعنه ومنه قول النبي صلى
الله عليه وسلم انهر الدم واذكر اسم الله عليه فكلوه معناه ما وسع الذبح
جرى الدم كالنهر وجمع النهر نهر وانهار ونهر نهر كثير الما قال ابو ذويب
اقامت به فابتنت خيمة على قصب وفرات نهر وروي ان انهار الجنة
ليست في اخاديد انما تجري على سطح الجنة منضبطة بالقدرة حيث
شا اهلها والوقف على الانهار حسن وليس بتام لان قوله كلما رزقوا
منها من ثمرة من وصف الجنة رزقا مصدر وقد تقدم القول
فيه قوله تعالى من قبل يعني في الدنيا وفيه وجهان احدهما
انهم قالوا هذا الذي وعدنا به في الدنيا الثاني هذا الذي
في الدنيا لان لونها يشبه ثمار الدنيا فاذا اكلوا وجدوا طعمه
غير ذلك وقيل من قبل يعني في الجنة لانهم يرزقون ثم يرزقون
فاذا اتوا بطعام وثمار في اول النهار فاكلوا منها ثم اتوا منها
في اخر النهار قالوا هذا الذي رزقنا من قبل يعني اطعمنا في
اول النهار لان لونه يشبه ذلك فاذا اكلوا منه وجدوا لها
طعما غير طعم الاول واتوا فعلوا من اتيت وقراه الجماعة
بضم الهمزة والتا وقرا هارون الاعور واتوا بفتح الهمزة
والتا فالضمير في القراه الاولى لاهل الجنة وفي الثانية للخدام
به متشابها حال من الضمير في به اي يشبه بعضه بعضا في

المنظر ويختلف قاله بن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم وقال
عكرمة يشبه ثمر الدنيا وينا سه في جل الصفات وعن بن عباس
هذا على وجه التعجب وليس في الدنيا شي مما في الجنه سوى الاسما
فكانهم تعجبوا لما راوا من حسن الثمره وعظم خلقها وقال قتاده
خيارا لا ارذل منه لقوله كتابا متشابها وليس كثمار الدنيا التي
لا تتشابه لان فيها خيارا وغير خيار قوله تعالى ولهم
فيها ازواج ابتدا وخبر وازواج جمع زوج والمراه زوج الرجل
والرجل زوج المراة قال الاصمعي ولا تكاد العرب تقول زوجه
وحكى الفرا انه يقال زوجه وانشد للفرزدق وان الذي
يسعى ليفسد زوجتي كساع الى اسد الشرا يستبيلها وقال
عمار بن ياسر في شان عايشه ام المومنين رضى الله عنها والله اني
لاعلم انها زوجته في الدنيا والاخرة ولكن الله ابتلاكم ذكره
البخاري واختاره الكسائ مطهرة نعت الازواج ومطهرة
في اللغة اجمع من طاهرة وابلغ ومعنى هذه الطهاره من الحيض
والنفاس والبصاق وساير اقذار الادميات ذكر عبد الرزاق
قال اخبرني الثوري عن بن جريح عن مجاهد مطهرة قال لا يبولن
ولا يتغوطن ولا يلدن ولا ~~يحضن~~ يحضن ولا يمنين ولا يبزقن
وقد اتينا على هذا كله في وصف اهل الجنه وصفه الجنه ونعيمها
من كتاب التذكره مستوفي والحمد لله قوله تعالى
وهم فيها خالدون هم مبتدا خالدون خبره والظرف
ملغي ويجوز في غير القران نصب خالدين على الحال والخلود

البقا

البقا ومنه الخلد وقد يستعمل مجازا فيما عمه يطول ومنه
قولهم في الدعا خلد الله ملكه اى طوله قال زهير الا لاارى
على الحوادث باقيا ولا خالدا الا الجبال الرواسيا واما الذي في
الايه فهو الذي حقيقه والله اعلم   تعالى ان الله لا يستحيي
ان يضرب مثلا ما بعوضه فما فوقها قال بن عباس في روايه ابي
صالح لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين يعني مثلهم
كمثل الذي استوقد نارا وقوله او كصيب من السما قالوا
الله اجل واعلى من ان يضرب الامثال فانزل هذه الايه وفي
روايه عطا عن بن عباس قال لما ذكر الله الهة المشركين فقال
وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه وذكر كيد
الالهه فجعله كبيت العنكبوت قالوا ارايت حيث ذكر الله
الذباب والعنكبوت فيما انزل من القران على محمد اى شي يصنع
فانزل الله الايه وقال الحسن وقتاده لما ذكر الله الذباب
والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود
وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله والاستحيا من الحيا
وحيا الرجل من قوه حياته لشده علمه بمواقع الغيب ويستحيي
اصله يستحيي عينه ولامه حرفا عله اعلت اللام منه بان
استثقلت الضمه على اليا فسكنت واسم الفاعل على هذا مستحيي والجمع
مستحيون ومستحيين وقرا بن محيصن يستحي بكسر الحا ويا واحده
ساكنه وروي عن بن كثير وهي لغة تميم وبكر بن وايل نقلت فيها
حركه اليا الاولى الى الحا فسكنت ثم استثقلت الضمه على الثانيه

فسكنت لحذفت احدهما للالتقا واسم الفاعل مستح والجمع
مستحيون ومستحيين قاله الجوهري واختلف المتاولون في معنى
يستحيي في هذه الاية فقيل لا يخشى ورجحه الطبري وفي التنزيل وتخشى الناس
والله احق ان تخشاه بمعنى تستحيي وقال غيره لا يترك وقيل لا يمتنع واصل
الاستحيا الانقباض عن الشي والامتناع منه خوفا من مواقعة القبيح
وضرب المثل ليس بقبيح وكذا يستحيي من مخالفة امر من يرفه فلك
ولا يجوز ذلك في صفة الله تعالى المعنى الاستحيا في حق الله تعالى ان يخشا
لان من استحيى من شي تركه وفي صحيح مسلم عن ام سلمة قالت جات ام
سليم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان الله لا يستحيي
من الحق المعنى لا يامر بالحيا فيه ولا يمتنع من ذكره والله اعلم قوله
تعالى ان يضرب مثلا معناه يبين وان مع الله الفعل في موضع نصب
بتقدير حذف من مثلا منصوب بيضرب بعوضة في نصبها اربعة
اوجه الاول يكون ما زايدة وبعوضة بدلا من مثل الثاني تكون ما
نكرة في موضع نصب على البدل من قوله مثلا وبعوضة نعت لما
فوصفت ما بالجنس المنكر لابهامها لانها بمعنى قليل قاله الفرا والز
جاج وثعلب الثالث نصب على تقدير اسقاط الجار المعنى ان يضرب
مثلا ما بين بعوضة حذفت بين واعربت بعوضة باعرابها والفا
بمعنى الى ما فوقها وهذا قول الكساي والفرا ايضا وانشد ابو
العباس يا احسن الناس قرنا الى قدم ولا جبال لحب واصل تصل
اراد ما بين قرن فلما اسقط بين نصب الرابع ان يكون يضرب بمعنى
يجعل فيكون بعوضة المفعول الثاني وقرا الضحاك وابرهيم بن

ابى

ابي عبله ورويه بن العجاج بعوضه بالرفع وهي لغه تميم قال ابو
الفتح وجه ذلك ان ما اسم بمنزلة الذى وبعوضه رفع على اضمار
المبتدا التقدير لا يستحيى ان يضرب الذى هو بعوضه مثلا فحذف
العايد على الموصول وهو مبتدا ومثله قراة بعضهم تماما على
الذى احسن بالرفع اي على الذى هو احسن وحكى سيبويه ما انا
بالذى قايل لك شيا اي هو قايل قال النحاس والحذف في ما اصح
منه في الذى لان الذى انما له وجه واحد والاسم معه اطول
ويقال ان معنى ضربت له مثلا مثلت له مثلا وهذه الابنيه
على ضرب واحد وعلى مثال واحد ونوع واحد والضرب
النوع والبعوضه فعوله من بعض اذا قطع اللحم يقال بضع
وبعض بمعنى وقد بعضت بعضا اي جزاته فتبعض والبعوض
البق الواحده بعوضه سميت بذلك لصغرها قاله الجوهري
وغيره تعالى فما فوقها قد تقدم ان الفا بمعنى الى ومن
جعل ما الاولى صله زايده فما الثانيه عطف على بعوضه ومن جعلها
اسما فما الثانيه عطف عليها قال الكساي وابو عبيده وغيرهما
معنى فوقها والله اعلم ما دونها اي انها فوقها في الصغر قال الكساي
وهذا كقولك في الكلام اتراه قصيرا فيقول القايل او فوق ذلك
اي هو اقصر مما ترى وقال قتادة وبن جريج المعنى في الكبر والضمير
في انه عايد على المثل اي ان المثل حق والحق خلاف الباطل والحق واحد
الحقوق والحقه بفتح الحا اخص منه يقال هذه حقتي اي حقي ،،
تعالى واما الذين كفروا لغه بني تميم وبني عامر في اما ايما

يبدلون من احدي الميمين با كراهيه التضعيف وعلى هذا ينشد
بيت عمر بن ابى ربيعه رات رجلا ايما اذا الشمس عارضت
فيضحي واما بالعشي فيخصر   تعالى فيقولون ماذا اراد الله
بهذا مثلا اختلف النحويون في ماذا فقيل هي بمنزله اسم واحد تام
في موضع رفع بالابتدا وذا بمعنى الذى وهو خبر الابتدا ويكون
التقدير ما الذى اراده الله بهذا مثلا ومعنى كلامهم هذا الانكار
بلفظ الاستفهام ومثلا منصوب على القطع التقدير اراد مثلا
قاله ثعلب وقال ابن كيسان هو منصوب على التمييز الذى وقع مو
قع الحال   تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا قيل هو من
قول الكافرين اي ما مراد الله بهذا المثل الذى يفرق الناس الي
ضلالة والي هدي وقيل بل هو خبر من الله عز وجل وهو اشبه
دليله قوله في ايه اخري كذلك يضل الله من يشا ويهدى من يشا
ولانهم يقرون بالهدي انه من عنده فالمعنى قل يضل الله به كثيرا
ويهدي به كثيرا وعليه فيكون فيه رد على من تقدم ذكرهم من
المعتزلة وغيرهم في قولهم ان الله لا يخلق الضلالة ولا الهدي
ولا خلاف انه قوله وما يضل به الا الفاسقين انه من قول الله تعالي
والفاسقين نصب بوقوع الفعل عليهم والتقدير وما يضل به
احدا الا الفاسقين الذين سبق في علمه الا يهديهم ولا يجوز ان
ينصبهم على الاستثنا لان الاستثنا لا يكون الا بعد تمام الكلام
والفسق اصله في كلام العرب الخروج عن الشي يقال فسقت الرطبه
اذا خرجت عن قشرها والفارة من جحرها والفويسقه الفارة كذا

سماها

سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله فان الفويسقه نصرم على
الناس بيوتهم وسيأتي وفي الحديث خمس فواسق يقتلن في الحل
والحرم الحيه والغراب الابقع والفاره والكلب العقور والحدبا.
رويته عايشه عن النبي صلى الله عليه وسلم اخرجه مسلم وفي روايه
العقرب مكان الحية فاطلق صلى الله عليه وسلم عليها اسم الفسق
لاذايتها على ما ياتي بيانه من هذا الكتاب ان شا الله تعالى وفسق
الرجل يفسق ويفسق ايضا عن الاخفش فسقا وفسوقا اي فجر فاما قوله
تعالى ففسق عن امر ربه فمعناه خرج وزعم بن الانباري انه لم يسمع
قط في كلام الجاهليه ولا في شعرهم فاسق قال وهذا عجب
وهو كلام عربي حكاه عنه بن فارس والجوهري قلت قد ذكر
بن الانباري في كتاب الزاهر له لما تكلم على معنى الفسق قول الشاعر
يهوين في نجد وغورا غايرا فواسقا عن قصدهم جوايرا والفسق الدايم
الفسق ويقال في الندا يا فاسق ويا خبيث يريد يا ايها الفاسق ويا ايها
الخبيث والفسق في عرف الاستعمال الشرعي الخروج عن طاعة الله تعالى
فقد يقع على من خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان تعالى الذين
ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون فيه سبع مسايل
قوله تعالى الذين في موضع نصب على النعت للفاسقين وان
شيت جعلته في موضع رفع على انه خبر ابتدا محذوف اي هم الذين
وقد تقدم قوله تعالى ينقضون النقض افساد ما ابرمته من
بنا او حبل او عهد ومنه قوله تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها

من بعد توثقه على ما يا تى والنا قضه ما نقض من حبل الشعر والمنا قضة في
القول ان يتكلم بما يناقض معناه والنقيضه في الشعر ما ينقض به والنقض
المنقوض واختلف الناس في تعيين هذا العهد فقيل هو الذي اخذه الله تعالى
على بني ادم حين استخرجهم من ظهوره وقيل وصية الله تعالى الى خلقه وامره اياهم
بما امرهم به من طاعته ونهيه اياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه
على السنة رسله ونقضهم ذلك ترك العمل به وقيل بل نصب الادله على
وحدانيته بالسموات والارض وساير الصنعه هو بمنزلة العهد ونقضهم
ترك النظر في ذلك وقيل هو ما عهده الى من اوتي الكتاب ان يثبتوا نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم ولا يكتمون امره فالاية على هذا في اهل الكتاب قال ابو اسحق
الزجاج عهده جل وعز ما اخذه على النبيين ومن اتبعهم الا يكفروا بالنبي
عليه السلام ودليل ذلك قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى
واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي قلت وظاهر ما قبل وما بعد يدل
على انها في الكفار فهذه خمسة اقوال والقول الثاني يجمعها فتامله
قوله تعالى من بعد ميثاقه الميثاق العهد المؤكد باليمين مفعال والمعاهدة
وهي الشدة في العقد والربط ونحوه والجمع المواثيق والمياثيق ايضا وانشد
ابن الاعرابي حمى لا يحل الدهر الا باذننا ولا نسل الاقوام عهد المياثيق
والموثق الميثاق والمواثقة المعاهدة ومنه قول الله تعالى وميثاقه
الذي واثقكم به   قوله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان
يوصل القطع معروف والمصدر في الرحم القطيعة يقال قطع رحمه
قطيعة فهو رجل قاطع ومنه الحديث الصحيح حديث مسلم لا يدخل
الجنة قاطع رواه جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

بن

بن ابي عمر قال سفين يعني قاطع رحم رواه البخاري ويقال قطعه مثل
هذه وقطعت الجبل ايضا قطعا وقطعت النهر قطوعا وقطعت الطير قطوعا
وقطاعا وقطاعا اذا خرجت من بلد الى بلد واصاب الناس قطعة اذا قلت
مياههم ورجل به قطع اي انبهار قوله ما امر الله به ان يوصل ما في
موضع نصب بيقطعون وان شيت كانت بدلا منها وان شيت من الهاء في
به وهو احسن ويجوز ان يكون لان لا توصل اي كراهية ان يوصل واختلف
ما الشي الذي امر بوصله فقيل صلة الارحام لان قريشا قطعوا رحم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان يوصل القول بالعمل فقطعوا بينهما بان قالوا
ولم يعملوا وقيل امر ان يوصل التصديق بجميع انبيايه فقطعوه بتصديق
بعضهم وتكذيب بعضهم وقيل الاشارة الى دين الله وعبادته في الارض
واقامة شرايعه وحفظ حدوده فهي عامة في كل ما امر الله تعالى به ان
يوصل هذا قول الجمهور والرحم جزء من هذا قوله تعالى ويفسدون
في الارض اي يعبدون غير الله ويجوزون في الافعال اذ هي بحسب شهواتهم
وهذا غاية الفساد اوليك هم الخاسرون وخبر وهم زايدة ويجوز ان تكون
هم ابتدا ثان والخاسرون خبره والثاني وخبره خبر الاول كما تقدم والخاسر
الذي نقص نفسه حظها من الخير الذي هو الفلاح والفوز والخسران النقصان
كان في ميزان او غيره قال جرير ان سليطا في الخسار انه اولاد قوم خلقوا
انفته يعني بالخسار ما ينقص من حظوظهم وشرفهم قال الجوهري
وخسرت الشي بالفتح واخسرته نقصته والخسار والخسارة والخيسرى
الضلال والهلاك فقيل للهالك خاسر لانه خسر نفسه واهله يوم
القيمة ومنع منزله من الجنة وهذه الاية دليل على الوفا

بالعهد والتزامه فكل عهد جايز الزمه المر نفسه فلا يحل له نقضه سوا
كان بين مسلم او غيره لذم الله تعالى من نقض عهده وقد قال واوفوا بالعقود
وقال لنبيه عليه السلام واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سوا
فنهاه عن الغدر وذلك لا يكون الا بنقض العهد على ما ياتي بيانه في موضعه
ان شا الله تعالى تعالى كيف تكفرون بالله كيف اسم في موضع نصب
تكفرون وهي مبنية على الفتح وكان سبيلها ان تكون ساكنة لان فيها معنى
الاستفهام الذى معناه التعجب فاشبهت الحروف واختير لها الفتح
لخفته اي هولا من يجب ان يتعجب منهم حين كفروا وقد ثبتت عليهم
الحجة وقيل كيف لفظه لفظ الاستفهام وليس به بل هو تقرير وتوبيخ اي
كيف تكفرون ونعمته عليكم وقدرته هذه قال الواسطى وبخهم بهذا
غاية التوبيخ لان الموات والجماد لا ينازع صانعه في شي وانما المنازعة من
الهياكل الروحانية تعالى وكنتم امواتا فاحياكم قال الزجاج التقدير
وقد كنتم ثم حذف قد امواتا خبر كنتم فاحياكم ثم يميتكم هذا وقف
التام كذا قال ابو حاتم ثم قال يحييكم واختلف اهل التاويل في ترتيب هاتين
الموتتين والحياتين وكم موتة وحياة للانسان فقال ابن عباس وابن مسعود اى
كنتم معدومين قبل ان تخلقوا فاحياكم اي خلقكم ثم يميتكم عند انقضا
اجالكم ثم يحييكم يوم القيمة قال ابن عطيه وهذا القول هو المراد بالاية
وهو الذى لا محيد للكافر عنه لاقرارهم بها واذا ادعنت نفوس الكفار
لكونهم امواتا معدومين ثم للاحيا في الدنيا ثم للاماتة فيها قوى
عليهم لزوم الاحيا الاخر وجا جحدهم له دعوى لا حجة عليها وقيل كنتم
امواتا في ظهر ادم ثم اخرجكم من ظهره كالذر ثم يميتكم موت الدنيا

ثم

ثم يبعثكم وقيل كنتم امواتا اي نطفا في اصلاب الرجال وارحام النسا
ثم نقلكم من الارحام فاحياكم ثم يميتكم بعد هذه الحياه ثم يحييكم في
القبر للمسله ثم يميتكم في القبر ثم يحييكم حياة النشر الى الحشر
وهي الحياة التي ليس بعدها موت قلت فعلى هذا التاويل هي ثلاث
موتات وثلاث احياات وكونهم موتى في ظهر ادم واخراجهم من
ظهره والشهادة عليهم غير كونهم نطفا في اصلاب الرجال وارحام
النسا فعلى هذا تجي اربع موتات واربع احياات وقد قيل ان الله تعالى اوجد
قبل خلق ادم عليه السلام كالهبا ثم اماتهم فيكون على هذا خمس موتات
وخمس احياات وموته سادسة للعصاه من امة محمد صلى الله عليه وسلم
اذا دخلوا النار لحديث ابي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اما اهل النار الذين هم اهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون
ولكن ناس اصابتهم النار بذنوبهم او قال بخطاياهم فاماتهم الله اماتة
حتى اذا كانوا فحما اذن في الشفاعة فجي بهم ضبابر ضبابر فبثوا على انهار الجنة
ثم قيل يا اهل الجنة افيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل
فقال رجل من القوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان يرعى بالبادية
خرجه مسلم فقوله اماتهم الله حقيقة في الموت لانه اكده بالمصدر وذلك
تكريما لهم وقيل يجوز ان يكون اماتهم عبارة عن تغييبهم اياهم عن الامها
بالنوم ولا يكون ذلك موتا على الحقيقة قلت والاول اصح على ما بيناه في
كتاب التذكرة وقد اجمع النحويون على انك اذا اكدت الفعل بالمصدر لم
يكن مجازا وانما هو على الحقيقة ومثله وكلم الله موسى تكليما وسياتي بيانه ان
شا الله تعالى وقيل المعنى وكنتم امواتا بالخمول فاحياكم بان ذكرتم وشرفتم

بعد الدين والنبي الذي جاكم به يميتكم فيموت ذكركم ثم يحييكم للبعث
تعالى ثم اليه ترجعون اي الى عذابه مرجعكم لكفركم
وقيل الى الحياة والى المسالة كما قال بدانا اول خلق نعيده فاعادتهم
كابتدا بيهم فهو رجوع تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا ثم استوى الى السما فسواهن سبع سموات وهو بكل شي عليم فيه
تسع مسايل قوله تعالى خلق معناه اخترع واوجد بعد العدم
وقد يقال في الانسان خلق عند انشايه شيا ومنه قول الشاعر من
يخلق ما يقول فخيلق فيه قليله وقد تقدم هذا المعنى وقال ابن كيسان
خلق لكم اي من اجلكم وقيل المعنى ان جميع ما في الارض منعم به عليكم
فهو لكم وقيل انه دليل على التوحيد والاعتبار قلت وهذا هو الصحيح
على ما نبينه ويجوز ان يكون عنا ما هم اليه محتاجون من جميع الاشيا
استدل من قال ان اصل الاشيا التي ينتفع بها الاباحة بهذه
الاية وما كان مثلها كقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض حتى
يقوم الدليل على الحصر وعضد هذا بان قال ان الماكل الشهية خلقت
مع امكان الا تخلق فلم تخلق عبثا فلا بد لها من منفعة وتلك المنفعة
لا يصح رجوعها الى الله تعالى لاستغنايه بذاته فهي راجعة الينا ومنفعتها
اما في نيل لذتها او في اجتنابها لنختبر بذلك او في اعتبارنا بها ولا يحصل
شي من تلك الامور الا بذوقها فلزم ان تكون مباحة فهذا فاسد لانا
لا نسلم العبث من خلقها لا لمنفعة بل خلقها لذلك لا يجب عليه اصل
المنفعة بل هو الموجب ولا نسلم حصر المنفعة فيما ذكروه ولا حصول
بعض تلك المنافع الا بالذوق بل قد يستدل على الطعوم بامور اخر كما

هو

هو معروف عند الطبا بعيين ثم هو معارض بما يخاف ان يكون سموما
مهلكه ومعارضون بشبهات اصحاب الحظر وتوقف اخرون وقالوا ما
من فعل لا يدرك منه حسنا ولا قبحا الا ويمكن ان يكون حسنا في نفسه
ولا معين قبل ورود الشرع فتعين الوقف الى ورود الشرع وهذه
الاقاويل الثلاثه للمعتزله وقد اطلق الشيخ ابو الحسن واصحابه
واكثر المالكيه والصيرفي في هذه المسله القول بالوقف ومعناه
عندهم الا حكم فيها في تلك الحال وان للشرع اذا جاان يحكم بما شا
وان العقل لا يحكم بوجوب ولا غيره وانما حظه يعرف الامور على ما
قال بن عطيه وحكى بن فورك عن بن الصايغ انه قال لم يخل العقل قط
من السمع ولا نازله الا وفيها سمع او لها تعلق به او لها حال يستصحب
قال فينبغي ان يعتمد على هذا ويغني عن النظر في حظر واباحة ووقف
الثانيه الصحيح في معنى قوله تعالى خلق لكم ما في الارض الاعتبار والتنبيه
يدل عليه ما قبله وما بعده من نصب العبر الاحيا والاماته والخلق
والاستوا الى السما وتسويتها الذي قد ر على احيايكم وخلقكم وخلق
السموات والارض لا يبعد منه القدرة على الاعادة فان قيل ان
معنى لكم الانتفاع ان ينتفعوا بجميع ذلك قلنا المراد بالانتفاع الاعتبا
لما ذكرنا فان قيل واي اعتبار في العقارب والحيات قلنا قد يتذكر
الانسان ببعض ما يرى من الموذيات ما اعد الله للكفار في النار من
العقوبات فيكون سببا للايمان وترك المعاصي وذلك اعظم الاعتبار
قال بن العربي وليس في الاعتبار بهذه القدره عن هذه الجمله ما يقتضي
حظرا ولا اباحه ولا وقفا وانما جا ذكر هذه الايه في معرض الدلاله

اي م
د

والتنبيه ليستدل بها على وحدانيته وقال ارباب المعاني في قوله خلق
لكم ما في الارض جميعا لتنفقوا به على طاعته لا لتصرفوه في وجوه معصيته
وقال ابو عثمان وهب لك الكل وسخره لك لتستدل به على سعه
قدرته وتسكن الى ما ضمن لك جزيل عطايه في المعاد ولا تستكثر كثير بره
على قليل عملك فقد ابتداك بعظيم النعم قبل العمل وهو التوحيد ٭
روى زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ان يعطيه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما عندي شي ولكن ابتع علي فاذا جا شي قضينا فقال
له عمر هذا اعطيت اذا كان عندك فما كلفك الله ما لا تقدر عليه
فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قول عمر فقال رجل من الانصار
يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعرف السرور في وجهه لقول الانصاري ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك امرت وذكر الخبر الترمذي الحكيم
في نوادر الاصول وقال الخوف الاقلال من سو الظن بالله تعالى
لان الله تعالى خلق الارض بما فيها لولد ادم وقال في تنزيله خلق لكم ما
في الارض جميعا وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه
فهذه الاشيا كلها مسخر لبني ادم قطعا لعذره وحجة عليه ليكون
له عبدا كما خلقه عبدا فاذا كان العبد حسن الظن بالله لم يخف الاقلال
لانه يخلف عليه كما قال وما انفقتم من شي فهو يخلفه ان ربي غني كريم وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى سبقت رحمتي غضبي يا ابن ادم
انفق انفق عليك يمين الله ملاى سحا لا يغيضها شي الليل والنهار وقال رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما
اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا ولذا في المساعد
العروب بناد بان ايضا وله صحيح رواه الايمه لمن استنار صدره وعلم غنى
ربه وكرمه انهو ولم يخف الاقلال ولذا من ماتت شهوته من الدنيا
واجتزا باليسير من القوت المقيم لمهجته وانقطعت مشيته لنفسه فهذا
يعطى من يسره وعسره ولا يخاف اقلالا وانما يخاف [illegible] الاقلال
من له مشيه في الاشيا فاذا اعطى اليوم وله غدا مشيه في شي خاف
ان لا يصيب غدا فيضيق عليه الامر في نفقه اليوم قلت لقد صدق
فيما قال رضى الله عنه وروى مسلم عن اسما بنت ابى بكر قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انفحى او انضحى او انفقى ولا تحصى فيحصى عليك وروى
النساى عن عايشه قالت دخل على سايل مرة وعندى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فامرت له بشي ثم دعوت به فنظرت اليه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اما تريدين الا يدخل بيتك ولا يخرج الا بعلمك قلت نعم قال مهلا
يا عايشة لا تحصى فيحصى الله عليك ثم استوى الى السما ثم لترتيب
الاخبار لا لترتيب الامر في نفسه والاستوى في اللغة الارتفاع والعلو على
الشى قال الله تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك وقال
لتستووا على ظهوره وقال الشاعر فاوردتهم ماء بفيفا قفره وقد
خلق النجم اليماني فاستوى اي ارتفع وعلا واستوت الشمس على راسي واستوى
الطير على قمة راسي بمعنى على وقال الفرا في قوله ثم استوى الى السما فسواهن
قال الاستوى في كلام العرب على وجهين احدهما ان يستوى الرجل وينتهي شبابه
وقوته او يستوي من اعوجاج فهذان وجهان ووجه ثالث ان يقول كان

خبر

لام

الى وم

مقبلا على يشا تمنى والى سوا على معنى اقبل على فهذا معنى قوله ثم استوى الى السما والله اعلم قال وقد قال بن عباس ثم استوى صعد وهذا القول كان قاعدا فاستوى قايما وكان قايما فاستوى قاعدا وكل ذلك في كلام العرب جايز قال البيهقي ابو بكر احمد بن علي قوله استوى بمعنى اقبل صحيح لان الاقبال هو القصد الى خلق السما والقصد هو الارادة وذلك في صفات الله تعالى ولفظه ثم تعلق بالخلق لا بالارادة واما حكي عن بن عباس فانما اخذ عن تفسير الكلبي والكلبي ضعيف وقال سفين بن عيينه وبن كيسان في قوله ثم استوى الى السما قصد اليها اي بخلقه واختراعه فهذا قول وقيل استوى بمعنى علا دون تكييف ولا تحديد واختاره الطبري ويذكر عن ابي العاليه الرياحي في هذه الاية انه قال استوى بمعنى انه ارتفع قال البيهقي ومراده من ذلك والله اعلم ارتفاع امره وهو بخار الما الذى وقع منه خلق السما وقيل ان المستوى الدخان قال بن عطيه وهذا ياباه وصف وقيل المعنى استولى كما قال الشاعر قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق اي غلب قال بن عطيه وهذا انما يجي في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى والقاعدة في هذه الاية ونحوها منع الحركة والنقلة يظهر من هذه الاية انه سبحانه خلق الارض قبل السما وكذلك في حم السجدة وقال في النازعات آنتم اشد خلقا ام السما بناها فوصف خلقها ثم قال والارض بعد ذلك دحاها فكان السما على هذا خلقت قبل الارض وقال تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض وهذا قول قتادة ان السما خلقت اولا احكاه عنه الطبري وقال مجاهد وغيره من المفسرين انه تعالى ايبس الما الذى كان عرشه عليه فجعله ارضا وثار منه دخان فارتفع فجعله سما فصار خلق الارض قبل خلق السما ثم صعد امره الى السما فسواهن سبع

سموات

سموات ثم دحي الارض بعد ذلك وكانت اذ خلقها غير مدحوه قلت
وقول قتادة صحيح ان شا الله وهو ان الله تعالى خلق اولا دخانا للسما ثم خلق
الارض ثم استوى الى السما وهي دخان فسواها ثم دحي الارض بعد ذلك ومما
يدل على ان الدخان خلق اولا قبل الارض ما رواه السدى عن ابى مالك
وعن ابى صلح عن بن عباس وعن مرة اليمدانى عن بن مسعود عن ناس من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السما فسواهن سبع سموات قال
ان الله تبارك وتعالى كان عرشه على الما ولم يخلق شيا قبل الما فلما اراد ان
يخلق الخلق اخرج من الما دخانا فارتفع فوق الما فسما عليه فسماه سما ثم
ايبس الما فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع ارضين في يومين في
الاحد والاثنين فجعل الارض على حوت والحوت النون الذى ذكر
الله تبارك وتعالى في القران بقوله ن والقلم والحوت في الما على
على صفات والصفات على ظهر ملك والملك على الصخرة والصخرة
في الريح وهي الصخرة التى ذكر لقمان ليست في الارض ولا في السما فتحرك
الحوت فاضطرب فتزلزلت الارض فارسل عليها الجبال فقرت فالجبال
تفخر على الارض وذلك قوله تعالى وجعل لها رواسى ان تميد بكم وخلق
الجبال فيها واقوات اهلها وسحرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثا
والاربعا وذلك حتى يقول انكم لتكفرون بالذى خلق الارض في
يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من
فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سوا للسايلين يقول
من سال فهكذا الامر ثم استوى الى السما وهي دخان وكان ذلك الدخان

من تنفس الما حين تنفس فجعلها سما واحده ثم فتقها فجعلها سبع سموات
في يومين في الخميس والجمعة وانما سمي يوم الجمعه لانه جمع فيه خلق السموات
والارض واوحي في كل سما امرها قال خلق في كل سما خلقها من الملايكة
والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلم ثم زين السما
الدنيا بالكواكب فجعلها زينه وحفظا تحفظ من الشياطين فلما فرغ
من خلق ما احب استوى على العرش قال فذلك حين يقول خلق السموات
والارض في سته ايام يقول كانتا رتقا ففتقناهما وذكر القصه في
خلق ادم عليه السلام على ما ياتي بيانه في هذه السورة ان شا الله تعالى
وروي وكيع عن الاعمش عن ابي ظبيان عن ابن عباس قال اول ما خلق الله عز
وجل القلم فقال اكتب فقال يا رب وما اكتب قال القدر قال فجرى بما هو كاين
من ذلك اليوم الى قيام الساعة قال ثم خلق النون فدحى الارض عليها
فارتفع بخار الما ففتق منه السماوات واضطرب النون فمادت الارض
فاثبتت بالجبال فان الجبال تفخر على الارض الى يوم القيمه ففي هذه
الرواية خلق الارض قبل ارتفاع بخار الما الذي هو الدخان خلاف الرواية
الاولى والرواية الاولى عنه وعن غيره اولى لقوله والارض بعد ذلك دحاها
والله اعلم بما فعل فقد اختلفت فيه الاقاويل وليس للاجتهاد فيه مدخل

اصل خلق الاشيا كلها من الما لما تقدم بيانه في المسلة قبل
هذا ولم يخلق شيا قبل الما وقد روى ابن ماجة في سننه وابو حاتم البستي في
صحيح مسنده عن ابي هريره قال قلت يا رسول الله اذا رايتك طابت
نفسي وقرت عيني انبيني عن كل شي قال كل شي خلق من الما فقلت اخبرني
بشي اذا عملت به دخلت الجنه قال اطعم الطعام وافش السلام وصل

الارحام

الارحام وقم بالليل والناس نيام تدخل الجنه بسلام قال ابو حاتم البستي
قول ابي هريره نبيني عن كل شي اراد به عن كل شي خلق من الما والدليل
على صحة هذا جواب المصطفى اياه حيث قال كل شي خلق من الما وان يكن مخلوقا ود
سعيد بن جبير عن ابن عباس انه كان يحدث ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان اول شي خلقه القلم وامره فيكتب كل شي يكون وروى
ذلك ايضا عن عبادة بن الصامت مرفوعا قال البيهقي وانما اراد
والله اعلم اول شي خلقه بعد خلق الما والريح والعرش القلم وذلك
بين حديث عمران بن حصين خرجه البخاري وفيه قال كان الله ولم يكن
شي غيره وكان عرشه على الما ثم كتب جل ثناوه في الذكر كل شي ثم خلق
السموات والارض وذكر الحديث فقوله كان الله ولم يكن شي غيره
يدل على انه لم يكن شي غيره لا الما ولا العرش ولا غيرهما فجميع ذلك غير
الله تعالى وقوله وكان عرشه على الما يعني ثم خلق الما وخلق العرش
على الما ثم كتب في الذكر كل شي وروى في حديث عبد الله بن عمرو بن
العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغ الله من المقادير
وامور الدنيا قبل ان يخلق السموات والارض وعرشه على الما بخمسين
الف سنة خرجه مسلم وروى ابو رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله
اين كان ربنا قبل ان يخلق السموات والارض قال كان في عماء ما فوقه
هوا ولا تحته هوا ثم خلق العرش على الما وهذا نص في ان الما خلق قبل
العرش والسنه يفسر بعضها بعضا وذكر عبد الرزاق عن عمر بن حبيب
المكي عن حميد بن قيس الاعرج عن طاوس قال جا رجل الى عبد الله بن عمرو
بن العاص فساله مم خلق الخلق قال من الما والنور والظلمه والريح والترا

قال الرجل مم خلق هولا قال لا ادري قال ثم اتا الرجل عبد الله
عبد الله بن الزبير فساله فقال مثل قول عبد الله بن عمرو قال فاتى
الرجل عبد الله بن عباس فساله فقال مم خلق الخلق قال من الما والنور والظلمة
والريح والتراب قال الرجل مم خلق هولا فتلى عبد الله بن عباس وسخر لكم ما
في السموات وما في الارض جميعا منه فقال الرجل ما كان لياتي بهذا الا
رجل من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البيهقي اراد ان
مصدر الجميع منه اي من خلقه وابداعه واختراعه خلق الما اولا او
الما وما شا من خلقه لا عن اصل ولا على مثال سبق ثم جعل الما اصلا
لما خلق بعد فهو المبدع وهو الباري لا اله غيره ولا خالق سواه سبحانه
جل وعز فسواهن سبع سموات ذكر تعالى ان السموات سبع
ولم يات في الارض في التنزيل عدد صريح لا يحتمل التاويل الا قوله تعالى
ومن الارض مثلهن وقد اختلف فيه فقيل ومن الارض مثلهن اي في
العدد لان الكيفية والصفة مختلفه بالمشاهدة والاخبار فتعين
العدد وقيل ومن الارض مثلهن اي في غلظهن وما بينهن وقيل في
سبع الا انه لم يفتق بعضها من بعض قاله الداودي والصحيح الاول
وانها سبع كالسموات سبع وروي عن سعيد بن زيد قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اخذ شبرا من الارض ظلما
طوقه الى سبع ارضين وعن عايشة رضي الله عنها مثله الا ان فيه
من قبل الله من حديث ابي هريرة لا ياخذ احد شبرا من الارض
بغير حقه الا طوقه الله الى سبع ارضين وروى النساي عن ابي سعيد
الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال موسى عليه

السلام

السابعة

السلام يا رب علمني شيا اذكرك به وادعوك به قال يا موسى قل
لا اله الا الله قال موسى يا رب كل عبادك يقولوا لا اله الا الله
قال لا اله الا انت انما اريد شيا تخصني به قال يا موسى لو ان
السموات السبع وعامرهن غيري والارضين السبع في كفة ولا اله
الا الله في كفة مالت بهن لا اله الا الله وروى الترمذي عن ابي
هريرة قال بينا نبي الله صلى الله عليه وسلم جالس في اصحابه اذ اتى
عليهم سحاب فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما هذا
قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا العنان هذه زوايا الارض
يسوقها الى ارض لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون
ما فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ
وموج مكفوف ثم قال هل تدرون ما بينكم وبينها قالوا الله
ورسوله اعلم قال بينكم وبينها خمس مائة عام ثم قال هل تدرون
ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال سماآن ما بينهما خمس مايه
سنه ثم قال كذلك حتى عد سبع سموات وما بين كل سماآين
ما بين السما والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله
ورسوله اعلم قال ان فوق ذلك العرش وبينه وبين السما بعد ما
بين السمائين ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله
اعلم قال انها الارض ثم قال هل تدرون ما الذي تحت ذلك
قالوا ورسوله اعلم قال ان تحتها ارضا اخرى بينهما خمس مايه سنه
حتى عد سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمس مائة سنة قال
والذي نفس محمد بيده لو انكم دليتم على الارض لهبط على الله ثم

هو قرا الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شي عليم قال ابو
عيسى قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم الايه يدل
على انه اراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو
على عرشه كما وصف نفسه في كتابه قال هذا حديث غريب والحسن
لم يسمع من ابي هريره والاثار بان الارضين سبع كثيره وفيما ذكرنا
كفايه وقد روي ابو الضحى واسمه مسلم عن ابن عباس انه
قال الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن قال سبع
ارضين في كل ارض نبي كنبيكم وادم كادم ونوح كنوح وابرهيم
كابراهيم وعيسى كعيسى قال البيهقي اسناد هذا الحديث عن ابن
عباس صحيح وهو شاذ بمرة لا اعلم لابي الضحى عليه متابعا والله اعلم
قوله وهو بكل شي عليم اي بما خلق وهو خالق كل شي فوجب
ان يكون عالما بكل شي وقد قال الا يعلم من خلق هو العالم والعليم بجميع
المعلومات بعلم قديم ازلي واحد قايم بذاته ووافقنا المعتزله
على العالمية دون العلميه وقالت الجهميه عالم بعلم قايم لا في محل
تعالى الله عن قول اهل الزيغ والضلالات والرد على هولاء في كتب
الديانات وقد وصف نفسه سبحانه بالعلم فقال انزله بعلمه
والملايكة يشهدون وقال فاعلموا انما انزل بعلم الله وقال
فلنقصن عليهم بعلم وقال وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وقال
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو الايه وقد اتينا على هذا وبيناه
في الكتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى وصفاته العلى وسندل
على ثبوت علمه وساير صفاته في هذه السورة عند قوله تعالى يريد

الله

الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ان شا الله تعالى
في بيان ما تضمنه هذه الاية من الاعراب والمعنى قوله جل وعز هو الذي
خلق لكم ابتدا وخبر ما في موضع نصب جميعا عند سيبويه
نصب على الحال ثم استوى اهل نجد يميلون استووا الى لوا على انه
من ذوات اليا واهل الحجاز يفخمون سبع نصب على البدل من الها
والنون اي فسوى سبع سموات ويجوز ان يكون مفعولا على
تقدير فسوى منهن سبع سموات كما قال الله جل وعز واختار
موسى اي من قومه وقال الاخفش انتصب على الحال والسما تكو ن
واحدة مونثة مثل عناق وتذكيرها شاذ ويكون السما في
قول الاخفش وسماة في قول الزجاج جمع الجمع سموات فجا
سواهن اما على السما جمع واما على انه مفرد اسم جنس ومعنى
سواهن سوى سطوحهن بالاملاس وقيل جعلهن سوا وهو
بكل شي عليم ابتدا وخبر والاصل في هو تحريك الها والاسكان
تخفيف تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في
الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون فيه اثنان
وعشرون مسلة قوله تعالى واذ قال اذ واذا توقيت
فاذ للماضي واذا للمستقبل وقد يوضع احدهما موضع الاخر وقال
المبرد اذا جا اذ مع مستقبل كان معناه ماضيا نحو قوله تعالى واذ
يمكر بك الذين كفروا واذ يقول للذي انعم الله عليه معناه اذ مكر وا
واذ قلت واذا جا اذا مع الماضي كان معناه مستقبلا كقوله تعالى

فاذاجات الطامة واداجات الصاخة واذاجا نصر الله اي يجي وقال
معمر بن المثنى ابو عبيدة اذ زايد والتقدير وقال ربك واستشهد
بقول الاسود بن يعفر فاذ وذلك لا مهاه ولذكر والدهر يعقب
صالحا بفساد وابقول بهذا القول الزجاج والنحاس وجميع المفسرين
قال النحاس وهذا خطا لان اذا اسم وهي ظرف زمان ليس مما تزاد وقال
الزجاج هذا اجرام من ابي عبيدة ذكر الله عز وجل خلق الناس وغيرهم
فالتقدير وابتدا خلقكم اذ قال فكان هذا من المحذوف الذي دل
عليه الكلام كما قال فان المنيه من يخشها فسوف يصادفه اينما
يريد اينما ذهب ويحتمل ان يكون متعلقه بفعل مقدر تقديره واذكر
اذ قال قوله تعالى اصل قال قول تحركت الواو وقبلها
فتحه اقلبت الفا وقول الله وخطابه للملائكة متقرر قديم في
الازل بشرط وجودهم وفهمهم وهذا الباب كله في اوامر الله
تعالى ونواهيه ومخاطباته وهذا مذهب الشيخ ابي الحسن
الاشعري وهو الذي ارتضاه ابو المعالي وقد بينا عليه في
الكتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى وصفاته العلي والرا
والمالك والمصلح والجابر وقد تقدم بيانه قوله
تعالى للملائكة الملايكه واحدها ملكة قال ابن كيسان وغيره
وزن ملك فعل من الملك وقال ابو عبيدة هو مفعل من لاك
اذا ارسل والالوكه والمالكه والمالكه الرسالة قال لبيد وغلام
ارسلته لبيد بالولد فبد لنا ما سال وقال اخر ابلغ النعمان
عني مالكا انه قد طال حبسي وانتظاري ويقال الكني اي ارسلني

فاصله

فاصله على هذا ملاك الهمزة بالفعل لكنهم قلبوها الى عينه فقالوا ملئك
ثم سهلوا فقالوا ملك وقيل اصله ملئك من ملك يملك نحو شمال
من شمل فالهمزة زايدة وقد ياتي في الشعر على الاصل قال فلست لانسي
ولكن لملاك يتنزل من جو السما يصوب وقال النضر بن شميل لا
اشتقاق للملك عند العرب والها في الملايكه تاكيد لتانيث الجمع
ومثله الصلادمه والصلادم الخيل الشداد واحدها صلدم وقيل
هي للمبالغه كعلامه ونسابه وقال ارباب المعاني خاطب الله تعالى
الملايكه لا للمشورة ولكنه لاستخراج ما فيهم من رويه الحركات
والعبادة والتسبيح والتقديس ثم ردهم الى قيمتهم فقال
عز وجل اسجدوا لادم قوله تعالى اني جاعل في الارض
خليفه جاعل هنا بمعنى خالق ذكره الطبري عن ابي روق ويقضي
بذلك تعديها الى مفعول واحد وقد تقدم والارض هنا
قيل انها مكه وخليفة بمعنى فاعله يخلف من كان قبله من الملايكه في
الارض او من كان قبله من غير الملايكة على ما روي ان الله تعالى خلق
الارض خلق الجان من مارج من نار يعني من لهب من نار لا دخان
لها فكثر نسله وهم الجن بنو الجان فعملوا في الارض بالمعاصي وسفكوا
الدما فبعث الله تعالى ملايكه سما الدنيا وعليهم ابليس وكان
اسمه عزازيل حتى هزموا الجن واخرجوهم من الارض الى جزاير
البحر وسكنوا الارض فصار الامر عليهم اخف لان كل صنف
من الملايكه يكون ارفع في السموات فيكون خوفهم اشد وملايكه
السما الدنيا يكون امرهم ايسر من الذين فوقهم فلما سكنوا الارض

مارج

صار الامر عليهم اخف مما كانوا وسكنوا الارض فاطمانوا اليها
وكل من اطمان الى الدنيا امر بالتحويل عنها فاخبرهم الله انه يريد ان
يجعل خليفة في الارض في الارض وهو قوله واذ قال ربك للملايكة
الذين هم في الارض اني جاعل في الارض خليفة والله اعلم ويجوز
ان يكون خليفة بمعنى مفعول ان يخلف كما يقال ذبيحة بمعنى
مفعوله والخلف بالتحريك من الصالحين وبتسكينها من الصالحين
هذا هو المعروف وسياتي له مزيد بيان في الاعراف ان شا الله تعالي
وخليفه بالفا قراة الجماعة الا ما روى عن زيد بن علي فانه قرا خليقة
بالقاف والمعنى بالخليفه هنا في قول بن مسعود وبن عباس وجميع
اهل التاويل ادم عليه السلام وهو خليفة الله في امضا احكامه
واوامره لانه اول رسول الى الارض كما في حديث ابي ذر قال
قلت يا رسول الله انبيا كان مرسلا قال نعم الحديث فان
قيل وهي لمن كان رسولا ولم يكن في الارض احد قيل
كان رسولا الى ولده وكانوا اربعين ولدا في عشرين بطنا في كل
بطن ذكر وانثى وتوالدوا حتى كثروا كما قال الله تعالى خلقكم من
نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونسا وانزل
عليه تحريم الميتة والدم والخنزير وعاش سبع ماية وثلاثين سنة
هكذا ذكر اهل التوراة وروي عن وهب بن منبه انه عاش الف
سنة والله اعلم وانه لم يمت حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين الف
هذه الاية اصل في نصب امام وخليفة يسمع له ويطاع
لتجتمع به الكلمة وتنفذ به احكام الخليفة ولا خلاف في وجوب ذلك

بين

بين الامه ولا بين الائمة الاما روى عن الاصم حيث كان عن الشريعة
اصم ولذلك بل من قال بقوله واتبعه على رايه ومذهبه قال انها
غير واجبة في الدين بل يسوغ ذلك وان الامه متى اقاموا حجهم وجهادهم
وتناصفوا فيما بينهم وبذلوا الحق من انفسهم وقسموا الغنايم والفيء
والصدقات على اهلها واقاموا الحدود على من وجبت عليه اجزاهم
ذلك ولم يجب عليهم ان ينصبوا اماما يتولى ذلك ودليلنا قول
الله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وقوله يا داود انا جعلنا خليفة
في الارض وقال وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض اي يجعل منهم خلفا الى غير ذلك من الاي واجمعت الصحابه
بعد اختلاف وقع بين المهاجرين والانصار في سقيفه بني ساعده في
التعيين حتى قالت الانصار منا امير ومنكم امير فدفعهم ابو بكر
وعمر والمهاجرون على ذلك وقالوا لهم ان العرب لا يدين الا لهذا الحي
من قريش ورووا لهم الخبر بذلك فرجعوا واطاعوا لقريش فلو كان
فرض الامامه غير واجب لا في قريش ولا في غيرهم لما ساغت هذه
المناظره والمحاورة عليها ولقال قايل انها ليست بواجبة لا في قريش
ولا في غيرهم فما لتنازعكم وجه ولا فايدة في امر ليس بواجب ثم
ان الصديق رضي الله عنه لما حضرته الوفاة عهد الى عمر في الامامة
ولم يقل له احد هذا امر غير واجب علينا ولا عليك فدل على وجوبها
وانها ركن من اركان الدين الذي به قوام المسلمين وقالت الرافضه بصحبه
عقلا وان السمع انما ورد على جهه التاكيد لقضية العقل فاما معرفة
الامام فان ذلك مدرك من جهة العقل دون السمع وهذا

فاسد لان العقل لا يوجب ولا يحظر ولا يقبح ولا يحسن واذا كان
كذلك ثبت انها واجبة من جهة الشرع لا من جهة العقل وهذا واضح
فان قيل وهي اذا سلم ان طريق وجوب الامامة السمع فخبرونا
وناهل يجب من جهة السمع بالنص على الامام من جهة الرسول صلى الله
عليه وسلم من جهة اختيار اهل الحل والعقد ام بكمال خصال الامامة
فيه ودعاوه مع ذلك الى نفسه كاف فيه فالجواب ان يقال اختلف
الناس في هذا الباب فذهبت الامامية وغيرها الى ان الطريق
الذي يعرف به الامام هو النص من الرسول صلى الله عليه وسلم ولا
مدخل للاختيار وعندنا النظر طريق الى معرفة الامام واجماع اهل
الاجتهاد طريق ايضا اليه وهولاء الذين قالوا لا طريق اليه الا النص بنوه
على اصولهم في ان القياس والراي والاجتهاد باطل لا يعرف به شي اصلا وابطلوا
القياس فرعا واصلا ثم اختلفوا على ثلاث فرق فرقه تدعي النص على ابي
بكر وفرقه تدعي النص على العباس وفرقه تدعي النص على علي رضي الله
عنهم والدليل على فقد النص وعدمه على امام بعينه هو ان النبي
صلى الله وسلم لو فرض على الامامة طاعه امام بحيث لا يجوز
العدول عنه الى غيره لعلم ذلك لاستحالة تكليف الامة
باسرها طاعه الله في غير معين ولا سبيل لهم الى العلم بذلك
التكليف واذا وجب العلم به لم يخل ذلك العلم من ان يكون طريقه
ادلة العقول والخبر وليس في العقل ما يدل على ثبوت الامامة
ليس معين وكذلك ليس في الخبر ما يوجب العلم بثبوت امام معين لان
ذلك الخبر اما ان يكون تواترا او اوجب العلم ضرورة او استدلالا او

يكون

يكون من اخبار الاحاد ولا يجوز ان يكون من طريقه التواتر الموجب
للعلم ضرورة او دلالة اذ لو كان كذلك لكان كل مكلف يجب العلم
من نفسه بوجوب الطاعة لذلك المعين وان ذلك دين الله عليه كما
ان كل مكلف علم من دين الله الواجب عليه خمس صلوات وصوم
رمضان وحج البيت ونحوها ولا احد يعلم ذلك من نفسه ضرورة
فبطلت هذه الدعوى وبطل ان يكونا معلوما باخبار الاحاد لا[...]
وقوع العلم به وايضا فانه لو وجب المصير الى نقل النص على الامام وجه
كان وجب ثبوت امامة ابي بكر والعباس لان لكل واحد منهما قوما
ينقلون من النصوص صريحا في امامته واذا بطل اثبات الثلاثة
بالنص من الاخر واذا بطل ثبوت النص لعدم الطريق الموصل
اليه ثبت الاختيار والاجتهاد فان تعسف متعسف وادعى التو
او العلم الضروري بالنص فينبغي ان يقابلوا على الفور بنقيض
دعواهم في النص على ابي بكر وباخبار في ذلك كبتر بقوم ايضا
من جملتها مقام النص ثم لا شك في تضمين من عدى الامامية على
نفي النص وهم الخلق الكثير والجم الغفير والعلم الضروري لا يجتمع
على نفيه من يحط عن معشار اعداد مخالفي الامامية ولو جاز رد الضرور
مع ذلك جاز ان ينكر طايفه بغداد والصين الاقصى وغيرهما
والله اعلم

في رد الاحاديث التي احتج بها الامامية في النص على علي رضي الله عنه وان الامة كفرت هذا النص وارتد[ت]
وخالفت امر الرسول عنادا منها قوله عليه السلام من كنت مولاه
فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قالوا والمولى

في اللغة بمعنى اولى فلما قال فعلي مولاه بقا التعقيب علم ان المراد
بقوله مولى انه احق واولى فوجب ان يكون اراد بذلك الامامة وانه
مفترد الطاعه وقوله عليه السلام لعلي انت مني بمنزلة هرون من
موسى الا انه لا نبي بعدي قالوا ومنزلة هرون معروفة وهو انه كان
مشاركا له في النبوة ولم يكن ذلك لعلي مما احتجوا به والجواب عن الحديث
الاول انه ليس بمتواتر وقد اختلف في صحته وقد طعن فيه ابو داود
السجستاني وابو حاتم الرازي واستدل لا على بطلانه بان النبي صلى الله
عليه السلام قال جهينه ومزينة وغفارة واسلم موالي دون الناس
كلهم ليس لهم مولى دون الله ورسوله قالوا فلو كان قد قال من
كنت مولاه فعلي مولاه لكان احد الخبرين كذبا جواب ثان وهو ان
الخبر وان كان صحيحا رواه ثقة عن ثقة فليس فيه ما يدل على
امامته وانما يدل على فضيلته وذلك ان المولى بمعنى المولى فيكون
معنى الخبر من كنت وليه فعلي وليه قال الله تعالى فان الله هو مولاه
اي وليه فكان المقصود من الخبر ان يعلم الناس ان ظاهر علي كباطنه
وذلك فضيلة عظيمة لعلي جواب ثالث وهو ان الخبر ورد على
سبب وذلك ان اسامة وعليا اختصما فقال علي لاسامة انت
مولاي فقال لست مولاك بل انا مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال من كنت مولاه فعلي
مولاه جواب رابع وهو ان عليا لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم
في قصة الافك في عايشه رضي الله النسا سواها كثير شق ذلك
عليها فوجد اهل النفاق مجالا فطعنوا عليه واظهروا البراة

منه

منه فقال النبي عليه السلام هذه المقالة ردا لقولهم وتكذيبا لهم
فيما اقدموا عليه من البراة منه والطعن فيه ولهذا ما روي عن جماعة
من الصحابة انهم قالوا ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا ببغضهم لعلي واما الحديث الثاني فلا خلاف ان
النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد بمنزلة هارون من موسى الخلافة بعده ولا
خلاف ان هارون مات قبل موسى عليهما السلام على ما ياتي من بيان
وفاتيهما في سورة المايدة وما كان خليفة بعده وانما كان خليفة يوشع بن
نون فلو اراد بقوله انت مني بمنزلة هارون من موسى الخلافة لقال
انت مني بمنزلة يوشع من موسى فلما لم يقل هذا دل على انه لم يرد هذا وانما
اراد اني استخلفتك على اهلي في حياتي وغيوبتي عن اهلي كما كان هرون خليفة
موسى على قومه لما خرج الى مناجاة ربه وقد قيل ان هذا الحديث خرج
على سبب وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزاة تبوك استخلف
عليا في المدينة على اهله وقومه فارجف اهل النفاق وقالوا انما خلفه بغضا
وقلى له فخرج علي فلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال ان المنافقين قالوا كذا
وكذا فقال كذبوا بل خلفتك كما خلف موسى هارون وقال اما ترضى
ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى واذا ثبت انه اراد الاستخلاف
على زعمهم فقد شارك عليا في هذه الفضيلة غيره لان النبي صلى الله عليه
وسلم استخلف في كل غزاة غزاها رجلا من اصحابه منهم ابن ام مكتوم ومحمد
بن مسلمة وغيرهما من اصحابه على ان مدار هذا الخبر انما هو على سعد بن ابي وقاص
وهو خبر واحد وروي في مقابلته لابي بكر وعمر ما هو اولى منه روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما انفذ معاذ بن جبل الى اليمن قيل له الا تنفذ ابا بكر

وعمر فقال انما لا غناء بي عنهما ان منزلتهما من الراس بمنزلة السمع
والبصر من الراس وقال هما وزيراي في اهل الارض وروي عنه عليه
السلام انه قال ابو بكر وعمر بمنزلة هارون من موسى وهذا الخبر ورد
ابتدا وخبر علي ورد على سبب فوجب ان يكون ابو بكر اولى منه بالامامة
والله اعلم   والخلف فيما يكون به الامام اماما وذلك
ثلاث طرق احدها النص وقد تقدم الخلاف فيه وقال به ايضا
الحنابلة وجماعة من اصحاب الحديث والحسن البصري وبكر ابن اخت عبد
الواحد واصحابه وطائفة من الخوارج وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
نص على ابي بكر بالاشارة وابو بكر على عمر فاذا نص المستخلف على واحد
معين كما فعل الصديق او على جماعة كما فعل عمر وهو الطريق الثاني ويكون
التخيير اليهم في تعيين واحد منهم كما فعل الصحابة رضي الله عنهم الطريق
الثالث اجماع اهل الحل والعقد وذلك ان الجماعة في مصر من امصار
المسلمين اذا مات امامهم ولم يكن لهم امام ولا استخلف فاقام اهل
ذلك المصر الذي هو حضرة الامام وموضعه اماما لانفسهم
اجتمعوا عليه ورضوه فان كل من خلفهم وامامهم من المسلمين في
الافاق يلزمهم الرجوع في طاعة ذلك الامام اذا لم يكن معلنا بالفسق
والفساد لانها دعوة محيطة بهم تجب اجابتها ولا يسع احد التخلف
عنها لما في اقامة امامين من اختلاف الكلمة وفساد ذات البين قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب مومن اخلاص
العمل لله ولزوم الجماعة ومناصحة ولاة الامر فان دعوة المسلمين من
ورايهم محيطة   فان عقدها واحد من اهل الحل والعقد

فذلك

فذلك ثابت ويلزم الغير فعله خلافا لبعض الناس حيث قال لا
تنعقد الا بجماعة من اهل الحل والعقد ودليلنا ان عمر رضى الله عنه
عقد البيعه لابي بكر ولم ينكر احد من الصحابة ذلك ولانه عقد فوجب
الا يفتقر الى عدد بعقد ونه كسائر العقود وقال الامام ابو المعالي
من انعقدت له الامامة بعقد واحد فقد لزمت ولا يجوز خلعه
من غير حدث وتغير امر قال وهذا مجمع عليه فان
تغلب من له اهليه الامامية واحدها بالقهر والغلبة فقد قيل ان
ذلك يكون طريقا رابعا وقد سيل سهل بن عبد الله التستري ما
يجب علينا لمن غلب على بلادنا وهو امام قال تجيبه وتودي اليه ما
يطالبك من حقه وينكر فعاله ولا تفر منه واذا ائتمنك على سر من
امر الدين لم تفشه وقال بن خواز منداد ولو وثب على الامر من يصلح له
من غير مشورة ولا اختيار وبايع له الناس تمت له البيعه
واختلف في الشهادة على عقد الامامة فقال بعض اصحابنا انه لا يفتقر
الى الشهود لان الشهادة لا تثبت الا بسمع قاطع وليس هاهنا سمع قاطع
يدل على اثبات الشهادة ومنهم من قال يفتقر الى شهود فمن قال بهذا
احتج بان قال لو لم يعقد فيه الشهادة لادى الى ان يدعي كل مدع انه عقد
له سرا وودى الى الهرج والفتنة فوجب ان تكون الشهادة معتبرة
ويكفي فيها شاهدان خلافا للجبائي حيث قال
باعتبار اربعة شهود وعاقد ومعقود له لان عمر حيث جعلها شورى
في ستة دل على ذلك ودليلنا انه لا خلاف بيننا وبينه شهادة الاثنين
معتبرة وما زاد مختلف فيه ولم يدل عليه الدليل فيجب الا يعتبر

في شرايط الامام وهي احد عشر الاول ان يكون
من صميم قريش لقوله صلى الله عليه وسلم الايمة من قريش وقد اختلف في هذا
الثاني ان يكون ممن يصلح ان يكون قاضيا من قضاة المسلمين مجتهدا لا يحتاج الى غيره
في الاستفتا في الحوادث وهذا متفق عليه الثالث ان يكون ذا خبره وراي
حصيف بامر الحرب وتدبير الجيوش وسد الثغور وحماية البيضة وردع الامة
والانتقام من الظالم والاخذ للمظلوم الرابع ان يكون ممن لا تلحقه رقة في
اقامة الحدود ولا فزع من ضرب الرقاب ولا قطع الابشار والدليل على
هذا كله اجماع الصحابة لا خلاف بينهم انه لا بد من ان يكون ذلك كله
مجتمع فيه ولانه هو الذي يولي القضاة والحكام وله ان يباشر الفصل
والحكم ويتفحص امور خلفايه وقضاته ولن يصلح لذلك كله الا من كان
عالما بذلك كله قيما به الخامس ان يكون حرا ولا خفا باشتراط حرية الامام
واسلامه وهو السادس السابع ان يكون ذكرا سليم الاعضا وهو الثامن
واجمعوا على ان المراة لا يجوز ان يكون اماما واختلفوا في جواز كونها قاضيه
فيما يجوز شهادتها فيه التاسع والعاشر ان يكون بالغا عاقلا ولا خلاف في
ذلك الحادي عشر ان يكون عدلا لانه لا خلاف بين الامة انه لا يجوز
ان يعقد الامة لفاسق ويجب ان يكون في العلم لقوله عليه السلام ايمتكم
شفعاكم فانظروا بمن تستشفعون وفي التنزيل وصف طالوت ان الله
اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم فبدا بالعلم ثم ذكر ما
يدل على القوة وسلامة الاعضا وقوله اصطفاه معناه اختاره وهذا يدل
على شرط النسب وليس من شرطه ان يكون معصوما من الزلل والخطايا ولا
عالما بالغيب ولا افرس الامة ولا اشجعهم ولا ان يكون من بني هاشم فقط دون

الثانية عشر

غيرهم

غيرهم من قريش فان الاجماع قد انعقد على امامة ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله
عنهم وليسوا من بني هاشم الثالثة عشرة يجوز نصب المفضول
مع وجود الافضل خوف الفتنة وان لا يستقيم امر الامة وذلك ان الامام
انما نصب لدفع العدو وحماية البيضة وسد الخلل واستخراج الحقوق
واقامة الحدود وجباية الاموال لبيت المال وقسمتها على اهلها فاذا خيف
باقامة الافضل الهرج والفساد وتعطيل الامور التي لاجلها ينصب
الامام جاز ذلك عذرا ظاهرا في العدول عن الفاضل الى المفضول ويدل
على ذلك علم عمر وساير الامة وقت الشورى بان الستة فيهم فاضل ومنهم
مفضول وقد اجاز العقد لكل واحد منهم اذا ادى المصلحة الى
ذلك واجتمعت كلمتهم عليه من غير انكار احد عليه الرابعة
عشر الامام اذا نصب ثم فسق بعد ابرام العقد فقال الجمهور انه
تنفسخ امامته ويخلع بالفسق الظاهر المعلوم لانه قد ثبت ان الامام
انما يقام لاقامة الحدود واستيفا الحقوق وحفظ اموال الايتام
والمجانين والنظر في امورهم الى غير ذلك مما تقدم ذكره وما فيه من
الفسق يقعده عن القيام بهذه الامور والنهوض فيها فلو جوزنا ان يكون
فاسقا ادى الى ابطال ما اقيم لاجله الا ترى في الابتدا انما لم يجز ان
يعقد للفاسق لاجل انه يودي الى ابطال ما اقيم له وكذلك هذا مثله
وقال اخرون لا ينخلع الا بالكفر او بترك اقامة الصلاة او الترك الى
دعايها او شي من الشريعة لقوله عليه السلام في حديث عبادة ولكن
لا تنازع الامر اهله الا ان تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان
وفي حديث عوف بن مالك لا ما اقاموا فيكم الصلاة الحديث اخرجه

مسلم وعن ام سلمه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انه يستعمل عليكم
امرا فيعرفون وينكرون فمن كره فقد بري ومن انكر فقد سلم ولكن من
رضي وتابع قالوا يا رسول الله الا نقاتلهم قال لا ما صلوا الى من كره بقلبه
اخرجه ايضا مسلم ويجب عليه خلع نفسه اذا وجد
في نفسه نقصا يوثر في الامامة فاما اذا لم يجد نقصا فهل له ان يعزل
نفسه ويعقد لغيره اختلف الناس فيه فمنهم من ليس له ان يفعل ذلك
وان فعل لم تنخلع امامته ومنهم من قال له ان يفعل ذلك والدليل على ان
الامام اذا عزل نفسه انعزل قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه اقيلوني
اقيلوني وقول الصحابة لا نقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله
صلى الله عليه وسلم لديننا فلا نرضاك فلو لم يكن له ان يفعل ذلك لانكرت
الصحابة عليه ولقالت له ليس لك ان تقول هذا وليس لك ان تفعله فلما اقرته
الصحابة على ذلك علم ان للامام ان يفعل ذلك ولان الامام ناظر للغير فيجب
ان يكون حكمه حكم الحاكم والوكيل اذا عزل نفسه فان الامام هو وكيل
الامة ونايب عنها ولما اتفق على ان للوكيل والحاكم وجميع من ناب عن
غيره في شي له ان يعزل نفسه كذلك الامام يجب ان يكون مثله والله
اعلم اذا انعقدت الامامة باتفاق اهل الحل
والعقد او بواحد على ما تقدم وجب على الناس كافة مبايعته
على السمع والطاعة واقامة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
ومن تابى عن البيعة لعذر عذر ومن تابى لغير عذر جبر وقهر لئلا
تفترق كلمة المسلمين فاذا بويع لخليفتين فالخليفة الاول وقتل الاخر
واختلف في قتله هل هو محسوس او معنى فيكون عزله قتله وموته والاول

ذلك صح

اظهر

اظهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر
منهما رواه ابو سعيد الخدري اخرجه مسلم وفي حديث عبد الله بن
عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمعه يقول ومن بايع اماما فاعطاه
صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع فان جا اخر ينازعه فاضربوا عنق
الاخر رواه مسلم ايضا ومن حديث عرفجة فاضربوه بالسيف كائنا
من كان وهذا اذا دل دليل على منع اقامة امامين ولان ذلك يودي
الى النفاق والمخالفة والشقاق وحدوث الفتن وزوال النعم لكن ان
تباعدت الاقطار وتباينت كالاندلس من خراسان جاز ذلك على ما
ياتي بيانه ان شا الله تعالى لو خرج خارجي على امام
معروف العدالة وجب على الناس جهاده فان كان الامام فاسقا والخارجي
مظهر للعدل لم ينبغ للناس ان يسرعوا الى نصرة الخارجي حتى
يتبين امره فيما يظهر من العدل او تتفق كلمة الجماعة على خلع الاول
وذلك ان كل من طلب مثل هذا الامر اظهر من نفسه الصلاح حتى
اذا تمكن رجع الى عادته من خلاف ما اظهر
فاما اقامة امامين وثلاث في عصر واحد وبلد واحد فلا يجوز
اجماعا لما ذكرناه قال الامام ابو المعالي ذهب اصحابنا الى منع
عقد الامامة لشخصين في طرفي العالم ثم قالوا لو اتفق عقد
الامامة لشخصين نزل ذلك منزلة تزويج وليين امراة من زوجين
من غير ان يشعر احدهما بعقد الاخر قال والذي عندي فيه
ان عقد الامامة لشخصين في صقع واحد متضايق الخطط
والمخاليف غير جائز وقد حصل الاجماع عليه فاما اذا بعد المدى وتخلل

من الامامين بشيوع النوى فلا احتمال في ذلك محال وهو خارج
عن القواطع وكان الاستاذ ابو اسحاق يجوز ذلك في اقليمين متباعدين
غاية التباعد لئلا تتعطل حقوق الناس واحكامهم وذهبت الكرامية
الى جواز نصب امامين من غير تفصيل ودليلهم ذلك في بلد وصاروا
الى ان عليا ومعاوية كانا امامين قالوا واذا كان اثنين في بلدين او ناحيتين
كان كل واحد اقوم بما في يديه واضبط لما يليه ولانه لما جاز بعثة
نبيين في عصر واحد ولم يؤد ذلك الى ابطال النبوة كانت الامامة
اولى ولا يؤدي ذلك الى ابطال الامامة والجواب ان ذلك جائز
لولا منع الشرع منه لقوله فاقتلوا الاخر منهما ولان الامة عليه
واما معاوية فلم يدع الامامة لنفسه وانما ادعى ولاية الشام
بتولية من قبله من الائمة ومما يدل على هذا اجماع الامة في عصرهما
على ان الامام احدهما ولا قال احدهما انا امام ومخالفي امام فان
قالوا العقل لا يحيل ذلك وليس في السمع ما يمنع منه قلنا اقوى
السمع الاجماع وقد وجد على المنع قوله تعالى
قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها قد [illegible] قطعا ان الملائكة لا تعلم الا
ما علمت ولا تسبقوا بالقول وذلك عام في جميع الملائكة
قوله لا يسبقونه خرج على وجه المدح لهم فكيف قالوا [illegible]
فيها فقيل المعنى انهم لما سمعوا لفظ خليفة فهموا ان في بني آدم من
يفسد والخليفة المقصود منه الاصلاح وترك الفساد [illegible]
الحكم على الجميع بالمعصية فبين الرب تعالى ان فيهم من يفسد ومن لا
يفسد فقال تطييبا لقلوبهم اني اعلم وحقق ذلك بان علم آدم

الاسما

١٥٨

الاسما وكشف لهم عن مكنون علمه وقيل ان الملايكة قد رات وعلمت
ما كان من افساد الجن وسفكهم الدما وذلك ان الارض كان فيها الجن
قبل خلق ادم فافسدوا وسفكوا الدما فبعث الله اليهم ابليس في جند
من الملايكة فقتلهم والحقهم بالبحار وروس الجبال على ما تقدم لمن ذلك
حينيذ دخلته العزة فجا قولهم اتجعل فيها على جهة الاستفهام المحض
هل هذا الخليفة على طريقة من تقدم من الجن ام لا قاله احمد بن يحيى
ثعلب وقال بن زيد وغيره ان الله تعالى اعلمهم ان الخليفة سيكون
من ذريته قوم يفسدون في الارض ويسفكون الدما فقالوا لذلك
هذه المقالة اما على طريق التعجب من استخلاف الله تعالى من يعصيه
او من عصيان الله من يستخلفه في ارضه وينعم عليه بذلك واما على
طريق الاستعظام والاكبار للفصلين جميعا الاستخلاف والعصيان
وقال قتادة كان الله سبحانه اعلمهم انه اذا جعل في الارض خليفة
[illegible]هو الذي اعلمهم ام غيره رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة
في قوله تعالى اتجعل فيها من يفسد فيها قال كان الله تعالى اعلمهم انه
اذا كان في الارض خلق افسدوا فيها وسفكوا الدما فلذلك
[illegible] من يفسد فيها والكلام حذف على مذهبه والمعنى
[illegible] الارض خليفة يفعل كذا ويفعل كذا قالوا اتجعل فيها
[illegible] ام غيره قلت وهذا قول حسن والقول الاول
[illegible]حسن جدا لان فيه استخراج العلم واستنباطه من مقتضى
الالفاظ وذلك لا يكون الا من العلما وما بين القولين حسن ايضا
[illegible] وقد قيل ان سوال الله تعالى للملايكة بكيف تركتم عبادي

ليه

علي ما في صحيح مسلم وغيره انما هو على جهة التوبيخ لمن قال اتجعل فيها
واظهار لما سبق في معلومه اذ قال لهم اني اعلم ما لا تعلمون
قوله تعالى من يفسد فيها من في موضع نصب على المفعول
بتجعل والمفعول الثاني يقوم مقامه فيها يفسد على اللفظ ويجوز في
غير القران يفسدون على المعنى وفي التنزيل ومنهم من يستمع اليك
على اللفظ ومنهم من يستمعون على المعنى ويسفك عطف عليه ويجوز
فيه الوجهان وروي اسيد عن الاعرج انه قرا ويسفك الدماء
بالنصب يجعله جواب الاستفهام بالواو كما قالوا الم اك جاركم وتكون
بيني وبينكم المودة والاخا والسفك الصب سفكت الدما
اسفكه سفكا صببته وكذلك الدمع حكاه بن فارس والجوهري
والسفاك السفاح وهو القادر على الكلام قال المهدوي ولا يستعمل
السفك الا في الدم وقد يستعمل في نثر الكلام يقال سفك الكلام
اذا نثره وواحد الدما دم محذوف اللام واصله دمي وقيل دمي ولا
يكون اسم على حرفين الا وقد حذف منه والمحذوف منه يا وقد نطق
به على الاصل قال الشاعر فلو انا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر
اليقين
قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك اي ننزهك عما
لا يليق بصفاتك والتسبيح في كلامهم التنزيه من السو على وجه
التعظيم ومنه قول اعشى بن تعلبه اقول لما جاني فخره سبحان من
علقمه الفاخر اي براه منه وروى طلحة بن عبد الله قال سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال هو تنزيه
الله عز وجل عن كل سو وهو مشتق من السبح وهو الجري والذهاب

قال الله تعالى

قال الله تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا فالمسبح جار في تنزيه الله تعالى
وتبريته من السو وقد تقدم الكلام في نحن ولا يجوز ادغام النون في
النون لئلا يلتقي ساكنان عند جماعة القرا الا ما روي من ذلك في الادغام
الكبير من طريق ابي شعيب عن ابي عمرو واختلف
اهل التاويل في تسبيح الملائكة فقال بن مسعود وبن عباس تسبيحهم صلاتهم
ومنه قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين اي من المصلين وقيل تسبيحهم
رفع الصوت بالذكر قاله المفضل واستشهد بقول جرير قبح الله وجوه
تغلب كلما سبح الحجيج وكبروا اهلالا وقال قتادة تسبيحهم سبحان الله
على عادته في اللغة قلت وهو الصحيح لما رواه ابو ذر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سئل اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملائكته
سبحان الله وبحمده اخرجه مسلم وعن عبد الرحمن بن قرط ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به سمع تسبيحا في السموات العلى سبحان
الله العلي الاعلى سبحانه وتعالى ذكره البيهقي
قوله تعالى بحمدك اي وبحمدك خلط التسبيح بالحمد ونصله به والحمد
الثنا وقد تقدم ويحتمل ان يكون قولهم بحمدك اعتراضا بين الكلامين
كانهم قالوا ونحن نسبح ونقدس ثم اعترضوا على جهة التسليم اي
وانت المحمود في الهداية الى ذلك والله اعلم
قوله تعالى ونقدس لك اي نعظمك ونمجدك ونطهر ذكرك عما لا
يليق بك مما نسبك اليه الملحدون قاله مجاهد وابو صالح وغيرهما
وقال الضحاك وغيره المعنى نطهر انفسنا لك ابتغاء مرضاتك وقال
قوم منهم قتادة نقدس لك معناه نصلي والتقديس الصلاة قال بن

عطيه وهذا ضعيف قلت بل معناه صحيح فان الصلاة تشتمل على التعظيم
والتقديس والتسبيح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في
ركوعه وسجوده سبوح قدوس رب الملايكه والروح رواه عايشة
اخرجه مسلم وهنا قدس كيف ما تصرف فان معناه التطهير ومنه قوله
تعالى ادخلوا الارض المقدسة اي المطهرة وقال الملك القدوس يعني
الطاهر ومثله بالواد المقدس طوى وبيت المقدس سمي به لانه
المكان الذي يتقدس فيه من الذنوب اي يتطهر ومنه قيل للسطل
قدس اي يتوضا فيه ويتطهر ومنه القادوس وفي الحديث لا قدست
امة لا يوخذ من ضعيفها لقويها يريد لا طهرها الله اخرجه بن ماجه
في سننه فالقدس الطهر من غير خلاف وقال الشاعر فادركنه ياخذن
بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدس اي المطهر فالصلاة طهر
للعبد من الذنوب كما في الحديث مثل الصلوات الخمس كمثل نهر بباب
احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شي قالوا لا يبقى
من ذلك شي قال مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا اخرجه الموطا
والمصلي يدخلها على اكمل الاحوال لكونها افضل الاعمال والله اعلم

قوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون اعلم فيه تاويلان

قيل انه فعل مستقبل وقيل اسم بمعنى فاعل كما يقال الله اكبر بمعنى كبير وكما
قال لعمرك ما ادري واني لاوجل على اينا تعدو المنية اول فعلى انه
فعل يكون ما في موضع نصب بعلم ويجوز ادغام الميم في الميم وان
جعلته اسما بمعنى عالم يكون ما في موضع خفض بالاضافة قال بن عطية
ولا يصح فيه الصرف باجماع من النحاة وانما الخلاف في افعل اذا سمي به

وكان

وكان يكره سيبويه والخليل لا يصرفانه والاخفش يصرفه قال المهدوي
يجوز ان يقدر التنوين في افعل اعلم اذا قدرته بمعنى عالم وتنصب ما به فيكون
مثل حواج بيت الله قال الجوهري وتنوين حواج بيت الله بالاضافة اذا كن
قد حججن وان لم يكن حججن قلت حواج بيت الله فتنصب البيت لانك تريد
التنوين في حواج   قوله ما لا تعلمون اختلف اهل
التاويل في المراد بقوله ما لا تعلمون فقال ابن عباس كان ابليس لعنه الله قد اعجب
ودخله الكبر لما جعله خازن السما وشرفه فاعتقد ان ذلك لمزية له فاستخف
الكفر والمعصية في جانب ادم عليه السلام وقالت الملايكة ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك وهي لا تعلم ان في نفس ابليس خلاف ذلك وقيل اسر في
نفسه لين فضل علي لا طيعه ولين فضلت عليه ملكته على ما ياتي فقال الله تعا
لهم اني اعلم ما لا تعلمون وقال قتادة لما قالت الملايكة اتجعل فيها على ما تقدم
وقد علم الله ان فيمن يستخلف في الارض نبيا وفضلا واهل طاعة قال لهم
اني اعلم ما لا تعلمون قلت ويحتمل ان يكون المعنى اني اعلم ما لا تعلمون مما كان
ومما يكون ومما هو كاين فهو عام   تعالى وعلم ادم الاسما كلها
ثم عرضهم على الملايكة فقال انبيوني باسما هولا ان كنتم صادقين فيه عشر مسا
قوله تعالى وعلم علم معناه عرف وتعليمه هنا الهام علمه ضرورة
ويحتمل ان يكون بواسطة ملك وهو جبريل عليه السلام على ما ياتي وقري
وعلم غير مسمى الفاعل والاول اظهر قال علما الصوفية علمها بتعليم الحق
اياه وحفظها بحفظه عليه ونسي ما عهد اليه وكله فيه الى نفسه فقال
ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ويقال ان الله تعالى لما
خلق ادم عليه السلام اشكل على الملايكة أهُم أعلم أم آدم فلما سالهم عن

الاسما فلم يعرفوا وسال ادم عن الاسما فاخبرنها ظهر لهم ان ادم اعلم
منهم ثم اشكل عليهم اهو افضل ام هم فلما امرهم بالسجود له ظهر لهم
فضله وسياتي بيان هذه المسله مستوفا ان شا الله تعالى وقال بن عطا لو لم
يكشف لادم علم تلك الاسما لكان اعجز من الملايكة في الاخبار عنها وهذا
واضح   قوله تعالى ادم ادم عليه السلام يكنى ابا البشر وقيل ابا
محمد كني بمحمد خاتم الانبيا صلوات الله عليهم قاله السهيلي وقيل كنيته في الجنة
ابو محمد وفي الارض ابو البشر واصله بهمزتين لانه افعل الا انهم لينوا الثانية
فاذا احتجت الى تحريكها جعلتها واوا فقلت اوادم في الجمع لانه ليس لها اصل في
اليا معروف فجعلت الغالب عليها الواو قاله الاخفش واختلف في اشتقاقه فقيل
هو مشتق من ادمة الارض وادیمها وهو وجهها فسمي بما خلق منه قاله ابن عباس
وروي مطرف انه قال هذا الخبر لا يصح لان العربية لا توافقه وقيل انه مشتق
من الادمة وهي السمرة واختلفوا في الادمة فزعم الضحاك انها السمرة
وزعم النضر انها البياض وان ادم كان ابيض ماخوذ من قولهم ناقة ادما
اذا كانت بيضا وعلى هذا الاشتقاق جمعه ادم واوادم كحمر واحامر ولا
ينصرف بوجه وعلى انه مشتق من الادمة جمعه ادمون ويلزم قايلوا هذه
المقالة صرفه قلت الصحيح انه مشتق من اديم الارض قال سعيد بن جبير انما
سمي ادم لانه خلق من اديم الارض وانما سمي انسانا لانه نسي ذكره بن سعد في
الطبقات وروى السدي عن ابي مالك وعن ابي صالح عن بن عباس وعن
مرة الهمداني عن بن مسعود في قصة خلق ادم عليه السلام قال فبعث الله
جبريل عليه السلام الى الارض لياتيه بطين منها فقالت الارض اعوذ بالله
منك ان تنقص مني او تشينني فرجع ولم ياخذ وقال رب انها عاذت بك

فاعذتها

فاستعاذت ثلاثة

فاعد لها فبعث الله ميكاييل فاذت منه فاعاذها فرجع فقال كما قال جبريل سبعا
فبعث الله ملك الموت فعادت به فقال وانا اعوذ بالله ان ارجع ولم انفذ امره
فاخذ من وجه الارض وخلط ولم ياخذ من مكان واخذ من تربة حمرا وبيضا
وسودا فلذلك خرج بنوا ادم مختلفين ولذلك سمي ادم لانه اخذ من اديم
الارض فصعد به فقال الله تعالى اما رحمت الارض حين تضرعت اليك
فقال رايت امرك اوجب من قولها فقال انت تصلح لقبض ارواح
ولده ولم يكن نوارا وقبل ذلك التراب حتى عاد طينا لازبا واللازب
هو الذي يلتصق بعضه ببعض ثم ترك حتى انتن فذلك حيث يقول
من حما مسنون قال منتن ثم قال للملايكة اني خالق بشرا من طين
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فخلقه الله
بيده لكي لا يتكبر ابليس عنه يقول اتتكبر عما عملت بيدي ولم اتكبر
انا عنه فخلقه الله بشرا فكان جسدا من طين اربعين سنة من مقدار
يوم الجمعه فمرت به الملايكة ففزعوا منه لما راوه وكان اشدهم فزعا
منه ابليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون
له صلصله فذلك حين يقول من صلصال كالفخار ويقول لامر ما
خلقت ودخل من فيه وخرج من دبره فقال للملايكة لا ترهبوا
من هذا فانه اجوف ولين سلطت عليه لاهلكنه ويقال انه
كان اذا مر عليه مع الملايكة يقول ارايتم هذا الذي تروا من
الخلق يشبهه ان فضل عليكم وامرتم بطاعته ما انتم فاعلون
قالوا نطيع امر ربنا فاسر ابليس في نفسه لين فضل علي فلا اطيعه
ولين سلطت عليه لاهلكنه فلما بلغ الحين الذي اريد ان ينفخ فيه

الروح قال للملايكه اذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له فلما نفخ
فيه الروح فدخل الروح في راسه عطس فقالت له الملايكه قل الحمد
لله فقال الحمد لله فقال الله له رحمك ربك فلما دخل الروح في
عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب
قبل ان تبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمار الجنه فذلك حين يقول
خلق الانسان من عجل فسجد الملايكه كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان
يكون مع الساجدين وذكر القصه وروى الترمذي عن ابي موسى
الاشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الله عز وجل خلق ادم من قبضه قبضها من جميع الارض فجا بنو ادم
على قدر الارض جا منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك
السهل والحزن والخبيث والطيب قال ابو عيسى هذا حديث
حسن صحيح قلت فهذه الاحاديث نص في ان ادم خلق من اديم
الارض وبه سمي وادم جمع ادم قال الشاعر الناس اخياف
وشتى في الشيم وكلهم يجمعهم وجه الادم فادم مشتق من
الادم لا من الادمه والله اعلم ويحتمل ان يكون منهما جميعا
وسياتي لهذا الباب مزيد بيان في خلق ادم في الانعام وغيرها
ان شا الله تعالى وفي كتاب العرايس للثعلبي وسال عبد الله بن
سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف خلق الله ادم قال
خلق ادم وجهه من تربة الكعبة وصدره وظهره من بيت
المقدس وفخذيه من ارض اليمن وساقيه من ارض مصر وقدميه
من ارض الحجاز ويده اليمنى من ارض المشرق ويده اليسرى من

ارض

ارض المغرب ثم القاه على باب الجنة وكلما مر به الملايكة عجبوا من
حسن صورته وطول قامته ولم يكونوا راوا قبل ذلك ما يشبهه
من الصور فمر به ابليس فراه ثم قال لامر ما خلقت ثم ضربه بيده
فاذا هو اجوف ندخل في فيه ويخرج من دبره وقال لاصحابه
الذين معه من الملايكة هذا خلق اجوف لا يثبت ولا يتماسك
ثم قال لهم ارايتم ان فضل هذا عليكم ما انتم فاعلون قالوا نطيع
ربنا فقال ابليس في نفسه والله لا اطيعه ولين فضلت عليه لاهلكنه
فذلك قوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون يعني ما
اظهرت الملايكة من الطاعة واسر ابليس من المعصية وفي الخبر
ان جسد آدم كان ملقى اربعين سنة يمطر عليه الحزن ثم امطر عليه
السرور سنة واحدة فلذلك كثرت الهموم عليه في اولاده وما
عاقبتها الى الفرح والراحة وانشد بن الاعرابي محن الزمان
الزمان كثيرة ما تنقضي وسروره ياتيك في الفلتات وعن بن
عباس قال خلق الله تعالى ادم يوم الجمعة بعد العصر من
قبضة قبضها من اديم الارض كلها فسمي ادم الا ترى ان من
ذريته الاحمر والاسود والخبيث والطيب ثم عهد اليه
فنسي فسمي الانسان قال والله ما غابت الشمس من ذلك اليوم
حتى اهبط الى الدنيا وقد قيل ان الذي ارسل الى الارض لياخذ
منها ابليس وهذا نقل فيما اعلم والله اعلم وآدم لا ينصرف للنحاة
في المعرفة باجماع من النحويين لانه على افعل وهو معرفة ولا يمتنع
شيء من الصرف عند البصريين الا لعلتين فان نكرته ولم يكن نعتا وهو

علي وزن الفعل فاذا لم يكن نعتا صرفه قال ابو اسحق الزجاج القول
قول سيبويه لا يفرق بين النعت وغيره لانه هو ذاك بعينه
قوله تعالى الا اسما الاسما هنا بمعنى العبارات فان
الاسم قد يطلق ويراد به المسمى كقولك زيد قايم والاسد شجاع
وقد يراد به التسميه ذاتها كقولك اسد ثلاثه احرف ففي الاول
يقال الاسم هو المسمى بمعنى يراد به المسمى وفي الثاني لا يراد به المسمى
وقد يجري اسم في اللغه مجرى ذات العباره وهو الاكثر من استعمالها
ومنه قوله تعالى وعلم ادم الاسما كلها على اشهر التاويلات ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تسعه وتسعين اسما الحديث ويجري
مجرى الذات يقال ذات ونفس وعين واسم بمعنى وعلى هذا حمل
اكثر اهل العلم قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى وتبارك اسم ربك
وما تعبدون الا اسما سميتموها واختلف اهل التاويل
في معنى الاسما التي علمها لادم عليه السلام فقال بن عباس وعكرمه
وقتاده ومجاهد وبن جبير علمه اسما جميع الاشيا كلها جليلها
وحقيرها وما فيها من الحدث وما يحل اكله وما لا يحل اكله وروى
عاصم بن كليب عن سعد مولى الحسن بن علي قال كنت جالسا عند
بن عباس فذكروا اسم الانيه واسم السوط قال بن عباس وعلم
ادم الاسما كلها قلت وقد روى هذا المعنى مرفوعا على ما ياتي
وهو الذي يقتضيه لفظ كلها اذ هو اسم موضوع للاحاطه
والعموم وفي البخاري من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ويجتمع المومنون يوم القيمه فيقولون لو استشفعنا الى

ربنا

١٦٢

ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده واسجد
لك ملايكته وعلمك اسما كل شي وذكر الحديث وقال الطبري
علمه اسما الملايكة وذريته واختار هذا ورجحه بقوله ثم عرضهم
وقال بن زيد علمه اسما ذريته كلهم الربيع بن خثيم اسما الملايكة
خاصة القتبي اسما ما خلق في الارض وقيل اسما الاجناس والانواع
قلت القول الاول اصح لما ذكرناه ولما نبينه انفا ان شا الله تعالى
واختلف العلما ولون ايضا هل عرض على الملايكة
اشخاص الاسما او الاسما دون الاشخاص فقال بن مسعود وغيره
عرض الاشخاص لقوله تعالى ثم عرضهم وقوله باسما هولاء وتقول
العرب عرضت الشي فاعرض اي اظهرته فظهر ومنه عرضت
الشي للبيع وفي الحديث انه عرضهم امثال الذر وقال بن
عباس وغيره عرض الاسما وفي حرف بن مسعود عرضهن فاعاد
على الاسما دون الاشخاص لان الها والنون اخص بالمونث وفي
حرف ابي عرضها مجاهد اصحاب الاسما لمن قال في الاسما انها
التسميات فاستقام على قراه ابي عرضها ويقول في قراة من قرا
عرضهم ان لفظ الاسما يدل على الاشخاص فلذلك ساغ ان
يقول الاسما عرضهم وقال في هولا المراد بالاشارة الي
اشخاص الاسما لكن وان كانت غايبة حضر ما هو منها بسبب
وذلك اسماها قال بن عطيه والذي يظهر لي ان الله تعالى
علم ادم الاسما وعرض عليه مع ذلك الاجناس اشخاصا ثم
عرض تلك على الملايكة وسالهم عن تسميتها الذي قد تعلمها

الي

التي

ثم ان ادم قال لهم هذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وقال الماوردي
فكان الاصح توجه العرض الى المسمين ثم في زمن عرضهم قولان
احدهما انه عرضهم بعد ان خلقهم الثاني انه صورهم لقلوب
الملايكه ثم عرضهم		قال بن خوازمنداد في هذه
الايه دليل على ان اللغه ماخوذه توقيفا وان الله تعالى علمها
ادم عليه السلام جملة وتفصيلا وكذالك قال بن عباس علمه
كل شي حتى الجفنه والمحلب وروى شيبان عن قتاده قال
علم ادم من الاسما اسما خلقه ما لم يعلم الملايكه وسمى كل شي باسمه
والجى منفعه كل شي الى جنسه قال ابو جعفر النحاس وهذا احسن
ماروي في هذا المعنى علمه اسما الاجناس وعرفه منافعها هذا كذا
وهذا يصلح لكذا قلت وقد استدل بعض العلما بهذه الايه على
ان اول الاشيا بعد التوحيد ان يتعلم الانسان علم اللغه لانه اراهم
فضل ادم بعلم اللغه		واختلف العلما في اول من تكلم
باللسان فروى عن كعب الاحبار ان اول من وضع الكتاب العربي
والسرياني والكتب كلها وتكلم بالالسنه كلها ادم عليه السلام
وقاله غير كعب ايضا فان قيل قد روى عن كعب من وجه حسن
قال اول من تكلم بالعربيه جبريل عليه السلام وهو الذي القاها
على لسان نوح عليه السلام والقاها نوح على لسان ابنه سام رواه
ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن كعب وروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اول من فتق لسانه بالعربيه المبينه اسماعيل
وهو ابن عشر سنين وقد روي ايضا ان اول من تكلم بالعربيه يعرب

بن قحطان

بن قحطان وقد روى غير ذلك قلت الصحيح ان اول من تكلم باللغات
كلها من البشر ادم عليه السلام والقران يشهد له قال الله تعالى
وعلم ادم الاسما كلها واللغات كلها اسما فهي داخلة تحته وبهذا
جات السنه قال صلى الله عليه وسلم وعلم ادم الاسما كلها
حتى القصعه والقصيعه وما ذكروه يحتمل ان يكون المراد اول
من تكلم بالعربيه من ولد ابراهيم عليه السلام اسمعيل عليه السلام
وكذلك ان صح ما سواه فانه يكون محمولا على ان المذكور اول من تكلم
من قبيلته بالعربيه بدليل ما ذكرنا والله اعلم وكذلك جبريل اول
من تكلم بها من الملايكه والقاها على لسان نبي بعد ان علمها الله ادم او
جبريل على ما تقدم والله اعلم قوله تعالى انبيوني اخبروني
باسما هولا لفظ مبني على الكسر ولغه تميم وبعض قيس واسد فيه
القصر قال الاعشى هولا ثم هولا كلا اعطيت نعالا محذوه
بمثال ومن العرب من يقول هولا بحذف الالف والهمزه
قوله تعالى ان كنتم صادقين شرط والجواب محذوف
وتقديره ان كنتم صادقين ان بني ادم يفسدون في الارض فانبيوني
قاله المبرد ومعنى صادقين عالمين ولذلك لم يسمع للملايكه الاجتهاد
وقالوا سبحانك حكاه النقاش قال ولو لم يشترط عليهم الصدق
في الانبا لجاز لهم الاجتهاد كما جاز للذي اماته الله مايه عام
حين قال له كم لبثت فلم يشترط عليهم الاصابه فقال ولم يصب
فلم يعنف وحكى الطبري وابو عبيده ان بعض المفسرين قال
معنى ان كنتم اذ كنتم قالا وهو خطا وانبيوني معناه اخبروني

والنبا الخبر ومنه النبا بالهمز وسياتي بيانه ان شا الله تعالى
قال بعض العلما يخرج من هذا الامر بالانبا تكليف
ما لا يطاق فانه سبحانه علم انهم لا يعلمون وقال المحققون من اهل
التاويل ليس هذا على جهة التكليف وانما هو على جهة التقرير
والتوقيف وسياتي القول في تكليف ما لا يطاق هل وقع التكليف
به او لا في اخر السورة ان شا الله تعالى سبحانه وتعالى قالوا
سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك العليم الحكيم فيه اربع مسايل
قوله تعالى قالوا سبحانك اي تنزيها لك عن ان يعلم الغيب
احد سواك وهذا جوابهم عن قولهم انبيوني فاجابوا انهم لا
يعلمون الا ما علمهم به ولم يتعاطوا ما لا علم لهم به كما يفعله الجهال
منا وما في علمتنا بمعنى الذي اي الذي علمتنا ويجوز ان يكون مصدريه
بمعنى الا تعليمك ايانا الواجب على من سيل عن علم ان
يقول ان لم يعلم الله اعلم او لا ادري اقتدا بالملايكة والانبيا والفضلا
من العلما لكن قد اخبر الصادق ان بموت العلما يقبض العلم فيبقى ناس
جهال يستفتون فيفتون براءيهم فيضلون ويضلون واما ما ورد
من الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين بعدهم
في معنى الاية فروى البستي في المسند الصحيح له عن ابن عمران رجلا سال
النبي صلى الله عليه وسلم اي البقاع شر قال لا ادري حتى اسال جبريل ع
فسال جبريل فقال لا ادري حتى اسل ميكاييل فجا فقال خير البقاع المسا
وشرها الاسواق وقال الصديق للجدة ارجعي حتى اسل الناس وكان علي
يقول وابردها على الكبد ثلاث مرات قالوا وما ذاك يا امير

المومنين

١٦٥

المومنين قال ان سئل الرجل عما لا يعلم فيقول الله اعلم وسال ابن عمر رجل
عن مسله فقال لا علم لي بها فلما ادبر الرجل قال ابن عمر نعم الهي ما قال ابن
عمر سيل لا يعلم فقال لا علم لي به ذكره الدارمي في مسنده وفي صحيح مسلم عن
ابي عقيل يحيى بن المتوكل صاحب بهيه قال كنت جالسا عند القاسم بن عبيد الله
ويحيى بن سعيد فقال يحيى للقاسم انه قبيح على مثلك عظيم ان يسل عن شي
من امر هذا الدين فلا يوجد عندك منه علم ولا فرج او علم ولا مخرج
فقال له القاسم وعم ذلك قال لانك ابن امامي هدى ابن ابي بكر
وعمر قال يقول القاسم اقبح من ذلك عند من عقل عن الله ان اقول
بغير علم او اخذ عن غير ثقة فسكت فما اجابه وقال ملك بن انس
سمعت ابن هرمز يقول ينبغي للعالم ان يورث جلساءه من بعده لا ادري
حتى يكون اصلا في ايديهم فاذا سيل احدهم عما لا يدري قال لا
ادري وذكر الهيثم بن جميل قال شهدت ملك بن انس سيل عن
ثمانيه واربعين مسله فقال في اثنين وثلاثين منها لا ادري قلت
ومثله كثير عن الصحابه والتابعين وفقها المسلمين وانما حمل على ذلك الرياسه
وعدم الانصاف في العلم قال ابن عبد البر من بركة العلم وادابه الانصاف
فيه ومن لم ينصف لم يفهم ولم يتفهم روى يونس بن عبد الاعلى قال سمعت
ابن وهب يقول سمعت مالك بن انس يقول ما في زماننا شي اقل من
الانصاف قلت هذا في زمن ملك فكيف في زماننا اليوم الذي عم
فيه الفساد وكثر فيه الطغام وطلب فيه العلم للرياسه لا للدرايه
بل للظهور في الدنيا وغلبة الاقران بالمرا والجدال الذي يقسي القلب ويورث
الطعن وذلك مما يحمل على عدم التقوى وترك الخوف من الله تعالى اين هذا

مما روي عن عمر رضي الله عنه وقد قال لا تزيدوا في مهور النسا على
اربعين اوقيه ولو كانت بنت ذي العصبه يعني يزيد بن الحصين الحارثي
فمن زاد القيت زيادته في بيت المال فقامت امراة من صوف النسا طوي
فيها فطس فقالت ما ذلك لك قال ولم قالت لان الله عز وجل يقول واتيتم
احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيا فقال عمر امراه اصابت ورجل اخطا
وروى وكيع عن ابي معشر عن محمد بن كعب القرظي قال سال رجل عليا رضي الله
عنه عن مسله فقال فيها الرجل ليس كذلك يا امير المومنين ولكن كذا وكذا فقال
علي اصبت واخطات وفوق كل ذي علم عليم وذكر ابو محمد قاسم بن اصبغ قال
لما رحلت الى المشرق ونزلت القيروان فاحدثت على بكر بن حماد حديث مسدد
ثم رحلت الى بغداد ولقيت الناس فلما انصرفت عدت اليه لتمام حديث مسدد
فقرات عليه فيه يوما حديث النبي عليه السلام انه قدم عليه قوم من
مضر مجتابي النمار فقال انه انما هو مجتابي الثمار فقلت انما هو مجتابي النمار هكذا قراته على كل من قراته عليه بالاندلس والعراق
فقال لي بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا او نحو هذا ثم قال لي قم
بنا الى ذلك الشيخ لشيخ كان في المسجد فان له بمثل هذا علما فقمنا اليه فسالناه
عن ذلك فقال انما هو مجتابي النمار كما قلت وهم قوم كانوا يلبسون الثياب
مشققه جيوبهم امامهم والنمار جمع نمره فقال بكر بن حماد واخذ بانفه
رغم انفي للحق وانصرف وقال يزيد بن الوليد بن عبد الملك فاحسن اذا ما
تحدثت في مجلس فما هي حدثني الى ما علمت ولم اعد علمي الى غيره وكان اذا ما انتهى
سكت قوله تعالى سبحانك سبحان منصوب على المصدر عند
الخليل وسيبويه يؤدي عن معنى نسبحك تسبيحا وقال الكسائي هو منصوب
على انه نداء مضاف والاول اصوب ومثله معاذ الله وريحان الله وعمرك الله

كله منصوب

منصوب على المصدر ولا ينصرف اي لا يجر ولا يرفع ولا يدخله الالف واللام
يقول سبحان الله اي سبحت الله تسبيحا ومعاذ الله اي اعوذ بالله عيادا وريحان الله
اي استرزقته استرزاقا والريحان الرزق   قوله تعالى انك انت العليم
الحليم فقيل للمبالغه والتكثير في المعلومات في حق الله تعالى والحليم معناه الحا
وبينهما مزيه المبالغه وقيل معناه المحلم وعلى الحكم على هذا من صفات
الفعل صرف عن مفعل الى فعيل كما صرف مسمع الى سميع ومولم الى اليم
قاله بن الانباري وقال قوم الحليم المانع من الفساد ومنه سميت
حكمه اللجام لانها تمنع الفرس من الجري والذهاب في غير قصد قال
جرير ابني حنيفه احكموا سفهاكم اني اخاف عليكم ان اغضبا اي امنعو
من الفساد وقال زهير القايد الخليل منكوبا دوابرها قد احكمت
حكمات القد والابقا القد الجلد والابق القنب والعرب يقول
احكم اليتيم عن كذا وكذا يريد وان امنعه والسورة المحكمة الممنوعه
من التغيير وكل التبديل وان يلحق بها ما يخرج عنها ويزاد عليها ما
ليس منها والحكمه من هذا لانها تمنع صاحبها من الجهل ويقال السي اذا
اثقنته ومنعته من الخروج عما يريد فهو محكم وحليم على التكثير ،،
تعالى قال يا ادم انبيهم باسمايهم فلما انباهم باسمايهم
قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون
فيه ست مسايل   قوله تعالى يا ادم انبيهم باسمايهم امره
ان يعلمهم باسمايهم بعد ان عرضهم على الملايكه ليعلموا انه اعلم بما سالهم
عنه تنبيها على فضله وعلو شانه فكان افضل منهم بان قدمه عليهم واسجد
له وجعلهم تلامذته وامرهم بان يتعلموا منه فحصلت له رتبه الجلال

والعظمه بان جعل مسجودا له مختصا بالعلم والله اعلم
في هذه الايه دليل على فضل العلم واهله وفي الحديث وان الملايكه لتضع اجنحتها
رضى لطالب العلم اي تخضع وتتواضع وانما تفعل ذلك لاهل العلم خاصه
من بين ساير عمال الله تعالى لان الله تعالى الزمها ذلك في ادم عليه السلام
فتادبت بذلك الادب فكل ما ظهر له علم في بشر خضعت وتواضعت
وتذللت اعظاما للعلم واهله ورضى منهم بالطلب له والشغل به هذا
في الطلاب منهم فكيف بالاحبار فيهم والربانيين منهم جعلنا الله
منهم وفيهم بكرمه وفضله انه ذو فضل عظيم . اختلف
العلما ايما افضل الملايكه او بنوا آدم على قولين احتج من فضل الملايكه بانهم
عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون لا يعصون الله ما
امرهم وهم بامره يعملون ويفعلون ما يومرون وقوله لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدًا لله ولا الملايكة المقربون وقوله تعالى قل لا اقول لكم
عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك وفي البخاري يقول
الله تعالى من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وهذا نص احتج من
فضل بني آدم بقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اوليك هم خير
البرية بالهمز من برأ الله الخلق وبقوله عليه السلام وان الملايكة لتضع
اجنحتها رضى لطالب العلم الحديث خرجه ابو داود وبما جا في احاديث
من ان الله تعالى يباهي باهل عرفات الملايكة ولا يباهي الا بالافضل والله
اعلم وقال بعض العلما ولا طريق الى القطع بان الانبيا افضل من الملايكه
ولا القطع بان الملايكه خير منهم لان طريق ذلك خبر الله تعالى وخبر
رسوله او اجماع الامه وليس هاهنا شي من ذلك خلافا للقدريه

والقاضي

والقاضي ابي بكر رحمه الله حيث قالوا الملائكة افضل قال واما من قال
من اصحابنا والشيعة ان الانبياء افضل لان الله تعالى امر الملائكة بالسجود
لادم فيقال لهم المسجود لهم لا يكون افضل من الساجد الا ترى ان
الكعبة مسجود لها والانبياء والخلق يسجد ونحوها ثم ان الانبياء
والمؤمنين خير من الكعبة باتفاق الامة ولا خلاف ان السجود لا
يكون الا لله تعالى لان السجود عبادة والعبادة لا يكون الا لله
فاذا كان كذلك فكون السجود الى جهة لا يدل على ان الجهة خير
من الساجد العابد وهذا واضح قوله تعالى اني اعلم غيب
السموات والارض يعني سر اهل السموات واهل الارض وما يكون
فيهما وفي هذا دليل على ان احدا لا يعلم من الغيب الا ما اعلمه الله تعالى
الا ما او من اعلمه من اعلمه الله تعالى فالمنجمون والكهان وغيرهم
كذبة وسياتي بيان هذا في الانعام ان شاء الله تعالى عند قوله وعنده
مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو قوله تعالى واعلم ما تبدون
اي من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها حكاه مكي والماوردي وقال
الزهراوي ما ابدوه هو بدارهم بالسجود لادم وما في قوله ما
تبدون يجوز ان تنصب باعلم على انه فعل ويجوز ان يكون بمعنى عالم
فينصب ويخفض به فيكون مثل حواج بيت الله وقد تقدم
قوله تعالى وما كنتم تكتمون قال ابن عباس وابن مسعود
وسعيد بن جبير المراد ما كتمه ابليس في نفسه من الكبر والمعصية
حتى قال لئن فضل عليهم لا اطيعه ولئن فضلت عليه لاهلكنه
ابن عطية وجا يكتمون في هذا القول للجماعة والكاتم واحد

على تجوز العرب واتساعها كما يقال لقوم قد جنا سفيه منهم انتم
فعلتم كذا اي منكم فاعله وهذا مع قصد تعنيف ومنه قوله
تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون وانما
ناداه منهم عيينه وقيل الاقرع وقالت طايفة الابدا والمكتوم
ذلك على معنى العموم في معرفة اسرارهم وظواهرهم اجمع
وقال مهدي بن ميمون كنا عند الحسن بن دينار ما
الذي كتمته الملايكة فقال ان الله عز وجل لما خلق ادم خلقا عجيبا فكانهم
دخلهم من ذلك شي قال ثم اقبل بعضهم على بعض واسروا ذلك بينهم
ما يهمكم من هذا المخلوق وان الله لم يخلق خلقا الا كنا اكرم عليه منه
ونحوه عن قتادة ويقال انه لما خلق ادم اشكل عليهم اهم اعلم ام
ادم فلما سالهم عن الاسما لم يعلموا وسال ادم عن الاسما فاخبرهم
بها ظهر لهم ان ادم اعلم منهم   تعالى واذ قلنا للملايكة
اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين
فيه ثنتا عشرة مسلة   قوله تعالى واذ قلنا اي واذكروا
ما قول ابي عبيده ان اذ زايده فليس بجايز لان اذ ظرف وقد تقدم
وقال قلنا ولم يقل قلت لان الجبار العظيم يخبر عن نفسه بفعل
الجماعة تفخيما واشادة بذكره والملايكة جمع ملك وقد تقدم
وتقدم القول ايضا في ادم واشتقاقه فلا معنى لاعادته وروى
عن ابي جعفر القعقاع انه ضم تا التانيث من الملايكة حيث وقع
اتباعا لضمة الجيم في اسجدوا ونظيره الحمد لله بضم كسر الدال
قوله تعالى اسجدوا والسجود معناه في كلام العرب

مسالة

التذلل

التذلل والخضوع قال الشاعر بجمع تضل البلق في حجراته ترى
الاكم فيها سجدا للحوافر الاكم الجبال الصغار جعلها تسجد للحوافر
لقهر الحوافر اياها وانها لا تمتنع عليها وعين ساجدة اي فاترة عن
النظر وغايته وضع الوجه بالارض قال ابن فارس سجد اذا تطامن ... [راسه]
وكل ما سجد فقد ذل والاسجاد ادامة النظر قال ابو عمرو واسجد
اذا طاطا راسه قال فضول ازمتها اسجدت سجود النصارى لاربابها
قال ابو عبيدة وانشدني اعرابي من بني اسد فقلن له اسجد لليلى
فاسجدا يعني للبعير اذا طاطا راسه ودراهم الاسجاد دراهم
كانت عليها صور كانوا يسجدون لها قال ـــــ وافى بها
لدراهم الاسجاد ... فان قيل ما الحكمة في الامر بالسجود لآدم
عليه السلام قيل له ان الملائكة لما استعظموا تسبيحهم وتقديسهم
امرهم بالسجود لغيره ليريهم استغناءه عنهم وعن عبادتهم وقال
بعضهم عيّروا آدم واستصغروه ولم يعرفوا خصائص الصنع به فامروا [١]
بالسجود له تكريما والله اعلم واكرم واختلف الناس في كيفية
سجود الملائكة لآدم عليه السلام بعد اتفاقهم على انه لم يكن سجود عبادة
فقال الجمهور كان هذا امرا للملائكة بوضع الجباه على الارض لادم
كالسجود المعتاد في الصلاة لانه الظاهر من السجود في العرف والشرع [المعتاد]
وعلى هذا قيل كان ذلك السجود تكريما لادم واظهارا لفضله وطاعة
لله تعالى وكان آدم لهم كالقبلة لنا ومعنى لادم الى ادم كما يقال
صلى للقبلة اي الى القبلة وقال قوم لم يكن هذا السجود المعهود اليوم الذي
هو وضع الجبهة على الارض ولكنه مبقي على اصل اللغة فهو من التذلل

والانقياد اي اخضعوا لآدم واقروا له بالفضل فسجدوا اي
امتثلوا ما امروا به   واختلف اهل التاويل في الملايكة
الذين امروا بالسجود على قولين احدهما خاص في طايفة من الملايكة
كانوا مع ابليس حين طهر الله بهم الارض ممن افسد فيها من
الجان والقول الثاني انه عام في جميع الملايكة امرهم الله تعالى
بالسجود لادم واختلف القايلون بهذا العموم هل كان غير الملايكة من
عالم زمانهم مامورين بالسجود تبعا للملايكة ام لا على قولين احدهما انه
مختص بالسجود للملايكة لاختصاصهم بالخطاب الثاني انه عام في جميع
عالم ذلك الزمان وان خص الخطاب بالملايكة فان الملايكة لما كانوا اشرف
العالم كان غيرهم تبعا لهم ذكره الماوردي   واختلفوا ايضا
هل كان ذلك السجود خاصا بآدم عليه السلام فلا يجوز السجود
لغيره من جميع العالم الا لله تعالى ام كان جايزا بعده الى زمان يعقوب
عليه السلام لقوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا
فكان اخر ما ابيح من السجود للمخلوقين والذي عليه الاكثر انه كان
مباحا الى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اصحابه قالوا
حين سجدت له الشجرة والجمل نحن اولى بالسجود لك من الشجرة
والجمل الشارد فقال لهم لا ينبغي ان يسجد لاحد الا لله رب
العالمين روى بن ماجة في سننه والبستي في صحيح مسنده عن ابي
واقد قال لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا فقال يا
رسول الله قدمت من الشام فرايتهم يسجدون لبطارقتهم

واساقفتهم

واسافقهم فاردت ان افعل ذلك لك قال فلا تفعل فاني لو امرت شيا
يسجد لشي لامرت المراة ان يسجد لزوجها لا تودي المراة حق ربها
حتى تودي حق زوجها حتى لو سالها نفسها وهي على قتب لم تمنعه لفظ
البستي ومعنى القتب ان العرب يعز عندهم كرسي الولادة فيحملون
نساهم على القتب عند الولادة وفي بعض طرق معاذ ونهى عن السجود
للبشر وامر بالمصافحة قلت وهذا السجود المنهي عنه قد اتخذه
جهال المتصوفة عادة في سماعهم وعند دخولهم على مشايخهم
واستغفارهم فيرى الواحد منهم اذا اخذه الحال بزعمه
يسجد للاقدام بجهله سوا كان للقبلة او غيرها جهالة منهم
ضل سعيهم وخاب عملهم قوله تعالى الا ابليس
نصب بالاستثنا المتصل لانه كان من الملايكة على قول الجمهور
بن عباس وبن مسعود وبن جريج وبن المسيب وقتادة
وغيرهم وهو قول الشيخ ابي الحسن ورجحه الطبري
وظاهر الاية قال بن عباس وكان اسمه عزازيل وكان
من اشراف الملايكة وكان من اولي الاجنحة الاربعة ثم
ابليس بعد روى سماك بن حرب عن عكرمة عن بن عباس قال
كان ابليس من الملايكة فلما عصى الله غضب عليه فلعنه فصار
شيطانا وحكى الماوردي عن قتادة انه كان من افضل صنف
من الملايكة يقال لهم الجنة وقال سعيد بن جبير ان الجن
سبط من الملايكة خلقوا من نار وابليس منهم وخلق ساير
الملايكة من نور وقال بن زيد والحسن وقتادة ايضا

فيه فصل ابليس

ابو الجن كما ادم ابو البشر ولم يكن ملكا وروي نحوه عن ابن عباس
وقال اسمه الحرث وقال شهر بن حوشب وبعض الاصوليين
كان من الجن الذين كانوا في الارض وقاتلتهم الملائكة فسبوه
صغيرا وتعبد مع الملائكة وخوطب وحكاه الطبري عن
ابن مسعود والاستثنا على هذا منقطع مثل قوله تعالى ما لهم
به من علم الا اتباع الظن وقوله الا ما ذكيتم في احد القولين
وقال الشاعر ليس عليك عطش ولا جوع الا الرقاد والرقاد
ممنوع واحتج بعض اصحاب هذا القول بان الله جل وعز
وصف الملائكة فقال لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يومرون فنفى عنهم المعصية نفيا عاما فلا يجوز ان يكون
من الملائكة مع كونه قد عصى الله ولا يزال يعصيه الى
اليوم المعلوم ودليل ثان وهو انه من الكافرين وليست
الملائكة من الكافرين بدليل قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا
فعمهما بالوصف بالرسالة ولا يجوز على رسل الله الكفر ولا
الفسوق كما لا يجوز على رسله من البشر ودليل ثالث قوله
تعالى الا ابليس كان من الجن والجن غير الملائكة ثم قال ففسق
عن امر ربه افتتخذونه وذريته اوليا فاخبر ان ابليس له نسل
وذريه والملائكة لا نسل لها وقال تعالى حكاية عن قول
ابليس انا خير منه خلقته من طين فصح انه مخلوق مما خلق منه
الجن وانه منهم قال الله تعالى والجان خلقناه من قبل اي من
قبل خلق ادم من نار السموم وفي صحيح مسلم عن عايشة قالت

خلقتني من نار

قال رسول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملايكه من نور وخلق
الجان من مارج من نار وخلق ادم مما وصف لكم اجاب اهل المقالة
الاولى بانه لا يمتنع ان يخرج من جملة الملايكة لما سبق في علم الله
شقايه عدلا منه لا يسال عما يفعل وليس عليه في خلقه من نار
ولا في تركيبه حين غضب عليه ما يدفع انه من الملايكة واقوال من
قال انه كان من جن الارض فسبي فقد روي في مقابلته ان ابليس
هو الذى قاتل الجن في الارض مع جند من الملايكة حكاه المهدوى
وغيره وحكا الثعلبى عن بن عباس ان ابليس كان من حي من احيا
الملايكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وكان اسمه بالسريا
عزازيل وبالعربية الحارث وكان من خزان الجنة وكان رييس ملايكة
السما الدنيا وكان له سلطانها وسلطان الارض وكان من اشد
الملايكة اجتهادا واكثرهم علما وكان يسوس ما بين السما والارض
فراى بذلك لنفسه شرفا وعظمة فذلك الذى دعاه الى الكفر
فعصى فمسخه الله شيطانا رجيما قلت وبعد ذلك جعل له
نسلا وذرية والله اعلم فاذا كانت خطيته الرجل في كبر فلا
ترجه وان كانت خطيته في معصيه فارجه وكانت خطيت
ادم معصية وخطية ابليس كبرا والملايكة قد تسمى جنا
لاستتارها وفي التنزيل وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقال
الشاعر في ذكر سليمان عليه السلام وسخر من جن الملايكة تسعه
قياما لديه يعملون بلا اجر وايضا لما كان من خزان الجنة نسب
اليها فاشتقوا اسمه من اسمها والله اعلم وابليس وزنه افعيل مشتق

من الابلاس وهو الياس من رحمة الله ولم ينصرف لانه معرفة ولا
نظير له في الاسما فشبه بالاعجمية قاله ابو عبيدة وغيره وقيل هو
اعجمي لا اشتقاق له ولم ينصرف للعجمة والتعريف قاله الزجاج وغيره

قوله تعالى ابى معناه امتنع من فعل ما امر به ومنه
الحديث الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرا
ابن ادم السجدة اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله في رواية يا ويلنا
امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابيت فلي
النار خرجه مسلم يقال ابى يابى ابا وهو حرف نادر جا على فعل
يفعل ليس فيه حرف من حروف الحلق وقيل ان الالف مضارعة
لحروف الحلق قال الزجاج سمعت اسمعيل بن اسحق القاضي يقول
القول عندي ان الالف مضارعة لحروف الحلق قال النحاس
ولا اعلم ان ابا اسحق روى عن اسمعيل نحو غير هذا الحرف

قوله تعالى واستكبر الاستكبار الاستعظام فكانه
كره السجود في حقه واستعظمه في حق ادم فكان ترك السجود لادم
تسفيها لامر الله وحكمته وعن هذا الكبر عبر عليه السلام بقوله
لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر في رواية
فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال
ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس خرجه مسلم
ومعنى بطر الحق تسفيهه وابطاله وغمط الناس الاحتقار لهم
والازدرا بهم ويروى وغمص بالصاد المهملة والمعنى واحد
يقال غمصه يغمصه غمصا واغتمصه اي استصغره ولم يره

شيا

شيا وغمص فلان النعمه اذا لم يشكرها وغمصت عليه قولا قاله اي
عبته عليه وقد صرح اللعين بهذا المعنى فقال انا خير منه
خلقتني من نار وخلقته من طين أأسجد لمن خلقت طينا لم اكن
لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون فكفره الله بذلك
فكل من سفه شيا من اوامر الله او امر رسوله كان حكمه حكمه
ما لا اختلاف فيه ولقي ابليس نوحا عليه السلام فقال ابو الحسد
والشح فاني حسدت ادم فاخرجت من الجنة وشح ادم في شجرة واحدة
فخرج من الجنة وروى ابن القاسم عن مالك انه قال بلغني ان اول
معصية كانت الحسد والكبر والشح حسد ابليس وتكبر عليه وشح ادم
قيل له كل من جميع شجر الجنة الا هذه الشجرة فشح فاكلها وقال قتادة
حسد ابليس ادم على ما اعطاه الله من الكرامة فقال انا ناري وهذا
طيني فكان بدو الذنوب الكبر ثم الحرص حتى اكل ادم من الشجرة ثم الحسد
اذ حسد ابن ادم اخاه قوله تعالى وكان من الكافرين قيل كان
هنا بمعنى صار ومنه قوله تعالى فكان من المغرقين وقال الشاعر بتيهاء
قفر والمطي كانها قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها اي صارت وقال
ابن فورك كان هنا بمعنى صار خطا ترده الاصول وقال جمهور المتاولين
المعنى كان في علم الله تعالى انه سيكفر لان الكافر حقيقة والمومن حقيقة
هو الذي قد علم منه الموافاه قلت وهذا صحيح لقوله عليه السلام
في صحيح البخاري وانما الاعمال بالخواتيم وقال بعضهم بظاهر
الاية قال وكان كافرا في الاصل وهو قول اهل الخبر قالوا كل
كافر اسلم فقد ظهر انه كان مسلما في الاصل وكل مسلم كفر فقد ظهر

انه كان كافرا في الاصل لانه كان كافرا يوم الميثاق وقال ان الله تعالى
قال في قصة بلقيس انها كانت من قوم كافرين ولم يقل انها كانت كافرة وقال
في قصة ابليس وكان من الكافرين وقال اهل السنة والجماعة والكافر اذا
اسلم كان كافرا الى وقت اسلامه وانما صار مسلما باسلامه الا انه غفر له
ما قد سلف والمسلم اذا كفر كان مسلما الى ذلك الوقت الا انه حبط
عمله وقيل ان ابليس عبد الله تعالى ثمانين الف سنة واعطى الرياسة
والخزانة في الجنة على الاستدراج كما اعطى المنافقون شهادة ان لا اله الا
الله على اطراف السنتهم وكما اعطى بلعام الاسم الاعظم على طرف لسانه
فكان في رياسة والكبر في نفسه متمكن قال بن عباس كان يرى لنفسه ان
له فضيلة على الملايكة بما عنده فلذلك قال انا خير منه ولذلك قال
الله عز وجل ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من
العالين اي استكبرت ولا كبر لك ولم اتكبر انا حين خلقته بيدي والكبر
لي فلذلك قال وكان من الكافرين وكان اصل خلقته من نار العزة ولذلك حلف
بالعزة فقال فبعزتك لاغوينهم اجمعين فالعزة اورثته الكبر حتى راى
الفضل له على ادم عليه السلام وعن ابي صالح قال خلقت الملايكة
من نور العزة وخلق ابليس من نار العزة قال علماونا من
اظهر الله تعالى على يديه ممن ليس بنبي كرامات وخوارق للعادات فليس
ذلك دالا على ولايته خلافا لبعض الصوفية وللرافضة حيث قالوا ان
ذلك يدل على انه ولي اذ لو لم يكن وليا ما اظهر الله على يديه ما اظهر ودليلنا
ان العلم بان الواحد منا ولي لله تعالى لا يصح الا بعد العلم بانه يموت مومنا
واذا لم يعلم انه يموت مومنا لم يمكنا ان نقطع على انه ولي لله تعالى لان

الولي لله

الولي لله تعالى من علم الله تعالى انه لا يوافي الا بالايمان ولا الرجل بنفسه يقطع
على انه لا يوافي بالايمان علم ان ذلك ليس بدليل على ولايته لله تعالى قالوا ولا يمنع
ان يطلع الله بعض اوليايه على حسن عاقبته وخاتمة عمله وغيره معه قاله الشيخ
ابو الحسن الاشعري وغيره وذهب الطبري الا ان الله تعالى اراد بقصة ابليس
تقريع اشباهه من بني ادم وهم اليهود الذين كفروا بمحمد عليه السلام مع علمهم
بنبوته ومع قدم نعم الله عليهم وعلى اسلافهم
واختلف هل كان قبل ابليس كافرا ام لا فقيل لا وان ابليس اول من كفر وقيل كان
قبله قوم كفار وهم الجن الذين كانوا في الارض واختلف ايضا هل كفر ابليس
جهلا او عنادا على قولين بين اهل السنه ولا خلاف انه كان عالما بالله تعالى
قبل كفره فمن قال انه كفر جهلا قال انه سلب العلم عند كفره ومن قال
كفر عنادا قال كفر ومعه علمه قال بن عطية والكفر مع بقا العلم مستبعد
الا انه عندي جايز لا يستحيل مع خذل الله تعالى لمن يشا
با تعالى وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها حيث شيتما ولا تقربا
هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه ست عشر مسئلة قوله
تعالى وقلنا يا ادم اسكن لا خلاف ان الله تعالى اخرج ابليس عند كفره
وابعده عن الجنه وبعد اخراجه قال لادم اسكن اي لازم الاقامة
واتخذها مسكنا وهو محل السكون وسكن اليه يسكن سكونا والسكن
النار قال الشاعر قد قومت بسكن وادهان والسكن كل ما
سكن اليه والسكين معروفة سمي به لانه يسكن حركة المذبوح ومنه
المسكين لقلة تصرفه وحركته وسكان السفينة عربي لانه يسكنها عن
الاضطراب قوله تعالى اسكن فيه تنبيه على الخروج لان

السكنى لا يكون تمليكا ولهذا قال بعض العلما السكنى تكون الى مدة ثم تنقطع ندخولهما في الجنة كان دخول سكنه لا دخول ثواب قلت واذا كان هذا نيكون فيه دلالة على ما يقوله الجمهور من العلما ان من اسكن رجلا سكنى له انه لا يملكه بالسكنى وان له ان يخرجه اذا انقضت مدة الاسكان وكان الشعبي يقول اذا قال الرجل داري لك سكنى حتى تموت فهي له حياته وموته واذا قال داري هذه اسكنها حتى تموت فانها ترجع الى صاحبها اذا مات ونحو من السكنى العمري الا ان الخلاف في العمرى اقوى منه في السكنى قال الحربي سمعت ابن الاعرابي يقول لم يختلف العرب في ان هذه الاشيا على ملك اربابها ومنافعها لمن جعلت له العمرى والرقبى والافقار والاخبال والمنحة والعريه والسكنى والاطراق وهذه حجة ملك واصحابه في انه لا يملك شي من العطايا الا المنافع دون الرقاب وهو قول الليث بن سعد والقاسم بن محمد ويزيد بن قسيط وغيرهم في تفسير هذه الالفاظ وبيانها العمرى هي اسكانك الرجل في دارك مدة عمره او عمرك ومثله الرقبى وهو ان يقول ان مت قبلي رجعت الي وان مت قبلك فهي لك وهي من المراقبه ان يرقب كل واحد منهما موت صاحبه ولذلك اختلفوا في اجازتها ومنعها فاجازها ابو يوسف والشافعي وكانها وصية عندهم ومنعها ملك والكوفيون لان كل واحد منهم يقصد الى عوض لا يدري هل يحصل له ويتمنى كل واحد منهم موت صاحبه وفي الباب حديثا ايضا بالاجازة والمنع ذكرهما ابن ماجة في سننه الاول رواه جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العمرى جايزة لمن اعمرها والرقبى جايزة لمن ارقبها ففي هذا الحديث التسويه بين العمرى والرقبى في الحكم الثاني رواه ابن عمر

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رقبى لمن ارقب شيا فهوله
حياته وموته قال والرقبى ان يقول هي للاخر مني ومنك موتا فقوله لا رقبى
نهي يدل على المنع وقوله لمن ارقب شيا فهوله يدل على الجواز واخرجهما
النسى ايضا وذكر عن ابن عباس قال العمرى والرقبى سوا وقال ابن المنذر
ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرى جايزة لمن اعمرها والرقبى
جايزة لمن ارقبها فقد صح الحديث ابن المنذر وهو حجة لمن قال بان الرقبى
والعمرى سوا وروي عن علي وبه قال الثوري واحمد بن حنبل وانها لا ترجع
الى الاول ابدا وبه قال اسحق وقال طاوس من ارقب شيا فهو سبيل
الميراث والافقار ماخوذ من فقار الظهر افقرتك ناقتي اعرتك فقارها
لتركبها وافقرك الصيد اذا امكنك من فقاره حتى ترميه ومثله الاخبال
يقال اخبلت فلانا اذا اعرته ناقة يركبها او فرسا يغزو عليه قال
زهير هنالك ان يستخبلوا المال يخبلوا وان يسالوا يعطوا وان
ييسروا يغلوا والمنحة العطية والمنحة منحة اللبن والمنيحة الناقة او
الشاة يعطيها الرجل اخر يحتلبها ثم يردها قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم العارية موداة والمنحة مردودة والدين يقضى والزعيم
غارم رواه ابو امامة اخرجه الترمذي والدارقطني وغيرهما وهو
والاطراق اعارة الفحل استطرق فلان فلانا فحله اذا طلبه ليضرب في
ابله فاطرقه اياه ويقال اطرقني فحلك اي اعرني فحلك ليضرب في
ابلي وطرق الفحل الناقة يطرق طروقا اي قعا عليها وطروقة الفحل اتاه
يقال ناقة طروقة الفحل التي بلغت ان يضربها الفحل وفي حديث
جابر قالوا يا رسول الله وما حقها قال اطراق فحلها وذكر الحديث

ومثله حديث قيس بن عاصم المنقرى وفيه دافقر ظهرها والطرق فحلها ومنح غزيرها وذكر الحديث قوله تعالى انت وزوجك الجنة

انت تاكيد للمضمر الذى في الفعل ومثله اذهب انت وربك فقاتلا ولا يجوز اسكن وزوجك ولا اذهب وربك الا في ضرورة الشعر كما قال

قلت اذا اقبلت وزهر تهادى كنعاج الملا تعسفن رملا فزهر معطوفا على المضمر في اقبلت ولم يوكد ذلك المضمر ويجوز في غير القران بعد قمد وزيد قوله تعالى وزوجك لغة القران زوج بغيرها وقد

تقدم وقد جاء في صحيح مسلم زوجة قال حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان مع احدى نسايه فمر به رجل فدعاه فقال يا فلان هذه زوجتى

فلانة فقال يا رسول الله ما كنت اظن به فلم اكن اظن بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن ادم مجرى الدم وزوج ادم عليه السلام هى حوى عليها السلام وهى اول من سماها بذلك الحصين خلقت من ظلعه من غير ان يحس ادم بذلك ولو الم بذلك لم يعطف رجل على امراته فلما انتبه قيل له من هذه قال امراة قيل وما اسمها قال حوى قيل ولم سميت امراة قال لانها من المرا اخذت قيل ولم سميت حوى قال لانها خلقت من حى وروى ان الملايكة سالته عن ذلك لتجرب علمه وانهم قالوا له اتحبها يا ادم قال نعم قالوا لحوى اتحبينه يا حوى قالت لا وفي قلبها اضعاف ما في قلبه من حبه قالوا فلو صدقت امراة في حبها لزوجها لصدقت حوى وقال ابن مسعود وابن عباس لما اسكن ادم الجنة مشا فيها مستوحشا فلما نام خلقت حوى من ظلعه القصيرى من شقه الايسر ليسكن اليها ويانس بها

فلما انتبه رآها فقال من انت فقالت امرأة خلقت من ضلعك لتسكن الي وهو معنى
قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها وفي
بعض القصص ان آدم عليه السلام لما راي حوى مد يده اليها فقالت
الملائكة مه يا آدم فقال ولم وقد خلقها الله تعالى لي قالت الملائكة حتى تؤدي
حقها ومهرها قال وما مهرها قالوا ان تصلي على محمد عليه السلام ثلاث مرات
قال ومن محمد قالوا اخر الانبيا من ولدك ولولا محمد ما خلقت
في هذه الاية دليل على جواز التلطف بالنسا والاحسان
اليهن وترك الغلظة عليهن الا فيما لا بد لهن من ذلك حسب ما ياتي في النسا
بيانه فيقابلن بالاحسان لاعوجاجهن وانما كانت المراة عوجا لانها خلقت
من اعوج وهو الضلع وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان المراة خلقت من ضلع في رواية وان اعوج شي من الضلع اعلاه
لن تستقيم لك على طريقة واحدة فان استمتعت بها استمتعت وبها عوج وان
ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وقال الشاعر هي الضلع العوجا لست
تقيمها ان تقويم الضلوع انكسارها اتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى اليس عجبا
ضعفها واقتدارها **قلت** ومن هذا الباب استدل العلما على ميراث الخنثى
المشكل اذا تساوت فيه علامات النسا والرجال من اللحية والثدي والمبال
بنقص الاعضا فان نقصت اضلاعه عن اضلاع المراة اعطي نصيب رجل
روي ذلك عن علي رضي الله عنه لخلق حوى من احد اضلاع ادم عليه السلام
وسياتي في المواريث بيان هذا ان شا الله تعالى ويقال ان الحكمة في ان الرجال
يزدادون على مرور الايام والاعوام حسنا وجمالا لانهم خلقوا من التراب
والطين يزداد كل يوم جدة وجمالا والنسا يزدادون على مرور الايام والاعوام

قبحا لانهن خلقن من اللحم واللحم على مرور الايام يفسد وروى سعيد بن
جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله تعالى
ان يخلق جارية بعث اليها ملكين بالدر والياقوت فيضع احدهما يده على راسها
والاخر يده على رجلها ويقولان بسم الله ربنا وربك ضعيفة خلقت من
المنفق عليها له الاجر الى يوم القيمة قوله تعالى الجنة الجنة
البستان وقد تقدم القول فيها ولا التفات لما ذهبت اليه المعتزلة
والقدرية من ان ادم عليه السلام لم يكن في جنة الخلد وانما كان في جنة بارض عدن
واستدلوا على بدعتهم بانها لو كانت جنة الخلد لما وصل اليه ابليس فان الله
تعالى يقول لا لغو فيها ولا تاثيم وقال لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا وقال
لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما وانه لا يخرج منها اهلها
لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين وايضا فان جنة الخلد هي دار القدس
قدست عن الخطايا والمعاصي تطهيرا لها وقد لغا فيها ابليس وكذب
واخرج منها ادم وحوى بمعصيتهما قالوا وكيف يجوز على ادم مع مكانه
من الله تعالى وكمال عقله ان يطلب شجرة الخلد وهو في دار الخلد
والملك الذي لا يبلى فالجواب ان الله تعالى عرف الجنة بالالف واللام
ومن قال اسال الله الجنة لم يفهم منه في تعارف الخلق الا طلب جنة الخلد
التي اخرج منها ادم ولا يستحيل في المعقول دخول ابليس الجنة لتغرير
ادم وقد لقي موسى ادم عليهما السلام فقال له موسى انت اشقيت
ذريتك واخرجتهم من الجنة فادخل الالف واللام ليدل على انها جنة الخلد
المعروفة فلم يرد ذلك ادم ولو كانت غيرها لرد على موسى فلما سكت ادم على
ما قرره موسى صح ان الدار التي اخرجهم الله منها بخلاف الدار التي اخرجوا

اليها

اليها واما ما احتجوا به من الاي فذلك انما جعله فيها بعد دخول
اهلها فيها يوم القيمه ولا يمتنع ان يكون دار خلد لمن اراد الله تخليده فيها وقد
يخرج منها من قضى عليه بالفنا وقد اجمع اهل التاويل على ان الملايكة يدخلون الجنة
على اهل الجنه ويخرجون منها وقد كان مفاتيحها بيد ابليس ثم انتزعت منه بعد
المعصية وقد دخلها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا ثم خرج منها
واخبر بما فيها وانها هي جنة الخلد حقا واما قولهم ان الجنة دار القدس وقد طهرها
من الخطايا فجهل منهم وذلك ان الله تعالى امر بني اسرايل ان يدخلوا الارض
المقدسه وهي الشام واجمع اهل الشرايع على ان الله قد سماها وقد شوهد
فيها المعاصي والكفر والكذب ولم يكن تقديسها مما يمنع فيها المعاصي فكذلك
دار القدس قال ابو الحسن بن بطال في شرح البخاري له وقد حكى
بعض المشايخ ان اهل السنه مجمعون على ان جنة الخلد هي التي اهبط منها ادم
فلا معنى لقول من خالفهم وقولهم كيف يجوز على ادم في كمال عقله ان يطلب
شجرة الخلد في دار الفنا فهذا ما لا يجوز على من له ادنى مسكه من عقل فكيف
بادم الذي هو ارجح الخلق عقلا على ما قال ابو امامة على ما ياتي بيانه

قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شيتما قراة الجمهور رغدا بفتح
الغين وقرا النخعي وابن وثاب بسكونها والرغد العيش الدار الهني الذي لا عنا
فيه ولا تعب قال بينما المرء تراه ناعما يامن الاحداث في عيش رغد ويقال
رغد عيشهم ورغد بضم الغين وكسرها وارغد القوم اخصبوا وصاروا
رغدا من العيش وهو منصوب على الصفة لمصدر محذوف بر كيسان ويجوز
ان يكون مصدرا في موضع الحال وقال مجاهد رغدا اي لا حساب عليهم
وحيث وحيث وحيث وحوث وحاث كلها لغات ذكرها النحاس وغيره قال

الكسائي لغة قيس وكنانة الضم ولغة تميم الفتح وبنو اسد يخفضونها في موضع
الخفض وينصبونها في موضع النصب قال الله تعالى سنستدرجهم من
من حيث لا يعلمون وتضم وتفتح لمن ضمها قال هي مبنية على الضم لانها خالفت
اخواتها الظروف في انها لا تضاف فاشبهت قبل وبعد اذا افردتا فضمت
وحذفت النون من كلا لانه اكثر وحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال وحذفها
شاذ قال سيبويه من العرب من يقول اوكل فيتم يقال منه اكلت الطعام
اكلا وماكلا والاكلة بالفتح المرة الواحدة حتى تشبع والأُكلة بالضم
اللقمة يقول اكلت اكلة واحدة وهي القرصة ايضا وهذا الشي اكله
لك اي طعمة لك والاكل ايضا ما اكل ويقال فلان ذو اكل اذا كان ذا حظ من الدنيا
ورزق واسع قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة اي لا
تقرباها بالاكل لان الاباحة فيه وقعت قال القاضي ابو بكر بن العربي سمعت
الشاشي في مجلس النظر يقول اذا قيل لا تقرب بفتح الرا كان معناه لا
تلبس بالفعل واذا كان بضم الرا كان معناه لا تدن منه وفي الصحاح للجوهري
قرب الشي بالضم يقرب قربا اي دنا وقربته بالكسر اقربه قربانا اي دنوت
منه وقربت اقرب قرابة مثل كتبت اكتب كتابة اذا سرت الى الما وبينك
وبينه ليلة والاسم القرب قال الاصمعي قلت لاعرابي ما القرب فقال
سير الليل لورد الغد قال بن عطية قال بعض الحذاق ان الله تعالى لما
اراد النهي عن اكل الشجرة نهى عنه بلفظ يقتضي الاكل وما يدعوا اليه وهو
القرب قال بن عطية وهذا مثال بين في سد الذرايع وقال بعض ارباب
المعاني قوله تعالى ولا تقربا اشعار بالوقوع في الخطية والخروج من الجنة
وان سكناه فيها لا يدوم لان المخلد لا يحظر عليه شي ولا يومر ولا ينهى

والدليل

والدليل على هذا قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة فدل على خروجه
منها   قوله تعالى هذه الشجرة الاسم المبهم ينعت بما فيه
الالف واللام لا غير كقولك مررت بهذا الرجل وبهذه المراة وهذه الشجرة
ويقول ابن محيصن هذي الشجرة باليا وهو الاصل لان الها في هذه بدل من يا وكذا
وكذلك انكسر ما قبلها قال النحاس ولا اعلم في العربية ها تانيث مكسورا ما
قبلها الا هذه وذلك لان اصلها اليا ومن العرب ها تا هند ومنهم من
يقول هاتي هند وحكى سيبويه هذه هند باسكان الها ابن الانباري
وحكى الكساي عن العرب ولا تقربا هذي الشجرة وعن شبل بن عباد قال
كان ابن كثير وابن محيصن لا يثبتان الها في جميع القران وحكى سلمة عن
الفرا قال يقال هذه فعلت وهذي فعلت باثبات يا بعد الدال
وهذِ فعلت بكسر الدال من غير الحاق يا ولا ها وهاتا فعلت قال
هشام ويقال تا فعلت وانشد خليل لولا ساكن الدار لم اقربنا الدار
الا غابر ابن سبيل قال ابن الانباري وتا باسقاط ها من هذى وبمنزلة
ده يا باسقاط الها من هذه وقد قال الفرا من قال هذ قامت لا يسقط
ها لان الاسم لا يكون على دال واحدة   قوله تعالى
الشجرة الشجر والشجر والشيرة ثلاث لغات وقرى بكسر الشين والشجر
والشجر ما كان على ساق من نبات الارض وسمي بذلك لتشابك اغصانها
يقال شجر سم شي وارض شجيرة وشجرا اي كثيرة الاشجار وواد شجير ولا
يقال واد شجر وواحد الشجر شجرة ولم يات من الجمع على هذا المثال الا احرف
يسيره شجر وشجرا وقصبه وقصبا وطرفه وطرفا وحلفة وحلفا وكان الاصمعي
يقول في واحد الحلفا حلفة بكسر اللام مخالفة لاخواتها قال سيبويه الشجرا و

احد وجمع وكذلك القصبا والطرفا والحلفا والمشجر موضع الاشجار وارض
مشجرة وهذه الارض اشجر من هذه اى اكثر شجرا قاله الجوهري
واختلف اهل التاويل في تعيين هذه الشجرة التى نهى عنها فاكل منها فقال بن
مسعود وبن عباس وسعيد بن جبير وجعده بن هبيره هي الكرم ولذلك
حرمت علينا الخمر وقال بن عباس ايضا وابو مالك وقتادة هي السنبلة
والحبة منها ككلى البقر احلا من العسل والين من الزبد قاله وهيب بن
منبه ولما تاب الله على ادم جعلها غذا لبنيه وقال بن جريج عن بعض الصحابة
هي شجرة التين وكذا روى سعيد عن قتادة وكذلك تعبر في الرؤيا بالندامة
لاكلها من اجل ندم آدم عليه السلام على اكلها ذكره البيهقي وقيل غير هذا
مما لم يثبت به نقل قال بن عطية وليس في شي من هذا التعيين ما يعضده خبر
وانما الصواب ان يعتقد ان الله تعالى نهى آدم عن شجرة فخالف هو اليها وعصى
في الاكل منها وقال القشيري ابو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم وكان الامام
والذى رحمه الله يقول نعلم على الجملة انها كانت المحنة وقال ابرهيم بن
ادهم اورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا   واختلفوا كيف
اكل منها مع الوعيد المقترن بالقرب وهو قوله تعالى فتكونا من الظالمين فقال
قوم اكلا من غير التى اشير اليها فلم يتاولا النهى واقعا على جميع جنسها كان
ابليس غره بالظاهر قال بن العربي وهو اول معصية عصي الله بها على هذا
القول قال وفيه دليل على ان من حلف ان لا ياكل من هذا الخبز فاكل
من جنسه حنث وتحقيق المذاهب فيه ان اكثر العلما قالوا لا حنث
فيه وقال مالك واصحابه ان اقتضى بساط اليمين تعيين المشار اليه
لم يحنث باكل جنسه وان اقتضى بساط اليمين او سببها او نيتها الجنس

عمل

عمل عليه وحنث باكل غيره وعليه حملت قصة ادم فانه نهى عن شجرة عينت
له واريد به جنسها فحمل القول على اللفظ دون المعنى وقد اختلف علماونا
في فرع من هذا وهو انه اذا حلف ان لا ياكل من هذه الحنطة فاكل خبزا منها على قولين
قال في الكتاب يحنث لانها هكذا توكل وقال ابن المواز لا شي عليه لانه لم ياكل
حنطة انما اكل خبزا فراعا الاسم والصفة ولو قال في يمينه لا اكل من هذه
الحنطة يحنث باكل الخبز المعمول منها وفيما اشترى بثمنها من طعام وفيما
انبتت خلاف وقال اخرون تاولا النهي على الندب قال ابن العربي
وهذا وان كانت مسلة من اصول الفقه فقد سقط ذلك هاهنا
لقوله فتكونا من الظالمين فقرن النهي بالوعيد وكذالك قوله سبحانه
فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى وقال ابن المسيب انما اكل ادم بعد ان
سقته حوى الخمر فسكر فكان في غير عقله وكذلك قال يزيد بن قسيط
وكانا يحلفان بالله انه ما اكل من هذه الشجرة وهو يعقل قال ابن العربي
وهذا فاسد نقلا وعقلا اما النقل فلم يصح بحال وقد وصف الله
جل وعز خمر الجنة فقال لا فيها غول واما العقل فلان الانبيا بعد
النبوة معصومون عما يودي الى الاخلال بالفرايض واقتحام
الجرايم قلت قد استنبط بعض العلما نبوة ادم عليه السلام قبل
اسكانه الجنة بقوله تعالى فلما انباهم باسمايهم فامره الله تعالى ان
ينبي الملايكة بما ليس عندهم من علم الله عز وجل وقيل اكلها ناسيا ومن
الممكن انهما نسيا الوعيد قلت وهو الصحيح لاخبار الله تعالى في
كتابه بذلك حتما وجزما فقال ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي
ولم نجد له عزما لكن لما كان الانبيا عليهم السلام يلزمهم من التحفظ

والتيقظ لكثرة معارفهم وعلو منازلهم ما لا يلزم غيرهم كان شاغله تهم
تذكر النبي تضيعا صابه عاصيا اي مخالفا قال ابو امامة لو ان احلام بني
ادم منذ خلق الله الخلق الي يوم القيمه وضعت في كفه ميزان ووضع حلم
ادم في كفه اخرى لرجحهم وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما قلت قول
ابي امامة هذا عموم في جميع بني ادم وقد يحتمل ان يخص من ذلك نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم فانه كان اوفر الناس حلما وعقلا وقد يحتمل ان يكون المعنى لو ان احلام
بني ادم من غير الانبيا والله اعلم قلت والقول الاول ايضا احسن فطنا
ان المراد العين وكان المراد الجنس كقول النبي صلى الله عليه وسلم حين اخذ ذهبا
وحريرا فقال هذان حرامان على ذكور امتي وقال في خبر اخر هذان مهلكا امتي
وانما اراد الجنس لا العين يقال ان اول من اكل من الشجرة حوا
باغرا ابليس اياها على ما ياتي بيانه فلم يضرها فاتت ادم فقالت كل فاني قد
اكلت فلم يضرني فاكل فبدت لهما سوآتهما وحصلا في حكم الذنب لقول
الله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة فجمعهما في النهي فلذلك لم ينزل بها العقوبة
حتى وجد المنهي عنه منهما جميعا ولهذا قال بعض علمائنا من قال لزوجتيه
او امتيه ان دخلتما الدار فانتما طالقتان او حرتان ان الطلاق والعتق لا يقع
بدخول احداهما وقد اختلف علماونا في ذلك على ثلاثه اقوال قال ابن
القاسم لا تطلقان ولا تعتقان الا باجتماعهما في الدخول حملا على هذا
الاصل واخذا بمقتضى مطلق اللفظ وقاله سحنون وقال ابن القاسم مرة اخرى
يطلقان جميعا ويعتقان جميعا بوجود الدخول من احداهما لان بعض الحنث حنث
كما لو حلف ان لا ياكل هذين الرغيفين فانه يحنث باكل احدهما بل باكل لقمة منهما
وقال اشهب تعتق وتطلق التي دخلت وحدها لان دخول كل واحد منهما

في حلالها

في طلاقها او عتقها قال ابن العربي وهذا بعيد لان بعض الشرط لا يكون شرطا اجماعا

قوله فتكونا من الظالمين فتكونا عطف على تقربا فلذلك

حذفت منه النون وزعم المرسي ان الفا هي الناصبة وكلاهما جايز والظلم في كلام العرب

وضع الشي في غير موضعه والارض المظلومة التي لم تحفر قط ثم حفرت قال

وقفت فيها اصيلانا اسايلها عيت جوابا وما بالربع من احد الا الاواري

لانا ما اسنها والنوي بالخصوص بالمظلومة الجلد ويسمى ذلك التراب

الظليم قال فاصبح في غبرا بعد اساحه على العيس مردود عليها ظليمها واذا

انحر البعير من غير دابه فقد ظلم ومنه ظلامون للجزور ويقال سبقانا

ظليمة طيبة اذا سقاهم اللبن قبل ادراكه وقد ظلم وطبه اذا سقى منه قبل

ان يروب ويخرج زبده واللبن مظلوم وظليم قال الشاعر وقايله ظلمت

لكم سقاي وقد يخفى على العسكر الظليم ورجل شديد في الظلم والظلم الشرك

قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم

واختلف العلما من هذا الباب هل وقع من الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين

صغاير من الذنوب يوخذون بها ويعاتبون عليها ام لا بعد اتفاقهم

على انهم معصومون من الكباير ومن كل رذيلة فيها نقص وشين اجماعا

عند القاضي ابي بكر الباقلاني وعند الاستاذ ابي بكر ان ذلك مقتضى دليل

المعجزة وعند المعتزلة ان ذلك مقتضى دليل العقل على اصولهم فقال

الطبري وغيره من الفقها والمتكلمين والمحدثين تقع الصغاير منهم خلافا

للرافضة حيث قالوا انهم معصومون من جميع ذلك واحتجوا بما وقع

من ذلك في التنزيل وثبت من تنصلهم من ذلك في الحديث وهذا ظاهر

لا خفا به وقال جمهور من الفقها من اصحاب ملك وابي حنيفة والشا

فعي

انهم معصومون من الصغاير كلها كعصمتهم من الكباير اجماعا لانا امرنا
باتباعهم في افعالهم واثارهم وسيرهم امرا مطلقا من غير التزام قرينه
فلو جوزنا عليهم الصغاير لم يمكن الاقتدا بهم اذ ليس كل فعل من افعالهم
يتميز مقصده من القربة والاباحة او الحظر او المعصية ولا يصح ان يومر
المرء بامتثال امر لعله معصية لاسيما على من يرى تقديم الفعل على القول
اذا تعارضا من الاصوليين قال الاستاد ابو اسحق الاسفرايني اختلفوا
في الصغاير والذي عليه الاكثر ان ذلك غير جايز عليهم وصار بعضهم الي
تجويزها ولا اصل لهذه المقالة وقال بعض المتاخرين ممن ذهب الي القول
الاول الذي ينبغي ان يقال ان الله تعالى قد اخبر بوقوع ذنوب من
بعضهم ونسبها اليهم وعاتبهم عليها واخبروا بها عن نفوسهم وتنصلوا منها
واشفقوا منها وتابوا وكل ذلك مما لا يزري بمناصبهم وانما تلك الامور التي
وقعت منهم على جهة الندور وعلى جهة الخطا والنسيان او تاويل دعا الى ذلك
فهي الى غيرهم حسنات وفي حقهم سيات النسبة الى مناصبهم وعلو اقدارهم اذ قد
يواخذ الوزير بما يثاب عليه السايس فاشفقوا من ذلك في موقف القيامة
مع علمهم بالامن والامان والسلامة قال وهذا هو الحق ولقد احسن الجنيد
حيث قال حسنات الابرار سيات المقربين فهم صلوات الله وسلامه عليهم
وان كان قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم فلم يخل ذلك بمناصبهم
ولا قدح في رتبتهم بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكاهم
واختارهم واصطفاهم صلوات الله عليهم وسلامه — تعالى فازلهما
الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في
مستقر ومتاع الى حين فيه سبع عشرة مسئلة — قوله تعالى فازلهما

الشيطان

الشيطان عنها قد تقدم معنى الشيطان فلا معنى لاعادته وقرا الجماعة فازلهما
بغير الف من الزلة وهي الخطيئة اي استزلهما واوقعهما فيهما وقرا حمزة فازالهما
بالف من التنحيه اي نحاهما يقال ازلته فزال قال ابن كيسان فازالهما من الزوال اي
صرفهما عما كانا عليه من الطاعة الى المعصية **قلت** وعلى هذا يكون القراتان بمعنى
الا ان قراة الجماعة امكن في المعنى يقال منه ازللته فزل ودل على هذا قوله تعالى
انما استزلهما الشيطان ببعض ما كسبوا وقوله فوسوس على زوال احد من مكان الى
مكان انما قدرته ادخاله في الزلل فيكون ذلك سببا الى زواله من مكان الى مكان بذنبه
وقد قيل ان معنى ازلهما من زل عن المكان اذا تنحى فيكون في المعنى كقراة حمزة من الزوال
قال امرو القيس يزل الغلام الخف عن صهواته ويلوي باثواب العنيف المثقل وقال ايضا
كميت يزل عن اللبد حال متنه كما زلت الصفوا بالمتنزل قوله تعالى فاخر
جهما مما كانا فيه اذا جعل ازال من زال [illegible] عن المكان فقوله فاخرجهما تاكيد وبيان
للزوال اذ قد يمكن ان يزولا عن مكان كانا فيه الى مكان اخر من الجنة وليس كذلك وانما
اخراجهما من الجنة الى الارض لانهما خلق منها وليكون ادم خليفة في الارض ولم يقصد
ابليس لعنه الله اخراجه منها وانما قصد اسقاطه من رتبته وابعاده كما ابعد هو فلم يبلغ
مقصده ولا ادرك مراده بل ازداد سخنة عين وغيظ نفس وخيبة ظن قال الله جل
ثناوه فاجتباه ربه فتاب عليه وهدى فصار عليه السلام خليفة الله في ارضه بعد ان
جاوره في داره فكم بين الخليفة والجار صلى الله عليه وسلم ونسب ذلك الى ابليس لانه
كان بسببه واعوانه ولا خلاف بين اهل التاويل وغيرهم ان ابليس كان متولي اغوا آدم
ادم واختلف في الكيفيه فقال ابن مسعود وابن عباس وجمهور العلما اغواهما مشافهة
ودليل ذلك قوله تعالى وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين والمقاسمة ظاهرها المشافهة
وقال بعضهم وذكر عبد الرزاق وغيره عن وهب بن منبه دخل الجنة في فم الحية وها

من خزان الجنة وكانت لابليس صديقة فسالها ان يدخله في فمها فادخلته في فمها ومرت
على الخزنة وهم لا يعلمون وكانت الحية ذات اربع قوايم كالبختية من احسن دابة خلقها
الله تعالى بعد ان عرض نفسه على كثير من الحيوان فلم يدخله الا الحية وقيل ان الحية
قالت له كيف لي بادخالك الجنة ورضوان اذا راك لم يمكنك من دخولها قال لها فانا
اتحول ريحا فتجعليني بين انيابك فتحول ابليس ريحا ودخل فم الحية فادخلته الجنة فلما
دخلت به الجنة خرج من جوفها ابليس فاخذ من الشجرة التي نهى الله ادم وزوجه عنها فجا
بها الى حوى فقال انظري الى هذه الشجرة ما اطيب ريحها واطيب طعمها واحسن
لونها فلم يزل يغويها حتى اخذتها حوى فاكلتها ثم اغوى ادم وقالت له حوى
كل فاني اكلت فلم تضرني فاكل منها فبدت لهما سواتهما وحصلا في حكم الذنب فدخل
ادم في جوف الشجرة فناداه ربه اين انت فقال انا هنا يا رب قال الا تخرج قال استحي
منك يا رب قال اهبط الى الارض التي خلقت منها ولعنت الحية وردت قوايمها في
جوفها وجعلت العداوة بينها وبين بني ادم ولذلك امرنا بقتلها على ما ياتي بيانه وقيل
لحوا كما ادميت الشجرة فلذلك يصيبك الدم كل شهر وتحملين وتضعين كرها تشرفين به
على الموت مرارا زاد الطبري والنقاش وتكوني سفيهه وقد كنت حليمه وقالت طايفه
ان ابليس لم يدخل الجنة الى ادم بعد ما اخرج منها وانما اغوى بشيطانه وشيطانه ووساوسه
التي اعطاها الله تعالى كما قال عليه السلام ان الشياطين تجري من ابن ادم مجرى الدم والله اعلم

يذكر ان الحية كانت خادم ادم عليه السلام في الجنة فخانته بان
مكنت عدو الله من نفسها واظهرت العداوة له هناك فلما اهبطوا تاكدت العداوة وجعل
رزقها التراب وقيل لها انت عدو بني ادم وهم اعداوك وحيث لقيك منهم احد شدخ راسك
وروى ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس يقتلهن المحرم فذكر الحية فيهن صحيح
رواه الايمة وعن ابي الاحوص قال بينا ابن مسعود يخطب ذات يوم فاذا هو بحية تمشي على

الجدار

الجدار فقطع خطمته ثم بقضيب حتى قتلها ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول من قتل حية فكانما قتل رجلا مشركا قد حل دمه وروي ان ابليس قال
لها ادخليني الجنة وانت في ذمتي فكان ابن عباس يقول اخفروا ذمة ابليس وروت ساكنة
بنت الجعد عن سرى بنت نبهان الغنوية قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اقتلوا الحيات صغيرها وكبيرها واسودها وابيضها فان من قتلها كانت له فداء من النار
ومن قتلته كان شهيدا ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقال انما كانت له فداء
من النار لمشاركتها ابليس واعانته على ضرر آدم وولده فلذلك كان من قتل حية فكانما قتل
كافرا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع كافر وقاتله في النار ابدا
خرجه مسلم وغيره روى ابن جريج عن عمرو بن دينار عن ابي عبيدة بن
عبد الله بن مسعود عن ابيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بمنى فمرت حية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلوها فسبقتنا الى جحر فدخلته فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هاتوا سعفة ونارا فاضرموه عليها نارا قال علماؤنا وهذا الحديث
يخص نهيه عليه السلام عن المثلة وعن ان يعذب احد بعذاب الله قالوا فلم يبق لهذا
العدو حرمة حيث فاته حتى اوصل اليه الهلاك من حيث قدر فان قيل فقد روي
عن ابراهيم النخعي انه كره ان يحرق العقرب بالنار وقال هو مثلة قيل له يحتمل ان يكون لم يبلغه
هذا الاثر عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمل على الاثر الذي جاء لا تعذبوا بعذاب الله
فكان على هذا سبيل العمل عنده فان قيل فقد روى مسلم عن عبد الله هو ابن مسعود قال كنا
مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار وقد انزلت عليه والمرسلات عرفا فنحن نأخذها
من فيه رطبة اذ خرجت علينا حية فقال اقتلوها فابتدرناها لنقتلها فسبقتنا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاها الله شركم كما وقاكم شرها فلم تضرم نارا ولا احتيل
في قتلها قيل له يحتمل ان يكون لم يجد نارا فتركه او لم يكن الجحر بهيئة ينتفع بالنار هناك

مع ضرر الدخان هناك وعدم وصوله الى الحيوان والله اعلم وقوله وقاها الله شركم اي قتلكم اياها كما وقاكم شرها اي لسعها الامر بقتل الحيات من باب

الارشاد الى دفع المضرة المخوفة من الحيات فما كان منها متحقق الضرر وجبت المبادرة الى قتله لقوله عليه السلام اقتلوا الحيات واقتلوا ذا الطفيتين والابتر فانهما يخطفان البصر ويسقطان الحبل خرجه مسلم فخصهما بالذكر مع انهما دخلا في العموم ونبه على ذلك بسبب عظم ضررهما وما يتحقق ضرره فما كان منها في غير البيوت قتل ايضا لظاهر الامر العام ولان نوع الحيات غالبة الضرر فيستصحب ذلك فيه ولانه كله مروع بصورته وبما في النفوس من النفرة منه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية فشجع على قتلها وقال فيما خرجه ابو داود من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعا اقتلوا الحيات فمن خاف ثارهن فليس مني ما كان من الحيات في

البيوت فلا يقتل حتى يوذن ثلاثة ايام لقوله عليه السلام ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رايتم منها شيا فاذنوه ثلاثة ايام وقد حمل بعض العلما هذا الحديث على المدينة وحدها لاسلام الجن بها قالوا ولا نعلم هل اسلم من جن غير المدينة احد ام لا قاله ابن نافع وقال ملك ينهى عن قتل جنان البيوت في جميع البلاد وهو الصحيح لان الله عز وجل قال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران وقال عليه السلام في صحيح مسلم اتاني داعي الجن فذهبت معهم وقرات عليهم القران وفيه وسالوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة الحديث وسياتي بحاله في سورة الجن ان شا الله واذا ثبت هذا فلا يقتل شي منها حتى يحرج عليه وينذر وهي قال ملك احب الي ان ينذر ثلاثة ايام وقاله عيسى بن دينار وان ظهر في اليوم مرارا ولا يقتصر على انذاره ثلاث مرار في يوم واحد حتى يكون في ثلاثة ايام وقيل يكفي ثلاث مرات لقوله عليه السلام فليوذنوه ثلاثا وقوله حرجوا عليه ثلثا ولان ثلاثا للعدد المونث فظهر ان المراد ثلاث مرات وقول ملك اولى لقوله ثلاثة ايام

وهو نص

وهو نص صحيح مقيد لتلك المطلقات ويحمل ثلاثا على ارادة ليالي الايام الثلاث
فغلب الليله على عادة العرب في باب التاريخ فانها تغلب فيها التانيث قال ملك
ويكفي في الانذار ان يقول احرج عليك بالله واليوم الاخر ان لا تبدو النا ولا يوذ ينا
وذكر ثابت البناني عن عبد الرحمن بن ابي ليلى انه ذكر عنده حيات البيوت فقال
اذا رايتم منها شيا في مساكنكم فقولوا انشدكم بالعهد الذي اخذ عليكم نوح عليه
السلام وانشدكم بالعهد العهد الذي اخذ عليكم سليمن عليه السلام فاذا رايتم
منهن شيا بعد فاقتلوه قلت وهذا يدل بظاهره انه يكفي في الاذن مرة واحد
والحديث يرده والله اعلم وقد حكى بن حبيب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه يقول
انشدكن بالعهد الذي اخذ عليكن سليمن ان لا توذوننا وان لا تظهرن علينا
ما كان من الجنة ان اصله الادايه فانه يقتل ابتدا لاجل اداياته من غير خلاف كالحية
والعقرب والفار والوزغ وشبهه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس
فواسق يقتلن في الحل والحرم فالحية ابدت جوهرها الخبيث حيث خانت ادم بان
ادخلت ابليس الجنة بين فكيها ولو كانت تبرزه ما تركه رضوان يدخل به فقال لها ابليس
انت في ذمتي فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلها فقال اقتلوها وان كنتم في الصلاة
يعني الحية والعقرب والوزغة نفخت على نار ابرهيم عليه السلام من بين سائر الدواب
فلعنت وهذا من نوع ما روي في الحية وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من قتل وزغة فكانما قتل كافرا وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قتل وزغا في اول ضربة كتبت له ماية حسنة وفي الثانية دون
ذلك وفي الثالثة دون ذلك وفي رواية انه قال في اول ضربة سبعين حسنة
والفارة ابدت بان عمدت الى حبال سفينة نوح عليه السلام فقطعتها وروى
عبد الرحمن بن ابي نعيم عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقتل المحرم الحية والعقرب والحدأة والسبع العادي والكلب العقور والفو[يسقة]
واستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اخذت فتيلة لتحرق البيت فامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقتلها والغراب ابدى جوهره حيث بعثه نبي الله نوح عليه
السلام من السفينة لياتيه بخبر الارض فترك امره واقبل على جيفة هذا كله في معنى
الحية فلذلك ذكرناه وسياتي لهذا مزيد بيان في التعليل في المائدة وغيرها
ان شاء الله تعالى روى الايمة عن ابي السايب مولى هشام بن زهرة انه
دخل على ابي سعيد الخدري في بيته قال فوجدته يصلي فجلست انتظره حتى يقضي
صلاته فسمعت تحريكا في عراجين ناحية البيت فالتفت فاذا حية فوثبت لاقتلها
فاشار الي ان اجلس فجلست فلما انصرف اشار الى بيت في الدار فقال اترى هذا
البيت فقلت نعم فقال كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس قال فخرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فكان ذلك الفتى يستاذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بانصاف النهار فيرجع الى اهله فاستاذنه يوما فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم خذ عليك سلاحك فاني اخشى عليك قريظة فاخذ الرجل
سلاحه ثم رجع فاذا امراته بين البابين قايمة فاهوى بالرمح ليطعنها واصابته غيرة
فقالت له اكفف عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي اخرجني فدخل
فاذا بحية عظيمة منطوية على الفراش فاهوى اليها بالرمح فانتظمها به ثم خرج
فركزه في الدار فاضطربت عليه فما يدري ايهما كان اسرع موتا الحية ام الفتى
قال فجينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له وقلنا ادع الله يحييه
فقال استغفروا لاخيكم ثم قال ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رايتم منها
شيا فاذنوه ثلاثة ايام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان وفي
طريق اخرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهذه البيوت عوامر فاذا

رايتم

رايتم شيا منها فحرجوا عليه ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر وقال
اذهبوا فادفنوا صاحبكم قال علماونا رحمة الله عليهم لا يفهم من هذا الحديث ان
هذا الجان الذى قتله كان مسلما وان الجن قتلته به قصاصا لانه لو سلم ان القصاص
مشروع بيننا وبين الجن لكن انما يكون في العمد المحض وهذا الفتى لم يقصد ولم يتعمد
قتل خطا ولا قصاص فيه فالاولى ان يقال ان كفار الجن او فسقتهم قتلوا الفتى بصاحبهم
عدوا وانتقاما وقد قتلت سعد بن عبادة رضى الله عنه وذلك انه وجد
ميتا في مغتسله وقد اخضر جسده ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قايلا يقول
ولا يرون احدا قد قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ورميناه بسهمين
فلم تخط فواده وانما قال النبى صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة جنا قد اسلموا
ليبين طريقا يحصل به التحرز من قتل المسلم منهم ويتسلط به على قتل الكافر منهم
وقال الربيع بن بدر الجان من الحيات التى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قتلها هي التى تمشى ولا تلتوى وعن علقمة نحوه وروى من وجوه ان عايشة
رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم قتلت حيانا فاوتيت في المنام
ان قايلا يقول لها لقد قتلت مسلما فقالت لو كان مسلما لم يدخل على ازواج
النبى صلى الله عليه وسلم قال ما دخل عليك الا وعليك ثيابك فاصبحت فامرت
باثنى عشر الف درهم فجعلت في سبيل الله في رواية ما دخل عليك الا وانت
مستترة فتصدقت واعتقت رقابا روى جبير بن نفير
عن ابى ثعلبة الخشنى واسمه جرثوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الجن على ثلاثة اثلاث فثلث له اجنحة يطيرون في الهوى وثلث حيات
وثلث يحلون ويظعنون وروى ابو الدردا واسمه عويمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم خلق الجن ثلاثة اثلاث فثلث كلاب وحيات وخشاش

وانما قصد الفتى قتل ما لا يسوغ له قتله لو علم شرعا فهل قتل
نفس مسلمة اذا لم يكن عنده علم من ذلك

الارض وثلث ريح هفافه وثلث كبني آدم لهم الثواب وعليهم العقاب.
وخلق الله الانس ثلاثه اثلاث فثلث لهم قلوب لا يعقلون بها واعين
لا يبصرون بها واذان لا يسمعون بها ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا
وثلث اجسادهم كاجساد بني ادم وقلوبهم قلوب الشياطين وثلث في
ظل الله يوم لا ظل الا ظله   قوله تعالى وقلنا اهبطوا
حذفت الالف واللام من اهبطوا في اللفظ لانها الف وصل وحذفت
الالف من قلنا في اللفظ لسكونها وسكون الهاء بعدها وروى محمد بن
مصفى عن ابي حيوة ضم الباء في اهبطوا وهي لغة يقولها انه غير متعد والا
كثر في غير المتعدي ان ياتي على يفعل والخطاب لادم وحوا والحية وابليس في قول
ابن عباس وقال الحسن ادم وحوا والوسوسة وقال مجاهد والحسن ايضا بنو
ادم وبنو ابليس وفيه بعد اذ لم يكن احد من قبله في الجنة وانما ولد له بالا
رض والهبوط النزول من فوق الى اسفل فاهبط ادم بسرنديب من
الهند بجبل يقال له نود ومعه ريح الجنة فعلق بشجرها واوديتها فامتلا
ما هناك طيبا فثم يوتى بالطيب من ريح ادم عليه السلام وقيل في الارض
الى السما وكانت رجلا ادم عليه السلام على الجبل وراسه في السما يسمع
دعا الملايكة وتسبيحهم وكان يانس بذلك فهابته الملايكة واشتكت نفسه
فحطت قامته الى ستين ذراعا في رواية فقبضه الله الى ستين ذراعا بذراع
ادم ذكره الثعلبي في كتاب العرايس وكان السحاب قبل ذلك يمس راسه فاصلع
فاورث ولده الصلع **قلت** وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله
ادم وطوله ستون ذراعا في السما واهبطت حوا بجدة وابليس بالابله
والحية باصبهان وقيل بسجستان وسجستان اكثر بلاد الله حيات ولولا العربد ما ياكلها

وبقي كثيرا منها لا خلبت شجستان من اجل الحيات ذكره ابو الحسن السعودي
قوله تعالى بعضكم لبعض عدو وبعضكم مبتدا عدو وخبره والجملة
في موضع نصب على الحال والتقدير وهذه حالكم فالانسان عدو للحية يشدخ
راسها حيث يراها والحية عدو له تلدغه اذا امكنها وابليس عدو لهما جميعا
وفي هذا اشارة الى ان الجنة اذا اجتمعوا وتعاونوا على المعصية اعقبت محبتهم
عداوة قال الله تعالى الاخلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وحذفت
الواو من وبعضكم لان في الكلام عايدا كما يقال رايتك السما تمطر عليك والعدو
خلاف الصديق وهو من عدا اذا ظلم وذيب عدو اي يعدو على الناس والعدو
الظلم الصراح وقيل هو ماخوذ من المجاوزة من قولك لا يعدوك هذا الامر اي
لا يتجاوزك وعداه اذا جاوزه فسمي عدوا لمجاوزته الحد في مكروه صاحبه ومنه
العدو بالقدم لمجاوزة الشي والمعنيان متقاربان فان من ظلم فقد تجاوز قلت
وقد حمل بعض العلما قوله تعالى بعضكم لبعض عدو على الانسان نفسه وفيه بعد
وان كان صحيحا معنى يدل عليه قوله عليه السلام ان العبد اذا اصبح تقول جوارحه
للسانه اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا
قوله تعالى عدو ويقال كيف قال عدو ولم يقل اعدا ففيه جوابان احدهما ان بعضا
وكلا يخبر عنهما بالواحد على اللفظ وعلى المعنى وذلك في القران قال الله تعالى وكل
اتيه يوم القيمة على اللفظ وقال وكل اتوه داخرين على المعنى والجواب الاخر ان
عدوا انفرد في موضع الجمع قال الله تعالى وهم لكم عدو وبيس للظالمين بدلا
بمعنى اعدا وقال يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو وقال ابن فارس العدو
اسم جامع للواحد والاثنين والثلاثة والتانيث وقد يجمع قال علماونا لم يكن
اخراج الله تعالى ادم من الجنة واهباطه منها عقوبة له لانه اهبطه بعد ان

تاب عليه وقبل توبته وانما اهبط اما تاديبا واما تغليظا للمحنة قلت والصحيح
في اهباطه وسكناه ما قد ظهر من الحكمة الازليه في ذلك وهي نشر نسله فيها
لتكليفهم ومحنهم ويترتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الاخروي اذ الجنة
والنار ليست بدار تكليف فكانت تلك الاكلة سبب اهباطه من الجنة
ولله ان يفعل ما شا وقد قال اني جاعل في الارض خليفة ويقال ان الحكمة في
اخراج الله تعالى ادم من الجنة انه كان في صلبه من لا يستحق الولايه ولا الحظيره
القدس فاذا اخرجهم من صلبه اعاده اليها خالدا فيها قلت وهذا قريب مما
فتح الله به علينا حسب ما ذكرناه وكنت لم اقف عليه وانما قلنا انما اهبطه
بعد ان تاب عليه لقوله ثانيه قلنا اهبطوا وسياتي قوله تعالى
ولكم في الارض مستقر ابتدا وخبر اي موضع استقرار قاله ابو العالية وبن زيد
وغيرهما وقال السدى مستقر يعني في القبور قلت وقول الله تعالى الذى
جعل لكم الارض قرارا يحتمل المعنيين والله اعلم قوله تعالى
ومتاع المتاع ما يستمتع به من اكل ولبس وحياة وحديث وانس وغير ذلك
ومنه سميت متعه النكاح لانها ينتفع به وانشد سليمن بن عبد الملك
حين وقف على قبر ابنه ايوب انشد فيه وقفت على قبر غريب بقفره متاع قليل
من حبيب مفارق قوله تعالى الى حين اختلف المتاولون في
الحين على اقوال فقالت فرقة الى الموت وهذا قول من يقول المستقر هو المقام
في الدنيا وقيل الى قيام الساعة وهذا قول من يقول المستقر هو في القبور وقال
الربيع الى حين الى اجل والحين الوقت البعيد فحين اذ تبعيد من قولك الان قال
طويله يصف رجلا بالكرم والسخا كاني الرماد عظيم القدر جفنته حين الشتا كحوض
المنهل اللقف يقال فلان كاني الرماد اي عظيم الرماد بنهال واللقف الحوض

لقفا

لقفا اي نهو دمن اسفله واتسع وربما ادخلوا على حين التا قال ابو وجزه العاطفون
حين ما من عاطف والطاعمون زمان اين المطعم والحين ايضا المدة ومنه قوله
تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر الحين الساعة قال الله تعالى او تقول حين
ترى العذاب قال بن عرفه الحين القطعه من الدهر كالساعة فما فوقها وقوله
فذرهم في غمرتهم حتى حين اي يفنى اجالهم وقوله تعالى تؤتي اكلها كل حين
اي كل ستة اشهر وقيل بل غدوة وعشيا على ما ياتي بيانه وقال الازهري
الحين اسم كالوقت يصلح لجميع الازمان كلها طالت ام قصرت قال والحين
يوم القيمة والحين الغدوة والعشيه قال الله تعالى فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون ويقال عاملته محاينه من الحين واحينت بالمكان اذا اقمت
فيه حينا ودان حين كذا اي قرب قالت بثينه واسلوني عن جميل الساعة من
الدهر ما حانت ولا حان حينها لما اختلف اهل التاويل
في الحين اختلف فيه ايضا علماونا وغيرهم فقال الفرا الحين حينان حين لا يوقف
على حده والحين الذي ذكر الله تعالى تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ستة اشهر
قال القاضي ابو بكر العربي في احكامه الحين المجهول لا يتعلق به حكم والحين المعلوم
هو الذي تتعلق به الاحكام ويرتبط به التكليف واكثر المعلوم سنه ومالك
يرى في الاحكام والايمان اعم الاسما والازمنه والشافعي يرى الاقل
وابو حنيفه توسط فقال ستة اشهر ولا معنى لقوله لان المقدرات
عنده لا يثبت قياسا وليس فيه نص عن صاحب الشريعة وانما المعول
على المعنى بعد معرفه مقتضى اللفظ لغة فمن نذر ان يصلي حينا فيحمل على ركعة
عند الشافعي لانه اقل النافلة قياسا على ركعة الوتر وقال مالك واصحابه
اقل النافله ركعتان فيتقدر الزمان بقدر الفعل وذكر بن خواز منداد

الدهر ح

ل
في احكامه ان من حلف ان لا يكلم فلانا حينا او لا يفعل كذا حينا ان الحين سنه قال
واتفقوا في الاحكام ان من حلف ان لا يفعل كذا حينا او لا يكلم فلانا حينا ان الزيادة
على سنة لم تدخل في يمينه قلت هذا الاتفاق انما هو في المذهب والله اعلم
قال مالك من حلف ان يفعل شيا الى حين او زمان او دهر فذلك كله سنة
وقال عنه ابن وهب انه شك في الدهر ان يكون سنه وحكى ابن المنذر عن
يعقوب وابن الحسن انه ان الدهر ستة اشهر وعن ابن عباس واصحاب الراي
وعكرمه وسعيد بن جبير وعامر الشعبي وعبيده في قوله تعالى يوتي اكلها كل حين
باذن ربها انه ستة اشهر وقال الاوزاعي وابو عبيد الحين ستة اشهر وليس
عند الشافعي في الحين وقت معلوم ولا للحين غاية قد تكون عنده مدة الدنيا
وقال لا تحنثه ابدا والورع ان يقضيه قبل انقضا يوم قال الكيا الطبري
في احكامه الحين له مصارف ولم ير الشافعي تعيين محمل من هذه المحامل لانه
مجمل لم يوضع في اللغه لمعنى معين وذكر ابن المنذر عن ابي ثور انه قال الحين
والزمان على ما تحتمله اللغه يقال قد جيت من حين ولعله لم يجي من نصف
يوم وقال بعض العلما ومتاع الى حين بشارة ادم عليه السلام ليعلم انه غير باق
فيها ومنتقل الى الجنه التي وعد بالرجوع فيها وهي لغير ادم داله على المعاد لجسد
تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب والله اعلم
الرحيم فيه تسع مسائل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات قيل معناه
فهم وفطن وقيل قبل واخذ وكان عليه السلام يتلقى الوحي اي يستقبله ويأخذه
ويتلقفه يقال خرجنا نتلقى الحجيج اي نستقبلهم وقيل معنى تلقى تلقف وهذا
في المعنى صحيح ولكن لا يجوز ان يكون التلقي من التلقف في الاصل لان احد الحرفين انما
انقلب يا اذا تجانسا مثل تظني من تظنن وتقضي من تقضض ومثله تسريت من

تسرّرته واملیت من امللت وشبه ذلك ولهذا لا يقال سی من يقبل ولا يلقي
من تلقن فاعلم ذلك وقال مكي انه ابهمهما سمع بها وقال الحسن قبوله تعلمه لها
وعلمه بها   واختلف اهل التاويل في الكلمات فقال بن عباس والحسن وسعيد
بن جبير والضحاك ومجاهد وغيرهم هي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين وعن مجاهد ايضا سبحانك اللهم لا اله الا انت ظلمت
نفسي فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم وقالت طايفه اي مكتوبا على سا والعرش
محمد رسول الله فتشفع بذلك وقالت بحق محمد عليك الا قبلت توبتي فهي الكلمات
وقالت طايفه المراد بالكلمات البكا والحيا والدعا وقيل الندم والاستغفار والحزن   ن
قال بن عطيه وهذا يقتضي ان ادم عليه السلام لم يقل شيا الا الاستغفار
المعهود وسيل بعض السلف عما ينبغي ان يقوله المذنب قال يقول ما قال
ابوه ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا الاية وقال موسى رب اني
ظلمت نفسي فاغفر لي وقال يونس لا اله الا انت سبحانك اني كنت من
الظالمين وعن بن عباس ايضا ووهب بن منبه ان الكلمات سبحانك اللهم وبحمدك   ك
لا اله الا انت عملت سوا وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم
وقال محمد بن كعب هي قوله لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوا وظلمت
نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك
عملت سوا وظلمت نفسي فارحمني انك انت الغفور الرحيم لا اله الا انت
سبحانك وبحمدك عملت سوا وظلمت نفسي فارحمني انك ارحم الراحمين وقيل
الكلمات حين عطس الحمد لله والكلمات جمع كلمه والكلمه تقع على القليل والكثير
وقد تقدم   قرا بن كثير فتلقى ادم من ربه والباقون برفع ادم
ونصب كلمات والقرااتان ترجع الى معنى لان ادم اذا تلقى الكلمات فقد تلقته

وقيل لما كانت الكلمات هي المتلقاه لادم عليه السلام بتوفيق الله تعالى له اياها
ودعائه بها كانت الكلمات فاعله وكان الاصل على هذه القراة فتلقت ادم
من ربه كلمات لكن لما بعد ما بين المؤنث وفعله حسن حذف علامات التانيث
وهذا اصل يجرى في كل القران والكلام اذا جا فعل المؤنث بغير علامة ومنه
قولهم حضر القاضي اليوم امراة وقيل ان الكلمات لما لم يكن تانيثها حقيقيا حمل
على معنى الكلم فذكر وقرا الاعمش عن ابي عمرو ادم من ربه مدغما
قوله فتاب عليه اي قبل توبته او وفقه للتوبه وكان ذلك في يوم عاشورا في
يوم جمعة على ما ياتي بيانه ان شا الله تعالى وتاب العبد رجع الى طاعه ربه
وعبد تواب كثير الرجوع الى الطاعة واصل التوبه الرجوع يقال تاب
وَثَابَ وَآبَ وَأَنَابَ رَجَعَ ان قيل لم قال عليه ولم يقل عليهما وحوا
مشاركة له في الذنب باجماع وقد قال لا تقربا هذه الشجرة وقالا ربنا ظلمنا
انفسنا فالجواب ان ادم عليه السلام لما خوطب في اول القصه بقوله اسْكُنْ
خَصَّهُ بالذكر في التَّلَقِّي فلذلك كملت القصة بذكره وحده وايضا فلانّ
المراة حرمة ومستورة فاراد الله الستر لها ولذلك لم يذكرها في المعصية
في قوله فعصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى وايضا لما كانت المرأة تابعة للرجل في غالب
الامر لم تذكر كما لم يذكر فتى مُوسَى مَعَ مُوسَى في قوله الم اقل لك وقيل انه
دل بذكر التوبة عليه انه تاب عليها اذ امرهما سوا قاله الحسن وقيل انه
مثل قوله تعالى واذا رَأَوْا تجارةً او لهوًا انْفَضُّوا اليها اي التجارة لانها كانت
مقصود القوم فاعاد الضمير عليها ولم يقل اليهما والمعنى متقارب وقال
الشاعر رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن فوق الطوي رماني
فقال بريا ولم يقل بريان وفي التنزيل والله ورسوله احق ان يرضوه فحذف

ايجاز

ايجازا واختصارا ومثله كثير — قوله تعالى انه هو التواب الرحيم
وصف سبحانه نفسه بانه التواب وتكرر في القران معرفا ومنكرا واسما
وفعلا وقد يطلق على العبد ايضا تواب قال الله تعالى ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين قال ابن الجوزي ولعلماينا في وصف الرب بانه سبحانه تواب
ثلاثة اقوال احدها انه يجوز في حق الرب سبحانه فيدعى به كما في الكتاب
والسنة ولا ناول وقال اخرون هو وصف حقيقي لله تعالى وتوبة الله على
العبد رجوعه له من حال المعصية الى حال الطاعة وقال اخرون توبة الله
على العبد قبول توبته وذلك يرجع ان يحتمل الى قوله سبحانه قبلت توبتك
وان يرجع خلقه الانابة والرجوع في قلب المسي واجرا الطاعات على
جوارحه الظاهرة — لا يجوز ان يقال في حق الله عز وجل
تايب اسم فاعل من تاب يتوب لانه ليس لنا ان نطلق عليه من الاسما والصفات
الا ما اطلقه هو على نفسه او نبيه صلى الله عليه وسلم او جماعة من المسلمين
وان كان في اللغة محتملا جايزا هذا الصحيح في هذا الباب على ما بيناه في الكتاب
الاسنى في شرح اسما الله الحسنى قال الله تعالى لقد تاب الله على
النبي والمهاجرين والانصار وقال وهو الذي يقبل التوبة عن
عباده وانما قيل الله تواب لمبالغة الفعل وكثرة قبوله توبة عباده
لكثرة من يتوب اليه والله اعلم — انه ليس لاحد قدرة على
خلق التوبة لان الله سبحانه هو المنفرد بخلق الاعمال خلافا للمعتزلة ومن
قال بقولهم وكذلك ليس لاحد ان يقبل توبة من اسرف على نفسه
ولا ان يعفو عنه قال علماونا وقد كفرت اليهود والنصارى بهذا
الاصل العظيم في الدين اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون

الله وجعلوا المز اذنب ان ياتي الحبر او الراهب فيعطيه شيا ويحط عنه
ذنوبه افترا على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين قوله تعالى
انه هو قراه الجماعه انه هو بكسر الهمزه على الاستيناف وقرا ابو نوفل
بن ابي عقرب انه بفتحها على معنى لانه وادغم الها في الها ابو عمرو وعيسى
وطلحه فيما حكى ابو حاتم عنهم وقيل لا يجوز لان بينهما واوا في اللفظ لا
في الخط النحاس اجاز سيبويه ان تحذف هذه الواو وانشد له رجلا بانه
صوت حاد اذا طلب الوسيقه او زمير تحذف الواو من قوله كانه
فعلى هذا يجوز الادغام وهو رفع بالابتدا التواب خبره والجمله خبر
ان ويجوز ان يكون هو توكيدا للها ويجوز ان يكون فاصله على ما تقدم
تعالى قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى
لمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كرر الامر على جهه
التغليظ وتاكيده كما يقول الرجل قم قم وقيل كرر الامر لما علق بكل
امر منهما حكما غير حكم الاخر فعلق بالاول العداوه وبالثاني الهدى
وقيل الهبوط الاول من الجنه الى السما والثاني من السما الى الارض
وعلى هذا يكون فيه دليل على ان الجنه في السما السابعه كما دل عليه حديث
الاسرا على ما ياتي جميعا نصب على الحال قال وهب بن منبه لما اهبط
آدم الى الارض قال ابليس للسباع ان هذا عدو لكم فاهلكوه فاجتمعوا
وولوا امرهم الى الكلب وقالوا انت اشجعنا وجعلوه رئيسا فلما راى
ذلك ادم تحير في ذلك فجاه جبريل عليه السلام وقال له امسح يدك على راس
الكلب ففعل فلما رات السباع ان الكلب الف ادم تفرقوا واستامنه
الكلب فامنه ادم فبقي معه ومع اولاده وذكر الترمذي الحكيم نحو

هذا

هذا وان ادم عليه السلام لما هبط الى الارض جا ابليس الى السباع فاشلاهم
على ادم ليوذوه وكان اشدهم عليه الكلب فاميت فواده فروي
في الخبر ان جبريل عليه السلام امره ان يضع يده على راسه فوضعها فاطمين
اليه والفه فصار ممن يحرسه ويحرس ولده ويالفهم ويموت فواده يفزع
من الادميين فلو رمي بمدر لولاها ربا ثم يعود الفا لهم ففيه شعبة من
ابليس وفيه شعبة من ادم عليه السلام فهو بشعبة ابليس ينبح ويهر ويعدو
على الادمي وبمسحه ادم مات فواده حتى ذل وانقاد والف به وبولده
يحرسهم وامنه على كل احواله من موت فواده ولذلك شبه الله سبحانه
العلما السو بالكلب على ما ياتي بيانه في الاعراف ان شا الله تعالى وتركت عليه
العصا التي جعلها الله تعالى اية لموسى فكان يطرد بها السباع عن نفسه صلى
الله عليه وسلم وقال سعيد بن جبير لما اهبط ادم الى الارض لم يكن
فيها شي غير النسر في البر والحوت في البحر فكان النسر ياوي الى الحوت
فيبيت عنده فلما [رأى] النسر ادم قال يا حوت لقد اهبط اليوم الى
الارض شي يمشي على رجلين ويبطش بيديه فقال الحوت لان كنت
صادقا ما لي منه منجا في البحر ولا لي في البر منه مخلص   بياض كذا وجد

في النسخ

تعالى فاما ياتينكم مني هدى

اختلف في معنى قوله هدى فقيل كتاب الله قاله السدي وقيل التوفيق
للهداية وقالت فرقة الهدى الرسل وهي الى ادم من الملايكة والى
نبيه من البشر وفي قوله مني اشارة الى ان افعال العباد خلق الله تعالى
خلافا للقدرية وغيرهم كما تقدم وقرا الجحدري هدي وهي لغة

هذيل يقولون هدى وعصى ومحيي وانشد النحويون لابي ذويب سبقوا
هوي واعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع هذا النحاس وعلة هذه اللغة
عند الخليل وسيبويه ان سبيل يا الاضافة ان يكسر ما قبلها فلما لم يجز ان تحرك
الالف ابدلت يا وادغمت وما في قوله اما زايدة على ان التي للشرط وجواب
الشرط الفا مع الشرط الثاني في قوله فمن تبع ومن في موضع رفع بالابتدا وتبع
في موضع جزم بالشرط فلا خوف جوابه قال سيبويه الشرط الثاني وجوابه
هما جواب الاول وقال الكسائي فلا خوف عليهم جواب الشرطين جميعا
تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الخوف هو الذعر ولا يكون الا في المستقبل وخاوفني
فلان فخفته اي كنت اشد خوفا منه والتخوف التنقص ومنه قوله تعالى او ياخذهم
على تخوف وقرا الزهري والحسن وعيسى بن عمرو بن ابي اسحاق ويعقوب فلا خوف
بفتح الفا على التبرية والاختيار عند النحويين الرفع والتنوين على الابتدا لان الثاني
لا يكون فيه الا الرفع لان لا تعمل في معرفة فاختاروا في الاول الرفع ايضا ليكون
الكلام من وجه واحد ويجوز ان يكون لا في قولك فلا خوف بمعنى ليس والحزن
ضد السرور ولا يكون الا على ماض وحزن الرجل بالكسر فهو حزن وحزين
واحزنه غيره وحزنه ايضا مثل اسلكه وسلكه ومحزون بني عليه قال اليزيدي
حزنه لغة قريش واحزنه لغة تميم وقد قرى بهما واحتزن وتحزن بمعنى والمعنى في
الاية فلا خوف عليهم فيما بين ايديهم من الاخرة ولا هم يحزنون على ما فاتهم من
الدنيا وقيل ليس فيه دليل على نفي اهوال يوم القيمة وخوفها على المطيعين لما وصفه الله
تعالى ورسوله من شدايد القيامة الا انه يخففه عن المطيعين واذا صاروا الى
رحمته فكانهم لم يخافوا تعالى والذين كفروا وكذبوا باياتنا اوليك
اصحاب النار هم فيها خالدون كفروا اي اشركوا لقوله وكذبوا باياتنا والصحبة
الاقتران

الاقتران بالشي في حاله ما في زمان ما فان كانت الملازمة والخلطة فهي كمال الصحبه
وهكذا هو صحبه اهل النار لها قال بن عطيه وبهذا القول ينفك الخلاف في
تسميه الصحابه اذ مراتبهم متباينه وهذا ياتي بيانه في براة ان شا الله ويأتي
الفاظ الايه تقدم معناها والحمد لله فلا معنى لاعادتها **قوله** تعالى يا
بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي
فارهبون فيه خمس مسايل **الاولى** قوله تعالى يا بني ندا مضاف علامة النصب فيه
اليا وحذفت النون للاضافه الواحد بن والاصل فيه بني وقيل بنو فمن قال
المحذوف منه واو احتج بقولهم البنوه وهذا لا حجه فيه لانهم لانهم قد قالوا
الفتوه واصله اليا وقال الزجاج المحذوف عندي منه يا كانه من بنيت
الاخفش اختار ان يكون المحذوف منه الواو لان حذفها اكثر لثقلها ويقال بن
بين البنوه والتصغير بني قال الفرا يا بني ويا بني لغتان مثل يا ابت ويا ابت وقري
بها وهو مشتق من البنا وهو وضع الشي على الشي فالابن فرع للاب وهو موضوع
عليه **الثانيه** اسرايل اسرايل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام
قال ابو الفرج الجوزي في كتاب فهوم الاثار وليس في الانبيا من له اسمان غيره
الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فان له اسما كثيره قلت قد قيل في المسيح انه
اسم علم لعيسى عليه السلام غير مشتق وقد سماه الله روحا وكلمة وكانوا يسمونه
ابيل الابيلين وذكره الجوهري في الصحاح وذكر البيهقي في دلايل النبوه عن
الخليل بن احمد خمسة من الانبيا ذو اسمين محمد واحمد نبينا صلى الله عليه
وسلم والمسيح واسرايل ويعقوب ويونس وذا النون والياس وذو الكفل
صلى الله عليهم **قلت** قد ذكرنا لعيسى اربعه اسما واما اسما نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم فكثيره بيانها في مواضعها واسرايل اسم اعجمي ولذلك لم ينصرف وهو

لوا

في موضع خفض بالاضافه وفيه سبع لغات اسرايل وهي لغه القران واسرايل
بمده مهموزه مختلسه حكاها شنبوذ عن ورش واسرايل بمده بعد اليا من غير همز وهي
قراه الاعمش وعيسى بن عمرو وقرا الحسن والزهري اسرال بغير همز ولا مد واسرال
بغير يا بهمزه مكسوره واسرال بهمزه مفتوحه وتميم تقول اسراين بالنون
ومعنى اسرايل عبد الله قال ابن عباس اسر بالعبرانيه هو عبد وايل هو الله وقيل
اسرايل هو صفوه الله فاسر هو صفوه وايل هو الله وقيل اسر من الشد فكان
اسرايل الذي شدده الله واتقن خلقه ذكره المهدوي وقال السهيلي سمي اسرايل
لانه اسرا ذات ليله حين هاجر الى الله فسمي اسرايل اي سرى الى الله ونحو هذا فيكون
بعض الاسم عبرانيا وبعضه موافقا للعربي والله اعلم **الثالثه** قوله تعالى اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم امر هم بذكر نعمايه التي انعم بها عليهم والذكر اسم مشترك
فالذكر بالقلب ضد النسيان والذكر باللسان ضد الانصات وذكرت الشي بلساني وقلبي
واجعله منك على ذكر بضم الذال اي لا تنسه قال الكسائي ما كان بالضمير فهو مضموم
الذال وما كان باللسان فهو مكسور الذال وقال غيرهما هما لغتان يقال ذكره
ذكرا ومعناهما واحد والذكر بفتح الذال خلاف الانثى والذكر ايضا الشرف ومنه
قوله تعالى وانه لذكر لك قال ابن الانباري والمعنى في الايه اذكروا شكري ونعمتي
فحذف الشكر اكتفا بذكر النعمه وقيل انه اراد الذكر بالقلب وهو المطلوب اي لا
تغفلوا عن نعمتي التي انعمت عليكم ولا تناسوها **قلت** وهذا حسن والنعمه
هنا اسم جنس فهي مفرده بمعنى الجمع قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
اي نعمه ومن نعمه عليهم ان انجاهم من ال فرعون وجعل منهم انبيا وانزل عليهم
الكتب والمن والسلوى وفجر لهم من الحجر الما الى ما استودعهم من التوراه التي
فيها صفه محمد صلى الله عليه وسلم وبعثه ورسالته والنعم على الابا نعم على الابنا

لانهم

لانهم يشرفون بشرف ابائهم وقال ارباب المعاني ربط الله سبحانه وتعالى
بذكر النعمة واسقطه من امة محمد صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى ذكره فقال
اذكروني اذكركم ليكون نظر الامم من النعمة الى المنعم ونظر امة محمد صلى الله عليه
وسلم من المنعم الى النعمة **الرابعة** قوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم
امر وجوابه وقرا الزهري اوفّ بفتح الواو وشد الفا للتكثير واختلف
في هذا العهد ما هو فقال الحسن عهده قوله خذوا ما اتيناكم بقوة وقوله
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقيل هو
قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
وقال الزجاج اوفوا بعهدي الذي عهدت اليكم في التوراة من اتباع
من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم اوف بعهدكم بما ضمنت لكم على ذلك
ان اوفيتم فلكم الجنة وقيل اوفوا بعهدي في اداء الفرايض والاخلاص اوف
بقبولها منكم ومجازاتكم عليها وقال بعضهم اوفوا بعهدي في العبادات
اوف بعهدكم اي اوصلكم الى منازل الرعايات وقيل اوفوا بعهدي
في حفظ اداب الظاهر اوف بعهدكم بتزيين سرايركم وقيل هو عام في
جميع اوامره ونواهيه ووصاياه فيدخل في ذلك ذكر محمد صلى الله
عليه وسلم الذي في التوراة وغيره هذا قول الجمهور من العلما وهو
الصحيح وعهده سبحانه ان يدخلهم الجنة قلت وما طلب من هولا
هولا من الموافاة بالعهد هو مطلوب منا قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا اوفوا بالعقود وقال واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم وهو لنا
ووفاوهم بعهد الله امارة لوفا الله تعالى لهم لا علة له بل ذلك تفضل
منه عليهم **الخامسة** قوله تعالى واياي فارهبون اي خافون والرهب

والرهبة الخوف ويتضمن الامر به معنى التهديد وسقطت اليا بعد
لانها راس اية وقرا ابن اسحاق فارهبوني باليا وكذا فاتقوني على الاصل واياي
منصوب باضمار فعل وكذا الاختيار في الامر والنهي والاستفهام التقدير
واياي فارهبوا فارهبون فاستغنى باحد الفعلين عن الاخر قاله الزجاج
ويجوز في الكلام وانا فارهبون على الابتدا والخبر وكون فارهبون الخبر على تقدير
الحذف كان المعنى وانا ربكم فارهبون **قوله** تعالى وامنوا بما انزلت
مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي
فاتقون فيه سبع مسايل **الاولي** قوله تعالى وامنوا اي صدقوا بما انزلت
يعني القرآن مصدقا حال من الضمير الذي في انزلت التقدير بما انزلته مصدقا
والعامل فيه انزلت ويجوز ان يكون حالا من ما والعامل فيه امنوا التقدير
امنوا بالقران مصدقا ويجوز ان يكون مصدريه التقدير امنوا بانزالي
لما معكم يعني من التوراة **الثانية** قوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به الضمير
في به قيل هو عايد على محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابو العاليه وقال ابن جريج
هو عايد على القران اذ تضمنه قوله بما انزلت وقيل على التوراة اذ تضمنها قوله
لما معكم فان قيل كيف قال كافر ولم يقل كافرين فقيل التقدير ولا تكونوا
اول فريق كافر به وزعم الاخفش والفرا انه محمول على معنى الفعل لان المعنى
اول من كفر به وحكى سيبويه هو اظرف الفتيان واجمله وكان ظاهر الكلام
هو اظرف فتى واجمله وقال اول وقد كان كفر قبلهم كفار قريش فانما
معناه من اهل الكتاب اذ هم منظور اليهم في مثل هذا لانهم حجة مظنون
بهم علم **الثالثة** قوله تعالى اول اول عند سيبويه نصب على خبر
كان وهو مما لم ينطق منه بفعل وهو على افعل عينه وفاوه واو وانما لم ينطق

منه

منه بفعل لئلا يعتل من جهتين العين والفا وهذا مذهب البصريين
وقال الكوفيون هو من وال اذا نجا فاصله اوال ثم خففت الهمزة وابدلت
واوا وادغمت فقيل اول هما يخفف همزة خطيئة فيقال خطية قال الجوهري
والجمع الاوايل والاوالي ايضا على القلب وقال قوم اصله وول على فوعل
فقلبت الواو الاولى همزة وانما لم يجمع على اواول لاستثقالهم اجتماع الواوين
بينهما الف الجمع وقيل هو افعل من آل يؤول فاصله ااول قلب فجا اعفل
مقلوب من افعل فسهل وابدل وادغم الرابعة لا حجة في هذه
الاية لمن يمنع القول بدليل الخطاب وهم الكوفيون ومن وافقهم لان
المقصود من الكلام النهي عن الكفر اولا واخرا وخص الاول بالذكر لان التقدم
فيه اغلظ فكان حكم المذكور والمسكوت عنه واحدا وهذا واضح
الخامسة قوله تعالى وَلَا تَشْتَرُوا معطوف على قوله وَلَا تَكُونوا نهاهم
عن ان يكونوا اول من كفر وان لا ياخذوا على ايات الله ثمنا اي تغيير صفة
محمد صلى الله عليه وسلم رشى وكان الاحبار يفعلون ذلك فنهوا عنه
قاله قوم من اهل التاويل منهم الحسن وغيره وقيل كانت لهم ماكل يأكلونها
على العلم كالراتب فنهوا عن ذلك وقيل ان الاحبار كانوا يعلمون دينهم
بالاجرة فنهوا عن ذلك وفي كتبهم يا ابن ادم علم مجانا كما علمت مجانا اي
باطلا بغير اجرة قاله ابو العالية وقيل المعنى ولا تشتروا باوامري ونواهي
واياتي ثمنا قليلا يعني الدنيا ومدتها والعيش الذي هو نزر لا خطر له فسمي
ما اعتاضوه عن ذلك ثمنا لانهم جعلوه عوضا فانطلق عليه اسم الثمن
وان لم يكن ثمنا وقد تقدم هذا المعنى وقال الشاعر ان كنت حاولت
دنيا او ظفرت بها فما اصبت بترك الحج من ثمن قلت وهذه الايه

وازدات خاصة ببني اسرايل فهي متناول من فعل فعلهم رشوه على تغيير
حق وابطاله او امتنع من تعليم ما وجب عليه او ادا ما عليه وقد تعين عليه
حتى ياخذ عليه اجرا فقد دخل في مقتضى الايه والله اعلم وقد روى ابو
داود عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما
مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف
الجنه يوم القيامه يعني ريحها قلت ولهذا والله اعلم اختلف العلما في اخذ
الاجره على تعليم القران والعلم لهذه الاية وما كان في معناها وهي

فمنع ذلك الزهري واصحاب الراي وقالوا لا يجوز اخذ الاجر
على تعليم القران لان تعلمه واجب من الواجبات التي يحتاج فيها الى نيه التقرب
والاخلاص فلا يوخذ عليها اجره كالصلاه والصيام وقد قال تعالى ولا تشتروا
باياتي ثمنا قليلا وروى بن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال معلموا صبيانكم
شراركم اقلهم رحمة باليتيم واغلظهم على المسكين وروى ابو هريره قال
قلت يا رسول الله ما تقول في المعلمين قال درهمهم حرام وثوبهم سحت وكلامهم
ريا وروى عباده بن الصامت قال علمت ناسا من اهل الصفه القران
والكتابه فاهدى رجل منهم قوسا فقلت لست بمال وارمي عليها
في سبيل الله فسالت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان
سرك ان تطوق بها طوقا من نار فاقبلها واجاز اخذ الاجره على تعليم القران
مالك والشافعي واحمد وابو ثور واكثر العلما لقوله عليه السلام في حديث
بن عباس حديث الرقيه ان احق ما اخذتم عليه اجرا كتاب الله اخرجه
البخاري وهو نص رفع الخلاف فينبغي ان يعول عليه واما ما احتج به
المخالف من القياس على الصلاه والصيام ففاسد لانه في مقابله النص

ثم

ثم ان بينهما فرقان وهو ان الصلاه والصوم عبادات مختصه بالفاعل
وتعليم القران عباده متعديه لغير المعلم فيجوز الاجر على محاوله النقل
كتعليم كتابه القران قال بن المنذر وابو حنيفه يكره تعليم القران باجره
ويجوز ان يستاجر الرجل يكتب له لوحا او شعرا وغنا معلوما باجر معلوم فيجوز
الاجر فيما هو معصيه ويبطلها فيما هو طاعه واما الجواب عن الايه فالمرا د
بها بنوا اسرايل وشرع من قبلنا هل هو شرع لنا فيه خلاف وهو لا يقول
به جواب ثان وهو ان تكون الايه فيمن تعين عليه التعليم فابى حتى ياخذ
عليه اجرا فاما اذا لم يتعين فيجوز له اخذ الاجر بدليل السنه في ذلك
وقد يتعين عليه الا انه ليس عنده ما ينفقه على نفسه ولا على عياله فلا
يجب عليه التعليم وله ان يقبل على صنعته وحرفته ويجب على الامام ان
يعين لاقامة الدين اعانته والا فعلى المسلمين لان الصديق رضي الله لما ولي
الخلافه وعين لها لم يكن عنده ما يقيم به اهله فاخذ ثيابا وخرج الى السوق
فقيل له في ذلك فقال ومن اين انفق على عيالي فردوه وفرضوا له كفايته واما
الاحاديث فليس شي منها يقوم على ساق ولا يصح شي منها عند اهل العلم بالنقل
اما حديث بن عباس فرواه سعد بن طريف عن عكرمه عنه وسعد متروك
واما حديث ابي هريره فرواه علي بن عاصم عن حماد بن سلمه عن ابي جرهم
عنه وابو جرهم لا يعرف ولم يرو حماد بن سلمه عن احد يقال له ابو جرهم
وانما رواه عن ابي المهزم وهو متروك الحديث ايضا وهو حديث لا
اصل له واما حديث عباده بن الصامت فرواه ابو داود من حديث
المغيره بن زياد الموصلي عن عباده بن نسي عن الاسود بن ثعلبه عنه وابو
المغيره معروف بحمل العلم ولكنه له منا كير هذا منها قاله ابو عمر بن عبد البر

ثم قال واما حديث القوس فمعروف عند اهل العلم لانه روي عن عباده
من وجهين وروي عن ابي بن كعب من حديث موسى بن علي عن ابيه عن ابي وهو
منقطع وليس في الباب حديث يجب العمل به من جهة النقل وحديث عباده
راي يحتمل التاويل لانه جايز ان يكون عمله لله ثم اخذ عليه اجرا
قلت وقد روي من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال خير الناس وخير من يمشي على جديد الارض المعلمون كلما خلق
الدين جددوه اعطوهم ولا تستاجروهم فتحرجوهم فان المعلم اذا
قال للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم
كتب الله براة للصبي وبراة للمعلم وبراه لابويه من النار السادسه
واختلف العلما في حكم المصلي باجره فروى اشهب عن ملك انه سيل عن الصلاة
خلف من استوجر في رمضان يقوم للناس فقال ارجوا ان لا يكون به باس
وهذا شد كراهه له في الفريضة وقال الشافعي واصحابه وابو ثور لا
باس بذلك ولا بالصلاه خلفهم وقال الاوزاعي لا صلاة له وكرهه
ابو حنيفه واصحابه على ما تقدم قال بن عبد البر في كتاب التمهيد وهي
المسله معلقه من التي قبلها واصلها واحد قلت وياتي لها امل
اخر من الكتاب في براة ان شا الله في ايه الصدقات وكره بن القاسم اخذ
الاجر على تعليم الشعر والنحو وقال بن حبيب لا باس بالاجارة على تعليم
الشعر والرسايل وايام العرب ويكره من الشعر ما فيه الخمر والخنا والهجا
قال ابو الحسن اللخمي ويلزم على قوله ان يجيز الاجاره على كتبه ويجيز بيع
كتبه واما الغنا والنوح فممنوع على كل حال السابعه روى الدارمي
ابو محمد في مسنده قال اخبرنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا محمد بن

الكميت

مطلب في المواعظ والنصايح

الكميت قال حدثنا علي بن وهب الهمداني قال اخبرنا الضحاك بن موسى قال
مر سليمان بن عبد الملك بالمدينه وهو يريد مكه فاقام فاقام بها اياما فقال
هل بالمدينه احد ادرك احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له
ابو حازم فارسل اليه فلما دخل عليه قال له يا ابا حازم ما هذا الجفا قال ابو
حازم يا امير المومنين واي جفا رايت مني قال اتاني وجوه اهل المدينه ولم
تاتني قال يا امير المومنين اعيذك بالله ان تقول مالم يكن ما عرفتني قبل
هذا اليوم ولا انا رايتك قال فالتفت الى محمد بن شهاب الزهري فقال
اصاب الشيخ واخطات قال سليمن يا ابا حازم ما لنا نكره الموت فقال لانكم
اخربتم الاخرة وعمرتم الدنيا فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب قال
اصبت يا ابا حازم فكيف القدوم على الله تعالى قال اما المحسن فكالغايب
يقدم على اهله واما المسي فكالابق يقدم مولاه فبكا سليمن وقال ليت
شعري ما لنا عند الله قال اعرض عملك على كتاب الله قال واي مكان
اجده قال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمن فاين رحمة الله
يا ابا حازم قال ابو حازم قريب من المحسنين قال له سليمن يا ابا حازم
فاي عباد الله اكرم قال اولوا المروة والنهى قال له سليمن فاي الاعمال
افضل قال ابو حازم اذا الفرايض مع اجتناب المحارم قال سليمن فاي
الدعا اسمع قال دعا المحسن اليه للمحسن قال فاي الصدقه افضل قال
السايل البايس وجهد المقل ليس فيها من ولا اذى قال فاي القول
اعدل قال قول الحق عند من تخافه او ترجوه قال فاي المومنين
اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودل الناس عليها قال فاي المومنين
احمق قال رجل انحط في هوى اخيه وهو ظالم فباع اخرته بدنيا غيره

قال سليمن اصبت فما تقول فيما نحن فيه قال يا امير المومنين او تعفيني قال
له سليمن لا ولكن نصيحة تلقيها الي قال يا امير المومنين ان اباك قهروا الناس
بالسيف واخذ وا هذا الملك عنوة على غير مشورة من المسلمين ولا رضاهم
حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة فقد ارتحلوا عنها فلو شعرت ما قالوا وما
قيل لهم فقال رجل من جلسايه بيس ما قلت يا ابا حازم قال ابو حازم
كذبت ان الله اخذ ميثاق العلما ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال سليمن
فكيف لنا ان نصلح قال تدعون الصلف وتمسكون بالمروة وتقسمون بالسويه
قال كيف لنا بالماخذ به قال ابو حازم تاخذه من حله وتضعه في اهله
قال له سليمن هل لك يا ابا حازم ان تصحبنا وتصيب منا قال اعوذ بالله
قال له سلمان ولم ذاك قال اخشى ان اركن اليكم شيا قليلا فيذيقني الله
ضعف الحياة وضعف الممات قال له سليمن ارفع لنا حوايجك قال تنجيني
من النار وتدخلني الجنة قال له سليمن ليس ذلك لي قال ابو حازم فما لي
اليك حاجة غيرها قال فادع لي قال ابو حازم اللهم ان كان سليمن وليك
فيسره لخير الدنيا والاخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب
وترضى قال له سليمن قط قال ابو حازم قد اوجزت واكثرت ان كنت من
من اهله وان لم تكن من اهله فما ينبغي لي ان ارمي عن قوس ليس لها وتر قال له سليمن
اوصني قال ساوصيك واوجز عظم ربك ونزهه ان يراك حيث نهاك
او يفقدك من حيث امرك فلما خرج من عنده بعث اليه بماية دينار وكتب
انفقها ولك عندي مثلها كثير قال فردها عليه وكتب اليه يا امير المومنين
اعيذك بالله ان يكون سوالك اياي هزلا او ردي عليك بذلا وما ارضاها
لك فكيف لنفسي ان موسى بن عمران عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه

١٩٢

امه من الناس يسقون ووجد من دونهم جاريتين يذودان فسقي لهما فالتا لا نسقي حتى يصدر الرعا وابونا شيخ كبير فسقي لهما فلما تولى الظل قال رب اني لما انزلت الي من خير فقير وذلك انه كان جايعا خايفا لا يامن فسال ربه ولم يسال الناس فلم يفطن الرعا وفطنت الجاريتان فلما رجعا الى ابيهما اخبرتاه بالقصه ويقوله تعالى ابوهما وهو شعيب عليه السلام هذا رجل جايع قال لاحداهما اذهبي فادعيه فلما اتته عظمته وغطت وجهها وقالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا ولم يجد بدا من ان يتبعها انه كان من الجبال جايعا مستوحشا فلما تبعها هبت الريح فجعلت تصفق ثيابها على ظهرها فتصف له عجيزتها وكانت ذات عجز وجعل موسى يعرض مرة ويغض اخرى فلما عيل صبره ناداها يا امة الله كوني خلفي وارني السمت بقولك فلما دخل على شعيب اذ هو بالعشا مهيا فقال له شعيب اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى عليه السلام اعوذ بالله فقال له شعيب لم ما انت جايع قال بلى ولكني اخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نبيع شيا من ديننا بملء الارض ذهبا فقال شعيب لا يا شاب ولكنها عادتي وعادة ابايي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى فاكل فان كانت هذه المايه دينارا عوضا لما حدثت فالميته والدم ولحم الخنزير في حال الاضطرار احل من هذه وان كان لحقوقي في بيت المال فلي فيه نظر فان ساويت بيننا والافلس لي فيها حاجه قلت هذا يكون الاقتدا بالصحاب والانبيا انظر الى هذا الامام الفاضل والحبر العالم كيف لم ياخذ على علمه عوضا ولا على وعظه بدلا ولا على نصيحته صفدا بل بين الحق وصدع ولم يلحقه في ذلك خوف ولا فزع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعن احدكم هيبته احد ان يقوم

او يقول بالحق حيث كان وقال عليه السلام ان من اعظم الجهاد كلمة حق عند امام
جاير وفي التنزيل يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لايم وسياتي القول
في هذا ان شا الله تعالى قوله تعالى واياي فاتقون تقدم معنى التقوى
وقرى فاتقوني باليا وقد تقدم وتقدم اعرابه فلا معنى لاعادته وقال سهل
بن عبد الله قوله تعالى واياي فاتقون قال موضع علم السابق فيهم واياي فارهبون
قال موضع المكر والاستدراج لقول الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا
يعلمون وقوله لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون فما استثنى نبيا ولا صديقا
والله اعلم قوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل تلبسوا تخلطوا واللبس الخلط لبست
عليه الامر البسه اذا مزجت بينه بمشكله وحقه بباطله قال الله تعالى وللبسنا عليهم
ما يلبسون وفي الامر لبسه اي ليس بواضح ومن هذا المعنى قول علي رضي الله عنه
للحرث بن حوط يا حارث انه ملبوس عليك ان الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف
اهله وقالت الخنسا ترى الجليس يقول الحق تحسبه رشدا وهيهات فانظر ما به
التبسا صدق مقالته واحذر عداوته والبس عليه مثل ما لبسا وقال
العجاج لما لبسن الحق بالتجني عنين فاستبدلن زيدا مني روى سعيد عن قتادة
في قوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل يقول لا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالاسلام
وقد علمتم ان دين الله الذي لا يقبل غيره ولا يجزي الا به الاسلام وان اليهودية
والنصرانية بدعة وليست من الله تعالى والظاهر من قول عنترة وكتيبة لبستها بكتيبة
انه من هذا المعنى ويحتمل ان يكون من اللباس وقد قيل هذا في معنى الاية اي لا تغطوا
ومنه لبس الثوب يقال لبست الثوب البسه ولباس الرجل زوجته ولباسها زوجها
قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى جيدها تثنت عليه فكانت لباسا وقال
الاخطل قد لبست لهذا الامر اعصره حتى تجلل راسي الشيب فاشتعلا والبق

دل

كل ما يلبس من ثياب ودرع قال الله تعالى وعلمناه صنعه لبوس لكم ولابست
فلانا حتى عرفت باطنه وفي فلان ملبس اي مستمتع قال الا ان بعد العدم
للمرء قنوه وبعد المشيب طول عمر وملبسا ولبس الهودج والكعبه ما عليهما من
لباس بكسر اللام والله اعلم **الاولى** قوله تعالى بالباطل الباطل في كلام العرب
خلاف الحق ومعناه الزايل قال لبيد الا كل شي ما خلا الله باطل وبطل الشي
يبطل بطولا وبطلا وبطلانا وابطله غيره ويقال ذهب دمه بطلا اي
هدرا والباطل الشيطان والبطل الشجاع سمي بذلك لانه يبطل شجاعه غيره
قال النابغه لهم لواء بكفي ماجد بطل لا يقطع الخرق الا طرفه سامي والمراه بطله
بطل الرجل بالضم يبطل بطوله وبطاله اي صار شجاعا وبطل الاجير بالفتح بطاله
اي تعطل فهو بطال واختلف اهل التاويل في المراد بقوله الحق بالباطل فروي عن
ابن عباس وغيره ان المعنى لا تخلطوا ما عندكم من الحق في الكتاب بالباطل وهو التغيير
والتبديل وقال ابو العاليه قالت اليهود محمد مبعوث ولكن الى غيرنا فاقرارهم
ببعثه حق وجحدهم انه بعث اليهم باطل وقال ابن زيد المراد بالحق التوراة
والباطل ما بدلوا فيها من ذكر محمد عليه السلام وغيره وقال مجاهد لا تخلطوا
اليهوديه والنصرانيه بالاسلام وقاله قتاده وقد تقدم قلت وقول
ابن عباس اصوب لانه يعم ما ذكر فيدخل فيه جميع الاقوال والله المستعان
الثانيه وتكتموا الحق يجوز ان يكون معطوفا على تلبسوا فيكون مجزوما
ويجوز ان يكون منصوبا باضمار ان التقدير لا يكن منكم لبس الحق وكتمانه اي
وان تكتموه قال ابن عباس يعني كتمانهم امر النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعرفونه وقال
محمد بن سيرين نزل عصابه من ولد هارون يثرب لما اصاب بني اسرائيل ما اصابهم
من ظهور العدو عليهم والذله وتلك العصابه هم حمله التوراه يوميذ فاقاموا

بيثرب يرجون ان يخرج محمد صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم وهم مومنون
مصدقون بنبوته فمضى اوليك الابا وهم مومنون وخلف الابنا وابنا الابنا
فادركوا محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به وهم يعرفونه وهو معنى قوله
تعالى فلما جاهم ما عرفوا كفروا به الثالثة وانتم تعلمون جملة في موضع
الحال اي ان محمدا حق فكفرهم كان كفر عناد ولم يشهد تعالى لهم بعلم وانما نهاهم
عن كتمان ما علموا ودل هذا على تغليظ الذنب على من واقعه على علم وانه اعصى
من الجاهل على ما ياتي بيانه عند قوله تعالى اتامرون الناس بالبر الاية
قوله تعالى واقيموا الصلاه واتوا الزكاه واركعوا مع الراكعين فيه
اثنتان وثلاثين مسله الاولى قوله تعالى واقيموا الصلاه امر معناه الوجوب
ولا خلاف فيه وتقدم القول في معنى اقامة الصلاه واشتقاقها وفي
جملة من احكامها والحمد لله الثانية قوله تعالى واتوا الزكاة امر يقتضي
الوجوب ايضا والزكاه ماخوذه من زكا الشي اذا نما وزاد يقال زكا
الزرع والمال يزكوا اذا كثر وزاد ورجل زكي اي زايد الخير وسمي اخراج
من المال زكاة وهو نقص منه من حيث ينموا بالبركة او بالاجر الذي يثاب
به المزكي ويقال زرع زاك بين الزكا وزكات الناقه بولدها تزكا به اذا
رمت به بين رجليها وزكا الفرد اذا صار زوجا بزيادة الزايد عليه
حتى صار شفعا قال الشاعر كانوا خسا وزكا ما دون اربعة لم
يخلقوا وجدود الناس تعتلج جد وجد جمع جد وهو الحظ والبخت
وتعتلج معناه ترتفع اعتلجت الارض طال نباتها وخسا الفرد وزكا الزوج
وقيل اصلها الثنا الجميل ومنه زكى القاضي الشاهد فكان من يخرج الزكاة يحصل
لنفسه الثنا الجميل وقيل هي ماخوذة من التطهير كما يقال زكا فلان اي

طهر

طهر من دنس الحرجه والاغفال فكان الخارج من المال يطهر من تبعه الحق
الذى جعل الله فيه للمساكين الا ترى ان النبى صلى الله عليه وسلم سمى ما يخرج من
الزكاة اوساخ الناس وقد قال تعالى خذ من اموالهم صدقه تطهرهم
وتزكيهم بها والله اعلم الثالثه واختلف فى المراد بالزكاه هنا فقيل
الزكاه المفروضه لمقارنتها بالصلاة وقيل صدقه الفطر قاله مالك فى
سماع ابن القاسم قلت فعلى الاول وهو قول اكثر العلما فالزكاه فى
الكتاب مجمله بينها النبى صلى الله عليه وسلم فروى الايمه عن ابى سعيد الخدرى
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس فى حب ولا تمر صدقه حتى يبلغ خمسه
اوسق ولا فيما دون خمس ذود صدقه وقال البخارى خمس اواق من الورق
وروى البخارى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السما
والعيون او كان عثريا العشر وما سقى بالنضح نصف العشر وسياتى بيان
هذا وتفصيله فى الانعام عند قوله تعالى واتوا حقه يوم حصاده وياتى
فى براة زكاة العين والماشيه وبيان المال الذى لا يوخذ منه زكاه
عند قوله تعالى خذ من اموالهم صدقه قلت واما زكاة الفطر فليس
فى الكتاب نص الا ما اوّلنا وله مالك هنا وقوله تعالى قد افلح من تزكى وذكر
اسم ربه فصلى والمفسرون والاحكاميون يتكلمون الكلام عليها فى سوره
الاعلى ورايت الكلام عليها فى هذه السوره عند كلامنا على اى الصيام
ان شا الله تعالى لان رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض زكاه الفطر من
رمضان الحديث فاضافها الى رمضان الرابعه قوله تعالى واركعوا الركوع
فى اللغه الانحنا بالشخص وكل منحن راكع قال لبيد اخبر اخبار القرون التى مضت
ادب كانى كلما قمت راكع قال ابن دريد الهوه فى الارض لغه يمانيه وقيل

الانحنا نعم الركوع والسجود ويستعار ايضا في الانحطاط في المنزلة قال
الشاعر ولا تعاد الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه واختلف
الناس في تخصيص الركوع بالذكر فقال قوم جعل الركوع لما كان من اركان
الصلاة عبارة عن الصلاة **قلت** وهذا ليس مختصا بالركوع وحده فقد
جعل الشرع القراة عن الصلاة والسجود عبارة عن الركعة بجمالها فقال
وقران الفجر صلاة الفجر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادرك
سجدة من الصلاة فقد ادرك الصلاة واهل الحجاز يطلقون على الركعة
سجدة وقيل انما خص الركوع بالذكر لان بني اسرايل لم يكن في صلاتهم
ركوع وقيل لانه كان اثقل على القوم في الجاهلية حتى لقد قال بعض
من اسلم للنبي صلى الله عليه وسلم على ان لا اخر الا قايما فمن تاويله على ان لا
اركع فلما تمكن الاسلام من قلبه اطمانت بذلك نفسه وامتثل ما امر
به من الركوع **الخامسة** الركوع الشرعي هو ان يحني الرجل صلبه ويمد
وعنقه ويفتح اصابع يديه ويقبض على ركبتيه ثم يطمين راكعا يقول
سبحان ربي العظيم ثلاثا وذلك ادناه وروى مسلم عن عايشة قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الصلاة بالتكبير والقراة
بالحمد لله رب العالمين وكان اذا ركع لم يشخص راسه ولم يصوبه ولكن بين ذلك
وروى البخاري عن ابي حميد الساعدي قال رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا كبر جعل يديه حذو منكبيه واذا ركع امكن يديه من ركبتيه
ثم هصر ظهره وذكر الحديث **السادسة** الركوع فرض قرانا وسنة
وكذلك السجود لقوله تعالى في اخر الحج واركعوا واسجدوا وزادت
السنة الطمانينة فيهما والفصل بينهما وقد تقدم القول في ذلك

وبينا

وبينا صفه الركوع ايضا واما السجود فقد جا مبينا من حديث ابي حميد
الساعدي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سجد امكن جبهته وانفه
من الارض ونحى يديه عن جنبيه ووضع كفيه حذو منكبيه خرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح وروي مسلم عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعتدلوا في السجود ولا يبسط احدكم ذراعيه انبساط الكلب
وعن البرا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سجدت فضع كفيك
وارفع مرفقيك وعن ميمونه زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سجد خوى بيديه يعني جنح حتى يرى بياض
ابطيه من ورايه واذا قعد اطمان على فخذه اليسرى **السابعه** واختلف
العلما فيمن وضع جبهته في السجود دون جبهته انفه او انفه دون جبهته فقال
مالك يسجد على جبهته وانفه وبه قال الثوري واحمد وهو قول النخعي قال
احمد لا يجزيه السجود على احدهما دون الاخر وبه قال ابو خيثمه وابن
ابي شيبه قال اسحق ان سجد على احدهما دون الاخر صلاته فاسده وقاله
الاوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير
وعكرمة وعبد الرحمن بن ابي ليلى كلهم امر بالسجود على الانف وقالت
طايفه يجزي ان سجد على جبهته دون انفه هذا قول عطا وطاوس وعكرمه
وابن سيرين والحسن البصري وبه قال الشافعي وابو ثور ويعقوب ومحمد قال
ابن المنذر وقال قايل ان وضع جبهته ولم يضع انفه او وضع انفه ولم
يضع جبهته فقد اسا وصلاته تامة هذا قول النعمان قال ابن المنذر ولا
اعلم احدا سبقه الى هذا القول ذكر محمد بن جرير الطبري في تهذيب
الاثار له ان حكم الجبهه والانف واحد فواضع الانف دون الجبهه

فواضع راحتيه دون الاصابع او الاصابع دونهما ونحوي الذي قلناه قاله
جماعه من السلف وقال ايوب عن طاوس انه سيل عن السجود على الانف
فقال اليس اكرم الوجه وقال ابو هلال سيل بن سيرين عن الرجل يسجد
على انفه اوما يقرا وعرونه لاذ قال سجدا هذا اخر كلامه فيه وقول بن
المنذر ولا اعلم احدا سبقه الى هذا القول ولا تابعه عليه جهل منه
وعدم علمه لا يجوز ان نحجه على غيره ممن له نظر في العلم وهل يفر السحاب نباح
الكلاب قلت الصحيح في السجود وضع والانف لحديث ابي حميد
وقد تقدم وروي البخاري عن بن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم امرت ان اسجد على سبعه اعظم على الجبهه واشار بيده الى
انفه واليدين والركبتين واطراف القدمين ولا يكف الثياب ولا
الشعر وهذا كله بيا ان لمجمل الصلاه فتعين القول به والله اعلم وروي
عن ملك انه يجزيه ان يسجد على جبهته دون انفه كقوله عطا والشافعي
والمختار عندنا قوله الاول ولا يجزي عند ملك اذا لم يسجد على جبهته
الثامنة ويجوز السجود على كور العمامة وان كان طاقة او طاقتين
مثل الثياب التي تستر الركب والقدمين فلا باس والافضل مباشرة الار
ض او ما يسجد عليه فان كان هناك ما يوذيه ازاله قبل دخوله في الصلاة
فان لم يفعل فليمسحه مسحة واحده روي مسلم عن معيقيب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال في الرجل يسوي التراب حيث يسجد قال ان
كنت فاعلا فواحده وروي عن انس قال كنا نصلي مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في شدة الحر فاذا لم يستطع احدنا ان يمكن جبهته من الارض
بسط ثوبه فسجد عليه التاسعه لما قال تعالى واركعوا واسجدوا

قال بعض

قال بعض علماونا وغيرهم يكفي منها ما يسمى ركوعا وسجودا وكذلك من
القيام ولم يشترطوا الطمانينه في ذلك فاخذوا باقل الاسم في ذلك وكانهم
لم يسمعوا الاحاديث الثابته في الغا الصلاه قال بن عبد البر ولا يجزي ركوع
ولا سجود ولا وقوف بعد الركوع ولا جلوس بين السجدتين حتى يعتدل
راكعا وواقفا وساجدا وجالسا وهو الصحيح في الاثر وعليه جمهور العلما
واهل النظر وهي روايه بن وهب وابي مصعب عن ملك وقال القاضي
ابو بكر بن العربي وقد تكاثرت الروايات عن بن القاسم وغيره بوجوب
الفصل وسقوط الطمانينه وهو وهم عظيم لان النبي صلى الله عليه وسلم
فعلها وامر بها وعلمها فان كان لابن القاسم عذر ان كان لم يطلع عليها
فما لكم انتم وقد انتهى العلم اليكم وقامت الحجه به عليكم وروى النسا ي
والدارقطني وعلي بن عبد العزيز عن رفاعه بن رافع قال كنت جالسا
عند رسول الله اذ جاءه رجل فدخل المسجد فصلى فلما قضا الصلاه جا
فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى القوم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك ارجع فصل فانك لم تصل
وجعل الرجل يصلي وجعلنا نرمق صلاته وما ندري ما يعيب منها فلما
جا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى القوم فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم وعليك ارجع فصل فانك لم تصل قال همام فلا ادري امره بذ لك
مرتين او ثلاثا فقال له الرجل ما الوت فلا ادري ما عيب علي من صلاتي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا تتم صلاه احدكم حتى يسبغ
الوضو كما امره الله فيغسل وجهه ويديه الى المرفقين ويمسح براسه
ورجليه الى الكعبين ثم يكبر الله ويثني عليه ثم يقرا ام القران وما اذن

له ثم يكبر فيركع فيضع يديه على ركبتيه حتى تطمين مفاصله
ويسترخي ثم يقول سمع الله لمن حمده ويستوي قائما حتى يقيم صلبه ويأخذ
كل عظم مأخذه ثم يكبر فيسجد فيمكن وجهه قال همام وربما قال
جبهته من الارض حتى تطمين مفاصله ويسترخي ثم يكبر فيستوي قاعدا
على مقعدته ويقيم صلبه فوصف الصلاة هكذا اربع ركعات ثم قال
لا تتم صلاة احدكم حتى يفعل ذلك ومثله حديث ابي هريرة خرجه مسلم
وقد تقدم قلت فهذا بيان الصلاة المجملة في الكتاب بتعليم النبي صلى الله
عليه وسلم وتبليغه اياه جميع الانام فمن لم يقف عند هذا البيان واخل
بما فرض عليه الرحمن ولم يمتثل ما بلغه عن نبيه عليه السلام كان من جملة من
دخل في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا
الشهوات على ما ياتي بيانه هناك ان شا الله تعالى وروى البخاري عن زيد
وهب قال راى حذيفة رجلا لا يتم الركوع والسجود فقال ما صليت
ولو مت مت على غير الفطرة التي فطر الله عليها محمدا صلى الله عليه وسلم

العاشرة قوله مع الراكعين مع تقتضي المعية والجمعية ولهذا قال
جماعة من اهل التاويل ان الامر بالصلاة اولا لم يقتض شهود الجماعة فامرهم
بقوله مع بشهود الجماعة وقد اختلف العلما في شهود الجماعة على قولين فالذي
عليه الجمهور ان ذلك من السنن المؤكدة ويجب على من ادمن التخلف عنها
العقوبة وقد اوجبها بعض اهل العلم فرضا على الكفاية قال ابن عبد البر وهو
الصحيح لاجماعهم على انه لا يجوز ان يجتمع على تعطيل المساجد كلها من
الجماعات فاذا قامت الجماعة في المسجد فصلاة المنفرد في بيته جائزة لقوله
عليه السلام صلاة الجماعة افضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين

وتبليغه

درجة

درجه اخرجه مسلم من حديث بن عمر وروي عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة الجماعة افضل من صلاة احدكم وحده
بخمسة وعشرين جزا وقال داود الصلاة في الجماعة فرض على كل احد
في خاصته كالجمعة واحتج بقوله عليه السلام لا صلاة لجار المسجد الا في
المسجد خرجه ابو داود وصححه ابو محمد عبد الحق وهو قول عطا بن
ابي رباح واحمد بن حنبل وابو ثور وغيرهم وقال الشافعي لا ارخص
لمن قدر على الجماعة في ترك اتيانها الا من عذر حكاه بن المنذر وروى مسلم
عن ابي هريرة قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل اعمى فقال يا رسول الله
انه ليس لي قايد يقودني الى المسجد فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرخص
له فيصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال تسمع النداء بالصلاة قال
نعم قال فاوجب وقال ابو داود في هذا الحديث لا اجد لك
رخصة خرجه من حديث بن ام مكتوم وذكر انه كان السايل وروي
عن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع النداء فلم يمنعه
من اتيانه عذر قالوا وما العذر قال خوف او مرض لم يقبل منه الصلاة
التي صلى قال ابو محمد عبد الحق هذا يرويه مغرا العبدي والصحيح موقوفا
على بن عباس من سمع النداء فلم يات فلا صلاة له على ان قاسم بن اصبغ ذكره
في كتابه فقال حدثنا اسماعيل بن اسحق القاضي قال نا سليمن بن حرب نا
عن حبيب بن ابي ثابت عن سعيد بن جبير عن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من سمع فلم يجب فلا صلاة له الا من عذر وحسبك بهذا الاسناد صحة
ومغرا من عبد روى عنه ابو اسحق وقال بن مسعود ولقد رايتنا وما
يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق وقال عليه السلام بيننا وبين المنافقين

شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما قال ابن المنذر وروينا عن غير واحد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انهم قالوا من سمع النداء فلم يجب من غير عذر فلا صلاة له منهم ابن مسعود وابو موسى الاشعري وروى ابو داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان امر فتيتي فيجمعوا حزما من حطب ثم اتي قوما يصلون في بيوتهم ليست بهم علة فاحرقها عليهم هذا مما احتج به من اوجب الصلاة في الجماعة فرضا وهو ظاهر في الوجوب وحمله الجمهور على تاكيد امر شهود الصلوات في الجماعة بدليل حديث ابن عمر وابي هريرة وحملوا قول الصحابة وما جاء في الحديث من انه لا صلاة له على الكمال والفضل وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام لابن ام مكتوم فاجب على الندب وقوله عليه السلام لقد هممت لا يدل على الوجوب الحتم لانه هم ولم يفعل وانما مخرجه مخرج التهديد والوعيد للمنافقين الذين كانوا يتخلفون عن الجماعة والجمعة يبين هذا المعنى ما رواه مسلم عن عبد الله قال من سره ان يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هولاء الصلوات حيث ينادى بهن فان الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى وانهن من سنن الهدى ولو انكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم وذكر الحديث فبين رضي الله عنه ان الاجتماع سنة من سنن الهدى وتركه ضلال ولهذا قال القاضي ابو الفضل عياض اختلف في التمالي على ترك ظاهر السنن هل يقاتل عليها ام لا والصحيح قتالهم لان التمالي عليها اماتتها قلت فعلى هذا اذا اقيمت السنة وظهرت جازت صلاة المنفرد وصحت على ما تقدم وروى

مسلم

مسلم عن ابي هريره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاه
الرجل في جماعه تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعا وعشرين
درجه وذكر الحديث **الحاديه عشر** واختلف العلما في الفضل
المضاف للجماعة هل هو لاجل الجماعه فقط حيث كانوا او انما يكون ذلك
الفضل للجماعه التي يكون في المسجد لما يلازم ذلك من افعال تختص بالمساجد
قولان والاول الظاهر لان الجماعه هو الوصف الذي علق عليه الحكم والله اعلم
وما كان من افعال الخصال الى المساجد وقصد لاتيان اليها والمكث فيها
فذلك زيادة ثواب خارج عن فضل الجماعه والله اعلم **الثانيه عشر**
واختلفوا ايضا هل يفضل جماعه جماعة بالكثرة وفضيله الامام فقال
ملك لا وقال ابن حنبل وعنه نعم لان النبي صلى الله عليه وسلم قال
صلاه الرجل مع الرجل ازكى من صلاته وحده وصلاته مع الرجلين ازكى من صلاته
مع الرجل وما كثر فهو احب الى الله رواه ابي بن كعب خرجه ابو داود وفي
اسناده لين **الثالثة عشر** واختلفوا ايضا فيمن صلى في جماعه هل
يعيد صلاته تلك في جماعه اخرى فقال ملك وابو حنيفه والشافعي
واصحابهم انما يعيد الصلاه في جماعه مع الامام من صلى وحده في بيته واهله
او في غير بيته واما من صلى في جماعه وان قلت فانه لا يعيد في جماعه اكثر
منها ولا اقل وقال احمد بن حنبل واسحق بن راهويه وداود بن علي جائز لمن
صلى في جماعة ووجد جماعه اخرى في تلك الصلاه ان يعيدها معهم ان
شا لانها نافله وسنه وروي ذلك عن حذيفه بن اليماني وابي موسى الاشعري
وانس بن ملك وصله بن زفر والشعبي والنخعي وبه قال حماد بن زيد وسليمن
بن يسار عن ابن عمر واتفق احمد واسحق على ان معنى هذا الحديث ان يصلي

الانسان الفريضة حين يقوم فيصليها ثانية ينوي بها الفرض مرة اخرى
فاما اذا صلاها مع الامام على انها سنة وتطوع فليس باعادة الصلاة
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للذين امرهم باعادة الصلاة
في جماعة انها لكم نافلة من حديث ابي ذر وغيره
لما قال تعالى مع الراكعين ودلت على الجمعية لما بينا دل ذلك على امام يتقدم
ويصلي بهم وقد اختلف العلما فيمن يكون اماما وفي صفته وهذا بسط القول
فيه فروى مسلم عن ابي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يؤم
اقروهم لكتاب الله فان كانوا في القراة سوا فاعلمهم بالسنة فان كانوا في
السنة سوا فاقدمهم هجرة فان كانوا في الهجرة سوا فاقدمهم سلما ولا
يؤمن الرجل الرجل في سلطانه ولا يقعد في بيته على تكرمته الا باذنه وفي
رواية سنا مكان سلما واخرجه الترمذي وقال حديث ابي مسعود
حديث حسن صحيح والعمل عليه عند اهل العلم قالوا احق الناس بالامامة
اقراهم لكتاب الله واعلمهم بالسنة وقالوا صاحب المنزل احق بالامامة
وقال بعضهم اذا اذن صاحب المنزل لغيره فلا باس ان يصلي به وكرهه
بعضهم وقالوا السنة ان يصلي صاحب البيت قال ابن المنذر روينا عن
الاشعث بن قيس انه قدم غلاما وقال انما اقدم القران وممن قال
يؤم القوم اقروهم ابن سيرين والثوري واسحق واصحاب الراي قال ابن
المنذر بهذا نقول لانه موافق للسنة وقال مالك يتقدم القوم اعلمهم
اذا كانت حاله حسنة وان للسن حقا وقال الاوزاعي يؤمهم افقههم وكذلك
قال الشافعي وابو ثور واذا كان يقرا القران وذلك لان الفقيه اعرف بما ينوبه
من الحوادث في الصلاة وتاولوا الحديث بان الاقرا من الصحابة كان

الافقه

الافقه لانهم يفقهون في القران وقد كان من عرف من الغالب تسميتهم
الفقها بالقرا واستدلوا بتقديم النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي
مات فيه ابا بكر لفضله وعلمه وقال اسحق انما قدمه النبي صلى الله عليه
وسلم ليدل انه الخليفه بعده ذكر ذلك ابو عمر في التمهيد وروى ابو بكر البزار
باسناد حسن عن ابي هريرة قال قال رسول صلى الله عليه وسلم اذا
سافرتم فليؤمكم اقراوكم وان كان اصغركم واذا امكم فهو اميركم قال لا
نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الا من رواية الا من رواية ابي
هريرة بهذا الاسناد قلت امامة الصغير جايزة اذا كان قاريا لما
في صحيح البخاري عن عمرو بن سلمة قال كنا بما ممر الناس وكان يمر بنا الركبان
فنسألهم ما للناس ما هذا الرجل فيقولون يزعم ان الله ارسله اوحى اليه
كذا اوحى اليه كذا فكنت احفظ ذلك الكلام فكانما يقرا في صدري وكانت
العرب تلوم باسلامها فيقولون اتركوه وقومه فانه ان ظهر عليهم
فهو نبي صادق فلما كانت وقعة الفتح بادر كل قوم باسلامهم
فلما قدم قال جئتكم والله من عند نبي الله حقا قال صلوا صلاة كذا
في حين كذا وصلاة كذا في حين كذا فاذا حضرت الصلاة فليؤذن احدكم
وليؤمكم اكثركم قرانا فنظروا فلم يكن احد اكثر مني قرانا لما كنت
اتلقى من الركبان فقدموني بين ايديهم وانا ابن ست سنين او سبع
سنين وكانت علي بردة اذا سجدت تقلصت عني فقالت امراة من
الحي الا تغطوا است قاريكم فاشتروا فقطعوا لي قميصا فما فرحت
بشي فرحي بذلك القميص وممن اجاز امامة الصبي غير البالغ الحسن
البصري واسحق واختاره ابن المنذر اذا عقل الصلاة وقام بها لدخوله

في جمله قوله صلى الله عليه وسلم يوم القوم اقراهم ولم يستثن
والحديث عمرو بن سلمه وقال الشافعي في احد قوليه يوم في ساير
الصلوات ولا يوم في يوم الجمعة وقد كان قبل يقول ومن اجازت
امامته في المكتوبه اجازت امامته في الاعياد غير اني اكره فيها امامه
غير الوالي وقال الاوزاعي لا يوم الغلام في الصلاه المكتوبه حتى
يحتلم الا ان يكون قوم ليس معهم من القران شي فانه يومهم الغلام
المراهق وقال الزهري ان اضطر واالیه امهم ومنع ذلك جمله مالك
والثوري واصحاب الراي

اجازت

الايتمام برجل بالغ مسلم
حر على استقامه جايز من غير خلاف اذا كان يعلم حدود الصلاه ولم يكن
يلحن في ام القران لحنا يحيل المعنى مثل ان يكسر الكاف في اياك ويضم التا في
انعمت ومنهم من راعى تفريق الظا من الضاد وان لم يفرق بينهما لا تصح
امامته لان معناهما يختلف ومنهم من يخص في ذلك اذا كان جاهلا بالقراه
وام مثله ولا يجوز الايتمام بامراة ولا خنثى مشكل ولا كافر ولا مجنون
ولا امي ولا يكون واحد من هولا ولا اماما بحال من الاحوال عند اكثر
العلما الا الامي مثله قال علماونا لا امامة الامي الذي لا يحسن القراه مع
حضور القاري له ولا لغيره ولذلك قال الشافعي فان ام اميا مثله صحت
صلاتهم عندنا وعند الشافعي وقال ابو حنيفه اذا صلى الامي بقوم يقرون
وبقوم اميين فصلاتهم كلهم فاسده وخالفه ابو يوسف فقال صلاه الامام
ومن لا يقرا تامة وقالت فرقه صلاتهم كلهم جايزه لان كلا مودي فرضه
وذلك مثل المتيمم يصلي بالمتطهرين بالما والمصلي قاعدا يصلي بقوم قيام صلاتهم
مجزيه في قول من خالفنا لان كلا مودي فرض نفسه **قلت** وقد يحتج لهذا

القول

القول من السنه بقول النبي صلى الله عليه وسلم الا ينظر المصلي كيف
يصلي فانما يصلي لنفسه خرجه مسلم وان صلاه المأموم ليست مرتبطه
بصلاه الامام والله اعلم وكان عطا بن ابي رباح يقول اذا كانت امراته
تقرا البقره هو وتقرا هي فاذا فرغت من القراه كبر وركع وسجد وهي خلفه
تصلي وروي هذا المعنى عن قتادة ولا باس
بامامة الاعمى والاعرج والاشل والاقطع والخصي والعبد اذا
كان كل واحد منهم عالما بالصلاة وقال ابن وهب لا ارى ان
يوم الاقطع والاشل لانه منتقص عن درجة الكمال وكرهت
امامته لاجل النقص وخالفه جمهور اصحابه وهو الصحيح لانه
عضو لا يمنع فقده فرضا من فروض الصلاة فجازت الامامه الراتبه
مع فقده كالعين وقد روى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم استخلف
ابن ام مكتوم يوم الناس وهو اعمى وكذا الاعرج والاقطع والاشل
والخصي قياسا ونظرا والله اعلم وقد روي عن ابن ملك انه قال
في الاعمى وما حاجتهم اليه وكان ابن عباس وعتبان بن ملك يؤمان
وكلاهما اعمى وعليه عامة العلما واختلفوا في
امامة ولد الزنا فقال ملك اكره ان يكون اماما راتبا وكره ذلك عمر
بن عبد العزيز وكان عطا بن ابي رباح يقول له ان يوم اذا كان مرضيا
وهو قول الحسن البصري والزهري والنخعي وسفين الثوري والاوزاعي
واحمد واسحق وتجزي الصلاه خلفه عند اصحاب الراي وغيره احب
اليهم وقال الشافعي اكره ان ينصب اماما راتبا من لا يعرف ابوه ومن
صلى خلفه اجزاه وقال عيسى بن دينار لا اقول بقول ملك في امامة

ولد الزنا وليس عليه ذنب ابويه شي ونحو وقال ابن عبد الحكم اذا
كان في نفسه اهلا للامامه قال ابن المنذر يوم لدخوله في جمله قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القوم اقراهم وقال ابو عمر ليس في
شي من الاثار الوارده في شرط الامامه ما يدل على مراعاة نسب وانما فيها
الدلاله على الفقه والقراة والصلاح في الدين

واما العبد فروى البخاري عن ابن عمر قال لما قدم المهاجرون الاولون
العصبه موضعا بقبا قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم كان يومهم
سالم مولى ابي حذيفه يوم المهاجرين الاولين واصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
في مسجد قبا فيهم ابو بكر وعمر وزيد وعامر بن ربيعه وكانت عايشه يومها
عبدها ذكوان من المصحف قال ابن المنذر وام ابو سعيد مولى ابي
اسيد وهو عبد نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم
حذيفه وابو مسعود ورخص في امامه العبد النخعي والشعبي والحسن
البصري والحكم والثوري والشافعي واحمد واسحق واصحاب الراي وكره ذلك
ابو مجلز وقال ملك لا يومهم الا ان يكون العبد قاريا ومن معه من الاحرار
لا يقرون الا ان يكون في عيد وجمعة فان العبد لا يومهم فيها ويجزي عند
الاوزاعي ان صلوا وراه قال ابن المنذر العبد داخل في جمله قول النبي صلى الله
عليه وسلم يوم القوم اقراهم

واما المراة فروى البخاري
عن ابي بكرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل فارس قد ملكوا
بنت كسرى قال لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة وذكر ابو داود عن عبد الرحمن
بن خلاد عن ام ورقه بنت عبد الله قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزورها في بيتها قال وجعل لها موذنا يوذن لها وامرها ان تؤم اهل دارها

تؤم

قال عبد الرحمن فانا رايت موذنها شيخا كبيرا قال بن المنذر والشافعي
بوجوب الاعادة على من الرجال خلف المراة وقال ابو ثور لا اعادة عليهم
وهذا قياس قول المزني قلت وقال علماونا لا تصح امامتها للرجال ولا
للنسا وروي بن ايمن جواز امامتها للنسا واما امامة الخنثى المشكل فقال
الشافعي لا يوم الرجال ويوم النسا وقال ملك لا يكون اماما حال
وهو قول اكثر الفقها الكافر المخالف كاليهود والنصارى
يوم المسلمين وهم لا يعلمون بكفره فقال الشافعي واحمد يقولان لا تجزيهم
ويعيد وقد قاله ملك واصحابه لانه ليس من اهل القربة وقال
الاوزاعي يعاقب وقال ابو ثور والمزني لا اعادة على من صلى خلفه ولا يكون
بصلاته مسلما عند الشافعي وابي ثور وقال احمد يجبر على الاسلام

واما اهل البدع من اهل الاهوا كالمعتزلة والجهمية
وغيرهما فذكر البخاري عن الحسن صل وعليه بدعته وقال احمد لا يصلى
خلف احد من اهل الاهوا اذا كان داعيه الى هواه وقال ملك ويصلى خلف
ايمة الجور ولا يصلى خلف اهل البدع من القدرية وغيرهم قال بن المنذر
كل من اخرجته بدعته الى الكفر لم تجز الصلاه خلفه ومن لم يكن كذلك فالصلاة خلفه
جايزة ولا يجوز تقديم من هذه صفته واما الفاسق بجوارحه
كالزاني وشارب الخمر ونحو ذلك فاختلف المذهب فيه فقال بن حبيب من صلى وراء
من شرب الخمر فانه يعيد ابدا الا ان يكون الوالي الذي يودي اليه الطاعة فلا اعادة
على من صلى خلفه الا ان يكون حينيذ سكران قاله من لقيت من اصحاب ملك وروي
من حديث جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المنبر لا تومن
امراة رجلا ولا يوم اعرابي مهاجرا ولا يوم فاجر برا الا ان يكون ذا سلطان

من صلى

قال ابو محمد عبد الحق هذا يرويه علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن
المسيب والاكثر يضعف علي بن زيد وروى الدارقطني عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سركم ان تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم
في اسناده ابو الوليد خالد بن اسمعيل المخزومي وهو ضعيف قاله الدارقطني
وقال فيه ابو احمد بن عدي كان يضع الحديث على ثقات المسلمين وحديثه
هذا يرويه عن ابن جريج عن عطا عن ابي هريرة وذكر الدارقطني عن سلام بن
سليمن عن عمر عن محمد بن واسع عن سعيد بن جبير عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا ائمتكم خياركم فانهم وفدكم فيما بينكم وبين الله
قال الدارقطني هذا هو عندي عمر بن يزيد قاضي المداين وسلام بن سليمن
ايضا مدايني ليس بالقوي قاله عبد الحق روى الائمة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما جعل الامام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه
فاذا كبر فكبروا واذا ركع فاركعوا واذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا
ولك الحمد واذا سجد فاسجدوا واذا صلى جالسا فصلوا جلوسا اجمعون
وقد اختلف العلما فيمن ركع او خفض قبل الامام عامدا على قولين احدهما
ان صلاته فاسدة ان فعل ذلك فيها كلها او في اكثرها وهو قول اهل الظاهر
وروي عن ابي عمر بن عبد البر بسنده قال حدثنا ابن علية عن ايوب عن ابي قلابة عن ابي
الورد الانصاري قال صليت الى جنب ابن عمر فجعلت ارفع قبل الامام واضع
فلما سلم الامام اخذ ابن عمر بيدي فلواني وجذبني فقلت ما لك قال من
انت فقلت فلان بن فلان قال انت من اهل بيت صدق فما يمنعك ان
تصلي ولت او ما رايتني الى جنبك قال قد رايتك ترفع قبل الامام
وتضع قبله وانه لا صلاة لمن خالف الامام وقال الحسن بن حي فيمن ركع او

سجد

سجد قبل الامام ثم رفع من ركوعه او سجوده قبل ان يرفع الامام او يسجد
لم يعتد بذلك ولم يجزه قال ابو عمر قال اكثر الفقها من فعل ذلك فقد اسا ولم
تفسد صلاته لان الاصل في صلاة الجماعة والايتمام فيها بالايمة سنة حسنة
فمن خالفها بعد ان ادى فرض صلاته بطهارتها وركوعها وسجودها وفرايضها فليس
عليه اعادتها وان اسقط بعض سننها لانه لو شا ان ينفرد بنفرد فصلى قبل
امامه تلك الصلاة اجزات عنه وبيس ما صنع في ترك الجماعة قالوا ومن
ترك دخل في صلاة الامام فمن ركع بركوعه وسجد بسجوده ولم يكن في ركعة
وامامه في اخرى فقد اقتدى وان كان يرفع قبله ويخفض قبله لانه بركوعه
يركع وبسجوده يسجد ويرفع وهو في ذلك تبع له الا انه مسي في فعله ذلك
لخلافه سنة الماموم المجتمع عليها **قلت** ما حكاه ابن عبد البر عن الجمهور ينبني
على ان صلاة الماموم عندهم غير مرتبطة بصلاة الامام لان الاتباع الحسي
والشرعي مفقود وليس الامر هكذا عند اكثرهم والصحيح في الاثر والنظر
القول الاول فان الامام انما جعل ليوتم به ويقتدى بافعاله ومنه قوله
تعالى اني جاعلك للناس اماما اي يأتمون بك على ما ياتي بيانه هذا حقيقة
الامام لغة وشرعا فمن خالف امامه لم يتبعه ثم ان النبي صلى الله عليه
وسلم بين فقال اذا كبر فكبروا الحديث فاتى بالفا التي توجب التعقيب
وهو المبين عن الله مراده ثم اوعد على من رفع او ركع قبل وعيدا شديدا
فقال اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس
حمار او صورته صورة حمار اخرجه الموطا والبخاري ومسلم وابو داود
وقال ابو هريرة انما ناصيته بيد شيطان وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم دل على ابليس عليه رد فانه مردود يعني مرد ودا لمن تعمد خلاف امامه عالما

فانه مامورا باتباعه منهي عن مخالفته فقد استخف بصلاته وخالف ما امر
به فواجب ان لا تجزى عنه صلاته تلك والله اعلم

فان رفع راسه ساهيا قبل الامام فقال ملك رحمه الله في موطايه السنه
فيمن سها ففعل ذلك في ركوع او سجود ان يرجع راكعا او ساجدا ولا ينتظر
الامام وذلك خطا ممن لان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما جعل الاما م
ليوتم به فلا تختلفوا عليه قال بن عبد البر ظاهر قول ملك هذا لا يوجب
الاعاده على من فعله عامدا لقوله وذلك خطا ممن فعله لان الساهي الاثم عنه
موضوع وهذا الخلاف انما هو فيما عدا تكبيرة الاحرام
والسلام اما السلام فقد تقدم القول فيه واما تكبيرة الاحرام فالجمهور على ان
تكبيرة الماموم لا تجوز الا بعد تكبيرة الامام الاما روي عن الشافعي في احد قوليه انه
ان كبر قبل امامه تكبيرة الاحرام اجزات عنه لحديث ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم جا الى الصلاة فلما كبر انصرف واوما اليهم ان كما انتم ثم خرج
ثم جا وراسه يقطر فصلى بهم فلما انصرف قال اني كنت جنبا فنسيت ان اغتسل
ومن حديث انس فكبر وكبرنا معه وسياتي بيان هذا عند قوله ولا
جنبا في النسا ان شا الله تعالى روى مسلم عن بن مسعود
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول استووا
ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم وليليني منكم اولوا الاحلام والنهى ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم قال بن مسعود فانتم اليوم اشد اختلافا زاد من
حديث عبد الله واياكم وهيشات الاسواق قال العلما قوله استووا
امر هم بتسويه الصفوف وخاصة الصف الاول وهو الذي يلي الاما م
على ما ياتي بيانه في سورة الحجر ان شا الله تعالى واختلف

العلما

العلما في كيفيه الجلوس في الصلاه لاختلاف الاثار في ذلك فقال مالك
واصحابه يفضي المصلي باليته الى الارض وينصب رجله اليمنى ويثني رجله
اليسرى لما رواه في موطيه عن يحيى بن سعيد ان القاسم بن محمد اراهم
الجلوس في التشهد فنصب رجله اليمنى وثنى رجله اليسرى وقعد على
وركه الايسر ولم يجلس على قدمه ثم قال اراني هذا عبد الله بن عمر وحدثني
ان اباه كان يفعل ذلك قلت وهذا المعنى قد جا في صحيح مسلم عن عايشه
وفيه انه عليه السلام كان يفرش رجله اليسرى وينصب اليمنى وكان ينهى
عن عقبه الشيطان وينهى ان يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع
وكان يختم الصلاه بالتسليم قلت ولهذا المعنى والله اعلم قال ابن عمر
انما سنه الصلاه ان تنصب رجلك اليمنى وتثني اليسرى وقال الثوري
وابو حنيفه واصحابه والحسن بن حي نصب اليمنى ويقعد على
اليسرى لحديث وايل بن حجر وبذلك قال الشافعي واحمد واسحاق
في الجلسه الوسطى وقالوا في الاخيره من الظهر او العصر او المغرب او
العشا هو على ما ذكر لحديث ابي حميد الساعدي رواه البخاري
قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم اذا كبر جعل يديه حذو منكبيه
واذا ركع امكن يديه من ركبتيه ثم هصر ظهره فاذا رفع استوى
حتى يعود كل فقار مكانه فاذا سجد وضع يديه غير مفترش ولا
قابضهما واستقبل باطراف اصابع رجليه القبله واذا جلس في
الركعتين جلس على رجله اليسرى وينصب الاخرى واذا جلس في
الركعه الاخيره قدم رجله اليسرى ونصب اليمنى وقعد على مقعدته
وقال الطبري ان فعل هذا فحسن كل ذلك قد ثبت عن النبي صلى الله عليه

وسلم   روى ملك عن مسلم بن ابي مريم عن
بن عبد الرحمن المعاوي انه قال رآني عبد الله بن عمر وانا اعبث بالحصبا
في الصلاة فلما انصرف نهاني وقال اصنع كما كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصنع قلت وكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصنع قال كان اذا جلس في الصلاة وضع كفه اليمنى على فخذه اليمنى
وقبض اصابعه كلها واشار باصبعه التي تلي الابهام ووضع كفه
اليسرى على فخذه اليسرى وقال هكذا كان يفعل قال ابن عبد البر وما
وصفه ابن عمر من وضع كفه اليمنى على فخذه اليمنى وقبض اصابع يده
كلها الا السبابة منها فانه يشير بها ووضع كفه اليسرى على فخذه
اليسرى مفتوحة مفروجة الاصابع كل ذلك سنة في الجلوس في
الصلاة مجتمع عليها لا خلاف علمته بين العلماء فيها وحسبك بهذا انهم اختلفوا
في تحريك اصبعه السبابة فمنهم من راى تحريكها ومنهم من لم يره وكل
ذلك مروي في الاثار الصحاح المسندة عن النبي صلى الله عليه وسلم وجميعه
مباح والحمد لله وروى سفين بن عيينة هذا الحديث عن مسلم بن ابي
مريم بمعنى ما رواه ملك وزاد فيه قال سفين وكان يحيى بن سعيد
حدثناه عن مسلم بن ابي مريم ثم لقيته فسمعته منه وزاد فيه قال
هي مذبة الشيطان لا يسهو احدكم ما دام يشير باصبعه اذا دعا ولا
يحركها والى هذا ذهب بعض العراقيين من علمائنا وغيرهم فمنع من
تحريكها وراوا ان مدها اشارة الى دوام التوحيد وذهب اكثر
العلماء من اصحاب ملك وغيرهم الى تحريكها الا انهم اختلفوا في
الموالاة بالتحريك على قولين فاول من راى الموالاة بان قال ان ذلك يذكر
بموالاته

روى ابو داود في حديث ابن الزبير انه عليه الصلاة والسلام كان يشير باصبعه اذا دعا ولا يحركها ثم

يتاوله الحضور في الصلاة بانها مقمعة ومدفعة للشيطان على ما
روي سفين ومن لم يتاول راي تحريكها عند التلفظ بكلمتي الشهادة
وتاول في الحركة كانها نطق تلك الجارحة بالتوحيد والله اعلم
واختلفوا في جلوس المراة في الصلاة فقال
ملك هي كالرجل لا تخالفه فيما بعد الاحرام الا في اللباس والجهر وقال
الثوري تسدل المراة رجليها من جانب واحد ورواه عن ابراهيم النخعي
وقال ابو حنيفة واصحابه تجلس المراة كايسر ما يكون لها وهو قول
الشعبي تقعد كيف تيسر لها وقال الشافعي تجلس باستر ما يكون لها
روى مسلم عن طاوس قال قلنا لابن عباس في
الاقعا على القدمين فقال هي السنة فقلنا انا لنراه جفا بالرجل فقال بل
هي سنة نبيك صلى الله عليه وسلم وقد اختلف العلما في صفة الاقعا ما هو
فقال ابو عبيد الاقعا جلوس الرجل على اليتيه ناصبا فخذيه مثل
اقعا الكلب والسبع قال بن عبد البر وهذا اقعا مجتمع عليه لا
يختلف العلما فيه وهذا تفسير اهل اللغة وطايفة من اهل الفقه
وقال ابو عبيد واما اهل الحديث فانهم يجعلون الاقعا ان يجعل
اليتيه على عقبيه بين السجدتين قال القاضي عياض والاشبه عندي
في تاويل الاقعا الذي قال فيه بن عباس انه من السنة الذي فسر به
الفقها من وضع الاليتين على العقبين بين السجدتين ولذا جا مفسرا عن
بن عباس من السنة ان تمس اليتك رواه ابرهيم بن ميسرة عن طاوس عنه
ذكره ابو عمر قال القاضي وقد روى عن جماعة من السلف والصحابة انهم
كانوا يفعلونه ولم يقل بذلك عامة فقها الامصار وسموه اقعا ذكر

عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن ابيه انه راى ابن عمر وابن عباس
وابن الزبير يقعون بين السجدتين لم يختلف من قال
من العلماء بوجوب التسليم وبعدم وجوبه ان التسليمة الثانية ليست
بفرض الا ما روي عن الحسن بن حي انه اوجب التسليمتين معا قال
الطحاوي لم نجد عن احد من اهل العلم الذين ذهبوا الى التسليمتين ان الثانية من
فرائضها غيره قال ابن عبد البر من حجة الحسن بن صالح في ايجابه التسليمتين
جميعا وقوله ان من احدث بعد الاولى وقبل الثانية فسدت صلاته قوله
صلى الله عليه وسلم وتحليلها التسليم ثم بين كيف التسلام فكان يسلم عن يمينه وعن
يساره وحجة من اوجب التسليمة الواحدة دون الثانية قوله وتحليلها التسليم
قالوا والواحدة يقع عليها اسم تسليم قلت هذه المسئلة مبنية على الاخذ
باقل الاسم او باخره ولما كان الدخول في الصلاة بتكبير واحد باجماع
فكذلك الخروج منها بتسليم واحد الا انه تواترت السنن من حديث ابن
مسعود وهو اكثرها تواترا ومن حديث وايل بن حجر الحضرمي وحديث
عمار وحديث البرا بن عازب وحديث ابن عمر وحديث سعد بن ابي وقاص
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمتين وروى ابن جريج وسليمن
بن بلال وعبد العزيز بن محمد الدراوردي كلهم عن عمرو بن يحيى المازني
عن محمد بن يحيى بن حبان عن عمه واسع بن حبان قال قلت لابن عمر حدثني عن
صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كانت فذكر التكبير كلما رفع
راسه وكلما خفضه وذكر السلام السلام عليكم ورحمة الله عن يمينه السلام عليكم
السلام ورحمة الله عن يساره قال ابن عبد البر وهذا اسناد مدني صحيح
والعمل المشهور بالمدينة التسليمة الواحدة وهو عمل قد توارثه اهل المدينة

ابرا

كابرا عن كابر ومثله يصح فيه الاحتجاج بالعمل في بلد لانه لا يخفى لوقوعه
في كل يوم مرارا ولذلك العمل بالمدينة وغيرها مستفيض عندهم
بالتسليمتين متوارث عندهم ايضا وكلما جرى هذا المجرى فهو اختلاف
في المباح كالاذان ولذلك لا يروى عن عالم بالحجاز ولا بالعراق ولا بالشام
ولا بمصر انكار التسليمة الواحدة ولا انكار التسليمتين بل ذلك عندهم
معروف وحديث التسليمة الواحدة رواه سعد بن ابي وقاص وعائشة
وانس الا انها معلولة لا يصححها اهل العلم بالحديث
روى الدارقطني عن ابن مسعود انه قال من السنة ان يخفى التشهد واختار
مالك تشهد عمر بن الخطاب وهو التحيات لله الزاكيات لله الطيبات الصلوات
لله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله واختار
الشافعي واصحابه والليث بن سعد تشهد ابن عباس قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القران فكان يقول التحيات
المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
رسول رواه مسلم واختار الثوري والكوفيون واكثر اهل الحديث تشهد
ابن مسعود الذي رواه مسلم ايضا قال كنا نقول في الصلاة خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم السلام على الله السلام على فلان فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذات يوم ان الله هو السلام فاذا قعد احدكم في الصلاة فليقل
التحيات لله والطيبات والصلوات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فاذا قالها اصابت كل عبد صالح في السما

والارض اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ثم تخير من
المسئله ما شا وابه قال احمد واسحق وداود وكان احمد بن خالد بالاندلس
يختاره ويميل اليه وروي عن ابي موسى مرفوعا وموقوفا عن تشهد بن
مسعود وهذا كله اختلاف في مباح ليس فيه شي على الوجوب قلت
فهذه جمله احكام الامام والماموم تضمنها قوله تعالى واركعوا مع الراكعين
وسياتي القول في القيام في الصلاه عند قوله تعالى وقوموا لله قانتين وياتي
هنا لحكم الامام المريض وغيره من احكام الصلاة وياتي في آل عمران حكم
صلاة المريض الامام وياتي في النسا في صلاة الخوف حكم المفترض خلف
المتنفل وياتي في سورة مريم حكم الامام يصلي ارفع من الماموم الى غير ذلك
من الاوقات والاذان والمساجد وهذا كله بيان لقوله تعالى واقيموا الصلاه
وقد تقدم اول الكتاب جملة من احكامها والحمد لله على ذلك تعالى اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون فيه تسع مسايل
قوله تعالى اتامرون الناس هذا استفهام معناه التوبيخ والمراد
في قول اهل التاويل علما اليهود الذين كانوا يدعون الاوس والخزرج الى
الايمان به فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم آمن به الاوس والخزرج وكفروا
به اليهود وجحدوا فنزلت هذه الاية اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
الاية وقال بن عباس كان يهود المدينة يقول الرجل منهم لصهره ولذي
قرابته ولمن بينه وبينه رضاع اثبت على الذي انت عليه وما يامرك به
هذا الرجل يريد محمدا صلى الله عليه وسلم فان امره حق فكانوا يامرون
الناس بذلك ولا يفعلونه وعن بن عباس ايضا كان الاحبار يامرون
مقلديهم واتباعهم باتباع التوراة وكانوا يخالفونها في جحدهم صفة

[margin:] وكانوا ينتظرونه ... الخزرج الذي ... صلى الله عليه وسلم ...

محمد

مالی عشرینه

حبا به

محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج كانوا يحضون على طاعة الله وكانوا
هم يواقعون المعاصي وقالت فرقة كانوا يحضون على الصدقة ويبخلو[ن]
والمعنى متقارب وقال بعض اهل الاشارات المعنى انطالبون الناس
بحقايق المعاني وانتم خالون عن ظواهر رسومها   قال قتاده
في هذه الاية دليل على ان من امر بخير فليكن اشد الناس تسارعا اليه ومن
نهى عن شي فليكن اشد الناس انتهاعنه ويقال نزلت في شان الخطبا روي
هشام الدستوائي عن المغيرة وهو ختن مالك بن دينار عن ثمامه عن انس
قال لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم مر على قوم تقرض شفاههم فقال
يا جبريل من هولا فقال هم الخطبا من امتك الذين يامرون الناس بالبر
وينسون انفسهم وروى حماد بن زيد عن علي بن زيد عن ابن عباس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليله اسري بي على اناس تقرض
شفاههم بمقاريض من نار فقلت يا جبريل من هولا قال هولا الخطبا
من امتك يامرون الناس بالمعروف وينسون انفسهم وهم يتلون
الكتاب افلا يعقلون   في شدة عذاب من هذه صفته روى
ابو امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يامرون
الناس بالبر وينسون انفسهم يجرون قصبهم في نار جهنم فيقال لهم من انتم
فيقولون نحن الذين كنا نامر بالمعروف وننسى انفسنا قلت وهذا الحديث
وان كان فيه لين لان في سنده الخصيب بن جحدر وكان الامام احمد بن حنبل يستضعفه
وكذلك ابن معين يرويه عن ابي غالب عن ابي امامة صدي بن عجلان وابو غالب
هو فيما حكى يحيى بن معين حزور القرشي مولى خالد بن عبد الله بن اسيد وقيل
مولى باهله وقيل مولى عبد الرحمن الحضرمي كان يختلف الى الشام في تجارته قال

يحيى هو صالح الحديث وقال البخاري في التاريخ وقال حسين بن واقد
عن ابي غالب كنت اختلف الى الشام في تجارتي وعظم ما كنت اختلف من اجل
ابي امامه وقال جعفر بن سليمن سالت ابا غالب ممن انت فقال اعتقني عبد
الرحمن الحضرمي سمع ابا امامه بالشام سمع منه بن عيينه **قلت**
حديثه هذا صحيح يدل على صحته ما خرجه مسلم عن اسامه بن زيد
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوتى يوم القيمة
بالرجل فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار
بالرحى فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يا فلان ما لك الم تكن تامر بالمعروف
وتنهى عن المنكر فيقول بلى قد كنت امر بالمعروف ولا اتيه وانهى عن المنكر
واتيه القصب بضم القاف والصاد المهمله المعا وجمعه اقصاب والاقتاب
الامعا واحدها قتب ومعنى فتندلق تخرج بسرعة وروينا ه فتنفلق
بدل فتندلق فقد دل الحديث الصحيح والفاظ الاية على ان عقوبه من
كان عالما بالمعروف وبالمنكر وبوجوب القيام بوظيفه كل واحد منها اشد
ممن لم يعلمه وانما ذلك لانه كالمستهين بحرمات الله ومستخف لاحكامه وهو
ممن لم ينتفع بعلمه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا
يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه خرجه بن ماجه في سننه وضعفه ابو
عيسى   اعلم وفقك الله ان التوبيخ في الاية بسبب ترك فعل البر لا
بسبب الامر وهكذا ذم الله تعالى في كتابه قوما كانوا يامرون باعمال
البر ولا يعملون بها ذما وبخهم به توبيخا يتلى على طول الدهر الى يوم القيمة
فقال اتامرون الناس بالبر الاية وقال منصور الفقيه فاحسن اذ قوما
يامرونا بالذي لا يفعلوه لمجانين وانهم لم يكونوا يصرعونا وقال ابو العتاهيه

يامرون

وصفت

٢٠٧

وصفت التقى حتى كانك ذو تقى وريح الخطايا من ثيابك يسطع وقال ابو الاسود الدولي لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وابدا بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حليم فهناك تقبل ان وعظت ويقتدى بالقول منك وينفع التعليم وقال ابو عمر بن مطر حضرت مجلس ابي عثمان الحيري فخرج وقعد على موضعه الذي كان يقعد عليه للتذكير فسكت حتى طال سكوته فناداه رجل كان يعرف بابي العباس نرى ان تقول في سكوتك شيا فانشا يقول وغير تقي يامر الناس بالتقى طبيب يداوي الناس والطبيب مريض قال فارتفعت الاصوات بالبكا والضجيج قال ابراهيم النخعي اني لاكره القصص لثلاث ايات قوله تعالى اتامرون الناس بالبر الايه وقوله لم تقولون ما لا تفعلون وقوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وقال سالم بن عمرو فاحسن ما اقبح التزهيد من واعظ يزهد الناس وهو لا يزهد لو كان في تزهيده صادقا اضحى وامسى بيته المسجد ان رفض الناس فما باله يستمنح الناس ويسترفد الرزق مقسوم على من ترى يسعى له الابيض والاسود وقال الحسن لمطرف بن عبد الله عظ اصحابك فقال اني اخاف ان اقول ما لا افعل قال يرحمك الله وايتا يفعل ما يقول ويود الشيطان انه قد ظفر بهذا فلم يامر احد بالمعروف ولم ينه عن منكر وقال ملك بن ربيعه بن ابي عبد الرحمن سمعت سعيد بن جبير يقول لو كان المرء لا يامر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شي ما امر احد بمعروف ولا نهى عن منكر قال ملك وصدق ومن ذا الذي ليس فيه شي قوله تعالى بالبر البر هنا الطاعه والبر الصدق والبر ولد الثعلب والبر سوق الغنم

طبيب يداوي الناس وهو مريض

ومنه قولهم لا يعرف هرا من برا اي لا يعرف دعا الغنم من سوقها فهو
مشترك وقال الشاعر لاهم رب ان بكرا دونكا يبرك الناس ويفجرونكا
اراد بقوله يبرك الناس اي يطيعونك ويقال ان البر بكسر البا الفواد في
قول الشاعر اكون مكان البر منه ودونه واجعل مالي دونه واوامن فاما
البر بضم البا فالمعروف وبفتحها الاجلال والتعظيم ومنه ولد بر وبار اي
يعظم والديه ويكرمهما قوله تعالى وتنسون انفسكم اي
تتركون والنسيان بكسر النون الترك وهو المراد هنا وفي قوله تعالى نسوا
الله فنسيهم وقوله فلما نسوا ما ذكروا به وقوله ولا تنسوا الفضل بينكم
ويكون خلاف الذكر والحفظ ومنه الحديث نسي ادم فنسيت ذريته
وسياتي ويقال رجل نسيان بفتح النون كثير النسيان للشي وقد نسيت الشي
نسيانا ولا يقول نسيانا بالتحريك لان النسيان انما هو تثنيه العرف وانفس
جمع نفس جمع قلة والنفس الروح قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين
موتها يريد الارواح في قول جماعة من اهل اللغة ويدل على ما ياتي وذلك
بين في قول بلال للنبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن شهاب اخذ بنفسي
يا رسول الله الذي اخذ بنفسك وقوله عليه السلام في حديث زيد
بن اسلم ان الله قبض ارواحنا ولو شا لردها الينا في حين غير هذا رواه
مالك وهو اولى ما يقال به والنفس ايضا الدم يقال سالت نفسه قال
الشاعر تسيل على حد السيوف نفوسنا وليست على غير الظبات
تسيل وقال ابرهيم النخعي ما ليس بنفس سايلة فانه لا ينجس الما اذا مات
فيه والنفس ايضا الجسد قال الشاعر نبيت ان بني سحيم ادخلوا ابياتهم
تامور نفس المنذر والتامور ايضا الدم
قوله تعالى

وانتم

وانتم تتلون الكتاب توبيخ عظيم لمن فهم وتتلون تقرؤون الكتاب التوراة وكذا
من فعل فعلهم كان مثلهم واصل التلاوة الاتباع وكذلك استعمل في القراءة
لانه يتبع بعض الكلام ببعض في حروفه حتى ياتي على نسقه يقال تلوته اذا تبعته
تلوا وتلوت القران تلاوة وتلوت الرجل تلوا اذا خذلته والتلية والتلاوة
بضم التاء البقية يقال بقيت لي من حقي تلاوة وتلية اي بقية واتليت
ابقيت وتتليت حقي اذا تتبعته حتى تستوفيه وقال ابو زيد
تلا الرجل اذا كان بآخر رمق قوله تعالى افلا تعقلون اي افلا
تمنعون انفسكم من مواقعة هذه الحال المردية لكم والعقل المنع ومنه عقال
البعير لانه يمنعه الحركة ومنه العقل للدية لانها تمنع ولي المقتول عن قتل
الجاني ومنه اعتقال البطن واللسان للحصن معقل والعقل نقيض الجهل
والعقل ثوب احمر تتخذه نساء العرب تغشي به الهوادج قال علقمة عقلا
ورقما يكاد الطير يختطفه كانه من دم الاجواف مدموم ويقال
العقل والرقم ضربان من البرود قال ابن فارس والعقل من شيات الثياب
ما كان نقشه طولا وما كان نقشه مستديرا فهو الرقم ومعنى مدموم
بالدال المهملة اي احمر وهو المراد في البيت والمدموم ايضا الممتلي شحما
من البقر وغيره وقال الزجاج العاقل من عمل بما اوجب الله عليه فمن
لم يعمل فهو جاهل في حقيقة العقل وماهيته اتفق اهل
الحق على ان العقل كائن موجود ليس بقديم ولا معدوم لانه لو كان معدوما
لما اختص بالاتصاف به بعض الناس دون بعض واذا ثبت وجوده
فيستحيل القول بقدمه اذ الدليل قد قام على ان لا قديم الا الله تعالى
على ما ياتي بيانه في هذه السورة وغيرها ان شاء الله تعالى وفي الخبر ان الله تعالى

لما خلق العقل قال وعزتي ما خلقت خلقا احب الي منك ولا كملتك فيمن احب
وروي في الخبر ان الله تعالى قال يا موسى انما اجزي الناس على قدر عقولهم
فقسم الله تعالى العقل بين خلقه على ما شا من المقادير فتفاوتت المقادير
في التفضيل فاوفرهم حظا من العقل ابصرهم بالامور وهو نور ومسكنه
الدماغ لان الدماغ محله الحس وقيل محله القلب لان القلب معدن
الحياه ومادة الحواس وقال الشيخ ابو الحسن الاشعري والاستاد ابو اسحق
الاسفرايني وغيرهما العقل هو العلم بدليل انه لا يقال عقلت وما علمت او
علمت وما عقلت وقال القاضي ابو بكر العقل علوم ضرورية بوجوب
الواجبات وجواز الجايزات واستحالات المستحيلات وهو اختيار
ابي المعالي في الارشاد واختار في البرهان انه صفه يتاتى بها درك العلوم
واعترض على مذهب القاضي واستدل على فساد مذهبه وحكى البرهان
عن المحاسبي انه قال العقل غريزة وحكى الاستاذ ابو بكر عن الشافعي وابي عبد
الله بن مجاهد انهما قالا العقل اله التمييز وحكى عن ابي العباس القلانسي انه
قال العقل قوة التمييز وحكى عن المحاسبي انه قال العقل انوار وبصاير ثم
رتب هذه الاقوال وحملها على محامل فقال والاولى ان يصح هذا النقل
عن الشافعي ولا عن ابن مجاهد فان الاله انما تستعمل في الاله المبنيه واستعما
لها في الاعراض مجاز وكذلك قول من قال انه قوة فانه لا يعقل من القوه
الا القدره والقلانسي اطلق ما اطلقه توسعا في العبارات وكذلك المحاسبي
والعقل ليس بصوره ولا نور ولكن يستفاد به الانوار والبصاير قلت
هذا ما رايت فيه لعلماينا وقد صارت الفلاسفه الى ان العقل قديم ثم منهم
من صار الى انه جوهر لطيف في البدن ينبث شعاعه فيه بمنزلة السراج في

البيت يفصل به بين حقايق المعلومات ومنهم من قال انه جوهر بسيط غير مركب وهذا القول في العقل بانه جوهر فاسد من حيث ان الجواهر متماثله فلو كان جوهر عقلا لكان كل جوهر عقلا وقيل ان العقل هو المدرك للاشيا على ما هي عليه من حقايق المعاني وهذا القول وان كان اقرب مما قبله فبعيد عن الصواب من جهة ان الادراك من صفات الحي والعقل عرض يستحيل ذلك منه كما يستحيل ان يكون ملتذا ومشتهيا بياض في نسخة الاصل

تعالى واستعينوا بالصبر والصلاه وانها لكبيرة الا على الخاشعين

فيه تسع مسايل قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاه

الصبر الحبس في اللغه وقتل فلان صبرًا اي امسك حتى اتلف وصبرت نفسي على الشي حبستها والمصبوره التي نهي عنها في الحديث هي المحبوسه على الموت وهي المجثمه قال عنتره فصبرت عارفه لذلك حره ترسو اذا نفس الجبان تطلع امر تعالى بالصبر على الطاعة وعن المخالفة في كتابه فقال واصبروا يقال فلان صابر عن المعاصي واذا صبر عن المعاصي فقد صبر على الطاعه هذا اصح ما قيل قال النحاس ولا يقال لمن صبر على المصيبه صابر انما يقال صابر على كذا فاذا قلت صابر مطلقا فهو على ما ذكرنا قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقد قيل الصبر على ثلاثه اوجه صبر على الشده والمصيبة وصبر على الطاعه وهو اسهل الاول واجر اكثر وصبر عن المعصية وهو اشد من الاول والثاني واجر اكثر منهما وفي هذا الموضع اراد به الصبر على الطاعه وقال استعينوا

بالصبر على نصرة محمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد استعينوا بالصبر اي بالصوم
وانما سمي الصبر صوما لان في الصوم حبسا عن الشراب والطعام والرفث
ويدل له قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب اي الصائمون
على ما ياتي   قوله تعالى والصلاة خص الصلاة بالذكر من بين ساير
العبادات تنويها بذكرها وكان عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ومنه
ما روي ان عبد الله بن عباس نعي له اخوه قثم وقيل بنت له وهو في سفر فاسترجع
وقال عورة سترها الله ومؤونة كفاها الله واجر ساقه الله ثم تنحى عن
الطريق وصلى ثم انصرف الى راحلته وهو يقرا واستعينوا بالصبر والصلاة
فالصلاة على هذا التاويل هي الشريعة وقال قوم هي الدعا على عرفها في اللغة
فتكون الاية على هذا التاويل مشبهة لقوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا
الله لان الثبات هو الصبر والذكر هو الدعا وعلى قول مجاهد ان الصبر الصوم
ومنه قيل لرمضان شهر الصبر فجا الصوم والصبر على هذا القول في الاية
متناسبا في ان الصيام يمنع الشهوات ويزهد في الدنيا والصلاة تنهى عن
الفحشا والمنكر وتخشع ويقرا فيها القران الذي يذكر الاخرة والله اعلم
اخلاق الانبيا والصالحين قال يحيى بن يمان الصبر ان لا تتمنى
حالة سوى ما رزقك الله والرضى بما قضى الله من امر دنياك واخرتك
وقال الشعبي قال علي رضي الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة الراس من
الجسد قال الطبري وصدق علي رضي الله عنه وذلك ان الايمان
معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالجوارح فمن لم يصبر على العمل
بجوارحه لم يستحق الايمان بالاطلاق فالصبر على العمل بالشرائع نظير الراس
من الجسد للانسان الذي لا تمام له الا به
وصف الله تعالى جزا

مطلب
الصبر على الاذا في الله من جهاد النفس
وقمعها عن شهواتها ومنعها عن تطاولها وهو من

الاعمال

الاعمال وجعل لها نهايه وحدا فقال من جا بالحسنه فله عسر امثالها وجعل جزا
الصدقه في سبيل الله فوق هذا فقال مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
كمثل حبه الايه وقال في الايه الاخرى كمثل جنه وجعل اجر الصابرين بغير حساب
تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ومدح اهله فقال ولمن صبر وغفران
ذلك لمن عزم الامور وقد قيل ان المراد بالصابرين في قوله تعالى انما يوفى الصابرون
اي الصايمون لقوله تعالى في صحيح السنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الصيام لي وانا
اجزي به فلم يذكر ثوابا مقدرا كما لم يذكره في الصبر والله اعلم
من فضل الصبر وصف الله تعالى نفسه به كما جا في حديث ابي موسى عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ليس احد وليس شي اصبر على اذى سمعه من الله تعالى
انهم ليدعون له ولدا وانه ليعافيهم ويرزقهم اخرجه البخاري قال علماونا
وصف الله تعالى بالصبر انما هو بمعنى الحلم ومعنى وصفه تعالى بالحلم هو تاخير
العقوبه عن المستحقين لها ووصفه تعالى بالصبر لم يرد في التنزيل وانما ورد في
حديث ابي موسى وتاوله اهل السنه على تاويل الحلم قاله ابن فورك وغيره وجا
في اسما الصبور للمبالغه في الحلم عمن عصاه قوله تعالى وانها
لكبيرة اختلف المتاولون في عود الضمير في قوله وانها فقيل على الصلاه وحدها
خاصة لانها تكبر على النفوس ما لا يكبر الصوم والصبر هنا الصوم فالصلاه
فيها سجن النفوس والصوم انما فيه منع الشهوه وليس شهوه واحده او
شهوتين اولا انما من منع جميع الشهوات فالصايم انما منع النسا والطعام
والشراب ثم ينبسط في ساير الشهوات من الكلام والمشي والنظر الى غير
ذلك من ملاقاه الخلق فيتسلا بتلك الاشيا عما منع والمصلي يمتنع من جميع
ذلك فجوارحه كلها مقيده بالصلاه عن جميع الشهوات واذا كان

ذلك كانت الصلاه اصعب على النفس ومكابدتها اشد فلذلك قال
وانها لكبيره وقيل عليهما والكنه كني عن الاغلب وهو الصلاه لقوله
والذين يكنزون الذهب والفضه ولا ينفقونها وقوله واذا راوا تجاره
او لهوا انفضوا اليها فرد الكنايه الى الصفه لانها الاغلب والاعم والى
التجاره لانها الافضل والاهم وقيل ان الصبر لما كان داخلا في الصلاه
اعاد عليها كما قال والله ورسوله احق ان يرضوه ولم يقل يرضوهما لان رضى
الرسول داخل في رضى الله جل وعز ومنه قول الشاعر ان شرخ الشباب
والشعر الاسود ما لم يعاض كان جنونا ولم يقل يعاضيا رد الى الشباب لان
الشعر داخل فيه وقيل رد الكنايه الى كل واحد منهما لكن حذف اختصارا
قال الله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه ايه ولم يقل ايتين وقال الشاعر
فمن يك امسى بالمدينه رحله فاني وقيار بها لغريب وقال اخر لكل هم من
الهموم سعه والصبح والمسى لا فلاح معه اراد لغريبان لا بقا معهما وقيل
على العباده التي تتضمنها بالمعنى ذكر الصبر والصلاه وقيل على المصدر وهي
الاستعانه التي يقتضيها قوله واستعينوا وقيل على اجابه محمد صلى الله عليه
وسلم لان الصبر والصلاه مما كان يدعوا اليه وقيل على الكعبه لان الامر بالصلاه
انما هو اليها فالله اعلم بالمراد من ذلك والاشبه الاول ولكبيره معناه ثقيله
شاقه وهو خبران ويجوز في غير القران وانه لكبيره الا على الخاشعين فانها
حقيقه عليهم قال ارباب المعاني الا على من ايدوا في الازل بخصايص الاجتبا والهدى

قوله تعالى الخاشعين الخاشعون جمع خاشع وهو المتواضع
والخشوع هيبه في النفوس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع قال قتاده
الخشوع في القلب وهو الخوف وغض البصر في الصلاه الزجاج الخاشع

الذى

الذى ترى عليه اثر الذل والخشوع عليه لخشوع الدار بعد البلى فهذا
هو الاصل قال النابغة رماد ككحل العين لايا ابينه ونوى كجذم
الحوض اثلم خاشع ومكان خاشع لا يهتدى له وخشعت الاصوات اى
سكنت وخشعت خراشى صدره اذا القى بزاقا لزجا وخشع ببصره اذا
غضه والخشعة قطعة من الارض رخوة وفى الحديث كانت خشعة على
الماء ثم دحيت بعد وبلدة خاشعة مغبرة لا منزل بها التاسعة قال
سفين الثورى سالت الاعمش عن الخشوع فقال يا ثورى انت تريد ان تكون
اماما للناس ولا تعرف الخشوع سالت ابرهيم النخعى عن الخشوع فقال اعيمش
تريد ان تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع ليس الخشوع باكل الخشن ولبس
الخشن وتطاطى الراس لكن الخشوع ان ترى الشريف والدنى فى الحق سواء وتخشع
لله فى كل فرض افترض عليك ونظر عمر رضى الله الى شاب قد نكس راسه
فقال يا هذا ارفع راسك فان الخشوع لا يزيد على ما فى القلب وقال على
بن ابى طالب رضى الله عنه الخشوع فى القلب وان تلين كفيك للمرء المسلم وان لا
تلتفت فى صلاتك وسياتى هذا فى سورة المومنين ان شاء الله فمن اظهر خشوعا
للناس فوق ما فى قلبه فانما اظهر نفاقا على نفاق قال سهل بن عبد الله لا
تكون خاشعا حتى تخشع كل جارحة على حدة لقول الله تعالى تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم قلت هذا هو الخشوع المحمود لان الخوف اذا
سكن القلب اوجب خشوع الظاهر فلا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقا
متادبا متذللا خائفا وجلا وقد كان السلف يجتهدون فى ستر ما
يظهر من ذلك واما المذموم فتكلفه والتباكى ومطاطاة الراس كما
يفعله الجهال ليروا بعين البر والاجلال وذلك خدع من الشيطان وتسويل

من نفس الانسان روي الحسن ان رجلا تنفس عند عمر رضي الله عنه كانه
كانه يتحازن فانكر عمر او قال فلكمه وكان عمر رضي الله عنه اذا تكلم
اسمع واذا مشى اسرع واذا ضرب اوجع وكان ناسكا صدقا وخاشعا
حقا وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال الخاشعون هم المومنون حقا

تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون
الذين في موضع خفض على النعت للخاشعين ويجوز الرفع على القطع والظن
هنا في قول الجمهور بمعنى اليقين ومنه قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه
وقوله وظنوا انهم مواقعوها وقال دريد بن الصمة فقلت لهم
ظنوا بالفي مدجج سراتهم بالفارسي المسرد وقال ابو دواد
رب هم فرجته بعزيم وغيوب كشفتها بظنون وقد قيل ان الظن في الايه
يصح ان يكون على بابه ويضمر في الكلام بذنوبهم فكانهم يتوقعون لقاءه
مذنبين ذكره المهدوي والماوردي ابن عطيه وهذا تعسف وزعم
الفرا ان الظن قد يقع بمعنى الكذب ولا يعرف ذلك البصريون واصل
الظن وقاعدته الشك مع ميل الى احد معتقديه وقد يوقع موقع
اليقين كما في هذه الايه وغيرها لكنه لا يوقع فيما قد خرج الى الحس لا
تقول العرب في رجل مرئي حاضر اظن هذا انسانا وانما تجد الاستعمال
فيما لم يخرج الى الحس بعد كهذه الايه والشعر وكقوله تعالى فظنوا انهم
مواقعوها وقد يجي الظن بمعنى اليقين وقد تقدم بيانه اول السورة وقد
سوت به ظنا واسات به الظن يدخلون الالف واللام ومعنى ملاقوا
ربهم جزاء ربهم وقيل جاء على المفاعله وهو من واحد مثل عافاه وانهم بفتح
الهمزه عطف على الاول ويجوز وانهم بكسرها على القطع اليه اي الى

ربهم

ربهم وقيل الى جزايه راجعون اقرار بالبعث والجزا والعرض على الملك الاعلى
تعالى يا بني اسرايل اذكروا نعمتي انعمت عليكم بعدنم واني
فضلتكم على العالمين يريد على عالمي زمانهم واهل كل زمان عالم وقد تقدم
في الفاتحه وقيل على كل العالمين بما جعل فيهم من الانبيا ورزقوا من المن
والسلوى وغير ذلك ولم يكن لاحد من العالمين غيرهم والله اعلم
تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا ولا تقبل منها شفاعة ولا يوخذ
منها عدل ولا هم ينصرون فيه سبع مسايل قوله تعالى
واتقوا يوما امر معناه الوعيد اي اتقوا عذاب يوم وهوله وهو يوم القيمه ايوم
وانتصب على المفعول باتقوا وقد تقدم معنى التقوى ويجوز في غير
القران يوم لا تجزي على الاضافه وفي الكلام حذف بين النحويين فيه اختلاف
قال البصريون التقدير يوما لا تجزي فيه نفس عن نفس شيا ثم حذف
فيه كما قال ويوما شهدناه سليما وعامرا اي شهدنا فيه وقال
الكساي هذا خطا لا يجوز حذف فيه ولكن التقدير اتقوا يوما لا تجزي
فيه نفس ثم حذف الها وانما يجوز حذف الها لان الظروف عنده لا يجوز
حذفها قال لا يجوز ان يقول هذا رجلا قصدت ولا رايت رجلا ارغب
وانت تريد قصدت اليه وارغب فيه وقال الفرا يجوز ان يحذف الها
وفيه وحكى المهدوي ان الوجهين جايزان عند سيبويه والاخفش
والزجاج قوله تعالى لا تجزي نفس عن نفس شيا اي نفس مومنه
عن نفس كافره وذلك انهم كانوا يقولون نحن من ولد ابراهيم خليل الرحمن
ومن ولد اسحق والله تعالى يقبل شفاعتهما فينا فنزلت هذه الايه لا تجزي
نفس عن نفس شيا لا توخذ نفس بذنب اخرى ولا تدفع عنها شيا تقول

جزاء عن هذا الامر يجزي كما يقول قضى عني واجزات بالسين اذا اكتفيت به قال
الشاعر   بان العد ربي الاقوام عار وان الحر يجزء بالكراع اي يكتفي بها
وهو في حديث عمر رضي الله عنه اذا اجزيت الماء لها على الماحري عنك
يريد اذا اصبت الماء على البول في الارض يجري عليه طهر المكان ولا حاجة بك
الى غسل ذلك الموضع وتنشف الماء بخرقة او غيرها كما يفعله كثير من الناس
وفي صحيح الحديث عن ابي برده بن نيار في الاضحية ولن تجزي عن احد بعدك
اي لن تغني لمعنى لا تجزي لا نقضي ولا تغني ولا تكفي ان لم يكن عليها شي فان كان
فانه يجزي ويقضي ويقع بغير اختيار دها من حسناتها ما عليك من الحقوق
كما في حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت
له مظلمة لاخيه من عرضه او شي فليتحلل منه اليوم قبل ان لا يكون دينار
ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان كان لم
يكن له حسنات اخذ من سيات صاحبه فحمل عليه خرجه البخاري ومثله حديثه
الاخر في المفلس وقد ذكرناه في التذكرة خرجه مسلم وقري يجزي بضم التا
والهمز واجزا بمعنى واحد وقد فرق بينها قوم فقالوا اجزا بمعنى قضى وكافا
واجزى بمعنى اغنى وكفى اجزاني الشي يجزي اي كفاني قال الشاعر واجزات
امر العالمين ولم يكن ليجزي الا كامل وابن كامل   قوله تعالى ولا تقبل
منها شفاعه قرا ابن كثير وابو عمرو وتقبل بالتا لان الشفاعة مونثه الباقون
باليا على التذكير لانها بمعنى الشفيع وقال الاخفش حسن التذكير لانك قد
فرقت كما تقدم في قوله فتلقى ادم من ربه كلمات   قوله تعالى شفاعه
الشفاعة ماخوذه من الشفع وهما الاثنان يقول كان وترا فشفعته
شفعا والشفعه منه لانك تضم ملك شريكك الى ملكك والشفيع

صاحب

صاحب الشفعه وصاحب الشفاعه وناقه شافع اذا اجتمع لها حمل وولد
يتبعها تقول منه شفعت الناقه شفعا وناقه شفوع وهي التي تجمع بين
محلبين في حلبه واحده واستشفعته الى فلان سالته ان يشفع لي اليه وتشفعت
اليه في فلان فشفعني فيه فالشفاعة اذا حقيقتها ضم غيرك الى جاهك ووسيلتك
وهي على التحقيق اظهار لمنزله الشفيع عند المشفع وايصال منفعه الى المشفوع
على ما ياتي بيانه في ايه الكرسي ان شا الله تعالى   قوله تعالى ولا يوخذ منها
عدل اي فدا والعدل بفتح العين الفدا وبكسرها المثل يقال عدل وعديل
للذي يماثلك في الوزن والقدر ويقال عدل هو الذي تساويه قيمه وقدرا
وان لم يكن من جنسه والعدل بالكسر هو الذي يساوي الشي من جنسه وفي
جرمه وحكى الطبري ان من العرب من يكسر العين من معنى الفديه فاما واحد
الاعدال فبالكسر لا غير   قوله تعالى ولا هم ينصرون اي يعانون
والنصر العون والانصار الاعوان ومنه قوله تعالى من انصاري الى الله اي
من ينصرني نصرته الى نصرتي وانتصر الرجل انتقم والنصر الاتيان يقال
نصرت ارض بني فلان اتيتها قال اذا دخل الشهر الحرام فودعي بلاد تميم وانصري
ارض عامري   والنصر المطر يقال نصرت الارض مطرت والنصر العطا
قال اني واسطار سطرن سطرا لقائل يا نصر نصر نصرا   وكان
سبب هذه الايه فيما ذكر المفسرون ان بني اسرايل قالوا نحن ابنا الله واحباوه
وابنا انبيايه وسيشفع لنا اباونا على ما تقدم فاعلمهم الله عن يوم القيمه
انه لا تقبل فيه الشفاعات ولا يوخذ فيه فديه وانما خص الشفاعه
والفديه والنصر بالذكر لانها هي المعاني التي اعتادها بنوا ادم في الدنيا فان
الواقع في الشده لا يتخلص الا بان يشفع له او ينصر او يفتدى   تعالى

يل
را
وسيشفع

واد انجيناكم من ال فرعون يسومونكم سو العذاب يذبحون ابناكم ويستحيون نساكم وفي ذلكم بلا من ربكم عظيم فيه ثلاثه عشره مسئله قوله تعالى واد انجيناكم اذ في موضع نصب عطف على اذكروا نعمتي والنجا من عدوكم وجعل الانبيا نبيكم والخطاب للموجودين والمراد من سلف من الاباكما قال تعالى انا لما طغى الما حملناكم في الجاريه اي حملنا اباكم وقيل انما قال انجيناكم لان نجاه الاباكان سببا لنجاه هولا المعنى ومعنى انجيناكم القيناكم على نجوه من الارض وهي ما ارتفع منه هذا هو الاصل ثم يسمى كل فايز ناجيا فالناجي من خرج من ضيق الى سعه وقرى واد نجيتكم على التوحيد قوله تعالى من ال فرعون ال فرعون قومه واتباعه واهل دينه وكذلك ال الرسول عليه السلام من هو على دينه وملته في عصره وساير الاعصار سوا كان نسيبا له او لم يكن ومن لم يكن على دينه وملته فليس من اله ولا اهله وان كان نسيبه وقريبه خلافا للرافضه حيث قالوا ان ال محمد صلى الله عليه وسلم فاطمه والحسن والحسين فقط دليلنا قوله تعالى واغرقنا ال فرعون ادخلوا ال فرعون اشد العذاب اي ال دينه ان لم يكن له ابن ولا بنت ولا اب ولا اخ ولا عم ولا عصبه ولانه لا خلاف ان من ليس بمومن ولا موحد فانه ليس من ال محمد صلى الله عليه وسلم وان كان قريبا له ولاجل هذا يقال ان ابا لهب وابا جهل ليسا من اله ولا من اهله وان كان بينهما وبين النبي صلى الله عليه وسلم قرابه ولاجل هذا قال الله تعالى في ابن نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح على ما ياتي وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا غير سر يقول ان ال ابي يعني فلانا ليسوا لي باوليا انما وليي الله وصالح المومنين وروى عنه عليه السلام انه قيل من ال محمد قال ال كل تقي الى يوم القيمه وقالت طايفه ال محمد صلى الله عليه وسلم ازواجه وذريته خاصه واحتجوا بحديث

ابي

وهذا وما بعده تذكير لهم بعض النعم التي كانت لهم عليهم اي اذكروا نعمتي

وم

لوا

ابي حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى
ازواجه وذريته كما صليت على ال ابراهيم وبارك على محمد وعلى ازواجه وذريته كما
باركت على ال ابرهيم انك حميد مجيد رواه مسلم وقالت طايفة من اهل العلم الاهل
معلوم والال الاتباع والاول اصح لما ذكرناه ولحديث عبد الله بن ابي اوفى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه
ابي بصدقته فقال اللهم صل على ال ابي اوفى   اختلف النحاة هل يضاف الال
الى البلدان فقال الكسائي انما يقال ال فلان وال فلانه ولا يقال في البلدان هو
من ال حمص ولا من ال المدينه وقال الاخفش انما يقال في الرييس الاعظم نحو ال
محمد صلى الله عليه وسلم وال ابرهيم وال عمران وال فرعون لانه رييسهم في
الضلاله ولا يقال ال زيد ولا عمرو وقال وقد سمعنا في البلدان قالوا اهل
المدينه وال المدينه   واختلف النحاة ايضا هل يضاف الال

هل

الى المضمر او لا فمنع ذلك النحاس والزبيدي والكسائي فلا يقال الا اللهم صل على محمد
وال محمد ولا يقال واله والصواب ان يقال واهله وذهبت طايفة اخرى الى ان
ذلك يقال منهم ابن السيد وهو الصواب لقوله عليه السلام وقد سيل من ال
محمد قال كل تقي الى يوم القيامه ولان السماع الصحيح يعضده فانه قد جا في قول عبد
المطلب لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع حلالك وانصر على ال الصليب وعابديه
اليوم الك   وقال ندبه   انا الفارس الحامي حقيقه الكافر الحقيقه بقانين
ما يحق على الانسان ان يحميه اي يجب عليه حمايته   واختلفوا ايضا في
اصل ال فقال النحاس اصله اهل ثم ابدل الها الفا فان صغرته رددته الى اصله فقلت
اهيل وقال المهدوي اصله اول وقيل اهل قلبت الهاء همزه ثم ابدلت الهمزه الفا وجمعه
الون وتصغيره اويل فيما حكى الكسائي وحكى غيره اهيل وقد ذكرناه عن النحاس

وقال ابو الحسن بن كيسان اذا جمعت الا قلت الون فان جمعت الا الذي هو السراب قلت اوال مثل مال واموال فرعون قيل انه ذلك الملك بعينه وقيل انه اسم كل ملك من ملوك العمالقه مثل كسرى للفرس وقيصر للروم والنجاشي للحبشه وان اسم فرعون موسى قابوس في قول اهل الكتاب وقال وهب اسمه الوليد بن مصعب بن الريان ويكنى ابا مره وهو من بني عمليق بن لاود بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قال السهيلي وكل من ولي القبط ومصر فهو فرعون وكان فرعون فارسيا من اهل اصطخر قال المسعودي لا يعرف لفرعون تفسير بالعربية قلت قال الجوهري فرعون لقب الوليد بن مصعب ملك مصر وكل عات فرعون والعتاه الفراعنه وقد تفرعن وهو ذو فرعنه اي دهاء ومكر وفي الحديث اخذنا فرعون هذه الامه ويقال ان فرعون موسى هو فرعون يوسف الصديق والصحيح غيره لان فرعون يوسف هو الريان بن الوليد وهو جد فرعون موسى والله اعلم وكان بين يوسف وموسى عليهما السلام اربع مايه سنه وفرعون في موضع خفض الا انه لا ينصرف لعجمته قوله تعالى يسومونكم قيل معناه يذيقونكم ويلزمونكم اياه وقال ابو عبيده يولونكم يقال سامه اذا كلفه وسامه خطه خسيف اذا اولاه اياها ومنه قول عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان يقر الخسف فينا وقيل يديمون تعذيبكم والسوم الدوام ومنه سايمه الغنم لمداومتها الرعي قال الاخفش وهو في موضع رفع على الابتدا وان شيت كان نصبا على الحال اي سايمين لكم قوله تعالى سو العذاب سو مفعول ثاني ليسومونكم ومعناه اشد العذاب واقبحه ويجوز ان يكون سوم العذاب وقد يجوز ان يكون بمعنى سوما سيا ثم بين العذاب فقال يذبحون ابناكم ويستحيون نساكم لان فرعون كان قد راي في منامه نارا خرجت من

بيت

بيت المقدس فاحرقت بيوت مصر فاولت له روياه ان مولودا من بني اسرايل ينشا
فيكون خراب ملكه على يديه وقيل قالت له كهنته يولد من بني اسرايل مولود ينازعك
في ملكك فامر بذبح كل من ولد في بني اسرايل على ما ياتي بيانه وروي ان فرعون
جعل بني اسرايل خدما وخولا وصنفهم في اعماله فصنف يبنون وصنف يحرثون
ويزرعون وصنف يخدمون وكان قومه جندا ملوكا ومن لم يكن منهم في عمل
من هذه الاعمال ضربت عليه الجزيه فذلك سو العذاب والله اعلم

قوله ويذبحون بغير واو على البدل من قوله يسومونكم كما
انشد سيبويه   متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا
قال الفرا وغيره يذبحون بغير واو على التفسير لقوله يسومونكم سو العذاب
كما يقول اتاني القوم زيد وعمرو فلا يحتاج الى الواو في زيد ونظيره ومن
يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب وفي سورة ابراهيم ويذبحون لان
المعنى يعذبونكم بالذبح وبغير الذبح فقوله ويذبحون ابناكم جنس اخر من
العذاب لا تفسير لما قبله والله اعلم **قلت** قد يحتمل ان يقال الواو زايدة بدليل
سورة البقرة والواو قد تزاد كما قال فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى اي انتحى وقال
اخر الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم اراد الملك القرم
ابن الهمام ليث الكتيبه وهو كثير   قوله يذبحون قراه الجماعة
بالتشديد على التكثير وقرا ابن محيصن يذبحون بفتح اليا والبا وتخفيف الدال
والاول اوضح اذ الذبح متكرر والذبح الشق والذبح المذبوح والذباح
تشقق في اصول الاصابع وذبحت الدن بزلته اي شققته وسعد الذابح احد
السعود والمذابح المحاريب والمذابح جمع مذبوح وهو اذا جا السيل
يحدث في الارض فما كان كالشبر ونحوه سمي مذبحا فكان فرعون يذبح الاطفال

وسمى البنات وعبر عنهن باسم النسا بالمال وقالت طايفه يذبحون ابنا لهم يعني
الرجال وسموا ابنا لما كانوا كذلك واستدل هذا القايل بقوله نساكم
والاول اصح لانه الاظهر والله اعلم نسب الله تعالى
الفعل الى ال فرعون وهم انما فعلوه بامره وسلطانه لتولّيهم ذلك بانفسهم
وليعلم ان المباشر ماخوذ بفعله قال الطبري ويقتضي هذا ان من امر ظالم
بقتل احد فقتله المامور فهو الماخود به **قلت** اختلف العلما في هذه المسله
على ثلاثة اقوال يقتلان جميعا هذا بامره والمامور بمباشرته هكذا قال النخعي
وقاله الشافعي ومالك في تفصيل لهما قال الشافعي اذا امر السلطان رجلا بقتل رجل
والمامور يعلم انه امر بقتله ظلما كان عليه وعلى الامام القود كقاتلين معا وان اكرهه
الامام عليه وعلم انه يقتله ظلما كان على الامام القود وفي المامور قولان احدهما ان
عليه القود والاخر لا قود عليه وعليه نصف الديه وحكاه ابن المنذر وقال
علماونا لا يخلو المامور ان يكون ممن يلزمه طاعة الامر ويخاف شره كالسلطان
والسيد لعبده فالقود في ذلك لازم لهما او يكون ممن لا يلزمه ذلك فيقتل المباشر
وحده دون الامر وذلك كالاب يامر ولده او المعلم بعض صبيانه والصانع
بعض متعلميه اذا كان محتلما فان كان غير محتلم فالقتل على الامر وعلى عاقلة الصبي
نصف الديه وقال ابن نافع لا يقتل السيد اذا امر عبده وان كان عجميا بقتل ام
انسان قاله ابن حبيب وبقول ابن القاسم اقول ان القتل عليهما فاذا امر من لا
خوف على المامور في مخالفته فانه لا يلحق بالاكراه بل يقتل المامور دون الامر ويضرب
الامر ويحبس وقال احمد بن حنبل في السيد يامر عبده ان يقتل رجلا يقتل السيد
روي هذا القول عن علي بن ابي طالب وابي هريرة رضي الله عنهما وقال علي ويستودع
العبد السجن احمد ولا يضرب ويودب وقال الثوري يعزر السيد وقال الحكم بن

مالك عشرينه
يحتمل

عيينه وحماد تقتل العبد وقال قتاده يقتلان الشافعي ان كان العبد فصيحا يعقل
مثل العبد وعوقب السيد وان اعجميا فعلى السيد القود وقال سلمن بن موسى
لامر الن ... حريحاف ويحبس وهو القول الثاني ويقتل المامور للمباشره لذلك
قال عطا والحكم وحماد والشافعي واحمد واسحق في الرجل يامر الرجل بقتل الرجل
ذكره بن المنذر وقال زفر لا يقتل واحد منهما وهو القول الثالث حكاه ابو
المعالي في البرهان ورأى ان الامر والمباشر ليس واحد منهما مستقلا في القود
فلذلك لا يقتل واحد منهما عنده والله اعلم   قوله تعالى
وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اشارة الى جمله الامر اد هو خبر هو لفرد حاضر
وفي فعلهم ذلكم بكم بلاء اي امتحان واختبار وبلاء نعمه ومنه قوله تعالى وليبلي
المومنين منه بلاء حسنا قال ابو الهيثم البلا يكون حسنا ويكون سيا واصله المحنه
والله عز وجل يبلو عبده بالصنع الجميل ليمتحن شكره ويبلوه بالبلوى التي يكرهها
ليمتحن صبره فقيل للحسن بلا وللسي بلا حكاه الهروي وقال قوم الاشاره بذلكم
الى التنجيه فيكون البلا على هذا في الخير اي تنجيتكم نعمه من الله عليكم وقال
الجمهور الاشاره الى الذبح ونحوه والبلا هنا في الشر والمعنى وفي الذبح مكروه
وامتحان وقال بن كيسان ويقال في الخير ابلاه الله وبلاه وانشد جزى
الله بالاحسان ما فعلا بكم فابلاهما خير البلا الذي يبلو الجمع بين اللغتين والا   كثر
في الخير ابليته وفي الشر بلوته وفي الاختبار ابتليته وبلوته قاله النحاس
تعالى واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا ال فرعون وانتم
تنظرون فيه احدى عشره مسئله   قوله تعالى واذ فرقنا
اذ في موضع نصب وفرقنا فلقنا فكان كل فرق كالطود العظيم اي
الجبل العظيم واصل الفرق الفصل ومنه فرق الشعر ومنه الفرقان

لانه يفرق بين الحق والباطل اي يفصل ومنه فالفارقات فرقا يعني الملايكه
تنزل بالفرق بين الحق والباطل ومنه يوم الفرقان يعني يوم بدر لان
فيه فرق بين الحق والباطل ومنه وقرانا فرقناه اي فصلناه واحكمناه وقرا
الزهري فرقنا بتشديد الرا اي جعلناه فرقا قوله تعالى بكم
اي لكم فالبا بمعنى اللام وقيل البا في مكانها اي فرقنا البحر بدخولكم اياه اي
صار وا بين الماين فصار الفرق بهم وهذا اولي منه فانفلق
قوله تعالى البحر البحر معروف سمي بذلك لاتساعه ويقال فرس بحر اذا كان
واسع الجري اي لثين ومن ذلك قوله عليه السلام في مندوب فرس ابي
طلحه وان وجدناه لبحرا والبحر الما الملح ويقال البحر ما ملح قال نصيب
وقد عاد ما البحر الارض بحرا فزادني الى مرضي ان البحر المشرب العرب
والبحر البلد يقال هذه بحرتنا اي بلدتنا قاله الاموي والبحر السلال
يصيب الانسان ويقولون لقيته صحر بحر اي بارزا مكشوفا وفي
الخبر عن كعب الاحبار قال ان لله ملكا يقال له صندفايل البحار كلها
في نقرة ابهامه ذكره ابو نعيم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن
كعب قوله تعالى فانجيناكم اي اخرجناكم منه يقال نجوت
من كذا نجا ممدود ونجاه مقصور والصدق منجاه وانجيت غيري
ونجيته وقرى بهما واذ نجيناكم فانجيناكم قوله تعالى واغرقنا
ال فرعون يقال غرق في الما غرقا فهو غرق وغارق ايضا ومنه قول
ابي النجم من بين مقتول وطاف غارق واغرقه غيري وغرقه فهو
مغرق وغريق ولجام مغرق بالفضه اي محلي والتغريق القتل وقال
الاعشى الا ليت قيسا غرقته القوابل وذلك ان القابله كانت تغرق

المولود في دم السلا عام القحط ذكرا كان او انثى حتى يموت جعل كل قتل
تعرنيقا ومنه قول ذي الرمه اذا غرقت ارباضها ثني بكرة تبتها لم
يصبح رؤوما سلوها الارباض الحبال والبكر الناقه الفتيه وثنيها
بطنها الثاني وانما لم يعطف على ولدها لما لحقها من التعب ومعنى رؤوم ما
قوله تعالى وانتم تنظرون جمله في موضع الحال ومعناه
بابصاركم فيقال ان ال فرعون طفوا على الما فنظروا اليهم يغرقون والي
والى انفسهم ينجون ففي هذا اعظم المنه وقد قيل انهم اخرجوا اليهم حتى
رواهم فهذه منه بعد منه وقيل المعنى وانتم تنظرون اي ببصايركم
الاعتبار لانهم كانوا في شغل عن الوقوف والنظر بالابصار وقيل
المعنى وانتم بحال من ينظر لو نظر كما تقول هذا الامر منك بمراى ومسمع
اي بحال تراه وتسمعه ان شيت وهذا القول والاول اشبه باحوال ل
بني اسرايل التوالى عدم الاعتبار فيما صدر منهم بعد خروجهم من
البحر وذلك لما ان الله نجاهم وغرق عدوهم قالوا يا موسى ان قلوبنا
لا تطمين ان فرعون غرق فامر الله البحر فلفظه فنظروا اليه على ما ياتي
مبينا ان شا الله القول في انجا بني اسرايل وذكر فرق
البحر ذكر الطبري ان موسى عليه السلام اوحي اليه ان يسري من مصر
بني اسرايل فامرهم موسى ان يستعيروا الحلي والمتاع من القبط واحل
الله ذلك لهم فسرى بهم موسى من اول الليل فاعلم فرعون فقال لا يتبعهم
احد حتى يصيح الديك فلم يصح تلك الليله بمصر ديك واما ت الله تلك
الليله كثيرا من ابنا القبط فاشتغلوا في الدفن وخرجوا في الاتباع مشرقين
كما قال فاتبعوهم مشرقين وذهب موسى الى ناحيه البحر حتى بلغه

وكانت عدة بني اسرائيل نيفا على ستمائة الف وكانت عدة فرعون الف
الف ومايتي الف وقيل ان فرعون اتبعه في الف الف حصان سوى الاناث
وقيل دخل اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام مصر في ستة وسبعين
نفسا من ولده وولد ولده فانمى الله عددهم وبارك في ذريته حتى خرجوا
الى البحر يوم فرعون ستماية الف من المقاتلة سوى الشيوخ والذرية
والنسا وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عبد الله بن محمد قال ثنا شبابة بن
سوار عن يونس بن ابي اسحق عن ابي اسحق عن عمرو بن ميمون عن
عبد الله بن مسعود ان موسى عليه السلام حين اسرى ببني اسرائيل
بلغ فرعون فامر بشاة فذبحت ثم قال لا والله لا يفرغ من سلخها حتى
يجتمع لي ستماية الف من القبط قال فانطلق موسى حتى انتهى الى البحر
فقال له افرق فقال له البحر لقد استكبرت يا موسى وهل فرقت لاحد
من ولد ادم فافرق لك قال ومع موسى رجل على حصان له قال فقال ذلك
الرجل اين امرت يا نبي الله قال ما امرت الا بهذا الوجه قال والله ما
كذبت ولا كذبت ثم اقتحم الثانية فسبح ثم خرج فقال اين امرت يا
نبي الله قال ما امرت الا بهذا الوجه قال والله ما كذبت ولا كذبت
قال فاوحي الى موسى ان اضربه بعصاك فضربه موسى بعصاه فانفرق
فكان كل فرق كالطود العظيم فكان فيه اثنا عشر فرقا لاثني عشر سبطا
لكل سبط طريق يتراءون وذلك ان اطواد الما صار فيها طبقات وشبابيك
يرى منها بعضهم بعضا فلما خرج موسى وقام اصحاب فرعون التطم البحر
عليهم فاغرقهم ويذكر ان البحر هو بحر القلزم وان الرجل الذي كان
مع موسى على الفرس هو فتاه يوشع بن نون وان الله تعالى اوحي

الى

[هامش: بلغ]

[هامش: قال فاقحم فرسه فسبح فخرج قال اين امرت يا نبي الله قال ما امرت الا بهذا الوجه]

الى البحر ان انفرق لموسى اذا ضربك فبات البحر تلك الليلة يضطرب فحين اصبح
ضرب البحر وكناه اباخالد ذكره ابو بكر بن ابي شيبة ايضا وقد اكثر المفسرون
في قصص هذا المعنى وما ذكرناه كاف وسياتي في سورة يونس والشعرا
زيادة بيان ان شاء الله تعالى ذكر الله تعالى الانجا والاغراق
ولم يذكر اليوم الذي كان فيه فروى مسلم عن ابن عباس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشورا فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا اليوم الذي تصومونه فقالوا
هذا يوم عظيم انجا الله فيه موسى وقومه وغرق فيه فرعون وقومه
فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنحن احق واولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر
بصيامه واخرجه البخاري ايضا عن ابن عباس وان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لاصحابه انتم احق بموسى منهم فصوموا ظاهر هذه
الاحاديث يدل ان النبي صلى الله عليه وسلم انما صام عاشورا وامر
بصيامه اقتدا بموسى عليه السلام على ما اخبره وليس كذلك لما روته
عايشه قالت كان يوم عاشورا يصومه قريش في الجاهلية وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم المدينة
صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك صيام يوم عاشورا
فمن شا صامه ومن شا تركه اخرجه البخاري ومسلم فان قيل يحتمل ان
تكون قريش انما صامته باخبار اليهود لها لانهم كانوا يسمعون منهم
لانهم كانوا عندهم اهل علم فصامه النبي صلى الله عليه وسلم كذلك
في الجاهلية اي بمكة فلما قدم المدينة ووجد اليهود يصومونه قالوا

فيه ترغيب لصوم عاشورا

عن احق واولى بموسى منهم فصامه اتباعا لموسى وامر بصيامه اي اوجبه
والدامره حتى كانوا يصومونه الصغار وقلنا هذه شبهه من قال
ان النبي صلى الله عليه لعله كان متعبدا بشريعه موسى وليس كذلك على ما
ياتي بيانه في الانعام عند قوله تعالى فبهداهم اقتده
واختلف في يوم عاشورا هل هو التاسع من المحرم او العاشر فذهب
الشافعي الى انه التاسع لحديث الحكم بن الاعرج قال انتهيت الى بن عباس
وهو متوسد رداه في زمزم فقلت له اخبرني عن صوم يوم عاشورا
فقال اذا رايت هلال المحرم فاعدد واصبح يوم التاسع صايما فقلت
اهكذا كان محمد صلى الله عليه وسلم يصومه قال نعم خرجه مسلم وذهب
سعيد بن المسيب والحسن البصري وجماعه من السلف الى انه العاشر
وذكر الترمذي حديث الحكم ولم يصفه بصحته ولا حسن بل اردفه
فقال حدثنا قتيبه نا عبد الوارث عن يونس عن الحسن عن بن عباس
قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوم يوم عاشورا يوم العاشر
قال حديث بن عباس حديث حسن صحيح قال الترمذي وروي عن
بن عباس انه قال صوموا التاسع والعاشر وخالفوا اليهود وبهذا الحديث
يقول الشافعي واحمد واسحق قال غيره وقول بن عباس للسايل فاعدد
واصبح يوم التاسع صايما ليس فيه دليل على ترك صوم العاشر بل
وعد ان يصوم التاسع مضافا الى العاشر قالوا فصيام اليومين
جمع بين الاحاديث وقول بن عباس للحكم لما قال له هكذا كان محمد صلى الله
عليه وسلم قال نعم معناه ان لو عاش والا فما كان النبي صلى الله عليه وسلم
صام التاسع قط بينه ما خرجه بن ماجه في سننه ومسلم في صحيحه عن

مواه

بن

ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بقيت الى قابل لاصومن
اليوم التاسع فهذا ما يتعلق من بيان اليوم الذي كان فيه الانجا والاغراق
وقد اتينا على ذكر يوم عاشورا وفضله في غير هذا الموضع والحمد لله
في الاحوال التي صدرت من بني اسرايل بعد الانجا ذكر ابو بكر
بن ابي شيبه عن قيس بن عباد ان بني اسرايل لما خرجوا من البحر قالت ما مات
فرعون وما كان ليموت ابدا قال فلم يعدان يسمع تكذيبهم نبيه عليه السلام
رمى به على ساحل البحر كانه ثور احمر يترايا ه بنوا اسرايل وسياتي لهذا مزيد
بيان في سورة يونس عند قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك فلما اطمانوا
وبعدوا من طريق البر الى مدائن فرعون حتى ينقلوا الكنوز وغرقوا في النعمه
راوا قوما يعكفون على اصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم
الهه حتى زجرهم موسى وقال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على
العالمين ثم امرهم ان يسيروا الى الارض المقدسه في ايدي الجبارين
قد غلبوا عليها فاحتاجوا الى دفعهم عنها بالقتال فقالوا اتريد ان تجعلنا
لحمه للجبارين فلو تركتنا في يد فرعون كان خيرا لنا قال يا قوم ادخلوا
الارض المقدسه التي كتب الله لكم الى قوله قاعدون حتى دعا عليهم
وسماهم فاسقين فبقوا في التيه اربعين سنه عقوبه ثم رحمهم ومن عليهم
بالسلوى وبالغمام على ما ياتي بيانه ثم سار موسى عليه السلام الى طور
سينا ليجيبهم بالتوراه فاتخذوا العجل على ما ياتي بيانه ثم قيل لهم
قد وصلتم الى بيت المقدس فادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فخالفوا
على ما ياتي مفسرا وكان موسى عليه شديد الحيا ستيرا فقالوا انه ادر
وسياتي بيانه في الاحزاب ثم لما مات هارون قالوا انه قتله وحسده

حتى نزلت الملايكه بسرين وهارون منتبا عليه وسياتى بيانه في المايده ثم
ثم سالوه ان يعلموا ايه في قبول قربانهم فجعلت نار تجي من السما
فتقبل قربانهم ثم سالوه ان تبين لنا كفارات ذنوبنا في الدنيا فكان
من اذنب ذنبا اصبح على بابه مكتوب عملت كذا وكفارته كذا قطع عضو
من اعضايك سميه ومن اصابه بول لم يطهر حتى يقرضه ويزيل جلده
من بدنه ثم بدلوا التوريه وافتروا على الله وكتبوا بايديهم واشتروا
به عوضا ثم صار امرهم الى ان قتلوا انبياهم ورسلهم فهذه معاملتهم
مع ربهم وسيرتهم في دينهم وسوا اخلاقهم وسياتي ذكر كل فصل من
هذه الفصول مستوفى في موضعه ان شا الله تعالى

قال الطبري وفي اخبار القران على لسان محمد صلى الله عليه وسلم بهذه المغيبات
من اخبار بني اسرايل وغير ذلك من الامور التي لم تكن من علم العرب ولا قومها
الا في حق بني اسرايل دليل واضح عند بني اسرايل قايم بنبوة محمد عليه السلام
وفيه ايضا تهديد للكفار ليومنوا حتى لا يصيبهم مثل ما اصاب اوليك
وفيه ايضا تنبيه للمومنين وحظه لهم ليزجرهم ذلك عن المعاصي

تعالى واذ وعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون
فيه سبع مسايل قوله تعالى واذ وعدنا موسى قرا ابو عمرو
وعدنا بغير الف واختاره ابو عبيد ورجحه وانكر واعدنا قال لان
المواعده انما تكون من البشر فاما الله عز وجل فانما هو المنفرد بالوعد والوعيد
على هذا وجدنا القران كقوله جل وعز وعدكم وعد الحق وقوله وعد الله الذين
امنوا منكم وعملوا الصالحات وقوله واذ يعدكم الله احدى الطايفتين انها لكم
قال ابو محمد مكي فان ظاهر اللفظ فيه وعد من الله تعالى لموسى وليس فيه وعد

من

من موسى فوجب حمله على الواحد لظاهر النص ان الفعل مضاف الى الله تعالى وحده
وهي قراه الحسن وابي رجا وابي جعفر وشيبه وعيسى بن عمر وبه قرا ابو عبيده
وبن ابي اسحاق قال ابو حاتم قرا العامه عدنا وعدنا بغير الف لان
المواعده انما تكون بين الآدميين والمتكافئين كل واحد منهما يعد صاحبه
قال مكي المواعده اصلها من اثنين وقد تاتي المفاعله من واحد في كلام العرب
قالوا طارقت النعل وداويت العليل وعاقبت اللص والفعل من واحد فيكون
اللفظ المواعده من الله تعالى خاصه لموسى بمعنى وعدنا فتكون القرانان
بمعنى واحد والاختيار واعدنا بالالف لانه بمعنى وعدنا في احد معنييه
ولانه لا بد لموسى من وعد او قبول يقوم مقام الوعد فتصح المفاعله
النحاس وقراه واعدنا بالالف اجود واحسن وهي قراه مجاهد والاعرج
وبن كثير ونافع والاعمش وحمزه والكسائي وليس قوله عز وجل وعد الله
الذين امنوا وعملوا الصالحات من هذا في شي وانما هو من قولك موعدك
يوم الجمعه وموعدك موضع كذا والفصيح في هذا ان يقال واعدته
قال ابو اسحق الزجاج واعدنا هاهنا بالالف جيد لان الطاعه في القبول
بمنزله المواعده فمن الله جل وعز وعد ومن موسى قبول واتباع يجري
مجرى المواعده قال بن عطيه ورجح ابو عبيد وعدنا وليس بصحيح لان قبول
موسى لوعد الله والتزامه وارتقابه يشبه المواعده قال غيره كان
الوعد من الله ومن موسى الوفا ومن الله الامر ومن موسى الايتمار فلانه
جرت المواعده بينهما في الصحاح لابي نصر الجوهري الميعاد المواعده والوقت والموضع
وهو بمعنى واعدنا كما بينا ان شا الله   قوله تعالى موسى موسى اسم
اعجمي لا ينصرف للعجمه والتعريف والقبط على ما يروى يقولون للما مو وللشجر

سا فلما وجد موسى في التابوت عند ما شجر سمي موسى قال السدي لما خافت
عليه امه جعلته في التابوت والقته في اليم كما اوحى الله اليها فالقته في اليم
بين اشجار عند بيت فرعون فخرج جواري اسية امراة فرعون يغتسلن
فوجدنه فسمي باسم المكان وذكر النقاش وغيره ان الذي التقطه تابوت
قال ابن اسحق وموسى هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن
يعقوب اسرائيل الله بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام قوله تعالى
اربعين ليلة اربعين نصب على المفعول الثاني وفي الكلام حذف قال الاخفش
التقدير واذ وعدنا موسى تمام اربعين اربعين ليلة كما قال واسأل القرية
والاربعين بجوزتها داخله في الميعاد والاربعون في قول اكثر المفسرين
ذو القعدة وعشر من ذي الحجة وكان ذلك بعد ان جاوز البحر وساله قومه
ان ياتيهم بكتاب من عند الله وهي التوراة فخرج الى الطور في سبعين من خيار
بني اسرائيل وصعد الجبل وواعدهم الى تمام اربعين ليلة فعدوا فيما
ذكر المفسرين عشرين يوما وعشرين ليلة وقالوا قد اخلفنا موعده فاتخذوا
العجل وقال لهم السامري هذا الهكم واله موسى فاطمئنوا الى قوله ونهاهم
هارون وقال يا قوم انما فتنتم به الاية على ما ياتي فلم يتبع هارون ولم
يترك عبادة العجل الا اثنا عشر الفا فيما روي في الخبر وتهافت في عبادته
سايرهم وهم اكثر من الفي الف فلما رجع موسى ووجدهم على ذلك القى الالواح
فرفع من جملتها ستة اجزا وبقي جزء واحد وهو الحلال والحرام وما يحتاجون
واحرق العجل وذراه في البحر فشربوا من مايه حبا للعجل فظهرت على شفاههم
صفرة وورمت بطونهم فتابوا ولم تقبل توبتهم دون ان يقتلوا انفسهم
فذلك قوله تعالى فاقتلوا انفسكم فقاموا بالخناجر والسيوف بعضهم

الى بعض من لدن طلوع الشمس الى ارتفاع الضحى فقتل بعضهم بعضا لا يسئل
والد عن ولده ولا اخ عن اخيه ولا احد عن احد كل من استقبله ضربه
بالسيف وضربه الاخر بمثله حتى عج موسى الى الله صارخا يا رباه قد
فنيت بنو اسرايل فرحمهم الله وجاد عليهم فقبل توبة من بقي وجعل
من قتل في الشهدا على ما ياتي   ان قيل لم خص الليالي بالذكر
دون الايام قيل له لان الليلة اسبق من اليوم فهي قبله في الرتبه ولذلك وقع
بها التاريخ فالليالي اول الشهور والايام تبع لها   قال
ابو بكر النقاش في هذه الاية اشارة الى صلة الصوم لانه لو ذكر الايام
لامكن ان يعتقد انه كان يفطر بالليل فلما نص على الليالي اقتضت قوة الكلام
انه عليه السلام واصل اربعين يوما بلياليها قال بن عطيه سمعت ابي
يقول سمعت الشيخ الزاهد الامام الواعظ ابا الفضل الجوهري رحمه
الله يعظ الناس في الخلوة بالله والدنو منه في الصلاة ونحوه وان ذلك
يشغل عن كل طعام وشراب ويقول اين حال موسى في القرب من الله تعالى
ووصل ثمانين من الدهر من قوله حين سار للخضر لفتاه في بعض يوم اتنا
غدانا قلت وبهذا استدل الصوفيه على الوصال وان افضله
اربعين يوما وسياتي الكلام في الوصال في اي الصيام من هذه السو
ان شا الله ويأتي في الاعراف زيادة احكام لهذه الاية عند قوله
تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليله ويأتي لقصة العجل زيادة بيان في كيفيته في
هنا والاعراف وطه ان شا الله   قوله تعالى ثم اتخذتم
العجل اي اتخذتموه الها من بعد موسى وذلك لما عد والاربعين
يوم وليله على ما تقدم ولم يرجع اليهم موسى قال لهم السامري

واسمه موسى بن ظفر في قول ابن عباس وكان منافقا قد اظهر الاسلام
وكان من قوم يعبدون البقر انهم استعيروا من نسا فرعون حليهم ولم
تردوه عليهن فلعل الله تعالى لم يرد الينا موسى لهذا المعنى فهاتوا ما
معكم من حليهن حتى نحرقه فلعل الله يرد علينا موسى فجمعوا ذلك الحلي وكان
السامري صايغا فاتخذ منه عجلا في ثلاثة ايام وقد كان قبل ذلك راى
جبريل على فرس الحياة كلما وضع حافره على موضع من الارض اخضر ذلك
الموضع فرفع من تحت سنبكه قبضة من التراب كما نص الله في سورة طه
فنفخ ذلك التراب في العجل فصار جسدا له خوار فروى عن ابن عباس انه قال
صار عجلا لحم ودم وفيه حياة له خوار ويقال ان هارون قال لبني اسرا
ييل ان حلي القبط الذي استعرتموه منهم غنيمة ولا يحل لكم فاجمعوه
جميعه واحفروا له حفرة وادفنوه حتى يرجع موسى فيرى فيه رايه ففعلوا
ذلك وجا السامري بالقبضة التي اخذها من تحت فرس جبريل عليه السلام [حافر]
فقال لهارون يا نبي الله القي فيها فيه وظن هارون انه من الحلي يريد فيه
ما يريد اصحابه فقال له القي فيها فقذف فيها فصار عجلا جسدا له خوار وروى
عن علي رضي الله عنه انه قال جسدا مشبكا من ذهب فدخل الريح في جوفه
من خلفه وخرج من فيه لهيبه الخوار فقال القوم هذا الهكم واله
موسى فنسي على ما ياتي بيانه في طه ان شا الله تعالى قوله تعالى
اتخذتم اصل اتخذتم ايتخذتم من الاخذ ووزنه افتعلتم سهلت
الهمزة الثانية لامتناع همزتين فصار ايتخذتم فاضطربت اليا في التصريف
جاءت الفا في ياتخذ وواوا في موتخذ فبدلت بحرف جلد ثابت من
جنس ما بعدها وهي التا وادغمت ثم اجتلبت الف الوصل للنطق وقد يستغنى

عنها اذا كان معنى الكلام التقرير لقوله تعالى قل اتخذتم عند الله عهدا
فاستغنى عن الف الوصل بالف التقرير قال الشاعر استحدث الركب
عن اشياعهم خبرا ام راجع القلب من اطرابه طرب ونحوه في
القران اطلع الغيب اصطفى البنات استكبرت وسياتي بيانه ومذهب
ابي علي الفارسي ان اتخذتم من غير الا من احد وانتم ظالمون جملة في موضع الحال
وقد تقدم معنى الظلم فلا معنى للاعادة والله اعلم ما تقدم
تعالى ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون فيه خمس مسايل
قوله تعالى ثم عفونا عنكم العفو عفو الله عز وجل عن
خلقه وقد يكون بعد العقوبة بخلاف الغفران فانه لا يكون معه عقوبة
وكل من استحق عقوبة فتركت له فقد عفي عنه فالعفو محو الذنب اي محونا
ذنوبكم وتجاوزنا عنكم ماخوذ من قولك عفت الريح الاثر اي اذهبته وعفا
الشي كثر فهو من الاضداد ومنه قوله تعالى حتى عفوا قوله
تعالى من بعد ذلك اي من بعد عبادتكم العجل وسمي العجل عجلا لاستعجالهم عبادته
والله اعلم والعجل ولد البقرة والعجول مثله والجمع العجاجيل والانثى عجلة
عن ابي الجراح قوله تعالى لعلكم تشكرون كي تشكرون
عفو الله عنكم وقد تقدم معنى لعل واما الشكر فهو في اللغة الظهور
من قولهم دابة شكور اذا ظهر عليها من السمن فوق ما يعطى والله تعالى
شكور معنى انه يعطي على قليل العمل كثير الجزا ومنه قول اهل الجنة الحمد لله
الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وشكر تعالى لرجل موسى
خطا خطاها فقال وجا رجل من اقصى المدينة يسعى وهذا ثنا فهو سبحانه
شكور بمعنى انه يثني على عباده بطاعتهم الرابعة في حقيقة

فيه فصل في معنى الشكر

الشكر وهو الثناء على الانسان بمعروف يولله كما تقدم في الفاتحة قال الجوهري
الشكر الثناء على المحسن بما اولاه من المعروف يقال شكرته وشكرت له وباللام
افصح والشكران خلاف الكفران وتشكرت له مثل شكرت له وفي الترمذي
وابي داود عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يشكر الله من لا يشكر
الناس قال الخطابي هذا الكلام يتاول على معنيين احدهما ان من كان من طبعه
كفران نعمة الناس وترك الشكر لمعروفهم كان من عادته كفران نعم الله تعالى
وترك الشكر له والوجه الاخر ان الله لا يقبل شكر العبد على احسانه اليه اذا كان
العبد لا يشكر احسان الناس اليه ويكفر معروفهم لاتصال احد الامرين بالاخر
في عبارات العلما في معنى الشكر فقال سهل بن عبد الله الشكر
الاجتهاد في بذل الطاعه مع الاجتناب للمعصيه في السر والعلانيه وقالت
فرقه اخرى الشكر هو الاعتراف في تقصير الشكر للمنعم ولذلك قال تعالى
اعملوا ال داود شكرا فقال داود كيف يا رب والشكر نعمه منك قال
الان قد عرفتني وشكرتني اذ عرفت ان مني قال يا رب فارني اخفى نعمك
علي قال يا داود تنفس فتنفس داود فقال الله من يحصي هذه النعمه الليل
والنهار وقال موسى عليه السلام الاهي كيف اشكرك واصغر نعمه
وضعتها بيدي من نعمك لا تجازي بها عملي كله فاوحى الله يا موسى الان
شكرتني وقال الجنيد الشكر العجز عن الشكر وعنه قال كنت عند سري
السقطي العب وانا ابن سبع سنين وبين يديه جماعه يتكلمون في الشكر
فقال يا غلام ما الشكر فقلت ان لا يعصى بنعمه فقال لي ان يكون حظك من
الله لسانك قال الجنيد فلا ازال ابكي على هذه الكلمه التي قالها السري لي وقال
الشبلي الشكر التواضع والمحافظه على الحسنات ومخالفه السيات وبذل

الطاعات ومراقبه جبار الارض والسموات وقال ذو النون المصري ابو
الفيض الشكر لمن فوقك بالطاعه ولنظيرك بالمكافاه ولمن دونك بالاحسان
والافضال قلت روي ابو داود عن عبد الله بن غنام البياضي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح اللهم ما اصبح بي من نعمه فمنك
وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد ادى شكر يومه ومن
قال مثل ذلك حين يمسي فقد ادى شكر ليلته فهذا الحديث يدل على ان
حقيقه الشكر الاعتراف بالنعمه للمنعم وهو معنى ما حكي عن داود عليه السلام
انه قال يا رب كيف اشكرك وشكري لك نعمه مجدده منك علي قال يا داود
الان حين شكرتني وسيل بعض الصلحا عن الشكر لله فقال ان لا تتقوى بنعمه على
معاصيه وهو معنى قول الجنيد وهو حسن لان العبد اذا راى ان النعمه من الله
فضلا منه عليه لم يصرفها في غير طاعته وبه يكون تمام الشكر والله اعلم وانشد
الهادي وهو باكل انا لك رزقه لتقوم فيه بطاعته وتشكر بعض حقه
فلم تشكر لنعمته ولكن قويت على معاصيه برزقه يغص باللقمه وخنقته العبره
وقال جعفر الصادق اذا سمعت النعمه نعمه الشكر فتاهبت للمزيد قال الله
تعالى لان شكرتم لازيدنكم تعالى واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان
لعلكم تهتدون اذ اسم للوقت الماضي واذا اسم للوقت المستقبل واتينا اعطينا
وقد تقدم جميع هذا والكتاب التوراه باجماع المتاولين واختلف في الفرقان
فقال الفرا وقطرب المعنى اتينا موسى التوراه ومحمدا عليه السلام الفرقان
النحاس هذا خطا في الاعراب والمعنى اما الاعراب فان المعطوف على الشي مثله
وعلى هذا القول يكون المعطوف على الشي خلافه واما المعنى فقد قال تعالى ولقد
اتينا موسى وهارون الفرقان وقال الزجاج يكون الفرقان هو الكتاب اعيد

ذلك باسمين تاكيد وحكي عن الفرا ومنه قول الشاعر وقدمت الاديم
لراهشيه فالفي قولها كذبا ومينا وقال اخر الاحبذا هند وارض
وارض بها هند وهند اتا من دونها النای والعبد فنسق البعد على النای
والمين على الكذب لاختلاف اللفظين تاكيدا ومنه قول عنتره حييت
من طلل تقادم عهده اقوى واقفر بعد ام الهيثم النحاس وهذا انما يجي
في الشعر واحسن ما قيل في هذا قول مجاهد فرقا بين الحق والباطل اي الذي علمه
اياه وقال بن زيد الفرقان انفراق البحر له حتى صار فرقا فعبروا وقيل الفرقان
الفرج من الكرب لانهم كانوا مستعبدين مع القبط ومنه قوله تعالى ان تتقوا
الله يجعل لكم فرقانا اي فرجا ومخرجا وقال انه الحجه والبيان قاله بن بحر وقيل الواو
صله والمعنى اتينا موسى الفرقان والواو وقد تزاد في النعوت كقولهم حسن
وطويل وانشد الى الملك القرم وبن الهمام وليث الكتيبه في المزدحم
اراد الى الملك القرم بن الهمام ليث الكتيبه ودليل هذا التاويل قوله تعالى
ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شي اي بين الحرام
والحلال والكفر والايمان والوعد والوعيد وغير ذلك وقيل الفرقان
الفرق بينهم وبين قوم فرعون انجا هولا وغرق اوليك ونظيره يوم الفرقان
يعني يوم النصر وهو يوم بدر نصر الله فيه محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه
واهلك ابا جهل واصحابه لعلكم تهتدون لكي تهتدوا عن الضلاله وقد
تقدم تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم
باتخاذكم العجل فتوبوا الى باريكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند باريكم
تاب عليكم انه هو التواب الرحيم فيه سبع مسايل قوله تعالى
واذ قال موسى لقومه اي واذكروا اذ قال موسى لقومه والقوم جماعه

الرجال

الرجال دون النسا قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم ثم قال ولا نسا من نسا
وقال زهير   وما ادرى وسوف اخال ادري اقوم ال حصن ام نسا وقال
تعالى ولوطا اذ قال لقومه اراد الرجال دون النسا وقد يقع القوم على الرجال
والنسا قال تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه ولذا كل نبي مرسل الى الرجال
والنسا جميعا   قوله يا قوم منادى مضاف حذفت اليا في يا قوم
لانه موضع حذف والكسرة تدل عليها وهي التنوين نحذفها كما
نحذف التنوين من المفرد ويجوز في غير القران اثباتها ساكنة فتقول يا
قومي لانها اسم وهي في موضع خفض لانها مضافة الى النفس المتكلم ومعناها
الشفقة وان شيت فتحتها وان شيت الحقت معها ها فقلت يا قوميه
وان شيت ابدلت منها الفا لانها اخف فقلت يا قوما وان شيت
قلت يا قوم بمعنى يا ايها القوم وان جعلتهم نكرة نصبت ونونت فقلت
يا قوما وواحد القوم امرو على غير اللفظ وتقول قوم واقوام واقاوم
جمع الجمع والمراد هنا بالقوم عبدة العجل وان مخاطبته لهم السلام بامر من
الله تعالى   قوله تعالى انكم ظلمتم انفسكم استغنى بالجمع القليل
عن الكثير والكثير نفوس وقد يوضع الجمع الكثير موضع جمع القلة والقليل
موضع الكثرة قال الله تعالى ثلاثة قروء وقال وفيها ما تشتهي الانفس
ويقال لكل من فعل فعلا يعود عليه ضرره انما اسات الى نفسك واصل
الظلم وضع الشي في غير موضعه وقد تقدم ثم بين تعالى موضع ظلمهم
فقال باتخاذكم العجل وقال بعض ارباب المعاني عجل كل انسان نفسه فمن
اسقطه وخالف مراده فقد بري من ظلمه والصحيح انه هنا عجل على الحقيقة
عبدوه كما نطق به التنزيل وان السامري شبه به على اوغاد بني اسرايل

وجاء لهم وقال لهم ان موسى قد اخطا ربه فاتاهم ربه واراد ان يريكم انه
قادر على ان يدعوه بنفسه وانه لم يبعث موسى لحاجة منه اليه وانه قد اظهر
اليكم العجل ليكلمكم من وسطه من الشجر قال علي رضوان الله عليه انما
سمي العجل عجلا لانهم تعجلوا الى عبادته قبل رجوع موسى اليهم وقال
الحسن البصري اسم عجل بني اسرائيل بهموت قوله تعالى فتوبوا الى باريكم
امرهم بالتوبة فالتوبة فرض على من قبلنا كما هي علينا لا اختلاف في ذلك بين
الامم الا انه يختلف الحال في الكيفية فامرنا نحن بالاقلاع والعزم على ترك
العود الى ذلك الذنب مع الندم والاستغفار ورد المظالم الى اهلها على ما ياتي
بيانه في هذه السورة وغيرها وامر غيرنا بقتل انفسهم وقال بعض ارباب
الخواطر معنى فاقتلوا اي ذللوها بالطاعات وكفوها عن الشهوات والصحيح
انه قتل على الحقيقة هنا فان موسى لما قال لهم فتوبوا الى باريكم قالوا كيف
قال فاقتلوا انفسكم والقتل اماتة الحركة وقتلت الخمر كسرت شدتها بالما
قال سفين بن عيينة التوبة نعمة من الله تعالى انعم بها على هذه الامة دون
غيرها من الامم وكانت توبة بني اسرائيل القتل وقال قتادة جعل الله
تعالى توبة عبدة العجل القتل لانهم ارتدوا في كيفية قتل
بعضهم بعضا وما للعلما في ذلك قال ابن عطية اجمع اهل التاويل
على انه لم يومر كل واحد من عبدة العجل بان يقتل نفسه بيده قال
الزهري لما قيل لهم فتوبوا الى باريكم فاقتلوا انفسكم قاموا صفين
من عبد ومن لم يعبد وقتل بعضهم بعضا حتى قيل لهم كفوا فكان
ذلك شهادة للمقتول وتوبة للحي على ما تقدم وقال بعض المفسرين
ارسل الله عليهم ظلاما ففعلوا ذلك وقيل وقف الذين عبدوا العجل

صفا

صفا ودخل الذين لم يعبدوا عليهم بالسلاح فقتلوهم وقيل قام
السبعون الذين كانوا مع موسى فقتلوا اذ لم يعبدوا العجل
من عبد العجل ويروي ان يوشع بن نون خرج عليهم وهم محتبون فقال
ملعون من حل حبوته حتى يقتل منهم يعني من قبل واقبل الرجل يقتل
من يليه ذكره النحاس وروي في الخبر ان الذين عبدوا العجل جلسوا
على ابواب دورهم فاتاهم هارون والذين لم يعبدوا العجل شاهرين
بسيوفهم وكان موسى يتقدم ويقول ان هولا اخوانكم قد اتوكم
شاهرين بالسيوف فاتقوا الله واصبروا فلعن الله من حل حبوته او قام
من مجلسه او مد طرفه البصر او اتقاهم بيد او رجل فيقولون امين
وفي رواية ابي صالح ان هارون كان يتقدم ويقول ذلك فجعلوا
يقتلونهم الى المسا فلما استحر فيهم القتل وبلغ سبعين الفا عفى الله عنهم قاله
ابن عباس وعلي رضي الله عنهما وانما رفع الله عنهم القتل لانهم اعطوا الجهود
في قتل انفسهم فما انعم الله على هذه الامه نعمة بعد الاسلام هي افضل من
التوبه وقرا قتادة فاقيلوا انفسكم من الاقاله اي استقيلوها من
العثره بالقتل وانما عوقب الذين لم يعبدوا بقتل انفسهم على القول
الاول لانهم لم يغيروا المنكر حين عبدوا العجل وانما اعتزلوا وكان
الواجب عليهم ان يقاتلوا من عبده وهذه سنة الله في عبادته اذا فشا
المنكر ولم يغير عوقب الجميع روى جرير قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم اعز منهم وامنع لا يغيرون الا
عمهم الله بعقاب اخرجه ابن ماجه في سننه وسياتي الكلام في هذا
الباب ان شا الله تعالى في ال عمران والمايده قوله بارئكم

البارئ بالهمز الخالق وقيل بينهما فرق وذلك ان البارى هو المبدع المحدث
والخالق هو المقدر الناقل من حال الى حال والبريه الخلق وهي فعيله بمعنى
مفعوله غير انها لا تهمز وقرا ابو عمرو بارئكم قال ابو العباس المبرد لا يجوز
التسكين مع توالي الحركات في حرف الاعراب في كلام ولا شعر وقراه ابي عمرو
لحن قال النحاس وغيره قد اجاز ذلك النحويون القدما الايمه وانشدوا
اذا اعوججن قلت صاحب قوم   وقال اخر   فاليوم اشرب غير مستحقب
اثما من الله ولا واغل   وقال اخر   قالت سليمى اشتر لنا سويقا   وقال
الاخر   قد بدا هنك من المئزر ولكن انكر التسكين في حرف الاعراب فحجته ان
ذلك لا يجوز من حيث كان علما للاعراب قال ابو علي واما حركة البنا فلم
تختلف النحاة في جواز تسكينها مع الحركات واصل برا من بري الشي من الشي
وهو انفصاله منه فالخلق قد فصلوا من العدم الى الوجود ومنه برات من
المرض برا بالفتح كذا تقول اهل الحجاز وغيرهم تقول بريت من المرض برا بالضم
وبريت منك ومن الديون والعيوب براه ومنه المباراة للمراة وقد بارا
شريكه وامراته   قوله فاقتلوا انفسكم ذكر قتل الانفس واراد
به قتل الاخوان وهذا كما قال في ايه اخرى ولا تلمزوا انفسكم اى لا تعيبوا اخوا
نكم وقيل المعنى ليقتل بعضكم بعضا ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه
هو التواب الرحيم وفي الكلام حذف تقديره ففعلتم فتاب عليكم اى فتجاوز
عنكم اي على الباقين منكم وتواب للمبالغه وقد تقدم والحمد لله
تعالى   واذ قلتم يا موسى لن نومن لك حتى نرى الله جهرة
فاخذتكم الصاعقه وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون
فيه خمس مسايل   قوله تعالى واذ قلتم معطوف يا موسى نداء

مفرد

رابع عشرینه

مفرد وقد تقدم معناه لن نومن لك اى نصدقك والايمان التصديق
وقد تقدم حتى نرى الله جهرة قيل هم السبعون الذين اختارهم موسى
وذلك انه لما اسمعهم كلام الله ثم قالوا له بعد ذلك لن نومن والايمان بالانبيا
واجب بعد ظهور معجزاتهم نارا رسل الله عليهم نارا من السما فاحرقتهم ودعا
موسى ربه فاحياهم كما قال تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم وقال وهب بن
منبه بل ارسل الله عليهم جندا من السما فلما سمعوا احسهم ماتوا يوما وليله
فذلك قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم
الصاعقة وانتم تنظرون فلما ماتوا قال رب لو اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما
فعل السفها منا يا رب كيف ارجع الى بنى اسرايل وقد هلكت خيارهم فلم يزل
موسى يناشد ربه حتى احياهم الله جميعا رجل بعد رجل ينظر بعضهم الى بعض
كيف يحيون فذلك قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم على ما نبينه انفا وسياتى
قصه السبعين في الاعراف ان شا الله تعالى وقال ابن فورك يحتمل ان تكون
معاقبتهم لاخراجهم طلب الروية عن طريقه بقولهم لموسى ارنا الله وليس ذلك
من مقدور موسى عليه السلام وقد اختلف في جواز روية الله تعالى فالاكثر
المبتدعه على انكارها في الدنيا والاخرة واهل السنه والسلف على جوازها فيهما
ووقوعها في الاخرة فعلى هذا لم يطلبوا محالا والروية محالا وقد سالها موسى
وسياتي الكلام في الروية في الانعام والاعراف ان شا الله تعالى
قوله تعالى جهرة مصدر في موضع الحال ومعناه علانيه وقيل عيانا قاله
ابن عباس واصل الجهر الظهور ومنه الجهر بالقراة انما هو اظهارها والمجاهرة بالمعا
المظاهرة بها ورايت الامير جهارا وجهرة اى غير مستتر بشي وقرا ابن عباس
جهرة بفتح الهاء وهما لغتان مثل زهرة وزهرة وفي الجهر وجهان احدهما انه صفه

لخطابهم لموسى انهم جهروا به واعلنوا فيكون في الكلام تقديم وتاخير والتقدير
واذ قلتم جهرة يا موسى الثاني انه صفة لما سالوه من رويه الله تعالى ان يروه
جهرة وعيانا فيكون الكلام على نسقه لا تقديم فيه ولا تاخير واكد بالجهر فرقا
ما بين رويه العيان ورويه المنام   قوله تعالى فاخذتكم الصاعقة قد
تقدم في اول السورة معنى الصاعقة وقرا عثمان وعلي الصعقة وهي قراءة ابن محيصن
في جميع القران وانتم تنظرون جمله في موضع الحال ويقال كيف يموتون وهم
ينظرون فالجواب ان العرب تقول دور ال بني فلان تتراءى اي تقابل بعضها
بعضا وقيل المعنى وانتم تعلمون وقيل تنظرون الى حالكم وما نزل بكم من الموت واثار
الصعقة وذلك انهم كانوا ينظر بعضهم الى بعض عند نزول الصعقة لانه تقدم
موت البعض وتاخر موت البعض   قوله تعالى ثم بعثناكم اي احييناكم
قال قتاده ماتوا وذهبت ارواحهم ثم ردوا لاستيفا اجالهم النحاس وهذا
احتجاج على من لم يومن بالبعث من قريش واحتجاج على اهل الكتاب اذ خبروا بهذا
والمعنى لعلكم تشكرون ما فعل بكم من البعث بعد الموت وقيل ماتوا موت همود يعتبر
به الغير ثم ارسلوا واصل البعث الارسال وقيل بل اصله اثارة الشي من محله يقال
بعثت الناقة اثرتها اي حركتها قال امرو القيس   وفتيان صدق قد بعثت بسحره
فقاموا جميعا بين عات ونشوان   وقال عنترة وصحابة شم الانوف بعثتهم
ليلا وقد مال الكرى بطلاها   وقال بعضهم بعثناكم من بعد موتكم علمناكم
من بعد جهلكم والاول اصح لانه الحقيقه وعليه اهل التاويل وكان موت عقوبه
ومنه قوله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال
لهم الله موتوا ثم احياهم على ما ياتي بيانه ان شا الله تعالى   قال الماوردي
واختلف في بقا تكليف من اعيد بعد موته ومعاينة الاحوال المضطرة الى المعرفه

على

على قولين احدهما بقا تكليفهم ليلا يخلوا عاقل من تعبد الثاني سقوط تكليفهم ليكون
تكليفهم معتبرا بالاستدلال دون الاضطرار قلت والاول اصح وان بني
اسرايل قد راوا الجبل في الهوى ساقطا عليهم والنار محيطه بهم وذلك مما
اضطرهم الى الايمان وبقا التكليف ثابت عليهم ومثلهم قوم يونس ومحال
ان يكونوا غير مكلفين والله اعلم تعالى وظللنا عليهم الغمام وانزلنا
عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم
يظلمون فيه سبع مسايل قوله تعالى وظللنا عليهم الغمام اي
جعلناه عليهم كالظله والغمام جمع غمامه كسحابه وسحاب قاله الاخفش سعيد
الفرا ويجوز غمايم وهي السحاب لانها تغم السما اي تسترها وكل مغطى فهو مغموم
منه المغموم على عقله وغم الهلال اذا غطاه الغيم والغين مثل الغيم ومنه
قوله عليه السلام انه ليغان على قلبي قال صاحب العين غين عليه غطي
عليه والغين شجر ملتف وقال السدي الغمام السحاب الابيض وفعل
هذا بهم ليقيهم حر الشمس نهارا ويجلي في اخره ليستضيوا بالقمر ليلا وذكر
المفسرون ان هذا جرى في التيه بين مصر والشام لما امتنعوا من دخول
مدينه الجبارين وقتالهم وقالوا لموسى اذهب انت وربك
فقاتلا فعوقبوا في ذلك الفحص اربعين سنه يتيهون في خمسه فراسخ
او سته على ما ياتي بيانه في المايده وروي انهم كانوا يمشون النهار كله
وينزلون للمبيت فيصبحون حيث كانوا بكرة امس واذا كانوا بالتيه في
التيه اصابهم الجوع فقالوا لموسى من لنا بالطعام فانزل الله عليهم
المن والسلوى قالوا من لنا من حر الشمس فظلل عليهم الغمام قالوا فبم
نستصبح فضرب لهم عمود نور في وسط محلتهم وذكر مكي عمود نار
ل
قنذي

عمود من نور يمد لهم من السما فيسير معهم بالليل مكان القمر والو امن لنا بالما فامر موسى بضرب الحجر والو امن لنا باللباس فاعطوا ان لا يبلى لهم ثوب ولا يخلق ولا يدرن وان تنموا صغارها حسب نمو الصبان والله اعلم

قوله تعالى وانزلنا عليهم المن والسلوى اختلفوا في المن ما هو وتعيينه على اقوال فقيل الترنجبين بتشديد الرا وتسكين النون ذكره النحاس ويقال الطرنجبين بالطا وعلى هذا اكثر المفسرين كان يتساقط عليهم كل غداه فياخذ كل انسان ما يكفيه ليومين لانه لا ياتيهم يوم السبت وكان ذلك مثل الشهد المعجون بالسمن وقيل صفه حلوة وقيل عسل وقيل شراب حلو وقيل خبز الرقاق عن وهب بن منبه وقيل المن مصدر يعم جميع ما من الله به على عباده من غير تعب ولا زرع ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل الكماة من المن الذي انزل الله على بني اسرايل وما وها شفا للعين في روايه من المن الذي انزل على موسى رواه مسلم قال علماونا وهذا الحديث يدل على ان الكماة مما انزل الله على بني اسرايل مما خلقه لهم في التيه قال ابو عبيد انما شبهها بالمن لانه لا مونه فيها ببذر ولا سقي ولا علاج فهي منه اي من جنس من بني اسرايل في انه كان دون تكلف روي انه كان يطلع عليهم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس كالثلج فياخذ الرجل ما يكفيه ليومه على ما ذكرنا لما نص عليه السلام على ان ما الكماه شفا للعين قال بعض اهل العلم بالطب اما لتبريد العين من بعض ما يكون فيها من الحرارة فيستعمل مفرده بنفسها واما في ذلك فمركبه مع غيرها وذهب ابو هريرة رضي الله عنه الى استعمالها بحتا في جميع مرض العين وهذا كما استعمل ابو وجزه العسل في جميع الامراض كلها

حتى

حتى في الكحل على ما ياتي بيانه في النحل ان شا الله تعالى وقال اهل اللغه الحما واحد
وحماتان والمو بلابه فاذا زادوا قالوا حماه ثلاثا على غلس شجره وشجر والمراسم
جنس لا واحد له من لفظه مثل الخير والشر قاله الاخفش قوله
تعالى والسلوى قيل لما اكلوا المن وملوا من اكله قالوا لموسى قتلنا بهذا المن
بحلاوته واحرق بطوننا فادع لنا ربك ان يطعمنا لحما فدعا فبعث الله لهم طيرا
كثيرا وهو السلوى الصحاح وهو السمانى بعينه بتخفيف الميم وهو طير يضرب
الى الحمره وقال بعضهم كان طيرا يا تيهم مشويا ابو الليث السمرقندى وقال
عامه المفسرين انهم كانوا يا خذونها فيذبحونها وقال بن عطيه ابو محمد
السلوى طير باجماع المفسرين وقد غلط الهذلى فقال وقاسمها بالله جهدا
لانتما الذ من السلوى اذا ما اشورها ظن السلوى العسل قلت ما
ادعاه من الاجماع لا يصح وقد قال المورج احد علما اللغه والتفسير انه العسل
وانشد بيت الهذلي وذكر انه كذلك بلغه كنانه سمي به لانه يسلي به ومنه
عين السلوان وانشدوا شرب السلوان ما سليت ما بي غنا عنك
وان غنيتا وقال الجوهرى ابو نصر والسلوى العسل وذكر بيت الهذلي
الذ من السلوى اذا ما اشورها ولم يذكر غلطا والسلوانه بالضم خرزه
كانوا يقولون اذا صب عليها ما المطر فشربه العاشق سلا قال شربت
على سلوانه ما مزنه فلا وجديد العيش يا مي ما اسلوا واسم ذلك
الما السلوان وقال بعضهم السلوان دوا يسقاه الحزين فيسلوا والاطبا
يسمونه المفرح يقال سليت وسلوت لغتان وهو في سلوه من
اي في رغد عن ابي زيد واختلف في السلوى هل هو جمع
او مفرد فقال الاخفش لا واحد له من لفظه مثل الخير والشر وهو يشبه

ان يكون واحد سلوى مثل جماعه كما قالوا دفلى للواحد والجماعة وسمانا
وشكاعا في الواحد والجمع وقال الخليل واحده سلواة وانشد واني
لتعروني لذكراك سلوة كما انتفض السلوى من بلل القطر وقال الكسائي
السلوى واحده وجمعه سلاوى السلوى عطف على المن
ولم يظهر فيه الاعراب لانه مقصور ووجب هذا في المقصور كله لانه لا
يخلو من ان يكون في اخره الف قال الخليل والالف حرف هوائي لا مستقر
له فاشبه الحركة فاستحالت حركته وقال الفراء لو حركت الالف صارت
همزة قوله تعالى كلوا فيه حذف تقديره وقلنا كلوا فالحذف
اختصار لدلالة الظاهر عليه وهو في القران وهو في القران كثير قال الله
تعالى فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم يعني يقال لهم اكفرتم وقال
اية اخرى والذين اتخذوا من دونه اوليا ما نعبدهم الا ليقربونا يعني قالوا
ما نعبدهم وكذا قوله تعالى هنا كلوا من طيبات اي من حلالات ما رزقناكم
اي اعطيناكم من المن ولا تطغوا فيه يعني لا تعصوا فيه ولا ترفعوا الغدا
ترفعوا وجعلوا اللحم تديدا مخافة ان ينفد فرفع ذلك عنهم ولو لم يرفعوا
لدام ذلك عليهم من ذلك قوله تعالى وما ظلمونا يعني وما ضرونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون يعني اضروا بانفسهم حيث رفعوا فرفع ذلك عنهم وفي
صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لولا بنوا
اسرايل لم يخنز الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حوا لم تخن انثى زوجها الدهر وقيل
وما ظلمونا بقولهم فعصوا ولم يقابلوا النعم بالشكر ولكن كانوا انفسهم
يظلمون لمقابلتهم النعم بالمعاصي تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية
فكلوا منها حيث شيتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم

حطايكم

حطايا كم وسنزيد المحسنين فيه سبع مسايل   قوله تعالى واذ
قلنا ادخلوا حذفت الالف من قلنا لسكونها وسكون الدال بعدها والا   لف
التي يبتدا بها قبل الدال الف وصل لانه من يدخل   قوله تعالى
هذه القرية اي المدينة سميت بذلك لانها تقرت اي اجتمعت ومنه قريت
الماء في الحوض اي جمعته واسم ذلك الماء قرى بكسر القاف مقصور وكذلك
ما قرى به الضيف قاله الجوهري والمقراه للحوض والقرى لمسيل الماء والقر   ى
للظهر ومنه قول الاخر بطن بقرى سمين والمقارى الجفان العظام قال
عظام المقارى ضيفهم لا يفزع   وواحد المقارى مقراه وكله بمعنى الجمع
غير مهموز والقرية بكسر القاف لغة اليمن واختلف في تعيينها فقال
الجمهور هي بيت المقدس وقال الكلبي هي اريحا من بيت المقدس وقال عمر بن شبه كا   نت
قاعدة ومسكن ملوك مقابل ايليا بن هيسان الشام الضحاك الرملة والاردن
وفلسطين وتدمر وهذه نعمة اخرى وهي انه اباح لهم دخول البلد و
ازال عنهم التيه ويقال كان هذا من بعد موسى وهرون وبعد مضي اربعين
سنة وان شا الله تعالى امر يوشع بن النون وكان خليفة موسى بان يدخل
مع قومه المدينة على ما ياتي في سورة المايدة بيانه   قوله تعالى
وكلوا امرا باحه ورغدا كثيرا واسعا وهو نعت لمصدر محذوف واي
الاكل رغدا ويجوز ان يكون في موضع الحال على ما تقدم وكانت ارضا
مباركة عظيمة الغلة فلذلك قال رغدا   قوله تعالى وادخلوا
الباب سجدا اي قال لهم ذلك يوشع عن والباب يجمع ابوابا وقد قالوا ابوبة
للازدواج قال الشاعر هتاك اخبية ولاج ابوبة يخلط بالجد منه البر
واللين ولو افرده لم يجز ومثله قوله عليه السلام لوفد عبد القيس مرحبا

بالوقد وبالوند غير خزايا ولا الندا ما وتبوت بوابا الخلفة وابواب
مبوبة كما قالوا اصناف مصنفة وهذا شي من بابتك ان يصلح لك وسجدا يعني
ركعا منحنين مكسين روسكم متواضعين فيقوم ذلك منكم مقام السجود عن
بن عباس وغيره وقيل متواضعين خضوعا لا على هيبة معينة فالله اعلم والباب
الذي امروا بدخوله هو باب في بيت المقدس يعرف اليوم بباب حطة عن مجاهد
وغيره وقيل باب القبة التي كان يصلي اليها موسى وبنوا اسرائيل
وقولوا حطة عطف على ادخلوا اي ادخلوا وقولوا حطة بالرفع قراه الجمهور
على اضمار مبتدا اي مسلسا حطة او قولوا قولا فيه حطة او يكون حكاية قال
الاخفش وقرى حطة بالنصب على معنى احطط عنا ذنوبنا حطة وهي قراة شاذة
النحاس جا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قيل لهم قولوا لا اله الا الله
وفي حديث اخر عنه قيل لهم قولوا مغفرة تفسير للنصب اي قولوا شيا
يحط ذنوبكم كما قال قل خيرا والايمة من القرا على الرفع وهو اولى في اللغة لما حكي
عن العرب في معنى بدل قال احمد بن يحيى يقال بدلته اي غيرته ولم ازل عينه
وابدلته ازلت عينه وشخصه كما قال عزل الامير الامير المبدل وقال الله
عز وجل وقال الذين لا يرجون لقانا ايت بقران غير هذا او بدله والحديث بن
مسعود قالوا حنطة تفسير على الرفع هذا كله قول النحاس وقال الحسن وعكرمة حطة
بمعنى حط ذنوبنا وقيل امروا ان يقولوا لا اله الا الله لتحط بها ذنوبهم وقال
بعضهم معناه بسم الله وقال بن جبير معناه الاستغفار ابان بن تغلب التوبة قال
الشاعر فاز بالحطة التي جعل الله بها ذنب عبده مغفورا وقال بعضهم امروا ان
يقولوا هذا اللفظ ولا ندري ما معناه قال بن فارس اللغوي في كتاب المجمل له حطة كلمة
امر بها بنوا اسرائيل لو قالوها لحطت اوزارهم وقال الجوهري ايضا في الصحاح

قلت فيحتمل ان يكونوا تعبدوا بهذا اللفظ بعينه وهو الظاهر من الحديث روى
مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبني اسرائيل ادخلوا
الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فدخلوا الباب يزحفون على استاههم وقالوا
حبة في شعرة واخرجه البخاري وقال فبدلوا وقالوا حطة حبة في شعرة في غير
الصحيحين حطة في شعرة وقيل قالوا هطا سمهاثا وهي لفظة عبرانية تفسيرها حنطة
حمراء حكاها ابن قتيبة وحكاه الهروي في غريبه عن السدي ومجاهد وكان قصدهم
خلاف ما امر الله فعصوا وتمردوا واستهزؤا فعاقبهم الله بالرجز وهو العذاب
على ما ياتي وروي ان الباب جعل قصيرا ليدخلوا ركعا فدخلوا متوركين على استاههم
فخالفوا وبدلوا استدل بعض العلماء بهذه الاية على ان تبديل الاقوال
المنصوص عليها في الشريعة لا يخلو ان يقع التعبد بلفظها او بمعناها فان كان
التعبد وقع بلفظها فلا يجوز تبديلها لذم الله تعالى من بدل ما امره بقوله وان وقع بمعناها
جاز تبديلها بما يودي الى ذلك المعنى ولا يجوز تبديلها بما يخرج عنه وقد اختلف
العلماء في هذا المعنى فحكي عن مالك والشافعي وابي حنيفة واصحابهم انه يجوز للعالم
بمواقع الخطاب البصير باحاد كلماته نقل الحديث بالمعنى لكن بشرط المطابقة للمعنى
بكماله وهو قول الجمهور ومنع ذلك جمع كثير من العلماء منهم ابن سيرين والقاسم
بن محمد ورجاء بن حيوة وقال مجاهد انقص من الحديث ان شيت ولا تزد فيه
وكان مالك بن انس يشدد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في التاء والياء
ونحو هذا وعلى هذا جماعة من ايمة الحديث لا يرون ابدال اللفظ ولا تغييره
حتى انهم يسمعون ملحونا ويعلمون ذلك ولا يغيرونه وروى ابو مجلز عن قيس
بن عباد قال قال عمر بن الخطاب من سمع حديثا فحدث به كما سمع فقد سلم
وروي نحوه عن عبد الله بن عمر وزيد بن ارقم وكذا الخلاف في التقديم

والتاخير والزياده والنقصان فان منهم من يعتمد المعنى ولا يعتد باللفظ
ومنهم من يشدد في ذلك ولا يفارق اللفظ وذلك هو الاحوط في الدين والابقى
والاولى ولكن اكثر العلما على خلافه والقول بالجواز هو الصحيح ان شا الله
وذلك ان المعلوم من سيره الصحابه رضى الله عنهم هو انهم كانوا يروون الوقايع
المتحده بالفاظ مختلفه وماذاك الا انهم كانوا يصرفون عنايتهم للمعاني ولم يلتزموا
التكرار على الاحاديث والاكتتاب وروي عن واثله بن الاسقع انه قال ليس كل ما اخبرنا
به رسول الله صلى الله عليه وسلم نقلناه اليكم حسبكم المعنى وقال قتاده عن
زراره بن ابي اوفي لقيت عده من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاختلفوا على في
اللفظ واجتمعوا في المعنى وكان النخعي والحسن والشعبي رحمهم الله ياتون بالحديث
على المعاني قال الحسن اذا اصبت المعنى اجزاك وقال سفين الثوري رحمه الله اذا
قلت لكم اني احدثكم كما سمعت فلا تصدقوني انما هو المعنى وقال وكيع رحمه
الله ان لم يكن المعنى واسعا فقد هلك الناس واتفق العلما على جواز نقل الشرع
للعجم بلسانهم وترجمته لهم وذلك هو النقل بالمعنى وقد فعل الله ذلك في كتابه
فيما قص من انبا ما قد سلف فقص قصصا ذكر بعضها في مواضع بالفاظ مختلفه
والمعنى واحد ونقلها من السنتهم الى اللسان العربي وهو مخالف لها في التقديم
والتاخير والالغا والزياده والنقصان واذا جاز ابدال العربيه بالعجميه فلان
يجوز بالعربيه اولى احتج بهذا المعنى الحسن والشافعي وغيرهما وهو الصحيح في الباب
فان قيل فقد قال صلى الله عليه وسلم نضر الله امرا سمع مقالتي فوعاها فبلغها كما سمعها
وذكر الحديث وما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه امر رجلا ان يقول عند
مضجعه في دعا علمه امنت بكتابك الذي انزلت ونبيك الذي ارسلت قالوا الا
ترى انه لم يسوغ لمن علمه الدعا مخالفة اللفظ وقال فاداها كما سمعها قيل لهم اما قوله

فاداها

فاذا ما سمعها فالمراد حكمها لا لفظها لان اللفظ غير معتبر به ويدلك على ان المراد
من الخطاب حكمه قوله في الحديث نفسه فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه
الى من هو افقه منه ثم ان الحديث بعينه قد نقل بالفاظ مختلفه والمعنى واحد
وان امكن ان يكون جميع الالفاظ قول النبي صلى الله عليه وسلم في اوقات مختلفه
لكن الاغلب انه حديث واحد نقل بالفاظ مختلفه وذلك ادل دليل على الجواز
واما رده عليه السلام الرجل من قوله برسولك الى قوله وبنبيك فان لفظ النبي
امدح ولكل نعت من هذين النعتين موضع الا ترى ان اسم الرسول يقع على
الكافه واسم لا يستحقه الا الانبيا عليهم السلام وانما فضل المرسلون من الانبيا
لانهم جمعوا النبوه والرساله فلما قال وبنبيك جا بالنعت الامدح ثم قيده
بالرساله بقوله الذى ارسلت وايضا فان نقله من قوله وبرسولك الى قوله وبنبيك
ليجمع بين النبوه والرساله ومستقبح في الكلام ان يقول هذا رسول فلان
الذى ارسله وهذا قتيل زيد الذى قتله لانك تجتزى بقولك رسول فلان وقتيل
فلان عن اعادة المرسل والقاتل اذ كنت لا تفيد به الا المعنى الاول وانما
يحسن ان يقول هذا رسول عبد الله الذى ارسله الى عمرو وهذا قتيل زيد الذى
الذى قتله بالامس او في وقعه كذا والله ولي التوفيق فان قيل فاذا جاز للراوى
الاول تغيير الفاظ الرسول عليه السلام جاز للثاني تغيير الفاظ الاول ويودى
ذلك الى طمس الحديث بالكليه لدقه الفروق وحفظها قيل له الجواز مشروط
بالمطابقه والمساواة كما ذكرنا فان عدمت لم يجز قال القاضي ابو بكر بن العربي الكلام
في هذه المسئله انما يتصور بالنظر الى عصر الصحابه والتابعين لتساويهم في معرفه
اللغه الجبليه الدقيقه واما من بعدهم فلا نشك في ان ذلك لا يجوز اذ الطباع
قد تغيرت والفهوم قد تباينت والعوايد قد اختلفت وهذا هو الحق

وحفظها

قلت قال بعض علمائنا لقد تعاجم ابن العربي رحمه فان الجواز اذا كان مشروطا
بالطائفه فلا فرق بين زمن الصحابه والتابعين ومن غيرهم ولهذا لم يفصل احد
من الاصوليين ولا اهل الحديث هذا التفصيل نعم لو قال ان الطائفه في
زمنه ابعد كان اقرب والله اعلم قوله تعالى نغفر لكم خطاياكم
قراة نافع ومن تابعه من اهل المدينه باليا مع ضمها وابن عامر ومن تابعه من اهل
الشام بالتا مع ضمها وهي قراة مجاهد والباقون بالنون مع نصبها وهي ابينها لاشبهها
واذ قلنا ادخلوا فجرى نغفر على الاخبار عن الله تعالى والتقدير وقلنا ادخلوا
الباب سجدا نغفر لكم ولا نعجز وسنزيد المحسنين وخطاياكم اتباعا للسواد وانه
على بابه ووجه من قرا بالتا انه انث لتانيث لفظ الخطايا لانها جمع خطيئه على
التكسير ووجه القراه باليا انه ذكر لما حال بين المونث وبين فعله على ما تقدم
في قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات وحسن اليا والتا وان كان قبله اخبار
عن الله تعالى في قوله واذ قلنا لانه قد علم ان ذنوب الخاطئين لا يغفرها الا
الله فاستغنى عن النون ورد الفعل الى الخطايا المغفوره واختلف في اصل
الخطايا جمع خطيئه بالهمز فقال الخليل الاصل في خطايا ان يقول خطايي
ثم قلب فقيل خطائي بهمزه بعدها يا ثم تبدل من اليا الفا بدلا لازما
فتقول خطاءا فلما اجتمعت الفان بينهما همزه والهمزه من جنس الالف صرت
كانك جمعت بين ثلاث الفات فابدلت من الهمزه يا فقلت خطايا واما
سيبويه فمذهبه ان الاصل مثل الاول خطايي ثم وجب بهذا ان
تهمز اليا كما همزتها في مداين فتقول خطائي ولا تجمع همزتان في كلمه
فابدلت من الثانيه يا فقلت خطايي ثم عملت كما عملت في الاول
وقال الفرا خطايا جمع خطيه بلا همز كما تقول هديه وهدايا قال

الفرا

الفرا ولو جمعت خطيه مهموزة لقلت خطاا و قال الكسابي وجمعها مهموز
ادغمت الهمزة في الهمزة كما قلت دواب قوله تعالى وسنزيد
المحسنين اي في احسان من لم يعبد العجل ويقال نغفر خطايا من رفع المن
والسلوى للغد وسنزيد في احسان من لم يرفع للغد ويقال نغفر خطايا
من هو عاص وسنزيد في احسان من هو محسن وهو اسم فاعل من احسن والمحسن
قيل هو من صح عقد دينه واحسن سياسه نفسه واقبل على اداء فرايضه وكفى
المسلمين شره وفي حديث جبريل عليه ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك خرجه مسلم تعالى فبدل الذين ظلموا
قولا غير الذي قيل فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السما بما كانوا يفسقون
فيه خمس مسايل قوله تعالى فبدل الذين ظلموا تقدم معنى بدل
وابدل وقرى دبنا ان يبدلنا على الوجهين قال الجوهري وابدلت الشي بغيره
وبدله الله من الخوف امنا وتبديل الشي ايضا تغييره وان لم تات ببدل واستبدل
الشي بغيره وتبدله به اذا اخذ مكانه والمبادله التبادل والابدال
قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم اذا مات واحد منهم ابدل الله
مكانه باخر وسياتي الكلام فيهم في هذه السوره ان شا الله تعالى قال ابن
دريد يقال الواحد بديل والمبدل المبدل وبدل الشي غيره يقال
بدل وبدل لغتان مثل شبه وشبه ومثل ومثل ونكل ونكل قال ابو عبيد
لم يسمع في فعل وفعل غير هذه الاحرف والبدل وجع في اليدين
والرجلين وقد بدل بالكسر يبدل بدلا قوله تعالى الذين
ظلموا في موضع رفع اي فبدل الظالمون قولا غير الذي قيل لهم وذلك انه
قيل لهم قولوا حطه فقالوا حنطه على ما تقدم فزاد واحرفا في الكلام فلقوا

من البلا ما القوا فكان في هذا تعريفا ان الزيادة في الدين والابتداع في الشريعة
عظيمة الخطر شديد الضرر هذا في تغيير كلمة هي عبارة عن التوبة والمقوم
على ما تقدم اوجبت كل ذلك من العذاب فما ظنك بتغيير ما هو من صفات
المعبود هذا والقول انقص من العمل فكيف بالتبديل والتغيير في الفعل

قوله تعالى فانزلنا على الذين ظلموا كرر لفظ ظلموا ولم يضمره
تعظيما للامر والتكرير يكون على ضربين احدهما استعماله بعد تمام الكلام
كما في هذه الاية وقوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم قال
بعد فويل لهم مما كتبت ايديهم ولم يقل مما كتبوا وكرر الويل تغليظا لفعلهم
ومنه قول الخنسا تعرقني الدهر نهشا وحزا واوجعني الدهر قرعا وغمزا
ارادت ان الدهر اوجعها بكبريات نوايبه وصغرياتها والضرب الثاني
مجي تكرير الظاهر في موضع المضمر قبل ان يتم الكلام كقوله تعالى الحاقة ما
الحاقة والقارعة ما القارعة كان القياس لولا ما اريد به من التعظيم ا
والتفخيم الحاقة ما هي والقارعة ما هي واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب
المشئمة لما ينالهم من اليم العذاب ومن هذا الضرب قول الشاعر ليت
الغراب غداة ينعب دايما كان الغراب مقطع الاوداج وقد جمع عدي
بن زيد العبيدي بقال لا ارى الموت يسبق الموت شي نغص الموت ذا الغنى
والفقيرا فكرر لفظ الموت ثلثا وهو من الضرب الاول ومنه قول
الاخر الا حبذا هند وارض بها هند وهند اتى من دونها الناى
والبعد فكرر ذكر محبوبته ثلاثا تفخيما لها قوله تعالى رجزا
من السما قراه العامة رجزا بكسر الرا وابن محيصن بضم الرا والرجز العذاب
بالزاي قيل انه ظلمه وطاعونا هلك منهم في ساعة واحدة سبعون الفا قاله

ابو روق

ابو روق وقيل عذاب من السما وهو موت الفجاه وقيل نزلت لهم نار فما حترقوا وبقال وقع بينهم قال فقتل بعضهم بعضا والرجس النتن والقذر ومنه قوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم اي نتنا الى نتنهم قاله الحساي وقال الفرا الرجز هو الرجس قاله ابو عبيد هما السدغ والزدغ ولذا رجز ورجس بمعنى قال الفرا وذكر بعضهم ان الرجز بالضم اسم صنم كانوا يعبدونه وقري بذلك في قوله تعالى والرجز فاهجر والرجز بفتح الرا والجيم نوع من الشعر وانكر الخليل ان يكون شعرا وهو مشتق من الرجز وهو دا يصيب الابل في اعجازها فاذا ثارت ارتعشت افخاذها قوله تعالى بما كانوا يفسقون اي بفسقهم والفسوق الخروج وقد تقدم وقرا ابن وثاب والنخعي يفسقون بكسر السين تعالى واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشره عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين فيه عشر مسايل قوله تعالى واذا ستسقى موسى لقومه رجع الى قصه موسى حين كانوا في التيه واصابهم العطش فاستغاثوا موسى فدعا موسى ربه فاوحى الله ان اضرب بعصاك الحجر على ما ياتي وكسرت الدال من اذ لالتقا الساكنين والسين سين السوال مثل استعلم واستخبر واستنصر ونحو ذلك اي طلب وسال السقي لقومه والعرب تقول سقيته واسقيته لغتان بمعنى قال الشاعر سقى قومي بني مجد واسقى نميرا والقبايل من هلال وقيل سقيته من سقي الشفه دللته على الما الاستسقا انما يكون عند عدم الما وحبس القطر واذا كان ذلك فالحكم حينيذ اظهار العبوديه والفقر والمسكنه مع التوبه النصوح وقد استسقى نبينا صلى الله

ورجس

عليه وسلم لخرج الى المصلى متواضعا متبذلا متخشعا متضرعا وحسبك به فليف
بنا ولا توبه معنا الا العناد ومخالفة رب العباد فاى سقى لمن قد قال صلى الله
عليه وسلم في حديث بن عمر ولم يمنعوا زكاة اموالهم الا منعوا القطر من السما
ولولا البهايم لم يمطروا اخرجه بن ماجه في سننه وابو بكر البزار في مسنده وقد
ذكرناه في كتاب التذكرة بكماله من رواية مالك ايضا والحمد لله
سنة الاستسقا الخروج الى المصلى على الصفة التي ذكرنا والخطبة والصلاة وبهذا
قال جمهور العلما وذهب ابو حنيفة الى انه ليس من سنته صلاة ولا خروج
وانما هو دعا لا غير واحتج بحديث انس الصحيح خرجه البخاري ومسلم وانه
عليه السلام دعا على المنبر يوم الجمعة فسقوا ولا حجة له فيه فان ذلك كان
دعا عجلت اجابته فاكتفى به عما سواه ولم يقصد بذلك بيان سنته ولما قصد
البيان بين بفعله حسب ما رواه عبد الله بن عبد الله زيد المازني قال خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المصلى فاستسقى وحول رداه ثم صلى ركعتين
رواه مسلم وسياتي من احكام الاستسقا زيادة في سورة هود ونوح عليهما
السلام ان شا الله تعالى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر
العصا معروف وهو اسم مقصور مونث والفه منقلبة عن واو قال
على عصواتها ساحسه مستبرق والجمع عصي وعصي وهو فعول وانما
كسرت العين لما بعدها من الكسرة والعصي ايضا مثله مثل زمن وازمن
وفي المثل العصا من العصية اى بعض الامر من بعض وقولهم القا عصاه
اي اقام وترك الاسفار وهو مثل قال فالقت عصاها واستقر
بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر وفي التنزيل وما تلك بيمينك يا
موسى قال هي عصاي وهناك ياتي الكلام في منافعها ان شا الله تعالى

قال الغزا

قال الفرا ولحن سمع بالعراق هذه عصاتى وقد يعبر بالعصا عن الاجتماع
والافتراق ومنه يقال فى الخوارج قد شقوا عصا المسلمين اى اجتماعهم وائتلا[فهم]
وانشقت العصا اى وقع الخلاف قال اذا كانت الهيجا وانشقت العصا فحسبك
والضحاك سيف مهند اى يكفيك ويكفى الضحاك وقوله عليه السلام لا ترفع
عصاك عن اهلك يريد به الادب دليله حقه احفهم فى الله
قوله تعالى الحجر معروف وقياس جمعه فى ادنى العدد احجار وفى الكثير حجار وحجارة
والحجارة نادر وهو لقولهم جمل وجمالة وذكر وذكارة قاله ابن فارس والجوهرى
قلت وفى القران فهى كالحجارة اى من الحجارة قل كونوا حجارة ترميهم بحجارة امطرنا
عليهم حجارة فكيف يكون نادرا الا ان يريد انه نادر فى القياس كثير فى الاستعما[ل]
فصيح والله اعلم قوله تعالى فانفجرت فى الكلام حذف تقديره
فضرب فانفجرت وقد كان تعالى قادرا على تفجير الما وفلق البحر من غير ضرب ولكن
اراد ان يربط المسببات بالاسباب حكمة منه للعباد فى وصولهم الى المراد وليرتب
على ذلك ثوابهم وعقابهم فى المعاد والانفجار الانشقاق ومنه انشق الفجر وانفجر الما
انفجارا انفتح والفجرة موضع يفتح الما وفى الاعراف فانبجست والانبجاس اضيق
من الانفجار لانه يكون انبجاسا ثم يصير انفجارا وقيل انبجس وتبجس وتفجر وتفتق بمعنى
واحد حكاه الهروى وغيره قوله تعالى اثنتا عشرة عينا اثنتا فى
موضع رفع بانفجرت وعلامة الرفع فيها الالف واعربت دون نظايرها لان
التثنية معربة ابدا لصحة معناها عينا نصب على البيان وقرا مجاهد وطلحة
وعيسى عشرة بكسر الشين وهى لغة بنى تميم وهذا من لغتهم نادر لان سبيلهم التخفيف
ولغة اهل الحجاز عشرة وسبيلهم التثقيل قاله النحاس والعين من الاسما المشتركة
يقال عين الما وعين الانسان وعين الركبة وعين الشمس والعين سحابة تقبل من ناحية القبلة

والعين مطر يدوم خمسا او ستا وبلد العين قليل اي قليل الناس وما بها عين متحرك اليا
والعين الثقب في المزاده والعين من الما شبيهه بالعين من الحيوان لخروج الما منها
كخروج الدمع من عين الحيوان وقيل لما كان عين الحيوان اشرف ما فيه شبهت به عين
الما لانها اشرف ما في الارض لما استسقى موسى عليه السلام امر ان
يضرب عند استسقايه حجرا قيل مربعا طوريا من الطور على قدر راس الشاه وقيل
مثل راس الانسان يلقى في جوالق ويرحل به فاذا نزلوا وضع في وسط محلتهم وذكر
انهم لم يكونوا يحملون الحجر لكنهم يجدونه في كل مرحله في منزلته من المرحله الاولى
وهذا اعظم في الايه والاعجاز وقيل انه اطلق له اسم الحجر ليضرب موسى اي حجر شا وهذا
ابلغ في الاعجاز وقيل ان الله تعالى امره ان يضرب حجرا بعينه بينه لموسى ولذلك ذكر
بلفظ التعريف قال سعيد بن جبير هو الحجر الذي وضع موسى عليه ثوبه اذ
اغتسل وفر بثوبه حتى براه الله مما رموه به ويقال كان من الجنه ويقال رفعه موسى
من اسفل البحر حيث مر به مع قومه وقيل كان حجرا من احجار الارض والله اعلم قال
بن عطيه ولا خلاف انه كان حجرا منفصلا مربعا يطرد من كل جهه ثلاثة عيون
اذا ضربه موسى واذا استغنوا عن الما ورحلوا جفت العيون قلت قد ذكر
ابو الليث السمرقندي في هذا خلافا فقال ويقال كان يخرج عينا واحدا ثم تتفرق
على اثنى عشر فرقه وتصير اثني عشر نهرا وقال بعضهم كان الحجر اثنا عشر ثقبا يخرج
منها اثنا عشر عينا لا يختلط بعضه ببعض قلت وما اوتي نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم من نبع الما وانفجاره من يديه وبين اصابعه اعظم في المعجز فانا نشاهد
الما ينفجر من الاحجار انا الليل وانا النهار ومعجزة نبينا لم يكن لنبي قبل نبينا صلى الله
عليه وسلم يخرج من بين لحم ودم روى الايمه الثقاة والفقها الاثبات عن عبد
الله قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجد ماء فاتي بتور فادخل يده

فلقد رايت الما ينفجر من بين اصابعه ويقول حي على الطهور قال الاعمش فحدثني سالم
بن ابي الجعد قال قلت لجابر كم كنتم يومئذ قال الفا وخمس مايه لفظ النساي وقال

قوله تعالى قد علم كل اناس مشربهم يعني ان لكل سبط منهم عينا قد
عرفها لا يشرب من غيرها والحكمه في ذلك ان الاسباط كانت بينهم عصبيه ومباهاه
وكل سبط منها لا يتزوج من الاخر سبط اخر واراد كل سبط تكثير سبط نفسه
فجعل لكل سبط منهم نهر على حده ليستقوا منها ويسقوا دوابهم لكي لا يقع بينهم
جدال ومخاصمه والشرب موضع الشرب وقيل المشروب والاسباط
بني اسرايل كالقبايل في العرب وهم ذرية الاثني عشر اولاد يعقوب عليه
فكان لكل سبط عين من تلك العيون لا يتعداها قال عطا كان للحجر اربعه اوجه
يخرج من كل وجه ثلاثه اعين لكل سبط عين لا يخالطهم سواهم وبلغنا انه
كان يظهر على موضع من ضربه موسى مثل ثدي المراة على الحجر فيعرق اولا ثم
يسيل

قوله تعالى كلوا واشربوا في الكلام حذف تقديره وقلنا
لهم كلوا المن والسلوى واشربوا الما المنفجر من الحجر المنفصل ولا تعثوا اي لا
تفسدوا والعيث اشد الفساد فنهاهم عن ذلك اي لا تعملوا في الارض بالمعاصي
يقال عثي يعثي عثيا وعثى يعثو عثوا وعاث يعيث عيثا وعيوثا ومعاثا والاول
لغه القران ويقال عث يعث في المضاعف افسد ومنه العثه وهي السوسه
التي تلحق الصوف ومفسدين حال وكرر المعنى باللفظ لاختلاف اللفظ وفي
هذه الكلمات اباحه النعم وتعدادها والتقدم في المعاصي والنهي عنها

تعالى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد

والعين مطر ايام لا يقلع وم خمسا وستا وبلد العين قليل اي قليل الناس وما لا عين متحرك اليا
والعين الثقب في المزاده والعين من الما شبيهه بالعين من الحيوان لخروج الما منها
كخروج الدمع من عين الحيوان وقيل لما كان عين الحيوان اشرف ما فيه شبهت به عين
الما لانها اشرف ما في الارض   لما استسقى موسى عليه السلام امر ان
يضرب عند استسقايه حجرا قيل مربعا طوريا من الطور على قدر راس الشاه وقيل
مثل راس الانسان يلقى في جوالق ويرحل به فاذا نزلوا وضع في وسط محلتهم وذكر
انهم لم يكونوا يحملون الحجر لكنهم يجدونه في كل مرحله في منزلته من المرحله الاولى
وهذا اعظم في الايه والاعجاز وقيل انه اطلق له اسم الحجر ليضرب موسى اي حجر شا وهذا
ابلغ في الاعجاز وقيل ان الله تعالى امره ان يضرب حجرا بعينه بينه لموسى ولذلك ذكر
بلفظ التعريف قال سعيد بن جبير هو الحجر الذي وضع موسى عليه ثوبه اذ
اغتسل وفر بثوبه حتى براه الله مما رموه به ويقال كان من الجنه ويقال دفعه موسى
من اسفل البحر حيث مر به مع قومه وقيل كان حجرا من احجار الارض والله اعلم قال
بن عطيه ولا خلاف انه كان حجرا منفصلا مربعا يطرد من كل جهه ثلاثة عيون
اذا ضربه موسى واذا استغنوا عن الما ورحلوا جفت العيون قلت قد ذكر
ابو الليث السمرقندي في هذا خلافا فقال ويقال كان يخرج عينا واحدا ثم تتفرق
على اثنى عشر فرقة وتصير اثني عشر نهرا وقال بعضهم كان الحجر اثنا عشر ثقبا يخرج
منها اثنا عشر عينا لا يختلط بعضه ببعض قلت وما اوتي نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم من نبع الما وانفجاره من بين اصابعه اعظم في المعجز فانا نشاهد
الما يتفجر من الاحجار انا الليل وانا النهار ومعجزة نبينا لم يكن لنبي قبل نبينا صلى الله
عليه وسلم يخرج من بين لحم ودم روى الايمه الثقاة والفقها الاثبات عن عبد
الله قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجد ما فاتي بتور فادخل يده

فلقد

فلقد رايت الما ينفجر من بين اصابعه ويقول حي على الطهور قال الاعمش حدثني سالم
بن ابي الجعد قال قلت لجابر كم كنتم يومئذ قال الفا وخمسمايه لفظ النساى وقال

قوله تعالى قد علم كل اناس مشربهم يعني ان لكل سبط منهم عينا قد

عرفها لا يشرب من غيرها والحكمه في ذلك ان الاسباط كانت بينهم عصبيه ومبا هاه
وكل سبط منها لا يتزوج من الاخر سبط اخر واراد كل سبط تكثير سبط نفسه
فجعل لكل سبط منهم نهر على حده ليستقوا منها ويسقوا دوابهم لكي لا يقع بينهم
جدال ومخاصمه والشرب موضع الشرب وقيل المشروب والاسباط
بني اسرايل كالقبايل في العرب وهم ذريه الاثني عشر اولاد يعقوب عليه
فكان لكل سبط عين من تلك العيون لا يتعداها قال عطا كان للحجر اربعه اوجه
يخرج من كل وجه ثلاثه اعين لكل سبط عين لا يخالطهم سواهم وبلغنا انه
كان يظهر على موضع من ضربه موسى مثل ثدي المراة على الحجر فيعرق اولا ثم
يسيل قوله تعالى كلوا واشربوا في الكلام حذف تقديره وقلنا
لهم كلوا المن والسلوى واشربوا الما المنفجر من الحجر المنفصل ولا تعثوا اي لا
تفسدوا والعيث اشد الفساد نهاهم عن ذلك اي لا تعملوا في الارض بالمعاصي
يقال عثي يعثي عثيا وعثى يعثو عثوا وعاث يعيث عيثا وعيوثا ومعاثا والاول ل
لغه القران ويقال عث يعث في المضاعف افسد ومنه العثه وهي السوسه
التي تلحق الصوف ومفسد من حال وتكرر المعنى تاكيد لاختلاف اللفظ وفي
هذه الكلمات اباحه النعم وتعدادها والتقدم في المعاصي والنهي عنها

تعالى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد

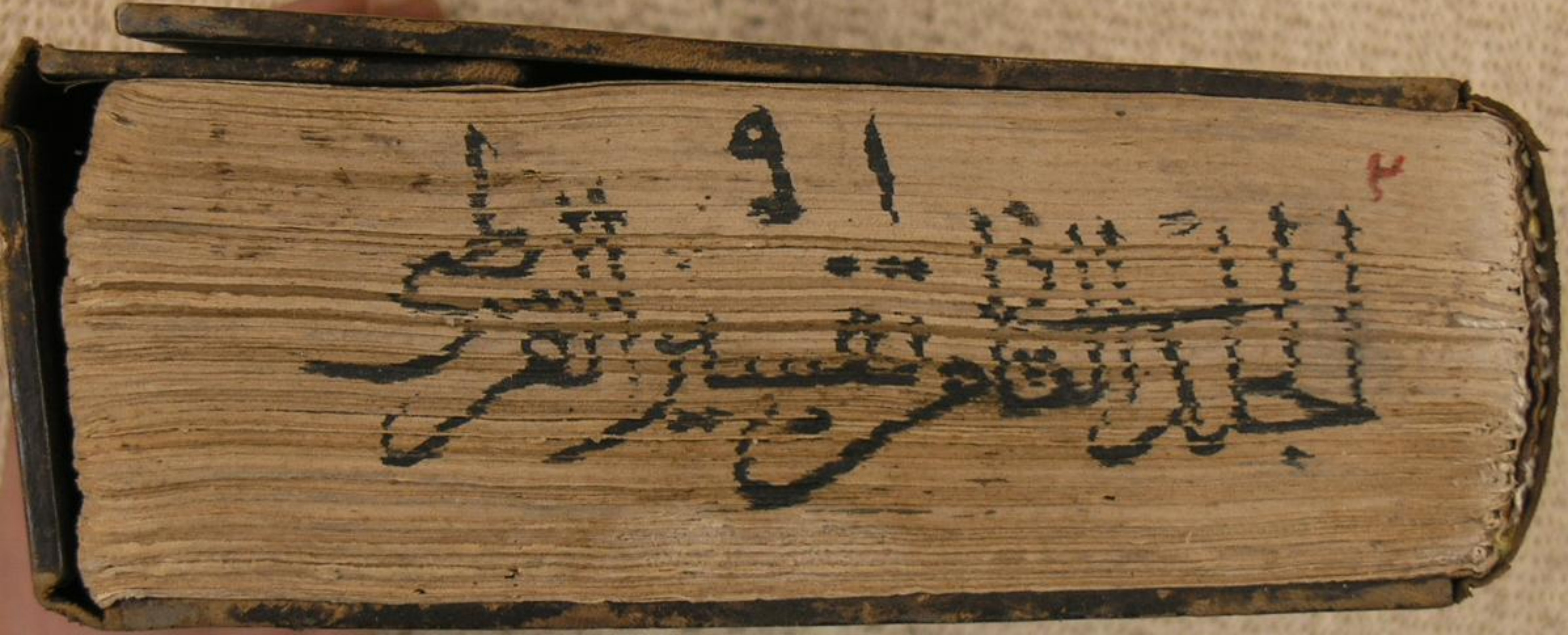

الجلد الثاني من تفسير القرطبي

قوله تعالى في سورة البقرة وإذ قلتم يا موسى
لن نصبر على طعام واحد الى قوله تعالى
ولا تحلقوا رؤوسكم

الجزء الثاني من القرطبي

من جامع احكام القرآن للشيخ الامام ابي عبد الله محمد بن
ابي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي القرطبي المالكي توفي سنة
ثمان وستين وستمائة رحمه الله

من كتب الفقير السيد فيض الله مفتي السلطنة العثمانية
عفي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

تعالى وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون فيه سبع عشرة مسئلة

قوله تعالى وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد كان هذا القول منهم في التيه حين سئلوا المن والسلوى وتذكروا عيشهم الأول بمصر قال الحسن كانوا اتيانا أهل كراث وابصال واعداس فنزعوا الى عكرهم عكر السوء واشتاقت طباعهم الى ما جرت عليه عادتهم فقالوا لن نصبر على طعام واحد وكنوا عن المن والسلوى بطعام واحد وهما اثنان لانهم كانوا ياكلون احدهما بالآخر ولذلك قالوا طعام واحد وقيل لتكرارهما في كل يوم غداء كما تقول لمن يداوم على الصوم والصلوة والقراءة هو على امر واحد لملازمته لذلك وقيل المعنى لن نصبر على الغنى فيكون جميعنا اغنياء فلا يقدر بعضنا على الاستعانة ببعض لاستغناء كل واحد بنفسه ولذا كانوا هم اول من اتخذ العبيد والخدم

قوله تعالى على طعام الطعام يطلق على ما يطعم ويشرب قال الله تعالى ومن لم يطعمه فانه مني وقال ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اي ما شربوه من الخمر على ما يأتي بيانه وكان السلوى العسل كما حكى المؤرج فهو مشروب ايضا وربما خص بالطعام البر والتمر كما في حديث ابي سعيد الخدري كنا نخرج صدقة الفطر على عهد رسول الله صلعم صاعا من طعام او صاعا من شعير الحديث وسياتي والعرف جار بان القائل ذهبت الى سوق الطعام فليس يفهم منه الا موضع بيعه دون غيره مما

يوكل او يشرب والطعم بالفتح ما يود به الد وقيل الطعمه مر والطعم ايضا ما
والطعم يشتهى منه يقال ليس له طعم وما فلان بذى طعم اذا كان غثا والطعم بالضم
الطعام قال ابو خراش ارد شجاع البطن لو تعلمينه واوثر غيرى من عيالك بالطعم
واغتبق الما القراح فانتهى اذا الزاد امسى للمزلج ذا الطعم المزلج الملصوق بالقوم
وليس فيهم قاله الجوهرى واراد بالاول الطعام وبالثانى ما يشتهى منه وقد طعم
يطعم فهو طاعم اذا اكل وذاق ومنه قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه منى اى من
لم يذقه وقال فاذا طعمتم فانتشروا اى اكلتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى زمزم انها طعام طعم وشفا سقم واستطعمنى فلان الحديث اذا اراد ان تحدثه
وفى الحديث اذا استطعمكم الامام فاطعموه خرجه الدارقطنى يقول اذا استفتح
فافتحوا عليه وفلان ما يطعم القوم الا قايما قال تعاما توجره صفر الخدود ما
يطعم القوم الاصيا ما يريب قايمه قوله تعالى فادع لنا ربك يخرج
لنا مما تنبت الارض لغه بنى عامر فادع بكسر العين لالتقا الساكنين يجرى
المعتل مجرى الصحيح ولا يراعوا المحذوف ويخرج مجزوم على معنى سله
وقل له اخرج يخرج وقيل هو على معنى الدعا على تقدير حذف
اللام وضعفه الزجاج ومن فى قوله مما زايده فى قول الاخفش وغير
زايده فى قول سيبويه لان الكلام موجب قال النحاس وانما دعا
الاخفش الى هذا لانه لم يجد مفعولا ليخرج فاراد ان يجعل
ما مفعولا والاولى ان يكون المفعول محذوفا دل عليه سائر الكلام
التقدير يخرج لنا مما تنبت الارض ماكولا فمن الاولى على هذا للتبعيض
والثانيه للتخصيص ومن بقلها بدل من ما باعادة الحرف وقثايها عطف
عليه وكذا ما بعده فاعلمه قوله تعالى من بقلها وقثايها

البقل معروف وهو كل نبات ليس له ساق والشجر ما له ساق والقثاء
معروف وقد تضم قافه وهي قراءة يحيى بن وثاب وطلحة بن مصرف لغتان
والكسر اكثر وقيل في جمع قثا قثاي مثل علبا وعلابي الا ان قثا من ذوات
الواو تقول اقثات القوم اذا اطعمتهم ذلك وقثات القدر سكنت
غليانها بالماء قال الجعدي تفور علينا قدرهم فنديمها ونفثؤها عنا اذا
حميها غلا وقثات الرجل اذا كسرته عنك بقول او غيره وسكنت غضبه
وعدا حتى افثا اي اعيا وانبهر وافثا الحر اي سكن وفتر ومن امثالهم في
اليسير من البر قولهم ان الرثيئة تفثا الغضب واصله ان رجلا كان غضب
على قوم وكان مع غضبه جايعا فسقوه رثيئة فسكن غضبه وكف عنهم
الرثيئة اللبن المحلوب على الحامض ليخثر رثات اللبن رثا اذا حلبته على
حامض فخثر والاسم الرثيئة وارتثا اللبن خثر وروى ابن ماجه قال ثنا محمد
بن عبد الله بن نمير ثنا يونس بن بكير ثنا هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة
قالت كانت امي تعالجني للسمنة تريد تدخلني على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما استقام لها ذلك حتى اكلت الرطب بالقثا فسمنت كاحسن سمنة وهذا
اسناد صحيح وفيه دليل على جواز تسمين المراة نفسها لتتزين بذلك لزوجها
وتتحبب به اليه الا انه يكره لها منه ما يثبطها عن الطاعة فاما تسمين الرجل
نفسه فمحرم عليه وسياتي بيانه في اخر سورة الكهف ان شاء الله تعالى

قوله تعالى وفومها اختلف في الفوم فقيل هو الثوم لانه
المشاكل للبصل رواه جويبر عن الضحاك والثا تبدل من الفا كما قالوا مغافير
ومغاثير وجدث وجدف للقبر وقرا ابن مسعود وثومها بالثا المثلثة
وروي عن ابن عباس وقال امية بن ابي الصلت   كانت منازلهم اذ ذاك

ظاهرة

ظاهرة فيها الفراديس والثومان والبصل والفراديس موضع بالشام واحدها
فردیس ولكرم مفرد بین ای معرش وقال حسان وانتم اناس لیام الاصول
طعامكم الفوم والحوقل یعنی الثوم والبصل وهو قول الکسای والنضر بن
شمیل وقیل الفوم الحنطه روی عن ابن عباس ایضا واکثر المفسرین واختاره النحاس
قال وهو اولی ومن قال به اعلی واسانیده صحاح ولیس جویبر بنظیر لروایته
وان کان الکسای والفرا قد اختارا القول الاول لابدال العرب الفا من الثا
والابدال لایقاس علیه ولیس ذلك بکثیر فی کلام العرب وانشد ابن
عباس لمن ساله عن الفوم وانه الحنطه قول احیحه بن الجلاح قد کنت اغنی
الناس شخصا واحدا ورد المدینه عن زراعة فوم وقال ابو اسحاق الزجاج
وکیف یطلب القوم طعاما لابر افیه والبر اصل الغدا وقال الجوهری ابو
نصر فی الصحاح الفوم الحنطه وانشد الاخفش قد کنت احسبنی
کاغنی واحد نزل المدینه عن زراعة فوم وقال ابن درید الفومه السنبله
وانشد وقال ربیبهم لما اتانا بکفه فومه او فومتان والها فی کفه غیر
مشبعه وقال بعضهم الفوم الحمص لغه شامیه وبایعه فامی مغیر
عن فومی لانهم قد یغیرون فی النسب کما قالوا سهلی ودهری وقال
مجاهد الفوم الخبز قال الفرا هی لغه قدیمه فوموا لنا یا جاریه ای اخبزی
وقال عطا وقتاده الفوم کل حب یختبز اختلف العلما فی اکل
البصل والثوم وماله رایحه کریهه من سایر البقول فذهب جمهور
العلما الی اباحه ذلك للاحادیث الثابته فی ذلك وقالت طایفه من اهل
الظاهر القایلین بوجوب الصلاه فی الجماعة فرضا الی المنع وقالوا کل ما منع
من اتیان الفرض والقیام به فحرام عمله والتشاغل به واحتجوا بان رسول الله

البقل معروف وهو كل نبات ليس له ساق والشجر ما له ساق والقثا ايضا
معروف وقد تضم قافه وهي قراه يحيى بن وثاب وطلحه بن مصرف لغتان
والكسر اكثر وقيل في جمع قثا قثاي مثل عليا وعلاي الا ان قثا من ذوات
الواو تقول اقثات القوم اذا اطعمتهم ذلك وقثات القدر سكنت
غليانها بالماء قال الجعدي تفور علينا قدرهم فنديمها ونفثا ها عنا اذ
حميها غلا وقال الرجل اذا كسرته عنك بقول او غيره وسكنت غضبه
وعدا حتى اقثا اي اعيا وانبهر واقثا الحر اي سكن وفتر ومن امثالهم في
اليسر من البر قولهم ان الرثيه يقثا الغضب واصله ان رجلا كان غضب
على قوم وكان مع غضبه جايعا فسقوه رثيئه فسكن غضبه وكف عنهم
الرثيئه اللبن المحلوب على الحامض ليخثر رثات اللبن رثا اذا حلبته على
حامض فخثر والاسم الرثيئه وارثا اللبن خثر وروى بن ماجه قال ثنا محمد
بن عبد الله بن نمير ثنا يونس بن بكير ثنا هشام بن عروه عن ابيه عن عايشه
قالت كانت امي تعالجني للسمنه تريد تدخلني على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما استقام لها ذلك حتى اكلت الرطب بالقثا فسمنت كاحسن سمنه وهذا
اسناد صحيح وفيه دليل على جواز تسمين المراة نفسها لتتزين بذلك لزوجها
وتتحبب به اليه الا انه يكره لها منه ما يثبطها عن الطاعة فاما تسمين الرجل
نفسه فمحرم عليه وسياتي بيانه في اخر سوره الكهف ان شا الله تعالى

قوله تعالى وفومها اختلف في الفوم فقيل هو الثوم لانه
المشاكل للبصل رواه جويبر عن الضحاك والثا تبدل من الفا كما قالوا مغافير
ومغاثير وجدث وجدف للقبر وقرا ابن مسعود وثومها بالثا المثلثه
وروي عن ابن عباس وقال اميه بن ابي الصلت كانت منازلهم اذ ذاك

ظاهره

ظاهرة فيها الفراديس والثومان والبصل والفراديس موضع بالشام واحدها
فرديس ولكرم مفرد بن ابي معرش وقال حسان وانتم اناس لئام الاصول
طعامكم الفوم والحوقل يعني الثوم والبصل وهو قول الكسائي والنضر بن
شميل وقيل الفوم الحنطه روي عن ابن عباس ايضا واكثر المفسرين واختاره النحاس
... بنطير لروانة
... لفا من النا
... انسد بن
... كنت اعنى
... اسحاق والزجاج
... الجوهري ابوا
... احسبني
... الفومه السنبله
... في لغه غير
... فامي معر
... ري وقال
... ية اي اخبزي
... لعلما في اكل
... ب جمهور
العلما الى اباحه ذلك للاحاديث الثابته في ذلك وقالت طايفه من اهل
الظاهر القايلين بوجوب الصلاه في الجماعة فرضا الى المنع وقالوا كل ما منع
من اتيان الفرض والقيام به فحرام عمله والتشاغل به واحتجوا بان رسول الله

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله الملك المهيمن الديان ذي العزة والعظمة والسلطان
الحي القيوم القديم المستعان المولى المنعم المحسن المنان
الذي شرفنا بقدوم شعبان واوصل الينا احسانا
بعد الاحسان نحمده على نعمائه في جميع الازمان
ونشكره على آلائه في كل حين وآن واشهد ان
شهادة صادرة على الايقان واشهد ان
المؤيد باقوى الحجج والبرهان موعظة
اعلموا ان شهركم هذا شهر شعبان ادركتموه بفضل الله
الملك المنان شهر كريم بين الكريمين شهر رجب وشهر
رمضان فاكثروا فيه الصيام فانه سنة حبيب الرحمن
جعلني الله تعالى واياكم من الذين يعظمون شهر شعبان
وادخلني واياكم بفضله دار الرضوان

صلى الله عليه وسلم سماها خبيثة والله سبحانه قد وصف نبيه بانه يحرم
الخبايث ومن الحجة للجمهور ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم اتي بقدر
ببدر فيه خضرات من بقول فوجد لها ريحا قال فاخبر بما فيها من
من البقول فقال قربوها الى بعض اصحابه كان معه فلما راه كره اكلها
قال كل فاني اناجي من لا تناجي اخرجه مسلم وابو داود فهذا بين في الخصوص
له والاباحة لغيره وفي صحيح مسلم ايضا عن ابي ايوب ان النبي صلى الله عليه
وسلم نزل على ابي ايوب فصنع للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما فيه ثوم فلما
رد اليه سال عن موضع اصابع النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له لم ياكل
ففزع وصعد اليه فقال احرام هو قال النبي صلى الله عليه وسلم ولكني اكرهه
قال فاني اكره ما تكره او ما كرهت قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوتى
يعني يأتيه فهذا نص على عدم التحريم وكذلك ما رواه ابو سعيد الخدري
عن النبي صلى الله عليه وسلم حين اكلوا الثوم زمن خيبر وفتحها ايها الناس انه
ليس لي تحريم ما احل الله ولكنها شجرة اكره ريحها فهذه الاحاديث تشعر
بان الحكم خاص به اذ هو المخصوص بمناجاة الملك لكن قد علل في حديث جابر
بما يقتضي التسوية بينه وبين غيره في هذا الحكم حيث قال من اكل هذه البقلة
الثوم وقال مرة من اكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فان الملايكة
تتاذى مما يتاذى منه بنو ادم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث
فيه طول ثم انكم ايها الناس تاكلون شجرتين لا اراهما الا خبيثتين هذا البصل والثوم
لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وجد ريحهما من الرجل امر به فاخرج
الى البقيع فمن اكلهما فليمتهما طبخا اخرجه مسلم قوله وعدسها وبصلها
العدس معروف والعدسة بثرة تخرج بالانسان وربما قتلت وعدس زجر

للبغال

شغال قال عدس ما لعاد علبك اماره بجوب وهذا حملين لحلبق والعدس
شدة الوط والكدح ايضا يقال عدسه وعدس في الارض ذهب فيها وعدست
اليه المنيه اي سارت قال الكميت احلها هول الظلام ولم ازل اخا الليل معدوسا
الي وقادسا اي بيسا راي بالليل وعدس لغه في حدس قاله الجوهري ويوثر عن النبي
صلى الله عليه وسلم من حديث علي انه قال عليكم بالعدس فانه مبارك مقدس وانه يرق
القلب ويكثر الدمعه فانه بارك فيه سبعون نبيا اخرهم عيسى بن مريم ذكره الثعلبي
وغيره قوله تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير هذا
من قول موسى عليه السلام لهم وذلك لما قالوا ادع لنا ربك الايه غضب عليهم وقال
اتستبدلون اي يعارون الدني والخسيس وهو الثوم والبصل على الذي هو اعلى
واشرف وهو المن والسلوى وقيل معناه استبدلون الردي من الطعام بالذي
هو خير يعني بالشريف الاعلى والمعنى واحد والاستبدال هو وضع الشيء
موضع الاخر ومنه البدل وقد تقدم وادنى ماخوذ عند الزجاج من
الدنو اي القرب في القيمه من قولهم ثوب مقارب اي قليل الثمن وقال
علي بن سليمن هو مهموز من الدني البين الدناه بمعنى الاحسن الا انه خفف
همزته وقيل هو ماخوذ من الدون اي الاحط فاصله ادون افعل قلب فجا
افعل وحولت الواو الفا لتطرفها وقرى في الشواد ادنى في
الوجوه التي توجب فضل المن والسلوى على الشي الذي طلبوه وهي خمس الاول
ان البقول لما كانت لاخطر لها بالنسبه الى المن والسلوى كانا افضل قاله
الزجاج الثاني لما كان المن والسلوى طعاما من الله به عليهم وامرهم
باكله وكان في استدامه امر الله وشكر نعمته اجر وذخر في الاخره والذي
طلبوه عار من هذه الخصال كان ادنى في هذا الوجه لامحاله الرابع لما كان ما

قق

اعطوا الا بلغه به ولا تعب والذى طلبوه لا عى الا بالحرث والزراعه والتعب كان ادنى الخامس لما كان ما نزل عليهم لا مزيه فى حله وخلوصه لنزوله من عند الله والحبوب والارض يتخللها البيوع والغصوب وتدخلها الشبه كانت ادنى فى هذا الوجه وهذا احسنها والله اعلم فى هذه الاية دليل على جواز اكل الطيبات والمطاعم المستلذات اذا كانت من وجه حل وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل ويشرب العذب ثبت ذلك فى صحيح الحديث وسياتى بيان هذا فى المايده والاعراف والنحل وغيرها ان شاء الله تعالى قوله تعالى اهبطوا مصرا تقدم معنى الهبوط وهذا امر معناه التعجيز لقوله قل كونوا حجارة او حديدا لانهم كانوا فى التيه وهذا عقوبه لهم وقيل لانهم اعطوا ما طلبوه ومصرا بالتنوين منكرا قراه الجمهور وهو خط المصحف قال مجاهد وغيره ممن صرفها اراد مصرا من الامصار غير معين وروى عكرمه عن ابن عباس فى قوله تعالى اهبطوا مصرا قال مصرا من هذه الامصار وقالت طايفه ممن صرفها ايضا اراد مصر فرعون بعينها استدل الاولون بما اقتضاه ظاهر القران من امرهم دخول القريه وبما تظاهرت به الروايه انهم سكنوا الشام بعد التيه واستدل الاخرون بما فى القران من الله اورث بنى اسرايل ديار فرعون واثارهم واجاز والصرفها قال الاخفش والكساى لخفتها وشبهها بهند ودعد وانشد وا لم تتلفع بفضل ميزرها دعد ولم تسق دعد فى القلب بجمع بين اللغتين وسيبويه والخليل والفرا لا يجيزون هذا لانك لو سميت امراه بزيد لم تصرف وقال غير الاخفش اراد المكان فصرف وقرا الحسن وابان بن تغلب وطلحه مصر بترك الصرف وكذلك هى فى مصحف ابى بن كعب وقراه بن مسعود وقال الواهى

مصر

بمصر فرعون وقال اشهب قال لي مالك هي عندي مصر قريتك مسكن فرعون
ذكره ابن عطيه والمصر اصله في اللغه الحد ومصر الدار حدودها قال
ابن فارس ويقال ان اهل هجر يكتبون في شروطهم اشترى فلان الدار بمصورها
اي حدودها قال عدي بن زيد وجاعل الشمس مصرا لاخفا به بين النهار
وبين الليل قد فصلا   قوله تعالى فان لكم ما سالتم ما نصب بان وقرا
ابن وثاب والنخعي سالتم بكسر السين ويقال سالت وسلت بغير همز وهو من
ذوات الواو بدليل قوله يتساولان   قوله تعالى وضربت عليهم
الذله والمسكنه اي الزموها وقضى عليهم بها ماخوذ من ضرب القباب قال
الفرزدق في جرير ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل
وضرب الحاكم على اليد اي حمل والزم فالذله الذل والصغار والمسكنه الفقر
فلا يوجد يهودي وان كان غنيا خاليا من زي الفقر وخضوعه ومهانته وقيل
الذله فرض الجزية بعني على ذريتهم عن الحسن وقتادة والمسكنه الخضوع وهي
ماخوذه من السكون اي قلل الفقر حركته قاله الزجاج وقال ابو عبيده الذله
الصغار والمسكنه مصدر المسكين فروى الضحاك بن مزاحم عن ابن
عباس في قوله تعالى وضربت عليهم الذله والمسكنه قال هم اصحاب
القبالات وقيل الذله لزم العمل يعني اولئك القوم حتى يادوا وانفلق
السر من في المسكنه زي الفقر قال الكلبي الرجل من اليهود وان كان غنيا
عليه زي الفقر وقد ذكرناه   قوله تعالى وباوا بغضب من الله
اي انقلبوا ورجعوا به اي لزمهم ذلك ومنه قوله عليه السلام في دعايه
ومناجاته ابوء بنعمتك علي اي اقربها والزمها نفسي واصله في اللغه الرجوع
ويقال باء بكذا اي رجع به وباء الى المباءه وهي المنزل اي رجع والبواء الرجوع

بالقود دمهم في هذا الامر بوا اي سوا لا يرجعون فيه والمعنى واحد
وقال الشاعر   الا تنتهي عنا ملوك وتتقي محارمنا لا يبوا الدم بالدم
اي لا يرجع الدم بالدم في القود قال الشاعر   فابوا بالنهاب وبالسبايا
وابنا بالملوك مصفدينا اي رجعوا ورجعنا ويقال باوا اي احتملوا ثما
يقال بوت بهذا الذنب اي احتملته   قوله تعالى ذلك تعليل
بالهمزة كانوا يكفرون بايات الله اي بكتابه ومعجزات انبيايه كعيسى ويحيى
وزكريا ومحمد عليهم السلام ويقتلون النبيين بغير الحق بغي بغير جرم منهم
وهم زكريا ويحيى ويقتلون معطوف على يكفرون وكذا قراه الجماعه وروى
عن الحسن ويقتّلون وعنه ايضا كالجماعة وقرا نافع والنبيين بالهمز
حيث وقع في القران الا في موضعين في سورة الاحزاب ان وهبت نفسها
للنبي ان اراد ولا تدخلوا بيوت النبي الا فانه قرى بلا مد ولا همز وانما ترك
هذين لاجتماع همزتين مكسورتين وترك الهمز في جميع ذلك الباقون
فاما من همز فهو عنده من انبا اذا اخبر واسم فاعله منبي ويجمع نبي انبيا
وقد جا في جمع نبي نبا قال العباس بن مرداس السلمي يمدح النبي صلى الله عليه
وسلم يا خاتم النبا انك مرسل بالحق كل هدى السبيل هداكا ان الاله
ثنى عليك محبة في خلقه ومحمدا سماكا هذا معنى قراه الهمز واختلف
القايلون بترك الهمز فمنهم من اشتقاقه من همز ثم سهل الهمز ومنهم
من قال هو مشتق من نبا ينبو اذا ظهر فالنبي من النبوه وهو الارتفاع
لمنزله النبي رفيعه والنبي بترك الهمز ايضا الطريق فسمي الرسول نبيا
لاهتدا الخلق به كالطريق قال الشاعر   لاصبح رتما دقاق الحصى
مكان النبي من الكاتب ورتمت الشي كسرته يقال رتم انفه ورثمه بالثا والتا

جميعا والرتم ايضا الشي المكسور والحاتب بالثا المثلثه اسم جبل فالانبيا لنا
كالسبيل في الارض ويروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم السلام
عليك يا نبي الله وهمز فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست نبي الله وهمز
ولكني نبي الله ولم يهمز قال ابو علي وضعف سند هذا الحديث ومما يقوى
ضعفه انه عليه السلام قد انشد المادح يا خاتم النباء ولم يوثر في ذلك
انكار قوله بغير الحق تعظيم للشنعه والذنب الذي اتوه
فان قيل هذا دليل على انه قد يصح ان يقتلوا بالحق ومعلوم ان الانبيا معصو موت
من ان يصدر منهم ما يقتلون به قيل له ليس الامر لذلك وانما خرج هذا
مخرج الصفه لقتلهم انه ظلم وليس بحق فكان هذا تعظيما للشنعه عليهم ومعلو م
انه لا يقتل نبي بحق ولكن يقتل على الحق فصرح قوله تعالى بغير الحق عن شنعه الذنب
ووضوحه ولم يات نبي قط بشي يوجب قتله فان قيل كيف جاز ان يخلي بين
الكافرين وقتل الانبيا قيل ذلك كرامه لهم وزيادة في منازلهم كمثل من
يقتل في سبيل الله من المومنين وليس ذلك بخذلان لهم قال ابن عباس والحسن
لم يقتل قط من الانبيا الا من لم يومر بقتال وكل من امر بقتال نصر
قوله ذلك بما عصوا رد على الاول وتاكيد للاشارة
اليه والبا في بما باء السبب قال الاخفش اي بعصيانهم والعصيان خلاف
الطاعه واعتصت النواه اذا اشتدت والاعتدا تجاوز الحد في كل شي
وعرفه في الظلم والمعاصي تعالى ان الذين امنوا والذين
هادوا والنصارى والصابيين من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا
فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فيه تسع مسايل
قوله تعالى ان الذين امنوا اي صدقوا محمد صلى الله عليه وسلم

وقال سفين المراد المنافقون كانه قال الذين امنوا في ظاهر امرهم فلذلك
قرنهم باليهود والنصارى والصابين ثم بين حكم من امن بالله واليوم الاخر
من جميعهم وقال ابن عباس في رواية ابي صالح هم قوم كانوا مومنين بعيسى
والتوراة ولم يتهودوا ولم يتنصروا قوله والذين هادوا معناه صاروا
يهودا نسبوا الى يهودا وهو اكبر ولد يعقوب عليهم السلام فقلبت العرب
الذال دالا لان الاعجمية اذا عربت غيرت عن لفظها وقيل سموا بذلك
لتوبتهم من عبادة العجل هاد تاب والهايد التايب قال الشاعر اني امرو من
حبه هايد اي تايب وفي التنزيل من قول موسى انا هدنا اليك اي تبنا وهاد
القوم يهودون هودا وهيادة اذا تابوا وقال اشتقاقه من الميل من
هاد يهود وهو المايل عن الطريق وقال ابن عرفه هدنا اليك اي سكنا الى
امرك والهوادة السكون والموادعه قال ومنه قوله تعالى ان الذين
امنوا والذين هادوا وقرا ابو السمال هادوا بفتح الدال قوله
تعالى والنصارى النصارى جمع وواحده نصراني وقيل نصران باسقاط اليا وهذا
قول سيبويه والانثى نصرانه كندمان وندمانه وهو نكره يعرف
بالالف واللام قال الشاعر صدت كما صد عما لا يحل له ساقي نصارى
قبيل الصبح نوام فوصفه بالنكره وقال الخليل واحد النصارى نصري كمهري
ومهارى وانشد سيبويه شاهدا على قوله تراه اذا دار العشا متحنفا
ويضحي لديه وهو نصران شامس وانشد فكلتاهما خرت واسجد راسها
كما سجدت نصرانه لم تحنف يقال اسجد اذا مال ولكن لا يستعمل نصران الا بيا
النسب لانهم قالوا رجل نصراني وامراه نصرانيه ونصره جعله نصرانيا
وفي الحديث فابواه يهودانه وينصرانه اي يجعلانه يهوديا او نصرانيا وقال

عليه السلام والذي نفسي بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي و لا
نصراني ثم لم يومن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار خرجه مسلم ثم
جاءت جموع على غير ما يستعمل واحدها وقياسه النصرانيون فاعلمه
واختلف لم سموا نصارى فقيل سموا بقرية نزلوها يقال لها
ناصرة فنسبوا اليها فسموا نصارى وقيل ان عيسى عليه السلام كان نزلها
فنسب اليها فقيل عيسى الناصري فلما نسب اصحابه اليه قيل النصارى قاله ابن
عباس وقتاده قال الجوهري ونصرانه قرية بالشام تنسب اليها النصارى
ويقال ناصرة ويقال سموا بذلك لنصرة بعضهم بعضا قال الشاعر لما راينه
نبطا انصارى شمرت عن ركبتي الازار اكنت لهم من النصارى جارا وقيل
سموا بذلك لقول عيسى من انصاري الى الله والله اعلم قوله
تعالى والصابئين الصابيون جمع صابئ وقيل صاب ولذلك اختلفوا في همزه
وهمزه الجمهور الا نافعا فمن همزه جعله من صبأت النجوم اذا طلعت وصبأت
ثنية الغلام اذا خرجت وصبأت راسه اذا رفعه ذلك مهموز وهم لا
يرفعون رووسهم الى السما لا يعبدون الملايكة ومن لم يهمز جعله من صبا
يصبو اذا مال فالصابي في اللغة من خرج ومال من دين الى دين ولهذا
كانت العرب تقول لمن اسلم قد صبا فالصابيون قد خرجوا من دين اهل
الكتب لا خلاف ان اليهود والنصارى اهل كتاب ولاجل كتابهم
جاز نكاح نسايهم واكل طعامهم على ما ياتي بيانه في المايدة وضرب الجزية عليهم
على ما ياتي بيانه في سورة براة ان شا الله واختلف في الصابين فقال السدي
هم فرقة من اهل الكتاب وقاله اسحق بن راهويه قال ابن المنذر وقال
اسحق لا باس بذبايح الصابين لانهم طايفة من اهل الكتاب وقال

بيه

ابو حنيفه لا باس بذبايحهم ومناكحه نسايهم لانهم قوم من اليهود والنصا
يقرون الزبور وقال بعضهم هم بمنزله المجوس لا يجوز اكل ذبايحهم ولا مناكحه
نسايهم وهو قول ابي يوسف ومحمد لانهم يعبدون الملايكه فصاروا كلهم
حكم عبده النيران وقال الخليل هم قوم تشبه دينهم دين النصارى الا ان
قبلتهم نحو مهب الجنوب يزعمون انهم على دين نوح عليه السلام وقال
مجاهد والحسن وابن ابي نجيح هم قوم تركب دينهم بين اليهود والمجوس
لا توكل ذبايحهم بن عباس ولا تنكح نساوهم وهو قول ابي يوسف
ومحمد ما حكى ابي حنيفه حماد لنا وقال الحسن ايضا وقتادة هم قوم يعبدون
الملايكه ويصلون الى القبله ويقرون الزبور ويصلون الخمس راهم زياد بن
ابي سفيان فاراد وضع الجزية عنهم حتى عرف انهم يعبدون الملايكه قلت
والذي يحصل من مذهبهم فيما ذكره بعض علمائنا انهم موحدون يعتقدون
تاثير النجوم وانها فعاله ولهذا افتى ابو سعيد الاصطخري بكفرهم القادر بالله
حين ساله عنهم والله اعلم قوله تعالى من امن اي صدق ومن
في قوله من في موضع نصب بدل من الذين والفا في قوله فلهم داخله بسبب
الابهام الذي في من ولهم اجرهم ابتدا وخبر في موضع خبر ان ويحسن ان
يكون في موضع رفع بالابتدا ومعناها الشرط ومن في موضع جزم بالشرط
والفا الجواب ولهم اجرهم خبر من والجمله كلها خبر ان والعايد على الذين
محذوف تقديره من امن منهم بالله وفي الايمان بالله واليوم الاخر
اندراج الايمان بالرسل والكتب والبعث ان قال قايل لم جمع
الضمير في قوله تعالى لهم اجرهم ومَنْ لفظُهُ مفردٌ ليس بجمع وانما كان يستقيم
لو قال له اجره فالجواب ان من يقع على الواحد والتثنيه والجمع فجايز ان يرجع

الضمير

الضمير مفردا ومثنى ومجموعا قال الله تعالى ومنهم من يستمعون اليك على
المعنى وقال وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ ... اليك على اللفظ وقال الشاعر الماسلمى
عنكما ان عرضتما وقولا لها عوجي على من تخلفوا وقال الفرزدق تعال
فان عاهدتنى لا تخوننى نكن مثل يا ذئب يصطحبان نحمل على المعنى ولو حمل
على اللفظ لقال يصطحب ويختلف وقال تعالى ومن يطع الله ورسوله نحمل على
اللفظ ثم قال خالدين نحمل على المعنى ولو راعى اللفظ لقال خالدا فيها قال
العلما باللسان ما بعد من على اللفظ فجايز ان يخالف به بعد على المعنى كما في
هذه الايه واذا اجرى ما بعدها على المعنى لم يجز ان يخالف بعد على اللفظ
لان الالباس يدخل في الكلام وقد مضى الكلام في قوله تعالى فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والحمد لله روى عن ابن عباس ان قوله
تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا منسوخ بقوله تعالى ومن يبتغ غير
الاسلام دينا فلن يقبل منه الايه وقال غيره ليست بمنسوخه وهي فيمن ثبت
على ايمانه من المومنين بالنبى صلى الله عليه وسلم تعالى واذ
اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما
فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته
لكنتم من الخاسرين فيه خمس مسايل قوله تعالى واذ اخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور هذه الايه تفسير معنى قوله تعالى واذ نتقنا
الجبل فوقهم كانه ظله قال ابو عبيده المعنى زعزعناه فاستخرجناه من
مكانه قال وكل شي قلعته فرميت به فقد نتقته وقيل نتقناه رفعناه قال
ابن الاعرابي الناتق الرافع والناتق الباسط والناتق الفاتق وامراة ناتق ومنتاق
كثيرة الولد قال النابغه وامهم طفت عليك بناتق مذكار وقال القتبي اخذ

ذلك من تنق السقا وهو نفضه حتى نقتلع الزبن منه قال وقوله تعالى واذ
نتقنا الجبل كانه قلع من اصله واختلف في الطور اسم للجبل الذى كلم عليه موسى
عليه السلام وانزل فيه التوراه دون غيره رواه بن جريج عن بن عباس وروى
الضحاك عنه ان الطور ما نبت من الجبال خاصة دون ما لم ينبت وقال مجاهد
وقتاده اي جبل كان الا ان مجاهد قال هو اسم لكل جبل بالسريانيه وقاله
ابو العاليه وقد تقدم الكلام هل وقع في القران الفاظ مفرده غير معربه
من كلام العرب في مقدمه الكتاب ومضى الكلام ايضا في الميثاق ومعناه
قال بن عباس هما ميثاقان احدهما حين اخرجهم من صلب ادم والاخر ما اخذ
عليهم في التوراه وساير الكتب في القول في سبب رفع الطور وذلك
ان موسى عليه السلام لما جا بني اسرايل من عند الله بالالواح فيها التوراه
قال لهم خذوها والتزموها فقالوا لا الا ان يكلمنا الله كما كلمك فصعقوا
ثم احيوا فقال لهم خذوها فقالوا لا فامر الله الملايكه فاقتلعت جبلا من
جبال فلسطين طوله فرسخ في مثله وكذلك كان عسكرهم فجعل عليهم مثل
الظله واتوا ببحر من خلفهم ونار من قبل وجوههم وقيل لهم خذوها وعليكم
الميثاق ان لا تضيعوها والا سقط عليكم الجبل فلما راوا ان لا مهرب لهم
قبلوا التوراه وسجدوا من المهابه والفزع وهم يلاحظون في سجودهم الجبل
فمن ذلك يسجد بعض اليهود على انصاف وجوههم وقيل ان موسى عليه السلام
لما اتاهم بالتوراه وقروا ما فيها من التغليظ والامر والنهى شق ذلك
عليهم فابوا ان يقبلوا والله تعالى قد من على هذه الامة حيث فرض عليهم
الفرايض واحدا بعد واحد ولم يفرض عليهم جمله فاذا استقر الواحد
في قلوبهم فرض الاخر واما بنوا اسرايل فقد فرض عليهم جمله واحده

فشق

فنشق ذلك عليهم ولم يقبلوا امر الله الملايكه فرفعوا جبلا من جبال فلسطين
على ما تقدم فسجد وا توبة لله تعالى واخذ وا التوراه بالميثاق قال الطبرى
عن بعض العلما لو اخذ وها اول مره لم يكن عليهم ميثاق وكان سجودهم على شق
لانهم كانوا يرقبون الجبل خوفا فلما رحمهم الله قالوا لا سجدة افضل من سجدة
يقبلها الله ورحم بها فامروا سجودهم على شق قال ابن عطيه والذى
لا يصح سواه ان الله تعالى اخترع وقت سجودهم الايمان لانهم امنوا كرها
وقلوبهم غير مطمينه بذلك قوله خذوا ما اتيناكم بقوة فى
الكلام حذف تقديره فقلنا لهم خذوا ما اتيناكم اعطيناكم بقوة اى
بجد واجتهاد قاله ابن عباس وقتاده والسدى وقيل بنيه واخلاص
وقيل بكثرة درس وقال مجاهد القوه العمل بما فيه قوله تعالى واذكروا
ما فيه معطوف على خذوا اى تدبروه واحفظوا اوامره ووعيده ولا
تنسوه ولا تضيعوه قلت هذا هو المقصود من الكتب العمل بمقتضاها
لا تلاوتها باللسان وترتيلها نبذ لها على ما قاله الشعبى وابن عيينه على ما
ياتى بيانه عند قوله نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب وقد روى النساى
عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من شر الناس
رجلا فاسقا يقرا القران لا يرعوى الى شى منه فبين صلى الله عليه وسلم
ان المقصود العمل كما بينا وقال مالك قد يقرا القران من لا خير فيه
فما لزم اذا من قبلنا واخذ عليهم لازم لنا وواجب علينا قال الله تعالى واتبعوا
احسن ما انزل اليكم من ربكم فامر باتباع كتابه والعمل بمقتضاه لكن تركنا
كما تركت اليهود والنصارى وبقيت اشخاص الكتب والمصاحف لا تفيد شيا
لغلبة الجهل وطلب الرياسه واتباع الاهوا وروى الترمذى عن جبير بن

نفير عن ابي الدرداء قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فشخص ببصره الى
السما ثم قال هذا اوان يختلس فيه العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على
شي فقال زياد بن لبيد الانصاري كيف يختلس منا وقد قرانا القران
فوالله لنقرانه ولنقرينه نساءنا وابناءنا فقال ثكلتك امك يا زياد ان كنت
لاعدك من فقها المدينه هذه التوريه والانجيل عند اليهود والنصارى
فماذا تغني عنهم وذكر الحديث وسياتي خرجه النسائي من حديث جبير
نفير ايضا عن عوف بن مالك الاشجعي من طريق صحيحه وان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لزياد ثكلتك امك زياد هذه التوراة والانجيل عند اليهود
والنصارى وفي الموطا عن عبد الله بن مسعود قال لانسان انك في زمان
كثير فقهاوه قليل قراوه يحفظ فيه حدود القران وتضيع حروفه قليل من يسال
كثير من يعطي يطيلون فيه الصلاة ويقصرون الخطبه يبدون اعمالهم قبل
اهوائهم وسياتي على الناس زمان قليل فقهاوه كثير قراوه يحفظ فيه
حروف القران ويضيع حدوده كثير من يسال قليل من يعطي يطيلون فيه
الخطبه ويقصرون الصلاة يبدون فيه اهواهم قبل اعمالهم وهذه
نصوص تدل على ما ذكرنا وقد قال يحيى سالت بن نافع عن قوله يبدون
اهواهم قبل اعمالهم قال يتبعون اهواهم ويتركون العمل بالذي افترض
عليهم بهذا بين وتقدم القول في معنى لعلكم تسمعون فلا معنى لاعادته
قوله تعالى ثم توليتم اي اعرضتم بين انهم قبلوا اما كلفوا به حتى
دفع فوقهم الجبل اعرضوا عنه وحرفوا وقتلوا الانبيا وتدخالفوا موسى في
السمع مشاهدة الايات البديعه حتى خسف ببعضهم وضرب بالبرص
وعوقبوا بالطاعون ثم كفر المتاخرون منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى سلط

عليهم

قليل

بعد

عليهم السبي والجلا من الوطن وتولى تفعل واصله الاعراض والادبار عن
الشي بالجسم ثم استعمل في الاعراض عن الامور والاديان والمعتقدات اتساعا
ومجازا ومعنى من بعد ذلك اي من بعد الاقرار وقيل من بعد اخذ الميثاق وقيل
من بعد البرهان وهو رفع الجبل عنكم وقيل من بعد ما عفونا عنكم وقوله فلولا
فضل الله عليكم ورحمته اي بتاخير العذاب لكنتم من الخاسرين وقيل ولولا فضل
الله عليكم ورحمته بارسال الرسول اليكم حتى لا تقيموا على الكفر لكنتم من
الخاسرين بالعقوبة وفضل مرفوع بالابتدا عند سيبويه والخبر محذوف
لا يجوز اظهاره لان العرب استغنت عن اظهاره الا انهم اذا ارادوا اظهاره
جاوا بان فاذا جاوا بها لم يحذفوا الخبر والتقدير فلولا فضل الله تدارككم
ورحمته معطوف على فضل اي لطفه وامهاله لكنتم جواب لو من الخاسرين
خبر كنتم والخسران النقصان وقد تقدم وقيل فضله قبول التوبه ورحمته
العفو ثم قيل الفضل الزياده على ما وجب والافضال فعل ما لم يجب وقال
ابن فارس في المجمل الفضل الزياده والخير والافضال الاحسان تعالى
ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قرده خاسيين
فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين فيه سبع مسايل
قوله تعالى ولقد علمتم الذين علمتم معناه عرفتم اعيانهم وقيل
علمتم احكامهم والفرق بينهما ان المعرفه متوجهه الى ذات المسمى والعلم متوجه
الى احوال المسمى فاذا قلت عرفت زيدا فالمراد شخصه واذا قلت علمت زيدا فالمراد
به العلم باحواله من فضل ونقص فعلى الاول يتعدى الفعل الى مفعول واحد وهو
قول سيبويه علمتم بمعنى عرفتم وعلى الثاني يتعدى الى مفعولين الثاني محذوف
اي ولقد علمتم ما اصاب المعتدين في السبت وحكى الاخفش ولقد علمت زيدا

ولم اكن اعلمه وفي التنزيل لا تعلمونهم الله يعلمهم كل هذا بمعنى المعرفه اعتدوا
منكم في السبت صله الذين والاعتدا التجاوز وقد تقدم ا قوله
تعالى في السبت معناه في يوم السبت ويحتمل ان يريد في حكم السبت
والاول قول الحسن وانهم احد وانه على جهه الاستحلال وروى اشهب
عن مالك قال عمرو بن رومان انهم كانوا ياخذ الرجل منهم خيطا ويضع فيه
وهقه والقاها في ذنب الحوت وفي الطرف الاخر من الخيط وتد وتركه كذلك
الى الاحد ثم تطرق الناس حين راوا من صنع يبتلى حتى كثر صيد الحوت ومشى به
في الاسواق واعلن الفسقه بصيده فقامت فرقه فنهت وجاهرت
بالنهي واعتزلت ويقال ان الناهين قالوا لا نساكنكم فقسموا القريه بجدار
فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا
ان للناس لشانا فعلوا على الجدار فنظروا فاذا هم قرده ففتحوا الباب
ودخلوا عليهم فعرفت القرده انسابها من الانس ولا تعرف الانس انسابها
من القرده فجعلت القرده تاتي نسيبها من الانس فتشم ثيابه وتبكي فيقول
الم انهكم فتقول براسها اي نعم قال قتاده صار الشبان قرده والشيوخ
خنازير فما نجا الا الذين نهوا وهلك سايرهم وسياتي في الاعراف قول
من قال انهم كانوا ثلاث فرق وهو اصح من قول من قال لم يفترقوا الا
فرقتين والله اعلم والسبت ماخوذ من السبت وهو القطع فقيل ان الاشيا
فيه سبتت وتمت خلقتها وقيل هو من السبوت ماخوذ من السبوت الذي
هو الراحه والدعه كما قال في ايه اخرى وجعلنا نومكم سباتا يعني راحه
لكم راحه لكم فيوم السبت راحه لليهود عن اشغال الدنيا وهذه الايه
على معنى التحذير والتهديد فكانه يقول انتم تعلمون ما اصاب الذين

استحلوا

استحلوا اخذ السمك في يوم السبت من العقوبه فاخذ ردا في لا يصيبهم
مثل ما اصابهم **الثالثه** واختلف العلما في الممسوخ هل ينسل على قولين
قال الزجاج قال قوم يجوز ان يكون هذه القرده منهم واختاره القاضي ابو بكر
بن العربي وقال الجمهور الممسوخ لا ينسل وان القرده والخنازير وغيرهما كانت
قبل ذلك والذين مسخهم الله قد هلكوا ولم يبق لهم نسل لانه قد
اصابهم السخط والعذاب فلم يكن لهم قرار في الدنيا بعد ثلاثه ايام قال
بن عباس لم يعش مسخ قط فوق ثلاثه ايام ولم ياكل ولم يشرب ولم ينسل
وقال بن عطيه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وثبت ان الممسوخ لا
ينسل ولا ياكل ولا يشرب ولا يعيش اكثر من ثلاثه ايام قلت هذا هو
الصحيح من القولين وانما جعلهم الله قرده لانها اشبه شي في الحيوان تشبها
بابن ادم كيف ما كان امرهم بعد كونهم قرده واما ما احتج به بن العربي
وغيره على صحه القول الاول من قوله صلى الله عليه وسلم فقدت امه من
بني اسرايل لا يدرى ما فعلت ولا اراها الا الفار الا ترونها اذا وضع
لها البان الابل لم تشربه واذا وضع لها البان الشا شربته رواه ابو هريره
اخرجه مسلم وحديث الضب رواه مسلم ايضا عن ابي سعيد وجابر
قال جابر اتي النبي صلى الله عليه وسلم بضب فابى ان ياكل منه وقال لا
ادري لعله من القرون التي مسخت قلنا وعلى ما ياتي قال بن العربي وفي البخاري
عن عمرو بن ميمون انه قال رايت في الجاهليه قرده قد زنت فرجموها
فرجمتها معهم ثبت في بعض نسخ البخاري وسقط في بعضها وثبت في نص
الحديث قد زنت وسقط هذا اللفظ عند بعضهم قال بن العربي
فان قيل وكان البهايم بقيت فيهم تعارف الشرايع حتى ورثوها خلفا

عن سلف الى زمان عمرو قلنا نعم لذلك دان كان اليهود غيروا الرجم فاراد
الله ان يقيمه في ممسوخهم حتى يكون ابلاغا في الحجه على ما انكروه من ذلك وغيروه
حتى تشهد عليهم كتبهم واحبارهم وممسوخهم حتى يعلموا ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون وما يبدلون ويقيم الحجه عليهم من حيث لا يشعرون وينظر
نبيه وهم لا يبصرون قلت هذا دلاله في الاحكام ولا حجه في شي منه
اما ما ذكر من قصه عمرو فذكر الحميدي في جمع الصحيحين حكى ابو مسعود
الدمشقي ان لعمرو بن ميمون الاودي في الصحيحين حكايه من روايه حصين
عنه قال رايت في الجاهليه قرده اجتمع عليها قرده فرجموها فرجمتها معهم
كذا حكى ابن مسعود ولم يذكر في موضع اخرجه البخاري من كتابه فبحثنا عن ذلك
فوجدناه في بعض النسخ لا في كلها فذكر في كتاب ايام الجاهليه وليس في روايه
النعيمان عن الفربري اصلا شي من هذا الخبر في القرده ولعلها من المقحمات
في كتاب البخاري والذي قال البخاري في التاريخ الكبير قال لي نعيم بن حماد
اخبرنا هشيم عن ابي بلج وحصين عن عمرو بن ميمون قال رايت في الجاهليه قرده
اجتمع عليها قرود فرجموها فرجمتها معهم وليس فيه قد زنت فان صحت هذه
الروايه فانما اخرجها البخاري دلاله على ان عمرو بن ميمون قد ادرك الجاهليه
ولم يبال بظنه الذي ظنه في الجاهليه وقال ابو عمر بن عبد البر في كتاب
الاستيعاب عمرو بن ميمون وان كنيته ابو عبد الله معدود في كبار
التابعين من الكوفيين وهو الذي راى الرجم في الجاهليه من القرده ان
صح ذلك لان رواته مجهولون وقد ذكره البخاري عن نعيم عن هشيم عن
حصين عن عمرو بن ميمون الاودي مختصرا قال رايت في الجاهليه قرده زنت
فرجموها يعني القرده فرجمتها معهم ورواه عباد بن العوام عن حصين كما

رواه

رواه هشيم مختصرا واما القصه بطولها فانما تدور على عبد الملك بن مسلم
عن عيسى بن حطان وليسا ممن يحتج بهما وهذا عند جماعه اهل العلم منكر
اضافة الزنا الى غير مكلف واقامة الحدود في البهايم ولو صح لكانوا من الجن
لان العبادات في الانس والجن دون غيرهما واما قوله عليه السلام في حديث
ابي هريره ولا اراها الا الفار وفي الضب لا ادري لعله من القرون التي
مسخت وما كان مثله فانما كان ظنا وخوفا لان يكون الضب والفار وغيرهم
مما مسخ فكان هذا حدسا منه صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه
ان الله لم يجعل للمسخ نسلا فلما اوحي اليه بذلك زال عنه ذلك التخوف
وعلم ان الضب والفار ليسا مما مسخ وعند ذلك اخبرنا بقوله صلى الله
عليه وسلم لمن ساله عن القرده والخنازير كانوا قبل ذلك وهذا نص
صريح صحيح رواه عبد الله بن مسعود اخرجه مسلم في كتاب القدر
وثبتت النصوص باكل الضب بحضرته وعلى مايدته ولم ينكر فدل على صحه
ما ذكرنا وبالله توفيقنا وروي عن مجاهد في تفسير هذه الايه انما مسخت
قلوبهم فقط وردت افهامهم كافهام القردة لم يقله غيره من
المفسرين فيما اعلم والله اعلم **الرابع** قوله تعالى فقلنا لهم كونوا
قردة خاسئين قردة خبر كان خاسئين نعت وان جعلته خبرا ثانيا لكان
او حالا من الضمير في كونوا معناه مبعدين يقال خساته خسا وخسوءا وخسي وانخسا
اي ابعدته فبعد وقوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسيا اي مبعدا وقوله
اخسئوا فيها اي تباعدوا تباعد سخط قال الكسائي خسا الرجل خسوءا
وخساته خسا ويكون الخاسي بمعنى الصاغر القمي يقال قمي الرجل قماء وقماه
صاغرا وهو الصاغر الذليل واقماته صغرته وذللته فهو قمي على فعيل

ة قرده م

الخامسه قوله تعالى فجعلناها نكالا نصب على المفعول الثاني وفي
المجعول نكالا اقاويل قيل المسخه وقيل العقوبه وقيل القريه اذ معنا الكلام
يقتضيها وفي التنزيل وسلهم عن القريه قيل هي ايله على ساحل البحر كان
يجتمع فيه السمك في يوم السبت حتى ياخذ وجه الما وفي ساير الايام
لا يا تيهم الا قليلا وقال بعض القصص انما كانت الحيتان تجتمع هناك
لزياده السمكه التي كان فيها يونس عليه السلام في كل سبت يجتمعن لزيارتها
ويقال لم يجر لهذا المعنى ذكر بالكتاب محبه لا ولباب القوم والله اعلم وقيل
الامه التي مسخت وقيل الحيتان وفيه بعد لان بربط صفه الحيتان والله
اعلم بالمراد من ذلك والنكال الزجر والعقاب والنكل والانكال القيود
وسميت القيود انكالا لانها ينكل بها اي تمنع ويقال للجام الثقيل نكل ونكل
لان الدابه تمنع به ونكل عن الامر ينكل ونكل ينكل اذا امتنع والتنكيل اصابه
الاعدا بعقوبه بزدريه والمنكل الشي الذي ينكل بالانسان قال وارم على
اقفايهم بمنكل السادسه قوله لما بين يديها وما خلفها قال بن عباس والسدي
لما بين يديها لما بين يدي المسخه ما قبلها من ذنوب القوم وما خلفها لمن يعمل
بعدها مثل تلك الذنوب قال الفرا جعلت المسخه نكالا لما مضى من
الذنوب ولما يعمل بعدها ليخافوا المسخ بذنوبهم قال بن عطيه وهذا
قول جيد والضميران للعقوبه وروى الحكم عن مجاهد عن بن عباس لمن
حضر معهم ولمن ياتي بعدهم واختاره النحاس قال وهذا اشبه بالمعنى والله
اعلم وعن بن عباس ايضا لما بين يديها من القرى وما خلفها من القرى ليعتبروا
بها وقال قتاده لما بين يديها من ذنوبهم وما خلفها من صيد الحيتان
السابعه قوله تعالى وموعظه للمتقين يعني بها لامه محمد صلى الله عليه

وسلم

وسلم وغيره لهم وهي عطف على نكال ووزنها مفعلة من الاتعاظ والانزجار والوعظ التخويف والعظة الاسم قال الخليل الوعظ التذكير بالخير فيما يرق له قلبه قال الماوردي وخص المتقين وان كانت موعظة للعالمين لتفردهم بها عن الكافرين المعاند بن بن عطية واللفظ يعم كل متق من امه وقال الزجاج وموعظة للمتقين لامة محمد صلى الله عليه وسلم ان ينتهكوا من حرم الله جل وعز ما نهاهم عنه فيصيبهم ما اصاب اصحاب السبت اذا انتهكوا حرم الله في سبتهم **قوله** تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فيه تسع مسايل **الاولى** قوله تعالى واذ قال موسى لقومه تقدم القول فيه ان الله يامركم حكي عن ابي عمرو انه قرا يامركم بتسكين الراء وحذف الضمة لثقلها قال ابو العباس المبرد لا يجوز هذا لان الراء حرف الاعراب وانما الصحيح عن ابي عمرو انه كان يختلس الحركة ان تذبحوا في موضع نصب اي بان تذبحوا بقرة نصب بتذبحوا وقد تقدم الذبح فلا معنى لاعادته **الثانية** قوله تعالى ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قيل انه مقدم في التلاوة وقوله قتلتم نفسا مقدم في المعنى على جميع ما ابتدأ به من شان البقرة ويجوز ان يكون قوله قتلتم في النزول مقدما والامر بالذبح موخرا ويجوز ان يكون ترتيب نزولها على حسب تلاوتها فكان الله امرهم بذبح البقرة حتى ذبحوها ثم وقع ما وقع من امر القتل فامروا ان يضربوه ببعضها **قلت** والاشبه ان يكون قتلتم مقدما في المعنى على القول الاول لان الواو لا توجب الترتيب ونظيره في التنزيل في قصة نوح بعد ذكر الطوفان وانقضايه في قوله حتى اذا جا امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين الى قوله الا

وقال ه
شرع في مقابلة
من التاريخ
بالسكون
معنى
حسب ما ذكرناه ع ها

قليل فذكر اهلاك من هلك منهم ثم عطف عليه بقوله وقال اركبوا فيها
بسم الله مجراها ومرساها فذكر الركوب متاخرا في الخطاب ومعلوم ان ركوبهم
كان قبل الهلاك والتقديم والتاخير في القران كثير قال الله الحمد لله الذي
انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما **الثالثة** قوله تعالى ان تذبحوا
بقرة لا خلاف بين العلما ان الذبح اولى في الغنم والنحر اولى في الابل والتخيير في
البقر وقيل الذبح اولى لانه الذي ذكره الله تعالى ولقرب المنحر من الذبح قال
ابن المنذر ولا اعلم احدا حرم اكل ما نحر مما يذبح او ذبح مما ينحر وكره مالك
ذلك وقد يكره المرء الشي ولا يحرمه وسياتي في المايدة احكام الذبح والذابح
وشرايطهما عند قوله تعالى الا ما ذكيتم مستوفى ان شا الله قال
الماوردي وانما امروا والله اعلم بذبح بقرة دون غيرها لانها من جنس ما عبدوه
من العجل ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه وليعلم باجابتهم ما كان
في نفوسهم من عبادته وهذا المعنى علة في ذبح البقرة وليس بعلة في جواب
السايل ولكن المعنى فيه ان يحيى القتيل بقتل حي فيكون اظهر لقدرته في اختراع
الاشيا من اضدادها **الرابعة** قوله تعالى بقرة البقرة اسم للانثى
والثور اسم للذكر مثل ناقة وجمل وامراة ورجل وقيل البقرة واحد
البقر الانثى والذكر سوا واصله من قولك بقر بطنه اي شقه فالبقرة
تشق الارض بالحرث وتثيره ومنه الباقر لابي جعفر محمد بن علي بن زين
العابدين لانه بقر العلم وعرف اصله اي شقه والبقيرة ثوب يشق
فتلقيه المراة في عنقها من غير كمين وفي حديث ابن عباس في شان الهدهد
فبقر الارض قال شمر بقر نظر موضع الما فراى الما تحت الارض قال الازهري
البقر اسم للجنس وجمعه باقر ابن عرفة يقال بقير وباقر وبيقور وقال عكرمة

وبن

دبر بعيران الباقر والثور واحد الثيران والثور السيد من الرجال والثور
القطعة من الاقط والثور الطحلب وثور رجبل وثور قبيلة من العرب وفي
الحديث ووقت العشا ما لم يغب ثور الشفق يعني انتشاره يقال ثار يثور ثورا
وثورانا اذا انتشر في الافق وفي الحديث من اراد العلم فليثور القران
قال شمر تثوير القران قراته ومقايسه العلما به **الخامسة** قوله تعالى
قالوا اتتخذنا هزوا هذا جواب منهم لموسى عليه السلام لما قال
لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة وذلك انهم وجدوا قتيلا بين اظهرهم
قيل اسمه عاميل واشتبه امر قاتله عليهم ووقع بينهم خلاف فقالوا
فقالوا نقتتل ورسول الله بين اظهرنا فاتوه وسالوه البيان وذلك قبل
نزول القسامة في التوراه فسالوا موسى ان يدعوا الله فسال موسى
عليه السلام ربه فامرهم بذبح بقرة فلما سمعوا ذلك من موسى وليس
في ظاهره جواب عما سالوه عنه واحتجوا ابنه [عنه] قالوا اتتخذنا هزوا والهزو واللعب
والسخرية وقد تقدم وقرا الجحدري ايتخذنا بالياء اي قال ذلك بعضهم
لبعض فاجابهم موسى عليه السلام بقوله اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
لان الخروج عن جواب السايل المسترشد الى الهزو جهل فاستعاد منه
موسى عليه السلام لانها صفة تنتفي عن الانبيا والجهل نقيض العلم فاستعاذ
من الجهل كما جهلوا في قولهم اتتخذنا هزوا لمن يخبرهم عن الله تعالى **السادسة**
ظاهر هذا القول يدل على فساد اعتقاد من قاله ولا يصح ايمان من
قال لنبي قد ظهرت معجزته وقال ان الله يامرك بكذا اتتخذنا هزوا
ولو قال ذلك اليوم احد عن بعض اقوال النبي صلى الله عليه وسلم لوجب
تكفيره وذهب قوم الى ان ذلك منهم على جهة غلظ الطبع والجفا والمعصية

على نحو ما قال القايل للنبي صلى الله عليه وسلم في قسمة غنايم حنين ان هذه
لقسمة ما اريد بها وجه الله وكما قال له الاخر اعدل يا محمد وفي هذا
كله ادل دليل على قبح الجهل وانه مفسد للدين وقيل انما ارادوا بذلك
الكشف والبيان ولم يريدوا به الحقيقة لانهم قد ظهرت عندهم علاما
نبوته وعلموا ان قوله حق فلذلك لم يكفروا بقولهم والله اعلم السابعة
في الاية دليل على منع الاستهزا بدين الله وبالمسلمين ومن يجب تعظيمه وان
ذلك جهل وصاحبه مستحق للوعيد وليس المزاح من الاستهزا بسبيل
الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمزح والايمة بعده قال
ابو عبد الله محمد بن خوازمنداد وقد بلغنا ان رجلا تقدم الى عبيد الله
بن الحسن وهو قاضي الكوفة فمازحه عبيد الله فقال له جبتك هذه من صوف
نعجة او من صوف كبش فقال له لا تجهل ايها القاضي فقال له عبيد الله
واين المزاح جهلا فتلى عليه هذه الاية فاعرض عنه عبيد الله لانه راه
جاهلا لا يعرف المزاح من الاستهزا وليس احدهما من الاخر بسبيل
الثامنة قوله تعالى هزوا هزوا مفعول بان نتخذنا ويجوز تخفيف
الهمزة تجعلها بين الهمزة والواو وجعلها حفص واوا مفتوحة لانها همزة مفتوحة
قبلها ضمة فهي تجري على البدل كقوله السفهاء ولا يجوز حذف الضمة من
الزاي اذا حذفتها من عضد فتقول هزوا كما قرا اهل الكوفة وكذلك لم يكن له
كفوا احد وحكى الاخفش عن عيسى بن عمر ان كل اسم على ثلاثة احرف اوله
مضموم ففيه لغتان التخفيف والتثقيل نحو اليسر والعسر والحلم ومثله
ما كان من الجمع على فعل ككتب وكتب ورسل ورسل وعون وعون
واما قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزا فليس مثل هزوا وكفوا لانه على

فعل

فعل من الامل علي ما ياتي بيانه في موضعه ان شا الله تعالى قوله تعالى
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر
عوان بين ذلك فافعلوا ما تومرون فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى
ادع لنا ربك هذا تعنيت منهم وقلة طواعيه ولو امتثلوا الامر وذبحوا
اي بقرة كانت لحصل المقصود لكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله
عليهم قاله ابن عباس وابو العاليه وغيرهما ونحو ذلك وروى الحسن
البصري عن النبي صلى الله عليه وسلم ولغة بني عامر ادع وقد تقدم
ويبين مجزوم على جواب الامر ما هي ابتدا وخبر وماهية الشي حقيقته وذاته
التي هو عليها الثانيه قوله تعالى ادع فقيل معناه سل فعبر عن السوال
بالدعا لانه ابلغ من الخضوع فيكون السوال متوجها الى البيان لانهم
ظنوه مجملا وبيان المجمل واجب وقيل انه على بابه من الدعا الذي هو ابتهال
ورغبه على حقيقه لفظه فيكون الدعا متوجها الي الحقيقه لانهم ظنوه شانا
وتخفيف الشان فيفصل فيكون السوال على الوجه الاول واجبا والدعا
على الوجه الثاني مباحا الثالثه قوله تعالى قال انه يقول انها بقرة
لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك في هذا دليل على جواز النسخ قبل وقت
الفعل لانه لما امر ببقرة اقتضى اي بقرة كانت فلما زاد في الصفه نسخ
الحكم الاول بغيره كما لو قال في ثلاثين من الابل بنت مخاض ثم نسخه
بابنه لبون او حقه ولذلك ها هنا لما عين الصفه صار ذلك نسخا للحكم
المتقدم والله اعلم الرابعة قوله تعالى لا فارض ولا بكر عوان الفارض
المسنه وقد فرضت تفرض فروضا اي اسنت ويقال للشي القديم
فارض قال الراجز شيب اصداغي راسي ابيض محامل فيها رجال فرض

انه

فرض

يعني هرما ، وقال اخر ، لعمرك قد اعطيت جارك فارضا تساق اليه
ما يقوم على رجل اي قديما ، وقال اخر ، يا رب ذي ضغن على فارض له
قرو كقرو الحائض اي قديم وهو رفع على الصفة لبقرة ولا بكر عطف
وقيل لا فارض خبر مبتدا مضمر اي لا هي فارض ولذا لا ذلول ولذا لا
تسقي الحرث ولذلك مسلمة فاعله وقيل الفارض التي قد ولدت بطونا
كثيرة فيتسع جوفها لذلك لان معنى الفارض في اللغة الواسع قاله
بعض المتاخرين والبكر الصغيرة التي لم تحمل وحكى القتبي انها التي ولدت
البكر الاول من الاولاد ، قال الشاعر ، يا بكر بكرين ويا خلب
الكبد اصبحت مني كذراع من عضد والبكر ايضا في اناث البهايم وبني ادم
ما لم يفتحه الفحل وهي مكسورة البا وبفتحها الفتى من الابل والعوان النصف
التي قد ولدت بطنا او بطنين وهي اقوى ما يكون من البقر واحسنه
بخلاف الخيل قال الشاعر يصف فرسا كميت بهيم اللون ليس بفارض
ولا بعوان ذات لون مخصف فرس لخصف اذا ارتفع البلق من بطنه
الى جنبيه وقال مجاهد العوان من البقر هي التي قد ولدت مرة بعد مرة
وحكاه اهل اللغة ويقال العوان النخلة الطويلة وهي فيما زعموا لغة يمانية
وحرب عوان اذا كان قبلها حرب بكر قال زهير اذا لقحت حرب عوان مضرة
ضروس تهر الناس انيابها عصل اي لا هي صغيرة ولا هي مسنة اي هي عوان
وجمعها عون بضم العين واسكان الواو وسمع عون بضم الواو كرسل ورسل
وقد تقدم وحكى الفرا من العوان عونت تعوينا الخامسة قوله تعالى
فافعلوا ما تومرون تجديد للامر وتاكيد وتنبيه على ترك التعنت فيما
تركوه وهذا يدل على ان مقتضى الامر الوجوب كما يقوله الفقها وهو الصحيح

على ما هو مذكور في اصول الفقه وعلى ان الامر على الفور وهو مذهب اكثر
الفقها ايضا ويدل على صحة ذلك انه تعالى استقصرهم حين لم يبادروا الى
فعل ما امروا به فقال فذبحوها وما كادوا يفعلون وقيل لا بل على التراخي
لانه تعالى لم يعنفهم على التاخير والمراجعة في الخطاب قاله ابن خويز منداد
قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها
بقرة صفرا فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان
ان البقر تشابه علينا وانا ان شا الله لمهتدون فيه ست مسايل **مسلة
الاولى** قوله تعالى ادع لغة بني عامر ادع بكسر العين وقد تقدم
ما لونها ما استفهام مبتداه ولونها الخبر ويجوز نصب لونها بيبين
وتكون ما زائدة واللون واحد الالوان وهو هيات كالسواد والحمرة
واللون النوع وفلان متلون اذا كان لا يثبت على خلق واحد قال الشاعر كل يوم تتلون
غير هذا بك اجمل ولون البسر تلوينا اذا بدا فيه اثر النضج واللون
الدقل وهو ضرب من النخل قال الاخفش هو جماعة واحدها لينة
الثانية قوله صفرا جمهور المفسرين على انها صفرا اللون من الصفرة
المعروفة قال مكي عن بعضهم حتى القرن والظلف وقال الحسن وابن
جبير كانت صفرا القرن والظلف فقط وعن الحسن ايضا صفرا معناه
سودا شديدة السواد كما تقول العرب ناقة صفرا اي سودا قال
الشاعر تلك خيلي منه وتلك [ايضا] ركابي هن صفر اولادها كالزبيب
قلت والاول اصح لانه الظاهر وهذا شاذ لا يستعمل مجازا الا
في الابل قال الله تعالى كانه جمالات صفر وذلك ان السود من الابل
سوادها صفرة ولو اراد السواد لما اكده بالفقوع وذلك نعت

يختص بالصفره وليس يوصف السواد بذلك تقول العرب اسود حالك وحلوك
وحلكوك ودجوجي وغربيب واحمر قاني وابيض ناصع ولهق ولهاق ويقق
واخضر ناضر واصفر فاقع هكذا نص نقله اللغه عن العرب قال الكساي
يقال فقع لونها يفقع ويفقح فقوعا اذا خلصت صفرته والافقاع سوء الحال
وفواقع الدهر بوايقه وفقع باصابعه اذا صوت ومنه حديث ابن عباس
نهى عن التفقيع في الصلاه وهي الفرقعه وهي غمز الاصابع حتى تنقض وصفرا لا
ينصرف في معرفه ولا نكره لان فيها الف التانيث وهي ملازمه فخالفت
الهالان ما فيه الها ينصرف في النكره فاطمه وعايشه **الثالثه** قوله
تعالى فاقع لونها يريد خالصا لونها لا لون فيها سوى لون جلدها تسر الناظرين
قال وهب كان شعاع الشمس يخرج من جلدها ولهذا قال ابن عباس الصفره
تسر النفس وحض على لباس النعال الصفر حكاه النقاش وقال علي بن ابي
طالب من لبس نعلي جلد اصفر قل همه لان الله تعالى يقول صفرا فاقع
لونها تسر الناظرين حكاه الثعلبي ونهى ابن الزبير ومحمد بن ابي كثير عن لباس
النعال السود لانها تهم ومعنى تسر تعجب وقال ابو العاليه معناه في
سمنها ومنظرها فهي ذات وصفين وقيل تعجب من نظر اليها لحسن لونها والله
اعلم ودل هذا على وصف الحيوان وضبطه بالصفه على ما نبينه انشا
ان شا الله تعالى **الرابعه** قوله تعالى ادع لنا ربك يبين لنا ما هي يعني
امن العوامل هي او من غير العوامل ان البقر تشابه علينا يعني تشا دل
علينا اسنانها نسالوا سوالا رابعا ولم يمتثلوا الامر بعد البيان وذكر
البقر لانه بمعنى الجمع ولذلك قال ان البقر تشابه علينا فذكر للفظ تذكير
البقر قال قطرب وغيره جمع البقر باقر وباقور وبقر وقال الاصمعي

الباقر

تشابهت

الباقر جمع باقر قال ويجمع بقر على باقون حكاه النحاس وقال الزجاج المعنى
ان جنس البقر وقرا فيما ذكر النحاس والاعرج فيما ذكر الثعلبي ان البقر تشابه بالتا
وشد الشين جعله فعلا مستقبلا وانثه والاصل تتشابه ثم ادغم التا في
الشين وقرا مجاهد تشبه وفي مصحف ابي تشابهت بتشديد الشين قال
ابو حاتم وهذا غلط لان التا في هذا الباب لا تدغم الا في المضارعة وقرا
يحيى بن يعمر ان البقر يشابه بالبا وشد الشين جعله فعلا مستقبلا وذكر
البقر وادغم ويجوز ان البقر تشابه بتخفيف الشين وضم الها وحكاها
الثعلبي عن الحسن النحاس ولا يجوز يشابه بتخفيف الشين والبا وانما جاز في
التا لان الاصل تتشابه فحذفت لاجتماع التاين والبقر والباقر والبيقور
والبقير لغات بمعنى والعرب تذكره وتونثه والى ذلك ترجع معنى القرات
في تشابه وقيل انما قالوا ان البقر تشابه علينا لان وجوه البقر تتشابه ومنه
حديث حذيفه بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر فتنا كقطع
الليل تاتي كوجوه البقر يريد انها تشبه بعضها بعضها ووجوه البقر تتشابه
ولذلك قالت بنو اسرايل ان البقر تشابه علينا والله اعلم **الخامسة**
قوله تعالى وانا ان شا الله لمهتدون استثنا منهم وفي استثناهم في هذا
السوال الاخير انابة ما وانقياد ودليل ندم على عدم موافقة الامر
ويقال لمهتدون الى البقرة انذ ذبحها بمشية الله تعالى قال ابن عباس
لولا انهم استثنوا ما اهتدوا الى ذبحها وروي عن سفين بن عيينه عن عمرو
بن دينار عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان بني اسرايل
اخذوا ادنى بقرة اجزات عنهم ولولا انهم قالوا وانا ان شا الله لمهتدون
ما وجدوها في رواية عنه عليه السلام لولا استثنوا ما اهتدوا

تشبه [margin] / بعضا [margin] / ت [margin] / لام [margin]

اليها ابدا وتقدير الكلام وانا المهتدون ان شا الله فتقدم على ذكر الاهتدا اهتماما به وشانى موضع جزم بالشرط وجوابه عند سيبويه الجملة ان وما عملت فيه وعند ابى العباس المبرد محذوف **السادسة قلت** وفي هذه الايه دليل على ان الاستثنا فيه نفريح وخروج مما الزمه المر نفسه من يمين وغيره وسبب للوصول الى المقصود فينبغي للانسان ان لا يغفل عنه وقد قال تعالى لنبيه عليه السلام ولا تقولن لشى انى فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله وفي قول الانسان ان شا الله في كل الحوال دليل على قصر اجله وترك تعدا مهله وفيها دليل على الاخذ باقل ما ينطلق عليه الاسم لقوله عليه السلام لو ان بنى اسرايل لخذوا ادنى بقره اجزت عنهم وهي مسلة عظمى تترتب عليها احكام كثيره مما ستراه مبينا ان شا الله تعالى **قوله** تعالى قال انه يقول انها بقره لا ذلول انها بقره لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شبه فيها قالوا الان جيت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون فيه ثمان مسايل **الاولى** لما سالوا سوال بعد سوال الى ان قالوا وانا ان شا الله لمهتدون قال لهم موسى ان ربكم يقول انها بقره لا ذلول قرا الجمهور ذلول بالرفع على الصفه لبقره قال الاخفش لا ذلول نعته ولا يجوز نصبه وقرا ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بالنصب على النفي والخبر مضمر ويجوز لا هي ذلول لا هي تسقي الحرث هي مسلمه ومعنى ذلول لم يذللها العمل قال اهل العلم الذلول في الدواب مثل الذليل في الناس يقال رجل ذليل بين الذل بضم الذال ودابه ذلول بينه الذل بكسر الذال هي صفته غير انفسه لم تذلل بالعمل **الثانية** قوله تعالى تثير الارض تثير في موضع رفع على الصفه للبقره اي هي بقره لا ذلول مثيره قال الحسن كانت تلك البقره وحشيه ولهذا

وصفها الله تعالى بانها لا تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لا يسنى بها لسقي الزرع
ولا يسقى عليها والوقف ها هنا حسن على هذا التاويل وقال قوم تثير فعل مستا
والمعنا ايجابه الحرث وانها كانت تحرث ولا تسقي والوقف على هذا التاويل لا ذلول
قلت والقول الاول اصح لوجهين احدهما ما ذكر النحاس عن علي بن سليمان
انه قال لا يجوز ان يكون تثير مستانفا لان بعده ولا تسقي الحرث فلو كان
مستانفا لما جمع بين الواو ولا الثاني انها لو كانت تثير الارض لكانت
الاثارة قد ذللتها والله تعالى قد نفى عنها الذل بقوله لا ذلول قلت
ويحتمل ان يكون تثير الارض في غير العمل مرحا ونشاطا كما قال امرؤ القيس
يهيل ويذري تربه ويثيره اثارة نباث الهواجر مخمس فعلى هذا يكون
تثير مستانفا ولا تسقي معطوف عليه انها غير مذللة للبنية فتامله واثارة
الارض تحريكها وبحثها ومنه الحديث اثيروا القران فانه علم الاخرين والاولين
وفي رواية لغرى من اراد العلم فليثور القران وقد تقدم وفي التنزيل واثاروا
الارض اي قلبوها للزراعة والحرث ما حرث وزرع وسياتي **الثالثة**
وصف الله تعالى البقرة في هذه الاية والتي قبلها بستة اوصاف الاول
صفرتها او سوادها على الخلاف الثاني بسمنها الثالث نسبتها الرابعة انها
غير مذللة الخامسة مسلمة من العيوب السادس انها صفرا خالصة
لا وضح ولا سواد ولا بياض في لون سوى الصفرة وهو معنى قوله لا شية
فاستدل العلما بهذا على حصر الحيوان بصفاته واذا ضبط بالصفة وحصر
بها جاز السلم فيه وبه قال ملك واصحابه والاوزاعي والليث والشافعي
وكذا كل ما يضبط بالصفة يجوز السلم ولذلك بيع كل ما يوصف وان كان
غايبا ويلزم المشتري اذا خرج على الصفة في قول ملك واصحابه لوصف الله

بيك

تعالى البقرة في جوابه وصفا يقوم مقام التعيين ولذلك قالت بنو اسرا
الان جيت بالحق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصف المراة المراة
لزوجها حتى كانه ينظر اليها اخرجه مسلم فجعل صلى الله عليه وسلم الصفه تقوم
مقام الرويه وجعل صلى الله عليه وسلم ديه الخطا في ذمة من اوجبها عليه
دينا الى اجل ولم يجعلها على الحلول وهو يرد قول الكوفيين ابو حنيفه واصحا
والثوري والحسن بن صلح قالوا لا يجوز السلم في الحيوان وروي عن ابن مسعود
وحذيفه وعبد الرحمن بن سمرة لا يوقف على حقيقة صفه من مشي وحركه
وكل ذلك يزيد في ثمنه ويرفع في قيمته وسيا في حكم السلم وشروطه في اخر السوره
ان شا الله تعالى الرابعه قوله تعالى مسلمه اي هي مسلمه ويجوز ان يكون
وصفا اي انها بقره مسلمه من العرج وساير العيوب قاله قتاده وابو
العاليه ولا يقال مسلمه من العمل لنفي الله تعالى العمل عنها وقال الحسن يعني
سليمه القوايم لا اثر فيها للعمل وقيل مسلمه من غصب او سرقه لتكون حلالا
الخامسة قوله تعالى لا شيه فيها اي ليس فيها لون يخالف معظم لونها هي صفرا
كلها لا بياض فيها ولا حمره ولا سواد كما قال فاقع لونها واصل شيه وشيه
حذفت الواو كما حذفت من يشي والاصل يوشي ونظيره الزنه والعده
والصله والشيه ماخوذ من وشي الثوب اذا نسج على لونين مختلفين وثور
موشي في وجهه وقوله سواد قال ابن عرفه الشيه اللون ولا يقال لمن نمر
واشي حتى يغير الكلام ويلونه فيجعله ضروبا ويزين منه ما يشا والوشي الكثره
ووشي بنو فلان كثروا ويقال فرس ابلق وكبش اخرج وتيس ابرق وغراب ابقع
وثور اشيه كل ذلك بمعنى البلقه هكذا نص اهل اللغه وهذه الاوصاف في
البقره سببها انهم شددوا فشدد الله عليهم ودين الله يسر والتعمق في

سوال

السادسة سوال الانبيا وغيرهم من العظام مذموم نسئل الله العافيه

روى في قصص هذه البقره روايات تلخيصها ان رجلا من بني اسرايل ولد له ولد وكانت له عجله فارسلها في غيضه وقال اللهم اني استودعك هذه العجله لهذا الصبي ومات الرجل فلما كبر الصبي قالت له امه وكان برا بها ان اباك استودع الله عجله لك فاذهب فخذها فلما راته البقره جات اليه حتى اخذ بقرنيها وكانت مستوحشه فجعل يقودها نحو امه فلقيه بنو اسرايل ووجدوا بقرته على الصفه التي امروا بها فساموه فاشتط عليهم وكان قيمتها على ما روى عكرمه ثلاثه دنانير فاتوا به موسى وقالوا ان هذا اشتط علينا فقال لهم ارضوه فاشتروها منه بوزنها مره قاله عبيده بوزنها عشر مرار ذهبا دنانير فرقتها على بني اسرايل فاصاب كل فقير من فقرا الاسباط دينار ا وقيل بمل مسكها دنانير قاله وهب بن منبه وان ذلك الفتى كان برا بامه وكان يصلي ثلث الليل وينام ثلث الليل ويجلس الثلث عند راس امه ويقول لها ان لم تقدري على القيام فسبحي الله وهللي وكان ورث من ابيه بقره فلم يجدوا اهل تلك القريه البقره على تلك الصفه الا عنده فاشتروها بمل مسكها دنانير ويقال كان رجل يبيع الجوهر وكانت عنده هذه البقره وكان بارا بابيه فجاءه ابليس يوما بجراب من لولو فوضعه عليه واراد ان يبيع منه بمايه الف ما يساوي مايتي الف فلما اراد ان يشتري فكان مفتاح الصندوق تحت راس ابيه وهو نايم فذهب ليوقظه ثم قال في نفسه كيف اوقظ ابي لربح مايه الف فرجع فقال ان ابي نايم فقال له ابليس اذهب فايقظه فاني ابيع منك بخمسين الفا ما يساوي مايتي الف فذهب ليوقظه فلم يحتمل قلبه فرجع فلم يزل ابليس يحط من الثمن حتى بلغ عشره

د راهم فلم يوقظ اباه وترك ذلك الشري فجعل الله تعالى في ماله البركة حتى
اشتروا بقرته على ما حكي بن عباس ومحمد بن كعب بمل مسكها ذهبا من مال
المقتول وقيل كانت البقرة وحشية وذكر مكي ان هذه البقرة نزلت من السما
ولم تكن من بقر الارض والله اعلم **السابعة** قالوا الان جيت بالحق يعني الان
اتممت الصفة قاله قتاده الان بينت الحق وقد قيل الان جيت بالصفة التي
تطلب وحكي الاخفش قال الان قطع الالف لوصل كما يقال بالله وحكى
وجها اخر قالوا الان باثبات الواو ونظيره قراه اهل المدينة وابي عمرو
وعادا لولا وحكي الكوفيون قالوا الان بالهمزة وقرا اهل المدينة قالوا
الان بتخفيف الهمزة مع حذف الواو في اللفظ لالتقا الساكنين قال
الزجاج الان مبني على الفتح لمخالفته سائر ما فيه الالف واللام لان
الالف واللام دخلتا لغير عهد تقول انت الى الان هنا فالمعنى الى
هذا الوقت فبنيت كما بني هذا وفتحت النون لالتقا الساكنين وهو
عبارة عما بين الماضي والمستقبل **الثامنة** قوله فذبحوها وما كادوا
يفعلون اجاز سيبويه كاد ان يفعل تشبيها بعسى وقد تقدم اول
السورة وهذا اخبار عن تثبطهم في ذبحها وقلة مبادرتهم الى امر الله
وقال القرظي محمد بن كعب لغلا ثمنها وقيل خوفا من الفضيحة على
انفسهم في معرفة القايل منهم قاله وهب بن منبه **قوله** تعالى
واذ قتلتم نفسا فادارا تم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه
ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون فيه
ستة عشر مسله **الاولى** قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارا تم
فيها هذا الكلام مقدم على اول الصفة التقدير واذ قتلتم نفسا

فاختلفتم فيها

فاختلفتم فيها فقال موسى ان الله يامركم بكذا وقد تقدم بيانه وفي
سبب قتله قولان احدهما لانه له حسنا احب ان يتزوجها بن
عمها فمنعه عمه فقتله وحمله من قريه الى قريه اخرى فالقاه هناك
وقيل القاه فرس الثاني قتله لميراثه فانه كان فقيرا وادعى قتله على بعض
الاسباط قال عكرمه كان لبني اسراييل مسجد له اثنا عشر بابا لكل
باب قوم يدخلون منه فوجد واقتيلا في سبط من الاسباط فادعى
هولا على هولا وهولا على هولا ثم اتوا موسى يختصمون اليه فقال
ان الله يامركم ان تذبحوا بقره الايه **الثانية** قوله تعالى فاداراتم
فيها اي اعوججتم عن الاستقامه في قتلها والدرا الاعوجاج ومنه قول
الشاعر بلى عنهم درا الاعادي ردا ووا بالجنون من الجنون
وقيل اختلفتم وتنازعتم قاله مجاهد والسدي واصله تدارانم ثم
ادغمت التا في الدال ولا يجوز الابتدا بالمدغم لانه ساكن فزيد الف
الوصل **الثالثه** قوله تعالى والله مخرج ما كنتم تكتمون الله مخرج
ابتدا وخبر ما كنتم ما في موضع نصب بمخرج ومعناه مظهر ويجوز
حذف التنوين على الاضافه تكتمون جمله في موضع خبر كان والعايد
محذوف التقدير تكتمونه من قتل عامل **الرابع** قوله تعالى فقلنا
اضربوه ببعضها اي اضربوا الميت ببعض اعضا البقره قيل بلسانها لانه
اله الكلام بعجب الذنب اذ فيه يركب خلق الانسان كما في صحيح الحديث
كل بن ادم ياكله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب الجسد
بالبضعه التي بين الكتفين وقيل بالفخذ قال مجاهد وعكرمه وقتاده
بفخذها الايمن وقال ابو العاليه بعظم من عظامها بن عطيه والمقطوع

به عضو من اعضايها فلما ضرب به حيى واخبر بقاتله ثم عاد ميتا كما كان
الخامسة اختلف في القاتل هل كان واحدا او اثنان فقيل كان رجلان
اخوان عمدا الى عم لهما واسمه عاميل فقتلاه لكي يرثاه وقيل كانت بنت
عم لهما فخشيا ان تنكح ابن عمها عاميل فقتلاه فلما ضربوه ببعض من اعضا
البقرة جلس واوداجه تشخب دما وقال قتلني ابنا عمي فاخذا وقتلا
ولم يعط لهما من ميراثه شيا وقيل كان القاتل واحدا على ما تقدم
والله اعلم السادسة وعلى القول بانه قتله طلبا لميراثه لم يرث قاتل من
حينيذ قال عبيدة السلماني لم يرث قاتل عمد بعد صاحب البقرة
قال ابن عباس قتل هذا الرجل عمه ليرثه قال ابن عطيه وبمثله جا شرعنا
وحكى مالك رحمه في موطيه ان قصة احيحة ابن الجلاح في عمه هي
كانت سبب ان لا يرث قاتل ثم ثبت ذلك الاسلام كما ثبت كثيرا
من نوازل الجاهلية ولا خلاف بين العلما انه لا يرث قاتل العمد
من الدية ولا من المال الا فرقة شذت عن الجمهور كلهم اهل
بدع ويرث قاتل الخطا من المال ولا يرث من الدية وهي السابعة
في قول مالك والاوزاعي وابي ثور والشافعي لانه لا يتهم على انه قتله
ليرثه وياخذ ماله وقال سفين الثوري وابو حنيفة واصحابه
والشافعي في قول له اخر لا يرث القاتل عمدا ولا خطا شيا من
المال ولا من الدية وهو قول شريح وطاوس والشعبي والنخعي
رواه الشعبي عن عمر وعلي وزيد قالوا لا يرث القاتل عمدا ولا خطا
شيا وروي عن مجاهد القولان جميعا وقالت طايفة من البصريين
يرث قاتل الخطا من الدية ومن المال جميعا حكاه ابو عمر وقول

ملك

ملك اصح على ما ياتي بيانه في اية المواريث ان شا الله تعالى
استدل ملك رحمه الله في رواية بن وهب وبن القاسم على صحة القول
بالقسامة بقول المقتول دمي عند فلان وفلان قتلني ومنعه الشافعي
وجمهور العلما قالوا وهو الصحيح لان قول المقتول دمي عند فلان او فلان
قتلني خبر يحتمل الصدق والكذب ولا خلاف ان دم المدعى عليه معصوم
ممنوع اباحته الا بيقين ولا يقين مع الاحتمال فبطل اعتبار قول المقتول
دمي عند فلان واما قتيل بني اسرايل فكانت معجزة واخبر تعالى انه يحييه
وذلك يتضمن الاخبار بقاتله خبرا جزما لا يدخله احتمال فافترقا قال
بن العربي المعجزة انما كانت في احيايه فلما صار حيا كان كلامه كسائر كلام الناس
كلهم في الرد والقبول وهذا فن دقيق من العلم لم يتفطن به الا ملك وليس في
القران انه اذا اخبر وجب صدقه فلعله امرهم بالقسامة معه
واستبعد ذلك البخاري والشافعي وجماعة من العلما فقالوا كيف يقبل قوله
في الدم وهو لا يقبل قوله في درهم

اختلف العلما في الحكم

بالقسامة فروي عن سالم وابي قلابة وعمر بن عبد العزيز والحكم بن عيينة
التوقف في الحكم بها واليه مال البخاري لانه اتى بحديث القسامة في
غير موضعه وقال الجمهور الحكم بالقسامة ثابت عن النبي صلى الله عليه
وسلم ثم اختلفوا في الحكم بها فقالت طايفة يبدا فيها المدعون بالايمان
فان حلفوا استحقوا وان نكلوا احلف المدعى عليهم خمسين يمينا وبرو هذا
قول اهل المدينة والليث والشافعي واحمد وابي ثور وهو مقتضى
حديث حويصة ومحيصة خرجه الايمة ملك وغيره وذهبت
طايفة الى انه يبدا بالايمان المدعى عليهم فيحلفون ويبرون روي

هذا عن عمر بن الخطاب والشعبي والنخعي وبه قال الثوري والكوفيون
واحتجوا بحديث سعيد بن عبيد عن بشير بن يسار وفيه فبدأ بالايمان
المدعى عليهم وهم اليهود وبما رواه ابو داود عن الزهري عن ابي سلمه
بن عبد الرحمن عن رجال من الانصار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لليهود وبدأ بهم الحلف منكم خمسين رجلا فابوا فقال للانصار
استحقوا فقالوا انحلف على الغيب يا رسول الله فجعلها رسول الله صلى الله عليه
وسلم دية على اليهود لانه وجد بين اظهرهم وبقوله عليه السلام
ولكن اليمين على المدعى عليه قالوا وهذا هو الاصل المقطوع به في الدعاوى
الذي نبه الشرع على حكمته بقوله عليه السلام لو يعطى الناس بدعواهم
لادعى ناس دما رجال واموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه ورد عليهم
اهل المقاله الاولى فقالوا حديث سعيد بن عبيد في تبديه اليهود وهم
عند اهل الحديث وقد اخرجه النسائي وقال لم يتابع سعيد على هذه
الروايه فيما اعلم وقد اسند حديث بشير عن سهل ان النبي صلى الله عليه
وسلم بدأ بالمدعين يحيى بن سعيد وابن عيينه وحماد بن زيد وعبد الوهاب
الثقفي وعيسى بن حماد وبشر بن المفضل فهولاء ايمه سبعه وان كان
ارسله مالك فقد وصله جماعه حفاظ وهو اصح من حديث سعيد بن
عبيد قال ابو محمد الاصيلي فلا يجوز ان يعترض بخبر واحد على
خبر جماعه مع ان سعيد بن عبيد قال في حديثه فوداه رسول
الله صلى الله عليه وسلم مايه من ابل الصدقه والصدقه لا تعطى في الديات
ولا يصالح بها عن غير اهلها وحديث ابي داود مرسل فلا يعارض به
الاحاديث الصحاح المتصله واجابوا عن التمسك بالاصل بان هذا

الحكم

الحكم اصل بنفسه لحرمة الدما وقال بن المنذر ثبت ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم جعل البينة المدعي واليمين على المدعى عليه والحكم بظاهر ذلك عند الا
ان يخص الله في كتابه او على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم حكما في شي من الاشيا
فيستثنى من جملة هذا الخبر مما دل عليه الكتاب الزام القاذف حد المقذوف
اذا لم يجى معه اربعة شهدا يشهدون وذلك على صدق ما رمى به المقذوف وخص
من رمى زوجته بان اسقط عنه الحد اذا شهد اربع شهادات ومما خصته
السنة حكم النبي صلى الله عليه وسلم بالقسامة وقد روى بن جريج عن عطا
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم البينة على من ادعى واليمين على من انكر
الا في القسامة خرجه الدارقطني واحتج ملك لهذه المسالة في موطيه بما فيه
كفاية فتامله هناك وما ذكرناه كاف والحمد لله واختلفوا ايضا
في وجوب القود بالقسامة فاوجبت طايفة القود بها وهو قول ملك والليث
واحمد وابي ثور لقوله عليه السلام لحويصة ومحيصة وعبد الرحمن اتحلفون
وتستحقون دم صاحبكم وروى ابو داود عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
ان النبي صلى الله عليه وسلم قتل رجلا بالقسامة من بني نصر بن ملك قال
الدارقطني نسخة عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده صحيحة وكذلك ابو عمر بن عبد
البر يصحح حديث عمرو بن شعيب ويحتج به وقال البخاري رايت علي بن
المديني واحمد بن حنبل والحميدي واسحق بن راهويه يحتجون به قال الدارقطني
في السنن وقالت لا قود بالقسامة وانما توجب الدية روى هذا عن عمر و
بن عباس وهو قول النخعي والحسن واليه ذهب الثوري والكوفيون والشافعي
واسحق واحتجوا بما رواه ملك عن بن ابي ليلى عن عبد الله عن سهل بن ابي حثمة
عن النبي عليه السلام قوله للانصار اما ان يدوا صاحبكم واما ان يوذنوا

قال
هو م

بحرب قالوا هذا يدل على الديه لا القود قالوا ومعنى قوله عليه السلام وتستحقون دم صاحبكم ديه دم قتيلكم لان اليهود ليسوا باصحاب لهم ومن استحق ديه صاحبه فقد استحق دمه لان الديه قد توخذ في العمد فيكون ذلك استحقاقا للدم

الموجب للقسامة اللوث ولا بد منه

واللوث امارة يغلب على الظن صدق مدعي القتل كشهادة العدل الواحد على رويه القتيل او يرى المقتول يتشحط في دمه والمتهم نحوه او قربه عليه اثار القتل وقد اختلف في اللوث والقول به فقال ملك هو قول المقتول دمي عند فلان والشاهد الواحد العدل لوث كذا في روايه بن القاسم عنه وروى اشهب عن ملك انه يقسم مع الشاهد غير العدل ومع المراه وروى بن وهب ان شهادة النسا لوث وذكر محمد بن القاسم ان شهاده المراتين لوث دون شهادة المراه الواحده قال القاضي ابو بكر بن العربي اختلف في اللوث اختلافا كثيرا مشهور المذهب انه الشاهد العدل وقال محمد هو احب الي قال وبه اخذ بن القاسم وابن وهب وبن عبد الحكم وروي عن عبد الملك بن مروان ان المجروح او المضروب اذا قال دمي عند فلان ومات كانت القسامه وبه قال ملك والليث بن سعد واحتج ملك بقتيل بني اسرايل انه قال قتلني فلان وقال الشافعي اللوث الشاهد العدل ويأتي ببينه وان لم يكونوا عدولا واوجب الثوري والكوفيون القسامه بوجود القتل فقط واستغنوا عن مراعاة قول المقتول وعن الشاهد قالوا اذا وجد قتيل في محله قوم وبه اثر حلف اهل ذلك الموضع انهم لم يقتلوه ويكون عقله عليهم واذا لم يكن به اثر لم يكن على العاقلة شي الا ان تقوم البينه على احد قال سفين وهذا مما اجمع عليه عندنا قال بعض العلما وهذا قول ضعيف

خالفوا

خالفوا فيه اهل العلم ولا سلف لهم فيه وهو مخالف للقران والسنه ولان فيه
الزام العاقله مالا بغير بينه ثبتت عليهم ولا اقرار منهم وذهب ملك
والشافعي الى ان القتيل اذا وجد في محله قوم انه هدر ولا يوخذ به اقرب
الناس اليه دارا الا ان القتيل قد يقتل ثم يلقى على باب قوم ليلطخوا به فلا يواخذ
بمثل ذلك حتى تكون الاسباب التي شرطوها في وجوب القسامه وقد قال
عمر بن عبد العزيز هذا مما يوخر فيه القصاص حتى يقضي الله فيه يوم القيامه
قال ابن القاسم بن مسعده قلت للنساي لا يقول
ملك بالقسامه الا باللوث فلم اورد حديث القسامة ولا لوث فيه
قال النساي انزل ملك العداوة التي كانت بينهم وبين اليهود بمنزلة اللوث
وانزل اللوث او قول الميت بمنزلة العداوة قال ابن زيد واصل هذا في قصه
بني اسرايل حين احيى الله الذي ضرب ببعض البقره فقال قتلني فلان وبان
العداوه لوث قال الشافعي ولا يرى قول المقتول لوثا كما تقدم قال
الشافعي اذا كان بين قوم وقوم عداوه ظاهره كالعداوه التي كانت بين الانصار
واليهود ووجد قتيل في احد الفريقين ولا يخالطهم غيرهم وجبت القسامه
فيه واختلفوا في القتيل يوجد في المحله التي اكراها اربابها
فقال اصحاب الراي هو على اهل الخطه وليس على السكان شيء فان باعوا دورهم
ثم وجد قتيل فالديه على المشتري وليس على السكان شيء وان كان ارباب
الدور غيبا وقد اكروا دورهم فالقسامه والديه على ارباب الدور الغيب
وليس على السكان الذي وجد القتيل بين اظهرهم شي ثم رجع يعقوب من بينهم
عن هذا القول فقال القسامه والدية على السكان في الدور وحكي هذا
القول عن ابن ابي ليلى واحتج بان اهل خيبر كانوا عمالا سكانا يعملون فوجد

القتيل فيهم قال الثوري ونحن نقول هو على اصحاب الاصل يعني اهل الدور
وقال احمد القول قول ابن ابي ليلى في القسامه لا في الديه وقال الشافعي وذلك
كله سوا ولا عقل ولا قود الا ببينه تقوم او ما يوجب القسامه فيقسم الاوليا
قال ابن المنذر وهذا اصح ولا يحلف في القسامه اقل
من خمسين يمينا لقوله عليه السلام لحويصه ومحيصه يقسم خمسون
منكم على رجل منهم فان كان المستحقون خمسين حلف كل واحد منهم يمينا واحده
فان كانوا اقل من ذلك او نكل منهم من لا يجوز عفوه ردت الايمان عليهم
بحسب عددهم ولا يحلف في العمد اقل من اثنين من الرجال لا يحلف فيه الواحد
من الرجال ولا النسا يحلف الاوليا ومن يستعين به الاوليا من العصبه خمسين
يمينا هذا قول مالك والليث والثوري والاوزاعي واحمد وداود وروى
مطرف عن مالك انه لا يحلف مع المدعى عليه احد ويحلف هم انفسهم كانوا
واحدا او اكثر خمسين يمينا يبرا بها وهذا قول الشافعي قال الشافعي لا يقسم الا وارث
كان القتل عمدا او خطا ولا يحلف على مال ويستحقه الا من له الملك لنفسه
او من جعل الله له الملك من الورثه والورثه يقسمون على قدر مواريثهم وبه
قال ابو ثور واختاره ابن المنذر وهو الصحيح لان من لم يدع عليه لم يكن له
سبب يتوجه عليه به يمين ثم مقصود هذه البراة من الدعوى ومن لم
يدع عليه برى وقال مالك يحلف فيها الواحد من الرجال والنسا فهي
حملت خمسون يمينا من واحد او اكثر استحق الحالف ميراثه ومن نكل لم يستحق
شيا فان جا من غاب خلف من الايمان ما كان يجب عليه لو حضر بحسب ميراثه
هذا قول مالك المشهور عنه وقد روى عنه انه لا يرى في الخطا قسامه
وتتميم مسايل وفروعها واحكامها مذكوره في كتب الفقه والخلاف وفيما

ومر

الايمان

ذكرنا

ذكرنا مما يتعلق بالاية كفاية والله الموفق فى صفة البقرة

هذه دليل على ان شرع من قبلنا شرع لنا وقال به طوايف من المتكلمين وقوم من الفقها واختاره الكرخي ونص عليه بن بكير القاضي من علماينا وقال القاضي ابو محمد عبد الوهاب هو الذي يقتضيه اصول ملك ومنازعه في كتبه ميل الشافعي وقد قال الله تعالى فبهداهم اقتده على ما ياتي بيانه ان شا الله تعالى

قوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى اي كما احيى هذا بعد موته كذلك يحيي كل من مات والكاف من كذلك في موضع نصب لانه نعت لمصدر محذوف ويريكم اياته لعلكم تعقلون اي علاماته وقد ذكره في تعقلوا وقد تقدم اي تمتنعون من عصيانه وعقلت نفسي عن كذا اي منعتها منه والمعاقل الحصون وقد تقدم مستوفى تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الما وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون فيه سبع مسايل قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك اي من بعد احيا الميت ويحتمل بعد الايات التي ذكرت نحو مسخ القردة والخنازير ورفع الجبل وتفجر الما من الحجر وغير ذلك والاول اظهر لانه اقرب ومعنى قست اي يبست وصلبت والقسوة الصلابة والشدة واليبس وهي عبارة عن خلوها من الانابة والاذعان لايات الله تعالى قال ابو العالية وقتادة وغيرهما المراد قلوب جميع بني اسرايل وقال بن عباس المراد قلوب ورثة القتيل لانهم حين حيي واخبر بقاتله وعاد الى موته انكروا قتله وقالوا كذب بعد ما راوا هذه الاية العظمى فلم يكونوا قط اعمى قلبا ولا اشد تكذيبا لنبيهم منهم عند ذلك

ولكن نفد حكم الله   روى الترمذي عن عبد الله بن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكثر والكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام
بغير ذكر الله قسوة للقلب وان ابعد الناس من الله القلب القاسي وفي
مسند البزار عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة من
الشقا جمود العين وقسي القلب وطول الامل والحرص على الدنيا ويقال
قسوة القلب عبارة عن خلوه من خشية الله والشفقة على الخلق وكل
قلب لا يكون خشية الله ولا شفقة الخلق فهو كالحجارة   قوله
تعالى فهي كالحجارة او اشد قسوة او قيل هي بمعنى الواو كما قال تعالى اثما او كفورا
عذرا او نذرا على ما يأتي وقال الشاعر نال الخلافة او كانت له قدرا
اي وكانت وقيل هي بمعنى بل كقوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيد
المعنى بل يزيدون وكقوله تعالى كلمح البصر او هو اقرب اي بل هو
اقرب وكقوله قاب قوسين او ادنى اي بل ادنى   وقال الشاعر
بدت مثل الشمس في رونق الضحى وصورتها او انت في العين املح اي بل
انت وقيل معناها الابهام على المخاطب ومنه قول ابي الاسود
الدولي   احب محمدا حبا شديدا وعباسا وحمزة او عليا فان
يك حبهم رشدا اصبه ولست بمخطي ان كان غيا   ولم يشك ابو
الاسود ان حبهم رشد ظاهر وانما قصد الابهام وقد قيل لابي
الاسود حين قال ذلك شككت قال كلا ثم استشهد بقوله
تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقال او كان شاكا
من اخبر بهذا وقيل معناها التخيير اي شبهوها بالحجارة تصيبوا او
باشد من الحجارة تصيبوا وهذا القول القايل جالس الحسن او ابن

سيرين

سيرين ويعلم الفقه او الحديث قال الزجاج او للتخيير يعني ان شبهتم
قسوتها بالحجارة او بما هو اشد قسوة فانتم مصيبون لقوله تعالى او كصيب
من السما وقيل هي على بابها من الشك ومعناها عندكم ايها المخاطبون
وفي نظركم ان لو شاهدتم قسوتها لشككتم اهي كالحجارة او اشد من
الحجارة وقد يدل هذا المعنى في قوله تعالى الى مائة الف او يزيدون وقال
فرقة انما اراد الله تعالى ان فيهم من قلبه كالحجر وفيهم من قلبه اشد من الحجر
فالمعنى هم فرقتان والله اعلم قوله تعالى او اشد اشد مرفوع
بالعطف على موضع الكاف في قوله كالحجارة لان المعنى فهي مثل الحجارة او اشد
فالكاف في موضع اسم على ما تقدم بيانه في قوله مثلهم كمثل ويجوز او اشد
بالفتح عطفا على الحجارة وقسوة نصب على التمييز وقرا ابو حيوة قساوة
والمعنى واحد قوله تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
تقدم معنى الانفجار والحجارة جمع حجر يعني الحجر الذي تخرج منه العيون
في الجبال ويقال اراد به حجر موسى الذي كان يخرج منه العيون
وان منها يعني من الحجارة لما يشقق اي يتصدع فيخرج منه الما ويشقق
اصله يتشقق ادغمت التا في الشين وهذه عبارة عن العيون التي لم تعظم
حتى تكون انهارا او عن الحجارة التي تشقق وان لم يجر ما منفسح وقرا ابن
مصرف ينشقق بالنون وقرا لما يتفجر لما يشقق بتشديد الميم قال ابو
حاتم يجوز لما تتفجر بالتا ولا يجوز لما تتشقق بالتا لانه اذا قال تتفجر انثه
بتانيث الانهار وهذا لا يكون في يتشقق قال النحاس يجوز ما انكره على
المعنى لان المعنى وان منها لحجارة تتشقق واما يشقق فمحمول على لفظ ما
والشق الواحد الشقوق وهو في الاصل مصدر تقول بيد فلان ورجله

شقوق ولا تقل شقاق وانما الشقاق يكون بالدواب وهو تشقق
يصيب ارساغها وربما ارتفع الى وظيفها عن يعقوب والشق الصبح وما
في قوله لما يتفجر في موضع نصب لانها اسم ان واللام للتاكيد منه على
لفظ ما ويجوز منها على المعنى وكذلك وان منها لما يشقق منه الما وقرا
قتاده وان في الموضعين مخففه من الثقيله   وان منها لما يهبط
من خشيه الله يقول ان من الحجارة ما هو انفع من قلوبكم لخروج الما منها
وترديها قال قتاده عذر الحجارة ولم يعذر بني ادم وقال مجاهد ما
تردى حجر من راس جبل ولا تفجر نهر من حجر ولا خرج منه ما الا من خشيه
الله نزل بذلك القران ومثله عن ابن جريج وقال بعض المتكلمين وان منها
لما يهبط من خشيه الله البرد الهابط من السحاب وقيل الهبوط مجاز وذلك
ان الحجارة لما كانت القلوب تعتبر بخلقها وتخشع بالنظر اليها اضيف
تواضع الناظر اليها كما قالت العرب ناقة تاجر اي تعجب من راها على
شرايها وحكى الطبري عن فرقه ان الخشيه للحجارة مستعاره كما استعيرت
الارادة للجدار في قوله يريد ان ينقض وكما قال لما اتى خبر الزبير تواضعت
سور المدينه والجبال الخشع وذكر ابن بحر ان الضمير في قوله وان منها راجعه
الى القلوب لا الى الحجارة اي من القلوب لما يخضع من خشيه الله قلت
كل ما قيل يحتمله اللفظ والاول صحيح فانه لا يمتنع ان يعطي بعض الجمادات
المعرفه فيعقل كالذي عن الجذع الذي كان يستند اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا خطب فلما تحول حن وثبت عنه عليه السلام
انه قال ان حجرا كان يسلم علي في الجاهليه اني لاعرفه الان وكما روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لي ثبيرا اهبط فاني اخاف ان يقتلوك

على

علي ظهري فيعذبني الله فناداه جبريل الي يا رسول الله وفي التنزيل انا عرضنا
الامانه علي السموات والارض والجبال وقال لو انزلنا هذا القران علي
جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشيه الله يعني تذللا وخضوعا وسياتي
لهذا مزيد بيان في سبحان عند قوله تعالي وان من شي الا يسبح بحمده ان
شا الله تعالي وقال بعضهم ان معني قوله تعالي وان منها لما يهبط من خشيه
الله علي وجه المثال اي لو كان له عقل لهبط من خشيه الله تعالي وهو قول
المعتزله وهو خلاف اقاويل المفسرين قوله تعالي وما الله بغافل
عما تعملون تهديد ووعيد اي ان الله يجازيهم بعملهم فيجد رحمه بذلك
وبغافل في موضع نصب علي لغه اهل الحجاز اي وما الله غافلا وعلي لغه
تميم في موضع الرفع والبا توكيد عما تعملون اي عن عملكم حتي يغادر صغيره ولا
كبيره الا يحصيها عليهم فمن يعمل مثقال ذره خيرا يره ومن يعمل مثقال ذره
شرا يره ولا تحتاج ما الي عايد الا ان يجعلها بمعني الذي فيحذف العايد
لطول الاسم اي عن الذي تعملونه وقرا ابن كثير يعملون بالياء والمخاطبه علي
هذا لمحمد عليه السلام الباقون بالتا علي الخطاب لهم تعالي
افتطمعون ان يومنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم
يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فيه اربع مسايل
قوله تعالي افتطمعون ان يومنوا لكم هذا استفهام فيه معني
الانكار كانه ايايسهم من ايمان هذه الفرقه من اليهود اي ان كفروا فلهم
سابقه في ذلك والخطاب لاصحاب النبي صلي الله عليه وسلم وذلك ان
الانصار كان لهم حرص علي اسلام اليهود للحلف والجوار الذي كان
بينهم وقيل الخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم عن ابن عباس اي لا تحزن

قوم
قال

على تكذيبهم اياك واخبره انهم من اصل السوء الذين مضوا وتد يذكر
الواحد بلفظ الجماعة كما قال تعالى فان لم يستجيبوا لكم اراد به النبي صلى الله
عليه وسلم لذلك هاهنا ومثله كثير وان في موضع نصب اي ان تؤمنوا
بان ولذلك حذفت منه النون يقال طمع فيه طمعا وطماعية مخفف فهو طمع
على وزن فعل والطمعة فيه غيره ويقال في التعجب طمع الرجل بضم الميم اي صار
كثير الطمع والطمع رزق الجند يقال لهم باطماعهم اي بارزاقهم وامراه
مطماع تطمع ولا تمكن قوله تعالى وقد كان فريق منهم الفريق
منهم الك اسم جمع لا واحد له من لفظه وجمعه في ادنى العدد افرقه وفي
الكثير افرقا منهم قال سيبويه واعلم ان ناسا من ربيعه منهم يقولون
منهم بكسر الها اتباعا لكسرة الميم ولم يكن المسكن حاجزا حصينا عندهم
يسمعون في موضع نصب خبر كان ويجوز ان يكون الخبر منهم ويسمعون
نعتا لفريق وفيه بعد كلام الله قراه الجماعة كلام الا الاعمش فانه قرا
كلم الله على جمع كلمه وكلام مفعول بيسمعون والمراد السبعون الذين
اختارهم موسى عليه فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا امره وحرفوا القول
في اخبارهم لقومهم هذا قول الربيع وبن اسحق وبن عطيه وفي هذا القول
صعف ومن قال ان السبعين سمعوا ما سمع موسى فقد اخطا واذهب
بفضيلة موسى واختصاصه بالتكليم وقد قال السدي وغيره
لم يطيقوا سماعه واختلطت اذهانهم ورغبوا ان يكون موسى
يسمع ويعبر لهم فلما فرغوا وخرجت بدلت طايفه منهم ما سمعت
من كلام الله على لسان نبيهم موسى عليه السلام كما قال تعالى وان
احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فان قيل فقد

سمع م

روى

سألوا

روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان قوم موسى سألوا موسى عليه السلام
ان يسأل ربه ان يسمعهم كلامه فسمعوا صوتا كصوت الشبور اني انا الله
لا اله الا انا الحي القيوم اخرجتكم من مصر بيد رفيعة وذراع شديد
قلنا هذا حديث باطل لا يصح رواه ابن مروان عن الكلبي وكلاهما ضعيف
لا يحتج به عن ابي صالح مولى ام هاني وهو كذاب وقد تقدم مقدمة
الكتاب وانما الكلام شي خص به موسى من بين جميع ولد ادم فان كان كلم
قومه ايضا حتى اسمعهم وهذا واضح واختلف الناس بما ذا
عرف موسى كلام الله ولم يكن سمع قبل ذلك فمنهم من قال انه سمع كلاما
ليس بحروف واصوات وليس فيه تقطيع ولا نفس فحينئذ علم ان ذلك
ليس هو كلام البشر وانما هو كلام رب العالمين وقال اخرون انه لما
سمع كلاما لا من جهة وكلام البشر يسمع من جهة من الجهات الست علم انه
ليس من كلام البشر وقيل انه صار جسده كله مسامع حتى سمع بها
ذلك الكلام فعلم انه كلام الله وقيل فيه ان المعجز دلت على ان ما سمعه
هو كلام الله وذلك انه قيل له الق عصاك فصارت ثعبانا فكان ذلك
علامة له على صدق الحال وان الذي يقول له انا ربك هو الله جل
وعز وقيل انه قد كان اضمر في نفسه شيا لا يقف عليه الا علام الغيوب
فاخبره الله تعالى في خطابه بذلك الضمير فعلم ان الذي يخاطبه هو الله
جل وعز فهذه خمسة اوجه وسياتي في سورة القصص بيان معنى قوله
تعالى نودي من الشجرة ان شا الله تعالى قوله تعالى ثم يحرفونه
قال مجاهد والسدي هم علما اليهود الذين حرفوا التوراة فجعلوا الحرام
حلالا والحلال حراما اتباعا لاهوائهم من بعد ما عقلوه اي عرفوه

وعلموه وهذا توبيخ ان هولا اليهود قد سلفت لابايهم افاعيل سوا وعناد
وهولا على ذلك السنن فكيف تطمعون في ايمانهم وفي هذا دليل على ان العالم بالحق
المعاند فيه بعيد من الرشد لانه علم الوعد والوعيد ولم ينهه ذلك
عن عناده ۰ وقال بعضهم يحرفونه يغيرون تاويله وقيل ان الذي حرف وغير
السبعين قال في رواية الكلبي ان السبعين سمعوا كلام الله تعالى فلما رجعوا
قال سفلتهم ان الله تعالى امر بكذا وكذا بخلاف ما امرهم به وذلك قوله تعالى
وقد كان فريق منهم وهذا اشبه والله اعلم تعالى واذا لقوا
الذين امنوا قالوا امنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله
عليهم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون قوله تعالى واذا لقوا الذين
امنوا قالوا امنا هذا في المنافقين واصل لقوا لقيوا وقد تقدم واذا
خلا بعضهم الى بعض الاية في اليهود وذلك ان ناسا منهم اسلموا ثم
نافقوا فكانوا يحدثون المومنين من العرب بما عذب الله به اباهم
فقالت لهم اليهود اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اي حكم الله عليكم
من العذاب ليحاجوكم اي ليقولوا نحن اكرم على الله منكم عن ابن عباس والسدي
وقيل اتحدثونهم بما فتح الله عليكم يعني اخبروهم بان ذكر محمد صلى الله
عليه وسلم في كتابكم حق فيكون ذلك حجة عليكم افلا تعقلون ان ذلك حجة لهم عليكم
والقول الاول اظهر لما روي ان عليا رضي الله عنه لما نازل قريظة يوم
خيبر سمع سب رسول الله صلى الله وسلم فانصرف اليه وقال يا رسول الله
لا تبلغ اليهم وعرض له فقال اظنك سمعت شتمي منهم لو راوني لكفوا عن
ذلك ونهض اليهم فلما راوه امسكوا فقال لهم نقضتم العهد يا اخوة
القردة والخنازير اخزاكم الله وانزل بكم نقمته فقالوا ما كنت جاهلا

يا محمد فلا تجهل علينا من حدثك بهذا ما خرج هذا الخبر الا من عندنا
روى هذا المعنى عن مجاهد واصل خلا خلوا اقلبت الواو الفا لتحركها
وانفتاح ما قبلها وتقدم معنى خلا والى اول السورة ومعنى فتح حكم
والفتح عند العرب القضا والحكم ومنه قول الشاعر الا ابلغ بني
عصم رسولا باني عن فتاحتكم غني ومنه قوله تعالى ثم يفتح بيننا بالحق
وهو خير الفاتحين اي الحاكمين والفتاح القاضي بلغة اليمن يقال بيني وبينك
الفتاح قيل ذلك لانه ينصر المظلوم على الظالم والفتح النصر ومنه قوله
تعالى يستفتحون على الذين كفروا وقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح
ويكون بمعنى الفرق بين الشيئين ليحاجوا نصب بلام كي وان شئت باضمار
وعلامة النصب حذف النون قال يونس وناس من العرب يفتحون لام كي قال
الاخفش الفتح الاصل قال خلف الاحمر هي لغة بني العنبر وتقدم معنى ليحاجوكم
ومعنى عند ربكم اي في الاخرة كما قال ثم انكم يوم القيمة عند ربكم
تختصمون وقيل عند ذكر ربكم وقيل عند بمعنى في اي ليحاجوكم به في
ربكم فيكونوا احق به منكم لظهور الحجة عليكم روى عن الحسن والحجة الكلام
المستقيم على الاطلاق ومن ذلك محجة الطريق وحاججت فلانا فحججته اي
غلبته بالحجة ومنه الحديث فحج ادم موسى افلا تعقلون قيل هو من
قول الاحبار للاتباع وقيل هو خطاب من الله تعالى للمومنين اي افلا
تعقلون ان بني اسرايل لا يومنون وهم بهذه الاحوال ثم وبخهم توبيخا
يتلى فقال اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون اي في قلوبهم
وما يعلنون بالقول فيما بينهم وقال بعضهم ما يسرون فيما بينهم وما
يعلنون مع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهو استفهام معناه التقريع والتو

نوا

بيخ

وقرا الجمهور يعلمون بالیا وبن محیصن بالتا خطابا للمومنین وقیل الذی اسروه
كفرهم والذی اعلنوه الجحد به   تعالی ومنهم امیون لا یعلمون الكتاب
الا امانی وان الا یظنون فیه اربع مسایل   قوله تعالی ومنهم امیون
ای من الیهود وقیل من الیهود والمنافقین امیون ای من لا یكتب ولا یقرا واحدهم
امی منسوب الی الامه الامیه التی هی علی اصل ولادات امها تعلم الكتابه
ولا قراتها ومنه قوله علیه السلام انا امه امیه لا نكتب ولا نحسب وقیل
قیل لهم امیون لانهم لم یصدقوا بام الكتاب عن بن عباس وقالوا ابو عبیده
انما قیل لهم امیون لنزول الكتاب علیهم کانهم نسبوا الی ام الكتاب
فكانه قال ومنهم اهل الكتاب لا یعلمون الكتاب عكرمه والضحاك هم
نصاری العرب وقیل هم قوم من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها
فصاروا امیین علی رضی الله عنه هم المجوس قلت والاول اظهر قال الزجاج
الامی المنسوب الی ما هو علیه جبله الامه یعنی هو علی الخلقه التی خلقت لان
الانسان فی الاصل لا یعلم شیا ما لم یتعلم   قوله تعالی لا یعلمون
الكتاب الا امانی الا هنا بمعنی لكن فهو استثنا منقطع لقوله تعالی ما لهم به
من علم الا اتباع الظن وقال النابغه   حلفت یمینا غیر ذی مثنویه ولا
علم الا حسن ظن بصاحب   وقرا ابو جعفر وشیبه والاعرج الامانی
خفیفه الیا حذف احدی الیاین استخفافا قال ابو حاتم كل ما جا من هذا
النحو واحده مشدد فلك فیه التشدید والتخفیف مثل اثافی واغانی
وامانی ونحوه وقال الاخفش هذا كما یقال فی جمع مفتاح مفاتیح ومفاتح
وهو بالجمع قال النحاس الحذف فی المعتل اكثر كما قال الشاعر   وهل یرجع
التسلیم او یكشف العمی ثلاث الاثافی والرسوم البلاقع   قوله تعالی

امانی

اماني الاماني جمع امنيه واصلها امنويه على وزن افعوله فادغمت الواو في
اليا فانكسرت النون من اجل اليا فصارت امنيه وهي التلاوة ومنه قوله
تعالى الا اذا تمنى القى الشيطان اي اذا تلا القى الشيطان في تلاوته وقال كعب
بن مالك تمنى كتاب الله اول ليله واخره لاقى حمام المقادر وقال اخر
تمنى كتاب الله اخر ليله تمنى داود الزبور على رسل والمعنى ان عوامهم السفله
منهم لا يعرفون من التوراه شيا سوى التلاوة وقيل الاماني الاكاذيب
والاباطيل ومنه قول عثمان رضي الله عنه ما تمنيت منذ اسلمت اي ما
كذبت وقول بعض العرب لابن داب وهو يحدث اهذا شي رويته
ام شي تمنيته اي افتعلته وبهذا المعنى فسر ابن عباس ومجاهد اماني في
الايه وروي في الخبر ان الانسان اذا ركب دابة ولم يذكر الله تعالى ملك
الشيطان في قفاه ويقول له تغنى وان لم يحسن الغنى يقول له تمنى يعني
تكلم بالباطل والاماني ايضا ما يتمناه الانسان ويشتهيه قال قتاده يعني
انهم يتمنون على الله ما ليس لهم وقيل الاماني التقدير منى له اي قدر قاله
الجوهري وحكاه ابن بحر وانشد لا تامنن وان امسيت في حرم حتى تلاقي
ما يمني لك الماني اي يقدر لك المقدر قوله تعالى وان هم الا
يظنون اي بمعنى ما النافيه كما قال الله تعالى ان الكافرون الا في غرور
ويظنون يعني يكذبون ويحدسون لانه لا علم لهم بصحه ما يتلون
وانما هم مقلدون لاحبارهم فيما يقرون وقيل كانوا قد ظهر لهم الكذب
من روسايهم فكانوا يشكون في احاديثهم وكانوا يطيعون من غير يقين
قال ابو بكر الانباري وقد حدثنا احمد بن يحيي النحوي ان العرب تجعل الظن
علما وشكا وكذبا وقال اذا قامت براهين العلم فكانت اكثر من براهين الشك

والتشهي

فالظن يقين واذا اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشك فالظن شك
واذا زادت براهين الشك على براهين اليقين فالظن كذب قال الله تعالى
وان هم الا يظنون اي الا يكذبون وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اياكم والظن فانه من اكذب الحديث تعالى فويل
للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا
فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون فيه تسع مسايل
لما وصف الله تعالى الاميين من اليهود بانهم لا يعلمون الكتاب الا اماني نعت
احبارهم بانهم يبدلون ويحرفون فقال وقوله الحق فويل للذين يكتبون الكتاب
بايديهم وذلك انه لما درس الامر فيهم وساءت رعية علمائهم واقبلوا
على الدنيا حرصا وطمعا طلبوا اشيا تصرف وجوه الناس اليهم فاحدثوا
في شريعتهم وبدلوها والحقوا ذلك بالتوراة وقالوا لسفهائهم هذا من
عند الله ليقبلوها عنهم فتتاكد رياستهم وينالوا به حطام الدنيا واوسا
خها وكان مما احدثوا فيه ان قالوا لا يضرنا ذنب نحن احباوه وابناوه تعالى
عن ذلك وانما كان في التوراة يا احباري ويا ابناء رسلي فغيروه وكتبوا يا احبائي
ويا ابنائي فانزل الله تكذيبهم فقال وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباوه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم فقالت لن يعذبنا الله وان عذبنا فاربعين يوما مقدار
ايام العجل فانزل الله تعالى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قال
الضحاك ليس لاحد من الكفار اجرا على الله تعالى من اليهود هم قالوا عزير ابن الله وقالوا
ان الله فقير وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة اي مقدار الايام التي عبدنا
فيها اباونا العجل وهي اربعين يوما الا اياما معدودة اي مقدار عدد ايام
الدنيا وهي سبعة ايام وكذلك روى عكرمة عن ابن عباس قال بعضهم كان من مذهبهم

ان قالوا ليس علينا في الاميين سبيل وهم العرب اي ما اخذنا من اموالهم فهو حلال لنا وكان كما اخذ وا[illegible] انتهى

مذهب

مذهب جعفر في الصغاير وفي الخلود في النار قال الله تعالى قل اتخذ تم عند
الله عهدا قال ابن مقسم يعني توحيدا بدليل قوله تعالى من اتخذ عند الرحمن
عهدا يعني لا اله الا الله فلن يخلف الله عهده اي وعده وقال الزجاج معنا ه
اعهد اليكم الا يعذبكم الا هذا المقدار ان كان لكم عهد فلن يخلف الله
عهده اي وعده وقد قيل هل انزل عليكم بذلك اية ام تقولوا على الله ما لا
تعلمون اي بل تقولون وروي في الخبر انه اذا مضت عليهم في النار تلك المدة قا لت
لهم الخزنة يا اعدا الله ذهب الاجل وبقي الابد فايقنوا بالخلود قال الله
تعالى بلى من كسب سيه واحاطت به خطيئته الايتين ردا عليهم وتكذيبا
لهم وتبيينا ان الخلود في النار والجنة انما هو بحسب الكفر والايمان
لا بما قالوه   قوله تعالى فويل اختلف في الويل ما هو فروى عثمان
بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جبل من نار وروى ابو سعيد الخدري
ان الويل واد في جهنم بين جبلين يهوي فيه الهاوي سبعين خريفا وروى سفين
وعطا ان الويل في الايل واد يجري في بفنا جهنم من صديد اهل النار وروى
وكيع عن سفين عن زياد عن ابي عياض قال الويل واد في اصل جهنم يسيل فيه
صديدهم وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهراوي عن اخرين انه باب من
ابواب جهنم فالله اعلم وعن ابن عباس الويل المشقة من العذاب وقال الخليل
الويل الشر وقيل انه التقبيح وهو قول الاصمعي ومنه قوله تعالى لكم الويل
مما تصفون وقال جرير فويل التيم من سرابيلها الخضر وعن الاصمعي ايضا
الويل تفجع والويل ترحم سيبويه ويل لمن وقع في الهلكة وويح زجر لمن اشرف
على الهلكة ابن عرفة الويل الحزن يقال يويل الرجل اذا دعا بالويل وانما يقال
ذلك عند الحزن والمكروه ومنه قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم

وقيل اصله الهلكه وكل من وقع في هلكه دعا بالويل ومنه يا ويلتنا مال هذا
الكتاب وهي الويل والويله وهما الهلكه والجمع الويلات قال له الويل او سبي
ولام هاشم   وقال ايضا فقالت لك الويلات انك مرجلي   قوله
تعالى فويل وويل رفع بالابتدا وجاز الابتدا به وان كان نكره لان فيه معنى
الدعا قال علما الكسان ولا يحسن الابتدا بالنكره الا ان تخصص بشي او يكون
فيها معنى الدعا والتفضيل وقيل انما رفعت سلام عليك وخير بين يديك
وويله وويح ومما كان مثله كما رفعت المعارف لانك تريد الاخبار
بثبوت ذلك ودوامه ولم ترد انشا الدعا في الحال واثباته له فقوله
تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل للكافرين وويل للمطففين اخبار بانه
ثبت لهم ذلك وليس بدعا وانما المعنى ان هولا ممن وجب هذا القول لهم
لان هولا هذا الكلام يقال لصاحب الشر والهلكه وهولا ممن دخل في
الهلكه ومثله قاتلهم الله قال الاخفش ويجوز النصب على اضمار فعل اي
الزمهم الله ويلا الزجاج ويلا لو كان في غير القران لجاز على معنى جعل الله
لهم وقال الفرا الاصل في الويل وي اي حزن كما تقول وي لفلان اي حزن له
فوصلته العرب باللام وقدروا انها منه فاعربوها والاحسن فيه
اذا فصل عن الاضافه الرفع لانه يقتضي الوقوع ويصح النصب كما قالوا
ويلا له وويله له فتنصب مع اللام كما قال الخليل قال جرير كسا
اللوم تيما خضرة في جلودهم فويلا لتيم من سرابيلها الخضر قال الخليل
ولم يسمع على بنايه الا ويح وويس وويه وويك وويل وويب وكله
يتقارب في المعنى وقد فرق بينها قوم وهي مصادر لم تنطق العرب منها بفعل
قال الجرمي ومما ينتصب انتصاب المصادر ويله وعوله وويحه وويسه

فاذا

رابع كراس

فاذا دخلت اللام فتحت فقلت ويل له وويح له قوله تعالى للذين يكتبون الكتاب الكتابة معروفة واول من كتب بالقلم وخط به ادريس عليه السلام جا ذلك في حديث ابي ذر خرجه الاجري وغيره وقيل وقيل ان ادم عليه السلام اعطى الخط فصار وراثة في ولده والله اعلم قوله تعالى بايديهم تاكيد فانه قد علم ان الكتب لا يكون الا باليد فهو مثل قوله ولا طاير يطير بجناحيه وقوله يقولون بافواههم وقيل فايدة بايديهم بيان لجرمهم واثبات لمجاهرتهم فان من تولى الفعل اشد مواقعة ممن لم يتوله وان كان رايا له وقال بن السراج بايديهم كناية عن انه من تلقايهم دون ان ينزل عليهم وان لم تكن حقيقة في كتب ايديهم في هذه الاية والتي قبلها التحذير من التبديل والتغيير والزيادة في الشرع فكل من بدل وغير او ابتدع في دين الله ما ليس منه ولا يجوز فهو داخل تحت هذا الوعيد الشديد والعذاب الاليم وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم امته لما قد علم ما يكون في اخر الزمان فقال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار الا واحدة الحديث وسياتي بحدوهم ان يحدثوا من تلقا انفسهم في الدين خلاف كتاب الله او سنته او سنة اصحابه فيضلوا به الناس وقد وقع ما حذره وشاع وكثر وذاع وسياتي التنبيه عليه ان شا الله تعالى فانا لله وانا اليه راجعون قوله تعالى ليشتروا به ثمنا قليلا يعني عرضا يسيرا من مال الدنيا ووصفه تعالى بالقلة اما لفنايه وعدم ثوابه واما لكونه حراما لان الحرام لا بركة فيه ولا يربوا عند الله قال بن اسحق والكلبي كانت صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة اسمر فجعلوه سبطا طويلا وقالوا لاصحابهم واتباعهم انظروا

ثبات

تى

الى صفة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يبعث في اخر الزمان ليس يشبهه نعت
هذا وكانت للاحبار والعلما رياسة ومكاسب فخافوا ان يبينوا فذهب
ما كلهم وذهابهم سنبهم لهن فغيروا روي عن ابرهيم النخعي انه كره
ان يكتب المصحف باجرة وتاول هذه الاية فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم
الى قوله ليشتروا به ثمنا قليلا وغيره من العلما اباحه لقوله عليه السلام ان احق
ما اخذتم عليه اجرا كتاب الله خرجه البخاري وقد تقدم القول في معنى
هذا الباب عند قوله تعالى ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا مستوفا
فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني مما يصيبهم من العذاب وويل لهم مما يكسبون
يعني مما يصيبون من المال وقيل من المعاصي وكرر الويل تغليظا لفعلهم وقد
تقدم تعالى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم
عند الله عهدا ام تقولوا على الله ما لا تعلمون فيه ثلاث مسايل قوله
تعالى وقالوا يعني اليهود لن تمسنا النار الا اياما معدودة اختلف في
سبب نزولها فقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لليهود من اهل النار
قالوا نحن ثم تخلفونا انتم فقال كذبتم لقد علمتم انا لا نخلفكم فنزلت هذه الاية
قاله ابن زيد وقال عكرمه عن ابن عباس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينه ويهود تقول انما هذه الدنيا سبعة الالف وانما يعذب الناس
في النار لكل الف سنة من ايام الدنيا يوم واحد في النار من ايام الاخرة
هذه
وانما هي سبعة ايام فانزل الله الاية وهذا قول مجاهد وقالت طايفة
قالت اليهود ان في التوراة ان جهنم مسيرة اربعين سنة وانهم يقطعون
في كل يوم سنة حتى يكملوها وتذهب جهنم ورواه الضحاك عن ابن
عباس وعن ابن عباس ايضا زعم اليهود انهم وجدوا في التوراة مكتوبا

ان ما بين

ان ما بين طرفي جهنم مسيرة اربعين سنه الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم قالوا
فانما نعذب حتى ننتهي الى شجرة الزقوم فتذهب جهنم وتهلك وعن ابن عباس
ايضا وقتاده ان اليهود قالت ان الله اقسم ان يدخلنا النار اربعين يوما عدد
عبادتهم العجل فاكذبهم الله كما تقدم   في هذه الايه رد على ابي
حنيفه واصحابه حيث استدلوا بقوله عليه السلام دعي الصلاه ايام
اقرائك في ان غير مدة الحيض ما تسمى ايام الحيض واقلها ثلاثه واكثرها عشره
قالوا لان ما دون الثلاثه يسمى يوما او يومين وما زاد على العشر يقال فيه
احد عشر يوما ولا يقال فيه ايام وانما يقال ايام من الثلاثه الى العشره
قال الله تعالى فصيام ثلاثة ايام في الحج تمتعوا في داركم ثلثه ايام سخرها عليهم   هاه
سبع ليال وثمانيه ايام فقال لهم فقد قال الله تعالى في الصوم اياما
معدودات يعني جميع الشهر وقال هنا لن تمسنا النار الا اياما معدو   وده
يعني اربعين يوما وايضا فاذا اضيفت الايام بالى عارض لم يرد به تحديد
العدد بل يقال ايام مشيك وسفرك واقامتك وان كان ثلاثين
وعشرين وما شيت من العدد ولعله اراد ما كان معتادا لها والعا   ده
ست او سبع فخرج الكلام عليه والله اعلم   قوله تعالى قل
اتخذتم عند الله عهدا تقدم القول في اتخذ فلا معنا لاعادته
عند الله عهدا اي عملا صالحا من الايمان والطاعة فتستوجبون بذلك
الخروج من النار او هل عرفتم ذلك بوحيه الذي عهده اليكم فلن يخلف
الله عهده اي وعده وقد تقدم اي ام تقولون اي بل تقولون على الله
ما لا تعلمون وهذا توبيخ   تعالى بلى من كسب سيئه واحا
طت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين امنوا وعملوا

الصالحات اولئك اصحاب الجنه هم فيها خالدون فيه اربع مسايل
قوله بلى رد لقولهم اي ليس الامر كما ذكرتم قال سيبويه ليس بلى ونعم اسمين
وانما هما حرفين مثل بل وغيره وهي رد لقولهم لن تمسنا النار وقال الكوفيون
اصلها بل التي للاضراب عن الاول زيد عليها اليا ليحسن الوقف عليها وضمنت
اليا معنى الايجاب والانعام فبل تدل على رد الجحد واليا تدل على الايجاب
لما بعد قالوا ولو قال قايل الم تاخذ دينارا فقلت نعم لكان المعنى لا لم
اخذ لانك حققت النفي وما بعده فاذا قلت بلى صار المعنى قد اخذت
قال الفرا اذا قال الرجل لصاحبه مالك علي شي فقال الاخر نعم كان ذلك تصديقا
لان لا شي له عليه ولو قال بلى كان ردا لقوله وتقديره بلى لي عليك وفي
التنزيل الست بربكم قالوا بلى ولو قالوا نعم لكفروا وسياتي بيانه
قوله تعالى سيئه السيئه الشرك قال ابن جريج قلت لعطا من كسب سيئه
قال الشرك وتلى ومن جا بالسيئه فكبت وجوههم في النار وكذا قال الحسن
وقتاده قالا والخطيئه الكبيره وهو قول المعتزله وان اصحاب الكباير
تخلد في النار عندهم وقال الربيع بن خثيم واحاطت به خطيئته
الذي يموت على الشرك قلت وهذا حسن ونظيره ومن يرتدد منكم
عن دينه فيمت وهو كافر وعليه فيكون التخليد بالشرك والموافاه عليه
وهذا مما لا خلاف فيه   لما قال تعالى من كسب سيئه واحاطت
به خطيئته دل على ان المعلق على شرطين لا يتنجز باحدهما ومثله قوله تعالى
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقوله عليه السلام لسفين بن
عبد الله الثقفي وقد قال له يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا
اسئل عنه احدا بعدك وفي روايه غيرك قال قل امنت بالله ثم

استقم

استثم وهذا مذهب الشافعي ان المعلق على شرطين لا تطلق البرا والحنث الا
بوجودهما وقد مضى القول في هذا المعنى وما للعلما فيه عند قوله لادم
وحوا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين قرا نافع خطيئاته
بالجمع الباقون بالافراد والمعنى الكثرة مثل قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يعني دايمين لا يخرجون
منها ابدا وقد تقدم والذين امنوا وعملوا الصالحات معناه والذين
صدقوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وعملوا الصالحات اي الطاعات
فيما بينهم وبين ربهم يعني ادوا الفرايض وانتهوا عن المعاصي اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون دايمون لا يموتون ولا يخرجون والله اعلم
واذ اخذنا ميثاق بني اسرايل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا
وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلاة
واتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون فيه عشر مسايل
قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق اختلف في الميثاق هنا فقال
مكي هو الميثاق الذي اخذ عليهم حين اخرجوا من صلب ادم كالذر
وقيل هو ميثاق اخذ عليهم وهم عقلا في حياتهم على السنة انبيايهم
وهو قوله لا تعبدون الا الله وعبادة الله اثبات توحيده وتصديق
رسله والعمل بما انزل في كتبه قوله تعالى لا تعبدون قال
سيبويه لا تعبدون متعلق بقسم والمعنى واذ استحلفناهم والله لا
تعبدون واجازه المبرد والكسائي والفرا وقرا ابي وابن مسعود لا تعبدوا
على النهي ولهذا وصل الكلام بالامر فقال وقولوا واقيموا واتوا وقيل
هو في موضع الحال اي اخذنا ميثاقهم موحدين او غير معاندين

قال قطرب والمبرد ايضا وهذا انما يتجه على قراه ابن كثير وحمزة والكسائي
يعبدون بالياء من اسفل وقال الفرا والزجاج وجماعه اخذنا ميثاقهم
بان لا يعبدوا الا الله وبان يحسنوا للوالدين وبان لا يسفكوا الدما
ثم حذفت ان والبا فارتفع الفعل لزوالها كقوله عز وجل افغير الله
تامروني قال المبرد هذا خطا لان كل ما أضمر في العربيه فهو يعمل عمله
مظهرا تقول وبلد قطعت اى ورب بلد قلت ليس بخطا بل هما
وجهان صحيحان وعليهما انشد الا ايهذا الزاجري الوغا وان
اشهد اللذات هل انت مخلدي بالنصب على اضمار ان والرفع على
حذفها قوله تعالى وبالوالدين احسانا اى وامرناهم بالوالدين
احسانا وقرن الله عز وجل حق الوالدين في هذه الايه بالتوحيد ولهذا
قرن تعالى الشكر لهما بشكره فقال ان اشكر لي ولوالديك وقال
ثلاث ايات نزلت مقرونه بثلاث لا تقبل احداها بغير قرينتها قوله
تعالى اطيعوا الله اطيعوا الرسول والثانيه اشكر لي ولوالديك
والثالثه اقيموا الصلاه واتوا الزكاه والاحسان الى الوالدين معاشرتهما
بالمعروف والتواضع لهما وامتثال امرهما والدعا بالمغفره بعد مماتهما
وصله اهل ودهما على ما ياتي بيانه مفصلا في الاسرا ان شا الله تعالى
قوله تعالى وذي القربى عطف ذا القربى على الوالدين والقربى
بمعنى القرابه وهو مصدر كالرجعى والعقبى اي وامرناهم بالاحسان
الى القرابات بصله ارحامهم وسياتي بيانه في سوره القتال ان شا الله
تعالى قوله تعالى واليتامى اليتامى عطف ايضا وهو جمع يتيم مثل
ندامى جمع نديم واليتيم في بني ادم بفقد الاب وفي البهايم بفقد الام

وم

لذا قال

كذا قال اهل اللغة الهروي وغيره وحكى الماوردي اليتيم يقال في بني ادم
في فقد الام والاول المعروف واصله الانفراد يقال صبي يتيم اي منفرد
من ابيه وبيت يتيم ليس بعده ولا قبله شي من بيوت الشعر ودرة يتيمه
ليس لها نظير وقيل اصله الابطا فسمي به اليتيم لان البر يبطي عنه ويقال
يتم ييتم يتما مثل عظم يعظم ويتم ييتم يتما مثل سمع يسمع ذكر الوجهين
الفرا وقد ايتمه الله ويدل هذا على الرافه باليتيم والحض على كفالته
وحفظ ماله على ما ياتي بيانه في النسا ان شا الله تعالى وقد خرج الامام
الحافظ ابو محمد عبد الغني سعيد من حديث الحسن بن دينار ابي سعيد
البصري وهو ابن الحسن بن واصل قال ثنا الاسود بن عبد الرحمن عن
هصان عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما قعد يتيم
مع قوم على قصعتهم فيقرب قصعتهم الشيطان وخرج ايضا من حديث
حسين بن قيس وهو ابو علي الرحبي عن عكرمه عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما بين مسلمين الى طعامه وشرابه
حتى يغنيه الله عز وجل غفرت له ذنوبه البته الا ان يعمل عملا لا يغفر ومن
اذهب الله كريمتيه فصبر واحتسب غفرت له ذنوبه قالوا وما كريمتاه
قال عيناه ومن كان له ثلاث بنات او ثلاث اخوات فانفق عليهن واحسن
اليهن حتى يبن او يمتن غفرت له ذنوبه البته الا ان يعمل عملا لا يغفر فناداه
رجل من الاعراب ممن هاجر فقال يا رسول الله واثنتين فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم واثنتين فكان ابن عباس اذا حدث هذا الحديث قال هذا والله
من غرايب الحديث وغرره وفي صحيح مسلم عن ابي هريره قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كافل اليتيم له او لغيره انا وهو كهاتين في الجنة واشار

ملك بالسبابه والوسطى والاحاديث في هذا الباب كثيره وفيما ذكرنا
كفاية

في بيان ما اشكل من قوله عليه السلام انا وهو كهاتين

في الجنه الحديث وفي صفه اصابع النبي صلى الله عليه وسلم اعلم ان السبابه
من الاصابع هي التي تلي الابهام وكانت في الجاهليه تدعى السبابه لانهم
كانوا يسبون بها فلما جا الله بالاسلام كرهوا هذا الاسم فسموها
المشيره لانهم كانوا يشيرون بها الى الله بالتوحيد وتسمى ايضا بالسبا
حه جا تسميتها بذلك في حديث وايل بن حجر وغيره ولكن اللغه سارت
بما كانت تعرفه في الجاهليه فغلبت وروي عن اصابع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان المشيره منها كانت اطول من الوسطى ثم الوسطى
اقصر منها ثم البنصر اقصر من الوسطى روى يزيد بن هارون قال اخبرنا
عبد الله بن مقسم الطايفي قال حدثتني عمتي بنت مقسم انها سمعت ميمونه
بنت كردم قالت خرجت من حجه حجها رسول الله صلى الله عليه وسلم
راحلته فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته
وساله ابي عن اشيا فلقد رايتني اتعجب وانا جاريه من طول اصبعه
التي تلي الابهام على ساير اصابعه ذكره الترمذي الحكيم ابو عبد الله
في نوادر الاصول فقوله عليه السلام انا وهو كهاتين في الجنه
وقوله في الحديث الاخر احشر انا وابو بكر وعمر يوم القيمه هكذا
واشار باصابعه الثلاثه فانما اراد ذكر المنازل والاشراف على
الخلق فقال نحشر هكذا ونحن مشرفون وكذا كافل اليتيم تكون
منزلته رفيعه فمن لم يعرف شان اصابع النبي صلى الله عليه وسلم حمل
تاويل الحديث على الانضمام والاقتراب بعضهم من بعض في محل القربه

وهذا

وهذا معنى بعيد لان الرسل والنبيين والصديقين والصالحين مراتب متباينه قوله تعالى والمساكين المساكين عطف ايضا اي وامرناهم بالاحسان الى المساكين وهم الذين اسكنتهم الحاجه وذللتهم وهذا ايضا يتضمن الحض على الصدقه والمواساة وتفقد احوال المساكين والضعفا وفي صحيح مسلم عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الساعي على الارمله والمسكين كالمجاهد في سبيل الله واحسبه قال وكالقايم لا يفتر من صلاه لا يفطر قال ابن المنذر وكان طاوس يرى السعي على الاخوات افضل من الجهاد في سبيل الله قوله تعالى وقولوا للناس حسنا حسنا نصب على المصدر على المعنى لان المعنى ليحسن قولكم حسنا وقيل التقدير وقولوا للناس قولا ذا حسن فهو مصدر لا على المعنى وقرا حمزه والكسايى حسنا بفتح الحا والسين قال الاخفش هما بمعنى واحد مثل البخل والبخل والرشد والرشد وحكى الاخفش حسنا بغير تنوين على فعلى النحاس وهذا لا يجوز في العربيه لا يقال شي من هذا الا بالالف واللام نحو الفضلى والكبرى والحسنى هذا قول سيبويه وقرا عيسى بن عمر حسنا بضمتين مثل الحلم الباقون بضم الحا وسكون السين لمن نصب فالمعنى قولوا لهم قولا صدقا في امر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته كما بين في كتابهم ونظيره في سوره طه الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي وعدا صدقا وعلى قراءه الجماعة المعنى خالقوا الناس بالخلق الحسن فامره بامر بحسن المعاشره وحسن الخلق مع الناس فينبغي للانسان ان يكون قوله للناس لينا ووجهه منبسطا طلقا مع البر والفاجر والسني والمبتدع من غير مداهنه ومن غير ان يتكلم معه بكلام يظن انه يرضى

مداهنه لان الله تعالى قال لموسى بن عمران وهارون فقولا له قولا لينا
فليس بافضل من موسى وهارون والفاجر ليس باخبث من فرعون وقد
امرهما الله تعالى باللين معه قال طلحه بن عمر قلت لعطا انك رجل
يجتمع عندك ناس ذوو اهوا مختلفه وانا رجل في حده فاقول لهم بعض
القول الغليظ فقال لا تفعل يقول الله تعالى وقولوا للناس حسنا فدخل
في هذه الايه اليهود والنصارى فكيف بالحنيفي وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لعايشه لا تكوني فحاشه فان الفحش لو كان رجلا
لكان رجل سو وقيل المعنى قولوا لهم لا اله الا الله ومروهم بها سفين
الثوري مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وابو العاليه قولوا لهم
الطيب من القول وجازوهم باحسن ما تحبون ان تجازوا به وهذا كله
حض على مكارم الاخلاق وقيل اراد بالناس محمدا صلى الله عليه وسلم كقوله
تعالى ام يحسدون الناس فكانه قال قولوا لمحمد صلى الله عليه وسلم حسنا
وحكى المهدوي عن قتاده ان قوله تعالى وقولوا للناس حسنا منسوخ بايه
السيف وحكاه القشيري ابو نصر عن ابن عباس قال ابن عباس نزلت هذه الايه
في الابتدا ثم نسختها ايه السيف ابن عطيه وهذا يدل على ان هذه الامه
خوطبت بمثل هذا اللفظ في صدر الاسلام واما الخبر عن بني اسرايل
وما امروا به فلا نسخ فيه والله اعلم   قوله تعالى واقيموا الصلاه
واتوا الزكاه تقدم القول فيه والخطاب لبني اسرايل قال ابن عطيه
وزكاتهم هي التي يضعونها فتنزل النار على ما يقبل ولا تنزل على ما لم يقبل ولم
تكن كزكاة امة محمد عليه السلام قلت وهذا يحتاج الى نقل كما ثبت ذلك
في الغنايم وقد روي عن ابن عباس انه قال الزكاة التي امروا بها طاعه الله

والاخلاص

والاخلاص قوله تعالى ثم توليتم الخطاب لمعاصري محمد صلى
الله عليه وسلم واسند اليهم تولي اسلافهم اذ هم كلهم بتلك السبيل في
اعراضهم عن الحق مثلهم كما قال شنشنة اعرفها من اخزم وتولى
تفعل وقد تقدم الا قليلا يريد عبد الله سلام واصحابه وقليلا
نصب على الاستثنا والمستثنى عند سيبويه منصوب لانه مشبه على
المفعول وقال المبرد هو مفعول على الحقيقه المعنى استثنيت قليلا
وانتم معرضون ابتدا وخبر والاعراض والتولي بمعنى واحد مخالف بينهما
في اللفظ وقيل التولي بالجسم والاعراض بالقلب وقال المهدوي
وانتم معرضون حال لان التولي فيه دلاله على الاعراض والله اعلم
تعالى واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماكم ولا تخرجون
انفسكم من ديارهم ثم اقررتم وانتم تشهدون ثم انتم هولا تقتلون
انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم
والعدوان فيه ثمان مسايل قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم
تقدم القول في الميثاق والمراد بنوا اسرايل وكان اخذ عليهم ان لا يسفكوا
دماهم ولا يخرجون انفسهم من ديارهم وكان جمله ما اخذ عليهم من الميثاق
ان لا يعبدوا الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين
وان يقولوا للناس حسنا ويقيموا الصلاه ويوتوا الزكاه وان لا يسفكوا دما
ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وان يفادوا اسراهم فذكر المفاداه في
هذا حيث قال وان ياتوكم اسارى تفدوهم على وجه التقديم والتاخير
ثم اقررتم وانتم تشهدون هذا في التوراه فنقضوا العهد فخبرهم
الله بذلك فقال قوله تعالى ثم انتم هولا لا تسفكون دماكم

المراد بنوا اسرائيل كما ذكرنا ودخل فيه بالمعنى من بعدهم ولا تسفكون
مثل لا تعبدون وفي الاعراب وقرا طلحه بن مصرف وشعيب بن ابي حمزة
بضم الفا وهي لغة ابو نهيك بضم التا وتشديد الفا وفتح السين والسفك
الصب وقد تقدم ولا تخرجون معطوف انفسكم النفس ماخوذة من
النفس فنفس الانسان اشرف ما فيه وهو جمع قله والمراد به الكثير وقد
تقدم والدار المنزل الذي فيه ابنيه المقام بخلاف منزل الارتحال
وقال الخليل كل موضع حله قوم فهو دارهم وان لم يكن فيه ابنية وقيل
سميت دارا لدورها على سكانها كما يسمى الحايط حيطا لاحاطته على ما فيه
قلت وعلى هذا وهي اختلفوا فيمن حلف ان لا يدخل بيتا او
دارا لانا فيه لحلة الاعراب وبيوت الشعر فقال الشافعي اي بيت سكن
من شعر او خيمة او ما وقع عليه اسم البيت او بيت حجارة او مدر حنث
وقال ابو حنيفه واصحابه اذا سكن بيت شعر لم يحنث اذا كان من اهل
الامصار وان كان من اهل البادية حنث في قول ابي ثور وقولهم جميعا
قوله تعالى ثم اقررتم من الاقرار اي بهذا الميثاق الذي اخذ
عليكم وعلى اوليكم وانتم تشهدون من الشهادة اي شهدا بقلوبكم على
هذا وقيل الشهادة بمعنى الحضور اي تحضرون سفك دمايكم واخراج
انفسكم من دياركم فان قيل وهل يسفك احد دمه ويخرج
نفسه من داره قيل لهم لما كانت ملتهم واحدة وامرهم واحد وكانوا
في الامم كالشخص الواحد جعل قتل بعضهم لبعض واخراج بعضهم بعضا
قتلا لانفسهم ونفيا لها وقيل المراد القصاص اي لا يقتل احد فيقتل قصا
صا فكانه سفك دمه وكذلك لا يزني ولا يرتد فان ذلك يبيح الدم

ولا يفسد

ولا يفسد فينفي فيلون قد اخرج نفسه من دياره وهذا تاويل فيه بعد وان
كان صحيح المعنى وانما كان الامر ان الله تعالى قد اخذ على بني اسرايل في
التورية ميثاقا ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا ينفيه ولا يسترقه ولا يدعه
يسترق الى غير ذلك من الطاعات قلت وهذا كله محرم علينا وقد وقع ذلك
كله فينا بالفتن الواقعة بيننا فانا لله وانا اليه راجعون وفي التنزيل
او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض على ما ياتي وقال ابن خواز منداد
ابو عبد الله الى الجماعة وقد يجوز ان يراد به الظاهر لا يقتل الانسان نفسه
ولا يخرج من داره سفها كما تقتل الهند انفسها ويقتل الانسان نفسه من
جهد وبلا يصيبه او يهيم في الصحرا ولا ياوي البيوت جهلا في ديانته
وسفها في حكمه فهو عموم في جميع ذلك وقد روى ان عثمان بن مظعون
بايع في عشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزموا ان يلبسوا
المسوح وان يهيموا في الصحرا ولا ياووا البيوت ولا ياكلوا اللحم ولا
يغشوا النسا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فجا الى دار عثمان
فلم يجده فقال لامراته ما حديث بلغني عن عثمان وكرهت ان تفشي سر زوجها
وان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان
كان بلغك شي فهو كما بلغك فقال قولي لعثمان اخلاف لسنتي ام على غير
ملتي اني اصلي وانام واصوم وافطر واغشى النسا واوي البيوت
واكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني فرجع عثمان واصحابه عما كانوا
عليه قوله تعالى ثم انتم هولا انتم في موضع رفع بالابتدا
ولا يعرب لانه مضمر وضمت التا من انتم لانها كانت مفتوحة اذا
خاطبت واحدا مذكرا ومكسورة اذا خاطبت واحدة مونثة فلما

تبنت وجمعت لم يبق الا الضمه هؤلا قال القتبى التقدير يا هؤلاء
الناس هذا خطا على قول سيبويه لا يجوز هذا اصل وقال الزجاج
هولا بمعنى الذين وتقتلون داخل في الصله اى ثم انتم الذين يقتلون
وقيل هولا رفع بالابتدا وانتم خبر مقدم وتقتلون حال من اولا
وقيل هولا نصب باضمار اعنى وقرا الزهرى تقتلون بضم التا
الاولى وفتح القاف وشد التا الثانيه وكسرها وكذلك
فلم تقتلون انبيا الله وهذه الايه خطاب للمواجهين لا يحتمل
رده الى الاسلاف نزلت في بنى قينقاع وقريضه والنضير من اليهود
وكانت بنوا قينقاع اعدا قريضه وكانت الاوس حلفا بنى قينقاع
والخزرج حلفا بنى قريضه والنضير والاوس والخزرج اخوان وقريضه
والنضير ايضا اخوان ثم افترقوا فكانوا يقتتلون ثم ترتفع الحرب
فيفدون اسراهم فعيرهم الله بذلك فقال وان ياتوكم اسارى
تفدوهم قوله تعالى وتخرجون فريقا منكم
من ديارهم قيل ان قريضه والنضير احدى القبيلتين كانت معينة
للاوس والاخرى معينة للخزرج فاذا غلبت احداهما على الاخرى
كانت تقتلهم وتخرجهم من ديارهم وفي الايه دليل على ان الاخرا
ج من الديار ينزل منزله القتل لان الله تعالى قرن الاخراج من
الديار بالقتل حيث قال تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم
من ديارهم قوله تعالى تظاهرون عليهم بالاثم معنى
تظاهرون تعاونون مشتق من الظهر لان بعضهم يقوى بعضا
فيكون له كالظهر ومنه قول الشاعر تظاهرتم استاه بيت

القبيلتين

تجمعت

تجمعت على واحد لا زالتم قرن واحد وقرا اهل المدينه ومكه تظا
بالتشديد يدغمون الظا في التا لقربها منها والاصل تتظاهرون
وقرا الكوفيون تظاهرون مخففا حذفوا التا الثانيه لدلاله الاولى
عليها وكذا وان تظاهروا وقرا قتاده تظهرون عليهم وكله راجع
الى معنى التعاون ومنه وكان الكافر على ربه ظهيرا وقوله والملايكه
بعد ذلك ظهير بالاثم والعدوان بالمعصيه والظلم وقيل الاثم
الذي يستحق عليه صاحبه الذم والعدوان الافراط في الظلم
والتجاوز فيه قاله الزجاج   تعالى وان ياتوكم اسارى
تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتومنون ببعض الكتاب وتكفرون
ببعض فما جزا من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوه الدنيا ويوم
القيمه يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون فيه
سبع مسايل   قوله تعالى وان ياتوكم اسارى شرط وجوابه
تفدوهم واسارى نصب على الحال قال ابو عبيد كان ابو عمرو
يقول ما صار في ايديهم فهم اسارى وما جا مستاسرا فهم
فهم الاسرى ولا يعرف اهل اللغه ما قاله ابو عمرو وانما هو كما
تقول سكارى وسكرى وقراه الجماعه اسارى ما عدا حمزه فانه
قرا اسرى على فعلى جمع اسير بمعنى ماسور والباب في تكسيره
اذا كان كذلك فعلى كما تقول قتيل وقتلى وجريح وجرحى قال
ابو حاتم ولا يجوز اسارى الزجاج يقال اسارى كما يقال سكارى
وفعالى هو الاصل وفعالى داخله عليها وحكى عن المبرد قال يقال
اسير واسرى كظريف وظرفا قال ابن فارس في المجمل يقال في جمع

اسرا اسرى واسارى وقرى بهما وقيل اسارى بفتح الهمزة وليست
بالعاليه الاسير مشتق من الاسار وهو القد الذى
تشد به الجمال سمى اسيرا لانه يشد وثاقه والعرب تقول قد
اسر قتبه اى شده ثم سمى كل اخيذ اسيرا وان لم يوسر قال الاعشى
وقيد نى الشعر فى بيته كما قيد الاسرات الحمارا اى انا فى بيته يريد
بن لك بلوغه والنهايه فيه فاما الاسر فى قوله تعالى وشددنا اسرهم
فهو الخلق على ما ياتى واسرة الرجل رهطه لانه يتقوى بهم
قوله تعالى بعد وهم قرا نافع وحمزه والكسائى تفادوهم الباقون
تفدوهم بغير الف من الفدا والفدا طلب الفديه من الاسير الذى
فى ايديهم من اعدائهم وكان ذلك محرما عليهم واصار مباحا لنا فذكره
الله توبيخا لهم فى فعل ما حرم عليهم قلت وعلى هذا كان ارسال
الاسرى ولجل عليهم دون فديه لان ملتهم كانت واحدة كالمسلمين وقيل
انه انقذ الاسير منهم اذا اسره اعداوهم وهذا مدح لهم ذكره الله من
بعد ذمهم انهم خالفوه فى سفك الدما والاخراج والتظاهر وتابعوه
فى الفدا وهذا اشبه استشهادا بقوله تعالى افتومنون ببعض الكتاب وتكفرون
ببعض الكتاب قال الجوهرى الفدا اذا كسر اوله يمد ويقصر واذا فتح فهو
مقصور يقال قم فدى لك ابى ومن العرب من يكسر فدى بالتنوين
اذا جاور لام الجر خاصه فيقول فدا لك لانه نكره يريد وبه معنى
الدعا وانشد الاصمعى للنابغه مهلا فداء لك الاقوام كلهم
وما اثمر من مال ومن ولد ويقال فداه وفاداه اذا اعطا فداه فانقذه
وفداه بنفسه وفداه بفديه اذا قال جعلت فداك وتفادوا اى بعضهم

بعضا

بعضا والفديه والفدا والفدى لله بمعنى وناديت نفسي اذا اطلقتها
بعد ان دفعت شيا ومنه قول العباس للنبي صلى الله عليه وسلم فاديت نفسي
وفاديت عقيلا وهما فعلان يتعديان الى مفعولين الثاني منهما بحرف
الجر تقول فديت نفسي بمالي وفاديته قال الشاعر فقلت فادى اسيرك
ان قومي وقومك ما ارى لهم اجتماعا   قوله وهو محرم عليكم
اخراجهم هو مبتدا وهو كنايه عن قوله تخرجون ومحرم خبره واخراجهم بدل
من هو ذكره مره اخرى لتراخي الكلام وان شيت كان كنايه عن الحديث
والقصه والجمله التي بعده خبره اي والامر محرم عليكم اخراجهم فاخراجهم
مبتدا بان محرم خبره والجمله خبر عن هو وفي محرم ضمير ما لم يسم فاعله يسند
مسند خبر محرم والجمله خبر عن هو وزعم الفرا ان هو عماد وهذا عند
البصريين خطا لا معنى له لان العماد لا يكون في اول الكلام وقرا قالون
وهو بسكون الها لثقل الضمه كما قال   فهو لا تنمي رميته ماله لا عد
من نفره   ولذلك ان جيت باللام وثم وقد تقدم
قوله تعالى افتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض قال علماونا كان الله تعا
قد اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهره وفدا
اسراهم فاعرضوا عن كل ما امروا به الا الفدا فوبخهم الله توبيخا يتلى فقال
افتومنون ببعض الكتاب يعني التوراه وتكفرون ببعض وقيل كانوا اذا اسر
من غيرهم قتلوا الاسرى ولا يفادوهم وان اسر احد منهم ياخذونه
بالفدا وهذا معنى قوله والله اعلم افتومنون ببعض الكتاب وتكفرون
ببعض فوبخوا على القتل ومدحوا على الفدا وعلى الثاني وبخوا على القتل
والاخراج والتظاهر ومدحوا على الفدا وعلى القول وبخوا على الجميع

لى
وا

الفدا وغيره قلت ولعمر والله لقد اعرضنا نحن عن جميع تلك العهود
بالفتن نتظاهر على بعض ليت بالمسلمين بل بالكافرين حتى تركنا اخواننا اذلا
صاغرين يجري عليهم حكم المشركين فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
قال علماؤنا فدى الاسارى واجب وان لم يبق درهم واحد قال ابن
خويزمنداد تضمنت الاية وجوب فك الاسارى وبذلك وردت
الاثار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فكوا الاسارى وجرى بذلك
عمل المسلمين وانعقد الاجماع ويجب فك الاسارى من بيت المال فان لم
يكن فهو فرض على كافة المسلمين فمن قام به منهم سقط الفرض عن الباقين
قوله تعالى فما جزاء من يفعل ذلك منكم يعني عقوبة من يفعل
ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ابتدا وخبر والخزي الهوان وهو اخراج
بني النضير الى الشام وقتل بني قريظة قال الجوهري وخزي بالكسر يخزي خزيا
اذا ذل وهان قال ابن السكيت وقع في بلية واخزاه الله وخزي ايضا يخزى
خزاية اذا استحيى فهو خزيان وقوم خزايا وامراة خزيا قوله تعالى
ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب اخبر ان الذي اصابهم في الدنيا من
الخزي والعقوبة لم يكن كفارة لذنوبهم ولكنهم يردون في الاخرة الى اشد
العذاب وقيل الخزي في الدنيا الجزية وقراءة العامة يردون بالياء وقرا
الحسن تردون بالتا على الخطاب وما الله بغافل عما تعملون تقدم القول
فيه قوله اولئك الذين اشتروا الاية فلا معنى للاعادة ويوم منصوب
بيردون وينصرون يعانون والنصر العون وقد تقدم والحمد لله
تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل
واتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول

بلية

بما لا

بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون فيه ست مسايل
قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التورية
وقفينا اتبعنا والتقفيف الاتباع والارداف ماخوذ من اتباع القفا وهو
موخر العنق تقول استقفيته اذا جيت من خلفه ومنه سمي قافيه الشعر لانه
يتلوا ساير الكلام والقافيه القفا ومنه الحديث يعقد الشيطان على قافيه
احدكم والقفا والقفاوه ما يدخر من اللبن وغيره لمن يريد اكرامه وتقوت
الرجل قذفته بفجور وفلان تقفوني اي يهمني وتقفوني اي خيرني قال بن
دريد كانه الاضداد قال العلما وهذه الايه مثل قوله تعالى ثم ارسلنا
رسلنا تترا وكل رسول جا بعد موسى فانما جا باثبات التوراه والامر بلزومها
الى عيسى عليه السلام ويقال رسْل ورسُل لغتان الاولى لغه الحجاز والثانيه
لغه تميم وسوا كان مضافا اوغير مضاف وكان ابو عمرو يخفف اذا اضاف
الى حرفين ويثقل اذا اضاف لحرف واحد قوله تعالى واتينا
عيسى بن مريم البينات اي الحجج والدلالات وهي التي ذكرها في ال عمران والمايده
مثل احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص قاله بن عباس وايدناه اي قويناه
وقرا مجاهد وبن محيصن بالمد وهما لغتان بروح القدس روى ابو مالك
وابو صالح عن بن عباس ومعمر عن قتاده قالا جبريل عليه السلام وقال
حسان وجبريل رسول الله فينا روح القدس ليس به خفا النحاس سمي
جبريل روحا واضيف الى القدس لانه كان بتكوين الله عز وجل له روحا
من غير ولادة والد ولده ولذلك سمي عيسى روحا لهذا وروى
غالب بن عبد الله عن مجاهد قال القدس هو الله عز وجل وكذا قال
الحسن القدس الله وروحه جبريل وروى ابو روق عن الضحاك عن بن عباس

بره

ايدناه

روح القدس هو الاسم الذي كان يحيي به عيسى الموتى وقاله سعيد بن
جبير وعبيد بن عمير وهو اسم الله الاعظم وقيل المراد الانجيل سماه روحا
كما سمى الله القرآن روحا في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
والاول اظهر اي اعناه بجبريل حيث اراد واقتله فرفعه الى السماء
والله اعلم والقدس الطهارة وقد تقدم وقرا ابن كثير القدس بسكون
الدال الباقون برفعها لغتان قوله تعالى افكلما جاءكم رسول
بما لا تهوى انفسكم استكبرتم اي بما لا توافقها ويلايمها وحذفت الهاء
لطول الاسم اي بما لا تهواه انفسكم واصل الهوى الميل الى الشي ويجمع
اهوا كما في التنزيل ولا يجمع اهوية على انهم قد قالوا في ندى اندية قال
الشاعر في ليلة من جمادى ذات اندية لا يبصر الكلب في ظلمائها الطنبا
قال الجوهري وهو شاذ وسمي الهوى هوى لانه يهوى بصاحبه الى
النار ولذلك لا يستعمل في الغالب الا فيما ليس بحق وفيما لا خير
فيه وهذه الاية من ذلك وقد يستعمل في الحق ومنه قول عمر رضي الله
عنه نهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما
قلت وقالت عايشة للنبي صلى الله عليه وسلم والله ما ارى ربك
الا يسارع في هواك خرجهما مسلم قوله تعالى استكبرتم
اي عن اجابته احتقارا للرسل واستبعادا للرسالة وقال انفتم من ان
تكونوا اتباعا لانه كانت لهم رياسة وكانوا متبوعين فلم يؤمنوا مخافة
ان تذهب عنهم الرياسة فقال فريقا كذبتم وفريقا نصب بكذبتم ولذا
فريقا تقتلون فكان ممن كذبوه عيسى ومحمد عليهما السلام وممن قتلوه يحيي
وزكريا عليهما السلام على ما ياتي بيانه في سبحان ان شا الله تعالى

قوله تعالى

خامس كراس

قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم بكفرهم فقليلا ما يومنون يعني اليهود قالوا قلوبنا غلف بسكون اللام جمع اغلف مثل احمر وحمر اي عليها اغطيه لا تعي شيئا مما تدعونا اليه وهو مثل قوله قلوبنا في اكنة اي في اوعية قال مجاهد غلف عليها غشاوة وقال عكرمه عليها طابع وحكى اهل اللغة غلفت السيف جعلت له غلافا فقلب اغلف اي مستور عن الفهم والتمييز والاعرج وبن محيصن غُلُف بضم اللام قال بن عباس اي قلوبنا مملوة علما لا تحتاج الى علم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو جمع غلاف مثل حمار وحُمُر اي قلوبنا اوعية للعلم فما بالها لا تفهم عنك وقد وعينا علما كثيرا وقيل المعنى فكيف يعزب عنا علم محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم بقوله بل لعنهم الله بكفرهم ثم بين ان السبب في نفورهم عن الايمان انما هو انهم لعنوا بما تقدم من كفرهم واجترامهم وهذا هو الجزا على الذنب بالذنب اعظم منه واصل اللعن في كلام العرب الطرد والابعاد ويقال للذيب لعين وللرجل الطريد لعين قال الشماخ ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذيب كالرجل اللعين ووجه الكلام مقام الذيب اللعين كالرجل فالمعنى ابعدهم الله من رحمته وقيل من توفيقه وهدايته وقيل من كل خير وهذا عام فقليلا ما يومنون اختلف في تاويله فقال بعضهم ايمانهم بالله قليل لانهم يومنون ببعض ويكفرون ببعض وقليلا نعت لمصدر محذوف تقديره فايمانا قليلا ما يؤمنون وقال معمر المعنى لا يومنون الا بقليل مما في ايديهم ويكفرون بالكثير ويكون قليلا منصوب بنزع حرف الصفة وما صلة اي فقليلا يومنون وقال الواقدي معناه لا يومنون قليلا ولا كثيرا كما تقول ما اقل ما تفعل كذا اي لا تفعله

اعظم

البته وقال الكساي تقول العرب مررنا بارض قلما تنبت الكراث والبصل
اي لا تنبت شيا وقال بعضهم معناه لا يومنون الا القليل منهم مثل عبد الله
بن سلام واصحابه تعالى ولما جاهم كتاب من عند الله مصدق
لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاهم ما عرفوا كفروا
به فلعنة الله على الكافرين يعني اليهود والكتاب القران مصدق نعت لكتاب
ويجوز في غير القران نصبه على الحال وكذلك هو في مصحف ابي بالنصب
فيما روي لما معهم يعني التوراه والانجيل يخبرهم بما فيهما وكانوا من قبل
يستفتحون اي يستنصرون لان الاستفتاح الاستنصار استفتحت استنصرت
وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح بصعاليك
المهاجرين اي يستنصر بدعايهم ومنه عسى الله ان ياتي بالفتح والنصر
فتح شي مغلق فهو يرجع الى قولهم فتحت الباب وروى النساي عن ابي سعيد
الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما نصر الله هذه الامه بضعيفها
بدعوتهم وصلاتهم واخلاصهم وروى النساي ايضا عن ابي الدردا قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابغوني الضعيف فانكم انما
تنصرون وترزقون بضعفايكم فكانت اليهود يستنصرون على المشركين
لانهم كانوا وجدوا بعث محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم فخرجوا من الشام
الى المدينه ونزلوا بقربها ينتظرون خروجه وكانوا اذا قاتلوا من يليهم
من مشركي العرب يستفتحون قال ابن عباس كانت يهود خيبر تقاتل
غطفان فلما التقوا انهزمت يهود فعادت يهود بهذا الدعا وقالوا
اللهم انا نسالك بحق النبي الامي الذي وعدتنا ان تخرجه لنا في اخر الزمان
الا نصرتنا عليهم قال فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا الدعا فهزموا غطفان

فلما

فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا فانزل الله تعالى وكانوا من قبل يستفتحو ن
على الذين كفروا واي بك يا محمد الى قوله فلعنة الله على الكافرين يعني سخطه
وعذابه على الجاحدين واختلف النحاة في جواب ولما جاهم فقيل جوابه
الفا وما بعدها في قوله فلما جاهم ما عرفوا قاله الفرا وجواب لما الثانيه كفروا
وقال الاخفش جواب لما محذوف لعلم السامع وقاله الزجاج وقال المبرد
جواب لما ولما في قوله كفروا واعيدت لما الثانيه لطول الكلام وتفيد
ذلك تقرير الذنب وتاكيدا له تعالى بيس ما اشتروا به انفسهم
ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشا من عباده فباوا
بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين بيس في كلام العرب مستوفيه
للذم كما ان نعم مستوفيه للمدح وفي كل واحد منهما اربع لغات بيْس
وبيَس بيْس بِيِس نعَم نِعْم نِعِم نعم ومذهب سيبويه ان ما فاعله ولا
تدخل الا على اسما الاجناس والنكرات ولذلك نعم تقول نعم الرجل زيد
ونعم رجلا زيد فاذا كان معها اسم بغير الف ولام فهو نصب ابدا واذا
كان فيه الف ولام فهو رفع ابدا ونصب رجلا على التمييز وفي نعم مضمر على
شريطه التفسير وزيد مرفوع على وجهين على خبرابتدا محذوف كانه
قيل من الممدوح قلت هو زيد والاخر على الابتدا وما قبله خبره واجاز
ابو علي ان يليهما ما موصوله وغير موصوله من حيث كانت مبهمه تقع
على الكثير ولا تخص واحدا بعينه والتقدير عند سيبويه بيس الشي
اشتروا به انفسهم ان يكفروا فان يكفروا في موضع رفع بالابتدا وخبره فيما
قبله كقولك بيس الرجل زيد وما على القول موصوله وقال الاخفش
ما في موضع نصب على التمييز كقولك بيس رجلا زيد فالتقدير بيس شيا

ان يكفروا واشتروا على هذا القول صفة ما وقال الفرا بيس ما جملته شي
واحد ركب كحبذا وفي هذا القول اعتراض لانه يبقى فعل بلا فاعل وقال
الكسائي ما واشتروا بمنزلة اسم واحد قايم بنفسه والتقدير بيس اشتراوهم
ان يكفروا وهذا مردود فان نعم وبيس لا يدخلان على اسم معين معروف والشرا
قد يعرف باضافته الى الضمير النحاس واين هذه الاقوال قول الاخفش
وسيبويه قال الفرا والكسائي ان يكفروا ان شيت كانت ان في موضع خفض
ردا على الهاء في به قال الفرا اي اشتروا انفسهم بان يكفروا بما انزل الله واشترى
بمعنى باع وبمعنى ابتاع والمعنى بيس الذي اختاروا لانفسهم حتى استبدلوا
الباطل بالحق والكفر بالايمان وقال الكلبي بيس ما باعوا به انفسهم من الهدى
بكتمان صفة محمد صلى الله عليه وسلم ويقال بيس ما صنعوا بانفسهم حيث كفروا
بما انزل الله بعد ما خرجوا من الجحد لشام على ان ينصروا محمدا صلى الله عليه
وسلم بغيا معناه حسدا قاله قتاده والسدى وهو مفعول من اجله وهو على
مصدر الاصمعي وهو ماخوذ من قولهم قد بغى الجرح اذا فسد وقيل
اصله الطلب ولذلك سميت الزانية بغيا ان ينزل في موضع نصب اي لان
ينزل اي لاجل انزال الله الفضل على نبيه صلى الله عليه وسلم يعني النبوه
والكتاب وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وابن محيصن ينزل مخففا ولذلك
ساير ما في القران الا وما ننزله في الحجر وفي الانعام على ان ينزل ايه فباوا اي رجعوا
والاكثر ما يقال في الشر وقد تقدم بالشواهد من الشعر بغضب على غضب
تقدم معنى غضب الله وهو عقابه فقيل الاول لعبادتهم العجل والثاني
لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وقال عكرمه ومقاتل الاول لكفرهم
كفروا بعيسى ثم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم يعني اليهود وروى سعيد

عن

عن قتاده الاول بكفرهم بالانجيل والثاني بكفرهم بالقران ويقال الغضب
الاول حين عبدوا العجل والغضب الثاني حين استحلوا السمك في يوم السبت وقال
قوم المراد التابيد وشدة الحال عليهم لا انه اراد غضبين معلقين بقضيتين
ومهين ماخوذ من الهوان وهو ما اقتضى الخلود في النار دايما بخلاف خلود
العصاة من المسلمين فان ذلك تمحيص لهم وتطهير كرجم الزاني وقطع السارق
على ما ياتي بيانه في سورة النسا من حديث ابي سعيد الخدري ان شا الله
تعالى واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نومن بما انزل علينا
ويكفرون بما وراه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبيا الله
من قبل ان كنتم مومنين فيه اربع مسايل قوله تعالى واذا قيل
لهم يعني اليهود امنوا صدقوا بما انزل الله يعني القران قالوا نومن بما انزل علينا
يعني التوراه ويكفرون بما وراه اي بما سواه عن الفرا قتاده بما بعده وهو
قول ابي عبيده والمعنى واحد قال الجوهري وورا يكون بمعنى خلف وقد يكون ن
بمعنى قدام وهو من الاضداد قال الله تعالى وكان وراهم ملك اي قدامهم
وتصغيرها وريه بالها وهي شاذه وانتصب ورا على الظرف قال
الاخفش لقيته من ورا فترفعه على الغايه اذا كان غير مضاف تجعله اسما
وهو غير متمكن كقولك من قبل ومن بعد وانشد اذا انا لم اومن
عليك ولم يكن لقاوك الا من ورا ورا قلت ومنه قول ابرهيم عليه
عليه السلام في حديث الشفاعة انما كنت خليلا من ورا ورا والورا
ولد الولد ايضا قوله تعالى وهو الحق ابتدا وخبر يعني القران
ومصدقا حال موكده عند سيبويه لما معهم ما في موضع خفض باللام
ومعهم صلتها ومعهم نصب بالاستقرار ومن اسكن جعله حرفا والمعنى

ان القران مصدق وهو منزل من الله تعالى موافق لما معهم وقالوا انك
لم تاتنا بمثل الذي اتانا به انبياؤنا ولم يكن لنا نبي الا كان ياتينا بقربان تاكله
النار قال الله تعالى قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل وقد جاؤا بالقربان
وبالبينات ان كنتم مصدقين بالانبياء وقرئ تقتلون وقد تقدم
قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل رد من الله تعالى عليهم في قولهم امنوا بما انزل
عليهم وتكذيب منهم لهم وتوبيخ المعنى فكيف قتلتم وقد نهيتم عن ذلك
فالخطاب لمن حضر محمدا صلى الله عليه وسلم والمراد اسلافهم وانما توجه
الخطاب لابنائهم لانهم كانوا يتولون اولئك الذين قتلوا كما قال تعالى
ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء فاذا
تولوهم فهم منزلتهم وقيل لانهم رضوا فعلهم فنسب ذلك اليهم
فيكون في الاية دليل على ان من رضي بالمعصية فكانه فاعلها لانهم
كانوا راضين بقتل ابائهم الانبياء فسماهم الله قاتلين ومن هذا المعنى
قول الشعبي لرجل حسن قتل عثمان رضي الله عنه شاركت في دمه وفيها
دليل ايضا ان من ادعى انه يؤمن ينبغي ان يكون افعاله مصدقة لقوله لانهم
كانوا يدعون انهم مؤمنون بما معهم قال الله تعالى فلم تقتلون انبياء
الله يعني في اي كتاب جوز قتل النبي واي دين وانما جوز فيه ذلك
يعني قتل الانبياء قوله تعالى قل فلم تقتلون اصل لم لما حذفت
الالف فرقا بين الاستفهام والخبر ولا ينبغي ان يوقف عليه لانه ان وقف
عليه بلا هاء كان لحنا وان وقف عليه بالهاء كان زيدا في السواد ويقولون جاز فيه
الاستقبال المضي لما ارتفع الاشكال بقوله من قبل واذا لم يشكل فجائز ان
ياتي الماضي بمعنى المستقبل والمستقبل بمعنى الماضي قال الحطيئة يوم يلقى

ربه ان الوليد احق بالعهد شهد بمعنى يشهد وقال اخر   واني لاتيكم بشكر
لما مضى من الامر واستيجاب ما كان في غد يعني   وهو كثير وقد
تقدم ويأتي   تعالى ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل
من بعده وانتم ظالمون اللام في ولقد لام القسم والبينات قوله تعالى
ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات وهي العصا والسنون واليد والدم
والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقيل البينات التوراه
وما فيها من الدلالات والعلامات ويقال الحلال والحرام والحدود
والفرايض ثم اتخذتم العجل توبيخ وثم ابلغ من الواو في التقريع اي بعد
النظر في الايات والاتيان بها اتخذتم وهذا يدل على انهم انما فعلوا
ذلك بعد مهله من النظر في الايات وذلك اعظم لجرمهم
تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا
ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل
بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مومنين فيه خمس مسائل
تقدم القول في قوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم
الطور خذوا واما اتيناكم بقوة فلا معنى لاعادته   قوله
تعالى واسمعوا معناه اطيعوا وليس معناه الامر بادراك القول
فقط وانما المراد اعملوا بما سمعتم والتزموه ومنه قولهم سمع الله لمن
حمده اي قبل واجاب قال   دعوت الله حتى خفت ان لا يكون الله يسمع
ما اقول   اي يقبل   وقال الراجز   والسمع والطاعه
والتسليم خير واعفى لبني تميم   قوله سمعنا وعصينا اختلف
هل صدر منهم هذا اللفظ حقيقه باللسان نطقا او يكونوا فعلوا فعلا

قام مقام القول فيكون مجازا كما قال امتلا الحوض وقال قطني مهلا
رويدا قد ملات بطني وقال في رواية الكلبي قالوا سمعنا قولك
وعصينا امرك ولولا مخافته لم نقبل ما قبلنا وقيل انهم قالوا في الظاهر
سمعنا واضمروا في انفسهم وعصينا امرك قوله تعالى واشربوا
في قلوبهم العجل اي حب العجل فحذف الحب واقيم العجل مقامه ومثل هذا يجري
في كلام العرب كما قال في رواية اخرى واسال القرية اي وسل اهل القرية
وقيل المعنى جعل حلاوة عبادة في قلوبهم لكفرهم وعلى هذا وقيل جعلت قلوبهم
تشرب حب العجل وهذا تشبيه ومجاز عبارة عن تمكن امر العجل في قلوبهم
وفي الحديث تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فاي قلب
اشربها نكت فيه نكتة سودا الحديث خرجه مسلم يقال اشرب
قلبه حب كذا قال زهير فصحوت عنها بعد حب داخل والحب
تشربه فوادك داء وانما عبر عن حب العجل بالشرب دون الاكل
لان شرب الما يتغلغل في الاعضا حتى يصل الى باطنها والطعام مجاور
لها وغير متغلغل فيها وقد زاد على هذا المعنى احد التابعين من الشعرا
في زوجته عثمة كان عتب عليها في بعض الامر فطلقها وكان محبا لها
تغلغل حب عثمة في فوادي فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور
اكاد اذا ذكرت العهد منها اطير لو ان انسانا يطير وقال
السدي وابن جريج ان موسى عليه السلام برد العجل وذراه في الما وقال
لبني اسرايل اشربوا من ذلك الما فشرب جميعهم فمن كان يحب العجل خرجت
برادة الذهب على شفتيه وروي انه ما شربه احد الا جن حكاه القشيري

قلت

قلت اما تذريته في البحر فقد دل عليه قوله الحق ثم لننسفنه في اليم نسفا واما
شربهم له وظهور البراده على الشفاه فيرده قوله تعالى في قلوبهم والله اعلم
قوله تعالى قل بيس ما يامركم به ايمانكم اي ايمانكم الذين زعمتم في
قولكم نومن بما انزل علينا وقال مقاتل المعنى ان كان حب عبادة العجل في قلوبهم
بعد حب خالقكم فبيس ما يامركم به ايمانكم وقيل ان هذا الكلام خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم وامر ان يوبخهم اي قل لهم يا محمد بيس هذه الاشيا التي
فعلتم وامركم بها ايمانكم ومضى القول في بيسما فلا معنى للاعاده
تعالى قل ان كانت لكم الدار الاخره عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين لما
ادعت اليهود دعاوى باطله حكاها الله عز وجل عنهم في كتابه كقوله لن تمسنا
النار الا اياما معدوده وقوله وقالوا لن يدخل الجنه الا من كان هودا او
نصارى وقالوا نحن ابنا الله واحباوه الزمهم الله تعالى الحجه فقال
قل لهم يا محمد ان كانت لكم الدار الاخره يعني الجنه فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
في اقوالكم لان من اعتقد انه من اهل الجنه كان الموت احب اليه من الحياه في
الدنيا لما يصير اليه من نعيم الجنه ويزول عنه من اذى الدنيا فاحجموا عن
تمني ذلك فزعا من الله لقبح اعمالهم ومعرفتهم بكفرهم في قولهم نحن ابنا الله
وحرصهم على الدنيا ولهذا قال الله تعالى مخبرا عنهم بقوله الحق ولن يتمنوه ابدا
بما قدمت ايديهم تحقيقا لكذبهم وايضا لو تمنوا الموت لماتوا كما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا وراوا مقاعدهم
من النار وقيل ان الله تعالى صرفهم عن اظهار التمني وقصرهم على الامساك ليجعل
ذلك ايه لنبيه صلى الله عليه وسلم وحكى عكرمه عن ابن عباس في قوله فتمنوا الموت

قين

هم

ان المعنى ادعوا بالموت على الذين الفريقين منا ومنكم فما دعوا لعلمهم بكذبهم
فان قيل فالتمنى يكون باللسان تارة وبالقلب اخرى فمن اين علم انهم
لم يتمنوه بقلوبهم قيل له نطق القران بذلك فى قوله ولن يتمنوه ولو
تمنوه بقلوبهم لاظهروه بالسنتهم ردا على النبى صلى الله عليه وسلم
وابطالا لحجته وهذا بين وقال الزجاج فى هذه الايه اعظم حجه واظهر
دلاله على صحه رساله النبى صلى الله عليه وسلم لانه قال فتمنوا الموت
واعلمهم انهم لن يتمنوه الموت فلم يتمنه واحد منهم ويقال ان قوله لن انما
يقع على حياه الدنيا خاصه ولا يقع على امر الاخرة لانهم يتمنون الموت
فى النار اذا كانوا فى جهنم ولو انهم سالوا الموت فى الدنيا ولم يموتوا كان
فى ذلك تكذيبا لقول النبى صلى الله عليه وسلم وكان فى ذلك ايضا ذهاب
معجزته فلما لم يتمنوا الموت ثبت عندهم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وظهرت معجزته وظهر ان الامر كما قال تعالى خالصة خالصه نصب
على خبر كان وان شئت كان حالا ويكون عند الله فى موضع الخبر ابدا ظرف
زمان يقع على القليل والكثير كالحين والوقت وهو هنا من اول العمر الى
الموت وما فى قوله بما معنى الذى والعايد محذوف والتقدير قدمته
ويكون مصدرا به ولا تحتاج الى عايد وايديهم فى موضع رفع حذفت
الضمه من اليا لثقلها مع الكسره وان كانت فى موضع نصب حركتها لان
النصب خفيف ويجوز اسكانها فى الشعر والله اعلم بالظالمين ابتدا وخبر
تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حياه ومن الذين اشركوا يود
احدهم لو يعمر الف سنه وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما
تعملون قوله تعالى ولتجدنهم يعنى اليهود احرص الناس على حياة من الذين

اشركوا قيل المعنى واحرص فحذف وانما كانوا احرص الناس على البقا في
الدنيا لمعرفتهم بذنوبهم وان لا خير لهم عند الله واختلف في الذين اشركوا
من هم فقيل مشركي العرب لانهم لا يعرفون الا هذه الحياه الدنيا ولا علم
لهم من الاخره الا ترى الى قول شاعرهم   تمتع من الدنيا فانك فان من
النشوات والنسا الحسان وهذا قول مقاتل والحسن قال الحسن الذين اشركوا
مشركوا العرب فخصوا بذلك لانهم لا يومنون بالبعث فهم يتمنون
طول العمر والضمير في احدهم يعود في هذا القول على اليهود وقال الكلبي الذين
اشركوا هم المجوس وكون الكلام تم في حيا ثم استونف الاخبار عن
طايفه من المشركين قيل هم المجوس وذلك في ادعيائهم للعاطس بلغاتهم ما
معناه عش الف سنه وكل الف نيروز وخص الالف بالذكر لانه نهاية
العقد في الحساب فان قيل كيف يصح تفسير الكلبي والمجوس لا يسمون
مشركين قيل له لان المجوس مشركون في الحقيقه لانهم قالوا بالاهين النور
والظلمه يود احدهم يعني المجوس وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى
ولتجدنهم وطايفه من الذين اشركوا احرص الناس على حياه يود احدهم
يود معناه يتمنى واصل يود يودد ادغمت لانه لا يجمع بين حرفين من جنس
واحد متحركين ونقلت حركه الدال على الواو وليدل ذلك على انه
يفعل وحكى الكساي وددت فيجوز على هذا يود بكسر الواو ولو يعمر
الف سنه اصل سنه سنهه وقيل سنوه وقد اسنى القوم اذا لبثوا في
موضع سنه واستنوا اصابهم السنه اي الجدب قوله تعالى وما هو
بمزحزحه من العذاب ان يعمر اختلف النحاه في هو فقيل هو ضمير الاحد
التقدير وما احدهم بمزحزحه من العذاب وخبر الابتدا في المجرور

استونف

يعمر

ان يعمر يا علي بمزحزح وقالت فرقة هو ضمير التعمير التقدير وما التعمير بمزحزحه والخبر في المجرور وان يعمر بدل من التعمير هذا القول وحكى الطبري عن فرقة انها قالت هو عماد وفيه بعد فان حق العماد ان يكون بين شيئين متلازمين مثل قوله تعالى ان كان هذا هو الحق ولكن كانوا هم الظالمين ونحو ذلك وقيل ما عاملة حجازية وهو اسمها والخبر في بمزحزحه وقالت طايفة هو ضمير الامر والشان بن عطية وفيه بعد فان المحفوظ عن النحاة ان يفسر بجملة سالمة من حرف جر تعالى بمزحزحه الزحزحة الابعاد والتنحية يقال زحزحته اي باعدته فتزحزح اي تنحى وتباعد يكون لازما ومتعديا قال الشاعر في المتعدي يا قابض الروح من نفس اذا احتضرت وغافر الذنب زحزحني عن النار وانشد ذو الرمة يا قابض الروح عن جسم عصى زمنا وغافر الذنب زحزحني عن النار وقال اخر في اللازم خليلي ما بال الدجى يتزحزح وما بال ضوء الصبح لا يتوضح وروى النساي عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صام يوما في سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار سبعين خريفا تعالى والله بصير بما يعملون اي بما يعمل هولا الذين يودا احدهم ان يعمر الف سنة ومن قرا بالتا فالتقدير عنده قل لهم يا محمد والله بصير بما تعملون وقال العلما وصف الله جل وعز نفسه بانه بصير على معنى انه عالم بخفيات الامور والبصير في كلام العرب العالم بالشي الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالطب وفلان بصير بالفقه وبصير بملاقاة الرجال قال فان تسالوني بالنسا فانني بصير بادوا النسا طبيب قال الخطابي البصير العالم والبصير المبصر وقيل وصف نفسه بانه بصير على

معنى

معنى جاعل الاشيا المبصره ذوات ابصار اي مدركه للمبصرات بما خلق
لها من الالة المدركه والقوه فالله بصير بعباده اي جاعل عباده مبصرين
فعلى هذا يكون بصير من صفات ذات الذات ومن صفات الفعل
تعالى قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين
يديه وهدى وبشرى للمومنين سبب نزولها ان اليهود قالوا للنبي عليه
السلام انه ليس نبي من الانبيا الا يا تيه ملك من الملايكه من عند ربه بالرسالة
وبالوحي فمن صاحبك حتى نتابعك قال جبريل قالوا ذلك الذي ينزل
بالحرب وبالقتال لو قلت ميكاييل الذي ينزل بالقطر والرحمه تابعناك
فانزل الله تعالى الايه الى قوله للكافرين خرجه الترمذي وروى ان
عمر رضي الله عنه قال لليهود ما لكم لا تومنون لمحمد صلى الله عليه وسلم
قالوا لان جبريل هو الذي ينزل عليه بالوحي فلو نزل عليه ميكاييل لامنا
لان ميكاييل ملك الرحمه وجبريل ملك العذاب فنزلت هذه الايه
ويقال انهم كانوا يقولون ان النبوه كانت فينا فجبريل صرف النبوه الى
غيرنا بالعداوه معنا فنزلت قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله الضمير
في انه يحتمل معنيين الاول فان الله نزل جبريل على قلبك الثاني فان جبريل
نزل بالقران على قلبك قال بعضهم وفي الايه اضمار وعلى هذا التاويل
ومعناه قل من كان عدوا لجبريل فلاكه يبغضه فان جبريل هو الذي
ينزل بالقران فيقروه عليك فتحفظه في قلبك ويقال هذا على وجه
الترغيم فكانه يقول قل من كان عدوا لجبريل فان جبريل ينزل بالقران
عليك رغما لهم فيقراوه عليك ليثبت فوادك وخص القلب بالذكر
في قوله على قلبك لانه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف ودلت

الايه على شرف جبريل وذم معاديه ومعنى باذن الله اي بعلمه وارادته
مصدقا لما بين يديه يعني التوره وهدى اي من الضلاله وبشرى للمومنين
اي للمصدقين به وقد تقدم   تعالى من كان عدوا لله وملايكته
ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين فيه ثلاث مسايل
قوله تعالى من كان عدوا لله شرط وجوابه فان الله وهذا وعيد
وذم لمعادي جبريل عليه السلام واعلام ان عداوة البعض تقتضي عداوة الله
لهم وعداوة العبد لله هي معصيته واجتناب طاعته ومعاداه اوليايه
وعداوة الله للعبد تعذيبه واظهار اثر العداوة عليه   فان قيل لم
خص الله جبريل وميكايل بالذكر وان كان ذكر الملايكة قد عمهما قيل له خصهما
بالذكر تشريفا لهما كما قال فيهما فاكهة ونخل ورمان وقيل خصا لان
اليهود ذكروهما ونزلت الايه بسببهما فذكرهما واجب ليلا تقول
اليهود انا لم نعاد الله وجميع ملايكته فنص الله عليهما لابطال ما تاولوه
من التخصيص والله اعلم   ولعلما اللسان في جبريل
وميكاييل لغات قرى باكثرها فاما التي في جبريل عليه السلام
فعشر الاولى جبريل وهي لغه اهل الحجاز وقال حسان بن ثابت
وجبريل رسول الله فينا الثانيه جبريل بفتح الجيم وهي قراه الحسن
وابن كثير وروى عن ابن كثير انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم
وهو يقرا وجبريل وميكال فلا ازال اقراهما ابدا كذلك الثالثه
جبرئيل بياء بعد الهمزه مثال جبرعيل كما قرا اهل الكوفه وانشدوا
شهدنا فما تلقى لنا من كتيبه مدى الدهر الا جبرئيل امامها وهذه لغه
تميم وقيس الرابعه جبرال على وزن جبرعل مقصور وهي قراه ابي بكر

عن عاصم الخامسه مثلها وهي قراه يحيى بن يعمر الا انه شدد واللام
السادسه جبرايل بالف بعد الرا ثم همزه وبها قرا عكرمه السابعه مثلها
الا ان بعد الهمزه يا الثامنه جبراييل بيايين بعد همزه وبها قرا الاعمش
ويحيى بن يعمر ايضا التاسعه جبرين بفتح الجيم مع همزه مكسوره بعدها
يا ونون العاشره جبرين بكسر الجيم وتسكين اليا نون من غير همزه
وهي لغه بني اسد قال الطبري ولم يقرا بها قال النحاس وذكر قراه ابن
كثير لا يعرف في كلام العرب فعليل وفيه فعليل نحو دهليز وقطمير
وبرطيل وليس ينكر ان يكون في كلام العجم ما ليس له نظير في كلام
العرب ولا ينكر ان يكثر تغيره كما قالوا ابرهيم وابراهم وابراهَم وابراهام
قال غيره جبريل اسم اعجمي عربته العرب فلها فيه هذه اللغات ولذلك
لم ينصرف قلت قد تقدم في اول الكتاب ان الصحيح في هذه الالفاظ
عربيه نزل بها جبريل بلسان عربي مبين قال النحاس ويجمع جبريل على التكسير
جباريل واما اللغات التي في ميكاييل فست الاولى ميكايل قراه نافع ميكا ييل
بعد الهمزه قراه حمزه ميكال لغه اهل الحجاز وهي قراه ابي عمرو وحفص
عن عاصم وروي عن ابن كثير الثلاثه الاوجه قال كعب بن مالك ويوم
بدر لقيناكم لنا مدد فيه مع النصر ميكال وجبريل وقال
اخر عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد وبجبريل وكذبوا ميكالا
اللغه الرابعه ميكئل مثل ميكعل وهي قراه ابن محيصن الخامسه ميكاييل
بيايين وهي قراه الاعمش باختلاف عنه السادسه ميكاييل كما يقال اسرايل
الهمزه مفتوحه وهو اسم اعجمي فلذلك لم ينصرف وذكر ابن عباس ان جبر
وميكا واسراف هي كلها بالاعجميه بمعنى عبد ومملوك وايل اسم الله

تعالى ومنه قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين سمع سجع مسيلمه
هذا كلام لم يخرج من ايل وفي التنزيل لا يرقبون في مومن الا ولا ذمه في
احد التاويلين وسياتي قال الماوردي جبريل وميكاييل اسمان احدهما عبد الله
والاخر عبيد الله لان ايل هو الله تعالى وجبر هو عبد وميكا هو عبيد
فكان جبريل عبد الله وميكاييل عبيد الله هذا قول ابن عباس وليس له في
المفسرين خلاف **قلت** وزاد بعض المفسرين واسرافيل عبد الرحمن
وقال ابو الليث السمرقندي ويقال جبريل وميكاييل بمنزله عبد الله وعبد
الرحمن يعني بلغتهم سوى العربيه قال النحاس ومن تاول الحديث جبر
عبد وال الله وجب عليه ان يقول هذا جبرال ورايت جبرال ومررت
بجبرال وهذا لا يقال فوجب ان يكون معنى الحديث انه مسمى بهذا
قال غيره ولو كان كما قالوا لكان مصروفا فترك الصرف يدل على انه اسم واحد
مفرد ليس بمضاف تعالى ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما
يكفر بها الا الفاسقون قال ابن عباس هذا جواب لابن صوريا حيث قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جيتنا بشي نعرفه وما انزل عليك ايه
بينه فنتبعك بها فانزل الله هذه الايه وذكره الطبري تعالى
اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يومنون الواو في قوله
اوكلما واو العطف دخلت عليها الف الاستفهام كما تدخل على الفا في قوله
افحكم الجاهليه افانت تسمع الصم افتتخذونه وذريته وعلى ثم كقوله
تعالى ثم اذا ما وقع وهذا قول سيبويه وقال الاخفش الواو زايده
ومذهب الكساي انها او حركت الواو منها تسهيلا وقراها قوم او
ساكنه الواو فتجي بمعنى بل كما يقول القايل لاضربنك فيقول المجيب او يكفي

الله

الله قال بن عطيه وهذا كله مختلف والصحيح قول سيبويه وكلما نصب على الظرف والمعنى بالابد مالك بن الصيف ويقال فيه بن الصيت دا زيد قال فيه والله ما اخذ علينا عهد في كتابنا ان يومن لمحمد ولا ميثاقا فنزلت الايه وقيل ان اليهود عاهدوا لين خرج محمد ليومنن به وليكونن معه على مشركي العرب فلما بعث كفروا وقال عطا هي العهود التي كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود فنقضوها كفعل قريضه والنضير دليله قوله تعالى الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون تعالى نبذه فريق النبذ الطرح والالقا ومنه النبيذ والمنبوذ قال ابو الاسود وخبرني من كنت ارسلت انما اخذت كتابي معرضا بشمالكا نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلا اخلقت من نعالكا وقال اخر ان الذين امرتهم ان يعدلوا نبذوا كتابك واستحلوا المحرم وهذا مثل يضرب لمن يستخف بالشي فلا يعمل فيه تقول العرب اجعل هذا خلف ظهرك ودبرا منك وتحت قدمك اي اتركه واعرض عنه قال الله تعالى واتخذتموه وراءكم ظهريا وانشد الفرا تميم بن زيد لا تكونن حاجتي بظهر فلا يعيا علي جوابها بل اكثرهم ابتدا لا يومنون فعل مستقبل في موضع الخبر تعالى ولما جاهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون تقدم معناه ومصدق نعت لرسول ويجوز نصبه على الحال نبذ فريق جواب لما من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله نصب بنبذ والمراد التوراة لان كفرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم له نبذ لها قال السدي نبذوا التوراة واخذوا بكتاب اصف وسحر هاروت وماروت وقيل يجوز ان يعني به

وزير سليمان ع م

ة وام نبذوا

القران قال الشعبي هو بين ايديهم يقرونه ولكن نبذوا العمل به وقال
سفين بن عيينه ادرجوه في الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضه
ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ وقد تقدم بيانه كانهم لا
تشبيه بمن لا يعلم اذا فعلوا فعل الجاهل فيجي من اللفظ انهم نبذوا على علم
قاله ابن عطيه   تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن
وما كفر سليمن ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين
ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنه فلا تكفر
فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد حتى
الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الاخره
من خلاق ولبيس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ولو انهم امنوا واتقوا
لمثوبه من عند الله خير لو كانوا يعلمون فيه ثلاثون مسئله   قوله
تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن هذا اخبار من الله تعالى
عن الطايفه الذين نبذوا الكتاب بانهم اتبعوا السحر ايضا وهم اليهود قال
السدى عارضت اليهود محمدا بالتوراة فاتفقت التوراه والفرقان
فنبذوا التوراة واخذوا بكتاب اصف وسحر هاروت وماروت
وقال محمد بن اسحق لما ذكر محمد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المرسلين
قال بعض احبارهم يزعم محمد ان ابن داود كان نبيا والله ما كان الا ساحرا
فانزل الله عز وجل ان سليمن ما كفر ولكن الشياطين كفروا اى القوا الى بني
ادم ان ما فعله سليمن من ركوب الريح واستسخار الطير والشياطين
كان سحرا وقال الكلبي كتبت الشياطين السحر والنرنجيات على لسان اصف
كاتب سليمن ودفنوه تحت مصلاه حين انتزع الله ملكه ولم يشعر

بذلك سليمن فلما مات سليمن استخرجوه وقالوا للناس انما ملككم بهذا
تعلموه ما علماء بني اسرايل فقالوا معاذ الله ان يكون هذا علم سليمن واما
السفلة فقالوا هذا علم سليمن واقبلوا على تعليمه ورفضوا كتب انبيايهم
حتى بعث الله محمد فانزل الله عز وجل على نبيه عذر سليمن واظهر براته مما
رمي به فقال واتبعوا ما تتلوا الشياطين قال عطا تتلوا تقرا من التلاوة
وقال بن عباس تتلوا تتبع كما تقول جا القوم يتلوا بعضهم بعضا وقال الطبري
اتبعوا بمعنى فضلوا قلت لان من اتبع شيا وجعله امامه فقد فضله على
غيره وتتلوا بمعنى تلت فهو بمعنى المضي كما تقدم وقال الشاعر   واذا مررت
بقبره فاعقر به كوم الهجان وكل طرف سابح وانضح جوانب قبره بدمايها فلقد
يكون اخادم وذبايح اي فلقد كان وما مفعوله باتبعوا اي اتبعوا ما تقوله
الشياطين على سليمن وتلته وقيل تقوله وليس بشي لا في نظام الكلام ولا في صحته قاله
القاضي ابو بكر بن العربي في احكامه على ملك سليمن اي على شرعه ونبوته
وقال الزجاج المعنى على عهد ملك سليمن وقيل المعنى في ملك سليمن
يعني في قصصه وصفاته واخباره قال الفرا تصلح على وفي في مثل هذا الموضع
وقال على ولم يقل بعد لقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا
تمنى القى الشيطان في امنيته اي في تلاوته على ما تقدم وتقدم ايضا معنى الشيطان   ن
واشتقاقه فلا معنى لاعادته والشياطين هنا قيل هم شياطين الجن وهو المفهوم
من هذا الاسم وقيل المراد شياطين الانس المتمردون في الضلال لقول جرير
ايام يدعونني الشيطان من غزلي وكن يهوينني اذ كنت شيطانا   قوله
تعالى وما كفر سليمن تبرية من الله تعالى لسليمن ولم يتقدم في الاية ان احدا نسبه
الى الكفر ولكن اليهود نسبته الى السحر لكن لما كان السحر كفرا صاروا بمنزلة من نسبه الى

الكفر من ١ ل ولكن الشياطين كفروا فاثبت كفرهم بتعليم السحر ويعلمون في موضع نصب على الحال ويجوز ان يكون في موضع رفع على انه خبر ثاني وقرا الكوفيون سوى عاصم ولكن الشياطين بتخفيف لكن ورفع النون من الشياطين وكذلك في الانفال ولكن الله رمى ووافقهم ابن عامر الباقون بالتشديد والنصب

قوله تعالى ولكن لكن كلمة لها معنيان نفي الخبر الماضي واثبات الخبر المستقبل وهي مبنية من ثلث كلمات لا ك ان لا نفي والكاف خطاب وان اثبات وتحقيق فذهبت الهمزة استثقالا وهي تثقل وتخفف فاذا ثقلت نصبت بان الثقيلة واذا خففت رفعت كما ترفع بان الخفيفة قوله تعالى يعلمون الناس

السحر قيل التمويه بالحيل والتخاييل وهو ان يفعل الساحر اشيا ومعاني فيخيل للمسحور انها بخلاف ما هي عليه كالذي يرى السراب من بعيد فيخيل اليه انه ما وكراكب السفينة السائر سيرا حثيثا يخيل اليه ان ما يرى من الاشجار والجبال سائر معه وقيل هو مشتق من سحرت الصبي اذا خدعته وكذلك اذا عللته والتسحير مثله قال لبيد فان تسالينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر وقال امرؤ القيس ارانا موضعين لامر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب عصافير وذبان ودود واجرا من مجلحة الذباب وقوله تعالى انما انت من المسحرين ويقال السحر الذي خلق ذا سحر ويقال من المعللين اي ممن ياكل الطعام ويشرب الشراب ويقال اصله الخفا فان الساحر يفعله في خفية وقيل اصله الصرف يقال ما سحرك عن كذا اي ما صرفك عنه فالسحر مصروف عن جهته وقيل اصله الاستمالة وكل من استمالك فقد سحرك وقيل في قوله تعالى بل نحن قوم مسحورون اي سحرنا فازلنا بالتخييل عن معرفتنا وقال الجوهري السحر الاخذة وكل ما لطف ماخذه ودق فهو سحر وقد سحره يسحره

سحرا

سحرا والساحر العالم وسحره ايضا بمعنى خدعه وقد ذكرناه وقال بن مسعود
كنا نسمي السحر في الجاهلية العضه والعضه عند العرب شدة البهت وتمويه
الكذب قال الشاعر اعوذ بربي من النافثات من عضه العاضه المعضه
واختلف هل له حقيقه ام لا فذكر الغزنوي الحنفي في عيون المعاني
له ان السحر عند المعتزله خدع لا اصل له وعند الشافعي وسوسة وامراض
قال وعندنا اصله طلسم يبنى على تاثير خصايص الكواكب كتاثير الشمس في
زيبق عصي فرعون او تعظيم الشياطين ليسهلوا له ما عسر قلت وعندنا
انه حق وله حقيقه يخلق الله عنده ما شا على ما ياتي ثم من السحر ما يكون بخفه
اليد كالشعوذه والشعوذي البريد لخفة سيره قال بن فارس في المجمل
الشعوذة ليست من كلام اهل البادية وهي خفة في اليدين
واخذ كالسحر ومنه ما يكون كلاما يحفظ ورقيا من اسما الله وقد يكون
من عهود الشياطين ويكون ادوية وادخنة وغير ذلك والله اعلم
سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفصاحه في الكلام
واللسانة فيه سحرا فقال ان من البيان سحرا اخرجه مالك وغيره وذلك
لان فيه تصويب الباطل حتى يتوهم السامع انه حق فعلى هذا
يكون قوله عليه السلام ان من البيان سحرا خرج مخرج الذم للبلاغة
والفصاحة اذ شبهها بالسحر وقيل خرج مخرج المدح للبلاغة والتفضيل
للبيان قاله جماعة من اهل العلم والاول اصح لقوله عليه السلام
فلعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له الحديث وقوله
ان ابغضكم الي الثرثارون المتفيهقون الثرثرة كثرة الكلام
وترديده يقال ثرثر الرجل فهو ثرثار مهذار والمتفيهق نحوه قال

الفهم

بن دريد فلان يتفيهق في كلامه اذا توسع فيه وتنطع قال واصله
وهو الامتلا كانه ملا به فمه قلت وبهذا المعنى الذي ذكرناه
فسر عامر الشعبي راوي الحديث وضعفه بن صوحان وقال اما
قوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا فالرجل يكون عليه الحق
وهو الحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وهو
عليه وانما يحمد العلما من البلاغة واللسانة ما لم يخرج الى حد
الاسهاب والاطناب وتصوير الباطل في صورة الحق وهذا بين
والحمد لله . من السحر ما يكون كفرا من فاعله مثل ما يدعون
من تغيير صور الناس واخراجهم في هيئة بهيمة وقطع مسافة شهر
في ليلة والطيران في الهوى فكل ما فعل هذا ليوهم الناس انه محق فذلك
كفر منه قاله ابو نصر عبد الرحيم القشيري وقال ابو عمر من زعم
ان الساحر يقلب الحيوان من صورة الى صورة فيجعل الانسان حمارا
او نحوه ويقدر على نقل الاجسام وهلاكها وتبديلها فهذا يرى
قتل الساحر لانه كافر بالانبيا يدعي مثل اياتهم ومعجزاتهم ولا
يتهيا مع هذا علم صحة النبوة اذ قد يحصل مثلها بالحيلة واما من
زعم ان السحر خدع ومخاريق وتمويهات وتخييلات فلا يجب على
اصله قتل الساحر الا ان يقتل بفعله فيقتل به والله اعلم

ان

ذهب اهل السنة الى ان السحر ثابت وله حقيقة وذهب عامة
المعتزلة وابو اسحق الاسفرايني من اصحاب الشافعي الى ان السحر
لا حقيقة له وانما هو تمويه وتخييل وايهام لكون الشي على غير ما هو
به وانه ضرب من الخفة والشعوذة كما قال عز وجل يخيل اليه من

سحرهم انها تسعى ولم يقل تسعى على الحقيقه ولكن قال يخيل اليه وقال
ايضا سحروا اعين الناس وهذا لا حجه فيه لانا لا ننكر ان يكون التخييل
وغيره من جمله السحر لكن ثبت وراء ذلك امور جوزها العقل وورد
بها السمع فمن ذلك ما جا في هذه الايه من ذكر السحر وتعليمه ولو لم
يكن له حقيقه لم يمكن تعليمه ولا اخبر تعالى انهم يعلمونه الناس
فدل على ان له حقيقه وقوله في قصه سحره فرعون وجاوا بسحر عظيم
وسورة الفلق مع اتفاق المفسرين على ان سبب نزولها ما كان من
سحر لبيد بن الاعصم وهو مما خرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن
عايشه رضي الله عنها قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي
من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الاعصم الحديث على ما ياتي
بيانه في سورة الفلق ان شا الله تعالى وفيه ان النبي عليه السلام
قال لما حل السحر ان الله شفاني والشفا انما يكون برفع العله وزوال
المرض فدل على ان له حقا وحقيقه فهو مقطوع به باخبار الله تعالى
ورسوله وجوده ووقوعه وعلى هذا اهل الحل والعقد الذين
ينعقد بهم الاجماع ولا عبره مع اتفاقهم بحثاله المعتزله ومخالفتهم
اهل الحق ولقد شاع السحر وذاع في سابق الزمان وتكلم الناس فيه
ولم يبد من الصحابه ولا من التابعين انكار لاصله وروى سفين عن
ابي الاعور عن عكرمه عن ابن عباس قال علم السحر في قريه من قرى
مصر يقال لها الفرما فمن كذب به فهو كافر مكذب لله ورسوله منكر
لما علم مشاهدة وعيانا   قال علماونا لا ينكر ان يظهر على يد
الساحر خرق العادات مما ليس في مقدور البشر من مرض وتفريق

وزوال عقل وتعوج عضو الى غير ذلك مما قام الدليل على استحاله
كونه من مقدورات العباد قالوا ولا يبعد في السحر ان يستدق
جسم الساحر حتى يتولج في الكوات والخوخات والانتصاب على راس
قضيب والجري على خيط مستدق والطيران في الهوي والمشي على الما وركوب
كلب وغير ذلك ومع ذلك فلا يكون السحر موجبا لذلك ولا علة لوقوعه
ولا سببا مولدا ولا يكون الساحر مستقلا به وانما يخلق الله هذه الاشيا
ويحدثها عند وجود السحر كما يخلق الشبع عند الاكل والري عند شرب
الما روى سفين عن عمار الذهبي ان ساحرا كان عند الوليد بن عقبة يمشي
على الحبل ويدخل است الحمار ويخرج من فمه فاشتمل له جندب على السيف
فقتله جندب هذا هو جندب بن كعب الازدي ويقال
البجلي وهو الذي قال في حقه النبي عليه السلام يكون في امتي رجل
يقال له جندب يضرب ضربة بالسيف يفرق بين الحق والباطل فكانوا
يرونه جندبا هذا قاتل الساحر قال علي بن المديني روى عنه حارثة بن
مضرب وذكر البخاري في التاريخ جندب بن كعب قاتل الساحر يقال
حدثنا اسحق قال ثنا خالد الواسطي عن خالد الحذا عن ابي عثمان قال كان
~~عند~~ عند الوليد رجل يلعب فذبح انسانا وابان راسه فعجبنا فاعاد
راسه فجا جندب الازدي فقتله   اجمع المسلمون على انه
ليس في السحر ما يفعل الله عنده انزال الجراد والقمل والضفادع وفلق البحر
وقلب العصا واحيا الموتى وانطاق العجمي وامثال ذلك من عظيم ايات
الرسل عليهم السلام فهذا ونحوه مما يجب القطع به بانه لا يكون ولا
يفعله الله عند اراده الساحر قال القاضي ابو بكر بن الطيب وانما منعنا

ذلك

مطلب
الفرق بين السحر
والمعجزة

ذلك بالاجماع ولولاه لاجزناه في الفرق بين السحر
والمعجزة قال علماونا السحر يوجد من الساحر وغيره وقد يكون جماعة يعرفونه
ويمكنهم الاتيان به في وقت واحد والمعجزة لا يمكن الله لاحد ان ياتي بمثله
وبمعارضته ثم الساحر لم يدع النبوة فالذي يصدر منه متميز عن
المعجزة فان المعجزة شرطها اقتران اقتران دعوى النبوة والتحدي بها كما تقدم
في مقدمة الكتاب واختلف الفقها في حكم الساحر المسلم
والذمي فذهب مالك الى ان المسلم اذا سحر بنفسه بكلام يكون كفرا يقتل
ولا يستتاب ولا تقبل توبته لانه امر يستسر به كالزنديق والزاني
على ما ياتي ولان الله تعالى سمى السحر كفرا بقوله تعالى وما يعلمان من احد حتى
يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر وهو قول احمد حنبل وابو ثور واسحق والشافعي وابي
حنيفة وروي قتل الساحر عن عمر وعلي وبن عمر وحفصه وابي موسى وقيس
بن سعد وعن سبعة من التابعين وروي النبي صلى الله عليه وسلم حد
الساحر ضربه بالسيف خرجه الترمذي وليس بالقوي انفرد به اسمعيل
بن مسلم وهو ضعيف عندهم رواه بن عيينه عن اسمعيل بن مسلم عن الحسن
مرسلا ومنهم من جعله عن الحسن عن جندب قال بن المنذر وقد روينا
عن عايشه انها باعت ساحرة كانت سحرتها وجعلت ثمنها في الرقاب قال
بن المنذر واذا اقر الرجل انه سحر بكلام يكون كفرا وجب قتله ان لم يتب
وكذلك لو ثبتت به عليه بينة ووصفت البينة كلاما يكون كفرا وان
كان الكلام الذي ذكر انه سحر به ليس بكفر لم يجز قتله فان كان احدث
في المسحور جناية توجب القصاص اقتص منه ان كان عمد ذلك وان كان مما
لا قصاص فيه ففيه دية ذلك قال بن المنذر واذا اختلف اصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم في المسئله وجب اتباع اشبههم بالكتاب والسنه وقد
يجوز ان يكون السحر الذي امر من امر منهم بقتل الساحر سحرا يكون كفرا فذلك
موافقا لسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون عايشه امرت
ببيع ساحره لم يكن سحرها كفرا فان احتج محتج بحديث جندب عن النبي صلى الله عليه
وسلم حد الساحر ضربه بالسيف فلو صح لاحتمل ان يكون امر بقتل الساحر الذي
يكون سحره كفرا فيكون ذلك موافقا للاخبار التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يحل دم امرء مسلم الا باحدى ثلاث قلت وهذا صحيح فان دما
المسلمين محظوره لا تستباح الا بيقين ولا يقين مع الاختلاف والله اعلم
قال بعض العلما ان قال اهل الصناعه ان السحر لا يتم الا مع الكفر والاستكبار
او تعظيم الشيطان فالسحر اذا دال على الكفر على هذا التقدير والله اعلم
وروي عن الشافعي لا يقتل الساحر الا ان يقتل بسحره ويقول تعمدت
القتل وان قال لم اتعمد لم يقتل وكانت فيه الديه وان اضر به ادب على
قدر الضرر ابن العربي وهذا باطل من وجهين احدهما انه لم يعلم
السحر وحقيقته انه كلام مولف يعظم به غير الله تعالى وينسب
اليه المقادير والكاينات الثاني ان الله سبحانه قد صرح في كتابه بانه كفر
فقال وما كفر سليمن بقول السحر ولكن الشياطين كفروا به وبتعليمه وها
روت وماروت يقولان انما نحن فتنه فلا تكفر وهذا تاكيد للبيان
احتج اصحاب ملك بانه لا تقبل توبته لان السحر باطن لا يظهره صاحبه فلا
تعرف توبته كالزنديق وانما يستتاب من اظهر الكفر مرتدا قال ملك
فان جا الساحر او الزنديق تايبا قبل ان يشهد عليهما قبلت توبتهما والحجه لذلك
قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا فدل انه كان ينفعهم ايمانهم

قبل

قبل نزول العذاب فكذلك هنا   واما ساحر الذمه
فقيل يقتل وقال ملك لا يقتل الا ان قتل بسحره ويضمن ما جنا ويقتل ان جا
منه مالم يعاهد عليه وقال بن خويزمنداد فاما اذا كان ذميا فقد اختلفت
الروايه عن ملك فقال مره يستتاب وتوبته الاسلام وقال مره يقتل
وان اسلم فاما الحربي فلا يقتل اذا تاب ولذلك قال ملك في ذمي سب النبي
صلى الله عليه وسلم يستتاب وتوبته الاسلام وقال مره يقتل ولا يستتاب
كالمسلم وقال ملك ايضا في الذمي اذا سحر يعاقب الا ان يكون قتل بسحره او احدث
حدثا فيوخذ منه بقدره وقال غيره يقتل لانه قد نقض العهد ولا
يرث الساحر ورثته لانه كافر الا ان يكون سحره لا يسمى كفرا وقال
ملك في المراة تعقد زوجها عن نفسها او عن غيرها تنكل ولا تقتل
واختلفوا هل يسال الساحر حل السحر عن المسحور فاجازه
سعيد بن المسيب على ما ذكر البخاري واليه مال المزني وكرهه الحسن
البصري وقال الشعبي لا باس بالنشره قال بن بطال في شرح البخاري
له وفي كتاب وهب بن منبه ان ياخذ سبع ورقات من سدر اخضر
فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالما ويقرا فيه ايه الكرسي ثم يحسوا منه
ثلاث حسوات ويغتسل به فانه يذهب عنه كل ما به ان شا الله وهو
جيد للرجل اذا حبس عن اهله   انكر معظم المعتزله الشيا
والجن وذلك دال على قله مبالاتهم وركاكه ديانتهم وليس في اثباتهم
مستحيل عقلي وقد دلت النصوص من الكتاب والسنه على اثباتهم وحق
على اللبيب المعتصم بحبل الدين ان يثبت ما قضى العقل بجوازه ونص الشرع
على ثبوته قال الله تعالى ولكن الشياطين كفروا وقال ومن الشياطين من

ن

طين

يغوصون له الى غير ذلك من الاي وسورة الجن تقضي بذلك وكذلك
سورة سبا وقال عليه السلام ان الشياطين تجري من ابن ادم مجرى الدم خرجه
مسلم وقد انكر هذا الخبر كثير من الناس وقالوا وكيف يجتمع في العقل لا
يحيل سلوكهم في الانس اذ كانت اجسادهم رقيقة بسيطة على ما يقوله بعض
الناس بل اكثرهم ولو كانوا كثافا يصح ذلك منهم كما يصح دخول الطعام
والشراب في الفراغ من الجسم وكذلك الديدان قد تكون في بني ادم
وهي احيا قوله تعالى وما انزل على الملكين ما نفي والواو للعطف
على قوله وما كفر سليمن وذلك ان اليهود قالوا ان الله عز وجل انزل جبريل وميكائيل
بالسحر فنفى الله ذلك وفي الكلام تقديم وتاخير التقدير وما كفر سليمن وما انزل
على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت
فهاروت وماروت بدل من الشياطين في قوله ولكن الشياطين كفروا هذا اولى
ما حملت عليه الاية من التاويل واصح ما قيل فيها ولا يلتفت الى ما سواه فالسحر
من استخراج الشياطين للطافة جوهرهم ودقة افهامهم واكثر ما يتعاطاه
من الانس النسا وخاصة في حال طمثهن قال الله تعالى ومن شر النفاثات في
العقد وقال الشاعر اعوذ بربي من النافثات ان قال قايل
كيف يكون اثنان بدلا من جمع والبدل انما يكون على حد المبدل منه
فالجواب من وجوه ثلاثة الاول ان الاثنين قد يطلق عليهما اسم الجمع كما
قال تعالى فان كان له اخوة فلامه السدس ولا يحجبها عن الثلث الى السدس الا
الاثنان من الاخوة فصاعدا على ما ياتي بيانه في النسا الثاني انهما لما كانا الراس
في التعلم نص عليهما دون اتباعهما كما قال عليها تسعة عشر على ما ياتي
الثالث انما خصا بالذكر من بينهم لتمردهما وعتوهما كما قال فيهما قتادة

ونخل ورمان وقوله وجبريل وميكال وهذا كثير في القران وفي كلام العرب
فقد يخص بالذكر على بعض اشخاص العموم اما لشرفه وفضله كقوله ان اولى
الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي وقوله وجبريل وميكال واما
لطيبه وجودته كقوله فاكهة ونخل ورمان واما لاكثريته كقوله عليه
السلام جعلت لي الارض مسجدا وتربتها طهورا واما لتمرده وعتوه كما
في هذه الايه والله اعلم وقد قيل انما عطف على السحر وما مفعوله فعلى هذا
يكون ما بمعنى الذي ويكون السحر منزلا على الملكين فتنة للناس وامتحانا
والله سبحانه ان يمتحن عباده بما شا كما امتحن بنهر طالوت ولهذا يقول
الملكان انما نحن فتنة اي محنة من الله نخبرك ان عمل السحر كفر فان اطعتنا
نجوت وان عصيتنا هلكت وقد روى عن علي وبن مسعود وبن عباس
وبن عمر وكعب الاحبار والسدي والكلبي وغيرهم ما معناه انه لما كثر
الفساد من اولاد ادم عليه السلام وذلك في زمن ادريس عليه السلام
عيرتهم الملايكه فقال الله تعالى اما انكم لو كنتم مكانهم وركبت فيكم ما
ركبت فيهم لعملتم مثل اعمالهم فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ذلك فاختاروا
ملكين من خياركم فاختاروا هاروت وماروت فانزلهما الله الى الارض
فركب فيهما الشهوه فما مر بهما شهر حتى فتنا بامراة اسمها بالقبطيه بيدخت
وبالفارسيه ناهيد وبالعربيه الزهره اختصمت اليهما وراوداها
عن نفسها فابت الا ان يدخلا في دينها ويشربا الخمر ويقتلا النفس التي حرم الله
فاجاباها وشربا الخمر والماها فراهما رجل فقتلاه وسالتهما عن الاسم الذي
تصعدان به الى السما فعلماها فتكلمت به فعرجت فمسخت كوكبا وقال سالم
عن ابيه عبد الله فحدثني كعب الحبر انهما لم يستكملا يومهما حتى عملا بما حرم

الله عليهما و في غير هذا الحديث خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الاخره
فاختارا عذاب الدنيا فهما يعذبان ببابل في سرب من الارض قيل بابل
العراق وقيل بابل نهاوند وكان ابن عمر فيما يروى عن عطا انه كان اذا راى
الزهره وسهيلا سبهما وشتمهما ويقول ان سهيلا كان عشارا باليمن يظلم
الناس وان الزهره كانت صاحبة هاروت وماروت وروي عن علي نحو
هذا وروى الربيع عن انس عن قيس بن عباد عن ابن عباس في قوله عز وجل وما
انزل على الملكين ببابل هاروت قال ان الناس بعد ادم وقعوا في الشرك واتخذوا
هذه الاصنام وعبدوا غير الله تعالى فجعلت الملايكه يدعون عليهم ويقولون
ربنا خلقت عبادك واحسنت خلقهم ورزقتهم فاحسنت رزقهم فعصوك
وعبدوا غيرك فقال لهم الرب اختاروا منكم اثنين فاهبطهما الى الارض
فامرهما وانهاهما فاختاروا هاروت وماروت فاهبطا الى الارض
فامرهما ونهاهما عن الزنا وقتل النفس وشرب الخمر فمكثا زمانا يحكمان في الارض
بالحق وفي ذلك الزمان امراة كانت فضلت بالحسن على ساير النسوان فاتياها
فخضعا لها بالقول وارادها على نفسها فقالت لا حتى تصليا لهذا الصنم فقالا
هذا امر عظيم هذا كفر بالله فابيا ثم غبرا زمانا فاتياها فخضعا لها
بالقول فقالت لا حتى تصليا لهذا الصنم او تقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا
اهون الثلاثه شرب الخمر فشربا الخمر فلما شربا فعلا بالمراة وقتلا النفس
فكشف الغطا فيما بينهما وبين الملايكه فنظروا اليهما وما يعملان فخجلت الملايكه
بعد ذلك يعذرون اهل الارض ويستغفرون لمن في الارض وقال
بعضهم هذا لا يصح لان ذلك الكوكب كان في الاصل خلقه حين خلق
النجوم وجعل مقادير الاشيا على سبع من الكواكب وجعل لكل كوكب سلطانا

وجعل

وجعل سلطان الزهرة الرطوبة وقال بعضهم ان كوكب الزهرة قد كان
ولكن الله مسخ هذه المراة على شبه كوكب وهي تعذب هناك وقال بعضهم
قد صارت الى النار كما سائر الاشيا التي مسخت لم يبق منها اثر قلت ما
ذكر من النقل كله ضعيف وبعيد عن ابن عمر وغيره لا يصح منه شي فانه قول
تدفعه الاصول في الملايكة الذين هم امنا الله على وحيه وسفراه الى
رسله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون بل عباد مكرمون
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يسبحون الليل والنهار لا
يفترون واما العقل فلا ينكر وقوع المعصية من الملايكة ويوجد
خلاف ما كلفوه ويخلق فيهم الشهوات اذ في قدرة الله تعالى ما يوهم
ومن هذا خوف الانبيا والاوليا الفضلا العلما لكن وقوع هذا الجائز لا
يدرك الا بالسمع ولم يصح ومما يدل على عدم صحته ثنا الله على الملايكة
ثنا عاما لم يستثن منهم احدا كما ذكرنا وانه سبحانه خلق النجوم وهذه
الكواكب حين خلق السما ففي الخبر ان السما لما خلقت خلق فيها سبعة دوا
زحل والمشتري وبهرام وعطارد والزهرة والشمس والقمر والقمر
وهذا معنى قول الله تعالى كل في فلك يسبحون فيثبت بهذا ان الزهرة
وسهيلا وغيرهما قد كانا قبل خلق ادم ثم ان قول الملايكة ما كان ينبغي
لنا غوره لا يقدر على فتنتنا وهذا كفر نعوذ بالله منه ومن نسبته الى
الملايكة الكرام صلوات الله عليهم وقد نزهناهم وهم المنزهون عن كل ما
نقله المفسرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وقرا ابن عباس وابن ابزى والضحاك
والحسن الملكين بكسر اللام قال ابن ابزى هما داود وسليمن فما على هذا القول
ايضا نافية وضعف هذا القول ابن العربي وقال الحسن هما علجان كانا ببابل

ملكين بناء على هذا القول مفعول له غير نافيه قلت وهذه القراة عن ابن
عباس تومن الخبر عنه وعن غيره وانهما لم يكونا ملكين وانما كانا ملكين في بني
اسرايل مسخهما الله والله اعلم ا ببابل بابل لا ينصرف
للتانيث والتعريف والعجمة وهي قطر من الارض قبل العراق وما والاه
وقال ابن مسعود لاهل الكوفة انتم بين الحيرة وبابل وقال قتاده هي من
نصيبين الى راس العين وقال قوم هي بالعرب قال ابن عطيه وهذا ضعيف
وقال قوم هو جبل نهاوند فالله اعلم واختلف في تسميته ببابل فقيل سمي
بذلك لتبلبل الالسن بها حين سقط صرح نمرود وقيل سمي بذلك لان الله
تعالى لما اراد ان يخالف بين الالسنة بني ادم بعث ريحا فحشرتهم من
الافاق الى بابل فبلبل الله بها بين السنتهم ثم فرقتهم تلك الريح في البلاد
والبلبلة التفريق قاله معناه الخليل وقال ابو عمر بن عبد البر من اخصر
ما قيل في البلبلة واحسنه ما رواه داود بن ابي هند عن علبا بن احمر عن
عكرمة عن ابن عباس ان نوحا عليه السلام لما هبط الى اسفل الجودي ابتنى
قرية وسماها ثمانين فاصبح ذات يوم وقد تبلبلت السنتهم على ثمانين لغة
احدها اللسان العربي وكان لا يفهم بعضهم من بعض

روى عبد الله بن بشر المازني قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتقوا الدنيا فوالذي نفسي بيده انها لاسحر من هاروت وماروت
قال علماونا انما كانت الدنيا اسحر منهما لانها تسحرك بخدعها وتكتمك
فتنتها فتدعوك الى التحارص عليها والتنافس فيها والجمع لها والمنع حتى تفرق
بين طاعة الله وتفرق بينك وبين روية الحق ورعايته فالدنيا اسحر منهما
تاخذ بقلبك عن الله وعن القيام بحقوقه وعن وعده ووعيده وسحر الدنيا

محبتها

محنتها وتلذذك بشهواتها وتمنيك بامانيها الكاذبة حتى تاخذ بقلبك ولهذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشي يعمي ويصم

قوله تعالى هاروت وماروت لا ينصرف هاروت لانه اعجمي معرفة وكذا ماروت والجمع هوارت وموارت مثل طواغيت ويقال هوارته وهوار وموارته ومواد ومثله جالوت وطالوت

قوله تعالى وما يعلمان من احد من زايده للتوكيد والتقدير وما يعلمان احدا حتى يقولا نصب حتى فلذلك حذفت منه النون ولغة هذيل وثقيف عتى بالعين غير المعجمة والضمير في يعلمان لهاروت وماروت وفي يعلمان قولان احدهما انه على بابه من التعليم الثاني انه من الاعلام لا من التعليم فيعلمان بمعنى يعلمان قال الزجاج روى عن علي رضي الله عنه انه قال اي والذي على الملكين وان الملكين يعلمان الناس تعليم انذار من السحر لا تعليم دعا اليه قال الزجاج وهذا القول الذي عليه اكثر اهل اللغة والنظر ومعناه انهما يعلمان الناس على النهي فيقولان لا تفعلوا كذا ولا تحتالوا ابذلك لتفرقوا بين المرء وزوجه والذي انزل عليهما هو النهي كانه قولا للناس لا تعلموا كذا فيعلمان بمعنى يعلمان كما قال تعالى ولقد كرمنا بني ادم اي اكرمنا وقد جا في كلام العرب يعلم بمعنى اعلم ذكره بن الاعرابي وبن الانباري قال كعب بن ملك تعلم رسول الله انك مدركي وان وعيدا منك كالاخذ باليد وقال القطامي تعلم ان بعد الغي رشدا وان لذلك الغي انقطاعا وقال زهير تعلمن ها لعمر الله ذا قسما فاقد ربذرعك وانظر اين تنسلك وقال اخر تعلم انه لا طير الا على

منظر وهو التنور   قوله تعالى انما نحن فتنه فلا تكفر قال
بعضهم ان ابليس جا بالسحر فوضعه عند قدامهما وهما معلقان بالسلسله فذهب
اليهود فتعلم السحر من ذلك الحجاب والملكان يقولان انما نحن فتنه فلا تكفر يعني
لا تتعلم السحر لانه لا يجوز للملكين ان يعلما الكفر وقال بعضهم نبيا ان عمل
السحر كفر فنهيا عن التعليم وقال السدي كانا يقولان لمن جاهما انما نحن فتنه
فلا تكفر فان ابى ان يرجع قالا له ايت هذا الرماد فبل فيه فاذا بال فيه خرج
منه نور يسطع الى السما وهو الايمان ثم يخرج منه دخان اسود فيدخل
في اذنيه وهو الكفر فاذا اخبرهما بما يراه من ذلك علماه
قوله تعالى انما نحن فتنه لما انبا ابفتنتهما كانت الدنيا اسحر منهما حين كتمت
فتنتها على ما بيناه ومعنى فلا تكفر اي لا تتعلم السحر في قول فرقه من العلما
وقالت فرقه باستعماله وحكى المهدوي انه استهزا لانهما انما يقولانه
لمن قد تحققا ضلاله   قوله تعالى فيتعلمون منهما قال
سيبويه التقدير فهم يتعلمون قال ومثله كن فيكون على ما ياتي وقيل هو
معطوف على موضع ما يعلمان لان قوله وما يعلمان وان دخلت ما النافيه
فتضمنه الايجاب في التعليم وقال الفرا هي مردوده على قوله يعلمون
الناس فيتعلمون ويكون فيتعلمون متصله بقوله انما نحن فتنه فياتون
فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه   ذهبت طايفه
من العلما الى ان الساحر ليس يقدر على اكثر مما اخبر الله عنه من التفرقه لان الله
تعالى ذكر ذلك في معرض الذم للسحر والغايه في تعليمه فلو كان يقدر على
اكثر من ذلك لذكره وقالت طايفه ذلك خرج على الاغلب ولا ينكر ان
السحر له تاثير في القلوب بالحب والبغض وبالقا الشرور حتى يفرق الساحر

بين

بين المرء وجه ويحول بين المرء وقلبه وذلك بادخال الالام وعظم الاسقام
وكل ذلك مدرك بالمشاهدة وانكاره معاندة وقد سحر النبي عليه السلام
حتى كان يخيل اليه انه ياتي النسا وما ياتيهن وسياتي

قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ما هم اشارة الى السحرة وقيل الى
اليهود وقيل الى الشياطين بضارين به اي بالسحر من احد اي احدا ومن زايدة الا باذن
الله اي بارادته وقضايه لا بامره لانه تعالى لا يامر بالفحشا ويقضي على الخلق
بها وقال الزجاج الا باذن الله الا بعلم الله النحاس وقول ابي اسحق الا باذن الله الا
بعلم الله غلط لانه انما يقال في العلم اذن وقد اذنت اذنا ولكن لما لم يحل فيما
بينهم وبينه وخلوا يفعلونه كان كانه اباحه مجازا

قوله تعالى ويتعلمون ما يضرهم يريد في الاخرة وان اخذوا به نفعا قليلا في
الدنيا وقيل يضرهم في الدنيا لان ضرر السحر والتفريق يعود على الساحر
في الدنيا اذا عثر عليه لانه يودب ويزجر ويلحقه شوم السحر

قوله تعالى ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق

اللام في ولقد علموا لام توكيد لمن اشتراه لام يمين وهي للتوكيد ايضا وموضع
من رفع بالابتدا لانه لا يعمل فيما قبل اللام فيما بعدها ومن بمعنى الذى
وقال الفرا هي للجازاة الزجاج ليس هذا بموضع شرط ومن بمعنى الذى
تقول لقد علمت لمن جاك ما له عقل من خلاق من زايدة والتقدير ما له
في الاخرة خلاق ولا تزاد في الواجب هذا قول البصريين وقال الكوفيو
ن تكون زايدة في الواجب واستدلوا بقوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم والخلاق
النصيب قاله مجاهد الزجاج وكذلك هو عند اهل اللغة الا انه لا يكاد
يستعمل الا للنصيب من الخير يقال كيف قال تعالى

ف

ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الاخره من خلاق فاخبر انهم قد علموا ثم قال ولبيس ما
شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون فاخبر انهم لا يعلمون والجواب وهو قول قطرب
والاخفش ان يكون الذين يعلمون الشياطين والذين شروا انفسهم اي باعوها هم
الانس الذين لا يعلمون قال الزجاج وقال علي بن سليمن الاجود عندي ان يكون
ولقد علموا للملكين لانهما اولى بان يعلموا وقال علموا كما يقال الزيدان قاموا
وقال الزجاج علموا علما اليهود ولكن قيل لو كانوا يعلمون اي قد حلوا في محل
من يقال له لست بعالم لانهم تركوا العمل بعلمهم وكل عالم لا يعمل فليس بعالم لانه
تعلم العلم لكي ينتفع به فاذا لم ينتفع به فكانه لم يعلم ولذلك ها هنا لو كانوا
يعلمون يعني لو كانوا يوفون للعلم حقه   قوله تعالى ولو انهم
امنوا واتقوا اي اتقوا السحر لمثوبه المثوبه الثواب وهي جواب ولو انهم امنوا
عند قوم وقال الاخفش ليس للو هنا جواب في اللفظ ولكن في المعنى والمعنى
لاثيبوا وموضع ان من قوله ولو انهم موضع رفع اي لو وقع ايمانهم لان لو لا
يليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا لانها بمنزله حرف الشرط اذ كان لا بد له
من جواب وان يليه فعل قال المبرد وانما لم يجاز بلو لان سبيل حروف المجازاه
كلها ان تقلب الماضي الى معنى المستقبل فلما لم يكن هذا في لو لم يجز ان يجازا بها
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا
وللكافرين عذاب اليم فيه خمس مسايل   قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
تقدم القول فيه لا تقولوا راعنا ذكر اشيا اخر من جهالات اليهود والمقصود
نهي المسلمين عن مثل ذلك وحقيقه راعنا في اللغه ارعنا ولنرعك لان المفاعله
من اثنين فتكون من راك الله اي احفظنا ولنحفظك وارقبنا ولنرقبك ويجوز
ان يكون من ارعنا سمعك لكلامنا وفي المخاطبه بهذا جفا فامر المومنون

ان

ان يتخيروا من الالفاظ احسنها ومن المعاني ارقها قال ابن عباس كان المسلمون
يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا على جهة الطلب والرغبه من المراعاه
اي التفت الينا وكان هذا بلسان اليهود سبا اي اسمع لا سمعت فاغتنموها
وقالوا كنا نسبه سرا فالان نسبه جهرا فكانوا يخاطبون بها النبي صلى الله عليه
وسلم ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ وكان يعرف لغتهم فقال
لليهود عليكم لعنة الله لان سمعتها من رجل منكم يقولها للنبي صلى الله عليه
وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت الايه ونهوا عنها لان لا يقتدى
بها اليهود في اللفظ وتقصد المعنى الفاسد فيه قال العلما في هذه الايه
دليلان احدهما على تجنب الالفاظ المحتمله التي فيها التعريض للتنقيص والغض
ويخرج من هذا فهم القذف بالتعريض وذلك يوجب الحد عندنا خلافا
فا
لابي حنيفه والشافعي واصحابهما حين قالوا التعريض محتمل للقذف وغيره والحد
مما يسقط بالشبهه وسياتي في النور بيان هذا ان شا الله تعالى الدليل الثاني
التمسك بسد الذرايع وحمايتها وهو مذهب مالك واصحابه واحمد
بن حنبل في روايه عنه وقد دل على هذا الاصل الكتاب والسنه والذريعه
عبارة عن امر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع اما
الكتاب فهذه الايه ووجه التمسك بها ان اليهود كانوا يقولون ذلك وهي
سب بلغتهم كما بينا فلما علم الله تعالى ذلك منهم منع من اطلاق ذلك اللفظ
لانه ذريعه للسب وقوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
فيسبوا الله عدوا بغير علم فمنع من سب الهتهم مخافة مقابلتهم بذلك
وقوله تعالى وسلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الايه فحرم عليهم
تبارك وتعالى الصيد في يوم فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت

شرعا اي ظاهره فسد وا عليها يوم السبت واحد وها يوم الاحد
وبان السد د ذريعة للاصطياد فمسخهم الله قردة وخنازير وقد ذكر الله تعالى
لنا ذلك في معرض التحذير عن ذلك وقوله تعالى لادم وحوى ولا تقربا هذه
الشجرة وقد تقدم واما السنة فاحاديث كثيرة ثابتة صحيحة منها حديث
عايشة ان ام سلمة وام حبيبة ذكرتا كنيسة راتاها بالحبشة فيها تماثيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اوليك
اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك
الصور اوليك شرار الخلق عند الله اخرجه البخاري ومسلم فعل ذلك
اوايلهم ليتانسوا بتلك الصور ويتذكروا احوالهم الصالحة فيجتهدون
كاجتهادهم ويعبدون الله عز وجل عند قبورهم فمضت بذلك ازمان
ثم انهم خلف من بعدهم خلف وجهلوا اغراضهم ووسوس لهم الشيطان
ان اباكم واجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها فحذر النبي صلى
الله عليه وسلم عن مثل ذلك وشدد النكير والوعيد على من فعل ذلك وسد الذرايع
المودية الى ذلك فقال اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيايهم وصالحيهم
مساجد وقال اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وروى مسلم عن النعمان بن بشير قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات
فمن اتقى الشبهات استبرا لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي
يرعى حول الحمى يوشك ان يقع في المحرمات وذلك سد للذريعة وقال صلى الله
عليه وسلم لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا مما به
الباس وقال صلى الله عليه وسلم ان من الكباير شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله
وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب

امه

انه خرجه مسلم فجعل عليه السلام التعرض لسب الابا كسب الابا وقال
صلى الله عليه وسلم اذا تبايعتم بالعينه واخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع
وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه منكم حتى يرجعوا الى دينكم خرجه
ابو داود وغيره قال ابو عبيد الهروي في غريبه العينه هي ان يبيع رجل
من رجل سلعه بثمن معلوم الى اجل مسمى ثم يشتريها منه باقل من الثمن الذي
باعها به قال فان اشترى بحضرة طالب العينه سلعة من اخر بثمن معلوم وقبضها
ثم باعها من طالب العينه بثمن اكثر مما اشتراه الى اجل مسمى ثم باعها المشتري
من البايع الاول بالنقد باقل من الثمن فهذه ايضا عينه وهي اهون من الاول
وهي جايزه عند بعضهم وسميت عينه لحصول النقد لصاحب العينه وذلك
ان العين هو المال الحاضر والمشتري انما يشتريها ليبيعها بعين حاضر يصل اليه
من فوره وروى ابن وهب عن مالك ان ام ولد لزيد بن ارقم ذكرت
لعايشه انها باعت من زيد عبدا بثمانماية درهم الى العطا ثم ابتاعته منه بست
ماية نقدا فقالت عايشه بيس ما شريت وبيس ما اشتريت ابلغي زيدا
انه قد ابطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم يتب ومثل
هذا لا يقال بالراي لان ابطال الاعمال لا يتوصل الى معرفتها الا بالوحي
فثبت انه مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال عمر بن الخطاب رضي
الله عنه دعوا الربا والريبه وقال ابن عباس عن دراهم بدراهم بينهما
حريره قلت فهذه الادله التي جعلها علماونا على سد الذرايع وعليه بنى
المالكيه الاجال وغيره من المسايل في البيوع وغيرها وليس عند الشافعيه
كتاب الاجال لان ذلك عندهم عقود مختلفه مستقله قالوا واصل
الاشيا على الظواهر لا على الظنون والمالكيه جعلوا السلعه محلله ليتوصلا

بما لي د داهم باكثر منها قالوا وهذا هو الربا بعينه فاعلمه قوله
تعالى لا تقولوا راعنا نهي يقتضي التحريم على ما تقدم وقرا الحسن راعنا منونا
وقال اي هجرا وهو مصدر ونصبه بالقول اي لا تقولوا رعونة وقرا زر بن
حبيش والاعمش راعونا يقال لما نتا من الجبل رعن والجبل ارعن وجيش ارعن اي
متفرق وكذا رجل ارعن اي متفرق الحجج ليس عقله مجتمعا عن النحاس وقال
بن فارس رعن الرجل يرعن رعنا فهو ارعن اي اهوج والمراة رعنا وسميت البصرة
رعنا لانها تشبه برعن الجبال قال بن دريد ذلك وانشد الفرزدق لولا
لا بن عيينه والرجاله ما كانت البصرة الرعنا لي وطنا قوله تعالى وقولوا
امروا ان يخاطبوه صلى الله عليه وسلم بالاجلال والمعنى اقبل علينا انظر فحذف حرف التعديه
كما قال الشاعر ظاهرات الجمال والحسن ينظرن كما ينظر الاراك الظباء اي الى
الاراك وقال مجاهد المعنى فهمنا وبين لنا وقيل المعنى انتظرنا وتانا بنا قال فانكما ان
تنظراني ساعة من الدهر تنفعني لدى ام جندب والظاهر انه استدعى نظر العين
المقترن بتدبر الحال وهذا هو معنى راعنا فبدلت اللفظة للمومنين وزال
تعلق اليهود وقرا الاعمش وغيره انظرنا بقطع الالف وكسر الظا بمعنى اخرنا
وامهلنا حتى نفهم عنك ونتلقى منك قال الشاعر ابا هند فلا تعجل علينا وانظر
نا نخبرك اليقينا قوله تعالى واسمعوا لما نهي وامر حض على
السمع الذي في ضمنه الطاعة حسب ما تقدم بيانه عند قوله واسمعوا
قالوا سمعنا وعصينا ثم اعلم ان لمن خالف امره فكفر عذابا اليما
تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير
من ربكم والله يختص برحمته من يشا والله ذو الفضل العظيم ما يود اي ما يتمنى
وقد تقدم الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين معطوف على اهل

ويجوز

ويجوز ولا المشركين يعطفه على الذين قاله النحاس ان ينزل عليكم خير من
ربكم ويكون خيرا اسم ما لم يسم فاعله التقدير ان ينزل عليكم اى باعلا بشيء
من الوحي وشرايع الاسلام ولا نصرنا نواهانا فاحبوا ان يكون الناس كلهم
كفارا مثلهم وهذا كما قال في ايه اخرى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون
سوا فاخبر الله تعالى ان الامر ليس على مرادهم فقال والله يختص برحمته
من يشا وان في موضع نصب اى بان ينزل والله يختص برحمته من يشا قال
على بن ابي طالب يختص برحمته اى بنبوته خص بها محمد صلى الله عليه وسلم
وقال قوم الرحمة القران وقيل الرحمة في هذه الاية عامة لجميع انواعها
التي قد منحها الله عباده قديما وحديثا يقال رحم يرحم اذا رق
والرحم والرحمة والمرحمة بمعنى قاله ابن فارس ورحمت الله لعباده انعامه
عليهم وعفوه لهم والله ذو الفضل العظيم ذو بمعنى صاحب وتكون
بمعنى الذى في لغة طي كما قال وبيري ذو حفرت وذو طويت
والمعنى في الاية ذو المن العظيم لمن اختصه بالنبوة والاسلام

تعالى ما ننسخ من اية او ننساها نات بخير منها او مثلها فيه اربع عشرة مسئله

قوله تعالى ما ننسخ من ايه او ننساها ننساها عطف على ننسخ وحذفت اليا
للجزم ومن قرا ننسها حذفت الضمة من الهمزة للجزم على ما ياتي بيانه نات جواب
الشرط وهذه ايه عظمى في الاحكام وسببها ان اليهود لما حسدوا المسلمين
في التوجه الى الكعبة وطعنوا في الاسلام بذلك وقالوا ان محمدا يامر اصحابه
بشي ثم ينهاهم عنه فما كان هذا القران الا من جهته ولهذا يناقض بعضه بعضا
فانزل الله تعالى واذا بدلنا اية مكان اية وانزل ما ننسخ من اية
معرفة هذا الباب اكيد وفائدته عظيمة لا يستغنى عن معرفته العلما ولا ينكره

الا الجهلة الاغبيا لما يترتب عليه من النوازل في الاحكام ومعرفة الحلال من
الحرام وللعلما فيه كتب كثيرة لابي عبيد القاسم بن سلام والمحاسبي والنحاس
ومكي وغيرهم رضي الله عنهم روى ابو البختري قال دخل علي رضي الله عنه المسجد
فاذا رجل يخوف الناس فقال ما هذا قالوا رجل يذكر الناس فقال ليس برجل يذكر
الناس لكنه يقول انا فلان بن فلان فاعرفوني فارسل اليه فقال تعرف الناسخ من
المنسوخ فقال لا قال فاخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه وفي رواية اخرى اعلمت
الناسخ والمنسوخ قال لا قال هلكت واهلكت ومثله عن ابن عباس
النسخ في كلام العرب على وجهين احدهما النقل كنقل كتاب من اخر وعلى هذا يكون
القران كله منسوخا اعني من اللوح المحفوظ وانزاله الى بيت العزة في سما الدنيا
وهذا لا مدخل له في هذه الايه ومنه قوله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي
نامر بنسخه واثباته الثاني الابطال والازاله وهو المقصود هنا وهو منقسم
في اللغه على ضربين احدهما ابطال الشي وزواله واقامه اخر مقامه ومنه نسخت
الشمس الظل اذا اذهبته وحلت محله وهو معنى قوله تعالى ما ننسخ من ايه او ننسها
نات بخير منها وفي صحيح مسلم لم تكن نبوه قط الا تناسخت اي تحولت من حال الى
حال يعني امر الامه قال ابن فارس النسخ نسخ الكتاب والنسخ ان تزيل امرا كان
من قبل يعمل به ثم تنسخه بحادث غيره كالاية تنزل بامر ثم تنسخ باخرى وكل
شي خلف شيا فقد انتسخه يقال انتسخت الشمس الظل والشيب الشباب
وتناسخ الورثه ان تموت ورثه بعد ورثه واصل الميراث قايم لم يقسم وكذلك
تناسخ الازمنه والقرون الثاني ازالة الشي دون ان يقوم اخر مقامه كقولهم
نسخت الريح الاثر ومن هذا المعنى قوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي
يزيله فلا يتلى ولا يثبت في المصحف بدله وزعم ابو عبيد ان هذا النسخ الثاني

قد

قد كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم السورة فترفع فلا تتلى ولا تكتب قلت
ومنه ما روى عن ابي بن كعب وعايشه رضوان الله عليهما ان سورة الاحزاب
كانت تعدل سورة البقرة في الطول على ما ياتي مبينا هناك ان شا الله تعالى
ومما يدل على هذا ايضا ما ذكر ابو بكر الانباري قال حدثنا ابي نا نصر بن داود
نا ابو عبيد نا عبد الله بن صالح عن الليث عن يونس وعقيل عن ابن شهاب قال
حدثني ابو امامه بن سهل بن حنيف في مجلس سعيد بن المسيب ان رجلا قام
من الليل ليقرا سورة من القران فلم يقدر على شي منها وقام اخر فلم يقدر على شي
منها وقام اخر فلم يقدر على شي منها فغدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال احدهم قمت الليله يا رسول الله لاقرا سورة من القران فلم اقدر على شي
منها فقام الاخر فقال وانا والله كذلك يا رسول الله وقام الاخر فقال وانا
والله كذلك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها مما نسخ الله
البارحه وفي احدى الروايات وسعيد بن المسيب يسمع ما حدث به
ابو امامه فلم ينكر   انكرت طوايف من المنتمين للاسلام
المتاخرين جوازه وهم محجوجون باجماع السلف على وقوعه في الشريعه
وانكرته ايضا طوايف من اليهود وهم محجوجون بما جا في توراتهم
بزعمهم ان الله تعالى قال لنوح عليه السلام عند خروجه من
السفينه اني قد جعلت كل دابه ماكلا لك ولذريتك واطلقت
ذلك لكم كنبات العشب ما خلا الدم فلا تاكلوه ثم قد حرم على موسى
وعلى بني اسرايل كثيرا من الحيوان وبما كان ادم عليه السلام يزوج
الاخ من الاخت وقد حرم تعالى ذلك على موسى وعلى غيره وبان ابرهيم
الخليل عليه السلام امر بذبح ابنه ثم قال له لا تذبحه وبان

موسى امر بني اسرايل ان يقتلوا من عبد منهم العجل ثم امرهم برفع
السيف عنهم وبان توبته غير متعبد قبل بعثه لم يعتد بها بعد
ذلك الى غير ذلك وليس هذا من باب البدا بل هو نقل العباد من عبادة
الى عبادة وحكم الى حكم لضرب من المصلحة واظهار الحكمة وكمال قدرته
ولا خلاف بين العقلا ان شرايع الانبيا قصد بها مصالح الخلق الدينية
والدنيوية وانما كان يلزم البدا لو لم يكن عالما بمال الامور واما العالم
لم يدرك فانما يتبدل خطاباته بحسب تبدل المصالح كالطبيب
المراعي احوال العليل فراعى ذلك في خليقته بمشيته وارادته لا
اله الا هو وخطابه يتبدل وعلمه وارادته لا تتغير فان ذلك محال
في حقه الله تعالى وجعلت اليهود النسخ والبدا شيا واحدا ولذلك
لم يجوزوه فضلوا فاما الناسخ والفرق بين النسخ والبدا تحويل العبادة
من شي الى شي قد كان حلالا فيحرم او كان حراما فيحلل واما البدا
فهو ترك ما عزم عليه كقولك امض الى فلان اليوم ثم تقول لا تمض اليه
فيبدو لك عن القول الاول وهذا يلحق البشر لنقصانهم وكذلك
ان قلت ازرع كذا في هذه السنة ثم قلت لا تفعل فهذا البدا

اعلم ان الناسخ على الحقيقة هو الله تعالى ويسمى الخطاب
الشرعي ناسخا تجوزا اذ به يقع النسخ كما قد تجوز فسمي المحكوم فيه
ناسخا فيقال صوم رمضان ناسخ لصوم عاشورا فالمنسوخ هو المزال
والمنسوخ عنه هو المتعبد بالعبادة المزالة وهو المكلف

اختلفت عبارات ائمتنا في حد الناسخ فالذي عليه الحذاق من اهل
السنة انه ازالة ما قد استقر من الحكم الشرعي بخطاب وارد متراخيا

هذا

هكذا حده القاضي عبد الوهاب والقاضي ابو بكر وزاد لولاه
لكان السابق ثابتا حافظا على معنى النسخ اللغوي اذ هو بمعنى الرفع والازالة
وعبر من الحكم العقلي وذكر الخطاب ليعم وجوه الدلالة من النص والظاهر
والمفهوم وغيره وليخرج القياس والاجماع اذ لا يتصور النسخ فيهما ولا بهما
وقيدنا بالتراخي لانه لو اتصل به لكان بيانا لغاية الحكم لا نسخا او يكون اخر
الكلام يرفع اوله كقوله قم لا تقم   اختلف علماونا في الاخبار هل
يدخلها النسخ فالجمهور على ان النسخ انما هو مختص بالاوامر والنواهي والخبر لا
يدخله النسخ لاستحالة الكذب على الله تعالى وقيل الخبر اذا تضمن حكما شرعيا
جاز نسخه كقوله تعالى ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله وقوله
تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وهناك
ياتي القول فيه ان شا الله تعالى   التخصيص من العموم يوهم انه نسخ
وليس به لان المخصص لم يتناوله العموم قط ولو ثبت تناول العموم لشي ما ثم
اخرج ذلك الشي عن العموم لكان نسخا لا تخصيصا والمتقدمون يطلقون على التخصيص
نسخا توسعا ومجازا   اعلم انه قد يرد في الشرع اخبار ظاهرها
الاطلاق والاستغراق ويرد تقييدها في موضع فيرتفع ذلك الاطلاق
كقوله تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا
دعان فهذا الحكم ظاهره خبر عن اجابة كل داع على كل حال لكن قد جا ما قيده
في موضع اخر كقوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شا فقد يظن من لا
بصيرة له ان هذا من باب النسخ والاخبار وليس كذلك بل هو من باب الاطلاق
والتقييد وسياتي لهذه المسالة زيادة بيان في موضعها ان شا الله تعالى
قال علماونا رحمة الله عليهم جائز نسخ الاثقل الى الاخف

كنسخ الثبوت لعشرة بالثبوت لاثنين ونحو نسخ الاخف الى الاثقل كنسخ
يوم عاشورا والايام المعدودات برمضان على ما ياتي بيانه في اية الصيام
وينسخ المثل بمثله ثقلا وخفة كالقبله وينسخ الشي لا الى بدل كصدقة النجوى
وينسخ القران بالقران والسنه بالسنه وهذه العباره يراد بها الخبر المتواتر
القطعي وينسخ خبر الواحد بخبر الواحد وحذاق الايمه على ان القران ينسخ
بالسنه وذلك موجود في قوله عليه السلام لا وصية لوارث وهو ظاهر
مسايل مالك وابى ذلك الشافعي وابو الفرج المالكي والاول اصح بدليل
ان الكل حكم الله تعالى ومن عنده وان اختلفت في الاسما وايضا فان الجلد ساقط
في حد الزنا عن الثيب الذى يرجم ولا مستنبط لذلك الا السنه فعل النبي
صلى الله عليه وسلم وهذا بين والحذاق ايضا على ان السنه تنسخ بالقران
وذلك موجود في القبله فان الصلاه الى الشام لم تكن في كتاب الله وفي
قوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار فان رجوعهن انما كان بصلح النبي صلى الله
لقريش على ما ياتي والحذاق على تجويز نسخ القران بخبر الواحد واختلفوا هل
وقع شرعا فذهب ابو المعالي وغيره الى وقوعه في نازله مسجد قبا على ما
ياتي وابى ذلك قوم ولا يصح نسخ نص بقياس اذ من شروط القياس ان
لا يخالف نصا وهذا كله في مدة النبي صلى الله عليه وسلم واما بعد
موته واستقرار الشريعه فاجمعت الامه انه لا نسخ ولهذا كان الاجماع
لا ينسخ ولا ينسخ به اذ انعقاده بعد انقطاع فاذا وجدنا اجماعا يخالف
نصا فيعلم ان الاجماع استند الى نص ناسخ لا نعلمه نحن وان ذلك النص
المخالف متروك العمل به وان مقتضاه نسخ وبقي سنه يقرا ويروى كما انه
عن السنه في القران يقرا ويتلى فتامل هذا فانه نفيس ويكون من باب

نسخ

نسخ الحكم دون التلاوة ومثله صدقة النجوى وقد نسخ التلاوة دون
الحكم كآية الرجم وقد تنسخ التلاوة والحكم معا ومنه قول الصديق رضي
الله عنه كنا نقرأ لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم ومثله كثير والذي عليه
الحذاق أن من لم يبلغه الناسخ فهو متعبد بالحكم الأول كما يأتي بيانه في
تحويل القبلة والحذاق على جواز نسخ الحكم قبل فعله وهو موجود في قصة
الذبيح وفي فرض خمسين صلاة قبل فعلها بخمس على ما يأتي بيانه في الإسراء والصافات
إن شاء الله تعالى   لمعرفة الناسخ طرق منها أن يكون في اللفظ ما
يدل عليه كقوله عليه السلام كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
ونهيتكم عن الأشربة إلا في ظروف الأدم فاشربوا في كل وعاء غير أن
لا تشربوا مسكرا ونحوه ومنها أن يذكر الراوي التاريخ مثل أن يقول
سمعت عام الخندق وكان المنسوخ معلوما قبله أو يقول نسخ حكم كذا
بكذا ومنها أن تجمع الأمة على حكم أنه منسوخ وأن ناسخه متقدم وهذا
الباب مبسوط في أصول الفقه نبهنا منه على ما فيه لمن اقتصر كفاية والله
الموفق للهداية   قرأ الجمهور ما ننسخ بفتح النون من نسخ وهو
الظاهر المستعمل على معنى ما يرفع من حكم آية ويبقى تلاوتها كما تقدم ويحتمل
أن يكون المعنى ما يرفع من حكم آية وتلاوتها على ما ذكرنا وقرأ ابن عامر ننسخ بضم
النون من أنسخت الكتاب على معنى وجدته منسوخا قال أبو حاتم هو غلط
وقال الفارسي أبو علي ليست لغة لأنه لا يقال نسخ وأنسخ بمعنى إلا أن يكون
المعنى ما نجده منسوخا كما تقول أحمدت الرجل وأبخلته بمعنى وجدته محمودا
وبخيلا قال أبو علي وليس نجده منسوخا إلا بأن ننسخه فتتفق القراءتان في
المعنى وإن اختلفتا في اللفظ وقيل ما ننسخ ما نجعل لك نسخه يقال نسخت

الكتاب اذا اثبته وانسخته غيري اذا جعلت نسخه له قال مكي لا يجوز ان يكون
الهمزة للتعدي لان المعنى يتغير ويصير المعنى ما ننسخك من ايه يا محمد وانساخه
اياها انزالها عليه فيصير المعنى ما ننزل عليك من ايه او ننسكها نات بخير منها او مثلها
فيؤول المعنى الى ان كل ايه انزلت اتي بخير منها فيصير القران كله منسوخا وهذا لا
يمكن لانه لم ينسخ الا اليسير من القران فلما امتنع ان يكون افعل وفعل هنا بمعنى
اذ لم يسمع وامتنع ان يكون الهمزة للتعدي لفساد المعنى لم يبق ممكن الا ان يكون
من باب احمدته واتحلته اذا وجدته محمودا وبخيلا قوله
تعالى او ننساها قرا ابو عمرو وابن كثير بفتح النون والسين والهمزة وبه قرا عمر وابن
ابن عباس وعطا ومجاهد وابي بن كعب وعبيد بن عمير والنخعي وابن محيصن من
التاخير اي نوخره نسخ لفظها اي نتركه في ام الكتاب فلا يكون وهذا قول عطا وقال
غيره معنى او ننساها نوخرها عن النسخ الى وقت معلوم عن قولهم نسات هذا
الامر اذا اخرته ومن ذلك قولهم بعته نسا اذا اخرته قال ابن فارس اللغوي
ويقولون نسا الله في اجلك وانسا الله اجلك وقد انتسا القوم اذا تاخروا وتباعدوا
ونساتهم انا اخرتهم فالمعنى نوخر نزولها او نسخها على ما ذكرنا وقيل نذهبها عنكم
حتى لا تقرا ولا تذكر وقرا الباقون ننسها بضم النون من النسيان الذي بمعنى الترك
اي نتركها فلا نبدلها ولا ننسخها قاله ابن عباس والسدي ومنه قوله تعالى نسوا الله
فنسيهم اي تركوا عبادته فتركهم في العذاب واختار هذه القراءة ابو عبيد وابو
حاتم قال ابو عبيد سمعت ابا نعيم القاري يقول قرات على النبي صلى الله عليه وسلم
في المنام بقراءة ابي عمرو فلم يغير علي الا حرفين قال قرات عليه ارنا فقال ارنا قال ابو عبيد
واحسب الاخر او ننساها فقال او ننسها وحكى الازهري ننسها نامر بتركها يقال انسيته
الشي اي امرت بتركه ونسيته تركته قال الشاعر ان علي عقبة اقضيها لست بناسيها

ولا

ولا منسيها اي ولا امر بتركها وقال الزجاج ان القراءة بضم النون لا يتوجه
فيها معنى الترك لا يقال انسي بمعنى ترك وما روى علي بن ابي طلحة
عن ابن عباس او ننسها قال نتركها لا نبدلها فلا يصح ولعل ابن عباس قال
نتركها فلم يضبط والذي عليه اكثر اهل اللغة والنظر ان معنى او ننسها نبح لكم
تركها من نسي اذا ترك ثم تعدى به قال ابو علي وغيره ذلك متجه لانه
بمعنى نجعلك تتركها وقيل من النسيان على بابه الذي هو عدم الذكر
على معنى او ننسكها يا محمد فلا نذكرها نقل بالهمز فتعدى الى مفعولين
وهما النبي والهاء لكن اسم النبي محذوف   قوله تعالى نات بخير منها
او مثلها لفظة خير هنا صفة تفضيل والمعنى بانفع لكم ايها الناس في عاجل
ان كانت الناسخة اخف وفي اجل ان كانت اثقل وبمثلها ان كانت مستوية
وقال مالك بن انس محكمة مكان منسوخة وقيل ليس المراد باخير التفضيل
لان كلام الله تعالى لا يتفاضل وانما هو مثل قوله تعالى من جا بالحسنة
فله خير منها اي فله منها خير اي نفع واجر لا الخير الذي هو بمعنى الافضل
ويدل على القول الاول او مثلها والله اعلم   تعالى الم تعلم ان
الله على كل شي قدير الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير تنبيه مسئلتان   قوله تعالى الم
تعلم لم حرف جزم تعلم جزم بلم وحروف الاستفهام لا تغير عمل العامل
وفتحت ان لانها في موضع نصب على كل شي قدير تقدم ومعنى هنا من
الناسخ والمنسوخ فهو اعرف بما يصلحهم فيما تعبدهم من ناسخ ومنسوخ
ومتروك وغير متروك وقال اليهود اعداء الله يندون النسخ وكانوا
يقولون حين حولت القبلة الى الكعبة لو كنتم على الحق لم ترجعوا وان كان

هذا الثاني حقا فقد لسم على الباطل و دانوا الاير و ان النسخ في الشرايع لان
ذلك محال و بدا و البدا لا يجوز على الله تعالى وقد تقدم الرد عليهم
وان لله تعالى ان يفعل ما يشا كما ان له ان يخلق الخلق ولم يكونوا ثم يميتهم بعد
ذلك ثم يحييهم لذلك يجوز ان يامر بامر ثم يامر بغيره الا ترى ان شريعه
موسى لم يكن من قبل فامر بذلك والمعنى انه حين امرهم بالامر الاول
كان الصلاح في ذلك الامر ثم اراد امرا بامر اخر كان الصلاح في ذلك
الوقت في الامر الثاني وهذا هو معنى قوله الم تعلم ان الله على كل شي قدير
الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعني هو اعلم الخلق السموات
والارض بما يصلحهم في كل وقت ثم بين الوعيد لمن يومن بالناسخ والمنسوخ
فقال وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير قوله تعالى له ملك السموات
والارض قال الزجاج الملك في اللغه هو تمام القدره واصل هذا من قولهم
ملكت العجين اذا بالغت في عجنه فالملك السلطان ونفوذ الامر والاراده واد
تقع ملك بالابتدا والخبر له والجمله خبر ان والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد امته لقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وقيل المعنى وقل لهم
يا محمد الم تعلموا ان الله سلطان السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي
من وليت امر فلان اي قمت به ومنه ولي العهد اي القيم بما عهد اليه من امر
المسلمين ومعنى من دون الله من سوى الله وبعد الله كما قال اميه بن ابي الصلت
يا نفس ما لك دون الله من واق وما على حدثان الدهر من باق وقراه الجماعه
ولا نصير بالخفض عطفا على ولي ويجوز ولا نصير بالرفع عطفا على الموضع
لان المعنى ما لكم من دون الله ولي ولا نصير اي مانع يمنعكم من عذاب الله
تعالى ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سيل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر

بامره

بالايمان

بالايمان فقد ضل سوا السبيل ام تريدون هذه ام المنقطعه التي بمعنى بل اي
تريدون وقال مقاتل المعنى اتريدون والميم صله ان تسلوا في موضع نصب
بتريدون كما سيل موسى الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف اي سوالا
كما وموسى في موضع رفع على ما لم يسم فاعله ومعنى الكلام التوبيخ وقبل اي من
قبله فقطع عن الاضافه فلذلك بني قال النحاه ليس في الافعال شي بني على الضم بنا
لازما وانما جا الضم لازما في الاسما وفي حرف واحد والحرف الواحد منذ
في لغه من جر به والاسما من قبل ومن بعد اذا قطعا عن الاضافه كقوله سبحانه
لله الامر من قبل ومن بعد اصلهما لله الامر قبل الاشيا ومن بعد الاشيا فقطع
قبل وبعد عن هذه الاضافه وضمن معناها فاشبه الحرف لبنا الحرف واعطي الحركه
لان له اصلا في التمكن وخص بالضمه لانها حركه لا تكون للظرف اعرابا فلم تلتبس
بحركه اعراب وسوالهم ان يريهم الله جهره قال الضحاك دخل جماعه من كفار
قريش منهم ابو جهل وغيره فقالوا لرسول الله ان كنت نبيا فاكشف عنا الغطا حتى
نرى الله جهره فنزلت الايه وقيل سالوا ان ياتي بالله والملايكه قبيلا عن ابن عباس
ومجاهد سالوا ان يجعل لهم الصفا ذهبا وقيل ان اليهود سالوا اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يطلبوا القربان كما كان لموسى وقرا الحسن كما
سيل وهذا على لغه من قال سلت اسال ويجوز ويجوز ان يكون على بدل الهمزه
يا لانه على غير قياس فانكسرت السين قبلها قال النحاس بدل الهمزه بعيد ثم قال
ومن يتبدل الكفر بالايمان اي اختار الكفر على الايمان فقد ضل اخطا سوا السبيل
وهو طريق الهدى والسوا من كل شي الوسط قاله ابو عبيده ومنه قوله تعالى
في سوا الجحيم وحكى عيسى عمر قال ما زلت اكتب حتى انقطع سواي وانشد قول
حسان يرثي النبي عليه السلام   يا ويح اصحاب النبي ورهطه بعد المغيب في سوا

المجيد وقيل السوا القصد عن الفرا اي ذهب عن قصد الطريق وسمته اي طريق
طاعة الله وقد ذكرناه وعن بن عباس ايضا ان سبب نزول هذه الايه ان
رافع بن خزيمه ووهب بن زيد قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ايتنا بكتاب من السما نقروه
وفجر لنا انهارا نتبعك فالله اعلم   تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم
من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا
حتى ياتي الله بامره ان الله على كل شي قدير   فيه خمس مسايل   قوله تعالى
ود تمنى ويقال حب كثير فاعل يود من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا
مفعول ثان ليردونكم من عند انفسهم قيل هو متعلق بود وقيل بحسدا فالوقف
على قوله كفارا وحسدا مفعول له اي ود وذلك للحسد او مصدر دل ما قبله على
الفعل ومعنى من عند انفسهم اي من تلقاهم من غير ان يجدوه في كتاب ولا امروا
به ولفظه الحسد تعطي هذا فجا من عند انفسهم تاكيدا والزاما كما قال تعالى
يقولون بافواههم يكتبون بايديهم ولا طاير يطير بجناحيه والايه في اليهود
وذلك ان المسلمين لما اصابتهم المحنة يوم احد قالت اليهود لعمار بن ياسر
وحذيفه بن اليمان قد اصابكم ما اصابكم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم
فنزلت الايه ود كثير   قوله تعالى حسدا من عند انفسهم اخبر تعالى
ان ذلك القول منهم لم يكن على وجه النصيحه ولكن ذلك القول كان منهم من
بعد ما تبين لهم من التوراه انه الحق يعني ان دين محمد هو الحق والحسد نوعان
مذموم ومحمود فالمذموم ان يتمنى زوال نعمة الله عن اخيك المسلم وسوا
تمنيت مع ذلك ان تعود اليك او لا وهذا النوع الذي ذمه الله تعالى في كتابه
بقوله ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله وانما كان مذموما لان فيه
تسفيه الحق سبحانه وانه انعم على من لا يستحق واما المحمود فهو ما جا في صحيح

مسله

الحديث

الحديث من قوله عليه عليه السلام لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله القران فهو يقوم به اناء الليل واناء النهار ورجل اتاه الله مالا فهو ينفقه اناء الليل واناء النهار وهذا الحديث معناه الغبطه ولذا ترجم عليه البخاري باب الاغتباط في العلم والحكمه وحقيقتها ان تتمنى ان يكون لك ما لاخيك المسلم من الخير والنعمه ولا يزول عنه خيره وقد يجوز ان يسمى هذا منافسه ومنه قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون قوله تعالى فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره الاصل في اعفوا اعفووا حذفت الضمه لثقلها ثم حذفت الواو لالتقاء الساكنين والعفو ترك المواخذه بالذنب والصفح ازالة اثره من النفس تقول صفحت عن فلان اذا اعرضت عن ذنبه وقد ضربت عنه صفحا اذا اعرضت عنه وتركته ومنه قوله تعالى افنضرب عنكم الذكر صفحا على ما ياتي هذه الايه منسوخه بقوله قاتلوا الذين لا يومنون الى قوله صاغرين عن ابن عباس وقيل الناسخ لها اقتلوا المشركين قال ابو عبيده كل ايه فيها ترك القتال فهي مكيه منسوخه بالقتال قال ابن عطيه وحكمه بان هذه الايه مكيه ضعيف لان معاندات اليهود انما كانت بالمدينه قلت الصحيح ان الايه مدنيه لا مكيه روى البخاري ومسلم عن اسامه بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار على قطيفه فدكيه واسامه وراه يعود سعد بن عباده في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعه بدر فسار حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن ابي بن سلول وذلك قبل ان يسلم عبد الله بن ابي فاذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبده الاوثان واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحه فلما غشيت المجلس عجاجه الدابه خمر ابن ابي انفه بردايه وقال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم وقف

وراه

فنزل فدعاهم الى الله عز وجل وقرا عليهم القران فقال له عبد الله بن ابي بن
سلول ايها المرء لا احسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا من جاءك
فاقصص عليه قال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا في مجالسنا
فانا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون حتى هادوا ان يتثاوروا فلم يزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب رسول الله صلى
الله عليه وسلم دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الم تسمع الى ما قال ابو حباب يريد عبد الله بن ابي قال كذا
وكذا فقال اي يا رسول الله بابي انت وامي اعف عنه واصفح فوالذي انزل عليك
الكتاب بالحق لقد جاء الله بالحق الذي انزل عليك الكتاب بالحق ولقد اصطلح اهل
هذه البحيرة على ان يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي
اعطاك شرق بذلك فذلك فعل به ما رايت فعفا عنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يعفون عن المشركين
واهل الكتاب كما امرهم الله ويصبرون على الاذى قال الله عز وجل ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وقال ود كثير من اهل الكتاب فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتاول في العفو منهم ما امره الله به حتى اذن الله فيهم
فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا فقتل الله به من قتل من صناديد
الكفار وسادة قريش فقفل رسول الله صلى الله عليه وسلم غانمين منصورين
معهم اسارى من صناديد الكفار وسادة قريش قال عبد الله بن ابي بن سلول
ومن معه من المشركين عبدة الاوثان هذا امر قد توجه فبايعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الاسلام فاسلموا   قوله تعالى حتى ياتي الله بامره
يعني قريظة والجلاء بني النضير ان الله على كل شيء قدير من النصر للمسلمين على الكفار ٥

قوله

تعالى واقيموا الصلاه واتوا الزكاه وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير فيه ثلاث مسايل قوله تعالى واقيموا الصلاه واتوا الزكاة تقدم القول فيه قوله وما تقدموا لانفسكم لح من خير تجدوه عند الله يعني ما تقدمتم من الصدقه وتعملون من الخير لعمل الصا تجدوه عند الله محفوظا يجزيكم به ونظيرهذا ما في ايه اخرى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وقال في ايه اخرى فمن يعمل مثقال ذره خيرا يره وقد روى انه مكتوب في بعض الكتب يا ابن ادم ضع كنزك عندي لا يسرق ولا يحرق ولا يفسد تجده حين تكون احوج اليه وجا في الحديث ان العبد اذا مات قال الناس ما خلف وقالت الملايكه ما قدم وخرج البخاري والنساى عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم مال وارثه احب اليه من ماله قالوا يا رسول الله ما منا من احد الا ماله احب اليه من مال وارثه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منكم من احد الا مال وارثه احب اليه من ماله مالك ما قدمت ومال وارثك ما اخرت لفظ النساي ولفظ البخاري قال عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم ايكم مال وارثه احب اليه من ماله قالوا يا رسول الله ما منا احد الا ماله احب اليه قال فان ماله ما قدم ومال وارثه ما اخر وجا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه مر ببقيع الغرقد فقال السلام عليكم اهل القبور اخبار ما عندنا ان نساكم قد تزوجن ودوركم قد سكنت واموالكم قد قسمت فاجابه هاتف يا ابن الخطاب اخبار ما عندنا ان ما قدمنا وجدناه وما انفقناه فقد ربحناه وما خلفناه فقد خسرناه ولقد احسن القايل قدم لنفسك قبل موتك صالحا واعمل فليس الى الخلود سبيل وقال اخر تقدم

لنفسك توبه مرجوة قبل الممات وقبل حبس الالسن   وقال اخر ولدتك
اذ ولدتك امك باكيا والقوم حولك يضحكون سرورا   فاعمل ليوم تكون
فيه اذا بكوا في يوم موتك ضاحكا مسرورا   وقال اخر سابق
الى الخير وبادر به فانما خلفك ما تعلم وقدم الخير فكل امرى على الذى قدمه
يقدم   وقال ابو العتاهيه فاحسن   اسعد بمالك في الحياه فانما
يبقى وراك مصلح اومفسد   واذا تركت لمفسد لم يبقه واخو الصلاح
قليله يتزيد فان استطعت فكن لنفسك وارثا ان المورث نفسه لمسدد
والشعر في هذا المعنى كثير وفيما ذكرنا منه ومن الاخبار كفايه والحمد لله
قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنه الا من كان هودا او نصارى

تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من اسلم وجهه لله وهو
محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون المراد باليهود هنا
يهود اهل المدينة وبالنصارى نصارى اهل نجران والمعنى وقالت اليهود لن
يدخل الجنه الا من كان يهوديا وقالت النصارى لن يدخل الجنه الا من كان نصرانيا
فجاءت التلاوه على وجه الاختصار وهذا من جوامع الكلم وهو الذى تسميه
اهل اللغه التلفيق في الكلام وكل ما كان مثله فالقول فيه هذا واجاز الفرا
ان هودا هودا بمعنى يهوديا فحذف منه الزايد وان يكون جمع هايد وقال
الاخفش الا من كان جعل كان واحدا على لفظ من ثم قال هودا فجمع لان معنى
من جمع وقد تقدم قوله تعالى تلك امانيهم ابتدا وخبر اي ظنهم
واباطيلهم وهذا كما يقال للذى يدعي ما لا يبرهن عليه انما انت متمن وانما
يراد به انك مبطل في قولك ويجوز تلك امانيهم وقد تقدم القول فيه
تعالى قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين اصل هاتوا هاتيوا حذفت الضمة

لثقلها

لثقلها ثم حذفت اليا لالتقا الساكنين يقال في الواحد المذكر هات مثل رام وللمؤنث هاتي مثل رامي والبرهان الدليل الذي يوقع اليقين وجمعه براهين مثل قربان وقرابين وسلطان وسلاطين قال الطبري طلب الدليل هنا يقتضي اثبات النظر ويرد على من ينفيه ان كنتم صادقين يعني في ايمانكم او في قولكم تدخلون الجنه اي بينوا ما قلتم ببرهان ثم قال تعالى بلى ردا عليهم وتكذيبا لهم اي ليس كما تقولون وقيل ان بلى محمولة على المعنى كانه يقول اما يدخل الجنه احد فقيل بلى من اسلم وجهه لله يدخلها ومعنى اسلم استسلم وخضع وقيل اخلص عمله لله وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وخص الوجه بالذكر لكونه اشرف ما يرى من الانسان ولانه موضع الحواس وفيه يظهر العز والذل والعرب تخبر بالوجه عن جملة الشي ويصح ان يكون الوجه في هذه الايه المقصد وهو محسن جمله في موضع الحال وعاد الضمير في وجهه وله على لفظ من وكذلك اجره وعاد عليهم على المعنى وكذلك في يحزنون وقد تقدم والحمد لله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شي وقالت النصارى ليست اليهود على شي وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمه فيما كانوا فيه يختلفون ادعى كل فريق منهم ان صاحبه ليس على شي وانه احق برحمة الله منه وروي عن ابن عباس انه قال صدقوا ولو حلفوا على ذلك ما حنثوا لان كل فريق منهم ليس على شي وهم يتلون الكتاب يعني التوراة والانجيل والجمله في موضع الحال يعني عندهم ما يخرجهم من ذلك الاختلاف ان الدين عند الله الاسلام لو نظروا فيه وقال الزجاج معناه كلا الفريقين يتلون الكتاب وبينهم هذا الاختلاف فيدل ذلك على ضلالتهم والمراد بالذين لا يعلمون في قول الجمهور كفار العرب لانهم لا كتاب لهم قالوا لن يدخل الجنه الا من

ضع

كان على دينا وقال عطا المراد بالذين لا يعلمون امم كانت قبل اليهود
والنصارى الربيع بن انس المعنى كذلك قالت اليهود قبل النصارى فالله
حكم بينهم يوم القيمة يعني انه يريهم من يدخل الجنة عيانا ومن يدخل
النار عيانا او يبين لهم الصواب فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا بن عباس
قدام اهل نجران على النبي صلى الله عليه وسلم فاتتهم احبار يهود فتنازعوا
عند النبي صلى الله عليه وقالت كل فرقة منهم للاخرى لستم على شي فنزلت
الايه تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى
في خرابها اوليك ما كان لهم ان يدخلوها الا خايفين لهم في الدنيا خزي ولهم
في الاخرة عذاب عظيم فيه سبع مسايل قوله تعالى ومن اظلم ممن
منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه من رفع بالابتدا واظلم خبره والمعنى لا
احد اظلم وقال في رواية الكلبي وممن اكفر قال بعضهم هذا التفسير غير
سديد لان الكفر كله سوا لكن معنى قول الكلبي ومن اكفر من اشد في
كفره لان الكفار وان كانوا في الكفر سوا فربما يكون بعضهم في كفره اشد شرا
من غيره ان يذكر ان في موضع نصب على البدل من مساجد ويجوز ان
يكون التقدير كراهية ان يذكر ثم حذف ويجوز ان يكون التقدير
من ان يذكر فيها وحرف الخفض يجوز حذفه مع ان لطول الكلام واراد بالمساجد هنا
بيت المقدس ومحاريبه وقيل الكعبة وجمعت لانها قبلة المساجد وللتعظيم
وقيل المراد ساير المساجد والواحد مسجد بكسر الجيم ومن العرب من يقول
مسجد بفتحها قال الفرا كل ما كان على فعل يفعل مثل دخل يدخل فمفعل منه بالفتح اسما كان او مصدرا وهذا
مدخله الاحرفا من الاسما الزموها كسر العين من ذلك المسجد والمطلع
والمغرب والمشرق والمسقط والمفرق والجزر والمسكن والمرفق من رفق يرفق

والمنبت

قوله تعالى ومن اظلم ممن منع الخ

والمبيت والمنسك من نسك ينسك فجعلوا الكسر علامة للاسم وربما فتحه بعض العرب في الاسم والمسجد بالفتح جبهة الرجل حيث يصيبه ندب السجود والاراب السبعة مساجد قاله الجوهري واختلف الناس في المراد بهذه الايه وفيمن نزلت فذكر المفسرون انها نزلت في بخت نصر لانه كان اخرب بيت المقدس وقال بن عباس وغيره نزلت في النصارى والمعنى كيف تدعون ايها النصارى انكم من اهل الجنه وقد خربتم بيت المقدس ومنعتم المصلين من الصلاه فيه ومعنى الايه على هذا التعجب من فعل النصارى بيت المقدس مع تعظيمهم له وانما فعلوا ما فعلوا عداوه لليهود روى سعيد عن قتاده قال اوليك اعدا الله النصارى حملهم ابغاض اليهود على ان اعانوا بخت نصر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس وروى ان هذا التخريب بقي الى زمن عمر وقيل نزلت في المشركين اذ منعوا المصلين والنبي عليه السلام وصد وهم عن المسجد الحرام عام الحديبية وقيل المراد من منع كل مسجد الى يوم القيمه وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغه الجمع فتخصيصها ببعض المساجد وبعض الاشخاص ضعيف والله اعلم خراب المساجد قديم تحقيقا لتخريب بخت نصر والنصارى بيت المقدس على ما ذكر انهم غزوا بني اسرايل مع بعض ملوكهم قيل اسمه نطرس بن اسبسيانوس الروم فقتلوا وسبوا وحرقوا التوراه وقذفوا في بيت المقدس العذرة فيما ذكر الغزنوي وقال الحلبي نزلت هذه الايه في شان ططوس بن اسبسيانوس الرومي حيث خرب بيت المقدس والقى فيه الجيفه وكان خرابا الى زمن عمر والمعنى متقارب ويكون مجاز المنع المشركين المسلمين حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام وعلى الجمله فتعطيل المساجد عن الصلاه واظهار شعار

مطلب ومن اظلم المراد بخت نصر نصارى روم

مطلب كيفية خراب المساجد في الحرمين

الاسلام فيها خراب لها   قال علماونا ولهذا قلنا انه لا يجوز منع المراة
من الحج اذا كانت صرورة سوا كان لها محرم او لم يكن على ما ياتي بيانه في آل عمران
ولم تمنع ايضا من الصلاة في المساجد ما لم يخف عليها الفتنة ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم لا تمنعوا اما الله مساجد الله ولذلك قلنا لا يجوز نقض المسجد ولا تعطيله
ولا بيعه وان خربت المحلة ولا يمنع من بنا المساجد الا ان يقصدوا الشقاق والخلاف
بان يبنوا مسجدا الى جنب مسجد او قربه يريد وبذلك تفريق اهل المسجد الاول وخرابه
واختلاف الكلمة فان المسجد الثاني ينقض ويمنع من بنيانه ولذلك قلنا لا يجوز ان يكون في
المصر جامعان ولا لمسجد واحد امامان ولا يصلي في مسجد جماعتان وسياتي لهذا
كله زيادة بيان في سورة براة ان شا الله تعالى وفي النور حكم المساجد وبنايها
بحول الله تعالى ودلت الاية ايضا على تعظيم امر الصلاة وانها لما كانت افضل الاعمال
واعظمها اجرا كان منعها اعظم اثما   كل موضع يمكن ان يعبد الله تعالى فيه
ويسجد له يسمى مسجدا قال صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا اخرجه
الايمه واجمعت الامة على ان البقعة اذا عينت للصلاة بالقول خرجت عن جملة
الاملاك المختصة بربها وصارت عامة لجميع المسلمين فلو بنى رجل في داره مسجدا
وحجزه عن الناس واختص به لنفسه لبقي على ملكه ولم يخرج الى حد المسجد ولو اباحه
للناس كلهم كان حكمه حكم سائر المساجد العامة التي خرجت عن اختصاص الاملاك
قوله تعالى اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اولئك مبتدا وما
بعده خبره خائفين حال يعني اذا استولى عليها المسلمون وحصلت تحت سلطانهم فلا
يتمكن الكافر حينئذ من دخولها فان دخلوها فعلى خوف من اخراج المسلمين لهم وتاديبهم على
دخولها وفي هذا دليل على ان الكافر ليس له دخول المسجد بحال على ما ياتي بيانه في براة ومن
جعل الاية في النصارى روى انه مر زمان بعد بنا عمر بيت المقدس في الاسلام لا يدخله

نصراني

بيان كل مسجد

قوله تعالى اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين

تا من درس

كلام فيه نصاري ٢

نصراني الا اوجع ضربا بعد ان كان منعهم عمر ويقال لم يدخله بعد عمارته رومي
الا خايفا ومختفيا لو علم به قتل ويقال من اراد ان يكون زملكا عليهم لا يمكنه ذلك ما
لم يكن دخل مسجد بيت المقدس فيجي فيدخله مختفيا ومن جعلها في قريش قال لذلك
نودي بامر النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان وقيل هو خبر ومقصوده الامر اي جاهدوهم واستاصلوهم
حتى لا يدخل احد منهم المسجد الحرام الا خايفا كقوله تعالى ما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله فانه نهي ورد بلفظ الخبر والله اعلم قوله تعالى لهم
خزي في الدنيا قيل القتل والخزي والجزيه للذمي عن قتاده والسدي وقيل الخزي
لهم في الدنيا قيام المهدي وفتحه عموريه ورومية وقسطنطينيه وغير
ذلك من مدنهم على ما ذكرناه في كتاب التدكين ومن جعلها في قريش جعل الخزي
غلبتهم في الفتح والعذاب في الاخره لمن مات منهم كافرا روى الزجاج عن
بعض اهل العلم قال نزلت الاية في شان جميع الكفار لان الكفار كانوا يمنعون
المسلمين ويمنعونهم من الصلاه فقد منعوا المسلمين عن جميع المساجد لان
الارض كلها مسجد وطهور بمعناه ومن اظلم ممن خالف ملة الاسلام قال
ومعنى قوله اولئك ما كان لهم ان يدخلوها يعني دار الاسلام يعني يظهر
الاسلام على ساير الاديان كقوله تعالى ليظهره على الدين كله تعالى ولله
المشرق والمغرب المشرق موضع الشروق والمغرب موضع الغروب اي هما لله
ملك وما بينهما من الجهات والمخلوقات بالايجاد والاختراع وخصهما بالذكر
والاضافه اليه تشريفا كبيت الله وناقة الله ولان سبب الاية اقتضى ذلك
على ما ناتي قوله تعالى فاينما تولوا شرط ولذلك حذفت النون واين
العامله وما زايدة والجواب فثم وجه الله وقرا الحسن تولوا بفتح التا واللام والا

صل

قوله تعالى لهم في الدنيا خزي

فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم
هم سبب نزول قوله تعالى ولله المشرق والمغرب

تولوا او ثم في موضع نصب على الظرف ومعناها البعد الا انها مبنية على الفتح غير معربة لانها مبهمة تكون بمنزلة هناك للبعد فان اردت القرب قلت هنا   واختلف العلما في المعنى الذى نزلت فيه على خمسة اقوال فقال عبد الله بن عامر بن ربيعة نزلت فيمن صلى الى غير القبله في ليله مظلمة اخرجه الترمذى عنه عن ابيه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر اين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما اصبحنا ذكرنا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فنزلت فاينما تولوا فثم وجه الله قال ابو عيسى هذا حديث ليس اسناده بذلك لا نعرفه الا من حديث اشعث السمان واشعث بن سعيد ابو الربيع يضعف في الحديث وقد ذهب اكثر اهل العلم الى هذا اذا صلى في الغيم لغير القبله ثم استبان له بعد ذلك انه صلى لغير القبله فان صلاته جايزة وبه يقول سفين وابن المبارك واحمد واسحاق قلت وهو مذهب ابى حنيفة ومالك غير ان مالكا يستحب له الاعادة في الوقت وليس ذلك بواجب لانه قد ادى فرضه كما امر والكمال يستدرك في الوقت استدلالا بالسنه فيمن صلى وحده ثم ادرك تلك في وقتها في جماعه انه يعيد معهم ولا يعيد في الوقت استحبابا الا من استدبر القبله او شرق او غرب جدا مجتهدا واما من تيامن او تياسر قليلا مجتهدا فلا اعادة عليه في وقت ولا غيره وقال المغيره والشافعى لا يجزيه لان القبله شرط من شروط الصلاه وما قاله مالك اصح لان جهة القبله تبيح الضروره تركها في المسايفه وتبيحها ايضا الرخصه حالة السفر وقال ابن عمر نزلت في المسافر يتنفل حيث ما توجهت به راحلته اخرجه مسلم عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وهو مقبل من مكه الى المدينه على راحلته حيث كان وجهه قال وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله

ولا خلاف

ولا خلاف بين العلما في جواز النافلة على الراحلة لهذا الحديث وما كان مثله
ولا يجوز لاحد ان يدع القبلة عامدا بوجه من الوجوه الا في شدة الخوف
على ما ياتي واختلف قول ملك في المريض يصلي على محمله فمرة قال لا
يصلي على ظهر البعير فريضة وان اشتد مرضه قال سحنون فان فعل
اعاد حكاه الباجي وقال مرة ان كان ممن لا يصلي بالارض الا ايما فليصلي
فليصل على البعير بعد ان يوقف له ويستقبل القبلة واجمعوا على
انه لا يجوز لاحد صحيح ان يصلي فريضة الا بالارض الا في حال الخوف
الشديد خاصة على ما ياتي واختلفوا في المسافر سفرا لا يقصر في مثله
الصلاة فقال ملك واصحابه والثوري لا يتطوع على الراحلة الا في
سفر يقصر في مثله الصلاة قالوا لان الاسفار التي حكي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه كان يتطوع فيها كانت مما تقصر فيه الصلاة
وقال الشافعي وابو حنيفة واصحابهما والحسن بن حي والليث بن سعد
وداود بن علي يجوز التطوع على الراحلة خارج المصر في كل سفر وسوا
كان مما يقصر فيه الصلاة او لا لان الاثار ليس فيها تخصيص سفر من
سفر وكل سفر جايز ذلك فيه الا ان يخص شي من الاسفار بما يجب
التسليم له وقال ابو يوسف يصلي في المصر على الدابة بالايما لحديث
يحيى بن سعيد عن انس بن ملك انه صلى على حمار في ازقة المدينة يومي
ايما وقال الطبري يجوز لكل راكب وماشي حاضرا كان او مسافرا ان
يتنفل على دابته وراحلته وعلى رجليه وحكي عن بعض اصحاب الشافعي
ان مذهبهم جواز التنفل على الدابة في الحضر والسفر وقال الاثرم
قلت لاحمد بن حنبل الصلاة على الدابة في الحضر فقال اما في السفر فقد

سمعت وما سمعت في الحضر قال بن القاسم من تنفل في محلة تنفل جالسا قيا
تربع بركع واضعا يديه على ركبتيه ثم يرفع راسه وقال قتادة نزلت في
النجاشي وذلك انه لما مات دعا النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين الى الصلاه
عليه فقالوا كيف نصلي على رجل مات وهو يصلي لغير قبلتنا وكان النجاشي
ملك الحبشه واسمه اصحمه وهو بالعربيه عطية يصلي الى بيت المقدس
حتى مات وقد صرفت القبله الى الكعبه فنزلت الايه ونزل فيه وان
اهل الكتاب لمن يومن بالله فما زهنا عذر النجاشي وكانت صلاه النبي
صلى الله عليه وسلم باصحابه سنه تسع من الهجره وقد استدل بهذا من
اجاز الصلاه على الغايب الميت وهو الشافعي قال بن العربي ومن اغرب
مسايل الصلاه على الميت ما قال الشافعي يصلي على الغايب وقد كنت ببغداد
في مجلس الامام فخر الاسلام فيدخل عليه الرجل من خراسان فيقول له كيف
حال فلان فيقول له مات فيقول انا لله وانا اليه راجعون ثم يقول لنا
قوموا فلاصلي لكم فيقوم فيصلي عليه بنا وذلك بعد سنه اشهر من المدة وبينه
وبين بلده سنه اشهر والاصل عندهم في ذلك صلاة النبي صلى الله عليه وسلم
على النجاشي وقال علماونا رحمه الله عليهم النبي صلى الله عليه وسلم مخصوص
بذلك لثلاثه اوجه احدها ان الارض دحيت له جنوبا وشمالا حتى
راى نعش النجاشي كما دحيت له شمالا حتى راى المسجد الاقصى قال المخالف
واي فايده في رويته وانما الفايده في لحوق بركته الثاني ان النجاشي لم يكن
له هناك ولي من المومنين يقوم بالصلاه عليه قال المخالف هذا محال عادة
ملك على دين لا يكون له اتباع والتاويل بالمحال محال الثالث ان النبي صلى
الله عليه وسلم انما اراد بالصلاه على النجاشي ادخال الرحمه عليه فيتلاف

...الف بركه الدعا
...بن العربي والكن
...نجاشي ومن امن
...سيد فنونه
...لحسن لانه
...ب ما لا يري
...ود قد
...س وقالوا
...ولاهم عن
...قول ان
...ه بما شافان
...جر عليه ولا
...قوله تعالى
...يجوز في
...قوله تعالى

[illegible]

قول وجهك شطر المسجد الحرام اي بما يحكم تلقاه حكاه ابو عيسى الترمذي
وقول شاد من روى عن مجاهد والضحاك انها محكمه المعنى اينما كنتم من شرق
او غرب فثم وجه الله الذي امرنا باستقباله وهو الكعبه وعن مجاهد
ايضا وبن جبير لما نزلت ادعوني استجب لكم قالوا الى اين فنزلت فاينما تولوا
فثم وجه الله وعن بن عمر والنخعي اينما تولوا في اسفاركم ومنصرفاتكم فثم
وجه الله وقيل هي متصله بقوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله الايه

سمعت وما سمعت في الحضر قال ابن القاسم من تنفل في محلة تنفل جالسا فيا
تربع يركع واضعا يديه على ركبتيه ثم يرفع راسه وقال قتادة نزلت في
النجاشي وذلك انه لما مات دعا النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين الى الصلاة
عليه فقالوا كيف نصلي على رجل مات وهو يصلي لغير قبلتنا وكان النجاشي
ملك الحبشة واسمه اصحمه وهو بالعربيه عطية يصلي الى بيت المقدس
حتى مات وقد صرفت القبلة الى الكعبة فنزلت الايه ونزل فيه وان من
اهل الكتاب لمن يؤمن بالله فما زهد لعذر النجاشي وكانت صلاة النبي
صلى الله عليه وسلم باصحابه سنه تسع من الهجرة وقد استدل بهذا من
اجاز الصلاة على الغايب الميت وهو الشافعي قال ابن العربي ومن اغرب
مسايل الصلاة على الميت ما قال الشافعي يصلي على الغايب وقد كنت ببغداد
في مجلس الامام فخر الاسلام فيدخل عليه الرجل من خراسان فيقول له كيف
حال فلان فيقول له مات فيقول انا لله وانا اليه راجعون ثم يقول لنا
قوموا فلاصلي لكم فيقوم فيصلي عليه بنا وذلك بعد سنه اشهر من المده وبينه
وبين بلده سنه اشهر والاصل عندهم في ذلك صلاة النبي صلى الله عليه وسلم
على النجاشي وقال علماؤنا رحمه الله عليهم النبي صلى الله عليه وسلم مخصوص
بذلك لثلاثه اوجه احدها ان الارض دحيت له جنوبا وشمالا حتى
راى نعش النجاشي كما دحيت له شمالا حتى راى المسجد الاقصى قال المخالف
واي فايدة في رويته وانما الفايدة في لحوق بركته الثاني ان النجاشي لم يكن
له هناك ولي من المومنين يقوم بالصلاة عليه قال المخالف هذا محال عادة
ملك على دين لا يكون له اتباع والتاويل بالمحال محال الثالث ان النبي صلى
الله عليه وسلم انما اراد بالصلاة على النجاشي ادخال الرحمه عليه واستيلاف

بقيته للملوك بعده اذا ادوا الاهتمام به حيا وميتا قال المخالف بركة الدعا
من النبي صلى الله عليه وسلم ومن سواه يلحق الميت باتفاق قال ابن العربي والذي
عندي في صلاة النبي عليه السلام على النجاشي انه علم ان النجاشي ومن امن
معه ليس عندهم من سنة الصلاة على الميت اثر فعلم انهم سيدفنونه
بغير صلاة فبادر الى الصلاة عليه قلت والتاويل الاول احسن لانه
اذا راه فما صلى على غايب وانما صلى على مرى حاضر والغايب ما لا يري
والله اعلم القول الرابع قال ابن زيد كانت اليهود قد
استحسنت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس وقالوا
ما اهتدى الا بنا فلما حول الى الكعبة قالت اليهود ما ولاهم عن
قبلتهم فنزلت ولله المشرق والمغرب توجه النظم على القول ان
اليهود لما انكروا تحويل القبلة بين الله تعالى ان له ان يتعبد عباده بما شا فان
امرهم بالتوجه الى بيت المقدس وان شا بالتوجه الى الكعبة لا حجر عليه ولا
يسال عما يفعل وهم يسالون القول الخامس ان القول منسوخ بقوله تعالى
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ذكره ابن عباس فكانه كان يجوز في
الابتدا ان يصلي المرء كيف شا ثم نسخ ذلك وقال قتادة الناسخ قوله تعالى
فول وجهك شطر المسجد الحرام اي تلقاه حكاه ابو عيسى الترمذي
وقول سادس روي عن مجاهد والضحاك انها محكمة المعنى اينما كنتم من شرق
او غرب فثم وجه الله الذي امرنا باستقباله وهو الكعبة وعن مجاهد
ايضا وابن جبير لما نزلت ادعوني استجب لكم قالوا الى اين فنزلت فاينما تولوا
فثم وجه الله وعن ابن عمر والنخعي اين ما تولوا في اسفاركم ومنصرفاتكم فثم
وجه الله وقيل هي متصلة بقوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله الاية

سمعت وما سمعت في الحضر قال ابن القاسم من تنفل في محلة تنفل جالسا قيا
تربع يركع واضعا يديه على ركبتيه ثم يرفع راسه وقال قتاده نزلت في
النجاشي وذلك انه لما مات دعا النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين ا
عليه فقالوا كيف نصلي على رجل مات وهو يصلي لغير قبلتنا وكا
ملك الحبشه واسمه اصحمه وهو بالعربيه عطيه يصلي الى بيت ال
حتى مات وقد صرفت القبله الى الكعبه فنزلت الايه ونزل
اهل الكتاب لمن يومن بالله فما زهنا عذر النجاشي وكانت ص
صلى الله عليه وسلم باصحابه سنه تسع من الهجره وقد استد ل
اجاز الصلاه على الغايب الميت وهو الشافعي قال ابن العربي ومن
مسايل الصلاه على الميت ما قال الشافعي يصلى على الغايب وقد
في مجلس الامام فخر الاسلام فيدخل عليه الرجل من خراسان فيقول
حال فلان فيقول له مات فيقول انا لله وانا اليه راجعون ثم
قوموا فلاصلي لكم فيقوم فيصلي عليه بنا وذلك بعد سنه اشهر من
وبين بلده سنه اشهر والاصل عندهم في ذلك صلاة النبي صلى الله
على النجاشي وقال علماونا رحمه الله عليهم النبي صلى الله عليه و
بذلك لثلاثه اوجه احدها ان الارض دحيت له جنوبا وش
راي نعش النجاشي كما دحيت له شمالا حتى راى المسجد الاقصى قال ال
وان كانت في دونه وانما الفايده في لحوق بركته الثاني ان النجا
له هناك ولي من المومنين يقوم بالصلاه عليه قال المخالف هذا مح
ملك على دين لا يكون له اتباع والتاويل بالمحال محال الثالث ان النبي
الله عليه وسلم انما اراد بالصلاه على النجاشي ادخال الرحمه عليه فتسيلاف

بقيه

بقية الملوك بعد اذا دوا الاهتمام به حيا وميتا قال المخالف بركه الدعا
من النبي صلى الله عليه وسلم ومن سواه يلحق الميت باتفاق قال ابن العربي والذي
... النجاشي انه علم ان النجاشي ومن امن
... اثر فعلم انهم سيدفنونه
... والتاويل الاول احسن لانه
... يرى حاضر والغايب ما لا يري
... بن زيد كانت اليهود قد
... وسلم الى بيت المقدس وقالوا
... قالت اليهود ما ولاهم عن
... توجه النظم على القول ان
... الى ان له ان يتعبد عباده بما شاء فان
... بالتوجه الى الكعبه لا اجر عليه ولا
... القول منسوخ بقوله تعالى
... ذكره بن عباس فانه كان يجوز في
... ذلك وقال قتاده الناسخ قوله تعالى
... محكمه تلقاه حكاه ابو عيسى الترمذي
... قال انها محكمه المعنى اينما كنتم من شرق
... باستقباله وهو الكعبه وعن مجاهد
... لكم قالوا الى اين نزلت فاينما تولوا
... اينما تولوا في اسفاركم ومنصرفاتكم فثم
وجه الله وقيل هي متصله بقوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله الايه

قوله تع الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون قوله انا لله اقرار منا له بالملك وقوله
وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلك كانه قيل انا مع ما في ايدينا كلها لله تع
المنفرد بالملك والبقاء وكل ما سواه في معرض الهلاك والفناء

قوله تع وبشر الصابرين اي بالثواب على الصبر والصبر الحبس وثوابه غير مقدر
لكن لا يكون ذكر الثواب على الصبر الا بالصبر عند الصدمه كما روي البخاري عن
انس عن النبي صلى الله عليه وسلم واخرجه مسلم اتم منه اي انما الصبر الشاق على النفس
الذي يعظم الثواب

ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس
والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا
لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
واولئك هم المهتدون ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن
حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا
فان الله شاكر عليم

سمعت وما سمعت في الحضر قال ابن القاسم من تنفل في محلة تنفل جالسا قيا
تربع بركح واضعا يديه على ركبتيه ثم يرفع راسه وقال قتادة نزلت في
النجاشي وذلك انه لما مات دعا النبي صلى الله عليه
عليه فقالوا كيف نصلي على رجل مات وهو يصلي لغير
ملك الحبشة واسمه اصحمه وهو بالعربية عطية
حتى مات وقد صرفت القبلة الى الكعبة فنزلت الا
اهل الكتاب لمن يومن بالله فما زهنا عذر النجاشي
صلى الله عليه وسلم باصحابه سنة تسع من الهجرة وقد
اجاز الصلاة على الغايب الميت وهو الشافعي قال ابن
مسايل الصلاة على الميت ما قال الشافعي يصلي على الغايب
في مجلس الامام فخر الاسلام فيدخل عليه الرجل من خرا
حال فلان فيقول له مات فيقول انا لله وانا اليه را
قوموا فلاصلي لكم فيقوم فيصلي عليه بنا وذلك بعد سن
وبين يليه سنة اشهر والاصل عندهم في ذلك صلاة النب
على النجاشي وقال علماونا رحمه الله عليهم البني صلى الله
بذلك لثلاثة اوجه احدها ان الارض دحيت له
راى نعش النجاشي كما دحيت له شما حتى راى المسجد الاقص
واى قايه في بدنيه وانما الغاية في لحوق بركته الناس
له هناك ولي من المومنين يقوم بالصلاة عليه قال المخالف
ملك على دين لا يكون له اتباع والثا وقيل بالمحال المحال ال
الله عليه وسلم انما اراد بالصلاة على النجاشي ادخال الرحمة عليه فيلات

بقيه

بقية الملوك بعده اذا دوا الاهتمام به حيا وميتا قال المخالف بركة الدعا
من النبي صلى الله عليه وسلم ومن سواه يلحق الميت باتفاق قال ابن العربي والك
السلام على النجاشي انه علم ان النجاشي ومن امن
الصلاة على الميت اثر فعلم انهم سيدفنونه
لا عليه قلت والتاويل الاول حسن لانه
وانما صلى على المرى حاضر والغايب ما لا يرى
الرابع قال ابن زيد كانت اليهود قد
صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس وقالوا
ل الى الكعبة قالت اليهود ما ولاهم عن
شرق والمغرب توجه النظم على القول ان
ه بين الله تعالى انه له ان يتعبد عباده بما شاء فان
المقدس وان شا بالتوجه الى الكعبة لاحجر عليه ولا
القول الخامس ان القول منسوخه بقوله تعالى
م شطره ذكره ابن عباس فانه كان يجوز في
ثم نسخ ذلك وقال قتاده الناسخ قوله تعالى
الحرام اي انها محكمة تلقاه حكاه ابو عيسى الترمذي
د والضحاك انها محكمه المعنى اينما كنتم من شرق
امرنا باستقباله وهو الكعبة وعن مجاهد
ادعوني استجب لكم قالوا الى ابن فنزلت فاينما تولوا
... وعن ابن جبير والنخعي اين ما تولوا في اسفاركم ومنصرفاتكم فثم
وجه الله وقيل هي متصله بقوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله الايه

نِعِمَّا	نِعْمَّا	نِعِمَّا
ابو عمرو ونافع في رواية ورش عاصم في رواية حفص وابن كثير	ابو عمرو ايضا وعاصم في رواية ابي بكر ونافع في رواية ورش وكلهم يسكن الميم	اعمش وابن عامر وحمزة والكسائي

حركتك صوتي اقل قاله الكبير

الرَّوْمُ عبارة عن النطق ببعض الحركة حتى يذهب معظم صوتها فتسمع لها صوتا خفيا يدركه الاعمى بحاسة سمعه دون الاصم

حركت صوت بيشتر اكثري قاله ايضا كبير

الاختلاس الاسراع بالحركة اسراعا يحكم السامع له ان الحركة قد ذهبت وهي كاملة في الوزن المراد بكمال الحركة اكثرها لان للاكثر حكم الكل

فالمعنى ان بلاد الله ايها المومنون تسعكم فلا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله
ان تولوا وجوهكم نحو قبلة الله اينما كنتم من ارضه وقيل نزلت حين صد النبي
صلى الله عليه وسلم عن الحديبيه فاغتم المسلمون لذلك فهذه عشرة اقوال
وحكى ابن الانباري ان المعنى اينما كنتم من الارض فعلم الله محيط وقدرته فيكم
نافذه ومن جعلها منسوخه فلا اعتراض عليه من جهة كونها خبرا لانها محتمله
لمعنى الامر يحتمل ان يكون المعنى فاينما تولوا فثم وجه الله ولوا وجوهكم
نحو قبلة الله وهذه الايه هي التي تلى سعيد بن جبير رحمه الله ورضي عنه لما امر
الحجاج بذبحه الى الارض واختلف العلما ايضا في تاويل الوجه
المضاف الى الله في القران والسنه فقال الحذاق ذلك راجع الى الوجود والعبارة
عنه بالوجه من مجاز الكلام اذ كان الوجه اظهر الاعضا في الشاهد واجلها
قدرا قال ابن فورك قد تذكر صفة الشي والمراد به الموصوف توسعا كما
يقول القايل رايت علم فلان اليوم ونظرت الى علمه وانما يريد بذلك
رايت العالم ونظرت الى العالم كذلك اذا ذكر الوجه هنا والمراد من له الوجه
اي الوجود على هذا يتاول قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لان المراد به الذي
له الوجه وكذلك قوله تعالى الا ابتغا وجه ربه الاعلى وقال بعض الايمه تلك
صفه ثابته بالسمع زايده على ما توجبه العقول من صفات القديم تعالى وضعف
ابو المعالي هذا القول وكذلك هو ضعيف وانما المراد وجوده وقيل المراد
بالوجه هنا التي وجهنا اليها اي القبله وقيل الوجه القصد كما قال الشاعر
استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل وقيل
المعنى فثم رضى الله وثوابه كما قال انما نطعمكم لوجه الله اي لرضاه وطلب
ثوابه ومنه قوله عليه السلام من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله مثله

في الجنه

فى الجنه وقوله عليه السلام يجا يوم القيمه بصحف مختمه فتنصب بين يدى الله تعالى فيقول الله عز وجل لملائكته الغوا هذا واقبلوا هذا قال فتقول الملايكه وعزتك ما راينا الا خيرا وهو اعلم فيقول ان هذا كان لغير وجهى ولا اقبل من العمل الا ما ابتغى به وجهى خرجه الدارقطني فى سننه من حديث
وقيل المراد فثم الله والوجه صله وهو كقوله وهو معكم قاله الكلبى والقتبى وهو قول المعتزله وقيل المعنى فثم ملك الله وقيل فثم قبله الله وهذا كله على حذف مضاف قوله تعالى ان الله واسع عليم اى يوسع على عباده فى دينهم ولا يكلفهم ما ليس فى وسعهم وقيل واسع بمعنى انه يسع علمه كل شى كما قال وسع كل شى علما وقال الفرا الواسع الجواد الذى يسع عطاوه كل شى دليله قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شى وقيل واسع المغفره اى لا يتعاظمه ذنب وقيل واسع الفضل اى لا يبخل يقال فلان يسع ما يسئل اى لا يبخل قال الله تعالى لينفق ذو سعة من سعته اى لينفق الغنى مما اعطاه الله فالله سبحانه متفضل على العباد ومحسن اليهم وغنى عنهم عن اعمالهم يعطى الجزيل ويثيب على القليل سبحانه لا اله الا هو ويقال الواسع الغنى عن صلاة الخلق وانما يطلب منهم النية الخالصة ليثيبهم عليها عليهم بما تحويه ضمايرهم والله اعلم
تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات والارض كل له قانتون فيه ست مسايل قوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا
هذا اخبار عن النصارى فى قولهم المسيح ابن الله وقيل عن اليهود فى قولهم عزير ابن الله وقيل عن كفرة العرب فى قولهم الملايكه بنات الله وقد جاء مثل هذا الاخبار عن الجهلة الكفار فى مريم والانبيا وقرا ابن عامر ومن تابعه من اهل الشام قالوا بغير واو والباقون بالواو ومعناهما واحد الا

قوله تعالى ان الله واسع عليم

ان الواو للعطف — قوله سبحانه نزه نفسه عن الولد وهو منصوب
على المصدر ومعناه التنزيه والتبرئه والحاشاه من قولهم اتخذ الله ولدا
بل هو تعالى واحد في ذاته احد في صفاته لم يلد فيحتاج الى صاحبه انى يكون
له ولم يكن له صاحبة وخلق كل شي ولم يولد فيكون مسبوقا جل وتعالى عما يقول ولادم
الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وقد تقدم ان معنى سبحان الله براءة الله من
السوء فلا معنى لاعادته — خرج البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال قال الله تعالى كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه
اياي فزعم اني لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه اياي فقوله لي ولد فسبحاني ان
اتخذ صاحبة او ولدا — قال العلما لا يكون الولد الا من جنس الوالد فكيف
يكون للحق سبحانه ان يتخذ ولدا من مخلوقاته وهو لا يشبهه شي وقد قال ان كل
من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا كما قال هنا بل له ما في السموات
والارض فالولدية تقتضي الجنسية والحدوث والقدم يقتضي الوحدانية
والثبوت فهو سبحانه القديم الازلي الواحد الاحد الفرد الصمد الذي
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ثم ان البنوة تنافي الرق والعبودية فكيف
يكون ولد عبدا هذا محال وما ادى الى المحال محال — قوله تعالى
بل له ما في السموات والارض ما رفع بالابتدا والخبر في المجرور اي كل ذلك له
ملك بالايجاد والاختراع والقايل بانه اتخذ ولدا داخل في جملة السموات
والارض — قوله تعالى كل له قانتون ابتدا وخبر والتقدير كلهم ثم له
حذف الها والميم ومعنى قانتون مطيعون وخاضعون وهذا قول قتادة
ومجاهد والسدي ومنه قول العجاج — رب البلاد والعباد القنت
فالمخلوقات كلها تقنت لله تعالى اي تخضع وتطيع والجمادات قنوتهم

في ظهور

في ظهور الصنعة عليهم وفيهم فالقنوت الطاعة والقنوت السكوت ومنه
قول زيد بن ارقم كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا
بالسكوت ونهينا عن الكلام على ما ياتي بيانه عند قوله تعالى وقوموا لله قانتين
والقنوت لقنوت الصلاة قال   قانتا لله يتلو كتبه وعلى عمد من الناس اعتزل
وقال السدي وغيره في قوله تعالى كل له قانتون اي يوم القيمة الحسن كل
قايم بالشهادة انه عبد وقيل القنوت في اللغة اصله القيام ومنه الحديث
افضل الصلاة طول القنوت قاله الزجاج فالخلق قانتون اي قايمون للعبودية
اما اقرارا واما ان يكونوا على خلاف ذلك فاثر الصنعة بين عليهم وقيل
اصله الطاعة على ما تقدم ومنه قوله تعالى والقانتين والقانتات وسياتي
لهذا الباب مزيد بيان عند قوله تعالى وقوموا لله قانتين   تعالى
بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فيه ست
مسايل   قوله تعالى بديع السموات والارض بديع فعيل
للمفاعلة وارتفع على خبر ابتدا محذوف واسم الفاعل مبدع كبصير من
مبصر ابدعت الشي لا عن مثال والله عز وجل بديع السموات والارض
اي منشيهما ومبدعها ومخترعها وموجدها على غير حد ولا مثال سبق
وكل من انشا ما لم يسبق اليه قيل له مبدع ومنه اصحاب البدع وسميت
البدعة بدعة لان قايلها ابتدعها من غير فعل او مقال امام وفي البخاري
نعمت البدعة هذه يعني قيام رمضان   كل بدعة صدرت من
مخلوق فلا يخلو ان يكون لها اصل في الشرع اولا فان كان لها اصل كانت واقعة
تحت عموم ما ندب الله تعالى اليه وحض رسوله عليه فهي في حيز المدح وان
لم يكن مثالها موجودا كنوع من الجود والسخا وفعل المعروف فهذا فعله

مطلب

من الافعال المحمودة وان لم يكن الفاعل قد سبق اليه وبعضد هذا
قول عمر رضي الله عنه نعمت البدعة هذه لما كانت من افعال الخير وداخلة
في حيز المدح وهي وان كان النبي صلى الله عليه وسلم قد صلاها الا انه تركها ولم
يحافظ عليها ولا جمع الناس عليها لمحافظة عمر عليها وجمع الناس لها وندبهم اليها
بدعة لكنها بدعة محمودة وان كانت في خلاف ما امر الله به ورسوله فهي في
حيز الذم والانكار قال معناه الخطابي وغيره قلت وهو معنى قوله
عليه السلام في خطبته وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة يريد
ما لم توافق كتابا او سنة او عمل الصحابة رضي الله عنهم وقد بين هذا بقوله
عليه السلام من سن في الاسلام سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها
بعده من غير ان ينقص من اجورهم شي ومن سن في الاسلام سنة سيئة
كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شي
وهذا اشارة الى ما ابتدع من قبيح وحسن وهو اصل في هذا الباب وبالله
العصمة والتوفيق لا رب غيره قوله تعالى واذا قضى امرا اراد
احكامه واتقانه كما سبق في علمه قاله ابن عرفة قضا الشي احكامه
وامضاوه والفراغ منه وبه سمي القاضي لانه اذا حكم فقد فرغ مما بين
الخصمين وقال الازهري قضى في اللغة على وجوه مرجعها الى انقطاع الشي
وتمامه قال ابو ذويب وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع
السوابغ تبع وقال الشماخ في عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضيت
امورا ثم غادرت بعدها بوايق في اكمامها لم تفتق وقال علماونا قضى
لفظ مشترك يكون بمعنى الخلق قال الله تعالى فقضاهن سبع سموات
اي خلقهن ويكون بمعنى الاعلام قال الله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في

الكتاب

الكتاب اي اعلمنا ويكون بمعنى الامر كقوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا
الا اياه ويجوز بمعنى الالزام وامضا الاحكام ومنه سمي الحاكم قاضيا ويكون
بمعنى توفيه الحق قال الله تعالى فلما قضى موسى الاجل ويكون بمعنى الاراده كقوله
تعالى فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اي اذا اراد خلق شي وقال ابن
عطيه قضى بمعنى قدر وقد يجي بمعنى امضا ويتجه في هذه الايه المعنيان على
مذهب اهل السنه قدر في الازل وامضى فيه وعلى مذهب المعتزله
امضى عند الخلق والايجاد   قوله تعالى امر الامر واحد الامور
وليس بمصدر امر يامر قال علماونا والامر في القران ينصرف في القران
على اربعه عشر وجها الاول قال الله تعالى حتى جا الحق وظهر امر الله يعني
دين الاسلام الثاني القول ومنه قوله تعالى فاذا جا امرنا يعني قولنا
وقوله فتنازعوا امرهم بينهم الثالث العذاب وقوله تعالى لما قضي الامر
يعني لما وجب العذاب باهل النار الرابع عيسى عليه السلام قال الله تعالى
فاذا قضى امرا يعني عيسى وكان في علمه ان يكون من غير اب الخامس القتل ببدر
وقال ليقضي الله امرا كان مفعولا يعني قتل كفار مكه السادس فتح مكه
قال الله تعالى فتربصوا حتى ياتي الله بامره يعني فتح مكه السابع قتل قريظه
وجلا بني النضير قال الله تعالى فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره الثامن
القيمه قال الله اتى امر الله التاسع القضا قال الله تعالى يدبر الامر يعني
القضا العاشر الوحي قال الله تعالى يدبر الامر من السما الى الارض يقول
ينزل الوحي من السما الى وقوله تعالى يتنزل الامر بينهن يعني الوحي الحادي
عشر امر الخلق قال الله تعالى الا الى الله تصير الامور يعني امور الخلايق
الثاني عشر النصر قال الله تعالى هل لنا من الامر من شي يعنون النصر قل ان

الغيب

العذاب

الامر كله لله يعني النصر الثالث عشر الذنب قال الله تعالى فذاقت وبال
امرها يعني جزاذنبها الرابع عشر الشان والفعل قال الله تعالى وما امر فرعون
برشيد يعني فعله وشانه وقال فليحذر الذين يخالفون عن امره اي عن
فعله وقوله قوله تعالى فانما يقول له كن قيل الكاف من كينونه
والنون من نوره وهي المراد بقوله عليه السلام اعوذ بكلمات الله التامات
من شر ما خلق ويروى بكلمة الله التامة على الافراد فالجمع لما كانت هذه الكلمه
في الامور كلها فاذا قال لامر كن ولكل شي كن فهن كلمات يدل على هذا ما روى
عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن الله تعالى عطائي كلام وعذابي
كلام خرجه الترمذي في حديث فيه طول والكلمه على الافراد بمعنى الكلمات
ايضا لكن لما تفرقت الكلمه الواحده في الامور في الاوقات صارت كلمات
ومرجعهن الى كلمة واحده وانما قيل تامه لان اقل الكلام عند اهل اللغه
على ثلاثه احرف حرف مبتدا وحرف تحشى به الكلمه وحرف يسكت عليه واذا كان
على حرفين فهو عندهم منقوص كيد ودم وفم وانما نقصت لعله فهي من
الادميين من المنقوصات ومن على حرفين ولانها كلمه ملفوظه بالادوات
ومن ربنا تبارك وتعالى تامه لانها بغير الادوات تعالى عن شبه المخلوقات
قلت وهذا الكلام قل ما تجده في كتاب فتشد يدك عليه فانه عزيز
نفيس قوله تعالى فيكون وقرا ابن عامر فيكون لانه جواب الامر
بالفا الباقون بالرفع على الاستيناف قال سيبويه المعنى فهو يكون او
فانه يكون وقال غيره هو معطوف على يقول فعلى الاول كاينا بعد الامر
وان كان معدوما فانه بمنزلة الموجود اذ هو عنده معلوم على ما نبينه
وعلى الثاني كاينا مع الامر واختاره الطبري وقال امره للشي بكن لا يتقدم

الوجود

الوجود ولا يتاخر عنه فلا يكون الشي مامورا بالوجود الا وهو موجود
بالامر ولا موجود الا وهو مامور بالوجود قال ونظيره قيام الناس
من قبورهم لا يتقدم دعا الله ولا يتاخر عنه كما قال ثم اذا دعاكم دعوة
من الارض اذا انتم تخرجون وضعف ابن عطيه هذا القول وقال هو خطا في
جهة المعنى لانه يقتضي ان القول مع التكوين والوجود وتلخيص المعتقد
في هذه الايه ان الله سبحانه وتعالى لم يزل امرا للمعدومات بشرط وجودها
قادرا مع تاخر المقدورات عالما مع تاخر المعلومات فكل ما في الايه يقتضي
الاستقبال فهو بحسب المامورات اذ المحدثات تجي بعد ان لم تكن وكل ما
يستند الى الله تعالى من قدرة وعلم فهو قديم لم يزل والمعنى الذي تقتضيه
عبارة كن هو قديم قايم بالذات وقال ابو الحسن الماوردي فان قيل ففي اي
حال يقول له كن فيكون افي حال عدمه ام في حال وجوده فان كان في حال
عدمه استحال ان يامر الا مامورا كما يستحيل ان يكون الامر الا من امر
وان كان في حال وجوده فتلك حال لا يامر فيها بالوجود والحدوث لانه
موجود حادث قيل عن هذا السوال اجوبة ثلاثة احدها انه خبر من الله تعالى
عن نفوذ اوامره في خلقه الموجود كما امر في بني اسرايل ان يكونوا قردة خاسين
ولا يكون هذا واردا في ايجاد المعدومات الثاني ان الله عز وجل عالم بما هو
كاين قبل كونه فكانت الاشيا التي لم تكن وهي كاينه بعلمه قبل كونها مشابهه
التي هي موجوده فجاز ان يقول لها كوني ويامرها بالخروج من حال العدم
الى حال الوجود لتصور جميعها له ولعلمه بها العدم الثالث ان ذلك
خبر من الله تعالى عام عن جميع ما يحدثه ويكونه اذا اراد خلقه وانشاه
كان ووجد من غير ان يكون هناك قول يقوله وانما هو قضا يريده فعبر عنه

بالقول وان لم يكن قولا كقول ابي النجم   قد قالت الانساع للبطن الحقي
ولا قول هناك وانما اراد ان الظهر لحق بالبطن وكقول عمرو بن حممه الدوسي
فاصبحت مثل النسر طارت فراخه اذا رام تطيارا يقال له قع   وكما
قال الاخر   قال جناحيه لساقيه الحقا ونجيا لحمكما ان يمزقا   تعالى
وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا اية كذلك قال الذين
من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الايات لقوم يوقنون

تشابهت

اختلف في الذين لا يعلمون من هم فقال ابن عباس هم اليهود وقال مجاهد
هم النصارى ورجحه الطبري لانهم المذكورون في الاية اولا وقال الربيع
والسدي وقتادة هم مشركوا العرب ولولا بمعنى هلا للتخصيص كما
قال الاشهب بن رميله   تعدون عقر النيب افضل مجدكم بني ضوطرى
لولا الكمي المقنعا وليست هذه لولا التي تعطي منع الشي لوجود غيره
والفرق بينهما عند علما اللسان ان لولا بمعنى التخصيص لا يليها الا الفعل
مضمرا او مقدرا والتي للامتناع يليها الابتدا وجرت العادة بحذف الخبر
كما تقدم بيانه عند قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته فاعرفه
ومعنى الكلام لا يكلمنا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فنعلم انه نبي فنومن به
او ياتينا باية تكون علامة على نبوته والاية العلامة والدلالة وقد تقدم
والذين من قبلهم اليهود والنصارى في قول من جعل الذين لا يعلمون كفار
العرب او الامم السالفة في قول من جعل الذين لا يعلمون اليهود والنصارى
او اليهود في قول من جعل الذين لا يعلمون النصارى تشابهت قيل في التعنيت
والاقتراح وترك الايمان وقال الفرا تشابهت قلوبهم اتفاقهم
على الكفر وقيل تشابهت كلمتهم كما تشابهت قلوبهم وقيل تشابهت

قلوبهم

قلوبهم وقيل تشابهت قلوبهم في القسوه والمعنا متقارب قد بينا الايات
يعني امرك في التوراه انك نبي مرسل بالصفه والنعت وقيل قد بينا الايات
اي المعجزات والدلالات على نبوتك ويقال لم يجى لنبي من الانبيا معجزه وعلامه
الا وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم مثلها لقوم يوقنون اي لمن كان له عقل
وتمييز وقيل يعني مومني اهل التوراه تعالى انا ارسلناك بالحق
بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم بشيرا ونذيرا على الحال ونذيرا
عطف عليه وقد تقدم معناها ولا تسئل عن اصحاب الجحيم قال مقاتل ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لو انزل الله باسه باليهود لامنوا فانزل الله
تعالى ولا تسئل عن اصحاب الجحيم برفع تسئل وهي قراه الجمهور وتكون في موضع
الحال تعطفه على بشيرا ونذيرا المعنى انا ارسلناك بشيرا ونذيرا غير
مسوول وقال الاخفش ولا تسئل بفتح التا وضم اللام وتكون في موضع
الحال عطفا على بشيرا ونذيرا المعنى انا ارسلناك بشيرا ونذيرا غير سايل
ومعنى غير مسوول لا يكون مواخذا بكفر من كفر بعد البشرى والانذار
اي انك اذا بلغت الرساله فانك قد فعلت ما عليك فلا تسئل عن اصحاب
الجحيم عما فعلوا وهذا كما قال في ايه اخرى فانما عليك البلاغ وعلينا
الحساب وقال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ذات يوم ليت شعري ما فعل ابواي فنزلت هذه الايه
وهذا على قراه من قرا ولا تسئل جزما على النهي وهي قراه نافع وحده وفيه وجهان
احدهما انه نهي عن السوال عمن عصى وكفر من الاحيا لانه قد تتغير حاله
فينتقل عن الكفر الى الايمان وعن المعصيه الى الطاعه والثاني وهو الاظهر
انه نهي عن السوال عمن مات على كفره ومعصيته تعظيما لحاله وتغليظا

لشانه وهذا مما يقال ولا تسل عن فلان اي قد بلغ فوق ما تحسب وقرا ابن مسعود ولن تسل وقرا ابي وما تسل ومعناها موافق لقراه الجمهور نفي ان يكون مسولا عنهم وقيل انما سال اي ابويه احدث موتا وقد ذكرنا في كتاب التذكره ان ان الله تعالى احيا له اباه وامه وامنا به وذكرنا قوله عليه عليه السلام للرجل ان ابي واباك في النار وبينا ذلك هناك والحمد لله

تعالى انا ارسلناك بالحق ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولين اتبعت اهواهم بعد الذي جاك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير فيه خمس مسايل قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى المعنى ليس غرضهم يا محمد ما يقترحون من الايات ان يومنوا بل لو اتيتهم بكل ما يسالون لم يرضوا عنك وانما يرضيهم ترك ما انت عليه من الاسلام واتباعهم يقال رضي يرضى رضى ورضى ورضوانا ومرضاة وهو من ذوات الواو ويقال في التثنيه رضوان وحكى الكسائي رضيان وحكى رضاه مصدر ودا نه مصدر راضى يراضي مراضاة ورضا وتتبع منصوب بان ولكنها لا تظهر مع حتى قاله الخليل وذلك ان حتى خافضه للاسم كقوله حتى مطلع الفجر وما يعمل في الاسم لا يعمل في الفعل البته وما يخفض الاسما لا يخفض ينصب شيا وقال النحاس تتبع منصوب بحتى وحتى بدل من ان والمله اسم لما شرعه الله تعالى لعباده في كتبه وعلى السنه رسله فكانت المله والشريعه سوا واما الدين فقد فرق بينه وبين المله وبين الشريعه بان المله والشريعه ما دعا الله عباده الى فعله والدين ما فعله العباد عن امره والكلام ولن ترضى عنك اليهود حتى تتبع مله اليهود ولن ترضى عنك النصارى حتى تتبع

مله

مله النصرانيه وهذا الذى تسميه اهل اللغه التلفيق كما تقدم
تمسك بهذه الايه جماعه من العلما منهم ابو حنيفه والشافعى وداود واحمد
فى احدى الروايتين عنه على ان الكفر كله مله واحده لقوله تعالى ملتهم فوحد
المله وبقوله لكم دينكم ولى دين وبقوله عليه السلام لا يتوارث اهل
ملتين على ان المراد به الاسلام والكفر بدليل قوله عليه السلام لا يرث
المسلم الكافر وذهب مالك واحمد فى الروايه الاخرى ان الكفر ملل فلا
يرث اليهودى النصرانى ولا يرث المجوسى اخذا بظاهر قوله عليه السلام لا
يتوارث اهل ملتين واما قوله تعالى ملتهم فالمراد به الكثره وان كان موحدا
فى اللفظ بدليل اضافتها الى ضمير الكثره كما تقول اخذت عن علما اهل المدينه
علمهم وسمعت عليهم حديثهم يعنى علومهم واحاديثهم قوله
تعالى قل ان هدى الله هو الهدى المعنى ما انت عليه يا محمد من هدى
الله الحق الذى يضعه فى قلب من يشا هو الهدى الحقيقى لا ما يدعيه هولا
قوله تعالى ولين اتبعت اهواهم الاهوا جمع هوا كما تقول
جمل واجمال وقد تقدم القول فيه ولما كانت مختلفه جمعت ولو حمل
على افراد المله لقال هواهم وفى هذا الخطاب وجهان احدهما انه للرسول
عليه السلام لتوجه الخطاب اليه الثانى انه للرسول والمراد امته
وعلى الاول يكون فيه تاديب لامته اذ منزلتهم دون منزلته وسبب
الايه انهم كانوا يسالون المسالمه والهدنه ويعدون النبى صلى الله
عليه وسلم بالاسلام فاعلمه الله انهم لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم
وامره بجهادهم قوله تعالى بعد الذى جاك من العلم يعنى
بضلالتهم وقيل بعد ما ظهر ان دين الاسلام هو الحق بما انزلته عليك

وسئل الامام احمد بن حنبل عمن يقول القران مخلوق فقال كافر فقيل بم كفرته

قال بايات من كتاب الله عز وجل ولئن اتبعت اهواهم من بعد ما جاءك من

العلم فالقران علم الله فمن زعم انه مخلوق فقد كفر ما لك من الله من ولي ولا نصير

تقدم   تعالى الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اوليك

يومنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون فيه ثلاث مسايل

قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب قال قتاده هم اصحاب النبي صلى الله عليه

وسلم والكتاب على هذا التاويل القران وقال ابن زيد هم من اسلم من بني

اسرايل والكتاب على هذا التاويل التوراه والاية تعم والذين رفع بالابتدا

اتيناهم صلته يتلونه خبر الابتدا وان شيت كان الخبر اوليك يومنون به

واختلف العلما في معنى يتلونه حق تلاوته فقيل يتبعونه حق اتباعه

باتباع الامر والنهي فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بما تضمنه قاله

عكرمه قال عكرمه اما سمعت قول الله تعالى والقمر اذا تلاها اي اتبعها

وهو معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما   وقال الشاعر

قد جعلت دلوي تستتليني   وقال قتاده ذكر لنا ان ابن مسعود قال

والله ان حق تلاوته ان يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرا كما انزله الله تعالى

ولا يحرف عن مواضعه وروى نصر بن عيسى عن ملك عن نافع عن ابن عمر عن

النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه

في اسناده غير واحد من المجهولين فيما ذكر الخطيب ابو بكر احمد بن علي قلت

الا ان معناه صحيح بدليل ما ذكرناه وقال ابو موسى الاشعري من يتبع القران

يهبط به على رياض الجنه وقول ثان روي عن عمر بن الخطاب انه قال

هم الذين اذا مروا باية رحمه سالوها من الله تعالى واذا مروا باية عذاب

استعاذوا

استعاذوا منها وقد روى هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
مر باية رحمة سال الله واذا مر باية عذاب تعوذ خرجه وغيره
وقال الحسن هم الذين يعملون بمحكمه ويومنون بمتشابهه ويكلون ما اشكل عليهم
الى عالمه وقيل يقرونه حق قراته قلت وهذا فيه بعد الا ان يكون المعنى
يرتلون الفاظه ويفهمون معانيه فان بفهم المعاني يكون الاتباع لمن وفق
والله اعلم قوله تعالى اولئك يومنون به يعني محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل يعود على الكتاب ومن يكفر به يعني محمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقران
فاولئك هم الخاسرون قيل هو كعب بن الاشرف واصحابه وقيل يدخل في معناهم
من لم يعمل بالقران واحكامه قال صلى الله عليه وسلم ما امن بالقران من
استحل محارمه خرجه الترمذي وغيره تعالى يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم الاية تقدم القول فيهما فلا معنى للاعادة
تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس
اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين فيه ثلاث وعشرون
مسئلة قال العلماء لما جرى ذكر الكعبة والقبلة اتصل ذلك بذكر
ابراهيم عليه السلام وانه الذي بنا البيت فكان من حق اليهود وهم من
نسل ابرهيم ان لا يرغبوا عن دينه والابتلاء الامتحان والاختبار ومعناه
امر وتعبد ويقال هل من كان الدم على الله تعالى فابتلاه لكي يبين فضله ويستوجب
الثواب لما روي عن لقمان الحكيم انه قال لابنه يا بني الذهب والفضة
يختبران بالنار والمومن يختبر بالبلايا وابراهيم تفسيره بالسريانية فيما ذكر
الماوردي وبالعربية فيما حكى بن عطية اب رحيم قال السهيلي وكثير ما يقع الاتفاق
بين السرياني والعربي او يقاربه في اللفظ الا ترى ان ابرهيم تفسيره اب

رحيم لرحمته بالاطفال ولذلك جعل هو وسارة زوجه كافلين الاطفال
المومنين الذين يموتون صغارا الي يوم القيامه قلت ومما يدل على
هذا ما خرجه البخاري من حديث الرويا الطويل عن سمرة وفيه ان النبي صلى
الله عليه وسلم راي في الروضة ابرهيم عليه السلام وحوله اولاد الناس
وقد اتينا عليه في كتاب التذكرة والحمد لله وابراهيم هو بن تارخ بن ناخور
في قول بعض المورخين وفي التنزيل واذ قال ابراهيم لابيه ازر وكذلك
في صحيح البخاري ولا تناقض في ذلك على ما ياتي بيانه في الانعام ان شا الله
تعالى وكان له اربع بنين اسمعيل واسحاق ومدين ومداين على ما ذكره السهيلي
وقدم على الفاعل للاهتمام اذ كون الرب تبارك وتعالى مبتليا معلوم وكون
الضمير المفعول في العربيه متصلا بالفاعل يوجب تقدم المفعول فانما بني
الكلام على هذا الاهتمام فاعلمه وقراه العامه ابراهيم بالنصب ربه بالرفع
على ما ذكرناه وروي عن جابر بن زيد انه قرا على العكس وزعم ان ابن عباس اقراه
كذلك والمعنى دعا ابراهيم ربه وسال وفيه بعد لاجل الباء في قوله بكلمات
قوله تعالى بكلمات الكلمات جمع كلمه ويرجع تحقيقها الي كلام الباري
تعالى لكنه عبر عنها عن الوظايف التي كلفها ابراهيم عليه السلام ولما كان تكليفها
بالكلام سميت به كما سمي عيسى كلمه لانه صدر عن كلمه وهي كن وتسميه
الشي بمقدمته احد قسمي المجاز قاله ابو بكر بن العربي واختلف العلما
في المراد بالكلمات على اقوال احدها شرايع الاسلام وهي ثلاثون سهما عشر
منها في سورة براة التايبون العابدون الي اخرها وعشر في الاحزاب ان المسلمين
والمسلمات الي اخرها وعشر في المومنين قد افلح المومنون الي قوله والذين هم
على صلاتهم يحافظون وقوله في سال سايل الا المصلين الي قوله والذين هم على

صلاتهم

صلاتهم محافظون عن ابن عباس قال ابن عباس ما ابتلى الله بهذا احد فقام بها كلها
الا ابرهيم الذى وفى وقال بعضهم ابتلاه الله بالامر والنهى وقال بعضهم بذبح
ابنه وقال بعضهم باداء الرسالة والمعنى متقارب وقال مجاهد هي قوله انى مبتليك
بامر قال تجعلني للناس اماما قال نعم قال ومن ذريتي قال لا ينال
عهدى الظالمين قال تجعل البيت مثابة للناس قال نعم وامنا قال نعم قال
وترينا مناسكنا وتتوب علينا قال نعم قال وترزق اهله من الثمرات قال
نعم وعلى هذا القول فالله تعالى هو الذى اتم واصح من هذا ما ذكره عبد الرزاق
عن معمر عن ابن طاوس عن ابن عباس في قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات
فاتمهن قال ابتلاه الله بالطهارة خمس في الراس وخمس في الجسد قص الشارب
والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الشعر وفي الجسد تقليم الاظفار
وحلق العانة والاختتان ونتف الابط وغسل مكان الغائط والبول بالماء
وعلى هذا القول فالذى اتم هو ابراهيم عليه السلام وهو ظاهر القران
وروى مطر عن ابي الخلد انها عشر ايضا الا انه جعل مكان القرع غسل البراجم
وموضع الاستنجا الاستحداد وقال قتاده هي مناسك الحج خاصة الحسن
هي الخلال الست الكوكب والقمر والشمس والنار والهجرة والختان ومن
الابتلا ازامه ولدته فانا على ما ياتي بيانه في الانعام قال ابو اسحاق الزجاج
وهذه الاقوال ليست بمتناقضة لان هذا كله مما ابتلى به ابراهيم عليه
السلام قلت هذا قول حسن وفي الموطا وغيره عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد
بن المسيب يقول ابراهيم عليه السلام اول من اختتن واول من اضاف الضيف
واول من استحد واول من قلم الاظفار واول من قص الشارب واول من شاب
فلما راى الشيب قال ما هذا قال وقار قال رب زدني وقارا وذكر ابو بكر

عليه السلام ابتلى الاسلام فاتمه فقال علمت الله ابراهيم

بن ابي شيبه عن سعد بن ابراهيم عن ابيه قال اول من خطب على المنابر ابراهيم
خليل الله قال غيره واول من ثرد الثريد واول من ضرب بالسيف واول
من استاك واول من استنجا بالما واول من لبس السراويل وروى معاذ بن جبل قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان اتخذ المنبر فقد اتخذه ابراهيم وان اتخذ العصا فقد اتخذها
ابي ابراهيم قلت وهذه احكام يجب بيانها والوقوف عليها والكلام فيها فاول
ذلك اجمع العلما على ان ابراهيم عليه السلام اول
من اختتن واختلف في السن الذي اختتن فيه ففي الموطا عن ابي هريره وهو بن مايه
وعشرين سنه وعاش بعد ذلك ثمانين سنه ذكره ابو عمر وروي مسندا مرفوعا
من غير روايه يحيى من وجوه انه اختتن حين بلغ ثمانين سنه واختتن بقدوم كذا
في صحيح مسلم وغيره بن ثمانين سنه وهو المحفوظ في حديث بن عجلان وحديث
الاعرج عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عكرمه اختتن ابرهيم وهو
بن ثمانين سنه قال ولم يطف بالبيت على مله ابرهيم الا مختون هكذا قال
عكرمه وقاله المسيب بن رافع ذكره المروزي والقدوم يروي مشددا
ومخففا قال ابو الزناد القدوم مشدد موضع واختلف العلما
في الختان فجمهور العلما على ان ذلك من موكدات السنن ومن فطره الاسلام التي لا
يسع تركها في الرجال وقالت طايفه ذلك فرض لقوله ان اتبع مله ابراهيم حنيفا
قال قتاده هو الختان واليه مال بعض المالكيين وهو قول الشافعي بن سريج
على وجوبه بالاجماع على تحريم النظر الى العوره وقالوا لولا ان الختان فرض لما
ابيح النظر اليها من المختون واجيب عن هذا بان مثل هذا يباح الجسم لنظر
الطبيب والطب ليس بواجب اجماعا على ما ياتي بيانه في النحل ان شا الله
تعالى وقد احتج بعض اصحابنا بما رواه الحجاج بن ارطاه عن ابي المليح عن ابيه

عن

الحذا

مطلب اختتان ابراهيم وغيره

عن شداد بن اوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الختان سنة للرجال
مكرمة للنسا والحجاج ليس ممن يحتج به **قلت** اعلا ما يحتج به في هذا الباب
حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الفطرة خمس وسياتي وروى
ابو داود عن ام عطية ان امراة كانت تختن النسا في المدينة فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تنهكي فان ذلك احظى للمراة واحب للبعل قال ابو داود
وهذا الحديث ضعيف رواية مجهول وفي رواية ذكرها رزين ولا تنهكي
فانه انور للوجه واحظى عند الرجل فان ولد الصبي مختونا فقد كفي
موونة الختان قال الميموني قال لي احمد بن حنبل رجلا ولد له ولد
مختونا فاغتم لذلك غما شديدا فقلت له اذا كان الله قد كفاك
بهذا وقال الجوزي حدثت عن كعب الاحبار قال خلق من الانبيا ثلاثة (اربعة)
عشر مختونين ادم وشيث وادريس ونوح وسام وهود ولوط ويوسف
وموسى وشعيب وسليمن ويحيى وعيسى والنبي صلى الله عليه وسلم وقال محمد
بن حبيب هم اربعة عشر ادم وشيث ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب
ويوسف وموسى وسليمن وزكريا وعيسى وحنظلة بن صفوان نبي اصحاب
الرس ومحمد صلى الله عليه وسلم **قلت** اختلف الروايات في النبي صلى الله عليه
وسلم فذكر ابو نعيم الحافظ في كتاب الحلية باسناده ان النبي صلى الله عليه
وسلم ولد مختونا واسند ابو عمر في التمهيد فقال حدثنا احمد بن محمد بن احمد
نا محمد بن عيسى نا يحيى بن ايوب بن زياد العلاف نا محمد بن ابي السري العسقلاني
نا الوليد بن مسلم عن شعيب عن عطا الخراساني عن عكرمة عن ابن عباس ان عبد
المطلب ختن النبي صلى الله عليه وسلم يوم سابعه وجعل له مادبة وسماه محمدا
قال ابو عمر هذا حديث مسند غريب قال يحيى بن ايوب طلبت هذا الحديث

لم اسمع عن احد من اهل الحديث ممن لقيته الا عند بن ابي السرى قال ابو عمر
وقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد مختونا والله اعلم   واختلفوا
متى يختن الصبى فثبت في الاخبار عن جماعه من العلما ختن ابراهيم اسمعيل
لثلاثه عشر سنة وختن ابنه اسحق لسبعة ايام وروى فاطمة انها
كانت تختن ولدها يوم السابع وانكر ذلك مالك وقال ذلك من عمل
اليهود ذكره عنه بن وهب وقال الليث بن سعد يختن الصبى ما
بين سبع سنين الى عشر ونحوه روى بن وهب عن مالك وقال احمد
لم اسمع في ذلك شيا في البخارى عن سعيد بن جبير قال سيل بن
عباس مثل من انت حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا
يومئذ مختون قال وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك او يقارب
الاحتلام   واستحب العلما في الرجل الكبير يسلم ان يختتن
وكان عطا يقول لا يتم اسلامه حتى يختتن وان بلغ ثمانين سنه وروى
عن الحسن انه كان يرخص للشيخ الذي يسلم ان لا يختتن ولا يرا به باسا
ولا بشهادته وذبيحته وحجته وصلاته قال بن عبد البر وعامه اهل
العلم على هذا وحديث بريده في حج الاغلف لا يثبت وروى عن بن
عباس وجابر بن زيد وعكرمه ان الاغلف لا توكل ذبيحته ولا تجوز شهادته
قوله واول من استحد فالاستحداد استعمال الحديده
في حلق العانه وروت ام سلمه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اطلى
ولى عانته بيده وروى بن عباس ان رجلا طلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى اذا بلغ الى العانه قال اخرج عني ثم طلا عانته بيده وروى
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يتنور وكان اذا كثر الشعر على

حسن

جسده حلقه بن خواز منداد وهذا يدل على ان الاكثر من فعله كان
الحلق وانما تنور نادرا ليصح الجمع بين الحديثين
تقليم الاظفار وتقليم الاظفار قصها والقلامه ما زال منها وقال
مالك احب للنسا من قص الاظفار وحلق العانة مثل ما هو على الرجال
ذكره الحرث بن مسكين وسحنون عن ابن القاسم وذكر الترمذي الحكيم
ابو عبد الله في نوادر الاصول له الاصل التاسع والعشرون حدثنا
عمر بن ابي عمر قال حدثنا ابراهيم بن العلا الزبيدي عن عمر بن بلال الفزاري
قال سمعت عبد الله بن بسر المازني يقول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قصوا اظافيركم وادفنوا قلاماتكم ونقوا براجمكم ونظفوا
لثاتكم من الطعام واستنوا ولا تدخلوا قحرا بخرا من تكلم عليه
فاحسن قال الترمذي ابو عبد الله فاما قص الاظفار فمن اجل انه يخدش
ويخدش ويضر وهو مجتمع الوسخ فربما اجنب ولا يصل الما الى البشره
من اجل الوسخ فلا يزال جنبا ومن اجنب فبقي موضع ابرة من جسده بعد
الغسل غير مغسول فهو جنب على حاله حتى يعم الغسل جسده كله
فلذلك ندبهم الى قص الاظافير والاظافير جمع الاظفور والاظفار
جمع الظفر وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سها
في صلاته فقال ومالي لا اوهم ورفغ احدكم بين ظفره وانملته ويسلني
احدكم عن خبر السما وفي اظافيره الجنابه والتفث قلت ذكر
هذا الخبر ابو الحسن علي بن محمد الطبري المعروف بالكيا في احكام القران له عن
سليمان بن فرج ابي واصل قال اتيت ابا ايوب رضي الله عنه فصافحته
فراى في اظفاري طولا فقال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يسله

عن خبر السما فقال عمي احدهم ليسل خبر السما واظفاره كاظفار الطير
يجمع فيها الوسخ والنفث فقال ابو عبد الله واما قوله وادفنوا فلا
ما نحم فان جسد المومن له حرمة فما سقط عنه وزال عنه فحفظه من الحرمة
فا جرنيجو عليه ازيد فيه كما انه لو مات دفن فاذا مات بعضه فكذلك
ايضا يدفنه لئلا تتفرق ولا يقع في النار او في مزابل قذره وقد امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بدفن دمه حيث احتجم لئلا يبحث عنه الكلاب
حدثنا بذلك ابي رحمه الله قال ثنا موسى بن اسمعيل قال ثنا الهنيد
بن القاسم بن عبد الرحمن بن ماعز قال سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير ان
اباه حدثه انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم فلما فرغ
قال يا عبد الله اذهب بهذا الدم فاهرقه حيث لا يراك احد فلما
برز عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمد الى الدم فشربه فلما رجع قال
يا عبد الله ما صنعت به قال جعلته في اخفى مكان ظننت انه خافيا عن
الناس قال لعلك شربته قال لم شربت الدم ويل لك من الناس حدثني
ابي رحمه الله قال ثنا ملك بن سليمن الهروي قال ثنا داود بن عبد الرحمن
عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشه قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يامر بدفن سبعه اشيا من الانسان الشعر والظفر والدم والحيضه
والسن والقلفه والبشيمه واما قوله نقوا براجمكم فالبراجم تلك العضون
من المفاصل وهو جمع الدرن واحدها برجمه وهو ظهر عقده كل مفصل
فظهر العقد يسمى برجمه وما بين العقدتين يسمى راجبه وجمعها رواجب وذلك
مما يلي ظهرها وهي قصبه الاصابع فلكل اصبع برجمتان وثلاث رواجب
الا الابهام فان لها برجمه وراجبتين فامر بتنقيته لان لا يدرن فيبقى فيه

الجنابه ويجول الدرن بين الما والبشره واما قوله نظفوا اللثات فاللثه
واحده واللثات جماعه وهي اللحمه فوق الاسنان ودون الاسنان وهي
منابتها والعمور اللحمه القليله بين السنين واحدها عمر فامر بتنظيفها
لئلا يبقى فيه وضر الطعام فتتغير عليها النكهه وتتنكر الرايحه وتتاذى
الملكان لانه طريق القران ومقعد الملكين عند نابيه وروي في الخبر
في قوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قال عند نابيه حدثنا
بذلك محمد بن علي الشقيقي قال سمعت ابي يذكر ذلك عن سفين بن عيينه
وجاد ما قال وذلك ان اللفظ هو على الشفتين يلفظ الكلام عن لسانه الى
الدار وقوله لديه اي عنده والله اعلم والعند في لغتهم السايره بمعنى
واحد وكذلك قوله لدن والنون زايده فكان الايه تنبي ان الرقيب
عتيد عند ملفظ الكلام وهو الناب واما قوله تسننوا وهو السواك
ماخوذ من السن اي نظفوا السن وقوله لا تدخلوا علي بخرا قلحا فالمحفوظ
عندي بخرا وقلحا وسمعت الجارود يذكر عن النضر قال الاقلح الذي
قد اصفرت اسنانه حتى بخرت من باطنها ولا اعرف البخر والبجر الذي يجده
بالجه منكدما لبشرته يقال رجل ابخر ورجال بخر حدثنا الجارود قال
نا جرير عن منصور عن ابي علي جعفر بن تمام بن العباس عن ابيه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم استاكوا ما لكم تدخلون علي قلحا

في قص الشارب وهو الاخذ منه حتى يبدو اطراف الشفه
وهو الاطار ولا يجزه فيمثل بنفسه قاله مالك وذكر بن عبد الحكم عنه قال
وارى ان يودب من حلق شاربه وذكر اشهب عنه انه قال في حلق الشارب
هذه بدع وارى ان يوجع ضربا فانه يراه ممثلا بنفسه ولذلك بنتف الشعر

وتقصيره اولى عنده من حلقه ولذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
كان ذا لمه وكان اصحابه من بين وافر الشعر او مقصر وانما حلق وحلقوا في النسك
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقص اظفاره وشاربه قبل ان
يخرج الى الجمعة وقال الطحاوي لم نجد عن الشافعي في هذا شيا منصوصا واصحابه
الذين راينا هم المزني والربيع كانا يحفيان شواربهما ويدل ذلك انهما
اخذا ذلك عن الشافعي قال واما ابو حنيفة وزفر وابو يوسف ومحمد فكان
مذهبهم في شعر الراس والشارب ان الاحفا افضل من التقصير وذكر ابن
خوازمنداد عن الشافعي ان مذهبه في حلق الشارب كمذهب ابي حنيفة
سوا وقال ابو بكر الاثرم رايت احمد بن حنبل يحفي شاربه شديدا وسمعته
يسل عن السنه في احفا الشارب فقال يحفي كما قال النبي عليه السلام احفوا
الشوارب قال ابو عمر بن عبد البر انما في هذا الباب اصلان احدهما
احفوا الشوارب وهو لفظ محتمل للتاويل والثاني قص الشارب وهو مفسر
والمفسر يقضي على المجمل وهو عمل اهل المدينه وهو اولى ما قيل به في هذا
الباب قلت روى الترمذي عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقص من شاربه ويقول ان ابرهيم خليل الرحمن كان يفعله قال
حديث غريب وخرج مسلم عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الفطره خمس الاختتان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار
ونتف الابط وخرج عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احفوا وفوا اللحا والاعاجم يقصون لحاهم ويوفرون شواربهم
او يوفرونهما معا وذلك عكس الجمال والنظافه وذكر رزين عن نافع ان
ابن عمر كان يحفي شاربه حتى ينظر الى الجلد وياخذ هذين يعني ما بين الشارب

واللحيه

واللحيه وفي البخاري وكان ابن عمر ياخذ من طول لحيته ما زاد على القبضه
اذا حج او اعتمر وروى الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان ياخذ من لحيته من عرضها وطولها قال هذا
حديث غريب وفرق الشعر تفرقه في المفرق وفي
صفته صلى الله عليه وسلم ان انفرقت عقيصته فرق ويقال فرقت الشعر افرقه
فرقا يقول ان انفرق شعر راسه فرقه في مفرقه وان لم ينفرق تركه وفره
واحده وخرج النساى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدل
شعره وكان المشركون يفرقون رءوسهم وكان يحب موافقه اهل
الكتاب فيما لم يومر فيه بشي ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
ذلك اخرجه البخاري ومسلم عن انس قال القاضي عياض سدل الشعر ارساله
والمراد به هاهنا عند العلما ارساله على الجبين واتخاذه كالقصه والفرق
في الشعر سنه لانه الذى رجع اليه النبى صلى الله عليه وسلم وقد
روى ان عمر بن عبد العزيز كان اذا انصرف من الجمعه اقام على باب المسجد
حرسا يجزون ناصيه كل من لم يفرق شعره وقد قيل ان الفرق كان
من سنه ابراهيم فالله اعلم واما الشيب فنور
ويكره نتفه في النساى وابى داود من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنتفوا الشيب
ما من مسلم يشيب شيبة في الاسلام الا كانت له نورا يوم القيمه
وكتب الله له حسنه وحطت عنه خطيه قلت وكما يكره نتفه
كذلك يكره تغييره وخاصه بالسواد فاما بغير السواد فجايز لقوله
عليه السلام في حق ابي قحافه وقد جي به ولحيته كالثغامه بياضا غيروا

واما الابط فسنته النتف [illegible]

هذا بشي واجتنبوا السواد ولقد احسن من قال تسود اعلاها وتبيض
اصلها ولا خير في الاعلى اذا فسد الاصل وقال اخر يا خاضب
الشيب بالحنا يستره سل المليك له سترا من النار ولقد رايت من
تصدى لمنصب العلم والقضا بين الناس ينتف الشيب من شعر لحيته
يوم الجمعه وهو منتظر الصلاه للجمعه فلنت اتعجب من جهله وقله علمه بهذا
واما الثريد فهو ارفع الطعام واكثره بركه وهو
طعام العرب وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالفضل على ساير
الطعام فقال فضل عايشه على النسا كفضل الثريد على ساير الطعام
وفي صحيح البستي محمد بن حبان عن اسما بنت ابي بكر انها كانت اذا اثردت
غطته شيا حتى يذهب فوره وتقول اني سمعت رسول الله عليه
وسلم يقول انه اعظم للبركه قلت وهذا كله في معنى ما
ما ذكره عبد الرزاق عن ابن عباس وما قاله سعيد بن المسيب وغيره وياتي ذكر
المضمضه والاستنشاق والسواك في سوره النسا وحكم الاستنجا في براه
وحكم الضيافه في هود ان شا الله تعالى وخرج مسلم عن انس قال وقت لنا
في قص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانه الا نترك اكثر من اربعين
ليله قال علماونا هذا تحديد في اكثر المده والمستحب تفقد ذلك من الجمعه
الى الجمعه وهذا الحديث يرويه جعفر بن سليمان العقيلي حدثنا نظر
وقال ابو عمر فيه ليس بحجه لسو حفظه وكثره غلطه وهذا الحديث ليس
بالقوي من جهه النقل ولكنه قد قال به قوم واكثرهم على ان لا توقيت في
ذلك وبالله التوفيق قوله تعالى اني جاعلك للناس
اماما قال العلما ابتلاه جعله اماما وفي هذا دليل على ان الانسان لا يبلغ

درجه

درجه الاختيار الا بالتعب وجهد النفس والامام القدوة ومنه قيل لخيط البنا امام وللطريق امام لانه يؤم المسالك اي يقصد فالمعنى جعلناك للناس اماما يأتمون بك في هذه الخصال ويقتدي بك الصالحون فجعله الله اماما لاهل طاعته فلذلك اجمعت الامم على الدعوى فيه والله اعلم انه كان حنيفا مسلما   قوله تعالى ومن ذريتي قيل هذا على

وجه التمني وذلك انه لما قال له اني جاعلك للناس اماما اعجبه ذلك وتمنى ان يكون لذريته مثل ذلك فقال ومن ذريتي وقيل ان قوله ومن ذريتي دعا على جهة الرغبة الى الله تعالى اي ومن ذريتي يارب فاجعل وقيل هذا منه على جهة الاستفهام عنهم اي ومن ذريتي يارب ماذا يكون فاخبر الله تعالى ان فيهم عاصيا وظالما لا يستحق الامامة قال بن عباس سال ابراهيم عليه السلام ان يجعل من ذريته امام فعلم الله ان في ذريته من يعصي فقال لا ينال عهدي الظالمين   وقوله ومن ذريتي اصل

ذرية فعلية من الذر لان الله تعالى اخرج الخلق من صلب ادم عليه السلام كالذر حين اشهدهم على انفسهم وقيل هو ماخوذ من ذرا الله الخلق يذرهم ذرا خلقهم ومنه الذرية وهي نسل الثقلين الا ان العرب تركت همزها والجمع الذراري وقرا زيد بن ثابت ذِرية بكسر الذال وذَرية بفتحها قال بن جني ابو الفتح عثمان يحتمل اصل هذه الحرف اربعة الفاظ احدها ذرا والثاني ذرر والثالث ذرو والرابع ذري فاما الهمز فمن ذرا الله الخلق واما ذرر فمن لفظ الذر ومعناه وذلك لما ورد في الخبر ان الخلق كان كالذر واما الواو والياء فمن ذروت الحب وذريته يقالان وذلك قوله سبحانه فاصبح هشيما تذروه الرياح وهذا اللفظ وخفته وتلك

هم

حال الدرايضا قال الجوهري ذرت الريح وغيره تدروه وتذريه ذروا وذريا اي سفته ومنه قولهم ذري الناس الحنطه واذريت الشي اذا القيته كالقايك لحب للزرع وطعنه فاذراه عن ظهره اي القاه وقال الخليل انما سمواذريه لان الله تعالى ذراها على الارض كما ذري الزارع الحب وقيل اصل ذريه ذروره لكن لما كثر التضعيف ابدل من احدى الرات يا فصارت ذرويه ثم ادغمت الواو في اليا فصارت ذريه والمراد بالذريه هنا الابنا

وقد تطلق على الابا والابنا جميعا ومنه قوله تعالى وايه لهم انا حملنا ذريتهم

قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين اختلف في المراد بالعهد فروى ابو صلح عن ابن عباس انه النبوه وقاله السدي مجاهد الامامه قتاده الايمان عطا الرحمه الضحاك دين الله وقيل عهده امره ويطلق العهد على الامر قال الله تعالى عهد الينا اي امرنا وقال الم اعهد اليكم يا بني ادم يعني الم اقدم اليكم الامر به واذا كان عهد الله امره ونهيه فقوله لا ينال عهدي الظالمين اي لا يجوز ان يكونوا بمحل من يقبل منهم اوامر الله ولا يقيمون عليها على ما ياتي بيانه بعد هذا ان شا الله تعالى

وروى معمر عن قتاده في قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين قال لا ينال عهد الله في الاخره الظالمين فاما في الدنيا فقد ناله الظالم فامن به واكل وعاش وابصر قال الزجاج وهذا قول حسن اي لا ينال اماني الظالمين اي لا اومنهم من عذابي وقال سعيد بن جبير الظالم هنا المشرك وقال ابن مسعود وطلحه بن مصرف لا ينال عهدي الظالمون برفع الظالمون الباقون بالنصب واسكن حمزه وحفص وابن محيصن اليا في عهدي وفتحها الباقون

استدل جماعه من العلما بهذه الايه على ان الامام

يكون

يكون من اهل العدل والاحسان والفضل مع القوه على القيام بذلك وهو الذي
امر النبي صلى الله عليه وسلم ان لا ينازعوا الامر اهله على ما تقدم من القول
فيه فاما اهل الفسق والظلم والجور فليسوا له باهل لقوله تعالى لا ينال عهدي
الظالمين ولهذا خرج ابن الزبير والحسين بن علي رضي الله عنهما وخرج خيار اهل
العراق وعلماوهم على الحجاج واخرج اهل المدينه بني اميه وقاموا عليهم فكانت
الحره التي اوقعها بهم عقبه بن مسلم والذي عليه الاكثر من العلما ان الصبر على
طاعه الامام الجاير اولى من الخروج عليه لان في منازعته والخروج عليه استبدال
الامن بالخوف واراقه الدما وانطلاق ايدي السفها وشن الغارات على المسلمين
والفساد في الارض والاول مذهب طايفه من المعتزله وهو مذهب الخوارج
فاعلمه قال ابن خواز منداد وكل من كان ظالما لم يكن نبيا ولا
خليفه ولا حاكما ولا مفتيا ولا امام صلاه ولا يقبل عنه ما يرويه عن صاحب
الشريعه ولا تقبل شهادته في الاحكام غير انه لا يعزل بفسقه حتى يعزله
اهل الحل والعقد وما تقدم من احكامه موافقا للصواب ماض غير منقوض
وقد نص مالك على ان الخوارج والبغاه ان احكامهم لا تنقض اذا اصابوا
بها وجها من الاجتهاد ولم يخرقوا الاجماع او يخالفوا النصوص وانما قلنا
ذلك لاجماع الصحابه وذلك ان الخوارج قد خرجوا في ايامهم ولم
ينقل ان الايمه تتبعوا احكامهم ولا نقضوا شيا منها ولا اعادوا
اخذ الزكوة ولا اقامة الحدود التي اخذوا واقاموا فدل على انهم
اصابوا وجه الاجتهاد ولم يتعرض لاحكامهم قال
ابن خواز منداد واما اخذ الارزاق من الايمه فلذلك ثلاثه احوال ان كان
جميع ما في ايديهم ماخوذا على موجب الشريعه فجايز اخذه وقد اخذت

الصحابه والتابعون من يد الحجاج وغيره وان كان يختلط حلالا وظلما بما في
ايدي الامرا اليوم فالورع تركه ويجوز للمحتاج اخذه وهو كلص في يده
مال مسروق ومال جيد حلال قد وكله فيه رجل فجا اللص يتصدق به
على انسان فيجوز ان يوخذ منه الصدقه وان كان يجوز ان يكون اللص
تصدق ببعض ما سرق فاذا لم يكن شي معروف بعينه ولذلك لو باع او
اشترى كان العقد صحيحا لازما وان كان الورع التنزه عنه وذلك ان الاموال
لا يحرم بعينها وانما يحرم لجهاتها وان كان ما في ايديهم ظلما صراحا فلا يجوز
ان يوخذ من ايديهم ولو كان ما في ايديهم من المال مغصوب غير انه
لا يعرف له صاحب ولا مطالب فهو كما وجد في ايدي اللصوص وقطاع
الطريق يجعل في بيت المال وينتظر طالبه بقدر الاجتهاد فاذا لم
يعرف صاحبه صرفه الامام في مصالح المسلمين   تعالى واذ جعلنا
البيت مثابه للناس وامنا فيه مسئلتان   قوله جعلنا بمعنى
صيرنا لتعديه الى مفعولين وقد تقدم البيت يعني الكعبه مثابه
اي مرجعا يقال ثاب يثوب مثابا ومثابه وثووبا وثوبانا فالمثابه
مصدر وصف به ويراد به الموضع الذي يثاب اليه اي يرجع قال
ورقه بن نوفل في الكعبه   مثاب لافناء القبايل كلها تخب اليها اليعملات
الذوابل   وقرا الاعمش مثابات على الجمع ويحتمل ان يكون من الثواب
اي يثابون هناك وقال مجاهد لا يقضي احد منه وطرا قال الشاعر
جعل البيت مثابا لهم ليس منه الدهر يقضون الوطر والاصل مثوبه
قلبت حركة الواو على الثا فقلبت الواو الفا اتباعا لثاب يثوب وانتصب
على المفعول الثاني ودخلت الهاء للمبالغه لكثره من يثوب اي يرجع لانه قل ما

يفارق احد البيت الا وهو يرى انه لم يقض منه وطرا فهي لمثابة وعلامة
قاله الاخفش وقال غيره هي تانيث المصدر وليست للمبالغة فان قيل
ليس كل من جا يعود اليه قيل ليس يختص بمن ورد عليه وانما المعنى انه لا
يخلوا من الجمله ولا تعدم قاصدا من الناس والله اعلم قوله تعالى
وامنا استدل به ابو حنيفه وجماعه من فقها الامصار على ترك اقامه
الحد في الحرم على المحصن والسارق اذا لجا اليه وعضد واذلك بقوله تعالى
ومن دخله كان امنا كانه قال امنوا من دخل البيت والصحيح اقامه الحدود
في الحرم وان ذلك من المنسوخ لان الاتفاق حاصل انه لا يقتل في البيت ويقتل خارج
البيت وانما الخلاف هل يقتل في الحرم ام لا والحرم لا يقع عليه اسم البيت حقيقه
وقد اجمعوا انه لو قتل في الحرم قتل به ولو اتى حدا اقيد منه فيه ولو حارب فيه
حورب وقتل بمكانه وقال ابو حنيفه من لجا الى الحرم لا يقتل فيه ولا يتابع ولا
يزال يضيق عليه حتى يموت او يخرج فنحن نقتله بالسيف وهو يقتله بالجوع والضمأ
فاي قتل اشد من هذا قلت هذا مروي عن ابن عمر انه قال لو وجدت قاتل
ابن عمر في الحرم ما هجته يعني ما ازعجته ولكن تمنع منه المنافع حتى يخرج فيجز
ويقتص منه ويقال امنا للغير المتحيزين وهي الصيود اذا الحرم كعبه ويقال من
الجذام وقيل وامنا تاكيد للامر باستقبال الكعبة اي ليس في بيت المقدس
هذه الفضيله ولا يحج اليه الناس ومن استعاذ بالحرم امن من ان يغار عليه
وسياتي بيان هذا في سورة المايده انشا الله تعالى تعالى واتخذوا
من مقام ابرهيم مصلى فيه ثلاث مسايل قوله واتخذوا قرا نافع
وابن عامر بفتح الخا على جهه الخبر عمن اتخذه من متبعي ابرهيم وهو معطوف
على جعلنا اي جعلنا البيت مثابه واتخذوه مصلى وقيل هو معطوف على

تقديراذ بانه قال واذ جعلنا البيت مثابه واذ اتخذوا فعلى الاول الكلام
جمله واحده وعلى الثاني جملتان وقرا جمهور القرا واتخذوا بكسر الخا على جمه
الامر قطعوه من الاول وجعلوه معطوفا جمله على جمله قال المهدوي
وجاز ان يكون معطوفا على اذكروا نعمتي كانه قال ذلك لليهود او على معنى اذ جعلنا
البيت لان معناه اذكروا اذ جعلنا او على معنى قوله مثابه لان معناه توبوا
روي بن عمر قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث في مقام ابراهيم وفي
اسارى بدر وفي الحجاب خرجه مسلم وغيره وخرجه البخاري عن انس قال قال عمر
وافقت الله في ثلاث او وافقني ربي في ثلاث الحديث واخرجه ابو داود الطيالسي
في مسنده فقال حدثنا حماد بن سلمه نا علي بن زيد عن انس بن مالك قال قال
عمر وافقت ربي في اربع قلت يا رسول الله لو صليت خلف المقام فنزلت هذه
الايه واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله لو ضربت على نسايك
الحجاب فانه يدخل عليهن البر والفاجر فانزل الله واذا سالتموهن متاعا فسلوهن من ورا
حجاب ونزلت هذه الايه ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين فلما نزلت قلت انا
تبارك الله احسن الخالقين فنزلت تبارك احسن الخالقين ودخلت على ازواج النبي صلى
الله عليه وسلم فقلت لتنتهن او ليبدله الله بازواج خير منكن فنزلت الايه
عسى ربه ان طلقكن قلت ليس في هذه الروايه ذكر الاسارى فيكون موافقه عمر
في خمس وروي سفين عن زكريا بن ابي زايده عن عمر حدثه عن عمر بن الخطاب قال دان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت يوم الفتح فلما فرغ من طوافه
اتا المقام فقال هذا مقام ابينا ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى يا رسول الله
فنزلت قوله تعالى واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى   قوله تعالى من مقام
المقام في اللغه موضع القدمين النحاس مقام من قام يقوم يكون مصدرا واسما

للموضع

للموضع ومقام بضم الميم من اقام فاما قول زهير   وفيهم مقامات حسان
وجوهها واندية ينتابها القول والفعل فمعناه فيهم اهل مقامات واختلف
في تعيين المقام على اقوال اصحها انه الحجر الذي تعرفه الناس اليوم الذي يصلون
عنده ركعتي القدوم وهو قول جابر بن عبد الله وابن عباس وقتاده وغيرهم
وفي صحيح مسلم من حديث جابر الطويل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما راى
البيت استلم الركن فرمل ثلاثا ومشى اربعا ثم نفذ الى مقام ابرهيم فقرا واتخذ وا
من مقام ابرهيم مصلى فصلى ركعتين قرا فيهما بقل هو الله احد وقل يا ايها الكافرون
وهذا يدل على ان ركعتي الطواف وغيرهما من الصلوات تدل من وجه على الطوا ف
للغربا افضل على ما ياتي وفي البخاري انه الحجر الذي ارتفع عليه ابرهيم عليه
السلام حين ضعف عن رفع الحجارة التي كان اسماعيل يناولها اياه في بنا البيت
وعرقت قدماه فيه قال انس رايت في المقام اثر اصابعه وعقبه واخمص
قدميه غير انه اذهبه مسح الناس بايديهم حكاه القشيري ابو نصر
وقال السدي المقام الحجر الذي وضعت زوجة اسمعيل تحت قدم ابرا هيم
حين غسلت راسه وعن ابن عباس ايضا ومجاهد وعطا ان المقام الحج كله
وعن عطا ايضا عرفه ومزدلفه والجمار قاله الشعبي النخعي الحرم كله مقام وم
ابراهيم وقاله مجاهد ايضا قلت القول الصحيح في المقام
الاول حسب ما ثبت في الصحيح وخرج ابو نعيم الحافظ من
حديث محمد بن سوقه عن محمد بن المنكدر عن جابر قال نظر النبي
صلى الله عليه وسلم الى رجل بين الركن والمقام وهو يدعو ويقو ل
اللهم اغفر لفلان فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا قال
رجل استودعني ان ادعو له في هذا المقام فقال ارجع فقد غفر

لصاحبك قال ابو نعيم حدثناه احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم
القاضي قال حدثنا محمد بن عاصم بن يحيى الكاتب قال ثنا عبد الرحمن
بن القاسم القطان الكوفي قال ثنا الحرث بن عمران الجعفري عن محمد بن
سوقة فذكره قال ابو نعيم كذا رواه عبد الرحمن عن الحارث عن محمد عن
جابر وانما نعرف من حديث الحرث عن محمد عن عكرمة عن ابن عباس
قوله تعالى مصلى اي مدعى يدعى فيه قاله مجاهد وقيل
هو موضع صلاة يصلى عنده قاله قتادة وقيل قبلة يقف الامام
عندها قاله الحسن والمعنى متقارب تعالى وعهدنا الي
ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطايفين والعاكفين والركع السجود
فيه ست مسايل قوله وعهدنا قيل امرنا وقيل اوحينا
ان طهرا ان في موضع نصب على تقدير بان فحذف الخافض وقال سيبويه
انها بمعنى اي مفسرة فلا موضع لها من الاعراب وقال الكوفيون
تكون بمعنى القول وطهرا قيل معناه من الاوثان عن مجاهد والزهري
وقال عبيد بن عمير وسعيد بن جبير من الافات والريب وقيل من
الكفار وقال السدي ابنياه واسساه على طهارة ونية طهارة فيجي
مثل قوله اسس على التقوى وقال يمان بخراه وخلقاه بيتي اي مسجدي
واضاف البيت الى نفسه اضافة تشريف وتكريم وهي اضافة مخلوق
الى خالق ومملوك الى مالك وقرا الحسن وابن ابي اسحق واهل المدينة
وهشام وحفص بيتي بفتح اليا والاخرون باسكانها قوله
تعالى للطايفين ظاهره الذين يطوفون به وهو قول عطا وقال سعيد
بن جبير معناه للغربا الطارين على مكة وفيه بعد والعاكفين المقيمين

من

من بلدى وغريب عن عطا وكذلك قوله للطايفين والعكوف في اللغه الزوم والاقبال على الشى كما قال علف البنيط يلعبون الفترحا وقال مجاهد العاكفون المجاورون ابن عباس المصلون وقيل الجالسون بغير طواف والمعنا متقارب ومعنى قوله تعالى والركع السجود اي المصلون عند الكعبه وخص الركوع والسجود بالذكر لانها اقرب احوال المصلي الى الله تعالى وقد تقدم معنى الركوع والسجود لغه والحمد لله لما قال الله تعالى ان طهرا بيتي دخل فيه بالمعنى جميع بيوته تعالى فيكون حكمها حكمه في التطهير والنظافه وانما خص الكعبه بالذكر لانه لم يكن هناك غيرها او لكونها اعظم حرمه وكلاهما موجود فيها والله اعلم وفي التنزيل في بيوت اذن الله ان ترفع وهنا ك ياتي حكم المساجد ان شا الله وروي عن عمر بن الخطاب انه سمع صوت رجل في المسجد فقال ما هذا انه ندري اين انت وقال حذيفه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اوحى الي يا اخا المنذرين يا اخا المرسلين انذر قومك لا يدخلوا بيتا من بيوتي ما دام لاحد عندهم مظلمه فاني العنه ما دام قايما بين يدى حتى يرد تلك الظلامه الي اهلها فاكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويكون من اوليائي واصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهدا والصالحين استدل الشافعي والثوري وابو حنيفه وجماعه من السلف بهذه الايه على جواز الصلاه الفرض والنفل داخل البيت قال الشافعي ان صلى في جوفها مستقبلا حايطا من حيطانها فصلاته جايزه وان صلى نحو الباب والباب مفتوح فصلاته باطله وكذلك من صلى على ظهرها لانه لم

على

يستقبل منها شيا وقال مالك لا يصلي فيه الفرض ولا السنن ويصلي فيه
التطوع غير انه ان صلى فيه اعاد في الوقت وقال اصبغ يعيد ابدا
قلت وهو الصحيح لما رواه مسلم عن ابن عباس قال اخبرني اسامه
بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت دعا في نواحيه
كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع ركعتين في قبل الكعبه وقال
هذه القبله وهذا نص فان قيل فقد روى البخاري عن ابن عمر قال دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم واسامه بن زيد وبلال وعثمان بن طلحه
الحجبي البيت فاغلقوا عليهم فلما فتحوا كنت اول من ولج فلقيت
بلالا فسالته هل صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم بين
العمودين اليمانيين واخرجه مسلم وقال فيه قال جعل عمودين عن يساره
وعمودا عن يمينه وثلاثه اعمده وراءه وكان البيت يومئذ على سته
اعمده قلنا هذا يحتمل ان يكون صلى بمعنى دعا كما قال اسامه ويحتمل
ان يكون صلى الصلاه العرفيه واذا احتمل هذا سقط الاحتجاج به
قيل فقد روى ابن المنذر وغيره عن اسامه قال راى النبي صلى الله
عليه وسلم صورا في الكعبه فكنت اتيه بماء في الدلو يضرب به تلك الصور
وخرجه ابو داود الطيالسي قال ثنا ابن ابي ذيب عن عبد الرحمن بن
مهران قال حدثني عمير مولى ابن عباس عن اسامه بن زيد قال دخلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكعبه وراى صورا قال فدعا بدلو من ماء فاتيتـ
ـه فجعل يمحوها ويقول قاتل الله قوما يصورون ولا يخلقون
فيحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم في حال مضي اسامه في
طلب الماء فشاهد بلال ما لم يشاهده اسامه فكان من اثبت

اولى

عاشر الماس

اولى ممن نفى وقد قال اسامه نفسه فاخذ الناس بقول بلال وتركوا
قولي وقد روى مجاهد عن عبد الله بن صفوان قال قلت لعمر بن الخطاب
كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل الكعبه قال صلى
ركعتين قلنا هذا محمول على النافله ولا نعلم خلافا بين العلما في جواز النافله
في الكعبه واما الفرض فلا لان الله تعالى عين الجهه بقوله تعالى فولوا وجو هكم
شطره على ما ياتي وقوله عليه السلام لما خرج هذه القبله فعينها كما
عينها الله تعالى ولو كان الفرض يصح داخلها لما قال هذه القبله وبهذا
يصح الجمع بين الاحاديث وهو اولى من اسقاط بعضها فلا تعارض والحمد لله
واختلفوا ايضا في الصلاه على ظهرها فقال الشافعي ما ذكرنا
وقال مالك من صلى على ظهر الكعبه اعاد في الوقت وقد روي عن بعض
اصحاب مالك يعيد ابدا وقال ابو حنيفه من صلى على ظهر الكعبه
فلا شي له واختلفوا ايضا ايما افضل الصلاه عند البيت
او الطواف به فقال مالك الطواف لاهل الامصار افضل والصلاه
لاهل مكه افضل وذكر عن ابن عباس وعطا ومجاهد والجمهور على ان
الصلاه افضل وفي الخبر لولا رجال خشع وشيوخ ركع واطفال رضع
وبهايم رتع لصببنا عليكم العذاب صبا ذكره ابو بكر احمد بن
علي بن ثابت الخطيب في كتاب السابق واللاحق عن عبد الله بن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا فيكم رجال خشع وبها يم
وصبيان رضع لصب العذاب على المدنبين صبا لم يذكر فيه وشيوخ
ركع وفي حديث ابي ذر الصلاه خير موضوع فاستكثر او استقل
خرجه الاجري وغيره والاخبار في فضل الصلاه والسجود كثيره

تشهد لقول الجمهور والله اعلم   تعالى واذ قال ابراهيم رب
اجعل هذا بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم
الاخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس
المصير فيه اربع مسايل   قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل
هذا بلدا امنا يعني مكة فدعا لذريته وغيرهم بالامن ورغد العيش
فاستجاب الله دعاه فروي انه لما دعا بهذا الدعا امر الله تعالى جبريل
فاقتلع الطايف من الشام فطاف بها حول البيت اسبوعا فسميت
الطايف بذلك ثم انزلها تهامه وكانت مكه وما يليها حين ذلك قفرا
لاما ولا نبات فيها فبارك الله فيما حولها كالطايف وغيرها وانبت
فيها انواع الثمرات على ما ياتي بيانه في سورة ابراهيم ان شا الله تعالى
واختلف العلما في مكه هل صارت حرما امنا بسوال
ابراهيم او كانت قبله كذلك على قولين احدهما انها لم تزل حرما من
الجبابرة المسلطين ومن الخسوف والزلازل وساير المثلات التي
تحل بالبلاد وجعل في النفوس المتمردة تعظيمها والهيبة لها ما صار اهلها
متميزين بالامن من غيرهم من اهل القرى ولقد جعل فيها سبحانه من العلامة
العظيمة على توحيده ما شوهد من امر الصيد فيها فيجتمع فيها الكلب
والصيد فلا يهيج الكلب الصيد ولا ينفر منه حتى اذا خرجا من الحرم
عدا الكلب اليه وعاد على النفور والهرب وانما سال ابراهيم ربه ان
يجعلها امنا من القحط والجدب والغارات وان يرزق اهله من الثمرات
فاستجاب الله دعاه في ذلك فتحمل الى مكه الثمار من كل وجه فيوجد فيها
في كل وقت من انواع الثمار لا على ما ظنه بعض الناس انه المنع من

سفك

سفك الدم في حق من لزمه القتل فان ذلك يبعد كونه مقصودا لابراهيم صلى الله عليه وسلم حتى يقال طلب من الله تعالى ان يكون في شرعه تحريم قتل من التجا الى الحرم هذا بعيد جدا الثاني ان مكة كانت حلالا قبل دعوة ابراهيم كساير البلاد وان بدعوته صارت حرما امنا كما صارت المدينة بتحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان كانت حلالا احتج اهل المقالة الاولى بحديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة وانه لم يحل فيه القتال لاحد قبلي ولم يحل لي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاها فقال العباس الا الاذخر فانه لقينهم ولبيوتهم فقال الا الاذخر ونحوه حديث ابي شريح اخرجهما مسلم وغيره وفي صحيح مسلم ايضا عن عبد الله بن زيد بن عاصم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابراهيم حرم مكة ودعا لها واني حرمت المدينة كما حرم ابرهيم مكة واني دعوت في صاعها ومدها بمثل ما دعا به ابراهيم لاهل مكة قال ابن عطيه ولا تعارض بين الحديثين لان الاول اخبار لسابق علم فيها وقضايه وكون الحرمة مدة ادم واوقات عمارة القطر بايمان والثاني اخبار بتجديد ابراهيم لحرمتها واظهاره ذلك بعد الدثور فكان القول الاول من النبي عليه السلام يوم الفتح اخطابا لعظيم حرمة مكة على المومنين باسناد التحريم الى الله تعالى وذكر ابراهيم عن تحريم المدينة مثالا لنفسه ولا محالة ان تحريم المدينة هو ايضا من قبل الله تعالى ومن نافذ قضايه وسابق علمه وقال الطبرى كانت مكة حراما ولم يتعبد الخلق بذلك حتى ساله ابراهيم تحريمها

قوله تعالى وارزق اهله من الثمرات من امن تقدم معنى

الرزق والثمرات جمع ثمرة وقد تقدم من امن بدل من اهله بدل البعض من الكل
امن اي صدق والايمان التصديق وقد تقدم   قوله تعالى قال ومن
كفر من قيل انه في موضع نصب والتقدير وارزق من كفر ويجوز ان يكون في
موضع رفع بالابتدا وهي شرط والخبر فامتعه وهو الجواب واختلف هل هذا
القول من الله تعالى او من ابراهيم فقال ابي بن كعب وابن ابي اسحاق وغيرهما هو
من الله تعالى وقروا فامتعه بضم الهمزة وفتح الميم وشد التا من متعت ثم
اضطره بفتح الالف وضم الرا وكذلك قرا السبعة خلا ابن عامر فانه سكن
الميم وخفف التا من امتعت وحكى ابو اسحق الزجاج ان في قراه ابي فنمتعه
قليلا ثم نضطره بالنون وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة هذا
القول من ابراهيم عليه السلام وقروا فامتعه بفتح الهمزة
وسكون الميم ثم اضطره بوصل الالف وفتح الرا فكان ابراهيم
عليه السلام دعا للمومنين وعلى الكافرين وعليه يكون الضمير
في قال لابراهيم واعيد قال لطول الكلام او لخروجه من
الدعا لقوم الى الدعا على اخرين والفاعل في قال على قراه
الجماعة اسم الله عز وجل واختار النحاس وغيره وجعلوا
القراه بفتح الهمزة وسكون الميم ووصل الالف شاذة قال
ونسق الكلام والتفسير جميعا يدلان على غيرها اما نسق
الكلام فان الله عز وجل خبر عن ابراهيم عليه السلام انه قال
رب اجعل هذا بلدا امنا ثم جا بقوله جل وعز وارزق اهله من
الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر ولم يفصل بينه ثم قال
ثم قال بعد قال ومن كفر فكان هذا جوابا من الله تعالى ولم

يقل

يقول بعد قال ابراهيم واما التفسير ففي صحيح عن ابن عباس وسعيد
بن جبير ومحمد بن كعب وهذا لفظ ابن عباس دعا ابرهيم عليه السلام
لمن امن دون الناس خاصه فاعلم الله عز وجل انه يرزق من كفر كما يرزق
من امن به وانه يمتعه قليلا ثم يضطره الى عذاب النار وقيل
انما شرط ابراهيم في دعايه من امن لانه كان قد سال الامامة
لذريته فلم يستجب له في الظالمين فخشي ابراهيم ان يكون امر الرزق
هكذا فسال الرزق للمومنين خاصه فاخبر الله تعالى انه يرزق
الكافر والمومن وان امر الرزق ليس كالامامه قالوا لان الرزق
فضل والرزق عدل والله تعالى يعطي فضله من يشا من كان اهلا
لذلك وعدله لجميع الناس لا يظلم عباده وان كانوا كفارا فذلك
قوله تعالى قال ومن كفر فامتعه قليلا قال النحاس وقال الله
عز وجل كلا نمد هولا وهولا من عطا ربك وقال وامم
سنمتعهم وقال ابو اسحق الزجاج انما علم ابرهيم عليه السلام
ان في ذريته كفارا فخص المومنين لان الله عز وجل قال لا ينال
عهدي الظالمين حسب ما بيناه والله اعلم تعالى واذ
يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك
انت السميع العليم فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى واذ يرفع
ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل يعني اساس البيت اي
الكعبه والقواعد جماعه الاساس وقال الكساي هي الجدر
والمعروف انها الاساس وفي الحديث ان البيت لما هدم
اخرجت منه حجارة عظام فقال ابن الزبير هذه القواعد التي

ق

لان امامه

رفعها ابراهيم وقيل ان القواعد كانت بنيت قبله اندرست فاطلع الله
تعالى ابراهيم عليها ابن عباس وضع البيت على اركان الما قبل ان يخلق
الدنيا بالفي عام ودحيت الارض من تحته والقواعد واحدتها
قاعدة والقواعد من النسا واحدها قاعد وقيل في الكلام تقديم
وتاخير معناه واذ يرفع ابراهيم واسمعيل القواعد من البيت
واختلف الناس فيمن بنى البيت اولا فقيل الملايكة روي
عن جعفر بن محمد قال سيل ابي وانا حاضر عن بدو خلق البيت فقال ان الله
عز وجل لما قال اني جاعل في الارض خليفة قالت الملايكة اتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدما ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فغضب
عليهم فعاذوا بالعرش وطافوا حوله سبعة اطواف يسترضون
ربهم حتى رضي عنهم وقال لهم ابنوا لي بيتا في الارض يتعوذ به من
سخطت عليه من بني ادم ويطوفون حوله كما طفتم حول عرشي فارضى
عنهم كما رضيت عنكم فبنوا هذا البيت وذكر عبد الرزاق عن
ابن جريج وابن المسيب وغيرهما ان الله تعالى اوحى الى ادم عليه السلام
اذا اهبطت ان ابن لي بيتا ثم احفف به كما رايت الملايكة تحف بعرشي
الذي في السما قال عطا فزعم الناس انه بناه من خمسة اجبل من
حرا ومن طور سينا ومن لبنان ومن الجودي ومن طور زيتا وكان
ربضه من حرا قال الخليل والربض ههنا الاساس المستدير بالبيت
من الصخر ومنه يقال لما حول المدينة ربض وذكر الماوردي عن عطا
عن ابن عباس قال لما اهبط ادم من الجنة الى الارض قال له يا ادم اذهب
فابن لي بيتا وطف به واذكرني عنده كما رايت الملايكة تصنع حول عرشي

مطلب فيمن بنى البيت اولا

فاقبل

فاقبل ادم منحطا وطيت له الارض وقبضت له المفاوز فلا يقع قدمه
على شي من الارض الا صار عامرا حتى انتهى الى موضع البيت الحرام
وان جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الارض فابرز عن اس ثابت على
السابعة السفلى وقذفت اليه الملايكة بالصخر فما يطيق الصخرة منها
ثلاثون رجلا وانه بناه ولحمه بنا من خمسة اجبل كما ذكرنا فهذا بنا
آدم عليه السلام ثم بناه ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه
قال بن جريج وقال ناس ارسل الله سبحانه فيها راس فقال الراس يا
ابرهيم ان ربك يامرك ان تاخذ بقدر هذه السحابة فجعل ينظر
اليها ويخط قدرها ثم قال الراس انه قد فعلت فحفر فابرز
عن اساس ثابت في الارض وروى عن علي بن ابي طالب ان الله لما
امر ابرهيم بعمارة البيت خرج من الشام ومعه ابنه اسمعيل
وامه هاجر وبعث السكينة لها لسان تتكلم به يغدو وامعها ابرا هيم
اذا غدت ويروح معها اذا راحت حتى انتهت به الى مكة فقالت لابراهيم
ابن على موضع الاساس فرفع البيت هو واسمعيل حتى انتهى الى موضع
الركن فقال لابنه يا بني ابغني حجرا اجعله علما للناس فجا بحجر فلم يرضه
وقال ابغني غيره فذهب يلتمس فجاه وقد اتا بالركن فوضعه موضعه
فقال يا ابة من جاك بهذا الحجر فقال من لم يكلني اليك بن عباس صاح
ابو قبيس يا ابرهيم يا خليل الرحمن ان لك عندي وديعة فخذها فاذا
هو حجر ابيض من ياقوت دا زاد مرقد نزل به من الجنة فلما رفع
ابراهيم واسماعيل القواعد جات سحابة مربعة فيها راس فنادت
ان ارفعا على تربيعي فهذا بنا ابرهيم عليه السلام وروي ان ابرهيم

واسماعيل لما فرغا من بنا البيت اعطاها الخيل جزا عن رفع قواعد البيت
وروى الترمذي الحكيم قال حدثنا عمر بن ابي عمر قال حدثني نعيم بن حماد
قال ثنا عبد الوهاب بن همام اخو عبد الرزاق عن ابن جريج عن ابي مليكة
مليكه عن ابن عباس قال كانت الخيل وحشا كساير الوحوش فلما اذن الله
لابراهيم واسمعيل برفع القواعد قال الله تبارك اسمه اني معطيكما
كنزا دخرته لكما ثم اوحى الى اسماعيل ان اخرج الى اجياد فادع باتك الكنز
فخرج الى اجياد وكانت وطنا ولا يدري ما الدعا ولا الكنز فالهمه فلم يبق
على وجه الارض فرس بارض العرب الا اجابه فامكنته من نواصيها وذللها
له فاركبوها واعلفوها فانها مباركة وهي ميراث ابيكم اسماعيل فانما سمي
الفرس عربيا لان اسمعيل امر بالدعا واياه اتى ويقال ان ابراهيم كان
سي واسماعيل بعينه والملايكة يناولون الحجر من اسماعيل وروى عبد
المنعم بن ادريس عن وهب بن منبه قال اول من بنى البيت بالطين
والحجارة شيث عليه السلام والله اعلم   وبن الزبير له
واما بنيان قريش له لمشهور وخبر الحيه في ذلك مشهور وكانت تمنعهم
من هدمه الى ان اجتمعت قريش عند المقام فعجوا الى الله تعالى وقالوا
ربنا لم نراع اردنا بشريف بيتك وتزيينه فان كنت ترضى بذلك والا
فما بدا لك فافعل فسمعوا جوابا في السما والخواث خفيف جناح الطير
الضخم فاذا هم قد اهم بطاير اعظم من النسر اسود الظهر ابيض
البطن والرجلين فغرز مخالبه في قفا الحيه ثم انطلق بها يجر ذنبها اعظم من
كذا وكذا حتى انطلق بها نحو اجياد فهدمتها قريش وجعلوا يبنونها بحجارة
الوادي تحملها قريش على رقابها فرفعوها في السما عشرين ذراعا فبينا

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم يحمل حجارة من اجياد وعليه نمرة فضاقت عليه النمرة
فذهب يرفع النمرة على عاتقه فترى عورته من صغر النمرة فنودي يا
محمد خمر عورتك فلم ير عريانا بعد وكان بين بنيان الكعبة وبين ما انزل
خمس سنين وبين مخرجه وبنائها خمسة عشر سنة ذكره عبد الرزاق
عن معمر عن عبد الله بن عثمان عن ابي الطفيل وذكر عن معمر عن الزهري
حتى اذا بنوها بلغوا موضع الركن اختصمت قريش في الركن اي القبائل
يلي رفعه حتى شجر بينهم فقالوا تعالوا نحكم اول من يطلع علينا من هذه
السكة فاصطلحوا على ذلك فاطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو غلام عليه وشاح نمرة فحكموه فامر بالركن فوضع في ثوب ثم
امر سيد كل قبيلة فاعطاه ناحية من الثوب ثم ارتقى هو فرفعوا اليه الركن
فكان هو يضعه صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق وحدثت ان قريشا
وجدوا في الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قراه لهم رجل من يهود
فاذا فيه انا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والارض وصورت
الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حنفاء لا يزول حتى يزول اخشباها
مبارك لاهلها في الماء واللبن وعن ابي جعفر محمد بن علي قال كان باب الكعبة على
عهد العمالقة وجرهم وابراهيم عليه السلام بالارض حتى بنته قريش خرج مسلم
عن عايشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجدر امن البيت
هو قال نعم قلت فلم تدخلوه قال ان قومك قصرت بهم النفقة قلت فما شان
بابه مرتفعا قال فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا
ولولا ان قومك حديثوا عهدهم بالجاهلية فاخاف ان تنكر قلوبهم لنظرت
ان ادخل الجدر في البيت وان الزق بابه بالارض وخرج عن عبد الله بن الزبير

قال حدثتني خالتي يعني عايشه قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عايشه
لولا ان قومك حديثوا عهد بشرك لهدمت الكعبه فالزقتها بالارض
وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها سته ادرع من الحجر فان
قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبه وعن عمرو عن عايشه قالت قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم لولا حداثه قومك بالكفر لنقضت الكعبه ولجعلتها
على اساس ابرهيم فان قريشا استقصرت ولجعلت لها خلفا وفي البخاري قال
هشام بن عروه يعني بابا وفي البخاري ايضا لجعلت لها خلفين يعني بابين فهذا
بنا قريش ثم لما غزا اهل الشام عبدالله بن الزبير ووهت الكعبه من حريقهم هدمها
بن الزبير وبناها على ما اخبرته عايشه وزاد فيه خمس ادرع من الحجر حتى ابدا اساسا
نظر الناس اليه فبنى عليه البنا وكان طول الكعبه ثمان عشره ذراعا فلما زاد
فيه استقصره فزاد في طوله عشر ادرع وجعل لها بابين احدهما يدخل منه والاخر
يخرج منه كذا في صحيح مسلم والفاظ الحديث تختلف وذكر سفين عن داود بن
شابور عن مجاهد قال لما اراد بن الزبير ان يهدم الكعبه ويبنيه قال للناس
اهدموا قال فابوا ان يهدموا وخافوا ان ينزل عليهم العذاب قال مجاهد
فخرجنا الى منى فاقمنا بها ثلاثا ننتظر العذاب قال وارتقى بن الزبير على جدار
الكعبه هو بنفسه فلما راوا انه لم يصبه شي اجترووا على ذلك قال فهدموا فلما
بناها جعل لها بابين بابا يدخلون منه وبابا يخرجون منه وزاد مما يلي الحجر سته
ادرع وزاد في طولها تسعه ادرع قال مسلم في حديثه فلما قتل بن الزبير كتب الحجاج
الى عبدالملك بن مروان يخبره بذلك ويخبره ان بن الزبير قد وضع البنا على اس نظر
اليه العدول من اهل مكه فكتب اليه عبدالملك انا لسنا من تلطيخ بن الزبير في شي
اما ما زاد في طوله فاقره واما ما زاد فيه من الحجر فرده الى بنايه وسد الباب

الذي

الذي فتحه فنقضه واعاده الى بنايه في روايه قال عبد الملك ما كنت اظن ابا
حبيب يعني بن الزبير سمع من عايشه ما كان زعم انه سمعه منها قال الحارث بن
عبد الله بلى انا سمعته منها قال سمعتها تقول ما قالت قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان قومك استقصروا من بنيان البيت ولولا حداثة عهدهم بالشرك
اعدت ما تركوا منه فان بدا لقومك من بعدي ان يبنوه فهلمي لاريك ما
تركوه منها فاراها قريبا من سبع اذرع في اخرى قال عبد الملك لو كنت سمعته
قبل ان اهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير قلت هذا ما جا في بنا الكعبه من
الاثار وروي ان الرشيد ذكر لمالك بن انس انه يريد هدم بنى الحجاج من الكعبه وان
يرده الى بنا بن الزبير لما جا عن النبي صلى الله عليه وسلم وامتثله بن الزبير فقال له
ناشدتك الله يا امير المومنين ان لا تجعل هذا البيت ملعبه للملوك لا يشا احد منهم
الا نقض البيت وبناه فتذهب هيبته من صدور الناس وذكر الواقدي
عن همام بن منبه سمع ابا هريره يقول نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سب
اسعد الحميري وهو تبع وهو اول من كسا البيت وهو تبع الاخر قال بن اسحق
كانت تكسا القباطي واول من كساها الديباج الحجاج قوله تعالى ربنا
تقبل منا المعنى ويقولان ربنا فحذف ولذلك هي في قراة ابي وعبد الله بن مسعود
واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ويقولان ربنا تقبل منا وفي هذا
دليل على ان الانسان اذا عمل خيرا ينبغي ان يدعو الله بالقبول وقيل ينبغي ان يكون
خوف الانسان على قبول العمل بعد الفراغ اشد من شغله بالعمل لان تعالى قال انما
يتقبل الله من المتقين وروي في الخبر ان ابراهيم واسمعيل لما فرغا من بنا البيت
جثيا على الركب وتضرعا وسالا القبول فقال جبريل لابراهيم قد اجيب لكما
فسالا اشيا اخر فقالا ربنا واجعلنا مسلمين لك وتفسير اسمعيل اسمع يا الله لان

ايبل بالسرانيه هو الله كما تقدم فقيل ان ابرهيم لما دعا ربه قال اسمع يا يل فلما
اجابه ربه ورزقه الولد سماه بما دعاه ذكره الماوردى قوله تعالى انك انت
السميع العليم اسمان من اسما الله تعالى سميع لاقوالهم عليم بما في صدورهم وتكلمنا
عليهما في الكتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى قلت ودلت الايه على ان من
عمل عملا اخلص فيه يستحق الجزا عليه لابد بوعد الحق وقوله الصدق وانا لا نضيع
اجر من احسن عملا اما عاجلا واما اجلا وقد يجمع له الامرين كما فعل بابراهيم
واسمعيل اعطاهما الخير في الدنيا والثواب الجزيل في الاخره ويكفيك اجابه الدعا
بما سالاه قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امه مسلمه لك
وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم فيه خمس مسايل قوله
تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك اي صيرنا ومسلمين مفعول ثان سالا التثبت
والدوام والاسلام في هذا الموضع الايمان والاعمال جميعا ومنه قوله تعالى
ان الدين عند الله الاسلام ففي هذا دليل لمن قال ان الاسلام والايمان شي واحد
وعضد واهذا بقوله في الايه فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير
بيت من المسلمين وقيل مسلمين مخلصين ويقال مطيعين وقرا ابن عباس وعوف الاعرابي
مسلمين على الجمع قوله تعالى ومن ذريتنا اي ومن ذريتنا فاجعل فيقال انه
لم يدع نبي الا لنفسه ولامته الا ابراهيم عليه السلام فانه دعا لنفسه ولا
ولهذه الامه ومن في قوله ومن ذريتنا للتبعيض لان الله تعالى كان قد اعلمه ان منهم
ظالمين وحكى الطبري انه اراد بقوله ومن ذريتنا العرب خاصه قال السهيلي وذريتهما
العرب لانهم بنوا نبت بن اسمعيل او بنو تيمن بن اسمعيل ويقال فيه دبن نبت بن
اسمعيل اما العدنانيه فمن نبت واما القحطانيه فمن قيدر بن نبت بن اسمعيل او
تيمن على احد القولين قال ابن عطيه وهذا ضعيف لان دعوته ظهرت في العرب

وفي من

وفي من امن من غيرهم قوله تعالى امه الامة الجماعه هنا ويكون واحدا
اذا كان يقتدى به في الخير ومنه قوله تعالى ان ابراهيم كان امه قانتا لله وقال عليه
السلام في زيد بن عمرو بن نفيل يبعث امه وحده لانه لم يشركه في دينه غيره
والله اعلم وقد يطلق لفظ الامه على غير هذا المعنى ومنه قوله تعالى انا وجد
نا
اباءنا على امه اي على دين وملة ومنه قوله تعالى ان هذه امتكم امه واحده وقد
تكون بمعنى الحين والزمان ومنه قوله تعالى وادكر بعد امه اي بعد حين
وزمان ويقال هذه امه زيد اي ام زيد والامة ايضا القامة يقال
فلان حسن الامه اي حسن القامه قال وان معاوية الاكرمين حسان الوجوه
طوال الامم وقيل الامه الشجه التي تبلغ ام الدماغ يقال رجل ماموم واميم
قوله تعالى وارنا مناسكنا ارنا من رويه البصر فتتعدى الى مفعولين
وقيل من رويه القلب ويلزم قايله ان يتعدى الفعل منه الى ثلاثه مفعولين
قال ابن عطيه وينفصل بانه يوجد معدى بالهمزه من رويه القلب الى ثلاثه
مفعولين كما قال حطايط بن يعفر اخو الاسود بن يعفر ارني جوادا مات
هزلا لانني اري ما ترين او بخيلا مخلدا وقال القتبي الرويه المعاينه في اللغه
كقوله تعالى ويوم القيمه ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسوده وقوله
واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا وقد تذكر الرويه ويراد بها العلم كقوله
تعالى الم تر الى الذين كفروا وقوله ارنا مناسكنا اي علمنا وكقوله لتحكم بين الناس بما
اراك الله وقرا عمر بن عبد العزيز وقتادة وابن كثير وابن محيصن والسدي وروح
عن يعقوب ورويس والسوسي عن ابي عمرو وارنا بسكون الرا في القران حيث وقع
واختار ابو حاتم وقرا ابو عمرو في روايه الدوري باختلاس كسر الرا والباقون
بكسرها واختاره ابو عبيد واصله ارءنا بالهمز فمن قرا بالسكون قال ذهبت

الهمزة وذهبت حركتها وبقيت الراساكنة على حالها واستدل بقول الشاعر
ارنا اداوة عبد الله نملاها من ماء زمزم ان القوم قد ظميوا ومن كسر فانه
نقل حركة الهمزة المحذوفة الى الرا وابو عمرو طلب الخفة وعن شجاع بن ابي نصر
وكان امينا صادقا انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فذاكره اشيا من
حروف ابي عمرو فلم يرد عليه الا حرفين هذا والاخر ما ننسخ من اية او ننسها مهموزة
قوله تعالى مناسكنا يقال ان اصل النسك في اللغة يقال منه نسك ثوبه اذا
غسله وهو في الشرع اسم للعبادة يقال رجل ناسك اذا كان عابدا واختلف العلما
في المراد بالمناسك هنا فقيل مناسك الحج ومعالمه قاله قتادة والسدي وقال
مجاهد وعطا وابن جريج المناسك المذابح اي مواضع الذبح وقيل جميع المتعبدات
وكل ما يتعبد به الى الله يقال له منسك ومنسك والناسك العابد قال النحاس
يقال نسك ينسك فكان يجب ان يقال على هذا منسك الا انه ليس في كلام العرب
مفعل وعن زهير بن محمد قال لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بنا البيت
الحرام قال اي رب قد فرغت فارنا مناسكنا فبعث الله تعالى اليه
جبريل عليه السلام فحج به حتى اذا رجع من عرفة وجا يوم النحر عرض له
ابليس فقال له احصبه فحصبه حصيات ثم الغد ثم اليوم الثالث ثم علا ثبيرا
فقال يا عباد الله اجيبوا فسمع دعوته من بين الابحر فمن في قلبه مثقال ذرة
من ايمان فقال لبيك اللهم لبيك قال ولم يزل على وجه الارض سبعة مسلمون فصاعدا
لولا ذلك لاهلكت الارض ومن عليها واول من اجابه اهل اليمن وعن حبيب بن
عبد الرحمن ان مجاهدا حدثه قال لما قال ابراهيم عليه السلام ربنا ارنا مناسكنا
اي الصفا والمروة وهما من شعاير الله بنص القران ثم خرج به جبريل فلما مر بجمرة
العقبة اذا ابليس عليها فقال له جبريل كبر وارمه فارتفع ابليس الى الوسطى

قال

٩٨

فقال جبريل ابرو ارمه ثم في الجمرة القصوى كذلك ثم انطلق به الى المشعر
الحرام ثم اتا به عرفه فقال له هل عرفت ما اريتك قال نعم فسميت
عرفات لذلك فيما قيل على ما ياتي فقال فاذن في الناس بالحج قال
كيف اقول قال قل يا ايها الناس اجيبوا ربكم ثلاث مرار فعل
فقالوا لبيك اللهم لبيك قال فمن اجاب يومئذ فهو حاج وفي
روايه اخرى حين نادى استجاب له من في كل وجه فلبا الناس من
كل مشرق ومغرب وتطاطات الجبال حتى بعد صوته وقال محمد
بن اسحق لما فرغ ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه من بنا البيت
الحرام جاءه جبريل عليه السلام فقال له طف به سبعا فطاف به
سبعا هو واسمعيل عليهما السلام يستلمان الاركان كلها في كل
طواف فلما اكملا سبعا صليا خلف المقام ركعتين قال فقام جبريل
عليه السلام فاراه المناسك كلها الصفا والمروه ومنى والمزدلفه
قال فلما دخل منى وهبط من العقبه تمثل له ابليس فذكر نحو ما تقدم
قال بن اسحق وبلغني ان ادم عليه السلام كان يستلم الاركان كلها
قبل ابرهيم عليه السلام وقال حج اسحق وساره من الشام وكان
ابراهيم عليه السلام يحجه كل سنه على البراق وحجته بعد ذلك
الانبيا والامم وروى محمد بن سابط عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال كان النبي من الانبيا اذا هلكت امته لحق بمكه فتعبد بها هو
ومن امن معه حتى يموتوا فمات بها نوح وهود وصالح وقبورهم بين
زمزم والحجر وقال عبد الله بن ضمرة السلولي ما بين الركن والمقام الى
زمزم تسعه وتسعون نبيا جاوا حجاجا فقبروا هناك صلوات الله عليهم

اجمعين   قوله تعا وتب علينا اختلف في معنى قول ابراهيم
واسماعيل وتب علينا وهم انبيا معصومون فقالت طايفه طلبا التثبيت
والدوام لا نهما كانا لهما ذنب قلت وهذا حسن واحسن منه انهما
لما عرفا المناسك وبنيا البيت ارادا ان يبينا للناس ويعرفاهم ان ذلك
الموقف وتلك المواضع مكان التنصل من الذنوب وطلب التوبه
وقيل المعنى وتب على الظلمه منا وقد مضى الكلام في عصمة الانبيا عليهم
السلام في قصه ادم عليه السلام وتقدم القول في معنى قوله تعالى
انك انت التواب الرحيم فاغنى اعادته   تعالى ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم يتلوا عليهم ويعلمهم الكتاب والحكمه ويزكيهم انك انت
العزيز الحكيم قال العلما انما قال ابراهيم عليه السلام ربنا وابعث فيهم
رسولا لانه علم ان في ذريته من يكون جائزا فسال الله تعالى ان يبعث
اليهم رسولا منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم دليله قراه ابي ربنا
وابعث في اخرهم رسولا منهم وقد روي خالد بن معدان ان نفرا
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له يا رسول الله اخبرنا عن
نفسك فقال دعوه ابراهيم وبشرى عيسى ورسولا اي مرسلا وهو
فعول من الرساله قال بن الانباري يشبه ان يكون اصله من قولهم ناقه
مرسال ورسله اذا كانت سهله السير ماضيه امام النوق ويقال
للجماعه المهمله المرسله رسل وجمعه ارسال ويقال جا القوم ارسالا
اي بعضهم في اثر بعض ومنه يقال للبن رسل لانه يرسل من الضرع ويعلمهم
الكتاب والحكمه الكتاب القران والحكمه المعرفه بالدين والفقه في التاويل
والفهم الذي هو سجيه ونور من الله قاله مالك رواه عنه بن وهب وقاله

بن زيد وقال قتاده الحكمه السنه وبيان الشرايع وقيل الحكم والقضا خاصه
ويقال علم التفسير والمعنى متقارب ونسب التعليم الى النبي صلى الله عليه
وسلم من حيث هو يعطي الامور التي ينظر فيها ويعلم طريق النظر بما يلقيه
الله اليه من وحيه ويزكيهم اي يطهرهم من وصر الشرك عن ابن جريج
وغيره والزكاه التطهير وقد تقدم وقيل الايات تلاوة ظاهر الالفا ظ
والكتاب معاني الالفاظ والحكمه الحكم وهي مراد الله بالخطاب من مطلق
ومقيد ومفسر ومجمل وعموم وخصوص وهو معنى ما تقدم قال
مقاتل استجاب الله دعاه في سورة الجمعه وهو قوله عز وجل هو الذي
بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتا ب
والحكمه والعزيز المنيع الذي لا ينال ولا يغالب وقال ابن كيسان معناه
الذي لا يعجزه شي دليله قوله تعالى وما كان الله ليعجزه من شي في السموا ت
ولا في الارض وقال الكسائي العزيز الغالب دليله قوله تعالى وعزني
في الخطاب وفي المثل من عزبزا اي من غلب سلب وقيل العزيز الذي لا
مثل له بيانه قوله الحق ليس كمثله شي وقد زدنا هذا المعنى بيانا في اسمه
العزيز في الكتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى وتقدم معنى الحليم
فلا معنى للاعادة تعالى ومن يرغب عن مله ابراهيم الا من سفه
نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخره لمن الصالحين من
استفهام في موضع رفع بالابتدا ويرغب صله من الا من سفه نفسه
في موضع الخبر وهو تقريع وتوبيخ وقع فيه معنى النفي اي وما يرغب قاله
النحاس والمعنى يزهد فيها وينأى بنفسه عنها اي عن المله وهي الدين والشرع
الا من سفه نفسه قال قتاده هم اليهود والنصارى رغبوا عن ابرهيم ولقد وا

اليهوديه والنصرانيه بدعة ليست من الله قال الزجاج سفه بمعنى جهل
اي جهل امر نفسه فلم يفكر فيها وقال ابو عبيده المعنى اهلك نفسه وحكى
والمبرد ان سفه بكسر الفا يتعدى كسفه بفتح الفا وشدها وحكى عن ابي
الخطاب ويونس انها لغه وقال الاخفش سفه نفسه اي جعلها من السفه
ما صار به سفيها وعنه ايضا هي لغه بمعنى سفّه حكاه المهدوي والاول
ذكره الماوردي واما سفه بضم الفا فلا يتعدى قاله المبرد وثعلب وحكى
الكساي عن الاخفش ان المعنى جهل في نفسه فحذف في فانتصب قال
الاخفش ومثله عقد النكاح اي على عقد النكاح وهذا يجري على مذهب
سيبويه فيما حكاه من قولهم ضرب فلان الظهر والبطن وقال الفرا هو
تمييز قال ابن عمر معنى سفه نفسه جهل نفسه وما فيها من الدلالات والا
يات الداله على ان لها صانعا ليس كمثله شي فيعلم به توحيد الله تعالى وقدرته
قلت وهذا معنى قول الزجاج فمن لم يفكر في نفسه من يدين يبطش بهما
ورجلين يمشي بهما عليهما وعين يبصر بها واذن يسمع بها ولسان ينطق به
تنبت له عند غناه عن الرضاع وحاجته الى الطعام ليطحن بها الغدا ومعده
اعدت لطبخ الغدا وكبد يصعد اليها صفوه وعروق ومعابر ينفذ
فيها الى الاطراف وامعا يرسب اليها ثفل الغدا ويبرز عن اسفل البدن
فيستدل بها على ان له خالقا قادرا عليما حكيما وهذا معنى قوله تعالى
وفي انفسكم افلا تبصرون اشار الى هذا الخطابي رحمه الله وسياتي له مزيد
بيان في سوره والذاريات ان شا الله تعالى وقد استدل بهذه الايه
من قال ان شريعه ابراهيم عليه السلام شريعه لنا الا ما نسخ منها وهذا
كقوله مله ابيكم ابراهيم ان اتبع مله ابرهيم وهو اشد لاكحسن وسياتي

له مزيد

له مزيد ان شا الله تعالي قوله ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه
للرساله فجعلناه صافيا من الادناس والاصل في اصطفيناه اصتفيناه
ابدلت التا طا لتناسبها مع الصاد في الاطباق واللفظ مشتق من
الصفوم ومعناه تخير الاصفا قوله وانه في الاخره لمن الصالحين في
الاخره هو الفايز ثم قيل كيف جاز تقديم في الاخره وهو داخل في
الصله قال النحاس فالجواب انه ليس التقدير انه لمن الصالحين في الاخره
فيكون الصله قد تقدمت ولاهل العربيه فيه ثلاثه اقوال منها
ان يكون المعنى وانه صالح في الاخره ثم حذف في الاخره تتعلق
بمصدر محذوف اي صلاحه في الاخره والقول الثالث ان
الصالحين ليس بمعنى الذين صلحوا ولكنه اسم قايم بنفسه كما يقال
الرجل والغلام قلت وقول رابع ان المعنى وانه في عمل الاخره لمن
الصالحين فالكلام على حذف مضاف وقال الحسين بن الفضل في الكلام
تقديم وتاخير مجازه ولقد اصطفيناه في الدنيا والاخره وانه لمن
الصالحين روي حجاج بن حجاج وهو حجاج الاسود وهو ايضا حجاج
الاحول المعروف بزق العسل قال سمعت معاويه بن قره يقول اللهم
ان الصالحين انت اصلحتهم ورزقتهم ان عملوا بطاعتك فرضيت عنهم اللهم كما
اصلحتهم فاصلحنا وكما رزقتهم فارزقنا بطاعتك فرضيت عنهم فارزقنا ان
نعمل بطاعتك وارض عنا تعالى اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب
العالمين فيه مسلتان قوله تعالى اذ قال له ربه اسلم العامل في اذ
اصطفيناه اي اصطفيناه اذ قال له ربه اسلم وكان هذا القول من الله تعالى له
حين ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس فابتلاه بذلك فالهمه الله تعالى الاخلاص

الصالح

وقيل

فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين
على ما ياتي بيانه في الانعام ان شا الله تعالى　　　تعالى اسلم الاسلام هنا على
اصر وجوه وقال ابن كيسان والكلبي اي اخلص دينك لله تعالى بالتوحيد
وقيل اخضع واخشع والاسلام في كلام العرب الخضوع والانقياد للمستسلم
وليس كل اسلام ايمانا وكل ايمان اسلام لان من امن بالله فقد استسلم وانقاد
لله وليس كل من اسلم امن بالله لانه قد يتكلم فزعا من السيف ولا يكون
ذلك ايمانا خلافا للقدريه والخوارج حيث قالوا ان الاسلام هو الايمان
فكل مومن مسلم وكل مسلم مومن لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام فدل
على ان الاسلام هو الدين وان من ليس بمسلم فليس بمومن ودليلنا قوله تعالى
قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا الايه فاخبر تعالى انه ليس
كل من اسلم مومنا فدل على انه ليس كل مسلم مومنا وقال صلى الله عليه وسلم
لسعد بن ابي وقاص لما قال له اعط فلانا فانه مومن فقال النبي صلى الله عليه
وسلم او مسلم الحديث خرجه مسلم فدل على ان الايمان ليس الاسلام فان الايمان
باطن والاسلام ظاهر وهذا بين وقد يطلق الايمان بمعنى الاسلام والاسلام
ويراد به الايمان للزوم احدهما الاخر وصدوره عنه كالاسلام الذي
هو ثمرة الايمان ودلالة على صحته فاعلمه وبالله التوفيق　　　تعالى ووصى
بها ابراهيم بالملة وقيل بالكلمة التي هي قوله اسلمت لرب العالمين وهو اصوب
لانه اقرب مذكور اي قولوا اسلمنا ووصى واوصى لغتان لقريش وغيرهم
مثل كرمنا واكرمنا وقرى بهما في مصحف عبد الله ووصى وفي مصحف عثمان
واوصى وهي قراة اهل المدينه والشام الباقون ووصى وفيه معنى التكثير
والمبالغه وابراهيم رفع بفعله ويعقوب عطف عليه وقيل هو مقطوع مستانف

والمعنى

والمعنى واوصى يعقوب وقال يا بنى ان الله اصطفى لكم ان ابرهيم وصى
بنيه وصى يعقوب بنيه وبنو ابراهيم اسماعيل وامه هاجر القبطيه
واسحق وامه ساره ومدين ومداين ونقشان وزمران ونشبق وشيو خ
وامهم جميعا قنطورا بنت يقطن الكنعانيه ترجها ابراهيم عليه السلام
بعد وفاة ساره وقرا عمرو بن فايد الاسواري واسمعيل بن عبد الله
المكي ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه فيكون يعقوب داخلا
فيمن اوصى قال القشيري وقرى ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه وهو
بعيد لان يعقوب لم يكن فيما بين اولاد ابراهيم لما وصاهم ولم ينقل
ان يعقوب ادرك جده ابرهيم وانما ولد بعد موت ابراهيم لكن
ان يعقوب اوصى بنيه كما فعل ابراهيم وهم اثنا عشر ابنا وهو رونيل
وشمعون ويهودا ونفتاييل ولاوى وزبالون وسناجر ودان
واسر ونقا وحان ويوسف وبنيامين قال الكلبي لما دخل يعقوب
مصر راهم يعبدون الاوثان والنيران والبقر فجمع ولده وخاف عليهم
وقال ما تعبدون من بعدي قوله تعالى يا بنى معناه ان
يا بنى وكذلك في قراءة ابي وابن مسعود والضحاك قال الفرا الغيث
ان لان التوصيه كالقول وكل كلام رجع الى القول جاز فيه
دخول ان وجاز فيه الغا وقال وقول النحويين انما اراد ان
فالغيث ليس بشى النحاس يا بنى نداء مضاف وهذه يا النفس لا يجوز
هاهنا الا فتحها لو سكنت لالتقاساكنان ومثله بمحراى الله
لسرت ان لان اوصى وقال واحد وقيل على اضمار القول اى
قال ان الله اصطفى اى اختار ومنه قول الزاجر يا بن ملوك ورثوا

هم د

الا مالك خلافة الله التي اعطاك لك اصطفاها ولها اصطفاك
لكم الدين اي الاسلام والالف واللام للعهد لانهم قد كانوا عرفوه
قوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون ايجاز بليغ والمعنى
الزموا الاسلام وداوموا عليه ولا تفارقوه حتى تموتوا فاتي بلفظ
موجز يتضمن المقصود ويتضمن وعظا وتذكيرا وذلك ان المرء يتحقق
انه يموت ولا يدري متى فاذا امر بامر لا ياتيه الموت الا وهو
عليه فقد توجه الخطاب من وقت الامر دايما لازما ولا تموتن
في موضع جزم بالنهي اكد بالنون الثقيلة وحذفت الواو لالتقاء
الساكنين الا وانتم مسلمون ابتدا وخبر في موضع الحال اي
محسنون تعالى ام كنتم شهدا اذ حضر يعقوب الموت
اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك الاهك
ابراهيم واسماعيل واسحاق الاها واحدا ونحن له مسلمون فيه اربع
مسائل قوله ام كنتم شهدا اذ حضر يعقوب الموت يقال
ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب
عليه السلام يوم مات اوصى بنيه بدين اليهودية فانزل الله تعالى
ام كنتم شهدا اي كنتم حضور حين حضر يعقوب الموت شهدا خبر
كنتم ولم ينصرف لان فيه الف التانيث ودخلت لتانيث الجماعه كما
تدخل الها وقيل الخطاب لليهود والنصارى الذين ينسبون الى
ابراهيم ما لم يوص به بنيه وانهم على اليهودية والنصرانية فرد الله
عليهم قولهم وكذبهم وقال لهم على جهة التوبيخ اشهدتم يعقوب
وعلمتم بما اوصى فتدعون عن علم اي لم تشهدوا بل انتم مفترون

وام

وام بمعنى بل اي بل اشهدا اسلافكم يعقوب والعامل في اذا الاولى
معنى الشهادة واذا الثانية بدل من الثانية وشهدا جمع شاهد اي
حاضر ومعنى حضر يعقوب الموت اي مقدمات واسبابه والا فلو تمثل
لما امكن ان يقول شيا قال الشاعر وقل لهم بادروا بالعذر
والتمسوا قولا يبريكم اني انا الموت قوله ما تعبدون
من بعدي عبر عن المعبود بما ولم يقل من لانه اراد ان يختبرهم ولو
قال من لكان مقصوده ان ينظر من لهم الاهتدا منهم وانما اراد تجربتهم
فقال ما وايضا فان المعبودات المتعارفة من دون الله جمادات
الاوثان والنار والشمس والحجارة فاستفهم عما يعبدون من هذه فقالوا
نعبد الاهك الاية ومعنى بعدي اي من بعد موتي وحكي ان يعقوب
حين خير كما خير الانبيا اختار الموت فقال امهلوني حتى اوصي بنيّ
واهلي فجمعهم وقال لهم فاهتدوا وقالوا نعبد الاهك الاية فاروهم
ثبوتهم على الدين ومعرفتهم بالله تعالى قلت وهكذا يجب حقا
على الانسان اذا كان له ولد ان يوصيه في حياته وعند موته ويحضه
على تقوى الله العظيم واتباع سنته القويم والثبوت على الدين
والتزام شرايعه واجتناب ما ابتدع فيه قوله تعالى
قالوا نعبد الهك والاه ابايك ابراهيم واسماعيل واسحاق ابراهيم
واسماعيل واسحاق في موضع خفض على البدل من ابايك ولم تنصرف
لانها اعجمية قال الكساي وان شيت صرفت اسحاق وجعلته من
السحق وصرفت يعقوب وجعلته من الطير وسمى الله تعالى كل واحد
من العم والجد ابا وبدا بذكر الجد ثم اسماعيل العم لانه اكبر من

اسحق قلت ويترتب على هذا احكام في المواريث والنفقات وغيرها
ياتي بيانها ان شا الله تعالى قال ابن المنذر والاجداد ابا والجدات امهات
فلا يغير والمن الا باذنهم قوله تعالى الاها واحدا الاها
بدل من الاهك بدل النكرة من المعرفه وكرر لفايدة الصفة
بالوحدانيه وقيل الاها حال قال ابن عطيه وهو قول حسن لان
الغرض اثبات الوحدانيه ونحن له مسلمون ابتدا وخبر ويحتمل ان يكون
في موضع الحال والعامل نعبد وقرا الحسن ويحيى بن يعمر والجحدري
وابو رجا العطاردي والاه ابيك وفيه وجهان احدهما ان يكون افرد
واراد ابراهيم وحده وكره ان يجعل اسماعيل ابا لانه عم قال النحاس
وهذا لا يجب لان العرب تسمي العم ابا بدليل قوله عليه السلام عم
الرجل صنو ابيه الوجه الثاني على مذهب سيبويه ان يكون ابيك جمع
سلامة حكى سيبويه اب وابون وابين كما قال الشاعر فقلنا
اسلموا انا اخوكم وقال اخر فلما تبين اصواتنا بكين وفديننا
بالابينا تعالى تلك امه قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
ولا تسلون عما كانوا يعملون فيه ثلاث مسايل قوله تلك
امه تلك مبتدا وامه خبر قد خلت نعت لامه وان شيت كان خبر
المبتدا وتكون امه بدلا من تلك لها ما كسبت ما في موضع رفع
بالابتدا وبالصفه على قول الكوفيين ولكم ما كسبتم مثله يريد من
خير وشر وقيل ان اليهود والنصارى كانوا يقولون نحن على دينهم فقال الله
تعالى لهم تلك امه قد خلت لا تفتخرون عليهم حتى تشهد ولكم فلهم ما
عملوا ولكم ما تعملون وانما ينظر الا الى اعمالكم فلا تسعلم من اعمالكم
شي

شي في هذه الايه دليل على العبد يضاف اليه الاعمال والاكساب وان كان الله تعالى اقدره على ذلك ان كان خيرا فبفضله وان كان شرا فبعدله
وهذا مذهب اهل السنه والاي في القران بهذا المعنى كثيره والعبد مكتسب لافعاله على معنى انه خلقت له قدره متقارنه للفعل يدرك بها الفرق بين حركه الاختيار وحركه الرعشه مثلا وذلك التمكن هو مناط
التكليف وقالت الجبريه بنفي اكساب العبد وانه كالباب الذي تصرفه الرياح وقالت القدريه والمعتزله بخلاف هذين القولين
وان العبد يخلق افعاله تعالى الله عن قولهم ولا تسئلون عما كانوا يعملون اي لا يواخذ احد بذنب احد مثل قوله تعالى الا تزر وازره وزر اخرى اي لا تحمل حامله ثقل اخرى وقد تقدم هذا المعنى عند قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل مله ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ادعت كل فرقه الى ما هي عليه وذلك ان يهود اهل المدينه ونصارى اهل نجران اختصموا فقال كل فريق ديننا الصواب ونبينا افضل فسلوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما افضل فقال كلكم على الباطل فاعرضوا عنه فنزلت هذه الايه وقالوا كونوا هودا او نصارى يعني اليهود قالوا كونوا على دين اليهوديه والنصارى قالت كونوا على دين النصرانيه تهتدوا من الضلاله فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ردا عليهم قل بل مله ابراهيم حنيفا اي قل يا محمد بل نتبع مله فلهذا نصب المله ويقال معناه واتبعوا مله ابراهيم وقيل المعنى بل نهتدي بملة حذف حرف الجر صار منصوبا وقرا الاعرج وبن

الى عيله بل مله بالرفع والتقدير بل الهدى مله او ملتنا دين ابراهيم وحنيفا
مايلا عن الاديان الى دهة الى الحق دين ابراهيم وهو فى موضع نصب على
الحال قاله الزجاج اى بل نتبع مله ابراهيم فى هذه الحالة وقال على بن
سليمان هو منصوب على اعنى والحال خطا لا يجوز جاني علام هند سرعة وسمى
ابراهيم حنيفا لانه حنف الى دين الله وهو الاسلام والحنف الميل ومنه رجل
حنيفا ورجل احنف وهو الذى يميل قدماه كل واحد منهما الى اختها باصا
بعها قالت ام الاحنف فلوا والله لولا احنف برجله ما كان فى فتيانكم من
مثله وقال الشاعر اذا حول الظل العشى رايته حنيفا وفى قرن
الضحى ينصر اى الحربا ستقبال القبله بالعشى والمشرق بالغداة وهو قبله
النصارى وقال قوم والحنيف الاستقامة فسمى دين ابراهيم حنيفا لاستقامته
وسمى المعوج الرجلين احنف تفالا بالاستقامة كما قيل للديغ سليم وللمهلكه
مفازة فى قول اكثرهم وما كان من المشركين ولكنه كان على دين الاسلام
تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم
واسمعيل واسحق يعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما
اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فيه مسلتان
قوله تعالى قولوا امنا يقال ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا
كيف نقول حتى لا نكذب احدا من الانبيا فنزلت وفى البخارى عن ابى هريره
قال كان اهل الكتاب يقرون التوراه بالعبرانيه ويفسرونها بالعربيه لاهل
الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب
ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل الايه وقال محمد بن سيرين اذا قيل
لك انت مومن فقل امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم الايه وكره

الثر

الىٰ اهل السلف ان يقول الرجل انا مومن حقا وسياتي بيانه في الانفال ان
شا الله وسيل بعض المتفقه بيمن عن رجل قيل له اتومن بفلان النبي فسماه باسم
لم يعرف فلو قال نعم فلعله لم يكن نبيا فقد شهد بالنبوه لغير نبي ولو قال
لا فلعله نبيا فقد جحد نبيا من الانبيا فكيف يصنع فقال ينبغي ان يقول ان
كان نبيا فقد امنت به وقال ابن عباس جا نفر من اليهود الى النبي صلى الله عليه
وسلم فسالوه عمن يومن به من الانبيا فنزلت الايه فلما جاد ذكر عيسى قالوا
لا نومن بعيسى ولا من امن به قوله تعالى وما انزل الى ابرهيم
الايه ابراهيم يجمع براهيم واسماعيل سماعيل قاله الخليل وسيبويه وقاله
الكوفيون وحكوا براهمه وسماعله وحكوا براهم وسماعل قال المبرد محمد
بن يزيد هذا غلط لان الهمزه ليس هذا موضع زيادتها ولكن اقول اباره
واسامع ويجوز اباريه واساميع واجاز احمد بن يحيى براه كما يقال في التصغير
بريه وجمع اسحق اساحيق وحكى الكوفيون اساحقه واساحق وكذا يعقوب
ويعاقيب ويعاقبه ويعاقب قال النحاس فاما اسرايل فلا نعلم احدا
يجيز حذف الهمزه من اوله وانما يقال اساريل وحكى الكوفيون اسارله
واسارل والباب في هذا كله ان يجمع مسلما يقال ابراهيمون واسحاقون
ويعقوبون والمسلم عمل فيه والاسباط ولد يعقوب عليه السلام
وهم اثنا عشر ولدا وقد تقدم اسماوهم وولد لكل واحد منهم امه من
الناس واحدهم واحدهم سبط والسبط في بني اسرايل بمنزله القبيله في ولد
اسماعيل وسموا الاسباط من السبط وهو التتابع فهم جماعه متتابعون
وقيل اصله من السبط بالتحريك وهو الشجر اي هم في الكثره بمنزله الشجر الواحده
سبطه قال ابو اسحق الزجاج يبين لك هذا حدثنا محمد بن جعفر الانباري

قال حدثنا ابو عبيد القاسم قال ثنا الاسود بن عامر قال ثنا اسرايل
عن سماك عن عكرمه عن ابن عباس قال كل الانبيا من بني اسرايل الا عشره
نوحا وشعيبا وهودا وصالحا ولوطا وابراهيم واسحق ويعقوب
واسماعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم ولم يكن احد له اسمان الا عيسى ويعقوب
والسبط الجماعه والقبيله الراجعون الى اصل واحد وشعر سبط وسبط
غير جعد لا نفرق بين احد منهم قال الفراء لا نومن ببعضهم ونكفر ببعضهم
كما فعلت اليهود والنصارى ونحن له مسلمون اي مخلصون له بالتوحيد
تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم
في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم الخطاب لمحمد صلى الله
عليه وسلم وامته المعنى فان امنوا يعني اليهود والنصارى مثل ايمانكم وصدقوا
مثل تصديقكم فقد اهتدوا والمماثله وقعت بين الايمانين وقيل ان الها
زايده موكده وكان ابن عباس يقرا فيما حكى الطبري فان امنوا بالذي امنتم به
فقد اهتدوا وهو معنى القراه وان خالف المصحف فمثل زايده
كما هي في قوله تعالى ليس كمثله شي اي ليس هو شي وقال الشاعر فصيروا مثل
كعصف ماكول وروى بقيه قال ثنا شعبه عن ابي حمزه عن ابن عباس قال
لا تقولوا فان امنوا بمثل ما امنتم به فان الله عز وجل ليس له مثل ولكن قولوا
بالذي امنتم به تابعه علي بن نصر الجهضمي عن شعبه ذكره البيهقي وحكى عن
جماعه من اهل النظر قالوا ويحتمل ان يكون الكاف في قوله تعالى ليس كمثله شي
زايده قال والذي روي عن ابن عباس من نهيه عن القراة العامة شي ذهب
اليه للمبالغه في نفي التشبيه عن الله عز وجل وقال ابن عطيه هذا من ابن
عباس على جهه التفسير اي هكذا فليتاول وقيل ان البا بمعنى على المعنى فان

امنوا

امنوا على مثل ايمانكم وقيل مثل على بابها اي بمثل المنزل دليله قوله تعالى
وقل امنت بما انزل الله من كتاب وقوله قولوا امنا بما انزل الينا وانزل
اليكم وان تولوا اي عن الايمان فانما هم في شقاق وقال زيد بن اسلم الشقاق
المنازعة وقيل المجادلة والمخالفة والتعادي قال الله تعالى ولا يجرمنكم شقاقي قي
اي عداوتي وقال ان خفتم شقاق بينهما اي خلافا وقال وان الظالمين لفي
شقاق بعيد اي ذهاب عن القصد وضلال واصله من الشق وهو الجانب
فكان كل واحد من الفريقين في شق غير شق صاحبه قال الشاعر الى كم تقتل
فسرا وتجربا لشقا وبالنفاق وقال اخر والا فاعلموا انا وانتم
بغاة ما بقينا في شقاق وقيل الشقاق ماخوذ من فعل ما يشق ويصعب
فكان كل واحد من الفريقين يحرص على ما يشق على صاحبه فسيكفيكهم اي
فسيكفي الله رسوله عدوه فكان هذا وعدا من الله تعالى لنبيه انه سيكفيه
من عاداه وخالفه من المتولين بمن يهديه من المومنين فكان ذلك في قتل بني قينقاع
وبني قريظة واجلا بني النضير قاله مقاتل وغيره والكاف والها والميم
في موضع نصب مفعولان ويجوز في غير القران فسيكفيك وهذا الحرف
فسيكفيكهم الله هو الذي رفع عليه دم عثمان رضي الله عنه حين باخبار النبي
صلى الله عليه وسلم اياه بذلك والسميع لقول كل قايل والعليم بما ينفذ في
عباده ويجريه عليهم تعالى صبغة الله ومن احسن من الله صبغة
ونحن له عابدون دينه مسلمان قوله تعالى صبغة الله قال الاخفش
وغيره دين الله وهو بدل من ملة قال الكساي وهي منصوبة على تقدير
اتبعوا او على الاغرا اي الزموا ولو قريت بالرفع لجاز اي هي صبغة الله وروى
شيبان عن قتادة قال ان اليهود تصبغ ابناهم يهودا وان النصارى تصبغ اولادهم
م

ل

نصارى وان صبغه الله الاسلام قال الزجاج ويدلك على ان صبغه بدل
من مله وقال مجاهد اي فطره الله التي فطر الناس عليها قال ابو اسحاق
الزجاج هذا يرجع الى الاسلام لان الفطره ابتدا الخلق وابتدا ما خلقوا عليه
الاسلام وروي عن مجاهد ايضا والحسن وابي العاليه الصبغه الدين واصل
ذلك ان النصارى كانوا يصبغون اولادهم في الماء يسمونه المعمودية ويقولون
هذا تطهير لهم قال ابن عباس ان النصارى كانوا اذا ولد لهم ولد فاتى عليه سبعه
ايام صبغوه في ماء لهم يقال له المعمودي ليطهروه به مكان الختان لان الختان تطهير
فاذا فعلوا ذلك قالوا الان صار نصرانيا حقا فرد الله عليهم بان قال صبغه الله
اي صبغه الله احسن صبغه وهي الختان وهو التطهير طهر الله به ابراهيم
وبقي سنه في بنيه وقد تقدم القول فيه وقال القتبي هذا من الاستعاره
سمي الختان صبغه لانهم كانوا يصبغون غلمانهم وقال قتاده الصبغه الاسلام
سمي الدين صبغه استعاره ومجازا من حيث تظهر اعماله وسمته على المتدين
كما تظهر اثر الصبغ في الثوب وقال بعض شعرا ملوك همدان وذكر
انا سلمهم صبغه وصبغه همدان خير الصبغ صبغنا على ذاك ابنا نابعي
فاكرم بصبغتنا في الصبغ وقيل ان الصبغه الاغتسال لمن اراد الدخول
في الاسلام بدلا من معمودية ذكره الماوردي قلت وعلى هذا التاويل
يكون غسل الكافر تعبدا واجبا وهي المسله لان معنى صبغه الله
غسل الله اي اغتسلوا عند اسلامكم الغسل الذي اوجبه الله عليكم وبهذا
المعنى جات السنه في قيس بن عاصم وثمامه بن اثال الحنفي حين اسلما روى ابو حاتم
البستي في صحيح مسنده عن ابي هريره ان ثمامه الحنفي اسر فمر به النبي صلى الله
عليه وسلم يوما فاسلم فبعث به الى حايط ابي طلحه فامره ان يغتسل

ب البستي

فاغتسل

حلم

فاغتسل وصلى ركعتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن اسلام صاحبكم
وخرج ايضا قيس بن اسلم فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يغتسل بما
وسدر ذكره النساي وصححه ابو محمد عبد الحق وقيل ان القربه الي
الله تعالى يقال لها صبغه حكاه ابن فارس في المجمل وقال الجوهري صبغه
دينه قلت وعلى هذا تضمنت الايه جميع العبادات والقرب من
صلاه وزكاه وحج وجهاد او غير ذلك من الاعمال وقيل الصبغه الختان
اختتن ابرهيم فجرت الصبغه على الختان لصبغهم الغلمان في الما قاله الفرا وقد
ذكرناه مبينا ونحن له عابدون ابتدا وخبر تعالى قل اتحاجوننا
في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون فيه مسلتان
قوله تعالى قل اتحاجوننا في الله قال الحسن كانت المحاجه ان
قالوا نحن اولى بالله منكم لانا ابنا الله واحباوه وقيل لتقدم ابايانا وكتبنا ولانا
لم نعبد الاوثان فمعنى الايه قل لهم يا محمد قل لهولا اليهود والنصاري
الذين زعموا انهم ابنا الله واحباوه وادعوا انهم اولى بالله منكم لقدم
ابايهم وكتبهم اتحاجوننا اي تجادلوننا الحجه على دعواكم والرب واحد
وكل مجازي بعمله فاي تاثير لقدم الدين ومعنى في الله اي في دينه والقرب
منه والحظوه له وقراه الجماعه اتحاجوننا وجاز اجتماع حرفين مثلين من
جنس واحد متحركين لان الثاني كالمنفصل وقرا ابن محيصن اتحاجونا بالادغام
لاجتماع المثلين قال النحاس وهذا جايز الا انه مخالف للسواد ويجوز اتحاجونا
بحذف النون الثانيه كما قرا فبم تبشرون قوله تعالى
ونحن له مخلصون اي مخلصون العباده وفيه معنى التوبيخ اي ولم تخلصوا انتم
فكيف تدعون ما نحن اولى به منكم والاخلاص حقيقته تصفيه الفعل

عن ملاحظه المخلوقين قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول انا خير شريك
لمن اشرك معي شريكا فهو لشريكي يا ايها الناس اخلصوا اعمالكم لله تعالى فان الله لا
يقبل الا ما خلص له ولا تقولوا هذا لله وللرحم فانها للرحم وليس لله منها شي ولا
تقولوا هذا لله ولوجوهكم فانها لوجوهكم وليس لله منها شي رواه الضحاك
بن قيس الفهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره خرجه
الدارقطني في سننه وقال رويم الاخلاص من العمل هو ان لا يريد
صاحبه عليه عوضا من الدارين ولا حظا من الملكين وقال الجنيد الاخلاص سر
بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هواه
فيميله وذكر ابو القاسم القشيري وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
سالت جبريل عن الاخلاص ما هو قال سالت رب العزه عن الاخلاص ما هو فقال
سر من سري استودعته قلب من احببت من عبادي   تعالى ام يقولون
ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل
انتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهاده عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون
قرا ام تقولون بمعنا قالوا وقرا حمزه والكساي وعاصم وروايه حفص تقولون
بالتا وهي قراه حسنه لان الكلام متسق كان المعنى اتحاجوننا في الله ام
تقولون ان الانبيا كانوا على دينكم فهي ام المتصله وهي على قراه من قرا باليا
منقطعه فيكون كلامين ويكون ام بمعنى بل هود اخبر كانوا وخبر ان
في الجمله ويجوز في غير القران رفع هود على خبر ان ويكون كان ملغاه
ذكره النحاس وقوله تعالى قل انتم اعلم ام الله تقريع وتوبيخ في ادعايهم
بانهم كانوا هودا او نصارى فرد الله عليهم بانه اعلم بهم منكم اي لم
يكونوا هودا ولا نصارى ومن اظلم لفظه الاستفهام والمعنى لا

احد

احد اظلم وقد تقدم ومن لتم شهاده يريد علمهم بان الانبيا كانوا على الاسلام
وقيل ما كتموه ما لمتوه من صفه النبي صلى الله عليه وسلم قاله قتاده والاول
اشبه بسياق الايه وما الله بغافل عما تعملون وعيد واعلام بانه تيرك
امرهم سدى يجازيهم على اعمالهم والغافل الذى لا يفطن للامور اهمالا منه
ماخوذ من الارض الغفل وهي التى لا علم بها ولا اثر عماره وناقه غفل لا سمه
لها ورجل غفل لم يجرب الامور وقال الكسائي ارض غفل لم تمطر غفلت عن
الشى غفله وغفولا واغفلت الشى تركته على ذكر منك تعالى تلك امه
قد خلت الايه وقد تقدم الكلام فيها وكررها لانها ضمنت معنى التهديد
والتخويف اذا كان اولىك الانبيا على امامتهم وفضلهم يجازيهم على كسبهم
فانتم احرى فوجب التاكيد فلذلك كررها تعالى سيقول السفها من
الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى
من يشا الى صراط مستقيم فيه احدى عشره مسله قوله تعالى
سيقول السفها من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها اعلم الله تعالى انهم
يقولون في تحويل المومنين من الشام الى الكعبه ما ولاهم سيقولون
بمعنى قال جعل المستقبل موضع الماضى دلاله على استدامه ذلك وانهم
يستمرون على ذلك القول وخص بقوله من الناس لان السفه يكون في جمادات
وحيوانات والمراد من السفها جميع من قال ما ولاهم والسفها جمع واحده سفيه
وهو الخفيف العقل من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف النسج وقد تقدم
والنسا سفايه وقال المورج السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم
وقال قطرب الظلوم الجهول والمراد بالسفها هنا اليهود الذين بالمدينه قاله مجاهد
السدى المنافقون الزجاج كفار قريش لما انكروا تحويل القبلة قال وقد انشا رجال الى

مولده وعن قريب يرجع الى دينكم وقالت اليهود قد التبس عليه امره وتحير وقالت
المنافقون ما ولاهم عن قبلتهم واستهزوا بالمسلمين وولاهم يعني عدلهم وصرفهم
وروى الايمه واللفظ لمالك عن ابن عمر قال بينما الناس بقبا في صلاه الصبح
اذ جاهم ات فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قران وقد امر ان
يستقبل الكعبه فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبه
وخرج البخاري عن البرا ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الى بيت المقدس ستة عشر
شهرا او سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان يكون قبلته قبل البيت وانه صلى اول
صلاه صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى مع النبي صلى الله
عليه وسلم فمر على اهل المسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع النبي
صلى الله عليه وسلم قبل مكه فداروا كما هم قبل البيت وكان الذي مات على القبله
قبل ان تحول قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فانزل الله تعالى وما
كان الله ليضيع ايمانكم ففي هذه الروايه صلاه العصر وفي روايه مالك صلاه
الصبح وقيل نزل ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمه وهو في
صلاه الظهر بعد ركعتين منها فتحول في صلاه فسمي ذلك المسجد القبلتين وذكر ابو
الفرج الجوزي ان عباد بن نهيك كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الصلاة
وذكر ابو عمر في التمهيد عن نويله بنت اسلم وكانت من المبايعات قالت كنا في
صلاه الظهر فاقبل عباد بن بشر بن قيظي فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد استقبل او قال البيت الحرام فتحول الرجال مكان النسا والنسا مكان الرجال
وقيل ان الاية نزلت في غير صلاة وهو الاكثر وكان اول صلاة الى الكعبة العصر
والله اعلم وروي ان من صلى الى الكعبه حين صرفت القبلة عن بيت المقدس ابو سعيد
بن المعلى وذلك انه كان مجتازا على المسجد فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم

الناس

الناس بتحويل القبله على المنبر وهو يقرا هذه الايه قد نرى تقلب وجهك في السما
حتى فرغ من الايه فقلت لصاحبي تعال نركع ركعتين قبل ان ينزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنكون اول من صلى فتوارينا نعما فصليناها ثم نزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فصلى للناس الظهر يوميذ قال ابو عمر وليس لسعيد بن المعلى غير هذا الحديث
وحديث انت اصلي في فضل الفاتحه خرجه البخاري وقد تقدم
واختلف في وقت تحويل القبله بعد قدومه المدينه فقيل حولت بعد سته
عشر شهرا او سبعة عشر شهرا كما في البخاري وخرجه الدارقطني عن البرا ايضا
قال صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينه سته عشر
شهرا من غير شك وروى ابن ماجه في سننه قال ثنا علقمة بن عمرو الدارمي
قال ثنا ابو بكر بن عياش عن ابي اسحاق عن البرا قال صلينا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ثمانيه عشر شهرا وصرفت القبلة الى الكعبة
بعد دخول المدينه بشهرين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الى
بيت المقدس اكثر تقلب وجهه في السما وعلم الله من قلب نبيه صلى الله وسلم انه
يهوى الكعبه فصعد جبريل عليه السلام فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه
بصره وهو يصعد بين السما والارض ينظر ما ياتيه به جبريل فانزل الله تعالى قد
نرى تقلب وجهك في السما فلنولينك قبله ترضاها فول وجهك شطر المسجد
الحرام الايه فاتانا ات فقال ان القبله قد صرفت الى الكعبه فصلينا ركعتين الى
بيت المقدس ونحن ركوع فتحولنا فبنينا على ما مضى من صلاتنا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا جبريل كيف حالنا في صلاتنا الى بيت المقدس فانزل الله تعالى
وما كان الله ليضيع ايمانكم وفي موطا مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب
ان تحويلها كان قبل بدر بشهرين قال ابراهيم بن اسحق وذلك في رجب من سنة اثنين

وقال ابو حاتم صلى المسلمون الى بيت المقدس سبعه عشر شهرا وثلاثه ايام سوا
وذلك ان قدومه المدينه كان يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع
الاول وامره الله عز وجل باستقبال الكعبه يوم الثلاثا للنصف من شعبان
واختلف العلما ايضا في كيفيه استقباله بيت المقدس على ثلاثه اقوال فقال
الحسن كان ذلك منه على راي واجتهاد وقاله عكرمة وابو العاليه الثاني انه كان
مخيرا بينه وبين الكعبه فاختار القدس طمعا في ايمان اليهود واستمالتهم قاله
الطبري وقال الزجاج امتحانا للمشركين لانهم الفوا الكعبة الثالث وهو
الذي عليه الجمهور ابن عباس وغيره وجب عليه استقباله بامر الله تعالى ووحيه
لا محالة ثم نسخ الله ذلك وامره ان يستقبل بصلاته الكعبة واستدلوا بقوله
تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول الاية

واختلفوا ايضا حين فرضت عليه الصلاة اولا بمكة هل كانت الى
بيت المقدس او الى مكه على قولين فقالت طايفة الى بيت المقدس وبالمدينه سبعه
عشر شهرا ثم صرفه الله تعالى الى الكعبه قاله ابن عباس وغيره قلت وهو مقتضى
حديث ابن ماجه عن البرا وانه عليه السلام صلى بمكه سته عشر شهرا فلما قدم
المدينه حولت القبله بعد قدومه قبل قدومه المدينه بشهرين فذلك ثمانيه عشر
شهرا وقال اخرون اول ما افترضت الصلاة عليه الى الكعبه ولم يزل يصلي اليها طول
مقامه بمكه على ما كانت عليه صلاة ابراهيم واسمعيل فلما قدم المدينه صلى الى
بيت المقدس سته عشر شهرا او سبعه عشر شهرا على الخلاف ثم صرفه الله
تعالى الى الكعبة قال ابو عمر وهذا اصح القولين عندي قال غيره وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينه اراد ان يستالف اليهود فتوجه
قبلتهم ليكون ذلك ادعى لهم فلما تبين عنادهم وايس منهم احب ان يحول

الكعبه

الكعبه مخالفة لهم قال مجاهد فكان ينظر الى السما وكانت محنته الكعبه لانها قبله
ابرهيم عن ابن عباس وقيل انها ادعى للعرب الى الاسلام وروي عن ابي العاليه
الرياحي انه قال كانت مسجد صالح عليه السلام وقبلته الى الكعبه قال وكان
موسى عليه السلام يصلي الى الصخره نحو الكعبه وهي قبلة الانبيا عليهم صلوات
الله عليهم اجمعين في هذه الايه دليل واضح على ان في احكام
الله تعالى وكتابه ناسخا ومنسوخا واجمعت عليه الامه الا من شذ كما تقدم
واجمع العلما على ان القبله اول ما نسخ من القران وانها نسخت مرتين على احد
القولين المذكورين في المسله قبل ودلت ايضا على جواز نسخ السنه بالقران وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الى بيت المقدس وليس في ذلك قران فلم يكن
الحكم الا من جهه السنه ثم نسخ ذلك بالقران وعلى هذا يكون كنت عليها
بمعنى انت عليها وفيها دليل على جواز القاطع بخبر الواحد وذلك
ان استقبال بيت المقدس كان مقطوعا به من الشريعه عندهم ثم ان اهل قبا
لما اتاهم الاتي فاخبرهم ان القبله قد حولت الى المسجد الحرام قبلوا قوله واستداروا
نحو الكعبه فتركوا المتواتر بخبر الواحد وهو مظنون وقد اختلف العلما في جوازه
عقلا ووقوعه فقال ابو حامد والمختار جواز ذلك عقلا لو تعبد الشرع به
ووقوعه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل قصه قبا وبدليل انه
كان عليه السلام ينفذ احاد الولاه الى الاطراف وكانوا يبلغون الناسخ
والمنسوخ جميعا ولكن ذلك ممنوع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم
بدليل الاجماع من الصحابه على ان القران والمتواتر المعلوم لا يرفع بخبر
الواحد فلا ذاهب الى تجويزه من السلف والخلف احتج من منع
ذلك بانه يفضي الى المحال وهو رفع المقطوع بالمظنون واما قصه

اهل قبا وولاه النبي صلى الله عليه وسلم محمول على قراين افادة العلم اما
نقلا وتحقيقا واما احتمالا ونعد برا ونتمم هذا سوالا وجوابا في
الفقه   وفيها دليل على ان من لم تبلغه الناسخ انه متعبد
بالحكم الاول خلافا لمن قال ان الحكم الاول يرتفع بوجود الناسخ لا
بالعلم به والاول اصح لان اهل قبا لم يزالوا يصلون الى بيت المقدس
الى ان اتاهم الاتي فاخبرهم بالناسخ فمالوا نحو الكعبة فالناسخ اذا
في الوجود فهو رافع لا محالة لكن بشرط العلم لان الناسخ خطاب ولا
يكون في حق من لم يبلغه وفايدة هذا الخلاف في عبادات فعلت بعد
النسخ وقبل البلاغ هل تعاد ام لا وعليه تبنى مسئلة الوكيل في تصرفه
بعد عزل موكله او موته وقبل علمه بذلك على قولين وكذلك المقارض
والحاكم اذا مات من ولاه او عزل والصحيح ان ما فعله كل واحد من
هو لا ينفذ فعله ولا يرد حكمه قال القاضي عياض ولم يختلف المذهب
في احكام من اعتق ولم يعلم بعتقه انها احكام حر فيما بينه وبين الناس
واما بينه وبين الله تعالى فجايز ولم يختلفوا في المعتقة انها لا تعيد ما
صلت بعد عتقها وقبل علمها بغير ستر وانما اختلفوا فيمن يطرا عليه
موجب يغير حكم عبادته وهو فيها بنا على مسئلة قبا فمن صلى على حال ثم
تغيرت حالته تلك قبل ان يتم صلاته هل يتمها ولا يقطعها ويجزيه ما
ما مضى وكذلك من صلى عريانا ثم وجد ثوبا في الصلاة او ابتدا صلاته
صحيحا ثم مرض او مريضا فصح او قاعدا ثم قدر على القيام او امة عتقت
وهي في الصلاة انها تاخذ قناعها وتبني قلت ومن دخل في الصلاة
بالتيمم فطرا عليه الما انه لا يقطع كما يقوله مالك والشافعي وغيرهما

وقيل

وقيل يقطع وهو قول ابي حنيفه وسياتي وفيها دليل على
قبول خبر الواحد وهو مجمع عليه من السلف معلوم بالتواتر من عاده
النبي صلى الله عليه وسلم في توجيهه ولاته ورسله احادا للافاق ليعلموا
الناس دينهم ويبلغهم رسولهم من الاوامر والنواهي
وفيها دليل على ان القران كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا
بعد شي وفي حال بعد حال بحسب الحاجه احكم الله دينه كما قال اليوم
اكملت لكم دينكم قوله تعالى قل لله المشرق والمغرب
اقامه حجه اي له ملك المشارق والمغارب وما بينهما فله ان يامر بالتوجه
الى جهه شا كما قد تقدم يهدي من يشا اشاره الى هدايه الله تعالى
هذه الامة الى قبله ابراهيم والله اعلم والصراط المستقيم الذي لا اعوجاج
فيه وقد تقدم تعالى وكذلك جعلناكم امه وسطا لتكونوا
شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فيه اربع مسايل
قوله تعالى وكذلك المعنى وكما ان الكعبه وسط الارض كذلك جعلناكم
امه وسطا اي جعلناكم دون الانبيا وفوق الامم والوسط العدل
وهذا كما قال في ايه اخرى قال اوسطهم اي اخيرهم واعدلهم واكما
هذا ان احمد الاشيا اوسطها وفي الترمذي عن ابي سعيد الخدري عن
النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امه وسطا قال
عدلا قال هذا حديث حسن صحيح وقال زهير هم وسط
يرضى الانام بحكمهم اذا نزلت احدى الليالي بمعظم وقال
اخر انتم اوسط حي علموا بصغير الامر واحدى الكبر
وقال اخر لا تذهبن في الامور فرطا لا تسالن ان سالت شططا

ولن من الناس جميعا وسطا   د وسط الوادي خير موضع فيه واكثره
كلأ وما ولما كان الوسط مجانبا للغلو والتقصير كان محمودا اي هذه الامة
لم تغل غلو النصارى في انبيائهم ولا قصروا تقصير اليهود في انبيائهم وفي
الحديث خير الامور اوساطها وفيه عن علي رضي الله عنه عليكم بالنمط
الاوسط فاليه ينزل العالي واليه يرتفع النازل والعرب تقول فلان
من اوسط قومه وانه لواسطة قومه ووسط قومه اي من خيارهم واهل
الحسب منهم وقد وسط وساطة وسطة وليس من الوسط الذي
بين الشيئين في شي والوسط سكون العين الظرف تقول صليت وسط
القوم وجلست وسط الدار بالتحريك لانه اسم قال الجوهري وكل موضع
يصلح فيه بين فهو وسط وان لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك وربما يسكن
وليس بالوجه   قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس لتكونوا نصب
بلام كي اي لان تكونوا شهداء خبر كان على الناس اي في المحشر للانبيا على اممهم
كما ثبت في البخاري عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدعا نوح يوم القيمة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول
هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير
فيقول من يشهد لك فيقول محمد وامته فيشهدون انه قد بلغ ويكون
الرسول عليكم شهيدا فذلك قوله عز وجل وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وذكر الخبر مطولا
ابن المبارك بمعناه وفيه فيقول تلك الامم كيف تشهد علينا من لم يدركنا فيقول
لهم الرب سبحانه كيف تشهدون على من لم تدركوا فيقولون ربنا بعثت
الينا رسولا وانزلت الينا عهدك وكتابك وقصصت علينا انهم قد بلغوا

فشهدنا

فتشهد نا بما عهدت الينا فيقول الرب صدقوا فذلك قوله عز وجل وكذلك
جعلناكم امه وسطا والوسط العدل لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا قال ابن انعم فبلغني انه يشهد يومئذ امه محمد الا من كان في
قلبه حنه على اخيه وقالت طائفه معنى الايه يشهد بعضكم على بعض بعد
الموت كما ثبت في صحيح مسلم عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حين
مرت به جنازه فاثني عليها خيرا فقال وجبت وجبت وجبت ثم مر عليه
باخرى فاثني عليها شرا فقال وجبت وجبت وجبت فقال عمر فداك ابي وامي
مر بجنازه فاثني عليها خير فقلت وجبت وجبت وجبت ومر بجنازه فاثني
عليها شرا فقلت وجبت وجبت وجبت فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنه ومن اثنيتم عليه شرا وجبت له
له النار انتم شهدا الله في الارض انتم شهدا الله في الارض انتم شهدا الله
اخرجه البخاري بمعناه وفي بعض طرقه في غير الصحيحين وهي لتكونوا
شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وروى ابان وليث عن شهر
بن حوشب عن عباده بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اعطيت امتي ثلاثا لم تعط الانبيا كان الله اذا بعث النبي قال ادعني
استجب لك وقال لهذه الامه ادعوني استجب لكم وكان الله اذا
بعث النبي قال له ما جعل عليك في الدين من حرج وقال لهذه الامة
ما جعل عليكم في الدين من حرج وكان الله اذا بعث النبي جعله
شهيدا على قومه وجعل هذه الامه شهدا على الناس خرجه الترمذي
الحكيم ابو عبد الله في نوادر الاصول قال علماونا انبانا ربنا
تبارك وتعالى في كتابه بما انعم علينا من تفضيله لنا باسم العداله وتولية

حطير الشهاده على جميع خلقه فجعلنا اولا مكانا وان كنا اخرين زمانا
كما قال عليه السلام نحن الاخرون الاولون هذا دليل على فضل هذه الا
مه على غيرها حسب ما ياتي بيانه في ال عمران ودليل على انه لا يشهد
الا العدول وانه لا ينفذ قول الغير على الغير الا ان يكون عدلا
وسياتي بيان العداله وحكمها في اخر السورة ان شا الله
وفيه دليل على صحة الاجماع ووجوب الحكم به لانهم اذا كانوا عدولا
يشهدوا على الناس فكل عصر شهيد على من بعده فقول الصحابه حجه
وشاهد على التابعين وقول التابعين على من بعدهم واذا جعلت الامة
شهدا فقد وجب قبول قولهم ولا معنى لقول من قال اريد به جميع
الامه لانه حينئذ لا يثبت مجمع عليه الى قيام الساعه وبيان هذا في
كتب اصول الفقه قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا
قيل معناه باعمالكم يوم القيامه وقيل عليكم بمعنى لكم اي يشهد لكم
بالايمان وقيل يشهد لكم بالايمان وقيل يشهد عليكم بالتبليغ لكم
تعالى وما جعلنا القبله التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيره الا على الذين هدى الله
وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لروف رحيم فيه خمس مسايل
الاولى قوله تعالى وما جعلنا القبله التي كنت عليها قيل المراد بالقبله ها
هنا الاولى لقوله كنت عليها وقيل الثانيه فتكون الكاف زايده اي انت
الان عليها كما تقدم وكما قال كنتم خير امه اخرجت للناس اي انتم في
قول بعضهم وسياتي قوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول
قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه معنى لنعلم لنرى والعرب تضع العلم

محان

مكان الروية والرويه مكان العلم لقوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بمعنى
الم تعلم وقيل المعنى الم يعلموا اننا نعلم فان المنافقين كانوا في شك من علم
الله تعالى بالاشيا قبل كونها وقيل المعنى لنميز اهل اليقين من اهل الشك
حكاه بن فورك وذكره الطبرى عن بن عباس وقيل المعنى الا لنعلم النبى
واتباعه وخبر بذلك عن نفسه كما يقال فعل الامير كذا وانما فعله اتباعه
ذكره المهدوى عن بن عطيه وهو جيد قلت فاضاف سبحانه علمهم
الى علم نفسه تعالى تخصيصا وتفضيلا كما كنى عن نفسه في قوله يابن ادم
مرضت فلم تعدني الحديث اخرجه مسلم وغيره والاول وان معناه
علم المعاينه الذى يوجب الجزا وهو سبحنه عالم الغيب والشهاده
علم ما يكون قبل ان يكون تختلف الاحوال على المعلومات وعلمه
لا يختلف بل يتعلق بالجل تعلقا واحدا وهكذا دايما ورد في الكتاب من هذا
المعنى من قوله تعالى وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهدا ولنبلونكم
حتى نعلم المجاهدين منكم وما اشبهه والايه جواب لقريش في قولهم ما
ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها وكانت قريش بارادا الله عز وجل ان يمتحنهم
بغير ما الفوه ليظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه قلت الاظهر ان يكون
جوابا لكل من قال ما ولاهم من يهودي ومنافق وه وليعلم من يتبع ممن
ينقلب على عقبيه والله اعلم وقرا الزهرى الا ليعلم فمن في موضع رفع على هذه
القراه لانها اسم ما لم يسم فاعله وعلى قراه الجماعه في موضع نصب على
المفعول يتبع الرسول اي فيما امر به من استقبال القبله ممن ينقلب على
عقبيه يعنى من يرتد عن دينه لان القبله لما حولت ارتد من المسلمين قوم
ونافق قوم ولهذا قال وان كانت لكبيره اي تحويلها قاله بن عباس ومجاهد

وقه

وقتاده والتقدير في العربيه وان كانت التحويله قوله تعالى وان كانت لكبيره ذهب الفرا الى ان اللام بمعنى ما والا والبصريون يقولون هي ان الثقيله خففت وقال الاخفش اي وان كانت القبلة او التحويله او التوليه لكبيره الا على الذين هدى الله اي خلق الهدى هو الايمان في قلوبهم كما قال اولئك كتب في قلوبهم الايمان قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اتفق العلما على انها فيمن مات وهو يصلي الى بيت المقدس كما ثبت في البخاري من حديث البرا بن عازب على ما تقدم وخرج الترمذي عن ابن عباس لما وجه النبي صلى الله عليه وسلم الى الكعبه قالوا يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم الايه قال هذا حديث حسن صحيح فسمى الصلاة ايمانا لاجتماعها على نية وقول وعمل وقال ملك واني لاذكر بهذه الايه قول المرجيه ان الصلاة ليست من الايمان وقال محمد بن اسحق وما كان الله ليضيع ايمانكم اي بالتوجه الى القبله وتصديقكم لنبيكم وعلى هذا معظم المسلمين والاصوليين وروي بن وهب وبن القاسم وبن عبد الحكم واشهب عن ملك وما كان الله ليضيع ايمانكم قال صلاتكم قوله تعالى ان الله بالناس لروف رحيم الرافة اشد من الرحمه وقال ابو عمرو بن العلا الرافه اكثر من الرحمه والمعنى متقارب وقد اتينا على لغته واشعاره ومعانيه في الكتاب الاسنا في شرح اسما الله الحسنى فلينظر هناك وقرا الكوفيون وابو عمرو لروف على وزن فعل مثل رغف وهي لغة بني اسد ومنه قول الوليد بن عقبه وشر الطالبين فلا تكنه بقاتل عمه الروف الرحيم وحكى الكسائي ان لغة بني اسد لراف على فعل مثل فلس وقرا ابو جعفر القعقاع لروف مثقلا بغير همز وكذلك سهل

كل

نار جهنم في كتاب الله ساكنه كانت او متحركه   تعالى قد نرى تقلب
وجهك في السما فلنولينك قبله ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم
وما الله بغافل عما تعملون فيه سبع مسايل   قوله تعالى قد نرى تقلب
وجهك في السما الايه قال العلما هذه الايه مقدمه في النزول على قوله سيقول
السفها من الناس ومعنى تقلب وجهك تحول وجهك الى السما قاله الطبري الز   جاج
تقلب وجهك عينيك في النظر الى السما والمعنى متقارب قال السدي كان
صلى نحو بيت المقدس رفع راسه الى السما ينظر ما يومر به وكان يحب ان يصلى
الى قبل الكعبه فانزل الله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السما وروى ابو اسحق
عن البرا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس سبعه
عشر شهرا او سته عشر شهرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب ان
يوجه نحو الكعبه فانزل الله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السما وقد تقدم
هذا المعنى والقول فيه والحمد لله وخص السما بالذكر اذ هي مختصه بتعظيم
ما اضيف اليها ويعود منها كالمطر والرحمه والوحي ومعنى ترضاها تحبها وتهواها
قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام اي ناحيه الكعبه ولا خلاف
في هذا قيل حيال البيت كله عن ابن عباس وقال ابن عمر حيال الميزاب من الكعبة
قال ابن عطيه والميزاب هو قبله المدينه واهل الشام وهنا قبله اهل
الاندلس قلت روى ابن جريج عن عطا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال البيت قبله لاهل المسجد والمسجد قبله لاهل الحرم والحرم
قبله لاهل الارض في مشارقها ومغاربها من امتي   قوله تعالى شطر
الشطر له محامل يكون الناحيه والجهه كما في هذه الايه وهو ظرف مكان

كما تقول تلقاه وجهته وانتصب على الظرف لانه فضله بمنزله المفعول وايضا فان
الفعل واقع فيه وقال داود بن ابي هند ان في حرف بن مسعود فول
وجهك تلقا المسجد الحرام وقال الشاعر اقول لام زنباع اقيمي
صدور العيس شطر بني تميم وقال اخر وقد اظلكم من
شطر ثغركم هول له ظلم يغشاكم قطعا وقال اخر الا من مبلغ
عمرا رسولا وما تغني الرساله شطر عمرو وشطر الشي نصفه
ومنه الحديث الطهور شطر الايمان ويكون من الاضداد يقال
شطر الي فلان اذا اقبل نحوه وشطر عن فلان اذا بعد منه واعرض عنه
فاما الشاطر من الرجال فلانه قد اخذ في نحو غير الاستوا وهو
الذي اعيا اهله خبثا وقد شطر وشطر بالضم شطاره فيهما وسيل
بعضهم عن الشاطر فقال هو من اخذ في البعد عن ما نهى الله عنه
لا خلاف من العلما ان الكعبه قبله في كل افق واجمعوا على ان
من شاهدها وعاينها فرض عليه استقبالها وانه ان ترك استقبالها
وهو معاين لها وعالم بجهتها فلا صلاه له وعليه اعاده كل ما صلى ذكره
ابو عمر واجمعوا على ان كل من غاب عنها ان يستقبل ناحيتها وشطرها
وتلقا وان خفيت عليه فعليه ان يستدل على ذلك بكل ما يمكنه
من النجوم والرياح والجبال وغير ذلك مما يمكن ان يستدل به
على ناحيتها واختلفوا هل فرض الغايب استقبال العين
او الجهه فمنهم من قال بالاول قال ابن العربي وهو ضعيف لانه تكليف
ما لا يوصل اليه ومنهم من قال بالجهه وهو الصحيح لثلاثه اوجه الا
ول انه الممكن الذي يرتبط به التكليف الثاني انه المامور به في القران

لقوله

لقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم يعني
من الارض من شرق وغرب فولوا وجوهكم شطره الثالث ان العلما
احتجوا بالصف الطويل الذي يعلم قطعا انه اضعاف عرض البيت
في هذه الاية حجة واضحة لما ذهب اليه مالك ومن وافقه
في ان المصلي حكمه ان ينظر امامه لا الى موضع سجوده وقال الثوري
وابو حنيفة والشافعي والحسن بن حي يستحب ان يكون نظره الى موضع
سجوده وقال شريك القاضي ينظر في القيام الى موضع السجود وفي
الركوع الى موضع قدميه وفي السجود الى موضع انفه وفي القعود الى
حجره وقال ابن العربي انما ينظر امامه فانه حتى راسه وتكلف النظر ببصره
الى الارض فتلك مشقة عظيمة وحرج وما جعل علينا في الدين من
حرج اما ان ذلك افضل لمن قدر عليه قوله تعالى وان
الذين اوتوا الكتاب يريد اليهود والنصارى ليعلمون انه الحق من ربهم
يعني تحويل الكعبة من بيت المقدس فان قيل كيف يعلمون ذلك وليس
من دينهم قيل عنه جوابان احدهما انهم لما علموا من كتابهم ان محمدا
نبي علموا انه لا يقول الا بالحق ولا يامر الا به الثاني انهم علموا من
دينهم جواز النسخ وان جحده بعضهم فصاروا عالمين بجواز القبلة
وما الله بغافل عما يعملون تقدم معناه وقرا ابن عامر وحمزة
والكسائي تعملون بالتاء على مخاطبة اهل الكتاب او انه محمد صلى الله عليه
وسلم وعلى الوجهين فهو اعلام بان الله تعالى لا يهمل اعمال العباد ولا
يغفل عنها وضمنه الوعيد وقرا الباقون بالياء من تحت
تعالى ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل ايه ما تبعوا قبلتك وما

انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواهم
من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين فيه ثلاث مسايل
قوله تعالى ولئن اتيت اي جيت الذين اوتوا الكتاب
يعني اليهود والنصارى بكل اية اي علامة ومعجزة ما تبعوا قبلتك لانهم
كفروا وقد تبين لهم الحق فليس تنفعهم الايات وجمع قبلة في التكسير قبل
وفي التسليم قبلات ويجوز ان تبدل من التكسير فتقول قبلات ويجوز
ان تعبد فتكسر وتسكن اليا فتقول قبلات فقال كيف اجيبت
لئن بجواب لو وهي ضدها في ان لو تطلب في جوابها المضي والوقوع
ولئن تطلب الاستقبال فقال الاخفش والفرا اجيبت بجواب لو
لان المعنى ولو اتيت وكذلك يجاب لو بجواب لئن تقول لو احسنت
احسن اليك ومثله قوله تعالى ولئن ارسلنا ريحا فروه مصفرا لظلوا
اي ولو ارسلنا ريحا وخالفهما سيبويه فقال ان معنى لئن يخالف
لمعنى لو فلا يدخل واحد منهما على الاخر فالمعنى ولئن اتيت الذين اوتوا
الكتاب بكل اية لا يتبعون قبلتك قال سيبويه ومعنى ولئن
ارسلنا ريحا فراوه مصفرا ليظلن قوله وما انت بتابع
قبلتهم لفظ خبر ويتضمن الامر اي فلا تركن الى شي من ذلك ثم اخبر
تعالى ان اليهود ليست متبعة قبلة النصارى ولا النصارى متبعة
قبلة اليهود عن السدي وابن زيد فهذا اعلام باختلافهم وتدابرهم
وخلافهم والمعنى كيف ترجوا ان يتبعوك ويصلوا الى قبلتك وهم
لا يتبعون بعضهم بعضا وقال قوم وما من اتبعك ممن اسلم منهم بمتبع
قبلة من لم يسلم ولا من لم يسلم قبلة من اسلم والاول اظهر والله اعلم

قوله تعالى ولين اتبعت اهواهم من بعد ما جاك من العلم
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته ممن يجوز ان يتبع اهواهم
فيصير باتباعه ظالما وليس يجوز ان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم ما يكون به
ظالما فهو محمول على اراده امته لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم وقطعنا ان
ذلك لا يكون منه وخوطب النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما للامر ولانه
المنزل عليه والاهوا جمع هوا وقد تقدم وكذا من العلم تقدم ايضا
فلا معنى لاعادته   تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
ابناهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن
من الممترين فيه خمس مسايل   قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب
الذين في موضع رفع بالابتدا والخبر يعرفونه ويصح ان يكون في موضع خفض
على الصفه للظالمين ويعرفون في موضع الحال اي يعرفون نبوته وصدق
رسالته والضمير عايد على محمد عليه السلام قاله مجاهد وقتاده وغيرهما
وقيل يعرفون تحويل القبله عن بيت المقدس الى الكعبه انه حق قاله بن
عباس وبن جريج وقتاده ايضا وقال مقاتل ان اليهود قالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم لم تطوفون بالبيت المبني بالحجاره فقال لهم انكم لتعلمون ان
الطواف بالبيت حق وانه هو القبله مكتوب في التوراة والانجيل وانزلت
الذين اتيناهم الكتاب يعني التقاه يعرفون البيت قبله كما يعرفون ابناهم
قوله تعالى كما يعرفون ابناهم خص الابنا في المعرفه بالذكر دون
الانفس وان كانت الصق لان الانسان يمر عليه من زمنه برهه لا يعرف فيها
نفسه ولا يمر عليه وقت لا يعرف فيه ابنه وروي ان عمر قال لعبد الله
ابن سلام اتعرف محمدا صلى الله عليه وسلم كما تعرف ابنك فقال نعم

(في الهامش: ن — رهم ازم — الصق م)

والى بعث الله امينه في سمايه الى امينه في ارضه بنعته نعرفته واني لا ادري
ما كان من امه في لفظ اخر عن عبد الله بن سلام قال لانا برسول الله اشد معرفة
مني بابني فقال له عمر كيف ذلك يا ابن سلام فقال لاني لا اشهد انه رسول
الله حقا يقينا وانا لا اشهد بذلك على ابني لاني لا ادري ما احدث النساء بعد

قوله تعالى وان فريقا منهم ليكتمون الحق يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
في قول قتادة ومجاهد وخصيف وقيل استقبال الكعبة على ما ذكرنا آنفا
وهم يعلمون استدلال ظاهر في صحة الكفر عنادا ومثله وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم وقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به   قوله تعالى الحق من ربك
يعني استقبال الكعبة لا ما اخبرك به اليهود من قبلتهم بالمهد وروي عن علي رضي الله
عنه انه قرا الحق منصوبا بيعلمون اي يعلمون ويصح نصبه على تقدير الزم الحق
والرفع على الابتدا او على اضمار مبتدا والتقدير هو الحق او على اضمار فعل اي
جاءك الحق قال النحاس فاما الذي في الانبيا الحق فهم معرضون فلا نعلم احدا قراه
الا منصوبا والفرق بينهما ان الذي في سورة البقرة مبتدا اية والذي في سورة
الانبيا ليس كذلك   قوله تعالى فلا تكونن من الممترين الشاكين
والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا تشك انهم يعرفون انها قبلة ابراهيم
او نبوتك على الخلاف وقيل الخطاب له والمراد امته يقال امترى فلان لذا
اذا اعترضه اليقين مرة والشك اخرى فدافع احداهما بالاخرى ومنه
المرا لان كل واحد منهما يشك في قول صاحبه والامترا في الشي الشك فيه
وكذلك التماري وانشد الطبري شاهدا على ان الممتري الشاكون قول
الاعشى   تدر على اسوق الممترين ركضا اذا ما السراب ارجحن قال ابن عطيه
ووهم في هذا لان ابا عبيدة وغيره قال الممترون في البيت هم الذين يمرون

الخيل

الخيل بارجلهم من الجري يجتلبوا الجري منها وليس في البيت معنى الشك كما قال الطبري قلت معنى الشك فيه موجود لانه يحتمل ان يختبر الفرس صاحبه هل هو على ما عهد منه من الجري ام لا لئلا يكون اصابه شي او يكون هذا عند اول شرائه فيجربه ليعلم مقدار جريه قال الجوهري وغيره ومريت الفرس اذا استخرجت ما عنده من الجري بسوط او غيره والاسم المريه بالكسر وقد تضم ومريت الناقه اذا مسحت ضرعها لتدر وامرت هي اذا در لبنها والاسم المريه بالكسر والضم غلط والمريه الشك وقد تضم وقري بهما

تعالى ولكل وجهه هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا ان الله على كل شي قدير فيه اربع مسايل قوله تعالى ولكل وجهه الوجهه وزنها فعله من المواجهه والوجهه والجهه بمعنى واحد والمراد القبله اي انهم لا يتبعون قبلتك وانت لا تتبع قبلتهم ولكل وجهه اما بحق واما بهوي قوله تعالى هو موليها هو عايد على لفظ كل لا على معناه لانه لو كان على المعنى لقال هم مولوها وجوههم فالها والالف مفعول اول والفعل الثاني محذوف اي هو موليها وجهه ونفسه والمعنى ولكل صاحب مله قبله صاحب القبله موليها وجهه على لفظ كل وهو قول الربيع وعطا وبن عباس وقال علي بن سليمان موليها اي متوليها وقرا بن عباس وبن عامر مولاها على ما لم يسم فاعله والضمير على هذه القراه لواحد اي ولكل واحد من الناس قبله الواحد مولاها اي مصروف اليها قال الزجاج ويحتمل ان يكون على قراه الجماعه هو ضمير اسم الله عز وجل وان لم يجر له ذكر اذ معلوم ان الله عز وجل فاعل ذلك والمعنى صاحب مله قبله الله موليها اياه وحكى الطبري ان قوما قروا ولكل وجهه بالاضافه كل الى وجهه قال بن عطيه وخطاها الطبري وهي متجهه اي فاستبقوا

ليلا

بيان

الخيرات لكل وجهة ولّاكم ها ولا تعترضوا فيما امرهم بين هذه وهذه اي انما عليكم
الطاعة في الجميع وقدم قوله ولكل وجهة في الامر في قوله فاستبقوا الخيرات للاهتمام
بالوجهة كما تقدم المفعول وذكر ابو عمرو الداني هذه القراءة عن ابن عباس
رضي الله عنه وسلمت في وجهة للفرق بين عدة وزنة لان جهة ظرف وتلك
مصادر وقال ابو علي ذهب قوم الى انه مصدر شذ عن القياس فسلم وقوم الى
انه اسم وليس بمصدر وقال غير ابي علي واذا اردت المصدر قلت جهة وقد
يقال الجهة في الظرف قوله تعالى فاستبقوا الخيرات اي الى الخيرات فحذف ما
الحرف اي بادروا ما امركم الله جل وعز من استقبال البيت الحرام وان كان يتضمن
الحث على المبادرة والاستعجال الى جميع الطاعات بالعموم فالمراد ما ذكر من الاستقبال
لسياق الاي والمعنى المراد المبادرة بالصلاة اول وقتها والله اعلم روى النساي
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل المهاجر الى الصلاة كمثل
الذي يهدي البدنة ثم الذي على اثره كالذي يهدي البقرة ثم الذي على اثره كالذي
يهدي الكبش ثم الذي على اثره كالذي يهدي الدجاجة ثم الذي على اثره كالذي يهدي
البيضة وروى الدارقطني عن ابي هريرة ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان احدكم ليصلي الصلاة لوقتها وقد ترك من الوقت الاول ما هو خير له من
اهله وماله واخرجه مالك عن يحيى بن سعيد قوله وروى الدارقطني ايضا عن
بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاعمال الصلاة في اول وقتها وفي
حديث ابن مسعود اول وقتها باسقاط في وروى ايضا عن ابراهيم بن عبد الملك بن
ابي محذورة عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الوقت
رضوان الله ووسط الوقت رحمة الله واخر الوقت عفو الله زاد ابن العربي فقال
ابو بكر رضوان الله احب الينا من عفوه فان رضوانه عن المحسنين وعفوه عن المقصرين

وهذا

وهذا اختيار الشافعي وقال ابو حنيفه اخر الوقت افضل لانه وقت الوجوب
واما ملك فيفصل القول فاما الصبح والمغرب فاول الوقت فيهما عنده افضل
اما الصبح فلحديث عايشه قالت ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فينصرف
النسا متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس في روايه متلفعات واما المغرب
فلحديث سلمه بن الاكوع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي المغرب اذا غربت
الشمس وتوارت بالحجاب اخرجهما مسلم واما العشا فتاخيرها افضل لما قد رُوِي عليه
وروي ابن عمر قال مكثنا ليله ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة
الاخرة حين ذهب ثلث الليل او بعده فلا ندري لشي شغله في اهله او غير
ذلك فقال حين خرج انكم لتنتظرون صلاة ما ينتظرها اهل دين غيركم لو لا
ان يثقل على امتي لصليت بهم هذه الساعة خرجه مسلم وفي البخاري عن انس
قال اخر النبي صلى الله عليه وسلم صلاه العشا الى نصف الليل ثم صلى
وذكر الحديث وقال ابو هريره كان النبي صلى الله عليه وسلم يستحب
تاخيرها واما الظهر فانها تاتي الناس غفله ولهذا قيل انها الصلاه الو
على ما ياتي فيستحب تاخيرها قليلا حتى يتاهبوا ويجتمعوا قال ابو الفرج
قال ملك اول الوقت افضل في كل صلاه الا الظهر في شده الحر وقال
ابن ابي اويس وكان ملك يكره ان يصلي الظهر عند الزوال ولكن بعد ذلك
ويقول تلك صلاه الخوارج وفي صحيح البخاري والترمذي عن ابي ذر قال
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فاراد المؤذن ان يؤذن للظهر
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابرد ثم اراد ان يؤذن فقال له ابرد حتى
راينا فيء التلول فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان شده الحر من فيح جهنم
فاذا اشتد الحر فابردوا بالصلاة وفي صحيح مسلم عن انس ان النبي صلى الله

حين

سمعي

عليه وسلم ابرد ثم اراد ان يوذن فقال له ابرد حتى راينا فى التلول فقال
النبى صلى الله عليه وسلم ان شدة الحر من فيح جهنم فاذا اشتد الحر
فابردوا بالصلاه وفى صحيح مسلم عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان
يصلى الظهر اذا زالت الشمس والذى يجمع بين الحديثين ما
رواه انس انه اذا كان الحر ابرد واذا كان البرد عجل قال ابو عيسى الترمذى
وقد اختار قوم من تاخير الصلاه فى شدة الحر وهو قول ابن المبارك واحمد واسحق
قال الشافعى انما الابراد بصلاة الظهر اذا كان ينتاب اهله من البعد فاما
المصلى وحده ويصلى فى مسجد قومه فالذى احب له ان لا يوخر الصلاة
فى شدة الحر قال ابو عيسى ومعنى من ذهب الى تاخير الصلاة فى شدة الحر هو
اولى واشبه بالاتباع واما ما ذهب اليه الشافعى ان الرخصه لمن
ينتاب من البعد وللمشقه على الناس فان فى حديث ابى ذر ما يدل
على خلاف ما قال الشافعى قال ابو ذر كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى
سفر فاذن بلال بصلاة الظهر فقال النبى صلى الله عليه وسلم ابرد ثم ابرد
فلو كان الامر على ما ذهب اليه الشافعى لم يكن للابراد فى ذلك الوقت معنى
لاجتماعهم فى السفر وكانوا لا يحتاجون ان ينتابوا من البعد واما العصر
فتقديمها افضل ولا خلاف فى مذهبنا خلافا لابى حنيفه على ما ياتى بيانه
ان تاخير الصلاه حال الجماعة افضل من تقديمها فان فضل الجماعة معلوم وفضل
اول الوقت مجهول وتحصيل المعلوم اولى حكاه ابن العربى قوله تعالى
اينما تكونوا شرط وجوابه يات بكم الله جميعا يعنى يوم القيمه ثم وصف
نفسه تعالى بالقدرة على كل شى لتناسب الصفه مع ذكر من الاعاده بعد
الموت والبلا تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد

الحرام

اراد ان يوذن فقال له النبى صلى الله عليه وسلم

التكرم

الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجه
الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم
تهتدون فيه اربع مسايل قوله تعالى ومن حيث خرجت فول
وجهك شطر المسجد الحرام قيل هذا تاكيد للامر باستقبال الكعبه واهتماما
بها لان موضع التحويل كان معتنى في نفوسهم وقيل افاد كل واحد من
الاوامر الثلاثه مع استوايها في التزام الحكم فايده مستجده فاما الامر
الاول فمفيد لنسخ غيره واما الثاني فمفيد لاجل قوله تعالى الحق من ربك
انه لا يتعقبه نسخ بغيره واما الثالث لمفسر ان لا حجه عليهم فيه لقوله
تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة وقيل اراد بالاول ول وجهك
شطر الكعبه اي عاينها اذا صليت تلقاها ثم قال وحيث ما كنتم معاشر
المسلمين في ساير المساجد بالمدينه وغيرها فولوا وجوهكم شطره
ثم قال ومن حيث خرجت يعني وجوب الاستقبال ستقبال في
الاسفار فكان هذا امر بالاستقبال لتوجه الى الكعبه في جميع المواضع
من نواحي الارض هذا القول والذي قبله احسن من
الاول لان فيهما حمل كل اية على فايده وقد روى الدارقطني عن
انس بن ملك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان في سفر فاراد
ان يصلي على راحلته استقبل القبله وصلى حيث توجهت به راحلته اخرجه
ابو داود ايضا وبه قال احمد وابو ثور وذهب ملك الى انه لا
يلزمه الاستقبال لحديث بن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي وهو مقبل من مكه الى المدينه على راحلته قال وفيه نزلت فاينما
تولوا فثم وجه الله وقد تقدم قلت ولا تعارض بين الحديثين لان هذا

من باب المطلق والمقيد فقول الشافعي اولى وحديث انس في دلائل الصحيح
ويروى ان جعفر بن محمد سئل ما معنى تكرير القصص في القران فقال
علم الله ان كل الناس لا يحفظ القران فلو لم تكن القصة مكررة لجاز
ان يكون عند بعض الناس ولا يكون عند بعض فكررت ليكون مع حفظ
البعض والله اعلم قوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا
الذين ظلموا منهم قال مجاهد هم مشركو العرب وحجتهم قولهم راجعتم
قبلتنا وقد اجيبوا عن هذا بقوله قل لله المشرق والمغرب وقيل معنى
لان لا يكون للناس عليكم حجة لئلا يقولوا لكم قد امرتم باستقبال
الكعبة ولستم ترونها فلما قال عز وجل وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره زال هذا وقيل الا بمعنى بعد كما قال تعالى لا تنكحوا ما نكح اباؤكم
من النساء الا ما قد سلف اي بعد ما سلف وقال لا يذوقون فيها الموت
الا الموتة الاولى اي بعد الموتة الاولى وقال ابو عبيدة الا ههنا بمعنى
الواو اي والذين ظلموا فهو استثنا بمعنى الواو ومنه قول الشاعر
ما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة الا دار مروانا كانه قال الا
دار الخليفة ودار مروان وكذا قيل في قوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات فلهم اجر غير ممنون اي والذين امنوا وابطل الزجاج هذا القول
وقال هو خطا عند الحذاق من النحويين وفيه بطلان المعاني وتكون الا
بمعنى مستغني عن ذكرها والقول عندهم ان هذا استثنا ليس من الاول
اي لكن الذين ظلموا منهم فانهم يحتجون قال ابو اسحاق الزجاج اي
عرفكم الله امر الاحتجاج في القبلة في قوله ولكل وجهة هو موليها لئلا
يكون للناس عليكم حجة الا الذين احتجاجهم فيما قد وضح لهم كما يقول

مالك

مالك علي حجه الا الظلم والا ان تظلمني اي مالك حجه البته ولكنك
تظلمني وسمي ظلمه حجه لان المحتج بها سماه حجه وان كانت باطله فقد يطلق
اسم الحجه علي ما بطل منها لا طمنها بالتغليب ومنها مقام الصحيح حتي يظهر
فسادها لمن علم مع خفايها علي من جهل كما قال تعالى حجتهم داحضة عند
ربهم وسماها حجه وجعلها داحضه وقال قطرب يجوز ان يكون المعني
لئلا يكون للناس عليكم حجه الا الذين ظلموا فالذين ظلموا بدل من الكاف
والميم في عليكم وقالت فرقه الا الذين استثنا متصل وهي معناه عن
ابن عباس واختاره الطبري وقال نفى الله سبحانه ان يكون لاحد حجه
على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في استقبالهم الكعبه والمعنى لا حجه
لاحد عليكم الا الحجه الداحضه حيث قالوا ما ولاهم وتحير محمد في دينه
وما توجه الى قبلتنا الا انا كنا اهدى منه وغير ذلك من الاقوال التي لم
تنبعث الا من عابد وثن او من يهودي او منافق والحجه بمعنى المحاجه التي
هي بمعنى المخاصمة والمجادله وسماها الله حجه وحكم بفسادها حيث كانت
من ظلمة وقال ابن عطيه وقيل ان الاستثنا منقطع وهذا على ان يكون المراد
بالناس اليهود ثم استثنا كفار العرب كانه قال لكن الذين ظلموا يحاجونكم
وقوله تعالى منهم يرد هذا التاويل والمعنى لكن الذين ظلموا يعني كفار قريش
في قولهم رجع محمد الى قبلتنا وسيرجع الى ديننا كله ويدخل في ذلك كل من
تكلم في النازله من غير اليهود وقرا ابن عباس وزيد بن علي وابن زيد الا الذين
ظلموا بفتح الهمزه وتخفيف اللام على معنى استفتاح الكلام فيكون الذين ظلموا
ابتدا او على معنى الاغرا فيكون الذين منصوبا بفعل مضمر قوله تعالى
فلا تخشوهم اي في المباينه واخشوني اي في المخالفه والخشيه اصلها طمانينه في

القلب تبعث على التوقي وفي الفرق بين الخوف والخشيه ان الخشيه الحذر من موجود والخوف فزع القلب تخف له الاعضا ولخفه الاعضا سمي خوفا ومعنى الايه التحقير لكل من سوى الله تعالى والامر باطراح امرهم ومراعاة امر الله تعالى قوله تعالى ولاتم نعمتي عليكم معطوف على لئلا يكون اي ولان اتم قاله الاخفش وقيل مقطوع في موضع رفع بالابتدا والخبر مضمر التقدير ولاتم نعمتي عليكم عرفتكم قبلتي قاله الزجاج واتمام النعمه الهدايه الى القبله وقيل دخول الجنه قال سعيد بن جبير ولم تتم نعم الله على عبد حتى يدخله الجنه ولعلكم تهتدون تقدم تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمه ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون الكاف في كما ارسلنا في موضع نصب على النعت لمصدر محذوف المعنى ولاتم نعمتي عليكم في بيان سنه ابراهيم مثل ما ارسلنا وقيل المعنى ولعلكم تهتدون اهتدا مثل ما ارسلنا وقيل هي في موضع نصب على الحال والمعنى ولاتم نعمتي عليكم في هذه الحال والتشبيه واقع على ان النعمه في القبله كالنعمه في الرساله وان الذكر المامور به في عظمه كعظم النعمه وقيل معنى الكلام على التقديم والتاخير اي فاذكروني كما ارسلنا روي عن علي رضي الله عنه واختاره الزجاج اي كما ارسلنا فيكم رسولا منكم تعرفونه بالصدق فاذكروني بالتوحيد والتصديق به والوقف على تهتدون على هذا القول جايز قلت وهذا اختيار الترمذي الحكيم ابي عبد الله محمد بن علي اي كما فعلت بكم هذا من المنن التي عددتها عليكم فاذكروني بالشكر اذكركم بالمزيد لان في ذكركم ذلك شكرا لي وقد وعدتكم المزيد على الشكر وهو قوله لئن شكرتم لازيدنكم قال فالكاف في قوله كما هنا وفي الانفال كما اخرجك ربك وفي اخر الحجر

ثم انزلنا على المقتسمين متعلقة بما بعده على ما يانى تعالى فاذكرونى
اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون فيه ثلاث مسايل قوله تعالى
فاذكرونى اذكركم امر وجوابه وفيه معنى المجازاة فلذلك جزم واصل
الذكر التنبيه بالقلب للمذكور والتيقظ له وسمي الذكر باللسان ذكرا لانه
دلالة على الذكر القلبى غير انه لما كثر اطلاق الذكر على القول اللسانى صار هو
السابق للفهم ومعنى الاية اذكرونى بالطاعة اذكركم بالثواب والمغفرة قاله
سعيد بن جبير ويقال اذكرونى بالشكر اذكركم بالزيادة ويقال
اذكرونى بالدعا اذكركم بالاجابة ويقال اذكرونى في الدنيا بالاخلاص
اذكركم في الاخرة بالخلاص ويقال اذكرونى في الرخا اذكركم عند البلاو ويقال
اذكرونى في الخلا اذكركم في الملا وقال الذكر طاعة الله لمن لم يطعه لم
يذكره وان اكثر التسبيح والتهليل وقراءة القران روى عن سعيد بن جبير
ايضا **قلت** هذا صحيح روي معناه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من
اطاع فقد ذكر الله وان اقل صلاته وتسبيحه وصومه وصنيعه للخير
ذكره ابو عبد الله محمد بن خوازمنداد فى احكام القران له وفى لفظ اخر عنه
عنه عليه السلام من اطاع الله فقد ذكره وان اقل صلاته وصومه وصنيعه للخير ومن عصى الله
فقد نسيه وان كان قاريا مسبحا ذكره فى شرح الشهاب له وقال ابو عثمان
النهدى انى لاعلم الساعة التى يذكرنا الله فيها قيل ومن اين تعلمها قال يقول
الله تعالى اذكرونى اذكركم وقال السدى ليس من عبد يذكر الله الا ذكره
الله عز وجل لا يذكره مومن الا ذكره الله برحمته ولا يذكره كافر الا
ذكره الله بعذاب وروي الطبري قال حدثنا بن بشار قال حدثنا مومل
قال حدثنا سفين عن الاعمش عن المنهال عن الاعمش بن عمرو عن عبد الله بن

الحارث قال اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان قل للظالمين لا يذكروني
فان حقا علي ان اذكر من ذكرني وان ذكري اياهم ان العنهم وسئل ابو عثمان
فقيل له نذكر الله ولا نجد في قلوبنا حلاوة فقال احمدوا الله على ان زين
جارحة من جوارحكم بطاعته وقال ذو النون المصري من ذكر الله ذكرا على
الحقيقة نسي في جنب ذكره كل شي وحفظ الله عليه كل شي وكان له عوضا
من كل شي وقال معاذ بن جبل ما عمل ابن ادم من عمل انجا له من عذاب الله من ذكر
الله والاحاديث في فضل الذكر وثوابه كثيرة خرجها الايمة روى ابن ماجه
عن عبد الله بن بسر ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان شرايع
الاسلام قد كثرت علي فانبئني منها بشي اتشبث به قال لا يزال لسانك
رطبا من ذكر الله وخرج عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
الله عز وجل يقول انا مع عبدي اذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه وسياتي
لهذا الباب مزيد بيان عند قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا
كثيرا وان المراد ذكر القلب الذي يجب استدامته في عموم الحالات

قوله تعالى واشكروا لي قال الفراء شكرتك وشكرت لك
ونصحتك ونصحت لك والفصيح الاول والشكر معرفة الاحسان والتحدث
به واصله في اللغة الظهور وقد تقدم مستوفى فشكر العبد لله ثناؤه
عليه بذكر احسانه اليه وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بطاعته
له الا ان شكر العبد نطق باللسان واقرار بالقلب بانعام الرب
مع الطاعات

قوله تعالى ولا تكفرون نهي ولذلك حذفت منه نون
الجماعة وهذه نون المتكلم وحذفت اليا لانها راس اية واثباتها احسن في
غير القران اي لا تكفروا نعمتي وايادي والكفر هنا ستر النعمة لا التكذيب

بانعام

وقد مضى

وقد مضى القول في الكلام فيه فلا معنى لاعادته تعالى

واستعينوا بالصبر والصلاه ان الله مع الصابرين تقدم الكلام فيه

والحمد لله رب العالمين تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل

الله اموات بل احيا ولكن لا تشعرون فيه ثلاث مسايل

قوله تعالى ولا تقولوا هذه الايه مثل قوله في الاخرى ولا تحسبن

الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون وهنالك

ياتي الكلام في الشهدا واحكامهم ان شا الله وهذه الايه نزلت في الذين

قتلوا ببدر معوبه في قول الضحاك وقال الكلبي نزلت في الذين قتلوا ببدر

وكانوا اربعه عشر رجلا فكان الناس يقولون مات فلان ومات فلان

فانزل الله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احيا يعني

هم في الحكم كالاحيا لانه يجري ثوابهم الى يوم القيمه ويرزقون

اذا كان الله تعالى يحييهم بعد الموت ليرزقهم على ما ياتي فيجوز ان يحيي

الكفار ليعذبهم ويجوز فيه دليل على عذاب القبر والشهدا احيا كما قال

الله تعالى وليس معناه انهم سيحيون كما قال بعضهم اذ لو كان كذلك

لم يكن بين الشهيد وبين غيره فرق اذ كل احد سيحيى ويدل على هذا قوله

تعالى ولكن لا تشعرون والمومنون يشعرون انهم سيحيون

قوله تعالى اموات مرفوع على اضمار مبتدا وكذلك بل احيا اي

هم اموات وهم احيا ولا يصح اعمال القول فيه لانه ليس بينه وبينه

تناسب كما يصح في قولك قلت كلاما وحجه تعالى ولنبلونكم

بشي من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر

الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون

والصفح... قوله تعالى ... (marginal notes in oblique hand, partly illegible) ... عن المنكرات

اوليك عليهم صلوات من ربهم و رحمه واولئك هم المهتدون وفيه
ثلاث عشره مسله قوله تعالى ولنبلونكم هذه الواو مفتوحه
عند سيبويه لالتقا الساكنين وقال غيره لما ضمت الثقيلة بنى
الفعل فصار بمنزلة خمسة عشر والبلا يكون حسنا ويكون سيئا واصله
المحنة وقد تقدم واختلف من المعنى بقوله ولنبلونكم فقيل اهل مكه لما
تقدم من دعا النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعلها عليهم سنين كسني
يوسف حتى قحطوا سبع سنين ولهذا قال بشي من الخوف الى والثمرات
على وجه التبعيض لانه لم يكن مؤبدا وكان مقدرا بعلم الفتح حين اسلموا
ولو اطلقه لتابد وقيل المسلمون لقوله تعالى وبشر الصابرين وقوله تعالى
اولئك هم المهتدون فالايه كلها وارده في المسلمين باسرها والمعنى
لنمتحننكم لنعلم المجاهد منكم والصابر علم معاينة حتى يقع عليه الجزا كما
تقدم وقيل انما ابتلوا بهذا ليكون آية لمن بعدهم فيعلموا انهم انما صبروا
على هذا حين وضح لهم الحق وقيل اعلمهم بهذا ليكونوا على يقين انه يصيبهم
فيوطنوا انفسهم عليه فيكون ابعد لهم من الجزع وفيه تعجيل الله تعالى
الثواب على العزم وتوطين النفس قوله تعالى بشي لفظ مفرد
ومعناه الجمع وقرا الضحاك باشيا على الجمع وقرا الجمهور على التوحيد اي
بشي من هذا وشي من هذا فاكتفي بالاول ايجازا قوله تعالى
من الخوف اي خوف العدو والفزع في القتال قاله ابن عباس وهو الخوف
الذي اصابهم يوم الخندق وحتى بلغت القلوب الحناجر وقال الشافعي هو
خوف الله عز وجل والجوع يعني المجاعه بالجدب والقحط في قول ابن عباس
وهو الجوع الذي اصابهم بمكه حتى يمضي على احدهم ايام لا يجد طعاما وقال

الشافعي

الجوع لي

الشافعي هو شهر رمضان ونقص من الاموال بسبب الاشتغال بقتال الكفار
وقيل بالجوايح المتلفة وقال الشافعي بالزكوة المفروضة والانفس قال ابن عباس
بالقتل والموت والجهاد وقال الشافعي يعني بالامراض والثمرات قال ابن
عباس قلة النبات وانقطاع البركات فلا تخرج الثمرة كما كانت تخرج او تصيبها
آفة وقال الشافعي والمراد موت الاولاد وولد الرجل ثمرة قلبه كما جاء في الخبر
على ما ياتي بيانه في هذا الباب ان شاء الله تعالى قوله وبشر الصابرين
اي بالثواب على الصبر والصبر اصله الحبس وثوابه غير مقدر وقد تقدم
لكن لا يكون ذلك الا بالصبر عند الصدمة كما روي البخاري عن انس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الصبر عند الصدمة الاولى واخرجه
مسلم اتم منه اي انما الصبر الشاق على النفس الذي يعظم الثواب عليه انما
هو عند هجوم المصيبة وحرارتها فانه يدل على قوة القلب وتثبته في مقام
الصبر واما اذا بردت حرارة المصيبة فكل احد يصبر اذ ذاك ولذلك
قيل يجب على العاقل ان يلتزم عند المصيبة ما لا بد للاحمق منه بعد ثلاث وقال
سهل بن عبد الله التستري لما قال تعالى وبشر الصابرين صار الصبر عيشًا
والصبر صبران صبر عن معصية الله فهذا مجاهد وصبر على طاعة
الله فهذا عابد فاذا صبر عن معصية الله وصبر على طاعة الله اورثه الله
الرضى بقضائه وعلامة الرضى سكون القلب بما ورد على النفس من المكروهات
والمحبوبات وقال الخواص الصبر الثبات على احكام الكتاب والسنة وقال
رويم الصبر ترك الشكوى وقال ذو النون الصبر هو الاستعانة بالله تعالى
وقال الاستاد ابو علي الصبر حده ان لا تعترض على التقدير فاما اظهار البلوى
على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر قال الله تعالى في قصة ايوب انا وجدناه

صابرا نعم العبد مع ما اخبر عنه انه قال مسني الضر   قوله تعالى

الذين اذا اصابتهم مصيبة المصيبة كل ما يوذي المومن ويصيبه يقال اصابه

إصابةً ومُصابةً ومصابا والمصيبة واحدة المصايب والمصُوبة بضم الصاد

مثل المصيبة واجمعت العرب على همز المصايب واصله الواو وكانهم شبهوا

الاصلي بالزايد ويجمع على مصاوب وهو الاصل والمصاب الاصابة قال

الشاعر   اسليم ان مصابكم رجلا اهدى السلام تحية ظلم   وصاب السهم

القرطاس يصيبه صيبا لغة في اصابه والمصيبة النكبة ينكبها الانسان وان

صغرت وتستعمل في الشر روى عن عكرمة ان مصباح رسول الله صلى الله

عليه وسلم انطفا ذات ليلة فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة

هي يا رسول الله قال كل ما اذى المومن فهو مصيبة **قلت** هذا ثابت

معناه في الصحيح خرج مسلم عن ابي سعيد وعن ابي هريرة انهما سمعا رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يُصيب المومن من وَصَبٍ ولا نَصَبٍ ولا سَقَمٍ

ولا حُزْنٍ حتى الهم يهمه الا كُفِّرَ به من سيّاته   خرج ابن ماجه في سننه

حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثنا وكيع بن الجراح عن هشام بن زياد عن امه

عن فاطمة بنت الحسين قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من

اصيب بمصيبة فذكر مصيبته فاحدث استرجاعا وان تقادم عهدها

كتب الله له من الاجر مثله يوم اصيب وروي عنه عليه السلام انه قال

من ذكر مصيبة او ذكرت عنده فاسترجع جدد الله له ثوابها يوم

اصيب بها   من اعظم المصايب المصيبة في الدين ذكر ابو عمر بن عبد البر

رحمه الله عن الفريابي قال ثنا فطر بن خليفة قال ثنا عطا بن ابي رباح قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اصاب احدكم مصيبة فليذكر مصابه بي فانه

مصابي من اعظم

من اعظم المصايب   اخرجه السمرقندي في مسنده اخبرنا ابو
نعيم ثنا سا قط طرفه لم مثله سواء واسند مثله عن مكحول مرسلا قال ابو
عمر وصدق صلى الله عليه وسلم لان المصيبه به اعظم من كل مصيبه يصاب
بها المسلم بعده الى يوم القيمه انقطع الوحي وماتت النبوه وكان اول ظهور
الشر بارتداد العرب وغير ذلك وكان اول انقطاع الخير واول نقصانه
قال ابو سعيد ما نفضنا ايدينا من التراب من قبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى انكرنا قلوبنا ولقد احسن ابو العتاهيه في نظمه حيث يقول
اصبر لكل مصيبه وتجلد   واعلم بان المرء غير مخلد   او ما ترى ان
المصايب جمة   وترى المنية للعباد بمرصد   من لم يصب ممن ترى بمصيبه
هذا سبيل لست عنه باوحد   فاذا ذكرت محمدا ومصابه فاجعل
مصابك بالنبي محمد   قوله تعالى انا لله وانا اليه راجعون
جعل الله تعالى هذه الكلمات ملجأ لذوي المصائب وعصمة للممتحنين لما جمعت
من المعاني المباركة فان قوله انا لله توحيد واقرار بالعبودية والملك وقوله وانا
اليه راجعون اقرار بالهلك على انفسنا والبعث من قبورنا واليقين ان رجوع
الامر كله اليه كما هو له قال سعيد بن جبير لم تعط هذه الكلمات نبيا قبل
نبينا ولو عرفها يعقوب لما قال وا اسفي على يوسف   روى مسلم
عن ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم
تصيبه مصيبة فيقول ما امر الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في
مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اخلف الله له خيرا منها وذكر ابن المبارك قال اخبرنا
حماد بن سلمة عن ثابت البناني قال دفنت ابا سنان وابو طلحة الخولاني على شفير القبر
جالس فلما اردت الخروج اخذ بيدي فانشطني فقال الا ابشرك يا ابا سنان

وقول المصاب عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون له فوائد منها الاشتغال بهذه الكلمة عن كلام لا يليق ومنها انها تسلي قلب المصاب وتقلل حزنه ومنها انها تقطع طمع الشيطان في ان يوقعه في كلام لا يليق ومنها انه اذا سمعه غيره اقتدى به ومنها اذا قال ذلك بلسانه تذكر بقلبه الاعتقاد الحسن والتسليم لقضاء الله تعالى فان المصاب يدهش عند المصيبة فيحتاج الى ما يذكره التسليم المذكور

قال قلت بلى قال حدثني الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب عن ابي موسى الا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مات ولد العبد قال الله للملايكة
قبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول قبضتم ولد عبدي فيقولون نعم
فيقول قبضتم ثمرة فواده فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدي فيقولون
حمدك واسترجع فيقول ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد
فهذا تنبيه على قوله تعالى وبشر الصابرين اما بالخلف كما اخلف الله لام سلمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانه تزوجها لما مات ابو سلمة زوجها واما الثواب الجزيل
كما في حديث ابي موسى وقد يكونان والله اعلم قوله تعالى
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة هذه نعم من الله تعالى من بها على الصابرين
المسترجعين وصلاة الله على عبده عفوه ورحمته وبركته وتشريفه اياه في
الدنيا والاخرة وقال الزجاج الصلاة من الله الغفران والثنا الحسن ومن هذا
الصلاة على الميت انما هو الثنا على الميت والدعاء له وكرر الرحمة لما اختلف اللفظ
تاكيدا واشباعا للمعنى كما قال تعالى بالبينات والهدى وقوله انا لا نسمع سرهم
ونجواهم وقال الشاعر صلى على يحيى واشياعه رب كريم وشفيع مطاع
وقال بعضهم والصلاة من الله تعالى ثلاثة اشيا توفيق الطاعة والعصمة عن
المعصية ومغفرة الذنوب وصلاة واحدة تكون هذه الثلاثة فكيف وقد
وعدهم الصلوات الكثيرة ومقدار ذلك لا يعلمه الا الله تعالى
قوله تعالى واولئك هم المهتدون في البخاري وقال عمر نعم العدلان ونعم
العلاوة الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اوليك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة واوليك هم المهتدون واراد بالعدلين
الصلوات والرحمة وبالعلاوة الاهتدا قيل الى استحقاق الثواب واجزال

الاجر

الاجر وقيل الى تسهيل المصايب الحزن   ذكره بن المبارك اخبرنا
بن عيينه عن صاحب له يذكره عن بعض العلما قال ان الله تعالى اعطاكم الدنيا
قرضا وسلكم منها قرضا فان اعطيتموها طيبه بها انفسكم ضاعف ذلك
لكم ما بين الحسنه الى السبع مايه الى اكثر من ذلك وان اخذها منكم وانتم
كارهون فصبرتم واحتسبتم كان لكم الصلاه والرحمة واوجب لكم
الهدى   ذكره بن المبارك اخبرنا ابو بكر بن ابي مريم قال
سمعت اشياخنا يقولون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل
المصيبه لتنزل بهم فيجزعون فتسود عينهم فيمر بهم مار من الناس
فيقول انا لله وانا اليه راجعون فيكون فيها اعظم اجرا من اهلها
والله اعلم   تعالى ان الصفا والمروة من شعاير الله فمن
حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا
فان الله شاكر عليم فيه اثنتا عشره مسله   قوله تعالى ان
الصفا والمروه من شعاير الله روى البخارى عن عاصم بن سليمان قال سالت
انس بن مالك عن الصفا والمروه فقال كنا نرى من امر الجاهليه فلما كان الاسلام
امسكنا عنهما فانزل الله عز وجل ان الصفا والمروه من شعاير الله فمن
حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما وخرج الترمذى
عن عروة قال قلت لعايشه رضى الله عنها ما ارى على احد لم يطف بين
الصفا والمروه شيا وما ابالى الا اطوف بهما فقالت بيس ما قلت يا
بن اختى طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف المسلمون وانما كان
من اهل لمناه الطاغيه التى بالمشلل لا يطوفون بين الصفا والمروة فانزل
الله تعالى فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما قال

الزهري فذكرت ذلك لابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فاعجبه
ذلك وقال ان هذا العلم ولقد سمعت رجالا من اهل العلم يقولون انما كان من لا
يطوف بين الصفا والمروه من العرب يقولون ان طوافنا بين هذين الحجرين
من امر الجاهليه وقال الاخرون من الانصار انما امرنا بالطواف ولم نومر به
بين الصفا والمروة فانزل الله عز وجل ان الصفا والمروه من شعاير الله قال
ابو بكر بن عبد الرحمن فاراها نزلت في هولا وهولا قال هذا حديث حسن
صحيح واخرجه البخاري بمعناه وفيه بعد قوله فانزل الله تعالى ان الصفا
والمروة من شعاير الله قالت عايشه وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الطواف بينهما فليس لاحد ان يترك الطواف بينهما ثم اخبرت ابا بكر بن
عبد الرحمن فقال ان هذا العلم ما كنت سمعته ولقد سمعت رجالا من اهل
العلم يذكرون ان الناس الا من ذكرت عايشه ممن كان يهل بمناه كانوا
يطوفون كلهم بالصفا والمروة فلما ذكر الله الطواف بالبيت ولم يذكر
الصفا والمروة في القران قالوا يا رسول الله كنا نطوف بالصفا والمروه وان
الله انزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا فهل علينا من حروج ان نطوف
بالصفا والمروه فانزل الله تعالى ان الصفا والمروه من شعاير الله الايه قال
ابو بكر فاسمع هذه الايه نزلت في الفريقين كلاهما في الذين كانوا يتحرجون ان
يطوفوا بالصفا والمروه والذين يطوفون ثم تحرجوا ان يطوفوا بهما في
الاسلام من اجل الله امر بالطواف ولم يذكر الصفا حتى ذكر ذلك بعدما ذكر
الطواف بالبيت وروى الترمذي عن عاصم عن سليمان الاحول قال سالت
انس بن ملك عن الصفا والمروه فقال كانا من شعاير الجاهليه فلما كان الاسلام
امسكنا عنهما فانزل الله تعالى ان الصفا والمروه من شعاير الله فمن حج البيت او

ان م

اعتمر

اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما قال هما تطوع ومن تطوع خيرا فان الله
شاكر عليم قال هذا حديث حسن صحيح وخرجه البخاري ايضا عن ابن عباس
قال كان في الجاهلية شياطين تعزف الليل كله بين الصفا والمروة وكانت بينهما
الهه فلما ظهر الاسلام قال المسلمون يا رسول الله لا نطوف بين الصفا والمروة
فانهما شرك فنزلت وقال الشعبي كان على الصفا في الجاهلية صنم يسمى اسافا
وعلى المروة صنم يسمى نايله فكانوا يمسحونهما اذا طافوا فامتنع المسلمون
من الطواف بينهما من اجل ذلك فنزلت الايه وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما قدم لعمرة القضا كان الانصار لا يسعون بين الصفا والمروة
يقولون السعي فيما بينهما من امر المشركين فنزلت هذه الاية ان الصفا
والمروة من شعاير الله ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكه فطاف
بالبيت والمسلمون معه فلما سعى بين الصفا والمروة دفع المسلمون ازرهم
وشمروا قمصهم لكيلا يصيب ثيابهم ذلك الصنمين فنزل قوله ان الصفا
والمروة من شعاير الله يعني من امور المناسك لمن حج البيت او اعتمر فلا جناح
عليه ان يطوف بهما يعني لو اصاب ثيابه من ذلك لا يضره ولا اثم عليه
لخرج فينا والمحول لكسر الصنمين زعم اهل الكتاب ان الصفا
والمروة كانا شخصين رجلا وامراة فانهما زنيا في الكعبة فمسخهما الله حجرين
فوضعا على الصفا والمروة ليعتبر بهما فلما .:. طالت المدة عبدا من
دون الله وذكر ابو الليث السمرقندي نصر بن محمد بن ابرهيم في تفسيره قال
قال حدثنا ابو جعفر قال حدثنا علي بن احمد قال ثنا محمد بن الفضل عن
يعلى بن عبيد عن صالح بن حيان عن ابن بريدة عن ابيه قال دخل جبريل عليه
السلام المسجد فبصر بالنبي صلى الله عليه وسلم نايما في ظل الكعبة فايقظه

فقام وهو ينفض راسه ولحيته من التراب فانطلق به نحو باب شيبة فلقيهما
ميكائيل عليه السلام فقال جبريل لميكائيل ما يمنعك ان تصافح النبي صلى الله عليه
وسلم فقال اجد في يده ريح نحاس فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم افعلت
ذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم نسي ذلك ثم ذكره فقال صدق مررت
اول من امس على اساف ونايلة فوضعت يدي على احدهما فقلت ان قوما
رضوا بهما الهة مع هم قوم سوء فقال صالح فقلت لابن بريد وما اساف
ونايلة قال كانا انسانين من قريش يطوفان بالكعبة فاصابا منها خلوة فاراد
احدهما صاحبه فمسخهما نحاسا فجاءتهما قريش وقالوا لولا ان رضي الله تعالى
بان يعبد هذين الانسانين فانمسخهما الله نحاسا واساف كان رجلا ونايلة
كانت امراة اصل الصفا في اللغة الحجر الاملس وهو هنا جبل بمكة
معروف وكذلك المروة جبل ايضا ولذلك اخرجهما بلفظ التعريف وذكر
الصفا لان ادم عليه السلام وقف عليه ووقفت حوى على المروة فسميت
باسم المراة فانث لذلك وحكى عن جعفر بن محمد قال نزل ادم على الصفا
وحوى على المروة فسمي باسم ادم المصطفى وسميت المروة باسم المراة وقال
الشعبي كان على الصفا صنم يدعا اسافا فذكر الاسم وعلى المروة صنم يدعى
نايلة مونث الاسم فاطرد ذلك في التذكير والتانيث وقدم المذكر
وهذا احسن لان الاحاديث المذكورة تدل على هذا المعنى مع ما
روي عن بريد في ذلك وما كان كراهة من كره الطواف بينهما الا من اجل هذا
حتى دفع الله الحرج في ذلك والله اعلم ان الصفا الصفا مقصور جمع
صفاة وهي الحجارة الملس وقيل ان الصفا اسم مفرد وجمعه صفي بضم الصاد واصفا
على مثل ارحا قال الراجز كان متنيه من النفي مواقع الطير على الصفا وقيل

من

من شروط الصفا البياض والصلابه واشتقاقه من صفا يصفو اي خلص من
التراب والطين والمروة واحده المرو وهي الحجارة الصغار التي فيها لين وقد
قيل انها الصلاب والصحيح ان المروة الحجارة لصلبتها ورخوها الذي يتشظى
وترق حاشيته وفي هذا يقال المرو اكثر ويقال في الصليب قال الشاعر
هو الكميت وتولى الارض خفا ذا بلا با ذا ما صادف المرو صحح وقال
ابو ذويب حتى كاني للحوادث مروة بصفا المشقر كل يوم تقرع وقد
قيل انها الحجاره السود وقيل حجارة بيض براقه يكون فيها النار
قوله تعالى من شعاير الله اي من معالمه ومواضع عباداته وهي جمع شعيره
والشعاير المتعبدات التي اشعرها الله اي جعلها اعلاما للناس من المواقف
والسعي والنحر والشعار العلامة يقال اشعر الهدي اعلمه بغرز حديدة في
سنامه من قولك اشعرت اي اعلمت وقال الكميت نقتلهم جيلا فجيلا
تراهم وشعاير قربانهم نتقرب قوله تعالى فمن حج البيت اي
قصد واصل الحج القصد قال الشاعر هو فاشهد من عوف حوولا
كثيره يحجون سب الزبرقان المزعفرا وحج الطبيب الشجة اذا سبرها بالميل
قال الشاعر يحج مامومه في قعرها لجف ثم اختص هذا الاسم بالقصد
الى البيت الحرام لافعال مخصوصه قوله تعالى او اعتمر اي زار والعمرة
الزيارة قال الشاعر وجاشت النفس لما جا فلهم وراكب جا من تثليث معتمر
وقال العجاج لقد سمى بن معمر حين اعتمر مغزى بعيدا من بعيد وضبر
قوله تعالى فلا جناح عليه اي لا اثم عليه واصله من الجنوح وهو الميل
ومنه الجوانح للاعضا لاعوجاجها قال النابغه يصف طيرا جوانح قد ايقن
قبيله اذا ما التقا الجمعان اول غالب يقول ان الظهر الت منهم الغلبه لاعدايهم

فهي تسير معهم لا دل الحوم عد وسم وبهذه الايه استدل ابو حنيفه على
ان المسعى بين الصفا والمروة ليس بواجب لان دفع الجناح من احكام المباحات
دون الواجبات وبقراه بن عباس وبن مسعود وانس فلا جناح عليه ان لا
يطوف باثبات لا وسياتي الجواب فيه   قد تقدم تاويل
عايشه لهذه الايه قال بن العربي وتحقيق القول فيه ان قول القايل لا جناح
عليك ان تفعل اباحه لترك الفعل فلما سمع عروة قول الله فلا جناح عليه
ان يطوف بهما قال هذا دليل على ان ترك الطواف جايز ثم راي الشريعة
على ان الطواف لا رخصة في تركه فطلب الجمع بين هذين المتعارضين فقالت
له عايشه ليس قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما دليلا على ترك الطواف
انما كان يكون الدليل على تركه لو كانت فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما
فلم يات هذا اللفظ لاباحه ترك الطواف ولا فيه دليل عليه وانما
جا لافادة الطواف لمن كان يتحرج منه في الجاهليه اولمن كان يطوف
به في الجاهليه قصد اللاصنام التي كانت فيه فاعلمهم الله سبحانه ان
الطواف ليس بمحظور اذا لم يقصد الطايف قصدا باطلا فان قيل فقد
روى عطا عن بن عباس انه قرا فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وهي قراءة
بن مسعود وروي انها في مصحف ابي كذلك وروي عن انس مثل فالجواب
ان هذا خلاف ما في المصحف ولا نترك ما ثبت في المصحف الى قراءه لا ندري
اصحت ام لا وكان عطا كثير الارسال عن بن عباس من غير سماع والروايه
في هذا عن انس قد قيل انها ليست بالمضبوطة او تكون لا زايده للتوكيد اذا
تقدمها جحد كما قال تعالى ما منعك ان لا تسجد وقال الشاعر   ما كان
يرضى رسول الله فعلهم والطيبان ابو بكر ولا عمر   وقال اخر   وما

الوم

الوم البيض ان لا تسحر الما را بن الشمط القفند تا   روى الترمذي

عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم مكه طاف بالبيت سبعا فقرا
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلا وصلى خلف المقام ثم اتا الحجر فاستلمه ثم
قال نبدا بما بدا الله فبدا بالصفا وقال ان الصفا والمروه من شعاير الله قال
هذا حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند اهل العلم انه يبدا بالصفا قبل
المروه فان بدا بالمروه قبل الصفا لم يجز ويبدا بالصفا

واختلف العلما في وجوب السعي بين الصفا والمروه فقال الشافعي وبن حنبل هو
ركن في النسكين الحج والعمره وهو المشهور من مذهب ملك لقوله عليه السلام
اسعوا فان الله كتب عليكم السعي خرجه الدارقطني وكتب بمعنى اوجب
لقوله تعالى كتب عليكم الصيام وقوله عليه السلام خمس صلوات كتبهن الله
على العباد وخرج بن ماجه عن ام ولد لشيبه قالت رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسعى بين الصفا والمروه وهو يقول لا يقطع الابطح الا شدا وقال
ابو حنيفه واصحابه والشعبي والثوري ليس بواجب فيهما فان تركه احد من
الحاج حتى يرجع الى بلاده جبره بالدم لانه سنه من سنن الحج وهو قول
ملك في العتبيه واحتجوا بقوله تعالى فلا جناح عليه وقد تقدم الجواب
عليهما وعلى القول الاول من تركه او شوطا منه ناسيا او عامدا رجع من
بلده او من حيث ذكر الى مكه فيطوف ويسعى لان السعي لا يكون الا متصلا
بالطواف وسوا عند ملك كان ذلك في حج او عمره وان لم يكن في العمره فرضا
فان كان قد اصاب النسا عليه عمره وهدي عند ملك مع تمام مناسكه وقال
الشافعي عليه هدي ولا معنى للعمره اذا رجع فطاف وسعا وقول ثالث
روي عن بن عباس وبن الزبير وانس بن ملك وبن سيرين ان السعي تطوع لقوله تعالى

ومن تطوع خيرا وهو ما ياتيه المرء من قبل نفسه فمن اتا بشي من النوافل فان الله يشكره
وشكر الله للعبد اثابته على الطاعه الصحيح ما ذهب اليه الشافعي
لما ذكرنا وقوله عليه السلام خذوا عني مناسككم فقد ربنا ان المجمل الحج فالواجب
ان يكون فرضا كبيانه لعدد الركعات وما كان مثل ذلك اذا لم يتفق على انه
سنه او تطوع وقال الخطيب راى بن عباس قوما يطوفون بين الصفا والمروه
فقال هذا ما اورثتكم امكم ام اسماعيل وهذا من بن عباس يدل على
وجوبه عنده والله اعلم وبكون المعنى ومن تطوع اي بالزيادة على الواجب
وعلى قول ابي حنيفه ومن تطوع بالسعي بين الصفا والمروه فيكون فيه دليل
على سقوط وجوب السعي والله اعلم وسياتي في سوره ابراهيم ام اسمعيل
بذكر الحديث ما ثبت في البخاري ان شا الله تعالى وقرا حمزه والكسائي
يطوع مضارعا مجزوما وكذلك فمن تطوع خيرا فهو خير له الباقون بتاء
الصفا والمروه موضعان الذكر والدعا والتهليل
والتكبير وفي حديث جابر الطويل فبدا بالصفا فرقى عليه حتى راى البيت
فاستقبل القبله فوحد الله وكبره وقال لا اله الا الله وحده لا شريك
له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير لا اله الا الله وحده انجز وعده
ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ودعا بين ذلك قال هذا ثلاث مرات
الى المروه حتى انصبت قدماه في بطن الوادي حتى اذا صعدنا مشي
حتى اتا المروه ففعل على المروه كما فعل على الصفا وذكر الحديث خرجه مسلم
وغيره قال ابو عمر بن عبد البر واجمعوا انه هكذا ينبغي للحاج والمعتمر ان
قد رفان لم يفعل ولم يرق على الصفا وقام في اسفله فلا خلاف بينهم انه
يجزيه واجمعوا على ان من سنه السعي بين الصفا والمروه ان ينحدر الراقي على

الصفا

الصفا بعد الفراغ من الدعا فيمشي على حسب مشيته وعادته في المشي
وهيئته حتى يبلغ بطن المسيل ثم يرمل في مشيته حتى يقطعه فاذا قطعه
الي ما يلي المروه وجاوزه مشى على سجيته حتى ياتي المروه فيرقا عليها حتى يبدو
له البيت ثم يقول عليها نحو مما قاله من الدعا والتكبير والتهليل على الصفا
وان وقف اسفل المروه اجزاه في قول جميعهم ثم ينزل عن المروه فيمشي على
سجيه مشيته حتى ينتهي الى بطن المسيل فاذا انتهى اليه سعا شدا ورمل
حتى يقطعه الى الجانب الذي يلي الصفا يفعل ذلك سبع مرات يبدا في ذلك
بالصفا ويختم بالمروه وان بدا بالمروه قبل الصفا الغا شوطا واحدا وهذا
كله قول جماعه الفقها وقد روي عن عطا انه ان جهل اجزا عنه وروي
عنه انه لا يعتد بذلك الشوط كما قال ساير العلما ويستحب ان يكون
متطهرا والطهاره استحباب غير واجبه عند الجميع الا في الطواف بالبيت
فانه صلاه فمن طاف على غير وضوا عاد عند الجمهور والاصل في ذلك قوله
عليه السلام لعايشه وهي حايض افعلي ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت
حتى تطهري وقال ابراهيم النخعي من طاف على غير وضو لا يعيد والحديث
حجه عليه في افعال الحج كلها ولا يجوز ان يطوف احد بالبيت
ولا بين الصفا والمروه راكبا الا من عذر فان طاف معذورا فعليه دم وان
طاف غير معذور اعاد ان كان بحضره البيت وان غاب عنه اهدى وانما قلنا ذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف بنفسه وقال خذوا عني مناسككم وانما
جوزنا ذلك في العذر لان النبي صلى الله عليه وسلم طاف على بعيره واستلم الركن
بمحجنه وقال لعايشه وقد قالت له اني اشتكي طوفي من ورا الناس وانت راكبه
وفرق اصحابنا بين ان يطوف على بعير او يطوف على ظهر انسان فان طاف على ظهر

ف

انسان لم يجزه لانه حينيذ لا يكون طايفا وانما الطايف الحامل واذا طاف
على بعيره كان هو الطايف قال ابن خوازمنداد وهذه تفرقة اختيار
واما الاجزا فيجزى الا ترى انه لو اغمي عليه فطيف به محمولا او وقف به
بعرفات محمولا كان مجزيا عنه وسياتي من حكم الطواف ما فيه كفاية في
سوره الحج عند قوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق ومن حكم الوقوف
بعرفات في هذه السورة ما فيه مقنع بحول الله تعالى   تعالى ان
الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في
الكتاب اوليك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون فيه سبع مسايل
قوله تعالى ان الذين يكتمون اخبر تعالى ان الذى يكتم ما انزل من البينات والهدى
ملعون واختلفوا من المراد بذلك فقيل احبار اليهود ورهبان النصارى الذين كتموا
امر محمد وصفته صلى الله عليه وسلم وقد كتم اليهود امر الرجم وقيل المراد كل
من كتم الحق فهي عامة في كل من كتم علما من دين الله يحتاج الى بثه وذلك مفسر في
قول النبي صلى الله عليه وسلم من سيل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار رواه ابو
هريرة وعمرو بن العاص اخرجه ابن ماجه ويعارضه قول عبد الله بن مسعود ما انت بمحدث
قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة وقال عليه السلام حدث الناس بما
يفقهون اتحبون ان يكذب الله ورسوله وهذا محمول على بعض العلوم كعلم الكلام
وما لا يستوى في فهمه جميع العوام فحكم العالم ان يحدث بما يفهم وينزل كل
انسان منزلته والله اعلم   هذه الاية هي التي اراد ابو هريرة بقوله
لولا اية في كتاب الله ما حدثتكم حديثا وبها استدل العلما على وجوب تبليغ العلم
الحق وبيان العلم على الجملة دون اخذ الاجرة عليه اذ لا يستحق الاجرة على ما عليه
فعله كما لا يستحق الاجرة على الاسلام وقد مضى القول في هذا وتحقيق الاية

ان يقال

ان يقال هو ان العالم اذا قصد كتمان العلم عصى واذا لم يقصده لم يلزمه التبليغ اذا علم
ان معه غيره واما من سيل فقد وجب عليه التبليغ لهذه الاية وللحديث اما انه
لا يجوز تعليم الكافر القران والعلم حتى يسلم ولذلك لا يجوز تعليم المبتدع علم الجدال
والحجاج ليجادل به اهل الحق ولا يعلم الخصم على خصمه حجة يقطع بها ماله ولا السلطان
تاويلا يتطرق به على مكاره الرعيه ولا ينشر الرخص في السفهاء فيجعلوا ذلك طريقا
الى ارتكاب المحظورات وترك الواجبات ونحو ذلك يروى عن النبي عليه السلام انه
قال لا تمنعوا الحكمة اهلها فتظلموهم ولا تضعوها في غير اهلها فتظلموها وروي
عنه عليه السلام انه قال لا تعلقوا الدر في اعناق الخنازير يريد تعليم الفقه من
ليس من اهله قد قال سحنون ان حديث ابي هريرة وعمر وانما جا في الشهادة قال
ابن العربي والصحيح خلافه لان في الحديث من سيل عن علم ولم يقل عن شهادة والبقا
على الظاهر حتى يرد ما يزيله والله اعلم من البينات والهدى يعم المنصوص
عليه والمستنبط لشمول اسم الهدى للجميع وفيه دليل على وجوب قول الواحد لانه
لا يجب عليه البيان الا وقد وجب قبول قوله وقال الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا
فحكم بوقوع البيان بخبرهم فان قيل انه يجوز ان يكون كل واحد منهم منهيا عن الكتمان
وماموراً بالبيان ليكثر المخبرون ويتواتر بهم الخبر قلنا هذا غلط لانهم لم ينهوا عن
الكتمان الا وهم ممن يجوز عليهم التواطؤ عليه ومن جاز منهم التواطؤ على الكتمان جاز
منهم التواطؤ على النقل فلا يكون خبرهم موجبا للعلم والله اعلم لما قال
تعالى من البينات والهدى دل على ان ما كان من غير ذلك جاز كتمه لا سيما ان كان مع ذلك
خوف فان ذلك آكد في الكتمان وقد ترك ابو هريرة ذلك حين خاف فقال حفظت عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائين اما احدهما فبثثته واما الاخر فلو بثثته قطع
هذا الحلقوم اخرجه البخاري وقال البلعوم مجرى الطعام قال علماؤنا وهذا الذي

لم يبثه ابو هريرة وخاف على نفسه الفتنة او القتل انما هو ما لا يتعلق بامر الفتن والنص على اعيان المرتدين والمنافقين ونحو هذا مما لا يتعلق بالبينات والهدى والله اعلم قوله من بعد ما بيناه الخناية في بيناه ترجع الى ما انزل من البينات والهدى والكتاب اسم فالمراد جميع الكتب المنزلة قوله تعالى اوليك يلعنهم الله اي يتبرا منهم ويبعدهم من ثوابه ويقول عليهم لعنتي كما قال للعين وان عليك لعنتي واصل اللعن في اللغة الابعاد والطرد وقدم قوله تعالى ويلعنهم اللاعنون قال قتادة والربيع المراد باللاعنين الملايكة والمومنون قال بن عطية وهذا جاز على مقتضى الكلام وقال مجاهد وعكرمة هم الحشرات والبهايم يصيبهم الجدب بذنوب علما السو الكاتمين فيلعنونهم قال الزجاج والصواب قول من قال اللاعنون الملايكة والمومنون فاما ان يكون ذلك لدواب الارض فلا يوقف على حقيقته الا بنص او خبر لازم ولم نجد من ذلك شيا من ذلك قد جا بذلك خبر رواه البرا بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون قال دواب الارض اخرجه بن ماجه في سننه قال حدثنا محمد بن عمار بن محمد عن ليث عن ابي المنهال عن زادان عن البرا اسناده حسن فان قيل كيف جمع من لا يعقل جمع من يعقل قيل لانه اسند اليهم فعل من يعقل كما قال رايتهم لي ساجدين ولم يقل ساجدات وقال لم شهدتم علينا وقال وتراهم ينظرون اليك ومثله كثير وسياتي وقال البرا بن عازب وبن عباس اللاعنون كل المخلوقات ما عدى الثقلين الانس والجن وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الكافر اذا ضرب في قبره فصاح سمعه الكل الا الثقلين فلعنه كل سامع وقال بن مسعود والسدي هو الرجل يلعن صاحبه فترتفع اللعنة الى السما فلا يجد صاحبها الذي

قيلت فيه اهلا لذلك فترجع الى الذى تكلم بها فلا تخذ اهلا لذلك فتقع على اليهود الذين كتموا ما انزل الله فهو قوله تعالى ويلعنهم اللاعنون فمن مات منهم ارتفعت اللعنة عنه فكانت فيمن بقي من اليهود تعالى الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم فيه ثلاث مسايل

قوله تعالى الا الذين تابوا استثنا تعالى التايبين الصالحين لاعمالهم واقوالهم المبينين لتوبتهم قال علماونا لا يكفي في التوبه قول القايل قد تبت حتى يظهر منه في الثاني خلاف الاول فان كان مرتدا رجع الى الاسلام مظهرا شرايعه وكذلك ان كان نصرانيا او يهوديا وان كان من اهل المعاصي ظهر منه العمل الصالح وجانب اهل الفساد والاحوال التي كان عليها وان كان من اهل الاوثان جانبهم وخالط اهل الاسلام وهكذا يظهر كل منهم عكس ما كان عليه وسياتي بيان التوبه واحكامها في النسا ان شا الله تعالى

قوله وبينوا اي بينوا توبتهم بما ذكرنا وقيل وبينوا يعني اليهود ما في التوراة من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووجوب اتباعه وقيل وبينوا اي بكسر الخمر وبوسها وهذا في شربة الخمر قلت ولذلك كل من كان على خلاف الشرع كاهل الربا والظلمة وغيرهم يجب عليهم ان يبينوا توبتهم ويظهر منهم خلاف ما كانوا عليه قوله تعالى فاولئك اتوب عليهم توبة الله على عبده رجوعه به من المعصيه الى الطاعه ومن الخذلان الى العصمة وقيل فاولئك اتوب عليهم اي اتجاوز عنهم وقيل اقبل توبتهم وانا التواب الرحيم تقدم تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملايكه والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون فيه اربع مسايل قوله وهم كفار الواو واو الحال قال ابن العربي قال كثير من اشياخي ان الكافر المعين لا يجوز لعنه لان حالة الموافاة لا تعلم وقد شرط الله تعالى في هذه الايه في اطلاق اللعنه الموافاة على الكفر واما ما روي عن النبي صلى الله عليه

وسلم انه لعن قوما باعيانهم من الكفار انما كان ذلك لعلمه بمآلهم قال ابن العربي والصحيح
عندي جواز لعنه لظاهر حاله ولجواز قتله وقتاله وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم ان عمرو بن العاص هجاني وقد علم اني لست بشاعر فالعنه واهجه عدد ما هجاني
فلعنه وان كان الايمان والدين والاسلام مآله وانتصف بقوله عدد ما هجاني ولم
يزد ليعلم العدل والانصاف واضاف الهجو الى الله تعالى في باب الجزا دون الابتدا
بالوصف بذلك كما يضاف اليه المكر والخديعة سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا
كبيرا **قلت** اما لعن الكفار جملة من غير تعيين فلا خلاف في ذلك لما رواه مالك عن
داود بن الحصين انه سمع الاعرج يقول ما ادركنا الناس الا وهم يلعنون الكفرة في رمضان
قال علماونا وسوا كانت لهم ذمة او لم تكن وليس ذلك بواجب ولكنه مباح لمن فعله
لجحدهم الحق وعداوتهم للدين واهله وكذلك كل من جاهر بالمعاصي كشراب الخمر
واكلة الربا ومن تشبه من الرجال بالنسا ومن النسا بالرجال الى غير ذلك مما ورد في
الاحاديث لعنه ليس لعن الكافر بطريق الزجر له عن الكفر بل هو جزا له على الكفر
واظهار قبح كفره كان الكافر ميتا او مجنونا وقال قوم من السلف انه لا فايدة في لعن
من جن او مات لا بطريق الجزا ولا بطريق الزجر فانه لا يتاثر به والمراد بالاية على هذا
المعنى ان الناس يلعنونه يوم القيمة ليتاثر بذلك ويتضرر ويتالم قلبه فيكون ذلك جزا
على الكفر كما قال ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ويدل على هذا القول
ان الاية دالة على الدعا وعن الله تعالى يلعنهم على الاخبار ذكر ابن العربي ان لعن
العاصي المعين لا يجوز لعنه اتفاقا لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتي بشارب خمر مرارا
فقال بعض من حضره ما اكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تكونوا عون
الشيطان على اخيكم فجعل له حرمة الاخوة وهذا يوجب الشفقة وهذا حديث
صحيح **قلت** خرجه البخاري ومسلم وقد ذكر بعض العلما خلافا في لعن العاصي المعين

قال

رابع عشر

قال وانما قال عليه السلام لا تكونوا عون الشيطان على اخيكم في حق النعيمان بعد اقامه
الحد عليه ومن اقيم عليه حد الله فلا ينبغي لعنه ومن لم يقم عليه الحد فلعنته جايزه
سوا سمي او عين ام لا لان النبي صلى الله عليه وسلم لا يلعن الا من تجب عليه اللعنه
ما دام على تلك الحاله الموجبه للعنه فاذا تاب منها واقلع وطهره الحد فلا لعنة
تتوجه عليه ويبين هذا قوله عليه السلام اذا زنت امة احدكم فليجلدها الحد
ولا يثرب فدل هذا الحديث مع صحته على ان التثريب واللعن انما يكون قبل
اخذ الحد وقبل التوبه والله اعلم قال ابن العربي واما لعن العاصي مطلقا فيجوز اجماعا لما
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله السارق يسرق البيضه فتقطع
يده قوله تعالى اوليك عليهم لعنه الله اي ابعادهم من رحمته واصل
اللعن الابعاد وقد تقدم واللعنه من العباد الطرد ومن الله العذاب وقرا
الحسن البصري والملايكه والناس اجمعون بالرفع وتاويلها اوليك جزاوهم ان يلعنهم
الله وتلعنهم الملايكه ويلعنهم الناس اجمعون كما تقول كرهت قيام زيد وعمرو
وخالد لان المعنى كرهت ان قام زيد وقرا الحسن هذه مخالفه للمصاحف فان قيل
ليس يلعنهم جميع الناس لان قومهم لا يلعنونهم قيل عن هذا ثلاثة اوجه احدها ان
اللعنه من اكثر الناس يطلق عليها لعنه جميع الناس تغليبا لحكم الاكثر على الاقل الثاني
قال السدي كل احد يلعن الظالم واذا لعن الكافر الظالم فقد لعن نفسه الثالث قال
ابو العاليه المراد به يوم القيمه يلعنهم قومهم مع جميع الناس قال الله تعالى ثم يوم
القيمه يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا قوله تعالى خالدين فيها يعني اللعنه
اي جزاها وقيل خلودهم في اللعنه انها موبده عليهم ولا هم ينظرون اي لا
يوخرون عن العذاب وقتا من الاوقات وخالدين نصب على الحال من الها والميم
في عليهم والعامل فيه الظرف من قوله عليهم لان فيها معنى استقرار اللعنه

قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم فيه مسئلتان
تعالى والهكم اله واحد لما حذر تعالى لتمان الحق بين ان اول ما يجب اظهاره ولا يجوز
كتمانه امر التوحيد ووصل ذلك بذكر البرهان وعلم طريق النظر وهو الفكر في
عجايب الصنع ليعلم انه لا بد له من صانع لا يشبهه شي قال بن عباس قالت كفار
قريش يا محمد انسب لنا ربك فانزل الله تعالى سورة الاخلاص وهذه الايه وكان
للمشركين ثلثماية وستون صنما فبين انه واحد ونحوه عن الضحاك وقيل انها
نزلت في صنف من المجوس يقال لهم المانويه وكان رئيسهم رجل يقال له ماني
فقال لهم ان الاشيا زوجين وضدين مثل الليل والنهار والنور والظلمه
والحر والبرد والحزن والسرور والذي يصلح للشي لا يصلح لضده لمن كان
خالق النور والخيرات لا يكون خالق الشر والظلمه فهما اثنان احدهما اسا
احدهما خالق الخير والاخر يخلق الشر فنزلت هذه الايه والهكم اله واحد
اي خالقكم خالق واحد وهو خالق الاشيا كلها قوله تعالى لا اله
الا هو قال بعضهم لا اله الا هو نفي واثبات اولها كفر واخرها ايمان وهذا
قول غير سيبويه وحكي عن الشبلي رحمه الله انه كان يقول الله ولا يقول
لا اله فسيل عن ذلك فقال اخشى ان اوخذ في كلمة الجحود ولا اصل الى كلمه
الاقرار قلت وهذا من علومهم الدقيقه التي ليست لها حقيقة لا
فان الله جل اسمه ذكر هذا المعنى في كتابه نفيا واثباتا وكرره ووعد بالثواب
الجزيل لقايله على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم خرجه الموطا والبخاري
ومسلم وغيرهم وقال صلى الله عليه وسلم من كان اخر كلامه لا اله الا الله
دخل الجنة خرجه مسلم وغيره وامر سبحانه رسوله بان يامر الخلق ان يقولوا
لا اله الا الله حسب ما ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم من

قوله

قوله امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها عصم مني
نفسه وماله الا بحقها وحسابهم على الله ولا يجوز ان يامرهم بالكفر وقال
بعضهم نصفه الاول منسوخ ونصفه الثاني ناسخ وهذا ايضا لا يصح
لان المنسوخ هو الذي قد كان مباحا قبل النسخ على ما تقدم بيانه والكفر
لم مباحا قط واحسن ما قيل فيه ان قوله لا اله الا الله نفي معبود الكفار
وقوله الا الله اثبات معبود المومنين ويقال لا اله نفي الالوهيه
عمن لا يستحق الالوهيه وقوله الا الله اثبات الالوهيه لمن يستحق
الالوهيه وبالجمله فالمقصود القلب لا اللسان فلو قال لا اله ومات
ومعتقده اعتقاد الوحدانيه وما يجب له من الصفات لكان من اهل الجنه
باتفاق اهل السنه وقد اتينا على معنى اسمه الواحد ولا اله الا هو الرحمن
الرحيم في الكتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى والحمد لله تعالى
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي
تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السما من ما فاحيا به الارض
بعد موتها وبث فيها من كل دابه وتصريف الرياح والسحاب المسخر
بين السما والارض لايات لقوم يعقلون فيه ست عشرة مسله
قال عطا وغيره لما نزلت والهكم اله واحد قالت كفار
قريش كيف يسع الناس الاه واحد قالوا هل من دليل على ذلك فانزل
الله تعالى ان في خلق السموات والارض فكانهم طلبوا اية ودليلا على
اثبات وحدانيته فبين لهم دليل التوحيد وان هذا العالم والبنا العجيب
لا بد له من بان وصانع وجمع السموات لانها اجناس مختلفه كل سما من
جنس غير جنس الاخرى ووحد الارض لانها كلها تراب والله اعلم

وفيه م

م

قوله تعالى ان في خلق السموات والارض يعني في خلقهما دليلا على اثبات ذاته وقدرته فاية السموات ارتفاعها بغير عمد من تحتها ولا علايق من فوقها ودل ذلك على القدرة وخرق العادة ولو جابني بحدى بوقوف جبل في الهوي دون علاقة كان معجزا ثم ما فيها من الشمس والقمر والنجوم السايرة والكواكب الزاهرة شارقه وغاربه نيره وممحوه ايه ثانيه واية الارض بحارها وانهارها ومعادنها وشجرها وسهلها ووعرها واختلاف الوانها

قوله تعالى واختلاف الليل والنهار قيل اختلافهما باقبال احدهما وادبار الاخر من حيث لا يعلم وقيل اختلافهما في الاوصاف من النور والظلمة والطول والقصر والليل جمع ليله مثل تمرة وتمر ونخله ونخل ويجمع ايضا ليالي ولياك بمعنى فهو مما شذ عن القياس الجموع كشبه ومشابه وحاجة وحوايج وذكر ومذاكير وكان ليالي في القياس جمع ليلاه وقد استعملوا ذلك في الشعر قال في كل يوم وكل ليلاه وقال اخر في كل يوم ما وكل ليلاه حتى يقول كل راء اذا راه يا ويحه من جمل ما اشقاه وقال بن فارس في المجمل ويقال ان بعض الطير يسمي ليلا ولا اعرفه والنهار يجمع نهر وانهر قال احمد بن يحيي ثعلب نهر جمع نهر وهو جمع النهار وقيل النهار اسم مفرد لم يجمع لانه بمنزلة المصدر كالضيا يقع على القليل والكثير والاول اكثر قال الشاعر لولا الثريد ان هلكنا بالضمر ثريد ليل وثريد بالنهر وقال بن فارس النهر معروف والجمع نهر وانهار ويقال ان النهار يجمع على النهر والنهار ضيا ما بين طلوع الشمس الفجر والي غروب الشمس ورجل نهر صاحب نهار ويقال ان النهار فرخ الحبارى . واختلف اهل اللغة والعلما في اول النهار فقال النضر بن شميل اول النهار طلوع الشمس

ولا يعد ما قبل ذلك من النهار وكذلك قال ثعلب اوله عند العرب طلوع الشمس
واستشهد بقول امية بن الصلت والشمس تطلع كل اخر ليلة حمرا يصبح
لونها يتورد وانشد قول عدي بن زيد وجاعل الشمس مصرا لاخفا
به بين النهار وبين الليل قد فصلا وانشد الكسائي اذا طلعت شمس النهار فانها
امارة تسليمي عليك فسلمي وقال الزجاج في كتاب الانوا اول النهار ذرور
الشمس وقسم ابن الانباري الزمن ثلاثة اقسام قسما جعله ليلا محضا وهو من
غروب الشمس الى طلوع الفجر وقسما جعله نهارا محضا وهو من طلوع الشمس الى
غروبها وقسما جعله مشتركا بين النهار والليل وهو ما بين طلوع الفجر الى طلوع
الشمس لبقايا ظلمة الليل ومبادي ضو النهار قلت والصحيح ان النهار من
طلوع الفجر الى غروب الشمس كما حكاه ابن فارس في المجمل يدل عليه قوله عليه السلام
في صحيح مسلم من حديث عدي بن حاتم لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الابيض
من الخيط الاسود من الفجر قال له عدي يا رسول الله وسادتي عقالين عقالا
ابيض وعقالا اسود اعرف الليل من النهار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان وسادك لعريض انما هو سواد الليل وبياض النهار فهذا الحديث يقضي
على ان النهار من طلوع الفجر الى غروب الشمس وهو مقتضى الفقه في الايمان وبه
ترتبط الاحكام فمن حلف ان لا يكلم فلانا نهارا فكلمه قبل طلوع الشمس حنث
وعلى الاول لا يحنث وقول النبي صلى الله عليه وسلم هو الفيصل في ذلك
والحكم فاما على ظاهر اللغة واخذ من السعة فهو من وقت الاسفار اذا
انفسح النهار كما قال ملكت بها كفي فانهرت فتقها ترا قايم من دونها ما وراها
وقد ورد حديث فيه ما يدل على هذا القول خرجه النسائي وغيره وسياتي في
الصيام ان شا الله تعالى قوله تعالى والفلك التي تجري في البحر الفلك

السفن وافراده وجمعه بلفظ واحد ويذكر ويونث وليست الحركات في المفرد
تلك باعيانها في الجمع بل كانه بني الجمع بنا اخر يدل على ذلك توسط التثنيه
في قولهم فلكان والفلك الواحد مذكر قال الله تعالى في الفلك المشحون
فجابه مذكرا وقال والفلك التي تجري في البحر فانث ويحتمل واحدا وجمعا وقال
حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة فجمع فكانه يذهب بها اذا
كانت واحده الى المركب فيذكر والى السفينه فيونث وقيل واحده فلك
مفتوح الفا واللام مثل اسد واسد وخشب وخشب واصله من
الدوران ومنه فلك السما الذي تدور عليه النجوم وفلكت الجاريه
استدار ثديها ومنه فلكه المغزل وسميت السفينه فلكا لانها تدور
بالما اسهل دور ووجه الايه تسخير الله اياها حتى تجري على وجه الما ووقو
فها فوقه مع ثقلها قال ابن العربي واول من عملها نوح عليه السلام كما
اخبر الله تعالى وقال له جبريل عليه السلام اصنعها على جوجو الطاير فعملها
نوح عليه السلام وراثه في العالمين بما اراه جبريل فالسفينه طاير مقلوب
والما في اسفلها نظير للهوا في اعلاها   هذه الايه وما كان مثلها
دليل على جواز ركوب البحر مطلقا لتجاره كان او عباده كالحج والجهاد ومن السنه
حديث ابي هريره قال جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نركب
البحر ونحمل معنا القليل من الما الحديث خرجه الموطا وحديث انس بن ملك
في قصه ام حرام اخرجه ملك وغيره روى حديث انس بن ملك جماعة عن
اسحق عن انس عن ام حرام جعله من مسند ام حرام لا من مسند انس هكذا
حدث عنه بندار محمد بن بشار ففيه دليل واضح على ركوب البحر في الجهاد للرجال
والنسا واذا جاز ركوبه فركوبه للحج المفترض اولي واوجب وروي عن عمر بن

الخطاب

الخطاب رضي الله عنهما المنع من ركوبه والقران والسنه يرد هذا القول
ولو كان ركوبه يكره ولا يجوز لنهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم الذين قالوا
له انا نركب البحر وهذه الايه وما كان مثلها نص في الغرض وقد تاول ما روي
عن العمرين في ذلك ان ذلك محمول على الاحتياط وترك التغرير بالمهج في طلب
الدنيا والاستكثار منها واما في اداء الفرض فلا قال ابن العربي ومما يدل على
ركوبه من جهة المعنى ان الله تعالى ضرب بالبحر وسط الارض وجعل الخلق في
العدوتين الجهتين فلا يوصل الى الجهة الا بشق البحر لها فسهل الله سبيله بالفلك
قال ابو عمر وقد كان يكره للمراة الحج في البحر وهو للجهاد لذلك اكره والقران
والسنه يرد قوله الا ان بعض اصحابنا من اهل البصره قال انما كره ذلك مالك
لان السفن بالحجاز صغار وان النسا لا يقدرن على الاستتار عند الخلا فيها
لضيقها وتزاحم الناس فيها وكان الطريق من المدينه الى مكه على البر ممكنا فلذلك
كره ذلك مالك واما السفن الكبار نحو سفن اهل البصره فليس بذلك باس قال
والاصل ان الحج على كل من استطاع اليه سبيلا من الاحرار البالغين نسا كانوا او
رجالا اذا كان الاغلب من الطريق الامن ولم يخص بحرا من بر قلت قد دل
الكتاب والسنه على اباحه ركوبه للمعنيين جميعا العبادة والتجاره فهي الحجه وفيها
الاسوه الا ان الناس في ركوب البحر تختلف احوالهم فرب راكب يسهل عليه ذلك
ولا يشق واخر يشق عليه ويضعف به كالمايد المفرط الميد ومن لا يقدر على
اداء فرض الصلاة ونحوها من الفرايض فالاول ذلك له جايز والثاني يحرم عليه ويمنع
منه باتفاق ولا خلاف بين اهل العلم فيما ذكرا بو عمر رحمه   قوله تعالى
بما ينفع الناس اي بالذي ينفعهم من التجارات وساير المارب التي يصلح بها احوالهم
وبركوب البحر تكتسب الارباح وينتفع من يحمل اليه المتاع ايضا وقد بعض

من طعن في الدين ان الله يقول في كتابكم ما فرطنا في الكتاب من شي فاين ذكر التوا
المصلحه للطعام من الملح والفلفل وغير ذلك فقيل له في قوله بما ينفع الناس
وما انزل الله من السما من ما يعني الامطار التي بها انعاش العالم
واخراج النبات والارزاق وجعل منه المخزون عده للانتفاع في غير وقت نزوله
كما قال تعالى فاسكناه في الارض على ما ياتي بيانه ان شا الله تعالى وجمع الما مياه
وامواه وقد تقدم   قوله تعالى فاحيا به الارض بعد موتها يعني
اخضرت الارض بعد يبسها وبث فيها اي فرق ونشر ومنه كالفراش المبثوث
وقيل بث خلق ومنه من دابه يجمع الحيوان كله وقد اخرج بعض الناس الطير
وهو مردود قال الله تعالى وما من دابه في الارض الا على الله رزقها فان
الطير يدب على رجليه في بعض حالاته قال الاعشى كما البطحا في كل منهل
صواعقها لطيرهن دبيب   قوله تعالى وتصريف الرياح تصريفها
ارسالها عقيما وملقحه وصرا ونصرا وهلاكا وحاره وبارده ولينه وعاصفه
وقيل تصريفها ان تاتي السفن الجاريه بقدر ما تحملها والصعاد لذلك ويصرف عنهما
ما يضر بهما ولا اعتبار بكبر القلوع ولا صغرها فان الريح لو جات جسدا واحدا
لصدمت القلاع واغرقت والرياح جمع ريح سميت به لانها تاتي بالروح
غالبا روى ابو داود عن ابي هريره قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الريح من روح الله قال سلمه فروح الله عز وجل ياتي بالرحمه
وياتي بالعذاب فاذا رايتموها فلا تسبوها واسالوا الله من خيرها واستعيذوا
بالله من شرها **قلت** قوله قال سلمه الى اخر الحديث يدل على انه
من قوله ليس من قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد اخرجه ابن ماجه في سننه قال
حدثنا ابو بكر بن ابي شيبه نا يحيى بن سعيد عن الاوزاعي عن الزهري نا

ثابت

ما ثبت الرزق في عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
الريح فانها من روح الله تاتي بالرحمة والعذاب ولكن سلوا الله من خيرها وتعوذوا
بالله من شرها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا الريح فانها
من نفس الرحمن المعنى ان الله جعل فيها التفريج والتنفيس والترويح والاضافة من
طريق الفعل والمعنى الله تعالى جعلها كذلك وفي صحيح مسلم عن ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وهذا معنى ما جا
في الخبر ان الله سبحانه فرج عن نبيه صلى الله عليه وسلم بالريح يوم الاحزاب فقال
سبحانه فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ويقال نفس الله فلان كربه
اي فرج عنه وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة من نفس عن مسلم كربة نفس الله
عنه كربة من كرب يوم القيمة اي فرج الله وقال الشاعر لان الصبا ريح
اذا ما تنسمت على قلب مهموم تجلت غمومها قال ابن الاعرابي النسيم او
هبوب الريح واصل الريح روح ولهذا قيل في جمع القلة ارواح ولا يقال
ارياح لانها من ذوات الواو وانما قيل رياح من جهة الكسر وطلب تناسب
الياء معها وفي مصحف حفصة وتصريف الارواح قوله تعالى
وتصريف الرياح قرا حمزة والكسائي الريح على الافراد وكذا في الاعراف والكهف
وابرهيم والنمل والروم وفاطر والشورى والجاثية لا خلاف بينهما في
ذلك ووافقهما ابن كثير في الاعراف والنمل والروم وفاطر وقرا حمزة الريح لواقح
وقرا ابن كثير وهو الذى ارسل في الفرقان وقرا الباقون بالجمع في جميعها سوى
الذى في ابرهيم والشورى فلم يقراها بالجمع سوى نافع ولم يختلف السبعة
فيما سوى هذه المواضع والذى ذكرناه في الروم هو الثاني الذى يرسل الرياح
ولا خلاف بينهم في الرياح مبشرات وكان ابو جعفر بن القعقاع يجمع

الرياح اذا كان فيهما الف ولام في جميع القران سوى يهدي به والريح العقيم
فان لم يكن فيه الف ولام فرد كلمن رحل الريح فلانه اسم للجنس يدل على القليل
والكثير ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الرياح ومن جمع مع الرحمه
ووحد مع العذاب فانه فعل ذلك اعتبارا بالاغلب في القران نحو الرياح مبشرات
والريح العقيم فجات في القران مجموعه مع الرحمه مفرده مع العذاب الا في يونس
في قوله تعالى وجرين بهم بريح طيبه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا
راي الريح اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وذلك ان ريح العذاب شديده
ملتيمه الاجزا كانها جسم واحد وريح الرحمه لينه متقطعه فلذلك هي رياح
وافردت مع الفلك في يونس لان ريح اجرا السفن انما هي بريح واحده متصله ثم
وصفت بالطيب فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب
قوله تعالى والسحاب المسخر بين السما والارض سمي السحاب سحابا
لانسحابه في الهوى وسحبت ذيلي سحبا وسحب فلان على فلان اجترا والسحب
شده الاكل والشرب والمسخر المذلل وتسخيره بعثه من مكان الى اخر وقيل
تسخيره ثبوته بين السما والارض من غير عمد ولا علايق قلت والاول
اظهر وقد يكون بعذاب روى مسلم عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال بينما رجل بفلاة من الارض فسمع صوتا في سحابه اسق حديقه فلان
فتنحا ذلك السحاب فافرغ ماوه في حره شرجه من تلك الشراح قد استوعبت
ذلك الما فتتبع فاذا رجل قايم في حديقته يحول الما بمسحاته فقال له يا عبد
الله ما اسمك فلان للاسم الذي سمع في السحابه فقال له يا عبد الله لم سالتني
عن اسمي فقال اني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماوه يقول اسق حديقه
فلان لاسمك فما تصنع قال اما اذا قلت هذا فاني انظر الى ما يخرج منها فاتصدق

فقال م

بثلثه

بثلثه

بثلثه واهل انا وعيالي ثلثا وارد فيها ثلثا في روايه واجعل ثلثه في المساكين

والسائلين وابن السبيل ووجه الدليل منه قوله فنحا ذلك السحاب لانه لو كان

ثابتا لما تنحى وفي التنزيل الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد وقال

حتى اذا اقلت سحابا سقناه لبلد ميت وهو في القران كثير وخرج ابن ماجه

عن عايشه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا راي سحابا مقبلا من افق من

الافاق ترك ما هو فيه وان كان في صلاة حتى يستقبله فيقول اللهم انا

نعوذ بك من شر ما ارسل فان امطر قال اللهم اجعله سيبا نافعا مرتين او ثلثا

وان كشفه ولم يمطر حمد الله على ذلك خرجه مسلم بمعناه عن عايشه زوج النبي

صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم الريح

والغيم عرف ذلك في وجهه واقبل وادبر فاذا مطرت سر به وذهب عنه

ذلك قالت عايشه فسالته فقال اني خشيت ان يكون سقط على امتي ويقول

اذا راي المطر رحمه في روايه وقال لعله يا عايشه كما قال قوم عاد فلما راوه

مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا فهذه الاحاديث والاي تدل

على صحة القول الاول وان تسخيرها ليس ثبوتها والله اعلم فان الثبوت يدل

على عدم الانتقال كما ذكرنا فان اريد بالثبوت كونها في الهوا ليست

في السما والا في الارض فصحيح لقوله بين وهي مع ذلك مسخره محوله وذلك

اعظم في القدره كالطير في الهوا قال الله تعالى الم يروا الى الطير مسخرات

في جو السما ما يمسكهن الا الله وقال اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن

ما يمسكهن الا الرحمن   قال كعب الاحبار السحاب غربال

المطر ولولا السحاب حين ينزل الما من السما لافسد ما يقع عليه من الارض

رواه عنه ابن عباس ذكره الخطيب ابو بكر احمد بن علي بن معاذ بن عبد الله بن

ن

وقال

قام

ل

اعظم

حبيب الجهني قال رايت بن عباس مر على بغله وانا في بني سلمه فمر به تبيع
بن امراة كعب فسلم على بن عباس فساله بن عباس هل سمعت كعب الاحبار
يقول في السحاب شيا قال نعم السحاب غربال المطر لولا السحاب
حين ينزل الما من السما لافسد ما يقع عليه من الارض قال سمعت كعب
يقول في الارض تنبت الطعام نباتا وتنبت عاما قابلا غيره قال
سمعته يقول ان البذر ينزل من السما فقال بن عباس وقد سمعت ذلك
من كعب قوله تعالى ان في ذلك لايات اي دلالات
على وحدانيته وقدرته ولذلك ذكر هذه الامور عقيب قوله تعالى
والهكم اله واحد ليدل بها على صدق الخبر عما ذكره قبله من وحدانيته
سبحانه وذكر رحمته ورافته بخلقه فهذه الاية تجمع اصول التوحيد
وقد بين فيها دلايل وحدانيته لان الامر لو كان بيد اثنين لكانا يختلفان
في التدبير فيحصل الامر باختلافهما كما قال في اية اخرى لو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا على ما ياتي بيانه هناك ان شا الله تعالى وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ويل لمن قرا هذه الاية فمسح بها ولم يعتبر ها تمم
وهي المسله فان قيل فما انكرت انها احدثت نفسها
قيل له هذا محال لانها لو احدثت انفسها لم تخل من ان تكون احدثتها وهي
موجوده او وهي معدومه فان احدثتها وهي معدومه كان محالا لان
الاحداث لا يتاتى الا من حي عالم قدير وما ليس بموجود لا يصح وصفه
بذلك وان كانت موجوده فوجودها يغني عن احداث انفسها وايضا فلو جاز ما
قالوه لجاز ان يحدث البنا نفسه وكذلك النجارة والنسج وذلك محال وما
ادى الى المحال محال ثم ان الله تعالى لم يقتصر بها في وحدانيته على مجرد الاخبار

حتى

حتى قرر ذلك بالنظر والاعتبار في اي من القران فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم
قل انظروا ماذا في السموات والارض والخطاب للكفار لقوله وما تغني
الايات والنذر عن قوم لا يومنون وقال اولم ينظروا في ملكوت السموات
وما الارض يعني بالملكوت الايات وقال وفي انفسكم افلا تبصرون يقول
اولم ينظروا في ذلك نظر تفكر وتدبر حتى يستدلوا بكونها محلا للحوادث
والتغيرات على انها محدثات وان المحدث لا يستغني عن صانع يصنعه
وان ذلك الصانع حكيم عليم قدير مدبر سميع بصير متكلم لانه لو لم يكن بهذه
الصفات لكان الانسان اكمل منه وذلك محال لان العاقل اذا نظر الى نفسه وما
ركب فيها من الحواس التي عنها يقع الادراك والجوارح التي يباشر بها القبض
والبسط والاعضا المعدة للافعال التي يختص بها كالاضراس التي اعدت له عند
استغنايها عن الرضاع وحاجته الى الطعام وكالمعدة التي ينضج فيها الطعام
ثم ينقسم منها على الاعضا في مجاري العروق المهيئة لذلك ويرسب ثقله الى
الامعا حتى يبرز عن البدن ثبت عنده وجود الصانع الحكيم الكامل في صفاته
وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين يعني ادم عليه السلام
ثم جعلناه اي جعلنا نسله وذريته نطفة في قرار مكين الى قوله تبعثون
فالانسان اذا تفكر بهذا التنبيه بما جعل له من العقل في نفسه وراها
مدبره وعلى احوال شتى مصرفه كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم لحما
وعظما فيعلم انه لم ينقل نفسه من حال النقص الى حال الكمال لا يقدر ان
يحدث لنفسه في الحال الافضل التي هي حال عقله وبلوغ اشده عضوا
من الاعضا ولا يمكنه ان يزيد في جوارحه جارحة فيدله ذلك على انه في
حال نقصه واوان ضعفه عن فعل ذلك اعجز وقد يرى نفسه شابا ثم كهلا

ثم شيخا وهو لم ينقل نفسه من حال الشباب والقوة الى حال الشيخوخة والهرم
ولا اختار لنفسه ولا في وسعه ان يزيل حال المشيب ويراجع حال قوة الشباب
فيعلم بذلك انه ليس هو الذي فعل هذه الافعال بنفسه وان له صانعا صنعه
وناقلا نقله من حال الى حال ولولا ذلك لم تتبدل احواله بلا ناقل ولا مدبر
وقال بعض الحكما ان كل شي في العالم الكبير له نظير في العالم الصغير الذي بدن
الانسان ولذلك قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقال
وفي انفسكم افلا تبصرون فحواس الانسان اشرف من الكواكب المضية والسمع
والبصر منها بمنزلة الشمس والقمر في ادراك المدركات بها واعضاوه تصير
عند البلا ترابا من جنس الارض وفيه من جنس الما العرق وساير رطوبات
البدن ومن جنس الهوى فيه الريح والنفس ومن جنس النار فيه المرة الصفرا
وعروقه بمنزلة الانهار في الارض وكبده بمنزلة العيون التي تستمد منه الكبد
ومثانته بمنزلة البحر لانصباب ما في اوعية البدن اليها كما تنصب الانهار
الى البحر وعظامه بمنزلة الجبال التي هي اوتاد الارض واعضاوه كالاشجار
فكما ان لكل شجر ورقا او ثمرا فكذلك لكل عضو فعل او اثر والشعر على البدن
بمنزلة النبات والحشيش على الارض ثم ان الانسان بلسانه كل صوات حيوان
ويحاكي باعضايه صنيع كل حيوان فهو العالم الصغير مع العالم الكبير
مخلوق محدث لصانع واحد لا اله الا هو وحده لا شريك له تعالى
ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله
فيه اربع مسايل قوله تعالى ومن الناس من يتخذ لما اخبر سبحانه
وتعالى في الاية قبلها ما دل على وحدانيته وقدرته وعظيم سلطانه اخبر
ان مع هذه الايات الظاهرة لذوي العقول من يتخذ معه اندادا اي

امثالا

امثالا وندا واحدها ند وقد تقدم والمراد الاوثان والاصنام التي
كانوا يعبدونها كعبادة الله مع عجزها قاله مجاهد وغيره
قوله تعالى يحبونهم كحب الله اي يحبون اصنامهم على الباطل كحب المومنين لله على
الحق قاله المبرد وقال معناه الزجاج اي انهم مع عجز الاصنام يحبونهم كحب
المومنين لله مع قدرته وقال ابن عباس والسدي المراد بالانداد الروسا
المتبعون يطيعونهم في معاصي الله وجا الضمير في هذا على الاصل وعلى الاول
جا ضمير الاصنام ضمير من يعقل على غير الاصل وقال الزجاج ايضا وابن
كيسان معنى يحبونهم كحب الله اي يسوون بين الاصنام وبين الله تعالى في
المحبة قال الزجاج وهذا القول الصحيح والدليل على صحته والذين امنوا هو ه
اشد حبا لله قال غيره ويقال ان الكفار كانوا يعبدون اوثانهم في حال
الرخا والشدة فهذا معنى قوله والذين امنوا اشد حبا لله اي اشد من
حب اهل الاوثان لاوثانهم والتابعين لمتبوعهم وقيل انما قال والذين
امنوا اشد حبا لله لان الله تعالى احبهم اولا ثم احبوه ومن شهد له معبوده
بالمحبة كانت محبته اتم قال الله تعالى يحبهم ويحبونه فان قيل ان كان المومن
اشد حبا فايش معنى قوله يحبونهم كحب الله قيل له يحتمل ان بعض المومنين
يحبهم مثل حبهم وبعضهم اشد حبا وحب الله طاعته في اوامره واجتناب نهيه
ومعصيته وكل من كان اطوع لله فهو اشد حبا له كما قال لو كان حبك
صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مُطيعُ وبهذه الاية استدل
العلما على وجوب محبته وهو العمل بطاعته واذا عمل بطاعته احبه الله عز
وجل روى عبد الرزاق عن معمر عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن
ابي ليلى قال كتب ابو الدردا الى مسلمة بن مخلد سلام عليك اما بعد فان العبد

اذا عمل بطاعة الله احبه الله واذا احبه الله حببه الى عباده وان العبد اذا
عمل بمعصية الله ابغضه الله فاذا ابغضه بغضه الى عباده وقال عليه السلام
احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله فحذرهم في ضمن هذا الكلام
ان يروا منعما سواه او يوهموا نفوسهم محسنا الا اياه فتحب قلوبهم غير خالقها
وتشغف بذكر غير موجدها وتضيف النعم الى غير وليها فتظلم بوضع محبتها
التي جبلت عليها غير موضعها فتظلم الاسباب بحجب الاسباب فتعمى عن محبة
مسببها فيطرد عن بابه ويضرب عليها دون الحجابه قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم
هام
وابناؤكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون
كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله
فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين وقال النبي عليه
السلام ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا نبض عرق الا بذنب وروي عنه
عليه السلام انه قال لا يخشى العبد الا ذنبه ولا يرجوا الا ربه لانه لا يعاقب
بمعصيته وغيرها الا بسبب ذنبه فالرب سبحانه منعم علينا بهذه المقابلات
من المصايب لانها كفارة للذنوب وتنبيها على ما فينا من العيوب وبهذا
وصف المتقين بقوله وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا فهو
سبحانه محسن الينا بالمساات فتعين حمده على ما انزل بنا وشكره فيما ابلانا كما
قيل   واني لاهواه مسيا ومحسنا   واقضي على نفسي له بالذي يقضي
وقال اخر   ويقبح من سواك الفعل عندي   وتفعله فيحسن منك ذاكا
قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من في موضع رفع بالابتدا ويتخذ
على اللفظ ويجوز في غير القران يتخذون على المعنى ويحبونهم على المعنى ويحبهم على
اللفظ وهو في موضع نصب على الحال من المضمر الذي في يتخذ اي محبين وان شيت

كان

كان للانداد اي محبوبه والكاف من كحب نعت لمصدر محذوف اي يحبونهم
حبا كحب الله تعالي ولو يري الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله
جميعا وان الله شديد العذاب فيه مسلتان قوله ولو يري الذين
قراة اهل المدينه واهل الشام وتري بالتا واهل مكه واهل الكوفه وابو عمرو
باليا وهو اختيار ابو عبيد وفي الايه اشراك وحذف فقال ابو عبيد المعنى
لو يري الذين ظلموا في الدنيا عذاب الاخرة لعلموا حين يرونه ان القوه لله جميعا
ويري علي هذا من رويه البصر قال النحاس في كتاب معاني القران له وهذا القول
هو الذي عليه اهل التفسير اي لو يري عبدة الاوثان اليوم ما يرون اذا يرون يوم
القيمه لعلموا ان الاوثان لا تنفعهم شيا وان القوه لله جميعا وقال في كتاب اعراب
القران له وروي عن محمد بن يزيد انه قال هذا التفسير الذي جا به ابو عبيد بعيد
وليست عبارته فيه بالجيد لانه يقدر ولو يري الذين ظلموا العذاب فكانه
مشكوكا فيه وقد اوجبه الله تعالى ولكن التقدير وهو قول الاخفش لو يري الذين
ظلموا ان القوه لله ويري بمعنى يعلم اي لو يعلمون حقيقه قوه الله عز وجل وشده
عذابه فيري واقعه على ان القوه وسدت مسد المفعولين والذين فاعل يري
وجواب لو محذوف اي لتبينوا ضرر اتخاذهم الالهه كما قال عز وجل ولو يرى اذ
اذ وقفوا على ربهم ولو ترى اذ وقفوا على النار ولم يات للجواب قال الزهري وقتادة
الاضمار اشد للوعيد ومثله قول القايل لو رايت فلانا والسياط تاخذه ومن التقدير
لرايت امرا عظيما وعلى قول من قرا بالتا فالتقدير ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في
رويتهم العذاب وفزعهم منه واستعظامهم له لاقروا ان القوه لله فالجواب
مضمر على هذا النحو من المعنى وهو العامل في ان وتقدير اخر ولو ترى الذين
ظلموا في حال رويتهم العذاب وفزعهم منه لعلمت ان القوه لله جميعا وقد كان

النبي صلى الله عليه وسلم علم ذلك ولكن خوطب والمراد امته فان فيهم من يحتاج الى
تقوية علمه بمشاهدة مثل هذا ويجوز ان يكون المعنى قل يا محمد للظالم هذا وقيل ان
في موضع نصب مفعول من اجله اي لان القوة لله وانشد سيبويه واغفر
عورا الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما اي لادخاره والمعنى
ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في حال رويتهم العذاب ان القوة لله لعلمت مبلغهم
من النكال ولاستعظمت ما حل بهم ودخلت اذ وهي لما مضى في اثبات ما مضى
هذه المستقبلات تقريبا للامر وتصحيحا لوقوعه وقرا ابن عامر وحده يرون
بضم اليا والبا قون بفتحها وقرا الحسن ويعقوب وشيبه وسلام وابو جعفر
ان القوة وان الله بكسر الهمزة فيهما على الاستيناف او على تقدير القول اي ولو
ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب يقولون ان القوة لله تبت بنص
هذه الايه القوة لله تعالى بحركة خلاف قول المعتزله في نفيهم معاني الصفات
القديمه تعالى الله عن قولهم فهو سبحانه القوي العزيز وذو القوة المتين
وقد بيناهما في الكتاب الاسنا في شرح اسما الله الحسنى تعالى اذ تبرا
الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وروا العذاب وقال الذين كفروا لو ان لنا كرة فنتبرا
منهم كما تبروا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من
النار فيه ست مسايل قوله تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا يعني السادة
والروسا من اتبعهم من السفلة على الكفر قاله قادة وعطا والربيع وقال قتادة هم
الشياطين المضلون تبروا من الانس وقيل هو عام في كل متبوع وروا العذاب يعني
التابعين والمتبوعين قيل بتيقنهم له عند المعاينه في الدنيا وقيل عند العرض
والمسالة في الاخرة قلت كلاهما حاصل فهم معاينون عند الموت ما يصيرون
اليه من الهوان وفي الاخرة يذوقون اليم العذاب والنكال قوله تعالى

وتقطعت بهم الاسباب

وتقطعت

وتقطعت بهم الاسباب اي الواصلات التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا من
رحم وحلف وغير ذلك عن مجاهد وغيره الواحد سبب ووصله وقيل
الاسباب الخله والمواصله كما قال في ايه اخرى الاخلا يوميذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين والمعنى متقارب واصل السبب الحبل يشد بالشي فيجذب ثم جعل
كل ما جر شيا سببا وقال السدي وابن زيد الاسباب اعمالهم والسبب الناحيه
ومنه قول زهير   ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ولو رام ولو رام اسباب
السما بسلم   قوله تعالى كذلك يريهم الله اعمالهم الكاف في موضع
رفع اي الامر كذلك اي كما اراهم الله العذاب كذلك يريهم اعمالهم ويريهم الله
قيل هي من رويه البصر فيكون متعدى بالمفعولين الاول الها والميم في يريهم
الثاني اعمالهم ويكون الثاني حال ويحتمل ان يكون من رويه القلب فيكون
حسرات المفعول الثالث اعمالهم قال الربيع اي الاعمال الفاسده التي ارتكبوها
فوجبت لهم بها النار وقال ابن مسعود والسدى الاعمال الصالحه التي تركوها
ففاتتهم الجنه وروي في هذا القول احاديث قال السدى ترفع لهم الجنه
فينظرون اليها والى بيوتهم فيها لو اطاعوا الله ثم تقسم بين المومنين فلذلك
حين يندمون واضيفت هذه الاعمال اليهم من حيث هم مامورين بها واما
اضافه الاعمال الفاسده اليهم لمن حيث عملوها   قوله تعالى
حسرات عليهم حسرات جمع حسرة كثمرة وثمرات وجفنه وجفنات وشهوه
وشهوات هذا اذا كان اسما قال الشاعر   لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى
فان نعت سكنت كقولك ضخمه وضخمات وعبله وعبلات والحسره اعلا درجات
الندامه على شي فايت والتحسر التلهف يقال حسرت عليه بالكسر احسر
حسرا وحسرة وهي مشتقة من الشي الحسير الذي قد انقطع وذهبت قوته

حسرات

ت

دالبعير وقيل هي مشتقه من حسر اذا كشف ومنه الحاسر في الحرب الذي لا
درع معه والانحسار الانكشاف قوله تعالى وما هم بخارجين من النار
دليل على خلود الكفار فيها وانهم لا يخرجون منها وهذا قول جماعه اهل السنه
لهذه الايه ولقوله تعالى ولا يدخلون الجنه حتى يلج الجمل في سم الخياط وسياتي
وتضمنت الايه الدلاله على مجانبه احداث السو وان يتاتوا في الظاهر ايمه يقتدى
بهم وفي سنن ابي داود من حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم وانما اخاف
على امتي الايمه المضلين قال عليه السلام ودلت ايضا على
ان الاعمال اذا كانت لغير الله كانت فاسده غير مقبوله وتكون حسره على صاحبها
وسياتي لهذا مزيد بيان ان شا الله تعالى يا ايها الناس كلوا مما في الارض
حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم بالسوء
والفحشا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون فيه سبع مسايل قوله تعالى
يا ايها الناس كلوا قيل انها نزلت في ثقيف وخزاعه وبني مدلج فيما حرموه
على انفسهم مما احل الله لهم من الحرث والانعام والبحيره والسايبه وغير ذلك
فنهاهم الله عز ذلك فقال يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا وقيل يا
ايها الناس لفظ عام وا بادل الحلال الطيب والطيب هنا الحلال فهو تاكيد
لاختلاف اللفظ وهذا قول مالك في الطيب وقال الشافعي الطيب المستلذ
فهو نوع ولذلك يمنع اكل الحيوان القذر وسياتي بيانه في الانعام والاعراف
ان شا الله تعالى قوله تعالى حلالا حال وقيل مفعول وسمي الحلال
حلالا لانحلال عقده الحظر عنه قال سهل بن عبد الله النجاة في ثلاثة اكل
الحلال واداء الفرايض والاقتدا بالنبي عليه السلام وقال ابو عبد الله الساجي
واسمه سعيد بن يزيد خمس خصال بها تمام العلم وهي معرفه الله عز وجل

ومعرفه الحق

خامس عشر

ومعرفة الحق واخلاص العمل لله والعمل على السنه واكل الحلال فان
فقدت واحده لم ينفع العمل قال سهل ولا يصح اكل الحلال الا بالعلم
ولا يكون المال حلالا حتى يصفوا من ست خصال الربا والحرام والسحت
وهو اسم مجمل والغلول والمكروه والشبهه قوله تعالى ولا تتبعوا
خطوات الشيطان خطوات جمع خطوه وخطوه بمعنى واحد قال الفرا
خطوات جمع خطوة بالفتح وخطوه بالضم ما بين القدمين وقال الجوهري
وجمع القله خطوات وخُطوات وخُطوات بالتحريك والكثير خطا والخطوه
بالفتح المره الواحده والجمع خطوات بالتحريك وخطا مثل ركوه وركا قال
امرو القيس لها وثبات كوثب الضبا فواد خطا وواد مطر وقرا
ابو السمال وعبيد بن عمير خطوات بفتح الخا والطا وروي عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه وقتاده والاعرج وعمرو بن ميمون والاعمش خطوات
بضم الخا والطا والهمزه علي الواو قال الاخفش وذهبوا بهذه القراه الي
انها جمع خطييه من الخطا لا من الخطو والمعنى على قراة الجمهور لا تقفوا اثر
الشيطان وعمله وما لم يرد به الشرع فهو منسوب الى الشيطان قال ابن عباس
خطوات الشيطان اعماله مجاهد خطاياه مقاتل تزيينه ويقال وساوسه
السدي طاعته الزجاج طرقه ابو مجلز هي النذور والمعاصي **قلت**
والصحيح ان اللفظ عام في كل ما عدى السنن والشرايع من البدع والمعاصي
وتقدم القول في الشيطان واشتقاقه فلا معنى لاعادته قوله
تعالى انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوه وادا كان الشيطان عدوا باخبار
الله وخبره حق وصدق فالواجب على العاقل ان ياخذ حذره من هذا العدو
الذي قد ابان عداوته من زمن ادم وبذل نفسه وعمره في افساد احوال

بني ادم وقد امر الله بالحذر منه فقال لا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم
عدو مبين انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وقال
الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء وقال ويريد الشيطان ان يضلهم
ضلالا بعيدا وقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر
والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون وقال انه عدو
مضل مبين وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه
ليكونوا من اصحاب السعير وهذا غاية في التحذير وهو في القران كثير وقال
عبد الله بن عمر ان ابليس موثوق في الارض السفلى فاذا تحرك فان كل شر في الارض
بين اثنين فصاعدا من تحركه واخرج الترمذي من حديث الحارث الاشعري
وفيه وامركم ان تذكروا الله فان مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في اثره
سراعا حتى اذا اتى الى حصن حصين فاحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز
نفسه من الشيطان الا بذكر الله وقال فيه حديث حسن غريب
قوله تعالى انما يامركم بالسوء والفحشاء سمي السوء سوءا لانه
يسوء صاحبه بسوء عواقبه وهو مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة اذا
احزنه فحزن قال الله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا وقال الشاعر
ان يك هذا الدهر قد ساءني فطال ما قد سرني الدهر الامر عندي فيهما
واحد لذاك شكر ولذا صبر . قوله تعالى الفحشاء الفحشاء الاثم
والقبيح من العمل واصله قبح المنظر كما قال امرؤ القيس وجيد كجيد
الريم ليس بفاحش اذا هي نصته ولا بمعطل ثم استعملت اللفظة فيما
يقبح من المعاني والشرع هو الذي يحسن ويقبح فكل ما نهت عنه الشريعة فهو
من الفحشاء وقال مقاتل كل ما في القران من ذكر الفحشاء فانه الزنا الا قوله الشيطا

اب

يعدكم

بعد لهم الفقر ويامركم بالفحشا فانه منع الزكاة قلت فعلى هذا قيل
اليوم لاحد فيه والفحشا ما فيه حد حكي عن ابن عباس وغيره وقيل السو الذي
يجب به الله للحبس في الموقف والحساب والفحشا الذي يستوجب به
العقوبه في النار ويقال السو الذي يجب به التعزير في الدنيا والفحشا
الذي يجب به الحد قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
قال الطبري يريد ما حرموا من البحيرة والسايبه ونحوها مما جعلوه
شرعا من تلقا انفسهم وان تقولوا في موضع خفض عطفا على قوله تعالى
بالسو والفحشا والله اعلم تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
قالوا بل نتبع ما الفينا عليه ابانا اولو كان اباوهم لا يعقلون شيا ولا يهتدون
فيه سبع مسايل قوله تعالى واذا قيل لهم يعني كفار العرب ابن
عباس نزلت في اليهود الطبري هي الضمير في لهم عايد على الناس من قوله
يا ايها الناس كلوا وقيل هي عايد على من في قوله ومن الناس من يتخذ اتبعوا ما
انزل الله اي بالقبول والعمل من تحليل ما احل وتحريم ما حرم قالوا بل نتبع
ما الفينا عليه ابانا الفينا وجدنا قال الشاعر فالفيته غير
مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا قوله تعالى اولو كان اباوهم
الالف للاستفهام الذي معناه التوبيخ وفتحت الواو لانها واو عطف عطفت
جمله كلام على جمله لا يعقلون شيا ولا يهتدون ومعناه بعوبهم وان كانوا
جهالا اتباعا لهم بغير حجه فانه نهاهم عن التقليد وامرهم بالتمسك بالحجه
وغاية الفساد في الالتزام ان يقولوا نتبع ابانا ولو كانوا لا يعقلون فقرروا
على التزامهم هذا اذ هذه حالة اباهم قوم الفاظ هذه الايه
تعطي ابطال التقليد ونظيرها واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى

الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا وقال انا وجدنا اباءنا على امه وانا على
اثارهم مهتدون ومقتدون وهذه الايه والتي قبلها مرتبطه بما قبلهما
وذلك ان الله تعالى اخبر عن جهاله العرب فيما تحكمت فيه بارايها السفيهه في
البحيره والسايبه والوصيله فاحتجوا بانه امر وجدوا عليه اباهم فاتبعوهم
في ذلك وتركوا ما انزل الله على رسوله وامر به من دينه فالضمير في لهم عايد
عليهم في الايتين جميعا قال ابن عطيه تعلق قوم بهذه الاية في ذم
التقليد لذم الله تعالى الكفار باتباعهم لابايهم في الباطل واقتدايهم بهم في الكفر
والمعصيه قلت وهذا في الباطل صحيح فاما التقليد في الحق فاصل من اصول
الدين وعصمة من عصم المسلمين يلجا اليها الجاهل المقصر عن درك النظر وحقيقته
عند العلما قبول قول بلا حجه وعلى هذا من قبل قول النبي صلى الله عليه وسلم من
غير نظر في معجزته يكون مقلدا واما من نظر فيها فلا يكونه وقيل هو اعتقاد
قول من لا يعلم صحة قوله وهو في اللغة ماخوذ من قلادة البعير فان العرب تقول
قلدت البعير اذا جعلت في عنقه حبلا يقاد به فكان المقلد يجعل امره كله لمن
يقوده حيث شا ولذلك قال شاعرهم وقلدوا امركم لله دركم
ثبت الجنان بامر الحرب مضطلعا التقليد ليس طريقا للعلم ولا موصلا
له لا في الاصول ولا في الفروع وهو قول جمهور العلما والعقلا خلافا لما يحكى
عن جهال الحشوية والتعليميه من انه طريق الى معرفه الحق وان ذلك هو الواجب
وان النظر والبحث حرام والاحتجاج عليهم في كتب الاصول
فرض العامي الذي لا يستقل باستنباط الاحكام من اصولها لعدم اهليته
فيما لا يعلمه من امر دينه ويحتاج اليه ان يقصد اعلم من في زمانه وبلده فيسأله
عن نازلته فيمتثل فيها فتواه لقوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون

وعليه

وعليه الاجتهاد في اعلم اهل وقته بالبحث عنه حتى يقطع عليه الاتفاق من
الاكثر من الناس وعلى العالم ايضا فرض ان يقلد عالما مثله في نازلة خفي عليه وجه
الدليل والنظر واراد ان يجدد الفكر فيها والنظر حتى يقف على المطلوب فضاق
الوقت عن ذلك وخاف على العبادة ان تفوت او على الحكم ان يذهب سوا كان
المجتهد الاخر صحابي او غيره واليه ذهب القاضي ابو بكر وجماعة من المحققين
قال ابن عطيه اجمعت الامة على ابطال التقليد في العقايد
وذكر غيره فيه خلافا شاذا كالقاضي ابو بكر بن العربي وابو عمرو عثمان بن عيسى
بن درباس الشافعي قال ابن درباس في كتاب الانتصار له وقال بعض الناس يجوز
التقليد في امر التوحيد وهو خطا لقوله تعالى انا وجدنا اباءنا على امة فذمهم
بتقليدهم اباهم وتركهم اتباع الرسل كصنيع اهل الاهوا في تقليدهم كبراهم
وتركهم اتباع محمد صلى الله عليه وسلم في دينه ولانه فرض على كل مكلف تعلم امر
التوحيد والقطع به وذلك لا يحصل الا من جهة الكتاب والسنة قلت
كما بيناه في اية التوحيد والله يهدي من يريد قال ابن درباس وقد اكثر اهل
الزيغ القول على من تمسك بالكتاب والسنة انهم مقلدون وهذا خطا منهم
بل هو بهم اليق وبمذاهبهم اخلق اذ قبلوا قول ساداتهم وكبرايهم فيما خالفوا
فيه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع الصحابه رضي الله عنهم
فكانوا داخلين فيمن ذمهم بقوله ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرانا الى قوله كثيرا
وقوله انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون ثم قال لنبيه قل اولو
جيتكم باهدى مما وجدتم عليه اباكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون ثم قال
لنبيه فانتقمنا منهم الايه فبين تعالى ان الهدى فيما جات به رسله عليهم السلام
وليس قول اهل الاثر انا وجدنا اباءنا ايمتنا واباءنا والناس على الاخذ بالكتا

والسنه واجماع السلف الصالح من الامة من قولهم انا اطعنا سادتنا وكبرانا
سبيلا لانها ولا نسبوا ذلك الي التنزيل والي متابعة الرسول واوليك نسبوا
افكهم الي اهل الاباطيل فازداد وابذلك في التضليل الا تري ان الله سبحانه اثني
علي يوسف عليه السلام في القران حيث قال اني تركت ملة قوم لا يومنون بالله وهم
بالاخرة هم كافرون واتبعت ملة اباي ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا
ان نشرك بالله من شي فلما كان اباوهم عليهم السلام انبيا متبعين للوحي وهو
الدين الخالص الذي ارتضاه الله كان اتباعه اباهم من صفات المدح ولم يجي
فيما جاوا به ذكر الاعراض وتعلقها بالجواهر وانقلابها فدل علي ان لا هدي
فيها ولا رشد واضعها قال ابو الحسن بن الحصار وانما ظهر التلفظ بهما في زمن
المامون بعد المايتين لما ترجم كتب الاوايل وظهر فيها اختلافهم في قدم العالم
وحدوثه واختلافهم في الجوهر وثبوته والعرض وماهيته تسارع المبتدعون
ومن كان في قلبه زيغ الي حفظ تلك الاصطلاحات وقصدوا بها الاغراب
عن اهل السنه وادخال الشبه علي الضعفا من اهل الملة فلم يزل الامر كذلك الي
ان ظهرت البدعه وصارت للبدعة شيعه والتبس الامر علي السلطان حتي قال
الامير بخلق القران وجبر الناس عليه وضرب احمد بن حنبل انتدب رجال
من اهل السنه كالشيخ ابي الحسن الاشعري وابي عبد الله بن كلاب وابن مجاهد والمحا
سبي واضرابهم فخاضوا مع المبتدعة في اصطلاحهم ثم قاتلوهم وقتلوهم بسلاحهم
وكان من درج من المسلمين من هذه الامة متمسكين بالكتاب والسنة معرضين
عن شبه الملحدين لم ينظروا في الجوهر والعرض علي ذلك كان السلف وقال
القاضي ابو الوليد بن رشد في جواب له ولو كان ذلك من الدين لبينه النبي
صلي الله عليه وسلم للناس وبلغه اليهم كما امر الله في كتابه حيث يقول يا يها

الرسول

الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته فلما علمنا
انه صلى الله عليه وسلم لم يدع الناس في امر التوحيد وما يجب عليهم من الاعتقا
فيه الى الاستدلال بالاعراض وتعلقها بالجواهر ولا ان احدا من اصحابه
تكلم بذلك اذ لم يرو عنه صلى الله عليه وسلم ولا عن واحد منهم كلمه
واحده فما فوقها من هذا النمط من الكلام من طريق تواتر ولا احاد مرويه
صحيح ولا سقيم على انه صلى الله عليه وسلم وهم رضي الله عنهم عدلوا عنه
الى ما هو اولى وابين واجلى واقرب الى الافهام لسبقه اليها باوايل العقول
وبدايهها وهو ما امر الله به من الاعتبار بمخلوقاته وغير ما ايه من كتابه ادلم
يمت صلى الله عليه وسلم حتى بين للناس وبلغ اليهم ما امر ببيانه لهم وتبليغه اليهم
فقال في خطبه الوداع وفي مقامات له شتى بحضره اصحابه الاهل بلغت
فكان الذي انزل عليه من الوحي وامر بتبليغه هو كما قال الذين وتمامهم
قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ثم ذكر في اخر كلامه
فكان الاعتماد على هذا الاستدلال الذى نطق به القران وعول عليه سلف
الايمه هو الواجب اذ هو اصح وابين في التوصل الى المقصود وافر لانه نظر
عقلي بديهي مرتب على مقدمات من العلم لا يقع الخلف في دلالتها ولنا الاستد
على ذلك فطريقه من المتكلمين الاشعريين فلابد من الغنت على رايها والانقطاع
على سالكها وان ذلك ترك السلف المتقدم من ايمة الصحابه والتابعين لم يعولوا
لا لعجزهم عنه فقد كانوا ذوي عقول وافره وافهام ثاقبه ولم يات اخر
هذه الامه باهدى مما كانوا عليه اولها فمن الحق الواجب على من ولاه امر المسلمين
ان ينهى العامه والمبتدعين عن قراة مذهب المتكلمين من الاشعريين ويمنعهم
من ذلك غاية المنع مخافه ان تنبوا افهامهم عن فهمها فيضلوا بقراتها ويامروهم

د

لا ل

اعليه

ان يقتصروا فيما يلزمهم اعتقاده على الاستدلال الذي نطق به القران ونبه
الله عليه عباده في محكم التنزيل اذ هو بين واضح يحتج به ذلك ببديهة العقل
بايسر تامل في الحين في نادر واشتغالهم بعلم ما يلزمهم التفقه فيه من احكام
الوضوء والصلاة والزكاة والصيام وساير الشرايع والاحكام ومعرفة الحلال
في المكاسب من الحرام **قلت** ما ذكره ايمتنا هولا هو الحق الواضح والطريق
اللايح الا ان في زمانه اهليه الى التطريق بعد هذا في اصطلاح المتكلمين حتى يتاتا
بذلك عن الذين لم ترتبته قريبة من النبيين فاما من يعجز من علاء المتكلمين طريق
من اخذ بالاثر والقران من المومنين ويحض على درس كتب الكلام وانه لا يعرف
الحق الا من جهة تلك الاصطلاحات فضال وامه مومنين لنقضهم طريق
المتقدمين من الايمة الماضين والله اعلم واما المخاصمة والجدال بالدليل
والبرهان فذلك بين في القران وسياتي بيانه في هذه السورة وغيرها ان
شا الله تعالى تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع
الا دعا ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون قال العلما شبه الله تعالى في هذه الاية
واعظ الكافرين وداعيهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم بالراعي الذي ينعق
بالغنم او الابل فلا تسمع الا دعا ونداء ولا تفهم ما تقول هكذا فسره ابن عباس
ومجاهد وعكرمة والسدي والزجاج والفرا وسيبويه وهذه نهاية
الايجاز قال سيبويه لم شبهوا بالناعق انما شبهوا بالمنعوق به والمعنى مثلك
يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به البهايم التي لا تفهم فحذف
لدلالة المعنى وقال ابن زيد المعنى مثل الذين كفروا في دعايهم الالهة الجماد كمثل
الصايح في جوف الليل فيجيبه الصدا فهو يصيح بما لا يسمع ويجيبه ما لا حقيقة فيه
ولا منتفع وقال قطرب المعنى مثل الذين كفروا في دعايهم ما لا يفهم يعني

الاصنام

الاصنام كمثل الراعي اذا نعق بغنمه وهو لا يدري اين هي وقال الطبري المراد مثل
الكافرين في دعايهم الهتهم كمثل الذي ينعق بشي بعيد فهو لا يسمع من اجل البعد
فليس للناعق من ذلك الا الندا الذي يتعبه وينصبه ففي هذه الاية التاويلات
الثلاث تشبيه الكفار بالناعق الصايح والاصنام المنعوق به والنعيق
زجر الغنم والصياح بها يقال نعق الراعي بغنمه (بغنمه) ينعق نعيقا ونعاقا ونعقانا
اي صاح بها وزجرها قال الاخطل   انعق بضانك يا جرير فانما منتك
نفسك في الخلا صل الا   قال القتبي لم يكن جرير راعي ضان وانما اراد ان بني كليب
يعيرون برعي الضان وجرير منهم فهو في جهلهم والعرب تضرب المثل براعي الغنم
في الجهل يقولون اجهل من راعي ضان قال القتبي ومن ذهب الى هذا في معنى الاية
كان مذهبا غير انه لم يذهب اليه احد من العلما فيما نعلم والندا للبعيد
والدعا للقريب ولذلك قيل للاذان بالصلاة ندا لانه للاباعد وقد تضم النون
في الندا والاصل الكسر ثم شبه تعالى الكافرين بانهم صم بكم عمي وقد تقدم اول
السورة والله اعلم   تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقنا[كم]
واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون فيه اربع مسايل   قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا روي عن ابن مسعود انه قال (اذا) سمعت الله تعالى يقول
يا ايها الذين امنوا فارع له سمعك فانه امر يومر به او نهي ينهى عنه
قوله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم هذا تاكيد للامر الاول في قوله يا
ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا وخص المومنين هنا بالذكر تفضيلا
والمراد بالاكل الانتفاع من جميع الوجوه وقيل هو الاكل المعتاد
وفي هذه الاية دليل على ان فضل هذه الامة لانه سبحانه خاطبهم بما خاطب
به الانبيا عليهم السلام لانه قال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وقال

لهذه الامة كلوا من طيبات ما رزقناكم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وان الله
امر المومنين بما امر به المرسلين فقال تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا
صلحا اني بما تعملون عليم وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السما يا رب يا رب ومطعمه
حرام وملبسه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فاني يستجاب لذلك
قوله تعالى واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون تقدم معنى الشكر والعبادة
فلا معنى للاعادة   تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما
اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم فيه
سبع وثلاثون مسلة   قال العلما لما قال الله تعالى يا ايها الناس كلوا
مما في الارض حلالا طيبا وامرهم بادل ما حرموه على انفسهم من البحيرة وغيرها قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم ان لم تكن هذه الاشيا محرمة فالمحرمات ما هي فبين الله المحرمات
فقال انما حرم عليكم الميتة   قوله تعالى انما حرم انما كلمة موضوعة للحصر
تتضمن النفي والاثبات فتثبت ما تناوله وتنفي ما عداه وقد حصرت ها هنا التحريم
لا سيما وقد جات عقيب التحليل في قوله كلوا من طيبات ما رزقناكم فافادت
الاباحة على الاطلاق ثم عقبها بذكر المحرم بكلمة انما الحاصرة فاقتضى ذلك
الايعاب للقسمين فلا محرم يخرج عن هذه وهي مدنية واكدها بالاية التي
روي انها نزلت بعرفة قل لا اجد فيما اوحي الي فاستوفى البيان اولا واخرا قاله
القاضي ابو بكر بن العربي وسياتي الكلام في ذلك في الانعام ان شا الله تعالى
قوله تعالى حرم عليكم الميتة الميتة نصب بحرم والتحريم المنع قال
فلا تحرمني نايلا عن جناية اذا مر وسط القباب غريبك   وحرمته

عطاه

عطاه حرمانا وحرمه وحرميه منعته واحرمته لغة وما في انما كافة ويجوز
ان تجعلها بمعنى الذى منفصله في الخط وترفع الميته والدم ولحم الخنزير على خبر ان وهي
قراه بن ابي عبلة وفي حرم ضمير يعود على الذى ونظيره قوله تعالى انما صنعوا كيد
ساحر وقرا ابو جعفر حرم بضم الحا وكسر الرا ورفع الاسما بعدها اما على ما لم يسم فاعله
واما على خبر ان وقرا ابو جعفر بن القعقاع ايضا الميته بالتشديد قال الطبري
وقال جماعة من اللغويين التشديد والتخفيف في ميته وميت لغتان وقال ابو
حاتم وغيره ما قد مات يقالان فيه وما لم يمت بعد فلا يقال فيه ميت
بالتخفيف دليله قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون   وقال الشاعر
ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحيا ولم يقرا احد بتخفيف
ما لم يمت الا ما روى البزي عن بن كثير وما هو بميت والمشهور عنه
التثقيل واما قول الشاعر   اذا مات ميت من تميم فسرك ان
يعيش فجي بزاد فالابلغ في الهجا انه اراد الميت حقيقة وقد ذهب
بعض الناس الى انه اراد من شارف الموت والاول اشهر   قوله
تعالى الميته هي الدابة التي تموت من غير ذكاة مما يذبح وما ليس بماكول
فذكاته موته كالسباع وغيرها على ما ياتي بيانه هنا وفي الانعام ان شا الله
هذه الاية عامة دخلها التخصيص بقوله عليه السلام احلت
لنا ميتتان الحوت والجراد ودمان الكبد والطحال اخرجه الدارقطني في
سننه وكذلك حديث جابر في العنبر تخصيص عموم القران بصحه سنده
خرجه البخاري ومسلم مع قوله تعالى احل لكم صيد البحر على ما ياتي بيانه ان شا
الله تعالى واكثر اهل العلم على جواز اكل دواب البحر حيا وميتا وهو مذهب
مالك وتوقف في خنزير الما فقال انتم تقولون خنزيرا قال بن القاسم وانا

انفيه ولا اراه حراما واستثنى الشافعي الضفدع ما سوى السمك لا يوكل ومنع
من اكل الطافي واجاز ما مات بسبب وسياتي لهذا مزيد بيان في المايدة ان شا الله
تعالى   واختلف العلما في تخصيصها بالله تعالى بالسنة ومع اختلافهم
في ذلك اتفقوا على انه لا يجوز تخصيصه بحديث ضعيف قاله ابن العربي وقد
يستدل على تخصيص هذه الاية ايضا بما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن
اوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات فكنا ناكل
الجراد معه وظاهره اكله كيف ما مات بعلاج او حتف انفه لانه من صيد
البحر وبهذا قال ابن نافع وابن عبد الحكم واكثر العلما وهو مذهب الشافعي وابي
حنيفه ومنع مالك وجمهور اصحابه من اكله ان مات حتف انفه لانه من صيد
البر الا ترى ان المحرم يجزيه فاشبه الغزال وقال اشهب ان مات من
قطع رجل او جناح لم يوكل لانها حالة قد يعيش بها وينسل وسياتي لحكم الجراد
مزيد بيان في الاعراف عند ذكره ان شا الله تعالى   واختلف اهل
يجوز ان ينتفع بالميتة او بشي من النجاسات واختلف عن مالك في ذلك ايضا
فقال مرة يجوز الانتفاع لان النبي صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميمونة   بهاه
فقال هلا اخذتم اهابها فانتفعتم به الحديث وقال مرة جملتها محرمة فلا
يجوز الانتفاع بشي منها ولا بشي من النجاسات على وجه من وجوه الانتفاع
حتى لا يجوز ان يسقى الزرع ولا الحيوان الما النجس ولا يعلف البهايم النجاسات
ولا يطعم الميتة الكلاب والسباع وان اكلتها لم تمنع ووجه هذا القول
ظاهر قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ولم يخص وجها من وجه ولا يجوز ان يقال
هذا الخطاب مجمل لان المجمل ما لا يفهم المراد من ظاهره وقد فهم المراد من قوله
تعالى حرمت عليكم الميتة وايضا فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تنتفعوا

من الميتة

من الميته بشي وفي حديث عبد الله بن عكيم لا تنتفعوا من الميته باهاب ولا
عصب وهذا اخر ما ورد به كتابه قبل موته بشهر خرجه ابو داود وغيره
وسياتي بيان هذه الاخبار والكلام عليها في النحل ان شا الله تعالى   فاما
الناقه اذا نحرت او البقره والشاة اذا ذبحت وكان في بطنها جنين ميت فجايز
اكله من غير تذكيه له في نفسه الا ان يخرج حيا فيذكي ويكون له حكم نفسه وذا لك
ان الجنين اذا خرج بعد الذبح ميتا جرى مجرى العضو من اعضايها ومما يبين ذلك
انه لو باع الشاة او الجاريه واستثنى ما في بطنها لم يجز كما لو استثنى عضوا منها
وكان ما في بطنها تابعا لها كساير اعضايها ولذلك لو اعتقها من غير ان يوقع على ما
في بطنها عتقا مبتدا ولو كان منفصلا عنها لم يتبعها في بيع ولا عتق **قلت** هذا
الاستدلال فيه نظر وقد ثبت عن ابن عمر انه اعتق غلاما له وامراته واستثنى
ما في بطنها ولا مخالف له من الصحابه قال ابن المنذر وهم يرون تقليد الواحد
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا لم يخالف منهم غيره ولا نعلم لابن عمر مخالفا
وهذا يلزمهم وبه يقول الحسن البصري والنخعي واحمد واسحق وابو ثور واذا
كان البيع يلزم اذا باع امه واشترط ان ما في بطنها حر فلم لا يكون كذلك
اذا استثناه لان الجاريه هي التي وقع عليها البيع دون الولد في المسلتين **قلت**
واولى ما يستدل به على ذلك بما رواه جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيل عن البقره والشاه تذبح والناقه تنحر فيكون في بطنها جنين ميت قال ان
شيتم فكلوه لان ذكاته ذكات امه خرجه ابو داود بمعناه من حديث
ابي سعيد الخدري وهو نص لا يحتمل وسياتي لهذا مزيد بيان في سورة المايده
ان شا الله تعالى   واختلفت الروايه عن مالك في جلد الميته هل
يطهر بالدباغ او لا فروى عنه انه لا يطهر وهو ظاهر مذهبه وروى عنه انه

يطهر لقوله عليه السلام ايما اهاب دبغ فقد طهر خرجه مسلم وغيره ووجه قوله
لا يطهر فانه جزء من الميتة لو اخذ منها في حال الحياة كان نجسا فوجب ان لا يطهر
الدباغ قياسا على اللحم ويحمل الاخبار بالطهارة على ان الدباغ يزيل الاوساخ
عن الجلد حتى ينتفع به في الاشيا اليابسة وفي الجلوس عليه ويجوز ان ينتفع
به ايضا في الما بان يجعل سقا لان الما على اصل الطهارة ما لم يتغير له وصف على ما يأتي
من حكمه في سورة الفرقان والانفال والطهارة في اللغة تتوجه بجوازاله الاو
ساخ كما تتوجه الى الطهارة الشرعية والله اعلم **قلت** القول بعموم
الطهارة اولى لان الحديث عام فيها وهو قول ابن وهب وسياتي بيانه في
النحل ان شا الله تعالى واما شعر الميتة وصوفها فطاهر لما روي
عن ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا باس بمسك الميتة اذا دبغ وشعرها
وصوفها اذا غسل ولانه كان طاهرا لو اخذ منها في حال الحياة فوجب ان يكون
كذلك بعد الموت الا ان اللحم لما كان نجسا في حال الحياة لقوله عليه السلام ما
ابين من الحي فهو ميتة كان كذلك بعد الموت فيجب ان يكون الصوف خلافه في حال
الموت كما كان خلافه في حال الحياة استدلالا بالعكس ولا يلزم على هذا اللبن والبيضة
من الدجاجة الميتة لان اللبن عندنا طاهر بعد الموت وكذلك البيضة ولكنهما حصلا في
وعا نجس فتنجسا بمجاورة الوعا لا انهما نجسا بالموت وسياتي لهذه المسالة زيادة
بيان في النحل ان شا الله تعالى واما ما وقعت فيه الفارة فله
حالتان حالة يكون اخرجت الفارة حية فهو طاهر وان ماتت فيه فله حالتان حالة
يكون مايعا فانه ينجس جميعه عند جمهور الفقها وجماعة العلما وقد شذ قوم
فجعلوا المايع كله كالما وحالة يكون جامدا فانه ينجس ما جاورها فتطرح وما حولها
وينتفع بما بقي وهو على طهارته لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن الفارة

تقع في السمن فتموت فقال عليه السلام ان كان جامدا فاطرحوها وما حولها
وان كان مايعا فلا تقربوه رواه ابو داود واختلف اصحابنا فيه اذا غسل فقيل لا
يطهر بالغسل لانه مايع نجس فاشبه الدم والخمر والبول وساير النجاسات وقال
ابن القاسم يطهر بالغسل لانه جسم تنجس بمجاورة النجاسة فاشبه الثوب ولا
يلزم على هذا الدم لانه نجس بعينه ولا الخمر والبول لان الغسل يستهلكهما ولا يتاتى
فيه فاذا حكمنا بطهارته بالغسل رجع الى حالته الاولى في
الطهارة وساير وجوه الانتفاع لكن لا يبيعه حتى يبين العيب لان ذلك عيب
عند الناس تاباه نفوسهم ومنهم من يعتقد تحريمه ونجاسته فلا يجوز بيعه
بحال حتى يبين العيب كساير الاشيا المعيبة واما قبل الغسل فلا يجوز بيعه
بحال لان النجاسات لا يجوز عنده بيعها ولانه مايع نجس فاشبه الخمر ولان النبي صلى الله
عليه وسلم سيل عن الخمر فقال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فبا عوها
واكلوا اثمانها والله اذا حرم شيا حرم ثمنه وهذا المايع يحرم لنجاسته فوجب
ان يحرم ثمنه كالظاهر في كيفية الغسل قال ابو عمر
اجاز بعض اصحابنا وهو عبد الله بن نافع فيما ذكر عنه غسل الباين تقع فيه الميتة
ولذلك الزيت والسمن وقد روي عن مالك ايضا مثل ذلك وهو ان يعمد الى
قمار ثلاث او اكثر فيجعل الزيت النجس في واحدها حتى يكون نصفها او نحو ذلك ثم
يصب عليه الما حتى يمتلي ثم يوخذ الزيت من على الما ثم يجعل في اخرى ويعمل به كذلك
ثم في الثالثة ويعمل به كذلك وحكيت لنا هذه الصفة في غسل الزيت النجس عن
محمد بن احمد العتبي وهو قول ليس لقايله سلف ولا تسكن اليه النفس لانه لو كان
جايزا ما خفي على المتقدمين العلما به مع انه لا يصح غسل ما لا يرى عند اولي النهى
واختلفوا اذا وقع في القدر حيوان طاير او غيره فروي عن

بن وهب عن مالك انه قال لا يوكل ما في القدر وقد تنجس بمخالطة الميتة اياه وروى بن
القاسم عنه انه قال يغسل اللحم ويراق المرق وقد سيل بن عباس عن هذه المسالة فقال
يغسل اللحم ويوكل ولا مخالف له في الصحابة ذكره بن خويز منداد

فاما انفحة الميتة ولبن الميتة فقال الشافعي ذلك نجس لعموم قوله تعالى
حرمت عليكم الميتة وقال ابو حنيفة بطهارتها ولم يجعل لموضع الخلقة اثرا في تنجس ما جاوره
مما حدث فيه خلقة قال ولذلك يوكل اللحم بما فيه من العروق مع القطع بمجاورة
الدم لداخلها من غير تطهير ولا غسل لها اجماعا وقال مالك نحو قول ابي حنيفة
ان ذلك لا ينجس بالموت ولكن ينجس بمجاورة الوعا النجس وهو مما لا ياتي فيه الغسل
وكذلك الدجاجة تخرج منها البيضة بعد موتها لان البيضة لينة في حكم المايع
قبل خروجها وانما تجمد وتصلب بالهوا قال بن خويز منداد فان قيل فقولكم يودي
الى خلاف الاجماع وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين بعده كانوا ياكلون
الجبن وكان يحمل اليهم من ارض العجم ومعلوم ان ذبايح العجم وهم مجوس ميتة
ولم يعتدوا بان يكون يجعل بانفحة ميتة او ذكي قيل له قدر ما يقع من الانفحة
في اللبن المجبن يسير واليسير من النجاسة معفو عنه اذا خالط الكثير من المايع
هذا جواب على احدى الروايتين وعلى الرواية الاخرى انما كان ذلك في اول
الاسلام ولا يمكن احدا ان ينقل ان الصحابة اكلت الجبن المحمول من ارض العجم بالفتوح
بالجبن ليس من طعام العرب فلما انتشر المسلمون في ارض العجم بالفتوح صارت
الذبايح لهم فمن اين لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة اكلت جبنا فضلا
عن ان يكون محمولا من ارض العجم ومعمولا من انفحة ذبايحهم وقال ابو عمر ولا باس
باكل طعام عبدة الاوثان والمجوس وساير من لا كتاب له من الكفار ما لم يكن
من ذبايحهم ولم يحتج الى ذكاة الا الجبن لما فيه من انفحة الميتة قلت ترجم

ان م

بن

بن ماجه في سننه الجبن والسمن حدثنا اسماعيل بن موسى السدي ثنا سيف بن
هارون عن سليمن التيمي عن ابي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال سيل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن السمن والجبن والفرا فقال الحلال ما احله الله في كتابه
والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفى عنه قلت والميتة محرمة
بالكتاب والسنه والاجماع فهي نجسه والنجاسه اذا وقعت في مايع دون الما
نجسته كان ذلك المايع قليلا او كثيرا في قول الجمهور ومعلوم ان الانفحة جز
من اجزا الميته فعلى هذا لا يوكل جبن جبن بها والله اعلم
شحم الميته ايضا حرام لانه جز منها وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد
الله انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح وهو بمكه ان الله ورسوله
حرم بيع الخمر والميته والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله ارايت شحوم الميته
فانه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال هو حرام
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله لما حرم
عليهم شحومها اجملوه ثم باعوه فاكلوا ثمنه زاد ابو داود عن بن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم وان الله اذا حرم على قوم اكل شي حرم عليهم ثمنه وهذا
اجماع من العلما وقد روي عن عطا بن ابي رباح في شحوم الميته قول لم يقل به احد من
من علما المسلمين غيره انه يدهن بها السفن مع روايته لحديث جابر فافتى بغير ما روى
وفي الترمذي عن جابر قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا
فجاه اناس من اهل البحرين فقالوا يا رسول الله انا نعمل في البحر ولنا سفينه وما دها
الى الدهن وقد وجدنا ناقه ميته كثيره الدهن الشحم وقد اردنا ان ندهن به
سفينتنا فانما هو عود وهو الماجري في البحر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بشحم الميته او قال بشي من الميته لا تنتفعوا به .

قوله

تعالى والدم اتفق العلما على ان الدم حرام نجس لا يوكل ولا ينتفع به وقال بن
خواز منداد واما الدم المحرم مالم تعم به البلوى ومعفو عما تعم به البلوي
والذى تعم البلوى هو الدم في اللحم وعروقه ويسيره في الثوب والبدن
يصلى فيه قال وانما قلنا ذلك لقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم وقال في
موضع اخر قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما
مسفوحا فحرم المسفوح من الدم وقد روت عايشه رضي الله عنها قالت كنا
نطبخ البرمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلوها الصفرة من الدم
فناكل ولا ننكره لان التحفظ من هذا اضر وفيه مشقه والاضر والمشقه في
الدين موضوع وهذا اصل في الشرع ان كلما حرجت الامه في ادا العبادة فيه
وثقل عليها سقطت العبادة عنها فيه الا ترى ان المضطر ياكل الميته وان المريض
يفطر ويتيمم في ذلك **قلت** ذكر الله عز وجل الدم هنا مطلقا وقيده في الانعام
بقوله مسفوحا وحمل العلما هنا المطلق على المقيد اجماعا فالدم هنا يراد به
المسفوح لان ما خالط اللحم فغير محرم باجماع وكذلك الكبد والطحال مجمع عليه
وفي دم الحوت المزايل له اختلاف روى عن القابسي انه طاهر ويلزم على طهارته انه
غير محرم ابن العربي قال لانه لو كان دم الحوت نجسا لشرعت ذكاته **قلت**
وهو مذهب ابي حنيفه في دم الحوت سمعت بعض الحنفيه يقول الدليل على انه
طاهر انه ييبس ابيض بخلاف ساير الدما فانه يسود وهذه النكته لهم في
الاحتجاج على الشافعيه
قوله تعالى ولحم الخنزير خص الله تعالى
ذكر اللحم من الخنزير ليدل على تحريم عينه ذكي او لم يذك وليعم الشحم وما هنالك
من الغضاريف وغيرها اجمعت الامة على تحريم شحم الخنزير وقد استدل مالك واصحابه
على من حلف ان لا ياكل شحما انه لا يحنث باكل اللحم فان حلف ان لا ياكل لحما فاكل شحما حنث

لان

لان اللحم مع الشحم يقع عليه اسم لحم فقد دخل الشحم في اسم اللحم ولا يدخل اللحم
في اسم الشحم وقد حرم لحم الخنزير فناب ذكر لحمه عن شحمه لانه دخل تحت اسم اللحم وحرم
الله على بني اسرايل الشحوم بقوله حرمنا عليهم شحومهما فلم يقع بهذا عليهم تحريم اللحم
ولم يدخل في اسم الشحم فلهذا فرق مالك بين الحالف في الشحم والحالف في اللحم الا ان
يكون للحالف نية في اللحم دون الشحم فلا يحنث والله اعلم ولا يحنث في قول الشافعي وابي
ثور واصحاب الراي اذا حلف ان لا ياكل لحما فاكل شحما وقال احمد اذا حلف ان لا ياكل لحما
فاكل شحما لا باس به الا ان يكون اراد اجتناب الدسم

لا خلاف ان جملة الخنزير محرمة الا الشعر فانه يجوز الخرازة به وقد روي ان رجلا سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخرازة بشعر الخنزير فقال لا باس بذلك ذكره ابن
خويز منداد قال ولان الخرازة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت وبعده
موجودة ظاهرة لا نعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انكرها ولا احد من الايمة
بعده وما اجازه الرسول عليه السلام فهو كابتدا الشرع منه

لا خلاف في تحريم خنزير البر وتحريم ثمنه لما روى ابو داود عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم الخمر وثمنها وحرم الميتة
وثمنها وحرم الخنزير وثمنه وفي حديث جابر انه عليه السلام قال ان الله حرم
بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام الحديث وقد تقدم وسياتي بيانه في
المايدة ان شا الله
ذهب اللغويون الى لفظة الخنزير رباعية
وحكى ابن سيده عن بعضهم انه مشتق من خزر العين لانه كذلك ينظر فاللفظة على هذا
ثلاثية وفي الصحاح وتخازر الرجل اذا ضيق جفنه ليحدد النظر والخزر ضيق
العين وصغرها رجل اخزر بين الخزر ويقال هو ان ينظر الانسان كانه ينظر بموخرها وجمع
الخنزير خنازير والخنازير ايضا علة معروفة وهي قروح صلبة تحدث في الرقبة

قوله تعالى وما اهل به لغير الله اي ذكر عليه اسم غير
الله ولا خلاف بين العلما ان ما ذبحه المجوسي لناره او وثنه لا يوكل لانه لم يسم الله ولا
يوكل ذبيحته عند مالك والشافعي وغيرهم وان لم يذبح لناره او وثنه واجازها ابن
المسيب وابو ثور اذا ذبح لمسلم بامره وسياتي لهذا مزيد بيان في المايدة ان شا الله
وقال ابن عباس وغيره المراد ما ذبح للانصاب والاوثان لا ما ذكر عليه اسم المسيح
على ما ياتي بيانه في سورة المايدة ان شا الله   قوله تعالى وما اهل
الاهلال رفع الصوت يقال اهل بكذا اي رفع صوته قال ابن احمر يصف فلاة
يهل بالفرقد ركبانها كما يهل الراكب المعتمر   وقال النابغة   او درة
صدفية غواصها بهج متى يرها يهل ويسجد   ومنه اهلال الصبي واستهلاله
وهو صياحه عند الولادة وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود
بالذبيحة وغلب ذلك في استعمالهم حتى عبر به عن النية التي هي علة التحريم الا ترى ان
ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه راعى النية في الابل التي نحرها غالب ابو الفرزدق
فقال انها مما اهل لغير الله فتركها الناس قال ابن عطية ورايت في اخبار الحسن بن ابي
الحسن انه سيل عن امراة مترفة صنعت للعبها عرسا فنحرت جزورا فقال الحسن لا يحل
اكلها فانها انما نحرت لصنم قلت ومن هذا المعنى ما رويناه عن يحيى بن يحيى التميمي
شيخ مسلم قال اخبرنا جرير بن قابوس قال ارسل ابي امراة الى عايشة رضي الله عنها
وامرها ان تقرا عليها السلام منه وتسالها اية صلاة كان اعجب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدوم عليها قالت كان يصلي قبل الظهر اربع ركعات يطيل فيهن ويحسن الركوع
والسجود فاما ما لم يدع قط صحيحا ولا مريضا ولا شاهدا ركعتين قبل صلاة الغداة
قالت امراة عند ذلك من الناس يا ام المومنين ان لنا اظيارا من العجم لا يزال يكون لهم
عيد فيهدون لنا منه افناكل منه شيا قالت اما ما ذبح لذلك اليوم فلا تاكلوا ولكن

كلوا

عاشر
سادس

فلوا من اسجارهم لمن اضطر قرى بضم النون للاتباع
وبالكسر وهو الاصل لالتقا الساكنين وفيه اضمار اي لمن اضطر الى شي من هذه
المحرمات اي احوج اليها فهو افتعل من الضرورة وقرا ابن محيصن لمن اضطر بادغام
الضاد في الطا وابو السمال لمن اضطر بكسر الطا واصله اضطرر فلما
ادغمت نقلت حركة الرا الى الطا الاضطرار
لا يخلو ان يكون باكراه من ظالم او بجوع في مخمصة والذي عليه الجمهور
من الفقها والعلما في معنى الاية هو من صيره العدم والغرث وهو الجوع
الى ذلك وهو الصحيح وقيل معناه اكره وغلب على اكل هذه المحرمات
قال مجاهد يعني اكره عليه كالرجل ياخذه العدو ويكرهه على اكل لحم الخنزير
وغيره من معصية الله تعالى الا ان الاكراه يبيح ذلك له الى اخر الاكراه واما
المخمصة فلا يخلو ان يكون دايمة او لا فان كانت دايمة فلا خلاف في
جواز الشبع من الميتة الا انه لا يحل له اكلها وهو يجد مال مسلم لا يخاف
فيه قطعا كالتمر المعلق وحريسة الجبل ونحو ذلك مما لا قطع فيه ولا اذى
وهذا مما لا اختلاف فيه لحديث ابي هريرة قال بينا نحن مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سفر اذ راينا ابلا مصرورة بعضاه الشجر فثبنا اليها فنادانا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا اليه فقال ان هذه الابل لاهل بيت من
المسلمين هو قوتهم ويمنهم بعد الله ايسركم لو رجعتم الى مزاودكم فو جدتم
ما فيها قد ذهب به اترون ذلك عدلا قالوا لا قال فان هذا كذلك
قلنا افرايت ان احتجنا الى الطعام والشراب قال فكل ولا تحمل واشرب
ولا تحمل خرجه ابن ماجه في سننه وقال هذا الاصل عندي وذكره ابن المنذر
قال قلنا يا رسول الله ما يحل لاحدنا من مال اخيه اذا اضطر اليه قال

يا دل ولا اجل ليشرب ولا احمل قال بن المنذر وذلك مختلف فيه بعد ذلك
لمرد وذا في تحريم الاموال قال ابو عمر وجمله القول في ذلك ان المسلم اذا
تعين عليه رد رمق مهجه المسلم وتوجه الفرض في ذلك بان لا يكون هناك غيره
قضى عليه بترميق تلك المهجه الادميه وكان للممنوع منه ماله من ذلك
محاربه من منعه ومقاتلته وان اتا ذلك على نفسه وذلك عند اهل العلم
اذا لم يكن هناك الا واحد لا غير فحينئذ يتعين عليه الفرض فان كانوا كثيره
او جماعه وعدا كان ذلك عليهم ذلك فرضا على الكفايه والما في ذلك وغيره مما يرد
نفس المسلم ومهجتها سوا الا انهم اختلفوا في قيمه ذلك الشي على الذي
ردت به مهجته ورمق به نفسه فاوجبها موجبون واباحها اخرون **قلت**
وفي مذهبنا القولان جميعا ولا خلاف بين اهل العلم متاخرهم ومتقدميهم
في وجوب رد مهجه المسلم عند خوف الذهاب والتلف بالشي اليسير الذي
لا مضره فيه على صاحبه وفيه البلغه خرج بن ماجه
في سننه قال حدثنا ابو بكر بن ابي شيبه قال ثنا شبابه ح وثنا محمد بن
بشار ومحمد بن الوليد قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبه عن ابي بشر جعفر
بن اياس قال سمعت عباد بن شرحبيل رجلا من بني غبر قال اصابتنا عام
مخمصه فاتيت المدينه فاتيت حايطا من حيطانها فاخذت سنبلا ففركته
فاكلته وجعلته في كسايي فجا صاحب الحايط فضربني واخذ ثوبي فاتيت
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال للرجل ما اطعمته اذ كان جايعا او ساغبا
ولا علمته اذ كان جاهلا فامر النبي صلى الله عليه وسلم فرد اليه ثوبه له بوسق
من طعام او نصف وسق **قلت** هذا حديث صحيح اتفق على رجاله البخاري
ومسلم الا ابن ابي شيبه فانه لمسلم وحده وعباد بن بشر الغبري اليشكري

لم يخرج

لم يخرج له البخاري ومسلم شيا وليس له عن النبي صلى الله وسلم غير هذه القصه
فيما ذكر ابو عمر رحمه الله وهو ينفي القطع والادب في المخمصه وقد روى
ابو داود عن الحسن عن سمرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اتى احدكم
على ماشيه فان كان فيها صاحبها فليستاذنه فان اذن له والا فليحتلب وليشرب
وان لم يكن فيها فليصوت ثلاثا فان اجاب فليستاذنه فان اذن والا فليحتلب
وليشرب ولا يحمل وذكر الترمذي عن يحيى بن سليم عن عبد الله بن نافع عن ابن عمر
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من دخل حايطا فلياكل ولا يتخذ خبنه قال هذا حديث
غريب لا نعرفه الا من حديث يحيى بن سليم وذكر من حديث عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن التمر المعلق فقال من اصاب
منه من ذي حاجه غير متخذ خبنه فلا شي عليه قال فيه حديث حسن وفي حديث
عمر رضي الله عنه اذا مر احدكم بالحايط فلياكل منه ولا يتخذ ثبانا قال ابو عبيد
قال ابو عمرو هو الوعا الذي يحمل فيه الشي فان حملته بين يديك فهو الثبان
يقال قد تثبنت ثبانا فان حملته على ظهرك فان حملته في حضنك فهو خبنه
ومنه حديث عمرو بن شعيب المرفوع ولا يتخذ خبنه يقال منه خبنت
اخبن خبنا قال ابو عبيد وانما توجه هذا الحديث انه رخص فيه للجايع المضطر
الذي لا شي معه يشتري به الا يحمل الا ما كان ببطنه قدر قوته **قلت**
لان الاصل المتفق عليه تحريم مال الغير الا بطيب نفس منه فان كانت
هناك عادة بعمل ذلك كما كان في اول الاسلام او كما هو الان في بعض
البلدان فذلك جايز ويحمل ذلك على اوقات المجاعه والضرورة كما تقدم والله اعلم
وان كان الثاني وهو النادر في وقت من الاوقات
فاختلف العلما فيها على قولين احدهما انه ياكل حتى يشبع ويتضلع ويتزود اذا خشي

الضرورة فيما بين يديه من مفازة وفقر فاذا وجد عنها غنى طرحها قال
معناه مالك في موطيه وبه قال الشافعي وكثير من العلما والحجة لذلك
ان الضرورة ترفع التحريم فيعود مباحا ومقدار الضرورة من حالة عدم
القوت الى حالة وجوده وحديث العنبر نص في ذلك فان اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم لما رجعوا من سفرهم وقد ذهب عنهم الزاد انطلقوا على
ساحل البحر فرفع لهم على ساحله كهيئة الكثيب الضخم فلما اتوه اذا هي دابة تدعى
العنبر فقال ابو عبيدة اميرهم ميتة ثم قال لا نحن رسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا قال فاقمنا شهرا ونحن
ثلاث مائة حتى سمنا الحديث فاكلوا وشبعوا رضوان الله عليهم مما اعتقد
وانه ميتة وتزودوا منها الى المدينة وذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فاخبرهم صلى الله عليه وسلم انه حلال وقال هل معكم من لحمه شي فتطعمونا فارسلوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكله وقالت طايفة ياكل بقدر سد الرمق
وبه قال ابن الماجشون وابن حبيب وفرق اصحاب الشافعي بين حالة المقيم والمسافر
فقالوا المقيم ياكل بقدر ما يسد الرمق والمسافر يتضلع ويتزود فاذا وجد
عنها غنى طرحها وان وجد مضطرا اعطاه اياها ولا ياخذ منه عوضا فان
الميتة لا يجوز بيعها   فان اضطر الى الخمر فان كان باكراه شرب
بلا خلاف وان كان بجوع او عطش فلا يشرب وبه قال مالك في العتبية قال
ولا يزيده الخمر الا عطشا وهو قول الشافعي فان الله حرم الخمر تحريما مطلقا
وحرم الميتة بشرط عدم الضرورة وقال الابهري ان رد الخمر عنه جوعا او عطشا
شربها لان الله تعالى قال في الخنزير انه رجس ثم اباحه للضرورة وقال في الخمر انها
رجس فدخل في اباحة ضرورة الخنزير بالمعنى الجلي الذي هو اقوى من القياس

ولابد

ولابد ان تروى ولو ساعه وترد الجوع ولو مدة

روى اصبغ عن ابن القاسم انه قال يشرب المضطر الدم ولا يشرب الخمر ويا كل الميته ولا يقرب ضوال الابل وقاله بن وهب وليشرب البول ولا يشرب الخمر لان الخمر يلزم فيها فهي اغلظ نص عليه اصحاب الشافعي فان غص بلقمة فهل يسيغها بحرام لا فقيل لا مخافه ان يدعى واجاز ذلك بن حبيب لانها حال ضرورة

بن العربي اما الغاص بلقمه فانه يجوز له فيما بينه الله تعالى واما فيما بيننا فان شاهدنا فلا يخفى علينا بقراين الحال صورة الغصص من غيرها فيصدق اذا ظهر ذلك وان لم يظهر حددناه وسلم من العقوبه عند الله باطنا

اذا وجد المضطر ميته وخنزيرا ولحم بن ادم اكل الميته لانها حلال في حال والخنزير وبن ادم لا يحل بحال والتحريم المخفف اولى ان يقتحم من التحريم المثقل كما لو اكره ان يطا اخته او اجنبيه وطي الاجنبيه لانها تحل له بحال هذا هو الضابط لهذه الاحكام ولا ياكل بن ادم ولو مات قاله علماونا وبه قال احمد وداود واحتج احمد بقوله عليه السلام كسر عظم الميت ككسره حيا وقال الشافعي ياكل لحم بن ادم ولا يجوز له ان يقتل ذميا لانه محترم الدم ولا مسلما ولا اسيرا لانه مال الغير فان كان حربيا او زانيا محصنا جاز قتله والاكل منه وشنع داود على المزني بان قال قد ابحت اكل لحوم الانبيا فغلب عليه بن سريج بان قال فانت قد تعرضت لقتل الانبيا اذ منعتهم من اكل الكافر قال بن العربي الصحيح عندي ان لا ياكل الادمي الا اذا تحقق ان ذلك ينجيه ويحييه والله اعلم

روى ابو داود قال ثنا موسى بن اسمعيل قال ثنا حماد عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة ان رجلا نزل الحرة ومعه اهله وولده فقال رجل ان ناقة لي ضلت فان وجدتها فامسكها فوجدها فلم يجد

صاحبها فرضت فقالت المراة انحرها فابى فنفقت فقالت اسلخها حتى نقدد لحمها وشحمها
وناكله فقال حتى اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه فساله هل عندك غنى
يغنيك قال لا قال فكلوها فاخبره فقال هلا كنت نحرتها فقال استحييت منك
قال بن خويزمنداد ففي هذا الحديث دليلان احدهما ان المضطر ياكل من الميته وان
لم يخف التلف لانه ساله عن الغنى ولم يساله عن خوفه على نفسه والثاني ياكل ويشبع
ويدخر ويتزود لانه اباحه الادخار ولم يشترط عليه ان لا يشبع قال ابو داود وحدثنا
هارون بن عبد الله قال ثنا الفضل بن دكين قال ثنا عقبه بن وهب بن عقبه العامري
قال سمعت ابي يحدث عن الفجيع العامري انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما يحل لنا من الميته قال ما طعامكم قلنا نغتبق ونصطبح قال ابو نعيم فسره لي
قدح غدوه وقدح عشيه قال ذاك واى الجوع قال فاحل لهم الميته على هذه الحال
قال ابو داود الغبوق من اخر النهار والصبوح من اول النهار وقال الخطابي
الغبوق العشا والصبوح الغدا والقدح من اللبن بالغداه والقدح بالعشي
يمسك الرمق ويقيم النفس وان كان لا يغذو البدن ولا يشبع الشبع التام
وقد اباح لهم مع ذلك تناول الميته فكان دلالته ان تناول الميته مباح الى
ان تاخذ النفس حاجتها من القوت والى هذا ذهب مالك وهو احد قولي
الشافعي قال بن خويزمنداد اذا جاز ان يصطبحوا ويغتبقوا جاز ان يشبعوا ويتزودوا
وقال ابو حنيفه والشافعي في القول الاخر لا يجوز ان يتناول من الميته الا قدر
ما يمسك رمقه واليه ذهب المزني قالوا لانه لو كان في الابتدا بهذا الحال
لم يجز له ان ياكل منها شيا فكذلك اذا بلغها بعد تناولها وروي نحوه عن الحسن
وقال قتادة لا يتضلع منها بشي وقال مقاتل بن حيان لا يزداد على ثلاث لقم
والصحيح خلاف هذا كما تقدم واما التداوي بها فلا

يخلوا

نحو ان يحتاج الى استعمالها قايمة العين او محرقة فان تغيرت بالاحتراق فقال ابن حبيب
يجوز التداوي بها والصلاة وحققه ابن الماجشون بنا على ان الحرق تطهير لتغيير الصفات
وفي العتبية لعتبية من رواية ملك في المرتد يمنع من طعام الميتة اذا وضعه في جرحه عظام
لا يصلي به حتى يغسله وان كانت الميتة قايمة بعينها فقد قال سحنون لا يتداوى بها
بحال ولا بالخنزير لان منه عوضا حلالا بخلاف المجاعة لم تو هلك لذلك الخمر لا يتداوى
بها قاله ملك وهو ظاهر مذهب الشافعي وهو اختيار ابن ابي هريرة من اصحابه وقال ل
ابو حنيفة يجوز شربها للتداوي دون العطش وهو اختيار القاضي الطبري
من اصحاب الشافعي وهو قول الترمذي وقال بعض البغداديين من الشافعية
يجوز شربها للعطش دون التداوي لان ضرر العطش عاجل بخلاف التداوي وقيل
يجوز شربها للامرين جميعا ومنع بعض اصحاب الشافعي التداوي بكل محرم الا بابوال ل
الابل خاصة لحديث العرنيين ومنع بعضهم التداوي بكل محرم لقوله عليه السلام
ان الله لم يجعل دوا امتي فيما حرم عليهم ولقوله عليه السلام في الخمر انه ليس
بدوا ولكنه دا وهذا يحتمل ان يقيد بحالة الاضطرار فانه يجوز التداوي
بالسم ولا يجوز شربه والله اعلم قوله تعالى
غير باغ غير نصب على الحال وقيل على الاستثنا واذا رايت غير يصلح
في موضعها في فهي حال واذا صلح موضعها الا فهي استثنا فقس عليه
وباغ اصله باغي ثقلت الضمة على اليا فسكنت والتنوين ساكن فحذفت
اليا والكسرة تدل عليها والمعنى فيما قال قتادة والحسن والربيع وابن
زيد وعكرمة غير باغ في اكله فوق حاجته ولا عاد بان يجد عن هذه المحرمات ت
مندوحة ويا كلها وقال السدي غير باغ في اكلها شهوة وتلذذا ولا عاد
باستيفا الاكل الى حد الشبع وقال مجاهد وابن جبير وغيرهما المعنى

غير باغ على المسلمين وعاد عليهم فيدخل في الباغي والعادي قطاع الطريق والخا
رج على السلطان والمسافر في قطع الرحم والغارة على المسلمين وما شاكله وهذا
صحيح فان اصل البغي في اللغة الفساد يقال بغت المراة تبغي بغا اذا فجرت
قال الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغا وربما استعمل البغي في غير الفساد
والعرب تقول خرج الرجل في بغا ابل له اي في طلبها ومنه قول الشاعر
لا يمنعنك من بغا الخير تعداد التمايم ان الاشايم كالايامن والايامن
كالاشايم قوله تعالى ولا عاد اصل عاد عايد
فهو من المقلوب كشاكي السلاح وهار ولات والاصل شايك وهاير
ولايت من لثت العمامه فاباح الله تعالى في حال الاضطرار اكل جميع
المحرمات لعجزه عن جميع المباحات كما بينا فصار عدم الماكول شرطا في
استباحة المحرم واختلف العلما اذا اقترن بضرورته معصية بقطع طريق
واخافة سبيل فحظرها عليه مالك والشافعي في احد قوليه لاجل معصيته لان
الله سبحانه اباح ذلك عونا والمعاصي لا تحل ان تعان فان اراد الاكل
فليتب وليأكل واباحها له ابو حنيفة والشافعي في القول الاخر له وسويا
في استباحته بين طاعته ومعصيته ابن العربي وعجبا ممن يبيح له ذلك مع التما
دي على المعصية وما اظن احدا يقوله فان قاله فهو مخطي قطعا قلت
هذا الحامل والصحيح خلاف هذا فان اتلاف المرء نفسه في سفر المعصية اشد
معصية مما هو فيه قال الله تعالى ولا تقتلوا انفسكم وهذا عام ولعله
يتوب في ثاني حال فتمحو التوبة عنه ما كان وقد قال مسروق من اضطر
الى اكل الميتة والدم ولحم الخنزير فلم ياكل حتى مات دخل النار الا ان يعفو
الله عنه قال ابو الحسن الطبري المعروف بالكيا في احكامه وليس اكل الميتة

عند

عند الضرورة رخصة بل هو عزيمة واجبة ولو امتنع من اكل الميتة كان عاصيا
وليس الميتة من رخص السفر او متعلقا بالسفر بل هو من نتائج الضرورة سفرا
وحضرا وهذا كالافطار للعاصي المقيم اذا كان مريضا وكالتيمم للعاصي المسافر
عند عدم الماء قال وهو الصحيح عندنا **قلت** واختلفت الروايات
عن مالك في ذلك فالمشهور من مذهبه فيما ذكر الباجي في المنتقى انه يجوز له
الاكل في سفر المعصية ولا يجوز له القصر والفطر وقال ابن خويز منداد
فاما الاكل عند الاضطرار فالطائع والعاصي فيه سوا لان الميتة يجوز
تناولها في السفر والحضر وليس بخروج الخارج الى المعاصي يسقط عنه حكم
المقيم بل اسوا حاله ان يكون مقيما وليس كذلك القصر والفطر لانهما رخصتان
متعلقتان بالسفر فمتى كان السفر سفر معصية لم يجز ان يقصر فيه لان هذه
الرخصة تختص بالسفر ولذلك قلنا انه يتيمم اذا عدم الما في سفر المعصية
لان التيمم في السفر والحضر سوا وكيف يجوز منعه من اكل الميتة والتيمم لاجل
معصية ارتكبها وفي ترك الاكل تلف نفسه وتلك اكبر المعاصي وفي تركه
التيمم اضاعة الصلاة ايجوز ان يقال له ارتكب معصية فارتكبت اخرى ايجوز
ان يقال للشارب الخمر ازن وللزاني اهزا ويقال ضيعا الصلاة ذكر هذا كله
في احكام القران له ولم يذكر خلافا عن مالك ولا عن احد من اصحابه وقال
الباجي وروى زياد بن عبد الرحمن الاندلسي ان العاصي بسفره يقصر الصلاة
ويفطر في رمضان فسوى بين ذلك كله وهو قول ابي حنيفة ولا خلاف انه
لا يجوز قتل نفسه بالامساك عن الاكل وانه مامور بالاكل على وجه الوجوب
ومن كان في سفر معصية لا يسقط عنه الفروض والواجبات من الصيام
والصلاة بل يلزمه الاتيان بها فكذلك ما ذكرناه ووجه القول الاول ان

هذه المعاني انما ابيحت في الاسفار لحاجه الناس فلا يباح له ان يستعين بها
علي المعاصي وله سبيل الي ان لا يقتل نفسه قال بن حبيب وذلك بان يتوب
ثم يتناول لحم الميته بعد توبته وتعلق بن حبيب في ذلك بقوله فمن اضطر
غير باغ ولا عاد فاشترط في اباحه الميته للضروره ان لا يكون باغيا والمسافر
علي وجه الحرابه او في قطع رحم او طالب اثم باغ ومعتد فلم يوجد فيه
شرط الاباحه والله اعلم **قلت** هذا استدلال بمفهوم الخطاب وهو
مختلف فيه بين الاصوليين ومنظوم الايه ان المضطر غير باغ ولا عاد
لا اثم عليه وغيره مسكوت عنه والاصل عموم الخطاب فمن ادعي
زواله لامر ما فعليه الدليل قوله تعالى ان الله غفور رحيم اي يغفر
المعاصي فاولي ان يواخذ بما رخص فيه ومن رحمته انه رخص تعالى
ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اوليك ما ياكلون
في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمه ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم
فيه ثلاث مسايل قوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب
يعني علما اليهود كتموا ما انزل الله في التوريه من صفه محمد صلي الله عليه وسلم
وصحه رسالته ومعني انزل اظهر كما قال الله تعالى ومن قال سانزل مثل ما
انزل الله اي ساظهر وقيل هو علي بابه من النزول اي ما انزل به ملايكته علي
رسله ويشترون به اي بالمكتوم ثمنا قليلا يعني اخذ الرشا وسماه قليلا
لانقطاع مدته وسو عاقبته وقيل لان ما كانوا ياخذونه من الرشا كان قليلا
قلت وهذه الايه وان كانت في الاخبار فانها تتناول من المسلمين من كتم
الحق مختارا لذلك بسبب دنيا يصيبها وقد تقدم هذا المعني والله اعلم
قوله تعالى اوليك ما ياكلون في بطونهم الا النار ذكر البطون زياده

وتاكيدا

وتاكيدا على حقيقه الاكل اذ قد تستعمل مجازا في مثل اكل فلان ارضي دعوه وفي
ذكر البطون ايضا تنبيه على جشعهم وانهم باعوا اخرتهم بحظهم من المطعم الذي
لا خطر له ومعنى الا النار انه حرام يعذبهم الله عليه بالنار فسموا ما اكلوه من
الرشا نارا لانه يؤديهم الى النار هكذا قال اكثر المفسرين وقيل انه يعاقبهم على
كتمانهم باكل النار في جهنم حقيقه فاخبر عن المال بالحال كما قال ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا اي ان عاقبته تؤول الى ذلك ومنه
قولهم لدوا للموت وابنوا للخراب قال فللموت ما تلد الوالدة
وقال اخر ودور نا لخراب الدهر نبنيها وهو في القران والشعر كثير
قوله تعالى ولا يكلمهم الله عبارة عن الغضب عليهم وازالة
الرضى عنهم يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه وقال الطبري المعنى
ولا يكلمهم بما يحبونه وفي التنزيل اخسوا فيها ولا تكلمون وقيل المعنى ولا
يرسل اليهم الملايكه بالتحيه ولا يزكيهم اي لا يصلح اعمالهم الخبيثه فيطهرهم وقال
الزجاج لا يثني عليهم خيرا ولا يسميهم ازكيا ولهم عذاب اليم اي مولم
موجع وقد تقدم وفي صحيح مسلم عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاثه لا يكلمهم الله يوم القيمه ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم ولهم
عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعايل مستكبر وانما خص هولا بالاليم
العقوبه وشديد العذاب لمحض المعانده والاستخفاف الحامل لهم على تلك المعاصي
اذ لم يحملهم على ذلك حاجة ولا دعتهم اليه ضروره كما تدعوا من لم يكن مثلهم ومثلهم
الذي كتموا ما انزل الله لم تدعهم الى ذلك حاجه وانما خافوا ان يذهب رياستهم
وما لهم فبدلوا وغيروا وذلك استخفاف منهم بدينهم وبما انزل في كتابهم
ضل سعيهم وخاب عملهم اوليك الذين اشتروا الضلاله بالهدى والعذاب

بالمغفرة فلما ولما كان العذاب تابعًا للضلالة وكانت المغفرة تابعة للهدى كان

دخلا في حيز الشراء قال تقدم بيانه ثم قال اصبرهم على النار مذهب الجمهور

منهم الحسن ومجاهد ان ما معناه التعجب وهو مردود الى المخلوقين كانه قال اعجبوا

من صبرهم على النار ومكثهم فيها وفي التنزيل قتل الانسان ما اكفره واسمع بهم وابصر

وبهذا المعنى صدرا ابو علي قال الحسن وقتاده والربيع وبن جبير ما لهم والله عليها

والله من صبر ولكن ما اجراهم على النار وهي لغة يمنية معروفة قال الفرا الخبرني الكسائي

قال اخبرني قاضي اليمن ان خصمين اختصما اليه فوجبت اليمين على احدهما الحلف فقال له

صاحبه ما اصبرك على الله اي ما اجراك عليه والمعنى ما اشجعهم على النار اذ يعملون

عملا يودي اليها وحكى الزجاج ان المعنى ما ابقاهم على النار من قولهم ما اصبر فلانا

على الحبس اي ما ابقاه فيه وقيل المعنى فما اقل جزعهم من النار فجعل قلة الجزع صبرا وقال

الكسائي وقطرب اي ما ادومهم على عمل اهل النار وقيل ما استفهام معناه التوبيخ قاله

بن عباس والسدي وعطا وابو عبيدة معمر بن المثنى ومعناه اي شي صبرهم على عمل

اهل النار وقيل هذا على وجه الاستهانة بهم والاستخفاف بامرهم ذلك بان الله

نزل الكتاب بالحق ذلك في موضع رفع وهو اشارة الى الحكم كانه قال ذلك الحكم

بالنار وقال الزجاج تقديره الامر ذلك او ذلك الامر او ذلك العذاب لهم قال

الاخفش وخبر ذلك مضمر معناه ذلك معلوم لهم وقيل محله نصب معناه فعلنا

ذلك بهم بان الله نزل الكتاب يعني القران في هذا الموضع بالحق اي بالصدق وقيل

بالحجة وان الذين اختلفوا في الكتاب يعني التورية فادعى النصارى ان فيها صفة عيسى

وانكرهم اليهود صفته وقيل خالفوا اباهم وسلفهم في التمسك بها وقيل

خالفوا ما في التورية من صفة محمد صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيها وقيل المراد

القران والذين اختلفوا اهل قريش يقول بعضهم هو سحر وبعضهم يقول اساطير

وبعضهم

وبعضهم مفتري الى غير ذلك وقد تقدم القول في معنى الشقاق والحمد لله وحده

تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله

واليوم الاخر والملايكه والكتاب والنبيين واتا المال على حبه ذوي القربى واليتامى

والمساكين وابن السبيل والسايلين وفي الرقاب واقام الصلاه واتا الزكاه والموفون

بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في الباسا والضرا وحين الباس اوليك الذين صدقوا وا م

واوليك هم المتقون فيه تسع مسايل قوله تعالى ليس البر ان

تولوا وجوهكم اختلف من المراد بهذا الخطاب فقال قتاده ذكر لنا ان رجلا

سال النبي صلى الله عليه وسلم عن البر فانزل الله تعالى هذه الايه قال وقد

كان الرجل قبل الفرايض اذا شهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم

مات على ذلك وجبت له الجنه فانزل الله هذه الايه وقال الربيع وقتاده ايضا

الخطاب لليهود والنصارى لانهم اختلفوا في التوجه والتولي فاليهود الى

المغرب وقبل بيت المقدس والنصارى الى المشرق مطلع الشمس وتكلموا في تحويل

القبله وفضلت كل فرقه توليتها فقيل لهم ليس البر ما انتم عليه ولكن البر من

امن الايه قرا حمزه وحفص البر بالنصب لان ليس من اخوات كان

يقع بعدها المعرفتان فتجعل ايهما شيت الخبر والاسم فلما وقع بعد ليس البر

نصبه على الخبر وجعل ان تولوا الاسم وكان المصدر اولى بان يكون اسما

لانه لا يتنكر والبر قد يتنكر والفعل اقوى في التعريف وقرا الباقون

البر بالرفع على انه اسم ليس وخبره ان تولوا تقديره ليس البر توليتكم وجوهكم

وعلى الاول ليس توليتكم وجوهكم البر كقوله ما كان حجتهم الا ان قالوا وقوله

ثم كان عاقبه الذين اساوا السوا ان كذبوا وقوله فكان عاقبتهما انهما في النار

وما كان مثله ويقوي قراه الرفع ان الثاني معه البا اجماعا في قوله وليس البر بان

تاتوا البيوت من ظهورها والايجوز فية الرفع لجمع الاول على الثاني اولى من مخالفته
له ولذلك هو في مصحف ابي بالباليس البر ان تولوا ولذلك في مصحف بن مسعود
ايضا وعليه اكثر القرا والقراتان حسنتان قوله ولكن البر من امن بالله
البر هنا اسم جامع للخير والتقدير ولكن البر بر من امن فحذف المضاف كقوله تعالى
وسل القرية وقوله واشربوا في قلوبهم قاله الفرا وقطرب والزجاج وقال الشاعر
فانما هي اقبال وادبار اي ذات اقبال وذات ادبار وقال النابغة
وكيف تواصل من اصبحت خلالته كابي مرحب اي كخلاله ابي مرحب فحذف
وقيل المعنى ولكن ذو البر لقوله تعالى هم درجات عند الله اي ذو درجات وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وفرضت الفرايض وصرفت القبله
الى الكعبة وحدت الحدود انزل الله تعالى هذه الايه فقال ليس البر كله ان تصلوا
ولا تعملوا غير ذلك ولكن البر اي ذو البر من امن بالله الى اخرها قاله بن عباس
ومجاهد وعطا والضحاك وسفين والزجاج ايضا ويجوز ان يكون البر بمعنى البار
والبر والفاعل قد يسمى بالمصدر كما يقال رجل عدل وصوم وفطر وفي التنزيل
ان اصبح ماوكم غورا اي غايرا وهذا اختيار ابي عبيدة وقال المبرد لو كنت ممن
يقرا القران لقرات ولكن البر بفتح البا قوله تعالى واتى المال على
حبه استدل به من قال ان في المال حقا سوى الزكاة وبها كمال البر وقيل المراد
الزكاة المفروضه والاول اصح لما خرجه الدارقطني عن فاطمه بنت قيس
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في المال حقا سوى الزكاة ثم تلى
هذه الايه ليس البر ان تولوا وجوهكم الى اخر الايه واخرجه بن ماجه في سننه
والترمذي في جامعه وقال هذا حديث ليس اسناده بذلك وابو حمزه
ميمون الاعور يضعف وروى بيان واسمعيل بن سالم عن الشعبي هذا الحديث

بذاك

قوله وهو اصح **قلت** وان كان فيه مقال فقد دل على صحة ما في الاية نفسها
من قوله تعالى واقام الصلاة واتا الزكاة فذكر الزكاة مع الصلاة وذلك دليل
على المراد بقوله واتا المال على حبه ليس الزكاة المفروضة فان ذلك يكون تكرارا والله
اعلم واتفق العلما على انه اذا نزلت بالمسلمين حاجه بعد ادا الزكاة فانه يجب
صرف المال اليها قال مالك يجب على الناس فدا اسراهم وان استغرق ذلك اموالهم
وهذا اجماع ايضا وهو يقوي ما اخترناه الاله   قوله تعالى على
حبه الضمير في حبه اختلف في عوده فقيل على المعطي للمال وحذف المفعول
وهو المال ويجوز نصب ذوي القربى بالحب فيكون التقدير على حب المعطي
ذوي القربى وقيل يعود على المال فيكون المصدر مضافا الى المفعول قال ابن
عطيه ويجي قوله على حبه اعتراضا بليغا اثنا القول **قلت** ونظيره قوله
الحق ويطعمون الطعام على حبه مسكينا فانه جمع المتعينين الاعتراض واضافه
المصدر الى المفعول اي على حب الطعام ومن الاعتراض قوله الحق ومن يعمل من
الصالحات وهو مومن فاوليك وهذا عندهم يسمى التتم وهو نوع من البلاغه
ويسمى ايضا الاحتراس والاحتياط فتمم بقوله على حبه وقوله وهو مومن ومنه
قول زهير   من يلق يوما على علاته هرما يلق السماحه منه والندا خلقا وقال   ل
امرؤ القيس   على هيكل يعطيك قبل سواله افانين جري غير كز ولا وان
فقوله على علاته قبل سواله تتميم جنس ومنه قول عنتره   اثني على بما علمت
فانني سهل مخالقتي اذا لم اظلم فقوله اذا لم اظلم تتميم جنس   وقال طرفه
فسقا ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمه تهمي   وقال الربيع بن
ضبع الفزاري   فنيت وما يفني صنيعي ومنطقي وكل امري الا الاحاديث
فان   فقوله غير مفسدها والا الاحاديث تتميم واحتراس وقال ابو

هتان   فافنى الردى رواحنا غير ظالم وافنى الندا اموالنا غير عايب
فقوله غير ظالم وغير غايب تتميم واحتياط وهو في الشعر كثير وقيل
يعود على الايتا لان الفعل يدل على مصدره وهو كقوله ولا يحسبن
الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم اي البخل خيرا لهم فاذا اصاب
الناس حاجه وفاقه فايتا المال حبيب اليهم وقيل يعود على اسم الله تعالى
في قوله من امن بالله والمعنى المقصود ان يتصدق المرء في هذه الوجوه وهو
صحيح شحيح يخشى الفقر ويامل البقا ويروى الغنا   قوله تعالى
والموفون بعهدهم اذا عاهدوا اي فيما بينهم وبين الله تعالى وفيما بينهم وبين
الناس والصابرين في الباسا والضرا الباسا الشده والفقر والضرا المرض
والزمانه قاله القتبي وغيره وهما اسمان بنيا على فعلا ولا فعل لهما لانهما
اسما وليسا بنعت وحين الباس اي وقت الحرب وقال القتبي الباس يعني
الشده ومنه يقال لا باس عليك اي لا شده عليك ولهذا سمي الحرب
الباس   يقال كيف قال والصابرين ولم يقل والصابرون
عطفا على والموفون قبله والموفون هو عطفا على من لان من با موضع جمع
ومحل رفع فانه قال ولكن البر المومنون قاله الفرا والاخفش والصابرين نصب
على المدح او باضمار فعل والعرب تنصب على المدح وعلى الذم فانهم يريدون
بذلك افراد الممدوح والمذموم ولا يتبعونه اول الكلام وينصبونه فاما
المدح فقوله والمقيمين الصلاه   وانشد الكسايي   وكل قوم اطاعوا
امر مرشدهم الا نميرا اطاعت امر غاويها   الظاعنين ولما يظعنوا احدا
والقايلين لمن دار نخليها   وانشد ابو عبيده   لا يبعدن قومي الذين هموا
سم العداة وافة الجزر   النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر

وقال اخر

وقال اخر عن بني ضبه اصحاب الجمل فنصب على المدح واما الذم فقوله ملعونين
اينما ثقفوا الايه   وقال عروه بن الورد   سقوني الخمر ثم تكنفوني عداه
الله من كذب وزور   وهذا سهيع في النعوت لا مطعن فيه من جهه الاعراب
موجود في كلام العرب كما بينا وقال بعض من تعسف في كلامه ان هذا غلط
الكاتب حين كتبوا مصحف الامام قال والدليل على ذلك ما روي عن عثمان انه
نظر في المصحف فقال ان فيه لحنا وستقيمه العرب بالسنتها وهكذا في
سورة النسا والمقيمين الصلاه وفي سوره المايده والصابيون والجواب عند
اهل العلم ما ذكرناه ولله الحمد وقيل الموفون رفع على الابتدا والخبر محذوف
تقديره وهم الموفون وقال الكسائي والصابرين عطف على ذوي القربى
كانه قال والصابرين الخاسرين وهذا القول خطا وغلط لانك اذا نصبت
الصابرين ونسقته على ذوي القربى دخل في صله من واذا رفعت والموفون
على انه نسق على من فقد نسقت على من قبل ان تتم الصله وفرقت بين الصله
والموصول بالمعطوف قال الكسائي وفي قراه عبد الله والموفين والصابرين
الخاسرين يكونان منسوقين على ذوي القربى او على المدح قال الفرا وفي قراه عبد
الله في النسا والمقيمين الصلاه والموتين الزكاه وقرا يعقوب والاعمش والموفون
والصابرون بالرفع فيهما وقرا الجحدري بعهودهم وقد قيل ان والموفون
عطفا على الضمير الذي في امن وانكره ابو علي وقال ليس المعنى عليه اذ ليس
المراد ان البر بر من امن بالله هو والموفون اي امنا جميعا كما يقول الشجاع
من اقدم هو وعمرو وانما الذي بعد من امن تعداد لافعال من امن واو   ما فهم
قال علماونا رحمه الله عليهم على هذه ايه عظيمه من امهات
الاحكام لانها تضمنت ست عشره قاعده الايمان بالله وباسمايه و

وقد اتينا عليها في الكتاب الاسنى والنشر والحشر والميزان والصراط والحوض
والشفاعة والجنة والنار وقد اتينا عليها في كتاب التذكرة والملايكة وان
منهم قياما وركوعا وسجودا وخزنة نار وجنة وحملة عرش وحفظة كاتبين
الي غير ذلك حسب ما ورد في التنزيل والسنة والكتب المنزلة وانها حق من
عند الله كما تقدم والنبيين وانفاق المال فيما يعن من الواجبات والمندوبات
وايصال القرابة وترك قطعهم وتفقد اليتيم وعدم اهماله والمساكين كذلك
ومراعات ابن السبيل قيل المنقطع به وقيل الضيف والسوال وفك الرقاب
وسياتي بيان هذا في اية الصدقات والمحافظة على الصلوات وايتا الزكاة والوفا
بالعهود والصبر في الشدايد وكل قاعدة من هذه القواعد تحتاج الي كتاب وتقدم
التنبيه على اكثرها وياتي بيانها في موضعها ان شا الله تعالي واختلف هل
يعطى اليتيم من صدقة التطوع بمجرد اليتم على وجه الصلة وان كان غنيا او لا يعطى
حتى يكون فقيرا قولان للعلما وهذا على ان يكون ايتا المال غير الزكاة الواجبة
على ما بيناه والله اعلم فاما الزكاة فقد فرضها الله ورسوله للفقرا فقال سبحانه انما
الصدقات للفقرا وقال عليه السلام امرت ان اخذ الصدقة من اغنيايكم واردها
في فقرايكم على ما ياتي بيانه في اية الصدقات ان شا الله تعالى والله اعلم
اوليك الذين صدقوا واوليك هم المتقون وصفهم بالصدق والتقوى في امورهم
والوفا بها وانهم كانوا جادين في الدين وهذا غاية الثنا والصدق خلاف الكذب
ويقال صدقوهم القتال والصديق الملازم للصدق وفي الحديث الصحيح عليكم
بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق
ويتحري الصدق حتى يكتب عند الله صديقا تعالى يايها الذين امنوا
كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى

من

لمن عفي له من اخيه شي فاتباع بالمعروف واداالیه باحسان ذلك تخفيف من
ربكم ورحمة لمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم في القصاص حياة يا اولي
الالباب لعلكم تتقون فيه اربع وثلاثون مسله   روى البخاري
والنسايي والدارقطني عن ابن عباس قال كان في بني اسرايل القصاص ولم يكن فيهم
الدية فقال الله لهذه الامة كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد
بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شي فاتباع بالمعروف فالعفو ان
يقبل الدية في العمد فاتباع بالمعروف واداالیه باحسان يتبع بالمعروف
ويودي باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة مما كتب على من كان قبلكم فمن اعتدى
بعد ذلك فله عذاب اليم قتل بعد قبول الدية هذا لفظ البخاري قال ثنا
الحميدي ثنا سفين ثنا عمرو بن شعيب وسمعت مجاهدا سمعت ابن عباس
وقال الشعبي في قوله تعالى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى
قال نزلت في قبيلتين من قبايل العرب اقتتلتا فقالوا نقتل بعبدنا فلان بن
فلان وبامتنا فلانة بنت فلان ونحوه عن قتادة   قوله تعالى كتب
كتب معناه فرض واثبت ومنه قول عمر بن ابي ربيعة   كتب القتل والقتال
علينا وعلى الغانيات جر الذيول   وقد قيل ان كتب هنا اخبار عن ما
كتب في اللوح المحفوظ وسبق به القضا والله اعلم   قوله تعالى
القصاص ماخوذ من قص الاثر وهو اتباعه ومنه القاص لانه يتبع
الاثار والاخبار وقص الشعر اتباع اثره فكان القاتل سلك طريقا من القتل
فقص اثره فيها ومشى على سبيله في ذلك ومنه فارتدا على اثارهما قصصا وقيل
القص القطع يقال قصصت ما بينهما ومنه اخذ القصاص لانه يجرحه مثل
جرحه او يقتله به يقال اقص الحاكم من فلان واباه وامثله فامتثل منه اي

اقتص   صورة القصاص هو ان القاتل فرض عليه اذا اراد الولي
القتل الاستسلام لامر الله والانقياد لقصاصه المشروع وان الولي فرض
عليه الوقوف عند قاتل وليه وترك التعدي على غيره كما كانت العرب تتعدى
فتقتل غير القاتل وهو معنى قوله عليه السلام ان من اعتى الناس على الله يوم
القيمه رجل قتل غير قاتله ورجل قتل في الحرم ورجل اخذ بذحول الجاهليه قال
الشعبي وقتادة وغيرهما ان الجاهليه كان فيهم بغي وطاعه للشيطان فكان
الحي اذا كان فيه عز ومنعه فقيل له عبد قتله عبد قوم اخرين قالوا لا
نقتل به الا حرا واذا قتلت منهم امراة قالوا لا نقتل بها الا رجلا واذا قتل
لهم وضيع قالوا لا نقتل الا شريفا ويقولون القتل اوفى للقتل بالواو والقاف
ويروى ابقى بالنون والقاف فنهاهم الله عن البغي فقال كتب عليكم القصاص
في القتلى الحر بالحر الايه وقال ولكم في القصاص حياة وبين الكلامين في الفصاحه
والجزل بون عظيم   لا خلاف ان القصاص في القتل لا يقيمه الا
اولوا الامر فرض عليهم النهوض بالقصاص ثم لا يتهيا للمومنين جميعا ان
يجتمعوا على القصاص قاموا السلطان مقام انفسهم في اقامة القصاص وغيره
من الحدود ويخاطب للولي بالقصاص ويخاطب غيره بان يعين الولي على ذلك وهو
قوله تعالى كتب عليكم القصاص اي فرض اذا كان القتل عمدا فاما ان كان خطا فياتي بيانه
في سورة المايده ان شا الله تعالى   وليس القصاص بلازم انما اللازم
ان يتجاوز القصاص الى اعتدا فاما اذا وقع الرضى بدون القصاص من دية او
عفو فذلك مباح على ما ياتي بيانه فان قيل ان قوله كتب عليكم معناه فرض
والزم فكيف يكون القصاص غير واجب قيل معناه اذا اردتم فاعلم ان
القصاص هو الغاية عند التشاح   قوله تعالى في القتلى القتلى جمع

قتيل

لان الله سبحانه خاطب جميع المومنين بالقصاص ثم
واقامة الحدود وغيرها

سابع عشره

قيل لفظ مونث تانيث الجماعة وهو مما يدخل على الناس كثيرها فان الكل جا على
هذا البنا جرحى وزمنا وجمعا وصرعى وغرقى وشبهه   قوله تعالى
الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى اختلف في تاويلها فقالت طايفه
جات الايه مبنيه لحكم النوع اذا قتل نوعه فبينت حكم الحر اذا قتل حرا
والعبد اذا قتل عبدا والانثى اذا قتلت انثى ولم يتعرض لاحد النوعين اذا
قتل الاخر فالايه محكمه وفيها اجمال يبينه قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان
النفس بالنفس وسنة النبي صلى الله عليه وسلم لما قتل اليهودي بالمراه قاله
مجاهد وذكره ابو عبيد عن بن عباس وروي عن بن عباس ايضا انها منسوخه
بايه المايده وهو قول اهل العراق وروي عن عطا لا يقتل الذكر بالانثى وروي
ذلك عن علي وقوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا قالوا لانه
قد ذكر في هذه الايه الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ولم يذكر
في هذه الايه العبد لو قتل حرا ما حكمه فبين في ايه اخرى وهو قوله النفس
بالنفس فيقتل الحر عندهم بالعبد والمسلم بالذمي واحتجوا بقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى فعم وقوله وكتبنا عليهم فيها
ان النفس بالنفس وقوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا
الايه قالوا والذمي مع المسلم متساويان في الحرمة التي تكفي في القصاص
وهي حرمة الدم الثابته على التابيد فان الذمي محقون الدم على التابيد والمسلم
كذلك وكلاهما قد صارا من اهل دار الاسلام والذي يحقق ذلك ان
المسلم يقطع بسرقه مال الذمي وهذا يدل على ان مال الذمي قد ساوى مال
المسلم فدل على مساواته لدمه اذ المال انما يحرم بحرمه مالكه
اتفق ابو حنيفه واصحابه والثوري وبن ابي ليلى ان الحر يقتل بالعبد كما يقتل

العبد به وهو قول داود وروي ذلك عن علي وبن مسعود وبه قال
سعيد بن المسيب وابراهيم النخعي وقتاده والحكم بن عيينه والجمهور من العلما
لا يقتلون الحر بالعبد للتنويع والتقسيم في الايه قال ابو ثور ولما اتفق
جميعهم على انه لا قصاص بين العبيد والاحرار فيما دون النفس كانت النفوس
احرى بذلك ومن فرق منهم بين ذلك فقد ناقض وايضا فالاجماع فيمن قتل
عبدا خطا انه ليس عليه الا القيمه فكما لم يشبه الحر في الخطا لم يشبهه في العمد
وايضا فان العبد سلعه من السلع يباع ويشترى ويتصرف فيه الحر كيف شا فلا
مساواة بينه وبين الحر ولا مقاومه قلت هذا الاجماع صحيح واما قوله الاول
ولما اتفق جميعهم الى قوله فقد ناقض فقد قال بن ابي ليلى وداود لا قصاص
بين الاحرار والعبيد في النفس وفي جميع الاعضا واستدل داود بقوله
عليه السلام المسلمون تتكافا دماهم فلم يفرق بين حر وعبد وسياتي بيانه في
النسا ان شا الله تعالى والجمهور من العلما ايضا على انه لا يقتل مسلم
بكافر لقوله عليه السلام لا يقتل مسلم بكافر خرجه البخاري عن علي بن ابي طالب
ولا يصح لهم ما رووه من حديث ربيعه ان النبي صلى الله عليه وسلم قتل يوم
خيبر مسلما بكافر لانه منقطع ومن حديث بن البيلماني وهو ضعيف عن بن عمر
عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا قال الدارقطني لم يسنده غير ابرهيم بن ابي
يحيى وهو متروك الحديث والصواب عن ربيعه عن بن البيلماني مرسل عن النبي
صلى الله عليه وسلم وبن البيلماني ضعيف الحديث لا تقوم به حجه اذا وصل الحديث
فكيف بما يرسله فلا يصح في الباب الا حديث البخاري وهو يخصص
عموم قوله تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى وعموم قوله النفس بالنفس على ان
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى يدل لمساقه على

الاختصاص

الاختصاص بالمسلم اذا قتل المسلم فانه قال فمن عفي له من اخيه شي ولا يكون
الكافر اخا للمسلم واما قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس فاخبار عن
شريعة من قبلنا ولا يلزمنا ذلك الا شيا من شرعنا احد به واما قوله تعالى
ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا حجة فيه

روي عن علي بن ابي طالب والحسن بن ابي الحسن البصري ان الاية
نزلت مبينة حكم الله دون لبيك لـ ذلك على الفرق بينهم وبين في يقتل حر
عبدا او عبد حرا او ذكر انثى او انثى ذكرا وقالا اذا قتل رجل امراة فان اراد
اولياوها القتل قتلوا صاحبهم ووفوا اولياه نصف الدية وان ارادوا
استحيوا واخذوا منه دية المراة واذا امراة رجلا فان اراد اولياه قتلها
قتلوها واخذ والنصف الدية والا اخذوا دية صاحبهم واستحيوها
روى هذا الشعبي عن علي ولا يصح لان الشعبي لم يلق عليا وقد روى الحكم بن
عيينة عن علي وعبد الله قالا اذا قتل الرجل المراة متعمدا فهو بها قود وهذا
يعارض رواية الشعبي عن علي واجمع العلما على ان الاعور والاشل اذا قتل
رجلا سالم الاعضا انه ليس لوليه ان يقتل الاعور ويأخذ منه نصف الدية من
اجل انه قتل ذا عينين وهو اعور وقتل ذا يدين وهو اشل فهذا يدل على ان
النفس مكافية النفس ويكافي الطفل فيها الكبير ويقال لذلك ان كان الرجل لا يقتل
المراة ولا يدخل تحت قول النبي صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماوهم فلم
قتلت الرجل بها ثم تاخذ نصف الدية والعلما قد اجمعوا ان الدية لا تجتمع مع
القصاص وان الدية اذا قبلت حرم الدم وان يقع القصاص فليس قولك هذا
باصل ولا قياس قاله ابو عمر رحمه الله وروي عن علي والحسن ايضا وقد انكر ذلك
عنهم ان الحر اذا قتل عبدا فان اراد سيد العبد القتل قتل واعطا دية الحر لا

قيمه العبد وان شا استحيا واخذ قيمه العبد
واجمع العلما على ان قتل الرجل بالمراة والمراه بالرجل الا ما روي عن الحسن وعطا
لا يقتل الذكر بالانثى وروي ذلك عن علي قال بن المنذر ثبت ان رسول الله صلى
عليه وسلم قال المسلمون تتكافو دماهم وفي حديث انس اثبات القصاص
بين الرجل والمراة وذلك ان رجلا من اليهود قتل جاريه من الانصار بالحجارة
على حلي لها فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجم بالحجارة حتى مات
وما روي عن علي في ذلك لا يثبت وقد روينا عن الحسن خلاف ما ذكرنا عنه
واذا اختلفت الاخبار عن الحسن صار وجوب القصاص بينهما كالاجماع
مع السنة الثابتة المستغنى بها عما سواها والجمهور من
العلما لا يرون الرجوع بشي وفرقة ترى الاتباع بفضل الديات قال
ملك والشافعي واحمد واسحاق والثوري وابو ثور وكذلك القصاص
بينهما فيما دون النفس وقال حماد بن ابي سليمن وابو حنيفه لا قصاص بينهما فيما
دون النفس وانما هو في النفس بالنفس وهما محجوجان بالحاق ما دون النفس
بالنفس على طريق الاحرى والاولى على ما تقدم قال بن
العربي ولقد انتهت الجهالة باقوام الى ان قالوا يقتل الحر بعبد نفسه ورووا
في ذلك حديثا عن الحسن عن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل
عبده قتلناه وهو حديث ضعيف ودليلنا قول الله تعالى ومن قتل
مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل والولي ها هنا السيد
فكيف يجعل له سلطان على نفسه وقد اتفق الجميع على ان السيد لو قتل عبده
خطا انه لا يوخذ منه قيمته لبيت المال وقد روى عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده ان رجلا قتل عبده متعمدا فجلده النبي صلى الله عليه وسلم ونفاه

سنه ومحا سمعه من المسلمين ولم يقد منه فان قيل فاذا قتل الرجل
زوجته لم يقولوا ينصب النكاح شبهه في درء القصاص عن الزوج اذ
النكاح ضرب من الرق وقد قال بذلك الليث بن سعد قلنا النكاح ينعقد
لها عليه كما ينعقد له عليها بدليل انه لا يتزوج اختها ولا اربعا سواها
وتطالبه من حق الوطء بما يطالبها ولكن له عليها فضل القوامية التي جعل
الله له عليها بما انفق من ماله اي بما وجب عليه من صداق ونفقة فلو اورث
شبهه لاورثها في الجانبين قلت الحديث الذي ضعفه ابن العربي هو
صحيح اخرجه النساي وابو داود وتتميم متنه ومن جدعه جدعناه
ومن اخصاه اخصيناه قال البخاري عن علي بن المديني سماع الحسن من سمرة
صحيح واحتج بهذا الحديث وقال البخاري وانا اذهب اليه فلو لم يصح الحديث
لما ذهب اليه هذان الامامان وحسبك بهما ويقتل الحر بعبد نفسه قال النخعي والثوري
في قوليه وقد قيل ان الحسن لم يسمع من سمرة الا حديث العقيقة والله
اعلم واختلفوا في القصاص بين العبيد في النفس
وفيما دون النفس فقالت طايفة يقتص بعضهم من بعض في النفس وفيما دون
النفس هذا قول عمر بن عبد العزيز وسالم بن عبد الله والزهري وقتادة
ومالك والشافعي وابي ثور وقال الشعبي والنخعي والثوري وابي حنيفة
لا قصاص بينهم الا في النفس قال ابن المنذر الاول اصح
روى الدارقطني وابو عيسى الترمذي عن سراقة بن مالك قال
حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيد للاب من ابنه ولا يقيد للابن
من ابيه قال ابو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث سراقة
الا من هذا الوجه وليس اسناده بصحيح رواه اسمعيل بن عياش

عن المثنى بن الصباح وابو المثنى يضعف في الحديث وقد روى هذا
الحديث ابو خالد الاحمر عن الحجاج عن عمرو بن شعيب مرسلا وهذا
فيه اضطراب والعمل على هذا عند اهل العلم ان الاب اذا قتل ابنه لا
يقتل به واذا قذفه لا يحد وحكى الطبري عن عثمان البتي انه
يقتل الوالد بولده للعمومات في القصاص وروي مثل ذلك عن ملك
ولعلهما لا يقبلان اخبار الاحاد في مقابلة عمومات القران وقال بن
المنذر وقد اختلف اهل العلم في الرجل يقتل ابنه عمدا فقالت طايفة لا
قود عليه وعليه ديته هذا قول الشافعي واحمد واسحاق واصحاب
الراي وروي ذلك عن عطا ومجاهد وقال ملك وبن نافع وبن عبد
الحكم يقتل به قال بن المنذر وبهذا نقول لظاهر الكتاب والسنة
فاما ظاهر الكتاب فقوله تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر
والثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المسلمون تتكافو دماوهم
ولا نعلم خبرا يجب به استثنا الاب من جملة الاية وقد روينا فيه اخبارا
غير ثابتة وكان ملك والشافعي واحمد واسحاق يقولون اذا قتل الابن
الاب قتل به قلت لا خلاف في مذهب ملك انه اذا قتل الرجل ابنه
متعمدا مثل ان يضجعه ويذبحه او يصبره مما لا عذر له فيه ولا شبهة
في ادعا الخطا انه يقتل به قولا واحدا فاما ان رماه بالسلاح ادبا او
حنقا فقتله ففيه في المذهب قولان يقتل به ولا يقتل به وتغلظ الدية
وبه قال جماعة العلما ويقتل الاجنبي بمثل هذا بن العربي سمعت شيخنا
فخر الاسلام الشاشي يقول في النظر لا يقتل الاب بابنه لان الاب كان
سبب وجوده فكيف يكون سبب عدمه وهذا يبطل بما اذا زنى بابنته

فرجم

فوجوده كان سبب وجودها وتكون هي سبب عدمه وقد اثروا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقاد الوالد بولده وهو حديث
باطل ومتعلقهم ان عمر رضي الله عنه قضى بالديه مغلظه في قاتل ابنه ولم
ينكر احد من الصحابه عليه فاخذ العلما المسئله مسجله واخذها مالك
مفصله فقال لو حذفه بالسيف وهذه حاله محتمله لقصده للقتل وعدمه
وشفقه الابوه منتصبه شاهده بعدم القتل فسقط القود فاما اذا
اضجعه لكشف الغطا عن قصده فالتحق باصله

قال ابن العربي وقد استدل الامام احمد بن حنبل على قوله بهذه الايه لا
يقتل الجماعة بالواحد قال لان الله سبحانه شرط المساواه ولا مساواه
بين الجماعة والواحد وقد قال تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس
قلت هذا ذكر عن احمد ونقل ابن المنذر عنه خلاف ذلك وجعله ممن
قال يقتل الجماعة بالواحد كمالك والشافعي واصحاب الراي والجواب ان
المراد بالقصاص في الايه قتل من قتل كاينا من كان ردا على العرب التي كانت
تريد ان يقتل بمن قتل من لم يقتل ويقتل في مقابله الواحد مائة افتخارا
واستظهارا بالجاه والمقدره فامر الله سبحانه بالمساواه والعدل وذلك
بان يقتل من قتل وقد قتل عمر رضي الله عنه سبعه برجل بصنعا وقال لو
تمالا عليه اهل صنعا لقتلتهم به جميعا وقتل علي رضي الله عنه الحروريه
بعبد الله بن خباب فانه توقف عن قتالهم حتى يحدثوا فلما ذبحوا عبد الله
بن خباب كما تذبح الشاه واخبر علي بذلك قال الله اكبر نادوهم ان اخرجوا
الينا قاتل عبد الله بن خباب فقالوا كلنا قتله ثلاث مرات فقال علي لاصحابه
دونكم القوم فما لبث ان قتلهم علي واصحابه اخرج الحديثين الدارقطني

رحمه في سننه وايضا فلو علم الجماعة انهم اذا قتلوا الواحد لم يقتلوا ا
لعاونوا الاعدا على قتل اعداهم بالاشتراك في قتلهم وبلغوا الامل
من التشفي ومراعاة هذه القاعدة اولى من مراعاة الالفاظ والله اعلم
وقال بن المنذر وقال الزهري وحبيب بن ابي ثابت وبن سيرين لا يقتل
اثنان بواحد وروينا ذلك عن معاذ بن جبل وبن الزبير وعبد الملك قال
بن المنذر وهذا اصح ولا حجه مع من اباح قتل جماعه بواحد وقد ثبت
عن بن الزبير ما ذكرناه واذا اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
في شي فسبيله النظر روى الايمه عن ابي شريح
الكعبي قال قال رسول الله صلى الله وسلم الا انكم معشر خزاعة قتلتم
هذا القتيل من هذيل واني عاقله فمن قتل له بعد مقالتي هذه قتيل فاهله
بين خيرتين بين ان ياخذوا العقل وبين ان يقتلوا لفظ ابي داود وقال
الترمذي حديث حسن صحيح وروى عن ابي شريح الخزاعي عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من قتل له قتيل فله ان يقتل او يعفوا او ياخذ الديه ذهب الى
هذا بعض اهل العلم وهو قول احمد واسحق **قلت** اختلف اهل العلم في
اخذ الديه من قاتل العمد فقالت طايفه ولي المقتول بالخيار ان شا اقتص وان
شا اخذ الديه وان لم يرض القاتل روي هذا عن سعيد بن المسيب والحسن
ورواه اشهب عن ملك وبه قال الليث والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق
وابو ثور وحجتهم حديث ابي شريح لما كان في معناه وهو نص في موضع
الخلاف وايضا من طريق النظر فانما لزمته بغير رضاه لان فرضا عليه احيا
نفسه وقد قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم وقوله فمن عفي له من اخيه شي اي
ترك له دمه في احد التاويلات على ما ياتي ورضي منه بالديه فاتباع بالمعروف

اي

اي فعلى صاحب الدم اتباع بالمعروف في المطالبه بالدية وعلى القاتل ادا اليه
باحسان من غير مماطله وتاخير عن الوقت ذلك تخفيف من ربكم ورحمه اي
ان من كان قبلنا لم يفرض الله عليهم غير النفس بالنفس فتفضل الله على هذه الامة
اذا رضي ولي الدم على ما ياتي وقال اخرون ليس لولي المقتول الا القصاص
ولا ياخذ الديه الا رضى القاتل رواه بن القاسم عن ملك وهو المشهور
عنه وبه قال الكوفيون والشافعي في احد قوليه واحتجوا بقوله تعالى
وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس وقوله ومن قتل مظلوما الايه وبما روي
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل في عميا او رميا
يكون بينهم بحجر او بسوط او عصا فعليه عقل خطا ومن قتل عمدا فقود كله
ومن حال بينه وبينه فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين وبحديث
انس في قصة الربيع حين كسرت ثنية المراة رواه الايمة قالوا فلما حكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص وقال القصاص كتاب الله القصاص
كتاب الله فلم يخير المجني عليه بين القصاص والدية ثبت بذلك ان الذي يجب
بكتاب الله وسنة رسوله في العمد هو القصاص وليس له اخذ الديه الا برضى
القاتل وليس في الايه دليل ان له ان ياخذ الدية بجبره خلافا للشافعي في قوله
ان له اخذ المال بغير رضى القاتل والاول اصح لحديث ابي شريح المذكور
وروى الربيع عن الشافعي قال اخبرني ابو حنيفه بن سماك بن الفضل الشهابي
قال وحدثني بن ابي ذيب عن المقبري عن ابي شريح الكعبي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال عام الفتح من قتل له قتيل فهو بخير النظرين ان احب اخذ
العقل وان احب فله القود فقال ابو حنيفه فقلت لابن ابي ذيب اتاخذ
بهذا يا ابا الحرث فضرب صدري وصاح علي صياحا كثيرا ونال مني وقال

احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول اتاخذ به نعم اخذ به
وذلك الفرض على وعلى من سمعه ان الله عز وجل بيا وه اختار محمدا صلى الله عليه
وسلم من الناس فهداهم به وعلى يديه واختار لهم ما اختار له وعلى لسانه
تعالى الخلق ان يتبعوه طايعين او داخرين لا مخرج لمسلم عن ذلك قال وما سكت
عني حتى تمنيت ان يسكت لمن عفي له من اخيه شي فاتباع
بالمعروف واداء اليه باحسان اختلف العلما في تاويل من وعفي على تاويلات
خمس احدها ما ذكرناه وان من يراد به القاتل وعفي يتضمن عافيا هو ولي
الدم والاخ هو المقتول وشي هو الدم الذي يعفي عنه ويرجع الى اخذ
الديه هذا قول بن عباس وقتادة ومجاهد وجماعه من العلما والعفو
في هذا القول على بابه الذي هو الترك والمعنى ان القاتل اذا عفي عنه ولي
المقتول عن دم مقتوله واسقط القصاص فانه ياخذ الديه ويتبع بالمعروف
ويودي اليه القاتل باحسان الثاني وهو قول ملك ان من يراد به الولي وعفي
يسر لا على بابها في العفو والاخ يراد به القاتل وشي هو الديه اي ان الولي
اذا جنح الى العفو عن القصاص على اخذ الديه فان القاتل مخير بين ان يعطيها او
يسلم نفسه فمره تيسر ومرة لا تيسر وغير ملك يقول اذا رضي الاوليا
بالديه فلا خيار للقاتل بل تلزمه وقد روي عن ملك وبحجه كثير من اصحابه
ابو حنيفه ان عفي بذل والعفو في اللغة البذل ولهذا قال الله تعالى خذ
العفو اي ما سهل من الاخلاق وقال ابو الاسود خذ العفو مني تستديمي
مودتي وقال عليه السلام اول الوقت رضوان الله واخره عفو الله
يعني تسهيل الله على عباده فكانه قال من بذل له شي من الديه فليقبل
بالمعروف وليود اليه القاتل باحسان فندبه تعالى الى اخذ المال اذا سهل ذلك

من

من جهة القاتل والخبر انه تخفيف منه كما قال عقيب ذكر القصاص في سورة
المايدة فمن تصدق به فهو كفارة له فندب الى العفو والصدقة وكذلك ندب
لما ذكر في هذه الاية الى قبول الدية اذا بذلها الجاني لانه بدا بذكر عفو الجاني
باعطا الدية ثم امر الولي بالاتباع وامر الجاني بالادا بالاحسان وقال قوم
ان هذه الالفاظ في المعنيين الذين نزلت فيهم الاية كلها وتساقطوا الديات
فيما بينهم مقاصة ومعنى الاية على هذا لمن فضل له من الطايفتين على الاخرى
شي من تلك الديات ويكون عفي بمعنى فضل روى سفين بن حسين عن ابن
اشوع عن الشعبي قال كان بين حيين من العرب قتال فقتل من هولاء وهولاء
فقال احد الحيين لا نرضى حتى نقتل بالمراة الرجل وبالرجل الرجلين فارتفعوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام القتل سوا فاصطلحوا على
الديات ففضل لاحد الحيين على الاخر فهو قوله تعالى كتب عليكم الى قوله فمن
عفي له يعني فمن فضل له على اخيه شي فليوده بالمعروف فاخبر الشعبي عن السبب
في نزول الاية وذكر سفين ان العفو هنا الفضل وهو معنى يحتمل اللفظ وتاويل
خامس وهو قول علي رضي الله عنه والحسن والفضل بين دية الرجل والمراة والحر
والعبد اي من كان له ذلك الفضل فاتباع بالمعروف وعفي في هذا الموضع ايضا
فضل قوله تعالى لمن عفي عفي بنفس عافيا وقد اختلف
اهل العلم في الاوليا الذين لهم القصاص في الدم يهم العفو فقال ابن المنذر
قالت طايفة عفو كل ذي سهم جايز هذا قول عطا والنخعي والحكم وحماد
والثوري والشافعي واحمد وروينا معنى هذا القول عن عمر بن الخطاب
وقال الشعبي وطاوس وعطا عفو المراة جايز وقال اصحاب الراي في
الرجلين يعفو احدهما يكون للاخر حصته من الدية وقالت طايفة ليس للنسا

عفو لذلك قال الحسن البصري وقتادة والزهري وابن شبرمة والليث
بن سعد والاوزاعي قلت لم يذكر ملكا في هذا الباب وقد قال علماونا
عفو الوارث صحيح فان تعددت الورثة فعفى بعضهم سقط القود ان
كان العافي متساويا لمن بقي في الدرجة وان كان انزل درجة لم يسقط القود
بعفوه فان انضاف الى العلو الانوثة كالبنات مع الاب او الجد فلا عفو الا
باجتماع الجميع فان انفرد الابوان فلاحق للام في عفو ولا قيام وكذلك
الاخوة والاخوات معه فاما الام والاخوة فلا عفو الا باجتماعهم
معهم فان اجتمعت الام والاخوات او العصبة والام على العفو مضى على
الاخوات وان عفا العصبة والاخوات لم يمض على الام ولو كان مكان الا
خوات بنات لمضى عفو العصبة والبنات على الام ولم يجز عفو العصبة
والام على البنات لانهن اقرب ومتى اجتمع البنات والاخوات فلا كلام
للعصبة لانهن يحزن الميراث دونهم ولا تجري الجدة مجرى الام في عفو ولا
قيام هذا كله على الرواية بان لهن مدخلا في الدم قال القاضي ابو محمد عبد
الوهاب اختلف عن مالك في النساء هل لهن مدخل في الدم ام لا فعنه فيه
روايتان احداهما ان لهن مدخلا فيه كالرجال اذا لم يكن في درجتهن والاخرى
انه لا مدخل لهن وجه الرواية الاولى قوله صلى الله عليه وسلم من قتل له
قتيل فاهله بين خيرتين ان شاوا قتلوا وان شاوا عفوا واخذوا الدية فعم
وقوله يحلف خمسون منهم ولان القصاص مستحق على استحقاق الميراث
فوجب ان يثبت لجميع الورثة كساير الحقوق واعتبارا بالرجال ووجه
الثانية ان ولاية الدم مستحقة بالنصرة والنساء ليس من اهلها فلم يكن لهن
مدخل في الولاية المستحقة قال القاضي واذا قلنا ان لهن مدخلا في ذلك

ففي

فواي شي لهن مدخل روايتا احداهما في القود دون العفو لان العفو اسقاط
للحق وليس ذلك والاخرى في العفو دون القود
واختلف العلما في المقتول يخلف ورثة صغارا وكبارا فقالت طايفة ينتظر بهم
بلوغ صغارهم روي هذا القول عن عمر بن عبد العزيز وبه قال بن ابي ليلى
وبن شبرمه والشافعي واحمد واسحق قال بن المنذر وعلى هذا القول اذا
وجب ان ينتظر بلوغ صغيرهم وجب كذلك ان ينتظر قدوم غايبهم وافاقة
المغمى عليه منهم حتى يحضر الغايب او يوكل ويفيق المغمى عليه او يموت فيقوم
ورثته مقامه وقالت طايفة للكبار ان يقتلوا القاتل قبل بلوغ الصغار
هذا قول حماد بن ابي سليمن ومالك والاوزاعي والليث بن سعد والنعمان
واحتج بعض من وافق النعمان بان الحسين بن علي قتل بن ملجم بعلي وقد كان
لعلي اولاد اصاغر قال القاضي عبد الوهاب ولانها ولاية مستحقة
بالتعصيب فلا مدخل للصغير والمجنون فيها اصله ولاية النكاح ولا
يلزم عليه الغايب لان الغيبة لا تقطع الولاية
واختلف العلما فيما يجب على القاتل الذي يعفو عنه ولي الدم فقال مالك
والليث والاوزاعي يضرب مايه ويحبس سنه وقال الشافعي واحمد واسحق
لا شي عليه وبه قال ابو ثور وقال الا ان يكون رجلا يعرف بالشر فيكون
للامام ان يوديه على قدر ما يرى قال بن المنذر لا شي عليه قلت قول ابي ثور
حسن ع قوله تعالى فمن عفي له من اخيه شي فاتباع
بالمعروف يدل على ان دية العمد على القاتل وقد اختلف العلما في تعيينها فقال
الشافعي دية الحر المسلم مايه من الابل لا دية غيرها كما فرض رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبه قال طاوس وقال مالك هي ثلاثة انواع الابل والذهب

وفضه لا يوخذ مما سوي ذلك من عروض ولا حيوان ولا غير ذلك وموجبها
ثلاثة اشيا قتل خطا وقتل عمد وقتل شبه العمد وهي من الابل مايه ومن الذهب
الف دينار ومن الورق اثنا عشر الف درهم قال بن المنذر دية الحر المسلم
مايه الابل في كل زمان كما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يختلف الذين
الزموا اهل الذهب ان الدية من الذهب الف دينار واختلفوا فيما علي
اهل الفضه فقال الثوري والنعمان وصاحباه وابو ثور علي اهل الفضه عشره
الاف درهم وقال الحسن البصري وعروة بن الزبير ومالك واحمد واسحق علي
اهل الورق اثنا عشر الفا واختلفت الاخبار عن عمر في عدد الدراهم وما فيها
شي صحيح عنه لانها مراسيل وسياتي لهذا الباب مزيد بيان في سورة النسا ان
شا الله واختلفوا في اسنان الابل في دية العمد
فقال الشافعي ثلاثون حقه وثلاثون جذعه واربعون خلفه في بطونها اولادها
وقال مالك هي ارباع خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون
وخمس وعشرون جذعه وخمس وعشرون حقه وقال ابو ثور هي اخماس عشرون
بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقه وعشرون
جذعه قال بن المنذر وحجته ان هذا اقل ما قيل فيه
قال علماونا وللوجوب سببان العفو علي دية مبهمة وعفو بعض الاوليا هذا علي
الروايه المشهورة وفي رواية محمد اذا عفوا علي دية مبهمة او عفي بعض الاوليا
فرجع الامر الي الدية فهي كدية الخطا الا ان العاقلة لا تحمل منها شيا وتنجم علي
الجاني في ثلاث سنين وانما يفترق من دية الخطا بان العاقلة لا تحملها وقال في
المجموعة وكتاب محمد اذا قبلت لم تنجم وكانت في مال الجاني حالة وقال بن نافع
في العتبية تودي كما قال الله تعالي فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان

قوله لمن عفي له من اخيه شي يدل على ان الدم

اذا كان لجماعة فعفا بعضهم تحول انصبا الاخرين مالا وبطل القود لان قوله تعالى لمن عفي له من اخيه شي يدل على وقوع العفو عن شي من الدم لا عن جميعه فيتحول نصيب الشركا مالا فعليهم اتباع القاتل بالمعروف وعليه اداوه باحسان قال علماونا ولذلك لو تاخر القصاص حتى مات احد الورثة المقتول وكان القاتل وارثه بطل القصاص لانه ملك من دمه حصه فهو كالعفو مثال ذلك ان يقتل احد الاولاد اباه فيثبت القصاص عليه لجميع الاخوه ثم يموت احد الاخوه فسقط القصاص عن القاتل لانه ورث من دمه حصه فهو كالعفو ولبقيه الاخوه حظهم من الديه وعليهم ان يتبعوه بالمعروف ويودي اليهم باحسان فهذه الايه دليل من الله تعالى

على حسن الاقتضا من الطالب وحسن القضا من المودي وهل دل على الوجوب او الندب قولان فقراه الرفع تدل على الوجوب لان المعنى اتباع بالمعروف قال النحاس لمن عفي له شرط والجواب فاتباع وهو رفع بالابتدا والتقدير فعليه اتباع بالمعروف ويجوز في غير القران فاتباعا واداء بجعلهما مصدرين قال بن عطيه وقرا ابراهيم بن ابي عبله فاتباعا بالنصب والرفع سبيل الواجبات لقوله تعالى فامساك بمعروف واما المندوب فياتي منصوبا لقوله تعالى فضرب الرقاب قلت وهذه الايه وان كانت في الديات فيدخل فيها جميع الحقوق المطالب بها من دين وغيره وان علم عسرته انظره الى الميسره على ما ياتي بيانه ان شا الله تعالى قوله تعالى ذلك تخفيف من ربكم

ورحمه لان اهل التوره كان لهم القتل ولم يكن لهم غير ذلك واهل الانجيل كان لهم العفو ولم يكن لهم قود ولا ديه فجعل الله تعالى تخفيفا لهذه الامة لمن شا

قتل ومن شا عفا ومن اخذ الديه قال ابو الليث السمرقندي وذكر الماوردي
ان اهل التوره يقولون انما هو قصاص او عفو ليس بينهما ارش وان اهل الانجيل
يقولون انما هو ارش او عفو ليس بينهما قود وجعل لهذه القود والعفو والدية
ان شاوا واحلها لهم ولم تحل لامة قبلهم فهو قوله تعالى تخفيف من ربكم ورحمة
قوله تعالى فمن اعتدى بعد ذلك فله شرط وجوابه
اي قتل بعد اخذ الديه وسقوط قاتل وليه فله عذاب اليم قال الحسن كان الرجل
في الجاهليه اذا قتل قتيلا فر الى قومه فيجي قومه فيصالحون الديه فيقول ولي
المقتول انا اقبل الديه حتى يامن القاتل فيخرج فيقتله ثم يرمي اليهم بالديه
واختلف العلما فيمن قتل بعد اخذ الديه فقال جماعة من العلما منهم ملك
والشافعي هو كمن قتل ابتدا ان شا الولي قتله وان شا عفي عنه وعذابه في الاخره
وقال قتادة وعكرمة والسدي وغيرهم عذابه ان يقتل البته ولا يمكن
الحاكم الولي من العفو وروي ابو داود عن جابر بن عبد الله قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا اعفي من قتل بعد اخذ الدية وقال الحسن عذابه ان
يرد الدية فقط ويبقى اثمه الى عذاب الاخره وقال عمر بن عبد العزيز امره
الى الامام يصنع فيه ما راى بعد من العقوبه قال بن المنذر بقول
ملك والشافعي اقول لان القاتل لما عفي ما رد مه محرما كساير الناس ما قلت
وفي سنن الدارقطني عن ابي شريح الخزاعي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من اصيب بدم او خبل والخبل العرج فهو بالخيار بين احدى ثلاث فان
اراد الرابعة فخذوا على يديه بين ان يقتص او يعفوا او ياخذ الدية فمن قبل شيا من
ذلك ثم عدا بعد ذلك فله النار خالدا مخلدا فيها ابدا
ولكم في القصاص حياة هذا من الكلام البليغ الوجيز كما تقدم ومعناه لا يقتل بعضكم

بعضا

بعضا رواه سفين عن السدي عن ابي ملك والمعنى ان القصاص اذا اقيم وتحقق
الحكم فيه ازدجر من يريد قتل اخر مخافه ان يقتص منه فحيينا بذلك وكانت
العرب اذا قتل الرجل الاخر حمي قبيلاهما وتقاتلوا وكان ذلك داعيا الى قتال
العدد الكثير فلما شرع الله القصاص قنعوا القاتل به وتركوا الاقتتال فلهم
في ذلك حياه
انفق ائمه الفتوى على انه لا يجوز
لاحد ان يقتص من احد حقه في القتل دون السلطان وليس للناس ان يقتص
بعضهم من بعض وانما ذلك للسلطان او من نصبه السلطان لذلك ولهذا
جعل الله السلطان ليقبض ايدي الناس بعضهم من بعض
اجمع العلما على ان على السلطان ان يقتص من نفسه ان تعدى
على احد من رعيته اذ هو واحد منهم وانما له مزيه النظر لهم كالوصي والوكيل
وذلك لا يمنع القصاص وليس بينهم وبين العامه فرق في احكام الله عز وجل لقوله
جل ذكره كتب عليكم القصاص في القتلى وثبت عن ابي بكر الصديق انه قال لرجل
شكا اليه ان عاملا قطع يده لين كنت صادقا لاقيدنك منه وروى النساي
عن ابي سعيد الخدري قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم شيا اذ
اكب عليه رجل فطعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرجون كان معه فصاح
الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقد قال بل عفوت يا رسول الله
وروى ابو داود الطيالسي عن ابي فراس قال خطب عمر بن الخطاب الا من
ظلمه اميره فليرفع ذلك الي اقيده منه فقام عمرو بن العاصي فقال يا امير
المومنين لين ادب رجل منا رجلا من اهل رعيته لتقصنه منه قال كيف
لا اقصه منه وقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه
ولفظ ابي داود السجستاني عنه قال خطبنا عمر فقال اني لم ابعث عمالي

ليضربوا ابشاركم ولا ليأخذوا اموالكم لمن فعل ذلك فليرفعه الي اقصه منه
وذكر الحديث بمعناه   قوله تعالى لعلكم تتقون
تقدم معناه والمراد هنا تتقون القتل فتسلمون من القصاص ثم يكون ذلك
داعيه لانواع التقوى في غير ذلك فان الله يثيب بالطاعه على
الطاعه وقرا ابو الجوزا واسمه اوس بن عبد الله الربعي ولكم في القصص
حياة قال النحاس قرآة ابي الجوزا شاذة قال غيره يحتمل ان يكون مصدرا
كالقصاص وقيل اراد بالقصص القران اي لكم في كتاب الله الذي شرع فيه
القصاص حياة اي نجاه   تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم
الموت ان ترك خيرا الوصيةُ للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين
فمن بدّله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن
خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم
فيه ثمان وثلاثون مسئله   قوله تعالى كتب عليكم هذه ايه الوصيه
وليس في القران ذكر الوصيه الا في هذه الايه وفي النسا من بعد وصيه
وفي المايده حين الوصيه والتي في البقره اتمها واكملها ونزلت قبل نزول
الفرايض والمواريث على ما ياتي بيانه وفي الكلام تقدير واو العطف اي
وكتب عليكم فلما طال الكلام اسقط الواو ومثله في بعض الاقوال
لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى اي والذي فحذف وقيل لما
ذكر ان لولي الدم ان يقتص فهذا الذي يشرف على ان يقتص منه وهو سبب
الموت فكانما حضره الموت فهذا اوان الوصية فالايه مرتبطه بما قبلها ومتصله
بها فلذلك سقطت واو العطف   قوله تعالى كتب عليكم
كتب معناه فرض واثبت كما تقدم فان قيل لم قال كتب ولم يقل كتبت

والوصية

المايده

والوصيه مؤنثة قيل له ذلك لانه اراد بالوصيه الايصا وقيل لانه

فاصل فكان الفاصل كالعوض من تا التانيث يقول العرب حضر القاضي اليوم امراة

وقد حكى سيبويه قام امراة ولكن حسن ذلك انما هو مع طول الحايل

قوله تعالى اذا حضر احدكم الموت يعني اسبابه من مرض او غيره على ما ياتي بيانه وقد

كنت به العرب عن المسبب قال شاعرهم يا ايها الراكب المزجي مطيته

سل بني اسد ما هذه الصوت وقل لهم بادروا بالعذر والتمسوا قولا

يبريكم اني انا الموت وقال غيره وان الموت طوع يدي اذا ما

وصلت بنانها بالهندوان وقال جرير في هجاه الفرزدق انا

الموت الذي حدثت عنه فليس لهارب مني نجاه وهو في الشعر كثير

قوله تعالى ان ترك خيرا ان شرط وجوابه لابي الحسن الاخفش قولان

احدهما ان يكون التقدير فالوصية ثم حذفت الفا كما قال الشاعر من

يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان والجواب

الاخر ان الماضي يجوز ان يكون جوابه قبله وبعده فيكون التقدير الوصيه

للوالدين والاقربين ان ترك خيرا فان قدرت الفا فالوصيه رفع بالابتدا

وان لم تقدر الفا جاز ان ترفعها بالابتدا وان ترفعها على ما لم يسم فاعله اي

كتب عليكم الوصيه ولا يصح عند جمهور النحاة ان تعمل الوصيه في اذا

لانها في حكم الصله للمصدر الذي هو الوصيه وقد تقدمت فلا يجوز

ان يعمل فيها متقدمه ويجوز ان يكون العامل في اذا كتب والمعنى توجه

ايجاب الله اليكم ومقتضى كتابه اذا حضر فعبر عن توجه الايجاب بكتب

لينتظم الى هذا المعنى انه مكتوب في الازل ويجوز ان يكون العامل في

اذا الايصا يكون مقدرا دل على الوصيه المعنى كتب عليكم الايصا

قوله تعالى خيرا الخير هنا المال من غير خلاف واختلفوا في
مقدار تفضيل المال الكثير روي ذلك عن علي وعايشه وبن عباس وقالوا
في سبع مايه دينار انه قليل وقال قتاده عن الحسن الخير الف دينار
لما فوقها الشعبي ما بين الخمسمايه دينار الى الف والوصية عباره عن
شي يومر بفعله ويعهد به في الحياة وبعد الموت وخصصه العرف بما يعهد
بفعله وتنفيذه بعد الموت وهي من العفو والجايزه اد للموصي عزل الوصي
في حياته وكذلك للوصي عن نفسه بعد القبول في حياه الموصي اما بعد الموت
فليس له ذلك الا ان يعجز او يكون له عذر في تركها او يطرا عليه ما يمنعه من
من التمام فيها مثل ان يكون عدلا فيفسق واميا فيتهم على ما ياتي بيانه والوصايا
جمع وصايا كالقضايا جمع قضية والوصي يكون الموصَى والموصى اليه واصله
من وصا مخففا وتواصا النبت تواصيا اذا اتصل وارض واصيه مثل
النبات واوصيت له بشي واليه اذا جعلته وصيا والاسم الوصايه
بالكسر والفتح واوصيته ووصيته ايضا بوصيه بمعنى والاسم الوصاة
وتواصى القوم اوصا بعضهم بعضا وفي الحديث استوصوا بالنسا خيرا
فانهن عوان عندكم ووصيت الشي بكذا اذا وصلته به
اختلف العلما في وجوب الوصيه على من خلف مالا بعد اجماعهم على انها
واجبه على من قبله ودايع وعليه ديون واكثر العلما على ان الوصيه غير واجبه
على من ليس قبله شي من ذلك وهو قول ملك والشافعي والثوري موسرا كان
الموصي او فقيرا وقالت طايفه الوصيه واجبه على ظاهر القران قاله الزهري
وابو مجلز قليلا كان المال او كثيرا وقال ابو ثور ليست الوصيه واجبه
الا على رجل عليه دين او عنده مال لقوم فواجب عليه ان يكتب وصيته ويخبر

بما عليه

بما عليه فاما من لا دين عليه ولا وديعة عنده فليست بواجبة عليه الا
ان يشا قال ابن المنذر وعن الحسن لان الله تعالى فرض اداء الامانات الى اهلها
ومن لا حق عليه ولا امانة قبله فليس بواجب يوصي احتج الاولون بما رواه
الائمة عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم
له شي يريد ان يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده وفي
رواية يبيت ثلاث ليال وفيها قال عبد الله قال عبد الله بن عمر ما مرت علي
ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا وعندي وصيتي
احتج من لم يوجبها بان قال لو كانت واجبة لم يجعلها الى ارادة الموصي ولكان
ذلك لازما على كل حال ثم لو سلم ان ظاهره الوجوب فالقول بالموجب يرد
وذلك فيمن كانت عليه حقوق للناس يخاف ضياعها عليهم كما قال ابو ثور
ولذلك ان كانت له حقوق عند اناس يخاف تلفها على الورثة فهذا يجب عليه الوصية
ولا يختلف فيه ان شا الله فان قيل فقد قال الله تعالى كتب عليكم اذا وكتب بمعنى
فرض فدل على وجوب الوصية قيل له قد تقدم الجواب في الاية قبل والمعنى
اذا اردتم الوصية والله اعلم وقد قال النخعي مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يوص وقد اوصى ابو بكر فان اوصى فحسن وان لم يوص فلا شي عليه
لم يبين الله سبحانه في كتابه مقدار ما يوصى به من المال وانما قال ان ترك خيرا
والخير المال كما قال وما تنفقوا من خير وانه لحب الخير فاختلف العلماء في مقدار
ذلك فروى الحسن عن ابي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما انهما اوصيا بالخمس
وقال رضي الله تعالى عنه نرضى لانفسنا ما رضي الله به لنفسه من غنايم المسلمين بالخمس وقال معمر عن قتادة
اوصى عمر بالربع وذكره البخاري عن ابن عباس وروى عن علي رضي الله عنه انه
قال لان اوصي بالخمس احب الي من ان اوصي بالربع ولان اوصي بالربع احب الي من ان

اوصى بالثلث واختار جماعة لمن ماله قليل وله ورثة ترك الوصية روي
ذلك عن علي وبن عباس وعايشة رضوان الله عليهم روى بن ابي شيبة من
حديث بن ابي مليكة عن عايشة قال لها رجل اني اريد ان اوصي قالت كم مالك
قال ثلاثة الالاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت ان الله تعالى يقول
ان ترك خيرا وهذا شي يسير فدعه لعيالك فانه افضل لك

الثامنة

ذهب الجمهور من العلما الى انه لا يجوز لاحد ان يوصي باكثر من الثلث الا
اباحنيفة واصحابه فانهم قالوا ان لم يترك الموصي ورثة جاز ان يوصي
بماله كله وقالوا ان الاقتصار على الثلث في الوصية انما كان من اجل ان يدع
ورثته اغنيا لقوله عليه السلام انك ان تذر ورثتك اغنيا خيرا من ان
تدعهم عالة يتكففون الناس الحديث رواه الايمة ومن لا وارث له فليس
ممن عني بالحديث روي هذا القول عن بن عباس وبه قال عبيدة ومسروق
واليه ذهب اسحاق ومالك في احد قوليه وروي عن علي وسبب الخلاف مع ما
ذكرناه الخلاف في بيت المال هل هو وارث او حافظ لما يجعل فيه قولان

التاسعة

اجمع العلما على ان من حضره الموت وله ورثة فليس له ان يوصي بجميع
ماله وروي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه قال حين حضرته الوفاة لابنه
عبد الله اني قد اردت ان اوصي فقال اوصي ومالك في مالي فدعا كاتبا فاملى عليه
فقال عبد الله فقلت له ما اراك الا قد اتيت على مالي ومالك ولو دعوت
اخوتي فاستحللتهم

العاشرة

واجمعوا ان للانسان ان يغير وصيته ويرجع
فيما شا منها الا انهم اختلفوا من ذلك في المدبر فقال مالك رحمه الله الامر
المجتمع عليه عندنا ان الموصي ان اوصى في صحته له ويصنع من ذلك ما شا حتى
يموت وان احب ان يطرح تلك الوصية ويسقطها فعل الا ان يدبر فان

دبر

دبر مملوكا فلا سبيل له الى تغيير ما دبر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما حق امرء مسلم له شي يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده
قال ابو الفرج المالكي المدبر في القياس بالمعتق الى شهر لانه اجل آت لا محاله وقد اجمعوا
ان لا يرجع في اليمين بالعتق والعتق الى اجل فكذلك المدبر وبه قال ابو حنيفة
وقال الشافعي واحمد هو وصيه لاجماعهم لانه في الثلث كسائر الوصايا وفي
اجازتهم وطي المدبره ما ينقض قياسهم المدبر على العتق الى اجل وقد ثبت ان النبي
صلى الله عليه وسلم باع مدبرا وان عايشه دبرت جاريه لها ثم باعتها وهو قول
جماعه من التابعين وقالت طايفه يغير الرجل من وصيته ما شا الا العتاقه
لذلك قال الشعبي وابن سيرين وابن شبرمه والنخعي وهو قول سفين الثوري
واختلفوا في الرجل يقول لعبده انت حر بعد موتي واراد
الوصيه فله الرجوع عند ملك في ذلك وان قال فلان مدبر بعد موتي لم يكن له
الرجوع فيه وان اراد التدبير بقوله الاول لم يرجع ايضا عند اكثر اصحاب
ملك واما الشافعي واحمد واسحق وابو ثور فكل هذا عندهم وصية لانه في
الثلث وكلما كان في الثلث فهو وصيه الا ان الشافعي قال لا يكون الرجوع
الرجوع في المدبر الا بان يخرجه عن ملكه ببيع او هبه وليس قوله رجوعا انه
رجعت في المدبر قولته فان لم يخرج المدبر عن ملكه حتى يموت فانه يعتق بموته
وقال في القديم يرجع في المدبر بالقول كما يرجع في الوصيه واختاره المزني
قياسا على اجماعهم على الرجوع فيمن اوصى بعتقه وقال ابو ثور اذا قال قد
رجعت في مدبري بطل التدبير فان مات لم يعتق واختلف ابن القاسم واشهب
فيمن قال عبدي حر بعد موتي ولم يرد الوصيه ولا التدبير فقال ابن القاسم
هو وصيه وقال اشهب هو مدبر وان لم يرد الوصيه

واختلف العلما بالتاويل في هذه الايه هل هي منسوخه او محكمه فقيل هي
محكمه ظاهرها العموم ومعناها الخصوص في الوالدين الذين لا يرثان
كالكافرين والعبدين وفي القرابة غير الورثه قاله الضحاك وطاوس
والحسن واختاره الطبري وعن الزهري ان الوصيه واجبه فيما قل او كثر
وقال بن المنذر اجمع كل من يحفظ عنه من اهل العلم علي الوصيه للوالدين
اللذين لا يرثان والاقربا الذين لا يرثون جايزه وقال بن عباس والحسن
وقتاده الايه عامه وتقرر الحكم بها برهة من الدهر ثم نسخ منها كل من
كان يرث بايه الفرايض قال الماوردي ذهب الجمهور من التابعين والفقها
الي ان العمل بالوصيه كان واجبا قبل فرض المواريث لئلا يضع الرجل ماله
في البعدا طلبا للسمعه والريا فلما نزلت اي المواريث في تعيين المستحقين
وتقديرما يستحقون نسخ بها وجوب الوصية ومنعت السنه من
جوازها للورثه وقد قيل ان ايه الفرايض لم تستقل بنسخها بل بضميمه
اخري وهي قوله عليه السلام ان الله قد اعطي كل ذي حق حقه فلا وصيه لوارث
رواه ابو امامة اخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح فنسخ الايه
انما كان بالسنه الثابته لا بالارث في الصحيح من اقوال العلما ولولا هذا الحديث
لامكن الجمع بين الايتين بان ياخذ المال عن المورث بالوصيه وبالميراث
ان لم يوص او ما بقي بعد الوصيه لكن منع من ذلك هذا الحديث والاجماع
والشافعي وابو الفرج وان كانا منعا من نسخ الكتاب بالسنه فالصحيح
جوازه بدليل ان الكل حكم الله تبارك وتعالي ومن عنده وان اختلفت في
الاسما وقد تقدم هذا المعني ونحن وان كان هذا الخبر بلغنا احادا لكن انضم
اليه اجماع المسلمين انه لا يجوز وصية لوارث فقد ظهر ان الوصيه للاقربين

الوارثين

الوارثين منسوخ بالسنه وانها مستند المجمعين والله اعلم وقال بن عباس والحسن
وطاوس وقتاده وجابر بن زيد وغيرهم كان حكمها ثابتا للوالدين والاقربين
حق واجب فلما نزلت اي المواريث نسخت الوصيه للوالدين ولكل وارث بالفرض
في سورة النسا وثبتت للاقربين الذين لا يرثون وهو مذهب الشافعي واكثر
المالكيين وجماعه من اهل العلم وفي البخاري عن بن عباس قال كان المال للولد وكا
الوصيه للوالدين فنسخ الله من ذلك ما احب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين
وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس وجعل للمراه الثمن والربع وللزوج
الشطر والربع وقال بن عمر وبن عباس ايضا وبن زيد الاية كلها منسوخه وبقيت
الوصية ندبا ونحو هذا قول ملك رحمه الله وذكره النحاس عن الشعبي
والنخعي وقال الربيع بن خثيم لا وصية قال عروة بن ثابت قلت للربيع بن خثيم
اوص لي بمصحفك فنظر الربيع الى ولده وقرا واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
في كتاب الله ونحو هذا صنع بن عمر رضي الله عنه
قوله تعالى والاقربين الاقربون جمع اقرب قال قوم الوصيه للاقربين اولى
من الاجانب لنص الله تعالى عليهم حتى قال الضحاك ان اوصى لغير قرابته فقد
ختم عمله بمعصيه وروي عن عمر انه اوصى لامهات اولاده لكل واحده باربعه
الاف وروي ان عايشه رضي الله عنها وصت لمولاة لها باثاث البيت وروي
عن سالم بن عبد الله مثل ذلك وقال الحسن ان وصى لغير الاقربين ردت الوصيه
للاقربين فان كانت لاجنبي فمعهم ولا يجوز لغيرهم مع تركهم وقال الناس حين
مات ابو العاليه عجبا له اعتقته امراة من رياح واوصى بماله لبني هاشم وقال
الشعبي لم يكن له ذلك ولا كرامه وقال طاوس اذا اوصى لغير قرابته بالثلث
ردت الوصيه الى قرابته ونقض فعله وقاله جابر بن زيد حكاه الماوردي وقال

ملك والشافعي وابو حنيفه واصحابهم والاوزاعي واحمد من اوصى لغير قرابته
وترك قرابته محتاجين فبيس ما صنع وفعله مع ذلك جايز ماض لكل من اوصى
له من غني وفقير قريب وبعيد مسلم وكافر وهو معنى ما روي عن عمر وعايشه
وهو قول بن عباس **قلت** القول الاول حسن واما ابو العاليه رضي الله
عنه فلعله نظر الى ان بني رياح اولى من موالي معتقته لصحبه بن عباس
وتعليمه اياه والحاقه بدرجه العلما في الدنيا والاخره وهذه الابوه
وان كانت معنويه فهي الحقيقه ومعتقته غايتها ان الحقته بالاحرار في
الدنيا فحسبها ثواب عتقها والله اعلم ذهب
الجمهور من العلما الى ان المريض الذي اضنى على فراشه ومنعه مرضه من التصرف
يحجر عليه في ماله وشذ اهل الظاهر فقالوا لا يحجر عليه وهو الصحيح ح
والحديث والمعنى يرده عليهم قال سعد عادني رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حجه الوداع من وجع اشفيت منه على الموت فقلت يا رسول الله بلغ
بي ما ترى من الوجع وانا ذو مال ولا يرثني الا ابنه واحده افاتصدق بثلثي مالي
قال لا قلت افاتصدق بشطره قال لا الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك
اغنيا خير من ان تذرهم عاله يتكففون الناس الحديث واختلف في الحامل
وحاضر الزحف وراكب البحر وقت الهول ومن حبس للقتل في القصاص على ما
ياتي بيانه اخر الاعراف عند قوله تعالى فلما اثقلت دعوا الله ربهما ومنع
اهل الظاهر ايضا الوصيه باكثر من الثلث وان اجازها الورثه واجاز ذلك
الكافه اذا اجازها الورثه وهو الصحيح لان المريض انما منع من الوصيه بزياده
على الثلث لحق الوارث فاذا اسقط الورثه حقهم كان ذلك جايزا صحيحا وكان
كالهبه من عندهم وروي الدارقطني عن بن عباس قال قال رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم لا يجوز الوصيه لوارث الا ان يشا الورثه وروي عن عمرو بن خارجه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصيه لوارث الا ان يجيز الورثه
واختلفوا في رجوع المجيزين للوصيه للوارث

في حياة الموصي بعد وفاته فقالت طايفه ذلك جايز عليهم وليس لهم الرجوع
فيه هذا قول عطا بن ابي رباح وطاوس والحسن وابن سيرين وابن ابي ليلى
والزهري وربيعه والاوزاعي وقالت طايفه لهم الرجوع في ذلك لمن احبوا هذا
قول بن مسعود وشريح والحكم وطاوس ايضا والثوري والحسن بن صالح وا
حنيفه والشافعي واحمد وابو ثور واختاره بن المنذر وفرق ملك فقال اذا
اذنوا له في صحته فلهم ان يرجعوا واذا اذنوا له في مرضه حين يحجب عن ماله
فذلك جايز عليهم وهو قول اسحاق احتج اهل المقاله الاولي بان المنع انما وقع
من اجل الورثه فاذا اجازوه جاز وقد اتفقوا انه اذا اوصى باكثر من ثلثه لاجنبي
جاز باجازتهم فكذلك هذا احتج اهل القول الثاني بانهم اجازوا شيا لم يملكوه في ذلك
الوقت وانما يملك المال بعد وفاته وقد يموت الوارث المستاذن قبله ولا
يكون وارثا وقد يرثه غيره فقد اجاز من لا حق له فيه فلا يلزمه شي واحتج ملك
بان قال ان الرجل اذا كان صحيحا فهو احق بماله كله يصنع فيه ما شا فاذا اذنوا
له في صحته فقد تركوا شيا لم يجب لهم واذا اذنوا له في مرضه فقد تركوا ما يجب
لهم من الحق فليس لهم ان يرجعوا فيه اذا كان قد انفذ لانه قد فات فان لم ينفذ
المريض ذلك كان للوارث الرجوع فيه لانه لم يفت بالتنفيذ قاله الابهري وذ
بن المنذر عن اسحق بن راهويه ان قول ملك في هذه المسله اشبه بالسنه
من غيره قال بن المنذر واتفق قول ملك والثوري والكوفيين والشافعي
وابي ثور انهم اذا اجازوا ذلك بعد وفاته لزمهم

واختلفوا في الرجل يوصي لبعض ورثته بمال ويقول في وصيته ان اجازها الورثة
فهي له وان لم يجيزوه فهو في سبيل الله فلم يجيزوه فقال مالك ان لم تجز الورثة ذلك
رجع اليهم وفي قول الشافعي وابي حنيفة ومعمر صاحب عبد الرزاق يمضي في سبيل
الله

لا خلاف في وصية البالغ العاقل غير المحجور

عليه واختلف في غيره فقال مالك الامر المجتمع عليه عندنا ان الضعيف في
عقله والسفيه والمصاب الذي يفيق احيانا تجوز وصاياهم اذا كان معهم
من عقولهم ما يعرفون ما يوصون به وكذلك الصبي الصغير اذا كان
يعقل ما اوصى به ولم يات بمنكر من القول فوصيته جائزة ماضية
وقال ابو حنيفة واصحابه لا تجوز وصية الصبي وقال المزني وهو قياس
قول الشافعي ولم اجد للشافعي في ذلك شيا ذكره ونص عليه واختلف اصحابه
على قولين احدها كقول مالك والثاني كقول ابي حنيفة وحجتهم انه لا يجوز
طلاقه ولا عتاقه ولا يقتص منه في جناية ولا يحد في قذف فليس كالبالغ
المحجور عليه فكذلك وصيته قال ابو عمر قد انفق هولا حال المحجور عليه
في ماله وعلة الحجر تبذير المال واتلافه وتلك علة مرتفعة عندنا بالموت
وهو بالمحجور عليه في ماله اشبه منه بالمجنون الذي لا يعقل فوجب ان
تجوز وصيته مع الامر الذي جا فيه عن عمر رضي الله عنه وقال مالك
انه الامر المجتمع عليه عندهم بالمدينة وبالله التوفيق وقال محمد بن
شريح من اوصى من صغير او كبير فاصاب الحق فالله قضاه على لسانه ليس
للحق مدفع وقال اياس بن معاوية اذا وافقت وصية الصبي والمجنون
الحق جازت وصيتهما قال ابن المنذر وممن قال وصية غير البالغ جائزة
عمر بن الخطاب وشريح وعمر بن عبد العزيز والزهري وعطا وابراهيم النخعي

والشعبي

والشعبي ومالك والشافعي واجاز احمد وصية ابن اثني عشره وقالت طايفه لا
تجوز وصية الصبي حتى يبلغ روي هذا القول عن ابن عباس وبه قال الحسن
البصري ومجاهد واصحاب الراي واجمعوا على ان وصيه الكافر للمسلم جايزه
الا ان يوصي له بخمر او خنزير لانه مما لا يجوز تملكه قال علماونا ووصية
الظالم المتسلط بالظلم المعتبر في الذمه غير جايزه وعتقهم مردود ولا يورث
اموالهم ويسلك بها سبيل ما افا الله قاله ابو جعفر احمد بن نصر الداودي
ولا ينفذ وصية المرتد وان تقدمت على حال ردته لقول الله تعالى لين اشر
ليحبطن عملك والوصيه فعل خير وعمل بر فتبطل بسابر اعماله والله اعلم

فيما يكون رجوعا في الوصيه ولا يكون

قال ابن المنذر اجمع كل من يحفظ عنه من اهل العلم على ان الرجل اذا اوصى لرجل
بطعام فاكله او بجارية فباعها او بشي ما ان يتلفه او وهبه او تصدق به ان ذلك
له رجوع وكذلك لو كانت جارية فاحبلها واولدها ان ذلك رجوع واختلفوا
في الرجل يوصي للرجل بثوب فيقطعه او بقطن فيامر بغزله او بفضه فصاغها ففي
قول ابي ثور لا يجوز ذلك رجوعا وقال الكوفيون ذلك كله رجوع ثم قال اصحاب
الراي اذا اوصى له بثوب فغسله او بدار فجصصها او بدار فهدمها فليس هذا رجوعا
في الوصيه واختلفوا في الرجل يوصي للرجل بثوب او بعبد ثم باعه ثم اشتراه
قال ابو ثور خروجه من يده ابطال للوصيه وقال اصحاب الراي وصيه
باتنه للموصى له وقال الشافعي وابو ثور واصحاب الراي اذا اوصى له
بعبد ثم اوصى بذلك العبد لرجل اخر ان العبد بينهما نصفان واذا اوصى
بعبد لرجل ثم قال العبد الذي اوصيت به لفلان هو لفلان ان هذا
رجوعا والعبد للاخر منهما في قول الشافعي وابي ثور واصحاب الراي

قلت لم يذكر مالك في هذا الباب وقد قال علماؤنا انه لو اوصى بغزل فحاكه او
بيد رد فقطعه قميصا فهو رجوع لقول الكوفيين قال اشهب وكذلك لو
اوصى بقميص ثم قطعه قباء او جبة فردها قميصا او ببطانة ثم بطن بها
او بظهارة ثم ظهرها ثوبا او بقطن ثم حشا به او غزله او بفضة ثم صاغها
خاتما او بشاة ثم ذبحها فهذا كله رجوع قال اشهب وان اوصى له بعرصة
فبناها دارا فذلك رجوع وقال غيره بل يكونان شريكين بقدر البناء
من العرصة ولو اوصى له بدار فهدمها حتى صارت عرصة فليس برجوع
فيها لانه موصى له بعرصة وبناء زال البناء وبقي العرصة قال محمد ولا
وصية له في النقض الذي نقض وقال ابن القاسم ~~النقض الذي نقض~~ لعرصه
والنقض للموصى له قال اشهب ولو باع الموصى به ثم اشتراه عادت
الوصية ونفذت للموصى له مثل قول الكوفيين سواء واما لو اوصى له
بزرع ثم حصده او بثمر ثم جده او بصوف ثم جزه فليس شيء من
هذا كله برجوع الا ان يدرس القمح ويكيله ويدخله بيته فذلك
رجوع ولو اوصى له بثوب فصبغه فقال ابن القاسم الثوب بصبغه
للموصى له قال اشهب وكذلك لو غسله او كانت دارا فجصصها او زاد
فيها بناء او بسويق فلته لانه لم يتغير بتغييره الاسم فاما اذا اوصى
بعبد لزيد ثم اوصى به لعمرو فهو تشريك بينهما كما لو قال اوصيت لهما
ولو قال الذي اوصيت به لزيد قد اوصيت به لعمرو فهو رجوع

قوله تعالى بالمعروف يعني بالعدل لا وكس
فيه ولا شطط وكان هذا موكولا الى اجتهاد الميت ونظر الموصي ثم تولى
سبحانه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فقال الثلث والثلث كثير وقد

تقدم

تقدم ما للعلما في هذا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تصدق عليكم بثلث
اموالكم عند وفاتكم زيادة في حسناتكم ليجعلها لكم زيادة اخرجه الدارقطني
وقال الحسن لا يجوز الوصيه الا بالثلث واليه ذهب البخاري واحتج بقوله تعالى
وان احكم بينهم بما انزل الله وحكم النبي صلى الله عليه وسلم بان الثلث كثير هو
الحكم بما انزل الله لمن تجاوز ما حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاد على الثلث
فقد اتى ما نهاه عنه النبي صلى الله عليه وسلم وكان بفعله ذلك عاصيا اذا كان
بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم عالما قال الشافعي وقوله الثلث كثير يريد
انه غير قليل قوله تعالى حقا على المتقين يعني ثابتا
ثبوت نظر وتحسين لا ثبوت فرض ووجوب بدليل قوله على المتقين
وهذا يدل على كونه ندبا لانه لو كان فرضا لكان على جميع المسلمين فلما خص
الله تعالى من يتقي اي يخاف تقصيرا دل على انه غير لازم الا فيما يتوقع تلفه
ان مات فيلزمه فرضا المبادره بكتبه والوصيه به لانه ان سكت عنه
كان تضييعا له وتقصيرا منه وقد تقدم هذا المعنى وانتصب حقا على المصدر
المولد ويجوز في غير القران حق بمعنى ذلك الحق
قال العلما المبادرة بكتب الوصيه ليست ماخوذة من هذه الايه وانما
هو من حديث ابن عمر وفايدتها المبالغه في زيادة الاستيثاق وكونها مكتوبة
مشهودا بها وهي الوصيه المتفق على العمل بها فلو اشهد العدول وقاموا
بتلك الشهادة لفظا لعمل بها وان لم تكتب خطا فلو كتبها بيده ولم يشهد فلم يختلف
قول مالك انه لا يعمل بها الا فيما يكون فيها من اقرار بحق لمن لا يتهم عليه فيلزم
تنفيذه قال ابن المنذر اجمع اهل العلم على ان الموصي اذا كتب كتابا وقراه
على الشهود او قرئ عليه الكتاب وعلى الشهود واقر بما فيه ان الشهادة

عليه جايزه واختلفوا في الرجل يكتب وصيته ويختم عليها ويقول اشهدوا على ما
في هذا الكتاب فاجازت طايفه ذلك وممن راي ذلك جايزا عبد الملك بن يعلي
ومكحول ومالك بن انس والليث بن سعد ومحمد بن مسلمه والاوزاعي وابو عبيد
واسحق واحتج ابو عبيد بكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عماله وامرايه
في امره ونهيه واحكامه وسننه ثم ما عملت به الخلفا الراشدون المهديون
بعده من كتبهم الى ولاتهم بالاحكام التي فيها الدما والفروج والاموال
يبعثون بها مختومه لا يعلم حاملها ما فيها فامضوها على وجوهها وفيه
قول ثان وهو ان ذلك لا يجوز حتى يسمعوا منه ما فيه او يقرا عليه فيقر
بما فيه هذا قول الحسن وابي قلابة والشافعي واصحاب الراي واحمد وابو ثور
وقال سفين الثوري اذا سيل المريض عن الشي فاوما براسه او بيده
فليس بشيء حتى يتكلم وقال الاوزاعي لا تجوز وصية من لم يتكلم وان اوما براسه
وبه قال النعمن وقال لا يشبه الاخرس يشير براسه قال ابن المنذر ولا فرق
بين الاخرس يشير فيفهم عنه وبين من منع الكلام فاشار باشارة تعلم عنه
وقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى وهو قاعد فاشار اليهم ان اقعدوا
قال ابن المنذر لمن اشار باشارة تفهم عنه اخرس كان او ممنوع الكلام استعمل ما
اشار اليه استدلالا بهذه السنه قال ابن المنذر واذا كتبها بين ايديهم وهم
ينظرون اليه او يقروا بها ثم قال اشهدوا ان هذه وصيتي كانت شهادتهم
جايزه في قول ابي ثور واصحاب الراي روى
الدارقطني في سننه عن انس بن مالك قال كانوا يكتبون في صدور وصاياهم
هذا ما اوصى به فلان بن فلان انه يشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده ورسوله وان الساعه لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور

واوصى

واوصي من ترك بعد من اهله بتقوى الله حق تقاته وان يصلحوا ذات بينهم ويطيعوا الله ورسوله ان كانوا مومنين واوصاهم بما وصى به ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ذكره بن المنذر ايضا بلفظه سوا وزاد البسمله بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما او

تذكره قال وروينا ان بن مسعود اوكتب في وصيته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اوصى به عبد الله بن مسعود ان حدث بي حادث الموت في مرضي هذا ان مرجع وصيتي الى الله عز وجل ثم الى الزبير بن العوام وابنه عبد الله بن الزبير وانهما في حل فيما وليا وقضيا وانه لا يزوج امراة من بنات عبد الله الا باذنهما

في الاوصيا قال بن المنذر اجمع اهل العلم على ان الوصيه الى المسلم الحر الثقه العدل جائزه واختلفوا في الوصيه الى المراة الحرة فقال عوام اهل العلم الوصيه اليها جايزة وبه قال ملك وسفين الثوري والاوزاعي والحسن بن صلح واحمد واسحق وابو ثور واصحاب الراي وهذا مذهب الشافعي واحتج احمد بان عمر رضي الله عنه اوصى الى حفصه وروينا عن عطا بن ابي رباح انه قال في رجل اوصى الى امراه قال لا تكون المراة وصيا فان فعل حولت الى رجل من قومه واختلفوا في الوصيه الى العبد فقال الشافعي وابو ثور ومحمد بن الحسن وابو يوسف لا يجوز وقال النخعي وملك والاوزاعي وبن عبد الحكم هي جايزه اذا اوصى الى عبده وقال اصحاب الراي الرجل الى عبد غيره فالوصيه باطله وان اجازه مولى العبد لان للمولى ان يبيعه فيخرجه من الوصيه وكذلك اذا اوصى الى عبده وفي الورثه كبير وان اوصى الى عبده وفي الورثه كبير صغار فان الوصيه اليه جايزه واختلفوا اذا او

صي

الى الكاتب فابطلها الشافعي وابو ثور واجازها النخعي واصحاب الراي اذا اوصى
الى مكاتبه قلت وهو يشبه مذهب ملك قال بن المنذر ولا يجوز الوصية
الى الذمي في قول ملك والشافعي وابو ثور واصحاب الراي ولا احفظ عن غيرهم
خلاف قولهم قال وبه يقول ويجوز وصية الذمي الى المسلم في قول الشافعي وابي
ثور واصحاب الراي وبه قال ملك اذا لم يكن في تركته الخمر والخنازير واختلفوا
في وصية الحربي الذمي فاجاز اصحاب الراي ذلك وقال ابو ثور اذا اتوا نعوا الينا
ابطلناه قال بن المنذر وهو يشبه مذهب الشافعي قلت وهو مذهب
ملك قال بن القاسم في الكتاب قال ملك المسخوط لا يجوز الوصيه اليه
وهو الشافعي وابو ثور في المسخوط واجاز اصحاب الراي الوصيه الى
المحدود في القذف وابطلوا الوصيه الى الفاسق المتهم المخوف على ماله قالوا
ويجعل القاضي مكانه وصيا قلت لا يجوز الوصيه عندنا للفاسق
المتهم ولا غير المتهم وقد اعتبر علماونا في الوصي اربعه شروط الاول
التكليف فلا تصح الى المجنون وصبي لانهما يحتاجان الى الوصي تكليف تفوض
اليهما الوصيه والثاني الاسلام فلا يجوز الوصية الى كافر ويعزل ان اوصى
اليه ولو كان ذميا الثالث العداله قال في الكتاب ولا يجوز الوصايه الى
او مسخوط ومن ليس بعدل ويعزل ان اوصي اليه ولو ولي العدل ثم طرا الفسق
عليه وجب عزله عنها قال بن المنذر اجمع كل من يحفظ عنه من اهل العلم على الوصي
اذا كان ثقه امينا غير مضيع ان نزع المال من يديه غير جائز واختلفوا في الوصي
يكون امينا فيتهم فقالت طايفه ان اتهم جعل جعل معه غيره لذلك قال الحسن
البصري ومحمد بن سيرين واحمد بن حنبل وقالت طايفه تنزع منه الوصيه اذا
اتهم لذلك قال سفين الثوري واسحق بن راهويه وقال الشافعي ان كان امينا

ضعيفا

ضعفا ضم اليه اخر فان ضعف عن الامانه اخرج بحال قلت وقال علماونا
ان لم يكن ظاهر العداله ضم اخر اليه استظهارا عليه الرابع الكفايه والهدايه
في التصرف فلا يفوض الي العاجز عن التصرف علي وفق المصلحة ولا تشترط الحريه
بل تجوز الوصيه الي العبد كان له او لغيره لانه مامون في نفسه يتاتى منه
تنفيذها فاشبه الحر الذكر ولا تشترط الذكوريه ايضا فلو اوصى الى زوجته
او غيرها ممن تصلح للوصيه صحت الوصيه اليها بل لو اوصى الى مستولدته او
مدبرته لصحت الوصيه اليها ولا يشترط نظر العين بل يجوز ان يسند الوصيه
الي الاعمى اذا كان علي الشروط المذكوره قوله تعالى
لمن بدله بعدما سمعه شرط وجوابه فانما اثمه على الذين يبدلونه او ما كافه
لان عن العمل واثمه رفع بالابتدا على الذين يبدلونه موضع الخبر والضمير بدله يرجع
الي الايصا لان الوصيه في معنى الايصا وكذلك الضمير في سمعه وهو كقوله فمن
جاه موعظه من ربه اي وعظ وقوله اذا حضر القسمه اي المال بدليل قوله
ومثله قول الشاعر ما هذه الصوت اي الصيحه وقال امرالقيس
برهرهه رودة رخصة كخرعوبة البانة المنفطر والمنفطر المنفتح بالورق
وهو انعم ما يكون ذهب الي القضيب وترك لفظ الخرعوبه وسمعه يحتمل
ان يكون سمعه من الموصي بنفسه ويحتمل ان يكون سمعه ممن ثبت به ذلك عنده
وذلك عدلان والضمير في اثمه عايد على التبديل اي اثم التبديل على المبدل
لا على الميت فان الموصي خرج بالوصيه عن اللوم وتوجهت على الوارث او الولي
وقيل ان هذا الموصي اذا غير فترك الوصيه او لم يجزها على ما رسم له في
الشرع فعليه الاثم في هذه الايه دليل
على ان الدين اذا اوصي به الميت خرج عن ذمته وحصل الولي مطلوبا به له الاجر

في قضايه وعليه الوزر في تاخيره قال القاضي ابو بكر بن العربي وهذا انما تصح اذا
كان الميت لم يفرط في اداه واما اذا قدر عليه وتركه ثم وصى به فانه لا يزيله
عن ذمته تفريط الولي فيه قال ابو عمر بن
عبد البر ولا خلاف انه اذا اوصى بما لا يجوز مثل ان يوصي بخمر او خنزير او بشي من
المعاصي انه يجوز تبديله ولا يجوز امضاوه كما لا يجوز امضا ما زاد على الثلث

قوله تعالى ان الله سميع عليم صفتان لله تعالى لا يخفى

معهما شي من جنف الموصين وتبديل المتعدين
لمن خاف من موص جنفا بمعنى خشي وقيل علم والاصل خوف فقلبت الواو الفا لتحركها وتحرك
ما قبلها واهل الكوفه يميلون خاف ليدلوا على الكسرة من فعلت من موص بالتشديد
قراه ابو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي وخفف الباقون والتخفيف ابين لان اكثر
النحويين يقولون موص للتكثير وقد وقد يجوز ان يكون مثل كرم واكرم جنفا الجنف
الجور من جنف يجنف اذا جار والاسم جنف وجانف عن النحاس وقيل الجنف الميل
قال الاعشى تجانف عن حجر اليمامه ناقتي وما قصدت من اهلها سوائكا
وفي الصحاح الجنف الميل وقد جنف بالكسر يجنف جنفا اذا مال ومنه قوله تعالى لمن خاف
من موص جنفا قال الشاعر هم المولى وان جنفوا علينا وانا من لقائهم لزور
قال ابو عبيد المولى هنا في موضع الموالي اي بني العم لقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا
وقال لبيد اني امرو منعت اورومه عامر ضيمي وقد جنفت علي خصوم قال
ابو عبيد ولذلك الجانف بالهمز هو المايل ايضا ويقال اجنف الرجل اي جا بالجنف
كما يقال الام اي اتى بما يلام عليه واخس اي اتى بخسيس وتجانف لاثم اي مال ورجل اجنف
اي منحني الظهر وجنفي على فعلى بضم الفا وفتح العين اسم موضع عن ابن السكيت وروي
عن علي رضي الله عنه انه قراها حيفا بالحا والفا اي ظلما

في المعنى المراد بالايه قال مجاهد لمن خاف اي من خشي ان يحنف الموصي ويقطع ميرات
طايفه ويتعمد الاذاية او ياتيها دون تعمد وذلك هو الجنف دون اثم فان تعمد فهو
الجنف في اثم فالمعنى من وعظه في ذلك ورده عنه فاصلح بذلك ما بينه وبين ورثته
او ما بين الورثه في ذاتهم فلا اثم عليه ان غفور عن الموصي اذا عملت فيه الموعظة ورجع
عما اراد من الاذايه وقال بن عباس وقتاده والربيع وغيرهم معنى الايه من خاف اي
من علم وراي واتى علمه عليه بعد موت الموصي جنف وتعمد اذايه بعض ورثته فاصلح ما
وقع بين الورثه من الاضطراب والاشتقاق فلا اثم عليه اي لا يلحقه اثم المبدل الذي لو فعل
ان كان في فعله تبديل ما ولابد ولكنه تبديل لمصلحه والتبديل الذي فيه الاثم
انما هو تبديل الهوي   الخطاب بقوله لمن خاف لجميع
المسلمين قيل لهم ان خفتم من موص ميلا في الوصيه وعدولا عن الحق ووقوعا في
اثم ولم يخرجها بالمعروف وذلك بان يوصي بالمال الي زوج ابنته او لولد ابنته لينصرف
المال الي ابنته او الي بن ابنه والفرض ان ينصرف المال الي ابنه او اوصي لبعيد وترك
القريب فبادروا الي السعي في الاصلاح بينهم فاذا وقع الصلح سقط الاثم عن
والاصلاح فرض علي الكفاية فاذا قام احدهم به سقط عن الباقين وان لم يفعلوا اثم
الكل قال بن المنذر روينا عن بن عباس انه قال في قوله تعالى لمن من موص جنفا يعني
انما يقول اذا اخطا الميت في وصيته او خاف فيها فليس فليس علي الاوليا حرج ان
خطاه الي الصواب وبه قال قتادة واحمد واسحاق وروينا عن الضحاك انه قال
الجنف الخطا والاثم العمد وكذلك قال الثوري وقال عطا والحساي في قوله جنفا
قال ميلا وقال ابو عبيده جورا عن الحق وعدولا وكان طاوس يقول في قوله تعالي
لمن خاف من موص جنفا او انما قال هو الرجل يوصي لولد ابنته يريد ابنته قول
طاوس يحتمل معنيين احدهما ان يقول للموصي قد اوصيت لولد ابني بكذا وكذا وانما

اريد ابنتي بذلك مردود لاتفاق اهل العلم عليه والمعنى الثاني ان يوصي الرجل لولده ثم
ولا يدكر في وصيته شيا يدل على خلاف ظاهر قوله عز وجل فالذى يوجب هذا انفاد
ذلك من الثلث ولا يجوز ان يظن به غير الظاهر لان النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم
فان الظن اكذب الحديث بل يستحب ان يوصي الرجل لقرابته لحديث النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الصدقة على المسكين صدقة وهي على ذوي الرحم ثنتان صلة وصدقة والذى
يجب ان يرد من وصايا الرجل من باب الميل والجور وصيته الرجل باكثر من ثلثه ووصيته
لبعض ورثته وان يوصي في ابواب المعاصي كلها

قال ابن العربي في هذه الاية دليل على الحكم بالظن لانه اذا ظن قصد الفساد وجب
السعي في الصلاح واذا تحقق الفساد لم يكن صلحا انما يكون حكما بالدفع وابطالا
للفساد وحسما له **قلت** هذا بنا على ان خاف بمعنى خشي فاصلح بينهم عطف على
والخائف عن الورثة ولم يجز لهم لانه قد عرف المعنى وجواب الشرط في قوله فمن
خاف فلا اثم عليه لاخلاف ان الصدقة في حال الحياة

والصحة افضل منها عند الموت لقوله عليه السلام وقد سيل اى الصدقة افضل
قال ان تصدق وانت صحيح شحيح الحديث اخرجه اهل الصحيح وروى الدارقطني عن
ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لان يتصدق المرء في حياته بدرهم
خير له من يتصدق عند موته بمايه وروى النساي عن ابي الدردا عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال مثل الذى ينفق او يتصدق عند موته مثل الذى يهدي بعد ما يشبع

وقد روى الدارقطني ايضا عن ابن عباس عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الاضرار في الوصيه من الكباير وروى ابو داود عن ابي هريره
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل والمراة ليعمل بطاعة الله ستين سنة
ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار وترجم النساي
الصلاه على من جنف في وصيته اخبرنا علي بن حجر بنا هشيم عن منصور وهو ابن زاذان

عن الحسن

عن الحسن عن سمرة عن عمران بن حصين ان رجلا اعتق ستة مملوكين له عند موته ولم
يكن له مال غيرهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فغضب من ذلك وقال
لقد هممت ان لا اصلي عليه فجزاهم ثلاثة اجزا ثم اقرع بينهم فاعتق اثنين ورق
اربعة واخرجه مسلم بمعناه الا انه قال في اخره وقال له قولا شديدا بدل
قوله لقد هممت ان لا اصلي عليه **قلت** فهذه جملة من احكام الوصايا وسياتي
من حكم الوصي وما يفعله في المال في هذه السورة عند قوله تعالى قل اصلاح
لهم خير وفي النسا عند قوله تعالى وابتلوا اليتامى ما فيه كفاية ان شا الله تعالى

تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من
قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من
ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين فمن تطوع خيرا فهو خير
له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون فيه ست وعشرون مسله

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام اي فرض عليكم ولما ذكر ما كتب
على المكلفين من القصاص والوصية ذكر ايضا انه كتب عليهم الصيام والزمهم
اياه واوجبه عليهم ولا خلاف فيه قال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على
خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله واقام الصلاة وايتا الزكاة
وصوم رمضان والحج رواه ابن عمر اخرجه الايمة والصيام في اللغة الامساك
وترك التنقل من حال الى حال ويقال للصمت صوم لانه امساك عن الكلام قال
الله تعالى مخبرا عن مريم اني نذرت للرحمن صوما اي سكوتا عن الكلام والصوم
ركود الريح وهو امساكها عن الهبوب وصامت الدابة على اريها قامت
وثبتت فلم تعتلف وصام النهار اعتدل وصامت الشمس حيث تستوي في
منتصف النهار ومنه قول النابغة   خيل صيام وخيل غير صايمة تحت

العجاج وخيل تعلك اللجما اي خيل ثابته ممسكه عن الجرى والحركه كما
قال كان الثريا علقت في مصامها اي هي ثابته في مواضعها فلا
تنتقل وقوله والبكرات شرهن الصايمه يعني التي لا تدور وقال امرء القيس
فدع ذا وسل الهم عنك بجسره ذمول اذا صام النهار وهجرا اي
ابطات الشمس عن الانتقال والسير فصارت بالابطا كالممسكه وقال الاخر
نعاما بوجره صفر الخدود ما تطعم النوم الا صياما اي قايمه والشعر
في هذا المعنى كثير والصوم في الشرع الامساك عن المفطرات مع اقتران النيه
به في طلوع الفجر الى غروب الشمس وتمامه وكماله باجتناب المحظورات وعدم
الوقوع في المحرمات لقوله عليه السلام من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله
حاجه في ان يدع طعامه وشرابه فضل الصوم عظيم وثوابه جسيم
جات بذلك اخبار كثيره صحاح وحسان ذكرها الايمه في مسانيدهم وسياتي
بعضها ويكفيك الان منها في فضله ان خصه الله بالاضافه اليه سبحانه كما ثبت
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مخبرا عن ربه يقول الله تعالى كل عمل ابن ادم له الا
الصوم فانه لي وانا اجزي به الحديث وانما خص سبحانه الصوم بانه له وان كان
العبادات كلها له لامرين بان الصوم بها ساير العبادات احدهما ان الصوم يمنع
من ملاذ النفس وشهواتها ما لا يمنع منه ساير العبادات الا الصلاه على ما تقدم
بيانه عند قوله تعالى وانها لكبيره الثاني ان الصوم سر بين العبد وبين ربه لا يظهر
له فلذلك صار مختصا به وما سواه من العبادات ظاهر ربما فعله تصنعا ورياء
فلهذا صار اخص بالصوم من غيره وقيل غير هذا فالله اعلم وقوله
تعالى كما كتب الكاف في موضع نصب على النعت التقدير كتبا كما او صوما كما او على الحال
من الصيام اي كتب عليكم الصيام مشبها كما كتب على الذين وقال بعض النحاه الكاف

في موضع

في موضع رفع نعتا للصيام وليس بتعريفه بمحض لمكان الاجمال الذي فيه مما فسرته
الشريعة فلذلك جاز نعته بما اذ لا ينعت بها الا النكرات فهو بمنزله كتب
عليكم صيام وقد ضعف هذا القول وما في موضع خفض وصلتها كتب على الذين
من قبلكم والضمير في كتب يعود على ما واختلف اهل التاويل في موضع التشبيه
فقال الشعبي وقتاده وغيرهما التشبيه يرجع الى وقت الصوم
وقدر الصوم فان الله كتب على موسى وعيسى صلوات الله عليهما صوم
رمضان فغيروا وزاد احبارهم عشره ايام ثم مرض بعض احبارهم فنذر
ان شفاه الله ان يزيد في صومهم عشره ايام ففعل فصار صوم النصارى
خمسين يوما فصعب عليهم في الحر فنقلوه الى الربيع واختار هذا القول النحاس
وقال وهو اشبه بما في الاية وفيه حديث يدل على صحته اسنده عن دغفل
بن حنظله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان على النصارى صوم شهر فمرض
رجل منهم فقالوا لئن شفاه الله لنزيدن عشرا ثم كان اخر فاكل لحما فوجع فاه
فقالوا لئن شفاه الله لنزيدن سبعا ثم كان ملك اخر فقالوا لنتمن هذه السبعة
ايام ونجعل صومنا في الربيع قال فصار خمسين وقال مجاهد كتب الله صوم
شهر رمضان على كل امه وقيل اخذوا بالوثيقه فصاموا قبل الثلاثين يوما
وبعدها يوما قرنا بعد قرن حتى بلغ صومهم خمسين يوما فصعب عليهم
في الحر فنقلوه الى الفصل الشمسي قال النقاش وفي ذلك حديث عن دغفل
بن حنظله والحسن البصري والسدي قلت ولهذا والله اعلم كره الان
صوم يوم الشك والسته من شوال باثر يوم الفطر متصلا به قال
الشعبي لو صمت السنه كلها لافطرت يوم الشك وذلك ان
النصارى فرض عليهم صيام شهر رمضان كما فرض علينا فحولوه الى الفصل

لام

الشمسي لانه قد كان وافق القبط بعد واثلاثين يوما ثم جا بعدهم قرنا فاخذوا
بالوثيقه لانفسهم فصاموا قبل الثلاثين يوما وبعدها يوما ثم لم يزل الاخر
يستن بسنه من كان قبله حتى صاروا الى خمسين يوما فذلك قوله كما كتب
على الذين من قبلكم يعني فرض على اهل الملل كلها فهذا قول وقيل التشبيه
واقع على صفة الصوم الذي كان عليهم من منعهم من الاكل والشرب والنكاح
فاذا جاز الافطار فلا يفعل هذه الاشيا من نام وكذلك كان في النصارى
اولا وكان في اول الاسلام ثم نسخه الله بقوله احل لكم ليله الصيام الرفث
الى نسايكم على ما ياتي بيانه قاله السدي وابو العاليه والربيع وقال معاذ
بن جبل وعطا التشبيه واقع على الصوم لا على الصفه ولا على العدد وان اختلف
الصيامان بالزيادة والنقصان المعنى كتب عليكم الصيام اي في اول الاسلام ثلاثه
ايام من كل شهر ويوم عاشورا كما كتب على الذين من قبلكم وهم اليهود في قول
بن عباس ثلاثة ايام ويوم عاشورا فصام صلى الله عليه وسلم كذلك حين قدومه
المدينه سبعة عشر شهرا ثم نسخ هذا في هذه الامة بشهر رمضان وقال
بن عباس كان اول ما نسخ شان القبله والصيام الاول وقال معاذ بن
جبل نسخ ذلك بايام معدودات ثم نسخت الايام برمضان فالله اعلم

لعلكم تتقون لعل ترجي في حقهم كما تقدم وتتقون قيل معناه
تضعفون فانه كلما قل الاكل ضعفت الشهوه وكلما ضعفت الشهوه قلت
المعاصي وهذا وجه مجازي حسن وقيل لتتقوا المعاصي وقيل هو على العموم لان
الصيام كما قال عليه السلام الصيام جنه ووجا وسبب تقوى لانه يميت
الشهوات   قوله تعالى فمن كان منكم مريضا للمريض حالتان
احداهما ان لا يطيق الصوم بحال فعليه الفطر واجبا الثانيه ان يقدر على

الخامسة

السادسة

الصوم

الصوم بزيادة مشقة فهذا يستحب له الفطر ولا يصوم الا جاهل قال ابن سيرين متى حصل الانسان في حال يستحق بها اسم المرض صح له الفطر قال ابن عطيه وهذا مذهب حذاق اصحاب مالك وبه يناظرون واما لفظ مالك فهو المرض الذي يشق على المرء ويبلغ به وقال ابن خواز منداد واختلفت الروايه عن مالك في المرض المبيح للفطر فقال مرة هو خوف التلف من الصيام وقال مرة شده المرض والزيادة فيه والمشقه الفادحة وهذا صحيح وهذا صحيح مذهبه وهو مقتضى الظاهر لانه لم يخص مرضا من مرض فهو مباح من كل مرض الا ما خصه الدليل من الصداع والحمى والمرض اليسير الذي لا كلفه معه في الصيام وقال الحسن اذا لم يقدر من المرض على الصلاه قايما افطر وقاله النخعي وقالت فرقه لا يفطر بالمرض الا من دعته ضرورة المرض نفسه الى الفطر ومتى احتمل الضرورة معه لم يفطر وهذا قول الشافعي رحمه قلت قول ابن سيرين اعدل شي في هذا الباب ان شا الله قال البخاري اعتللت بنيسابور علة خفيفة وذلك في شهر رمضان فعادني اسحاق بن راهويه في نفر من اصحابه فقال لي افطرت يا ابا عبد الله فقلت نعم فقال خشيت ان تضعف عن قبول الرخصه قلت انا عبدان عن ابن المبارك عن ابن جريج قال قلت لعطا من اي المرض افطر قال من اي مرض كان كما قال الله تعالى فمن كان منكم مريضا قال البخاري وهذا الحديث لم يكن عند اسحاق وقال ابو حنيفه اذا خاف الرجل على نفسه وهو صايم ان لم يفطر ان تزداد عينه وجعا او حماه شدة افطر

قوله تعالى او على سفر اختلف العلما في السفر الذي يجوز فيه الفطر بعد اجماعهم على سفر الطاعه كالحج والجهاد ويتصل بهذين سفر صله الرحم

وطلب المعاش الضروري واما سفر التجارات والمباحات فمختلف فيه
بالمنع والاجارة والقول بالجواز ارجح واما سفر المعاصي فمختلف فيه
بالجواز والمنع والقول بالمنع ارجح قاله بن عطيه ومسافه الفطر عند
ملك حيث تقصر الصلاه واختلف العلما في قدر ذلك فقال مالك يوم
وليله ثم رجع فقال ثمانيه واربعون ميلا قال بن خوارمنداد وهو
ظاهر مذهبه وقال مرة اثنان واربعون ميلا وقال مرة سته وثلاثون
ميلا وقال مرة مسيرة يوم وليله وروي عنه يومان وهو قول الشافعي
وفصل مرة بين البر والبحر فقال في البحر مسيره يوم وليله وقال في البر
ثمانيه واربعون ميلا وفي المذهب ثلاثون ميلا وفي غير المذهب ثلاثه
اميال وقال بن عمر وبن عباس والثوري الفطر في سفر ثلاثه ايام حكاه
بن عطيه قلت والذي في البخاري وكان بن عمر وبن عباس يفطران
ويقصران في اربعه برد وهي سته عشر فرسخا وسياتي لهذا الباب مزيد
بيان في سورة النسا عند قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلاه ان شا الله تعالى   اتفق الفقها
على ان المسافر في رمضان لا يجوز له ان يبيت الفطر لان المسافر لا يكون
مسافرا بالنيه بخلاف المقيم وانما يكون مسافرا بالعمل والنهوض والمقيم
لا يفتقر الى العمل لانه اذا اعمل نوى الاقامة كان مقيما في الحين لان الاقامة
لا تفتقر الى عمل ولا خلاف بينهم ايضا في الذي يومل السفر انه لا يجوز له
ان يفطر قبل ان يخرج فان افطر فقال بن حبيب ان كان قد تاهب لسفره
واخذ في اسبا الحركه فلا شي عليه وحكى ذلك عن اصبغ وبن الماجشون فان
عاقه عن السفر عايق كان عليه الكفارة وحسبه ان يخرج ان سافر وروي

عن

عن ابن القاسم انه ليس عليه الا قضا يوم لانه متاول في فطره وقال اشهب لا
شي عليه من الكفارة سافر او لم يسافر وقال سحنون عليه الكفارة سافر او لم
يسافر وهو بمنزلة المراة تقول غدا تاتيني حيضتي فتفطر لذلك ثم رجع الى
قول عبد الملك واصبغ وقال ليس مثل المراة لان الرجل يحدث السفر اذا شا
والمراة لا تحدث الحيضة **قلت** قول ابن القاسم واشهب في نفي الكفارة حسن
لانه فعل ما يجوز له فعله والذمة بريه فلا يثبت فيها شي الا بيقين ولا يقين
مع الاختلاف ثم انه قوله تعالى او على سفر وقال ابو عمر بن عبد البر هذا اصح
اقاويلهم في هذه المسالة لانه غير منتهك لحرمة الصوم بقصد الى ذلك وانما
هو متاول ولو كان الاكل مع نية السفر توجب عليه الكفارة لانه كان
قبل خروجه ما اسقطها عنه خروجه فتامل ذلك تجده كذلك **قلت**
وقد روى الدارقطني في سننه نا ابو بكر النيسابوري نا اسمعيل بن
اسحق بن سهاب بمصر نا ابن ابي مريم نا محمد بن جعفر اخبرني زيد بن اسلم قال
اخبرني محمد بن المنكدر عن محمد بن كعب انه قال اتيت انس بن مالك في رمضان
وهو يريد السفر وقد رحلت دابته ولبس ثياب السفر وقد تقارب غروب
الشمس فدعا بطعام فاكل منه ثم ركب فقلت له سنه قال
نعم وروى عن انس ايضا قال قال لي ابو موسى الم انبا انك اذا خرجت
خرجت صايما واذا دخلت دخلت صايما فاذا خرجت فاخرج مفطرا
واذا دخلت فادخل مفطرا وقال الحسن البصري يفطر ان شا في بيته يوم يريد
ان يخرج وقال احمد يفطر اذا برز عن البيوت وقال اسحق لا بل حين يضع رجله
في الرحل قال ابن المنذر قول احمد صحيح لانهم يقولون لمن اصبح صحيحا ثم
اعتل انه يفطر بقيه يومه ولذلك اذا اصبح في الحضر ثم خرج الى السفر

فله لذلك اذا اصبح في الحضر ثم خرج الى السفر فله لذلك ان يفطر وقالت
طايفه لا يفطر يومه ذلك وان نهض في سفره لذلك قال الزهري ومكحول
ويحيى الانصاري وملك والاوزاعي والشافعي وابو ثور واصحاب الراي
واختلفوا ان فعل فكلهم قال يقضي ولا يكفر قال ملك لان السفر عذر طارفكان
كالمريض يطرا عليه وروي عن بعض اصحاب ملك انه يقضي ويكفر وهو ابن
كنانه والمخزومي وحكاه القاضي ابو الوليد الباجي عن الشافعي واختاره ابن العربي
وقال به قال لان السفر عذر طرا بعد لزوم العبادة ويخالف المرض
والحيض لان المرض يبيح له الفطر والحيض يحرم عليها الصوم والسفر لا يبيح
له ذلك فوجبت عليه الكفارة لهتك حرمته قال ابو عمر وليس هذا
بشي لان الله سبحانه قد اباح له الفطر في الكتاب والسنه واما قولهم
لا يفطر فانما ذلك استحباب لما عقده فان اخذ برخصه كان عليه القضا
واما الكفارة فلا وجه لها ومن اوجبها فقد اوجب ما لم يوجبه الله ولا
رسوله صلى الله عليه وسلم وقد روي عن ابن عمر في هذه المسله يفطر ان شا
في يومه ذلك اذا خرج مسافرا وهو قول الشعبي واحمد واسحق قلت
وقد ترجم البخاري رحمه الله على هذه المسله باب من افطر في السفر ليراه
الناس وساق حديث ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المدينه الى مكه فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا بما فرفعه الى يديه ليراه
الناس فافطر حتى قدم مكه وذلك في رمضان واخرجه مسلم ايضا عن ابن عباس
وقال فيه ثم دعا بانا فيه شراب فشربه نهارا ليراه الناس ثم افطر حتى
دخل مكه وهذا نص في الباب فسقط ما خالفه وبالله التوفيق وفيه ايضا حجه
على من يقول ان الصوم لا ينعقد في السفر روي عن عمر وابن عباس وابي

هريره

هريره وبن عمر قال بن عمر من صام في السفر قضى في الحضر وعن عبد الرحمن عوف
الصايم في السفر كالمفطر في الحضر وقال به قوم من اهل الظاهر واحتجوا بقوله
تعالى فعدة من ايام اخر على ما ياتي بيانه وبما روي عن كعب بن عاصم قال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليس من البر الصيام في السفر وفيه ايضا حجة لمن
يقول ان من بيت الصوم في السفر فان له ان يفطر وان لم يكن له عذر واليه ذهب
مطرف وهو احد قولي الشافعي وعليه جماعة من اصحاب الحديث وكان ملك
يوجب عليه القضا والكفارة لانه كان مخيرا في الصوم والفطر فلما اختار
الصوم وبيته لزمه ولم يكن له الفطر فان افطر عامدا من غير عذر كان عليه
عليه القضا والكفارة وقد روي عنه انه لا كفارة عليه وهو قول اكثر اصحابه الا
عبد الملك فانه قال ان افطر بجماع كفر لانه لا يقوي بذلك على سفره وقال
ساير الفقها بالحجاز والعراق انه لا كفارة عليه منهم الثوري والاوزاعي
والشافعي وابو حنيفه وساير فقها الكوفه قاله ابو عمر
واختلف العلما ايضا في الافضل من الفطر او الصوم في السفر فقال ملك والشافعي
في بعض ما روي عنهما الصوم افضل لمن قوي عليه وجل مذهب ملك
التخيير وكذلك مذهب الشافعي قال الشافعي ومن اتبعه هو مخير ولم يفصل
وكذلك بن علية لحديث انس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في رمضان فلم يعب الصايم على المفطر ولا المفطر على الصايم خرجه ملك والبخاري
ومسلم وروي عن عثمان بن ابي العاص الثقفي وانس بن ملك صاحبي رسول الله
صلى الله عليه وسلم انهما قالا الصوم في السفر افضل لمن قدر عليه وهو قول ابي حنيفه
وروي عن بن عمر وبن عباس الرخصة افضل وقال به سعيد بن المسيب والشعبي
وعمر بن عبد العزيز ومجاهد وقتادة والاوزاعي واحمد واسحق كل هولا يقولون

الفطر افضل لقول الله تعالى يريد الله بكم اليسر   قوله تعالى فعدة
من ايام اخر في الكلام حذف فاي من يكن منكم مريضا او مسافرا فافطر فليقض
والجمهور من العلما على ان اهل البلد اذا صاموا تسعة وعشرين يوما وفي البلد
رجل مريض لم يصح فانه يقضي تسعة وعشرين يوما وقال قوم منهم الحسن   يصح
بن صالح بن حي يقضي شهرا بشهر من غير مراعاة عدد الايام قال الكيا الطبري
وهذا بعيد لقوله تعالى فعدة من ايام اخر ولم يقل فشهرا من ايام اخر وقوله
فعدة يقتضي استيفا عدد ما افطر فيه ولا شك انه اذا افطر بعض رمضان
وجب عليه قضا ما افطر بعدده لذلك يجب ان يكون حكم افطاره جميعه في
اعتبار عدده   قوله تعالى فعدة من ايام اخر ارتفع عدة
على خبر الابتدا تقديره فالحكم او فالواجب عدة ويصح فعليه عدة وقال
الكسائي ويجوز فعدة اي فليصم عدة وقيل المعنى فعليه صيام عدة فحذف
المضاف واقيمت العدة مقامه والعدة فعلة من العد وهي بمعنى المعدود
كالطحن بمعنى المطحون تقول اسمع جعجعة ولا ارى طحنا ومنه عدة المراه
من ايام اخر لم ينصرف اخر عند سيبويه لانها معدولة عن الالف واللام لان
سبيل فعل من هذا الباب ان ياتي بالالف واللام نحو الكبر والفضل وقال
الكسائي هي معدولة عن اخر كما تقول حمرا وحمر فلذلك لم ينصرف وقيل
منعت من الصرف لانها على وزن جمع وهي صفة لايام ولم تجي اخرى لئلا
يشكل بانها صفة للعدة وقيل ان اخر جمع اخرى كانه قال ايام اخرى ثم
كثرت فقيل ايام اخر وقيل ان نعت الايام يكون مونثا فلذلك نعت باخر
احتلف الناس في وجوب تتابعها على قولين ذكرهما الدا
رقطني في سننه فروي عن عايشه رضي الله عنها قالت نزلت فعدة من

ايام اخر متتابعات فسقطت متتابعات قال اسناد صحيح وروي
ابي هريرة قال قال رسول الله من كان عليه صوم من رمضان فليسرده ولا
يقطعه في اسناده عبد الرحمن بن ابراهيم ضعيف الحديث واسند عن
عباس في قضاء رمضان صمه كيف شئت وقال ابن عمر صمه كما افطرته
واسند عن ابي عبيدة بن الجراح وابن عباس وابي هريرة ومعاذ بن
جبل وعمرو بن العاصي وعن محمد بن المنكدر قال بلغني ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سئل عن تقطيع صيام رمضان فقال ذلك اليك ارايت لو
كان على احدكم دين فقضى الدرهم والدرهمين الم يكن قضى فالله احق ان يعفو
ويغفر اسناده حسن الا انه مرسل ولا يثبت متصلا وفي موطا مالك
عن نافع ان عبد الله بن عمر كان يقول يصوم رمضان متتابعا من افطره
متتابعا من مرض او سفر قال الباجي في المنتقى يحتمل ان يريد الاخبار عن
الوجوب ويحتمل ان يريد الاخبار عن الاستحباب وعلى الاستحباب
جمهور الفقها وان فرقه اجزاه وبذلك قال مالك والشافعي والدليل على
صحة هذا قوله تعالى فعدة من ايام اخر ولم يخص متفرقة من متتابعة واذا
اتى بها متفرقة فقد اتى صام عدة من ايام اخر فوجب ان يجزيه ابن العربي انما
وجب التتابع في الشهر لكونه معينا وقد عدم التعيين في القضا فجاز التفريق
لما قال تعالى فعدة من ايام اخر دل ذلك على وجوب
القضا من غير تعيين لزمان لان اللفظ مسترسل على الازمان لا يختص
ببعضها دون بعض وفي الصحيحين عن عايشة رضي الله عنها قالت انه يكون
على الصوم من رمضان فما استطيع ان اقضيه الا في شعبان الشغل من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية وذلك لمكان رسول الله صلى الله

عليه وسلم وهذا نص في زيادة بيان للآية وذلك يرد على داود قوله يقول

انه يجب عليه قضاء يوم ثاني فلم يصمه ثم مات فهو عاص ويبني عليه انه لو
وجب عليه عتق رقبة فوجد الرقبة تباع بثمن فليس له ان يتعداها
ويشتري غيرها لان الفرض عليه ان يعتق اول رقبة يجدها فلا يجزيه غيرها
ولو كان عنده رقبة فلا يجوز له ان يشتري غيرها ولو مات الذي عنده فلا
يبطل العتق كما يبطل فيمن نذر ان يعتق رقبة بعينها فمات يبطل نذره وذلك
يفسد قوله وقال بعض الاصوليين اذا مات بعد مضي اليوم الثاني من
شوال لا يعصي على شرط العزم والصحيح انه غير آثم ولا مفرط وهو
قول الجمهور غير انه يستحب له تعجيل القضا لئلا تدركه المنية فيبقى عليه
الفرض   من كان عليه قضا ايام من رمضان
فمضت عليه عدتها من الايام بعد الفطر امكنه فيها صيامه فاخر ذلك
ثم جاءه مانع منعه من القضا الى رمضان آخر فلا اطعام عليه لانه ليس بمفرط
حين فعل ما يجوز له من التاخير هذا قول البغداديين من المالكيين ويرونه
قول ابن القاسم في المدونه   فان اخر قضاءه عن
شعبان الذي هو غاية الزمان الذي يقضي فيه رمضان فهل تلزمه لذلك كفارة
ام لا فقال ملك والشافعي واحمد واسحق نعم وقال ابو حنيفه والحسن
والنخعي وداود لا قلت والى هذا ذهب البخاري رحمه الله لقوله ويذكر
عن ابي هريرة مرسلا وابن عباس انه يطعم ولم يذكر الله الاطعام انما قال
فعدة من ايام اخر قلت قد جاء عن ابي هريرة مسندا فيمن فرط في
قضاء رمضان حتى ادركه رمضان آخر قال يصوم هذا مع الناس ويصوم
الذي فرط فيه ويطعم لكل يوم مسكينا اخرجه الدارقطني وقال اسناده

صحيح

صحيح وروى عنه مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم فى رجل افطر فى شهر رمضا
ن من مرض ثم صح ولم يصم حتى ادركه رمضان اخر قال يصوم للذى ادركه ثم يصوم
الشهر الذى افطر فيه ويطعم كل يوم مسكينا فى اسناده بن نافع وبن وجيه
ضعيفان فان تمادى به المرض فلم يصح حتى جا
رمضان اخر فروى فروى الدارقطنى عن بن عمر يطعم مكان كل يوم مسكينا مدا
من حنطة ثم ليس عليه قضا وروى عن ابى هريرة انه قال اذا لم يصح بين الرمضانين
صام عن هذا واطعم عن الثانى ولا قضا عليه واذا صح فلم يصم حتى ادركه
رمضان اخر صام عن هذا واطعم عن الماضى فاذا افطر قضا اسناده
صحيح قال علماونا الى الصحابه خلاف القياس قد يحتج بها وروى
عن بن عباس ان رجلا جا اليه فقال مرضت رمضانين فقال له بن عباس
استمر بك المرض او صحت بينهما فقال بل صحت بينهما رمضانين واطعم
ستين مسكينا وهذا بدل من قوله انه لو تمادى به مرضه لا قضا عليه وهذا
يشبه مذهبهم فى الحامل والمرضع انهما يطعمان ولا قضا عليهما على
ما ياتى واختلف من اوجب عليه الاطعام فى
قدر ما يجب ان يطعم فكان ابو هريرة والقاسم بن محمد ومالك والشا فعى
يقولون يطعم عن كل يوم مدا وقال الثورى يطعم نصف صاع عن
كل يوم وهو قول واختلفوا فيمن افطر او جامع
فى قضا رمضان ماذا يجب عليه فقال مالك من افطر يوما من قضا رمضا ن
ناسيا لم يجب عليه شى غير قضايه ويستحب له ان يتمادى فيه للاختلاف
ثم يقضيه ولو افطره عامدا اثم ولم يجب عليه غير قضا ذلك اليوم ولا
يتمادى لانه لا معنى لكفه عما يكف الصايم هاهنا اذ هو غير صايم

عند جماعه العلما لافطاره عامدا واما الكفاره فلا خلاف عن ملك و
انها لا تجب في ذلك وهو قول جمهور العلما قال ملك ليس على من افطر
يوما من قضا رمضان باصابه اهله او غير ذلك او غير ذلك كفارة وانما
عليه قضا ذلك اليوم وقال قتاده على من جامع في قضا رمضان القضا والكفارة
وروي بن القاسم عن ملك ان من افطر في قضا رمضان فعليه يومان وكان بن
القاسم يفتي به ثم رجع ثم قال ان افطر عمدا في قضا القضا كان عليه مكانه
صيام يومين لمن افسد صحه باصابه اهله وحج قابلا فافسد حجه باصابه
اهله كان عليه حجتان قال ابو عمر قد خالفه في الحج بن وهب وعبد الملك
وليس يجب القياس على اصل مختلف فيه والصواب عندي والله اعلم انه
ليس عليه في الوجهين الا قضا يوم واحد لانه يوم واحد افسده مرتين
قلت وهو مقتضى قوله تعالى فعده من ايام اخر فمتى اتا بيوم تام بدلا
عما افطره في قضا رمضان فقد اتا بالواجب عليه لا يجب عليه غير ذلك
والله اعلم

والجمهور من العلما على ان من افطر
في رمضان لعله فمات من علته تلك او مسافر فمات في سفره ذلك انه لا
شي عليه وقال طاوس وقتاده في المريض يموت قبل ان يصح يطعم عنه
والله اعلم

واختلفوا في من مات وعليه
صوم من رمضان لم يقضه فقال ملك والشافعي والثوري لا يصوم
احد عن احد وقال احمد واسحق وابو ثور والليث وابو عبيد واهل
الظاهر يصام عنه الا انهم خصصوه بالنذر وروي مثله عن الشافعي
وقال احمد واسحق في قضا رمضان يطعم عنه احتج من قال بالصوم بما
رواه مسلم عن عايشه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات

وعليه

وعليه صيام صام عنه وليه الا ان هذا عام في الصوم يخصصه ما رواه
مسلم ايضا عن ابن عباس قال جاءت امراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله ان امي ماتت وعليها صوم نذر وفي رواية صوم م
شهر افاصوم عنها قال ارايت لو كان على امك دين فقضيته اكان
يودي ذلك عنها قالت نعم قال فصومي عن امك احتج مالك ومن
وافقه بقوله سبحانه ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله وان
ليس للانسان الا ما سعى وقوله ولا تكسب كل نفس الا عليها
وبما خرجه النساي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لا يصلي احد عن احد ولا يصوم احد عن احد ولكن يطعم عنه مكان ن
كل يوم مد من حنطة قلت وهذا الحديث ايضا عام فيحتمل ان
يكون المراد بقوله لا يصوم احد عن احد صوم رمضان فاما صوم
يوم النذر فيجوز بدليل حديث ابن عباس وقد جا وصح ايضا
من حديث بريدة نحو حديث ابن عباس في بعض طرقه صوم شهرين
افاصوم عنها قال صومي عنها قالت انها لم تحج قط افاحج عنها قال
حجي عنها فقولها شهرين يبعد ان يكون رمضان والله اعلم واقوى ما يحتج
به لمالك انه عمل اهل المدينة ويعضده القياس الجلي وهو انه عبادة
بدنية لا مدخل للمال فيها فلا تفعل عن من وجبت عليه كالصلاة ولا
ينقض هذا بالحج لان للمال فيه مدخلا على ما ياتي بيانه في ال عمران ان شا
الله تعالى وقد استدل بهذه الاية من
قال ان الصوم لا ينعقد في السفر وعليه القضا ابدا فان الله عز وجل
يقول فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر اي فعليه عدة

ولا حذف في الكلام ولا اضمار وبقوله عليه السلام ليس من البر الصيام
في السفر قالوا وما لم يكن من البر فهو من الاثم فدل ذلك ان صوم رمضان
لا يجوز في السفر والجمهور يقولون فيه محذوف فافطر كما تقدم وهو
الصحيح لحديث انس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في رمضان فلم يعب الصايم على المفطر ولا المفطر على الصايم رواه مالك
عن حميد الطويل عن انس واخرجه مسلم عن ابي سعيد الخدري قال غزونا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لست عشره مضت من رمضان فمنا
من صام ومنا من افطر فلم يعب الصايم على المفطر ولا المفطر على الصايم
واما قوله عليه السلام ليس من البر الصيام في السفر فانما خرج بلفظه على
شخص معين وهو رجل راه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صايم قد
ظلل عليه وهو يجود بنفسه فقال ذلك القول اي ليس البر ان يبلغ الانسان
بنفسه هذا المبلغ والله قد رخص له في الفطر روي جابر بن عبد الله قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فراى زحاما ورجلا قد ظلل
عليه فقال ما هذا فقالوا صايم فقال ليس من البر ان تصوموا في السفر

قوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام
مساكين قرا الجمهور بكسر الطا وسكون اليا واصله يطيقونه نقلت الكسره
الى الطا وانقلبت الواو يا لانكسار ما قبلها وقرا حميد على الاصل
من غير اعتلال والقياس الاعتلال ومشهور قراه ابن عباس يطوقونه
بفتح الطا مخففا وتشديد الواو بمعنى يطوقونه وقد روي عنه مجاهد
يطيقونه باليا بعد الطا على لفظ يكيلونه وهي باطلة ومحال لان الفعل
ماخوذ من الطوق فالواو لازمه واجبه ولا مدخل لليا في هذا المثال

قال

قال ابو بكر الانباري وانشدنا احمد بن يحيى النحوي لابي ذويب وقيل
حمل فوق طوقك انها مطيعة من يانها لا يضيرها فاظهر الواو في الطرق
وصح بذلك ان واضع اليا محلها يفارق الصواب وروى بن الانباري
عن بن عباس يطيقونه بفتح اليا وتشديد الطا واليا مفتوحتين بمعنى
يطيقونه يقال طاق والطاق والطيق بمعنى وعن بن عباس وعايشه وطاوس
وعمرو بن دينار يطوقونه بفتح اليا وشد الطا مفتوحه وهي صواب
في اللغة لان الاصل يتطوقونه فاسكنت التا وادغمت في الطا فصارت
طا مشدده وليست من القران خلافا لمن اثبتها وانما قراة على التفسير
وقرا اهل المدينه والشام فديه طعام مضافا مسكين جمعا وقرا
بن عباس مسكين بالافراد فيما ذكر البخاري وابو داود والنساي عن
عطا عنه وهي قراه حسنه لانها بينت الحكم في اليوم واختارها ابو عبيد
وهي قراه ابي عمرو وحمزه والكساي قال ابو عبيد فبينت ان
لكل يوم اطعام واحد فالواحد مترجم عن الجميع وليس الجميع مترجم
عن الواحد وجمع المساكين لا ندري كم منهم في اليوم الا من غير الايه
وتخرج قراة الجمع في مساكين لما كان الذين يطيقونه جمع وكل واحد
منهم يلزمه مسكين فجمع لفظه كما قال تعالى والذين يرمون
المحصنات ثم لم ياتوا باربعه شهدا فاجلدوهم ثمانين جلده اي اجلدوا
كل واحد منهم ثمانين جلده فليست الثمانين مفترقه جميعهم بل لكل
واحد ثمانون قال معناه ابو علي واختار قرا الجمع النحاس وقال وما
اختاره ابو عبيد مردود لان هذا انما يعرف بالدلاله منه علم ان
معنى وعلى الذين يطيقونه فديه طعام مسكين ان لكل يوم مسكينا

فالاختيار هذه القراءة لترد جمعا على جمع قال النحاس واختار ابو عبيد
ان يقرا فدية طعام قال لان الطعام هو الفدية ولا يجوز ان يكون
الطعام نعتا لانه جوهر ولكنه يجوز على البدل وابين منه ان يقرا فدية
طعام بالاضافة لان فدية مبهمة تقع للطعام وغيره فصار مثل قولك
هذا ثوب خز واختلف العلما في المراد بالاية
فقيل هي منسوخة روى البخاري وقال ابن نمير ثنا عمرو بن مرة ثنا ابن ابي
ليلى ثنا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نزل رمضان فشق عليهم فكان من
اطعم كل يوم مسكينا ترك الصوم ممن يطيقه ورخص لهم في ذلك
فنسختها وان تصوموا خير لكم وعلى هذا قراة الجمهور يطيقونه اي يقدرون
عليه لان فرض الصيام هكذا من اراد صام ومن اراد افطر واطعم
مسكينا وقيل ان حكمها ثابت وان معنى قوله تعالى وعلى الذين يطيقونه
اي الذين كانوا يطيقونه في حال شبابهم فاذا كبروا وعجزوا عن
الصوم لكبرهم فلهم ان يفطروا ويفتدوا وقال سعيد بن المسيب
والسدي وقال ابن عباس نزلت هذه الاية رخصة للشيوخ
والعجز خاصة اذا افطروا وهم يطيقون الصوم ثم نسخت بقوله
فمن شهد منكم الشهر فزالت الرخصة الا لمن عجز منهم قال الفرا الضمير
في يطيقونه يجوز ان يعود على الصيام اي وعلى الذين يطيقون الصيام
ان يطعموا اذا افطروا ثم نسخ بقوله وان تصوموا خير لكم ويجوز
ان يعود على الفدا اي وعلى الذين يطيقون الفدا فدية واما قراة يطو
قونه على معنى يكلفونه مع المشقة اللاحقة لهم كالمريض والحامل
فانهما يقدران عليه لكن بمشقة تلحقهم في انفسهم فان صاموا اجزاهم

موم

وان

وان فندوا فهم ذلك فقد فسر ابن عباس ان كان الاسناد عنه صحيحا يطوقونه
يطوقونه ويكلفونه وادخله بعض النقلة في القران وروى ابو داود عن
ابن عباس وعلى الذين يطيقونه قال اثبتت للحبلى والمرضع وروى عنه ايضا
وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين قال كانت رخصة للشيخ الكبير
والمراة الكبيرة وهما يطيقان الصوم ان يفطرا ويطعما مكان كل يوم مسكينا
والحبلى والمرضع اذا خافتا على اولادهما افطرتا واطعمتا وخرج الدار قطني
عنه ايضا قال رخص للشيخ الكبير ان يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا
ولا قضا عليه هذا اسناد صحيح وروى عنه وعلى الذين يطيقونه فدية
طعام ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمراة الكبيرة لا يستطيعان
ان يصوما فيطعما مكان كل يوم مسكينا وهذا صحيح وروى عنه انه قال
لام ولد له حبلى او مرضع انت من الذين يطيقون الصيام عليك الجزا ولا
عليك القضا وهذا اسناد صحيح وفي رواية كانت له امة ترضع من غير
شك فاجهدت فامرها ان تفطر ولا تقضي هذا حديث صحيح قلت
فقد ثبت بالاسانيد الصحاح عن ابن عباس ان الاية ليست بمنسوخة
وانها محكمة في حق من ذكروا القول الاول صحيح ايضا الا انه يحتمل ان يكون
هناك بمعنى التخصيص فكثيرا ما يطلق المتقدمون النسخ بمعناه والله
اعلم وقال الحسن البصري وعطا بن ابي رباح والضحاك والنخعي والزهري
وربيعة والاوزاعي واصحاب الراي الحامل والمرضع يفطران ولا اطعام
عليهما بمنزلة المريض يفطر ويقضي وبه قال ابو عبيد وابو ثور واختاره
ابن المنذر وهو قول مالك في الحبلى ان افطرت فاما المرضع ان افطرت
فعليها القضا والاطعام وقال الشافعي واحمد يفطران ويطعمان ويقضيان

واجمعوا على ان المشايخ والعجايز الذين لا يطيقون الصيام او يطيقونه على مشقه
شديده ان يفطروا واختلفوا فيما عليهم فقال ربيعه ومالك لا شي عليهم غير
انه قال لو اطعموا عن كل يوم مسكينا كان احب الي وقال انس وابن عباس
وقيس بن السايب وابو هريره عليهم الفديه وهو قول الشافعي واصحاب
الراي واحمد واسحاق اتباعا لقول الصحابه وقوله تعالى فمن كان منكم مريضا
او على سفر فعده من ايام اخر ثم قال وعلى الذين يطيقونه طعام مسكين
وهولا ليسوا بمرضى ولا مسافرين فوجبت عليهم الفديه والدليل لقول
مالك ان هذا مفطر لعذر موجود فيه وهو الشيخ والكبر فلم يلزمه
الاطعام كالمسافر والمريض وروي هذا عن الثوري ومكحول واختاره
ابن المنذر واختلف من اوجب الفديه على من
ذكر في مقدارها فقال مالك مد بمد النبي صلى الله عليه وسلم عن كل يوم
افطره وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفه [كل] يوم صاع تمرا او نصف صاع بر
وروي عن ابن عباس نصف صاع من حنطه ذكره الدارقطني وروي
عن ابي هريره قال من ادركه الكبر فلم يستطع ان يصوم
فعليه لكل يوم مد من قمح وروي عن ابن عباس ان انس بن مالك انه ضعف
عن الصوم عاما فصنع جفنه من طعام ثم دعا ثلاثين مسكينا فاشبعهم
قوله تعالى فمن تطوع خيرا فهو خير له قال
ابن شهاب من اراد الاطعام مع الصوم وقال مجاهد من زاد في الاطعام على
المد ابن عباس فمن تطوع خيرا قال مسكينا اخر فهو خير له ذكره الدارقطني
وقال اسناده صحيح ثابت وخيرا الثاني صفه تفضيل وكذلك الثالث
وخير الاول وقرا عيسى بن عمر ويحيى بن وثاب وحمزه والكسائي

تطوع

٩٩

تطوع خيرا مشددا وجزم العين على معنى يتطوع الباقون تطوع بالتا مخففه
الطا وفتح العين على الماضي وان تصوموا
خير لكم اي والصيام خير لكم ولنا قرا اي من الافطار مع الفديه وكان هذا
قبل النسخ وقيل وان تصوموا في السفر والمرض غير الشاق والله اعلم وفي
الجمله فانه يقتضي الحض على الصوم اي فاعلموا ذلك وصوموا
تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى
والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر
فعده من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العده
ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون فيه اثنان وعشرون مسله
قوله تعالى شهر رمضان قال اهل التاريخ اول من صام رمضان
نوح عليه السلام لما خرج من السفينه **قلت** وقد تقدم من قول
مجاهد وغيره كتب الله رمضان على كل امه ومعلوم انه كان قبل نوح امم
فالله اعلم والشهر مشتق من الاشتهار لانه مشتهر لا يتعذر علمه على
احد يريده ومنه يقال شهرت السيف اذا سللته ورمضان
ماخوذ من رمض الصايم يرمض اذا حر جوفه من شده العطش والرمض
ممد وده شده الحر ومنه الحديث صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال
خرجه مسلم ورمض الفصال ان تحرق الرمضا اخفافها فتبرك من شده حرها
فرمضان فيما ذكروا وافق شده الحر فهو ماخوذ من الرمضا قال الجوهري
وشهر رمضان يجمع على رمضانات وارمضا يقال انهم لما نقلوا اسما
الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها
فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسمي بذلك وقيل انما سمي رمضان

مطلب اول من صام شهر رمضان نوح عم

لانه يرمض الذنوب اي يحرقها بالاعمال الصالحه من الارماض وهو
الاحراق ومنه رمضت قدمه من الرمضا اى احترقت وارمضتنى
الرمضا اي احرقتني ومنه قيل ارمضني الامر وقيل لان القلوب
تاخذ فيه من حرارة الموعظه والفكره في امر الاخره كما ياخذ الرمل والحجارة
من حر الشمس والرمضا الحجاره المحماه وقيل هو من رمضت النصل ارمضه
وارمضه رمضا اذا دققته بين حجرين ليرق ومنه نصل رميض ومرموض
عن ابن السكيت وسمي الشهر به لانهم كانوا يرمضون اسلحتهم في رمضان
ليحاربوا بها في شوال قبل دخول الاشهر الحرم وحكى الماوردي ان اسمه في
الجاهليه ناتق وانشد للمفضل   وفي ناتق اجلت لدى حرمة الوغا
وولت على الادبار فرسان خثعما   قوله تعالى قراه الجماعه شهر
بالرفع على الابتدا والخبر الذي انزل فيه القران او يرتفع على اضمار مبتدا
المعنى المفروض عليكم صومه شهر رمضان او فيما كتب عليكم شهر رمضان
ويجوز ان يكون شهر مبتدا والذى انزل فيه القران صفه والخبر فمن شهد
منكم الشهر واعيد ذكر الشهر تعظيما كقوله الحاقه ما الحاقه على ما
تقدم وجاز ان يدخله الفا لان شهر رمضان وان كان معرفه فليس
معرفه بعينها لانه شايع في جميع القابل قاله ابو على وروى عن مجاهد
وشهر بن حوشب ورواها هارون الاعور عن ابي عمرو ومعناه الزموا
شهر رمضان او صوموا والذى انزل فيه القران نعت له ولا يجوز ان
ينتصب بتصوموا لئلا يفرق بين الصله والموصول بخبر ان تصوموا
وهو خير لكم الرماني يجوز نصبه على البدل من قوله اياما معدودات
واختلف هل يقال رمضان دون ان يقال شهر فكره

شهر رمضان

وذلك مجاهد وقال يقال كما قال الله تعالى وفي الخبر لا تقولوا رمضان
بل انسبوه كما نسبه الله في القران فقال شهر رمضان وكان يقول بلغني
انه اسم من اسما الله وكان يكره ان يجمع لفظه لهذا المعنى ويحتج بما روي
رمضان اسم من اسما الله قلت وهذا ليس بصحيح فانه من حديث
ابي معشر نجيح وهو ضعيف والصحيح جواز اطلاق رمضان من غير اضافة
كما ثبت في الصحاح وغيرها روى مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا جا رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب
النار وصفدت الشياطين وفي صحيح البستي عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا كان رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب
جهنم وسلسلت الشياطين وروى عن ابن شهاب عن انس بن ابي انس ان
اباه حدثه انه سمع ابا هريرة يقول فذكره قال البستي انس بن
ابي انس هذا هو والد ملك بن انس واسم ابي انس ملك بن ابي عامر
من ثقاة اهل المدينة وهو ملك بن ابي عامر بن عمرو بن عثمان بن الحرث
بن خثيل بن عمرو من ذي اصبح من اقيال اليمن وروى النساي عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاكم رمضان
شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه تفتح فيه ابواب السما وتغلق
فيه ابواب الجحيم وتغل فيه مردة الشياطين وفيه ليلة خير من
الف شهر من حرم خيرها فقد حرم واخرجه ابو حاتم البستي ايضا
وقال بقوله مردة الشياطين تقييد لقوله وصفدت الشياطين
وسلسلت وروى النساي ايضا عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لامراة من الانصار اذا كان رمضان فاعتمري فان

عمرة فيه تعدل حجة وروي النسائي ايضا عن عبد الرحمن بن عوف قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى فرض صيام رمضان وسننت
لكم قيامه فمن صامه وقامه ايمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته
امه والاثار في هذا كثيرة كلها باسقاط شهر وربما اسقطت العرب ذكر
الشهر من رمضان قال الشاعر   جارية في درعها الفضفاض ابيض من
اخت بني اباض جارية في رمضان الماضي تقطع الحديث بالايماض وفضل
رمضان عظيم وثوابه جسيم يدل على ذلك معنى الاشتقاق من كونه محرقا
للذنوب وما كتبناه من الاحاديث وبالله التوفيق   فرض الله في
رمضان اي مدة هلاله وبه سمي الشهر كما جا في الحديث فان غمي عليكم الشهر اي
الهلال وسياتي وقال الشاعر   اخوان من نجد على ثقة والشهر مثل قلامة
الظفر حتى تكامل في استدارته في اربع زادت على عشر   وفرض الله علينا
عند غمة الهلال اكمال عدة شعبان ثلاثين يوما واكمال عدة رمضان ثلاثين
يوما حتى يدخل في العبادة بيقين ويخرج عنها بيقين فقال في كتابه وانزلنا
اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم وروي الايمة الاثبات عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال صوموا لرويته وافطروا لرويته فان غم عليكم فاكملوا العدد
في رواية فان عمي عليكم الشهر فعدوا ثلاثين وقد ذهب مطرف بن عبد الله بن
الشخير من كبرا التابعين وابن قتيبة من اللغويين فقالا نعول على الحساب
عند الغيم بتقدير المنازل واعتبار حسابها في صوم رمضان حتى انه لو
كان صحوا لرؤي لقوله عليه السلام فان اغمي عليكم فاقدروا له اي استدلوا
عليه بمنازله وقدروا تمام الشهر بحسابه وقال الجمهور معنى فاقدروا له
فاكملوا المقدار يفسره حديث ابي هريرة فاكملوا العدة وذكر الداودي

انه قيل في معنى فاقدروا له اي قدروا المنازل وهذا لا نعلم احدا قال به الا
بعض اصحاب الشافعي انه يعتبر في ذلك بقول المنجمين والاجماع حجة عليه وقد
روي بن نافع عن مالك في الامام يصوم لرؤية الهلال ولا يفطر لرؤيته وانما
يصوم ويفطر على الحساب انه لا يقتدي به ولا يتبع بن العربي وقد زل
بعض اصحابنا فحكي عن الشافعي انه قال يعول على الحساب وهي عثرة لا لعا
لها قلت قال علما الشافعية والنية المعلقة في ليلة الشك باطلة كقوله
اصوم غدا ان كان من رمضان لانه لم يجزم النية والاصل بقا شعبان فلا يصح
صومه الا ان تستند النية الى اصل كقول شاهد اخبره به تصدقه او
معرفة بالحساب وسير الاهلة او استصحاب بان يكون ذلك في ليلة
الثلاثين من رمضان او اجتهاد في حق المحبوس في مطمورة فانه يصح في هذه
المواضع وان كانت معلقة لان النية هاهنا صادرة عن دلالة فعلى هذا
للحساب مدخل في الصوم عندهم والله اعلم واختلف
ملك والشافعي هل يثبت هلال رمضان بشهادة واحد او شاهدين
فقال ملك لا يقبل فيه شهادة الواحد لانها شهادة على هلال فلا
يقبل فيها اقل من اثنين اصله الشهادة على هلال شوال وذي الحجة وقال
الشافعي وابو حنيفة يقبل الواحد لما رواه ابو داود عن بن عمر قال
تراى الناس الهلال فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم اني رايته
فصام وامر الناس بصيامه واخرجه الدارقطني في سننه وقال تفرد
به مروان بن محمد عن بن وهب وهو ثقة لان فيه احتياطا للعبادة كما
روي الدارقطني ان رجلا شهد عند علي بن ابي طالب على رؤية هلال رمضان
فصام واحسبه وامر الناس ان يصوموا وقال اصوم يوما من شعبان

احب الي ان افطر يوما من رمضان قال الشافعي فان لم ترى العامه هلال
شهر رمضان وراه رجل عدل رايت ان اقبله للاثر والاحتياط وقال
الشافعي بعد لا يجوز على رمضان الا شاهدان قال الشافعي وقال بعض
اصحابنا لا اقبل عليه الا شاهدان وهو القياس على كل مغيب قلت ولا
يفطر عند الشافعي باقل من شاهدين قولا واحدا للاحتياط في سقوط
الفرض واختلفوا فيمن راى هلال رمضان وحده او هلال
شوال فروى الربيع عن الشافعي ومن راى هلال رمضان وحده فليصمه ومن
راى هلال شوال وحده فليفطره وليخف ذلك وروى بن وهب عن مالك
والذي يرى هلال رمضان وحده انه يصوم لانه لا ينبغي له ان يفطر وهو
يعلم ان ذلك اليوم من شهر رمضان ومن راى هلال شوال وحده فلا
يفطر لان الناس يتهمون على ان يفطر منهم من ليس مامونا ثم يقول
اوليك اذا ظهر عليهم قد راينا الهلال قال بن المنذر وبهذا قال الليث
بن سعد واحمد بن حنبل وقال عطا واسحق لا يصوم ولا يفطر قال
بن المنذر يصوم ويفطر واختلفوا اذا اخبر مخبر عن رويه
بلد فلا يخلو ان يقرب او يبعد فان قرب فالحكم واحد لانهما كبلد واحد
وان بعد فلاهل كل بلد رويتهم روى هذا عن عكرمه والقاسم وسالم
وروي عن بن عباس وبه قال اسحق واليه اشار البخاري حيث بوب
لاهل كل بلد رويتهم وقال اخرون اذا ثبت عن الناس ان اهل بلد قد
راوه فعليه قضا ما افطروا وهكذا قال الليث بن سعد والشافعي قال بن
المنذر ولا اعلمه الا قول المزني والكوفي قلت ذكر الكيا الطبري
في كتاب احكام القران له واجمع اصحاب ابي حنيفه على انه اذا صام اهل

بلد

بلد ثلاثين يوما للروية واهل بلد تسعة وعشرين يوما ان على الذين صاموا
تسعة وعشرين يوما قضا يوم واصحاب الشافعي لا يرون ذلك اذا كانت
المطالع في البلدان يجوز ان تختلف وجه اصحاب ابي حنيفة قوله تعالى ولتكملوا
العدة وثبت برؤية اهل بلد ان العدة ثلاثون فوجب على هولاء اكمالها ومخالفهم
يحتج بقوله عليه السلام صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته الحديث وذلك
يوجب اعتبار عادة كل قوم في بلد قلت هذا فيما بعد من البلدان على ما
حكى ابو عمر من الاجماع على انه لا يراعى الرؤية فيما بعد من البلدان كالاندلس
من خراسان قال ولكل بلد روئيتهم الا ما كان كالمصر الكبير وما تقاربت اقطاره
من بلدان المسلمين روى مسلم عن كريب ان ام الفضل بنت الحرث بعثته الى
معاوية بالشام قال فقدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل على
رمضان وانا بالشام فرايت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في
اخر الشهر فسالني عبد الله بن عباس ثم ذكر الهلال فقال متى رايتم الهلال
فقلت رايناه ليلة الجمعة فقال لا لكنا رايناه ليلة السبت فلا نزال
نصوم حتى نكمل ثلاثين او نراه فقلت اولا يكفيني برؤية معاوية وصيامه
فقال لا هكذا امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علماؤنا قول ابن
عباس هكذا امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة تصريح برفع ذلك الى النبي
صلى الله عليه وسلم وبامره فهو حجة على ان البلاد اذا تباعدت كتباعد الشام من
الحجاز فالواجب على اهل كل بلد ان تعمل على رؤيته دون رؤية غيره وان ثبت
ذلك عند الامام الاعظم ما لم يحمل الناس على ذلك فان حمل فلا تجوز مخالفته وقال
الكيا الطبري قوله هكذا امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون
تاول فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته

وقال القاضي ابو بكر بن العربي واختلف في تاويل بن عباس فقيل رده لانه
خبر واحد وقيل رده لان الاقطار مختلفة في المطالع وهو الصحيح لان كريبا
لم يشهد وانما اخبر عن حكم ثبت بالشهادة ولا خلاف في الحكم الثابت انه
يجزي فيه خبر الواحد ونظيره مالو ثبت انه اهل ليلة الجمعة باغمات
واهل باشبيلية ليلة السبت فيكون لاهل كل بلد رويتهم لان سهيلا
يكشف عن اغمات ولا يكشف من اشبيلية وهذا يدل لاختلاف المطالع
قلت واما مذهب ملك رحمه الله في هذه المسلة فروي بن وهب
وبن القاسم عنه في المجموعة ان اهل البصرة اذا راوا هلال رمضان ثم
بلغ ذلك الى اهل الكوفة والمدينة واليمن انه يلزمهم الصيام والقضا ان
فات الادى وروى القاضي ابو اسحق عن بن الماجشون انه ان كان ثبت
بالبصرة بامر شايع ذايع يستغنى عن الشهادة والتعديل له فانه يلزم غيرهم
من اهل البلاد القضا وان كان انما ثبت عند حاكمهم بشهادة شاهدين لم يلزم
ذلك من البلاد الا من كان يلزمه حكم ذلك الحاكم ممن هو في ولايته او يكون
ثبت ذلك عند امير المومنين فيلزم القضا جماعة المسلمين قال وهذا قول
ملك واما الشافعي فانه اعتبر في بعد ما بين البلدين مسافة ما تقصر فيها
الصلاة فصاعدا فلكل بلد حكمه لان المناظر تختلف باختلاف البقاع
قوله شهر رمضان قد تقدم ان قراه الجمهور شهر بالرفع علي
انه خبر ابتدا مضمر اي ذلكم شهرا والمفترض عليكم صيامه شهر رمضان
او الصوم او الايام وقيل انه ارتفع على انه مفعول لم يسم فاعله بكتب
اي كتب عليكم شهر رمضان ورمضان لا ينصرف لان النون فيه زايده
ويجوز ان يكون مرفوعا على جهة الابتدا وخبره الذي انزل فيه القران وقيل

ارتفع

البدل

ارتفع على البدل من الصيام لمن قال ان الصيام في قوله كتب عليكم الصيام هي
ثلاثه ايام وعاشورا اماك هنا بالابتدا ومن قال ان الصيام هنا ك رمضان
قال هنا بالابتدا وبالبدل من الصيام اي كتب عليكم شهر رمضان وقرا مجاهد
وشهر بن حوشب شهرا بالنصب قال الكسائي المعنى كتب عليكم الصيام وان
تصوموا شهر رمضان وقال الفرا اي كتب عليكم الصيام اي ان تصوموا
شهر رمضان قال النحاس لا يجوز ان ينتصب شهر رمضان بتصوموا لانه
يدخل في الصلة ثم يفرق بين الصله والموصول ولذلك ان نصبته بالصيام
ولكن يجوز ان ينصبه على الاغرا اي الزموا شهر رمضان وصوموا شهر
رمضان وهذا بعيد ايضا لانه لم يتقدم ذكر الشهر فيغرى **قلت**
قوله تعالى كتب عليكم الصيام يدل على الشهر فجاز الاغرا وهو اختيار ابي
عبيد وقال الاخفش انتصب على الظرف وحكي عن الحسن وابي عمرو ادغام
الرا في الرا وهذا لا يجوز لئلا يجتمع ساكنان ويجوز ان تقلب حركة الرا على
الها فتضم الها ثم تدغم وهذا قول الكوفيين قوله تعالى
الذى انزل فيه القران نص في ان القران نزل في شهر رمضان وهذا يبين قوله عز
وجل حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليله مباركه يعني ليله القدر لقوله تعالى
انا انزلناه في ليله القدر وفي هذا دليل على ان ليله القدر انما تكون في
رمضان لا تكون في غيره ولا خلاف ان القران انزل من اللوح المحفوظ ليله
القدر على ما بيناه جمله واحده فوضع في بيت العزه في سما الدنيا ثم كان جبريل
عليه السلام ينزل به نجما نجما في الاوامر والنواهي والاسباب وذلك في
عشرين سنه وقال ابن عباس انزل القران من اللوح المحفوظ جمله واحده
الى الكتبه في السما الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام نجوما يعني الايه

والايتين في اوقات مختلفه في احدي وعشرين وقال مقاتل في قوله تعالى
شهر رمضان الذي انزل فيه القران قال نزل من اللوح المحفوظ في كل عام
في ليله القدر الى سما الدنيا نزل الى السفره من اللوح المحفوظ في عشرين
شهرا ونزل به جبريل عشرين سنه **قلت** وقول مقاتل هذا خلاف
ما نقل من الاجماع ان القران انزل جمله واحده فالله اعلم وروي واثله
ابن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انزلت صحف ابراهيم
اول ليله من شهر رمضان والتوراه لست مضين منه والانجيل
لثلاث عشره والقران لاربع وعشرين **قلت** وفي هذا الحديث
دلاله على ما يقوله الحسن البصري ان ليله القدر تكون ليله اربع وعشرين
وسياتي ان شا الله بيان هذا   قوله تعالى القران القران
اسم لكلام الله تعالى وهو بمعنى المقرو والمشروب يسمى شرابا والمكتوب
يسمى كتابا وعلى هذا قيل هو مصدر قرا يقرا قراة وقرانا بمعنى قال
ضحوا باشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرانا اي قراه
وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ان في البحر شياطين مسجونه اوثقها سليمان
عليه السلام يوشك ان تخرج فتقرا على الناس قرانا اي قراه وفي التنزيل
ان قران الفجر كان مشهودا اي قراه الفجر وسمي المقرو قرآنا على عاده العرب
في تسميه المفعول باسم المصدر كتسميتهم للمعلوم علما وللمضروب
ضربا وللمشروب شربا كما ذكرنا ثم اشتهر الاستعمال في هذا واقترن
به العرف الشرعي فصار القران اسم لكلام الله عز وجل حتى اذا قيل القران
غير مخلوق يراد به المقرو لا القراة لان القراة تتعدد بحسب القراة
ولذلك الكتابه بحسب الكتاب والقران لا يزيد ولا ينقص فثبت ان القران

الذي لا يزيد ولا ينقص ولا يكثر ولا يقل غير القراة والكتابة التي تقل وتكثر
ودليل ثان وهو اجماع المسلمين على انه يجوز ان يقال ان هذه القراة ردية
وخطا ولحن وكتابة ناقصة وخطا وردية ولا يجوز ان يقال قران ردي
ولا خطا ولا لحن ولا ناقص توجب ان تكون الكتابة والقراة التي توصف
بالخطا والرداة واللحن غير القران الذي لا يصح ان يوصف بذلك ودليل
ثالث ومما يدل على القراة غير القران حالف لو حلف الا يقرا بقراة ابي عمرو
ثم قرا بقراة نافع لم يحنث ولو حلف ان لا يقرا القران الذي قراه ابو عمرو ثم
قرا بقراة نافع لحنث فثبت بذلك ان القراة غير القران وقد يسمى
المصحف الذي يكتب فيه كلام الله قرانا توسعا وقد قال صلى الله عليه
وسلم لا تسافروا بالقران الى ارض العدو واراد به المصحف الذي فيه
كلام حرمة لكلامه ولو اراد نفس كلام الله فيه لما جاز ان يسافر بحاملها
الى ارض العدو ولان القران تدخل فيه وبهذا يرد على المخالف وقد دللنا
على ان القران غير القراة بما فيه كفاية والحد وهو مشتق من قراه الشي جمعه
وقيل هو اسم علم لكتاب الله غير مشتق كالتوراه والانجيل وهذا يحكى عن
الشافعي رحمه والصحيح الاشتقاق في الجميع وسياتي
قوله تعالى هدى للناس هدى في موضع نصب على الحال من القران اي هاديا
لهم وبينات عطف عليه والهدى الارشاد والبيان كما تقدم اي بيانا لهم
وارشاد والمراد القران بجملته من محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ ثم
شرف بالذكر والتخصيص البينات منه يعني الحلال والحرام والمواعظ
والاحكام وبينات جمع بينة من بان الشي يبين اي وضح وظهر والفرقان
ما فرق بين الحق والباطل اي فصل تقدم

قوله تعالى

فمن شهد منكم الشهر فليصمه قراه العامه بجزم اللام وقرا الحسن
والاعرج بكسر اللام وهي لام الامر وحقها الكسر اذا افردت فاذا
وصلت بشي ففيها وجهان الجزم والكسر وانما توصل بثلاثه احرف بالفا
كقوله فليصمه فليعبدوا والواو كقوله وليوفوا نذورهم وثم كقوله
ثم ليقضوا وشهد بمعنى حضر وفيه اضمار اي من شهد منكم المصر في
الشهر عاقلا بالغا صحيحا مقيما فليصمه وهو يقال عام فيخصص بقوله ومن كان
منكم مريضا او على سفر الاية شهد
منكم الشهر وليس الشهر بمفعول وانما هو ظرف زمان وقد اختلف
العلما في تاويل من شهد منكم الشهر فقال علي بن ابي طالب وبن عباس وسويد
بن غفله وعايشه اربعه من الصحابه وابو مجلز وعبيده السلماني من
شهد اي من حضر اي من دخول الشهر وكان مقيما في اوله في بلده واهله
فليكمل صيامه سافر بعد ذلك او اقام وانما يفطر في السفر من دخل
عليه رمضان وهو في سفر والمعنى عندهم من ادرك رمضان مسافرا افطر
وعليه عده من ايام اخر ومن ادركه حاضرا فليصمه وقال جمهور الامه
من شهد اول الشهر واخره فليصم ما دام مقيما فان سافر افطر وهذا
هو الصحيح وعليه تدل الاخبار الثابته وقد ترجم البخاري رحمه الله
ردا على القول الاول باب اذا صام اياما من رمضان ثم سافر ثنا
عبد الله بن يوسف قال ملك عن بن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن
عتبه عن بن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكه في
رمضان فصام حتى بلغ الكديد افطر فافطر الناس قال ابو عبد الله
والكديد ما بين عسفان وقديد قلت قد يحتمل ان يحمل قول علي

رضي الله

رضي الله عنه ومن وافقه على السفر المندوب لزيارة الاخوان من الفضلا
والصالحين والمباح في طلب الرزق الزايد على الكفاية واما السفر الواجب
في طلب القوت الضروري او فتح بلد اذا تحقق ذلك او دفع عدو فالمرء فيه
مخير ولا يجب عليه فيه الامساك بل الفطر فيه افضل للتقوي وان كان شهد
الشهر في بلده وصام بعضه لحديث ابن عباس وغيره ولا يكون في خلاف
ان شاء الله والله اعلم وقال ابو حنيفه واصحابه من شهد الشهر بشروط
التكليف غير مجنون ولا مغمى عليه فليصمه ومن دخل عليه رمضان وهو
مجنون وتمادي به طول الشهر فلا قضا عليه لانه لم يشهد الشهر
بصفه يجب بها الصيام ومن جن اول الشهر واخره فانه يقضي ايام
جنونه ونصب الشهر على هذا التاويل هو على المفعول الصريح بشهد
قد تقرر ان فرض الصوم مستحق
بالاسلام والبلوغ والعلم بالشهر فاذا اسلم الكافر او بلغ الصبي قبل
الفجر لزمهما الصوم صبيحه اليوم واذا كان بعد الفجر استحب لهما
الامساك وليس عليهما قضا الماضي من الشهر ولا اليوم الذي
بلغ فيه او اسلم وقد اختلف العلما في الكافر يسلم في اخر يوم من
رمضان هل يجب عليه قضا رمضان كله او لا وهل يجب عليه قضا اليوم
الذي اسلم فيه فقال مالك والجمهور ليس عليه قضا ما مضا لانه انما
شهد الشهر من حين اسلامه قال مالك واحب الي ان يقضي اليوم
الذي اسلم فيه وقال عطا والحسن يصوم ما بقي ويقضي ما مضى وقال
عبد الملك بن الماجشون يمسك عن الاكل في ذلك اليوم ويقضيه
وقال احمد واسحق مثله قال ابن المنذر ليس عليه ان يقضي ما مضى

من المشهور ولا ذلك اليوم قال الباجي من قال من اصحابنا ان الكفار
مخاطبون بشرايع الاسلام وهو مقتضى قول ملك واكثر اصحابه
واجب عليه الامساك في بقية يومه ورواه في المدينة وابن نافع
عن ملك وقاله الشيخ ابو القاسم ومن قال من اصحابنا ليسوا
مخاطبين قال لا يلزمه الامساك في بقية يومه وهو مقتضى
قول اشهب وعبد الملك بن الماجشون وقاله ابن القاسم قلت
وهو الصحيح لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام
فخاطب المومنين دون غيرهم وهذا واضح فلا يجب عليه الامساك
في بقية اليوم ولا قضا ما مضى وتقدم الكلام في معنى قوله تعالى
من كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر فلا معنى لاعادته

قوله تعالى يريد الله بكم اليسر قرا
جماعة اليسر بضم السين لغتان وكذلك العسر قال مجاهد والضحاك
اليسر الفطر في السفر والعسر الصوم في السفر والوجه عموم
اللفظ في جميع امور الدين كما قال تعالى ما جعل عليكم في الدين
من حرج وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم دين الله يسر وقال يسروا
ولا تعسروا واليسر من السهولة ومنه اليسار للغنى وسميت اليد
اليسرى تفاولا او لانه يسهل له الامر معا ونتها لليمنى قولان

قوله تعالى ولا يريد بكم العسر وهو بمعنى
قوله يريد بكم اليسر فكرر تاكيدا ودلت الاية على ان الله سبحانه مريد
بارادة قديمة ازلية زايدة على الذات هذا مذهب اهل السنة كما
انه عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام

وهذ

وهذه كلها معان وجوديه ازليه زايده على الذات وذهبت المعتزله والشيعه الى نفيها تعالى عن قول الزايغين وابطال المبطلين والذى يقطع دابر اهل التعطيل ان يقال لو لم يصدق كونه ذا اراده لصدق انه ليس بذى اراده ولو صح ذلك لكان كلما ليس بذى اراده ناقصا بالنسبه الى من له اراده فان من كانت له الصفات الاراديه فله ان يخصص الشى وله ان لا يخصصه فالعقل السليم يقضى بان ذلك كمال له وليس بنقصان حتى انه لو قدر بالوهم سلب ذلك الامر عنه لقد كان حاله اولا اكمل بالنسبه الى حاله ثانيا فلم يبق الا ان يكون ما لم يتصف انقص ممن هو متصف به ولا يخفا ما فيه من المحال فانه كيف يتصور ان يكون المخلوق اكمل من الخالق والخالق انقص منه والبديهه تقتضى برده وابطاله وقد وصف نفسه جل جلاله بانه مريد فقال تعالى فعال لما يريد يريد الله بكم اليسر يريد ان يخفف عنكم اذا اراد الله قالوا لن يكون نظام هذا العالم على غايه من الحكمه والاتقان والانتظام والاحكام وهو مع ذلك جايز وجوده وجايز عدمه فالذى خصصه بالوجود يجب ان يكون مريدا له قادرا عليه عالما به فان لم يكن عالما قادرا من لم يصح منه صدور شى ومن لم يكن عالما وان كان قادرا لم يكن ما صدر عنه على نظام الحكمه والاتقان ومن لم يكن مريدا لم يكن تخصيص بعض الجايزات باحوال واوقات دون البعض باولى من العكس اذ نسبتها اليه نسبه واحده قالوا واذا ثبت كونه قادرا مريدا وجب ان يكون حيا اذ الحياة شرط هذه الصفات ويلزم من كونه حيا ان يكون سميعا بصيرا متكلما فان لم تثبت له هذه الصفات فانه لا محاله متصف باضدادها كالعمى والطرش والخرس على ما عرف فى الشاهد والبارى تعالى يتقدس

عن ان يتصف بما يوجب في ذاته نقصا   قوله تعالى
ولتكملوا العدة فيه تاويلان احدهما اكمال عدة الاداء لمن افطر في سفره او
مرضه قاله مقاتل الثاني عدد الهلال سوا كان تسعا وعشرين او ثلاثين
قاله الضحاك وقال جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الشهر يكون
تسعا وعشرين وفي هذا رد لتاويل من تاول قوله صلى الله عليه وسلم شهرا
عيد لا ينقصان رمضان وذو الحجة انهما لا ينقصان من ثلاثين يوما اخرجه
ابو داود وتاوله جمهور العلما على انهما لا ينقصان في الاجر وتكفير الخطايا
سوا كان من تسع وعشرين او ثلاثين   ولا اعتبار
برويه هلال شوال يوم ثلاثين من رمضان نهارا بل هو لليلة التي تاتي
هذا هو الصحيح وقد اختلفت الرواية عن عمر في هذه المسلة فروى الدارقطني
في سننه عن شقيق قال جانا كتاب عمر ونحن بخانقين وقال في كتابه ان الاهلة
بعضها اكبر من بعض فاذا رايتم الهلال نهارا فلا تفطروا حتى يشهد شاهدا
انهما راياه بالامس وذكر ابو عمر من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الاعمش
عن ابي وايل قال كتب الينا عمر بذلك قال ابو عمر وروي عن علي بن ابي طالب
مثل ذلك ذكره عبد الرزاق ايضا وهو قول ابن مسعود وابن عمر وانس
بن ملك وبه قال ملك والشافعي وابو حنيفه ومحمد بن الحسن والليث
والاوزاعي واحمد واسحق وقال سفين الثوري وابو يوسف ان روي بعد
الزوال فهو لليلة التي تاتي وان روي قبل الزوال فهو لليلة الماضية وروي
مثل ذلك عن عمر ذكره عبد الرزاق عن الثوري عن مغيرة عن شباك عن ابرهيم
قال كتب عمر الى عتبة بن فرقد اذا رايتم الهلال نهارا قبل ان تزول الشمس
فلا تفطروا حتى يمسوا وروي عن علي مثله ولا يصح في هذه المسلة شي من جهة

الاسناد

الاسناد عن علي وروي عن سلمان بن ربيعه مثل قول الثوري واليه ذهب عبد الملك
بن حبيب وبه كان يفتي بقرطبه واختلف عن عمر بن عبد العزيز في هذه المسله قال
ابو عمر والحديث عن عمر بمعنى ما ذهب اليه مالك والشافعي وابو حنيفه متصل
والحديث الذى روي عن عمر بمذهب الثوري منقطع والمصير الى المتصل
اولى وقد احتج من ذهب مذهب الثوري بان قال حديث الاعمش
مجمل لم يخص فيه قبل الزوال ولا بعده وحديث ابراهيم مفسر فهو اولى
ان يقال به **قلت** قد روي مرفوعا معنى ما روي عن عمر متصلا موقوفا
روته عايشه زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت اصبح رسول الله صلى الله
عليه وسلم صايما صبح ثلاثين يوما فرى هلال شوال نهارا فلم يفطر حتى
امسى خرجه الدارقطني من حديث محمد بن عمر الواقدي وقال قال
الواقدي حدثنا معاذ بن محمد الانصاري قال سالت الزهري عن هلال
شوال اذا راي باكرا قال سمعت بن المسيب يقول ان روي هلال
شوال بعد ان طلع الفجر الى العصر او الى ان تغرب الشمس فهو من الليله التي
تجي قال ابو عبد الله وهذا مجمع عليه **قلت** قول الواقدي وهذا مجمع
عليه غير صحيح لما ذكرناه من الخلاف في المسله

روى الدارقطني عن ربعي بن حراش عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال
اختلف الناس في اخر يوم من رمضان فقدم اعرابيان فشهدا عند النبي صلى
الله عليه وسلم بالله لاهلا الهلال امس عشيه فامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يفطروا وان يعدوا الى مصلاهم قال الدارقطني هذا اسناد
حسن ثابت قال ابو عمر لا خلاف عن ملك واصحابه انه لا يصلى صلاة
العيد في غير يوم العيد ولا في يوم العيد بعد الزوال وحكي عن ابي حنيفه

واختلف قول الشافعي في هذه المسئلة ثم قال بقول ملك واختاره المزني
وقال اذا لم يجز ان يصلي في يوم العيد بعد الزوال فاليوم الثاني ابعد من
وقتها واحرى الا يصلي فيه وعن الشافعي رواية اخرى انها تصلي في اليوم
الثاني ضحى وقال البويطي لا تصلى الا ان يثبت في ذلك حديث قال ابو عمر
لو قضيت صلاة العيد بعد خروج وقتها لاشبهت الفرايض وقد
اجمعوا في ساير السنن انها لا تقضى فهذه مثلها وقال الثوري والاوزاعي
واحمد بن حنبل يخرجون من الغد وقاله ابو يوسف في الاملاء وقال الحسن
بن صالح لا يخرجون في الفطر ويخرجون في الاضحى قال ابو يوسف واما في
الاضحى فيصليها بهم في اليوم الثالث قاله ابو عمر لان الاضحى ايام عيد وهي
صلاة عيد وليس الفطر يوم عيد الا يوم واحد فاذا لم تصل فيه لم تقض في غيره
لانها ليست بفريضة فتقضى وقال الليث بن سعد يخرجون في الفطر والاضحى
من الغد قلت والقول بالخروج ان شا الله اصح للسنة الثابتة في ذلك
ولا يمتنع ان يستثني الشارع من السنن ما شا فيامر بقضا به بعد خروج
وقته وقد روى الترمذي عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من لم يصل ركعتي الفجر فليصليها بعد ما تطلع الشمس صححه ابو محمد عبد
الحق قال الترمذي والعمل على هذا عند بعض اهل العلم وبه يقول سفين الثوري
والشافعي واحمد واسحق وابن المبارك وروي عن عمر انه فعله قلت وقد
قال علماونا من ضاق عليه الوقت وصلى الصبح وترك ركعتي الفجر فانه يصليها
بعد طلوع الشمس ان شا وقيل لا يصليها حينيذ ثم اذا قلنا يصليهما فهل
ما فعله قضا او ركعتان تنوب له ثوابهما عن ثواب ركعتي الفجر قال الشيخ
ابو بكر وهذا هو الجاري على اصل المذهب وذكر القضا يجوز قلت ولا يمتنع

يخرجون

ان

ان يكون حكم صلاة الفطر في اليوم الثاني على هذا الاصل لا سيما مع كونها مرة واحدة
في السنة مع ما ثبت من السنة روى النسائي قال اخبرني عمرو بن علي قال
ثنا يحيى قال ثنا شعبه قال حدثني ابو بشر عن ابي عمير بن انس عن عمومة له ان
قوما راوا الهلال فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يفطروا بعد ما ارتفع النهار
وان يخرجوا الى العيد من الغد في روايه ويخرجوا لمصلاهم من الغد

قوله تعالى ولتكملوا قرا ابو بكر عن عاصم وابو عمرو في
بعض ما روي عنه والحسن وقتادة والاعرج ولتكملوا بالتشديد والباقون
بالتخفيف واختار الكسائي التخفيف لقوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم قال
النحاس وهما لغتان بمعنى واحد كما قال عز وجل فمهل الكافرين امهلهم رويدا ولا يجوز
ولتكملوا باسكان اللام والفرق بين هذا وبين ما تقدم ان التقدير ويريد لان
تكملوا ولا يجوز حذف ان والكسر هذا قول البصريين ونحوه قول الشاعر ابي
صخر   اريد لانسى ذكرها   اي لان انسى وهذه اللام هي الداخله
على المفعول كالتي في قولك ضربت لزيد المعنى ويريد اكمال العدة وقيل هي
متعلقه بفعل مضمر بعد تقديره ولان تكملوا العدة رخص لكم هذه الرخصه
وهذا قول بعض الكوفيين وحكاه النحاس عن الفرا قال النحاس وهو قول
حسن ومثله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من
الموقنين فعلنا ذلك وقيل الواو مقحمه وقيل يحتمل ان تكون هذه اللام لام
الامر والواو عاطفه جمله كلام على جمله كلام وقال ابو اسحق
ابراهيم بن السري هو محمول على المعنى والتقدير فعل الله ليسهل عليكم
ولتكملوا العدة قال ومثله ما انشد سيبويه   بانت وغيرا نفس
مع الليالي الا و الدهر هزها   ومشبج اما سواد قذاله فبدا وغير

شاده لونه المعزا لان معناه بانت الاروالد بها روالد فحانه قال
وبها مشيح او ثم منشيح قوله تعالى ولتكبروا
الله عطف عليه ومعناه الحض على التكبير في اخر رمضان في قول جمهور
اهل التاويل واختلف الناس في حده فقال الشافعي روي عن سعيد بن المسيب
وعروة وابي سلمة انهم كانوا يكبرون ليلة الفطر ويجهرون قال وتشبه ليلة
النحر بها وقال ابن عباس حق على المسلمين اذا راوا هلال شوال ان يكبروا وروي
عنه تكبير المرء من رؤية الهلال الى انقضا الخطبة ويمسك وقت خروج الامام
ويكبر بتكبيره وقال قوم يكبر من رؤية الهلال الى خروج الامام للصلاة وقال
سفين هو التكبير يوم الفطر زيد بن اسلم يكبروا اذا خرجوا الى المصلى فاذا انقضت
الصلاة انقضى العيد وهذا مذهب ملك قال ملك هو من حين يخرج من داره
الى ان يخرج الامام وروى ابن القاسم وعلي بن زياد انه ان خرج قبل طلوع
الشمس فلا يكبر في طريقه ولا جلوسه حتى تطلع الشمس وان غدا بعد الطلوع
فليكبر في طريقه الى المصلى واذا جلس حتى يخرج الامام والفطر والاضحى في
ذلك سوا عند ملك وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة يكبر في الاضحى ولا
يكبر في الفطر والدليل عليه قوله تعالى ولتكبروا الله ولان هذا يوم عيد لا يتكرر
في العام فسن التكبير في الخروج اليه كالاضحى وروى الدارقطني عن ابي عبد الرحمن
السلمي قال كانوا في التكبير في الفطر اشد منهم في الاضحى وروي عن ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يكبر يوم الفطر من حين يخرج من بيته حتى ياتي المصلى
وروي عن ابن عمر انه كان اذا غدا يوم الاضحى ويوم الفطر يجهر بالتكبير
حتى ياتي المصلى ثم يكبر حتى ياتي الامام واكثر اهل العلم على التكبير في عيد الفطر
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم فيما ذكر ابن المنذر قال وحكى ذلك

الاوزاع

الاوزاعي وكان الشافعي يقول اذا رئي هلال شوال احببت ان يكبر الناس
جماعه وفرادى ولا يزالون يكبرون ويظهرون التكبير حتى يغدوا الى المصلى
وحتى يخرج الامام الى الصلاه وكذلك احب ليله الاضحى لمن لم يحج وسياتي
حكم صلاه العيدين والتكبير فيهما في سبح اسم ربك الاعلى والكوثر ان شا الله
تعالى ولطف في لفظ التكبير فقال مالك
وجماعه من العلما لفظه الله اكبر الله اكبر الله اكبر ثلاثا وروي عن
جابر بن عبد الله ومن العلما من يكبر ويهلل ويسبح اثنا التكبير ومنهم
من يقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكره واصيلا وكان
بن المبارك يقول اذا خرج من بيته يوم الفطر الله اكبر الله اكبر لا اله
الا الله والله اكبر ولله الحمد الله اكبر على ما هدانا قال بن المبارك وكان
مالك لا يجد فيه حدا وقال احمد هو واسع قال بن العربي ولختار علماونا
التكبير المطلق وهو ظاهر القران واليه اميل
قوله تعالى على ما هداكم قيل لما ضل فيه النصارى من تبديل صيامهم
وقيل بدلا عما كانت الجاهليه تفعله من التفاخر بالابا والتظاهر
بالاحساب وتعديد المناقب وقيل لتكبروا الله على ما هداكم اي
لتعظموه على ما ارشدكم اليه حيث رخص لكم الفطر في المرض
والسفر وهذا لكم لا مرد فيه وقد تقدم معنى الشكر فلا معنى لاعاده
تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة
الداعي اذا دعاني فليستجيبوا لي وليومنوا بي لعلهم يرشدون فيه
ست مسايل قوله تعالى واذا سالك عبادي عني
المعنى اذا سالوك عن المعبود فاخبرهم انه قريب يثيب على الطاعات

ويجيب الداعي ويعلم ما يفعله العبد من صوم وصلاة وغير ذلك واختلف
في سبب نزولها تعالى فقال مقاتل ان عمر رضي الله عنه واقع امراته بعد ما
صلى العشا فندم على ذلك وبكى وجا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره
بذلك ورجع مغتما وكان ذلك قبل الرخصه فنزلت هذه الايه واذا سالك
عبادي عني فاني قريب وقيل لما وجب عليهم في الابتدا ترك الاكل بعد النوم
فاكل بعضهم ندم فنزلت هذه الايه في قبول التوبة ونسخ ذلك الحكم
على ما ياتي بيانه وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال قالت اليهود للنبي
صلى الله عليه وسلم كيف يسمع ربنا دعانا وانت تزعم ان بيننا وبين
السما خمسماية عام وغلظ كل سما مثل ذلك فنزلت هذه الايه وقال
الحسن سببها ان قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه
ام بعيد فنناديه فنزلت وقال عطا وقتادة لما نزلت وقال ربكم ادعوني
استجب لكم قال قوم في اي ساعه ندعوه فنزلت هذه الايه ومعنى قريب
اي بالاجابة وقيل بالعلم وقيل قريب من الاوليا بالانعام والافضال وفي
صحيح مسلم عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث انكم تدعونه
سميعا دربنا وسياتي قوله تعالى اجيب دعوه الداعي اذا
دعان اي اقبل عبادة من عبدني فالدعا بمعنى العباده والاجابه
بمعنى القبول دليله ما رواه ابو داود عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال الدعا هو العبادة قال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين
يستكبرون عن عبادتي اي دعاي فامر تعالى بالدعا وحض عليه وسماه
عبادة ووعد بان يستجيب لهم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اعجز الناس من عجز عن الدعا وابخل الناس من بخل بالسلام فان قيل

فالداعي قد يدعو فلا يجاب فالجواب ان نعلم ان قوله الحق في الايتين
اجيب استجب لا يقتضي الاجابه مطلقا لكل داع علي التفصيل ولا بكل
مطلوب علي التفصيل فقال تبارك وتعالى ادعو ربكم تضرعا وخفيه انه لا
يحب المعتدين وكل مصر علي كبيرة عالما بها او جاهلا فهو معتد وقد اخبر
انه لا يحب المعتدين ومن لا يحبه كيف يستجيب له وانواع الاعتدا
كثيره ياتي بيانها هنا وفي الاعراف ان شا الله تعالى وقال بعض العلما
المعنى اجيب ان شيت كما قال فيكشف ما تدعون اليه ان شا فيكون هذا من
باب المطلق والمقيد وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاث فاعطي
ثنتين ومنع واحده علي ما ياتي بيانه في الانعام ان شا الله وقيل انما مقصود
هذا الاخبار تعريف جميع المومنين ان هذا وصف ربهم سبحانه انه يجيب
الداعين في الجمله وانه قريب من العبد يسمع دعاه ويعلم اضطراره فيجيبه
بما شا وكيف شا ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم
القيامه وهم عن دعايهم غافلون كعبده والوالد ولده ثم لا يعطيه سوله
فالاجابه كانت حاصله لا محاله عند وجود الدعا لان اجيب واستجب
خبر لا ينسخ فيصير المخبر كذابا يدل على هذا التاويل ما روي بن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من فتح له في الدعا فتحت له ابواب الاجابة وما سيل الله
تعالى احب اليه من العافيه رواه الترمذي وابن ماجه ايضا واوحى الله تعالى
الى داود ان قل للظلمة من عبادي لا يدعوني فاني وجبت على نفسي ان اجيب من
دعاني واني اذا اجبت الظلمة لعنتهم وقد تقدم هذا المعنى عند قوله اذكروني
اذكركم وقال قوم ان الله يجيب كل الدعا فاما ان تظهر الاجابه في الدنيا
واما ان يكفر عنه واما ان يدخر له في الاخره لما رواه ابو سعيد الخدري

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا اعطاه بها احدى ثلاث اما ان يعجل له دعوته واما ان يدخرها له واما ان يكف عنه من السوء مثلها قالوا اذا نكثر قال الله اكثر خرجه ابو عمر بن عبد البر وصححه ابو محمد عبد الحق وهو في الموطا منقطع السند قال ابو عمر وهذا الحديث يخرج في التفسير المسند لقول الله ادعوني استجب لكم فهذا كله من الاجابة وقال ابن عباس كل عبد دعا استجيب له فان كان الذي يدعو به رزقا في الدنيا اعطيه وان لم يكن له ذخر له قلت وحديث ابي سعيد وان كان ازادنا الاجابة حيث قال في احدى ثلاث فقد دل ذلك على صحة ما تقدم من اجتناب الاعتدا المانع من الاجابة حيث قال فيه ما لم يدع باثم او قطيعة رحم وزاد مسلم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم ار يستجاب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعا وروى البخاري ومسلم وابو داود عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي قال علماونا رحمة الله عليهم يحتمل قوله يستجاب لاحدكم الاخبار عن وقوع الاجابة او الاخبار عن جواز وقوعها فاذا كان بمعنى الاخبار عن الوجوب والوقوع فان الاجابة تكون بمعنى الثلاثة الاشيا المتقدمة فاذا قال قد دعوت فلم يستجب لي بطل وقوع احد هذه الثلاثة وعري الدعا من جميعها وان كان بمعنى جواز الاجابة فان الاجابة حينيذ تكون بفعل ما دعاه به

خاصة

خاصه ويمنع من ذلك قول الداعي قد دعوت فلم يستجب لي لان
ذلك من باب القنوط وضعف اليقين **قلت** ويمنع من اجابه الدعا
ايضا اكل الحرام وما كان في معناه قال صلى الله عليه وسلم الرجل
يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السما يا رب يا رب ومطعمه
حرام ومشربه وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك
وهذا استفهام على جهه الاستبعاد من قبول دعا من هذه صفته
خرجه مسلم وقال سعد بن ابي وقاص للنبي صلى الله عليه وسلم
ادع الله ان يستجاب لي دعاي قال يا سعد اطب مطعمك تستجب
دعوتك قال العلما الدعا لابد لها من شروط في الداعي
وفي الدعا وفي المدعو به فمن شرط الداعي ان يكون عالما بان لا قادر على حاجته
الا الله وحده وان الوسايط في قبضته ومسخره بتسخيره وان يدعو
بنيه صادقه وحضور قلب فان الله لا يستجيب دعا من قلب
غافل لاه وان يكون مجتنبا لاكل الحرام وان لا يمل من الدعا ومن شرط
المدعو فيه ان يكون من الامور الجايزه الطلب والفعل شرعا كما قال ما لم
يدع باثم او قطيعه رحم فيدخل في الاثم كلما ياثم به من الذنوب
ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم وقال سهل بن عبد
الله التستري شروط الدعا سبعه اولها التضرع والخوف والرجا
والمداومة والخشوع والعموم واكل الحلال وقال بن عطا ان للدعا
اركانا واجنحه واسبابا واوقاتا فان وافق اركانه قوي وان وافق
اجنحته طار في السما وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه
انجح فاركانه حضور القلب والرقه والاستكانه والخشوع واجنحته

الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل شرايطه اربع اولها حفظ القلب عند الوحدة وحفظ اللسان
مع الخلق وحفظ العين عن النظر الى ما لا يحل وحفظ البطن من الحرام
وقيل ان من شرط الدعا ان يكون سليما من اللحن كما انشد بعضهم
ينادي ربه باللحن ليث اذا دعاه لا يجيب   وقيل لابراهيم بن
ادهم ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لانكم عرفتم الله فلم تطيعوه
وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته وعرفتم القران فلم تعملوا به واكلتم
نعم الله فلم تودوا شكرها وعرفتم الجنة فلم تطلبوها وعرفتم النار فلم
تهربوا منها وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه وعرفتم الموت
فلم تستعدوا له ودفنتم الاموات فلم تعتبروا وتركتم عيوبكم
واشتغلتم بعيوب الناس وقال علي رضي الله عنه لنوف البكالي يا نوف
ان الله اوحى الى داود ان مر بني اسرايل ان لا يدخلوا بيتا من بيوتي الا
بقلوب طاهرة وابصار خاشعة وايد نقية فاني لا استجيب لاحد منهم
ولا لاحد من خلقي عنده مظلمة يا نوف لا تكونن شاعرا ولا عريفا ولا شرطيا
ولا جابيا ولا عشارا فان داود قام في ساعة من الليل فقال انها ساعة لا يد
عو عبد الا استجيب له فيها الا ان يكون عريفا او شرطيا او جابيا او
عشارا او صاحب عرطبة وهي الطنبور او صاحب كوبة وهو الطبل
قال علماونا ولا يقل الداعي اللهم اعطني ان شيت اللهم ارحمني ان
شيت بل يعري سواله ودعاه من لفظ المشية ويسل سوال من يعلم انه
لا يفعل الا ان يشا وايضا فان في قوله ان شيت نوع من الاستغنا عن
مغفرته وعطايه ورحمته لقول القايل ان شيت ان تعطيني كذا فافعل

لا يستعمل

ليستعمل هذا الامع الغني عنه واما المضطر اليه فانه يعزم مسلته وليسل
سوال فقير مضطر الي ما ساله روي الايمه واللفظ للبخاري عن انس بن ملك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا احدكم فليعزم المسله ولا
يقول اللهم ان شيت فاعطني فانه لا مستكره له وفي الموطا اللهم اغفر لي ان
شيت اللهم ارحمني ان شيت قال علماونا قوله فليعزم المسله دليل على انه ينبغ
للمومن ان يجتهد في الدعا ويكون على رجا من الاجابه ولا يقنط من رحمه الله
لانه يدعو كريما قال سفين بن عيينه لا يمنعن احدا من الدعا ما لم يعلم
من نفسه فان الله قد اجاب شر الخلق ابليس قال رب انظرني الي يوم يبعثون
قال انك من المنظرين على ما ياتي **قلت** وللدعا اوقات واحوال يكون
الغالب فيها الاجابه وذلك كالسحر ووقت الفطر للصايم وما بين الاذان
والاقامة واوقات الاضطرار وحاله السفر والمرض وعند نزول المطر
والصف في سبيل الله هذا جات به الاثار بيانها في مواضعها روي الترمذ
عن شهر بن حوشب عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سره ان يستجيب الله له عن الشدايد والكرب فليكثر الدعا
في الرخا والدعا بظهر الغيب مستجاب الله قال صلى الله عليه وسلم ما من
مسلم يدعو لاخيه بظهر الغيب الا قال الملك ولك بمثله رواه مسلم عن
ابي الدردا وروي عن شهر بن حوشب ان ام الدردا قالت له يا
شهر الا تجد القشعريره قلت نعم قالت فادعو فان الدعا عند ذلك
مستجاب فهذا جمله هذا الباب وقل ما يوجد جميعه في كتاب
قوله تعالى فليستجيبوا لي قال ابو رجا الخراساني فليدعوا لي وقال بن
في روايه الكلبي فليستجيبوا لي الاجابه ان يقول لبيك اللهم لبيك لبيك

لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمه لك والملك لا شريك لك قال بن
عطية المعنى فليطلبوا ان اجيبهم وهذا هو باب استفعل اي طلب الشي
الا ما شد مثل استغنى الله وقال مجاهد وغيره المعنى فليستجيبوا الي
فيما دعوتهم اليه من الايمان اي الطاعة والعمل ويقال اجاب واستجاب
بمعنى ومنه قول الشاعر فلم يستجبه عند ذاك مجيب اي لم يجبه
والسين زايده واللام لام امر ولذا وليومنوا بي والايمان ان يقول
امنت بالله وكفرت بالطاغوت وعدك حق ولقاوك حق اشهد انك
حق صمد لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفوا احد واشهد ان الساعه
لا ريب فيها وانك باعث من في القبور وروي عن عباس انه قال ما تركت
هذه الكلمات دبر كل صلاة منذ نزلت هذه الاية وروي عن الكلبي
انه قال ما تركتها منذ اربعين سنه ويقال فليستجيبوا لي بالطاعة
اي اذا دعاهم محمد صلى الله عليه وسلم وليومنوا بي اي صدقوا انتو جدي
وجزمت لام الامر لانها تجعل الفعل مستقبلا لا غير فاشبهت ان
التي للشرط وقيل انها لا تعمل الا على الفعل قوله تعالى
لعلهم يرشدون اي يهتدون من الضلاله والرشاد خلاف الغي وقد
رشد يرشد رشدا وارشد بالكسر يرشد رشدا لغه فيه وارشده
الله والمراشد مقاصد الطريق والطريق الارشد نحو الاقصد ويقول
هو لرشده خلاف قولك لزنيه وام راشد كنيه للفاره وبنوا راشد
ان بطن من العرب عن الجوهري وقال الهروي والرشد والرشاد الهدى
والاستقامه ومنه قوله تعالى لعلهم يرشدون تعالى احل لكم
ليله الصيام الرفث الى نسايكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم

كنتم

كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفى فالان باشروهن وكلوا واشربوا
حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى
الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود فلا تقربوها
كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون فيه تسعة وثلاثون مسئله
قوله تعالى احل لكم لفظه احل يقتضي انه كان محرما قبل ذلك
ثم نسخ روى ابو داود عن ابن ابي ليلى قال وحدثنا اصحابنا قال وكان الرجل
اذا افطر فنام قبل ان ياكل لم ياكل حتى يصبح قال فجا عمر رضي الله عنه فاراد
امراته فقالت اني قد نمت فظن انها تعتل فاتاها فجا رجل من الانصار فاراد
طعاما فقالوا حتى نسخن لك شيا فنام فلما اصبحوا انزلت عليه هذه الايه
فيها احل لكم ليله الصيام الرفث الى نسايكم وروى البخاري عن البرا قال
كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صايما فحضر الافطار فنام قبل
ان يفطر لم ياكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وان قيس بن صرمه الانصاري كان
يعمل في النخيل بالنهار وكان صايما فلما حضر الافطار اتى امراته فقال لها اعندك
طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عيناه
فجاته امراته فلما راته قالت خيبه لك فلما انتصف النهار غشي فذكر ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الايه احل لكم ليله الصيام الرفث الى
نسايكم ففرحوا فرحا شديدا فنزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين
الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وفي البخاري ايضا عن البرا
قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النسا رمضان كله وكان
رجال يخونون انفسهم فانزل الله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم فتاب عليكم وعفى عنكم يقال خان واختان من الخيانه اي يخونون

انفسكم بالمباشرة في ليالي الصوم ومن عصى الله فقد خان نفسه اذ جلب
اليها العقاب وقال القتبي اصل الخيانة ان يوتمن الرجل على شي فلا يودي
الامانة فيه وذكر الطبري ان عمر رضي الله عنه رجع من عند النبي صلى الله
عليه وسلم وقد سمر عنده فوجد امراته قد نامت فارادها فقالت قد نمت
فقال ما نمت فوقع بها وصنع كعب بن مالك مثله فغدا عمر على النبي صلى
الله عليه وسلم فقال اعتذر الي والبك فان نفسي زينت لي فواقعت اهلي
فهل تجد لي من رخصة فقال له لم يكن حقيقا بذلك يا عمر فلما بلغ بيته ارسل
اليه فانباه بعذره في اية من القران وذكر النحاس ومكي ان عمر نام
ثم وقع بامراته وانه اتا النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فنزلت
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن
الاية قوله تعالى ليلة الصيام ليلة نصب على الظرف
وهي اسم جنس فلذلك افردت والرفث كناية عن الجماع لان الله عز
وجل كريم يكني قاله ابن عباس والسدي وغيرهما وقال الزجاج الرفث
كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من امراته وقاله الازهري ايضا
وقال ابن عرفة الرفث هاهنا الجماع والرفث التصريح بذكر الجماع والاعراب
به قال الشاعر ويرين من انس الحديث زوانيا وبهن عن رفث
الرجال نفارا الماوردي وكان ابن مسعود يقرا الرفوث والرفث
والرفوث هو الجماع في قول الجميع ومنه قول الشاعر فباتوا ابر نتوك
وبات منا رجال في سلاحهم ركوبا وقيل الرفث اصله الفحش يقال
رفث اذا تكلم بالقبيح ومنه قول الشاعر ورب اسراب حجيج كظم
عن اللغا ورفث التكلم قوله تعالى الى نسايكم تعدى الرفث

بالى في قوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسايكم وانت لا تقول رفثت الى
النسا ولكنه جي به محمولا على الافضا الذي يراد به الملامسه في مثل قوله
تعالى وافضى بعضكم الى بعض ومن هذا المعنى قوله تعالى واذا خلوا
الى شياطينهم كما تقدم وقوله تعالى يوم يحمى عليها اي يوقد لانك تقول
احميت الحديد في النار وسياتي ومنه قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون
عن امره حمل على معنى يخرجون عن امره او يزوغون عن امره لانك تقول
خالفت زيدا ومثله قوله وكان بالمومنين رحيما حمل على معنى روف في نحو
بالمومنين روف رحيم الا ترى انك تقول روفت به ولا تقول
رحمت به ولكنه لما وافقه في المعنى نزل منزلته في التعديه ومن هذا
الضرب قول ابي كبير الهذلي   حملت به في ليله مزوودة كرها
وعقد نطاقها لم يحلل عدى حملت بالبا وحقه ان يصل الى المفعول
بنفسه كما جا في التنزيل حملته امه كرها ووضعته كرها ولكنه قال
حملت به لانه في معنى حبلت به فتفهم هذا تفقه ان شا الله تعالى
قوله تعالى هن لباس لكم ابتدا وخبر وشددت النون
من هن لانها بمنزلة الميم والواو في المذكر وانتم لباس لهن معطوف
عليه واصل اللباس في الثياب ثم سمي امتزاج كل واحد من الزوجين
لصاحبه لباسا لانضمام الجسد الى الجسد وامتزاجهما وتلازمهما
بالثوب قال النابغه   اذا ما الضجيع ثنا جيدها تداعت فكانت
عليه لباسا   وقال ايضا   لبست اناسا فافنيتهم وافنيت
بعد اناس اناسا   وقال بعضهم يقال لما ستر الشي وواراه لباسا
فجايز ان يكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل له كما ورد

في الخبر من تزوج فقد احرز نصف دينه فليتق الله في النصف الثاني وقيل
لان كل واحد منهما ستر لصاحبه فيما يكون بينهما من الجماع عن
ابصار الناس وقال ابو عبيد وغيره يقال للمراة هي لباسك وفراشك
وازارك قال رجل لعمر بن الخطاب الا ابلغ ابا حفص رسولا فدى
لك من اخي ثقة ازاري قال ابو عبيد اي نسائي وقيل نفسي وقال
الربيع هن فراش لكم وانتم لحاف لهن مجاهد اي سكن لكم اي يسكن بعضكم
الى بعض قوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم اي يستاثر
بعضكم من بعض بعضا في مواقعة المحظور من الجماع والاكل بعد النوم
في ليالي الصوم لقوله تعالى تقتلون انفسكم يعني يقتل بعضكم بعضا
ويحتمل ان يريد كل واحد منهم في نفسه بانه يخونها وسماه خائنا
لنفسه من حيث كان ضرره عائدا عليه كما تقدم فعني علم الله اي علم
وقوع ذلك منكم مشاهدة وتختانون من الخيانة كما تقدم
قوله تعالى فتاب عليكم يحتمل معنيين احدهما قبول التوبة من خيانتهم لانفسهم
والاخر التخفيف عنهم بالرخصة والاباحة لقوله تعالى علم ان لن تحصوه فتاب
عليكم يعني خفف عنكم وقوله عقيب القتل الخطا فمن لم يجد فصيام شهرين
متتابعين توبة من الله يعني تخفيفا لان القاتل خطا لم يفعل شيئا يلزمه
التوبة منه وقال تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
الذين اتبعوه في ساعة العسرة وان لم يكن من النبي ما يوجب التوبة منه
وقوله تعالى وعفا عنكم يحتمل ايضا معنيين احدهما العفو من الذنب
والاخر التوسعة والتسهيل لقول النبي صلى الله عليه وسلم اول الوقت
رضوان الله واخره عفو الله يعني تسهيله وتوسعته عفي اي سهل

قال

قال بن العربي وقال علما الزهد هكذا فلتكن العنايه وشرف المنزله خا
نفسه عمر لجعلها الله شريعه وخفف من اجله عن الامة رضي الله عنه
وارضاه   قوله تعالى فالان باشروهن كنايه عن الجماع
اي قد احل لكم ما حرم عليكم وسمي الوقاع مباشرة لتلاصق البشرتين
فيه قال بن العربي وهذا يدل على سبب الايه جماع عمر لا جوع قيس
لانه لو كان السبب جوع قيس لقال فالان كلوا ابتدا به لانه المهم
الذي نزلت الايه لاجله قلت سبب نزول الاية جماع عمر
وجوع قيس وانما بدا بذكر الجماع تفضيلا لعمر على قيس والله اعلم
قوله تعالى وابتغوا ما كتب الله لكم قال بن عباس ومجاهد
والحكم وبن عتيبه وعكرمه والحسن والسدي والربيع والضحاك معناه
وابتغوا الولد يدل عليه انه عقيب قوله فالان باشروهن وعن بن
عباس ايضا ما كتب الله لنا هو القران الزجاج اي ابتغوا القران بما ابيح
لكم فيه وامرتم به وروي عن بن عباس ايضا ومعاذ بن جبل ان المعنى
وابتغوا ليله القدر وقيل المعنى اطلبوا الرخصه والتوسعه قاله قتاد
قال بن عطيه وهو قول حسن وقيل ابتغوا ما كتب الله لكم من الاما والز وجات
وقرا الحسن البصري والحسن بن قره واتبعوا من الاتباع وجوزها بن
عباس ورجح ابتغوا من الابتغا   قوله تعالى وكلوا
واشربوا هذا جواب نازله قيس والاول جواب عمر وقد ابتدا
بنازله عمر لانه المفضل فهو المقدم كما ذكرنا   قوله تعالى
حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر حتى غاية للتبيين
ولا يصح ان يقع التبيين لاحد ويحرم عليه الاكل الا وقد مضى لطلوع

الفجر فقد واختلف في الحد الذي بتبيينه يجب الامساك فقال الجمهور
ذلك الفجر المعترض في الافق يمنة ويسره وبهذا جات الاخبار ومضت
عليه الامصار روى مسلم عن سمرة بن جندب قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يغرنكم من سحوركم اذان بلال ولا بياض الافق المستطيل هكذا
حتى يستطير هكذا وحكاه حماد بيده فقال يعني معترضا وفي
حديث بن مسعود ان الفجر ليس الذي يقول هذا وجمع اصابعه ثم
نكسها الى الارض ولكن الذي يقول ووضع المسبحة على المسبحة ومد
يديه وروى الدارقطني عن عبد الرحمن بن عابس انه بلغه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال هما فجران فاما الذي هو كذنب السرحان فانه لا يحل
شيا ولا يحرمه واما المستطيل الذي عارض الافق ففيه تحل الصلاه
ويحرم الطعام هذا مرسل وقالت طايفة ذلك بعد طلوع الفجر وتبيينه
في الطرق والبيوت روي ذلك عن عثمان وحذيفه وبن عباس وطلق بن
علي وعطا بن ابي رباح والاعمش سليمن وغيرهم ان الامساك يجب
بتبيين الفجر في الطرق وعلى روس الجبال وقال مسروق لم يكن يعدون
الفجر فجركم انما كانوا يعدون الفجر الذي يملا البيوت روي النساي عن
عاصم عن زر قيل لحذيفه اي ساعه تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال هو النهار الا ان الشمس لم تطلع وروي الدارقطني عن طلق بن
علي ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كلوا واشربوا ولا يغرنكم الساطع
المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الاحمر قال الدارقطني ليس
بالقوى وقال ابو داود هذا مما تفرد به اهل اليمامه قال الطبري
والذي قادهم الى هذا ان الصوم انما هو في النهار والنهار عندهم من طلوع

الشمس

الشمس واخرم غروبها **قلت** قد مضى الخلاف في هذا بين اللغويين
في انه التوحيد وتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله انما هو
سواد الليل وبياض النهار الفيصل في ذلك وقوله تعالى ايا ما
معدودات وروى الدارقطني عن عايشه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من لم يبيت قبل طلوع الفجر فلا صيام له تفرد به عبد الله بن عباد
عن المفضل بن فضالة بهذا الاسناد وكلهم ثقات وروى عن حفصه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له
رفعه عبد الله بن ابي بكر وهو من الثقات الرفعا وروى موقوفا عن
حفصة قولها **قلت** ففي هذين الحديثين دليل على ما قاله الجمهور في
الفجر ومنع من الصيام دون نيه قبل الفجر خلافا لزفر بن الهذيل من
اصحاب ابي حنيفه على ما ياتي بيانه وذلك ان الصيام من جمله العبادات
فلا يصح الا بنيه وقد وقتها الشارع قبل الفجر فكيف يقال ان
الاكل والشرب بعد الفجر جايز وروى البخاري ومسلم عن
سهل بن سعيد قال نزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط
الابيض من الخيط الاسود من الفجر ولم ينزل من الفجر وكان
رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجليه الخيط الابيض
والخيط الاسود ولا يزال ياكل ويشرب حتى يتبين روئيتهما
فانزل بعد من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك بياض النهار وعن
عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله ما الخيط الابيض من
الخيط الاسود اهما الخيطان قال انك لعريض القفا ان ابصرت
الخيطين ثم قال لا بل هو سواد الليل وبياض النهار اخرجه البخاري

ودكره الماوردي فقال انك لعريض الوساد
العرب تسمي الفجر خيطا لان ما يبدو وامن البياض يرى ممتدا كالخيط قال
الشاعر الخيط الابيض ضوء الصبح منفلق والخيط الاسود جنح الليل
مكتوم والخيط في كلامهم عبارة عن اللون والفجر مصدر فجرت الما
نفجره فجرا اذا جرى وانبعث واصله الشق فلذلك قيل للطالع
من تباشير ضيا الشمس من مطلعها فجرا لانبعاث ضوءه وهو اول
بياض النهار الظاهر المستطير في الافق المنتشر تسميه العرب
الخيط الابيض كما بينا قال ابو داود الايادي فلما اضات لنا
سدفة ولاح من الصبح خيط انارا وقال اخر قد كاد
يبدو وبدت تباشره وسدف الليل البهيم ساتره
وقد تسميه ايضا الصديع ومنه قولهم انصدع الفجر قال بشر بن
ابي خازم ابو عمر بن معدي كرب به السرحان مفترشا يديه
كان بياض لبته الصديع وشبهه الشماخ بمفرق الراس فقال
اذا ما الليل كان الصبح فيه اشق كمفرق الراس الدهين ويقولون
للامر الواضح هذا كفلق وكانبلاج الفجر وتباشير الصبح قال
الشاعر فوردت قبل انبلاج الصبح لفجر وابن دكا من في كفر
لابد للصايم من نيه وفي موطا ملك عن
نافع عن ابن عمر انه كان يقول لا يصوم الا من اجمع الصيام قبل الفجر
وعن ابن شهاب عن عايشه وحفصه مثل ذلك وقد تقدم مرفوعا عنهما
والى هذا ذهب ملك فيما روى ابن القاسم وغيره عنه قال لا يصوم
الا من بيت الصيام اول ليله من رمضان من الليل قال ومن اصبح

لا يريد

لا يريد الصيام ولم يصب شيا من الطعام حتى تعالى النهار ثم بدا له ان
يصوم لم يجزه صيام ذلك اليوم وقال ملك من بيت الصيام اول
ليله من رمضان اجزاه ذلك عن ساير الشهر وكذلك من بان شانه صوم يوم
من الايام لا يدعه فانه لا يحتاج الى التبييت لما قد اجمع عليه من ذلك
قال ومن قال لله علي ان اصوم شهرا متتابعا فصام اول يوم بتبييت
ونيه اجزاه ذلك عن باقي الشهر ومذهب الليث في هذا مذهب ملك
وقال الشافعي لا يجزي كل يوم واجب من رمضان او نذرا وغيره الا بنيه
قبل الفجر ويجوز التطوع ان ينويه قبل الزوال وقال الثوري في
صوم رمضان يحتاج ان ينويه من الليل كل ليله وقال في صيام التطوع
اذا نواه في اخر النهار اجزاه قال وقال ابراهيم له اجر ما استقبل
وهو قول الحسن بن حي وقال ابو حنيفه واصحابه الا زفر لا يجوز
صيام الا بنيه لكل يوم مجدد ويجوز ان ينويه قبل الزوال وان لم
ينوه من الليل وهو قول الاوزاعي وقال زفر يجوز صوم رمضان
بغير نيه قال ولو نوي فيه الافطار الا انه امسك عما يمسك
عنه الصايم اجزاه الصوم الا ان يكون مسافرا او مريضا يعذر
في الافطار فلا يجزيه الا ان ينويه من الليل وحجته انه لما لا يجزي
احدا ان يصوم في رمضان او غيره صوما ينوي به رمضان كذلك لا يكون
صيام رمضان عن غيره لانه وقت لا يصح فيه غيره لانه متعين
بتعيين الله تعالى ولم يختلف عن ملك وابن القاسم ان المسافر
يبيت النيه كل ليله في شهر رمضان وانه لا يجزيه الصيام في السفر

في رمضان الا ان يبيته من الليل وجميع الليل وقت النيه لا يختص بنصفه
الاخير لان الخبر مطلق في الليل فيتناول الكل وهو مقتضى ما روي عن
عايشه وحفصة وبن عمر وليس فيها ما يخص فرضا من نفل كما يقوله مالك
ومن تابعه وروي عن علي وبن عباس وبن مسعود وحذيفه والنبي
انهم اجازوا في التطوع ان ينويه بالنهار قبل الزوال كما يقوله الشافعي
ومن وافقه وقال البخاري رحمه الله قالت ام الدردا كان ابو
الدردا يقول هل عندكم طعام فان قلت لا قال اني صايم قال
وفعله ابو طلحة وابو هريرة وبن عباس وحذيفه وروي عن عايشه
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ياتي اهله ويقول هل عندكم من طعام
فان قالوا لا قال فانا اذا صايم

قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل جعل الله جل ذكره الليل ظرفا
للاكل والشرب والجماع والنهار ظرفا للصيام فبين احكام الزمانين
وغاير بينهما فلا يجوز في اليوم شي مما اباحه بالليل الا لمسافر
او مريض كما تقدم بيانه لمن افطر في رمضان من غير عذر فلا يخلوا ان
يكون عامدا او ناسيا فان كان الافطار ممن افطر في رمضان
عامدا باكل او شرب بجماع فعليه القضا والكفارة لما رواه في موطيه
ومسلم في صحيحه عن ابي هريره ان رجلا افطر في رمضان فامره
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكفر بعتق رقبه او صيام شهرين
او اطعام ستين مسكينا الحديث وبهذا قال الشعبي وقال
الشافعي وغيره ان هذه الكفاره انما تختص بالجماع لحديث ابي
هريره ايضا قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هلكت يا

رسول الله

رسول الله قال وما اهلكك قال وقعت على امراتي في رمضان الحديث
وفيه ذكر الكفارة على الترتيب اخرجه مسلم ايضا وغيره وحملوا هذه
القضية على القضية الاولى وقالوا هي واحدة وهذا غير مسلم بل هما
قضيتان مختلفتان لان مساقهما مختلف وقد علق الكفارة على من افطر
مجردا عن القيود فتلزم مطلقا وبهذا قال مالك واصحابه والاوزاعي
واسحاق وابو ثور والطبري وابن المنذر وروي ذلك عن عطا في رواية
وعن الحسن والزهري ويلزم الشافعي القول به فانه يقول ترك
الاستفصال مع تعارض الاحوال يدل على عموم الحكم وقد جا صريحا
من حديث ابي هريرة ان رجلا اكل في رمضان فامره رسول الله صلى
الله عليه وسلم خرجه الدارقطني في سننه واوجب الشافعي
عليه مع القضا العقوبة لانتهاكه حرمة الشهر
واختلفوا ايضا فيما يجب على المراة يطاها زوجها في
شهر رمضان فقال مالك وابو يوسف واصحاب الراي عليها مثل
ما على الرجل وقال الشافعي ليس عليهما الا الكفارة واحدة وسوا طاوعته
او اكرهها لان النبي صلى الله عليه وسلم اجاب السايل بكفارة واحدة ولم
يفصل وروي عن ابي حنيفة ان طاوعته فعلى كل واحد منهما كفارة وان
اكرهها فعليه كفارة واحدة لا غير وهذا قول سحنون بن سعيد المالكي
وقال مالك عليه كفارتان وهو تحصيل مذهبه عند اصحابه قال
الشافعي وتجب باللواط واتيان البهيمة لان ذلك في معنى الجماع
واختلفوا ايضا فيمن جامع ناسيا لصومه
او اكل فقال الشافعي وابو حنيفة واصحابه واسحاق ليس عليه شي

في الوجهين لا قضا ولا كفارة وقال ملك والليث والاوزاعي عليه القضا والكفارة وقد روي مثل ذلك عن عطا وقد روي عن عطا ان عليه الكفارة ان جامع وقال مثل هذا لا ينسى وقال جماعة من اهل الظاهر سوا وطي ناسيا او عامدا عليه القضا والكفارة وهو قول بن الماجشون عبد الملك واليه ذهب احمد بن حنبل لان الحديث الموجب للكفارة لم يفرق فيه بين الناسي والعامد قال بن المنذر لا شي عليه

واختلفوا اذا اكل ناسيا فقال ملك والشافعي وابو ثور واصحاب الراي اذا اكل ناسيا فظن ان ذلك قد فطره فجامع عامدا ان عليه القضا والكفارة ان كان قاصدا لهتك حرمة صومه جرأة وتهاونا قال ابو عمر وقد كان يجب على اصل ملك ان لا يكفر لان من اكل ناسيا فهو عنده مفطر يقضي يومه ذلك فاي حرمة هتك وهو مفطر وعند غير ملك ليس بمفطر من اكل ناسيا لصوم

قلت وهو الصحيح وبه قال الجمهور ان من اكل او شرب ناسيا فلا قضا عليه وان صومه تام لحديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اكل الصايم ناسيا او شرب ناسيا فانما هو رزق ساقه الله تعالى ولا قضا عليه في رواية وليتم صومه فان الله اطعمه وسقاه اخرجه الدارقطني وقال اسناد صحيح وكلهم ثقات قال ابو بكر الاثرم سمعت ابا عبد الله يسل عن من اكل ناسيا في رمضان قال ليس شي على حديث ابي هريرة ثم قال ابو عبد الله رحمه الله ملك زعموا يقول عليه القضا وضحك قال بن المنذر لا شي عليه

لقوله

لقوله النبي صلى الله عليه وسلم لمن اكل او شرب ناسيا يتم صومه واذا
قال يتم صومه فانما هو تام كامل قلت اذا كان من افطر ناسيا
لا قضا عليه وصومه تام فعليه اذا جامع عامدا القضا والكفارة
والله لمن لم يفطر ناسيا وقد احتج علماونا على ايجاب القضا بان
قالوا المطلوب منه صيام يوم تام لا يقع فيه خرم لقوله تعالى
واتموا الصيام الى الليل وهذا لم يات به على التمام فهو باق عليه ولعل
الحديث في صوم التطوع لخفته وقد جا في صحيح البخاري ومسلم من
نسي وهو صايم فاكل او شرب فليتم صومه فلم يذكر قضا ولا
تعرض له بل الذي تعرض له سقوط المواخذه والامر بمضيه على
صومه واتمامه هذا ان كان واجبا فدل على ما ذكرناه من القضا واما
الصوم الصوم التطوع فلا قضا فيه لمن اكل ناسيا لقوله عليه السلام
لا قضا عليه قلت هذا ما احتج به علماونا وهو صحيح لولا ما صح
عن الشارع ما ذكرناه والاظهر فيه ان الصوم الواجب وقد جا
بالنص الصريح وهو ما رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من افطر في شهر رمضان ناسيا فلا قضا عليه ولا كفارة خرجه
الدارقطني وقال تفرد به ابن مرزوق وهو ثقه عن الانصاري
فزال الاحتمال وارتفع الاشكال والحمد لله
لما بين سبحانه محظورات الصيام وهي الاكل والشرب
والجماع ولم يذكر المباشرة التي هي ايصال البشرة بالبشرة كالقبلة والجس
وغيرهما دل ذلك على صحة صوم من قبل وباشر لان فحوى الكلام انما
يدل على تحريم ما اباحه الليل وهو الاشيا الثلاثة ولا دلالة فيه

على غيرها بل هو صوم موقوف على الدليل وكذلك شاع الاختلاف
فيه واختلف علما السلف فيه فمن ذلك المباشرة فالعلما ونا يكره لمن لا
يامن على نفسه ولا يملكها لئلا يكون سببا الى ما يفسد الصوم روي
مالك عن نافع ان عبد الله بن عمر كان ينهى عن القبله والمباشره للصايم
وهذا والله اعلم خوف ما يحدث عنهما فان قبل وسلم فلا احتاج عليه
ولذلك ان باشر روي البخاري عن عايشه قالت كان النبي صلى الله عليه
وسلم يباشر وهو صايم وممن لين القبله للصايم عبد الله بن مسعود
وعروة بن الزبير وقد روي عن بن مسعود انه يقضي يوما مكانه
والحديث حجة عليهم قال ابو عمر ولا اعلم احدا رخص فيها لمن يعلم انه
يتولد عليه منها ما يفسد صومه فان قبل فامنى عليه القضا والكفارة
قاله ابو حنيفه واصحابه والثوري والحسن والشافعي واختاره بن
المنذر وقال ليس لمن اوجب عليه الكفارة حجه قال ابو عمر ولو قبل
فامذى لم يكن عليه شي عندهم وقال احمد من قبل فامنى او امذى فعليه
القضا والكفارة عليه الا على من جامع فاولج عامدا او ناسيا وروي
بن القاسم عن مالك فيمن قبل او باشر فانعظ ولم يخرج منه ما جملة عليه
القضا وروي بن وهب عنه لا قضا عليه حتى يمذي وقال القاضي ابو
محمد واتفق اصحابنا على ان لا كفارة عليه وان كان ممنيا فهل تلزمه الكفارة
مع القضا فلا يخلو ان يكون قبل قبله واحده فانزل او قبل والتذ فعاود
فانزل فان كان قبل قبله واحدة او باشر ولمس مرة فقال اشهب
وسحنون لا كفارة عليه حتى يجرد وقال بن القاسم يكفر في ذلك
لله الا في النظر فلا كفارة عليه حتى يجرد وممن قال بوجوب

الكفارة

ثاني عشرينه

الكفارة عليه اذا قبل او باشر او لاعب امراته او جامع دون
الفرج فامنى الحسن البصري وعطا وبن المبارك وابو ثور واسحق
وهو قول ملك في المدونة ووجه قول اشهب ان اللمس
والقبله والمباشرة ليست بفطر في نفسها وانما ينفي ان يوول
بك الامر الذي يقع به الفطر فاذا فعله مرة واحدة لم يقصد
الانزال وافساد الصوم فلا كفارة عليه كالنظر اليها واذا اورد
ذلك فقد قصد افساد صومه فعليه الكفارة كما لو كرر النظر
قال اللخمي واتفق جميعهم في الانزال الا على من قصد الفطر وانتهاك
حرمة الصوم واذا كان ذلك وجب ان ينظر الى عادة من
نزل به ذلك فان كان شانه ان ينزل عن قبله او مباشرة مرة او
كانت عادته مختلفه مرة ينزل ومرة لا ينزل رايت عليه الكفارة
لان فاعل ذلك قاصد لانتهاك صومه او متعرض له وان كانت
عادته السلامة فقد كان منه خلاف العادة لم تكن عليه كفارة
وقد يحمل قول ملك في وجوب الكفارة لان ذلك لا يجري الا ممن
يكون ذا الطبيعة والتفي بما ظهر منه وحمل اشهب الامر على الغالب
من الناس انهم يسلمون من ذلك وقولهم في النظر دليل على ذلك
قلت ما حكاه من الاتفاق في النظر وجعله اصلا ليس كذلك فقد
حكى الباجي في المنتقى فان نظر نظرة واحدة يقصد بها اللذة فقد قال
الشيخ ابو الحسن عليه القضا والكفارة قال الباجي وهو الصحيح عندي
لانه اذا قصد به الاستمتاع كان كالقبلة وغير ذلك من انواع
الاستمتاع والله اعلم وقال جابر بن زيد والثوري والشافعي

وابو ثور واصحاب الراي فيمن ردد النظر الى المراة حتى امنى فلا قضى
عليه ولا كفارة قاله بن المنذر والباجي وروي في المدونه بن نافع عن ملك
انه ان نظر الى امراة متجردة فالتذ فانزل عليه القضا دون الكفاره
والجمهور من العلما على صحه صوم من
طلع عليه الفجر وهو جنب وقال القاضي ابو بكر بن العربي وذلك جايز
اجماعا وقد كان وقع فيه بين الصحابه كلام ثم استقر الامر على ان
من اصبح جنبا فان صومه صحيح **قلت** اما ما ذكر من وقوع الكلام
فصحيح مشهور وذلك قول ابي هريره من اصبح جنبا فلا صوم له اخرجه
الموطا وغيره وفي كتاب النساي انه قال لما رجع والله ما انا قلت
محمد والله ما قاله وقد اختلف في رجوعه عنها واشتهر قوليه عند
اهل العلم انه لا صوم له حكاه بن المنذر وروي عن الحسن بن
صالح وعن ابي هريرة ايضا قول ثالث قال اذا علم بجنابته ثم
نام حتى يصبح فهو مفطر وان لم يعلم حتى اصبح فهو صايم وروي
ذلك عن طاوس وعروه بن الزبير وروي عن الحسن والنخعي
ان ذلك يجزي في التطوع ويقضي في الفرض **قلت** فهذه اربعه
اقوال للعلما فيمن اصبح جنبا والصحيح منها هو مذهب
الجمهور لحديث عايشه وام سلمه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يصبح جنبا من جماع غير احتلام ثم يصومه وعن
عايشه قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدركه
الفجر في رمضان وهو جنب من غير حلم فيغتسل ويصوم اخرجهما
البخاري ومسلم وهو الذي يفهم من ضرورة قوله تعالى

فالان

فالان باشروهن الاية فانه لما مد اباحة الجماع الى طلوع الفجر فالمرو
يعلم ان الفجر يطلع عليه وهو جنب وانما ياتي الغسل بعد الفجر وقد
قال الشافعي رضي الله عنه ولو بان الذكر داخل المراة فنزعه مع
طلوع الفجر انه لا قضا عليه وقال المزني عليه القضا لانه من تمام
الجماع والاول اصح لما ذكرنا وهو قول علمائنا
واختلفوا في الحايض تطهر قبل الفجر وتترك الغسل حتى تصبح فجمهورهم
على وجوب الصوم عليها واجزايه سوا تركته عمدا او سهوا كالجنب
وهو قول ملك وبن القاسم وقال عبد الملك اذا طهرت الحايض
قبل الفجر فاخرت غسلها حتى طلع الفجر فيومها يوم فطر لانها في
بعضه غير طاهرة وليست كالجنب لان الاحتلام لا ينقض
الصوم والحيضة تنقضه هكذا ذكره ابو الفرج الجوزي في هدايته
عن عبد الملك وقال الاوزاعي تقضي لانها فطرت في الاغتسال
وذكر بن الجلاب عن عبد الملك انها ان طهرت قبل الفجر في وقت يمكنها
فيه الغسل ففرطت ولم تغتسل حتى اصبحت لم يضرها كالجنب وان
كان الوقت ضيقا لا تدرك فيه الغسل لم يجز صومها ويومها يوم
فطر وقاله ملك وهي كمن طلع عليها الفجر وهي حايض وقال محمد بن مسلمة
في هذه تصوم وتقضي مثل قول الاوزاعي وروي عنه انه شدد وقال
على من فطرت طهرت قبل الفجر ففرطت وتوانت واخرت حتى
تصبح الكفارة مع القضا   واذا طهرت
امراة كبيلا في رمضان فلم تدر ا كان ذلك قبل الفجر او بعده صامت
وقضت ذلك اليوم احتياطا ولا كفارة عليها

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افطر الحاجم والمحجوم من حديث
ثوبان وحديث شداد بن اوس وصحح علي بن المديني حديث رافع بن خديج
وقال ملك والشافعي لا قضا عليه الا انه يكره له ذلك من اجل التغرير
وفي صحيح مسلم من حديث انس انه قيل له اكنتم تكرهون الحجامه للصائم
قال لا الا من اجل الضعف وقال ابو عمر حديث شداد ورافع
وثوبان عندنا منسوخ بحديث بن عباس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم احتجم صايما محرما لان في حديث شداد بن اوس وغيره انه
عليه السلام مر عام الفتح على رجل يحتجم لثمان عشرة ليله خلت من
رمضان فقال افطر الحاجم والمحجوم واحتجم هو صلى الله عليه وسلم
عام حجة الوداع فهي ناسخة لا محاله لانه عليه السلام لم يدرك
بعد ذلك رمضان لانه توفي في ربيع الاول صلى الله عليه وسلم

قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل

امر يقتضي الوجوب من غير خلاف والى غاية فاذا كان ما بعدها
من جنس ما قبلها فهو داخل تحته كقولك اشتريت الفدان الى حاشيته
او اشتريت منك من هذه الشجرة الى هذه الشجرة والمبيع شجر فان
الشجر داخله في المبيع بخلاف قولك اشتريت الفدان الى الدار فان
الدار لا تدخل في الحدود اذ ليست من جنسه فشرط تعالى تمام الصوم
حتى يتبين الليل كما جوز الاكل حتى يتبين النهار

ومن تمام الصوم استصحاب النيه دون رفعها فان رفعها في بعض النهار
ونوى الفطر الا انه لم ياكل ولم يشرب فجعله في المدونه مفطرا وعليه
القضا وفي كتاب بن حبيب انه على صومه قال ولا يخرجه من الصوم

الا

الا الافطار بالفعل وليس بالنيه وقبل عليه القضا والكفاره وقال سحنون انما هو من بيت الفطر فاما من نواه في نهاره فلا يفطر وانما يقضي استحسانا قلت هذا حسن

قوله تعالى الى الليل اذا تبين الليل سن الفطر شرعا اكل اولم ياكل قال بن العربي وقد سيل الامام ابو اسحاق الشيرازي عن رجل حلف بالطلاق ثلاثا انه لا يفطر على حار ولا بارد فاجاب انه بغروب الشمس مفطر لا شي عليه واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم اذا جا الليل من هاهنا وادبر النهار من هاهنا فقد افطر الصايم وسيل عنها الامام ابو نصر بن الصباغ صاحب الشامل فقال لابد ان يفطر على حار او بارد وما اجاب به الامام ابو اسحاق اولى لانه مقتضى الكتاب والسنه

فان ظن ان الشمس قد غربت لغيم او غيره فافطر ثم ظهرت الشمس فعليه القضا في قول اكثر العلما وفي البخاري عن اسما بنت ابي بكر قالت افطرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غيم ثم طلعت الشمس قيل لهشام فامروا بالقضا قال بد من قضا وقال عمر في الموطا في هذا الخطب يسير وقد اجتهدنا نريد القضا وروي عن عمر انه قال لا قضا عليه وبه قال الحسن البصري لا قضا عليه كالناسي وهو قول اسحق واهل الظاهر وقول الله تعالى الى الليل يرد هذا القول والله اعلم

فان افطر وهو شاك في غروبها كفر مع القضا قاله مالك الا ان يكون الاغلب عليه غروبها ومن شك عنده في طلوع الفجر لزمه الكف عن الاكل فان اكل مع شكه فعليه القضا كالناسي

لا

لم يختلف في ذلك قوله ومن اهل العلم بالمدينه وغيرها من يري
عليه شيا حتى يتبين له طلوع الفجر وبه قال بن المنذر وقال
ابو جعفر الطبري وقد ظن قوم انه اذا ابيح له الفطر الى اول الفجر فاذا
اكل على ظن ان الفجر لم يطلع فقد اكل باذن الشرع في وقت جواز الاكل
ولا قضا عليه كذلك قال مجاهد وجابر بن زيد ولا خلاف في وجوب
القضا اذا غم عليه الهلال في اول ليلة من رمضان فاكل ثم بان
انه من رمضان والذي نحن فيه مثله وكذلك الاسير في دار الحرب
اذا اكل ظانا انه من شعبان ثم بان خلافه

قوله تعالى الى الليل فيه ما يقتضي النهي عن الوصال
اذ الليل غايه الصيام وقالته عايشه رضي الله عنها وهذا موضع
اختلف فيه فممن واصل عبد الله بن الزبير وابراهيم التيمي وابو
الجوزا وابو الحسن الدينوري وغيرهم كان بن الزبير يواصل
سبعا فاذا افطر شرب السمن والصبر حتى تتفتق امعاوه قال
وكانت تيبس امعاوه وكان ابو الجوزا يواصل سبعه ايام وسبع
ليال ولو قبض على ذراع الرجل الشديد لحطمها وظاهر القران
والسنه يقتضي المنع قال صلى الله عليه وسلم اذا غابت الشمس
من ها هنا وجا الليل من ها هنا فقد افطر الصايم خرجه مسلم
من حديث عبد الله بن ابي اوفا ونها عن الوصال فلما ابوا ان ينتهوا
عن الوصال واصل بهم يوما ثم يوما ثم راوا الهلال فقال
لو تاخر الهلال لزدتكم كالمنكل لهم حين ابوا ان ينتهوا خرجه مسلم
عن ابي هريره رضي الله عنه وفي حديث انس لو مد لنا الشهر لواصلنا

وصالا

وصالا يدع المتعمقون تعمقهم خرجه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم
اياكم والوصال تاكيدا في المنع لهم منه اخرجه البخاري وعلى كراهيه
الوصال لما ذكرنا ولما فيه من ضعف القوى وانهاك الابدان جمهور
العلما وقد حرمه بعضهم لما فيه من مخالفه الظاهر والتشبيه
باهل الكتاب قال صلى الله عليه وسلم ان فصل ما بين صيامنا وصيام
اهل الكتاب اكله السحر خرجه مسلم وابو داود وفي البخاري عن ابي
سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا
فايكم اراد ان يواصل فليواصل حتى السحر قالوا فانك تواصل يا
رسول الله قال لست كهيئتكم اني ابيت لي مطعم يطعمني وساق
يسقيني قالوا وهذا اباحه لتاخير الفطر الى السحر وهو الغايه في
الوصال لمن اراده ومنع من اتصال يوم بيوم وبه قال احمد واسحق
وابن وهب صاحب ملك احتج من اجاز الوصال بان قال انما كان
النهي عن الوصال لانهم كانوا حديثي عهد بالاسلام فخشي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يتكلفوا الوصال واعلا المقامات فيفتروا
او يضعفوا عما كان انفع منه من الجهاد والقوه على العدو مع
حاجتهم في ذلك الوقت وكان هو يلتزم في خاصه نفسه الوصال
واعلى مقامات الطاعات فلما سالوه عن الوصال ابدا لهم الفارق بينهم
وبينه واعلمهم ان حالته في ذلك غير حالاتهم فقال لست مثلكم
اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني فلما كمل الايمان في قلوبهم واستحكم في
صدورهم ورسخ وكثر المسلمون وظهروا على عدوهم واصل اوليا الله
والزموا انفسهم اعلا المقامات والله اعلم قلت ترك الوصال

مع ظهور الاسلام وقهر الاعدا اولى وذلك ارفع الدرجات واعلا
المنازل والمقامات والدليل على ذلك ما ذكرناه وان الليل ليس بزمان
صوم شرعي حتى لو شرع انسان فيه الصوم بنية ما اثيب عليه والنبي
صلى الله عليه وسلم ما اخبر عن نفسه انه واصل وانما الصحابة ظنوا ذلك
فقالوا انك تواصل فاخبر انه يطعم ويسقى وظاهر هذا الحقيقه وانه
عليه السلام يوتى بطعام الجنه وشرابها وقيل ان ذلك محمول على ما يرد
على قلبه من المعاني واللطايف واذا احتمل اللفظ الحقيقة والمجاز فالاصل
الحقيقة حتى يرد دليل يزيلها ثم لما ابوا ان ينتهوا عن الوصال واصل بهم
وهو على عادته كما اخبر عن نفسه وهم على عادتهم حتى يضعفوا ويقل
صبرهم فلا يواصلوا وهذه حقيقه التنكيل حتى يدعوا تعمقهم وما
ارادوه من التشديد على انفسهم وايضا لو نزلنا على ان المراد بقوله
اطعم واسقا المعنا لكان مفطرا حكما ان من اغتاب في صومه او شهد
بزور مفطر حكما ولا فرق بينهما قال صلى الله عليه وسلم من لم يدع قول
الزور والعمل به فليس لله حاجه في ان يدع طعامه وشرابه وعلى هذا لحد
ما واصل النبي صلى الله عليه وسلم ولا امر به فان تركه اولى وبالله التوفيق
ويستحب للصايم اذا افطر ان يفطر على رطبات
او تمرات او حسوات من الما رواه ابو داود عن انس قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات قبل ان يصلي فان لم يكن رطبا فعلى تمرات
فان لم يكن تمرات حسا حسوات ما واخرجه الدارقطني وقال فيه اسناد
صحيح وروى الدارقطني عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
افطر قال لك صمنا وعلى رزقك افطرنا فتقبل منا انك انت السميع العليم

وعن بن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا افطر
ذهب الظما وابتلت العروق وثبت الاجر ان شا الله خرجه ابو داود
ايضا وقال الدارقطني تفرد به الحسين بن واقد اسناده حسن وروي
بن ماجه عن عبد الله بن الزبير قال افطر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند
سعد بن معاذ فقال افطر عندكم الصايمون واكل طعامكم الابرار وصلت
الملايكه وروي ايضا عن زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من فطر صايما كان له مثل اجورهم من غير ان ينقص من اجورهم شيا
وروي ايضا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان للصايم عند فطره لدعوه ما ترد قال بن ابي مليكه فسمعت
عبد الله بن عمرو يقول اذا افطر اللهم اني اسالك برحمتك التي وسعت
كل شي ان تغفر لي وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم للصايم
فرحتان يفرحهما اذا افطر فرح بفطره واذا لقي ربه عز وجل فرح
بصومه   ويستحب له ان يصوم من
من شوال سته ايام لما رواه مسلم والترمذي وابو داود
والنسايي وبن ماجه عن ابي ايوب الانصاري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ثم اتبعه ستا من شوال كان له
كصيام الدهر هذا حديث حسن صحيح من حديث سعد بن سعيد
الانصاري المدني وهو ممن لم يخرج له البخاري شيا وقد جا باسناد
جيد مفسر من حديث ابي اسما الرحبي عن ثوبان مولى النبي صلى الله
عليه وسلم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله
الحسنه بعشر امثالها فشهر رمضان بعشره اشهر وسته ايام

بعد الفطر تمام السنه رواه النساي واختلف في صيام هذه الايام فكرهها ملك في موطاه خوفا ان يلحق اهل الجهاله برمضان ما ليس منه وقد وقع ما خافه حتى انه كان في بعض بلاد خراسان يقومون لسحورها على عادتهم في رمضان وروى مطرف عن ملك انه كان يصومها في خاصة نفسه واستحب صيامها الشافعي وكرهه ابو يوسف قوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد بين عز وجل تعالى ان الجماع يفسد الاعتكاف واجمع اهل العلم على انه من جامع امراته وهو معتكف عامدا لذلك في فرجها انه مفسد لاعتكافه واختلفوا فيما عليه اذا فعل ذلك فقال الحسن البصري والزهري عليه ما على المواقع اهله في رمضان فاما المباشره من غير جماع فان قصد بها التلذذ فهي مكروهة وان لم يقصد لم تكره لان عايشه رضي الله عنها كانت ترجل راس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معتكف وكانت لا محاله تمس بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها فدل ذلك على ان المباشره بغير شهوه غير محظوره هذا قول عطا والشافعي وابن المنذر وقال ابو عمر واجمعوا على ان المعتكف لا يباشر ولا يقبل واختلفوا فيما عليه ان فعل فقال ملك والشافعي ان فعل شيا من ذلك فسد اعتكافه قاله المزني وقال في موضع اخر من مسايل الاعتكاف لا يفسد الاعتكاف من الوطي الا ما يوجب الحد واختار المزني قياسا على اصله في الصوم والحج قوله تعالى وانتم عاكفون جمله في موضع الحال والاعتكاف في اللغة الملازمه

يقال

يقال عكف على الشي اذا لازمه مقبلا عليه قال الراجز علف
النبيط يلعبون الفنزجا وقال الشاعر وظل بنات الليل حولي
عكفا عكوف البواكي حولهن صريع ولما كان المعتكف ملازما للعمل بطاعة
الله مدة اعتكافه لزمه هذا الاسم وهو في عرف الشرع ملازمة طاعة
مخصوصة على شرط مخصوص في موضع مخصوص واجمع العلما على انه
ليس بواجب وهو قربة من القرب ونافلة من النوافل عمل بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وازواجه ويلزمه ان الزمه نفسه
ويكره الدخول فيه لمن يخاف عليه العجز عن الوفا بحقوقه

اجمع العلما على ان الاعتكاف لا يكون الا في المسجد لقول
الله تعالى في المساجد واختلفوا في المراد بالمساجد فذهب قوم الى
ان الاية خرجت على نوع من المساجد وهو ما بناه نبي كالمسجد الحرام
ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم ومسجد ايليا روي هذا عن حذيفة
بن اليمان وسعيد بن المسيب فلا يجوز الاعتكاف عندهم في غيرها
وقال اخرون لا اعتكاف الا في مسجد تجمع فيه الجمعة لان الاشارة في
الاية عندهم الى ذلك الجنس من المساجد روي هذا عن علي بن ابي
طالب وبن مسعود وهو قول عروة والحكم وحماد والزهري وابي
جعفر محمد بن علي وهو احد قولي مالك وقال اخرون الاعتكاف
في كل مسجد جائز روي هذا القول عن سعيد بن جبير وابي قلابة
وغيرهما وهو قول الشافعي وابي حنيفة واصحابهما وحجتهم حمل
الاية على عمومها في كل مسجد وهو احد قولي مالك وبه يقول بن
علية وداود بن علي والطبري وبن المنذر وروى الدارقطني عن

يقول

الضحاك عن حذيفه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسجد
له موذن وامام فالاعتكاف فيه يصلح قال الدارقطني الضحاك لم
يسمع من حذيفه واقل الاعتكاف عند ملك
وابي حنيفه يوم وليله فان قال لله علي اعتكاف ليله لزمه اعتكاف
ليله ويوم وكذلك ان نذر اعتكاف يوم لزمه يوم وليله وقال
سحنون من نذر اعتكاف ليله فلا شي عليه وقال ابو حنيفه واصحابه
ان نذر يوما فعليه يوم بغير ليله وان نذر ليله فلا شي عليه كما قال
سحنون الشافعي عليه ما نذر ان نذر ليله فعليه وان نذر يوما فيوما
قال الشافعي اقله لحظه ولا حد لاكثره وقال بعض اصحاب ابي حنيفه يصح
اعتكاف ساعة وعلى هذا القول فليس من شرطه صوم وروي
عن احمد بن حنبل في احد قوليه وهو داود بن علي بن عليه واختاره
بن المنذر وبن العربي واحتجوا بان اعتكاف رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان في رمضان ومحال ان يكون صوم رمضان لرمضان ولغيره ولو
نوى المعتكف في رمضان صوم التطوع والفرض فسد صومه عند
ملك واصحابه ومعلوم ان ليل المعتكف يلزمه فيه من اجتناب مباشرة
النسا ما يلزمه في نهاره وان ليله داخل في اعتكافه وليس الليل بموضع
صوم فكذلك نهاره ليس بمفتقر الى الصوم وان صام فحسن وقال
ملك وابو حنيفه واحمد في القول الاخر لا يصح الا بصوم وروي
عن بن عمر وبن عباس وعايشه رضي الله عنهم وفي الموطا عن القاسم
بن محمد ونافع مولى عبد الله لا اعتكاف الا بصيام لقول الله في
كتابه وكلوا واشربوا الى قوله في المساجد قالا وانما ذكر الله تعالى

ولغيره

الاعتكاف مع الصيام قال يحيى قال ملك وعلى ذلك عندنا واحتج

بما رواه عبد الله بن بديل عن عمرو بن دينار عن ابن عمر ان عمر جعل على

نفسه ليلة او يوما فسال النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعتكف وصم

اخرجه ابو داود وقال الدارقطني تفرد به ابن بديل عن عمرو وهو

ضعيف وعن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا اعتكاف الا بصيام

قال الدارقطني تفرد به سويد بن عبد العزيز عن سفيان بن حسين

عن الزهري عن عروة عن عايشة وقالوا ليس من شرط الصوم عندنا ان

يكون الاعتكاف بل يصح ان يكون الصوم له ولرمضان وللنذر ولغيره

فاذا نذره الناذر فانما ينصرف نذره الى مقتضاه في اصل الشرع وهذا

كمن نذر صلاة فانما تلزمه ولم يجب عليه ان يتطهر لها خاصة بل يجزيه ان

يوديها بطهارة لغيرها وليس للمعتكف

ان يخرج من معتكفه الا لما لا بد له منه لما روى الايمة عن عايشة

قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اعتكف يدني الي راسه

فارجله وكان لا يدخل البيت الا لحاجة الانسان من الغايط والبول

ولا خلاف في هذا بين الامة ولا بين الايمة فاذا فاذا خرج المعتكف

لضرورة وما لا بد له منه ورجع في فوره وزال الضرورة بنى على ما

مضى من اعتكافه ولا شي عليه ومن الضرورة المرض البين والحيض

واختلفوا في خروجه لما سوى ذلك فمذهب ملك ما ذكرنا ولذلك

مذهب الشافعي وابي حنيفة وقال سعيد بن جبير والحسن والنخعي

يعود المريض ويشهد الجنايز وروي عن علي وليس بثابت عنه وفرق

اسحق بين الاعتكاف الواجب والتطوع فقال في الاعتكاف الواجب:

لا يعود مريضا ولا يشهد الجنايز وقال في التطوع ليشترط حين يبتدي شهود الجنايز وعيادة المرضى والجمعه وقال الشافعي يصح اشتراطه الخروج من معتكفه لعيادة المريض وشهود جنازه وغير ذلك من حوايجه واختلف فيه فمنع منه مرة اجواز لا يكون به باس وقال الاوزاعي كما قال ملك لا يجوز في الاعتكاف شرط قال بن المنذر لا يخرج المعتكف من اعتكافه الا لما لا بد له منه وهو الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج له

واختلفوا في خروجه للجمعه فقالت طايفه يخرج للجمعه ويرجع اذا اسلم لانه خرج الى فرض ولا ينتقض اعتكافه رواه بن الجهم عن ملك وبه قال ابو حنيفه واختاره بن العربي و بن المنذر ومشهور مذهب ملك ان من اراد ان يعتكف عشره ايام او يما ذلك لم يعتكف الا في المسجد الجامع وان اعتكف في غيره لزمه الخروج الى الجمعه وبطل اعتكافه وقال عبد الملك يخرج الى الجمعة فيشهدها ويرجع مكانه ويصح اعتكافه قلت وهو الصحيح لقوله تعالى وانتم عاكفون في المساجد تعم واجمع العلما على ان الاعتكاف ليس بواجب وانه سنه واجمع الجمهور من الايمه على ان الجمعه فرض على الاعيان ومتى اجتمع واجبان احدهما اكد من الاخر قدم الاكد فكيف اجتمع مندوب وواجب ولم يقل احد بمنع الخروج اليها فكان الخروج اليها في معنى حاجة الانسان والله اعلم

المعتكف اذا اتى كبيرة فسد اعتكافه لان الكبيره ضد العبادة كما ان الحدث ضد الطهاره والصلاة وترك ما حرم الله

تعالى

تعالى عليه اعلامنا زل الاعتكاف في العباده ه قاله بن خواز منداد
عن ملك روى مسلم عن عايشه
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يعتكف صلى الصبح
ثم دخل معتكفه الحديث واختلف العلما في وقت دخول المعتكف
في اعتكافه فقال الاوزاعي بظاهر هذا الحديث وروي عن الثوري
والليث بن سعد في احد قوليه وقال به بن المنذر وطايفه من التابعين
وقال ابو ثور وانما يفعل هذا من نذر عشرة ايام فان زاد عليها
فقبل غروب الشمس وقال ملك والشافعي وابو حنيفه واصحابهم
اذا اوجب على نفسه اعتكاف شهر دخل المسجد قبل غروب الشمس
من ليله ذلك اليوم قال ملك وكذلك كل من اراد ان يعتكف يوما
او اكثر وبه قال ابو حنيفه وبن الماجشون عبد الملك لان اول ليلة ايام
الاعتكاف داخله فيه وانه زمن الاعتكاف فلم يتبعض كاليوم
وقال الشافعي اذا قال لله علي يوم دخل قبل طلوع الفجر وخرج بعد
غروب الشمس خلاف قوله في الشهر وقال الليث في احد قوليه
وزفر يدخل قبل طلوع الفجر والشهر واليوم عندهم سوا وروي
مثل ذلك عن ابي يوسف وبه قال القاضي عبد الوهاب وان الليله انما
تدخل في الاعتكاف على سبيل التبع بدليل ان الاعتكاف لا يكون
الا بصوم وليس الليل بزمن للصوم فثبت ان المقصود بالاعتكاف انما
هو النهار دون الليل قلت وحديث عايشه يرد هذه الاقوال
وهو الحجه عند التنازع وهو حديث ثابت لاخلاف في صحته والحمد
لله استحب ملك لمن اعتكف العشر الاواخر

ان يبيت ليله الفطر في المسجد حتى يغدو منه الى المصلى وبه قال احمد وقال
الشافعي والاوزاعي يخرج اذا غابت الشمس ورواه سحنون عن ابن القاسم
لان العشر يزول بزوال الشهر والشهر ينقضي بغروب الشمس من
اخر يوم من شهر رمضان وقال سحنون ان ذلك على الوجوب وان
خرج ليله الفطر بطل اعتكافه وقاله ابن الماجشون وهذا يرد ما
ذكرنا من انقضا الشهر ولو كان المقام ليله الفطر من شرط صحه الا
عتكاف لما صح اعتكاف لا يتصل بليله الفطر وفي الاجماع على جواز
ذلك دليل على ان مقام ليله الفطر للمعتكف ليس شرطا في صحه
الاعتكاف والله الموفق فهذه جمل كافيه من احكام الصيام والاعتكاف
اللايقه بالايات فيها لمن اقتصر عليها كفايه والله الموفق للهدايه
قوله تعالى تلك حدود الله اي هذه
الاحكام حدود الله فلا تخالفوها فتلك اشارة الى هذه الاوامر
والنواهي والحدود الحواجز والحد المنع ومنه سمي الحديد حديدا لانه يمنع
من وصول السلاح الى البدن وسمي البواب والسجان حدادا لانه يمنع
من في الدار من الخروج منها ويمنع الخارج من الدخول فيها وسميت
حدود الله لانها تمنع من يدخل فيها ما ليس منها وان يخرج منها ما هو
منها ومنها سميت الحدود في المعاصي لانها تمنع اصحابها من العود
الى امثالها ومنه سميت الحاد في العدة لانها تمتنع من الزينة
قوله تعالى كذلك يبين الله لكم اياته اي كما بين هذه
الحدود يبين جميع الاحكام لتتقوا مجاوزتها والايات العلامات
الهادية الى الحق ولعلهم ترج في حقهم وظاهر ذلك عموم ومعناه

خصوص

خصوص من يميز بسره الله للهدى بدلاله الايات التي تتضمن ان الله يضل من يشا

تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الى قوله تعلمون فيه ثمان مسايل

قوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم

قيل انه نزل في عبدان بن اشوع الحضرمي ادعى مالا على امرئ القيس الكندي واختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فانكر امرؤ القيس واراد ان يحلف فنزلت هذه الايه فكف عن اليمين وحكم عبدان في ارضه ولم يخاصمه

الخطاب بهذه الايه يتضمن جميع امه محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى لا ياكل بعضكم مال بعض بغير حق فيدخل في هذا القمار والخداع والغصوب وجحد الحقوق وما لا يطيب به نفس مالكه او حرمته الشريعه او طابت به نفس مالكه كمهر البغي وحلوان الكاهن واثمان الخمور والخنازير وغير ذلك ولا يدخل فيه الغبن في البيع مع معرفه البايع بحقيقه ما باع لان الغبن كانه وهبه على ما ياتي بيانه في النسا واضيفت الاموال الى ضمير المنهي لما كان كل واحد منهما منهيا ومنهيا عنه كما قال تقتلون انفسكم وقال

قوم المراد بالايه ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي في الملاهي والقيان والشرب والبطاله فيجي اضافه المال الى ضمير المالكين

من اخذ مال غيره لا على وجه الشرع فقد اكله بالباطل

ومن الاكل بالباطل ان يقضي القاضي لك وانت تعلم مبطل فالحرام لا يصير حلالا بقضا القاضي لانه انما يقضي بالظاهر وهذا اجماع في الاموال وان كان عند ابي حنيفه قضاوه ينفذ باطنا في الفروج وا ذا ان قضا القاضي لا يغير حكم الباطن في الاموال فهو في الفروج اولى

علامه اذن دا

روي الايمه عن ام سلمه قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على
نحو ما اسمع فمن قطعت له من حق اخيه شيا فلا ياخذه فانما اقطع له
قطعة من النار وفي رواية فليحملها او يذرها وعلى القول بهذا
جمهور العلما وايمة الفقها وهو نص في ان حكم الحاكم على الظاهر لا يغير
حكم الباطن وسوا كان ذلك في الاموال والدما والفروج الا ما حكي
عن ابي حنيفه في الفروج وزعم انه لو شهد شاهدا زور على رجل
بطلاق زوجته وحكم الحاكم بشهادتهما لعدالتهما عنده فان فرجها يحل
لزوجها ممن يعلم ان القضيه باطل بعد العدة ولذلك لو تزوجها احد
الشاهدين جاز عنده لانه لما حلت للازواج عنده في الظاهر كان
الشاهد وغيره سوا لان قضا القاضي قطع عصمتها واحدث في ذلك
التحليل والتحريم في الظاهر والباطن جميعا ولولا ذلك ما حلت
للازواج واحتج بحكم اللعان وقال معلوم ان الزوجه انما وصلت
الي فراق زوجها باللعان الكاذب الذي لو علم الحاكم كذبها فيه لحدها
وما فرق بينهما فلم يدخل هذا في عموم قوله عليه السلام فمن قضيت له
من حق اخيه شيا فلا ياخذه الحديث وهذه الاية
متمسك كل مولف ومخالف في حكم يدعونه لانفسهم بانه لا يجوز
فيستدل عليه بقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل فجوابه
ان يقال له لا نسلم انه باطل حتى تبينه بالدليل وحينيذ يدخل في
هذا العموم فهي دليل على ان الباطل في المعاملات لا يجوز وليس فيها
تعيين الباطل قوله تعالى الباطل في اللغة الذاهب الزايل

يقال

يقال بطل يبطل بطولا وبطلانا وجمع الباطل بواطل والاباطيل جمع ابطوله وبطل اي اتبع اللهو وابطل فلان اذا جا بالباطل وقوله تعالى لا ياتيه الباطل قال قتاده هو ابليس لا يزيد في القران ولا ينقص وقوله يمحو الله الباطل يعني الشرك والبطلا السحره

قوله تعالى وتدلوا بها الى الحكام الايه يعني الوديعه وما لا تقوم فيه بينه عن ابن عباس والحسن وقيل هو مال اليتيم الذي في ايدي الاوصيا يرفعه الى الحكام اذا طولب به ليقتطع بعضه ويقوم له في الظاهر حجه وقال الزجاج يعملون ما يوجب ظاهر الاحكام ويتركون ما علمتم انه الحق يقال ادلى الرجل بحجته او بالامر الذي يرجو النجاح به لتشبيها بالذي يرسل الدلو في البير يقال ادلى دلوه ارسلها ودلاها اخرجها وجمع الدلو والدلاء ادل ودلاء ودلي والمعنى في الايه لا تجمعوا بين اكل المال الباطل وبين الادلي الى الحكام بالحجج الباطله وهو كقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وهو من قبيل قولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن وقيل المعنى لا تصانعوا باموالكم الحكام وترشوهم ليقضوا لكم على اكثر منها قال الراف مجرد قال بن عطيه وهذا القول يترجح لان الحكام مظنه الرشا الا من عصم وهو الاقل فان اللفظين متناسبين تدلوا من ارسال الدلو والرشوه من الرشا كانه يمد بها ليقضي الحاجه قلت ويقوي هذا قوله وتدلوا بها تدلوا في موضع جزم عطفا على ياكلوا كما ذكرنا وفي مصحف ابي ولا تدلوا بتكرار حرف النهي وهذه القراه تويد جزم تدلوا في قراه

الجماعة وقيل بدعوا في موضع نصب على الظرف والذي ينصب في
مثل هذا عند سيبويه ان مضمرة والهاء في قوله بها ترجع الى الاموال
وعلى القول الاول الى الحجة ولم يجر لها ذكر تقوى القول الثاني لذكر
الاموال قوله تعالى لتاكلوا نصب بلام كي فريقا
اي قطعة وجزءا نعبر عن الفريق بالقطعة والبعض والفريق القطعة
من الغنم يشذ عن معظمها وقيل في الكلام تقديم وتاخير التقدير لتاكلوا
اموال فريق من الناس بالاثم معناه بالظلم والتعدي وسمي ذلك اثما
لما كان الاثم يتعلق بفاعله وانتم تعلمون اي بطلان ذلك واثمه وهذه
مبالغة في الجراءة والمعصية به اتفق اهل السنة على ان
من اخذ ما وقع عليه اسم مال قل او كثر انه يفسق بذلك وانه محرم عليه
اخذه خلافا لبشر بن المعتمر ومن تابعه من المعتزلة حيث قالوا ان المكلف
لا يفسق الا باخذ مائتي درهم ولا يفسق بدون ذلك وخلافا لابن
الجبائي حيث قال انه يفسق باخذ عشرة دراهم ولا يفسق بدونها
وخلافا لابي الهذيل حيث قال يفسق باخذ خمسة دراهم وخلافا لبعض
قدرية البصرة حيث يفسق باخذ درهم فما فوقه ولا يفسق بما دون ذلك
وهذا كله مردود بالقرآن والسنة وباتفاق الامة قال صلى الله عليه
وسلم ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام الحديث متفق على صحته
قوله تعالى يسألونك عن الاهلة الى قوله تفلحون فيه اثنتا
عشرة مسئلة قوله تعالى يسألونك عن الاهلة هذا
مما سال عنه اليهود واعترضوا به على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
معاذ يا رسول الله ان اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا عن الاهلة

قالوا علماء

فما

فما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يستوى ويستدير ثم
ينتقص حتى يعود كما كان فانزل الله هذه الاية وقيل ان سبب نزولها
سوال قوم من المسلمين النبي صلى الله عليه وسلم الهلال وما سبب محاقه
وكماله ومخالفته لحال الشمس قاله ابن عباس وقتادة والربيع وغيرهم

قوله تعالى عن الاهلة الاهلة جمع الهلال وجمع
وهو واحد في الحقيقة من حيث كونه هلالا واحدا في شهر غير
كونه هلالا في اخر فانما جمع احواله من الاهلة ويريد بالاهلة
شهورها وقد يعبر بالهلال عن الشهر لحلوله فيه كما قال
اخوان من نجد على ثقة والشهر مثل قلامة الظفر وقيل سمي
شهرا لان الايدي تشهر بالاشارة الى موضع الروية ويدلون
عليه ويطلق لفظ الهلال لليلتين من اخر الشهر وليلتين من
اوله وقيل لثلاث من اوله وقال الاصمعي هو هلال حتى يحجر
ويستدير له كالخيط الرقيق وقيل بل هو هلال حتى يبهر بضوئه
السما وذلك سبع قال ابو العباس وانما قيل له هلال لان الناس
يرفعون اصواتهم بالاخبار عنه ومنه استهل الصبي اذا
ظهرت حياته بصراخه واستهل وجهه فرحا وتهلل اذا
ظهر فيه السرور وقال ابو كبير واذا نظرت الى
اسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل ويقال اهللنا
الهلال اذا دخلنا فيه قال الجوهري واهل الهلال واستهل
بمعنى تبين ولا يقال اهل ويقال اهللنا عن ليلة كذا ولا يقال
اهللناه فهل كما يقال ادخلناه فدخل وهو قياسه قال ابو

نصر عبد الرحيم القشيري في تفسيره ويقال اهل الهلال واستهل
واهللنا الهلال واستهللنا قال علما وتا من حلف ليقضين غريمه
او ليفعلن كذا في الهلال او راس الهلال او عند الهلال ففعل
ذلك بعد رويه الهلال بيوم او بيومين لم يحنث وجميع الشهور
تصلح لجميع العبادات والمعاملات على ما ياتي قوله
تعالى قل هي مواقيت للناس والحج تبيين لوجه الحكمة في زيادة
القمر ونقصانه وهو زوال الاشكال في الاجال والمعاملات
والايمان والحج والعدد والصوم والفطر ومدة الحمل والاجارات
والاكرية الى غير ذلك من مصالح العباد ونظيره قوله الحق
وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار
مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب
على ما ياتي وقوله وهو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا وقدره
منازل لتعلموا عدد السنين والحساب واحصا الاهلة ايسر من احصا
الايام وبهذا الذي قررناه يرد على اهل الظاهر
ومن قال بقولهم ان المساقاة تجوز الى الاجل المجهول سنين غير معلومة
واحتجوا بان رسول الله صلى الله عليه وسلم عامل اليهود على شطر الزرع
والنخل ما بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من غير توقيت وهذا لا
دليل فيه لانه عليه السلام قال لليهود اقركم ما اقركم الله وهذا
ادل دليل واوضح سبيل على ان ذلك خصوص له فكان ينتظر في ذلك
القضا من ربه وليس كذلك غيره وقد احكمت الشريعة معاني الاجارات
وساير المعاملات فلا يجوز شي منها الا على ما احكمه الكتاب والسنة

وقال

وقال به علما الامه　　　　قوله تعالى مواقيت المواقيت

جمع الميقات وهو الوقت وقيل الميقات منتهى الوقت ومواقيت لا تنصرف لانه جمع لا نظير له في الاحاد وهو جمع ونهاية جمع اذ بعده جمع نظائره فان الجمع تكررفيها وصرفت قوارير في قوله قواريرا لانها وقعت في راس ايه فنونت كما تنون القوافي فليس هو تنوين الصرف الذي يدل على تمكن الاسم　　　　افرد سبحانه الحج بالذكر لانه مما يحتاج فيه الى معرفه الوقت وانه لا يجوز النسي فيه عن وقته خلاف ما راته العرب فانها كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فابطل الله قولهم وفعلهم على ما ياتي بيانه في براه ان شا الله تعالى　　　　استدل مالك رحمه الله وابو حنيفه واصحابهما في ان الاحرام بالحج يصح في غير اشهر الحج بهذه الايه لان الله تعالى جعل الاهله كلها ظرفا لذلك فصح ان يحرم في جميعها بالحج وخالف في ذلك الشافعي لقوله تعالى الاشهر معلومات على ما ياتي وان معنى هذه الايه ان بعضها مواقيت للناس وبعضها مواقيت للحج وهذا كما تقول الجاريه لزيد وعمرو وذلك يقتضي ان يكون بعضها لزيد وبعضها لعمرو ولا يجوز ان يقال ان جميعها لزيد وجميعها لعمرو والجواب ان يقال ان ظاهر قوله هي مواقيت للناس والحج يقتضي كون جميعها مواقيت للناس وجميعها مواقيت للحج ولو اراد التبعيض لقال بعضها مواقيت للناس وبعضها مواقيت للناس وهذا كما تقول ان شهر رمضان ميقات لصوم زيد وعمرو ولا خلاف ان المراد بذلك ان جميعه ميقات لصوم كل واحد منهما وما ذكروه من الجاريه فصحيح لان كونها جميعها لزيد مع كونها جميعها لعمرو مستحيل وليس

كذلك في مسئلتنا فان الزمان يصح ان يكون ميقاتا لزيد وميقاتا لعمرو فبطل ما قالوه لا خلاف بين العلما ان من باع معلوما من السلع بثمن معلوم الى اجل معلوم من شهور العرب او الى ايام معروفة العدد ان البيع جايز وكذلك قالوا في السلم الى الاجل المعلوم واختلفوا فيمن باع الى الحصاد او الى الدياس او الى العطا وشبه ذلك فقال مالك ذلك جايز لانه معروف وبه قال ابو ثور وقال احمد ارجو الا يكون فيه باس وكذلك الى قدوم الغزاة وعن بن عمر انه كان يبتاع الى العطا وقالت طايفة ذلك غير جايز لان الله تعالى وقت المواقيت وجعلها علما لاجالهم في بياعاتهم ومصالحهم كذلك قال بن عباس وبه قال الشافعي والنعمان قال بن المنذر قول بن عباس صحيح اذا راى الهلال كبيرا فقال علماونا لا تقول انه كبير ولا على صغير وانما هو بن ليلته روى مسلم عن ابي البحتري قال خرجنا للعمرة فلما نزلنا ببطن نخلة قال ترايينا الهلال فقال بعض القوم هو بن ثلاث وقال بعض القوم هو بن ليلتين قال فلقينا بن عباس فقلنا انا ترايينا الهلال فقال بعض القوم هو بن ثلاث وقال بعض القوم هو بن ليلتين فقال اي ليلة رايتموه قال فقلنا ليلة كذا وكذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مده للروية فهو لليلة رايتموه قوله تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها اتصل هذا بذكر مواقيت الحج لاتفاق وقوع القضيتين في وقت السوال عن الاهلة وعن دخول البيوت من ظهورها فنزلت الاية فيهما معا وكانت الانصار اذا حجوا وعادوا لا يدخلون من ابواب بيوتهم فانهم كانوا اذا اهلوا بالحج او العمرة يلتزمون شرعا الا يحول

بينهم

بينهم وبين السما حايل فاذا خرج الرجل منهم بعد ذلك اي من بعد احرامه
من بيته فرجع لحاجة لا يدخل من باب الحجرة من اجل سقف البيت ان يحول
بينه وبين السما حايل فكان يتسنم ظهر بيته على الجدار ثم يقوم في حجرته
فيامر بحاجته فتخرج اليه من بيته فكانوا يرون هذا من النسك والبر كما
كانوا يعتقدون اشيا نسكا فرد عليهم فيها وبين الرب تعالى ان البر
في امتثال الامر وقال ابن عباس في روايه ابي صالح كان الناس في الجاهليه
وفي اول الاسلام اذا احرم رجل منهم بالحج فان كان من اهل المدر يعني من
اهل البيوت نقب في ظهر بيته فمنه يدخل ومنه يخرج او يضع سلما
فيصعد منه وينحدر عليه وان كان من اهل الوبر يعني من اهل الخيام يدخل
من خلف الخيمه الا من كان من اهل الحمس وروى الزهري ان النبي صلى الله عليه
وسلم اهل زمن الحديبيه بالعمرة فدخل حجرته ودخل خلفه رجل انصاري
من بني سلمه فدخل وخرق عادة قومه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم
دخلت وانت قد احرمت قال دخلت انت فدخلت بدخولك
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمس من قوم لا يدينون بذلك
فقال له الرجل وانا ديني دينك فنزلت الايه وقاله ابن عباس وعطا
وقتاده وقيل ان هذا الرجل هو قطبه بن عامر الانصاري والحمس
قريش وكنانه وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعه وبنو
نصر بن معاوية سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسه الشده
قال العجاج كم قطعنا من قفار حمس اي شداد ثم اختلفوا في
تاويلها فقيل ما ذكرنا وهو الصحيح وقيل انه النسي وتاخير الحج به
حتى كانوا يجعلون الشهر الحلال حراما بتاخير الحج اليه والشهر الحرام

جلا الا بناخير الحج منه فيكون ذكر البيوت على هذا مثلا لمخالفة الواجب في الحج وشهوره وسياتي بيان النسي في سورة براة ان شا الله تعالى

وقال ابو عبيدة الاية ضرب مثل المعنى ليس ان تسالوا الجهال ولكن اتقوا واسالوا العلما فهذا كما تقول اتيت هذا الامر من بابه وحكى المهدوي ومكي عن ابن الانباري والماوردي عن زيد الاية مثل في جماع النسا امر باتيانهن في القبل لا في الدبر وسمي النسا بيوتا للايوا اليهن كالايوا الى البيوت قال ابن عطية وهذا بعيد مغير نمط الكلام وقال الحسن كانوا يتطيرون فمن سافر ولم يحصل حاجته كان ياتي بيته من وراظهره تطيرا من الخيبة فقيل لهم ليس في التطير بر بل البر ان تتقوا الله وتتوكلوا عليه قلت القول الاول اصح هذه الاقوال لما رواه البرا قال كانت الانصار اذا حجوا فرجعوا لم يدخلوا البيوت من ابوابها قال فجا رجل من الانصار فدخل من بابه فقيل في ذلك فنزلت هذه الاية ليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها وهذا نص في البيوت حقيقة خرجه البخاري ومسلم واما تلك الاقوال فتوخذ من موضع اخر لا من الاية فتامله وقد قيل ان الاية خرجت مخرج التنبيه من الله تعالى على ان ياتوا البر من وجهه وهو الوجه الذي امر الله تعالى به فذكر اتيان البيوت من ابوابها مثلا ليشير به الى ان ياتي الامور من ماتاها الذي ندبنا الله تعالى اليه قلت فعلى هذا يصح ما ذكر من الاقوال والبيوت جمع بيت وقري بضم البا وكسرها وتقدم معنى التقوى والفلاح ولعل فلا معنى للاعادة والله اعلم

في هذه الاية بيان ان ما لم يشرعه الله قربة ولا ندب اليه لا يصير
قربة بان يتقرب به متقرب قال ابن خويز منداد اذا اشتمل ما هو
بر وقربة مما ليس هو بر وقربة ان ينظر في ذلك العمل فان كان له نظير
في الفرايض والسنن فيجوز ان يكون برا وقربة وان لم يكن فليس ببر ولا
قربة قال وبذلك جاءت الاثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر
حديث ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب
اذ مر برجل قايم في الشمس فسال عنه فقالوا هذا ابو اسرايل
نذر ان يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال
مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه فابطل النبي صلى
الله عليه وسلم ما كان غير قربة مما لا اصل له وشريعته وصحح ما
كان قربة مما له نظير في الفرايض والسنن

تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا فيه ثلاث مسايل

قوله تعالى وقاتلوا هذه اول اية نزلت في الامر بالقتال
ولا خلاف في ان القتال كان محظورا قبل الهجرة بقوله ادفع بالتي
هي احسن وقوله فاعف عنهم واصفح وقوله واهجرهم هجرا جميلا
وقوله لست عليهم بمسيطر وما كان مثله مما نزل بمكة فلما هاجر الى
المدينة امر بالقتال فنزل وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم
قاله الربيع بن انس وغيره وروي عن ابي بكر الصديق ان اول اية نزلت
في القتال اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا والاول اكثر وان اية الاذن
انما نزلت في القتال عامة لمن قاتل ولمن لم يقاتل من المشركين وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج مع اصحابه الى مكة للعمرة فنزل الحديبية

بقرب مكه والحديبيه اسم بير فسمي ذلك الموضع باسم تلك البير فمنع
المشركون عن البيت واقام بالحديبيه شهرا فصالحوه على ان يرجع
من عامه ذلك ثم جا على ان تخلا له مكه في العام المستقبل ثلاثه ايام
وصالحوه على ان لا يكون بينهم قتال عشر سنين ورجع الى المدينه فلما
كان من قابل تجهز لعمره القضا وخاف المسلمون غدر الكفار وكرهوا
القتال في الحرم وفي الشهر الحرام فنزلت هذه الايه اي يحل لكم القتال
ان قاتلكم الكفار ثم الايه متصله بما سبق من ذكر الحج واتيان البيوت من
ظهورها فكان صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عن من كف عنه
حتى اقتلوا المشركين فنسخت هذه الايه قاله جماعه من العلما وقال
بن زيد والربيع نسخها وقاتلوا المشركين كافه فامر بالقتال لجميع الكفار
وقال بن عباس وعمر بن عبد العزيز ومجاهد هي محكمه اي قاتلوا الذين
هم بحاله من يقاتلونكم ولا تعتدوا في قتل النسا والصبيان والرهبان
وشبههم على ما ياتي بيانه قال ابو جعفر النحاس وهذا اصح القولين
في السنه والنظر فاما السنه فحديث بن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم راى في بعض مغازيه امراة مقتوله فكره ذلك ونهى عن
قتل النسا والصبيان رواه الايمه واما النظر فان فاعل لا يكون في
الغالب الا من اثنين كالمقاتله والمشاتمه والمخاصمه والقتال لا يكون
في النسا ولا في الصبيان ومن اشبههم كالرهبان والزمنا والشيوخ
والاجرا فلا يقتلون وبهذا اوصى ابو بكر الصديق رضي الله عنه يزيد
بن ابي سفين حين ارسله الى الشام الا يكون لهولا اذايه اخرجه ملك
وغيره وللعلما فيهم صور ستة الاولى النسا ان قاتلن قتلن قال

سحنون

سحنون في حال المقاتلة وبعدها لعموم قوله وقاتلوا في سبيل الله الذين
يقاتلونكم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وللمراة اثار عظيمة في القتال منها
الامداد بالاموال ومنها التحريض على القتال وقد يخرجن ناشرات
شعورهن باديات منشرات مغيرات وذلك قتلهن غير انهن اذا حصلن
في الاسر فالاسترقاق انفع لسرعة اسلامهن ورجوعهن عن اديانهن
وتعذر فرارهن الى اوطانهن بخلاف الرجال الثانية الصبيان فلا يقتلون
للنهي الثابت عن قتل الذرية ولانه لا تكليف عليهم فان قاتل قتل الثالثة
الرهبان لا يقتلون ولا يسترقون بل يترك لهم ما يعيشون به من اموالهم
وهذا اذا انفرد واعتزل اهل الكفر لقول ابي بكر ليزيد وستجد
اقواما زعموا انهم حبسوا انفسهم لله فذرهم وما زعموا انهم حبسوا
انفسهم له فان كان نوامع الكفار في الكنائس قتلوا ولو ترهبت المراة
فروى اشهب انها لا تهاج وقال سحنون لا يغير الترهب حكمها
قال القاضي ابو بكر بن العربي والصحيح عندي رواية اشهب
لانها داخلة تحت قوله فذرهم وما حبسوا انفسهم له الرابعة الزمني
قال سحنون يقتلون وقال ابن حبيب لا يقتلون والصحيح ان
تعتبر احوالهم فان كانت فيهم اذاية قتلوا والا تركوا وما هم
بسبيله من الزمانة وصاروا مالا على حالهم وحشوة الخامسة
الشيوخ قال مالك في كتاب محمد لا يقتلون والذي عليه جمهور
الفقهاء ان كان شيخا كبيرا هرما لا يطيق القتال ولا ينتفع به في راي
ومدافعة فانه لا يقتل وبه قال مالك وابو حنيفة وللشافعي قولان
احدهما مثل قول الجماعة والثاني يقتل هو والراهب والصحيح الاول

لقول ابي بكر لزيد ولا مخالف له فثبت انه اجماع وايضا فانه ممن لا يقاتل ولا يعين العدو فلا يجوز قتله كالمراة واما ان كان ممن يخشى مضرته بالحرب او الراي والمال فهذا اذا اسر يكون الامام مخيرا بين خمسة اشيا القتل والمن او الفدا او الاسترقاق او عقد الذمة على ادا الجزية السادسة العسفا وهم الاجرا والفلاحون فقال ملك في كتاب محمد لا يقتلون وقال الشافعي يقتل الفلاحون والاجرا والشيوخ الكبار الا ان يسلموا او يودوا الجزية والاول اصح لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رباح بن الربيع الحق بخالد بن الوليد فلا يقتلن ذرية ولا عسيفا وقال عمر بن الخطاب اتقوا الله في الفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب وكان عمر بن عبد العزيز لا يقتل حراثا ذكره بن المنذر روى اشهب عن ملك ان المراد بقوله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم اهل المدينة امر بقتال من قاتلهم والصحيح خطاب لجميع المسلمين امر كل واحد ان يقاتل من قاتله اذ لا يمكن سواه الا تراه كيف بينها في سورة براة بقوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وذلك ان المقصود اولا كان اهل مكة فتعينت البداية بهم فلما فتح الله تعالى مكة كان القتال لمن يلي ممن كان يودي حتى تعم الدعوة وتبلغ جميع الافاق الكلمة ولا يبقى احد من الكفرة وذلك باق متماد الى يوم القيامة ممتد الى غاية هي قوله عليه السلام الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والمغنم وقيل غايته نزول عيسى بن مريم عليه السلام وهو موافق الحديث الذى قبله لان نزوله من اشراط الساعة قوله

تعالى

تعالى ولا تعتدوا وقيل في تاويله ما نقدمناه لمحكم فاما الزنديق
لا القتل والتوبة وكذلك اهل الزيغ والضلال ليس الا السيف
او التوبة ومن اسر الاعتقاد بالباطن ثم ظهر عليه فهو الزنديق
يقتل ولا يستتاب واما الخوارج على ايمة العدل فيجب قتالهم حتى يرجعوا
الى الحق وقال قوم المعنى لا تعتدوا اي القتال لغير وجه الله كالحمية
وكسب الذكر بل قاتلوا في سبيل الذين يقاتلونكم يعني دينا واظهار ا
للكلمة وقيل لا تعتدوا اي لا تقاتلوا من لم يقاتل فعلى هذا تكون الاية
منسوخة بالامر بالقتال لجميع الكفار والله اعلم تعالى
واقتلوهم حيث ثقفتموهم يقال ثقف يثقف ثقفا وثقفا ورجل ثقف
لقف اذا كان محكما لما يتناوله من الامور وفي هذا دليل على قتل الاسير
وسياتي بيان هذا في الانفال ان شاء الله تعالى واخرجوهم من حيث
اخرجوكم اي مكة قال الطبري الخطاب للمهاجرين والضمير لكفار
قريش قوله تعالى والفتنة اشد من اي الفتنة التي حملوكم
عليها وراموا رجوعكم بها الى الكفر اشد من القتل قال مجاهد اي من
يقتل المومن فالقتل اخف عليه من الفتنة وقال غيره
اي شركهم بالله وكفرهم به اعظم جرما واشد من القتل الذي
عيروكم به وهذا على ان الاية نزلت في شان عمرو بن الحضرمي
حين قتله واقد بن عبد الله التميمي في اخر يوم من رجب الشهر
الحرام حسب ما هو مذكور في سرية عبد الله بن جحش على ما
ياتي قاله الطبري قوله تعالى ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه الاية للعلماء في هذه الاية

قولان احدهما انها منسوخه والثاني انها محكمه قال مجاهد الايه محكمه ولا يجوز قتال احد في المسجد الحرام الا بعد ان يقاتل وبه قال طاووس وهو الذي يقتضيه نص الايه وهو الصحيح من القولين واليه ذهب ابو حنيفه واصحابه وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكه ان هذا البلد حرام حرمه الله تعالى لم يحل فيه القتال لاحد قبلي واحل لي ساعه وهو حرام بحرمه الله تعالى وقال قتاده الايه منسوخه بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال مقاتل نسخها قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم ثم نسخ هذا قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فيجوز الابتداء بالقتال في الحرم ومما احتجوا به ان براة نزلت بعد سوره البقره بسنتين وان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكه وعليه المغفر فقيل ان ابن خطل متعلق باستار الكعبه فقال اقتلوه وقال ابن خواز منداد ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام منسوخه لان الاجماع قد تقرر بان عدوا لو استولى على مكه وقال الا انى اقاتلكم وامنعكم من الحج ولا ابرح من مكه لوجب قتاله وان لم يبدأ بالقتال فمكه وغيرها من البلاد سوا وانما قيل فيها هي حرام تعظيما لها الا ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد يوم الفتح وقال احصدهم بالسيف حتى تلقاني على الصفا حتى جا العباس فقال يا رسول الله ذهبت قريش فلا قريش بعد اليوم الا ترى انه قال في تعظيمها ولا يلتقط لقطتها الا منشد واللقطه بها وبغيرها سوا

باب القتال

ويجوز

ويجوز ان يكون منسوخه بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنه قال
ابن العربي حضرت في بيت المقدس طهره الله تعالى بمدرسه ابي
عقبه الحنفي والقاضي الزنجاني يلقي علينا الدرس في يوم جمعه
فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا رجل بهي المنظر على ظهره اطمار فسلم سلام
العلما وتصدر في صدر المجلس بمدارع الرعا فقال القاضي الزنجاني
من السيد فقال رجل سلبه الشطار امس وكان مقصدي هذا الحرم
المقدس وانا رجل من صاغا من طلبه العلم فقال القاضي مبادرا سلوه
على العادة في مبادرة العلما بمبادرة اسولتهم ووقعت القرعه على
مسله الكافر اذا التجا الحرم هل يقتل ام لا فافتى بانه لا يقتل فسئل عن
الدليل فقال قوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم
فيه قرى ولا تقتلوهم ولا تقاتلوهم فان قرى فلا تقتلوهم فالمسله نص
وان قرى ولا تقاتلوهم فهو تنبيه لانه اذا نهى عن القتال الذي هو سبب
القتل كان دليلا بينا ظاهرا على النهي عن القتل فاعترض عليه القاضي
منتصرا للشافعي ومالك وان لم يرى مذهبهما على العادة فقال هذه الايه
منسوخه بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فقال له
الصاغاني هذا لا يليق بمنصب القاضي وعلمه فان هذه الايه التي
اعترضت بها عامه في الاماكن والتي احتججت بها خاصه ولا يجوز
لاحد ان يقول ان العام ينسخ الخاص فابهت القاضي الزنجاني وهذا
من بديع الكلام قال ابن العربي فان لجا اليه كافر فلا سبيل اليه لنص
الايه والسنه الثابته بالنهي عن القتال فيها واما الزاني والقاتل
فلا بد من اقامه الحد عليه الا ان يبتدي الكافر بالقتال فيقتل بنص

باتفاق وقوعها

صوابه المسجد
بانه لا يقاتل
حرم الا المسجد
مكه ومسجد النبي
صلى الله عليه وسلم

القران قلت واما ما احتجوا به من قتل بن خطل واصحابه فلا حجة فيه من

ذلك كان في الوقت الذي احلت له مكة وهي دار حرب وكفر وكان له ان

يريق دما من شا من اهلها في الساعة التي احلت له فيها القتال فثبت

وصح ان القول الاول اصح والله اعلم قال بعض العلما

في هذه الايه دليل على الباغي على الامام بخلاف الكافر فالكافر يقتل

اذا قاتل بكل حال والباغي اذا قاتل يقاتل بنية الدفع ولا يتبع مدبر

ولا يجهز على جريح على ما ياتي بيانه من احكام الباغين في الحجرات ان شا

الله تعالى قوله تعالى فان انتهوا عن ما لكم بالايمان

فان الله يغفر لهم جميع ما تقدم ويرحم كلا منهم بالعفو عما

اجترم نظيره قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

وسياتي تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة فيه مسلتان

قوله تعالى وقاتلوهم امر بالقتال لكل مشرك في كل موضع على

من راها ناسخة ومن راها غير ناسخة قال المعنى قاتلوا هولا الذين

قال الله فيهم فان قاتلوكم والاول اظهر وهو امر بقتال مطلق لا بشرط

ان يبدا الكفار دليل ذلك قوله الحق ويكون الدين لله وقال عليه السلام

امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فدلت الايه والحديث

ان سبب القتال هو الكفر لانه قال حتى لا تكون فتنة اي كفر فجعل الغاية

عدم الكفر وهذا ظاهر قال ابن عباس وقتادة والربيع والسدي وغيرهم

الفتنة هنا الشرك وما تابعه من اذى المومنين واصل الفتنة الاختبار

والامتحان ماخوذ من فتنت الفضة اذا ادخلتها النار لتتميز رديها من

من جيدها وسياتي بيان محاملها ان شا الله قوله تعالى

فان

فان انتهوا اي عن الكفر امنا بالاسلام كما تقدم في الايه قبل او بادا
الجزية في حق اهل الكتاب على ما ياتي بيانه في براة والا فهم الظالمون وهم
الظالمون لا عدوان عليهم وتسمي ما يصنع الظالم عدوانا من حيث هو
جزا عدوان اذ الظلم يتضمن العدو وان سمي جزا العدو وان عدوانا
لقوله وجزا سيئة سيئة مثلها والظالمون هم على احد التاويلين من بدا
بقتال وعلى التاويل الاخر من بقي على الكفر والفتنه تعالى
الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص الى قوله تعالى مع المتقين
فيه عشر مسايل قوله تعالى الشهر قد تقدم اشتقاق
الشهر وسبب نزولها ما روي عن ابن عباس وقتادة ومجاهد ومقسم
والربيع والسدي والضحاك وغيرهم قالوا نزلت في عمرة القضيه
وعام الحديبيه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا
حتى بلغ الحديبيه في ذي الحجة سنه ست فصدته قريش
عن البيت فانصرف ووعده الله سبحانه انه سيدخله فدخله سنه
سبع وقضى نسكه فنزلت هذه الاية وروي عن الحسن ان المشركين
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انهيت يا محمد عن الشهر الحرام قال نعم
فارادوا قتاله فنزلت الايه المعنى استحلوا ذلك فيه فقاتلهم فاباح
الله بالاية مدافعتهم والقول الاول اشهر وعليه الاكثر
قوله تعالى والحرمات قصاص الحرمات جمع حرمة كالظلمات جمع ظلمه
والحجرات جمع حجره وانما جمعت الحرمات لانه اراد الشهر الحرام
والبلد الحرام وحرمة الاحرام والحرمه ما منعت من انتهاكه والقصاص
المساواة اي اقتصصت لكم منهم اذ صدوكم سنه ست فقضيتم

الظالمين

القتال فيه

ص

العمرة سنة سبع فالحرمات قصاص على هذا متصل بما قبله ومتعلق به
وقيل هو متعلق مقطوع منه وهو ابتدا امر كان في اول الاسلام
ان من انتهك حرمتك نلت منه مثل ما اعتدي عليك ثم نسخ ذلك
بالقتال قال طايفه ما تناولت الايه من التعدي بين امه محمد صلى الله
عليه وسلم والجنايات ونحوها لم ينسخ وجاز لمن تعدى عليه في مال او جرح
ان يتعدى بمثل ما تعدى به عليه اذا خفي له ذلك وليس بينه وبين الله
في ذلك شي قال الشافعي وغيره وهي روايه في مذهب ملك وقالت طايفه
من اصحاب ملك ليس ذلك وامور القصاص وقف على الحكام والاموال
يبتنا ولها قوله صلى الله عليه وسلم اد الامانه الى من ايتمنك ولا تخن من
خانك خرجه الدارقطني وغيره فيمن ايتمنه من خانه فلا يجوز له ان يخونه
ويصل الى حقه مما ايتمنه عليه وهو المشهور من المذهب وبه قال
ابو حنيفه تمسكا بهذا الحديث وقوله تعالى ان الله يامركم ان تودوا
الامانات الى اهلها وهو قول الخراساني قال قدامه بن الهيثم سالت
عطا بن ميسره الخراساني فقلت له لي على رجل حق وقد جحدني به وقد
اعيا على البينه افاقبض من ماله قال ارايت لو وقع بجاريتك فعلمت
ما كنت صانعا قلت والصحيح جواز ذلك كيف ما توصل الى اخذ
حقه ما لم يعد سارقا وهو مذهب الشافعي وحكاه الداودي
عن ملك وقال به بن المنذر واختاره بن العربي وان ذلك ليس خيانه
وانما هو وصول الى حق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصر اخاك
ظالما او مظلوما واخذ الحق من الظالم نصر له وقال صلى الله عليه وسلم
لهند بنت عتبه امراه ابي سفين لما قالت له ان ابا سفين رجل شحيح لا

يعطيني

لعله حصل

لعله وبه

يعطيني من النفقه ما يكفيني ويكفي بني الا ما اخذت من ماله بغير علمه فهل
علي جناح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي ما يكفيك ويكفي ولدك
بالمعروف فاباح لها الاخذ وان لا تاخذ الا القدر الذي يجب لها وهذا
دليله ثابت في الصحيح وقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم فالطمع في موضع الخلاف   واختلفوا اذا ظفر له
بمال غير جنس ماله فقيل لا ياخذ الا بحكم الحاكم وللشافعي قولان اصحهما
الاخذ قياسا على ما لو ظفر له من جنس ماله والقول الثاني لا ياخذ لانه خلاف
الجنس ومنهم من يتحرا قيمة ماله عليه وياخذ مقدار ذلك وهذا هو الصحيح
لما بيناه من الدليل والله اعلم   واذا فرعنا على الاخذ
فهل يعتبر ما عليه من الديون وغير ذلك فقال الشافعي لا بل ياخذ ما
له عليه وقال ملك يعتبر ما يحصل له مع الغرما في المفلس وهو القياس
والله اعلم   قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم عموم متفق عليه اما بالمباشرة ان امكن واما بالحكام
واختلف الناس في المجازاه هل تسمى عدوانا ام لا فمن قال ليس في
القران مجاز قال المقابله عدوان وهو عدوان مباح كما ان المجاز
في كلام العرب كذب مباح لان قول القايل   قالت له العينان
سمعا وطاعة   وكذلك امتلا الحوض وقال قطني وكذلك
شكى الي الجمل طول السرى ومعلوم ان هذه الاشيا لا تنطق وحد
اخبار الشي على خلاف ما هو به ومن قال في القران مجاز سمى هذا
عدوانا على طريق المجاز ومقابلة الكلام بمثله كما قال عمرو بن كلثوم
الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا   وقال الاخر

ولي فرس للحمر بالحمر ملجم ولي فرس للجهل بالجهل مسرج لمن رام تقويمي فاني مقوم ومن رام تعويجي فاني معوج يريد ان الجاهل والمعوج
الا انه امتدح بالجهل والاعوجاج واختلف العلما
فيمن استهلك وافسد شيا من الحيوان والعروض التي لا تكال ولا
توزن فقال الشافعي وابو حنيفه واصحابهما وجماعة من العلما
عليه في ذلك المثل ولا يعدل الى القيمه الا عند عدم المثل لقوله تعالى
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى وقوله وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به قالوا وهذا عموم في جميع الاشيا كلها وعضدوا
هذا بما خرجه ابو داود قال نا مسدد نا يحيى ح وحدثنا محمد بن
بن المثنى نا خالد عن حميد عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان عند بعض نسايه فارسلت احدى امهات المومنين مع خادم
بقصعة فيها طعام قال فضربت بيدها فكسرت القصعه قال
بن المثنى فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم الكسرتين فضم احداهما الى الاخرى
فجعل يجمع فيها الطعام ويقول غارت امكم زاد بن المثنى كلوا فاكلوا
حتى جات قصعتها التي في بيتها ثم رجعا الى لفظ حديث مسدد وقال
كلوا وحبس الرسول والقصعه حتى فرغوا فدفع القصعة الصحيحه
الى الرسول وحبس المكسورة في بيته وقال ملك واصحابه عليه في
الحيوان والعروض التي لا تكال ولا توزن القيمه لا المثل بدليل تضمين
النبي صلى الله عليه وسلم الذي اعتق نصف عبده قيمه نصف شريكه ولم
يضمنه مثل نصف عبده ولا خلاف بين العلما على تضمين المثل في المطعومات
والمشروبات والموزونات لقوله عليه السلام طعام بطعام

لاخلاف بين العلما ان هذه الاية اصل المماثله من القصا
لمن قتل بشي قتل بمثل ما قتل به وهو قول الجمهور مالم يقتله بفسق او بلوطيه
واسقا الخمر فيقتل بالسيف وللشافعيه قول انه يقتل بذلك فيتخذ عود
على تلك الصفه ويطعن به مزدبره حتى يموت ويسقى عن الخمر ماحتى يموت
وقال بن الماجشون ان من قتل بالنار او بالسم لا يقتل به لقول النبي صلى الله
عليه وسلم لا يعذب بالنار الا الله والسم نار باطنه وذهب الجمهور
الى انه يقتل بذلك لعموم الاية   واما القود بالعصا
فقال ملك في احدي الروايتين انه ان في القتل بالعصا تطويل وتعذيب
قتل بالسيف رواه عنه بن وهب وقاله بن القاسم وفي الاخرى يقيد
بها وان كان فيه وان كان فيه ذلك وهو قول الشافعي وروي اشهب وبن
نافع عن ملك في الحجر والعصا فقال ملك في احدي الروايتين انه يقتل بهما اذا
كانت الضربه مجهزه فاما ان يضرب ضربات فلا ولا يرمى بالنبل ولا بالحجارة
لانه من التعذيب وقاله عبد الملك قال بن العربي والصحيح من اقوال
علمائنا ان المماثله واجبه الا ان يدخل التعذيب فليترك الى السيف
واختلف علماونا على انه اذا قطع يده ورجله وفقا عينيه قصد التعذيب
فعل به ذلك كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بقتله الرعا وان كان في
مدافعه او مضاربه قتل بالسيف وذهبت طايفه الى خلاف هذا
فقالوا لا قود الا بالسيف وهو مذهب ابي حنيفه والشعبي
والنخعي واحتجوا على ذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا قود الا
بحديده وبالنهي عن المثله وقوله لا يعذب بالنار الا رب النار والصحيح
ماذهب اليه الجمهور لما رواه الايمه عن انس بن ملك ان جاريه وجد

راسها وقد رض بين حجرين فسالوها من صنع هذا بك قالوا فلان فلان
حتى ذكر يهوديا فاومات براسها فاخذ اليهودي فاقر فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ترض راسه بالحجارة في رواية فقتله رسول الله صلى
الله عليه وسلم بين حجرين وهذا نص صحيح صريح وهو مقتضى قوله تعالى
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وقوله فاعتدوا عليه بمثل ما
اعتدى عليكم واما ما استدلوا به من حديث جابر فحديث ضعيف
عند المحدثين لا يروى من طريق صحيح ولو صح قلنا بموجبه وانه اذا قتل
بحديدة قتل بها يدل على ذلك حديث انس ان يهوديا رض راس جارية
بين حجرين فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه بين حجرين واما
النهي عن المثلة فنقول ايضا بموجبها اذا لم يمثل فاذا مثل مثلنا به
يدل على ذلك حديث العرنيين وهو صحيح اخرجه الائمة وقوله لا
يعذب بالنار الا رب النار صحيح اذا لم يحرق فان حرق حرق ويدل
عليه عموم القران قال الشافعي ان طرحه في النار حتى يموت وذكر
الوقار في مختصره عن مالك وهو قول ابن عبد الحكم قال ابن المنذر وقول
كثير من اهل العلم في الرجل يخنق الرجل عليه القود وخالف في ذلك محمد بن
الحسن فقال لو خنقه حتى مات او طرحه في بئر فمات او القاه من جبل
او سطح فمات لم يكن عليه قصاص وكان على عاقلته الدية وان كان معروفا
بذلك قد خنق غير واحد فعليه القتل قال ابن المنذر ولما اقاد النبي
صلى الله عليه وسلم من اليهودي الذي رض راس الجارية بالحجر كان هذا
في معناه ولا معنى لقوله قال المولف رحمه الله وحكى هذا القول غيره
عن ابي حنيفة فقال وقد شذ ابو حنيفة فقال فيمن قتل بخنق او سم

او تردية

رابع عشرينه

او ترديه من جبل او في بير او بخشبه انه لا يقتل ولا يقتص منه الا اذا
قتل بحديد او حجر او خشب او كان معروفا بالخنق والتردية وكان على
عاقلته الدية وهذا منه رد الكتاب والسنه واحداث ما لم يكن عليه امر
الامه وذريعه الى دفع القصاص الذي شرعه للنفوس فليس عليه نصا
واختلفوا فيمن حبس رجلا وقتله اخر فقال عطا يقتل
القاتل ويحبس الحابس حتى يموت وقال مالك ان كان حبسه وهو يرى انه
يريد قتله قتلا جميعا وفي قول ابي ثور والنعمان يعاقب الحابس واختاره
بن المنذر وقال الشيخ المولف رحمه الله قول عطا صحيح وهو مقتضى
التنزيل وروى الدارقطني عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
امسك الرجل الرجل وقتله الاخر يقتل القاتل ويحبس الذي امسك رواه
سفين الثوري عن اسماعيل بن امية عن نافع عن ابن عمر ورواه معمر بن
جريج عن اسماعيل مرسلا قوله تعالى فمن اعتدى
عليكم الاعتدى هو التجاوز قال الله تعالى ومن يتعد حدود الله
يتجاوزها فمن ظلمك فخذ حقك منه بقدر مظلمتك ومن شتمك فرد
عليه مثل قوله ومن اخذ عرضك فخذ عرضه لا تتعدى الى ابويه ولا
الى ابنه او قريبه وليس لك ان تكذب عليه وان كذب عليك فان
المعصية لا تقابل بالمعصية فلو قال لك مثلا يا كافر جاز لك ان
تقول له انت الكافر وان قال لك يا زان فقصاصك ان تقول له يا
كذاب يا شاهد زور ولو قلت له يا زان كنت كاذبا واثمت في
الكذب وان مطلك وهو غني دون عذر فقل يا ظالم يا آكل اموال
الناس قال النبي صلى الله عليه وسلم لي الواجد يحل عرضه وعقوبته

اما عرضه فيما فسرناه واما عقوبته فالسجن والحبس فيه وقال بن عباس نزلت قبل ان يقوي الاسلام فامر من اودي من المسلمين ان يعاقب بمثل ما اودي به او يصبر او يعفو ثم نسخ ذلك بقوله وقاتلوا المشركين كافة وقيل نسخ ذلك بتصييره الى السلطان فلا يحل لاحد ان يقتص من احد الا باذن السلطان

تعالى وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكه واحسنوا ان الله يحب المحسنين فيه ثلاث مسايل

روي البخاري عن حذيفه وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكه قال نزلت في النفقه روي يزيد بن ابي حبيب عن اسلم ابي عمران قال غزونا القسطنطينيه وعلى الجماعه عبد الرحمن بن الوليد والروم ملصقوا ظهورهم بحايط المدينه فحمل رجل على العدو فقال الناس مه مه لا اله الا الله يلقي بيديه الى التهلكه قال ابو ايوب سبحان الله انزلت هذه الايه فينا معاشر الانصار لما نصر الله نبيه واظهر دينه قلنا هلم نقيم في اموالنا ونصلحها فانزل الله عز وجل وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكه وهي ان نقيم في اموالنا ونصلحها وندع الجهاد فلم يزل ابو ايوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينيه فقبره هناك فاخبر ابو ايوب ان الالقا باليد الى التهلكه هو ترك الجهاد في سبيل الله وان الايه نزلت في ذلك روى مثله حذيفه والحسن وقتاده ومجاهد والضحاك قال الشيخ المولف رحمه الله روى الترمذي عن يزيد بن ابي حبيب عن اسلم ابي عمران هذا الخبر بمعناه فقال كنا بمدينه الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما

من

من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم او اكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر
وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل
فيهم فصاح الناس وقالوا سبحان الله يلقي بيديه الى التهلكة فقام ابو ايوب
الانصاري فقال يا ايها الناس انكم لتأولون هذه الاية هذا التاويل
وانما نزلت هذه الاية فينا معاشر الانصار لما اعز الله الاسلام
وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اموالنا قد ضاعت وان الله قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو
اقمنا في اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله على نبيه يرد علينا
ما قلنا وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وكانت
التهلكة الاقامة على الاموال واصلاحها وتركنا الغزو فما زال ابو
ايوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن بارض الروم قال ابو عيسى
هذا حديث حسن غريب صحيح وقال حذيفة بن اليمان وابن عباس وعطاء
وعكرمة ومجاهد وجمهور الناس المعنى لا تلقوا بايديكم بان تتركوا
النفقة في سبيل الله وتخافوا العيلة فيقول الرجل ليس عندي ما انفقه
والى هذا المعنى ذهب البخاري اذ لم يذكر غيره قال ابن عباس انفق في سبيل
الله وان لم يكن لك الا سهم او مشقص ولا يقولن احد لا اجد شيئا ونحوه
عن السدي انفق ولو عقالا ولا تلقي بيدك الى التهلكة فتقول ليس عندي
شيء وقول ثالث قاله ابن عباس وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما امر الناس بالخروج الى الجهاد قام اليه اناس من الاعراب حاضرين
بالمدينة فقالوا بماذا نتجهز فوالله ما لنا زاد ولا يطعمنا احد فنزل قوله
تعالى وانفقوا في سبيل الله يعني تصدقوا يا اهل الميسور في سبيل الله

يعني في طاعة الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة يعني ولا تمسكوا بايديكم
عن الصدقة فتهلكوا او هلاك قال مقاتل ومعنى قول ابن عباس ولا
تمسكوا عن الصدقة فتهلكوا اي لا تمسكوا عن النفقة عن الضعفا فانهم
اذا تخلفوا عنكم غلبكم العدو فتهلكوا وقول رابع قيل للبرا بن
عازب في هذه الاية هو الرجل يحمل على الكتيبة فقال لا ولكنه الرجل
يصيب الذنب فيلقي بيده ويقول قد تابعت من المعاصي ولا
فايدة في التوبة فييأس من الله فينهمك بعد ذلك في المعاصي فالهلاك
اليأس من الله وقاله عبيدة السلماني وقال زيد بن اسلم المعنى لا
تسافروا الى الجهاد بغير زاد وقد كان فعل ذلك قوم فاداهم ذلك
الى الانقطاع الطريق والكون عالة على الناس فهذه خمسة اقوال
وسبيل الله هنا الجهاد واللفظ يتناول بعد جميع سبله والبا في
بايديكم زايدة التقدير تلقوا ايديكم ونظيره الم يعلم بان الله يرى
وقال المبرد بايديكم اي بانفسكم فعبر بالبعض عن الكل كقوله بما كسبت
ايديكم بما كسبت يداك وقيل هذا ضرب مثل يقول فلان القى بيده
في امر كذا اذا استسلم لان المستسلم في القتال يلقي سلاحه بيديه
فلذلك فعل كل عاجز في اي فعل كان ومنه قول عبد المطلب والله ان القانا
بايدينا للموت لعجز وقال قوم التقدير لا تلقوا انفسكم بايديكم كما
تقول لا تفسد حالك برايك والتهلكة بضم اللام مصدر من هلك
يهلك هلاكا وتهلكة اي لا تاخذوا فيما يهلككم قاله الزجاج وغيره
اي ان لم تنفقوا عصيتم الله وهلكتم وقيل ان معنى الاية لا تمسكوا
اموالكم فيرثها غيركم فتهلكوا بحرمان منفعة اموالكم ومعنى اخر منكم

ولا

ولا يمسكوا فيذهب عنهم الخلف في الدنيا والثواب في الاخرة تعالى
لا تلقوا بايديكم الى التهلكه يعني لا تنفقوا من حرام فيرد عليكم فتهلكوا
ونحوه عن عكرمه قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكه قال لا تيمموا الخبيث
منه تنفقون وقال الطبري قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكه عام في
جميع ما ذكر لدخوله فيه اذ اللفظ يحتمله   اختلف العلما في اقتحام
الرجل في الحرب وحمله على العدو وحده فقال القاسم بن مخيمرة والقاسم
بن محمد وعبد الملك من علمائنا لا باس ان يحمل الرجل وحده على الجيش العظيم
اذا كان فيه قوة وكان لله بنية خالصة فان لم يكن له فيه قوة فذلك من التهلكه
وقيل اذا طلب الشهادة وخلصت النيه فليحمل لان مقصوده واحد منهم وذلك
بين في قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغا مرضات الله وقال ابن خويز منداد
فاما ان يحمل الرجل على ماية او على جملة العسكر او جماعة اللصوص والمحاربين والخوارج
فلذلك حالتان ان علم وغلب على ظنه انه سيقتل ولكن سينكي نكاية او سيبلي
او يوثر اثرا ينتفع به المسلمون فجايز ايضا وقد بلغني ان عسكر المسلمين لما
لقي الفرس نفرت خيل المسلمين من الفيله فعمد رجل منهم فصنع فيلا من
طين وانس به فرسه حتى الفه فلما اصبح لم ينفر فرسه من الفيل فحمل على
الفيل الذي كان يقدمها فقيل له انه قاتلك فقال لا ضير ان اقتل ويفتح
للمسلمين وكذلك يوم اليمامة لما تحصنت بنو حنيفه بالحديقه قال
رجل من المسلمين ضعوني في الجحفه والقوني اليهم ففعلوا وقاتلهم وحده وفتح
الباب قال الشيخ المولف رحمه ومن هذا ما روي ان رجلا قال للنبي صلى الله
عليه وسلم رايت ان قتلت في سبيل الله صابرا محتسبا قال فلك الجنه
فانغمس في العدو حتى قتل وفي صحيح مسلم عن انس بن مالك ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم افرد يوم احد في سبعة من الانصار ورجلين من
قريش فلما رهقوه قال من يردهم عنا وله الجنة وهو رفيقي في الجنة
فتقدم رجل من الانصار فقاتل حتى قتل فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة
السبعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما انصفنا اصحابنا هكذا
الرواية أنصفنا بسكون الفا اصحابنا بفتح البا اي لم ندلهم القتال
حتى قتلوا وروي بفتح الفا ورفع البا ووجهها انها ترجع لمن فر عنه
من اصحابه وقال محمد بن الحسن لو حمل رجل واحد على الف رجل من
المشركين وهو وحده لم يكن بذلك باس اذا كان يطمع في نجاة او نكاية
في العدو فان لم يكن كذلك فهو مكروه لانه عرض نفسه الى التلف
في غير منفعة المسلمين فان كان قصده تجرية المسلمين عليهم حتى يصنعوا
مثل صنيعه فلا يبعد جوازه ولانه نفع للمسلمين على بعض الوجوه فان
كان قصده ارهاب العدو ليعلم العدو صلابة المسلمين في الدين فلا
يبعد جوازه واذا كان فيه نفع للمسلمين فيكون لاعزاز دين الله وتوهين
الكفر فهو المقام الشريف الذي مدح الله به المومنين في قوله اشترى
من المومنين الآية الى غيرها من ايات المدح التي مدح الله بها من بذل
نفسه وعلى ذلك ينبغي ان يكون حكم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
انه متى رجي نفعا في الدين فبذل نفسه فيه حتى قتل كان من اعلا درجات
الشهدا قال الله تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما
اصابك ان ذلك من عزم الامور وقد روي عكرمة عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الشهدا حمزة بن عبد المطلب
ورجل تكلم بكلمة حق عند سلطان جائر فقتله وسياتي القول في هذا

في

لم ندلهم القتال

تجرية

التصميم

في العمران ان شا الله تعالى واتموا الحج والعمرة لله اختلف
العلما في المعنى المراد باتمام الحج والعمرة لله فقيل اداوهما والاتيان
بهما لقوله فاتمهن وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل اي ايتوا بالصيام وهذا
على مذهب من اوجب العمرة على ما ياتي ومن لم يوجبها قال المراد تمامهما
بعد الشروع فيهما فان من احرم بنسك وجب عليه المضي فيه ولا يفسخه
قال معناه الشعبي وابن زيد وعن علي بن ابي طالب اتمامهما ان تحرم بهما
من دويرة اهله وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وسعد بن ابي وقاص وفعله
عمران بن حصين وقال سفين الثوري اتمامهما ان تخرج قاصدا لهما لا
لتجارة ولا لغير ذلك ويقوي هذا قوله لله وقال عمر اتمامهما ان تفرد كل
واحد منهما من غير تمتع وقران وقاله ابن حبيب وقال مقاتل اتمامهما ان لا
تستحلوا فيهما ما لا ينبغي لكم ذلك انهم كانوا يشركون في احرامهم فيقولون
لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك فقال
فاتموها ولا تخلطوها بشي اخر قلت اما ما روي عن علي وفعله عمران بن
حصين في الاحرام قبل المواقيت التي وقتها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقد قال به عبد الله بن مسعود وجماعة من السلف وثبت ان
عمر اهل من ايليا وكان الاسود وعلقمة وعبد الرحمن وابو اسحاق يحرمون
من بيوتهم ورخص فيه الشافعي وروي ابو داود والدارقطني عن ام سلمة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احرم من بيت المقدس
بحج او عمرة كان من ذنوبه كهيئة يوم ولدته امه في رواية غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر وخرجه ابو داود وقال يرحم الله وكيعا احرم من
بيت المقدس يعني الى مكة ففي هذا اجازة الاحرام قبل الميقات ولكن مالك

اسماك من اجابه بالقول ان المرخص فيه قال ومع

رحمه الله ان يحرم احد قبل الميقات وروي ذلك عن عمر بن الخطاب
وانه انكر على عمران بن حصين احرامه من البصره وانكر عثمان على ابن عمر
احرامه قبل الميقات وقال احمد واسحق وجه العمل المواقيت ومن
الحجه لهذا القول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت المواقيت
وعينها فصارت بيانا لمجمل الحج ولم يحرم صلى الله عليه وسلم من بيته لحجه
بل احرم من ميقاته الذى وقته لامته وما فعله صلى الله عليه وسلم فهو
الافضل ان شا الله وكذلك صنع جمهور الصحابه والتابعين بعدهم
واحتج اهل المقاله الاولي بان ذلك افضل بقول عايشه رضى الله عنها
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما وبحديث
ام سلمه مع ما ذكر عن الصحابه في ذلك وقد شهدوا احرام رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حجته من ميقاته وعرفوا مغزاه ومراده وعلموا
ان احرامه من ميقاته كان تيسيرا على امته   روي الايمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت لاهل المدينه ذو الحليفه ولاهل
الشام الجحفه ولاهل نجد قرن ولاهل اليمن يلملم هن لهن ولمن اتا عليهن
من غير اهلهن ممن اراد الحج والعمره وما كان دون ذلك فمن حيث انشاه
اهل مكه من مكه يهلون منها واجمع اهل العلم على ان القول بظاهر هذا
الحديث واستعماله لا يخالفون شيا منه واختلفوا في ميقات اهل
العراق وفيمن وقته فروي ابو داود والترمذى عن ابن عباس ان النبى
صلى الله عليه وسلم وقت لاهل المشرق العقيق قال الترمذى هذا حديث
حسن وروي ان عمر وقت لاهل العراق ذات عرق وهذا هو الصحيح
ومن روي ان عمر وقت لان العراق في وقته افتتحت فغفله منه بل وقته

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم فما وقت لاهل الشام الجحفة والشام كلها

ذات عرق بانت العراق وغيرها يومئذ من البلدان ولم تفتح العراق

ولا الشام الا على عهد عمر وهذا ما لا خلاف فيه بين اهل السير قال

ابو عمر كل عراقي او مشرقي احرم من ذات عرق فقد احرم عند الجميع من

ميقاته والعقيق احوط عندهم واولى من ذات عرق وذات عرق ميقاتهم

ايضا باجماع اجمع اهل العلم على ان من احرم قبل ان ياتي الميقات

انه محرم وانما منع من ذلك من راى الاحرام عند الميقات افضل كراهية

ان يضيق المرء على نفسه ما قد وسع الله عليه وان يتعرض لما لا يؤمن

ان يحدث في احرامه وكلهم الزمه الاحرام اذا فعل ذلك لانه زاد ولم

ينقص في هذه الاية دليل على وجوب العمرة لانه تعالى

امر باتمامها كما امر باتمام الحج قال الصبي بن معبد اتيت عمر رضي الله عنه

فقلت اني كنت نصرانيا فاسلمت واني وجدت الحج والعمرة مكتوبتين

علي واني اهللت بهما جميعا فقال له عمر هديت لسنة نبيك صلى الله

عليه وسلم قال ابن المنذر ولم ينكر عليه قوله وجدت الحج والعمرة مكتوبتين

علي وبوجوبها قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن عمر وابن عباس وروى

الدارقطني عن ابن جريج قال اخبرني نافع ان عبد الله بن عمر كان يقول ليس

من خلق الله الا عليه حجة وعمرة واجبتان من استطاع الى ذلك سبيلا

فمن زاد بعدهما شيئا فهو خير وتطوع قال ولم اسمعه يقول في اهل

مكة شيئا قال ابن جريج واخبرت عن عكرمة ان ابن عباس قال العمرة واجبة

كوجوب الحج من استطاع اليه سبيلا وممن ذهب الى وجوبها من التابعين

عطا وطاوس ومجاهد والحسن وابن سيرين والشعبي وسعيد بن

جبير وابو برده ومسروق وعبدالله بن شداد والشافعي واحمد
واسحق وابو عبيد وبن الجهم من المالكيين وقال الثوري سمعنا انها
واجبه وسيل زيد بن ثابت عن العمره قبل الحج فقال صلاتان لا يضرك
بايهما بدات ذكره الدارقطني وروي مرفوعا عن محمد بن سيرين عن
زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحج والعمره فريضتان
لا يضرك بايهما بدات وكان مالك يقول العمره سنه ولا نعلم احدا
ارخص في تركها وهو قول النخعي واصحاب الراي فيما حكى بن المنذر وحكى
بعض القزوينيين والبغداديين عن ابي حنيفه انه يوجبها كالحج وبانها
سنه قال بن مسعود وجابر بن عبدالله روى الدارقطني حدثنا محمد
بن القاسم بن زكريا ثنا محمد بن عبد العلا ابو كريب نا عبد الرحيم بن
سليمان عن حجاج عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله قال سال
رجل رسول الله صلى الله عليه عن الصلاه والزكاه والحج اواجب هو قال
نعم فساله عن العمره اواجبه هي قال لا وان تعتمر خير لك رواه محمد بن
ايوب عن حجاج وبن جريج عن بن المنكدر عن جابر مرفوعا من قول جابر
فهذه حجه من لم يوجبها من السنه قالوا واما الايه فلا حجه فيها للوجوب
لان الله سبحانه انما قرنها في وجوب الاتمام لا في الابتدا فانه ابتدا الصلاه
والزكاه فقال واقيموا الصلاه واتوا الزكاه وابتدا بايجاب الحج فقال ولله
على الناس حج البيت ولما ذكر العمره امر باتمامها لا بابتدايها فلو حج عشر
حجج او اعتمر عشر عمر لزم الاتمام في جميعها فانما جاءت لالزام الاتمام
لا لالزام الابتدا والله اعلم واحتج المخالف من جهه النظر على وجوبها
بان قال عماد الحج الوقوف بعرفه وليس في العمره وقوف فلو كانت كسنه

الحج

الحج لوجب ان تساويه في افعاله كما ان سنة الصلاة تساوي فريضتها في افعالها قرا الشعبي وابو حيوة برفع التا في العمرة وهي تدل على عدم الوجوب وقرا الجماعة العمرة بنصب التا وهي تدل على الوجوب وفي مصحف ابن مسعود واتموا الحج والعمرة الى البيت لله وروي عنه واقيموا الحج والعمرة الى البيت وفايده التخصيص بذكر الله هنا ان العرب كانت تقصد الحج للاجتماع والتظاهر والتناضل والتنافر وقضا الحاجة الاسواق وكل ذلك ليس لله فيه طاعة ولا حظ بقصد ولا قربة تعتقد فامر الله سبحانه بالقصد اليه لاداحقه فرضه وقضا حقه ثم سامح في التجارة على ما ياتي لا خلاف بين العلما فيمن شهد مناسك الحج وهو لا ينوي حجا ولا عمرة والقلم جار له وعليه ان شهودها بغير نية ولا قصد غير مغن عنه فان النية تجب فرضا لقوله تعالى واتموا ومن تمام العبادة حضور النية وهي فرض فالنية عند الاحرام لقوله عليه السلام لما ركب راحلته لبيك بحجة وعمرة معا على ما ياتي وذكر الربيع في كتاب البويطي عن الشافعي قال ولو لبا رجل ولم ينو حجا ولا عمرة لم يكن حاجا ولا معتمرا ولو نوى ولم يلبّ حتى قضا المناسك كان حجه تاما واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات قال ومن فعل مثل ما فعل علي حين اهل على اهلال النبي صلى الله عليه وسلم اجزاته تلك النية لانها وقعت على نية لغيره قد تقدمت بخلاف الصلاة

واختلف العلما في المراهق والعبد يحرمان بالحج ثم يحتلم هذا ويعتق

لام
بلغ م

هذا قبل الوقوف بعرفة فقال مالك لا سبيل لهما الى رفض الاحرام ولا احد متمسكا بقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله ومن رفض احرامه فلم يتم حجه ولا عمرته وقال ابو حنيفة جايز للصبى اذا قبل الوقوف بعرفة ان يجدد احرامه فان تمادى على حجه ذلك لم يجزه عن حجة الاسلام واحتج بانه لما لم يكن الحج يجزى عنه ولم يكن الفرض لازما له حين احرم بالحج ثم لزمه حين بلغ استحال ان يشتغل عن فرض قد تعين عليه بنافلة ويعطل فرضه كمن دخل في نافلة واقيمت عليه المكتوبة وخشى فوتها قطع المكتوبة لنافلة ودخل في المكتوبة وقال الشافعى اذا احرم الصبى ثم بلغ قبل الوقوف بعرفة فوقف بها محرما اجزاه من حجة الاسلام وكذلك العبد قال ولو عتق بمزدلفة وبلغ الصبى بها فرجعا الى عرفة بعد العتق والبلوغ فادركا الوقوف بها قبل طلوع الفجر اجزات عنهما من حجة الاسلام ولم يكن عليهما دم ولو احتاطا فاهرقا دما كان احب الى ولبس ذلك بالبين عندي واحتج في اسقاط تجديد الاحرام بحديث على رضى الله عنه اذ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اقبل من اليمن مهلا بالحج بم اهللت قال قلت لبيك اللهم باهلال كاهلال نبيك صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى اهللت بالحج وسقت الهدى قال الشافعى ولم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته ولا امره بتجديد نية لافراد او تمتع او قران وقال مالك في النصرانى يسلم عشية عرفة فيحرم بالحج اجزاه من حجة الاسلام وكذلك العبد يعتق والصبى يبلغ اذا

لم

لم يكونوا محرمين ولا دم على واحد منهم وانما يلزم الدم من اراد الحج ولم
يحرم من الميقات وقال ابو حنيفه يلزم العبد الدم وهو كالحر
عندهم في تجاوز الميقات الصبي والنصراني فانهما لا يلزمهما الاحرام
لدخول مكه لسقوط الفرض عنهما فاذا اسلم الكافر وبلغ الصبي
كان حكمهما حكم المكي ولا شي عليهما في ترك الميقات
فان احصرتم فما استيسر من الهدي فيه اثنا عشره مسله تعالى
قال ابن العربي هذه ايه مشكله عضله من العضل قلت لا اشكال
فيها ونحن نبينها غاية البيان فنقول الاحصار هو المنع من الوجه
الذي يقصده بالعوايق جمله بجمله باي عذر كان حصر عدو او
جور سلطان او مرض او ما كان واختلف العلما في تعيين المانع
على قولين الاول قال علقمه وعروه بن الزبير وغيرهما هو المرض
لا العدو وقيل العدو خاصه قاله ابن عباس وابن عمر وانس
والشافعي قال ابن العربي وهو اختيار علماينا وراي اكثر اهل
اللغه ومحصليها على ان احصر عرض للمرض وحصر نزل به العدو
قلت ما حكاه ابن العربي انه اختيار علماينا فلم يقل به الا اشهب
وحده وخالفه ساير اصحاب مالك في هذا وقالوا الاحصار
انما هو المرض واما العدو فانما يقال فيه حصر حصرا فهو محصور
قاله الباجي في المنتقى وحكى ابو اسحق الزجاج انه كذلك عند جميع
اهل اللغه على ما ياتي وقال ابو عبيده والكساي احصر بالمرض
وحصر بالعدو وفي المجمل لابن فارس على العكس حصر بالمرض واحصر
بالعدو وقالت طايفه يقال احصر فيهما جميعا من الرباعي حكاه

ابو عمر قلت وهو يشبه قول مالك حيث ترجم في موطايه قال

احصر فيهما فتامله وقال الفرا هما بمعنى واحد في المرض والعدو وقال

القشيري ابو نصر وادعت الشافعيه ان الاحصار يستعمل في

العدو فاما المرض فيستعمل فيه الحصر والصحيح انهما يستعملان

فيهما قلت ما ادعته الشافعيه قد نص الخليل واحد وغيره على

خلافه قال الخليل حصرت الرجل حصرا منعته وحبسته واحصر الحاج

عن بلوغ المناسك من مرض او غيره هكذا قال جعل الاول ثلاثيا

من حصرت والثاني في المرض رباعيا وعلى هذا خرج قول ابن عباس لا

حصر الا حصر العدو وقال ابن السكيت احصره المرض اذا منعه من

السفر او من حاجة يريدها وقد حصره العدو يحصرونه اذا ضيقوا

عليه فاطافوا به وحاصروه محاصرة وحصارا قال الاخفش حصرت

الرجل فهو محصور اي حبسته قال واحصرني بولي واحصرني مرضي

اي جعلني احصر نفسي قال ابو عمرو الشيباني حصرني الشي واحصرني

اي حبسني قلت فالاكثر من اهل اللغه على ان حصر في العدو

واحصر في المرض وقد قيل ذلك في قول الله تعالى للفقرا الذين احصروا

في سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى ان يكون تباعدت

عليك ولا ان احصرتك شغول وقال الزجاج الاحصار عند

جميع اهل اللغه انما هو من المرض فاما من العدو فلا يقال فيه الا

حصر يقال حصر حصرا وفي الاول احصر احصارا فدل على ما ذكرناه

واصل الكلمه من الحبس ومنه الحصير الذي يحبس نفسه عن البوح

والحصير الملك لانه كالمحبوس من ورا الحجاب والحصير الذي

يجلس

يجلس عليه لانضمام بعض طاقات البردي الى بعض لحبس الشي مع غيره

والما كان اصل الحصر الحبس قالت الحنفيه المحصر من يصير ممنوعا

من مكة بعد الاحرام بمرض او عدو او غير ذلك واحتجوا بمقتضى الاحصار

مطلقا قالوا وذكر الامن في اخر الايه لا يدل على انه لا يكون من المرض

قال صلى الله عليه وسلم الزكام امان من الجذام وقال من سبق العاطس

بالحمد امن من الشوص واللوص والعلوص الشوص وجع السن واللوص وجع الاذن

والعلوص وجع البطن اخرجه ابن ماجه في سننه قالوا وانما جعلنا حبس

العدو حصارا قياسا على المرض اذ كان في حكمه لا بدلالة الظاهر وقال

عمر وابن الزبير وابن عباس والشافعي واهل المدينه المراد بالايه حصر العدو

لان الاية نزلت في سنه ست في عمرة الحديبيه حين صد المشركون

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكه قال ابن عمر خرجنا مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم فحال كفار قريش دون البيت فنحر النبي صلى الله عليه وسلم

هديه وحلق راسه ودل على هذا قوله تعالى فاذا امنتم ولم يقل برئتم

والله اعلم   جمهور الناس على المحصر بعدو يحل حيث احصر

وينحر هديه ان كان ثم هدي ويحلق راسه وقال قتاده وابراهيم

يبعث بهديه ان امكنه فاذا بلغ محله صار حلالا وقال ابو حنيفه

دم الاحصار لا يتوقف على يوم النحر بل يجوز ذبحه قبل يوم النحر

اذا بلغ محله وخالفه صاحباه فقالا لا يتوقف على يوم النحر وان نحر قبله لم

يجزه وسياتي هذه المسله زياده بيان ان شا الله تعالى

الاكثر من العلما على ان من احصر بعدو كافر او مسلم او سلطان حبسه

في سجن الهدي وهو قول الشافعي وبه قال اشهب وكان ابن القاسم

يقول ليس على من صد عن البيت في حج او عمرة هدي الا ان يكون ساقه مع
وهو قول ملك ومن حجتهما ان النبي صلى الله عليه وسلم انما نحر يوم الحديبية
هدايا قد كان اشعره وقلده حين احرم بعمرة فلما لم يبلغ ذلك الهدي
محله للصد امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحر لانه كان هدايا وجبت
بالتقليد والاشعار وخرج لله فلم يجز الرجوع فيه ولم ينحره رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اجل الصد فلذلك لم يجب على من صد عن البيت
هدي واحتج الجمهور بان رسول الله صلى الله وسلم لم يحل يوم الحديبية
ولم يحلق راسه حتى نحر الهدي فدل ذلك ان من شرط احلال المحصر ذبح
هدي ان كان معه عنده وان كان فقيرا فمتى وجده وقدر عليه لا يحل
الا به وهو مقتضى قوله فما استيسر من الهدي وقد قيل يحل ويهدي
اذا قدر عليه والقولان للشافعي ولذلك من لا يجد هديا يشتريه
قولان قال عطا وغيره المحصر وغيره بمرض كالمحصر
بالمحصر بعدو وقال ملك والشافعي واصحابهما من احصر بالمرض
فلا يحله الا الطواف بالبيت وان اقام سنين حتى يفيق وكذلك
من اخطا العدد او خفي عليه الهلال قال ملك واهل مكة في
ذلك كاهل الافاق قال وان احتاج المريض الى دوا تداوي به
وافتدى وبقي على احرامه لا يحل من شي حتى يبرا من مرضه فاذا برى
من مرضه مضى الى البيت فطاف به سبعا وسعى بين الصفى والمروة
وحل من حجته او عمرته وهذا كله قول الشافعي وذهب في ذلك الى
ما روي عن عمر وابن عباس وعايشة وابن عمر وابن الزبير انهم قالوا
في المحصر بمرض او خطا العدد انه لا يحله الا الطواف بالبيت وكذلك
من اصابه

من اصابه كسر او بطن متخرق وحكم من كانت هذه حاله عند مالك في ان يكون بالخيار اذا خاف فوت الوقوف بعرفه لمرضه ان شا مضى اذا افاق الى البيت فطاف وتحلل بعمره وان شا اقام على احرامه الى قابل وان اقام على احرامه ولم يواقع شيا مما نهي عنه الحاج فلا هدي عليه ومن حجته في ذلك الاجماع من الصحابه على ان اخطا العدد ان هدا حجه لا يحله الا الطواف بالبيت وقال في المكي اذا بقي محصورا حتى فرغ الناس من حجهم فانه يخرج الى الحج فيلبي ويفعل ما يفعل المعتمر ويحل فاذا كان قابل حج واهدي وقال بن شهاب الزهري في احصار من احصر بمكه من اهلها لا بد له من يقف بعرفه وان يعش نعشا واختار هذا القول ابو بكر محمد بن احمد بن عبد بن جهيم المالكي وقال قول مالك في المحصر المكي ان عليه ما على الافاقي من اعاده الهدي والحج خلاف ظاهر الكتاب لقول الله عز وجل ذلك لمن يكن اهله حاضري المسجد الحرام قال والقول عندي في هذا قول الزهري في ان الاباحه من الله عز وجل لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام ان يقيم لبعد المسافه يتعالج وان فاته الحج فاما من كان بينه وبين المسجد الحرام ما لا يقصر في مثله الصلاه فانه يحضر المشاهد وان يعش نعشا لقرب المسافه وقال ابو حنيفه واصحابه كل من منع من الوصول الى البيت بعدو او مرض او ذهاب نفقه او ضلال راحله او لدغ هامه فانه يقف مكانه على احرامه ويبعث بهديه او بثمن هديه فاذا نحر فقد حل من احرامه كذلك قال عروه وقتاده والحسن وعطا والنخعي ومجاهد واهل العراق لقوله تعالى فان احصرتم فما استيسر من الهدي

الايه   قال ملك واصحابه لا ينفع المحرم الاشتراط في
الحج اذا خاف الحصر بمرض او عدو وهو قول الثوري وابي حنيفه واصحا
بهم والاشتراط ان يقول اذا اهل لبيك اللهم ومحلي حيث حبستني
من الارض وقال احمد بن حنبل واسحق بن راهويه وابو ثور لا باس ان
يشترط وله شرطه وقاله غير واحد والتابعين وحجتهم حديث
ضباعه بنت الزبير بن عبد المطلب انها اتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت اني اردت الحج اشترط قال نعم قالت فكيف اقول
قال قولي لبيك اللهم لبيك ومحلي من الارض حيث حبستني اخرجه
ابو داود والدارقطني وغيرهما قال الشافعي لو ثبت حديث
ضباعه لم اعده وكان محله حيث حبسه الله **قلت** قد صححه
غير واحد منهم ابو حاتم البستي وابن المنذر قال ابن المنذر ثبت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لضباعه بنت الزبير حجي واشترطي   لضباعه
وبه قال الشافعي اذ هو بالعراق ثم وقف عنه بمصر قال ابن المنذر
وبالقول الاول وذكر عبد الرزاق انا ابن جريج قال اخبرني ابو   زم
الزبير ان طاوسا وعكرمه اخبراه عن ابن عباس قال جاءت ضباعه بنت
الزبير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني امراة ثقيله واني
اريد الحج فكيف تامرني ان اهل قال اهلي واشترطي ان محلي حيث حبستني
قال فادركت وهذا اسناد صحيح   واختلف العلماء في
وجوب القضاء على من احصر فقال ملك والشافعي من احصر بعدو فلا
قضاء عليه لحجه ولا لعمرته الا ان يكون ضرورة لم يحج فيكون
عليه الحج على حسب وجوبه عليه وكذلك العمرة عند من اوجبها فرضا وقال

ابو حنيفه

ابو حنيفة المحصر بمرض او عدو وعليه حجة وعمرة وهو قول الطبري
قال اصحاب الراي ان مهلا بحج قضى حجه وعمرة لان احرامه بالحج صار
عمرة وان كان قارنا قضى حجة وعمرتين وان كان مهلا بعمرة قضى عمرة وسوا
عندهم المحصر بمرض او عدو على ما تقدم واحتجوا بحديث ميمون بن
مهران قال خرجت معتمرا عام حاصر اهل الشام منعوني ان ادخل الحرم
نحرت الهدي مكاني ثم حللت ثم رجعت فلما كان من العام المقبل خرجت
لاقضي عمرتي فاتيت بن عباس فسالته فقال ابدل الهدي فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امر اصحابه ان يبدلوا الهدي الذي نحروا عام الحديبيه
في عمرة القضا واستدلوا بقوله عليه السلام من كسر او عرج فقد حل
وعليه حجة اخرى وعمرة اخرى رواه عكرمة عن الحجاج بن عمرو الانصاري
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من عرج او كسر فقد
حل وعليه حجة اخرى قالوا فاعتمار رسول الله صلى الله عليه وسلم
في العام المقبل من عام الحديبيه انما كان قضا لتلك العمرة قالوا ولذلك
ما قيل لها عمرة القضا واحتج مالك بان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يامر احدا من اصحابه ولا ممن كان معه ان يقضوا شيا ولا ان يعود والشي
ولا حفظ ذلك عنه بوجه من الوجوه ولا قال في العام المقبل ان
عمرتي هذه قضا عن العمرة التي حصرت فيها ولم ينقل ذلك عنه قالوا وعمرة
وعمرة القضا وعمرة القضيه سوا وانما قيل لها ذلك لان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قاضى قريشا وصالحهم في ذلك العام على الرجوع عن البيت
وقصده من قابل فسميت بذلك عمرة القضيه لم يقل احد
من الفقها فيمن كسر او عرج انه يحل مكانه بنفس الكسر غير ابي ثور على ظاهر

وقف

حديث الحجاج بن عمرو وتابعه على ذلك داود بن علي واصحابه واجمع
العلما على انه يحل من كسر ولكن اختلفوا فيما به يحل فعاله ملك واصحابه
وغيره يحل بالطواف بالبيت لا يحله غيره ومن خالفه من الكوفيين
يقول يحل بالنيه وفعل ما يتحلل به على ما تقدم من مذهبه
لا خلاف بين علما الامصار ان الاحصار عام في الحج والعمره وقال بن
سيرين لا احصار في العمره لانها غير موقته لكن يصبر الى زوال
العذر ضرورة وفي ذلك نزلت الايه وحكي عن بن الزبير ان من احصره العدو
او المرض فلا يحله الا الطواف بالبيت وهذا ايضا مخالف لنص الخبر عام
الحديبيه الحاصر لا يخلوا ان يكون كافرا او مسلما فان كان
كافرا لم يجز قتاله ولو وثق بالظهور عليه ويتحلل بموضعه لقوله تعالى
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام كما تقدم ولو سال الكافر جعلا لم
يجز لان ذلك وهن في الاسلام فان كان مسلما لم يجز قتاله بحال ووجب
التحلل فان طلب شيا ويتخلى عن الطريق جاز دفعه ولم يجز القتال لما فيه
من اتلاف المهج وذلك لا يلزم في اذا العبادات فان الدين اسمح واما بدل
الجعل فلما فيه من دفع اعظم الضررين باهونهما ولان الحج مما ينفق فيه
المال فيعد هذا من النفقه العدو الحاصر لا
يخلوا ان يتيقن بقاوه واستيطانه لقوته وكثرته او لا فان كان الاول حل
المحصر مكانه من ساعته وان كان الثاني وهو مما يرجى زواله فهذا لا يكون
محصورا حتى يبقى بينه وبين الحج مقدار ما يعلم انه ان زال العدو لا
يدرك فيه الحج فيحل حينيذ عند بن القاسم وبن الماجشون وقال
اشهب من حصر عن الحج بعدو حتى يوم النحر فلا يقطع التلبيه حتى يروح

الناس

حامس عسويه

الناس الى عرفه ووجه قول بن القاسم ان هذا وقت يايس من ادراك الحجه لبعد و
غالب فجاز له ان يحل فيه اصل ذلك يوم عرفه ووجه قول اشهب ان عليه ان
ياتي من حكم الاحرام بما يمكنه الاتيان عليه قوله تعالى فما استيسر من الهدي
ما في موضع رفع اي فالواجب او فعليكم ما استيسر ويحتمل ان يكون في
موضع نصب اي فانحروا او فاهدوا وما استيسر عند جمهور اهل
العلم شاه وقال بن عمر وعايشه وبن الزبير ما استيسر جمل دون
جمل وبقره دون بقره لا يكون من غيرهما وقال الحسن اعلى الهدي بدنه
واوسطه بقره واخسه شاه وفي هذا دليل على ما ذهب اليه مالك من
ان المحصر بعدو لا يجب عليه القضا لقوله فما استيسر من الهدي ولم يذكر
قضا والله اعلم قوله تعالى من الهدي الهدى
والهدي لغتان وهو ما يهدى الى بيت الله من بدنه او غيرها والعرب
تقول كم هدى بني فلان اي كم ابلهم قال ابو بكر سميت هديا لان منها
ما يهدى الى بيت الله فسميت بما يلحق بعضها كما قال فان اتين بفاحشه
فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب اراد فان زنى الاما فعلى
الامه منهن اذا زنت نصف ما على الحره البكر اذا زنت فذكر الله المحصنات
وهو يريد الابكار لان الاحصان يكون في اكثرهن فسمين بامر يوجد في
بعضهن والمحصنه من الحراير هي ذات الزوج يجب عليها الرجم لا يتبعض
فيكون على الامه نصف ما ينكشف بهذا ان المحصنات يراد بهن الابكار
لا اولات الازواج وقال الفرا اهل الحجاز وبنو اسد يخففون الهدي
قال وتميم وسفلى قيس يثقلون فيقولون هدي قال الشاعر
حلفت برب مكه والمصلى واعناق الهدي مقلدات قال وواحد

صوابه شاه

لعله
اي

الهدي هدية ويقال في جمع الهدي اهدا

الجزء الثاني بعون الله ولطفه

الحمد لله وحده

المجلد الثالث عشر من تفسير القرطبي

الجزؤ الثالث في تفسير القرطبي

یا کبیکج

جلد ثالث

علم دين فقهست وتفسير وحديث
هركه خواند غير ازين گردد خبيث

الجزء الثالث

من تفسير القرطبي

تفسير جامع احكام القرآن للشيخ الامام ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي القرطبي المالكي المتوفى سنة ثمان وستين وستمائة رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب

قوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله الخطاب لجميع الامه محصر ومحل ومن العلما من يراها للمحصر خاصة اى لا تحلوا من الاحرام حتى تنحر الهدي والمحل الموضع الذى يحل فيه ذبحه فالمحل في حصر وعند مالك والشافعي موضع الحصر اقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبيه قال الله تعالى والهدى معكوفا ان يبلغ محله قيل محبوسا اذا كان ممنوعا من الوصول الى البيت العتيق وعند ابى حنيفه محل الهدي في الاحصار الحرم لقوله تعالى ثم محلها الى البيت واجيب عن ذلك بان المخاطب به الامن الذى يجد الوصول الى البيت فاما المحصر فخارج من قول الله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق بدليل نحر النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه هديهم بالحديبيه وليست من الحرم واحتجوا من السنه بحديث ناجيه بن جندب صاحب النبى صلى الله عليه وسلم انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم ابعث معى الهدي فانحره بالحرم قال وكيف تصنع به قال اخرجه في الاوديه لا يقدرون عليه فانطلق به حتى انحره في الحرم واجيب بان هذا لا يصح وانما ينحر حيث حل اقتدا بفعله صلى الله عليه وسلم بالحديبيه وهو الصحيح الذى رواه الايمه ولان الهدى تابع للمهدى والمهدى حل بموضعه فالهدى ايضا يحل معه

الثانية واختلف العلما على ما قررناه في المحصر هل له ان يحلق او يحل بشى من الحل قبل ان ينحر ما استيسر من الهدي فقال مالك السنه الثابته التى لا اختلاف فيها عندنا انه لا يجوز لاحد ان ياخذ من شعره حتى ينحر هديه قال الله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ

الهدي

وقف

الهدي محله وقال ابو حنيفه واصحابه اذا حل المحصر قبل ان ينحر هديه
فعليه دم ويعود حراما كما كان حتى ينحر هديه وان اصاب صيدا
قبل ان ينحر الهدي فعليه الجزا وسوا في ذلك الموسر والمعسر لا يحل
ابدا حتى ينحر او ينحر عنه قالوا واقل ما يهدي به شاه لا عميا ولا مقطوعه
الاذنين وليس هذا عندهم موضع صيام قال ابو عمر قول الكوفيين
فيه ضعف وتناقض لانهم لا يجيزون لمحصر بعدو ولا مرض ان يحل
حتى ينحر هديه في الحرم واذا اجازوا للمحصر بمرض ان يبعث بهدي
ويواعد حامله يوما ينحره فيه فيحل ويحلق فقد اجازوا له ان يحل على
غير يقين من نحر الهدي وبلوغه وحملوه على الاهلال بالظنون والعلما
متفقون على انه لا يجوز لمن لزمه شي من فرايضه ان يخرج منه بالظن
والدليل على ذلك ظن قولهم لو عطب ذلك الهدي او ضل او سرق
فحل مرسله واصاب النسا وصاد انه يعود حراما وعليه جزا ما صاد
فاباحوا له فساد الحج والزموه ما يلزم من لم يحل من احرامه وهذا ما لا
خفا به من التناقض وضعف المذهب وانما بنوا مذهبهم هذا كله على
قول ابن مسعود ولم ينظروا في خلاف غيره له وقال الشافعي ومن قال
بقوله يحل المحصر ويذبح اذا قدر فان قدر على ان يكون الذبح بمكه لم
يجز ان يذبح الا بها وان لم يقدر ذبح حيث قدر قال ويقال لا يجزيه
الا هدي ويقال اذا لم يجد هديا كان عليه الاطعام او الصيام
وان لم يجد واحدا من هذه الثلاثه اتى بواحد منها اذا قدر وقال في الا
يجزيه الا الصوم يقوم له الشاه دراهم ثم الدراهم طعاما ثم يصوم
عن كل مد يوما المسالة الثالثه واختلفوا اذا نحر المحصر هديه هل

فرايضه شاه

له ان يحلق اولا فقالت طايفه ليس عليه ان يحلق راسه لانه قد ذهب عنه
النسك واحتجوا بانه لما سقط عنه بالاحصار جميع المناسك كالطواف
والسعي وذلك مما يحل به المحرم من احرامه سقط عنه ساير ما يحل به
المحرم من احل انه محصر وممن احتج بهذا وقال به ابو حنيفه ومحمد بن الحسن
قالا ليس على تقصير ولا حلاق وقال ابو يوسف يحلق المقصر فان لم
يحلق فلا شي عليه وقد حكى بن ابي عمران عن بن سماعه عن ابي يوسف في
نوادره ان عليه الحلاق والتقصير لا بد له منه واختلف قول الشافعي
في هذه المسئله على قولين احدهما ان الحلاق للمحصر من النسك وهو قول مالك
والاخر ليس من النسك كما قال ابو حنيفه والحجه لمالك ان الطواف
بالبيت والسعي بين الصفا والمروه قد منع من ذلك كله المحصر وقد
صد عنه فسقط عنه ما قد حيل بينه وبينه واما الحلاق فلم يحل بينه
وبينه وهو قادر على ان يفعله وما كان قادرا على ان يفعله فهو غير ساقط
عنه ومما يدل على الحلاق باق على ما هو باق على من قد وصل الى البيت سوا
قوله تعالى ولا تحلقوا رووسكم حتى يبلغ الهدي محله وما رواه الايمه
من دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للمحلقين ثلاثا وللمقصرين واحده وهو
الحجه القاطعه والنظر الصحيح في هذه المسئله والى هذا ذهب مالك
واصحابه الحلاق عندهم نسك على الحاج الذي قد اتم حجه وعلى من
فاته الحج والمحصر بعدو والمحصر بمرض روى الايمه واللفظ
لمالك عن نافع عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اللهم ارحم المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله قال اللهم ارحم
المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله قال والمقصرين قال علما ونافع

قالوا يا رسول الله قال اللهم ارحم المحلقين

دعا

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة دل
على ان الحلق في الحج والعمرة افضل من التقصير وهو مقتضى قوله تعالى ولا
تحلقوا رؤسكم ولم يقل تقصروا واجمع اهل العلم على ان التقصير يجزي
عن الرجال الا شي ذكر عن الحسن انه كان يوجب الحلق في اول حجة
يحجها الانسان لم تدخل النسا في الحلق وان سنتهن التقصير
لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس على النسا حلق انما
عليهن التقصير خرجه ابو داود عن ابن عباس واجمع اهل العلم على ان
القول به وان جماعة ان حلقها راسها من المثلة واختلفوا في قدر ما
تقصر من راسها فكان ابن عمر والشافعي واحمد واسحاق يقولون تقصر
من كل قرن مثل الانملة وقال عطا قدر ثلاث اصابع مقبوضة وقال
قتادة تقصر الثلث او الربع وفرقت حفصة بنت سيرين بين
المراة التي تعدت فتاخذ الربع وفي الشابة اشارت بانملتها تاخذ
وتقلل وقال مالك تاخذ من جميع قرون راسها وما اخذت من
ذلك فهو يجزيها ولا يجزي عنه ان تاخذ من بعض القرون وتبقي
بعضا قال ابن المنذر يجزي ما وقع عليه اسم تقصير والاحوط ان
تاخذ من جميع القرون قدر انملة لا يجوز لاحد ان
يحلق راسه حتى ينحر هديه وذلك ان سنة الذبح قبل الحلاق والاصل
في ذلك قوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله وكذلك
فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا فنحر هديه ثم حلق بعد ذلك
لمن خالف تقدم الحلاق قبل النحر فلا يخلو ان يقدمه خطا وجهلا او
عمدا وقصدا فان كان الاول فلا شي عليه رواه ابن حبيب عن القاسم

وهو المشهور من مذهب ملك وقال بن الماجشون عليه الهدي وبه
قال ابو حنيفه . وان كان الثاني فقد روي القاضي ابو الحسن انه يجوز
تقديم الحلق على النحر وبه قال الشافعي والظاهر من المذهب المنع
والصحيح الجواز لحديث بن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل في
الحلق والذبح والحلق والرمي والتقديم والتاخير فقال لا حرج رواه
مسلم وخرج بن ماجه عن عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل
عن من ذبح قبل ان يحلق او حلق قبل ان يذبح قال لا حرج
لا خلاف ان حلق الراس في الحج نسك مندوب اليه وفي غير الحج جائز
خلافا لمن قال انه مثلة ولو كان مثلة ما جاز في الحج ولا غيره لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المثلة وقد حلق راس بني جعفر
بعد ان اتاه قتله بثلثة ايام ولو لم يجز الحلق ما حلقهم وكان علي بن ابي
طالب رضي الله عنه يحلق راسه قال بن عبد البر وقد اجمع العلما على
حبس الشعر وعلى اباحة الحلق وكفى بهذا حجة وبالله التوفيق

تعالى فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففديه من
صيام او صدقه او نسك فيه تسع مسايل قوله تعالى

لمن كان منكم مريضا استدل بعض علما الشافعيه بهذه الاية ان
المحصر في اول الاية العدو لا المرض وهذا لا يلزم فان معنى قوله
لمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه فحلق ففديه اي فعليه فديه
واذا كان هذا وارد في المرض بلا خلاف كان الظاهر ان اول الاية ورد
فيمن ورد فيه وسطها واخرها لا تساق الكلام بعضه على بعض
ورجوع الاضمار في اخر الاية الى من خوطب في اولها فيجب حمل ذلك

على

على ظاهر حتى يدل دليل على العدول عنه ومما يدل على ما قلناه
نزول هذه الاية روى الايمه واللفظ للدار قطني عن كعب بن عجرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راه وقمله يتساقط على وجهه فقال
يوذيك هوامك قال نعم فامره ان يحلق وهو بالحديبيه ولم يتبين
لهم انهم يحلون بها وهم على طمع من دخول مكه فانزل الله الفديه فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقا بين سته مساكين او يهدي شاه او
يصوم ثلاثه ايام خرجه البخاري بهذا اللفظ ايضا فقوله ولم يتبين
لهم انهم يحلون بها يدل على انهم ما كانوا على يقين من حصر العدو لهم فاذا
الموجب للفديه الحلق للاذى والمرض والله اعلم
قال الاوزاعي في المحرم يصيبه الاذى في راسه انه يجزيه ان يكفر بالفديه
قبل الحلق قلت فعلى هذا يكون المعنى من كان منكم مريضا او به
اذى من راسه ففديه من صيام او صدقه او نسك ان اراد ان
يحلق ومن يرد يحلق ففديه فلا يفتدى حتى يحلق والله اعلم
قال ابن عبد البر كل من ذكر النسك في هذا الحديث مفسرا
فانما ذكره بشاه وهو امر لا خلاف فيه بين العلما واما الصوم والاطعام
فاختلفوا فيه فجمهور فقها المسلمين على ان الصوم ثلاثه ايام وهو محفوظ
صحيح في حديث كعب بن عجره وجا عن الحسن وعكرمه ونافع انهم
قالوا الصوم في فديه الاذى عشره ايام والاطعام عشره مساكين
ولم يقل احد بهذا من فقها الامصار ولا ايمه الحديث وقد جا من روايه
ابي الزبير عن مجاهد عن عبد الرحمن عن كعب بن عجره انه حدثه كان
اهل في ذي القعده وانه قمل راسه فاتى عليه النبي صلى الله عليه وسلم

وهو يوقد تحت قدر له فقال له كانك يوذيك هوام راسك قال اجل قال احلق واهد هديا قال ما اجد هديا قال فاطعم ستة مساكين قال ما اجد قال صم ثلاثة ايام قال ابو عمر فان ظاهر هذا الحديث على الترتيب وليس كذلك ولو صح كان معناه الاختيار اولا فاولا وعامة الاثار عن كعب بن عجرة وردت بلفظ التخيير وهو نص القران وعليه مضى عمل العلما في كل الامصار وفتواهم وبالله التوفيق

اختلف العلما في الاطعام في فدية الاذى فقال ملك والشافعي وابو حنيفة واصحابهم الاطعام في ذلك مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو قول ابي ثور وداود وروي الثوري انه قال في الفدية من البر نصف صاع ومن التمر والشعير والزبيب صاع وروي عن ابي حنيفة ايضا مثله جعل نصف صاع بر عدل صاع تمر قال ابن المنذر وهذا غلط لان في بعض اخبار كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم له تصدق بثلاثة اصوع من تمر على ستة مساكين وقال احمد بن حنبل مرة كما قال ملك والشافعي ومرة قال ان اطعم بر المد لكل مسكين وان اطعم تمرا فنصف صاع ولا يجوز ان يغدي المساكين ويعشيهم في كفارة الاذى حتى يعطي كل مسكين مدين بمد النبي صلى الله عليه وسلم وبذلك ملك والثوري والشافعي ومحمد بن الحسن وقال ابو يوسف يجزيه ان يغديهم ويعشيهم

اجمع اهل العلم على المحرم ممنوع من حلق شعره وجزه واتلافه بحلق او نورة او غير ذلك الا في العلة كما نص على ذلك القران واجمعوا على وجوب الفدية على من حلق وهو محرم بغير علة واختلفوا فيما على

من

من فعل ذلك او لبس او تطيب بغير عذر عامدا فقال ملك ما فعل وعليه الفديه وهو مخير فيها وسوا عنده العمد والخطا في ذلك لضرورة وغير ضرورة وقال ابو حنيفه والشافعي وغيرهما واصحابهم وابو ثور ليس بمخير الا في الضرورة لان الله تعالى قال فمن كان منكم مريضا او به اذا من راسه فاذا حلق عامدا او لبس عامدا لغير عذر فليس بمخير وعليه دم لا غير واختلفوا فيمن فعل ذلك ناسيا فقال ملك رحمه الله العامد والناسي في ذلك سوا في وجوب الفديه وهو قول ابي حنيفه والثوري والليث والشافعي في هذه المسله قولان احدهما لا فديه عليه وهو قول داود واسحق والاخر عليه الفديه واكثر العلما يوجبون الفدية على المحرم بلبس المخيط وتغطيه الراس او بعضه ولبس الخفين وتقليم الاظفار ومس الطيب واماطه الاذى وكذلك اذا حلق شعر جسده او اطلا او حلق مواضع الحجامة والمراة كالرجل في ذلك وعليهما الفديه في الكحل وان لم يكن فيه طيب وللرجل ان يكتحل بما لا طيب فيه وعلى المراه الفديه اذا غطت وجهها او لبست القفازين والعمد والسهو والجهل في ذلك سوا وبعضهم يجعل عليهما دما في كل شي من ذلك وقال داود لا شي عليهما في حلق شعر الجسد واختلف العلما في موضع الفدية المذكور فقال عطا ما كان من دم فبمكه وما كان من طعام او صيام فحيث شا ونحو ذلك قال اصحاب الراي وعن الحسن ان الدم بمكه وقال طاوس والشافعي الاطعام والدم لا يكونان الا بمكه والصوم حيث شا لان الصيام لا منفعه فيه لاهل مكه

وقد قال سبحانه رفقا بالمساكين جبران جنته فالاطعام فيه منفعه
بخلاف الصيام والله اعلم وقال ملك يفعل ذلك اين شا وهو الصحيح
من القول وهو قول مجاهد والذبح هنا عند ملك نسك وليس بهدي
لنص الكتاب والسنه والنسك يكون حيث شا والهدي لا يكون الا بمكه
ومن حجته ايضا ما رواه عن يحيى بن سعيد في موطاه وفيه فامر علي بن
ابي طالب براسه يعني راس حسين فحلق ثم نسك عنه بالسقيا فنحر عنه
بعيرا قال ملك قال يحيى بن سعيد وكان حسين خرج مع عثمان في سفره
الى مكه ففي هذا اوضح دليل في ان فديه الاذى جايز ان يكون بغير مكه
وجايز عند ملك في الهدي اذا نحر في الحرم ان يعطاه غير اهل الحرم لان
البغيه فيه اطعام مساكين المسلمين وقال ملك ولما جاز الصوم ان
يوتى به في غير الحرم جاز اطعام غير اهل الحرم ثم ان قوله تعالى فمن كان
منكم مريضا الايه اوضح الدلاله على ما قلناه فانه تعالى لما قال ففديه
من طعام او صدقه او نسك لم يقل في موضع دون موضع فالظاهر انه حيث
ما فعل اجزاه وقال او نسك فسمى ما يذبح نسكا وقد سماه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يسمه هديا فلا يلزمنا ان نرده قياسا على الهدي ولا ان نعتبره
بالهدي مع ما جا في ذلك عن علي وايضا فان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر كعبا بالفديه
ما كان في الحرم فصح ان ذلك كله يكون خارج الحرم وقد روي عن الشافعي مثل
هذا في وجه بعيد قوله تعالى او نسك النسك جمع نسيكه
وهي الذبيحه ينسكها العبد لله تعالى ويجمع ايضا على نسايك والنسك العباده
في الاصل ومنه قوله ارنا مناسكنا اي متعبداتنا وقيل ان اصل النسك
الغسل ومنه نسك ثوبه اذا غسله فكان العابد يغسل نفسه من ادران

الذنوب

بعير

الذنوب بالعباد وقيل النسك سبايك الفضه كل سبيكه منها نسيكه
فكان العابد يخلص نفسه من دنس الاثام وسبكها   تعالى فاذا
امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي فيه ثلاث عشره مسئله
قوله تعالى فاذا امنتم قيل معناه برأتم من المرض وقيل من
خوفكم من العدو والحصر قاله بن عباس وقتادة وهو اشبه باللفظ الا ان
يتخيل الخوف من المرض فيكون الامن منه كما تقدم والله اعلم
قوله تعالى فمن تمتع بالعمرة الى الحج الايه اختلف العلما من المخاطب بهذا
فقال عبد الله بن الزبير ان يحصر الرجل حتى يفوته الحج ثم يصل الى البيت فيحل
بعمره ثم يقضي الحج من قابل فهذا قد تمتع بما بين العمره الى الحج القضا وصورة
المتمتع المحصر عند غيره ان يحصر فيحل دون عمره ويوخرها حتى ياتي من
قابل فيعتمر في اشهر الحج ويحج من عامه وقال بن عباس وجماعه الايه في
المحصر وغيرهم ممن خلي سبيله   لا خلاف بين العلماء في
ان التمتع جايز على ما ياتي تفصيله وان الافراد جايز وان
القران جايز لان رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي كلا
ولم ينكر في حجته على احد من اصحابه بل اجازه لهم ورضيه منهم
صلى الله عليه وسلم وانما اختلف العلما فيما به رسول الله صلى الله عليه
محرما في حجته وفي الافضل من ذلك لاختلاف الاثار الوارده في
ذلك فقال قايلون منهم مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مفردا والافراد افضل من القران قال والقران افضل من التمتع
وفي صحيح مسلم عن عايشه قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال من اراد منكم ان يهل بحج وعمره فليفعل ومن اراد

وعلقمه وابراهيم الا انه في المحصر
دون الحل بسبيلهم وصوره التمتع عند ابن الزبير

ان يهل بحج فليهل ومن اراد ان يهل بعمره فليهل قالت عايشه واهل
رسول الله صلى الله وسلم بحج واهل به ناس معه واهل ناس بالعمره
الى الحج واهل ناس بعمره وكنت فيمن اهل بعمره رواه جماعه عن عايشه
هشام بن عروه عن ابيه عن عايشة وقال بعضهم فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم واما انا فاهل بالحج وهذا نص في موضع الخلاف وهو
حجه من قال بالافراد وفضله وحكى محمد بن الحسن عن مالك انه قال
اذا جا عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثان مختلفان وبلغنا ان ابا بكر
وعمر عملا باحد الحديثين وتركا الاخر كان في ذلك دلاله على ان الحق فيما
عملا به واستحب ابو ثور الافراد ايضا وفضله على التمتع والقران وهو
احد قولى الشافعي في المشهور عنه واستحب اخرون التمتع بالعمره
الى الحج قالوا ذلك افضل وهو مذهب عبدالله بن عمر وعبدالله بن
الزبير وبه قال احمد بن حنبل وهو احد قولى الشافعي قال الدارقطني
قال الشافعي اخترت الافراد والتمتع حسن لا نكرهه احتج من فضل
التمتع بما رواه مسلم عن عمران بن حصين قال نزلت اية المتعة في كتاب
الله يعني متعة الحج وامرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم تنزل
اية تنسخ متعة الحج ولم ينه عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات
قال رجل برايه ما شا الله وروى الترمذي نا قتيبه بن سعيد عن مالك
بن انس عن ابن شهاب عن محمد بن عبدالله بن الحارث بن نوفل انه سمع سعد
بن ابي وقاص والضحاك بن قيس لا يصنع ذلك الا من جهل امر الله تعالى
فقال سعد بيس ما قلت يا ابن اخي فقال الضحاك فان عمر بن الخطاب قد
نهى عن ذلك فقال سعد قد صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم

وصنعناها

وصنعناها معه هذا حديث صحيح وروي بن اسحق عن الزهري عن
سالم قال اني لجالس مع بن عمر في المسجد اذ جاءه رجل من اهل الشام فساله
عن التمتع بالعمره الى الحج فقال بن عمر حسن جميل قال فان اباك كان ينهى
عن ذلك فقال ويلك فان كان ابي نهى عنها وقد فعله رسول الله
صلى الله عليه وسلم وامر به فبقول ابي اخذ ام بامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم قم عني اخرجه واخرجه ابو عيسى الترمذي
من حديث صالح بن كيسان عن شهاب عن سالم وروي عن ليث بن طاوس
عن بن عباس قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
وعمر وعثمان واول من نهى عنها معاويه حديث حسن قال ابو عمر
حديث ليث هذا حديث منكر وهو ليث بن ابي سليم ضعيف
والمشهور عن عمر وعثمان انهما كانا ينهيان عن التمتع وان جماعه
من اهل العلم قد زعموا ان المتعه التي نهى عمر عنها وضرب عليها فسخ
الحج في العمره فاما التمتع بالعمره الى الحج فلا وزعم من صحح نهي عمر
عن التمتع انما نهى عنه لينتجع من بين اولئك في العام حتى تكثر
عمارته بكثره الزوار له في غير الموسم واراد ادخال الرفق على
اهل الحرم بدخول الناس تحقيقا لدعوة ابراهيم واجعل افيده
من الناس تهوي وقال اخرون انما نهى عنها لانه راى الناس مالوا
الى التمتع ليسارته وخفته فخشي ان يضيع الافراد والقران
وهما سنتان للنبي صلى الله عليه وسلم واحتج احمد في اختيار ه
التمتع بقوله صلى الله عليه وسلم لو استقبلت من امري ما
استدبرت ما سقت الهدي ولجعلتها عمره اخرجه الائمه وقال

اخرون القران افضل منهم ابو حنيفه والثوري وبه قال المزني قال
لانه يجوز مود باللفرضين جميعا وهو قول اسحاق قال اسحاق
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قارنا وهو قول علي بن ابي طالب
واحتج من استحب القران وفضله بما رواه البخاري عن عمر بن الخطاب
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك بعمرة وحجة
وقال الحديث حسن صحيح قال ابو عمر والافراد ان شا الله افضل
لان الاكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مفردا فلذلك قلنا انه
افضل لان الاثار اصح عنه في افراده صلى الله عليه وسلم ولان الافراد
اذا كثر عملا ثم العمرة عملا اخر وذلك كله طاعه والاكثر منها افضل
وقال ابو جعفر النحاس المفرد اكثر تعبا من المتمتع لاقامته على
الاحرام وذلك اعظم لثوابه والوجه في اتفاق الاحاديث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما امر بالتمتع جاز ان يقال تمتع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقرن بها قال جل وعز ونادى فرعون في قومه
وقال عمر بن الخطاب رجمنا ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانما امر بالرجم قلت الاظهر في حجته عليه السلام القران وانه
كان قارنا لحديث عمر وانس المذكورين وفي صحيح مسلم عن انس قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمرة وحجا وفي
صحيح مسلم ايضا عن ابن عباس قال اهل النبي صلى الله عليه وسلم
بعمرة واهل اصحابه بحج فلم يحل النبي صلى الله عليه وسلم ولا من ساق
الهدي من اصحابه وحل بقيتهم قال بعض اهل العلم كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قارنا واذا كان قارنا واذا كان قارنا فقد حج واعتمر

واتفقت

وانفقت الاحاديث وقال النحاس ومن احسن ما قيل في هذا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اهل بعمرة فقال من راه تمتع ثم اهل بحجة فقال
من راه افرد ثم قال لبيك بحجة وعمرة فقال من سمعه قرن فاتفقت الاحاديث
والدليل على هذا انه لم يرو احد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
افردت الحج ولا تمتعت وصح عنه انه قال قرنت كما رواه النسائي
عن علي انه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي ماذا
صنعت قلت اهللت باهلالك قال فاني سقت الهدي وقرنت
ثم اقبل على اصحابه فقال لو استقبلت من امري ما استدبرت
لفعلت كما فعلتم ولكني سقت الهدي وقرنت وثبت عن حفصة
قالت قلت يا رسول الله ما بال الناس قد حلوا من عمرتهم ولم
تحلل انت فقال اني لبدت راسي وسقت هديي فلا احل حتى
انحر وهذا بين انه كان قارنا لانه لو كان متمتعا او مفردا لم يمتنع من
نحر الهدي قلت ما ذكره النحاس انه لم يرو احد ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال افردت الحج فقد تقدم من رواية عايشة انه قال واما انا
فاهل بالحج فلم يبق في قوله فانا اهل بالحج دليل على الافراد وبقي قوله
صلى الله عليه وسلم فاني قرنت وقول انس خادمه انه سمعه يقول
لبيك بحجة وعمرة معا نص صريح في القران لا يحتمل التاويل وروى
الدارقطني عن عبد الله بن ابي قتادة عن ابيه قال انما جمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين الحج والعمرة لانه علم انه ليس بحاج بعدها
واذا ما مضى القول في الافراد والتمتع والقران
وان كل ذلك جايز باجماع فالتمتع بالعمرة الى الحج عند العلما على اربعة

اوجه منها وجه واحد مجتمع عليه والثلاثه مختلف فيها فاما الوجه
المجتمع عليه فهو التمتع المراد بقول الله جل وعز فمن تمتع بالعمره الى الحج
فما استيسر من الهدي وذلك ان يحرم الرجل في اشهر الحج على ما ياتي بيانها
وان يكون من اهل الافاق وقدم مكه ففرغ منها ثم اقام بمكه حلالا الى
ان انشا الحج منها في عامه ذلك قبل رجوعه الى بلده او قبل خروجه
الى ميقات اهل ناحيته فاذا فعل ذلك كان متمتعا وعليه ما اوجب الله
على المتمتع وذلك ما استيسر من الهدي يذبحه ويعطيه للمساكين بمنى
او بمكه فان لم يجد صام ثلاثه ايام وسبعه اذا رجع الى بلده على ما ياتي
وليس له صيام يوم النحر باجماع من المسلمين واختلف في صيام ايام التشريق
على ما ياتي فهذا اجماع من اهل العلم قديما وحديثا في المتعه ورابطها
ثمانيه شروط الاول ان يجمع بين الحج والعمره الثاني في سفر واحد الثالث
في عام واحد الرابع في اشهر الحج الخامس تقديم العمره السادس ان لا يمزجها
بجوز احرام الحج بعد الفراغ من العمره السابع ان تكون العمره والحج عن
شخص واحد الثامن ان يكون من غير اهل مكه وتامل هذه الشروط فيما
وصفنا من حكم المتمتع تجدها والوجه الثاني من وجوه التمتع بالعمره
الى الحج القران وهو ان يجمع بينهما في احرام واحد فيهل بهما جميعا
في اشهر الحج وغيرها يقول لبيك بحج وعمره معا فاذا قدم مكه طاف
لحجه وعمرته طوافا واحدا وسعى سعيا واحدا عند من رام ذلك وهم
ملك والشافعي واصحابهما واسحق وابو ثور وهو مذهب عبد الله
بن عمر وجابر بن عبد الله وعطا بن ابي رباح والحسن ومجاهد وطاوس
لحديث عايشه قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجه

الوداع

نخ بلد

الوداع فاهللنا بعمره الحديث وفيه واما الذين جمعوا بين الحج والعمرة
فانما طافوا طوافا واحدا اخرجه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم
لعايشه الم تكن طافت يوم النحر بالبيت وحاضت يسعك طوافك
لحجك وعمرتك في رواية تجزى عنك طوافك بالصفا والمروة عن حجك
وعمرتك اخرجه مسلم او طاف طوافين وسعى سعيين عند من راى ذلك
وهو ابو حنيفه واصحابه والثورى والاوزاعي والحسن بن صالح وبن
ابي ليلا وروي عن علي وبن مسعود وبه قال الشعبي وجابر بن زيد
واحتجوا باحاديث عن علي عليه السلام انه جمع بين الحج والعمره فطاف
لها طوافين وسعى لها سعيين وقال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعل اخرجها الدارقطني في سننه وضعفها كلها وانما جعل القران
من باب التمتع لان القارن يتمتع بترك النصب في السفر الى العمره مره
والى الحج اخرى ويتمتع بجمعهما ولم يحرم لكل واحده من ميقاته وضم
الحج الى العمره فدخل تحت قول الله عز وجل فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما
استيسر من الهدي فهذا وجه من التمتع لا خلاف فيه بين العلما في
جوازه واهل المدينة لا يجيزون الجمع بين الحج والعمرة الا بسياق الهدى
وهو عندهم بدنة لا يجوز دونها ومما يدل على ان القران بمنع قول
بن عمر انما جعل القران لاهل الافاق وتلى قول الله عز وجل ذلك لمن لم
يكن اهله حاضرى المسجد الحرام ومن تمتع او قرن لم يكن عليه دم قران
ولا تمتع قال مالك وما سمعت ان مكيا قرن فان فعل لم يكن عليه
هدي ولا صيام وعلى قول مالك جمهور الفقها في ذلك وقال عبد
الملك بن الماجشون اذا قرن المكي الحج مع العمره كان عليه دم القران

من اجل ان الله انما اسقط عن اهل مكه الدم والصيام في التمتع والوجه
الثالث من التمتع هو الذي توعد عليه عمر بن الخطاب وقال متعتان
كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا انهى عنهما او اعاقب عليهما
متعه النسا ومتعه الحج وقد تنازع العلما في جواز هذا بعد هلم جرا
وذلك ان يحرم الرجل بالحج حتى اذا دخل مكه فسخ حجه في عمره ثم حل
واقام حلالا حتى يهل بالحج يوم الترويه فهذا هو الوجه الذي تواردت
به الاثار عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه انه امر اصحابه في حجته من لم
يكن معه هدي ولم يسقه وقد كان احرم بالحج ان يجعلها عمره وقد اجمع
العلما على تصحيح الاثار بذلك عنه صلى الله عليه وسلم ولم يدفعوا
شيا منها الا انهم اختلفوا في القول بها والعمل لعلل فجمهورهم على ترك
العمل بها لانها عندهم خصوص خص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصحابه في حجته تلك قال ابو ذر كانت المتعه لنا في الحج خاصه اخرجه
مسلم وفي روايه قال لا تصلح المتعتان الا لنا خاصه يعني متعه النسا
ومتعه الحج والعله في الخصوصيه ووجه الفايده فيها ما قاله بن عباس
رضي الله عنه قال كانوا يرون العمره في اشهر الحج من افجر الفجور في الارض
ويجعلون المحرم صفرا ويقولون اذا برا الدبر وعفا الاثر وانسلخ صفر
حلت العمره لمن اعتمر قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه صبيحه
رابعه مهلين بالحج فامرهم ان يجعلوها عمره فتعاظم ذلك عندهم
فقالوا اي الحل فقال الحل كله اخرجه مسلم وفي المسند الصحيح لابي حاتم
عن بن عباس قال والله ما اعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عايشه في
ذي الحجه الا ليقطع بذلك امر اهل الشرك فان هذا الحي من قريش ومن

دار دينهم كانوا يقولون اذا عفا الوبر وبرا الدبر وانسلخ صفر
فقد حلت العمرة لمن اعتمر وكانوا يحرمون العمرة حتى ينسلخ ذو الحجة
فما اعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لينقض ذلك من قولهم
ففي هذا دليل على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما فسخ الحج في
العمرة ليريهم ان العمرة في اشهر الحج لا باس بها وكان ذلك له ولمن
معه خاصة لان الله عز وجل قد امر باتمام الحج والعمرة كل من
دخل فيها امرا مطلقا ولا يجب ان يخالف ظاهر كتاب الله الا الى ما
لا اشكال فيه من كتاب ناسخ او سنة مبينة واحتجوا بما ذكرناه
عن ابي ذر وبحديث الحارث بن بلال عن ابيه قال قلنا يا رسول الله
فسخ الحج لنا خاصة ام للناس عامة قال بل لنا خاصة وعلى هذا
جماعة فقها الحجاز والعراق والشام الا شي يروى عن ابن عباس والحسن
والسدي وبه قال احمد بن حنبل قال احمد لا ارد تلك الاثار الوارده
المتواترة الصحاح في فسخ الحج والعمرة بحديث الحارث بن بلال
عن ابيه وبقول ابي ذر قال ولو اجمعوا اذا لحجة قال وقد خالف
ابن عباس ابا ذر ولم يجعله خصوصا واحتج احمد بالحديث الصحيح حديث
جابر الطويل في الحج وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو اني
استقبلت من امري ما استدبرت لم اسق الهدي ولجعلتها عمرة
فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله العامنا هذا
ام لابد فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم اصابعه واحدة في
اخرى وقال دخلت العمرة في الحج مرتين لا بل لابد ابد لفظ مسلم
والى هذا والله اعلم مال البخاري حيث ترجم باب من لبى بالحج وسماه

وسا في حديث جابر بن عبد الله قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونحن نقول لبيك بالحج فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجعلناها عمرة وقال قوم ان امر النبي صلى الله عليه وسلم بالاحلال
كان على وجه اخر ذكر مجاهد ذلك الوجه وهو ان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما كانوا فرضوا الحج اولا بل امرهم ان يهلوا به
مطلقا وينتظرون ما امروا به وكذلك اهل علي باليمن وكذلك كان
احرام النبي صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اتاني ات
من ربي في هذا الوادي المبارك وقال قل حجة في عمرة والوجه الرابع
من المتعة متعة المحصر ومن صد عن البيت ذكر يعقوب بن شيبة
قال ثنا ابو سلمة التبوذكي ثنا وهيب ثنا اسحق بن سويد قال
سمعت عبد الله بن الزبير وهو يخطب وهو يقول ايها الناس انه
والله ليس التمتع بالعمرة الى الحج كما تصنعون ولكن التمتع ان يخرج
فيأتي البيت فيطوف الرجل حاجا فيحبسه عدو او امر يعذر به حتى
حاجا
تذهب ايام الحج فيأتي البيت فيطوف ويسعى بين الصفا والمروة
ثم يتمتع بحله الى العام المستقبل ثم يحج ويهدي وقد مضى
القول في حكم المحصر وما للعلماء في ذلك مبينا والحمد لله فكان
من مذهبه ان المحصر لا يحل ولكنه يبقى على احرامه حتى يذبح عنه
الهدي يوم النحر ثم يحلق ويبقى على احرامه حتى يقدم مكة فيتحلل
من حجه بعمل عمرة والذي ذكره ابن الزبير خلاف عموم قوله تعالى
فان احصرتم فما استيسر من الهدي بعد قوله واتموا الحج والعمرة لله
ولم يفصل في حكم الاحصار بين الحج والعمرة والنبي صلى الله عليه وسلم

واصحابه

واصحابه حين احرموا بالحج بيبه حلوا وحل وامرهم بالاحلال
واختلف العلما ايضا لم سمي المتمتع متمتعا فقال ابن القاسم لانه تمتع
بكل ما لا يجوز للمحرم فعله من وقت حله في العمرة الى وقت انشائه
الحج وقال غيره سمي متمتعا لانه تمتع باسقاط احد السفرين وذلك
ان حق العمرة يقصد بسفر وحق الحج كذلك فلما تمتع باسقاط احدهما
الزمه الله هديا كالقارن الذي يجمع بالحج والعمرة في سفر واحد
والوجه الاول اعم فانه يتمتع بكل ما يجوز للحلال ان يفعله وسقط
عنه السفر لحجه من بلده وسقط عنه الاحرام من ميقاته في الحج وهذا
هو الوجه الذي كرهه عمر وابن مسعود وقالا او قال احدهما يأتي
احدكم منى وذكره يقطر منيا وقد اجمع المسلمون على جواز هذا وقد
قال جماعة من العلما انما كرهه عمر لانه احب ان يزار البيت في العام
مرتين مرة للحج ومرة للعمرة وراى الافراد افضل فكان يامر به ويميل
اليه وينهى عن غيره استحبابا ولذلك قال افصلوا بين حجكم وعمرتكم
فانه اتم لحج احدكم ولعمرته ان يعتمر في غير اشهر الحج
اختلف العلما فيمن اعتمر في اشهر الحج ثم رجع الى بلده ومنزله ثم حج من
عامه فقال الجمهور من العلما ليس بمتمتع وان رجع الى اهله حج او لم
يحج قال لانه كان يقال عمرة في اشهر الحج متعة رواه هشيم عن يونس
عن الحسن ليس عليه هدي والصحيح القول الاول هكذا ذكره
ابو عمر حج او لم يحج ولم يذكر ابن المنذر قال ابن المنذر وحجته ظاهر
الكتاب قوله عز وجل فمن تمتع بالعمرة الى الحج ولم يستثن راجعا الى اهله
وغير راجع ولو كان لله جل ثناوه في ذلك مراد لبينه في كتابه او على

ايضا

لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وقد روي عن سعيد بن المسيب مثل
قول الحسن قال ابو عمر وقد روي عن الحسن في هذا الباب قول لم
يتابع عليه ايضا ولا ذهب اليه احد من اهل العلم وذلك انه قال
من اعتمر بعد يوم النحر فهي متعه وقد روي عن طاوس قولا هما اشد
شذوذا مما ذكرنا عن الحسن احدهما ان من اعتمر في غير اشهر الحج ثم
اقام حتى الحج ثم حج من عامه من عامه انه متمتع وهذا لم يقل به احد
من العلما غيره ولا ذهب اليه احد من فقها الامصار وذلك والله
اعلم ان شهور الحج احق بالحج من العمره لان العمره جايزه في السنه كلها
والحج انما هو اشهر معلومه فاذا جعل احد العمره في اشهر الحج فقد جعلها
في موضع كان الحج اولى به الا ان الله تعالى قد رخص في كتابه وعلى لسان
رسوله صلى الله عليه وسلم في عمل العمره في اشهر الحج للمتمتع وللقارن ولمن شا
ان يفردها رحمة منه وجعل فيه ما استيسر من الهدي والوجه الاخر
قاله في المكي اذا تمتع من مصر من الامصار فعليه الهدي وهذا لم يعرج
عليه لظاهر قوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام والتمتع
الجايز عند جماعة العلما ما اوضحنا بالشرايط الذي ذكرنا وبالله توفيقنا

اجمع العلما على ان رجلا من غير مكه لو قدم معتمرا في غير اشهر
الحج عازما على الاقامه بها ثم انشا الحج من عامه فحج انه متمتع عليه ما على
المتمتع واجمعوا ان المكي يجي من ورا الميقات محرما بعمره ثم ينشي الحج من مكه
واهله بمكه ولم يسكن سواها انه لا دم عليه وكذلك اذا سكن غيرها
وسكنها وكان له فيها اهل وفي غيرها واجمعوا على انه ان انتقل من مكه باهله
ثم قدمها في اشهر الحج معتمرا فاقام بها حتى حج من عامه انه متمتع

السابعه

واتفق ملك والشافعي وابو حنيفه واصحابهم والثوري
وابو ثور على ان المتمتع يطوف لعمرته بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة
وعليه بعد ايضا الطواف اخر لحجه وسعي بين الصفا والمروة وروي عن عطا
وطاوس انه يكفيه سعي واحد بين الصفا والمروة والاول المشهور وهو الذي
عليه الجمهور واما الطواف القارن فقد تقدم واختلفوا
فيمن انشا عمرة في غير اشهر الحج ثم عملها في اشهر الحج فقال ملك عمرته في
الشهر الذي دخل فيه يريد ان كان احل منها في غير اشهر الحج فليس بمتمتع وان
كان احل منها في اشهر الحج فهو متمتع ان حج من عامه وذلك ان العمرة انما تكمل
بالطواف بالبيت وانما ينظر الى كمالها وهو قول الحسن البصري والحكم بن
عيينه وابن شبرمه وسفين الثوري وقال قتاده واحمد واسحاق عمرته
للشهر الذي اهل منه وروي معنى ذلك عن جابر بن عبد الله وقال
طاوس عمرته للشهر الذي يدخل فيه الحرم وقال اصحاب الراي ان
طاف لها ثلاثه اشواط في رمضان واربعه اشواط في شوال حج من عامه انه
متمتع وان طاف في رمضان اربعه اشواط وفي شوال ثلثه اشواط لم
يكن متمتعا وقال ابو ثور اذا دخل في العمرة في غير اشهر الحج فسوا طاف
لها في رمضان او في شوال لا يكون بهذه العمرة متمتعا وهو معنى قول احمد
واسحق عمرته للشهر الذي اهل فيه اجمع اهل العلم على
ان لمن اهل بعمرة في اشهر الحج ان يدخل عليها الحج ما لم يفتتح الطواف
بالبيت ويكون قارنا بذلك يلزمه ما يلزم القارن الذي انشا الحج والعمرة
معا واختلفوا في ادخال الحج على العمرة بعد افتتاح الطواف فقال ملك
يلزمه ذلك ويصير قارنا ما لم يتم طوافه وروي مثله عن ابي حنيفه والمشهور

عنه انه لا يجوز الا قبل الاخذ في الطواف وقد قيل له ان يدخل الحج على عمرته
مالم يركع ركعتي الطواف وهذا ذلك قول ملك واصحابه فاذا طاف المعتمر
شوطا واحدا لعمرته ثم احرم بالحج صار قارنا وسقط عنه باقي عمرته ولزمه
دم القران وكذلك من احرم بالحج في اضعاف طوافه او بعد فراغه منه
قبل ركوعه وقال بعضهم له ان يدخل الحج على العمرة مالم يكمل السعي بين الصفا
والمروة قال ابو عمر وهذا كله شذوذ عند اهل العلم وقال اشهب اذا
طاف لعمرته شوطا واحدا لم يلزمه الاحرام به ولم يكن قارنا ومضى على
عمرته حتى يتمها ثم يحرم بالحج وهذا قول الشافعي وعطا وبه قال ابو ثور

واختلفوا في ادخال العمرة على الحج فقال ملك وابو
ثور واسحق لا يدخل العمرة على الحج ومن اضاف العمرة الى الحج فليست العمرة
بشي قاله ملك وهو احد قولي الشافعي وهو المشهور عنه بمصر وقال ابو حنيفه
واصحابه والشافعي في القديم يصير قارنا ويكون عليه ما على القارن
مالم يطف لحجته شوطا واحدا فان طاف لم يلزمه لانه قد عمل في الحج قال
بن المنذر وبقول ملك اقول في هذه المسئله

قال ملك من اهدى هديا للعمرة وهو متمتع لم يجزه ذلك وعليه هدى
اخر لمتعته لانه انما يصير متمتعا اذا انشا الحج ان حل من عمرته وحينئذ
يجب عليه الهدي وقال ابو حنيفه وابو ثور واسحق لا ينحر هديه
الى يوم النحر وقال احمد ان قدم المتمتع قبل العشر طاف وسعى ونحر هديه
وان قدم في العشر لم ينحر الا يوم النحر وقاله عطا وقال الشافعي يحل
من عمرته اذا طاف وسعى ساق هديا او لم يسقه

واختلف ملك والشافعي في المتمتع يموت فقال الشافعي اذا احرم بالحج

وجب

وجب عليه دم المتعه اذا كان واجدا لذلك حكاه الزعفراني عنه وروي
بن وهب عن ملك انه سيل عن المتمتع يموت بعد ما يحرم بالحج بعرفه او غيرها
اترى عليه هديا قال من مات من اوليك قبل ان يرمي جمرة العقبه فلا ارى
عليه هديا ومن رمى الجمره ثم مات فعليه الهدي قيل من راس المال او
من الثلث قال بل من راس المال   قوله تعالى فما
استيسر من الهدي قد تقدم الكلام فيه   تعالى فمن لم يجد
فصيام ثلاثه ايام في الحج الى قوله شديد العقاب فيه عشر مسايل
قوله تعالى فمن لم يجد يعني الهدي اما لعدم المال او لعدم الحيوان
فصيام ثلثه ايام في الحج وسبعه اذا رجع الى بلده والثلاثه ايام في الحج اخرها
يوم عرفه هذا قول طاوس وروي عن الشعبي وعطا ومجاهد والحسن البصري
والنخعي وسعيد بن جبير وعلقمه وعمرو بن دينار واصحاب الراي حكاه
بن المنذر وحكى ابو ثور عن ابي حنيفه يصومها في احرامه بالعمره لانه احد
احرامي المتمتع فجاز صوم الايام فيه كاحرامه بالحج وقال ابو حنيفه
ايضا واصحابه يصوم قبل يوم التروية يوما ويوم التروية
ويوم عرفه وقال بن عباس ومالك بن انس له ان يصومها منذ يحرم
بالحج الى يوم النحر لان الله تعالى قال فصيام ثلاثه ايام في الحج فاذا
صامها في العمره فقد اتاه قبل وقته فلم يجزه وقال الشافعي واحمد
بن حنبل يصومهن ما بين ان يهل بالحج الى يوم عرفه وهو قول
بن عمر وعايشه وروي هذا عن مالك وهو مقتضى قوله في موطاه
ليكون يوم عرفه مفطرا فذلك اتبع للسنه واقوى على العبادة
وسياتي وعن احمد ايضا جايز ان يصوم الثلثه قبل ان يحرم وقال

الثوري والاوزاعي يصومهن من اول ايام العشر وبه قال عطا
وقال عروه يصوم مضى ما دام بمكة في ايام منى و قاله ايضا ملك
وجماعة من اهل المدينه وايام منى هي ايام التشريق الثلثه التي تلى
يوم النحر وروى ملك في الموطا عن عايشه ام المومنين انها كانت
تقول الصيام لمن تمتع بالعمرة الى الحج لمن لم يجد هديا ما بين ان
يهل بالحج الى يوم عرفه فان لم يصم صام ايام منى وهذا اللفظ
يقتضى صحه الصوم من وقت يحرم بالحج المتمتع الى يوم عرفه و
ذلك مبدا اما لانه وقت الادا وما بعد ذلك من ايام منى وقت
القضا على ما يقوله اصحاب الشافعي واما لان في تقدم الصيام
قبل يوم النحر ابرا للذمه وذلك مامور به والاظهر من المذهب
انها على وجه الادا وان كان الصوم قبلها افضل لوقت الصلاه الذي
فيه سعه للادا وان كان اوله افضل من اخره وهذا هو الصحيح وانها
ادا لا قضا فان قوله في ايام الحج يحتمل ان يريد موضع الحج ويحتمل ان
يريد ايام الحج فان كان المراد ايام الحج فهذا القول صحيح لان اخر ايام
الحج يوم ويحتمل ان يكون اخر ايام الحج ايام الرمي لان الرمي عمل من
عمل الحج خالصا وان لم يكن من اركانه وان كان المراد موضع الحج
فانه ما دام بمكة في ايام منى كما قال عروة ويقوى جدا وقد قال
قوم له ان يوخرها ابدا الى ايام التشريق لانه لا يجب عليه الصيام
الا بان يعدم الهدي يوم النحر فان قيل وهي فقد ذهب
جماعه من اهل المدينه والشافعي في الجديد وعليه اكثر اصحابه الى انه
لا يجوز صوم ايام التشريق لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

صيام

صيام ايام منى قيل ان ثبت النهي فهو عام يخص منه المتمتع بما ثبت
في البخاري ان عايشه رضي الله عنها كانت تصومها وعن بن عمر وعايشه
قالا لم يرخص في ايام التشريق ان يصمن الا لمن لا يجد الهدي وقال
الدارقطني اسناد صحيح ورواه مرفوعا عن بن عمر وعايشه من طرق
ثلثه ضعيفه وانما رخص في صومها لانه لم يبق من ايامه الا بمقدارها
وبذلك يتحقق وجوب الصوم لعدم الهدي قال بن المنذر وقد روينا
عن علي بن ابي طالب انه قال اذا فاته الصوم صام بعد ايام التشريق
وقاله الحسن وعطا قال بن المنذر وبذلك نقول وقالت طايفه
اذا فاته الصوم في العشر لم يجزه الا الهدي روي ذلك عن بن عباس
وسعيد بن جبير وطاوس ومجاهد وحكاه ابو عمر عن ابي حنيفه
واصحابه عنه فتامله اجمع العلما على ان الصوم
لا سبيل للمتمتع اليه اذا كان يجد الهدي واختلفوا فيه اذا كان
غير واجد للهدي فصام ثم وجد الهدي قبل اكمال صومه فذكر بن
وهب عن مالك قال اذا دخل في الصوم ثم وجد هديا فاحب
الي ان يهدي فان لم يفعل اجزاه الصيام وقال الشافعي يمضي في
صومه وهو فرضه وكذلك قال ابو ثور وهو قول الحسن وقتاده
واختاره بن المنذر وقال ابو حنيفه اذا ايسر في اليوم الثالث
من صومه بطل صومه ووجب عليه الهدي وان صام ثلثه ايام
في الحج ثم ايسر كان له ان يصوم السبعه الايام لا يرجع الى الهدي
وبه قال الثوري وبن ابي نجيح وحماد قوله تعالى
وسبعه قراه الجمهور بالخفض على العطف وقرا زيد بن علي وسبعة

قوله تعالى اذا رجعتم

بالنصب على معنى وصوموا سبعه
يعني الى بلادكم قاله بن عمر وقتاده والربيع ومجاهد وعطا وقاله
ملك في كتاب محمد وبه قال الشافعي وقال قتادة والربيع هذه
رخصة من الله تعالى فلا يجب على احد صوم السبعه الا اذا وصل وطنه
الا ان يتشدد احد كما يفعل من يصوم في السفر في رمضان وقال احمد
واسحق يجزيه الصوم في الطريق وروى مجاهد وعطا قال مجاهد
ان شاء صامها في الطريق انما هي رخصه وكذلك قال عكرمه والحسن
والتقدير عند بعض اهل اللغه اذا رجعتم من الحج اي اذا رجعتم
الى ما كنتم عليه قبل الاحرام من الحل وقال ملك في الكتاب اذا رجع
من منى فلا باس ان يصوم قال بن العربي ان كان تخفيفا و رخصه فيجوز تقديم
الرخص وترك الرفق فيها الى العزيمه اجماعا وان كان ذلك توقيتا فليس
فيه نص ولا ظاهر انه اراد البلاد وانما المراد في الاغلب قلت
بل فيه ظاهر يقرب الى النص يبينه ما رواه مسلم عن بن عمر قال تمتع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجه الوداع بالعمره الى الحج وكان
من الناس من اهل فساق الهدي ومنهم من لم يهد فلما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكه قال للناس من كان منكم اهدى فليطف
بالبيت وبالصفا وبالمروه وليقصر وليحلل ثم ليهلل بالحج وليهد فمن
لم يجد فليصم ثلاثه ايام في الحج وسبعه اذا رجع الى اهله وهذا
كالنص في انه لا يجوز صوم السبعه الايام الا في بلده واهله
والله اعلم وكذا قال البخاري في حديث بن عباس ثم امرنا عشيه التروية
ان نهل بالحج فاذا فرغنا من المناسك جينا فطفنا بالبيت وبالصفا

والمروة

والمروة فقد تم حجنا وعلينا الهدي كما قال الله فما استيسر من الهدي
لمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم
الحديث قال النحاس وفي هذا اجماع   قوله تعالى تلك
عشرة كاملة يقال كمل يكمل مثل نصر ينصر وكمل يكمل مثل عظم يعظم
وكمل يكمل مثل حمد يحمد ثلث لغات واختلفوا في معنى قوله تلك عشرة
وقد علم انها عشرة فقال الزجاج لما جاز ان يتوهم التخيير بين ثلاثة
في الحج او سبعة اذا رجع بدلا منها لانه لم يقل وسبعة اخرى ازيل
ذلك بالجملة من قوله تلك عشرة ثم قال كاملة فقال الحسن كاملة
في الثواب كمن اهدى وقيل كاملة في البدل من الهدي يعني العشرة كلها
بدل عن الهدي وقيل كاملة في الثواب كمن لم يتمتع وقيل لفظها لفظ
الاخبار ومعناها الامر اي اكملوها فذلك فرضها وقال المبرد عشرة
دلالة على انقضا العدد لئلا يتوهم متوهم انه قد بقي منه شي
بعد ذكر السبعة وقيل هو توكيد كما تقول كتبت بيدي ومنه
قول الشاعر   ثلاث واثنتان فهن خمس وسادسة تميل الى
سمامي   فقوله خمس توكيد ومثله قول الاخر   ثلاث
بالغداة فذاك حسبي وست حين يدركني العشا   فذلك
تسعة في اليوم ري وشرب المرء فوق الري دا   وقوله كاملة
تاكيد اخر فيه زيادة توصية بصيامها وان لا ينقص من صيام عددها
كما تقول لمن تامره بامر جد بامر الله لا تنقصه   قوله تعالى
ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام اي انما يجب دم المتمتع على
الغريب الذي ليس من حاضري المسجد الحرام خرج البخاري عن ابن عباس

انه سيل عن متعه الحج فقال اهل المهاجرون والانصار وازواج
النبي صلى الله عليه وسلم في حجه الوداع واهللنا فلما قدمنا مكه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة
الا من قلد الهدي طفنا بالبيت وبالصفا والمروة واتينا النسا ولبسنا
الثياب وقال من قلد الهدي فانه لا يحل حتى يبلغ محله ثم امرنا عشيه
التروية ان نهل بالحج فاذا فرغنا من المناسك جينا فطفنا بالبيت
وبالصفا والمروة فقد تم حجنا وعلينا الهدي كما قال الله تعالى فما
استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثه ايام في الحج وسبعه اذا
رجعتم الى امصاركم الشاة تجزي فجمعوا نسكين في عام بين الحج والعمرة
فان الله انزله في كتابه وسنه نبيه واباحه للناس غير اهل مكه قال
الله عز وجل ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام واشهر التي ذكر
الله عز وجل شوال وذو القعده وذو الحجه فمن تمتع في هذه الاشهر
فعليه دم او صوم والرفث الجماع والفسوق المعاصي والجدال
المرا اللام في قوله لمن بمعنى على اي وجوب الدم على من لم
يكن من اهل مكه لقوله اشترطي لهم الولا وقوله تعالى وان اسا تم
فلها اي فعليها وذلك اشاره الى التمتع والقران للغريب عند
ابي حنيفه واصحابه لا متعه ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم
ومن فعل ذلك كان عليه دم جنايه لا يا كل منه لانه ليس بدم تمتع
وقال الشافعي لهم تمتع وقران والاشاره ترجع الى الهدي والصيام
فلا هدي ولا صيام عليهم وفرق عبد الملك بن الماجشون بين التمتع
والقران فاوجب الدم في القران واسقطه في التمتع على ما تقدم

منه

منه واختلف الناس في حاضري المسجد الحرام بعد الاجماع
على ان اهل مكه وما اتصل بها من حاضريه وقال الطبري بعد الاجماع على
اهل الحرام قال بن عطيه وليس كما قال فقال بعض العلما من كان من يجب
عليه الجمعه فهو حضري ومن كان بعد ذلك فهو بدوي فجعل اللفظه من
الحضارة والبداوه وقال ملك واصحابه هم اهل مكه وما اتصل بها
خاصة وعند الشافعي واصحابه هم اهل المواقيت او من اهل ما وراها
فهم من حاضري المسجد الحرام وقال الشافعي في اصحابه هم من لا يلزمه
تقصير الصلاة من موضعه الى مكه وذلك اقرب المواقيت وعلى هذه
الاقوال مذاهب السلف في تاويل الايه قوله
تعالى واتقوا الله اي فيما فرض عليكم وقيل هو امر بالتقوى على العموم
وتحذير من شدة عقابه تعالى الحج اشهر معلوما تالى
قوله يا ولي الالباب فيه ثلاث عشرة مسئله لما ذكر الحج
والعمرة سبحانه وتعالى في قوله واتموا الحج والعمرة لله بين اختلافهما
في الوقت فجميع السنه وقت للاحرام بالعمرة ووقت العمرة واما الحج
فيقع في السنه مرة فلا يكون في غير هذه الاشهر والحج اشهر معلومات
ابتدا وخبر وفي الكلام حذف تقديره اشهر الحج اشهر ووقت الحج اشهر
ووقت عمل الحج اشهر وقيل التقدير الحج في اشهر ويلزمه مع سقوط
حرف الجر نصب الاشهر ولم يقرا احد بنصبها الا انه يجوز في الكلام النصب
على انه ظرف قال الفرا الاشهر رفع لان معناه وقت الحج اشهر معلومات
قال الفرا وسمعت الكسايي يقول انما الصيف شهران وانما الطيلسان
ثلاثة اشهر اراد وقت الصيف ووقت لباس الطيلسان فحذف

واختلف في الاشهر المعلومات فقال بن مسعود
وبن عمر وعطا والربيع ومجاهد والزهري اشهر الحج شوال وذو القعده
وذو الحجه كله وقال بن عباس والسدي والشعبي والنخعي هي شوال
وذو القعده وعشر ليالٍ من ذي الحجه وروي عن بن مسعود وقاله
الزبير والقولان مرويان عن مالك حكى الاخير بن حبيب والاول بن
المنذر وفايده الفرق تعلق الدم لمن قال ان ذو الحجه كله من اشهر الحج
لم يرد ما فيما يقع من الاعمال بعد يوم النحر لانها في اشهر الحج وعلى
القول الاخير ينقضي الحج بيوم النحر ويلزم الدم فيما عمل بعد ذلك
لتاخيره عن وقته لم يسم الله تعالى اشهر الحج في كتابه لانها
كانت معلومه عندهم ولفظ الاشهر قد يقع على شهرين وبعض الثالث
لان بعض الشهر يتنزل منزله كله كما يقال رايتك سنه كذا او على عهد
فلان ولعله انما راه في ساعه منها فالوقت يذكر بعضه بجمله كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم ايام منى ثلاثه وانما هي يومان وبعض الثالث
ويقولون رايتك اليوم وجيتك العام وقيل لما كان الاثنان وما فوقهما
جمع قال اشهر والله اعلم اختلف في الاهلال بالحج في
غير اشهر الحج فروي عن بن عباس من سنه الحج ان يحرم به في اشهر الحج وقال
عطا ومجاهد وطاوس والاوزاعي من احرم بالحج قبل اشهر الحج لم
يجزه ذلك عن حجه ويكون عمره كمن دخل في صلاه قبل وقتها فانها لا
تجزيه وتكون نافله وبه قال الشافعي وابو ثور وقال الاوزاعي يجعل
بعمره وقال احمد بن حنبل هذا مكروه وروي عن مالك والمشهور عنه
جواز الاحرام بالحج في جميع السنه كلها وهو قول ابي حنيفه وقال

النخعي

النخعي لا يحل حتى يقضي حجه لقوله تعالى ويسالونك عن الاهله قل هي
مواقيت للناس والحج وقد تقدم القول فيها وما ذهب اليه الشافعي
اصح لان تلك عامة وهذه الاية خاصه ويحتمل ان يكون من باب النص
على بعض اشخاص العموم لفضل هذه الاشهر على غيرها وعليه فيكون
قول مالك صحيحا والله اعلم قوله تعالى فمن فرض
فيهن الحج اي الزمه نفسه بالشروع فيه بالنيه قصدا باطنا وبالاحرام
فعلا ظاهرا وبالتلبية نطقا مسموعا قاله بن حبيب وابو حنيفه
في التلبيه وليست التلبيه عند الشافعي من اركان الحج وهو قول
الحسن بن حي قال الشافعي تكفي النيه في الاحرام بالحج واوجب التلبيه
اهل الظاهر وغيرهم واصل الفرض في اللغه الحز والقطع ومنه
فرضه القوس والنهر والحبل ففرضية الحج لازمه للعبد الحر كلزوم الحز
للقدح وقيل فرض اي ابان وهذا يرجع الى القطع لان من قطع شيا
فقد ابانه عن غيره ومن رفع بالابتدا ومعناها الشرط والخبر قوله
فرض لان من ليست بموصوله فكانه قال رجل فرض وقال فيهن ولم
يقل فيها فقال قوم هما سوا في الاستعمال وقال المازني ابو عثمان
الجمع الكثير لما لا يعقل ياتي بالواحده المونثه والقليل ليس كذلك
يقول الاجذاع انكسرن والجذوع انكسرت ويويد ذلك قوله
تعالى ان عدة الشهور ثم منها قوله تعالى فلا رفث
قال بن عباس وبن جبير والسدي وقتادة والحسن وعكرمه والزهري
ومجاهد ومالك الرفث الجماع اي فلا جماع لانه يفسده واجمع العلما
على ان الجماع قبل الوقوف بعرفه يفسد الحج وعليه حج قابل والهدي

وقال عبد الله بن عمر وطاوس وعطا وغيرهم الرفث الافحاش للمراة بالكلام كقوله اذا احللنا فعلنا بك كذا من غير كناية وقاله بن عباس ايضا وانشد وهو محرم   وهن يمشين بنا هميسا ان يصدق الطير ننك لميسا فقال له صاحبه حصين بن قيس ارفثت وانت محرم فقال ان الرفث ما قيل عند النسا وقال قوم الرفث الافحاش بذكر النسا كان ذلك بحضرتهن ام لا وقيل الرفث كلمة جامعة لما يريد الرجل من اهله وقال ابو عبيدة الرفث اللغا من الكلام   وانشد
ورب اسراب حجيج كظم عن اللغا ورفث التكلم   يقال رفث يرفث بكسر الفا وضمها وقرا بن مسعود فلا رفوث على الجمع قال بن العربي المراد بقوله فلا نفيه مشروعا لا موجودا فانا نجد الرفث فيه ونشاهده وخبر الله سبحانه لا يجوز ان يقع بخلاف مخبره وانما يرجع النفي الى وجوده مشروعا لا الى وجوده محسوسا كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء معناه مشروعا لاحسا فانا نجد المطلقات لا يتربصن فعاد النفي الى الحكم الشرعي لا الى الوجود الحسي وهذا كقوله تعالى لا يمسه الا المطهرون اذا قلنا انه وارد في الادميين وهو الصحيح ان معناه لا يمسه احد منهم شرعا فان وجد المس فعلى خلاف حكم الشرع وهذه الدقيقة التي فاتت العلما فقالوا ان الخبر يكون بمعنى النهي وما وجد ذلك قط ولا يصح ان يوجد فانهما يختلفان حقيقة ويتضادان وصفا   قوله تعالى ولا فسوق يعني جميع المعاصي كلها قاله بن عباس وعطا والحسن وكذلك قال بن عمر وجماعة الفسوق اتيان معاصي الله عز وجل في حال احرامه بالحج كقتل الصيد وقص الظفر واخذ

الشعر

الشعر وشبه ذلك وقال ابن زيد ومالك الفسوق الذبح للاصنام ومنه
قوله تعالى او فسقا اهل لغير الله به وقال الضحاك الفسوق التنابز
بالالقاب ومنه قوله تعالى بئس الاسم الفسوق وقال ابن عمر ايضا الفسوق
السباب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله
كفر والقول الاول اصح لانه يتناول جميع الاقوال قال صلى الله
عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه والحج المبرور
ليس له جزا الا الجنة خرجه مسلم وغيره وجا عنه صلى الله عليه وسلم انه
قال والذي نفسي بيده ما بين السما والارض من عمل افضل من الجهاد في
سبيل الله او حجة مبرورة لا رفث فيها ولا فسوق ولا جدال وقال
الفقها الحج المبرور هو الذي لم يعص الله فيه في اثنا اداية وقال الفقرا
هو الذي لم يعص الله بعده ذكر القولين ابن العربي رحمه الله **قلت**
الحج المبرور هو الذي لم يعص فيه ولا بعده قال الحسن الحج المبرور هو الذي
يرجع صاحبه زاهدا في الدنيا راغبا في الاخرة وقيل غير هذا وسياتي

قوله تعالى ولا جدال في الحج قرى فلا رفث ولا فسوق
بالرفع والتنوين فيهما وقرى بالنصب بغير تنوين واجمعوا على الفتح
في ولا جدال وهو يقوي قراة النصب فيما قبله ولان المقصود النفي
العام من الرفث والفسوق والجدال وليكون الكلام على نظام واحد
في عموم النفي كله وعلى النصب اكثر القرا والاسما الثلثة في موضع رفع
كل واحد مع لا وقوله في الحج خبر عن جميعها ووجه قراة الرفع ان لا
بمعنى ليس فارتفع الاسم بعدها لانه اسمها والخبر محذوف تقديره
فليس رفث ولا فسوق في الحج دل عليه في الحج الثاني الظاهر وهو خبر

لاجدال وقال ابو عمرو بن العلا الرفع بمعنى فلا يكونن رفث ولا فسوقا
اي شي يخرج من الحج ثم ابتدا النفي فقال ولا جدال قلت فيحتمل ان
يكون كان تامه مثل قوله وان كان ذو عسره فلا يحتاج الى الخبر ويحتمل
ان تكون ناقصه والخبر محذوف لما تقدم انفا ويجوز ان ترفع رفث
وفسوق بالابتدا ولا للنفي والخبر محذوف ايضا وقرا ابو جعفر بن
القعقاع بالرفع في الثلاثه ورويت عن عاصم في بعض الطرق وعليه
يكون في الحج خبر الثلاثه كما قلنا في قراه النصب وانما لم يحسن ان يكون
في الحج خبر الجميع مع اختلاف القراة لان خبر ليس منصوب وخبر ولا
جدال مرفوع مقطوع من الاول وهو في موضع رفع بالابتدا ولا
يعمل فلان في اسم واحد ويجوز فلا رفث ولا فسوق تقطعه على
الموضع وانشد النحويون لا نسب اليوم ولا خلة اتسع
الخرق على الراقع ويجوز في الكلام فلا رفث ولا فسوقا ولا جدالا
في الحج عطفا على اللفظ على ما كان يجب في لا قال الفرا ومثله فلا اب
وابنا مثل مروان وابنه اذا هو بالمجد ارتدا وتازرا وقرا ابو
رجا العطاردي فلا رفث ولا فسوق بالنصب فيهما ولا جدال
بالرفع والتنوين وانشد الاخفش هذا وجدكم الصغار
بعينه لا ام لي ان كان ذاك ولا اب وقيل ان معنى فلا رفث
ولا فسوق النهي اي لا ترفثوا ولا تفسقوا ومعنى ولا جدال النفي فلما
اختلفا في المعنى خولف بينهما في اللفظ قال القشيري وفيه نظر اذ قيل
ولا جدال نهي ايضا اي لا تجادلوا فلم فرق بينهما قوله
تعالى ولا جدال الجدال وزنه فعال من المجادله وهي مشتقه

من الجدل

عام

رم

من الجدال وهو القتل ومنه زمام مجدول فعل واحد من الخصمين
يقاتل صاحب الكلام وقيل هي مشتقة من الجدالة التي هي الارض
فكان كل واحد من الخصمين يقاوم صاحبه حتى يغلبه فيكون كمن ضرب
به الجداله قال قد اركب الاله بعد الاله واترك العاجز بالجداله
منعفرا ليست له محاله واختلف العلما في
المعنى المراد به هنا على اقوال ستة فقال بن مسعود وبن عباس
وعطا الجدال هنا ان تماري مسلما حتى تغضبه فينتهي الى السباب
فاما مذاكرة العلم فلا نهي عنها وقال قتادة الجدال السباب وقال بن
زيد وملك بن انس الجدال هنا ان يختلف الناس ايهم صادف موقف
ابراهيم عليه السلام كما كانوا يفعلون في الجاهلية حين كانت قريش
تقف في غير موقف ساير العرب ثم يتجادلون بعد ذلك فالمعنى على
هذا التاويل لا جدال في مواضعه وقالت طايفة الجدال هنا ان
تقول طايفة الحج اليوم وتقول طايفة الحج غدا وقال مجاهد
وطايفة معه الجدال المماراة في الشهور حسب ما كانت عليه العرب
من النسي كانوا ربما جعلوا الحج في غير ذي الحجة ويقف بعضهم بجمع وبعضهم
بعرفة ويتمارون في الصواب من ذلك قلت فعلى هذا التاو يلين
لا جدال في وقته ولا في موضعه وهذان القولان اصح ما قيل في
تاويل قوله ولا جدال لقوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والارض الحديث وسياتي في براة
يعني رجع امر الحج كما كان اي عاد الى يومه ووقته وقال صلى الله عليه
وسلم لما حج خذوا عني مناسككم فبين بهذا موقف الحج وموا...

وقال محمد بن كعب القرظي الجدال ان يقول طايفة حجنا ابر من حجكم
وتقول الاخرى مثل ذلك وقيل الجدال كان في الفخر بالاباء والله اعلم

قوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله

شرط وجوابه والمعنى ان الله يجازيهم على اعمالهم لان المجازاه انما تقع
من العالم بالشي وقيل هو تحريض وحث على حسن الكلام مكان الفحش
وعلى البر والتقوى في الاخلاق مكان الفسوق والجدال وقيل جعل فعل
الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد ما نهوا عنه

قوله تعالى وتزودوا امر باتخاذ الزاد قال بن

عمر وعكرمه ومجاهد وقتادة وبن زيد نزلت الاية في طايفة من العرب
كانت تجي الى الحج بلا زاد ويقول بعضهم كيف نحج بيت الله ولا يطعمنا
فكانوا يبقون عاله على الناس فنهوا عن ذلك وامروا بالزاد قال
عبد الله بن الزبير كان الناس يتكل بعضهم على بعض بالزاد فامروا بالزاد
وكان للنبي صلى الله عليه وسلم في مسيره راحله عليها زاد وقدم عليه
ثلمايه رجل من مزينة فلما ارادوا ان ينصرفوا قال يا عمر زود القوم
وقال بعض الناس تزودوا الرفيق الصالح قال بن عطيه وهذا تخصيص
ضعيف والاولى في معنى الايه وتزودوا لمعادكم من الاعمال الصالحه
قلت القول الاول اصح وان المراد الزاد المتخذ في سفر الحج الماكول
حقيقه كما ذكرنا كما روى البخاري عن بن عباس قال كان اهل اليمن يحجون
ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فاذا قدموا مكه سالوا الناس
فانزل الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى وهذا نص فيما ذكرنا
وعليه اكثر المفسرين قال الشعبي الزاد التمر والسويق بن جبير

الكعك

الكعك والسويق قال بن العربي امر الله تعالى بالتزود لمن كان
له مال ومن لم يكن له مال فان كان ذا حرفه ينفق في الطريق سايلا
فلا خطاب عليه وانما خاطب الله اهل الاموال الذين كانوا يتركون
اموالهم ويخرجون بغير زاد فلا يدخل في الخطاب فانه خرج على
الاغلب من الخلق وهم المقصرون عن درجة التوكل الغافلون
عن حقايقه والله اعلم قال ابو الفرج الجوزي وقد لبس ابليس
على قوم يدعون التوكل فخرجوا بلا زاد وظنوا ان هذا هو التوكل
وهم على غاية الخطا قال رجل لاحمد بن حنبل اريد ان اخرج الى مكه على
التوكل بغير زاد فقال له احمد اخرج في غير القافله فقال لا الا معهم
قال فعلى جرب الناس توكلت قوله فان خير
الزاد التقوى اخبر تعالى ان خير الزاد اتقا المنهيات فامرهم ان
يضموا الى التزود التقوى وجا قوله فان خير الزاد التقوى محمولا
على المعنى لان معنى تزودوا واتقوا الله في اتباع ما امركم به من الخروج
بالزاد وقيل يحتمل ان يكون المعنى فان خير الزاد ما اتقى به المسافر
من الهلكه او الحاجة الى السوال والتكفف وقيل فيه تنبيه على ان
هذه الدار ليست بدار قرار قال اهل الاشارات ذكرهم سفر
الاخرة وحثهم على تزود التقوى فان التقوى زاد الاخرة قال الاعشى
اذا انت لم ترحل بزاد من التقا ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على الا تكون كمثله وانك لم ترصد كما كان ارصدا وقال
اخر الموت بحر طامح موجه تذهب فيه حيلة السابح يا نفس اني
قايل فاسمعي مقالة من مشفق ناصح لا يصحب الانسان في قبره غير

التقى والعمل الصالح قوله تعالى وانفوني يا اولي
الالباب بخص اولي الالباب بالخطاب وان الامر يعم الكل لانهم الذين
قامت عليهم حجة الله وهم قابلو امره والناهضون بها والالباب
جمع لب قال النحاس سمعت ابا اسحق يقول قال لي احمد بن يحيى ثعلب
اتعرف في كلام العرب شيا من المضاعف جا على فعل قلت نعم حكى سيبويه
عن يونس لببت ولبب فاستحسنه وقال ما اعرف له نظير
تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فيه مسئلتان
قوله جناح اي اثم وهو اسم ليس ان تبتغوا وعلى قول الخليل والكساي
انها في موضع خفض ولما امر الله بتنزيه الحج عن الرفث والفسوق
والجدال رخص في التجارة المعنى لا جناح عليكم في ان تبتغوا فضل الله
وابتغا الفضل ورد في القران بمعنى التجارة قال الله تعالى فانتشروا
في الارض وابتغوا من فضل الله والدليل على صحة هذا ما رواه البخاري
عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية
فتاثموا ان يتجروا في المواسم فنزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا
من ربكم في مواسم الحج اذا ثبت هذا ففي الايه دليل على جواز
التجاره في الحج للحاج مع اذا العباده وان القصد الى ذلك لا يكون شركا
ولا يخرج به المكلف عن رسم الاخلاص المفترض عليه خلافا للفقرا اما
ان الحج دون تجارة افضل لعروها عن شوايب الدنيا وتعلق القلب
بها روى الدارقطني في سننه عن ابي امامه التيمي قال قلت لابن عمر
اني رجل اكرى في هذا الوجه وان ناسا يقولون لا حج لك فقال ابن عمر
جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله مثل الذي سالتني

فسكت

فسلت حتى نزلت هذه الاية ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حجا   تعالى فاذا افضتم الى قوله الضالين فيه ثمان عشرة مسئله   قوله فاذا افضتم اي اندفعتم ويقال فاض الانا اذا امتلا حتى ينصب على نواحيه ورجل فياض اي مندفق بالعطا   قال زهير   مواصله وابيض فياض يداه غمامة على معتفيه ما تغب نوايله وحديث مستفيض اي شايع   قوله تعالى من عرفات قراة الجماعة عرفات بالتنوين وكذالو سميت امراة بمسلمات لان التنوين هنا ليس فرقا بين ما ينصرف وبين ما لا ينصرف فتحذفه وانما هو بمنزلة النون في مسلمين قال النحاس هذا الجيد وحكى سيبويه عن العرب حذف التنوين من عرفات تقول هذه عرفات يا هذا ورايت عرفات يا هذا بكسر التا وبغير تنوين قال لما جعلوها معرفه حذفوا التنوين وحكى الاخفش والكوفيون فتح التا تشبيها بتا فاطمه وطلحه وانشدوا تنورتها من اذرعات واهلها بيثرب ادنى دارها نظر عال والقول الاول احسن وان التنوين فيه حدي في مسلمات الكسره مقابله اليا في مسلمين والتنوين مقابل النون وعرفات اسم علم سمي بجمع كاذرعات وقيل سمي بما حوله كارض سباسب وقيل سميت تلك البقعه عرفات لان الناس يتعارفون بها وقيل ان ادم لما هبط وقع بالهند وحوي بجده فاجتمعا بعد طول الطلب بعرفات يوم عرفه وتعارفا فسمي اليوم عرفه والموضع عرفات قاله الضحاك وقيل غير هذا مما تقدم ذكره عند قوله تعالى وارنا مناسكنا قال

بن عطيه والظاهر انه اسم مرتجل كسائر اسما البقاع وعرفه هي نعمان
الاراك وفيها يقول الشاعر تزودت من نعمان عود اراكة لهند
ولكن من يبلغه هندا وقيل هي ماخوذة من العرف وهو الطيب
قال الله تعالى عرفها لهم اي طيبها هي طيبة بخلاف منى التي فيها الفروث
والدما فلذلك سميت عرفات ويوم الوقوف يوم عرفه وقال
بعضهم اصل هذين الاسمين من الصبر يقال رجل عارف اذا كان
صابرا خاشعا ويقال في المثل النفس عروف وما حملتها تتحمل قال
فصبرت عارفة لذلك حرة اي نفس صابرة وقال ذو الرمة
عروف لما حطت عليها المقادر اي صبور على قضا الله فسمي بهذا
الاسم لخضوع الحاج وتذللهم وصبرهم على الدعا وانواع البلا
واحتمال الشدايد لاقامة هذه العبادة اجمع اهل
العلم على ان من وقف بعرفه يوم عرفه قبل الزوال ثم افاض منها قبل
الزوال انه لا يعتد بوقوفه ذلك قبل الزوال واجمعوا على تمام حج من
وقف بعرفه بعد الزوال وافاض نهارا قبل الليل الا مالك بن انس فانه
قال لا بد ان ياخذ من الليل شيا واما من وقف بعرفه بالليل فانه لا
خلاف بين الامة حجه والحجة للجمهور مطلق قوله فاذا افضتم من عرفات
ولم يخص ليلا من نهار وحديث عروة بن مضرس قال لقيت النبي صلى
الله عليه وسلم وهو في الموقف من جمع فقلت يرسول الله جيتك من
جبلي طي اكللت مطيتي واتعبت نفسي والله ان تركت من جبل الا وقفت
عليه فهل لي من حج يرسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى معنا صلاة الغداة بجمع وقد اتى عرفات قبل ذلك ليلا او نهارا

فقد

فقد تفي ثقته وتم صحه اخرجه غير واحد من الائمه منهم ابو داود و...
والدار قطني واللفظ له وقال الترمذي حديث حسن صحيح رواه جماعه
من اصحاب الشعبي الثقات عن الشعبي عن عروة بن مضرس منهم اسماعيل
بن ابي خالد وداود بن ابي هند وزكريا بن ابي زايده وعبد الله بن السفر
ومطرف كلهم عن الشعبي عن عروة بن مضرس بن اوس بن حارثه بن لام
وحجة مالك من السنه الثابته حديث جابر الطويل اخرجه مسلم وفيه
فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب
القرص وافعاله على الوجوب لاسيما في الحج وقد قال خذوا عني مناسككم
واختلف الجمهور فيمن افاض قبل غروب الشمس
ولم يرجع ماذا عليه مع صحه الحج فقال عطا وسفيان الثوري والشا
واحمد وابو ثور واصحاب الراي وغيرهم عليه دم وقال الحسن
البصري عليه هدي وقال ابن جريج عليه بدنه وقال مالك عليه حج قا
والهدي ينحره في حج قابل وهو كمن فاته الحج فان عاد الى عرفه حتى
يدفع بعد مغيب الشمس فقال الشافعي لا شي عليه وهو قول احمد واسحق
وداود وبه قال الطبري وقال ابو حنيفه واصحابه والثوري لا
يسقط عنه الدم وان دفع بعد غروب الشمس وبذلك قال ابو ثور
لا خلاف بين العلما في ان الوقوف بعرفه راكبا لمن قدر
عليه افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك وقف الى ان دفع منها
بعد غروب الشمس واردف اسامه بن زيد وهذا محفوظ من
حديث جابر الطويل وحديث علي وفي حديث ابن عباس ايضا قال
جابر ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى الموقف فجعل بطن

ناقته القصواء الى الصخرات وجعل حبل المشاه بين يديه واستقبل القبله فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس وذهبت الصفره قليلا حتى غاب القرص واردف اسامه بن زيد خلفه الحديث فان لم يقدر على الركوب وقف قايما على رجليه داعيا ما دام يقدر ولا حرج عليه في الجلوس اذا لم يقدر على الوقوف وفي الوقوف راكبا مباهاة وتعظيم للحج ومن يعظم شعاير الله فانها من تقوى القلوب قال بن وهب في موطايه قال لي مالك الوقوف بعرفه على الدواب والابل احب الي من ان يقف قايما ومن وقف قايما فلا باس ان يستريح ثبت في صحيح مسلم وغيره عن اسامه بن زيد انه عليه السلام كان اذا جا من عرفه يسير العنق فاذا وجد فجوه نص قال هشام بن عروه والنص فوق العنق وهكذا ينبغي على ايمة الحاج فمن دونهم لان في استعجال السير الى استعجال الصلاة بها ومعلوم ان المغرب لا يصلي تلك الليله الا مع العشا بالمزدلفه وتلك سنتها على ما ياتي بيانه ان شا الله تعالى

ظاهر عموم القران والسنه الثابته يدل على ان عرفه كلها موقف قال صلى الله عليه وسلم وقفت ها هنا وعرفه كلها رواه مسلم وغيره من حديث جابر الطويل وفي موطا مالك انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرفه كلها موقف وارتفعوا عن بطن عرنه والمزدلفه كلها موقف وارتفعوا عن بطن محسر قال بن عبد البر هذا الحديث يتصل من حديث جابر بن عبد الله ومن حديث بن عباس ومن حديث علي بن ابي طالب واكثر الاثار ليس فيها استثنا بطن عرنه وبطن محسر من المزدلفه ولذلك نقلها الحفاظ الثقات الاثبات

من اهل

من اهل الحديث في حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر قال ابو عمر واختلف
الفقها فيمن وقف بعرفه بعرنه فقال مالك فيما ذكر ابن المنذر عنه يهريق دما
وحجه تام وهذه روايه رواها خالد بن نزار عن مالك وذكر ابو المصعب
انه لمن لم يقف وحجه فايت وعليه الحج من قابل اذا وقف ببطن عرنه وروي
عن ابن عباس قال من افاض من عرنه فلا حج له وهو قول القاسم وسالم
وذكر ابن المنذر هذا القول عن الشافعي قال وبه اقول لا يجزيه ان يقف
بمكان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا يوقف به قال ابن عبد البر الاستثنا
لبطن عرنه من عرفه لم يجي مجيا يلزم حجته لا من جهه النقل ولا من جهة الاجماع
وحجه من ذهب مذهب ابي المصعب ان الوقوف بعرفه مجمع عليه
في موضع معين فلا يجوز اداوه الا بيقين ولا يقين مع الاختلاف
وبطن عرنه يقال بفتح الرا وضمها وهو غربي مسجد عرفه حتى لقد قال
ان الجدار الغربي من مسجد عرفه لو سقط سقط في بطن عرنه وحكى
الباجي عن ابن حبيب ان عرفه في الحل وعرنه في الحرم قال ابو عمر واما بطن
محسر فذكر وكيع حدثنا سفين عن ابي الزبير عن جابر ان النبي صلى الله صلى
الله عليه وسلم اوضع في بطن محسر ولا باس في التعريف
بالمساجد يوم عرفه بغير تشبيها باهل عرفه روى شعبه عن قتادة
عن الحسن قال اول من صنع ذلك ابن عباس بالبصره يعني اجتماع الناس
يوم عرفه في المسجد وقال موسى بن ابي عايشه رايت عمرو بن حريث
يخطب يوم عرفه وقد اجتمع الناس اليه وقال الاثرم سالت
احمد بن حنبل عن التعريف في الامصار ويجتمعون يوم عرفه في
ارجوا الا يكون به باس قد فعله غير واحد الحسن وبكر وثابت ومحمد

بن واسع دانوا يشهدون المسجد يوم عرفه　　في فضل يوم عرفه

يوم عرفه فضله عظيم وثوابه جسيم يكفر الله فيه الذنوب العظام ويضاعف الصالح من الاعمال قال صلى الله عليه وسلم صوم يوم عرفه يكفر السنه الماضيه والباقيه اخرجه الصحيح وقال صلى الله عليه وسلم افضل الدعا دعا يوم عرفه وافضل ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له وروي الدارقطني عن عايشه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم اكثر ان يعتق الله فيه عددا من النار من يوم عرفه وانه ليدنوا يوم عرفه عز وجل ثم يباهي بهم الملايكه يقول ما اراد هولا وفي الموطا عن عبد الله بن كريز ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما روي الشيطان يوما هو فيه اصغر ولا احقر ولا ادحر ولا اغيظ منه في يوم عرفه وما ذلك الا لما راي من تنزل الرحمه وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما راي يوم بدر فقيل يا رسول الله وما راي يا رسول الله فقال اما انه راي جبريل يزع الملايكه قال ابو عمر روي هذا الحديث ابو النضر اسمعيل بن ابراهيم العجلي عن مالك عن ابرهيم بن ابي عبله عن طلحه بن عبيد الله بن كريز عن ابيه ولم يقل في هذا الحديث عن ابيه غيره وليس بشي والصواب ما في الموطا وذكر الترمذي الحكيم في نوادر الاصول ثنا حاتم بن نعيم التميمي ابو روح قال ثنا هشام بن عبد الملك ابو الوليد الطيالسي قال ثنا عبد القاهر بن السري السلمي قال ثني ابن كنانه بن عباس بن مرداس عن ابيه عن جده عباس بن مرداس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لامته عشيه عرفه بالمغفره والرحمه واكثر الدعا فاجاب اني قد غفرت فعلت الا ظلم بعضهم على بعض فاما ذنوبهم

فيما

فيما بيني وبينهم فقد غفرته قال يا رب انك قادر ان تثيب هذا المظلوم
خيرا من مظلمته وتغفر لهذا الظالم فلم يجبه تلك العشيه فلما كان الغداه
غداة المزدلفه اجتهد في الدعا فاجابه اني قد غفرت لهم فتبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقيل تبسمت يا رسول الله في ساعه لم تكن
تتبسم فيها فقال تبسمت من عدو الله ابليس انه لما علم ان الله قد استجاب
لي في امتي اهوى يدعو بالويل والثبور ويحثي التراب على وجهه ويفر
وذكر ابو عبد الغني الحسين بن علي ثنا عبد الرزاق ثنا ملك عن ابي الزناد
عن الاعرج عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان
يوم عرفه غفر الله للحاج الخالص واذا كان ليله المزدلفه غفر الله للتجار
واذا كان يوم منى غفر الله للجمالين واذا كان عند جمره العقبه غفر الله
للسوال ولا يشهد ذلك الموقف خلق ممن يقول لا اله الا الله الا غفر
الله له قال ابو عمر هذا حديث غريب من حديث ملك وليس
محفوظا عنه الا من هذا الوجه وابو عبد الغني لا اعرفه واهل العلم
ما زالوا يتسامحون انفسهم في روايه الرغايب والفضايل عن كل احد
وانما كانوا يتشددون في احاديث الاحكام استحب
اهل العلم صوم يوم عرفه الا بعرفه روى الايمه واللفظ للترمذي
عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم افطر بعرفه وارسلت اليه ام
الفضل بلبن فشرب قال حديث حسن صحيح وقد روي عن ابن عمر
قال حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصمه يعني يوم عرفه ومع
ابي بكر فلم يصمه ومع عمر فلم يصمه والعمل على هذا عند اكثر اهل العلم
يستحبون الافطار بعرفه ليتقوى به الرجل على الدعا وقد صام بعض

اهل العلم يوم عرفه بعرفه واسند عن بن عمر مثل الحديث الاول وزاد
في اخره ومع عثمان فلم يصمه وانا لا اصومه ولا امر به ولا انها عنه حديث
حسن وذكر بن المنذر وقال عطا في صوم يوم عرفه اصوم في الشتا ولا اصوم
في الصيف وقال يحيى الانصاري يجب الفطر يوم عرفه وكان عثمان بن ابي
العاصي وبن الزبير وعايشه يصومون يوم عرفه قال بن المنذر الفطر يوم
عرفه بعرفات احب الي اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصوم
بغير عرفه احب الي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سيل عن صوم
يوم عرفه فقال يكفر السنه الماضيه والباقيه وقد روينا عن عطا انه
قال من افطر يوم عرفه ليتقوى الدعا فان له مثل اجر الصايم
ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى المغرب والعشا
بالمزدلفه جميعا واجمع اهل العلم لا اختلاف بينهم ان السنه ان يجمع الحاج
بين المغرب والعشا واختلفوا فيمن صلاها قبل ان ياتي جمعا فقال مالك من
وقف مع الامام ودفع بدفعه فلا يصلي حتى ياتي المزدلفه فيجمع بينهما
واستدل على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لاسامة بن زيد الصلاة امامك
قال بن حبيب من صلى قبل ان ياتي المزدلفه دون عذر يعيد متى علم بمنزله
من قد صلى قبل الزوال لقوله صلى الله عليه وسلم الصلاة امامك وبه قال ابو
حنيفه وقال اشهب لا اعادة الا ان يصليها قبل مغيب الشفق فيعيد
العشا وحدها وبه قال الشافعي وهو الذى وهو نصر القاضي ابو الحسن
واحتج له بانها تين صلاتان يشرع الجمع بينهما فلم يكن ذلك شرطا في صحتهما وانما كان
على معنى الاستحباب كالجمع بين الظهر والعصر بعرفه واختار بن المنذر
هذا القول وحكاه عن عطا بن ابي رباح وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد

وسعيد

وسعيد بن جبير واحمد واسحق وابي ثور ويعقوب وحكي عن الشافعي انه قال
لا يصلي حتى ياتي المزدلفه فان زاد ذلك نصف الليل قبل ان ياتي المزدلفه صلاها
ومن اسرع فاتي المزدلفه قبل مغيب الشفق فقد
قال ابن حبيب لا صلاه لمن عجل الى المزدلفه قبل مغيب الشفق لا لامام ولا غيره
حتى يغيب الشفق لقوله صلى الله عليه وسلم الصلاه امامك ثم صلاها بالمزدلفه
بعد مغيب الشفق ومن جهه المعنى ان وقت هذه الصلاه بعد مغيب الشفق فلا
يجوز ان يوتى بها قبله ولو كان لها وقت قبل مغيب الشفق لما اخرجت عنه
واما من اتا عرفه بعد دفع الامام او كان له
عذر يمنع ان يدفع مع الامام فقد قال ابن المواز من وقف بعد الامام فيصل
كل صلاه لوقتها وقال مالك فيمن كان له عذر يمنعه ان يكون مع الامام انه
يصلي اذا غاب الشفق الصلاتين يجمع بينهما وقال ابن القاسم فيمن وقف بعد الامام
ان كان ان ياتي المزدلفه ثلث الليل فليوخر الصلاه حتى ياتي المزدلفه والا صلى
كل صلاه لوقتها فجعل ابن المواز تاخير الصلاه الى المزدلفه لمن وقف مع الامام
دون غيره وراعا مالك الوقت دون المكان واعتبر ابن القاسم الوقت
المختار للصلاه والمكان فاذا خاف فوات الوقت المختار بطل اعتبار المكان
وكان مراعاة وقتها المختار اولى
اختلف العلما
في هيئه الصلاه بالمزدلفه على وجهين احدهما الاذان والاقامه والاخر
هل يكون جمعهما متصلا لا يفصل بينهما بعمل او يجوز العمل بينهما وحط
الرحال ونحو ذلك فاما الاذان والاقامه فثبت ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلى العشا والمغرب بالمزدلفه باذان واحد واقامتين اخرجه
الصحيح من حديث جابر الطويل وبه قال احمد بن حنبل وابو ثور وابن

المنذر وقال مالك يصليهما باذانين واقامتين وكذلك الظهر والعصر
بعرفة الا ان ذلك في اول وقت الظهر باجماع قال ابو عمر لا اعلم فيما
قاله مالك حديثا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم بوجه من الوجوه ولكنه
روي عن عمر بن الخطاب وزاد ابن المنذر ابن مسعود ومن الحجة لمالك في هذا
الباب من جهة النظر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سن في الصلاتين بمزدلفة
وعرفة ان الوقت لهما جميعا وقت واحد واذا كان وقتهما واحدا وكانت
كل صلاة تصلى في وقتها لم تكن واحدة منهما اولى بالاذان والاقامة من الاخرى
لان ليس واحدة منهما تقضى وانما هي صلاة تصلى في وقتها وكل صلاة صليت
في وقتها سنتها ان يؤذن ويقام في الجماعة وهذا بين والله اعلم وقال الاخرون
اما الاولى منهما فتصلى باذان واقامة واما الثانية فتصلى بلا اذان ولا
اقامة قالوا وانما امر عمر بالتاذين للثانية لان الناس كانوا قد تفرقوا لعشائهم
فاذن ليجمعهم قالوا وكذلك نقول اذا تفرق الناس عن الامام لعشاء او غيره امر
المؤذنين فاذنوا ليجمعهم واذا اذن اقام قالوا فهذا معنى ما روي عن
عمر وذكروا حديث عبد الرحمن بن يزيد قال كان ابن مسعود يجعل العشاء
بالمزدلفة بين الصلاتين وفي طريق اخرى وصلى كل صلاة باذان واقامة ذكره
عبد الرزاق وقال اخرون يصلي الصلاتان جميعا بالمزدلفة باقامة ولا اذان
في شيء منهما روي عن ابن عمر وبه قال الثوري وذكر عبد الرزاق وعبد الملك
بن الصباغ عن الثوري عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عمر قال جمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء بجمع صلى المغرب ثلاثا
والعشاء ركعتين باقامة واحدة وذهبوا في ذلك الى ما رواه هشيم عن يونس
بن عبيد عن سعيد بن جبير عن ابن عمر انه جمع بين المغرب والعشاء بجمع باذان واحد

واقامة

واقامة واحدة لم يجعل بينهما شيا وروي مثل هذا مرفوعا من حديث خزيمة بن ثابت وليس بالقوى وحكى الجوزجاني عن محمد بن الحسن عن ابي يوسف عن ابي حنيفه انهما تصليان باذان واحد واقامتين يؤذن للمغرب ويقام للعشا فقط والى هذا ذهب الطحاوي لحديث جابر وهو القول الاول وعليه المعول وقال اخرون يصلي باقامتين دون اذان لواحد منهما وممن قال ذلك الشافعي واصحابه واسحق واحمد بن حنبل في احد قوليه وهو قول سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد واحتجوا بما ذكره عبد الرزاق عن معمر عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما جا المزدلفه جمع بين المغرب والعشا صلى المغرب ثلثا والعشا ركعتين باقامه لكل واحدة منهما ولم يصل بينهما شيا قال ابو عمر والاثار عن ابن عمر في هذا القول من اثبت ما روي عنه في هذا الباب ولكنها محتمله للتاويل وحديث جابر لم يختلف عليه فيه ولا يدخل في هذه المسله للنظر وانما فيها الاتباع

واما الفصل بين الصلاتين بعمل غير الصلاه فثبت عن اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم لما جا المزدلفه نزل فتوضا فاسبغ الوضو ثم اقيمت الصلاه فصلاها ولم يصل بينهما شيا في روايه ولم يحلوا حتى اقام العشا الاخره فصلى ثم حلوا وقد ذكرنا انفا عن ابن مسعود انه دعا بعشا بين الصلاتين ففي هذا جواز الفصل بين الصلاتين بجمع وقد سيل مالك فيمن اتى المزدلفه ايبدا بالصلاه او يوخر حتى يحط عن راحلته فقال اما الرحل الخفيف فلا باس ان يبدا به قبل الصلاه واما المحامل والزوامل فلا ارى وليبدا بالصلاتين ثم يحط راحلته وقال اشهب في كتبه له حط راحلته قبل الصلاه وحطه له بعد ان يصلي المغرب احب الي ما لم يضطر الى ذلك لما بدابته من الثقل او لغير ذلك من العذر واما التنفل

بين الصلاتين فقال بن المنذر ولا اعلمهم يختلفون ان من السنه ان لا يتطوع
بينهما الجامع بين الصلاتين وفي حديث اسامه ولم يصل بينهما شيا
واما المبيت بالمزدلفه فليس ركنا في الحج عند الجمهور واختلفوا
فيما يجب على من لم يبت بالمزدلفه ليله النحر ولم يقف بجمع فقال مالك من
لم يبت بها فعليه دم ومن قام بها اكثر ليله فلا شي عليه لان المبيت بها ليله
سنه موكده عن مالك واصحابه لا فرض ونحوه قول عطا والزهري وقتادة
وسفيان والثوري واحمد واسحق وابي ثور واصحاب فيمن بيت وقال
الشافعي ان خرج منها بعد نصف الليل فلا شي عليه وان خرج قبل نصف الليل
فلم يعد الى المزدلفه افتدى والفديه شاة وقال علقمه والشعبي والنخعي
والحسن البصري الوقوف بالمزدلفه فرض ومن فاته جمع ولم يقف فقد
فاته الحج ويجعل احرامه عمرة وروي ذلك عن بن الزبير وهو قول الاوزاعي
وروي عن الثوري مثل ذلك والاصح عنه ان الوقوف بها سنه موكده
وقال حماد بن ابي سليمان من فاتته الافاضه من جمع فقد فاته الحج وليتحلل
بعمرة ثم ليحج قابلا واحتجوا بظاهر الكتاب والسنه فاما الكتاب فقوله
تعالى فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واما السنه
فقوله صلى الله عليه وسلم من ادرك جمعا فوقف مع الناس حتى يفيض
فقد ادرك ومن لم يدرك فلا حج له ذكره بن المنذر وروي الدارقطني
عن عروة بن مضرس قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بجمع فقلت
يا رسول الله هل لي من حج فقال من صلى معنا هذه الصلاة ثم وقف معنا
حتى يفيض وقد افاض قبل ذلك ليلا او نهارا فقد تم حجه وقضى تفثه
قال الشعبي من لم يقف بجمع جعلها عمرة واجاب من احتج للجمهور

بان

بان قال اما الايه فلا حجه فيها على الوجوب في الوقوف ولا المبيت اد
ذلك مذكورا فيها وانما فيها مجرد الذكر وقد اجمع انه لو وقف بمزدلفه
ولم يذكر الله ان حجه تام فاذا لم يكن الذكر المامور به من صلب الحج فشهود
الموطن اولى بان لا يكون كذلك قال ابو عمر ولذلك اجمعوا ان
الشمس اذا طلعت يوم النحر فقد فات وقت الجمع بجمع ومن ادرك
الوقوف بها قبل طلوع الشمس فقد ادرك ممن يقول ان ذلك فرض
وممن يقول ان ذلك سنه واما حديث عروة بن مضرس فقد جا في
طرقه بيان الوقوف بعرفه دون المبيت بالمزدلفه ومثله حديث
عبد الرحمن بن يعمر الديلي قال شهدت رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعرفه واتاه ناس من اهل نجد فسالوه عن الحج فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحج عرفه من ادركها قبل ان يطلع الفجر من ليله جمع
فقد تم حجه رواه النساي قال انا اسحق بن ابرهيم ثنا وكيع ثنا سفين
يعني الثوري عن بكير بن عطا عن عبد الله بن يعمر الديلي قال شهدت
فذكره ورواه ابن عيينه عن بكير بن عطا عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي
قال شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحج عرفات فمن
ادرك عرفه قبل ان يطلع الفجر فقد ادرك وايام منى ثلاثه فمن تعجل في
يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه وقوله في حديث عروة
من صلى صلاتنا هذه فذكر الصلاه بالمزدلفه فقد اجمع العلما على انه
لو بات بها ووقف ونام عن الصلاه فلم يصل مع الامام حتى فاتته
ان حجه تام فلما كان حضور الصلاه مع الامام ليس من صلب الحج كان
الوقوف بالموطن الذي تكون فيه الصلاه احرى ان يكون كذلك

كانوا فلم يحتج بهذا الحديث ذلك الفرض لا يعرفه خاصه
قوله تعالى واذكروه كما هداكم كرر الامر تاكيدا كما تقول
ارم ارم وقيل الاول امر بالذكر عند المشعر الحرام والثاني امر بالذكر
على حكم الاخلاص وقيل المراد بالثاني تعديد النعمه وامر بشكرها ثم
ذكرهم بحال ضلالهم ليظهر قدر الانعام فقال وان كنتم من قبله
لمن الضالين والكاف في كما نعت لمصدر محذوف وما مصدريه او
كافه والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنه واذكروه
كما علمكم كيف تذكرونه ولا تعدلوا عنه وان مخففه من الثقيله بدل
على ذلك دخول اللام في الخبر قاله سيبويه الفرا نافيه بمعنى ما
واللام بمعنى الا كما قال تكلتك امك ان قتلت مسلما حلت
عليك عقوبه الرحمن او بمعنى قد اي قد كنتم ثلثه اقوال
والضمير في قبله عايد الى الهدي وقيل الى القران اي ما كنتم قبل
انزاله الا ضالين وان شيت على النبي صلى الله عليه وسلم كنايه عن
غير مذكور والاول اظهر والله اعلم تعالى ثم
افيضوا من حيث افاض الناس فيه اربع مسايل قوله
تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس قيل الخطاب للحمس فانهم
كانوا لا يقفون مع الناس بعرفات بل كانوا يقفون بالمزدلفه
وهي من الحرم وكانوا يقولون نحن قطين الله فينبغي لنا ان نعظم الحرم
ولا نعظم من الحل وكانوا مع معرفتهم واقرارهم ان عرفه موقف
ابرهيم عليه السلام لا يخرجون من الحرم ويقفون بجمع ويفيضون
منه ويقف الناس بعرفه فقيل لهم افيضوا مع الجمله وثم ليست في

هذ

هذه الايه على الترتيب انما هي لعطف جمله كلام هي منها منقطعه و قال
الضحاك المخاطب بالايه جمله الامه والمراد بالناس ابرهيم عليه
السلام كما قال الذين قال لهم الناس وهو يريد واحدا ويحتمل على
هذا ان يوم وابالافاضه من عرفه ويحتمل ان تكون افاضه اخري
وهي التي من المزدلفه فتجي ثم على هذا الاحتمال على بابها وعلى هذا الاحتمال
قول الطبري والمعنى افيضوا من حيث افاض ابرهيم من مزدلفه
جمع اي ثم افيضوا الى منى لان الافاضه من عرفات قبل الافاضه من
جمع قلت ويكون في هذا حجة لمن اوجب الوقوف بالمزدلفه للامر
بالافاضة منها والله اعلم والصحيح في تاويل هذه الايه من القولين القول
الاول روي الترمذي عن عايشه قالت كان قريش ومن كان على دينها
وهم الحمس يقفون بالمزدلفه يقولون نحن قطن الله وكان من سواهم
يقفون بعرفه فانزل الله ثم افيضوا من حيث افاض الناس هذا حديث
حسن صحيح وفي صحيح مسلم عن عايشه قالت الحمس هم الذين انزل الله
فيهم ثم افيضوا من حيث افاض الناس قالت كان الناس يفيضون
من عرفات وكان الحمس يفيضون من المزدلفه يقولون لا نفيض
الا من الحرم فلما نزلت افيضوا من حيث افاض الناس رجعوا الى
عرفات وهذا نص صريح ومثله كثير صحيح فلا معول على غيره من
الاقوال والله المستعان وقرا سعيد بن جبير الناسي وتاوله
ادم عليه السلام لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ويجوز عند
بعضهم تخفيف اليا فيقول الناس كالقاض والهاد بن عطيه اما جواز
في العربيه فذكره سيبويه واما جوازه مقروا به فلا احفظه

وامر الله عز وجل بالاستغفار لانه موطنه ومظان القبول ومساقط الرحمه وقالت فرقه المعنى واستغفروا الله من فعلكم الذى كان مخالفا لسنه ابرهيم عليه السلام فى وقوفكم بقزح من المزدلفه دون عرفه روى ابو داود عن علي قال فلما اصبح يعني النبى صلى الله عليه وسلم وقف على قزح فقال هذا قزح وهو الموقوف وجمع كلها موقف ونحرت ها هنا ومنى كلها منحر فانحروا فى رحالكم فحكم الحجيج اذا دفعوا من عرفه الى المزدلفه ان يبيتوا بها ثم يغلس بالصبح الامام بالناس ويقفون بالمشعر الحرام وقزح هو الجبل الذى يقف عليه الامام ولا يزالون يذكرون الله عز وجل ويدعون الى قرب طلوع الشمس ثم يدفعون قبل الطلوع على مخالفه العرب فانهم كانوا يدفعون بعد الطلوع ويقولون اشرق ثبير كما نغير اي لعلنا نقرب من التحلل فنتوصل الى الاعاده روى البخاري عن عمرو بن ميمون قال شهدت عمر يصلي بجمع الصبح ثم وقف فقال ان المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون اشرق ثبير وان النبى صلى الله عليه وسلم خالفهم فدفع قبل ان تطلع الشمس وروى بن عيينه عن بن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمه عن بن طاوس عن ابيه ان اهل الجاهليه كانوا يدفعون من عرفه قبل غروب الشمس وكانوا يدفعون من المزدلفه بعد طلوع الشمس فاخر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وعجل هذا اخر الدفع من عرفه وعجل الدفع من المزدلفه مخالفا هدي المشركين فاذا دفعوا قبل الطلوع فحكمهم ان يدفعوا على هيئه الدفع من عرفه

وهو

وهو ان يسير الامام بالناس سير العنق فاذا وجد احدهم فرجه زاد
في العنق شيا والعنق مشي للدواب معروف فلا يجهل والنص فوق
فالخبب او فوق ذلك وفي صحيح مسلم عن اسامه بن زيد وسيل كيف كان
يسير رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افاض من عرفة قال كان
يسير العنق فاذا وجد فرجة نص قال هشام والنص فوق
العنق وقد تقدم ويستحب له ان يهرول في بطن محسر قدر رميه
حجر فان لم يفعل فلا حرج وهو من منى روى الثوري وغيره عن ابي
الزبير عن جابر قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه السكينه
وقال لهم اوضعوا في وادي محسر وقال لهم خذوا عني مناسككم
فاذا اتوا منى وذلك غدوة يوم النحر رموا جمرة العقبه بها
ضحى ركبانا ان قدروا ولا يستحب الركوب في غيرها من الجمار
ويرمونها بسبع حصيات كل حصاة منها مثل حصى الحذف على ما
ياتي بيانه فاذا رموها حل لهم كل ما حرم عليهم من اللباس
والتفث كله الا النسا والطيب والصيد عند مالك واسحق
في روايه ابي داود الخفاف عنه وقال عمر بن الخطاب وابن
عمر يحل له كل شي الا النسا والطيب ومن تطيب عند مالك
بعد الرمي وقبل الافاضه لم ير عليه فديه لما جا في ذلك ومن
صاد عنده بعد ان رمي جمرة العقبه وقبل ان يفيض كان عليه الجزا
وقال الشافعي واحمد واسحق وابو ثور يحل له كل شي الا النسا وروي
عن ابن عباس ويقطع الحاج التلبيه باول حصاة
يرميها من جمرة العقبه وعلى هذا اكثر اهل العلم بالمدينه وغيرها

الام

وهو جايز مباح عند مالك والمشهور عنه قطعها عند زوال الشمس من يوم عرفه على ما ذكر في مطاه عن علي وقال وهو الامر عندنا قلت والاصل في هذه الجمله من السنه ما رواه مسلم عن الفضل بن عباس وكان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في عشيه عرفه وغداة جمع للناس حين دفع عليكم بالسكينه وهو كاف ناقته حتى دخل محسرا وهو من منى قال عليكم بحصى الحذف الذي ترمي به الجمره وقال ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبه في روايه والنبي صلى الله عليه وسلم يشير بيده كما يخذف الانسان وفي البخاري عن عبد الله انه انتهى الى الجمره الكبرى جعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ورمى بسبع وقال هكذا رمى الذي انزلت عليه سورة البقره وروى الدارقطني عن عايشه قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رميتم وحلقتم وذبحتم فقد حل لكم كل شي الا النسا وحل لكم الثياب والطيب وفي البخاري عن عايشه قالت طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي هاتين حين احرم ولحله حين احل قبل ان يطوف وبسطت يديها وهذا هو التحلل الاصغر عند العلما والتحلل الاكبر طواف الافاضه وهو الذي يحل النسا وجميع محظورات الاحرام وسياتي ذلك في سورة الحج ان شا الله تعالى تعالى فاذا قضيتم مناسككم فيه مسلتان قوله تعالى فاذا قضيتم مناسككم قال مجاهد المناسك الذبايح وهراقة الدما وقيل هي شعاير الحج لقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عني مناسككم المعنى فاذا فعلتم منسكا من

مناسك

حصيات

اي بسطتها

مناسك الحج فاذكروا الله واثنوا عليه بالايه عندكم وابو عمرو يدغم الكاف الكاف ولذلك ما سلككم لانها مثلان وقضيتم هنا بمعنى اديتم وفرغتم قال الله تعالى فاذا قضيتم الصلاه اي اديتم الجمعه وقد يعبر بالقضا عما فعل من العبادات خارج وقتها المحدود لها

قوله تعالى فاذكروا الله كذكركم اباكم كانت عادة العرب اذا قضت حجها تقف عند الجمرة فتتفاخر بالابا وتذكر ايام اسلافها من بسالة وكرم وغير ذلك حتى ان الواحد منهم ليقول اللهم ان ابي كان عظيم القبه عظيم الجفنه كثير المال فاعطني مثل ما اعطيته فلا يذكر غير ابيه فنزلت الايه ليلزموا انفسهم ذكر الله اكثر من التزامهم ذكر ابايهم ايام الجاهليه هذا قول جمهور المفسرين وقال ابن عباس وعطا والضحاك والربيع واذكروا الله كذكر الاطفال اباهم وامهاتهم اي فاستغيثوا به والجاوا اليه كما انتم تفعلون في حال صغركم بابايكم وقالت طايفه معنى الاية اذكروا الله وعظموه وذبوا عن حرمه وادفعوا من اراد الشرك في دينه ومشاعره كما تذكرون ابايكم بالخير اذا غض احد منهم وتحمون جوانبهم وتذبون عنهم وقال ابو الجوزا لابن عباس ان الرجل اليوم لا يذكر اباه فما معنى الايه قال ليس كذلك ولكن ان تغضب لله اذا عصي اشد من غضبك لوالديك اذا شتما والكاف من قوله كذكركم في موضع نصب اي ذكرا كذكركم او اشد قال الزجاج او اشد في موضع خفض عطفا على ذكركم المعنى او كاشد ذكرا ولم ينصرف لانه افعل صفه ويجوز ان يكون في موضع نصب بمعنى او اذكروه اشد ذكرا نصب

على البيان   تعالى فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا من
في موضع رفع بالابتدا وان شيت بالصفه تقول ربنا اتنا في الدنيا
صله من والمراد المشركون قال ابو وابل والسدى وبن زيد كانت
عادة الجاهليه ان يدعوا في مصالح الدنيا فقط فكانوا يسالون الابل
والغنم والظفر بالعدو ولا يطلبون الاخره اذ كانوا لا يعرفونها
ولا يومنون بها فنهوا عن ذلك الدعا المخصوص بامر الدنيا
وجا النهى في صيغه الخبر عنهم ويجوز ان يتناول هذا الوعيد
المومن ايضا اذا قصر دعواته في الدنيا وعلى هذا فماله في الاخره
من خلاق اي كخلاق الذى يسال الاخره والخلاق النصيب ومن
زايده وقد تقدم   تعالى ومنهم من يقول ربنا
اتنا فيه ثلاث مسايل   قوله ومنهم اي من الناس
وهم المسلمون خير الدنيا وخير الاخره واختلف في تاويل
الحسنتين على اقوال عديده فروى عن على بن ابي طالب ان الحسنه
في الدنيا المراة الحسنه وفي الاخره الحور العين وقنا عذاب النار
المراة السو قلت وهذا فيه بعد ولا يصح عن على لان النار
حقيقه في النار المحرقه وعبارة المراه عن النار تجوز وقال قتاده
حسنه الدنيا العافيه في الصحه وكفاف المال وقال الحسن
حسنه الدنيا العلم والعباده وقيل غير هذا والذى عليه اكثر
اهل العلم ان المراد بالحسنتين نعيم الدنيا والاخره وهذا هو الصحيح
فان اللفظ يقتضي هذا كله فان حسنه نكره في سياق الدعا فهو محتمل
لكل حسنه من الحسنات على البدل وحسنه الاخره الجنه باجماع

وقيل

وقيل لم يرد حسنه واحده بل اراد عطا في الدنيا عطيه حسنه فحذف الاسم قوله تعالى وقنا عذاب النار اصل قنا
اوقنا الحذف ها حذفت في يقى ويشى لانها بين يا وكسره مثل يعد هذا
قول البصريين وقال الكوفيون حذفت فرقا بين اللازم والمتعدي
قال محمد بن يزيد هذا خطا لان العرب تقول ودم يرم فيحذفون
الواو والمراد بالايه الدعا في ان لا يكون المرء ممن لا يدخلها بمعاصيه
وتخرجه الشفاعة ويحتمل ان يكون دعا موكدا لطلب دخول
الجنه لتكون الرغبه في معنى النجاه والفوز من الطرفين كما قال
احد الصحابه للنبي صلى الله عليه وسلم انا انما اقول في دعاي
اللهم ادخلني الجنه وعافني من النار ولا ادري ما دندنتك ولا
دندنة معاذ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حولها ندندن
خرجه ابو داود في سننه وبن ماجه ايضا هذه الايه
من جوامع الدعا التي عمت الدنيا والاخره قيل لانس ادع الله
لنا فقال اللهم اتنا في الدنيا حسنه وفي الاخره حسنه وقنا عذاب
النار فقالوا زدنا قال ما تريدون قد سالت الدنيا والاخره
وفي الصحيحين عن انس قال كان اكثر دعوة يدعوا بها النبي عليه السلام
يقول اللهم اتنا في الدنيا حسنه وفي الاخره حسنه وقنا عذاب
النار قال فكان انس اذا اراد ان يدعو يدعو بدعاه فيه وفي حديث
عمر انه كان يطوف بالبيت وهو يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنه
وفي الاخره حسنه وقنا عذاب النار ماله هجيرا غيرها ذكره ابو
عبيد وقال بن جريج بلغني انه كان يومر ان يكون اكثر دعا المسلم

في الموقف هذه الايه ربنا اتنا في الدنيا حسنه وقال بن عباس ان
عند الركن ملكا قايما منذ خلق الله السموات والارض يقول امين
فقولوا ربنا اتنا في الدنيا حسنه وفي الاخره حسنه وقنا عذاب
النار وسيل عطا بن ابي رباح عن الركن اليماني وهو يطوف بالبيت
فقال عطا حدثنا ابو هريره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وكل به
سبعون ملكا فمن قال اللهم اني اسالك العفو والعافيه في الدنيا
والاخره قالوا امين الحديث خرجه بن ماجه في السنن وسياتي بجماله
مسندا في الحج ان شا الله تعالى تعالى اوليك لهم نصيب
مما كسبوا فيه ثلث مسايل قوله تعالى اوليك لهم نصيب
مما كسبوا هذا يرجع الى الفريق الثاني فريق الاسلام اي لهم ثواب
الحج وثواب الدعا فان دعا المومن عبادة وقيل يرجع اوليك
الى الفريقين فللمومن ثواب عمله ودعايه وللكافر عقاب شركه
وقصر نظره على الدنيا وهو مثل قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا

قوله تعالى والله سريع الحساب من سرع يسرع
مثل عظم يعظم سرعا وسرعة فهو سريع الحساب مصدر كالمحاسبة
وقد يسمى المحسوب حسابا وحسابه وحسبانا وحسبا اي عد
وانشد بن الاعرابي يا جمل اسقاك بلا حسابه سقيا مليك
حسن الربابه قتلتني بالدل والخلابه والحسب ما عد
من مفاخر المر ويقال حسبه دينه ويقال ماله ومنه الحديث
الحسب المال والكرم التقوى رواه سمرة بن جندب اخرجه بن ماجه
وهو في الشهاب والرجل حسيب وقد حسب مثل خطب خطابه

والمعنى

والمعنى في الايه ان الله سبحانه سريع الحساب لا يحتاج الى عد ولا
الى عقد ولا الى اعمال فكر كما تفعله الحساب ولهذا قال وقوله الحق
وكفى بنا حاسبين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم منزل
الكتاب سريع الحساب الحديث فالله عز وجل عالم بما للعباد عليه فلا
يحتاج الى تذكر وتامل اذ قد علم ما للمحاسب وعليه لان الفايدة
في الحساب علم حقيقته وقيل سريع المجازاه للعباد باعمالهم وقيل
المعنى اي لا يشغله شان عن شان فيحاسبهم في حاله واحده كما قال وقوله
الحق ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحده قال الحسن حسابه اسرع من
لمح البصر وفي الخبر ان الله يحاسب في قدر حلب شاه وقيل انه اذا حاسب
واحدا فقد حاسب جميع الخلق وقيل لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه
كيف يحاسب الله العباد قال كما يرزقهم في يوم ومعنى الحساب
تعريف الله عباده مقادير الجزا على اعمالهم وتذكيره اياهم بما قد
نسوه بدليل قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبيهم بما عملوا احصاه
الله ونسوه وقيل معنى الايه سريع مجي يوم الحساب فالمقصد بالايه
الانذار بيوم القيمه قلت والكل محتمل فيا خذ العبد لنفسه في تخفيف
الحساب عنه بالاعمال الصالحه وانما يخف الحساب في الاخره على من
حاسب نفسه في الدنيا قال ابن عباس في قوله تعالى اوليك
لهم نصيب مما كسبوا هو الرجل ياخذ مالا يحج به عن غيره فيكون له ثواب
وروي عنه في هذه الايه ان رجلا قال يا رسول الله مات ابي ولم يحج
افاحج عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو كان على ابيك دين فقضيته
اما كان ذلك يجزي قال نعم قال فدين الله احق ان يقضى قال فهل لي من اجر

فانزل الله تعالى اوليك لهم نصيب مما كسبوا يعني من حج عن ميت
كان الاجر بينه وبين الميت قال ابو عبد الله محمد بن خوازمنداد في احكامه
قول ابن عباس نحو قول مالك لان تحصيل مذهب مالك ان المحجوج
يحصل له ثواب النفقة والحجة للحاج فكانه يكون له ثواب
بدنه واعماله وللمحجوج عنه ثواب ماله وانفاقه ولهذا قلنا لا
يختلف في هذا حكم من حج عن نفسه حجة الاسلام او لم يحج لان
الاعمال التي تدخلها النيابة لا يختلف حكم المستناب فيها بين ان يكون
تادى عن نفسه او لم يود اعتبارا باعمال الدين والدنيا الا ترى
ان الذي زكاه او كفارة او غير ذلك يجوز ان يودي عن غيره وان
عليه
لم يود عن نفسه وكذلك من لم يراع مصلحته في الدنيا يصح ان ينوب
عن غيره في مثلها فتتم لغيره وان لم تتم لنفسه ويزوج غيره وان
لم يزوج نفسه تعالى واذكروا الله في ايام معدودات
فيه ست مسايل قال الكوفيون الالف والتا
في معدودات لاقل العدد وقال البصريون هما للقليل والكثير
بدليل قوله تعالى وهم في الغرفات امنون والغرفات كثيرة ولا
خلاف بين العلما ان الايام المعدودات في هذه الاية هي ايام منى
وهي ايام التشريق وان هذه الاسما الثلاثة واقعة عليها وهي ايام
رمي الجمار وهي واقعة على الثلثة الايام التي يتعجل الحاج منها في
يومين بعد يوم النحر فقف على ذلك وقال الثعلبي وقال ابرهيم
الايام المعدودات ايام العشر والمعلومات ايام النحر وكذا حكى
مكي والمهدوي ان الايام المعدودات هي ايام العشر ولا يصح لما

ذكرناه

نقله
ذكرناه من الاجماع على ما ذكره ابو عمر بن عبد البر وغيره قال ابن عطيه
وهذا اما ان يكون من تصحيف النسخه واما ان يريد العشر الذي بعد
النحر وفي ذلك بعد امر الله سبحانه وتعالى عباده
بذكره في الايام المعدودات وهي الثلاثه التي بعد يوم النحر وليس
يوم النحر منها لاجماع الناس انه لا ينفر احد يوم القر وهو ثاني
يوم النحر ولو كان يوم النحر في المعدودات لساغ ان ينفر من شا
متعجلا يوم القر لانه قد اخذ يومين من المعدودات خرج الترمذي
وغيرهما عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي ان ناسا من اهل نجد اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفه فسالوه فامر مناديا فنادى الحج
عرفه من جا ليله جمع قبل طلوع الفجر فقد ادرك ايام منى ثلاثه فمن تعجل
في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه اي من تعجل من الحاج في
يومين من ايام منى صار مقامه بمنى ثلاثه ايام بيوم النحر ويصير
جميع رميه بتسع واربعين حصاه ويسقط عنه رمي يوم الثالث
ومن لم ينفر منها الا في اخر اليوم الثالث حصل له بمنى مقام اربعه ايام
من اجل يوم النحر واستوفى العدد في الرمي على ما ياتي بيانه ومن الدليل
على ان ايام منى ثلاثه ما ذكرناه قول العرجي ما نلتقي الا ثلاث منى حتى
يفرق بيننا النفر فايام الرمي معدودات وايام النحر معلومات
روى نافع عن ابن عمر ان الايام المعدودات والايام المعلومات
يجمعها اربعه ايام يوم النحر وثلاثه ايام بعده فيوم النحر معلوم غير
معدود واليومان بعده معلومان معدودان واليوم
الرابع معدود لا معلوم وهذا مذهب مالك وغيره وانما كان

لذلك لان الاول ليس من الايام التي تختص بمنى في قوله سبحانه وتعالى
واذكروا الله في ايام معدودات ولا من التي عين النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله ايام منى ثلاثة فكان معلوما لان الله تعالى ليذكروا اسم الله في ايام
معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام ولا خلاف ان المراد به النحر
وكان النحر في اليوم الاول وهو يوم الاضحى والثاني والثالث ثم لم يكن
الرابع غير مراد في قوله معلومات لانه لا ينحر فيه وكان مما يرمى فيه
فصار معدودا لاجل الرمي غير معلوم لعدم النحر فيه قال ابن العربي
والحقيقة فيه ان يوم النحر معدود بالرمي معلوم بالذبح لكنه عند علمائنا
ليس مرادا في قوله تعالى واذكروا الله في ايام معدودات وقال ابو
حنيفة والشافعي الايام المعلومات العشر من اول ذي الحجة واخرها
يوم النحر لم يختلف قولهما في ذلك ورويا ذلك عن ابن عباس وروى
الطحاوي عن ابي يوسف ان الايام المعلومات ايام النحر قال ابو
يوسف روي ذلك عن عمر وعلي واليه اذهب لانه تعالى ويذكروا
اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام وحكى
الكرخي عن محمد بن الحسن ان الايام المعلومات ايام النحر الثلاثة يوم
الاضحى ويومان بعده قال الكيا الطبري فعلى قول ابي يوسف ومحمد
لا فرق بين المعلومات والمعدودات لان المعدودات المذكورة
في القران ايام التشريق بلا خلاف ولا يشك احد ان المعدودات
لا تتناول ايام العشر لان الله تعالى يقول فمن تعجل في يومين
فلا اثم عليه وليس في العشر حكم يتعلق بيومين دون الثالث وقد
روي عن ابن عباس ان المعلومات العشر والمعدودات ايام التشريق

وهو

وهو قول الجمهور قلت وقال بن زيد الايام المعلومات عشر
ذي الحجه وايام التشريق وفيه بعد لما ذكرناه وظاهر الايه يدفعه
وجعل الله الذكر في الايام المعدودات والمعلومات يدل على
خلاف قوله فلا معنى للاشتغال به ولا خلاف ان
المخاطب بهذا الذكر هو الحاج خوطب بالتكبير عند رمي الجمار على ما رزقه
من بهيمه الانعام في الايام المعلومات وعند ادبار الصلوات دون
تلبيه وهل يدخل غير الحاج في هذا ام لا فالذي عليه فقها الامصار والمشاهير
من الصحابه والتابعين على ان المراد بالتكبير كل احد وخصوصا في اوقات
الصلوات فيكبر عند انقضا كل صلاه كان المصلي وحده او في جماعه
تكبيرا ظاهرا في هذه الايام اقتدا بالسلف رضي الله عنهم وفي
المختصر ولا تكبر النسا دبر الصلوات والاول اشهر لانه يلزمها حكم
الاحرام كالرجل قاله في المدونه ومن نسي التكبير
باثر صلاه كبر ان كان قريبا وان تباعد فلا شي عليه قاله بن الجلاب
وقال مالك في المختصر يكبر ما دام في مجلسه فاذا قام من مجلسه
فلا شي عليه ومن المدونه من قول مالك ان نسي الامام التكبير فان
كان قريبا قعد فكبر وان تباعد فلا شي عليه وان ذهب ولم يكبر والقوم
جلوس فليكبروا واختلف العلما في طرفي مدة التكبير
فقال عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وبن عباس يكبر من صلاه
الصبح يوم عرفه الى العصر من اخر ايام التشريق وقال بن مسعود وابو
حنيفه يكبر من غداه عرفه الى صلاه العصر من يوم النحر وخالفه
صاحباه فقالا بالقول الاول قول عمر وعلي رضي الله عنهما فاتفقوا

في الابتداء دون الانتها وقال ملك يكبر من صلاة الظهر يوم النحر الى
صلاة الصبح من اخر ايام التشريق وبه قال الشافعي وهو قول ابن عمر
وابن عباس ايضا وقال زيد بن ثابت يكبر من ظهر يوم النحر الى اخر ايام التشريق
قال ابن العربي فاما من قال يكبر يوم عرفه ويقطع العصر من يوم النحر
فقد خرج عن الظاهر لان الله تعالى قال في ايام معدودات وايام
ثلثه وقد قال هولا يكبر في يومين فتركوا الظاهر لغير دليل واما من
قال يوم عرفه وايام التشريق فقال انه قال فاذا افضتم من عرفات
فذكر عرفات داخل في ذكر الايام هذا كان يصح لو كان قال يكبر من
من الغروب يوم عرفه لان وقت الافاضه حينيذ فاما قبل فلا يقتضيه
ظاهر اللفظ ويلزمه ان يكون من يوم الترويه عند الحلول بمنى
واختلفوا في لفظ التكبير فمشهور مذهب ملك
انه يكبر اثر كل صلاة ثلاث تكبيرات رواه زياد بن زياد عن ملك وفي
المذهب رواية يقال بعد التكبيرات الثلاث لا اله الا الله والله اكبر
ولله الحمد تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه فيه عشرون
مسله قوله تعالى فمن تعجل التعجيل ابدا لا يكون ههنا الا في
اخر النهار وكذلك اليوم الثالث لان الرمي في تلك الايام انما وقته بعد
الزوال واجمعوا ان يوم النحر لا يرمى فيه غير جمرة العقبه لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يرم يوم النحر من الجمرات غيرها ووقتها من طلوع
الشمس الى الزوال وكذلك اجمعوا ان وقت رمي الجمرات في ايام التشريق
بعد الزوال الى الغروب واختلفوا فيمن رمى جمرة العقبه قبل طلوع الشمس
وبعد طلوع الفجر قبل طلوع الشمس فقال ملك وابو حنيفه واحمد

واسحق

واسحق جايز رميها بعد الفجر قبل طلوع الشمس قال مالك لم يبلغنا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم رخص لاحد يرمي قبل ان يطلع الفجر ولا يجوز رميها قبل
الفجر فان رماها قبل الفجر اعادها وكذلك قال ابو حنيفه واصحابه
لا يجوز رميها وبه قال احمد واسحق ورخصت طايفه في الرمي قبل
طلوع الفجر روي عن اسما بنت ابي بكر انها كانت ترمي بالليل وتقول انا
كنا نصنع هكذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود
وروي هذا القول عن عطا وابن ابي مليكه وعكرمه بن خالد وبه قال
الشافعي اذا كان الرمي بعد نصف الليل وقالت طايفه لا يرمي حتى تطلع
الشمس قاله مجاهد والنخعي والثوري وقال ابو ثور ان رماها قبل
طلوع الشمس فان اختلفوا فيه لم يجزه وان اجمعوا او كانت فيه
سنه اجزاه قال ابو عمر اما قول الثوري ومن تابعه فحجته ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم رمى الجمره بعد طلوع الشمس وقال خذوا عني
مناسككم وقال ابن المنذر السنه ان لا ترمي الا بعد طلوع الشمس
ولا يجزي الرمي قبل طلوع الفجر فان رمى اعاد اذ فاعله مخالف لما سنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته ومن رماها بعد طلوع الفجر
قبل طلوع الشمس فلا اعادة عليه اذ لا اعلم احدا قال لا يجزيه
قلت روي معمر قال اخبرني هشام بن عروه عن ابيه قال امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ام سلمه ان تصبح بمكه يوم النحر وكان
يومها قال ابو عمر اختلف على هشام في هذا الحديث فروت طايفه
عن هشام عن ابيه مرسلا كما رواه معمر ورواه اخرون عن هشام عن
ابيه عن عايشه رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر

سلمه بذلك مسندا ورواه اخرون عن هشام عن ابيه عن زينب بنت
ابي سلمه عن ام سلمه مسندا ايضا وكلهم ثقات وهو يدل على انها
رمت الجمره بمنى قبل الفجر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرها
ان تصبح بمكه يوم النحر وهذا لا يكون الا وقد رمت الجمره بمنى ليلا
قبل الفجر والله اعلم ورواه ابو داود قال ثنا هرون بن عبد الله
قال ثنا ابن ابي فديك عن الضحاك بن عثمان عن هشام بن عروه عن ابيه
عن عايشه رضي الله عنها قالت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بام سلمه ليله النحر فرمت الجمره قبل الفجر ثم مضت فافاضت وكان
ذلك اليوم الذي يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها
واذا ثبت فالرمي بالليل جايز لمن فعله والاختيار من طلوع الشمس
الى زوالها قال ابو عمر واجمعوا على ان وقت الاختيار في رمي جمره
العقبه من طلوع الشمس الى زوالها واجمعوا انه ان رماها
قبل غروب الشمس من يوم النحر فقد اجزا عنه ولا شي عليه الا
مالكا فانه قال استحب له ان ترك رمي جمره العقبه حتى
امسى ان يهريق دما يجي به من الحل واختلفوا فيمن رماها حتى
غابت الشمس رماها من الليل او من الغد فقال مالك عليه دم
واحتج بان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت لرمي الجمره وقتا
وهو يوم النحر فمن رمى بعد غروب الشمس فقد رماها بعد
خروج وقتها ومن فعل شيا في الحج بعد وقته فعليه دم وقال
الشافعي لا دم عليه وهو قول ابي يوسف ومحمد وبه قال ابو
ثور لان النبي صلى الله عليه وسلم قال له السايل يا رسول الله

رميت بعد ما امسيت قال لا حرج قال مالك من نسي رمي الجمار
حتى يمسي فيلزم اي ساعة ذكر من ليل او نهار كما يصلي ايها ساعة
شا ولا يرمي ما فاته خاصة وان كانت جمرة واحدة رماها ثم يرمي ما
رمي بعدها من الجمار فان الترتيب في الجمار واجب فلا يجوز ان يشرع
في رمي جمرة حتى يكمل رمي الجمرة الاولى كركعات الصلاة هذا هو
المشهور من المذهب وقيل ليس الترتيب بواجب في صحة الرمي بل
اذا كان جهله في وقت الاداء اجزاه فاذا مضت ايام
الرمي فلا رمي فان ذكر بعدما يصدر وهو بمكة او بعد ما يخرج منها
فعليه الهدي وسوا ترك الجمار كلها او جمرة منها او حصاة من جمرة
حتى خرجت ايام منى فعليه دم وقال ابو حنيفة وان ترك جمرة
واحدة كان عليه بكل حصاة من الجمرة اطعام مسكين نصف صاع
الى ان يبلغ دما فيطعم ما شا الا جمرة العقبة فعليه دم وقال
الاوزاعي يتصدق ان ترك حصاة وقال الثوري يطعم في
الحصاة والحصاتين والثلاث فان ترك اربعا فصاعدا فعليه دم
وقال الليث في الحصاة الواحدة دم وهو احد قولي الشافعي
والقول الاخر وهو المشهور ان في الحصاة الواحدة مدا من
طعام وفي حصاتين مدين وفي ثلاث حصاة دم ولا
سبيل عند الجميع الى رمي ما فاته من الجمار في ايام التشريق حتى غابت
الشمس من اخرها وذلك اليوم الرابع من يوم النحر وهو اليوم
الثالث من ايام التشريق ولكن يجبره بالدم او الطعام على حسب
ما ذكرنا ولا يجوز المبيت بمكة وغيرها عن منى

ليالي التشريق فان ذلك غير جاير عند الجميع الا للرعا ولمن ولي السقايه
من ال العباس قال ملك من ترك المبيت ليله من ليالي منى من
غير الرعا واهل السقايه فعليه دم روي البخاري عن بن عمر ان العباس
استاذن النبي صلى الله عليه وسلم ليبيت بمكه ليالي منى من اجل سقايته
فاذن له قال بن عبد البر كان العباس ينظر في السقايه ويقوم بامرها
ويسقي الحاج شرابها ايام الموسم فلذلك ارخص له في المبيت عن
منى كما ارخص للرعا الابل من اجل حاجتهم لرعي الابل وضرورتهم
الي الخروج بها نحو المراعي التي تبعد عن منى وسميت منى منى لما يمنى
فيها من الدما اي يراق وقال بن عباس انما سميت منى لان جبريل
قال لادم تمنه قال اتمنى الجنه فسميت منى قال وانما سميت
جمعا لانه اجتمع بها حوى وادم عليهما السلام والجمع ايضا هو المزدلفه
وهو المشعر الحرام ايضا كما تقدم واجمع الفقها على ان
المبيت للحاج غير الذين رخص لهم ليالي منى من شعاير الحج ونسكه
والنظر يوجب على كل مسقط لنسكه دما قياسا على ساير الحج ونسكه
وفي موطا ملك عن نافع عن بن عمر قال قال عمر لا يبيتن احد من الحاج
من ورا العقبه والعقبه التي منع عمر المبيت بها هي العقبه التي
عند الجمره التي يرميها الناس يوم النحر مما يلي مكه رواه بن نافع عن ملك
في المبسوط قال وقال ملك ومن بات وراها ليالي منى الفديه وذلك
انه بات بغير منى ليالي منى وهو مبيت مشروع في الحج فلزمه الدم
تركه كالمبيت بالمزدلفه ومعنا الفديه هنا عند ملك الهدي
قال ملك هو هدي ينساق من الحل الي الحرم روى ملك

عن

عن عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابيه ان ابا البداح بن عاصم بن عدي اخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارخص لرعاء الابل في البيتوته عن منى يرمون يوم النحر ثم يرمون الغد ومن بعد الغد ليومين ثم يرمون يوم النفر قال ابو عمر لم يقل مالك بمقتضى هذا الحديث وكان يقول يرمون يعني جمره العقبه ثم لا يرمون من الغد فاذا كان بعد الغد وهو الثاني من ايام التشريق وهو اليوم الذي يتعجل فيه النفر من يريد التعجيل او من يجوز له التعجيل رموا اليومين لذلك اليوم ولليوم الذي قبله لانهم يقضون ما كان عليهم ولا يقضي احد عنده شيا الا بعد ان يجب عليه هذا معنى ما فسر به مالك هذا الحديث في موطاه وغيره يقول لا باس بذلك كله على ما في حديث مالك لانها ايام رمي كلها وانما لم يجز عند مالك للرعاء تقديم الرمي لان غير الرعاء لا يجوز لهم ان يرموا في ايام التشريق شيا من الجمار قبل الزوال فان رمى قبل الزوال اعادها ليس لهم التقديم وانما رخص لهم في اليوم الثاني الى الثالث قال ابن عبد البر الذي قاله مالك في هذه المسله موجود في روايه ابن جريج قال اخبرني محمد بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابيه ان ابا البداح بن عاصم بن عدي اخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم للرعاء ان يتعاقبوا فيرموا يوم النحر ثم يدعوا يوما وليله ثم يرمون الغد قال علماونا فتسقط رمي الجمره الثالثه عن من تعجل قال ابن ابي زمنين يرميها يوم النفر الاول حين يريد التعجيل قال ابن المواز يرمي المتعجل في يومين باحدى وعشرين حصاه كل جمره سبع فيصير جميع رميه بتسع واربعين حصاه لانه قد رمى جمره العقبه يوم النحر قال ابن

المنذر ويسقط في اليوم الثالث روى ملك عن يحيى
بن سعيد عن عطا بن ابي رباح انه سمعه يذكر انه ارخص للرعاان
يرموا بالليل يقول في الزمن الاول قال الباجي قوله في الزمن الاول
يقتضي اطلاقه زمن النبي صلى الله عليه وسلم لانه اول زمن هذه الشريعة
فعلى هذا هو مرسل ويحتمل ان يريد به اول زمن ادركه عطا فيكون
موقوفا مسندا والله اعلم قلت هو مسند من حديث عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم خرجه الدارقطني
وغيره وقد ذكرناه في المقتبس في شرح موطا مالك بن انس وانما ابيح
لهم ذلك بالليل لانه ارفق بهم واحوط فيما يحاولونه من رعي
الابل لان الليل وقت لا يرعا فيه ولا ينتشر فيرمون في ذلك
الوقت وقد اختلفوا فيمن فاته الرمي حتى غربت الشمس فقال
عطا لا رمي بالليل الا لرعاة الابل فاما التجار فلا وروي عن ابن عمر
انه قال من فاته الرمي حتى يغيب الشفق فلا يرمي حتى تطلع الشمس
من الغد وبه قال احمد واسحق وقال ملك اذا تركه نهارا رماه ليلا
وعليه دم في رواية ابن القاسم ولم يذكر في الموطا ان عليه دما وقال
الشافعي وابو ثور ويعقوب ومحمد اذا نسي الرمي حتى امسى يرمي
ولا دم عليه وكان الحسن البصري يرخص في رمي الجمار ليلا وقال ابو حنيفة
يرمي ولا شي عليه وان لم يذكرها من الليل حتى ياتي الغد فعليه ان يرميها
وعليه دم وقال الثوري اذا اخر الرمي الى الليل ناسيا او متعمدا اهراق
دما قلت اما من رما من رعا الابل او اهل السقاية بالليل فلا دم
يجب للحديث وان كان من غيرهم فالنظر يوجب الدم للزمه العد

والله

والله اعلم   ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى جمره
العقبه يوم النحر على راحلته واستحب ملك وغيره ان يكون الذي
يرميها راكبا وقد كان بن عمر وبن الزبير وسالم يرمونها وهم مشاه ويرمي
في كل يوم من الثلاث باحدى وعشرين حصاه يكبر مع كل حصاة ويكون
وجهه في حال رميه الى الكعبه ويرتب الجمرات ويجمعهن ولا يفرقهن ولا
ينكسهن يبدا بالجمره الاولى فيرميها بسبع حصيات رميا ولا يضعها
وضعا كذلك قال ملك والشافعي وابو ثور واصحاب الراي
فان طرحها طرحا جاز عند اصحاب الراي وقال بن القاسم لا يجوز في
الوجهين جميعا وهو الصحيح لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرميها
ولا يرمي عند يوم حصاتين او اكثر في مره كان يعدها حصاه واحده
فاذا فرغ منها تقدم امامها فوقف طويلا للدعا بما تيسر ثم يرمي
الثانيه وهي الوسطى وينصرف عنها ذات الشمال في بطن المسيل
ويطيل الوقوف عندها للدعا ثم يرمي الثالثه بموضع جمره العقبه
بسبع حصياة ايضا يرميها من اسفلها ولا يقف عندها ولو رماها
من فوقها اجزاه ويكبر في ذلك كله مع كل حصاه يرميها وسنه الذكر
في رمي الجمار التكبير وزعيره من الذكر ويرميها ماشيا بخلاف يوم
النحر وهذا كله توقيف رفعه النساي والدارقطني عن الزهري ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا رمى الجمره التي تلي المسجد مسجد
منى يرميها بسبع حصيات يكبر كلما رمى بحصاه ثم تقدم امامها فوقف
مستقبل القبله رافعا يديه يدعو وكان يطيل الوقوف ثم ياتي
الجمره الثانيه فيرميها بسبع حصيات يكبر كلما رمى بحصاه ثم يحدر

جمره

ذات اليسار مما يلي الوادي فيقف مستقبل القبله رافعا يديه ثم
يدعو ثم يأتي الجمره التي عند العقبه فيرميها بسبع حصيات يكبر كلما
رمى بحصاة ثم ينصرف ولا يقف عندها قال الزهري سمعت سالم بن
عبد الله يحدث بهذا عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بن عمر يفعله
لفظ الدارقطني وحكم الجمار ان تكون طاهره غير نجسه
ولا مما رمي به فان رمى بما قد رمي به لم يجز عند مالك وقد قال عنه بن
القاسم ان كان ذلك لحصاة واحده اجزاه وتركت بابن القاسم فافتاه
بهذا واستحب اهل العلم اخذها من المزدلفه لا من حصا
المسجد فان اخذ زيادة على ما يحتاج ابقى ذلك بين بعد الرمي دفنه ولم
يطرحه قاله احمد بن حنبل وغيره ولا يغسل عند
الجمهور خلافا لطاوس وقد روي انه لو لم يغسل الجمار النجسه او رمى بما
قد رمي به انه اسا واجزاه قال بن المنذر يكره ان يرمي بما قد رمي به
ويجزي ان رمى به اذ لا اعلم احدا يوجب من فعل ذلك الاعادة ولا نعلم
في شي من الاخبار التي جات عن النبي صلى الله عليه وسلم انه غسل الحصا
ولا امر بغسله وقد روينا عن طاوس انه كان يغسله
ولا يجزي في الجمار المدر ولا شي غير الحجر وهو قول الشافعي واحمد واسحق
وقال اصحاب الراي يجوز بالطين اليابس وكذلك كل شي رماها من الارض
فهو يجزي وقال الثوري من رمى بالخزف والمدر لم يعد الرمي قال بن
المنذر لا يجزي الرمي الا بالحصى لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى الحذف
وبالحصى رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قدر الحصا فقال الشافعي يكون اصغر من الانمله طولا وعرضا وقال

ابو ثور

ابو ثور واصحاب الراي بمثل حصى الخذف وروينا عن بن عمر انه قال
يرمي الجمرة بمثل بعر الغنم ولا معنى لقول ملك اكثر من ذلك احب
الي لان النبي صلى الله عليه وسلم سن الرمي بمثل حصى الخذف ويجوز ان
يرمي بما وقع عليه اسم حصاه واتباع السنه افضل قاله بن المنذر قلت
وهو الصحيح الذي لا يجوز خلافه لمن اهتدي واقتدي روى النساي
عن بن عباس قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداه العقبه
وهو على راحلته هات القط لي فلقطت له حصيات هن حصا الخذف
فلما وضعهن في يده قال بامثال هولا واياكم والغلو في الدين
فانما اهلك من كان قبلكم الغلو في الدين قلت قوله واياكم والغلو
في الدين على كراهه الرمي بالجمار الكبار وان ذلك من الغلو والله اعلم
ومن بقي في يده حصاه لا يدري من اي الجمار
هي جعلها من الاولى ورمي ورمي بعدها الوسطى والاخرى فان طال
استانف جميعا قال ملك والشافعي
وعبد الملك وابو ثور واصحاب الراي فيمن قدم جمرة على جمرة لا
يجزيه الا ان يرمي على الولا وقال الحسن وعطا وبعض الناس يجزيه
واحتج بعض الناس بقول النبي صلى الله عليه وسلم من قدم نسكا بين
يدي نسك فلا حرج وقال لا يكون هذا باكثر من رجل اجتمعت
عليه صلاه او صيام فقضى بعضا قبل بعض والاول احوط والله
اعلم واختلفوا في رمي المريض والرمي
عنه فقال ملك يرمي عن المريض والصبي الذين لا يطيقان الرمي
ويتحرى المريض حين رميهم فيكبر سبع تكبيرات لكل جمرة وعليه

واذا صح المريض في ايام الرمي رمي عن نفسه وعليه مع ذلك الدم عند مالك وقال الحسن والشافعي واحمد واسحق واصحاب الراي يرمي عن المريض ولم يذكروا هديا ولا اختلاف في الصبي الذي لا يقدر على الرمي انه يرمي عنه وكان ابن عمر يفعل ذلك

روي الدارقطني عن ابي سعيد الخدري قلنا يا رسول الله هذه الجمار التي نرمي بها كل عام فنحسب انها تنقص فقال انه ما يقبل منها رفع ولولا ذلك لرايتها امثال الجبال قال ابن المنذر

واجمع اهل العلم على ان لمن اراد الخروج من الحاج عن منى شاخصا الى بلده خارجا عن الحرم غير مقيم بمكة في النفر الاول ان ينفر بعد زوال الشمس اذا رمى في اليوم الذي يلي يوم النفر قبل ان يمسي لان الله جل ذكره قال فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه فلينفر من اراد النفر ما دام في شي من النهار وقد روينا عن الحسن والنخعي انهما قالا من ادركه العصر وهو بمنى من اليوم الثاني من ايام التشريق لم ينفر حتى الغد قال ابن المنذر وقد يحتمل ان يكونا قالا ذلك استحبابا والقول الاول به نقول لظاهر الكتاب والسنه واختلفوا في اهل مكه هل ينفرون النفر الاول فروينا عن عمر بن الخطاب انه قال من شا من الناس كلهم ان ينفروا في النفر الاول الا ال خزيمه فلا ينفرون الا في النفر الاخر وكان احمد يقول لا يعجبني لمن نفر النفر الاول ان يقيم بمكه وقال اهل مكه اخف وجعل احمد واسحق معنى قول عمر بن الخطاب الا ال خزيمه اي انهم اهل حرم وكان مالك يقول في اهل مكه من كان له عذر فله ان يتعجل في يومين فان اراد التخفيف

غن نفسه

خامس

عن نفسه مما هو فيه من امر الحج فلا فراى التعجيل لمن بعد فطره وقالت
طايفه الايه على العموم والرخصه لجميع الناس اهل مكه وغيرهم اراد
الخارج عن منى المقام بمكه او الشخوص الى بلده قال عطا وهي للناس
عامه قال بن المنذر وهو يشبه مذهب الشافعي وبه نقول وقال
بن عباس والحسن وعكرمه ومجاهد وقتاده والنخعي من نفر في اليوم
الثاني من الايام المعدودات فلا حرج ومن تاخر الى الثالث فلا
حرج فمعنى الايه كل ذلك مباح وعبر عنه بهذا التقسيم اهتماما
وتاكيدا اذ كان من العرب من يذم المتعجل وبالعكس فنزلت الايه
رافعه للجناح من كل ذلك وقال علي بن ابي طالب وبن مسعود
وبن عباس رضي الله عنهم وابرهيم والنخعي ايضا معنى من تعجل فقد
غفر له ومن تاخر فقد غفر له واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم من
حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من خطاياه كيوم ولدته امه
فقوله لا اثم عليه نفي عام وتبريه مطلقه وقال مجاهد ايضا معنى
الايه من تعجل او تاخر فلا اثم عليه الى العام المقبل واسند في هذا
القول اثر وقال ابو العاليه في الايه لا اثم عليه لمن اتقى بقيه
عمره والحاج مغفور له البته اي ذهب اثمه كله ان اتقى الله فيما
بقي من عمره وقال صالح وغيره معنى الايه لا اثم عليه لمن اتقى
قتل الصيد وما يجب عليه تجنبه في الحج وقال ايضا لمن اتقى في حجه
فاتى به تاما حتى كان مبرورا
قوله لمن رفع بالابتدا والخبر فلا اثم عليه ويجوز في غير القران
فلا اثم عليهم لان معنى من جماعه كما قال جل وعز ومنهم من

يستمعون اليك وهذا ومن تاخر فلا اثم عليه واللام في قوله لمن اتقى
متعلقة بالغفران التقدير المغفرة لمن اتقى وهذا على تفسير ابن مسعود
وعلي قال قتادة ذكر لنا ان ابن مسعود قال انما جعلت المغفرة لمن اتقى
بعد انصرافه من الحج عن جميع المعاصي والاخفش التقدير ذلك
لمن اتقى وقال بعضهم لمن اتقى يعني قتل الصيد في الاحرام وفي الحرم
وقيل التقدير الاباحة لمن اتقى وروي هذا عن ابن عمر وقيل السلامة
لمن اتقى وقيل هي متعلقة بالذكر الذي في قوله واذكروا اي الذكر لمن
اتقى وقرا سالم بن عبد الله فلا اثم بوصل الالف تخفيفا والعرب قد
تستعملها قال الشاعر ان لم اقاتل فالبسوني برقعا ثم امر
تعالى بالتقوى وذكر بالحشر والوقوف تعالى ومن الناس
من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه فيه ثلاث
مسائل قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله لما ذكر
الذين قصرت همتهم على الدنيا في قوله ومن الناس من يقول ربنا اتنا
والمومنين الذين سالوا الخير الذين ذكرنا فقبل لانهم اظهروا
الايمان واسروا الكفر قال السدي وغيره من المفسرين نزلت في
الاخنس بن شريق واسمه ابي والاخنس لقب لقب به لانه خنس
يوم بدر بثلاثمائة رجل من حلفائه من بني زهرة عن قتال رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ما ياتي بيانه في ال عمران وكان رجلا حلو القول
والمنظر فجا بعد ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فاظهر الاسلام وقال الله
يعلم اني صادق ثم هرب بعد ذلك فمر بزرع لقوم من المسلمين
وبحمر فاحرق الزرع وعقر الحمر قال المهدوي وفيه نزلت ولا تطع

كل

كل حلاف مهين هماز مشا بنميم وقيل الحل همزه قال بن عطيه ما ثبت
قط ان الاخنس اسلم وقال بن عباس نزلت في قوم من المنافقين تكلموا في
الذين قتلوا في غزوة الرجيع في قوله ومن الناس من يشري نفسه
ابتغا مرضات الله وقال قتاده ومجاهد وجماعه من العلما نزلت في
كل مبطن كفرا او نفاقا او كذبا او اضطرارا وهو يظهر بلسانه خلاف
ذلك فهي عامه وهي تشبه ما ورد في الترمذي ان في بعض كتب الله تعالي
ان من عباد الله قوما السنتهم احلا من العسل وقلوبهم امر من الصبر
يلبسون للناس جلود الضان من اللين يشترون الدنيا بالدين يقول الله
تعالي ابي يغترون وعلي يجترون فبي حلفت لاتيحن لهم فتنه تدع الحليم
منهم حيران ومعني ويشهد الله اي يقول الله اعلم يعلم اني اقول
حقا وقرا بن محيصن ويشهد الله علي ما في قلبه وقراه الجماعه ابلغ في الذم
لانه قوي علي نفسه التزام الكلام الحسن ثم ظهر من باطنه خلافه وقرا
بن مسعود ويستشهد الله علي ما في قلبه وهي حجه لقراه الجماعه
قال علماونا وفي الايه دليل وتنبيه علي الاحتياط فيما يتعلق
بامور الدين والدنيا واستبروا احوال الشهود والقضاه وان
الحاكم لا يعمل علي ظاهر احوال الناس وما يبدو امن ايمانهم وصلاحهم
حتي يبحث عن باطنهم لان الله تعالي بين احوال الناس وان منهم من يظهر قولا
جميلا وهو ينوي قبيحا فان قيل هذا يعارضه قوله عليه السلام امرت
ان اقاتل الناس حتي يقولوا لا اله الا الله الحديث وقوله فاقضي له علي نحو ما اسمع
فالجواب ان هذا كان في صدر الاسلام حيث كان اسلامهم سلامتهم واما
وقد عم الفساد فلا قاله بن العربي قلت والصحيح ان الظاهر يعمل

عليه حتى يتبين خلافه لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صحيح البخاري
ايها الناس ان الوحي قد انقطع وانما ناخذكم الان بما ظهر لنا من اعمالكم فمن
اظهر لنا خيرا امناه وقربناه وليس لنا من سريرته الله سبحانه في سريرته
ومن اظهر لنا سوا لم نؤمنه ولم نصدقه وان قال ان سريرته حسنه

قوله تعالى وهو الد الخصام الالد الشديد الخصومه وهو
رجل الد وامراة لدا وهم اهل لد وقد لددت بكسر العين تلد بالفتح
لددا اي صرت الد ولددته بفتح العين الده بضمها اذا جادلته فغلبته
والالد مشتق من اللديدين وهما صفحتا العنق اي في جانب من الخصومه
غلب قال الشاعر والد ذي حنق علي كانما تغلي عداوة صدره
في مرجل وقال لحران تحت التراب عزما وحزما وخصيما الدا
معلاق والخصام في الايه مصدر خاصم قاله الخليل وقيل جمع خصم
قاله الزجاج ككلب وكلاب وصَعْبٍ وَصِعَابٍ وضخمٍ وضخامٍ والمعنى
اشد المخاصمين خصومه اي هو ذو جدال اذا كلمك وراجعك رايت
لكلامه طلاوة وباطنه باطل وهذا يدل على ان الجدال لا يجوز الا بما
ظاهره وباطنه سوا وفي صحيح مسلم عن عايشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم تعالى واذا
تولى سعى في الارض ليفسد فيها قيل تولى سعى من فعل القلب فيجي تولى بمعنى
ضل وغضب وانف في نفسه وسعى اي سعى بحيله وارادته الدواير على
الاسلام واهله عن ابن جريج وغيره وقيل هما فعل شخص فيجي تولى بمعنى ادبر
وذهب عنك يا محمد وسعى اي بقدميه فقطع الطريق وافسدها عن ابن
عباس وغيره وكلا السعيين فساد يقال سعا الرجل يسعا سعيا اي

غدا

عدا ولذلك اذا عمل وكسب وفلان يسعى على عياله اي يعمل في نفعهم
تعالى ويهلك عطف على ليفسد وفي قراة ابي وليهلك وقرا الحسن
وقتاده ويهلك بالرفع وفي رفعه اقوال يكون معطوفا على يعجبك
وقال ابو حاتم هو معطوف على سعى لان معناه يسعى ويهلك وقال
ابو اسحق وهو يهلك وروي عن ابن كثير ويهلك بفتح اليا وضم الكاف
الحرث والنسل مرفوعان بيهلك وهي قراه الحسن وابن ابي اسحق
وابي حيوه وابن محيصن ورواه عبد الوارث عن ابي عمرو وقرا قوم
ويهلك بفتح اليا واللام ورفع الحرث وهي لغة هلك يهلك
مثل ركن يركن وابى يابى وسلى يسلى وقلا يقلا وشبهه والمعنى
في الايه الاخنس في احراقه الزروع وقتله الحمر قاله الطبري قال
غيره ولكنها صارت عامه لجميع الناس فمن عمل مثل عمله استوجب
تلك اللعنه والعقوبه قال بعض الحكما ان من يقتل حمارا او يحرق
كرسا استوجب الملامه ولحقه الشين الى يوم القيمه مجاهد
المراد ان الظالم يفسد في الارض فيمسك الله المطر فيهلك الحرث
والنسل وقيل الحرث النسا والنسل الاولاد وهذا لان النفاق
يودي تفريق الكلمة ووقوع القتال وفيه هلاك الخلق قال معناه الزجاج
الزجاج والسعي في الارض المشي بسرعة وهذه عبارة عن انقطاع
الفتنه والتضريب بين الناس والله اعلم وفي الحديث ان الناس اذا
راوا الظالم ولم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب
من عنده وسياتي بيان هذا ان شا الله تعالى الحرث والنسل الحرث
في اللغة الشق ومنه المحراث لما يشق به الارض والحرث كسب المال

وجمعه وفي الحديث احرث لدنياك فانك تعيش ابدا والحرث الزرع
والحراث الزراع وقد حرث واحترث مثل زرع وازدرع ويقال
احرث القران اي ادرسه وحرثت الناقه واحرثتها اي سرت عليها
حتى هزلت وحرثت النار حركتها والمحراث ما يحرك به نار التنور
عن الجوهري والنسل خرج من كل انثى من ولد واصله الخروج والسقوط
منه نسل الشعر وريش الطاير والمستقبل ينسل ومنه الى ربهم
ينسلون من كل حدب ينسلون وقال امرو القيس نسلي سائلي من
سائلك حسلي قلت ودلت الايه على الحرث وزراعه الارض
غرسها بالاشجار حملا على الزرع وطلب النسل وهو نما الحيوان وبذلك
يتم قوام الانسان وهو يرد على من قال بترك الاسباب وسياتي
بيانه في هذا الكتاب ان شا الله تعالى   تعالى والله لا يحب
الفساد قال العباس بن الفضل الفساد هو الخراب وقال سعيد
بن المسيب قطع الدراهم من الفساد في الارض وقال عطا ان رجلا
كان يقال له عطا بن منبه احرم في جبه فامره النبي صلى الله عليه وسلم
ان ينزعها قال قتاده قلت لعطا انا كنا نسمع ان يشقها فقال عطا
ان الله لا يحب الفساد قلت والايه بعمومها تعم كل فساد كان
في ارض او مال او دين وهو الصحيح ان شا الله قيل معنى لا يحب
الفساد اي لا يحبه من اهل الصلاح او لا يحبه دينا ويحتمل ان
يكون المعنى لا يامر به والله اعلم   تعالى واذا قيل له
اتق الله الايه هذه صفه الكافر والمنافق الذاهب بنفسه زهوا
ويكره للمومن ان يوقعه الحرج في بعض هذا قال عبد الله كفا بالمر اثما ان

يقول

يقول له اخوه اتق الله فيقول له عليك بنفسك مثلك يوصيني
والعزه والقوه والغلبه من عزه يعزه اذا غلبه ومنه وعزني في
الخطاب وقيل العزه هنا الحميه ومنه قول الشاعر   اخذته
عزه من جهله فتولى مغضبا فعل الضجر   وقيل العزه هنا
المنعه وشده النفس اي اعتز بنفسه وانتخى وقعته تلك العزه
في الاثم حين اخذته والزمته اياه وقال قتاده المعنى اذا
قيل له مهلا ازداد اقداما على المعصيه والمعنى حملته العزه على
الاثم وقيل اخذته العزه بما يوثمه اي ارتكب الكفر والعزه وحميه
الجاهليه ونظيره بل الذين كفروا في عزه وشقاق وقيل الباء في بالاثم
بمعنى اللام اي اخذته العزه والحميه عن قبول الوعظ للاثم الذي في
قلبه وهو النفاق ومنه قول عنتره   نصف عرق الناقه
وهازرا بابا او حيلا مقعدا حسن الوفود به جوانب قمقم   اي
حسن الوفود له وقيل الباء بمعنى مع اي اخذته العزه مع الاثم معنى ...
يختلف بحسب التاويلات وذكر ان يهوديا كانت له حاجه
عند هرون الرشيد فاختلف الى بابه سنه فلم تقض حاجته
فوقف يوما على الباب فلما خرج هارون سعى حتى وقف بين
يديه وقال اتق الله يا امير المومنين فنزل هرون عن دابته
وخر ساجدا فلما رفع راسه امر بحاجته فقضيت فلما رجع قيل له
يا امير المومنين نزلت عن دابتك لقول يهودي قال لا
ولكن تذكرت قول الله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزه
بالاثم فحسبه جهنم ولبيس المهاد حسبه اي كافيه معاقبه

وجزا لما تقول للرجل كفال ماحلك وانت تستعظم وتعظم عليه
ماحل والمهاد جمع المهد وهو الموضع المهيا للنوم ومنه مهد
الصبي وسمي مهادا لانها مستقر الكفار وقيل لانها بدل لهم من
المهاد لقوله فبشرهم بعذاب اليم ونظيره من الكلام قولهم تحيه
بينهم ضرب وجيع تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغا
مرضات الله ابتغا نصب على المفعول من اجله ولما ذكر صنيع
المنافقين ذكر بعده صنيع المومنين قيل نزلت في صهيب فانه اقبل
مهاجرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من قريش
فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته واخذ قوسه وقال لقد علمتم
اني من ارماكم ايم الله لا تصلون الي حتى ارمي بما في كنانتي ثم اضرب
بسيفي ما بقي في يدي منه شي ثم افعلوا ما شيتم فقالوا لا نتركك
تذهب عنا غنيا وقد جيتنا صعلوكا ولكن دلنا على مالك بمكه ونخلي
عنك وعاهدوه على ذلك ففعل فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
نزلت ومن الناس من يشري نفسه ابتغا مرضات الله الايه قال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع ابا يحيى وتلى عليه الايه اخرجه
رزين وقال سعيد بن المسيب رضي الله عنهما وقال المفسرون
اخذ المشركون صهيبا فعذبوه فقال لهم صهيب اني شيخ كبير لا
يضركم امنكم كنت ام من غيركم فهل لكم ان تاخذوا مالي وتذروني
وديني ففعلوا ذلك وكان شرط عليهم راحله ونفقه فخرج الى المدينه
فتلقاه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ورجال فقال له ابو بكر ربح بيعك
ابا يحيى فقال له صهيب وبيعك فلا يخسر ما ذاك فقال انزل الله

فيك

فيك كذا وقرا عليه الاية وقال الحسن اتدرون فيمن نزلت هذه
الاية نزلت في المسلم لقي الكافر فقال له قل لا اله الا الله فاذا قلتها
عصمت مالك ونفسك فابا ان يقولها فقال المسلم والله لاشرين
نفسي لله فتقدم فقاتل حتى قتل وقيل نزلت فيمن امر بالمعروف ونهى عن
المنكر وعلى ذلك تاولها عمر وعلي وابن عباس رضي الله عنهم قال علي وابن عباس
اقتتل الرجلان اي قال المغير للمفسد اتق الله فابى المفسد واخذته العزة
فشرى المغير نفسه من الله وقاتله فاقتتلا وقال ابو الخليل سمع عمر
بن الخطاب رضي الله عنه انسانا يقرا هذه الاية فقال عمر انا لله وانا
اليه راجعون قام رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل وقيل ان
عمر بن الخطاب سمع ابن عباس يقول اقتتل الرجلان عند قراة القارى
هذه الاية فساله عما قال ففسر له هذا التفسير فقال له عمر رضي الله عنه
لله درك يا ابن عباس وقيل نزلت فيمن يقتحم القتال حمل هشام بن
عامر على الصف في القسطنطينيه فقاتل حتى قتل فقرا ابو هريره
ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله ومثله عن ابي ايوب
وقيل نزلت في شهدا غزوة الرجيع وقال قتادة هم المهاجرون
والانصار وقيل نزلت في علي رضي الله عنه حين تركه النبي صلى الله عليه
وسلم على فراشه ليلة خرج الى الغار على ما ياتي بيانه في براة ان شا الله
تعالى وقيل الاية عامة تتناول كل مجاهد في سبيل او مستشهد
في ذاته او مغير منكر وقد تقدم حكم من حمل على الصف وياتي ذكر
المغير للمنكر وشروطه واحكامه في سورة ال عمران ان شا الله
ويشري معناه يبيع ومنه وشروه بثمن بخس اي باعوه واصله

الاستبدال ومنه قوله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة ومنه قول الشاعر وان كان ريب
الدهر امضاك في الاولى شروا هذه بعانة الخلد وقال اخر
وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه البرد هنا اسم
غلام وقال تعطي بها ثمنا فيمنعها ويقول صاحبه لا
تشترى وبيع النفس هنا هو بدلها لا وامر الله ابتغا مفعول
من اجله ووقف الكسائي على مرضات بالتا اما على لغة والباقون
بالها قال ابو علي وقف الكسائي بالتا اما على لغة من يقول طلحت
وعلقمت ومنه قول الشاعر بل جوز تيها لظهر الجحفت واما انه
لما كان المضاف اليه في ضمن اللفظة ولا بد اثبت التا كما تثبت في
الوصل ليعلم ان المضاف اليه مراد والمرضاة الرضى يقال رضي يرضى
رضى ومرضاة وحكى قوم انه لما كان المضاف اليه في ضمن اللفظة
انه يقال يشري بمعنى اشترى ويحتاج الى هذا من تاول الاية في صهيب
لانه اشترى نفسه بماله ولم يبعها اللهم الا ان يقال ان عرض
على قتالهم بيع لنفسه من الله فيستقيم اللفظ على معنى باع والله اعلم
تعالى يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة لما بين سبحانه
الناس الى مومن وكافر ومنافق قال كونوا على ملة واحدة واجتمعوا على
الاسلام واثبتوا عليه فالسلم هنا بمعنى الاسلام قاله مجاهد
ورواه ابو مالك عن ابن عباس ومنه قول الشاعر الكندي
دعوت عشيرتي للسلم لما رايتهم تولوا مدبرينا اي الى الاسلام
لما ارتدت كندة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم مع الاشعث

بن قيس

بن قيس الكندي ولان المومنين لم يومروا قط في المسالمه التي هي الصلح
وانما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان يجنح للسلم اذا جنحوا لها واما
ان يبتدي بها فلا قاله الطبري وقيل امر من امن باافواههم ان يدخلو
فيه بقلوبهم وقال طاوس ومجاهد ادخلوا في امر الدين سفيان
الثوري في انواع البر كلها وقرى السلم بكسر السين قال الكسائي
السلم والسلم واحد وكذا هو عند اكثر البصريين وهما جميعا يقعان
للاسلام والمسالمه وفرق ابو عمرو بن العلا بينهما فقراها هنا ادخلوا
في السلم وقال هو الاسلام وقرا التي في الانفال والتي في سوره محمد
صلى الله عليه وسلم السلم بفتح السين وقال هي بالفتح المسالمه وانكر
المبرد هذه التفرقه فقال عاصم الجحدري السلم للاسلام والسلم
الصلح والسلم الاستسلام وانكر محمد بن يزيد هذه التفريقات
وقال اللغه لا توخذ وانما توخذ بالسماع لا بالقياس ويحتاج
فرق الى دليل وقد حكى البصريون بنو فلان سلم وسلم وسلم بمعنى واحد
قولهم واحد وقال   وقال الجوهري السلم الصلح بفتح ويكسر ويذكر
ويونث واصله من الاستسلام والانقياد ولذلك قيل للصلح
سلم   قال زهير   وقد قلتما ان ندرك السلم واسعا بمال
ومعروف من الخير نسلم وقيل القول ورجح الطبري حمل اللفظ على
معنى الاستسلام بما تقدم وقال حذيفه بن اليمان في هذه الايه الاسلام
ثمانيه اسهم الصلاه سهم والزكاه سهم والصوم سهم والحج سهم
والعمره سهم والجهاد سهم والامر بالمعروف سهم والنهي عن المنكر
سهم وقد خاب من لا سهم له في الاسلام وقال ابن عباس نزلت الايه

في اهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى ادخلوا في الاسلام

بمحمد فانه وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني

ثم لم يومن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار وكافة

معناه جميعا فهو نصب على الحال من السلم او من ضمير المومنين وهو

مشتق من قولهم كففت اي منعت اي لا يمتنع احد منكم من الدخول

في الاسلام والكف المنع ومنه كفة الميزان القبض بالضم لانها تمنع

الثوب من الانتشار ومنه كفة الميزان بالكسر التي تجمع الموزون

وتمنعه ان ينتشر ومنه كف الانسان الذي يجمع منافعه ويمنع

مضاره وكل مستدير وكل مستطيل كفة ورجل مكفوف البصر اي منع

بصره عن النظر فالجماعة تسمى كافة لامتناعهم عن التفرق ولا تتبعوا

نهي خطوات مفعول وقد تقدم وقال مقاتل استاذن عبد الله

بن سلام واصحابه ان يقروا التوراة في صلاتهم وان يعملوا ببعض ما

في التوراة فنزلت ولا تتبعوا خطوات الشيطان وقيل اي تسلكوا

الطريق التي يدعوكم اليها الشيطان انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة

وقد تقدم   تعالى فان زللتم اي تنحيتم عن طريق الاستقامة

واصل الزلل في القدم ثم يستعمل في الاعتقادات والاراء وغير ذلك

يقال زل يزل زلا وزللا وزلولا اي دحضت قدمه وقرا ابو سماك

العدوي زللتم بكسر اللام وهما لغتان واصل الحرف من الزلق والمعنى

ضللتم وعجلتم وعجزتم عن الحق من بعد ما جاتكم البينات اي المعجزات

وايات القران ان كان الخطاب للمومنين وان كان الخطاب لاهل

الكتابين

(حاشية: قال ابن عباس اي لا تتبعوا السنة اي كل عمل يخالف سنة محمد صلى الله عليه وسلم من خطوات الشيطان)

العابين فالبينات ما ورد من شرعهم من الاعلام بمحمد صلى الله عليه وسلم
والتعريف به وفي دليل على ان عقوبه العالم بالذنب اعظم من عقوبه
الجاهل به ومن لم تبلغه دعوة الاسلام لا يكون كافرا بترك الشرايع
وحكى النقاش ان كعب الاحبار لما اسلم كان يتعلم القران فاقراه الذى
كان يعلمه فاعلموا ان الله غفور رحيم فقال كعب اني لاستنكر ان
يكون هذا ومر بهما رجل فقال كعب كيف تقرا هذه الايه فقال
الرجل فاعلموا ان الله عزيز حكيم فقال كعب هكذا ينبغي وعزيز
لا يمتنع عليه ما يدعيه يره حكيم بما يفعله تعالى هل
ينظرون يعني التاركين الدخول السلم وهل يراد به هنا الا ان
ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملايكه نظرته وانتظرته بمعنى والنظر
والانتظار وقرا قتادة وابو جعفر يزيد بن القعقاع والضحاك
اعداي ما ينظرون في ظلال من الغمام وقرا ابو جعفر والملايكه بالخفض
عطفا على الغمام وتقديره مع الملايكه تقول العرب اقبل الامير في
العسكر اومع العسكر ظلل جمع ظله في التكسير ظلمه وظلم وفي التسليم
ظللات وانشد سيبويه اذا الوحش ضم الوحش في
ظللاتها سواقط من حر وقد كان اظهرا وظلات وظلال وجمع
ظل في الكثير والقليل اظلال ويجوز ان يكون ظلال جمع ظله مثل قوله
قله وقلال كما قال الشاعر ممزوجه بما القلال قال
الاخفش سعيد والملايكه بالخفض بمعنى في الملايكه قال والرفع اجود
كما قال هل ينظرون الا ان تاتيهم الملايكه وجاء ربك والملك صفا صفا
قال الفرا وفي قراه عبد الله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله والملايكه

في ظلل من الغمام قال قتادة الملايكه يعني تاتيهم تقبض ارواحهم ويقال
يوم القيمه وهو اظهر قال ابو العاليه والربيع تاتيهم الملايكه في ظلل
من الغمام وياتيهم الله سبحانه فيما شا قال الزجاج التقدير في ظلل من
الغمام ومن الملايكه وقيل ليس الكلام على ظاهره في حقه سبحانه وانما
المعنى ياتيهم امر الله وحكمه وقيل اي بما وعدهم من الحساب والعذاب
في ظلل مثل فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا اي بخذلانه اياهم هذا قول
الزجاج والاول قول الاخفش سعيد وقد يحتمل ان يكون معنى الاتيان
راجعا الى الجزا فسمي الجزا اتيانا كما سمي التخريب والتعذيب في قصة نمرود
اتيانا فقال فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم
وقال في قصة النضير فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في
قلوبهم الرعب وقال وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وانما
احتمل الاتيان هذه المعاني لان اصل الاتيان عند اهل اللغة هو القصد
الى الشي فمعنى الاية هل ينظرون الا ان يظهر الله تعالى فعلا من الافعال
مع خلق من خلقه يقصد الى مجازاتهم ويقضي في امرهم ما هو قاض وكما انه
سبحانه احدث فعلا سماه نزولا واستوى كذلك يحدث فعلا يسميه
اتيانا وافعاله بلا اله ولا علة سبحانه قال ابن عباس في رواية ابي صالح هذا
من المكتوم الذي لا يفسر وقد سكت بعضهم عن تاويلها وتاولها بعضهم
كما ذكرنا وقيل في بمعنى البا تاتيهم بظلل ومنه الحديث ياتيهم الله في
صورة اي بصورة امتحانا لهم فلا يجوز ان يحمل هذا وما اشبهه مما
جا في القران والخبر على وجه الانتقال والحركة والزوال لان ذلك من
صفات الاجرام والاجسام تعالى الله الكبير المتعال ذو الجلال والاكرام

عز

عزمانله الاحسام علوا كبيرا والغمام السحاب الرقيق الابيض سمي
بذلك لانه يغم اي يستر ما تقدم وقرا معاذ بن جبل وقضى الامر وقرا
يحيى بن يعمر وقضى الامور بالجمع والجمهور وقضى الامر والمعنى وقطع
الجزا وعذب اهل العصيان وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ترجع
الامور على بنا الفعل للفاعل وهو الاصل دليله الا الى الله الامور
الي مرجعكم وقرا الباقون ترجع على بنايه للمفعول وهي ايضا قراة
حسنة دليله ثم تردون ثم ردوا الى الله ولان رددنا الي في
القران فحسنتا في المعنى والاصل للاولى وبناوه للمفعول توسع
وفرع والامور كلها راجعة الى الله قبل وبعد وانما نبه به لرد الملك
في يوم القيامة على زوال ما كان ممنكا الى الملوك في الدنيا والله اعلم
تعالى سل بني اسرائيل كم اتيناهم من اية بينة سل
من السوال بتخفيف الهمز فلما تحركت السين لم تحتج الى الف الوصل وقيل
ان للعرب في سقوط الف الوصل في سل وثبوتها في واسل وجهين
احدهما حذفها في احدهما وثبوتها في الاخرى فجا القران بهما فاتبع
خط المصحف في اثباته للهمزة واسقاطها والوجه الثاني انه يختلف
اثباتها واسقاطها باختلاف الكلام المستعمل فيه فتحذف الهمزة في
في الكلام المبتدا مثل قوله سل بني اسرائيل وقولهم سلهم ايهم بذلك
زعيم وتثبت في العطف مثل قوله واسال القرية واسالوا الله من
فضله قاله علي بن عيسى وقرا ابو عمرو في رواية ابن عباس عنه اسل على الامر
وقرا قوم اسل على نقل الحركة الى السين وابقا الف الوصل على لغة من قال
الحمر كم في موضع نصب على التمييز على التقدير لانها مفعول ثان لاتينا

وقيل بفعل مضمر تقديره كم اتينا اتيناهم ولا يجوز ان يتقدمها الفعل
لان لها صدر الكلام من اية في موضع نصب على التمييز على التقدير الاول
وعلى الثاني مفعول ثان لاتيناهم ويجوز ان يكون في موضع رفع بالابتدا
والخبر في اتيناهم ويصير فيه عايد على كم تقديره كم اتيناهموه ولم تعرب
وهي اسم لانها بمنزله الحروف لما وقع فيه معنى الاستفهام واذا فرقت
بين كم وبين الاسم فالاختيار ان تاتي بمن كما في هذه الايه فان حذفتها نصبت
في الاستفهام والخبر ويجوز الخفض في الخبر قال الشاعر كم بجود
مقرف نال العلى وكريم بخله قد وضعه والمراد بالايه كم جاني امه
محمد صلى الله عليه وسلم من اية معروفة به دالة عليه قال مجاهد
والحسن وغيرهما يعني الايات التي جا بها وغير ذلك وامر الله تعالى
نبيه بسوالهم على جهه التقريع لهم والتوبيخ تعالى ومن
يبدل نعمه الله من بعد ما جاته لفظ عام لجميع العامة وان كان
المشار اليه بنو اسرايل لكونهم بدلوا ما في كتبهم وجحدوا امر محمد
صلى الله عليه وسلم فاللفظ منسحب على كل مبدل نعمة الله تعالى وقال
الطبري النعمه هنا الاسلام وهذا قريب من الاول ويدخل في
اللفظ ايضا كفار قريش فان بعث محمد صلى الله عليه وسلم فيهم نعمه
عليهم فبدلوا قبولها والشكر عليها كفرا تعالى فان الله
شديد العقاب خبر يتضمن الوعيد والعقاب ماخوذ من العقب
كان المعاقب يمشي بالمجازاه له في اثار عقبه ومنه عقبه الراكب وعقبه
وفي الصحاح والعقبه والعقبه ايضا شي من المرق يرده مستعير
القدر اذا ردها القدر والعقوبه يكونا بعقب الذنب وقد

عاقبه

عاقبه بذنبه تعالى زين للذين كفروا الحيوة الحيوة الدنيا
على ما لم يسم فاعله والمراد روسا قريش وتراجا لهد وحميد بن قيس
على بنا الفاعل وال النحاس وهي قراة شاذة لانه لم يتقدم للفاعل ذكر
وقرا ابن ابي عبله زينت باظهار العلامه وجاز ذلك للحون التانيث
غير حقيقي والمزين هو خالقها ومخترعها وخالق الكفر ويزينها ايضا
الشيطان بوسوسته واعوانه وخص الذين كفروا القبولهم التزيين
جمله واقبالهم على الدنيا واعراضهم عن الاخرة بسببها وقد جعل
الله ما على الارض زينة لها ليبلو الخلق ايهم احسن عملا فالمومنون الذين
هم على سنن الشرع لم تفتنهم الزينه والكفار تملكهم لانهم لا يعتقدون
غيرها وقد قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه حين قدر عليه بالمال
اللهم انا لا نستطيع الا ان نفرح بما زينت لنا تعالى ويسخرون
اشارة الى كفار قريش فانهم كانوا يعظمون حالهم من الدنيا ويغتبطون
بها ويسخرون من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن جريج في طلبهم
الاخره وقيل لفقرهم واقلالهم كبلال وصهيب وابن مسعود
وغيرهم فنبه سبحانه على خفض منزلتهم القبيح فعلهم بقوله والذين
اتقوا فوقهم يوم القيامة وروي على ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من استذل مومنا او مومنة او حقره بفقره وقلة ذات
يده شهره الله يوم القيمة ثم فضحه ومن بهت مومنا او مومنة
او قال فيه ما ليس فيه اقامه الله تعالى على تل من نار يوم القيامة
حتى يخرج مما قال فيه وان عظم المومن اعظم عند الله واكرم عليه
من ملك مقرب وليس شي احب الى الله تعالى من مومن تايب او

مومنه تايبه وان المومن يعرف في السما كما يعرف الرجل اهله
وولده ثم قيل معناه والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة اي في الدرجة لانهم
في الجنة والكافرون في النار ويحتمل ان يراد بالفوق المكان من حيث ان
الجنة في السما والنار في اسفل السافلين ويحتمل ان يكون التفضيل على ما
يتضمنه زعم الكافر فانهم يقولون وان كان معاد فلنا فيه الحظ
والسرمن مالكم ومنه حديث خباب مع العاصي بن وايل قال خباب
كان لي على العاصي بن وايل دين فاتيته اتقاضاه فقال لي ان اقضيك حتى
تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم قال فقلت له لن اكفر به حتى تموت ثم تبعث قال
واني لمبعوث من بعد الموت فسوف اقضيك اذا رجعت الى مال
وولد الحديث وسياتي تمامه ان شا الله تعالى ويقال سخرت منه وسخرت
به وضحكت منه وضحكت به وهزيت منه وبه كل ذلك يقال الحكاه الاخفش
والاسم السخرية والسخري وقرئ بهما قوله تعالى ليتخذ بعضهم بعضا سخريا
وقوله واتخذتموهم سخريا ورجل سخرة وسخر منه وسخره بفتح الخا
سخر من الناس وفلان سخرة يسخر في العمل يقال خادمه سخرة وسخره
تسخيرا كلفه عملا بلا اجره تعالى والله يرزق من يشا بغير
حساب قال الضحاك يعني من غير تبعة في الاخرة وقيل هو اشارة الى
هولا المستضعفين اي يرزقهم علو المنزلة فالاية تنبيه على عظيم
النعمة عليهم وجعل رزقهم بغير حساب من حيث هو دايم لا يتناهى
فهو لا يعد وقيل ان قوله بغير حساب صفة لرزق الله تعالى كيف
تصرف اذ هو جلت قدرته لا ينفق بعد تفضله كله بغير حساب
والذي يحاسب مما كان على عمل قدمه العبد قوله تعالى جزا من ربك عطا

حسابا

حسابا والله اعلم ويحتمل ان يكون المعنى بغير حساب من المرزوقين كما
قال من حيث لا يحتسب تعالى كان الناس امة واحدة اي على
دين واحد قال ابي بن كعب وابن زيد المراد بالناس بنو ادم حين اخرجهم
الله نسما من ظهر ادم فاقروا له بالوحدانية قال مجاهد الناس ادم وحده
وسمي الواحد بلفظ الجمع لانه اصل النسل وقيل ادم وحوى وقال ابن
عباس وقتادة المراد بالناس القرون التي كانت بين ادم ونوح وهي
عشرة كانوا على الحق حتى اختلفوا فبعث نوحا فمن بعده وقال ابن
خيثمة منذ خلق الله ادم عليه السلام الى بعث الله محمد صلى الله عليه
وسلم خمسة الاف سنة وثمان ماية سنة وقيل اكثر من ذلك وقيل بينه
وبين نوح عليه السلام الف سنة ومايتا سنة وعاش ادم سبع ماية
سنة وستين سنة وكان الناس في زمانه اهل ملة واحدة متمسكين
بالدين تصافحهم الملايكة وكانوا على ذلك الى ان رفع ادريس عليه السلام
فاختلفوا وهذا فيه نظر لان ادريس بعد نوح على الصحيح وقال
قوم منهم الكلبي والواقدي المراد نوح ومن في سفينته كانوا
مسلمين ثم بعد وفاة نوح اختلفوا وقال عباس كانوا امة واحدة على
الكفر يريد من نوح حين بعثه وعنه ايضا كان الناس على عهد ابرهيم
عليه السلام امة واحدة كلهم كفارا وولد ابرهيم في جاهلية فبعث الله ابرهيم
وغيره من النبيين فحمل على هذه الاقوال على بابها من المضي المنقضي وقال
من قدر الناس في الاية مومنين قدر في الكلام فاختلفوا
فبعث الله النبيين اليهم ويحتمل ان يكون كان للثبوت والمراد الاخبار
عن الناس الذين هم الجنس كله انهم امة واحدة في خلوهم عن الشرايع وجهلهم

بالحقايق لولا من الله وتفضله عليهم بالرسل فلا يختص كان على هذا التيا
بالمضي فقط بل بمعنى قوله وكان الله غفورا رحيما وامة ماخوذه امه
كذا اي قصد نه فمعنى مقصدهم واحد ويقال للواحد اي مقصد
غير مقصد الناس ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في قس بن ساعده
يحشر يوم القيمه امه واحده وكذلك قال في زيد بن عمرو بن نفيل
وللامه العامه كانها مقصد ساير البدن وللامه بالكسر النعمة
لان الناس يقصدون قصدها وقيل امامي لان الناس يقصدون قصدها
يفعلوا عن النحاس وقرا ابي بن كعب كان البشر امه واحده وقرا
بن مسعود كان الناس امه واحده فاختلفوا فبعث
تعالى فبعث الله النبيين وجملتهم مايه الف واربعه وعشرون
الفا والرسل منهم ثلاثمايه وثلاثه عشر مرسلين والمذكورين في
القران باسم العلم ثمانيه وعشرون واول الرسل ادم على ما
جا في حديث ابي ذر اخرجه الاجري وابو حاتم البستي وقيل
نوح لحديث الشفاعه فان الناس يقولون له انت اول الرسل
وقيل ادريس وسياتي بيان هذا في الاعراف ان شا الله تعالى
تعالى مبشرين ومنذرين نصب على الحال وانزل معهم
الكتاب جنس بمعنى الكتب وقال الطبري الكاف واللام في الكتاب
للعهد والمراد التوراه وليحكم مسند الى الكتاب في قول الجمهور وقد
نصب بالاضمار اي لا يحكم وهو مجاز مثل هذا كتابنا ينطق عليهم
بالحق وقيل اي ليحكم كل نبي بكتابه واذا حكم بكتابه فانما حكم بالكتاب
وقراه عاصم والجحدري ليحكم بين الناس على ما لم يسم فاعله وهي قراه

ساده لانه قد تقدم ذكر الكتاب وقيل المعنى ليحكم الله والضمير في
فيه على ما من قوله فيما والضمير في فيه الثانية يحتمل ان يعود على الكتاب
اي وما اختلف الا الذين اوتوه وهو موضع الذي دفع بفعله واو
بمعنى وقيل يعود على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم قاله الزجاج
اي وما اختلف في النبي صلى الله عليه وسلم الا الذين اعطوا علمه بغيا
بينهم نصبا على المفعول له اي لم يختلفوا الا للبغي وقد تقدم معناه
وفي هذا تنبيه على الشنعة في فعلهم والقبح الذي واقعوه قوله
وهدى معناه ارشد اي فهدى امة محمد الى الحق ان بين لهم ما
اختلف فيه من كان قبلهم وقالت طايفة معنى الاية ان الامم كذب
بعضهم كتاب بعض فهدى امة محمد للتصديق بجميعها وقالت طايفة
ان الله هدى المومنين للحق فيما اختلف فيه اهل الكتابين من قولهم
ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا وقال بن زيد وزيد بن اسلم من
قبلتهم فان اليهود الى بيت المقدس والنصارى الى المشرق ومن
يوم الجمعة فان النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا اليوم الذي اختلفوا
فيه فهدانا الله له فلليهود غد وللنصارى بعد غد ومن صيامهم وجميع
ما اختلفوا فيه وقال ابو زيد واختلفوا في عيسى فجعلته اليهود لفرية
وجعلته النصارى ربا فهدى المومنين بان جعلوه عبد الله وقال الفرا
هو من المقلوب واختاره الطبري قال وتقديره فهدى الله الذين
امنوا للحق ما اختلفوا فيه قال بن عطيه ودعاه الى هذا التقدير
خوف ان يحتمل اللفظ انهم اختلفوا في الحق فهدى الله المومنين لبعض ما
اختلفوا فيه وعساه غير الحق في نفسه نحا الى هذا الطبري في حكاية عن

الفرا وادعا القلب على لفظ كتاب الله د و زحزونه تدفع الى ذلك
عجز وسو نظر وذلك يتخرج على وجهه و وصفه لان قوله فهدي يقتضي
انهم اصابوا الحق وتم المعنى في قوله فيه وتبين من الحق جنس ما وقع
الخلاف قال المهدوي وقدم الخلاف على لفظ الحق اهتماما اذ العناية
انما هي بذكر الاختلاف قال بن عطيه وليس هذا عندي بقوي وفي قراه
عبد الله بن مسعود لما اختلفوا عنه من الحق اي عن الاسلام وباذنه
قال الزجاج بعلمه قال النحاس وهذا غلط والمعنى بامره واذا اذنت
في الشي فقد امرت به اي فهدى الله الذين امنوا بان امرهم بما يجب ان
يستعملوه وفي قوله والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم رد على المعتزله
في قولهم ان العبد يستبد بهداية نفسه تعالى ام حسبتم
ان يدخلوا الجنه الايه حسبتم معناه ظننتم قال قتاده والسدي
واكثر المفسرين نزلت هذه الايه في غزوه الخندق حين اصاب المسلمين ما
اصابهم من الجهد والشده والحر والبرد وسو العيش وانواع
الشدايد وكان كما قال الله تعالى وبلغت القلوب الحناجر وقيل نزلت
في حرب احد نظيرها في ال عمران ام حسبتم ان تدخلوا الجنه ولما
يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقالت فرقه نزلت الايه تسليه
للمهاجرين حين تركوا ديارهم واموالهم بايدي المشركين واثروا
الله ورسوله واظهرت اليهود العداوه لرسول الله صلى الله
عليه وسلم واسر قوم من الاغنيا النفاق فانزل الله تطييبا لقلوبهم
ام حسبتم وام هنا منقطعه بمعنى بل وحكى بعض اللغويين انها
تجي بمثابه الف الاستفهام يبتدا بها وحسبتم تطلب مفعولين

فقال

قال النحاة ان تدخلوا تسد مسد المفعولين وقيل المفعول الثاني محذوف
احسبتم دخولكم الجنة واقعا ولما بمعنى لم ومثل معناه شبه اي ولم
تمتحنوا بمثل ما امتحن به من كان قبلكم فتصبروا كما صبروا وحكى النضر بن
شميل ان مثلا تكون بمعنى صفه ويجوز ان يكون المعنى ولما يصيبكم مثل
الذى اصاب الذين من قبلكم اي من البلاء قال وهب وجد فيما بين مكه
والطايف سبعين نبيا موتى كان سبب موتهم الجوع والقمل ونظير
هذه الاية قوله تعالى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم
لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم على ما ياتي فاستدعاهم تعالى
الى الصبر ووعدهم على ذلك بالنصر فقال الا ان نصر الله قريب والزلزله
شده التحرك تكون في الاشخاص وفي الاحوال يقال زلزل الله
الارض زلزلة وزلزالا بالكسر فتزلزلت اذا تحركت واضطربت فمعنى
زلزلوا خوفوا وحركوا والزلزال بالفتح الاسم والزلازل الشدايد
وقال الزجاج من زل الشي عن مكانه فاذا قلت زلزلته فمعناه كررت
زله من مكانه ومذهب سيبويه ان زلزل رباعي كدحرج وقرا نافع
حتى يقول بالرفع والباقون بالنصب ومذهب سيبويه في حتى ان
النصب فيما بعدها من جهتين والرفع من جهتين تقول سرت حتى ادخل
المدينه بالنصب على السير والدخول جميعا قد مضيا اي سرت
الى ان ادخلها وهذه غايه وعليه قراه من قرا بالنصب والوجه
الاخر في النصب في غير الايه سرت حتى ادخلها اى كي ادخلها
والوجهان في الرفع سرت حتى ادخلها اى سرت فادخلها وقد
مضيا جميعا اي كنت سرت فدخلت ولا تعمل حتى ههنا باضمار

ان لان بعدها جمله كما قال الفرزدق فيا عجبا حتى كليب تسبني
قال النحاس فعلى هذه القراة بالرفع بين واصح معنى اي وزلزلوا حتى
الرسول يقول اي هذه حاله لان القول انما كان عن الزلزله غير منقطع
منها والنصب على الغايه ليس فيه هذا المعنى والرسول هنا شعيا في قول
مقاتل وهو اليسع وقال الكلبي هذا في كل رسول بعث الى امته واجهد
في ذلك حتى قال متى نصر الله وروي عن الضحاك قال يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم وعليه تدل نزول الايه والله اعلم والوجه الاخر في غير الايه سرت
حتى ادخلها على ان يكون المسير قد مضى والدخول الان وحكى سيبويه
مرض حتى لا يرجونه اي هو الان لا يرجى ومثله سرت حتى ادخلها لا امنع
وبالرفع قرا مجاهد والاعرج وبن محيصن وشيبه وبالنصب قرا الحسن
وابو جعفر وبن ابي اسحق وشبل وغيرهم قال مكي وهو الاختيار
لان جماعة القرا عليه وقرا الاعمش وزلزلوا ويقول الرسول بالواو
بدل حتى وفي مصحف بن مسعود وزلزلوا ثم زلزلوا ويقول واكثر
المتاولين على ان الكلام الى اخر الايه من قول الرسول والمومنين اي بلغ الجهد
بهم حتى استبطوا النصر فقال الله الا ان نصر الله قريب ويجوز ذلك من
قول الرسول على طلب استعجال النصر لا على شك وارتياب والرسول
اسم جنس وقالت طايفه في الكلام تقديم وتاخير والتقدير حتى
يقول الذين امنوا متى نصر الله فيقول الله الا ان نصر الله قريب فقدم
الرسول في الرتبه لمكانته ثم قدم قول المومنين لانه المتقدم في الزمان
قال بن عطيه وهذا تحكم وحمل الكلام على غير وجهه غير متعذر ويحتمل
ان يكون الا ان نصر الله قريب اخبارا من الله تعالى موتنفا بعد تمام

ذكر

ذلك القول متى نصر الله رفع بالابتدا على قول سيبويه وعلى
قول ابي العباس رفع بفعله اي يقع نصر الله وقريب خبر ان قال النحاس
ويجوز في غير القران قريبا اي مكانا قريبا وقريب لا تثنيه العرب ولا
تجمعه ولا تونثه في هذا المعنى قال الله عز وجل ان رحمة الله قريب من
المحسنين وقال الشاعر له الويل ان امسى ولا ام هاشم
قريب ولا بسباسة بن يشكرا فان قلت فلان قريب لي ثنيت وجمعت
فقلت قريبون واقربا وقربا تعالى يسالونك ماذا ينفقون
فيه اربع مسايل قوله تعالى يسلونك ان خففت الهمزه القيت
حركتها على السين ففتحتها وحذفت الهمزه فقلت يسلونك ونزلت الايه
في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا فقال يا رسول الله ان مالي كثير فبماذا
اتصدق وعلى من انفق فنزلت يسالونك ماذا ينفقون قوله
تعالى ماذا في موضع رفع بالابتدا وذا الخبر وهو بمعنى الذي فحذفت
الها لطول الاسم اي ما الذي ينفقونه وان شيت كانت ما في موضع
نصب بينفقون وذا مع ما بمنزله شي واحد ولا يحتاج الى ضمير ومتى كانت
اسما مركبا فهي في موضع نصب الا ما جا في قول الشاعر وما ذا عسى
الواشون ان يتحدثوا سوى ان يقولوا انني لك عاشق فان عسى لا يعمل فماذا
في موضع رفع وهو مركب اذ لا صلة لذا قيل ان السايلين
هم المومنون والمعنى يسلونك ما هي الوجوه التي ينفقون فيها واين يضعون
ما لزم انفاقه من صدقه قال السدي نزلت هذه الايه قبل فرض الزكاه ثم
الزكاة المفروضه قال بن عطيه ووهم المهدوي على السدي في هذا فنسب
اليه انه قال ان الايه في الزكاه المفروضه ثم نسخ منها الوالدان وقال بن

جرح وغيره هي ندب والزكاة غير هذا الانفاق فعلى هذا لا نسخ فيها
وهي مبينة لمصارف صدقة التطوع فواجب على الرجل الغني ان ينفق
على ابويه المحتاجين ما يصلحهما في قدر حالهما من حاله من طعام وكسوة
وغير ذلك قال مالك ليس عليه ان يزوج اباه وعليه ان ينفق على امراة
ابيه كانت امه او اجنبية وانما قال مالك ليس عليه ان يزوج اباه
لانه راه يستغني عن التزويج غالبا ولو احتاج حاجة ماسة لوجب
ان يزوجه لولا ذلك لم يوجب عليه ان ينفق عليهما فاما ما يتعلق
بالعبادات من الاموال فليس عليه ان يعطيه ما يحج به او يغزو وعليه
وعليه ان يخرج عنه صدقة الفطر لانها مستحقة بالنفقة والاسلام ٥
قوله تعالى قل ما انفقتم في موضع نصب بانفقتم وكذا وما
تنفقوا وهو شرط والجواب فللوالدين وكذا وما تفعلوا من خير
شرط وجوابه فان الله به عليم وقد مضى القول في اليتيم والمساكين
وابن السبيل ونظير هذه الاية قوله تعالى فآت ذا القربى حقه والمسكين
وابن السبيل وقرا علي بن ابي طالب يفعلوا باليا على ذكر الغايب وظاهر
الاية الخبر وهي تتضمن الوعد بالمجازاة تعالى كتب عليكم
القتال وهو كره لكم فيه ثلاث مسايل قوله تعالى كتب
معناه فرض وقد تقدم مثله وقرا قوم كتب عليكم القتل وقال
الشاعر كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول
وهذا هو فرض الجهاد بين سبحانه ان هذا مما امتحنوا به وجعل
وصله الى الجنة والمراد بالقتال قتال الاعدا من الكفار وهذا
كان معلوما لهم بقراين الاحوال ولم يوذن للنبي صلى الله عليه وسلم

في القتال

في القتال مدة اقامته بمكة فلما هاجر اذن له في قتال من يقاتله من
المشركين فقال تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ثم اذن له في قتال
المشركين عامة واختلفوا من المراد بهذه الاية فقيل اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم خاصة فكان القتال مع النبي صلى الله عليه وسلم
فرض عين عليهم فلما استقر الشرع صار على الكفاية قاله عطا والاوزاعي
قال بن جريج قلت لعطا اواجب الغزو على الناس في هذه الاية فقال
لا انما كتب على اوليك وقال الجمهور من الامة اول فرضه انما كان على
الكفاية دون تعيين غير ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا استنفرهم
تعين عليهم النفير لوجوب طاعته وقال سعيد بن المسيب ان الجهاد
فرض على كل مسلم في عينه ابدا حكاه الماوردي قال بن عطيه والذي
استمر عليه الاجماع ان الجهاد على امة محمد صلى الله عليه وسلم فرض كفاية
فاذا قام به من قام من المسلمين سقط عن الباقين الا ان ينزل العدو
بساحة الاسلام فهو حينيذ فرض عين وسياتي هذا مبينا في سورة
براة ان شا الله تعالى وذكر المهدوي وغيره عن الثوري انه قال
الجهاد تطوع قال بن عطيه وهذه العبارة عندي انما هي على سوال سايل
وقيل قيم بالجهاد فقيل ذلك تطوع قوله تعالى وهو كره
لكم ابتدا وخبر وهو كره في الطباع قال بن عرفه الكره المشقة والكره
بالفتح ما اكرهت عليه هذا هو الاختيار ويجوز الضم في معنى الفتح
فيكونان لغتان كرهت الشي كرها وكرها وكراهة وكراهية واكرهته (هته)
عليه اكراها وانما كان الجهاد كرها لان فيه اخراج المال ومفارقة الوطن
والاهل والتعرض للشجاج والجراح وقطع الاطراف وذهاب النفس

فكانت كراهتهم لذلك لا انهم كرهوا فرض الله تعالى وقال عكرمة في
هذه الاية انهم كرهوه ثم احبوه وقالوا سمعنا واطعنا وهذا لان
امتثال الامر يتضمن مشقة لكن اذا عرف الثواب هان في جنبه مقاساة
المشقات قلت ومثاله في الدنيا ازالة ما يولم الانسان ويخاف
منه كقطع عضو وقلع ضرس وفصد وحجامة ابتغا العافية ودوام
الصحة ولا نعيم افضل من الحيوة الدايمة في دار الخلد والكرامة في مقعد صدق
قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيا قيل عسى بمعنى قد قاله الاصم
وقيل هي واجبة وعسى من الله واجبة في جميع القران الا قوله تعالى عسى ربه ان
طلقكن ان يبدله وقال ابو عبيدة عسى من الله ايجاب هو ان تكرهوا ما في
الجهاد من المشقة وهو خير لكم في انكم تغلبون وتظهرون وتغنمون
وتوجرون ومن مات مات شهيدا وعسى ان تحبوا الدعة وترك
القتال وهو شر لكم في انكم تغلبون وتولون ويذهب امركم قلت
وهذا صحيح لا غبار عليه كما اتفق في بلاد الاندلس تركوا القتال وجبنوا
عن الجهاد واكثروا من الفرار فاستولى العدو على البلاد واي بلاد
واسر وقتل وسبى واسترق فانا لله وانا اليه راجعون ذلك بما قدمته
ايدينا وكسبته وقال الحسن في معنى الاية لا تكرهوا الملمات الواقعة
فلرب امر تكرهه فيه نجاتك ولرب امر تحبه فيه عطبك وانشد
رب امر تتقيه جر امرا ترتضيه خفي المحبوب منه وبدا المكروه فيه
قوله تعالى يسلونك عن الشهر الحرام قتال فيه الى قوله خالدون
فيه ثنتا عشرة مسلة قوله تعالى يسلونك تقدم القول
فيه وروى جرير بن عبد الحميد ومحمد بن فضيل عن عطا بن السايب عن سعيد

بن جبير

بن جبير عن بن عباس قال ما رايت قوما خيرا من اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم ما سالوه الا عن ثلاثة عشر مسئلة كلهن في القران يسالونك عن
المحيض يسالونك عن الشهر الحرام يسالونك عن اليتامى ماذا ينفقون يسالون
الا عما ينفعهم قال بن عبد البر ليس في الحديث من الثلاث عشرة مسئلة
الا ثلاث وروى ابو اليسار عن جندب بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه
وسلم بعث رهطا وبعث عليهم ابا عبيدة بن الحرث او عبيدة بن
الحارث فلما ذهب لينطلق بكى صبابة الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبعث عبد الله بن جحش وكتب له كتابا وامره ان لا يقرا الكتاب
حتى يبلغ مكان كذا وكذا وقال له لا تكرهن اصحابك المسير فلما بلغ المكان
قرا الكتاب فاسترجع وقال سمعا وطاعة لله ولرسوله قال
فرجع رجلان ومضى بقيتهم فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا
ان ذلك اليوم من رجب فقال المشركون قتلتم في الشهر الحرام فانزل
الله يسالونك عن الشهر الحرام الاية وروى ان سبب نزولها ان
رجلين من بني كلاب لقيا عمرو بن امية الضمري وهو لا يعلم انهما
كانا عند النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في اول يوم من رجب
فقتلهما فقالت قريش قتلهما في الشهر الحرام فنزلت الاية والقول
بان نزولها في قصة عبد الله بن جحش اكثر واشهر وان النبي صلى الله عليه
وسلم بعثه مع تسعة رهط وقيل ثمانية في جمادى الاخرة قبل بدر
بشهرين وقيل هي رجب قال ابو عمر في كتاب الدرر له ولما رجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم من طلب كرز بن جابر وتعرف تلك الخرجة ببدر
الاولى اقام بالمدينة بقية جمادى الاخرة ورجب وبعث في رجب

عبد الله بن جحش بن رئاب الاسدي ومعه ثمانية رجال من المهاجرين
وهم ابو حذيفة بن عتبة وعكاشة بن محصن وعتبة بن غزوان وسهيل
بن بيضا الفهري وسعد بن ابي وقاص وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد
الله التميمي وخالد بن بكير الليثي وكتب لعبد الله بن جحش كتابا وامره الا
ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه ولا يستكره احدا من اصحابه وكان
اميرهم ففعل عبد الله بن جحش ما امره فلما فتح الكتاب وقراه وجد فيه
اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطايف فترصد
بها قريشا وتعلم لنا من اخبارهم فلما قرا الكتاب قال سمعا وطاعة ثم اخبر اصحابه
بذلك وبانه لا يستكره احدا منهم وانه ناهض لوجهه بمن اطاعه وانه
ان لم يطعه احد مضى وحده فمن احب الشهادة فلينهض ومن كره الموت
فليرجع فقالوا كلنا نرغب فيما ترغب وما منا احد الا وهو سامع مطيع
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهضوا معه فسلك على الحجاز وشرد
لسعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان جمل كانا يعتقبانه فتخلفا في طلبه
ونفذ عبد الله بن جحش مع سايرهم لوجهه حتى نزل بنخلة فمرت به
عير لقريش تحمل زبيبا وتجارة فيها عمرو بن [illegible] الحضرمي واسم الحضرمي
عبد الله بن عباد بن الصدف والصدف بطن من حضرموت وعثمان
بن عبد الله بن المغيرة واخوه نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميان
والحكم بن كيسان مولى بني المغيرة فتشاور المسلمون وقالوا نحن في اخر يوم
من رجب الشهر الحرام فان نحن قاتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام وان
تركناهم الليلة دخلوا الحرم ثم اتفقوا على لقايهم فرمى واقد بن عبد الله
التميمي عمرو بن الحضرمي فقتله واسروا عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان

وافلت

وافلت نوفل بن عبد الله ثم قدموا بالعير والاسيرين وقال لهم عبد الله
بن جحش اعزلوا انما غنمنا الخمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلوا فكان
اول خمس في الاسلام ثم نزل القران واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه
فاقر الله ورسوله فعل عبد الله بن جحش ورضيه وسنه للامه الى يوم القيمه
وهي اول غنيمه غنمت في الاسلام واول اسير وعمرو بن الحضرمي اول
قتيل واخر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل بن الحضرمي في الشهر الحرام فسقط
في ايدي القوم فانزل الله عز وجل يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه
الايه الى وهم فيها خالدون وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدايا في
الاسيرين فاما عثمان بن عبد الله فمات بمكه كافرا واما الحكم بن كيسان
فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد
ببير معونه ورجع سعد وعتبه الى المدينه سالمين وقيل ان
انطلاق سعد بن ابي وقاص وعتبه في طلب بعيرهما كان عن اذن
من عبد الله بن جحش وان عمرو بن الحضرمي واصحابه لما راوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم فقال عبد الله بن جحش
ان القوم قد فزعوا منكم فاحلقوا راس رجل منكم وليتعرض
لهم فاذا راوه محلوقا امنوا وقال قوم عمار لا باس عليكم
وتشاوروا في قتالهم الحديث وتفالت اليهود وقالوا واقد وقد
الحرب وعمرو عمرت الحرب والحضرمي حضرت الحرب وبعث
اهل مكه في فدا اسيرهم فقال لا نفديهم حتى يقدم سعد وعتبه
وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم فاسلم واقام
بالمدينه حتى قتل يوم بير معونه شهيدا واما عثمان فرجع الى

مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل
الخندق على المسلمين فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا فقتله
الله تعالى وطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الديه فهذا سبب نزول
قوله يسالونك عن الشهر الحرام وذكر بن اسحق ان قتل عمرو بن الحضرمي
كان في اخر يوم من رجب على ما تقدم وذكر الطبري عن السدي وغيره
ان ذلك كان في اخر يوم من جمادى الاخرة والاول اشهر على ان بن عباس
قد ورد عنه ان ذلك كان في اول ليلة من رجب والمسلمون يظنونها
من جمادي الاخرة والاول قال بن عطيه وذكر الصاحب بن عباد
في رسالته المعروفة بالاسدية ان عبد الله بن جحش سمي امير المومنين
في ذلك الوقت لكونه مومرا على جماعة من امير المومنين
واختلف العلما في نسخ هذه الاية فالجمهور على نسخها وان قتال المشركين
في الاشهر الحرم مباح واختلفوا في ناسخها فقال الزهري نسخها قاتلوا
المشركين كافة وقيل نسخها غزو النبي صلى الله عليه وسلم ثقيفا في الشهر
الحرام وقيل نسخها بيعة الرضوان على القتال في ذي القعدة وهذا
ضعيف فان النبي صلى الله عليه وسلم قتل عثمان بمكة وانهم عازمون على
حربه بايع حينئذ المسلمين على دفعهم لا على الابتدا بقتالهم وذكر
البيهقي عن عروة بن الزبير من غير حديث محمد بن اسحق في اثر قصة
الحضرمي فانزل الله عز وجل يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه الاية
قال يحدثهم الله في كتابه ان القتال في الشهر الحرام حرام كما كان وان الذي
يستحلون من المومنين هو اكبر من ذلك من صدهم عن سبيل الله حين

يسجنونهم

يسبحونهم ويعرفونهم ويحبسونهم ان يهاجروا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكفرهم بالله وصدهم المسلمين عن المسجد الحرام وهم سكانه
من المسلمين وفتنتهم اياه عن الدين فبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم عقل
بن الحضرمي وحرم الشهر الحرام كما كان يحرمه حتى انزل الله عز وجل
براءة من الله ورسوله وكان عطا يقول الاية محكمة ولا يجوز القتال
في الاشهر الحرم ويحلف على ذلك لان الايات وردت بعدها
عامة في الازمنة وهذا خاص والعام لا ينسخ الخاص باتفاق وروى
ابو الزبير عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقاتل
في الشهر الحرام الا ان يغزوا او يغزوا قوله تعالى قتال فيه
قتال بدل عن سيبويه بدل الاشتمال لان السوال اشتمل على
الشهر وعلى القتال اي يسالك الكفار تعجبا من هتك حرمة الشهر فسوالهم
عن الشهر انما كان لاجل القتال فيه قال الزجاج المعنى يسلونك عن
القتال في الشهر الحرام وقال القتبي يسالونك عن القتال في الشهر الحرام
هل يجوز فابدل قتال من الشهر وانشد سيبويه فما كان
قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما وقرا عكرمة
يسالونك عن الشهر الحرام قتل فيه قل قتل بغير الف فيهما وقيل المعنى
يسالونك عن الشهر الحرام وعن قتال فيه وهكذا قرا ابن مسعود فيكون
مخفوضا بعن على التكرير قاله الكسائي وقال الفرا هو مخفوض على نية عن
وقال ابو عبيدة هو مخفوض على الجوار قال النحاس لا يجوز ان يعرب
الشي على الجوار في كتاب الله ولا في شي من الكلام وانما الجوار غلط وانما
يقع في شي شاذ وهو قولهم هذا جحر ضب خرب والدليل على انه غلط قول

العرب في التثنيه هذان حجرا ضب خربان وانما هذا بمنزله الاقوا ولا يكون يجوز ان يحمل شي من كتاب الله على هذا ولا يكون الا بافصح اللغات
وقال بن عطيه وقال ابو عبيده هو خفض على الجوار وقوله هذا خطا
قال النحاس ولا يجوز اضمار عن والقول فيه انه بدل وقرا الاعرج
يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه بالرفع قال النحاس وهو غامض
في العربيه والمعنى فيه يسالونك عن الشهر الحرام اجايز قتال فيه فقولك
يسالونك بدل على الاستفهام كما قال امرو القيس اصاح ترى
برقا اريك وميضه كلمع اليدين في حبي مكلل والمعنى اترى
برقا فحذف الف الاستفهام لان الالف التي في اصاح تدل عليها وان
كانت حرف النداء كما قال الشاعر تروح من الحي ام تبتكر والمعنى
اتروح فحذف الالف لان ام تدل عليها قوله تعالى قل قتال
فيه كبير ابتدا وخبر اي مستكبر لان تحريم القتال في الشهر الحرام كان
ثابتا يوميذ اذ كان الابتدا من المسلمين والشهر في الايه اسم جنس
وكانت العرب قد جعل الله لها الشهر الحرام قواما تعتدل عنده فكانت
لا تسفك دما ولا تغير في الاشهر الحرم وهي رجب وذو القعده وذو
الحجه والمحرم ثلثه سرد وواحد فرد وسياتي لهذا مزيد بيان في المايده
ان شا الله قوله تعالى وصد عن سبيل الله ابتدا وكفر به
عطف على صد والمسجد الحرام عطف على سبيل الله واخراج اهله منه
عطف على صد وخبر الابتدا اكبر عند الله اي اعظم اثما من القتال في
الشهر الحرام قاله المبرد وغيره وهو الصحيح لطول منع الناس عن
الكعبه ان يطاف بها وكفر به اي بالله وقيل وكفر به اي بالحج والمسجد

الحرام

الحرام واخراج اهله منه اكبر اي اعظم عقوبة عند الله من القتال
في الشهر الحرام وقال الفرا صد عطف على كبير والمسجد عطف على الهاء في
به فيكون الكلام نسقا متصلا غير منقطع قال بن عطيه وذلك خطا لان
المعنى يسوق الى ان قوله وكفر به اي بالله عطف ايضا على كبير ويجي
من ذلك ان اخراج اهل المسجد منه اكبر من الكفر عند الله وهذا بين
فساده ومعنى الايه على قول الجمهور انكم يا كفار قريش تستعظمون علينا
القتال في الشهر الحرام وما تفعلون انتم من الصد عن سبيل الله لمن اراد
الاسلام ومن كفركم بالله واخراجكم اهل المسجد منه كما فعلتم برسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه اكبر جرما عند الله وقال عبد الله بن جحش
تعدون قتلا في الحرام عظيمة واعظم منها لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد وكفر به والله راء وشاهد واخراجكم من
مسجد الله اهله لئلا يرى لله في البيت ساجد سقينا من ابن الحضرمي
رماحنا بنخلة لما اوقد الحرب واقد دما وابن عبد الله عثمان بيننا
ينازعه غل من القد عايد وقال الزهري ومجاهد وغيرهما قوله قل
قتال فيه كبير منسوخ بقوله وقاتلوا المشركين كافه وبقوله اقتلوا
المشركين وقال عطا لم تنسخ ولا ينبغي القتال في الاشهر الحرام وقد
تقدم قوله تعالى والفتنه اكبر من القتل قال مجاهد وغيره
الفتنه هنا الكفر اي كفركم اكبر من قتلنا اوليك وقال الجمهور معنى الفتنه
هنا فتنتهم المسلمين عن دينهم حتى يهلكوا اي ان ذلك اشد اجتراما
من قتلكم في الشهر الحرام قوله تعالى ولا يزالون يقاتلونكم
خبر من الله عز وجل وتحذير منه للمومنين من شر الكفرة قال مجاهد

يعني هنا دقريش ويرو لم نصب حتى لا نفا غايه بمجرده
قوله تعالى ومن يرتدد اى يرجع عن الاسلام الى الكفر ما وليك حبطت
اي بطلت وفسدت ومنه الحبط وهو فساد يلحق المواشي في بطونها
من كثرة اكلها الكلا فتنتفخ اجوافها وربما تموت من ذلك فالاية تهديد
للمسلمين ليثبتوا على دين الاسلام واختلف العلما في المرتد
هل يستتاب ام لا وهل يحبط عمله بنفس الرده ام لا الا على الموافاه على
الكفر وهل يورث فهذه ثلاث مسايل الاولى قالت طايفه يستتاب
فان تاب والا قتل قال بعضهم ساعه واحده وقال اخرون يستتاب
شهرا وقال اخرون يستتاب ثلاثا على ما روي عن عمر وعثمان وهو
قول ملك ورواه عنه ابن القاسم وقال الحسن يستتاب مايه مرة
وقد روي عنه انه يقتل دون ان يستتاب وبه قال الشافعي في احد قوليه
وهو قول طاوس وعبيد بن عمير وذكر سحنون ان عبد العزيز بن ابي سلمه
الماجشون كان يقول يقتل المرتد ولا يستتاب واحتج بحديث معاذ
وابي موسى وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث ابا موسى الى اليمن
اتبعه معاذ بن جبل فلما قدم عليه قال انزل والقى له وسادة واذا
رجل عنده موثوق قال ما هذا قال هذا كان يهوديا فاسلم ثم راجع دينه
دين السوء فتهود قال لا اجلس حتى يقتل قضا الله ورسوله ثلاث مرات
فامر به فقتل خرجه مسلم وغيره وذكر ابو يوسف عن ابي حنيفه ان
المرتد يعرض عليه الاسلام فان اسلم والا قتل مكانه الا ان يطلب ان
يوجل فان طلب ذلك اجل ثلاثه ايام والمشهور عنه وعن اصحابه ان
المرتد لا يقتل حتى يستتاب والزنديق والمرتد عندهم سوا وقال

مالك وتقتل الزنادقه ولا يستتابون وقد مضى هذا اول البقره واختلفو
فيمن خرج من كفر الى كفر فقال مالك وجمهور الفقها لا تعرض له لانه
انتقل الى ما لو كان عليه في الابتدا لاقر عليه وحكى بن عبد الحكم عن الشافعي
انه يقتل لقوله عليه السلام من بدل دينه فاقتلوه ولم يخص مسلما
من كافر وقال مالك معنى الحديث من خرج من الاسلام الى الكفر واما
من خرج من كفر الى كفر فلم يعن بهذا الحديث وهو قول جماعه الفقها
عن الشافعي ما ذكره المزني والربيع ان المبدل لدينه من اهل الذمه
يلحقه الامام بارض الحرب ويخرجه من بلده ويستحل ماله مع اموال
الحربيين ان غلب على الدار لانه انما جعل الذمه على الدين الذي كان عليه
في حين عقد العهد واختلفوا في المرتده فقال مالك والاوزاعي والشافعي
والليث بن سعد تقتل كما يقتل سوا وحجتهم ظاهر الحديث من بدل
دينه فاقتلوه ومن تصلح للذكر والانثى وقال الثوري وابو
حنيفه واصحابه لا تقتل المرتده وهو قول بن شبرمة واليه ذهب
بن عليه وهو قول عطا والحسن واحتجوا بان بن عباس روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من بدل دينه فاقتلوه ثم ان بن عباس لم يقتل
المرتده ومن روى حديثا كان اعلم بتاويله وروي عن علي مثله ونهى صلى
الله عليه وسلم عن قتل النسا والصبيان واحتج الاولون بقوله عليه
السلام لا يحل دم امرى مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان فعم
كل من كفر بعد ايمانه ، قال الشافعي ان من ارتد ثم
عاد الى الاسلام لم يحبط عمله ولا حجه الذي فرغ منه بل مات على الردة
فحينئذ يحبط اعماله وقال مالك يحبط بنفس الرده ويظهر الخلاف

في المسلم اذا حج ثم ارتد ثم اسلم فقال مالك يلزمه الحج لان الاول قد حبط
بالردة وقال الشافعي لا اعادة عليه لان عمله باق واستظهر علماونا بقوله
لئن اشركت ليحبطن عملك قالوا وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
امته لانه عليه السلام يستحيل منه الردة شرعا وقال اصحاب الشافعي
بل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على طريق التغليظ على الامه وبيان
ان النبي صلى الله عليه وسلم على شرف منزلته لو اشرك لحبط عمله فكيف
انتم لكنه لا يشرك لفضل مرتبته كما قال يا نسا النبي من يات منكن بفاحشة
مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وذلك لشرف
منزلتهن والا فلا يتصور اتيان منهن صيانة لزوجهن المكرم المعظم ابن العربي
وقال علماونا انما ذكر الله الموافاة شرطا ها هنا لانه علق عليها الخلود في
النار جزا لمن وافى على الكفر خلده الله في النار بهذه الايه ومن اشرك حبط
عمله بالايه الاخرى فهما ايتان مفيدتان لمعنيين وحكمين متغايرين وما
خوطب به عليه السلام فهو لامته حتى يثبت اختصاصه وما ورد في
ازواجه فانما قيل ذلك فيهن ليبين انه لو تصور لكان هتكان احدهما
لحرمة الدين والثاني لحرمة النبي صلى الله عليه وسلم ولكل هتك حرمة
عقاب وينزل ذلك منزلة من عصى في شهر الحرام او في البلد الحرام
او في المسجد الحرام يضاعف بعدد ما هتك من الحرمات
وفي اختلاف العلما في ميراث المرتد فقال علي بن ابي
طالب والحسن والشعبي والحكم والليث وابو حنيفة واسحق بن راهويه
ميراث المرتد لورثته من المسلمين وقال مالك وربيعة وابن ابي ليلى والشافعي
وابو ثور ميراثه في بيت المال وقال ابن شبرمة وابو يوسف ومحمد والا

والاوزاعي

والاوزاعي في احد الروايتين ما اكتسب المرتد في حال الردة فهو في
وما كان مكتسبا في حال الاسلام ثم ارتد يرثه ورثته المسلمون واما ابن شبرمة
وابو يوسف ومحمد فلا يفصلون بين الامرين ومطلق قوله عليه السلام
لا توارث بين اهل ملتين يدل على بطلان قولهم واجمعوا على ان ورثته
من الكفار لا يرثونه سوى عمر بن عبد العزيز فانه قال يرثونه

قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا الاية قال
جندب بن عبد الله وعروة بن الزبير وغيرهما لما قتل واقد بن عبد الله
التميمي عمرو بن الحضرمي في الشهر الحرام توقف رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن اخذ خمسه الذي وقع في فرضه له عبد الله بن جحش واصحابه حتى
شق ذلك عليهم فتلافاهم الله بهذه الاية في الشهر الحرام وفرج عنهم
واخبر ان لهم ثواب من هاجر وغزا فالاشارة اليهم في قوله ان الذين
امنوا ثم هي باقية في كل من فعل ما ذكره الله عز وجل وقيل ان لم يكن.
يكونوا اصابوا وزرا فليس لهم اجر فانزل الله ان الذين امنوا والذين
هاجروا الى اخر الاية والهجرة معناها الانتقال من موضع الى موضع
وقصد ترك الاول ايثارا للثاني والهجر ضد الوصل وقد هجره هجرا
وهجرانا والاسم الهجرة والمهاجرة من ارض الى ارض ترك الاولى للثانية
والتهاجر التقاطع ومن قال المهاجرة الانتقال من البادية الى الحاضرة فقد
اوهم بسبب ان ذلك كان الاغلب في العرب وليس مكة مهاجرين على قوله
وجاهد مفاعلة من جهد اذا استخرج الجهد مجاهدة وجهادا والاجتهاد
والمجاهد بذل الوسع والمجهود والجهاد بالفتح الارض الصلبة ويرجو
معناه يطمعون ويستقربون وانما قال يرجون وقد مدحهم لانه لا

يعلم احد في هذه الدنيا انه صاير الى الجنه ولو بلغ في طاعة الله كل مبلغ
لامرين احدهما لا يدري بما يختم له والثاني لئلا يتكل على عمله والرجا نعم والرجا
ابدا معه خوف ولابد كما ان الخوف معه رجا والرجا من الامل ممدود
يقال رجوت فلانا رجوا ورجا ورجاوة يقال ما اتيتك الا رجاوة الخير
وترجيته وارتجيته ورجيته كله بمعنى رجوته قال بشر يخاطب
بنته فرجي الخير وانتظري ايابي اذا ما القارظ العنزي ابا وما لي في
فلان رجيه اي ما ارجو وقد يكون الرجو والرجا بمعنى الخوف قال الله تعالى
ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون عظمة الله قال ابو ذويب اذا
لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل اي لم يخف
ولم يبال والرجا مقصور ناحيه البير وحافتاها وكل ناحيه رجا والعوام
من الناس يخطون في قولهم عظيم الرجا فيقصرون ولا يمدون
تعالى يسلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما
اكبر من نفعهما فيه تسع مسايل قوله تعالى يسالونك السايلون
هم المومنون كما تقدم والخمر ماخوذة من خمر اذا ستر ومنه خمار المراة
وكل شي غطا شيا فقد خمره ومنه خمروا انيتكم فالخمر تخمر العقل اي
تغطيه وتستره ومن ذلك الشجر الملتف يقال له الخمر بفتح الميم لانه
يغطي ما تحته ويستره يقال منه اخمرت الارض كثر خمرها قال
الشاعر الا يا زيد والضحاك سيرا فقد جاوزتما خمر الطريق
اي سيرا مدلين فقد جاوزتما الوهده التي يستتر بها الذيب وغيره
وقال العجاج يصف جيشا يمشي برايات وجيوش غير مستخف
في لامع العقبان لا يمشي الخمر يوجه الارض ويستاق الشجر ومنه قولهم

دخل

دخل في غمار الناس وخمارهم اي هو في مكان خاف فلما كانت الخمر
تستر العقل وتغطيه سميت بذلك وقيل انما سميت الخمر خمرا
لانها تركت حتى ادركت كما يقال قد اختمر العجين اي بلغ ادراكه
وخمر الراي اي ترك حتى يتبين فيه الوجه وقيل انما سميت الخمر
خمرا لانها تخالط العقل من المخامرة وهي المخالطة ومنه دخلت
في خمار الناس اي اختلطت بهم فالمعاني الثلاثه متقاربه فالخمره
تركت وخمرت حتى ادركت ثم خالطت العقل ثم خمرته والاصل
الستر والخمر ما العنب الذي غلى او طبخ وما خامر العقل من غيره
فهو في حكمه لان اجماع العلماء ان القمار كله حرام وانما ذكر الميسر
من بينه فجعله كله قياسا على الميسر والميسر انما كان قمارا في الجزر
خاصة فكذلك كلما كان كالخمر فهو بمنزلتها والجمهور
من الامة على انما ما يسكر كثيره من غير خمر العنب فمحرم قليله وكثيره
والحد في ذلك واجب وقال ابو حنيفه والثوري وابن ابي ليلى
وابن شبرمة وجماعه من فقها الكوفه ما اسكر كثيره من غير خمر العنب
فهو حلال واذا سكر منه احد دون ان يتعمد الوصول الي
حد السكر فلا حد عليه وهذا ضعيف يرده النظر والخبر على ما
ياتي بيانه في المائده والنحل ان شا الله قال بعض
المفسرين ان الله تعالي لم يدع شيا من الكرامه والبر الا اعطاه
هذه الامه ومن كرامته واحسانه انه لم يوجب عليهم الشرايع دفعة
واحدة ولكن اوجب عليهم مرة بعد مرة فكذلك تحريم الخمر وهذه
الايه اول ما نزل من امر الخمر ثم بعده لا تقربوا الصلاه وانتم سكارى

ثم قوله انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضا في
الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون
ثم قوله انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه على ما ياتي بيانه في المايده
قوله تعالى والميسر
الميسر قمار العرب بالازلام قال ابن عباس كان الرجل في الجاهليه يخاطر
الرجل على اهله وماله فايهما قمر صاحبه ذهب بماله واهله نزلت
الايه وقال مجاهد ومحمد بن سيرين والحسن وابن المسيب وعطا
وقتاده ومعاويه بن صالح وطاوس وعلي بن ابي طالب وابن عباس ايضا
كل شي فيه قمار من نرد وشطرنج فهو من الميسر حتى لعب الصبيان
بالجوز والكعاب الا ما ابيح من الرهان في الخيل والقرعه في ابراز الحقوق
على ما ياتي وقال مالك الميسر ميسران ميسر اللهو وميسر القمار
فمن ميسر اللهو النرد والشطرنج والملاهي كلها ميسر القمار ما يتخاطر
الناس عليه قال علي بن ابي طالب الشطرنج ميسر العجم وكلما قومر به
فهو ميسر عند مالك وغيره من العلما وسياتي في سوره يونس زياده
بيان لهذا الباب ان شا الله تعالى والميسر ماخوذ من اليسر وهو
وجوب الشي لصاحبه يقال يسر لي كذا اذا وجب فهو ييسر يسرا
وميسرا والياسر اللاعب بالقداح وقد يسر ييسر قال
الشاعر فاعنهم وايسر بما يسروا به واذا هم نزلوا بضنك
فانزل وقال الازهري الميسر الجزور الذي كانوا يتقامرون
عليه سمي ميسرا لانه يجزا اجزا فكانه موضع التجزية وكل شي جزاته فقد
يسرته والياسر الجازر لانه يجزي لحم الجزور واي اخبرر وهذا فاهل

وهذا

وهذا الاصل في الياسر ثم يقال بالقداح والمتقامرين على الجزور ياسرو
لانهم جازرون اذا كانوا سببا لذلك وفي الصحاح ويسر القوم الجزور
اي اجتزروها واقتسموا اعضاءها قال سحيم بن وثيل اليربوعي
اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم
كان قد وقع عليه سبا فضرب عليه بالسهام ويقال يسر القوم اذا
قامروا ورجل يسر وياسر بمعنى والجمع ايسار قال النابغة اني
اتمم ايساري وامنحهم مثنى الايادي واكسو الجفنة الادما وقال
طرفه وهم ايسار لقمان اذا اغلت الشتوة ابداء الجزور وكان
من تطوع بنحرها ممدوحا عندهم قال الشاعر وناجيه
نحرت لقوم صدق وما ناديت ايسار الجزور روى
مالك في الموطا عن داود بن الحصين انه سمع سعيد بن المسيب يقول
كان من ميسر اهل الجاهلية بيع اللحم بالشاة والشاتين وهذا
محمول عند مالك وجمهور اصحابه في الجنس الواحد حيوانه بلحمه وهو
عنده من باب المزابنة والغرر والقمار لانه لا يدري هل في الحيوان
مثل اللحم الذي اعطى او اقل او اكثر وبيع اللحم باللحم لا يجوز متفاضلا
فكان بيع الحيوان باللحم كالمغيب في جلده اذا كانا من جنس واحد والجنس
الواحد عنده الابل والبقر والغنم والظباء والوعول وسائر الوحوش
وذوات الاربع الماكولات كلها عنده جنس واحد لا يجوز بيع شيء من
حيوان هذا الصنف والجنس كله بشيء من لحمه بوجه من الوجوه
لانه عنده من باب المزابنة كالزبيب بالعنب والزيتون بالزيت
والشيرج بالسمسم ونحو ذلك والطير كله عنده جنس ولذلك

الحيتان من سمك وغيره وروي عنه ان الجراد وحده صنف وقال
الشافعي واصحابه والليث بن سعد لا يجوز بيع اللحم بالحيوان على
حال من الاحوال من جنس واحد كان او من جنسين مختلفين على عموم الحديث
وروي عن ابن عباس ان جزورا نحرت على عهد ابي بكر الصديق فقسمت على
عشرة اجزا فقال رجل اعطوني جزا منها بشاة فقال ابو بكر لا يصلح هذا
قال الشافعي ولست اعلم لابي بكر في ذلك من الصحابه قال ابو عمر
قد روي عن ابن عباس انه اجاز بيع الشاة باللحم وليس بالقوي وذكر
عبد الرزاق عن الثوري عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه
كره ان يباع حي بميت يعني الشاة المذبوحة بالقايمة قال سفيان
ونحن لا نرى به باسا قال المزني ان لم يصح الحديث في بيع الحيوان
باللحم فالقياس انه جايز وان صح بطل القياس واتبع الاثر قال ابو
عمر للكوفيين في انه جايز بيع اللحم بالحيوان حجج كثيرة من جهة القياس
والاعتبار الا انه اذا صح الاثر بطل القياس والنظر وروي مالك عن زيد
بن اسلم عن سعيد بن المسيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع
الحيوان باللحم قال ابو عمر ولا اعلمه يتصل عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه
ثابت واحسن اسانيده مرسل سعيد بن المسيب على ما ذكره مالك في الموطا
واليه ذهب الشافعي واصله ان لا يقبل المراسيل الا انه زعم انه افتقد
مراسيل سعيد بن المسيب فوجدها او اكثرها صحاحا فكره جميع
انواع الحيوان بانواع اللحوم على ظاهر الحديث وعمومه لانه لم
يات اثر يخصه ولا اجماع ولا يجوز عنده ان يخص النص بالقياس
والحيوان عنده اسم لكل ما يعيش في البر والما وان اختلفت اجناسه

كالطعام

ذا الطعام الذي هو اسم لكل ما كول او مشروب فاعلمه
قوله تعالى قل فيهما يعني الخمر والميسر اثم كبير اثم الخمر ما يصدر عن الشارب
من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش والزور وزوال العقل الذي يعرف
به ما يجب لخالقه وتعطيل الصلوات والتعوق عن ذكر الله الى غير ذلك
روى النسائي عن عثمان رضي الله عنه قال اجتنبوا الخمر فانها ام الخبائث
انه كان رجل ممن كان قبلكم تعبد فعلقته امراة غوية فارسلت اليه
جاريتها فقالت له انا ندعوك للشهادة فانطلق مع جاريتها فطفقت
كلما دخل بابا اغلقته دونه حتى افضى الى امراة وضية عندها غلام
وباطية خمر فقالت اني والله ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع
علي او تشرب من هذه الخمر كاسا او تقتل هذا الغلام قال فاسقيني
من هذا الخمر فسقته كاسا قال زيدوني فلم يرم حتى وقع عليها
وقتل النفس فاجتنبوا الخمر فانها والله لا يجتمع الايمان وادمان
الخمر الا ليوشك ان يخرج احدهما الاخر صاحبه وذكر ابو عمر في الاستيعاب
وروي ان الاعشى لما توجه الى المدينة ليسلم فلقيه بعض المشركين
في الطريق فقالوا له اين تذهب فاخبرهم انه يريد محمدا صلى الله عليه وسلم
فقالوا لا تصل اليه فانه يامرك بالصلاة فقال ان خدمة الرب واجب
فقالوا انه يامرك عطا المال الى الفقرا فقال اصطناع المعروف واجب
فقيل انه ينهى عن الزنا فقال هو فحش وقبيح في العقل وقد صرت شيخا فلا
احتاج اليه فقيل انه ينهى عن شرب الخمر فقال اما هذا فاني لا اصبر عنه
فرجع وقال اشرب الخمر سنة ثم ارجع اليه فلم يصل الى منزله حتى سقط
عن البعير فانكسرت عنقه فمات وكان قيس بن عاصم المنقري شرابا

لها في الجاهلية ثم حرمها على نفسه وكان سبب ذلك انه غمز عكنة
ابنته وهو سكران وسب ابويه وراى القمر فتكلم بشي واعطى الخمار
كثيرا من ماله فلما افاق اخبر بذلك فحرمها على نفسه وفيها يقول
رايت الخمر صالحة وفيها خصال تفسد الرجل الحليما فلا والله اشربها صحيحا ولا
اسقي بها ابدا سقيما ولا اعطي بها ثمنا حياتي ولا ادعو لها ابدا نديما
فان الخمر تفضح شاربيها وتجنيهم بها الامر العظيما قال ابو عمرو وروى
بن الاعرابي عن المفضل الضبي ان هذه الابيات لابي محجن الثقفي فالها في تركه
الخمر وهو القايل رضي الله عنه اذا مت فادفني الى جنب كرمة تروي
عظامي بعد موتي عروقها ولا تدفنني بالفلاة فانني اخاف اذا مامت
الا اذوقها وجلده عمر الحد عليها مرارا ونفاه الى جزيرة بالبحر فلحق
بسعد فكتب اليه عمر ان يحبسه فحبسه وكان احد الشجعان البهم فلما
كان من امره في حرب القادسية ما هو معروف حل قيوده وقال لا نجلدك
على الخمر ابدا قال ابو محجن انا والله لا اشربها ابدا فلم يشربها بعد ذلك
في رواية قد كنت اشربها اذ يقام على الحد واما اذ بهرجتني فلا والله
اشربها ابدا وذكر الهيثم بن عدي انه اخبره من راي قبر ابي محجن باذربيجان
او قال في نواحي جرجان وقد نبت عليه ثلاث اصول كرم وقد طالت
واثمرت وهي معرشة على قبره مكتوب على قبره هذا قبر ابي محجن قال
فجعلت اتعجب واذكر قوله اذا مت فادفني الى جنب كرمة ثم ان
الشارب يصير ضحكة للعقلا فيلعب ببوله وعذرته وربما يمسح وجهه
حتى ذكر بعضهم يمسح وجهه ببوله وقال اللهم اجعلني من التوابين واجعلني
من المتطهرين وذكر بعضهم والكلب يلحس وجهه وهو يقول له اكرمك الله

واما القمار

واما القمار فيورث العداوة والبغضا لانه اكل مال الغير بالباطل
قوله تعالى ومنافع للناس اما في الخمر فربح التجارة فانهم
كانوا يجلبونها من الشام برخص فيبيعونها في الحجاز بربح وكانوا لا يرون
المماكسة فيها فيشترى طالب الخمر الخمر بالثمن الغالي هذا اصح ما قيل في منفعتها
وقد قيل من منافعها انها تهضم الطعام وتقوي الضعف وتعين على الباه ٥
وتسخي البخيل وتشجع الجبان وتصفي اللون الى غير ذلك من اللذة بها وقد
قال حسان بن ثابت ونشربها فتتركنا ملوكا واسدا ما ينهنهنا
اللقا وقال اخر اذا شربت فانني رب الخورنق والسدير
ومنفعة الميسر مصير الشي الى الانسان في القمار بغير كد ولا تعب
فكانوا يشترون الجزور ويضربون بسهامهم فمن خرج سهمه اخذ نصيبه
من اللحم ولا يكون عليه شي من الثمن ومن اخر كان عليه ثمن الجزور كله ولا
يكون له من اللحم شي وقيل منفعته التوسعة على المحاويج فان من قمر منهم
كان لا ياكل من الجزور وكان يفرقه في المحتاجين وسهام الميسر احد عشر منها
سبعة لها خطوط وفيها فروض على عدد الخطوط وهي الفذ وفيه علامة واحد حص
وله نصيب وعليه نصيب ان خاب الثاني التوام وفيه علامتان وله وعليه
نصيبان الثالث الرقيب وفيه ثلاث علامات على ما ذكرنا الرابع
وله اربع الخامس النافر والنافس ايضا وله خمس السادس المسبل وله
السابع المعلى وله سبع فذلك ثمانية وعشرون فرضا وايضا الجزور
كذلك في قول الاصمعي وبقي من السهام اربعة وهي الاغفال لا فروض لها
ولا انصبا وهي المصدر والمضعف والمنيح والسفيح وقيل الباقية الاغفال ل
ثلاثة السفيح والمنيح والوغد تزاد هذه الثلثة لتكثر السهام على الذي يخيلها

فلا يجد للميل مع احد سبيلا ويسمى المجيل المفيض والضارب والضريب
والجمع الضربا وقيل يجعل خلفه رقيب لئلا يحابي احدا ثم يجثو الضريب
ركبتيه ويلتحف بثوب ويخرج راسه ويدخل يده في الربابة فيخرج قدحا
عادة العرب ان تحرب الجزور بهذه السهام في الشتوة وضيق الوقت
وكلب البرد على الفقرا يشتري الجزور وتضمن الايسار ثمنها ويرضى صاحبها
من حقه وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لم يفعل ذلك منهم
ويسمونه البرم قال متمم بن نويره   ولا برما تهدى النسا لعرسه
اذا القشع من برد الشتا تقعقعا   ثم ينحر ويقسم على عشرة اقسام
قال ابن عطية واخطا الاصمعي في قسمة الجزور فذكر انها على قدر حظوظ
السهام ثمانيه وعشرون قسما وليس كذلك ثم يضرب على العشرة فمن
فاز سهمه بان يخرج من الربابة متقدما اخذ انصباه واعطاها الفقرا
والربابة بكسر الرا شبيهة بالكنانة يجمع فيها سهام الميسر وربما سموا
جميع السهام ربابة قال ابو ذويب يصف الحمار واتنه   وكانهن
ربابة وكانه يسر يفيض على القداح ويصدع   والربابة ايضا
العهد والميثاق قال الشاعر   وكنت امرا افضت اليك
ربابتي وقبلك ربتني فضعت ربوب   وفي احيان ربما تقامروا
لانفسهم ثم يغرم الثمن من لم يفز سهمه كما تقدم ويعيش بهذه السيرة
فقرا الحي ومنه قول الاعشى   المطعمو الضيف اذا ما شتا والجاعلو
القوت على الياسر   ومنه قول الاخر   بايديهم مقرومة
ومغالق يعود بارزاق العفاه منيحها والمنيح في هذا البيت المستمنح لانهم
كانوا يستعيرون السهم الذي قد املس ويتبركون به ذلك المنيح الممدوح

واما

واما المنيح الذى هو واحد الاغفال فذلك انما يوصف بالكروايا ه
اراد جرير بقوله ولقد عطفن على فزارة عطفة كر المنيح وجلن
ثم مجالا وفي الصحاح والمنيح سهم من سهام الميسر مما لا نصيب
له الا ان يمنح صاحبه شيا ومن الميسر قول لبيد اذا يسروا
لم يورث اليسر منهم فواحش ينعى ذكرها بالمصايف فهذا كله نفع
الميسر الا انه اكل المال بالباطل قوله تعالى قل فيهما اثم
كبير اعلم الله جل وعز ان الاثم اكبر من النفع واعود بالضرر في الاخره
فالاثم الكبير بعد التحريم والمنافع قبل التحريم وقرا حمزه والكساي كثير
بالثا المثلثه وحجتهما ان النبى صلى الله عليه وسلم لعن الخمر ولعن معا عشره
معها عشره بايعها ومبتاعها والمشتراه له وعاصرها والمعصوره له
وساقيها وساربها وحاملها والمحموله له واكل ثمنها وايضا فجمع المنافع
يحسن معه جمع الاثام وكثير بالثا المثلثه يعطى ذلك وقرا باقى
القرا وجمهور الناس كبير بالبا بواحده وحجتها ان الذنب في القمار
وشرب الخمر من الكباير فوصفه بالكبير اليق وايضا فاتفاقهم
على اكبر حجه لكبير بالبا بواحده واجمعوا على رفض اكثر بالثا
مثلثه الا في مصحف بن مسعود فان فيه قل فيهما اثم كثير واثمهما
اكثر بالثا مثلثه في الحرفين قال قوم من اهل النظر
حرمت الخمر بهذه الايه لان الله تعالى قد قال انما حرم ربي الفواحش
ماظهر منها وما بطن والاثم فاخبر في هذه الايه ان فيها اثما فهو حرام
قال بن عطيه ليس هذا النظر بجيد لان الاثم الذى فيها هو الحرام لا هي
بعينها على ما يقتضيه هذا النظر قلت وقال بعضهم في هذه

الايه ما دل على تحريم الخمر لانه سماه اثما وقد حرم الاثم في ايه اخرى
وهو قوله عز وجل قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
والاثم وقال بعضهم الاثم اراد به الخمر بدليل قول الشاعر
شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم يذهب بالعقول
قلت وهذا ايضا ليس بجيد لان الله تعالى لم يسم الخمر اثما في هذه
الايه وانما قال قل فيهما اثم كبير ولم يقل قل هما اثم كبير واما ايه
الاعراف وبيت الشعر فيأتي الكلام فيهما هناك مبينا ان شاء الله
تعالى وقد قال قتاده انما في هذه الايه ذم الخمر فاما التحريم
فيعلم بايه اخرى وهي ايه المايده وعلى هذا اكثر المفسرين
تعالى ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو فيه ثلاث مسايل
قوله تعالى قل العفو قراه الجمهور بالنصب وقرا ابو
عمرو وحده بالرفع واختلف فيه عن ابن كثير وبالرفع قراه الحسن
وقتاده وابن ابي اسحاق قال النحاس وغيره ان جعلت ذا بمعنى الذي
كان الاختيار الرفع على معنى الذي ينفقون العفو وجاز الرفع وحكي
النحويون ماذا تعلمت انحوا ام شعرا بالنصب والرفع على انهما
جيدان حسنان الا ان التفسير في الايه على النصب قال
العلما ان السوال في الايه المتقدمه في قوله يسالونك ماذا
ينفقون هو السوال عن النفقه الى من تصرف كما بيناه ودل عليه الجواب
والجواب خرج على وفق السوال كان السوال الثاني في هذه الايه
على قدر الانفاق وهو في شان عمرو بن الجموح كما تقدم فانه لما نزل
قل ما انفقتم من خير فللوالدين قال ثم انفق فنزل قل العفو والعفو ما

سهل

سهل وتيسر وفضل لم يشق على القلب اخراجه ومنه قول الشاعر

خذ العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب

فالمعنى انفقوا ما فضل عن حوايجكم ولم تؤذوا فيه انفسكم فتكونوا عالة
هذا اولى ما قيل في تاويل الايه وهو معنى قول الحسن وقتاده وعطا
والسدى والقرظي محمد بن كعب وبن ابي ليلى وغيرهم قالوا العفو ما فضل
عن العيال ونحوه عن بن عباس وقال مجاهد صدقه عن ظهر غنى وكذا
قال عليه السلام خير الصدقه ما انفقت عن غنى وفي حديث اخر
خير الصدقه ما كان عن ظهر غنى وقال قيس بن سعد هذه الزكاة المفروضه
وقال جمهور العلما هي نفقات التطوع وقيل هي منسوخه قال الكلبي
كان الرجل بعد نزول هذه الايه اذا كان له مال من ذهب او فضه او زرع
او ضرع نظر الى ما يكفيه وعياله لنفقه سنه امسكه وتصدق بسايره
وان كان ممن يعمل بيده امسك ما يكفيه وعياله يوما وتصدق بالباقي
حتى نزلت ايه الزكاة المفروضه فنسخت هذه الايه وكل صدقه امروا
بها وقال قوم هي محكمه وفي المال حق سوى الزكاه والظاهر يدل على القول
الاول قوله تعالى كذلك يبين الله لكم الايات قال المفضل
بن سلمه اي في امر النفقه لعلكم تتفكرون فتنفقون في الدنيا والاخره
فتحبسون من اموالكم ما يصلحكم في معاش الدنيا وتنفقون الباقي فيما ينفعكم
في العقبى وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي كذلك يبين الله لكم الايات
في امر الدنيا والاخره لعلكم تتفكرون في الدنيا وزوالها وفنايها
فتزهدون فيها وفي اقبال الاخره وبقايها فترغبون فيها
قوله تعالى ويسالونك عن اليتامى الى قوله حكيم فيه ثمانيه مسايل

روي ابو داود والنساي عن بن عباس قال لما انزل الله تعالى ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتي هي احسن وان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الايه انطلق
من كان عنده يتيم فعزل طعامه عن طعامه وشرابه عن شرابه فجعل يفضل له
من طعامه فيحبس له حتى ياكله او يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ويسالونك عن اليتامى قل
اصلاح لهم خير فخلطوا طعامهم بطعامه وشرابهم بشرابه لفظ ابي
داود والايه متصله بما قبل لانه اقترن ذكر الاموال الامر بحفظ اموال
اليتامى وقيل ان السايل عبد الله بن رواحه وقيل كانت العرب تتشام
بملابسه اموال اليتامى في مواكلهم فنزلت هذه الايه لما
اذن الله عز وجل في مخالطه الايتام مع قصد الاصلاح بالنظر اليهم وفيهم
كان ذلك دليلا على جواز التصرف في مال اليتيم تصرف الوصي في البيع
والقسمه وغير ذلك على الاطلاق لهذه الايه فاذا كفل الرجل اليتيم وحازه
وكان في نظره جاز عليه فعله وان لم يقدمه وال عليه لان الايه
مطلقه والطفاله ولايه عامه لم يوثر عن احد من الخلفا انه قدم احدا
على يتيم مع وجودهم في ازمنتهم وانما كانوا يقتصرون على كونهم عندهم
تواترت الاثار في دفع مال اليتيم مضاربه والتجاره فيه وفي جواز
خلط ماله بماله دلاله على جواز التصرف في ماله بالبيع والشرا اذا وافق الصلاح
وجواز دفعه مضاربه غير ذلك على ما نذكره مبينا واختلف في عمله هو
قراضا فمنعه اشهب وقاسه على منعه من ان يبيع لهم من نفسه او يشتري
لها وقال غيره اذا اخذه على جزء من الربح بسنه قراض مثله فيه امضى لشرايه
شيا لليتيم فتعقب فيكون احسن لليتيم قال محمد بن عبد الحكم وله ان يبيع له بالدين

ازداي

ان راى ذلك نظرا قال ابن كنانة وله ان ينفق في اليتيم ما يصلح من صنيع وسماع
ومصلحته بقدر حاله وحال من تزوج اليه وبقدر ماله قال وكذلك
في ختانه فان خشي ان يتهم رفع ذلك الى السلطان فيامره بالقصد وكلما فعله
على وجه النظر فهو جايز وما فعله على وجه المحاباه وسوء النظر فلا يجوز
و[illegible] الظاهر على ان في اليتيم يعلمه امر الدنيا والاخرة ويستاجر له
ويد[illegible] له ممن يعلمه الصناعات واذا وهب لليتيم شي فللوصي ان يقبضه
لما فيه من الاصلاح وسياتي لهذا مزيد بيان في النسا ان شا الله تعالى
ولما ينفقه الوصي والكفيل من مال اليتيم حالتان حالة يمكنه
الاشهاد عليه فلا يقبل قوله الا ببينه وحاله لا يمكنه الاشهاد عليه فقوله
مقبول بغير بينه فمهما اشترى من العقار وما جرت العادة بالتوثق
فيه لم يقبل قوله بغير بينه قال ابن خواز منداد ولذلك فرق اصحابنا
بين ان يكون اليتيم في دار الوصي ينفق عليه عليه فلا يكلف الاشهاد على
نفقته وكسوته لانه يتعذر عليه الاشهاد على ما ياكله ويلبسه في كل وقت
ولكن اذا قال انفقت نفقة اشبه قبل منه وبين ان يكون عند امه او حاضنته
فيدعي الوصي انه كان ينفق عليه او كان يعطي الام او الحاضنه النفقه والكسوه
فلا يقبل قوله على الام او الحاضنه الا ببينه انها كانت تقبض ذلك له مشاهرة
او مساناه واختلف العلما في الرجل ينكح نفسه من يتيمته
وهل له ان يشتري لنفسه من مال يتيمه او يتيمته فقال مالك ولاية
النكاح بالكفاله والحضانه اقوى منها بالقرابه حتى قال في الاعراب
الذين يسلمون اولادهم في ايام المجاعة انهم ينكحونهم انكاحهم فاما انكاح
الكافل والحاضن لنفسه فياتي في النسا بيانه واما الشرا منه فقال مالك

يشتري في مشهور الاقوال ولذلك قال ابو حنيفه له ان يشتري مال
الطفل اليتيم لنفسه باكثر من ثمن المثل لانه اصلاح دل عليه ظاهر القران وقال
الشافعي لا يجوز ذلك في النكاح ولا في البيع لانه لم يذكر في الاية التصرف بل
قال اصلاح لهم خير من غير ان يذكر فيه الذي يجوز له النظر وابو حنيفه يقول
اذا كان الاصلاح خيرا فيجوز تزويجه ويجوز ان يتزوج منه والشافعي لا يرى
في التزويج اصلاحا الا من جهه دفع الحاجه ولا حاجه قبل البلوغ واحمد يجوز
للوصي التزويج لانه اصلاح والشافعي يجوز للجد التزويج مع الوصي وللاب
في حق ولده الذي ماتت امه لا بحكم هذه الايه وابو حنيفه يجوز للقاضي
تزويج اليتيم بظاهر القران وهذه المذاهب نشات من هذه الايه فان
ثبت كون التزويج اصلاحا فظاهر الايه يقتضي جوازه ويجوز ان يكون معنى
قوله تعالى ويسالونك عن اليتامى اي يسالونك القوام على اليتامى الكافلون
لهم وذلك مجمل لا يعلم منه عين الكافل والقيم وما يشترط فيه من الاوصاف
فان قيل يلزم ترك مالك اصله في التهمه والذرايع اذ جوز له الشرا من يتيمه
فالجواب ان ذلك لا يلزم وانما يجوز ذلك ذريعه فيما يودي من الافعال
المحظوره الى محظور منصوص عليها واما ها هنا فقد اذن الله سبحانه في
صورة المخالطه ووكل الحاضنين في ذلك الى امانتهم بقوله والله يعلم المفسد
من المصلح وكل امر مخوف وكل الله سبحانه المكلف الى امانته لا يقال فيه انه
يتذرع الى محظور به فيمنع منه كما جعل الله النسا موتمنات على فروجهن مع
عظيم ما يترتب على قولهن في ذلك من الاحكام ويرتبط به من الحل والحرمه والانساب
وان جاز ان يكذبن وكان طاوس اذا سيل عن شي من امر اليتامى قرا والله يعلم المفسد
من المصلح وكان ابن سيرين احب الاشيا اليه في مال اليتيم ان يجتمع نصحاوه فينظرون

الذي هو

الذي هو خير له ذكره البخاري وفي هذا دلاله على جواز الشرا منه لنفسه
كما ذكرنا والقول الاخر انه لا ينبغي للولي ان يشتري مما تحت يده شيا لما يلحقه
في ذلك من التهمه الا ان يكون البيع في ذلك بيع سلطان في ملا من الناس
وقال محمد بن الحكم لا يشتري من التركه ولا باس ان يدس من يشتري له منها اذا
يعلم انه من قبله قوله تعالى وان تخالطوهم هذه المخالطة كخلط
المثل بالمثل كالتمر بالتمر وقال ابو عبيد مخالطة اليتامى ان يكون لاحدهم
المال ويشق على كافله ان يفرد طعامه عنه ولا يجد بدا من خلطه بعياله
فياخذ من مال اليتيم ما يرى انه كافيه بالتحري فيجعله من نفقه اهله وهذا
قد يقع فيه الزيادة والنقصان فجات هذه الايه الناسخه بالرخصه فيه
قال ابو عبيد وهذا عندي اصل لما يفعله الرفقا في الاسفار فانهم
يتخارجون النفقات بينهم بالسويه وقد يتفاوتون في قله المطعم وكثرته
وليس كل من قل مطعمه تطيب نفسه بالتفضل على رفيقه فلما كان هذا في
اموال اليتامى واسعا كان في غيرهم اوسع قوله فاخوانكم
خبر ابتدا محذوف اي فهم اخوانكم والفا جواب الشرط وقوله والله
يعلم المفسد من المصلح تحذيرا اي يعلم المفسد لاموال اليتامى من المصلح فيجازي
كلا على اصلاحه وافساده قوله تعالى ولو شا الله لاعنتكم روي
الحكم عن مقسم عن ابن عباس ولو شا الله لاعنتكم لو شا لجعل ما اصبتم من
اموال اليتامى موبقا وقيل لاعنتكم لاهلككم عن الزجاج وابي عبيد
وقال القتبي لضيق عليكم وشدد ولكنه لم يشا الا التسهيل عليكم وقيل
اي لكلفكم ما يشتد عليكم اداوه واثمكم في مخالطتهم كما فعل بمن
كان قبلكم ولكنه خفف عنكم والعنت المشقة وقد عنت واعنته

واعنته

واعنته غيره ويقال للعظم المجبور اذا اصابه شي فهاضه قد اعنته فهو
عنيت ومعنت وعنتت الدابه تعنت عنتا اذا احدث في قوايمها كسر بغير
جبر لا يمكنه معه الجري واكمه عنوت شاقه المصعد وقال بن الانباري
اصل العنت التشديد اذا قالت العرب فلان يتعنت فلان ويعنته فمرادها
يشدد عليه ويلزمه ما يصعب عليه اداوه ثم نقلت الى معنى الهلاك والاصل
ما وصفنا قوله تعالى ان الله عزيز اي لا يمتنع عليه شي حكيم يتصرف
في ملكه بما يريد لا حجر عليه جل وتعالى علوا كبيرا تعالى ولا تنكحوا
المشركات حتى يومن ولامه مومنه خير من مشركه ولو اعجبتكم فيه سبع
مسايل قوله تعالى ولا تنكحوا قرا جمهور الناس تنكحوا بفتح التا وقريت
في الشاذ بالضم كان المعنى ان المزوج لها انكحها من نفسها ونكح اصله الجماع ويستعمل
في التزوج تجوزا واتساعا وسياتي لما اذن الله سبحانه في مخالطه
الايتام وفي مخالطة النكاح بين ان مناكحه المشركين لا تصح وقال مقاتل نزلت
هذه الايه في ابي مرثد الغنوي وقيل في ابي مرثد بن ابي مرثد واسمه كناز بن
حصين استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح عناق امراه بمكه وكانت
مشركه فنهى ابو مرثد عن التزوج لانه كان مسلما وسياتي في النور بيانه ان شا الله
واختلف العلما في تاويل هذه الايه فقالت طايفه حرم الله نكاح المشركات
في سورة البقره ثم نسخ من هذه الجمله نسا اهل الكتاب فاحلهن في سوره المايده
روى هذا القول عن ابن عباس وبه قال مالك بن انس وسفين بن سعيد وعبد
الرحمن بن عمرو وقال قتاده وسعيد بن جبير لفظ الايه العموم في كل كافره والمراد
بها الخصوص في الكتابيات وبينت الخصوص ايه المايده ولم يتناول العموم قط
الكتابيات وهذا احد قولي الشافعي وعلى القول الاول تناولهن العموم ثم نسخت

ايه المايده

ايه المايده بعض العموم وهذا مذهب مالك رحمه الله ذكره ابن حبيب
وقال ونكاح اليهودية والنصرانية وان كان قد احله مستثقل مذموم
وقال اسحق بن ابرهيم الحربي ذهب قوم فجعلوا الاية التي في البقرة هي الناسخة
والتي في المايدة هي المنسوخة فحرموا نكاح كل مشركة كتابية او غير كتابية قال
النحاس ومن الحجة لقايل هذا مما صح سنده ما حدثنا محمد بن ريان قال ثنا
محمد بن رمح انا الليث عن نافع ان عبد الله بن عمر كان اذا سيل عن نكاح الرجل
النصرانية او اليهودية قال حرم الله المشركات على المومنين ولا اعرف شيا
من الاشراك اعظم من ان تقول المراة ربها عيسى او عبد من عباد الله قال
النحاس وهذا قول خارج عن قول الجماعة الذين تقوم بهم الحجة لانه قد قال
بتحليل نسا اهل الكتاب من الصحابة والتابعين جماعة منهم عثمان وطلحة وابن
عباس وجابر وحذيفة ومن التابعين سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن
ومجاهد وطاوس وعكرمة والشعبي والضحاك وفقها الامصار عليه وايضا
فممتنع ان تكون هذه الاية من سورة البقرة ناسخة للاية التي في سورة المايدة
لان البقرة من اول ما نزل بالمدينة والمايدة من اخر ما نزل وانما الاخر ينسخ
الاول واما حديث ابن عمر فلا حجة فيه لان ابن عمر رحمه الله كان رجلا
متوقفا فلما سمع الايتين في واحدة التحليل وفي الاخرى التحريم ولم يبلغه
النسخ توقف ولم يوخذ عنه ذكر النسخ وانما يتاول عليه وليس يوخذ الناسخ
والمنسوخ بالتاويل وذكر ابن عطية وقال ابن عباس في بعض ما روي عنه ان
الاية عامة في الوثنيات والمجوسيات والكتابيات وكل من على غير الاسلام
حرام فعلى هذا هي ناسخة للاية التي في المايدة وينظر الى هذا قول ابن عمر في الموطا لا
اعلم اشراكا اعظم من ان تقول المراة ربها عيسى وروي عن عمر انه فرق بين طلحة

بن عبيد الله وحذيفة بن اليمان وبين كتابيتين وقالا نطلق يا امير المومنين
ولا تغضب فقال لو جاز طلاقكما لجاز نكاحكما ولكن افرق بينكما صغرة قماة قال
عطية وهذا لا يستند جدا واسند منه ان عمر اراد التفريق بينهما فقال له
حذيفة اتزعم انها حرام فاخلي سبيلها يا امير المومنين فقال لا ازعم انها حرام
ولكني اخاف ان تعاطوا المومنات منهن وروي عن ابن عباس نحو هذا وذكر ابن
المنذر جواز نكاح الكتابيات عن عمر بن الخطاب ومن ذكر من الصحابة والتابعين
في قول النحاس وقال في احد قوليه ولا يصح عن احد من الاوايل انه حرم ذلك
وقال بعض العلما واما الايتان فلا تعارض بينهما فان ظاهر لفظ الشرك لا يتناول
اهل الكتاب لقوله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان
ينزل عليكم من خير من ربكم وقال لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
ففرق بينهم في اللفظ وظاهر العطف يقتضي مغايرة بين المعطوف والمعطوف
عليه وايضا فاسم الشرك عموم وليس بنص وقوله والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب بعد قوله والمحصنات من المومنات نص فلا تعارض بين المحتمل وما
لا يحتمل فان قيل اراد بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
اي اوتوا الكتاب من قبلكم واسلموا كقوله وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله
الاية وقوله ومن اهل الكتاب امة قايمة الاية قيل له هذا خلاف نص الاية
في قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وخلاف ما قاله الجمهور
فانه لا يشكل على احد جواز التزويج ممن اسلم وصار من اعيان المسلمين فان
قالوا فقد قال تعالى اولئك يدعون الى النار فجعل العلة في تحريم نكاحهن
الدعا الى النار فالجواب ان ذلك علة لقوله تعالى ولامة مومنة خير من
مشركة لان المشرك يدعو الى النار وهذه العلة مطردة في جميع الكفار

فالمسلم

فالمسلم خير من الكافر مطلقا وهذا بين   واما نكاح اهل
الكتاب اذا كانوا حربا فلا يحل وسئل ابن عباس عن ذلك فقال لا يحل وتلى
قول الله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الى قوله
صاغرون قال المحدث حدثت بذلك ابراهيم النخعي فاعجبه وكره مالك تزويج
الحربيات لعلة ترك الولد في دار الحرب ولتصرفها في الخمر والخنزير
قوله تعالى ولامة مومنة اخبار بان المومنة المملوكة
خير من المشركة وان كانت ذات الحسب والمال ولو اعجبتكم في الحسن
وغير ذلك هذا قول الطبري وغيره ونزلت في خنسا وليدة سوداكانت
لحذيفة بن اليمان فقال لها حذيفة يا خنسا قد ذكرت في الملا الاعلى مع سوا   دك
ودمامتك وانزل الله ذكرك في كتابه فاعتقها حذيفة وتزوجها وقال
السدي نزلت في عبد الله بن رواحة كانت له امة سودا فلطمها في غضب
ثم ندم فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال ما هي يا عبد الله قال
تصوم وتصلي وتحسن الوضو وتشهد الشهادتين فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه مومنة فقال ابن رواحة لاعتقنها ولاتزوجنها ففعل فطعن عليه
ناس من المسلمين وقالوا انكح امة وكانوا يرون ان ينكحوا الى المشركين وكانوا
ينكحونهم رغبة في احسابهم فنزلت الاية فيه   واختلف   العلما
في نكاح اما اهل الكتاب فقال مالك لا يجوز نكاح الامة
الكتابية وقال اشهب في كتاب محمد لمن اسلم وتحته امة
كتابية انه لا يفرق بينهما وقال ابو حنيفة واصحابه يجوز
نكاح اما اهل الكتاب قال ابن العربي درسنا الشيخ ابو بكر
الشاشي بمدينة السلام قال احتج اصحاب ابي حنيفة على

نكاح الامة بقوله تعالى ولامه مومنه خير من مشركه وو
الدليل من الايه ان الله سبحانه خاير بين نكاح الامه المومنه
والمشركه فلولا ان نكاح الامة المشركه جايز لما خاير بينهما
لان المخايرة انما هي بين جايزين لا بين جايز وممتنع ولا بين
متضادين فالجواب ان المخايرة بين الضدين يجوز لغة وقرانا
لان الله سبحانه قال اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
واحسن مقيلا وقال عمر في رسالته الى ابي موسى الرجوع
الى الحق خير من التمادي في الباطل جواب اخر قوله ولامة
لم يرد به الرق المملوك وانما اراد به الادمية والادميات
والادميون باجمعهم عبيد الله واماوه قاله القاضي
بالبصرة ابو العباس الجرجاني واختلفوا في
نكاح فمنع ملك والشافعي وابو حنيفه والاوزاعي
واسحق من ذلك وقال بن حنبل لا يعجبني وروي ان حذيفه
بن اليمان تزوج مجوسية وان عمر قال له طلقها فقال بن
القصار قال بعض اصحابنا يجب على احد القولين انهم لهم كتاب
ان يجوز مناكحتهم وروي بن وهب عن ملك ان الامة المجوسية
لا يجوز ان توطا بملك اليمين وكذلك نسا الوثنيات وغيرهن
من الكافرات وعلى هذا جماعة العلما الا ما رواه يحيى بن ايوب
عن بن جريج عن عطا وعمرو بن دينار انهما سيلا عن نكاح الاما
المجوسيات فقالا لا باس بذلك وتاولا قول الله عز وجل ولا
تنكحوا المشركات فهذا عندهما على عقد النكاح لا على الامة

المشتراه

تامن

المشتراه واحتجا بسبي اوطاس وان الصحابة نكحوا الاما منهن بملك
اليمين قال النحاس وهذا قول شاذ اما سبي اوطاس فقد يجوز
ان يكون الاما اسلمن فجاز نكاحهن واما الاحتجاج بقوله ولا تنكحوا
المشركات فغلط لانهم حملوا النكاح على العقد والنكاح في اللغه
يقع على العقد وعلى الوطء فلما قال ولا تنكحوا المشركات حرم كل نكاح
يقع على المشركات من نكاح ووطء وقال ابو عمر بن البر وقال
الاوزاعي سالت الزهري عن الرجل يشتري المجوسيه ايطاها فقال
اذا شهدت ان لا اله الا الله وطيها وعن يونس عن ابن شهاب لا يحل
له ان يطاها حتى تسلم قال ابو عمر قول ابن شهاب هذا وهو
اعلم الناس بالمغازي والسير دليل على فساد قول من زعم
ان سبي اوطاس وطين ولم يسلمن روي ذلك عن طايفه منهم
عطا وعمرو بن دينار قالا لا باس بوطء المجوسيه وهذا لم يلتفت
اليه احد من الفقها بالامصار وقد جا عن الحسن البصري وهو ممن
لم يكن غزوه ولا غزوا ناحيته الا الفرس وما وراهم من خراسان (ن)
وليس منهم احد اهل كتاب ما يبين لك كيف كانت السيرة في
نسائهم اذا سبين قال اخبرنا عبد الله بن محمد اسد قال ثنا (ابرهيم)
بن احمد بن فراس قال ثنا علي بن عبد العزيز قال ثنا ابو عبيد قال
ثنا هشام عن يونس عن الحسن قال قال رجل له يا ابا سعيد
كيف كنتم تصنعون اذا سبيتموهن قال كنا نوجهها
الى القبلة ونامرها ان تسلم وتشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله ثم نامرها ان تغتسل واذا اراد صاحبها

ان يصيبها لم يصبها حتى يستبريها وعلى هذا تاويل جماعة العلما
في قول الله عز وجل ولا تنكحوا المشركات حتى يومن انهن
الموثنيات والمجوسيات لان الله عز وجل قد احل الكتابيات
بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني
العفايف لان من شهر زناها من المسلمات ومنهم من كره
نكاحها ووطيها بملك اليمين ما لم يكن منهن توبة لما في ذلك من
افساد النسب تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى
يومنوا ولعبد مومن خير من مشرك ولو اعجبكم فيه احدى
عشر مسلة قوله تعالى ولا تنكحوا اي لا تزوجوا
المسلمة من المشرك واجمعت الامة على ان المشرك لا يطا المومنة
بوجه لما في ذلك من الغضاضة على الاسلام والقرا على ضم التا
تنكحوا في هذه الاية دليل نص على ان لا نكاح الا بولي
قال محمد بن علي بن الحسين النكاح بولي في كتاب الله تعالى ثم
قرا ولا تنكحوا المشركين وقال ابن المنذر ثبت ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا نكاح الا بولي وقد اختلف اهل العلم في
النكاح بغير ولي فقال كثير من اهل العلم لا نكاح الا بولي
روي هذا القول عن عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وبن مسعود
وبن عباس وابي هريرة وبه قال سعيد بن المسيب والحسن
البصري وعمر بن عبد الله العزيز وجابر بن زيد وسفيان الثوري
وبن ابي ليلى وبن شبرمة وبن المبارك والشافعي وعبيد الله بن
الحسن واحمد واسحق وابو عبيد قلت وهو قول مالك

رضي الله

رضي الله عنه وابي ثور والطبري قال ابو عمر حجة من قال
لا نكاح الا بولي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ثبت
عنه انه قال لا نكاح الا بولي روى هذا الحديث شعبة
والثوري عن ابي اسحق عن ابي بردة عن النبي صلى الله عليه وسلم
مرسلا فمن يقبل المراسيل يلزمه قبوله واما من لا يقبل المرا سيل
فيلزمه ايضا لان الذين وصلوه من اهل الحفظ والثقة
وممن وصله اسرايل وابو عوانة كلاهما عن ابي اسحق عن ابي
بردة عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم واسرايل ومن
تابعه حفاظ والحافظ تقبل زيادته وهذه زيادة
تعضدها اصول قال الله عز وجل ولا تعضلوهن
ان ينكحن ازواجهن وهذه الاية نزلت في معقل بن يسار
عضل اخته عن مراجعة زوجها قاله البخاري ولولا ان له
حقا في الانكاح ما نهى عن العضل قلت ومما يدل
على هذا ايضا من الكتاب قوله تعالى فانكحوهن باذن اهلهن
وقوله وانكحوا الايامى منكم فلم يخاطب تعالى بالنكاح غير
الرجال ولو كان الى النسا لذكرهن في ذلك وسياتي
بيان هذا في النور وقال تعالى حكاية عن شعيب في قصة
موسى عليهما السلام اني اريد ان انكحك على ما ياتي بيانه في
القصص وقال الرجال قوامون على النسا فقد تعاضد
الكتاب والسنة على ان لا نكاح الا بولي قال الطبري في
حديث حفصة حين تايمت وعقد عمر عليها النكاح ولم تعقده

هي ابطال قول من قال ان المراة البالغة المالكة لنفسها
تزوج نفسها وعقد النكاح دون وليها ولو ان ذلك لها لم يكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع خطبة حفصة الى نفسها اذ كانت
اولى بنفسها من ابيها ويخطبها الى من لا يملك امرها ولا العقد عليها وفيه
بيان قوله عليه السلام الايم احق بنفسها من وليها ان معنا ذلك انها احق
بنفسها في انه لا يعقد عليها الا برضاها لا انها احق بنفسها في ان تعقد
عقد النكاح على نفسها دون وليها وروى الدارقطني عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزوج المراة المراه ولا تزوج
المراة نفسها فان الزانية هي التي تزوج نفسها قال حديث صحيح وروى
ابو داود من حديث سفيان عن الزهري عن عروة عن عايشة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امراة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها
باطل ثلاث مرات فان دخل بها فالمهر لها بما اصاب منها فان تشاجروا
فالسلطان ولي من لا ولي له وهذا الحديث صحيح ولا اعتبار بقول
بن علية عن بن جريج انه قال فسالت عنه الزهري فلم يعرفه ولم يقل
هذا احد عن بن جريج غير بن علية وقد رواه جماعة عن الزهري لم يذكروا
ذلك ولو ثبت هذا عن الزهري لم يكن في ذلك حجه لانه قد نقله عنه ثقات
منهم سليمان بن موسى وهو ثقة امام وجعفر بن ربيعة فلو نسيه الزهري
لم يضره ذلك لان النسيان لا يعصم منه انسان قال صلى الله عليه وسلم
نسي ادم فنسيت ذريته وكان صلى الله عليه وسلم ينسى فمن سواه احرى
ان ينسى ومن حفظ فهو حجه على من نسي فاذا روى الخبر ثقة فلا يضره نسيان
من نسيه هذا لو صح ما حكى بن علية عن بن جريج فكيف وقد انكر اهل العلم

ذلك

ذلك من حكايته ولم يرجوا عليها قلت وقد اخرج هذا الحديث
ابو حاتم محمد بن حبان التميمي البستي في المسند الصحيح له على التقاسيم
والانواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها
عن حفص بن غياث عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن الزهري عن عروة
عن عايشه ان رسول الله صلى الله وسلم قال لا نكاح الا بولي وشاهدي
عدل وما كان من نكاح على غير ذلك فهو باطل فان تشاجروا فالسلطان
ولي من لا ولي له قال ابو حاتم لم يقل احد في خبر ابن جريج عن سليمان بن
موسى هذا وشاهدي عدل الا ثلاثه انفس سويد بن يحيى الاموي
عن حفص بن غياث وعبد الله بن عبد الوهاب الجمحي عن خالد بن الحرث وعبد
الرحمن بن يونس الرقي عن عيسى بن يونس ولا يصح في الشاهدين غير هذا
الخبر واذا ثبت هذا فقد صرح الكتاب والسنه بان لا نكاح الا بولي
فلا معنى لما خالفهما وقد كان الزهري والشعبي يقولان اذا زوجت
المراة نفسها كفوا بشاهدين فذلك نكاح جايز وهو قول زفر وان زوجت
نفسها غير كفو فالنكاح جايز وللاوليا ان يفرقوا بينهما قال ابن المنذر وا
ما قاله النعمان مخالف للسنه خارج عن قول اهل العلم وبالخبر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم نقول وقال ابو يوسف لا يجوز النكاح
الا بولي فان سلم الولي جاز وان ابا ان يسلم والزوج كفوا اجازه القاضي وانما
يتم النكاح في قوله حين يجيزه القاضي وهو قول محمد بن الحسن وقد كان
محمد بن الحسن يقول يامر القاضي الولي باجازته فان لم يفعل استانف
عقدا ولا خلاف بين ابي حنيفه واصحابه انه اذا اذن لها وليها فعقدت
النكاح لنفسها قال الاوزاعي اذا ولت امرها رجلا فزوجها كفوا فالنكاح

جايز وليس للولي ان يفرق بينهما الا ان تكون عربية تزوجت مولى وهذا
نحو مذهب ملك على ما ياتي وحمل القايلون بمذهب الزهري وابي
حنيفه والزهري لشعبي قوله عليه السلام لا نكاح الا بولي على الكمال
لا على الوجوب كما قال عليه السلام لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد
ولا حظ في الاسلام لمن ترك الصلاه واستدلوا على هذا بقوله تعالى ولا
تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن وقوله فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن
بالمعروف وبما روي الدارقطني عن سماك بن حرب قال جا رجل الى علي
رضي الله فقال امراه انا وليها تزوجت بغير اذني فقال علي رضي الله ينظر
فيما صنعت فان كانت تزوجت كفوا اجزنا ذلك لها وان كانت تزوجت
من ليس لها بكفو جعلنا ذلك اليك وفي الموطا ان عايشة رضي الله عنها
زوجت بنت اخيها عبد الرحمن وهو غايب الحديث وقد رواه بن جريج
عن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن ابي بكر عن ابيه عن عايشه انها نكحت
رجلا من بني اخيها امراة من بني اخيها فضربت بينهم بستر ثم تكلمت حتى
اذا لم يبق الا العقد امرت رجلا فانكح ثم قالت ليس الى النسا انكاح وفي
في حديث ملك ان عايشة قررت المهر واحوال النكاح وتولى العقد احد
عصبتها ونسب العقد الى عايشه لما كان تقريره اليها
ذكر بن خواز منداد واختلفت الروايه عن ملك في الاوليا من هم فقال
مره كل من وضع المراة في منصب حسن فهو وليها سوا كان من العصبه او
ذوي الارحام والاجانب او الحاكم او الوصي وقال مرة الاوليا من العصبه
لمن وضعها منهم في منصب حسن فهو ولي ابو عمر قال ملك فيما ذكر بن القاسم
عنه ان المراه اذا زوجها غير وليها باذنها فان كانت شريفه لها في الناس حال

كان

كان وليا بالخيار في فسخ النكاح واقراره وان كانت دنيه كالمعتقه والسوداء
والسعايه والاسلاميه ومن لا حال لها جاز نكاحها ولا خيار لوليها
لان كل واحد كفوها وقد روي عن مالك ان الشريفه والدنيه لا يزوجها
الا الاوليا او السلطان وهذا القول اختاره ابن المنذر قال واما تفريق
مالك بين المسكينه والتي لها قدر فغير جايز لان النبي صلى الله عليه وسلم
قد سوى بين احكامهم في الدما فقال المسلمون تتكافو دماوهم واذا كانوا
في الدما ما سوى بينهم في غير ذلك شي واحد وقال اسمعيل بن اسحق لما امر الله
بالنكاح جعل المومنين بعضهم اوليا بعض فقال والمومنون والمومنات
بعضهم اوليا بعض والمومنون في الجمله يرث بعضهم بعضا فلو ان رجلا
مات لا وارث له لكان ميراثه لجماعه المسلمين ولو جنا جنايه لعقل
عنه المسلمون ثم يكون ولايه اقرب من ولايه وقرابه اقرب من قرابه
فاذا كانت المراه بموضع لا سلطان فيه ولا ولي لها فانها تصير امرها
الى من يوثق به من جيرانها فيزوجها ويكون هو وليها في هذه الحاله لان
الناس لا بد لهم من التزويج وانما يعملون فيه باحسن ما يمكن وعلى هذا قال
مالك في المراة الضعيفه الحال انه يزوجها من تسند امرها اليه لانها تضعف
عن السلطان واشبهت من لا سلطان بحضرتها ورجعت في الجمله الى ان المسلمين
اولياها فاما اذا اصيرت امرها الى رجل وتركت اولياها فانها احدثت الامر
من غير جهته وفعلت ما ينكره الحاكم عليها والمسلمون فيفسخ ذلك من
غير ان يعلم ان حقيقته حرام لما وصفنا من ان المومنين بعضهم اوليا بعض
ولما في ذلك من الاختلاف ولكن يفسخ لتناول الامر من غير وجهه ولانه
احوط للفروج ولتحصينها فاذا وقع الدخول وتطاول الامر وصح

وقف

الاولاد وبان صوابا لم يجز الفسخ لان الامور اذا نفذت لم يرد منها
الا الحرام الذى لا شك فيه ويشبهه ما فات من ذلك بحكم الحاكم اذا حكم
بحكم لم يفسخ الا ان يكون خطا لا شك فيه واما الشافعي واصحابه فالنكاح
عندهم بغير ولي مفسوخ ابدا قبل الدخول وبعده ولا يتوارثان
ان مات احدهما والولي عندهم من فرايض النكاح لقيام الدليل عندهم
من الكتاب والسنة قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم كما قال
فانكحوهن باذن اهلهن وقال مخاطبة للاوليا فلا تعضلوهن وقال
عليه السلام لا نكاح الا بولي ولم يفرقوا بين الدنية الحال وبين
الشريفة لاجماع العلما على ان لا فرق بينهما في الدما لقوله عليه السلام
المسلمون تتكافا دماوهم وساير الاحكام كذلك ليس في شي من ذلك فرق
بين الوضيع والرفيع في كتاب ولا سنة   واختلفوا في النكاح
يقع على غير ولي ثم يجيزه الولي قبل الدخول فقال مالك واصحابه الا
عبد الملك ذلك جايز اذا كانت اجازته لذلك بالقرب وسوا دخل او لم
يدخل هذا اذا عقد النكاح غير ولي ولم تعقده المراة بنفسها فان زوجت
المراة نفسها وعقدت عقد النكاح من غير ولي قريب ولا بعيد من المسلمين
فان هذا النكاح لا يقر ابدا على حال وان تطاول وولدت الاولاد ولكنه
يلحق الولد ان دخل ويسقط الحد ولا بد من فسخ ذلك النكاح على كل حال
وقال ابن نافع عن مالك الفسخ فيه بغير طلاق   واختلف العلما
في منازل الاوليا وترتيبهم فكان مالك يقول اولاهم البنون وان سفلوا ثم
الابا ثم الاخوة للاب والام ثم للاب ثم بنوا الاخوة للاب والام ثم بنوا
الاخوة للاب ثم الاجداد للاب وان علوا ثم العمومة على ترتيب الاخوة ثم

بنوهم

بنو هم على ترتيب بني الاخوة وان سفلوا ثم الموالي ثم السلطان وقاضي
والوصي مقدم في انكاح الايتام على الاوليا وهو خليفة الاب
ووكيله فاشبه حاله لو كان الاب حيا وقال الشافعي لا ولاية لاحد
مع الاب فان مات فالجد ثم ابو ابي الجد لان كلهم اب والولاية بعد
الجد للاخوة ثم الاقرب قال المزني قال في الجديد من انفرد بالاولى
بالنكاح كالميراث وقال في القديم هما سوا **قلت** وروى المدنيون
عن مالك مثل قول الشافعي وان الاب اولى من الابن وهو احد قولي
ابي حنيفة حكاه الباجي وروي عن المغيرة انه قال الجد اولى من الاخوة
والمشهور من المذهب ما قلناه وقال احمد احقهم بالمراة ان يزوجها
ابوها ثم الابن ثم الاخ ثم ابن الاخ ثم العم وقال اسحق الابن اولى من
الاب كما قال مالك واختاره ابن المنذر لان عمر بن ام سلمة زوجها باذنها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم **قلت** اخرجه النساي عن ام سلمة
وترجم له انكاح الابن امه **قلت** وكثيرا ما يستدل بهذا علماونا
وليس بشي والدليل على ذلك ما ثبت في الصحاح ان عمر بن ابي سلمة قال
كنت غلاما في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في
الصحفة فقال يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك وقال ابو عمر في
كتاب الاستيعاب عمر بن ابي سلمة يكنى ابا حفص ولد في السنة الثانية
من الهجرة بارض الحبشة وقيل انه كان يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن
تسع سنين **قلت** ومن كان سنه هذا لا يصلح ان يكون وليا ولكن ذكر
ابو عمر ان لابي سلمة من سلمة بن ابي سلمة اسن من اخيه عمر بن ابي سلمة ولا
احفظ له رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى عنه عمر اخوه

واختلفوا في الرجل يزوج المراه الابعد من اوليايها
والاقعد حاضر فقال الشافعي النكاح باطل وقال ملك النكاح جايز
قال بن عبد البر لم ينكر الابعد شيا من ذلك ولا رده نفذ وان
انكره وهي بكر يتيمه ولا وصي لها فقد اختلف قول ملك واصحابه
وجماعه من اهل المدينه في ذلك فقال منهم قايلون لا يرد ذلك
وينفذ لانه نكاح انعقد باذن ولي من الفخذ والعشيره ومن قال
هذا منهم قال انما جا في الرتبه في الاوليا على الافضل والاولى
وذلك مستحب وليس بواجب وهذا تحصيل مذهب ملك
عند اكثر اصحابه واياه اختار اسماعيل بن اسحق واتباعه وقيل ينظر
السلطان في ذلك ويسل الولي الاقرب على ما ينكره ثم ان راي امضاه
امضاه وان راي ان يرده رده وقيل بل للاقعد رده على كل حال لانه
حقه وقيل له رده واجازته ما لم يطل مكثها وتلد الاولاد وهذه كلها
اقاويل اهل المدينه فلو كان الولي الاقعد محبوسا
او سفيها زوجها من يليه من اوليايها وعد كالميت منهم وكذلك اذا
غاب اقرب اوليايها غيبه بعيده او غيبه لا يرجا لها اوبه شرعيه
زوجها من يليه من الاوليا وقد قيل اذا غاب اقرب اوليايها لم يكن للذي
يليه تزويجها وزوجها الحاكم والاول قول ملك واذا كان
الاوليا قد استووا في العقد وغاب احدهما وفوضت المراة عقد نكاحها
الى الحاضر لم يكن للحاضر ان يقدم نكرته ولو كانا حاضرين ففوضت امرها
الى احدهما لم يزوجها الا باذن صاحبه فان اختلفا نظر الحاكم في ذلك
واجاز عليها راي احسنهما نظرا لها رواه بن وهب عن ملك ..

واما

واما الشهادة علي النكاح فليست بركن عند ملك واصحابه ويكفي من ذلك شهرته والاعلان به وخرج عن ان يكون نكاح سر قال بن القاسم عن ملك لو زوج بيبنه وامرهم ان يكتموا ذلك لم يجز النكاح لانه نكاح سر وان تزوج بغير بينه علي غير استسرار جاز واشهد فيما يستقبلان وروي بن وهب عن ملك في الرجل يتزوج المراه بشهادة رجلين ويستكتمهما قال يفرق بينهما بتطليقه ولا يجوز النكاح ولها صداقها ان كان اصابها ويعاقب الشاهدان وقال ابو حنيفه والشافعي واصحابهما اذا تزوجها بشاهدين وقال لهما اكتما جاز النكاح قال ابو عمر وهو قول يحيى بن يحيى الليثي الاندلسي صاحبنا قال كل نكاح شهد عليه رجلان فقد خرج من حد السر واظنه حكاه عن الليث بن سعد والسر عند الشافعي والكوفيون ومن تابعهم كل نكاح لم يشهد عليه رجلان فصاعدا ويفسخ علي كل حال **قلت** قول الشافعي اصح الحديث الذي ذكرناه وروي عن بن عباس انه قال لا نكاح الا بشاهدي عدل وولي مرشد ولا مخالف له من الصحابه فيما علمته واحتج ملك لمذهبه ان البيوع التي ذكر الله تعالى فيها الاشهاد عند العقد قد قامت الدلاله ان ذلك ليس من فرايض البيوع فالنكاح الذي لم يذكر الله فيه الاشهاد احرى بان لا يكون الاشهاد فيه من شروطه وفرايضه وانما الفرض الاعلان والظهور لحفظ الانساب والاشهاد يصلح بعد العقد للتداعي والاختلاف فيما ينعقد بين المتناكحين وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اعلنوا النكاح وقول ملك هذا قول بن شهاب واكثر اهل المدينه

قوله تعالى ولعبد مومن اي مملوك خير من مشرك اي

حسيب ولو اعجبك اي حسنه وماله حسب ما تقدم وقيل المعنى ولامة
مومن ولذا ولامه مومنه اي ولامراه كما بيناه قال صلى الله عليه وسلم
رجالكم عبيد الله وكل نسايكم اما الله وقال لا تمنعوا اما الله مساجد
الله وقال تعالى نعم العبد انه اواب وهذا احسن ما حمل عليه القول
في هذه الايه وبه يرتفع النزاع ويزول الخلاف والله اعلم
قوله تعالى اوليك اشارة الى المشركين والمشركات يدعون الى
النار الى الاعمال الموجبة للنار فان صحبتهم ومعاشرتهم توجب الانحطاط في
كثير من هواهم مع تربيتهم النسل والله يدعوا الى الجنة اي الى عمل اهل الجنة باذنه
اي بامره قاله الزجاج تعالى ويسلونك عن المحيض قل هو اذى
فاعتزلوا النسا في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن
من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فيه اربع عشرة
مسيله قوله تعالى ويسلونك عن المحيض ذكر الطبري عن السدي
ان السايل ثابت بن الدحداح وقيل اسيد بن حضير وعباد بن بشر وهو قول
الاكثرين وسبب السوال فيما قال قتادة وغيره ان العرب في المدينة وما والاها
كانوا قد استنوا بسنة بني اسرايل في تجنب مواكلة الحايض ومساكنتها فنزلت
هذه الايه وقال مجاهد كانوا يتجنبون النسا في الحيض وياتونهن في ادبارهن
مدة زمن الحيض فنزلت وفي صحيح مسلم عن انس ان اليهود كانوا اذا حاضت المراة
فيهم لم يواكلوها ولا يجامعوهن في البيوت فسال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ويسلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا
النسا في المحيض الى اخر الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل
شي الا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من امرنا شيا

الا

الا خالفنا فيه فجا اسيد بن الحضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله ان اليهود
تقول كذا وكذا افلا نجامعهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
ظننا ان قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هديه من لبن الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فارسل في اثارهما فسقاهما فعرفنا ان لم يجد عليهما قال علماونا
كانت اليهود والمجوس تجتنب الحايض وكانت النصارى يجامعون الحيض فامر الله
بالقصد بين هذين قوله تعالى عن المحيض المحيض الحيض وهو
مصدر يقال حاضت المراة حيضا ومحاضا ومحيضا فهي حايض وحايضه
ايضا عن الفرا وانشد كحايضه يزني بها غير طاهر ونسا
حوايض والحيضة المرة الواحدة والحيضة بالكسر الاسم والجمع الحيض
والحيضه ايضا الخرقة التي تستثفر بها قالت عايشه رضي الله عنها ليتني
كنت حيضه ملقاة وكذلك المحيضه والجمع المحايض وقيل المحيض عبارة عن
الزمان والمكان وعن الحيض نفسه واصله في الزمان والمكان مجاز في الحيض
وقال الطبري المحيض اسم الحيض ومثله قول روبه في العيش اليك
اشكوا شدة المعيش ومر اعوام نتفن ريشي واصل الكلمة من السيلان
والانفجار يقال حاض السيل وفاض وحاضت السمرة اي سالت رطوبتها
ومنه الحيض اي الحوض لان الما يحيض اليه اي يسيل والعرب تدخل الواو على
اليا واليا على الواو لانهما من حيز واحد قال ابن عرفه المحيض والحيض اجتماع
الدم الى ذلك الموضع وبه سمي الحوض لاجتماع الما فيه يقال حاضت المراة
وتحيضت ودرست وعركت وطمثت تحيض حيضا ومحاضا ومحيضا
اذا سال الدم منها في اوقات معلومة فاذا سال في غير ايام معلومه و من
غير عرق المحيض قلت استحيضت فهي مستحاضة ابن العربي ولها ثمانيه

اسما الاول حايض الثاني عارك الثالث فارك الرابع طامس الخامس دارس
السادس كابر السابع ضاحك الثامن طامث قال مجاهد في قوله فضحكت
يعني حاضت وقيل في قوله فلما راينه اكبرنه يعني حضن وسياتي في موضعه
اجمع العلما على ان للمراه ثلاثه احكام في رويتها الدم الظاهر السايل
من فرجها فمن ذلك الحيض المعروف ودمه اسود خاثر تعلوه حمرة تترك له
الصلاه والصوم لا خلاف في ذلك وقد يتصل وينقطع فان اتصل فالحكم ثابت
له وان انقطع فرات الدم يوما والطهر يوما اورات الدم يومين والطهر يوما
او يومين والطهر يوما او يومين فانها تترك الصلاه في ايام الدم وتغتسل
عند انقطاعه وتصلي ثم تلفق ايام الدم وتلغي ايام الطهر المتخلله لها ولا
تحتسب بها طهرا في عدة ولا استبرا والحيض خلقة في النسا وطبع معتاد معروف
منهن روى البخاري عن ابي سعيد الخدري قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم في اضحى
او فطر الى المصلى فمر على النسا فقال يا معشر النسا تصدقن فاني رايتكن اكثر
اهل النار فقلن وبم يا رسول الله قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رايت من
ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احداكن قلن وما نقصان عقلنا
ودبننا يا رسول الله قال اليس شهادة المراه مثل نصف شهادة الرجل
قلن بلى قال فذلك من نقصان عقلها اليس اذا حاضت لم تصل ولم تصم قلن بلى قال
فذلك من نقصان دينها واجمع العلما على ان الحايض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاه
لحديث معاذه قالت سالت عايشه رضي الله عنها فقلت ما بال الحايض
تقضي الصوم ولا تقضي الصلاه فقالت احرورية انت قلت لست بحرورية
ولكني اسال قالت كان يصيبنا ذلك فنومر بقضا الصوم ولا نومر بقضا الصلاه
خرجه مسلم فاذا انقطع عنها دم طهرها منه الغسل على ما ياتي

عقل

واختلف

واختلف العلما في مقدار الحيض فقال فقها المدينه ان الحيض لا يكون اكثر من
خمسه عشر يوما وجايز ان يكون خمسه عشر فما دون وما زاد على خمسه
عشر فلا يكون حيضا وانما هو استحاضه هذا مذهب مالك واصحابه
وقد روي عن مالك انه لا وقت لقليل الحيض ولا لكثيره الا ما يوجد في
النسا فكانه ترك قوله الاول ورجع الى عادة النسا وقال محمد بن مسلمه اقل
الطهر خمسه عشر يوما وهو اختيار اكثر البغداديين من المالكيين وهو قول
الشافعي وابو حنيفه واصحابهما والثوري وهو الصحيح في الباب لان الله تعالى لي
قد جعل عدة ذوات الاقرا ثلاثه حيض وجعل عدة من لا تحيض
من كبر وصغر ثلاثه اشهر فكان كل قرء عوضا من شهر والشهر يجمع
الطهر والحيض فاذا قل الحيض كثر الطهر واذا كثر الحيض قل الطهر فلما كان
اكثر الحيض خمسه عشر يوما وجب ان يكون بازايه اقل الطهر خمسه
عشر يوما ليكمل في الشهر الواحد حيض وطهر وهو المتعارف في الاغلب
من خلقه النسا وجبلتهن مع دلايل القران والسنه وقال الشافعي اقل الحيض
يوم وليله واكثره خمسه عشر يوما وقد روي عنه مثل قول مالك ان ذلك
مردود الى عرف النسا وقال ابو حنيفه واصحابه اقل الحيض ثلاثه ايام واكثره
عشره قال ابن عبد البر ما نقص عند هولاء من ثلاثه ايام فهو استحاضه لا يمنع
من الصلاه الا عند اول ظهوره لانه لا يعلم مبلغ مدته ثم على المراة قضا صلاة تلك
الاوقات وكذلك ما زاد على عشره ايام عند الكوفيين وعند الحجازيين خمسه
عشر يوما فهو استحاضه وما كان اقل من يوم وليله عند الشافعي فهو استحاضه
وهو قول الاوزاعي والطبري وممن قال اقل الحيض يوم وليله واكثره خمسه عشر
يوما عطا بن ابي رباح وابو ثور واحمد بن حنبل قال الاوزاعي وعندنا امراة

تحيض غدوه وتطهر عشيه وقد اتينا على ما للعلما في هذا الباب من اكثر الطهر
واقل الطهر وفي الاستطهار والحجه في ذلك في المقتبس في شرح موطا ملك
بن انس فان زادت بكرا فانها تجلس اول ما ترا الدم في قول الشافعي خمسه عشر يوما
ثم تغتسل وتعيد صلاه اربعه عشر يوما وقال ملك لا تقضي الصلاه
ويمسك عنها زوجها على ان زيادته تجلس قدر لداتها وهو قول عطا والثوري
وغيرهما بن حنبل تجلس يوما وليله ثم تغتسل وتصلي ولا ياتيها زوجها
ابو حنيفه وابو يوسف تدع الصلاة عشرا ثم تغتسل وتصلي عشرين يوما
ثم تترك الصلاه بعد العشرين عشرا فيكون هذا حالها حتى ينقطع الدم عنها اما
التي لها ايام معلومه فانها تستطهر على ايامها المعلومه بثلاثه ايام عند
ملك ما جاوز خمسه عشر يوما الشافعي تغتسل اذا انقضت ايامها
بغير استطهار والثاني من الدما دم النفاس عند الولادة وله ايضا عند العلما
حد محدود اختلفوا فيه فقيل شهران وهو قول ملك وقيل اربعون يوما
وهو قول الشافعي وقيل غير ذلك وطهرها عند عدم انقطاعه والغسل منه
كالغسل من الجنابه قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب دم الحيض والنفاس
يمنعان احد عشر شيا وهي وجوب الصلاه وصحة فعلها وفعل الصوم دون
وجوبه وفايده الفرق لزوم القضا للصوم ونفيه في الصلاه والجماع في
الفرج وما دونه والعده والطلاق والطواف ومس المصحف ودخول
المسجد والاعتكاف فيه وفي قراه القران روايتان الثالث من الدما دم
ليس بعاده ولا طبع منهن ولا خلقه وانما هو عرق انقطع سايل دمه لحمى
لا انقطاع له الا عند البر منه فهذا حكمه ان تكون المراة منه طاهرا لا يمنعها
من صلاه ولا صوم باجماع من العلما واتفاق من الاثار المرفوعه اذا كان معلوما

انه

انه دم عرق لا دم حيض روي ملك عن هشام بن عروه عن ابيه عن عايشه
انها قالت قالت فاطمه بنت ابي حبيش يا رسول الله اني لا اطهر افادع الصلاه
فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ذلك عرق وليس بالحيضه فاذا اقبلت
الحيضه فاتركي الصلاه فاذا ذهب قدرها فاغسلي عنك الدم وصلي وفي هذا
الحديث مع صحته وقله الفاظه ما يفسر لك احكام الحايض والمستحاضه وهو
اصح ما روي في هذا الباب وهو يرد ما روي عن عقبه بن عامر ومكحول
ان الحايض تغتسل وتتوضا عند وقت الصلاه وتستقبل القبله ذاكره لله
جالسه وفيه ان الحايض لا تصلي وهو اجماع من كافه العلما الا طوايف من
الخوارج يرون على الحايض الصلاه وفيه ما يدل على ان المستحاضه لا يلزمها غير
ذلك الغسل الذي تغتسل من حيضتها ولو لزمها غيره لامرها به وفيه رد لقول
من راي ذلك عليها لكل صلاه ولقول من راي عليها ان تجمع بين صلاتي النهار بغسل
واحد وصلاتي الليل بغسل واحد وتغتسل للصبح ولقول من قال تغتسل من
طهر الى طهر ولقول سعيد بن المسيب من طهر الى طهر لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يامرها بشي من ذلك وفيه رد لقول من قال بالاستظهار لان النبي
صلى الله عليه وسلم امرها اذا علمت ان حيضتها قد ادبرت وذهبت ان
تغتسل وتصلي ولم يامرها ان تترك الصلاه ثلاثه ايام لانتظار حيض يجي او لا
يجي والاحتياط انما هو في عمل الصلاه لا في تركها قوله تعالى
قل هو اذى اي هو نتن اذى به المراه وغيرها اي برايحه دم الحيض والاذى كنايه
عن القذر على الجمله ويطلق على القول المكروه ومنه قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى اي بما يسمعه من المكروه ومنه قوله تعالى ودع اذاهم اي دع اذى
المنافقين لا تجازيهم الا ان تومر فيهم وفي الحديث واميطوا عنه الاذى يعني

بالاذى الشعر الذى يكون على راس الصبى حين يولد يحلق عنه يوم اسبوعه
وهى العقيقه وفى الحديث الايمان بضع وسبعون ادناها اماطه الاذى عن الطريق اى تنحيته
يعنى الشوك والحجر وما اشبه ذلك مما يتاذى به المار وقال تعالى ولا جناح
عليكم ان كان بكم اذى من مطر وسياتى   استدل من منع وطى
المستحاضه بسيلان دم الاستحاضه وقالوا كل دم فهو اذى يجب
غسله من الثوب والبدن فلا فرق فى المباشره بين دم الحيض والاستحاضه
لانه كله رجس واما الصلاه فرخصه وردت بها السنه كما يصلى بسلس البول
هذا قول ابرهيم النخعى وسليمان بن يسار والحكم بن عتيبه وعامر الشعبى وبن
سيرين والزهرى واختلف فيه عن الحسن وهو قول عايشه لا ياتيها زوجها وبه
قال بن عليه والمغيره بن عبد الرحمن وكان من اعلا اصحاب ملك وابو مصعب
وبه كان يفتى وقال جمهور العلما المستحاضه تصوم وتصلى وتطوف وتقرا
وياتيها زوجها قال ملك امر اهل الفقه والعلم على هذا وان كان دمها كثيرا رواه
عنه بن وهب وكان احمد يقول احب الى ان لا يطاها الا ان يطول ذلك بها
وعن بن عباس فى المستحاضه لا باس ان يصيبها زوجها وان كان الدم يسيل على
عقبيها وقال ملك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ذلك عرق
وليست بالحيضه فاذا لم تكن حيضه فما يمنعه ان يصيبها وهى تصلى قال
بن عبد البر لما حكم الله عز وجل فى دم المستحاضه بانه لا يمنع الصلاه وتعبد
فيه بعبادة غير عباده الحيض وجب ان لا يحكم له بشى من حكم الحيض الا فيما
اجمعوا عليه من غسله كساير الدما   قوله تعالى فاعتزلوا النسا فى
المحيض اى فى زمان الحيض ان حملت الحيض على المصدر او فى محل الحيض ان حملته على الاسم
ومقصود هذا النهى ترك المجامعه وقد اختلف العلما فى مباشره الحايض وما

يستباح منها وروي عن ابن عباس وعبيدة السلماني انه يجب ان يعتزل الرجل
فراش زوجته اذا حاضت وهذا قول شاذ خارج عن اقوال العلما وان
كان عموم الاية تقتضيه فالسنة الثابتة بخلافه وقد وقفت ابن عباس
عليه خالته ميمونة وقالت له اراغب انت عن سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال مالك والاوزاعي والشافعي وابو حنيفة وابو يوسف
وجماعة عظيمة من العلما له منها ما فوق المئزر لقوله عليه السلام للسايل
حين ساله ما يحل لي من امراتي وهي حايض فقال لتشد عليها ازارها ثم شانك
باعلاها وقوله عليه السلام لعايشة حين حاضت شدي على نفسك ازارك
ثم عودي الى مضجعك وقال الثوري ومحمد بن الحسن وبعض اصحاب
الشافعي يجتنب موضع الدم لقوله عليه السلام اصنعوا كل شي الا
النكاح وقد تقدم وهو قول داود وهو الصحيح من قول الشافعي وروى
ابو معشر عن ابراهيم عن مسروق قال سالت عايشة ما يحل لي من امراتي
وهي حايض فقالت كل شي الا الفرج قال العلما مباشرة الحايض وهي متزرة
على الاحتياط والقطع للذريعة ولانه لو اباح فخذيها كان ذلك منه ذريعة
الى موضع الدم المحرم باجماع فامر بذلك احتياطا والمحرم نفسه موضع الدم
فتتفق بذلك معاني الاثار ولا تتضاد وبالله التوفيق
واختلفوا في الذي ياتي امراته وهي حايض ماذا عليه فقال مالك والشافعي
وابو حنيفة يستغفر الله ولا شي عليه وهو قول ربيعة ويحيى بن سعيد
وبه قال داود وروي عن محمد بن الحسن يتصدق بنصف دينار وقال احمد
يتصدق بدينار او نصف دينار قال احمد ما احسن حديث عبد الحميد
عن مقسم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم يتصدق بدينار او بنصف

دينار اخرجه ابو داود وقال هكذا الروايه الصحيحه قال دينار او
نصف واستحبه الطبري فان لم فما يفعل فلا شي عليه وهو قول الشافعي
ببغداد وقالت فرقه من اهل الحديث ان وطي في الدم فعليه دينار وان
وطي في انقطاعه فنصف دينار وقال الاوزاعي من وطي امراته وهي
حايض تصدق بخمسي دينار والطرق لهذا كله في سنن ابي داود والدارقطني
وغيرهما وفي كتاب الترمذي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
كان دما احمر فدينار وان كان دما اصفر فنصف دينار قال ابو عمر حجه
من لم يوجب عليه كفاره الا الاستغفار والتوبه اضطراب هذا الحديث
عن ابن عباس وان مثله لا تقوم به حجه وان الذمه على البراه ولا يجب ان يثبت
فيها شي لمسكين ولا غيره الا بدليل لا مدفع فيه ولا مطعن عليه وذلك
معدوم في هذه المسله قوله تعالى ولا تقربوهن حتى يطهرن
قال ابن العربي سمعت الشاشي في مجلس النظر يقول اذا قيل لا تقرب بفتح
الرا كان معناه لا تلتبس بالفعل واذا كان بضم الرا كان معناه لا تدنوا منه
وقرا نافع وابو عمرو وابن كثير وابن عامر وعاصم في روايه حفص عنه يطهرن
بجزم الطا وضم الها وقرا حمزه والكساي وعاصم في روايه ابي بكر والمفضل
يطهرن بتشديد الطا والها وفتحهما وفي مصحف ابي وعبد الله يتطهرن وفي
مصحف انس بن مالك ولا تقربوا النسا في محيضهن واعتزلوهن حتى
يتطهرن ورجح الطبري قراة تشديد الطا وقال هي بمعنى تغتسلن لاجماع
الجميع على حراما على الرجل ان يقرب امراته بعد انقطاع الدم حتى تطهر قال
وانما الخلاف في الطهر ما هو فقال قوم هو الاغتسال بالما وقال قوم هو
وضو كوضو الصلاة وقال قوم هو غسل الفرج وذلك يحلها لزوجها

وان لم تغتسل

وان لم تغتسل من الحيضه ورجح ابو علي الفارسي قراه تخفيف الطا اذ هو
لانتهاء فساد الطمث وهو للاثنى قوله تعالى فاذا تطهرن
يعني بالما واليه ذهب مالك وجمهور العلما وان الطهر الذي يحل جماع الحائض
الذي يذهب عنها الدم تطهيرها بالما كطهر الجنب ولا يجزي من ذلك التيمم
ولا غيره وبه قال الشافعي والطبري ومحمد بن مسلمه واهل المدينه وغيرهم
وقال يحيى بن بكير ومحمد بن كعب القرظي اذا طهرت الحائض وتيممت حيث لا
ما حلت لزوجها وان لم تغتسل وقال مجاهد وعكرمه وطاوس انقطاع
الدم يحلها لزوجها ولكن بان تتوضا وقال ابو حنيفه وابو يوسف ومحمد ان
انقطع دمها بعد مضي عشره ايام جاز له ان يطاها قبل الغسل وان كان انقطاعه
قبل لم يجز حتى تغتسل او يدخل عليها وقت صلاه وهذا تحكم لا وجه له وقد
حكموا للحائض بعد انقطاع دمها بحكم الحيض في العده وقالوا لزوجها عليها الرجعه
ما لم تغتسل من الحيضه الثالثه فعلى قياس قولهم يجب ان لا يطاها حتى تغتسل
مع موافقه اهل المدينه ودليلنا ان الله سبحانه علق الحكم فيها على شرطين
احدهما انقطاع الدم وهو قوله حتى يطهرن والثاني الاغتسال بالما وهو قوله
حتى يتطهرن اي يفعلن الغسل بالما وهذا مثل قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى
اذا بلغوا النكاح الايه فعلق الحكم وهو جواز دفع المال على شرطين احدهما
بلوغ المكلف النكاح والثاني ايناس الرشد وكذلك قوله تعالى في المطلقه فلا
تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ثم جات السنه باشتراط العسيله فوقف
الامر على الامرين جميعا وهو انعقاد النكاح ووجود الوطي احتج ابو حنيفه
فقال ان معنى الغايه في الشرط هو المذكور في الغايه قبلها فيكون قوله حتى
يطهرن مخففا هو معنى قوله يطهرن مشددا بعينه ولكنه جمع بين

اللغتين في الاية كما قال تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب
المطهرين وقال الكميت   وما كانت الانصار فيها اذله ولا غيبا فيها اذ
الناس غيب   وايضا فان القراتين كايتين فيجب ان يعمل بهما ونحن نحمل
واحد منهما على معنى نحمل المخففه على ما اذا انقطع دمها للاقل فانا لا نجوز
وطيها حتى تغتسل لانه لا يومن عوده ونحمل القراه الاخرى على ما
اذا انقطع دمها للاكثر فيجوز وطيها وان لم تغتسل قال بن
العربي وهذا اقوى ما لهم فالجواب عن الاول ان ذلك ليس
من كلام الفصحا ولا السن البلغا فان ذلك يقتضي التكرار
في التعداد واذا امكن حمل اللفظ على فايده مجرده لم يحمل على التكرار
في كلام الناس فكيف في كلام العليم الحكيم وعن الثاني وان
كان كل واحد منهما محمول على معنى دون معنى الاخرى فيلزمهم
اذا انقطع الدم ان لا يحكم لها بحكم الحيض قبل ان تغتسل في الرجعه
وهم لا يقولون ذلك كما بيناه فهي اذا حايض والحايض لا يجوز وطيها
اتفاقا وايضا فان ما قالوه يقتضي اباحه الوطي عند انقطاع
الدم للاكثر وما قلناه يقتضي الحظر واذا تعارض ما يقتضي الحظر
ويقتضي الاباحه وتغير باعتبارهما غلب باعث الحظر كما قال علي وعثمان
في الجمع في الاختين بملك اليمين احلتهما ايه وحرمتهما ايه اخرى والتحريم
اولي والله اعلم   واختلف علماونا في الكتابيه هل
تجبر على الاغتسال ام لا فقال مالك في روايه بن القاسم نعم ليحل
للزوج وطيها قال الله تعالى ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن
يقول بالما ولم يخص مسلمه من غيرها وروي اشهب عن مالك انها لا

تجبر

تجبر على الاغتسال من الحيض لانها غير معتقده لذلك لقول الله عز
وجل ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يومن بالله واليوم
الاخر وهو الحيض والحمل وانما خاطب الله عز وجل بذلك المومنات
وقال لا اكراه في الدين وبهذا كان يقول محمد وعبد الحكم
وصفه غسل الحايض وصفه غسلها من الجنابه
عليها نقض شعرها في ذلك لما رواه مسلم عن ام سلمه قالت قلت
يرسول الله اني اشد ظفر راسي افانقضه لغسل الجنابه فقال انما
يكفيك ان تحثي على راسك ثلاث حثيات ثم تفيضي عليك الما فتطهرين
وفي روايه افانقضه للحيضه والجنابه فقال لا زاد ابو داود واغمزي
قرونك عند كل حفنه قوله تعالى فاتوهن من
حيث امركم الله اي جامعوهن وهو امر اباحه ولنهي بالاتيان عن الوطي
وهذا الامر يقوي ما قلناه من ان المراد بالتطهر الغسل بالما لان
صيغة الامر من الله تعالى لا يقع الا على الوجه الاكمل والله اعلم
ومن بمعنى في اي في حيث امركم الله وهو القبل ونظيره قوله تعالى
اروني ماذا خلقوا من الارض اي في الارض وقوله اذا نودي
للصلاه من يوم الجمعه اي في يوم الجمعه وقيل المعنى اي من الوجه
الذي اذن لكم فيه اي من غير صوم وصلاه واعتكاف قاله الاصم
وقال ابن عباس وابو رزين من قبل الطهر لا من قبل الحيض وقاله الضحاك
وقال محمد بن الحنفيه المعنى من قبل الحلال لا قبل الزنا
قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين اختلف
فيه فقيل التوابون من الذنوب والشرك والمتطهرون اي بالما

من الجنابه والاحداث قاله عطا وغيره وقال مجاهد من الذنوب وعنه
ايضا من اتيان النسا في ادبارهن ابن عطيه كانه نظر الى قوله تعالى حكايه
عن قوم لوط اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون وقيل المتطهرون
الذين لم يذنبوا فان قيل كيف بالذكر الذى اذنب على من لم يذنب
قيل له قدمه لان لا يقنط التايب من الرحمه ولا يعجب المتطهر بنفسه
كما ذكر في ايه اخرى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
بالخيرات على ما ياتي ان شا الله تعالى   تعالى نساوكم حرث لكم
فاتوا حرثكم انى شيتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه
وبشر المومنين فيه ست مسايل   قوله تعالى نساوكم حرث
لكم روي الايمه واللفظ لمسلم عن جابر بن عبد الله قال كانت اليهود
تقول اذا اتى الرجل امراته من دبرها في قبلها كان الولد احول فنزلت
نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شيتم زاد في روايه عن الزهرى ان شا
مجبيه وان شا غير مجبيه غير ان ذلك في صمام واحد ويروى في سمام
واحد بالسين قاله الترمذي وروى البخارى عن نافع قال كان ابن عمر
اذا قرا القران لم يتكلم حتى يفرغ منه فاخذت عليه يوما فقرا سورة
البقره حتى انتهى الى مكان قال تدري فيما انزلت قلت لا قال نزلت في كذا
وكذا ثم مضى وعن عبد الصمد قال حدثني ابي قال حدثني ايوب عن نافع
عن ابن عمر فاتوا حرثكم انى شيتم قال ياتيها في قال الحميدي يعنى الفرج
وروى داود عن ابن عمر قال ان ابن عمر والله يغفر له وهم انما كان هذا
الحي من الانصار وهم اهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم اهل كتاب
فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم وكانوا يقتدون بكثير من فعلهم

وكان

وكان من امر اهل الكتاب الا يا تون النسا الا علي حرف وذلك استر ما
يكون المراة فكان هذا الحي من الانصار قد اخذوا بذلك من فعلهم وكان
هذا الحي من قريش يشرحون النسا شرحا منكرا ويتلذذون منهن
مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينه
تزوج رجل منهم امراة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فانكرته
عليه وقالت انما كنا نوتى علي حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني
حتى شرى امرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
عز وجل فاتوا حرثكم اني شيتم اي مقبلات ومدبرات ومستلقيات
يعني بذلك موضع الولد وروي الترمذي عن بن عباس قال جا عمر الي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال
وما اهلكك قال حولت رحلي الليله قال فلم يرد عليه شيا قال
فاوحى الله الي رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الايه نساوكم حرث
لكم فاتوا حرثكم اني شيتم اقبل وادبر واتق الدبر والحيضه قال هذا
حديث حسن صحيح وروى النسا عن ابي النضر انه قال لنافع مولي
بن عمر قد اكثر عليك القول انك تقول عن بن عمر انه افتى بان يوتى ا
النسا في ادبارهن قال نافع لقد كذبوا علي ولكن ساخبرك كيف
كان الامر ان بن عمر عرض علي المصحف يوما وانا عنده حتى بلغ نساوكم
حرث لكم قال يا نافع هل تدري ما امر هذه الايه انا كنا معشر قريش
نجبي النسا فلما دخلنا المدينه ونكحنا نسا الانصار اردنا منهن ما كنا
نريد فاذا هن قد كرهن ذلك واعظمته وكان نسا الانصار
انما يوتين علي جنوبهن فانزل الله تعالى نساوكم حرث لكم الايه

هذه الاحاديث نص في اباحة الحال والهيات كلها اذا كان الوطي في
موضع الحرث اي كيف شيتم من خلف ومن قدام وباركه ومستلقيه
ومضطجعه فاما الاتيان في غير المأتي محرم وحرث تشبيه لان
مزدرع الذريه فلفظه الحرث تعطي ان الاباحة لم تقع الا في الفرج
خاصه اذ هو المزدرع وانشد ثعلب انما الارحام ارضون
لنا محترثات فعلينا الزرع فيها وعلى الله النبات ففرج المراه كالارض
والنطفه كالبذر والولد كالنبات والحرث بمعنى المحترث ووحد
الحرث لانه مصدر كما يقال رجل صوم وقوم صوم
قوله تعالى انى شيتم معناه عند الجمهور من الصحابه والتابعين وايمه
الفتوى من اي وجه شيتم مقبله ومدبره كما ذكرنا انفا وانى يجي
سوالا واخبارا عن امر له جهات فهو اعم في اللغة من كيف ومن اين
ومن متى هذا هو الاستعمال العربي في انى وقد فسر الناس انى في
هذه بهذه الالفاظ وفسرها سيبويه بكيف ومن اين باجتماعهما
وذهبت فرقه ممن فسرها باين الى ان الوطي في الدبر جايز وممن نسب
اليه هذا القول سعيد بن المسيب ونافع وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي
وعبد الملك بن الماجشون وحكي ذلك عن ملك في كتاب له يسمى كتاب
السر وحذاق اصحاب ملك ومشايخهم ينكرون ذلك الكتاب وملك
اجل من ان يكون له كتاب سر ووقع هذا القول في العتبيه وذكر ابن
العربي ان ابن شعبان اسند جواز هذا القول الى زمر كثيره من الصحابه
والتابعين والى ملك من روايات كثيره في كتاب جماع النسوان واحكام
القران وقال الكيا الطبري وروي عن محمد بن كعب القرظي انه كان

لا يرى

لايري بذلك باسا وبيا وافيه قول الله عز وجل اتاتون الذكران من
العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم وقال فتقدير ترك ن
من ذلك من ازواجكم ولو لم يبح مثل ذلك من الازواج ما صح ذلك
وليس المباح من الموضع الاخر مثلا له حتى يقال تفعلون ذلك وتتركون ن
مثله من المباح قال الكيا وهذا فيه نظر اذ معناه وتذرون ما خلق
لكم ربكم من ازواجكم مما فيه تسكين شهوتكم ولذة الوقاع حاصله بهما
جميعا فيجوز التوبيخ على هذا المعنى وفي قول الله تعالى فاذا تطهرن
فاتوهن من حيث امركم الله مع قوله فاتوا حرثكم ما يدل على ان في
الثاني اختصاصا وانه مقصور على موضع الولد قلت هذا هو في
المسله وقد ذكر ابو عمر بن عبد البر ان العلما لم يختلفوا في الرتقا التي
لا يوصل الى وطيها انه عيب ترد منه الا شيا جا عن عمر بن عبد العزيز
من وجه ليس بالقوي انه لا ترد الرتقا ولا غيرها والفقها كلهم على خلافه
ذلك لان المسيس هو المبتغى بالنكاح وفي اجماعهم على هذا دليل على ان
الدبر ليس بموضع وطي ولو كان موضعا للوطي ما ردت من لا يوصل
الى وطيها في الفرج وفي اجماعهم ايضا على ان العقيم التي لا تلد لا ترد والصحيح
في هذه المسله ما بيناه وما نسب الى مالك رضي الله عنه واصحابه من
هذا باطل وهم مبرون من ذلك لان اباحه الاتيان مختصه موضع الحرث
لقوله تعالى فاتوا حرثكم ولان الحكمه في خلق الازواج بث النسل فغير
موضع النسل لا يناله ملك النكاح وهذا هو الحق وقد قال اصحاب ابو
حنيفه انه عندنا ولايط الذكر في الحكم سوا ولان القذر والاذى في
النجو اكثر من دم الحيض فكان اشنع واما صمام البول فغير صمام الرحم

قال بن العربي في قبسه قال لنا الشيخ الامام فخر الاسلام ابو بكر محمد بن
احمد بن الحسين فقيه الوقت وامامه الفرج اشبه شي بخمسه وثلاثين
واخرج يده عاقدا بها وقال مسلك البول ما تحت الثلاثين ومسلك
الحيض ما اشتملت عليه الخمسه وقد حرم الله تعالى الفرج حال الحيض
لاجل النجاسه العارضه فاولى ان يحرم الدبر بالنجاسه اللازمه وقال
مالك لابن وهب وعلي بن زياد لما اخبره ان ناسا بمصر يتحدثون عنه انه
يجيز ذلك فنفر من ذلك وبادر الى تكذيب الناقل فقال كذبوا علي
كذبوا علي كذبوا علي ثم قال الستم قوما عربا الم يقل الله تعالى نساوكم
حرث لكم وهل يكون الحرث الا في موضع المنبت وما استدل به
المخالف من ان قوله عز وجل انى شئتم شامله للمسالك بحكم عمومها فلا حجه
فيها اذ هي مخصصه بما ذكرنا وباحاديث صحيحه حسان وشهيره رواها
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر صحابيا بمتون مختلفه كلها
متواردة على تحريم وطي النسا في الادبار ذكرها احمد بن حنبل في مسنده
وابو داود والترمذي والنساي وغيرهم وقد جمعها ابو الفرج الجوزي
بطرقها في جزء سماه تحريم المحل المكروه ولشيخنا ابي العباس ايضا في ذلك جزء
سماه اظهار ادبار من اجاز الوطي في الادبار قلت وهذا هو الحق
المتبع والصحيح في المسله ولا ينبغي لمومن بالله واليوم الاخر ان يعرج في هذه
النازله على زلة عالم بعد ان يصح عنه وقد حذرنا من زلة العالم وقد روي
عن بن عمر خلاف هذا وتكفير من فعله وهذا هو اللايق به رضي الله عنه
وكذلك كذب نافع من اخبر بذلك عنه كما ذكر النساي وقد تقدم وانكر
ذلك مالك واستعظمه وكذب من نسب ذلك اليه وروى الدارقطني

ابو محمد

ابو محمد في مسنده عن سعيد بن يسار ابي الحباب قال قلت لابن عمر ما تقول
في الجواري حين احمض بهن قال وما التحميض فذكرت له الدبر فقال
هل يفعل ذلك احد من المسلمين واسند عن خزيمه بن ثابت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايها الناس ان الله لا يستحي
من الحق لا تاتوا النسا في اعجازهن ومثله عن علي بن طلق واسند عن ابي
هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتى امراة في دبرها لم ينظر الله
اليه يوم القيمه وروى ابو داود الطيالسي في مسنده عن قتادة
عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال تلك اللوطية الصغرى يعني اتيان المراة في دبرها وروي عن
طاوس انه قال كان بدو عمل قوم لوط اتيان النسا في ادبارهن قال ابن
المنذر واذا ثبت الشي بعينه عن رسول الله صلى الله استغني به عما
سواه قوله تعالى وقدموا لانفسكم اي قدموا ما ينفعكم
غدا فحذف المفعول وقد صرح به في قوله وما تقدموا لانفسكم من
خير تجدوه عند الله فالمعنى لانفسكم الطاعه والعمل الصلح وقيل ابتغا
الولد والنسل لان الولد خير الدنيا والاخره وقد يكون شفيعا وجنه
وقيل هو التزوج بالعفايف ليكون الولد صالحا طاهرا وقيل تقدم
الافراط كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من قدم ثلاثه من الولد لم يبلغوا
الحنث لم تمسه النار الا تحله القسم الحديث وسياتي في مريم ان شا الله تعالى
وقال ابن عباس وعطا اي قدموا ذكر الله عند الجماع كما قال عليه السلام
لو ان احدكم اذا اتى امراته قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب
الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد لم يضره شيطان ابدا اخرجه

مسلم قوله واتقوا الله تحذير واعلموا انكم ملاقوه خبر يقتضي المبالغة في التحذير اي فهو مجازيكم على البر والاثم وروى بن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت سعيد بن جبير عن بن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب يقول انكم ملاقوا الله حفاة عراة مشاة غرلا ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه اخرجه مسلم بمعناه قوله تعالى وبشر المومنين تانيس لفاعل البر ومتبعي سنن الهدي تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا فيه اربع مسايل قال العلما امر الله تعالى بالانفاق وصحبة الايتام والنسا بجميل المعاشرة قال لا تمتنعوا عن شي من المحارم تعللا بانا حلفنا ان لا نفعل هذا قال معناه بن عباس والنخعي ومجاهد والربيع وغيرهم ومجاهد قال سعيد بن جبير هو الرجل يحلف ان لا يبر ولا يصلي ولا يصلح بين الناس فيقال له بر فيقول قد حلفت وقال بعض المتاولين المعنى ولا تحلفوا بالله كاذبين اذا اردتم البر والتقوى والاصلاح فلا يحتاج الى تقدير لا بعد ان وقيل المعنى لا تستكثروا من اليمين بالله فانه اهيب للقلوب ولهذا واحفظوا ايمانكم وذم من كثر اليمين فقال ولا تطع كل حلاف مهين والعرب تمتدح بقلة الايمان حتى قال قايلهم قليل الالا يا حافظ ليمينه وان صدرت منه الالية برت وعلى هذا ان تبروا معناه اقلوا الايمان لما فيه من البر والتقوى فان الاكثار يكون معه الحنث وقلة رعي لحق الله تعالى وهذا تاويل حسن مالك بن انس بلغني انه الحلف بالله في كل شي وقيل المعنى لا تجعلوا اليمين مبتذلة في كل شي حق وباطل وقال الزجاج وغيره معنى الاية ان يكون الرجل اذا طلب منه فعل خير اعتل بالله

فقال

فقال علي يمين وهو لم يحلف القتبي المعنى لا تجعلوا اليمين اذا حلفتم على الا تصلوا
ارحامكم ولا تتصدقوا ولا تصلحوا وعلى اشباه ذلك من ابواب البر فلم تفروا
اليمين **قلت** وهذا احسن لما بينا وهو الذي يدل عليه سبب النزول
على ما نبينه في المسلة بعد هذا قيل نزلت بسبب الصديق
اذ حلف ان لا ينفق على مسطح حين تكلم في عايشه في حديث الافك وسياتي
بيانه في النور عن ابن جريج وقيل نزلت في الصديق ايضا حين حلف الا ياكل مع
الاضياف وقيل نزلت في عبد الله بن رواحه حلف الا يكلم بشير بن النعمان
وكان ختنه على اخته فالله اعلم قوله تعالى عرضه لايمانكم
اي نصبا عن الجوهري وفلان عرضه ذاك اي عرضه لذلك اي مقرن له قوي
عليه والعرضه الهمه قال هم الانصار عرضتها اللقا وفلان عرضه للناس
لا يزالون يقعون فيه وجعلت فلانا عرضه لكذا اي نصبته له وقيل
العرضه من الشده والقوه ومنه قولهم للمراة عرضه للنكاح اذا
صلحت له وقويت عليه ولفلان عرضه اي قوه على السفر والحرب
قال كعب بن زهير من كل نضاخه الذفرى اذا عرقت عرضتها
طامس الاعلام مجهول وقال عبد الله بن الزبير فهذي لايام
الحروب وهذه للهوي وهذي عرضه لارتحالنا اي عده وقال
اخر فلا تجعلني عرضه للوايم وقال اوس بن حجر واد
ما مثل الفحل عرضتها لرحلي وفيها هزه وتقاذف والمعنى لا تجعلوا
اليمين بالله قوه لانفسكم وعده في الامتناع من البر قوله تعالى
ان تبروا وتتقوا مبتدا وخبره محذوف اي البر والتقوي والاصلاح اولى
او مثل مثل طاعه وقول معروف عن الزجاج والنحاس وقيل محله النصب

اي لا يمنعكم اليمين بالله عز وجل البر والتقوى والاصلاح عن الزجاج ايضا
وقيل مفعول من اجله وقيل معناه الا تبروا فحذف لا كقوله يبين الله لكم ان
تضلوا اي لئلا تضلوا قاله الطبري والنحاس ووجه رابع من وجوه النصب
كراهة ان تبروا ثم حذفت ذكره النحاس والمهدوي وقيل هو في موضع
خفض على قول الخليل والكسائي والتقدير في ان تبروا فاضمرت في وخفضت
بها وسميع اي لاقوال العباد عليم بنياتهم   تعالى لا يواخذكم
الله باللغو في ايمانكم ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور رحيم
فيه اربع مسايل   قوله تعالى باللغو اللغو مصدر لغا يلغو
ويلغا ولغا يلغا لغيا اذا اتى بما لا يحتاج اليه في الكلام او بما لا خير فيه او بما
يلغا اثمه وفي الحديث اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام
يخطب فقد لغوت ولغة ابي هريرة لغيت   وقال الشاعر   ورب
اسراب حجيج كظم عن اللغا ورفث التكلم   وقال اخر   ولست بماخوذ
بلغو تقوله اذا لم تعمد عاقدات العزايم   واختلف العلما
في اليمين التي هي لغو فقال ابن عباس هو قول الرجل في درج كلامه واستعجاله
في المحاورة لا والله وبلى والله دون قصد اليمين قال المروزي لغو اليمين التي
اتفق عامة العلما على انها لغو هو قول لا والله وبلى والله في حديثه وكلامه
غير معتقد لليمين ولا مريدها روى وهب عن يونس عن ابن شهاب ان عروة
حدثه ان عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ايمان اللغو ما كان في المرا
والهزل والمزاحة والحديث الذي لا يعقد عليه وفي البخاري عن عايشة قالت
نزل قوله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم في قول الرجل لا والله وبلى
والله وقيل اللغو ما حلف به على الظن فيكون بخلافه قاله مالك حكاه عنه

ابن القاسم

بن القاسم وقال به جماعه من السلف قال ابو هريرة اذا حلف الرجل على
الشي لا يظن الا انه اياه فاذا ليس هو فهو اللغو وليس فيه كفارة ونحوه
عن ابن عباس وروي ان قوما تراجعوا القول عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم يرمون بحضرته فحلف احدهم لقد اصبت واخطات
يا فلان فاذا الامر بخلافه فقال الرجل حنث يا رسول الله فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ايمان الرماة لغو لا اثم فيها ولا كفارة وفي الموطا قال
مالك احسن ما سمعت في ذلك ان اللغو حلف الانسان على الشي يستيقن
انه كذلك ثم يوجد بخلافه فلا كفارة فيه والذي يحلف على الشي وهو
يعلم انه فيه اثم كاذب ليرضي به احدا او يعتذر لمخلوق او يقتطع
به مالا فهذا اعظم ان يكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف الا
يفعل الشي المباح له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل
ان حلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك او يحلف ليضربن
غلامه ثم لا يضربه وروي عن ابن عباس انه صح عنه قال لغو اليمين
ان تحلف وانت غضبان وقال طاوس وروي عن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا يمين في غضب اخرجه وقال
سعيد بن جبير هو تحريم الحلال فيقول مالي علي حرام ان فعلت كذا
والحلال علي حرام وقاله مكحول الدمشقي ومالك ايضا الا في الزوجه
فانه الزم فيها التحريم الا ان يخرجها الحالف بقلبه وقيل هو يمين المعصيه
قاله سعيد بن المسيب وابو بكر بن عبد الرحمن وعروة وعبد الله ابنا
الزبير كالذي يقسم ليشرب الخمر او ليقطع الرحم فبره ترك ذلك
الفعل ولا كفارة عليهم وحجتهم حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده

لغو اليمين ان تحلف وانت غضبان

ل

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فتركها

فان تركها كفارتها اخرجه ابن ماجه في سننه وسياتي في المايدة ايضا وقال

زيد بن اسلم وابنه لغو اليمين دعا الرجل على نفسه اعمى الله بصره اذهب الله

ماله هو يهودي هو مشرك هو لغية ان فعل كذا مجاهد هما

الرجلان يتبايعان فيقول احدهما والله لا ابيعك بكذا ويقول الاخر

والله لا اشتريه بكذا النخعي هو الرجل يحلف ان لا يفعل الشي ثم ينسى

فيفعله وقال ابن عباس ايضا والضحاك لغو اليمين هي المكفرة اي اذا كفرت

اليمين سقطت وصارت لغوا ولا يواخذ الله بتكفيرها والرجوع الى الذي

هو خير وحكى ابن عبد البر قولا ان اللغو ايمان المكره قال ابن العربي اما اليمين

مع النسيان فلا شك في الغايها لانها جاءت على خلاف قصده فهي لغو محض

قلت ويمين المكره مثلها وسياتي حكم من حلف مكرها في النحل ان شا الله

قال ابن العربي واما من قال انه يمين المعصية فباطل لان الحالف على ترك المعصية

تنعقد يمينه عبادة واليمين على فعل المعصية تنعقد يمينه معصية

ويقال له لا تفعل وكفر فان اقدم على الفعل اثم في اقدامه وبر في يمينه واما

من قال انه دعا الانسان على نفسه ان لم يكن كذا فينزل به كذا فهو قول

لغو في طريق الكفارة ولكنه منعقد في القصد مكروه وربما يواخذ به لان النبي

صلى الله عليه وسلم قال لا يدعون احدكم على نفسه فربما صادف ساعة لا

يسال الله فيها احد شيا الا اعطاه اياه واما من قال انه يمين الغضب فانه يرده

حلف النبي صلى الله عليه وسلم غاضبا ان لا يحمل الاشعريين وحملهم وكفر عن

يمينه وسياتي في براءة قال ابن العربي واما من قال انه اليمين المكفرة فلا متعلق له

يحكى وضعفه ابن عطيه ايضا وقال قد رفع الله عز وجل المواخذة بالاطلاق

في اللغو

في اللغو فحقيقتها لا اثم فيه ولا كفارة والمواخذة في الايمان هي بعقوبة
الاخرة في اليمين الغموس المصبورة وفيما ترك تكفيره مما فيه كفارة وبعقوبة
الدنيا في الزام الكفارة فيضعف عنه القول بانها اليمين المكفرة لان
المواخذة قد وقعت فيها وتخصيص المواخذة بانها في الاخرة فقط تحكم
قوله تعالى في ايمانكم الايمان جمع يمين واليمين الحلف واصله
ان العرب كانت اذا تحالفت او تعاقدت اخذ الرجل يمين صاحبه
بيمينه ثم كثر ذلك حتى سمي الحلف والعهد نفسه يمينا وقيل يمين فعيل
من اليمن وهي البركة سماها الله تعالى بذلك لانها تحفظ الحقوق ويمين
تذكر وتونث وتجمع ايمان وايمن قال زهير فتجمع ايمن منا
ومنكم قوله تعالى ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم
مثل قوله ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان وهناك ياتي الكلام فيه
مستوفي ان شا الله وقال زيد بن اسلم قوله ولكن يواخذكم بما كسبت
قلوبكم هو في الرجل يقول هو مشرك اي هذا لغوا الا ان يعقد الاشراك
بقلبه ويكسبه وغفور رحيم صفتان لائقتان بما ذكر من طرح المواخذة
اذ هو باب رفق وتوسعة تعالى للذين يولون من نسايهم
تربص اربعة اشهر فان فاوا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق
فان الله سميع عليم فيه اربع وعشرون مسلة قوله
تعالى للذين يولون يولون معناه يحلفون والمصدر ايلا واليه والوة
والوة وقرا ابي وابن عباس للذين يقسمون ومعلوم ان يقسمون تفسير
يولون وقرا الذين الوا يقال الي يولي ايلا وتالي تاليا وايتلى ايتلا
اي حلف ومنه ولا ياتل اولوا الفضل فالينة لا انفك اخذ د ا

قصيدة بلون وايا ها بها مثلا بعدى   وقال اخر   قليل الالا
ياحافظ ليمينه وان سبقت منه الاليه برّت   وقال بن دريد
اليّة بالمعملات يرتمي بها النجا بين احوا ز الفلى   قال عبد الله بن
عباس كان ايلا الجاهليه السنه والسنتين واكثر من ذلك يقصدون
بذلك اذى المراة عند المشارة فوقت لهم اربعه اشهر فمن الى اقل
من ذلك فليس بايلا حكمي قلت وقد الى النبي صلى الله عليه وسلم وطلق
وسبب ايلايه سواله نساه اياها من النفقه ما ليس عنده كذا في
صحيح مسلم وقيل لان زينب ردت عليه هديته فغضب صلى الله
عليه وسلم فالى منهن ذكره بن ماجه   ويلزم الايلا كل من يلزمه
الطلاق فالحر والعبد والسكران يلزمه الايلا ولذا السفيه والمولا
عليه ان كان بالغا غير مجنون ولذلك الخصي اذا لم يكن مجبوبا والشيخ اذا
كان فيه بقية رمق ونشاط واختلف قول الشافعي في المجبوب له الايلا في
قول لا ايلا له وفي قول يصح ايلاوه والاول اصح واقرب الى الصواب فان
الفي هو الذي يسقط اليمين والفي بالقول لا يسقطها فاذا انتفت اليمين
المانعه من الحنث بقي حكم الايلا وايلا الاخرس بما يفهم عنه من كتابه او
اشارة مفهومه لازم له ولذلك الاعجمي اذا الى من نسايه
واختلف العلما فيما يقع به الايلا من اليمين فقال قوم لا يقع الايلا الا باليمين
بالله تعالى وحده لقوله عليه السلام من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت
وبه قال الشافعي في الجديد وقال بن عباس كل يمين منعت جماعا فهي ايلا وبه
قال الشعبي والنخعي وملك واهل الحجاز وسفيان الثوري واهل العراق
والشافعي في القول الاخر وابو ثور وابو عبيد وبن المنذر والقاضي ابو بكر

بن العربي

بن العربي قال بن عبد البر وكل يمين لا يقدر صاحبها علي جماع امراته من
اجلها الا بان يحنث فهو بها مول اذا كانت يمينه علي اكثر من اربعة
اشهر فكل من حلف بالله او بصفة من صفاته او قال اقسم بالله او
اشهد بالله او علي عهد الله وكفالته وميثاقه وذمته فانه يلزمه الايلا
فان قال اقسم او اعزم ولم يذكر بالله فقيل لا يدخل عليه الايلا الا ان
يكون اراد بالله ونواه ومن قال انه يمين يدخل عليه وسياتي بيانه
في الايمان ان شا الله فان حلف بالصيام لا يطا امراته فقال ان
وطيتك فعلي صيام شهر او سنة فهو مول وكذلك كل ما
يلزمه من حج او طلاق او عتق او صلاة او صدقة والاصل في هذه
الجملة عموم قوله جل وعز للذين يولون ولم يفرق فاذا الي بصدقة
او عتق عبد معين او غير معين لزم الايلا فان حلف
بالله الا يطا واستثنى فقال ان شا الله انه يكون موليا فان وطيها فلا
كفارة عليه في رواية بن القاسم عن ملك وقال بن الماجشون في المبسوط
ليس بمول وهو اصح لان الاستثنا يحل اليمين ويجعل الحالف كانه لم يحلف
وهو مذهب فقها الامصار لانه بين بالاستثنا انه غير لازم علي الفعل
ووجه ما رواه بن القاسم مبني علي الاستثنا لا يحل اليمين ولكنها تؤثر
في اسقاط الكفارة علي ما ياتي بيانه في الايمان فلما كانت يمينه باقية منعقدة
لزمه حكم الايلا وان تجب عليه الكفارة فان حلف بالنبي
والملايكة والكعبة ان لا يطاها او قال هو يهودي او نصراني او زان
ان وطيها فهذا ليس بمول قاله ملك وغيره قال الباجي ومعنى ذلك
عندي انه اورده علي غير وجه القسم واما اذا اراده انه مول بما قاله من

ذلك او غيره ففي المبسوط ان ابن القاسم سيل عن الرجل يقول لامراته لا
مرحبا يريد بذلك الايلا يكون موليا قال قال ملك كل كلام نوى به
الطلاق فهو طلاق وهذا والطلاق سوا واختلف العلما
في الايلا المذكور في القران فقال ابن عباس لا يكون موليا حتى يحلف الا يطا
ابدا وقالت طايفه اذا حلف الا يقرب امراته يوما او اقل او اكثر ثم
لم يطا اربعه اشهر فان حلف على اربعه اشهر فما دونها لم يكن موليا وكانت
عندهم يمينا محضا لو وطي في هذه المده لم يكن عليه شي كسا ير الايمان وهذا
قول ملك والشافعي واحمد وابي ثور وقال الثوري والكوفيون الايلا ان
يحلف على اربعه اشهر فصاعدا وهو قول عطا قال الكوفيون جعل الله
التربص في الايلا اربعه كما جعل عدة الوفاه اربعه اشهر وعشرا وفي العده
ثلاثه قروء فلا تربص بعد قالوا فيجب بعد المده سقوط الايلا ولا يسقط
الا بالفي وهو الجماع في داخل المده والطلاق بعد انقضا الاربعه الاشهر
واحتج ملك والشافعي فقالوا جعل الله للمولى اربعه اشهر فهي له بكمالها لا
اعتراض لزوجته عليه فيها كما ان الدين المؤجل لا يستحق صاحبه المطالبه
به الا بعد تمام الاجل ووجه قول اسحق في قليل الامد يكون به صاحبه
موليا اذا لم يطا القياس على من حلف على اكثر من اربعه اشهر فانه يكون
موليا لانه قصد الاضرار باليمين وهذا المعنى موجود في المده القصيره
واختلفوا اذا حلف الا يطا امراته اكثر من اربعه اشهر فانقضت
الاربعه اشهر فلم تطالبه امراته ولا رفعته الى سلطان ليوقفه لم يلزمه شي
عند ملك واصحابه واكثر اهل المدينه ومن علماينا من يقول يلزمه بانقضا
الاربعه اشهر طلقه رجعيه ومنهم ومن غيرهم من يقول تلزمه طلقه

بابنه

بابنه بانقضا الاربعة اشهر والصحيح ما ذهب اليه ملك واصحابه وذلك
ان المولي لا يلزمه طلاق حتى توقفه السلطان بمطالبة زوجه له ليفي فيراجع امراته
بالوطي ويكفر يمينه او يطلق ولا يتركه حتى يفي او يطلق والفي الجماع فيمن يمكن
مجامعتها قال سليمان بن يسار ادركت بضعة عشر رجلا من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم يوقفون في الايلا قال ملك وذلك الامر عندنا وبه قال
الليث والشافعي واحمد واسحق وابو ثور واختاره ابن المنذر
واجل المولي من يوم حلف لا من يوم تخاصمه امراته وترفعه الى فان خاصمته
ولم ترض بامتناعه من الوطي ضرب له الحاكم اجل اربعة اشهر من يوم حلف
فان وطي فقد فا الى حق الزوجه وكفر عن يمينه وان لم يف طلق عليه طلقة رجعيه
قال ملك فان راجع فلا تصح رجعته حتى يطا في العدة قال الابهرى وذلك
ان الطلاق انما وقع لرفع الضرر فمتى لم يطا فالضرر باق فلا معنى للرجعة الا ان يكون
له عذر يمنعه من الوطي فتصح رجعته لان الضرر قد زال وامتناعه من الوطي
ليس من اجل الضرر وانما هو من اجل العذر واختلف العلما
في غير حال الغضب فقال ابن عباس لا ايلا الا بغضب وروي عن علي بن ابي
طالب في المشهور عنه وقاله الليث والشعبي والحسن وعطا كلهم يقول
لا ايلا الا على وجه مغاضبة ومشارة وحرج ومناكدة ان لا يجامعها في
فرجها اضرارا بها وسوا كان في ضمن ذلك اصلاح ولد او لم يكن فان لم يكن
عن غضب فليس بايلا وقال ابن سيرين سوا كانت اليمين في غضب وغير
غضب هو ايلا وقاله ابن مسعود والثوري وملك واهل العراق والشافعي
واصحابه واحمد الا ان ملكا قال ما لم يرد اصلاح ولد قال ابن المنذر وهذا
اصح لانهم لما اجمعوا ان الظهار والطلاق وساير الايمان سوا في حال

فهي

الغضب والرضا ان الايلا لذلك قلت ويدل عليه عموم القران وتخصيص حالة الغضب يحتاج الى دليل ولا يوجد من وجه يلزم والله اعلم مسألة

قال علماونا ومن امتنع من وطي امراته بغير يمين حلفها اضرارا بها امر بوطيها فان ابى واقام على امتناعه مضارا بها فرق بينه وبينها من غير ضرب اجل وقد قيل يضرب اجل الايلا وقد قيل لا يدخل ايلا في هجرته من زوجته وان اقام سنين لا يغشاها ولكنه يوعظ ويومر بتقوى الله في ان لا يمسكها ضرارا

واختلفوا فيمن حلف الا يطا امراته حتى تفطم ولدها لان لا يغيل ولدها ولم يرد ضرارا بها حتى ينقضي امد الرضاع لم يكن لزوجته عند مالك مطالبة لقصد اصلاح الولد قال ملك وقد بلغني ان علي بن ابي طالب سيل عن ذلك فلم يره ايلا وبه قال الشافعي في احد قوليه والقول الاخر يكون موليا ولا اعتبار برضاع الولد وبه قال ابو حنيفة

وذهب ملك والشافعي وابو حنيفه واصحابهم والاوزاعي واحمد الى انه لا يكون موليا من حلف الا يطا زوجته في هذا البيت او في هذه الدار لانه يجد السبيل الى وطيها في غير ذلك المكان وقال ابن ابي ليلا واسحق ان تركها اربعة اشهر بانت بالايلا الا ترى انه يوقف عند الاشهر الاربعة فان حلف الا يطاها في مصر او بلد فهو مول عند ملك وهذا انما يكون في سفر يتكلف المونه والكلفه دون جنته او مزرعته القريبه والله اعلم

قوله تعالى من نسايهم يدخل فيه الحراير والذميات والاما اذا تزوجن والعبد يلزمه الايلا من زوجته قال الشافعي واحمد وابو ثور الايلا مثل ايلا الحر وحجتهم ظاهر قوله تعالى للذين يولون من نسايهم فكان ذلك لجميع الازواج قال ابن المنذر وبه نقول وقال ملك والزهري

وعطا

وعطا بن ابي رباح واسحق اجله شهران وقال الحسن والنخعي الايلا من زوجته
الامه شهران ومن الحره اربعه اشهر قال ابو حنيفه وقال الشعبي ايلا الامه
نصف ايلا الحره قال مالك وابو حنيفه واصحابه والا
والنخعي وغيرهم المدخول بها وغير المدخول سوا في لزوم الايلا فيه وقال
الزهري وعطا والثوري لا ايلا الا بعد الدخول قال مالك ولا ايلا
من صغيره لم تبلغ فان الي منها فبلغت لزم الايلا من يوم بلوغها
واما الذمي فلا يصح ايلاوه كما لا يصح ظهاره ولا نكاحه
وذلك ان نكاح اهل الشرك ليس عندنا بنكاح صحيح وانما لهم شبهه
به لانهم لا يخاطبون بالشرايع فتلزمهم كفارات الايمان فلو ترافعوا
الينا في حكم الايلا لم ينبغ لحاكمنا ان يحكم بينهم ويذهبون الى حكامهم فان
جرى ذلك مجرى التظالم بينهم حكم بحكم الاسلام كما لو ترك المسلم وطي زوجته
ضررا من غير يمين قوله تعالى تربص اربعه اشهر
التربص التاني والتاخر مقلوب التصبر قال الشاعر تربص بها
ريب المنون لعلها تطلق يوما او يموت خليلها واما فايده الاربعه الاشهر
فقال ابن عباس عن اهل الجاهليه كما تقدم فمنع الله من ذلك وجعل للزوج
مده اربعه اشهر في تاديب المراة بالهجر لقوله تعالى واهجروهن في
المضاجع وقد الى النبي صلى الله وسلم من ازواجه شهرا تاديبا لهن وقد
قيل الاربعه الاشهر هي التي لا تستطيع ذات الزوج ان تصبر عنه اكثر
منها وقد روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يطوف ليله بالمدينه
فسمع امراه تنشد الا طال هذا الليل واسود جانبه وارقني
اذ لا حبيب الاعبه فوالله لولا الله لا شي غيره لزعزع من هذا السرير

جوانبه فخافة ربي والحيا يكفني والرم بعلي ان تنال مراتبه فلما كان من الغد
استدعى عمر بتلك المراة فقال لها اين زوجك فقالت بعثت به الى العراق
فاستدعى نسا فسالهن عن المراة كم مقدار ما تصبر عن زوجها فقلن
شهرين ويقل صبرها في ثلاثة اشهر وينفد صبرها في اربعة اشهر فجعل
عمر مدة غزو الرجل اربعة اشهر فاذا مضت اربعة اشهر استرد الغازين
ووجه بقوم اخرين وهذا والله اعلم يقوي اختصاص مدة الايلا
باربعة اشهر قوله تعالى فان فاوا معناه رجعوا
ومنه حتى تفي الى امر الله ومنه قيل للظل بعد الزوال فيء لانه رجع
عن جانب المشرق الى جانب المغرب يقال فاء يفيء فيئة وفيوا وانه لسريع
الفيئة يعني الرجوع قال ففاءت ولم تقض الذي اقبلت له ومن حاجة
الانسان ما ليس قاضيا قال ابن المنذر اجمع كل من
يحفظ عنه من اهل العلم على ان الفيء الجماع لمن لا عذر له فان كان له عذر
مرض او سجن او شبه ذلك فان ارتجاعه صحيح وهي امراته فاذا زال العذر
بقدومه من سفره او افاقته من مرضه او انطلاقه من سجنه فابى
الوطي فرق بينهما ان كانت المدة قد انقضت قاله ملك في المدونة
والمبسوط وقال عبد الملك وتكون بائنا منه يوم انقضت المدة
فان صدق عذره بالفيئة اذا امكنته حكم بصدقه فيما مضى فان اكذب
ما ادعاه من الفيئة بالامتناع حين القدرة عليها حمل امره على الكذب
فيها واللدد وامضيت الاحكام على ما كانت تجب في ذلك الوقت
وقالت طايفة اذا اشهد على فيئته بقلبه في حال العذر اجزاه قاله
الحسن وعكرمة والنخعي وبه قال الاوزاعي وقال النخعي ايضا يصح الفيء

بالقول

بالقول والاشهاد فقط ويسقط حكم الايلا ارايت ان لم ينتشر للوطي
قال بن عطيه ويرجع هذا القول ان لم يطا الي باب الضرر وقال
احمد بن حنبل اذا كان له عذر يفي بقلبه وبه قال ابو قلابه وقال ابو
حنيفه اذا لم يقدر على الجماع يقول قد فيت اليها قال الكيا الطبري
ابو حنيفه يفرق فيمن الي وهو مريض وبينه وبينها مدة اربعه اشهر
وهي رتقا او صغيره او هو مجبوب انه اذا فا اليها بلسانه ومضت
المده والعذر قايم فذلك في صحيح والشافعي يخالفه على احد مذهبيه
وقالت طايفه لا يجوز الفي الا بالجماع في حال العذر وغيره كذلك
قال سعيد بن جبير قال ولذلك ان كان في سفر او سجن والله اعلم
اوجب ملك والشافعي وابو حنيفه واصحابهم
وجمهور العلما الكفاره على المولي اذا فا بجماع امراته وقال الحسن لا كفاره
عليه وبه قال النخعي قال النخعي كانوا يقولون اذا فا لا كفاره عليه وقال
اسحاق قال بعض اهل التاويل في قوله فان فاوا يعني لليمين الذي حنثوا
فيها وهو مذهب في الايمان لبعض التابعين فيمن حلف على بر او تقوى او با
من الخير ان لا يفعله فانه يفعله ولا كفاره عليه والحجه له قوله تعالى فان
فاوا فان الله غفور رحيم ولم يذكر كفاره وايضا فان هذا يتركب على ان
لغو اليمين ما حلف على معصيه وترك وطي الزوجه معصيه **قلت**
وقد يستدل لهذا القول من السنه بحديث عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا
منها فليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه اذا كفر عن
يمينه سقط عنه الايلا قال علماونا وفي ذلك دليل على تقديم الكفاره على

الحنث في المذهب وذلك الجماع في مسئله الايلاء ودليل على ابي حنيفه في مسئله
الايمان اذ لا يري تقديم جواز الكفاره على قاله بن العربي

قلت بهذه الايه احتج محمد بن الحسن على امتناع جواز الكفاره قبل الحنث فقال
لما حكم الله تعالى للمولي باحد الحكمين من في او عزيمه الطلاق فلو جاز تقديم الكفاره
على الحنث لبطل الايلا بغير في ولا عزيمه طلاق لانه ان حنث لا يلزمه بالحنث
شي ومتى لم يلزم الحالف بالحنث شيا لم يكن موليا وفي جواز تقديم الكفارة
اسقاط حكم الايلا بغير ما ذكره الله تعالى وذلك خلاف الكتاب

قوله وان عزموا الطلاق العزم تتميم العقد على الشي يقال عزم
يعزم عزما بالضم وعزيمه وعزيما وعزمانا واعتزم اعتزاما وعزمت عليك
لتفعلن اي اقسمت قال شمر العزم والعزيمه ما عقد عليه قلبك من امر
انك فاعله والطلاق من طلقت المراه تطلق على وزن نصر ينصر طلاقا فهو طالق
وطالقه ايضا قال الاعشى ايا جارتنا بيني فانك طالقه ويجوز
طلقت بضم اللام مثل عظم يعظم وانكره الاخفش والطلاق حل عقد النكاح
واصله الانطلاق والمطلقات المخليات والطلاق التخليه يقال نعجه طالق
وناقه طالق بضم الطا واللام غير مقيد والجمع الطلاق وحبس فلان في السجن
طلقا اي بغير قيد والطلاق من الابل التي يتركها الراعي لنفسه لا يحتلبها على الما
يقال استطلق الراعي ناقه لنفسه فسميت المراه المخلا سبيلها بما سميت به
النعجه والناقه المهمول امرها وقيل انه ماخوذ من طلق الفرس وهو ذهابه
شوطا لا يمنع فسميت المراة المخلاه طالقا لا تمتنع من نفسها بعد ان كانت
ممنوعه

في قوله وان عزموا الطلاق دليل على انها
لا تطلق بمضي مده اربعه اشهر كما قال مالك ما لم يقع انشا تطليق بعد المدة

وايضا

وايضا فانه قال سميع وسميع يقتضي مسموعا بعد المضي وقال ابو
حنيفه سميع لايلايه عليم بعزمه الذي دل عليه مضي اربعه اشهر
وروي سهل بن ابي صالح عن ابيه قال سالت اثني عشر رجلا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يولي من امراته فكلهم يقول
ليس عليه شي حتى تمضي اربعه اشهر فيوقف فان فا والا طلق قال القاضي
بن العربي وتحقيق الامر ان تقدير الايه عندنا للذين يولون من نسايهم
تربص اربعه اشهر فان فاوا بعد انقضايها فان الله غفور رحيم وان عزموا
الطلاق فان الله سميع عليم وتقديرها عندهم للذين يولون من نسايهم
تربص اربعه اشهر فان فاوا فيها فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق
بترك الفيه فيها يريد في مدة التربص فان الله سميع عليم بن العربي وهذا احتمال
مساو ولاجل تساويه توقفت الصحابه فيه قلت واذا تساوى الاحتمال
فان قول الكوفيين قياسا على المعتده بالشهور والاقرا اذ كل ذلك اجل ضربه
الله فبانقضايه انقطعت العصمة وابينت من غير خلاف ولم يكن لزوجها
سبيل عليها الا باذنها فكذلك الايلا حتى لو نسي الفي وانقضت المده لوقع
الطلاق والله اعلم في قوله وان عزموا الطلاق
دليل على ان الامه بملك اليمين لا يجوز فيها ايلا اذ لا يقع عليها طلاق والله اعلم
تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثه قروء فيه خمس
مسايل قوله تعالى والمطلقات لما ذكر جل وعز الايلا وان الطلاق
قد يقع فيه بين تعالى حكم المراة بعد التطليق وفي كتاب ابي داود والنساي
عن ابن عباس قال في قول الله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثه قروء
الايه وذلك ان الرجل كان اذا طلق امراته فهو احق بها وان طلقها ثلاثا فنسخ

ذلك نعال الطلاق من نان الايه والمطلقات لفظ عموم والمراد به الخصوص
في المدخول بهن وخرجت المطلقة قبل البنا باية الاحزاب فمالكم عليهن من عدة
تعتدونها على ما ياتي وكذلك الحامل بقوله واولات الاحمال اجلهن ان
يضعن حملهن والمقصود من الاقرا الاستبرا بخلاف عدة الوفاه التي هي
عباده وجعل الله عدة الصغيرة التي لم تحض والكبيره التي قد يئست
الشهور على ما ياتي وقال قوم ان العموم في المطلقات يتناول هاولاء
ثم نسخن وهذا ضعيف وانما الايه فيمن تحيض خاصه وهو عرف النساء
وعليه معظمهن قوله تعالى يتربصن التربص الانتظار على ما قدمنا
وهذا خبر والمراد الامر كقوله والوالدات يرضعن اولادهن وجمع رجل
عليه ثيابه وحسبك درهم اي اكتف بدرهم هذا قول اهل
اللسان من غير خلاف بينهم فيما ذكر ابن الشجري ابن العربي وهذا
باطل وانما هو خبر عن حكم الشرع فان وجدت مطلقه لا تتربص
فليس من الشرع ولا يلزم من ذلك وقوع خبر الله سبحانه على خلاف
مخبره وقيل ليتربصن فحذف اللام قرا جمهور الناس
قروء على وزن فعول اللام همزة وروي عن نافع قرو بشد الواو من غير
همز وقرا الحسن قرء بفتح القاف وسكون الراء والتنوين وقرو جمع قرء
واقراء والواحد قرء بضم القاف الاصمعي وقال ابو زيد قرء بفتح القاف
وكلاهما قال اقرات المراه حاضت فهي مقرئ واقرات طهرت قال
الاخفش اقرات المراه اذا صارت صاحبة حيض فاذا حاضت قلت
قرات بلا الف يقال اقرات المراه حيضة او حيضتين والقرء انقطاع
الحيض وقال بعضهم ما بين الحيضتين واقرات حاجتك دنت عن

الجوهري

الجوهري وقال ابو عمرو بن العلا رحمه الله من العرب من يسمى الحيض
قرا ومنهم من يسمى الطهر قرا ومنهم من جمعهما جميعا فيسمى الحيض
مع الطهر قرا ذكره النحاس واختلف العلما في
الاقرا فقال اهل الكوفه هي الحيض وهو قول عمر وعلي وبن مسعود
وابي موسى ومجاهد وقتاده والضحاك وعكرمه والسدي وقال
اهل الحجاز هي الاطهار وهو قول عايشه وبن عمر وزيد بن ثابت
والزهري وابان بن عثمان والشافعي فمن جعل القرا اسما للحيض سماه
بذلك لاجتماع الدم في الرحم ومن جعله اسما للطهر فلاجتماعه
في البدن والذي يحقق لك هذا الاصل في القرء الوقت يقال هبت
الرياح لقربها وقارئها اي لوقتها قال الشاعر كرهت العقر
عقر بني شليل اذا هبت لقاريها الرياح فقيل للحيض وقت
وللطهر وقت لانهما يرجعان لوقت معلوم قال الاعشى في
الاطهار افي كل عام انت جاشم غزوة تشد لاقصاها عزيم
عزايكا مورثة عزا وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قروء نسايكا
وقال اخر في الحيض يا رب ذي ضغن علي فارض له قروء كقروء
الحايض يعني انه طعنه فكان له دم كدم الحايض وقال
قوم هو ماخوذ من قرا الما في الحوض وهو جمعه ومنه القران
لاجتماع ويقال لاجتماع حروفه ويقال ما قرات الناقه سلا قط
اي لم تجمع في جوفها قال عمرو بن كلثوم ذراعي عيطل ادما
بكر هجان اللون لم تقرا جنينا فكان الرحم يجمع الدم وقت الحيض
والجسم يجمعه وقت الطهر قال ابو عمر بن عبد الله بن بال ان القر

ماخوذ من قولهم قريت الما في الحوض ليس بشي لان القر مهموز وهذا غير مهموز قلت هذا صحيح بنقل اهل اللغه الجوهري وغيره واسم ذلك الما قرى بكسر القاف مقصور وقيل القر الخروج اما من طهر الي حيض او من حيض الي طهر وعلي هذا قال الشافعي في قول القر الانتقال من الطاهر الي الحيض ولا يرى الخروج من الحيض الي الطهر قرا وكان يلزم بحكم الاشتقا ان يكون قرا ويكون معنى قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثه قرو اي ثلاثه ادوار او ثلاثه انتقالات والمطلقه متصفه بالانتقال تاره تنتقل من طهر الي حيض وتاره من حيض الي طهر فيستقيم معنى الكلام ودلالته علي الطهر والحيض جميعا فيصير الاسم مشتركا او يقال اذا ثبت ان القر الانتقال فخروجها من حيض الي طهر غير مراد بالايه اصلا ولذلك لم يكن الطلاق في الحيض طلاقا سنيا مامورا به وهو الطلاق للعده فان الطلاق للعده ما كان في الطهر وذلك يدل علي كون القر ماخوذا من الانتقال فاذا كان الطلاق في الطهر سنيا فتقدير الكلام فعدتهن ثلاث انتقالات فاولها الانتقال من الطهر الذي وقع فيه الطلاق والذي هو الانتقال من حيض الي طهر لم يجعل قرا لان اللغه لا تدل عليه ولكن عرفنا بدليل اخر ان الله تعالى لم يرد الانتقال من حيض الي طهر فاذا خرج احدهما عن ان يكون مرادا بقي الاخر وهو الانتقال من الطهر الي الحيض مرادا فعلي هذا عدتها [illegible] انتقالات اولها الطهر وعلي هذا يمكن استيفا ثلاثه اقرا كامله اذا كان الطلاق في حاله الطهر ولا يجوز ذلك حملا علي المجاز بوجه ما قال الكيا الطبري وهذا نظر دقيق في غايه الاتجاه لمذهب الشافعي ويمكن ان يذكر في ذلك سر لا يبعد فهمه

من دقايق

دقايق حكم الشريعه وهو ان الانتقال من الطهر الى الحيض انما جعل قرا لدلالته
على براه الرحم فان الحامل لا تحيض في الغالب علم براة رحمها والانتقال
من حيض الى طهر بخلافه فان الحايض يجوز ان تحبل في اعقاب حيضها واذا تمادى
امد الحمل وقوى الولد انقطع دمها ولذلك تمدح العرب بحمل نسايهم
حاله الطهر ومدحت عايشه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول
الشاعر ومبرا من كل غبر حيضه وفساد مرضعه وداء مغيل
يعنى ان امه لم تحمل به في بقية حيضتها فهذا ما للعلما واهل اللسان في تاويل
القرء وقالوا قرات المراة قرا اذا حاضت او طهرت وقرات ايضا اذا
حملت واتفقوا على ان القرا الوقت فاذا قلت والمطلقات يتربصن
بانفسهن ثلاثه اوقات صارت الايه مفسره في العدد محتمله في المعدود
فوجب طلب البيان للمعدود من غيرها فدليلنا قول الله تعالى فطلقوهن
لعدتهن ولا خلاف انه يومر بالطلاق وقت الطهر فيجب ان يكون هو
المعتبر في العده فانه قال فطلقوهن يعنى وقتا تعتد به ثم قال
واحصوا العده يريد ما تعتد به المطلقه وهو الطهر الذى تطلق
فيه وقال صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر
ثم تحيض ثم تطهر فتلك العده التى امر الله ان تطلق لها النسا خرجه
مسلم وغيره وهو نص في ان زمن الطهر هو الذى يسمى عده وهو الذي
تطلق فيه النسا ولا [illegible] ان من طلق في حال الحيض لم تعتد بذلك
الحيض ومن طلق في حال طهر فانها تعتد عند الجمهور بذلك الطهر فكان
ذلك اولى قال ابو بكر بن عبد الرحمن ما ادركنا احدا من فقهاينا الا يقول
بقول عايشه في ان الاقرا هي الاطهار فاذا طلق الرجل في طهر لم يطا فيه

اعتدت بما بقي منه ولو ساعة ولو لحظة ثم استقبلت طهرا ثانيا بعد
حيضة ثم ثالثا بعد حيضة ثانية فاذا رات الدم من الحيضة
الثالثة حلت للازواج وخرجت من العدة فان طلق مطلق في طهر قد مس فيه
لزمه الطلاق وقد اسا واعتدت بما بقي من ذلك الطهر وقال الزهري
في امراة طلقت في بعض طهرها انها تعتد بثلاثة اطهار سوى بقية ذلك
الطهر قال ابو عمر لا اعلم احدا ممن قال الاقرا الاطهار يقول هذا غير
ابن شهاب الزهري فانه قال تلغى الطهر الذي طلقت فيه ثم تعتد بثلاثة
اطهار لان الله عز وجل يقول ثلاثة قروء **قلت** فعلى قوله لا تحل المطلقة
حتى تدخل في الحيضة الرابعة وقول ابن القاسم ومالك وجمهور اصحابه
والشافعي وعلما المدينة ان المطلقة اذا رات اول نقطة من الحيضة الثالثة
خرجت من العصمة وهو مذهب زيد بن ثابت وعايشة وابن عمر وبه
قال احمد بن حنبل واليه ذهب داود بن علي واصحابه والحجة على الزهري
ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن في طلاق الطاهر من غير جماع ولم يقل اول
الطهر ولا اخره وقال اشهب لا تنقطع العصمة والميراث حتى يتحققوا انه
دم حيض لئلا يكون دفعة دم من غير الحيض احتج الكوفيون بقوله
عليه السلام لفاطمة بنت ابي حبيش حين سالت اليه الدم انما ذلك عرق
فانظري فاذا اتى قرؤك فلا تصلي واذا مر القرء فتطهري ثم صلي من القرء
الى القرء وقال تعالى واللاي يئسن من المحيض من نسايكم ان ارتبتم فعدتهن
ثلاثة اشهر فجعل اليؤوس منه المحيض فدل على انه هو العدة وجعل العوض منه
الاشهر اذا كان معدوما وقال عمر بحضرة الصحابة عدة الامة حيضتان
نصف عدة الحرة ولو قدرت على ان اجعلها حيضة ونصفا لفعلت ولم ينكر عليه

احد

احد فدل على انه اجماع منهم وهو قول عشر من الصحابه منهم الخلفا الاربعه
وحسبك بالوا وقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثه قرو يدل على
ذلك لان المعنى يتربصن ثلاثه قروء يريد كوامل وهذا لا يمكن ان يكون الا على
قولنا بان الاقرا الحيض لان من يقول انه الطهر يجوز ان يعد بقرئين وبعض اخر
لانه اذا طلق حال الطهر اعتدت عنه ببقية ذلك الطهر قرا وعندنا
تستانف من اول الحيض حتى يصدق الاسم فاذا طلق الرجل المراه في طهر
لم يطاها فيه استقبلت حيضه ثم حيضه ثم حيضه فاذا اغتسلت من
الثالثه خرجت من العده قلت هذا يرده قوله سبحانه سخرها عليهم
سبع ليال وثمانيه ايام لان اليوم مذكر وكذلك القرو فدل انه المراد
ووافقنا ابو حنيفه على انها اذا طلقت حايضا لا تعتد بالحيضه التي طلقت
فيها ولا بالطهر الذي بعدها وانما تعتد بالحيض الذي بعد الطهر وعندنا
تعتد بالطهر على ما بيناه وقد استجاز اهل اللغه ان يعبروا عن البعض
باسم الجميع لقوله تعالى الحج اشهر معلومات والمراد به شهران وبعض
الثالث فكذلك قوله ثلاثه قرو والله اعلم وقال بعض من يقول بالحيض
اذا طهرت من الثالثه انقضت العده قبل الغسل وبطلت الرجعه قاله
سعيد بن جبير وطاوس وبن شبرمه والاوزاعي وقال شريك اذا امر
المراه في الغسل عشرين سنه فلزوجها عليها الرجعه ما لم تغتسل وروي
عن اسحق بن راهويه انه قال اذا طعنت المراة في الحيضه الثالثه بانت
وانقطعت رجعة الزوج الا انها لا يحل لها ان تتزوج حتى تغتسل
من حيضتها وروي نحوها عن بن عباس وهو قول ضعيف بدليل
قول الله تعالى فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن

طت

على ما ياتي واما ما ذكره الشافعي من ان نفس الانتقال من الطهر الى
الحيضة يسمى قرا ففايدته تقصير العدة على المراة وذلك انه اذا
طلق المراة في اخر ساعة من طهرها فدخلت في الحيض عدته قرا فاذا
الانتقال من الطهر الثالث انقطعت العصمة وحلت والله اعلم
والجمهور من العلما ان عدة الامة التي تحيض من
طلاق زوجها حيضتان وروي عن ابن سيرين انه قال ما ارى عدة
الامة الا كعدة الحرة الا ان يكون مضت في ذلك سنة فان السنة
احق ان تتبع وقال الاصم عبد الرحمن بن كيسان وداود بن علي وجماعة
من اهل الظاهر ان الايات في عدة الطلاق والوفاة بالاشهر والاقرا
عامة في حق الامة والحرة فعدة الامة والحرة سوا واحتج الجمهور
بقوله عليه السلام طلاق الامة طلقتان وعدتها حيضتان رواه ابن
جريج عن مظاهر بن اسلم عن ابيه عن القاسم بن محمد عن ابيه عن عايشه
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلاق الامة طلقتان
وقرها حيضتان فاضاف اليها الطلاق والعدة جميعا الا ان مظاهر
بن اسلم انفرد بهذا الحديث وهو ضعيف وروي عن ابن عمر ايهما
رق نقص طلاقه وقال به فرقة من العلما تعالى ولا يحل
لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن فيه مسئلتان قوله
تعالى لا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن اي من الحيض قاله عكرمه
والزهري والنخعي وقيل الحمل قاله عمر وابن عباس وقال مجاهد الحيض
والحمل معا وهذا على ان الحامل تحيض والمعنى المقصود من الاية انه لما
دار امر العدة على الحيض والاطهار ولا اطلاع عليها الا من جهة النسا جعل

الفول

القول قولها اذا ادعت انقضا العده او عدتها وجعلهن موتمنات على ذلك
وهو مقتضى قوله ولا يحل لهن وقال سليمان بن يسار لم نومر ان نفتح
النسا فننظر الى فروجهن ولكن وكل ذلك اليهن اذ كن موتمنات ومعنى
النهي عن الكتمان النهي عن الاضرار بالزوج واذهاب حقه فاذا قالت
المطلقه حضت وهي لم تحض ذهبت بحقه من الارتجاع واذا قالت
لم احض وهي قد حاضت الزمته من النفقه ما لم يلزمه فاضرت به
او تقصد بكذبها في نفي الحيض الا يرتجع حتى تنقضي العده ويقطع
الشرع حقه وكذا الحامل تكتم الحمل لتقطع حقه من الارتجاع
قال قتاده كانت عادتهن في الجاهليه ان يكتمن الحمل ليلحقن الولد
بالزوج الجديد ففي ذلك نزلت الايه وحكي ان رجلا من اشجع اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني طلقت امراتي
وهي حبلى ولست امن ان تتزوج فيصير ولدي لغيري فانزلت الايه
وردت امراة الاشجعي عليه   قال ابن المنذر وقال كل
من حفظ عنه اهل العلم اذا قالت المراة في عشرة ايام قد حضت ثلاث
حيض وانقضت عدتي انها لا تصدق ولا يقبل ذلك منها الا ان تقول
قد اسقطت سقطا قد استبان خلقه واختلفوا في المده التي تصدق
فيها المراة فقال مالك اذا قالت انقضت عدتي في امد تنقضي في مثله
العده قبل قولها فان اخبرت انقضا العده في مده تقع نادرا فقولان
قال في المدونه اذا قالت حضت ثلاثه حيض في شهر صدقت اذا صدقها
النسا وبه قال شريح وقال له علي بن ابي طالب قالون اي اصبت
واحسنت وقال في كتاب محمد لا تصدق الا في شهر ونصف ونحوه قول

ابي ثور وقال ابو ثور اقل ما يكون ذلك في سبعه واربعين يوما وذلك
ان اقل الطهر خمسه عشر يوما واقل الحيض يوم وقال النعمان لا تصدق في
اقل من ستين يوما وقال.   قوله تعالى ان كن يومن
بالله هذا وعيد عظيم شديد يدلنا لتاكيد تحريم الكتمان وايجاب لادا
الامانة في الاخبار عن الرحم بحقيقه ما فيه اي سبيل المومنات
الا يكتمن الحق وليس قوله ان كن يومن بالله انه ابيح من لا يومن ان
يكتم لان ذلك لا يحل لمن تومن بالله وانما هو كقوله ان كنت اخي فلا تظلمني
اي فينبغي ان يحجزك الايمان عنه لان هذا ليس من فعل اهل الايمان
تعالى وبعولتهن احق بردهن في ذلك فيه احدى عشرة مسئله
قوله تعالى وبعولتهن البعوله جمع البعل وهو الزوج سمي بعلا
لعلوه على الزوجه بما قد ملكه من زوجيتها ومنه قوله تعالى اتدعون
بعلا اي ربا لعلوه في الربوبيه يقال بعول وبعوله كما يقال في
جمع الذكر ذكور وذكوره وفي جمع الفحل فحول وفحوله وهذه الهاء زايده
موكده لتانيث الجماعه وهو شاذ لا يقاس وتعتبر فيها السماع فلا
يقال لعب لعوبه وقيل هي هاء تانيث دخلت على فعول والبعوله ايضا
مصدر البعل وبعل الرجل يبعل مثل منع يمنع بعوله اي صار بعلا
والمباعله والبعال الجماع ومنه قوله عليه السلام لايام التشريق
انها ايام اكل وشرب وبعال وقد تقدم فالرجل بعل المراة والمراة بعلته
وباعل مباعله اذا باشرها وفلان بعل هذا اي مالكه وربه وله محامل
كثيره تاتي ان شا الله   قوله احق بردهن اي بمراجعتهن والمراجعه
على ضربين مراجعه في العده على حديث ابن عمر ومراجعه بعد العده على

حديث ..

حديث معقل واذا كان هذا فيكون في الايه دليل على تخصيص ما
شمله العموم في المسميات لان قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن
ثلاثه قروء عام في المطلقات ثلاثا وفيما دونها لاخلاف فيه ثم قوله
وبعولتهن حكم خاص فيمن كان طلاقها دون الثلاث واجمع العلما على ان
الحر اذا طلق زوجته الحره وكانت مدخولا بها تطليقه او تطليقتين
انه احق برجعتها مالم تنقض عدتها وان كرهت المراة فان لم يراجعها
المطلق حتى انقضت عدتها فهي احق بنفسها وتصير اجنبية منه لا تحل
له الا بخطبه ونكاح مستانف بولي واشهاد ليس على سنه المراجعه
وهذا اجماع من العلما قال المهلب وكل من راجع في العده فانه لا يلزمه
شي من احكام النكاح غير الاشهاد على المراجعه فقط وهذا اجماع من العلما
لقوله تعالى فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف
واشهدوا ذوي عدل منكم فذكر الاشهاد في الرجعه ولم يذكره في
النكاح ولا في الطلاق قال ابن المنذر وفيما ذكرنا من كتاب الله مع اجماع
اهل العلم كفايه عن ذكر ما روي عن الاوايل في هذا الباب
واختلفوا فيما يكون به الرجل مراجعا في العده فقال مالك اذا وطيها في
العده وهو يريد الرجعه وجهل ان يشهد فهي رجعه وينبغي للمراه ان
تمنعه الوطي حتى يشهد وبه قال اسحق لقوله عليه السلام انما الاعمال
بالنيات ولكل امرى ما نوى فان وطي في العده لا ينوي الرجعه فقال مالك
يراجع في العده ولا يطا حتى يستبريها من مايه الفاسد قال ابن القاسم
فان انقضت عدتها لم ينكحها هو ولا غيره في بقيه مده الاستبرا فان
فعل فسخ نكاحه ولا يتابد تحريمها عليه لان الما ماوه وقالت طايفه

اذا جامعها فقد راجعها هكذا قال سعيد بن المسيب والحسن البصري
وبن سيرين وعطا وطاوس والزهري والثوري قال ولیشهد وبه قال
اصحاب الراي والاوزاعي وبن ابي ليلى حكاه بن المنذر وقال ابو عمر وقد
قيل وطيه مراجعه على كل حال نواها او لم ينوها وروي ذلك عن طايفه
من اصحاب ملك واليه ذهب الليث ولم يختلفوا فيمن باع جاريته بالخيار
ان له وطيها في مدة الخيار وانه قد ارتجعها بذلك الى ملكه واختار نقض
البيع بفعله ذلك وللمطلقه الرجعيه حكم من هذا والله اعلم
من قبل او باشر ينوي بذلك الرجعه كانت رجعه وان
ينو بالقبله والمباشره الرجعه كان اثما وليس بمراجع والسنه ان يشهد
قبل ان يطا او قبل ان يقبل او يباشر وقال ابو حنيفه واصحابه ان وطيها
او لمسها بشهوه او نظر الى وجهها فرجها بشهوه فهي رجعه وقول الثوري
وينبغي ان يشهد وفي قول ملك والشافعي واسحق وابي عبيد وابي
ثور لا يكون رجعه قاله بن المنذر وفي المنتقى لا خلاف في صحة الارتجاع
بالقول فاما بالفعل نحو الجماع والقبله فقال القاضي ابو محمد يصح
بها وبساير الاستمتاع للذه قال بن المواز ومثل الجسة للذة او ينظر الى فرجها
او ما قارب ذلك من محاسنها اذا اراد بذلك الرجعه خلافا للشافعي في قوله
لا تصح الرجعه الا بالقول وحكاه بن المنذر عن ابي ثور وجابر بن زيد
وابي قلابه قال الشافعي ان جامعها ينوي الرجعه او لا ينوي
فليس برجعة برجعه ولها عليه مهر مثلها وقال ملك لا شي لها لانه لو
ارتجعها لم يكن عليه مهر فلا يكون الوطي دون الرجعة اولى بالمهر من الرجعه
وقال ابو عمر لا اعلم احدا اوجب عليه مهر المثل غير الشافعي وليس قوله
بالقوي.

بالقوى لانها في حكم الزوجات وترثه ويرثها فكيف يجب مهر في وطي امراة حكمها في اكثر احكامها حكم الزوجة الا ان الشبهه في قول الشافعي قويه لانها عليه محرمه الا برجعة لها وقد اجمعوا ان الموطوة بشبهه يجب لها المهر وحسبك بهذا واختلفوا هل يسافر بها قبل ان يرتجعها فقال ملك والشافعي لا يسافر بها حتى يراجعها وكذلك قال ابو حنيفه واصحابه الا زفر فانه روى عنه الحسن بن زياد ان له ان يسافر بها قبل الرجعة وروي عنه عمرو بن خالد لا يسافر بها حتى يراجع واختلفوا هل له ان يدخل عليها ويرى شيا من محاسنها وهل تتزين له وتتشرف فقال ملك لا يخلو معها ولا يدخل عليها الا باذن ولا ينظر اليها الا وعليها ثيابها ولا ينظر الى شعرها ولا باس ان ياكل معها اذا كان معهما غيرهما ولا يبيت معها في بيت وينتقل عنها وقال ابن القاسم رجع ملك عن ذلك فقال لا يدخل عليها ولا يرى شعرها ولم يختلف ابو حنيفة واصحابه في انها تتزين له وتتطيب وتلبس الحلي وتتشرف وعن سعيد بن المسيب قال اذا طلق الرجل امراته تطليقة فانه يستاذن عليه وتلبس ما شات من الثياب والحلي فان لم يكن لهما الا بيت واحد فليجعلا بينهما سترا ويسلم اذا دخل ونحوه عن قتادة ويشعر بالتنحنح والتنخم وقال الشافعي المطلقه طلاقا يملك رجعتها محرمة على مطلقها تحريم المبتوته حتى يراجع ولا ولا يراجع الا بالكلام على ما تقدم

اجمع العلما على ان المطلق اذا قال بعد انقضا العده اني كنت راجعتك في العده وانكرت ان القول قولها مع يمينها ولا سبيل له اليها غير ان النعمان كان لا يرى يمينا في النكاح ولا في الرجعه وخالفاه صاحباه

فعالا كقول سايراهل العلم ولذلك اذا كانت الزوجه امه فاختلف
المولى والجاريه والزوج يدعي الرجعه في العده بعد انقضا العده
وانكرت فالقول قول الزوجه الامه وان كذبها مولاها هذا قول
الشافعي وابي ثور والنعمان وقال يعقوب ومحمد القول قول المولى
وهو احق بها لفظ الرد يقتضي زوال العصمة الا علما ونا
قالوا ان الرجعيه محرمة الوطي فلو زال الرد عايدا الى الحل وقال الليث بن
سعد وابو حنيفه ومن قال بقولهما في ان الرجعه محلله الوطي ان
الطلاق فايدته تنقيص العدد الذي جعل له خاصه وان احكام الزوجيه
باقيه لم يخل منها شي قالوا واحكام الزوجيه وان كانت باقيه فالمراة
مادامت في العده سايره في سبيل الزوال بانقضا العده فالرجعه
ردع عن هذه السبيل الذي اخذت المراة في سلوكها وهذا رد مجازي
والرد الذي حكمنا به رد حقيقي فان ههنا زوال منجز وهو تحريم الوطي
فوقع الرد عنه حقيقه والله اعلم لفظ احق يطلق عند تعارض حقين
ويرجح احدهما فالمعنى حق الزوج في مده التربص احق من حقها بنفسها فانها
انما تملك نفسها بعد انقضا العده ومثل هذا قوله عليه السلام الايم احق
بنفسها من وليها وقد تقدم الرجل مندوب الى المراجعه
وللزاد افقد الاصلاح باصلاح حاله معها وازاله الوحشه بينهما فاما
ان قصد الاضرار وتطويل العده والقطع بها عن الخلاص من ربقه النكاح
فمحرم لقوله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ثم من فعل فالرجعه صحيحه
وان ارتكب المنهى وظلم نفسه ولو علمنا عن ذلك المقصد طلقنا
تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجه والله عزيز حكيم

فيه

فيه ثلاث مسائل   قوله ولهن اي لهن من حقوق الزوجية
على الرجال مثل ما للرجال عليهن ولهذا قال ابن عباس اني لاتزين لامراتي
كما تتزين لي وما احب ان استنظف كل حقي الذي لي عليها فتستوجب
حقها الذي لها علي لان الله تعالى قال ولهن مثل الذي عليهن اي زينة من غير
مأثم وعنه ايضا اي لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على ازواجهن
مثل الذي عليهن من الطاعة فيما اوجبه عليهن لازواجهن عليهن وقيل اي
لهن على ازواجهن ترك مضارتهن كما كان ذلك عليهن لازواجهن قاله الطبري
وقال ابن زيد تتقون الله فيهن كما عليهن ان يتقين الله عز وجل فيكم والمعنى
متقارب والاية تعم جميع حقوق الزوجية   قول ابن عباس
اني لاتزين لامراتي قال العلماء اما زينة الرجال فعلى تفاوت احوالهم
فانهم يعملون ذلك على اللبق والوفاق فربما كانت زينته تليق
في وقت ولا تليق في وقت وزينة تليق بالشباب وزينة تليق بالشيوخ
ولا تليق بالشباب الا ترى ان الشيخ والكهل اذا حف شاربه ليق به
ذلك وزانه والشاب اذا فعل ذلك سمج ومقت لان اللحية لم
توفر بعد فاذا حف شاربه في اول ما خرج وجهه سمج واذا وفرت
لحيته وحف شاربه زانه ذلك وروي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال امرني ربي ان اعفي لحيتي واحفي شاربي وكذلك في شان
الكسوة ففي هذا كله ابتغاء الحقوق فانما يعمل على اللبق والوفاق ليكون
عند امراته في زينة تسرها ويعفها عن غيره من الرجال وكذلك الكحل
من الرجال منهم من يليق به ومنهم من لا يليق به فاما الطيب والسواك
والخلال والرمي بالدرن وفضول الشعر والتطهير وقلم الاظفار فهو

بين موافق للجميع والخضاب للشيوخ والخاتم للجميع من الشباب
والشيوخ زينه وهو حلى الرجال على ما ياتي بيانه في سوره النحل ثم
عليه ان يتوخى اوقات حاجتها الى الرجال ليعفها ويغنيها عن
التطلع الى غيره وان راي الرجل من نفسه عجزا عن اقامه حقها في مضجعها
اخذ من الادويه التي تزيد في مايه وتقوي شهوته حتى يعفها

قوله تعالى وللرجال عليهن درجه اي منزله ومدرجه
الطريق قارعته والاصل فيه الطي يقال درجوا اي طووا عمرهم ومنها
الدرجه التي يرتقى عليها ويقال رجل بين الرجله اي القوه وهو ارجل
الرجلين اي اقواهما وفرس رجيل اي قوى ومنه الرجل لقوته على المشي
فزيادة درجه الرجل بعقله وقوته وبالانفاق وبالديه والميراث
وبالجهاد وقال حميد الدرجه اللحيه وهذا ان صح عنه ضعيف لا
يقتضيه لفظ الايه ولا معناها ابن العربي فطوبى لعبد امسك عما لا
يعلم وخصوصا في كتاب الله تعالى ولا يخفى على لبيب فضل الرجال
على النسا ولو لم يكن الا ان المراة خلقت من الرجل فهو اصلها وله ان
يمنعها من التصرف الا باذنه فلا تصوم الا باذنه ولا تحج الا معه
وقيل الدرجه الصداق قاله الشعبي وحوار الادب وعلى الجمله
فدرجه تقتضي التفضيل وتشعر بان حق الزوج عليها اوجب من
حقها عليه ولهذا قال عليه السلام لو امرت احدا بالسجود لغير الله
لامرت المراة بالسجود لزوجها وقال ابن عباس الدرجه اشاره الى
حض الرجال على حسن العشره والتوسع للنسا في المال والخلق
اي ان الافضل ينبغي ان يتحامل على نفسه قال ابن عطيه وهو قول حسن

قيل

باري

عمدة
حادي

بادع الماوردي ويحتمل انه في حقوق النكاح له دفع العقد دونها
ويلزمها اجابته الى الفراش ولا يلزمه اجابتها **قلت** ومن هذا
قوله عليه السلام ايما امراة دعا زوجها الى فراشه فابت عليها
لعنتها الملايكة حتى تصبح والله عزيز اي منيع السلطان لا معترض
عليه حليم اي عالم مصيب فيما يفعل تعالى الطلاق مرتان
فامساك بمعروف او تسريح باحسان فيه سبع مسايل
قوله تعالى الطلاق مرتان ثبت ان اهل الجاهليه لم يكن عندهم للطلاق عدد
وكانت عندهم العده معلومه مقدره وكان هذا في اول الاسلام
برهه يطلق الرجل امراته ما شا من الطلاق فاذا كانت تحل من طلاقه
راجعها ما شا فقال رجل لامراته على عهد النبي صلى الله عليه وسلم
لا اويك ولا ادعك تحلين قالت وكيف قال اطلقك فاذا دنى مضى
عدتك راجعتك فشكت المراة ذلك الى عايشه فذكرت ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية بيانا لعدد الطلاق
الذي للمرء فيه ان يرتجع دون تجديد مهر وولي ونسخ ما كانوا عليه قال
معناه عروه بن الزبير وقتاده وبن زيد وغيرهم وقال بن مسعود
وبن عباس ومجاهد وغيرهم المراد بالايه التعريف بسنه الطلاق
اي من طلق اثنتين فليتق الله في الثالثه فاما تركها غير مظلومه شيا من
حقها واما امساكها محسنا عشرتها والايه تتضمن هذين المعنيين
الطلاق هو حل العصمه المنعقده بين الازواج بالفاظ
مخصوصه والطلاق مباح بهذه الايه وغيرها وبقوله صلى الله عليه
وسلم في حديث بن عمر فان شا امسك وان شا طلق وقد طلق رسول الله صلى

الله عليه وسلم حفصه ثم راجعها خرجه بن ماجه واجمع العلما على ان من
طلق امراته طاهرا في طهر لم يمسها فيه انه مطلق للسنه وللعدة التي امر الله
بها وان له الرجعه اذا كانت مدخولا بها قبل ان تنقضي عدتها فاذا انقضت
فهو خاطب من الخطاب فدل الكتاب والسنه واجماع الامه على ان الطلاق
مباح غير محظور قال بن المنذر وليس في المنع من الطلاق ولا في المنع منه
خبر يثبت روى الدارقطني ثنا ابو العباس محمد بن موسى بن علي
على الدولابي ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا الحسن ابن عرفه ثنا اسمعيل
بن عياش عن حميد بن مالك اللخمي عن مكحول عن معاذ بن جبل قال قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ما خلق الله على وجه الارض احب
اليه من العتاق ولا خلق الله تعالى ابغض اليه من الطلاق فاذا قال
الرجل لمملوكه انت حر ان شا الله فهو حر ولا استثنا له واذا قال لامراته
انت طالق ان شا الله فله استثناوه ولا طلاق عليه ثنا محمد بن موسى بن
علي ثنا حميد بن الربيع ثنا يزيد بن هارون ثنا اسمعيل بن عياش بنحوه
قال حميد قال لي يزيد بن هارون قال لي اي حديث لو كان حميد
بن مالك اللخمي معروفا قلت هو جدي قال يزيد سررتني الان صار
حديثا قال بن المنذر وممن راى الاستثنا في الطلاق طاوس وحماد
وابو ثور واصحاب الراي ولا يجوز الاستثنا في الطلاق في قول
مالك والاوزاعي وهو قول الحسن وقتاده في الطلاق خاصه قال
وبالقول الاول اقول قوله تعالى فامساك بمعروف
ابتدا والخبر امثل او احسن ويصح ان يرتفع على خبر ابتدا محذوف اي
فعليكم امساك بمعروف او فالواجب عليكم امساك بما يعرف

انه الحق

انه الحق ويجوز في غير القران فامساكها على المصدر ومعنى باحسان
الا يظلمها شيا من حقها ولا يتعدى في قول والامساك خلاف الاطلاق
والتسريح ارسال الشي ومنه تسريح الشعر ليخلص البعض من البعض
وسرح الماشيه ارسلها والتسريح يحتمل لفظه معنيين احدهما تركها
حتى تتم العده من الطلقه الثانيه وتكون املك بنفسها وهذا قول الضحاك
والمعنى الاخر ان يطلقها ثالثه فيسرحها هذا قول مجاهد وعطا وغيرهما
وهو اصح لوجوه ثلاثه احدها ما رواه الدارقطني عن انس ان رجلا قال
يا رسول الله قال الله تعالى الطلاق مرتان فلم صار ثلاثا قال امساك
بمعروف او تسريح باحسان في روايه هي الثالثه ذكره ابن المنذر الثاني
ان التسريح من الفاظ الطلاق الا ترى انه قد قرى وان عزموا السراح
الثالث ان فعل بفعيل يعطي انه احدث فعلا مكررا على الطلقه الثانيه
وليس في الترك احداث فعل يعبر عنه بالتفعيل قال ابو عمر واجمع العلما
ان قوله تعالى او تسريح باحسان هي الطلقه الثالثه بعد الطلقتين
واياها عنى بقوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره واجمعوا
ان من طلق امراته طلقه او طلقتين فله مراجعتها فان طلقها ثلاثا فلا
تحل له حتى تنكح زوجا غيره وكان هذا من محكم القران الذي لم يختلف
في تاويله وقد روي من اخبار العدول مثل ذلك ايضا احد ثنا بن
نصر قال ثنا قاسم بن اصبغ قال ثنا محمد بن وضاح قال ثنا ابو بكر
بن ابي شيبه قال ثنا ابو معاويه عن اسماعيل بن سميع عن ابي
رزين قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ارايت
قول الله الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان

فاين الثالثة تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم امساك بمعروف
او تسريح باحسان رواه الثوري وغيره عن اسماعيل بن سميع عن
ابي رزين مثله قلت وذكر الكيا الطبري هذا الخبر وقال انه غير
ثابت من جهة النقل ورجح قول الضحاك والسدي وان الطلقة
الثالثة انما هي مذكورة في مساق الخطاب في قوله تعالى فان طلقها فلا
تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فالثالثة مذكورة في صلة هذا الخطاب
مفيدة للبينونة الموجبة للتحريم الا بعد زوج فوجب حمل قوله او
تسريح باحسان على فائدة مجددة وهو وقوع البينونة بالثنتين
عند انقضاء العدة وعلى ان المقصد من الاية بيان عدد الطلاق الموجب
للتحريم ونسخ ما كان جائزا من انقطاع الطلاق بلا عدد محصور فلو كان
قوله او تسريح باحسان هو الثالثة لما ابان عن المقصد في انقطاع
بالثلاث اذ لو اقتصر عليه لما دل على وقوع البينونة المحرمة لها الا بعد
زوج وانما علم التحريم بقوله تعالى فان طلقها فلا تحل له بعد حتى تنكح
زوجا غيره فوجب الا يكون معنى قوله او تسريح باحسان الثالثة
ولو كان قوله او تسريح باحسان بمعنى الثالثة كان قوله عقيب ذلك
فان طلقها الرابعة لان الفا للتعقيب قد اقتضى طلاقا مستقبلا
بعد ما تقدم ذكره فثبت بذلك ان قوله او تسريح باحسان
هو تركها حتى تنقضي عدتها

ترجم البخاري على هذه الاية

باب من اجاز الطلاق الثلاث لقوله تعالى الطلاق مرتان فامساك
بمعروف او تسريح باحسان وهذا اشارة منه الى ان هذا التعديد
انما هو فسحة لهم فمن ضيق على نفسه لزمه قال علماونا واتفق ائمة

الفتوى

الفتوى على لزوم ايقاع طلاق الثلاث وهو قول جمهور السلف
وشذ طاوس وبعض اهل الظاهر الى ان طلاق الثلاث في كلمه واحده
تقع واحده ويروى هذا عن محمد بن اسحاق والحجاج بن ارطاه وقيل
عنهما لا يلزم منه شي وهو مذهب مقاتل ويحكى عن داود انه قال
لا يقع والمشهور عن الحجاج بن ارطاة وجمهور السلف والايمه انه
لازم واقع ثلاثا ولا فرق بين ان يوقع ثلاثا مجتمعا في كلمه او متفرقا
في كلمات فاما من ذهب الى انه لا يلزم منه شي فاحتج بدليل قوله
تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثه قروء وهذا يعم كل مطلقه
الا ما خص منه وقد تقدم وقال الطلاق مرتان والثالثه فامساك
بمعروف او تسريح ومن طلق ثلاثا في كلمه فلا يلزم اذ هو غير مذ
في القران واما من ذهب الى انه واقع واحده فاستند له باحاديث
ثلاثه احدها حديث ابن عباس من روايه طاوس وابي الصهبا وعكرمه
وثانيها حديث ابن عمر على روايه من روى انه طلق امراته ثلاثا وانه عليه
السلام امره برجعتها واحتسبت له واحده وثالثها ان ابا ركانه
طلق امراته ثلاثا فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم برجعتها والرجعه
تقتضي وقوع واحده والجواب عن الاحاديث ما ذكره الطحاوي ان
سعيد بن جبير ومجاهد وعطا وعمرو بن دينار ومالك بن الحويرث ومحمد
ابن اياس بن البكير والنعمان بن ابي عياش رووا عن ابن عباس فيمن طلق امراته
ثلاثا انه قد عصى ربه وبانت منه امراته ولا ينكحها الا بعد زوج وما
رواه هولاي الايمه عن ابن عباس مما يوافق الجماعة ما يدل على وهن روايه
طاوس وغيره وما كان ابن عباس ليخالف الصحابه الى راي نفسه قال

كور

وبانت

ليخالف

بن عبد البر وروايه طاوس وهم وغلط لم يعرج عليها احد من فقها الامصار
بالحجاز والعراق والشام والمشرق والمغرب وقد قيل ان ابا الصهبا
لا يعرف في موالي بن عباس قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي
ان الروايه عن بن طاوس بذلك صحيحه وقد روي عنه الايمه معمر
وبن جريج وغيرهما وبن طاوس امام والحديث الذي يشير والبه
هو ما رواه بن طاوس عن ابيه عن بن عباس قال كان الطلاق على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وسنتين من خلافه عمر بن
الخطاب طلاق الثلاث واحده فقال عمر رضي الله ان الناس قد استعجلوا
في امر كانت لهم فيه اناة فلو امضيناه عليهم ومعنى الحديث انهم
كانوا يوقعون طلقه واحده بدل ايقاع الناس الان ثلاث تطليقات
ويدل على صحة هذا التاويل ان عمر قال ان الناس قد استعجلوا في امر
كانت لهم فيه اناة فانكر عليهم ان احدثوا في الطلاق استعجال امر كان
لهم فيه اناة فلو كان حالهم ذلك في اول الاسلام وفي زمن النبي صلى
الله عليه وسلم ما قاله ولا عاب عليهم انهم استعجلوا في امر كانت
لهم فيه اناة ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن بن عباس من
غير طريق انه افتى بلزوم الطلاق الثلاث لمن اوقعها مجتمعه فان كان هذا
معنى حديث بن طاوس فهو الذي قلناه وان حمل حديث بن عباس على ما يتاول
فيه من لا يعبا بقوله فقد رجع بن عباس الى قول الجماعه وانعقد به
الاجماع ودليلنا من جهه القياس ان هذا طلاق اوقعه من يملكه فوجب
ان يلزمه اصل ذلك اذا اوقعه مفردا **قلت** ما تاوله الباجي
هو الذي ذكر معناه الكيا الطبري عن علما الحديث اي انهم كانوا يطلقون

طلقه

طلقه واحده هذا الذى يطلقون ثلاثا اي كانوا يطلقون في كل قرو طلقه
وانما كانوا يطلقون في جميع العده واحده الي ان تبين وتنقضى العده
وقال القاضي ابو محمد عبد الوهاب معناه ان الناس كانوا يقتصرون على
الواحده ثم اكثروا ايام عمر من ايقاع الثلاث قال القاضي وهذا هو الاشبه
بقول الراوى ان الناس في ايام عمر استعجلوا الثلاث فجعل عليهم معناه الزمهم
حكمها واما حديث بن عمر فان الدارقطنى روي عن احمد بن صبيح عن طريف
بن ناصح عن معاويه عن عمار الدهني عن ابي الزبير قال سالت بن عمر عن
رجل طلق امراته ثلاثا وهي حايض فقال اتعرف بن عمر قلت نعم قال طلقت
امراتي ثلاثا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها رسول الله صلى
الله عليه وسلم الي السنه قال الدارقطني كلهم شيعة كلهم من الشيعة
والمحفوظ ان بن عمر طلق امراته واحده في الحيض قال عبيد الله وكان
تطليقه اياها في الحيض واحده غير انه خالف السنه وكذلك قال
صالح بن كيسان وموسى بن عقبه واسماعيل بن اميه وليث بن سعد
وبن ابي ذويب وبن جريج وجابر واسماعيل بن ابرهيم وعقبه بن نافع
ان بن عمر تطلق تطليقه واحده وكذلك قال الزهرى عن سالم عن ابيه
ويونس بن جبير والشعبي والحسن واما ركانه فقيل انه حديث
مضطرب منقطع لا يسند من وجه يحتج به رواه ابو داود
من حديث بن جريج عن بعض بني ابي رافع وليس فيهم من يحتج به عن
عكرمه عن بن عباس قال وفيه ان عبد يزيد بن ركانه طلق امراته
ثلاثا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجعها وقد رواه ايضا

من طرق عن نافع بن عجير ان ركانه بن عبد يزيد طلق امراته البته فاستحلفه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراد بها فحلف ما اراد بها الا واحده فردها
اليه فهذا اضطراب في الاسم والفعل ولا يحتج بشي من مثل هذا **قلت**
قد اخرج هذا الحديث من طرق الدارقطني في سننه قال وبعضها ثنا محمد
بن يحيى بن مرداس ثنا ابو داود السجستاني ثنا احمد بن عمرو بن السرح وابو
ثور وابرهيم بن خالد الكلبي في اخرين قالوا ثنا محمد بن ادريس الشافعي ثنا عمي محمد بن
علي بن السايب عن نافع بن عجير بن عبد يزيد بن ركانه ان ركانه بن عبد يزيد
طلق امراته سهيمه المزنيه البته فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
وقال والله ما اردت الا واحده فقال له رسول صلى الله عليه وسلم
ما اردت الا واحده فقال ركانه والله ما اردت بها الا واحده فردها
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلقها الثانيه في زمن عمر بن الخطاب
والثالثه في زمان عثمان قال ابو داود هذا حديث صحيح فالذي صح من
من حديث ركانه انه طلق امراته البته لا ثلاثا وطلاق البته قد اختلف
فيه على ما ياتي بيانه فسقط الاحتجاج بغير والحمد لله قال ابو عمر
روايه الشافعي لحديث ركانه عن عمه اتم وقد زاد زياده لا تردها
الاصول فوجب قبولها لثقه ناقلها والشافعي وعمه وجده اهل بيت
ركانه كلهم من بني المطلب بن عبد مناف وهم اعلم بالقصه التي عرضت
لهم
ذكر احمد بن محمد بن مغيث الطليطلي هذه المسله
في وثايقه فقال الطلاق ينقسم على ضربين طلاق سنه وطلاق بدعه
فطلاق السنه هو الواقع على الوجه الذي ندب الشرع اليه وطلاق
البدعه نقيضه وهو ان يطلقها في حيض او نفاس او ثلاث في كلمه واحده

فان

فان فعل لزمه الطلاق ثم اختلف اهل العلم بعد اجماعهم على انه مطلق كم
يلزمه من الطلاق فقال علي بن ابي طالب وبن مسعود يلزمه طلقه واحده
وقاله بن عباس وقال قوله ثلاث لا معنى له لانه لم يطلق ثلاث مرات وانما
يجوز قوله في ثلاث اذا كان مخبرا عن ماضي فيقول طلقت ثلاثا فيكون مخبرا
عن ثلاثه افعال كانت منه في ثلاثه اوقات كرجل قال قرات سوره كذا
ثلاث مرات فذلك يصح ولو قراها مره واحده فقال قراتها
ثلاث مرات كان كاذبا وكذلك لو حلف بالله ثلاثا يردد الحلف
كانت ثلاثه ايمان واما لو حلف فقال احلف بالله ثلاثا لم يكن حلف
الا يمينا واحده والطلاق مثله وقاله الزبير بن العوام وعبد الرحمن
بن عوف وروينا ذلك كله عن بن وضاح وبه قال من شيوخ
قرطبه بن زنباع شيخ هدي ومحمد بن بقي بن مخلد ومحمد بن عبد
هم
السلام الخشني فقيه عصره واصبغ بن الحباب وجماعه سوا
وكان من حجه بن عباس ان الله تعالى فرق في كتابه لفظ الطلاق
فقال عز اسمه الطلاق مرتان يريد اكثر الطلاق الذي يكون بعده
الامساك بالمعروف وهو الرجعه في العده ومعنى قوله او
تسريح باحسان يريد تركها بلا ارتجاع حتى تنقضي عدتها
ي
وفي ذلك احسان اليها ان وقع ندم بينهما قال الله تعالى لا تدر
لعل الله يحدث بعد ذلك امرا يريد الندم على الفرقه والرغبه
في الرجعه وموقع الثلاث غير حسن لان فيها ترك المندوحه
التي وسع الله بها ونبه عليها فذكر الله سبحانه الطلاق مفرقا
يدل على انه اذا جمع انه لفظ واحد وقد يخرج بقياس من غير

ما مسئله من المدونه ما يدل على ذلك من ذلك قول الانسان مالي
صدقه في المساكين ان الثلث يجزيه من ذلك وفي الاشراف لابن المنذر
وكان سعيد بن جبير وطاوس وابو الشعثا وعطا وعمرو بن دينار
يقولون من طلق البكر ثلاثا فهي واحده قلت ودبما اعتلوا فقالوا
غير المدخول بها لا عده عليها فاذا قال انت طالق ثلاثا فقد بانت
بنفس فراغه من قوله انت طالق فيرد ثلاثا عليها وهي بائن فلا يوثر
شيا ولان قوله مستقل بنفسه فوجب ان تقف البينونه في غير
المدخول بها على ما يرد بعده واصله اذا قال انت طالق
استدل الشافعي بقوله تعالى او تسريح باحسان
وقوله فسرحوهن على ان هذا اللفظ من صريح الطلاق وقد اختلف
العلما في هذا المعنى فذهب القاضي ابو محمد الى ان الصريح ما تضمن
لفظ الطلاق على اي وجه مثل ان يقول انت طالق او انت مطلقه
او قد طلقتك او الطلاق له لازم وما عدا ذلك من الفاظ الطلاق
مما يستعمل فيه فهو كنايه وبهذا قال ابو حنيفه وقال القاضي ابو
الحسن صريح الفاظ الطلاق كثيره وبعضها ابين من بعض الطلاق
والسراح والفراق والحرام والخليه والبريه وقال الشافعي الصريح
ثلاثه الفاظ وهو ما ورد به القران من لفظ الطلاق والسراح والفراق
قال الله تعالى او فارقوهن بمعروف وقال او تسريح باحسان وقال
فطلقوهن لعدتهن قلت واذا تقرر هذا فالطلاق على ضربين
صريح وكنايه فالصريح ما ذكرناه والكنايه ما عداه والفرق
بينهما ان الصريح لا يفتقر الى نيه بل بمجرد اللفظ يقع الطلاق والكنايه

تفتقر

تفتقر الى نيه والحجه لمن قال ان الحرام والخليه والبريه من صريح
الطلاق كثرة استعمالها في الطلاق حتى عرفت به فصارت
بينه واضحه في ايقاع الطلاق كالغايط الذى وضع للمطمين
من الارض ثم استعمل على وجه المجاز في اتيان قضا الحاجه فكان فيه
ابين واشهر واظهر منه فيما وضع له وكذلك في مسلتنا مثله ثم
ان عمر بن عبد العزيز قد قال لو كان الطلاق الفا ما ابقت البته منه
شيا من قال البته فقد رمي الغايه القصوى اخرجه ملك وروى
الدارقطني عن علي قال الخليه والبريه والبته والباين والحرام ثلاث
لا يحل لهم حتى تنكح زوجا وقد جا ان البته ثلاث عن النبي صلى الله
عليه وسلم من طريق فيه لين خرجه الدارقطني وسياتي عند قوله
تعالى ولا تتخذوا ايات الله هزوا لم يختلف العلما
فيمن قال لامراته قد طلقتك انه من صريح الطلاق في المدخول
بها وغير المدخول بها لمن قال لامراته انت طالق فهي واحده الا
ان ينوي اكثر من ذلك فان نوى اثنين او ثلاثا لزمه ما نواه
فان لم ينو شيا فهي واحده يملك الرجعه ولو قال انت
طالق وقال اردت من وثاق لم يقبل قوله ولزمه الا ان يكون
هناك ما يدل على صدقه ومن قال انت طالق واحده ولا
رجعه لي عليك فقوله ولا رجعة لي عليك باطل وله الرجعه
لقوله واحده لان الواحده لا تكون ثلاثا فان نوى بقوله لا رجعه
لي عليك ثلاثا فهي ثلاث عند ملك واختلفوا فيمن قال لامراته
قد فارقتك او سرحتك او انت خليه او بريه او باين او حبلك

علي غاربك او انت علي حرام او الحقي باهلك او قد وهبتك لاهلك
او قد خليت سبيلك او لا سبيل لي عليك قال ابو حنيفه وابو يوسف
هو طلاق باين وروي عن ابن مسعود قال اذا قال الرجل لامراته
استفلحي باهلك او امرك لك او الحقي باهلك فقبلوها فواحده باين
وروي مالك فيمن قال لامراته قد فارقتك او سرحتك انه من صريح
الطلاق كقوله انت طالق وروي عنه انها كنايه يرجع فيها الي نيه قايلها
ويسئل ما اراد من العدد مدخولا بها كانت او غير مدخول بها وقال ابن
المواز واصح قوليه في التي لم يدخل بها انها واحده الا ان ينوي اكثر
وقاله ابن القاسم وابن عبد الحكم وقال ابو يوسف هي ثلاث ومثله
خلعتك او لا ملك لي عليك واما ساير الكنايات فهي ثلاث عند مالك
في كل من دخل بها لا ينوي فيها قايلها وينوي في غير المدخول بها فان حلف
وقال اردت واحده كان خاطبا من الخطاب لانه لا يحل المراه التي
قد دخل بها زوجها ولا يبينها ولا يبريها الا ثلاث تطليقات والتي لم
يدخل بها يحليها ويبريها ويبينها الواحده وقد روي عن مالك وطايفه
من اصحابه وهو قول جماعه من اهل المدينه انه ينوي في هذه الالفاظ
كلها ويلزم من الطلاق ما نوي وقد روي عنه في البته خاصه من بين
ساير الكنايات انه لا ينوي فيها لا في المدخول بها ولا في غير المدخول
بها وقال الثوري وابو حنيفه واصحابه له نيته في ذلك كله فان نوي
ثلاثا فهي ثلاث وان نوي واحده فهي واحده باينه وهي احق بنفسها
وان نوي اثنتين فهي واحده وقال زفر ان نوي اثنتين فاثنتان وقال
الشافعي هو في ذلك كله غير مطلق حتي يقول اردت بمخرج الكلام

مني

منى طلاقا فيكون ما نوى فان نوى دون الثلاث كان رجعيا ولو طلقها
واحدة باينة كانت رجعة وقال اسحاق كل كلام يشبه الطلاق
فهو ما نوى من الطلاق وقال ابو ثور هي تطليقة رجعية ولا يسأل
عن نيته وروي بن مسعود انه كان لا يرى طلاقا باينا الا في خلع او
ايلا وهو المحفوظ عنه قاله ابو عبيد وقد ترجم البخاري باب اذا
قال فارقتك او سرحتك او البرية او الخلية او ما عني به الطلاق
فهو على نيته وهذا منه اشارة الى قول الكوفيين والشافعي واسحق
في قوله او ما عني به من الطلاق والحجة لذلك ان كل كلمة تحتمل ان تكون
طلاقا او غير طلاق فلا يجوز ان يلزم بها الطلاق الا ان يقول المتكلم
انه اراد بها الطلاق فيلزمه ذلك باقراره ولا يجوز ابطال
النكاح لانهم قد اجمعوا على صحته بيقين قال ابو عمر اختلف قول
ملك في معنى قول الرجل لامراته اعتدي او قد خليتك او حبلك على
غاربك فقال لا ينوي فيها وهي ثلاث وقال مرة ينوي فيها كلها في
المدخول بها وغير المدخول بها وبه اقول قلت ما ذهب اليه
الجمهور وما ذهب اليه مالك انه ينوي في هذه الالفاظ ويحكم
في ذلك هو الصحيح لما ذكرناه من الدليل وللحديث الصحيح الذي
خرجه ابو داود وبن ماجه والدارقطني وغيرهم عن يزيد بن ركانة
ان ركانة بن يزيد طلق امراته سهيمة البتة فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك فقال آلله ما اردت الا واحدة فقال ركانة والله ما اردت الا
واحدة فردها اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بن ماجه سمعت
ابا الحسن الطنافسي يقول ما اشرف هذا الحديث وقال ملك

في الرجل يقول لامراته انت علي كالميته والدم ولحم الخنزير ارادها البته وان لم تكن له نية فلا تحل الا بعد زوج وفي قول الشافعي ان اراد طلاقا فهو طلاق وما اراد من عدد الطلاق وان لم يرد طلاقا فليس بشي بعد ان يحلف وقال ابو عمر اصل هذا الباب في كل كنايه عن الطلاق ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال للتي تزوجها فقالت له اعوذ بالله منك قد عذت بمعاذ الحقي باهلك فكان ذلك طلاقا وقال كعب بن مالك لامراته حين امره رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتزالها الحقي باهلك فلم يكن ذلك طلاقا فدل على هذه اللفظه مفتقره الى النيه وانها لا يقضي فيها الا بما ينوي اللافظ بها فكذلك ساير الكنايات المحتملات الفراق وغيره والله اعلم واما الالفاظ التي ليست من الفاظ الطلاق ولا يكنى بها عن الفراق فاكثر العلما لا يوقعون بشي منها طلاقا وان قصده القايل وقال مالك كل من اراد الطلاق باي لفظ كان لزمه الطلاق حتى يقول كلي واشربي وقومي واقعدي ولم يتابع مالكا علي ذلك الا اصحابه تعالى

ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيا ان في موضع رفع بيحل والايه خطاب للازواج نهوا ان ياخذوا من ازواجهم شيا على وجه المضاره وهذا هو الخلع الذي لا يصح الا ان لا ينفرد الرجل بالضرر وخص بالذكر ما اتى الازواج نساهم لان العرف من الناس ان يطلب الرجل عند الشقاق والفساد ما خرج من يده لها صداقا وجهازا فلذلك خص بالذكر وقد قيل ولا يحل فصل معترض بين قوله تعالى الطلاق مرتان وبين قوله فان طلقها والله اعلم والجمهور على ان اخذ الفديه على الطلاق جايز واجمعوا على تحظير اخذ مالها الا ان يكون النشوز وفساد العشره من قبلها

وحكى

وحكى بن المنذر عن النعمان انه قال اذا جا الظلم والنشوز من قبله وخالعها
فهو جايز ماض وهو اثم بما لا يحل له ما صنع ولا يجبر على رد ما اخذ
قال بن المنذر وهذا من قوله خلاف ظاهر كتاب الله وخلاف الخبر
الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم وخلاف ما اجمع عليه عوام اهل
اهل العلم من ذلك ولا احسب ان لو قيل لاحد اجهد نفسك في طلب
الخطا ما وجد امرا اعظم من ان ينطق الكتاب بتحريم شي ثم يقابله مقابل
بالخلاف نصا فيقول يجوز ذلك ولا يجبر على رد ما اخذ قال
ابو الحسن بن بطال وروى بن القاسم عن مالك مثله وهذا القول
خلاف ظاهر كتاب الله تعالى وخلاف حديث امراة ثابت وسياتي
قوله تعالى الا ان يخافا الا يقيما حدود الله حرم الله تعالى
هذه الاية الاخذ الا بعد الخوف الا يقيما حدود الله واكد التحريم
بالوعيد لمن تعدى الحد والمعنى ان يظن كل واحد منهما بنفسه الا
يقيم حق النكاح لصاحبه حسب ما يجب عليه فيه لكراهة
يعتقدها فلا حرج على المراة ان تفتدي ولا حرج على الزوج ان
ياخذ والخطاب للزوجين والضمير في يخافا لهما وان لا يقيما مفعول
به وخفت يتعدى الى مفعول واحد ثم قيل هذا الخوف هو بمعنى
العلم اي ان يعلما ان لا يقيما حدود الله وهو من الخوف الحقيقي وهو
الاشفاق من وقوع المكروه وهو قريب من معنى الظن ثم قيل الا
ان يخافا استثنا منقطع اي لكن ان خافا ان نشوزا فلا جناح عليكم
في اخذ الفدية وقرا حمزة الا ان يخافا بضم اليا على ما لم يسم فاعله والفاعل
محذوف وهو الولاة والحكام واختاره ابو عبيد قال لقوله عز وجل

فان خفتم قال فجعل الخوف لغير الزوجين ولو اراد الزوجين لقال فان خافا قال
هذا حجه لمن جعل الخلع الى السلطان قلت وهو قول سعيد بن جبير
والحسن وبن سيرين وقال شعبه قلت لقتادة عمن اخذ الحسن الخلع الى
السلطان قال عن زياد وكان واليا لعمر وعلي قال النحاس وهذا معروف
عن زياد ولا معنى لهذا القول لان الرجل اذا خالع امراته فانما هو ما
يتراضيان به ولا يجبره السلطان على ذلك فلا معنى لقول من قال هذا الى
الى السلطان وقد انكر اختيار ابي عبيد ورد وما علمت في اختياره شيا ابعد
من هذا الحرف لانه لا يوجبه الاعراب ولا اللفظ ولا المعنى اما الاعراب
فان عبد الله بن مسعود قرا الا ان تخافا فهذا في العربيه اذا رد الى ما لم يسم
فاعله قيل الا ان يخافا فاما اللفظ فان كان على لفظ يخافا وجب
ان يقال فان خيف وان كان على لفظ فان خفتم وجب ان يقال الا ان
تخافوا واما المعنى فانه يبعد ان يقال لا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيا
الا ان يخاف غيركم ولم يقل جل وعز ولا جناح عليكم ان تاخذوا له منه فديه
فيكون الخلع الى السلطان قال الطحاوي وقد صح عن عمر وعثمان وبن عمر
جوازه دون السلطان وكما جاز النكاح والطلاق دون السلطان فكذلك
الخلع وهو قول الجمهور قوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود
الله اي على ان لا يقيما حدود الله اي فيما يجب عليهما من حسن الصحبه وجميل
العشره والمخاطبه للحكام والمتوسطين لمثل هذا الامر وان لم يكن حاكما
وترك اقامة حدود هو استخفاف المراة بحق زوجها وسو طاعتها اياه قاله
بن عباس ومالك بن انس وجمهور الفقها وقال الحسن وقوم معه اذا قالت
المراة لا اطيع لك امرا ولا اغتسل لك من جنابه ولا ابر لك قسما حل الخلع وقال

قوله

الشعبي

الشعبي الا يقيما حدود الله ان لا يطيعا الله وذلك ان المغاضبة تدعوا
الى ترك الطاعة وقال عطا بن ابى رباح يحل الخلع والاخذ ان تقول
المراة لزوجها اني لاكرهك ولا احبك ونحو هذا فلا جناح عليهما فيما انى
افتدت به روى البخاري من حديث ايوب عن عكرمة عن ابن عباس ان
امراة ثابت بن قيس اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
ثابت بن قيس ما اعتب عليه في خلق ولا دين ولكن لا اطيقه فقال صلى الله
عليه وسلم اتردين عليه حديقته قالت نعم واخرجه ابن ماجه عن قتادة
عن عكرمة عن ابن عباس ان جميلة بنت سلول اتت النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت والله ما اعتب على ثابت في دين ولا خلق ولكني اكره
الكفر في الاسلام لا اطيقه بغضا فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم
اتردين عليه حديقته قالت نعم ولا يزداد فيقال انها كانت تبغضه
اشد البغض وكان يحبها اشد الحب ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم
بطريق الخلع فكان اول خلع في الاسلام روى عكرمة عن ابن عباس قال
اول من خالع اخت عبد الله بن ابي اتت النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله لا يجتمع راسي وراسه ابدا اني رفعت
جانب الخبا فرايته اقبل في عدة اذا هو اشدهم سوادا واقصرهم
قامة واقبحهم وجها فقال اتردين عليه حديقته قالت نعم وان
شاء زدته ففرق بينهما وهذا الحديث اصل في الخلع وعليه جمهور
الفقها قال مالك لم ازل اسمع ذلك من اهل العلم وهو الامر المجتمع
عليه عندنا ان الرجل اذا لم يضر بالمراة ولم يسى اليها ولم تؤت من قبله
واحبت فراقه فانه يحل له ان ياخذ منها كلما افتدت به كما فعل النبي

صلى الله عليه وسلم لي امراه ثابت وان كان النشوز من قبله بان يضيق
عليها ويضرها رد عليها ما اخذ منها وقال عقبه بن ابي الصهبا سالت
بكر بن عبد الله المزني عن الرجل تريد امراته ان تخالعه فقال لا يحل له ان
ياخذ منها شيا قلت فاين قول الله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جنا
ح عليهما فيما افتدت به قال نسخت قلت فاين جعلت قال في سوره النسا
وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا
تاخذوا منه شيا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا قال النحاس هذا قول
شاذ خارج عن الاجماع لشذوذه وليس احدى الايتين دافعه للاخرى
فيقع النسخ لان قوله فان خفتم الايه ليس بمزال بتلك الايه لانهما
اذا خافا هذا لم يدخل الزوج في وان اردتم استبدال زوج مكان
زوج لان هذا للرجال خاصه وقال الطبري الايه محكمه ولا معنى
لقول بكر ان ارادت هي العطا فقد جوز النبي صلى الله عليه وسلم
لثابت ان ياخذ من زوجته ما ساق اليها تمسك بهذه الايه
من راي اختصاص الخلع بحاله الشقاق والضرر وانه وانه شرط في
الخلع وعضد هذا بما رواه ابو داود عن عايشه ان حبيبه بنت
سهل كانت عند ثابت بن قيس بن شماس فضربها فكسر بعضها فاتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الصبح فاشتكته اليه فدعا النبي
صلى الله عليه وسلم ثابتا فقال خذ بعض مالها وفارقها قال ويصلح ذلك
يا رسول الله قال نعم قال فاني اصدقتها حديقتين وهما بيدها
فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذها وفارقها ففارقها والذي عليه الجمهور
من الفقها انه يجوز الخلع من غير اشتكا ضرر كما دل عليه حديث البخاري

وغيره

وغيره اما الايه فلاحجه فيها لان الله عز وجل لم يذكرها على جهه الشرط
وانما ذكرها لان الغالب من احوال الخلع فخرج القول على الغالب والذي
يقطع العذر ويوجب العلم قوله تعالى فان طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه
هنيا مريا لما قال تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به دل
على جواز الخلع باكثر مما اعطاها وقد اختلف العلما في هذا فقال ملك
والشافعي وابو حنيفه واصحابهم وابو ثور يجوز ان تفتدي منه بما
تراضيا عليه كان اقل مما اعطاها او اكثر منه وروي هذا عن عثمان
بن عفان وبن عمر وقبيصه والنخعي واحتج قبيصه بقوله فلا جناح
عليهما فيما افتدت به وقال ملك ليس من مكارم الاخلاق ولم ار
احدا من اهل العلم يكره ذلك وروى الدارقطني عن ابي سعيد الخدري
انه قال كانت اختي تحت رجل من الانصار تزوجها على حديقه فكان
بينهما كلام فارتفعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تردين
عليه حديقته ويطلقك قالت نعم وازيده قال ردي عليه حديقته
وزيديه وفي حديث بن عباس وان شا زدته ولم ينكر وقالت طايفه
لا ياخذ منها اكثر مما اعطاها كذلك قال طاوس وعطا والاوزاعي
قال الاوزاعي كانت القضاه لا يجيزون ان ياخذ الا ما ساق
اليها وبه قال احمد واسحق واحتجوا بما رواه بن جريج اخبرني ابو الزبير
ان ثابت بن قيس بن شماس كانت عنده زينب بنت عبد الله بن ابي
سلول وكان اصدقها حديقه فكرهته فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما
الزياده فلا ولكن حديقته قالت نعم فاخذها له وخلى سبيلها فلما بلغ
ذلك ثابت بن قيس قال قد قبلت قضا رسول الله صلى الله عليه وسلم

سمعه ابو الزبير من غير واحد اخرجه الدارقطني وروى عن عطا
مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ياخذ من المختلعة اكثر مما اعطاها
الخلع عبد ملك على ثمرة لم يبد صلاحها وعلى جمل شارد
او عبد ابق او جنين في بطن امه او نحو ذلك من وجوه الغرر جايز بخلاف
البيوع والنكاح وله المطالبة بذلك كله فان سلم كان له ولم يسلم فلا شي
له والطلاق نافذ على حكمه وقال الشافعي الخلع جايز وله مهر مثلها وحكاه
بن خواز منداد عن ملك قال لان عقود المعاوضات اذا تضمنت
بدلا فاسدا وفاتت رجع فيها الى الواجب من امثالها من البدل
وقال ابو ثور الخلع باطل وقال اصحاب الراي الخلع جايز وله ما في
بطن الامة وان لم يكن فيه ولد فلا شي له وفي المبسوط عن بن القاسم
يجوز بما يثمر نخله العام وما تلد غنمه العام خلافا لابي حنيفه والشافعي
والحجة لما ذهب اليه ملك وابن القاسم عموم قوله فلا جناح عليهما فيما
افتدت ومن جهة القياس انه مما يملك بالهبة والوصية فجاز ان يكون
عوضا في الخلع كالمعلوم وايضا فان الخلع طلاق والطلاق يصح بغير
عوض اصلا فاذا صح على غير شي فلان يصح بفساد العوض اولى لان اسوا حال
المبذول ان يكون كالمسكوت عنه ولما كان النكاح الذي هو عقد تحليل
لا يفسده فاسد العوض فلان لا يفسد الطلاق الذي هو اتلاف وحل
عقد اولى لو اختلعت منه برضاع ابنها منه حولين جاز
وفي الخلع بنفقتها على الابن بعد الحولين مدة معلومة قولان احدهما يجوز
وهو قول المخزومي واختاره سحنون والثاني لا يجوز رواه بن القاسم
عن ملك وان شرطه الزوج فهو باطل موضوع عن الزوجة قال

ابو عمر

ابو عمر من اجاز الخلع على الجمل الشارد والعبد الابق ونحو ذلك من
الغرر لزمه ان يجوز هذا وقال غيره من الفرق بين لم يمنع مالك بنفقه
ما زاد على الحولين لاجل الغرر وانما منعه لانه حق يختص بالاب على
كل حال فليس له ان ينقله الى غيره والفرق بين هذا وبين نفقه
الحولين ان تلك النفقه وهي الرضاع قد تجب على الام حال الزوجيه
وبعد الطلاق اذا اعسر الاب فجاز ان ينقل هذه النفقه الى الام
لانها محل لها وقد احتج مالك في المبسوط على هذا بقوله تعالى والوالدات
يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعه
فان وقع الخلع على الوجه المباح بنفقه الابن فمات الصبي قبل انقضا
المده فهل للزوج الرجوع عليها ببقيه النفقه فروى ابن المواز عن مالك
لا يتبعها بشي وروى عنه ابو الفرج يتبعها لانه حق ثبت في ذمه
الزوجه بالخلع فلا يسقط بموت الصبي كما لو خالعها بمال متعلق
بذمتها ووجه الاول انه لم يشترط لنفسه ما لا يتموله وانما
اشترط كفايه مونه ولده فاذا مات الولد لم يكن له الرجوع
عليها بشي كما لو تطوع رجل بالانفاق على صبي سنه فمات الصبي
لم يرجع عليه لانه انما قصد بتطوعه تحمل مونته والله قال مالك
لم ار احدا يتبع بمثل هذا ولو اتبعه لجاز له في ذلك قول وانفقوا
على انها ان ماتت فنفقه الولد في مالها لانه حق ثبت فيه قبل موتها
فلا يسقط بموتها   ومن اشترط على امراته في الخلع نفقه
حملها وهي لا شي لها فعليه النفقه اذا لم يكن لها ما تنفق وان ايسرت
بعد ذلك اتبعها بما انفق واخذ منها قال مالك ومن الحق ان يكلف

الرجل نفقه ولده وان اشترط على امه نفقه اذا لم يبن لها ما ينفق عليه
واختلف العلماء في الخلع هل هو طلاق او فسخ فروي
عن عثمان وعلي وابن مسعود وجماعه من التابعين هو طلاق وبه قال مالك
والثوري والاوزاعي وابو حنيفه واصحابه والشافعي في احد قوليه فمن
نوى بالخلع تطليقتين او ثلاثا لزمه ذلك عند مالك وقال اصحاب
الراي ان نوى الزوج ثلاثا كان ثلاثا وان نوى اثنتين فهي واحده باينه
وقال الشافعي في احد قوليه ان نوى بالخلع طلاقا وسماه فهو طلاق
وان لم ينو طلاقا ولا سمى لم تقع فرقه قاله في القديم وقوله الاول
احب الى المزني وهو الاصح عندهم وقال ابو ثور اذا لم يسم الطلاق
فالخلع فرقه وليست بطلاق وان سمى تطليقه فهي تطليقه والزوج
املك برجعتها ما دامت في العده وممن قال ان الخلع فسخ وليس
بطلاق الا ان ينويه ابن عباس وطاوس واحمد وعكرمه واسحق واحتجوا
بحديث ابن عيينه عن عمرو عن طاوس عن ابن عباس ان ابرهيم بن
سعد بن ابي وقاص ساله فقال رجل طلق امراته تطليقتين ثم اختلعت
منه اينكحها قال نعم لينكحها ليس بطلاق ذكر الله عز وجل الطلاق
في اول الايه واخرها والخلع فيما بين ذلك فليس الخلع بشي ثم قال
الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ثم قرا فان
طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره قالوا ولانه لو كان
طلاقا لكان بعد ذكر الطلقتين ثالثا وكان قوله فان طلقها بعد ذلك دالا
على الطلاق الرابع فكان يجوز التحريم متعلقا باربع تطليقات واحتجوا
ايضا بما رواه الترمذي وابو داود والدارقطني عن ابن عباس ان امراه

ثابت

ثابت بن قيس اختلعت اختلعت من زوجها على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فامرها النبي صلى الله عليه وسلم ان تعتد بحيضة قال
الترمذي حديث الربيع الصحيح انها امرت ان تعتد بحيضة قالوا
فهذا يدل على ان الخلع فسخ لا طلاق وذلك ان الله تعالى قال
والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولو كانت هذه مطلقة
لم يقتصر بها على قرء واحد **قلت** فمن طلق امراته تطليقتين ثم خالعها
ثم اراد ان يتزوجها فله ذلك كما قال بن عباس وان لم تنكح زوجا
غيره لانه ليس له غير تطليقتين والخلع لغو ومن جعل الخلع
طلاقا لم يجز ان يحلها يرتجعها حتى تنكح زوجا غيره لان بالخلع كملت
الثلاث وهو الصحيح ان شاء الله تعالى قال اسماعيل بن اسحق القاضي
كيف يجوز القول في رجل قالت له امراته طلقني على مال فطلقها انه
لا يكون طلاقا وهو لو جعل امرها بيدها من غير شيء فطلقت نفسها
كان طلاقا واما قوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد فهو معطوف
على قوله تعالى الطلاق مرتان لقوله او تسريح باحسان انما يعني به او
تطليق فلو كان الخلع معطوفا على التطليقتين لكان لا يجوز الخلع اصلا
الا بعد تطليقتين وهذا لا يقوله احد وقال غيره ما تاولوه في
الاية غلط فان قوله الطلاق مرتان افاد حكم الاثنتين اذا اوقعهما على
غير وجه الخلع واثبت معهما الرجعة بقوله فامساك بمعروف ثم ذكر
حكمهما اذا كان على وجه الخلع فعاد الخلع الى الثنتين المتقدم ذكرهما
اذ المراد بذلك بيان الطلاق المطلق والطلاق المطلق والطلاق
الثالث بعوض كان او غير عوض فانه يقطع الحل الا بعد زوج **قلت**

هذا الجواب عن الايه واما الحديث فقال ابو داود لما ذكر حديث ابن عباس في الحيضه هذا الحديث رواه عبد الرزاق عن معمر عن عمرو بن مسلم عن عكرمه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا وحدثنا القعنبي عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال عدة المختلعة عدة المطلقة قال ابو داود والعمل عندنا على هذا قلت وهو مذهب مالك والشافعي واحمد واسحق والثوري واهل الكوفه قال الترمذي واكثر اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم قلت وحديث ابن عباس في الحيضه مع غرابته كما ذكر الترمذي وارساله كما ذكر ابو داود فقد قيل فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل عدتها حيضه ونصف اخرجه الدارقطني من حديث معمر عن عمرو بن مسلم عن عكرمة عن ابن عباس ان امراة ثابت بن قيس اختلعت من زوجها فجعل النبي صلى الله عليه وسلم عدتها حيضه ونصف والراوي عن معمر هنا في الحيضه ونصف هو الراوي عنه في الحيضه الواحده وهو هشام بن يوسف ابو عبد الرحمن الصنعاني اليماني خرج له البخاري وحده فالحديث مضطرب من جهة الاسناد والمتن فسقط الاحتجاج به في ان الخلع فسخ وفي ان عده المطلقه حيضه وبقي قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثه قروء نصا في كل مطلقة مدخول بها الا ما خص منها كما تقدم قال الترمذي وقال بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عدة المختلعه حيضه قال اسحق وان ذهب ذاهب الى هذا فهو مذهب قوي قال ابن المنذر قال عثمان بن عفان وابن عمر عدتها حيضه وبه قال ابان بن عثمان واسحق وقال علي بن ابي طالب عدتها عدة المطلقه وبقول

مطلقة

عثمان

عثمان وابن عمر اقول ولا يثبت حديث علي قلت قد ذكرنا عن
ابن عمر انه قال عدة المختلعة عدة المطلقة وهو صحيح
واختلف قول مالك فيمن قصد الي ايقاع الخلع علي غير عوض فقال
عبد الوهاب هو خلع عند مالك وكان الطلاق باينا وقيل عنه لا يكون
باينا الا بوجود العوض قاله اشهب والشافعي لانه طلاق عري عن
عوض واستيفا عدد فكان رجعيا قالوا وكان بلفظ الطلاق قال ابن
عبد البر وهذا اصح قوليه عندي وعند اهل العلم في النظر ووجه
الاول ان عدم حصول العوض في الخلع لا عبرة يخرجه عن مقتضاه
اصله لك اذا خالع بخمر او خنزير المختلعة هي التي
تختلع من كل الذي لها والمفتدية ان تفتدي ببعضه وتاخذ بعضه
والمبارية التي بارات زوجها قبل ان يدخل بها فتقول قد ابرأتك فباريني
هذا قول مالك وروي عيسى بن دينار عن مالك المبارية التي لا تاخذ
شيا ولا تعطي والمختلعة التي تعطي ما اعطاها وتزيد من مالها والمفتدية
التي تفتدي ببعض ما اعطاها وتمسك بعضه وهذا كله يكون
قبل الدخول وبعده فما كان قبل الدخول فلا عدة فيه والمصالحة
مثل المبارية قال القاضي ابو محمد وغيره هذه الالفاظ الاربعة
تعود الي معنى واحد وان اختلف صفاتها من جهة الايقاع وهي
طلقة واحدة باينة سماها او لم يسمها لا رجعة له في العدة وله نكاحها
في العدة وبعدها برضاها بولي وصداق قبل زوج وبعده خلافا
لابي ثور لانها انما اعطته العوض لتملك نفسها ولو كان طلاق
الخلع رجعيا لم تملك نفسها وكان يجتمع للزوج العوض والمعوض

منه وهذا مع طلاق العقد نافذ فلو بذلت
له العوض وشرط الرجعه فيها روايتان رواهما ابن وهب عن مالك احداهما
ثبوتها ولغوها قال سحنون والاخرى نفيها قال سحنون وجه الروايه
الاولى انهما قد اتفقا على ان يكون العوض في مقابله ما يسقط من عدد الطلاق
وذلك جائز ووجه الروايه الثانيه انه شرط في العقد ما يمنع المقصود
منه فلم يثبت ذلك كما لو شرط في عقد النكاح انه لا يطا

قوله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها لما بين تعالى احكام النكاح
والفراق قال تلك حدود الله التي امرت بامتثالها كما بين تحريمات
الصوم انه اخرى فقال تلك حدود فلا تقربوها فقسم الحدود
قسمين منها حدود الامر بالامتثال وحدود النهي بالاجتناب
ثم اخبر فقال ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون

تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فيه احدى عشره
مسله احتج بعض مشيخه خراسان من الحنفيه بهذه الايه
على ان المختلعه يلحقها الطلاق قالوا فشرع الله سبحانه الطلاق
بعد المفاداه بالطلاق لان الفا حرف تعقيب فيبعد ان يرجع الى
قوله الطلاق مرتان لان الذي تخلل من الكلام يمنع بنا قوله فان طلقها
قوله الطلاق مرتان لان الاقرب عوده على ما يليه كما في الاستثنا ولا يعود
الى ما يتقدمه الا بدلاله كما ان قوله وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي
دخلتم بهن لما كان مقصورا على ما يليه غير عايد الى ما يتقدمه حتى لا
يشترط الدخول في امهات النسا وقد اختلف العلما في الطلاق بعد الخلع
في العده فقال الشافعي اذا خالع الرجل زوجته ثم يطلقها وهي في العده

صح

لحقها

بج

لحقها الطلاق ما دامت في العدة لذلك قال سعيد بن المسيب و شريح
وطاوس والنخعي والزهري والحكم وحماد والثوري واصحاب الراي
وفيه قول ثان وهو ان الطلاق لا يلزمها هذا قول ابن عباس وابن الزبير
وعكرمة والحسن وجابر بن زيد والشافعي واحمد واسحق وابي ثور
وهو قول مالك الا ان مالكا قال ان اتبعت منه على ان يطلقها ثلاثا
متتابعات نسقا حين طلقها فذلك ثابت عليه وان كان بين ذلك
صمات لما اتبعه بعد الصمات فليس بشي وانما كان ذلك لان نسق
الكلام بعضه على بعض متصلا يوجب له حكما واحدا وكذلك اذا
اتصل الاستثنا باليمين بالله اثر وثبت له حكم الاستثنا واذا انقطع
عنه لم يكن له تعلق بما تقدم من الكلام المراد بقوله
تعالى فان طلقها الطلقة الثالثة فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره وهذا
مجمع عليه لا خلاف واختلفوا فيما يكفي من النكاح وما الذي يبيح
التحليل فقال سعيد بن المسيب ومن وافقه مجرد العقد كاف
وقال الحسن بن ابي الحسن لا مجرد الوطي حتى يكون انزال وذهب
الجمهور من العلما والكافة من الفقها الى ان الوطي كاف في ذلك وهو التقا
الختانين الذي يوجب الحد والغسل ويفسد الصوم والحج ويحصن
الزوجين ويوجب كمال الصداق ابن العربي ما مرت بي في الفقه
مسلة اعسر منها وذلك ان من اصول الفقه ان الحكم هل يتعلق
باوايل الاسما ام باخرها فان قلنا ان الحكم يتعلق باوايل الاسما لزمنا
مذهب سعيد وان قلنا ان الحكم يتعلق باواخر الاسما لزمنا ان
نشترط الانزال مع مغيب الحشفة في الاحلال لانه اخر ذوق العسيلة

على ما قاله الحسن قال ابن المنذر معنى ذوق العسيلة هو الوطي وعلى هذا
جماعة العلما الا سعيد بن المسيب فقال اما الناس فيقولون لا تحل للاول
حتى يجامعها الثاني وانا اقول اذا تزوجها تزويجا صحيحا لا تريد بذلك
احلالها فلا باس ان يتزوجها الاول وهذا قول ما نعلم احدا وافقه
عليه الا طايفه من الخوارج والسنه مستغني بها عما سواها
قلت قد قال بقول سعيد بن المسيب سعيد بن جبير ذكره
النحاس في كتاب معاني القران له قال واهل العلم على ان النكاح هاهنا
الجماع لانه قال زوجا فقد تقدمت الزوجيه فصار النكاح الجماع
الا سعيد بن جبير فقال النكاح هاهنا التزويج الصحيح اذا لم
يرد احلالها قلت واظنهما لم يبلغهما حديث العسيله او لم يصح عندهما
فاخذا بظاهر القران وهو قوله حتى تنكح زوجا غيره والله اعلم
روى الايمه واللفظ للدارقطني عن عايشه قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا طلق الرجل امراته ثلاثا لم تحل له حتى تنكح زوجا
غيره ويذوق كل واحد منهما عسيله صاحبه قال بعض علما الحنفيه
من عقد على مذهب سعيد فللقاضي ان يفسخه ولا يعتبر فيه بخلافه
لانه خارج عن اجماع العلما قال علماونا ويفهم من قوله عليه السلام حتى
يذوق كل واحد منهما عسيله صاحبه استواهما في ادراك لذه
الجماع وهو حجه لاحد القولين عندنا في انه لو وطيها نايمة او مغمى عليها لم تحل
لمطلقها لانها لم تذق العسيله اذ لم تدركها روى النساي
عن عبد الله قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمه والمستوشمه
والواصله والموصوله واكل الربا وموكله والمحلل والمحلل له وروى

الترمذي

الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال لعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم المحلل والمحلل له قال هذا حديث حسن صحيح وقد روي هذا الحديث
عن النبي صلى الله عليه من غير وجه والعمل على هذا عند اهل العلم من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم منهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الله بن
عمر وغيرهم وهو قول الفقها من التابعين وبه يقول سفين الثوري
ومالك وبن المبارك والشافعي واحمد واسحق وسمعت الجارود يذكر
عن وكيع انه قال بهذا وقال ينبغي ان يرمي بهذا الباب من قول اصحاب
الراي وقال سفين اذا تزوج الرجل المراة ليحلها ثم بدا له ان يمسكها فلا
يحل له ان يمسكها حتى يتزوجها بنكاح جديد قال ابو عمر بن عبد البر اختلف
العلما في نكاح المحلل فقال مالك المحلل لا يقيم على نكاحه حتى يستقبل
نكاحا جديدا فان اصابها فلها مهر مثلها ولا يحلها اصابته لزوجها الاول
وسوا علما او لم يعلما اذا تزوجها ليحلها ولا يقر على نكاحه ويفسخ وبه قال
الثوري والاوزاعي وفيه قول ثان روي عن الثوري في نكاح الخيار
والمحلل ان النكاح جايز والشرط باطل وهو قول بن ابي ليلى في ذلك وفي
نكاح المتعه وروي عن الاوزاعي في نكاح المحلل بيس ما صنع والنكاح جايز
وقال ابو حنيفه وابو يوسف ومحمد النكاح جايز ان دخل بها وله ان
يمسكها ان شا وقال ابو حنيفه واصحابه مره لا يحل الاول اذا تزوجها
ليحلها ومره قالوا يحل له بهذا النكاح اذا جامعها وطلقها ولم يختلفوا
ان نكاح هذا الزوج صحيح وله ان يقيم عليه وفيه قول ثالث قال
الشافعي اذا تزوجها لاحلها ثم لا نكاح بيننا بعد ذلك فهذا ضرب
من نكاح المتعه وهو فاسد لا يقر عليه ويفسخ ولو وطي على هذا لم يكن

تحل لا مان تزوجها زوجا مطلقا لم يشترط ولا اشتراط عليه التحليل
فللشافعي في ذلك قولان في بابه القديم احدهما مثل قول مالك والاخر
مثل قول ابي حنيفه ولم يختلف قوله في كتابه الجديد المصري ان النكاح
صحيح اذا لم يشترط وهو قول داود قلت وحكى الماوردي عن
الشافعي انه ان شرط التحليل قبل العقد صح النكاح واحلها للاول
وان شرطاه في العقد بطل النكاح ولم يحلها للاول قال وهو قول
الشافعي وقال الحسن وابراهيم اذا هم احد الثلاثه بالتحليل فسد النكاح
وهذا شديد وقال القاسم وسالم لا باس ان يتزوجها ليحلها اذا لم
يعلم الزوجان وهو ماجور به قال ربيعه ويحيى بن سعيد وقال
داود بن علي اذا لم يظهر ذلك في اشتراطه في حين العقد
مدار نكاح التحليل عند علمائنا على الزوج الناكح وسوا شرط ذلك
او نواه ومتى كان شي من ذلك فسد نكاحه ولم يقر عليه ولم يحلل
وطيه المراة لزوجها المطلق وجهله في ذلك سوا وقد قيل انه ينبغي له
اذا علم ان الناكح لها لذلك تزوجها ان يتنزه عن مراجعتها ولا يحلها
عند مالك الا نكاح رغبه لحاجته اليها لا يقصد به التحليل ويكون وطيه
لها وطيا مباحا لا تكون صايمه ولا محرمة ولا في حيضتها ويكون
الزوج بالغا مسلما وقال الشافعي اذا اصابها بنكاح صحيح وغيب
الحشفه في فرجها فقد ذاقا العسيله قوي النكاح وضعيفه وسواء
ادخاله بيده او بيدها وكان من صبي او مراهق او مجبوب بقي له ما
يغيب غير الخصي وسوا اصابها الزوج محرمه او صايمه وهذا كله
على ما وصفنا الشافعي قول ابي حنيفه والثوري والاوزاعي والحسن بن

صالح

صالح وقول بعض اصحاب ملك قال بن حبيب

وان تزوجها فاعجبته امسكها والا كان قد احتسب في تحليلها الاجر لم يجز لما خالطه نكاحه من نيه التحليل ولا تحل بذلك للاول

وطي السيد لامته التي قد بت زوجها

طلاقها لا يحلها اذ ليس بزوج روي عن علي بن ابي طالب وهو قول ابي عبيده ومسروق والشعبي وابراهيم وجابر بن زيد وسليمان بن يسار وحماد بن ابي سليمان وابي الزناد وعليه جماعه فقها الامصار وروي عن عثمان وزيد بن ثابت والزبير خلاف ما ذلك وانه يحلها اذا غشيها سيدها غشيانا لا يريد به مخادعة ولا احلالا وترجع الى زوجها بخطبه وصداق والقول الاول اصح لقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره والسيد انما يتسلط بملك اليمين وهذا واضح

في موطا ملك انه بلغه ان سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار سيلا عن رجل زوج عبد اله جاريه له فطلقها العبد البته ثم وهبها سيدها له هل تحل له بملك اليمين فقالا لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ملك انه سال بن شهاب

عن رجل كانت تحته امه مملوكه فاشتراها وقد كان طلقها واحده فقال تحل له بملك يمينه ما لم يبت طلاقها فان بت طلاقها فلا تحل له بملك يمينه حتى تنكح زوجا غيره قال ابو عمر على هذا جماعه العلما وايمه الفتوى ملك والثوري والاوزاعي وابو حنيفه والشافعي واحمد واسحق وابو ثور وكان بن عباس

وعطا وطاوس والحسن يقولون اذا اشتراها الذى بت طلاقها
حلت بملك اليمين على عموم قوله عز وجل او ما ملكت ايمانكم قال
ابو عمر هذا من القول لان قوله او ما ملكت ايمانكم لا يبيح الامهات
ولا الاخوات فكذلك ساير المحرمات اذا طلق
المسلم الذمية ثلاثا فنكحها ذمي ودخل بها ثم طلقها فقالت طايفة
الذمي زوج لها ولها ان ترجع الى الاول هكذا قال الحسن والزهري
وسفين الثوري والشافعي وابو عبيد واصحاب الراي قال ابن
المنذر وكذلك نقول لان الله عز وجل قال حتى تنكح زوجا غيره
والنصراني زوج وقال مالك وربيعة لا يحلها
النكاح الفاسد لا يحل المطلقة ثلاثا في قول الجمهور مالك والثوري
والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق وابي عبيد واصحاب الراي
هم يقولون لا يحل الزوج للزوج الاول الا نكاح صحيح وكان
الحكم يقول هو زوج قال ابن المنذر ليس بزوج لان احكام
الازواج في الظهار والايلا واللعان غير ثابت بينهما واجمع كل
من يحفظ عنه من اهل العلم ان المراة اذا قالت للزوج الاول
قد تزوجت ودخل علي زوجي وصدقها انها تحل للاول قال
الشافعي والورع الا يفعل اذا وقع في نفسه انها كاذبة
جا عن عمر بن الخطاب في هذا الباب تغليظ شديد
وهو قوله لا اوتي بمحلل ولا محلله الا رجمتها وقال ابن عمر التحليل
سفاح لا يزالا زانيين ولو مكثا عشرين سنة قال ابو عمر لا
يحتمل قول عمر الا التغليظ لانه قد صح عنه انه وضع الحد عن

الواطي

الواطي فرجا حراما قد جهل تحريمه وعذر بالجهالة قالنا وبل اولى بذلك ولا خلاف انه لا رجم عليه تعالى فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله فيه اربع مسايل قوله تعالى فان طلقها يريد المتزوج الثاني اي المراة والزوج الاول قال بن عباس ولا خلاف فيه قال بن المنذر اجمع اهل العلم على ان الحر اذا طلق زوجته ثلاثا ثم انقضت عدتها ونكحت زوجا ودخل بها ثم فارقها وانقضت عدتها ثم نكحها الاول انها تكون عنده على ثلاث تطليقات واختلفوا في الرجل يطلق امراته تطليقه او تطليقتين ثم تزوج غيره ثم ترجع الى زوجها الاول فقالت طايفة يكون على ما بقي من طلاقها كذلك قال الاكابر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وابي بن كعب وعمران بن حصين وابو هريرة وروي عن زيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وعبد الله بن عمرو بن العاص وبه قال عبيدة السلماني وسعيد بن المسيب والحسن البصري ومالك وسفيان الثوري وبن ابي ليلى والشافعي واحمد واسحق وابو عبيد وابو ثور ومحمد بن الحسن وبن نصر وفيه قول ثان وهو ان النكاح جديد والطلاق جديد هذا قول بن عمر وبن عباس وبه قال عطا والنخعي وشريح والنعمان ويعقوب وذكر ابو بكر بن ابي شيبة قال ثنا ابو معاوية ووكيع عن الاعمش عن ابراهيم قال كان اصحاب عبد الله يقولون يهدم الزوج الثلاث ولا يهدم الواحدة والاثنتين قال وثنا حفص عن حجاج عن طلحة عن ابراهيم ان اصحاب عبد الله كانوا يقولون

جلد

د

ن

يهدم الزوج الواحدة والاثنتين كما يهدم الثلاث الا عبيده
فانه قال هي على ما بقي من طلاقها ذكره ابو عمر وقال ابن المنذر
وبالقول الاول اقول وفيه قول ثالث وهو ان كان دخل بها
الاخير فطلاق جديد ونكاح جديد وان لم يكن دخل بها فعلى ما
بقي هذا قول ابرهيم النخعي قوله تعالى ان ظنا ان يقيما
حدود الله شرط قال طاوس ان ظنا ان كل واحد منهما يحسن عشرة
صاحبه وقيل حدود الله فرائضه اذا علما انه يكون بينهما الصلاح
بنكاح الثاني فمتى علم الزوج انه يعجز عن نفقة زوجته او صداقها او
شي من حقوقها الواجبة عليه لا يحل له ان يتزوجها حتى يبين لها او يعلم
من نفسه القدرة على اداء حقوقها وكذلك لو كانت به علة تمنعه
من الاستمتاع كان عليه ان يبين لئلا يغر المراة من نفسه وكذلك
لا يجوز ان يغرها بنسب يدعيه ولا مال ولا صناعة يذكرها
وهو كاذب فيها وكذلك يجب على المراة اذا علمت من نفسها العجز
عن قيامها بحقوق الزوج او كان بها علة تمنع الاستمتاع من جنون
او جذام او برص او داء في الفرج لم يجز لها ان تغره وعليها ان تبين
ما بسلعته من العيوب ومتى وجد احد الزوجين بصاحبه عيبا
فله الرد فان كان العيب بالرجل فلها الصداق ان كان دخل بها وان لم
يدخل بها فلها نصفه وان كان العيب بالمراة ردها الزوج واخذ
ما كان اعطاها من الصداق وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
تزوج امراة من بني بياضة فوجد بكشحها برصا فردها وقال
دلستم علي واختلفت الرواية عن مالك في امراة العنين اذا سلمت

نفسها

نفسها ثم فرق بينهما باللعنة فقال مرة لها جميع الصداق وقال مرة
لها نصف الصداق وهذا ينبني على الخلاف قوله بم تستحق الصداق
بالتسليم او بالدخول قولان قال بن خواز منداد
واختلف اصحابنا هل على الزوج خدمة ام لا فقال بعض اصحابنا
ليس على الزوج خدمة وذلك ان العقد يتناول الاستمتاع
فالمستحق بالعقد هو الاستمتاع دون غيره فلا يطالب باكثر منه
الا ترى الى قوله تعالى فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا وقال
بعض اصحابنا عليها خدمة مثلها فان كانت شريفة المحل لنسا
رابوة او ترفه فعليها التدبير للمنزل وامر الخادم وان كانت
متوسطة الحال فعليها ان تفرش الفراش في نحو ذلك وان
كانت دون ذلك فعليها ان تقم البيت وتطبخ وتغسل وان
كانت من نسا الكرد والديلم والجبل في بلدهن كلفت ما يكلفه
نساوهم وذلك ان الله تعالى قال ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف
وقد جرى عرف المسلمين في بلادهم بل لهم في قديم الامر وحديثه
بما ذكرنا الا ترى ان ازواج النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا
يتكلفون الطحين والخبيز والطبيخ وفرش الفراش وتقريب الطعام
الطعام واشباه ذلك ولا نعلم امراة امتنعت من ذلك ولا
يسوغ لها الامتناع بل كانوا يضربون نساهم اذا قصرن في ذلك
ويأخذ ونهم في الخدمة فلولا انها مستحقة لما طالبوهن في تلك
حد ودالله يبين ما لقوم يعلمون نحد ودالله ما منع منه والحد
مانع من الاجترا على الفواحش واحدث المراة امتنعت من الزينة

ورجل محدود ممنوع من الخير والبواب حداداي مانع وقد
تقدم هذا مستوفي وانما قال لقوم يعلمون لان الجاهل اذا
اتى له امره ونهيه فانه لا يحفظه ولا يتعاهده والعالم يحفظ
ويتعاهده فلهذا المعنا خاطب العلما ولم يخاطب الجهلا
واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن
بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك
فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا ايات الله هزوا واذكروا نعمة
الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا
الله واعلموا ان الله بكل شي عليم فيه ست مسايل
قوله تعالى فبلغن اجلهن معنى بلغن قاربن باجماع من العلما ولان المعنى
يضطر الى ذلك لانه بلوغ الاجل لا خيار له في الامساك وهو في
الاية التي بعدها بمعنى لان المعنى يقتضي ذلك فهو حقيقة
في الثانية مجاز في الاولى قوله تعالى فامسكوهن
بمعروف الامساك بالمعروف هو القيام بما يجب لها من حق
على زوجها ولذلك قال جماعة من العلما ان من الامساك بالمعروف
ان الزوج اذا لم يجد ما ينفق على الزوجة ان يطلقها فان لم يفعل
خرج عن حد المعروف فيطلق عليه الحاكم من اجل الضرر اللاحق لها
في بقايها عند من لا يقدر على نفقتها والجوع لا صبر عليه وبهذا قال
ملك والشافعي واحمد واسحق وابو عبيد وابو ثور ويحيى
القطان وعبد الرحمن بن مهدي وقاله من الصحابة عمر وعلي وابو هريرة
ومن التابعين سعيد بن المسيب وقال ان ذلك سنة ورواه ابو

هريرة

ها

هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقالت طايفه لا يفرق بينهما ويلزم
الصبر عليه وتتعلق النفقه بذمته بحكم الحاكم وهذا قول عطا
والزهري واليه ذهب الكوفيون والثوري واحتجوا بقوله
تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وقال وانكحوا الايامى
منكم الايه فندب تعالى الى نكاح الفقير فلا يجوز ان يكون
الفقر سببا للفرقه وهو مندوب معه الى النكاح وايضا
فالنكاح بين الزوجين قد انعقد باجماع فلا يفرق بينهما الا باجماع
مثله او سنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم لا معارض لها
والحجه للاول قوله صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري تقول المراة
اما ان تطعمني واما ان تطلقني وهذا نص في موضع الخلاف
والفرقه بالاعسار عندنا طلقه رجعيه خلافا للشافعي في قوله
انها طلقه باينه لان هذه فرقه بعد البنا لم يستكمل بها عدد
الطلاق ولا كانت لعوض ولا لضرر بالزوج فكانت رجعيه في حكم
طلاق المولي قوله تعالى او سرحوهن بمعروف يعني
فطلقوهن وقد تقدم ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا روى
مالك عن ثور بن زيد الديلي ان الرجل كان يطلق امراته ثم يراجعها ولا
حاجه له بها ولا يريد امساكها كيما يطول بذلك عليها العده ويضارها
فانزل الله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك
فقد ظلم نفسه يعني عرض نفسه للعذاب لان اتيان ما نهى الله عنه
تعرض لعذاب الله وهذا الخبر موافق للخبر الذي نزل بترك ما كان
عليه اهل الجاهليه من الطلاق والارتجاع حسب ما تقدم بيانه

باجماع

لا

عند قوله الطلاق مرتان فافادنا هذا الخبر ان انزول الايتين المذكورتين كان في معنى واحد متقارب وقد الحبس الرجل المراة ومراجعته لها قاصدا الى الاضرار بها وهذا ظاهر

قوله تعالى ولا تتخذوا ايات الله هزوا معناه لا تاخذوا احكام الله في طريق الهزو فانها جد كلها لمن هزل فيها لزمته قال ابو الدرداء كان الرجل يطلق في الجاهليه ويقول انما طلقت وانا لاعب وكان يعتق وينكح ويقول كنت لاعبا فنزلت هذه الايه فقال عليه السلام من طلق او جرد او نكح او انكح فزعم انه لاعب فهو جد رواه معمر قال ثنا عيسى بن يونس عن عمرو عن الحسن عن ابي الدرداء فذكره بمعناه وفي موطا مالك انه بلغه ان رجلا قال لابن عباس اني طلقت امراتي مايه مرة فماذا ترى فقال ابن عباس طلقت منك بثلاث وسبع وتسعون اتخذت بها ايات الله هزوا وخرج الدارقطني من حديث اسماعيل بن اميه القرشي عن علي قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا طلق البته فغضب وقال تتخذون ايات الله هزوا او دين الله هزوا ولعبا من طلق البته الزمناه ثلاثا لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره اسماعيل بن اميه هذا كوفي ضعيف الحديث وروي عن عايشه ان الرجل كان يطلق امراته ثم يقول والله لا اورثك ولا ادعك قالت وكيف ذاك قال اذا كدت تقضين عدتك راجعتك فنزلت ولا تتخذوا ايات الله هزوا قال علماونا والاقوال كلها داخله في معنى الايه لانه يقال لمن سخر من ايات الله اتخذها هزوا ويقال ذلك لمن كفر بها ويقال ذلك

لمن طرحها

طرحها ولم ياخذ بها وعمل بغيرها فعلى هذا تدخل هذه الاقوال
في الايه وايات الله دلايله وامره ونهيه ولاخلاف
بين العلما ان من طلق هازلا ان الطلاق يلزمه واختلفوا في غيره على
ما ياتي بيانه في براه ان شا الله تعالى وخرج ابو داود عن ابي
هريره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جدهن جد وهزلهن
جد النكاح والطلاق والرجعه وروي عن علي بن ابي طالب وبن
مسعود وابي الدردا انهم قال ثلاث لا لعب لهن واللاعب فيهن
جاد النكاح والطلاق والعتاق وقيل المعنى لا تتركوا اوامر الله
فتكونوا مقصرين لاعبين ويدخل في هذه الايه الاستغفار من
الذنب قولا مع الاصرار فعلا وكذا كل ما كان في هذا المعنى فاعلمه
قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اي بالاسلام وبيان الاحكام
والحكمه هي السنه المبينه على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم مراد
الله فيما ينص عليه في الكتاب يعظكم به يخوفكم واتقوا الله واعلموا ان الله
بكل شي عليم تقدم تعالى واذا طلقتم النسا فبلغن
اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف
ذلك يوعظ به من كان منكم يومن بالله واليوم الاخر ذلكم ازكى لكم
واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون فيه اربع مسايل قوله
تعالى فلا تعضلوهن روي ان معقل بن يسار كانت اخته تحت ابي
الدحداح فطلقها وتركها حتى انقضت عدتها ثم ندم فخطبها فرضيت
وابى اخوها ان يزوجها وقال وجهي من وجهك حرام ان تزوجتيه فنزلت
الايه قال مقاتل فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم معقلا فقال

ان كنت مومنا فلا تمنع اختك عن النكاح فقال امنت بالله وزوجتها
منه وروى البخاري عن الحسن ان اخت معقل بن يسار طلقها زوجها حتى
انقضت عدتها فخطبها فابى معقل فنزلت فلا تعضلوهن ان ينكحن
ازواجهن واخرجه الدارقطني ايضا عن الحسن قال حدثني معقل بن يسار
قال كانت اخت تخطب الي وكنت امنعها الناس فاتى ابن عم لي فخطبها
فانكحتها اياه فاصطحبا صحبا ما شا الله ثم طلقها طلاقا رجعيا ثم تركها
حتى انقضت عدتها فخطبها مع الخطاب فقلت منعتها الناس وزوجتك
اياها ثم طلقتها طلاقا له رجعه ثم تركتها حتى انقضت عدتها فلما
خطبت الي اتيتني تخطبها مع الخطاب لا ازوجك ابدا فانزل الله او
قال انزلت واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن
ازواجهن فكفرت عن يميني وانكحتها اياه وفي روايه للبخاري فحمي معقل

نخي م

عن ذلك انفا وقال خلا عنها وهو يقدر عليها ثم يخطبها فانزل الله
الايه فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقرا عليه الايه وترك الحميه
وانقاد لامر الله وقيل هو معقل بن سنان بالنون قال النحاس رواه
الشافعي في كتبه عن معقل بن سنان او يسار وقال الطحاوي هو معقل
بن سنان   اذا ثبت هذا ففي الايه دليل على انه لايجوز لعقود
النكاح بغير ولي لان اخت معقل كانت ثيبا ولو كان الامر اليها
دون وليها لزوجت نفسها ولم تحتج الى وليها معقل فالخطاب
فالخطاب اذا في قوله فلا تعضلوهن للاوليا وان الامر اليهم في التزويج
مع رضاهن وقد قيل ان الخطاب في ذلك للازواج وذلك بان يكون
الارتجاع مضاره عضلا عن نكاح الغير بتطويل العده عليها واحتج بها

اصحاب

عشره
يا لك

اصحاب ابي حنيفه على ان تزوج المراه نفسها قالوا لان الله تعالى
ذلك اليهن هو مال فلا عضل له من يعضل حتى تنكح زوجا غيره ولم
يذكر الولي وقد تقدم القول في هذه المسله مستوفي
والاول اصح لما ذكرناه من سبب النزول والله اعلم
قوله تعالى فاذا بلغن اجلهن بلوغ الاجل في هذا الموضع تناهيه
لان ابتدا النكاح انما يتصور بعد انقضا العده وتعضلوهن
معناه تحبسوهن يعني الحليل دجاجه معضل قد احتبس بيضها
وقيل العضل التضييق والمنع وهو راجع الى معنى الحبس
يقال اردت امرا فعضلتني عنه اي منعتني وضيقت علي
واعضل الامر اذا ضاقت عليك فيه الحيل ومنه قولهم
انه لعضله من العضل اذا كان لا يقدر على وجه الحيله فيه وقال
الازهري اصل العضل من قولهم عضلت الناقه اذا نشب
ولدها فلم يسهل خروجه وعضلت الدجاجه نشب بيضها
وفي حديث معاويه معضله ولا ابا حسن اي مسله صعبه ضيقه
المخارج وقال طاوس لقد وردت عضل اقضيه ما قام بها الا
ابن عباس وكل مشكل عند العرب معضل ومنه قول الشا فعي
اذا المعضلات تصدينني كشفت حقائقها بالنظر ويقال
اعضل الامر اذا اشتد وداء عضال اي شديد عسير البرا اعيا
الاطبا واعضل فلان ايمه اي منعها يعضلها ويعضلها بالضم
والكسر لغتان قوله تعالى ذلك يوعظ به ولم
ذلكم لانه محمول على معنى الجميع ولو جاز ذلكم لجاز مثل ذلكم ازكى

لكم واطهر والله يعلم اي ما اي ما لكم فيه الصلاح وانتم لا تعلمون
ذلك قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن في موضع
الخبر حولين كاملين ظرف زمان ولما ذكر تعالى النكاح والطلاق
ذكر الولد فان الزوجين قد يفترقان وثم ولد فالاية
اذا في المطلقات اللاتي لهن اولاد من ازواجهن قاله السدي
والضحاك وغيرهما اي هن احق برضاع اولادهن من الاجنبيات
لانهن احنى وارق وانتزاع الولد الصغير اضرار به وبها وهذا
يدل على ان الولد وان فطم فالام احق بحضانته لفضل حنوها وشفقتها
وانما تكون احق بالحضانة اذا لم تتزوج على ما ياتي وعلى هذا يشكل
قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن لان المطلقة لا تستحق الكسوه
اذا لم تكن رجعيه بل تستحق الاجره الا ان تحمل على مكارم الاخلاق
فيقال الاولى ان لا تنقص الاجره مما يكفيها لقوتها وكسوتها وقيل
الايه عامة في المطلقات اللواتي لهن اولاد وفي الزوجات والاظهر
انها في الزوجات في حال بقا النكاح لانهن المستحقات للنفقه والكسوه
والزوجه تستحق النفقه والكسوه ارضعت ام لم ترضع والنفقه
والكسوه مقابله التمكين فاذا اشتغلت بالارضاع لم يكمل التمكين
فقد يتوهم ان النفقه تسقط فازال ذلك الوهم بقوله وعلى المولود له
اي الزوج رزقهن وكسوتهن في حال الرضاع لانه اشتغال من مصالح
الزوج فصارت كما لو سافرت لحاجة الزوج باذنه فان النفقه لا
لا تسقط قوله تعالى يرضعن خبر معناه الامر على الوجوب
لبعض الوالدات وعلى جهه الندب لبعضهن على ما ياتي وقيل هو خبر

عن

عن المشروعية كما تقدم واختلف الناس في
الرضاع هل هو حق للام ام هو حق عليها واللفظ محتمل لانه لو
اراد التصريح بكونه عليها لقال وعلى الوالدات رضاع اولادهن
كما قال وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ولكن هو عليها في حق الزوجية
وهو عرف يلزم اذ قد صار كالشرط الا ان تكون شريفة ذات ترفه
فعرفها الا ترضع وذلك كالشرط وعليها ان لم يقبل غيرها واجب
وهو عليها اذا عدم لاختصاصها به فان مات الاب ولا مال للصبي
فمذهب ملك في المدونة ان الرضاع لازم للام بخلاف النفقة
وفي كتاب ابن الجلاب رضاعه في بيت المال وقال عبد الوهاب
هو فقير من فقرا المسلمين واما المطلقة طلاق بينونة فلا رضاع
عليها والرضاع على الزوج الا ان تشا هي فهي احق باجرة المثل هذا
مع يسر الزوج فان كان معدما لم يلزمها الرضاع الا ان يكون
المولود لا يقبل غيرها فتجبر حينئذ على الارضاع وكل من يلزمها
الارضاع فان اصابها عذر يمنعها منه عاد الارضاع على الاب
وروي عن ملك ان الاب اذا كان معدما ولا مال للصبي ان الرضاع
على الام فان لم يكن لها لبن ولها مال فالارضاع عليها في مالها الشافعي
لا يلزم الا الوالد او الجد وان علا وسيأتي للعلماء في هذا عند قوله
وعلى الوارث مثل ذلك يقال رضع يرضع رضاعة ورضاعا ورضع
يرضع رضاعا ورضاعة بكسر الرا في الاول وفتحها في الثاني
واسم الفاعل راضع فيهما والرضاعة اللوم مفتوح الرا لا غير
قوله تعالى حولين اي سنتين من حال الشي اذا انقلب

فالحول منقلب من الوقت الاول الى الثاني وقيل سمي العام حولا لاستحالة الامور فيه في الاغلب كاملين قيد بالكمال لان القايل قد يقول اقمت عند فلان حولين وهو يعني حولا وبعض اخر وقال الله تعالى لمن تعجل في يومين وانما يتعجل في يوم وبعض الثاني وقوله تعالى لمن اراد ان يتم الرضاعة دليل على ان رضاع الحولين ليس حتما فانه يجوز الفطام قبل الحولين ولكنه تحديد لقطع النزاع بين الزوجين في مدة الرضاع فلا يجب على الزوج اعطا الاجرة لاكثر من حولين وان اراد الاب الفطم قبل هذه المدة ولم ترض الام لم يجز له ذلك والزيادة على الحولين او النقصان انما يجوز عند عدم الاضطرار بالمولود وعند رضى الوالدين وقرا مجاهد وابن محيصن لمن اراد ان يتم الرضاعة بفتح اليا ورفع الرضاعة على اسناد الفعل اليها وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة والجارود بن ابي سبرة بكسر الرا من الرضاعة وهي لغة كالحضارة والحضارة وروي عن مجاهد انه قرا الرضعة على وزن الفعلة وروي عن ابن عباس انه قرا ان يكمل الرضاعة النحاس لا يعرف البصريون رضاعة الا بفتح الرا والرضاع الا بكسر الرا مثل القتال وحكى الكوفيون كسر الرا مع الها وفتحها بغيرها

انتزع مالك رحمه الله وجماعة من العلما من هذه الاية ان الرضاعة المحرمة الجارية مجرى النسب انما هي ما كان في الحولين لان بانقضا الحولين تمت الرضاعة ولا رضاعة بعد الحولين معتبرة هذا قوله في موطيه وهي رواية محمد بن عبد الحكم عنه وهو قول عمر وابن عباس وروي عن ابن مسعود وبه قال الزهري وقتادة والشعبي وسفيان الثوري

والاوزاعي

والاوزاعي والشافعي واحمد واسحاق وابو يوسف وابو ثور ومحمد وروى
بن عبد الحكم الحولين وزيادة ايام يسيرة عبد الملك كالشهر وروى بن القاسم
عن مالك انه قال الرضاع الحولين والشهر بعد الحولين وحكى عنه الوليد
بن مسلم انه قال ما كان بعد الحولين من رضاع بشهر او شهرين او ثلاثة
فهو من الحولين وما كان بعد ذلك فهو عبث وحكى عن النعمان انه قال وما
بعد الحولين الى ستة اشهر فهو رضاع والصحيح الاول لقوله تعالى
والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين وهذا يدل ان لا حكم
لما ارتضع المولود بعد الحولين وروى سفيان عن عمرو بن دينار عن
بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رضاع الا ما
كان في الحولين قال الدارقطني لم يسنده عن بن عيينة غير الهيثم
بن جميل وهو ثقة حافظ **قلت** وهذا الخبر مع الاية والمعنى
ينفي رضاعة الكبير وانه لا حرمة له وقد روي عن عايشة القول
وبه يقول الليث بن سعد من بين العلما وقد روي عن ابي موسى الاشعري
انه كان يرى رضاع الكبير وروي عنه الرجوع عنه وسياتي في سورة
النسا ان شا الله تعالى مبينا   قال جمهور المفسرين ان
هذين الحولين لكل ولد وروي عن بن عباس انه قال هي في الولد يمكث
في البطن ستة اشهر فان مكث سبعة اشهر فرضاعه ثلاثة وعشرون
شهرا فان مكث ثمانية اشهر فرضاعه اثنان وعشرون شهرا فان مكث
تسعة اشهر فرضاعه احد وعشرون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون
شهرا وعلى هذا تتداخل مدة الحمل ومدة الرضاع وياخذ الواحد من الاخر
قوله تعالى وعلى المولود له اي على الاب وعود في العربية

وعلى المولود لهم كقوله ومنهم من يستمعون اليك لان المعنى وعلى الذي
ولد له والذي يعبر به عن الواحد والجمع كما تقدم
قوله تعالى رزقهن وكسوتهن الرزق في هذا الحكم الطعام الكافي وفي هذا
دليل على وجوب نفقة الولد على الوالد لعجزه وضعفه وسماه سبحانه
للام لان الغذا يصل اليه بواسطتها في الرضاع كما قال وان كن اولات
حمل فانفقوا عليهن لان الغذا لا يصل الا بسببها واجمع العلما على ان على
المرء نفقة ولده الاطفال الذين لا مال لهم وقال صلى الله عليه وسلم لهند
بنت عتبة وقد قالت له ان ابا سفين رجل شحيح وانه لا يعطيني من
النفقة ما يكفيني ويكفي بني الا ما احدت من ماله بغير علمه فهل علي في
ذلك جناح فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف والكسوة اللباس
وقوله بالمعروف اي بالمتعارف في عرف الشرع من غير تفريط ولا
افراط ثم بين تعالى ان الانفاق على قدر غنى الزوج ومنصبها من غير تقدير مد ولا
غيره بقوله لا تكلف نفس الا وسعها على ما ياتي بيانه في الطلاق ان شا الله تعالى
وقيل المعنى اي لا تكلف المراة الصبر على التقتير في الاجرة ولا يكلف الزوج
ما هو اسراف بل يراعي القصد
في الاية دليل لمالك
على ان الحضانة للام وهي في الغلام الى البلوغ وفي الجارية الى النكاح وذلك حق
لها وبه قال ابو حنيفة وقال الشافعي اذا بلغ الولد ثمان سنين وهو سن
التمييز خير بين ابويه فان في تلك الحالة تتحرك همته لتعلم القران والادب
ووضايف العبادات وذلك يستوي فيه الغلام والجارية وروى
النساي وغيره عن ابي هريرة ان امراة جات الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت له زوجي يريد ان يذهب بابني فقال له النبي

في م

صلى الله

صلى الله عليه وسلم هذا ابوك وهذه امك فخذ ايهما شئت فاخذ بيد
امه وفي رواية ابي داود عن ابي هريرة قال جات امراه الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانا قاعد عنده فقالت يا رسول الله ان زوجي يريد
ان يذهب بابني وقد سقاني من بير ابي عنبة وقد نفعني فقال
النبي صلى الله عليه وسلم استهما عليه فقال زوجها من يحاقني في
ولدي فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا ابوك وهذه امك
فخذ بيد ايهما شئت فاخذ بيد امه فانطلقت به ودليلنا ما
رواه ابو داود عن الاوزاعي قال حدثني عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده عبد الله بن عمرو ان امراه قالت يا رسول الله ان ابني هذا كان
بطني له وعا واراد ان ينتزعه مني فقال لها رسول الله صلى الله عليه
وسلم انت احق به ما لم تنكحي قال ابن المنذر اجمع كل من يحفظ عنه
من اهل العلم على ان الزوجين اذا افترقا ولهما ولد ان الام احق به
ما لم تنكح ولذا قال ابو عمر لا اعلم خلافا بين السلف من العلما في
المراه المطلقه اذا لم تتزوج انها احق بولدها من ابيه ما دام طفلا
صغيرا لا يميز شيا اذا كان عندها في حرز وكفايه ولم يثبت فيها فسق
ولا تبرج ثم اختلفوا بعد ذلك في تخيير حين اذا ميز وعقل
بين ابيه وامه وفيمن هو اولى به قال ابن المنذر وثبت ان النبي صلى الله عليه
وسلم قضى في ابنة حمزة للخاله من غير تخيير روى ابو داود عن علي
قال خرج زيد بن حارثه الى مكه فقدم بابنة حمزة فقال جعفر انا اخذها
انا احق بها ابنة عمي وخالتها عندي والخاله ام فقال علي انا احق بها ابنة
عمي وعندي ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي احق بها وقال زيد

انا احق بها انا خرجت اليها وسافرت وقدمت فخرج النبي صلى الله عليه
وسلم فذكر حديثا قال واما الجارية فقضى بها لجعفر تكون مع خالتها
وانما الخالة ام قال ابن المنذر وقد اجمع كل من نحفظ
عنه من اهل العلم على ان لا حق للام في الولد اذا تزوجت قلت كذا قال
في كتاب الاشراف له وذكر القاضي عبد الوهاب في شرح الرسالة
له عن الحسن انه لا يسقط حقها من الحضانة بالتزويج واجمع مالك
والشافعي والنعمان وابو ثور على ان الجدة ام الام احق بحضانة الولد
واختلفوا اذا لم يكن لها ام وكانت لها جدة هي ام الاب فقال مالك
ام الاب احق اذا لم يكن للصبي خالة وقال ابن القاسم قال مالك وبلغني
ذلك عنه انه قال الخالة اولى من الجدة ام الاب وفي قول الشافعي والنعمان
ام الاب احق من الخالة وقد قيل ان الاب اولى بابنه من الجدة ام الام
قال ابو عمر وهذا عندي اذا لم يكن له زوجة اجنبية ثم الاخت
بعد الاب ثم العمة وهذا اذا كان كل واحد من هولاء مامونا على
الولد وكان عنده في حرز وكفاية فاذا لم يكن كذلك لم يكن له حق في
الحضانة وانما ينظر في ذلك الى من يحوط الصبي ومن يحسن اليه في حفظه
وتعلمه الخير وهذا على قول من قال ان الحضانة حق الولد وقد روي
ذلك عن مالك وقال به طائفة من اصحابه ولذلك لا يرون حضانة لفاجرة
ولا لضعيفة عاجزة عن القيام بحق الصبي لمرض او زمانة وذكر ابن
حبيب عن مطرف وابن الماجشون عن مالك ان الحضانة للام ثم الجدة
للام ثم الخالة ثم الجدة للاب ثم اخت الصبي ثم عمة الصبي ثم ابنة
اخي الصبي ثم الاب والجدة للاب اولى من الاخت والاخت اولى

من العمة

من العمة والعمة اولى ممن بعدها واولى من جميع الرجال الا الابا ولا
لابنة الخالة ولا لابنة العمة ولا للبنات اخوات الصبى من حضانته
شى فاذا كان الحاضن لا يخاف منه على الطفل تضييع ولا دخول
فساد كان حاضنا له ابدا حتى يبلغ الحلم وقد قيل حتى يثغر وحتى
تتزوج الجارية الا ان يريد الاب نقله سفرا وايطانا فيكون حينيذ
احق بولده من امه وغيرها ان لم ترد الانتقال ولو اراد الخروج
لتجارة لم يكن له ذلك وكذلك اوليا الصبى الذين يكون ماله اذا
انتقلوا للاستيطان وليس للام ان تنتقل بولدها عن موضع سكنى الاب
الا فيما يقرب نحو المسافة التى لا تقصر فيها الصلاة ولو شرط عليها
في حين انتقاله عن بلدها انه لا يترك ولده عندها الا ان تلتزم نفقته
ومونته سنين معلومة فان التزمت ذلك لزمها فان ماتت لم
تتبع بذلك ورثتها في تركتها وقد قيل ذلك دين يوخذ من تركتها والاول
اصح ان شا الله ولو مات الولد ولو صالحها على نفقة الحمل والرضاع
فاسقطت لم تتبع بشى من ذلك اذا تزوجت الام
لم ينزع منها ولدها حتى يدخل بها زوجها عند ملك وقال الشافعى
اذا نكحت فقد انقطع حقها فان طلقها لم يكن لها الرجوع فيه عند
ملك في الاشهر عند نا من مذهبه وقد ذكر القاضي اسمعيل
وذكره ابن خوزمنداد ايضا عن ملك انه اختلف قوله في ذلك
فقال مرة يرد اليها ومرة لا يرد قال ابن المنذر واذا خرجت الام
عن البلد الذى به ولدها ثم رجعت اليه فهى احق بولدها في قول
الشافعى وابى ثور واصحاب الراي وكذلك اذا تزوجت ثم

طلقت او توفي عنها زوجها رجعت في حقها من الولد **قلت** وكذا
قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب فان طلقها الزوج او مات عنها
كان لها اخذه لزوال العذر الذي له جازت تركه الثانية عشره فان
واختلفوا في الزوجين يفترقان بطلاق والزوجة ذمية فقالت طايفه
لا فرق بين الذميه والمسلمه وهي احق بولدها هذا قول ابي ثور واصحاب
الراي وابن القاسم صاحب مالك قال ابن المنذر وقد روينا حديثا
مرفوعا موافقا لهذا القول وفي اسناده مقال وفيه قول ثان ان الولد
مع المسلم منهما هذا قول مالك وسوار وعبيد الله بن الحسن وحكي ذلك
عن الشافعي لذلك اختلفوا في الزوجين يفترقان احدهما حر والاخر عبد
مملوك فقالت طايفه الحر اولى هذا قول عطا والثوري والشافعي
واصحاب الراي وقال مالك في الاب اذا كان حرا وله ولد حر والام
مملوكة ان الام احق به الا ان تباع فتنتقل فيكون الاب احق به
قوله تعالى لا تضار والدة بولدها ولا مولود
له بولده المعنى لا تابى الام ان ترضعه اضرارا بابيه او تطلب اكثر
من اجر مثلها ولا يحل للاب ان يمنع الام من ذلك مع رغبتها في الارضاع
هذا قول جمهور المفسرين وقرا نافع وعاصم وحمزة والكسائي تضار بفتح
الرا المشدده وموضعه جزم على النهي واصله تضارر فادغمت الرا
الاولى في الثانية وفتحت الثانية لالتقا الساكنين وهذا يفعل في
المضاعف اذا كان قبله او الف تقول عض يا رجل وضار فلانا يا رجل
اي لا ينزع الولد منها اذا رضيت بالارضاع والفها الصبي وقرا ابو
عمرو وابن كثير وابان عن عاصم وجماعة تضار بالرفع عطفا على قوله تكلف

نفس

تركت المراه حضانة ولدها
ولم تر اخذه وهي فارغه غير مشغوله بزوج
ثم ارادت بعد ذلك اخذه نظر لها فان كان تركها من عذر
فان لها اخذه وان كانت تركته رفضا ومقاما بدر لها بعد ذلك اخذه الثالثه عشره

نفس وهو خبر والمراد به الامر وروي يونس عن الحسن قال يقول لا تضار
زوجها تقول لا ارضعه ولا يضارها فينزعه منها وهي تقول انا ارضعه
ويحتمل ان يكون الاصل تضارر بكسر الرا الاولى ورواها ابان عن
عاصم وهي لغة اهل الحجاز فوالده فاعله ويحتمل ان يكون تضارر فوالده
مفعول لم يسم فاعله وروي عن عمر بن الخطاب انه قرا لا تضارر برا
الاولى مفتوحه وقرا ابو جعفر بن القعقاع لا تضار باسكان الرا
وتخفيفها ولذلك لا يضار كاتب وهذا بعيد لان المثلين اذا اجتمعا
وهما اصليان لم ~~يحصر~~ يجز حذف احدهما للتخفيف فاما الادغام
واما الاظهار وروي عنه الاسكان والتشديد وروي عن ابن
عباس والحسن لا تضارر بكسر الرا الاولى
قوله تعالى وعلى الوارث مثل ذلك هو معطوف على قوله وعلى المولود
واختلفوا في تاويل قوله وعلى الوارث مثل ذلك تعالى قتاده
والسدي والحسن وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم هو وارث الصبي
ان لو مات قال بعضهم قال بعضهم وارثه من الرجال خاصه يلزمه
الارضاع كما كان يلزم ابا الصبي من كان من الرجال والنسا ويلزمهم
ارضاعه على قدر مواريثهم منه وبه قال احمد واسحق وقال القاضي ابو
اسحق اسمعيل بن اسحق في كتاب معاني القران انه فاما ابو حنيفه
فانه قال يجب نفقة الصغير رضاعة على كل ذي رحم محرم مثل ان
يكون رجل له ابن اخت صغير محتاج وابن عم صغير محتاج وهو وارثه
فان النفقه تجب على الخال لابن اخته الذي لا يرثه وتسقط عن ابن العم
لابن عمه الوارث قال ابو اسحق فقالوا قولا ليس في كتاب الله ولا

نعلم احدا قاله وحكى الطبري عن ابي حنيفه وصاحبيه انهم قالوا الوارث
الذي يلزمه الارضاع هو وارثه اذا كان ذا رحم محرم منه فان
بن عم وغيره ليس بذي رحم محرم فلا يلزمه شي وقيل المراد عصبه
الاب عليهم النفقه والكسوه قال الضحاك ان مات ابو الصبي وللصبي
مال اخذ رضاعه من المال وان لم يكن له مال اخذ من العصبه وان لم يكن
للعصبه مال اجبرت الام على رضاعه وقال قبيصه بن ذويب والضحاك
وبشير بن نصر قاضي عمر بن عبد العزيز الوارث هو الصبي نفسه وتاولوا
قوله وعلى الوارث المولود مثل ما على المولود اي عليه في ماله اذا ورث
اباه ارضاع نفسه وقال سفين الوارث هنا هو الباقي من والدي المولود
بعد وفاة الاخر منهما فان مات الاب فعلى الام كفايه الطفل اذا لم يكن له
مال ويشاركها العاصب في ارضاع المولود حظه من الميراث وقال بن
خواز منداد ولو كان اليتيم فقيرا لا مال له وجب على الامام القيام به
من بيت المال فان لم يفعل الامام وجب ذلك على المسلمين الاخص به
فالاخص والام اخص فيجب عليها ارضاعه والقيام به ولا ترجع عليه
ولا على احد والرضاع واجب والنفقه استحباب ووجه الاستحبا
قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين وواجب على الازواج
القيام بهن فاذا تعذر استيفا الحق لهن بموت الزوج او اعساره لم
يسقط الحق عنهن الا ترى ان العده واجبه عليهن والنفقه والكسوه
على ازواجهن واذا تعذرت النفقه لهن لم تسقط العده عنهن
وحكى عبد الرحمن بن القاسم في الاسديه عن مالك بن انس رحمه الله انه
قال لا يلزم الرجل نفقه الاخ ولا ذي قرابه ولا ذي رحم منه قال

وقول الله عز وجل

وقول الله عز وجل وعلى الوارث مثل ذلك منسوخ قال هذا لفظ
ملك ولم يبين الناسخ لها ولا عبد الرحمن بن القاسم ولا علمت ان احدا من
اصحابه بين ذلك والذى يشبه ان يكون الناسخ والله اعلم انه لما اوجب
الله عز وجل للمتوفى عنها زوجها من مال المتوفى نفقة حول والسكنى ثم
نسخ ذلك ورفعه نسخ ذلك ايضا عن الوارث قلت فعلى هذا
تكون النفقة على الصبي عن نفسه من ماله لا يكون على الوارث منها شي على
ما ياتي بن العربي قوله وعلى الوارث مثل ذلك قال بن القاسم عن ملك
هي منسوخه وهذا كلام لتشميز منه قلوب العارفين وتحار فيه الباب
الشادين والامر فيه قريب وذلك ان العلما المتقدمين من الفقها والمفسرين
كانوا يسمون التخصيص نسخا لانه رفع لبعض ما يتنا وله العموم مسامحه
وجرى ذلك في السنتهم حتى اشكل ذلك على من بعدهم وتحقيق القول
فيه ان قوله وعلى الوارث مثل ذلك اشارة الى ما تقدم لمن الناس من رده
الجميعه من ايجاب النفقه وتحريم الاضرار منهم ابو حنيفه من
الفقها ومن السلف قتادة والحسن ويسند الى عمر وقالت طايفه
من العلما ان معنى قوله وعلى الوارث مثل ذلك لا يرجع الى جميع ما
تقدم وانما يرجع الى تحريم الاضرار المعنى وعلى الوارث من تحريم
الاضرار مع الام ما على الاب وهذا هو الاصل لمن ادعى انه يرجع
فيه العطف الى جميع ما تقدم فعليه الدليل قلت قوله وهذا
هو الاصل يريد في رجوع الضمير الى اقرب مذكور وهو صحيح
اذ لو اراد الجميع الذى هو الارضاع والانفاق وعدم الضرر
لقال وعلى الوارث مثل هولا فدل على انه معطوف من المنع من المضا

وعلى ذلك تاوله كافة المفسرين فيما حكى القاضي عبد الوهاب وهو ان المراد
به ان الوالد لا تضار ولدها في ان لا اب اذا بذل لها اجر المثل
الا ترضعه ولا مولود له بولده في ان الام اذا بذلت ان ترضع
باجر المثل كان لها ذلك لان الام ارفق واحن ولبنها خير له من لبن الاجنبية
قال بن عطيه وقال مالك رحمه وجميع اصحابه والشعبي ايضا والزهري
والضحاك وجماعة من العلما المراد بقوله مثل ذلك ان لا تضار واما
الرزق والكسوه فلا يجب شي منه وروى بن القاسم عن مالك ان الايه تضمنت
ان الرزق والكسوه على الوارث ثم نسخ ذلك بالاجماع من الامه في ان
لا تضار الوارث والخلاف هل عليه رزق وكسوه ام لا وقرا يحيى
بن يعمر وعلى الورثه بالجمع وذلك يقتضي العموم فان استدلوا بقوله
عليه السلام لا يقبل الله صدقه وذو رحم محتاج قيل لهم الرحم
عموم في كل ذي رحم محرما كان او غير محرم ولا خلاف ان صرف الصدقه
الى ذي الرحم لقوله عليه السلام اجعلها في الاقربين فحمل الحديث على
هذا ولا حجه فيه على ما راموه والله اعلم وقال النحاس واما قول
من قال وعلى الوارث مثل ذلك الا يضار فقول حسن لان اموال
الناس محظوره فلا يخرج شي منها الا بدليل قاطع واما قول من قال
على ورثه الاب فنقول كما يرثونه يقومون به قال النحاس وكان
محمد بن جرير يختار قول من قال الوارث هنا الابن وهو ان كان قولا
غريبا فالاسناد به صحيح والحجه به ظاهره لان ماله اولى به وقد اجمع
الفقها الا من شذ منهم ان رجلا لو كان له ولد طفل وللولد مال والاب
موسر انه لا يجب على الاب نفقه ولا رضاع فان ذلك من مال الصبي فان

افضل

قيل

قيل قد قال الله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن قيل هذا الضمير
للمونث ومع هذا فان الاجماع حد الايه مبين لها لا يسع مسلما الخروج
منه واما من قال ذلك على من بقي من الابوين فحجته انه لا يجوز للام
تضييع ولدها وقد مات من كان ينفق عليه وعليها وقد ترجم البخاري
على رد هذا القول باب وعلى الوارث مثل ذلك وهل على المراه منه
منه شي وساق حديث ام سلمه وهند والمعنى فيه ان ام سلمه كان
لها ابنا من ابي سلمه ولم يكن لهم مال فسالت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرها
ان لها في ذلك اجر فدل هذا الحديث على ان نفقه بنيها لا تجب عليها ولو
وجبت عليها لم تقل للنبي صلى الله عليه وسلم ولست بتاركتهم واما حديث
هند فان النبي صلى الله عليه وسلم اطلقها على اخذ نفقتها ونفقه بنيها من
مال الاب ولم يوجبها عليها كما اوجبها على الاب فاستدل البخاري
من هذا انه لما لم يلزم الامهات نفقات الابنا في حياه الابا فكذلك لا يلزمهن
بموت الابا واما من قال النفقه والكسوه على كل ذي رحم محرم فحجته
ان على الرجل ان ينفق على كل ذي رحم محرم اذا كان فقيرا قال النحاس
وقد عورض بهذا القول بانه لم يوجد في كتاب الله سبحانه ولا من
اجماع ولا من سنه صحيحه بل لا يعرف من قول سوى من ذكرنا
فاما القران فقد قال الله عز وجل وعلى الوارث مثل ذلك فان كان
على الوارث النفقه والكسوه فقد خالفوا ذلك فقالوا اذا ترك
خاله وابن عمه فالنفقه على خاله وليس على ابن عمه شي فهذا مخالفه نص
القران لان الخال لا يرث مع ابن العم في قول احد ولا يرث وحده في
قول كثير من العلما والذي احتجوا به من النفقه على كل ذي رحم محرم

وقف

اكثر اهل العلم على خلافه قوله تعالى فان ارادا

فصالا الضمير في ارادا للوالدين وفصالا معناه فطاما عن الرضاع اي عن الاغتذا بلبن امه الى غيره من الاقوات والفصال والفصل الفطام واصله التفريق فهو تفريق بين الصبي والثدي ومنه سمي الفصيل لانه مفصول عن امه عن تراض منهما اي قبل الحولين فلا جناح عليهما اي في فصله وذلك ان الله سبحانه لما جعل مدة الرضاع حولين بين ان فطامهما هو الفطام وفصالهما هو الفصال ليس لاحد عنه منزع الا ان يتفق الابوان على اقل من ذلك العدد من غير مضارة بالولد فذلك جاير بهذا البيان وقال قتادة كان الرضاع واجبا في الحولين وكان يحرم الفطام قبله ثم خفف وابيح الرضاع اقل من الحولين بقوله فان ارادا فصالا الاية وفي هذا دليل على جواز الاجتهاد في الاحكام باباحة الله تعالى للوالدين التشاور في ما يودي الى صلاح الصغير وذلك موقوف على غالب ظنونهما لا على الحقيقة واليقين والتشاور استخراج الراي وكذلك المشورة والمشورة كالمعونه وشرت العسل استخرجته وشرت الدابه وشورتها اي اجريتها لاستخراج جريها والشوار متاع البيت لانه يظهر للناظر والشارة هيئة الرجل والاشارة اخراج ما في نفسك واظهاره

قوله تعالى وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم

اي لاولادكم غير الوالدة قاله الزجاج النحاس التقدير في العربية اجنبية لاولادكم مثل كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم او وزنوا لهم وحذف اللام لانه يتعدى الى مفعولين احدهما بحرف وانشد سيبويه

امرتك الخير فافعل ما امرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب

ولا يجوز

ولا يجوز دعوت زيدا اي دعوت لزيد لانه يودي الي التلبيس فيعتبر
في هذا النوع السماع **قلت** وعلى هذا يكون في الاية دليل على جواز
اتخاذ الظير اذا اتفق الابا والامهات على ذلك وقد قال عكرمه في قوله
لا تضار والده معناه الظير حكاه بن عطيه والاصل ان كل ام يلزمها
رضاع ولدها كما اخبر الله تعالى فامر الزوجات بارضاع اولادهن
واوجب لهن على الازواج النفقه والكسوه والزوجيه قايمه فلو كان
الرضاع على الاب لذكره مع ما ذكره من رزقهن وكسوتهن الا ان مالكا
دون فقها الامصار استثنا الحسيبه فقال لا يلزمها رضاعه فاخرجها
من الايه وخصها باصل من اصول الفقه وهو العمل بالعاده وهذا اصل لم
يتفطن له الا مالك والاصل البديع فيه ان هذا كان في الجاهليه في ذوي
الحسب وجا الاسلام فلم يغيره وتمادى ذوو الثروه والاحساب على
تفريغ الامهات للمتعه بدفع الرضاع للمراضع الي زمانه فقال به والي
زماننا فحققناه شرعا قوله تعالى اذا سلمتم يعني
الابا اي سلمتم الاجر الي المرضعه الظير قاله سفين مجاهد سلمتم الي الامهات
اجرهن بحساب ما ارضعن الي وقت الاسترضاع وقرا السته من السبعه
ما اتيتم بمعنى اعطيتم وقرا ابن كثير اتيتم بمعنى جيتم وفعلتم كما قال زهير
وما كان من خير اتوه فانما توارثه ابا ابايهم قبل قال قتاده والزهري
المعنى سلمتم ما اتيتم من اراده الاسترضاع اي سلمتم كل واحد من الابوين
ورضي وذلك كان عن اتفاق منهما وقصد خير واراده معروف من الامر وعلى
هذا الاحتمال فيدخل في الخطاب سلمتم الرجال والنسا وعلى القولين
المتقدمين الخطاب للرجال قال ابو علي المعنى اذا سلمتم ما اتيتم نقده او

اعطاه فحذف المضاف واقيم الضمير مقامه فكان التقدير ما اتيتموه ثم حذف
الضمير من الصلة وعلى هذا التاويل فالخطاب للرجال لا لنصر الذين يعطون
اجر الرضاع قال ابو علي ويحتمل ان يكون ما مصدريه اي اذا سلمتم الاتيان
والمعنى في الاول لان يستغنى عن الصيغه من حذف المضاف ثم حذف الضمير
تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعه

قوله تعالى والذين يتوفون

اشهر وعشرا فيه خمس وعشرون مسئله
منكم لما ذكر جل وتعالى عدة الطلاق واتصل بذكرها ذكر الارضاع ودلى عدة الوفاه
ايضا لئلا يتوهم ان عدة الوفاة مثل عدة الطلاق والذين اي والرجال الذين
يتوفون منكم ويذرون اي يتركون ازواجا اي ولهم زوجات فالزوجات
يتربصن قال معناه الزجاج واختاره النحاس وحذف المبتدا في الكلام كثير كقوله
تعالى قل افانبيكم بشر من ذلكم النار اي هو النار وقال ابو علي الفارسي تقديره
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم وهو كقولك السمن
منوان بدرهم اي منوان منه بدرهم وقيل تقديره وازواج الذين يتوفون
منكم يتربصن فجاءت العبارة في غاية الايجاز وحكى المهدوي عن سيبويه ان
المعنى وفيما يتلى عليكم الذين يتوفون وقال بعض نحاة الكوفه الخبر عن الذين
متروك والقصد الاخبار عن ازواجهم بانهن يتربصن وهذا اللفظ معناه
للخبر عن المبتدا وعنه في احد الوجهين كما تقدم

هذه الايه في عدة

المتوفى عنها زوجها وظاهرها العموم ومعناها الخصوص وحكى المهدوي عن بعض
العلما ان الايه تناولت الحوامل ثم نسخ ذلك بقوله واولات الاحمال واكثر
العلما على ان هذه الايه ناسخه لقوله عز وجل والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج لان الناس اقاموا

برهة من الاسلام اذا توفي الرجل وخلف امراة حاملا اوصى لها زوجها نفقة
سنه وبالسكنى مالم تخرج فتتزوج ثم نسخ ذلك باربعة اشهر وعشر
وهذا هو النسخ وليس صلاة المسافر من هذا في شي وقد قالت عايشة رضي
الله عنها فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فزيد في صلاة الحضر واقرت صلاة
السفر على حالها وسياتي عدة الحامل المتوفى عنها زوجها وضع حملها
عند جمهور العلما وروي عن علي بن ابي طالب وابن عباس ان تمام عدتها اخر
الاجلين واختاره سحنون من علمائنا وقد روي ان ابن عباس رجع عن هذا
والحجة لما روي عن علي رضي الله عنه الجمع بين قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا وبين قوله واولات الاحمال
اجلهن ان يضعن حملهن وذلك انها اذا قعدت اقصى الاجلين فقد عملت بمقتضى الايتين
وان اعتدت بوضع الحمل فقد تركت العمل باية عدة الوفاة والجمع اولى من
الترجيح باتفاق اهل الاصول وهذا نظر حسن لولا ما يعكر عليه حديث
سبيعة الاسلمية وانها نفست بعد وفاة زوجها بليال وانها ذكرت
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فامرها ان تتزوج اخرجه الصحيح فبين
الحديث ان قوله واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن محمول على عمومه
في المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن وان عدة الوفاة مختصة بالحامل
من الصنفين ويعضد هذا بقول ابن مسعود من شا باهلته ان اية النسا
القصرى نزلت بعد اية عدة الوفاة قال علماؤنا وظاهر كلامه انها ناسخة لها
وليس ذلك مراده والله اعلم وانما يعني انها مخصصة لها فانها اخرجت منها
متنا ولاتها وكذلك حديث سبيعة متاخر عن عدة الوفاة لان قصة سبيعة
كانت بعد حجة الوداع وزوجها هو سعد بن خوله وهو من بني عامر بن

وبالميراث وقال قوم ليس في هذا نسخ وانما هو نقصان من الحول كصلاة المسافر لما نقصت من الاربع الى الاثنتين لم يكن هذا نسخا وهذا غلط لانه اذا كان حكمها ان تعتد سنة اذا لم تخرج فان خرجت لم تمنع ثم ازيل هذا ولزمتها العدة اربعة اشهر وعشرا ... الوفاة

حديث هو ما [illegible]
الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
استعمله [illegible]
بلغ

لوي وهو ممن شهد بدرا توفي بمكة وولدت بعده بنصف شهر وقال
البخاري باربعين ليله وروي مسلم من حديث عمر بن عبد الله بن الارقم ان سبيعه
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قالت فافتاني باني قد حللت حين
وضعت حملي وامرني بالتزوج ان بدا لي قال بن شهاب فلا اري باسا ان تتزوج حين
وضعت وان كان في دمها غير انه لا يقربها زوجها حتى تطهر وعلى هذا جمهور العلما
وايمة الفقها وقال الحسن والشعبي والنخعي وحماد لا تنكح النفسا ما دامت
في دم نفاسها فاشترطوا شرطين وضع الحمل والطهر من دم النفاس والحديث
حجة عليهم ولا حجة لهم في قوله فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب كما في صحيح مسلم
وابي داود لان تعلت وان كان في اصله طهرت من دم نفاسها على ما قاله الخليل
فيحتمل ان يكون المراد به هاهنا من الام نفاسها اي استقلت من اوجاعها
ولو سلم ان معناه ما قال الخليل فلا حجة فيه وانما الحجة في
قوله عليه السلام لسبيعه قد حللت حين وضعت فاوقع الحل في
حين موضع الوضع وعلقه عليه ولم يقل اذا انقطع دمك ولا اذا طهرت
فصح ما قاله الجمهور ولا خلاف بين العلما ان اجل كل حامل
مطلقه يملك الزوج رجعتها او لا تملك حرة كانت او امة او مدبرة او مكاتبة
ان تضع حملها واختلفوا في اجل الحامل المتوفى عنها كما تقدم وقد اجمع الجميع بلا
خلاف بينهم ان رجلا لو توفي وترك امراة حاملا فانقضت اربعة اشهر
وعشرا انها لا تحل حتى تلد فعلم ان المقصود الولادة
قوله تعالى يتربصن التربص الثاني والتصبر عن النكاح وترك الخروج عن
مسكن النكاح وذلك بان لا تفارقه ليلا ولم يذكر الله السكنى للمتوفى عنها
في كتابه كما ذكره للمطلقه بقوله اسكنوهن من حيث سكنتم وليس في لفظ

العدة في كتاب الله

رابع عشر

العدد في كتاب الله ما يدل على الاحداد وانما قال يتربصن فبينت
السنة جميع ذلك والاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
متظاهرة بان التربص في الوفاة انما هو باحداد وهو الامتناع
من الزينة ولبس المصبوغ الجميل ونحوه وهذا قول جمهور العلما
وقال الحسن بن ابي الحسن ليس الاحداد بشي انما تتربص عن الزوج
ولها ان تتزين وتتطيب وهذا ضعيف خلاف السنة على
ما نبينه ان شا الله تعالى وثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال للفريعة بنت مالك بن سنان وكانت متوفى عنها امكثي
في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت اربعة
اشهر وعشرا وهذا حديث ثابت اخرجه مالك عن سعد
بن اسحق بن كعب بن عجرة رواه عنه مالك والثوري ووهيب
بن خالد وحماد بن زيد وعيسى بن يونس وعدد كثير وابن
عيينة والقطان وشعبة وقد رواه عن مالك ابن شهاب
وحسبك قال الباجي لم يروه عنه غيره وقد اخذ به عثمان
بن عفان قال ابو عمر وقضى به في اعتداد المتوفى عنها في بيتها
وهو حديث معروف مشهور عند علما الحجاز والعراق
ان المتوفى عنها زوجها عليها ان تعتد في بيتها ولا تخرج عنه
وهو قول جماعة فقها الامصار بالحجاز والشام والعراق
وكان داود يذهب الى ان المتوفى عنها ليس عليها ان تعتد في
بيتها وتعتد حيث شاءت لان السكنى انما ورد به القران
في المطلقات ومن حجته ان المسئلة مسئلة خلاف قالوا وهذا

الحديث انما ترويه امراه غير معروفه بحمل العلم وايجاب
السكنى ايجاب حكم والاحكام انما لا تجب الا بنص كتاب او سنه
او اجماع قال ابو عمر اما السنه فثابته بحمد الله واما الاجماع
فمستغنى عنه بالسنه لان الاختلاف اذا نزل في مسله كانت
الحجه في قول من وافقته السنه وبالله التوفيق وروي عن علي
وبن عباس وجابر وعايشه مثل قول داود وبه قال عطا
وجابر بن زيد والحسن البصري قال بن عباس انما قال الله تعالي
يتربصن بانفسهن اربعه اشهر وعشرا ولم يقل يعتددن في بيوتهن
ولتعتد حيث شات وروي عن ابي حنيفه وذكر عبد الرزاق
قال انا معمر عن الزهري عن عروه قال خرجت عايشه باختها ام
كلثوم حين قتل عنها زوجها طلحة بن عبيد الله الي مكة في عمرة
وكانت تفتى المتوفى عنها زوجها بالخروج في عدتها قال وانا الثوري
عن عبيد الله بن عمر انه سمع القاسم بن محمد يقول ابا الناس ذلك
عليها قال وانا معمر عن الزهري قال اخذ المترخصون في المتوفى
بقول عايشه واخذ اهل الورع والعزم بقول بن عمر وفي الموطا
ان عمر بن الخطاب كان يرد المتوفى عنهن ازواجهن من البيدا يمنعهن
الحج وهذا عن عمر رضي الله عنه لانه كان يري اعتداد المراة في
منزل زوجها المتوفي عنها لازما لها وهو مقتضى القران فلا يجوز لها
ان تخرج لحج ولا غيره حتى تنقضي عدتها وقال مالك ترد ما لم
تحرم اذا كان الزوج يملك رقبة المسكن فان للزوجه
العده فيه وعليه اكثر الفقها مالك وابو حنيفه والشافعي واحمد
وغيرهم

فمستغنى

لازما

وغيرهم لحديث الفريعة وهل يجوز بيع الدار اذا كانت
ملكا للمتوفى واراد ذلك الورثة فالذى عليه جمهور اصحابنا ان ذلك
جايز ويشترط فيه العدة للمراة قال ابن القاسم لانها احق بالسكنى
من الغرما وقال محمد بن الحكم البيع فاسد لانها قد ترتاب
فتمتد عدتها وجه قول ابن القاسم ان الغالب السلامة والريبة
نادرة وذلك مما لا يوثر في فساد العقود فان وقع البيع فيه
بهذا الشرط فارتابت قال مالك في كتاب محمد هي احق بالمقام حتى
تنقضي الريبة واحب الينا ان يكون للمشترى الخيار في فسخ البيع
او امضايه ولا يرجع بشى لانه دخل على العدة المعتادة ولو وقع
البيع بشرط زوال الريبة كان فاسدا وقال سحنون لا حجة للمشترى
وان تمادت الريبة الى خمس سنين لانه دخل على العدة والعدة
قد تكون خمس سنين ونحو هذا روى زيد عن ابن القاسم
فان اسكنها الزوج دون الرقبة فلها السكنى في
مدة العدة خلافا لابى حنيفة والشافعي لقوله عليه السلام للفريعة
وقد علم ان زوجها لم يملك رقبة المسكن امكثي في بيتك حتى
يبلغ الكتاب اجله ولا يقال ان المنزل كان لها فلذلك قال لها
امكثي في بيتك فان معمرا روى عن الزهرى انها ذكرت للنبى صلى الله
عليه وسلم ان زوجها قتل وانه تركها في مسكن ليس لها واستاذنته
وذكر الحديث ولنا من جهة المعنى انه ترك دارا يملك سكناها
ملكا لا تبعة عليه فيه فلزم ان تعتد الزوجة فيه اصل ذلك
اذا ملك رقبتها وهذا اذا كان قد ادى الكرى فان

كان لم يودي الكرى قال الذي في المدونة انه لا سكنى في مال الميت
وان كان موسرا لان حقها انما يتعلق بما يملكه من السكنى ملكا تاما
وما لم ينقد عوضه فلم يملكه ملكا تاما وانما يملك العوض
الذي بيده ولاحق في ذلك للزوجة الا بالميراث دون السكنى
لان ذلك مال وليس بسكنى وروي محمد عن مالك ان الكرا لازم
للميت في ماله   قوله صلى الله عليه وسلم للفريعة امكثي
في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله يحتمل انه امرها بذلك لما كان زوجها قد
ادى كرا المسكن او كان اسكن فيه الى وفاته او ان اهل المنزل اباحوا
لها العدة فيه بكرا او بغير كرا او ما شا الله من ذلك مما راى به ان
المقام لازم لها فيه حتى تنقضي عدتها فيه   واختلفوا في
المراة ياتيها نعي زوجها وهي في بيت غير زوجها فامرها بالرجوع الى
مسكنه وقرارة مالك بن انس وروي ذلك عن عمر بن عبد العزيز وقال
سعيد بن المسيب والنخعي تعتد حيث اتاها الخبر لا تبرح منه حتى
تنقضي العدة قال بن المنذر قول مالك صحيح الا ان يكونوا نقلها الزوج
الى مكان فتلزم ذلك المكان   ويجوز لها ان تخرج
في حوايجها من وقت انتشار الناس بكرة الى وقت هدو هم بعد العتمة ولا
تبيت الا في ذلك المنزل وفي البخاري ومسلم عن ام عطية صلى الله عليه
وسلم قال لا تحد امراة على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر
وعشرا ولا تلبس ثوبا مصبوغا الا ثوب عصب ولا تكتحل ولا تمس
طيبا الا اذا طهرت نبذة من قسط او اظفار وفي حديث ام حبيبة لا
يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر تحد على ميت فوق ثلاث الا على

زوج

زوج اربعه اشهر وعشر الحديث الاحداد ترك المراه الزينه كلها
مثل اللباس والطيب والحلي والكحل والخضاب بالحنا ما دامت في
عدتها لان الزينه داعيه الى الازواج فنهيت عن ذلك قطعا لللد
وحمايه لحرمات الله ان تنتهك وليس دهن المراة راسها بالزيت والشبرق
من الطيب في شي يقال امراة حاد ومحد قال الاصمعي ولم يعرف
الاصمعي حدت وقاعل لا يحل المصدر الذي بمعنى صياغته من محد
مع ان المراده نحانه قال الاحداد وصفه
عليه السلام المراة بالايمان يدل على صحه احد القولين عنده ان الكتابيه
المتوفى عنها زوجها انها لا احداد عليها وهو قول ابن كنانه وابن نافع ورواه
اشهب عن مالك وبه قال ابو حنيفه وابن المنذر وروى عنه ابن
القاسم ان عليها الاحداد كالمسلمه وبه قال الليث وابو ثور والشافعي
وعامة اصحابنا لانه حكم من احكام العده فلزمت الكتابيه كالمسلمه كلزوم
المسلمه العده والله اعلم وفي قوله عليه السلام
فوق ثلاث الا على زوج دليل على تحريم احداد المسلمات على غير ازواجهن
فوق ثلاث واباحه الاحداد عليهم ثلاثا بالعدد من الليله التي
تستقبلها الى اخر ثالثها فان مات حميمها في بقيه يوم وليله الغته
الليله القابله هذا الحديث يعلم عمومه يتناول
الزوجات كلهن المتوفى عنهن ازواجهن فيدخل فيه الحراير والاما والكبار
والصغار وهو مذهب الجمهور وذهب ابو حنيفه الى انه لا احداد
على امه ولا صغيره حكاه عنه القاضي ابو الوليد الباجي قال ابن المنذر
اما الامه الزوجه فهي داخله في الازواج وفي عموم الاخبار وهو قول

رابع
ق
واه
م
حسن
ر
فهي

ملك والشافعي وابي ثور واصحاب الراي ولا احفظ في ذلك عن احد خلافا
ولا اعلمهم يختلفون في الاحداد على ام الولد اذا مات سيدها لانها
ليست بزوجة والاحاديث انما جاءت في الازواج قال الباجي الصغيرة
ان كانت ممن تعقل الامر والنهي وتلزم ما حد لها امرت بذلك وان كانت
لا تدرك شيا من ذلك لصغرها فروي ابن مزين عن عيسى يجنبها اهلها
جميع ما تجتنبه الكبيره وذلك لازم لها والدليل على وجوب الاحداد
على الصغيره ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سالته امراه من
بنت لها توفي عنها زوجها فاشتكت عينها افنكحلها فقال صلى الله عليه
وسلم لا مرتين او ثلاثا كل ذلك يقول لا ولم يسال عن سنها ولو كان
الحكم يفترق بالكبير والصغير لسال عن سنها حتى تبين الحكم وتاخير
البيان في مثل هذا لا يجوز وايضا فان كل من لزمها العدة بالوفاه
لزمها الاحداد كالكبيره قال ابن المنذر ولا اعلم
خلافا ان الخضاب داخل في جملة الزينه المنهي عنها واجمعوا على انه
لا يجوز لها لباس الثياب المصبغه والمعصفره الا ما صبغ
بالسواد فانه رخص فيه عروة بن الزبير ومالك والشافعي وكرهه
الزهري وقال الزهري لا تلبس عصب وهو خلاف الحديث
وفي المدونه قال مالك لا تلبس رقيق عصب اليمن ووسع في غليظه
قال ابن القاسم لان رقيقه بمنزلة الثياب المصبغه وتلبس رقيق الثياب
وغليظه من الحرير والكتان والقطن قال ابن المنذر ورخص كل من احفظ عنه
في لباس البياض قال القاضي عياض ذهب الشافعي الى ان كل صبغ كان
زينه فلا تمسه الحاد غليظا كان او رقيقا ونحوه للقاضي عبد الوهاب

قال كل

د
قال كل ما كان من الالوان تتزين به النسا لازواجهن فلتمتنع منه الحاد
ومنع بعض شيوخنا المتاخرين جيد البياض الذي يتزين به وكذلك
الرقيق من السواد وروي ابن المواز عن مالك لا تلبس حليا وان كان حديدا
وفي الجمله ان كل ما تلبسه المراه على وجه ما يستعمل عليه الحلي من التجمل فلا
تلبسه الحاد ولم ينص اصحابنا على الجواهر واليواقيت والزمرد وهو
داخل في معنى الحلي والله اعلم الناس على وجوب
الاحداد على المتوفى عنها زوجها الا الحسن فانه قال ليس بواجب
واحتج بما رواه عبد الله بن شداد بن الهاد عن اسما بنت عميس قالت
لما جعفر بن ابي طالب قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلبي
ثلاثا ثم اصنعي ما شيت قال ابن المنذر كان الحسن البصري من
بين ساير اهل العلم لا يرى الاحداد وقال المطلقه ثلاثا والمتوفى عنها
زوجها يكتحلان ويختضبان ويصبغان ما شاا وقد ثبتت الاخبار
عن النبي صلى الله عليه وسلم بالاحداد وليس لاحد بلغته الا التسليم
ولعل الحسن لم تبلغه او بلغته فتاولها بحديث اسما بنت عميس
انها استاذنت النبي صلى الله عليه وسلم ان تحد على جعفر وهي امراته
فاذن لها ثلاثه ايام ثم بعث اليها بعد ثلاثه ايام ان تطهري واكتحلي
قال ابن المنذر وقد دفع اهل العلم هذا الحديث بوجوه وكان
احمد بن حنبل يقول هذا الشاذ من الحديث لا يوخذ به وقاله
اسحق ذهب مالك والشافعي الى ان الاحداد د
على مطلقه رجعيه كانت او باينه واحده او اكثر وهو قول ربيعه
وعطا وذهب الكوفيون ابو حنيفه واصحابه والثوري والحسن

بن حي وابو ثور وابو عبيد الى ان المطلقه ثلاثا عليها الاحداد وهو
قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وبن سيرين والحكم بن
عيينه قال الحكم هو عليها اوكد واشد منه على المتوفى عنها زوجها
ومن جهه المعنى انهما جميعا في عده يحفظ بها النسب وقال الشافعي
واحمد واسحق الاحتياط ان تتقي المطلقه الزينه قال بن المنذر وفي قول
النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل لامراه تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد على
ميت فوق ثلاث الا على زوج فوق اربعه اشهر وعشرا دليل على ان المطلقه
ثلاثا والمطلقه حيي لا احداد عليها

اجمع العلما على
ان من طلق زوجته طلاقا يملك رجعتها ثم توفي قبل انقضا العده ان عليها عده
الوفاه وترثه واختلفوا في عده المطلقه ثلاثا في المرض فقالت طايفه
تعتد عده الطلاق هذا قول ملك والشافعي ويعقوب وابي عبيد وابي
ثور قال بن المنذر لان الله جل ثناوه جعل عده المطلقات الاقرا وقد اجمعوا
على ان المطلقه ثلاثا لو ماتت لم يرثها المطلق وذلك لانها غير زوجه واذا
كانت غير زوجه فهو غير زوج لها وقال الثوري تعتد باقصى العدتين
وقال النعمان ومحمد عليها اربعه اشهر وعشر تستكمل في ذلك ثلاث حيض

واختلفوا في المراة تبلغها وفاة زوجها او طلاقه
فقالت طايفه العده في الطلاق والوفاة من يوم يموت او يطلق هذا قول
بن عمر وبن مسعود وبن عباس وبه قال مسروق وعطا وجماعه من
التابعين واليه ذهب ملك والشافعي واحمد واسحق وابو عبيد والثوري
وابو ثور واصحاب الراي وبن المنذر وفيه قول ثان وهو ان عدتها
من يوم يبلغها الخبر روي هذا القول عن علي وبه قال الحسن البصري

وقتاده

وقتادة وعطا الخراساني وخلاس بن عمرو وقال سعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز ان قامت بينة فعدتها من يوم مات او طلق وان لم تقم بينة فمن يوم يأتيها الخبر والصحيح الاول لانه سبحانه علق العدة بالوفاة او الطلاق ولانها لو علمت بموته فتركت الاحداد انقضت العدة فاذا تركته مع عدم العلم فهو اهون الا ترى ان الصغيرة تنقضي عدتها ولا احداد عليها وايضا فقد اجمع العلما على انها لو كانت حاملا لا تعلم وفاة الزوج او طلاقه ثم وضعت حملها ان عدتها منقضية ولا فرق بين هذه المسئلة وبين المسئلة المختلف فيها ووجه من قال بالعدة من يوم يبلغها الخبر ان العدة عبادة بترك الزينة وذلك لا يصح الا بقصد ونية والقصد لا يكون الا بعد العلم والله اعلم

عدة الوفاة تلزم الحرة والامة والصغيرة والكبيرة والتي لم تبلغ المحيض والتي حاضت واليايسة من المحيض والحابلة دخل بها او لم يدخل بها اذا كانت غير حامل اربعة اشهر وعشرة ايام لعموم الاية في قوله تعالى يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا وعدة الامة المتوفى عنها زوجها شهران وخمس ليال قال بن العربي نصف عدة الحرة اجماعا الا ما يحكى عن الاصم فانه سوى فيه بين الحرة والامة وقد سبقه الاجماع لكن بصممه لم يسمع قال الباجي ولا نعلم في ذلك خلافا الا ما يروى عن بن سيرين وليس بالثابت عنه انه قال عدتها عدة الحرة قلت قول الاصم صحيح من حيث النظر فان الايات الواردة في عدة الوفاة والطلاق بالاشهر والاقرا عامة في حق الامة والحرة فعدة الحرة والامة سوا على هذا النظر فان العمومات لا فصل فيها بين الحرة والامة وكما

استوت الامه والحره في النكاح فكذلك تستوي معها في العده والله اعلم
قال بن العربي وروي عن مالك ان الكتابيه تعتد بثلاث حيض اذ بها يبرا
الرحم وهذا فاسد لان في ذلك اخراجها عن عموم ايه الوفاه وادخالها
في عموم ايه الطلاق وليست منه ببعيد **قلت** وعليه بنا ما في
المدونه لا عده عليها ان كانت غير مدخول بها لانه قد علم براه رحمها
وهذا يقتضي ان تتزوج مسلما او غيره اثر وفاته لانه اذا لم يكن عليها
عده الوفاة ولا استبراء للدخول فقد حلت للازواج
واختلفوا في عده ام الولد اذا توفي عنها سيدها فقالت
طايفه عدتها اربعه اشهر وعشر قاله جماعة من التابعين منهم سعيد والزهري
والحسن البصري وغيرهم وبه قال الاوزاعي واسحق وروي ابو داود والدار[قطني]
عن قبيصة بنت ذويب عن عمرو بن العاصي قال لا تلبسوا علينا سنه نبينا
صلى الله عليه وسلم عده المتوفي عنها اربعه اشهر وعشرا يعني في ام الولد
لفظ ابي داود وقال الدارقطني موقوف وهو الصواب وهو مرسل لان
قبيصة لم تسمع من عمرو قال بن المنذر وضعف احمد وابو عبيد هذا الحد[يث]
وروي عن علي وبن مسعود ان عدتها ثلاث حيض وهو قول عطا وابراهيم
النخعي وسفين الثوري واصحاب الراي قالوا لانها عده تجب في حال الحريه
فوجب ان تكون عده كامله اصله عدة الحرة وقال مالك والشافعي واحمد
وابو ثور عدتها حيضه وهو قول بن عمر وروي عن طاوس ان عدتها نصف
عدة الحرة المتوفي عنها وبه قال قتاده قال بن المنذر وبقول بن عمر اقول
لانه الاقل مما قيل فيه وليس فيه سنه تتبع ولا اجماع يعتمد عليه وذكر
اختلافهم في عدتها في العتق فهو في الوفاة سوا الا الاوزاعي فانه جعل عدتها

في العتق

في العتق ثلاث حيض **قلت** اصح هذه الاقوال قول مالك لان الله سبحانه
قال والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء فشرط في تربص الاقراء ان
يكون عن طلاق فانتفى بذلك ان يكون عن غيره وقال والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فعلق
وجوب ذلك بكون المتربصة زوجة فدل على ان الامة بخلافها وايضا فان
هذه امة موطوءة بملك اليمين فكان استبراها بحيضة اصله الامة
اجمع اهل العلم على ان نفقة المطلقة ثلاثا و
مطلقة المزوج عليها عدة رجعة وهي حامل واجب لقوله تعالى وان كن
اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن واختلفوا في وجوب نفقة
الحامل المتوفى عنها زوجها فقالت طايفة لا نفقة لها لذلك قال جابر بن
عبد الله وبن عباس وسعيد بن المسيب وعطا والحسن وعكرمة
وعبد الملك بن يعلى ويحيى الانصاري وربيعة ومالك واحمد واسحق
وحكى ابو عبيد ذلك عن اصحاب الراي وفيه قول ثان وهو ان لها
النفقة من جميع المال روي هذا القول عن علي وعبد الله وبه قال بن
وشريح وبن سيرين والشعبي وابو العالية والنخعي وخلاس بن عمر
وحماد بن ابي سليمان وايوب السختياني وسفيان الثوري وابو عبيد
قال بن المنذر وبالقول الاول اقول لانهم اجمعوا على ان نفقة
كل من كان يجبر على نفقته وهو حي مثل اولاده الاطفال وزوجاته
ووالديه تسقط عنه فكذلك تسقط عنه نفقة الحامل من ازواجه
وقال القاضي ابو محمد لان نفقة الحمل ليست بدين ثابت فتتعلق بماله
موته بدليل انه يسقط عنه بالاعسار فبان يسقط عنه بالموت اولى

واخرى قوله تعالى اربعة اشهر وعشرا اختلف العلما
في الاربعة الاشهر والعشر التي جعلها الله ميقاتا لعدة المتوفى عنها هل تحتاج
فيها الى حيضة ام لا فقال بعضهم لا تبرا اذا كانت ممن توطا الا بحيض
تاتي فيها في الاربعة الاشهر والعشر والا فهي مستبراة وقال اخرون
ليس عليها اكثر من اربعة اشهر وعشر الا ان تستريب نفسها ريبة
بينة لان هذه المدة لا بد فيها من الحيض في الاغلب من امر النسا الا
ان تكون المراة ممن لا تحيض او ممن عرفت من نفسها او عرف منها ان
حيضتها لا تاتيها الا في اكثر هذه المدة
قوله تعالى وعشرا روي وكيع عن ابي جعفر الرازي عن الربيع بن
انس عن ابي العالية انه سيل لم ضمت العشر الى الاربعة الاشهر
قال لان الروح ينفخ فيها وسياتي في الحج بيان ذلك وقال الاصمعي
ويقال ان ولد كل حامل يرتكض في نصف حملها فهي مرتكض وقال غيره
ارتكضت فهي مرتكضة وانشد ومرتكضة صرحي ابوها
تهان لها الغلامة والغلام وقال الخطابي قوله وعشرا يريد
والله اعلم الايام بلياليها وقال المبرد انما انث العشر لان المراد به
المدة المعنى وعشر مدد كل مدة من يوم وليلة فالليلة مع يومها مدة
معلومة من الدهر وقيل لم يقل عشرة تغليبا لحكم الليالي اذ الليلة
اسبق من اليوم والايام في ضمنها وعشرا اخف في اللفظ فتغلب
الليالي الايام اذا اجتمعت في التاريخ لان ابتدا الشهور بالليل عند
الاستهلال فلما كان اول الشهر الليلة غلب الليلة تقول صمنا خمسا من
الشهر فتغلب الليالي وان كان الصوم بالنهار وذهب ملك والشافعي

والكوفيون

والكوفيون الى ان المراد بها الايام والليالي قال بن المنذر فلو عقد
عاقد عليها النكاح على هذا القول وقد مضت اربعة اشهر وعشر
ليال كان باطلا حتى يمضي اليوم العاشر وذهب بعض الفقها الى انه
اذا انقضى لها اربعة اشهر وعشر ليال حلت للازواج وذلك لانه
راي العدة مبهمة فغلب التانيث وتاولها على الليالي والى هذا ذهب
الاوزاعي من الفقها وابو بكر الاصم من المتكلمين وروي عن بن عباس
انه قرا اربعة اشهر وعشر ليال   تعالى فاذا بلغن اجلهن
فيه ثلاث مسايل   اضاف تعالى الاجل اليهن اذ هو محدود
مضروب في امرهن وهو عبارة عن انقضا العدة   قوله تعالى
فلا جناح عليكم خطاب لجميع الناس والتلبس بهذا الحكم هو للحكام
والاوليا فيما فعلن يريد به التزوج فما دونه من التزين واطراح
الاحداد بالمعروف اي بما اذن فيه من اختيار اعيان الازواج
وتقدير الصداق دون مباشرة العقد لانه حق للاوليا كما تقدم
وفي هذه الاية دليل على ان للاوليا منعهن من التبرج
والتشوف للزوج في زمان العدة وفيها رد على اسحق في قوله ان
المطلقة اذا طعنت في الحيضة الثالثة بانت وانقطعت رجعة
الزوج الاول الا انه لا يحل لها ان تتزوج حتى تغتسل وعلى شريك
ان لزوجها الرجعة ما لم تغتسل ولو بعد عشرين سنة قال الله تعالى
فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن وبلوغ الاجل
هنا انقضا العدة بدخولها في الدم من الحيضة الثالثة ولم يذكر
غسلا فاذا انقضت عدتها حلت للازواج ولا جناح عليها فيما

الشرع

فعلت من ذلك والحديث عن ابن عباس لو صح يحتمل ان يكون منه على الاستحباب والله اعلم
تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النسا الى قوله معروفا فيه تسع مسايل
قوله تعالى ولا جناح اي لا اثم والجناح الاثم وهو اصح في الشرع وقيل هو الامر الشاق وهو اصح في اللغة قال الشماخ اذا تعلو ابراكيها خليجا تبد كرما لاقيه من الجناح وقوله عليكم فيما عرضتم المخاطبة لجميع الناس والمراد بحكمها هو الرجل الذي في نفسه تزويج معتدة اي لا وزر عليكم والتعريض في الخطبة في عدة الوفاة والتعريض ضد التصريح وهو افهام المعنى بالشي المحتمل له ولغيره وهو من عرض الشي وهو جانبه كانه يحوم به على الشي ولا يظهره وقيل هو من قولك عرضت الرجل اي اهديت اليه تحفه وفي الحديث ان ركبا من المسلمين عرضوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر ثيابا بيضا اي اهدوا لهما فالمعرض بالكلام يوصل الى صاحبه كلاما يفهم معناه
قال ابن عطيه اجمعت الامة على ان الكلام مع المعتدة بما هو نص في تزويجها وينبه عليه لا يجوز وكذلك اجمعت الامة على ان الكلام معها بما هو رفث وذكر جماع وتحريض عليه لا يجوز وجوز ما عدا ذلك ومن اعظمه قربا الى التصريح قول النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس كوني عند ام شريك ولا تسبقيني بنفسك ولا يجوز التصريح لتعريض بخطبه الرجعيه اجماعا لانها كالمزوجه واما من كانت في عدة البينونه فالصحيح جواز التعريض بخطبتها والله اعلم وروي في تفسير التعريض الفاظ جماعها ترجع الى قسمين الاول ان يذكرها لوليها يقول لا تسبقني بها الثاني ان يشير

بذلك

بذلك الميعاد دون واسطه فيقول لها اني اريد التزويج وانك لجميله
انك لصالحه ان الله لسايق اليك خيرا اني فيك لراغب من يرغب عنك
انك لنافقه وان حاجتي في النسا وان تقدر امر يكن هذا بمثيل ملك وابن
شهاب وقال ابن عباس لا باس ان يقول لا تسبقيني بنفسك ولا باس
ان يهدي وان يقوم بشغلها في العدة اذا كانت من شانه قاله ابرهيم
وجابر ان يمدح نفسه ويذكر ماثره على جهه التعريض بالزواج وقد فعله
ابو جعفر محمد بن علي بن حسين قالت سكينة بنت حنظلة استاذن علي محمد بن
علي ولم تنقض عدتي من مهلك زوجي فقال قد عرفت قرابتي من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقرابتي من علي وموضعي في العرب قلت غفر الله لك
يا ابا جعفر انك رجل يوخذ عنك تخطبني في عدتي قال انما اخبرتك بقرابتي
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن علي وقد دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على ام سلمه وهي متايمه من ابي سلمه فقال لقد علمت
اني رسول الله وموضعي في قومي كانت تلك خطبه اخرجه الدارقطني
والهدية جايزه وهي من التعريض قاله سحنون وكثير من العلما وقاله ابراهيم
وكره مجاهد ان يقول لا تسبقيني بنفسك وراه من المواعده سرا قال
القاضي ابو محمد بن عطية وهذا عندي على ان يتاول قول النبي صلى الله عليه
لفاطمه انه على جهه الراي لها فيمن يتزوجها لا انه ارادها لنفسه والا فهو خلاف
لقول النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى من خطبه النسا
الخطبه بكسر الخا فعل الخاطب من كلام وقصد واستلطاف بفعل او قول
يقال خطبها يخطبها خطبا وخطبه ورجل خطاب كثير التصرف في الخطبه
ومنه قول الشاعر برح بالعينين خطاب الكثب يقول اني خاطب

بني

الى العمد

وقد كذب وانما يخطب عسا من خطب والخطيب الخاطب والخطيبي

الخطبه قال عدي بن زيد لم فضد جذيمه الابرش لخطبه الزبا يدم

لخطيبي التي عدرت وخانت وهن دوان غايله الحينا والخطب الرجل

يخطب المراة ويقال ايضا هي خطبه وخطيبته للتي يخطبها والخطبه

فعله لجلسه وقعد والخطبه بضم الخا هي الكلام الذي يقال في النكاح

وغيره قال النحاس والخطبه ما كان لها اول واخر وكذا ما كان على فعله نحو

الاكله والضغطة قوله تعالى او اكننتم في انفسكم معناه

سترتم واضمرتم من التزوج بها بعد انقضا عدتها والاكنان الستر والاخفا

يقال كننته واكننته بمعنى واحد وقيل كننته اي صنته حتى لا تصيبه افة

وان لم يكن مستورا ومنه بيض مكنون ودر مكنون واكننته اسررته

وسترته وقيل كننت الشي من الاجرام اذا سترته في ثوب او بيت او

ارض ونحوه واكننت الامر في نفسي ولم يسمع من العرب كننته في نفسي

ويقول اكن البيت الانسان ونحو هذا فرفع الله الجناح عمن اراد تزوج

المعتده مع التعريض ومع الاكنان ونهى عن المواعده التي هي تصريح

بالتزويج وبنا عليه واتفاق على وعد ورخص لعلمه تعالى بغلبه النفوس

وطمحها وضعف البشر عن ملكها استدلت الشافعيه بهذه

الايه على ان التعريض لا يجب به حد وقالوا لما رفع الله الحرج في التعريض

في النكاح دل على ان التعريض بالقذف لا يوجب الحد لان الله سبحانه لم

يجعل التعريض في النكاح مقام التصريح قلت هذا ساقط لان الله

سبحانه لم ياذن في التصريح بالنكاح في الخطبه واذن في التعريض الذي

منه النكاح فهذا دليل على ان التعريض الذي يفهم منه القذف والاعراض

يجب

يجب صيانتها وذلك يوجب حد المعرض لئلا تتطرق الفسقة الى اخذ
الاعراض بالتعريض الذي يفهم منه ما يفهم بالتعريض لتصريح
قوله تعالى علم الله انكم ستذكرونهن اي اما سرا واما اعلانا
في نفوسكم وبالسنتكم فرخص في التعريض دون التصريح الحسن معناه ستخطبو هن
قوله تعالى ولكن لا تواعدوهن سرا اي على سر فحذف الحرف
لانه مما يتعدى الى مفعولين احدهما بحرف واختلف العلما في معنى قوله تعالى
سرا فقيل معناه نكاحا اي لا يقل الرجل لهذه المعتدة تزوجيني بغرض ان
اراد ولا ياخذ ميثاقها وعهدها الا تنكح غيره في استسرار وخفية
هذا قول ابن عباس وابن جبير ومالك واصحابه والشعبي ومجاهد وعكرمة
والسدي وجمهور اهل العلم وسرا على هذا التاويل نصب على الحال
اي مستسرين وقيل السر الزنا اي لا يكونن منكم مواعدة على الزنا في
العدة ثم التزوج بعدها قال جابر بن زيد وابو مجلز لاحق بن
حميد والحسن بن ابي الحسن وقتادة والضحاك والنخعي وان السر في
هذه الاية الزنا اي لا تواعدوهن زنا واختاره الطبري ومنه قول ل
الاعشى   فلا يقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تابدا
وقال الحطيئة   ويحرم سر جارتهم عليهم ويأكل جارهم انف القصاع
وقيل السر الجماع اي لا تصفوا انفسكم لهن بكثرة الجماع ترغيبا
لهن في النكاح فان ذكر الجماع مع غير الزوجة فحش هذا قول
الشافعي وقال امرؤ القيس   الا زعمت بسباسة اليوم انني
كبرت والا يحسن السر امثالي   وقال روبة   فكف عن
اسرارها بعد الغسق اي كف عن جماعها بعد ملازمته لذلك

وقد يكون السر عقد النكاح سرا كان او جهرا قال الاعشى فلن تطلبوا سرها للغنى ولن تسلموها لازهادها اراد تطلبوا نكاحها لكثرة مالها ولن تسلموها لقلة مالها وقال ابن زيد معنى قوله ولكن لا تواعدوهن سرا اي لا تنكحوهن وتكتموا ذلك فاذا حلت اظهرتموه ودخلتم بهن وهذا هو معنى القول الاول فابن زيد على هذا قائل بالقول الاول وانما شذ في ان سمى العقد مواعدة وذلك قلق وحكى مكي والثعلبي عنه انه قال الاية منسوخة بقوله ولا تعزموا عقدة النكاح

قال القاضي ابو محمد بن عطية اجمعت الامة على كراهة المواعدة في العدة للمراة في نفسها وللاب في ابنته البكر وللسيد في امته وقال مالك رحمه الله فيمن يواعد في العدة ثم يتزوج بعدها فراقها احب الي دخل بها او لم يدخل وتكون تطليقة واحدة فاذا حلت خطبها مع الخطاب هذه رواية ابن وهب وروى اشهب عن مالك انه يفرق بينهما ايجابا وقاله ابن القاسم وحكى ابن حارث مثله عن ابن الماجشون وزاد ما يقتضي ان التحريم يتابد وقال الشافعي ان صرح بالخطبة وصرحت له بالاجابة ولم يعقد النكاح تنقضي العدة فالنكاح ثابت والتصريح لهما مكروه لان النكاح حادث بعد الخطبة قاله ابن المنذر

قوله تعالى الا ان تقولوا قولا معروفا استثنا منقطع بمعنى لكن لقوله الا خطا اي لكن خطا والقول المعروف هو ما ابيح من التعريض وقد ذكر الضحاك ان من القول

المعروف

المعروف ان يقول للمعتدة احبسي على نفسك فان لي رغبة
فيقول هي وانا مثل ذلك وهذه شبيه المواعدة تعالى
ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله فيه تسع مسايل
قوله تعالى ولا تعزموا تقدم القول في معنى العزم
يقال عزم الشيء وعزم عليه والمعنا ها هنا لا تعزموا على عقدة
النكاح ومن الامر البين ان القران افصح كلام فما ورد فيه فلا
معترض عليه ولا يشك في صحته وفصاحته وقد قال الله تعالى
وان عزموا الطلاق وقال هنا ولا تعزموا عقدة النكاح والمعنى
لا تعزموا على عقدة النكاح في زمان العدة ثم حذف على ما تقدم
وحكى سيبويه ضرب فلان الظهر اي على قال سيبويه والحذف
في هذه الاشيا لا يقاس عليها قال النحاس ويجوز ان يكون ولا
تعقدوا عقدة النكاح لان معنى تعزموا وتعقدوا واحد ويجوز
تعزموا بضم الزاي قوله تعالى حتى يبلغ الكتاب
اجله يريد تمام العدة والكتاب هنا هو الحد الذي جعل والقدر
الذي رسم من المدة سماه كتابا اذ قد حده وفرضه كتاب الله كما
قال كتاب الله عليكم وكما قال ان الصلاة كانت على المومنين كتابا
موقوتا فالكتاب الفرض اي حتى يبلغ الفرض اجله كتب عليكم
الصيام فرض وقيل في الكلام حذف اي يبلغ فرض الكتاب اجله
فالكتاب على هذا التاويل بمعنى القران وعلى الاول لا حذف فهو اولى
والله اعلم حرم الله تعالى عقد النكاح في العدة
بقوله ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله وهذا

من المحكم المجمع على انه وليه ان يلوع اجله انقضا العدة واباح
التعريض في العدة بقوله ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة
النسا الايه ولم تختلف العلما في اباحة ذلك واختلفوا في الفاظ
التعريض على ما تقدم واختلفوا في الرجل يخطب امراة في عدتها
جاهلا او يواعدها ويعقد بعد العدة وقد تقدم هذا في الاية
التي قبلها واختلفوا ان عزم العقد في العدة وعثر عليه ففسخ الحاكم
نكاحه وذلك قبل الدخول   فقول عمر بن الخطاب
وجماعة العلما ان ذلك لا يوبد تحريما وانه يكون خاطبا من الخطاب
وقاله ملك وبن القاسم في المدونة في اخر الباب الذي يليه ضرب اجل
المفقود وحكى بن الجلاب عن ملك روايه ان التحريم يتابد في العقد
وان فسخ قبل الدخول ووجهه انه نكاح في عدة فوجب ان يتابد به
التحريم اصله اذا بنا بها واما ان عقد في العدة ودخل بعد انقضايها
فقال قوم من اهل العلم ذلك كالدخول في العدة
يتابد التحريم بينهما وقال قوم من العلم لا يتابد بذلك تحريم
وقال يتابد التحريم وقال مرة وما التحريم بذلك بالبين والقولان
له في المدونة في طلاق السنة واما ان دخل في العدة
فقال ملك والليث والاوزاعي يفرق بينهما ولا تحل له
ابدا قال ملك والليث ولا بملك اليمين مع انهم جوزوا التزويج
بالمزني بها واحتجوا بان عمر بن الخطاب قال لا يجتمعان ابدا قال
سعيد ولها مهرها بما استحل من فرجها اخرجه ملك في موطيه   هنام
وسياتي وقال الثوري والكوفيون والشافعي يفرق بينهما ولا

يتابد التحريم

يتابد التحريم بل يفسخ بينهما ثم تعتد منه ثم يكون خاطبا
من الخطاب واحتجوا باجماع العلما على انه لو زنى بها لم يحرم عليه
تزوجها فكذلك وطيه اياها في العدة قالوا وهو قول علي ذكره
عبد الرزاق وذكر عن ابن مسعود مثله وعن الحسن ايضا وذكر عبد
الرزاق عن الثوري عن اشعث عن الشعبي عن مسروق ان عمر رجع
(هامش: يجتمعان)
عن ذلك وجعلهما يجتمعان وذكر القاضي ابو الوليد الباجي في
المنتقى قال لا يخلوا الناكح في العدة اذا بنا بها ان يبني بها في العدة
او بعدها فان كان بنى بها في العدة فان المشهور من المذهب ان
التحريم يتابد وبه قال احمد بن حنبل وروى الشيخ ابو القاسم
في تفريعه ان في التي يتزوجها الرجل في عدة من طلاق او وفاة عالم
بالتحريم روايتان احداهما ان تحريمه يتابد على ما قدمناه والثانية
انه زان وعليه الحد ولا يلحق به الولد وله ان يتزوجها اذا انقضت
عدتها وبه قال ابو حنيفة والشافعي وجه الرواية الاولى وهي
المشهورة ما ثبت من قضا عمر بذلك وقيامه به في الناس وكانت
قضاياه تسير وتنتشر وتنقل في الامصار ولم يعلم له مخالف فثبت
انه اجماع قال القاضي ابو محمد وقد روي مثل ذلك عن علي بن
ابي طالب ولا مخالف لهما مع شهرة ذلك وانتشاره وهذا حكم
الاجماع ووجه الرواية الثانية ان هذا وطي ممنوع فلم يتابد تحريمه
كما لو زوجت نفسها او تزوجت متعة او زنت وقد قال القاضي
ابو الحسن ان مذهب مالك المشهور في ذلك ضعيف من جهة النظر
والله اعلم واحكم اسند ابو عمر ثنا عبد الوارث بن سفيان ثنا قاسم

بن اصبغ عن محمد بن اسماعيل عن نعيم بن حماد عن بن المبارك عن اشعث
عن الشعبي عن مسروق قال بلغ عمر بن الخطاب ان امراة من قريش
تزوجها رجل من ثقيف في عدتها فارسل اليها ففرق بينهما وعاقبهما
وقال لا تنكحها ابدا وجعل صداقها في بيت المال وفشى ذلك في الناس
فبلغ عليا فقال يرحم الله امير المومنين ما بال الصداق في بيت
المال انما جهلا فينبغي للامام ان يردهما الى السنه قيل فما تقول انت
فيها قال لها الصداق بما استحل من فرجها ويفرق بينهما ولا جلد
عليهما وتكمل عدتها من الاول ثم تعتد من الثاني عدة كامله ثلاثه
اقراء ثم يخطبها ان شا فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فخطب الناس فقال
ايها الناس ردوا الجهالات الى السنه قال الكيا الطبري ولا خلاف بين
الفقها العلما ان من عقد على امراة نكاحا وهي في عدة من غيره ان النكاح
فاسد وفي اتفاق عمر وعلي على نفي الحد عنهما ما يدل على ان النكاح الفاسد
لا يوجب الحد الا انه مع الجهل بالتحريم متفق عليه ومع العلم به
مختلف فيه واختلفوا هل تعتد منهما جميعا وهذه مسئله العدتين
فروى المدنيون عن ملك انها تتم بقية عدتها
من الاول وتستانف عدة اخرى من الاخر وهو قول الليث والحسن
بن حي والشافعي واحمد واسحق وروي عن علي كما ذكرنا وعن عمر على ما
ياتي وروى محمد عن القاسم وبن وهب عن ملك ان عدتها من الثاني
تكفيها من يوم فرق بينه وبينها سوا كانت بالحمل او بالاقرا او بالشهور
وهو قول الاوزاعي والثوري وابي حنيفه وحجتهم الاجماع على ان الاول
لا ينكحها في بقية العدة منه فدل على انها في عدة من الثاني ولولا ذلك

لنكحها

لنكحها في عدتها منه اجاب الاولون فقالوا هذا غير لازم لان منع
الاول من ان ينكحها في بقية عدتها انما وجب لما يتلوها من حق الثاني
وهما حقان قد وجبا عليها للزوجين كساير حقوق الادميين لا يدخل
احدهما في صاحبه وخرج ملك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب
وعن سليمان بن يسار ان طليحه الاسديه كانت تحت رشيد الثقفي فطلقها
فنكحت في عدتها فضربها عمر بن الخطاب وضرب زوجها بالمخفقة ضربات
وفرق بينهما ثم قال عمر بن الخطاب ايما امراة نكحت في عدتها فان كان زوجها
الذي تزوجها لم يدخل بها فرق بينهما ثم اعتدت بقية
عدتها من الزوج الاول ثم كان الاخر خاطبا من الخطاب وان كان قد
دخل بها فرق بينهما ثم اعتدت بقية عدتها من الاول ثم اعتدت
من الاخر ثم لا يجتمعان ابدا قال وقال سعيد بن المسيب ولها
مهرها بما استحل من فرجها قال ابو عمر واما طليحة هذه فهي طليحه
بنت عبيد الله اخت طلحة بن عبيد الله التيمي وفي بعض نسخ الموطا من
رواية يحيى طليحه الاسديه وذلك خطا وجهل ولا اعلم احدا قاله

قوله فضربها عمر وضرب زوجها بالمخفقة ضربات

يريد على وجه العقوبة لما ارتكباه من المحظور وهو النكاح في العدة
وقال الزهري فلا ادري كم بلغ ذلك الجلد قال وجلد عبد الملك
في ذلك واحد منهما اربعين جلدة قال فسئل عن ذلك قبيصة بن
ذويب فقال لو كنتم خففتم فجلدتم عشرين وقال ابن حبيب في التي
تتزوج في العدة فيمسها الرجل او يقبل او يباشر او يغمز او ينظر على وجه
اللذة ان على الزوجين العقوبة وعلى الولي وعلى الشهود من علم منهم

انما في عد ومن جهل منهم ذلك فلا عقوبه عليه وقال بن المواز على
الزوجان الحد ان كانا تعمدا ذلك فيحمل قول بن حبيب على من علم بالعده ولعله
جهل التحريم ولم يتعمد ارتكاب المحظور فذلك الذي يعاقب وعلى ذلك
كان ضرب عمر للمراة وزوجها بالمخفقه ضربات وتكون العقوبه والادب في
ذلك بحسب حال المعاقب ويحمل قول بن المواز على انهما علما التحريم وتعمدا
ارتكاب المحظور جراة واقداما وقد قال الشيخ ابو القاسم انهما
روايتان في المتعمد احداهما يحد والثانيه يعاقب ولا يحد
قوله تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه هذا نهايه التحذير
من الوقوع فيما نهي عنه تعالى لا جناح عليكم ان طلقتم النسا
ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضه ومتعوهن على الموسر قدره وعلى
المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين فيه احدى عشره مسله
قوله تعالى لا جناح عليكم ان طلقتم النسا هذا ايضا من
احكام المطلقات وهو ابتدا اخبار برفع الحرج عن المطلق قبل البنا والجماع
فرض مهرا او لم يفرض ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التزوج
لمعنى الذوق وقضا الشهوه وامر بالتزوج طلب العصمه والتماس ثواب الله
وقصد دوام الصحبه وقع في نفوس المومنين ان من طلق قبل البنا قد واقع
جزا من هذا المكروه فنزلت الايه رافعة للجناح في ذلك اذا كان اصل
النكاح على المقصد الحسن وقال قوم لا جناح عليكم لا طلب بجميع المهر
بل عليكم نصف المفروض لمن فرض لها والمتعه لمن لم يفرض لها وقيل لما
كان امر المهر موكدا في الشرع فقد يتوهم انه لا بد من مهر اما مسمى واما مهر
المثل فرفع الحرج في التطليق وان لم يكن في النكاح مهر وقال قوم لا

معناه

حناح

جناح عليكم معناه في ان ترسلوا الطلاق في وقت الحيض بخلاف الدخول
بها اذ غير المدخول بها لا عدة عليها المطلقات اربعة
مطلقة مدخول بها مفروض لها وقد ذكر الله حكمها قبل هذه الاية
وانه لا يسترد منها شي من المهر وان عدتها ثلاثة قروء ومطلقة غير
مفروض لها ولا مدخول بها فهذه الاية في شانها ولا مهر لها بل امر
الرب تعالى بامتاعها وبين في سورة الاحزاب ان غير المدخول بها اذا
طلقت فلا عدة عليها وسياتي ومطلقة مفروض لها غير مدخول
بها ذكرها بعد هذه الاية قال وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
وقد فرضتم لهن فريضة ومطلقة مدخول بها غير مفروض لها ذكرها
في قوله تعالى فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن فذكر تعالى في
هذه الاية والتي بعدها مطلقة قبل المسيس وقبل الفرض ومطلقة قبل
المسيس وبعد الفرض فجعل للاولى المتعة وجعل للثانية نصف الصداق لما
لحق الزوجة من دحض العقد ووصم الحل الحاصل للزوج بالعقد وقابل
المسيس بالمهر الواجب لما قسم الله تعالى حال المطلقة هنا
قسمين مطلقة سمي لها ومطلقة لم يسم لها دل على ان نكاح التفويض جائز وهو
كل نكاح عقد من غير ذكر الصداق ولا خلاف فيه ويفرض بعد ذلك
الصداق فان فرض التحق بالعقد وجاز وان لم يفرض لها وكان الطلاق
لم يجب صداق اجماعا قاله القاضي ابو بكر بن العربي وحكى المهدوي عن حماد
بن ابي سليمان انه قال اذا طلقها ولم يدخل بها ولم يكن فرض لها اجبر على نصف
صداق مثلها وان فرض بعد عقد النكاح وقبل وقوع الطلاق فقال ابو حنيفة
لا يتنصف بالصداق لانه لم يجب بالعقد وهذا خلاف الظاهر من قوله

وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضه وخلاف القياس
ايضا فان الفرض بعد العقد يلحق بالعقد فوجب ان يتنصف بالطلاق واصله
الفرض المقترن بالعقد ان وقع الموت قبل الفرض فذكر الترمذي
عن بن مسعود انه سيل عن رجل تزوج امراه لم يفرض لها ولم يدخل بها حتى مات
فقال بن مسعود لها مثل صداق نسايها لا وكس ولا شطط وعليها العده ولها
الميراث فقام معقل بن سنان الاشجعي فقال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بروع بنت واشق امراة منا مثل ما قضيت ففرح بها بن مسعود قال الترمذي
حديث بن مسعود حديث حسن صحيح وقد روي عنه من غير وجه والعمل
عند بعض اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم وبه يقول
الثوري واحمد واسحق وقال بعض اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم منهم علي بن ابي طالب وزيد بن ثابت وبن عباس وبن عمر اذا تزوج
الرجل المراه ولم يدخل بها ولم يفرض لها صداقا حتى مات قالوا لها
الميراث ولا صداق لها وعليها العدة وقول الشافعي وقال لو ثبت
حديث بروع بنت واشق لكانت الحجه فيما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم ويروى عن الشافعي انه يرجع بمصر بعد عن هذا القول
وقال بحديث بروع بنت واشق قلت اختلف في تثبيت
حديث بروع فقال القاضي ابو محمد عبد الوهاب في شرح رساله
بن ابي زيد واما حديث بروع بنت واشق فقد رده حفاظ
الحديث وايمه اهل العلم وقال الواقدي وقع هذا الخبر بالمدينه
فلم يقبله احد من العلما وصححه الترمذي كما ذكرنا عنه وبن المنذر
قال بن المنذر وقد ثبت مثل قول عبد الله بن مسعود عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم

منّاه

صلى الله عليه وسلم وبه نقول وذكر انه قول ابي ثور واصحاب الراي
وذكر عن الزهري ومالك والاوزاعي والشافعي مثل قول علي وزيد
وابن عمر وابن عباس وفي المسئلة قول ثالث وهو انه لا يكون ميراث
حتى يكون مهر قاله مسروق قلت ومن الحجة لما ذهب اليه مالك
انه فراق في نكاح قبل الفرض فلم يجب فيه صداق اصله الطلاق
لكن اذا صح الحديث فالقياس في مقابلته فاسد وقد حكى ابو محمد
عبد الحميد عن المذهب ما يوافق الحديث والحمد لله وقال ابو عمر
حديث بروع رواه عبد الرزاق عن الثوري عن منصور عن ابرهيم
عن علقمة عن ابن مسعود الحديث وفيه فقام معقل بن سنان
وقال فيه ابن مهدي عن الثوري عن فراس عن الشعبي عن مسروق
عن عبد الله فقام معقل بن يسار والصواب عندي قول من قال
معقل بن سنان لان معقل بن يسار رجل من مزينه
وهذا الحديث انما جا في امراة من اشجع لا من مزينه ولذلك رواه
داود عن الشعبي عن علقمة وفيه فقال ناس من اشجع ومعقل
بن سنان قتل يوم الحرة وفي يوم الحرة يقول الشاعر الا تلكم
الانصار تبكي سراتها واشجع تبكي معقل بن سنان
قوله تعالى ما لم تمسوهن معنى ما الذي اي ان طلقتم النسا اللاي لم
تمسوهن وتمسوهن قرئ من الثلاثي وهي قراة نافع وابن كثير وابي عمرو
وعاصم وابن عامر وقرا الكسائي وحمزة تماسوهن من المفاعلة لان
الوطي تم بهما وقد يرد في باب المفاعلة فاعل بمعنى فعل نحو طارقت
النعل وعاقبت اللص والقراة الاولى تقتضي معنى المفاعلة

في هذا الباب بالمعنى المفهوم من المس ورجحها ابو علي لان افعال هذا المعنى
جات ثلاثية على هذا الوزن نكح وسفد وقرع ودفط وضرب الفحل
والقرآنان حسنتان واو في او تفرضوا قيل هي بمعنى الواو ومالم تمسوهن
ومالم تفرضوا لقوله وكم من قرية اهلكناها فجاها بياتا او هم قايلون
اي وهم وقوله وارسلناه الي مايه الف او يزيدون وقوله ولا تطع
منهم اثما او كفورا اي وكفورا وقوله وان كنتم مرضى او على سفر او جا
احد منكم من الغايط وانتم مرضى او مسافرون وقوله الا ما حملت
ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم وما كان مثله ويعتضد هذا
بانه تعالى عطف عليها بعد ذلك المفروض لها فقال وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضه فلو كان الاول لبيان طلاق
المفروض لها قبل المسيس لما ذكر قوله تعالى ومتعوهن
معناه اعطوهن شيا يكون متاعا لهن وحمله ابن عمر وعلي بن ابي طالب
والحسن بن ابي الحسن وسعيد بن جبير وابو قلابه والزهري وقتاده
والضحاك بن مزاحم على الوجوب وحمله ابو عبيد ومالك بن انس
واصحابه والقاضي شريح وغيرهم على الندب تمسك اهل القول
الاول بمقتضى الامر وتمسك اهل القول الثاني بقوله حقا على المحسنين
وعلى المتقين ولو كانت واجبه لاطلقها على الخلق اجمعين والقول الاول
اولى لان عمومات الامر بالامتاع في قوله ومتعوهن واضافه الامتاع لهن
بلام التمليك في قوله وللمطلقات متاع اظهر في الوجوب منه في الندب
وقوله على المتقين تاكيد لايجابها لان كل واحد يجب عليه ان يتقي الله في
الاشراك به ومعاصيه وقد قال تعالى في القران هدى للمتقين

واختلفوا في الضمير المتصل بقوله فمتعوهن من المراد به

من النسا فقال بن عباس وبن عمر وعطا وجابر بن زيد والحسن والشافعي

واحمد واسحق واصحاب الراي المتعه واجبه للمطلقه قبل البنا والفرض ومندوبه

في حق غيرها وقال ملك واصحابه المتعه مندوبه اليها في كل مطلقه وان

دخل بها الا في التي لم يدخل بها وقد فرض لها فحسبها ما فرض لها ولا متعه لها

وقال ابو ثور لها المتعه ولكل مطلقه واجمع اهل العلم على ان التي لم يفرض

لها ولم يدخل بها لا شي لها غير المتعه قال الزهري يقضي لها بها القاضي

وقال جمهور الناس لا يقضى بها **قلت** هذا الاجماع انما هو في الحره

فاما الامة اذا طلقت قبل الفرض والمسيس فالجمهور على ان لها المتعه وقال

الاوزاعي والثوري لا متعه لها لانها تكون لسيدها وهو لا يستحق مالا

في مقابله تاذي مملوكته بالطلاق واما ربط مذهب ملك فقال بن

شعبان المتعه بازا غم الطلاق ولذلك ليس للمختلعه والمباريه والملاعنه

متعه قبل البنا ولا بعده لانها هي اختارت الطلاق وقال الترمذي وعطا

والنخعي للمختلعه متعه وقال اصحاب الراي للملاعنه متعه قال بن

القاسم ولا متعه في نكاح مفسوخ قال بن المواز ولا فيما يدخله

الفسخ بعد صحه العقد مثل ملك احد الزوجين صاحبه وقاله بن القاسم

واصل ذلك قوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف فكان هذا الحكم

مختص بالطلاق دون الفسخ وروى بن وهب عن ملك ان المخيره لها

المتعه بخلاف الامه تعتق تحت العبد فتختار نفسها لا متعه لها واما

الحره تخير او تملك او يتزوج عليها امة فتختار هي نفسها في ذلك فلها

المتعه لان الزوج سبب الفراق قال ملك ليس للمتعه

عند ناحد معروف في قليلها وكثيرها وقد اختلف الناس في هذا فقال
بن عمر ادنى ما يجزى في المتعه ثلاثون درهما او شبهها وقال بن عباس
ارفع المتعه خادم ثم كسوه ثم نفقه عطا او سطها الدرع والخمار
والملحفه ابو حنيفه ذلك ادناها وقال بن يحيى بن على صاحب
الديوان ثلاثه دنانير وعلى العبد المتعه وقال الحسن يتمتع كل بقدره
هذا بخادم وهذا باثواب وهذا بثوب وهذا بنفقه وكذلك يقول
مالك بن انس وهو مقتضى القران فان الله لم يقدرها ولا حددها
وانما قال على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ومتع الحسن بن علي بعشرين
الفا وزقاق من عسل ومتع سريح بخمس مايه درهم وقد قيل ان حال
المراة معتبر ايضا قاله بعض الشافعيه قال لو اعتبرنا حال الرجل
وحده لزم منه انه لو تزوج امراتين احدهما شريفه والاخرى دنيه
ثم طلقهما قبل المسيس ولم يسم لهما ان تكونا متساويتين في المتعه فيجب
للدنيه ما يجب للشريفه وهذا خلاف ما قال الله تعالى متاعا بالمعروف
ويلزم ان الموسر العظيم اليسار اذا تزوج امراة دنيه ان يكون مثلها
لانه اذا طلقها قبل الدخول والفرض لزمه المتعه على قدر حاله ومهر
مثلها فتكون المتعه على هذا اضعاف مهر مثلها فتكون قد استحقت
قبل الدخول اضعاف ما تستحقه بعد الدخول من مهر المثل الذى فيه
غايه الابتذال وهو الوطي وقال اصحاب الراي وغيرهم متعه التي تطلق
قبل الدخول والفرض نصف مهر مثلها لا غير لان مهر المثل مستحق
بالعقد والمتعه هي بعض مهر المثل فيجب لها كما يجب نصف المسمى اذا
طلق قبل الدخول وهذا يرده قوله تعالى على الموسر قدره وعلى المقتر قدره

وهذا

وهذا دليل على رفض التحديد والله يخفا في الامور عليم وقد دكر
التغلبي حديثا قال لا جناح عليكم الاية انطلقتم النسا الاية في

رجل من الانصار تزوج امراة من بني حنيفه ولم يسم لها مهرا ثم
طلقها قبل ان يمسها فنزلت الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم متعها

ولو بقلنسوتك وروي الدارقطني عن سويد بن غفله قال كانت
عايشه الخثعميه عند الحسن بن علي بن ابي طالب فلما اصيب علي عليه

السلام وبويع الحسن بالخلافه قالت لتهنك الخلافه يا امير المومنين
فقال بقتل علي تظهرين الشماته اذهبي فانت طالق ثلاثا قال

فتلفعت بسباجها وقعدت حتى انقضت عدتها فبعث اليها بعشره الاف
متعه وبقيه بقي لها من صداقها فقالت متاع قليل من حبيب مفارق

فلما بلغه قولها بكى وقال لولا اني سمعت جدي او حدثني ابي انه سمع
جدي يقول ايما رجل طلق امراته ثلاثا مبهمه او ثلاثا عند الاقرا لم

تحل له حتى تنكح زوجا غيره لراجعتها في روايه فاخبره الرسول فبكى
وقال لولا اني ابنت الطلاق لها لراجعتها ولكني سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول ايما رجل طلق امراته ثلاثه عند كل طهر تطليقه
او عند كل راس شهر تطليقه او طلقها ثلاثا جميعا لم تحل له حتى تنكح

زوجا غيره من جهل المتعه حتى مضت اعوام فليدفع
ذلك اليها وان تزوجت والى ورثتها وان ماتت رواه ابن الموان عن ابن

القاسم قال اصبغ لا شي عليه ان ماتت لانها تسليه للزوجه عن
الطلاق وقد فات ذلك ووجه الاول انه حق ثبت عليه ينتقل عنها

الى ورثتها كساير الحقوق وهذا يشعر بوجوبها في المذهب والله اعلم

قوله تعالى على الموسع قدره وعلى وجوب المتعه وقرا
الجمهور الموسع بسكون الواو وكسر السين وهو الذى اتسعت حاله
يقال فلان ينفق على قدره اي على وسعه وقرا ابو حيوه بفتح الواو وشدد
السين وفتحها وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم في رواية ابي بكر
قدره بسكون الدال في الموضعين وقرا ابن عامر وحمزه والكسائي وعاصم
في رواية حفص بفتح الدال فيهما قال ابو الحسن الاخفش وغيره هما بمعنى
لغتان فصيحتان وكذلك حكى ابو زيد يقول خذ قدر كذا وقدر كذا
بمعنى ويقرا في كتاب الله فسالت اوديه بقدرها وقدرها وقال وما
قدروا الله حق قدره ولو حركت الدال لكان جايزا والمقتر المقل
القليل المال ومتاعا نصب على المصدر اي متعوهن متاعا بالمعروف
اي بما عرف في الشرع من الاقتصاد قوله تعالى
حقا على المحسنين اي يحق ذلك عليهم حقا يقال حققت عليه القضا واحققت
اي اوجبت وفي هذا دليل على وجوب المتعه مع الامر بها فقوله حقا
بالتاكيد للوجوب ومعنى على المحسنين والمتقين اي على المومنين اذ ليس
لاحد ان يقول لست بمحسن ولا متق والناس مامورون بان يكونوا جميعا
محسنين متقين فيحسنون باداء فرايض الله ويجتنبون معاصيه حتى لا
يدخلون النار فواجب على الخلق اجمعين ان يكونوا محسنين متقين وحقا
صفه لقوله متاعا ونصب على المصدر وذلك ادخل في التاكيد للامر
والله اعلم تعالى وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد
فرضتم لهن فريضه فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفوا الذى بيده
عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله
بما تعملون.

اختلف

بما تعملون بصير فيه ثمان مسايل — اختلف الناس في هذه الاية

لعالت فرقة منها مالك وغيره انها مخرجة المطلقة بعد الفرض

من حكم التمتع اذ يتنا ولها هو وقوله ومتعوهن وقال بن المسيب نسخت

هذه الاية الاية التي في الاحزاب لان تلك تتضمن تمتيع كل من لم يدخل بها وقال

قتادة نسخت هذه الاية الاية التي قبلها **قلت** قول سعيد وقتادة

فيه نظر اذ شروط النسخ غير موجودة والجمع ممكن وقال بن القاسم

في المدونة كان المتاع لكل مطلقة بقوله تعالى وللمطلقات متاعا بالمعروف

ولغير المدخول بها بالاية التي في سورة الاحزاب فاستثنا الله المفروض

لها قبل الدخول بهذه الاية واثبت للمفروض لها نصف ما فرض فقط

وقال فريق من العلما منهم ابو ثور المتعة لكل مطلقة عموما وهذه الاية

انما بينت ان المفروض لها تاخذ نصف ما فرض ولم يعن بالاية اسقاط

متعتها بل لها المتعة ونصف المفروض — قوله تعالى فنصف

ما فرضتم اي فالواجب نصف ما فرضتم اي من المهر فالنصف للزوج والنصف

للمراة باجماع والنصف الجزء من اثنين يقال نصف الما القدح اي بلغ نصفه

ونصف الازار الساق وكل شي بلغ نصف غيره فقد نصفه وقرا الجمهور

فنصف بالرفع قراه فرقة فنصف بنصب الفا المعنى فادفعوا نصف

وقرا علي بن ابي طالب وزيد بن ثابت فنصف بضم النون في جميع القرا

وهي لغة وكذلك روى الاصمعي قراه عن ابي عمرو بن العلا يقال نصف

ونصف ونصيف لغات ثلاثة في النصف وفي الحديث لو ان احدكم

انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اي نصفه والنصيف

ايضا القناع — اذا امدها ثم طلقها قبل الدخول ونما الصداق

في يدها فقال ملك كل عرض اصدقها او عبد فنما وه لهما جميعا ونقصانه
بينهما وتواه عليهما جميعا ليس على المراه منه شي فان اصدقها عينا ذهبا
او ورقا فاشترت به منه عبدا او من غيره طيبا وسوارا او غير ذلك
مما لها التصرف فيه لجهازها وصلاح شانها في بنايه معه فذلك
كله بمنزله ما لو اصدقها اياه ونماوه ونقصانه بينهما وان طلقها
قبل الدخول لم يكن له الا نصفه وليس عليه ان يغرم له نصف ما
قبضت منه وان اشترت شيا تختص به فعليها ان تغرم له نصف
صداقها الذي قبضت منه وكذلك لو اشترت من غيره عبيدا
ودارا بالالف الذي اصدقها ثم طلقها قبل الدخول رجع عليها
بنصف الالف لا خلاف ان من دخل بزوجته او مات
عنها وقد سمى لها ان لها ذلك المسمى والميراث وعليها العده واختلفوا
في الرجل يخلوا بالمراه ولم يجامعها حتى فارقها فقال الكوفيون وملك
عليه جميع المهر وعليها العده لخبر بن مسعود قضى الخلفا الراشدون
فيمن اغلق بابا وارخى سترا ان لها الميراث وعليها العده وروي مرفوعا
خرجه الدارقطني وسياتي في النسا والشافعي لا يوجب مهرا كاملا
ولا عده اذا لم يكن دخول بظاهر القران قال شريح لم اسمع الله سبحانه
ذكر في هذا بابا ولا سترا اذا زعم انه لم يمسها فلها نصف الصداق
وهو مذهب بن عباس وسياتي ما لعلمانا في هذا في سوره النسا ان
شا الله عند قوله تعالى وقد افضى بعضكم الى بعض
قوله تعالى الا ان يعفون او يعفوا الذي بيده عقده النكاح الايه
الا ان يعفون استثنا منقطع لان عفوهن عن النصف ليس من جنس

احدهن

منه
او دارا او اشترت به

احدهن ويعفون معناه يتركن ويصفحن ووزنه يفعلن والمعنى
الا ان يتركن النصف الذى وجب لهن عند الزوج ولم تسقط النون
مع ان لان جمع المونث في المضارع حاله واحده في الرفع والنصب
والجزم فهي ضمير وليست بعلامه اعراب فلذلك لم تسقط ولانه
لو سقطت النون لاشتبه بالمذكر والعافيات في هذه الايه كل
امراة تملك امر نفسها فاذن الله سبحانه لهن في اسقاطه بعد وجوبه
اذ جعله خالص حقهن يتصرفن فيه بالامضا والاسقاط كيف شين اذا
ملكن امر انفسهن وكن بالغات عاقلات رشيدات وقال ابن عباس
وجماعه من الفقها والتابعين يجوز عفو البكر التي لا ولي لها وحكاه
سحنون في المدونه عن غير ابن القاسم بعد ان ذكر لابن القاسم
ان وضعها نصف الصداق لا يجوز واما التي في حجر اب او وصي فلا
يجوز وضعها لنصف صداقها قولا واحدا ولا خلاف فيه فيما اعلم
قوله تعالى او يعفوا معطوف الاول مبني وهذا
معرب وقرا الحسن او يعفو ساكنه الواو كانه استثقل الفتحه في
الواو واختلف الناس في المراد بقوله تعالى او يعفو الذى بيده عقده
النكاح فروى الدارقطني عن جبير بن مطعم انه تزوج امراة من بني نصر
فطلقها قبل ان يدخل بها فارسل اليها بالصداق كاملا وقال انا احق بالعفو
منها قال الله تعالى الا ان يعفون او يعفو الذى بيده عقده النكاح
يعني نفسه في كل حال قبل الطلاق وبعده اي عقده نكاحه فلما ادخل
حذف الها لقوله فان الجنه هي الماوى اي ماواه وقال النابغه لهم
شيمه لم يعطها الله غيرهم من الجود والاحلام غير عوازب اى

احلامهم ولذلك قوله عقدة النكاح اي عقدة نكاحه وروى الدارقطني
من نوع امن حديث قتيبه بن سعد ثنا بن لهيعه عن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولي عقدة
النكاح الزوج واسنده هذا عن علي وبن عباس وسعيد بن المسيب
وشريح قال ولذلك قال نافع بن جبير ومحمد بن كعب وطاوس
ومجاهد والشعبي وسعيد بن جبير زاد غيره ومجاهد والثوري
واختاره ابو حنيفه وهو الصحيح من قول الشافعي كلهم لا يرى
للولي سبيلا على شي من صداقها للاجماع على ان الولي لو ابرا الزوج
من المهر قبل الطلاق لم يجز فكذلك بعده واجمعوا على ان الولي
لا يملك ان يهب شيا من مالها واجمعوا ان من الاولياء من لا يجوز
عفوهم وهم بنو العم وبنو الاخوه فكذلك الاب والله اعلم ومنهم
من قال هو الولي اسنده الدارقطني ايضا عن بن عباس قال وهو قول
ابراهيم وعلقمه والحسن زاد غيره وعكرمه وطاوس وعطا وابي
الزناد وزيد بن اسلم وربيعه ومحمد بن كعب وبن شهاب والاسود
بن يزيد والشعبي وقتادة ومالك والشافعي في القديم فيجوز للاب
العفو عن نصف صداق ابنته البكر اذا طلقت بلغت الحيض او لم
تبلغه قال عيسى بن دينار ولم ترجع بشي منه على ابيها والدليل على
ان المراد الولي ان الله سبحانه قال في اول الايه وان طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضه فنصف ما فرضتم فذكر الازواج
وخاطبهم بهذا الخطاب ثم قال الا ان يعفون فذكر النسوان او يعفو
الذي بيده عقدة النكاح فهو ثالث فلا يرد الى الزوج المتقدم الا لو لم

يكن

يكن لغيره وجود وقد وجد وهو الولي نحو المراد قال معناه مكي
وذكر بن العربي وايضا فان الله سبحانه قال الا ان يعفون ومعلوم انه
ليس كل امراة تعفو فان الصغيرة والمحجور عليها لا عفو لهما فبين
الله القسمين وقال الا ان يعفون اي ان كن لذلك اهلا او يعفو
الذي بيده عقدة النكاح وهو الولي لان الامر فيه اليه ولذلك
روى بن وهب واشهب وبن عبد الحكم وبن القاسم عن مالك انه
الاب في ابنته البكر والسيد في امته وانما يجوز عفو الولي اذا
كان من اهل السداد ولا يجوز عفوها اذا كان سفيها فان قيل لا نسلم
انه الولي بل هو الزوج وهذا الاسم اولى به لانه املك للعقد من
الولي على ما تقدم فالجواب انا لا نسلم ان الزوج املك بالعقد من
الاب في ابنته البكر بملكه خاصة دون الزوج لان المعقود عليه
هو بضع البكر ولا يملك الزوج ان يعقد على ذلك بل الاب يملكه
اجاز شريح عفو الاخ عن نصف المهر ولذلك قال عكرمة يجوز عفو
الذي عقد عقدة النكاح بينهما كان عما او اخا او ابا وان كرهت وقرا
ابو نهيك والشعبي او يعفو باسكان الواو وعلى النسه ومثله قول
الشاعر فما سودتني عامر عن وراثة ابا الله ان اسمو بام ولا
اب قوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى ابتدا وخبر
والاصل يعفووا اسكنت الواو الاولى لثقل حركتها ثم حذفت لالتقا
الساكنين وهو خطاب للرجال والنسا في قول بن عباس فغلب الذكور
واللام بمعنى الى اي اقرب الى التقوى وقرا الجمهور تعفوا بالتا باثنتين
من فوق وقرا ابو نهيك والشعبي وان يعفوا باليا وذلك راجع الى

بلكره

الذي بيده عقدة النكاح قلت ولم يقرا وان يعفون بالتا فيكون
للنسا وقرا الجمهور ولا تنسوا الفضل بضم الواو وكسرها يحيى بن يعمر
وقرا علي ومجاهد وابو حيوة وابن ابي عبلة ولا تناسوا الفضل وهي قراءة
متمكنة المعنى لانه موضع تناس لا نسيان الا على التشبيه قال مجاهد
الفضل اتمام الرجل الصداق كله او ترك المراة النصف الذي لها
قوله تعالى ان الله بما تعملون بصير خبر في ضمنه الوعد
والحرمان لغير المحسن اي لا يخفى عليه عفوكم واستقصاوكم
تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فيه ثمان
مسايل قوله تعالى حافظوا خطاب لجميع الامة والاية امر
بالمحافظة على اقامة الصلوة في اوقاتها بجميع شروطها والمحافظة هي المداومة
على الشي والمواظبة والوسطى تانيث الاوسط ووسط الشي خيره واعدله
ومنه قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقد تقدم وقال اعرابي
يمدح النبي صلى الله عليه وسلم يا وسط الناس طرا في مفاخرهم واكرم الناس
اما برة وابا ووسط فلان القوم يسطهم اي صار في وسطهم وافرد
الصلاة الوسطى بالذكر وقد دخلت قبل في عموم الصلوات تشريفا لها
كقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقوله
تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان وقرا ابو جعفر الواسطي والصلاة
الوسطى بالنصب على الاغراء اي والزموا الصلاة الوسطى ولذلك قرا
الحلواني وقرا قالون عن نافع الوصطى بالصاد لمجاورة الطا لانهما من
حيز واحد وهما لغتان كالصراط ونحوه واختلف الناس
في تعيين الصلاة الوسطى على عشرة اقوال الاول انها الظهر لانها وسط النهار

على الصحيح

على الصحيح من القولين ان النهار اوله من طلوع الفجر كما تقدم وانما بدانا
بالظهر لانها اول صلاة صليت في الاسلام وممن قال انها وسطى زيد
بن ثابت وابو سعيد الخدري وعبد الله بن عمر وعايشه رضي الله
عنهم ومما يدل على انها ما قالته عايشه وحفصه حين املتا حافظوا
على الصلوة والصلاة الوسطى وصلاة العصر بالواو وروي انها كانت
اشق على المسلمين لانها كانت تجي في الهاجرة وهم قد نفهتهم اعمالهم في
اموالهم وروي ابو داود عن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلاة اشد على اصحاب رسول الله
منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقال ان قبلها
صلاتين وبعدها صلاتين وروي ملك في موطيه وابو داود
الطيالسي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهجير الثاني
انها العصر لان قبلها صلاتا نهار وبعدها صلاتا ليل قال النحاس
واجود من هذا الاحتجاج ان يكون قبلها وسطى لانها بين صلاتين
احداهما اول ما فرض والاخرى الثانية مما فرض وممن قال انها
وسطى علي بن ابي طالب وبن عباس وبن عمر وابو هريره وابو سعيد
الخدري وهو اختيار ابي حنيفه واصحابه وقاله الشافعي واكثر اهل
الاثر واليه ذهب عبد الملك بن حبيب واختاره بن العربي في
قبسه وبن عطية في تفسيره وقال وعلى هذا القول جمهور الناس
وبه اقول واحتجوا باحاديث واردة في الباب خرجها مسلم وغيره
وانصها حديث بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصلاه الوسطى صلاة العصر خرجه الترمذي وقال حديث حسن

صحيح وقد اتينا على هذا زياده في المقتبس في شرح موطا مالك بن
انس الثالث انها المغرب قاله قبيصه بن ذويب في جماعه والحجه لهم
انها متوسطة في عدد الركعات ليست باقلها ولا اكثرها ولا
تقصر في السفر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوخرها عن وقتها
ولم يعجلها وبعدها صلاتا جهر وقبلها صلاتا سر وروى من حديث
عايشه رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان افضل الصلوات
عند الله صلاه المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح الله بها صلاه
الليل وختم بها صلاه النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله
له قصرا في الجنه ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله له ذنب
عشرين سنه او قال اربعين سنه الرابع صلاه العشا الاخره لانها
بين صلاتين لا تقصران وتجي في وقت نوم ويستحب تاخيرها وذلك
شاق فوقع التاكيد في المحافظه عليها الخامس انها الصبح لان قبلها صلاتا
ليل يجهر فيهما وبعدها صلاتا نهار يسر فيهما ولان وقتها يدخل
والناس نيام فالقيام اليها شاق في زمن البرد لشدة البرد وفي زمن
الصيف لقصر الليل وممن قال انها وسطى علي بن ابي طالب وعبد الله بن
عباس اخرجه الموطا بلاغا واخرجه الترمذي عن ابن عباس وابن عمر تعليقا
وروي عن جابر بن عبد الله وهو قول ملك واصحابه واليه يميل الشافعي
فيما ذكر عنه القشيري والصحيح عن علي انها العصر روي عنه ذلك
من وجه معروف صحيح وقد استدل من قال انها الصبح بقوله تعالى
وقوموا لله قانتين يعني فيها ولا صلاة مكتوبه فيها قنوت الا الفجر قال
ابو رجا صلى بنا ابن عباس بالبصره صلاه الغداة فقنت فيها قبل الركوع

ورفع يديه

سادس عشر

ورفع يديه فلما فرغ قال هذه الصلاه الوسطى التي امرنا الله ان نقوم
فيها قانتين وقال انس قنت النبي صلى الله عليه وسلم في صلاه الصبح بعد الركوع
وسياتي حكم القنوت وما للعلما فيه في ال عمران عند قوله تعالى ليس لك من
الامر شي السادس صلاه الجمعه لانها خصت بالجمع لها والخطبه فيها وجعلت
عيدا ذكره ابن حبيب ومكي وروى مسلم عن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لقوم يتخلفون عن الجمعه لقد هممت ان امر رجلا يصلي بالناس ثم احرق
على رجال يتخلفون عن الجمعه بيوتهم السابع انها الصبح والعصر معا قال الشيخ
ابو بكر الابهري واحتج بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعاقبو ن
فيكم ملايكه بالليل وملايكه بالنهار الحديث رواه ابو هريره وروى
جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نظر
الى القمر ليله البدر فقال اما انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضا مون
في رويته فان استطعتم الا تغلبوا على صلاه قبل طلوع الشمس وقبل
غروبها يعني العصر والفجر ثم قرا جرير فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها وروى عمارة بن رويبه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم لن يلج النار احد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها يعني الفجر
والعصر وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين
دخل الجنه كله ثابت في صحيح مسلم وغيره وسميت البردين لانهما يفعلان
في وقت البرد الثامن انها العتمه والصبح قال ابو الدردا رضي الله عنه
في مرضه الذي مات فيه اسمعوا وبلغوا من خلفكم حافظوا على هاتين
الصلاتين يعني في جماعة العشا والصبح ولو تعلمون ما فيهما لاتيتموهما ولو
حبوا على مرافقكم وركبكم وقاله عمر وعثمان رضي الله عنهما وروى

الايه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تعلمون ما في العتمه والصبح لاتيتموهما ولو حبوا وقال انهما اشد الصلوات على المنافقين وجعل كل الصبح في جماعة قيام ليله والعتمه نصف ليله ذكره مالك موقوفا على عثمان ورفعه مسلم وخرجه ابو داود والترمذي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد العشا في جماعة كان له قيام نصف ليله ومن شهد العشا والفجر في جماعة كان له كقيام ليله وهذا خلاف ما رواه مالك مسلم التاسع انها الصلوات الخمس بجملتها قاله معاذ بن جبل رضي الله عنه لان قوله حافظوا على الصلوات يعم النفل والفرض ثم خص الفرض بالذكر العاشر انها غير معينه قاله نافع عن ابن عمر وقاله الربيع بن خيثم فخباها الله في الصلوات كما خبا ليله القدر في رمضان وخبا الساعه في يوم الجمعه وساعه الليل المستجاب فيها الدعا ليقوموا بالليل في الظلمات لمناجات عالم الخفيات ومما يدل على صحة انها مبهمه غير معينه ما رواه مسلم في صحيحه في اخر الباب عن البرا ابن عازب قال نزلت هذه الايه حافظوا على الصلوات والصلاه الوسطى فقال رجل هي اذا صلاه العصر فقال البرا قد اخبرتك كيف نزلت وكيف نسخها الله والله اعلم فلزم من هذا انها بعد ان عينت نسخ تعيينها وابهمت فارتفع التعيين والله اعلم وهذا اختيار مسلم لانه اتى به في اخر الباب وقال به غير واحد من العلما المتاخرين وهو الصحيح ان شا الله لتعارض الادله وعدم الترجيح فلم يبق الا المحافظه على جميعها وادايها في اوقاتها والله اعلم

وهذا الاختلاف في الصلاه الوسطى يدل على بطلان من اثبت وصلاه العصر المذكور في حديث ابي يونس مولى عايشه حين امرته ان يكتب لها مصحفا قرانا قال علماونا وانما ذلك كالتفسير من النبي صلى الله عليه وسلم يدل على ذلك

قيام

حديث

حديث عمرو بن رافع قال امرتني حفصه ان اكتب لها مصحفا الحديث
وفيه فاملت عليّ حافظوا على الصلوات والصلاه الوسطى وهي العصر وقوموا
لله قانتين وقالت هكذا سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقراها فقولها
وهي العصر دليل على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الصلاه الوسطى من
كلام الله بقوله هو وهي العصر وقد روي نافع عن حفصه وصلاه العصر
كما روي عن عايشه وعن حفصه ايضا صلاه العصر بغير واو وقال ابو بكر الانباري
وهذا الخلاف في هذا اللفظ المزيد يدل على بطلانه وصحه ما في الامام مصحف
جماعة المسلمين وعليه حجه اخري وهو ان من قال والصلاه الوسطى وصلاه [illegible]
جعل الصلاه الوسطى غير العصر وفي هذا دفع لحديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم الذي رواه عبد الله قال شغل رسول الله صلى الله عليه وسلم
المشركون يوم الاحزاب عن صلاه العصر حتى اصفرت الشمس فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاه الوسطى ملا الله اجوافهم
وقبورهم نارا وفي قوله تعالى والصلاه الوسطى دليل على ان
الوتر ليس بواجب لان المسلمين اتفقوا على اعداد الصلوات المفروضات انها
تنقص عن سبعه وتزيد على ثلاثه وليس الثلاثه والسبعه فرد الى الخمسه
والازواج لا وسط لها فثبت انها خمسه وفي حديث الاسرا هي خمسه وهن
خمسون لا يبدل القول لدي قوله تعالى وقوموا لله قانتين
معناه في صلاتكم واختلف الناس في معنا قانتين فقال الشعبي مطيعين
وقاله جابر بن زيد وعطا وسعيد بن جبير وقال الضحاك كل
قنوت في القران يعني به الطاعة وقاله ابو سعيد عن النبي صلى الله
عليه وسلم وان اهل كل دين فهم اليوم يقومون عاصين فقيل

لهذه الامه وقوموا لله مطيعين وقال مجاهد معنى قانتين خاشعين
القنوت طول الركوع والخشوع وغض البصر وخفض الجناح
وقال الربيع القنوت طول القيام وقاله بن عمر وقرا امن هو
قانت انا الليل وقال عليه السلام افضل الصلاه طول الصلاه
طول القنوت خرجه مسلم وغيره وقال الشاعر قانتا لله
يدعو ربه وعلى عمد من الناس اعتزل وقد تقدم وروي
عن بن عباس قانتين داعين وفي الحديث قنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم شهرا يدعوا على رعل وذكوان وقال قوم معناه طول
قيامه وقال السدى قانتين ساكتين دليله ان الايه نزلت في المنع
من الكلام في الصلاه وكان ذلك مباحا في صدر الاسلام وهذا
هو الصحيح لما رواه مسلم وغيره عن عبد الله بن مسعود قال
كنا نسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاه فيرد علينا
فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا فقلنا يا رسول الله
كنا نسلم عليك في الصلاه فترد علينا فقال ان في الصلاه شغلا وروي
زيد بن ارقم قال كنا نتكلم في الصلاه يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه
في الصلاه حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن
الكلام وقيل ان اصل القنوت الدوام على الشي ومن حيث كان
اصل القنوت الدوام على الشي جاز ان يسمى مديم الطاعة قانتا
وكذلك من اطال القيام والقراة والدعا في الصلاه او اطال
الخشوع والسكوت كل هولا فاعلون للقنوت
قال ابو عمر اجمع المسلمون طرا ان الكلام عامدا في الصلاه اذا كان المصلي يعلم

انه في صلاه

علينا

في اللغه

انه في صلاه ولم يكن ذلك في اصلاح صلاته انه يفسد الصلاه الا ما
روي عن الاوزاعي انه قال من تكلم لاحيا نفس او مثل ذلك من الامور
الجسام لم يفسد تلك صلاته وهو قول ضعيف في النظر لقول الله عز
وجل وقوموا لله قانتين وقال زيد بن ارقم كنا نتكلم في الصلاه حتى نزلت
وقوموا لله قانتين الحديث وقال بن مسعود سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان الله احدث من امره الا تكلموا في الصلاه
وليس الحادث الجسيم الذي يجب له قطع الصلاه ومن اجله يمنع من
الاستيناف لمن قطع صلاته لما يراه من الفضل في احيا نفس او ما
كان بسبيل ذلك استانف صلاته ولم يبن هذا هو الصحيح في المسله ان شا
الله تعالى واختلفوا في الكلام ساهيا فيها فذهب
ملك والشافعي واصحابهما الى ان الكلام فيها ساهيا لا يفسدها غير
ان ملكا لا يفسد الصلاه تعمد الكلام فيها اذا كان في شانها واصلاحها
وهو قول ربيعه وبن القاسم وروي سحنون عن بن القاسم عن ملك
قال لو ان قوما صلى بهم رجل ركعتين وسلم ساهيا فسبحوا به فلم
يفقه فقال له من خلفه ممن هو معه في الصلاه انك لم تتم فاتم صلا
فالتفت الى القوم فقال احق ما يقول هذا فقالوا نعم قال يصلي بهم
الامام ما بقي من صلاتهم ويصلون معه بقيه صلاتهم من تكلم منهم
ومن لم يتكلم ولا شي عليهم ويفعلون في ذلك ما فعل النبي صلى الله
عليه وسلم يوم ذي اليدين هذا قول بن القاسم في كتابه المدونه
وروايته عن ملك وهو المشهور من مذهب ملك واياه تقلد
اسماعيل بن اسحق واحتج له في كتاب رده على محمد بن الحسن وذكر الخا

قال م
تك
رث

بن مسكين قال اصحاب ملك كلهم على خلاف قول ملك في مسئله ذي
اليدين الا بن القاسم وحده فانه يقول فيها بقول ملك وغيرهم
يابونه ويقولون انما كان هذا في صدر الاسلام فاما الان فقد عرف
الناس صلاتهم فمن تكلم فيها اعادها وهذا هو قول العراقيين ابي حنيفه
واصحابه والثوري فانهم ذهبوا الى ان الكلام في الصلاه يفسدها
على اي حال كان سهوا او عمدا لصلاه كان او لغير ذلك وهو قول
ابراهيم النخعي وعطا والحسن وحماد بن ابي سليمان وقتادة وزعم
اصحاب ابي حنيفه ان حديث ابي هريره هذا في قصة ذي اليدين
منسوخ بحديث بن مسعود وزيد بن ارقم قالوا ان كان ابو هريره
متاخر الاسلام فانه ارسل حديث ذي اليدين كما ارسل حديث
من ادركه الفجر جنبا فلا صوم له قالوا وكان كثير الارسال وذكر
علي بن زياد قال نا ابو قرة قال سمعت مالكا يقول يستحب اذا تكلم
الرجل في الصلاه ان يعود لها ولا يبني قال وقال لنا ملك انما تكلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتكلم اصحابه معه يومئذ لانهم ظنوا ان الصلاه
قصرت ولا يجوز ذلك لاحد اليوم وقد روى سحنون عن بن القاسم
في رجل صلى وحده ففرغ عند نفسه من الاربع فقال له رجل الى جنبه
انك لم تصل الا ثلاثا فالتفت الى اخر فقال احق ما يقول هذا قال نعم
قال تفسد صلاته ولم يكن ينبغي له ان يكلمه ولا ان يلتفت اليه قال ابو
عمر فكانوا يفرقون في هذه المسئله بين الامام مع الجماعة والمنفرد
فيجيزون من الكلام في شان الصلاه للامام ومن معه ما لا يجيزونه
للمنفرد وكان غيرهم لا يحملون جواب بن القاسم في المنفرد في هذه

المسئله

المسئله وفي الامام ومن يحمله على الصلاح من قوله في استعمال حديث
ذي اليدين ما اختلف قول ملك في ذلك وقال الشافعي واصحابه من
تعمد الكلام وهو يعلم انه لم يتم الصلاه وانه فيها افسد صلاته فان
تكلم ساهيا او تكلم وهو يظن انه ليس في صلاة لانه قد اتمها اكملها عند
نفسه فانه يبني واختلف قول احمد في هذه المسئله فذكر الاثرم عنه قال
ما تكلم به الانسان في صلاته لاصلاحها لم تفسد عليه صلاته فان تكلم
بغير ذلك فسدت وهذا هو قول ملك المشهور وذكر الخرقي عنه
ان مذهبه فيمن تكلم عامدًا او ساهيا بطلت صلاته الا الامام خاصّة
فانه اذا تكلم لمصلحة صلاته لم تبطل صلاته واستثنا سحنون من اصحاب
ملك ان سلم من اثنتين من الرباعيه فوقع الكلام هناك لم تبطل الصلاه
وان وقع في غير ذلك بطلت الصلاه والصحيح ما ذهب اليه ملك في
المشهور تمسكا بالحديث وحملا له على الاصل الكلي من تعدي الاحكام
وعموم الشريعه ودفعا لما يتوهم من الخصوصيه اذ لا دليل عليها
فان قال قايل قد جرى الكلام في الصلاه والسهو ايضا وقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لهم التسبيح للرجال والتصفيق للنسا فلم يسبحوا
فيقال لعل في ذلك الوقت لم يكن امرهم بذلك ولين كان قد ذكرت
فلم يسبحوا لانهم توهموا ان الصلاة قصرت وقد جا ذلك في الحديث
قال وخرج سرعان الناس فقالوا قصرت الصلاه فلم يكن بد من الكلام
لاجل ذلك والله اعلم وقد قال بعض المخالفين قول ابي هريره صلى بنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون مراده انه صلى بالمسلمين وهو
ليس منهم كما روي عن البرا بن سبرة انه قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه

قال

ل

وسلم انا وايا لم كنا ندعى بني مناف وانتم اليوم بنو عبد الله ونحن بنو عبد
الله وانما عنى به انه قال لقومه وهذا بعيد فانه لا يجوز ان يقول صلى
بنا وهو اذ ذاك كافر ليس من اهل الصلاه ويكون ذلك لنا بها وحديث البرا
هو كان من جمله القوم وسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم واما ما ادعتم
الحنفيه من النسخ والارسال فقد اجاب عن قولهم علماونا وغيرهم وابطلوه
وخاصة الحافظ ابو عمر بن عبد البر في كتابه المسمى بالتمهيد وذكر ان ابا
هريره اسلم عام خيبر وقدم المدينه في ذلك العام وصحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم اربعة اعوام وشهد قصه ذي اليدين وحضرها وانها
لم تكن قبل بدر كما زعموا وان ذا اليدين قتل ببدر قال وحضور ابي هريره
يوم ذي اليدين محفوظ من روايه الحفاظ الثقات وليس بقصير من
قصر عن ذلك بحجه على من علم ذلك وحفظه وذكر القنوت
القيام وهو احد اقسامه فيما ذكر ابو بكر الانباري واجمعت الامه على
ان القيام في صلاه الفرض واجب على كل صحيح قادر عليه كان منفردا او
اماما وقال صلى الله عليه وسلم انما جعل الامام ليوتم به فاذا صلى قايما فصلوا
قياما الحديث اخرجه الايمه وهو بيان لقوله تعالى وقوموا لله قانتين
واختلفوا في المأموم الصحيح يصلي قاعدا خلف امام مريض لا يستطيع القيام
فاجازت ذلك طايفه من اهل العلم بل جمهورهم لقوله صلى الله عليه وسلم في
الامام واذا صلى جالسا فصلوا جلوسا اجمعون وهذا هو الصحيح في المسئله
على ما نبينه انفا ان شا الله تعالى وقد اجازت طايفة من العلما صلاة القايم
خلف المريض لان كلا يودي فرضه على قدر طاقته تاسيا برسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ صلى في مرضه الذي توفي فيه قاعدا وابو بكر الى جنبه قايما يصلي بصلاته

والناس

والناس قيام خلفه ولم يشر الى ابي بكر ولا اليهم بالجلوس واكمل صلاته
بهم جالسا وهم قيام ومعلوم ان ذلك كان منه بعد سقوطه عن
فرسه فعلم ان الاخر من فعله ناسخ للاول قال ابو عمر وممن ذهب
الى هذا المذهب واحتج بهذه الحجه الشافعي وداود بن علي وهي روايه
الوليد بن مسلم عن ملك قال واوجب الى ان يقوم الى جنبه ممن يعلم
الناس بصلاته وهذه الروايه غريبه عن ملك وقال بهذا جماعه من
اهل المدينه وغيرهم وهو الصحيح ان شا الله لانها اخر صلاه صلاها رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمشهور عن ملك انه لا يوم القيام احد جالسا
فان امهم قاعدا بطلت صلاته وصلاتهم لان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا يومن احد بعدي قاعدا قال فان كان الامام عليلا تمت
صلاه الامام وفسدت صلاه من خلفه قال ومن صلى قاعدا من غير
عله اعاد الصلاه هذه روايه ابي مصعب في مختصره عن ملك وعليها فيجب
على من صلى قاعدا الاعادة في الوقت وبعده وقد روي عن ملك في هذا انهم
يعيدون في الوقت خاصة وقول محمد بن الحسن في هذا مثل قول ملك
المشهور واحتج لقوله ومذهبه بالحديث الذي ذكره ابو المصعب
اخرجه الدارقطني عن جابر عن الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يومن احدكم بعدي جالسا قال الدارقطني لم يروه غير جابر الجعفي
عن الشعبي وهو متروك الحديث مرسل لا تقوم به حجة قال ابو عمر جابر
الجعفي لا يحتج بشي يرويه مسندا فكيف بما يرويه مرسلا قال محمد بن الحسن
اذا صلى الامام المريض جالسا بقوم اصحا ومرضى جلوسا فصلاته وصلاه من

خلفه ممن لا يستطيع القيام جايزه وصلاه من صلى خلفه ممن حكمه القيام
بالطله وقال ابو حنيفه وابو يوسف صلاته وصلاتهم جايزه وقالوا
لو صلى وهو يومي بقوم يركعون ويسجدون لم تجزهم في قولهم جميعا واجزت
الامام صلاته وكان زفر يقول تجزيهم صلاتهم لانهم صلوا على فرضهم وصلى
امامهم على فرضه كما قال الشافعي **قلت** لنا ما ذكر ابو عمر وغيره من
العلما قبله وبعده من ان اخر صلاه صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقد رايت لغيرهم خلاف ذلك ممن جمع طرق الاحاديث في هذا الباب
وتكلم عليها وذكر اختلاف الفقها في ذلك ونحن نذكر ما ذكره ملخصا حتى
يتبين لك الصواب ان شا الله تعالى وصحه قول من قال ان صلاه الماموم الصحيح
قاعدا خلف الامام المريض جايزه فذكر ابو حاتم محمد بن حبان البستي في
المسند الصحيح له عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في نفر من
اصحابه فقال الستم تعلمون اني رسول الله اليكم قالوا بلى نشهد انك رسول
الله قال الستم انه من اطاعني فقد اطاع الله ومن طاعة الله طاعتي قالوا بلى
نشهد انه من اطاعك فقد اطاع الله ومن طاعتك طاعة الله قال فان من طاعة
الله ان تطيعوني ومن طاعتي ان تطيعوا امراكم وان صلوا قعودا فصلوا قعودا
في طريقه عقبه بن ابي الصهبا وهو ثقه قاله يحيى بن معين قال ابو حاتم رضي الله
عنه في هذا الخبر بيان واضح ان صلاه المامومين قعودا اذا صلى امامهم
قاعدا من طاعه الله جل وعلا التي امر الله بها عباده وهو عندي ضرب من الاجماع
الذين اجمعوا على اجازته لان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعه
افتوا به جابر بن عبد الله وابو هريره واسيد بن حضير وقيس بن فهد
ولم يرو عن احد من الصحابه الذين شهدوا هبوط الوحي والتنزيل

من

واعيدوا من التحريف والتبديل خلاف لهولا الاربعه الا باسناد متصل
ولا منقطع فكان الصحابه اجمعوا على ان الامام اذا صلى قاعدا كان على
الموتمين ان يصلوا قعودا وبه قال جابر بن زيد والاوزاعي
ومالك واحمد بن حنبل واسحق بن ابرهيم وابو ايوب سليمان بن داود الهاشمي
وابو خيثمه وبن ابي شيبه ومحمد بن اسماعيل ومن تبعهم من اصحاب
الحديث مثل محمد بن نصر ومحمد بن اسحق بن خزيمة وهذه السنه رواها
عن المصطفى صلى الله عليه وسلم انس بن مالك وعايشه وابو هريره وجابر
بن عبد الله وعبد الله بن عمر بن الخطاب وابو امامه الباهلي واول
من ابطل في هذه الامة صلاه الماموم قاعدا اذا صلى امامه جالسا المغيره
بن مقسم صاحب النخعي واخذ عنه حماد بن ابي سليمان ثم اخذ عن حماد ابو
حنيفه وتبعه عليه من بعده من اصحابه واعلا شي احتجوا به فيه شي رواه
جابر الجعفي عن الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يومن
احد بعدي جالسا وهذا لو صح اسناده لكان مرسلا والمرسل من الخبر
وما لم يرو سيان في الحكم عندنا ثم ان ابا حنيفه يقول ما رايت فيمن لقيت
افضل من عطا ولا فيمن لقيت اكذب من جابر الجعفي وما اتيته بشي قط من
راي الا جاني فيه بحديث وزعم ان عنده كذا وكذا الف حديث عن
رسول الله صلى الله عليه لم ينطق بها فهذا ابو حنيفه يجرح جابر الجعفي ويكذبه
ضد من قال من انتحل من اصحابه مذهبه قال ابو حاتم واما صلاة
النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فجات الاخبار فيها مجمله ومختصره وبعضها
مفصله مبينه ففي بعضها فجا النبي صلى الله عليه وسلم فجلس الى جنب ابي بكر فكان
ابو بكر يوم يا تم بالنبي صلى الله عليه وسلم والناس ياتمون بابي بكر وفي بعضها

فجلس عن يسار ابي بكر وهذا مفسر وفيه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس
قاعدا وابو بكر قايما قال ابو حاتم واما اجمال هذا الخبر فان عايشه حكت
هذه الصلاه الى هذا الموضع واخبر والقصه عند جابر بن عبد الله ان النبي
صلى الله عليه وسلم امرهم بالقعود ايضا في هذه الصلاه كما امرهم به عند
سقوطه عن فرسه اخبرنا محمد بن الحسن عن قتيبه قال ثنا يزيد بن
موهب قال حدثني الليث بن سعد عن ابي الزبير عن جابر قال اشتكى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلينا وراه وهو قاعد وابو بكر يسمع
الناس تكبيره قال فالتفت الينا فرانا قياما فاشار الينا فقعدنا فصلينا
بصلاته قعودا فلما سلم قال لقد كدتم ان تفعلوا فعل فارس والروم يقومون
على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا ايتموا بايمتكم ان صلى قايما فصلوا قياما
وان صلى قاعدا فصلوا قعودا قال ابو حاتم ففي هذا الخبر المفسر بيان
واضح ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قعد عن يسار ابي بكر تحول ابو بكر موما
ماه
يقتدي بصلاته ويكبر يسمع الناس التكبير ليقتدوا بصلاته امرهم صلى الله
عليه وسلم حينيذ بالقعود حين راهم قياما ولما فرغ من صلاته امرهم ايضا
بالقعود اذا صلى امامهم قاعدا وقد شهد جابر بن عبد الله صلاته صلى الله عليه
وسلم حيث سقط عن فرسه فجحش شقه الايمن وكان سقوطه صلى الله عليه وسلم
في شهر ذي حجه اخر سنه خمس من الهجره وشهد هذه الصلاه في علته صلى الله
عليه وسلم فادى كل خبر بلفظه الا ترى انه يذكر في هذه الصلاه رفع ابي بكر صوته
بالتكبير ليقتدي الناس به وتلك الصلاه التي صلاها صلى الله عليه وسلم في بيته
عند سقوطه عن فرسه لم يحتج الى ان يرفع صوته بالتكبير ليسمع الناس
تكبيره على صغر حجره عايشه وانما كان رفعه بالصوت بالتكبير في المسجد الاعظم

الذي صلى

الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في علته فلما صح ما وصفنا لم يجز
ان يجعل بعض هذه الاخبار ناسخا لبعض وهذه الصلاة كان خروجه صلى الله عليه
وسلم اليها بين رجلين وكان فيها اماما وصلى بهم قاعدا وامرهم بالقعود واما الصلاة
التي صلاها اخر عمره فكان خروجه اليها بين بريرة وثوبة وكان فيها مؤتما ماموما
وصلى قاعدا خلف ابي بكر في ثوب واحد متوشحا به رواه انس بن مالك قال
اخر صلاة صلاها النبي صلى الله عليه وسلم مع القوم في ثوب واحد متوشحا به
قاعدا خلف ابي بكر فصلى عليه السلام صلاتين في المسجد جماعة لا صلاة واحدة ان في
خبر عبيد الله بن عبد الله عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بين رجلين تريد
احدهما العباس والاخر عليا وفي خبر مسروق عن عايشة ثم ان النبي صلى الله عليه
وسلم وجد في نفسه خفة فخرج بين بريرة وثوبة اني لانظر الى نعليه يخطان في الحصا
وانظر الى بطون قدميه الحديث فهذا يدلك على انهما كانتا صلاتين لا صلاة
واحدة قال ابو حاتم اخبرنا محمد بن اسحاق بن خزيمة قال ثنا محمد بن بشار قال
ثنا بدل بن المحبر قال شعبة بن موسى بن ابي عايشة عن عبيد الله
بن عبد الله عن عايشة ان ابا بكر صلى بالناس ورسول الله صلى الله عليه
وسلم في الصف خلفه قال ابو حاتم خالف شعبة بن الحجاج زايدة
بن قدامة في متن هذا الخبر عن موسى بن ابي عايشة فجعل شعبة النبي
صلى الله عليه وسلم ماموما حيث صلى قاعدا والقوم قيام وجعل
زايدة النبي صلى الله عليه وسلم اماما حيث صلى قاعدا والقوم قيام وهما
متقنان حافظان فكيف يجوز ان يجعل احدى الروايتين اللتين تضادتا
في الظاهر في فعل واحد ناسخا لامر مطلق متقدم فمن جعل احدى الخبرين
ناسخا لما تقدم من امر النبي صلى الله عليه وسلم وترك الاخر من غير دليل

ثبت على صحته سوّغ لخصمه اخذ ما ترك من الخبرين وترك ما اخذ
منهما ونظير هذا النوع من السنن خبر بن عباس ان النبى صلى الله عليه
وسلم نكح ميمونه وهو محرم وخبر ابى رافع ان النبى صلى الله عليه وسلم
نكحها وهو حلال فتضاد الخبران فى فعل واحد فى الظاهر من غير
ان يكون بينهما تضاد عندنا فجعل جماعة من اصحاب الحديث الخبرين
الذين رويا فى نكاح ميمونه متعارضين وذهبوا الى خبر عثمان بن
عفان عن النبى صلى الله وسلم لا ينكح المحرم ولا ينكح فاخذوا به اذ هو
يوافق احدى الروايتين اللتين رويتا فى نكاح ميمونه وتركوا خبر بن
عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم نكحها وهو محرم فمن فعل هذا لزمه ان يقول
تضاد الخبران فى صلاه النبى صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرناه قبل فيجب
ان يجى الى الخبر الذى فيه الامر بصلاه المامومين قعودا اذا صلى بهم امامهم
قاعدا فياخذ به اذ هو يوافق احدى الروايتين اللتين رويتا فى صلاه النبى
صلى الله عليه وسلم فى علته ويترك الخبر المنفرد عنهما كما فعل فى نكاح ميمونه ذلك
قال ابو حاتم زعم بعض العراقيين ممن كان ينتحل مذهب الكوفيين
ان قوله واذا صلى قاعدا فصلوا قعودا اراد به واذا تشهد قاعدا
فتشهد وا قعودا اجمعون فحرف الخبر عن عموم ما ورد الخبر فيه
بغير دليل ثبت له على تاويله تعالى فان خفتم فرجالا
او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون فيه تسع
مسايل قوله تعالى فان خفتم من الخوف الذى هو الفزع فرجالا
اى فصلوا رجالا او ركبانا معطوف عليه والرجال جمع راجل ورجل من قولهم
رجل الانسان يرجل رجلا اذا عدم المركوب ومشى على قدميه فهو رجل

وراجل

وراجل ورجل بضم الجيم وهي لغة اهل الحجاز يقولون مشى فلان الى بيت
الله حافيا رجلا حكاه الطبري وغيره ورجلان ورجيل ورجل يجمع على
رجال ورجلى ورجال ورجالى ورجاله ورجال ورجلان ورجله ورجله
بفتح الجيم وارجله وراجيل واراجل والرجل الذى هو اسم الجنس يجمع
ايما على رجال   لما امر الله تعالى بالقيام له في الصلاة بحال
قنوت وهو الوقار والسكينه وهدو الجوارح وهذا على الحاله الغالبه
من الامن والطمانينه ذكر حاله الخوف الطاريه احيانا وبين ان هذه
العباده لا تسقط عن العبد في حال فرخص لعبيده في الصلاه رجالا على
الاقدام وركبانا على الخيل والابل ونحوها ايما اشارة بالراس حيث ما
توجه هذا قول العلما وهذه هي صلاه الفذ الذى قد ضايقه الخوف
على نفسه في حال المسايفه او من سبع يطلبه او من عدو يتبعه او سيل
يحمله وبالجمله فكل امر يخاف منه على روحه فهو مبيح ما تضمنته هذه
الايه   هذه الرخصه في ضمنها اجماع العلما ان يكون الانسا
حيث ما توجه من السموت ويتقلب ويتصرف بحسب نظره في نجاه
نفسه   واختلف في الخوف الذي يجوز فيه الصلاه رجالا
وركبانا فقال الشافعي هو اطلال العدو عليهم فيتراون معا والمسلمون
في غير حصن حتى ينالهم السلاح من الرمي او اكثر من ان يقرب العدو فيه
منهم من الطعن والضرب او ياتي من يصدق خبره فيخبره بان العدو قريب
منه ومسيرهم جادين اليه فان لم يكن واحد من هذين المعنيين فلا يجوز
له ان يصلي صلاه الخوف فان صلوا بالخبر صلاه الخوف ثم ذهب العدو
ولم يعيدوا وقال ابو حنيفه يعيدون قال ابو عمر فالحال التي يجوز للخايف

ان يصلي راجلا او راكبا مستقبل القبله وغير مستقبلها في حال شده الخوف
والحال التي وردت الاثار فيها هي غير هذه وهي صلاه الخوف بالامام
وانقسام الناس وليس حكمها في هذه الايه وهذا ياتي بيانه في سوره النسا
وفرق ملك بين خوف العدو المقاتل وبين خوف السبع ونحوه من جمل صايل
او سيل او ما الاغلب من شانه الهلاك بان استحب من غير خوف العدو
الاعاده في الوقت ان وقع الامن واكثر فقها الامصار على ان الامر سوا
قال ابو حنيفه ان القتال يفسد الصلاه وحديث
بن عمر يرد عليه وظاهر الايه اقوى دليل عليه وسياتي هذا في
النسا ان شا الله تعالى قال الشافعي لما رخص تبارك وتعالى في جواز
ترك بعض الشروط دل ذلك على ان القتال في الصلاه لا يفسدها
لا نقصان في عدد الركعات في الخوف عن صلاه المسافر
عند ملك والشافعي وجماعه من العلما وقال الحسن بن ابي الحسن وقتاده
وغيرهما يصلي ركعة ايما روى مسلم عن بكير بن الاخنس عن مجاهد عن بن
عباس قال فرض الله الصلاه على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر
اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعه قال بن عبد البر انفرد به بكير
بن الاخنس وليس بحجه فيما ينفرد به والصلاه اولى ما احتيط فيه ومن صلى
ركعتين في خوفه وسفره خرج من الخلاف الى اليقين وقال الضحاك بن مزاحم
يصلي صاحب خوف الموت في المسايفه وغيرها ركعة فان لم يقدر فليكبر
تكبيرتين وقال اسحق بن راهويه فان لم يقدر الا تكبيره واحده اجزات
عنه ذكره بن المنذر قوله تعالى فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم اي
ارجعوا الى ما امرتم به من اتمام الاركان وقال مجاهد امنتم خرجتم من دار

الام

السفر

السفر الى دار الاقامة ورد الطبري على هذا القول وقالت فرقة امنتم
زال الخوف فهم الذي الجاكم الى هذه الصلاة والله اعلم   واختلف
العلما من هذا الباب في بنا الخايف اذا امن فقال مالك ان صلى ركعة امنا
ثم خاف ركب وبنى وكذلك ان صلى ركعة راكبا وهو خايف ثم امن نزل
وبنى وهو احد قولي الشافعي وبه قال المزني وقال ابو حنيفه اذا افتتح
الصلاه امنا ثم خاف استقبل ولم يبن فان صلى خايفا ثم امن بنى وقال
الشافعي يبني النازل ولا يبني الراكب وقال ابو يوسف لا يبني في شي
من هذا كله   قوله تعالى فاذكروا الله قيل معناه اشكروه
على هذه النعمه وتعليمكم هذه الصلاه التي وقع بها الاجزا ولم تفتكم
صلاه من الصلوات وهو الذي لم تكونوا تعلمونه فالكاف في قوله كما بمعنى
الشكر تقول افعل بي كما فعلت بك كذا مكافاة وما في قوله ما لم تكونوا
تعلمون   قال علماونا رحمه الله عليهم الصلاه اصلها الدعا
وحاله الخوف اولى بالدعا فلهذا لم تسقط الصلاه بالخوف واذا لم تسقط
بالخوف فاحرى ان لا تسقط بغيره من مرض ونحوه فامر الله تعالى بالمحافظه
على الصلوات في كل حال من صحه او مرض وحضر او سفر وقدره وعجز وخوف
وامن لا تسقط على المكلف بحال ولا يتطرق الى فريضتها اختلال وسياتي
بيان حكم المريض في اخر ال عمران ان شا الله والمقصود من هذا ان تفعل
الصلاه وكيف امكن ولا تسقط بحال حتى لو لم يتفق فعلها الا بالاشاره بالعين   فعلها
لزم فعلها وبهذا تميزت عن ساير العبادات كلها تسقط بالاعذار
ويترخص فيها بالرخص قال ابن العربي ولهذا قال علماونا وهي مسله عظمى
بان تارك الصلاه يقتل لانها اشبهت الايمان الذي لا يسقط بحال وقالوا

فيها احد دعايم الاسلام لا تجوز النيابه عنها ببدن ولا مال فيقتل
تاركها اصله الشهادتان وسياتي ما للعلما في تارك الصلاه في براه ان شا الله
تعالى تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا الى قوله عزيز
حكيم فيه اربع مسايل قوله تعالى والذين يتوفون منكم ذهب جماعة
من المفسرين في تاويل هذه الايه ان المتوفى عنها زوجها كانت تجلس في بيت
المتوفى عنها حولا وينفق عليها من ماله مالم تخرج من المنزل فان خرجت لم يكن على
الورثه جناح في قطع النفقه عنها ثم نسخ الحول بالاربعة الاشهر والعشر ونسخت
النفقه بالربع والثمن في سورة النسا قاله بن عباس وقتاده والضحاك وبن زيد
والربيع وفي السكنى خلاف للعلما روى البخاري عن ابن الزبير قلت لعثمان هذه
الايه في البقره والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا الى قوله غير اخراج
قد نسختها الاية الاخرى فلم تكتبها قال تدعها يا ابن اخي لا اغير شيا من مكانه
قال الطبري عن مجاهد ان هذه الايه محكمه لا نسخ فيها والعده كانت قد
ثبتت اربعة اشهر وعشرا ثم جعل الله لهن وصيه منه سكنى سبعة اشهر
وعشرين ليله فان شات المراة سكنت في وصيتها وان شات خرجت وهو قول
الله عز وجل غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم قال بن عطيه وهذا كله قد
زال حكمه بالنسخ المتفق عليه الا ما قوله الطبري مجاهد رحمه الله وفي ذلك
نظر على الطبري رحمه وقال القاضي عياض والاجماع منعقد على ان الحول
منسوخ وان عدتها اربعة اشهر وعشر قال غيره معنى قوله وصية اي من الله
تعالى تجب على النسا بعد وفات الزوج بلزوم البيوت سنه ثم نسخ قلت
ما ذكره الطبري عن مجاهد صحيح ثابت خرج البخاري قال ثنا اسحاق ثنا روح
قال ثنا شبل عن ابن ابي نجيح عن مجاهد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا

قال

قال كانت هذه العدة تعتد عند اهل زوجها واجب فانزل الله عز
وجل والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا
الى الحول غير اخراج الى قوله من معروف قال جعل الله تعالى لها تمام السنة
سبعة اشهر وعشرين ليلة وصية ان شات سكنت في وصيتها وان شات
خرجت وهو قول الله تعالى غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم الا ان
القول الاول اظهر لقوله عليه السلام انما هي اربعة اشهر وعشر وقد
كانت احداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة عند راس الحول الحديث وهذا
اخبار منه صلى الله عليه وسلم عن حالة المتوفى عنهن ازواجهن قبل ورود الشرع
فلما جا الاسلام امرهن الله تعالى بملازمة البيوت حولا ثم نسخ بالاربعة
اشهر والعشر هذا مع وضوحه في السنة الثابتة المنقولة باخبار الاحاد
اجماع من علما المسلمين لا خلاف فيه قاله ابو عمر قال وكذلك سائر الاية
قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا متاعا الى الحول غير اخراج
منسوخ كله عند جمهور العلما في نسخ الوصية بالسكنى للزوجات في الحول ل
الا رواية شاذة مهجورة جات عن ابن ابي نجيح عن مجاهد لم يتابع عليها
ولا قال بها فيما زاد على الاربعة الاشهر والعشر احد من علما المسلمين
من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين فيما علمت وقد روى
ابن جريج عن مجاهد مثل ما عليه الناس فانعقد الاجماع وارتفع الخلاف
وبالله التوفيق قوله تعالى وصية قرا نافع وابن كثير
والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر وصية بالرفع على الابتدا وخبره
لازواجهم ويحتمل ان يكون المعنى عليهم وصية ويكون قوله لازوا جهم
صفة قال الطبري قال بعض النحاة المعنى كتبت عليهم وصية قال

م

ولذلك هي في قراه عبدالله بن مسعود وقرا ابو عمرو وحمزه وبن عامر
وصيه بالنصب وذلك حمل على الفعل اي فليوصوا وصيه ثم الميت
لا يوصي ولكنه اراد اذا قربوا من الوفاة ولا زواجهم على هذه القراه
ايضا صفه وقيل المعنى اوصى الله وصية متاعا اي متعوهن متاعا
او جعل الله لهن ذلك متاعا لان لاله الكلام عليه ويجوز ان يكون نصبا
على الحال او بالمصدر الذي هو الوصيه كقوله او اطعام في يوم ذي
مسغبه يتيما والمتاع هاهنا نفقه سنتها قوله تعالى
غير اخراج معناه ليس لاوليا الميت ووارثي المنزل اخراجها وغير
نصب على المصدر عند الاخفش لانه قال لا اخراجا وقيل نصب لانه
صفه المتاع وقيل نصب على الحال من الموصين اي متعوهن مخرجات
وقيل نزع الخافض اي من غير اخراج قوله تعالى فان
خرجن الايه معناه باختيارهن قبل الحول فلا جناح عليكم اي لا حرج
على احد ولي او حاكم او غيره لانه لا يجب عليها المقام في بيت زوجها
حولا وقيل اي لا جناح في قطع النفقه عنهن او لا جناح عليهن في التشوف
الى الازواج اذ قد انقطعت عنهن مراقبتكم ايها الورثه ثم
عليها الا تتزوج قبل انقضا العده بالحول او لا جناح في تزوجهن
بعد انقضا العده لانه قال بالمعروف وهو ما يوافق الشرع والله
عزيز صفه تقتضي الوعيد بالنسبه لمن خالف الحد في هذه النازله
فاخرج المراة وهي لا تريد الخروج حكيم اي محكم لما يريد به عباده
والله اعلم تعالى والمطلقات متاع بالمعروف اختلف
الناس في هذه الايه فقال ابو ثور هي محكمه والمتعه لكل مطلقه

ولذلك

ولذلك قال الزهري حتى للامة يطلقها زوجها ولذلك قال سعيد
بن جبير لكل مطلقة متعة وهو احد قولي الشافعي لهذه الاية وقال مالك
لكل مطلقة اثنتين او بواحدة بني بها ام لا سمي لها صداق ام لا المتعة الا التي
قبل البنا وقد سمي لها صداقا فحسبها نصفه ولو لم يكن سمى لها كان لها المتعة
كانت اقل من صداق المثل او اكثر وليس لهذه حد حكاه عنه بن القاسم
وقال بن القاسم في ارخا الستور من المدونة قال جعل الله المتاع لكل
مطلقة بهذه الاية ثم استثنا في الاية الاخرى التي قد فرض لها ولم
يدخل بها فاخرجها من المتعة وزعم بن زيد انها نسختها قال بن عطية ففر
بن القاسم من لفظ النسخ الى لفظ الاستثنا والاستثنا لا يتجه في
هذا الموضع بل هو نسخ محض كما قال زيد بن اسلم واذا التزم بن القاسم
ان قوله وللمطلقات عم كل مطلقة لزمه القول بالنسخ ولا بد وقال عطا
بن ابي رباح وغيره هذه الاية في الثيب اللواتي قد جومعن اذ قد تقدم
في غير هذه الاية ذكر المتعة للواتي لم يدخل بهن فهذا قول بان اللتي قد فرض
لها قبل المسيس لم تدخل قط في العموم فهذا يجي قوله على ان قوله تعالى وان
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن مخصصة لهذا الصنف من النسا ومتى قيل ان
العموم تناولها فذلك نسخ لا تخصيص وقال الشافعي في القول الاخر انه لا
متعة الا للتي طلقت قبل الدخول وليس ثم مسيس ولا فرض لان
من استحقت شيا من المهر لم يحتج في حقها الى المتعة وقول الله تعالى
لازواج النبي صلى الله عليه وسلم فتعالين امتعكن محمول على انه
تطوع من النبي صلى الله عليه وسلم لا وجوب له وقوله فما لكم عليهن
من عدة تعتدونها فمتعوهن محمول على غير المفروضة ايضا قال

الشافعي والمفروض لها المهر اذا طلقت قبل المسيس لا متعه لها لانها
اخذت نصف المهر من غير جريان وطي والمدخول بها اذا طلقت فلها متعه
لان المهر يقع في مقابله الوطي فالمتعة بسبب الابتذال بالعقد
واوجب الشافعي المتعة للمختلعة والمبارية وقال اصحاب ملك كيف
يكون للمفتدية متعه وهي تعطي فكيف تاخذ متاعا لا متعة لمختاره
الفراق من مختلعه او مفتديه او مباريه او مصالحة او ملاعنه او
معتقه تختار الفراق دخل بها ام لا سمي لها ام لا وقد مضى هذا مبينا
تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف
حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس
ولكن اكثر الناس لا يشكرون فيه ست مسايل قوله تعالى
الم تر هذه روية القلب بمعنى الم تعلم والمعنى عند سيبويه تنبه
الى امر الذين ولا تحتاج هذه الروية الى مفعولين وقرا ابو عبد الرحمن
السلمي الم تر بجزم الرا وحذفت الهمزة حذفا من غير اجتماع جازم لان الاصل
الم تري وقصة هولا انهم قوم من بني اسرايل وقع فيهم الوبا وكانوا بقرية
يقال لها داوردان فخرجوا منها هاربين فنزلوا واديا فاماتهم الله قال
ابن عباس كانوا اربعة الاف خرجوا فرارا من الطاعون وقالوا ناتي ارضا
ليس بها موت فاماتهم الله فمر بهم نبي فدعا الله فاحيا وقيل انهم ماتوا
ثمانيه ايام وقيل سبعة فالله اعلم قال الحسن اماتهم الله قبل اجالهم عقوبه
ثم بعثهم الى بقيه اجالهم قيل انما فعل ذلك بهم معجزة لنبي من انبيايهم
قيل كان اسمه شمعون وحكى النقاش انهم فروا من الحمى وقيل انهم فروا
من الجهاد لما امرهم الله به على لسان حزقيل النبي عليه السلام فخافوا

الموت

الموت بالقتل في الجهاد فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك فاماتهم الله
ليعرفهم انه لا ينجيهم من الموت شي ثم احياهم وامرهم بالجهاد بقوله وقاتلوا
في سبيل الله قاله الضحاك قال بن عطيه وهذا القصص كله لين الاسناد
وانما اللازم من الايه ان الله تعالى اخبر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اخبارا
في عباره التنبيه والتوقيف عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم
فرارا من الموت فاماتهم الله تعالى ثم احياهم ليروا هم وكل من خلف
بعدهم ان الاماته انما هي بيد الله لا بيد غيره فلا معنى لخوف خايف ولا
اغترار مغتر وجعل الله تعالى هذه الايه مقدمه بين يدي امر المومنين
من امه محمد صلى الله عليه وسلم بالجهاد هذا قول الطبري وهو ظاهر وصف
الايه قوله تعالى وهم الوف قال الجمهور هي جمع الف قال بعضهم كانوا
ستمايه الف وقيل كانوا ثمانين الفا بن عباس اربعين الفا ابو مالك ثلاثين
الفا السدي سبعه وثلاثين الفا وقيل سبعين الفا قاله عطا بن ابي
رباح وعن عباس اربعين الفا وثمانيه الاف رواه عنه بن جريج
وعنه ايضا ثمانيه الالف وعنه ايضا اربعه الاف وقيل ثلاثه الاف
والصحيح انهم زادوا على عشره الاف لقوله تعالى وهم الوف وهو
جمع الكثره ولا يقال في عشره فما دونها الوف وقال بن زيد في لفظه الوف
انما معناها وهم موتلفون اي لم يخرجهم فرقه قومهم ولا فتنه بينهم انما
كانوا موتلفين فخالفت هذه الفرقه فخرجت فرارا من الموت وابتغا
للحياة فاماتهم الله في منجاهم بزعمهم فالوف على هذا جمع الف مثل
جالس وجلوس بن العربي اماتهم الله عقوبه ثم احياهم وميته العقوبه
بعدها الحياه وميته الاجل لا حياه بعدها الا في القيامه قال مجاهد

انهم لما احيوا رجعوا الى قومهم معرفون لان سحنه الموت على وجوههم
ولا يلبس احد منهم ثوبا الا عاد كفنا دسما حتى ماتوا لاجالهم التى كتبت
لهم بن جريج عن بن عباس وبقيت الرايحه على ذلك السبط من بنى
اسرايل الى اليوم وروى انهم كانوا بواسطة العراق ويقال انهم
احيوا بعد ان انتنوا فتلك الرايحة موجوده فى نسلهم اليوم

قوله تعالى حذر الموت اى لحذر الموت فهو نصب لانه
مفعول له وموتوا امر تكوين ولا يبعد ان يقال نودوا وقيل لهم
موتوا وقد حكى ان ملكين صاحا بهم موتوا فماتوا فالمعنى قال لهم بواسطه
الملكين موتوا والله اعلم — اصح هذه الاقوال واشهرها
انهم خرجوا فرارا من الوباء رواه سعيد بن جبير عن بن عباس قالوا اخرجوا
فرارا من الطاعون فماتوا فدعا الله نبى من الانبيا ان يحييهم حتى يعبدوه
فاحياهم وقال عمرو بن دينار فى هذه الايه وقع الطاعون فى قريتهم فخرج
اناس وبقى اناس ومن خرج اكثر ممن بقى قال فنجا الذين خرجوا ومات الذين
اقاموا فلما كانت الثانيه خرجوا باجمعهم الا قليلا فاماتهم الله ودوابهم
ثم احياهم فرجعوا الى بلادهم وقد توالدت ذريتهم وقال الحسن خرجوا
حذرا من الطاعون فاماتهم الله فى ساعه واحده وهم اربعون الفا

قلت وعلى هذا الاحكام فى هذه الايه فروى الايمه واللفظ للبخارى
من حديث عامر بن سعد بن ابى وقاص انه سمع اسامه بن زيد يحدث
سعدا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الوجع فقال رجز او عذاب
عذب به بعض الامم ثم بقى منه بقيه فيذهب المره ويأتى الاخرى
فمن سمع به بارض فلا يقدموا عليه ومن كان بارض وقع بها فلا يخرج

فرارا منه

فرارا منه واخرجه ابو عيسى الترمذي فقال نا قتيبه نا حماد بن زيد
عن عمرو بن دينار عن عامر بن سعد عن اسامه بن زيد ان النبي صلى الله عليه
وسلم ذكر الطاعون فقال بقية رجز او عذاب ارسل على طايفه من بني
اسرايل فاذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها واذا وقع بارض ولستم
بها فلا تهبطوا عليها قال الحديث حسن صحيح وبمقتضى هذه الاحاديث
عمل عمر والصحابه رضوان الله عليهم لما رجعوا من سرغ حين اخبرهم
عبد الرحمن بن عوف بالحديث على ما هو مشهور في الموطا وغيره وقد
كره قوم الفرار من الوبا والارض السقيمه روي عن عايشه رضي الله عنها انها
قالت الفرار من الوبا كالفرار من الزحف وقصه عمر في خروجه الى الشام
مع ابي عبيده معروفه وفيها انه رجع وقال الطبري في حديث سعد دلاله
على ان على المرء توقي المكاره قبل نزولها وتجنب الاشيا المخوفه قبل هجومها
وان عليه الصبر وترك الجزع بعد نزولها وذلك انه عليه السلام نهى من
لم يكن في ارض الوبا عن دخولها اذا وقع فيها ونهى من هو فيها عن الخروج
منها بعد وقوعه فيها فرارا منه فكذلك الواجب ان يكون حكم كل متقى من
الامور غوايلها سبيله في ذلك سبيل الطاعون وهذا المعنى نظير
قوله عليه السلام لا تتمنوا لقا العدو واسلوا الله العافيه فاذا لقيتموهم
فاصبروا قلت وهذا هو الصحيح في الباب وهو مقتضى قول الرسول
عليه السلام وعليه عمل اصحابه البررة الكرام وقد قال عمر لابي عبيده
محتجا عليه لما قال له افرارا من قدر الله فقال عمر لو غيرك قالها يا ابا عبيده
نعم نفر من قدر الله الى قدر الله المعنى اي لا محيص للانسان عما قدره الله
لنا وعلينا بالتحرز من المخاوف والمهلكات وباستفراغ الوسع في التوقي

من المجروحات ثم قال له ارايت لو كانت لك ابل فهبطت له واديا له
عدوتان احدهما خصيبة والاخرى جدبة اليس ان رعيت الخصبة رعيتها
بقدر الله وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله فرجع عمر من موضعه ذلك
الى المدينة قال المحب الطبري ولا نعلم خلافا ان الكفار وقطاع الطريق اذا
قصدوا بلدا ضعيفة لا طاقة لاهلها القاصدين فلهم ان يتنحوا من بين ايديهم
وان كانت الاجال المقدرة لا تزيد ولا تنقص وقد قيل انما نهى عن الفرار
لان الكاين بالموضع الذي الوبا فيه لعله قد اخذ بحظ منه لاشتراك اهل
ذلك الموضع في سبب ذلك المرض العام فلا فايدة لفراره بل يضيف
الى ما اصابه من مبادي الوبا مشقات السفر فيتضاعف الالم ويكثر الضرر
فيهلكون بكل طريق ويطرحون في كل فجوة ومضيق ولذلك يقال ما فر
احد من الوبا فسلم حكاه ابن المديني ويكفي من ذلك موعظة قوله تعالى الم تر
الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا
لعله ان فر ونجا يقول انما نجوت من اجل خروجي عنه فيسوء اعتقاده وبالجملة
فالفرار منه ممنوع لما ذكرناه ولما فيه من تخلية البلاد ولا تخلو من مستضعفين
يصعب عليهم الخروج منها ولا يتاتى لهم ذلك ويتاذون بخلو البلاد عن
المياسير الذين كانوا اركانا للبلاد ومعونة للمستضعفين واذا كان الوبا
بارض فلا يقدم عليه احد اخذا بالحزم والحذر والتحرز من مواضع الضرر ودفعا
للاوهام المشوشة لنفس الانسان وفي الدخول عليه الهلاك وذلك لا يجوز
في حكم الله تعالى فان صيانة النفس عن مكروه واجب وقد يخاف عليه من
سوء الاعتقاد بان يقول لولا دخولي في هذا المكان لما نزل بي مكروه فهذه
فايدة النهي عن دخول ارض بها الطاعون او الخروج منها والله اعلم وقد قال

ابن مسعود

بن مسعود رضي الله عنه الطاعون فتنة على المقيم والفار اما الفار فيقول
بفراري نجوت واما المقيم فيقول اقمت فمت والى نحو هذا اشار مالك
حين سيل عن كراهة النظر الى المجذوم فقال ما سمعت فيه بكراهة وما
ادري ما جا عن النهي من ذلك الا خيفة ان يفزعه او يخيفه شي يقع في نفسه قال
النبي صلى الله عليه وسلم في الوبا اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه
واذا وقع وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وسيل ايضا عن البلد يقع فيها
الموت وامراض فهل يكره الخروج منها فقال ما ادري باسا خرج او اقام
في قوله عليه السلام اذا وقع بارض وانتم بها فلا فلا تخرجوا الخروج
فرارا منه دليل على انه يجوز من بلد الطاعون على غير سبيل الفرار منه
منه اذا اعتقد انما اصابه لم يكن ليخطيه وكذلك حكم الداخل اذا ايقن
ان دخوله لا يجلب اليه قدرا لم يكن الله قدره له فمباح له الدخول والخروج
منه على هذا الحد الذي ذكرنا والله اعلم   في فضل الصبر
على الطاعون وبيانه الطاعون وزنه فاعول من الطعن غير انه لما عدل
به عن اصله وضع دالا على الموت العام بالوبا قاله الجوهري وروي
من حديث عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فنا امتي بالطعن والطاعون قالت الطعن قد عرفناه فما الطاعون
غدة كغدة البعير تخرج في المراق والاباط قال العلما وهذا الوبا قد
يرسله نقمة وعقوبة على من يشا من عصاة عبيده وكفرتهم وقد يرسله
شهادة ورحمة للصالحين كما قال معاذ في طاعون عمواس انه شهادة ورحمة
لكم ودعوة نبيكم اللهم اعط معاذا واهله نصيبهم من رحمته فطعن في
كفه رضي الله قال ابو قلابة قد عرفت الشهادة والرحمة ولم اعرف ما

دعوه نبيهم فسالت عنها فقيل دعا عليه السلام ان يجعل فنا امته
والطاعون حين دعا الا يجعل باس امته بينهم فمنعها فدعا بهذا وروي
من حديث جابر وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الفار من
الطاعون كالفار من الزحف والصابر فيه كالصابر في الزحف وفي
البخاري عن يحيى بن يعمر عن عايشه انها اخبرته انها سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الطاعون فاخبرها نبي الله صلى الله عليه وسلم انه كان عذابا يبعثه
الله على من يشا فجعله الله رحمه للمومنين فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث
بلده صابرا يعلم انه لن يصيبه الا ما كتبه الله له الا كان له مثل اجر شهيد وهذا
تفسير لقوله عليه السلام الطاعون شهاده والمطعون شهيد اي الصابر
عليه المحتسب اجره على الله العالم انه لن يصيبه الا ما كتب الله عليه ولذلك
تمنى معاذ ان يموت فيه لعلمه ان من مات فهو شهيد واما من جزع من
الطاعون وكرهه وفر منه فليس بداخل في معنى الحديث والله اعلم

قال ابو عمر لم يبلغني ان احدا من حمله العلم فر من الطاعون
الا ما ذكر ابن المدايني ان علي بن زيد بن جدعان هرب من الطاعون الى
السيالة فكان يجمع كل جمعه ويرجع فكان اذا جمع صاحوا به فر من الطاعون
فمات بالسياله قال وهرب عمرو بن عبيد ورباط بن محمد الى الرباطيه فقال
ابرهيم بن علي الفقيمي في ذلك   ولما استقر الموت كل مهرب صبرت
ولم يصبر رباط ولا عمرو   وذكر ابو حاتم عن الاصمعي قال هرب بعض
البصريين من الطاعون فركب حمارا له ومضى باهله نحو سفوان فسمع حاديا
يحدو خلفه   لن يسبق الله على حمار ولا على ذي منعة طيار او ياتي
الحتف على مقدار قد يصبح الله امام الساري   وذكر المدايني قال

وقع الطاعون

وقع الطاعون بمصر في ولايه عبد العزيز بن مروان فخرج هاربا منه فنزل قريه من قرى الصعيد يسكن فقدم حين نزولها رسول لعبد الملك فقال له عبد العزيز ما اسمك قال طالب بن مدرك فقال اوه ما اراني راجعا الي الفسطاط فمات في تلك القريه تعالى وقاتلوا في سبيل الله هذا خطاب لامه محمد صلى الله عليه وسلم بالقتال في سبيل هذا قول الجمهور وهو الذي ينوي به ان تكون كلمه الله هي العليا وسبل الله كثيره فهي عامه في كل سبيل قال الله تعالى قل هذه سبيلي ادعوا الى الله قال ملك سبل الله كثير وما من سبيل الا يقاتل عليها وفيها اولها واعظمها دين الاسلام لاخلاف في هذا وقيل الخطاب للذين احيوا من بني اسرايل روي عن ابن عباس والضحاك والواو على هذا في قوله وقاتلوا عاطفه على الامر المتقدم وفي الكلام متروك تقديره وقال لهم قاتلوا وعلى القول الاول عاطفه جمله كلام على جمله ما تقدم ولا حاجه الى اضمار في الكلام قال النحاس وقاتلوا امر من الله تعالى للمومنين ان لا تهربوا كما هرب هاولاي واعلموا ان الله سميع عليم اي يقولكم ان قلتم مثل ما قال هولاي ويعلم مراد كم به وقال الطبري لا وجه لقول من قال ان الامر بالقتال للذين احيوا فالله اعلم تعالى من ذي الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيره والله يقبض ويبسط واليه ترجعون فيه احدي عشره مسله قوله تعالى من ذي الذي يقرض الله لما امر تعالى بالجهاد والقتال على الحق اذ ليس شي من الشريعه الا ويجوز القتال عليه وعنه واعظمها دين الاسلام كما قال ملك حرض على الانفاق في ذلك فدخل في هذا الخبر المقاتل في سبيل الله

يقال الهام

واعظمها

فانه يقرض ربحا الثواب كما فعل عثمان رضي الله عنه في جيش العسره و[...]
بالابتدا و ذا اخبره والذى نعت لذا وان شيت بد ل ولما نزلت هذه
الايه بادر ابو الدحداح الى التصدق بماله ابتغا ثواب ربه اخبرنا الشيخ
الفقيه الامام المحدث ابو عامر القاضى يحيى بن احمد بن ربيع الاشعرى نسبا
ومذهبا بقرطبه اعادها في ربيع الاخر عام ثمانيه وعشرين وستمايه
قراه منى عليه قال ثنا ابى اجازة قال قرات على ابى بكر عبد الرحمن بن خلف
بن مدير الازدى عن ابى عبد الله بن سعد و نسماعا عليه قال ثنا ابو الحسن
على بن مهران قال ثنا ابو الحسن محمد بن عبد الله بن زكريا حيويه النيسابورى
سنه ست وستين وثلثمايه قال ساعمى ابو زكريا يحيى بن زكريا قال
ثنا محمد بن معاويه بن صالح قال خلف بن خليفه عن حميد الاعرج عن عبد
الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت من ذى الذى يقرض
الله قرضا حسنا قال ابو الدحداح يا رسول الله او ان الله تعالى يريد منا
القرض قال نعم يا ابا الدحداح قال ارنى يدك قال فناوله قال فانى
اقرضت لك حايطا فيه ستمايه نخله ثم جا يمشى حتى اتا الحايط وام
الدحداح فيه وعيالها فناداها يام الدحداح قالت لبيك قال
اخرجى فقد اقرضت ربى جل وعز حايطا فيه ست مايه نخله وقال زيد
بن اسلم لما نزلت من ذى الذى يقرض الله قرضا حسنا قال ابو الدحداح
فداك ابى وامى يا رسول الله ان الله ليستقرضنا وهو غنى عن القرض
قال نعم يريد ان يدخلكم به الجنة قال فانى ان اقرضت ربى قرضا تضمن
لى ولصبيتى الدحداحه معى الجنة قال نعم قال ناولنى يدك فناوله
رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال ان لى حديقتين احداهما بالسافله

والاخرى

١٧٥

والاخرى بالعاليه واسه لا املك غيرها جعلتها قرضا لله تعالى قال النبي
صلى الله عليه وسلم اجعل احدا هما لله تعالى والاخرى دعها معيشة لك ولعيالك
قال فاشهدك يرسول الله اني قد جعلت خيرهما لله تعالى وهو حايط فيه
ست مايه نخله قال اذا يجزيك الله به الجنة فانطلق ابو الدحداح حتى ام الد
وهي مع صبيانها في الحديقه تدور تحت النخل فانشا يقول هداك
ربي سبيل الرشاد الى سبيل الخير والسداد بيني من الحايط بالوداد
فقد مضى قرضا الى التناد اقرضته الله على اعتمادي بالطوع لا من
ولا ارتداد الا رجا الضعف في المعاد فارتحلي بالنفس والاولاد والبر
لا شك فخير زاد قدمه المرا الى المعاد قالت ام الدحداح ربح بيعك
بارك الله لك فيما اشتريت واجابته ام الدحداح وانشات
تقول بشرك الله بخير وفرح مثلك ادي ما لديه ونصح قد
متع الله عيالي ومنح بالعجوة السودا والزهو البلح والعبد يسعى وله
ما قد كدح طول الليالي وعليه ما اجترح ثم اقبلت ام الدحداح
على صبيانها تخرج ما في افواههم وتنفض ما في اكمامهم حتى افضت الى
الحايط الاخر فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح ودار
فياح لابي الدحداح قال بن العربي انقسم الخلق بحكم
الخالق وحكمته وقدرته وسنته وقضايه وقدره حين سمعوا هذه
الايه اقساما وتفرقوا فرقا ثلاثه الفرقه الاولى الرذلى قالوا ان رب
محمد فقير محتاج الينا ونحن اغنيا وهذه جهاله لا تخفى على ذي لب فرد الله
عليهم بقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا
الثانيه لما سمعت هذا القول اثرت الشح والبخل وقدمت الرغبه

حداح

ار

في المال فما انفقت في سبيل الله ولا فكت اسيرا ولا اعانت احدا تكاسلا
عن الطاعه وركونا الي هذه الدار الفانيه لما سمعت بادرت الي امتثاله
واثرت الحبيب منهم بسرعه ماله كابي الدحداح وغيره
قوله تعالى قرضا حسنا القرض اسم لكل ما يلتمس عليه الجزا واقرض فلان فلانا
اي اعطاه ما يتجازاه قال الشاعر هو لبيد واذا جوزيت
قرضا فاجزه انما يجزي الفتى ليس الجمل والقرض بالكسر لغه فيه
حكاها الكسائي واستقرضت من فلان اي طلبت منه القرض
فاقرضني واقترضت منه اي اخذت القرض وقال الزجاج
القرض في اللغة البلا الحسن والبلا السي قال اميه كل
امري سوف يجزى قرضه حسنا وسيا ومدينا مثل دانا وقال
اخر نجازي القروض بامثالها فبالخير خيرا وبالشر شر
وقال الكسائي القرض ما اسلفت من عمل صالح او سيئ واصل
الكلمه القطع ومنه المقراض واقرضته اي قطعت له من مالي
قطعه يجازي عليها وانقرض القوم انقطع خبرهم اثرهم وهلكوا
والقرض هنا اسم ولولاه لقال اقراضا واستدعا القرض
في هذه الايه انما هو تانيس وتقريب للناس بما يفهمونه والله هو
الغني الحميد لكنه تعالى شبه عطا المومن في الدنيا ما يرجو به ثوابه
في الاخره كما شبه اعطا النفوس والاموال في اخذ الجنه بالبيع
والشرا حسب ما ياتي بيانه في براه وقيل المراد بالايه الحث على
الصدقه وانفاق المال على الفقرا المحتاجين والتوسعه عليهم وفي
سبيل الله بنصرة الدين ولكن الله سبحانه عن الفقير بنفسه العليه

المنزهة

المنزهة عن الحاجات ترغيبا في الصدقة كما كنى عن المريض والجايع العطشان
بنفسه المقدسه عن النقايص والالام ففي صحيح الحديث اخبارا عن
الله تعالى يا ابن ادم مرضت فلم تعدني استطعمتك فلم تطعمني
استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف اسقيك وانت رب
العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه اما انك لو سقيته وجدت
ذلك عندي ولذا انما قيل اخرجه مسلم والبخاري وهذا كله خرج مخرج
التشريف لمن كنى عنه ترغيبا لمن خوطب به يجب على المقترض
رد القرض لان الله بين ان من انفق في سبيل الله لا يضيع عند الله بل يرد
الثواب قطعا وابهم الجزا وفي الخبر النفقه في سبيل الله تضاعف الى
سبع مايه والكل على ما ياتي بيانه في هذه السورة عند قوله تعالى
مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة الاية وقال هنا
فيضاعفه له اضعافا كثيرة وهذا لا نهاية له ولا حد
ثواب القرض عظيم لان فيه توسعة على المسلم وتفريج عنه خرج ابن
ماجه في سننه عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رايت ليلة اسري بي على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر امثالها
والقرض بثمانية عشر فقلت لجبريل ما بال القرض افضل من الصدقة
قال لان السايل يسال وعنده والمقترض لا يقترض الا من حاجة قال
ثنا محمد بن خلف العسقلاني ثنا يعلي ثنا سليمان بن بشير عن قيس بن رومي
قال كان سليمان بن اذنان يقرض علقمة الف درهم الى عطايه فلما خرج
عطاوه تقاضاها منه واشتد عليه فقضاه فكان علقمة غضب
فمكث شهرا ثم اتاه فقال اقرضني الف درهم الى عطاي قال نعم وكرامة

مطلب شريف

يا ام عتبه هاتي تلك الخريطه المختومه التي عندك فالجات بها
فقال اما والله انها لدراهمك التي قضيتني ماحركت منها درهما واحدا
قال فلله ابوك ماحملك علي ما فعلت قال سمعت منك قال ما سمعت
مني قال سمعتك تذكر عن ابن مسعود مرتين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما من مسلم يقرض مسلما قرضا مرتين الا كان كصدقتها مرة قال كذلك انباني
ابن مسعود
قرض الادمي للواحد واحدا اي يرد عليه مثل
ما اقرضه واجمع اهل العلم على ان استقراض الدنانير والدراهم والحنطة
والشعير والتمر والزبيب وكل ما له مثل من ساير الاطعمة جايز واجمع
المسلمون نقلا عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ان اشتراط الزيادة في السلف
ربا ولو كان ولو كان قبضه من علف كما قال ابن مسعود اوحبة واحدة
ويجوز ان يرد افضل مما تسلف اذا لم يشترط ذلك عليه لان ذلك من باب
المعروف استدلالا بحديث ابي هريرة في البكر ان خياركم احسنكم قضا
رواه الايمه البخاري ومسلم وغيرهما فاثنى صلى الله عليه وسلم على من
احسن القضا واطلق ذلك ولم يقيده بصفة وكذلك قضى هو صلى الله عليه
وسلم في البكر وهو الفتي من الابل جملا خيارا رباعيا والخيار والمختار والرباعي
هو الذي دخل في السنه السابعه لانه يلقي فيها رباعيته وهي التي تلي الثنايا
وهي اربع رباعيات مخففة اليا وهذا الحديث دليل على قرض الحيوان وهو
مذهب الجمهور ومنع من ذلك ابو حنيفه وقد تقدم
ولا يجوز ان يهدي من استقرض هديه للمقرض ولا يحل للمقرض قبولها الا
ان يكون عادتهما ذلك بهذا جات السنه خرج ابن ماجه نا هشام بن
عمار قال نا اسماعيل بن عياش نا عتبه بن حميد الضبي عن يحيى بن ابي اسحق

الهمداني

الهمداني قال سالت انس بن ملك الرجل منا يقرض اخاه المال فيهدى
اليه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقرض احدكم اخاه
قرضا فاهدى له او حمله على دابته فلا يركبها ولا يقبله الا ان يكون جرى
بينه وبينه قبل ذلك القرض يكون من المال وقد بينا حكمه
ويكون من العرض وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم
ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني تصدقت بعرضي
على عبادك وروي عن ابن عمر اقرض من عرضك ليوم فقرك يعني من
سبك فلا تاخذ منه حقا ولم تقم عليه حدا حتى تاتي يوم القيامة
موفر الاجر وقال ابو حنيفة لا يجوز التصدق بالعرض لانه حق الله
وروي عن ملك بن العربي وهذا فاسد قال عليه السلام في الصحيح ان
دماكم واموالكم واعراضكم حرام عليكم الحديث وهذا يقتضي ان
هذه المحرمات الثلاثة تجري مجرى واحدا في كونها باحترامها حق للادمي
قوله تعالى حسنا قال الواقدي محتسبا طيبة به نفسه
وقال عمر بن عثمان لا يمن به ولا يوذي وقال سهل بن عبد الله لا يعتقد
في قرضه عوضا قوله تعالى فيضاعفه قرا عاصم وغيره بالا لف
ونصب الفا وقرا ابن عامر ويعقوب بالتشديد في العين مع سقوط الا لف
ونصب الفا وقرا ابن كثير وجعفر وشيبة بالتشديد ورفع العين وقرا الاخ ن
بالالف ورفع العين فمن رفعه نسقه على قوله يقرض وقيل على تقدير هو يضا عفه
ومن نصب فجوابا للاستفهام بالفا وقيل باضمار ان والتشديد والتخفيف
لغتان دليل التشديد اضعافا كثيرة لان التشديد للتكثير قال الحسن
والسدي لا يعلم هذا التضعيف الا الله وحده لقوله تعالى ويوت من

لدنه اجرا عظيما قال ابو هريرة هذا في نفقة الجهاد وكنا نحسب والنبي
صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا نفقة الرجل على نفسه ورفقايه وظهره
بالفي الف قوله تعالى والله يقبض ويبسط هذا عام في
كل شي فهو القابض الباسط وقد اتينا عليهما في شرح الكتاب الاسنى الاسماء
واليه ترجعون وعيد فيجازي كلا بعمله تعالى الم تر الى الملا من
بني اسرايل الايه ذكر في التحريض على القتال قصه اخرى جرت في بني اسرايل
والملا الاشراف من الناس كانهم ممتليون شرفا وقال الزجاج سموا بذلك
لانهم ممتليون مما يحتاج اليه منهم والملا في هذه الايه القوم لان المعنى
يقتضيه والملا اسم للجمع كالقوم والرهط والملا ايضا حسن الخلق
ومنه الحديث احسنوا الملا فكلكم سيروى خرجه مسلم
تعالى من بعد موسى اي من بعد وفاته اذ قالوا لنبي لهم قيل هو شمويل بن
بال بن علقمه ويعرف بابن العجوز ويقال فيه شمعون قاله السدي وانما
قيل ابن العجوز لان امه كانت عجوزا فسالت الله الولد وقد كبرت وعقمت
فوهبه الله تعالى لها ويقال فيه شمعون لان امه دعت الله ان يرزقها
ولدا فاستجاب دعاها فولدت غلاما فسمته سمعون تقول سمع الله دعاي
والسين تصير شينا بلغة العبرانيه وهو من ولد يعقوب وهو مقاتل هو
من نسل هارون عليه السلام وقال قتادة هو يوشع بن نون قال
بن عطيه وهذا ضعيف لان مدة داود هي بعد موسى بقرون من الناس
ويوشع هو فتى موسى وذكر المحاسبي ان اسمه اسماعيل والله اعلم وهذه
الايه خبر عن قوم من بني اسرايل نالتهم ذلة وغلبة عدو فطلبوا
الاذن في الجهاد وان يومروا به فلما امروا كع اكثرهم وصبر

الاقل

الاقل فنصر الله وفي الخبر ان هولاي المذكورين هم الذين امیتوا ثم احيوا فالله اعلم تعالى بالنون والجزم قرا جمهور القراء على جواب الامر وقرا الضحاك وبن ابي عبله بالنا ورفع الفعل فهو في موضع الصفه للملك تعالى قال هل عسيتم وعسيتم بالفتح والكسر لغتان وبالثانيه قرا نافع والباقون بالاولى وهي الاشهر قال ابو حاتم وليس للكسر وجه وبه قرا الحسن وطلحة قال مكي في اسم الفاعل عسٍ فهذا يدل على كسر السين في الماضي والفتح في السين في اللغه الفاشيه قال ابو علي وجه الكسر قول العرب هو عسٍ بذلك مثل حرٍ وشجٍ فَعِلَ وفَعَلَ في نحو نقَمَ ونقِمَ فكذلك عسيت وعسيت فان اسند الفعل الى الظاهر فقياس عسيتم ان يقال عسي زيد مثل رضي زيد فان قيل فهو القياس وان لم يقل فسايغ ان ناخذ باللغتين فيستعمل احداهما موضع الاخرى ومعنى هذه المقاله هل انتم قريب من التولي والفرار ان كتب عليهم القتال قال الزجاج ان لا تقاتلوا في موضع نصب اي هل عسيتم مقاتله قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله قال الاخفش ان زايده وقال الفرا هو محمول على المعنى اي وما منعنا كما تقول ما لك الا تصلي اي ما منعك وقيل المعنى واي شي لنا ان لا نقاتل في سبيل الله قال النحاس وهذا اجودها وان في موضع نصب وقد اخرجنا من ديارنا تعليل لذلك وابنائنا اي بسبب ذرارينا تعالى فلما كتب اي فرض عليهم القتال تولوا اخبر تعالى انه لما فرض عليهم القتال وراوا الحقيقه ورجعت افكارهم الى مباشره الحرب وان نفوسهم ربما قد تذهب تولوا اي اضطربت نياتهم وفترت عزايمهم وهذا

الفتح

شان الامم المتنعمه المايله الى الدعة تتمنى الحرب اوقات الانفه فاذا حضرت
الحرب لعت وانقادت لطبعها وعن هذا المعنى نهى النبي صلى الله عليه وسلم
بقول لا تتمنوا لقا العدو واسلوا الله العافيه فاذا القيتموهم فاثبتوا
رواه الايه ثم اخبر الله تعالى عن قليل منهم انهم ثبتوا على النيه الاولى
واستمرت عزايمهم على القتال في سبيل الله تعالى وقال
وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا اي اجابكم الى ما سالتم وكان
طالوت سقا وقيل دباغا وقيل مكاريا وكان عالما فلذلك رفعه الله على ما
ياتى وكان من سبط بنيامين ولم يكن من سبط النبوة ولا من سبط الملك
وكانت النبوه في بني لاوي والملك في سبط يهودا فلذلك انكروا وقال
وهب بن منبه لما قال الملا من بني اسرايل لشمويل بن بال ما قالوا سال الله
تعالى ان يبعث اليهم ملكا ويدله عليه فقال الله تعالى له انظر الى القرن الذي
فيه الدهن في بيتك فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو
ملك بني اسرايل فادهن راسه منهم وملكه عليهم قال وكان طالوت
دباغا فخرج في ابتغا دابة اضلها فقصد شمويل عسى ان يدعو له في امر الدابه
او يجد عنده فرجا فنش الدهن فيما يزعمون قال فقام اليه سمويل فاخذ ودهن
منه راس طالوت وقال له انت ملك بني اسرايل الذي امرني الله تعالى
بتقديمه ثم قال لبني اسرايل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وطالوت
وجالوت اسمان اعجميان معربان فلذلك لم ينصرفا ولذلك داود والجمع
طواليت وجواليت ودوايد ولو سميت رجلا بطا وسروا نو دلصرفت
وان كانا اعجميين والفرق بين هذا والاول انك تقول الطاوس فتدخل
الالف واللام فيمكن في العربيه ولا يمكن هذا في ذلك تعالى ان يكون

له الملك

له الملك علينا اي كيف يملكنا ونحن احق بالملك منه جروا على سننهم في تعنيتهم
الانبيا وحدهم امر الله تعالوا انى اي من اي جهة فانى في موضع نصب
على الظرف ونحن من سبط الملوك وهو ليس كذلك وهو فقير فتركوا
السبب الاقوى وهو قدر الله وقضاوه السابق حتى احتج عليهم نبيهم
بقوله ان الله اصطفاه اي اختاره وهو الحجه وبين لهم مع ذلك تعليل
اصطفا طالوت وهو بسطته في العلم الذى هو ملاك الانسان والجسم
الذى هو معينه في الحرب وعدته عند اللقا فتضمنت بيان صفه الامام
واحوال الامامة وانها مستحقه بالعلم والدين والقوه لا بالنسب ولا
حظ للنسب فيها مع العلم وفضايل النفس وانها مقدمة عليه لان
الله تعالى اخبر انه اختاره عليهم لعلمه وقوته وان كانوا اشرف منتسبا
وقد مضى في اول السورة من ذكر الامامه وشروطها ما يكفي ويغني
وهذه الايه اصل فيها قال ابن عباس كان طالوت يوميذ اعلم رجل في
بني اسرايل واجمله واتمه وزيادة الجسم مما يهيب العدو وقيل سمي طالوتا
لطوله وقيل زيادة الجسم كانت بكثرة معاني الخير والشجاعه ولم يرد
عظم الجسم الم ترى الى قول الشاعر ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفي اثوابه اسد هزير ويعجبك الطرير فتبتليه فيخلف ظنك الرجل الطرير
عظم البعير بغير لب فما يغني قلت ومن هذا الباب بمعنى قوله صلى الله
عليه وسلم لازواجه اسرعكن لحاقا بي اطولكن يدا فكن يتطاولن فكانت زينب
اطولهن يدا لانها كانت تعمل بيدها وتتصدق خرجه مسلم وقال بعض
المتاولين المراد بالعلم علم الحرب وهذا تخصيص العموم من غير
دليل وقد قيل زيادة العلم بان اوحى الله اليه وعلى هذا كان

طالوت نبيا وسياتي   تعالى والله يوتي ملكه من يشا
ذهب بعض المتاولين الي ان هذا من قول الله تعالى لمحمد عليه السلام
وقيل هو من قول شمويل وهو الاظهر قال لهم ذلك لما علم من
تعنتهم وجدالهم في الحجج فاراد ان يتم كلامه بالقطعي الذي لا اعتراض
عليه فقال والله يوتي ملكه من يشا واضاف ملك الدنيا الى الله
اضافة مملوك الي ملك ثم قال لهم على جهة التغبيط والتنبيه
من غير سوال منهم ان اية ملكه ويحتمل ان يكونوا سالوه الدلالة
على صدقه في قوله ان الله بعث قال بن عطيه والاول اظهر بمساق
الاية والثاني اشبه باخلاق بني اسرايل الذميمه واليه ذهب
الطبري   تعالى ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت اي اتيان التابوت
والتابوت كان من شانه فيما ذكر انه انزله الله على ادم عليه السلام
فكان عنده الي ان وصل الي يعقوب عليه السلام فكان في بني اسرايل
يغلبون به من قاتلهم حتى عصوا فغلبوا على التابوت غلبتهم
عليه العمالقة جالوت واصحابه في قول السدي وسلبوا
التابوت منهم قلت وهذا ادل دليل على ان العصيان
سبب الخذلان وهذا بين قال النحاس والاية في التابوت على ما
روي انه كان يسمع فيه انين فاذا سمعوا ذلك ساروا الحربهم
واذا هدي الانين لم يسيروا ولم يسر التابوت وقيل كانوا
يضعونه في مازق الحرب فلا تزال تغلب حتى عصوا فغلبوا
واخذ منهم التابوت وذل امرهم فلما راوا انه الاصطلام
وذهاب الذكر انف بعضهم وتكلموا في امرهم حتى اجتمع ملاوهم

ان قالوا

ان قالوا النبي الوقت ابعث لنا ملكا الايه فلما قال لهم ملككم
طالوت راجعوه فيه بما اخبر الله عنهم فلما قطعهم بالحجه سالوه
البينه على ذلك في قول الطبري فلما سالوا نبيهم البينه على ما قال
دعا ربه فنزل بالقوم الذين اخذوا التابوت داء بسببه على
خلاف في ذلك قيل وضعوه في كنيسه لهم فيها اصنام فكانت
الاصنام تصبح منكوسة وقيل وضعوه في بيت اصنامهم
تحت الصنم الكبير فاصبحوا وهو فوق الصنم فاخذوه وشدوه
الى رجليه فاصبحوا وقد قطعت يد الصنم ورجلاه والقيت
تحت التابوت فاخذوه وجعلوه في قريه قوم فاصاب اوليك
القوم اوجاع في اعناقهم وقيل جعلوه في مخرات قوم فكانوا
يصيبهم الناسور فلما عظم بلاوهم كيف ما كان قالوا ما هذا الا
لهم التابوت فلنرده الى بني اسرايل فوضعوه على عجله بين
ثورين وارسلوهما في الارض نحو بلاد بني اسرايل فبعث الله
ملايكه تسوق البقرتين حتى دخلتا به على بني اسرايل وهم في
امر طالوت فايقنوا بالنصر وهذا هو حمل الملايكه للتابوتا
في هذه الروايه وروي ان الملايكه جات به تحمله وكان يوشع بن
نون قد جعله في البريه فروي انهم راوا التابوت في الهوي
حتى نزل بينهم قاله الربيع بن خيثم وقال وهب بن منبه
كان قدر التابوت نحوا من ثلاثه اذرع في ذراعين الكلبي
وكان من عود شمشار الذي تتخذ منه الامشاط وقرا زيد
بن ثابت التابوه وهي لغته والناس على قراته بالتا وقد تقدم

وروي عنه التبوت ذكره النحاس وقرا حميد بن قيس بحمله باليا
تعالى فيه سكينه من ربكم اختلف الناس في السكينة والبقيه
والسكينه فعيله ماخوذة من السكون والوقار والطمانينه فقوله
فيه سكينه اي هو سبب سكون قلوبكم فيما اختلفتم فيه من امر
طالوت ونظيره فانزل الله سكينته عليه اي انزل عليه ما سكن قلبه
وقيل اراد ان التابوت كان سبب سكون قلوبكم فاينما كانوا
سكنوا اليه ولم يفروا عن التابوت اذا كان معهم في الحرب وقال
وهب بن منبه السكينه روح من الله تتكلم فكانوا اذا اختلفوا
في امر نطقت بما يريدون واذا صاحت في الحرب كان الظفر لهم
وقال علي بن ابي طالب هي ريح هفافه لها وجه كوجه الانسان وروي
عنه انه قال هي ريح خجوج ولها راسان وقال مجاهد حيوان كالهر
له جناحان وذنب ولعينيه شعاع فاذا نظرت الى الجيش انهزم
وقال ابن عباس طست من ذهب من الجنه كان يغسل فيه قلوب الانبيا
وقاله السدي قال ابن عطيه والصحيح ان التابوت فيه اشيا فاضله
من بقايا الانبيا واثارهم فكانت النفوس تسكن الى ذلك وتانس
به وتتقوى قلت وفي صحيح مسلم عن البرا قال كان رجل يقرا سورة
الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين فتغشته سحابه فجعلت تدور
وتدنوا وجعل فرسه ينفر منها فلما اصبح اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فذكر ذلك له فقال تلك السكينه تنزلت للقران وفي حديث ابي سعيد
الخدري ان اسيد بن الحضير بينما هو ليله يقرا في مربده الحديث
وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الملايكه كانت تسمع

كانت م

نزلت

لك ولو

لك ولو قرات لاصبحت تراها الناس ما يستتر منهم خرجه
البخاري ومسلم فاخبر صلى الله عليه وسلم عن نزول السكينه مرة
ومره عن نزول الملايكه فدل ان السكينه كانت الظله وانما تنزل
ابدا مع الملايكه وفي هذا حجه لمن قال ان السكينه روح او شي له روح
لانه لا يصح استماع القران الا لمن يعقل والله اعلم تعالى
وبقيه اختلف في البقية على اقوال فقيل عصى موسى ورضاض الالوا
وقال الثوري من الناس من يقول البقيه قفيز من منّ في طست من
ذهب وعصى موسى وعمامه هارون ورضاض الالواح ومنهم من
يقول العصا والنعلان ومعنى هذا ما روي من ان موسى لما جا قومه
بالالواح فوجدهم قد عبدوا العجل القى الالواح غضبا فتكسرت
فنزع منها ما كان صحيحا واخذ رضاضها ثم فجعله في التابوت وقال الضحاك
البقية الجهاد وقتال الاعدا قال ابن عطيه اي الامر بذلك في التابوت
اما انه مكتوب فيه واما ان نفس الاتيان به هو كالامر بذلك واسند
الترك الى موسى وهارون من حيث كان الامر مندرجا من قوم الى قوم وكلهم
ال موسى وهارون وال الرجل قرابته وقد تقدم تعالى فلما
فصل طالوت بالجنود الى قوله مع الصابرين فيه احدى عشر مسئلة
قوله تعالى فلما فصل طالوت فصل معناه خرج بهم فصلت الشي
فانفصل اي قطعته فانقطع قال وهب بن منبه لما فصل طالوت قالوا
له ان المياه لا تحملنا فادع الله ان يجري لنا نهرا فقال لهم طالوت ان الله
مبتليكم بنهر وكان عدد الجنود في قول السدي ثمانين الفا وقال
وهب لم يتخلف عنه الا ذو عذر من صغر او كبر او مرض والابتلا الاختبار

ح قال ابن عباس المراد علم التوراة وقال ابو

والنهر والنهر لغتان واشتقاقه من السعه ومنه النهار وقد تقدم
قال قتادة النهر الذي ابتلاهم الله به هو نهر بين الاردن وفلسطين
وقرا الجمهور بنهر بفتح الها وقرا مجاهد وحميد والاعرج بنهر باسكان
الها ومعنى هذا الابتلا انه اختبار لهم فمن ظهرت طاعته في ترك الما
علم انه مطيع فيما عدا من ذلك ومن غلبته شهوته في الما وعصى الامر
فهو بالعصيان في الشدايد احرى فروى انهم اتوا النهر وهم قد
نالهم عطش وهو في غاية العذوبة والحسن فلذلك رخص للمطيعين
في الغرفه ليرتفع عنهم اذى العطش بعض الارتفاع وليكسروا نزاع
النفس في هذه الحال وبين ان الغرفه كافه ضرر العطش عند الحزمه
الصابرين على شظف العيش الذين همهم في غير الرفاهيه كما قال عروة
واحسوا قراح الما والما بارد قلت ومن هذا المعنى قوله عليه السلام
حسب المر لقيمات يقمن صلبه وقال بعض من يتعاطي غوامض المعاني هذه
الايه مثل ضربه الله للدنيا فشبهها بالنهر والشارب منه بالمايل
اليها والمستكثر منها والتارك لشربه بالمنحرف عنها والزاهد فيها والمغترف
بيده غرفه بالاخذ منها قدر الحاجه واحوال الثلاثه عند الله مختلفه
قلت ما احسن هذا لولا ما فيه من التحريف في التعريف والخروج عن
الظاهر لكن معناه صحيح من هذا استدل من قال ان طالوت
كان نبيا بقوله ان الله مبتليكم وان الله اوحي اليه بذلك والهمه وجعل
الالهام ابتلا من الله لهم ومن قال لم يكن نبيا قال اخبره نبيهم شمويل بالوحي
حين اخبر طالوت قومه بهذا وانما وقع هذا الابتلا ليتميز الصادق
من الكاذب وقد ذهب قوم الى ان عبد الله بن حذافه السهمي صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم

ان الذي ابتلاهم الله تعالى نهر بين الاردن

عمرو

صلى الله عليه وسلم انما امر اصحابه بايقاد النار والدخول فيها تجربة لطاعتهم
لكنه حمله مزاحة على تخشين الامر الذي كلفهم وسياتي بيانه في النسا ان شا الله
قوله تعالى فمن شرب قيل معناه كرع ومعنى ليس مني اي ليس من
اصحابي في هذه الحرب ولم يخرجهم بذلك عن الايمان قال السدي كانوا ثمانين
الفا ولا محاله انه كان فيهم المومن والمنافق والجد والكسلان وفي الحديث
من غشنا فليس منا اي ليس من اصحابنا ولا على طريقنا وهدينا قال
ابو جالوت في اسد فخورا فاني لست منك ولست مني وهذا
مهيع في كلام العرب يقول الرجل لابنه اذا سلك غير اسلوبه لست
مني قوله تعالى ومن لم يطعمه يقال طعمت الشي اي ذقته
واطعمته الما اي اذقته ولم يقل ومن لم يشربه لان عادة العرب اذا
كرهوا شيا ان يكرروه بلفظ اخر ولغة القران افصح اللغات فلا
غيره يقدح من يقول لا يقال طعمت الما استدل علماونا
بهذا القول بسد الذرايع لان الذي وقع يدخل في لفظ الطعم فاذا
وقع النهي عن الطعم فلا سبيل الى وقوع الشرب ممن يتجنب الطعام
ولهذه المبالغة لم يات الكلام ومن لم يشرب منه
لما قال تعالى ومن لم يطعمه دل على ان الما طعام واذا كان طعاما كان
قوتا لبقايه واقتيات الابدان به فوجب ان يجري فيه الربا قال
ابن العربي وهو الصحيح من المذهب وقال ابو عمر قال مالك لا باس
ببيع الما بالما متفاضلا والى اجل وهو قول ابي حنيفة وابي يوسف
وقال محمد بن الحسن هو مما يكال ويوزن فعلى هذا القول لا يجوز
عنده التفاضل وذلك عنده فيه ربا لان علته في الربا الكيل والوزن

وقال الشافعي لا يجوز بيع الما متفاضلا ولا يجوز فيه الاجل وعلته
ان يكون ما لا جنسا   قال بن العربي قال ابو حنيفه
من قال ان شرب عبدي فلان من الفرات فهو حر فلا يعتق الا ان يكرع
فيه والكرع ان يشرب الرجل بفيه من النهر فان شرب بيده او اغترف
بالانا منه لم يعتق لان الله سبحانه فرق بين الكرع في النهر وبين الشرب
باليد قال وهذا فاسد لان شرب الما ينطلق على كل هيه وصفه في
لسان العرب من غرف باليد او كرع بالفم انطلاقا واحدا
فاذا وجد الشرب المحلوف عليه لغه وحقيقه حنث فاعلمه
قلت قول ابي حنيفه اصح فان اهل اللغه فرقوا بينهما كما فرق
الكتاب والسنه قال الجوهري وغيره وكرع الما كروعا اذا
تناوله بفيه من موضعه من غير ان يشرب بكفه ولا انا وفيه لغه
اخرى كرع بكسر الرا يكرع كرعا والكرع ما السما يكرع فيه
واما السنه فذكر بن ماجه في سننه ثنا واصل بن عبد الاعلى ثنا بن
فضيل عن ليث عن سعيد بن عامر عن بن عمر قال مررنا على بركه فجعلنا
نكرع فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكرعوا ولكن
اغسلوا ايديكم ثم اشربوا فيها فانه ليس انا اطيب من اليد وهذا
من ليث بن ابي سليم خرج له مسلم وقد ضعف
قوله تعالى الا من اغترف غرفه بيده الاغتراف الاخذ من الشي
باليد وباله ومنه المغرفه والغرف مثل الاغتراف وقري
غرفه بفتح الغين وهي مصدر ولم يقل اغترافه لان معنى الغرف
والاغتراف واحد والغرفه المره الواحده وقري غرفه بضم

الغين

العين وهي الشي المغترف وقال بعض المفسرين الغرفه بالكف
الواحد والغرفه بالكفين وقال بعضهم كلاهما لغتان بمعنى واحد
وقال علي رضي الله عنه الاكف انظف الانيه ومنه قول الحسن
لا يدلفون الى ماء بآنية الا اغترافا من الغدران بالراح الدليف
المشي الرويد قلت ومن اراد الحلال الصرف في هذه الازمان
دون شبهه ولا امترا ولا ارتياب فليشرب بكفيه الما من العيون
والانهار المسخره بالجريان انا الليل وانا النهار مبتغيا بذلك من الله
كسب الحسنات ووضع الاوزار واللحوق بالايمه الابرار قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب بيده وهو يقدر على انا
يريد به التواضع كتب الله له بعدد اصابعه حسنات وهو
انا عيسى بن مريم عليه السلام اذ طرح القدح فقال وهذا مع
الدنيا اخرجه بن ماجه من حديث بن عمر قال نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان نشرب على بطوننا وهو الكرع ونهانا ان
نغرف باليد الواحده وقال لا يلغ احدكم كما يلغ الكلب ولا يشرب
باليد الواحده كما يشرب القوم الذين سخط الله عليهم ولا يشرب
بالليل في انا حتى يحركه الا ان يكون مخمرا ومن شرب بيده وهو يقدر
الحديث في اسناده بقيه بن الوليد قال ابو حاتم يكتب حديثه
ولا يحتج به وقال ابو زرعه اذا حدث بقيه عن الثقات فهو ثقه

قوله تعالى فشربوا منه الا قليلا منهم قال بن
عباس شربوا على قدر يقينهم فشرب الكفار شرب الهيم وشرب
العاصون دون ذلك وانصرف من القوم سته وسبعون الفا وبقي

بعض المومنين لم يشرب شيا فاخذ بعضهم الغرفه فاما من شرب
فلم يرو ولم يبرح به العطش واما من ترك الما فحسنت حاله وكان
اجلد ممن اخذ الغرفه والله اعلم العاشره قوله تعالى فلما جاوزه الها
تعود على النهر هو توكيد والذين في موضع رفع عطف على المضمر
في جاوزه يقال جاوزت المكان مجاوزة وجوازا والمجاز في الكلام ما جاز
في الاستعمال ونفذ واستمر على وجهه بن عباس والسدي وجاز
معه النهر اربعة الاف رجل فيهم من شرب فلما نظروا الى جالوت
وجنوده وكانوا مايه الف كلهم شاكون في السلاح رجع منهم ثلاثه
الاف وستمايه وبضعه وثمانون فعلى هذا القول قال المومنون
الموقنون بالبعث والرجوع الى الله عند ذلك وهم عدد اهل بدر كم من
فيه قليله واكثر المفسرين على انه انما جاز معه النهر من لم يشرب جمله
فقال بعضهم كيف نطيق العدو مع كثرتهم فقال اولوا العزم منهم
كم من فيه قليله قال البرا بن عازب كنا نتحدث ان عدة اهل بدر كعدة
اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ثلاثمايه وبضعه عشر رجلا
وفي رواية وثلاثه عشر رجلا وما جاوز معه الا مومن

قوله تعالى قال الذين يظنون الظن هنا بمعنى اليقين
ويجوز ان يكون شكا لا علما اي قال الذين يتوهمون انهم يقتلون
مع طالوت فيلقون الله شهدا فوقع الشك في القتل قوله كم من
فيه قليله غلبت فيه كثيره الفيه الجماعة من الناس والقطعه
منهم من فاوت راسه بالسيف وفايته اى قطعته وفي قولهم
رضي الله عنهم كم من فيه قليله الايه تحريض على القتال واستشعار

للصبر.

للصبر واقتدا بمن صدق به قلت وهذا يجب علينا نحن نفعل

لكن الاعمال القبيحه والنيات الفاسده منعت من ذلك حتى ينكسر

العدد الكثير منا قدام اليسير من العدو وكما شاهدناه غير مرة

ذلك بما كسبت ايدينا وفي البخاري وقال ابو الدردا انما تقاتلون

باعمالكم وفيه مسندا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تنصرون

وترزقون الا بضعفايكم فالاعمال فاسده والضعفا مهملين والصبر

قليل والاعتماد ضعيف والتقوى زايله قال الله تعالى اصبروا وصابروا

وقال وعلى الله فتوكلوا وقال ان الله مع الذين اتقوا والذين هم

محسنون وقال ولينصرن الله من ينصره وقال اذا لقيتم فيه فاثبتوا

واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون فهذه اسباب النصر وشروطه

وهي معدومه عندنا غير موجودة فينا فانا لله وانا اليه راجعون

على ما اصابنا وحل بنا لم يبق من الاسلام الا ذكره ولا من الدين الا

رسمه لظهور الفساد وكثرة العناد لطغيان وقله الرشاد حتى استولي

العدو شرقا وغربا برّا وبحرا وعمت الفتن وعظمت المحن ولا عاصم

الا من رحم تعالى ولما برزوا لجالوت وجنوده الايه

برزوا صاروا في البراز وهو الافيح من الارض المتسع وكان جالوت

امير العمالقه وملكهم طوله ميل ويقال ان البربر من نسله وكان فيما روي

في ثلاث مايه الف فارس وقال عكرمه في تسعين الفا ولما راى المومنون

كثرة عدوهم تضرعوا الى ربهم وهذا كقوله كاين من نبي قتل معه ربيون

كثيرا الى قوله فما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا الايه وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحد يقول في القتال اللهم اصول

واجول وكان صلى الله عليه وسلم يقول اذا لقي العدو اللهم اني اعوذ بك
من شرورهم واجعلك في نحورهم ودعا يوم بدر حتى سقط رداوه
عن منكبيه ليستنجز الله وعده على ما ياتي بيانه في آل عمران ان شا الله تعالى
تعالى فهزموهم باذن الله اي فاتى الله عليهم النصر فهزموهم
كسروهم والهزم الكسر ومنه سقا منهزم اي انثنى بعضه على بعض
مع الجفاف ومنه ما قيل في زمزم انها هزمة جبريل اي هزمها برجله
فخرج الما والهزم ما تكسر من يابس الحطب تعالى وقتل
داود جالوت وذلك ان طالوت الملك اختار من بين قومه لقتال جالوت
وكان رجلا قصيرا مسقاما مصفارا ازرق اصفر وكان جالوت من اشد
الناس واقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان قتل جالوت وهو
راس العمالقة على يديه وهو داود بن ايشا بكسر الهمزة ويقال داود بن
زكريا بن ليسوى من سبط يهودا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام
وكان من اهل بيت المقدس جمع له بين النبوة والملك بعد ان كان داعيا وكان
اصغر اخوته وكان يرعى غنما وكان له سبعة اخوة في اصحاب طالوت فلما
حضرت الحرب قال في نفسه لاذهبن لروية هذه الحرب فلما نهض مر في طريقه
بحجر فناداه يا داود خذني فبي تقتل جالوت ثم ناداه حجر اخر ثم اخر فاخذها
وجعلها في مخلاته وسار فخرج جالوت يطلب مبارزا فكع الناس عنه حتى
قال طالوت من يبرز له ويقتله فانا ازوجه بنتي واحكمه في مالي فجا داود
عليه السلام فقال انا ابرز له واقتله فازدراه طالوت حين راه لصغر سنه
وقصر قده وكان داود ازرق قصيرا ثم نادى ثانيه وثالثه فخرج داود
فقال له طالوت هل جربت نفسك بشي قال نعم قال بماذا قال وقع د

في غنمي

في غنمي فضربته ثم اخذت راسه بلحيته فشققتهما افترى هذا اشد من
الاسد قال لا وكان عند طالوت درع لا يستوي الا على من يقتل جالوت
فاخبره بها والقاها عليه فاستوت فقال طالوت فاركب فرسي وخذ سلاحي
ففعل فلما مشى قليلا رجع فقال الناس جبن الفتى فقال داود ان الله لم
يقتله لي ويعني عليه لم تنفعني هذه الفرس ولا هذه السلاح ولكني
احب ان اقاتله على عادتي قال وكان داود من ارمى الناس بالمقلاع فنزل واخذ
مخلاته فتقلدها واخذ مقلاعه وخرج الى جالوت وهو شاك في
سلاحه على راسه بيضة فيها ثلاث مائة رطل فيما ذكر الماوردي وغيره
فقال له جالوت انت يا فتى تخرج الي قال نعم قال هكذا تخرج الى الكلب
قال نعم وانت اهون قال لاطعمن اليوم لحمك الطير والسباع ثم
تدانيا وقصد جالوت ان ياخذ داود بيده استخفافا به فادخل داود
يده الى الحجارة فروي انها التامت فصارت واحدا فاخذه فوضعه في
المقلاع وسمى الله وادارة ورماه فاصاب به راس جالوت فقتله وحز
راسه وجعله في مخلاته واختلط الناس وحمل اصحاب فكانت الهزيمة
وقد قيل انما اصاب بالحجر تفتت حتى اصاب كل من العسكر شي منه
وكان كالقبضة التي رمى بها النبي صلى الله عليه وسلم هوازن يوم حنين
والله اعلم وقد اكثر الناس في قصص هذه الاي وقد ذكرت لك منها
المقصود والحمد لله قلت وفي قول طالوت من يبرز له ويقتله
فانا ازوجه بنتي واحكمه في مالي معناه ثابت في شرعنا
وهو ان يقول من جا براس فله كذا او اسير فله كذا على ما ياتي بيانه في
الانفال ان شا الله تعالى وفيه دليل على ان المبارزه لا تكون الا با

ذن

الامام كما يقوله احمد واسحق وغيرهما واختلف فيه عن الاوزاعي فحكي
عنه انه قال لا يحمل احد الا باذن امامه وحكي عنه انه قال لا باس
به فان نهى الامام عن البراز فلا يبارز احد الا باذنه واباحت طايفه
البراز ولم تذكر باذن الامام ولا بغير اذنه هذا قول مالك سيل مالك
عن الرجل يقول بين الصفين من يبارز فقال ذلك الى نيته ان كان يريد
بذلك الله فارجوا الا يكون به باس قد كان يفعل ذلك فيما مضى وقال
الشافعي لا باس بالمبارزه قال ابن المنذر المبارزه باذن الامام حسن
وليس على من بارز بغير اذن الامام حرج وليس ذلك بملوم لاني
لا اعلم خبرا يمنع منه واتاه الله الملك والحكمه قال السدي اتاه ملك
طالوت ونبوه شمعون والذي علمه هو هي صنعه الدروع ومنطق
الطير وغير ذلك من انواع علمه صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس هو
ان الله اعطاه سلسله موصوله بالمجره والفلك وراسها عند صومعه
داود فكان لا يحدث في الهوى حدث الا صلصلت السلسله فيعلم داود
ما حدث ولا يمسها ذو عاهه الا برا وكانت علامه دخول قومه في الدين
ان يمسوها بايديهم ثم يمسحون اكفهم على صدورهم وكانوا يتحاكمون اليها
بعد داود عليه السلام الى ان رفعت   تعالى مما يشا اي مما شا
وقد يوصف المستقبل موضع الماضي وقد تقدم قوله تعالى ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض هذا قراه الجماعه الا نافعا فانه قرا دفاع ويجوز ان
يكون مصدر الفعل كما يقال حسب الشي حسابا واب ايابا ولقيته لقاء
ومثله كتبه كتابا ومنه كتاب الله عليكم النحاس وهذا حسن فيكون دفاع ودفع
مصدرين لدفع وهو مذهب سيبويه وقال ابو حاتم دافع ودفع واحد

مثل

مثل طرقت نعلي وطارقت اي خصفت احداهما فوق الاخري والخصف
الخرز واختار ابو عبيد قراة الجمهور ولولا دفع الله واكثر يقرا
دفاع وقال لان الله جل وعز لا يغالبه احد قال نحي هذا وهم توهم
فيه باب المفاعلة وليس به واسم الله في موضع رفع بالفعل اي لولا ان
يدفع الله ودفاع مرفوع بالابتدا عند سيبويه وهو عنده مثل قولك
ذهبت بزيد فزيد في موضع مفعول فاعلمه

واختلف العلما في الناس المدفوع بهم الفساد من هم فقيل هم الابدال
وهم اربعون رجلا كلما مات احد ابدل مكانه اخر فاذا كان عند القيامه
ماتوا كلهم اثنان وعشرون منهم بالشام وثمانيه عشر بالعراق وروي
عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
الابدال يكونون بالشام وهم اربعون رجلا كلما مات رجل ابدل
مكانه رجلا يستقى بهم الغيث وينصر بهم على الاعدا ويصرف بهم عن اهل
الارض البلا ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وخرج ايضا
عن ابي الدردا قال ان الانبيا كانوا اوتاد الارض فلما انقطعت (مطلب)
النبوة ابدل الله مكانهم قوما من امة احمد يقال لهم الابدال
لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بحسن الخلق وصدق الورع
وحسن النية وسلامة القلوب لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغا
مرضات الله بصبر وحلم ولب وتواضع في غير مذلة فهم خلفا الانبيا
قوم اصطفاهم الله لنفسه واستخلصهم بعلمه لنفسه وهم اربعون
صديقا منهم ثلاثون رجلا على مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن فبهم
ترفع المكاره عن اهل الارض والبلا عن الناس وبهم يمطرون ويرزقون

لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد انشا من يخلفه وقال ابن عباس لولا
دفع الله العدو بجنود المسلمين لغلب المشركون فقتلوا المومنين وخربوا
البلاد والمساجد وقال سفيان الثوري هم الشهود الذين تستخرج بهم
الحقوق وحكى مكي ان اكثر المفسرين على ان المعنى لولا ان الله يدفع بمن
يصلي عمن لا يصلي وبمن يتقي عمن لا يتقي لاهلك الناس بذنوبهم وكذا
ذكر النحاس والثعلبي ايضا قال الثعلبي وقال ساير المفسرين ولولا دفاع
الله بالمومنين الابرار عن الكفار والفجار لفسدت الارض اي هلكت
وذكر حديثا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يدفع العذاب بمن يصلي من
امتي عمن لا يصلي وبمن يزكي عمن لا يزكي وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا
يحج وبمن يجاهد عمن لا يجاهد ولو اجتمعوا على ترك هذه الاشيا ما انظرهم
الله طرفة عين ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولولا دفاع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الارض وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملكا
ينادي كل يوم لولا عباد ركع واطفال رضع وبهايم رتع لصب عليكم العذاب
صبا خرجه ابو بكر الخطيب بمعناه من حديث الفضيل بن عياض ثنا منصور
عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لولا فيكم رجال خشع وبهايم رتع وصبيان رضع لصب العذاب على المومنين
صبا اخذ بعضهم هذا المعنى فقال لولا عباد للاله ركع وصبية من اليتامى
رضع ومهملات في الفلاة رتع صب عليكم العذاب الاوجع وروى جابر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليصلح بصلاح الرجل ولده وولد
ولده ودويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم وقال
قتادة يبتلي الله المومن بالكافر ويعافي الكافر بالمومن وقال ابو عمر قال النبي

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمومن الصالح عن مايه من اهل بيته
وجيرانه البلا ثم قرا ابن عمر ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الارض وقيل هذا هو الدفع بما شرع على السنه الرسل من الشرايع ولو
لا ذلك لتسالب الناس وتناهبوا وهلكوا وهذا قول حسن فانه عموم
في الكف والدفع وغير ذلك فتامله ولكن الله ذو فضل على العالمين
بين سبحانه ان دفعه بالمومنين شر الكافرين فضل منه ونعمه
تعالى تلك ابتدا ايات الله خبره وان شيت كان بدلا والخبر نتلوها
عليك بالحق وانك لمن المرسلين خبر ان اي وانك لمرسل نبه الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم ان هذه الايات التي تقدم ذكرها لا ياتي بها الا نبي مرسل
تعالى تلك الرسل قال تلك ولم يقل ذلك مراعاة لتانيث
لفظ الجماعة وهي رفع بالابتدا والرسل نعته وخبر الابتدا الجمله وقيل
الرسل عطف بيان وفضلنا الخبر وهذه ايه مشكله والاحاديث ثابته
بان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تخيروا بين الانبيا ولا تفضلوا بين
انبيا الله رواها الايمه الثقات اي لا تقولوا فلان خير من فلان ولا فلان
افضل من فلان يقال خير فلان بين فلان وفلان وفضل مشددا اذا قال
ذلك وقد اختلف العلما في تاويل هذا المعنى فقال قوم ان هذا كان قبل ان
يوحي اليه بالتفضيل وقبل ان يعلم انه سيد ولد ادم وان القران ناسخ
للمنع من التفضيل وقال ابن قتيبه انما اراد بقوله انا سيد ولد ادم يوم
القيامة لانه الشافع يوميذ وله لوا الحمد والحوض واراد بقوله لا
تخيروني على موسى على طريق التواضع كما قال ابو بكر وليتكم ولست
بخيركم وكذلك معنى قوله لا يقل احد انا خير من يونس بن متى على معنى

التواضع وفي قوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت ما يدل على ان الرسول
صلى الله عليه وسلم افضل منه لان الله تعالى يقول ولا تكن مثله فدل ان
قوله لا تفضلوني عليه من طريق التواضع ويجوز ان يريد لا تفضلوني عليه
في العمل فلعله افضل عملا مني ولا في البلوى والامتحان فانه اعظم
محنة مني وليس ما اعطاه الله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من السودد والفضل
يوم القيامة على جميع الانبيا والرسل بعمله بل بتفضل الله اياه واختصاصه
له وهذا التاويل اختاره المهلب ومنهم من قال انما نهى عن الخوض في ذلك
د ريعة الى الجدال وذلك يودي ان يذكر منهم ما لا ينبغي ان يذكر ويقل
احترامهم عند المماراه قال شيخنا فلا يقال النبي افضل من الانبيا كلهم ولا من
فلان ولا خير كما هو ظاهر النهي لما يتوهم من النقص في المفضول فالنهي
اقتضا منع اطلاق اللفظ لا منع اعتقاد ذلك المعنى فان الله اخبر بان الرسل
متفاضلون فلا يقول نبينا خير من الانبيا ولا من فلان النبي اجتنابا لما
نهي عنه وتادبا به وعملا باعتقاد ما تضمنه القران من التفضيل والله بحقا
يق الامور عليم قلت واحسن من هذا قول من قال ان المنع من التفضيل انما هو من
جهة النبوه التي هي خصلة واحده لا تفاضل فيها وانما التفاضل في زيادة الاحوال
والخصوص والكرامات والالطاف والمعجزات المتباينات واما النبوه في نفسها
فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زايده عليها ولذلك منهم رسل واولوا عزم
ومنهم من اتخذ خليلا ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض واتينا داود زبورا وقال تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض **قلت** وهذا قول حسن فانه جمع بين الاي والاحاديث
من غير نسخ والقول بتفضيل بعضهم على بعض انما هو بما منح من الفضايل.

واعطي

واعطى من الوسايل وقد اشار ابن عباس الى هذا فقال ان الله فضل محمدا على
الانبيا وعلى اهل السما فقالوا يا ابن عباس بم فضله على اهل السما قال ان الله تعالى
قال ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين
وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر قالوا فما فضله على الانبيا قال قال الله تعالى وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وقال عز وجل لمحمد صلى الله عليه
وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس فارسله الى الجن والانس ذكره الدارمي
ابو محمد في مسنده وقال ابو هريرة خير بني ادم نوح وابراهيم وموسى
ومحمد صلى الله عليه وسلم اولوا العزم من الرسل وهذا نص من ابن عباس
وابي هريرة في التعيين ومعلوم ان من ارسل افضل ممن لم يرسل
فان من ارسل فضل غيره بالرسالة واستووا في النبوة الى ما تلقاه
الرسل من تكذيب اممهم وقتلهم اياهم وهذا مما لا خفا به الا ان
ابن عطيه ابا محمد عبد الحق قال ان القران يقتضي التفضيل وذلك
في الجملة دون تعيين مفضول وكذا في الاحاديث ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم انا اكرم ولد ادم على ربي وقال انا سيد
ولد ادم ولم يعين وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لاحد ان يقول
انا خير من يونس ابن متى وقال لا تفضلوني على موسى قال ابن عطيه
وفي هذا نهي شديد عن تعيين المفضول لان يونس عليه السلام كان
شابا وتفسخ تحت اعبا النبوة فاذا كان هذا التوقيف لمحمد صلى الله
عليه وسلم فغيره احرى قلت ما اخترناه اولى ان شا الله فان الله
تعالى لما اخبر انه فضل بعضهم على بعض جعل يبين بعض الفاضلين ويذكر

الاحوال التي فضلوا فقال منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
واتينا عيسى بن مريم البينات واتينا داود زبورا وقال واتيناه
الانجيل ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان وضيا وذكرا للمتقين
وقال ولقد اتينا داود وسليمان علما وقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح فعم ثم خص نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وهذا ظاهر
قلت وهذا القول في الصحابه ان شا الله تعالى اشتركوا في الصحبه ثم
تباينوا في الفضايل بما منحهم الله من المواهب والوسايل فهم متفاضلون
بتلك مع ان الكل شملتهم الصحبه والعداله والثنا عليهم وحسبك بقوله
الحق محمد رسول الله والذين معه الى اخر السورة وقال والزمهم كلمة التقوى
وكانوا احق بها واهلها ثم قال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل
وقال لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجره فعم وخص ونفى
عنهم الشين والنقص رضي الله عنهم اجمعين ونفعنا بجميعهم امين تعالى
منهم من كلم الله المكلم موسى وقد سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ادم ابني
مرسل فقال نعم نبي مكلم قال بن عطيه وقد تاول بعض الناس ان تكليم ادم
كان في الجنه فعلى هذا تبقى خاصيه وحدة فيها لطول الاسم والمعنى من كلمه
الله تعالى ورفع بعضهم درجات قال النحاس بعضهم هنا على قول بن عباس
والشعبي ومجاهد محمد صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر
والاسود وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا ونصرت بالرعب مسيره شهر
واحلت لي الغنايم واعطيت الشفاعة ومن ذلك القران وانشقاق القمر
وتكليمه الشجر والطعامه خلقا عظيما من تميرات ودرر وشاه ام معبد
بعد جفاف وقال بن عطيه معناه وزاد وهو اعظم الناس امة وختم

ه النبيون الى غير ذلك من الخلق العظيم الذى اعطاه الله ويحتمل اللفظ
ان يراد به محمد صلى الله عليه وسلم وغيره ممن عظمت اياته ويكون الكلام
تاكيدا ويحتمل ان يريد رفع ادريس المكان العلى ومراتب الانبيا في السما
كما في حديث الاسرا وسياتي بينات عيسى هي احيا الموتى وابرا الاكمه
والابرص وخلق الطير من الطين كما نص عليه التنزيل وايدناه قويناه
وروح القدس جبريل عليه السلام وقد تقدم تعالى ولو شا
الله ما اقتتل الذين من بعدهم اي من بعد الرسل قيل الضمير لموسى وعيسى
والاثنان جمع وقيل من بعد جميع الرسل وهو ظاهر اللفظ وان القتال
انما وقع ممن جا بعدهم وليس كذلك المعنى بل المراد ما اقتتل الناس بعد
كل نبي وهذا كما تقول اشتريت خيلا ثم بعتها فجايز لك هذه العبارة
وانت انما اشتريت فرسا وبعته ثم اخر وبعته وكذلك هذه النوازل
انما اختلف الناس بعد كل نبي فمنهم من امن ومنهم من كفر بغيا وحسدا
وعلى حطام الدنيا وذلك بقضا وقدر وارادة من الله تعالى ولو شا خلاف
ذلك لكان ولكنه المستاثر بسر الحكمة في ذلك الفعل لما يريد وكسرت
النون من ولكن اختلفوا لالتقا الساكنين ويجوز حذفها في غير القران
وانشد سيبويه فلست باتيه ولا استطيعه ولاك اسقني
ان كان ماؤك ذا فضل فمنهم من امن ومنهم من كفر من في موضع رفع
بالابتدا والصفة تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا الاية
قال الحسن هي الزكاة وقال بن جريج وسعيد بن جبير هذه الاية تجمع
الزكاة والتطوع قال بن عطية وهذا صحيح وما تقدم من الايات
في ذكر القتال وان الله يدفع بالمومنين في صدور الكافرين يترجح

منه ان هذا الندب انما هو في سبيل الله ويقوي ذلك في اخر الايه
والكافرون هم الظالمون اي فحاربوهم بالقتال بالانفس وانفاق الاموال
قلت وعلى هذا التاويل يكون انفاق المال مره واجبه ومره ندبا بحسب
تعين الجهاد وعدم تعينه وامر تعالى عباده بالانفاق مما رزقهم الله وانعم
به عليهم وحذرهم من الامساك الى ان يجي يوم لا يمكن فيه بيع ولا شرا
ولا استدراك نفقه كما قال فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب
فاصدق والخله خالص الموده ماخوذ من تخلل الاسرار بين الصديقين والخلاله
والخلاله والخلاله الصداقه والموده قال الشاعر فكيف تواصل من
اصبحت خلالته كابي مرحب وابو مرحب كنيه الظل ويقال هو كنيه عرقوب
الذي قيل فيه مواعيد عرقوب والخله بالضم ايضا ما خلا من النبت
يقال الخله خبز الابل والحمض فاكهتها والخله بفتح الخا الحاجه والفقر
والخله بن مخاض عن الاصمعي يقال اتاهم بقرص كانه فرسن خله والانثى
خله ايضا ويقال للميت اللهم اصلح خلته اي الثلمه التي ترك والخله الخمر
الحامضه والخله بالكسر واحده خلل السيوف وهي بطاين كانت تغشى
بها اجفان السيوف منقوشه بالذهب وغيره وهي ايضا سيور
تلبس ظهور سيتي القوس والخله ما يبقى بين الاسنان وسياتي في النسا
اشتقاق الخليل ومعناه ان شا الله تعالى فاخبر تعالى ان لا خله في الاخره
نافعه ولا شفاعه الا باذن الله وحقيقتها رحمه منه تعالى يشرف بها
الذي اذن له في ان يشفع وقرا ابن كثير وابو عمرو لا بيع فيه ولا خله ولا شفاعه
بالنصب من غير تنوين وكذلك في سوره ابراهيم لا بيع فيه ولا خلال
وفي الطور لا لغو فيها ولا تاثيم وانشد حسان بن ثابت الا

ولا استدراك

طغان

طعان ولا مرسان عاديه الا تجشولهم عند التنانير والف الاستفهام غير معتبره
عمل لا لقولك الا رجل عندك ويجوز الا رجل ولا امراة كما جاز ذلك في غير الاستفها م
فاعله وقرا الباقون جميع ذلك بالرفع والتنوين كما قال الراعي وما صرمتك حتى
قلت معلنه لا ناقة لي فيها ولا جمل ويروي وما هجرتك بالفتح على النفي العا م
للمستغرق لجميع الوجوه من ذلك الصنف لانه جواب لمن قال هل فيه من بيع
فسال سوالا عاما فاجيب جوابا عاما بالنفي ولا مع الاسم المنفي بمنزلة اسم
واحد في موضع رفع بالابتدا والخبر فيه وان شيت جعلته صفة ليوم ومن
رفع جعل لا بمنزلة ليس وجعل الجواب غير عام ولانه من قال هل فيه بيع باسقا ط
من فاتا الجواب غير مغير عن رفعه والمرفوع مبتدا او اسم ليس وفيه الخبر
قال مكي والاختيار الرفع لان اكثر القرا عليه ويجوز في غير القران لا بيع فيه
ولا خلة برفع خلة وانشد سيبويه لرجل من مذحج هذا لعمركم
الصغار بعينه لا ام لي ان كان ذاك ولا اب ويجوز ان تبني الاول
وتنصب الثاني وتنونه فتقول لا رجل فيها ولا امراة وانشد
سيبويه لا نسب اليوم ولا خلة اتسع الخرق على الراتع فلا
زايدة في الموضعين عطف على الموضع والثاني على اللفظ ووجه خا مس
ان ترفع الاول وتبني الثاني كقولك لا رجل فيها ولا امراة قال امية
فلا لغو ولا تاثيم فيها وما فاهوا به ابدا لهم مقيم وهذه الخمسة الاو جه
جايزة في قولك لا حول ولا قوة الا بالله وقد تقدم هذا والحمد لله
والكافرون ابتدا هم ابتدا ثان الظالمون خبر الثاني وان شيت كان
هم زايدة للفصل والظالمون خبر الكافرين قال عطا بن دينار الحمد لله
الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافر ون

تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم هذه اية الكرسي سيده
آي الاذكار واعظم اية كما تقدم بيانه في الفاتحة ونزلت ليلا ودعا
النبي صلى الله عليه وسلم فكتبها روي عن محمد بن الحنفية انه قال لما نزلت
اية الكرسي خر كل صنم في الدنيا وخر كل ملك على وجهه وسقطت التيجان
عن رؤسهم وهربت الشياطين تضرب بعضهم على بعض فاجتمعوا الى ابليس
فاخبروه بذلك فامرهم ان يبحثوا عن ذلك فجاوا الى المدينه فبلغهم ان اية
الكرسي قد نزلت وروى الايمة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا ابا المنذر اتدري اتدري اي اية من كتاب الله معك اعظم
قال قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم قال فضرب في صدري وقال
ليهنك العلم يا ابا المنذر زاد الترمذي الحكيم ابو عبد الله فو الذي نفسي بيده
ان لهذه للسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش قال ابو عبد الله
فهذه الاية انزلها جل ذكره وجعل ثوابها لقاريها عاجلا واجلا فاما في
العاجل فهي حارسة لمن قراها من الافات وروي لنا عن نوف البكالي انه
قال اية الكرسي تدعى في التورية ولية الله يريد يدعى قاريها في السموات
عزيز قال وكان عبد الرحمن بن عوف اذا دخل بيته قرا اية الكرسي في
زوايا بيته الاربع معناه كانه يلتمس بذلك ان تكون له حارسا من
جوانبه الاربع وان تنفي عنه الشيطان من زوايا بيته وروي عن عمر انه صارع
جنيا فصرعه عمر رضي الله فقال له الجني خل عني حتى اعلمك ما تمتنعون به منا
فخلى عنه وساله فقال انكم تمتنعون منا باية الكرسي قلت هذا صحيح وفي
الخبر من قرا اية الكرسي دبر كل صلاة كان الذي يتولى قبض روحه ذو الجلال
والاكرام وكان كمن قاتل مع انبياء الله حتى يستشهد وعن علي رضي الله عنه قال

سمعت

مطلب آية الكرسي

سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم على اعواد المنبر وهو يقول من قرا ايه الكرسي
لم يمنعه من دخول الجنه الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن
قراها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات
حوله وفي البخاري عن ابي هريره قال وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحفظ زكاة رمضان وذكر قصه وفيها فقلت يا رسول الله زعم انه يعلمني
كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال ما هي قال اذا اويت الى فراشك
فاقرا ايه الكرسي من اولها حتى تختم الله لا اله الا هو الحي القيوم وقال لن
يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك الشيطان حتى تصبح وكانوا احرص شي
على الخير فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما انه صدقك وهو كذوب تعلم
من تخاطب منذ ليالي يا ابا هريره قال لا قال ذاك شيطان وفي مسند الدارمي
ابي محمد قال الشعبي قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لقي رجل
من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رجلا من الجن فصارعه فصرعه الانسي فقال
له الانسي اني لاراك ضئيلا شخيتا كان ذريعتك ذريعتي كلب فكذلك
انتم معشر الجن ام انت من بينهم كذلك قال لا والله اني من بينهم لضليع ولكن
عاودني الثانيه فان صرعتني علمتك شيا ينفعك قال نعم قال تقرا الله لا
اله الا هو قال نعم قال فانك لا تقراها في بيت الا خرج منه الشيطان
له خبج كخبج الحمار ثم لا يدخله حتى يصبح اخرجه ابو نعيم عن ابي عاصم الثقفي عن
الشعبي وذكره ابو عبيد في غريب الحديث حدثنا ابو معاويه عن ابي عاصم
الثقفي عن الشعبي عن عبد الله قال فقيل لعبد الله اهو عمر فقال ما عسى ان يكون الا
عمر قال ابو محمد الدارمي الضئيل الدقيق والشخيت المهزول والضليع جيد
الاضلاع والخبج الريح وقال ابو عبيد الخبج الضراط وهو الخبج ايضا بالحاء

قوله

ما قول السادة المحدثين في هذا الحديث هو عن ابي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه اوحى الله تعالى الى موسى
بن عمران ان اقرا اية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة فانه من يقراها في دبر كل صلاة مكتوبة اجعل له قلب
الشاكرين ولسان الذاكرين وثواب النبيين واعمال الصديقين ولا يواظب على ذلك الا نبي او صديق
او عبد امتلا قلبه ايمانا او اريد قتله في سبيل الله هل هذا حديث صحيح ام لا وما معنى ارشاده الى
اية الكرسي مع انها انزلت على نبينا صلى الله عليه وسلم الجواب

الحمد لله الموفق للصواب

هذا الحديث رواه ابن مردويه ولكن قال الحافظ ابن كثير منكر جدا واخرجه الديلمي عن انس رضي الله عنه قريبا من ذلك فقال ايها
المؤمنين ان المؤمنين ندبوا الى المحافظة على قراءة اية الكرسي في دبر كل صلاة فعن انس بن مالك قال اوحى الله الى موسى عليه السلام
من داوم على قراءة اية الكرسي في دبر كل صلوة اعطيته فوق ما اعطي الشاكرين واجر النبيين واعمال الصديقين وبسطت
عليه يميني بالرحمة ولم يمنعه من ادخال الجنة الا ان ياتيه ملك الموت قال موسى يا رب من سمع بهذا ولم يداوم عليه قال واني
لا اعطيه من عبادي الا نبي او صديق او رجل اريد قتله في سبيل الله وعن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال الله تعالى
يا موسى من قرا اية الكرسي في دبر كل صلاة اعطيته ثواب الانبياء قال ابو عبد الله الترمذي معناه عندي انه يعطي مثل ثواب عمل الانبياء
فاما ثواب النبوة فليس لاحد الا الانبياء انتهى ما قاله وظاهره ان المراد بعمل قراءتها فان قلت ما معنى ايحاء الله تعالى الى سيدنا موسى
صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين بما ذكر مع انها انما انزلت على نبينا صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة
قلت على فرض ثبوت هذه الروايات يحتمل ان الله سبحانه وتعالى اعلم سيدنا موسى عليه السلام ان مما
خص به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفضله به على سائر خلقه انه ينزل عليه اية تسمى كذا ولها من الفضل ما ذكر ويؤيد
هذا الاحتمال انه تحكى في التوراة انه الله واما احتمال انها من جملة ما امر بتبليغه وتعبد به فيبعد بل يمنعه ان عليا كرم الله
وجهه قال في اية الكرسي انه لم يعطها احد قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذا ما هو في حفظنا واسعفنا بالله تعالى ولا ارى احدا
صرح بصحة الحديث المذكور والله الموفق كتبه الفقير يونس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم

الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم
المومن الى اليه المصير واية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي ومن قراهما
حتى يمسي حفظ بهما حتى يصبح وقال حديث غريب وقال الترمذي الحكيم
ابو عبد الله وروي ان المومنين ندبوا الى المحافظة في قراتها في دبر كل
صلاة عن انس رفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم قال اوحى الله الى
موسى عليه السلام من داوم على قراة اية الكرسي اعطيته قلوب الشاكرين
واجر النبيين واعمال الصديقين وبسطت عليه يميني بالرحمة ولم يمنعه ان
ادخله الجنة الا ان ياتيه ملك الموت قال موسى عليه السلام يا رب من
سمع بهذا لا يداوم عليه قال اني لا اعطيه من عبادي الا نبيا او صديقا او
رجل احبه او رجل اريد قتله في سبيلي وعن ابي بن كعب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الله تعالى يا موسى من قراة اية الكرسي في دبر كل صلاة
اعطيته ثواب الانبيا قال ابو عبد الله معناه عندنا انه يعطى ثواب
عمل الانبيا فاما ثواب النبوة فليس لاحد الا للانبيا وهذه الاية تضمنت
التوحيد والصفات العلى وهي خمسون كلمة وفي كل كلمة خمسون بركة
وهي تعدل ثلث القران ورد بذلك الحديث ذكره ابن عطيه والله
مبتدا ولا اله مبتدا ثان وخبره محذوف تقديره معبود او موجود
والا هو بدل من موضع لا اله وقيل الله لا اله الا هو ابتدا وخبر
وهو مرفوع محمول على المعنى اي ما اله الا هو ويجوز في غير القران لا
اله الا اياه نصب على الاستثنا قال ابو ذر في حديثه الطويل سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اية انزل عليك من القران اعظم
فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم وقال ابن عباس اشرف اية في القران

اعراب الاية

اية الكرسي

ايه الكرسي قال بعض العلما الا انه تكرر فيها اسم الله بين مضمر وظاهر ثمان
عشر مره الحي القيوم نعت الله عز وجل وان شيت كان بدلا من هو وان
شيت كان خبرا بعد خبر وان شيت على اضمار مبتدا ويجوز في غير القران
النصب على المدح والحي اسم من اسمايه الحسنى سمي به ويقال انه اسم
الله الاعظم ويقال ان عيسى بن مريم عليه السلام اذا اراد ان يحيي الموتى
يدعو بهذا الدعا يا حي يا قيوم ويقال ان آصف بن برخيا لما اراد ان ياتي بعرش
بلقيس الى سليمان دعا بقوله يا حي يا قيوم ويقال ان بني اسرايل سالوا موسى
عليه السلام عن اسم الاعظم ايا هيا شراهيا يعني يا حي يا قيوم ويقال
هو دعا اهل البحر اذا خافوا الغرق يدعوا به قال الطبري عن قوم انه
يقال حي كما وصف نفسه ويسلم ذلك دون ان ينظر فيه وقيل هو سمى
نفسه حيا لصرفه الامور مصاريفها وتقدير الاشيا مقاديرها
وقال قتادة الحي الذي لا يموت وقال السدي المراد بالحي الباقي قال
لبيد فاما تريني اليوم اصبحت سالما فلست باحيا من كلاب
وجعفر وقد قيل ان هذا الاسم هو اسم الله الاعظم والقيوم من
قام اي القايم بتدبير ما خلق عن قتادة وقال الحسن معناه القايم على
كل نفس بما كسبت حتى يجازيها بعملها من حيث هو عالم بها لا يخفى عليه
منها شي وقال بن عباس معناه الذي لا يزول ولا يحول قال اميه
بن ابي الصلت لم تخلق السما والنجوم والشمس معها قمر يقوم قدره
مهيمن قيوم والحشر والجنه والنعيم الا لامر شانه عظيم قال البيهقي
ورايت في عيون التفسير لاسماعيل الضرير في تفسير القيوم قال
ويقال هو الذي لا ينام وكانه اخذه من قوله عز وجل عقيبه في ايه الكرسي

لا تاخذه سنه ولا نوم وقال الكلبي القيوم الذي لا بديل له ذكره ابو بكر
الانباري واصل قيوم قيووم اجتمعت اليا والواو وسبقت احداهما
بالسكون فادغمت الاولى في الثانيه بعد قلب الواو يا ولا يكون قيوم فعولا
لانه من الواو فكان يكون قوّوم وقرا ابن مسعود وعلقمه والنخعي والا
عمش الحي القيام بالالف وروي ذلك عن عمر ولا خلاف بين اهل اللغه في
ان القيوم اعرف عند العرب واصح بنا واثبت علة والقيام منقول عن
القوام الى القيام صرف عن الفعال الى الفيعال كما قيل للصواغ الصياغ قال
الشاعر   ان ذا العرش للذي يرزق الناس وحي عليهم قيوم ثم نفى عز وجل
ان تاخذه سنه او نوم والسنه النعاس في قول الجميع والنعاس ما كان من
العين فاذا صار في القلب صار نوما قال عدي بن الرقاع يصف امراة بفتور
النظر   وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنه وليس بنايم
وفرق المفضل بينهما فقال السنه من الراس والنعاس من العين والنوم
في القلب   وقال ابن زيد الوسنان الذي يقوم من النوم وهو لا يعقل
حتى ربما جرد السيف على اهله قال ابن عطيه وهذا الذي قاله ابن زيد فيه
نظر وليس ذلك بمفهوم من كلام العرب وقال السدي السنه السنه
ريح النوم الذي ياخذ في الوجه فينعس الانسان قلت وبالجمله فهو فتور
يعتري الانسان ولا يفقد معه عقله والمراد بهذه الايه ان الله تعالى لا يدركه
خلل ولا يلحقه ملل بحال من الاحوال والاصل في سنة وسنة حذفت الواو
كما حذفت من يسن والنوم هو المستثقل الذي يزول معه الذهن في حق
البشر والواو للعطف لا توكيد قلت والناس يذكرون في هذا الباب
عن ابي هريره قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي موسى على

المنبر

المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله جل ثناوه فارسل الله اليه ملكا فارقه
ثلاثا ثم اعطاه قارورتين في كل يد قارورة وامره ان يحتفظ بهما قال فجعل
ينام وتكاد يداه يلتقيان ثم يستيقظ فينحي احداهما عن الاخرى حتى نام
نومة فاصطفقت يداه فانكسرت القارورتان قال ضرب الله مثلا ان
لو كان ينام لم تمسك السما والارض ولا يصح هذا الحديث ضعفه
غير واحد منهم البيهقي تعالى له ما في السموات وما في الارض
اي بالملك فهو مالك الجميع وربه وجات العبارة بما وان كان في الجملة من
يعقل من حيث المراد الجملة والموجود قال الطبري نزلت هذه الايه
لما قال الكفار ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى تعالى من ذا
الذي يشفع عنده الا باذنه من رفع بالابتدا وذا خبره والذي نعت لذا
وان شيت بدل ولا يجوز ان يكون ذا زايدة كما زيدت مع ما لان ما
مبهمة فزيدت ذا معها لشبهها بها وتقرر في هذه الايه ان الله ياذن
لمن يشا في الشفاعة وهم الانبيا والعلما والمجاهدون والملايكة وغيرهم ممن
اكرمهم وشرفهم الله ثم لا يشفعون الا لمن ارتضى كما قال بن عطيه والذي
يظهر ان العلما والصالحين يشفعون فيمن لم يصل الى النار وهو بين المنزلتين او
وصل ولكن له اعمال صالحه وفي البخاري في باب بقيه من ابواب الرويه ان
المومنين يقولون ربنا اخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا وهذه
شفاعه فيمن يقرب امره وكما يشفع الطفل المحبنطي على باب الجنه وهذا
انما هو في قراباتهم ومعارفهم وان الانبيا يشفعون فيمن حصل في النار
من عصاة اممهم بذنوب دون قربى ولا معرفة الا بنفس الايمان ثم
تبقى شفاعة ارحم الراحمين في المستغرقين في الذنوب الذين لم تعمل فيهم

شفاعه الانبيا واما شفاعه محمد صلى الله عليه وسلم في تعجيل الحساب
فخاصة له قلت قد بين مسلم في صحيحه كيفية الشفاعة بيانا شافيا وداود
رحمه الله لم يقراه وان الشافعين يدخلون النار ويخرجون منها اناسا استوجبوا
العذاب فعلى هذا لا يبعد ان يكون للمومنين شفاعات شفاعة فيمن لم يصل
الى النار وشفاعة فيمن يصل اليها ودخلها اجارنا الله منها فذكر من حديث
ابي سعيد الخدري ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم
سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيها خطاطيف
وكلاليب وحسكة يكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المومنون كطرف
العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم
ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى اذا خلص المومنون من النار
فو الذي نفسي بيده ما من احد منكم باشد مناشدة في استيفا الحق من
المومنين يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون
معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار
فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه يقو
لون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقول جل وعز ارجعوا فمن وجدتم
في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون
ربنا لم [نذر فيها احدا] ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف مثقال
من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا
احدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه
فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول
ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة

وان تكن

وان يك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله تعالى
شفعت الملايكه وشفع النبيون وشفع المومنون ولم يبق الا ارحم
الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد
عادوا حمما وذكر الحديث وذكر من حديث انس ان النبي عليه السلام
فاقول يا رب اذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك او قال
ليس ذلك اليك وعزتي وكبريايي وعظمتي وجبريايي لاخرجن من قال
لا اله الا الله وذكر من حديث ابي هريرة عنه عليه السلام حتى اذا فرغ
الله من القضا بين العباد واراد ان يخرج برحمته من اراد من اهل النار
امر الملايكه ان يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيا ممن اراد الله ان يرحمه
فيعرفونهم في النار يعرفونهم باثر السجود تاكل النار ابن ادم الا اثر السجود
حرم الله على النار ان تاكل اثر السجود الحديث بطوله قلت فدلت
هذه الاحاديث على ان شفاعة المومنين وغيرهم انما هي لمن حصل في
النار ودخلها اجارنا الله منها وقول ابن عطيه لم يصل او وصل يحتمل
ان يكون اخذه من احاديث اخر والله اعلم وقد خرج ابن ماجه في سننه عن
انس بن ملك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف الناس
يوم القيمه صفوفا وقال ابن نمير اهل الجنه فيمر الرجل من اهل النار على
الرجل فيقول يا فلان اما تذكر يوما استسقيت فسقيتك شربة
فيشفع له ويمر الرجل على الرجل فيقول اما تذكر يوما ناولتك طهورا فيشفع
له قال ابن نمير ويقول يا فلان اما تذكر يوم بعثتني لحاجة كذا وكذا فذهبت
لك فيشفع له واما شفاعات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاختلف فيها
فقيل ثلاث وقيل اثنتين وقيل خمس ياتي بيانها في سبحان ان شا الله تعالى

وقد اتينا عليها في باب التذكير والحمد لله   تعالى يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم الضمير ان عايد على كل من يعقل ممن تضمن قوله له ما في
السموات وما في الارض وقال مجاهد ما بين ايديهم الدنيا وما خلفهم
الاخرة قال ابن عطيه وهذا صحيح في نفسه لان ما بين اليد هو كل ما تقدم
الانسان وما خلفه هو كلما ياتي بعد ونحو قول مجاهد قال السدي
وغيره   تعالى ولا يحيطون بشي من علمه الا بما شا العلم هنا بمعنى
المعلوم اي ولا يحيطون بشي من معلوماته وهذا القول الخضر لموسى عليهما
السلام حين نقر العصفور في البحر ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا كما نقص هذا
العصفور من هذا البحر فهذا وما شاكله راجع الى المعلومات لان
علم الله سبحانه الذي هو صفة ذاته لا يتبعض ومعنى الاية لا معلوم
لاحد الا ما شا الله ان يعلم   تعالى وسع كرسيه السموات
والارض ذكر ابن عساكر في تاريخه عن علي رضي الله قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الكرسي لولو والقلم لولو وطول القلم سبع مايه سنه
وطول حيث لا يعلمه العالمون وروي حماد بن سلمه عن عاصم بن بهدله
وهو عاصم بن ابي النجود عن زر بن حبيش عن ابن مسعود قال بين كل
سما ابن خمس مايه عام والعرش بين السما السابعة وبين الكرسي خمس مايه
عام وبين الكرسي وبين العرش مسيرة خمسمائة عام والعرش فوق الماء
والله فوق العرش يعلم ما انتم فيه وعليه يقال كرسي وكرسي والجمع الكراسي
وقال ابن عباس كرسيه علمه ورجحه الطبري قال ومنه الكراسة التي
تضم العلم ومنه قيل للعلما الكراسي لانهم المعتمد عليهم كما يقال اوتاد
الارض قال الشاعر   تحف بهم بيض الوجوه وعصبة كراسي بالاحداث

حين تنوب

حين تتوب اي علما بحوادث الامور وقيل كرسيه قدرته التي تمسك بها السموات والارض كما تقول اجعل لهذا الحايط كرسيا اي ما يعمده وهذا قريب من قول بن عباس قال البيهقي ورويناعن سعيد بن جبير عن بن عباس في قوله وسع كرسيه قال علمه وساير الروايات عن بن عباس وغيره تدل على ان المراد به الكرسي المشهور مع العرش وروي اسرايل عن السدي عن ابي مالك في قوله وسع كرسيه السماوات والارض قال ان الصخرة التي الارض السابعة ومنتهى الخلق على ارجايها عليها اربعة من الملايكة لكل واحد منهم اربعة وجوه وجه انسان ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر فهم قيام عليها قد احاطوا بالارضين والسموات وروسهم تحت الكرسي والكرسي تحت العرش والله واضع كرسيه فوق العرش قال البيهقي في هذا اشارة الى كرسيين احدهما تحت العرش والاخر موضوع على العرش وفي رواية اسباط عن السدي عن ابي مالك عن ابي صالح عن بن عباس وعن مرة الهمداني عن بن مسعود وعن ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله وسع كرسيه السموات والارض فان السموات والارض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش وارباب الالحاد حملوها على عظم الملك وجلالة السلطان وينكرون وجود العرش والكرسي وليس بشي واهل الحق يجيزونهما اذ في قدرة الله متسع فيجب الايمان بذلك قال ابو موسى الاشعري رضي الله عنه الكرسي موضع القدمين وله اطيط كاطيط الرحل قال البيهقي قد روينا في هذا ايضا عن بن عباس وذكرنا ان معناه فيما يروى انه موضوع من العرش موضع القدمين من السرير وليس فيه اثبات المكان لله

تعالى وعن بن بريدة عن ابيه قال لما قدم جعفر من الحبشة قال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعجب شي رايته ثم قال
رايت امراة على راسها مكتل من طعام فمر فارس فاذراه فقعدت
تجمع طعامها ثم التفتت اليه فقالت له ويلك يوم يضع
الملك كرسيه فياخذ للمظلوم من الظالم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تصديقا لقولها لا قدست امه او كيف
تقدس امه لا ياخذ ضعيفها حقه من شديدها قال بن
عطيه في قول ابي موسى الكرسي موضع القدمين يريد هو
عرش الرحمن لموضع القدمين في اسرة الملوك فهو مخلوق
عظيم بين يدي العرش نسبته اليه نسبة الكرسي الملك وقال
الحسن بن ابي الحسن الكرسي هو العرش نفسه وهذا ليس بمرضي
والذي تقتضيه الاحاديث ان الكرسي مخلوق بين يدي العرش
والعرش اعظم منه روى ابو ادريس الخولاني عن ابي ذر قال
قلت يا رسول الله اي ما انزل عليك اعظم قال اية الكرسي ثم
قال يا ابا ذر ما السموات مع الكرسي الا كحلقة ملقاة بارض
فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة اخرجه
الاجري وابو حاتم البستي في صحيح مسنده والبيهقي وذكر
انه صحيح وقال مجاهد ما السموات والارض في الكرسي الا
بمنزلة حلقة ملقاة في ارض فلاة وهذه الاية منبئة عن عظم
مخلوقات الله ويستفاد من ذلك عظم قدرة الله اذ لا يوده
حفظ هذا الامر العظيم ويؤده معناه يثقله يقال اداني الشي بمعنى

اثقلني

انقلني وتحملت منه مشقه وبهذا فسر اللفظه بن عباس
والحسن وقتادة وغيرهم الزجاج فجايز ان تكون الها الله عز
وجل وجايز ان يكون الكرسي واذا كانت للكرسي فهو من امر الله
والعلي يراد به علو القدر والمنزله لا علو المكان لان الله عن التحيز
وحكى الطبري عن قوم انهم قالوا هو العلي عن خلقه بارتفاع
مكانه عن اماكن خلقه قال بن عطيه وهذا قول جهلة مجسمين
وكان الوجه الا يحكى وعن عبد الرحمن بن قرط ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليله اسري به سمع تسبيحا في السموات العلى
سبحان العلي الاعلى سبحانه وتعالى والعلي والعالي القاهر الغالب
للاشيا بقول العرب علا فلان فلانا اي غلبه وقهره قال
الشاعر فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر
وكاسر ومنه قوله ان فرعون علا في الارض والعظيم صفه
بمعنى عظيم القدر والخطر والشرف على معنى عظم الاجرام
وحكى الطبري عن قوم ان العظيم معناه المعظم كما قال
العتيق بمعنى المعتق وانشد بيت الاعشى فكان الخمر
العتيق من الاسفنط ممزوجه بما زلال وذكر عن قوم انهم
انكروا ذلك وقالوا لو كان بمعنى معظم لوجب الا يكون
عظيما قبل ان يخلق الخلق وبعد فنايهم اذ لا معظم
له حينيذ تعالى لا اكراه في الدين فيه مسلتان

قوله تعالى لا اكراه في الدين في هذه الايه للمعتقد والمله
قرينه قوله قد تبين الرشد من الغي والاكراه في الاحكام من

الايمان والبيوع والهبات ليس هذا موضعه وانما يجي في تفسير قوله لا
من اكره وقرا ابو عبد الرحمن قد تبين الرشد من الغي وكذا يروي
عن الحسن والشعبي يقال رشد يرشد رشدا ورشد يرشد
رشدا اذا بلغ ما يحب وغوى ضده عن النحاس وحكى عن ابن عطيه
عن ابي عبد الرحمن السلمي انه قرا الرشاد بالالف وروي عن الحسن
ايضا الرشد بضم الرا والشين والغي مصدر من غوى يغوي اذا
ضل في معتقد او راي ولا يقال الغي في الضلال على الاطلاق
واختلف العلما في معنى هذه الايه على سته اقوال
الاول هي منسوخه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اكره
العرب على دين الاسلام وقاتلهم ولم يرض منهم الا بدين
الاسلام قاله سليمان بن موسى قال نسختها يا ايها النبي جاهد الكفار
والمنافقين وروي عن ابن مسعود وكثير من المفسرين الثاني
ليست بمنسوخه انما نزلت في اهل الكتاب خاصه وانهم لا
يكرهون على الاسلام اذا ادوا الجزيه والذين يكرهون اهل
الاوثان فلا يقبل منهم الا الاسلام فهم الذين نزلت فيهم يا
ايها النبي جاهد الكفار هذا قول الشعبي والحسن وقتاده
والضحاك والحجه لهذا القول ما رواه زيد بن اسلم عن ابيه
قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوزه نصرانيه اسلمي ايتها العجوز تسلمي
ان الله بعث محمدا بالحق قالت انا عجوز كبيره والموت الي قريب
فقال عمر اللهم اشهد وتلا لا اكراه في الدين الثالث ما رواه ابو
داود عن ابن عباس قال نزلت هذه في الانصار كانت تكون المراة

مقلاة

مقلاة فتجعل على نفسها ان عاش لها ولد ان تهوده فلما اجليت بنوا
النضير كان فيهم كثير من ابنا الانصار فقالوا لا ندع ابنانا فانزل
الله تعالى لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال ابو
داود المقلاة التي لا يعيش لها ولد في رواية انما فعلنا ما فعلنا
ونحن نرى ان دينهم افضل مما نحن عليه واما اذ جا الله بالاسلا م
فلنكرههم عليه فنزلت لا اكراه في الدين اي من الحق بهم ومن
شا دخل في الاسلام وهذا قول سعيد بن جبير والشعبي
ومجاهد الا انه قال كان سبب كونهم في بني النضير الاسترضا ع
قال النحاس قول ابن عباس في هذه الاية اولى الاقوال لصحه
اسناده وان مثله لا يوجد بالراي الرابع قال السدي
نزلت الاية في رجل من الانصار يقال له ابو حصين كان له ابنان
فقدم تجار من الشام الى المدينه يحملون الزيت فلما ارادوا الخروج
اتاهم ابنا حصين فدعوهما الى النصرانيه فتنصروا ومضيا معهم الى
الشام فاتى ابوهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مشتكيا امرهما ورغب
في ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من يردهما فنزلت لا اكرا ه
في الدين ولم يومر يوميذ بقتال اهل الكتاب وابعدهما الله هما اول
من كفر فوجد ابو الحصين في نفسه على النبي صلى الله عليه وسلم حين لم
يبعث في طلبهما فانزل الله جل ثناوه فلا وربك لا يومنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم الاية ثم انه نسخ لا اكراه في الدين بقتال اهل الكتاب
في سورة براه والصحيح في سبب قوله تعالى فلا وربك لا يومنون
حديث الزبير مع جاره الانصاري في السقي على ما ياتي في النسا بيانه

مجاهد

ان شا الله تعالى وقيل لا تقولوا لمن اسلم تحت السيف مجبرا مكرها وهو
القول الخامس وقول سادس انها وردت في السبي متى كانوا من اهل
الكتاب يجبروا اذا كانوا كبارا وان كانوا صغارا لم يجبروا وان كانوا
مجوسا صغارا او كبارا او وثنيين فانهم يجبروا على الاسلام لان من
سباهم لا ينتفع بهم مع كونهم وثنيين الا ترى انه لا توكل ذبيحتهم ولا
توطا نساوهم ويدينون باكل الميتة والنجاسات فيستقذرهم المالك
لهم ويتعذر عليه الانتفاع بهم من جهة الملك فجاز له الاجبار ونحو
هذا روى ابن القاسم عن مالك واما اشهب فقال هم على دين من سباهم
فاذا امتنعوا اجبروا على الاسلام والصغار لا دين لهم فلذلك اجبروا
على الدخول في الاسلام لان يذهبوا الى دين باطل فاما ساير انواع
الكفر متى بذلوا الجزية لم نكرههم على الاسلام سوا كانوا عربا او عجما
قريشا وغيرها وسياتي بيان هذا وما للعلما في الجزيه ومن تقبل منه في
براه ان شا الله تعالى لمن يكفر بالطاغوت جزم بالشرط والطاغوت
مونثه من طغى يطغى وحكى الطبري يطغوا اذا جاوز الحد بزيادة عليه ووزنه
فعلوت ومذهب سيبويه انه اسم مذكر مفرد كانه اسم جنس يقع
للقليل والكثير ومذهب ابي على انه مصدر كرهبوت وجبروت وهو
يوصف به الواحد والجمع وقلبت لامه الى موضع العين وعينه موضع اللام
كجبذ وجذب فقلبت الواو الفا لتحركها وتحرك ما قبلها فقيل طاغوت
واختار هذا القول وقيل اصل الطاغوت في اللغه ماخوذ من الطغيان
يودي عن معناه من غير اشتقاق كما قيل لال من اللولو وقال المبرد هو جمع
قال ابن عطيه وذلك مردود قال الجوهري والطاغوت الكاهن والشيطان

وكل راس

وكل راس في الضلال وقد يكون واحدا قال الله تعالى يريد ون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به وقد يكون جمعا قال الله تعالى اوليا وهم الطاغوت والجمع الطواغيت ويومن بالله عطف فقد استمسك بالعروه الوثقى جواب الشرط وجمع الوثقى الوثق مثل الفضلى والفضل فالوثقى فعلى من الوثاقه وهذه الايه تشبيه واختلفت عبارة المفسرين في الشي المشبه به فقال مجاهد العروه الايمان وقال السدي الاسلام وقال بن عباس وسعيد بن جبير والضحاك لا اله الا الله وهذه عبارات ترجع الى معنى واحد ثم قال لا انفصام لها قال مجاهد اى لا يغير الله بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم اي لا يزيل عنهم اسم الايمان حتى يكفروا والانفصام الانكسار من غير بينونه والقصم كسر ببينونه وفي صحيح الحديث فيفصم عنه وان جبينه لينفصد عرقا اى يقطع قال الجوهرى فصم الشى كسره من غير ان يبين تقول فصمته فانفصم قال الله تعالى لا انفصام لها وتفصّم مثله قال ذو الرمه يذكر غزالا يشبهه بدملج فضه كانه دملج من فضه نبه في ملعب من جواري الحي مفصوم وانما جعله مفصوما لتثنيه وانحنايه اذا نام ولم يقل مقصوم بالقاف فيكون بائنا باثنين وافصم المطر اقلع وافصمت عنه الحمى ولما كان الكفر بالطاغوت والايمان بالله مما ينطق به اللسان ويعتقده القلب حسن في الصفات سميع من اجل النطق عليم من اجل المعتقد تعالى الله ولي الذين امنوا الولي فعيل بمعنى فاعل قال الخطابي الولي الناصر ينصر عباده المومنين قال الله عز وجل الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقال ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم قال قتاده الظلمات الضلاله والنور الهدى وبمعناه

قال الضحاك والربيع وقال مجاهد وعبده بن ابي لبابه قوله الله ولي
الذين امنوا نزلت في قوم امنوا بعيسى فلما جا محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به
فذلك اخرجهم من النور الى الظلمات قال بن عطيه فكان هذا القول
احرز نورا في المعتقد خرج منه الى الظلمات ولفظ الايه مستغن عن هذا
التخصيص بل هو مترتب في كل امة كافر امن بعضها كالعرب وذلك ان
من امن منهم فالله وليه اخرجه من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن كفر بعد
وجود الداعي النبي المرسل فشيطانه ومغويه كانه اخرجه من الايمان اذ
هو معد واهل للدخول فيه وحكم عليهم بالدخول لخلود في النار لكفرهم
عدلا منهم لا يسل عما يفعل وقرا الحسن اوليا وهم الطاغيت يعني الشياطين
قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه فيه مسلتان
تر هذه الف التوقيف وفي الكلام معنى التعجب اي اعجبوا له وقال الفرا الم تر
بمعنى هل رايت اي هل رايت الذي حاج ابراهيم وهل رايت الذي مر على
قريه وهو النمرود بن كوش بن كنعان بن سام بن نوح ملك زمانه وصاحب
النار والبعوضه هذا قول بن عباس ومجاهد وقتادة والربيع والسدي
وبن اسحق وزيد بن اسلم وغيرهم وكان هلاكه لما قصد المحاربه مع الله تعالى
بان فتح الله بابا من البعوض فستروا عين الشمس واكلوا عسكره ولم يتركوا
الا العظام ودخل واحدة منها دماغه فاكلته حتى صارت مثل الفارة
فكان اعز الناس عنده بعد ذلك من يضرب دماغه بمطرقة عتيدة لذلك
فبقي في البلا اربعين يوما وقال بن جريج هو اول ملك في الارض قال بن
عطيه وهذا مردود وقال قتاده هو اول من تجبر وهو صاحب الصرح ببابل
وقيل انه ملك الدنيا باجمعها وهو احد الكافرين والاخر بخت نصر وقيل ان

الذي حاج

الذي حاج ابرهيم نمرود بن فالح بن عابر بن شالح بن ارفخشذ بن سام حكي
جميعه بن عطيه وحكى السهيلي انه النمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن
نوح وكان ملكا على السواد وكان ملكه للضحاك الذي يعرف بالازدهاق
واسمه بيوراسب بن اندراسب وكان ملك الاقاليم كلها وهو
الذي قتله افريدون بن اثيان وفيه يقول حبيب وكانه الضحاك
من فتكاته في العالمين وانت افريدون كابيا حابرا ودام ملكه الف عام
فيما ذكروا وهو اول من صلب وقطع الايدي والارجل وللنمرود ابن لصلبه
يسمى كوشا او نحو هذا الاسم وله ابن يسمى نمرود الاصغر وكان ملك
نمرود الاصغر عاما واحدا وكان ملك نمرود اربع مايه عام فيما
ذكروا وفي قصص هذه المحاجه روايتان احداهما انهم خرجوا الى
عيد لهم فدخل ابرهيم على اصنامهم فكسرها فلما رجعوا قال لهم
تعبدون ما تنحتون فقالوا فمن نعبد قال اعبدوا ربي الذي يحيي ويميت
وقال بعضهم نمرود كان يحتكر الطعام فكانوا اذا احتاجوا الى الطعام
كانوا يشترونه منه فاذا دخلوا عليه سجدوا له فدخل ابراهيم فلم يسجد
له فقال ما لك لم تسجد لي قال انا لا اسجد الا لربي فقال له نمرود من
ربك قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت وذكر زيد بن اسلم ان النمرود هذا
قعد يامر الناس بالميره فكلما جا قوم قال من ربكم والهكم فيقولون انت
فيقول ميروهم وجا ابراهيم عليه السلام يمتار فقال له من ربك والهك
قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت فلما سمعها نمرود قال انا احيي واميت فعارضه
ابراهيم بامر الشمس فبهت الذي كفر وقال لا تميروه فرجع ابرهيم الى اهله
دون شي فمر على كثيب رمل كالدقيق فقال لو ملات غرارتي من هذا فاذا

ن

دخلت فرح الصبيان حتى انظرهما فذهب بذلك فلما بلغ منزله فرح الصبيان

وجعلا يلعبان فوق الغرارتين ونام هو من الاعيا فقالت امراته لو صنعت

له طعاما يجده حاضرا اذا انتبه ففتحت احدى الغرارتين فوجدت احسن

ما يكون من الحوارى فخبزته فلما قام وضعته بين يديه فقال من اين هذا

قالت من الدقيق الذى سقت فعلم ابرهيم ان الله تعالى يسر لهم ذلك

قلت وذكر ابو بكر بن ابى شيبه عن ابى صالح قال انطلق ابراهيم النبى

عليه السلام يمتار فلم يقدر على الطعام فمر بسهله حمرا فاخذ منها

ثم رجع الى اهله فقالوا ما هذا فقال حنطه حمرا ففتحوها فوجدوها

حنطه حمرا قال فكان اذا زرع منها شيا جا سنبله من اصلها الى فرعها

حبا متراكبا وقال الربيع وغيره في هذا القصص ان النمرود لما قال انا

احيي واميت احضر رجلين فقتل احدهما وارسل الاخر وقال قد احييت

هذا وامت هذا فلما رد عليه بامر الشمس بهت وروي في الخبر ان

الله تعالى وعزتي وجلالي لا تقوم الساعة حتى اتي بالشمس من المغرب

ليعلم اني القادر على ذلك ثم امر نمرود بابراهيم فالقي في النار وهكذا

عادة الجبابرة انهم اذا عورضوا بشي وعجزوا عن الحجة اشتغلوا بالعقوبة

فانجاه الله من النار على ما ياتي وقال السدي انه لما خرج ابراهيم من النار

ادخلوه على الملك ولم يكن قبل ذلك دخل عليه فكلمه وقال له من ربك فقال

ربي الذي يحيي ويميت فقال النمرود انا احيي واميت انا اخذ اربعة

نفر فادخلهم بيتا ولا يطعمون شيا ولا يسقون حتى اذا جاعوا اخرجتهم

فاطعمت اثنين فحييا وتركت اثنين فماتا فعارضه ابراهيم بالشمس فبهت

وذكر الاصوليون في هذه الاية ان ابراهيم عليه السلام وصف ربه تعالى

بما هو صفة له.

بما هو صفه له من الاحيا والاماته لكنه امر له حقيقه ومجاز فقصد
ابرهيم عليه السلام الي الحقيقه وفزع نمرود الي المجاز وموه على قومه
فسلم لهم ابراهيم تسليم الجدل وانتقل معه من المثال وجاه بامر لا مجاز
فيه فبهت الذي كفر اي انقطعت حجته ولم يمكنه ان يقول انا الاتي بها
من المشرق لان ذوي الاسنان يكذبونه هذه الايه تدل على
جواز تسميه الكافر ملكا اذا اتاه الله الملك والعز والرفعه في الدنيا وتدل
على اثبات المناظره والمجادله واقامة الحجه وفي القران والسنه من هذا
كثير لمن تامله قال الله تعالى قل هاتوا برهانكم قل هل عندكم من سلطان
اي من حجه وقد وصف خصومة ابراهيم عليه السلام ورده عليهم
في عبادة الاوثان كما في سورة الانبيا وغيرها وقال في قصه نوح قد
جادلتنا فاكثرت جدالنا الايات الي قوله وانا بري مما تجرمون وكذلك
مجادله موسى مع فرعون الي غير ذلك من الاي فهو كله تعليم من الله عز
وجل للسوال والجواب والمجادله في الدين لانه لا يظهر الفرق بين الحق
والباطل الا بظهور حجه الحق ودحض حجه الباطل وجادل رسول الله
صلى الله عليه وسلم اهل الكتاب وباهلهم بعد الحجه على ما ياتي بيانه في
ال عمران وتحاج ادم وموسى فغلبه ادم بالحجه وتجادل اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم السقيفه وتدافعوا وتقرروا
وتناظروا حتى صدر الحق في اهله وتناظروا بعد مبايعه ابي بكر
في اهل الردة الي غير ذلك مما يكثر ايراده وفي قول الله عز وجل فلم
تحاجون فيما ليس لكم به علم دليل على ان الاحتجاج بالعلم مباح سايغ لمن
تدبر قال المزني صاحب الشافعي ومن حق المناظر ان يراد بها الله عز

وجل وان يقبل منها ما تبين وقالوا الا تتصح المناظره ويظهر الحق بين المتنا
حتى يكونوا متقاربين او مستويين في مرتبه واحده من الدين والفهم
والعقل والانصاف والا فهو مرا ومكابره قرآات قرا علي بن ابي
طالب لم تر بجزم الرا والجمهور بتحريكها وحذف اليا للجزم ان اتاه الله
الملك في موضع نصب اي لان اتاه الله او من اجل ان اتاه الله وقرا جمهور
القرا انا احيي بطرح الالف التي بعد النون من انا في الوصل واثبتها نافع
وابن ابي اويس اذا اتيتها همزه في كل القران الا في قوله تعالى ان انا الا نذير
فانه يطرحها وهذا الموضع مثل ساير القران لقلة ذلك فانه لم يقع
منه في القران الا ثلاثه مواضع اجراه مجرى ما ليس بعده همزه لقلته
فحذف الالف في الوصل قال النحويون ضمير المتكلم الاسم فيه الهمزه
والنون فاذا قلت انا او انه فالالف والها لبيان الحركه والوقف فاذا
اتصلت الكلمه بشي سقطتا لان الشي الذي تتصل به الكلمه تقوم مقام الالف
فلا يقال انا فعلت باثبات الالف الا شاذا في الشعر كما قال الشاعر انا
سيف العشيره فاعرفوني حميدا قد تذريت السنا ما قال النحاس على ان
نافعا قد اثبت الالف فقرا انا احيي واثبت ولا وجه له قال مكي والالف
زايده عند البصريين والاسم المضمر عندهم الهمزه والنون وزيدت
الالف للتقويه وقيل زيدت للوقف لتظهر حركه النون والاسم عند
الكوفيين انا بجماله فنافع في اثبات الالف على قولهم على الاصل وانما حذف
الالف من حذفها تخفيفا ولان الفتحه تدل عليه قال الجوهري واما قولهم
انا فهو اسم مكني وهو للمتكلم وحده وانما بني على الفتح فرقا بينه وبين ان التي هي
حرف ناصب للفعل والالف الاخيره انما هي لبيان الحركه في الوقف فان

توسطت الكلام سقطت الا في لغيه رديه كما قال انا سيف
العشيره فاعرفوني جميعا قد تدويت السناما وبهت الرجل وبهج
وبهت اذا انقطع وسكت متحيرا عن النحاس وغيره وقال الطبري وحكي
عن بعض العرب في هذا المعنى بهت بفتح البا والها وهي لغه في بهت بكسر
الها قال وقرا ابن السميقع فبهت بفتح البا والها على معنى فبهت ابراهيم
الذي كفر فالذي في موضع نصب قال وقد يجوز ان يكون بهت بفتحها
بفتحها لغه في بهت قال وحكى ابو الحسن الاخفش قراه فبهت بكسر الها
كخرق ودهش قال والاكثر بالضم في الها قال ابن عطيه وقد تاول قوم
في قراه من قرا فبهت بفتحها انه بمعنى سب وقذف وان نمرود هو
الذي سب حين انقطع ولم تكن له حيله تعالى او كالذي مر على
قريه او للعطف حملا على المعنى والتقدير عند الكسائي والفرا هل
رايت كالذي حاج ابراهيم في ربه او كالذي مر على قريه وقال المبرد
المعنى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الم تر من هو الذي مر على قريه
فاضمر في الكلام من هو وقرا ابو سفيان بن حسين او كالذي مر بفتح الواو
وهي واو عطف دخل عليها الف الاستفهام الذي معناه التقرير وسميت
القريه قريه لاجتماع الناس فيها من قولهم قريت الما اي جمعته وقد
تقدم قال سليمان بن بريده وناجيه بن كعب وقتاده وابن عباس
والربيع وعكرمه والضحاك الذي مر على القريه هو عزير وقال
وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد بن عمير وعبد الله بن بكر بن مضر هو
ارميا وكان نبيا وقال ابن اسحق ارميا هو الخضر وحكاه النقاش عن وهب
بن منبه قال ابن عطيه وهذا كما تراه الا ان يكون اسما وافق اسما لان

للخضر معاصر لموسى وهذا الذى مر على القريه هو بعده بزمان من سبط
هارون فيما رواه وهب بن منبه قلت ان كان الخضر هو ادميا فلا
يبعد ان يكون هو لان الخضر لم يزل حيا من وقت موسى حتى الان على
الصحيح في ذلك على ما ياتى من ذكره في سوره الكهف وان كان مات
قبل هذه الصفه فقول بن عطيه صحيح والله اعلم وحكى النحاس ومكى عن
مجاهد انه رجل من بني اسرائيل غير مسمى قال النقاش ويقال هو غلام لوط
عليه السلام وحكى السهيلى عن القتبى هو شعيا في احد قوليه والذى
احياها بعد خرابها كوشع الفارسي والقريه المذكوره بيت المقدس في
قول وهب بن منبه وقتاده والربيع بن انس وكان مقبلا من مصر وطعامه
وشرابه المذكوران تين اخضر وعنب وركوه من خمر وقيل من عصير
وقيل قلة ماء هي شرابه والذى اخلى بيت المقدس حينئذ بخت نصر
وكان واليا على العراق للهراسب بن لهراسب والد اسبنديار
وحكى النقاش ان قوما قالوا هي المؤتفكه وقال بن عباس في روايه ابي
صالح ان بخت نصر غزا بني اسرائيل فسبى منهم اناسا كثيره فجاءهم
وفيهم عزير بن شرخيا وكان من علماء بني اسرائيل فجاء بهم الى بابل فخرج
ذات يوم لحاجه له الى دير هرقل على شاطي الدجله فنزل تحت ظل شجره
وهو على حمار له فربط حماره تحت ظل الشجره ثم طاف بالقريه فلم ير بها
ساكنا وهي خاويه على عروشها فقال انى يحيي هذه الله بعد موتها وقيل
انها القريه التي خرج منها الالوف حذر الموت قاله بن زيد وعن زيد ايضا
ان القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا
مر رجل عليهم وهم عظام تلوح فوقف ينظر فقال انى يحيي هذه الله بعد

موتها

هي م

موتها فاماته الله مائة عام قال ابن عطية وهذا القول من زيد مناقض
لالفاظ الاية اذ الاية انما تضمنت قرية خاوية لا انيس فيها والاشارة بهذه
انما هي بالعمارة ووجود البنا والسكان وقال وهب بن منبه وقتادة والضحاك
والربيع وعكرمة القرية بيت المقدس لما خربها بخت نصر البابلي في الحديث
الطويل حين احدثت بنوا اسرايل الاحداث وقف ارميا او عزير على القرية
وهي كالتل العظيم وسط بيت المقدس لان بخت نصر امر جنده بنقل التراب
اليه حتى جعله كالجبل وراى ارميا البيوت قد سقطت حيطانها على سقفها
فقال انى يحيي هذه الله والعريش سقف ودلما يصيبا لينطل او يلين فهو عريش
ومنه عريش الداليه ومنه قوله ومما يعرشون قال السدى يقول هي ساقطة
على سقفها اي سقط السقف ثم سقط الحيطان عليها واختاره الطبري
وقال غير السدي معناه خاوية من الناس والبيوت قايمة وخاوية معناه
خاليه واصل الخوا الخلو يقال خوت الدار وخويت تخوى خوا ممدود
وخويا اقوت وكذلك اذا سقطت ومنه قوله تعالى فتلك بيوتهم
خاوية اي خاليه ويقال ساقطة كما يقال فهي خاويه على عروشها اي ساقطه
على سقفها والخوا الجوع لخلو البطن من الغدا وخوت المراة وخويت ايضا خوى
اي خلا جوفها عند الولادة وخويت لها تخوية اذا عملت لها خوية تاكلها
وهي طعام والخوى البطن السهل من الارض على فعيل وخوي البعير اذا جافي
بطنه عن الارض في بروكه وكذلك الرجل في سجوده تعالى انى
يحيي هذه الله بعد موتها معناه من طريق وباي سبب وظاهر اللفظ
السوال عن احيا القريه بعمارة وسكان كما يقال الان في المدن الخربه التي
يبعد ان تعمر وتسكن اي تعمر هذه بعد خرابها فكان هذا تلهف من الواقف

المعتبر على مدينة اللتي عهد فيها اهله واجته وضرب له المثل في نفسه
يحتمل ان يكون على ان سواله انما كان احيا الموتى من بني ادم اي انى يحيي الله موتاها
وقد حكى الطبري عن بعضهم انه قال كان هذا القول شكا في قدرة الله على
احيا فلذلك ضرب الله له المثل في نفسه قال بن عطيه وليس يدخل شك في قدرة
الله تعالى على احيا قرية بجلب العمرة اليها وانما يتصور الشك في الوجه الاخر
والصواب ان لا يتاول في الاية شك تعالى فاماته الله مائة
عام مائة نصب على الظرف والعام السنة يقال سنون عوم وهو توكيد
للاول كما يقال بينهم شغل شاغل قال العجاج من مر اعوام
السنين العوم وهو في التقدير جمع عايم الا انه لا ينفرد بالذكر لانه
ليس باسم وانما هو توكيد قاله الجوهري وقال النقاش العام مصدر
كالعوم سمي به هذا القدر من الزمان لانها عومة من الشمس في الفلك
والعوم كالسبح وقال تعالى كل في فلك يسبحون قال بن عطيه هذا
معنى قول النقاش والعام على هذا كالقول والقال وظاهر هذه
الاماتة انها باخراج الروح من الجسد وروي في قصص هذه الايه
ان الله تعالى بعث لها ملكا من الملوك يعمرها ويجد في ذلك حتى
كان كمال عمارتها عند بعث القايل وقد قيل انه لما مضى لموته سبعون
سنة ارسل الله ملكا من ملوك فارس عظيما يقال له كوشك فعمرها في
ثلاثين سنة تعالى ثم بعثه معناه احياه وقد تقدم الكلام
فيه تعالى قال كم لبثت اختلف في القايل له كم لبثت فقيل الله
جل وعز ولم يقل له ان كنت صادقا كما قال للملايكة على ما تقدم وقيل سمع
هاتفا من السما يقول له ذلك وقيل خاطبه جبريل وقيل نبي وقيل

مومن ممن

مومن بمن شاهده من قومه عند موته وعمى الى احيايه تعالى له ثم
لبثت قلت والاظهر ان القايل هو الله تعالى لقوله وانظر الى العظام
كيف ننشزها ثم نكسوها لحما والله اعلم وقرا اهل الكوفه لم لبثت
بادغام الثاني في التا لقربهما منها في المخرج فان مخرجهما من طرف اللسان واصول
الثنايا وفي انهما مهموسان قال النحاس والاظهار احسن لتباين مخرج
الثا من مخرج التا ويقال كان هذا السوال بوساطة الملك
على جهه التقرير وكم في موضع نصب على الظرف قال لبثت يوما او
بعض يوم انما قال هذا على ما عنده وفي ظنه وعلى هذا لا يكون كاذبا
فيما اخبر به ومثله قول اصحاب الكهف قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم وانما لبثوا ثلاث مايه سنه وتسع سنين على ما ياتي ولم يكونوا
كاذبين لانهم اخبروا عما عندهم كانهم قالوا الذي عندنا وفي ظنوننا
انا لبثنا يوما او بعض يوم ونظيره قول النبي صلى الله عليه وسلم في قصه
ذي اليدين لم اقصر ولم انس ومن الناس من يقول انه كذب على معنى
وجود حقيقه الكذب فيه ولكنه لا مواخذه به والا فالكذب
الاخبار عن الشي على خلاف ما هو عليه وذلك لا بالعلم والجهل وهذا
بين في نظر الاصول فعلى هذا يجوز ان يقال ان الانبيا لا يعصمون عن
الاخبار عن الشي على خلاف ما هو عليه اذا لم يكن عن قصد كما لا يعصمون عن
السهو والنسيان فهذا ما يتعلق بهذه الايه والقول الاول اصح قال
ابن جريج وقتاده والربيع اماته الله غدوه يوم ثم بعثه قبل الغروب
فظن هو اليوم واحد فقال لبثت يوما ثم راى بقيه من الشمس فخشي ان
يكون كاذبا فقال او بعض يوم فقال بل لبثت مايه عام وراى من عمارة

القريه واشجارها ومبانيها ما دله على ذلك   تعالى فانظر الى طعامك
وهو التين الذي جمعه من اشجار القريه التي مر عليها وشرابك لم يتسنه وقرا
ابن مسعود وهذا طعامك وشرابك لم يتسنه وقرا طلحة بن مصرف وغيره
وانظر لطعامك وشرابك لمايه سنه وقرا الجمهور باثبات الها في
الوصل الا الاخوان فانهما يحذفانها ولا خلاف ان الوقف عليها بالها وقرا
طلحه بن مصرف وايضا لم يسن وانظر ادغم التا في السين فعلى قراه الجمهور
الها اصليه وحذفت الضمه للجزم ويكون يتسنه من السنه اي تغيره
السنون قال الجوهري ويقال سنون والسنه واحدة السنون وفي
نقصانها قولان احدهما الواو والاخر الها واصلها سنهه مثل الجبهه لانها
من سنهت النخله وتسنهت اذا اتت عليها السنون ونخله سنا اي تحمل
سنه ولا تحمل اخرى وسنها ايضا قال بعض الانصار   فليست بسنهاء
ولا رجبيه ولكن عرايا في السنين الجوايح واسنهت عند بني فلان اقمت
عندهم وتسنيت ايضا فاستاجرته مسانات ومسانهه ايضا وفي التصغير
سنيه وسنيهه قال النحاس من قرا لم يتسن وانظر قال في التصغير سنيه
وحذفت الالف للجزم ويقف على الها فيقول لم يتسنه تكون الها لبيان
الحركه قال المهدوي ويجوز ان يكون اصله من سانيته مسانات اي عاملته
سنه بعد سنه او من سانهت فان كان من سانيت فاصله يتسنى فسقطت
الالف للجزم واصله من الواو بدليل قولهم سنوات والها فيه للسكت وان
كان من سانهت فالها لام الفعل واصل سنه على هذا سنهه وعلى القول
الاول سنوه وقيل هو من اسن الما اذا تغير وكان يجب ان يكون على هذا
يتاسن ابو عمرو والشيباني هو من قوله حما مسنون فالمعنى لم يتغير الزجاج ليس

كذلك

لذلك لان قوله مسنون ليس معناه متغيرا وانما معناه مصبوب على سنه
الارض قال المهدوي واصله على قول الشيباني يتسنن فابدلت احدى النونين
بالكراهة التضعيف فصار يتسنى ثم سقطت الالف للجزم ودخلت
الها للسكت وقال مجاهد لم يتسنه لم ينتن قال النحاس اصح ما قيل فيه انه
من السنه اي لم تغيره السنون ويحتمل ان يكون يتسنه من السنه وهي
الجدب ومنه قوله تعالى ولقد اخذنا ال فرعون
بالسنين وقوله عليه السلام اللهم اجعلها عليهم سنين
كسني يوسف يقال منه اسنت القوم اجدبوا فيكون
المعنى لم يغيره طعامك القحوط والجدوب ام لم تغيره
السنون والاعوام اي هو باق على طراوته وغضاضته
تعالى وانظر الى حمارك قال وهب بن منبه وغيره
وانظر الى اتصال عظامه واحيائه جزءا جزءا ويروى انه
احياه الله كذلك حتى صار عظاما ملتئمة ثم كساه لحما
حتى كمل حمارا ثم جاءه ملك فنفخ في انفه الروح فقام الحمار
ينهق على هذا اكثر المفسرين وروي عن الضحاك ووهب
بن منبه انهما قالا بل قيل له وانظر الى حمارك قائما في مربطه
لم يصبه شي مائة عام وانما العظام التي نظر اليها عظام نفسه
بعد ان احياه منه عينيه وراسه وسائر جسده ميت
قالا واعمى الله العيون عن ارميا وحماره طول هذه المدة
تعالى ولنجعلك اية للناس قال الفرا انما ادخل الواو في
قوله ولنجعلك دلالة على انها شرط لفعل بعدها معناه

ولنجعلك آيه للناس ودلاله على البعث بعد الموت جعلنا
ذلك وان شيت جعلت الواو مقحمه زايده وقال الاعمش
موضع كونه ايه هو انه جا شابا على حاله يوم مات فوجد
الابنا والحفده شيوخا عكرمه وكان يوم مات ابن اربعين سنه
وروي عن علي رضوان الله عليه ان عزيرا خرج من اهله وخلف
امراته حاملا وله خمسون سنه فاماته الله مايه عام ثم
بعثه فرجع الى اهله وهو ابن خمسين وله ولد ابن مايه سنه
فكان ابنه اكبر منه بخمسين سنه وروي عن ابن عباس قال لما
احيا الله عزيرا ركب حماره فاتى محلته فانكر الناس وانكروه
فوجد في منزله عجوزا عميا كانت امة لهم خرج عنهم عزير
وهي بنت عشرين سنه فقال لها اهذا منزل عزير قالت نعم
ثم بكت وقالت فارقنا منذ كذا وكذا سنه قال فانا عزير
قالت ان عزيرا فقدنا منذ مائة سنة قال فالله اماتني
مائة سنة ثم بعثني قالت فعزير كان مستجاب الدعوة
للمريض وصاحب البلاء فيفيق فادعو الله يرد علي بصري
فدعا الله ومسح على عينيها فصحت مكانها كانما انشطت
من عقال قالت اشهد انك عزير ثم انطلقت الى ملا بني
اسرايل وفيهم ابن لعزير شيخ ابن مايه سنه وثمانيه وعشرين
سنه وبنوا بنيه شيوخ فقالت يا قوم هذا والله عزير
فاقبل ابنه مع الناس فقال ابنه كانت لابي شامه سودا
مثل الهلال بين كتفيه فنظرها فاذا هو عزير ونجا

وقد هلك كل من يعرف فكان اية لمن ذ يحيا من قومه اذ كانوا
موقنين بحاله سماعا قال بن عطيه وفي اماتته هذه المده ثم احيا يه
اعظم ايه وامره كله اية غابر الدهر ولا يحتاج الي تخصيص بعض
ذلك دون بعض تعالي وانظر الي العظام كيف ننشرها
قرا الكوفيون وبن عامر بالزاي والباقون بالرا وروى ابان
عن عاصم ننشرها بفتح النون وضم الشين والرا وكذلك قرا بن
عباس والحسن وابو حيوه فقيل هما لغتان في الاحيا بمعني كما يقال
رجع ورجعته وغاض الما وغضته وخسرت الدابه وخسرتها الا ان
المعروف في اللغه انشر الله الموتى فنشروا اي احياهم فحيوا قال الله
تعالي ثم اذا شا انشره ويكون ننشرها مثل نشر الثوب نشر الميت
ينشر نشورا اي عاش بعد الموت قال الاعشى حتى يقول
الناس مما راوا يا عجبا للميت الناشر فكان الموت طي للعظام والا عضا
وكان الاحيا وجمع بعضها الي بعض نشر واما قراه ننشزها بالزاي
فمعناه نرفعها والنشز المرتفع من الارض قال يزيد التغلب الحولي فيها
كانه اذا ما علي نشزا حصل محلل قال مكي المعنى انظر الي العظام كيف يرفع
بعضها علي بعض في التركيب للاحيا لان النشز الارتفاع ومنه المراة النشوز
وهي المرتفعه عن موافقه زوجها ومنه واذا قيل انشزوا فانشزوا اي
ارتفعوا وانضموا وايضا فان القراه بالرا بمعني الاحيا والعظام لا تحيي
علي الانفراد حتى ينضم بعضها الي بعض والزاي بذلك المعنى اذ هو بمعنى اولى
الانضمام دون الاحيا فالموصوف بالاحيا هو الرجل دون العظام
على انفراده ولا يقال هذا عظم حي فانما المعني فانظر الي العظام كيف

ننشزها من اماكنها من الارض الى جسمه صاحبها للاحيا وقرا النخعي ننشزها
بفتح النون وضم الشين والزاي وروي ذلك عن ابن عباس وقتاده وقرا ابي
بن كعب ننشيها بالبا والكسوه ما واري من الثياب وشبه اللحم بها وقد
استعاره النابغه للاسلام فقال حتى اكتسيت من الاسلام سربالا
وقد تقدم اول السورة   تعالى فلما تبين له قال اعلم بقطع الالف
وقد روي ان الله جل ذكره احيا بعضه ثم اراه كيف احيا باقي جسده قال
قتادة انه جعل ينظر كيف يوصل بعض عظامه الى بعض لان اول ما خلق
الله منه راسه وقيل له انظر فقال عند ذلك اعلم بقطع الالف اي
اعلم هذا وقال الطبري المعنى في قوله فلما تبين له اي لما اتضح له عيانا ما كان
مستنكرا في قدرة الله عنده قبل عيانه قال اعلم قال ابن عطيه وهذا
خطا لانه الزم ما لا يقتضيه اللفظ وفسر على القول الشاذ والاحتمال
الضعيف وهذا عندي ليس باقرار بما كان قبل ينكره كما زعم الطبري
بل هو قول بعثه الاعتبار كما يقول الانسان المومن اذا راي شيا غريبا
من قدره الله تعالى لا اله الا الله ونحو هذا وقال ابو علي معناه اعلم هذا
الضرب من العلم الذي لم اكن علمته قلت قد ذكرنا هذا المعنى عن قتاده
وكذلك قال مكي رحمه الله قال مكي انه اخبر عن نفسه عند ما عاين
من قدره الله تعالى في احيايه الموتى فتيقن ذلك بالمشاهده فاقر انه
يعلم ان الله على كل شي قدير اي اعلم ان هذا الضرب من العلم الذي لم اكن اعلمه
على معاينه وهذا على قراه من قرا اعلم بقطع الالف وهم الاكثر من القراء
وقرا حمزه والكساي بوصل الالف ويحتمل وجهين احدهما قال له الملك
اعلم والاخر هو ان ينزل نفسه منزله المخاطب الاجنبي المنفصل فالمعنى

فلما تبين له

فلما تبين له قال لنفسه اعلم يا نفس هذا العلم اليقين الذي لم يكن تعلين
معاينه وانشد ابو علي في مثل هذا المعنى ودع هريره ان
الركب مرتحل الم تغتمض عيناك ليله ارمدا قال بن عطيه وتانس
ابو علي في هذا المعنى بقول الشاعر ترى لذ من ابي ومن ابن شربه يوا؟
نفسه كذي الجمه الابل قال اي ويبعد ان يكون ذلك امرا من الله جل
ذكره له بالعلم لانه قد اظهر اليه قدرته واراه امرا ايقن صحته واقر بالقدرة
فلا معنى بان يامره الله بعلم ذلك بل هو يامر نفسه بذلك وهو جابر حسن
وفي حرف عبد الله ما يدل على انه امر من الله تعالى له بالعلم على معنى الزم
هذا العلم لما عاينت وتيقنته وذلك ان في حرفه قيل اعلم وايضا فانه
موافق لما قبله من الامر في قوله انظر الى طعامك وانظر الى حمارك وانظر
الى العظام فكذلك واعلم ان الله وقد كان بن عباس يقراها قيل اعلم ويقول
اهو خير ام ابراهيم اد قيل له واعلم ان الله عزيز حكيم فهذا تبين انه من قول
الله سبحانه له لما عاين من الاحيا تعالى واد قال ابرهيم رب
ارني كيف تحيى الموتى الايه اختلف الناس في هذا السوال هل صدر عن ابرهيم
عن شك ام لا فقال الجمهور لم يكن ابرهيم عليه السلام شاكا في احيا الموتى
قط وانما طلب المعاينه وذلك ان النفوس مستشرفه الى رويه ما اخبرت
به ولهذا قال عليه السلام ليس الخبر كالمعاينه رواه بن عباس لم يروه
غيره قاله ابو عمر قال الاخفش لم يرد رويه القلب وانما اراد رويه
العين وقال الحسن وقتاده وسعيد بن جبير والربيع سال ليزداد
الى يقينه قال بن عطيه وترجم الطبري في تفسيره فقال وقال اخرون
سال ذلك ربه لانه شك في قدره الله تعالى وادخل تحت الترجمه عن

ره

الله م

4

بن عباس قال ما في القران عندي ايه ارجى منها وذكر عن عطا بن ابي رباح انه قال
دخل قلب ابرهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال رب ارني كيف تحيي الموتى
وذكر حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن احق بالشك
من ابرهيم الحديث ثم رجح الطبري هذا القول قلت حديث ابي هريرة
خرجه البخاري ومسلم عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن احق
بالشك من ابراهيم اذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تومن قال
بلى ولكن ليطمين قلبي ويرحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد ولو
لبثت في السجن ما لبث يوسف لاجبت الداعي قال ابن عطيه وما ترجم
به الطبري عندي مردود وما دخل تحت الترجمة عندي متاول
فاما قول بن عباس هي ارجا اية فمن حيث فيها الادلال على الله تعالى
وسوال الاحيا في الدنيا وليست مظنه ويجوز ان يقول هي ارجا اية
لقوله اولم تومن اي ان الايمان كاف لا يحتاج معه الى تنقير وبحث
واما قول عطا دخل قلب ابراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس
فمعناه من حيث المعاينه على ما تقدم واما قول النبي صلى الله عليه وسلم
نحن احق بالشك من ابراهيم فمعناه انه لو كان شاكا لكنا نحن احق به ونحن
لا نشك فابراهيم عليه السلام احرى ان لا يشك فالحديث مبني على نفي
الشك عن ابراهيم والذي روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ذلك المحض الايمان انما هو في الخواطر التي لا تثبت واما الشك فهو توقف
بين امرين لا مزية لاحدهما على الاخر وذلك هو المنفي عن الخليل عليه السلام
واحيا الموتى انما يثبت بالسمع وقد كان ابراهيم عليه السلام اعلم
به يدلك على ذلك قوله ربي الذي يحيي ويميت فالشك يبعد على من تثبت

قدمه في الايمان

قدمه في الايمان فقط فكيف بمرتبة النبوة والخله والانبيا معصومون
من الكباير والصغاير التي فيها رذيله اجماعا واذا وادا تاملت سواله
عليه السلام وساير الالفاظ للايه لم يعط شكا وذلك ان الاستفهام
بكيف انما هو سوال عن حالة شي موجود متقرر الوجود عند السايل
والمسول نحو قولك كيف علم زيد وكيف نسج الثوب ونحو هذا ومتى قلت
هكذا كيف ثوبك وكيف زيد فانما السوال عن حال من احواله وقد يكون
خبرا عن شي شانه ان يستفهم عنه بكيف نحو قولك كيف شيت فكن ونحو
قول البخاري كيف كان بدء الوحي وكيف في هذه الايه انما هي استفهام عن
هيئة الاحيا والاحيا متقرر ولكن لما وجدنا بعض المنكرين لوجود شي
قد يعبروا عن انكاره بالاستفهام عن حاله لذلك الشي يعلم انها لا
تصح فيلزم من ذلك ان الشي في نفسه لا يصح مثال ذلك ان يقول
مدع انا ارفع هذا الجبل فيقول المكذب له ارني كيف ترفعه فهذه
مجاز في العباره ومعناها تسليم جدل كانه يقول افرض انك ترفعه
ارني كيف ترفعه فلما كان عبارة الخليل عليه السلام هذا الاشتراك المجازي
خلص الله له ذلك وحمله على ان يبين له الحقيقه فقال اولم تومن قال بلى فكمل
الامر وتخلص من كل شك ثم علل عليه السلام سواله بالطمانينه قلت
هذا ما ذكر ابن عطيه وهو بالغ ولا يجوز على الانبيا صلوات الله عليهم
مثل هذا الشك فانه كفر والانبيا متفقون على الايمان بالبعث وقد
اخبر الله تعالى ان انبياه واولياه ليس للشيطان عليهم سبيل فقال ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان وقال اللعين الا عبادك منهم المخلصين واذا لم يكن له
عليهم سلطنه فكيف يشككهم وانما سال ان يشاهد كيفيه جمع اجزا

الموتى بعد تفريقها وايصال الاعصاب والجلود بعد تمزيقها فاراد ان يترقى
من علم اليقين الى عين اليقين بقوله ارني كيف طلب مشاهدة الكيفية وقال
بعض اهل المعاني انما اراد ابراهيم من ربه ان يريه كيف يحيي القلوب وهذا
فاسد مردود بما يعقبه من البيان ذكره الماوردي وليست الالف في قوله
اولم تومن الف استفهام وانما هي الف ايجاب وتقرير كما قال جرير الستم
خير من ركب المطايا والواو واو الحال وتومن معناه ايمانا مطلقا
دخل فيه فصل احيا الموتى قال بلى ولكن ليطمين قلبي اي سالتك ليطمين قلبي
بحصول الفرق بين المعلوم برهانا والمعلوم عيانا والطمانينة اعتدال
وسكون وطمانينة الاعضا معروفة كما قال عليه السلام ثم اركع حتى تطمين
راكعا الحديث وطمانينة القلب هي ان يسكن فكره في الشي المعتقد والفكر في
صورة الاحيا غير محصورة كما لنا نحن اليوم ان نفكر فيها اذ هي فكر فيها عبر فاراد
الخليل ان يعاين فيذهب فكره في صورة الاحيا وقال الطبري معنى ليطمين قلبي ليوقن
وحكي نحو ذلك عن سعيد بن جبير وحكي عنه ليزداد يقينا وقاله ابرهيم وقتادة وقال
بعضهم لازداد ايمانا مع ايماني قال ابن عطية ولا زيادة في هذا المعنى تمكن الا
السكون عن الفكر والا فاليقين لا يتبعض وقال السدي وابن جبير ايضا اولم تومن
بانك خليلي قال بلى ولكن ليطمين قلبي بالخلة وقيل دعا ان يريه كيف يحيي الموتى ليعلم
هل تستجاب دعوته فقال الله اولم تومن اني اجيب دعاك قال بلى ولكن
ليطمين قلبي انك تجيب دعاي واختلف في المحرك له على ذلك فقيل ان الله وعده
ان يتخذه خليلا فاراد اية على ذلك قاله السايب بن يزيد وقيل قول النمرود انا
احيي واميت وقال الحسن راى جيفة نصفها في البر توزعها السباع ونصفها في
البحر توزعها دواب الما فلما راى تفرقها احب ان يرى انضمامها فسال ليطمين قلبه

ربه كيف يحيي

بروية كيفية الجمع بما راي كيفية التفريق فقيل له خذ اربعة من الطير
قيل الديك والطاوس والحمام والغراب ذكر ذلك بن اسحق عن بعض
اهل العلم وقاله مجاهد وبن جريج وعطا بن يسار وبن زيد وقال بن
عباس مكان الغراب الكركي وعنه ايضا مكان الحمام النسر فاخذ هذه الطير
حسب ما امر وذكاها ثم قطعها قطعا صغارا وخلط لحوم البعض
بلحوم البعض مع الدم والريش حتى تكون اعجب ثم جعل من ذلك المجموع
المختلط جزا على كل جبل ووقف هو من حيث يري تلك الاجزا وامسك روس
الطير في يده ثم قال تعالين باذن الله فتطايرت تلك الاجزا وطار
الدم الى الدم والريش الى الريش حتى التامت كما كانت اولا وبقيت بلا
روس ثم كرر النداء فجاته سعيا اي عدوا على ارجلهن ولا يقال للطاير
سعا اذا طار الا على التمثيل قال النحاس فكان ابراهيم اذا اشار الى واحد
منها بغير راسه تباعد الطاير واذا اشار اليه براسه قرب حتى لقي كل
طاير راسه وطارت باذن الله وقال الزجاج المعنى ثم اجعل على كل
جبل من كل واحد جزا وقرا ابو بكر عن عاصم وابو جعفر جزا على فعل وعن
ابي جعفر ايضا جزا مشددة الزاي الباقون مهموز مخفف وهي لغات
ومعناه النصيب ياتينك سعيا نصب على الحال وصرهن معناه قطعهن
قاله بن عباس ومجاهد وابو عبيدة وبن الانباري يقال صار الشي يصوره
اي قطعه وقاله بن اسحاق وعن ابي الاسود الدولي هو بالسريانية التقطيع
قال توبة بن الحمير يصف   فلما جذبت الحبل الت سوعه باطراف
عيدان شديد سيورها   فادنت لي الاسباب حتى بلغتها بنهضي وقد
كان ارتقاي يصورها   اي يقطعها والصور القطع   وقال الضحاك

وعكرمه وبن عباس في بعض ما روي عنه انها لفظه بالنبطية معناه قطعهن
وقيل المعنى املهن اليك اي ضمهن واجمعهن اليك يقال رجل اصور اذا كان
مايل العنق ويقول اني اليكم لاصور يعني مشتاقا مايلا وامراة صورا والجمع
صور مثل اسود وسود قال الشاعر الله يعلم انا في تلفتنا يوم الفراق
الى جيراننا صور فقوله اليك على تاويل التقطيع متعلق بخذ ولا حاجه
الى مضمر وعلى تاويل الاماله والضم متعلق بصرهن وفي الكلام متروك فاملهن
اليك ثم قطعهن وفيها خمس قراات ثنتان في السبع وهما ضم الصاد وكسرها
وتخفيف الرا وقرا قوم فصرهن اليك بضم الصاد وشد الرا المفتوحه كانه
يقول فشدهن ومنه صر الدنانير وقرا قوم فصرهن بكسر الصاد وشد
الرا المفتوحه ومعناه صيحهن من قولك صر الباب والقلم اذا صوت حكاه
النقاش قال بن جني هي قراة غريبة وذلك ان يفعل بكسر العين في المضاعف
المتعدي قليل وانما بابه يفعل بضم العين كشد يشد ونحوه لكن قد جا
منه نم الحديث ينمه وينمه وهر الحرب يهرها ويهرها ومنه بيت
الاعشى ليعتورنك القول حتى تهره الى غير ذلك في حرف قليله قال
بن جني واما قراه عكرمه بضم الصاد فيحتمل في الرا الضم والفتح والكسر كمد
وشد والوجه ضم الرا من اجل ضمة الها من بعد القراة الخامسه صرهن
بفتح الصاد وشد الراي مكسوره حكاها المهدوي وغيره عن عكرمه بمعنى
فاحبسهن من قولهم صرى يصري اذا حبس ومنه الشاة المصراة وهنا اعتراض
ذكره الماوردي وهو ان يقال كيف اجيب ابراهيم الى ايات الاخره دون موسى
في قوله رب ارني انظر اليك فعنه جوابان احدهما ان ما ساله موسى لا يصح مع
بقا التكليف وما ساله ابرهيم خاص يصح معه بقا التكليف الثاني ان الاحوال

تخلف فيلون الاصلح في بعض الاوقات الاجابه وفي وقت اخر المنع فيما
لم يتقدم فيه اذن وقال بن عباس امر الله تعالى ابراهيم بهذا قبل ان يولد
له وقبل ان تنزل عليه الصحف والله اعلم تعالى مثل الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبه انبتت سبع سنابل في كل سنبله
مايه حبه والله يضاعف لمن يشا فيه خمس مسايل لما قص سبحانه
فيما فيه البراهين حث على الجهاد واعلم ان من جاهد بعد هذا البرهان
الذى لا ياتى به الا نبى فله في جهاده الثواب العظيم روى البستي في صحيح
مسنده عن بن عمر قال لما نزلت هذه الايه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رب زد امتي فنزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضا عفه
له اضعافا كثيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب زد امتي
فنزلت انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب وهذه الايه لفظها
بيان مثال بشرف النفقه في سبيل الله وحسنها وضمنها التحريض على ذا لك
وفي الكلام حذف مضاف تقديره مثل نفقه الذى ينفقون اموالهم
في سبيل الله كمثل حبه وطريق اخر مثل الذين ينفقون كمثل زارع زرع
حبه فانبتت الحبه سبع سنابل يعني اخرجت سبع سنابل في كل
سنبله مايه حبه فشبه المتصدق بالزارع وشبه البذر بالصدقه
فيعطيه الله بكل صدقه له سبع مايه حسنه ثم قال والله يضاعف
لمن يشا يعني على سبع مايه فيكون مثل المتصدق مثل الزارع ان كان
حاذقا في عمله ويكون البذر جيدا وتكون الارض عامره يكون الزرع
اكثر فكذلك المتصدق اذا كان صالحا والمال طيبا ويضعه موضعه
فيصير الثواب اكثر خلافا لمن قال ليس في الايه تضعيف على سبع مايه

علي ما نبينه ۞ روي ان هذه الايه نزلت في شان عثمان بن عفان
وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما حث الناس على الصدقه حين اراد الخروج الى غزوه تبوك جاه عبد
الرحمن باربعه الالف فقال يا رسول الله كانت لي ثمانيه الاف فامسكت
لنفسي ولعيالي اربعه الاف واربعه الاف اقرضتها لربي فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت وقال
عثمان يا رسول الله علي جهاز من لا جهاز له فنزلت هذه الايه فيهما وقيل
نزلت في نفقه التطوع وقيل نزلت قبل ايه الزكاة ثم نسخت بالزكاة ولا
حاجه الى دعوى النسخ لان الانفاق في سبيل الله مندوب في كل وقت
وفي سبيل الله كثيره واعظمها الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا
قوله تعالى كمثل حبه الحبه اسم جنس لكل ما يزدرعه ابن ادم ويقتاته واشهر
ذلك البر فكثير ما يراد بالحب ومنه قول المتلمس آليت حب العراق
الدهر اطعمه والحب ياكله في القريه السوس وحبه القلب سويداه
ويقال ثمرته وهو ذاك والحبه بكسر الحا بزور البقول مما ليس بقوت
وفي حديث الشفاعه فينبتون كما تنبت الحبه في حميل السيل والجمع حبب والحبه
بالضم الحب يقال نعم وحبه وكرامه والحب المحبه وكذلك الحب بالكسر
والحب ايضا الحبيب مثل خدن وخدين وسنبله فيعله من اسبل الزرع
اذا صار فيه السنبل اي استرسل بالسنبل كما يسترسل الستر بالاسبال
وقيل معناه صار فيه حب مستور كما يستر الشي باسبال الستر عليه
والجمع سنابل ثم قيل المراد سنبل الدخن فهو الذي يكون في السنبله منه هذا
العدد قلت هذا ليس بشي فان سنبل الدخن يجي في السنبله منه اكثر

من هذا العدد بضعفين والرد على ما شاهدناه قال بن
عطيه وقد يوجد في سنبل القمح ما فيه مايه حبه واما في
ساير الحبوب فاكثر ولكن المثال وقع بهذا القدر وقال
الطبري في هذه الايه ان قوله في كل سنبله مايه حبه معناه ان
وجد ذلك والا فعلى ان يفرضه ثم ادخل عن الضحاك انه قال في
كل سنبله مايه حبه معناه كل سنبله انبتت مايه حبه قلت
وقال يعقوب الحضرمي وقرا بعضهم في كل سنبله مايه حبه
انبتت مايه حبه ولذلك قرا بعضهم وللذين كفروا بربهم عذابا
على واعتدنا لهم عذاب السعير واعتدنا للذين كفروا عذاب جهنم
وقرا ابو عمرو وحمزه والكساي انبتت سبع سنابل بادغام التا في
السين لانهما مهموزتان الا ترى انهما يتعاقبان وانشد ابو عمرو يا
لعن الله بني السعلات عمرو بن يربوع لئام النات اراد الناس
فحول السين تا الباقون بالاظهار على الاصل لانها كلمتان
ورد القران في جميع اعمال البر بعشر امثالها واقتضت هذه الايه
ان نفقه الجهاد حسنتها سبع مايه ضعف واختلف العلما في معنى
قوله والله يضاعف لمن يشا فقالت طايفه هي مبينه لما تقدم من
ذكر السبع مايه وليس ثم تضعيف فوق سبع مايه وقالت
طايفه من العلما بل هو اعلام بان الله تعالى يضاعف لمن يشا اكثر
من سبع مايه ضعف قلت وهذا القول اصح لحديث بن
المذكور اول الايه وروى بن ماجه ثنا هرون بن عبد الله الحمال ثنا
ابن ابي فديك عن الخليل بن عبد الله عن الحسن بن علي بن ابي طالب وابي

الدردا وعبد الله بن عمر وابي امامه الباهلي وعبد الله بن عمرو وجابر
بن عبد الله وعمران بن حصين كلهم يحدث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من ارسل نفقه في سبيل الله واقام في بيته فله بكل
درهم سبع مايه ومن غزا بنفسه في سبيل الله وانفق في وجهه فله بكل
درهم سبع مايه الف درهم ثم تلى والله يضاعف لمن يشا وقد روي
بن عباس ان التضعيف ينتهي لمن شا الله الى الفي الف قال بن عطيه
وليس هذا بثابت الاسناد   في هذه الايه دليل على ان
اتخاذ الزرع من اعلا الحرث التي يتخذها الناس والمكاسب التي
تشتغل بها العمال ولذلك ضرب الله به المثل فقال مثل الذين
ينفقون اموالهم الايه وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما من مسلم يزرع زرعا او يغرس غرسا فياكل منه طير او انسان
او بهيمه الا كان له صدقه وروى هشام بن عروة عن ابيه عن عايشه
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق في خبايا الارض
يعني الزرع اخرجه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم في النخل هي الراسخات
في الوحل المطعمات في المحل وهذا خرج مخرج المدح والزراعة فروض
فيجب على الامام ان يجبر الناس عليها وما كان في معناها من غرس الاشجار
ولقي عبد الله بن عبد الملك بن شهاب الزهري فقال دلني على مال
اعالجه فانشا بن شهاب يقول   اقول لعبد الله يوم لقيته وقد
شد احلاس المطي مشرقا فتتبع خبايا الارض وادع مليكها لعلك ان
تجاب يوما فترزقا   فيوتيك مالا واسعا ذا مثابة اذا ما مياه
الارض غارت تدفقا   وحكى عن المعتضد انه قال رايت علي بن ابي

طالب في المنام

طالب في المنام بنا ولي مسحاة وما لحدها فانها مفاتيح خزاين الارض
تعالى الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما
انفقوا منا ولا اذى فيه ثلاث مسائل قوله تعالى الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله قيل انها نزلت في عثمان رضي الله عنه
قال عبد الرحمن بن سمرة جا عثمان بالف دينار في جيش العسرة فصبها
في حجر نبي الله صلى الله عليه وسلم فرايته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول
ما ضر بن عفان ما عمل بعد اليوم اللهم لا تنس هذا اليوم لعثمان وقال ابو
سعيد الخدري رايت النبي صلى الله عليه وسلم رافعا يديه يدعو لعثمان
يقول يا رب عثمان اني رضيت عنه فارض عنه فما زال يدعو له حتى
طلع الفجر فنزلت الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما
انفقوا منا ولا اذى الايه لما تقدم في الايه التي قبل ذكر
الانفاق في سبيل الله على العموم بين في هذه الاية ان ذلك الحكم والثواب
انما هو لمن لا يتبع انفاقه منا ولا اذى لان المن والاذي مبطلان لثواب
الصدقه كما اخبر تعالى في الايه بعد هذا وانما على المرء ان يريد وجه
الله تعالى وثوابه بانفاقه على المنفق عليه ولا يرجوا منه شيا ولا ينظر
من احواله في حال سوى ان يراعي استحقاقه قال الله تعالى لا نريد منكم
جزا ولا شكورا ومتى انفق ليريد من المنفق عليه جزا بوجه من الوجوه
فهذا لم يرد وجه الله فهذا اذا اخلف ظنه فيه من بانفاقه واذى وكذلك
من انفق مضطرا دافع غرم اما لمانة للمنفق عليه او قرينه اخرى من اعتنا
معتنٍ فهذا لم يرد وجه الله وانما يقبل ما كان عطاوه لله واكثر قصده ابتغا
ما عند الله كالذى حكى عن عمر بن الخطاب رضي الله ان اعرابيا اتاه فقال يا

عمر الخير جزيت الجنة اكس بناتي وامهنه وكن لنا من الزمان جنة اقسم بالله
لتفعلنه قال ان لم افعل يكون ماذا قال اذا ابا حفص لاذهبنه قال اذا ذهبت
يكون ماذا قال يكون عن حالي لتسلنه يوم يكون الاعطيات جنه والموقف
المسوول بينهنه فاما الى نار واما جنه فبكى عمر حتى اخضلت لحيته ثم
قال يا غلام اعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره والله ما املك غيره
قال الماوردي فاذا كان العطا على هذا الوجه خاليا من طلب جزا وشكر وعريا
عن امتنان ونشر كان ذلك اشرف للباذل واهنا للقابل فاما المعطي اذا
التمس باعطايه الجزا وطلب به الشكر والثنا كان صاحب سمعه وريا وفي هذين
من الذم ما ينافي السخا وان طلب الجزا كان تاجرا مربحا لا يستحق حمدا ولا
مدحا وقد قال ابن عباس في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تعطي
عطيه تلتمس بها افضل منها وذهب ابن زيد الى ان هذه الايه انما هي في
الذين لا يخرجون الى الجهاد بل ينفقون وهم قعود وان الايه التي قبلها هي
في الذين يخرجون بانفسهم قال ولذلك شرط على هولا ولم يشترط على الاولين
قال ابن عطيه وفي هذا القول نظر لان التحكم فيه باد قوله
تعالى منا ولا اذى المن ذكر النعمه على معنى التعديد لها والتقريع بها مثل
ان تقول قد احسنت اليك ونعشتك وشبهه وقال بعضهم المن التحدث
بما اعطي حتى يبلغ ذلك المعطي فيوذيه والمن من الكباير ثبت ذلك في صحيح
مسلم وغيره وانه احد الثلاثة الذين لا ينظر الله اليهم يوم القيامة
العاق لوالديه والمراة المترجلة تتشبه بالرجال والديوث وثلاثة لا
يدخلون الجنة العاق لوالديه والمدمن الخمر والمنان بما اعطي وفي بعض
طرق مسلم المنان هو الذي لا يعطي شيا الا منه والاذى السب والتشكي

وهو اعم

الى

انما

الى

على

وهو اعم من المن لان المن جزء من الاذى لكنه لكثرة وقوعه وقال بن زيد لئن ظننت ان سلامك يثقل على من انفقت عليه تريد وجه فلا تسلم عليه وقالت له امراة يا ابا اسامة دلني على رجل يخرج في سبيل الله حقا فانهم انما يخرجون يا كلون الفواكه فان عندي اسهما وجعبه فقال لا بارك الله في اسمك وجعبتك فقد اذيتهم قبل تعطيهم قال علماونا رحمة الله عليهم فمن انفق في سبيل الله ولم يتبعه منا ولا اذى كقوله ما اشد الحاحك وخلصنا الله منك وامثال هذا فقد تضمن الله له بالاجر والاجر الجنه ونفى عنه الخوف بعد موته لما يستقبل والحزن على ما سلف من دنياه لانه يغتبط باخرته فقال لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وكفى بهذا فضلا وشرفا للنفقه في سبيل الله وفيها دلاله لمن فضل الغنى على الفقر حسب ما ياتي بيانه ان شا الله تعالي تعالى قول معروف ومغفره خير من صدقه يتبعها اذى فيه ثلاث مسايل قوله قول معروف ابتدا والخبر محذوف اي قول معروف اولى وامثل ذكره النحاس والمهدي قال النحاس ويجوز ان يكون قول معروف خبر ابتدا محذوف اي الذي امرتم به قول معروف والقول المعروف هو الدعا والتانيس والترجيه بما عند الله خير من صدقه هي في ظاهرها صدقه وفي باطنها لا شي لان ذكر القول المعروف فيه اجر وهذه لا اجر فيها قال صلى الله عليه وسلم الكلمه الطيبه صدقه وان من المعروف ان تلتقي اخاك بوجه طلق اخرجه مسلم فتلتقي السايل بالبشر والترحيب وتقابله بالطلاقه والتقريب لتكون مشكورا ان اعطى ومعذورا ان منع وقد قال بعض الحكما الق صاحب الحاجه بالبشر فان عدمت شكره لم تعدم عذره وحكى بن لنكك ان ابا بكر بن دريد قصد

بعض الوزرا في حاجه فلم يقضها وظهر له منه ضجر فقال لا يدخلنك ضجره
من سايل فلخير دهرك ان تري مسولا   لا تجبهن بالرد وجه مومل فبقا
عزك ان تري ماموكا   تلقى الكريم فتستدل ببشره وتري العبوس
على اللييم دليلا   واعلم بانك عن قليل صاير خبرا فكن خبرا يروق جميلا
وروى من حديث عمر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا
سال السايل فلا تقطعوا عليه مسلته حتى يفرغ منها ثم ردوا عليه بوقار
ولين او ببذل يسير او رد جميل فقد ياتيكم من ليس بانس ولا جان ينظرون
صنيعكم فيما خولكم الله تعالى **قلت** دليله حديث ابرص واقرع واعمي
خرجه مسلم وغيره وذلك ان ملكا تصور في صورة ابرص مره واقرع اخري
واعمى اخري امتحانا للمسول وقال بشر بن الحارث رايت عليا في المنام فقلت
يا امير المومنين قل لي شيا ينفعني الله به قال ما احسن عطف الاغنيا على الفقرا
رغبه في ثواب الله واحسن منه تيه الفقرا على الاغنيا ثقه بموعود الله
فقلت يا امير المومنين زدني فولى وهو يقول   قد كنت ميتا فصرت
حيا وعن قليل تصير ميتا   فاخرب بدار الفنا بيتا وابن بدار البقا بيتا
قوله ومغفره المغفره هنا الستر للخله وسوحاله المحتاج ومن
هذا قول الاعرابي وقد سال قوما بكلام فصيح فقال له قايل ممن الرجل
فقال اللهم غفرا سو الاكتساب يمنع من الانتساب وقيل المعنى تجاوز عن
السايل اذا لح واغلظ وجفى خير من التصدق عليه من المن والاذى قال
معناه النقاش وقال النحاس هذا مشكل يبينه الاعراب مغفره رفع بالابتدا
والخبر خير من صدقه والمعنى والله اعلم وفعل يودي الى المغفره خير من صدقه
يتبعها اذى وتقديره في العربيه وفعل مغفره ويجوز ان يكون مثل قولك

تفضل الله علينا

تفضل الله عليك اكبر من الصدقه التي تمن بها اي غفران الله خير من صدقتكم
هذه التي تمنون بها قوله تعالى والله غني حليم اخبر تعالى
بغناه المطلق انه غني عن صدقه العباد وانما امرهم بها ليثيبهم وعن حلمه
بانه لا يعاجل بالعقوبه من من واذى بصدقته تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فيه ثلاث مسايل
قوله تعالى بالمن والاذى قد تقدم معناه وعبر تعالى
عن عدم القبول وحرمان الثواب بالابطال والمراد بالصدقه التي
يمن بها ويوذى لا غيرها والعقيده ان السيات لا تبطل الحسنات ولا
تحبطها فالمن والاذى في صدقه لا يبطل صدقه غيرها قال الجمهور العلما
في هذه الايه ان الصدقه التي يعلم الله من صاحبها انه يمن او يوذى بها فانها
لا تقبل وقيل بل قد جعل الله للملك عليها امارة فهو لا يكتبها وهذا
حسن والعرب يقول لما يمن به يد سودا ولما يعطى عن غير مسله
يد بيضا ولما يعطى عن مسله يد خضرا وقال بعض البلغا من
من بمعروفه سقط شكره ومن اعجب بعمله حبط اجره وقال
بعض الشعرا وصاحب سلفت منه اليّ يد ابطا عليّ
مكافاتي فعاداني لما تيقن ان الدهر حاربني ابدا الندامة فيما
كان اولاني وقال اخر افسدت بالمن ما اسديت
من حسن ليس الكريم اذا اسدى بمنان وقال ابو بكر الوراق
فاحسن احسن من كل حسن في كل وقت وزمن صنيعه
مربوبه خاليه من المنن وسمع ابن سيرين رجلا يقول
لرجل فعلت اليك وفعلت فقال ابن سيرين اسكت فلا خير

في المعروف اذا احصى وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اياكم والامتنان بالمعروف فانه يبطل الشكر ويمحق الاجر ثم تلى
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذي قال علماونا رحمة
الله عليهم كره مالك لهذه الاية ان يعطي الرجل صدقته الواجبة
اقاربه لئلا يعتاض منهم الحمد والثنا ويظهر منته عليهم ويجازوه
عليها فلا تخلص لوجه الله تعالى واستحب ان يعطيها الاجانب
واستحب ايضا ان يتولى غيره تفريقها اذا لم يكن الامام عدلا
لان لا يحبط بالمن والاذى والشكر والثنا والمكافاة بالخدمة
من المعطى وهذا بخلاف صدقة التطوع السر لان ثوابها اذا
حبط سلم من الوعيد وصار في حكم من لم يفعل والواجب اذا حبط
ثوابه توجه الوعيد عليه لكونه في حكم من لم يفعل
قوله تعالى كالذي ينفق ماله رياء الناس الكاف في موضع نصب
اي ابطالا كالذي فهي نعت للمصدر المحذوف ويجوز ان يكون في
موضع الحال مثل الله الذي يمن ويوذي بصدقته بالذي ينفق
رياء لا لوجه الله وبالكافر الذي ينفق ليقال جواد وليثني عليه
بانواع الثنا ثم مثل هذا المنفق ايضا بصفوان عليه تراب
فيظنه الظان ارضا منبتة طيبة فاذا اصابه وابل من المطر اذهب
عنه التراب وبقي صلدا فكذلك هذا المرائي بالمن والاذي والرياء
ينكشف عن النية في الاخرة فتبطل الصدقة كما ينكشف الوابل
الصفوان وهو الحجر الكبير الاملس وقيل المراد بالاية ابطال
الفضل دون الثواب فالقاصد بنفقته الرياء غير مثاب كالكافر

الانه لم

لانه لم يقصد به وجه الله تعالى المستحق ثوابه وان وان كون
عطاه وابطل فضله وقد قيل انما يبطل من ثواب صدقته من
وقت منه واذايه وما قبل ذلك يكتب له ويضاعف فاذا
من واذا انقطع التضعيف لان الصدقة تربى لصاحبها حتى
تكون اعظم من الجبل فاذا خرجت من يد صاحبها خالصة على الوجه
المشروع ضوعفت فاذا جا المن بها والاذى وقف بها هناك
وانقطع زيادة التضعيف عنها والقول الاول اظهر والله
اعلم وصفوان جمع واحدته صفوانه قاله الاخفش قال
وقال بعضهم صفوان واحد مثل حجر وقال الكسايي صفوان
واحد وجمعه صفوان وصفي وصِفي وانكره المبرد وقال
انما صُفيٌّ جمع صفا كقفا وقُفيّ ومن هذا المعنى الصفوا والصفا
وقد تقدم وقرا سعيد بن المسيب والزهري صفوان
بتحريك الفا وهي لغة وحكى قطرب صفوان قال النحاس
صفوان وصفوان يجوز ان يكون جمعا ويجوز ان يكون واحدا
الا ان الاولى به ان يكون واحدا لقوله عز وجل عليه تراب
فاصابه وابل وان كان يجوز تذكير الجمع الا ان الشي لا يخرج
عن بابه الا بدليل قاطع فاما ماحكاه الكسايي الجمع فليس يصح
على حقيقة النظر ولكن صفوان جمع صفا وصفا بمعنى صفوان
ونظيره ورل وورلان واخ واخوان وكرا وكروان كما
قال الشاعر لنا يوم وللكروان يوم تطير البايسات
ولا تطير والضعيف في العربية يقول كروان جمع كروان

زام

ن

وصفي وصفي جمع صفا مثل عصا والوابل المطر الشديد وقد
وبلت السما تبل والارض موبوله قال الاخفش ومنه قوله
تعالى اخذا وبيلا اي شديدا وضرب وبيل وعذاب وبيل اي
شديد والصلد الاملس من الحجارة قال الكساي صلد
يصلد صلدا بتحريك اللام فهو صلد بالاسكان وهو كل
ما لا ينبت شيا ومنه جبين اصلد وانشد الاصمعي لروبه
براق اصلاد الجبين الاجله قال النقاش الاصلد الاجرد بلغه
هذيل ومعنى لا يقدرون يعني المراي والكافر والمان
على شي اي على الانتفاع بثواب شي من انفاقهم وهو كسبهم عند
حاجتهم اليه اذ كان لغير الله فعبر عن النفقه بالكسب لانهم قصدوا
بها الكسب وقيل ضرب هذا مثلا للمراي في ابطال ثوابه
لصاحب المن والاذي في ابطال فضله ذكره الماوردي

ق م

تعالى ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغا مرضات الله ابتغا مفعول
من اجله وتثبيتا من انفسهم عطف عليه وقال مكي في المشكل
كلاهما مفعول من اجله قال ابن عطيه وهو مردود ولا يصح في
تثبيتا انه مفعول من اجله لان الانفاق ليس من اجل التثبيت
وابتغا نصب على المصدر في موضع الحال وكان يتوجه فيه النصب
على المفعول من اجله لكن النصب على المصدر هو الصواب
من جهة عطف المصدر الذي هو وتثبيتا عليه ولما ذكر تعالى
صفة القوم الذين لا خلاق لصدقاتهم ونهى المومنين عن مواقعة ما
يشبه ذلك عقب في هذه الاية بذكر نفقات القوم الذين تزكوا صدقاتهم

اذ كانت

اذا كانت على وفق الشرع ذ وجهه وابتغا معناه طلب ومرضات
مصدر من رضي يرضى وتثبيتا معناه يتثبتون اين يضعون صدقا تهم
قاله مجاهد والحسن قال الحسن كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت
فان كان ذلك لله امضاه وان خالطه شك امسك وقيل معناه
تصديقا ويقينا قاله ابن عباس وقال ابن عباس ايضا وقتاده معناه
واحتسابا من انفسهم وقال الشعبي والسدي وقتادة ايضا وابن
زيد وابو صالح وغيرهم وتثبيتا معناه وتيقنا اي ان نفوسهم لها
بصاير فهي تثبتهم على الانفاق في طاعة الله تثبيتا وهذه الاقوال
الثلاثه اصوب من قول الحسن ومجاهد لان المعنى الذي ذهبا اليه
انما عبارته وتثبتا مصدر على غير الصدر قال ابن عطيه وهذا لا
يسوغ الا مع ذكر الصدر والافصاح بالفعل المتقدم لقوله تعالى
والله انبتكم من الارض نباتا وتبتل اليه تبتيلا واما اذا لم يقع افصاح ح
بفعل فليس لك ان تاتي بمصدر في غير معناه ثم تقول احمله على معنا
كذا وكذا لفعل لم يتقدم له ذكر قال ابن عطيه هذا مهيع كلام
العرب فيما علمت وقال النحاس لو كان كما قال مجاهد لكان وتثبتا
من تثبت كتكرمت تكرما وقول قتادة احتسابا لا يعرف
الا ان يراد به ان انفسهم تثبتهم محتسبة وهذا بعيد وقول
الشعبي حسن اي تثبيتا من انفسهم لهم على انفاق ذلك في طاعة
الله عز وجل يقال ثبت فلانا في هذا الامر اي صححت عزمه وقويت
فيه رايه اثبته تثبيتا اي انفسهم موقنه بوعد الله على تثبيتهم
في ذلك وقيل وتثبيتا من انفسهم اي يقرون بان الله تعالى

بثيب عليها اي وتثبيتا من انفسهم لثوابها بخلاف المنافق الذى
لا يحتسب الثواب   تعالى كمثل جنة بربوة الجنة البستان   بجنس
قطعة ارض تنبت فيها الاشجار حتى تغطيه فهو فهي موجودة
من لفظ الجن والجنين لاستتارهم وقد تقدم والربوة المكان
المرتفع ارتفاعا يسيرا معه في الاغلب كثافة تراب وما كان
كذلك فنباته احسن ولذلك خص الربوة بالذكر قال بن عطيه
ورياض الحزن ليست من هذا كما زعم الطبري بل تلك هي
الرياض المنسوبة الى نجد لانها خير من رياض تهامة ونبات
نجد اعطر ونسيمه ابرد وارق ونجد يقال له حزن وقل ما
يصلح هواء تهامة الا بالليل ولذلك قالت الاعرابية زوجي كليل
تهامة   وقال السدى   بربوة اي برباوة وهو ما انخفض
من الارض قال بن عطيه وهذه عبارة قلقة ولفظ الربوة هو
ماخوذ من ربا يربو اذا زاد قلت عبارة السدي ليست
بشي لان بناء رب ومعناه الزيادة في كلام العرب ومنه الربو
للنفس العالي ربا يربو اذا اخذه الربو وربا الفرس اذا اخذه
الربو من عدوا وفزع وقال الفراء في قوله تعالى احدهم اخذه رابيه
اي زايد لقولك اربيت اذا اخذت اكثر مما اعطيت وربوت في بني
فلان وربيت اي نشات فيهم   وقال الخليل الربوة ارض مرتفعة
طيبة وخص الله بالذكر التي لا تجري فيها ما من حيث العرف في بلاد العرب
فمثل لهم ما يحسونه ويدركونه وقال بن عباس الربوة المكان المرتفع
الذى لا تجري فيه الانهار لان قوله اصابه وابل الى اخر الايه يدل على انها
ليس فيها ماجار ولم يرد جنس الذى تجري فيها الانهار لان الله قد ذكر

ربوة ذات

ربوة ذات قرار ومعين والمعروف من كلام العرب ان الربوه ما
ارتفع عما جاوزه سوا جرى فيها ما او لم يجر وفيها خمس لغات ربوه بضم
الراو وبها قرا ابن كثير وحمزه والكساي ونافع وابو عمرو وربوه بفتح الرا
وبها قرا عاصم وبن عامر والحسن وربوه بكسر الرا وبها قرا ابن عباس
وابو اسحق السبيعي ورباوه بالفتح وبها قرا ابو جعفر وابو عبد
الرحمن وقال الشاعر من منزلي في عرصة برباوة بين النخيل
الى بقيع الغرقد ورباوه بالكسر وبها قرا الاشهب العقيلي قال
الفرا ويقال برباوه وبرباوه وبرباوه وكله من الرابيه ومعنا
رابي يربوا تعالى اصابها يعني الربوه وابل اي مطر شديد قال
الشاعر ما روضه من رياض الحزن معيشه خضرا جاد عليها وابل
هطل فاتت اي اعطت اكلها بضم الهمزه الثمر الذى يوكل ومنه
قوله تعالى توتي اكلها كل حين والشي الماكول من كل شي يقال له اكل
والاكله اللقمه او القمتين خرجه مسلم واضافته للجنه اضافه اختصاص
كسرج الفرس وباب الدار والافليس الثمر مما ياكله الجنه وقرا نافع
وبن كثير وابو عمرو اكلها بضم الهمزه وسكون الكاف وكذلك كل مونث
وفارقهما ابو عمرو فيما اضيف الى مذكر مثل اكله او كان غير مضاف
الى شي كل خمط فثقل ابو عمرو ذلك وخففناه وقرا عاصم وبن عامر
وحمزه والكساي في جميع ما ذكرناه بالتثقيل ويقال الاكل والاكل
بمعنى ضعفين اي اعطت ضعفي ثمر غيرها من الارضين وقال بعض اهل
العلم حملت مرتين في السنه والاول اكثر اي اخرجت من الزرع ما يخرج
غيرها في سنين تعالى فان لم يصبها وابل فطل تاكيد منه تعالى

ه

الى م

مثل م

لمدح هذه الربوه بانها ان لم يصبها وابل فان الطل يكفيها وسوت مناب
الوابل في اخراج الثمر ضعفين وذلك لكرم الارض وطيبه قال
المبرد وغيره تقديره فطل يكفيها وقال الزجاج فالذي يصيبها طل
والطل المطر الضعيف المستدق من القطر الخفيف قاله بن عباس
وغيره وهو مشهور اللغه وقال قوم منهم مجاهد الطل الندا قال
بن عطيه وهو تجوز وتشبيه قال النحاس وحكى اهل اللغه وبلت واوبلت
وطلت واطلت وفي الصحاح الطل اضعف المطر والجمع الطلال تقول
منه طلت الارض واطلها الندا فهي مطلوله قال الماوردي وزرع الطل
اضعف من زرع المطر واقل ريعا وفيه وان قل ثماره سك وتقع قال
بعضهم في الايه تقديم وتاخير ومعناه كمثل جنه بربوه اصابها وابل
فان لم يصبها وابل فطل فاتت اكلها ضعفين يعنى اخضرا وراق البستان
وخرجت ثمرها ضعفين قلت التاويل الاول اصوب ولا حاجه
الى التقديم والتاخير فشبه تعالى نمو نفقات هولا المخلصين
الذين يربي الله صدقاتهم كتربيه الفلو والفصيل بنمو نبات الجنه
بالربوه الموصوفه بخلاف الصفوان الذى انكشف عنه ترابه فبقي صلدا
وخرج مسلم وغيره عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصدق
احد بتمره من كسب طيب الا اخذها الله بيده فيربيها كما يربي احدكم
فلوه او فصيله حتى يكون مثل الجبل او اعظم خرجه الموطا ايضا
تعالي والله بما تعملون بصير وعد ووعيد وقرا الزهري
يعملون بالياء كانه يريد به الناس اجمع او يريد المنفقين فقط هو وعد محض
تعالى ايود احدكم ان تكون له جنه من نخيل واعناب الايه

حكى الطبري عن السدي ان هذه الايه مثل اخر لنفقه الربا ورجح هو
هذا القول قلت وروى عن ابن عباس ايضا قال هذا مثل ضربه
الله للمرائين بالاعمال يبطلها يوم القيمه احوج ما كان اليها كمثل رجل كانت
له جنه وله اطفال لا ينفعونه فكبر واما بالجنة اعصار اى ريح عاصف
فيه نار فاحترقت ففقدها احوج ما كان اليها وحكى عن ابن زيد انه قرا
قول الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى الايه
قال ثم ضرب في ذلك مثلا فقال ايود احدكم الايه قال ابن عطيه وهذا
ابين من الذى رجح الطبري وليست هذه الايه بمثل اخر لنفقه الربا
هذا هو مقتضى سياق الكلام واما بالمعنى في غير هذا السياق فتشبه
حال كل منافق او كافر عمل عملا وهو يحسب انه يحسن صنعا فلما جا الي
وقت لم يجد شيا قلت قد روي عن ابن عباس انها مثل لمن عمل لغير
الله من منافق وكافر على ما ياتي الا ان الذى ثبت في البخاري عنه خلاف
هذا خرج البخاري عن عبيد بن عمير قال قال عمر بن الخطاب يوما لاصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيم ترون هذه الايه نزلت ايود احدكم
ان تكون له جنه من نخيل واعناب قالوا الله ورسوله اعلم فغضب
عمر وقال قولوا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شي يا امير المومنين
قال يا ابن اخي قل ولا تحقر نفسك قال ابن عباس ضربت مثلا لعمل قال
عمر اى عمل قال ابن عباس لعمل لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث عز وجل
له الشيطان فعمل في المعاصي حتى احرق عمله في روايه فاذا فني عمره واقترب
اجله ختم ذلك بعمل من اعمال الشقا فرضي ذلك عمر وروي ابن ابي مليكه
ان عمر تلى هذه الايه وقال هذا مثل ضرب للانسان يعمل عملا صالحا حتى

اذا كان عند اخر عمره احوج ما يكون عمل السو قال بن عطيه فهذا نظر
يحمل الايه على كل ما يدخل تحت الفاظها ونحو ذلك قال مجاهد وقتادة
والربيع وغيرهم وخص النخيل والاعناب بالذكر لشرفهما وفضلهما
على ساير الشجر وقرا الحسن جنات بالجمع تجري من تحتها الانهار تقدم ذكره له
فيها من كل الثمرات يريد ليس شي من الثمار الا وهو فيها نابت
تعالى واصابه الكبر عطف ماضيا على مستقبل وهو تكون وقيل يود فقيل
التقدير وقد اصابه الكبر وقيل انه محمول على المعنى لان المعنى ايود احدكم ان
لو كانت له جنة وقيل الواو واو الحال وكذا في قوله وله تعالى
فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت قال الحسن اعصار فيه نار ريح فيها برد
شديد الزجاج الاعصار في اللغة الريح الشديدة التي تهب من
الارض الى السما كالعمود وهي التي يقال لها الزوبعة قال الجوهري
الزوبعة رييس من روسا الجن ومنه سمي الاعصار زوبعة ويقال
ام زوبعة وهي ريح تثير الغبار ويرتفع الى السما كانه عمود وقيل
الاعصار ريح تثير سحابا ذات رعد وبرق المهدوي قيل لها اعصار
لانها تلتف كالثوب اذا عصر بن عطيه وهذا ضعيف قلت بل هو
صحيح لانه المشاهد المحسوس فانه يصعد عمودا ملتفا وقيل انما قيل للريح
اعصار لانه يعصر السحاب والسحاب معصرات اما لانها حوامل فهي كالمعصر
من النسا واما لانها تنعصر بالرياح وحكي بن سيده ان المعصرات فسرها
قوم بالرياح لا بالسحاب بن زيد الاعصار ريح عاصف وسموم شديده
وكذلك قال السدي الاعصار الرياح والنار السموم بن عباس ريح
فيها سموم شديده قال بن عطيه ويكون ذلك في شدة الحر ويكون في

شدة البرد

شدة البرد وكل ذلك من فيح جهنم ونفسها كما تضمن قول النبي صلى الله عليه
وسلم اذا اشتد الحر فابردوا عن الصلاة فان شدة الحر من فيح جهنم وان
النار اشتكت الى ربها الحديث وروي عن ابن عباس وغيره ان هذا مثل
ضربه الله تعالى للكافرين والمنافقين كهيئة رجل غرس بستانا فاكثر فيه
من الثمر فاصابه الكبر وله ذرية ضعفاء يريد صبيانا بنات وغلمانا
فكانت معيشته ومعيشة ذريته من ذلك البستان فارسل الله على بستا نه
ريحا فيها نار فاحرقته ولم يكن عنده قوة فيغرسه ثانيا ولم يكن عند
بنيه خير فيعودون على ابيهم وكذلك الكافر والمنافق اذا ورد الى الله
تعالى يوم القيمة ليست له كرة يبعث فيرد ثانية كما ليست عنده بنيه
قوة فيغرس بستانه ثا نيه ولم يكن عنده من افتقر اليه عند كبر سنه
وضعف ذريته غنا عنه كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون
يريد كي ترجعوا الى عظمتي وربوبيتي ولا تتخذوا من دوني اوليا وقال
ابن عباس ايضا تتفكرون في زوال الدنيا وفنايها واقبال الاخرة ودوا مها
تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخر جنا
لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا
ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد فيه احدى عشرة مسلة
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا هذا خطاب لجميع امة
محمد صلى الله عليه وسلم واختلف العلما في المعنى المراد بالانفاق فقال
علي بن ابي طالب وعبيدة السلماني وابن سيرين هي الزكاه المفروضة نهى
الناس عن الردي فيها بدل الجيد قال ابن عطيه والظاهر من قول البرا
ابن عازب والحسن وقتادة ان الاية في التطوع ندبوا الى الا يتطوعوا

الا بخيار جيد والايه تعم الوجهين لكن صاحب الزكاة تعلق بانها مامور
بها والامر على الوجوب وبانه نهى عن الردى وذلك مخصوص بالفرض
واما التطوع فكما للمرء ان يتطوع بالقليل فكذلك له ان يتطوع بنازل
في القدر ودرهم خير من تمرة تمسك اصحاب الندب بان لفظة افعل
صالح للندب صلاحيته للفرض والردي منهى عنه في النفل كما هو منهى عنه
في الفرض والله احق من اختير له روى البراء ان رجلا علق قنو حشف فراه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بيس ما علق فنزلت الايه خرجه
الترمذى وسياتي بكماله والامر على هذا القول الندب ندبوا الا
يتطوعوا الا بجيد مختار وجمهور المتاولين قالوا معنى من طيبات من جيد
مختار ما كسبتم وقال ابن زيد من حلال ما كسبتم الكسب يكون
بتعب بدن وهي الاجارة وسياتي بيانه والميراث داخل في هذا لان غير
الوارث قد كسبه قال سهل بن عبد الله وسيل ابن المبارك عن الرجل
يريد ان يكتسب وينوي في اكتسابه ان يصل به الرحم وان يجاهد ويعمل به
الخيرات ويدخل بهذا الكسب لهذا الشان قال ان كان معه قوام من
العيش بمقدار ما يكف نفسه عن الناس فترك هذا افضل لانه اذا طلب
حلالا وانفق في حلال سيل عنه وعن كسبه وعن انفاقه وترك ذلك زهد
فان الزهد في ترك الحلال قوله تعالى ومما اخرجنا لكم من
الارض يعني النبات والمعادن والركاز وهذه ابواب ثلاثة تضمنتها
الايه اما النبات فروى الدارقطني عن عايشه رضي الله عنها قالت جرت
السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمسة اوساق زكاة
والوسق ستون صاعا فذلك ثلثمايه صاع من الحنطة والشعير والتمر

ويجوز ان يشاد ونسخه الايه جاز للوالد ان ياكل من كسب ولده وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اولادكم من طيب اكسابكم فكلوا من اموال اولادكم هنيا

والتمر ليس

والزبيب وليس فيما انبت الارض من الخضر زكاه وقد احتج قوم لابي حنيفه
بقول الله تعالى ومما اخرجنا لكم من الارض وان ذلك عموم في قليل ما يخرج
وكثيره وفي ساير الاصناف ورأوا ظاهر الامر الوجوب وسياتي بيان
هذا في الانعام مستوفي واما المعدن فروى الايمه عن ابي هريره عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العجما جرحها جبار والبير جرحها جبار
والمعدن جبار وفي الركاز الخمس قال علماونا لما قال صلى الله عليه وسلم وفي
الركاز الخمس دل على ان الحكم في المعادن غير الحكم في الركاز لانه فيما يوخذ
منه والله اعلم والركاز اصله في اللغه ما ارتكز بالارض من الذهب
والفضه والجواهر وهو عند ساير الفقها كذلك لانهم يقولون في الندره
التي توجد في المعدن مرتكزه بالارض لا تنال بعمل ولا بسعي ولا نصب
فيها الخمس لانها ركاز وقد روي عن مالك ان الندرة في المعدن حكمها حكم ما
يختلف فيه العلما مما يستخرج من المعدن في الزكاة والاول تحصيل
مذهبه وعليه فتوى جمهور الفقها وروى عبد الله بن سعيد بن ابي
سعيد المقبري عن ابيه عن جده عن ابي هريره قال سيل النبي رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الركاز فقال الذهب الذي خلق الله في الارض
يوم خلق السموات والارض عبد الله بن سعيد هذا متروك
الحديث ذكر ذلك بن ابي حاتم وقد روى من طريق اخر عن ابي هريره ولا
يصح ذكره الدارقطني ودفن الجاهليه لاموالهم عند جماعه العلما ركاز
ايضا لا يختلفون فيه اذا كان دفنه قبل الاسلام من الاموال العاديه
واما ما كان من ضرب الاسلام فحكمه عندهم حكم اللقطه
واختلفوا في حكم الركاز اذا وجد فقال مالك ما وجد من دفن الجاهليه

في ارض العرب او في فيافي الارض التي ملكها المسلمون بغير حرب فهو
لواجده وفيه الخمس واما ما كان في ارض الاسلام فهو كاللقطة قال
وما وجد من ذلك في ارض العنوة فهو للجماعة الذين افتتحوها دون واجده
وما وجد من ذلك في ارض الصلح فانه لاهل تلك البلاد دون الناس ولا
شي للواجد فيه الا ان يكون من اهل الدار فهو له دونهم وقيل بل هو لجملة
اهل الصلح قال اسماعيل وانما حكم الركاز حكم الغنيمة لانه مال كافر
وجده مسلم فانزل منزلة من قاتله واخذ ماله فكان له اربعة اخماسه وقال
بن القاسم كان مالك يقول في العروض والجواهر والحديد والرصاص
ونحوه يوجد ركازا ان فيه الخمس ثم رجع فقال لا ارى فيه شيا ثم اخر
ما فارقناه ان قال فيه الخمس وهو الصحيح لعموم الحديث وعليه جمهور
الفقها وقال ابو حنيفة ومحمد في الركاز يوجد في الدار انه لصاحب الدار
دون الواجد وفيه الخمس وخالفه ابو يوسف فقال انه للواجد دون
صاحب الدار وهو قول الثوري فان وجد في الفلاة فهو للواجد في قولهم
جميعا وفيه الخمس ولا فرق عندهم بين ارض الصلح وارض العنوة وسوا
عندهم ارض العرب وغيرها وجايز عندهم لواجده ان يحبس الخمس لنفسه اذا كان
محتاجا وله ان يعطيه للمساكين ومن اهل المدينة واصحاب مالك من لا يفرق
بين شي من ذلك وقالوا سوا وجد الركاز في ارض العنوة او ارض الصلح
او ارض العرب او ارض الحرب اذا لم يكن ملكا لاحد ولم يدعه احد فهو
لواجده وفيه الخمس على عموم ظاهر الحديث وهو قول الليث وعبد الله بن
نافع والشافعي واكثر اهل العلم واما ما يوجد من المعادن ويخرج
منها فاختلف فيه فقال مالك واصحابه لا شي فيما يخرج من المعادن من ذهب

او فضة حتى يكون

او فضه حتى يكون عشرين مثقالا ذهبا او خمس اواق فضه فاذا بلغنا هذا
المقدار وجبت فيهما الزكاه وما زاد فبحساب ذلك ما دام في المعدن نيل فان
انقطع ثم جا بعد ذلك نيل اخر فانه يبتدا فيه الزكاه مكانه والركاز عندهم
بمنزلة الزرع توخذ منه الزكاة في حينه ولا ينتظر به حولا قال
سحنون في رجل له معادن انه لا يضم ما في واحد منها الى غيرها ولا يزكى
الا عن ما يتى درهم او عشرين دينارا في كل واحد وقال محمد بن مسلمه
يضم بعضها الى بعض ويزكى الجميع كالزرع وقال ابو حنيفه واصحابه
المعدن والركاز لما وجد في المعدن من ذهب او فضه بعد اخراج
الخمس اعتبر كل واحد فما حصل بيده ما تجب فيه الزكاه زكاه لتمام
الحول ان اتى عليه حول وهو نصاب عنده هذا اذا لم يكن معه
ذهب او فضه وجبت فيه الزكاه فان كان عنده من ذلك ما تجب
فيه الزكاة ضمه الى ذلك وزكاه وكذا عندهم كل فايده تضم
النصاب من جنسها وتزكى لحول الاصل وهو قول الثوري وذكر
المزني عن الشافعي قال واما الذي انا واقف فيه فما يخرج من المعادن
قال المزني الاولى به على اصله ان يكون ما يخرج من المعدن فايده
يزكى لحوله بعد اخراجه وقال الليث بن سعد ما يخرج من المعادن
من الذهب والفضه فهو بمنزلة الفايده يستانف به حولا وهو
قول الشافعي فيما حصله المزني من مذهبه وقال به داود واصحابه
اذا حال عليها الحول عند مالك صحيح الملك لقوله صلى الله عليه
من استفاد مالا فلا زكاه عليه حتى يحول عليه الحول اخرجه
الترمذي والدارقطني واحتجوا ايضا بما رواه عبد الرحمن بن انعم

عن ابي سعيد الخذري ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى قوما من المولفه
قلوبهم حقهم في الزكوات فتبين بهذا ان المعادن تشتها سنه الزكاه
وحجه مالك حديثه عن ربيعه بن ابي عبد الرحمن ان النبي صلى الله عليه وسلم
اقطع بلال بن الحارث معادن القبليه وهي من ناحيه الفرع فتلك
المعادن لا يوخذ منها الى اليوم الا الزكاة وهذا حديث منقطع الاسناد
لا يحتج بمثله اهل الحديث ولكنه عمل يعمل به عندهم في المدينه ورواه
الدراوردي عن ربيعه عن الحارث بن بلال المزني عن ابيه ذكره البزار
ورواه كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن ابيه عن جده عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه اقطع بلال بن عبد الله المعادن القبليه جلسيها
الحارث
وغوريها وحيث يصلح الزرع من قدس ولم يقطعه حق مسلم ذكره
البزار ايضا وكثير مجمع على ضعفه هذا حكم ما اخرجته الارض وسياتي
في سورة النحل حكم ما اخرجه البحر اهو قسم الارض وياتي في
الانبيا معنى قوله عليه السلام العجماء جرحها جبار في موضعه ان شا
الله تعالى قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ١
تيمموا معناه تقصدوا وستاتي الشواهد من اشعار العرب في ان
التيمم القصد في النسا ان شا الله تعالى ودلت الايه على ان المكاسب
فيها طيب وخبيث روى النساي عن ابي امامة بن سهل بن حنيف في
التي قال الله تعالى فيها ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال هو
الجعرور ولون حبيق نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوخذا في
الصدقه وروى الدارقطني عن ابي امامة بن سهل بن حنيف عن ابيه قال
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقه فجا رجل من هذا السحل بكبايس

قال سفين يعني الشيص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جا بهذا
وكان لا يجي احد بشي الا نسب الى الذي جا به فنزلت ولا تيمموا الخبيث
منه تنفقون قال ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الجعرور ولون
ولون الحبيق ان يوخذا في الصدقة قال الزهري لونين من تمر المدينه
واخرجه الترمذي من حديث البرا وصححه وسياتي وحكى الطبري
والنحاس ان في قراه عبد الله ولا تيمموا هما لغتان وقرا مسلم بن
جندب ولا تيمموا بضم التا وكسر الميم وقرا بن كثير تيمموا بشد التا
وفي اللفظ لغات منها اممت الشي بخففه الميم الاولى واممته
بشدها ويممته وتيممته وحكى ابو عمرو ان بن مسعود قرا ولا تيمموا
بهمزة بعد التا المضمومة قوله منه تنفقون قال
الجرجاني في كتاب نظم القران قال فريق من الناس ان الكلام تم في قوله
الخبيث ثم ابتدا خبرا اخر في وصف الخبيث فقال منه تنفقون وانتم
لا تاخذوه الا اذا اغمضتم اي تساهلتم كان هذا المعنى عتاب
للناس وتقريع في منه عايد على الخبيث وهو الدون والردي
قال الجرجاني وقال فريق اخر الكلام متصل الى قوله فيه فالضمير
في منه عايد على ما كسبتم ويجي تنفقون كانه في موضع نصب على
الحال وهو كقولك انا اخرج اجاهد في سبيل الله
قوله تعالى ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اي لستم باخذيه
في ديونكم وحقوقكم من الناس الا ان تساهلوا فيه في ذلك
وتتركوا من حقوقكم وتكرهونه ولا ترضونه اي فلا تفعلوا مع الله
ما لا ترضونه لانفسكم قال معناه البرا بن عازب وبن عباس

والضحاك وقال الحسن معنى الايه ولستم باخذيه ولو وجدتموه
في السوق يباع الا ان يهضم لكم من ثمنه وروي نحوه عن علي رضي الله
عنه قال بن عطيه وهذا القولان يشبهان كون الاية في الزكاه الواجبه
قال بن العربي لو كانت في الفرض لما قال ولستم باخذيه لان الردي
والمعيب لا يجوز اخذه في الفرض بحال لا مع تقدير الاغماض ولا مع
عدمه وانما يوجد مع عدم اغماض في النفل وقال البرا بن عازب
ايضا معناه ولستم باخذيه لو اهدي لكم الا ان تغمضوا اي يستحيي
من المهدي فتقبل منه ما لا حاجه لك به ولا قدر له في نفسه قال
بن عطيه وهذا يشبه كون الايه في التطوع وقال بن زيد ولستم
باخذي الحرام الا ان تغمضوا في مكروهه قوله تعالى
الا ان تغمضوا كذا قراه الجمهور من اغمض الرجل في امر كذا اذا تساهل
فيه ورضي ببعض حقه وتجاوز ومن ذلك قول الطرماح لم يفتنا
بالوتر قوم وللذل اناس يرضون بالاغماض وقد يحتمل ان يكون
منتزعا اما من تغميض العين لان الذي يريد الصبر على مكروه يغمض
عينيه قال الي كم وكم اشيا منك تريبني اغمض عنها لست عنها
بذي عما وهذا كالاغضا عند المكروه وقد ذكر النقاش هذا المعنى
في هذه الايه واشار اليه مكي واما من قول العرب اغمض الرجل اذا اتى
غامضا من الامر كما تقول اعمن اي اتى عمان واعرق اي اتى العراق وانجد واغار
اي نجدا اتى الغور الذي هو تهامه اي فهو يطلب التاويل على اخذه وقرا الزهري
بفتح التا وكسر الميم مخففا وعنه ايضا تغمضوا بضم التا وفتح الغين وكسر
الميم وشدها فالاول على معنى تهضموا سومها من البايع منكم فيحطكم والثانيه

بهم رواه قتادة

وهي قراة قتاده فيما ذكر النحاس اي تاخذوا بنقصان وقال
ابو عمرو الداني معنى قراة حتى تاخذوا بنقصا وحكى مكي عن الحسن الا ان
تغمضوا مشدده الميم مفتوحه وقرا قتاده ايضا تغمضوا بضم التا وسكون
الغين وفتح الميم مخففا قال ابو عمرو الداني معناه الا ان يغمض لكم وحكا
النحاس عن قتاده نفسه وقال بن جني معناها توجدوا قد غمضتم في
الامر بتاولكم او بتساهلكم وجريتم على غير السابق الى النفوس وهذا كما
تقول اخذت الرجل وجدته محمودا الى غير ذلك من الامثله قال بن عطيه
وقراه الجمهور تخرج على التجاوز وعلى تغميض العين لان اغمض بمنزله غمض وعلى
انها بمعنى حتى تاتوا غامضا من التاويل والنظر في اخذ ذلك
اما لكونه حراما على قول بن زيد واما لكونه مهدى او ماخوذ
في دين على قول غيره وقال المهدوي ومن قرا تغمضوا فالمعنى
تغمضون اعينكم عن اخذه قال الجوهري وغمضت عن
فلان اذا تساهلت عليه في بيع وشرا واغمضت وقال
تعالى ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه يقال اغمض لي
فيما بعتني كانك تريد الزيادة منه لرداته والحط من
ثمنه وان في موضع نصب الا بان
قوله تعالى والله غني حميد نبه سبحانه على صفة الغنى
اي لا حاجه به الى صدقاتكم فمن تقرب وطلب مثوبه
فليفعل ذلك بما له قدر وبال فانما يقدم لنفسه وحميد
معناه محمود في كل حال وقد اتينا على معاني هذين الاسمين
في الكتاب الاسنى والحمد لله وقال الزجاج في قوله واعلموا

ان الله غني حميد اي لم يامركم ان تصدقوا ولكنه بلا اخبار لكم
فهو حميد على د لك على جميع نعمه   تعالى الشيطان
يعدكم فيه ثلاث مسايل   قوله تعالى الشيطان
تقدم معنى الشيطان واشتقاقه فلا معنى لاعادته ويعدكم
معناه يخوفكم الفقراي بالفقر ليلا تنفقوا فهذه الاية متصله
بما قبل وان الشيطان له مدخل في التثبط للانسان عن الانفاق
في سبيل وهو مع ذلك يامر بالفحشا وهي المعاصي والانفاق
فيها با ن لا تتصدقوا فتعصوا وتنقطعوا وقري الفقر بضم الفا
وهي لغه قال الجوهري والفُقْر لغه في الفقر مثل الضُعف
والضَعف   قوله تعالى والله يعدكم مغفره منه
وفضلا الوعد في كلام العرب اذا اطلق فهو في الخير واذا قيد
بالموعود ما هو فقد تقيد بالخير وبالشر كالبشاره فهذه
الايه مما تقيد فيها الوعد بالمعنيين جميعا قال ابن عباس في
هذه الايه اثنتان من الله واثنتان من الشيطان وروي
الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة فاما لمة
الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك
فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من
الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرا
الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا قال هذا حديث
حسن صحيح ويجوز في غير القران ويامركم بالفحشا بحذف البا

تعالى م

وانشد سيبويه

وانشد سيبويه امرتك الخير فافعل فقد تركتك ذا مال
وذا نسب والمغفرة هي الستر على عباده في الدنيا والاخرة
والفضل هو الرزق والتوسعة والنعيم في الاخرة وبكل
قد وعد الله تعالى ذكر النقاش ان بجد الناس تانس
بهذه الاية وان الفقر افضل من الغنى لان الشيطان انما يبعد
العبد من الخير وهو بتخويفه الفقر يبعده منه قال بن عطية وليس
في الاية حجة قاطعة بل المعارضة بها قوية وروي ان في التورية
عبدي انفق من رزقي ابسط عليك فضلي فان يدي مبسوطة
على كل يد مبسوطة مصداقه وهو قوله وما انفقتم من
شي فهو يخلفه وهو خير الرازقين ذكره بن عباس والله واسع
عليم تقدم معناه والمراد هنا انه سبحانه يعطي من سعة ويعلم
حيث يضع ذلك ويعلم الغيب والشهاده وهما اسمان من
اسمائه ذكرناهما في جملة الاسما في الكتاب الاسنى تعالى
يؤتي الحكمة من يشا اي يعطيها لمن يشا من عباده واختلف العلما
في الحكمة فقال السدي هي النبوة بن عباس هي المعرفة بالقران
فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه وغريبته ومقدمه وموخره
وقال قتاده ومجاهد الحكمة الفقه في القران وقال مجاهد الا صابه
في القول والفعل وقال بن زيد الحكمة العقل في الدين وقال مالك
بن انس الحكمة المعرفة بدين الله والفقه فيه والاتباع له وروي
عنه بن القاسم انه قال التفكر في دين الله والاتباع له وقال الحكمه
ايضا الحكمة طاعة والفقه في الدين والعمل به وقال الربيع

بن انس الحكمه الخشيه وقال ابرهيم النخعي الحكمه الفهم في القران
وقاله زيد بن اسلم وقال الحسن الحكمه الورع قلت وهذه
الاقوال كلها ماعدي قول السدي والربيع والحسن قريب
بعضها من بعض لان الحكمه مصدر من الاحكام وهو الاتقان في عمل
او قول فكلما ذكر فهو نوع من الحكمه التي هي الجنس فكتاب الله تعالى
حكمه وسنه نبيه حكمه وكلما ذكر من التفضيل فهو حكمه
واصل الحكمه ما يمتنع به من السفه فقيل للعلم حكمه لانه يمتنع
وبه يعلم الامتناع من السفه وهو كل فعل قبيح وكذا القران
والعقل والفهم وفي البخاري من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين
وقال هنا ومن يوت الحكمه فقد اوتي خيرا كثيرا وكرر ذكر الحكمه
ولم يضمرها اعتنا بها وتنبيها على شرفها وفضلها حسب ما تقدم
بيانه عند قوله فبدل الذين ظلموا قولا غير اوذكر الدارمي ابو محمد
في مسنده ثنا مروان بن محمد ثنا رفده الغساني قال انا ثابت بن
عجلان الانصاري قال كان يقال ان الله ليريد العذاب باهل
الارض فاذا سمع تعليم الصبيان الحكمه صرف ذلك عنهم قال
مروان يعني بالحكمه القران تعالى ومن يوت الحكمه
فقد اوتي خيرا كثيرا يقال ان من اعطي الحكمه والقران فقد اعطي
افضل ما اعطي من جمع علم كتب الاولين من الصحف وغيرها لانه
قال لاوليك وما اوتيتم من العلم الا قليلا وسمي هذا خيرا كثيرا
لان هذا جوامع الكلم وقال بعض الحكما من اعطي العلم والقران
ينبغي ان يعرف نفسه ولا يتواضع لاصحاب الدنيا لاجل دنياهم

قم

مطلب لطيف

مطلب

فانما اعطي

فان ما اعطى افضل مما اعطى اصحاب الدنيا لان الله تعالى سمى الدنيا
متاعا قليلا فقال قل متاع الدنيا قليل وسمى العلم والقران خيرا
كثيرا وقرا الجمهور ومن يوت على بنا الفعل للمفعول وقرا الزهري
ويعقوب ومن يوت بكسر التا على معنى ومن يوت الله الحكمة فالفا
على اسم الله عز وجل ومن مفعول اول مقدم والحكمة مفعول
ثان والالباب العقول واحدها لب وقد تقدم تعالى وما
انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه شرط وجوابه
وكانت النذور من سيرة العرب تكثر منها فذكر الله تعالى
النوعين ما يفعله المرء متبرعا وما يفعله بعد الزامه لنفسه
وفي الاية معنى الوعد والوعيد اي من كان خالص النية
فهو مثاب ومن انفق ريا او لمعنى اخر مما يكسبه المن والاذى
ونحو ذلك فهو ظالم يذهب فعله باطلا ولا يجد ناصرا
فيه ومعنى يعلمه يحصيه قاله مجاهد ووحد الضمير
وقد ذكر شيئين فقال النحاس التقدير وما انفقتم من
نفقة فان الله يعلمها او نذرتم من نذر فان الله يعلمه ثم
حذف ويجوز ان يكون التقدير وما انفقتم فان الله يعلمه
وتعود الها على ما كما انشد سيبويه فتوضح فالمقراه لم
يعف رسمها لما نسجته من جنوب وشمال ويكون او نذرتم
من نذر معطوفا عليه قال ابن عطية ووحد الضمير في يعلمه
وقد ذكر شيئين من حيث اراد ما ذكر او ذكرت وهذا
حسن فان الضمير قد يراد به جميع المذكور وان كثر والنذر

حقيقه العباره عنه ان يقول هو ما اوجبه المكلف علي
نفسه من العبادات مالم يوجبه لم يلزمه تعالى نذر الرجل
لذا اذا التزم فعله ينذر بضم الدال وبنذر بكسرها وله
احكام ياتي بيانها في غير هذا الموضع انشا الله تعالى
تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي ذهب جمهور المفسرين
الى ان هذه في صدقه التطوع لان الاخفا فيها افضل من الاظهار
ولذلك ساير العبادات الاخفا افضل في تطوعها لانتفا الريا
عليها وليس كذلك الواجبات قال الحسن اظهار الزكاة احسن
واخفا التطوع افضل لانه ادل على انه يراد الله عز وجل به وحده
قال بن عباس جعل الله صدقه السر في التطوع تفضل علانيتها
يقال سبعين ضعفا وجعل صدقه الفريضه علانيتها افضل
من سرها يقال بخمسه وعشرين ضعفا قال وكذلك جميع الفرايض
والنوافل في الاشيا كلها قلت مثل هذا لا يقال من جهه الراي
وانما هو توقيف وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال افضل صلاه المرء في بيته الا المكتوبه وقيل ان الفرايض
لا يدخلها ريا والنوافل عرضة لذلك وروي النساي عن
عقبه بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي يجهر
بالقران كالذي يجهر بالصدقه والذي يسر بالقران كالذي
يسر بالصدقه وفي الحديث صدقه السر تطفي غضب الرب
قال بن العربي وليس في تفضيل صدقه العلانيه على السر ولا
تفضيل صدقه السر على العلانيه حديث صحيح ولكنه الاجماع

الثابت

الثابت فاما صدقة النفل فالقران ورد مصرحا بانها في السر
افضل منها في الجهر بيد ان علمانا قالوا ان هذا على الغالب ومخرجه
والتحقيق فيه ان الحال يختلف بحال المعطى والمعطى له والناس
الشاهدين اما المعطى فله فيها فايدة اظهار السنه وثواب القدوة
قلت هذا لمن قويت حاله وحسنت نيته وامن على نفسه الريا
واما من ضعف عن هذه المرتبة فالستر له افضل واما المعطى اياها
فالستر له اسلم من احتقار الناس له ونسبته الى انه اخذها مع الغنا
عنها وترك التعفف واما حال الناس فالسر عنهم افضل من العلانيه
لهم من جهة انهم ربما طعنوا على المعطى لها بالريا وعلى الاخذ لها
بالاستغنام ولهم فيها تحريك القلوب الى الصدقة لكن هذا اليوم
قليل وقال يزيد بن ابي حبيب انما نزلت هذه الاية في الصدقة
على اليهود والنصارى فكان يامر بقسم الزكاة في السر قال
ابن عطية وهذا مردود لاسيما عند السلف الصالح فقد قال
الطبري اجمع الناس على ان اظهار الواجب افضل قلت ذكر
الكيا الطبري ان في هذه الاية دلالة على قول اخفا الصدقات
مطلقا اولى وانها حق الفقير وانه يجوز لرب المال تفريقها بنفسه
على ما هو احد قولي الشافعي وعلى القول الاخر ذكروا ان المراد
بالصدقات هاهنا التطوع دون الفرض الذي اظهاره اولى لئلا
تلحقه تهمة ولاجل ذلك قيل صلاة النفل فرادى افضل والجماعة
في الفرض اولى لان اظهار الفرض ابعد عن التهمة وقال المهدوي
المراد بالاية فرض الزكاة وما تطوع به فكان الاخفا افضل في

ن ام
نبه
م

مدح النبي صلى الله عليه وسلم ثم ساءت ظنون الناس بعد ذلك
فاستحسن العلما اظهار الفرائض لئلا يظن باحد المنع قال ابن عطية
وهذا القول مخالف للاثار ويشبه في زماننا ان يحسن التستر بصدقة
الفرض فقد كثر المانع لها وصار اخراجها عرضة للريا وقال ابن
خواز منداد وقد يجوز ان يراد بالاية الواجبات من الزكوات
والتطوع لانه ذكر الاخفا ومدحه والاظهار ومدحه فيجوز
ان يتوجه اليهما جميعا وقال النقاش ان هذه الاية نسخها قوله تعالى
ان الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية الاية
تعالى فنعما هي شيأ على ابدا الصدقة ثم حكم ان الاخفا خير من
ذلك ولذلك قال بعض الحكما اذا اصطنعت المعروف فاستره
واذا اصطنع اليك فانشره قال دعبل الخزاعي اذا انتقموا اعلنوا
امرهم وان انعموا انعموا باكتتام وقال سهل بن هارون خل اذا
جئته يوما لتسأله اعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا يخفي صنايعه
والله يظهرها ان الجميل اذا اخفيته ظهرا وقال العباس بن عبد المطلب
رضي الله عنه لا يتم المعروف الا بثلاث خصال تعجيله وتصغيره
وستره فاذا عجلته هنيته واذا صغرته عظمته واذا سترته اتممته
وقال بعض الشعرا فاحسن زاد معروفك عندي عظما انه عندك
مستور حقير تناساه دان لم تاته وهو عند الناس مشهور خطير
واختلف القرا في قوله فنعما هي فقرا ابو عمرو ونافع في رواية ورش
وعاصم في رواية حفص وابن كثير فنعما هي بكسر النون والعين وقرا ابو
عمرو ايضا ونافع في غير رواية ورش وعاصم في رواية ابي بكر والمفضل

فنعما هي

فنعما هي بكسر النون وسكون العين وقرا الاعمش وابن عامر وحمزة والكسائي
فنعما هي بفتح النون وكسر العين وكلهم سكن الميم ويجوز في غير القران
فنعم ما هي قال النحاس ولكنه في السواد متصل فلزم الادغام وحكى
النحويون في نعم اربع لغات نعم الرجل زيد هذا الاصل ونعم الرجل
فتكسر النون لكسرة العين ونعم الرجل بفتح العين لنون وسكون العين
والاصل نعم حذفت الكسرة لانها ثقيلة ونعم الرجل وهذا افصح
اللغات والاصل فيها نعم وهي تقع في الاصل بكل مدح فخففت وقلبت
كسرة العين على النون واسكنت فمن قرا فنعما هي فله تقديران احدهما
ان يكون جاء به على لغة من قال نعم والتقدير الاخر ان يكون على اللغة الجيدة
فيكون الاصل نعم ثم كسر العين لالتقاء الساكنين قال النحاس فاما الذي
حكي عن ابي عمرو ونافع من اسكان العين فمحال حكي عن محمد بن يزيد انه قال
اما اسكان العين والميم مشددة فلا يقدر احد ينطق به وانما يروم
الجمع بين ساكنين ويحرك ولا يأبه وقال ابو علي من قرا بسكون العين لم
يستقم قوله لانه جمع بين ساكنين الاول منهما ليس بحرف مد ولين وانما
يجوز ذلك عند النحويين اذا كان الاول حرف مد اذ المد يصير عوضا
من الحركة وهذا دابة وضال ونحوه ولعل ابا عمرو اخفى الحركة
واختلسها كاخذه بالاخفا في بارئكم ويامركم فظن السامع الاخفا
اسكانا للطف ذلك في السمع وخفايه قال ابو علي واما من قرا نعما
بفتح النون وكسر العين فانما جا بالكلمة على اصلها ومنه قول الشاعر
ما اقلت قدماي انهم نعم الساعون في الامر المبر قال ابو علي وما
من قوله نعما في موضع نصب وقوله هي تفسير للفاعل المضمر قبل الذكر والتقدير

نحوه

ام

نعم شيا ابدا وها والابدا هو المخصوص بالمدح الا ان المضاف حذف
واقيم المضاف اليه مقامه ويدل على هذا قوله وهو خير اي الاخفا خير
لهم ان الضمير هنا للاخفا لا للصدقات فكذلك اولا الفاعل هو الابدا
وهو الذي اتصل به الضمير فحذف الابدا واقيم ضمير الصدقات مثله
وان تخفوها شرط فلذلك حذفت النون وتوتوها عطف عليه والجواب
فهو خير لكم ونكفر اختلف القرا في قراته فقرا ابو عمرو وبن كثير وعاصم في
روايه ابي بكر وقتادة وبن ابي اسحاق ونكفر بالنون ورفع الرا وقرا الا
عمش وحمزه والكساي بالنون والجزم في الرا وروي مثل ذلك عن عاصم

ايفام

وروي الحسين بن علي الجعفي عن الاعمش ونكفر بنصب الرا وقرا بن عامر
باليا ورفع الرا ورواه حفص عن عاصم ولذلك روي عن الحسن وروي
عنه باليا والجزم وقرا بن عباس وتكفر بالتا وكسر الفا وجزم الرا وقرا
عكرمه وتكفر بالتا وفتح الفا وجزم الرا وحكى المهدوي عن بن هرمز انه قرا
وتكفر بالتا ورفع الرا وحكي عن عكرمه وشهر بن حوشب انهما قرا بتا ونصب
الرا فهذه تسع قرات ابينها ونكفر بالنون والرفع هذا قول الخليل وسيبويه
قال النحاس قال سيبويه والرفع ها هنا الوجه وهو الجيد لان الكلام الذي
بعد الفا جرا مجراه في غير الجزا واجاز الجزم بحمله على المعنى لان المعنى وان
تخفوها وتوتوها الفقرا يكن خيرا لكم ونكفر عنكم قال ابو حاتم قرا
الاعمش يكفر باليا دون واو قبلها قال النحاس والذي حكاه ابو حاتم
عن الاعمش بغير واو جزما يكون على البدل كانه في موضع الفا والذي روي
عن عاصم ويكفر باليا والرفع يكون معناه ويكفر الله هذا قول ابي عبيد وقال
ابو حاتم معناه يكفر الله الاعطا وقراة بن عباس وتكفر يكون معناه وتكفر

الصدقات وبالجملة فما كان من هذه القرات بالنون فهي نون العظمه وما
كان منها بالتا فهي الصدقة فاعلمه الا ما روي عن عكرمه من فتح الفا فان
التا في تلك القرات انما هي للسيات وما كان منها فالله تعالى هو المكفر
والاعطا في خفا مكفر ايضا كما ذكرنا وحكاه مكي واما رفع الرا فهو على وجهين
احدهما ان يكون الفعل خبرا ابتدا تقديره ونحن نكفر او وهي تكفر اعني الصدقه
او والله يكفر والثاني القطع والاستينا فلا تكون الواو القاطعة للاشتراك
لكن تعطف جمله كلام على جمله وقد ذكرنا معنى قراه الجزم فاما نصب ونكفر
فضعيف وهو على اضمار ان وجاز على بعد قال المهدوي هو مشبه بالنصب
في جواب الاستفهام اذ الجزاء يجب به الشي لوجوب غيره كالاستفهام
والجزم في الرا افصح هذه القرات لانها تؤذن بدخول التكفير في الجزا
وكونه مشروطا ان وقع الاخفا واما الرفع فليس فيه هذا المعنى قلت
هذا خلاف ما اختاره الخليل وسيبويه ومن في قوله من سياتكم للتبعيض
المحض وحكى الطبري عن فرقه انها زايده قال ابن عطيه وذلك منهم خطا والله
بما تعملون خبير وعد ووعيد تعالى ليس عليك هداهم هذا الكلام
متصل بذكر الصدقات فكانه بين فيه جواز الصدقة على المشركين روي
سعيد بن جبير مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم في سبب نزول
هذه الايه ان المسلمين كانوا يتصدقون على فقرا اهل الذمه فلما كثر فقرا
المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتصدقوا الا على اهل دينكم
فنزلت هذه الايه مبيحه للصدقه على من ليس من دين الاسلام وذكر النقاش
ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصدقات فجاه يهودي فقال اعطني فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ليس لك من صدقه المسلمين شي فذهب اليهودي غير بعيد

ولكن الله يهدي من يشاء لان مسايل الاول
قوله تعالى ليس عليك هداهم

فنزلت ليس عليك هداهم فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه
ثم نسخ الله ذلك باية الصدقات وروي بن عباس انه قال كان ناس من الانصار
لهم قرابات في بني قريظه والنضير وكانوا لا يتصدقون عليهم رغبه منهم في ان
يسلموا اذا احتاجوا فنزلت الايه بسبب ذلك وحكى بعض المفسرين ان اسما
ابنه ابي بكر ارادت ان تصل جدها بابا قحافه ثم امتنعت من ذلك
لكونه كافرا فنزلت الايه في ذلك وحكى الطبري ان مقصد النبي صلى الله
عليه وسلم بمنع الصدقه انما كان ليسلموا ويدخلوا في الدين فقال الله
تعالى ليس عليك هداهم وقيل ليس عليك هداهم متصلا بما قبل فيكون
ظاهرا في الصدقات وصرفها الى الكفار بل يحتمل ان يكون معناه ابتدا كلام
قال علماونا هذه الصدقه التي ابيحت لهم حسب ما
تضمنته هذه الاثار هي صدقه التطوع واما المفروضه فلا يجزي
دفعها لكافر لقوله عليه السلام امرت ان اخذ الصدقه من اغنيايكم
واردها في فقرايكم قال بن المنذر اجمع من احفظ عنه من اهل العلم
ان الذمي لا يعطى من زكاه الاموال شيا ثم ذكر جماعه ممن نص على ذلك
ولم يذكر خلافا وقال المهدوي رخص للمسلمين ان يعطوا المشركين من
قراباتهم من صدقه الفريضه بهذه الايه قال بن عطيه وهذا مردود
بالاجماع والله اعلم وقال ابو حنيفه صدقه الفطر تجزي وهذا ضعيف
لا اصل له ودليلنا انها صدقه طهره واجبه فلا تصرف الى الكافر كصدقه
الماشيه والعين وقد قال صلى الله عليه وسلم اغنوهم عن سوال
هذا اليوم يعني يوم الفطر قلت وذلك لتشاغلهم بالعيد وصلاه
العيد وهذا لا يتحقق في المشركين وقد يجوز صرفها الى غير المسلمين في

قوله من جعلها

قوله من جعلها سنه وهذ هو احد القولين عندنا وهو قول ابي حنيفه على ما
ذكرنا نظرا الى عموم الايه في البر واطعام الطعام واطلاق الصدقات قال
بن عطيه وهذا الحكم متصور للمسلمين مع اهل ذمتهم ومع المسترقين من
الحربيين قلت وفي التنزيل ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا
والاسير في دار الاسلام لا يكون الا مشركا وقال تعالى لا ينهاكم الله عن
الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا
اليهم فظواهر هذه الايات تقتضي جواز صرف الصدقات اليهم جمله الا ان
النبي صلى الله عليه وسلم خص منها الزكوات المفروضه لقوله عليه السلام
لمعاذ خذ الصدقه من اغنيايهم وردها على فقرايهم واتفق العلما على ذلك
على ما تقدم فيدفع اليهم من صدقه التطوع اذا احتاجوا والله اعلم وقال
بن العربي فاما المسلم العاصي فلا خلاف ان صدقه الفطر تصرف اليه الا اذا
كان يترك اركان الاسلام من الصلاه والصيام فلا تدفع اليه الصدقه
حتى يتوب وساير اهل المعاصي تصرف الصدقه الى مرتكبيها لدخولهم في
اسم المسلمين وفي صحيح مسلم ان رجلا تصدق على غني وسارق وزانيه
وتقبلت صدقته على ما ياتي في ايه الصدقات ان شا الله
قوله تعالى ولكن الله يهدي من يشا اي يرشده وفي هذا رد على القدريه
وطوايف من المعتزله كما تقدم تعالى وما تنفقوا من خير فلانفسكم
شرط وجوابه والخير في هذه الايه المال لانه اقترن بذكر الانفاق فهذه القرينه تدل على انه المال
فلا يلزم ان يكون بمعنى المال نحو قوله خير مستقرا وقوله مثقال ذره خيرا
يره الى غير ذلك وهذا تحرز من قول عكرمه كل خير في كتاب الله تعالى فهو
المال وحكي ان بعض العلما كان يصنع كثيرا من المعروف ثم يحلف انه ما

فعل مع احد خيرا فقيل له في ذلك فيقول انما فعلت مع نفسي ويملوا وما
تنفقوا من خير فلانفسكم ثم بين تعالى ان النفقة المعتد بقبولها انما هي ما
كان ابتغا وجهه وابتغا هو على المفعول به وقيل انه شهاده من الله تعالى
للصحابه رضي الله عنهم انما ينفقون ابتغا وجهه فهذا خرج مخرج التفضيل
والثنا عليهم وعلى التاويل الاول هو اشتراط عليهم ويتناول الاشتراط
غيرهم من الامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابي وقاص
انك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا اجرت بها حتى ما تجعل في في امراتك
تعالى وما تنفقوا من خير يوف اليكم تاكيد وبيان لقوله وما تنفقوا
من خير فلانفسكم وان ثواب الانفاق يوفى للمنفقين ولا يبخسون منه شيا
فيكون ذلك البخس ظلما لهم تعالى للفقرا الذين احصروا في سبيل
الله الى قوله عليم فيه عشر مسايل قوله تعالى للفقرا اللام متعلقه
بقوله وما تنفقوا من خير وقيل بمحذوف تقديره الانفاق او الصدقه للفقرا
قال السدي ومجاهد وغيرهما المراد بهولا الفقرا المهاجرين من قريش وغيرهم
ثم تتناول الايه كل من دخل تحت صفه الايه الفقرا غابر الدهر وانما خص
فقرا المهاجرين بالذكر لانه لم يكن هناك سواهم وهم اهل الصفه وكانوا
نحوا من اربع مايه رجل وذلك بانهم يقدمون فقرا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما لهم اهل ولا مال فبنيت لهم صفه في مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقيل اهل الصفه قال ابو ذر كنت من اهل الصفه وكنا اذا
امسينا حضرنا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيامر كل رجل فينصرف برجل
ويبقى من بقي من اهل الصفه عشره او اقل فيوتى النبي صلى الله عليه وسلم بعشايه
ونتعشى معه فاذا فرغنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناموا في المسجد

وخرج الترمذى

وخرج الترمذي عن البرا بن عازب ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال
نزلت فينا معشر الانصار كنا اصحاب نخل قال وكان الرجل ياتي من نخله على قدر كثرته
وقلته وكان الرجل ياتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد وكان اهل الصفه ليس
لهم طعام وكان احدهم اذا جاع اتى القنو فضربه بعصاه فيسقط من البسر
والتمر فياكل وكان ناس ممن لا يرغب في الخير ياتي بالقنو فيه الشيص والحشف
وبالقنو قد انكسر فيعلقه في المسجد فانزل الله تعالى يايها الذين امنوا
انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث
منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه قال ولو ان احدكم
اهدى اليه مثل ما اعطاه لم ياخذه الا على اغماض وحيا قال وكنا بعد ذلك
ياتي الرجل بصالح ما عنده قال هذا حديث حسن صحيح غريب قال علماونا
كانوا رضي الله عنهم في المسجد محصورين واكلوا من الصدقة ضرورة فلما
فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا ثم ملكوا وتامروا
ثم بين سبحانه من احوال اوليك الفقرا المهاجرين ما يوجب الحنو عليهم
الذين احصروا والمعنى حبسوا ومنعوا قال قتاده وابن زيد معنى
احصروا في سبيل الله حبسوا انفسهم عن التصرف في معايشهم خوف
العدو ولهذا قال لا يستطيعون ضربا في الارض اي لما قد الزموا
انفسهم من الجهاد والاول اظهر والله اعلم قوله تعالى
يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف اي انهم من الانقباض وترك المسله
والتوكل على الله بحيث يظنهم الجاهل بهم اغنيا وفيه دليل على ان اسم
الفقر يجوز ان يطلق على من له كسوه ذات قيمه ولا يمنع ذلك من
عطا الزكوات اليه وقد امر الله باعطا هولا القوم وكانوا من المهاجرين

الدين يقاتلون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرضى ولا عميان والتعفف تفعل وهو بنا مبالغه من عف عن الشي اذا امسك عنه وتنزه عن طلبه وبهذا المعنى فسر قتادة وغيره وفتح السين وكسرها في يحسبهم لغتان قال ابو علي والفتح اقيس لان العين من الماضي مكسورة فبابها ان تاتي في المضارع مفتوحه والقراة بالكسر حسنه لمجى السمع به وان كان شاذا عن القياس ومن قوله من التعفف لابتدا الغايه وقيل لبيان الجنس

قوله تعالى تعرفهم بسيماهم فيه دليل على ان للسيما اثرا في اعتبار من يظهر عليه ذلك حتى اذا راينا ميتا في دار الاسلام وعليه زنار وهو غير مختون لا يدفن في مقابر المسلمين ويقدم ذلك على حكم الدار في قول اكثر العلما و قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول فدلت الايه على جواز صرف الصدقه الى من له ثياب وكسوه وزي في التجمل واتفق العلما على ذلك وان اختلفوا بعده في مقدار ما ياخذه اذا احتاج فابو حنيفه اعتبار مقدار ما تجب فيه الزكاة والشافعي اعتبر قوت سنه ومالك اعتبر اربعين درهما والشافعي لا يصرف الزكاة الى المحتسب السما مقصوره العلامه وقد تمد فيقال السيما وقد اختلف العلما في تعيينها هنا فقال مجاهد هي الخشوع والتواضع السدي اثر الفاقه والحاجه في وجوههم وقلة النعمه بن زيد رثاثة ثيابهم وقال قوم وحكاه مكي اثر السجود بن عطيه وهذا حسن وذلك لانهم كانوا متفرغين متوكلين لا شغل لهم في الاغلب الا الصلاه فكان اثر السجود عليهم قلت هذه السيما التي هي اثر السجود اشترك فيها جميع الصحابه رضوان الله عليهم باخبار الله تعالى في اخر الفتح بقوله سيماهم في وجوههم من اثر السجود فلا فرق بينهم وبين غيرهم فلم يبق الا ان السيما اثر الخصاصه والحاجه

او يكون

بالعشرين

او يكون اثر السجود اكثر فكانوا يعرفون بصفوة الوجوه من قيام الليل
وصوم النهار والله اعلم واما الخشوع فذلك محله القلب ويشترك
فيه الغني والفقير فلم يبق الا ما اخترناه والموفق الاله
قوله تعالى لا يسالون الناس الحافا مصدر في موضع الحال اي
ملحفين يقال الحف واحفى والح في المسله سوا ويقال ليس للملحف مثل
الرد واشتقاق الالحاف من اللحاف سمي بذلك لاشتماله على وجوه
الطلب في المسله كاشتمال اللحاف من التغطيه اي هذا السايل يعم
الناس بسواله فيلحفهم ذلك ومنه قول ابن احمر يظل يحفهن
بقفقفيه ويلحفهن هفها فا ثخينا يصف ذكر النعام يحضن بيضا
بجناحيه ويجعل جناحه لها كاللحاف وهو رقيق مع ثخنه وروي
النساي ومسلم عن ابي هريره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ليس المسكين الذي ترده التمره والتمرتان واللقمه واللقمتان ان
المسكين المتعفف اقروا ان شيتم لا يسالون الناس الحافا
واختلف العلما في معنى قوله لا يسالون الناس الحافا
على قولين فقال قوم منهم الطبري والزجاج ان المعنى لا يسالون البته
وهذا على انهم متعففون عن المسله عفه تامه وعلى هذا جمهور
المفسرين ويكون التعفف صفه ثانيه لهم اي لا يسالون الناس الحا
ولا غير الحاح وقال قوم ان المراد نفي الالحاف اي انهم يسالون
غير الحاف وهذا هو السابق للفهم اي يسالون غير ملحفين وفي هذا
تنبيه على سو حالة من يسال الناس الحافا روي الايمه واللفظ لمسلم عن
معاويه بن ابي سفين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا

تلحفوا في المسئله فوالله لا يسئلني منكم احد شيا فتخرج له مسئلته مني
شيا وانا كاره فيه فيبارك له فيما اعطيته وفي الموطا عن زيد بن اسلم
عن عطا بن يسار عن رجل من بني اسد انه قال نزلت نزلت انا واهلي
ببقيع الغرقد فقال لي اهلي اذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسله
لنا شيا ناكله وجعلوا يذكرون من حاجتهم فذهبت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوجدت عنده رجل يساله ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا اجد ما اعطيك فتولى الرجل عنه وهو مغضب وهو يقول
لعمري انك لتعطي من شيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
ليغضب علي الا اجد ما اعطيه من سال منكم وله اوقيه او عدلها فقد
الحف فقال الاسدي فقلت للقحه لنا خير من اوقيه قال ملك والاوقيه
اربعون درهما قال فرجعت ولم اسله فقدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد ذلك بشعير وزبيب فقسم لنا منه حتى اغنانا الله حكى
قال بن عبد البر هكذا رواه ملك وتابعه نحو هشام بن سعد وغيره
وهو حديث صحيح وليس حكم الصاحب اذا لم يسم لجهل من دونه اذا
لم يسم عند العلما لانتفاع الجرحه عن جميعهم وثبوت العداله لهم وهذا
الحديث يدل على ان السوال مكروه لمن له اوقيه من فضه لمن سال وله
هذا الحد والعدد والقدر من الفضه او ما يقوم مقامها ويكون
عدلا منها فهو ملحف وما علمت احدا من اهل العلم الا وهو يكره السوال
لمن له هذا المقدار من الفضه او عدلها من الذهب على ظاهر هذا الحديث
وما جاه من غير مسله فجايز له ان ياكله ان كان من غير الزكاه وهذا ما
اعلم فيه خلافا فان كان من الزكاة ففيه خلاف ياتي بيانه في اية الصدقا

ان شاء الله   قال بن عبد البر من احسن ما روي من اجوبه الفقها في
معاني السوال وكراهته ومذهب اهل الورع فيه ما حكاه الاثرم عن
احمد بن حنبل وقد سيل عن المسله متى تحل قال اذا لم يكن عنده ما يغديه ويعشيه
على حديث سهل بن الحنظليه قيل لابي عبد الله فان اضطر الى المسله قال هي مباحه
له اذا اضطر قيل له فان تعفف قال ذلك خير له ثم قال ما اظن احدا يموت
من الجوع الله ياتيه برزقه ثم ذكر حديث ابي سعيد الخدري من استعف اعفه
الله وحديث ابي ذر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تعفف قال ابو بكر
وسمعته يسال عن الرجل الذي لا يجد شيا ايسال الناس ام ياكل الميته فقال
اياكل الميته وهو يجد من يساله هذا شنيع قال وسمعته يسل هل يسل الرجل
لغيره قال لا ولكن يعرض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين جاه قوم حفاة عراه
مجتابي النمار فقال تصدقوا ولم يقل اعطوهم قال ابو عمر قد قال صلى الله
عليه وسلم اشفعوا توجروا وفيه اطلاق السوال لغيره والله اعلم وقال
الا رجل يتصدق على هذا قال ابو بكر قيل له يعني احمد بن حنبل فالرجل يذكر الرجل
فيقول انه محتاج فقال هذا تعريض وليس به باس انما المسله ان يقول
اعطه ثم قال لا يعجبني ان يسل المر لنفسه فكيف لغيره والتعريض هاهنا
اعجب الي قلت قد روى ابو داود والنساي وغيرهما ان الفراسي قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسل يا رسول الله قال لا وان كنت سايلا لا
بد فسال الصلحين فاباح صلى الله عليه وسلم سوال اهل الفضل والصلاح عند
الحاجه الى ذلك وان وقع حاجته بالله فهو اعلا قال ابراهيم بن ادهم سوال
الحاجات من الناس هي الحجاب بينك وبين الله تعالى فانزل حاجتك بمن يملك الضر
والنفع وليكن مفزعك الى الله يكفك الله ما سواه وتعيش مسرورا

بحمد الله بلغ مقابلة

فان جاءه شي من غير سوال فله ان يسله ولا يرده اذ هو رزق رزقه الله روى ملك
عن زيد بن اسلم عن عطا بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل الى عمر بن الخطاب
بعطا فرده فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم رددته فقال يا رسول الله
اخبرتنا ان خير الاخذنا ان لا ياخذ شيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ذاك
من المسله فاما ما كان من غير مسله فانما هو رزق رزقه الله فقال عمر بن الخطاب
والذى نفسي بيده لا اسال احدا شيا ولا ياتيني بشي من غير مسله الا اخذته وهذا
نص وخرج مسلم في صحيحه والنساي في سننه وغيرهما عن ابن عمر قال سمعت عمر
يقول كان النبي صلى الله عليه يقول يعطيني العطا فاقول اعطه احوج اليه مني
حتى اعطاني مرة مالا فقلت اعطه افقر اليه مني فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم خذه وما جاك من هذا المال وانت غير مشرف ولا سايل فخذه وما لا
فلا تتبعه نفسك زاد النساي بعد قوله خذه فتموله او تصدق به وروى مسلم
من حديث عبد الله بن السعدي المالكي عن عمر فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اعطيت شيا من غير ان تسل فكل وتصدق وهذا يصحح الحديث مثل المرسل
قال الاثرم سمعت ابا عبد الله احمد بن حنبل يسيل عن قول النبي صلى الله صلى
الله عليه وسلم ما اتاك من غير مسله ولا اشراف اي الاشراف اراد فقال
ان يستشرفه ويقول لعله يبعث بقلبك وقيل له وان لم يتعرض قال نعم
انما هو بالقلب قيل له هذا قال وان كان شديدا فهو هكذا قيل له فان كان
رجلا لم يعود وني ان يرسل الي شيا الا انه قد عرض بقلبي فقلت عسى ان
يبعث الي قال هذا اشراف فاما اذا جاك من غير ان تحتسبه ولا خطر على قلبك
فهذا الان ليس فيه اشراف قال ابو عمر الاشراف في اللغة رفع الراس الى
المطموع عنده والمطموع فيه وان يهش الانسان ويتعرض وما قاله احمد في

تاويل الاشراف

تاويل الاشراف تضييق وتشديد وهو عندي بعيد لان الله جل وعز تجاوز
لهذه الامة عما حدثت به انفسها مالم ينطق به لسان او تعمله جارحه وما اعتقد
القلب من المعاصي خلا الكفر فليس بشي حتى يعمل به وخطرات النفس متجاوز عنها
باجماع الالحاح في المسله والالحاح فيها مع الغنى عنها حرام لا يحل
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال اموال الله الناس تكثرا فانما يسل جمرا فليستقل
او ليستكثر رواه ابو هريره خرجه مسلم وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا تزال المسله تاخذهم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعه لحم رواه مسلم ايضا
فصل السايل اذا كان محتاجا فلا باس ان يكرر المسله ثلاثا اعذارا وانذارا والا
ترك فان كان المسول يعلم ذلك وهو قادر على ما ساله وجب عليه الاعطا وان كان
جاهلا به فيعطيه مخافه ان يكون صادقا في سواله فلا يفلح في رده
فان كان محتاجا الى ما يقيم به سنه كالتجمل بثوب يلبسه في العيد والجمعه ذكر ابن
العربي سمعت بجامع الخليفه ببغداد رجلا يقول هذا اخوكم يحضر الجمعه معكم
وليس عنده ثياب يقيم بها سنه الجمعه فلما كان في الجمعه الاخرى رايت عليه ثيابا اخر
فقيل لي كساه اياها ابو الطاهر البرسني احد الثنا تعالى الذين
ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانيه فيه مسله واحده روي عن
عباس وابي ذر وابي امامه وابي الدردا وعبد الله بن بشر الغافقي والاوزاعي
انها نزلت في علف الخيل المربوطة في سبيل الله وذكر ابن سعد في الطبقات قال
اخبرت عن محمد بن شعيب بن شابور قال انا سعيد بن سنان عن يزيد بن عبد الله
بن عريب عن ابيه عن جده عريب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن قوله
تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانيه فلهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال هم اصحاب الخيل وبهذا الاسناد قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم المنفق على الخيل كباسط يده بالصدقة لا يقبضها وابوالها
وارواثها يوم القيمة كذكي المسك وروي عن ابن عباس انه قال نزلت في علي بن ابي طالب
رضي الله عنه كانت معه اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم
جهرا ذكره عبد الرزاق قال اخبرنا عبد الوهاب بن مجاهد عن ابيه عن ابن عباس ابن جريج نزلت
في رجل فعل ذلك ولم يسم عليا ولا غيره وقال قتادة هذه الاية في المنفقين من غير
تبذير ولا تقتير ومعنى بالليل والنهار في الليل والنهار ودخلت الفا في قوله فلهم
لان في الكلام معنى الجزا وقد تقدم ولا يجوز زيد فمنطلق
تعالى الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من
المس الايات الثلاث تضمنت جواز احكام الربا وجواز عقود المبايعات
والوعيد لمن استحل واصر على فعله وفي ذلك ثمان وثلاثون مسئله
قوله تعالى الذين ياكلون الربا ياكلون ياخذون فعبر عن الاكل بالاخذ لان الاخذ
انما يراد للاكل والربا في اللغة الزيادة مطلقا يقال ربا الشي يربو اذا زاد ومنه
الحديث فلا والله ما اخذنا من لقمة الا ربا من تحتها يعني الطعام الذي دعا فيه النبي
صلى الله عليه وسلم بالبركة خرج الحديث مسلم رحمه الله وقياس كتابته بالياء
للكسرة في اوله وقد كتبوه في القران بالواو ثم ان الشرع قد تصرف في هذا الاطلاق
فقصره على بعض مواده فمرة اطلقه على كسب الحرام كما قال الله تعالى في اليهود
واخذهم الربا وقد نهوا عنه ولم يرد به الربا الشرعي الذي حكم بتحريمه علينا
وانما اراد المال الحرام كما قال تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت يعني به
المال الحرام من الرشا وما استحلوه من اموال الاميين حيث قالوا ليس علينا في
الاميين سبيل وعلى هذا فيدخل فيه النهي عن كل مال حرام باي وجه اكتسب
والربا الذي عليه عرف الشرع شيان تحريم النسا والتفاضل في النقود وفي

المطعومات على بينه وغالبه ما كانت العرب تفعله من قولها للغريم اتقضي
ام تربي فكان الغريم يزيد في عدد المال ويصبر الطالب عليه وعلى هذا كله
محرم باتفاق الامه الا ان البيوع الممنوعه انما تجد منعها لمعنى
زيادة اما في عين المال واما في منفعه لاحدهما من تاخير ونحوه ومن البيوع ما
ليس فيه معنى الزيادة كبيع الثمر قبل بدو صلاحها وكالبيع ساعة الندا يوم الجمعه
فان قيل لفاعلها اكل ربا فتجوز وتشبيه والله اعلم روى الائمه
واللفظ لمسلم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذهب بالذهب والفضه بالفضه والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر
والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد او ازداد فقد اربى الاخذ والمعطي فيه
سوا وفي حديث عباده بن الصامت فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف
شيتم اذا كان يدا بيد وروى ابو داود عن عباده بن الصامت ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب تبرها وعينها والفضه بالفضه تبرها وعينها
والبر بالبر مدي بمدي والشعير بالشعير مدي بمدي والتمر بالتمر مدي بمدي
والملح بالملح مدي بمدي فمن زاد او استزاد فقد اربى ولا باس ببيع الذهب
بالفضه والفضه اكثرهما يدا بيد واما النسيه فلا ولا باس ببيع البر
بالشعير والشعير اكثرهما يدا بيد واما النسيه فلا واجمع العلما على
القول بمقتضى هذه السنه وعليها جماعه فقها المسلمين الا في البر والشعير
فان مالكا جعلهما صنفا واحدا فلا يجوز منهما اثنان بواحد وهو قول
الليث والاوزاعي ومعظم علما المدينه والشام واضاف مالك اليهما
السلت وقال الليث السلت والدخن والذره صنف واحد وقاله
ابن وهب قلت واذا ثبتت السنه فلا قول معها وقد قال عليه السلام

فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد وقوله
البر بالبر والشعير بالشعير دليل على انهما نوعان مختلفان كمخالفة البر للتمر
ولان صفاتهما مختلفة واسماهما متباينة والاعتبار بالمنبت والحصاد اذ لم
يعتبره الشرع بل فصل بين هذا مذهب الشافعي وابي حنيفة والثوري
واصحاب الحديث   وكان معاوية بن ابي سفيان يذهب الى ان النهي
والتحريم انما ورد من النبي صلى الله عليه وسلم في الدينار المضروب وقد قيل ان ذلك
انما كان منه في المصوغ خاصة حتى وقع له مع عبادة ما اخرجه مسلم وغيره قال
غزونا وعلى الناس معاوية فغنمنا غنايم كثيرة فكان فيما غنمناه انية من فضة
فامر معاوية رجلا يبيعها في اعطيات الناس فتنازع الناس في ذلك فبلغ عبادة
بن الصامت ذلك فقام فقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن بيع
الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر
والملح بالملح الا سواء بسواء عينا بعين من زاد او ازداد فقد اربى فرد الناس ما
اخذوا فبلغ ذلك معاوية فقام خطيبا فقال الا ما بال رجال يتحدثون عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم احاديث قد كنا نشهده ونصحبه فلم نسمعها منه
فقام عبادة بن الصامت فاعاد القصة ثم قال لنحدثن بما سمعنا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان كره معاوية وقال وان رغم ما ابالي ان لا اصحبه في
جنده في ليلة سوداء قال حماد هذا او نحوه قال بن عبد البر وقد روي ان هذه
القصة انما كانت لابي الدردا مع معاوية ويحتمل ان يكون وقع ذلك لهما معه
ولكن الحديث في القصة محفوظ لعبادة وهو الاصل الذي عول عليه العلماء في
باب الربا ولم يختلفوا ان فعل معاوية في ذلك غير جايز وغير نكير ان يكون معاوية
خفي عليه ما قد علمه ابو الدردا وعبادة فانهما جليلان من فقها الصحابة وكبارهم

وقد خفي على ابي بكر

وقد خفي على ابي بكر وعمر فاوجد عند غيرهم ممن هو دونهم فمعاويه احرى ويحتمل ان يكون

مذهبه كمذهب بن عباس فقد كان وهو بحر في العلم لا يرى بالدرهم بالدرهمين باسا

حتى صرفه عن ذلك ابو سعيد وقصة معاويه هذه مع عبادة كانت في ولاية عمر

قال قبيصه بن ذويب ان عبادة انكر على معاويه شيا فقال لا اساكنك بارض

انت بها ودخل المدينه فقال له عمر ما اقدمك فاخبره فقال ارجع الى مكانك

فقبح الله ارضا لست فيها ولا امثالك وكتب الى معاويه لا امارة لك عليه

روى الايمه واللفظ للدارقطني عن علي عليه السلام قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم الدينار بالدينار والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما من

كانت له حاجه بورق فليصرفها بذهب وان كانت له حاجه بذهب فليصرفها بورق

ها وها قال العلما فقوله عليه السلام الدينار بالدينار والدرهم

بالدرهم لا فضل بينهما اشارة الى جنس الاصل المضروب بدليل قوله الفضه

بالفضه والذهب بالذهب الحديث والفضه البيضا والسودا والذهب

الاحمر والاصفر كل ذلك لا يجوز بيع بعضه ببعض الا مثلا بمثل سوا بسوا

على كل حال على هذا جماعة اهل العلم على ما بينا واختلفت الروايه عن ملك

في الفلوس فالحقها بالدراهم من حيث كانت ثمنا للاشيا ومنع من الحاقها

مرة من حيث انها ليست ثمنا في كل بلد وانما تختص بها بلد دون بلد

الاعتبار بما قد روي عن كثير من اصحاب ملك وبعضهم يرويه

عن ملك في التاجر يحفزه الخروج وبه حاجه الى دراهم مضروبه فياتي دار

الضرب بفضته او ذهبه فيقول للضراب خذ فضتي هذه او ذهبي وخذ قدر

عمل يدك وادفع الي دنانير مضروبه في ذهبي او دراهم مضروبه في فضتي

هذه لاني محفوز للخروج واخاف ان يفوتني من اخرج معه ان ذلك جايز

للضرورة وانه قد عمل به بعض الناس وحكاه ابن العربي في قبسه عن ملك في
غير التاجر وان ملك خفف في ذلك فيلون في الصورة قد باع فضته التي زنتها مائة
درهم وخمسة دراهم اجرة بمائة وهذا محض الربا والذي اوجب جواز ذلك
انه لو قال له اضرب لي هذه وقاطعه على ذلك باجرة فلما ضربها قبضها منه واعطاه
اجرتها فالذي فعل ملك ولا هو الذي يكون زاجرا وملك انما نظر الى الحال فرتب
عليه حكم الحال واباه ساير الفقها قال ابن العربي والحجة فيه بينة قال ابو عمر رحمه
الله وهذا هو عين الربا الذي حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من زاد او
استزاد فقد اربى وقد رد ابن وهب هذه المسئلة على ملك وانكرها وزعم الابهري
ان ذلك من باب الرفق لطلب التجارة ولئلا يفوت السوق وليس الربا الا على من اراد ان
يربى ممن يقصد الى ذلك ويبتغيه ونسي الابهري اصله في قطع الذرايع وقوله فيمن باع
ثوبا بنسيئة وهو لا نية له في شرائه ثم يجده في السوق يباع انه لا يجوز له ابتياعه
منه بدون ما باعه به وان لم يقصد الى ذلك ولم يبتغه ومثله كثير ولو لم يكن الربا
الا على من قصده ما حرم الا على الفقها وقد قال عمر لا يتجر في سوقنا الا من فقه والا
اكل الربا وهذا بين لمن رزق الانصاف والهم رشده قلت بالغ ملك رحمه الله في
منع الربا دة حتى جعل المتوهم كالمتحقق فمنع دينارا ودرهما بدينار ودرهم سدا
للذريعة وحسما للتوهمات اذ لا توهم الزيادة لما تبادلا وقد علل منع ذلك بتعدد
المماثلة عند التوزيع فانه يلزم منه ذهب وفضة بذهب واوضح من هذا منعه
التفاضل المعنوي وذلك انه منع دينارا من الذهب العالي ودينارا
من الذهب الدون في مقابلة العالي والعكس الدون وهذا ابين دليل
نظره رحمه الله فدل ان تلك الرواية عنه منكرة لا تصح والله
اعلم قال الخطابي التبر قطع الذهب والفضة قبل

ان تضرب

ان تضرب وتطبع دراهم او دنانير واحدها تبره والعين المضروب
من الدراهم والدنانير وقد حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يباع مثقال ذهب عين ومثقال وشي من تبر غير مضروب
وكذلك حرم التفاوت بين المضروب من الفضه وغير المضروب
منها وذلك معنا قوله تبرها وعينها اجمع
العلما على التمر بالتمر لا يجوز الا مثلا بمثل واختلفوا في بيع التمرة
الواحده بالتمرتين والحبه الواحده من القمح بقمحتين فمنعه الشا
واحمد واسحاق والثوري وهو قياس قول مالك وهو الصحيح
لان ما جرى الربا فيه بالتفاصل في كثيره دخل قليله في ذلك قياسا
ولنظرا احتج من اجاز ذلك بان مستهلك التمره والتمرتين لا ياتي
عليه القيمه قال لانه لا مكيل ولا موزون فجاز فيه التفاضل
اعلم رحمك ان مسايل هذا الباب كثيره وفروعه
منتشره والذي يربط لك ذلك ان تنظر الى ما اعتبره كل
واحد من العلما في عله الربا فقال ابو حنيفه عله ذلك كونه
مكيلا او موزونا جنسا فكل ما يدخله الكيل او الوزن
عنده من جنس واحد فان بيع بعضه ببعض متفاضلا او نسا
لا يجوز فمنع بيع التراب بعضه ببعض متفاضلا لانه يدخله
الكيل واجاز الخبز قرصا بقرصين لانه لم يدخل عنده في الكيل الذي
هو اصله فخرج من الجنس الذي يدخله الربا الى ما عداه وقال
الشافعي العله كونه مطعوما جنسا هذا قوله في الجديد فلا يجوز
عنده بيع الدقيق بالخبز ولا بيع الخبز بالخبز متفاضلا ولا نسيا

وسوا كان الخبز خميرا او فطيرا ولا يجوز عندي بيضة ببيضة
ببيضتين ولا رمانة برمانتين ولا بطيخة بطيختين لا يدا بيد
ولا نسية لان ذلك كله طعام ما كول وقال في القديم لكونه
مكيلا او موزونا واختلفت عبارات اصحابنا المالكية في ذلك
واحسن ما في ذلك مقتاتا مدخرا للعيش غالبا جنسا كالحنطة
والشعير والتمر والملح المنصوص عليها وما في معناها كالارز والدخن
والذرة والسمسم والقطاني كالفول والعدس واللوبيا والحمص
وكذلك اللحوم والالبان والخلول والزيوت والثمار كالعنب
والزبيب والزيتون واختلف في التين ويلحق بها العسل والسكر
فهذا كله يدخله الربا من جهة النسا وجاز فيه التفاضل لقوله
عليه السلام فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شيتم
اذا كان يدا بيد ولا ربا في رطب الفواكه التي لا تبقى كالتفاح
والبطيخ والرمان والكمثرى والقثا والخيار والباذنجان وغير
ذلك من الخضراوات قال ملك لا يجوز بيع البيض بالبيض
متفاضلا لانه مما يدخر ويجوز عنده مثلا بمثل وقال محمد بن
عبد الله بن عبد الحكم جايز بيضة ببيضتين واكثر لانه مما لا يدخر
وهو قول الاوزاعي اختلف النحاة في لفظ الربا
فقال البصريون هو من ذوات الواو لانك تقول في تثنيته ربوان
قاله سيبويه وقال الكوفيون يكتب بالياء وتثنيته بالياء لاجل
الكسرة التي في اوله قال الزجاج ما رايت خطا اقبح من هذا
ولا اشنع لا يكفيهم الخطا في الخط حتى يخطيوا في التثنية وهم

يفترون وما اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس قال محمد بن يزيد
كتب الربا في المصحف بالواو فرقا بينه وبين الزنا وكان الربا اولى
بالواو لانه من ربا يربوا   قوله تعالى لا يقومون الا
كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس الجملة خبر الابتدا وهو
الذين والمعنى من قبورهم قاله بن عباس ومجاهد وبن جبير وقتادة   ده .
والربيع والضحاك والسدى وبن زيد قال بعضهم يجعل
معه شيطان يخنقه وقالوا كلهم يبعث كالمجنون عقوبة له
وتمقيتا عند جميع اهل المحشر ويقوي هذا التاويل المجمع عليه
ان في قراة بن مسعود لا يقومون يوم القيامة الا كما يقوم
قال بن عطيه واما الفاظ الايه فكانت تحتمل تشبيه حال
القايم بحرص وشجع الى تجارة الدنيا بقيام المجنون لان الطمع والرغبه
يستفزه حتى تضطرب اعضاوه وهذا كما يقول المسرع في مشيه يخلط
في هية حركاته اما من فزع او غيره قد جن هذا وقد شبه الاعشى
ناقته في نشاطها بالجنون في قوله   وتصبح عن غب السرى وكانما الم
بها من طايف الجن اولق   اخرلعمرك بي من حب اسما اولق لكن ما جات به
قراة بن مسعود وتظاهرت به اقوال المفسرين يضعف هذا التاويل
ويتخبطه يتفعله من خبط يخبط كما تقول تملكه وتعبده جعل الله هذه العلامه
لاكله الربا وذلك انه ارباه في بطونهم فاثقلهم فهم اذا خرجوا من قبورهم
يقومون ويسقطون ويقال انهم يبعثون يوم القيمه قد انتفخت بطونهم
كالجبال وكلما قاموا سقطوا والناس يمشون عليهم وقال بعض العلما انما ذلك
شعار لهم يعرفون به يوم القيمه ثم العذاب من وراء ذلك كما ان الغال

بها.

يجي بما غل يوم القيمة شهر بيشهرها ثم العذاب من وراد ذلك وقال يأكلون
والمراد يكسبون الربا ويفعلونه وانما الاكل بالذكر لانه اقوى مقاصد
الانسان في المال ولانه دال على الجشع وهو اشد الحرص يقال رجل جشع
بين الجشع وقوم جشعون قاله في المجمل فاقيم هذا البعض من توابع الكسب
مقام الكسب كله فاللباس والسكنى والادخار والانفاق على العيال
داخل في قوله الذين ياكلون   في هذه الاية دليل على فساد
انكار من انكر الصرع من جهة الجن وزعم انه من فعل الطبايع وان الشيطان
لا يسلك في الانسان ولا يكون منه مس وقد مضى الرد عليهم فيما تقدم في هذا
الكتاب وقد روى النساي عن ابي اليسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوا فيقول اللهم اني اعوذ بك من التردى والهدم والغرق والحريق واعوذ
بك ان يتخبطني الشيطان عند الموت واعوذ بك ان اموت في سبيلك مدبرا
واعوذ بك ان اموت لديغا وروي من حديث محمد المثنى ثنا ابو داود ثنا همام
عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اني اعوذ بك من
الجنون والجذام والبرص وسيئ الاسقام والمس الجنون يقال مس الرجل والس
فهو ممسوس ومالوس اذا كان مجنونا وذلك علامة الربا في الاخرة في حديث
الاسرى فانطلق بي جبريل فمررت برجال كثير كل رجل منهم بطنه مثل البيت
الضخم منضدين على سابلة ال فرعون وال فرعون يعرضون على النار بكرة وعشيا
فيقبلون مثل الابل المنهومة يتخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون
فاذا احس بهم اصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم
يقوم احدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون براحا حتى يغشاهم ال
فرعون فيطونهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والاخرة

وال فرعون يقولون اللهم لا تقم الساعة ابدا فان الله تعالى يقول ويوم تقوم
الساعه ادخلوا ال فرعون اشد العذاب قلت يا جبريل من هولاء قال هولاي
الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس والمس
الجنون وكذلك الاولق والالس والرود   قوله تعالى ذلك
بانهم قالوا انما البيع مثل الربا معناه عند جميع المتاولين في الكفار ولهم قيل فله
ما سلف ولا يقال ذلك لمومن عاص بل ينقض بيعه ويرد فعله وان كان جاهلا
فكذلك قال صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو مردود لكن قد
ياخذ العصاه في الربا بطرف من وعيد هذه الايه

قوله تعالى انما البيع مثل الربا اي انما الزيادة عند حلول الاجل اخرا كمثل
اصل الثمن في اول العقد وذلك ان العرب كانت لا تعرف ربا الا ذلك فكانت
اذا حل دينها قالت للغريم اما ان تقضي واما ان تربي اي تزيد في الدين فحرم الله
سبحانه ذلك ورد عليهم قولهم بقوله الحق واحل الله البيع وحرم الربا واو
ان الاجل اذا حل ولم يكن عنده ما يودي انظر الى الميسرة وهذا الربا هو الذي
نسخه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله يوم عرفه لما قال الا ان كل ربا موضوع
وان اول ربا اضعه ربانا ربا عباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله صح
صلى الله عليه وسلم بعمه واخص الناس وهذا من سنن العدل للامام ان يفيض
العدل على نفسه وخاصته فيستفيض حينيذ في الناس

قوله تعالى واحل الله البيع وحرم الربا هذا من عموم القران والالف واللام
للجنس لا للعهد اذ لم يتقدم بيع مذكور يرجع اليه كما قال تعالى والعصر ان
الانسان لفي خسر ثم استثنى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات واذا ثبت ان البيع
عام فهو مخصص بما ذكرنا من الربا وغير ذلك مما نهي عنه ومنع العقد كالخمر والميتة

صح

وجمل الجمله وغير ذلك مما هو ثابت في السنه واجماع الامه النبي عنه ونظيره
اقتلوا المسركين وساير الظواهر التي تقتضي العمومات ويدخلها التخصيص
وهذا مذهب اكثر الفقها وقال بعضهم هو من مجمل القران الذي فسر
بالمحلل من البيع وبالمحرم فلا يمكن ان يستعمل في احلال البيع وتحريمه
الا ان يقترن به بيان من سنه الرسول عليه السلام وان دل على
اباحه البيوع في الجمله دون التفصيل وهذا فرق ما بين العموم والمجمل
فالعموم يدل على اباحه البيوع في الجمله والتفصيل ما لم يخص
بدليل والمجمل لا يدل على اباحتها في التفصيل حتى يقترن به بيان
والاول اصح والله اعلم البيع في اللغه مصدر
باع كذا اي دفع عوضا واخذ معوضا وهو يقتضي بايعا وهو
المالك او من تنزل منزلته ومبتاعا وهو الذي يبذل الثمن
ومبيعا وهو المثمون وهو الذي يبذل في مقابله الثمن وعلى
هذا فاركان البيع اربعه البايع والمبتاع والثمن والمثمن ثم
المعاوضه عند العرب تختلف بحسب اختلاف ما يضاف اليه
فان كان احد المعوضين في مقابله الرقبه سمي بيعا وان كان في مقابله
منفعه رقبه فان كانت منفعه بضع سمي نكاحا وان كانت منفعه
غيرها سمي اجارة وان كان عينا بعين فهو بيع النقد وهو الصرف
وان كان بدين مؤجل فهو السلم وسياتي بيانه في ايه الدين وقد
مضى حكم الصرف وياتي حكم الاجارة في القصص وحكم المهر في النكاح
في النسا كل في موضعه ان شا الله تعالى البيع قبول
وايجاب يقع باللفظ المستقبل والماضي فالماضي فيه حقيقه

والمستقل نيابة وبنفع بالصريح والكناية المفهوم منها نقل الملك
فلو قال بعتك هذه السلعة بعشرة فقال قد اشتريتها او قال
المشتري قد اشتريتها وقال البايع بعتكها او قال البايع انا ابيعك
بعشرة فقال المشتري انا اشتري او قد اشتريت وكذلك لو قال
خذها بعشرة او اعطيتكها او دونكها او بورك لك فيها بعشرة
او سلمتها اليك ومما يريد ان البيع بذلك فله بيع لازم ولو قال
القايل بعتك بعشرة ثم رجع قبل ان يقبل المشتري فقد قال ليس له
ان يرجع حتى يسمع قبول المشتري او رده لانه قد بذل ذلك من
نفسه واوجبه عليها وقد قال ذلك لان العقد لم يتم عليه ولو قال
البايع كنت لاعبا فقد اختلفت الرواية عنه فقال مرة يلزمه البيع
ولا يلتفت الى قوله وقال مرة ينظر الى قيمة السلعة فان كان
الثمن يشبه قيمتها فالبيع لازم وان كان متفاوتا كعبد بدرهم
ودار بدينار علم انه لم يرد البيع وانما كان هازلا فلم يلزمه
قوله وحرم الربا الالف واللام هنا للعهد وهو
ما كانت تفعله كما بيناه ثم تناول ما حرمه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونهى عنه من البيع الذي يدخله الربا وما في معناه
من البيوع المنهي عنها عقد الربا مفسوخ لا يجوز
بحال لما رواه الايمة واللفظ لمسلم عن ابي سعيد الخدري قال
جا بلال بتمر برني فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اين
هذا فقال بلال تمر كان عندنا ردي فبعت منه صاعين بصاع
لنطعم النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم عند ذلك اوه عين الربا اي هو الربا المحرم نفسه لا ما يشبهه
وقوله فرده يدل على وجوب فسخ صفقه الربا وانها لا تصح بوجه وهو
قول الجمهور خلافا لابي حنيفه حيث يقول ان بيع الربا جايز باصله
من حيث هو بيع ممنوع بصفه من فيسقط الربا ويصح البيع ولو كان
ماذكر لما فسخ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الصفقه ولامر برد الزياده
على الصاع ولصحح الصفقه في مقابله الصاع دل هما
كان من حرام بين فسخ فعلى المبتاع رد السلعه بعينها فان فاتت بيده
رد القيمه وذلك كالعقار والعروض والحيوان والمثل فيما له
مثل من موزون او مكيل من طعام او عرض قال مالك يرد الحرام
البين فات او لم يفت وما كان مما كره الناس رد الا ان يفوت فيترك
قوله تعالى فمن جاءه موعظه من ربه قال جعفر بن
محمد الصادق وحرم الله الربا ليتقارض الناس وعن ابن مسعود عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال قرض مرتين يعدل صدقه مره اخرجه
البزار وقد تقدم هذا المعنى مستوفى وقال بعض الناس حرمه الله
لانه متلفه للاموال مهلكه للناس وسقطت علامه التانيث في
قوله فمن جاءه لان تانيث الموعظه غير حقيقي وهو بمعنى وعظ وقرا
الحسن فمن جاءته باثبات العلامه وهذه الايه تلتها عايشه لما اخبرت
بفعل زيد بن ارقم روى الدارقطني عن العاليه بنت انفع قالت
خرجت انا وام محبه الى مكه فدخلنا على عايشه رضي الله عنها فسلمنا
عليها فقالت لنا ممن انتن قلنا من اهل الكوفه قالت فكانها اعرضت
عنا فقالت لها ام محبه يا ام المومنين كانت لي جاريه واني بعتها من

زيد بن ارقم الانصاري ثمانماية درهم الى عطايه وانه اراد بيعها فابتعتها بستماية منه بستماية نقدا قالت فاقبلت علينا فقالت بيس ما شريت وبيس ما اشتريت فابلغي زيدا انه قد ابطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يتوب فقلت لها ارايت ان لم اخذ منه الا راس مالي قالت فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف العاليه هي زوج ابي اسحاق الهمداني السبيعي الكوفي ام يونس بن ابي اسحق وهذا الحديث اخرجه ملك من روايه بن وهب في بيوع الاجال وان كان منها ما يودي الى الوقوع في المحظور منع منه وان كان ظاهره بيعا جايزا وخالف مالكا في هذا الاصل جمهور الفقها وقالوا الاحكام مبنيه على الظاهر لا على الظنون ودليلنا القول بسد الذرايع فان سلم والا استدللنا على صحته وقد تقدم وهذا الحديث نص ولا نقول عايشه ابلغي زيدا فانه قد ابطل جهاده الا ان يتوب فان مثله لا يقال بالراي فان ابطال الاعمال لا يتوصل الى معرفتها الا بالوحي كما تقدم وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرا لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك ان يواقعه الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه وجه دلالته انه منع من الاقدام على المتشابهات مخافة الوقوع في المحرمات وذلك سد للذريعه وقال صلى الله عليه وسلم ان من

بسم الله الرحمن الرحيم

الجابر بشتم الرجل والديه قال يسب ابا الرجل فيسب اباه ويسب
امه فيسب امه فجعل التعريض لسب الاباء كسب الاباء ولعن
صلى الله عليه وسلم اليهود اذ اكلوا ثمن ما نهوا عن اكله وقال ابو بكر في
كتابه لا يجمع بين مفترق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقه ونهى ابن
عباس عن دراهم بدراهم بينهما حريره واتفق العلما على الجمع بين
بيع وسلف وعلى تحريم قليل الخمر وان كان لا يسكر وعلى تحريم الخلوه
بالاجنبيه وان كان عنينا وعلى تحريم النظر الى وجه المراه الشابه
الى غير ذلك مما يكثر ويعلم على القطع والبنات ان الشرع حكم فيها
بالمنع لانها ذرايع للمحرمات والربا احق ما حميت مراتعه وسدت
طرايقه ومن اباح هذه الاسباب فليبح حفر البير ونصب الحبالات
لهلاك المومنين والمومنات وذلك لا يقوله احد وايضا فقد اتفقنا
على منع من باع بالعينه اذا عرف بذلك وكانت عادته وهي في هذا
الباب والله الموفق للصواب روى ابو داود عن
ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا تبايعتم بالعينه
واخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله
عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا الى دينكم في اسناده ابو عبد
الرحمن الخراساني ليس بمشهور وفسر ابو عبيد الهروي العينه فقال
هي ان يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم الى اجل مسمى ثم يشتريها منه باقل
الثمن الذى باعها به قال فان اشترى بحضرة طالب العينة سلعة من اخر
بثمن معلوم وقبضها ثم باعها من طالب العينة بثمن اكثر مما اشتراه الى اجل
مسمى ثم باعها المشتري من البايع الاول بالنقد باقل من الثمن فهذه ايضا

عينه وهي اهون

عينه وهي اهون من الاولى وهو جايز عند بعضهم وسميت عينه
لحصول النقد لصاحب العينه وذلك ان العين هو المال الحاضر والمشترى
انما يشتريها ليبيعها بعين حاضر يصل اليه من فوره
قال علماونا لمن باع سلعة الى اجل ثم ابتاعها بثمن من جنس
الثمن الذي باعها به فلا يخلو ان يشتريها منه بنقد او الى اجل دون
الاجل الذى باعها اليه او الى ابعد منه بمثل الثمن او باقل منه او باكثر
فهذه ثلاث مسايل فاما الاولى والثانيه فان كان بمثل الثمن او اكثر جاز ولا
يجوز باقل على مقتضى حديث عايشه لانه اعطى ستمايه لياخذ ثمانمايه
والسلعه لغو وهذا هو الربا بعينه واما الثالثه الى ابعد من الاجل
فان كان اشتراها وحدها او وزياده فيجوز بمثل الثمن او اقل منه ولا يجوز
باكثر فان اشترى بعضها فلا يجوز على حال الا بمثل الثمن ولا باقل ولا باكثر
ومسايل هذا الباب حصرها علماونا في سبع وعشرين مسله ومدارها
على ما ذكرنا والله اعلم قوله تعالى فله ما سلف
اي من الربا لا تباعة عليه منه في الدنيا ولا في الاخرة قاله السدى وغيره وهذا
حكم من الله تعالى لمن اسلم من كفار قريش وثقيف ومن كان يتجر هنالك وسلف
معناه تقدم في الزمن وانقضى قوله تعالى وامره الى
الله فيه اربع تاويلات احدها ان الضمير عايد الى الربا بمعنى وامر الربا الى الله في
امرار تحريمه او غير ذلك والاخر يكون الضمير عايدا على ما سلف اى امره الى الله
في العفو عنه واسقاط التبعه فيه والثالث ان يكون الضمير عايدا على ذي الربا
بمعنى امره الى الله في ان يثبته على الانتها او يعيده الى المعصية في الربا واختار هذا
القول النحاس قال وهذا قول حسن بين اي وامره الى الله في المستقبل ان شا ثبته

على التحريم وان شا اباحه والرابع ان يعود الضمير على المنتهي ولكن بمعنى التانيس له
وبسط امله في الخير كما تقول وامره الى الطاعة وخير وكما تقول وامره في
نمو واقبال الى الله والى الطاعه

قوله تعالى ومن عاد
يعني الى فعل الربا حتى يموت قاله سفيان وقال غيره من عاد فقال انما البيع مثل
الربا فقد كفر قال ابن عطيه ان قدرنا الايه في كافر فالخلود خلود تابيد حقيقي
وان لحظناها في مسلم عاص فهذا الخلود مستعار على معنى المبالغه كما تقول
العرب ملك خالد عبارة عن دوام ما لا يبقى على التابيد الحقيقي

قوله تعالى يمحق الله الربا يعني في الدنيا اي تذهب بركته
وان كان كثيرا روي ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الربا وان كثر
فعاقبته الى قل وقيل يمحق الله الربا يعني في الاخره وعن ابن عباس في قوله تعالى
يمحق الله الربا قال لا تقبل منه صدقه ولا حج ولا جهاد ولا صله والمحق
النقص والذهاب ومنه محاق القمر وهو انتقاصه ويربي الصدقات اي
ينميها في الدنيا بالبركه ويكثر ثوابها بالتضعيف في الاخره وفي صحيح الحديث
ان صدقة احدكم لتقع في يد الله فيربيها له كما يربي احدكم فلوه او فصيله حتى
يجي يوم القيمه وان اللقمه لعلى قدر احد وقرا ابن الزبير اليا وكسر الحا مشدد
ويربي بفتح الرا وتشديد البا وروية عن النبي صلى الله عليه وسلم كذلك

قوله تعالى والله لا يحب كل كفار اثيم وصف الكفار باثيم مبالغه
من حيث اختلف اللفظا وقيل لازاله الاشتراك في كفار اذ قد يقع الزارع الذي
يستر الحبة في الارض قاله ابن فورك وقد تقدم القول في قوله ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكاه وخص الصلاه والزكاه بالذكر وقد
تضمنهما عمل الصالحات تشريفا لهما وتنبيها على قدرهما اذ هما راس الاعمال

الصلاه في اعمال

الصلاه في اعمال البدن والزكاه في اعمال المال قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مومنين ظاهره انه ابطل
من الربا ما لم يكن مقبوضا وان كان معقودا قبل نزول ايه التحريم ولا يتعقب
بالفسخ ما كان مقبوضا وقد قيل ان الايه نزلت بسبب ثقيف وكانوا عاهدوا
النبي صلى الله عليه وسلم على ان ما لهم من الربا على الناس فهو لهم وما للناس عليهم
فهو موضوع عنهم فلما ان جاءت اجال رباهم بعثوا الى مكه للاقتضا وكانت
الديون لبني عبده وهم بنو عمير وبنو عمير من ثقيف وكانت على بني المغيرة المخزو
فقال بنو المغيره لا نعطي شيا فان الربا قد رفع ورفعوا امرهم الى عتاب بن اسيد
فكتب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الايه وكتب بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى عتاب فعلمت بها ثقيف فكفت هذا سبب الايه على اختصار
مجموع ما روى ابن اسحاق وابن جريج والسدي وغيرهم والمعنى اجعلوا بينكم
وبين عذاب الله وقايه بترككم ما بقي لكم من الربا وصفحكم عنه
قوله تعالى ان كنتم مومنين شرط محض في ثقيف على بابه لانه كان
في اول دخولهم في الاسلام واذا قدرنا الايه فيمن تقرر ايمانه فهو شرط مجازي
على جهه المبالغه كما تقول لمن تريد اقامه نفسه ان كنت رجلا فافعل كذا وحكى
النقاش عن مقاتل بن سليمان انه قال ان في هذه الايه بمعنى اذ قال ابن عطيه
وهذا مردود لا يعرف في اللغه وقال ابن فورك يحتمل ان يريد يا ايها الذين امنوا
بمن قبل محمد عليه السلام من الانبيا ذروا ما بقي من الربا ان كنتم مومنين بمحمد اذ لا
ينفع الاول الا بهذا وهو مردود بما روي في سبب الايه
قوله تعالى فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب هذا وعيد ان لم يذروا
الربا والحرب داعيه القتل روى ابن عباس انه يقال يوم القيامه لاكل الربا

خذ سلاحك للحرب وقال ابن عباس ايضا من كان مقيما على الربا لا ينزع عنه فحق
على امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع والا ضرب عنقه وقال قتادة اوعد الله اهل الربا
بالقتل فجعلهم بهرجا اينما ثقفوا وقيل المعنى ان لم تنتهوا فانتم حرب لله ورسوله
اي اعداء وقال ابن خويز منداد ولو ان اهل بلد اصطلحوا على الربا استحلالا كانوا
مرتدين والحكم فيهم كالحكم في اهل الردة وان لم يكن ذلك منهم استحلالا جاز
للامام محاربتهم الا ترى ان الله تعالى قد اذن في ذلك فقال فاذنوا بحرب من الله
ورسوله وقرا ابو بكر عن عاصم فآذنوا على معنى فاعلموا غيركم انكم على حربهم
ذكر ابن بكير قال جاء رجل الى مالك بن انس فقال يا ابا عبد
الله اني رايت رجلا سكران يتقافز يريد ان ياخذ القمر فقلت امراتي طالق ان كان يدخل
جوف ابن ادم اشر من الخمر فقال ارجع حتى انظر في مسالتك فاتاه من الغد فقال
ارجع فقال ارجع حتى انظر في مسالتك فاتاه من الغد فقال له امراتك طالق اني تصفحت
كتاب الله وسنة نبيه فلم ار شيا اشد من الربا لان الله تعالى اذن فيه بالحرب
دلت هذه الاية على ان اكل الربا والعمل به من الكباير
ولا خلاف في ذلك على ما نبينه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ياتي على الناس زمان لا يبقى احد الا اكل الربا ومن لم ياكل الربا اصابه غباره
وروى الدارقطني عن عبد الله بن حنظلة غسيل الملايكة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لدرهم ربا اشد عند الله من ستة وثلاثين زنية في الخطية وروي
عنه عليه السلام انه قال الربا تسع وتسعون بابا ادناها كاتيان الرجل
بامه يعني الزاني بامه وقال ابن مسعود اكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده
ملعون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وروى البخاري عن ابي جحيفة قال نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمن الدم وثمن الكلب وكسب الامة ولعن الواشمة

والمستوشمة

والمستوشمه واكل الربا وموكله ولعن المصور وفي صحيح مسلم عن ابي هريره
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات وفيها واكل الربا
وفي مصنف ابي داود عن ابن مسعود قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه قوله تعالى وان
تبتم فلكم رءوس اموالكم الايه روى ابو داود عن سليمان بن عمرو عن ابيه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في حجه الوداع الا ان كل
ربا من ربا الجاهليه موضوع لكم رءوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وذكر
الحديث فردهم تعالى مع التوبه الى رءوس اموالهم وقال لهم لا تظلمون في
اخذ الربا ولا تظلمون في ان يتمسك بشي من رءوس اموالكم فتذهب اموالكم
ويحتمل ان يكون لا تظلمون في مطل لان مطل الغني ظلم فالمعنى ان يكون القضا
مع وضع الربا وهكذا سنه الصلح وهذا اشبه شي بالصلح الا ترى ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما اشار على كعب بن مالك في دين ابن ابي حدرد بوضع
الشطر قال كعب نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاخر قم
فاقضه فتلقا العلما امره بالقضا سنه في المصالحات وسياتي في النسا
بيان الصلح وما يجوز منه وما لا يجوز ان شا الله تعالى
قوله تعالى وان تبتم فلكم رءوس اموالكم تاكيد لابطال
ما لم يقبض منه واخذ راس المال الذي لا ربا فيه فاستدل بعض العلما
بذلك على ان كل ما طرا على البيع قبل القبض مما يوجب تحريم العقد ابطل
العقد كما اذا اشترى مسلم صيدا ثم احرم المشتري والبايع قبل القبض
بطل البيع لانه طرا عليه قبل القبض ما اوجب تحريم العقد كما ابطل الله
تعالى من الربا ما لم يقبض لانه طرا عليه ما اوجب تحريمه قبل القبض ولو

كان مقبوضا لم يوثر هذا مذهب ابي حنيفه وهو قول لاصحاب الشافعي و
به على ان هلاك المبيع في يد البايع وسقوط القبض فيه فوجب بطلان العقد
خلافا لبعض السلف ويروي هذا الخلاف عن احمد وهذا انما يتمشى على قول
من يقول ان العقد في الربا كان في الاصل منعقدا وانما بطل بالاسلام الطارى
قبل القبض واما من منع انعقاد الربا في الاصل لم يكن هذا الكلام صحيحا
وذلك ان الربا كان محرما في الاديان والذي نفعلوه في الجاهليه كان عادة
المشركين وانما قبضوه منه كان بمثابه اموال وصلت اليهم بالنهب والسلب
فلا يتعرض له فعلى هذا لا يصح الاستشهاد على ما ذكروه من المسايل
واشتمال الشرايع الانبيا قبلنا على تحريم الربا مشهور مذكور في كتاب الله كما
حكى عن اليهود في قوله واخذهم الربا وقد نهوا عنه وذكر في قصة شعيب ان
قومه انكروا عليه وقالوا اتنهانا ان نفعل في اموالنا ما نشا فعلى هذا لا
يستقيم الاستدلال به نعم يفهم من هذا ان العقود الواقعة في دار
الحرب اذا ظهر عليها الامام لا يعترض عليها بالفسخ ان كانت معقودة
على فساد ذهب بعض الغلاة من ارباب الورع الي
ان المال الحلال اذا خالطه حرام حتى لم يتميز ثم اخرج منه مقدار الحرام المختلط
به لم يحل ولم يطب لانه يمكن ان يكون اخرج هو الحلال والذي بقي هو الحرام
قال ابن العربي وهذا غلو في الدين فان كل ما لم يتميز فالمقصود منه ماليته لا عينه ولو تلف لقام المثل مقامه والاختلاط اتلاف لتميزه كما
ان الاهلاك اتلاف لعينه والمثل قايم مقام الذاهب وهذا بين حسا بين
معنى والله اعلم قلت قال علماونا ان سبيل التوبه مما بيده من الاموال
الحرام ان كانت من ربا فليردها على من اربى عليه ويطلبه ان لم يكن حاضرا فان

ايس من وجوده

ايس من وجوده فليتصدق به عنه وان اخذ بظلم فليفعل كذلك في امر
من ظلمه فان التبس عليه الامر ولم يدر كم الحرام من الحلال مما بيده فانه يتحرى
عليه رده قدر ما بيده مما يجب عليه حتى لا يشك ان ما يبقى قد خلص له فيرده
من ذلك الذي ازال عن يده الى عرف من ظلمه او اربا عليه فان ايس من وجوده
تصدق به عنه فان احاطت المظالم بذمته وعلم انه وجب عليه من
ذلك ما لا يطيق اداه ابدا لكثرته فتوبته ان يزيل ما بيده اجمع الى
المساكين او الى ما فيه صلاح المسلمين حتى لا يبقى في يده الا اقل ما يجزيه
في الصلاة من اللباس وهو ما يستره من سرته الى ركبته وقوت يومه
لانه الذي يجب له ان ياخذه من مال غيره اذا اضطر اليه وان كره
ذلك من ياخذه منه وفارق هاهنا المفلس في قول اكثر العلما لان
المفلس لم تصر اليه اموال الناس باعتدا بل هم الذين صيروها اليه
فيترك له ما يواريه وما هو هيئة لباسه وابو عبيد وغيره يرى
ان لا يترك للمفلس من اللباس الا اقل ما يجزيه الصلاة وهو ما يواريه
من سرته الى ركبته ثم كلما وقع بيده شي اخرجه عن يده ولم
يمسك منه الا ما لا بد منه حتى يعلم هو ومن علم حاله انه ادى ما عليه
هذا الوعيد الذي وعد الله به في الربا من
المجازيه قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في المخابرة روى ابو
داود قال ثنا يحيى بن معين قال ثنا ابن رجا قال ابن خثيم حدثني عن ابي
الزبير عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من لم يذر المخابرة فليوذن بحرب من الله ورسوله وهذا دليل
على منع المخابرة وهي اخذ الارض بنصف او ثلث او ربع ويسمى المزارعة

واجمع اصحاب ملك كلهم والشافعي وابو حنيفه واتباعهم وداود
على انه لا يجوز دفع الارض على الثلث والربع وعلى جز مما يخرج لانه
مجهول الا ان الشافعي واصحابه وابا حنيفه قالوا يجوز كرا الارض
بالطعام اذا كان معلوما لقوله عليه السلام فاما شي معلوم
مضمون فلا باس به خرجه مسلم واليه ذهب محمد بن عبد الله بن
عبد الحكم ومنعه مالك واصحابه لما رواه مسلم ايضا عن رافع بن
خديج قال كنا نحاقل بالارض على عهد رسول صلى الله عليه وسلم فنكريها
بالثلث والربع والطعام المسمى فجانا ذات يوم رجل من عمومتي
فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر كان لنا نافعا
وطواعيه الله ورسوله لنا انفع لنا نهانا ان نحاقل بالارض فنكريها
على الثلث والربع والطعام المسمى وامر رب الارض ان يزرعها
او يزرعها ولم كراها وما سوى ذلك قالوا فلا يجوز كرى الارض بشي
من الطعام ماكولا كان او مشروبا على حال لان ذلك في معنى بيع الطعام
بالطعام نسا ولذلك لا يجوز عندهم كرا الارض بشي مما يخرج منها وان
لم يكن طعاما مالولا ولا مشروبا بسوى الخشب والقصب والحطب
لانه عندهم في معنى المزابنه هذا هو المحفوظ عن ملك واصحابه وقد
ذكر ابن سحنون عن المغيره بن عبد الرحمن المخزومي المدني انه قال لا باس بكرى
الارض بطعام لا يخرج منها وروى يحيى بن عمر عن المغيره ان ذلك لا يجوز لقول
ساير اصحاب ملك وذكر ابن حبيب ان ابن كنانه كان يقول لا تكرى الارض
بشي اذا اعيد فيها نبت ولا باس ان تكرى بما سوى ذلك من جميع الاشيا مما
يوكل ومما لا يوكل خرج منها او لم يخرج منها وبه قال يحيى بن يحيى وقال انه من

قول ملك

قول ملك قال وكان بن نافع يقول لا باس ان تكرى الارض بكل شي من
طعام وغيره خرج منها اولم يخرج ما عدا الحنطه واخواتها فانها المحاقله المنهي
عنها وقال ملك في الموطا فاما الذي يعطي ارضه البيضا بالثلث والربع مما
يخرج منها فذلك مما يدخله الغرر لان الزرع يقل مرة ويكثر اخرى وربما هلك
راسا فيكون صاحب الارض قد ترك كرا معلوما وانما مثل ذلك مثل رجل
استاجر اجيرا لسفر بشي معلوم ثم قال الذي استاجر للاجير هل لك ان
اعطيك عشر ما اربح في سفري هذا اجارة لك فهذا لا يحل ولا ينبغي قال
ملك ولا ينبغي لرجل ان يواجر ارضه ولا نفسه ولا سفينته ولا دابته
الا بشي معلوم لا يزول وبه يقول الشافعي وابو حنيفه واصحابهم وقال
احمد بن حنبل والليث والثورى والاوزاعي والحسن بن حي وابو يوسف
ومحمد لا باس ان يعطي الرجل ارضه على جزء مما يخرجه نحو الثلث والربع
وهو قول بن عمر وطاوس واحتجوا بقصة خيبر وان رسول الله صلى الله
عليه وسلم عامل اهلها على شطر ما تخرجه ارضهم وثمارهم قال احمد حديث
رافع بن خديج في النهى عن كرا المزارع مضطرب الالفاظ ولا يصح والقول
بقصة خيبر اولى وهو حديث صحيح وقد اجازت طايفه من التابعين ومن
بعدهم ان يعطي الرجل سفينته ودابته كما يعطي ارضه بجزء مما يرزقه
الله في العلاج بها وجعلوا اصلهم في ذلك القراض المجتمع عليه على ما ياتي
بيانه في المزمل ان شا الله عند قوله تعالى واخرون يضربون في الارض
يبتغون من فضل الله وقال الشافعي في قول بن عمر كنا نخابر ولا نرى بذلك
باسا حتى اخبرنا رافع بن خديج ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى
عنها اي كانت تكرى الارض ببعض ما يخرج منها قال وفي ذلك نسخ لسنه.

قلت ومما يصحح قول الشافعي في النسخ ما رواه الايمه للدارقطني عن جابر
ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المحاقله والمزابنه والمخابره وعن الثنيا الا
ان يعلم صحيح وروى ابو داود عن زيد بن ثابت قال نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن المخابره قلت وما المخابره قال ان تاخذ الارض بنصف وثلث او
ربع
في القراات قرا الجمهور ما بقي بتحريك اليا
وسكنها الحسن ومثله قول جرير هو الخليفه فارضوا ما رضي لكم ماضي
العزيمه ما في حكمه حيف وقال عمر بن ربيعه كم قد ذكرتك لو اجزى
بذكركم يا اشبه الناس كل الناس بالقمر اني لاحذر ان امشي حبالكم رويه من اشتبهت
في الصور اصله ما رضي وان امشي فاسكنها وهو في الشعر كثير ووجهه
انه شبه اليا بالالف فكما لا تصل الحركه الى الالف فلذلك لا تصل هنا الى اليا
ومن هذه اللغه احب ان ادعوك واشتهي ان اقضيك باسكان الواو
واليا وقرا الحسن ما بقى بالالف وهي لغه طي يقولون الجاريه جاراه
وللناصيه ناصاه وقال الشاعر لعمرك ما اخشى التصعلك
ما بقا على الارض قيسي يسوق الاباعر وقرا السمال من بين جميع القرا
من الزبو بكسر الرا المشدده وضم البا وسكون الواو وقال ابو الفتح عثمان
بن جني شذ هذا الحرف في امرين احدهما الخروج من الكسر الى الضم والاخر
وقوع الواو بعد الضم في اخر الاسم وقال المهدوي وجهها انه فخم الالف
فانتحى بها نحو الواو والتي الالف منها ولا ينبغي ان يحمل على غير هذا الوجه اذ
ليس في الكلام اسم اخره واو ساكنه قبلها ضمه واما حمزه والكساي الربا
لمكان الكسره في الرا الباقون بالتفخيم لفتحه البا وقرا ابو بكر عن عاصم وحمزه فاذنوا
على معنى فاذنوا غيركم فحذف المفعول وقرا الباقون فاذنوا اي كونوا على اذن

من قولك

من قولك اني على علم حكاه ابو عبيد عن الاصمعي وحكى اهل اللغه انه يقال
اذنت به اذنا اي علمت به وقال بن عباس وغيره من المفسرين معنى فاذنوا
فاستيقنوا الحرب من الله وهو بمعنى الاذن ورجح ابو علي وغيره قراة المد
قال لانهم اذا امروا باعلام غيرهم ممن لم ينته عن ذلك علموهم لا محاله قال
ففي اعلامهم علمهم وليس في علمهم اعلامهم ورجح الطبري قراه القصر لانها
تختص بهم وانما امروا على قراه المد باعلام غيرهم وقرا جميع القرا لا تظلمو ن
بفتح التا ولا تظلمون بضمها وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون بضم التا في الاولى
وفتحها في الثانيه على العكس قال ابو علي تترجح قراه الجماعه بانها تناسب قوله
فان تبتم في اسناد الفعلين الى الفاعل فتجي تظلمون بفتح التا اشكل بما قبله
تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فيه تسع مسايل
قوله تعالى وان كان ذو عسرة لما حكم جل وعز لارباب الربا برؤوس
اموالهم عند الواجدين للمال حكم في ذي العسرة بالنظرة الى حال الميسرة وذلك
ان ثقيفا لما طلبوا اموالهم التي لهم على بني المغيرة شكوا العسرة يعني بني المغيرة
وقالوا ليس لنا شي وطلبوا الاجل الى وقت ثمارهم نزلت هذه الايه وان
كان ذو عسرة   قوله وان كان ذو عسرة مع قوله وان تبتم فلكم
رؤس اموالكم يدل على ثبوت المطالبه لصاحب الدين على المدين وجواز اخذ
ماله بغير رضاه ويدل على ان الغريم متى امتنع من اداء الدين مع الامكان كان
ظالما فان الله يقول فلكم رؤس اموالكم فجعل له المطالبة برأس ماله فاذا
كان له حق المطالبه فعلى من عليه الدين لا محاله وجوب قضايه
قال المهدوي وقال بعض العلما هذه الايه ناسخه لما كان في الجاهلية
من بيع من اعسر وحكى مكي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر به في صدر الاسلام

عطيه فان ثبت فعل النبي صلى الله عليه وسلم فهو نسخ والافليس بنسخ قال
الطحاوي كان الحر يباع في الدين اول الاسلام اذا لم يكن له مال يقضيه عن
نفسه حتى نسخ الله ذلك فقال جل وعز وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة
واحتجوا بحديث رواه الدارقطني من حديث مسلم بن خالد الزنجي ثنا زيد
بن اسلم عن بن البيلماني عن سرق قال كان لرجل علي مال او قال دين فذهب
بي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يصب لي مالا فباعني منه او باعني له
اخرجه البزار بهذا الاسناد اطول منه ومسلم بن خالد الزنجي وعبد
الرحمن بن السلماني لا يحتج بهما وقال جماعة من اهل العلم قوله تعالى فنظرة
الى ميسرة عامة في جميع الناس فكل من اعسر انظر وهذا قول ابي هريرة
والحسن وعامة الفقها وقال النحاس واحسن ما قيل في الاية قول عطا والضحاك
والربيع بن خثيم قالوا هي لكل معسر ينظر في الربا والدين كله فهذا قول
يجمع الاقوال لانه يجوز ان يكون ناسخة عامة نزلت في الربا ثم صار
حكم غيره كحكمه وان القراه بالرفع بمعنى وان وقع ذو عسرة من الناس
اجمعين ولو كان في الربا خاصة لكان النصب الوجه بمعنى وان كان الذي
عليه الربا ذا عسرة وقال بن عباس وشريح ذلك في الربا خاصة فاما
الديون وساير المعاملات فليس فيها نظرة بل تودى الى اهلها او يحبس
فيه حتى يوفيه وهو قول ابراهيم واحتجوا بقوله تعالى ان الله يامركم
ان تؤدوا الامانات الى اهلها الاية قال بن عطيه فكان هذا القول
يترتب اذا لم يكن فقر مدقع واما مع العدم والفقر الصريح فالحكم هي النظرة
ضرورة من كثرت ديونه وطلب غرماوه مالهم فللحاكم ان
يخلعه عن كل ماله ويترك له ما كان من ضرورته روي بن نافع عن مالك انه لا

يترك له

يترك له الا ما يواريه والمشهور انه يترك له كسوته المعتاده ما لم يكن فيها
فضل ولا ينزع منه رداوه ان كان ذلك مزريا به وفي ترك كسوته وبيع
لبته ان كان عالما خلاف ولا يترك له مسكن ولا خادم ولا ثوبا جمعته
ما لم يقل قيمتهما وعند هذا يحرم حبسه والاصل في هذا قوله وان
كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وروي الائمه واللفظ لمسلم عن ابي
سعيد الخدري قال اصيب رجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ثمار ابتاعها فكثر دينه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقوا
عليه فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفا دينه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لغرمايه خذوا ما وجدتم وليس لكم الا ذلك
وفي مصنف ابي داود فلم يزد رسول الله صلى الله عليه وسلم غرماوه
على ان خلع لهم ماله وهذا نص فلم يامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحبس الرجل وهو معاذ بن جبل كما قال شريح ولا ملازمته
خلافا لابي حنيفه فانه قال بلازم لامكان ان يظهر له مال ولا يكلف
ان يكتسب لما ذكرنا وبالله توفيقنا المفلس في قول
ملك والشافعي وابي حنيفه وغيرهم حتى يتبين عدمه ولا
يحبس عند ملك ان يتهم انه غيب ماله ولم يتبين لدده ولذلك لا
يحبس ان صح عسره على ما ذكرنا فان جمع مال
المفلس ثم تلف قبل وصوله الى ادبايه وقبل البيع فعلى المفلس
ضمانه ودين الغرما ثابت في ذمته فان باع الحاكم ماله وقبض
ثمنه ثم تلف الثمن قبل قبض الغرما له كان عليهم ضمانه وقد برى
المفلس منه وقال محمد بن عبد الحكم ضمانه من المفلس ابدا حتى يصل

وق

العسر ضيق الحال من جهه عدم المال
الي الغربا.
ومنه جيش العسره والنظرة التاخير والميسره مصدر بمعنى
اليسر وارتفع ذو بكان التامة التي بمعنى وجد وحدث هذا قول
سيبويه وابي علي وغيرهما وانشد سيبويه فدى
لبني ذهل بن شيبان ناقتي اذا كان يوم ذو كواكب اشهب
ويجوز النصب وفي مصحف ابي بن كعب وان كان ذا عسره على معنى
وان كان المطلوب ذا عسرة وقرا الاعمش وان كان معسرا فنظرة
قال ابو عمرو الداني عن احمد بن موسى وكذلك في مصحف ابي بن
كعب قال النحاس ومكي والنقاش وعلى هذا يختص لفظ الاية باهل
الربا وعلى من قرا ذو فهي عامه في جميع من عليه دين وقد تقدم وحكى
المهدوي ان في مصحف عثمان فان كان بالفا ذو عسرة وروى
المعتمر عن حجاج الوراق قال في مصحف عثمان وان كان ذا عسرة
ذكره النحاس وقراه الجماعة نظرة بكسر الظا وقرا مجاهد وابو رجا
والحسن فنظرة بسكون الظا وهي لغة تميميه وهم الذين يقولون
كرم زيد بمعنى كرم زيد ويقولون كبد في كبد وقرا نافع وحده
ميسره بضم السين والجمهور بفتحها وحكا النحاس عن مجاهد وعطا
فناظره على الامر الى ميسره هي بضم السين وكسر الرا واثبات اليا
في الادراج وقرى فناظره قال ابو حاتم لا يجوز فناظره انما ذلك
في النمل لانها امراة تكلمت بهذا لنفسها من نظرت تنظر فهي ناظرة
واما في البقرة فمن التاخير من قولك انظرتك بالدين اي اخرتك به
ومنه فانظرني الى يوم يبعثون واجاز ذلك ابو اسحاق الزجاج

وقال هي من

وقال هي من اسما المصادر لقوله تعالى ليس لوقعتها كاذبه ولقوله
تظن ان يفعل بها فاقره وكخاينه الاعين وغيره   قوله
تعالى وان تصدقوا ابتدا وخبره خير ندب الله بهذه الالفاظ
الى الصدقه على المعسر وجعل ذلك خيرا من انظاره قاله السدي
وابن زيد والضحاك وقال الطبري وقال اخرون معنى الايه
وان تصدقوا على الغني والفقير خير لكم والصحيح الاول وليس
في الايه مدخل للغني   روى ابو جعفر الطحاوي عن
بريده بن الحصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
انظر معسرا كان له بكل يوم صدقه ثم قلت بكل يوم مثله صدقه
قال ثم قال لكل يوم صدقه ما لم يحل الدين فان انظره بعد الحل
فله بكل يوم مثله صدقه وروى وروى مسلم عن ابي مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوسب رجل ممن
كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شي الا انه كان يخالط الناس
وكان موسرا فكان يامر غلمانه ان يتجاوزوا عن المعسر قال
قال الله عز وجل نحن احق بذلك منه تجاوزوا عنه وروي
عن ابي قتاده انه طلب غريما له فتوارا عنه ثم وجده فقال
اني معسر قال الله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيمه
فلينفس عن معسر او يضع عنه وفي حديث ابي اليسر الطويل
واسمه كعب بن عمرو انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظله ففي

هذه الاحاديث من الترغيب ما هو منصوص فيها وحديث
ابي قتادة يدل على ان رب الدين اذا علم عسرة غريمه او ظنها
حرمت عليه مطالبته ولم تثبت عسرته عند الحاكم وانظار
المعسر تاخيره الى ان يوسر والوضع عنه اسقاط الدين
عن ذمته وقد جمع المعنيين ابو اليسر لغريمه حيث محى
عنه الصحيفة وقال له ان وجدت قضا فاقض والا فانت
في حل. قوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله

في اواخر سورة البقرة ويتلوه ثم توفى كل نفس ما كسبت

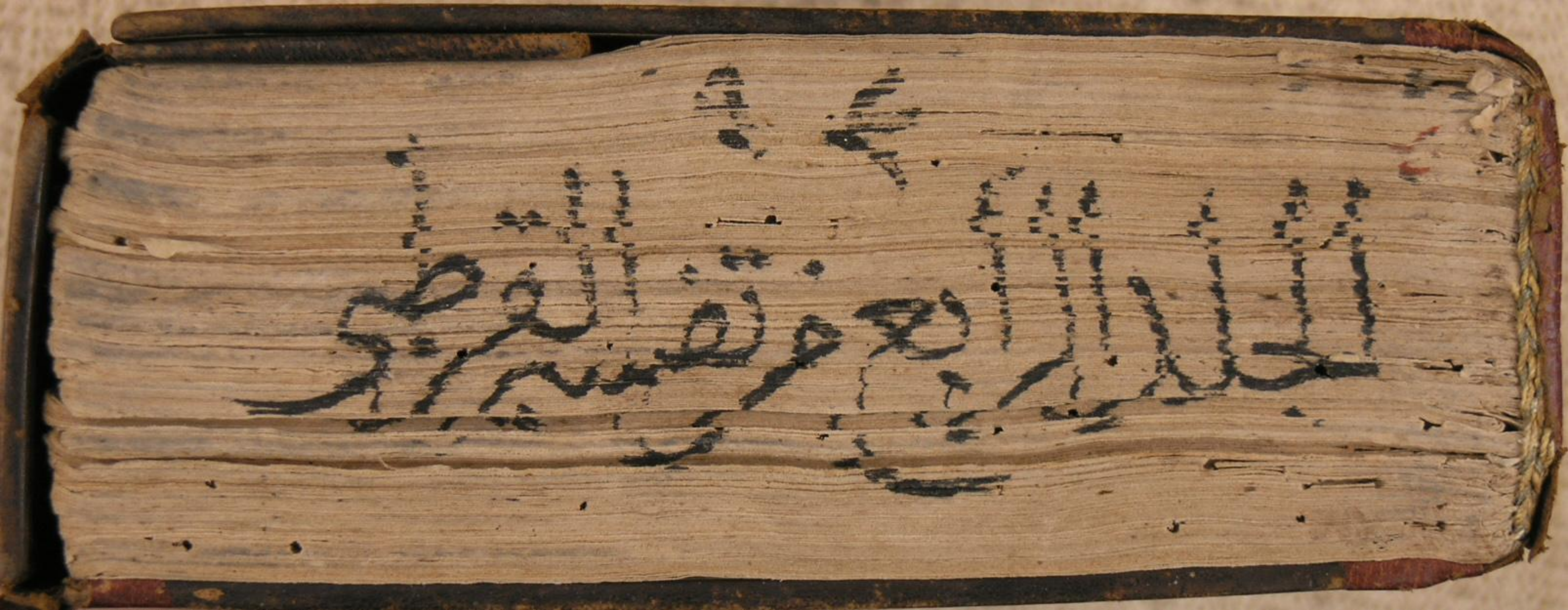

المجلد الاول من تفسير القرطبي

الجزء الرابع من تفسير القرطبي

یا کبیکج

في هذه المجلد من السور الشريفة

سورة آل عمران سورة النساء الى قوله تعالى تلك حدود الله ٦

ك: ٩٥

الجلد الرابع من تفسير القرطبي رحمه الله تعالى عليه

من كتب العبد السيد فيض الله مفتي السلطنة العثمانية

تفسير جامع احكام القرآن للشيخ الامام ابي عبد الله محمد بن ابي بكر الانصاري الخزرجي القرطبي المالكي المتوفى سنة ثمان وستين وستمائة رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده
قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله قيل ان هذه الاية
نزلت قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بتسع ليال ثم لم ينزل بعدها شي
قاله ابن جريج وقال ابن جبير ومقاتل بسبع ليال وروي بثلاث ليال
وروي انها نزلت قبل موته بثلاث ساعات وانه عليه السلام قال
اجعلوها بين اية الربا واية الدين وحكى مكي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال جاني جبريل فقال اجعلها على راس مايتين وثمانين اية قلت وحكي
عن ابي بن كعب وابن عباس وقتاده ان اخر ما نزل لقد جاكم رسول
الى اخر الاية والقول الاول اعرف واكثر واصح واشهر ورواه ابو
صالح عن ابن عباس قال اخر ما نزل من القران واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون فقال جبريل للنبي
صلى الله عليه وسلم يا محمد ضعها في راس ثمانين ومايتين من البقرة ذكره
ابو بكر الانباري في كتاب الرد له وهو قول ابن عمر رضي الله عنه
انها اخر ما نزل وانه عليه السلام عاش بعدها احدا وعشرين يوما
على ما ياتي بيانه في اخر سورة اذا جا نصر الله والفتح ان شا الله تعالى
والاية وعظ لجميع الناس وامر يخص كل انسان ويوما منصوب
على المفعول لا على الظرف وترجعون فيه الى الله من نعته وقرا ابو
عمرو بفتح التا وكسر الجيم مثل ان الينا ايابهم واعتبارا بقراه ابي
يوما تصيرون فيه الى الله والباقون بضم التا وفتح الجيم مثل ثم ردوا
الى الله ولين رددت الى ربي واعتبارا بقراة عبد الله يوما
تردون فيه الى الله وقرا الحسن يرجعون بالياء على معنى يرجع جميع

الناس قال

وقف

لناس فال بن جبي كان الله تعالى رفق بالمومنين عن ان يواجههم بذكر
الرجعه اذ هي مما تنفطر لها القلوب فقال لهم واتقوا ثم رجع في ذكر
الرجعه الى الغيبه رفقا بهم وجمهور العلما على ان هذا اليوم المحذر
منه هو يوم القيمه والحساب والتوفيه وقال قوم هو يوم الموت
قال بن عطيه والاول اصح بحكم الالفاظ في الاية وفي قوله الى الله
محذوف تقديره الى حكم الله وفصل قضايه وهم رد على معنى كل
لا على اللفظ الا على قراة الحسن يرجعون فقوله وهم رد على ضمير
الجماعة في ترجعون وفي هذه الاية نص على ان الثواب والعقاب
متعلق بكسب الاعمال وهو رد على الجبريه وقد تقدم قوله
تعالى يايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه الى
قوله عليم فيه اثنان وخمسون مسله الاولى قوله تعالى يايها
الذين امنوا اذا تداينتم بدين الايه قال سعيد بن المسيب بلغني
ان احدث القران بالعرش اية الدين وقال بن عباس هذه الاية نزلت
في المسلم خاصه معناه ان سلم اهل المدينه كان سبب الاية ثم
هي تتناول جميع المداينات اجماعا وقال بن خويز منداد انها تضمنت
ثلاثين حكما وقد استدل بعض علمائنا على جواز التاجيل في القروض
على ما قال مالك اذ لم يفصل بين القرض وساير العقود في المداينات
وخالفه في ذلك الشافعيه وقالوا الاية ليس فيها جواز التاجيل
في ساير الديون وانما فيها الامر بالاشهاد اذا كان دينا موجلا ثم
نعلم بدلاله اخرى جواز التاجيل في الدين وامتناعه الثانيه
قوله تعالى بدين تاكيد مثل ولا طاير يطير بجناحيه وسجد الملايكه

يفصل

كلهم اجمعون وحقيقه الدين عبارة عن كل معامله كان احد
فيها نقدا والاخر في الذمه نسيئة فان العين عند العرب ما كان حاضرا
والدين ما كان غايبا قال الشاعر وعدتنا بدرهمينا طلا
وشوا محلا غير دين اخر لترم بي المنايا حيث شات اذا لم ترم بي
في احد الحفرتين اذا ما اوقدا حطبا ونارا فذاك الموت نقدا غير دين وقد
بين الله تعالى هذا المعنى بقوله تعالى الى اجل مسمى الثالثه قوله تعالى الى
اجل مسمى قال ابن المنذر دل قول الله تعالى الى مسمى على ان السلم الى الاجل
المجهول غير جايز ودلت سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم على مثل معنى
كتاب الله تعالى ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قدم المدينه وهم
يسلفون في الثمار السنتين والثلاث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اسلف في تمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى اجل معلوم رواه
ابن عباس اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وقال ابن عمر كان اهل الجاهليه
يتبايعون لحم الجزور الى حبل الحبله وحبل الحبله ان تنتج الناقه ثم تحمل التي
ثم تحمل التي نتجت فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك واجمع
كل من يحفظ عنه من اهل العلم على ان السلم الجايز ان يسلم الرجل الى صاحبه
في طعام معلوم موصوف من طعام ارض عامه لا يخطي مثلها بكيل معلوم
الى اجل معلوم بدنانير او دراهم معلومه تدفع ثمن ما اسلم فيه قبل
ان يفترقا من مقامهما الذي تبايعا فيه وسميا المكان الذي يقبض فيه
الطعام فاذا فعلا ذلك وكان جايز الامر كان سلما صحيحا لا اعلم احدا
من اهل العلم يبطله قلت وقال علماونا ان السلم الى الحصاد والجذاذ والنيروز
والمهرجان جايز اذ ذلك يختص بوقت وزمن معلوم الرابعه حد علماونا و[illegible]

رحمه الله عليهم

رحمه الله عليهم السلم فقالوا هو بيع معلوم في الذمه محصور بالصفه
جازم اوما هو في حكمها الى اجل معلوم فتقييده بمعلوم في الذمه يفيد
التحرز من المجهول ومن السلم في الاعيان المعينه مثل الذي كانوا يسلفون
في المدينه حين قدم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يسلفون
في ثمار نخيل باعيانها فنهاهم عن ذلك لما فيه من الغرر اذ قد تخلف تلك
الاشجار فلم تثمر شيا وقولهم محصور بالصفه تحرز عن المعلوم على الجمله دون
التفصيل كما لو اسلم في تمر او ثياب او حيتان ولم يبين نوعها ولا صفتها
المعينه وقولهم بعين جازم تحرز من الدين بالدين وقولهم اوما هو في
حكمها تحرز من اليومين والثلاثه التي يجوز تاخير راس مال السلم اليه فانه
يجوز تاخيره عندنا ذلك القدر بشرط وبغير شرط لقرب ذلك ولا يجوز
اشتراطه عليها ولم يجز الشافعي ولا الكوفي تاخير راس مال السلم عن العقد ولا
وراوا انه كالصرف ودليلنا ان البابين مختلفان باخص اوصافهما فان
الصرف بابه ضيق كثرت فيه الشروط بخلاف السلم فان شوايب المعاملات
عليه اكثر والله اعلم وقولهم الى اجل معلوم تحرز من السلم الحال فانه لا يجوز
على المشهور وسياتي ووصفا الاجل بالمعلوم تحرز من الاجل المجهول كالذي
كانوا في الجاهليه يسلمون اليه **الخامسه** السلم والسلف عبارتان
عن معبر واحد وقد جا في الحديث غير ان الاسم الخاص بهذا الباب السلم
لان السلف يقال على القرض والسلم بيع من البيوع الجايزه الاتفاق مستثنى
من نهيه عليه السلام عن بيع ما ليس عندك وارخص في السلم لان السلم
لما كان بيع معلوم في الذمه كان بيع غايب تدعو اليه ضروره كل واحد
من المتبايعين فان صاحب راس المال محتاج الى ان يشتري الثمره وصاحب

التمرة محتاج الى ثمنها قبل اباتها لنفقه عليها فظهر ان بيع السلم من
المصالح الحاجيه وقد سماه الفقها بيع المحاويج فان جاز حالا بطلت
هذه الحكمه وارتفعت هذه المصلحه ولم يكن لاستثنايه من بيع ما
ليس عندك فايدة والله اعلم السادسه في شروط السلم المتفق عليها
والمختلف فيها وهي تسعه سته في المسلم فيه وثلاثه في راس مال السلم اما
السته التي في المسلم فيه فان يكون في الذمة وان يكون موصوفا وان
يكون مقدرا وان يكون موجلا وان يكون الاجل معلوما وان يكون
موجودا عند محل الاجل واما الثلاثه التي في راس مال السلم فان
يكون معلوم الجنس مقدرا نقدا وهذه الشروط الثلاثه التي في
راس المال متفق عليها الا النقد حسب ما تقدم قال ابن العربي واما
الشرط الاول وهو ان يكون في الذمه فلا اشكال ان المقصود
منه في الذمة لانه مداينة ولولا ذلك لم يشرع دينا ولا قصد الناس
اليه ربحا ورفقا وعلى ذلك القول اتفق الناس بيد ان مالكا قال لا يجوز السلم
في العين الا بشرطين احدهما ان يكون قريبه مامونه والثاني ان يشرع في
اخذه كاللبن من الشاه واللبن من السخله ولم يقل احد ذلك سواه وهاتان
المسلتان صحيحتان في الدليل لان التعيين ممتنع في السلم مخافه المزابنه
والغرر لئلا يتعذر عند المحل واذا كان الموضع مامونا لا يتعذر وجود
ما فيه في الغالب جاز ذلك اذ لا يتيقن ضمان العواقب على القطع في
مسايل الفقه ولا بد من احتمال الغرر اليسير وذلك كثير في مسايل
الفروع تعدادها في كتب المسايل واما السلم في اللبن والرطب مع
المشروع في اخذه فهي مسالة مدنية اجتمع عليها اهل المدينة وهي

مبنيه على قاعده المصلحه لان المرء يحتاج الى اخذ اللبن والرطب مياومة
ويشق ان ياخذ كل يوم ابتدا لان النقد قد لا يحضر ولان السعر قد لا
يختلف عليه وصاحب النخل واللبن يحتاج الى النقد لان الذي عنده عروض
لا يتصرف له فلما اشتركا في الحاجه رخص لهما في هذه المعامله قياسا على
العرايا وغيرها من اصول الحاجات والمصالح واما الشرط الثاني وهو
ان يكون موصوفا فمتفق عليه واما الشرط الثالث والتقدير
يكون من ثلاثة اوجه الكيل والوزن والعدد وذلك ينبني على العرف
وهو اما عرف الناس واما عرف الشرع واما الشرط الرابع وهو ان
يكون مؤجلا فاختلف فيه فقال الشافعي يجوز السلم الحال ومنعه
الاكثر من العلما قال ابن العربي واضطربت المالكيه في تقدير الاجل حتى
ردوه الى يوم حتى قال بعض علمائنا السلم الحال جائز والصحيح انه لا
بد من الاجل فيه لان المبيع على ضربين معجل وهو المعين ومؤجل فان كان حالا
ولم يكن عند المسلم اليه فهو من باب بيع ما ليس عندك ولا بد من
الاجل حتى يخلص كل عقد على صفته وعلى شروطه وتتنزل الاحكام
الشرعيه منازلها وتحديده عند علمائنا مدة تختلف الاسواق في مثلها
وقول الله تعالى الى اجل مسمى وقوله عليه السلام الى اجل معلوم يغني
عن قول كل قائل قلت الذي اجازه علماونا من السلم الحال ما يختلف
البلدان من الاسعار فيجوز السلم فيما بينه وبينه يوم او يومين او
ثلاثه واما البلد الواحد فلا لان سعره واحد والله اعلم واما الشرط
الخامس وهو ان يكون الاجل معلوما فلا خلاف فيه بين الامه لوصف
الله تعالى ونبيه الاجل بذلك وانفرد مالك دون الفقها بالامصار بجواز

البيع الى الجذاذ والحصاد لانه راه معلوما وقد مضى القول في هذا عند قوله تعالى يسالونك عن الاهله واما الشرط السادس وهو ان يكون موجودا عند المحل فلا خلاف فيه بين الامه ايضا فان انقطع المبيع عند محل الاجل بامر من الله تعالى انفسخ العقد عند كافه العلما التابعه ليس من شرط السلم ان يكون المسلم مالكا للمسلم فيه خلافا لبعض السلف لما رواه البخاري عن محمد بن ابي المجالد قال بعثني عبد الله بن شداد وابو برده الى عبد الله بن ابي اوفى فقالا اسأله هل كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسلفون في الحنطة فقال عبد الله كنا نسلف نبيط اهل الشام في الحنطه والشعير والزيت في كيل معلوم الى اجل معلوم قلت الى من كان اصله عنده قال ما كنا نسالهم عن ذلك ثم بعثاني الى عبد الرحمن بن ابزى فسالته فقال كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسلفون على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم نسالهم الهم حرث ام لا وشرط ابو حنيفه وجود المسلم فيه من حين العقد الى الاجل مخافه ان يطلب المسلم فيه فلا يوجد فيكون ذلك غررا وخالفه سائر الفقها وقالوا المراعى وجوده عند الاجل وشرط الكوفيون والثوري ان يذكر موضع القبض فيما له حمل ومؤنه وقالوا السلم اذا لم يذكر موضع القبض فاسد وقال الاوزاعي هو مكروه وعندنا لو سكتوا عنه لم يفسد العقد ويتعين موضع العقد للقبض وبه قال احمد واسحق وطايفه من اهل الحديث لحديث ابن عباس فانه ليس فيه ذكر المكان الذي يقبض فيه السلم ولو كان من شروطه لبينه النبي عليه السلام كما بين الكيل والوزن والاجل ومثله حديث ابن ابي اوفى الثامنه روى ابو داود

عن سعد يعني

عن سعد يعني الطاي عن عطيه بن سعد عن ابي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلف في شي فلا يصرفه الي غيره قال
ابو محمد عبد الحق عطيه هو العوفي ولا يحتج احد بحديثه وان كان الجمله
قد رووا عنه قال مالك الامر عندنا فيمن سلف في طعام بسعر
معلوم الي اجل مسمي فحل الاجل فلم يجد المتاع عند البايع وفا مما ابتاع
منه فاقاله انه لا ينبغي له ان ياخذ منه الا ورقه او ذهبه او الثمن الذي
دفع اليه بعينه وانه لا يشتري منه بذلك الثمن شيا حتى يقبضه منه
[illegible] اخذ غير الثمن الذي دفع اليه او صرفه في سلعه غير الطعام
الذي ابتاع منه فهو بيع الطعام قبل ان يستوفي قال مالك وقد نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الطعام قبل ان يستوفي التاسعه
قوله تعالى فاكتبوه يعني الاجل والدين ويقال امر بالكتابه ولكن المراد الكتابه
والاشهاد لان الكتابه بغير شهود لا تكون حجه ويقال امر بالكتابه لكي لا
ينسي روى ابو داود الطيالسي في مسنده عن حماد بن سلمه عن علي بن زيد
عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم في قول الله عز وجل اذا تداينتم بدين الي اجل مسمي فاكتبوه الي
اخر الايه ان اول من جحد ادم عليه السلام ان الله اراه ذريته فراى
رجلا ازهر ساطعا نوره فقال يا رب من هذا قال هذا ابنك داود
قال يا رب فما عمره قال ستون سنه قال يا رب زده قال لا الا ان
تزيده من عمرك قال وما عمري قال الف سنه قال ادم فقد وهبت
له اربعين سنه قال فكتب الله عليه كتابا واشهد عليه ملايكته فلما حضرته
الوفاه جاته الملايكه قال انه بقي من عمري اربعون سنه قالوا انك قد وهبته

في عمره

لابنك داود قال ما وهبت لاحد شيا قال فاخرج الكتاب واشهد
عليه ملايكته في رواية واتم لداود مايه سنه ولادم عمره الف سنة
فاكتبوه م خرجه الترمذي وفي قوله اشارة ظاهره الى انه يكتبه بجميع صفته المبينة
له المعربة عنه للاختلاف المتوهم بين المتعاملين المعرفة للحاكم ما يحكم به عند
ارتفاعهما اليه العاشرة ذهب بعض الناس الى ان كتب الديون واجب
على اربابها فرض بهذه الاية بيعا كان او قرضا ليلا يقع فيه نسيان او جحود
وهو اختيار الطبري وقال ابن جريج من ادان فليكتب ومن باع فليشهد
الشعبي كانوا يرون ان قوله فان امن ناسخ لامره بالكتب وحكي نحوه عن ابن
جريج وقاله ابن زيد وروي عن ابي سعيد الخدري وذهب الربيع الى ان ذلك
واجب بهذه الالفاظ ثم خففه الله تعالى بقوله فان امن بعضكم بعضا وقال
الجمهور الامر بالكتب ندب الى حفظ الاموال وازالة الريب واذا كان
الغريم تقيا فما يضره الكتاب وان كان غير ذلك فالكتب ثقاف دينه وحاجة
صاحب الحق قال بعضهم ان اشهدت فحزم وان ايتمنت ففي حل وسعة ابن
عطية وهذا هو القول الصحيح ولا يترتب نسخ في هذا لان الله تعالى ندب
الى الكتاب فيما للمرء ان يهبه ويتركه باجماع فندبه انما هو على جهة الحيطة
للناس الحادية عشرة قوله تعالى وليكتب بينكم كاتب قال عطا
وغيره واجب على الكاتب ان يكتب وقاله الشعبي وذلك اذا لم يوجد كاتب
سواه فواجب عليه ان يكتب السدي واجب مع الفراغ وحذفت اللام من
الاول واثبتت في الثاني لان الثاني غايب والاول للمخاطب وقد ثبتت
في المخاطب ومنه قوله تعالى فلتفرحوا بالتاء وتحذف في الغايب ومنه
محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من شي تبالا الثانية عشرة

قوله تعالى

قوله تعالى بالعدل اي بالحق والمعدله اي لا يكتب لصاحب الحق اكثر مما قاله
ولا اقل وانما قال بينكم ولم يقل احدكم لانه لما كان الذي له الدين يتهم في
الكتابه للذي عليه ولذلك بالعكس شرع الله سبحانه كاتبا غيرهما يكتب
بالعدل لا يكون في قلبه ولا قلمه هواده لاحدهما على الاخر وقيل
ان الناس لما كانوا يتعاملون حتى لا يشذ احدهم عن المعامله وكان منهم
من يكتب ومن لا يكتب امر الله سبحانه ان يكتب بينهم كاتب بالعدل
الثالثة عشرة الباء في قوله تعالى بالعدل متعلقه بقوله
وليكتب وليست متعلقه بكاتب لانه كان يلزم الا يكتب وثيقه الا
العدل في نفسه وقد يكتبها الصبي والعبد والمسخوط اذا اقاموا فقهها
اما ان المنتصبين لكتبها لا يجوز للولاه ان يتركوهم الا عدولا مرضيين
قال مالك رحمه الله لا يكتب الوثائق بين الناس الا عارف بها عدل في
نفسه مامون لقوله تعالى وليكتب بينكم كاتب بالعدل قلت
فالباء على هذا متعلقه بكاتب اي ليكتب بينكم كاتب عدل فبالعدل في
موضع الصفه الرابعة عشرة قوله تعالى ولا ياب كاتب
ان يكتب نهى الله الكاتب عن الاباية واختلف الناس في وجوب الكتابه على
الكاتب والشهادة على الشاهد فقال الطبري والربيع واجب على
الكاتب اذا امر ان يكتب وقال الحسن ذلك واجب عليه في الموضع الذي
لا يقدر على كاتب غيره فيضر صاحب ان امتنع فان كان كذلك فهو فريضه
وان قدر على كاتب غيره فهو في سعة اذا قام به غيره السدي واجب عليه
في حال فراغه وقد تقدم وحكى المهدوي عن الربيع والضحاك ان قوله ولا
ياب منسوخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد قلت هذا يتمشى على

على قول من راى او ظن انه قد كان وجب في الاول على كل من اختاره المتبا
ان يكتب وكان لا يجوز له ان يمتنع حتى نسخه قوله تعالى ولا يضار كاتب ولا
شهيد وهذا بعيد فانه لم يثبت وجوب ذلك على كل من اراده المتبايعان
كاينا من كان ولو كانت الكتابة واجبة ما صح الاستيجار لها لان
الاجارة على فعل الفروض باطلة ولم تختلف العلما في جواز اخذ الاجرة
على كتب الوثيقة ابن العربي والصحيح انه امر ارشاد فلا يكتب حتى ياخذ حقه
وابى يابى شاذ ولم يجي الا في قلى يقلى وابى يابى وغشى يغشى وجبى الخراج يجبى
وقد تقدم والله اعلم الخامسة عشرة قوله تعالى كما علمه الله
فليكتب الكاف في كما متعلقة بقوله ان يكتب المعنى كتبا كما علمه الله ويحتمل ان
تكون متعلقة بما في قوله ولا ياب من المعنى اي كما انعم الله عليه بعلم الكتابة
فلا يابى وليفضل كما افضل عليه ويحتمل ان يكون الكلام على هذا المعنى تاما
عند قوله ان يكتب ثم يكون كما علمه الله ابتدا كلام ويكون الكاف متعلقة
بقوله فليكتب السادسة عشرة قوله تعالى وليملل الذي عليه
الحق وهو المديون المطلوب يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه والاملا
والاملال لغتان مل واملى فامل لغة اهل الحجاز وبني اسد وتميم
تقول امليت وجا القران باللغتين قال عز وجل فهي تملى عليه بكرة واصيلا
والاصل امللت ابدل من اللام يا لانه اخف فامر الله تعالى الذي
عليه الحق بالاملا لان الشهادة انما تكون بسبب اقراره وامره تعالى
بالتقوى فيما يمل ونهى ان يبخس شيا من الحق والبخس النقص ومن هذا المعنى
قوله ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن السابعة
عشرة قوله تعالى فان كان الذي عليه الحق سفيها قال بعض الناس اي

صغيرا

صغيراً او هو خطأ فان السفيه قد يكون كبيراً على ما ياتى بيانه او ضعيفا اي كبيراً لا عقل له او لا يستطيع ان يمل جعل الله الذى عليه الحق اربعة اصناف مستقل لنفسه يمل وثلاثة اصناف لا يملون وتقع نوادلهم في كل دين ولون الحق يترتب لهم في جهات سوى المعاملات كالمواريث اذا قسمت وغير ذلك وهم السفيه والضعيف والذى لا يستطيع ان يمل الهلهل الراي في المال الذى لا يحسن الاخذ لنفسه ولا الاعطا منها مشبه بالثوب السفيه وهو الخفيف النسج والبذئ اللسان يسمى سفيها لانه يكاد لا يتفق البذاء الا في جهال الناس واصحاب العقول الخفيفه والعرب تطلق السفيه على ضعف العقل تارة وعلى ضعف البدن اخرى قال الشاعر نخاف ان تسفه احلامنا ونحمل الدهر مع الخامل وقال ذو الرمه مشين كما اهتزت رماح تسفهت اعاليها مر الرياح النواسم اي استضعفها واستلانها حركتها وقد قالوا الضعف بضم الضاد في البدن وفتحها في الراي وقيل لغتان والاول اصح لما رواه ابو داود عن انس بن ملك ان رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبتاع وفي عقدته ضعف فاتى اهله نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا نبي الله احجر على فلان فانه يبتاع وفي عقدته ضعف فدعاه النبى صلى الله عليه وسلم فنهاه عن البيع فقال يا نبي الله انى لا اصبر عن البيع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت غير تارك البيع فقل هاوها ولا خلابه اخرجه ابو عيسى محمد بن عيسى السلمي الترمذى من حديث انس وقال هو صحيح وقال ان رجلا كان في عقله ضعف وذكر الحديث وذكر البخاري في التاريخ وقال فيه اذا بايعت فقل لا خلابه وانت في كل سلعة ابتعتها

فالسفيه م

بالخيار ثلاث ليال وهذا الرجل هو حبان بن منقذ بن عمرو الانصاري والد يحيى
وواسع ابني حبان وقيل هو منقذ جد يحيى وواسع شيخي مالك وكان
حبان اتى عليه مائة وثلاثون سنة وكان شج في بعض مغازيه مع النبي صلى الله
عليه وسلم مامومة خبل منها عقله ولسانه روى الدارقطني قال كان
حبان بن منقذ رجلا ضعيفا ضرير البصر وكان قد سفع في راسه مامومة
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم له الخيار فيما يشتري ثلاثة ايام وكان قد
ثقل لسانه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بع وقل لا خلابة فلنت اسمعه
يقول لا خذابه لا خذابه اخرجه من حديث ابن عمر والخلابة الخديعة ومنه
قولهم اذا لم تغلب فاخلب والله اعلم **الثامنة عشرة** اختلف العلما
فيمن يخدع في البيوع لقلة خبرته وضعف عقله فهل يحجر عليه ام لا فقال
بالحجر عليه احمد واسحاق وقال اخرون لا يحجر عليه والقولان في المذهب والصحيح
الاول لهذه الاية ولقوله في الحديث يا نبي الله احجر على فلان وانما ترك
الحجر عليه لقوله يا نبي الله لا اصبر عن البيع فاباح له البيع وجعله خاصة
به لان من يخدع في البيوع ينبغي ان يحجر عليه لا سيما اذا كان ذلك لخبل
ومما يدل على الخصوصية ما رواه محمد بن اسحق قال حدثني محمد بن يحيى بن
حبان قال هو جدي منقذ بن عمرو وقد اصابته امة في راسه فكسرت
لسانه ونازعته عقله وكان لا يدع التجارة ولا يزال يغبن فاتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال اذا بعت فقل لا خلابة ثم انت في
كل سلعة تبتاعها بالخيار ثلاث ليال فان رضيت فامسك وان سخطت فاردد
على صاحبها وقد كان طويلا ثين ومائة سنة وكان في زمن عثمان بن عفان رضي الله
عنه حين فشا الناس وكثروا يبتاع البيع في السوق ويرجع به الى اهله وقد

غبن غبنا قبيحا

غبن عبنا فيها فيلومونه ويقولون له تبتاع فيقول انا بالخيار ان ضيت اخذت وان سخطت اخذت رددت قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلني بالخيار فيرد السلعة على صاحبها من الغد وبعد الغد فيقول والله لا اقبلها قد اخذت سلعتي واعطيتني دراهمي قال يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعلني بالخيار ثلاثا فكان يمر بالرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول للتاجر ويحك انه قد صدق وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان جعله بالخيار ثلاثا اخرجه الدارقطني وذكر ابو عمر في الاستيعاب وقال قد ذكر البخاري في التاريخ عياش بن الوليد عن عبد الاعلى عن ابن اسحاق **التاسعة عشرة** قوله تعالى او ضعيفا الضعيف هو المدخول العقل الناقص الفطرة العاجز عن الاملا اما لعيه او لخرسه وجهله باداء الكلام وهذا ايضا قد يكون وليه ابا او وصيا والذي لا يستطيع ان يمل هو الصغير ووليه وصيه او ابوه والغايب عن موضع الاشهاد اما لمرض او لغير ذلك من العذر ووليه وكيله واما الاخرس فيسوغ ان يكون من الضعفا والاولى انه ممن لا يستطيع فهذه اصناف تتميز وسيا في النسا بيانها والكلام عليها ان شا الله تعالى **الموفية عشرين** قوله تعالى فليملل وليه بالعدل ذهب الطبري الى ان الضمير في وليه عايد على الحق واسند في ذلك عن الربيع وعن ابن عباس وقيل هو عايد على الذي عليه الحق وهو الصحيح وما روي عن ابن عباس لا يصح وكيف تشهد البينة على شي وتدخل مالا في ذمة السفيه باملا الذي له الدين هذا شي ليس في الشريعة الا ان يريد قايله ان الذي لا يستطيع ان يمل لمرض او كبر سن لثقل لسانه عن الاملا او لخرس وان عند احد من العلما مثل ما يثبت على الصبي والسفيه عند من يحجر عليه فاذا كان

لذلك فليملل صاحب الحق بالعدل ويسمع الذي عجز فاذا كمل الاملا اقرّ به وهو
معنى لم يعني الاية اليه ولا يصح هذا الا فيمن لا يستطيع ان يمل لمرض ونحوه لعدم
معه **الحادية والعشرون** واذا ثبت ان المراد الولي ففيه دليل على ان اقراره
جايز على يتيمه لانه اذا املاه فقد نفذ قوله فيما املاه **الثانية والعشرون**
وتصرف السفيه المحجور عليه دون اذن وليه فاسد اجماعا مفسوخ ابدا لا يوجب
حكما ولا يورث شيا فان تصرف سفيه ولا حجر عليه ففيه خلاف ياتي بيانه في النسا
ان شا الله تعالى **الثالثة والعشرون** قوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم
الاستشهاد طلب الشهاد واختلف الناس هل هي فرض او ندب والصحيح انه ندب
على ما ياتي ان شا الله تعالى **الرابعة والعشرون** قوله تعالى شهيدين
رتب الله تعالى الشهاده بحكمته في الحقوق الماليه والبدنيه والحدود وجعل
لكل فن شهيدين الا في الزنا على ما ياتي بيانه في سورة النسا وشهيد بنا مبالغه
وفي ذلك دلاله على من قد شهد وتكرر ذلك منه فكانه اشاره الي العداله
والله اعلم **الخامسة والعشرون** قوله تعالى من رجالكم نص في رفض الكفار
والصبيان والنسا واما العبيد فاللفظ يتناولهم وقال مجاهد المراد الاحرار
واختاره القاضي ابو اسحق واطنب فيه وقد اختلف العلما في شهادة العبد
فقال شريح وعثمان البتي واحمد واسحاق وابو ثور شهادة العبد جايزه اذا
كان عدلا وغلبوا لفظ الاية وقال مالك والشافعي وابو حنيفه وجمهور العلما
لا تجوز شهادة العبد وغلبوا نقص الرق واجازها الشعبي والنخعي في الشي
اليسير والصحيح قول الجمهور لان الله تعالى قال يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم
بدين وساق الخطاب الى قوله من رجالكم فظاهر الخطاب يتناول الذين
يتداينون والعبيد لا يملكون ذلك دون اذن السادة فان قالوا ان خصوص

اول الاية

اول الاية مما يمنع التعلق بعموم اخرها قيل لهم هذا يخصه قوله تعالى ولا
يأب الشهدا اذا ما دعوا على ما ياتي بيانه **السادسة والعشرون**
قوله من رجالكم دليل على ان الاعمى من اهل الشهاده لكن اذا علم يقينا مثل ما روي
عن ابن عباس قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشهادة فقال
ترى هذه الشمس فاشهد على مثلها او دع وهذا يدل على اشتراط معاينه
الشاهد لما يشهد به لا من يشهد بالاستدلال الذي يجوز ان يخطي نعم
يجوز له وطي امراته اذا عرف صوتها لان الاقدام على الوطي جايز بغلبه الظن
فلو زفت اليه امراة وقيل له هذه امراتك وهو لا يعرفها جاز له وطيها ويحل
له قبول هدية جاته بقول الرسول ولو اخبره مخبر عن زيد باقرار
او بيع او قذف او غصب لما جاز له اقامة الشهادة على المخبر عنه لان
سبيل الشهادة اليقين وفي غيرها يجوز استعمال غالب الظن ولذلك قال الشافعي
وابن ابي ليلى وابو يوسف اذا علمه قبل العمى جازت الشهادة بعد العمى ويكون
العمى الحايل بينه وبين المشهود عليه كالغيبه والموت في المشهود عليه فهذا
مذهب هولا والذي يمنع اذا الاعمى فيما تحمل بصيرا لا وجه له وتصح شهادته
بالنسب الذي يثبت بالخبر المستفيض كما يخبر عما تواتر حكمه من الرسول صلى
الله عليه وسلم ومن العلما من قبل شهادة الاعمى فيما طريقه الصوت لانه راي
الاستدلال بذلك يترقى الى حد اليقين وراي ان اشتباه الاصوات
كاشتباه الصور والالوان وهذا ضعيف يلزم منه جواز الاعتماد على
الصوت للبصير قلت مذهب ملك في شهادة الاعمى على الصوت جايزه في
الطلاق وغيره اذا عرف الصوت قال ابن القاسم قلت لملك فالرجل يسمع جاره
من وراء الحايط ولا يراه يسمعه يطلق امراته فيشهد عليه وقد عرف الصوت قال

قال ملك شهادة جائزة وقال ذلك علي بن ابي طالب والقاسم
وشريح الكندي والشعبي وعطا بن ابي رباح ويحيى بن سعيد وربيعة وا[illegible]
النخعي وملك والليث **السابعة والعشرون** قوله تعالى فان لم يكونا
رجلين فرجل وامراتان المعنى ان لم يات الطالب برجلين فليات برجل وامراتين هذا
قول الجمهور فرجل رفع بالابتدا وامراتان عطف عليه والخبر محذوف اي فرجل
وامراتان يقومان مقامهما ويجوز النصب في غير القران اي فاستشهدوا
رجلا وامراتين وحكى سيبويه ان خنجرا فخنجرا وقال قوم بل المعنى فان لم يكن
رجلان اي لم يوجدا فلا يجوز استشهاد المراتين الا مع عدم الرجال قال
بن عطيه وهذا ضعيف ولفظ الاية لا يعطيه بل الظاهر منه قول
الجمهور اي ان لم يكن المستشهد رجلين اي ان اغفل ذلك صاحب الحق او قصده لعذر
ما فليستشهد رجلا وامراتين فجعل تعالى شهادة المراتين مع الرجل جائزة
مع وجود الرجلين في هذه الاية ولم يذكرها في غيرها فاجيزت في الاموال
خاصة في قول الجمهور بشرط ان يكون معهما رجل وانما كان ذلك في الاموال
دون غيرها لكثرة اسباب توثيقها لكثرة جهات تحصيلها وعموم البلوى
بها وتكررها فجعل فيها التوثق تارة بالكتبة وتارة بالاشهاد وتارة
بالرهن وتارة بالضمان وادخل في جميع ذلك شهادة النسا مع الرجال
ولا يتوهم عاقل ان قوله اذا تداينتم بدين يشتمل على دين المهر مع البضع
وعلى الصلح عن دم العمد فان تلك الشهادة ليست شهادة على الدين
بل هي شهادة على النكاح واجاز العلما شهادتهن منفردات فيما لا يطلع
عليه غيرهن للضرورة وعلى مثل ذلك اجيزت شهادة الصبيان في
الجراح بينهم للضرورة وقد اختلف العلما في شهادة الصبيان .

في الجراح

بينهم وهي الثامنه والعشرون فاجازها مالك مالم يختلفوا
او يفترقوا ولا يجوز اقل من شهادة اثنين منهم على صغير لكبير ولكبير
على صغير وممن رأى ان يقضي بشهادة الصبيان فيما بينهم من الجراح عبد الله بن
الزبير وقال مالك وهو الامر عندنا المجتمع عليه ولم يجز الشافعي وابو حنيفه
واصحابه شهادتهم لقوله تعالى من رجالكم وقوله ممن ترضون وقوله ذوي عدل
منكم وهذه الصفات ليست في الصبي **التاسعة والعشرون** لما جعل
الله سبحانه شهادة امراتين بدل شهادة رجل وجب ان يكون حكمهما حكمه فيما
له ان يحلف مع الشاهد عندنا وعند الشافعي كذلك يجب ان يحلف مع شهادة
امراتين بمطلق هذه العوضيه وخالف في هذا ابو حنيفه واصحابه فلم يروا
اليمين مع الشاهد وقالوا ان الله سبحانه قسم الشهادة وعددها ولم
يذكر الشاهد واليمين فلا يجوز القضا به لانه يكون قسما ثالثا على ما
قسمه الله وهذه زيادة على النص وذلك نسخ وممن قال بهذا القول
الثوري والاوزاعي وعطا والحكم بن عتيبه وطايفه قال بعضهم الحكم
باليمين مع الشاهد منسوخ بالقران وزعم عطا انه اول من قضى به عبد
الملك بن مروان وقال الحكم القضا باليمين والشاهد بدعه واول من
حكم به معاوية وهذا كله غلط وظن لا يغني من الحق شيا وليس من نفي
وجهل كمن اثبت وعلم وليس في قول الله تعالى واستشهدوا شهيدين
من رجالكم الايه ما يرد به قضا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليمين مع
الشاهد ولانه لا يتوصل الى الحقوق ولا يستحق الا بما ذكر فيها لا غير فان
ذلك يبطل بنكول المطلوب ويمين الطالب فان ذلك يستحق به المال اجماعا
وليس في كتاب الله تعالى وهذا قاطع في الرد عليهم قال مالك فمن الحجه على

من قال ذلك ان يقال له ارايت لو ان رجلا ادعى على رجل مالا اليس
يحلف المطلوب ما ذلك الحق عليه فان حلف بطل ذلك الحق عنه وان
نكل عن اليمين حلف صاحب الحق ان حقه لحق وثبت حقه على صاحبه فهذا
ما لا اختلاف فيه عند احد من الناس ولا ببلد من البلدان فباي شي اخذ
هذا وفي كتاب الله وجده فمن اقر بهذا فليقر باليمين مع الشاهد قال
علماونا ثم العجب مع شهرة الاحاديث وصحتها بدعوى من عمل بها حتى نقضوا
حكمه واستقصروا علمه مع انه قد عمل بذلك الخلفا الاربعة وابي بن كعب
ومعاوية وشريح وعمر بن عبد العزيز وكتب الى عماله واياس بن معاويه
وابو سلمه بن عبد الرحمن وابو الزناد وربيعه ولذلك قال ملك
وانه ليكفي من ذلك ما مضى من عمل السنة اترى هولاي تنقض
احكامهم ويحكم ببدعتهم هذا اغفال شديد ونظر غير سديد وروى
الايمه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قضى باليمين مع الشاهد
قال عمرو بن دينار في الاموال خاصه رواه سيف بن سليمان عن قيس
بن سعد عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال ابو عمر هذا اصح اسناد لهذا
الحديث وهو حديث لا مطعن لاحد في اسناده ولا اختلاف بين اهل
المعرفه بالحديث في ان رجاله ثقات قال يحيى القطان سيف بن سليمان
ثبت ما رايت احفظ منه وقال النساي هذا اسناد جيد سيف ثقة
وقيس ثقه وقد خرج مسلم حديث ابن عباس هذا قال ابو بكر البزار
سيف بن سليمان وقيس بن سعد ثقتان ومن بعدهما يستغنى عن
ذكرهما لشهرتهما في الثقه والعدالة ولم يات عن احد من الصحابه انه انكر
اليمين مع الشاهد بل جا عنهم القول به وعليه جمهور اهل العلم بالمدينة

واختلف فيه

واختلف فيه عن عروة بن الزبير وبن شهاب فقال معمر سالت الزهري
عن اليمين مع الشاهد فقال هذا شي احدثه الناس لا بد من شهيدين
وقد روي عنه انه اول ما ولي القضا حكم بشاهد ويمين وبه قال ملك
واصحابه والشافعي واتباعه واحمد واسحق وابو عبيد وابو ثور وداود
بن علي وجماعه اهل الاثر وهو الذي لا يجوز عندي خلافه لتواتر الاثار
به عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمل اهل المدينه قرنا بعد قرن وقال
ملك يقضى باليمين مع الشاهد في كل البلدان ولم يحتج في موطاه لمسئلة
غيرها ولم يختلف عنه في القضا باليمين مع الشاهد ولا عن احد من
اصحابه بالمدينه ومصر وغيرهما ولا يعرف المالكيون في كل بلد غير ذلك
من مذهبهم الا عندنا بالاندلس فان يحيى بن يحيى زعم انه لم ير الليث
يفتي ولا يذهب اليه وخالف يحيى مالكا في ذلك مع مخالفته السنه والعمل
بدار الهجره ثم اليمين مع الشاهد زيادة حكم على لسان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كنهيه عن نكاح المراة على عمتها وعلى خالتها مع قول الله تعالى
واحل لكم ما وراء ذلكم وكنهيه عن اكل لحوم الحمر الاهليه وكل ذي ناب
من السباع مع قوله قل لا اجد وكالمسح على الخفين والقران انما ورد بغسل
الرجلين او مسحهما ومثل هذا كثير ولو جاز ان يقال ان القران نسخ حكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم باليمين مع الشاهد لجاز ان يقال ان القران
في قوله عز وجل واحل الله البيع وحرم الربا وفي قوله الا ان تكون تجارة
عن تراض منكم ناسخ لنهيه عن المزابنة وبيع الغرر وبيع ما لم يخلق الى
سائر ما نهى عنه في البيوع وهذا لا يسوغ لاحد لان السنة مبينة
للكتاب فان قيل انما ورد من الحديث قضية فلا عموم قلنا بل ذلك عبارة

عن تقعيد هذه القاعدة فانه قال اوجب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحكم باليمين والشاهد وما يشهد لهذا التاويل ما رواه ابو داود
في حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بشاهد
ويمين في الحقوق ومن جهة القياس والنظر انا وجدنا اليمين اقوى
من المراتين لانهما لا مدخل لهما في اللعان واليمين يدخل في اللعان واذا
صحت السنة فالقول بها يجب ولا تحتاج السنة الى ما يتابعها لان
من خالفها محجوج بها وبالله التوفيق الموفية ثلاثين
واذا تقرر ثبت الحكم باليمين مع الشاهد فقال القاضي ابو محمد عبد
الوهاب ذلك في الاموال وما يتعلق بها دون حقوق الابدان للاجماع
على ذلك من كل قايل باليمين مع الشاهد قال لان حقوق الاموال
اخفض من حقوق بدليل قبول شهادة النسا فيها وقد اختلف قول
ملك في الجراح العمد هل يجب القود فيها بالشاهد واليمين فيه روايتان
احداها انه يجب به التخيير بين القود والديه والاخرى انه لا يجب به
شي لانه من حقوق الابدان قال وهو الصحيح قال ملك في الموطا وانما يكون
ذلك في الاموال خاصة وقاله عمرو بن دينار وقال المازري تقبل في المال
المحض من غير خلاف ولا تقبل في النكاح والطلاق المحضين من غير خلاف
وان كان مضمون الشهادة ما ليس بمال ولكنه يؤدي الى المال كالشهادة بالوصية
والنكاح بعد الموت حتى لا يطلب من ثبوتها الا المال الى غير ذلك ففي قبولها
اختلاف فمن راعى المال قبلها كما تقبل في المال ومن راعى الحال لم يقبلها وفي
المهذب شهادة النسا في الحدود غير جايزة في قول عامة الفقها وكذلك
في النكاح والطلاق في قول اكثر العلما وهو مذهب ملك والشافعي

وغيرهما

وغيرها وانما يشهدن في الاموال فكل ما يشهد فيه فلا يشهدن على شهادة
غيرهن فيه كان معهن رجل او لم يكن ولا ينقلن شهادة الا مع رجل ينقلن عن
رجل وامراة ويقضى باثنين منهن في كل ما يحضره غيرهن كالولادة والاستهلال
ونحو ذلك هذا كله مذهب مالك وفي بعضه اختلاف الحادية و
الثلاثون قوله تعالى ممن ترضون من الشهدا في موضع رفع على الصفه
لرجل وامراتين قال ابن بكير وغيره وغيره هذه مخاطبه للحكام ابن عطيه
وهذا غير نبيل وانما الخطاب لجميع الناس لكن المتلبس بهذه الصفه انما هم
الحكام وهذا كثير في كتاب الله نعم الخطاب فيما يتلبس به البعض الثانية
والثلاثون لما قال تعالى ممن ترضون دل على ان في الشهود من لا
يرضى فيجي من الناس ليسوا محمولين على العداله حتى تثبت لهم وذلك معنى زايد
على الاسلام وهذا قول الجمهور وقال ابو حنيفه كل مسلم ظاهر الاسلام
مع السلامة عن فسق ظاهر فهو عدل وان كان مجهول الحال وقال
شريح وعثمان البتي وابو ثور هم عدول المسلمين وان كانوا عبيدا
قلت فعمموا ويلزم منه شهادة البدوي على القروي اذا كان عدلا مرضيا
وبه قال الشافعي ومن وافقه وهو من رجالنا واهل ديننا وكونه بدويا
ككونه من بلد اخر والعمومات في القران الدالات على قبول شهادة
العدول تسوي بين البدوي والقروي قال الله تعالى ممن ترضون
من الشهدا وقال تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم فمنكم خطاب
للمسلمين وهذا يقتضي قطعا ان يكون معنى العداله زايدة على الاسلام
ضرورة ان الصفة زايدة على الموصوف وكذلك ممن ترضون مثله خلافا
لما قال ابو حنيفة ثم لا يعلم كونه مرضيا حتى نختبر حاله فيلزم الا يكتفي

بظاهر الاسلام وذهب احمد بن حنبل ومالك في رواية بن وهب عنه
الى رد شهادة البدوي على القروي لحديث ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لا تجوز شهادة بدوي على صاحب قرية والصحيح جواز
شهادته اذا كان عدلا مرضيا على ما ياتي بيانه في النسا وبراة ان شا الله
تعالى وليس لحديث ابي هريرة فرق بين القروي في الحضر والسفر ومتى
كان في السفر فلا خلاف في قوله قال علماونا العداله هي الاعتدال في
الاحوال الدينيه وذلك يتم بان يكون مجتنبا للكباير محافظا على مروته
وعلى ترك الصغاير ظاهر الامانه غير مغفل وقيل صفا السريرة واستقا
السيره في ظن المعدل والمعنى متقارب **الثالثة والثلاثون** لما كانت
الشهادة ولاية عظيمه ومرتبه منيفه وهي قبول قول الغير شرط فيها
تعالى الرضى والعداله فمن حكم الشاهد ان يكون له شمايل ينفرد بها وفضايل
يتحلى بها حتى يكون له مزيه على غيره توجب له تلك المزية رتبة الاختصاص
بقبول قوله ويحكم بشغل ذمة المطلوب بشهادته وهذا ادل دليل
على جواز الاجتهاد والاستدلال بالامارات والعلامات عند
علماينا على ما خفي من المعاني والاحكام وسياتي لهذا في سورة يوسف
زيادة بيان ان شا الله تعالى وفيه ما يدل على تفويض الامر الى اجتهاد
الحكام فربما تفرس في الشاهد غفلة او ريبة فترد شهادته لذلك
الرابعة والثلاثون قال ابو حنيفة يكتفى بظاهر الاسلام في الاموال
دون الحدود وهذه مناقضة تسقط كلامه وتفسد عليه مرامه لانا نقول
حق من الحقوق فلا يكتفى في الشهادة عليه بظاهر الدين كالحدود قاله ابن العربي
والله اعلم **الخامسة والثلاثون** واذ قد شرط الله تعالى الرضى والعدالة

في المداينة

فى المداينه فاشتراطها فى النكاح اولى خلافا لابى حنيفه حيث قال ان النكاح
ينعقد بشهادة فاسقين فنفى الاحتياط المامور به فى الاموال عن النكاح وهو
اولى لما يتعلق به من الحل والحرمه والحد والنسب قلت قول ابى حنيفه
فى هذا الباب ضعيف جدا لشرط الله تعالى الرضى والعداله وليس يعلم
كونه مرضيا بمجرد الاسلام وانما يعلم بالنظر فى احواله حسب ما تقدم ولا
يعتبر بظاهر قوله انا مسلم فربما انطوى على ما يوجب رد شهادته مثل قوله تعالى
ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياه الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه الى قوله
والله لا يحب الفساد وقال واذا رايتهم تعجبك اجسامهم الاية السا
دسة والاثون قوله تعالى ان تضل احداهما قال ابو عبيد معنى تضل تنسى
والضلال عن الشهادة انما نسيان جزء منها وذكر جزء ويبقى المرء حيران بين ذلك
حيران ضالا ومن نسى الشهادة جمله فليس يقال ضل فيها وقرا حمزه ان بكسر الهمزه
على معنى الجزا والفا فى قوله فتذكر جوابه وموضع الشرط وجوابه رفع على
الصفه للمراتين والرجل وارتفع تذكر على الاستيناف كما ارتفع قوله ومن
عاد فينتقم الله منه هذا قول سيبويه ومن فتح ان فهى مفعول له والعامل
فيها محذوف وانتصب فتذكر على قراه الجماعة عطفا على الفعل المنصوب
بان قال النحاس ويجوز تضل بفتح التا والضاد ويجوز تضل بكسر التا وفتح الضاد
فمن قال تضل جاء به على لغه من قال ضللت تضل وعلى هذا يقول تضل فكسر التا ليدل
على ان الماضى فعلت وقرا الجحدرى وعيسى بن عمر ان تضل بضم التا وفتح الضاد
بمعنى تنسى وهكذا حكى عنهما ابو عمرو الدانى وحكى النقاش عن الجحدرى ضم التا
وكسر الضاد بمعنى ان تضل الشهادة تقول اضللت الفرس والبعير اذا تلفا
لك وذهبا فلم تجدهما السابعة والثلاثون قوله تعالى فتذكر خفف

الدال والكاف بن كثير وابو عمرو وعليه فيكون المعنى ان تردها ذكري
الشهاده لان شهادة امراة نصف شهادة فاذا شهدتا صار مجموعها
كشهادة ذكر قاله سفيان بن عيينه وابو عمرو بن العلا وفيه بعد اذ لا يحصل
في مقابله الضلال الذى معناه النسيان الا الذكر وهو معنى قراه الجماعه
فتذكر بالتشديد اي تنبهها اذا غفلت ونسيت قلت واليها ترجع
قراه ابى عمرو اي ان نسي احداهما فتذكرها الاخرى يقال تذكرت
الشي واذكرته غيري وذكرته بمعنى قاله في الصحاح الثامنة
والثلاثون قوله تعالى ولا ياب الشهدا اذا ما دعوا قال الحسن
جمعت هذه الايه امرين وهما ألا تابى اذا دعيت الى تحصيل الشهاده ولا
اذا دعيت الى ادايها وقاله بن عباس وقال قتادة والربيع وبن عباس اي
لتحملها واثباتها في الكتاب وقال مجاهد معنى الايه اذا دعيت الى اداء شهادة
وقد حصلت عندك واسند النقاش الى النبى صلى الله عليه وسلم انه فسر الايه
بهذا قال مجاهد اذا دعيت لتشهد ولا فان شيت فاذهب وان شيت
فلا وقاله ابو مجلز وعطا وابرهيم وبن جبير والسدى وبن زيد وغيرهم
وعليه فلا يجب على الشهود الحضور عند المتعاقدين وانما على المتداينين ان
يحضروا عند الشهود فاذا حضراهم وسالا اثبات شهادتهم في الكتاب فهذه
الحالة التي يجوز ان تراد بقوله تعالى ولا ياب الشهدا اذا ما دعوا لاثبات
الشهادة فاذا ثبتت شهادتهم ثم دعوا لاقامتها عند الحاكم فهذا الدعا
هو بحضورهما عند الحاكم على ما ياتى وقال بن عطيه والايه كما قال الحسن
جمعت امرين على جهة الندب فالمسلمون مندوبون الى معونه اخوانهم
فاذا كانت الفسحه لكثرة الشهود والامن من تعطيل الحق فالمدعو مندوب

فامام

وله ان

وله ان يتخلف لاذن عذر وان تخلف لغير عذر فلا اثم عليه ولا ثواب له
واذا كانت الضرورة وخيف تعطل الحقوق ذهب وتخلف بتاخر الشاهد عن
الشهادة فواجب عليه القيام بها لا سيما ان كانت محصله وكان المدعا الي
ادايها فان هذا الطرف الدلالة قلادة في العنق وامانه تقتضي الادا قلت

وقد يستلوح من هذه الايه دليل على ان جايز للامام ان يقيم للناس شهودا
ويجعل لهم من بيت المال كفايتهم فلا يكون لهم شغل الا تحمل حقوق الناس حفظا
لها وان لم يكن ذلك ضاعت الحقوق وبطلت فيكون المعنى ولا ياب الشهدا
اذا اخذوا حقوقهم ان يحضروا والله اعلم فان قيل هذه شهاده بالاجرة
قلنا انما هي شهادة خالصة من قوم استوفوا حقوقهم من بيت المال
وذلك كارزاق القضاه والولاة وجميع المصالح التي تعن للمسلمين وهذا
من جملتها والله اعلم وقد قال تعالى والعاملين عليها ففرض لهم

التاسعة والثلاثون لما قال تعالى ولا ياب الشهدا اذا ما
دعوا دل على ان الشاهد هو الذي يمشي الى الحاكم وهذا امر بني عليه الشرع وعمل
به في كل زمان وفهمته كل امه ومن امثالهم في بيته يوتى الحكم والله اعلم

الموفية اربعين واذا ثبت هذا فالعبد خارج من جملة
الشهدا وهو يخص عموم قوله من رجالكم لانه لا يمكنه ان يجيب ولا يصح له
ان ياتي لانه استقلال له بنفسه وانما يتصرف باذن غيره فانحط من
منصب الشهاده كما انحط عن منزل الولايه نعم وكما انحط عن فرض
الجمعه والجهاد والحج على ما ياتي بيانه ان شا الله تعالى **الحاديه والا**
ربعون قال علماونا هذا في حال الدعا الى الشهاده فاما من كانت
عنده شهاده لرجل لم يعلمها مستحقها الذي ينتفع بها فقال قوم اداوها

ندب لقوله تعالى ولا ياب الشهدا اذا ما دعوا ففرض الله الادا عند الدعا
فاد المدعى فانه ندب لقوله عليه السلام خير الشهدا الذى ياتى بشهادته قبل
ان يسئلها رواه الايمه والصحيح ان اداها فرض وان لم يسئلها اذا خاف على الحق
ضياعه او فوته او بطلاق وعتق على من اقام على تصرفه على الاستمتاع بالزوجه
واستخدام العبد الى غير ذلك فيجب على من تحمل شيا من ذلك ادا تلك الشهادة
ولا يقف اداوها على ان تسئل منه فيضيع الحق وقد قال تعالى واقيموا الشهاده
لله وقال الا من شهد بالحق وهم يعلمون وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم
انصر اخاك ظالما او مظلوما فقد تعين نصره باداء الشهادة التى له عنده احيا لحقه
الذى اماته الانكار **الثانية والاربعون** لا اشكال فى ان من وجبت عليه
شهادة على احد الاوجه التى ذكرنا فلم يودها انها جرحة فى الشاهد والشهادة
ولا فرق فى هذا بين حقوق الله تعالى وحقوق الادميين هذا قول ابن القاسم
وغيره وذهب بعضهم الى ان تلك الشهادة ان كانت بحق من حقوق الادميين
كان ذلك جرحه فى تلك الشهاده نفسها خاصة فلا يصلح له اداوها بعد ذلك
والصحيح الاول لان الذى يوجب جرحه انما هو فسقه بامتناعه من القيام
بما وجب عليه من غير عذر والفسق يسلب اهلية الشهادة مطلقا وهذا واضح
الثالثة والاربعون لا تعارض بين قوله عليه السلام خير الشهدا
الذى ياتى بشهادته قبل ان يسئلها وبين قوله عليه السلام فى حديث عمران بن
حصين خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران
فلا ادرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قرنه مرتين او ثلاثا ثم
يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يوتمنون
وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن اخرجه الصحيحان وهذا

الحديث

الحديث محمول على ثلاثة اوجه احدها ان يراد به شاهد الزور فانه يشهد بما لم
يستشهد اي بما لم يتحمله ولا حمله وذكر ابو بكر بن ابي شيبه ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه خطب بباب الجابيه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قام فينا كمقامي فيكم قال يا ايها الناس اتقوا الله في اصحابي ثم الذين يلونهم ثم
الذين يلونهم ثم يفشوا الكذب وشهادات الزور الوجه الثاني ان يراد
به الذي تحمله الشهادة على تنفيذ ما يشهد به فيبادر بالشهادة قبل ان يسالها
فهذه شهادة مردودة فان ذلك يدل على هوي غالب على الشاهد الثالث
ما قاله ابرهيم النخعي باثر طرق بعض هذا الحديث كانوا ينهونا عن
العهد والشهادات **الرابعة والاربعون** قوله تعالى ولا تسموا
ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله تسموا معناه تملوا قال الاخفش يقال
سئمت اسام سامه وساما وساما كما قال الشاعر سئمت تكاليف
الحياة ان تكتبوه في موضع نصب بالفعل صغيرا او كبيرا حالان من
الضمير في تكتبوه وقدم الصغير اهتماما به وهذا النهي عن السامه انما جا
لتردد المداينه عندهم فخيف عليهم ان يملوا الكتب ويقول احدهم هذا
قليل لا احتاج الى كتبه فاكد تعالى التحضيض في القليل والكثير قال علماونا
الا ما كان من قيراط ونحوه لنزارته وعدم تشوف النفس اليه اقرارا وانكارا
الخامسة والاربعون قوله تعالى ذلكم اقسط عند الله معناه
اعدل يعني ان يكتب القليل والكثير ويشهد عليه واقوم للشهادة اي اصح
واحفظ وادنى معناه اقرب وترتابوا تشكوا **السادسة والاربعون**
قوله تعالى واقوم للشهادة دليل على ان الشاهد اذا راى الكتاب ولم يذكر الشهادة
لا يوديها لما دخل عليه من الريبه فيها ولا يودي الا ما يعلم لكنه يقول هذا

خطي ولا اذكر الا ان ما اثبت فيه قال ابن المنذر اكثر من يحفظ عنه من اهل
العلم يمنع ان يشهد الشاهد على خطه اذا لم يذكر الشهاده واحتج مالك على جواز
ذلك بقوله تعالى وما شهدنا الا بما علمنا وقال بعض العلما لما نسب الله تعالى
الكتابه الى العداله وسعه ان يشهد على خطه وان لم يذكره ذكر ابن المبارك
عن معمر بن طاوس عن ابيه في الرجل يشهد على شهادة فينساها قال لا باس
ان يشهد ان وجد علامته في الصك او خط يده قال ابن المبارك استحسنت
هذا جدا وفيما جات به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حكم في
اشيا غير واحده بالدلايل والشواهد وعن الرسل من قبله ما يدل
على صحة هذا المذهب والله اعلم وسياتي لهذا مزيد بيان في الاحقاف
ان شا الله تعالى **السابعة والاربعون** قوله تعالى الا ان تكون
تجاره حاضره تديرونها بينكم ان في موضع نصب استثنا ليس من
الاول قال الاخفش اي الا ان تقع تجاره فكان بمعنى وقع وحدث وقال
وقال غيره تديرونها الخبر وقرا عاصم تجارةً على خبر كان واسمها مضمر
فيها حاضره نعت لتجارة والتقدير الا ان التجارة تجارة او الا ان تكون
المبايعه تجاره هكذا قدره مكي وابو علي الفارسي وقد تقدم نظايره
والاستشهاد عليه ولما علم الله تعالى مشقة الكتاب عليهم نص على ترك ذلك
ورفع الجناح فيه في كل مبايعه بنقد وذلك في الاغلب انما هو في قليل كالمطعوم
ونحوه لا في كثير كالاملاك ونحوها وقال السدي والضحاك هذا فيما كان يدا
بيد **الثامنة والاربعون** قوله تعالى تديرونها يقتضي التقابض
والبينونه بالمقبوض ولما كانت الرباع والارض وكثير من الحيوان لا يقبل
البينونه ولا يغاب عليه حسن الكتب فيها ولحقت في ذلك بمبايعه

الذي

الدين فكان الكتاب توثقا لما عسى ان يطرا من اختلاف الاحوال وتغير القلوب
فاما اذا تفاصلا في المعامله وتقابضا وبان كل واحد منهما بما ابتاعه من
صاحبه فقلت العادة خوف التنازع الا باسباب غامضه ونبه الشرع
على هذه المصالح في حالتي النسيه والنقد وما يغاب عليه وما لا يغاب
بالكتاب والشهادة والرهن قال الشافعي البيوع ثلاثه بيع بكتاب وشهود
وبيع برهان وبيع بامانه وقرا هذه الاية وكان ابن عمر اذا باع بنقد اشهد
واذا باع بنسيه كتبه **التاسعه والاربعون** قوله تعالى واشهدوا
قال الطبري معناه واشهدوا على صغير ذلك وكبيره واختلف الناس هل
ذلك على الوجوب او الندب فقال ابو موسى الاشعري وابن عمر والضحاك
وسعيد بن المسيب وجابر بن زيد ومجاهد وداود بن علي وابنه ابو بكر
هو على الوجوب ومن اشدهم في ذلك عطا قال اشهد اذا بعت واذا
اشتريت بدرهم او نصف درهم او ثلث درهم او اقل من ذلك فان الله عز
وجل يقول واشهدوا اذا تبايعتم وعن ابرهيم قال اشهد اذا بعت
واذا اشتريت ولو دستجه بقل وممن كان يذهب الى هذا ورجحه الطبري
وقال لا يحل لمسلم اذا باع واذا اشترى الا ان يشهد والا كان مخالفا كتاب
الله عز وجل وكذلك ان كان الى اجل فعليه ان يكتب ويشهد ان وجد كاتبا
وذهب الشعبي والحسن الى ان ذلك على الندب والارشاد على الحتم ويحكى ان
هذا قول مالك والشافعي واصحاب الراي وزعم ابن العربي ان هذا قول
الكافه وهو الصحيح ولم يحك عن احد ممن قال بالوجوب الا الضحاك قال
وقد باع النبي صلى الله عليه وسلم وكتب ونسخة كتابه بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما اشترى العدا بن خالد بن هوذة من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

خبثة

اشترى عبدا او امة لا داء ولا غايلة ولا خبثة بيع المسلم المسلم وقد باع ولم
يشهد واشترى ورهن درعه عند يهودي ولم يشهد ولو كان الاشهاد
امرا واجبا لوجب مع الرهن لخوف المنازعة قلت قد ذكرنا الوجوب
عن غير الضحاك وحديث العداء هذا اخرجه الدارقطني وابو داود وكان
اسلامه بعد الفتح وهو القايل قاتلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
حنين فلم يظهرنا الله ولم ينصرنا ثم اسلم فحسن اسلامه ذكره ابو عمر وذكر
حديثه هذا وقال في آخره قال الاصمعي سالت سعيد بن ابي عروبة
عن الغايلة فقال الاباق والسرقة والزنا وسالته عن الخبثة فقال بيع
اهل عهد المسلمين وقال الامام ابو محمد بن عطية والوجوب في ذلك
قلق اما في الدقائق فصعب شاق واما ما كثر فربما يقصد التاجر الاستيلا
بترك الاشهاد وقد يكون عادة في بعض البلاد وقد يستحي من العالم
والرجل الكبير الموقر فلا يشهد عليه فيدخل ذلك كله في الايتمان ويبقى
الامر بالاشهاد ندبا لما فيه من المصلحة في الاغلب ما لم يقع عذر
يمنع منه كما ذكرنا وحكى المهدوي والنحاس ومكي عن قوم انهم قالوا
واشهدوا اذا تبايعتم منسوخ بقوله فان امن بعضكم بعضا
واسنده النحاس عن ابي سعيد الخدري وانه تلا يا ايها الذين امنوا
اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه الى قوله فان امن بعضكم بعضا
فليؤد الذي اؤتمن امانته قال نسخت هذه الاية ما قبلها قال النحاس
وهذا قول الحسن والحكم وعبد الرحمن بن زيد قال الزهري وهذا لا
معنى له لان هذا حكم غير الاول وانما هذا حكم من لم
الله عز وجل فان تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة

فرهن فليؤد

جرهن فليود الذي اوتمن امانته قال ولو جاز ان يكون هذا ناسخا
للاول لجاز ان يكون قوله عز وجل وان كنتم مرضى او على سفر او جا احد
منكم من الغايط الا ناسخا لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى
الصلاه الايه ولجاز قوله عز وجل فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين
ناسخا لقوله عز وجل فتحرير رقبه وقال بعض العلما ان قوله تعالى
فان امن بعضكم بعضا لم يتبين تاخر نزوله عن صدر الايه المشتمله
على الامر بالاشهاد بل وردا معا ولا يجوز ان يرد الناسخ والمنسوخ
معا جميعا في حاله واحده قال وقد روي عن ابن عباس انه قال لما
قيل له ان ايه الدين منسوخه قال لا والله ان ايه الدين محكمه ليس
فيها نسخ والاشهاد انما جعل للطمانينه وذلك ان الله تعالى
جعل لتوثيق الدين طرقا منها الكتاب ومنها الرهن ولا خلاف بين
علما الامصار ان الرهن مشروع بطريق الندب لا بطريق الوجوب
فيعلم من ذلك مثله في الاشهاد وما زال الناس يتبايعون حضرا
وسفرا وبرا وبحرا وسهلا وجبلا من غير اشهاد مع علم الناس بذلك
من غير نكير ولو وجب الاشهاد ما تركوا النكير على تاركه قلت
هذا كله استدلال حسن واحسن منه ما جا من صريح السنه في
ترك الاشهاد وهو ما خرجه الدارقطني عن طاوس بن عبد الله المحاربي
قال اقبلنا في ركب من الربذه وجنوب الربذه حتى نزلنا قريبا من المدينه
ومعنا ظعينه لنا فبينا نحن قعود اذ اتانا رجل عليه ثوبان ابيضان
فسلم فرددنا عليه فقال من اين القوم قلنا من الربذه وجنوب
الربذه قال ومعنا جمل احمر فقال تبيعوني جملكم هذا قلنا نعم قال

يدم
ان يكون م
دم
ن

بجم قلنا بكذا وكذا صاعا من تمر قال فما استوضعنا شيا وقد اخذته
ثم اخذ راس الجمل حتى دخل المدينة فتوارا عنا فتلاوما بيننا وقلنا
اعطيتم جملكم من لا تعرفونه فقالت الظعينة لا تلاوموا فقد رايت
وجه رجل ما كان يخفركم ما رايت وجه رجل اشبه بالقمر ليلة البدر
من وجهه فلما كان العشا اتانا رجل فقال السلام عليكم انا رسول رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليكم وانه امركم ان تاكلوا من هذا حتى تشبعوا
وتكتالوا حتى تستوفوا قال فاكلنا حتى شبعنا واكتلنا حتى استوفينا
وذكر الحديث ومثله حديث الزهري عن عمارة بن خزيمة حدثه وهو من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع فرسا
من اعرابي الحديث وفيه وطفق الاعرابي يقول هلم شاهدا يشهد اني
بعتك قال خزيمة بن ثابت انا اشهد انك قد بعته فاقبل النبي صلى الله
عليه وسلم على خزيمة فقال بم تشهد فقال بتصديقك يا رسول الله
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة بشهادة رجلين
اخرجه النساي وغيره الموفية خمسين قوله تعالى ولا يضار
كاتب ولا شهيد فيه ثلاثة اقوال الاول لا يكتب الكاتب ما لم يمل
عليه ولا يزيد الشاهد في شهادته ولا ينقص منها قاله الحسن وقتادة
وطاوس وابن زيد وغيرهم وروي عن ابن عباس ومجاهد وعطا ان
المعنى لا يمتنع الكاتب ان يكتب ولا الشاهد ان يشهد ولا يضار
على هذين القولين اصله يضارر بكسر الرا ثم وقع الادغام وفتحت
الرا في الجزم لخفة الفتحة وقال النحاس ورايت ابا اسحاق يميل الى
هذا القول قال لان بعده وان تفعلوا فانه فسوق بكم فالاولى

ان يكون انه

ان يكون من شهد بغير الحق او حرف في الكتابة ان يقال له فاسق فهو اولى
بهذا ممن سال شاهدا وهو مشغول ان يشهد وقرا عمر بن الخطاب
وابن عباس وابن ابي اسحق يضارر بكسر الرا الاولى وقال مجاهد والضحاك
وطاوس والسدي وروي عن ابن عباس معنى الاية ولا يضار كاتب ولا شهيد
بان يدعى الشاهد الى الشهادة والكاتب الى الكتب وهما مشغولان
فاذا اعتذرا بعذرهما خرج واذاهما وقال خالفت امر الله ونحو
هذا من القول فيضر بهما واصل يضار على هذا يضارر بفتح الرا ولعل قراة ابن
مسعود يضارر بفتح الرا الاولى فنهى الله سبحانه عن هذا لانه لو
اطلقه لكان فيه شغل لهما عن امر دينهما ومعاشهما ولفظ المضارة
اذ هو من اثنين يقتضي هذه المعاني والكاتب والشهيد على القولين
الاولين رفع بفعلهما وفي القول الثالث رفع على المفعول الذي لم يسم
فاعله الحادية والخمسون قوله تعالى وان تفعلوا يعني المضارة
فانه فسوق بكم اي معصية عن سفيان الثوري فالكاتب والشاهد
يعصيان بالزيادة والنقصان وذلك من الكذب المؤذي في الاموال
والابدان وفيه ابطال الحق وكذلك اذا يهما اذا كانا مشغولين
معصية وخروج عن الصواب من حيث المخالفة لامر الله وقوله بكم
تقديره فسوق حال بكم الثانية والخمسون قوله تعالى
واتقوا الله ويعلمكم الله وعد من الله تعالى بان من اتقاه علمه اي
يجعل في قلبه نورا يفهم به ما يلقى اليه وقد يجعل في قلبه فرقانا اي
فيصلا يفصل به بين الحق والباطل ومنه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا والله اعلم قوله تعالى وان كنتم على سفر

ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة الى قوله عليم فيه خمس وعشرون مسئلة الاولى لما ذكر الله الندب الى الاشهاد والكتب لمصلحة حفظ الاموال والاديان عقب ذلك بذكر حال الاعذار المانعة من الكتب وجعل لها الرهن ونص من احوال العذر على السفر الذي هو غالب الاعذار لاسيما في ذلك الوقت لكثرة الغزو ويدخل في ذلك بالمعنى كل عذر فرب وقت يتعذر فيه الكاتب في الحضر كاوقات اشغال الناس وبالليل وايضا فالخوف على خراب ذمة الغريم عذر يوجب طلب الرهن وقد رهن النبي صلى الله عليه وسلم درعه عند يهودي طلب منه سلف الشعير فقال انما يريد محمد ان يذهب بمالي فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذب اني لامين في الارض امين في السما ولو ائتمنني لاديت اذهبوا اليه بدرعي فمات ودرعه مرهونة صلى الله عليه وسلم على ما ياتي بيانه انفا الثانية قال الجمهور من العلما الرهن بنص التنزيل في الحضر ثابت بسنة الرسول وهذا صحيح وقد بينا جوازه في الحضر من الاية بالمعنى اذ قد تترتب الاعذار في الحضر ولم يروعن احد منعه سوى مجاهد والضحاك وداود متمسكين بالاية ولا حجة فيها لان هذا الكلام وان خرج مخرج الشرط فالمراد به غالب الاحوال وليس كون الاية في السفر مما يحظر غيره وفي الصحيحين وغيرهما عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي طعاما الى اجل ورهنه درعا له من حديد واخرجه النسي من حديث ابن عباس قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير لاهله الثالثة.

قوله تعالى

قوله تعالى ولم تجد واكاتبا قرا الجمهور بمعنى رجل يكتب وقرا بن عباس
وابى ومجاهد والضحاك وعكرمه وابو العاليه ولم تجد واكتابا
قال ابو بكر الانباري فسره مجاهد معناه فان لم تجد وامدادا يعني
في الاسفار وروى عن بن عباس كتابا قال النحاس هذه القراه شاذه
والعامة على خلافها وقلما يخرج شي عن قراه العامه الا وفيها مطعن
ونسق الكلام على كاتب قال الله تعالى قبل هذه وليكتب بينكم كاتب
بالعدل وكتاب يقتضي جماعة قال بن عطيه كتابا حسن من حيث
لكل نازلة كاتب فقيل للجماعة ولم تجدوا كتابا وحكى المهدوي عن ابي
العاليه انه كُتبا وهذا جمع كتاب من حيث النوازل مختلفه واما
قراه ابى وبن عباس كتابا فقال النحاس معناه كاتب لقايم وقيام
مكي المعنى وان عدم الدواه والقلم والصحيفه ونفي وجود الكا
يكون بعدم اي اله اتفق ونفي الكاتب ايضا يقتضي نفي الكتاب فالقرايا
حسنتان الا من جهه خط المصحف الرابعة قوله تعالى فرهن
مقبوضه قرا ابو عمرو وبن كثير رهن بضم الرا والها وروي عنهما
تخفيف الها وقال الطبري تاول قوم ان رهنا بضم الرا والها جمع
رهان فهو جمع جمع وحكاه الزجاج عن الفرا وقال المهدوي
فرهان ابتدا والخبر محذوف والمعنى فرها مقبوضه يكفي
من ذلك قال النحاس وقرا عاصم بن ابي النجود فرهن باسكان
الها ويروى عن اهل مكه والباب في هذا رهان كما يقال بغل
وبغال وكبش وكباس ورهن سبيله ان يكون جمع رهان
مثل كتاب وكتب وقيل هو جمع رهن مثل سهم وسهم حسرا اي

تب
ن

وهذا دقيق وسهام حبس والاول اولى لان الاول لسس بنعت و
نعت وقال ابو علي الفارسي وتكسير رهن على اقل العدد لم اعلمه
جا فلو جا كان قياسه فعلا ككلب واكلب وكانهم استغنوا
بالقليل عن الكثير كما استغنا ببنا الكثير عن بنا القليل في قولهم
ثلاثه شسوع وقد استغنا ببنا القليل عن الكثير في رسن وارسان
فرهن يجمع على بنا ان وهما فعل وقال الاخفش فعل على فعل قبيح وهو
قليل شاذ قال وقد يكون رهن جمعا للرهان كانه يجمع رهن
على رهان ثم يجمع رهان على رهن مثل فراش وفرش الخامسه
معنى الرهن احتباس العين وثيقه بالحق ليستوفي الحق من ثمنها او
من ثمن منافعها عند تعذر اخذه من الغريم هكذا حده العلما وهو
في كلام العرب بمعنى الدوام والاستمرار قال ابن سيده ورهنه
اي ادامه ومن رهن بمعنى دام قول الشاعر الخبز واللحم
لهم راهن وقهوه راووقها ساكب قال الجوهري ورهن الشي
رهنا اي دام وارهنت لهم الطعام والشراب ادمته لهم
وهو طعام راهن والرهن الثابت والراهن المهزول من الابل والناس
قال اما تري جسمي خلا قد رهن هزلا وما مجد الرجال
في السمن قال ابن عطيه ويقال في معنى الرهن الذي هو الوثيقه
هو الرهن ارهنت ارهانا حكاه بعضهم وقال ابو علي ارهنت
في المغالاه واما في القرض والبيع فرهنت قال ابو زيد ارهنت
في السلعه ارهانا غاليت بها وهو في الغلا خاصه قال عبد الله
ارهنت فيها الدنانير يصف ناقه والعيد بطن من مهره وابل

مهره موصونه

مهر موصوفه بالنجابه وقال الزجاج يقال في الرهن رهنت
وارهنت وقاله ابن الاعرابي والاخفش قال عبد الله بن همام السلولي
فلما خشيت اظافيرهم نجوت وارهنتهم مالكا قال ثعلب الرواه كلهم
على ارهنتهم على انه يجوز رهنته وارهنته الا الاصمعي فانه رواه وارهنهم
على انه عطف بفعل مستقبل على فعل ماض وشبهه بقولهم قمت واصك
وجهه وهو مذهب حسن لان الواو واو الحال فجعل اصك حالا للفعل
الاول على معنى قمت صاكا وجهه اي تركته مقيما عندهم لانه لا يقال
ارهنت الشي ورهنته ويقول رهنت لساني بكذا ولا يقال فيه ارهنت
وقال ابن السكيت ارهنت فيهما بمعنى اسلفت والمرتهن الذي ياخذ
الرهن والشي مرهون ورهين والانثى رهينه وراهنت فلانا على كذا مراهنة
خاطرته وارهنت به ولدي ارهانا اخطرتهم به خطرا والرهينه واحد
الرهاين كله عن الجوهري ابن عطيه ولا خلاف انه يقال في البيع والقرض
رهنت رهنا ثم سمي بهذا المصدر الشي المدفوع تقول رهنت رهنا كما
تقول رهنت ثوبا **السادسه** قال ابو علي ولما كان الرهن بمعنى الثبوت
والدوام فمن ثم بطل الرهن عند الفقها اذا خرج من يد المرتهن الى الراهن
بوجه من الوجوه لانه فارق ما جعل له **قلت** هذا هو المعتمد عندنا في
ان الرهن متى رجع الى الراهن باختيار المرتهن بطل الرهن وقاله ابو حنيفه
غير انه قال ان رجع بعاريه او وديعه لم يبطل وقال الشافعي ان رجوعه
الى يد الراهن مطلقا لا يبطل حكم القبض المتقدم ودليلنا فرهان مقبوضه فا
خرج عن يد القابض لم يصدق ذلك اللفظ عليه لغه فلا يصدق عليه حكما وهذا
واضح **السابعه** اذا رهنه قولا ولم يقبضه فعلا لم ذلك لقوله فرهان

مقبوضه قال الشافعي لم يجعل الله الحكم الا برهن موصوف بالقبض فاذا
عدمت الصفه وجب ان يعدم الحكم وهذا ظاهر جدا وقالت المالكيه
يلزم بالعقد ويجبر الراهن على دفع الرهن ليحوزه المرتهن لقوله تعالى اوفوا
بالعقود وهذا عقد وقوله بالعهد وهذا عهد وقوله عليه السلام
المومنون عند شروطهم وهذا شرط فالقبض عندنا شرط في كمال فايدته
وعندهما شرط في لزومه وصحته **الثامنة** قوله مقبوضه يقتضي
بينونة المرتهن بالرهن واجمع الناس على صحة قبض المرتهن وكذلك على قبض
وكيله واختلفوا في قبض عدل يوضع الرهن على يديه فقال مالك وجميع
اصحابه وجمهور العلما قبض العدل قبض وقال ابن ابي ليلى وقتادة والحكم
وعطا ليس بقبض ولا يكون مقبوضا الا اذا كان عند المرتهن ورأوا ذلك
تعبدا وقول الجمهور اصح من جهة المعنى لانه اذا صار عند العدل
صار مقبوضا لغة وحقيقة لان العدل نايب عن صاحب الحق وبمنزلة
الوكيل وهذا ظاهر **التاسعة** ولو وضع الرهن على يدي عدل
فضاع لم يضمن المرتهن ولا الموضوع بيده لان المرتهن لم يكن في يده شي يضمنه
والموضوع على يده امين والامين غير ضامن **العاشرة** لما قال
تعالى مقبوضه قال علماونا فيه ما يقتضي بظاهره وباطنه مطلقه
جواز رهن المشاع خلافا لابي حنيفه واصحابه ولا يجوز عندهم
ان يرهنه ثلث دار ولا نصفا من عبد ولا سيف ثم قالوا
اذا كان لرجلين على رجل مال هما فيه شريكان فرهنهما بذلك ارضا فهو
جايز اذا قبضاها قال ابن المنذر وهذا اجازة رهن المشاع لان كل
واحد منهما مرتهن نصف دار قال ابن

يكون بيده

يجوز بيعه الحادية عشرة ورهن ما في الذمة جايز عند علمائنا لانه
مقبوض خلافا لمن منع ذلك ومثاله رجلان تعاملا لاحدهما على الاخر
دين فرهنه دينه الذي عليه قال ابن خواز منداد وكل عرض جاز
بيعه جاز رهنه ولهذه العلة جوزنا رهن ما في الذمة لان بيعه جايز
ولانه مال تقع الوثيقة به فجاز ان يكون رهنا قياسا على سلعة موجودة
وقال من منع ذلك لانه لا يتحقق اقباضه والقبض شرط في لزوم الرهن
لانه لا بد ان يستوفي الحق منه عند المحل ويكون الاستيفاء من ماليته
لا من عينه ولا يتصور ذلك في الدين الثانية عشرة روى البخاري
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر يركب بنفقته
اذا كان مرهونا ولبن الدر يشرب بنفقته اذا كان مرهونا وعلى الذي
يركب ويشرب النفقة واخرجه ابو داود وقال بدل يشرب في
الموضعين قال الخطابي هذا كلام مبهم ليس في نفس اللفظ بيان من يركب
ويحلب هل الراهن او المرتهن او العدل الموضوع على يده الرهن قلت
قد جا ذلك مبينا مفسرا في حديثين وبسببهما اختلف العلما في ذلك
فروى الدارقطني من حديث ابي هريرة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا كانت الدابة مرهونة فعلى المرتهن علفها ولبن يشرب وعلى الذي
يشرب نفقته اخرجه عن احمد بن علي بن العلا حدثنا زياد بن ايوب ثنا هشيم
انا زكريا عن الشعبي عن ابي هريرة وهو قول احمد واسحق ان المرتهن ينتفع من
الرهن بالحلب والركوب بقدر النفقة وقال ابو ثور اذا كان الراهن
ينفق عليه لم ينتفع به المرتهن وان كان الراهن لا ينفق عليه وتركه في يد
المرتهن فانفق عليه فله ركوبه واستخدام العبد وقاله الاوزاعي والليث الحديث

الثاني خرجه الدارقطني ايضا وفي اسناده مقال يأتي بيانه في حديث
اسماعيل بن عياش عن ابي ذيب عن الزهري عن المقبري عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغلق الرهن لصاحبه غنمه وعليه
غرمه وهو قول الشافعي والشعبي وابن سيرين وهو قول مالك واصحابه
قال منفعه الرهن للراهن ونفقته عليه والمرتهن لا ينتفع بشي من الرهن
خلا الاحفاظ للوثيقه قال الخطابي وهو اولى الاقوال واصحها بدليل
قوله عليه السلام لا يغلق الرهن الرهن من صاحبه اي لصاحبه والعرب
تضع من موضع اللام كقولهم امن ام اوفى دمنه لم تكلم قلت قد جا
صريحا لصاحبه فلا حاجه للتاويل وقال الطحاوي كان ذلك وقت كون
الربا مباحا ولم ينه عن قرض جر منفعه ولا عن اخذ الشي بالشي وان
كانا غير متساويين ثم حرم الربا بعد ذلك وقد اجمعت الامة على ان
الامة الرهن لا يجوز للراهن ان يطاها فكذلك لا يجوز له خدمتها
وقد قال الشعبي لا ينتفع من الرهن بشي فهذا الشعبي روى الحديث
وافتى بخلافه ولا يجوز عنده ذلك الا وهو منسوخ وقال ابن عبد البر
وقد اجمعوا ان لبن الرهن وظهره للراهن ولا يخلو من ان يكون احتلاب
المرتهن له باذن الراهن او بغير اذنه فان كان بغير اذنه ففي حديث ابن عمر
عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحلبن احد ماشيه احد الا باذنه ما يرده
ويقضي بنسخه وان كان باذنه ففي الاصول المجتمع عليها في تحريم المجهول
والغرر وبيع ما ليس عندك وبيع ما لم يخلق ما يرده ايضا فان ذلك
كان قبل نزول الربا والله اعلم وقال ابن خويزمنداد ولو شرط المرتهن
الانتفاع بالرهن فلذلك حالتان ان كان من قرض لم يجز وان كان من

بيع او اجارة جاز لانه يصير بايعا للسلعة بالثمن المذكور ومنافع الى
مدة معلومة فانه بيع واجارة واما في القرض فلانه يصير قرضا جر
منفعة ولان موضوع القرض ان يكون قربة فاذا دخله نفع صار زيادة
في الجنس وذلك ربا والله اعلم **الثالثة عشرة** لا يجوز غلق
الرهن وهو ان يشترط المرتهن انه له بحقه ان لم ياته به عند اجله فان
هذا من فعل الجاهلية فابطله النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لا يغلق الرهن
هكذا قيدناه برفع القاف على الخبر اي ليس يغلق الرهن يقول اغلقت الباب
فهو مغلق وغلق الرهن في يد مرتهنه اذا لم نفك قال الشاعر اجارتنا
من يجتمع يتفرق ومن يك راهنا للحوادث يغلق وقال زهير
وفارقتك برهن لا فكاك له يوم الوداع فامسى الرهن قد غلقا
الرابعة عشرة روى الدارقطني من حديث سفيان بن
عيينة عن زياد بن سعد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يغلق الرهن له غنمه وعليه غرمه
زياد بن سعد احد الحفاظ الثقات وهذا اسناد حسن واخرجه مالك
عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب مرسلا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا يغلق الرهن قال ابو عمر الذي هكذا رواه كل من روى الموطا
عن مالك فيما علمت الا معن بن عيسى فانه وصله ومعن ثقة الا اني اخشى
ان يكون الخطا فيه من علي بن عبد الحميد الغضايري عن مجاهد بن موسى
عن معن بن عيسى وزاد فيه ابو عبد الله بن عمروس عن الابهري باسناد
له له غنمه وعليه غرمه وهذه اللفظة قد اختلف الرواة في رفعها بن ابي ذئب
ومعمر وغيرهما ورواه بن وهب وقال قال يونس قال بن شهاب ان هذا

ومعمر ساه

من قول سعيد لا عن النبي صلى الله عليه وسلم الا ان معمرا ذكره عن ابن شهاب
مرفوعا ومعمر اثبت الناس في ابن شهاب وتابعه على رفعه يحيى بن ابي انيسه
ويحيى ليس بالقوي واصل هذا الحديث عند اهل العلم بالنقل مرسل
وان كان وصل من جهات كثيرة فانهم يعللونها وهو مع هذا حديث
لا يدفعه احد منهم وان اختلفوا في تاويله ومعناه ورواه الدارقطني
ايضا عن اسماعيل بن عياش عن ابن ابي ذيب عن الزهري عن سعيد
عن ابي هريره مرفوعا قال ابو عمر لم يسمعه اسماعيل من ابن ابي ذيب وانما
سمعه من عباد بن كثير عن ابن ابي ذيب وعباد عندهم ضعيف لا يحتج به
واسماعيل عندهم ايضا غير مقبول الحديث عن غير اهل بلده فاذا حدث
عن الشاميين فحديثه مستقيم فاذا حدث عن المدنيين وغيرهم ففي حديثه
خطا كثير واضطراب الخامسة عشرة نما الرهن داخل معه ان كان
لا يتميز كالسمن او كان بنسل كالولادة والنتاج وفي معناه فسيل النخل وما عدا
ذلك من غلة وثمر ولبن وصوف فلا يدخل فيه الا ان يشترطه والفرق
بينهما ان الاولاد تبع في الزكاة للامهات وليس كذلك الاصواف والالبا
وثمر الاشجار لانها ليست تبعا للامهات في الزكاة ولا هي في صورها
ولا معناها ولا تقوم معها فلها حكم نفسها لا حكم الاصل خلاف الولد
والنتاج والله اعلم بصواب ذلك السادسة عشرة رهن
من احاط الدين بماله جايز ما لم يفلس ويكون المرتهن احق بالرهن من الغرما قاله
مالك وجماعة الناس وروي عن مالك خلاف هذا وقاله عبد العزيز بن ابي سلمه
ان الغرما يدخلون معه في ذلك وليس بشي لان من لم يحجر عليه فتصرفاته صحيحه
في كل احواله من بيع وشرا والغرما عاملوه على انه يبيع ويشتري ويقضي.

لم يختلف

لم يختلف قول ملك في هذا فكذلك الرهن والله اعلم السابعة عشرة قوله تعالى فان امن بعضكم بعضا الاية شرط ربط به الوصية الذي عليه الحق بالادا وترك المطل يعني ان كان الذي عليه امينا عند صاحب الحق وثقة فليودي اليه ما عليه ائتمنه وقوله فليود من الادا مهموز ويجوز تخفيف همزه فيقلب الهمزة واوا ولا تقلب الفا ولا تجعل بين بين لان الالف لا يكون ما قبلها الا مفتوحا وهو امر معناه الوجوب بقرينة الاجماع على وجوب ادا الديون وثبوت حكم الحاكم به وجبره الغرما عليه وبقرينة الاحاديث الصحاح في تحريم مال الغير الثامنة عشرة قوله تعالى امانته مصدر سمي به الشي الذي في الذمة واضافها الى الذي عليه الدين من حيث لها اليه نسبة كما قال ولا تؤتوا السفها اموالكم التاسعة عشرة قوله تعالى وليتق الله ربه اي في ان لا يكتم من الحق شيا وقوله ولا تكتموا الشهادة تفسير لقوله ولا يأب بكسر العين نهي الشاهد ان يضر بكتمان الشهادة وهو نهي على الوجوب بعدة قراين منها الوعيد وموضع النهي هو حيث يخاف الشاهد ضياع حق وقال ابن عباس على الشاهد ان يشهد حيث ما استشهد ويخبر حيث ما استخبر قال ولا يقل اخبر بها عند الامير بل اخبره بها لعله يرجع ويرعوي وقرا ابو عبد الرحمن ولا يكتموا بالياء جعله نهيا للغايب الموفية عشرين اذا كان على الحق شهود تعين عليهم ادوها على الكفاية فان اداها اثنان واجتزى بهما الحاكم سقط الفرض عن الباقين وان لم يجتزي بهما تعين المشي اليه حتى يقع الاثبات وهذا يعلم بدعا صاحبها واذا قال له احي حقي باداء ما عندك لي من الشهادة تعين ذلك عليه الحادية و

والعشرون قوله تعالى ومن يكتمها فانه اثم قلبه خص القلب بالذكر
اذ الكتم من افعاله واذ هو المضغة التي بصلاحها يصلح الجسد كما قال
عليه السلام كما قال عليه السلام فعبر بالبعض عن الجملة وقد تقدم وقال
الكيا لما عزم على ان لا يوديها وترك اداها باللسان رجع المأثم الى الوجهين
جميعا فقوله اثم قلبه مجاز وهو اكد من الحقيقة في الدلالة على الوعيد وهو
من بديع البيان ولطيف الاعراب عن المعاني يقال اثم القلب سبب
مسخه والله تعالى اذا مسخ قوما قلبا جعله منافقا وطبع عليه نعوذ
بالله منه وقلبه رفع باثم واثم خبر ان وان شئت رفعت اثما بالابتدا
وقلبه فاعل يسد مسد الخبر والجملة خبر ان شئت رفعت اثما على انه
خبر الابتدا ينوى به التاخير وان شئت كان قلبه بدلا من اثم بدل
البعض من الكل وان شئت بدلا من المضمر الذي امر الله تعالى به من الشهادة
والكتابة لمراعاة صلاح ذات البين ونفي التنازع المودي الى فساد ذات
البين لئلا يسول له الشيطان جحود الحق وتجاوز ما حده له الشرع او ترك
الاقتصار على المقدار المستحق ولاجله حرم الشرع البياعات المجهولة التي
اعسارها يودي الى الاختلاف وفساد ذات البين وايقاع الضغاين
والتباين لمن ما حرمه الله من الميسر والقمار وشرب الخمر بقوله تعالى انما يريد
الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضا في الخمر والميسر الاية فمن تادب باداب الله
في اوامره وزواجره حاز صلاح الدنيا والدين قال الله تعالى ولو انهم فعلوا ما
يوعظون به لكان خيرا لهم الاية الثانية روى البخاري عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال من اخذ اموال الناس يريد اداها ادى الله عنه ومن
اخذها يريد اتلافها اتلفه وروى النسائي عن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه

وسلم انما استدانت فقيل يام المومنين تستدينين وليس عندك وفا فقالت
اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من احد دينا وهو يريد
ان يوديه اعانه الله وروى الطحاوي وابو جعفر الطبري والحارث بن ابي
اسامه في مسنده عن عقبه بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تخيفوا
الانفس بعد امنها قالوا يا رسول الله وما ذاك قال الدين وروى البخاري
عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم في دعا ذكره اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن
والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين هو الذي لا يجد داينه من حيث
يوديه وهو ماخوذ من قول العرب حمل مضلع اي ثقيل ودابه مضلع لا تقوى
على الحمل قاله صاحب العين وقال صلى الله عليه وسلم الدين شين الدين وروي
عنه انه قال الدين هم بالليل ومذله بالنهار قال علماونا وانما كان شينا ومذله
لما فيه من شغل القلب والبال والهم اللازم في قضايه والتذلل للغريم عند
لقايه وتحمل منته بالتاخير الى حين اوانه وربما يعد من نفسه القضا فيخلف
او يحدث الغريم بسببه فيكذب او يحلف له فيحنث الى غير ذلك ولهذا
كان عليه السلام يتعوذ من الماثم والمغرم وهو الدين فقيل له يا رسول الله
ما اكثر ما تتعوذ من المغرم فقال ان الرجل اذا غرم حدث فكذب ووعد
فاخلف وايضا فربما قد مات ولم يقض الدين فيرتهن به كما قال عليه السلام نسمه
المومن مرتهنه في قبره بدينه حتى يقضى عنه وكل هذه الاسباب مشاين في
الدين تذهب جماله وتنقص كماله والله اعلم المسلة الثالثه لما امر الله تعالى
بالكتب والاشهاد واخذ الرهان كان ذلك نصا قاطعا على مراعاة حفظ الاموال
وتنميتها ورد على الجهلة المتصوفه ورعاعها الذين لا يرون ذلك فيخرجون عن
جميع اموالهم ولا يتركون كفايه لانفسهم وعيالهم ثم اذا احتاجوا وافتقر

عياله فهو اما ان يتعرض لمنن الاخوان او لصدقاتهم وان ياخذ من ارباب
الدنيا وظلمتهم وهذا الفعل مذموم منهي عنه قال ابو الفرج الجوزي
ولست اعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة علمهم انما اتعجب لاقوام
لهم عقل وعلم كيف حثوا على هذا وامروا به مع مضادته للشرع والعقل
فذكر المحاسبي في هذا كلاما طويلا وشيده ابو حامد الطوسي ونصره
والحارث عندي اعذر من ابي حامد لان ابا حامد كان افقه غير ان دخوله
في التصوف اوجب عليه نصرة ما دخل فيه قال المحاسبي في كلام طويل له
ولقد بلغني انه لما توفي عبد الرحمن بن عوف قال ناس من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله
وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وانفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك
ابا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحي بعير فاخذه بيده ثم انطلق يطلب
كعبا فقيل لكعب ان ابا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث
واخبره الخبر فاقبل ابو ذر يقتص الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان
فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من ابي ذر فقال له ابو ذر
يا ابن اليهودية تزعم انه لا باس بما تركه عبد الرحمن لقد خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيمة الا من
قال هكذا وهكذا قال المحاسبي فهذا عبد الرحمن مع فضله يوقف في عرصة
يوم القيمة بسبب ما كسبه من حلال للتعفف وصنائع المعروف
فيمنع السعي الى الجنة مع الفقرا وصار يحبو في اثارهم حبوا الى غير ذلك
من كلامه ذكره ابو حامد وشيده وقواه بحديث ثعلبة وانه اعطي المال
فمنع الزكاة قال ابو حامد فمن راقب احوال الانبيا والاوليا واقوالهم

لم يشك

لم يشك في ان فقد المال افضل من وجوده وان صرفه في الخيرات اذا قل
ما فيه اشتغال الهمه باصلاحه عن ذكر الله فينبغي للمريد ان يخرج
عن ماله حتى لا يبقى له الا قدر ضرورته فما بقي له درهم يلتفت اليه قلبه
فهو محجوب عن الله تعالى قال الجوزي وهذا كله خلاف الشرع والعقل
وسوء فهم المراد بالمال وقد شرفه الله وعظم قدره وامر بحفظه اذ جعله
قواما للادمي وما جعل قواما للادمي الشريف فهو شريف فقال ولا
تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما ونهى جل وعز ان يسلم المال
الى غير رشيد فقال ان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ونهى
صلى الله عليه وسلم عن اضاعة المال وقال لسعد انك ان تذر ورثتك اغنيا
خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس وقال ما نفعني مال كمال ابي بكر وقال
لعمرو بن العاص نعم المال الصالح للرجل الصالح ودعا لانس وكان في اخر
دعايه اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيه وقال كعب يرسول الله
من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله فقال امسك بعض
مالك فهو خير لك قال الجوزي هذه الاحاديث مخرجة في الصحاح وهي
خلاف ما تعتقده المتصوفة من ان اكثار المال حجاب وعقوبة وان
وان حبسه ينافي التوكل ولا ينكر انه يخاف من فتنته وان خلقا كثيرا اجتنبوه
لخوف ذلك وان جمعه من وجهه ليعز وسلامة القلب من الافتتان به
بعيد واشتغال القلب مع وجوده بذكر الاخرة نادر فلهذا خيف فتنته
فاما كسب المال فان من اقتصر على كسب البلغة من حلها فذلك امر لا بد
منه واما من قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال نظر في مقصوده
فان قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبيس المقصود وان قصد اعفاف نفسه

وعايلته وادخر لحوادث زمانه وزمانهم وقصد التوسعه على الاخوا
واغنا الفقرا وفعل المصالح اثيب على قصده وكان جمعه بهذه النيه افضل
من كثير من الطاعات وقد كانت نيات خلق كثير من الصحابه في جمع المال
سليمه لحسن مقاصدهم بجمعه فحرصوا عليه وسالوا زيادته ولما اقطع
النبي صلى الله وسلم الزبير حضر فرسه اجرى الفرس حتى قام رمى سوطه
فقال اعطوه حيث سوطه وكان سعد بن عباده يقول في دعايه اللهم
وسع علي وقال اخوه يوسف ونزداد كيل بعير وقال شعيب لموسى
فان اتممت عشرا فمن عندك وان ايوب لما انتثر عليه رجل جراد من ذهب
فاخذ يحثي في ثوبه ويستكثر منه فقيل له اما شبعت فقال يارب
فقير يشبع من فضلك وهذا امر مركوز في الطباع واما كلام المحاسبي
فخطا يدل على الجهل بالعلم وما ذكره من حديث كعب وابي ذر فمحال
من وضع الجهال وخفي صحته عنه لحوقه بالقوم وقد روي بعض
هذا وان كان طريقه لا يثبت لان في سنده ابن لهيعه وهو مطعون
فيه قال يحيى لا يحتج بحديثه والصحيح في التاريخ ان ابا ذر توفي
سنه خمس وعشرين وعبد الرحمن بن عوف توفي سنه اثنين وثلاثين
فقد عاش بعد ابي ذر سبع سنين ثم لفظ ما ذكروه من حديثهم يدل
على ان حديثهم موضوع ثم كيف تقول الصحابه انا نخاف على عبد الرحمن
اوليس الاجماع على اباحه جمع المال من حله فما وجه الخوف مع الاباحه
او ياذن الشرع في شي ثم يعاقب عليه هذا قله فهم وفقه ثم انكر ابو ذر
على عبد الرحمن خبر من ابي ذر بما لا يتقارب ثم تعلقه بعبد الرحمن وحده
دليل على انه لم يسبر سير الصحابه فانه خلف طلحه ثلاثمايه بهار

في كل بهار

في كل نهار ثلاثه قناطير والبهار الحمل وكان مال الزبير خمسين الفا ومايه
الف وخلف بن مسعود تسعين الفا واكثر الصحابه كسبوا الاموال
وخلفوها ولم ينكر احد منهم على احد واما قوله ان عبد الرحمن يحبو حبوا
يوم القيمه فهذا دليل على انه ما عرف الحديث واعوذ بالله ان يحبو عبد
الرحمن في القيمه افترى من سبق وهو من العشره المشهود لهم بالجنه
ومن اهل بدر والشورى يحبوا ثم الحديث يرويه عماره بن زادان وقال
البخاري ربما اضطرب حديثه وقال احمد يروي عن انس احاديث
مناكير وقال ابو حاتم الرازي لا يحتج به وقال الدارقطني ضعيف
وقوله ترك المال الحلال افضل من جمعه ليس كذلك ومتى صح القصد
فجمعه افضل بلا خلاف عند العلما وكان سعيد بن المسيب يقول لا
خير فيمن لا يطلب المال يقضي به دينه ويصون عرضه فان مات تركه
ميراثا لمن بعده وخلف بن المسيب اربع مايه دينار وخلف سفيان
الثوري مايتين وكان يقول المال في هذا الزمان سلاح وما زال
السلف يمدحون المال ويجمعونه للنوايب واعانه الفقرا وانما تحاما
قوم منهم ايثارا للتشاغل بالعبادات وجمع الهم فقنعوا باليسير
فلو قال هذا القايل ان التقلل منه اولى قرب الامر ولكنه زاحم
به مرتبه الاثم قلت ومما يدل على حفظ الاموال ومراعاتها
اباحه القتال دونها وعليها قال صلى الله عليه وسلم من قتل دون ماله
فهو شهيد وسياتي بيانه في المايده قوله تعالى لله ما في السموات
وما في الارض تقدم معناه قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او
تخفوه يحاسبكم به الله فيه مسلتان الاولى اختلف الناس في معنى

قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اقوال خمسه الاول انها منسوخه قاله بن عباس وبن مسعود وعايشه وابو هريره والشعبي وعطا ومحمد بن سيرين ومحمد بن كعب وموسى بن عبيده وجماعه من الصحابه والتابعين وانه بقي هذا التكليف حولا حتى انزل الله الفرج بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها وفي صحيح مسلم عن بن عباس قال لما نزلت وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله قال دخل قلوبهم منها شي لم يدخل قلوبهم من شي فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا سمعنا واطعنا وسلمنا قال فالقى الله الايمان في قلوبهم فانزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقه لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت في روايه فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل الله لا يكلف الله نفسا الا وسعها وسياتي الثاني قال بن عباس وعكرمه والشعبي ومجاهد انها محكمه مخصوصه وهي في معنى الشهاده التي نهى عن كتمها ثم اعلم في هذه الايه ان الكاتم لها المخفي لها في نفسه الثالث ان الايه فيما يطرا على النفوس من الشك واليقين وقاله مجاهد ايضا الرابع انها محكمه عامه غير منسوخه والله محاسب خلقه على ما عملوا من عمل وعلى ما لم يعملوه مما ثبت في نفوسهم واضمروه ونووه وارادوه فيغفر للمومنين وياخذ به اهل الكفر والنفاق ذكره الطبري عن قوم وادخل عن بن عباس ما يشبه هذا روي عن علي بن ابي طلحه عن بن عباس انه قال لم تنسخ ولكن اذا جمع الله الخلايق يقول اني اخبركم بما

النتم في

اكننتم في انفسكم فاما المومنون فاما المومنون فيخبرهم ثم يغفر لهم واما
اهل الشك والريب فيخبرنا الخفوه من التكذيب فذلك قوله يحاسبكم به الله
فيغفر لمن يشا ويعذب من يشا وهو قوله جل وعز ولكن يواخذكم بما كسبت
قلوبكم من الشك والنفاق وقال الضحاك يعلمه الله يوم القيمه بما كان
يسر ليعلم انه لم يخف عليه وفي الخبر ان الله تعالى يقول يوم القيمه هذا يوم
تبلى فيه السراير وتخرج الضماير وان كتابي لم يكتبوا الا ما ظهر من اعمالكم
وانا المطلع على ما لم يطلعوا عليه ولم يخبروه ولا كتبوه فانا اخبركم
بذلك واحاسبكم عليه فاغفر لمن اشا واعذب من اشا فيغفر للمومنين
ويعذب الكافرين وهذا اصح ما في الباب يدل عليه حديث النجوى على ما
ياتي لا يقال فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي
عما حدثت به انفسها ما لم يتكلموا او يعملوا به فانا نقول ذلك محمول
على احكام الدنيا مثل الطلاق والعتاق والبيع التي لا يلزمه حكمها ما لم
يتكلم به والذي ذكر في الاية فيما يواخذ العبد به بينه وبين الله تعالى
في الاخره وقال الحسن الايه محكمه ليست بمنسوخه قال الطبري
وقال اخرون نحو هذا المعنى ذكره عن ابن عباس الا انهم قالوا
ان العذاب الذي يكون جزا ما خطر في النفوس وصحبه الفكر هو بمصايب الدنيا
والامها وساير مكارهها ثم اسند عن عايشه نحو هذا وهو القول
الخامس ورجح الطبري ان الآية محكمة غير منسوخه قال ابن عطية
وهذا هو الصواب وذلك ان قوله تعالى وَإِن تُبْدُوا مَا فِي انفسكم او
تخفوه معناه مما هو في وُسْعِكم وتحت كسبكم وذلك استصحاب
المعتقد والذكر فلما كان اللفظ مما يمكن ان يدخل فيه الخواطر اشفق الصحابة

والنبي صلى الله عليه وسلم فبين الله لهم ما اراد بالاية الاخرى وخصصها
ونص على حكمه انه لا تكلف نفسا الا وسعها والخواطر ليست هي ولا دفعها
في الوسع بل هو امر غالب وليست مما تكتسب فجاز في هذا البيان
فرجهم وكشف كربهم وبانت الاية محكمة لا نسخ فيها ومما يدفع امر
النسخ ان الاية خبر والاخبار لا يدخلها النسخ فان ذهب ذاهب
الى تقدير النسخ فانما يترتب له في الحكم الذي لحق الصحابة حين فزعوا من الاية
وذلك ان قول النبي صلى الله عليه وسلم قولوا سمعنا واطعنا يجيء منه الامر لهم
بان يبنوا على هذا ويلتزموه وينتظروا لطف الله في الغفران فاذا قرر هذا
الحكم فصحيح وقوع النسخ فيه وتشبه الاية حينئذ قوله تعالى ان يكن
منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فهذا لفظ الخبر ولكن معناه التزموا
هذا وابنوا عليه واصبروا بحسبه ثم نسخ بعد ذلك واجمع الناس
فيما علمت على ان هذه الاية في الجهاد منسوخة بصبر المائة للمائتين قال بن
عطيه وهذه الاية التي في البقرة اشبه شيء بها وقيل في الكلام اضمار وتقييد
تقديره يحاسبكم به الله ان شاء وعلى هذا فلا نسخ وقال النحاس
ومن احسن ما قيل في الاية واشبهه بالظاهر قول بن عباس انها عامة
ثم ادخل حديث بن عمر في النجوى اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ
لمسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنى المومن من
ربه جل وعز حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف فيقول
رب اعرف قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم
فيعطى صحيفة حسناته واما الكافر والمنافقون فينادي بهم على رءوس
الخلائق هولاء الذين كذبوا على الله وقد مر ... الذين يتولون

الكافرين من

يحاسبكم

الكافرين من المومنين ان يعلموا ما في انفسكم ايها المومنون من ولاية الكفار ونشر وها يحاسبكم به الله قاله الواقدي ومقاتل واستدلوا بقوله تعالى في آل عمران قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من ولاية الكفار يعلمه الله يدل عليه ما قبله من قوله لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا من دون المومنين **قلت** وهذا فيه بعد لان سياق الايه لا يقتضيه وانما ذلك بين في آل عمران والله اعلم وقد قال سفيان بن عيينه بلغني ان الانبيا عليهم السلام يأتوا اتابون قومهم بهذه الايه لله ما في السماوات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله **قوله تعالى** فيغفر لمن يشا ويعذب من يشا قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وحمزه والكسائي فيغفر ويعذب بالجزم عطف على الجواب وقرا ابن عامر وعاصم بالرفع فيهما على القطع اي فهو يغفر ويعذب وروي عن ابن عباس والاعرج وابي العاليه وعاصم الجحدري بالنصب فيهما على اضمار ان وحقيقته انه عطف على المعنى كما في قوله فيضاعفه له وقد تقدم والعطف على اللفظ اجود للمشاكله كما قال الشاعر

ومتى ما يع منك كلاما يتكلم فيجبك بعقل

قال النحاس وروي عن طلحه بن مصرف يحاسبكم به الله يغفر بغير فا على البدل ابن عطيه وبه قرا الجعفي وخلاد وروي انها كذلك في مصحف ابن مسعود قال ابن جني هي على البدل من يحاسبكم وهي تفسير المحاسبه وهذا كقول الشاعر

رويدا بني شيبان بعض وعيدكم تلاقوا غدا خيلي على سفوان تلاقوا جيادا لا تحيد عن الوغا اذا ما غدت في المازق المتداني

فهذا على البدل وكرر الشاعر الفعل لان الفايده فيما يليه من القول

قال النحاس واجود من الجزم لو كان بلا فا والرفع يكون في موضع الحال كما قال الشاعر متى تاتيه تعشو الى ضو ناره تجد خير نار عندها خير موقد قوله تعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون الى اخر السورة فيه احدى عشرة مسئلة الاولى قوله تعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه سبب نزولها الايه التي قبلها وهي لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فانه لما انزل هذا على النبي صلى الله عليه وسلم اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاه والصيام والجهاد وقد انزل عليك هذه الايه ولا نطيقها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقتراها القوم وذلت بها السنتهم انزل الله في اثرها امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم قال ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال نعم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم اخرجه مسلم عن ابي هريرة قال علماونا قوله في الروايه الاولى قد فعلت وهنا قال نعم دليل على نقل الحديث بالمعنى وقد تقدم ولما تقرر الامر على ان قالوا

سمعنا

سمعنا واطعنا مدحهم الله واثنى عليهم في هذه الايه ورفع المشقه في امر الخواطر عنهم وهذه ثمرة الطاعة والانقطاع الى الله تعالى كما جرى لبني اسرائيل ضد ذلك من ذمهم وتحملهم المشقات من الذله والمسكنه والا نجلاد قالوا سمعنا وعصينا وهذه ثمرة العصيان والتمرد على الله تعالى اعاذنا الله من نقمه بمنه وكرمه وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له انيت ثابت بن قيس شماس تزهو كل ليله كما بمصابيح قال فلعله يقرا سوره البقره فسيل ثابت فقال قرات من سوره البقره امن الرسول نزلت حين شق على النبي صلى الله عليه وسلم ما توعدهم الله من محاسبتهم على ما اخفته نفوسهم فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال فلعلكم تقولون سمعنا وعصينا كما قال بنو اسرائيل قالوا بل سمعنا واطعنا فانزل الله ثنا عليهم امن الرسول فقال صلى الله عليه وسلم وحق لهم ان يومنوا الثانيه قوله تعالى امن اي صدق وقد تقدم والذي انزل هو القران وقرا بن مسعود وامن المومنون فحمل امن على اللفظ ويجوز في غير القران امنوا على المعنى وقرا نافع وبن كثير وعاصم في روايه ابي بكر وبن عامر وكتبه على الجمع وقروا في التحريم وكتابه على التوحيد فيهما فمن جمع اراد جمع كتاب ومن افرد اراد المصدر الذي يجمع كل مكتوب كان نزوله من عند الله ويجوز في قراه من وحد ان يراد به الجمع يكون الكتاب اسما للجنس فتستوي القراتان قال الله تعالى فبعث النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب وقرات الجماعه ورسله بضم السين وكذلك رسلنا ورسلكم ورسلك الا ابا عمرو فروي تخفيف رسلنا ورسلكم وروي عنه في رسلك التثقيل والتخفيف قال ابو علي من قرا رسلك بالتثقيل فذلك

اصل الكلمه ومن خفف فيما يخفف في الاحاد مثل عنق وطنب واذا
خفف في الاحاد فذلك احري في الجميع الذي هو اثقل وقال
معناه مكي وقرا جمهور الناس لا نفرق بالنون والمعنى يقولون لا
نفرق فحذف القول وحذف القول كثير قال الله تعالى والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اي يقولون سلام وقال
ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا
اي يقولون ربنا ما كان مثله وقرا سعيد بن جبير ويحيى بن يعمر
وابو زرعه بن عمرو بن جرير ويعقوب لا يفرق بالياء وهذا على
لفظ كل قال هرون وهي في حرف ابن مسعود ولا يفرقون وقال
من احد على الافراد ولم يقل احاد لان الاحد يتناول الواحد
والجميع كما قال الله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين فحاجزين
صفه لاحد لان معناه الجمع وقال صلى الله عليه وسلم ما
احلت الغنايم لاحد سود الروس غيركم وقال رؤبة اذا امور
الناس دينت دنكا لا يرهبون احدا من دونكا ومعنى هذه الايه
ان المومنين ليسوا كاليهود والنصارى في انهم يومنون ببعض
ويكفرون ببعض الثالثة قوله تعالى وقالوا سمعنا واطعنا
فيه حذف اي سمعنا سماع قابلين وقيل سمع بمعنى قبل كما تقال
سمع الله لمن حمده فلا يكون فيه حذف ؟ وعلى الجملة فهذا القول
يقتضي المدح لقايله والطاعه قبول الامر وقوله غفرانك
مصدر كالكفران والخسران والعامل فيه فعل مقدر تقديره
اغفر غفرانك قاله الزجاج غيره بطلب او اسال غفرانك

واليك المصير

واليك المصير اقرارا بالبعث والوقوف بين يدي الله تعالى وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الايه قال له جبريل
ان الله قد اجل الثنا عليك وعلى امتك فسل تعطه فسال الى اخر
السوره **الرابعة** قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها التكليف
هو الامر بما يشق عليه وتكلفت الامر تجشمته حكاه
الجوهري والوسع الطاقه والجده وهذا خبر جزم نص الله تعالى
على انه لم يكلف العباد من وقت نزول الايه عبادة من اعمال القلب
والجوارح الا وهي في وسع المكلف وفي مقتضى ادراكه وبنيته وبهذا
انكشفت الكربه عن المسلمين في تاولهم امر الخواطر وفي معنى هذه
الايه ما حكاه ابو هريرة رضي الله عنه قال ما وددت ان احدا
ولدتني امه الا جعفر بن ابي طالب فاني تبعته يوما وانا جايع فلما
بلغ منزله لم يجد فيه سوى نحي سمن قد بقي فيه اثاره فشقه بين
ايدينا فجعلنا نلعق ما فيه من السمن والرب وهو يقول ما
كلف الله نفسا فوق طاقتها ونجود بيد الا بما نجد **الخامسة**
اختلف الناس في جواز تكليف ما لا يطاق في الاحكام التي هي
في الدنيا بعد اتفاقهم على انه ليس واقعا في الشرع وان هذه الايه
اذنت بعدمه فقال ابو الحسن الاشعري وجماعة من المتكلمين
تكليف ما لا يطاق جايز عقلا ولا يخرم ذلك شيا من عقايد الشرع
ويكون ذلك امارة على تعذيب المكلف وقطعا به وينظر الى
هذا تكليف المصور ان يعقد شعيره واختلف القايلين بجوازه
هل وقع في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم او لا فقالت فرقه وقع

لى
ا
ع

في نازلة ابي لهب لانه كلفه بالايمان بجملة الشريعة ومن جملتها انه لا
يومن لانه حكم عليه بتب اليدين وصلي النار وذلك موذن بانه لا
يومن بقالت فرقة لم يقع قط وقد حكي الاجماع علي ذلك وقوله سيصلي
نارا معناه ان وا فا حكاه بن عطية ويكلف يتعدي الي مفعولين
احدهما محذوف تقديره عبادة او شيا فالله سبحانه بلطفه وانعامه
علينا وان كان قد كلفنا بما يشق ويثقل كثبوت الواحد للعشرة وهجرة
الانسان وخروجه من وطنه ومفارقة اهله ووطنه وعادته
لكنه لم يكلفنا بالمشقات المثقلة وبالامور المولمة كما كلف من قبلنا
بقتل انفسهم وقرض موضع البول من ثيابهم وجلودهم بل سهل
ورفق ووضع عنا الاصر والاغلال التي وضعها علي من كان
قبلنا فلله الحمد والمنة والفضل والنعمة السادسة قوله تعالى
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت يريد من الحسنات والسيات
قاله السدي وجماعة المفسرين لاخلاف في ذلك قاله بن عطية
وهو مثل قوله ولا تزر وازرة وزر اخري ولا تكسب كل
نفس الا عليها والخواطر ونحوها ليست من كسب الانسان
وجات العبارة في الحسنات من حيث هي اودار وانتقال وتحملات
صعبة وهذا كما تقول لي مال وعلي دين وكرر فعل الكسب
فخالف بين التصريف حسنا لنمط الكلام كما قال فمهل الكافرين
امهلهم رويدا قال بن عطية ويظهر لي في هذا ان الحسنات هي مما
يكتسب دون تكلف اذ كاسبها علي جادة امر الله ورسم شرعه والسيات
تكتسب ببناء المبالغة اذ كاسبها يتكلف في امرها خرق حجاب نهي الله

تعالي

تعالى ويتخطاه اليها فيحسن في الايه مجي التصريف بين احوا د الهدا المعنى
السابعة في هذه الايه دليل على صحه اطلاق ايمتنا على افعال
العباد كسبا واكتسابا ولذلك لم يطلقوا على ذلك لا خلق ولا خالق
خلافا لمن اطلق ذلك من مجبريه المبتدعه ومن اطلق من ايمتنا ذلك على
العبد وانه فاعل فبالمجاز المحض قال المهدوي وغيره وقيل معنى الايه
لا يواخذ احد بذنب احد قال ابن عطيه وهذا صحيح في نفسه لكن من
غير هذه الروايه **الثامنه** قال الكيا الطبري في قوله تعالى لها
ما كسبت وعليها ما اكتسبت يستدل به على ان من قتل غيره بمثقل
او بخنق او بتغريق فعليه ضمانه قصاصا او ديه خلافا لمن جعل ديته
على العاقله وذلك يخالف الظاهر ويدل على ان سقوط القصاص
عن الاب لا يقتضي سقوطه عن شريكه ويدل على وجوب الحد على
العاقله اذا مكنت مجنونا من نفسها وقال القاضي ابو بكر ابن العربي
ذكر علماونا هذه الايه في ان القود واجب على شريك الاب خلافا لابي
حنيفه وعلى شريك الخاطي خلافا للشافعي وابي حنيفه لان كل واحد
منهما قد اكتسب القتل وقالوا ان الاشتراك من لا يجب عليه القصاص
مع من يجب عليه القصاص لا يكون شبهه في درء ما يدرا بالشبهه
التاسعه قوله تعالى ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا المعنى
اعف عن اثم ما يقع منا على هذين الوجهين او احدهما كقوله عليه السلام
رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه اي اثم ذلك
وهذا لم يختلف فيه ان الاثم مرفوع وانما اختلف فيما يتعلق على ذلك
من الاحكام هل ذلك مرفوع لا يلزم منه شي او يلزم احكام ذلك

لله اختلف فيه والصحيح ان ذلك يختلف بحسب الوقايع فقسم لا يسقط
باتفاق كالغرامات والديات والصلوات المفروضات وقسم
يسقط باتفاق كالقصاص والنطق بكلمة الكفر وقسم ثالث يختلف فيه
كمن نسيا في رمضان او حنث ساهيا وما كان مثله مما يقع خطا ونسيانا
ويعرف ذلك في الفروع العاشرة قوله تعالى ربنا ولا تحمل علينا
اصرا اي ثقلا قال مالك والربيع الاصر الامر الغليظ الصعب
وقال سعيد بن جبير الاصر شدة العمل وما غلظ على بني اسرائيل من
البول ونحوه قال الضحاك كانوا يحملون امورا شدادا وهذا نحو
قول مالك والربيع ومنه قول النابغه يا مانع الضيم ان يغشى
سراتهم والحامل الاصر عنهم بعد ما عرفوا عطا الاصر المسخ قردة
وخنازير وقاله ابن زيد ايضا وعنه ايضا انه الذنب الذي ليس فيه توبه
ولا كفارة والاصر في اللغة العهد ومنه قوله تعالى واخذتم على ذلكم
اصري والاصر الضيق والذنب والثقل والاصار الحبل الذي يربط
به الاحمال ونحوها يقال اصر ياصر اصرا حبسه والاصر بكسر الهمزة
من ذلك الجوهري والموضع ماصر وماصر والجمع مآصر والعامة
تقول معاصر قال ابن خويز منداد ويمكن ان يستدل بهذا الظاهر
في كل عبادة ادعى الخصم تثقيلها فهو نحو قوله تعالى وما جعل عليكم
في الدين من حرج وكقول النبي صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا
اللهم شق على من شق على امة محمد صلى الله عليه وسلم قلت هذا نحو قال
الطبري قال يخبر به في نفي الحرج والضيق المنافي للحنيفية
السمحة وهذا بين الحادية عشرة قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة

لنا به قال قتادة معناه لا تشدد علينا كما شددت على من كان قبلنا
الضحاك لا تحملنا من الاعمال ما لا نطيق وقال نحوه ابن زيد ابن جريج لا
تمسخنا قردة ولا خنازير وقال سلام بن شابور الذي لا طاقة لنا به
الغلمة وحكاه النقاش عن مجاهد وعطا وروي ان ابا الدردا كان يقول
في دعايه واعوذ بك من غلمة ليس عدة وقال السدي هو التغليظ والاغلال
التي كانت على بني اسرايل قوله تعالى واعف عنا اي عن ذنوبنا عفوت
عن ذنوبه اذا تركته ولم يعاقبه واغفر لنا اي استر على ذنوبنا والغفر
الستر وارحمنا اي تفضل برحمة مبتديا منك علينا انت مولانا اي
ولينا وناصرنا وخرج هذا المخرج التعليم للخلق كيف يدعون وروي عن
معاذ بن جبل انه كان اذا فرغ من قراة هذه السورة قال امين قال ابن
عطية هذا يظن به انه رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم وان كان
ذلك فكمال وان كان بقياس على سورة الحمد من حيث هنالك دعا وهنا
دعا فحسن وقال علي بن ابي طالب ما اظن احدا عقل وادرك الاسلام ينام
حتى يقراها قلت قد روي مسلم في هذا المعنى عن ابي مسعود الانصاري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا هاتين الايتين من اخر
سورة البقرة في ليلة كفتاه قيل من قيام الليل كما روي عن ابن عمر قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول انزل الله علي ايتين من
كنوز الجنة ختم بهما سورة البقرة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق
بالف عام من قراهما بعد العشا مرتين اجزاتاه من قيام الليل امن
الرسول الى اخر البقرة وقيل كفتاه من شر الشيطان فلا يكون له عليه
سلطان واسند ابو عمرو الداني عن حذيفة بن اليماني قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل كتب كتابا قبل ان يخلق
السموات والارض بالفي عام فانزل منه هذه الثلاث الايات التي ختم
بهن البقره من قراهن في بيته لم يقرب الشيطان بيته ثلاث ليال وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اوتيت هذه الايات من اخر سورة البقره
من كنز تحت العرش لم يوتهن نبي قبلي وهذا صحيح وقد تقدم في الفاتحه نزول
الملك بهما مع الفاتحه والحمد لله

سورة ال عمران

قوله تعالى الم الله لا اله الا هو الحي القيوم هذه السوره مدنيه باجماع
وحكى النقاش ان اسمها في التوراه طيبه وقرا الحسن وعمرو بن عبيد وعاصم بن
ابي النجود وابو جعفر الرواسي الم الله بقطع الوصل على تقدير الوقف
على الم كما تقدر دون الوقف على اسما الاعداد في نحو واحد اثنان ثلاثه
اربعه وهم واصلون قال الاخفش سعيد ويجوز الم الله بكسر الميم لالتقا
الساكنين قال الزجاج هذا خطا ولا تقوله العرب لثقله قال النحاس
القراه العامه وقد تكلم فيها النحويون القدما فمذهب سيبويه ان
الميم فتحت لالتقا الساكنين واختاروا لها الفتح لئلا يجمعوا بين كسره ويا
وكسرة قبلها وقال الكسائي حروف التهجي اذا لقيتها الف الوصل فحذفت
الف الوصل حركتها بحركة الالف فقلت الم الله والم اذكر والم اقتربت
وقال الفرا الاصل الم الله كما قرا الرواسي فالقيت حركة الهمزه على
الميم وقرا عمر بن الخطاب الحي القيام وقال خارجه في مصحف عبد الله
الحي القيم وقد تقدم ما للعلما في الحروف في اوايل السور في اول البقره
ومن حيث جا في هذه السوره الله لا اله الا هو الحي القيوم جمله قايمه
بنفسها فتتصور تلك الاقوال كلها الثانيه روى النساي ان عمر بن

بن الخطاب

اسم الله الاعظم في ثلاث سور في البقره وال عمران وطه قال ابو امامه ... ... الحي القيوم

بن الخطاب رضي الله عنه صلى العشا فاستفتح آل عمران فقرا الله لا اله الا هو
الحي القيام فقرا في ركعة بمائة اية وفي الثانية بالمائة الباقيه قال علماؤنا ولا
ولا يقرا ركعة في ركعتين فان فعل اجزاه وقال في المجموعه لا باس به وما هو سورة م
بالشان **قلت** الصحيح جواز ذلك وقد قرا بالاعراف في المغرب فرقها في
ركعتين وخرجه النسائي ايضا وصححه ابو محمد عبد الحق وسياتي **الثالثة**
هذه السورة ورد في فضلها اثار واخبار فمن ذلك ما جا انها امان من الحيات
وكنز للصعلوك وانها تحاج عن قاريها في الاخرة ويكتب لمن قراها في ليلة كقيام
ليلة الى غير ذلك ذكر الدارمي ابو محمد في مسنده ثنا ابو عبيد القاسم
بن سلام قال حدثني عبد الله الاشجعي قال حدثني مسعر قال حدثني جابر
قبل ان يقع فيما وقع فيه عن الشعبي قال قال عبد الله نعم كنز الصعلوك
سورة ال عمران يقوم بها في اخر الليل حدثنا محمد بن سعيد نا عبد السلام
الجرمي عن ابي السليل قال اصاب رجل دما قال فاوى الى وادي مجنه وادي لا
يمشي فيه احد الا اصابته حية وعلى شفير الوادي راهبان فلما امسى قال
احدهما لصاحبه هلك والله الرجل قال فافتتح سورة ال عمران قالا
سورة طيبة لعله سينجوا قال فاصبح سليما واسند عن مكحول
قال من قرا سورة ال عمران يوم الجمعة صلت عليه الملايكة الى الليل
واسند عن عثمان بن عفان قال من قرا اخر ال عمران في ليلة كتب الله له قيام م
ليلة في طريقه بن لهيعة وخرج مسلم عن النواس بن سمعان الكلابي قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوتى بالقران يوم القيمة واهله الذين
كانوا يعملون به تقدمه سورة البقره وال عمران وضرب لهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثة امثال ما نسيتهن بعد قال كانهما غمامتان او ظلتان ن

سودا وان بينهما شرق او كانهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما
وخرج ايضا عن ابي امامه الباهلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقروا القران فانه ياتي يوم القيمه شفيعا لاصحابه اقروا الزهراوين البقره
وسوره العمران فانهما ياتيان يوم القيمه كانهما غمامتان او كانهما غيايتان
او كانهما فرقان من طير صواف يحاجان عن اصحابهما اقروا سوره البقره
فان اخذها بركه وتركها حسره ولا يستطيعها البطله قال معاويه بلغني ان
البطله السحره الرابعه للعلما في تسميه البقره وال عمران بالزهراوين
ثلاثه اقوال الاول انهما النيرتين ماخوذ من الزهر والزهره فاما لهدايتهما
قاريهما بما يزهر له من انوارهما اي من معانيهما واما لما يترتب على قاريهما من النور
التام يوم القيمه وهو القول الثاني القول الثالث سميتا بذلك لانهما
اشتركتا فيما تضمنه اسم الله الاعظم كما ذكره ابو داود وغيره عن اسما
ابنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في هاتين
الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم والتي في ال عمران الله
لا اله الا هو الحي القيوم اخرجه ابن ماجه ايضا والغمام السحابه الملتف وهي
الغيابه اذا دانت قريبا من الراس وهي المظله ايضا والمعنى ان قاريهما في ظلال
ثوابهما كما جا الرجل في ظل صدقته وقوله يحاجان اي يخلق الله من يجادل عنه
بثوابهما ملايكه كما جا في بعض الحديث ان من قرا شهد الله انه لا اله الا هو الايه
خلق الله سبعين ملكا يستغفرون له الي يوم القيمه وقوله بينهما شرق قيد بسكون
الرا وفتحها وهو تنبيه على الضيا لانه لما قال سودا وان قد يتوهم انهما مظلمتان
فنفى ذلك بقوله بينهما شرق ويعني بكونهما سودا وان اي من كثافتهما التي
بسببهما حالتا بين من تحتها وبين حراره الشمس وشده اللهب والله اعلم

الخامسه

الخامسة صدر هذه السورة نزل بسبب وفد نجران فيما ذكر
محمد بن اسحق بن جعفر بن الزبير وكانوا نصارى وفدوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمدينة في ستين راكبا فيهم من اشرافهم اربعة عشر رجلا في الاربعة
عشر ثلاثة نفر اليهم يرجع امرهم العاقب امير القوم وذو رايهم اسمه
عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب مجتمعهم واسمه الايهم وابو حارثة
بن علقمة احد بكر بن وايل اسقفهم وعالمهم فدخلوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم اثر صلاة العصر عليهم الحبرات جبب واردية فقال
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما راينا وفدا مثلهم جمالا وجلالة وحانت
صلاتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشرق فقال
النبي صلى الله عليه وسلم دعوهم ثم اقاموا بها اياما يناظرون رسول الله صلى الله
عليه وسلم في عيسى ويزعمون انه ابن الله الى غير ذلك من اقوال شنيعة مضطربة به
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم بالبراهين الساطعة وهم لا
يبصرون ونزل صدر السورة الى نيف وثمانين اية الى ان ال امرهم الى
ان دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الابتهال حسب ما هو مذكور
في سيرة ابن اسحاق وغيره **قوله** تعالى نزل عليك الكتاب بالحق يعني
القران بالحق اي بالصدق وقيل بالحجة البالغة والقران نزل نجوما شيئا
بعد شيء فلذلك قال نزل والتنزيل مرة بعد مرة والتوراة والانجيل
نزلا دفعة واحدة فلذلك قال انزل والباء في قوله بالحق في موضع
الحال من الكتاب والباء متعلقة بمحذوف والتقدير اتينا بالحق ولا يتعلق بنزل
لانه قد تعدى الى مفعولين احدهما بحرف جر ولا يتعدى الى ثالث ومصدق
حال مؤكدة غير منتقلة لانه لا يمكن ان يكون غير مصدق اي غير موافق

هذا قول الجمهور وقد رفيه بعضهم الانتقال على معنى أنه مصدق لنفسه
ومصدق لغيره قوله تعالى لما بين يديه يعني من الكتب المنزله والتوراه
معناها الضيا والنور مشتقة من ورى الزند وورى لغتان اذا اخرجت
ناره واصلها تورية على وزن تفعلة التا زايد وقيلها فتحت فلقيت الفا
ويجوز ان يكون تفعله فتنقل الوا من الكسر الى الفتح كما قالوا فى جارية
جاراة وفى ناصيه ناصاة كلاهما عن الفرا وقال الفرا الخليل الاصل
فوعلة والاصل ورية قلبت الواو الاولى يا كما قلبت فى تولج والاصل
وولج فوعل من ولجت وقلبت التا الفا لحركتها وانفتاح ما قبلها وبنا
فوعله اكثر من تفعله وقيل التوراه ماخوذة من التوريه وهي التعريض
بالشى والكتمان لغيره فكان اكثر التوراه معاريض وتلويحات من غير
تصريح وايضاح هذا قول المورج والجمهور على القول الاول لقوله
تعالى ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان وضيا وذكرى يعني التوراه
والانجيل فعيل من النجل وهو الاصل ويجمع على اناجيل توراة على نوار
فالانجيل اصل لعلوم وحكم ويقال لعن الله ناجليه يعني والديه اي
مانا اصله وقيل هو من نجلت الشي اذا استخرجته فالانجيل مستخرج
به علوم وحكم ومنه سمي الولد والنسل نجلا لخروجه كما قال الى
معشر لم يورث اللوم جدهم اصاغرهم وكل فحل له نجل والنجل
الما الذي يخرج من البئر واستنجلت الارض وبها نجال اذا خرج منها
الما فسمي الانجيل به لان الله تعالى اخرج به دارسا من الحق عافيا وقيل
هو من النجل في العين بالتحريك وهي سعتها وطعنه نجلا اى واسعة
قال ربما ضربة بسيف صقيل بين بصرى وطعنة نجلا سمي الانجيل

بذلك لانه

بذلك لانه اصل اخرجه لهم ووسعه عليهم نورا وضيا وقيل
التناجل التنازع وسمي انجيلا لتنازع الناس فيه وحكي سمر عن بعضهم
الانجيل كل كتاب مكتوب وافر السطور وقيل نجل عمل وصنع قال
والجل في ذاك الصنيع كما نجل اي اعمل واصنع وقيل التوراه والانجيل
من اللغة السريانيه وقيل الانجيل في السريانيه انكليون حكاه الثعلبي
قال الجوهري الانجيل كتاب عيسى عليه السلام يذكر ويونث فمن
انث اراد الصحيفه ومن ذكر اراد الكتاب قال غيره وقد تسمى القران
انجيلا ايضا كما روي في قصه مناجات موسى عليه السلام انه
قال يا رب اري في الالواح اقواما اناجيلهم في صدورهم فاجعلهم
امتي فقال الله له تلك امه احمد صلى الله عليه وسلم وانما اراد بالاناجيل
القران وقرا الحسن الانجيل بفتح الهمزه والبا قون بالكسر مثل الاكليل
لغتان ويحتمل ان يسمع ان يكون مما اعربته العرب من الاسما الاعجميه
والامثال لها في كلامها قوله تعالى من قبل يعني القران هدى للناس
قال ابن فورك التقدير هدى للناس المتقين دليله في البقره هدى للمتقين
فرد هذا العام الى ذلك الخاص وهدى في موضع نصب على الحال والفرقان
القران وقد تقدم قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شي في الارض ولا في
السما هذا خبر عن علمه تعالى بالاشيا على التفصيل ومثله في القران كثير فهو
العالم بما كان وما يكون وما لا يكون فكيف يكون عيسى الاها او ابن الاه وهو
يخفى عليه الاشيا قوله تعالى هو الذى يصوركم في الارحام كيف يشا فيه
مسلتان الاولى قوله تعالى هو الذى يصوركم اخبر تعالى عن تصويره
للبشر في ارحام الامهات واصل الرحم من الرحمة لانه مما يتراحم به واشتقاق

الصور من صارت الى الله اذا ماله فالصور مايله الى شبه وهيئه
وهذه الاية تعظيم لله تعالى وفي ضمنها الرد على نصارى نجران
وان عيسى من المصورين وذلك مما لا ينكره عاقل وياتي ان شا الله تعالى
الى شرح التصوير في سورة الحج والمؤمنين وكذلك شرحه
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث بن مسعود على ما ياتي هناك
بيانه ان شا الله وفيها الرد على الطبايعين ايضا اذ يجعلونها
فاعلة مستبده وقد مضى الرد عليهم في اية التوحيد وفي
مسند بن سنجر حديث ان الله تعالى يخلق الجنين وعصا ربه
من مني الرجل وشحمه ولحمه من مني المراة وفي هذا ادل دليل على
الولد يكون منهما الرجل والمراة وهو صريح قوله تعالى يا ايها
الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وفي صحيح مسلم من حديث
ثوبان وفيه ان اليهودي قال للنبي صلى الله عليه وسلم جئت
اسئلك عن شي لا يعلمه احد من اهل الارض الا نبي او رجل
او رجلان قال ينفعك ان حدثتك قال اسمع باذني
جيت اسئلك عن الولد فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماء
الرجل ابيض وماء المراة اصفر فاذا اجتمعا فعلى مني الرجل
مني المراة اذكرا باذن الله تعالى واذا على مني المراة مني
الرجل انثا باذن الله الحديث وسياتي بيانه اخر الشورى
ان شا الله تعالى الثانية قوله تعالى كيف يشا يعني من
حسن وقبيح وسواد وبياض وطول وقصر وسلامة وعاهه
الى غير ذلك من الشقا والسعادة وذكر عن ابراهيم بن

ادهم

ادهم ان القرآ اجتمعوا اليه ليسمعوا ما عنده من الاحاديث
فقال لهم اني مشغول باربعة اشيا فلا انفرغ لرواية الحديث
فقيل له وما ذاك الشغل قال احدها اني انفكر في يوم الميثاق
حيث قال هولا في الجنة ولا ابالي وهولاي في النار ولا ابالي
فلا ادري من اي الفريقين كنت في ذلك الوقت والثاني حيث صورت
في الرحم فقال الملك الذي هو كل على الارحام يا رب شقي ام سعيد هو م
فلا ادري كيف كان الجواب في ذلك الوقت والثالث حين
يقبض ملك الموت روحي فيقول يا رب مع الكفر ام الايمان
فلا ادري كيف يخرج الجواب والرابع حيث يقول وامتازوا
اليوم ايها المجرمون فلا ادري في اي الفريقين اكون ثم لا اله
الا هو اي لا خالق ولا مصور وذلك دليل على وحدانيته فكيف
يكون عيسى الاها مصورا وهو مصور العزيز الذي لا يغالب
الحكيم ذو الحكمة والحلم وهذا اخص مما ذكر من التصوير قوله
تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب
واخر متشابهات الى قوله اولوا الالباب فيه تسع مسايل
الاولى خرج مسلم عن عايشه قالت تلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام
الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون
ما تشابه منه ابتغا الفتنة وابتغا تاويله وما يعلم تاويله الا
الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر
الا اولوا الالباب قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا رايتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سماهم الله فاحذروهم
وعن ابي غالب قال كنت امشي مع ابي امامة وهو على حمار له حتى اذا
انتهى الى درج مسجد دمشق فاذا رؤوس منصوبة فقال ما هذه
الرؤوس خوارج جاءهم من العراق فقال ابو امامة كلاب النار كلاب
النار كلاب النار شر قتلى تحت ظل السماء طوبى لمن قتلهم وقتلوه يقولها
يقولها ثلاثا ثم بكى فقلت ما يبكيك يا ابا امامة قال رحمة لهم
انهم كانوا من اهل الاسلام فخرجوا منه ثم قرأ هو الذي انزل
عليك الكتاب منه ايات محكمات الى اخر الايات ثم قرأ ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات فقلت يا ابا
امامة هم هؤلاء قال نعم قلت اي شي تقوله برأيك ام شي سمعته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثا
ولا اربع ولا خمس ولا ست ولا سبع ووضع في اذنيه قال
والا فصمتا قالها ثلاثا ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول تفرقت بنوا اسرائيل على احدى وسبعين فرقة فرقة
واحدة في الجنة وسايرهم في النار ولتزيدن عليهم هذه الامة واحدة
واحدة في الجنة وسايرهم في النار الثانية اختلف العلما في المتشابهات
والمحكمات على اقوال اقوال عديدة فقال جابر بن عبد الله وهو
مقتضى قول الشعبي وسفيان الثوري وغيرهما المحكمات من اي
القرآن ما عرف تاويله وفهم معناه وتفسيره والمتشابه ما لم يكن
لاحد الى علمه سبيل مما استاثر الله تعالى بعلمه دون خلقه فقال
بعضهم وذلك مثل قيام الساعة وخروج ياجوج وماجوج
والدجال

وقت م

والدجال وعيسى ونحو الحروف المقطعة في اوايل السور قلت
هذا احسن ما في المتشابه وقد قدمنا في اول سورة البقرة عن الربيع
بن خيثم ان الله تعالى انزل هذا القران فاستاثر منه بعلم ما شا
الحديث وقال ابو عثمان المحكم فاتحة الكتاب التي لا تجزي الصلاة الا بها
وقال محمد بن الفضل سورة الاخلاص لانه ليس فيها الا التوحيد فقط
وقد قيل القران كله محكم لقوله تعالى كتاب احكمت اياته وقيل
كله متشابه لقوله تعالى كتابا متشابها قلت وليس هذا من معنى
الاية في شي فان قوله كتاب احكمت اياته اي في النظم والوصف
وانه حق من عند الله ومعنى كتابا متشابها اي يشبه بعضه بعضا
ويصدق بعضه بعضا وليس المراد بقوله ايات محكمات واخر
متشابهات هذا المعنى وانما المتشابه في هذه الاية من باب
الاحتمال والاشتباه من قوله ان البقر تشابه علينا اي التبس
علينا اي يحتمل انواعا كثيره من البقر والمراد بالمحكم ما في مقابله
هذا وهو ما لا التباس فيه ولا يحتمل الا وجها واحدا وقيل ان
المتشابه مما يحتمل وجوها ثم اذا ردت الوجوه الى وجه واحد
وابطل الباقي صار المتشابه محكما فالمحكم ابدا اصل ترد اليه الفروع
والمتشابه هو الفرع وقال ابن عباس المحكمات هو قوله في
سورة الانعام قل تعالوا اتلو ما حرم ربكم عليكم الى ثلاث آيات
وقوله في بني اسرائيل وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الايات قال
عطية وهذا عندي مثال اعطاه في المحكمات وقال ابن عباس
ايضا المحكمات ناسخه ومنسوخه وحرامه وفرائضه وما يومن به

ناسخه ومنسوخه

والمجمل والمتشابهات المنسوخات ومقدمه ومؤخره وامثاله
واقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به وقال ابن مسعود وغيره
المحكمات الناسخات والمتشابهات المنسوخات وقاله قتادة
والربيع والضحاك وقال محمد بن جعفر بن الزبير المحكمات هي التي
فيها حجة الرب وعصمة العبادة ودفع الخصوم والباطل
ليس لها تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه والمتشابهات لهن
تصريف وتحريف وتاويل ابتلى الله فيهن العباد وقاله مجاهد
وابن اسحق قال ابن عطيه وهذا احسن الاقوال في هذه الايه
قال النحاس احسن ما قيل في المحكمات والمتشابهات ان
المحكمات ما كان قايما بنفسه لا يحتاج ان يرجع فيه الى غيره
نحو ولم يكن له كفوا احد وعلى واني لغفار لمن تاب والمتشابهات
نحو ان الله يغفر الذنوب جميعا يرجع فيه الى قوله جل وعلا
واني لغفار لمن تاب والى قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك
به قلت ما قاله النحاس يبين ما اختاره ابن عطيه وهو الجاري
على وضع اللسان وذلك ان المحكم اسم مفعول من احكم والاحكام
الاتقان ولا شك في ان ما كان واضح المعنى لا اشكال فيه ولا
تردد انما يكون لذلك لوضوح مفردات كلماته واتقان
تركيبها ومتى اختل احد الامرين جا التشابه والاشكال والله اعلم
وقال ابن خواز منداد للمتشابه وجوه والذي يتعلق به الحكم ما
اختلف فيه العلما اي الايتين نسخت الاخرى كقول علي وابن عباس
في الحامل المتوفى عنها تعتد اقصى الاجلين فكان عمر وزيد بن ثابت

وابن مسعود

وبن مسعود وغيرهم يقولون وضع الحمل ويقولون سوره النسا
القصرى نسخت اربعه اشهر وعشرا وكان على وبن عباس يقولان
لم تنسخ وكاختلافهم في الوصيه للوارث هل نسخت ام لم تنسخ وكتعارض
الايتين ايهما اولى ان تقدم اذا لم تعرف النسخ ولم يوجد شرايطه كقوله
واحل لكم ما ورا ذلكم يقتضى الجمع بين الاقارب من ملك اليمين وقوله
وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف يمنع ذلك منه ومنه ايضا
تعارض الاخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم وتعارض الاقيسه
فذلك المتشابه وليس من المتشابه ان يقرا الايه بقرايتين ويكون
الاسم محتملا او مجملا يحتاج الي تفسير لان الواجب تقدما ثبتنا وله
الاسم او جميعه والقرانان في الايتين يجب العمل بوجهما جميعا كما
قرى وامسحوا بر وسلم وارجلكم بالفتح والكسر على ما ياتى بيانه
في المايده ان شا الله تعالى **الثالثه** روى البخاري عن سعيد بن
جبير قال قال رجل لابن عباس انى اجد في القران اشيا تختلف علي
قال ما هو قال فلا انساب بينهم يوميذ ولا يتسالون وقال
فاقبل بعضهم علي بعض يتسالون وقال ولا يكتمون الله حديثا
وقال والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا وفى النازعات ام السما
بناها الى قوله دحاها فذكر خلق السما قبل خلق الارض وقال اينكم
لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين فذكر في هذا خلق الارض
قبل السما وقال وكان الله غفورا رحيما وكان الله عزيزا حكيما
وكان الله سميعا بصيرا فكانه كان ثم مضى قال بن عباس فلا انسا
ب بينهم في النفخة الاولي ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في

رض

الارض الا من يشا الله فلا انساب بينهم عند عند ذلك في النفخة الاخرة
اقبل بعضهم على بعض يتسالون واما قوله ما كنا مشركين فختم الله على
افواههم تنطق ايديهم باعمالهم فعند ذلك لا يكتمون الله حديثا وعنده ربما
يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وخلق الارض في يومين ثم استوى
الى السما فسواهن سبع سموات في يومين ثم دحي الارض اي بسطها
فاخرج منها الما والمرعى وخلق فيها الجبال والاشجار والاكام وما بينهما
في يومين فذلك قوله والارض بعد ذلك دحاها فخلقت الارض
وما فيها في اربعة ايام وخلقت السما في يومين وقوله وكان الله غفورا
رحيما يعني نفسه ذلك اي لم يزل ولا يزال كذلك وان الله لم يرد شيا الا
اصاب به الذي اراد ويحك فلا يختلف عليك القران فان كلا من عند الله
الرابعة قوله تعالى واخر متشابهات لم يصرف اخر لانها عدلت عن الالف
واللام لان اصلها ان يكون صفة بالالف واللام كالكبر والصغر فلما عدلت
عن مجرى الالف واللام منعت الصرف ابو عبيد لم يصرفوها لان واحدها لا
ينصرف في معرفة ولا نكرة وانكر ذلك المبرد وقال يجب على هذا ان لا ينصرف
غضاب وعطاش الكسائي لم تنصرف لانها صفة وانكره المبرد ايضا وقال
ان لبدا وحطما صفتان وهما منصرفان سيبويه لا يجوز ان يكون اخر
معدولة عن الالف واللام لانها لو كانت معدولة عن الالف واللام
لكان معرفة الا ترى ان سحر معرفة في جميع الاقاويل لما كانت معدولة
وامس في قول من قال ذهب امس معدولا عن الالف امس فلو كان اخر
ايضا معدولا عن الالف واللام لكان معرفة وقد وصفه الله تعالى
بالنكرة الخامسة قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ الذين رفع

بالابتدا والخبر

بالابتدا والخبر فيتبعون ما تشابه والزيغ الميل ومنه زاغت الشمس
وزاغت الابصار ويقال زاغ يزيغ زيغا اذا ترك القصد ومنه قوله
تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وهذه الاية تعم كل طائفة من كافر
وزنديق وجاهل وصاحب بدعة وان كانت الاشارة بها في ذلك
الوقت الى نصارى نجران وقال قتادة في تفسير قوله تعالى فاما الذين
في قلوبهم زيغ ان لم يكونوا الحرورية وانواع الخوارج فلا ادري
من هم قلت قد مر هذا التفسير عن ابي امامة مرفوعا وحسبك
السادسة قوله تعالى فيتبعون ما تشابه منه ابتغا الفتنة وابتغا
تاويله قال شيخنا ابو العباس رحمة الله عليه متبعوا المتشابه لا
يخلوا ان يتبعوه ويجمعوه طلبا للتشكيك في القران واضلال العوام
الزنادقة والقرامطة الطاعنون في القران او طلبا لاعتقاد ظواهر
المتشابه كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما في الكتاب والسنة مما يوهم
ظاهره الجسمية حتى اعتقدوا ان الباري جسم مجسم وصورة مصورة
ذات وجه وعين ويد وجنب ورجل واصبع تعالى الله عن ذلك
او يتبعوه على جهة ابداء تاويلاتها وايضاح معانيها او كما فعل صبيغ
حين اكثر على عمر فيه السوال فهذه اربعة اقسام الاول لا شك في كفرهم
وان حكم الله فيهم القتل من غير استتابة الثاني الصحيح القول بتكفيرهم
اذ لا فرق بينهم وبين عباد الاصنام والصور ويستتابون فان تابوا والا
قتلوا كما يفعل بمن ارتد الثالث اختلف في جواز ذلك بناء على الخلاف في
جواز تاويلها وقد عرف ان مذهب السلف ترك التعرض لتاويلها مع
قطعهم باستحالة ظواهرها فيقولون امروها كما جاءت وذهب بعضهم

الي ابدانا ويلها وحملها علي ما يصح حمله في اللسان عليها من غير قطع بمعنى
محال منها الرابع الحلم فيه الادب البليغ كما فعله بصبيغ وقال ابو بكر
الانباري وقد كان الايمه من السلف يعاقبون من يسال عن تفسير الحروف
المشكله من القران لان السايل ان كان يبغي بسواله تخليد البدعه واثاره
الفتنه فهو حقيق بالنكير واعظم التعزير وان لم يكن ذلك مقصده فقد
استحق العتب بما اجترم الذنب اذا وجد المنافقين والملحدين في ذلك
سبيلا الي ان يقصد واضعفه المسلمين بالتشكيك والتضليل في
تحريف القران عن مناهج التنزيل وحقايق التاويل لمن ذلك ما حدثنا
اسمعيل بن اسحاق القاضي ثنا سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن يزيد
بن حازم عن سليمان بن يسار ان صبيغ عسل قدم المدينه فجعل يسال عن
متشابه القران وعن اشيا فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فبعث اليه
فاحضره وقد اعد له عراجين من عراجين النخل فلما حضر قال له عمر من
انت قال انا عبد الله بن صبيغ فقال عمر رضي الله عنه وانا عبد الله
بن عمر ثم قام اليه فضرب راسه بعرجون فشجه ثم تابع ضربه حتى سال
دمه علي وجهه فقال حسبك يا امير المومنين فقد ذهب والله ما
كنت احد في راسي وقد اختلفت الروايات في ادبه وسياتي من ذكرها
في الذاريات ثم ان الله تعالى الهمه التوبه وقذفها في قلبه وحسنت توبته
ومعنى ابتغا الفتنه طلب الشبهات واللبس علي المومنين حتى يفسدوا
ذات بينهم ويردوا الناس الي زيغهم وقال ابو اسحاق الزجاج
معنى ابتغايهم تاويله انهم طلبوا تاويل بعثهم واحيايهم فاعلم الله
جل وعز ان تاويل ذلك لا يعلمه الا الله قال والدليل علي ذلك قوله

هل ينظرون

فجعل

وورقته م

هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله اي يوم يرون ما
يوعدون من البعث والنشور والعذاب يقول الذين
نسوه اي تركوه قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد راينا
تاويل ما انبانا به الرسل قال فالوقف على قوله وما يعلم
تاويله الا الله اي لا يعلم احد متى البعث الا الله
التاسعة قوله وما يعلم تاويله الا الله يقول ان جماعة
من اليهود منهم حيي بن اخطب دخلوا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقالوا بلغنا انه نزل عليك الم فان كنت
صادقا في مقالتك فان ملك امتك يكون احدى وسبعين
سنه لان الالف في حساب الجمل بواحد واللام بثلاثون
والميم اربعون فنزل وما يعلم تاويله الا الله والتاويل
يكون بمعنى التفسير لقولك تاويل هذه الكلمة على كذا
ويكون بمعنى ما يوول الامر اليه واشتقاقه من الـ
الامر الى كذا يوول اليه اي صار واولته تاويلا اي صيرته
وقد حده الفقها فقالوا هو ابدا احتمال في اللفظ معضو
بدليل خارج عنه فالتفسير بيان اللفظ لقوله لا ريب فيه
اي لا شك واصله من الفسر وهو البيان يقال فسرت
الشي مخففا افسره بالكسر فسرا والتاويل بيان المعنى
لقوله لا شك فيه عند المومنين او لانه حق في نفسه
فلا يقبل ذاته الشك وانما الشك وصف الشاك وكقول
ابن عباس في الجد ابا لانه تاول قول الله عز وجل يا بني

ادم الثامنة قوله والراسخون في العلم اختلف العلما
في الراسخون هو ابتدا كلام مقطوع عما قبله او معطوف
على ما قبله فيكون الواو للجمع فالذي عليه الاكثر انه مقطوع
مما قبله وان الكلام تم عند قوله الا الله هذا قول بن عمر وبن
عباس وعايشه وعروه بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وغيرهم وهو
مذهب الكساي والاخفش والفرا وابي عبيد قال ابو نهيك
الاسدي انكم تصلون هذه الايه وانها مقطوعه وما انتهى علم الراسخين
الا الى قولهم امنا به كل من عند ربنا وقال مثل هذا عمر بن عبد العزيز
وحكى الطبري نحوه عن يونس عن اشهب عن مالك بن انس ويقولون على
هذا خبر الراسخين قال الخطابي وقد جعل الله تعالى ايات كتابه الذي امرنا
بالايمان به والتصديق بما فيه على قسمين محكما ومتشابها فقال عز من قايل
هو الذي انزل عليك الكتاب ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات
الى قوله كل من عند ربنا فاعلم ان المتشابه من الكتاب قد استاثر الله بعلمه
فلا يعلم تاويله احد غيره ثم اثنى الله عز وجل على الراسخين في العلم بانهم
يقولون امنا به ولولا صحه الايمان منهم لم يستحقوا الثنا عليه
ومذهب اكثر العلما ان الوقف التام في هذه الايه انما هو عند قوله
تعالى وما يعلم تاويله الا الله وان ما بعده استيناف كلام اخر وهو
قوله والراسخون في العلم يقولون امنا به وروي ذلك عن بن مسعود
وابي بن كعب وبن عباس وعايشه وانما روي عن مجاهد انه نسق الراسخين
على ما قبله وزعم انهم يعلمونه واحتج له بعض اهل اللغة [illegible]
[illegible] لان [illegible]

الا مع ظهور الفعل فاذا لم يظهر فعل فلا يكون حالا ولو جاز ذلك لجاز
عبد الله راكبا بمعنى اقبل عبد الله راكبا وانما يجوز ذلك مع ذكر الفعل
كقوله عبد الله يتكلم يصلح بين الناس فيكون يصلح حالا كقول الشاعر انشدنيه
ابو عمر قال انشدنا ابو العباس ثعلب ٥ ارسلت فيها رجلا
لكالكا يقصر يمشي ويطول باركا اي يقصر ماشيا فكان قول عامة
العلماء مع مساعدة مذاهب النحويين له اولى من قول مجاهد وحده
وايضا فانه لا يجوز ان ينفي الله سبحانه شيا عن الخلق ويثبته لنفسه
فيكون له في ذلك شريك الا ترى قوله عز وجل قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله وقوله لا يجليها لوقتها الا هو وقوله كل شي هالك
الا وجهه فكان هذا كله مما استاثر الله لا يشركه فيه غيره وكذلك تبارك سبحانه
وتعالى وما يعلم تاويله الا الله ولو كانت الواو في قوله والراسخون معا
للنسق لم يكن لقوله كل من عند الله فايده والله اعلم **قلت** ما حكاه الخطابي
من انه لم يقل بقول مجاهد غيره فقد روي عن ابن عباس ان الراسخين
معطوف على اسم الله عز وجل وانهم داخلون في علم المتشابه وانهم
مع علمهم به يقولون امنا به وقال الربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير والقاسم
بن محمد وغيرهم ويقولون على هذا التاويل نصب على الحال من الراسخين كما قال
الريح يبكي شجوه والبرق يلمع في الغمامه وهذا البيت يحتمل للمعنيين فيجوز
ان يكون والبرق مبتدا والخبر يلمع على التاويل الاول فيكون مقطوعا مما قبله
ويجوز ان يكون معطوفا على الريح يلمع في موضع الحال على التاويل الثاني
اي لامعا واحتج قايلوا هذه [illegible] ايضا بان الله سبحانه وتعالى مدحهم
بالرسوخ والعلم فكيف يمدحهم [illegible] الا وقد قال ابن عباس انا ممن

يعلم تاويله حكاه عنه امام الحرمين ابو المعالي قلت وقد رد بعض في
هذا القول الاول تعالى وتقدير تمام الكلام عند الله ان معناه وما
يعلم تاويله الا الله يعني تاويل المتشابهات والراسخون في العلم يعلمون
بعضه قايلين امنا به كل من عند ربنا بما نصب من الدلايل في المحكم ومكن من
رده اليه فاذا علموا تاويل بعضه ولم يعلموا البعض قالوا امنا بالجميع
كل من عند ربنا وما لم يحط به علمنا من الخفايا مما في شرعه الصالح فعلمه
عند ربنا فان قال قايل قد اشكل على الراسخين بعض تفسيره حتى قال
ابن عباس لا ادري ما الاواه ولا ما غسلين قيل له هذا لا يلزم لان
ابن عباس قد علم بعد ذلك ففسر ما وقف عليه وجواب اقطع من هذا
وهو انه سبحانه لم يقل وكل راسخ فيجب فاذا لم يعلمه احدهم علمه الاخر
ورجح ابن فورك ان الراسخين يعلمون التاويل واطنب في ذلك وفي
قوله عليه السلام لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل ما يبين
لك ذلك اي علمه معاني كتابك والوقف على هذا يكون عند قوله
والراسخون في العلم قال شيخنا ابو العباس احمد بن عمر وهو الصحيح فان
تسميتهم راسخين يقتضي بانهم يعلمون اكثر من المحكم الذي يستوي في
علمه جميع من يفهم كلام العرب وفي اي شي هو رسوخهم اذا لم يعلموا الا
ما يعلم الجميع لكن المتشابه يتنوع فمنه ما لا يعلم البتة كامر الروح والساعة
مما استاثر الله بغيبه وهذا لا يتعاطى علمه احد لا ابن عباس ولا غيره فمن
قال من العلماء الحذاق بان الراسخين لا يعلمون علم المتشابه فانما اراد هذا
النوع واما ما يمكن حمله على وجوه في اللغة ومناح في كلام العرب فيتاول
ويعلم تاويله المستقيم ويزال

هذا

مستقيم كقوله في عيسى وروح منه الى غير ذلك فلا يسمى احد راسخا
الا بان يعلم من هذا النوع كثيرا بحسب ما قدر له واما من يقول
ان المتشابه هو المنسوخ فيستقيم على قوله ادخال في علم التاويل
لكن تخصيصه المتشابهات بهذا النوع غير صحيح والرسوخ الثبوت
في الشي وكل ثابت راسخ واصله في الاجرام ان يرسخ الجبل والشجر في
الارض وقال الشاعر ⊙ لقد رسخت في الصدر مني مودة
لليلى ابت اياتها ان تغيرا ⊙ ورسخ في قلب فلان يرسخ رسوخا وحكى
بعضهم رسخ الغدير ونضب ماوه حكاه بن فارس فهو من الاضداد
ورسخ ورضخ ورصن ورسب كله ثبت وسيل النبي صلى الله عليه وسلم
عن الراسخين في العلم فقال هو من برت يمينه وصدق لسانه واستقام
قلبه فان قيل كيف كان في القران متشابه والله يقول وانزلنا اليك
الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم فكيف لم يجعل كله واضحا قيل له الحكمة
في ذلك والله اعلم ان يظهر فضل العلما لانه لو كان كله واضحا لم يظهر فضل
بعضهم على بعض وهكذا يفعل من يصنف تصنيفا يجعل بعضه
واضحا وبعضه مشكلا ويترك للجثو موضعا لان ما هان وجوده
قل بهاوه والله اعلم التاسعة قوله تعالى كل من عند ربنا فيه
ضمير عايد على كتاب الله تعالى محكمه ومتشابهه والتقدير كله من
عند ربنا وحذف الضمير لدلالة كل عليه اذ هي لفظة تقتضي الاضافة
ثم قال وما يذكر الا اولوا الالباب اي ما يقول هذا ويومن
ويقف حيث وقف ويدع اتباع المتشابه الا ذو لب وهو العقل
ولب كل شي خالصه فلذلك قيل للعقل لب واولوا جمع ذو والله

د
م
ضعا
فه

اعلم قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا فيه مسلتان
قوله ربنا لا تزغ قلوبنا في الكلام حذف تقديره يقولون وهذا حكاية عن
الراسخين ويجوز ان يكون المعنى قل يا محمد ويقال ازاغه القلب فساد
وميل عن الدين افكانوا يخافون وقد هدوا ان ينقلهم الله الى الفساد
فالجواب ان يكونوا سالوا اذ هداهم الله ان لا يبتليهم بما يثقل عليهم
من الاعمال فيثقلوها فيعجزوا عنه نحو ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا
انفسكم قال ابن كيسان سالوا الا يزيغوا فيزيغ الله قلوبهم نحو فلما زاغوا
ازاغ الله قلوبهم اي ثبتنا على هدايتك اذ هديتنا ولا تزغ فنستحق
ان تزيغ قلوبنا وقيل هو منقطع مما قبل وذلك انه تعالى لما ذكر اهل
الزيغ عقب ذلك بان علم عباده الدعا اليه في الا يكونوا من الطائفة
الذميمة التي ذكرت وهي اهل الزيغ وفي الموطا عن ابي عبد الله الصنابحي
انه قال قدمت المدينة في خلافة ابي بكر الصديق فصليت وراه
المغرب فقرا في الركعتين الاولتين بام القران وسورة من قصار
المفصل ثم قام في الثالثة فدنوت منه حتى ان ثيابي لتكاد تمس ثيابه
فسمعته يقرا بام القران وهذه الاية ربنا لا تزغ قلوبنا الاية
قال العلما قراته بهذه الاية ضرب من القنوت والدعا لما كان
فيه من امر اهل الردة والقنوت جايز في المغرب عند جماعة من
اهل العلم وفي كل صلاة ايضا اذا دهم المسلمين امر عظيم يفزعهم ويخافون
منه على انفسهم وروى الترمذي من حديث شهر بن حوشب قال
قلت لام سلمة يا ام المومنين ما كان اكثر دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا كان عندك قالت كان اكثر دعايه يا مقلب القلوب ثبت قلبي

على دينك قال يا ام سلمه انه ليس ادمي الا وقلبه بين اصبعين من اصابع
الله فمن شا اقام ومن شا ازاغ فتلا معاذ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا
قال حديث حسن وهذه الايه حجه على المعتزلة وغيرها في قولهم ان
الله لا يضل العباد ولو لم تكن الازاغه من قبله لما جاز ان يدعي في
دفع ما لا يجوز عليه فعله وقرا ابو واقد والجراح لا تزغ قلوبنا
باسناد الفعل الى القلوب وهي رغبه الى الله تعالى ومعنى الايه
على القرائتين اي لا تلون زمنك خلق الزيغ فيها فتزيغ الثانية
قوله تعالى وهب لنا من لدنك رحمه اي من عندك ومن قبلك
تفضلا لا عن سبب منا ولا عمل وفي هذا الاستسلام تطارح
وفي لدن اربع لغات لدن بفتح اللام وضم الدال وجزم النون
وهي افصحها وبفتح اللام وضم الدال وفتح النون وبضم اللام وجزم
الدال وفتح النون وبفتح اللام وسكون الدال وفتح النون
ولعل جهال المتصوفه وزنادقه الباطنيه يتشبثون بهذه
الايه وامثالها فيقولون العلم ما وهبه الله ابتدا من غير تسبب
والنظر في الكتب والاوراق حجاب وهذا مردود على ما ياتي
بيانه في غير هذا الموضع ومعنى الايه هب لنا نعيما صادرا عن
الرحمة لان الرحمه راجعه الى صفه الذات فلا يتصور فيها الهبه
يقال وهب يهب والاصل يوهب بكسر الها ومن قال الاصل يوهب
بفتح الها فقد اخطا لانه لو كان كما قال لم يحذف الواو كما لم يحذف في
يوجل وانما حذفت الواو لوقوعها بين يا وكسرة ثم حذف فتح بعد
حذفها لان فيه حرفا من حروف الحلق قوله تعالى ربنا انك

جامع الناس اي جامعهم ومحييهم بعد تفرقهم وفي هذا اقرار بالبعث
ليوم القيمه قال الزجاج هذا هو التاويل الذي علمه الراسخون
واقروا به وخالف الذين ابتغوا ما تشابه عليهم من امر البعث
حين انكروه والريب الشك وقد تقدمت كمامله في البقره
والميعاد مفعال من الوعد قوله تعالى ان الذين كفروا لن
تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا واولايك هم معناه
بين اي لن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من عذاب الله شيا
وقرا السلمي لم يغني باليا لتقدم الفعل ودخول الحايل بين الاسم
والفعل وقرا الحسن تغني بالتا وسكون اليا الاخر للتخفيف كقوله
الشاعر ٥ كفى باليا س من اسما كافي وليس لسقمها اذ طال شافي
وكان حقه ان يقول كافيا فارسل اليا وانشد الفرا في مثله
كان ايديهن بالقاع القرق ايدي جوار يتعاطين الورق القرق
والقرقه لغتان في القارع ومن في قوله من الله بمعنى عند قاله
ابو عبيده واولايك هم وقود النار الوقود اسم للحطب وقد
تقدم في البقره وقرا الحسن ومجاهد وطلحه بن مصرف وقود بضم
الواو على حذف مضاف تقديره حطب وقود النار ويجوز
في العربية اذا ضم الواو ان يقول اقود مثل امت والوقود بضم
الواو المصدر وقدت النار تقد اذا اشتعلت وخرج ابن المبارك
من حديث العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يظهر هذا الدين حتى يجاوز البحار وحتى يخاض البحار
بالخيل في سبيل الله تبارك وتعالى ثم ياتي اقوام يقرون القران فـ

اذا قروه

فما ذا قروه فلو امن اقرا منا من اعلم منا ثم التفت الى اصحابه فقال
هل ترون في اوليهم من خير قالوا لا قال اوليك منكم واوليك
من هذه الامة واوليك هم وقود النار قوله تعالى كداب
ال فرعون الاية الداب العادة والشان وداب الرجل في عمله
يداب دابا ودوبا اذا جد واجتهد وادابت انا وادا ب
بعيره اذا اجهده في السير والدايبان الليل والنهار قال ابو حاتم
وسمعت يعقوب يذكر الداب بفتح الهمزة وقال لي وانا
عليم على اي شي يجوز الداب فقلت له اظنه من دئب يداب دابا
فقبل ذلك مني وتعجب من جوده تقديري على صغري ولا ادري
ايقال ام لا قال النحاس وهذا القول خطا لا يقال البته د
وانما يقال داب يداب دوبا هكذا حكى النحويون منهم الفرا
حكاه في كتاب المصادر كما قال امرو القيس كدابك من ام الحويرث
قبلها وجارتها ام الرباب بماسل فاما الداب فانه يجوز كما
يقال شعر وشعر ونهر ونهر لان فيه حرفا من حروف الحلق
واختلفوا في الكاف فقيل هي في موضع رفع تقديره دابهم كداب
ال فرعون اي صنيع الكفار معك كصنيع ال فرعون مع موسى
وزعم الفرا ان المعنى كفرت العرب ككفر ال فرعون قال
النحاس لا يجوز ان تكون الكاف متعلقة بكفروا لان كفروا
داخله في الصله وقيل هي متعلقة باخذهم الله اي اخذهم اخذا
كاخذ ال فرعون وقيل هي متعلقة بقوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
اي لن تغني عنهم غناء كما لم تغن الاموال والاولاد عن ال فرعون في هذا

جواب لمن تخلف عن الجهاد وقال شغلتنا اموالنا واهلونا ويصح
ان يعمل فيه فعل مقدر من لفظ الوقود ويكون التشبيه في نفس
الاحتراق ويؤيد هذا المعنى ادخلوا ال فرعون اشد العذاب
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا والقول الاول ارجح واختاره
غير واحد من العلما قال ابن عرفه كداب ال فرعون اي كعادة
ال فرعون نقول اعتاد هولا الكفرة الالحاد والاعنات للنبي
صلى الله عليه وسلم كما اعتاد ال فرعون من اعنات الانبيا قال
معناه الازهري فاما قوله في سورة الاحزاب فقال والمعنى كداب
ال فرعون فالمعنى جوزى هولا بالقتل والاسر كما جوزى ال فرعون
بالغرق والهلاك قوله تعالى باياتنا يحتمل ان يريد بالايات
المتلوة ويحتمل ان يريد الايات المنصوبه للدلاله على الوحدانيه
فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب قوله تعالى
قل للذين كفروا الايه يعني اليهود قال محمد بن اسحق لما اصاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قريشا ببدر وقدم المدينه جمع اليهود
فقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش
يوم بدر قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل
تجدون ذلك في كتابكم وعهد اليكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك
قتلت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت فيهم فرصة
لئن ~~نحن~~ والله قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس فانزل الله قل للذين كفروا
ستغلبون يا لنبا يعني اليهود اي تهزمون فتحشرون الى جهنم
في الاخرة هذه روايه عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس وفي

روايه

روايه ابي صالح عنه ان اليهود لما فرحوا بما اصاب المسلمين يوم
احد نزلت فالمعنى على هذا ستغلبون بالتا يعني قريشا وتحشرون
باليا فيهما وهي قراه نافع قوله تعالى وبيس المهاد يعني جهنم
هذا ظاهر الايه وقال مجاهد المعنى بيس ما مهدوا لانفسهم
فكان المعنى بيس فعلهم الذي اداهم الى جهنم قوله تعالى قد كان
لكم ايه اي علامة وقال كان ولم يقل كانت لان ايه تانيثها غير حقيقي
وقيل ردها الى البيان اي قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك
اللفظ كقول امر القيس ○ برهرهة رودة رخصة كخرعوبة
النابعة المنفطر ولم يقل المنفطرة لانه ذهب الى القضيب
وقال الفرا ذكره لانه فرق بينهما بالصفة فلما حالت الصفة بين
الاسم والفعل ذكر الفعل وقد مضى هذا المعنى في البقره في قوله
تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصيه
في فيتين التقتا يعني المسلمين والمشركين يوم بدر فيه قرا الجمهور فيه
بالرفع بمعنى احدهما فيه وقرا الحسن ومجاهد فيه بالخفض واخرى
كافرة على البدل وقرا ابن ابي عبله بالنصب فيهما قال احمد بن يحيى
ويجوز النصب على الحال اي التقتا مختلفتين مومنه وكافرة
قال الزجاج النصب بمعنى اعني وسميت الجماعة من الناس فية
لانها يفا اليها اي يرجع في وقت الشدة وقال الزجاج الفية
الفرقه ماخوذ من فاوت راسه بالسيف ويقال فايته
اذا قطعته ولا خلاف ان الاشارة بهاتين الفيتين الى يوم بدر
واختلف من المخاطب بها فقيل يحتمل ان يخاطب بها المومنون

ويحتمل ان يخاطب بها جميع الكفار ويحتمل ان يخاطب بها يهود المدينه
وجل احتمال منها وقد قال قوم وفايده الخطاب للمومنين
تثبيت النفوس وتشجيعها حتى يقدموا على مثليهم وامثالهم كما قد
وقع قوله تعالى يرونهم قال ابو علي الرويه في هذه الايه
رويه عين ولذلك ولذلك تعدت الى مفعول واحد قال مكي
والمهدوي يدل راي العين وقرا نافع ترونهم بالتا والباقون
بالبا مثليهم نصب على الحال من الها والميم في ترونهم والجمهور من
الناس على ان الفاعل بيرونهم المومنون والضمير المتصل هو
الكفار وانكر ابو عمرو ان يقرا ترونهم بالتا قال ولو كان
لذلك لكان مثليكم قال النحاس وذا لا يلزم ولكن يجوز ان يكون
مثلي اصحابكم قال مكي يرونهم بالتا جرى على الخطاب في لكم فيحسن ان
يكون الخطاب للمسلمين والها والميم للمشركين وقد كان يلزم من
قرا بالتا ان يقرا مثليكم بالكاف وذلك لا يجوز لمخالفه الخط ولكن
جرى الكلام على الخروج من الخطاب الى الغيبه كقوله حتى اذا كنتم
في الفلك وجرين بهم وقوله وما اوتيتم من زكاة تخاطب ثم
قال واوليك هم المضعفون فرجع الى الغيبه فالها والميم في
مثليهم يحتمل ان يكون للمشركين اي ترون ايها المسلمون المشركين
مثلي ما هم عليه من العدد وهو بعيد في المعنى لان الله تعالى لم يكثر
المشركين في اعين المومنين بل اعلمنا انه قللهم في اعين المومنين فيكون
المعنى ترون ايها المسلمون المشركين مثليكم في العدد وقد كان ...
امثالهم فقلل الله المشركين في اعين المسلمين فاراهم اياهم مثلي عدتهم

لتقوى

لتقوى انفسهم ويقع التخاسير وقد كان اعلموا ان المايه منهم تغلب
المايتين من الكفار وقلل المسلمين في اعين المشركين ليجترووا عليهم
فينفذ حكم الله فيهم ويحتمل ان يكون الضمير في مثليهم للمسلمين اي ترون
ايها المسلمون المسلمين مثلي ما انتم عليه من العدد اي ترون انفسكم
مثلي عددكم فعل الله ذلك بكم لتقوى انفسهم على لقا المشركين
والتاويل الاول اولى يدل عليه قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك
قليلا وقوله واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا وروي عن
بن مسعود انه قال قلت لرجل الي جنبي اتراهم سبعين قال اظنهم مايه
فلما اخذنا الاسارى اخبرونا انهم كانوا الفا وحكى الطبري عن قوم انهم
قالوا بل كثر الله عدد المومنين في عيون الكافرين حتى كانوا عندهم ضعفيهم
وضعف الطبري هذا القول قال بن عطيه وكذلك هو مردود من
جهات بل قلل الله المشركين في اعين المومنين كما تقدم وعلى هذا التاويل كان
يكون ترون للكافرين اي ترون ايها الكافرون المومنين مثليهم على ما
تقدم وزعم الفرا ان معنى ترونهم مثليهم ثلاثه امثالهم وهو بعيد غير
معروف في اللغه قال الزجاج وهذا باب الغلط فيه غلط في جميع المقاييس
لانا انما نعقل مثل الشي مساويا له ونعقل مثليه ما يساويه مرتين قال
بن كيسان وقد بين الفرا قوله بان قال كما يقول وعندي عبد احتاج الي مثله فانا
محتاج اليه والي مثله وتقول احتاج الي مثليه فانت محتاج الي ثلاثه امثاله والمعنى
على خلاف ما قال واللغه والذي اوقع الفرا في هذا ان المشركين كانوا ثلاثه
امثال المومنين يوم بدر فتوهم انه لا يجوز ان يكونوا يرونهم الا على عدتهم
وهذا بعيد وليس المعنى عليه وانما اراهم الله على غير عدتهم لجهتين احدهما

وقلل

كم

انه راى الصلاح في ذلك لان المومنين تقوى قلوبهم بذلك والاخرى
ايه للنبي صلى الله عليه وسباذكره ونتمه بعد ان شا الله تعالى واما قراه
اليا فقال بن كيسان الها والميم في يرونهم عايد على الاخرى كافره والها والميم
في مثليهم عايد على فيه تقاتل في سبيل وهذا من الاضمار الذى يدل عليه
سياق الكلام وهو قوله يويد بنصره من يشا فدل ذلك على ان الكافرين
كانوا مثلي المسلمين في راى العين وثلاثه امثالهم في العدد قال والرويه هنا
لليهود وقال على الرويه للفيه المقاتله في سبيل الله والمرئيه الفيه الكافره
اي يرى الفيه المقاتله في سبيل الله الفيه الكافره مثلي الفيه المومنه وقد كانت
الفيه الكافره ثلاثه امثال المومنه فقللهم الله في اعينهم على ما تقدم في الخطاب
في لكم لليهود وقال بن عباس وطلحه يرونهم بضم اليا والسلمي بالتاء مضمومه
على مالم يسم فاعله والله يويد بنصره من يشا ان في ذلك لعبره لاولي الابصار
تقدم معنا والحمد لله قوله تعالى زين للناس حب الشهوات الى قوله
والله عنده حسن الماب احدى عشره مسله الاولى قوله تعالى زين
للناس زين من التزيين واختلف الناس من المزين فقالت فرقه
الله زين ذلك وهو ظاهر قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذكره البخاري
وفي التنزيل انا جعلنا ما على الارض زينة لها ولما قال عمر الان يارب
حين زينتها لنا نزلت قل اونبيكم بخير من ذلكم وقالت فرقه المزين هو
الشيطان وهو ظاهر قول الحسن فانه قال من زينها ما احد اشد لها
ذما من خالقها فتزيين الله تعالى انما هو بالايجاد والتهيية للانتفاع
وانشا الجبلة على الميل الى هذه الاشيا وتزيين الشيطان انما هو بالوسوسه
والخديعة وتحسين اخذها من غير وجوهها والا

ابتدا

ابتدا وعظ لجميع الناس وفي ضمن ذلك توبيخ لمعاصري محمد عليه السلام من
اليهود وغيرهم وقرا الجمهور زين على بنا الفعل للفاعل ونصب حب وحر
الها من الشهوات فرقا بين الاسم والنعت والشهوات جمع شهوه وهي
معروفة والشهوان للشي وشي شهي اي مشتهى واتباع الشهوات مرد
وطاعتها مهلكه وفي صحيح مسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
رواه انس عن النبي صلى الله عليه وسلم وفايدة هذا التمثيل ان الجنة لا
تنال الا بقطع مفاوز المكاره وبالصبر عليها وان النار لا ينجى منها الا
بترك الشهوات وفطام النفس عنها وقد روي عنه عليه السلام انه
قال طريق الجنة حزن بربوه وطريق النار سهل بسهوه وهو معنى قوله
حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات اي طريق الجنة صعب
المسلك فيه اعلاما يلوي من الروابي وطريق النار سهل لا غلظ فيه
ولا عورة وهو معنى قوله سهل بسهوه وهو بالسين المهمله الثانية
قوله تعالى من النسا بدا بهن لكثرة تشوق النفوس اليهن لانهن
حبايل الشيطان وفتنة الرجال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النسا اخرجه البخاري ومسلم
ففتنة النسا اشد من جميع الاشيا كلها ويقال في النسا فتنتان
وفي الاولاد فتنة واحدة فاما اللتان في النسا فاحداهما ان تودي
الى قطع الرحم لان المراة بامر زوجها تقطعه عن الامهات
والاخوات والثانية يبتلى بجمع المال من الحرام والحلال واما
البنون فان الفتنة فيهم وهو ما ابتلي بجمع المال لاجله وروى
عبد الله بن ابي بريده عن ابيه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا

عبد الله بن

تسكنوا نساكم الغرف ولا تعلموهن الكتاب حذرهم صلى الله عليه وسلم
لان في اسكانهن الغرف تطلعا الى الرجال وليس في ذلك تحصين لهن
ولا ستر لانهن قد يشرفن على الرجال فتحدث الفتنة والبلاء ولانهن
خلقن من الرجل فهمتها في الرجل والرجل خلق فيه الشهوة وجعلت
سكنا له فغير مامون كل واحد منهما على صاحبه وفي تعلمهن الكتاب
هذا المعنى من الفتنة واشد وفي كتاب الشهاب عن النبي صلى الله
صلى الله عليه وسلم اعروا النساء يلزمهن من الحجال فعلى الانسان
اذا لم يصبر في هذه الازمان ان يبحث على ذات الدين ليسلم له الدين
قال صلى الله عليه وسلم عليك بذات الدين تربت يداك اخرجه مسلم
عن ابي هريرة وفي سنن ابن ماجة عن عبد الله بن عمرو قال قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن
ان يرديهن ولا تزوجوهن لاموالهن فعسى ان يطغيهن ولكن تزوجوهن
على الدين ولامة سوداء خرماء ذات دين افضل الثالثة قوله
تعالى والبنين عطف على ما قبله وواحد البنين ابن قال الله تعالى
مخبرا عن نوح ان ابني من اهلي ويقول في التصغير بني كما قال لقمان
وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للاشعث بن قيس هل من
ابنة حمزة من ولد قال نعم لي منها ولود ددت ان لي به جفنة من طعام
اطعمها من بقي من بني جبلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لئن قلت ذلك
انهم لثمرة القلوب وقرة الاعين وانهم مع ذلك لمجبنة مبخلة محزنة
الرابعة قوله تعالى والقناطير القناطير جمع قنطار كما قال
تعالى واتيتم احداهن قنطارا ... العدد ... الا ... و...

هواسم

هو اسم للعيار الذي يوزن به كما هو الرطل والربع ويقال لما بلغ ذلك
الوزن هذا قنطار اي يعدل القنطار والعرب تقول قنطر الرجل
اذا بلغ ماله يوزن بالقنطار وقال الزجاج القنطار ماخوذ من
عقد الشي واحكامه تقول العرب قنطرت الشي اذا احكمته ومنه
سميت القنطرة لاحكامها ○ قال طرفة كقنطرة الرومي اقسم
ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد ○ والقنطرة المعقودة فكان
القنطار عقد مال واختلف العلما في تحرير حده كم هو على
اقوال عديدة فروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
القنطار الف اوقية ومائتا اوقية وقال بذلك معاذ بن
جبل وعبد الله بن عمر وابو هريرة وجماعة من العلما قال ابن عطية
وهو اصح الاقوال لكن القنطار على هذا يختلف باختلاف
البلاد في قدر الاوقية وقيل اثنا عشر الف اوقية اسنده
البستي في مسنده الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اثنا عشر الف اوقية خير مما بين السما والار
ض
وقال بهذا القول ابو هريرة ايضا وفي مسند ابي محمد الدارمي
عن ابي سعيد الخدري قال من قرا في ليلة عشر ايات كتب من
الذاكرين ومن قرا بمائة اية كتب من القانتين ومن قرا بخمسمائة
اية الى الالف اصبح وله قنطار من الاجر وما القنطار ملء
مسك ثور ذهبا موقوف وقال به ابو نضرة العبدي
وذكر ابن سيده انه هكذا بالسريانية وقال النقاش عن
ابن الكلبي انه هكذا بلغة الروم وقاله ابن عباس والضحاك

والحسن الف ومائتا مثقال من الفضه دفعه الحسن وعن
ابن عباس اثنا عشر الف درهم من الفضه ومن الذهب الف
دينار ديه الرجل المسلم وروي عن الحسن والضحاك وقال
سعيد بن المسيب ثمانون الفا قتادة مايه رطل من الذهب
او ثمانون الف درهم من الفضه وقال ابو حمزه الثمالي القنطار
بافريقيه والاندلس ثمانيه الاف مثقال من ذهب او فضه
السدي اربعه الالاف مثقال مجاهد سبعون الف مثقال
وروي عن ابن عمر وحكي قولا ان القنطار اربعون اوقيه من
ذهب او فضه وقاله ابن سيرين في المحكم وقال القنطار بلغة بربر
الف مثقال وقال الربيع بن انس القنطار المال الكثير بعضه
على بعض وهذا هو المعروف عند العرب ومنه قوله وآتيتم
احداهن قنطارا اي مالا كثيرا ومنه الحديث ان صفوان
بن اميه قنطر في الجاهليه وقنطر ابوه اي صار له قنطار من
المال وعن الحكم القنطار هو ما بين السما الى الارض واختلفوا
في معنى المقنطره فقال الطبري وغيره معناه المضعفه وقال
القناطير ثلاثه والمقنطره تسع وروي عن الفرا انه قال
القناطير جمع القنطار والمقنطره جمع الجمع فيكون تسع قناطير
السدي المقنطره المضروبه حتى صارت دنانيرا ودراهم مكي
المقنطره المكمله وحكاه الهروي كما يقال بدر مبدره
والف مؤلفه وقال بعضهم ولهذا سمي البنا القنطرة لتكاثف
البنا بعضه على بعض ابن [illegible] والفرا لا [illegible] لقنطرة اقل من

سبعة قناطير ونيل المقنطر اشارة الي حضور المال ولونه

عتيدًا وفي صحيح البستي عن عبد الله عمرو عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم انه قال من قام بعشر ايات لم يكتب من الغافلين ومن

قام بماية اية كتب من القانتين ومن قام بالف اية كتب من المقنطرين

الخامسة قوله تعالى من الذهب والفضة الذهب مونثه

يقال هي الذهب الحسنه وجمعها ذهاب وذهوب ويجوز ان يكون

جمع ذهبه ويجمع علي الاذهاب وذهب فلان مذهبا حسنا والذهب

مكيال لاهل اليمن ورجل ذهب اذا راي معدن الذهب فدهش والفضة

معروفه وجمعها فضض والذهب ماخوذه من الذهاب والفضة

ماخوذة من انفض الشي تفرق ومنه فضضت القوم فانفضوا

فرقتهم فتفرقوا وهذا الاشتقاق يشعر بزوالهما وعدم ثبوتهما

كما هو مشاهد في الوجود ○ ومن احسن ما قيل في قول بعضهم

النار اخر دينار نطقت به والهم اخر هذا الدرهم الجاري والمرء

بينهما اذا كان ذا ورع معذب القلب بين الهم والنار السادسة

قوله تعالى والخيل الخيل مونثه قال بن كيسان حدثت عن ابي عبيده

انه قال واحد الخيل خايل مثل طاير وطير وضاين وضان وسمي

الفرس بذلك لانه يختال في مشيته وقال غيره هو اسم جمع لا

واحد له من لفظه واحده فرس كالقوم والرهط والنسا والابل

ونحوها وفي الخبر من حديث علي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز

وجل خلق الفرس من الريح ولذلك جعلها تطير بلا جناح وذكر

ابن حبيب خلقها من ريح الجنوب قال وهب فليس من تسبيحه ولا تكبيره

منها من الجنوب

ولا يقليله بكثرتها صاحبه الا وهو يسمعها فيحبه بمثلها وسياتي

لذكر الخيل ووصفها في الانفال ما فيه كفاية ان شا الله وفي الخبر

ان الله عرض على ادم جميع الدواب فقيل له اختر منها واحدا فاختار

الفرس فقيل له اخترت عزك فصار اسمه الخير من هذا الوجه وسمي

خيلا لانها مسومه بالعز فمن ركبه اعتز بنحله الله له واختال به على

اعدا الله وسمي فرسا لانه يفترس مسافات الجو افتراس الاسد وثبانا

ويقطعها كالالتهام بيديه على شي خبطا وتنا ولا وسمي عربيا لانه

جي به من بعد ادم لاسماعيل جزا عن رفع قواعد البيت واسمعيل

عربي فصارت له نحله من الله فسمي عربيا وفي الحديث عن النبي صلى الله

عليه وسلم لا يدخل شيطان دارا فيها فرس عتيق وانما سمي عتيقا لانه

قد تخلص الهجانه وقال صلى الله عليه وسلم للخيل الادهم الاقرح الارثم

طلق اليمين فان لم يكن ادهم فكميت على هذه الشبه اخرجه الترمذي

عن ابي قتاده وفي مسند الدارمي عنه ان رجلا قال يا رسول الله

اني اريد ان اشتري فرسا قال اشتره ادهم ارثم محجل طلق اليد اليمنى

او من الكميت على هذه الشيه تغنم وتسلم وروي النساي عن انس

قال لم يكن احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النسا

من الخيل وروي الايمه عن ابي هريره ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال الخيل لثلاثه لرجل اجر ولرجل ستر ولرجل وزر الحديث

بطوله شهرته اغنت عن ذكره وسياتي ذكر احكام الخيل في

الانفال والنحل بما فيه كفايه ان شا الله السابعة قوله

تعالى المسومه يعني الراعيه في المروج والمسارح قاله سعيد

بن جبير

بن جنى يقول سامت الدابه والشاة اذا سرحت تسوم سوما
فهى سايمة واسمتها انا اذا تركتها لذلك فهى مسامة وسومتها تسويما
فهى مسومه وفى سنن بن ماجه عن على قال نهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن السوم قبل طلوع الشمس وعن ذبح ذوات الدر السوم هنا
فى معنا الرعى وقال الله تعالى فيه تسيمون قال الاخطل مثل ابن بزعه
او كآخر مثله اولى لك ابن مسيمة الاجمال اراد ابن راعيه الابل والسو
ام
ام المطهمة ترعى وقيل المعده للجهاد قاله ابن زيد مجاهد المسومه المطهمه
الحسان وقاله عكرمه سومها الحسن واختاره النحاس من قولهم رجل
وسيم وروى عن ابن عباس انه قال المسومه المعلمه شيات فى وجوهها
من السيره وهى العلامه وهذا مذهب الكسائى وابى عبيد قلت
كما قد يحتمله اللفظ فتكون راعيه معدة حسانا معلمه لتعرف
من غيرها قال ابو زيد اصل ذلك ان تجعل عليها صوفه او علامه
تخالف ساير جسدها لتبين من غيرها فى المرعى وحكى ابن فارس
اللغوى فى مجمله المسومه المرسله وعليها ركبانها وقال المورج المسو
مه
المكويه المبرد المعروفه فى البلدان ابن كيسان البلق وكلها متقاربه
من السيماء قال النابغه ٥ بسمر كالقداح مسومات
عليها معشر اشباه جن **الثامنة** قوله تعالى والانعام
قال ابن كيسان اذا قلت نعم لم يكن الا للابل فاذا قلت انعام
وقعت للابل وكلما يرعى قال الفرا هو مذكر ولا يونث
يقولون هذا نعم وارد ويجمع انعاما قال الهروى والنعم
يذكر ويونث والانعام المواشى من الابل والبقر والغنم واذا

قيل النعم فهو الابل خاصه ۝ وقال حسان وكانت لا
يزال بها انيس خلال مروجها نعم وشا ۝ وفي سنن ابن ماجه عن عروه
البارقي يرفعه قال الابل عز لاهلها والغنم بركه والخير معقود في
نواصي الخيل الى يوم القيمه وفيه عن ابي هريره قال امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم الاغنيا باتخاذ الغنم والفقرا باتخاذ الدجاج وقال
عند اتخاذ الاغنيا الدجاج ياذن الله بهلاك وفيه عن ام هانى ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال اتخذي غنما فان فيها بركه اخرجه عن ابي بكر بن ابي شيبه
عن وكيع عن هشام عن عروه عن ابيه عن ام هانى اسناد صحيح
التاسعة قوله تعالى والحرث الحرث هنا اسم لكل ما يحرث وهو
مصدر سمي به تقول حرث الرجل حرثا اذا اثار الارض لمعنى الفلاحه
وفي الحديث احرث لدنياك كانك تعيش ابدا يقال حرثت واحترثت
وفي حديث عبد الله احرثوا هذا القران اي فتشوه قال ابن الاعرابي
الحرث التفتيش وفي الحديث اصدق الاسما الحارث لان الحارث
هو الكاسب واحتراث المال كسبه والمحراث مسعر النار والحراث
مجرى الوتر في القوس والجمع احرثه واحرث الرجل ناقته هزلها وفي
حديث معاويه ما فعلت نواضحكم قالوا احرثناها يوم بدر قال
ابو عبيد يعنون هزلناها يقال حرثت الدابه واحترثتها لغتان وفي
صحيح البخاري عن ابي امامة الباهلي قال وراى سكه وشيا من اله الحرث
فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل هذا بيت
قوم الا دخله الذل قيل ان الذل هنا ما يلزم اهل الشغل بالحرث
من حقوق الارض التي يطالبهم بها الايمة والسلاطين [illegible]

قوله في هذا الحد

قوله في هذا الحديث والله اعلم الحص على معالي الاحوال وطلب الرزق
من اشرف الصناعات وذلك لما خشي النبي صلى الله عليه وسلم على امته من
الاشتغال بالحرث وتضييع ركوب الخيل والجهاد في سبيل الله لانهم
ان اشتغلوا بالحرث غلبتهم الامم الراكبة للخيل المتعيشة من مكاسبها
فحضهم على التعيش من الجهاد لا من الخلود الى عمارة الارض ولزوم المهنة
الا ترى ان عمر رضي الله عنه قال تمعددوا واخشوشنوا واقطعوا
الركب وثبوا على الخيل وثبا لا يغلبنكم عليها رعاة الابل فامرهم بملازمة
الخيل ورياضة ابدانهم بالوثوب عليها وفي الصحيحين عن انس بن مالك
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا
فياكل منه طير او انسان او بهيمة الا كان له به صدقة قال العلماء ذكر الله
اربعة اصناف من المال كل نوع من المال يتمول به صنف من الناس اما
الذهب والفضة فيتمول بها التجار واما الخيل المسومة فيتمول بها
الملوك واما الانعام فيتمول به اهل البوادي واما الحرث فيتمول به
اهل الرساتيق فتكون فتنة كل صنف في النوع الذي يتمول به فاما
النسا والبنون ففتنة للجميع العاشرة قوله تعالى ذلك متاع
الحياة الدنيا اي ما يتمتع به فيها ثم يذهب ولا يبقى وهذا منه تزهيد
في الدنيا وترغيب في الاخرة روى ابن ماجه وغيره عن عبد الله بن عمرو
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما الدنيا متاع وليس من
متاع الدنيا شي افضل من المراة الصالحة وفي الحديث ازهد في الدنيا يحبك
الله اي في متاعها من المال والجاه الزايد على الضروري قال صلى الله عليه
وسلم ليس لابن ادم حق في سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب

يواري عورته

يواري عورته وخلف الخبز والماء خرجه الترمذي من حديث المقدام بن
معدي كرب وسيل سهل بن عبد الله بم يسهل على العبد ترك الدنيا واهل
الشهوات قال بتشاغله بما امر به **الحادية عشرة** قوله تعالى والله
عنده حسن الماب ابتدا وخبر والماب المرجع اب يوب ايابا اذا رجع قال امرؤ
القيس وقد طوفت في الافاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب وقال اخر
وكل ذي غيبة يوب وغايب الموت لا يووب واصل ماب ماوب
قلبت حركة الواو الى الهمزة وابدل من الواو الف مثل مقال ومعنى الاية
تقليل الدنيا وتحقيرها والترغيب في حسن المرجع الى الله تعالى في الاخرة
قوله تعالى قل اونبيكم بخير من ذلكم منتهى الاستفهام عند قوله من
ذلكم للذين اتقوا الخبر مقدم وجنات رفع بالابتدا وقيل منتهاه عند
ربهم وجنات على هذا رفع بالابتدا مضمر تقديره ذلك جنات ويجوز
على هذا التاويل جنات بالخفض بدلا من خير ولا يجوز ذلك على الاول
قال ابن عطية وهذه الاية والتي قبلها نظير قوله عليه السلام تنكح
المراة لاربع لمالها وحسبها ودينها وجمالها فاظفر بذات الدين تربت
يداك خرجه مسلم وغيره فقوله فاظفر بذات الدين مثال لهذه الاية
وما قبلها مثال للاولى فذكر تعالى هذه تسلية عن الدنيا وتقوية لنفوس
تاركيها وقد تقدم في البقرة الفاظ معاني هذه الاية والرضوان
مصدر من الرضى وهو انه اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تعالى
لهم تريدون شيا ازيدكم فيقولون يا ربنا واي شي افضل من هذا فيقول
رضاي فلا اسخط عليكم بعده ابدا خرجه مسلم وفي قوله والله بصير
بالعباد وعد ووعيد **قوله تعالى الذين** يقولون ربنا **الذين** بدل من قوله

يقولون

للذين اتقوا وان شئت كانت رفعا اي هم الذين او نصبا على المدح ربنا
اي يا ربنا اننا امنا اي صدقنا فاغفر لنا ذنوبنا دعا بالمغفرة وقنا عذاب
النار تقدم في البقرة الصابرين يعني عن المعاصي والشهوات وقيل على
الطاعات والصادقين اي في الافعال والاقوال والقانتين اي الطائعين
والمنفقين يعني في سبيل الله وقد تقدم في البقرة هذه المعاني على الكمال
ففسر تعالى في هذه الاية احوال المتقين الموعودين بالجنات واختلف
في معنى قوله تعالى والمستغفرين بالاسحار فقال انس بن مالك هم السائلون
المغفرة قتادة المصلون **قلت** ولا تناقض فانهم يصلون ويستغفرون
وخص السحر بالذكر لانه مظان القبول ووقت اجابة الدعا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى مخبرا عن يعقوب
عليه السلام لبنيه سوف استغفر لكم ربي انه اخر ذلك الى السحر خرجه
الترمذي وسياتي وسال النبي عليه السلام جبريل اي الليل اسمع فقال
لا ادري غير ان العرش يهتز عند السحر يقال سحر وسحر بفتح الحا وسكونها
قال الزجاج السحر من حين يدبر الليل الى ان يطلع الفجر الثاني وقال ابو
زيد والسحر هو سدس الليل الاخر **قلت** اصح من هذا ما رواه الايمة
عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله عز وجل
الى سما الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الاول فيقول انا الملك انا
الملك من ذا الذي يدعوني فاستجيب له من ذا الذي يسالني فاعطيه
من ذا الذي يستغفرني فاغفر له ولا يزال كذلك حتى يضي الفجر في رواية حتى
ينفجر الصبح لفظ مسلم وقد اختلف في تاويله واولى ما قيل فيه ما جاء في
كتاب النسائي مفسرا عن ابي هريرة وابي سعيد رضي الله عنهما قالا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر
الليل الاول ثم يامر مناديا فيقول هل من داع يستجاب له هل من
مستغفر يغفر له هل من سايل يعطى صححه ابو محمد عبد الحق وهو يرفع
الاشكال ويوضح كل احتمال وان الاول من باب حذف المضاف
اي ينزل ملك ربنا فيقول وقد روي ينزل بضم اليا وهو يبين ما ذكرنا
والله وبالله التوفيق وقد اتينا على ذكره في كتاب الاسنى في شرح اسما
الله الحسنى وصفاته العلى **مسئلة** الاستغفار مندوب اليه
وقد اثنى الله عز وجل على المستغفرين في هذه الاية وغيرها فقال وبالاسحار
هم يستغفرون وقال انس بن ملك امرنا ان نستغفر بالسحر سبعين
استغفارة وقال سفيان الثوري بلغني انه اذا كان اول الليل نادى منادي
ليقم القانتون فيقومون كذلك الى السحر فاذا كان عند السحر نادى مناد
اين المستغفرون فيستغفر اوليك ويقوم اخرون فيصلون فيلحقون بهم
فاذا طلع الفجر نادى منادا الا ليقم الغافلون فيقومون من فرشهم كالموتى
نشروا من قبورهم وروي عن انس سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اني
لاهم بعذاب اهل الارض فاذا نظرت الى عمار بيوتي والى المتحابين فيّ والى المتهجدين
والمستغفرين بالاسحار صرفت عنهم العذاب بهم وقال مكحول اذا كان في
امة خمسة عشر رجلا يستغفرون الله كل يوم خمسا وعشرين مرة لم يواخذ الله
تلك الامة بعذاب العامة ذكره ابو نعيم في كتاب الحلية له وقال نافع كان ابن
عمر يحيي الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة ثم يسال فاذا
قلت نعم قعد يستغفر وروي ابرهيم بن حاطب عن ابيه قال سمعت رجلا في السحر
في ناحية المسجد يقول يا رب امرتني فاطعتك وهذا

والمستغفرين

مسعود قلت فهذا كله يدل على انه استغفار باللسان مع حضور القلب
لا ما قال ابن زيد ان المراد بالمستغفرين الذين يصلون صلاة الصبح في جماعة والله
اعلم وقال لقمان لابنه يا بني لا يكن الديك اكيس منك ينادي بالاسحار
وانت نايم والمختار من لفظ الاستغفار ما رواه البخاري عن شداد بن
اوس وليس له في الجامع غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيد الاستغفار
ان تقول اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك
ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر
لي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت قال ومن قالها من النهار موقنا بها
فمات من يومه قبل ان يمسي فهو من اهل الجنة ومن قالها بالليل وهو موقن بها
فمات قبل ان يصبح فهو من اهل الجنة وروي ابو محمد عبد الغني بن سعيد من
حديث ابن لهيعة عن ابي صخر عن ابي معاويه عن سعيد بن جبير عن ابي الصهبا
البكري عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ
بيد علي رضي الله عنه ثم قال الا اعلمك كلمات تقولهن لو كانت ذنوبك كمدب
النمل او كمدب الذر لغفرها الله لك على انه مغفور لك اللهم لا اله الا انت
سبحانك عملت سوا وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت قوله
تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكه واولو العلم قايما بالقسط فيه اربع
مسايل الاولى قال سعيد بن جبير كان حول البيت ثلاث مايه وستون
صنما فلما نزلت هذه الايه خررن سجدا وقال الكلبي لما ظهر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالمدينه قدم عليه حبران من احبار اهل الشام فلما ابصرا المدينه قال احدهما
لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في اخر الزمان
فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة والنعت فقالا له انت محمد قال

نعم قالوا وانت احمد قال نعم قالا نسالك عن شهادة فان انت اخبرتنا
بها امنا بك وصدقناك فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
سلاني فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله فانزل الله تعالى
على نبيه شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم فاسلم
الرجلان وصدقا برسول الله صلى الله عليه وقد قيل ان المراد باولي
العلم الانبيا عليهم السلام وقال ابن كيسان المهاجرون والانصار
مقاتل مومني اهل الكتاب السدي والكلبي المومنين كلهم وهو
الاظهر لانه عام والله اعلم الثانية في هذه الاية دليل على
فضل العلم وشرف العلما وفضلهم فانه لو كان احد اشرف من العلما
لقرنهم الله باسمه واسم ملايكته كما قرن اسم العلما وقال ابن
شرف العلم لنبيه صلى الله عليه وقل رب زدني علما فلو كان شي اشرف
من العلم لامر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يساله المزيد منه كما
ان يستزيده من العلم وقال صلى الله عليه وسلم العلما ورثة الانبيا
وقال العلما امنا الله على خلقه وهذا شرف للعلما عظيم ومحل لهم
في الدين خطير وخرج ابو محمد عبد الغني الحافظ من حديث بركة
بن نشيط وهو عنكل بن حكارك وتفسيره بركه بن نشيط وكان
حافظا حدثنا عمر بن المومل ثنا محمد بن ابي الخصيب ثنا محمد بن محمد بن
اسحق ثنا شريك عن ابي اسحق عن البرا قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم العلما ورثة الانبيا يحبهم اهل السما وتستغفر لهم الحيتان في البحر
اذا ماتوا الى يوم القيمه وفي الباب عن ابي الدردا اخرجه ابو داود
الثالثة روى غالب القطان قال اتيت الكوفة في تجارة فنزلت

قريبا من الاعمش

قريبا من الاعمش فلبثنا نختلف اليه فلما كان ليلة اردت الحدر الى
البصره قام فتهجد من الليل فقرا شهد الله انه لا اله الا هو والملايكه
واولوا العلم قايما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين
عند الله الاسلام قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله به
واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعه وان
الدين عند الله الاسلام قالها مرارا فغدوت اليه وودعته
ثم قلت اني سمعتك تقرا هذه الايه فما بلغك فيها انا عندك منذ سنه
لم تحدثني به قال والله لا احدثتك به سنه قال فاقمت وكتبت على بابه
ذلك اليوم فلما مضت السنه قلت يا ابا محمد قد مضت السنه قال
حدثني ابو وايل عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجا بصاحبها يوم القيمه فيقول الله تعالى عبدي عهد الي
وانا احق من وفي ادخلوا عبدي الجنه قال ابو الفرج الجوزي غالب
القطان هو غالب بن خطاف القطان يروي عن الاعمش حديث
شهد الله وهو حديث معضل قال ابن عدي الضعف على حديثه
بين وقال احمد بن حنبل غالب بن خطاف القطان ثقه وقال ابن
معين ثقه وقال ابو حاتم صدوق صالح قلت يكفيك من عدالته
وثقته ان خرج له البخاري في صحيحهما وحسبك وروي من حديث
انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه من قرا شهد الله انه لا اله الا
والملايكه واولوا العلم قايما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم
عند منامه خلق الله سبعين الف ملك يستغفرون له الى يوم
القيمه فيقال من قرا بهذه الشهادة على عقد من قلبه فقد قام

بالعدل وروي عن سعيد بن جبير انه قال كان حول الكعبة ثلاث مائة
وستون صنما لكل حي من العرب صنم او صنمان فلما نزلت هذه الاية
اصبحت الاصنام قد خرت ساجدة لله الرابعة قوله تعالى شهد
الله اي بين واعلم كما يقال شهد فلان عند القاضي اذا بين واعلم لمن الحق
او على من هو قال الزجاج الشاهد هو الذي يعلم الشي ويبينه فقد
دلنا الله تعالى على وحدانيته بما خلق وبين وقال ابو عبيده بمعنى قضى
الله اي اعلم قال ابن عطيه وهذا مردود من جهات وقرا الكسائي بفتح
ان في قوله انه لا اله الا هو وقوله ان الدين عند الله الاسلام قال
المبرد التقدير ان الدين عند الله الاسلام بانه لا اله الا هو ثم حذفت
البا كما قال امرتك الخير اي بالخير قال الكسائي انصبهما جميعا بمعنى
شهد الله انه بالكسر ان الدين بالفتح والتقدير شهد الله ان الدين
الاسلام ثم ابتدا فقال انه لا اله الا هو وقرا ابو المهلب وكان قاريا
شهدا بالنصب على الحال وعنه شهد وروي شعبه عن عاصم عن زر عن
ابي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقرا ان الدين عند الله الحنيفيه لا
اليهوديه ولا النصرانيه ولا المجوسيه قال ابو بكر الانباري ولا يخفى
على مميز ان هذا كلام من النبي صلى الله عليه وسلم على جهة التفسير ادخله بعض
من نقل الحديث في القران وقايما نصب على الحال المؤكدة من اسمه تعالى في
قوله تعالى شهد الله او من قوله الا هو وقال الفرا هو نصب على القطع كان
اصله القايم فلما قطعت الالف واللام نصب لقوله وله الدين واصبا
وفي قراة عبد الله القايم بالقسط على النعت والقسط العدل لا اله
الا هو العزيز الحكيم كرر لان الاولى حلت محل الدعوى والشهادة الثانية

حلت

قال ابن كيسان ان الثانية بدل من الاولى وبان ان الاسلام تفسير المعنى هو التوحيد وقرا ابن عباس فيما حكى الكسائي شهد انه م
شهد وان الدين عند الله الاسلام

حلت بمحل الحكم وقال جعفر الصادق الاولى وصف وتوحيد والثانيه رسم وتعليم يعني قولوا لا اله الا هو العزيز الحكيم قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام الدين في هذه الايه الطاعه والملة والاسلام بمعنى الايمان والطاعات قاله ابو العاليه وعليه جمهور المتكلمين والاصل في مسمى الايمان والاسلام التغاير لحديث جبريل بمعنى المراد فيه فيسمى كل واحد منهما باسم الاخر كما في حديث وفد عبد القيس وانه امرهم بالايمان بالله وحده وقال هل تدرون ما الايمان بالله قالوا الله ورسوله اعلم قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول واقام الصلاه وايتا الزكاة وصوم رمضان وان تؤدوا خمسا من المغنم الحديث ولذلك قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون بابا فادناها اماطة الاذى واد فعها قول لا اله الا الله اخرجه الترمذي وزاد مسلم والحيا شعبة من الايمان ويكون ايضا بمعنى التداخل وهو ان يطلق احدهما ويراد به مسماه في الاصل ومسمى الاخر كما في هذه الايه اذ قد دخل فيها التصديق والاعمال ومنه قوله عليه عليه السلام الايمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالاركان اخرجه ابن ماجه وقد تقدم ان الاول وضعا وشرعا وما عداه من باب التوسع والله اعلم قوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الايه اخبر تعالى عن اختلاف اهل الكتاب انه كان على علم منهم بالحقايق وانه كان بغيا وطلبا للدنيا قاله ابن عمر وغيره وفي الكلام تقديم وتاخير والمعنى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب بغياً بينهم الا من بعد ما جاءهم العلم قاله الاخفش

وقوله

قال محمد بن جعفر بن الزبير المراد بهذه الاية النصارى وهي توبيخ لنصارى
نجران وقال الربيع بن انس المراد بها اليهود ولفظ الذين اوتوا الكتاب يعم
اليهود والنصارى اي وما اختلف الذين اوتوا الكتاب يعني في نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما جاءهم العلم يعني بيان صفته ونبوته
وقيل اي وما اختلف الذين اوتوا الانجيل في امر عيسى وفرقوا فيه القول
الا من بعد ما جاءهم العلم بان الله اله واحد وان عيسى عبد الله ورسوله
وبغيا نصب على المفعول من اجله او على الحال من الذين قوله تعالى فان
حاجوك اي جادلوك بالاقاويل المزورة والمغالطات فاسند امرك
الى ما كلفت من الايمان والتبليغ وعلى الله نصرك وقوله وجهي بمعنى
ذاتي ومنه الحديث سجد وجهي للذي خلقه وصوره وقيل الوجه هنا
بمعنى المقصد كما تقول خرج فلان في وجه كذا وقد تقدم هذا المعنى في
البقرة مستوفى والاول اولى وعبر بالوجه عن سائر الذات اذ هو
اشرف اعضا الشخص واجمعها للحواس وقال ٥ اسلمت وجهي لمن
اسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا ٥ وقد قال حذاق المتكلمين في قوله
تعالى ويبقى وجه ربك انها عبارة عن الذات وقيل العمل الذي يقصد به
وجهه وقوله ومن اتبعن من في محل رفع عطفا على التاء في قوله اسلمت اي
ومن اتبعن اسلم ايضا وجاز العطف على الضمير المرفوع من غير تاكيد
للفصل بينهما واثبت نافع وابو عمرو ويعقوب ياء اتبعني على الاصل
وحذف الآخرون اتباعا للمصحف اذ وقعت فيه بغير يا وقال
الشاعر ٥ ليس تخفى عن يسرتي قدر يوم ولقد تخف شيمتي اعساري
قوله تعالى وقل للذين اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى والاميين

اوتوا الكتاب يعني اليهود
والنصارى والاميين

الكتاب
الذين

الذين لا كتاب لهم وهم مشركوا العرب اسلمتم استفهام معناه التقرير وفي ضمنه الامر اي اسلموا قاله الطبري وغيره وقال الزجاج اسلمتم تهدد وهذا احسن لان المعنى اسلمتم ام لا وجاءت العبارة في قوله فقد اهتدوا بالماضي مبالغة في الاخبار بوقوع الهدى لهم وتحصيله والبلاغ مصدر بلغ بتخفيف عين الفعل اي انما عليك ان تبلغ وقيل انه مما نسخ بالجهاد قال ابن عطية وهذا يحتاج الى معرفة تاريخ نزولها واما على ظاهر نزول هذه الايات في وفد نجران فانما المعنى فانما عليك ان تبلغ ما انزل اليك بما فيه من قتال وغيره **قوله** تعالى ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فيه ست مسايل **الاولى** قوله تعالى ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق قال ابو العباس المبرد كان ناس من بني اسرايل جاءهم النبيون يدعوهم الى الله عز وجل فقتلوهم فقام اناس من بعدهم من المومنين فامروهم بالاسلام فقتلوهم ففيهم نزلت الاية وكذلك قال معقل بن ابي مسكين كانت الانبياء صلوات الله عليهم تجي الى بني اسرايل بغير كتاب فيقتلونهم فيقوم قوم ممن اتبعهم فيامرون بالقسط اي بالعدل فيقتلون وروي عن ابن مسعود قال قال النبي صلى الله عليه وسلم بيس القوم قوم يقتلون الذين يامرون الناس بالقسط من الناس بيس القوم قوم لا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر بيس القوم قوم يمشي المؤمن بينهم بالتقية وروي ابو عبيدة بن الجراح ان النبي صلى

بينهم بما لم يفقه وروي

١٨٦

الله عليه وسلم قال قتلت بنوا اسرايل ثلاثه واربعين نبيا من
اول النهار في ساعة واحدة فقام مايه رجل واثنا عشر رجلا
من عباد بني اسرايل فامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوا
جميعا في اخر النهار من ذلك اليوم وهم الذين ذكرهم الله في هذه
الاية ذكره المهدوي وغيره وروى شعبه عن ابي اسحق عن
ابي عبيده عن عبد الله قال كانت بنوا اسرايل تقتل في اليوم
سبعين نبيا ثم يقوم سوق بقلهم من اخر النهار فان قال قايل
الذين وعظوا بهذا لم يقتلوا انبيا فالجواب عن هذا انهم رضوا
فعل من قتل فكانوا بمنزلته وايضا فانهم قاتلوا النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه وهموا بقتلهم قال الله عز وجل واذ يمكر
بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك الثانية ذلت هذه
الايه على ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كان واجبا في
الامم المتقدمة وهو فايدة الرسالة وخلافة النبوه قال
الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم من امر بالمعروف ونهى عن
المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه
وعن درة بنت ابي لهب قالت جا رجل الى النبي صلى الله عليه
وسلم وهو على المنبر فقال من خير الناس يا رسول الله امرهم
بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وفي التنزيل
والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون
عن المعروف ثم قال والمومنون والمؤمنات بعضهم اولياء
بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فجعل تعالى الامر

بالمعروف

مطلب في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

بالمعروف والنهى عن المنكر فرقا بين المومنين والمنافقين فدل
ان اخص اوصاف المومنين الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وراسها
الدعا الى الاسلام والقتال عليه ثم ان الامر بالمعروف لا يليق
بكل احد وانما يقوم به السلطان اذ كانت اقامة الحدود اليه
والتعزير الى رايه والحبس والاطلاق له والنفي والتغريب فينصب
في كل بلد رجلا صالحا قويا عالما مبينا ويامره بذلك ويمضي الحدود
على وجهها من غير زياده قال الله تعالى الذين ان مكناهم في الارض
اقاموا الصلاه واتوا الزكاه وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
الثالثة وليس من شرط الناهي ان يكون عدلا عند اهل
السنه خلافا للمبتدعه حيث تقول لا يغيره الا الا عدل وهذا
ساقط فان العداله محصوره في القليل من الخلق والامر بالنهى عن
المنكر عام في جميع الناس فان تشبثوا بقوله تعالى اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم وقوله كبر مقتا عند الله ان تقولون
ما لا تفعلون ونحوه قيل لهم انما وقع الذم هاهنا على ارتكاب
ما نهى عنه لا على نهيه عن المنكر ولا شك في ان النهى عنه ممن ياتيه
اقبح ممن لا ياتيه ولذلك يدور في جهنم كما يدور الحمار بالرحى
كما بيناه في البقره عند قوله اتامرون الناس بالبر الرابعة
اجمع المسلمون فيما ذكر ابن عبد البر ان المنكر واجب تغييره على
كل من قدر عليه وانه اذا لم يلحقه بتغييره الا اللوم الذي لا
يتعدى الى الاذى فان ذلك لا يجب ان يمنعه من تغييره فان لم
يقدر فبلسانه فان لم يقدر فبقلبه ليس عليه اكثر من ذلك

واذا انكر بقلبه فقد ادى ما عليه اذا لم يستطع سوى ذلك
قال والاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في تاكيد الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر كثيره جدا ولكنها مقيده بالاستطاعه
قال الحسن انما يكلم مومن يرجا او جاهل يعلم فاما من وضع سيفه
او سوطه ابى فما لك وله وقال بن مسعود بحسب امرى اذا راي
منكرا لا يستطيع تغييره ان يعلم الله من قلبه انه له كاره وروى
بن لهيعه عن الاعرج عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يحل للمومن ان يذل نفسه قالوا يا رسول الله وما
اذلاله نفسه قال يتعرض من البلا لما لا يقوم له قلت خرجه
بن ماجه على بن زيد بن جدعان عن الحسن عن جندب عن حذيفه عن
النبي صلى الله عليه وسلم وكلاهما قد تكلم فيه وروي عن بعض الصحابه
انه قال ان الرجل اذا راي منكرا لا يستطيع النكير عليه فليقل ثلاث
مرات اللهم هذا منكر فاذا قال ذلك فقد فعل ما عليه وزعم
بن العربي ان من رجا زواله وخاف على نفسه من تغييره الضرب او
القتل جاز له الاقتحام عند اكثر العلما عند هذا الغرر فان لم يرج
زواله فاي فايده عنده قال والذي عندي ان النيه اذا خلصت
فليقتحم كيف ما كان ولا يبالي قلت هذا خلاف ما ذكره ابو
عمر من الاجماع وهذه الايه تدل على جواز الامر بالمعروف
مع خوف القتل وقال تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر
على ما اصابك وهذا اشاره الى الاذايه الخامسه روى
الايمه عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم يقول من راي منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان قال
العلما الامر بالمعروف باليد على الامرا وباللسان على العلما
وبالقلب على الضعفا يعني عوام الناس بالمنكر اذا امكن
ازالته باللسان للناهي فليفعله وان لم يمكنه الا بالعقوبه
او القتل فليفعل فان زال بدون القتل لم يجز القتل
وهذا تلقى من قول الله تعالى فقاتلوا التي تبغي حتى تفي
الي امر الله وعليه بني العلما انه اذا دفع الصايل على النفس
او على المال عن نفسه او عن ماله او عن نفس غيره فله ذلك ولا
شي عليه ولو راى زيد عمرا وقد قصد مال بكر فيجب عليه ان يدفعه
عنه اذا لم يكن صاحب المال قادرا عليه ولا راضيا به حتى لقد
قال العلما لو فرضنا وقيل كل بلد يكون فيها اربعه
فاهلها معصومون من البلا عادل لا يظلم وعالم على سبيل الهدى
ومشايخ يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحرضون على طلب
العلم ونساوهم مستورات لا يتبرجن تبرج الجاهليه الاولى

السادسة روى انس بن ملك قال قيل يا رسول الله متى
يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال اذا ظهر فيكم ما ظهر
في الامم قبلكم فقيل يا رسول الله وما ظهر في الامم قبلنا قال
الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم والعلم في رذالتكم قال
زيد يفسر معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم والعلم في رذالتكم
انها ظاهر العلم في الفسقا وخرجه ابن ماجه وسياتي في هذا الباب

مزيد بيان في المايده وغيرها انشا الله تعالى وتقدم معنى
وحبطت في البقره فلا معنى للاعادة قوله تعالى الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم فيه ثلاث مسايل
الاولى قال ابن عباس هذه الايه نزلت بسبب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم الى الله تعالى فقال له نعيم
بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت يا محمد فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا على ملة ابراهيم فقالا فان كان ابرهيم كان يهوديا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم فهلموا الى التوراة فهي بيننا وبينكم فابيا عليه فنزلت الاية
وذكر النقاش انها نزلت لان جماعة من اليهود انكروا نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم فهلموا الى التوراة ففيها صفتي
فابوا وقراة الجمهور ليحكم وقرا ابو جعفر يزيد بن القعقاع ليحكم بضم اليا
والقراة الاولى احسن لقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق
الثانية في هذه الايه دليل على وجوب ارتفاع المدعو الى
الحاكم لانه دعي الى كتاب الله فان لم يفعل كان مخالفا يتعين عليه الزجر
بالادب على قدر المخالف وهذا الحكم جار عندنا بالاندلس وبلاد المغرب
وليس بالديار المصرية وهذا الحكم الذي ذكرناه مبين في التنزيل في
سورة النور في قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا
فريق منهم معرضون الى قوله بل اوليك هم الظالمون واسند الزهراوي
عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعاه خصمه الى حكم من
حكام المسلمين فلم يجب فهو ظالم ولا حق له قال ابن العربي وهذا حديث
باطل اما قوله فهو ظالم فهو كلام صحيح واما قوله فلا حق له فلا يصح [illegible]

ان يريد انه

ان يريد انه على غير الحق قال ابن خواز منداد المالكي واجب على كل من
دعي الى مجلس الحاكم ان يجيب ما لم يعلم ان الحاكم فاسق او يعلم عداوة بين
المدعي والمدعى عليه الثالثة وفيها دليل على شرايع من قبلنا شريعة
لنا الا ما علمنا نسخه وانه يجب علينا الحكم بشرايع الانبيا قبلنا على ما
ياتي بيانه وانما لا نقرا التوراة ولا نعمل بما فيها لان من هي في يده غير امين
عليها وقد غيرها وبدلها ولو علمنا ان شيا منها لم يتغير ولم يبدل جاز لنا
قراته ونحو ذلك روي عن عمر حيث قال لكعب ان كنت تعلم انها التوره
التي انزلها الله تعالى على موسى بن عمران فاقراها وكان عليه السلام عالما بما
لم يتغير منها فلذلك دعاهم اليها والى الحكم بها وسياتي بيان هذا في المايده
والاخبار الوارده في ذلك ان شا الله تعالى وقد قيل ان هذه الاية نزلت
في ذلك والله اعلم قوله تعالى ذلك بانهم اشارة الى التولي والاعراض
واغترارهم في قولهم نحن ابنا الله واحباوه الى غير ذلك من اقوالهم
وقد مضى الكلام في معنى قولهم لن تمسنا النار في البقرة قوله تعالى
فكيف اذا جمعناهم خطاب للنبي عليه السلام وامته على جهة التوقيف
والتعجب اي فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون اذا حشروا
يوم القيمة واضمحلت عنهم تلك الزخارف التي ادعوها في الدنيا
وجوزوا بما اكتسبوا من كفرهم واجترائهم وقبيح اعمالهم واللام
في قوله ليوم بمعنى في قاله الكسائي وقال البصريون المعنى لحساب
يوم الطبري لما يحدث في يوم قوله تعالى قل اللهم مالك الملك
الاية قال علي رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لما اراد الله
تعالى ان ينزل فاتحة الكتاب واية الكرسي وشهد الله وقل اللهم
تعالى ان ينزل فاتحة الكتاب واية الكرسي وشهد الله وقل اللهم

مالك الملك الى قوله بغير حساب تعلقن بالعرش وليس بينهن وبين الله حجاب
وقلن يا رب تهبط بنا دار الذنوب والى من يعصيك فقال الله تعالى
وعزتي وجلالي لا يقرؤكن عبد عقيب كل صلاة مكتوبة الا اسكنته حظيرة
القدس على ما كان منه والا نظرت اليه بعيني المكنونة في كل يوم سبعين
نظرة والا قضيت له في كل يوم سبعين حاجة ادناها المغفرة والا اعذته
في كل عدو ونصرته عليه ولا يمنعه من دخول الجنة الا ان يموت وقال
معاذ بن جبل احتبست عن النبي صلى الله عليه يوما فلم اصل معه الجمعة
فقال يا معاذ ما منعك من صلاة الجمعة قلت يا رسول الله ليوحنا بن
باريا اليهودي على اوقية من تبر وكان على بابي يرصدني فاشفقت ان
يحبسني دونك قال اتحب يا معاذ ان يقضي الله دينك قلت نعم قال
قل كل يوم قل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب رحمان الدنيا
والاخرة ورحيمهما تعطي منهما من تشا وتمنع منهما من تشا اقض
عني ديني فلو كان عليك مل الارض ذهبا لاداه الله عنك خرجه
ابو نعيم الحافظ ايضا عن عطا الخراساني ان معاذ بن جبل قال علمني رسول
الله صلى الله عليه وسلم ايات من القران وكلمات ما في الارض مسلم يدعو
بهن وهو مكروب او غارم او ذو دين الا قضي عنه وفرج همه احتبست
عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره غريب من حديث النبي عطا ارسله عن معاذ
وقال ابن عباس وانس بن مالك لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ووعد
امته ملك فارس والروم قال المنافقون واليهود هيهات من اين لمحمد
ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك الم يكف محمدا مكة والمدينة
حتى طمع في ملك فارس والروم فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت

دامغة الباطل.

سابع

دامغه لباطل نصاري اهل نجران في قولهما ان عيسى هو الله وذلك
ان هذه الاوصاف تبين لكل صحيح الفطرة ان عيسى ليس في شي منها
قال ابن اسحق اعلم عز وجل في هذه الايه بعنادهم وكفرهم وان عيسى عليه
السلام وان كان الله تعالى اعطاه ايات تدل على نبوته من احيا المو
وغير ذلك فان الله عز وجل هو المنفرد بهذه الاشيا من قوله تؤتي
الملك من تشا وتنزع الملك ممن تشا وتعز من تشا وتذل من تشا وقوله
تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخر
الميت من الحي وترزق من تشا بغير حساب فلو كان عيسى الاها كان
هذا اليه فكان في ذلك اعتبار واية بينه قوله تعالى قل اللهم اختلف
النحويون في تركيب لفظه اللهم بعد اجماعهم انها مضمومة الها
مشددة الميم المفتوحه وانها منادى وقد جات مخففة الميم في
قول الاعشى كدعوة من ابي رباح يسمعها اللهم الكبار قال الخليل
وسيبويه وجميع البصريين ان اصل اللهم يا الله فلما استعملت الكلمة
دون حرف النداء الذي هو يا جعلوا بدله هذه الميم المشددة فجاو
بحرفين وهما الميمان عوضا من حرفين وهما اليا والالف والضمة
في الها هي ضمة الاسم المنادي المفرد وذهب الفرا والكوفيون ان
الاصل في اللهم يا الله امنا بخير فحذف وخلط الكلمتين وان الضمة التي
في الها هي الضمة التي كانت في امنا لما حذفت الهمزة انتقلت الحركة
قال النحاس هذا عند البصريين من الخطا العظيم والقول في هذا ما
قاله الخليل وسيبويه قال الزجاج محال ان يترك الضم الذي هو دليل
على النداء المفرد وان يجعل في اسم الله ضمة امنا هذا الحاد في اسم الله

تعالى قال ابن عطيه وهذا غلو من الزجاج وزعم انه ما سمع بالله ام
ولا تقول العرب يا ياللهم وقال الكوفيون انه قد يدخل حرف النداء على
اللهم وانشدوا على ذلك قول الزاجر ٥ غفرت او عذبت يا اللاهما
اخر وما عليك ان تقولي كلما سبحت او هللت ياللهم ما اردد علينا
شيخنا مسلما فاننا من خيره ان نعدما اخر انى اذا ما حدث الملما
اقول ياللهم ياللهما قالوا فلو كان الميم عوضا من حرف النداء لما اجتمعا
قال الزجاج وهذا شاذ لا يعرف قايله ولا يترك له ما في كتاب الله وفي
جميع ديوان العرب وقد ورد مثله في قوله هما نفثا في فيّ من فمويهما
على النابح العادى اشد جارم قال الكوفيون وانما تزاد الميم
مخففه في فم وابنم واما ميم مشدده فلا تزاد وقال بعض النحويين
ما قاله الكوفيون خطا لانه لو كان كما قالوا كان يجب ان يقال اللهم
ويقتصر عليه لانه معه دعا وايضا فقد تقول انت اللهم الرازق
فلو كان كما ادعوا لكنت قد فصلت بجملتين بين الابتدا والخبر قال النضر
بن شميل من قال اللهم فقد دعا الله تعالى بجميع اسمايه كلها وقال
الحسن اللهم تجمع الدعا **قوله** تعالى مالك الملك قال قتاده بلغني
ان النبي صلى الله عليه وسلم سال الله عز وجل ان يعطي امته ملك فارس
فانزل الله هذه الايه وقال مقاتل سال النبي صلى الله عليه وسلم
ان يجعل الله له ملك الروم وفارس في امته فعلمه الله تعالى بان يدعو
بهذا الدعا وقد تقدم معناه ومالك منصوب عند سيبويه على
انه نداء ثان ومثله قوله قل اللهم فاطر السموات والارض ولا يجوز
عنده ان يوصف اللهم لانه قد ضمت اليه الميم وخالفه محمد بن يزيد
قد ضمت اليه الميم وخالفه محمد بن يزيد
وابراهيم بن السري

قوله

وابراهيم بن السري والزجاج فقالوا مالك في الاعراب صفة لا سم
الله تعالى وكذلك فاطر السموات قال ابو علي وهو مذهب ابي
العباس المبرد وما قاله سيبويه اصوب وابين وذلك انه ليس في
الاسما الموصوفة شي على حد اللهم لانه اسم منفرد ضم اليه صوت
والاصوات لا توصف نحو غاق وما اشبهه وكان حكم الاسم
المنفرد ان لا يوصف وان كانوا قد وصفوه في مواضع فلما ضم هنا
ما لا يوصف اليه كان قياسه ان لا يوصف صار بمنزلة صوت ضم
الى صوت نحو حيهل فلم يوصف والملك هنا النبوة عن مجاهد وقيل
الغلبة وقيل المال والعبيد الزجاج المعنى مالك العباد وما ملكوا
وقيل المعنى مالك الدنيا والاخرة ومعنى تؤتي الملك اي الايمان
والاسلام من تشا اي من تشا ان تؤتيه اياه وكذلك ما بعده لا بد
فيه من تقدير الحذف اي وتنزع الملك ممن تشا ان تنزعه منه ثم
حذف هذا وانشد سيبويه الا هل لهذا الدهر من متعلل
على الناس مهما شا بالناس يفعل قال الزجاج مهما شا ان
يفعل بالناس يفعل قوله تعز من تشا يقال عز اذا غلب ومنه
وعزني في الخطاب وبذل من تشا ذل يذل ذلا اذا غلب وعلي وقهر
قال طرفة بطي عن الجلي سريع الى الخنا ذليل باجماع الرجال ملهد
بيدك الخير اي الخير والشر فحذف كما قال سرابيل تقيكم الحر وقيل
خص الخير لانه موضع دعا ورغبة في فضله قال النقاش بيدك الخير
اي النصر و[illegible] الغنيمة وقال اهل الاشارات كان ابو جهل يملك
[illegible] اليتيم [illegible] في [illegible] فيقتلوا صهيب وبلال وخباب

مسالة [illegible]

لم يبن لهم مال كان ملكهم الايمان قل اللهم مالك الملك توتي الملك من
تشا نيم الرسول يتيم ابي طالب علي راس الوس حتى ينادي بدا نا قد انقلب
الي القليب يا عتبه يا شيبه تعز من تشا وتذل من تشا اي صهيب
اي بلال لا تعتقد وانا منعنا هم من الدنيا سعصلم بيدك الخير ما
منعتهم من عجر انك على كل شي قدير انعام الحق عام توتي من يشا قوله
تعالى يولج الليل في النهار قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتاده والسدي
في معنى قوله تولج الليل في النهار الايه اي تدخل ما نقص من احدهما في الاخر
حتى يصير النهار خمسه عشر ساعه وهو اطول ما يكون والليل تسع
ساعات وهو اقصر ما يكون وكذلك يولج النهار في الليل وهو
قول الكلبي وروي عن ابن مسعود ويحتمل الفاظ الايه ان يدخل فيها
تعاقب الليل والنهار كان زوال احدهما ولوج في الاخر واختلف
المفسرون في معنى قوله تعالى وتخرج الحي من الميت فقال الحسن معناه
يخرج المومن من الكافر والكافر من المومن وروي نحوه عن سلمان الفارسي وروي
معمر عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على نسايه فاذا بامراة
حسنه قال من هذه قلن احدى خالاتك قال ومن هي قلن هي خالده بنت
الاسود بن عبد يغوث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان
الذي يخرج الحي من الميت وكانت امراة صالحة وكان ابوها كافرا
فالمراد على هذا القول موت قلب الكافر واحيا قلب المومن فالموت والحياه
مستعاران وذهب كثير من العلما الى ان الحياه والموت في الايه
حقيقتان فقال عكرمة هي اخراج الدجاجة وهي حية من البيضة وهي
ميتة واخراج واخراج البيضة وهي ميتة من الدجاجة وهي حية قال
البيضة وهي ميتة من الدجاجة وهي حية قال ابن مسعود

بن مسعود هي النطفه تخرج من الرجل وهي ميته وهو حي ويخرج الرجل
منها حيا وهي ميته وقال عكرمه والسدي هي الحبه تخرج من
السنبله والسنبله تخرج من الحبه والنواة من النخله والنخله
تخرج من النواة والحياة في النخله والسنبله تشبيه ثم قال
وترزق من تشا بغير حساب اي بغير تضييق ولا تقتير كما
تقول فلان يعطي بغير حساب كانه لا يحسب ما يعطي
قوله تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا من دون
المومنين فيه مسئلتان الاولى قال بن عباس نهى الله
المومنين ان يلاطفوا الكافرين فيتخذوهم اوليا ومثله لا تتخذوا
بطانه من دونكم وهنالك ياتي بيان هذا المعنى ومعنى فليس
من الله في شي اي فليس من حزب الله ولا من اوليايه في شي
مثل واسال القريه وحكى سيبويه هو مني فرسخين اي من
اصحابي ومعي ثم استثنى وهي الثانيه فقال الا ان تتقوا منهم
تقاه قال معاذ بن جبل ومجاهد كانت التقيه في جدة الاسلام
التقيه
قبل قوة المسلمين فاما اليوم اعز الله الاسلام ان يتقوا
من عدوهم قال بن عباس هو ان يتكلم بلسانه وقلبه مطمين
بالايمان ولا يقتل ولا ياتي ماثما وقال الحسن التقيه جايزه
للانسان الى يوم القيامه ولا تقيه في القتل وقرا جابر
بن زيد ومجاهد والضحاك الا ان تتقوا منهم تقية وقيل
ان المومن اذا كان فيما بين الكفار فله ان يداريهم باللسان
اذا كان خايفا على نفسه وقلبه مطمين بالايمان والتقيه لا
اذا كان خائفًا على نفسه وقلبه مطمئنٌ بالإيمان والتَّقيَّة لا

تحل الا مع خوف القتل والقطع او الا يات العظيم ومن اكره
على الكفر فالصحيح ان يتصلب ولا يجب التلفظ بكلمة الكفر بل
يجوز له ذلك على ما ياتي بيانه في النحل ان شا الله تعالى وابا حمزة
والكساي تقاه وقرا الباقون واصل تقاه تقيه وقيه على
وزن فعله مثل تؤدة وتهمه قلبت الواو تا والبا الفا وروى
الضحاك عن ابن عباس ان هذه الايه نزلت في عبادة بن الصامت
الانصاري وكان بدريا نقيبا وكان له حلف من اليهود فلما
خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب قال عباده يا نبي
الله ان معي خمس مايه رجل من اليهود وقد رايت ان يخرجوا معي
فاستظهر بهم على العدو فانزل الله تعالى لا يتخذ المومنون
الكافرين اوليا الايه وقيل انها نزلت في عمار بن ياسر حين تكلم
ببعض ما اراد منه المشركون على ما ياتي بيانه في النحل قوله
تعالى ويحذركم نفسه قال الزجاج اي ويحذركم الله اياه ثم
استغنوا عن ذلك به وصار المستعمل قال وأما تعلم ما في
نفسي ولا اعلم ما في نفسك معناه تعلم ما عندي وما في حقيقتي
ولا اعلم ما عندك ولا ما في حقيقتك وقال غيره المعنى ويحذركم
الله عقوبته مثل واسأل القريه وقال تعلم ما في نفسي اي مغيبي
فجعلت النفس في موضع الاضمار لانه فيها يكون الى الله المصير اي
والى جزا الله المصير وفيه اقرار بالبعث قل ان تخفوا ما في صدوركم
او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على
كل شي قدير فهو العالم بخفيات الصدور وما اشتملت عليه وبما

في السموات

في السموات والارض وما احتوت عليه علام الغيوب لا يعزب
عنه مثقال ذرة ولا يغيب عنه شي سبحانه لا اله الا هو
عالم الغيب والشهاد قوله تعالى يوم تجد يوم منصوب
متصل بقوله ويحذركم الله نفسه يوم تجد وقيل هو متصل
بقوله والى الله المصير يوم تجد وقيل هو متصل بقوله والله على
كل شي قدير يوم تجد ويجوز ان يكون منقطعا على اضمار اذكر
ومثله قوله ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الارض ومحضرا
حال من الضمير المحذوف من صلة ما تقديره تجد كل نفس ما عملته
من خير محضرا هذا على ان يكون تجد من وجدان الضالة وما من قوله
وما عملت من سو عطف على ما الاولى وتود في موضع الحال
من ما الثانيه وان جعلت تجد بمعنى تعلم كان محضرا المفعول
الثاني وكذلك يكون تود في موضع المفعول الثاني تقديره
يوم تجد كل نفس جزا ما عملت محضرا ويجوز ان يكون ما الثانيه
رفعا بالابتدا وتود في موضع رفع على انه خبر الابتدا ولا يصح
ان يكون ما بمعنى الجزا لان تود مرفوعا ولو كان ما ضيا لجاز
ان يكون جزا وكان يكون معنى الكلام وما عملت من سو ودت
لو ان بينها وبينه امدا بعيدا اي كما بين المشرق والمغرب ولا يكون
المستقبل اذا جعلت ما للشرط الا مجزوما الا ان تحمله على تقدير
حذف الفا على تقدير وما عملت من سو فهي تود ابو علي هو قبيح
قول الفرا عندي لانه قال في قوله تعالى وان اطعتموهم انكم
لمشركون انه على حذف الفا والامد الغاية وجمعه آماد ويقال

فانكم لمشركون
التقدير ان اطعتموهم
لان كون ان

استولى على الامد اي غلب سابقا قال النابغة الا لمثلك
او من انت سابقه سبق الجواد اذا استولى على الامد والامد
الغضب يقال امد امدا اي غضب قوله تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله الحب المحبة وكذلك الحب بالكسر والحب
ايضا الحبيب مثل الخدن والخدين ويقال احبه فهو محب وحبه
يحبه بالكسر فهو محبوب قال الجوهري وهذا شاذ لانه لا ياتي
في المضاعف يفعل بالكسر قال ابو الفتح والاصل فيه حبب كظرف
فاسكنت البا وادغمت في الثانية قال بن العهان سعيد في حب
لغتان حب واحب واصل حب في هذا الباب حبب كظرف يدل
على ذلك قولهم حبيب واكثر ما ورد فعيل من فعل قال ابو الفتح
والدلالة على احب قوله تعالى يحبهم ويحبونه بضم اليا واتبعوني
يحببكم الله وحب يرد على فعل لقولهم حبيب وعلى فعل لقولهم
محبوب ولم يرد اسم الفاعل من حب المتعدي فلا يقال انا حاب
ولم يرد اسم المفعول من افعل الا قليلا لقوله بمنزلة المحب المكرم وحكي
ابو زيد حببته احبه وانشد ٥ فوالله لولا تمره ما حببته
ولا كان ادنى من عويف وهاشم وانشد ٥ لعمرك ابي وطلابي
مضر لك المزاد ما حب بعدا وحكى الاصمعي فتح حرف المضارعة مع
اليا وحدها والحب الخابية فارسي معرب والجمع حباب وحبة حكاه
الجوهري والاية نزلت في وفد نجران اذ زعموا انما ادعوه في
عيسى حب الله عز وجل قاله محمد بن جعفر بن الزبير وقال الحسن وبن
جريج نزلت في قوم من اهل الكتاب قالوا نحن الذين نحب ربنا وكذلك

ان المسلمين

ان المسلمين قالوا يرسول الله والله انا لنحب ربنا فانزل الله
عز وجل قل ان كنتم تحبون الله قال ابن عرفه المحبه عند ارادة الشي
على قصد له وقال الازهري محبه العبد لله ورسوله طاعتهما
له واتباعه امرهما قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
ومحبه الله للعباد انعامه عليهم بالغفران قال الله تعالى
ان الله لا يحب الكافرين اي لا يغفر لهم وقال سهل بن عبد الله
علامه حب الله حب القران وعلامه حب القران حب النبي صلى
الله عليه وسلم وحب السنه حب الاخره وعلامه حب الاخره ان
يحب نفسه وعلامه حب نفسه ان يبغض الدنيا وعلامه بغض
الدنيا ان لا ياخذ منها الا الزاد والبلغه وروى ابو الدردا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله قال على البر والتقوى والتواضع
وذله النفس خرجه ابو عبد الله الترمذي وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد ان يحبه الله فعليه بصدق
الحديث واداء الامانه وان لا يوذي جاره وفي صحيح مسلم عن
ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا
احب عبدا دعا جبريل فقال اني احب فلانا فاحبه قال فيحبه جبريل
ثم ينادي في السما فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل
السما قال ثم يوضع له القبول في الارض واذا ابغض عبدا
دعا جبريل فيقول اني ابغض فلانا فابغضه قال فيبغضه
جبريل ثم ينادي في السما ان الله يبغض فلانا فابغضوه قال

فيبغضونه ثم يتوضح له البغضا في الارض وسياتي لهذا مزيد بيان
في اخر مريم ان شا الله وقرا ابو رجا العطاردي فاتبعوني بفتح اليا
ويغفر لكم عطف على يحببكم وروي محبوب عن ابي عمرو بن العلا انه ادغم
الرا من يغفر في اللام من لكم قال النحاس لا يجيز الخليل وسيبويه
ادغام الرا في اللام وابو عمرو اجل من يغلط في مثل هذا ولعله
كان يخفي الحركة كما يفعل اشيا كثيرة قوله تعالى قل اطيعوا الله والرسول
ياتي بيانه في النسا فان تولوا شرط الا انه ماض لا يعرب والتقدير
فان تولوا على كفرهم واعرضوا عن طاعة الله ورسوله فان الله لا يحب
الكافرين اي لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم كما تقدم وقال فان الله ولم
يقل فانه لان العرب اذا عظمت الشي اعادت ذكره وانشد
سيبويه لا ارى الموت يسبق الموت شي نغص الموت ذا الغنى
والفقيرا قوله تعالى ان الله اصطفى ادم الاية اصطفى اختار وقد
تقدم في البقرة وتقدم فيها اشتقاق ادم وكنيته والتقدير ان
الله اصطفى دينهم وهو دين الاسلام فحذف المضاف وقال
الزجاج اختارهم للنبوة على عالمي زمانهم ونوحا قيل انه مشتق
من ناح ينوح وهو اسم اعجمي الا انه انصرف لانه على ثلاثة احرف
وهو شيخ المرسلين واول رسول بعثه الله الى اهل الارض بعد ادم
عليه السلام بتحريم البنات والاخوات والعمات والخالات وساير
القرابات ومن قال ان ادريس كان قبله من المورخين فقد وهم على
ما ياتي بيانه في الاعراف ان شا الله تعالى قوله تعالى وال ابراهيم
تقدم في البقرة معنى الال وعلى ما يطلق مستوفى وفي البخاري

عن ابن عباس

عن ابن عباس قال آل ابرهيم وآل عمران المومنون من آل ابراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد يقول الله تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المومنين وقيل آل ابراهيم اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وان محمد صلى الله عليه وسلم من آل ابرهيم نفسه وكذا آل عمران ومنه قوله تعالى وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون وفي الحديث لقد اعطي مزمارا من مزامير آل داود وقال الشاعر ٥ ولا تبك ميتا بعد ميت احبه علي وعباس وآل ابي بكر ٥ وقال اخر ٥ يلاقي من تذكر آل ليلى كما يلقى السليم من العداد اراد من تذكر ليلى نفسها وقيل آل عمران آل ابرهيم كما قال ذرية بعضها من بعض وقيل المراد عيسى لان امه ابنة عمران وقيل نفسه كما ذكرنا قال مقاتل هو ابو موسى وهارون وهو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وقال الكلبي هو عمران ابو مريم وهو من ولد سليمان عليهم وحكى السهيلي عمران بن ماثان وامراته حنة بالنون وخص هولا بالذكر من بين الانبيا لان الانبيا والرسل بقطهم وقضبضهم من نسلهم ولم ينصرف عمران لان في آخره الفا ونونا زايدتين ومعنى قوله على العالمين اي على عالمي زمانهم في قول اهل التفسير وقال الترمذي الحكيم ابو عبد الله محمد بن علي جميع الخلق كلهم وقيل على العالمين على جميع الخلق كلهم الى يوم الصور وذلك ان هولا رسل وانبيا فهم صفوة الخلق فاما محمد صلى الله عليه وسلم فقد حاز مرتبة الاصطفا لانه حبيب ورحمة قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والرسل خلقوا للرحمة ومحمد صلى الله عليه وسلم خلق بنفسه رحمة فلذلك صار امانا للخلق لما

بعثه امن الخلق العذاب الى نفخة الصور وسائر الانبيا لم يجعلوا هذا اسمها
ولذلك قال عليه السلام انا رحمة مهداة يخبر انه بنفسه رحمة للخلق
من الله وقوله مهداة اي هدية اي هدية من الله للخلق ويقال اختار
آدم بخمسة اشيا اولها انه خلقه بيده في احسن صورة بقدرته والثاني
انه علمه الاسما كلها والثالث امر الملايكة بان يسجدوا له والرابع اسكنه
الجنة والخامس جعله ابا البشر واختار نوحا بخمسة اشيا اولها انه جعله
ابا للبشر لان الناس كلهم غرقوا وصار ذريته هم الباقين والثاني انه اطال
عمره ويقال طوبي لمن طال عمره وحسن عمله والثالث انه استجاب
دعاه على الكافرين والمومنين والرابع انه حمله على من صلبه الف من زمانه
الى زمن النبي صلى الله عليه وسلم الف سنه والخامس انه كان اول من نسخ
الشرايع وكان قبل ذلك لم يحرم تزويج الخالات والعمات واختار
ابرهيم بخمسة اشيا اولها انه جعله اب للانبيا لانه روي انه خرج
والثاني انه اتخذه خليلا والثالث انه انجاه من النار والرابع
انه جعله اماما للناس والخامس انه ابتلاه بالكلمات فوفقه حتى اتمهن
ثم قال وآل عمران فان كان عمران اب موسى وهارون فانما اختارهما
على العالمين حيث بعث على قومه المن والسلوي وذلك لم يكن لاحد
من الانبيا في العالم وان كان اب مريم فانه اصطفى له مريم بولادة عيسى
بغير اب ولم يكن ذلك لاحد في العالم والله اعلم قوله تعالى ذرية بعضها
من بعض يقدم في البقرة معنى الذرية واشتقاقها وهي نصب على الحال
قاله الاخفش اي في حال كون بعضهم من بعض اي ذرية بعضها من ولد
بعض الكوفيون على القطع الزجاج بدلا اي اصطفى ذرية بعضها من

بعض ومعنى

بعض ومعنى بعضها من بعض يعني التناصر في الدين كما قال المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض يعني في الضلالة قاله الحسن وقتادة وقيل في
الاجتبا والاصطفا والنبوة وقيل المراد به التناسل وهذا اضعفها
قوله تعالى اذ قالت امراة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا
فتقبل مني انك انت السميع العليم فيه ثمان مسايل الاولى قوله تعالى
اذ قالت امراة عمران قال ابو عبيدة اذ زايدة وقال محمد بن يزيد التقدير
اذكر اذ وقال الزجاج المعنى واصطفى آل عمران اذ قالت امراة عمران وهي
حنة بالحا المهملة والنون بنت فاقوذ بن قنبل ام مريم جدة عيسى عليه
السلام وليس باسم عربي ولا يعرف في العربية حنة اسم امراة وفي
العربية ابو حية البدري ويقال فيه ابو حبة بالبا بواحدة وهو اصح
واسمه عامر ودير حنة بالشام ودير اخر ايضا يقال له لذلك
قال ابو نواس يا دير حنة من ذات الاكيراح من يصح عنك
فاني لست بالصاحي وحبة في العرب كثير منهم ابو حبة الانصاري
وابو السنابل بن بعكك المذكور في حديث سبيعة حبة ولا يعرف
خنة بالخا المعجمة الا بنت يحيى بن اكثم القاضي وهي ام محمد بن نصر
ولا يعرف جنة بالجيم الا ابو جنة وهو خال ذو الرمة الشاعر
كل هذا من كتاب ابن ماكولا الثانية قوله تعالى رب اني نذرت
لك ما في بطني محررا قد تقدم معنى النذر وانه لا يلزم العبد الا
بان يلزمه نفسه ويقال انها لما حملت قالت لين نجاني الله ووضعت
ما في بطني لجعلته محررا ومعنى لك اي لعبادتك محررا نصب على
الحال وقيل نعته لمفعول محذوف اي اني نذرت لك ما في بطني

نذرا

غلامًا محررًا والاول اولى من جهة التفسير وسياق الكلام والاعراب
اما الاعراب فان اقامة النعت مقام المنعوت لا يجوز في مواضع
ويجوز على المجازي في اخرى واما التفسير فقيل ان سبب قول
امراة عمران هذا انها كانت كبيره لا تلد وكانوا اهل بيت من الله
بمكان وانها كانت تحت شجرة فبصرت بطاير يزق فرخا فتحركت نفسها
لذلك ودعت ربها ان يهب لها ولدًا ونذرت ان ولدت ان تجعل ما
ولدته محررًا اي عتيقًا خالصًا لله تعالى خادمًا للكنيسة حبيسا عليها
مفرغا لها لعبادة الله تعالى وكان ذلك جايزًا في شريعتهم وكان على
اولادهم ان يطيعوهم فلما وضعت مريم قالت رب اني وضعتها انثى
تعني ان الانثى لا تصلح لخدمة الكنيسة قيل لما يصيبها من الحيض والاذى
وقيل لانها لا تصلح لمخالطة الرجال وكانت ترجوا ان يكون غلاما فلذلك
حررت **الثالثة** قال ابن العزي لاخلاف ان امراة عمران لا يتطرق
الى حملها نذر لكونها حرة فلو كانت امراته امة فلا خلاف ان المرء لا يصح
له نذر في ولده وكيف ما تصرفت حاله فانه ان كان الناذر عبدًا لم يتقرر له
قول في ذلك وان كان حرا فلا يصح ان يكون مملوكا له ولذلك المراة مثله
فاي وجه للنذر فيه وانما معناه والله اعلم ان المرء انما يريد ولده للانس به
والاستبصار والتسلي فطلبت هذه المراة الولد انسا به وسكونا اليه
فلما من الله تعالى عليها به نذرت ان حظها من الانس به متروك فيه وهو
على خدمة الله تعالى موقوف وهذا نذر الاحرار من الابرار وارادت
به محررًا من جهتي محررا من رق الدنيا واشغالها وقد قال رجل من الصوفية
لامه يا امه ذريني لله اتعبد له واتعلم العلم فقالت نعم فسار حتى

تبصر ثم عاد

تبم ثم عاد اليها فدق الباب فقالت من يقال لها ابنك فلان قالت قد تركناك
لله ولا نعود فيك **الرابعة** قوله تعالى محررًا مأخوذ من الحرية التي
هي ضد العبودية وروي خصيف عن عكرمة ومجاهد ان المحرر الخالص لله
عز وجل لا يشوبه شيء من امر الدنيا وهذا معروف في اللغة ان يقال لكل ما
خلص حر ومحرر بمعناه قال ذو الرمة ٥ والقرط في حرة الذفرى
معلقة تباعد الحبل منه فهو يضطرب ومن هذا تحرير الكتاب وهو تخليصه
من الاضطراب والفساد وطين حر لا رمل فيه وباتت فلانة بليلة
حرة اذا لم يصل اليها زوجها اول ليلة فان تمكن منها فهي بليلة شيبا
الخامسة قوله تعالى فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى قال ابن
عباس انما قالت هذا لانه لم يكن يقبل في النذر الا الذكور فتقبل الله مريم
وانثى حال واشنيت بدل فقبلها ربها حتى ترعرعت وحينئذ
ارسلتها رواه اشهب عن ملك وقيل لفتها في خرقتها وارسلت بها الي
المسجد فوفت بنذرها وتبرات منها ولعل الحجاب لم يكن عندهم كما
كان في صدر الاسلام ففي البخاري ومسلم ان امراة سوداء كانت تقم
المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الحديث
السادسة قوله تعالى والله اعلم بما وضعت هو على قراة من قرا وضعت
التاء من جملة كلامها فالكلام متصل فهي قراة ابي بكر وابن عامر وفيها معنى
التسليم لله والخضوع والتنزيه له ان يخفى عليه شيء ولم يقله على
الاخبار لان الله في كل شيء قد تقرر في نفس المومنين وانما قالته على
طريق التعظيم والتنزيه لله تعالى وعلى قراة الجمهور هو من الله عز
وجل قدم وتقديره ان يكون موخرًا بعد واني اعيذها بك وذريتها

وضعت ص

كلام ج

علد ٢ حبة

من الشيطان الرجيم والله اعلم بما وضعت قاله المهدوي وقال مكي
هو اعلام من الله تعالى لنا على طريق التثبت فقال والله اعلم بما وضعت
ام مريم قالته او لم تقله ويقوي ذلك انه لو كان من قول ام مريم لكان
وجه الكلام وانت اعلم بما وضعت لانها نادته في اول الكلام في قولها رب
اني وضعتها انثى وروي عن ابن عباس بما وضعت بكسر التاء اي قيل لها هذا
السابعة قوله تعالى وليس الذكر كالانثى استدل به بعض الشافعية
على ان المطاوعة في نهار رمضان لزوجها على الوطء لا تساويه في وجوب
الكفارة عليها ابن العربي وهذا غفلة منه فان هذا خبر عن شرع من
قبلنا وهم لا يقولون به وهذه الصالحة انما قصدت بكلامها ما تشهد
له بنية حالها ومقطع كلامها فانما نذرت خدمة المسجد في ولدها
فلما راته انثى لا يصلح وانها عورة اعتذرت الى ربها من وجودها
لها على خلاف ما قصدته فيها ولم تنصرف مريم لانه مونث معرفة
وهو ايضا اعجمي قاله النحاس الثامنة قوله تعالى واني سميتها
مريم يعني خادم الرب بلغتهم واني اعيذها بك يعني مريم وذريتها
يعني عيسى وهذا يدل على ان الذرية قد تقع على الولد خاصة وفي
صحيح مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسه الا
ابن مريم وامه ثم قال ابو هريرة اقروا ان شئتم اني اعيذها بك
وذريتها من الشيطان الرجيم قال علماونا فافاد هذا الحديث ان
الله تعالى استجاب دعا ام مريم وان الشيطان [illegible] جميع ولد ادم
حتى الانبيا والاوليا الا مريم وابنها [illegible]

الشيطان

الشيطان في جنبه حين يولد غير عيسى وامه جعل بينهما حجاب
فاصحاب الطعنة الحجاب ولم ينفذ لهما منه شي قال علماونا وان لم
يكن كذلك بطلت الخصوصية بهما ولا يلزم من هذا ان نخس
الشيطان يلزم منه اضلال الممسوس واغواه فان ذلك ظن فاسد
فلم تعرض الشيطان للانبيا والاوليا بانواع الفساد والاغوا ومع
ذلك نعصمهم الله مما يرومه الشيطان كما قال ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان هذا مع ان كل واحد من بني ادم قد وكل به قرينه
من الشياطين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمريم وابنها وان
عصما من نخسه فلم يعصما من ملازمته لهما ومقارنتهما انته قوله
تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن المعنى سلك بها طريق السعدا عن
عباس وقال قوم معنى التقبل التكفل في التربية والقيام بشانها
وقال الحسن معنى التقبل انه ما عذبها ساعة قط من ليل ولا نهار وانبتها
نباتا حسنا يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت
في اليوم ما ينبت اليوم لمولود في عام واحد والقبول والنبات
مصدران على غير المصدر والاصل تقبلا وانبتا وقال الشاعر
اكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطايك المائة الرتاعا اراد
بعد اعطايك لكن لما قال انبتها دل على نبت كما قال امرو القيس
فصرنا الى الحسنى ورق كلامنا ورضت فذلت صعبة اي اذلال
وانما مصدر ذلت ذل ولكنه رده على معنى اذللت وكذلك
كل ما يرد عليك في هذا الباب فمعنى تقبل وقبل واحد فالمعنى فقبلها
ربها بقبول الحسن والخيرة فهي الخيرة وقد تطويت انطوى

فى الحمية

الحصب لان معنى تطويت وانطويت واحد ومثله قول القطامي
وخير الامر ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا لان تبعت
واتبعت واحد وفي قراه بن مسعود وانزل الملايكه تنزيلا لان معنى
نزل وانزل واحد وقال المفضل معناه وانبتها فنبتت نباتا حسنا
ومراعاة المعنى اولى لما ذكرنا والاصل في القبول الضم لانه مصدر
مثل الدخول والخروج والفتح جا في حروف قليله مثل الولوع
والوروع هذه الثلاثه لا غير ما حكى ابو عمرو والكساي والايمة واجاز
الزجاج تقبول بضم القاف على الاصل قوله تعالى وكفلها زكريا اي
ضمها اليه ابو عبيده ضمن القيام بها وقرا الكوفيون وكفلها زكريا
بالتشديد فهو يتعدى الى مفعولين والتقدير وكفلها ربها زكريا
اي الزمه كفالتها وقدر ذلك عليه ويسره له وفي مصحف ابي واكفلها
والهمزه كالتشديد في التعدى وايضا فان قبله فتقبلها وانبتها فاخبر
تعالى عن نفسه بما فعل بها فجا وكفلها بالتشديد على ذلك وخففه الباقون
على اسناد الفعل فاخبر الله تعالى انه هو الذى تولى كفالتها والقيام بها
بدلالة قوله ايهم يكفل مريم قال مكي وهو الاختيار لان الله تعالى اذا
كفلها زكريا كفلها بامر الله ولان زكريا اذا كفلها فعن مشيه الله
وقدرته فعل ذلك فالقراتان متداخلتان لان التشديد يرجع الى
التخفيف وروى عمر بن موسى عن عبد الله بن كثير وابي عبد الله المدنى
وَكَفِلَهَا بكسر الفا قال الاخفش يقال كفل يكفل وكفل يكفل ولم
اسمع كفل وقد ذكرت وقرا مجاهد فَتَقَبَّلْهَا باسكان اللام على المسئلة
والطلب رَبَّهَا بالنصب بدا مضاف وَأَنْبِتْهَا باسكان التا وَكَفِّلْهَا باسكان

اللام زكريا بالمد والنصب وقرا حفص وحمزه والكساي زكريا بغير مد
ولا همز ومده الباقون وهمزوه وقال الفرا اهل الحجاز يمدون زكريا
ويقصرونه واهل نجد يحذفون منه الالف ويصرفونه فيقولون
زكري قال الاخفش فيه اربع لغات المد والقصر وزكري بتشديد اليا
والصرف وزكر ورايت زكريا قال ابو حاتم زكري بلا صرف لانه اعجمي
وهذا غلط لان ما كانت فيه يا مثل هذه انصرف مثل كرسي وبختي
ولم ينصرف زكريا في المد والقصر لان فيه الف تانيث والعجمه والتعريف

قوله تعالى فلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا فيه اربع مسايل

الاولى قوله تعالى فلما دخل عليها زكريا المحراب المحراب في اللغه موضع
في المجلس وسياتي له مزيد بيان في سورة مريم وجا في الخبر انها كانت في غرفه
كان زكريا يصعد اليها بسلم قال عدي بن زيد ربة محراب اذا جيتها
لم ادن حتى ارتقي سلما اي ربة غرفه روى ابو صالح عن ابن عباس قال حملت
امراة عمران بعد ما اسنت فنذرت ما في بطنها محررا فقال لها عمران ويحك
ماصنعت ارايت ان كانت انثى فاغتما جميعا من ذلك فهلك عمران وحنه
حاملا فولدت انثى فتقبلها الله بقبول حسن ولا يحرر الا الغلمان فتساهم
عليها الاحبار بالاقلام التي يكتبون بها الوحي على ما ياتي فكفلها زكريا
واتخذ لها موضعا فلما اسنت جعل لها محرابا لا يرتقى اليه الا بسلم واستاجر
ظيرا وكان يغلق عليها بابا وكان لا يدخل عليها الا زكريا حتى كبرت فكانت
اذا حاضت اخرجها الى منزله فتكون عند خالتها وكانت خالتها امراة زكريا في
قول الكلبي وقال مقاتل كانت اختها امراة زكريا وكانت اذا طهرت
من حيضها واغتسلت ردها الى المحراب وقال بعضهم كانت لا تحيض

من حيضها واغتسلت رداها الى المحراب وقال بعضهم كانت لا تحيض

وكانت مطهرة من الحيض وكان زكريا اذا دخل يجد عندها فاكهة الشتا
في القيظ وفاكهة القيظ في الشتا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من
عند الله فعند ذلك طمع زكريا في الولد وقال ان الذى ياتيها بهذا قادر
ان يرزقني ولدا ومعنى انى من اين قاله ابو عبيدة قال النحاس وهذا فيه
تساهل لان اين سوال عن المواضع وانى سوال عن المذاهب والجهات
والمعنى من اى المذاهب ومن اى الجهات لك هذا وقد فرق الكميت بينهما
فقال انى ومن اين ابك الطرب من حيث لا صبوة ولا ريب وكلا منصوب
بوجداى وهي اخله ان الله يرزق من يشا بغير حساب قيل هو من قول مريم ويجوز
ان يكون مستانفا فكان ذلك سبب دعا زكريا وسواله الولد **الثانية**
قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه هنالك في موضع نصب لانه ظرف يستعمل
للزمان والمكان واصله للمكان وقال المفضل بن سلمة هنالك في الزمان وهناك
في المكان وقد يجعل هذا مكان هذا وهب لي اعطني من لدنك من عندك ذرية
طيبة اي نسلا صالحا والذرية تكون واحدا وتكون جمعا ذكرا وانثى وهو
هنا واحد يدل عليه قوله فهب لي من لدنك وليا ولم يقل اوليا وانما انث
طيبة لتانيث لفظ الذرية كقوله ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة
ذاك الكمال فانث ولدته لتانيث لفظ الخليفة وروي من حديث انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي رجل مات وترك له ذرية طيبة اجرى الله له
مثل اجر عملهم ولم ينقص من اجورهم شيا وقد مضى في البقرة اشتقاق الذرية وطيبة
اي صالحة مباركة انك سميع الدعا اي قابله ومنه سمع الله لمن حمده **الثالثة**
دلت هذه الاية على طلب الولد وهي سنة المرسلين والصديقين قال الله تعالى ولقد
ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وفي صحيح مسلم عن سعد بن ابي

وقاص قال اراد

وقاص قال اراد عثمان ان يتبتل فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو
اجاز له ذلك لاختصينا وخرج بن ماجه عن عايشه قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني وتزوجوا
فاني مكاثر بكم الامم ومن كان ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصيام فانه
له وجا وفي هذا رد على بعض جهال المتصوفه حيث قال الذي يطلب الولد احمق
وما عرف انه هو الغبي الاحمق قال الله تعالى مخبرا عن ابراهيم الخليل واجعل لي
لسان صدق في الاخرين وقال والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذريا تنا
قره اعين وقد ترجم البخاري على هذا باب طلب الولد وقال صلى الله عليه
وسلم لابي طلحه حين مات ابنه اعرستم الليله قال نعم قال بارك الله لكما
في غابر ليلتكما فالحملت قال البخاري قال سفيان قال رجل من الانصار
فرايت تسعة اولاد كلهم قد قرو القران وترجم ايضا باب الدعا بكثرة
الولد مع البركه وساق حديث انس بن مالك قال قالت ام سليم يا رسول
الله خادمك انس ادع الله له فقال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما
اعطيته وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لابي سلمة وارفع درجته
في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين خرجه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه
وسلم تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم اخرجه ابودا ود والاحاديث
في هذا المعنى كثيره تحث على طلب الولد وتندب اليه لما يرجوا الانسان من
نفعه في حياته وبعد موته قال صلى الله عليه وسلم اذا مات احدكم انقطع عمله
الا من ثلاث قد ذكر او ولد صالح يدعو له ولو لم يكن الا هذا الحديث لكان
فيه كفاية **الرابعة** فاذا ثبت هذا فالواجب على الانسان ان يتضرع الى
الله في هداية ذريته ويلح في طلبه بالتوفيق لهما والهداية والصلاح والعفاف

[illegible]

والرعاية وان يكونا معينين له على دينه ودنياه حتى تعظم منفعته بهما في
اولاه واخراه الا ترى قول زكريا واجعله رب رضيا وقال ذرية طيبة
وقال وهب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين ودعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم لانس فقال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيه خرجه البخاري
ومسلم وحسبك قوله تعالى فنادته الملايكة قرا حمزة والكساي فناداه
بالالف على التذكير وبميلانها لان اصلها اليا ولانها رابعة وبالالف قراه ابن
عباس وابن مسعود وهو اختيار ابي عبيد وروي عن جرير عن مغيرة عن ابراهيم
قال كان عبد الله يذكر الملايكة في القران قال ابو عبيد نراه اختار ذلك خلافا على
المشركين لانهم قالوا الملايكة بنات الله قال النحاس هذا احتجاج لا يحصل منه شي
لان العرب تقول قالت الرجال وقال الرجال وكذا النسا ولو جاز ان يحتج عليهم
بالقران بهذا لجاز ان يحتجوا عليه بقوله تعالى واذ قالت الملايكة ولكن الحجة عليهم
في قوله عز وجل اشهدوا خلقهم اي فلم يشاهدوا خلقهم فكيف يقولون انهم
اناث فقد علم ان هذا ظن وهوي واما فناداه فهو جايز على تذكير الجمع ونادته
على تانيث الجماعة قال مكي والملايكة ممن يعقل في التكسير يجري التانيث مجرى ما لا
يعقل تقول هي الرجال وهي الجذوع وهي الجمال وقالت الاعراب ويقوي ذلك
قوله واذ قالت الملايكة وقد ذكر في موضع اخر فقال والملايكة باسطوا
ايديهم وهذا اجماع وقال والملايكة يدخلون عليهم من كل باب فتانيث هذا
الجمع وتذكيره حسان وقال السدي ناداه جبريل وحده وكذا في قراة ابن
مسعود وفي التنزيل ينزل الملايكة بالروح يعني جبريل والروح الوحي وجايز
في العربية ان يخبر بلفظ الجمع وفي التنزيل الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود
على ما ياتي وقيل ناداه جميع الملايكة وهو الاظهر اي جا النداء من قبلهم قوله

عن ابو الهيثم

تعالى وهو

تعالى وهو قايم ابتدا وخبر يصلي في موضع رفع وان شيت بان نصبا على الحال من الضمير ان الله اي بان الله وقرا حمزه والكساي ان اي قالت ان الله فالندا بمعنى القول يبشرك بالتشديد بد قراه اهل المدينه وقرا حمزه يبشرك مخففا وكذا حميد بن قيس المكي الا انه كسر الشين وضم اليا وخفف اليا قال الاخفش هي ثلاث لغات بمعنى واحد دليل الاولى وهي قراه الجماعه ان ما في القران من هذا من فعل ماض او امر فهو بالتثقيل كقوله فبشر عبادي فبشرهم بعذاب فبشرناها باسحق قالوا بشرناك بالحق واما الثانيه وهي قراه عبد الله بن مسعود فهي بشر يبشر وهي لغه تهامه ومنه قول الشاعر ٥ بشرت عيالي اذا رايت صحيفة اتتك من الحجاج يتلى كتابها وقال اخر ٥ واذا رايت الباهشين الى الندى غبرا اكفهم بقاع ممحل فاعنهم وابشر بما بشروا به واذا هم نزلوا بضنك فانزل ٥ واما الثالثه فهي من ابشر يبشر ابشارا قال ٥ يا ام عمرو ابشري بالبشرى موت ذريع وجراد عظلى قوله تعالى يحيى كان اسمه في الكتاب الاول حيا وكان اسم ساره زوجه ابراهيم عليه السلام يساره وتفسيره بالعربيه لا تلد فلما بشرت باسحق قيل لها ساره سماها بذلك جبريل عليهما السلام فقال ان ذلك الحرف زيد في اسم ابن لها من افضل الانبيا اسمه حي وسمي يحيى ذكره النقاش وقال قتاده سمي يحيى لان الله تعالى احياه بالايمان والنبوه وقال بعضهم سمي بذلك لان الله تعالى احيا به الناس بالهدى وقال مقاتل اشتق اسمه من اسم الله فسماه يحيى وقيل لانه حيي به رحم امه مصدقا بكلمة من الله يعني بعيسى في قول اكثر المفسرين وسمي عيسى كلمه لانه كان بكلمة الله تعالى التي هي كن فكان من غير اب وقرا ابو سماك العدوي

من ه
بعا

هعهى الغا

بكلمة مكسورة الكاف ساكنة اللام في جميع القران وهي لغة فصيحة مثل كتف
وكبد وقيل سمي كلمة لان الناس يهتدون به كما يهتدون بكلام الله تعالى وقال
ابو عبيد معنى بكلمة من الله بكتاب من الله قال والعرب تقول انشدني كلمة
اي قصيدة كما روي ان الحويدرة ذكر لحسان فقال لعن الله كلمته يعني قصيدته
وقيل غير هذا من الاقوال والقول الاول اشهر وعليه من العلما الاكثر ويحيى
اول من امن بعيسى عليهما السلام وصدقه وكان يحيى اكبر من عيسى بثلاث
سنين ويقال بستة اشهر وكانا ابني الخالة فلما سمع زكريا شهادته قام
الى عيسى فضمه اليه وهو في خرقه وذكر الطبري ان مريم لما حملت بعيسى
حملت ايضا اختها بيحيى فجاءت اختها زايرة فقالت يا مريم اشعرت اني حملت
فقالت لها مريم اشعرت انت اني حملت فقالت لها وانا اجد ما في بطني
يسجد لما في بطنك وذلك انه روي انها احست جنينها يخر براسه الى
ناحية بطن مريم قال السدي فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله ومصدقا
نصب على الحال وسيدا السيد الذي يسود قومه وينتهى الى قوله واصله
يَسْوُدُ يقال فلان اَسْوَدُ مِن فلانٍ اَفْعَلُ من السِّيَادَةِ ففيه دلالة على جواز
تسميةِ الانسانِ سيدًا كما يجوز ان يسمى عزيزا او كريما وكذلك روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لبني قريظة قوموا الى سيدكم وفي البخاري ومسلم
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحسن ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح
بين فيتين عظيمتين من المسلمين وكذلك كان فانه لما قتل علي رضي الله عنه بايعه
اكثر من اربعين الفا وكثير ممن تخلف عن ابيه وممن نكث بيعته فبقي نحو سبعة اشهر
خليفة بالعراق وما وراها من خراسان ثم سار الى معاوية في اهل الحجاز
والعراق وسار اليه معاوية في اهل الشام فلما تراى ...

له مسكن

له مسكن من ارض السواد بناحية الانبار لعل الحسن انما قال لعله ان احدى
الطايفتين لا تغلب حتى يهلك اكثر الاخرى فيهلك المسلمون فسلم الامر لمعاوية
على شرط شرطها عليه منها انه يكون الامر له من بعد معاوية فالتزم كل ذلك
معاوية فصدق قوله عليه السلام ان ابني هذا سيد ولا اسود ممن سوده
الله تعالى ورسوله قال قتادة وفي قوله تعالى وسيدا قال في العلم والعبادة
بن جبير والضحاك في العلم والتقى مجاهد السيد الكريم بن زيد الذي لا يغلبه
الغضب وقال الزجاج السيد الذي يفوق اقرانه في كل شي من الخير وهذا
جامع وقال الحساي السيد من المعز المسن وفي الحديث ثني الضان خير من السيد
من المعز قال سوا عليه شاة عام له ليذبحها للضيف ام شاه سيد وحصورا
اصله من الحصر وهو الحبس حصرني الشي واحصرني اذا حبسني قال بن ميادة
وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول ۝ وناقة
حصور ضيقة الاحليل والحصور الذي لا ياتي النسا كانه محجم عنهن كما
يقال رجل حصور وحصير اذا حبس رفده ولم يخرج ما يخرجه الندما ما
يقال شرب القوم فحصر عليهم فلان اي بخل عن بن عمرو قال الاخطل
وشارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار ۝ وفي التنزيل
وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي محبسا والحصير الملك لانه محجوب
قال لبيد ۝ وقماقم غلب الرقاب كانهم جن لدى باب الحصير قيام
فيجي عليه حصور فعول بمعنى مفعول ولا ياتي النسا كانه ممنوع مما
يكون في الرجال عن بن مسعود وغيره وفعول بمعنى مفعول كثير في اللغة
من ذلك حلوب بمعنى محلوب قال الشاعر ۝ فيها اثنتان واربعون
حلوبة سودا كخافية الغراب الاسحم ۝ وقال بن مسعود ايضا وبن

عباس وبن جبير وقتادة وعطا وابو الشعثا والحسن والسدى وبن زيد هو
الذى يكف عن ولا يقربهن مع القدره وهذا اصح لوجهين احدهما انه مدح
وثنا عليه والثنا انما يكون عن الفعل المكتسب دون الجبله في الغالب الثاني
ان فعولا في اللغة من صنع الفاعلين كما قال ضروب بنصل السيف سوق
سمانها اذا عدموا زادا فانك عاقر • فالمعنى انه يحبس نفسه عن الشهوات
ولعل هذا كان شرعه فاما شرعنا فالنكاح كما تقدم وقيل الحصور العنين
الذى لا ذكر له يتاتى له به النكاح ولا ينزل عن بن عباس ايضا وسعيد بن
المسيب والضحاك وروي ابو صالح عن ابي هريره قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول كل بن ادم يلقى الله قد اذنب يعذبه عليه ان شا او
يرحمه الا يحيى بن زكريا فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ثم اهوى
النبي صلى الله عليه وسلم بيده الى قذاه من الارض فاخذها وقال كان ذكره مثل
هذه القذاه وقيل معناه الحابس نفسه عن معاصي الله جل وعز ونبيا من
الصالحين قال الزجاج الصالح الذى يودى لله ما افترض عليه والى الناس
حقوقهم قوله تعالى قال رب انى يكون لى غلام قيل الرب هنا
جبريل اي قال لجبريل رب اي يا سيدي انى يكون لي غلام يعني ولدا وهذا
قول الكلبي وقال بعضهم رب يعني الله عز وجل انى بمعنى كيف وهو في موضع نصب
على الظرف وفي معنى هذا الاستفهام وجهان احدهما انه سال هل يكون
له الولد وهو وامراته على حالتهما ام يردان الى حال من يلد الثاني سال هل
يرزق الولد من امراته العاقر ام من غيرها وقيل المعنى باى وجه استوجب
هذا وانا وامراتي على هذه الحال على وجه التواضع ويروى انه كان بين
دعائه والوقت الذى بشر فيه اربعون سنة وكان يوم بشر بن تسعين سنة

وامراته قريبة

وامراته قريبه السن منه وقال بن عباس والضحاك كان يوم بشر ابن عشرين ومايه سنه وكانت امراته بنت ثمان وتسعين سنه فذلك قوله وامراتي عاقر اي عقيم لا تلد يقال رجل عاقر وامراة عاقر بينه العقر وقد عقرت وعقر بضم القاف فيهما يعقر عقرا صارت عاقرا مثل حسنت تحسن حسنا عن ابي زيد وعاقر ايضا واسما الفاعلين من فعل فعيله يقال عظمت فهي عظيمه وظرفت فهي ظريفه وانما قيل عاقر لانه يراد به ذات عقر على النسب ولو كان على الفعل لقال عقرت فهي عقيم كان بها عقرا اي كبرا من السن يمنعها من الولد والعاقر العظيم من الرمل لا ينبت شيا والعقر ايضا مهر المراة اذا وطيت على شبهه وبيضه من العقر نحوا هي بيضه الديك لانه يبيض في عمره بيضه واحدة الى الطول وعقر وعقر النار ايضا وسطها ومعظمها وعقر الحوض موخره حيث تقف الابل اذا وردت يقال عُقْر وعُقُر مثل عسر وعسر والجمع الاعقار فهو لفظ مشترك والكاف في قوله كذلك في موضع نصب اي يفعل الله ما يشا مثل ذلك والعلام مشتق من الغلمه وهي شده طلب النكاح واغتلم الفحل غلمة هاج من شهوة الضراب وقالت ليلى الاخيليه شفاها من الدا العضال الذي بها غلام اذا هز القناة سقاها والغلام الطار الشارب وهو بين الغلومة والعلو والجمع الغلمه والغلمان ويقال ان الغيلم الشاب والجارية ايضا والغيلم ذكر السلحفاة والغيلم موضع واغتلم البحر هاج وتلاطمت امواجه

قوله تعالى قال رب اجعل لي آية قال ايتك الا تكلم الناس ثلاثه ايام الا رمزا فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى قال رب اجعل لي آية اجعل هنا بمعنى صير لتعديه الى مفعولين وفي موضع الثاني ولما بشر بالو لد

تمت

ولم يبعد عند هذا في قدره الله تعالى طلب اية اي علامه يعرف بها صحة
هذا الامر وكونه من عند الله تعالى فعاقبه الله تعالى بان اصابه السكوت
عن كلام الناس لسؤاله الايه بعد مشافهه الملايكه اياه قاله اكثر المفسرين
قالوا وكذلك ان لم يكن من مرض خرص اوخوف ففيه على كل حال عقاب ما
قال ابن زيد ان زكريا عليه السلام لما حملت زوجته منه بيحيى اصبح لا
يستطيع ان يكلم احدا وهو مع ذلك يقرا التوره ويذكر الله فاذا اراد مقال
احدكم بطقه **الثانية** قوله تعالى الا رمزا الرمز في اللغه الايما بالشفتين
وقد يستعمل في الايما بالحاجبين والعينين واليدين واصله الحركه وقيل
طلب تلك الاية زيادة طمانينه المعنى تمم النعمه بان تجعل لي اية وتكون
تلك الايه زيادة نعمه وكرامة فقيل له ايتك الا تكلم الناس ثلاثه ايام
اي تمنع من الكلام ثلاث ليال دليل هذا القول قوله تعالى بعد بشرى
الملايكه له وقد خلقتك من قبل ولم تك شيا اي اوجدتك بقدرتي فكذلك
اوجد الولد واختار هذا القول النحاس وقال قول قتادة ان زكريا عوقب
بترك الكلام قول مرغوب عنه لان الله عز وجل لم يخبرنا ان زكريا اذنب
ولانه نهاه عن هذا والقول فيه ان المعنى اجعل لي علامه تدل على كون
الولد اذ كان ذلك مغيبا عني ورمزا نصب على الاستثنا المنقطع قاله
الاخفش وقال الكساي رمز يرمز ويرمز وقرى بفتح الميم ورمزا بضمها
وضم الرا الواحدة رمزة **الثالثة** في هذه الايه دليل على ان الاشارة
تنزل منزله الكلام وذلك موجود في كثير من السنه وآكد الاشارات ما
حكم به النبي صلى الله عليه وسلم من امر السودا حين قال لها اين الله فاشارت
براسها الى السما فقال اعتقها فانها مومنة فاجاز الاسلام بالاشارة الذي

هو اصل الديانه

هو اصل الديانة الذي يحرز الدم والمال ويستحق به الجنة وينجي به من النار
وحكم بايمانها كما يحكم بنطق من يقول ذلك فيجب ان يكون الاشارة عاملة في
ساير الديانة وهو قول عامة الفقها وروي ابن القاسم عن مالك ان الاخرس
اذا اشار بالطلاق انه يلزمه وقال الشافعي في الرجل يمرض فيختل لسانه فهو
كالاخرس في الرجعة والطلاق وقال ابو حنيفة ذلك جايز اذا كانت
اشارته تعرف وان شك فيها فهي باطل وليس ذلك بقياس وانما هو استحسان
والقياس في هذا كله انه باطل لانه لا يتكلم ولا تعقل اشارته قال ابو الحسن
بن بطال وانما حمل ابا حنيفة على قوله هذا انه لم يعلم السنن التي جاءت بجواز
الاشارات في احكام مختلفة من الديانة ولعل البخاري حاول بترجمته باب
الاشارة في الطلاق والامور الرد عليه وقال عطا اراد بقوله الا يكلم
الناس صوم ثلاثة ايام وكانوا اذا صاموا لم يتكلموا الا رمزا وهذا فيه
بعد والله اعلم **الرابعة** قال بعض من يجيز نسخ القران بالسنة
ان زكريا عليه السلام منع الكلام وهو قادر عليه وانه منسوخ بقوله
عليه السلام لا صمت يوما الى الليل واكثر العلما على انه ليس بمنسوخ
وان زكريا انما منع الكلام بافة دخلت عليه منعته اياه وتلك الافة
عدم القدرة على الكلام مع الصحة كذلك قال المفسرون وذهب كثير
من العلما الى انه لا صمت يوما الى الليل انما معناه عن ذكر الله واما عن الهذر
وما لا فايدة فيه فالصمت عن ذلك حسن **قوله** تعالى واذكر ربك
كثيرا امره بان لا يترك الذكر في نفسه مع اعتقال لسانه على القول الاول
وقد مضى في البقرة معنا الذكر وقال محمد بن كعب القرظي لو رخص لاحد في ترك
الذكر لرخص لزكريا بقول الله عز وجل الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا

واذكر ربك كثيرا ولم يرخص للرجل يكون في الحرب بقول الله عز وجل اذا لقيتم
فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا ذكره الطبري وسبح اي صل سميت الصلاة
سبحة لما فيها من تنزيه الله تعالى عن السوء والعشي جمع عشية وقيل هو واحد
وذلك من حين تزول الشمس الى ان تغيب عن مجاهد وفي الموطا عن القاسم بن محمد
قال ما ادركت الناس الا وهم يصلون الظهر بعشي والابكار من طلوع الفجر
الى وقت الضحى قوله تعالى اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك
اي اختارك وقد تقدم وطهرك اي من الكفر عن مجاهد والحسن الزجاج من
ساير الادناس من الحيض والنفاس وغيرهما واصطفاك لولادة عيسى
على العالمين يعني عالمي زمانها عن الحسن وابن جريج وغيرهما وقيل على نسا
العالمين اجمع الى يوم الصور وهو الصحيح على ما نبينه وهو قول الزجاج
وغيره وكرر الاصطفا لان معنى الاول الاصطفا لعبادته ومعنى
الثاني لولادة عيسى روى مسلم عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النسا غير مريم بنت عمران
واسيه امراة فرعون وان فضل عايشه على النسا كفضل الثريد على الطعام
قال علماونا رحمة الله عليهم الكمال هو التناهي والتمام ويقال في
ماضيه كمل بفتح الميم وضمها ويكمل في مضارعه بالضم وكمال كل شي بحسبه
والكمال المطلق انما هو لله خاصة ولا شك ان اكمل نوع الانسان الانبيا
ثم يليهم الاوليا من الصديقين والشهدا والصالحين واذا تقرر هذا
فقد قيل ان الكمال المذكور في الحديث يعني به النبوة فيلزم عليه
ان تكون مريم عليها السلام واسيه نبيتين وقد قيل والصحيح ان
مريم نبية لان الله تعالى اوحى اليها بواسطة الملك كما اوحى الى سائر النبيين

حسب ما تقدم

مطلب خير نساء العالمين خير نساء اهل الجنة خديجة ابنة خويلد الخ

حسب ما تقدم ويأتي بيانه ايضا في مريم واما اسيه فلم يرد ما يدل
على نبوتها دلالة واضحة بل على صديقيتها وفضيلتها على ما يأتي بيانه
في التحريم وروي من طرق صحيحة انه عليه السلام قال فيما رواه عنه
ابو هريرة خير نسا العالمين اربع مريم بنت عمران واسيه بنت مزاحم
امراه فرعون وخديجه بنت خويلد وفاطمه ومن حديث بن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم افضل نسا اهل الجنه خديجه بنت خويلد
وفاطمه بنت محمد ومريم بنت عمران واسية بنت مزاحم امراه فرعون
وفي طريق اخر عنه سيدة نسا اهل الجنة بعد مريم فاطمه وخديجه
فظاهر القران والاحاديث يقتضي ان مريم افضل من جميع نسا العا لم
من حوا الى اخر امراة تقوم عليها الساعة فان بلغتها الوحي عن الله عز
وجل بالتكليف والاخبار والبشارة كما بلغت ساير الانبيا فهي اذا
نبية والنبي افضل من الولي فهي افضل من كل النسا الاولين والاخرين
مطلقا ثم بعدها في الفضيله فاطمة ثم خديجه ثم اسيه وكذا
رواه موسى بن عقبة عن كريب عن بن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سيدة نسا العالمين مريم ثم فاطمه ثم خديجه
ثم اسيه وهذا حديث حسن يرفع الاشكال وقد خص الله مريم
بما لم يوته احدا من النسا وذلك ان روح القدس كلمها وظهر لها
ونفخ في درعها ودنا منها للنفخة فليس فليس هذا لاحد من النسا
وصدقت بكلمات ربها ولم تسل اية عندما بشرت كما سيل زكريا
صلى الله عليه وسلم من الاية ولذلك سماها الله تعالى في تنزيله صديقه
فقال وامه صديقه وقال وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت

وقوله سبحا

من القانتين فشهد لها بالصديقيه وشهد لها بالتصديق بكلمات
البشري وشهد لها بالقنوت وانما بشر زكريا بالغلام فلحظ الي كبر
سنه وعقامه رحم امراته فقال اني يكون لي غلام وامراتي عاقر فسال
ايه وبشرت مريم بالغلام فلحظت انها بكر ولم يمسسها بشر فقيل لها
كذلك قال ربك فاقتصرت علي ذلك وصدقت بكلمات ربها ولم تسل ايه
لمن يعلم كنه هذا الامر ومن لامراة في جميع نسا العالمين من بنات ادم
مالها من هذه المناقب ولذلك ما روي انها سبقت السابقين مع الرسل
الي الجنه كما في الخبر عنه صلى الله عليه وسلم لو اقسمت لبررت لا يدخل
الجنه قبل سابقي امتي الا بضعه عشر رجلا منهم ابراهيم واسحق ويعقوب
والاسباط وموسي وعيسي ومريم ابنه عمران وقد كان يحق علي من ينتحل
علم الظاهر واستدل بالاشيا الظاهره علي الاشيا الباطنه ان يعرف
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وقوله انه
يقول لوا الحمد يوم القيمه بيدي ومفاتيح الكرم بيدي وانا اول خطيب
واول شفيع واول مبشر واول واول فلم ينل هذا السودد في الدنيا علي
الرسل الا لامر عظيم في الباطن ولذلك شان مريم لم تنل شهاده الله في
التنزيل بالصديقيه والتصديق بالكلمات الا لمرتبه قريبه دانيه ومن
قال لم تكن نبيه قال ان رويتها للملك كما روي جبريل عليه السلام في صفه دحيه
حين سال عن الاسلام والايمان ولم تكن الصحابه بذلك انبيا والاول
اظهر وعليه الاكثر والله اعلم قوله تعالى يا مريم اقنتي لربك اي
اطيلي القيام في الصلاه عن مجاهد قتاده اديمي الصلاه وقد تقدم القول في
القنوت قال الاوزاعي لما قالت لها الملايكه ذلك قامت في الصلاه حتى ورمت

واسمعيل

شفيع

قدماها

قدماها وسالت دما وقيحا عليها السلام واسجدي واركعي قدم السجود
هاهنا على الركوع لان الواو لا توجب الترتيب وقد تقدم الخلاف
في هذا في البقرة عند قوله ان الصفا والمروة من شعاير الله فاذا قلت
قام زيد وعمرو جاز ان يكون عمرو قام قبل زيد فعلى هذا يكون المعنى
واركعي واسجدي وقيل كان شرعهم السجود قبل الركوع مع الراكعين
قيل معناه افعلي كفعلهم وان لم تصلي معهم وقيل المراد به صلاة الجماعة
وقد تقدم في البقرة قوله تعالى ذلك من انبا الغيب نوحيه اليك الى
قوله اذ يختصمون فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى ذلك من انبا
الغيب الذي ذكرنا من حديث زكريا ويحيى ومريم عليهم السلام من
اخبار الغيب نوحيه اليك فيه دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث
اخبر عن قصة زكريا ومريم ولم يكن قرا الكتب واخبر عن ذلك وصدقه اهل
الكتاب بذلك قوله تعالى نوحيه اليك فرد الكناية الى ذلك فلذلك ذكر
والايحا هنا الارسال الى النبي عليه السلام والوحي يكون الهاما وايماء وغير
ذلك واصله في اللغة اعلام في خفا ولذلك صار الالهام يسمى وحيا ومنه
واذ اوحيت الى الحواريين وقوله واوحى ربك الى النحل وقيل معنى
واوحيت الى الحواريين امرتهم يقال وحى واوحى ورمى وارمى بمعناه
قال العجاج اوحى لها القرار فاستقرت اي امر الارض بالقرار
وفي الحديث الوحا الوحا وهو السرعة والفعل منه توحيت توحيا
قال ابن فارس الوحي الاشارة والكتاب والرسالة وكلما القيته الى
غيرك حتى يعلمه وحي كيف كان والوحي السريع والوحا الصوت ويقال
استوحيناهم اي استصرخناهم قال اوحيت ميمونا لها والازرق الثانية

قوله تعالى وما كنت لديهم اي وما كنت يا محمد لديهم اي عندهم وعندهم
اذ يلقون اقلامهم جمع قلم من قلمه اذا قطعه قدحوا قيل قداحهم وسهامهم
وقيل اقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة وهو اجود لان الازلام قد
نهى الله عنها فقال ذلكم فسق الا انه يجوز ان يكونوا فعلوا ذلك على غير
الجهة التي كانت عليه الجاهلية تفعلها ايهم يكفل مريم اي يحضنها فقال
فقال زكريا انا احق بها خالتها عندي وكانت عنده اشيع بنت فاقود
اخت حنه بنت فاقود ام مريم وقال بنو اسرائيل نحن احق بها بنت
عالمنا فتنازعوا عليها وجاء كل واحد بقلمه واتفقوا ان يجعلوا الاقلام
في الماء الجاري فمن وقف قلمه ولم يجره الماء فهو صاحبها قال النبي صلى الله عليه
وسلم فجرت الاقلام وعال قلم زكريا وكانت ايه له لانه نبي تجري الايات
على يديه وقيل غير هذا وايهم يكفل ابتدا وخبر في موضع نصب بالفعل
المضمر الذي دل عليه الكلام التقدير ينظرون ايهم يكفل مريم ولا يعمل
الفعل في لفظ اي لانها استفهام والله اعلم الثالثة استدل بعض
علمائنا بهذه الاية على اثبات القرعة وهي اصل في شرعنا لكل من اراد العدل
في القسمة وهي سنة عند جمهور الفقها في المستوين في الحجة ليعدل
بينهم وتطمئن قلوبهم وترتفع الظنة عن من يتولى قسمتهم ولا يفضل احد
منهم على صاحبه اذا كان المقسوم من جنس واحد اتباعا للكتاب والسنة
ورد العمل بالقرعة ابو حنيفة واصحابه وردوا الاحاديث الواردة
فيها وزعموا انه لا معنى لها وانها تشبه الازلام التي نهى الله عنها وحكي
ابن المنذر عن ابي حنيفة انه جوزها وقال القرعة في القياس لا تستقيم
ولكنا تركنا القياس في ذلك واخذنا بالاثار والسنة قال ابو عبيد

وقد عمل بالقرعة

وقد عمل بالقرعة ثلاثة من الانبيا يونس وزكريا ونبينا محمد صلى الله عليهم
وسلم اجمعين قال ابن المنذر واستعمال القرعة كالاجماع من اهل العلم فيما
يقسم بين الشركا فلا معنى لقول من ردها وقد ترجم البخاري في اخر كتاب الشهادات
باب القرعة في المشكلات وقول الله عز وجل اذ يلقون اقلامهم وساق حديث
حد النعمان بن بشير مثل القايم على حدود الله والمدهن فيها مثل قوم استهموا
على سفينة الحديث وسياتي في الانفال ان شا الله تعالى وفي سورة الزخرف
ايضا بحول الله سبحانه وحديث ام العلا ان عثمان بن مظعون طار لهم سهمه
في السكنا حين اقترعت الانصار سكنى المهاجرين الحديث وحديث عايشة قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسايه فايتهن خرج
سهمها خرج بها وذكر الحديث وقد اختلفت الرواية عن مالك في ذلك فقال
مرة يقرع للحديث وقال مرة يسافر باوفقهن له في السفر وحديث ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم الناس ما في الندا والصف الاول
ثم لم يجدوا الا ان يستهموا عليه لاستهموا والاحاديث في هذا المعنى كثيرة
وكيفية القرعة مذكورة في كتب الفقه والخلاف واحتج ابو حنيفة بان
قال ان القرعة في شان زكريا وازواج النبي صلى الله عليه وسلم كانت مما لو تراضوا
عليه دون قرعة لجاز قال ابن العربي وهذا ضعيف لان القرعة انما فايدتها
استخراج الحكم الخفي عند التشاح فاما ما يخرجه التراضي فباب اخر ولا
يصح لاحد ان يقول ان القرعة تجري مع موضع التراضي فانها لا تكون ابدا مع
التراضي وانما تكون فيما يتشاح فيه ويظن به وصفة القرعة عند الشافعي
ومن قال بها ان تقطع رقاع صغار مستوية فيكتب في كل رقعة اسم ذي السهم
ثم تجعل في بنادق طين مستوية لا تفاوت فيها ثم تجفف قليلا ثم تلقى في

ثوب رجل لم يحضر ذلك ويعطى عليها ثوبه ثم يدخل يده ويخرج فاذا خرج
اسم رجل اعطى الجزء الذي اقرع عليه **الرابعة** ودلت الاية ايضا على ان الخالة
احق بالحضانة من ساير القرابات ما عدى الجدة وقد قضى النبي صلى الله عليه وسلم
بابنة حمزة واسمها امة الله لجعفر وكانت عنده خالتها وقال انما الخالة بمنزلة
الام وقد تقدم في البقرة هذه المسئلة وخرج ابو داود عن علي قال خرج
زيد بن حارثة الى مكة فقدم بابنة حمزة فقال جعفر انا اخذها انا احق بها
ابنة عمي وخالتها عندي وانما الخالة ام فقال علي انا احق بها ابنة عمي وعندي
ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي احق بها وقال زيد انا احق بها انا خرجت
اليها وسافرت وقدمت بها فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فذكر حديثا
قال واما الجارية فاقضي بها لجعفر تكون مع خالتها وانما الخالة ام وذكر
بن ابي خيثمة ان زيد بن حارثة كان وصي حمزة فتكون الخالة على هذا احق
من الوصي ويكون ابن العم اذا كان زوجا غير قاطع بالخالة في الحضانة
وان لم يكن محرما لها **قوله** تعالى اذ قالت الملايكة يا مريم ان الله
يبشرك دليل على نبوتها كما تقدم واذ متعلقة بيختصمون ويجوز ان
يكون متعلقة بقوله وما كنت لديهم بكلمة منه وقرا ابو سماك بكلمة منه
وقد تقدم اسمه المسيح ولم يقل اسمها لان معنى كلمة معنى ولد
والمسيح لقب لعيسى ومعناه الصديق قاله ابرهيم النخعي وهو فيما
يقال معرب واصله الشين وهو مشترك قال بن فارس والمسيح العرق
والمسيح الصديق والمسيح الدرهم الاطلس لا نقش فيه والمسح الجماع
يقال مسحها والامسح المكان الاملس والمسحا المراة الرسحا التي لا است
لها وفلان مسيح من جمال والمسيح مسحا جيادا عابدة ... مسحى ...

وانما سمي

مسايح زور في مراتها لين وليس بها وهي ولا رفق واختلف في المسيح بن مريم
مما ذا اخذ فقيل لانه مسح الارض اي ذهب بها فلم يستكن بحين وروى
عن ابن عباس انه كان لا يمسح ذا عاهة الا برئ فكانه سمي مسيحا لذلك
فهو على هذا فعيل بمعنى فاعل وقيل لانه ممسوح بدهن البركة كانت الانبياء
تمسح به طيب الرائحة فاذا مسح به علم انه نبي وقيل لانه كان ممسوح الاخمصين
وقيل لان الجمال مسحه اي اصابه وظهر عليه وقيل انما سمي بذلك لانه
مسح بالتطهر من الذنوب وقال ابو الهيثم المسيح ضد المسيخ يقال
مسحه الله اي خلقه خلقا حسنا مباركا ومسخه اي خلقه خلقا ملعونا
قبيحا وقال ابن الاعرابي المسيح الصديق والمسيخ الاعور وبه سمي
الدجال وقال ابو عبيد المسيح اصله بالعبرانية مشيحا
بالشين فعرب كما عرب موشي بموسى واما الدجال فسمي مسيحا لانه
ممسوح احدى العينين وقد قيل في الدجال مسيح بكسر
الميم وشد السين وبعضهم يقوله كذلك بالخا المنقوطة وبعضهم
يقول مسيخ بفتح الميم والتخفيف والاول اشهر وعليه الاكثر
سمي به لانه يسيح في الارض اي يطوفها ويدخل جميع بلدانها الا
مكة والمدينة وبيت المقدس فهو فعيل بمعنى فاعل فالدجال
يمسح الارض محنة وابن مريم يمسحها منحة وعلى انه ممسوح العين
فعيل بمعنى مفعول ۞ وقال الشاعر ۞ ان المسيح يقتل المسيحا
وفي صحيح مسلم عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة الحديث
ووقع في حديث عبد الله بن عمرو الا الكعبة وبيت المقدس

ذكره ابو جعفر الطبري وزاد ابو جعفر الطحاوي ومسجد الطور ورواه
من حديث جنادة بن ابي امية عن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي بكر بن ابي شيبة عن
سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم وانه سيظهر على
الارض كلها الا الحرم وبيت المقدس وانه يحصر المومنين في بيت
المقدس وذكر الحديث وفي صحيح مسلم فبينما هو كذلك اذ بعث
الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضا شرقي دمشق بين
مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طاطا راسه قطر
واذا رفعه تحدر منه جمان كاللولو فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه
الا مات ونفسه تنتهي حيث ينتهي طرفه حتى يدركه بباب
لد فيقتله الحديث بطوله وقد قيل ان المسيح اسم لعيسى غير
مشتق سماه الله به فعلى هذا يكون عيسى بدلا من المسيح من
البدل الذي هو هو وعيسى اسم اعجمي فلذلك لم ينصرف وان
جعلته عربيا لم ينصرف في معرفة ولا نكرة لان فيه الف تانيث
ويكون مشتقا من عاسه يعوسه اذا ساسه وقام عليه وجيها
اي شريفا ذا جاه وقدر وانتصب على الحال قاله الاخفش
ومن المقربين عند الله تعالى وهو معطوف على وجيها اي ومقربا
قاله الاخفش وجمع وجيه وجها ووجاه ويكلم الناس عطف
على وجيها قاله الاخفش ايضا والمهد مضجع الصبي في رضاعه ومهدت
الامر هيات ووطات وفي التنزيل فلانفسهم يمهدون
وامتهد الشيء ارتفع كما يمتهد سنام البعير وكهلا الكهل [illegible]

البعير وكهلا الكهل

بين حال

بين حال

من حال الغلومة وحال الشيخوخه وامراه كهله واكتهلت الروضه اذا عمها النور فيقول يكلم الناس في المهد ايه ويكلمهم كهلا بالوحي والرساله وقال ابو العباس كلمهم في المهد حين برا امه فقال اني عبد الله الايه وامه لامه وهو كهل فاذا انزله الله انزله في صوره ابن ثلاث وثلاثين سنه وهو الكهل فيقول لهم اني عبد الله كما قال في المهد فهاتان ايتان وحجتان قال المهدوي وفايده الايه انه اعلمهم ان عيسى عليه عليه السلام يكلمهم في المهد ويعيش الى ان يكلمهم كهلا اذ كانت العاده ان من تكلم في المهد قال الزجاج و كهلا بمعنى ويكلم الناس كهلا وقال الاخفش والفرا معطوف على وجيها وقيل المعنى ويكلم الناس صغيرا وكهلا وروي ابن جريج عن مجاهد قال الكهل الحليم قال النحاس هذا لا يعرف في اللغه وانما الكهل عند اهل اللغه من ناهز الاربعين وقال بعضهم يقال له حدث الى سته عشر سنه ثم شاب الى اثنين وثلاثين سنه ثم يكتهل في ثلاث وثلاثين سنه قال الاخفش ومن الصالحين عطف على وجيها اي وهو من العباد الصالحين ذكر ابو بكر بن ابي شيبة نا عبد الله بن ادريس عن حصين عن هلال بن يساف قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثه عيسى وصاحب يوسف وصاحب جريج كذا قال وصاحب يوسف وفي صحيح مسلم عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثه عيسى بن مريم وصاحب جريج وصاحب الجبار وبينا صبي

ببينا صبي

رضيع من امه وذكر الحديث بطوله وقد جا من حديث صهيب
في قصة الاخدود وان امراة جي بها لتلقى في النار على ايمانها ومعها
صبي في كتاب مسلم يرضع فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام
يا امه اصبري فانك على الحق وقال الضحاك تكلم في المهد سته
شاهد يوسف وصبي ماشطة امراه فرعون وعيسى ويحيى وصاحب
جريج ولم يذكر صاحب الاخدود فاسقط صاحب الاخدود
وبه يكون المتكلمون سبعه ولا معارضه بين هذا وبين قوله عليه
السلام لم يتكلم في المهد الا ثلاثة بالحصر فانه اخبر بما كان في علمه
مما اوحي اليه في تلك الحال ثم بعد هذا اعلمه الله تعالى بما شا
من ذلك فاخبر به قلت اما صاحب يوسف فياتي الكلام فيه
واما صاحب جريج وصاحب الجبار وصاحب الاخدود
ففي صحيح مسلم وستاتي قصة الاخدود في سورة البروج ان شا
الله تعالى واما صاحبي ماشطة فرعون فذكر البيهقي عن ابن
عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لما اسري بي مرت بي رايحة
طيبه فقلت ما هذه الرايحة قالوا ماشطة ابنة فرعون واولادها
سقط مشطها من يدها فقالت بسم الله فقالت ابنة فرعون
ابي قالت ربي وربك ورب ابيك قالت اولك رب غير ابي
قالت نعم ربي وربك ورب ابيك الله قال فدعاها فقال الك
رب غيري قالت نعم ربي وربك الله فامر ببقره من نحاس فاحميت
ثم امر بها لتلقى فيها قالت ان لي اليك حاجة قال ما هي قالت تجمع
عظامي وعظام ولدي في موضع واحد [illegible]

الحق فامر بهم

الحق فامرهم فالقوا واحدا واحدا حتى بلغ رضيعا فيهم فقال قعي
يا امه ولا تقاعسي فانا على الحق قال وتكلم اربعة وهم صغار هذا وشاهد
يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم قوله تعالى قالت رب اني
يا سيدي تخاطب جبريل عليه السلام لانه لما تمثل لها قال انا رسول
ربك ليهب لك غلاما زكيا فلما سمعت ذلك من قوله استفهمت عن
طريق الولد فقالت انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر اي بنكاح في
سوتها ولم اك بغيا ذكرت هذا تاكيد لان قولها لم يمسسني بشر
يشمل الحلال والحرام تقول العادة الجارية التي اجراها الله في
خلقه ان الولد لا يكون الا عن نكاح او سفاح وقيل ما استبعدت
من قدرة الله شيا ولكن ارادت كيف يكون هذا الولد امن قبل
زوج في المستقبل ام يخلقه الله ابتدا فروي ان جبريل عليه السلام
حين قال لها كذلك الله يخلق ما يشا كذلك قال ربك هو علي هين
نفخ في جيب درعها وكمها قاله ابن جريج ابن عباس اخذ جبريل ردن
قميصها باصبعه فنفخ فيه فحملت من ساعتها بعيسى وقيل غير ذلك
علما بان نبينا نبه في سورتها ان شا الله وقال بعضهم وقع نفخ جبريل
في رحمها فعلقت بذلك وقال بعضهم لا يجوز ان يكون الخلق من
نفخ جبريل لانه يصير الولد بعضه من الملايكة وبعضه من الانس
ولكن سبب ذلك ان الله تعالى لما خلق ادم واخذ الميثاق من ذريته
فجعل بعض الما في اصلاب الابا وبعضه في ارحام الامهات فاذا
اجتمع الماان صارا ولدا وان الله تعالى جعل الماين جميعا في مريم بعضه
في رحمها وبعضه في صلبها فنفخ فيه جبريل لتهييج شهوتها لان

ولابد في نظرا

المراه مالم تهيج شهوتها لم تحبل فلما هاجت شهوتها بنفخ جبريل وقع
الذى كان فى صلبها فى رحمها فاختلط الماان فعلقت بذلك فذلك
قوله تعالى اذا قضى امرا يعنى اذا اراد خلقا فانما يقول له كن
فيكون وقد تقدم فى البقرة القول فيه مستوفى قوله تعالى
ونعلمه الكتاب والحكمه والتوراه والانجيل قال ابن جريج الكتاب
الكتابه والخط وقيل هو كتاب غير التوراه والانجيل علمه الله عيسى
عليه السلام ورسولا اي ونجعله رسولا او نكلمهم رسولا وقيل
معطوف على قوله وجيها وقال الاخفش وان شئت جعلت الواو
فى قوله ورسولا مقحمه والرسول حالا للها تقديره ونعلمه الكتاب
رسولا وفى حديث ابى ذر الطويل واول انبيا بنى اسرايل موسى
واخرهم عيسى عليهم السلام اى اخلق اي اصور واقدر لكم من
الطين كهيئة الطير قرا الاعرج وابو جعفر كهيه بالتشديد الباقون
بالهمز والطير يذكر ويونث فانفخ فيه اي فى الواحد منه او منها
او فى الطين فيكون طايرا وطاير وطير مثل تاجر وتجر قال وهب كان
يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا
ليتميز فعل الخلق من فعل الله تعالى وقيل لم يخلق غير الخفاش لانه
احمل الطير خلقا ليكون ابلغ فى القدره لان لها ثديا واسنانا واذنا
وهى تحيض وتطهر وتلد قوله تعالى وابرى الاكمه الاكمه
الذى يولد اعمى عن ابن عباس وكذا قال ابو عبيده قال هو الذى يولد
اعمى ٭ وانشد ٭ لروبه فارتد ارتداد الاكمه وقال
ابن فارس الكمه العمى يولد به الانسان وقد تعرض حالة سوية ...

عنباه ...

عيناه حتى ابيضتا مجاهد هو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل عكرمه
هو الاعمش ولكنه في اللغه العمى يقال كمه يكمه كمها وكمهتها انا اذا
اعميتها والبرص معروف وهو بياض يعتري الجلد والابرص القمر وسام
ابرص معروف ويجمع على الابارص وخص هذان بالذكر لانهما عياآن
وكان الغالب على زمن عيسى عليه السلام الطب فاراهم الله المعجزة في
جنس ذلك واحيى الموتى باذن الله قيل احيا اربعه انفس العازر وكان
صديقا له وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح فالله اعلم فاما
العازر فانه كان توفي قبل ذلك بايام فدعا الله فقام باذن الله فعاش
وولد له ولد واما ابن العجوز فانه مر به على سرير فدعا الله فقام
ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع الى اهله واما بنت العاشر
فكان اتى عليها ليله فدعا الله فعاشت بعد ذلك وولدت فلما راوا
ذلك قالوا انك تحيي من كان موته قريبا فلعلهم لم يموتوا فاصابتهم
سكته فاحي لنا سام بن نوح فقال دلوني على قبره فخرج وخرج القوم
معه حتى انتهى الى قبره فدعا الله فخرج من قبره قد شاب راسه فقال
له عيسى كيف شاب راسك ولم يكن في زمانكم شيب قال يا روح الله
انك دعوتني فسمعت صوتا يقول اجب روح الله فظننت ان القيامه
قد قامت فمن هول ذلك شاب راسي فساله عن النزع فقال يا روح الله
ان مرارة النزع لم تخرج عن حنجرتي وقد كان من وقت موته الى اكثر من
اربعه الالف سنه فقال للقوم صدقوه فانه نبي فامن به بعضهم وكذبه
بعضهم وقالوا هذا سحر وروي من حديث اسماعيل بن عياش قال حدثني
محمد بن طلحة عن رجل ان عيسى بن مريم كان اذا اراد ان يحيي الموتى

صلى لعقبين يقرا في الاولى تبارك الذي بيده الملك وفي الثانيه تنزيل السجده فاذا
فرغ مدح الله واثنى عليه ثم دعا بسبعة يا قديم يا خفي يا دايم يا فرد
يا وتر يا احد يا صمد ذكره البيهقي وقال ليس اسناده بالقوي
قوله تعالى وانبيكم بما تاكلون اي الذي تاكلونه وما تدخرون وذلك
انه لما احيا لهم الموتى طلبوا منه ايه اخرى وقالوا اخبرنا بما ناكل في بيوتنا
وما ندخر للغد فاخبرهم فقالوا يا فلان انت اكلت كذا وكذا وانت اكلت
كذا وكذا وادخرت كذا وكذا فذلك قوله وانبيكم بما تاكلون الايه
وقرا مجاهد والزهري والسختياني وما تذخرون بالذال المعجمه مخففا
وقال سعيد بن جبير وغيره بان يخبر الصبيان انهم في الكتاب بما يدخرون
حتى منعهم اباوهم من الجلوس معه قتاده اخبرهم بما اكلوه من المايده
وما ادخروا منها خفيه قوله تعالى ومصدقا عطف على قوله ورسولا
وقيل المعنى وجيتكم مصدقا لما بين يدي لما قبلي ولاحل لكم فيه حذف
اي ولاحل لكم جيتكم بعض الذي حرم عليكم يعني من الاطعمه قيل انما احل
لهم عيسى عليه السلام ما حرم عليهم بذنوبهم ولم يكن في التوراه
نحو اكل الشحوم وكل ذي ظفر وقيل انما احل لهم اشيا حرمتها عليهم
الاحبار ولم تكن في التوراه محرمة عليهم قال ابو عبيدة يجوز ان
يكون بعض بمعنى كل وانشد للبيد   تراك امكنه اذا لم ارضها
او يرتبط بعض النفوس حمامها   وهذا القول غلط عند اهل
النظر من اهل اللغه لان البعض والجز لا يكونان بمعنى الكل في هذا
الموضع لان عيسى عليه السلام انما احل لهم اشيا مما حرمها عليهم موسى
من اكل الشحوم وغيرها ولم يحل لهم القتل ولا السرق ولا فاحشة

والدليل

والدليل على هذا انه روي عن قتاده انه قال جاهم عيسى بالين ما جا
به موسى عليهما لان موسى جاهم بتحريم الابل وشيا من الشحوم فجاهم
عيسى بتحليل بعضها وقرا النخعي بعض الذي حرم حرُم مثل كرُم اي صار
حراما وقد توضع البعض بمعنى الكل اذا انضمت اليه قرينه يدل عليه كما
قال الشاعر ① ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون
من بعض يريد بعض الشر اهون من كله وجيتكم باية من ربكم انما وحد
وهي ايات لانها جنس واحد في الدلالة على رسالته قوله تعالى فلما احس
عيسى منهم الكفر اي من بني اسرايبل واحس معناه وجد وعلم قاله الزجاج
وقال ابو عبيده معنى احس عرف واصل ذلك وجود الشي بالحاسه والاحساس
العلم بالشي قال الله تعالى هل تحس منهم من احد والحس القتل قال الله تعالى
اذ تحسونهم باذنه ومنه الحديث في الجراد اذا حسه البرد منهم الكفر
اي الكفر بالله وقيل سمع منهم كلمة الكفر وقال الفرا اراد واقتله قال
من انصاري الى الله استنصر عليهم قال السدي والثوري وغيرهما المعنى
مع الله فالى بمعنى مع كقوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي مع
اموالكم والله اعلم وقال الحسن من انصاري في السبيل الى الله لانه دعاهم
الى الله عز وجل وقيل المعنى من يضم نصرته الى نصر الله عز وجل فالى على هذا
القولين على بابها وهو الجيد وطلب النصر ليحتمي بها من قومه ويظهر الدعوة عن
الحسن ومجاهد وهذه سنة الله في انبيايه واوليايه وقد قال لوط لو ان لي
بكم قوة او اوي الى ركن شديد اي عشيرة واصحاب ينصرونني قال الحواريون
نحن انصار الله اي انصار نبيه ودينه والحواريون اصحاب عيسى عليه السلام وكانوا
اثني عشر رجلا قاله الكلبي وابو روق واختلف في تسميتهم بذلك فقال بن

ابن عباس

عباس سموا بذلك لبياض ثيابهم وكانوا صيادين ابن ابي نجيح وبن ارطاه كانوا
قصارين سموا بذلك لتبييضهم الثياب قال عطا اسلمت مريم عيسى الى اعمال
شتى واخر ما دفعته الى الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فاراد معلم
عيسى السفر فقال لعيسى عندي ثياب كثيرة مختلفة الالوان وقد علمتك الصبغة
فاصبغها فطبخ عيسى حبا واحدا وادخله جميع الثياب وقال كوني باذن
الله على ما اريد منك فقدم الحواري والثياب كلها في الحب فلما راها
قال قد افسدتها فاخرج عيسى ثوبا احمر واصفر واخضر الى غير ذلك
مما كان كل ثوب مكتوب عليه صبغه فعجب الحواري وعلم ان ذلك من الله
ودعا الناس فامنوا به فهم الحواريون قتادة والضحاك سموا بذلك لانهم
كانوا خاصة الانبيا يريد انقا قلوبهم وقيل كانوا ملوكا وذلك ان الملك
صنع طعاما فدعا الناس اليه وكان عيسى على قصعه فكانت لا تنقص
فقال الملك له من انت قال عيسى بن مريم قال اني اترك ملكي هذا واتبعك
فانطلق بمن اتبعه معه فهم الحواريون قاله بن عون واصل الحور في اللغه
البياض وحورت الثياب بيضتها والحواري من الطعام ما حوّر اي بيض
واحورّ الشي ابيض والجفنه المحورة المبيضه بالسنام والحواري ايضا
الناصر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري وحواري الزبير
والحواريات النسا لبياضهن قال فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا
تبكينا الا الكلاب النوابح قوله تعالى ربنا امنا اي يقولون ربنا
امنا بما انزلت يعني في كتابك وما اظهرته من دينك واتبعنا الرسول
يعني عيسى فاكتبنا مع الشاهدين يعني امة محمد عليه السلام عن بن
عباس والمعنى اثبت اسمانا مع اسمايهم واجعلنا من جملتهم وقيل المعنى

فاكتبنا مع الذين

ما كتبنا مع الذين يشهد والانبيا لك بالصدق قوله تعالى ومكروا
يعني هاربني اسرابيل الذين احس منهم الكفر اي قتله وذلك ان عيسى عليه
السلام لما اخرجه قومه وامه من بين اظهرهم عاد عليهم مع الحواريين
وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطوا على الفتك به فذلك مكرهم
ومكر الله استدراجه العباد من حيث لا يعلمون عن الفرا وغيره قال
بن عباس كلما احدثوا خطيه جددنا لهم نعمه وقال الزجاج مكر الله مجازاتهم
على مكرهم فسمى الجزا باسم الابتدا كقوله الله يستهزي بهم وهو خادعهم
وقد تقدم في البقرة واصل المكر في اللغه الاحتيال والخداع والمكر خدالة
الساق وامراة ممكورة الساقين والمكر ضرب الثياب ويقال بل هو
المغرة حكاه بن فارس وقيل مكر الله القاوه شبه عيسى على غيره ورفع عيسى
اليه وذلك ان اليهود لما اجمعوا على قتل عيسى دخل البيت هاربا ورفعه
جبريل من الكوة الى السما فقال ملكهم لرجل خبيث يقال له يهوذا ادخل
عليه فاقتله فدخل الخوخه فلم يجد هناك عيسى والقى الله عليه شبه عيسى
فاخذوه وقتلوه وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه
بدن صاحبنا فان كان هذا صاحبنا فاين عيسى وان كان هذا عيسى فاين صاحبنا
فوقع بينهم قتال فقتل بعضهم بعضا فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر
الله وقيل غير هذا على ما ياتي والله خير الماكرين اسم فاعل من مكر يمكر
مكرا وقد عده بعض العلما في اسما الله تعالى فيقول اذا دعا به يا خير
الماكرين امكر لي وكان عليه السلام يقول في دعايه اللهم امكر لي ولا تمكر علي
وقد ذكرناه في كتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى قوله تعالى اذ
قال الله يا عيسى اني متوفيك وان نهال العامل في اذ مكروا او فعل مضمر

الفهم

ما يه الحرف السبيل

وقال جماعة من اهل المعاني منهم الضحاك والفرا في قوله اني متوفيك
ورافعك على التقديم والتاخير لان الواو لا توجب الترتيب والمعنى اني
رافعك الي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك من السما
كقوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى والتقدير ولولا
كلمة سبقت من ربك واجل مسمى لكان لزاما وقال الشاعر الا يا
نخلة من ذات عرق عليك ورحمة الله السلام اي عليك السلام ورحمة
الله وقال الحسن وابن جريج متوفيك قابضك ورافعك الى السما من
غير موت مثل توفيت مالي من فلان اي قبضته وقال وهب بن منبه
توفى الله عيسى عليه السلام ثلاث ساعات من نهار ثم رفعه الى السما
وهذا فيه بعد فانه صح في الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم نزوله وقتله
الدجال على ما بيناه في كتاب التذكرة وفي هذا الكتاب حسب ما تقدم
وياتي وقال ابن زيد متوفيك قابضك قال ومتوفيك ورافعك واحد
ولم يمت بعد وروى ابن ابي طلحه عن ابن عباس متوفيك مميتك الربيع بن
انس هي وفاة نوم قال الله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل اي ينيمكم لان
النوم اخو الموت كما قاله صلى الله عليه وسلم لما سيل اهل الجنة ينامون قال لا
النوم اخو الموت والجنة لا نوم فيها اخرجه الدارقطني والصحيح ان الله
تعالى رفعه الى السما من غير وفاه ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو
اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس وقاله الضحاك كانت القصة لما
اراد واقتل عيسى اجتمع الحواريون في غرفة وهم اثنا عشر رجلاً فدخل
عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فاخبر ابليس جميع اليهود فركب منهم اربعة
آلاف رجل فاخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج ويقتل

ويكون

ويكون معي في الجنة فقال رجل انا يا نبي الله فالقى اليه مدرعة من صوف
وعمامة من صوف ونعلاه وعكازة والقي عليه شبه عيسى فخرج على اليهود
فقتلوه وصلبوه واما المسيح فكساه الله الريش والبسه النور وقطع عنه
لذة المطعم والمشرب فطار مع الملايكة وذكر ابو بكر بن ابي شيبة ثنا ابو
معاوية ثنا الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما اراد
الله تبارك وتعالى ان يرفع عيسى الى السما خرج على اصحابه وهم اثنا عشر رجلا
من عين في البيت وراسه يقطر ما فقال اما ان منكم من سيكفر بي مرة بعد
ان امن بي ثم قال ايكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي فقام
شاب من احدثهم فقال انا فقال عيسى اجلس ثم اعاد عليهم فقال الشاب انا
فقال عيسى اجلس ثم اعاد عليهم فقام الشاب انا فقال عيسى اجلس ثم اعاد
عليهم فقال الشاب انا فقال نعم انت ذاك فالقى عليه شبه عيسى قال
ورفع الله عيسى من روزنة كانت في البيت الى السما قال وجا الصلب
من اليهود فاخذوا الشبه قال فقتلوه ثم صلبوه وكفر به بعضهم
اثني عشرة مرة بعد ان امن به فتفرقوا ثلاث فرق قالت
فرقة كان فينا الله ما شا ثم صعد الى السما وهولا اليعقوبية
وقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شا ثم رفعه الله اليه وهولاء
النسطورية وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شا ثم
رفعه الله اليه وهولا المسلمون فتظاهرت الكافرتان على
المسلمة فقتلوها فلم يزل الاسلام طامسا حتى بعث الله
محمدا صلى الله عليه وسلم فقتلوا فانزل الله عليه فامنت طايفة
من بني اسرايل وكفرت طايفة فايدنا الذين امنوا اي امة

يقطر

مطلب صعود عيسى عم الى السما وبيان الفرق الثلث يعقوبية نسطورية مسلمة

فقتلاها
فقتلتاها
اي الكافرتان المسلمة

ابا وهم في زمان عيسى عيسى على عدوهم باظهار دينهم على
دين الكفار فاصبحوا ظاهرين وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن ابن مريم
حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية
وليترك القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحنا والتباغض
والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد وعنه ايضا عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم
بفج الروحا حاجا او معتمرا وليثنينهما ولا ينزل بشرع مبتدا
فينسخ الله بها شريعتنا بل ينزل مجددا لما درس منها متبعها كما في
صحيح مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفي رواية فامكم منكم
قال ابن ابي ذيب تدري ما امكم منكم قلت تخبرني قال فامكم بكتاب
ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وتقدم لنا
هذا الباب بيانا في كتاب التذكرة والحمد لله ومتوفيك اصله
متوفيك حذفت الضمة استثقالا وهو خبر ان ورافعك
عطفا عليه وكذا مطهرك وكذا وجاعل الذين اتبعوك ويجوز
وجاعل الذين وهو الاصل ثم قيل ان التمام عند قوله ومطهرك
من الذين كفروا قاله النحاس وهو قول حسن وجاعل الذين
اتبعوك يا محمد فوق الذين كفروا اي بالحجة واقامة البرهان
وقيل بالعز والغلبة وقال الضحاك ومحمد بن ابان المراد الحواريون
قوله تعالى فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا
في الدنيا

محددا

في الدنيا يعني بالقتل والسبي والجزيه وفي الاخره بالنار ذلك نتلوه
عليك ذلك في موضع رفع بالابتدا وخبره نتلوه ويجوز الامر ذلك
على اضمار المبتدا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم د
على صحه القياس والتشبيه واقع على ان عيسى خلق من غير اب كادم
لا على انه خلق من تراب والشي قد يشبه بالشي وان كان بينهما فرق
كثير بعد ان يجتمعا في وصف واحد لما ان ادم خلق من تراب ولم
يخلق عيسى من تراب وكان بينهما فرق من هذه الجهه ولكن شبه ما
بينهما انهما خلقا بغير اب ولانه اصل خلقتهما كان من تراب لان ادم
لم يخلق من نفس التراب ولكنه جعل التراب طينا ثم جعله صلصا
ثم خلقه منه فكذلك عيسى حوله من حال الى حال ثم جعله
بشرا من غير اب ونزلت هذه الايه بسبب وفد نجران
حين انكروا على النبي صلى الله عليه وسلم قوله ان عيسى عبد الله
وكلمته فقالوا فارنا عبدا خلق من غير اب فقال لهم النبي صلى
الله عليه وسلم ادم من كان ابوه اعجبتم من عيسى ليس له اب
فادم صلى الله عليه وسلم ليس له اب ولا ام فذلك قوله تعالى ولا
ياتونك بمثل في عيسى الا جيناك بالحق في ادم واحسن تفسيرا
وروي انه عليه السلام لما دعاهم قالوا قد كنا مسلمين قبلك
تعالى لكنتم يمنعكم من الاسلام ثلاث قولكم اتخذ الله ولدا
واكلكم الخنزير وسجودكم للصليب فقالوا من ابو عيسى
فانزل الله تعالى ان مثل عيسى عند الله الى قوله فنجعل لعنه
الله على الكاذبين فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال بعضهم لبعض ان فعلتم اضطرم الوادي عليكم نارًا فقالوا
اما تعرض علينا سوى هذا فقال الاسلام او الجزية او الحرب فاقروا
بالجزية على ما ياتي وتم الكلام عند قوله آدم ثم خلقه من تراب ثم
قال له كن فيكون اي فكان والمستقبل يكون في موضع الماضي اذا
عرف المعنى قال الفرا الحق من ربك مرفوع باضمار هو وابو عبيدة
هو استيناف كلام وخبره في قوله من ربك وقيل هو فاعل اي
جاءك الحق فلا تكن من الممترين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
امته لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن شاكًا في امر عيسى عليه السلام
قوله تعالى فمن حاجك فيه الى قوله الكاذبين فيه ثلاث
مسايل الاول قوله تعالى فمن حاجك اي خاصمك وجادلك
يا محمد فيه اي في عيسى من بعد ما جاءك من العلم بانه عبد الله ورسوله
فقل تعالوا اي اقبلوا وضع لمن له جلاله ورفعه ثم صار في الاستعمال
لكل داع الى الاستقبال وسياتي له مزيد بيان في الانعام ندع في
موضع جزم ابناءنا دليل على ان ابنا البنات يسمون ابنا وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم جا بالحسن والحسين وفاطمة تمشي خلفه وعلي
خلفهما وهو يقول لهم ان انا دعوت فامنوا وهو معنى قوله ثم
نبتهل اي نتضرع في الدعا عن ابن عباس ابو عبيد والكسائي نلتعن
واصل الابتهال الاجتهاد في الدعا باللعن وغيره قال
لبيد في هول سادة من قومه نظر الدهر اليهم فابتهل
اي اجتهد في هلاكهم يقال بهله الله اي لعنه والبهل اللعن والبهل
الما القليل وابهلته اذا خليته وارادته وبهلته ايضا وحكى ابو
عبيد بهله الله

قال م

الكاذبين م

عبيد بهله الله بهله بهله اي لعنه قال بن عباس هم اهل نجران السيد
والعاقب وبن الحارث روساهم فنجعل لعنه الله على الكاذبين
الثانية هذه الاية من اعلام النبي صلى الله عليه وسلم لانه
دعاهم الى المباهله فابوا منها ورضوا بالجزيه بعد ان اعلمهم كبيرهم
العاقب انهم ان باهلوه اضطرم الوادي عليهم نارا فان محمدا نبي
مرسل ولقد تعلمون انه جاكم بالفصل في امر عيسى فتركوا المباهله
وانصرفوا الى بلادهم على ان يودوا كل عام الف حله في صفر والف
حله في رجب فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك بدلا عن
الاسلام الثالثة قال كثير من العلما ان قوله عليه السلام في
الحسن والحسين لما باهل ندع ابنانا وقوله في الحسن ان ابني هذا
مخصوص بالحسن والحسين ان يسميا ابني رسول الله صلى الله عليه
وسلم دون غيرهما لقوله عليه السلام كل سبب ونسب ينقطع
يوم القيمه الا سببي ونسبي ولهذا قال بعض اصحاب الشافعي
فيمن قال لولد فلان ولم يكن لصلبه فلان وله ولد بن وولد ابنه ان الوقف
لولد الابن دون ولد الابنه وهو قول الشافعي وسياتي لهذا مزيد
بيان في الانعام والزخرف ان شا الله تعالى قوله تعالى ان
هذا لهو القصص الحق الاشارة في قوله ان هذا الى القران وما فيه
من الاقاصيص سميت قصصا لان المعاني تتتابع فيها فهو من قولهم
فلان يقص اثر فلان اي يتبعه وما من اله الا الله من زايده للتوكيد
والمعنى وما اله الا الله العزيز الذي لا يغالب الحكيم ذو الحكمه
وقد تقدم والحمد لله قوله تعالى قل يا اهل الكتاب الى كلمه سوا

فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا
الخطاب في قول الحسن والسدي وبن زيد لاهل نجران وفي قول
قتاده وبن جريج وغيرهما ليهود المدينه خوطبوا بذلك لانهم جعلوا
احبارهم في الطاعه لهم كالارباب وقيل هو لليهود والنصارى جميعا
وفي كتاب النبي صلى الله عليه وسلم اليهم قل بسم الله الرحمن الرحيم من
محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اسلم
تسلم يوتك الله اجرك مرتين وان توليت فان عليك اثم الاريسيين
ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمه سوا بيننا وبينكم الا نعبد الا الله الى
قوله فقولوا اشهدوا بانا مسلمون لفظ مسلم والسوا العدل والنصفه
قاله قتاده قال زهير ٥ ارونى خطه لا ضيم فيها ببسوي بيننا فيها السوا
الفرا ويقال في معنى العدل سوى وسوى فاذا فتحت السين مددت
واذا كسرت او ضممت قصرت لقوله مكانا سوى قال وفي قراه عبد الله
الى كلمه عدل بيننا وبينكم وقرا قعنب كلمه باسكان اللام القا حركه اللام
على الكاف كما يقال كبد فالمعنى اجيبوا الى ما دعيتم اليه وهو الكلمه العادله
المستقيمه التي ليس فيها ميل عن الحق وقد فسرها بقوله الا نعبد الا الله
فموضع ان خفض على البدل من كلمه او رفع على اضمار مبتدا التقدير هي
الا نعبد والا الله او تكون مفسره لا موضع لها ويجوز مع ذلك في نعبد
وما عطف عليه الرفع والجزم فالجزم على ان تكون مفسره بمعنى اي
كما قال عز وجل ان امشوا وتكون لا جازمه هذا مذهب سيبويه ويجوز
على هذا ان يرتفع نعبد وما بعده ويكون خبرا ويجوز الرفع بمعنى انه
لا نعبد ومثله الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا

وقال الكسايي

وقال الكسائي والفراء لا نشرك به شيا ولا يتخذ بالجزم على التوهم
انه ليس في اول الكلام ان قوله تعالى ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله اي لا نتبعه في تحليل شي ولا تحريمه الا
فيما حلله الله تعالى وهو نظير قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله ومعناه انهم انزلوهم منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم
لما لم يحرمه الله ولم يحله وهذا يدل على بطلان القول بالاستحسان
المجرد الذي لا يستند الى دليل شرعي قال الكيا الطبري مثل استحسانات
ابي حنيفة في التقديرات التي قدرها دون مستندات بينة وفيه
رد على الروافض الذين يقولون يجب قبول قول الامام دون ابانة مستند
شرعي وانه يحل ما حرمه الله من غير ان يبين مستندا من الشريعة
وارباب جمع رب ودون هنا بمعنى غير الثالثة قوله تعالى فان
تولوا اي اعرضوا عما دعوا اليه فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي
متصفون بدين الاسلام منقادون لاحكامه معترفون بما لله علينا
في ذلك من المنن والانعام غير متخذين احدا ربا لا عيسى ولا عزيرا ولا
الملائكة لانهم بشر مثلنا محدث كحدوثنا ولا نقبل من الرهبان شيا من
تحريمهم علينا مالم يحرمه الله علينا فنكون قد اتخذناهم اربابا وقال
معنى يتخذ يسجد وقد تقدم ان السجود دان الى زمان النبي صلى الله عليه
وسلم ثم نهى عنه عليه السلام معاذ لما اراد ان يسجد كما مضى في البقرة
بيانه وروى انس بن ملك قال قلنا يا رسول الله اينحني بعضنا
لبعض قال لا قلنا ايعانق بعضنا بعضا قال لا ولكن تصافحوا اخرجه
ابن ماجه في سننه وسياتي لهذا المعنى زيادة بيان في سورة يوسف

ان شا الله وفي الواقعه مس القران وبعضه على غير طهاره ان شا الله تعالى

قوله تعالى يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم الاصل لما فحذفت الالف فرقا بين الاستفهام والخبر وهذه الايه نزلت بسبب دعوي كل فريق من اليهود والنصاري ان ابرهيم كان على دينه فاكذبهم الله تعالى بان اليهوديه والنصرانيه انما كانتا من بعده فذلك قوله وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده قال الزجاج هذه الايه ابين حجه على اليهود والنصاري ان التوراه والانجيل انزلا من بعده وليس فيهما اسم لواحد من الاديان واسم الاسلام في كل كتاب ويقال كان بين ابرهيم وموسى الف سنه وبين موسى وعيسى ايضا الف سنه افلا تعقلون دحوض حجتكم وبطلان قولكم

قوله تعالى ها انتم هولا حاججتم فيما لكم به علم فيه مسلتان

الاولى قوله ها انتم هولا حاججتم يعني في امر محمد صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يعلمونه بما يجدون من نعته في كتابهم فحاجوا فيه بالباطل فلم تحاجون فيما ليس لكم به يعني دعواهم في ابرهيم كان يهوديا او نصرانيا والاصل ها انتم انتم فابدل من الهمزه الاولى ها لانها اختها عن ابي عمرو بن العلا والاخفش والنحاس وهذا قول حسن وقرا قنبل عن ابن كثير ها نتم مثل هعنتم والاحسن فيه ان تكون الها بدلا من همزه فيكون اصله انتم ويجوز ان تكون ها للتنبيه دخلت على انتم وحذفت الالف لكثرة الاستعمال وفي هولا لغتان المد والقصر ومن العرب من يقصرها وانشد ابو حاتم

لعمرك انا والاحاليف هاولا لفي محنة اظفارها لم تقلم

وهولا هنا في موضع النداء يعني يا هولا وقد تقدم هذا في البقره والحمد لله ويجوز هولا خبرا انتم على ان يكون اولا بمعنى الذي وما بعده صلة له

ويجوز ان يكون

تكون

بحجتهم

ويجوز ان يكون خبرا ثم حاججتهم الثانية في الاية دليل على المنع من
الجدال لمن لا علم له والحظر على من لا تحقيق عنده قال عز وجل ها انتم هولا
حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم وقد ورد الامر بالجدال
لمن علم واتقن فقال تعالى وجادلهم بالتي هي احسن وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه اتاه رجل انكر ولده فقال يا رسول الله ان امراتي ولدت غلاما
اسود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك من ابل قال نعم قال ما
الوانها قال حمر قال هل فيها من اورق قال نعم قال فانى ذلك قال لعل
عرقا نزعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الغلام لعل عرقا نزعه
وهذه حقيقة الجدال ونهاية في تبيين الاستدلال من رسول الله صلى الله عليه
وسلم **قوله** تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا نزهه تعالى من دعا
الحادية وبين انه كان على الحنيفية الاسلامية ولم يك مشركا والحنيف
الذي يوحد ويحج ويضحي ويختتن ويستقبل القبلة وقد مضى في البقرة اشتقاقا
والمسلم في اللغة المتذلل لامر الله المنطاع له وقد تقدم في البقرة معنى
الاسلام مستوفى والحمد لله **قوله** تعالى ان اولى الناس بابراهيم
للذين اتبعوه قال ابن عباس قالت روسا اليهود والله يا محمد لقد علمت انا
اولى الناس بدين ابراهيم منك ومن غيرك وانه كان يهوديا وما بك
الا الحسد فانزل الله تعالى هذه الاية ان اولى معناه احق قيل
بالمعونة والنصر وقيل بالحجة للذين اتبعوه على ملته وسنته وهذا
النبي افرد ذكره تعظيما له كما قال فيهما فاكهة ونخل ورمان وقد
تقدم في البقرة هذا المعنى مستوفى وهذا في موضع رفع على النعت
[illegible] بدل او عطف بيان ولو نصب

ويهم

لله

قال

٢٠٥

لكان جايزا في الكلام عطفا على الباء في اتبعوه والله ولي المومنين اي
ناصرهم وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل نبي ولاه
من النبيين وان وليي منهم ابي وخليل ربي ثم قرا ان اولى الناس
بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي قوله تعالى ودت طايفة من
اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان
وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود من بني النضير وقريضه وبني قينقاع
الى دينهم وهذه الايه نظير قوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب
لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا ومن على هذا القول للتبعيض
وقيل جميع اهل الكتاب فتكون من لبيان الجنس ومعنى لو يضلونكم
اي ليبونكم المعصيه بالرجوع عن دين الاسلام والمخالفه له وقال
ابن جريج يضلونكم اي يهلكونكم ومنه قول الاخطل كنت القذى
في موج اكدر مزبد قذف الاتي به فضل ضلالا اي هلك هلاكا
وما يضلون الا انفسهم نفي وايجاب وما يشعرون اي يفطنون
انهم لا يضلون الا اضلال المومنين وقيل وما يشعرون اي لا يعلمون
صحة الاسلام وواجب عليهم ان يعلموا لان البراهين ظاهرة والحجج باهرة
قوله تعالى يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون
اي بصحة الايات التي عندكم في كتبكم عن قتادة والسدي وقيل
المعنى وانتم تشهدون بمثلها من ايات الانبيا التي انتم تقرون بها
قوله تعالى يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل اللبس الخلط وقد
تقدم في البقرة ومعنى هذه الاية التي قبلها معنى تلك وتكتمون الحق
وتكتموا على جواب الاستفهام وانتم تعلمون ... في موضع الحال

قوله تعالى وقالت طايفه من اهل الكتاب يعني الاشراف
وملك بن الصيف وغيرهما للسفله من قومهم امنوا بالذي انزل على
الذين امنوا وجه النهار وجه النهار اوله وسمي وجها لانه احسنه واول
ما يواجه منه وله قال الشاعر وتضي في وجهه النهار منيرة
لجمانه البحرى سل نظامها اخر من دان مسرور امقتل ملك فليات
نسوتنا بوجه نهار وهو منصوب على الظرف ولذلك اخره ومذ
قتادة انهم فعلوا ذلك ليشككوا المسلمين والطايفه الجماعه من
طاف يطوف وقد يستعمل للواحد على معنى نفس طايفه ومعنى الايه ان
اليهود قال بعضهم لبعض اظهروا الايمان اول النهار ثم اكفروا به اخره
فانكم اذا فعلتم ذلك ظهر لمن يتبعه ارتياب في دينه فيرجعون
عن دينه الى دينكم ويقولون ان اهل الكتاب اعلم به منا وقيل المعنى امنوا
بصلاته اول النهار الى بيت المقدس فانه الحق واكفروا بصلاته اخر
النهار الى الكعبه لعلهم يرجعون الى قبلتكم عن ابن عباس وغيره وقال
مقاتل معناه انهم جاوا محمدا صلى الله عليه وسلم اول النهار ورجعوا من
عنده فقالوا للسفله هو حق فاتبعوه ثم قالوا حتى ننظر في التوريه ثم
رجعوا في اخر النهار فقالوا قد نظرنا في التوريه فليس هو به يقولون انه
ليس بحق وانما ارادوا ان يلبسوا على السفله وان يشككوا فيه قوله
تعالى ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم هذا من كلام اليهود بعضهم
لبعض اي قال ذلك للسفله وقال السدي من قول يهود خيبر ليهود
المدينه وهذه الايه اشكل ما في السوره فروي عن الحسن ومجاهد ان
معنى الايه ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم ولا تومنوا ان يحاجوكم عند ربكم

لانهم لا حجة لهم فانكم اصح منهم دينا وان يحاجوكم في موضع خفض
اي بان يحاجوكم اي باحتجاجهم اي لا تصدقوهم في ذلك فانهم لا حجة
لهم ان يوتى احد مثل ما اوتيتم من التوراة والمن والسلوى وفلق البحر
وغيرها من الايات والفضايل فيكون ان يوتى متاخرا بعد او يحاجوكم
وقوله هدى الله اعتراض بين كلامين وقال الاخفش المعنى ولا تومنوا الا
لمن تبع دينكم ولا تومنوا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم ولا تصدقوا ان
يحاجوكم يذهب الى انه معطوف وقيل المعنى ولا تومنوا الا لمن
تبع دينكم ان يوتى احد مثل ما اوتيتم بالمد على الاستفهام ايضا تاكيد للانكار
الذي قالوه انه لا يوتى احد مثل ما اوتوه لان علما اليهود قالت لهم لا تومنوا
الا لمن تبع دينكم ان يوتى احد مثل ما اوتيتم اي لا يوتى احد مثل ما اوتيتم
والكلام على نسقه وان في موضع رفع على قول من رفع في قولك ازيد ضربته
والخبر محذوف تقديره ان يوتى احد مثل ما اوتيتم تصدقون او تقرون
اي ايتان موجود مصدق او مقر به اي لا تصدقون بذلك ويجوز ان تكون
ان في موضع نصب على اضمار فعل كما جاء في قولك ازيدا ضربته وهو اقوى
في العربية لان الاستفهام بالفعل اولى والتقدير اتقرون ان يوتى او تشيعون
ذلك او تذكرون ذلك ونحوه وبالمد قرا ابن كثير وابن محيصن وحميد وقال
ابو حاتم ان معناه الان فحذف لام الجر استخفافا وابدلت مده كقراءة
من قرا ان كان ذا مال اي الان وقوله او يحاجوكم على هذه القراءة رجوع الى
خطاب المومنين ويكون او بمعنى ان لانهما حرفا شك وجزا يوضع احدهما
موضع الاخر وتقدير الاية ان يحاجوكم عند ربكم يا معشر المومنين
وقيل يا محمد ان الهدى هدى الله ونحن عليه ومن [illegible] الان [illegible]

الاول على انكارهم

الاول على انحارهم في قولهم ولا تومنوا فالمعنى ان علما اليهود قالت لهم لا تصدقوا
بان يوتى احد مثل ما اوتيتم اي الا ايمانهم والحجه تعطف على المعنى من العلم
والحكمه والكتاب والحجه والمن والسلوى وفلق البحر وغيرها من الفضايل
والكرامات الا لمن تبع دينكم فلا تومنوا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم
فالكلام فيه تقديم وتاخير على هذه القراة واللام زايده ومن استثنا ليس من
الاول والا لما جز الكلام ودخلت احد لان اول الكلام نفي يدخلت ان لانه مفعول
الفعل المنفي فان في موضع نصب لعدم الخافض وقال الخليل ان في موضع خفض بالخافض
المحذوف وقيل ان اللام ليست بزايده وتومنوا محموله على تقروا وقال ابن جريج المعنى
ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم كراهيه ان يوتى احد مثل ما اوتيتم وقيل المعنى لا تخبروا
بما في كتابكم من صفه محمد صلى الله عليه وسلم الا لمن تبع دينكم لئلا يكون طريقا الى
عبده الاوثان الى تصديقه وقال الفرا يجوز ان يكون قد انقطع كلام اليهود عند
قوله عز وجل الا لمن تبع دينكم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان الهدى هدى الله اي
ان البيان الحق بان الله ان يوتى احد مثل ما اوتيتم بين الا يوتى احد مثل ما اوتيتم ولا تحتاج
بعد ان اي لا يوتى لقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا لذلك صلحت دخول احد في
الكلام واو بمعنى حتى والا انها قال امرو القيس ۝ فقلت له لا تبك عينك
انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا ۝ وقال اخر ۝ وكنت اذا
غمزت قناة قوم كسرت كعوبها او تستقيما ۝ ومثله قولهم لا التقي
او تقوم الساعه بمعنى حتى او الى ان لذلك مذهب الكسايي وهو عند
الاخفش عاطفه على ولا تومنوا وقد تقدم تقدم اي الا ايمانهم ولا حجه
تعطف على المعنى ويحتمل ان تكون الايه كلها خطابا من الله تعالى للمومنين
على جهه التثبيت لقلوبهم والتشحيذ لبصايرهم لئلا يشكوا عند تلبس اليهود

وتزويرهم في دينهم والمعنى لا تصدقوا يا معشر المومنين الا من تبع دينكم
ولا تصدقوا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم من الفضل والدين ولا تصدقوا ان
يحاجوكم في دينكم عند ربكم من خالفكم او يقدرون على ذلك فان الهدى هدى
الله وان الفضل بيد الله قال الضحاك ان اليهود قالوا انا نحاج عند ربنا من
خالفنا في ديننا فبين الله تعالى انهم هم المدحوضون المعذبون وان المومنين
هم الغالبون ومحاجتهم خصومتهم يوم القيمة ففي الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اليهود والنصارى يحاجونا عند ربنا فاعلم الله نبيه صلى الله عليه
وسلم انهم يحاجوكم يوم القيامة عند ربكم ثم قال قل لهم الا ان الفضل بيد
الله يوتيه من يشا والله واسع عليم وقرا ابن كثير ان يوتى بالمد على الاستفهام
كما قال الاعشى   ان رات رجلا اعشى اضر به ريب المنون ودهر
متبل خبل   وقرا الباقون بغير مد على الخبر وقرا سعيد بن جبير ان
يوتى بكسر الهمزة على معنى النفي ويكون من كلام الله تعالى كما قال الله تعالى
الفرا والمعنى قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان يوتى احد مثل ما اوتيتم او
يحاجوكم يعني اليهود بالباطل فيقولون نحن افضل منكم ونصب او يحاجوكم
باضمار ان واو تضمر بعدها ان اذا كانت بمعنى حتى والا ان وقرا الحسن
ان يوتي بكسر التا ويا مفتوحة على معنى ان يوتي احد احدا مثل ما اوتيتم
لحذف المفعول والله اعلم قوله تعالى ان الهدي هدى الله فيه
قولان احدهما ان الهدى الى الخير والدلالة الى الله عز وجل بيد الله عز وجل
يوتيه انبياءه فلا تنكرون ان يوتى احد سواكم مثل ما اوتيتم فان انكروا ذلك
فقل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشا والقول الاخر قل ان الهدى هدى الله الذي
اتاه المومنين من التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم لا غيره ... بعض اهل

الاشارات

من اليد والعصا وفلق البحر وغيرها فانه لا معبود وحده الا الله عز
وجل فعفونا عن ذلك اي عما كان منهم من التعنت واتينا موسى
سلطانا مبينا اي حجة بينة وهي الايات التي جا بها وسميت سلطانا
لان من جا بها قاهر بالحجة وهي قاهرة للقلوب بان تعلم انه ليس في
قوى البشر ان ياتوا بمثلها   تعالى ورفعنا فوقهم الطور
بميثاقهم اي بسبب نقضهم الميثاق الذي اخذ منهم وهو العمل بما
في التوراة وقد تقدم رفع الجبل ودخولهم الباب في البقرة وسجدا
نصب على الحال وقرا ورش وحده وقلنا لهم لا تعدوا بفتح العين
من عدا يعدو واعد وانا وعد وانا واعدا اي باسا من الحسان
كما تقدم في البقرة والاصل فيه تعدوا وادغمت التا في الدال قال
النحاس ولا يجوز اسكان العين ولا يوصل الى الجمع بين ساكنين
في هذا والذي يقرا بها انما يروم الحركة واخذنا منهم ميثاقا غليظا
يعني العهد الذي اخذ عليهم في التوراة وقيل عهد مؤكد باليمين فسمي
غليظا لذلك   تعالى فبما نقضهم ميثاقهم خفض بالبا وما
زايدة مؤكدة كقولهم فبما رحمة من الله وقد تقدم والبا متعلقة
بمحذوف التقدير فبنقضهم ميثاقهم لعناهم عن قتادة وغيره
وحذف هذا العلم السامع وقال ابو الحسن علي بن حمزة الكسائي
هو متعلق بما قبله والمعنى فاخذتهم الصاعقة بظلمهم الى قوله
فبما نقضهم ميثاقهم قال فسر ظلمهم الذي اخذتهم الصاعقة
من اجله بما بعده من نقضهم الميثاق وقتلهم الانبيا وساير ما
بين من الاشيا التي ظلموا فيها انفسهم وانكر ذلك الطبري وغيره

لان الذين اخذتهم الصاعقة كانوا على عهد موسى والذين يتلوا الاية

ودموا من رموا بالبهتان كانوا بعد موسى بزمان فلم تاخذ الصاعقة الذين

اخذتهم من رميهم مريم بالبهتان قال المهدوي وغيره وهذا لا يلزم

لانه يجوز ان يخبر عنهم والمراد اباؤهم على ما تقدم في البقرة الزجاج

المعنى فبنقضهم ميثاقهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم لان هذه

القصة ممتدة الى قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا وبنقض الميثاق

انه اخذ عليهم ان يبينوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم فنقضوا ذلك

وكتموها وقيل المعنى فبنقضهم ميثاقهم وفعلهم كذا طبع الله على

قلوبهم وقيل المعنى فبنقضهم لا يومنون الا قليلا والفا مقحمة وكفرهم

عطف وكذا كفرهم وقتلهم والمراد بايات الله كتبهم التي حرفوها

وغلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية العلم فلا حاجة لها الى علم موسى ما

عندنا وقيل هو جمع اغلف وهو المغطى بالغلاف اي قلوبنا في اغطية

فلا نفقه ما تقول وهو كقوله قلوبنا في اكنة وقد تقدم هذا في البقرة

وغرضهم بهذا درء حجة الرسل والطبع الختم وقد تقدم في البقرة

بكفرهم اي جزاهم على كفرهم كما قال بل لعنهم الله بكفرهم فلا يومنون

الا قليلا اي الا ايمانا قليلا اي ببعض الانبياء وذلك غير نافع لهم ثم

كرر وكفرهم ليخبر انهم كفروا كفرا بعد كفر وقيل المعنى وبكفرهم بالمسيح

فحذف لدلالة ما بعده عليه والعامل في بكفرهم هو العامل في فبنقضهم

لانه معطوف عليه ولا يجوز ان يكون العامل فيه طبع والبهتان العظيم

رميها بيوسف النجار وكان من الصالحين منهم والبهتان الكذب المفرط

الذي يتعجب منه وقد تقدم   تعالى وقولهم انا قتلنا المسيح

عيسى

عيسى بن مريم رسول الله كسرت ان لانها مبتداه بعد القول وفتحها لغه وقد تقدم في ال عمران اشتقاق لفظ المسيح رسول الله بدل وان شيت على معنى اعني وما قتلوه وما صلبوه رد لقولهم ولكن شبه لهم اي القي شبهه على غيره كما تقدم في ال عمران وقيل لم يكونوا يعرفون شخصه وقتلوا الذي قتلوه وهم شاكون فيه كما قال وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه والاخبار قيل انه عن جميعهم وقيل لم يختلف فيه الا عوامهم
ومعنى اختلافهم قول بعضهم انه اله وبعضهم هو بن الله قاله الحسن وقيل اختلافهم ان عوامهم قالوا قتلنا عيسى وقال من عاين رفعه الى السما ما قتلناه وقيل اختلافهم ان النسطورية من النصارى قالوا صلب عيسى من جهة ناسوته وقالت الملكية وقع الصلب والقتل على المسيح بكماله ناسوته ولاهوته وقيل اختلافهم هو انهم قالوا ان كان هذا صاحبنا فاين عيسى وان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقيل اختلافهم
هو ان اليهود قالوا نحن قتلناه لان يهودا راس اليهود هو الذي سعى في قتله وقالت طايفه من النصارى بل قتلناه نحن وقالت طايفه منهم بل رفعه الله الى السما ونحن ننظر اليه ما لهم به من علم زايده وتم الكلام ثم قال عز وجل الا اتباع الظن ليس من الاول في موضع نصب ويجوز ان يكون في موضع رفع على البدل اي ما لهم به علم الا اتباع الظن
وانشد سيبويه وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس
تعا وما قتلوه يقينا قال بن عباس المعنى ما قتلوه ظنا يقينا كقولك قتله علما اذا علمته علما تاما فالها عايده على الظن قال ابو عبيد ولو كان المعنى وما قتلوا عيسى يقينا لقال وما قتلوه فقط وقيل المعنى وما

قتلوا الذي شبه لهم انه عيسى يقينا فالوقف على هذا على يقينا وقيل
المعنى وما قتلوا عيسى والوقف على وما قتلوه ويقينا نعت لمصدر محذوف
وفيه تقديران احدهما ان قالوا هذا قولا يقينا او قال الله هذا قولا يقينا
والقول الاخر ان يكون المعنى وما قتلوه علمهم علما يقينا النحاس ان قدرت
المعنى بل رفعه الله اليه يقينا فهو خطا لانه لا يعمل ما بعد بل فيما قبلها واجاز
ابن الانباري الوقف على وما قتلوه على ان نصب يقينا بفعل مضمر هو جواب
القسم تقديره ولقد صدقتم يقينا اي صدقا يقينا وقد تقدم كيفية رفعه
في آل عمران وكان الله عزيزا اي قويا بالنقمة من اليهود فسلط عليهم بطرس
بن اسيبسانوس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة حكيما حكم عليهم باللعنة
والغضب تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته قال
ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة المعنى ليؤمنن بالمسيح قبل موته اي الكتابي
فالهاء الاولى عائدة على عيسى والثانية على الكتابي وذلك انه ليس احد من اهل
الكتاب اليهود والنصارى الا ويؤمن بعيسى عليه السلام اذا عاين الملك
ولكن ايمانا لا ينفع لانه ايمان عند الياس وحين التلبس بحالة الموت فاليهودي
يقر في ذلك الوقت بانه رسوله والنصارى يقرون بانه كان رسول الله ٥
وروى ان الحجاج سال شهر بن حوشب عن هذه الاية فقال اني لاوتى
باليسير من اليهود والنصارى وامر بضرب عنقه وانظر اليه في ذلك
الوقت فلا ارى منه الايمان فقال له شهر بن حوشب انه حين عاين امر
الاخرة يقر بان عيسى عبد الله ورسوله فيؤمن به ولا ينفعه فقال له الحجاج
من اين اخذت هذا قال اخذته من محمد بن الحنفية فقال له الحجاج اخذت
من عين صافية وروي عن مجاهد انه قال ما من احد من اهل الكتاب الا يؤمن

بعيسى

بعيسى قبل موته فقيل له ان غرق او احترق او اكله السبع يؤمن بعيسى قال نعم وقيل ان الهاء من جميعا لعيسى عليه السلام والمعنى ليؤمنن به من كان حيا حين نزوله يوم القيامه قاله قتاده وبن زيد وغيرهما واختاره الطبرى وروى يزيد بن زريع عن رجل عن الحسن في قوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته قال قبل موت عيسى والله انه لحي عند الله الا ولكن اذا نزل امنوا به اجمعون ونحو عن الضحاك وسعيد بن جبير وقيل ليؤمنن به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وان لم يجد له ذكر لان هذه الاقا انزلت عليه والمقصود الايمان به والايمان بعيسى يتضمن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ايضا ولا يجوز ان يفرق بينهم وقيل ليؤمنن به اي بالله تعالى قبل ان يموت ولا ينفعه الايمان عند المعاينه والتاويلان الاولان اظهر وروى الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لينزلن بن مريم حكما عدلا فليقتلن الدجال وليقتلن الخنزير وليكسرن الصليب وتكون السجده واحده لرب العالمين ثم قال ابو هريره واقروا ان شيتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته قال ابو هريره قبل موت عيسى يعيدها ثلاث مرات وتقدير الايه عند سيبويه وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به وتقدير الكوفيين وان من اهل الكتاب الا من ليؤمنن به وفيه قبح لان فيه حذف الموصول والصله بعض الموصول فكانه حذف بعض الاسم تعالى فبظلم من الذين هادوا فيه مسئلتان قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا قال الزجاج هذا بدل من فبما نقضهم والطيبات ما نصه في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وقدم الظلم على التحريم بصدهم

عن سبيل الله اي وبصدهم انفسهم وغيرهم عن اتباع محمد صلى الله عليه
وسلم واخذهم الربا واكلهم اموال الناس بالباطل ذلك تفسير الذي
تعاطوه وكذلك ما قبله من نقضهم الميثاق وما بعده وقد مضى في ال
عمران اختلاف العلماء في سبب التحريم على ثلاثة اقوال هذا احدها
قال ابن العربي لا خلاف في مذهب مالك ان الكفار مخاطبون
وقد بين الله في هذه الاية انهم قد نهوا عن الربا واكل المال بالباطل
فان كان ذلك خبرا عما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم في القران فانهم دخلوا في
الخطاب فبها ونعمت وان كان خبرا عما انزل الله على موسى في التوراة وانهم
بدلوا وحرفوا وعصوا وخالفوا فهل يجوز لنا معاملتهم والقوم قد
افسدوا اموالهم في دينهم اولا فظنت طايفة ان معاملتهم لا تجوز
وذلك لما في اموالهم من الفساد والصحيح جواز معاملتهم مع رباهم
واقتحام ما حرم الله سبحانه عليهم فقد قام الدليل القاطع على ذلك
قرانا وسنة قال الله تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وهذا
نص وقد عامل النبي صلى الله عليه وسلم اليهود ومات ودرعه مرهون
عند يهودي في شعير اخذه لعياله والحاسم لداء الشك والخلاف
اتفاق الامة على جواز التجارة مع اهل الحرب وقد سافر النبي صلى الله
عليه وسلم تاجرا وذلك من سفره امر قاطع على جواز السفر اليهم والتجارة
معهم فان قيل كان ذلك قبل النبوة قلنا انه لم يتدنس قبل النبوة بحرام
ثبت ذلك تواترا ولا اعتذر عنه اذ بعث ولا منع منه اذ نبي ولا قطعه
احد من الصحابة في حياته ولا احد من المسلمين بعد وفاته فقد كانوا
يسافرون في فك الاسرى وذلك واجب وفي الصلح كما ارسل عثمان

تاجرا

وعي

وغير ووديجب وقد يكون ندبا فاما السفر اليهم لمجرد التجارة فمباح

تعالى لكن الراسخون في العلم منهم استثنى مومني اهل

الكتاب وذلك ان اليهود انكروا وقالوا ان هذه الاشيا كانت حراما

في الاصل وانت تحلها ولم تكن حرمت بظلمنا فنزلت لكن الراسخون في

العلم والراسخ هو المبالغ في علم الكتاب الثابت فيه والرسوخ الثبوت

وقد تقدم في ال عمران والمراد عبد الله بن سلام وكعب الاحبار

ونظراوهما والمومنون اي من المهاجرين والانصار واصحاب محمد صلى

الله عليه وسلم والمقيمين الصلاة وقرا الحسن ومالك بن دينار وجماعة

والمقيمون على العطف وكذا هو في حرف عبد الله واما حرف ابي

فهو فيه والمقيمين كما في المصاحف واختلف في نصبه على اقوال

ستة اصحها قول سيبويه بانه نصب على المدح اي واعني المقيمين

قال سيبويه هذا باب ما ينتصب على التعظيم ومن ذلك المقيمين

الصلاة وانشد وكل قوم اطاعوا امر سيدهم الا نميرا

اطاعت امر غاويها الظاعنين ولما يظعنوا احدا والقايلون لمن

دار نخليها وانشد النازلين بكل معترك والطيبون

معاقد الازر قال النحاس وهذا اصح ما قيل في المقيمين وقال

الكساي والمقيمين معطوف على ما قال النحاس قال الاخفش وهذا

بعيد لان المعنى يكون ويومنون بالمقيمين وحكى محمد بن يزيد انه قيل

له ان المقيمين هاهنا الملايكة لدوامهم على الصلاة والتسبيح والاستغفار

واختار هذا القول وحكى ان النصب على المدح بعيد لان

المدح انما ياتي بعد تمام الخبر وخبر الراسخين اوليك سنوتيهم

اجرا عظيما فلا ينتصب المقيمين على المدح قال النحاس ومذهب
سيبويه في قوله والموتون رفع بالابتدا وقال غيره هو مرفوع على اضمار
مبتدا اي هم الموتون الزكاه وقيل في المقيمين عطف على الكاف التي في
قبلك اي قبلك ومن قبل المقيمين عطف على الكاف التي في اليك وقيل
هو عطف على الها والميم اي منهم ومن المومنين المقيمين وهذه الاجوبه
الثلاثه لا يجوز فيها عطف مظهر على مضمر مخفوظ والجواب السادس
ما روي ان عايشه سيلت عن هذه الايه وعن قوله ان هذان لساحران
وقوله والصابيون في المايده فقالت للسايل يا ابن اخي الكتاب اخطوا
وقال ابان بن عثمان كان الكاتب يملي عليه فيكتب فكتب لكن الراسخون
في العلم منهم والمومنون ثم قال ما اكتب فقيل له اكتب المقيمين
الصلاه فمن ثم وقع هذا قال القشيري وهذا المسلك باطل
لان الذين جمعوا الكتاب كانوا قدوه في اللغه فلا يظن بهم يدعون
في القران ما لم ينزل واصح هذه الاقوال قول سيبويه وهو قول
الخليل وقول الكسايي وهو اختيار القفال والطبري
تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح هذا متصل بقوله يسالك
اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما فاعلم تعالى ان امر محمد صلى
الله عليه وسلم كامر من تقدمه من الانبيا وقال ابن عباس فيما ذكر ابن
اسحق نزلت في قوم من اليهود منهم سكين وعدي بن زيد قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله الى احد بعد موسى فكذبهم الله والوحي
اعلام في خفا يقال وحا اليه بالكلام يحي وحيا واوحى يوحي ايحا الا
نوح تقدمه لانه اول نبي شرعت على لسانه الشرايع وقيل غير هذا

ذلك

ذكر الزبير بن بكار حدثني ابو الحسن علي بن المغيرة عن هشام بن محمد بن
السايب عن ابيه قال اول نبي بعثه الله تعالى في الارض ادريس
واسمه اخنوخ ثم انقطعت الرسل حتى بعث الله نوح بن لمك
بن متوشلخ بن اخنوخ وقد كان سام بن نوح نبيا ثم انقطعت الرسل
حتى بعث الله ابرهيم نبيا واتخذه خليلا وهو ابرهيم بن تارخ واسم
تارخ ازر ثم بعث اسماعيل بن ابرهيم فمات بمكة ثم اسحق بن
ابرهيم مات بالشام ثم لوط بن هاران وابرهيم عمه ثم يعقوب
وهو اسرايل بن اسحق ثم يوسف بن يعقوب ثم شعيب بن يوبب
ثم هود بن عبد الله ثم صالح ثم موسى وهرون ابنا عمران ثم
ايوب ثم الخضر وهو خضرون ثم داود بن ايشا ثم سليمان بن
داود ثم يونس بن متى ثم الياس بن بشير ثم ذو الكفل واسمه عويديا
من سبط يهودا بن يعقوب وقال وبين موسى بن عمران ومريم
بنت عمران ام عيسى الف سنة وسبع مايه سنة وليسا
من سبط ثم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبي صلى الله عليه
وسلم قال الزبير قال بعض من ذكر في القران من ولد ابراهيم غير ادريس
ونوح ولوط وهود وصالح ولم يكن من العرب انبيا الا خمسة
هود وصالح واسماعيل وشعيب ومحمد صلى الله عليه وسلم
وعلى ساير الانبيا اجمعين وانما سموا عربا لانه لم يتكلم بالعربية غيرهم
تعالى والسن من بعد هدايتنا ولجميع الانبيا ثم قال
واوحينا الى ابرهيم نحن قوما بالذكر تشريفا لهم لقوله وملايكته
ورسله وجبريل وميكال ثم قال وعيسى وايوب قدم عيسى

ادريس

على قوم كانوا قبله لان الواو لا تقتضي الترتيب وايضا فيه تخصيص
عيسى ردا على اليهود وفي هذه الاية تشريف نبينا صلى الله عليه وسلم
وشرفه حيث قدمه في الذكر على انبيائه ومثله قوله واذ اخذنا من
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية ونوح مشتق من النوح
وقد تقدم ذكره موعبا في ال عمران وانصرف وهو اسم اعجمي لانه
على ثلاثة احرف خف فاما ابرهيم واسماعيل فاعجمية وهي معرفة
فلذلك لم تنصرف وكذا يعقوب وموسى وعيسى الا ان عيسى وموسى
يجوز ان يكون الالف فيهما للتانيث فلا ينصرفان في معرفة ولا نكرة
فاما يونس ويوسف فقد يجوز ان يكون الالف فيهما للتانيث فلا
ينصرفان في معرفة ولا نكرة وروى عن الحسن انه قرا ويونس بكسر
النون وكذا يوسف يجعلهما من الانس والاسف ويجب على هذا
ان ينصرفا ويهمزا ويكون جمعهما يانس ومن لم يهمز قال يوانس
ويواسف وحكى ابو زيد يونس ويوسف بفتح النون والسين
قال المهدوي فكان يونس في الاصل فعل مبني للفاعل ويونس
فعل مبني للمفعول فسمي بهما تعالى واتينا داود زبورا
الزبور كتاب داود وكان مائة وخمسين سورة ليس فيها حكم
ولا حلال ولا حرام وانما هي حكم ومواعظ والزبر الكتابة والزبور
بمعنى المزبور اي المكتوب كالرسول والركوب والحلوب وقرا حمزة
زبورا بضم الزاي جمع زبر كفلس وفلوس وزبر بمعنى المزبور كما
يقال هذا الدرهم ضرب الامير اي مضروبه والاصل في الكلمة التوثيق
يقال بير مزبورة اي مطوية بالحجارة والكتاب يسمى زبورا لقوة

الوثيقة به

الوثيقة به وكان داود عليه السلام حسن الصوت فاذا اخذ في قراءة
الزبور اجتمع اليه الانس والجن والطير والوحش لحسن صوته وكان
متواضعا ياكل من عمل يده روى ابو بكر بن ابي شيبة نا ابو اسامة
عن هشام بن عروة عن ابيه قال كان داود عليه السلام يخطب الناس
وفي يده القفة من الخوص فاذا فرغ ناولها بعض من الى جانبه يبيعها وكان
يصنع الدروع وسياتي في الحديث الزرقة في العين يمن وكان ازرق
تعالى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل يعني بمكة ورسلا لم
نقصصهم عليك منصوب باضمار فعل اي وارسلنا رسلا لان معنى
اوحينا الى نوح ارسلنا نوحا وقيل هو منصوب بفعل دل عليه قصصنا
اي وقصصنا رسلا ومثله انشد سيبويه   اصبحت لا احمل
السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا والذئب اخشاه ان مررت
به وحدي واخشى الرياح والمطرا اي واخشى الذئب وفي حرف
ابي ورسل بالرفع على تقدير ومنهم رسل ثم قيل ان الله تعالى
لما قص في كتابه بعض اسماء انبيائه ولم يذكر اسماء بعض
ولمن ذكر فضل على من لم يذكر قالت اليهود ذكر محمد الانبياء ولم
يذكر موسى فنزلت وكلم الله موسى تكليما مصدر معناه التاكيد
يدل على بطلان من يقول خلق لنفسه كلاما في شجرة فسمعه
موسى تكليما بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون به المتكلم متكلما قال
النحاس واجمع النحويون على انك اذا اكدت الفعل بالمصدر لم
يكن مجازا وانه لا يجوز في قول الشاعر   امتلا الحوض وقال
قطني ان يقول قال قولا فكذا لما قال تكليما وجب ان يكون كلاما على

للحقيقه من الكلام الذي يفعل وقال وهب بن منبه ان موسى عليه
السلام قال يا رب بم اتخذتني كليما بطلب العلم الذي اسعده الله
به يكثر منه تعالى الله تعالى انك لتراد بدمر غنمك جدي فاسعته
اكثر النهار واتبعت ثم اخذته وقبلته وضممته الى صدرك وقلت
له اتعبتني واتعبت نفسك ولم تغضب عليه من اجل ذلك اتخذتك
كليما تعالى رسلا مبشرين هو نصب على البدل من قوله ورسلا
قد قصصناهم ويجوز ان يكون على اضمار فعل ويجوز نصبه على الحال
اي كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده رسلا لئلا يكون للناس
على الله حجه بعد الرسل فيقولوا اما ارسلناك كما رسلا وما
انزلت علينا كتابا وفي التنزيل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا
رسولا فنتبع اياتك وفي هذا كله دليل واضح انه لا يجب شي من
ناحيه الفعل وروي عن كعب الاحبار انه قال كان الانبيا الفي
الف ومايتي الف وقال مقاتل كان الانبيا الف الف واربع مايه
الف واربعا وعشرين الفا وروي انس بن مالك عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال بعثت على اثر ثمانيه الاف من الانبيا منهم
اربعه الاف من بني اسرايل ذكره ابو الليث السمرقندي في التفسير
له ثم اسند عن شعبه عن ابي اسحق عن الحارث الاعور عن ابي ذر الغفاري
قال قلت يا رسول الله كم كانت الانبيا وكم كان المرسلون قال كانت
الانبيا مايه الف نبي واربعه وعشرون الف نبي وكان المرسلون
ثلثمايه وثلاثه عشر قال الشيخ المولف رحمه الله هذا اصح ما

روي

مقيمون على الكفر فسماها توبه غير مقبوله لانه لم يصح من القوم عزم والله
عز وجل يقبل التوبه كلها اذا صح العزم قوله تعالى ان الذين كفروا
وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم مل الارض ذهبا الملي بالكسر مقدار
ما يملا الشي والملا بالفتح مصدر ملات الشي ويقال اعطني ملاة وملايه
وثلاثه املايه والواو في ولو افتدى به قيل هي مقحمه زايده المعنى فلن
يقبل من احدهم مل الارض ذهبا لو افتدي به وقال اهل النظر من
النحويين لا يجوز ان يكون الواو مقحمه لانها تدل على معنى ومعنى الايه فلن
يقبل من احدهم مل مل الارض ذهبا تبرعا ولو افتدي به وذهبا نصب
على التفسير في قول الفرا قال المفضل شرط التفسير ان يكون الكلام
تاما وهو مبهم لقولك عندي عشرون فالعدد معلوم والمعدود
مبهم فاذا قلت درهما فسرت وانما نصب التميز لانه ليس له ما
يخفضه ولا ما يرفعه وكان النصب اخف الحركات فجعل لكل ما
لا عامل فيه وقال الكساي نصب على اضمار من اي من ذهب لقوله او
عدل ذلك صياما اي من صيام وفي البخاري ومسلم عن قتاده عن انس
بن ملك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يجا بالكافر يوم القيامه فيقال
له ارايت لو كان لك مل الارض ذهبا الكنت تفتدي به فيقول
نعم فيقال له قد كنت سيلت ما هو ايسر من ذلك لفظ البخاري
وقال مسلم بدل لقد كنت كذبت قد سيلت قوله تعالى لن
تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فيه مسلتان الاولى روي
الايه واللفظ للنساي عن انس قال لما نزلت هذه الاية لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون قال ابو طلحة ان ربنا ليسالنا من اموالنا فاشهد ك

يرسول الله انى قد جعلت ارضى لله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجعلها في قرابتك في حسان بن ثابت وابى بن كعب وفي الموطا وكانت احب
امواله اليه بيرحا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدخلها ويشرب من ما فيها طيب وذكر الحديث في هذه الايه دليل على
استعمال ظاهر الخطاب وعمومه فان الصحابه رضوان الله عليهم لم يفهموا
من فحوى الخطاب حين نزلت الايه غير ذلك الا ترى ابا طلحه حين
سمع لن تنالوا البر الايه لم يحتج ان يقف حتى يرد البيان الذى يريد الله ان
ينفق منه عباده بايه اخرى او سنه مبينه لذلك فانهم يحبون اشيا
كثيره وكذلك فعل زيد بن حارثه عمد مما يحب الى فرس له يقال له سبل وقال
اللهم انك تعلم انه ليس لي مال احب الي من فرسي هذه فجا به الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هذا في سبيل الله فقال لاسامه بن زيد اقبضه
فكان زيدا وجد من ذلك في نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله قد قبلها منك ذكره اسد بن موسى واعتق ابن عمر نافعا مولاه
وكان اعطاه عبد الله بن جعفر الف دينار قالت صفيه بنت ابى عبيد
اظنه تاول قول الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروى شبل
عن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب الى ابى موسى الاشعرى
ان يبتاع له جاريه من سبي جلولا يوم فتحت مداين كسرى في قتال سعد
بن ابى وقاص فدعا بها عمر فاعجبته فقال ان الله عز وجل يقول لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها عمر رضى الله عنه وروى عن الثورى انه
بلغه ان ام ولد الربيع بن خيثم قالت كان اذا جا السايل يقول لي يا فلانه اعطي
السايل سكرا فان الربيع يحب السكر قال سفيان يتاول قوله تعالى لن

تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروي عن عمر بن عبد العزيز انه كان يشتري
اعدالا من سكر ويتصدق فقيل له هلا تصدقت بقيمته فقال لان
السكر احب الي فاردت ان انفق مما احب وقال الحسن انكم لن تنالوا ما
تحبون الا بترك ما تشتهون ولا تدركون ما تاملون الا بالصبر على
ما تكرهون الناسه واختلفوا في تاويل البر فقيل الجنة عن بن مسعود
وبن عباس وعطا ومجاهد وعمرو بن ميمون والسدي والتقدير لن
تنالوا ثواب البر والنوال العطا من قولك نولته تنويلا اعطيته
ونالني من فلان معروف ينالني اي وصل الي فالمعنى لن تصلوا الي الجنة
وتعطوها حتى تنفقوا مما تحبون وقيل البر العمل الصالح وفي الحديث
الصحيح عليكم بالصدق فانه يدعوا الي البر وان البر يدعوا الى الجنة
وقد مضى في البقرة عطية العوفي يعني الطاعة عطا لن تنالوا اشرف
الدين والتقوى حتى تتصدقوا وانتم اصحا اشحا تاملون العيش
وتخشون الفقر وعن الحسن حتى تنفقوا هي الزكاة المفروضة مجا
والكلبي هي منسوخة نسختها اية الزكاة وقيل المعنى حتى تنفقوا
في سبيل الخير من صدقة او غيرها من الطاعات وهو جامع
وروى النساي عن صعصعة بن معاوية قال لقيت اباذر
قال قلت حدثني قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من عبد مسلم ينفق من كل ماله زوجين في سبيل الله
الا استقبلته حجبة الجنة كلهم يدعوه الى ما عنده قلت وكيف
ذلك قال ان كانت ابلا فبعيرين وان كانت بقرا فبقرتين
وقال ابو بكر الوراق دلهم بهذه الاية على الفتوة ان لن تنالوا

بهم

بري لا ابركم باخوانكم والانفاق عليهم من اموالكم وجاهكم
فاذا فعلتم ذلك نلتم بري وعطفي والجاه هو مثل قوله
ويطعمون الطعام على حبه وما تنفقوا من شي فان الله به عليم
اي واذا علم جازى عليه قوله تعالى كل الطعام كان حلا
لبني اسرائيل فيه اربع مسايل الاولى قوله حلا اي حلالا ثم
استثنى فقال الا ما حرم اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام
في الترمذي عن ابن عباس ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
فاخبرنا ما حرم اسرائيل على نفسه قال كان يسكن البدو فاشتكى
عرق النسا فلم يجد شيا يلاومه الا لحم الابل والبانها فلذلك
حرمها قالوا صدقت وذكر الحديث ويقال انه نذر ان برا
ليترك احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام والشراب
اليه لحوم الابل والبانها وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة
والسدي اقبل يعقوب عليه السلام من حران يريد بيت
المقدس حين هرب من اخيه عيصا وكان رجلا بطشا قويا
فلقيه ملك فظن يعقوب انه لص فعالجه ان يصرعه فغمز الملك
فخذ يعقوب عليه السلام ثم صعد الى السما ويعقوب ينظر
اليه فهاج عرق النسا ولقي من ذلك بلا شديدا فكان لا ينام
الليل من الوجع ويبيت له زقا اي صياح فحلف يعقوب عليه
السلام ان شفاه الله عز وجل الا ياكل عرقا ولا طعاما فيه
عرق فحرمها على نفسه فجعل بنوه بعد ذلك يتبعون العروق
يخرجونها من اللحم وكان سبب غمز الملك ليعقوب انه كان

نذر ان

نذر ان وهب الله له اثنى عشر ولدا وانا بيت المقدس صحيحا
ان يذبح اخرهم فكان ذلك للمخرج من نذره عن الضحاك واختلف
هل كان التحريم من يعقوب باجتهاد منه او باذن من الله تعالى
والصحيح الاول لان الله تعالى اضاف اضاف التحريم اليه
بقوله الا ما حرم وان النبي اذا اداه اجتهاده الى شي كان دينا
يلزمنا اتباعه لتقرير الله سبحانه اياه على ذلك وكما يوحي اليه
ويلزم اتباعه كذلك ياذن له ويجتهد ويتعين موجب اجتهاد
اذا قدر عليه ولولا تقدم الاذن له في تحريم ذلك ما تصور
على التحليل والتحريم وقد حرم نبينا صلى الله عليه وسلم العسل على
الرواية الصحيحة او خادمه فلم يقر الله تحريمه ونزل لم تحرم ما
احل الله لك على ما ياتي بيانه في التحريم قال الكيا الطبري فيمكن
ان يقال مطلق قوله تعالى لم تحرم ما احل الله لك يقتضي ان
لا يختص بمارية وقد راى الشافعي ان وجوب الكفارة في ذلك
غير معقول المعنى فجعلها مخصوصا بموضع النص وابو حنيفة
راى ذلك اصلا في تحريم كل مباح واجراه مجرى اليمين

الثانية قوله تعالى قل فاتوا بالتوراة قال ابن عباس لما
اصاب يعقوب عليه السلام عرق النسا وصف له الاطبا
ان يجتنب لحوم الابل فحرمها على نفسه فقالت اليهود انما حرمنا
على انفسنا لحوم الابل لان يعقوب حرمها وانزل تحريمها في التوراة
فانزل الله هذه الاية قال الضحاك فكذبهم الله ورد عليهم
فقال قل يا محمد فاتوا بالتوراة فلم ياتوا فقال عز من قايل

ن

فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاوليك هم الظالمو
الزجاج في هذه الايه اعظم دلاله لنبوة محمد صلى الله عليه
وسلم اخبرهم انه ليس في كتابهم وامرهم ان ياتوا بالتوراه
فابوا يعني عرفوا انه قال ذلك بالوحي وقال عطيه العوفي
انما كان ذلك حراما عليهم بتحريم يعقوب ذلك عليهم وذلك
ان اسرايل قال حين اصابه فرق النسا والله لين عافاني الله
منه لا ياكله لي ولد ولم يكن ذلك محرما عليهم في التوره وقال
الحلبي لم يحرمه الله عز وجل عليهم في التوراه وانما حرمه عليهم
بعد التوراه بظلمهم وكفرهم وكانت بنوا اسرايل اذا اصا
بوا ذنبا عظيما حرم الله تعالى عليهم طعاما طيبا وصب عليهم
رجزا وهو الموت فذلك قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الايه وقوله وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر الايه الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا
لصادقون الرابعه ترجم بن ماجه في سننه دوا عرق النسا
حدثنا هشام بن عمار وراشد بن سعيد الرملي قالا ثنا الوليد
بن مسلم نا هشام بن حسان نا بن سيرين انه سمع انس بن ملك
يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول شفا عرق
النسا اليه شاه تذاب ثم تجزا ثلاثة اجزا ثم تشرب على الريق في
كل يوم جزو اخرجه الثعلبي في تفسيره ايضا من حدا نس بن ملك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في عرق النسا باخذ اليه
كبش عربي لا صغير ولا كبير فتقطع صغارا فتخرج اهالته فتقسم

ثلاثه قسم

ثلاثة فتسمر في كل يوم على الوثيق النفس الا ثلثا قال انس فوصفته
لا لك من ما به فبرا باذن الله عز وجل شعبة حدثني شيخ في زمن
الحجاج بن يوسف في عرق النسا اقسم لك بالله الاعلى لئن نعته لا اكو ينك
بنارا ولاحلفنك بموسى قال شعبة فلا جربته بقوله ويمسح على ذلك
الموضع **قوله** تعالى قل صدق الله اي يا محمد صدق الله ان ذلك
لم يكن في التوراة محرما فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا امرنا باتباع
دينه وما كان من المشركين ردا عليهم في دعواهم الباطل كما تقدم
قوله تعالى ان اول بيت وضع للناس الى قوله امنا فيه خمس
مسايل **الاولى** ثبت في صحيح مسلم عن ابي ذر قال سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن اول مسجد وضع في الارض قال المسجد الحرام
قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما
ثم الارض لك مسجد فحيث ما ادركتك الصلاة فصل مجاهد
وقتادة لم يوضع بيت قبله قال علي رضي الله عنه كان قبل البيت بيوت
ولكنه والمعنى انه اول بيت وضع للعبادة وعن مجاهد قال
تفاخر المسلمون واليهود فقالت اليهود بيت المقدس افضل واعظم
من الكعبة لانها كانت مهاجر الانبيا وفي الارض المقدسة وقال
المسلمون بل الكعبة افضل فانزل هذه الاية وقد مضى في البقرة
بنيان البيت واول من بناه قال مجاهد خلق الله موضع هذا
البيت قبل ان يخلق شيا من الارض بالفي سنة وان قواعده لفي
الارض السابعة السفلى واما المسجد الاقصى فبناه سليمان عليه
السلام كما خرجه النسائي باسناد صحيح من حديث عبد الله بن

عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنا بيت المقدس
سال الله خلالا ثلاثه حكما يصادف حكمه فاوتيه وسال الله ملكا لا
ينبغي لاحد من بعده فاوتيه وسال الله حين فرغ من بنا المسجد الا
ياتيه احد لا ينهزه الا الصلاه فيه ان يخرجه من خطيته كيوم ولدته
امه فجا اشكال بين الحديثين لان بين ابراهيم وسليمان اطول طوله
قال اهل التواريخ اكثر من الف سنه فقيل ان ابراهيم وسليمان
عليهما السلام انما جددا ما كان اسسه غيرهما وقد روي
ان اول من بنى البيت ادم كما تقدم فيجوز ان يكون غيره من
ولده وضع بيت المقدس بعده باربعين عاما ويجوز ان يكون
الملايكه ايضا بنته بعد بنايها البيت باذن من الله تعالى وكل
محتمل والله اعلم وقال على رضى الله عنه امر الله الملايكه ببناء
بيت في الارض ان يطوفوا به وكان هذا قبل خلق ادم ثم ان ادم
بنا منه ما بنا وطاف به ثم الانبيا بعده ثم استتم بناه ابرهيم
عليه السلام الثانيه قوله تعالى للذي ببكه مباركا خبر ان واللام
توكيد وبكه موضع ومكه ساير البلد عن مالك بن انس وقال
بن شهاب بكه المسجد ومكه الحرم كله تدخل فيه البيوت مجاهد
بكه هي مكه فالميم على هذا مبدله من البا كما قالوا طين لازب ولازم
وقاله الضحاك والمورج ثم قيل بكه مشتقه من البك وهو الازدحام
تباك القوم ازدحموا وسميت بكه لازدحام الناس في موضع طوافهم
والبك دق العنق وقيل سميت بذلك لانها كانت تدق اعناق
الجبابره اذا الحدوا فيها بظلم قال عبد الله بن الزبير لم يقصدها

جبار قط

جبابرة فلم يسوا الا وقصه الله عز وجل واما مكه فقيل انها سميت بذلك لقلة مايها وقيل سميت بذلك لانها تمك المخ من العظم بما ينال قاصدها من المشقة من قولهم مككت العظم اذا اخرجت ما فيه ومك الفصيل ضرع امه وامتكه اذا امتص كلما فيه من اللبن وشربه قال الشاعر مكت فلم تبق في اجوافها دررا وقيل سميت بذلك لانها تمك من ظلم فيها اي تهلكه وتنقصه وقيل سميت بذلك لان الناس كانوا يمكون ويصيحون فيها من قوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكا وتصدية اي تصفيقا وتصفيرا وهذا لا يوجبه التصريف ثناي مضاعف ومكا ثلاثي معتل **الثالثة** قوله تعالى مباركا جعله مباركا لتضاعف العمل فيه والبركة كثرة الخير ونصب على الحال من المضمر في وضع او بالظرف من بكة المعنى الذي استقر ببكة مباركا ويجوز في غير القران مبارك على ان يكون خبرا ثانيا او على البدل من الذي او على اضمار مبتدا وهدى للعالمين عطف عليه ويكون بمعنى وهو هدى للعالمين عطف عليه ويكون بمعنى وهو هدى للعالمين ويجوز في غير القران مبارك بالخفض يكون نعتا للبيت **الرابعة** قوله تعالى فيه ايات بينات رفع بالابتدا وبالصفة وقرا اهل مكة وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير اية بينة على التوحيد اراد مقام ابراهيم وحده وقال اثر قدميه في المقام اية بينة وفسر مجاهد مقام ابراهيم بالحرم كله فذهب الى ان من اياته الصفا والمروة والركن والمقام والباقون بالجمع ارادوا مقام ابراهيم والحجر الاسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها قال ابو جعفر النحاس ومن قرا ايات بينات فقراته ابين لان

الصفا والمروة من الايات ومنها ان الطاير لا يعلوا البيت صحيحا
ومنها ان الخارج يتبع الصيد فاذا دخل الحرم تركه ومنها ان الغيث اذا
كان ناحيه الركن اليماني كان الخصب باليمن واذا كان ناحيه الشامي كان الخصب
بالشام واذا عم البيت كان الخصب في جميع البلدان ومنها ان الجمار على
ما يزاد عليها ترى على قدر واحد والمقام من قولهم قمت مقاما وهو الموضع
الذي يقام فيه والمقام من قولك اقمت مقاما وقد مضى هذا في البقرة
ومضى الخلاف ايضا في المقام والصحيح منه وارتفع المقام على الابتدا
والخبر محذوف والتقدير منها مقام ابراهيم قاله الاخفش وحكي
عن محمد بن يزيد قال مقام بدل من ايات وفيه قول ثالث بمعنى
هي مقام ابراهيم وقول الاخفش معروف في كلام العرب كما قال
زهير   لها متاع واعوان غدون به قتب وغرب اذا ما افرغا انسحقا
اي مضى وبعد سيلانه وقول ابي العباس ان مقاما بمعنى مقامات لانه
مصدر قال الله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقال الشاعر ان
العيون التي في طرفها مرض اي في اطرافها ويقوي هذا الحديث المروي
الحج كله مقام ابراهيم الخامسة قوله تعالى ومن دخله كان امنا قال
قتادة ذلك من ايات الحرم ايضا قال النحاس وهذا قول حسن لان الناس كانوا
يتخطفون من حواليه لا يصل اليه جبار وقد وصل الى بيت المقدس وخرب ولم
يوصل الحرم قال الله تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وقال بعض
اهل المعاني صورة الاية خبر ومعناها امر تقديرها ومن دخله فامنوه
كقوله فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج اي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا
تجادلوا ولهذا المعنى قال الامام السابق النعمان بن ثابت من اقترف

ذنبا استوجب

ذنبا استوجب به حدا ثم لجا الى الحرم عصمه ومن دخله كان امنا فاوجب
الله سبحانه الامن لمن دخله وروي ذلك عن جماعة من السلف منهم ابن عباس
وغيره من الناس قال ابن العربي وكل من قال هذا فقد وهم من جهتين احدهما
انه لم يفهم من الايه انها خبر عن ماضى ولم يقصد بها اثبات حكم مستقبل
الثاني انه لم يعلم ان ذلك الامن قد ذهب وان القتل والقتال قد وقع بعد
ذلك وخبر الله سبحانه لا يقع بخلاف مخبره فدل ذلك على انه كان في الماضي
هذا وقد ناقض ابو حنيفه فقال انه لا يعطم ولا يسقى ولا يعامل
ولا يكلم حتى يخرج فاضطره الى الخروج وليس يصح معه امن وروي عنه
انه قال يقع القصاص في الاطراف في الحرم ولا امن ايضا مع هذا واجمع
الجمهور من العلما على الحدود تقام في الحرم وقد امر النبي صلى الله عليه
وسلم بقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبه **قلت** روى
الثوري عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس من اصاب حدا في الحرم
اقيم عليه فيه وان اصابه في الحل ولجا الى الحرم لم يكلم ولم يبايع حتى
يخرج من الحرم فيقام عليه الحد وهو قول الشعبي فهذه حجه الكوفيين
وقد فهم ابن عباس ذلك من معنى الايه وهو حبر الامه وعالمها
والصحيح انه قصد بذلك تعديد النعم على من كان بها جاهلا ولها
منكرا من العرب كما قال اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس
من حولهم فكانوا في الجاهليه من دخل ولجا اليه امن من الغارة والقتل
على ما ياتي بيانه في المايده ان شا الله تعالى قال قتاده ومن دخله في
الجاهليه كان امنا وهذا حسن وروي ان بعض الملحدة قال لبعض العلما
اليس في القران ومن دخله كان امنا فقد دخلناه وفعلنا كذا وكذا فلم يا من من

بعض الناس

كان فيه قال له السن من العرب ما الذي يريل القايل من دخل داري
فهو امن اليس انما يقول لمن اطاعه كف عنه فقد امنته وكففت عنه قال
بلى فكذلك قوله ومن دخله كان امنا وقال يحيى بن جعدة المعنى ومن دخله
كان امنا اي من النار قلت وهذا ليس على عمومه فان في صحيح مسلم عن
ابي سعيد الخدري حديث الشفاعة الطويل فو الذي نفسي بيده ما من
احد منكم باشد مناشدة لله في استيفا الحق من المومنين يوم القيمة
لاخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصلون معنا ويصومون
ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم الحديث وانما يكون امنا من النار من
دخله لقضا النسك معظما له عارفا بحقه متقربا الى الله تعالى قال
جعفر الصادق من دخله على الصفا كما دخله الانبيا والاوليا كان امنا من
عذابه وهذا معنى قوله عليه السلام من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج
من ذنوبه كيوم ولدته امه والحج المبرور ليس له جزا الا الجنة قال
الحسن الحج المبرور هو ان يرجع زاهدا في الدنيا راغبا في الاخرة وانشدوا
يا كعبة الله دعوة اللاجي دعوة مستشعر ومحتاجي ودع احبابه ومسكنه
فجا من بين خايف راجي ان يقبل الله سعيه كرما نجا والا فليس بالناجي
وانت ممن ترجى شفاعته فاعطف على وافدين حجاجي وقيل المعنى ومن
دخله عام عمرة القضا مع محمد عليه السلام كان امنا دليله قوله تعالى
لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين وقد قيل ان من هنا لمن لا يعقل والايه
في امان الصيد وهو شاذ وفي التنزيل فمنهم من يمشي على بطنه الاية قوله
تعالى ولله على الناس حج من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن
العالمين فيه تسع مسايل الاولى قوله تعالى ولله اللام في قوله

ولله لام

وهذه لام الايجاب والالزام ثم اكده بقوله على التي هي من اوكد الفاظ الوجوب
عند العرب فاذا قال العربي لفلان علي كذا فقد اكده واوجبه فذكر الله سبحانه
الحج بابلغ الفاظ الوجوب تاكيدا لحقه وتعظيما لحرمته ولا
خلاف في فرضيته وهو احد قواعد الاسلام وليس يجب
الا مرة في العمر وقال بعض الناس يجب في كل خمسة اعوام
مرة ورووا في ذلك حديثا اسندوه الى النبي صلى الله عليه
وسلم والحديث باطل لا يصح والاجماع صاد في وجوههم
قلت ذكر عبد الرزاق قال ثنا سفين الثوري عن العلا
بن المسيب عن ابيه عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال يقول الرب عز وجل ان عبدا اوسعت
عليه في الرزق لم يعد الي في كل اربعة اعوام لمحروم مشهور
من حديث العلا بن المسيب بن رافع الباهلي الكوفي من اولاد
المحدثين روى عنه غير واحد منهم من قال في خمسة اعوام
ومنهم قال عن العلا عن يونس بن خباب عن ابي سعيد في
غير ذلك من الاختلاف وانكرت الملحدة الحج فقالت
ان فيه تجريد الثياب وذلك يخالف الحيا والسعي وهو يناقض
الوقار ورمي الجمار لغير مرمى وذلك يضاد العقل فصاروا
الى ان هذه الافعال كلها باطلة اذ لم يعرفوا لها حكمة ولا علة
وجهلوا انه ليس من شرط المولى مع العبد ان يفهم المقصود
بجميع ما يامره به ولا ان يطلع على فايدة تكليفه وانما يتعين عليه
الامتثال ويلزمه الانقياد من غير طلب فايدة ولا سوال عن

مقصود ولهذا المعنى كان عليه السلام يقول في لبيك حقا حقا
تعبدا ورقا لبيك اله الحق وروى الائمة عن ابي هريرة قال خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض الله عليكم
الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها
ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت
ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فانما هلك من
من كان قبلكم بكثرة مسايلهم واختلافهم على انبيايهم فاذا
امرتكم بشي فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شي فدعوه
لفظ مسلم فتبين بهذا الحديث ان الخطاب اذا توجه على
المكلفين بفرض انه يكفي منه فعل مرة ولا يقتضي التكرار خلافا
للاستاذ ابي اسحاق الاسفرايني وغيره وثبت ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال له اصحابه يا رسول الله احجتنا هذه لعامنا ام للابد
فقال لا بل للابد ابد وهذا نص في الرد على من قال يجب في خمس
سنين مرة وقد كان الحج معلوما عند العرب مشهودا لديهم
وكان مما يرغب فيه لاسواقها وتبررها وتحنفها فلما جا الاسلام
خوطبوا بما علموا والزموا ما عرفوا وقد حج النبي صلى الله عليه
وسلم قبل حج الفرض فوقف بعرفة ولم يغير من شرع ابراهيم
ما غير واحين كانت تقف بالمشعر الحرام ويقولون نحن اهل
الحرم فلا نخرج منه ونحن الحمس حسب ما تقدم بيانه في البقرة
قلت من اغرب ما رايته ان النبي صلى الله عليه وسلم حج قبل
الهجرة مرتين وان الفرض سقط عنه بذلك لانه اجاب

ابراهيم حين

ابرهيم حين قيل له واذن في الناس بالحج قال الكيا الطبري وهذا ضعيف
فانه اورد في شرعه ولله على الناس حج البيت فلابد من وجوبه عليه
بحكم الخطاب في شرعه ولين قال انما خاطب من لم يحج كان تحكما وتحكم
وتخصيصا لا دليل عليه ويلزم عليه الا يجب بهذا الخطاب على
من حج على دين ابراهيم وهذا في غاية البعد **الثانية** ودل الكتاب
والسنة على ان الحج على التراخي لا على الفور وهو تحصيل مذهب
مالك فيما ذكر بن خواز منداد وهو قول الشافعي ومحمد بن الحسن وابي
يوسف في رواية عنه وذهب بعض البغداديين من المتاخرين
من المالكيين الى انه على الفور ولا يجوز تاخيره مع القدرة عليه
وهو قول داود والصحيح الاول لان الله تعالى قال في سورة الحج
واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وسورة الحج مكية وقال
ولله على الناس حج البيت الايه وهذه السورة نزلت عام احد
بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة ولم يحج رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى سنة عشر واما السنة فحديث ضمام بن ثعلبة السعدي من
بني سعد بن بكر قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فساله عن الاسلام
فذكر الشهادة والصلاه والزكاة والصيام والحج رواه بن عباس
وابو هريرة وانس وفيها كلها ذكر الحج وانه كان مفترضا وحديث
انس احسنها سياقا واتمها واختلف في وقت قدومه فقيل في سنة
خمس وقيل سنة سبع وقيل سنة تسع ذكره بن هشام عن ابي عبيدة
الواقدي عام الخندق بعد انصراف الاحزاب قال بن عبد البر ومن
الدليل على ان الحج على التراخي اجماع العلما على ترك القادر على

الحج اذا اخره العام والعامين ونحوهما وانه اذا حج بعد اعوام من
حين استطاعته فقد ادا الحج الواجب عليه في وقته وليس عند الجميع
كمن فاتته الصلاة حين خرج وقتها فقضاها بعد خروج وقتها ولا كمن
فاته صيام رمضان لمرض او سفر فقضاه ولا كمن افسد حجة فقضاه
فلما اجمعوا انه لا يقال لمن حج بعد اعوام من وقت استطاعته انت
قاض لما وجب عليك علمنا ان وقت الحج موسع فيه وانه على التاخير
لا على الفور قال ابو عمر وكل من قال بالتراخي لا يحد في ذلك
حدا الا ما روي عن سحنون وقد سئل عن الرجل يجد ما يحج به فيوخر
ذلك سنين كثيرة مع قدرته على ذلك هل يفسق بتاخيره الحج
وترد شهادته قال لا وان مضى من عمره ستون سنة فاذا زاد على
الستين فسق وردت شهادته وهذا توقيف وحد والحدود في
الشرع لا توخذ الا عمن له ان يشرع قلت وحكاه ابن خويز منداد
عن ابن القاسم قال ابن القاسم وغيره ان اخره ستين سنة لم يحرج
وان اخره بعد الستين حرج لان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعمار امتي
ما بين الستين الى السبعين وقل من يتجاوزها فكانه في هذه العشر قد
تضايق عليه الخطاب قال ابو عمر وقد احتج بعض الناس لسحنون
بقوله صلى الله عليه وسلم معترك امتي من الستين الى السبعين وقل
من يجاوز ذلك ولا حجة فيه لانه كلام خرج على الاغلب من اعمار
امته لو صح الحديث وفيه دليل على التوسعة الى السبعين لانه
من الاغلب ايضا ولا ينبغي ان يقطع بتفسيق من صحت عدالته وامانته
بمثل هذا من التاويل الضعيف وبالله التوفيق الثالثة اجمع العلما

على ان الخطاب

على ان الخطاب بقوله تعالى على الناس عام في جميعهم مسترسل على
جميعهم من العرب وان زمان الناس قد اختلفوا في مطلق العمومات
بيد ثم اتفقوا على حمل هذه الاية على جميع الناس ذكرهم وانثاهم
خلا الصغير فانه خارج بالاجماع عن اصول التكليف وكذلك
العبد لم يدخل فيها لانه اخرجه عن مطلق العموم قوله تعالى في
التمام من استطاع اليه سبيلا والعبد غير مستطيع لان السيد
يمنعه بحقوقه عن هذه العبادة وقد قدم الله سبحانه حق السيد
على حقه رفقا بالعباد ومصلحة لهم ولا خلاف فيه بين الامة ولا
بين الايمة فلا يهذف بما لا يعرف ولا دليل عليه الاجماع وقال
ابن المنذر اجمع عوام اهل العلم الا من شذ عنهم ممن لا يعد خلافا على
ان الصبي اذا حج في حال صغره والعبد اذا حج في حال رقه ثم بلغ الصبي
وعتق العبد ان عليهما حجة الاسلام اذا وجدا اليه سبيلا وقال
ابو عمر خالف داود جماعة فقها الامصار وايمة الاثر في المملوك
وانه مخاطب عنده بالحج وهو عند جمهور العلما خارج من الخطاب
العام في قوله تعالى ولله على الناس حج البيت بدليل عدم التصرف
وانه ليس له ان يحج بغير اذن سيده كما خرج من خطاب الجمعة وهو قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة الاية عند عامة
العلما الا من شذ وكما خرج من خطاب ايجاب الشهادة قال الله تعالى
ولا يأب الشهدا اذا ما دعوا فلم يدخل في ذلك العبد وكما جاز خروج
الصبي من قوله ولله على الناس حج البيت وهو من الناس بدليل رفع
القلم عنه وخرجت المراة من قوله يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة

وهي ممن يشمله اسم الايمان فكذلك خروج العبيد من الخطاب المذكور
وهو قول فقها الحجاز والعراق والشام والغرب ومثلهم لا يجوز عليهم
تحريف تاويل الخطاب فان قيل اذا كان حاضر المسجد الحرام واذن له
سيده فلم لا يلزمه الحج قيل له هذا سوال على الاجماع وربما لا يعلل
ذلك ولكن اذا ثبت هذا الحكم بالاجماع استدللنا به على انه لا يعتد
بحجه في حال الرق عن حجة الاسلام وقد روي عن ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ايما صبي حج ثم ادرك فعليه ان يحج حجة اخرى
وايما اعرابي حج ثم هاجر فعليه ان يحج حجة اخرى وايما عبد حج ثم
اعتق فعليه ان يحج حجة اخرى بن العربي وقد تساهل بعض علمائنا
فقال انما لم يثبت الحج على العبد وان اذن له السيد لانه كان كافرا
في الاصل ولم يكن حج الكافر معتد به فلما ضرب عليه الرق ضربا
موبدا لم يخاطب بالحج وهذا فاسد من ثلاثة اوجه فاعلموه احدها
ان الكفار عندنا مخاطبون بفروع الشريعة ولا خلاف فيه في
قول مالك الثاني ان ساير العبادات تلزمه من صلاة وصوم مع
كونه رقيقا ولو فعلها في حال كفره لم يعتد بها فوجب ان يكون
الحج مثلها الثالث ان الكفر قد ارتفع بالاسلام فوجب ارتفاع حكمه
فتبين ان المعتمد ما ذكرناه من تقدم حقوق السيد والاجماع
والله الموفق الرابعة قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا
من في موضع خفض على بدل البعض من الكل هذا قول اكثر النحويين
واجاز الكسائي ان تكون في موضع رفع بحج التقدير ان يحج البيت من
وقيل هي شرط واستطاع في موضع جزم والجواب محذوف اي من

استطاع اليه

استطاع اليه سبيلا فعليه الحج روى الدارقطني عن بن عباس
قال قيل يا رسول الله الحج كل عام قال لا بل حجه قيل فما السبيل قال
الزاد والراحله رواه عن انس وبن عمر وبن مسعود وجابر وعايشه
وعمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
قال فسيل عن ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان يجد ظهر بعير واخر ج
حديث عمر ايضا بن ماجه في سننه وابو عيسى الترمذي في جامعه
وقال حديث حسن والعمل عليه عند اهل العلم ان الرجل اذا ملك
زادا وراحله وجب عليه الحج وابراهيم بن يزيد هو الخوزي المكي
وقد تكلم فيه بعض اهل الحديث من قبل حفظه واخرجاه عن وكيع
والدارقطني عن سفيان بن سعيد قالوا ثنا ابرهيم بن يزيد عن محمد
عباد عن بن عمر قال قام رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحله قالوا يا رسول الله وما الحاج قال
الشعث التفل وقام اخر فقال يا رسول الله وما الحج قال العج والثج قال
وكيع يعني العج العجيج بالتلبيه والثج نحر البدن لفظ بن ماجه
وممن قال ان الزاد والراحله شرط في وجوب الحج عمر بن الخطاب
وابنه عبد الله وعبد الله بن عباس والحسن البصري وسعيد بن جبير
ومجاهد وعطا واليه ذهب الشافعي والثوري وابو حنيفه واصحابه
واحمد واسحق وعبد العزيز بن ابي سلمه وبن حبيب وذكر بن عبدوس
مثله عن سحنون قال الشافعي رحمه الله الاستطاعه وجهان احدهما ان
يكون مستطيعا ببدنه واجدا من ماله ما يبلغه الحج والثاني ان يكون

مبالا لضنا

معضوبا فانه لا يثبت على مركبه وهو قادر على من يطيعه اذا امره
ان يحج عنه باجرة وغير اجرة على ما ياتي بيانه اما المستطيع ببدنه فانه
لزمه فرض الحج بالكتاب لقوله عز وجل من استطاع اليه سبيلا واما
المستطيع بالمال فقد لزمه فرض الحج بالسنة بحديث الخثعمية على ما
ياتي واما المستطيع بنفسه وهو القوي الذي لا يلحقه مشقة غير محتمله
في الكون على الراحله فان كان هذا اذا ملك الزاد والراحلة لزمه فرض الحج بنفسه
وان عدم الزاد والراحله او احدهما سقط عنه فرض الحج فان كان قادرا
على المشي مطيقا له ووجد الزاد وقدر على كسب الزاد في طريقه بصنعه مثل
الخرز والحجامه او نحوها فالمستحب له ان يحج ماشيا رجلا كان او امراه قال
الشافعي والرجل اقل عذرا من المراة لانه اقوى وهذا على سبيل الاستحباب
على طريق الايجاب فاما ان قدر على الزاد بمسئلة الناس في الطريق كره له ان
يحج لانه يصير كلا على الناس وقال مالك بن انس اذا قدر على المشي ووجد
الزاد والراحله فعليه فرض الحج بكل حال وان لم يجد الراحله وقدر على
المشي نظر فان كان ملكا للزاد فعليه فرض الحج وان لم يكن مالكا للزاد ولكنه يقدر
على كسب حاجته منه في الطريق نظر ايضا فان كان من اهل المروات ممن لا
يكتسب بنفسه لم يجب عليه وان كان ممن يكسب كفايته بتجارة او
صناعة لزمه فرض الحج وهكذا ان كانت عادته مسئلة الناس لزمه فرض
الحج فاوجب مالك على المطيق للمشي الحج وان لم يكن زاد وراحله وهذا قول
عبد الله بن الزبير والشعبي وعكرمه وقال الضحاك ان كان شابا قويا صحيحا
ليس له مال فعليه ان يواجر نفسه باكله او عقبه حتى يقضي حجه فقال له قائل
كلف الله الناس ان يمشوا الى البيت فقال لو ان لبعضهم ميراثا بمكة اكان تاركه

بل ينطلق اليه

بل ينطلق اليه ولو حبوا لذلك يجب عليه الحج واحتج هولا بقوله تعالى واذن
في الناس بالحج ياتوك رجالا اي مشاه قالوا ولان الحج من عبادات الابدان
من فرايض الاعيان فوجب الا يكون من شرط وجوبه الزاد والراحلة كالصلاة
والصيام قالوا ولو صح حديث الخوري في الزاد والراحله لحملناه على
عموم الناس والغالب منهم في الاقطار البعيده وخروج مطلق
الكلام على غالب الاحوال كثير في الشريعه وفي كلام العرب واشعارها
وقد روي بن وهب وبن القاسم واشهب عن ملك انه سيل عن هذه
الاية فقال الناس في ذلك على قدر طاقتهم ويسرهم وجلدهم قال
اشهب له اهو الزاد والراحله قال لا والله ما ذاك الا قدر طاقة
الناس وقد يجد الراحله والزاد ولا يقدر على السير واخر يقدر ان
يمشي على رجليه الخامسة اذا وجدت الاستطاعة وتوجه في
فرض الحج فقد تعرض ما يمنع منه كالغريم يمنعه عن الخروج حتى يودي
الدين لا خلاف في ذلك او يكون له عيال يجب عليه نفقتهم فلا يلزمه
الحج حتى يكون لهم نفقتهم مدة غيبته لذهابه ورجوعه لان هذا
الانفاق فرض على الفور والحج فرض على التراخي فكان تقديم العيال
اولي وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كفا بالمرء اثما ان يضيع من يقوت
وكذلك الابوان يخاف الضيعه عليهما وعدم العوض في التلطف بهما
فلا سبيل له الي الحج فان منعاه لاجل الشوق والوحشه فلا يلتفت والمراة
يمنعها زوجها وقيل لا يمنعها والصحيح المنع لا سيما اذا قلنا ان الحج لا يلزم
على الفور والبحر لا يمنع الوجوب اذا كان غالبه السلامة كما تقدم
بيانه في البقرة ويعلم من نفسه انه لا يميد وان كان الغالب العطب
بيانه في البقرة ويعلم من نفسه لا يميد بيانه

والمد حتى يعطل الصلوات فلا ولو كان لا يجد موضع السجود لكثرة الـ
وضيق الموضع فقد قال ملك اذا لم يستطع الركوع والسجود الا على
ظهر اخيه فلا يركبه ثم قال ايركب حيث لا يصلي ويل لمن ترك الصلاة ويسقط
الحج اذا كان في الطريق عدو يطلب الانفس او الاموال او يطلب من الاموال
ما لا يتحدد بحد مخصوص او يتحدد بقدر مجحف وفي سقوطه بغير المجحف
خلاف وقال الشافعي لا يعطي حبة ويسقط فرض الحج ويجب على المتسول
اذا كانت تلك عادته وغلب على ظنه انه يجد من يعطيه وقيل لا يجب على ما
تقدم من مراعاة الاستطاعة **السادسة** اذا زالت الموانع ولم يكن عنده
من الناض ما يحج به وعنده عروض فيلزمه ان يبيع من عروضه للحج ما يباع عليه
في الدين وسئل ابن القاسم عن الرجل يكون له القرية ليس له غيرها ايبيعها في حجة
الاسلام ويترك ولده لا شيء لهم يعيشون به قال نعم ذلك عليه ويترك ولده
في الصدقة والصحيح القول الاول لقوله عليه السلام كفى بالمرء اثما ان
يضيع من يقوت وهو قول الشافعي والظاهر من مذهبه انه لا يلزم الحج الا
من له ما يكفيه من النفقة ذاهبا وراجعا قاله في الاملاء وان لم يكن له اهل
وعيال فبعضهم لا يعتبر الرجوع لانه ليس عليه كبير مشقة في ترك القيام
ببلده لانه لا اهل له فيه ولا عيال فكل البلاد له وطن والاول اصوب
لان الانسان يستوحش لفراق وطنه كما يستوحش لفراق سكنه الا ترى ان
البكر اذا زنا جلد وغرب عن بلده سواء كان له اهل او لم يكن قال الشافعي في
الام اذا كان له مسكن وخادم وله نفقة اهله بقدر غيبته يلزمه الحج وظاهر
هذا انه اعتبر ان يكون مال الحج فاضلا عن الخادم والمسكن لانه قدمه على
نفقة اهله فكانه قال بعد هذا كله ثم قال اصحابه يلزمه ان يبيع المسكن

والخادم وكذا

ثاني عشره

والخادم ويكترى مسكنا وخادما لاهله فان كان له بضاعة يتجر بها وربحها
قدر كفايته وكفاية عياله على الدوام ومتى انفق من اصل البضاعة ام لا فقو
لا ول للجمهور وهو الصحيح المشهور لانه لاخلاف انه لو كان عقارا يكفيه
غلته لزمه اصل بيع العقار في الحج فكذلك البضاعة وقال بن شريح لا يلزم
ذلك ويبقى البضاعة ولا يحج من اصلها لان الحج انما يجب عليه في الفاضل من
كفايته فهذا الكلام في الاستطاعة بالبدن والمال السابعة المريض
والمعضوب والعضب القطع ومنه سمي السيف عضبا وكان من انتهي
الى ان لا يقدر ان يستمسك على الراحلة ولا يثبت عليها بمنزلة من قطعت
اعضاوه اذ لا يقدر على شي وقد اختلف العلما في حكمها بعد اجماعهم
انه لا يلزمهما المسير الى الحج لان الحج انما فرضه الله على المستطيع اجماعا
والمريض والمعضوب لا استطاعة لهما فقال مالك اذا كان معضوبا
سقط عنه فرض الحج اصلا سوا كان قادرا على من يحج عنه بالمال او بغير
المال لا يلزمه فرض الحج ولو وجب عليه الحج ثم عضب وزمن سقط عنه
فرض الحج ولا يجوز ان يحج عنه في حال حياته بحال بل ان اوصي ان يحج عنه
بعد موته حج عنه من الثلث وكان تطوعا واحتج بقوله تعالى وان ليس
للانسان الا ما سعى فاخبر انه ليس له الا ما سعى فمن قال ان له سعي غيره فقد
خالف ظاهر الاية وبقوله تعالى ولله على الناس حج البيت وهذا غير مستطيع
لان الحج هو قصد المكلف البيت بنفسه ولانها عبادة لا يدخلها النيابة مع
العجز عنها كالصلاة وروي محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله ليدخل بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الميت والحاج عنه
والمنفذ بذلك خرجه الطبراني ابو القاسم سليمان بن احمد قال نا عمرو بن

لان
مه

حفص السدوسي قال ثنا اسحق بن بشر قال ثنا ابو معشر عن محمد بن المنكدر
قلت ابو معشر اسمه نجيح وهو ضعيف عندهم وقال الشافعي في المريض
الزمن والمعضوب والشيخ الكبير يكون قادرا على من يطيعه اذا امره
بالحج عنه فهو مستطيع استطاعة ما وهو على وجهين احدهما ان يكون
قادرا على مال يستاجر به من يحج عنه فانه يلزمه فرض الحج وهذا قول
علي بن ابي طالب رضي الله عنه وروي عنه انه قال للشيخ الكبير لم يحج
جهز رجلا يحج عنك والى هذا ذهب الثوري وابو حنيفة واصحابه
وابن المبارك واحمد واسحق والثاني ان يكون قادرا على من يبذل له الطاعة
والنيابة فيحج عنه فهذا ايضا يلزمه الحج عند الشافعي واحمد وابن راهويه
وقال ابو حنيفة لا يلزمه الحج ببذل الطاعة بحال استدل الشافعي
بما رواه ابن عباس ان امراة من خثعم سالت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا
يستطيع ان يثبت على الراحلة افاحج عنه قال نعم وذلك في حجة
الوداع في رواية لا يستطيع ان يستوي على ظهر بعيره فقال
النبي صلى الله عليه وسلم فحجي عنه ارايت لو كان على ابيك دين اكنت قاضيته
قالت نعم قال فدين الله احق احق ان يقضى فاوجب صلى الله عليه
وسلم الحج بطاعة ابنته اياه وبذلها نفسها له بان تحج عنه فاذا
وجب ذلك بطاعة البنت له كان ان يجب عليه بقدرته على المال
الذي يستاجر به اولى فاما ان بذل له المال دون الطاعة فالصحيح
الا يلزمه قبوله والحج به عن نفسه ولا يصير ببذل المال له مستطيعا
وقال علماونا حديث الخثعمية ليس مقتضيا ... [illegible]

الحث على بر الوالدين

الحث على بر الوالدين والنظر في مصالحهما دينا ودنيا وجلب المنفعه
اليهما جبلة وشرعا فلما راي من المراة انفعالا وطواعيه ظاهرة ورغبة
صادقه في برها ابيها وحرصا على ايصال الخير والثواب اليه وتاسفت
ان تفوته بركة الحج اجابها الى ذلك كما قال للاخرى التي قالت ان امي
نذرت ان تحج فلم تحج حتى ماتت افاحج عنها فقال حجي عنها ارايت لو كان
على امك دين اكنت قاضيته قالت نعم ففي هذا ما يدل على انه من باب
التطوعات وايصال البر والخير للاموات الا ترى انه قد شبه فعل
الحج بالدين وبالاجماع لو مات ميت وعليه دين لم يجب على وليه قضاوه
من ماله فان تطوع بذلك تادى الدين عنه ومن الدليل على ان الحج في
هذا الحديث ليس بفرض على ابيها ما صرحت به هذه المراة بقولها لا
يستطيع ومن لا يستطيع لا يجب عليه وهذا تصريح بنفي الوجوب
ومنع الفريضه فلا يجوز ما انتفى في اول الحديث قطعا ان يثبت
في اخره ظنا يحققه قوله فدين الله احق ان يقضى فانه ليس على ظاهره
اجماعا فان دين العبد اولى بالقضا وبه يبدا اجماعا لفقر الادمي واستغنا
الله تعالى قاله ابن العربي وذكر ابو عمر بن البر ان حديث الخثعمية
عند مالك واصحابه مخصوص بها وقال اخرون فيه اضطراب وقال
ابن وهب وابو مصعب هو حق في الولد خاصه وقال ابن حبيب
جات الرخصه في الحج عن الكبير الذي لا منهض له ولم يحج ان يحج عنه
ولده وان لم يوص به ويجزيه ان شا الله فهذا الكلام على المعضوب
وشبهه واما بقية الخثعميه اخرجه الايمه وهو يرد على الحسن قوله
انه لا يجوز حج المراة عن الرجل [illegible] واجمع العلما على انه اذا

عبد م

لم يكن للحلف قوت يتزوده في الطريق لم يلزمه الحج وان وهب له اجنبي
مالا يحج به لم يلزمه قبوله اجماعا لما يلحقه من المنة في ذلك فلو كان رجل
وهب لابيه مالا فقد قال الشافعي يلزمه قبوله لان ابن الرجل من كسبه
ولا منة عليه في ذلك وقال ملك وابو حنيفه لا يلزمه قبوله لا فيه
سقوط حرمة الابوه اذ يقال قد جزاه وقد وفاه والله اعلم
التاسعة قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين قال ابن عباس
وغيره المعنى ومن كفر بفرض الحج ولم يره واجبا وقال الحسن البصري
وغيره ان من ترك الحج وهو قادر عليه فهو كافر وروي الترمذي عن
الحارث عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة
تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه الا يموت يهوديا او نصرانيا وذلك ان الله
تعالى يقول في كتابه ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال
ابو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وفي اسناده
مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحرث يضعف وروي نحو عن ابي
امامه وعمر رضي الله عنهما وعن عبد الله خبر عن علي بن ابي طالب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يا ايها الناس ان الله فرض الحج على من استطاع
اليه سبيلا ولم يفعل فليمت على اي حال شا ان شا يهوديا او نصرانيا او
مجوسيا الا ان يكون به مرض او سلطان جايرا الا لا نصيب له في
شفاعتي ولا ورد حوضي وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من كان عنده مال يبلغه الحج فلم يحج او عنده مال تحل فيه الزكاة فلم يزكه
سال عند الموت الرجعه فقيل يا ابن عباس انا نرى هذا للكافرين فقال انا
اقرا عليكم به قرانا يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله

عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاوليك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم
من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق
واكون من الصالحين قال الحسن بن صالح في تفسيره فازكي واحج وعن النبي صلى
الله عليه وسلم ان رجلا ساله عن الاية فقال من حج لا يرجوا ثوابا وجلس
لا يخاف عقابا فقد كفر به وروى قتاده عن الحسن قال قال عمر رضي الله عنه
لقد هممت ان ابعث رجالا الى الامصار فينظرون الى من كان له مال
ولم يحج فيضربون عليهم الجزيه فذلك قوله ومن كفر فان الله غني عن
العالمين قلت هذا خرج مخرج التغليظ ولهذا قال علماونا
تضمنت الاية ان من مات ولم يحج وهو قادر فالوعيد يتوجه عليه
ولا يجزي ان يحج عنه غيره لان حج الغير لو اسقط عنه الفرض لسقط
عنه الوعيد والله اعلم قال سعيد لو مات جار لي وله ميسره ولم
يحج لم اصل عليه قوله تعالى قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن اي
تصرفون عن دين الله من امن وقرا الحسن تصدون بضم التا وكسر الصاد
وهما لغتان صد واصد مثل صل اللحم واصل اذا انتن وخم واخم
ايضا اذا تغير تبغونها عوجا تطلبون لها فحذف اللام مثل واذا كالوهم
يقال بغيته كذا اي طلبته وابغيته كذا اي اعنته والعوج الميل والزيغ
بكسر العين في الدين والقول والعمل وما خرج عن طريق الاستوا وبالفتح
في الجدار والحايط وكل شخص قايم عن ابي عبيده وغيره ومعنى قوله يتبعون
الداعي لا عوج له اي لا يقدرون ان يعوجوا عن دعايه وعاج بالمكان
وتعوج اقام ووقف والعايج الواقف قال الشاعر هل انتم
عايجون بنا لعنا نرى العرصات او اثر الخيام والرجل الاعوج السيي

الخلق وهو بين العوج والعُوُج من الخيل التي في ارجلها تجنيب والاعوجيه
من الخيل تنسب الى فرس كان في الجاهليه سابقا ويقال فرس مجنب اذا
كان بعيد ما بين الرجلين من غير فجج وهو مدح ويقال الجنب اعوجاج في
الساقين قال الخليل التجنيب يوصف في الشدة وليس ذلك باعوجاج
قوله تعالى وانتم شهداء اي عقلاء وقيل شهداء ان في التوراه مكتوبا
ان دين الله الذي لا يقبل غيره الاسلام وان فيه بعث محمد صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا الايه نزلت في يهودي
اراد تجديد الفتنة بين الاوس والخزرج بعد انقطاعها بالنبي صلى الله عليه
وسلم فجلس بينهم وانشد شعرا قاله احد الحيين في حربهم فقال الحي الاخر
قد قال شاعرنا في يوم كذا وكذا فكانهم دخلوا من ذلك شي فقالوا تعالوا
نرد الحرب جذعا كما كانت فنادى هولا يا ال اوس ونادى هولا يا ال الخزرج
فاجتمعوا واخذوا السلاح واصطفوا للقتال فنزلت هذه الاية فجا
النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقراها ورفع صوته فلما سمعوا
صوته انصتوا له وجعلوا يستمعون فلما فرغ القوا السلاح وعانق
بعضهم بعضا وجعلوا يبكون عن عكرمه وابن زيد بن عباس الذي فعل
ذلك شاس بن قيس اليهودي دس على الاوس والخزرج من يذكرهم ما كان
ما كان بينهم من الحروب وان النبي صلى الله عليه وسلم اتاهم وذكرهم فعرف
القوم انما نزغه من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح من ايديهم
وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين
مطيعين فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا يعني الاوس والخزرج ان
تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يعني شاسا واصحابه يردوكم بعد

ايمانكم كافرين

ايمانكم كافرين قال جابر بن عبد الله ما كان طالع اكره الينا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاوما الينا بيده فكففنا واصلح الله تعالى ما بيننا فما كان
شخص احب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رايت يوما اقبح ولا اوحش
اولا واحسن اخرا من ذلك اليوم قوله تعالى وكيف تكفرون الايه
قال الله تعالى على جهة التعجب اي وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله
يعني القران وفيكم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس كان بين الاوس
والخزرج شر في الجاهلية فتذكروا ما بينهم فثار بعضهم الى بعض بالسيو
فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فذهب اليهم فنزلت هذه الايه
وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله الى قوله تعالى
فانقذكم منها ويدخل في هذه الايه من لم ير النبي صلى الله عليه وسلم
لان ما فيهم من سنته تقوم مقام رويته قال الزجاج يجوز ان يكون
هذا الخطاب لاصحاب محمد خاصة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان فيهم وهم يشاهدونه ويجوز ان يكون هذا الخطاب لجميع الامة لان
اثاره وعلاماته والقران الذي اوتي فينا لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فينا وان لم نشاهده وقال قتادة في هذه الاية علمان بينان كتاب الله
ونبي الله فاما نبي الله فقد مضى واما كتاب الله فابقاه الله بين اظهرهم رحمة
ونعمة فيه حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وكيف في موضع نصب
وفتحت الفا عند الخليل وسيبويه لالتقاء الساكنين واختير لها الفتح
لان ما قبل الفا يا فتثقل ان يجمعوا بين يا وكسره قوله تعالى ومن
يعتصم بالله اي يمتنع به ويتمسك بدينه وطاعته فقد هدي ووفق
[illegible] ابن جريج يعتصم بالله يومن به وقيل المعنى ومن

[illegible]

يعتصم بالله اي يتمسك بحبل الله وهو القران يقال اعصم به واعتصم
وتمسك واستمسك اذا امتنع به من غيره واعتصمت فلانا هيات له ما
يعتصم به وكل متمسك بشي معصم ومعتصم وكل مانع شيا فهو عاصم قال
الفرزدق   انا ابن العاصمين بني تميم اذا ما اعظم الحدثان باعا   وقال
النابغه   يظل من خوفه الملاح معتصما بالخيزرانه بعد الاين والنجد
وقال اخر   فاشرط فيها نفسه وهو معصم والقا باسباب له وتوكلا
وعصمه الطعام منع الجوع منه تقول العرب عصم فلانا الطعام اي منعه
من الجوع ولذا الشوذ نابي عاصم لذلك قال احمد بن يحيى العرب تسمي الخبز عاصما
وجابرا ٥ وانشد ٥ فلا تلوميني ولومي جابرا فجابر كلفني الهوجرا
ويسمونه عامرا ٥ وانشد ابو مالك ٥ يعتريني بالطاير يحي فيلقي رحله
عند عامر ٥ ابو مالك كنيه الجوع قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
حق تقاته فيه مسله واحده روى النحاس عن مره بن عبد الله قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حق تقاته ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر
فلا يكفر وقال ابن عباس هو ان لا يعصى طرفه عين وذكر المفسرون انه
لما نزلت هذه الايه قالوا يا رسول الله من يقوى على هذا وشق عليهم فانزل
الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت هذه الايه عن قتاده والربيع وابن
زيد قال مقاتل وليس في ال عمران من المنسوخ شي الا هذا وقيل ان قوله فاتقوا
الله ما استطعتم بيان لهذه الايه والمعنى فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم
وهذا اصوب لان النسخ انما يكون عند عدم الجمع والجمع ممكن فهو اولى
وقد روى علي بن ابي طلحه عن ابن عباس قال قوله الله عز وجل يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله حق تقاته قال لم تنسخ ولكن حق تقاته ان يجاهد في الله حق جهاده

ولا تاخذكم

ولا تاخذكم في الله لومة لايم وتقوموا بالقسط ولو على انفسكم وابنايكم
قال النحاس فهذا ذكر في الايه واجب على المسلمين ان يستعملوه ولا يقع فيه
نسخ وقد مضى في البقره معنى قوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون

تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا فيه مسلتان قوله قوله تعالى
واعتصموا العصمة المنعه ومنه يقال للبذرقه عصمة والبذرقه هي
المقافلة وذلك بان يرسل معها من يحميها ممن يوذيها قال ابو خالويه البذرقة
ليست بعربيه وانما هي كلمة فارسية عربتها العرب يقال بعث السلطان بذ
مع القافلة والحبل لفظ مشترك واصله في اللغة السبب الذي يوصل به الى
البغيه والحاجه فالحبل حبل العاتق والحبل مستطيل من الرمل ومنه الحد
والله ما تركت من حبل الا وقفت عليه فهل لي من حج والحبل الرسل والحبل
العهد قال الاعشى واذا تجوزها حبال قبيله اخذت من الاخرى
اليك حبالها يريد الامان والحبل الداهيه قال لبيد فلا
تعجلي يا عزان تنتهي بنصح اتاه الواشون ام بحبول والحباله حباله
الصايد وكلها ليس مرادا في الايه الذي بمعنى العهد عن ابن عباس وقال
ابن مسعود حبل الله القران ورواه علي والخدري عن النبي صلى الله عليه
وسلم وعن مجاهد وقتاده وابو معاويه عن الهجري عن ابي الاحوص
عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القران
هو حبل الله وروى تقي بن مخلد نا يحيى بن عبد الحميد نا هشيم عن
العوام بن حوشب عن الشعبي عن عبد الله بن مسعود واعتصموا بحبل
الله جميعا ولا تفرقوا قال الجماعه روي عنه من وجوه والمعنى كله
متقارب [illegible] يامر بالالفه وينهى عن الفرقه فان

بحبل الله جميعا فيه مسلتان الاولى قوله تعالى واعتصموا العصمة

الام

الفرقة هلكة والجماعة نجاة رحمه الله بن المبارك حيث قال ان
الجماعة حبل الله فاعتصموا منه بعروته الوثقى لمن دانا الثانية قوله تعالى
ولا تفرقوا يعني في دينكم كما افترقت اليهود والنصارى في اديانهم عن ابن
مسعود وغيره ويجوز ان يكون معناه ولا تفرقوا متابعين للهوى والاغراض
المختلفة وكونوا في دين الله اخوانا فيكون ذلك منعا لهم عن التقاطع والتدابر
ودل عليه ما بعده وهو قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء
فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وليس فيه دليل على عدم الاختلاف
في الفروع فان ذلك ليس اختلافا اذ الاختلاف ما يتعذر معه الايتلاف
والجمع واما حكم مسايل الاجتهاد فان الاختلاف فيها سبب لاستخراج
الفرايض ودقايق معاني الشرع وما زالت الصحابة مختلفون في احكام الحوادث
وهم مع ذلك متواصلون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف
امتي رحمة وانما منع الله تعالى اختلافا هو سبب الفساد روى الترمذي
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرقت اليهود على احدى
وسبعين فرقة او اثنين وسبعين والنصارى مثل ذلك وتفترق امتي على ثلاث
وسبعين فرقة قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح واخرجه ايضا
عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على امتي ما اتى على بني
اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من اتى امه علانية لكان
من امتي من يصنع ذلك وان بني اسرائيل تفرقت ثنتين وسبعين ملة وتفترق
امتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار الا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول
الله قال ما انا عليه واصحابي اخرجه من حديث عبد الرحمن بن زياد
الافريقي عن عبد الله بن يزيد عن ابن عمر وقال هذا حديث حسن غريب

مفسر لانعرفه الا من هذا الوجه قال ابو عمرو عبد الرحمن الافريقي وثقه
قوم واثنوا عليه وضعفه اخرون واخرجه ابو داود في سننه من حديث
معاوية بن ابي سفين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا ان من قبلكم من
اهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على
ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة وانه
سيخرج من امتي اقوام تجارى بهم تلك الاهوا كما تجارى الكلب بصاحبه
لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله وفي سنن بن ماجه عن انس بن ملك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الدنيا على الاخلاص لله
وحده وعبادته لا شريك له واقام الصلوة واتا الزكاة مات والله عنه
راض قال انس وهو دين الله جات به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج
الاحاديث واختلاف الاهوا وتصديق ذلك في كتاب الله في اخر ما
نزل بقوله تعالى فان تابوا قال خلعوا الاوثان وعبادتها واقاموا
الصلاة واتوا الزكاة وقال في اية اخرى فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا
الزكاة فاخوانكم في الدين اخرجه عن نصر بن علي الجهضمي عن ابي احمد
عن ابي جعفر الرازي عن الربيع عن انس قال ابو الفرج الجوزي فان
هذه الفرق معروفه فالجواب انا نعرف الافتراق واصول الفرق
وان كل طايفة من الفرق انقسمت الى فرق وان لم نحط باسما تلك الفرق
ومذاهبها فقد ظهر لنا من اصول الفرق الحرورية والقدرية والجهمية
والمرجية والرافضة وقد قال بعض اهل العلم اصل الفرق الضالة هذه الفرق
الستة وقد انقسمت كل فرقة منها اثنى عشر فرقة فصارت اثنين وسبعين
فرقة الحرورية اثنى عشر فرقة فاولهم الازرقية قالوا لا نعلم احدا مومنا

ولهزوا اهل القبله الا من دان بقولهم والاباضية قالوا من اخذ بقولنا
فهو مومن ومن اعرض عنه فهو منافق والثعلبيه قالوا ان الله عز وجل
لم يقض ولم يقدر والجازميه قالوا لا ندري ما الايمان والخلق كلهم
معذورون والخلفيه زعموا ان من ترك الجهاد من ذكر او انثى كفر
والكوزيه قالوا ليس لاحد ان يمس احدا لانه لا يعرف الطاهر من النجس ولا ان
يواكله حتى يتوب ويغتسل والكنزيه قالوا لا يسع احدا ان يعطي
ماله احدا لانه ربما لم يكن مستحقا بل يكنزه في الارض حتى يظهر اهل الحق
والشمراخيه قالوا لا باس بمس النسا الاجانب لانهم رياحين والاخنسيه
قالوا لا يلحق الميت بعد موته خير ولا شر والحكميه قالوا ان
من حاكم الى مخلوق فهو كافر والمعتزله قالوا اشتبه علينا امر علي
ومعاوية فنحن نتبرا من الفريقين والميمونية قالوا لا امام الا برضى
اهل محبتنا وانقسمت القدرية اثنتي عشره فرقه الاحمرية
وهي التي زعمت ان في شرط العدل من الله ان يملك عباده امورهم ويحول
بينهم وبين معاصيه والثنويه وهي التي زعمت ان الخير من الله والشر
من الشيطان والمعتزله وهم الذين قالوا بخلق القران وجحدوا الربوبية
والكيسانيه وهم الذين قالوا لا ندري هذه الافعال من الله او من العباد
ولا نعلم ايثاب الناس بعد او يعاقبون والشيطانيه قالوا ان الله
تعالى لم يخلق الشيطان والشريكيه قالوا ان السيئات كلها مقدرة
الا الكفر والوهميه قالوا ليس لافعال الخلق وكلامهم ذات ولا للحسنه
والسيئه ذات والزبونديه قالوا كل كتاب نزل من عند الله فالعمل به
حق ناسخا كان او منسوخا والنبريه زعموا ان من عصى فقد كفر

نوبته ۞ والثالثيه زعموا ان من نكث بيعه رسول صلى الله عليه وسلم
فلا اثم عليه ۞ والقاسطيه تبعوا ابراهيم بن النظام في قوله من زعم
ان الله شي فهو كافر والفنت الجهميه اثنتي عشر فرقه المعطله
زعموا ان كل ما يقع عليه وهم الانسان فهو مخلوق وان من ادعى ان الله يرى
فهو كافر ۞ والمريسيه قالوا اكثر صفات الله مخلوقه والملتزقه
جعلوا الباري سبحانه في كل مكان ۞ والواردية قالوا لا يدخل النار
من عرف ربه ومن دخلها لم يخرج منها ابدا ۞ والزنادقه قالوا ليس
لاحد ان يثبت لنفسه ربا لان الاثبات لا يكون الا بعد ادراك الحواس
وما لا يدرك لا يثبت ۞ والحرقيه زعموا ان الكافر تحرقه النار مره واحده
ثم يبقى محترقا ابدا لا يجد حر النار ۞ والمخلوقيه زعموا ان القران
مخلوق ۞ والفانيه زعمت ان الجنه والنار يفنيان ومنهم من قال
لم يخلقا ۞ والعيريه جحدوا الرسل وقالوا انما هم حكما
والواقفيه قالوا لا نقول القران مخلوق ولا غير مخلوق والقبريه
ينكرون عذاب القبر والشفاعة ۞ واللفظيه قالوا لفظنا بالقران
مخلوق وانقسمت المرجيه اثنتي عشر فرقه التاركيه قالوا ليس لله
عز وجل على خلقه فريضه سوى الايمان به فمن امن به فليفعل ما شا والسايبيه
قالوا ان الله تعالى سيب خلقه ليعملوا ما شاوا والراجية قالوا لا
يسمى الطايع طايعا ولا العاصي عاصيا لانا لا ندري ما له عند الله
والشاكيه قالوا الطاعة ليست من الايمان والبيهسيه قالوا الايمان
علم ومن لا يعلم الحق من الباطل والحلال من الحرام فهو كافر والعمليه
قالوا الايمان عمل والمنقوصيه قالوا الايمان لا يزيد ولا ينقص والمستثنيه

قالوا الاستثنا من الايما والمشبهة قالوا بصر كبصرو يد كيد
والحشوية جعلوا حكم الاحاديث كلها واحدا فعندهم ان تارك النفل
كتارك الفرض والظاهرية الذين نفوا القياس والبدعية اول
من ابتدع الاحداث في هذه وانقسمت الرافضه اثني عشر فرقه
العلوية قالوا ان الرساله كانت الى علي وان جبريل اخطا والامويه
قالوا ان عليا شريك محمد في امره والشيعه قالوا ان عليا وصي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووليه من بعده وان الامه كفرت
بمبايعه غيره والاسحاقية قالوا ان النبوه متصله الى يوم
القيمة وكل من يعلم علم اهل البيت فهو نبي والناووسيه قالوا
علي افضل الامه فمن فضل غيره عليه فقد كفر والاماميه قالوا لا يمكن
ان تكون الدنيا بغير امام من ولد الحسين وان الامام يعلمه جبريل
عليه السلام فاذا مات بدل غيره مكانه والزيدية قالوا ولد
الحسين كلهم ايمه في الصلوه فمتى وجد منهم احد لم تجز الصلاة خلف غيرهم
برهم وفاجرهم والعباسيه زعموا ان العباس كان اولى بالخلافه
من غيرهم والمتربصه تشبهوا بزي النساك ونصبوا في كل عصر
رجلا ينسبون اليه الامر يزعمون انه مهدي هذه الامه فاذا مات
نصبوا اخر ثم انقسمت الجبريه اثني عشر فرقه فمنهم المضطربه
قالوا لا فعل للادمي بل الله يفعل الكل والافعاليه قالوا لنا افعال
ولكن لا استطاعة لنا فيها وانما نحن كالبهايم نقاد بالحبل والفروغيه
قالوا كل الاشيا قد خلقت والان لا يخلق شي والجاريه زعموا ان الله
تعالى يعذب العباد على فعله لا على فعلهم [illegible]

ت
لمتى

بما يخطر بقلبك فافعل ما توسمته منه الخير   والكسبية قالوا لا
يكتسب العبد ثوابا ولا عقابا   والسابقية قالوا من شا فليعمل
ومن شا لم يعمل فان السعيد لا تضره ذنوبه. والشقي لا ينفعه بره   والحبية
قالوا من شرب كاس محبة الله تعالى سقطت عنه عبادة الاركان
والخوفية قالوا من احب الله تعالى لم يسعه ان يخافه لان الحبيب لا يخاف
حبيبه   والفكرية قالوا من ازداد علما سقط عنه بقدر ذلك من
العبادة   والخشبية قالوا الدنيا بين العباد سوا لا تفاضل بينهم فيما
ورثهم ابوهم ادم   والمعية قالوا منا الفعل ولنا الاستطاعة
وسياتي بيان الفرقة التي زادت في هذه الامة في اخر سورة الانعام ان شا
الله تعالى وقال ابن عباس لسماك الحنفي يا حنفي الجماعة انما هلكت الامم
الخالية بتفرقها اما سمعت قول الله عز وجل يقول واعتصموا بحبل
الله جميعا ولا تفرقوا   وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا فيرضى لكم ان
تعبدوه ولا تشركوا به شيا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
ويكره قيل وقال وكثرة السوال واضاعة المال فاوجب علينا   تعالى
التمسك بكتابه وسنة نبيه والرجوع اليهما عند الاختلاف وامرنا   جماع
على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقادا وعملا وذلك سبب اتفاق
الكلمة وانتظام الشتات الذي يتم به مصالح الدنيا والدين والسلامة
والاختلاف والافتراق الذي حصل لاهل الكتابين هذا معنى الاية على التمام
وفيها دليل على صحة الاجماع حسب ما هو مذكور في موضعه من اصول
الفقه   قوله تعالى واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء [illegible]

الاسلام واتباع نبيه محمد عليه السلام فانه ذالك العداوة وذات المحبه
والالفه والمراد الاوس والخزرج والايه نعم ومعنى فاصبحتم بنعمته
اخوانا اي صرتم بنعمه الاسلام اخوانا في الدين وكل ما في القران اصبحتم
معناه صرتم لقوله ان اصبح ماوكم غورا اي صار غايرا والاخوان جمع اخ
وسمى اخا لانه مذهبا خيه اي بقصده وشفا ذلك حرفه ولذلك شفيره و
قوله تعالى وكنتم على شفا جرف هار قال الراجز نحن حفرنا
للحجيج سجله نابته فوق شفاها نقله واشفى على الشي اشرف عليه
ومنه اشفى المريض على الموت وما بقي منه الا شفا اي قليل قال ابن
السكيت يقال للرجل عند موته وللقمر عند محاقه وللشمس عند غروبها
ما بقي منه الا شفا اي قليل قال العجاج ومربا عال لمن يشرفا
اشرفته بلا شفا او بشفا قوله بلا شفا اي غابت الشمس او شفا اي وقد
بقيت منه بقيه وهو ذوات اليا وفيه لغه انه من الواو وقال النحاة
الاصل في شفا شفو ولهذا يكتب بالالف ولا يمال وقال الاخفش لما
لم تجز فيه الامالة عرف انه من الواو ولان الامالة بين اليا وتثنيته شفوان
قال المهدوي وهذا تمثيل يراد به خروجهم من الكفر الى الايمان قوله
تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف قد مضى القول
في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه السورة ومن في قوله منكم
للتبعيض ومعناه ان الامرين يجب ان يكونوا علما وليس كل الناس علما
وقيل لبيان الجنس والمعنى لتكونوا كلكم كذلك قلت القول
الاول اصح فانه يدل على ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض
على الكفايه وقد عينهم الله تعالى في قوله الذين ان مكناهم في الارض الايه

وليس كل النا

ولیس کل الناس مکنوا وقرا بن الزبیر ولتکن منکم امة یدعون الی الخیر
ویامرون بالمعروف وینهون عن المنکر ویستعینون الله علی ما اصابهم قال
ابو بکر الانباري وهذه الزیادة تفسیر من بن الزبیر وکلام من کلامه غلط
فیه بعض الناقلین فالحقه بالفاظ القران یدل علی صحة ما فی الحدیث الذي
حدثنیه ابی ثنا حسن بن عرفه ثنا وکیع عن ابي عاصم عن ابي عون عن صبیح قال
سمعت عثمان بن عفان یقرا وتامرون بالمعروف وتنهون عن المنکر ویستعینون ن
الله علی ما اصابهم فما یشك عاقل في ان عثمان لا یعتقد هذه الزیادة من القرا ن
اذ لم یثبتها في مصحفه الذی هو امام المسلمین وانما ذکرها واعظا بها ومؤکدا
ما تقدمها من کلام رب العالمین جل وعلا قوله تعالی ولا تکونوا
کالذین تفرقوا واختلفوا یعنی الیهود والنصاری في قول جمهور المفسرین
وقال بعضهم هم المبتدعه من هذه الامه ابو امامة هم الحروریة وتلي
الایه وقال جابر بن عبد الله الذین تفرقوا واختلفوا من بعد ما هم البینا ت
الیهود والنصاری جاءهم مذکر علی الجمع وجاءتهم علی الجماعة قوله تعالی
یوم تبیض وجوه وتسود وجوه فیه ثلاث مسایل الاولی قوله
تعالی یوم تبیض وجوه وتسود وجوه یعنی یوم القیمه حین یبعثون
من قبورهم تکون وجوه المومنین مبیضه ووجوه الکافرین مسودة ویقال ل
عند قراءة الکتاب اذا قرا المومن کتابه فرای في کتابه حسناته استبشر وابیض
وجهه واذا قرا الکافر والمنافق کتابه فرای في کتابه سیاته اسود وجهه
ویقال ان ذلك عند المیزان اذا رجحت حسناته ابیض وجهه واذا رجحت
سیاته اسود وجهه ویقال عند قوله وامتازوا الیوم ایها المجرمون ویقال
اذا کان یوم القیامة یومر کل فریق بان یجتمع الی معبوده فاذا انتهوا الیه

نفوس

حزنوا واسودت وجوههم فيبقى المومن واهل الكتاب والمنافقون فيقول الله تعالى للمومنين ان ربكم فيقولون ربنا الله عز وجل فيقول لهم اتعرفونه اذا رايتموه فيقولون سبحانه اذا عرفنا عرفناه فيرونه كما شا الله تعالى فيخر المومنون سجدا لله تعالى فتبيض وجوههم مثل الثلج بياضا ويبقى المنافقون واهل الكتاب لا يقدرون على السجود فيحزنوا وتسود وجوههم وذلك قوله عز وجل يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ويجوز تبيض وتسود بكسر التا لانك تقول ابيضت فتكسر التا كما تكسر الالف وهي لغة تميم وبها قرا يحيى بن وثاب وقرا الزهري تبياض وتسواد ويجوز كسر التا ايضا ويجوز يوم وجوه على تذكير الجمع ويجوز اوجوه مثل اقتت وابيضاض الوجوه اشراقها بالنعيم واسودادها هو ما يرهقها من العذاب الاليم الثانية واختلفوا في التعيين فقال ابن عباس تبيض وجوه اهل السنة وتسود وجوه اهل البدعة قلت وقول ابن عباس هذا رواه مالك بن سليمان الهروي اخو غسان عن مالك بن انس عن مالك بن انس عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قال يعني تبيض وجوه اهل السنة وتسود وجوه اهل البدع ذكره ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب وقال فيه منكر من حديث مالك عطا تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه قريظة والنضير وقال ابي بن كعب الذين اسودت وجوههم الكفار وقيل لهم اكفرتم بعد ايمانكم لاقرارهم حين اخرجهم من ظهر ادم كالذر وهذا اختيار الطبري الحسن هي في المنافقين قتادة في المرتدين عكرمة هولا قوم من اهل الكتاب كانوا مصدقين بانبيائهم مصدقين بمحمد عليه السلام قبل ان يبعث فلما بعثه [illegible]

به فذلك قوله اكفرتم بعد ايمانكم وهذا اختيار الزجاج ملك بن
انس هي في اهل الاهوا ابو امامه الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انها الحروريه وفي خبر اخر عن النبي صلى الله عليه وسلم هي في القدريه
روى الترمذي عن ابي غالب قال راى ابو امامه روسا منصوبه على
درج دمشق فقال ابو امامه كلاب النار شر قتلى تحت اديم السما
خير قتلى من قتلوه ثم قرا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الى اخر
الايات قلت لابي امامه انت سمعته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لو لم اسمعه الا مره او مرتين او ثلاثا حتى عد سبعا ما حد ثتكموه
قال هذا حديث حسن وفي صحيح البخاري سهل بن سعد قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم اني فرطكم على الحوض من مر على شرب
ومن شرب لم يظما ابدا ليردن على اقوام اعرفهم ويعرفوني
ثم يحال بيني وبينهم قال ابو حازم فسمعني النعمان بن ابي عياش
فقال هكذا سمعت من سهل فقلت نعم فقال اشهد على ابي سعيد
الخدري لسمعته وهو يزيد فيها فاقول انهم مني فيقال انك
لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدي
وعن ابي هريره انه كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يرد على الحوض يوم القيمه رهط من اصحابي فيحلون عن الحوض
فاقول يا رب اصحابي فيقول انك لا علم لك بما احدثوا عنك انهم
ارتدوا على ادبارهم القهقرى والاحاديث في هذا المعنى
كثيره فمن غير وبدل وابتدع في دين الله ما لا يرضاه الله ولم ياذن
به فهو من المبعدين عنه المسودين الوجوه

واشدهم طردا وبعادا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج
على اختلاف فرقها والروافض على تباين ضلالها والمعتزلة على اصناف
اهوايها فهولاكلهم مبدلون ومبتدعون ولذلك الظلمة المسرفون
في الجور والظلم وتطميس الحق وقتل اهله واذلالهم والمعلنون
بالكباير بالمعاصي وجماعة اهل الزيغ والاهوا والبدع يخاف
عليهم ان يكونوا معنوا بالايه والخبر كما بينا ولا يخلد في النار
الا كافر جاحد ليس في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان وقد قال
بن القاسم وقد يكون من غير اهل الاهوا من هو شر من اهل الاهوا
وكان يقال تمام الاخلاص تجنب المعاصي الثالثة قوله تعالى
فاما الذين اسودت وجوههم في الكلام حذف اي فيقال
لهم اكفرتم بعد ايمانكم يعني يوم الميثاق حين قالوا بلى ويقال
هذا لليهود كانوا مومنين بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث فلما
بعث كفروا به وقال ابو العاليه هذا للمنافقين يقول اكفرتم في
السر مع اقرارهم في العلانيه واجمع اهل العربيه على انه لابد من
الفا في جواب اما لان المعنى في قولك اما زيد فمنطلق مهما يكن من شي
فزيد منطلق وقوله واما الذين ابيضت وجوههم هولا اهل طاعة
الله تعالى والوفا بعهده ففي رحمة الله اي في جنته ودار كرامته خالدون
باقون جعلنا الله منهم وجنبنا طرق البدع والضلالات ووفقنا
طريق الذين امنوا وعملوا الصالحات امين قوله تعالى تلك ايات
الله ابتدا وخبر يعني القران نتلوها عليك يعني ينزل عليك جبريل
فيقروها عليك بالحق اي بالصدق وقال الزجاج تلك ايات

القران المذكوره

القران المذكور حجج الله ودلايله وقيل تلك بمعنى هذه ولكنها لما انقضت صارت داينا بعد ت فقيل تلك ويجوز ان يكون ايات الله بدلا من تلك ولا تكون نعتا لان المبهم لا ينعت بالمضاف وما الله يريد ظلما للعالمين يعني انه لا يعذبهم بغير ذنب ولله ما في السموات وما في الارض قال المهدوي وجه اتصال هذا بما قبله انه لما ذكر احوال المومنين والكافرين وانه لا يريد ظلما للعالمين وصله بذكر اتساع قدرته وغناه عن الظلم لكون ما في السموات وما في الارض في قبضته وقيل هو ابتدا كلام بين لعباده ان جميع ما في السموات وما في الارض له حتى يسالوه ويعبدوه ولا يعبدوا غيره قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس فيه ثلاث مسايل الاولى روى الترمذي عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول كنتم خير امة اخرجت للناس قال انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله قال هذا حديث حسن وقال ابو هريرة نحن خير الناس للناس نسوقهم بالسلاسل الى الاسلام وقال ابن عباس هم الذين هاجروا من مكة الى المدينة وشهدوا بدرا والحديبية وقال عمر بن الخطاب من فعل فعلهم كان مثلهم وقيل هم امة محمد صلى الله عليه وسلم يعني الصالحين منهم واهل الفضل وهم الشهدا على الناس يوم القيمة كما تقدم في البقرة وقال مجاهد كنتم خير امة اخرجت للناس على الشرايط المذكورة في الاية وقيل معناه في اللوح المحفوظ وقيل كنتم مذ امنتم امة وقيل جا ذلك لتقدم البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم وامته فالمعنى كنتم عند من تقدمكم من اهل الكتب خير امة

لمين

بن ح

ام

قال الاخفش يريد اهل امة اي خير اهل دين وانشد
حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وهل يا ثمن ذو امة وهو طايع وقيل
كان زايدة والمعنى خلقتم ووجدتم خير امة فخير امة حال وقيل
كان زايدة والمعنى انتم خير امة وانشد سيبويه وجيران
لنا كانوا كرام ومثله قوله تعالى كيف نكلم من كان في المهد صبيا
وقوله واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وقال موضع اخر واذكروا اذ
انتم قليل وروى سفيان عن ميسره الاشجعي عن ابي حازم عن ابي
هريرة كنتم خير امة اخرجت للناس قال تجرون الناس في السلاسل
الى الاسلام قال النحاس والتقدير على هذا كنتم للناس خير امة
وعلى قول مجاهد كنتم خير امة اذا كنتم تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وقيل انما صارت امة محمد صلى الله عليه وسلم خير
امة لان المسلمين منهم اكثر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر منهم
افشى فقيل هذا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم خير الناس قرني اي الذي بعثت فيهم والله
اعلم الثانية واذا ثبت بنص التنزيل ان هذه الامة خير الامم
فقد روى الايمة من حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
الحديث وهذا يدل على ان اول هذه الامة افضل ممن بعدها والى
هذا ذهب معظم العلما وان من صحب النبي صلى الله عليه وسلم وراه
ولو مرة من عمره افضل من كل من ياتي بعده وان فضيلة الصحبة
لا يعدلها عمل وذهب ابو عمر بن عبد البر الي انه

ياتي بعد الصحابه افضل ممن كان في جملة الصحابه وان قوله عليه السلام
خير الناس قرني ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن من الفاضل
والمفضول وقد جمع قرنه جماعة من المنافقين المظهرين للايمان
واهل الكباير الذين اقام او على بعضهم الحدود وقال لهم ما تقولون
في السارق والشارب والزاني وقال مواجهه لمن هو في قرنه لا
تسبوا اصحابي وقال لخالد بن الوليد في عمار لا تسب من هو خير
منك وروى ابو امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال طوبى لمن
راني وامن بي وطوبى سبع مرات لمن لم يرني وامن بي وفي
مسند ابي داود الطيالسي عن محمد بن ابي حميد عن زيد بن اسلم عن
ابيه عن عمه قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اتدرون اي الخلق افضل ايمانا قلنا الملايكه وحق لهم بل غيرهم قلنا الانبيا
قال وحق لهم بل غيرهم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل
الخلق ايمانا قوم في اصلاب الرجال يومنون بي ولم يروني يجدون
ورقا فيعملون بما فيها فهم افضل الخلق ايمانا وروى صالح بن جبير عن
ابي جمعه قال قلنا يا رسول الله هل احد خير منا قال نعم قوم يجيبون
من بعدكم فيجدون كتابا بين لوحين يومنون بما فيه ويومنون بي
ولم يروني قال ابو عمر ابو جمعه له صحبه واسمه حبيب بن سباع وصالح
بن جبير من ثقات التابعين وروى ابو ثعلبه الخشني عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان امامكم اياما الصابر فيهن على
دينه كالقابض على الجمر للعامل فيه اجر خمسين رجلا يعمل مثل عمله قيل
[illegible] منهم قال بل منكم قال ابو عمر هذه اللفظه قد

لون

لح

منكم قد سكت عنه بعض المحدثين فلم يذكرها وقال عمر بن الخطاب
في تاويل قوله كنتم خير امة اخرجت للناس قال من فعل مثل فعلهم
كان مثلهم فلا تعارض بين الاحاديث لان الاول على الخصوص والله الموفق
وقد قيل توجيه احاديث هذا الباب ان قرنه انما فضل لانهم كانوا غربا
في ايمانهم لكثرة الكفار وصبرهم على اذاهم وتمسكهم بدينهم وان اخر
هذه الامة اذا اقاموا الدين وتمسكوا به وصبروا على طاعة ربهم
في حين ظهور الشر والفسق والهرج والمعاصي والجبابرة كانوا ايضا عند
ذلك غربا وزكت اعمالهم في ذلك الوقت كما زكت اعمال اوايلهم ومما
يشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما
بدا فطوبى للغربا ويشهد له ايضا حديث ابي ثعلبة ويشهد له ايضا قوله
صلى الله عليه وسلم امتي كالمطر لا يدرى اوله خير ام اخره ذكره ابو داود
الطيالسي وابو عيسى الترمذي ورواه هشام بن عبيد الله الرازي عن مالك
عن الزهري عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل امتي مثل
المطر لا يدرى اوله خير ام اخره ذكره الدارقطني في مسند حديث
مالك قال ابو عمر هشام بن عبيد الرازي ثقة لا يختلفون في ذلك وروي
ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة كتب الى سالم بن عبد الله ان اكتب الي
بسيرة عمر بن الخطاب لاعمل بها فكتب اليه سالم ان عملت بسيرة عمر فانت
افضل من عمر لان زمانك ليس كزمان عمر ولا رجالك كرجال عمر قال وكتب
الى فقها زمانه فكلهم كتب اليه بمثل قول وقد عارض بعض الجلة من العلما
قوله صلى الله عليه وسلم خير الناس قرني بقوله صلى خير الناس من طال عمره
وحسن عمله وشر الناس من طال وسا عمله قال ابو عمر فهذه الاحاديث

تقتضي مع

تقضي مع تواتر طرقها وحسنها التسويه بين اول هذه الامة واخرها في
ذلك ما تقدم ذكره من الايمان والعمل الصالح في الزمان الفاسد الذي
رفع فيه اهل العلم والدين يكثر فيه الفسق والهرج ويذل المومن ويعز
الفاجر ويعود الدين غريبا كما بدا ويكون القايم فيه كالقابض على الجمر فيستوي
حينيذ اول هذه الامة باخرها في فضل العمل الا اهل بدر والحديبيه ومن تدبر
اثار هذا الباب بان له الصواب والله يوتي فضله من يشا الثالث قوله تعالى
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر مدح لهذه الامة ما اقاموا ذلك
واتصفوا به فاذا تركوا التغيير وتواطوا على المنكر زال عنهم اسم
المدح ولحقهم اسم الذم وكان ذلك سببا لهلاكهم وقد تقدم الكلام
في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اول السوره قوله تعالى وتومنون
بالله ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم اخبر ان ايمان اهل الكتاب بالنبي
صلى الله عليه وسلم خير لهم واخبر ان فيهم مومنا وفاسقا وان الفاسق
اكثر قوله تعالى لن يضروكم الا اذى يعني كذبهم وتحريفهم وبهتهم
لا انه يكون لهم الغلبه عن الحسن وقتادة فالاستثنا متصل والمعنى لن
يضروكم الا ضرا يسيرا فوقع الاذى موقع المصدر فالايه وعد من الله لرسوله
صلى الله عليه وسلم والمومنين ان اهل الكتاب لا يغلبوهم وانهم منصورون
عليهم لا ينالهم منهم اصطلام الا ايذا بالبهت والتحريف واما العاقبه
فتكون للمومنين وقيل هو منقطع والمعنى لن يضروكم البته لكن يوذونكم بما
يسمعونهم قال مقاتل ان روس اليهود كعب وعدي والنعمان وابو رافع وابو
ياسر وكنانه وابن صوريا عمدوا الى مومنيهم عبد الله بن سلام واصحابه
فاذوهم لاسلامهم فانزل الله لن يضروكم الا اذى يعني باللسان من الكلام

ثم قال وان يقاتلوكم يولوكم الادبار يعني منهزمين وتم الكلام ثم لا
ينصرون مستانف فلذلك ثبت فيه النون وفي هذه الاية معجزة للنبي صلى الله
عليه وسلم لان من قاتله من اليهود ولاه دبره قوله تعالى ضربت عليهم الذلة
يعني اليهود اينما ثقفوا اي وجدوا ولقوا وتم الكلام وقد مضى في البقرة معنى
ضرب الذلة عليهم الا بحبل من الله استثنا منقطع وليس من الاول اي
لكنهم يعتصمون بحبل من الله وحبل من الله يعني الذمة التي لهم والناس محمد صلى
الله عليه وسلم والمومنون يودون اليهم الخراج فيومنوهم وفي الكلام اختصار
والمعنى لا يعتصموا بحبل من الله فحذف عن الفرا وباوا بغضب من الله اي رجعوا
وقيل احتملوا واصله في اللغة انه لزمهم وقد مضى في البقرة ثم خبر لم فعل ذلك
بهم فقال ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبيا بغير حق
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وقد مضى في البقرة مستوفى ثم خبر فقال
ليسوا سوا وتم الكلام والمعنى ليس امة محمد واهل الكتاب وامة محمد صلى الله
عليه وسلم سوا عن ابن مسعود وقيل المعنى ليس المومنون والكافرون من اهل
الكتاب ودكر ابو خيثمة زهير بن حرب ثنا هشام بن القاسم ثنا شيبان
عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة صلاة
العشا ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال انه ليس من اهل
الاديان احد يذكر الله في هذه الساعة غيركم قال وانزلت هذه الاية
ليسوا سوا من اهل الكتاب امة قايمة الى قوله والله عليم بالمتقين وروي
عن ابن وهب نحوه وقال ابن عباس قول الله عز وجل من اهل الكتاب امة
قايمة يتلون ايات الله انا الليل وهم يسجدون من امن مع النبي صلى الله عليه
وسلم وقال ابن اسحق عن ابن عباس لما اسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن

سعيه

سعيد واسيد بن سعيه واسيد بن عبيد ومن اسلم من يهود فآمنوا وصدقوا
ورغبوا في الاسلام ونجحوا فيه قال احبار يهود واهل الكفر منهم ما امن بمحمد
ولا يتبعه الا شرارنا ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين ابايهم وذهبوا
الى غيره فانزل الله عز وجل في ذلك من قولهم ليسوا سوا من اهل الكتاب
امة قايمة يتلون ايات الله انا الليل وهم يسجدون الى قوله واوليك من الصالحين
وقال الاخفش التقدير من اهل الكتاب ذو امة اي ذو طريقة حسنة
وانشد ۞ وهل يأثمن ذو امة وهو طايع وقيل في الكلام حذف
والتقدير من اهل الكتاب امة قايمة واخرى غير قايمة فترك الاخرى
اكتفا بالاولى كقول ابي ذويب ۞ عصيت اليها القلب اني لامرها
مطيع فما ادري ارشد طلابها ۞ اراد ام غي فحذف قال الفرا
امة رفع بسوا والتقدير ليس يستوي امة من اهل الكتاب قايمة يتلون
ايات الله وامة كافرة قال النحاس وهذا القول خطا من جهات احدها انه رفع
امة بسوا فلا يعود على اسم ليس شي ويرفع بما ليس جاريا على الفعل ويضمر ما لا
يحتاج اليه لانه قد تقدم ذكر الكافرة فليس لاضمار هذا وجه وقال ابو عبيدة
هذا مثل قولهم اكلوني البراغيث وذهبوا اصحابك قال النحاس وهذا غلط
لانه قد تقدم ذكرهم واكلوني البراغيث لم يتقدم لهم ذكر وانا الليل ساعاته
واحدها اني وانى وهو منصوب على الظرف ويسجدون يصلون عن الفرا والزجاج
لان التلاوة لا تكون في الركوع والسجود نظيره قوله وله يسجدون اي يصلون
وفي الفرقان واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن وفي النجم فاسجدوا لله واعبدوا
وقيل يراد به السجود المعروف خاصة وسبب النزول يرده وان المراد صلاة
العتمة كما ذكرنا عن ابن مسعود فعبدة الاوثان نايمون حيث جن عليهم الليل

والموحدين قيام يتزيد الله في صلاة العشا يتلون ايات الله الاتري لما ذكر
قيامهم قال وهم يسجدون اي مع القيام ايضا الثوري الصلاة بين العشاين وقيل
هي في قيام الليل عن رجل من بني شيبه كان يدرس الكتب قال انا نجد كلاما من
كلام الرب عز وجل احسب راعي ابل او غنم اذا جنه الليل انجدك لمن هو قايم
وساجدا انا الليل يومنون بالله يعني يقرون بالله ومحمد صلى الله عليه وسلم ويامرون
بالمعروف قيل هو عموم وقيل يراد به الامر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم والنهي
عن المنكر النهي عن مخالفته ويسارعون في الخيرات التي يعملونها مبادرين
غير متثاقلين لمعرفتهم بقدر ثوابها وقيل يبادرون بالعمل قبل الفوت
واوليك من الصالحين اي مع الصالحين وهم اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم في الجنه وما تفعلوا من خير فلن تكفروه قرأ الاعمش وابن
وثاب وحمزة والكسائي وحفص وخلف بالياء فيهما اخبارا عن
الامة القائمة وهي قراءة ابن عباس واختيار ابي عبيد وقرا
الباقون بالتاء فيهما على الخطاب لقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت
للناس وهي اختيار ابي حاتم وكان ابو عمرو يرى القراتين جميعا
الياء والتاء ومعنى الاية وما تفعلوا من خير فلن يجحد ثوابه
بل يشكر لكم وتجازوا عليه قوله تعالى ان الذين كفروا اسم
ان والخبر لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا وقد
تقدم جميع هذا وخص الاولاد لانهم اقرب انسابه اليهم
واوليك اصحاب النار وخبر ولك وهم فيها خالدون قوله تعالى
مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح ما نصح
مصدرية ونصح الذون يعني الذي يا تعليب محدوفة اي

اي مثل

اي مثل ما ينفقونه ومعنى كمثل ريح كمثل مهلك ريح قال ابن عباس
والصر البرد الشديد وقيل اصله الصرير الذي هو من الصوت
فهو صوت الريح الشديد ابن الزجاج صوت لهب النار التي كانت
في تلك الريح وقد تقدم هذا المعنى في البقرة وفي الحديث انه
نهى عن الجراد الذي قتله الصر ومعنى الاية مثل نفقة الكافرين
في بطلانها وذهابها وعدم منفعتها كمثل زرع اصابه ريح باردة
او نار فاحرقته واهلكته فلم ينتفع اصحابه بشي بعد ما كانوا
يرجون عايدته ونفعه قال الله تعالى وما ظلمهم الله بذلك
ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفر والمعصية ومنع حق الله
تعالى وقيل ظلموا انفسهم بان زرعوا في غير وقت الزراعة او
في غير موضعها فادبهم الله تعالى لوضعهم الشي في غير موضعه
حكاه المهدوي قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
بطانة من دونكم الى قوله تعقلون فيه ست مسايل الاولى
اكد الله تعالى الزجر عن الركون الى الكفار وهو متصل
بما سبق من قوله ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب والبطانة
مصدر يسمى به الواحد والجمع وبطانة الرجل خاصته الذين
يستطيعون امره واصله من البطن الذي هو خلاف الظهر
وبطن فلان بفلان يبطن بطونا وبطانة اذا كان خاصا به
قال الشاعر اوليك خلصاني نعم وبطانتي وهم
عيبتي من دون كل قريب الثانية نهى الله سبحانه المومنين
بهذه الاية ان يتخذوا من الكفار واليهود واهل الاهوا دخلا

ما اشعر ابدا

وُلجاً يفا وضو لهم في الاراء ويسندون اليهم امورهم ويقال
كل من كان على خلاف مذهبك ودينك لا ينبغي لك ان تخاذنه
قال عن المرء لا تسال وسل عن قرينه فان القرين بالمقارن مقتد
وفي سنن ابي داود عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وروي عن ابن
مسعود انه قال اعتبروا الناس باخدانهم ثم بين المعنى الذي
لاجله نهى عن المواصلة فقال لا يالونكم خبالا يقول فسادا يعني
لا يتركون الجهد في فسادهم يعني انهم وان يقاتلوكم في الظاهر
فانهم لا يتركون الجهد في المنكر والخديعة على ما ياتي بيانه وروى
ابو امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا قال
هم الخوارج وروي ان ابا موسى الاشعري استكتب ذميا فكتب
اليه عمر يعنفه وتلا عليه هذه الاية وقدم ابو موسى الاشعري
على عمر رضي الله عنهما بحساب فاعجبه وجاء عمر كتاب فقال
لابي موسى اين كاتبك يقرأ هذا الكتاب على الناس فقال انه لا يدخل
المسجد فقال لم اجنب هو قال انه نصراني قال فانتهرني وقال لا
تدنهم وقد اقصاهم الله ولا تكرمهم وقد اهانهم الله ولا تامنهم
وقد خونهم الله وعن عمر رضي الله عنه قال لا تستعملوا اهل
الكتاب فانهم يستحلون الرشا واستعينوا على اموركم وعلى
رعيتكم بالذين يخشون الله تعالى وقيل لعمر ان ها هنا رجلا من
نصارى الحيرة لا احد اكتب منهم ولا اخط بقلم افلا يكتب عنك

فقال اذا

مطلب المرء على دين خليله

تعالى اذا اتخذ بطانة من دون المومنين فلا يجوز استكتاب اهل
اهل الذمة ولا غير ذلك من تصرفاتهم في البيع والشرا والاستنابة
اليهم قلت وقد انقلبت الاحوال في هذه الازمان باتخاذ اهل
الكتاب كتبة وامنا وتسودوا بذلك عن الجهلة الاغبيا من الولاة والا
روي البخاري عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة
تامره بالخير وتحضه عليه وبطانة تامره بالشر وتحضه عليه والمعصوم
من عصمه الله وروي انس بن ملك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تستضيئوا بنار المشركين ولا تنقشوا في خواتمكم عربيا فسره
الحسن بن ابي الحسن فقال اراد عليه السلام لا تستشيروا المشركين
في شي من اموركم ولا تنقشوا في خواتيمكم محمدا قال الحسن وتصديق
ذلك في كتاب الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم
الاية الثالثة قوله تعالى من دونكم يعني من سواكم قال
الفرا ويعملون عملا دون ذلك اي سوى ذلك وقيل من دونكم يعني
في السير وحسن المذهب ومعنى لا يالونكم خبالا لا يقصرون فيما
فيه الفساد عليكم وهو في موضع الصفة لبطانة من دونكم يقال
لا آلو جهدا اي لا اقصر والوت الوا قصرت وقال امرؤ
القيس وما المرء ما دامت حشاشة نفسه بمدرك
اطراف الخطوب ولا آل والخبال الخبل والخبل الفساد
وقد يكون ذلك في الافعال والابدان والعقول وفي الحديث
من اصيب بدم او خبل اي جرح يفسد العضو والخبل فساد

ولا تنقشوا في صح

الاعضا ورجل خبل ومخبل وخبله الحب اى افسده قال
اوس ابني لبيني لستم بيد الا يدا مخبوله العضد اى فاسد العضد
وانشد الفرا نظر بن سعد نظرة وبث بها كانت لصحبك والمطي خبالا اي فسادا وانتصب خبالا بالمفعول الثاني لان الالو يتعدى
الى مفعولين وان شئت على المصدر اي يخبلونكم خبالا وان شئت بنزع
الخافض اي بالخبال كما قالوا اوجعته ضربا وما في قوله ودّ وما عنتم
مصدرية اي ودّوا عنتم اي ما يشق عليكم والعنت المشقة وقد مضى
في البقرة الرابعة قوله تعالى قد بدت البغضا من افواههم
يعني ظهرت العداوة والتكذيب لكم من افواههم والبغضا البغض
وهو ضد الحب والبغضا مصدر مؤنث وخص الله تعالى الافواه
بالذكر دون الالسنة اشارة الى تشدقهم وثرثرتهم في افواههم
هذه فهم فوق المتستر الذي تبدو البغضا في عينيه ومن
هذا المعنى نهيه عليه السلام ان يشحي الرجل فاه في عرض اخيه
معناه ان يفتح يقال شحى الحمار فاه بالنهيق وشحا الفم نفسه وشحا
اللجام فم الفرس شحيا وجات الخيل شواحي فاتحات افواهها ولا
يفهم من هذا الحديث دليل خطاب على الجواز فياخذ احد في
عرض اخيه همسا فان ذلك محرم باتفاق من العلما وفي التنزيل ولا
يغتب بعضكم بعضا الاية وقال صلى الله عليه وسلم ان دماكم
واموالكم واعراضكم عليكم حرام فذكر الشحو انما هو اشارة الي
التشدق والانبساط فاعلم الخامسة وفي هذه الاية
دليل على ان شهادة العدو على العدو لا تجوز وبذلك قال اهل

اهل المدينة

اهل المدينه واهل الحجاز وروي عن ابي حنيفه جواز ذلك وحكى
ابن بطال عن ابن شعبان انه قال اجمع العلما انه قال لا تجوز شهادة
العدو على عدوه في شي وان كان عدلا والعداوة تزيل العدالة فكيف
بعداوة كافر السادسة قوله تعالى وما تخفي صدورهم اكبر اخبار
واعلام بانهم يبطنون من البغضا اكثر مما يظهرون بافواههم وقرا
عبد الله بن مسعود قد بدا البغضا بتذكير الفعل لما كانت
البغضا بمعنى البغض قوله تعالى ها انتم اولا تحبونهم
بعني المنافقين دليله قوله تعالى واذا لقوكم قالوا امنا قاله ابو
العالية ومقاتل والمحبة هنا بمعنى المصافاة اي انتم ايها المسلمون
تصافونهم ولا يصافونكم لنفاقهم وقيل المعنى تريدون لهم الاسلام
وهم يريدون لكم الكفر وقيل المراد اليهود قاله الاكثر والكتاب
اسم جنس قال ابن عباس يعني بالكتب واليهود يومنون بالبعض
كما قال تعالى واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نومن
بما انزل علينا ويكفرون بما وراه واذا لقوكم قالوا امنا اي
بمحمد وانه رسول صلى الله عليه وسلم واذا خلوا فيما بينهم عضوا
عليكم الانامل يعني اطراف الاصابع من الغيظ والحنق عليكم
فيقول بعضهم لبعض الا ترون هولا ظهروا واكثروا
والعض عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على انفاذه
ومنه قول ابي طالب يعضون غيظا خلفنا بالانامل
وقال اخر اذا راوني اطال الله غيظهم عضوا من
الغيظ اطراف الاباهيم يقال عض يعض عضا والعض بضم

العين علف اهل الامصار مثل الكسب والنوى المرضوخ تقول
منه اغض القوم اذا اكلت ابلهم الغض وبعير عاطى اي سمين
كانه منسوب له والغض بالكسر الداهي من الرجال والبليغ المنكر
وغض من نعل المغضب الذي فاته ما لا يقدر عليه وانزل به ما لا
يقدر على تغييره وهذا العض هو بالاسنان لعض اليد على اليد على
فائت قريب الفوت وكقرع السن النادمة الى غير ذلك من عد الحصى
والخط في الارض للهموم ويكتب هذا العض بالضاد الساقطة وعظ
الزمان بالظا المشالة كما قال وعظ زمان يا ابن مروان لم يدع
من المال الا مسحتا او مجلف وواحد الانامل انملة بضم الميم ويقال
بفتحها والضم اشهر وكان ابن الجوزا اذا تلى هذه الاية قال هم الاباضية
قال ابن عطية وهذه الصفة قد تترتب في اهل بدع من الناس الى يوم
القيمة قوله تعالى قل موتوا بغيظكم ان قيل كيف لم يموتوا
والله تعالى اذا قال للشي كن فيكون قيل عنه جوابان احدهما قاله
فيه الطبري وكثير من المفسرين هو دعا عليهم اي قل يا محمد ادام
الله غيظكم الى ان تموتوا فعلى هذا يتجه ان يدعى عليهم بهذا مواجهة
وغير مواجهة بخلاف اللعنة الثاني ان المعنى اخبرهم انهم لا
يدركون ما يوصلون فان الموت دون ذلك فعلى هذا زال معنى
الدعا وبقي معنى التقريع والاغاظة ويجري المعنى مع قول مسافر
ابن ابي عمرو ويتمنى في ارومتنا ونفقا عين من حسدا وينظر الى
هذا المعنى قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة
فليمدد بسبب الى السما ثم ليقطع قوله تعالى ان تمسسكم

حسنة

حسنه تسوهم قرا السلمي باليا والباقون بالتا واللفظ عام في كل ما
يحسن ويسو وما ذكر المفسرون من الخصب والجدب واجتماع المومنين
ودخول الفرقة بينهم غير ذلك من امثله وليس باختلاف والمعنى
في الاية ان من كانت هذه صفته من شدة العداوة والحقد والفرح
بنزول الشدايد بالمومنين لم يكن اهلا لان تتخذ بطانه لا سيما
في هذا الامر الجسيم من الجهاد الذي هو ملاك الدنيا والاخرة ولقد
احسن القايل كل العداوة قد ترجا افاقتها الا عداوة من عاداك
من حسد وان تصبروا اي على اذاهم وعلى الطاعة وموالات
المومنين وتتقوا لا يضركم كيدهم شيا يقال ضاره يضوره ويضيره
ضيرا وضورا فشرط تعالى نفي ضررهم بالصبر والتقوى
فكان ذلك تسليه للمومنين وتقويه لنفوسهم قراات
قرا الحرميان وابو عمرو ولا يضركم من ضار يضير كما ذكرنا ومنه
قوله تعالى لا ضير وحذفت اليا لالتقا الساكنين لانه لما حذفت
الضمه من الرا بقيت الرا ساكنة واليا ساكنة فحذفت اليا وكان
اولى بالحذف لان قبلها ما يدل عليها وحكى الكسايي انه سمع ضار
يضوره واجاز لا يضركم وزعم ان في قراءة ابي بن كعب لا يضوركم
وقرا الكوفيون لا يضركم بضم الرا وتشديدها من ضر يضر
ويجوز ان يكون مرفوعا على تقدير اضمار الفا والمعنى فلا يضركم
ومنه قول الشاعر من يفعل الخيرات الله يشكرها
هذا قول الكسايي والفرا ويكون مرفوعا على نية التقديم
[illegible] انك ان يصرع اخوك تصرع اي لا يضركم

ان تصبروا وتتقوا ويجوز ان يكون مجزوما وضمت الرا لالتقا الساكنين
على اتباع الضم وكذلك قراه من فتح الرا على ان الفعل مجزوم وفتح يضركم
لالتقا الساكنين لخفة الفتح رواه ابو زيد عن المفضل عن عاصم
حكاه المهدوي وحكى النحاس وزعم المفضل الضبي عن عاصم لا يضركم
بكسر الرا لالتقا الساكنين قوله تعالى واذ غدوت من اهلك
العامل في واذ فعل مضمر تقديره واذكر اذ غدوت يعني خرجت
بالصباح من اهلك من منزلك من عند عايشه تبوئ المومنين
مقاعد للقتال الايه هذه غزوة احد وفيها نزلت هذه الاية
كلها وقال مجاهد والحسن ومقاتل والكلبي هي غزوة الخندق وعن
الحسن ايضا يوم بدر والجمهور على انها غزوة احد يدل
عليه قوله تعالى اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا وهذا انما كان
يوم احد وكان المشركون قصدوا المدينه في ثلاثة الاف رجل
لياخذوا بثارهم في يوم بدر فنزلوا عند احد على شفير الوادي
بقناة مقابل المدينه يوم الاربعا الثاني عشر من شوال سنه ثلاث
من الهجره على راس احد وثلاثين شهرا من الهجره قاموا هنالك يوم
الخميس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينه فراى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في منامه ان في سيفه ثلمه وان بقرا له تذبح وانه
ادخل يده في درع حصينه فتاولها ان نفرا من اصحابه يقتلون
وان رجلا من اهل بيته يصاب وان الدرع الحصينه المدينه اخرجه
مسلم فكان كل ذلك على ما هو معروف من تلك الغزاة واصل
التبوي اتخاذ المنزل بوّاته منزلا اذا اسكنته اياه ومنه

ووه

قوله عليه السلام من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار
اي ليتخذ فيها منزلا فمعنى تبوي المومنين تتخذ لهم مصاف وذكر
البيهقي من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
رايت فيما يرى النايم كاني مردف كبشا وكان ظبة سيفي انكسرت
فاولت اني اقتل كبش القوم واولت كسر ظبة سيفي قتل
رجل من عترتي حمزه وقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
طلحه وكان صاحب اللوا وذكر موسى بن عقبه عن ابن شهاب
وكان حامل لوا المهاجرين رجل من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال انا عاصم ان شا الله لما معي فقال له طلحه
بن عثمان اخو شيبة بن عثمان هل لك يا عاصم في المبارزه قال
نعم فبدر ذلك الرجل فضرب بالسيف على راس طلحه
حتى وقع السيف في لحيته فقتله فكان قتل صاحب لوا
المشركين تصديقا لرويا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني مردف كبشا قوله تعالى اذ همت طايفتان منكم ان
تفشلا العامل في اذ تبوي او سميع عليم والطايفتان بنو
سلمه من الخزرج وبنو حارثه من الاوس وكانا جناحا العسكر
يوم احد ومعنى تفشلا اي تجبنا وفي البخاري عن جابر قال
فينا نزلت اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا والله وليهما قال
نحن الطايفتان بنو حارثه وبنوا سلمه وما نحب انها لم تنزل
لقول الله عز وجل والله وليهما وقيل هم بنو الحارث بن الخزرج
وبنو النبيت والنبيت هو عمرو بن مالك من بني الاوس والفشل

عبادة عن الجبن وكذلك هو في اللغة والهم من الطائفتين كان
بعد الخروج لما رجع عبد الله بن ابي بمن معه من المنافقين
فحفظ الله قلوبهم ولم يرجعوا فذلك قوله تعالى وليهما يعني
حافظ قلوبهما عن تحقيق هذا الهم وقيل اراد والتقاعد عن
الخروج وكان ذلك صغيرا منهم وقيل كان ذلك حديث نفس
منهم خطر ببالهم فاطلع الله نبيه عليه السلام فازدادوا
بصيرة ولم يكن ذلك الخذر مكتسبا لهم فعصمهم الله وذمر
بعضهم بعضا ونهضوا مع الله صلى الله عليه وسلم فمضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى اطل على المشركين وكان خروجه من
المدينة في الف فرجع عنه عبد الله بن ابي بن سلول بثلاث مايه
رجل مغاضبا اذ خولف رايه حين اشار بالقعود والقتال
من المدينة ان نهض اليهم العدو وكان رايه وافق راي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابا ذلك اكثر الانصار وسياتي ونهض
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين فاستشهد منهم من
اكرمه الله بالشهادة قال مالك رحمه الله قتل من المهاجرين يوم احد
اربعة ومن الانصار سبعون والمقاعد جمع مقعد وهو مكان
القعود وهذا بمنزلة مواقف ولكن لفظ القعود دال على الثبوت
لا سيما ان الرماة كانوا قعودا هذا معنى حديث غزاة احد
وسياتي من تفصيلها ما فيه شفا وكان مع المشركين مايه فرس
عليها خالد بن الوليد ولم يكن مع المسلمين يومئذ فرس وفيها
جرح صلى الله عليه وسلم في وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى

بحجر

بحر وهشمت البيضه راسه صلى الله عليه وجزاه عن امته ودينه
بافضل ما جزا به نبيا من انبيايه عن صبره وكان الذي تولى ذلك من
النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن قميئة الليثي وعتبه بن ابي وقاص
وقد قيل ان عبد الله بن شهاب جد الفقيه محمد بن مسلم بن شهاب
هو الذي شج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جبهته قال الواقدي
والمثبت عندنا ان الذي رمى في وجنتي النبي صلى الله عليه وسلم بن
قميه والذي رمى شفته واصاب رباعيته عتبه بن ابي وقاص
قال الواقدي باسناده عن نافع بن جبير قال سمعت رجلا
من المهاجرين يقول شهدت احدا فنظرت الى النبل ياتي من كل ناحيه
ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطها كل يصرف عنه ولقد رايت
عبد الله بن شهاب الزهري يقول يوميذ دلوني على محمد فلا نجوت
ان نجا ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه ما معه احد ثم
جاوزه فعاتبه في ذلك صفوان فقال والله ما رايته احلف
بالله انه منا ممنوع خرجنا اربعه فتعاهدنا وتعاقدنا على
قتله والبته الحجارة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
سقط في حفرة كان ابو عامر الراهب قد حفرها مكيدة
للمسلمين فخر عليه السلام على جنبه واحتضنه طلحه حتى قام
ومص مالك بن سنان والد ابي سعيد الخدري من جرح رسول
الله صلى الله عليه وسلم الدم ونشبت حلقتان من درع المغفر
في وجهه صلى الله عليه وسلم فانتزعهما ابو عبيده بن الجراح
عن هما بثنيته فسقطتا فما زال هتم بثنيته هتمه رضي الله

عنه وفي هذه الغزاة قتل حمزة رضي الله عنه قتله وحشي مملوكا
لجبير بن مطعم وقد كان جبير قال له ان قتلت محمدا جعلنا لك
اعنة الخيل وان قتلت علي بن ابي طالب جعلنا لك مائة ناقة كلها
سود الحدق وان انت قتلت حمزة فانت حر فقال وحشي
اما محمدا فعليه حافظ من الله لا يخلص اليه احد ما برز عليه رجل
الا قتله واما حمزة فرجل شجاع وعسى ان اصادفه فاقتله.
وكانت هند كلما تهيا وحشي او مر به قالت ايها يا ابا دسمة
اشف واشتف فكمن خلف صخرة وكان حمزة حمل على القوم من
المشركين فلما رجع من حملته ومر بوحشي زرقه بالمزراق فاصابه
فسقط منها رحمه الله ورضي عنه قال ابن اسحق بقرت هند
عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها ثم علت
على صخرة مشرفة فصرخت باعلا صوتها فقالت

نحن جزيناكم بيوم بدر   والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر   ولا اخي وعمه وبكر
شفيت نفسي وقضيت نذري   شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي علي عمري   حتى ترم اعظمي في قبري

فاجابتها هند بنت اثاثة ابن عباد بن عبد المطلب فقالت

خزيت في بدر وبعد بدر   يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر   بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفري   حمزة ليثي وعلي صقري
اذ رام شيب وابوك غدري   فخضبا منه ضواحي النحر

اما

ونذرك السوء

وبعد ذلك السنو فشربنذ ري   وقال عبد الله بن رواحه يبكي حمزه رضي
الله عنه   بكت عيني وحق لها بكاها   وما يغني البكا ولا العويل
على اسد الاله غداة قالوا   احمزه ذاكم الرجل القتيل
اصيب المسلمون به جميعا   هناك وقد اصيب به الرسول
ابا يعلى لك الاركان هدت   وانت الماجد البر الوصول
عليك سلام ربك في جنان   مخالطها نعيم لا يزول
الا يا هاشم الاخيار صبرا   فكل فعالكم حسن جميل
رسول الله مصطبر كريم   بامر الله ينطق اذ يقول
الا من مبلغ عني لويا   فبعد اليوم دائلة تدول
وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا   وقايعنا بها يشفى الغليل
نسيتم ضربنا في يوم بدر   غداة اتاكم الموت العجيل
غداة ثوى ابو جهل صريعا   عليه الطير حايمة تجول
وعتبة وابنه خرا جميعا   وشيبة عضه السيف الصقيل
ومتركنا امية مجلعبا   وفي حيزومه لدن نبيل
وهام بني ربيعة سايلوها   ففي اسيافنا منها فلول
الا يا هند لا تبدي شماتا   بحمزه ان عزكم ذليل
الا يا هند فابكي لا تملي   فانت الواله العبرى الهبول
ورثته ايضا اخته صفية وذلك مذكور في السيره رضي الله عنهم
اجمعين قوله تعالى وعلى الله فليتوكل المومنون فيه مسله
واحده وهو بيان التوكل والتوكل في اللغه اظهار العجز والاعتماد
على غيرك وواكل فلان اذا ضيع امره متكلا على غيره   واختلف

العلما في حقيقه التوكل فسيل عنه سهل بن عبد الله تعالى قال
فرقة الرضى بالضمان وقطع الطمع من المخلوقين وقال قوم التوكل
ترك الاسباب والركون الى مسبب الاسباب فاذا شغله السبب
عن المسبب زال عنه اسم التوكل قال سهل من قال التوكل يكون
ترك السبب فقد طعن في سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لان الله عز وجل يقول فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فالغنيمه
اكتساب وقال فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل
بنان هذا عمل وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد المحترف
وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرضون على السريه
قال غيره وهذا قول عامة الفقها وان التوكل على الله تعالى هو
الثقه بالله والايقان بان قضاوه ماض واتباع سنه نبيه عليه
السلام في السعي فيما لا بد منه من الاسباب من مطعم ومشرب
وتحرز من عدو واعداد الاسلحه واستعمالها تقتضيه سنه
الله المعتاده والى هذا ذهب محققوا الصوفيه لكنه لا يستحق
اسم المتوكل عندهم مع الطمانينه الى تلك الاسباب والالتفات
اليها بالقلوب فانها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا بل
السبب والمسبب فعل الله تعالى والكل منه وبمشيته ومتى
وقع من المتوكل ركون الى تلك الاسباب فقد انسلخ عن ذلك
الاسم ثم المتوكلون على حالين الاول حال المتوكل فلا يلتفت
الى شي من تلك الاسباب بقلبه ولا يتعاطاها الا بحكم الامر
الثاني حال غير المتمكن وهو الذي يقع له الالتفات الى الاسباب

المتمكن فيه

احيانا غير انه

احيانا غير انه يدفعها عن نفسه بالطرق العلمية والبراهين القطعية
والاذواق الحالية فلا يزال كذالك الى ان يرقيه حتى يرزقه الله
بجوده الى المقام المتمكن ويلحقه بدرجات العارفين **قوله**
تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة الى قوله مسومين
فيه ست مسايل **الاولى** قوله تعالى ولقد نصركم الله
ببدر كانت بدر يوم سبعة وعشرين من رمضان يوم جمعة
لثمانية عشر من الهجرة وبدر ماء هنالك وبه سمي الموضع وقال
الشعبي كان ذلك الماء لرجل من جهينة يسمى بدرا فيه سمي والاول
اكثر وقال الواقدي وغيره بدر اسم الموضع غير منقول
وسياتي قصة بدر في الانفال واذلة معناه قليلون وذلك انهم
كانوا ثلثمايه وثلاثة عشر او اربعة عشر رجلا وكان عدوهم ما
بين التسعمايه الى الالف واذلة جمع ذليل واسم الذل في هذا الموضع
مستعار ولم يكونوا في انفسهم الا اعزة ولكن نسبتهم الى عدوهم والى
جميع الكفار في اقطار الارض يقتضي عند التامل ذلتهم وانهم
يغلبون والنصر العون فنصرهم الله يوم بدر وقتل فيه صناديد
المشركين وعلى ذلك اليوم انبنى الاسلام وكان اول قتال قاتله
النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم عن بريدة قال غزا رسول الله صلى
الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة قاتل في ثمان منهن وفيه عن ابي اسحق
قال لقيت زيد بن ارقم فقلت له كم غزا النبي صلى الله عليه وسلم قال تسع
عشرة غزوة فقلت فكم غزوت انت معه قال سبع عشرة غزوة
قال فقلت فما اول غزاة غزا قال ذات العسير وهذا كله مخالف لما

هذا يحتاج اليها

عليه اهل التواريخ والسير قال محمد بن سعد في كتاب الطبقات له ان
عزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع وعشرون وسراياه
ست وخمسون وفي رواية ست واربعون والتي قاتل فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا واحدا والمريسيع والخندق
وخيبر وقريظه والفتح وحنين والطايف قال بن سعد هذا الذي
اجتمع لنا عليه وفي بعض الروايات انه قاتل في بني النضير وفي وادي القرى
منصرفه من خيبر وفي الغابة واذا تقرر هذا فقول زيد وبريده انما
اخبر كل واحد منهم عما في علمه او شاهده وقول زيد ان اول غزاة غزاها
ذات العشير يخالف ايضا لما قاله اهل التواريخ والسير قال محمد بن سعد
كان قبل غزوة العسيره ثلث غزوات يعني غزاها بنفسه وقال بن عبد البر
في كتاب الدرر في المغازي والسير اول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه
وسلم غزوة ودان غزاها بنفسه في صفر وذلك انه وصل الى المدينه لاثنتي
عشره ليله خلت من ربيع الاول اقام بها بقيه ربيع الاول وباقي العام
كله الى صفر من سنه اثنتين من الهجره ثم خرج في صفر المذكور واستعمل على
المدينه سعد بن عباده حتى بلغ ودان فوادع بني ضمره ثم رجع الى المدينه
ولم يلق حربا وهي المسماة بغزوة الابواء ثم اقام بالمدينه الى ربيع الاخر من
السنه المذكوره ثم خرج فيها واستعمل على المدينه السايب بن عثمان بن
مظعون حتى بلغ بواط من ناحيه رضوى ثم رجع ولم يلق حربا ثم اقام بها بقيه
ربيع الاخر وبعض جمادى الاول ثم خرج غازيا واستخلف على المدينه ابا سلمه
بن عبد الاسود واخذ على طريق ملك الى العسيره ذكر اسحق بن عمار بن ياسر
قال كنت انا وعلي بن ابي طالب رفيقين في غزوة العشيره من بطن ينبع فلما

نزلها

نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام بها شهرا فصالح بها بني مدلج وحلفاهم
من بني ضمرة فوادعهم قال لي علي بن ابي طالب هل لك يا ابا اليقظان ان ناتي هولا
نفر من بني مدلج يعملون في عين لهم ننظر كيف يعملون فاتيناهم فنظرنا اليهم
ساعة ثم غشينا النوم فعمدنا الى صور من النخل في دقعا من الارض فنمنا فيه
فوالله ما انبهنا الا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمه فجلسنا وقد تتربنا من
تلك الدقعا يومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا ابا تراب
فاخبرناه بما كان من امرنا فقال الا اخبركم باشقا الناس رجلين قلنا بلى يا رسو — ل الله
قال احيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه ووضع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على راسه حتى يبل منها هذه ووضع يده
على لحيته قال ابو عمر فاقام بها بقية جمادى الاولى وليالي من جمادى الاخرة
ووادع فيها بني مدلج ثم رجع ولم يلق حربا ثم كانت بعد ذلك غزوة بدر
الاولى بايام قلائل هذا الذي لا يشك فيه اهل التواريخ والسير فزيد
بن ارقم انما اخبر بما عنده والله اعلم ويقال ذات العشيرة بالسين
والشين ويزاد عليها ها فيقال العشيرة ثم غزوة بدر الكبرى وهي اعظم
المشاهد فضلا لمن شهدها وفيها امد الله بملائكته نبيه والمومنين في
قول جماعة العلما وعليه يدل ظاهر الاية لا في يوم احد ومن قال ان ذلك
كان يوم احد جعل قوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر الى قوله تشكرون
اعتراضا بين الكلامين هذا قول عامر الشعبي وخالفه الناس وتظاهرت
الروايات بان الملائكة حضرت يوم بدر وقاتلت ومن ذلك قول ابن
ابي اسيد مالك بن ربيعة لو كنت معكم الان ومعي بصري لاريتكم
الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا اشك ولا امترى رواه عقيل [illegible]

عن

علی بن حازم سلمه بن دینار قال بن ابی حاتم لا یعرف الزهری عن ابی حازم غیر
هذا الحدیث الواحد وابو اسید یقال انه اخر من مات من اهل بدر ذکره
ابو عمر فی الاستیعاب وغیره وفی صحیح مسلم من حدیث عمر بن الخطاب
قال کان یوم بدر نظر رسول الله صلی الله علیه وسلم الی المشرکین وهم الف
واصحابه ثلثمایه وسبعه عشر رجلا فاستقبل نبی الله صلی الله علیه وسلم
القبله ثم مد یدیه فجعل یهتف بربه اللهم انجز لی ما وعدتنی اللهم ان تهلك
هذه العصابه من اهل الاسلام لا تعبد فی الارض فما زال یهتف بربه مادا
یدیه مستقبل القبله حتی سقط رداوه عن منکبیه فاتاه ابو بکر فاخذ
رداه فالقاه علی منکبیه ثم التزمه من وراه وقال یا نبی الله کفاك مناشدتك
ربك فانه سینجز لك ما وعدك فانزل الله تعالی اذ تستغیثون ربکم فاستجاب
لکم انی ممدکم بالف من الملایکه مردفین فامده الله تعالی بالملایکه قال ابو ز
میل فحدثنی بن عباس قال رجل من المسلمین یومیذ یشتد فی اثر رجل من
المشرکین امامه اذ سمع ضربه بالسوط فوقه وصوت الفارس یقول
اقدم حیزوم اذ نظر الی المشرك امامه فخر مستلقیا فنظر الیه فاذا هو قد
حطم انفه وشق وجهه قال فاحضر ذلك اجمع فجا الانصاری فحدث ذلك
رسول الله صلی الله علیه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السما الثالثه
فقتلوا یومیذ سبعین واسروا سبعین فی ذکر الحدیث وسیاتی
تمامه فی اخر الانفال ان شا الله تعالی فتظاهرت السنه والقران علی ما
قاله الجمهور ولله الحمد وعن خارجه بن ابراهیم عن ابیه قال قال رسول الله
صلی الله علیه وسلم لجبریل من القایل یوم بدر اقدم حیزوم فقال جبریل یا محمد ما کل
اهل السما اعرف وعن علی رضی الله عنه انه خطب الناس فقال بینما انا بالقلیب

من قلیب

من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم ار مثلها قط ثم ذهبت ثم جاءت ريح شديدة لم ار مثلها قط الا التي كانت قبلها قال واظنه ذكر ثم جاءت ريح شديدة فكانت الريح الاولى جبريل نزل في الف من الملائكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في الف من الملائكة عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر عن يمينه وكانت الريح الثالثة اسرافيل نزل في الف من الملائكة عن ميسرة رسول الله صلى الله وانا في الميسرة وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال لقد رايتنا يوم بدر واحدنا يشير بسيفه الى راس المشرك فيقع راسه عن بدنه جسده قبل ان يصل اليه وعن الربيع بن انس قال كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الاعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد احترق ذكر جميعه البيهقي رحمه وقال بعضهم ان الملائكة كانوا يقاتلون وكانت ضربتهم في الجهات ظاهرة لان كل موضع اصابت ضربتهم اشتعلت بالنار في ذلك الموضع حتى ان ابو جهل قال لابن مسعود انت قتلتني انما قتلني الذي لم يصل سناني الى سنبك فرسه وان اجتهدت وانما كانت الفائدة في كثرة الملائكة لتسكين قلوب المومنين ولان الله تعالى جعل اولياء الملا ئكة مجاهدين الى يوم القيمة فكل عسكر صبر واحتسب تاتيهم الملائكة ويقاتلون معهم وقال ابن عباس ومجاهد لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون ولا يقاتلون انما يكونون عددا ومددا وقال بعضهم انما كانت الفائدة في كثرة الملائكة انهم كانوا يدعون ويسبحون والثواب للذين يقاتلون فعلى هذا لم تقاتل الملائكة يوم بدر وانما حضروا للدعا بالتثبت والاول اكثر قال قتادة كان هذا يوم بدر امدهم الله بالف ثم صاروا ثلا ثة

الاف من صار واخمسه الاف فذلك قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم
فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملايكه مردفين وقوله الن يكفيكم ان
يمدكم ربكم بثلاثه الاف من الملايكه منزلين وقوله بلى ان تصبروا وتتقوا
وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسه الاف من الملايكه على انهم
وعدهم فصدقهم الله يوم بدر وقال الحسن فهولا الخمسه الاف ردا للمومنين
الى يوم القيمه وقال الشعبي بلغ النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك على النبي
صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين فانزل الله تعالى الن يكفيكم الى قوله مسومين
فبلغ كرز الهزيمه فلم يمدهم ورجع فلم يمدهم الله بالخمسه الالف وكانوا قد
مدوا بالف وقيل انما وعد الله المومنين يوم بدر ان صبروا على طاعته واتقوا
محارمه ان يمدهم ايضا في حروبهم كلها فلم يصبروا ويتقوا محارمه الا في يوم
الاحزاب فامدهم حين حاصروا قريظه وقيل انما كان هذا يوم احد وعدهم
الله المدد ان صبروا فما صبروا فلم يمدوا بملك واحد ولو امدوا لما هزموا
قاله عكرمه والضحاك فان قيل فقد ثبت عن سعيد بن ابي وقاص انه قال رايت
عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض
يقاتلان اشد القتال ما رايتهما قبل ولا بعد قيل له لعل هذا مختصا بالنبي
صلى الله عليه وسلم خصه بملكين يقاتلان عنه ولا يكون هذا امدادا للصحابه
والله اعلم الثامنه نزول الملايكه سبب من اسباب النصر لا يحتاج
اليه الرب فانما يحتاج اليه المخلوق فليعلق القلب بالله وليثق به فهو الناصر
بسبب وغير سبب انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون قال لكن
يحب اخبر بذلك ليمتثل الخلق ما امرهم به من الاسباب التي قد خلت من قبل

مسومين فصبروا والمومنون يوم بدر واتقوا فامدهم الله بخمسه الاف من الملايكه

يقاتلان

ولن

ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا يقع ذلك في التوكل وهو رد على من قال
ان الاسباب انما سنت في حق الضعفا لا للاقويا فان النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه كانوا الاقويا وغيرهم الضعفا وهذا واضح ومد
في الشر ومد في الخير وقد تقدم في البقرة وقرا ابو حيوة منزلين بكسر الزا
مخففا يعني منزلين النصر وقرا ابن عامر مشدده الزاي مفتوحه على
التكثير بسم قال بلى وتم الكلام ان تصبروا شرطا اي على لقا العدو وتتقوا
عطف عليه اي معصيته والجواب يمددكم ومعنى من فورهم من
وجههم هذا عن عكرمه وقتاده والحسن والربيع والسدي وابن زيد
وقيل من غضبهم عن مجاهد والضحاك كانوا قد غضبوا يوم احد ليوم
بدر مما لقوا واصل الفور القصد الى الشي والاخذ فيه بجد وهو من
قولهم فارت القدر تفور فورا وفورانا اذا غلت والفور الغليان
وفار غضبه اذا جاش وفعله من فوره اي قبل ان يسكن والفواره
ما يفور من القدر وفي التنزيل وفار التنور وقال الشاعر قدرهم
فيها **الثالثة** قوله تعالى مسومين مسومين بفتح الواو واسم
مفعول وهي قراه ابن عامر وحمزه والكسائي ونافع اي معلمين بعلامات
ومسومين بكسر الواو واسم فاعل وهي قراه ابي عمرو وابن كثير وعاصم فيحتمل
من المعنى ما تقدم اي اعلموا انفسهم بعلامه واعلموا خيلهم ورجح الطبري
وغيره هذه القراه وقال كثير من المفسرين مسومين اي مرسلين خيلهم
في الغاره ذكر المهدوي هذا المعنى في مسومين بفتح الواو اي ارسلهم الله تعالى
على الكفار وقاله فورك ايضا وعلى القراه الاولى اختلفوا في سيما الملايكه فروي
عن علي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهما ان الملايكه اعتمت بعمايم بيض قد

غوري علينا

لي
دي

ارسلوها بين اكتافهم ذكره البيهقي عن ابن عباس وحكاه المهدوي عن الزجاج
الا جبريل فانه كان بعمامة صفرا على مثال الزبير بن العوام وقال ابن اسحق وقال
الربيع كانت سيماهم انهم كانوا على خيل بلق قال المولف رحمه الله ذكر البيهقي
عن سهل بن عوف رضي الله انه قال رايت يوم بدر رجالا بيضا على خيل بلق
بين السما والارض معلمين يقتلون ويأسرون فقوله معلمين يدل على ان الخيل
البلق ليست السيما والله اعلم وقال مجاهد كانت خيلهم مجزوزة الاذناب
والاعراف معلمة النواصي والاذناب بالصوف والعهن وروي عن
ابن عباس تسومت الملايكة يوم بدر بالصوف الابيض في نواصي الخيل واذنابها
وقال عباد بن عبد الله بن الزبير وهشام بن عروة والكلبي نزلت الملايكة
في سيما الزبير عليهم مرخاه على اكتافهم وقال ذلك عبد الله وعروه
ابنا الزبير قال عبد الله كانت ملاه صفرا اعتم بها الزبير قال الشيخ
رحمه الله فدلت الايه وهي الرابعة على اتخاذ الشارة والعلامة
للقبايل والكتايب يجعلها السلطان لهم لتتميز كل كتيبة وقبيلة من غيرها
عند الحرب وعلى فضل الخيل البلق لنزول الملايكة عليها قال الشيخ المولف
رحمه الله ولعلها نزلت عليهما موافقة لفرس المقداد فانه ابلق ولم يكن
لهم فرس غيره فنزلت الملايكة على الخيل البلق اكراما للمقداد كما نزل
جبريل معتجرا بعمامة صفرا على مثال الزبير والله اعلم ودلت الايه ايضا
وهي الخامسة على لباس الصوف وقد لبسه الانبيا والصالحون
روى ابو داود وابن ماجه واللفظ له عن ابي بردة عن ابيه قال قال ابي لو شهدتنا
ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اصابتنا السما لحسبت ان ريحنا
ريح الضان ولبس صلى الله عليه وسلم جبة من صوف ضيقة الكمين رواه

الايه ولبسها يونس عليه السلام رواه مسلم وسياتي للمعنى مزيد بيان
في النحل ان شاء الله تعالى **السادسة** قال الشيخ الموافق رحمه الله روا ما
ماذكر مجاهد من ان خيلهم كانت مجزوز الاذناب فبعيد فان في سنن
ابي داود عن عتبه بن عبد السلمي انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لا تقصوا نواصي الخيل ولا معارفها ولا اذنابها فان
اذنابها ومعارفها دفاوها ونواصيها معقود فيها الخير فقول مجاهد
يحتاج الى توقيف من ان خيل الملايكه كانت على تلك الصفه والله اعلم
ودلت الايه على حسن الابيض والاصفر من الالوان لنزول الملايكه بذلك
وقد قال بن عباس من لبس نعلا اصفر اقضيت حاجته وقال عليه
السلام البسوا من ثيابكم البياض فانه من خير ثيابكم وكفنوا فيه موتاكم
واما العمايم فتيجان العرب ولباسها روى ركانه صارع النبي صلى الله
عليه وسلم فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم قال ركانه وسمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول فرق ما بيننا وبين المشركين العمايم على القلانس اخرجه ابو
داود قال البخاري اسناده مجهول لا يعرف سماع بعضه من بعض
قوله تعالى وما جعله الله الا بشرى لكم الهاء للمدد وهو الملايكه
او للوعد او الامداد ودل عليه يمددكم او للتسويم او للانزال او العدد
على المعنى لان خمسة الاف عدد ولتطمين قلوبكم به لا اي ولتطمين
قلوبكم به جعله كقوله وزينا السما الدنيا بمصابيح وحفظا اي وحفظا
لها جعل ذلك وما النصر الا من عند الله يعني نصر المومنين ولا يدخل في
ذلك نصر الكافرين لان ما وقع لهم من غلبه انما هو املا محفوف بخذلان
وسوء عاقبه وخسران ليقطع طرفا من الذين كفروا اي بالقتل ونظم

الاية ولقد نصركم الله ببدر ليقطع وقيل المعنى وما النصر الا من عند الله
ليقطع ويجوز ان يكون متعلقا بيمددكم اي يمددكم ليقطع والمعنى من
قتل من المشركين يوم بدر عن الحسن وغيره السدي يعني به من قتل من
المشركين يوم احد وكانوا ثمانية عشر رجلا ومعنى يكبتهم يخزيهم
والكبوت الحزن روي عن النبي صلى الله عليه وسلم جا الى ابي طلحة فراى
ابنه مكبوتا فقال ما شانه قال مات بعيره واصله فيما ذكر بعض
اهل اللغة يكبدهم اي يصيبهم بالحزن والغيظ في اكبادهم فابدلت الدال
تا كما قلبت في سبت راسه وسبده اي حلقه فكبت الله العدو كبتا اذا
صرفه واذله وكبده ويقول العرب للعدو اسود الكبد قال الاعشى

لما احتشمت من اتيان قوم هم الاعدا والاكباد سود

كان الاكباد لما احترقت بشدة العداوة اسودت وقرا ابو مجلز
او يكبدهم بالدال والخائب المنقطع الامل خاب يخيب اذا لم ينل ما طلب
والخياب القدح لا يوري قوله تعالى ليس لك من الامر شي فيه ثلاث
مسايل الاولى ثبت في صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كسرت
رباعيته يوم احد وشج في راسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم
شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله فانزل ليس لك من
الامر شي وقال الضحاك هم النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو على المشركين فانزل
الله ليس لك من الامر شي وقيل استاذن في ان يدعو في استيصالهم فلما
امن كثير منهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن ابي جهل وغيرهم
وروي الترمذي عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو
على اربعة نفر فانزل الله ليس لك من الامر شي فهداهم الله للاسلام قال هذا

الله م

حديث

حديث حسن غريب صحيح وقوله او يتوب قيل هو معطوف على ليقطع
طرفا والمعنى ليقطع طايفه منهم او يخزيهم بالهزيمه او يتوب عليهم او
يعذبهم وقد تكون او هاهنا بمعنى حتى والا ان قال امرؤ القيس او
نموت فنعذرا قال علماونا قوله كيف يفلح قوم شجوا نبيهم استبعاد
لتوفيق من فعل ذلك به وقوله تعالى ليس لك من الامر شي تقريب لما
استبعده واطماع في اسلامهم ولما اطمع في ذلك قال صلى الله عليه
وسلم اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون كما في صحيح مسلم عن ابن مسعود
قال فاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيا من الانبيا ضربه
قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول رب اغفر لقومي
فانهم لا يعلمون قال علماونا فالحاكي في حديث ابن مسعود هو
الرسول عليه السلام وهو المحكي عنه بدليل ما قد جا صريحا مبينا
انه عليه لما كسرت ثنيته رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك
على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث
لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمو
فكانه عليه السلام اوحي اليه بذلك قبل وقوع قضيه احد
ولم يعين له ذلك النبي فلما وقع ذلك له تعين انه المعني بذلك
بدليل ما ذكرناه ويبينه ايضا ما قاله عمر له في بعض كلامه بابي
انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الايه ولو دعيت علينا
مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطي ظهرك وادمي وجهك
وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اغفر

لقومي فانهم قوم لا يعلمون وقوله اشتد غضب الله على قوم كسروا رباعية نبيهم يعني بذلك المباشرين لذلك وقد ذكرنا اسميهم على الاختلاف في ذلك وانما قلنا انه خصوص في المباشرين لانه قد اسلم جماعة ممن شهد والحمد لله وحسن اسلامهم **الثانية** زعم بعض الكوفيين ان هذه الاية ناسخة للقنوت الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله بعد الركوع في الركعة الاخيرة من الصبح واحتج بحديث ابن عمر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في صلاة الفجر بعد رفع راسه من الركوع قال اللهم ربنا ولك الحمد في الاخيرة ثم قال اللهم العن فلانا وفلانا فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شي او يتوب عليهم او يعذبهم الاية اخرجه البخاري واخرجه مسلم ايضا من حديث ابي هريرة اتم منه وليس هذا موضع نسخ وانما نبه الله نبيه على ان الامر لله يتوب على من يشا ويعجل العقوبة لمن يشا والتقدير ليس لك من الامر شي ولله ما في السموات وما في الارض دونك ودونهم يغفر لمن يشا ويتوب على من يشا فلا نسخ والله اعلم وبين بقوله ليس لك من الامر شي ان الامور بقضا الله وقدره ردا على القدرية وغيرهم **الثالثة** واختلف العلما في القنوت في صلاة الفجر وغيرها فمنع الكوفيين منه في الفجر وغيرها وهو مذهب الليث ويحيى بن يحيى الليثي الاندلسي صاحب مالك وانكره الشعبي وفي الموطا عن ابن عمر انه كان لا يقنت في شي من الصلاة وروى النساي اخبرنا قتيبة عن خلف عن ابي مالك الاشجعي عن ابيه قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقنت وصليت خلف ابي بكر فلم يقنت وصليت خلف عمر فلم

يقنت

يقنت وصليت خلف عثمان فلم يقنت وصليت خلف علي فلم يقنت
ثم قال يا بني انها بدعة وقيل يقنت في الفجر دايما وفي ساير الصلوات
اذا نزل بالمسلمين نازلة قاله الشافعي والطبري وقيل هو مستحب
في صلاة الفجر روي عن الشافعي وقال الحسن وسحنون انه سنة وهو
مقتضى رواية علي بن زياد عن ملك باعادة تاركه للصلاة
عمدا وحكى الطبري الاجماع على تركه غير مفسد للصلاة وعن الحسن
في تركه سجود السهو وهو احد قولي الشافعي وذكر الدارقطني عن
سعيد بن عبد العزيز فيمن نسي القنوت في صلاة الصبح قال يسجد سجد
السهو واختار ملك قبل الركوع وهو قول اسحق وروي ايضا عن
ملك بعد الركوع وروي عن الخلفا الاربعة وهو قول الشافعي
واحمد واسحق ايضا وروي عن جماعة من الصحابة التخيير في ذلك وروى
الدارقطني باسناد صحيح عن انس انه قال ما زال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقنت في صلاة الغداة حتى فارق الدنيا وذكر ابو داود
في المراسيل عن خالد بن ابي عمران قال بينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدعو على مضر اذ جاه جبريل فاومى اليه ان اسكت فسكت فقال
يا محمد ان الله لم يبعثك سبابا ولا لعانا وانما بعثك رحمة ولم يبعثك
عذابا ليس لك من الامر شي او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون
قال ثم علمه هذا القنوت اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونو
ونخشع لك ونخلع ونترك من يكفرك اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد
واليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى ونخاف عذابك الجد ان
عذابك بالكافرين ملحق قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا

الربا اضعافا مضاعفة هذا النهي عن اكل الربا اعتراض بين اثنا قصص
احد قال بن عطية ولا احفظ في ذلك شيا مرويا قال الشيخ المولف
رحمه الله قال مجاهد كانوا يبيعون البيع الى اجل فاذا جا الاجل
زادوا على الثمن على ان يوخروا فانزل الله تعالى لا تاكلوا الربا اضعافا
مضاعفة قال الشيخ رحمه الله انما خص الربا من بين ساير المعاصي
لانه الذي اذن الله فيه بالحرب في قوله فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب
من الله ورسوله والحرب يوذن بالقتل فكانه يقول ان لم تتقوا الربا
هزمتم وقتلتم فامرهم بترك الربا لانه كان معمولا به عندهم والله اعلم
واضعافا نصب على الحال مضاعفة نعته وقرى مضعفة ومعناه
الربا التي كانت العرب تضعف فيه الدين فكان الطالب يقول
انقضي ام تزد كما تقدم في البقرة ومضاعفة اشارة الى تكرار
التضعيف عاما بعد عام كما كانوا يصنعون فدلت هذه العبا
رة المؤكدة على شنعة فعلهم وقبحه ولذلك ذكرت حال التضعيف
خاصة قوله تعالى واتقوا الله اي في اموال الربا فلا تاكلوها
ثم خوفهم تعالى واتقوا النار التي اعدت للكافرين قال كثير من
المفسرين وهذا الوعيد لمن استحل الربا ومن استحل الربا فانه
يكفر وقيل معناه اتقوا الربا الذي ينزع منكم الايمان فتستوجبوا
النار لان من الذنوب ما يستوجب به صاحبه نزع الايمان
ويخاف عليه من ذلك عقوق الوالدين وقد جا في ذلك اثر ان رجلا
كان عاقا لوالديه يقال له علقمة فقيل له عند الموت قل لا اله الا الله
فلم يقدر على ذلك حتى جاته امه فرضيت عنه ومن ذلك قطيعة

الرحم

الرحم واكل الربا والخيانه وذكر ابو بكر الوراق عن ابي حنيفه انه قال
اكثر ما ينزع الايمان من العبد عند الموت ثم قال ابو بكر فنظرنا في الذنوب
التي تنزع الايمان فلم نجد شيا اسرع نزعا للايمان من ظلم العباد وفي هذه
الايه دليل على ان النار مخلوقه ردا على الجهميه لان المعدوم لا يكون
معدا ثم قال واطيعوا الله والرسول يعني اطيعوا الله في الفرايض
والرسول في السنن وقيل اطيعوا الله في تحريم الربا والرسول
فيما بلغكم من التحريم لعلكم ترحمون اي يرحمكم الله وقد تقدم

قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات
والارض فيه مسالتان **الاولى** قوله تعالى وسارعوا الى قرا نافع
وابن عامر سارعوا بغير واو وكذلك هي في مصاحف اهل المدينه واهل
الشام وقرا باقي السبعه وسارعوا بالواو وقال ابو علي كلا الامرين
سايغ مستقيم لمن قرا بالواو فلانه عطف الجمله على الجمله ومن ترك الواو
فلان الجمله الثانيه ملتبسه بالاولى مستغنيه بذلك عن العطف
بالواو والمسارعة المبادره وهي مفاعله وفي الايه حذف اي سارعوا
الى ما يوجب المغفرة من ربكم معناه الى تكبيرة الاحرام وقال
علي بن ابي طالب الى اداء الفرايض عثمان بن عفان الاخلاص الكلبي الى
التوبه من الربا وقيل الى الثبات في القتال وقيل غير هذا والايه
عامه في الجميع ومعناها معنى فاستبقوا الخيرات وقد تقدم
الثانيه قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض تقديره
كعرض فحذف المضاف لقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحده
اي الا كخلق نفس واحده وبعثها وقال الشاعر ◦ حسبت بغام

وفي الطاعة قال انس بن مالك وعكرمه
وفي تفسير سارعوا الى مغفرة من ربكم

١

راحلتي عناقا وما هي ويب غيرك بالعناق يريد صوت عناق

في سورة الحديد وجنة عرضها كعرض السما والارض واختلف العلماء في
تاويله فقال ابن عباس تقرن السموات والارض بعضها الي بعض كما
يبسط الثياب ويوصل بعضها ببعض فذلك عرض الجنة ولا يعلم
طولها الا الله وهذا قول الجمهور وذلك لا ينكر فان في حديث ابي
ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع والارضون السبع
في الكرسي الا كدراهم القيت في فلاة من الارض فهذه مخلوقات اعظم
بكثير جدا من السموات والارض وقدرة الله اعظم من ذلك كله وقال
الكلبي الجنان اربعة جنة عدن وجنة الماوي وجنة الفردوس وجنة
النعيم كل جنة منها كعرض السماوات والارض لو وصل بعضها ببعض وقال
اسماعيل السدي لو كسرت السموات والارض وصرن خردلا فبكل
خردلة جنة عرضها كعرض السموات والارض وفي الصحيح ان ادنى
اهل الجنة منزلة من يتمنى ويتمنى حتى اذا انقطعت به الاماني قال
الله لك ذلك مثله وعشر امثاله رواه ابو سعيد الخدري خرجه مسلم
وغيره وقال يعلى بن ابي مرة لقيت التنوخي رسول هرقل الى النبي صلى الله
عليه وسلم بحمص شيخا كبيرا قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب
هرقل فتناول الصحيفة رجلا عن يساره قال فقلت من صاحبكم
الذي يقرا قالوا معاوية فاذا كتاب صاحبي انك كتبت تدعوني الى جنة
عرضها السموات والارض فاين النار فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جا النهار وبمثل هذه الحجة استدل
الفاروق على اليهود حين قالوا ارايت قولكم وجنة عرضها السموات

والارض

والارض فاين النار فقالوا لقد نزعت بما في التوراه ونبه تعالى بالعرض
على الطول لان الغالب ان الطول يكون اكثر من العرض والطول اذا لم
يدل على قدر العرض قال الزهري انما وصف عرضها فاما الطول فلا يعلمه
الا الله تعالى وهذا كقوله تعالى متكين على فرش بطاينها من استبرق
فوصف البطاين باحسن ما يعلم من الزينه ومعلوم ان الظواهر تكون احسن
واتقن من البطاين وتقول العرب بلاد عريضه وفلاة عريضه اي واسعه
قال الشاعر كان بلاد الله وهي عريضه على الخايف المطلوب كفة حابل
وقال قوم الكلام جار على مقطع العرب من الاستعاره فلما كانت الجنه
من الاتساع والانفساح في غاية قصوى حسنت العباره عنها بعرض
السموات والارض كما تقول لرجل هذا بحر ولشخص كبير من الحيوان
هذا جبل ولم تقصد الايه تحديد العرض ولكنه اراد بذلك انها
اوسع شي رايتموه وعامه العلما على ان الجنه موجوده مخلوقه لقوله
اعدت للمتقين وهو نص حديث الاسرا وغيره في الصحيحين وغيرهما
وقالت المعتزله انهما غير مخلوقتين في وقتنا وان الله تعالى اذا
طوى السما والارض ابتدا خلق الجنه والنار حيث شا لانهما دار جزا
بالثواب والعقاب فخلقتا بعد التكليف في وقت الجزا لان لا يجتمع دار
التكليف ودار الجزا في الدنيا كما لم يجتمعا في الاخره وقال ابن فورك الجنه
يزاد فيها الى يوم القيامه قال ابن عطيه وفي هذا متعلق لمنذر بن سعيد وغيره
ممن قال ان الجنه لم تخلق بعد قال ابن عطيه وقول ابن فورك يزاد فيها اشارة
الى موجود لكنه يحتاج الى مسند يقطع العذر في الزيادة قال الشيخ المولف
رحمه الله صدق ابن عطيه رضي الله عنه فيما قال واذا كانت السموات

السبع والارضون السبع بالنسبه الى الكرسي كدراهم القيت في فلاه من الارض والكرسي بالنسبه الي العرش كحلقه ملقاه بارض فلاه فالجنه الان علي ما هي في الاخره عرضها كعرض السما والارض اذ العرش سقفها حسب ما ورد في صحيح الحديث ومعلوم ان السقف يحتوى على ما تحته ويزيد لمقدرانه واذا كانت المخلوقات كلها بالنسبه اليه كحلقه فمن ذا الذى يقدره ويعلم طوله وعرضه الا الله خالقه الذى لا نهايه لمقدرانه ولا غايه لسعة مملكته سبحانه وتعالى قوله تعالى الذين ينفقون في السرا والضرا والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس فيه اربع مسايل الاولى قوله الذين ينفقون هذا من صفه المتقين الذين اعدت لهم الجنه وظاهر الايه انها مدح بفعل المندوب اليه والسرا اليسر والضرا العسر قاله ابن عباس والكلبى ومقاتل وقال عبيد بن عمير والضحاك السرا والضرا الرخا والشده ويقال في حال الصحه والمرض وقيل في السرا في الحياه وفي الضرا يعني يوصي بعد الموت وقيل في السرا من العرس والولايم وفي الضرا من النوايب والماتم وقيل في السرا النفقه التى تسركم مثل النفقه على الاولاد والقرابات والضرا على الاعدا ويقال في السرا ما يضيف به الغني ويهدي اليه والضرا ما ينفقه علي اهل الضر ويتصدق به عليهم قال الشيخ المولف رحمه الله والايه تعم ثم قال تعالى والكاظمين الغيظ وهي المسله الثانيه وكظم الغيظ رده في الجوف يقال كظم غيظه اي سكت عليه ولم يظهره مع قدرته على ايقاعه بعدوه وكظمت السقا اى ملاته وسددت عليه والكظامه ما يسد به مجرى الما ومنه الكظام للسير الذى يشد به فم الزق والقربه وكظم

البعير جرته

خامس عشر

البعير جرته اذا ردها الى جوفه وقد يقال لحبسه الجرة قبل ان
يرسلها الى فيه كظم حكاه الزجاج يقال كظم البعير والناقة اذا لم
يجترا ومنه قول الراعي الحقيل موضع والحقيل نبت قال فافضن
بعد كظومهن بجرة من ذي الاباطح اذ رعين حقيلا وقد قيل انما يفعل
ذلك عند الفزع والجهد فلا يجتره قال الاعشى يا هله يصف رجلا نحارا
للابل فهي تفزع منه قد تكظم البزل منه حين تبصره حتى تقطع في اجوا
فها الجرر يعني تدع الاجترار حين تنظره ورجل كظيم ومكظوم اذا كان ممتليا
غما وحزنا وفي التنزيل وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ظل وجهه
مسودا وهو كظيم اذ نادى وهو مكظوم والغيظ اصل الغضب
وكثيرا ما يتلازمان لكن فرقا ما بينهما ان الغيظ لا يظهر على الجوارح
خلاف الغضب فانه يظهر في الجوارح مع فعل ما ولا بد ولهذا جا
اسناد الغضب الى الله تعالى اذ هو عبارة عن افعاله في المغضوب عليهم
وقد فسر بعض الناس الغيظ بالغضب وليس بجيد **الثالثة** قوله
تعالى والعافين عن الناس العفو عن الناس اجل ضروب فعل الخير حيث
يجوز للانسان ان يعفو وحيث يتجه حقه وكل من استحق عقوبة فتركت
له فقد عفي عنه واختلف في معنى عن الناس فقال ابو العالية والكلبي
والزجاج والعافين عن الناس يريد عن المماليك قال ابن عطيه وهذا
حسن على جهة المثال اذهم للخدمة فهم مذنبون كثيرا والقدرة عليهم
متيسرة وانفاذ العقوبة سهل فلذلك مثل هذا المفسر به روي عن
ميمون بن مهران ان جارية جات ذات يوم بصحفة فيها مرقة حارة وعنده
اضياف فعثرت فصبت المرقة عليه فاراد ميمون ان يضربها فقالت الجارية

يا مولاي اسمع قول الله تعالى والكاظمين الغيظ قال لها قد فعلت فقالت اعمل بما بعده والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قالت الجاريه والله يحب المحسنين قال الميمون قد احسنت اليك فانت حره لوجه الله تعالى وروي
الاحنف بن قيس نحوه وقال زيد بن اسلم والعافين عن الناس عن من ظلمهم واساء اليهم وهذا عام وهو ظاهر الايه وقال مقاتل بن حيان في هذه
الايه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عند ذلك ان هولا من امتي قليل الا من عصمه الله وقد كانوا كثير في الامم التي مضت فمدح الله
سبحانه الذين يغفرون عند الغضب واثنى عليهم فقال واذا ما غضبوا
هم يغفرون واثنى على الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس واخبر انه يحبهم
باحسانهم في ذلك ووردت في كظم الغيظ والعفو عن الناس وملك النفس
عند الغضب احاديث وذلك من اعظم العباده وجهاد النفس فقال
صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعه ولكن الشديد الذي يملك
نفسه عند الغضب وقال عليه السلام ما من جرعه يتجرعها العبد خيرا
له واعظم اجرا من جرعه غيظ في الله وروي انس ان رجلا قال يا رسول الله
ما اشد من كل شي قال غضب الله قال فما ذا ينجي من غضب الله قال لا تغضب
وقال العرجي واذا غضبت فكن وقورا كاظما للغيظ تبصر ما تقول
وتسمع فكفى به شرفا تصبر ساعه يرضا بها عنك الاله ويدفع وقال
عروه بن الزبير في العفو لن يبلغ المجد اقوام وان شرفوا حتى يذلوا
وان عزوا الاقوام ويشتموا فترى الالوان مشرقه لا عفو ذل ولكن
عفو الرام وروي ابو داود وابو عيسى الترمذي عن سهل بن معاذ
بن انس الجهني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع

ان يتقدم دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في اي الحور شا
قال هذا حديث حسن غريب وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان اجره على الله فليدخل الجنة
فيقال من ذا الذي اجره على الله فيقوم العافون عن الناس يدخلون الجنة بغير
حساب ذكره الماوردي وقال ابن المبارك كنت عند المنصور
جالسا فامر بقتل رجل فقلت يا امير المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد بين يدي الله عز وجل من كانت له
عند الله يد فليتقدم فلا يتقدم الا من عفا عن ذنب فامر باطلاقه
الرابعة والله يحب المحسنين اي يثيبهم على احسانهم قال سري
السقطي الاحسان ان تحسن وقت الامكان فليس كل وقت يمكنك الاحسان
قال الشاعر بادر بخير اذا ما كنت مقتدرا فليس في كل حين انت
مقتدر وقال ابو العباس الجماني فاحسن ليس في كل ساعة
واوان تتهيا صنائع الاحسان واذا امكنت فبادر اليها حذرا
من تعذر الامكان وقد مضى في البقرة القول في المحسن والاحسان
فلا معنى للاعادة **قوله** تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله
وهم يعلمون فيه سبع مسائل **الاولى** قوله تعالى والذين اذا فعلوا
فاحشة ذكر الله تعالى في هذه الاية صنفا هم دون الصنف الاول
فالحقهم به برحمته ومنه فهؤلاء هم التوابون قال ابن عباس في رواية
عطاء نزلت هذه الاية في نبهان التمار وكنيته ابو مقبل اتته امراة حسناء
باع منها تمرا فضمها الى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فاتى النبي صلى الله
عليه وسلم وذكر ذلك له فنزلت هذه الاية وذكر ابو داود الطيالسي

في مسنده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال حدثني ابو بكر وصدق ابو بكر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضأ
ويصلي ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم تلى هذه الايه والذين
اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الايه والاية
الاخرى ومن يعمل سوا او يظلم نفسه وخرجه الترمذي وقال حديث حسن
وهذا عام وقد نزلت الايه لسبب خاص ثم تعم جميع من فعل ذلك
او اكثر منه وقد قيل ان سبب نزولها ان ثقيفا خرج في غزاة وخلف
صاحبا له انصاريا على اهله فخانه فيها بان اقتحم عليها فدفعت عن نفسها
فقبل يدها ثم ندم على ذلك فخرج يسيح في الارض نادما تائبا فجاء
الثقفي فاخبرته زوجته بفعل صاحبه فخرج في طلبه فاتى به الى ابي بكر
وعمر رجاء ان يجد عندهما فرجا فوبخاه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
بفعله فنزلت والعموم اولى للحديث وروي عن ابن مسعود ان الصحابة
قالوا يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله منا حيث كان
المذنب منهم تصبح عقوبته على باب داره وفي روايه كفارة ذنبه ملتوبة
على عتبة داره اجدع انفك اقطع اذنك افعل كذا فانزل الله هذه توسعة
ورحمة وعوضا من ذلك الفعل بني اسرائيل والفاحشة تنطلق على
كل معصية وقد كثر اختصاصه بالزنا حتى فسر جابر بن عبد الله والسدي
هذه الايه بالزنا واو في قوله او ظلموا انفسهم قيل هي بمعنى الواو والمراد
ما دون الكبائر ذكروا الله معناه بالخوف من عقابه والحيا منه الضحاك
ذكروا العرض الاكبر على الله وقيل تفكروا في انفسهم ان الله سايلهم عنه
قاله الحلبي ومقاتل وعن مقاتل ايضا ذكروا الله باللسان عند الذنوب

فاستغفروا

فاستغفروا الذنوبهم اي طلبوا الغفران لاجل ذنوبهم وقد دعا
فيه هذا المعنى ولفظه نحو استغفار وتقدم في صدر هذه السورة
سيد الاستغفار وان وقته الاسحار فالاستغفار عظيم وثوابه
جسيم حتى لقد روى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال
استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه غفر له وان كان قد فر
من الزحف وروى مكحول عن ابي هريرة قال ما رايت اكثر استغفارا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مكحول ما رايت اكثر استغفارا من
ابي هريرة وكان مكحول كثير الاستغفار قال علماؤنا الاستغفار
المطلوب هو الذي يحل عقد الاصرار ويثبت معناه في الجنان لا
التلفظ باللسان فاما من قال بلسانه استغفر الله وقلبه مصر على
معصيته فاستغفاره ذلك يحتاج الى استغفار وصغيرته لاحقة
بالكبائر وروي عن الحسن البصري انه قال استغفارنا يحتاج الى الا
قال الشيخ المولف رحمه الله هذا يقوله في زمانه فكيف في زماننا هذا
الذي يرى فيه الانسان مكبا على الظلم حريصا عليه لا يقلع والسبحة
في يده زاعما انه يستغفر من ذنبه وذلك استهزاء منه واستخفاف
وفي التنزيل ولا تتخذوا ايات الله هزوا وقد تقدم **الثانية** قوله
تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله اي ليس احد يغفر المعصية ولا يزيل
عقوبتها الا الله ولم يصروا اي لم يثبتوا ويعزموا على ما فعلوا
قال مجاهد اي ولم يمضوا وقال معبد بن صبيح صليت
بغير وضوء ولم على ما فعلوا وهم يعلمون والاصرار هو العزم بالقلب
على الامر وترك الاقلاع عنه ومنه صر الدنانير اي الربط عليها قال

استغفار

وص

ومن يغفر

والاصرار

صر ستة

ابي غفر لله

مطلب التوبه

الحطيه يصف الخيل عوابس بالشعث الكماه اذا ابتغوا علالتها
بالمحصدات اصرت اي يشتد على عدوها وقال قتاده الاصرار التبوع
على المعاصي قال الشاعر يصر بالليل ما تخفي شواكله يا
ويح كل مصر القلب ختار قال سهل بن عبد الله الجاهل
ميت والناسي نايم والعاصي سكران والمصر هالك والاصرار
هو التسويف ان يقول اتوب غدا وهذا دعوى النفس كيف
يتوب غدا وغدا لا يملكه وقال غير سهل هو ان ينوي ان لا
يتوب فاذا نوى التوبه النصوح خرج من الاصرار وقول
سهل احسن وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا توبه
مع اصرار الثالثه قال علماونا الباعث على التوبه وحل الاصرار
ادامة الفكر في كتاب الله العزيز الغفار وما ذكره الله سبحانه
من تفاصيل الجنه ووعد به المطيعين وما وصفه من عذاب النار
وتهدد به العاصين ودام على ذلك حتى قوي خوفه ورجاه فدعا
رغبا ورهبا والرغبه والرهبه ثمرة الخوف والرجا يخاف من
العقاب ويرجو الثواب والله الموفق للصواب وقد قيل ان الباعث
تنبيه الهي ينبه به من اراد سعادته لقبح الذنوب وضررها
اذ هي سموم مهلكه قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا خلاف
في اللفظ لا في المعنى فان الانسان لا يتفكر في وعد الله ووعيده
الا بتنبيهه فان نظر العبد بتوفيق الله الى نفسه فوجدها مشحونه بذنوب
اكتسبها وسيات اقترفها فانبعث منه الندم على ما فرط وترك
مثل ما سبق مخافة عقوبة الله تعالى صدق عليه انه تايب فان لم

يكن كذلك

يكن لك ان مصرا على المعصية وملازما لاسباب الهلكة قال سهل بن عبد الله علامة التايب ان يشغله الذنب عن الطعام والشراب كالثلاثة الذين خلفوا **الرابعة** قوله تعالى وهم يعلمون فيه اقوال فقيل اي يذكرون ذنوبهم فيتوبون منها قال النحاس وهذا قول حسن وقيل وهم يعلمون اني اعاقب على الاصرار وقال عبد الله بن عبيد بن عمير وهم يعلمون انهم ان تابوا تاب الله عليهم وقيل يعلمون انهم ان استغفروا غفر لهم وقيل يعلمون ما حرمت عليهم قاله ابن اسحق وقال ابن عباس والحسن ومقاتل والكلبي وهم يعلمون ان الاصرار ضار وان تركه خير من التمادي وقال الحسين بن الفضل وهم يعلمون ان لهم ربا يغفر الذنب وقال الشيخ المولف رحمه الله وهذا اخذ من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال اذنب عبدي ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى اذنب عبدي ذنبا علم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فاذنب فقال اي رب اغفر لي ذنبي فذكر مثله مرتين وفي آخره اعمل ما شيت فقد غفرت لك اخرجه مسلم وفيه دليل على صحة التوبة بعد نقضها بمعاودة الذنب لان التوبة الاولى طاعة قد انقضت وصحت وهو محتاج بعد مواقعة الذنب الثاني الى توبة اخرى مستانفة والعود الى الذنب وان كان اقبح من ابتدايه لانه انضاف الى الذنب نقض التوبة فالعود الى التوبة احسن

وهم يعلمون

وا

من الله ايضا لانه انضاف اليها ملازمة الالحاح بباب الكريم وانه
لا غافر للذنوب سواه وقوله في اخر الحديث اعمل ما شئت امر
معناه الاكرام في احد الاقوال فيكون من باب قوله ادخلوها
بسلام خبر عن حال المخاطب بانه مغفور له ما سلف من ذنبه
ومحفوظ ان شا الله فيما يستقبل من شانه ودلت الاية والحد
على عظيم فايدة الاعتراف بالذنب والاستغفار منه قال
صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تاب
الله عليه اخرجاه في الصحيحين قال يستوجب العفو الفتى اذا
اعترف لما جناه من الذنوب واقترفه وقال اقرر بذنبك
ثم اطلب تجاوزه ان الجحود جحود الذنب ذنبان وفي صحيح مسلم
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجا بقوم
يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وهذه فايدة اسمه تعالى
الغفار والتواب على ما بيناه في كتاب الاسنى **الخامسة**
الذنوب التي يتاب منها اما كفر او غيره فتوبة الكافر ايمانه مع
ندمه على سالف كفره وليس نفس توبته وغير الكافر اما حق لله
واما حق لغيره فحق الله تعالى يكفي في التوبة منه الترك غير ان منه
ما لم يكتف الشرع فيها بمجرد الترك بل اضاف الى ذلك في بعضها
قضا كالصلاة والصوم ومنها ما اضاف اليها كفارة كالحنث
في الايمان والظهار وغير ذلك واما حقوق الادميين فلا بد من
ايصالها الى مستحقها فان لم يوجد واتصدق عنهم ومن لم يجد السبيل

لخروج

لخروج ما عليه لاعسار فعفو الله مأمول وفضله مبذول فلم ضمن
من التبعات وبدل من السيئات بالحسنات وسياتي زيادة بيان
لهذا المعنى **السادسة** ليس على الانسان اذا لم يذكر ذنبه ويعلمه ان
يتوب عنه بعينه ولكن يتعين اذا ذكر ذنبا وتاب منه وقد تاول
كثير من الناس فيما ذكر شيخنا ابو محمد عبد المعطي الاسكندراني رحمه
الله ان الامام المحاسبي رضي الله عنه يروي ان التوبه من اجناس
المعاصي لا تصح وان الندم على جملتها لا يكفي بل لا بد ان يتوب من كل
فعل بجارحته وكل عقد بقلبه على التعيين ظنوا ذلك من قوله وليس
هذا مراده ولا يقتضيه كلامه بل حكم المكلف اذا عرف حكم افعاله
وعرف المعصيه من غيرها صحت منه التوبه من جملة ما عرف فانه
ان لم يعرف كون فعله الماضي معصيه لا يمكنه ان يتوب منه لا على
الجمله ولا على التفصيل ومثاله رجل كان يتعاطى ابوابا من ابواب
الربا ولا يعرف انه ربا فاذا سمع كلام الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مومنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب
من الله ورسوله عظم عليه هذا التهديد وظن انه سالم من الربا فاذا
علم حقيقة الربا الان ثم تفكر فيما مضى من ايامه وعلم انه لابس منه شيا
كثيرا في اوقات متقدمة صح ان يندم عليه الا جمله ولا يلزمه تعيين
اوقاته وهكذا حكم واقع من الذنوب والسيئات كالغيبه والنميمه
وغير ذلك من المحرمات التي لم يعرف كونها محرمه فاذا فقه العبد
وتفقد ما مضى من كلامه تاب من ذلك جمله وندم على ما فرط في
جنب الله فاذا استحال ان يطلبه تعالى على الجمله وطابت نفسه

بترك حقه جاز لانه من باب هبة المجهول هذا مع شح العبد وحرصه
على طلب حقه فكيف باكرم الاكرمين المتفضل بالطاعات واسبابها والعفو
عن المعاصي صغيرها وكبيرها قال شيخنا رحمه الله هذا مراد الامام
والذي يدل عليه كلامه لمن يتفقه وما ظنه به من انه لا يصح الندم
الا على فعل فعل حركة حركة وسكنة سكنة على التعيين هو من
باب تكليف ما لا يطاق الذي لم يقع شرعا وان جاز عقلا ويلزم
عنه ان يعرف كم جرعة جرعها في شرب الخمر وكم حركة تحركها في الزنا
وكم خطوة مشاها الى المحرم وهذا ما لا يطيقه احد ولا يتاتى
توبه على التفصيل وسياتي لهذا الباب مزيد بيان من احكام
التوبة وشروطها في النسا وغيرها ان شا الله السابعة
في قوله تعالى ولم يصروا حجة واضحة ودلالة قاطعة لما قاله
سيف السنة ولسان الامة القاضي ابو بكر الطيب ان الانسان
يواخذ بما وطن عليه بضميره وعزم عليه بقلبه من المعصية
قال الشيخ المولف رحمه وفي التنزيل ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه
من عذاب اليم وسياتي اليم وقال فاصبحت كالصريم تعوقبوا
قبل فعلهم وسياتي بيانه وفي البخاري اذا التقا المسلمان
بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا يا رسول الله هذا
القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه فعلق
الوعيد على الحرص وهو العزم والغى اظهار السلاح وانص
من هذا ما خرجه الترمذي من حديث ابي كبشه الانماري وصححه
مرفوعا انما الدنيا لاربعة نفر رجل اتاه الله مالا وعلما فهو

بتقي فيه ربه

يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بافضل المنازل
ورجلا اتاه الله علما ولم يوته مالا فهو يقول لو ان لي مالا لعملت فيه
بعمل فلان فهو بنيته فاجرهما سوا ورجلا اتاه الله مالا ولم يوته علما
فهو لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يجعل لله فيه حقا فهذا ابا
المنازل ورجل لم يوته الله مالا ولا علما فهو يقول لو ان لي مالا
لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سوا وهذا الذي صار اليه
القاضي هو الذي عليه عامه السلف واهل العلم من الفقها والمحدثين
والمتكلمين ولا يلتفت الى خلاف من زعم ان ما يهم الانسان به وان
وطن عليه لا يواخذ به ولا حجه له في قوله عليه السلام من هم بسيه
فلم يعملها فلم يعزم على عملها بدليل ما ذكرنا ومعنى فان عملها اي اظهرها
او عزم عليها بدليل ما وصفنا وبالله توفيقنا **قوله** تعالى اولئك
جزاوهم مغفره من ربهم ربت تعالى بفضله وكرمه غفران الذنوب
لمن اخلص في توبته ولم يصر على ذنبه ويمكن ان يتصل هذا بصفه احد
اي من فعل ثم تاب ولم يصر فله مغفره من الله تعالى **قوله** تعالى
قد خلت من قبلكم سنن هذه تسلية من الله تعالى للمومنين والسنن
جمع السنة وهي الطريق المستقيم وفلان على السنه اي على
طريق الاستوا لا يميل الى شي من الاهوا قال الهذلي فلا تجزعن
من سنه انت سيرتها فاول راض سنه من يسيرها والسنه الاما
المتبع الموتم به يقال سن فلان سنه حسنه وسنه اذا عمل عملا
اقتدا به فيه من خير او شر قال لبيد من معشر سنت لهم
اباوهم ولكل قوم سنه وامامها والسنه الامة والسنن

خبت

لم يجترئنا نا نعلل النيه سيم
واصله لا نعلي فهم الجوا

م

جامعة قونية

الامم عن الفضل وانشد ماعاين الناس من فضل كفضلهم ولا راوا
ولا مثلهم في سالف السنن وقال الزجاج المعنى قد خلت من قبلكم
سنن يعني بالهلاك فيمن كذب قبلكم كعاد وثمود والعاقبة احد الامر
وهذا في يوم احد يقول فانا امهلهم واملي لهم واستدرجهم حتى
يبلغ الكتاب اجله يعني بنصر النبي والمومنين وهلاك اعدايهم الكافرين
قوله تعالى هذا بيان للناس يعني القران عن الحسن وغيره وقيل هي
اشارة الى قوله قد خلت من قبلكم سنن والموعظة الوعظ وقد تقدم قوله
تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا عزاهم وسلاهم بما نالهم يوم احد من القتل والجراح
وحثهم على قتال عدوهم ونهاهم عن العجز والفشل فقال ولا تهنوا اي لا تضعفوا
ولا تجبنوا يا اصحاب محمد عن جهاد اعدائكم لما اصابكم ولا تحزنوا على ظهورهم
ولا على ما اصابكم من الهزيمة وانتم الاعلون اي لكم تكون العاقبة بالنصر والظفر
ان كنتم مومنين بصدق وعدي وقيل ان بمعنى اذ قال ابن عباس انهزم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فبيناهم كذلك اذ اقبل خالد بن
الوليد بخيل من المشركين يريد ان يعلوا عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه
وسلم اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة
غير هولاء النفر فانزل الله هذه الايات وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا
الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم فذلك قوله وانتم الاعلون يعني
الغالبين على الاعداء بعد احد فلم يخرجوا بعد ذلك عسكرا الا ظفروا في كل
عسكر كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيه واحد من الصحابة
كان الظفر لهم وهذه البلدان كلها انما افتتحت على عهد اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم بعد انقراضهم ما افتتحت بلد على الوجه كما كانوا

يفتحون

يفتخرون في ذلك الوقت وفي هذه الآية بيان فضل هذه الامه لانه
خاطبهم بما خاطب به انبياءه لانه قال لموسى انك انت الاعلى وقال
لهذه الامه وانتم الاعلون وهذه اللفظه مشتقه من اسمه الاعلى
فهو سبحانه وتعالى قال للمومنين وانتم الاعلون قوله تعالى ان
يمسسكم قرح القرح الجرح والضم والفتح فيه لغتان عن الكسائي
والاخفش مثل فقر وفقر والقرا هو بالفتح الجرح وبالضم المه والمعنى
ان يمسسكم يوم احد قرح فقد مس القوم يوم بدر قرح مثله وقرا
محمد بن السميفع قرح بفتح القاف والراء على المصدر وتلك الايام
نداولها بين الناس قيل هذا في الحرب يكون مره للمومنين لينصر الله عز
وجل دينه ويكون مره للكافرين اذا عصا المومنون ليبتليهم وليمحص
ذنوبهم فاما اذا لم يعصوا فان حزب الله هم الغالبون وقيل
نداولها بين الناس من فرح وغم وصحة وسقم وغنى وفقر والدوله
الكره قال الشاعر فيوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر
قوله تعالى وليعلم الله الذين امنوا معنا وانما كانت هذه الدوله
ليرى المومن من المنافق فيميز بعضهم من بعض كما قال وما اصابكم يوم
التقا الجمعان فباذن الله وليعلم المومنين وليعلم الذين نافقوا وقيل
ليعلم صبر المومنين العلم الذي يقع عليه الجزا كما علمه غيبا قبل ان خلقهم
وقد تقدم في البقره هذا المعنى قوله تعالى ويتخذ منكم شهدا
اي يكرمكم بالشهاده اي ليقتل قوم فيكونون شهدا على الناس باعمالهم
وقيل لهذا قيل شهيد وقيل سمي شهيدا لانه مشهود له بالجنه
فالشهيد بمعنى مشهود له وقيل سمي شهيدا لان ارواحهم حضرت

دار السلام لانهم احيآء عند ربهم وارواح غيرهم لا تصل الى الجنة فالشهيد بمعنى الشاهد اي الحاضر للجنة وهذا هو الصحيح على ما ياتي والشهادة فضلها عظيم ويكفيك في فضلها قوله ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم الآية وقوله يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله الى قوله ذلك الفوز العظيم وفي صحيح البستي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجد الشهيد من القتل الا كما يجد مس القرصة وروى النساي عن راشد بن سعد عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال يا رسول الله ما بال المومنين يفتنون في قبورهم الا الشهيد قال كفى ببارقة السيوف على راسه فتنة وفي البخاري من قتل من المسلمين يوم احد منهم حمزة واليمان والنضر ومصعب بن عمير حدثني عمرو بن علي نا معاذ بن هشام قال حدثني ابي عن قتادة وحدثنا انس بن مالك انه قتل منهم يوم احد سبعون ويوم بير معونة سبعون ويوم اليمامة سبعون قال وكان بير معونة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ويوم اليمامة على عهد ابي بكر مسيلمة الكذاب وقال انس اتي النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب وبه نيف وستون جراحة من طعنة وضربة ورمية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسحها وهي تلتئم باذن الله تعالى كان لم تكن الثانية في قوله ويتخذ منكم شهدا دليل على ان الارادة غير الامر كما تقول اهل السنة فان الله تعالى نهى عن قتل المومنين حمزة واصحابه واراد قتلهم ونهى ادم عن اكل الشجرة فواقعها ادم وعكسه انه امر ابليس بالسجود ولم يرده فامتنع منه وعنه وقعت الاشارة

بقوله الحق

بقوله الحق ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وان كان هدا في جميعهم بالجهاد
ولانه خلق الكسل والاسباب القاطعة عن المسير فقعدوا تقعدوا

الثالثة روى علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال جا جبريل الى
النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال له خير اصحابك في الاسارى ان
شاوا القتل وان شاوا الفدا على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا
الفدا ويقتل منا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن فانجز الله وعده
بشهادة اوليائه بعد ان خيرهم فاختاروا القتل والله لا يحب
الظالمين اي المشركين اي وان اذاك الكفار من المومنين فهو لا يحبهم
وان احد الما بالمومنين فانه يحب المومنين **قوله** تعالى
وليمحص الله الذين امنوا فيه ثلاثة اقوال يمحص يختبر الناس في
يطهر اي من ذنوبهم فهو على حذف مضاف المعنى وليمحص الله ذنوب
الذين امنوا قاله الفرا الثالث يمحص يخلص وهذا اغربها قال الخليل
يقال محص الحبل يمحص محصا اذا انقلع وبره ومنه اللهم محص عنا ذنوبنا
اي خلصنا من عقوبتها وقال ابو اسحق الزجاج قرات على محمد
بن يزيد عن الخليل التمحيص التخليص يقال محصه يمحصه محصا اذا خلصه
فالمعنى ام بمعنى بل وقيل على هذا ليبتلي المومنون ليثيبهم ويخلصهم
من ذنوبهم ويمحق الكافرين اي يستاصلهم بالهلاك والله اعلم
قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ام بمعنى بل وقيل
الميم زايدة والمعنى احسبتم يا من انهزم يوم احد ان تدخلوا
الجنة كما دخل الذين قتلوا وصبروا على الم الجراح والقتل من
غير ان تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم حتى يعلم الله الذين

جاهدوا منكم فلما بمعنى لم وفرق سيبويه بين لم ولما فزعم ان لم يفعل نفي قد فعل ويعلم الصابرين منصوب باضمار ان عن الخليل وقرا الحسن ويحيى بن يعمر ويعلم الصابرين بالجزم على النسق وقري بالرفع على القطع اي وهو يعلم وروي هذه القراه عند الوارث عن عمرو وقال الزجاج الواو هنا بمعنى حتى اي ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم حتى يعلم صبرهم كما تقدم انفا قوله تعالى ولقد كنتم تمنون الموت اي الشهاده من قبل ان تلقوه وقرا الاعمش من قبل ان تلاقوه اي من قبل القتل وقيل من قبل ان تلقوا اسباب الموت وذلك كثيرا ممن لم يحضر بدرا كانوا يتمنون يوما يلقون فيه قتال المشركين فلما كان يوم احد انهزموا وكان منهم من تجلد حتى قتل منهم انس ابن النضر عم انس بن مالك فانه قال لما انكشف المسلمون اللهم اني ابرا اليك مما جا به هولا وباشر القتال وقال انا لاجد ريح الجنه الى احد ومضى حتى استشهد قال انس فما عرفناه الا بنانه ووجدنا فيه بضعا وثمانين جراحه وفيه وفي امثاله نزل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالايه عتاب في حق من انهزم لا سيما وكان منهم حمل النبي صلى الله عليه وسلم على الخروج من المدينة وسياتي وتمني الموت يرجع من المسلمين الى تمني الشهادة المبنية على الثبات والتصبر على الجهاد لا الى قتل الكفار لهم لانه معصية وكفر ولا يجوز اراده المعصية وعلى هذا يحمل سوال المسلمين من الله ان يرزقهم الشهاده فيسلون الصبر على الجهاد وان ادى الى القتل قوله تعالى وانتم تنظرون قال

الاخفش

الاخفش هو ذكر بمعنى التاكيد لقوله فقد رايتموه مثل ولا طاير يطير
بجناحيه وقيل معناه وانتم بصرا ليس في اعينكم علل كما تقول
قد رايت كذا وكذا وليس في عينيك علة اي فقد رايتموه روية
حقيقة وهذا راجع الى معنى التوكيد وقال بعضهم وانتم
تنظرون الى محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وما محمد الا
رسول قد خلت من قبله الرسل فيه خمس مسايل الاولى
روي انها نزلت بسبب انهزام المسلمين يوم احد حين صاح الشيطان
قد قتل محمد قال عطيه العوفي فقال بعض الناس قد اصيب
محمد فاعطوهم بايديكم فانما هم اخوانكم وقال بعضهم ان كان محمد
قد اصيب الا تمضون على ما مضى عليه نبيكم حتى تلحقوا به فانزل
الله في ذلك وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى قوله
فاتاهم الله ثواب الدنيا وما كان فيه وما بعدها ابتدا وخبر
وبطل عمل ما وقرا ابن عباس قد خلت من قبله رسل بغير الف
ولام فاعلم الله تعالى في هذه الاية ان الرسل ليست بباقية
في قومها ابدا وانه يجب التمسك بما اتت به الرسل وان فقد الرسول
بموت او قتل فاكرم نبيه صلى الله عليه وسلم وصفته باسمين مشتقين
من اسمه محمد واحمد تقول العرب رجل محمود ومحمد اذا كثرت
خصاله المحمودة قال الشاعر الى الفرع الجواد المحمد
وقد مضى هذا في الفاتحة وقال عباس بن مرداس يا خاتم
النبا انك مرسل بالحق كل هدى السبيل هداك ان الاله بنى
عليك محبة في خلقه ومحمدا سماكا وهذه الاية من تمام العتب

مع المنهزمين اي لم يكن لهم الا الانهزام وافتل محمد والنبوة لا تدروا
والموت والاد بان لا نزول بموت الانبيا الثانية هذه الايه ادل
دليل على شجاعه الصديق وجراته فان الشجاعه الجراه حد ثبوت
القلب عند حلول المصايب ولا مصيبه اعظم من موت النبي صلى الله عليه
وسلم كما تقدم بيانه في البقره فظهرت عنده شجاعته وعلمه قال
الناس لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عمر وخرس عثمان
واستخفى علي والاضطرب الامر فكشفه الصديق بهذه الايه حين
قدومه من مسكنه بالسنح كما في البخاري الحديث وفي سنن ابن ماجه
عن عايشه قالت لما قبض النبي صلى الله وسلم وابو بكر عند امراته خارجه
في العوالي فجعلوا يقولون لم يمت النبي صلى الله عليه وسلم انما هو بعض
ما كان ياخذه عند الوحي فجا ابو بكر فكشف عن وجهه وقبل عينيه
وقال انت اكرم على الله من ان يميتك مرتين قد والله مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يقطع ناس من المنافقين ايدي وارجلهم
وصعد المنبر فقال من كان يعبد الله فان الله حي لم يمت ومن كان
يعبد محمدا فان محمدا قد مات وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الرسل افاين مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه
فلن يضر الله شيا وسيجزي الله الشاكرين قال عمر فكاني لم اقراها
الا يوميذ ورجع عن مقالته التي قالها فيما ذكر الوايلي ابو نصر عبد الله
في كتاب الابانه عن انس بن ملك انه قال سمع عمر بن الخطاب حين بويع
ابو بكر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوى على منبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد قبل ابي بكر فقال اما بعد فاني قلت

لكم امس

لكم امس مقاله وانها لم تكن بما قلت ذاتي والله ما وجدت المقاله التي
قلت لكم في كتاب انزله الله ولا في عهد عهد الي رسول الله صلى الله وسلم
ولكني كنت ارجوا ان يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا
يريد ان يقول حتى يكون اخرنا موتا فاختار الله عز وجل لرسوله الذي
عنده على الذي عندكم وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسوله فخذوا
به تهتدوا لما هدى الله له رسوله الله صلى الله عليه وسلم قال الوايلي
ابو نصر المقاله التي قالها ثم رجع عنها هي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يمت ولن يمت حتى يقطع ايدي رجال وارجلهم وكان قال ذلك
لعظيم ما ورد عليه وخشي الفتنه وظهور المنافقين فلما شاهد قوة يقين
الصديق الاكبر ابو بكر وتفوهه بقول الله عز وجل كل نفس ذايقة الموت
وقوله [illegible] وانهم ميتون وما قاله ذلك اليوم تنبه وتثبت
وقال كاني لم اسمع بالايه الا من ابي بكر وخرج الناس يتلونها في سكك
المدينه كانها لم تنزل قط الا ذلك اليوم ومات صلى الله عليه وسلم
يوم الاثنين بلا اختلاف في وقت دخوله المدينه في هجرته حين اشتد
الضحى ودفن يوم الثلثا وقيل ليله الاربعا وقالت صفيه بنت
عبد المطلب ترثي رسول الله صلى الله عليه وسلم

الا يا رسول الله كنت رجانا ... وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما ... ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما ابكي النبي لفقده ... ولكن لما اخشى من الهرج اتيا
كان على قلبي لذكر محمد ... وما خفت من بعد النبي المكاويا
افاطمه صلى الله رب محمد ... على جدث امسى بيثرب ثاويا

فدى لرسول الله امي وخالتي وعمي واباي ونفسي وماليا
صدقت وبلغت الرسالة صادقا ومت صليب العود ابلج صافيا
فلوان رب الناس ابقا نبيا سعدنا ولكن امره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية وادخلت جنات من العدن راضيا
ارى حسنا ايتمته وتركته يبكي ويدعو جده اليوم نايبا
قال قيل وهي الثالثة فلم اخروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم
وقد قال لاهل بيت اخروا دفن ميتهم عجلوا دفن جيفتكم
ولا توخروها فالجواب من ثلاثة اوجه الاول ما ذكرناه من
عدم اتفاقهم على موته الثاني انهم لا يعلمون حيث يدفنوه قال
قوم في البقيع وقال اخرون في المسجد وقال قوم يحبس حتى يحمل الى
ابيه ابرهيم حتى قال العالم الاكبر سمعته يقول ما [illegible] الا حيث
يموت وذكره بن ماجه والموطا وغيرهما الثالث انهم اشتغلوا
في الخلاف الذى وقع بين المهاجرين والانصار في البيعة فنظروا
فيها حتى استتبت الامر وانتظم الشمل واستوثقت الحال واستقرت
الخلافة في نصابها فبايعوا ابا بكر ثم بايعوه من الغد بيعة اخرى
عن ملا منهم ورضى فكشف الله به الكربة من اهل الردة وقام به
الدين والحمد لله رب العالمين ثم رجعوا بعد ذلك الى النبي صلى الله
عليه وسلم فنظروا في دفنه وغسلوه وكفنوه الرابعة واختلف
هل صلى عليه ام لا فمنهم من قال لم يصل عليه احد وانما وقف كل
احد يدعو لانه كان اشرف من ان يصلى عليه قال بن العربي وهذا
كلام ضعيف لان السنة تقام بالصلاة عليه في الجنازة كما تقام بالصلا

عليه لى الدنيا فيقول اللهم صل على محمد الى يوم القيامه وذلك
منفعه لنا وقيل لم يصل عليه لانه لم يكن هنا امام وهذا ضعيف
فان الذى كان يقيم بهم الصلاه الفريضه هو الذى كان يوم بهم
في الصلاه وقيل صلى عليه الناس افذاذا لانه كان اخر العهد به
فارادوا ان ياخذ كل واحد بركته مخصوصا دون ان يكون فيها
تابعا لغيره والله اعلم بصحه ذلك قال الشيخ المولف رحمه الله
قد اخرج الشيخ بن ماجه باسناد حسن بل صحيح من حديث بن عباس
وفيه فلما فرغوا من جهازه يوم الثلثا وضع على سريره في بيته ثم
دخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا يصلون عليه
حتى اذا فرغوا ادخلوا النسا حتى اذا فرغوا ادخلوا الصبيان
ولم يوم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم احد اخرجه عن ابى نصر
بن على الجهضمى نا وهب بن جرير نا ابى عن محمد بن اسحق قال
حدثنى حسين بن عبد الله عن عكرمه عن بن عباس الحديث بطوله

الخامسه فى تغير الحال بعد موت النبى صلى الله وسلم عن
انس قال لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينه [illegible] شى فلما كان اليوم الذى مات فيه اظلم منها كل شى
وما نفضنا عن النبى صلى الله عليه وسلم الايدى حتى انكرنا قلوبنا اخرجه
بن ماجه وقال نا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان
عن عبد الله بن دينار عن بن عمر قال كنا نتقى الكلام والانبساط الى
نسائنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافه ان ينزل فينا
القران فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمنا واسند

جه
ن

عن ام سلمه بنت ابي اميه زوج النبي صلى الله عليه [وسلم] قالت كان الناس على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام المصلي لم يعد بصر احدهم موضع
قدميه فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر فكان
الناس اذا قام احدهم يصلي لم يعد بصر احدهم موضع جبينه فتوفي
ابو بكر وكان عمر فكان الناس اذا قام احدهم يصلي لم يعد بصر احدهم
موضع القبله فكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا قام احدهم
يصلي لم يعد بصره فكانت الفتنه فتلفت الناس في الصلاه يمينا وشمالا
قوله تعالى افان مات او قتل عطف عليه والجواب انقلبتم ودخل
الف الاستفهام على حرف الجزاء لان الشرط قد انعقد به وصار جمله واحد
وخبرا واحدا والمعنى افتنقلبون على اعقابكم ان مات او قتل وكذلك
كل استفهام دخل على حرف الجزاء فانه في غير موضعه وموضعه ان
قبل جواب الشرط وقوله انقلبتم على اعقابكم تمثيل ومعناه ارتددتم
كفارا بعد ايمانكم قاله قتاده وغيره ويقال لمن عاد الى ما كان
عليه انقلب على عقبيه ومنه نكص على عقبيه وقيل المراد بالانقلاب
هنا الانهزام فهو حقيقه لا مجاز وقيل المعنى فعلتم فعل المرتدين
وان لم تكن رده قوله تعالى ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيا
بل يضر نفسه ويعرضها للعقاب بسبب المخالفه والله تعالى لا تنفعه
الطاعه ولا يتضرر بالمعصيه لغناه وسيجزي الشاكرين اي الذين صبروا
وجاهدوا واستشهدوا وجاء وسيجزي الله الشاكرين لما ذكر بعد
قوله يضر الله شيا فهو اتصال وعد بوعيد قوله تعالى وما كان لنفس
ان تموت الا باذن الله الايه هذا حض على الجهاد واعلام ان الموت لابد

منه

منه وان كل انسان مقتول او غير مقتول ميت اذا بلغ اجله المكتوب
له لان معنى موجلا الى اجل ومعنى باذن الله بقضا الله وقدره وكتابا
نصب على المصدر اى كتب الله كتابا موجلا واجل الموت هو الوقت
الذى فى معلومه سبحانه ان روح الحى تفارق جسده ومتى قتل العبد
علمنا ان ذلك اجله ولا يصح ان يقال لو لم يقتل لعاش والدليل عليه
كتابا موجلا اذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
ان اجل الله لات لكل اجل كتاب والمعتزلى يقول يتقدم
الاجل ويتاخر وان من قتل فانما يهلك قبل اجله وكذلك كلما
ذبح من الحيوان كان هلاكه قبل اجله لانه يجب على القاتل الضمان
والديه وقد بين الله فى هذه الاية انه لا تهلك نفس قبل اجلها
وسياتى لهذا مزيد بيان فى الاعراف ان شا الله تعالى وفيه دليل
على كتب القلم وتدوينه وسياتى بيانه فى طه عند قوله تعالى علمها عند
ربى فى كتاب الله تعالى **قوله** تعالى ومن يرد ثواب الدنيا
نوته منها يعنى الغنيمة نزلت فى الذين تركوا المركز طلبا للغنيمة
وقيل هى عامة فى كل من اراد الدنيا دون الاخرة والمعنى نوته منها
ما قسمه له فى التنزيل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشا لمن
نريد ومن يرد ثواب الاخرة نوته منها اى نوته جزا عمله على ما وعد — صف
الله تعالى من تضعيف الحسنات لمن يشا وقيل المراد بهذا عبد الله
بن جبير ومن لزم المركز معه حتى قتلوا وسنجزى الشاكرين اى
نوتيهم الثواب لا بدى جزاهم على ترك الانهزام فهو تاكيد لما تقدم — م
من ايتانا منهم الاخرة وقيل سنجزى الشاكرين من الرزق فى الدنيا

ليلا يتوهم ان الشا لم يحرم ما قسم له مما ينا له الغاتر قوله تعالى
وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير قال الزهري صاح الشيطان يوم
احد قتل محمد فانهزم جماعة من المسلمين قال كعب بن مالك فكنت اول
من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت عينيه من تحت المغفر
تزهران فناديت باعلى صوتي هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوما
الي ان اسكت فانزل الله عز وجل وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير وكاين
بمعنى كم قال الخليل وسيبويه هي اي دخلت عليها كاف التشبيه
وبنيت معها فصار الكلام معنى كم وصورت في المصحف نونا لانها
كلمة نقلت عن اصلها فغير لفظها التغير معناها ثم سعلتها العرب وتصرفت
فيها بالقلب والحذف فحدث فيها لغات اربع قرى بها قرا ابن
كثير مثل وكاعن على وزن فاعل واصله كيئ فقلبت اليا الفا
كما قلبت في ييأس فقيل ياس قال الشاعر ○ وكاين بالاباطح من
صديق تراه لو اصبت هو المصاب ○ وقال اخر وكاين
رددنا عنكم من مدجج يجي امام الركب يردي مقنعا . وقال
اخر وكاين في العاسرين من اناس اخوهم فوقهم وهم كرام وقرا
ابن محيصن وكأين مهموزا ومقصورا مثل وكع وهو من كاين حذفت
الفه وعنه ايضا وكاين مثل وكعين وهو مقلوب في المخفف
وقرا الباقون وكاين بالتشديد مثل كعين وهو الاصل قال [illegible]
الشاعر وكاين من اناس لم يزالوا اخوهم فوقهم وهم كرام وقال
اخر وكاين اترنا من عدو بعزنا وكاين اخرنا من ضعيف وخايف
فجمع بين لغتي كاين وكاين ولغة خامسة كيين مثل كعين وزنه

مخفف

مخفف من كاي مقلوب كاين ولم يذكر الجوهري غير لغتين كاين تقال
كاعن مثال كعى يقول كاين رجلا لقيت تنصب ما بعد كاين
على التمييز ويقول ايضا كاين من رجل لقيت وادخال من بعد
كاين اكثر من النصب بها واجود وكاين يبيع هذا الثوب اي
بكم تبيع هذا الثوب قال ذو الرمه وكاين ذعرنا من قتاه ورد اح
بلاد العدي ليست له ببلاد قال النحاس ووقف ابو عمرو
وكاي بغير نون لانه تنوين وروى ذلك سورة بن المبارك عن الكسائي
ووقف الباقون بالنون اتباعا للخط المصحف ومعنى الايه تشجيع المومنين
والامر بالاقتدا بمن تقدم من خيار اتباع الانبيا اي كثير من الانبيا قتل
معه ربيون كثيرا وكثير من الانبيا قتلوا فما ارتد امتهم قولان الاول
للحسن وسعيد بن جبير قال الحسن ما قتل نبي في حرب قط وقال
بن جبير ما سمعنا ان نبيا قتل في القتال والثاني عن قتاده وعكرمه
والوقف على هذا القول على جايز وهي قراه نافع وبن كثير وابو عمرو
ويعقوب وهي قراه بن عباس واختارها ابو حاتم وفيه وجهان
احدهما ان يكون قتل واقعا على النبي وحده وحينيذ يكون تمام الكلام
عند قوله قتل ويكون في الكلام اضمار ومعه ربيون كثير كما يقال
قتل الامير معه جيش عظيم اي ومعه جيش وخرجت معي
تجار اي ومعي الوجه الثاني ان يكون القتل نال النبي ومن معه الر ببين
ربيون وجه الكلام قتل بعض من كان معه تقول العرب قتلنا بني
تميم وبني سليم وانما قتل بعضهم ويكون قولهم فما وهنوا راجعا الى
من بقي منهم قال الشيخ المولف رحمه الله هذا القول اشبه بنزول

الاية وانسب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل وقتل معه جماعه من
الصحابه وقرا الكوفيون وبن عامر قاتل وهي قراه بن مسعود واختارها
ابو عبيد وقال ان الله اذا احمد من قاتل كان من قتل داخل فيه واذا احمد
من قتل لم يدخل فيه غيرهم فقاتل اعم وامدح والربيون بكسر الرا
قرا الجمهور وقرا علي رضي الله عنه بضمها وبن عباس بفتحها ثلث لغات
والربيون الجماعات الكثيره عن مجاهد وقتاده والضحاك وعكرمه واحدهم
ربي بضم الرا وكسرها منسوب الربه بكسر الرا ايضا وضمها وهي الجماعة
وقال عبد الله بن مسعود الربيون الالوف الكثيره وقال بن زيد
الربيون الاتباع والاول اعرف في اللغه ومنه يقال للخرقه التي يجمع
فيها القداح ربه وربه والرباب قبايل تجمعت وقال ابان
بن ثعلب الربي عشره الاف وقال الحسن هم العلما الصبر بن عباس
ومجاهد وقتاده والربيع والسدي الجمع الكثير قال حسان واذا
معشر تجافوا عن الحق حملنا عليهم ربيا وقال الزجاج ها هنا قراتان
ربيون بضم الرا وربيون بكسر الرا اما الربيون بالضم الجماعات الكثيره
ويقال عشره الاف قال الشيخ المولف رحمه الله قد روي عن بن عباس
ربيون بفتح الرا منسوب الرب قال الخليل الربي الواحد من العباد
الذين صبروا مع الانبيا وهم الربانيون نسبوا الى التاله والعباده ومعرفه
الربوبيه لله تعالى قوله تعالى فما وهنوا وهنوا اي ضعفوا وقد انكسرهم
والوهن انكسار الجد بالخوف وقرا الحسن وابو السمال وهنوا بكسر الها
وضمها لغتان عن ابي زيد وهن الشي يهن وهنا واوهنته انا ووهنته
ضعفته والواهنه اسفل الاضلاع وقصارها والوهن

من الاب

من الابل للكشف والوهن ساعه تمضي من الليل وكذلك الموهن واو هنا
صرنا في تلك الساعه اي ما وهنوا القتل نبيهم او لقتل من قتل منهم اي
ما وهن باقيهم بحذف المضاف وما ضعفوا اي عن عدوهم وما
استكانوا لما اصابهم في الجهاد والاستكانه الذله والخضوع واصلها
اسكنوا افتعلوا فاشبعت فتحة الكاف فتولدت منها الف ومن جعلها
من الكون فهي استفعلوا والاول اشبه بمعنى الايه وقراوا ما وهنوا
وما ضعفوا باسكان العين وحكى الكسائي ضعفوا بفتح العين ثم
اخبر تعالى عنهم بعد ان قتل منهم او قتل نبيهم بانهم صبروا ولم يفروا وا
ووطنوا انفسهم على الموت واستغفروا ليكون موتهم على التوبه من الذنو[ب]
ان رزقوا الشهادة ودعوا في الثبات حتى لا ينهزموا وبالنصر على اعدائهم
وخصوا الاقدام بالثبات دون غيرهما من الجوارح لان الاعتماد عليهما
يقول فهلا فعلتم وقلتم مثل ذلك يا اصحاب محمد فاجاب دعاهم واعطاهم
النصر والظفر والغنيمه في الدنيا والمغفره في الاخره اذا صاروا اليها وكذلك
يفعل الله مع عباده المخلصين التائبين الصادقين الناصرين لدينه الثابتين
عند لقاء عدوهم بوعده الحق وقوله الصدق والله يحب الصابرين يعني من
صبر على الجهاد وقرا بعضهم وما كان قولهم بالرفع جعل القول اسما لكا[ن]
فيكون معناه وما كان قولهم الا قولهم ربنا اغفر لنا ومن قرا بالنصب
جعل القول خبر كان واسمها الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا يعني
الصغاير واسرافنا يعني الكباير والاسراف الافراط في الشي
ومجاوزه الحد وفي صحيح مسلم عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان يدعو بهذا الدعا اللهم اغفر لي خطيتي وجهلي واسرا[في]

في امري وما انت اعلم به مني وذكر الحديث فعلى الانسان ان يستعمل ما
في كتاب الله وصحيح السنه من الدعا ويدع ما سواه ولا يقول اختار كذا
فان الله تعالى قد اختار لنبيه واوليايه وعلمهم كيف يدعون قوله
تعالى فاتاهم الله اي اعطاهم ثواب الدنيا يعني النصر والظفر على عدوهم
وحسن ثواب الاخره يعني الجنه وقرا الجحدري فاتاهم من التواب
والله يحب المحسنين تقدم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان
تطيعوا الذين كفروا الاية لما امر الله تعالى بالاقتدا بمن تقدم من انصار
الانبيا حذر طاعه الكفار يعني مشركي العرب ابا سفين
واصحابه وقيل اليهود والنصاري وقال علي رضي الله عنه
يعني المنافقين في قولهم للمومنين عند الهزيمه ارجعوا الى
دين ابايكم يردوكم على اعقابكم الى الكفر فتنقلبوا خاسرين
اي ترجعوا مغبونين ثم قال بل الله مولاكم اي متولي نصركم
وحفظكم ان اطعتموه وقري بل الله بالنصب على تقدير بل
اطيعوا الله مولاكم قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا
الرعب نظيره وقذف في قلوبهم الرعب وقرا ابن عامر والكساي
الرعب بضم العين وهما لغتان والرعب الخوف تقال رعبته
رعبا ورعبا فهو مرعوب ويجوز ان يكون الرعب مصدرا والرعب
الاسم واصله من الملا يقال سيل راعب يملا الوادي ورعبت
الحوض ملاته فالمعنى سنملا قلوب الكافرين خوفا وفزعا وقرا السختياني
سنلقي باليا والباقون بنون العظمه قال السدي وغيره لما ارتحل
ابو سفين والمشركون يوم احد متوجهين الى مكه انطلقوا حتى اذا كانوا

ببعض الطريق

ببعض الطريق ندموا وقالوا بيس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق
منهم الا الشديد تركناهم ارجعوا فاستاصلوهم فلما عزموا على
ذلك القى الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به والالقا
يستعمل حقيقه في الاجسام قال الله تعالى والقى الالواح فالقوا
حبالهم وعصيهم والقى موسى عصاه وقال الشاعر فالقت
عصاها واستقر بها النوى ثم تستعمل مجازا كما في هذه الايه والقيت
عليك محبه مني والقيت عليك مسله قوله تعالى بما اشركوا
بالله تعليل اي بان سبب القا الرعب في قلوبهم اشراكهم فما للمصدر
ويقال اشرك به اي عدل به غيره ليجعله شريكا قوله تعالى
ما لم ينزل به سلطانا حجه وبيانا وعذرا وبرهانا ومن هذا قيل
للوالي سلطان لانه حجه الله عز وجل ويقال انه ماخوذ من
السليط وهو ما يضا به السراج وهو دهن السمسم قال
امرو القيس اهان السليط في الذبال المفتل فالسلطان يستضا
به في اظهار الحق وقمع الباطل وقيل السليط الحديد والسلاطه
الحده والسلاطه من التسليط وهو القهر والسلطان من ذلك
فالنون زايده فاصل السلطان القوه فانه يقهر بها كما يقهر بالسلطان
والسليطه المراه الصخابه والسليط الرجل الفصيح اللسان ومعنى
هذه انه لم تثبت عباده الاوثان في شي من الملل ولم يدل عقل على جواز
ذلك . ثم اخبر تعالى عن مصيرهم ومرجعهم فقال وما واهم جهنم ثم
ذمه فقال وبيس مثوى الظالمين والمثوى المكان الذي يقام فيه يقال
ثوى يثوي ثوا والماوى كل مكان يرجع اليه شي ليلا او نهارا قوله

تعالى ولقد صدقكم الله وعده قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد احد وقد اصيبوا قال بعضهم
لبعض من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله بالنصر فنزلت هذه الاية
وذلك انهم قتلوا صاحب لوا المشركين وسبعه نفر منهم على اللوا بعده
وكان الظفر ابتداء المسلمين غير انهم اشتغلوا بالغنيمة وترك
بعض الرماه ايضا مركزهم طلبا للغنيمة فكان ذلك سبب الهزيمة روى
البخاري عن البرا بن عازب قال لما كان يوم احد لقينا المشركين اجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا من الرماة وامر عليهم عبد الله بن جبير
وقال لهم لا تبرحوا من مكانكم فاذا رايتموهم قد ظهروا علينا فلا تعينونا
عليهم قال فلما التقى القوم وهزمهم المسلمون حتى نظرنا الى النسا
يشتددن في الجبل قد رفعن عن سوقهن بادت خلاخيلهن فجعلوا يقولون
الغنيمة الغنيمة فقال لهم عبد الله امهلوا اما عهد اليكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا تبرحوا يعني فانطلقوا فلما اتوهم صرف الله وجوههم
وقتل من المسلمين سبعون رجلا ثم ان ابا سفين بن حرب اشرف علينا وهو
في نشز فقال أفي القوم محمد صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تجيبوه حتى قالها ثلثا ثم قال افي القوم بن ابي قحافة ثلثا قال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه قال افي القوم عمر بن الخطاب ثلثا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه ثم التفت الى اصحابه فقال اما هولا فقد
قتلوا فلم يملك عمر رضي الله عنه نفسه ان كذبت يا عدو الله قد ابقى
الله لك من يخزيك به فقال اعل هبل مرتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجيبوه
قالوا وما نقول يا رسول الله قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال ابو سفين

يوم بيوم

يوم بيوم والحرب سجال اما انكم ستجدون في القوم مثله لم امر بها ولم تسو
ني   وفي البخاري ومسلم عن سعد بن ابي وقاص قال رايت عن يمين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان
عن رسول الله صلى الله وسلم عليه اشد القتال   وفي رواية عن سعد
عليهما ثياب بياض ما رايتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكاييل
وفي رواية اخرى يقاتلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد القتال
ما رايتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده   وعن مجاهد قال لم تقاتل
الملايكة معهم ولا قبله ولا بعده الا يوم احد بدر   قال البيهقي
انما اراد مجاهد انهم لم يقاتلوا يوم احد عن القوم حين عصوا الرسول
ولم يصبروا على ما امرهم به   عن عروة بن الزبير قال وكان الله عز وجل
وعدهم على الصبر والتقوى ان يمدهم بخمسة الاف من الملايكة مسومين
وكان قد فعل فلما عصوا امر الرسول وتركوا مصافهم وتركت الرماة عهد
الرسول ولم يصبروا صلى الله عليهم اليهم الا يبرحوا منازلهم وارادوا
الدنيا رفع عنهم مدد الملايكة وانزل الله تعالى ولقد صدقكم الله وعده
واراهم الفتح فلما عصوا اعقبهم البلا   وعن عمير بن اسحق قال
لما كان يوم احد انكشفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسعد
يرمي بين يديه وفتى ينبل له كلما ذهبت نبله اتاه بها قال ارم ابا اسحق
فلما فرغوا نظروا من الشاب فلم يروه ولم يعرفوه نقله محمد بن كعب   ولما
قتل صاحب لوا المشركين وسقط لواهم رفعته عمرة بنت علقمة
الحارثية وفي ذلك يقول حسان   فلولا لوا الحارثية اصبحوا يباعون
في الاسواق بيع الجلايب   وتقتلونهم وتحسونهم معناه تقتلونهم

وتستاملوهم قال الشاعر حسسناهم بالسيف حسا فاصبحت
بقيتهم قد شردوا وتبددوا وقال جرير حسهم السيوف كما سما
حريق النار في الاجم الحصيد قال ابو عبيدة الحس الاستيصال
بالقتل يقال جراد محسوس اي جذبه تأكل شي قال راويه اذا بشلو ا
سنه حسوسا تاكل بعد الاخضر اليبسا واصله من الحس الذي هو الادراك
بالحاسة يعني حسه اذهب حسه بالقتل باذنه بعلمه او بقضايه وامره
حتى اذا فشلتم اي خلفتم وضعفتم يقال فشل يفشل فهو فشل وفشل
وجواب حتى محذوف اي حتى اذا فشلتم امتحنتم ومثل هذا جايز لقوله
فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السما فافعل وقال
الفرا جواب حتى وتنازعتم قالوا ومعناه زايده لقوله فلما اسلما وتله
للجبين وناديناه اي ناديناه وقال امرو القيس فلما اجزنا ساحة
الحي وانتحى اي انتحى وعندها فلا يجوز اقحام الواو ومن وعصيتم اي حتى
اذا فشلتم تنازعتم عصيتم وعلى هذا فيه تقديم وتاخير اي حتى
تنازعتم وعصيتم فشلتم وقال ابو علي يجوز ان يكون الجواب صرفكم
عنهم وثم زايده والتقدير حتى اذا فشلتم وتنازعتم وعصيتم صرفكم عنهم
وقد انشد بعض النحويين في زيادة ثم قول الشاعر اراني اذا ما بت
بت على هوى فثم اذا اصبحت اصبحت غاديا وجوز الاخفش ان يكون
زايده في قوله تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم
انفسهم ثم تاب عليهم وقيل حتى بمعنى الى وحينئذ لا جواب له اي صدقكم
الله وعده الى ان فشلتم اي كان ذلك الوعد بشرط الثبات ومعنى
تنازعتم اختلفتم يعني الرماة حين قال بعضهم نلحق الغنايم وقال

بعضهم

بعضهم نثبت في مكاننا الذي امرنا النبي صلى الله عليه وسلم بالثبوت فيه
وعصيتم اي خالفتم امر الرسول في الثبوت من بعد ما اراكم ما
تحبون يعني من الغلبة التي كانت للمسلمين يوم احد اول امرهم وذلك
حين صرخ صاحب لوا المشركين على ما تقدم وذلك انه لما صرع انشمر النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه وصاروا كتايب متفرقة فجاسوا العدو ضربا حتى
اجهضوهم عن اثقالهم وحملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات
كل ذلك تنضح بالنبل فترجع مفلولة وحمل المسلمون فنهكوهم قتلا فلما ابصر الرماه
الخمسون ان الله عز وجل قد فتح لاخوانهم قالوا والله ما نجلس هاهنا لشي
قد اهلك الله العدو واخواننا في عسكر المشركين وقال طوايف
منهم علي ما نقف وقد هزم النبي صلى الله عليه وسلم الله العدو وتركوا
مكانهم الذي عهد اليهم النبي صلى الله عليه وسلم الا يتركوها عندهم
ووجه التوبيخ انهم راوا مبادي النصر فكان الواجب ان يعلموا ان تمام
النصر في الثبات لا في الانهزام ثم بين سبب التنازع فقال منكم من
يريد الدنيا يعني الغنيمة قال ابن مسعود ما شعرنا ان احدا
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا وعرضها ومنكم
من يريد الاخرة وهم الذين ثبتوا في مركزهم ولم يخالفوا امر نبيهم مع
اميرهم عبد الله بن جبير فحمل خالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل عليه
وكانا يوميذ كافرين فقتلوه مع من بقي رحمهم الله والعتاب مع من
انهزم لا مع من ثبت فان من ثبت فاز بالثواب وهكذا كل امر اذا
نزل بقوم عقوبة عامة فاهل الصلاح والصبيان يهلكون ولكن لا يكون ما
حل بهم عقوبة بل هو سبب المثوبة قوله تعالى ثم صرفكم

عنهم ليبتليكم اي بعد ان استوليتم عليهم رد كم عنهم بالانهزام ودل
هذا على ان المعصية مخلوقة لله تعالى وقالت المعتزلة المعنى ثم انصرفتم
فاضافته الى الله اخراجه الرعب من قلوب الكافرين من المسلمين
ابتلا لهم قال القشيري وهذا لا يغنيهم لان اخراج الرعب عن
قلوب الكافرين حتى يستخفوا بالمسلمين قبيح ولا يجوز عندهم ان يقع
من الله قبيح فلا يبقى لقوله ثم صرفكم عنهم معنى وقيل معنى صرفكم
عنهم اي لم يكلفكم طلبهم قوله ولقد عفا عنكم اي لم يستاصلكم بعد
المعصية والمخالفة والخطاب قيل هو للجميع وقيل هو للرماة الذين خالفوا
ما امروا به واختاره النحاس وقال اكثر المفسرين ونظير هذه
الاية قوله ثم عفونا عنكم والله ذو فضل على المومنين بالعفو والمغفرة
وعن ابن عباس قال ما نصر النبي صلى الله عليه وسلم في موطن كما نصر يوم
احد قال وانكرنا ذلك فقال ابن عباس بيني وبين من انكر ذلك
كتاب الله عز وجل ان الله تبارك وتعالى يقول في يوم احد ولقد
صدقكم وعده اذ تحسونهم باذنه يقول ابن عباس والحس القتل
حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون
منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم
ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المومنين وانما عنا بهذا الرماة وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم اقامهم في موضع ثم قال احموا ظهورنا فان
رايتمونا نقتل فلا تنصرونا وان رايتمونا قد غنمنا فلا تشركونا فلما غنم
رسول الله صلى الله عليه وسلم واباحوا عسكر المشركين انكفات الرماة
جميعا فدخلوا في العسكر ينهبون وقد التقت صفوف النبي صلى الله عليه
وسلم

وسلم فهم هكذا وشبك اصابع يديه التبسوا فلما اخل الرماة تلك
الخله التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على النبي صلى الله عليه
وسلم فضرب بعضهم بعضا والتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير وقد
كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اول النهار حتى قتل من اصحاب
لوا المشركين سبعة او تسعة وجال المسلمون نحو الجبل ولم يبلغوا حيث
يقول الناس الغار انما كانوا تحت المهراس وصاح الشيطان قتل محمد فلم
يشك فيه انه حق فما زلنا كذلك ما نشك انه قتل حتى طلع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين السعدين نعرفه بتكفيه اذا مشى قال ففرحنا حتى كانا لم
يصبنا ما اصابنا قال فرقى نحونا وهو يقول اشتد غضب الله على
قوم دموا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كعب بن ملك
انا كنت اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين عرفته بعينيه
من تحت المغفر تزهران فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين ابشروا
هذا رسول الله فاشار الي ان اسكت قوله تعالى اذ تصعدون
الايه اذ متعلق بقوله ولقد عفا عنكم وقراه العامة تصعدون
بضم التا وكسر العين وقرا ابو رجا العطاردي وابو عبد الرحمن
السلمي والحسن وقتاده بفتح التا والعين يعني تصعدون الجبل
وقرا ابن محيصن وشبل اذ يصعدون ولا يلوون بالياء فيهما وقرا
الحسن تلون بواو واحدة وروى ابو بكر بن عياش عن
عاصم ولا تلوون بضم التا وهي لغة شاذة ذكرها النحاس قال
ابو حاتم اصعدت اذا مضيت حيال وجهك وصعدت
اذا ارتقيت في جبل او غيره فالاصعاد السير في مستوى الارض

وبطون الاوديه والشعاب والصعود الارتفاع على الجبال والسطوح
والسلاليم والدرج فيحتمل ان يكون صعودهم في الجبل بعد اصعادهم
في الوادي فيصح المعنى على قراه تصعدون ويصعدون قال قتاده
والربيع اصعدوا يوم احد فرارا فحلتا القرائتين صواب قال ابو ميك
من المنهزمين مصعد وصاعد والله اعلم قال القتبي والمبرد اصعد
اذا ابعد في الذهاب وامعن فيه وكان الاصعاد ابعاد في الارض
كابعاد الارتفاع قال الشاعر الا ايها ذا السايلي اين
اصعدت فان لها من بطن يثرب موعدا وقال الفرا الاصعاد
الابتدا في السفر والانحدار الرجوع منه يقال اصعدنا من بغداد
الى مكه والى خراسان واشباه ذلك اذا خرجنا اليها واخذنا في السفر
والحدرنا اذا رجعنا وانشد ابو عبيده قد كنت تبكين على
الاصعاد فاليوم سرحت وصاح الوادي وقال المفضل
صعد واصعد وصعد بمعنى واحد ومعنى تلوون تعرجون
وتقيمون اي لا يلتفت بعضكم الى بعض هربا فان المعرج على الشى
يلوي اليه عنقه او عنان دابته على احد يريد محمدا صلى الله عليه وسلم
قاله الكلبي والرسول يدعوكم في اخراكم يقال جا فلان في اخر الناس
واخرة الناس واخرى الناس واخرايات الناس وفي البخاري اخراكم
تانيث اخركم ثنا عمرو بن خالد ثنا زهير ثنا ابو اسحق سمعت البرا بن
عازب قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجاله يوم احد عبد الله بن
جبير واقبلوا منهزمين فذاك اذ يدعوهم الرسول في اخراهم ولم يبق مع
النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا قال ابن عباس وغيره كان

دعا النبي

دعا النبي صلى الله وسلم اي عباد الله ارجعوا وكان دعاوه تخييرا
المنكر ومحال ان يرى النبي صلى الله عليه وسلم المنكر والانهزام
ثم لا ينهى عنه قال الشيخ المولف رحمه الله هذا على ان يكون الانهزام
معصية وليس كذلك على ما ياتي بيانه ان شا الله قوله تعالى فاثابكم
غما بغم الغم التغطية غميت الشي غطيته ويوم غم وليلة غمة اذا كانا
مظلمين ومنه غم الهلال اذا لم ير وقال الحسن فاثابكم غما يوم
احد بغم يوم بدر للمشركين وسمي الغم ثوابا كما سمي جزا ذنبا وقيل
وثقهم الله على دينهم وغمّ الامر يغمى قال مجاهد وقتادة
وغيرهما الغم الاول القتل بالجراح والثاني الارجاف بقتل النبي صلى
عليه وسلم اذا صاح به الشيطان وقيل الغم الاول ما فاتهم من
الظفر والغنيمة والثاني ما اصابهم من القتل والهزيمة وقيل
الغم الاول الهزيمة والثاني اشراف ابي سفين وخالد عليهم في
الجبل فلما نظر المسلمين اليهم غمهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم
فيقتلونهم فانساهم هذا ما نالهم قبل ذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم لا يعلن علينا كما تقدم والباء بغم على هذا بمعنى
وقيل هي على بابها والمعنى انهم عصوا النبي صلى الله عليه وسلم بخلافهم
اياه فاثابهم بذلك غمهم بما اصيب منهم فشغلوا بذلك عما اما
قوله تعالى لكيلا تحزنوا اللام متعلقة بقوله ولقد
عفا عنكم وقيل هي متعلقة بقوله فاثابكم غما بغم اي كان هذا
الغم بعد الغم لكي لا تحزنوا على ما فات من الغنيمة ولا ما فات اصابكم
من الهزيمة والاول احسن وما في قوله ما اصابكم في موضع خفض

وقيل لا صلة اي لكي تحزنوا على ما فاتكم وما اصابكم عقوبة لكم
في مخالفتكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مثل قوله ما
منعك الا تسجد اي ان تسجد وقوله لئلا يعلم اهل الكتاب
اي ليعلم اهل الكتاب وهو قول المفضل وقيل اراد بقوله فاثابكم
غما بغم اي توالت عليكم الغموم لكي لا تشتغلوا بعد هذا
بالغنايم والله خبير بما تعملون فيه معنى التحذير والوعيد
قوله تعالى ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا الامنة
والامن سوا وقيل الامنة انما تكون مع اسباب الخوف والامن
مع عدمه وهي منصوبة بانزل ونعاس بدل منها وقيل
نصب على المفعول له كانه قال انزل عليهم الامنة نعاسا وقرا
ابن محيصن امنة بكسر الميم تفضل تعالى على المومنين بعد هذه
الغموم في يوم احد بالنعاس حتى نام اكثرهم وانما ينعس من يامن
والخائف لا ينام روى البخاري عن انس ان ابا طلحة قال
غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد حتى قال فجعل سيفي
يسقط من يدي واخذه ويسقط واخذه تغشى قرئ بالياء
والتاء الياء للنعاس والتاء للامنة والطائفة تنطلق على الواحد
والجماعة وطائفة قد اهمتهم انفسهم يعني المنافقين معتب
بن قشير واصحابه وكانوا خرجوا طمعا في الغنيمة وخوف المومنين
فلم يغشاهم النعاس وجعلوا يتاسفون على الحضور ويقولون
الاقاويل ومعنى قد اهمتهم انفسهم حملتهم على الهم والهم
ما هممت به يقال اهمني الشيء اي كان من همي واهمني مهم شديد
واهمني

واهمني الامر اقلقني واهمني اذا نبي والواو في قوله وطايفه واو
الحال بمعني اذاي اذ طايفه يظنون ان امر محمد صلى الله عليه وسلم باطل وانه
وانه لا ينصر ظن الجاهليه محد ف يقولون هل لنا من الامر من شي
لفظه استفهام ومعناه الجحد اي ما لنا شي من الامر اي من امر
الخروج وانما خرجنا كرها يدل عليه قوله تعالى اخبارا عنهم
لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا هاهنا قال الزبير ارسل علينا
النوم ذلك اليوم واني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس
يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا هاهنا وقيل
المعنى يقولون ليس لنا من الظفر الذي وعدنا به محمد شي قوله
تعالى قل ان الامر كله لله قرا ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على
الابتدا وخبره لله والجمله خبر ان وهو كقوله وترى الذين كذبوا
على الله وجوههم مسوده والباقون بالنصب على نعت ان الامر
اجمع فهو توكيد وهو بمعنى اجمع في الاحاطه والعموم واجمع
لا يكون الا توكيد وقيل نعت للامر وقال الاخفش يدل
اي النصر بيد الله ينصر من يشا ويخذل من يشا وقال جويبر عن
الضحاك عن ابن عباس في قوله يظنون بالله غير الحق ظن الجاهليه يعني
التكذيب بالقدر وذلك انهم تكلموا فيه فقال الله تعالى قل ان الامر
كله لله يعني القدر خيره وشره من الله يخفون في انفسهم اي
من الشرك والكفر والتكذيب ما لا يبدون لك يظهرون لك
يقولون لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا هاهنا اي ما قتل عشايرنا
فقيل ان المنافقين قالوا لو كان لنا عقل لما خرجنا الى قتال اهل مكه

وما قتلوا وساونا فرد الله عليهم فقال قل لو كنتم في بيوتكم لبرز
اي لخرج الذين كتب اي فرض عليهم القتل يعني في اللوح المحفوظ الى
مضاجعهم الى مصارعهم وقيل كتب عليهم القتل اي فرض عليهم
القتال فعبر عنه بالقتل لانه قد يوول اليه وقرا ابو حيوة لبرز
بضم البا وشد الرا بمعنى يجعل يخرج وقيل لو تخلفتم ايها المنافقون لبرز نحو
الى موطن اخر غيره تصرعون فيه حتى يبتلي الله ما في الصدور ويظهر للمومنين
والواو في قوله متحمة كقوله وليكون من الموقنين اي ليبلون وحذف
الفعل الذي مع لام كي والتقدير وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في
قلوبكم فرض عليكم القتال والحرب ولم ينصركم يوم احد صبركم
وليمحص عنكم سياتكم ان تبتم واخلصتم وقيل معنى ليبتلي ليعاملكم
معامله المختبر وقيل ليقطع منكم مشاهدة ما علمه غيبا وقيل هو على
حذف مضاف والتقدير ليبتلي الله اولياه وقد تقدم معنى التمحيص
والله اعلم بذات الصدور اي بما فيها من خير وشر وقيل ذات الصدور هي
الصدور لان ذات الشي نفسه قوله تعالى انما استزلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا هذه الجملة هي خبر ان الذين تولوا والمراد من تولى من
المشركين يوم احد عن عمر رضي الله عنه وغيره السدي يعني من
قرب الى المدينة في وقت الهزيمة دون من صعد الجبل وقيل هي في قوم باعيا
نهم اتاموا عن النبي صلى الله عليه وسلم في وقت هزيمتهم ثلاثه ايام ثم
انصرفوا ومعنى استزلهم استدعى زللهم بان ذكرهم خطايا سلفت منهم
فكرهوا الثبوت لئلا يقتلوا وهو معنى ببعض ما كسبوا وقيل
استزلهم حملهم على الزلل وهو استفعل من الزلة وهي الخطيئة وقيل

زل وازل

عشر
سابع

زل وازل بمعنى واحد ثم قيل لم هو القتال قبل اخلاص التوبه فانما تولوا لهذا هذا على القول الاول وعلى الثاني معصيتهم النبي صلى الله عليه وسلم في تركهم المركز وميلهم الى الغنيمه قال الحسن ما كسبوا قلوبهم من ابليس ما وسوس اليهم وقال الكلبي زين لهم الشيطان اعمالهم وقيل لم يكن الانهزام معصيه لانهم ارادوا التحصن بالمدينه ليقطع العدو طمعه فيهم لما سمعوا ان النبي صلى الله عليه وسلم قتل ويجوز ان يقال لم يسمعوا دعا النبي صلى الله عليه وسلم للهول الذى كانوا فيه ويجوز ان يقال زاد عدد العدو على الضعف لانهم كانوا سبع مايه والعدو ثلاثه الاف وعند هذا يجوز الانهزام ولكن الانهزام عن النبي صلى الله عليه وسلم خطا لا يجوز ولعلهم توهموا ان النبي صلى الله عليه وسلم انحاز ايضا الى الجبل واحسنها الاول وعلى الجمله فان حمل الامر على ذنب محقق فقد عفا الله عنه وان حمل على انهزام موسع فالايه فيمن ابعد في الهزيمه وزاد على القدر الموسع وذكر الليث السمرقندي نصر بن ابوم محمد بن ابرهيم قال نا الخليل بن احمد قال نا السراج قال نا قتيبه قال نا ابو بكر بن غيلان عن جرير ان عثمان كان بينه وبين عبد الرحمن بن عوف كلام فقال له عبد الرحمن اتسبني وقد شهدت بدرا ولم تشهد وقد بايعت تحت الشجره ولم تبايع وقد كنت تول فيمن تولى يوم الجمع يعني يوم احد فرد عليه عثمان فقال اما قولك انا شهدت بدرا ولم تشهد فاني لم اغب عن شي شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت مريضه وكنت معها امرضها فضرب لي رسول الله صلى

الله عليه وسلم سهما من سهام المسلمين واما بيعه الشجره فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعثني ربيه على المشركين بمكه الربيه هو الناظر فضرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيمينه على شماله فقال هذه لعثمان فيمين رسول الله
صلى الله عليه وسلم خير لي من يميني وشمالي واما يوم الجمع فقال الله تعالى
ولقد عفا الله عنهم فكنت فيمن عفا الله عنه فخاصم عثمان عبد الرحمن
قال الشيخ المولف رحمه وهذا المعنى صحيح ايضا عن ابن عمر كما في صحيح البخاري
قال ثنا عبدان قال ثنا ابو حمزه عن عثمان بن موهب قال جا رجل حج
البيت فراى قوما جلوسا فقال من هولاي القعود فقالوا هولاي قريش
قال من الشيخ قالوا ابن عمر فاتاه فقال انى سايلك عن شي اتحدثني قال انشدك
بحرمه هذا البيت اتعلم ان عثمان فر يوم احد قال نعم قال فتعلمه تغيب
عن بدر فلم يشهدها قال نعم قال فتعلم انه تخلف عن بيعه الرضوان
فلم يشهدها قال نعم فكبر فقال ابن عمر تعال لاخبرك ولابين
لك عما سالتني عنه اما فراره يوم احد فاشهد ان الله عفا عنه واما
تغيبه عن بدر فانه كان تحته بنت رسول الله وكانت مريضه فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم ان لك اجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه واما
تغيبه عن بيعه الرضوان فانه كان احد اعز ببطن مكه من عثمان لبعثه
مكانه فبعث عثمان وكان بيعه الرضوان بعد ما ذهب عثمان الى مكه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال
هذه لعثمان اذهب بهذه الان معك قال الشيخ المولف رحمه الله
ونظير هذه الايه توبه الله على ادم عليه السلام وقوله عليه السلام
فحج ادم موسى اي غلبه بالحجه وذلك ان موسى اراد توبيخ ادم ولوم

في اخراج

في اخراج نفسه وذريته عن الجنة بسبب اكله من الشجرة فقال له ادم
افتلومني على امر قدره الله علي قبل ان اخلق باربعين سنة تاب علي منه
ومن تاب عليه لا ذنب له ومن لا ذنب له لا يتوجه عليه لوم ولذلك
من عفا عنه وانما كان هذا لاخباره تعالى بذلك وخبره صدق وغيره
من المذنبين التائبين يرجون رحمته ويخافون عذابه فهم على وجل وخوف
ان لا يقبل توبتهم وان قبلت فالخوف اغلب عليهم اذ لا علم لهم بذلك
فاعلم قوله تعالى يا ايها الذين كفروا يعني المنافقين قالوا لاخوانهم
يعني في النفاق او في النسب في السرايا التي بعث النبي صلى الله عليه
وسلم الى بير معونة لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فنهي المسلمين
ان يقولوا مثل قولهم وقوله اذا ضربوا هي لما مضى اي اذ ضربوا
الان في الكلام معنى الشرط من حيث كان الذين مبهما غير موقت
فوقع اذا موضع كما يقع الماضي في الجزا موضع المستقبل ومعنى ضربوا
في الارض سافروا فيها وساروا للتجارة او غيرها فماتوا او كانوا غزا غزاة
فقتلوا والغزى جمع منقوص لا يتغير لفظها في رفع وخفض واحد
غاز كراكع وركع وصايم وصوم ونايم ونوم وشاهد وشهد
وغايب وغيب ويجوز في الجمع غزاة مثل قضاة وغزا بالمد مثل
ضراب وصوام ويقال غزا جمع الغزاة قال الشاعر قل للقوافل
والغزي اذا غزوا وروي عن الزهري انه قراه غزا بالتخفيف
والمغزية المراة التي غزا زوجها واتان مغزية متاخرة النتاج ثم تنتج
واغزبت الناقة اذا عسر لقاحها والغزو قصد الشي والمغزى المقصد
ويقال في النسب الى الغزو غزوي قوله تعالى ليجعل الله ذلك

يعني ظنهم وقولهم واللام متعلقه بقوله قالوا اي ليجعل ظنهم انهم
لو لم يخرجوا ما قتلوا حسرة اي ندامه في قلوبهم والحسرة الاهتمام
على فايت لم يقدر بلوغه قال الشاعر فيا حسرتي لم اقض منها
لبانتي ولم امتع بالجوار وبالقرب وقيل هي متعلقه بمحذوف والمعنى لا
تكونوا مثلهم ليجعل الله ذلك القول حسرة في قلوبهم لظهر نفاقهم وقيل
ليجعل ذلك حسرة في قلوبهم يوم القيمه لما هم فيه من الخزي والندامه
ولما فيه المسلمين من النعيم والكرامه قوله تعالى والله يحيي ويميت
يقدر على ان يحيي من يخرج الي القتال ويميت من اقام في اهله والله
بما تعملون بصير قرى بالياء والتاء ثم اخبر تعالى ان القتل في سبيل
الله والموت فيه خير من جمع الدنيا قوله تعالى ولين قتلتم في
سبيل الله او متم لمغفرة من الله جواب الجزا محذوف استغنى
عنه بجواب القسم في قوله لمغفرة من الله وكان الاستغنا بجواب
القسم اولي لانه له صدر الكلام ومعناه ليغفرن لكم واهل
الحجاز يقولون متم بكسر الميم مثل نمتم من مات تمات مثل خفتم
من تخاف وسفلى مصر يقولون متم بضم الميم مثل ضمتم من مات يموت
كقولك كان يكون وقال يقول هذا قول الكوفيين وهو حسن وقوله
لا الي الله تحشرون وعظم بهذا القول اي لا تنفروا من القتال
ومما امركم به فتفروا من عقابه واليم عذابه فان مرد كم لا يملك
لكم احد ضرا ولا نفعا غيره قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت
لهم ما صله فيها معنى التاكيد اي فبرحمه لقوله عما قليل فبما
نقضهم ميثاقهم جند ما هنالك وليست بزايدة على الاطلاق وانما

الحلق عليها

الملوغلبها سيبويه معنى الزياده من زال عملها بن كيسان ما
نكره في موضع جر بالبا ورحمه بدل منها ومعنى الايه انه عليه السلام
لما رفق بمن تولى من احد ولم يعنفهم بين الرب تعالى انه فعل ذلك
بتوفيق الله تعالى اياه وقيل ما استفهام والمعنى فباي رحمه من
الله لنت لهم فهو تعجيب وفيه بعد لانه لو كان كذلك لجاز فبم
بغير الف لنت من لان يلين لينا وليانا بالفتح والفظ الغليظ الجافي
فظظت بفظ فظاظه وفظاظا فانت فظ والانثى فظه والجمع
فظاظ وفي صفه النبي صلى الله عليه وسلم ليس بفظ ولا غليظ ولا
سخاب في الاسواق وانشد المفضل في المذكر ليس بفظ في
الادانى والالي يومون جدواه ولكنه سهل وفظ على اعدايه
يجدونه فسطوته حتف ونايله جزل وقال اخر في المونث
اموت من الضر في منزلي وغيري يموت من الكظه ودنيا تجود
على الجاهلين وهي على ذي النهى فظه وغلظ القلب عباره عن
تجهم الوجه وقله الانفعال في الرغايب وقله الاشفاق والرحمه
ومن ذلك قول الشاعر تبكي علينا ولا نبكي على احد لنحن اغلظ اكبادا
من الابل ومعنى لانفضوا لتفرقوا فضضتهم فانفضوا اي
فرقتهم فتفرقوا ومن ذلك قول ابي النجم يصف ابلا مستعجلات
الفيض غير جرد تنفض عنهم الحصا بالصمد واصل الفض الكسر ومنه
قولهم لا يفضض فاك والمعنى يا محمد لولا رفقك لمنعهم الاحتشام
والهيبه من القرب منك بعد ما كان من توليهم **قوله** تعالى
فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فيه ثمان مسايل.

الاولى قال العلما امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بهذه الاوامر
التي هي بتدريج بليغ وذلك انه امر ان يعفو عنهم فاله في خاصته
عليهم من تبعه فلما صاروا في هذه الدرجه امر الله ان يستغفر فيما
الله عليهم من تبعه ايضا فاذا صاروا في هذه الدرجه صاروا اهلا
للاستشاره في الامور قال اهل اللغه الاستشاره ماخوذه
من قول العرب شرت الدابه وشورتها اذا علمت خبرها بجري
اوغيره ويقال الذي تركض فيه مشورا وتدلون من قولهم
شرت العسل واستشرته فهو شور ومشار اذا اخذته من
موضعه قال عدي بن زيد سماع باذن الشيخ له وحديث
مثل ماذا مشار **الثانيه** قال بن عطيه والشورى من قواعد
الشريعه وعزايم الاحكام ومن لا يستشير اهل العلم والدين
فعزله واجب هذا ما لا اختلاف فيه وقد مدح الله المومنين
بقوله وامرهم شورى بينهم وقال اعرابي ما غبنت قط حتى
يغبن قومي قيل وكيف ذلك لا افعل شيا حتى اشاورهم وقال
بن خويز منداد واجب على الولاه مشاوره العلما فيما يجهلون وفيما
اشكل عليهم من امور الدين ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب ووجوه
الناس فيما يتعلق بالمصالح ووجوه الكتاب والعمال والوزرا فيما
يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها وكان يقال ما ندم من استشار
وكان يقال من اعجب برايه ضل **الثالثه** قوله تعالى وشاورهم
في الامر يدل على جواز الاجتهاد في الامور والاخذ بالظنون مع
امكان الوحي فان الله اذن لرسوله في ذلك واختلف اهل التاويل

ذلك المعنى الذي امر الله نبيه ان يشاور فيه اصحابه فقال طايفه ذلك
في مكايد الحروب وعند لقا العدو وتطييبا لنفوسهم ورفعا لاقدارهم
وتالفا على دينهم وان كان الله تعالى قد اغناه راييهم بوحيه روى هذا
عن قتاده والربيع وابن اسحق والشافعي قال الشافعي هو كقوله
والبكر تستامر تطييبا لقلبها الا انه واجب وقال مقاتل وقتاده
والربيع كانت سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فامر
الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يشاورهم في الامر فان ذلك
اعطف لهم عليه واذهب لاضغانهم واطيب لانفسهم فاذا
شاورهم عرفوا اكرامهم وقال اخرون ذلك فيما لم ياتيه فيه وحي
روي ذلك الحسن البصري والضحاك قالا ما امر الله نبيه بالمشاوره
لحاجة منه الى رايهم وانما اراد يعلمهم ما في المشوره من الفضل
وليقتدي به امته من بعده وفي قراه ابن عباس وشاورهم في بعض
الامر ولقد احسن القايل شاور صديقك في الخفي المشكل
واقبل نصيحه ناصح متفضل فالله قد اوصى بذاك نبيه في قوله وشاورهم
وتوكل الرابعة جاي في مصنف ابي داود عن ابي هريره قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم المستشار موتمن قال العلما وصفة المستشار
وان كان في الاحكام ان يكون عالما دينا وقلما يكون ذلك الا في عاقل
قال الحسن ما كمل دين امرى ما لم يكمل عقله فاذا استشير من هذه صفته
واجتهد في الصلاح وبذل جهده فوقعت الاشاره خطا فلا غرامة
عليه قاله الخطابي وغيره. الخامسة وصفه المستشار في امور
الدنيا ان يكون عاقلا مجربا وادا في المستشير قال شاور من يفك

بلغ ...

في الخفي المشكل وقد تقدم وقال اخر وان باب امر عليك
التوى تشاور لبيبا ولا تعصه في امان والشوري بركة قال
صلى الله عليه وسلم ما ندم من استشار ولا خاب من استخار وقال
سهل بن سعد الساعدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شقي عبد
بمشورة وما سعد باستغنا راي وقال بعضهم شاور من
عرف الامور فانه يعطيك من رايه ما وقع عليه وانت تاخذه مجانا
وقد جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة وهي اعظم النوازل
شورى قال البخاري وكانت الايمة بعد النبي صلى الله عليه
وسلم يستشيرون الامنا من اهل العلم في الامور المباحة لياخذوا
باسهلها قال سفين الثوري ليكن اهل مشورتك اهل التقوى
والامانة ومن يخشى الله وقال الحسن والله ما شاور قوم نبيهم الا هداهم
الله لافضل حضرتهم وروي عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من قوم كانت لهم مشورة فحضرهم من اسمه احمد ومحمد
فادخلوه في مشورتهم الا كان خيرا لهم السادسة والشورى مبنية
على اختلاف الارا والمستشير ينظر في ذلك الخلاف وينظر اقربها
قولا بالكتاب والسنة ان امكنه فاذا ارشده الله تعالى الى ما شاء منه
عزم عليه وانفذه متوكلا عليه اذ هو غاية الاجتهاد المطلوب
وبهذا امر الله نبيه في هذه الاية السابعة قوله تعالى فاذا عزمت
فتوكل على الله قال قتادة امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم اذا عزم على
امر ان يمضي فيه ويتوكل على الله لا على مشاورتهم والعزم هو الامر
المروي المنقح وليس ركوب الراي دون روية عزم الا على منقطع

المسيحين

١٦٤

المستحسن من فعال العرب كما قال اذا هم القى بين عينيه عزمه ونكب
عن ذكر العواقب جانبا ولم يستشر في امره غير نفسه ولم يرض الا قائم
السيف صاحبا وقال النقاش العزم والحزم واحد والحا مبدله
من العين قال ابن عطيه وهذا خطا والحزم جودة النظر في الامر
وتنقيحه والحذر من الخطا فيه والعزم قصد الامضا والله تعالى
يقول وشاورهم في الامر فاذا عزمت فالمشاورة وما كان في
معناها هو الحزم والعرب تقول قد احزم لو اعزم وقرا
جعفر الصادق وجابر بن زيد فاذا عزمتُ بضم التا نسب العزم الي
نفسه سبحانه اذ هو بهدايته وتوفيقه كما قال وما رميت اذ
رميت ولكن الله رمى ومعنى الكلام اي عزمت لك ووفقتك
وارشدتك فتوكل على الله والباقون بفتح التا قال المهلب وامتثل
هذا النبي صلى الله عليه وسلم من امر ربه تعالى لا ينبغي لامته ان يضعها
حتى يحكم الله اي ليس ينبغي له اذا عزم ان ينصرف لانه نقض التوكل الذي
شرطه الله مع العزيمه فلبسه لامته صلى الله عليه وسلم حين اشار عليه
بالخروج يوم احد من اكرمه بالمشاهده فيه وهم صلحا المومنين ممن
كان فاتته بدر يا رسول الله اخرج بنا الى عدونا ذاك الى العزيمه
وكان صلى الله عليه وسلم اشار بالقعود وكذلك عبد الله بن ابي اشار بذلك
وقالا اقم يا رسول الله ولا تخرج اليهم بالناس فان هم اقاموا اقاموا بشر محبس
وان جاونا الى المدينه قاتلناهم في الافنيه وافواه السكك وماهم
النسا والصبيان بالحجاره من الاطام فوالله ما رانا قط عدو في هذه المدينه
الا غلبناه ولا خرجنا منها الى عدو الا غلبنا والى هذا الذى من ذكرنا

منهم ناس

وسمعوا الناس ودعوا الى الحرب فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة
ودخل اثر صلاته بيته لبس سلاحه فندم اوليك القوم وقالوا اكرهنا
صلى الله عليه وسلم فلما خرج عليهم في سلاحه قالوا يا رسول الله اقم ان
شيت فانا لا نريد ان نكرهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي
لنبي اذا لبس سلاحه ان يضعها حتى يقاتل **الثامنة** قوله تعالى فتوكل
على الله التوكل الاعتماد على الله مع اظهار العجز والاسم التكلان
يقال منه اتكلت عليه في امري واصله اوتكلت فقلبت الواو
يا لانكسار ما قبلها ثم ابدلت منها التا وادغمت في تا الافتعال
ويقال وكلته بامري توكيلا والاسم الوكالة بكسر الواو وفتحها
واختلف العلما في التوكل فقالت طايفة من المتصوفة لا يستحقه
الا من لم يخالط قلبه خوف غير الله من سبع او غيره وحتى يترك
السعي وطلب الرزق لضمان الله تعالى وقال عامة الفقها ما تقدم
ذكره عند قوله وعلى الله فليتوكل المومنون وهو الصحيح كما بيناه وقد
خاف موسى وهارون باخبار الله تعالى عنهما في قوله لا تخافا انني
وقال فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف واخبر عن
بقوله فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة
قالوا لا تخف فاذا كان الخليل وموسى الكليم قد خافا وحسبك بهما
فغيرهما اولى وسياتي بيان هذا المعنى **قوله** تعالى ان ينصركم
الله فلا غالب لكم اي عليه توكلوا فانه ان يعنكم ويمنعكم من عدوكم
لم تغلبوا وان يخذلكم يترككم من معونته فمن ذا الذي ينصركم
من بعده اي لا ينصركم احد من بعده اي من بعد خذلانه اياكم

لانه قال

لانه قال وان يخذلكم والخذلان ترك العون والخذول المتروك لا يعبا به وخذلت الوحشيه اقامت علي ولدها في المرعا وتركت صواحباتها
فهي خذول قال طرفه خذول تراعي ربربا بخميله تناول اطراف البرير وترتدي وقال ايضا نظرت اليك بعين جاريه خذلت
صواحبها على طفل وقيل هذا من المقلوب لانها هي المخذوله اذا تركت
وتخاذلت رجلاه ضعفتا قال وخرذل الرجل من غير كسح ورجل
خذله الرجل لا يزال يخذل قوله وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل
يات بما غل يوم القيامه فيه احدي عشره مسله لما اخل
الرماه بمركزهم يوم احد على ما تقدم خوفا من غير ان يسترك المسلمون
على الغنيمه فلا يصرف اليهم شي بين الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم
لا يجور في القسمه فما كان من حقكم ان تتهموه وقال الضحاك بل
السبب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث طلايع في بعض
غزواته ثم غنم قبل مجيهم فقسم للناس ولم يقسم للطلايع فانزل
الله عليه عتابا وما كان لنبي ان يغل اي يقسم لبعض ويترك بعضا وروي
نحو هذا القول عن ابن عباس وقال ابن عباس ايضا وعكرمه وابن
جبير وغيرهم نزلت بسبب قطيفه حمرا فقدت من الغنايم
يوم بدر فقال بعض من كان مع النبي صلى الله عليه وسلم لعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخذها فنزلت الايه اخرجه ابو داود والترمذي
وقال هذا حديث حسن غريب قال ابن عطيه قيل كانت هذه
المقاله من مومنين لم يظنوا ان ذلك حرجا وقيل كانت من المنافقين
وقد روي ان المفقود كان سيفا وهذه الاقوال تخرج على قراه يغل

هاله مذكا

بفتح اليا وضم الغين ودوي ابو صخر عن محمد بن كعب وما كان لنبي ان
يغل قال يقول ما كان لنبي ان يكتم شيا من كتاب الله وقيل اللام فيه
منقوله اي ما كان لنبي ان يغل لقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد وقرى يغل بضم
اليا وفتح الغين قال ابن السكيت ما كان لنبي ان يغل ويغل قال
فمعنى يغل يخون ومعنى يغل يخون ويحتمل معنيين احدهما يغال اي يوخذ
من غنيمته والاخر يخون اي ينسب الى الغلول ثم قيل ان كل من
غل شيا في خفا فقد غل يغل غلولا قال ابن عرفه سميت غلولا لان
الايدي مغلوله منها اي ممنوعه منها وقال ابو عبيد الغلول
من المغنم خاصه ولا نراه من الخيانه ولا من الحقد ومما يبين ذلك انه يقال
من الخيانه اغل يغل ومن الحقد غل يغل بالكسر ومن الغلول
غل يغل بالضم وغل البعير ايضا اذا لم يقضِ ريه واغل الرجل خان
قال النمر جزا الله عنا حمزة ابنة نوفل جزا مغل بالامانه كاذب
وفي الحديث لا اغلال ولا اسلال اي لا خيانه ولا سرقه ويقال لا رشوه
وقال شريح ليس على المستعير غير المغل ضمان وقال صلى الله عليه وسلم
ثلث لا يغل عليهن قلب مومن رواه بالفتح فهو من الضغن وغل يتعدى ولا
يتعدى ويقال غل فلان المفاوز اي دخلها وتوسطها وغل من المغنم
غلولا اي خان وغل الما بين الاشجار اذا جرى فيها يغل بالضم في جميع ذلك
وقيل الغلول في اللغه ان ياخذ من المغنم شيا يستره عن اصحابه ومنه
تغلغل الما في الشجر اذا تخللها والغلل الما الجارى في اصول الشجر لانه مستتر
بالاشجار كما قال لبيد المسول به فاصبح ماوه غللا يقطع في اصول
الخروع ومنه الغلاله للثوب الذي يلبس تحت الثياب والغال ارض

مطمينه

مطمينة ذات شجر ومنابت الساج والطلع يقال لها غال ايضا بت
والجمع غُلات بالضم وقال بعض الناس ان معنى ان يغل يوجد غالا كما تقول
اخذت الرجل وجدته محمودا فهذه القراه على هذه التاويل يرجع الي معنى
يغل بفتح اليا وضم الغين ومعنى يغل عند جمهور اهل العلم اي ليس لاحد
ان يغله اي يخونه في الغنيمه فالايه في معنى نهي الناس عن الغلول في المغانم
والتوعد عليه وكما لا يجوز ان يخان النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز ان يخان
غيره ولكن خصه بالذكر لان الخيانه معه اشد وقعا واعظم وزرا لان
المعاصي تعظم بحضرته لتعيين توقيره والولاه انما هم على امر النبي صلى
صلى الله عليه فلهم حظهم من التوقير وقيل معنى يغل اي ما غل نبي
وليس الغرض النبي **الثانيه** قوله تعالى ومن يغلل يات بما غل يوم
القيامه اي يات به حاملا له على ظهره ورقبته معذبا بحمله وثقله ومرعوبا
مصوته وموبخا باظهار خيانته على روس الاشهاد على ما ياتي وهذه
الفضيحه التي يوقعها الله تعالى بالغال نظير الفضيحه التي توقع بالغا
في ان ينصب له لوا عند استه بقدر غدرته وجعل الله تعالى هذه المعا
حسب ما يعهده البشر ويفهمونه الا ترى الى قول الشاعر اسمي ويحك
هل سمعت بغدره رفع اللوا لنا بها في الجمع وكانت العرب ترفع
للغادر لوا ولذلك يطاف بالجاني مع جنايته في صحيح مسلم
عن ابي هريره قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
يوم فذكر الغلول وعظم امره ثم قال لا الفين احدكم يجي يوم القيامه
على رقبته بعير له رغا يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك
شيا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجي يوم القيامه على رقبته شاه لها

الاولى

در

قبات

ثغا يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك شيا قد ابلغتك لا الفين
احدكم يجي يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فتقول يا رسول الله
اغثني فاقول لا املك لك شيا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجي يوم
القيامه رقاع تخفق فيقول يرسول الله اغثني فاقول لا املك لك
شيا قد ابلغتك وروي ابو داود عن سمرة بن جندب قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اصاب غنيمه امر بلالا فنادى
في الناس فيجيبون بغنائمهم فيخمسه ويقسمه فجا رجل يوما بعد
النداء بزمام من الشعر فقال يرسول الله هذا كان فيما اصبناه
من الغنيمه فقال اسمعت بلالا ينادي ثلاثا قال نعم قال فما منعك
ان تجي به فاعتذر اليه فقال كلا انت تجي به يوم القيامه فلن اقبله
منك وقال بعض العلما ارادوا في يوم القيامه بوزر ذلك كما
قال في اية اخرى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم يوم القيامه
وقيل الخبر يحملوا على شهرة الامر اي ياتي يوم القيامه قد شهر الله
امره كما يشهر لو حمل بعيرا له رغا وفرسا له حمحمه قال الشيخ المولف
رحمه الله وهذا عدول عن الحقيقه الى المجاز والتشبيه واذا ارا د
الكلام بين الحقيقه والمجاز فالحقيقه الاصل كذا في كتب الاصول
وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالحقيقه ولا عطر بعد عروس ويقال
ان من غل شيا يمثل له يوم القيامة في النار ثم يقال له انزل اليه فخذه فيهبط
اليه انتهى اليه حمله فلما انتهى الى الباب سقط عنه الى اسفل جهنم فيرجع
اليه فياخذه لا يزال هكذا الى ما شا ويقال يات بما غل يعني يشهد
عليه يوم القيامه تلك الجليه في الغلول الثالثه قال العلما

والغلول

والغلول لنبين من الجاير بدليل هذه الايه وما ذكرناه من حديث
الجمهرين انه يحمله على عنقه وقال صلى الله عليه وسلم لمدعم والذي
نفسي بيده ان الشمله التي اخذ يوم القيامه خيبر من الغنايم لم يصبها المقاسم
لتشتعل عليه نارا قال فلما سمع الناس ذلك جاء رجل بشراك او شراكين
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شراك او شراكين من نار اخرجه الموطا فقوله عليه السلام والذي
بيده وامتناعه من الصلاه على من غل دليل على تعظيم الغلول وتعظيم
الذنب فيه وانه من الجاير وهو من حقوق الادميين ولا بد
فيه من القصاص بالحسنات والسيات ثم صاحبه في المشيه
وقوله شراك او شراكان من نار مثله ادوا الخايط والمخيط وهذا
يدل على ان القليل والكثير لا يحل احد في الغزو قبل المقاسم الاما
اجمعوا عليه من اكل الطعام في ارض العدو ومن الاحتطاب والاصطياد
وقد روى عن الزهري انه قال لا توخذ الطعام في ارض العدو الا
باذن الامام وهذا لا اصل له لان الاثار تخالفه على ما ياتي وقال الحسن
كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتحوا المدينه او القصر
اكلوا من السويق والدقيق والسمن والعسل وقال ابرهيم كانوا ياكلو
من ارض الطعام في ارض الحرب ويعلفون قبل ان يخمسوا وقال عطا في
الغزاه يكونون في السريه فيصيبون الخا السمن والعسل والطعام
قال ياكلون وما بقي ردوه الى امامهم وعلى هذا جماعه العلما
وفي هذا الحديث دليل على ان الغال لا يحرق متاعه لان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يحرق رجل الذي اخذ الشمله ولا متاعه ولا احرق

متاع صاحب الحروات الذي ترك الصلاة عليه ولو كان حرق متاعه
واجبا لفعله صلى الله عليه ولو فعله لنقل ذلك في الحديث واما ما
روي عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا وجدتم الرجل
قد غل فاحرقوا متاعه واضربوه رواه ابو داود والترمذي من
حديث صالح بن محمد بن زايده وهو ضعيف لا يحتج به قال الترمذي
سالت محمدا يعني البخاري عن هذا الحديث فقال انما روي هذا صالح
بن محمد وهو ابو واقد الليثي وهو منكر الحديث وروي ابو داود
ايضا عنه قال غزونا مع الوليد بن هشام ومعنا سالم بن عبد الله بن
عمر وعمر بن عبد العزيز فغل رجل متاعا فامر الوليد بمتاعه فاحرق
وطيف ولم يعطه سهمه قال ابو داود وهذا اصح الحديثين
وروي من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر حرقوا متاع الغال وضربوه
قال ابو داود وزاد فيه علي بن بحر عن الوليد ولم اسمعه منه
ومنعوه سهمه قال ابو عمر وقال بعض رواة الحديث فاضربوا
عنقه واحرقوا متاعه وهذا الحديث يدور على محمد بن صالح وليس
ممن يحتج به وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يحل
دم امرء مسلم الا باحدى ثلاث وهو ينفي القتل من الغلول وروى
بن جريج عن ابي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على
الخاين ولا المنتهب ولا على المختلس قطع وهذا يعارض حديث صالح
بن محمد وهو اقوى من جهة الاسناد والغال خاين في اللغة والشريعة
واذا انتفى عنه القطع فاحرى القتل وقال الطحاوي لو صح حديث

صالح

صاحب المذكور واحتمل ان يكون حين كانت العقوبات في الاموال كما
قال في مانع الزكوة انا اخذها وشطر ماله عزمة من عزمات الله وكما
قال ابو هريرة في ضالة الابل المكتومة فيها غرامتها ومثلها معها و كما
روي عبد الله بن عمرو بن العاص في التمر المعلق غرامة مثليه وجلدات
نكال وهذا كله منسوخ **الخامسة** فاذا غل الرجل في المغنم ووجد
اخذ منه وادب وعوقب بالتعزير عند ملك والشافعي وابي حنيفة
واصحابهم والليث ولا يحرق متاعه وقال الشافعي والليث وداود
وان كان عالما بالنهي عوقب وقال الاوزاعي يحرق متاع الغال
كله الا سلاحه وثيابه التي عليه وسرجه ولا تنزع منه دابته
ولا يحرق الشيء الذي غل وهذا قول احمد واسحاق وقال الحسن الا
ان يكون حيوانا او مصحفا وقال بن خوازمنداد روي ان ابا بكر وعمر
رضي الله عنهما ضربا الغال واحرقا متاعه قال بن عبد البر وممن
قال يحرق رحل الغال ومتاعه مكحول وسعيد بن العزيز وحجة من
ذهب الي هذا حديث صاحب المذكور وهو عندنا حديث لا يجب به
انتهاك حرمة ولا انفاذ حكم لما يعارضه من الاثار التي هي اقوى منه
وما ذهب اليه ملك ومن تابعه في هذه المسئلة اصح من جهة النظر
وصحيح الاثر والله اعلم **السادسة** لم يختلف مذهب ملك
في العقوبة على البدن فاما في المال فقال في الذمي يبيع الخمر من المسلم يراق
الخمر على المسلم وينزع الثمن من يد الذمي عقوبة له لئلا يبيع الخمر من
المسلمين فعلى هذا يجوز ان يقال تجوز العقوبة في المال وقد اراق عمر رضي الله
عنه لبنا شيب بما **السابعة** واجمع العلما على ان على الغال ان يرد ما

غل الى صاحب المقاسم قبل يتفرق الناس ان وجد السبيل الى ذلك وانه
اذا فعل ذلك فهي توبه له وخرج ذنبه واختلفوا فيما يفعل به اذا
افترق اهل العسكر ولم يصل اليه فقال جماعه من اهل العلم يدفع
الى الامام خمسه ويتصدق بالباقي هذا مذهب الزهري ومالك
والاوزاعي والليث والثوري وروي عن عباده بن الصامت
ومعاويه والحسن البصري وهو يشبه مذهب بن مسعود وبن
عباس لانهما كانا يريان ان يتصدق بالمال الذي لا يعرف صاحبه
وهو مذهب احمد بن حنبل وقال الشافعي ليس له الصدقه بمال
غيره قال ابو عمر وهذا عندي فيما يمكن وجود صاحبه والوصول
اليه او الى ورثته واما ان لم يمكن شي من ذلك فان الشافعي لا يكره
الصدقه حينيذ ان شا الله وقد اجمعوا في اللقطه على جواز الصدقه
ما بعد التعريف لها وانقطاع صاحبها وجعلوه اذا جا مخيرا بين الاجر
والضمان وكذلك المغصوب وبالله التوفيق وفي تحريم الغلول دليل
على اشتراك الغانمين في الغنيمه فلا يحل لاحد ان يستاثر بشي منها دون
الاخر فمن غصب منها شيا ادب اتفاقا على ما تقدم **الثامنه** فان
وطي جاريه او سرق نصابا فاختلف العلما في اقامه الحد عليه فراي
جماعه انه لا قطع عليه **التاسعه** ومن الغلول هدايا العمال وحكمه
في الفضيحه في الاخره حكم الغال وروي ابو داود في سننه ومسلم
في صحيحه عن ابي حميد الساعدي ان النبي صلى الله عليه وسلم استعمل
رجلا من الازد يقال له اللتبيه قال ابن السرح ابن اللتبيه على الصدقه فقال
هذا لكم وهذا اهدي الي فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله

واثنى عليه

واثنى عليه وقال ما بال العامل نبعثه فيقول هذا لكم وهذا اهدى الي
الا جلس في بيت امه وابيه فينظر ايهدى اليه ام لا لا ياخذ منكم بشي من
ذلك الا جا يوم القيامه ان كان بعيرا فله رغا وان كان بقرة فلها خوار او
شاه تبعر ثم رفع يديه حتى راينا عفرة ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت
اللهم هل بلغت   وروى ابو داود عن بريده عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما اخذ بعد ذلك فهو غلول
وروى ايضا عن ابي مسعود الانصاري قال بعثني رسول الله صلى الله
عليه وسلم ساعيا ثم قال انطلق ابا مسعود لا الفينك يوم القيامه
تجي على ظهرك بعير من الصدقه له رغا قد غللته قال اذا لا انطلق
قال اذا لا اكرهك وقد قيل هذه الاحاديث ما رواه ابو داود
ايضا عن المستورد بن شداد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
من كان لنا عاملا فليكتسب زوجه فان لم يكن له خادم فليكتسب
خادما فان لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنا قال قال ابو بكر
اخبرت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتخذ غير ذلك فهو غال
سارق **العاشرة** ومن الغلول حبس الكتب عن اصحابها ويدخل
غيرها فيما في معناها   قال الزهري اياك وغلول الكتب فقيل له ما
غلول الكتب قال حبسها على اصحابها   وقد قيل في تاويل قوله وما كان
لنبي ان يغل ان يكتم شيا من الوحي رغبه او رهبه او مداهنه وذلك
انهم كانوا يكرهون ما في القران من عيب دينهم وسب الهتهم فسالوه
ان يطوي ذلك فانزل الله هذه الايه قاله محمد بن بشار وما بدانا به قول
الجمهور **الحادية عشرة** قوله تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم

لا يظلمون تقدم القول فيه قوله تعالى افمن اتبع رضوان الله كمن با بسخط من الله يريد بكفر او غلول او تولى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحرب وما وماواه جهنم اي مثواه النار ان لم يتب او يعفو الله عنه وبيس المصير اي المرجع ٥ وقرى رضوان بكسر الرا وضمها كالعدوان والعدوان ثم قال تعالى هم درجات عند الله اي ليس من اتبع رضوان الله كمن با بسخط منه بل درجاتهم متفاوته اي هم يختلفوا المنازل عند الله فلمن اتبع رضوانه الكرامه والثواب العظيم ولمن با بسخط منه المهانه والعذاب الاليم ومعنى هم درجات اي ذوو درجات او على درجات او في درجات او لهم درجات واهل النار ايضا ذوو درجات كما قال وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح فالمومن والكافر لا يستويان في الدرجه ثم المومنون يختلفون ايضا فبعضهم ارفع درجه من بعض وكذلك الكفار والدرجه المرتبه ومنه الدرج لانه يطوى رتبه بعد رتبه والاشهر في منازل جهنم دركات كما قال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فلمن لم يغل درجات في الجنه ولمن غل دركات في النار قال ابو عبيد جهنم ادراك اي منازل يقال لكل منزل منها درك ودرك والدرك الى اسفل والدرج الى اعلى قوله تعالى لقد من الله على المومنين الايه بين تعالى عظيم منته عليهم ببعثه محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى في المنه فيه اقوال منها ان يكون معنى من انفسهم انه بشر مثلهم فلما اظهر البراهين وهو بشر مثلهم علم ان ذلك من عند الله وقيل من انفسهم منهم فشرفوا به صلى الله عليه وسلم فكانت تلك المنه وقيل من انفسهم لـه ليعرفوا حاله ولا يخفى عليهم طريقته واذا كان محله فيهم هذا كانوا الحق بان يقاتلوا عنه ولا ينهزموا دونه وفي الشواذ من انفسهم بفتح

قرى

الفا

العا يعني من اشرفهم لانه من بني هاشم وبنوا هاشم افضل من قريش
وقريش افضل من العرب والعرب افضل من غيرهم ثم قيل لفظ المومنين
عام ومعناه خاص لمن العرب لانه ليس حي من احيا العرب الا وقد ولده
صلى الله عليه وسلم الهم فيه نسب الا بني تغلب فانهم كانوا نصارى
فطهره الله من دنس النصرانيه وبيان هذا التاويل قوله هو الذي بعث في
الاميين رسولا منهم وذكر ابو بكر المروذي نا يحيى معين نا هشام بن
يوسف عن عبد الله بن سليمان النوفلي عن الزهري عن عروه عن عايشه رضي
الله عنها لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم من انفسهم قالت هذه
للعرب خاصه وقال اخرون اراد به المومنين كلهم ومعنى من انفسهم
انه واحد منهم وبشر مثلهم وانما امتاز عنهم بالوحي وهو معنى
قوله لقد جاكم رسول من انفسكم وخص المومنين بالذكر لانهم المنتفعون
فالمنه اعظم عليهم **قوله** تعالى يتلوا عليهم هو موضع نصب نعت
لرسول ومعناه يقرا والتلاوه القراه ويعلمهم الكتاب والحكمه تقدم
في البقره ومعنى وان كانوا من قبل اي ولقد كانوا من قبل اي من قبل
محمد وقيل ان بمعنى ما واللام في الخبر بمعنى الا اي وما كانوا من قبل الا في
ضلال مبين ومثله وان كنتم من قبله لمن الضالين اي وما كنتم من قبله الا
من الضالين وهذا مذهب الكوفيين وقد تقدم في البقره معنى هذه
الايه **قوله** تعالى اولما اصابتكم مصيبه الالف للاستفهام والواو
للعطف مصيبه اي غلبه قد اصبتم مثليها يوم بدر بان قتلتم منهم
سبعين واسرتم سبعين والاسير في حكم المقتول لان الاسر يقتل
اسيره ان اراد اي فهزمتموهم يوم بدر ويوم احد ايضا في الابتدا وقتلتم

فيه قريبا من عشرين منهم في يومئذ ونالوا منكم في يوم احد قلتم انى هذا
من اين اصابنا هذا الانهزام والقتل ونحن نقاتل في سبيل الله ونحن مسلمون
وفينا النبي والوحي وهم مشركون قل هو من عند انفسكم يعني بمخالفة الرماة
وما من قوم اطاعوا نبيهم في حرب الا نصروا الا اذا اطاعوا فهم حزب الله
وحزب الله هم الغالبون وقال قتادة والربيع بن انس يعني سوالكم النبي
صلى الله عليه وسلم ان يخرج بعد ما اراد الاقامة بالمدينة وتاولها في
الرويا التي راها درعا حصينة وعلي رضي الله عنه هو اختياركم الفدا يوم
بدر على القتل وقد قيل لهم ان فاديتم الاسارى قتل منكم على عدتهم روى
البيهقي عن علي رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم في الاسا
رى يوم بدر ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستمتعتم
بالفدا واستشهد منكم بعدتهم فكان اخر السبعين ثابت بن
قيس قتل يوم اليمامة فمعنى من عند انفسكم على القولين
الاولين بذنوبكم وعلى القول الاخير باختياركم قوله
تعالى وما اصابكم يوم التقى الجمعان يعني يوم احد من القتل
والجرح والهزيمة فباذن الله اي بعلمه وقيل بقضايه وقدره
وقال القفال اي فبتخليته بينكم وبينه لا انه اراد ذلك وهذا
تاويل المعتزلة ودخلت الفا في باذن الله لان ما بمعنى الذي اي والذي
اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله فاشبه الكلام معنى الشرط
كما قال سيبويه الذي قام فله درهم وليعلم المومنين وليعلم
الذين نافقوا اي ليميز وقيل ليرى وقيل ليظهر ليظهر ايمان المومنين
بثبوتهم في القتال وليظهر كفر المنافقين باظهارهم الشماتة فيعلمون

ذلك

ذلك والاشاره بقوله نافقوا وقيل لهم هي الى عبدالله بن ابي
واصحابه الذين انصرفوا معه عن نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا
ثلاث مايه فمشى في اثرهم عبدالله بن حزام الانصاري ابو جابر
بن عبدالله فقال لهم اتقوا الله ولا تتركوا نبيكم وقاتلوا في سبيل
الله او ادفعوا ونحو هذا من القول فقال له بن ابي ما ارى ان يكون
قتالا ولو علمنا ان يكون قتالا لكنا معكم فلما يئس منهم عبدالله
قال اذهبوا اعداء الله فسيغني الله ورسوله عنكم ومضى مع النبي
صلى الله عليه وسلم واستشهد رحمه الله واختلف الناس في
معنى قوله او ادفعوا فقال السدي وابن جريج وغيرهما كثروا سوادنا
وان لم تقاتلوا معنا فيكون ذلك دفعا وقمعا للعدو فان السواد
اذا كثر حصل دفع العدو وقال انس بن ملك رايت يوم
القادسيه عبدالله بن ام مكتوم الاعمى وعليه درع يجر اطرافه
وبيده رايه سودا فقيل له قد انزل الله عذرك قال بلى ولكني
اكثر المسلمين بنفسي وروي عنه انه قال فكيف بسوادي في
سبيل الله وقال ابو عون الانصاري معنى او ادفعوا رابطوا
وهذا قريب من الاول ولا محالة ان المرابط مدافع لانه لولا مكان
المرابطين في الثغور لجاءها العدو وذهب قوم من
المفسرين الى ان قول عبدالله بن عمرو او ادفعوا انما هو استدعا
الى القتال حمية لانه استدعاهم الى القتال في سبيل الله وهي ان
تكون كلمة الله هي العليا فلما راى انهم ليسوا على ذلك عرض
عليهم الوجه الذي يحشمهم ويبعث الانفة اي او قاتلوا دفاعا

عن الجوع الا ترى ان قوما زيال والله ما قاتلت الا عن احساب قومي
الا ترى ان بعض الانصار قال يوم احد لما راى قريشا قد ارسلت الظهر
في زروع قناه ارعى زروع بني قيله ولما يضارب فالمعنى ان يقاتلوا في
سبيل الله فقاتلوا دفعا عن انفسكم وحريمكم قوله هم للكفر يومئذ
اقرب منهم للايمان اي بينوا احوالهم وهتكوا استارهم وكشفوا عن
نفاقهم لمن كان يظن انهم مسلمون فصاروا اقرب الى الكفر في ظاهر
الحال وان كانوا كافرين على التحقيق وقوله يقولون بافواههم ما ليس
في قلوبهم اي اظهروا الايمان واضمروا الكفر وذكر الافواه تاكيدا مثل
قوله يطير بجناحيه قوله تعالى الذين قالوا لاخوانهم معناه لاجل
اخوانهم وهم الشهداء المقتولون من الخزرج وهم اخوة نسب ومجاورة
لا اخوة الدين اي قالوا لهولاء الشهداء لو قعدوا اي بالمدينة ما قتلوا وقيل
وقيل قال عبد الله بن ابي واصحابه لاخوانهم اي لاشكالهم من المنافقين
لو اطاعونا هولاء اي الذين قتلوا لما قتلوا وقوله لو اطاعونا
يريد في ان لا يخرجوا الى قريش وقوله قعدوا اي قالوا هذا القول
وقعدوا بانفسهم عن الجهاد فرد الله عليهم بقوله قل فادروا اي قل
لهم يا محمد ان صدقتم فادفعوا الموت عن انفسكم والمراد الدفع بين بهذا
ان الحذر لا ينفع من القدر وان المقتول يقتل باجله وما علم الله واخبر به كائن
لا محالة وقيل مات يوم قالوا هذا سبعون منافقا وقال ابو الليث
السمرقندي سمعت بعض المفسرين بسمرقند يقول لما نزلت هذه الاية
قل فادروا عن انفسكم الموت مات يومئذ سبعون نفسا من المنافقين
قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا فيه

ثمان

ثمان مسايل الاولى لما بين الله تعالى ما جرى يوم احد كان امتحانا يميز
المنافق من الصادق تبين ان من لم ينهزم وقيل له الكرامة والحياة عند
والايه في شهدا احد وقيل نزلت في شهدا بير معونه وقيل بل هي عامة
في جميع الشهدا وفي مصنف ابي داود باسناد صحيح عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم
جوف طير خضر ترد انهار الجنة تاكل من ثمارها وتاوي الي قناديل من
ذهب معلقه في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم
قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا احيا في الجنه نرزق لان لا يزهدوا في
الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله انا ابلغهم عنكم قال فانزل الله تعالى
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الى اخر الايات وروي
يحيى بن يحيى عن جابر قال لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا
جابر ما لي اراك منكسا مهتما قلت يا رسول الله استشهد ابي وترك
عيالا وعليه دين قال افلا ابشرك بما لقي الله عز وجل به اباك
قلت بلى يا رسول الله قال ان الله احيا اباك وكلمه كفاحا وما كلم احدا
قط الا من وراء حجاب فقال له يا عبدي تمن اعطيك قال يا رب
ترد ني الى الدنيا فاقتل فيك ثانيه فقال الرب تعالى انه قد سبق
مني انهم اليها لا يرجعون قال يا رب فابلغ من ورايي فانزل الله ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الايه اخرجه ابن ماجه في سننه والترمذي
في جامعه وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وروي وكيع عن
سالم بن الافطس عن سعيد بن جبير ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
الله امواتا بل احيا قال لما اصيب حمزه بن عبد المطلب ومصعب

بن عمير وراوا ما رزقوا من الخير قالوا ليت اخواننا من المومنين يعلمون
ما اصابنا من الخير كي يزدادوا في الجهاد رغبة فقال الله تعالى انا
ابلغهم عنكم فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
بل احيا الى قوله لا يضيع اجر المومنين وقال ابو الضحى نزلت هذه الاية
في اهل احد خاصه والحديث الاول يقتضي صحة هذا القول وقال
بعضهم نزلت في شهدا بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ثمانية من الانصار
وستة من المهاجرين وقيل نزلت في شهدا بير معونة وقصتهم مشهورة
ذكرها محمد بن اسحق وغيره وقال اخرون ان اوليا الشهدا كانوا اذا
اصابتهم نعمة او سرور تحسروا وقالوا نحن في النعمة والسرور واباونا
وابناونا واخواننا في القبور فانزل الله تعالى هذه الاية تنفيسا عنهم
واخبارا عن حال قتلاهم قال الشيخ المولف رحمه الله وبالجملة وان
كان يحتمل ان يكون النزول مبنيا بالمجموع فقد اخبر فيها تعالى عن الشهدا
انهم احيا في الجنة يرزقون ولا محالة انهم ماتوا وان اجسادهم في التراب
وارواحهم حية كارواح ساير المومنين وفضلوا بالرزق في الجنة من
وقت القتل حتى كان حياة الدنيا دايمة لهم وقد اختلف العلما في هذا
المعنى الذي عليه المعظم ما ذكرناه وان حياة الشهدا محققة ثم منهم من
يقول ترد اليهم الارواح في قبورهم فيتنعمون كما يحيى الكفار في قبورهم
فيعذبون وقال مجاهد يرزقون من ثمر الجنة اي يجدون ريحها
وليسوا فيها وصار قوم الى ان هذا مجاز والمعنى انهم في حكم الله مستحقون
التنعم في الجنة وهو كما قال يقال ما مات فلان اي ذكره حي كما قيل موت
التقي حياة لا فنا لها قد مات قوم وهم في الناس احيا فالمعنى انهم يرزقون

الثواب

١٧١

الثواب الجليل وقال اخرون ارواحهم في اجواف طير خضر وانهم في الجنه
يرزقون وياكلون ويتمتعون وهذا هو الصحيح من الاقوال لان ما صح به
النقل فهو الواقع وحديث بن عباس نص يرفع الخلاف وكذلك حديث
بن مسعود خرجه مسلم وقد اتينا على هذا المعنى مبينا في كتاب التذكرة باحوال
الموتى وامور الاخرة والحمد لله ذكرنا هناك كم الشهدا وانهم مختلفوا الحال
واما من تاول في الشهدا انهم احيا بمعنى انهم سيحيون فبعيد يرده القران
والسنه فان قول الله تعالى بل احيا دليل على حياتهم وانهم يرزقون ولا
يرزق الا حي وقد قيل انه يكتب لهم في كل سنه ثواب غزوه ويشركون
في كل ثواب جهاد كان بعدهم الى يوم القيامه لانهم سنوا امر الجهاد نظيره
قوله تعالى قوله تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني اسرايل انه من قتل نفسا على
ما ياتي بيانه هناك ان شا الله تعالى وقيل لان ارواحهم تركع وتسجد تحت
العرش الى يوم القيامه كارواح الاحيا المومنين الذين باتوا على وضو
وقيل لان الشهدا لا تبلى في القبر ولا تاكله الارض وقد ذكرنا هذا المعنى
في التذكره وان الارض لا تاكل الانبيا والشهدا والموذنين المحتسبين
وحمله القران الثانية اذا كان الشهيد حيا حكما فلا يصلى عليه فالحي
حسا وقد اختلف العلما في غسل الشهدا والصلاه عليهم فذهب
ملك والشافعي وابو حنيفه والثوري الى غسل جميع الشهدا الا قتيل
المعترك في قتال العدو وخاصه لحديث جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ادفنوهم في دمايهم يعني يوم احد ولم يغسلهم رواه
البخاري وروى ابو داود عن بن عباس قال امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقتلا احد ان ينزع عنهم الحديد والجلود وان يدفنوا بثيابهم

ود مايهم وبهذا قال احمد واسحق والاوزاعي وداود بن علي وجماعة فقها
الامصار واهل الحديث وبن علية وقال سعيد بن المسيب والحسن
يغسلون قال احدهما انما لم يغسل شهدا احد للاثر نهم والشغل عن ذلك
قال ابو عمر لم يقل بقول سعيد والحسن هذا احد من الفقها الا عبد الله بن
الحسن العنبري وليس ما ذكروا من الشغل عن غسل شهدا احد علة لان
لكل واحد منهم ذا رحم وولي يشتغل به ويقوم بامره والعلة في ذلك والله اعلم
ما جا في الحديث من دمايهم انها تاتي يوم القيامة كريح المسك فبان ان
العلة ليست الشغل كما قال من قال ذلك وليس لهذه المسلة مدخل في
القياس والنظر وانما هي مسلة اتباع للاثر نقلته الكافة في قتلى احد لم يغسلوا
وقد احتج بعض المتاخرين لمن ذهب مذهب الحسن بقوله عليه السلام في
شهدا احد انا شهيد على هولا يوم القيامة قال وهذا يدل على خصوصهم
وانه لا يشركهم في ذلك غيرهم قال ابو عمر وهذا يشبه الشذوذ
والقول بترك غسلهم اولى لثبوت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قتلى احد وغيرهم روى ابو داود عن جابر قال رمي رجل بسهم في
صدره او في حلقه فمات فادرج في ثيابه كما هو قال ونحن مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الثالثة واما الصلاة عليهم فاختلف العلما في ذلك
ايضا فذهب مالك والليث والشافعي وداود الى انه لا يصلى عليهم
لحديث جابر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى احد
في ثوب واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقران فاذا اشير له الى احدهما
قدمه في اللحد وقال انا شهيد على هولا يوم القيامة وامر بدفنهم
في دمايهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم وقال فقها الكوفة والبصرة

والشام

والشام يصلي عليهم وروا اثارا لثين اكثرها مراسل ان النبي صلى الله عليه
وسلم صلى على حمزه وعلى ساير شهدا احد واجمع العلما على ان الشهيد اذا حمل
حيا فلم يمت في المعترك وعاش واكل فانه يصلي عليه كما صنع بعمر ٥
الرابعة واختلفوا فيمن قتل مظلوما كقتيل الخوارج وقطاع
الطريق في سببه ذلك فقال ابو حنيفه والثوري كل من قتل مظلوما لم
يغسل ولكنه يصلى عليه وعلى كل شهيد وهو قول ساير اهل العراق
وروا من طرق كثيره صحاح عن زيد بن صوحان وكان قتل يوم الجمل
لا تنزعوا عني ثوبا ولا تغسلوا عني دما وقد ثبت عن عمار بن ياسر انه
قال مثل قول زيد بن صوحان وقتل عمار بصفين ولم يغسله علي وللشا
فعي
قولان احدهما يغسل جميع الموتى الا من قتله اهل الحرب وهذا قول
مالك قال مالك لا يغسل من قتله الكفار ومات في المعترك وكل مقتول
غير قتيل المعترك قتيل الكفار فانه يغسل ويصلى عليه وهذا قول احمد بن
حنبل رضي الله عنه والقول الاخر للشافعي لا يغسل قتيل البغاه وقول
اصح فان غسل الموتى قد ثبت بالاجماع ونقل الكافه فواجب غسل كل
ميت الا من اخرجه اجماع او سنه ثابته وبالله التوفيق **الخامسة**
العدو واذا اصبح قوما في موضعهم ولم يعلموا به فقتل منهم هل يكون
حكمه حكم قتيل المعترك او حكم ساير الموتى وهذه مسله نزلت عندنا
بقرطبه اعادها الله اغار العدو وقصمه الله صبيحه الثالث من رمضان
سنه سبع وعشرين وستمايه والناس في اجرانهم على غفله فقتل
واسر وكان من جمله من قتل والدي رحمه الله فسالت شيخنا الاستاذ
المقري ابا جعفر احمد المعروف بابن حجه فقال غسله وصلى عليه فان

ابا كالم يقتل في المعترك بين الصفين ثم سالت شيخنا ربيع بن عبد الرحمن
بن احمد بن ربيع بن ابي تعالى حكمه حكم القتيل في المعترك ثم سالت قاضي
الجماعه ابو الحسن علي بن قطرال وحوله جماعه من الفقها فقال اغسله
وكفنه وصل عليه ففعلت ثم بعد ذلك وقفت على المسله في التبصره
لابي الحسن اللخمي وغيرها ولو كان ذلك بعد ذلك ما غسلته ولكنت
دفنته بدمه في ثيابه **السادسة** هذه الايه تدل على عظيم ثواب
القتل في سبيل الله والشهاده فيه حتى انه يكفر الذنوب كما قال
صلى الله عليه وسلم القتل في سبيل الله يكفر الا الدين كذلك قال لي جبريل
انفا قال علماونا وذكر الدين تنبيه على ما في معناه من الحقوق المتعلقه
بالذمم كالغصب واخذ المال بالباطل وقتل العمد وجراحه وغير ذلك
من التبعات فان كل هذا اولى ان لا يغفر بالجهاد من الدين فانه اشد
والقصاص في هذا كله بالسيات والحسنات حسب ما وردت السنه
الثابته روى عبد الله بن انيس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يحشر الله العباد وقال الناس شك همام واوما بيده الى الشام عراه غرلا
بهما قلنا ما بهما قال ليس معهم شي فينا ديهم بصوت يسمعه من بعد ومن
قرب انا الملك انا الديان لا ينبغي لاحد من اهل الجنه ان يدخل الجنه واحد
من اهل النار يطلبه بمظلمه حتى اللطمه قال قلنا كيف وانما ناتي الله عراه
حفاه غرلا قال بالحسنات والسيات اخرجه الحارث بن ابي اسامه
وفي صحيح مسلم عن ابي هريره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون
من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من
امتي من ياتي يوم القيامه بصلاه وصيام وزكاه وياتي قد شتم هذا

وقذف هذا

وتذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى
هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل انقضا ما
عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار وقال صلى الله
عليه وسلم والذى نفسي بيده لو ان رجلا قتل في سبيل الله ثم احيي ثم
قتل احيي ثم قتل وعليه دين ما دخل الجنه حتى يقضا عنه وروي
ابو هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نفس المومن معلقه
ما كان عليه دين قال احمد بن زهير سيل يحيي بن معين عن هذا الحديث
قال هو صحيح فان قيل فهذا يدل علي ان بعض الشهدا لا يدخلون الجنه
من حين القتل ولا تكون ارواحهم في جوف طير كما تقدم ذكرتم ولا تكون في
قبورهم فاين يكونون قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ارواح الشهدا في نهر بباب الجنه يقال له بارق يخرج عليهم رزقهم
من الجنه بكره وعشيا فلعلهم هولا والله اعلم ولهذا قال الامام ابو
محمد بن عطيه وهولا طبقات واحوال مختلفه يجمعها انهم يرزقون وقد
اخرج الامام ابو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني في سننه عن
سليم بن عامر قال سمعت ابا امامه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول شهيد البحر مثل شهيدي البر والمايد في البحر كالمتشحط في
دمه في البر وما بين الموجتين كقاطع الدنيا في طاعه الله وان الله وكل ملك
الموت بقبض الارواح الا شهيد البحر فانه سبحانه قبض ارواحهم ويغفر
لشهيد البر الذنوب كلها الا الدين ويغفر لشهيد البحر الذنوب
كلها والدين التاسع المدين يحبس به صاحبه عن الجنه والله اعلم هو الذى
قد ترك له وفا ولم يوص به او قدر على الادا فلم يوده او دانه في سفه او سرف

نوم

دام

وما ولم يوفه واما من اداني حق واجب لفاقه وعسره ومات ولم يترك
وفا فان الله لا يحبسه عن الجنه ان شا الله لان على السلطان فرضا ان يودي
عنه دينه اما من جمله الصدقات او من سهم الغارمين او من الفي الراجع
على المسلمين قال صلى الله عليه وسلم من ترك دينا او ضياعا فعلى الله
ورسوله ومن ترك مالا فلورثته وقد ذكرنا هذا الباب بيانا في كتاب
التدلى والجهد الثامنه قوله تعالى عند ربهم فيه حذف مضاف
تقديره عند كرامه ربهم وعند هنا تقتضي غايه القرب فهي كلدى
ولذلك لم يصغر فيقال عنيد قال سيبويه فهذه عنديه الكرامه
لا عنديه القرب والمسافه ويرزقون هو الرزق المعروف في
العادات ومن قال هي حياه الذكر قال يرزقون الثنا الجميل والاول
الحقيقه وقد قيل ان الارواح تدرك في تلك الحال التي يسرحون
فيها من روايح الجنه وطيبها ونعيمها وسرورها ما يليق بالارواح
مما ترتزق وتنتعش به فاما اللذات الجسمانيه فاذا اعيدت تلك
الارواح الى اجسادها استوفت من النعيم جميع ما اعد الله لها
وهذا قول حسن وان كان فيه نوع من المجاز فهو موافق لما اخترناه
والموفق الله وفرحين نصب في موضع الحال من المضمر في يرزقون
ويجوز في الكلام فرحون على النعت لاحيا وهو من الفرح بمعنى السرور
والفضل في هذه الايه هو النعيم المذكور وقرا ابن السميفع فارحين
بالالف وهما لغتان كالفره والفاره والحذر والحاذر والطمع والطامع
والبخل والباخل قال النحاس ويجوز في غير القران رفعا فيكون نعتا
لاحيا قوله تعالى ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم

المعنى لم

المعنى لم يلحقوا بهم في الفضل وان بان لهم فضل واصله من البشره
لان الانسان اذا فرح ظهر اثر السرور في وجهه وقال السدي
يوتا الشهيد بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من اخوانه فيستبشر
كما يستبشر اهل الغايب بقدومه في الدنيا وقال قتاده وبن
جريج والربيع وغيرهم استبشارهم بانهم يقولون اخواننا الذين
تركنا خلفنا في الدنيا يقاتلون في سبيل الله مع نبيهم فيستشهدون
فينالون من الكرامه مثل ما نحن فيه فيسرون ويفرحون لهم بذلك
وقيل ان الاشارة بالاستبشار للذين لم يلحقوا بهم الى جميع المومنين
وان لم يقتلوا لانهم لما عاينوا ثواب الله وقع اليقين بان دين الاسلام
هو الحق الذي يثيب الله عليه فهم فرحون لانفسهم بما اتاهم الله
من فضله مستبشرون للمومنين بان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
ذهب الى هذا المعنى الزجاج وبن فورك **قوله** تعالى يستبشر ون
بنعمة من الله اي بجنة من الله وقيل بمغفرة من الله وفضل هذا الزياده
البيان والفضل داخل في النعمه وفيه دليل على اتساعها وانها
ليست كنعم الدنيا وقيل جا الفضل بعد النعمه على وجه التاكيد
روى الترمذي عن المقدام بن معدي كرب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في
اول دفعه ويرى مقعده من الجنه ويجار من عذاب القبر ويامن
من الفزع الاكبر كذا في الترمذي وبن ماجه ست وهي في
العدد سبع ويوضع على راسه تاج الوقار الياقوته منها خير
من الدنيا وما فيها ويزوج اثنين وسبعين زوجه من الحور العين

ويشفع في سبعين من اقاربه قال هذا حديث حسن صحيح غريب
وهذا تفسير للنعمة والفضل والاثار في هذا المعنى كثير وروي
عن مجاهد انه قال السيوف مفاتيح الجنة وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال اكرم الشهدا بخمس كرامات لم يكرم بها احد
من الانبيا ولا انا احدها ان جميع الانبيا قبض ارواحهم ملك
الموت وهو الذي سيقبض روحي واما الشهدا فهو الذي يقبض
ارواحهم بقدرته كيف يشا ولا يسلط على ارواحهم ملك الموت
والثاني ان جميع الانبيا قد غسلوا بعد الموت وانا اغسل بعد الموت
والشهدا لا يغسلون ولا حاجة لهم الي ما الدنيا والثالث ان جميع
الانبيا قد كفنوا وانا اكفن والشهدا لا يكفنون بل يدفنون في
ثيابهم والرابع ان الانبيا لما ماتوا سموا امواتا واذا مت يقال
قد مات والشهدا لا يسمون امواتا والخامس ان الانبيا تعطى
لهم الشفاعة يوم القيامة وشفاعتي ايضا يوم القيامة واما
الشهدا فانهم يشفعون في كل يوم فيمن يشفعون قوله
تعالى وان الله قرا الكسائي بكسر الالف والباقون بالنصب
لمن قرا بالنصب فمعناه يستبشرون بنعمة من الله ويستبشرون
بان الله لا يضيع اجر المومنين ومن قرا بالكسر فعلى الابتدا ودليله
قراة ابن مسعود والله لا يضيع اجر المومنين قوله تعالى الذين
استجابوا لله والرسول الذين في موضع رفع على الابتدا
وخبره من بعد ما اصابهم القرح ويجوز ان يكون في موضع
خفض بدلا من المومنين ومن الذين لم يلحقوا واستجابوا يعني

اجابوا

اجابوا والسين والتا زايدتان ومنه قوله فلم يستجبه عند ذاك
مجيب وفي الصحيحين عن عروة بن الزبير قال قالت لي عايشة
كان ابوك من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح
وذلك لما انصرف المشركون من احد واصاب النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه ما اصابهم خاف ان يرجعوا فقال من ينتدب لهولا حتى
يعلموا ان بنا قوة قال فانتدب ابو بكر والزبير في سبعين
فخرجوا في اثار القوم فسمعوا بهم وانصرفوا بنعمة من الله وفضل
واشارت عايشة رضي الله عنها الى ما جرى في غزوة حمرا الاسد وهي
على نحو ثمانية اميال من المدينة وذلك انه لما كان يوم الاحد وهو
الثاني من يوم احد نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس
باتباع المشركين وقال لا يخرج معنا الا من شهدها بالامس
فنهض معه ماية رجل من المومنين في البخاري فقال من يذهب
في اثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا قال كان فيهم ابو بكر
والزبير على ما تقدم حتى بلغ حمرا الاسد مرهبا للعدو فربما
كان فيهم المثقل بالجراح لا يستطيع المشي ولا يجد مركوبا فربما يحمل على
الاعناق وكل ذلك امتثال لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغبة
في الجهاد وقيل ان الاية نزلت في رجلين من بني عبد الاشهل كانا
مثخنين بالجراحة فتوكا احدهما على صاحبه وخرجا مع النبي صلى الله
عليه وسلم فلما وصلوا حمرا الاسد لقيهم نعيم بن مسعود فاخبرهم
ان ابا سفين بن حرب ومن معه من قريش قد جمعوا جموعهم واجمعوا
رايهم على ان يرجعوا الى المدينة فيستاصلوا اهلها فقالوا ما اخبرنا

الله عنهم حسبنا الله ونعم الوكيل وبينا قريش قد اجمعوا امرهم
على ذلك اذ جاهم معبد الخزاعي وكانت خزاعه حلفا النبي صلى الله عليه
وسلم وعيبه نصحه وكان قد راي حال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وما هم عليه ولما راي عزم قريش على الرجوع ليستاصلوا اهل المدينه
احتمله خوف ذلك وخالص نصحه للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
على ان خوف قريش بان قال لهم قد تركت محمدا واصحابه بحمرا الاسد
في جيش عظيم قد اجتمع له من كان تخلف عنه وهم قد حرقوا عليكم
فالنجا النجا فاني انهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رايت ان قلت فيه
ابياتا من الشعر قال وما قلت قال قلت كادت تهد
من الاصوات راحلتي اذا سالت الارض بالجرد الابابيل تردى
باسد كرام لا تنابله عند اللقا ولا ميل معازيل فظلت عدوا
اظن الارض مايله لما سموا برييس غير مخذول فقلت ويل
ابن حرب من لقايكم اذا تغطمطت البطحا بالجيل اني نذرت
لاهل البسل ضاحيه لكل ذي اربه منهم ومعقول من جيش احمد
لا وحش تنابله وليس يوصف ما انذرت بالقيل قال فثنى ذلك
ابا سفين ومن معه وقذف الله في قلوبهم الرعب ورجعوا الى مكه
مسرعين خايفين ورجع النبي صلى الله عليه وسلم في اصحابه الى المدينه
منصورا كما قال تعالى فانقلبوا بنعمه من الله وفضل لم يمسسهم سوء
اي قتال ورغب جابر بن عبد الله الى النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج
معه فاذن له واخبرهم تعالى ان الاجر العظيم قد تحصل لهم ان الغفله
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها غزوه هذا تفسير الجمهور

لهذه الاية

لهذه الاية وشذ مجاهد وعكرمة رحمهما الله ان هذه الاية من قوله الذين
قال لهم الناس الى قوله عظيم انما نزلت في خروج النبي صلى الله عليه وسلم
الى بدر الصغرى وذلك انه خرج لميعاد ابي سفين في احد اذ قال موعدنا
بدر من العام المقبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا نعم فخرج عليه
السلام قبل بدر وكان لها سوق عظيم فاعطا رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصحابه دراهم وقرب من بدر فجاءه نعيم بن مسعود
الاشجعي فاخبره ان قريشا قد اجتمعت واقبلت لحربه هي ومن
انضاف اليها فاشفق المسلمون من ذلك لكنهم قالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل فصمموا حتى اتوا بدرا فلم يجدوا احدا ووجدوا السوق
فاشتروا بدراهمهم ادما وتجارة وانقلبوا ولم يلقوا كيدا وربحوا
في تجارتهم فذلك قوله بنعمة من الله وفضل اي وفضل
في تلك التجارات قوله تعالى الذين قال لهم الناس واختلفوا
في قوله الذين قال لهم الناس فقال مجاهد ومقاتل وعكرمة والكلبي
هو الكلبي الاشجعي نعيم بن مسعود واللفظ عام ومعناه خاص
لقوله ام يحسدون الناس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم السدي
هو اعرابي جعل له جعل على ذلك وقال بن اسحاق وجماعة يريد
بالناس ركب عبد القيس مروا بابي سفين فدسهم الى المسلمين
ليثبطوهم وقيل الناس هنا المنافقون قال السدي لما تجهز
النبي صلى الله عليه واصحابه للسير الى بدر الصغرى لميعاد ابي
سفيان اتاهم المنافقون وقالوا نحن اصحابكم الذين نهيناكم عن
الخروج اليهم وعصيتمونا وقد قاتلوكم في دياركم وظفروا

فان اتيتموهم في ديارهم لا يرجع منكم احد فقالوا حسبنا الله ونعم
الوكيل وقال ابو معشر دخل ناس من هذيل من اهل تهامة المدينة
نسالهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابي سفين فقالوا
قد اجمعوا لكم جموعا كثيرة فاخشوهم اي فخافوهم واحذروهم
فانه لا طاقة لكم بهم فالناس على هذه الاقوال على ما به من
الجمع قوله تعالى فزادهم ايمانا اي زادهم قول الناس ايمانا اي
تصديقا ويقينا في دينهم واقامة على نصرته وقوة وجراة واستعدادا
فزيادة الايمان على هذا هي في الاعمال وقد اختلف العلما في زيادة
الايمان ونقصانه على اقوال والعقيدة في هذا ان نفس الايمان
الذي هو تاج واحد وتصديق واحد بشي ما انما هو معنى فرد لا
يدخل معه زيادة اذا حصل ولا يبقى منه شي اذا زال فلم يبق الا ان
يكون الزيادة في متعلقاته دون ذاته فذهب جميع العلما الى انه يزيد
وينقص من حيث الاعمال الصادرة عنه لا سيما ان كثيرا من العلما يوقعون
اسم الايمان على الطاعات لقوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون
بابا فاعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق
اخرجه الترمذي وزاد مسلم والحيا شعبة من الايمان وفي حديث
علي رضي الله عنه ان الايمان يبدو لمظة بيضا في القلب كلما ازداد
الايمان ازدادت اللمظة قوله اللمظة قال الاصمعي اللمظة مثل النقطة
ونحوها من البياض ومنه قيل فرس اللمظ اذا كان بجحفلته شي من بياض
والمحدثون يقولون لمظة بالفتح واما كلام العرب فبالضم مثل
شبهة ودهمة وخمرة وفيه حجة على من انكر ان يكون الايمان يزيد

وينقص

وينقص الا تراه يقول كلما ازداد الايمان ازدادت اللمظة بيض
القلب كله وكذلك النفاق يبدو المظه سودا في القلب كلما ازداد
النفاق اسود حتى يسود القلب كله ومنهم من قال ان الايمان
عرض وهو لا يثبت زمانين فهو للنبي صلى الله عليه وسلم وللصلحا
متعاقب فيزيد باعتبار توالي امثاله على قلب المومن وباعتبار د
دوام حضوره وينقص بتوالي الغفلات على قلب المومن اشار الى
هذا ابو المعالي وهذا المعنى موجود في حديث الشفاعة حديث
ابي سعيد الخدري اخرجه مسلم وفيه فيقول المومنون يا ربنا اخواننا
كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم
فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى
نصف ساقيه والى ركبتيه يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به
فيقول عز وجل ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه
فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ثم يقول
ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه وذكر
الحديث وقد قيل ان المراد بالايمان في هذا الحديث اعمال القلوب
كالنية والاخلاص والخوف والنصيحة وشبه ذلك وسماها
ايمانا لكونها في محل الايمان او عنى الايمان على عادة العرب في تسمية
الشي باسم الشي اذا جاوره او كان منه بسبب دليل هذا التاويل
قول الشافعين بعد اخراج من في قلبه مثقال من خير لم نذر فيها
خيرا مع انه تعالى يخرج بعد ذلك جموعا كثيرة ممن يقول لا اله
الا الله وهم مومنون قطعا ولو لم يكونوا مومنين لما اخرجهم

ثم ان عدم الموجود الاول الذي ترتب عليه المثل لم يكن زيادة ولا نقصانا
وقد رد للك في الجرة فان الله سبحانه اذا خلق علما فردا وخلق معه مثله
او امثاله بمعلومات فقد زاد عليه فان اعدم الله الامثال فقد
نقص اي زالت الزيادة ولذلك اذا خلق الله حركة وخلق معها مثلها
او امثالها وذهب قوم من العلما الى ان زيادة الايمان ونقصه انما
من طريق الادلة فتزيد الادلة عند واحد الانبيا على الخلق فيقال في
ذلك انها زيادة في الايمان وبهذا المعنى على احد الاقوال فضلت
الانبيا على الخلق فانهم علموه من وجوه كثيرة اكثر من الوجوه التي
علمه الخلق بها وهذا القول خارج عن مقتضى الاية اذ لا يتصور
ان تكون الزيادة فيها من جهة الادلة وذهب قوم الى ان الزيادة في
الايمان انما هي بنزول الفرايض والاخبار في مدة النبي صلى الله عليه وسلم
وفي المعرفة بها بعد الجهل غابر الدهر وهذا انما هو زيادة ايمان فالقول
فيه ان الايمان يزيد قول مجاهد زي ولا يتصور فيه النقص على هذا
الحد وانما يتصور بالاضافة الى علم فاعلم قوله تعالى وقالوا حسبنا
ونعم الوكيل اي كافينا الله وحسب ماخوذ من الاحساب وهو الكفاية
قال الشاعر فتملا بيتنا اقطا وسمنا وحسبك من غنى شبع وري
روي عن ابن عباس قال في قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد
جمعوا لكم الى قوله فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابرهيم حين
القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل قال
علماونا فوضوا امورهم اليه واعتمدوا بقلوبهم عليه اعطاهم

من

الجزء اربعة

من الجزاء اربعه محان النعمه والفضل وصرف السو واتباع الرضى
فرضاهم ورضى عنه **قوله** تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياه
قال ابن عباس وغيره المعنى يخوفكم اولياه اي باولياه او من اوليايه
فحذف حرف الجر ووصل الفعل الى الاسم فنصب كما قال لبيد
رباسا شديدا اي لبيد وهم باسا شديدا اي يخوف المومن بالكافر
وقال الحسن والسدى المعنى يخوف اولياه المنافقين ليقعدوا عن
قتال المشركين فاما اوليا الله فانهم لا يخافونه اذا خوفهم وقد
قيل ان المراد هذا الذى يخوفكم بجمع الكفار شيطان من شياطين
الانس اما نعيم بن مسعود او غيره على الخلاف في ذلك كما تقدم فلا
تخافوهم اي لا تخافوا الكافرين المذكورين في قوله ان الناس قد جمعوا لكم
او يرجع الى الاوليا ان قلت المعنى يخوف باولياه اي يخوفكم اولياه
قوله تعالى وخافون اي خافون في ترك امري ان كنتم مصدقين
بوعدى والخوف في كلام العرب الذعر وخاوفني فلان فخفته اي
كنت اشد خوفا منه والخوفا المفازه لا ما بها ويقال ناقه خوفا
وهي الربا والخافه كالخريطة بيستار فيها العسل قال سهل بن عبد الله
اجتمع بعض الصديقين الى ابرهيم الخليل فقالوا ما الخوف فقال
لا تامن حتى تبلغ المامن قال سهل وكان الربيع بن خيثم اذا مر بكير
يغشى عليه فقيل لعلي بن ابي طالب ذلك فقال اذا اصابه فاعلموني
فاصابه فاعلموه فجاه فادخل يده في قميصه فوجد حركته عاليه فقال
اشهد ان هذا اخوف اهل زمانكم فالخايف من الله هو ان يخاف
اربعا اما في الدنيا واما في الاخره ولهذا قيل ليس الخايف الذي يبكي

ومسيح عينيه بل الخايف ان يترك ما يخاف ان يعذب عليه ففرض الله
تعالى على العباد ان يخافوه فقال وخافون ان كنتم مومنين وقال واياي
فارهبون ومدح المومنين بالخوف فقال يخافون ربهم من فوقهم
ولارباب الاشارات في الخوف عبارات مرجعها الى ما ذكرنا قال
الاستاد ابو على الدقاق دخلت على ابي بكر بن فورك رحمه الله عايدا فلما
راني دمعت عيناه فقلت ان الله يعافيك ويشفيك فقال لي اتراني
اخاف من الموت انما اخاف مما ورا الموت وفي سنن ابن ماجه عن ابي
ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارا ما لا ترون واسمع
ما لا تسمعون وان السما اطت وحق لها ان تيط ما فيها موضع اربع
اصابع الا وملك واضع جبهته ساجد لله والله لو تعلمو
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنسا
على الفرشات ولخرجتم الى الصحرات تجاورون الى الله تعالى
والله لوددت اني كنت شجرة تعضد خرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب ويروي من غير هذا الوجه ان ابا ذر
قال لوددت اني كنت شجرة تعضد تعالى ولا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيا هولا قوم اسلموا
ثم ارتدوا خوفا من المشركين فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم فانزل
الله عزوجل ولا يحزنك وقال الكلبي يعني به المنافقين ورؤسا
اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم في الكتاب فنزلت ويقال
ان اهل الكتاب لما لم يومنوا شق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم
لان الناس ينظرون اليهم ويقولون انهم اهل الكتاب فلو كان قوله

حقا لا يتبعوه فنزلت ولا يحزنك قراه نافع بضم اليا والزاي حيث
وقع الا في الانبيا يحزنهم الفزع الاكبر فانه بفتح اليا وضم الزاي
وضده ابو جعفر وقرا ابن محيصن كله بضم اليا والزاي والباقون
كله بفتح اليا وضم الزاي وهما لغتان حزنني الامر يحزنني واحزنني
ايضا وهي قليله والاول افصح اللغتين قاله النحاس وقال
الشاعر في احزن مضى صحبي واحزنني الديار وقراه العامه
يسارعون وقرا طلحه يسرعون في الكفر قال الضحاك هم كفار
قريش وقال غيره هم كفار قريش المنافقون وقيل ما ذكرناه قبل
وقيل هو عام في جميع الكفار ومسارعتهم في الكفر المظاهره على محمد
صلى الله عليه وسلم قال القشيري والحزن على كفر الكافر طاعه ولكن
النبي صلى الله عليه وسلم كان يفرط في الحزن على كفر قومه فنهى عن ذلك
كما قال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال فلعلك باخع
نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا انهم لن يضروا
الله شيا يعني لا ينقصون من ملك الله وسلطانه شيا يعني لا ينقص
بكفرهم وكما روي عن ابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ان
اولكم واخركم وجنكم وانسكم كانوا على افجر رجل منكم ما نقص ذلك
من ملكي شيا الحديث خرجه مسلم في صحيحه والترمذي وغيرهما وهو
حديث عظيم فيه طول يكتب كله وقيل معنى لن يضروا الله اي لن يضروا
اوليا الله حين تركوا نصرهم اذ كان الله عز وجل ناصرهم والحظ النصيب
والجد تعالى يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخره اي نصيبا
والحظ النصيب والجد يقال فلان احظ من فلان وهو محظوظ

وجمع الحظ احاظ على غير قياس قال ابو زيد يقال رجل حظيظ حديد
اذا كان ذا احظ من الرزق وحظظت في الامر احظ وربما جمع الحظ
احظا اي لا يجعل لهم نصيبا في الجنه وهو نص في ان الخير والشر باراده
الله تعالى تعالى ان الذين اشتروا الكفر بالايمان تقدم في
البقره لن يضروا الله شيا كرر للتاكيد وقيل اي من سوء تدبيره استبدال
الايمان بالكفر وتبعه فلا يخاف جانبه ولا تدبيره وانتصب شيا
في الموضعين لوقوعه موضع المصدر كانه لن يضروا الله ضررا قليلا ولا
كثيرا ويجوز انتصابه على تقدير حذف البا كانه قال لن يضروا الله بشي
تعالى ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيرا الاملا طول
العمر ورغد العيش والمعنى لا تحسبن هولاي الذين يخوفون المسلمين
فان الله قادر على هلاكهم وانما يطول اعمارهم ليعملوا بالمعاصي لا انه لا خير
لهم ويقال انما نملي لهم بما اصابوا من الظفر يوم احد لم يكن ذلك خيرا
لانفسهم وانما كان ذلك ليزدادوا عقوبه وروي عن ابن مسعود
انه قال ما من احد برا او فاجرا الا والموت خير له لانه ان كان برا فقد
قال الله تعالى وما عند الله خير للابرار وان كان فاجرا فقد قال الله
انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقرا ابن عامر وعاصم ولا يحسبن باليا
ونصب السين وقرا حمزه بالتا ونصب السين والباقون باليا وكسر
السين فمن قرا باليا فالذين فاعلون اي ولا يحسبن الكافرون انما نملي لهم
خير لانفسهم ليسد مسد المفعولين وما بمعنى الذي والعايد محذوف
وخير خبر ان ويجوز ان يقدر ما والفعل مصدرا والتقدير ولا يحسبن
الذين كفروا ان املانا لهم خير لانفسهم ومن قرا بالتا فالفاعل هو المخاطب

وهو محمد

وهو محمد صلى الله عليه وسلم والذين نصب على المفعول الاول لحسبت
وان وما بعدها بدل من الذين وهي تسد مسد المفعولين كما تسد لو لم
يكن بدلا ولا يصلح ان يكون ان وما بعدها مفعولا ثانيا لحسب لان
المفعول الثاني في هذا الباب هو الاول في المعنى لان حسبت
واخواتها داخلة على المبتدا والخبر فيكون التقدير ولا تحسبن انما
نملي لهم خير هذا قول الزجاج وقال ابو علي لو صح هذا المقال لقال
خيرا بالنصب لان ان تصير بدلا من الذين كفروا فكانه قال لا تحسبن
املا الذين كفروا خيرا فقوله خيرا هو المفعول الثاني لحسبت فاذا لا
يجوز ان يقرا لا تحسبن بالياء الا ان تكسر ان في انما وتنصب خيرا ولم يرد
عن حمزة والقراة بالتاء عن حمزة فلا تصح هذه القراه اذا وقال الفرا والكسا
قراه حمزة جايزة على التكرير تقديره ولا تحسبن الذين كفروا ولا تحسبن
انما نملي لهم خير فسدت ان مسد المفعولين لحسب الثاني وهي وما
عملت مفعول ثان لحسبت الاول قال القشيري وهذا قريب مما ذكر
الزجاج في دعوى البدل والقراة صحيحة فان غرض ابي تغليط الزجاج
قال النحاس وزعم ابو حاتم ان قراه حمزة بالياء هنا وقوله ولا يحسبن
يبخلون لحن لا يجوز وتابعه على ذلك جماعه قال الشيخ المولف رحمه
الله وهذا ليس بشي لما تقدم بيانه من الاعراب ولصحة القراه وثبوتها
نقلا وقرا يحيى بن وثاب انما نملي لهم بكسر ان فيهما جميعا قال ابو
جعفر وقراة يحيى حسنه كما تقول حسبت عمرا ابوه خارج ابو حاتم
الاخفش قراه يحيى لاهل القدر لانه كان منهم ويجعله على التقديم
والتاخير ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نملي لهم

خير لانفسهم قال ورايت في مصحف في المسجد الجامع قد زاد وا فيه حرفا فصار انما نملي لهم ايمانا فنظر اليه يعقوب القاري فتبين اللحن فحكه والايه نص في بطلان مذهب القدريه لانه اخبر انه يطيل اعمارهم ليزداد والكفر وعمل المعاصي وتوالي امثاله على القلب كما تقدم بيانه في ضده وهو الايمان وعن ابن عباس قال ما من بر ولا فاجر الا والموت خير له ثم تلى انما نملي لهم ليزداد وا اثما وتلا وما عند الله خير للابرار اخرجه رزين تعالى ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه قال ابو العاليه سال المومنون ان يعطوا علامه نفرقوا بين المومن والمنافق فانزل الله ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه الايه واختلفوا في المخاطب بالايه على اقوال فقال ابن عباس والضحاك ومقاتل والكلبي واكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين اي ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه من الكفر والنفاق وعداوه النبي صلى الله عليه وسلم قال الكلبي ان قريشا من اهل مكه قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الرجل منا تزعم انه في النار وانه اذا ترك دينا واتبع دينك قلت هو من اهل الجنه فاخبرنا عن هذا من اين هو واخبرنا من ياتيك منا ومن لم ياتك فانزل الله تعالى ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل هو خطاب للمشركين والمراد بالمومنين في قوله ليذر المومنين من في الاصلاب والارحام ممن يومن اي ما كان الله ليذر اولاد كم الذين حكم لهم بالايمان على ما انتم عليه من الشرك حتى يفرق بينكم وبينهم وعلى هذا وما كان الله ليطلعكم كلام مستانف وهو قول ابن عباس واكثر المفسرين وقيل الخطاب للمومنين

اي ما كان

اى ما كان الله ليذر كم يا معشر المومنين على ما انتم عليه من اختلاط
المومن بالمنافق حتى يميز بينكم بالمحنه والتكليف فتعرفوا المنافق الخبيث
من المومن الطيب وقد ميز يوم احد بين الفريقين وهذا قول اكثر اهل
المعاني وما كان الله ليطلعكم على الغيب يا معشر المومنين اي ما كان
ليعين لكم المنافقين حتى تعرفوهم ولكن يظهر ذلك بالتكليف والمحنه
وقد ظهر ذلك في يوم احد فان المنافقين تخلفوا واظهروا الشماته فما كنتم
تعرفون هذا الغيب قبل هذا فالان قد اطلع الله محمدا صلى الله عليه وسلم
وصحبه على ذلك وقيل معنى ليطلعكم على الغيب على هذا متصل
وعلى القولين الاولين منقطع وذلك ان الكفار لما قالوا لم لم يوح الينا
قال ما كان الله ليطلعكم على الغيب من يستحق النبوه حتى يكون
الوحي باختيار كم ولكن الله يجتبي اي من رسله لاطلاع غيبه من يشا يقال
طلعت على كذا واطلعت عليه غيري فهو لازم ومتعدى وقرى حتى يميز
بالتخفيف من ماز يميز يقال مزت الشي بعضه من بعض ميزا اذا فرقت بين
شيين فان كانت اشيا قلت ميزتها تمييزا ومثله اذا جعلت الواحد شيين
قلت فرقت بينهما مخففا ومنه فرق الشعر فان جعلته اشيا قلت فرقته
تفريقا قال الشيخ المولف رحمه الله ومنه وامتاز القوم يميز بعضهم
عن بعض ويكاد يتميز ينقطع وبهذا فسر قوله تعالى تكاد تميز من الغيظ وفي
الخبر من ماز اذى عن طريق فهو له صدقه تعالى فامنوا بالله
ورسله يقال ان الكفار لما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبين لهم
[illegible] منهم فانزل الله تعالى فامنوا بالله ورسله يعني لا تشتغلوا بما
لا يعنيكم واشتغلوا بما يعنيكم وهو الايمان فامنوا اي صدقوا اي

عليكم التصديق ولا التشوق الى اطلاع الغيب وان تومنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم اي الجنة ويذكر ان رجلا كان عند الحجاج بن يوسف منجما فاخذ الحجاج حصيات بيده قد عرف عددها فقال للمنجم كم في يدي فحسب فاصاب المنجم ثم اغتفله الحجاج فاخذ حصيات لم يعدهن فقال للمنجم كم في يدي فحسب وحسب ثم اخطا ثم حسب ايضا فاخطا فقال ايها الامير اظنك لا تعرف عددها في يدك قال لا قال فما الفرق بينهما ان ذلك احصيته فخرج عن حد الغيب فحسبت فاصبت وان هذا لم يعرف عددها فصار غيبا ولا يعلم الغيب الا الله وسياتي هذا الباب في الانعام ان شا الله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون فيه اربع مسايل

فقال مع منجم

قوله تعالى ولا يحسبن الذين في موضع رفع والمفعول محذوف قال الخليل وسيبويه والفرا المعنى البخل خيرا لهم اي لا يحسبن الباخلون البخل خيرا لهم وانما حذف لدلالة يبخلون على البخل وهو كقوله من صدق كان خيرا له اي كان الصدق خيرا له ومن هذا قول الشاعر اذا نهي السفيه جرى اليه وخالف والسفيه الى خلاف فالمعنى جرى الى السفه فالسفيه دل على السفه واما قراه حمزة بالتا فبعيدة جدا قاله النحاس وجوازها ان يكون التقدير لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم قال الزجاج وهي مثل واسأل القرية وهو في قوله خيرا لهم فاصلة عند البصريين وهي العماد عند الكوفيين قال النحاس ويجوز في العربية هو خير لهم ابتدا وخبر تعالى بل هو شر ابتدا وخبر اي البخل شر لهم والسين في سيطوقون سين الوعيد اي سوف يطوقون قال المبرد وهذه الاية نزلت في البخل بالمال والانفاق في سبيل الله

واداء الزكاة

واذا الزكاة المفروضه وهذا لقوله ولا ينفقونها في سبيل الله الايه دها
الى هذا جماعه من العلما ولكن منهم بن مسعود وبن عباس وابو وايل وابو
ملك والسدي والشعبي قالوا ومعنى سيطوقون ما بخلوا به هو الذي
ورد في الحديث عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه قال من اتاه الله مالا
فلم يود زكاته مثل له يوم القيامه شجاعا اقرع له زبيبتان ياخذ بلهزمته
يوم القيامه فيقول انا مالك انا كنزك ثم تلى هذه الايه ولا يحسبن
الذين يبخلون الايه اخرجه النسا وخرجه بن ماجه عن بن مسعود عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد لا يودي زكاة ماله
الا مثل له يوم القيامه شجاعا اقرع حتى يطوقه في عنقه ثم قرا علينا
النبي صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله ولا يحسبن الذين يبخلون
بما اتاهم الله من فضله الايه وجا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما من
ذي رحم ياتي ذا رحمه فيساله من فضل ما عنده فيبخل به عليه الا اخرج
له يوم القيامه شجاع من النار يتلمظ حتى يطوقه وقال بن عباس ايضا انما
نزلت في اهل الكتاب وبخلهم ببيان ما علموه من امر محمد صلى الله عليه وسلم
وقال ذلك مجاهد وجماعه من اهل العلم ومعنى سيطوقون على هذا
التاويل سيحملون عقاب ما بخلوا به فهو من الطاقه كما قال تعالى وعلى
الذين يطيقونه وليس من التطويق وقال ابرهيم النخعي معنى سيطوقون
سيجعل لهم يوم القيامه طوق من نار وهذا يجري مع التاويل الاول
قول السدي وقيل يلزمون اعمالهم كما يلزم الطوق العنق يقال طوق
فلان عمله طوق الحمامه اي الزم جزا عمله وقد قال الله تعالى وكل انسان
الزمناه طايره في عنقه ومن هذا المعنى قول عبد الله بن جحش لابي

ولقد الزموا

سفيان ابلغ يا با سفين عن امر عواقبه ندامه دار بن عمك بعتها تقضى
بها عنك الغرامه وحليفهم بالله رب الناس مجتهدا القسامه اذهب
بها اذهب بها طوقتها طوق الحمامه وهذا يجرى مع التاويل الثاني
والبخل في اللغة ان يمنع الانسان الحق الواجب فاما من منع ما لا يجب
عليه فليس ببخيل لانه لا ندم بذلك واهل الحجاز يقولون بخلون وقد
بخلوا وساير العرب يقولون بخلوا يبخلون حكاه النحاس وبخل يبخل
بخلا وبخلا عن بن فارس لي ثمن البخل وفايدته وهو ما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للانصار من سيدكم الجد بن قيس
على بخل فيه فقال صلى الله عليه وسلم واي داء اداء من البخل قالوا وكيف
ذلك يا رسول الله قال ان قوما نزلوا ساحل فكرهوا لبخلهم نزول
الاضياف بهم فقالوا ليبعد الرجال منا عن النساء حتى يعتذر الرجال الى
الاضياف ببعد النساء وتعتذر النساء ببعد الرجال ففعلوا وطال ذلك
بهم فاشتغل الرجال بالرجال والنساء بالنساء ذكره الماوردي في كتاب
ادب الدنيا والدين واختلف في البخل والشح هل هما بمعنى
واحد ام بمعنيين فقيل البخل الامتناع من اخراج ما حصل عندك والشح
الحرص على تحصيل ما ليس عندك وقيل ان الشح هو البخل مع حرص وهو
الصحيح لما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامه واتقوا الشح
فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماهم واستحلوا
محارمهم وهذا يرد قول من قال ان البخل منع الواجب والشح منع المستحب
اذ لو كان الشح منع المستحب لما دخل تحت هذا الوعيد العظيم والذم
الشديد

السقلية الذي فيه هلاك الدنيا والاخرى ويويد هذا المعنى ما روا
النساي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار في سبيل
الله ودخان جهنم في منخري رجل مسلم ابدا وهذا يدل على الشح اشد
في الذم من البخل الا انه قد جا ما يدل على مساواتهما وهو قوله وقد
سيل ايكون المومن بخيلا قال و ذكر الماوردي في كتاب ادب الدنيا
والدين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للانصار من سيدكم قالوا
الجد بن قيس على بخل فيه فقال صلى الله عليه وسلم واي دا ادوا من
البخل قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال ان قوما نزلوا بساحل
فكرهوا لبخلهم نزول الاضياف بهم فقالوا ليبعد الرجال منا عن
النسا حتى يعتذر الرجال الى الاضياف ببعد النسا وتعتذر النسا
ببعد الرجال ففعلوا فاشتغل الرجال بالرجال والنسا بالنسا
تعالى ولله ميراث السموات والارض اخبر تعالى ببقا
ودوام ملكه وانه في الابد كهو في الازل غني عن العالمين فيرث
الارض بعد فنا خلقه وزوال املاكهم فتبقى الاملاك والاموال
لا مدعي فيها فجرى هذا مجرى الوراثة في عادة الخلق وليس بميراث في
الحقيقة لان الميراث في الحقيقة هو الذي يرث شيا لم يكن ملكه من
قبل والله سبحانه مالك السموات والارض وما فيهما وكانت السموات
وما فيها والارض وما فيها له وانما كانت الاموال عارية عند اربابها
فاذا ماتوا رجعت العارية الى صاحبها الذي كانت له في الاصل ونظير
[illegible] قوله تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها والمعنى في الاية
ان الله تعالى [illegible] عباده بان ينفقوا ولا يبخلوا قبل ان يموتوا ويتركوا

ميراثا

تعالى لقد
ذلك ميراثا لله تعالى ولا ينفعهم الا ما انفقوا
سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا ذكره تعالى قبيح قول
الكفار ولا سيما اليهود قال اهل التفسير لما نزل قوله من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا قال قوم من اليهود منهم حيي بن اخطب
قاله الحسن وقال عكرمه وغيره هو فنحاص بن عازورا ان الله
فقير يقترض منا وانما قالوا هذا تمويها على ضعفايهم لا انهم
يعتقدون هذا لانهم اهل كتاب ولكنهم كفروا بهذا لانهم
ارادوا تشكيك الضعفا منهم ومن المومنين وتكذيب النبي
صلى الله عليه وسلم اي انه فقير على قول محمد صلى الله عليه وسلم
لانه اقترض منا سنكتب ما قالوا مجازيهم عليه وقيل سنكتبه
في صحايف اعمالهم اي نامر الحفظة باثبات قولهم حتى يقرؤه يوم
يوم القيامه في كتبهم الذي يوتونها ليكون اوكد للحجة عليهم
وهذا كقوله وانا له كاتبون وقيل مقصود الكتابه الحفظ
اي سنحفظ ما قالوا لنجازيهم وما في قوله ما قالوا في موضع نصب
بسنكتب وقرا الاعمش وحمزه سيكتب بالبا فيكون اسم ما لم
يسم فاعله واعتبر حمزه ذلك بقراه بن مسعود ويقال ذوقوا
عذاب الحريق تعالى وقتلهم الانبيا اي ونكتب قتلهم
اي رضاهم بالقتل والمراد قتل اسلافهم الانبيا لكن لما رضوا بذلك
صحت الاضافه اليهم وحسن رجل عند الشعبي قتل عثمان رضي الله عنه
فقال الشعبي قد شركت في دمه فجعل الرضى بالقتل قتلا رضي
عنه قال الشيخ المولف رضي الله عنه وهذه مسالة عظمى

حيث يكون

١٨٤

حيث لا يكون الرضى بالمعصية معصية وقد روى ابو داود عن
العرس بن عميرة الكندي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت
الخطيئة في الارض فكرهها وقال مرة فانكرها كمن غاب عنها ومن
غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها وهذا نص تعالى بغير حق
تقدم معناه في البقرة ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي يقال لهم
في جهنم او عند الموت او عند الحساب هذا ثم هذا القول من الله او
الملائكة قولان وقراه ابن مسعود ويقال الحريق اسم للملتهبة من النار
والنار تشمل الملتهبة وغير الملتهبة تعالى ذلك بما قدمت
ايديكم اى ذلك العذاب بما سلف من الذنوب وخص الايدي
بالذكر ليدل على تولي الفعل ومباشرته اذ قد يضاف الفعل الى
الانسان بمعنى انه قد امر به كقوله يذبح ابناءهم واصل ايديكم ايديكم
فحذفت الضمة لثقلها تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا
الذين في موضع خفض بدلا من الذين في قوله عز وجل لقد سمع الله قول
الذين قالوا او نعت للعبيد او خبر ابتداء اي هم الذين قالوا قال
الكلبي وغيره نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الضيف ووهب
بن يهودا وفنحاص بن عازورا وجماعة اتوا النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا ازعمت ان الله ارسلك الينا وانه انزل علينا كتابا عهد الينا فيه
ان لا نومن لرسول يزعم انه من عند الله حتى ياتينا بقربان تاكله النار
فان جئتنا به صدقناك فانزل الله هذه الاية فقيل كان هذا في التوراة
[illegible] تمام الكلام حتى ياتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم فامنوا بهما من
غير قربان وقيل كان امر القرابين ثابتا الى ان نسخت على لسان عيسى وكان

ن
النبي منهم بذبح ويدعوا فتنزل نار بيضا لها دوي وحفيف لا دخان
لها فتاكل القربان فكان هذا القول دعوي من اليهود اذ كان ثم استثنا
فاخفوه او نسخ فكانوا في تمسكهم بذلك متعنتين ومعجزات النبي
صلى الله عليه وسلم دليل قاطع في بطلان دعواهم وكذلك معجزات
عيسى ومن وجب صدقه وجب تصديقه ثم قال تعالى اقامة للحجة عليهم
قل يا محمد قد جاكم يا معشر اليهود رسل من قبلي بالبينات وبالذي
قلتم من القول فلم قتلتموهم يعني زكريا ويحيى وشعيا وساير من
قتلوا من الانبيا عليهم السلام ولم يومنوا بهم اراد بذلك اسلافهم
وهذه الايه التي تلاها عامر الشعبي رضي الله عنه واحتج بها على الذي
حسن قتل عثمان فكان بينا وان الله سما اليهود قتله لرضاهم بفعل اسلافهم
وان كان بينهم نحو من سبع ماية سنه والقربان ما يتقرب به الى الله من
نسيكه وصدقه وعمل صالح وهو فعلان من القربه ويكون اسما ومصدرا
فمثال الاسم السلطان والبرهان والمصدر العدوان والخسران
وكان عيسى بن مريم يقربان فيضم الرا اتباعا لضمه القاف كما قيل في
جمع ظلمه ظلمات وفي حجره حجرات ثم قال تعالى موسيا لنبيه صلى الله
عليه وسلم ومونسا له فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاوا
بالبينات اي الدلالات والزبر اي الكتب المزبوره يعني المكتوبه
والزبر جمع زبور وهو الكتاب واصله من زبرت يعني اي كتبته
وكل زبور فهو كتاب قال امرو القيس لمن طلل ابصرته فشجاني
كخط زبور في عسيب يمان   وانا اعرف تزبري اي كتابتي
وقيل الزبور من الزبر بمعنى زبرت الرجل انتهرته وزبرت البير طويتها

بالحجاره

بالجبارة وقرا ابن عامر وبالزبر وبالكتاب بزيادة باء في الحرفين ولذا هو
في مصحف اهل الشام والكتاب المنير اي الواضح المعنى من قولك انرت
الشي انيره اي اوضحته يقال نار الشي وانار ونور واستنار بمعنى
واحد منها لازم ومتعد وجمع بين الزبر والكتاب وهما بمعنى لاختلاف
لفظهما واصلهما ما ذكرنا تعالى كل نفس ذايقة الموت
فيه سبع مسايل لما اخبر جل وتعالى عن الباخلين
وكفرهم في قولهم ان الله فقير ونحن اغنيا وامر المومنين بالصبر
على اذاهم في قوله لتبلون الاية بين ان ذلك مما ينقضي ولا يدوم
فان امد الدنيا قريب ويوم القيامة يوم الجزا وذايقة من
الذوق وهذا مما لا محيص عنه للانسان ولا محيد عنه لحيوان
وقد قال امية بن ابي الصلت من لم يمت عبطة يمت هرما
الموت كاس والمرء ذايقها وقال اخر الموت باب
وكل الناس داخله فليت شعري بعد الباب ما الدار
قراة العامة ذايقة بالاضافة وقرا الاعمش ويحيى وابن ابي
اسحق ذايقة الموت بالتنوين ونصب الموت قالوا لانها لم
تذق بعد وذلك ان اسم الفاعل على ضربين احدهما ان يكون بمعنى
المضي والثاني بمعنى الاستقبال فان اردت الاول لم يكن فيه الا
الاضافة الى ما بعده كقولك هذا ضارب زيد امس وقاتل بكر امس
لانه يجري مجرى الاسم الجامد وهو العلم نحو غلام زيد وصاحب
بكر قال الشاعر الحافظو عورة العشيرة لا ياتيهم من ورايهم
وكف وان اردت الثاني جاز الجر والنصب والتنوين فيما هذا

سبيله هو الاصل لانه يجري مجرى الفعل المضارع فان كان الفعل غير
متعد لم يتعد نحو قام زيد وان كان متعد يا عديته ونصبت به تقول
زيد ضارب عمروا بمعنى يضرب عمرا ويجوز حذف التنوين والاضافة
تخفيفا كما قال المرار سل الهموم بكل معطي راسه ناج مخالط صهبة متعيس
مغتال احبله مبين عنقه في منكب زين المطي عرندس بحذف التنوين
تخفيفا والاصل معط راسه بالتنوين والنصب ومثل هذا الاضافة في
التنزيل قوله تعالى هل هن كاشفات ضره وما كان مثله   ثم اعلم
ان للموت اسبابا وامارات فمن علامات موت المومن عرق الجبين
اخرجه النساي من حديث بريدة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول المؤمن يموت بعرق الجبين وقد بيناه في التذكرة فاذا
احتضر لقن الشهادة لقوله عليه السلام لقنوا موتاكم لا اله الا الله لتكون
اخر كلامه فيختم له بالشهادة ولا تعاد عليه لئلا يضجر ويستحب
قراءة يس ذلك الوقت لقوله عليه السلام اقرؤا يس على موتاكم
اخرجه ابو داود   وذكر الاجري في كتاب النصيحة من حديث ام
الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من ميت يقرا عنده يس
الا هون الله عليه فاذا قبض تبع البصر الروح كما اخبر صلى الله عليه وسلم في صحيح
مسلم وارتفعت العبادات وزال التكليف توجهت على الاحيا احكام منها
تغميضه واعلام اخوانه الصلحا بموته وكرهه قوم وقال هو من النعي والاول
اصح وقد بيناه في غير هذا الموضع ومنها الاخذ في تجهيزه بالغسل والدفن
لئلا يسرع التغيير قال صلى الله عليه وسلم لقوم اخروا دفن ميتهم عجلوا
دفن ميتكم وقال اسرعوا بالجنازة الحديث وسياتي   فاما غسله فهي

الرابعة

وهو سنه باجماع المسلمين حاشا الشهيد على ما تقدم وقيل

غسله واجب قاله القاضي عبد الوهاب والاول مذهب الكتاب

وعلى هذين القولين الاولين العلما وسبب الخلاف قوله صلى الله عليه وسلم

لام عطيه في غسلها ابنته زينب على ما في كتاب مسلم وقيل هي ام كلثوم على

ما في كتاب ابي داود اغسلنها ثلاثا او خمسا او اكثر من ذلك ان رايتين

ذلك الحديث وهو الاصل عند العلما في غسل الموتى فهل المراد بهذا

الامر بيان حكم الغسل فيكون واجبا وقيل المقصود منه تعليم كيفية

الغسل فلا يكون فيه ما يدل على الوجوب لانه فوضه الى نظرهن قيل

لهم هذا فيه بعد لان رد ان رايتن الى الامر ليس السابق الفهم بل السابق

رجوع هذا الشرط الى اقرب مذكور وهو اكثر من ذلك او الى التخيير

في الاعداد وعلى الجمله فلا خلاف ان غسل الميت مشروع معمول

به في الشريعه لا يترك وصفته صفه غسل الجنابه على ما هو

معروف ولا يجاوز السبع غسلات في غسل الميت باجماع على ما

حكاه ابو عمر فان خرج منه شي بعد السبع غسل الموضع وحده وحكمه

حكم الجنب اذا احدث بعد غسله فاذا فرغ من غسله لفقه في ثيابه

وهي الرابعه والتكفين واجب عند عامه العلما فان كان له مال

لمن راس ماله عند عامه العلما الا ما حكي عن طاوس انه من الثلث

فان عدم اواب او زوج او ابن فعلى السيد باتفاق وعلى الزوج

والاب والابن باختلاف ثم على بيت المال او على جماعه المسلمين

على الكفايه والذي يتعين منه بتعين الفرض ستر العوره فان

كان فيه فضل عنها فانه لا يعم جميع الجسد غطا راسه ووجهه الا ما

للوجه وسترا لما يظهر من تغير محاسنه والاصل في هذا قصة مصعب
بن عمير فانه ترك يوم احد نمرة فكان اذا غطا راسه خرجت رجلاه واذا
غطيت رجلاه خرج راسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعوها
مما يلي راسه واجعلوا على رجليه من الاذخر اخرج الحديث مسلم والوتر
يستحب عند كافة العلما في الكفن وكلهم مجمعون على انه ليس فيه حد
والمستحب منه البياض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا
من ثيابكم البياض فانه من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم اخرجه ابو
داود وكفن صلى الله عليه وسلم في ثلاث اثواب بيض سحولية من كرسف
والكفن في غير البياض جايز الا ان يكون حريرا او خزا فان تشاح الورثة
قضي عليهم في مثل لباسه في جمعته واعياده قال صلى الله عليه
وسلم اذا كفن احدكم اخاه فليحسن كفنه اخرجه مسلم الا ان يوصي
باقل من ذلك فان اوصى بسرف فقيل يبطل الزايد وقيل يكون في
الثلث والاول اصح لقوله تعالى ولا تسرفوا وقال ابو بكر انه للمهله
فاذا فرغ من غسله وتكفينه ووضعه على سريره واحتمله الرجال
على اعناقهم وهي الخامسة فالحكم الاسراع في المشي لقوله صلى الله عليه
وسلم اسرعوا بالجنازة فان تك صالحة فخير تقدمونها عليه وان تك غير
ذلك فشر تضعونه عن رقابكم لاكما يفعله الجهال من المشي ربيا دربيا
والوقوف بها المرة بعد المرة وقراة القران بالالحان الى ما لا يحل ولا
يجوز حسب ما يفعلونه اهل الديار المصرية بموتاهم روى النساى انا
محمد بن عبد الاعلى نا خالد نا عيينة بن عبد الرحمن قال حدثني ابي قال
شهدت جنازة عبد الرحمن بن سمرة وخرج زياد يمشي بين يدي

السرير فجعل رجال من اهل عبد الرحمن ومواليهم يستقبلون السرير
ويمشون على اعقابهم ويقولون رويدا رويدا بارك الله فيكم فكانوا
يدبون حتى اذا انا ببعض طريق المربد لحقنا ابو بكرة رضي الله عنه يمشي
على بغلة فلما راى الذين يصنعون حمل عليهم ببغلته واهوى اليهم بالسوط
فقال خلوا فوالذي كرم وجه ابا القاسم صلى الله عليه وسلم لقد رايتنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا لنكاد نرمل بها رملا فانبسط
القوم وروى ابو ماجه عن ابن عباس قال سالنا نبينا صلى الله عليه
وسلم عن المشي مع الجنازة فقال دون الخبب ان يكن خيرا تعجل اليه وان
يكن غير ذلك فبعدا لاهل النار الحديث قال ابو عمر والذي عليه
جماعة العلما في ذلك الاسراع فوق السجية قليلا والعجلة احب
اليهم من الابطا ويكره الاسراع الذي يشق على ضعفة من يتبعها
وقال ابراهيم النخعي بصوا بها قليلا ولا تدبوا دبيب اليهود والنصارى
وقد تاول قوم الاسراع في حديث ابي هريرة تعجيل الدفن لا المشي
وليس بشي لما ذكرناه وبالله توفيقنا واما الصلاة
عليه فهي واجبة على الكفاية كالجهاد هذا هو المشهور من مذاهب
العلما مالك وغيره لقوله صلى الله عليه وسلم في النجاشي فقوموا فصلوا
عليه وقال اصبغ انها سنة وروي عن مالك وسياتي لهذا المعنى بيان
في براه واما دفنه في التراب فذلك واجب لقوله تعالى
غرابا يبحث في الارض وهناك نذكر حكم بيان القبر وما يستحب منه
وكيفية جعل الميت فيه وياتي في الكهف حكم بنا المسجد عليه ان شا
الله فهذه جملة من احكام الموتى وما يجب لهم على الاحيا وعن عايشة

قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم
قد افضوا الى ما قدموا اخرجه مسلم وفي سنن النسائي عنها قالت ذكر
عند النبي صلى الله عليه وسلم هالك بسو فقال لا تذكروا هلكاكم الا
بخير تعالى وانما توفون اجوركم يوم القيامه فاجر المومن
ثواب واجر الكافر عقاب ولم يعتد بالنعم والبليه في الدنيا اجرا ولا
جزا لانها عرضه الفنا فمن زحزح عن النار اي ابعد وادخل الجنه فقد
فاز ظفر بما يرجوا ونجا مما يخاف روي الاعمش عن زيد بن وهب
عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبه عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنه فلتاته منيته وهو
يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويأتي الى الناس الذي يحب ان
يوتا اليه وعن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
موضع سوط في الجنه خير من الدنيا وما فيها اقروا ان شيتم فمن زحزح عن
النار وادخل الجنه فقد فاز وما الحياه الدنيا الا متاع الغرور اي تغر المومن
وتخدعه فيظن طول البقا وهي فانيه والمتاع ما يتمتع به وينتفع كالفاس
والقدر والقصعه ثم يزول ولا يبقى ملكه قاله اكثر المفسرين قال
الحسن كخضره النبات ولعب البنات لا حاصل له وقال قتاده هي
متاع متروك يوشك ان يضمحل باهلها فينبغي للانسان ان ياخذ من
هذا المتاع بطاعه الله سبحانه ما استطاع ولقد احسن من قال
هي الدار دار الاذى والقذى ودار الغير فلو نلتها بحذافيرها لمت ولم
تقض منها الوطر ايا من يومل طول الخلود وطول الخلود عليه ضرر اذا
انت شبت وبان الشباب فلا خير في العيش بعد الكبر والغرور ينتج

العز الشيطان

الغير الشيطان يغر الناس بالتمنيه والمواعيد الكاذبه قال بن
عرفه المغرور بما رايت له ظاهر اتحبه وفيه باطن مكروه ومجهول
والشيطان غرور لانه يحمل على محاب النفس وورا ذلك ما يسو
قال ومن هذا بيع الغرور وهو ما كان له ظاهر بيع يغر وباطن
مجهول تعالى لتبلون في اموالكم وانفسكم هذا الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وامته والمعنى لتختبرن ولتمتحن في اموالكم
بالمصايب والارزا وبالانفاق في سبيل الله وساير تكاليف الشرع
والابتلا بالانفس بالموت والامراض وفقد الاحباب وبدا بذكر
الاموال لكثرة المصايب بها ولتسمعن ان قيل لم ثبتت الواو في
لتبلون وحذفت من ولتسمعن فالجواب ان الواو في لتبلون
قبلها فتحه تحركت لالتقا الساكنين وخصت بالضمه لانها واو
الجمع ولم يجز حذفها لانه ليس قبلها ما يدل عليها وحذفت
في ولتسمعن لان قبلها ما يدل عليها ولا يجوز همز الواو في لتبلون
لان حركتها عارضه قاله النحاس وغيره فالجواب ان الواو في
لتبلون قبلها فتحه تحركت لالتقا الساكنين ويقال للواحد
من المذكر لتبلين يا رجل والاثنين لتبليان يا رجلان ولجماعه
الرجال لتبلون لان حركتها عارضه ونزلت بسبب ابا بكر رضي
الله عنه سمع يهوديا يقول ان الله فقير ونحن اغنيا ردا على القران
واستخفافا بنبيه حين انزل الله من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا فلطمه فشكاه الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت قيل ان يهوديا
فنحاص اليهودي عن عكرمة الزهري هو كعب بن الاشرف نزلت

بسببه وكان شاعرا يهجوا النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ويو
عليه كفار قريش ويشبب بنسا المسلمين حتى بعث اليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم محمد بن مسلمة واصحابه فقتله القتلة المشهور في
السير وصحيح الخبر وقيل غير هذا وكان صلى الله عليه وسلم لما قدم
المدينة كان بها اليهود والمشركون فكان هو واصحابه يسمعون اذى
كثيرا وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم مر بابن ابي وهو عليه
السلام على حمار فدعاه الى الله فقال ابن ابي ان كان ما تقول حقا فلا
تودنا به في مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاك فاقصص عليه وقبض
على انفه لاجل لا يصيبه غبار الحمار فقال ابن رواحة نعم يا رسول الله
فاغشنا في مجالسنا فانه نحب ذلك واستب المشركون الذين
كانوا حول ابن ابي والمسلمون ومازال النبي صلى الله عليه وسلم
يسكنهم حتى سكنوا ثم دخل على سعد بن عبادة يعوده وهو مريض
الم تسمع ما قال فلان فقال سعد اعف عنه واصفح فوالذي
انزل عليك الكتاب لقد جاك الله بالحق الذي نزل وقد اصطلح
اهل هذه البحيرة على يقولوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك
بالحق الذي اعطاكه شرق اليه فذلك فعل به ما رايت فعفا عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت هذه الاية قبل ان هذه
قبل نزول القتال وندب الله عباده الى الصبر والتقوى
واخبر انه من عزم الامور وقد ابى البخاري في سياق الحديث
ان ذلك كان قبل نزول القتال والاظهر انه ليس بمنسوخ فان
الجدال بالاحسن والمداراة ابدا مندوب اليها وكان صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم مع الامر بالقتال بوادع اليهود ويداريهم ويصفح
عن المنافقين وهذا بين ومعنى عزم الامور شدها وصلاحها
وقد تقدم تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب الايه فيه مسلتان قوله تعالى واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب هذا متصل بذكر اليهود فانهم امروا
بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان امره فكتموا نعته فالآيه توضح لهم
ثم مع ذلك هو خبر عام لهم ولغيرهم قال الحسن وقتاده هي في
كل من اوتي علم شي من الكتاب لمن علم شيا فليعلمه واياكم وكتمان العلم
فانه هلكه وقال محمد بن كعب لا يحل للعالم ان يسكت على علمه ولا
للجاهل ان يسكت على جهله قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب الايه وقال فسلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
وقال ابو هريره لولا ما اخذ الله على اهل الكتاب ما حدثتكم بشي
ثم تلى هذه الايه واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب وقال
الحسن بن عماره اتيت الزهري بعد ما ترك الحديث فالفيته على بابه
فقلت ان رايت ان تحدثني اما علمت اني تركت الحديث فقلت
اما ان تحدثني واما احدثك قال حدثني قلت حدثني قتيبه عن
يحيى بن الجزار قال سمعت علي بن ابي طالب يقول ما اخذ الله على
الجاهلين ان يتعلموا حتى اخذ على العلما ان يعلموا قال فحدثني
اربعين حديثا الثانيه الها في لتبيننه ترجع الى محمد صلى الله عليه
وسلم وان لم يجر له ذكر وقيل ترجع الى الكتاب ويدخل فيه بيان
امر النبي صلى الله عليه وسلم لانه في الكتاب وقال ولا يكتمونه ولم

يقل تكتمنه لانه في معنى الحال اي لتبيننه باليا على حكاية الخطاب
والباقون باليا لانهم غيب وقرا بن عباس واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لتبيننه فيجي قوله نبذوه عايد على الناس الذين بين الانبيا لهم
وفي قراة بن مسعود ليبينونه دون النون الثقيله والنبذ الطرح
وقد تقدم بيانه في البقرة وراظهورهم مبالغة في الاطراح ومنه
اتخذتموه وراكم ظهريا وقد تقدم في البقرة بيانه ايضا وتقدم
معنى قوله واشتروا به ثمنا قليلا في البقرة فلا معنى لاعادته
فبيس ما يشترون ايضا تقدم والحمد لله تعالى لا يحسبن
الذين يفرحون بما اوتوا اي بما فعلوا من القعود في التخلف عن
الغزو وجاوا به من الغدر فثبت في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري
ان رجالا من المنافقين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
خرج النبي صلى الله عليه وسلم عن الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم
خلاف رسول الله فاذا قدم النبي صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه
وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت ولا تحسبن الذين يفرحون
بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا الايه وفي الصحيحين ايضا ان مروان
قال لبوابه اذهب يا رافع الى بن عباس فقل لان كان كل امري منا فرح بما اوتي
واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعين فقال بن عباس ما لكم ولهذه
الايه انما نزلت هذه الاية في اهل الكتاب ثم تلى بن عباس واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ولا تحسبن الذين يفرحون
بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وقال بن عباس سالهم
النبي صلى الله عليه وسلم عن شي فكتموه اياه واخبروه بغيره فخرجوا

فقد راوا ان قد اخبروه بما سالهم عنه واستحمدوا بذلك اليه وفرحوا
بما اتوا من كتمانهم اياه وما سالهم اياه . وقال محمد بن كعب القرظي
نزلت في علما بني اسرايبل الذين كتموا الحق واتوا ملوكهم من العلم
ما لم يوافقهم في باطلهم واشتروا به ثمنا قليلا اي بما اعطوهم
الملوك من الدنيا فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم لا يحسبن الذين
يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا يحسبنهم بمفازة
من العذاب ولهم عذاب اليم فاخبر ان لهم عذابا اليما بما افسدوا
من الدين على عباد الله . وقال الضحاك ان اليهود كانوا يقولون
للملوك انا نجد في كتابنا ان الله يبعث نبيا في اخر الزمان يختم به النبوة
فلما بعثه الله سالهم الملوك هو هذا الذي تجدونه في كتابكم فقال
اليهود طمعا في اموال الملوك هو غير هذا طمعا فاعطاهم
الملوك الخزاين فقال الله تعالى لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا الملوك
من الكذب حتى ياخذوا عرض الدنيا والحديث الاول خلاف مقتضى
الحديث الثاني ويحتمل ان يكون نزولها على السببين لاجتماعهما
في زمان واحد فكانت جوابا للفريقين والله اعلم وقوله واستحمدوا
بذلك عنده ان طلبوا ان يحمدوا . وقول مروان ابن كان كل
امر منا الى اخره دليل على ان العموم صيغا مخصوصا وان الذين
منها وهذا مقطوع به من يفهم ذلك من القران والسنة وقوله
تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا اذا كانت الاية في اهل
الكتاب لا في المنافقين المتخلفين لانهم كانوا يقولون نحن على دين
ابراهيم ولم يكونوا على دينه وكانوا يقولون نحن اهل الصلاة والصوم

والكتاب يريد ومن انجد وابدلك والذين فاعل يحسبن باليا وهي
قراه نافع وبن عامر وبن كثير وابي عمرو اي لا يحسبن الفارحون فرحهم
منجيا لهم من العذاب وقيل المفعول الاول محذوف وهو انفسهم
والثاني بمفازه وقرا الكوفيون تحسبن بالتا على الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم اي تحسبن يا محمد الفارحين بمفازه من العذاب وقوله فلا تحسبنهم
بالتا وفتح اليا اعادة تاكيد ومفعوله الاول الها والميم والمفعول
الثاني محذوف اي لذلك والفا عاطفه او زايده على بدل الفعل الثاني
من الاول وقرا الضحاك وعيسى بن عمر بالتا وضم البا فلا تحسبنهم اراد
محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وقرا مجاهد وبن كثير وابو عمرو
ويحيى بن يعمر باليا وضم البا خبر عن الفارحين اي فلا يحسبن انفسهم بمفازه
المفعول الثاني ويكون فلا وقيل الذين فاعل يحسبن ومفعوليها محذو
فان لدلاله تحسبنهم عليه كما قال الشاعر باي كتاب ام بايه ايه
ترى حبهم عارا علي وتحسب استغنى بذكر مفعولي الواحد عن ذكر مفعولي
الثاني وكما بمفازه الثاني وهو بدل من الفعل الاول فاعني لا بد منه عن
ذكر مفعوليه والفا زايده وقيل قد تجي هذه الافعال ملغاة لا حكم
لها في العمل نحو قول الشاعر وما خلت ابقى بيننا من موده عراض
المذاكي المشنقات القلايصا وقال كعب بن زهير سلما سلمى اجو ا
وامل ان تدنوا مودتها وما اخال لدينا منك تنويل المذاكي الخيل
التي قد اتا عليها بعد قروحها سنه او سنتان الواحد مذكي مثل المخلف
من الابل وفي المثل جري المذكيات غلا والمشنقات اسم مفعول شنقت
البعير لمشنقه شنقا اذا كففته بزمامه وانت راكبه واشنق البعير

الكوفيون تاتى

رد

نفعل

لغة في شنقه واشنق البعير بنفسه اذا رفع راسه يتعدى ولا يتعدي
ودابة العرب تركب الابل وتجنب الخيل تقول الحرب لا تبقي موده وقرا
جمهور القرا السبعه وغيرهم اتوا بقصر الالف اي لما جاوا به من
الكذب والكتمان وقرا مروان بن الحكم والاعمش وابرهيم النخعي اتوه
بالمد بمعني اعطوه وقرا سعيد بن جبير اتوا على ما لم يسم فاعله اي
اعطوا والمفازه المنجاه مفعله من فاز يفوز اذا نجي اي ليس بنا بزين
وسمي موضع المخاف مفازه على جهه التفاول قاله الاصمعي وقيل
لانها موضع تفويز ومظنه هلاك تقول العرب فوز الرجل اذا
مات قال ثعلب حكيت لابن الاعرابي قول الاصمعي فقال اخطا قال
لي ابو المكارم انما سميت مفازه لان من قطعها فاز وقال الاصمعي سمي
اللديغ سليما تفالا قال ابن الاعرابي بل لانه مستسلم لما اصابه
وقيل لا يحسبنهم بمكان بعيد من العذاب لان الفوز التباعد من
المكروه تعالى ولله ملك السموات والارض هذا
احتجاج على الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا وتكذيب لهم وقيل
المعنى لا يظنن الفرحين ينجون من العذاب فان لله كل شي فيهم في
قبضه النقمه بر فيكون معطوفا على الكلام الاول اي انهم لا ينجون
من عذابه ياخذهم متي شا والله على كل شي اي ممكن قدير وقد مضى
في البقره تعالى ان في خلق السموات والارض الى اخر السوره
فيه خمس وعشرون مسله قوله تعالى ان في خلق
السموات والارض تقدم معنى هذه الايه في البقره في غير موضع
فختم تعالى هذه السوره بالامر بالنظر والاستدلال في اياته اذ

لا يحصل الا عن حي قيوم قدير تدوس سلام غني عن العالمين حتى يكون
ايمانهم مستنداً الى اليقين لا الى التقليد لايات لاولي الالباب
الالباب الذين يستعملون عقولهم في تامل الدلايل وروي عن عايشة
رضي الله عنها انها قالت لما نزلت هذه الايه على النبي صلى الله عليه وسلم
قام يصلي فاتاه بلال يوذنه بالصلاه فراه يبكي فقال يا رسول الله
ابتكي وقد غفر ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون
عبداً شكوراً ولقد انزل علي الليله ايه ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب ثم قال ويل لمن قراها
ولم يتفكر فيها قال العلما يستحب لمن انتبه من نومه ان
يمسح على وجهه ويستفتح قيامه بقراة هذه العشر ايات اقتدا
بالنبي صلى الله عليه وسلم ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما وسياتي
ثم يصلي ما كتب له فيجمع بين التفكر والعمل وهو افضل العمل وهو افضل
العمل على ما ياتي بيانه في الايه بعد هذه وروي عن ابي هريره ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا عشر ايات من اخر سوره ال عمران
كل ليله ابو نصر الوايلي السجستاني الحافظ في كتاب الابانه من حديث
سليمان بن موسى عن مظاهر بن اسلم المخزومي عن المقبري عن ابي هريره
وتقدم اول السوره عن عثمان قال من قرا اخر ال عمران في ليله
كتب له قيام ليله قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم ذكر تعالى ثلاث هيات لا يخلوا ابن ادم منها في غالب امره
فكانها تحصر زمانه ومن هذا المعنى قول عايشه رضي الله عنها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله تعالى على كل احيانه اخرجه مسلم

فدخل في ذلك

تدخل في ذلك لونه علي الخلا وغير ذلك   وقد اختلف في هذا فاجاز
ذلك عبد الله بن عمرو بن سيرين والنخعي وكره ذلك بن عباس وعطا
والشعبي والاول اصح لعموم الايه والحديث قال النخعي لا باس بذكر
الله في الخلا فانه يصعد الملك يصعد به الملايكه مكتوبا في صحفهم لحذف ما
المضاف دليله قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين ولان الله عز وجل امر عباده
بالذكر على كل حال ولم يستثن فقال اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال
فاذكروني اذكركم   وقال ان الله لا يضيع اجر من احسن عملا فنعم
فذاكر الله في كل حالاته مثاب ماجور ان شا الله   وذكر ابو نعيم
قال ثنا ابو بكر بن ملك قال ثنا ابو بكر بن ملك ثنا عبد الله بن
احمد بن حنبل قال حدثني ابي قال حدثنا وكيع قال ثنا سفيان
عن عطا عن ابي مروان عن ابيه عن كعب الاحبار قال قال
موسى يا رب اقريب انت فاناجيك ام بعيد فاناديك قال
يا موسى انا جليس من ذكرني قال يا رب فانا نكون على حال
نجلك ونعظمك ان نذكرك قال وما هي قال الجنابه والغايط
قال يا موسى اذكرني على كل حال وكراهية من كره ذلك اما
لتنزيه ذكر الله تعالى في المواضع المرغوب عنه ذكره فيها ككراهية
قراه القران في الحمام واما اتقا الكرام الكاتبين على ان يحلهم موضع
الاقذار والانجاس بكتابه ما يلفظ به والله اعلم   وقياما وقعودا
نصب على الحال وعلى جنوبهم في موضع الحال اي ومضطجعين
ومثله قوله دعانا لجنبه قاعدا او قايما على العكس اي دعا مضطجعا

ل

ه

عليه السلام

هة

علي م

ا

منا...

على جنبه وذهب جماعه من المفسرين منهم الحسن وغيره الى قوله
يذكرون الله انما هو عبارة عن الصلاه اى لا يضيعونها فى حالات
العذر فيصلونها قعودا او على جنوبهم وهى مثل قوله تعالى فاذا قضيتم
الصلاه فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فى قول ابن
بن مسعود على ما ياتى بيانه واذا كانت الايه فى الصلاه ففقهها
ان الانسان يصلى قايما فان لم يستطع فقاعدا فان لم يستطع فعلى
جنبه كما ثبت عن عمران بن حصين قال كان بى الناسور فسالت
النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاه فقال صل قايما فان لم تستطع
فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب رواه الايمه وقد كان صلى الله
عليه وسلم يصلى قاعدا قبل موته بعام فى النافله على ما فى صحيح مسلم
وروى النساى عن عايشه قالت رايت النبى صلى الله عليه وسلم
يصلى متربعا قال ابو عبد الرحمن لا اعلم احدا روى هذا الحديث
غير ابى داود الحفرى وهو ثقه ولا احسب هذا الحديث
الا خطا واختلف العلما فى كيفيه صلاه المريض
القاعد وهيئتها فذكر ابن عبد الحكم عن مالك انه يتربع فى قيامه
وقاله البويطى عن الشافعى فاذا اراد السجود تهيا للسجود على قدر
ما يطيق قال وكذلك المتنفل ونحوه قول الثورى وكذلك قال
الليث واحمد واسحق وابو يوسف ومحمد وقال الشافعى فى روايه
المزنى يجلس فى صلاته كلها كجلوس التشهد وروى عن مالك واصحابه
والاول المشهور وهو ظاهر المدونه وقال ابو حنيفه وزفر
يجلس كجلوس التشهد وكذلك يركع ويسجد فان لم

يستطع للقعود صلى على جنبه او ظهره على التخيير هذا مذهب
المدونه وحكى ابن حبيب عن ابن القاسم يصلي على ظهره فان لم يستطع فعلى
جنبه الايمن ثم على جنبه الايسر وفي كتاب المواز عكسه يصلي على جنبه
الايمن والا فعلى الايسر والا فعلى الظهر وقال سحنون يصلي على
الايمن كما يجعل في اللحد والا على ظهره والا فعلى الايسر وقال
مالك وابو حنيفه اذا صلى مضطجعا تكون رجلاه مما يلي القبله وللثوري
والشافعي يصلي على جنبه ووجهه الى القبله فان قوي لخفه
المرض وهو في الصلاه فقال ابن القاسم انه يقوم فيما بقي من صلاته ويبني
على ما مضى وهو قول الشافعي وزفر والطبري وقال ابو حنيفه
وصاحباه يعقوب ومحمد فيمن صلى مضطجعا ركعة ثم صح انه يستقبل
الصلاه من اولها ولو كان قاعدا يركع ويسجد ثم صح بنى في قول ابي
حنيفه ولم يبن في قول محمد وقال ابو حنيفه واصحابه اذا افتتح الصلاه
قايما ثم صار الى حد الايما فليبن وروي عن ابي يوسف وقال مالك
في المريض الذي لا يستطيع الركوع ولا السجود وهو يستطيع القيام
والجلوس انه يصلي قايما ويومي الى الركوع فاذا اراد السجود جلس واوما
الى السجود وهو قول ابي يوسف وقياس قول الشافعي وقال
ابو حنيفه واصحابه يصلي قاعدا واما صلاه الراقد الصحيح
فروي من حديث عمران بن حصين زياده ليست موجود في غيره وهي صلاه
الراقد مثل نصف صلاه القاعد قال ابو عمر وجمهور اهل العلم لا
يجيزون النافله مضطجعا وهو حديث لم يروه الا حسين المعلم وهو حسين
بن ذكوان عن عبد الله بن بريده عن عمران بن حصين وقد اختلف على حسين

في اسناده ومتنه اختلافا يوجب التوقف عنه وان صح فلا ادري ما
وجهه فان كان احد من اهل العلم قد اجاز النافلة مضطجعا لمن قدر على
القعود او على القيام فوجهه هذه الزيادة في هذا الخبر وهي حجة لمن
ذهب الى ذلك فان اجمعوا على كراهة النافلة وانه لمن قدر على القعود
او على القيام فوجهه هذه الزيادة لحديث حسين هذا اما غلط واما
منسوخ وقيل المراد بالاية الذين يستدلون بخلق السموات والارض
على ان المتغير لا بد له من مغير وذلك المغير يجب ان يكون قادرا على
الكمال وله ان يبعث الرسل فاذا بعث رسولا ودل على صدقه بمعجزة واحدة
لم يبق لاحد عذر فهولاء الذين يذكرون الله على كل حال والله اعلم
قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض قد بينا ان معنى يذكرون
وهو اما الذكر باللسان واما الصلاه فرضا ونفلا فعطف تعالى عبادة
اخرى على احدهما بعبادة اخرى وهي الفكر في قدرة الله ومخلوقاته
والعبر الذي بث ليكون ذلك ازيد في بصايرهم وفي كل شي له اية
تدل على انه واحد وقيل يتفكرون عطف على الحال وقيل يكون منقطعا
والاول اشبه والفكرة تردد القلب في الشي يقال تفكر ورجل
فكير كثير الفكر ومر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم يتفكرون
في الله تعالى تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون
قدره وانما الفكر والاعتبار انبساط الذهن في المخلوقات كما هي
ويتفكرون في خلق السماوات والارض يحكى ان سفين الثوري
رضي الله عنه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى السما فلما راى
الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وروي عن ابي

هريرة

هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق
على فراشه فنظر الى النجوم والى السما فقال اشهد ان لك ربا وخالقا
اللهم اغفر لي قال فنظر الله اليه فغفر له وقال صلى الله عليه
وسلم لا عباده كتفكر وروي عنه صلى الله عليه وسلم تفكر
ساعه خير من عباده سنه وروي بن القاسم عن مالك قال
قيل لام الدردا ما كان اكثر شان ابي الدردا قالت كان اكثر شانه التفكر
قيل له افترى التفكر عملا من الاعمال قال نعم هو اليقين وقيل لابن
المسيب في الصلاه بين الظهر والعصر قال ليست هذه عباده انما
العباده الورع عما حرم الله والتفكر في امر الله وقال الحسن تفكر
ساعه خير من قيام ليله وقال بن عباس وابي الدردا قال الحسن
الفكر مراة المومن ينظر فيها الى حسناته وسياته ومن التفكر فيه
مخاوف الاخره من الحشر والجنه ونعيمها والنار وعذابها يروى
ان ابا سليمان الداراني رضي الله عنه اخذ قدح الما ليتوضا لصلاه
الليل وعنده ضيف فراه لما ادخل اصبعه في اذن القدح اقام
كذلك مفكرا حتى طلع الفجر فقال له ما هذا يا ابا سليمان فقال
اني لما طرحت اصبعي في اذن القدح تفكرت قول الله تعالى
اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون فتفكرت في حالي وكيف
اتلقى الغل ان طرح في عنقي فما زلت في ذلك حتى اصبحت قال
بن عطيه وهذا نهايه الخوف وخير الامور اوسطها وليس علما الامه
الذين هم الحجه على هذا المنهاج وقراه علم كتاب الله ومعاني
سنه رسوله صلى الله عليه وسلم لمن يفهم ويرجى نفعه افضل من

هذا قال بن الجوزي اختلف الناس اي العملين افضل التفكر ام الصلاه
فذهبت الصوفيه الي ان التفكر افضل فانه يثمر المعرفه وهو افضل
المقامات الشرعيه وذهب الفقها الي ان الصلاه افضل لما ورد في
الحديث من الحث والدعا اليها والترغيب فيها وفي الصحيحين
عن بن عباس انه بات عند خالته ميمونه وفيه فقام رسول الله صلي
الله عليه وسلم يمسح النوم عن وجهه ثم قرا العشر ايات الخواتيم
من سورة آل عمران وقام الي شن معلق وتوضا وضوا خفيفا ثم صلا
ثلاث عشره ركعه الحديث فانظروا رحمكم الله الي جمعه بين التفكر في
المخلوقات ثم اقباله علي صلاته بعده وهذه السنه هي التي يعتمد عليها
فاما طريقه الصوفيه ان يكون الشيخ منهم يوما وليله وشهرا مفكرا
لا يفتر فطريقه بعيده عن الصواب غير لايقه بالبشر ولا مستمره علي
الستر قال بن وحدثني ابي عن بعض علما الشرق قال كنت باتيا في مسجد
الاقدام بمصر فصليت العتمه فرايت رجلا قد اضطجع في كسا له مسجا بكسايه
حتي اصبح وصلينا نحن تلك الليله فلما اقيمت صلاه الصبح قام ذلك الرجل
فاستقبل القبله وصلي مع الناس فاستعظمت حركاته في الصلاه بغير
وضو فلما فرغت الصلاه خرج فتبعته لاعظه فلما دنوت منه سمعته
ينشد شعرا منسجن الجسم غايب حاضر منتبه القلب صامت ذاكر
منقبض في الغيوب منبسط كذاك من كان عارفا ذاكر يبيت في ليله
اخا فكر فهو مدا الليل نايم ساهر قال فعلمت انه ممن يعبد بالفكر
وانصرفت عنه قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا اي يقولون ما
خلقته عبثا وهزلا بل خلقته دليلا علي حكمتك وقدرتك والباطل الزايل الداهب

ومنه قول لبيد

ومنه قول لبيد   الا كل شي ما خلا الله باطل اي زايل وباطلا نصب
لانه نعت مصدر محذوف اي خلقا باطلا   وقيل انتصب على نزع الخافض
اي ما خلقتهما للباطل وقيل على القول الثاني ويكون خلق بمعنى جعل سبحانك
اسند النحاس عن موسى بن طلحه قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن معنى سبحان الله فقال تنزيه الله عن السو وقد تقدم في البقره معناه
مستوفا   وقنا عذاب النار اجرنا من عذابها وقد تقدم
قوله تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي اذللته واهنته
وقال المفضل اهلكته   وانشد   اخزا الاله من الصليب
عبيده واللابسين قلانس الرهبان   وقيل افضحته ابعدته
يقال اخزاه الله ابعده ومقته والاسم الخزي قال ابن السكيت
خزي يخزي خزيا اذا وقع في بليه   وقد تمسك بهذه الاصحاب
الوعيد وقال من ادخل النار ينبغي الا يكون مومنا لقوله فقد اخزيته
لقوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه وما قالوه مردود
لقيام الادله على ان مرتكب الكبيره لا يزول عنه اسم الايمان كما
تقدم وياتي والمراد من قوله من تدخل النار من تخلد في النار قاله انس
بن ملك   وقال قتاده تدخل مقلوب تخلد ولا نقول كما قال حرورا
وقال سعيد بن المسيب الايه خاصه في قوم لا يخرجون من النار ولهذا قال
وما للظالمين من انصار اي الكفار   وقال اهل المعاني الخزي يحتمل ان يكون
بمعنى الحيا يقال خزي يخزى خزايه اذا استحيا فهو خزيان قال ذو الرمه
خزايه ادركته عند جولته من جانب الحبل مخلوطا به الغضب فخزي المومنين يوميد
استحياوهم في دخول النار من سائر اهل الاديان الى ان يخرجوا منها والخزي

للكافرين هوا صلاتهم بينما من غير موت والمومنون يموتون فلفترقوا
لذا ثبت في صحيح السنة من حديث ابي سعيد الخدري اخرجه مسلم وقد
تقدم قوله تعالى ربنا اننا سمعنا منادياي محمدا
صلى الله عليه وسلم قال بن مسعود وبن عباس واكثر المفسرين وقال
قتاده ومحمد بن كعب القرظي هو القران وليس كلهم سمع النبي صلى الله عليه
وسلم دليل هذا القول ما اخبر الله عن مومني الجن اذ قالوا انا سمعنا قرانا
عجبا يهدي الى الرشد اجاب الاولون فقالوا من سمع النبي كالقران فكانما لقي
النبي صلى الله عليه وسلم وهذا صحيح معنى وان من امنوا نصب على
حرف الخفض اي بان امنوا وفي الكلام تقديم وتاخير اي سمعنا مناديا
للايمان ينادي عن ابي عبيده وقيل اللام بمعنى الي اي الى الايمان كقوله ثم
يعودون لما نهوا عنه وقوله بان ربك اوحى لها وقوله الحمد لله الذي هدانا لهذا
اي الى هذا ومثله كثير وقيل هي لام اجل اي لاجل الايمان
قوله تعالى ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سياتنا تاكيد ومبالغه في الدعاء ومعنى
اللفظين واحد فان الغفر والكفر الستر وتوفنا مع الابرار اي ابرارا مع الانبيا
اي في جملتهم واحدهم بر وبرره او بار وابرار واصله من الاتساع فكان البر متسع
في طاعة الله ومتسعه له رحمة الله قوله تعالى ربنا واتنا
ما وعدتنا على رسلك اي على السنة رسلك مثل واسال القريه وقرا الحسن
والزهري رسلك بالتخفيف وهو ما ذكر من استغفار الانبيا والملايكه
للمومنين قوله تعالى والملايكه يستغفرون لمن في الارض وما ذكر من دعا نوح
للمومنين ودعا ابراهيم واستغفار النبي صلى الله عليه وسلم لامته ولا تخزنا
اي لا تعذبنا ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا ولا تبعدنا ولا تمقتنا يوم

القيامه

الفاظ مترادفه

القيامة انك لا تخلف الميعاد قيل ما وجه قولهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك
وقد علموا انه لا يخلف الميعاد فالجواب من ثلاثة اوجه الاول انه سبحانه
وعد من امن بالجنة فسالوا ان يكونوا ممن وعد بذلك دون الخزي والعقاب
الثاني انهم دعوا بهذا الدعا على جهة العبادة والخضوع والدعا مخ
العبادة وهذا كقوله قل رب احكم بالحق وان كان لا يقضي الا بالحق الثالث
سالوا ان يعطوا ما وعدوا به من النصر على عدوهم معجلا لانها حكاية عن
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسالوا ذلك اعزازا للدين والله اعلم وروي
عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من وعد الله عز
وجل على عمل ثوابا فهو منجز له ومن وعد الله على عمل عقابا فهو فيه بالخيار
والعرب تذم بالمخالفة في الوعد وتمدح بذلك في الوعيد حتى قال قايلهم

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي ... ولا اختبي من خشية المتهدد
واني متى اوعدته او وعدته ... لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اي اجابهم قال الحسن ما زالوا
يقولون ربنا ربنا حتى استجاب لهم وقال جعفر الصادق من حزبه امر فقال
خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد قيل وكيف ذلك قال
اقروا الذين يذكرون الى قوله انك لا تخلف الميعاد

قوله تعالى اني اي باني وقرا عيسى بن عمر اني بكسر الهمزة اي فقال اني روى
الحاكم ابو عبد الله في صحيحه عن ام سلمة انها قالت يا رسول الله لا اسمع
الله ذكر النسا في الهجرة بشي فانزل الله فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل
عامل منكم من ذكر او انثى الاية واخرجه الترمذي ودخلت من للتاكيد لان
قبلها حرف نفي وقال الكوفيون هي للتفسير ولا يجوز حذفها لانها

هم ليقال

دخلت لمعنى لا يصلح الكلام الا به وانما تحذف اذا كانت بالبدل للتجر بعضكم
من بعض ابتدا وخبر اي دينكم واحد وقيل بعضكم من بعض في الثواب
والاحكام والنصر وشبه ذلك وقال الضحاك رجالكم شكل نسايكم في
الطاعه ونساكم شكل رجالكم في الطاعة نظيرها قوله تعالى والمومنون
والمومنات بعضهم اوليا بعض ويقال فلان مني اي على مذهبي وخلقي
قوله تعالى فالذين هاجروا ابتدا وخبر اي هجروا اوطانهم
وصاروا الى المدينه واخرجوا من ديارهم في طاعة الله عز وجل وقاتلوا
اي وقاتلوا اعدايي وقتلوا اي في سبيلي وقرا ابن كثير وابن عامر وقاتلوا
وقتلوا على التكثير وقرا الاعمش وقتلوا وقاتلوا لان الواو لا تدل
على ان الثاني بعد الاول وقيل في الكلام اضمار قد اي فقتلوا وقد قاتلوا
ومنه قول الشاعر تصابى وامسى علاه الكبر اي وقد علاه
وقيل وقاتل من بقي منهم تقول العرب قتلنا بني تميم وانما قتل بعضهم
قال امرو القيس فان تقتلونا نقتلكم وقرا عمر بن عبد العزيز
وقتلوا وقتلوا خفيفه بغير الف لاكفرن عنهم سياتهم اي
عليهم في الاخره فلا اوبخهم بها ولا اعاتبهم عليها ثوابا من عند الله
مصدر توكيد عند البصريين لان معنى لادخلنهم جنات لاثيبنهم
ثوابا الكسايي انتصب على القطع الفرا على التفسير والله
عنده حسن الثواب اي حسن الجزا وهو ما يرجع على العامل من جزا
عمله من ثاب يثوب قوله تعالى لا يغرنك تقلب
الذين كفروا في البلاد قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
الامة وقيل للجميع وذلك ان المسلمين قالوا هو لا الكفار لهم تجاير

واموال واضطراب في البلاد وقد هلكنا نحن من الجوع فنزلت هذه
الايه اي يغرنكم سلامتهم في تقلبهم واسفارهم متاع قليل
اي تقلبهم متاع قليل وقرا يعقوب يغرنك ساكنة النون
وانشد لا يغرنك عشا ساكن قد توافي بالمنيات السحر ونظير
هذه الايه قوله فلا يغررك تقلبهم في البلاد والمتاع ما
يعجل به وسماه قليلا لانه فان وان كان كثيرا فهو قليل وفي
صحيح الترمذي عن المستورد الفهري قال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه
في اليم فينظر بما يرجع قيل يرجع بالبا والتا وبئس المهاد اي
بئس ما مهد والانفسهم بكفرهم او ما مهد الله لهم من النار
في هذه الايه وامثالها انما نملي لهم خير الايه واملي لهم
ان كيدي متين ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون دليل على ان الكفار غير منعم عليهم في الدنيا لان
حقيقة النعم الخلوص من مشايب الضرر العاجله والاجله ونعم
الكفار مشوبه بالالام والعقوبات فصار كمن قدم بين يدي
غيره حلاوة من عسل فيها السم فهو وان استلذ اكله لا يقال انعم
عليه لان فيها هلاك روحه وذهب الى هذا جماعة من العلما
وهو قول الشيخ ابي الحسن الاشعري وذهب جماعة منهم سيف
السنه ولسان الامه القاضي ابو بكر الى ان الله انعم عليهم في الدنيا
قالوا واصل النعمه من النعمه بفتح النون وهي العيش ومنه قوله ونعمة
كانوا فيها فاكهين يقال دقيق ناعم اذا بولغ في طحنه واجيد سحقه

بالهاء

وهذا هو الصحيح والدليل عليه ان الله اوجب على الكفار ان
يشكروه وعلى جميع المكلفين تعالى اذكروا الاء الله واشكروا الله
والشكر لا يكون الا عن نعمة وقال واحسن كما احسن الله اليك وهذا
الخطاب لقارون وقال وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمينة
فنبه سبحانه انه قد انعم عليهم نعمة دنياويه يجحدوها وقال يعرفون
نعمة الله ثم ينكرونها وقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم وهذا
عام في الكفار وغيرهم فاما اذا قدم لغيره طعاما فيه سم تقدر تفوته
في الحال اذا لم يجرعه السم بحا بل دسه في الحلاوة فلا يستبعد ان
يقال قد انعم عليه واذا اثبت هذا فالنعم ضربان نعم نفع ونعم
دفع فنعم النفع ما وصل اليهم من قبول اللذات ونعم الدفع ما صرف
عنهم من انواع الافات فعلى هذا قد انعم على الكفار نعم الدفع قولا
واحدا وهو ما روي عنهم من الالام والاسقام والاخلاف منهم
في انه لم ينعم عليهم نعمة دينيه والحمد لله قوله تعالى
لكن الذين اتقوا ربهم استدراك بعد كلام تقدم فيه معنى النفي
لان معنى ما تقدم ليس لهم في تقلبهم في البلاد كبير الانتفاع لكن
المتقون لهم الانتفاع الكبير والخلد الدايم فموضع لكن رفع بالابتدا
وقرا يزيد بن القعقاع لكن بشد النون قوله
نزلا من عند الله نزلا مثل ثوابا عند البصريين الكساي يكون مصدرا
الفرا هو مفسر وقرا الحسن والنخعي نزلا بتخفيف الزاي استثقالا
لضمتين وثقله الباقون والنزل ما يهيا للنزيل والنزيل الضيف
قال الشاعر نزيل القوم اعظمهم حقوقا وحق الله في

النزيل

حادي عشريه

التزيل والانزال وخط نزل يجتمع والنزل ايضا الريع يقال طعام كثير النزل والنزل قال الشيخ المولف رحمه الله ولعل النزل والله ما جا في صحيح مسلم من حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث الحبر الذي سال النبي صلى الله عليه وسلم اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظلمه دون الحشر قال فمن اول الناس اجازه قال فقرا المهاجرين قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنه قال زياده كبد الحوت قال فما غداهم على اثرها فقال ينحر لهم ثور الجنه الذي كان ياكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا وذكر الحديث قال اهل اللغه والتحفه ما يتحف بها الانسان من الفواكه والطرف محاسنه وملاطفه وهذا مطابق لما ذكرناه في النزل والله اعلم وزيادة الكبد قطعه منه كالاصبع قال الهروي نزلا من عند الله اي ثوابا وقيل رزقا وما عند الله خير للابرار اي مما يتقلب به الكفار في الدنيا

قوله تعالى وان من اهل الكتاب الايه قال جابر بن عبد الله وانس وابن عباس وقتاده والحسن نزلت في النجاشي وذلك لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فصلوا على اخيكم النجاشي فقال بعضهم لبعض يامرنا ان نصلي على علج من الحبشه فانزل الله تعالى وان من اهل الكتاب لمن

يومن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم قال الضحاك وما انزل
اليكم القران وما انزل التوراة والانجيل وفي التنزيل اوليك
يوتون اجرهم مرتين وفي صحيح مسلم ثلاثة يوتون اجورهم مرتين
فذكر رجل امن بنبيه ثم ادرك النبي صلى الله عليه وسلم فامن به واتبعه
وصدقه فله اجران وذكر الحديث وقد تقدم في البقرة الصلاة عليه
وما للعلما في الصلاة على الميت الغايب فلا معنى للاعادة وقال
مجاهد وبن جريج وبن زيد نزلت في مومني اهل الكتاب وهذا عام
والنجاشي واحد منهم واسمه اصحمه وهو بالعربية عطيه وخاشعين
اذلة ونصب على الحال من المضمر الذي في يومن وقيل الضمير في اليهم
او اليكم وباقي الاية بين وقد تقدم قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اصبروا الاية ختم تعالى السورة بما تضمنته هذه
الاية العاشرة من الوصاة التي جمعت الظهور في الدنيا على الاعدا
والفوز بنعيم الاخرة فحض على الصبر على الطاعات وعن الشهوات
والصبر الحبس وقد تقدم في البقرة بيانه وامر بالمصابرة فقيل معناه
مصابرة الاعدا قاله زيد بن اسلم وقال الحسن على الصلوات الخمس
وقيل ادامة مخالفة النفس عن شهواتها فهي تدعوا وهو ينزع وقال
عطا القرظي صابروا الوعد الذي وعدتم اي لا تيأسوا وانتظروا
الفرج قال صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة واختار
هذا القول ابو عمر رحمه الله والاول قول الجمهور ومنه قول عنترة
فلم ارحيا صابروا مثل صبرنا ولا كافحوا مثل الذي نكافح فقوله
صابروا مثل صبرنا اي صابروا العدو في الحرب ولم يبد منهم جبن

ولا حوم

ولاحور والمحانجه المواجهه والمقابله في الحرب ولذلك اختلفوا في معنى
قوله ورابطوا فقال جمهور الامه رابطوا اعداكم الخيل حاتربطها اعداكم
اي ارتبطوها ومنه قوله ومن رباط الخيل وفي موطا مالك عن زيد بن
اسلم قال كتب ابو عبيده بن الجراح الى عمر بن الخطاب بذكر له جموعا من
الروم وما يتخوف منهم فكتب اليه عمر اما بعد فانه مهما ينزل بعبد مومن
من منزل شده يجعل الله بعدها فرجا فانه لن يغلب عسر يسرين
وان الله يقول في كتابه يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا
واتقوا الله لعلكم تفلحون وقال ابو سلمه بن عبد الرحمن هذه الايه هي
في انتظار الصلاه بعد الصلاه ولم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم غزو يرابط فيه رواه الحاكم ابو عبد الله في صحيحه واحتج ابو سلمه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا
ويرفع به الدرجات اسباغ الوضو على المكاره وكثرة الخطا الى المسا
وانتظار الصلاه بعد الصلاه فذلكم الرباط ثلاثا رواه مالك
قال ابن عطيه والقول الصحيح هو ان الرباط هو الملازمه في
سبيل الله اصلها من ربط الخيل ثم سمي كل ملازم لثغر من ثغور
المسلمين مرابطا فارسا كان او راجلا واللفظه ماخوذه من الربط وقول
النبي صلى الله عليه وسلم فذلكم الرباط انما هو تشبيه بالرباط في سبيل الله
والرباط اللغوي هو الاول ليس كما بلغ وهذا كقوله ليس الشديد بالصرعه
وكقوله ليس المسكين بهذا الطواف الى غير ذلك قال الشيخ المولف
رحمه الله والرباط اللغوي هو الاول ليس كما بلغ فان الخليل بن احمد
احد ايمه اللغه وثقاتها قد قال الرباط ملازمة الثغور ومواظبه

الصلاة ايضا فقد جعل ان رباط الصلاة رباط لغوي حقيقة كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم واكثر من هذا ما قاله الشيباني انه يقال ماء مرابط
دايم لا يبرح حكاه بن فارس وهو يقتضي تعديد الرباط لغة الى غير ما ذكرنا
فان المرابطة عند العرب العقد على الشي حتى لا ينحل فيعود الى ما كان
صبر عنه فيحبس القلب على النية الحسنة والجسم على فعل الطاعة ومن
اعظمها واهمها ارتباط الخيل في سبيل كما نص عليه التنزيل في قوله ومن
رباط الخيل على ما ياتي وارتباط النفس على الصلوات كما قاله صلى الله عليه
وسلم رواه ابو هريرة وجابر وعلي ولا عطر بعد عروس
المرابط في سبيل الله عند الفقها هو الذي يشخص الى ثغر من
الثغور ليرابط فيه مدة ما قاله محمد بن المواز ورواه فاما سكان الثغور
دايما باهلهم الذين يعمرون ويكتسبون هنالك فيهم وان كانوا حماة
فليسوا بمرابطين قاله بن عطية وقال بن خوازمنداد وللرباط حالتان حالة
يكون الثغر ماء مونا منيعا يجوز سكانه بالاهل والولد وان كان غير ماءمون
جاز ان يرابط فيه بنفسه اذا كان من اهل القتال ولا ينقل اليه الاهل
والولد ليلا يظهر العدو فيسترق ويسبي والله اعلم
جا في فضل الرباط احاديث كثيرة منها ما رواه البخاري
عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في
سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وفي صحيح مسلم عن سلمان قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام
شهر وقيامه وان مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله واجري عليه رزقه وامن
الفتان وروى ابو داود في سننه عن فضالة بن عبيد ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم

الله عليه وسلم قال كل الميت يختم على عمله الا المرابط فانه ينمو الله عمله الى
يوم القيامه ويومن من فتان القبر وفي هذين الحديثين دليل على ان
الرباط افضل من الاعمال الذى يبقى ثوابها بعد الموت كما جا في حديث
العلا بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابى هريره عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث صدقه جاريه او
علم ينتفع بها او ولد صالح يدعو له وهو حديث صحيح انفرد باخراجه
مسلم فان الصدقه الجاريه والعلم المنتفع به والولد الصالح الذى يدعو
لابويه ينقطع ذلك بنفاد الصدقات وذهاب العلم وموت الولد
والرباط يضاعف اجره الى يوم القيامه لانه لا معنى للنما الا المضاعفه
وهي غير موقوفه على سبب فتنقطع بانقطاعه بل هي فضل دايم من الله تعالى
الى يوم القيامه وهذا لان اعمال البر كلها لا يتمكن منها الا بالسلامه من
العدو والتحرز منهم بحراسه بيضه الدين واقامه شعاير الاسلام
وهذا العمل الذى يجرى عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الاعمال الصالحه
اخرجه ابن ماجه باسناد صحيح عن ابى هريره عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من مات مرابطا في سبيل الله اجرى الله عليه اجر عمله الصالح
الذى كان يعمل واجرى عليه رزقه وامن من الفتان وبعثه الله يوم القيامة
امنا من الفزع الاكبر وفي هذا الحديث قيد ثان وهو الموت حالة الرباط
والله اعلم وروي عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من رابط ليله في سبيل الله كانت له كالف ليله صيامها
وقيامها وروي عن ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لرباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من غير شهر

رمضان اعظم اجرا من عباده مايه سنه صيامها وقيامها ورباط يوم
في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من شهر رمضان افضل عند الله
واعظم اجرا اراه قال من عباده الف سنه صيامها وقيامها فان رده
الله الي اهله سالما لم تكتب عليه سيه الف سنه ويكتب له من
الحسنات ويجرى له اجر الرباط الي يوم القيامه ودل هذا الحديث علي
رباط يوم في سبيل الله في شهر رمضان يحصل له الثواب الدايم وان لم يمت
مرابطا والله اعلم وعن انس بن ملك قال سمعت رسول الله صلي
الله عليه وسلم يقول حرس ليله في سبيل الله افضل من صيام رجل وقيامه
في اهله الف سنه السنه ثلثمايه يوم واليوم كالف سنه
قال الشيخ المولف رحمه وجا في انتظار الصلاه بعد الصلاه انه رباط
فقد حصل لمنتظر الصلوات ذلك الفضل ان شا الله وقد روي
ابو نعيم الحافظ قال ثنا سليمان بن احمد قال ثنا علي بن عبد العزيز
قال ثنا حجاج بن المنهال وثنا ابو بكر بن ملك ثنا حماد بن سلمه عن ثابت
البناني عن ابي ايوب الازدي عن نوف البكالي عن عبد الله بن عمرو
ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى ذات ليله المغرب فصلينا معه فعقب
من عقب ورجع من رجع فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان
يثوب الناس لصلاه العشا وقد حفزه النفس رافعا اصبعه وعقد
تسعا وعشرين يشير بالسبابه الى السما فحسر ثوبه عن ركبتيه وهو
يقول ابشروا معشر المسلمين هذا ربكم قد فتح بابا من ابواب السما
يباهي بكم الملايكه يقول يا ملايكتي انظروا الى عبادي هولا قضوا
فريضه وهم ينتظرون اخرى رواه حماد بن سلمه عن علي بن زيد عن

مطرف بن عبد الله

مطرف بن عبد الله ان نوفا وعبد الله بن عمرو اجتمعا فحدث نوف عن
التوراة وحدث عبد الله بن عمرو بهذا الحديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم   واتقوا الله اي لم تومروا بالجهاد من غير تقوى لعلكم تفلحون
لتكونوا على رجا من الفلاح   وقيل لعل بمعنى لكي والفلاح البقا
وقد مضى كله في البقرة مستوفا والحمد لله رب العالمين

سورة النسا مدنية الا اية واحدة نزلت بمكة عام الفتح وعثمان بن ابي
طلحة الحجبي وهي قوله ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها على ما يا تي
بيانه   قال النقاش وقيل نزلت عند هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مكة الى المدينة وقد بعض الناس ان قوله تعالى يا ايها الناس حيث وقع
انما هو مكي   قال علقمة وغيره فيشبه ان يكون صدر السورة مكيا
وما نزل بعد الهجرة فانما هو مدني   وقال النحاس هذه السورة مكية
قال الشيخ المولف رحمه الله والصحيح الاول فان في صحيح البخاري
عن عايشة انها قالت ما نزلت سورة النسا الا وانا عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعني قد بنا بها   ولا خلاف من العلما ان النبي صلى الله عليه
وسلم انما بنا بعايشة بالمدينة   ومن تبين احكامها علم انها مدنية
لا شك فيها واما من قال ان قوله يا ايها الناس مكي حيث وقع فليس بصحيح
فان البقرة مدنية وفيها يا ايها الناس في موضعين وقد تقدم   ٥
تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الى قوله رقيبا فيه سبع مسايل

بسم الله بن احمد

قوله تعالى يا يها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم قد مضى
في البقرة اشتقاق الناس ومعنى التقوى والرب والخلق والزوج والبث
فلا معنى للاعاده وفي الاية تنبيه على الصانع وقال واحده على تانيث
لفظ النفس ولفظ النفس يونث وان عني به مذكر ويجوز في الكلام من
نفس واحد وهي على مراعات المعنى اذ المراد بالنفس ادم عليه السلام قاله
مجاهد وقتاده وهي قراءة ابن ابي عبلة واحد بغير هاء وبث معناه فرق
ونشر في الارض ومنه وزرابي مبثوثة وقد تقدم في البقرة منهما
يعني ادم وحوى قال مجاهد خلقت حوى من قصيرى ادم وفي
الحديث خلقت المراة من ضلع عوجا وقد مضا في البقرة ورجالا كثيرا
ونساء حصر ذريتهما في نوعين فاقتضى ان الخنثى ليس بنوع لكن له حقيقة
ترده الى هذين النوعين وهي الادميه فيلحق باحدهما على ما تقدم ذكره
في البقرة من اعتبار نقص الاعضا وزيادتها قوله تعالى
واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام كرر الاتقاء تاكيدا وتنبيها لنفوس
المامورين والذي في موضع نصب على النعت والارحام معطوف
اي اتقوا الله ان تعصوه واتقوا الارحام ان تقطعوها وقرا اهل المدينة
تساءلون بادغام التاء في السين واهل الكوفة بحذف التاء لاجتماع تائين وتخفيف
السين لان المعنى يعرف وهو كقوله ولا تعاونوا وتنزل وشبهه وقرا
ابرهيم النخعي وقتاده والاعمش وحمزه والارحام بالخفض وقد تكلم النحويون
في ذلك فاما البصريون فقال رؤساهم هو لحن لا تحل القراءة به واما الكوفيون
فقالوا هو قبيح ولم يزيدوا على هذا ولم يذكروا علة قبحه قال النحاس
فيما علمت وقال سيبويه لم تعطف على المضمر المخفوض لانه بمنزلة التنوين

والتنوين

والتنوين لا يعطف عليه وقال جماعة هو معطوف على الذي فانهم كانوا يتساءلون بها يقول اسالك بالله والرحم هكذا فسر الحسن والنخعي ومجاهد وهو الصحيح في المسئلة وضعفه اقوام منهم الزجاج وقالوا يقبح عطف الاسم الظاهر على المضمر في الخفض الا باظهار الخافض لقوله فخسفنا به وبداره الارض ويقبح مررت به وزيد قال الزجاج عن المازني لان المعطوف والمعطوف عليه شريكان يحل كل واحد منهما محل صاحبه فكما لا يجوز مررت بزيد كذا لا يجوز بك وزيد واما سيبويه فهي عنده قبيحة لا تجوز الا في الشعر كما قال فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والايام من عجب عطف الايام على الكاف في بك بغير الباء للضرورة وكذا قول الآخر تعلق في مثل السواري سيوفنا وما بينها والكعب مهوى نفانف عطف الكعب على الضمير في بينها ضرورة وقال ابو علي ذلك ضعيف في القياس وفي كتاب التذكرة المهذبة عن الفارسي ان ابا العباس المبرد قال لو صليت خلف امام يقرأ ما انتم بمصرخي واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام لاخذت نعلي ومضيت قال الزجاج قراءة حمزة مع ضعفها وقبحها في العربية خطأ عظيم في اصول امر الدين لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحلفوا بآبائكم فاذا لم يجز الحلف بغير الله فكيف يجوز بالرحم ورايت اسماعيل بن اسحق يذهب الى ان الحلف بغير الله امر عظيم وانه خاص لله تعالى قال النحاس وقول بعضهم والارحام قسم خطأ من المعنى والاعراب لان الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يدل على النصب وروى شعبة

عن عون بن ابي جحيفه عن المنذر بن جرير عن ابيه قال كنت عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى جاء قوم من مضر حفاة عراة فرايت وجه النبي
صلى الله عليه وسلم يتغير لما راى من فاقتهم ثم صلى الظهر وخطب الناس
فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم الى والارحام ثم قال تصدق رجل بديناره
تصدق رجل بدرهمه تصدق رجل بصاع تمره وذكر الحديث فمعنى
هذا على النصب لانه حضهم على صلة ارحامهم وايضا فقد صح عن
النبي صلى الله عليه وسلم من كان حالفا فليحلف بالله فهذا يرد قول
من قال المعنى اسألك بالله وبالرحم وقد قال ابو اسحق معنى
تساءلون به معنى تطلبون حقوقكم به ولا معنى للخفض ايضا مع هذا
قال الشيخ المولف رحمه الله هذا ما وقفت عليه من القول لعلما
اللسان في منع قراءة والارحام بالخفض واختاره ابن عطيه ورده
الامام ابو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري واختار العطف
فقال ومثل هذا الكلام مردود عند ايمة الدين لان القرات التي قراها
ايمة القرا ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم تواترا يعرفه اهل
الصنعه واذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من رد ذلك فقد رد على
النبي صلى الله عليه وسلم واستقبح ما قرا به وهذا مقام محذور لا يقلد
فيه ايمة اللغة والنحو فان العربية تتلقى من النبي صلى الله عليه وسلم ولا
يشك احد في فصاحته واما ما ذكر من الحديث ففيه نظر لانه صلى الله عليه
قال لابي العشرا وابيك لو طعنت في خاصرته ثم النهي انما جا في الحلف
بغير الله وهذا توسل الى الغير الى الغير بحق الرحم فلا نهي فيه قال القشيري
وقد قيل هذا اقسام بالرحم اي اتقوا الله وحق الرحم كما تقول افعل

لذى وحق ابيك

لدى وحق ابيك وقد جا في التنزيل والنجم والطور والتين لعمرك
وهذا الحلف قال الشيخ المولف رحمه الله ولا تخلف فيه فانه لا
يبعد ان يكون فيه والارحام من هذا القبيل فيكون اقسم بهذا كما
اقسم بمخلوقاته الداله على وحدانيته وقدرته تاكيدا لها حتى قرنها
بنفسه والله اعلم ولله ان يقسم بما شا ويمنع ما شا فلا يبعد ان يكون
قسما والقسم لعرب تقسم ويصح ان يكون الباء مراده فحذفها كما
حذفها في قوله مشايم ليسوا مصلحين عشيره ولا ناعب الا ببين
غرابها عروان لم يتقدم با قال بن الدهان ابو محمد سعيد بن
المبارك والكوفي يجوز عطف الظاهر على المجرور ولا يمنع منه
ومنه قوله ابك ايه بي او مصدر من حمر الحله جاب حشور ٥
ومنه فاذهب وما بك والايام من عجب وقول الاخر
وما بينها والكعب غوط نفانف ومنه فحسبك والضحاك
بالخفض سيف مهند وقول الاخر وقد رام افاق
السما فلم يجد له مصعد فيها ولا الارض مقعدا وقول
الاخر ما ان بها والامور من تلف ما حم من امر غيبه وقعا
وقول الاخر امر على الكتيبه لست ادري احتفي كان فيها
ام سواها فسواها مجرور الموضع نفي وعلى هذا حمل بعضهم
قوله تعالى وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين
فعطف على الكاف والميم وقرا عبد الله بن يزيد والارحام بالرفع
على الابتدا والخبر مقدر تقديره والارحام اهل ان يوصل ويحتمل
ان يكون اغرا لان من العرب من يرفع المغرا وانشد ان قوما

منهم عمير واشباه عمير ومنهم السفاح لحد برون باللقا اذا مال
احوا ليحد السلاح السلاح وقد قيل ان والارحام بالنصب
عطف على موضع به لان موضعه نصب ومنه قوله فلسنا بالجبال
ولا الحديدا وكانوا يقولون انشدك الله والرحم والاظهر
انه نصب باضمار فعل كما ذكرنا انفقت الملة على ان
صله الرحم واجبه وان قطيعتها محرمه وقد صح ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لاسما وقد سالته صلي امك فامرها بصلتها وهي كافره
فلما قلنا ليت ها دخل الفضل في صله الكافر حتى انتهى الحال بابي
حنيفه واصحابه فقالوا بتوارث ذوي الارحام اذا لم يكن عصبه
ولا فرض مسمى ويعتقون على من اشتراهم من ذوي رحمهم لحرمه
الرحم وعضد ذلك بما رواه ابو داود ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من ملك ذا رحم محرم فهو حر وهو قول اكثر اهل
العلم روي ذلك عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود ولا
يعرف لهما مخالف في الصحابه وهو قول الحسن البصري وجابر بن
زيد وعطا والشعبي والزهري واليه ذهب الثوري
واحمد واسحق ولعلمائنا في ذلك ثلاثه اقوال الاول انه
مخصوص بالاباء والثاني الجناحان يعني الاخوه الثالث كقول
ابي حنيفه وقال الشافعي لا يعتق عليه الا اولاده واباوه
وامهاته ولا يعتق عليه اخوته ولا احد من ذوي قرابته ولحمته
والصحيح الاول للحديث الذي ذكرناه واخرجه الترمذي
والنسائي واحسن طرقه روايه النسائي له رواه من حديث

ضمره

ضمرة عن سفين عن عبد الله بن دينار عن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ملك ذا رحم محرم فقد عتق وهو حديث
ثابت بنقل العدل عن العدل ولم يقدح فيه احد من الايمة بعلة
توجب تركه غير ان النساي قال في اخره هذا حديث منكر وقال
غيره تفرد به ضمرة وهذا معنى المنكر والشاذ في اصطلاح المحدثين
وضمرة عدل ثقة وانفراد الثقة بالحديث لا يضره
واختلفوا من هذا الباب في ذوي المحارم من الرضاعة فقال اكثر
اهل العلم لا يدخلون في مقتضى الحديث وقال شريك القاضي
يعتقهم وذهب بعض المتكلمين الى ان الاب لا يعتق على الابن
اذا ملكه واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لا يجزي ولد والدا
الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه قالوا فاذا صح الشرا فقد
ثبت الملك ولصاحب الملك التصرف وهذا جهل منهم بمقاصد الشرع
فان الله تعالى يقول وبالوالدين احسانا وقد قرن بين عبادته وبين
الاحسان للوالدين في الوجوب وليس من الاحسان ان يبقى والده
في ملكه وتحت سلطانه فاذا يجب عليه عتقه اما لاجل الملك عملا
بالحديث فيشتريه فيعتقه او لاجل الاحسان عملا بالاية ومعنى
الحديث عند الجمهور ان الولد لما تسبب الى عتق ابيه باشترايه
نسب الشرع العتق اليه نسبة الايقاع منه   واما اختلاف
العلما فيمن يعتق بالملك فوجه القول الاول ما ذكرناه من معنى
الكتاب والسنة ووجه الثاني الحاق القرابة القريبة المحرمة بالاب
المذكور في الحديث   والاقرب للرجل من ابيه فيحمل على الاب والاخ

يقاربه في ذلك لانه يدلي بالابوه فانه يقول انا ابن ابيه واما القول
الثالث فمتعلقه حديث حمزه وقد ذكرناه قوله تعالى
والارحام الرحم اسم لكافه الاقارب من غير فرق بين المحرم وغيره
وابو حنيفه يعتبر الرحم المحرم من منع الرجوع في الهبه ويجوز الرجوع
في حق بني الاعمام مع ان القطيعه موجوده والقرابه حاصله ولذلك
تعلق بها الارث والولايه وغيرها من الاحكام باعتبار المحرم زياده
على نص الكتاب من غير مستند وهم يرون ذلك نسخا سيما وفيه اشاره
الى التعليل بالقطيعة وقد جوزوها في حق بني الاعمام وبني الاخوال
والخالات قوله تعالى ان الله كان عليكم رقيبا اي حفيظا عن
ابن عباس ومجاهد ابن زيد عليما وقيل رقيبا حافظا فعيل بمعنى فاعل فالرقيب
من صفات الله تعالى والرقيب الحافظ والمنتظر تقول رقبت ارقب
رقبه ورقبانا اذا انتظرت والرقيب المكان العالي المشرف يقف
عليه الرقيب والرقيب السهم الثالث من السبعه لها انصبا ويقال
الرقيب ضرب من الحيات فهو لفظ مشترك تعالى واتوا
اليتامى اموالهم فيه خمس مسايل الاولى قوله تعا واتوا اليتامى اموالهم
ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب واراد باليتامى الذين كانوا ايتاما لقوله
فالقي السحره ساجدين ولا سحر مع السجود فذلك لا يتم مع البلوغ
وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم يتيم ابي طالب استصحابا بما كان
واتوا اي اعطوا والايتا الاعطا ولفلان اتو اي عطا ابو زيد
اتوت الرجل اتوه اتاوه وهي الرشوه واليتيم من لم يبلغ الحلم
وقد تقدم في البقره مستوفا وهذه الاية خطاب للاوليا [illegible]

نزلت في رجل

نزلت في قول مقاتل والكلبي في رجل من غطفان كان معه مال
كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فنزلت
فقال نعم نعوذ بالله من الحوب الكبير ورد المال فقال النبي صلى الله
عليه وسلم من يوق شح نفسه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم
ثبت الاجر وبقي الوزر فقيل كيف يا رسول الله فقال ثبت الاجر
للغلام وبقي الوزر على الده لانه كان مشركا   واتوا اليتامى
اموالهم يكون بوجهين احدهما اجر الطعام والكسوه ما دامت الولايه
اذ لا يمكن الا ذلك لمن لا يستحق الاخذ الكلي والاستبداد
كالصغير والسفيه الكبير الثاني الايتا بالتمكن واسلام المال
اليه وذلك عند الابتلا والارشاد ويكون تسميته مجازا للمعنى الذي
كان يتيما وهو استصحاب الاسم لقوله فالقي السحرة ساجدين
اي الذين كانوا سحرة وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم يتيم ابي
طالب   فاذا تحقق الولي رشده حرم عليه امساك ماله عنده وكان
عاصيا   وقال ابو حنيفه اذا بلغ خمسا وعشرين سنه اعطي ماله
كله على كل حال لانه يصير جدا   قال المولف رحمه الله لما لم يذكر الله تعالى
في هذه الايه ايناس الرشد وذكر في قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى
اذا بلغوا النكاح فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم قال
ابو بكر الرازي الحنفي في احكام القران لما لم يقيد بالرشد في موضع
وقيد في موضع وجب استعمالها فاقول اذا بلغ خمسا وعشرين سنه
وهو سفيه لم يونس منه الرشد وجب دفع المال اليه وان كان دون
ذلك لم علا بالايتين   وقال ابو حنيفه لما بلغ اشده وصار يصلح ان

يكون جدا فاذا صار يصلح ان يكون جدا فكيف يصح اعطاؤه المال
بعلة اليتم وباسم اليتيم وهل ذلك الا في غاية البعد قال ابن العربي
وهذا باطل لا وجه له لا سيما على اصله الذي يرى المقدرات لا تثبت
قياسا وانما توخذ من جهة النص وليس في هذه وسياتي ما للعلماء في
الحجر ان شاء الله تعالى قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث
بالطيب اي لا تبدلوا الشاة السمينة من مال اليتيم بالهزيلة ولا الدرهم
الطيب بالزيف وكانوا في الجاهلية لعدم الدين لا يتحرجون عن اموال
اليتامى فكانوا ياخذون الطيب بالجيد من اموال اليتامى ويبدلونها
بالردي من اموالهم ويقولون اسم باسم وراس براس فنهاهم الله عن
ذلك هذا قول سعيد بن المسيب والزهري والسدي والضحاك
وهو ظاهر الاية وقيل المعنى لا تاكلوا اموال اليتامى وهي محرمة
خبيثة وتدعوا الطيب وهو مالكم وقال مجاهد وابو صالح وباذان
ان لا تتعجلوا اكل الخبيث من اموالهم وتدعوا انتظار الرزق الحلال
من عند الله وقال ابن زيد كان اهل الجاهلية لا يورثون النسا
والصبيان وياخذ الاكبر الميراث لا يوح على يتيمك الذي عندك
وهو غير صغير وهذان القولان خارجان عن ظاهر الاية فانه يقال
تبدل الشي بالشي اي اخذه مكانه ومنه البدل قوله
تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم قال مجاهد هذه الاية عن
الخلط في الانفاق فان العرب كانت تخلط نفقتها بنفقة ايتامها
فنهوا عن ذلك ثم نسخ بقوله وان تخالطوهم فاخوانكم وقال ابن
فورك عن الحسن تاول الناس في هذه الاية النهي عن الخلط فاجتنبوه

من قبل انفسهم

من قبل انفسهم فخفف عنهم في اية البقره وقالت طايفه من المتاخرين
ان الى بمعنى مع كقوله تعالى من انصاري الى الله وانشد القتبي
يسدون ابواب القباب بضمر الى عمد مستوثقات الاواصر وليس
بجيد وقال الحذاق الى على بابها وهي تتضمن الاضافه اي لا تضيفوا
اموالهم وتضموها الى اموالكم في الاكل فنهوا ان يعتقدوا اموال
اليتامى كاموالهم فيتسلطون عليها بالاكل والانتفاع
قوله تعالى انه كان حوبا كبيرا انه اي الاكل كان حوبا كبيرا اثما كبيرا عن
ابن عباس والحسن وغيرهما يقال حاب الرجل يحوب حوبا اذا اثم واصله
الزجر للابل فسمي الاثم حوبا لانه يزجر عنه وبه ويقال في الدعا
اللهم اغفر حوبتي اي اثمي والحوبه ايضا الحاجه ومنه في الدعا اليك
ارفع حوبتي اي حاجتي والحوب الوحشه ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم لابي ايوب ان طلاق ام ايوب لحوب وفيه ثلاث لغات حوبا
بضم الحا وهي قراه العامه ولغه اهل الحجاز وقرا الحسن حوبا بفتح
الحا قال الاخفش وهي لغه تميم مقاتل لغه الحبش والحوب المصدر
وكذلك الحيابه والحوب الاسم وقرا ابن ابي عبله حابا على المصدر مثل
القال ويجوز ان يكون اسما مثل الزاد والحوأب بهمزه بعد الواو المكان
الواسع والحوأب ما ايضا ويقال الحق الله به الحوبه اي المسكنه
والحاجه ومنه قولهم بات بحيبه سو واصل اليا الواو وتحوب
فلان اي تعبد والقى الحوب عن نفسه والتحوب ايضا التحزن وهو
ايضا الصياح الشديد كالزجر وفلان يتحوب من كذا اي يتوجع
قال طفيل فذوقوا كما ذقنا غداة محجر من الغيظ في اكبادنا والتحوب

تعالى فان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامي فانكحوا الي قوله الا
تعدلوا فيه اربع عشره مسله قوله تعالى فان خفتم شرط
وجوابه فانكحوا اي ان خفتم الا تعدلوا في مهورهن وفي النفقه عليهن
فانكحوا ما طاب لكم اي غيرهن وروي الايه واللفظ لمسلم عن عروه بن
الزبير عن عايشه في قوله تعالى وان خفتم الا تعدلوا تقسطوا في اليتامى فانكحوا
ما طاب لكم من النسا مثنى وثلاث ورباع قالت يا بن اختي هي اليتيمه تكون
في حجر وليها تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليها ان يتزوجها
بغير ان يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما غيره فنهوا ان ينكحوهن الا ان
يقسطوا لهن ويبلغوا بهن على سنتهن من الصداق وامروا ان ينكحوا ما طاب
لهم من النسا سواهن وذكر الحديث قال بن خويزمنداد ولهذا قلنا انه
يجوز ان يشتري الوصي من مال اليتيم لنفسه ويبيع من نفسه من غير محاباه
وللموكل النظر فيما اشترى وكيله لنفسه وباع منها وللسلطان النظر
فيما يفعل الوصي من ذلك واما الاب فليس لاحد عليه مالم تظهر عليه المحاباه
فيعترض عليه السلطان حينيذ وقد مضى في البقره القول في هذا
وقال الضحاك والحسن وغيرهما ان الايه ناسخه لما كان في الجاهليه
وفي اول الاسلام من ان الرجل يتزوج من الحراير ما شا فقصرتهم الايه
على اربع وقال بن عباس وبن جبير وغيرهما المعنى وان خفتم الا
تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النسا لانهم كانوا يتحرجون
في اليتامي ولا يتحرجون في النسا وخفتم في الاضداد فانه يكون المخوف
منه معلوم الوقوع وقد يكون مظنونا فلذلك اختلف العلما في
تفسير هذا الحروف فقال ابو عبيده خفتم بمعنى ايقنتم وقال

اخرون

اخرون خفتم ظننتم قال بن عطيه وهذا الذي اختاره الحذاق وانه
على بابه من الظن لا من اليقين التقدير من غلب على ظنه التقصير في
القسط لليتيمه فليعدل عنها وتقسطوا معناه تعدلوا يقال اقسط الرجل
اذا عدل وقسط اذا جار وظلم صاحبه قال الله تعالى واما القاسطون
فكانوا لجهنم حطبا يعني الجايرين وقال صلى الله عليه وسلم المقسطون
لدى الله على منابر من نور يوم القيامه يعني العادلين وقرا بن وثاب
والنخعي تقسطوا بفتح التا من قسط على تقدير زيادة لا كانه قال وان
خفتم ان تجوروا قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النسا
كيف جات ما للادميين وانما اصلها لما لا يعقل ففيه اجوبه خمسه
الاول ان من وما يتعاقبان قال الله تعالى والسما وما بناها اي
ومن بناها وقال ومنهم من يمشي على بطنه ومنهم على اربع فما هنا
لمن يعقل وهي النسا لقوله بعد ذلك من النسا مبينا لمبهم وقرا بن
ابي عبله من طاب على ذكر من يعقل الثاني قال قال البصريون ما
تقع للنعوت كما تقع لمن لا يعقل يقال ما عندك فيقال ظريف
وكريم فالمعنى فانكحوا الطيب من النسا اي الحلال وما حرمه فليس
بطيب وفي التنزيل وما رب العالمين فاجابه موسى على وفق ما سال
وسياتي الثالث حكى بعض الناس ان ما في هذه الايه ظرفيه
اي ما دمتم تستحسنون النكاح قال بن عطيه وفي هذا المنزع ضعف
جواب رابع قال الفرا ما ههنا مصدر قال النحاس وهذا
بعيد جدا لا يصح فانكحوا الطيبه قال الجوهري طاب الشي يطيب
طيبه وطابا قال علقمه كان تطيابها في الانف مشموم خواب

خامس وهو ان المراد بها هنا العقد اي فانكحوا نكاحا طيبا وقراه بن
عبله ترد هذه الاقوال الثلاثه وحكا ابو عمر بن عبد العلا ان اهل مكه
اذا سمعوا الرعد قالوا سبحان ما سبح له الرعد اي من سبح له الرعد
ومثله قوله سبحان ما سخركن لنا اي من سخركن واتفق كل من يعاني العلوم
على ان قوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى ليس له مفهوم اذ قد
اجمع المسلمون على ان من لم يخف القسط في اليتامى له ان ينكح اكثر من واحده
اثنتين او ثلاثا او اربعا كمن خاف فدل ان الايه نزلت جوابا لمن خاف
ذلك وان حكمها اعم من ذلك تعلق ابو حنيفه بهذه الايه
في تجويز نكاح اليتيمه قبل البلوغ وقال انما تكون يتيمه قبل البلوغ وبعد
البلوغ هي امراة مطلقه لا يتيمه بدليل انه لو اراد البالغه لما نهى عن
حطها صداق مثلها لانها تختار ذلك فيجوز اجماعا وذهب مالك والشافعي
والجمهور من العلما الى ان ذلك لا يجوز حتى تبلغ وتستامر لقوله تعالى
ويستفتونك في النسا والنسا اسم ينطلق على الكبار كالرجال في الذكور
واسم الرجل لا يتناول الصغير فكذلك اسم النسا والمراه لا تتناول
الصغيره وقد قال في يتامى النسا والمراد به هناك اليتامى هنا كما قالت
عايشه فقد دخلت اليتيمه الكبيره في الايه فلا تزوج الا باذنها ولا
تنكح الصغيره اذ لا اذن لها فاذا بلغت جاز نكاحها لكن لا تزوج الا باذنها
كما رواه الدارقطني من حديث محمد بن اسحق عن نافع عن ابن عمر قال زوجني
خالي قدامه بن مظعون بنت اخيه عثمان بن مظعون فدخل المغيره بن شعبه على
امها فارغبها من المال وحطتها اليها فرفع شانها الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال قدامه يا رسول الله ابنه اخي وانا وصي ابيها ولم اقصر بها زوجتها

من قد علمت

من قد علمت فضله وقرابته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها
يتيمة واليتيمة اولى بامرها فنزعت مني وزوجها المغيرة بن شعبة
قال الدارقطني لم يسمعه محمد بن اسحق من نافع وانما سمعه من عمر
بن حسين عنه ورواه ابن ابي ذيب عن عمر بن حسين عن نافع عن عبد الله
بن عمر انه تزوج بنت خاله عثمان بن مظعون قال فذهبت امها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان ابنتي تكره ذلك فامره
النبي صلى الله عليه ان يفارقها ففارقها وقال ولا تنكحوا اليتامى
حتى تستامروهن فاذا سكتن فهو اذنها فتزوجها بعد عبد الله بن
المغيرة بن شعبة فهذا يرد ما يقوله ابو حنيفة من انها اذا بلغت
لم تحتج الى ولي بنا على اصله في عدم اشتراط الولي في صحة النكاح
وقد مضى في البقرة ذكره ولا معنى لقولهم ان هذا الحديث محمول
على غير البالغة لقوله الا باذنها فانه كان لا يكون لذكر اليتيم معنى
والله اعلم   في تفسير عائشة للاية من الفقه ما قال
به مالك من صداق المثل والرد اليه فيما فسد من الصداق ووقع
في مقداره لقولها بادنى من سنة صداقها فوجب ان يكون صداق
المثل معروفا لكل صنف من الناس على قدر احوالهم وقد قال
مالك للناس مناكح عرفت لهم وعرفوا لها اي صدقات واكفا
وسيل مالك عن رجل زوج ابنته من ابن اخ له فقير فاعترضت
امها فقال اني لارى لها في ذلك متكلما فشرع لها في ذلك الكلام
حتى يظهر هو من نظره ما يسقط اعتراض الام عليه وروي
لا اري بزيادة الالف والاول اصح وجائز لغير اليتيمة ان تنكح بادنى

من صداق مثلها الا ان اليتامى اما خرجت في اليتامى هذا مفهوما وغير
اليتيمه بخلافها   فاذا بلغت اليتيمه واراد اسقط
الولي صداقها جاز له ان يتزوجها ويكون هو الناكح والمنكح على ما فسرت
عايشه وبه قال ابو حنيفه والاوزاعي والثوري وابو ثور وقاله من
التابعين الحسن وربيعه وهو قول الليث   وقال زفر والشافعي لا
يجوز ان يتزوجها الا باذن السلطان او يزوجها منه ولي لها هو اقعد بها
منه او مثله في القعود واما ان يتولى طرفي العقد بنفسه فيكون
ناكحا منكحا فلا   واحتجوا بان الولايه من شروط العقد لقوله صلى
الله عليه وسلم لا نكاح الا بولي وشاهدي عدل فتعديد النكاح
الناكح والمنكح والشهود واجب فاذا اتحد اثنان منهم سقط واحد
من المذكور   وفي المسله قول ثالث وهو ان تجعل امرها الى رجل
يزوجها منه روي هذا عن المغيره بن شعبه وبه قال احمد ذكره ابن
المنذر   قوله تعالى ما طاب معناه ما حل عن الحسن وابن
جبير وغيرهما والتفي بذكر من يجوز نكاحه لان المحرمات من النسا
كثير   وقرا ابن اسحق والجحدري وحمزه طاب بالاماله   وفي
مصحف ابي طيب بالياء فهذا دليل الاماله من النسا دليل على انه لا
يقال نسا الا لمن بلغ الحلم وواحد النسا نسوه ولا واحد لنسوه
من لفظ ولكن يقال امراه   قوله تعالى مثنى وثلاث ورباع
من الاعراب نصب على البدل من ما وهي نكره لا تنصرف لانها معدوله
وصفه كذا قال ابو علي   وقال الطبري هي معارف ولا تدخلها
الالف واللام وهي بمنزله عمر في التعريف قاله الكوفي وخطا

الزجاج هذا

الزجاج هذا القول وقيل لم ينصرف لانه معدول عن لفظه ومعناه
فاحاد معدول عن احد واحد ومثنى معدول عن اثنين وثلاث
عن ثلاثه ورباع عن اربعه اربعه وفي كل واحد منها لغتان فعال
ومفعل يقال احاد وموحد وثنى ومثنى وثلاث ومثلث ورباع
ومربع وكذلك الى معشر ومعشار وحكا ابو اسحق الثعلبي لغه
ثالثه احد وثنا وثلث وربع مثل عمر وزفر وكذلك قرا النخعي
في هذه الايه وحكا المهدوي عن النخعي وبن وثاب ثلاث وربع
بغير الف في ربع فهو مقصور من رباع استخفافا كما قال اقبل
نسيل جامن عند الله حرد حرد الجنه المغله قال الثعلبي ولا يزاد
من هذا البنا على الاربع الا بنا جاعن الكميت فلم يستريثوك حتى رميت
فوق الرجال خصالا عشارا يعني طعنته ولكونه معدول عن معناه
انه لا يستعمل في موضع يستعمل فيه الاعداد غير المعدوله تقول
جاني اثنان وثلاث ولا يجوز مثنى وثلاث حتى يتقدم قبله جمع مثل جاني
القوم احاد وثنا وثلاث ورباع من غير تكرار وهي في موضع الحال
هنا وفي الايه ويكون صفه ومثال كون هذه الاعداد صفه بيس في
قوله تعالى اولي اجنحه مثنى وثلاث ورباع فهي صفه للاجنحه وهي نكره
وقال ساعد بن جيوه ولكنما اهلي بواد انيسه ذياب سعى الناس
مثنى وموحد وانشد الفرا فقلنا به من بين مثنى وموحد
باربعه منكم واخر خامس فوصف ذيابا وهي نكره بمثنى وموحد
وكذلك بيت الفراي فقلنا به ناسا فلا تنصرف اذا هذه الاسما
في معرفه ولا نكره واختار الكسايي والفرا صرفه في العدد على انه

ل

نحو وزعم الاخفش انه ان سمي به صرفه في المعرفه والنكره لانه قد زال
عنه العدل اعلم ان هذا العدد مثنى وثلاث ورباع
لا يدل على اباحة تسع كما قاله من بعد فهمه للكتاب والسنة واعرض
عما كان عليه سلف هذه الامة وزعموا ان الواو جامعة وعضد
ذلك بان النبي صلى الله عليه وسلم نكح تسعا وجمع بينهن في عصمته
والذي صار الى هذه الجهالة وقال هذه المقالة الرافضة وبعض
اهل الظاهر فجعلوا مثنى مثل اثنين وكذلك ثلاث ورباع ٥
وذهب بعض اهل الظاهر الى اقبح منها فقال باباحة الجمع بين ثمان
عشرة تمسكا منه بان العدد في تلك الصيغ يفيد التكرار قالوا
والجمع فجعل مثنى بمعنى اثنين اثنين وكذلك ثلاث ورباع وهذا كله
جهل بالكتاب والسنة ومخالفة لاجماع الامة اذ لم يسمع احد من الصحابه
ولا التابعين انه جمع في عصمته من اكثر من اربع واخرج مالك
في موطاه والنسائي والدارقطني في سننهما ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لغيلان بن امية الثقفي وقد اسلم وتحته عشر نسوة اختر
منهن اربعا وفارق سايرهن وفي كتاب ابي داود عن الحارث بن قيس
قال اسلمت وعندي ثمان نسوة فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال اختر منهن اربعا وقال مقاتل ان قيس بن الحارث كان عنده ثمان
نسوة حراير فلما نزلت هذه الاية امره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يطلق اربعا ويمسك اربعا كذا قال قيس بن الحارث والصواب ان ذلك
كان حارث بن قيس الاسدي كما ذكر ابو داود وكذا روي محمد بن الحسن
في كتاب السير الكبير ان ذلك كان حارث بن قيس وهو المعروف عند الفقها

واما ما ابيح

واما ما ابيح من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فذلك من خصوصياته
على ما ياتي بيانه في الاحزاب واما قولهم ان الواو جامعة فقد قيل
ذلك لكن الله تعالى خاطب العرب بافصح اللغات والعرب لا تدع ان
تقول تسعه وتقول اثنين وثلاثه واربعه ولذلك تستقبح ممن
يقول اعط فلانا اربعه سته ثمانيه ولا تقول ثمانيه عشر وانما الواو
في هذا الموضع بدل اي انكحوا ثلاثه بدلا من مثنى ورباع بدلا من
ثلاث ولذلك عطف بالواو ولم يعطف باو ولو جا باو لجاز ان لا
يكون لصاحب المثنى ثلاث ولصاحب الثلاث رباع واما قولهم
ان مثنى تقتضي اثنين وثلاث ثلاثه ورباع اربعه فتحكم بما لا يوافقهم
اهل اللسان عليه وجهاله منهم ولذلك جهل الاخرين بان مثنى تقتضي
اثنين اثنين وثلاث ثلاثه ورباع اربعه اربعه ولم يعلموا ان اثنين وثلاثا
ثلاثا واربعا اربعا حصر العدد ومثنى وثلاث ورباع بخلافها ففي
العدد المعدول عند العرب زياده معنى ليست في الاصل وذلك
انها اذا قالت جات الخيل مثنى انما تعني بذلك اثنين اثنين اي جات مزدوجه
قال الجوهري وكذلك معدول العدد قال غيره فاذا قلت جاني قوم
مثنى او احاد او ثلاث او عشار فانما تريد انهم جاوك واحدا واحدا و
اثنين اثنين او ثلثه ثلثه او عشره فقد حصرت عدد القوم بقولك ثلاثه وعشره
فاذا قلت جاوني رباع وثنا فلم تحصر عدتهم وانما تريد انهم جاوك اربعه
او اثنين وسوا كثر عددهم او قل في هذا الباب فقصرهم كل صيغه على اقل
ما يقتضيه بزعمه تحكم واما اختلاف علما المسلمين في الذي يتزوج خامسة وعنده
اربعه وهي تعالى ملك والشافعي عليه الحد ان كان عالما وبه

جـ

قال ابو ثور وقال الزهري يزجر اذا كان عالما وان كان جاهلا ادنى
الحدين الذي هو الجلد ولها مهرها ويفرق بينهما ولا يجتمعان ابدا
وقالت طايفة لا حد عليه في شي من ذلك هذا قول النعمان وقال
يعقوب ومحمد يحد في ذات المحرم ولا يحد في غير ذلك من النكاح
وذلك مثل ان يتزوج مجوسية او خمسة في عقدة او تزوج
متعة او تزوج بغير شهود او امة تزوجها بغير اذن مولاها قال
ابو ثور اذا علم ان هذا لا يحل له يجب ان يحد فيه كله الا التزويج بغير
شهود وفيه قول ثالث قاله النخعي في الرجل ينكح الخامسة متعمدا
قبل ان تنقضي عدة الرابعة من نسايه جلد مايه ولا ينفا فهذا فتيا
علما المسلمين في الخامسة على ما ذكر ابن المنذر فكيف بما فوقها ه

ذكر الزبير بن بكار حدثنا ابراهيم الحزامي عن محمد
بن معن الغفاري قال اتت امراة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت
يا امير المومنين ان زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وانا اكره ان
اشكوه وهو يعمل بطاعة الله عز وجل فقال نعم الزوج زوجك
فجعلت تكرر عليه القول وهو يكرر عليها الجواب فقال له كعب الاسدي
يا امير المومنين هذه المراة تشكو زوجها في مباعدته اياها عن فراشه
فقال عمر كما فهمت كلامها فاقض بينهما فقال كعب علي بزوجها فاتي به
فقال له ان امراتك هذه تشكو قال افي طعام او شراب قال لا
فقالت المراة يا ايها القاضي الحكيم رشده الهى خليلي عن فراشي مسجده
وهذه في مضجعي تعبده فاقض القضا كعب ولا تردده نهاره وليله
ما يرقده فلست في امر النسا احمده فقال زوجها زهدني في فراشها

وفي الحجل

وفي الحجل اني امرؤ اد هلني ما قد نزل في سوره النمل وفي السبع
الطول وفي كتاب الله تخويف حلل فقال كعب ان لها حق
عليك يا رجل نصيبها في اربع لمن عقل فاعطها ذاك ودع عنك العلل
ثم قال ان الله عز وجل قد احل لك من النسا مثنى وثلاث ورباع فلك
ثلاثة ايام ولياليهن تعبد فيهن ربك فقال عمر والله ما ادري من امريك اعجب
امن فهمك امرها او من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك قضا البصره
وروي ابو هدبه ابرهيم بن هدبه حدثنا انس بن ملك قال اتت
النبي صلى الله عليه وسلم تستعدي زوجها ليس ما للنسا زوجي يصوم
الدهر قال لك يوم وله يوم للعبادة وللمراة يوم
قوله تعالى فان خفتم الا تعدلوا قال الضحاك وغيره
في الميل والمحبه والجماع والعشره والقسم بين الزوجات الاربع والثلاث
والاثنين فواحده فمنع من الزياده التي تودي الي ترك العدل في القسم
وحسن العشره وذلك دليل على وجوب ذلك والله اعلم وقريت
بالرفع اي واحده فيها كفايه او كافيه وقال الكساي فواحده نفسع
وقريت بالنصب باضمار فعل اي فانكحوا واحده
قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم يريد الاما وهو عطف على واحده اي
ان خاف الا يعدل في واحده فما ملكت يمينه وفي هذا دليل على ان لا
حق لملك اليمين في الوط ولا القسم لان المعنى فان خفتم الا تعدلوا في
القسم فواحده او ما ملكت اليمين فانه بمنزله الواحده فانتفا بذلك
ان يجب للاما حق في الوط او القسم الا ان ملك اليمين في العدل قايم
بوجوب حسن الملك والرفق بالرقيق واسند تعالى الملك الى اليمين اذ

الا يعدل في واحده فما ملكت

هي صفه مدح واليمين مخصوصه بالمحاسن لتمكنها الا ترى انما المنفقه كما
قال صلى الله عليه وسلم حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وهي المعاهده المبالغه
وبها سميت الاليه يمينا وهي المتلقيه لرايات المجد كما قال اذا ما رايه
رفعت تلقاها عرابه باليمين
قوله تعالى ذلك ادنى
الا تعولوا اي اقرب ذلك الي الا تميلوا عن الحق وتجوروا عن ابن عباس
ومجاهد وغيرهما يقال عال الرجل يعول اذا مال وجار ومنه قولهم
عال السهم عن الهدف مال عنه وقال ابن عمر انه لعايل الكيل والوزن
قال الشاعر قالوا اتبعنا رسول الله واطرحوا قول الرسول وعالوا
في الموازين اي جاروا وقال ابو طالب بميزان صدق لا يغل شعيره له
شاهد من نفسه غير عايل يريد غير مايل وقال اخر نحن بلا ثه
وثلاثه ذود لقد عال الزمان علي عيالي اي جار ومال وعال الرجل
يعيل اذا افتقر فصار عاله ومنه قوله تعالى وان خفتم عيله ومنه
قول الشاعر وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل
وهو عايل وقوم عيله والعيله والعاله الفاقه وعالني الشي يعولني
اي غلبني وثقل علي وعال الامر اشتد وتفاقم وقال الشافعي
الا تعولوا الا تكثر عيالكم قال الثعلبي وما قال هذا غيره فانما يقال
اعال يعيل اذا كثر عياله وزعم ابن العربي ان عال على سبعه معان لا
ثامن لها مال الثاني زاد الثالث جار الرابع افتقر الخامس اثقل حكاه ابن
دريد قالت الخنسا ويكفي العشيره ما عالها السادس عال قام بمؤنه
العيال ومنه قوله عليه السلام ابدا بمن تعول السابع عال غلب
غلب عليه ومنه عيل صبري غلب ويقال اعال الرجل اي كثر عياله

واما عال

واما كل بمعنى كثر عياله فلا يصح   قال الشيخ المولف رحمه الله اما قول
الثعلبي ما قاله غيره فقد اسند الدارقطني في سننه عن زيد بن اسلم
وهو قول جابر بن زيد فهذان امامان من علما المسلمين وايمتهم قد سبقنا
السافعي اليه   واما ما ذكره ابن العربي من الحصر وعدم الصحه فلا يصح
وقد ذكرنا عال الامر اشتد وتفاقم حكاه الجوهري   وقال الهروي
في غريبه   وقال ابو بكر يقال عال الرجل في الارض يعيل فيها اي
ضرب فيها   وقال الاحمر يقال عالني الشي يعيلني عيلا ومعيلا اذا
اعجزك   واما عال كثر عياله فذكره الكسايي وابو عمر الدوري
وابن الاعرابي وقال الكسايي ابو الحسن علي بن حمزه العرب تقول عال
يعول اعال يعيل اي كثر عياله   وقال ابو حاتم كان الشافعي اعلم
بلغه العرب منا ولعله لغه قال الثعلبي المفسر قال استاذنا ابو
القاسم بن حبيب سالت ابا عمر والدوري عن هذا وكان اماما في
اللغه غير مدافع فقال هي لغه حمير   وانشد   وان الموت
ياخذ كل حي بلا شك وان امسى وعالا يغنى وان كثرت ما شيته
وعياله   وقال ابو عمرو بن العلا لقد كثرت وجوه العرب حتى
خشيت ان اخذ على لاحن لحنا   وقرا طلحه بن مصرف الا تعيلوا   وهي حجه الشافعي رضي الله عنه   قال ابن عطيه وقدح الزجاج وغيره
في تاويل عال من العيال بان الله تعالى قد اباح كثره السراري
وفي ذلك تكثير العيال فكيف يكون اقرب الا يكثر وهذا القدح غير
صحيح لان السراري انما هي مال يتصرف فيه بالبيع وانما العيال القادح
الحراير ذوات الحقوق الواجبه   وحكى ابن الاعرابي ان العرب تقول

عال الرجل اذا لم يتزوج عياله   تعلق بهذه الاية من اجاز للعبد

ان يتزوج اربعا لان الله تعالى قال فانكحوا ما طاب لكم من النسا يعني ما
حل مثنى وثلاث ورباع ولم يخص عبدا من حر وهو قول داود والطبري
وهو المشهور عن مالك وتحصيل مذهبه على ما في موطيه ولذلك روا
عنه بن القاسم واشهب   وذكر بن المواز ان بن وهب روى عن
مالك ان العبد لا يتزوج الا اثنتين قال وهو قول الليث قال
ابو عمر قال الشافعي وابو حنيفه واصحابهما والثوري والليث
بن سعد لا يتزوج العبد اكثر من اثنتين وبه قال احمد بن حنبل واسحق
وروي عن عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعبد الرحمن بن عوف
في العبد لا ينكح اكثر من اثنتين ولا اعلم لهم مخالفا من الصحابه
وهو قول الشعبي وعطا وبن سيرين والحكم وابرهيم والحجه
لهذا القول القياس صحيح على طلاقه وحده وكل من قال حده نصف
الحر وطلاقه تطليقتان وايلاوه شهران ونحو ذلك احكامه فغير
بعيد ان يقال بنا قص في قوله ينكح اربعا والله اعلم   تعالى

واتوا النساء صدقاتهن نحله فيه عشر مسايل   قوله تعالى

واتوا النساء صدقاتهن نحله الصدقات جمع الواحد صدقه قال
الاخفش وبنو تميم يقولون صدقه والجمع صدقات   وان شيت
فتحت وان شيت اسكنت   قال المازني يقال صداق المراه ولا
يقال بالفتح وحكا يعقوب واحمد بن يحيى بالفتح عن النحاس والخطاب
في هذه الايه للازواج قاله بن عباس وقتاده وبن زيد وبن جريج امرهم
الله تعالى ان يتبرعوا باعطا المهور ونحله منهم لازواجهم وقيل

من م

الخطاب

الخطاب للاوليا قاله ابو صالح وكان الولي يأخذ مهر المرأة ولا يعطيها
شيئاً فنهوا عن ذلك وامروا ان يدفعوا ذلك اليهن قال في رواية
الكلبي ان اهل الجاهلية كان الولي اذا زوجها فان كانت معه في العشرة
لم يعطها من مهرها قليلاً ولا كثيراً وان كانت غريبة حملها على بعير الى
زوجها ولم يعطها شيئاً غير ذلك البعير فنزل وآتوا النسا صدقاتهن
نحلة وقال المعتمر بن سليمان عن ابيه زعم حضرمي ان المراد بالآية
المتشاغرون الذين كانوا يتزوجون امراة باخرى فامروا ان يضربوا
المهور والاول اظهر فان الضماير واحد وهي بجملتها للازواج فهم
المراد لانه قال فان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا الى قوله
وآتوا النسآء صدقاتهن وذلك يوجب تناسق الضماير وان يكون
الاول فيها هو الاخر هذه الآية تدل على وجوب
الصداق للمرأة وهو مجمع عليه ولا خلاف فيه الا ما روي عن بعض
اهل العراق ان السيد اذا زوج عبده من امته انه لا يجب فيه
صداق وليس بشي لقوله تعالى وآتوا النسا صدقاتهن نحلة وقال
فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن واجمع العلما ايضا
انه لا حد لكثيره واختلفوا في قليله على ما ياتي بيانه في قوله وا
احداهن قنطارا وقرأ الجمهور صدقاتهن بفتح الصاد وضم الدال
وقرا قتاده صدقاتهن بضم الدال والصاد وسكون الدال وقراه
النخعي وابن وثاب بضمهما والتوحيد صدقتهن قوله تعالى
نحلة النحلة بسكون النون وضمها لغتان واصلها من العطا نحلت فلانا
شيئا اعطيته فالصداق عطيه من الله تعالى للمراه وقيل نحله اي عن

ب لحنا

طيب نفس من الازواج من غير تنازع وقال قتاده يعني نحله فريضه واجبه ابن جريج وابن زيد فريضه مسماه قال ابو عبيد ولا تكون النحله الا مسماه ومعلومه وقال الزجاج نحله دينا والنحله الديانه والمله فقال هذه نحلته اي دينه وهذا يحسن مع كون الخطاب للاوليا الذين كانوا ياخذونه في الجاهليه حتى قال بعض النسا في زوجها لا ياخذ الحلوان من بناتنا تقول لا يفعل ما يفعله غيره فانتزعه الله منهم وامر به للنسا ونحله منصوبه على انها حال من الازواج باضمار فعل من لفظها تقديره انحلوهن نحله وقيل هي نصب على التفسير وقيل مصدر على غير المصدر في موضع الحال قوله تعالى فان طبن لكم عن شي منه نفسا مخاطبه للازواج ويدل بعمومه على ان هبه المراه صداقها لزوجها بكرا كانت او ثيبا جايزه به قال جمهور الفقها ومنع مالك من هبه البكر الصداق لزوجها وجعل ذلك للولي مع ان الملك لها وزعم الفرا انه مخاطبه للاوليا لانهم كانوا ياخذون الصداق ولا يعطون المراه منه شيا فلم يبح لهم منه شيا الا ما طابت به نفس المراة والقول الاول اصح لانه لم يجر للاوليا ذكر والضمير في منه عايد على الصداق لذلك قال عكرمه وغيره وسبب الايه فيما ذكر ان قوما تحرجوا ان يرجع اليهم شي مما دفعوه الى الزوجات فنزلت فان طبن

واتفق العلما على ان المراه المالكه لامر نفسها اذا وهبت صداقها لزوجها نفذ ذلك عليها ولا رجوع لها فيه واحتج بقوله فان طبن لكم عن شي منه نفسا واذا اقامت طالبه له لم تطب به نفسا قال ابن العربي وهذا باطل لانها قد طابت وقد اكل فلا كلام لها اذ ليس المراد صورة الاكل

وانما هو

وانما هو كنايه عن الاحلال والاستحلال وهذا بين فان
شرطت عليه عند عقد النكاح الا يتزوج عليها وحطت عنه لذلك شيا
من صداقها ثم تزوج عليها فلا شي عليه في روايه بن القاسم لانها شرطت عليه
ما لا يجوز شرطه كما اشترط اهل بريره ان تعتقها عايشه والولا لبايعها
فصحح النبي صلى الله عليه وسلم العقد وابطل الشرط كذلك هنا اسقا ط
بعض الصداق عنه ويبطل الرجعه وقال بن عبد الحكم ان كان بقي
من صداقها مثل صداق مثلها او اكثر لم يرجع عليه بشي وان كانت
وضعت عنه شيا من صداقها فتزوج عليها رجعت عليه بتمام صداق
مثلها لانه شرط على نفسه شرطا واخذ عنه عوضا كان لها واجبا اخذه
منه فوجب عليه الوفا لقوله صلى الله عليه وسلم المومنون عند شروطهم
وفي الايه دليل على ان العتق لا يكون صداقا لانه ليس بمال
اذ لا تمكن المراة هبته ولا الزوج كذلك وبه قال ملك وابو حنيفه و زفر
ومحمد والشافعي وقال احمد بن حنبل واسحق ويعقوب يكون صداقا
ولا مهر لها غير العتق على حديث صفيه رواه الايمه ان النبي صلى الله
عليه وسلم اعتقها وجعل عتقها صداقها وروي عن انس انه فعله
وهو راوي حديث صفيه واجاب الاولون بان قالوا لا حجه في
حديث صفيه لان النبي صلى الله عليه وسلم كان مخصوصا بالنكاح
بان يتزوج بغير صداق وقد اراد زينب فحرمت على زيد فدخل عليها بغير
ولي ولا صداق فلا ينبغي الاستدلال بمثل هذا والله اعلم
قوله تعالى نفسا قيل هو منصوب على البيان ولا يجيز سيبويه ولا الكوفيو ن

ان يتقدم ما كان منصوبا على البيان واجاب المازني وابو العباس المبرد اذا كان
العامل فعلا وانشد وما كان نفسا بالفراق تطيب وفي التنزيل
خاشعا ابصارهم يخرجون فيجوز على هذا شحما تفقات ووجها حسنت
وقال اصحاب سيبويه ان نفسا منصوبه باضمار فعل تقديره اعني نفسا
وليست منصوبه على التمييز واذا كان هذا فلا حجه فيه وقال
الزجاج الروايه وما كان نفسي واتفق الجميع على انه لا يجوز تقديم الضمير
اذا كان العامل غير متصرف كعشرين درهما التاسعه قوله تعالى
فكلوه ليس المقصود صوره الاكل وانما المراد به الاستباحه باي طريق
كان وهو المعنى بقوله في الايه التي بعدها ان الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما وليس المراد نفس الاكل الا ان الاكل لما كان اوفى انواع التمتع
عبر عن التصرفات بالاكل ونظيره قوله تعالى اذا نودي للصلاه من
يوم الجمعه فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع يعلم ان صرف البيع ليست
مقصوده وانما المقصود ما يشغله عن ذكر الله مثل النكاح وغيره ولكن
ذكر البيع لانه اهم ما يشتغل به عن ذكر الله تعالى
قوله تعالى هنيا مريا منصوب على الحال من الهاء في كلوه وقيل نعت لمصدر
محذوف اي اكلا هنيا يطيب الانفس هنا الطعام والشراب يهنيه
وما كان هنيا ولقد هنو والمصدر الهنا وكل ما لم يات بمشقه
ولا عنا فهو هني وهني اسم الفاعل من هنو كظريف من ظرف وهني
من هني فهو هني على فعل كزمن وهناني الطعام ومراني على الاتباع
فاذا لم يذكر هناني قلت امراني الطعام بالالف اي انهضم
قال ابو علي وهذا كما جا في الحديث ارجعن ماجورات غير مازورات

فقلبوا

فقلبوا الواو من موزورات الفا اتباعا للفظ ماجورات وقال
ابو العباس عن الاعرابي يقال هنى وهنانى ومرانى وامرانى ولا يقال
مرنى حكاه الهروي وحكا القشيري انه يقال هنى ومرني بالكسر تهنانى
وتمرانى وهو قليل وقيل هنيا لا اثم فيه ومريا لا دا فيه قال
كثير هنيا مريا غير دا مخامر لعزه من اعراضنا ما استحلت ودخل
رجل على علقمه وهو ياكل شيا وهبته امراته من مهرها فقال له كل
من الهنى والمري وقيل الهنى الطيب المساغ الذى لا ينغصه شي والمرى
المحمود العاقبه التام الهضم الذى لا يضر ولا يودى يقول لا تخافون
فى الدنيا به مطالبه ولا في الاخره تبعه يدل عليه ما روي بن عباس
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سيل عن هذه الايه فان طبن لكم عن
شي منه نفسا فكلوه قال اذا جادت لزوجها بالعطيه طايعه غير
مكرهه لا يقضي عليكم به سلطان ولا يواخذكم الله تعالى به في
الاخره وروي عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه قال اذا اشتكى احدكم
شيا فليسال امراته دراهم من صداقها ثم ليشتر به عسلا فليشربه
بما السما فيجمع الله عز وجل له الهنى والمري والما المبارك
تعالى ولا تونوا السفها اموالكم فيه عشر مسايل
لما امر الله تعالى بدفع اموال اليتامى اليهم في قوله واتوا اليتامى اموالهم
وايصال الصدقات الى الزوجات بين ان السفيه وغير البالغ لا يجوز
دفع ماله اليه فنزلت الايه على ثبوت الوصى والولى والكفيل للايتا
واجمع اهل العلم على ان الوصيه الى المسلم الحر الثقه العدل جايزه
واختلفوا فى الوصيه الى المراه الحره فقال عوام اهل العلم الوصيه

اى اذا كان احدكم مريضا ... سماه الله تعالى هنيا مريا ... وسمى العسل شفاء ... وسمى المطر مباركا ... فاذا اجتمعت هذه الاشيا ... يرجى له الشفا ... انواك م

لها جايز واحتج احمد بان عمر اوصى الى حفصه وروي عن عطا بن ابي رباح
انه قال لرجل اوصى الى امراته قال لا تكون المراه وصيا فان فعل حولت
الى رجل من قومه واختلفوا في الوصيه الى العبد فمنعه الشافعي
وابو ثور ومحمد ويعقوب واجازه ملك والاوزاعي وابن عبد الحكم
وهو قول النخعي اذا اوصا الى عبده وقد مضى القول في هذه في البقره
مستوفى قوله تعالى السفها قد مضى في البقره معنى السفه
لغه واختلف العلما في هولا السفها من هم فروى سالم الافطس
عن سعيد بن جبير قال هم اليتامي لا تؤتوهم اموالكم قال النحاس وهذا
من احسن ما قيل في الايه وروي اسماعيل بن خالد عن ابي ملك
قال هم الاولاد الصغار لا تعطوهم اموالكم فيفسدوها وتبقوا بلا
شي وروي سفين عن حميد عن الاعرج عن مجاهد قال هم النسا
قال النحاس وغيره وهذا القول لا يصح انما تقول العرب في النسا
سفايه او سفيهات لانه الاكثر في جمع فعيله ويقال لا تدفع
مالك مضاربه ولا الى وكيل لا يحسن التجاره وروي عن عمر انه
قال من لم يتفقه فلا يتجر في سوقنا فذلك قوله تعالى ولا تؤتوا
السفها اموالكم يعني الجهال بالاحكام ويقال لا تدفع الى
الكفار ولهذا كره العلما ان يوكل المسلم ذميا بالشرا والبيع او
يدفع اليه مضاربه وقال ابو موسى الاشعري وهذا جامع قال
بن خواز منداد واما الحجر على السفيه فالسفيه له احوال حاله يحجر
عليه لصغره وحاله لعدم عقله بجنون او غيره وحاله لسو نظره
لنفسه في ماله فاما المغمى عليه فاستحسن ملك الا يحجر عليه لسرعه

زوال ما به

زوال ما به والحجر يلون مره في حق الانسان ومره في حق غيره فالمحجور عليه
في حق نفسه من ذكرنا والحجر عليه في حق غيره العبد والمديان والمر
في الفلس وذوات الزوج لحق الزوج والبكر في حق نفسها فاما
الصغير والمجنون فلا خلاف في الحجر عليهما واما الكبير فلانه لا
يحسن النظر لنفسه في ماله ولا يومن منه اتلاف ماله في غير وجه
فاشبه الصبي وفيه خلاف ولا فرق في ان يتلف ماله في المعاصي
او في القرب والمباحات واختلف اصحابنا اذا اتلف ماله في القرب
فمنهم من حجر عليه ومنهم من لم يحجر عليه والعبد لا خلاف فيه والمديان
ينزع ما بيده لغرمايه لاجماع الصحابه وفعل عمر ذلك باسيفع
جهينه ذكره ملك في الموطا والبكر ما دامت في الخدر محجور عليها
لانها لا تحسن النظر لنفسها حتى اذا تزوجت ودخل عليها الناس
عليها وخرجت وبرز وجهها عرفت المضار من المنافع واما ذات
الزوج فلان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجوز لامراه
ملك زوجها عصمتها قضا في مالها الا في ثلثها قال الشيخ المولف
رحمه الله واما الجاهل للاحكام وان كان غير محجور عليه لتنميه
ماله وعدم تدبيره فلا يرجع اليه المال لجهله بفاسد البياعات
وصحيحها وما يحل ويحرم منها ولذلك الذمي مثله في الجهل
بالبياعات ولما يخاف من معامله الربا وغيره والله اعلم
واختلفوا في وجه اضافه المال الى المخاطبين
على هذا وهي السفها فقيل اضافها اليهم لانها بايديهم وهم
الناظرون فيها فنسبت اليهم اتساعا لقوله فسلموا على انفسكم

وقوله فاقتلوا انفسكم وقيل اضافها اليهم لانها من جنس اموالهم
فان الاموال جعلت مشتركه بين الخلق تنتقل من يد الى يد ومن ملك الى
ملك اي لهم اذا احتاجوها باموالكم التي تقي اعراضكم وتصونكم
وتعظم اقدارهم وبها قوام امورهم وقول ثان قاله ابو موسى
الاشعري وبن عباس والحسن وقتاده ان المراد اموال المخاطبين
حقيقه قال بن عباس لا تدفع مالك الذي هو سبب معيشتك
الى امراتك وابنك وتبقى فقيرا تنظر اليهم والى ما في ايديهم بل كن انت
الذي تنفق عليهم فالسفها على هذا هم النسا والصبيان صغار وولد الرجل
وامراته وهذا يخرج مع قول مجاهد وابي ملك في السفها
ودلت الايه على جواز الحجر على السفيه لامر الله عز وجل بذلك في قوله
ولا تؤتوا السفها اموالكم وقال فان كان الذي عليه الحق سفيها او
ضعيفا فاثبت الولايه على السفيه كما اثبتها على الضعيف وكان معنى
الضعيف راجعا الى الصغير ومعنى السفيه الى الكبير البالغ لان
السفيه اسم ذم ولا يذم الانسان على ما لم يكتسب والقلم مرفوع
عن غير البالغ فالحرج والذم منفيان عنه قاله الخطابي
واختلف العلما في افعال السفيه قبل الحجر عليه فقال ملك وجميع اصحابه
غير بن القاسم ان فعل السفيه وامره كله جايز حتى يضرب الامام على يديه وهو
قول الشافعي وابو يوسف وقال بن القاسم افعاله غير جايزه وان لم
يضرب عليه الامام وقال اصبغ ان كان ظاهر السفه فلا ترد افعاله
حتى يحجر عليه الامام واحتج سحنون لقول ملك بان قال لو كانت
افعال السفيه مردوده قبل الحجر ما احتاج السلطان ان يحجر على احد

وحجه بن القاسم

وحجة بن القاسم ما روي البخاري من حديث جابر ان رجلا اعتق عبدا
ليس له غيره فرده النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن حجر عليه قبل ذلك
واختلفوا في الحجر على الكبير فقال مالك وجمهور الفقهاء
يحجر عليه وقال ابو حنيفة لا يحجر على من بلغ عاقلا الا ان يكون مفسدا
لماله فاذا كان كذلك منع من تسليم المال اليه حتى يبلغ خمسا وعشرين
سنة فاذا بلغها سلم اليه بكل حال مفسدا او غير مفسد لانه يحبل
منه لاثني عشرة سنة ثم يولد له لستة اشهر فيصير جدا وانا استحي
ان احجر على من يصلح ان يكون جدا وقيل عنه ان في مدة المنع من المال اذا بلغ
مفسدا نفذ تصرفه على الاطلاق وانما يمنع من تسليم المال احتياطا
وهذا كله ضعيف في النظر والاثر وقد روي الدارقطني ثنا محمد
احمد بن الحسن الصواف ثنا حامد بن شعيب ثنا سريج بن يونس ثنا يعقوب
بن ابرهيم هو ابو يوسف القاضي ثنا هشام بن عروة عن ابيه ان
عبد الله بن جعفر اتى الزبير فقال اني اشتريت بيع كذا وكذا وان
عليا يريد ان ياتي امير المومنين فيسله ان يحجر علي فيه فقال الزبير
انا شريكك في البيع فاتى علي عثمان فقال ان ابن جعفر اشترى بيع كذا وكذا
فاحجر عليه فقال الزبير فانا شريكه في البيع قال عثمان كيف احجر على
رجل في بيع شريكه فيه الزبير قال يعقوب انا اخذ بالحجر
واراه واحجر وابطل بيع المحجور عليه وشراه واذا اشترى او باع
قبل الحجر اجزت بيعه قال يعقوب بن ابراهيم وان ابا حنيفة لا يحجر
ولا ياخذ بالحجر بقول عثمان كيف احجر على رجل دليل على جواز الحجر على
الكبير فان عبد الله بن جعفر ولدته امه بالحبشة وهو اول مولود

ولد في الاسلام بها وقدم مع ابيه على النبي صلى الله عليه وسلم عام خيبر
فسمع منه وحفظ وكانت خيبر سنة خمس من الهجرة وهذا يرد على ابي
حنيفة قوله وستاتي حجته   قوله تعالى التي جعل الله لكم قياما
اي لمعاشكم وصلاح دينكم وفي التي ثلاث لغات والتي بكسر التا
والت باسكانها وفي تثنيتها ايضا ثلاث لغات اللتان واللتا بحذف
بحذف النون واللتانّ بتشديد النون واما الجمع فتاتي لغاته في موضعه
من هذه السورة ان شا الله تعالى والقيام والقوام ما يقيمك يقال
بمعنى فلان قيام بحسبة اهله وقوام بيته وهو الذي يقيم شانه اي
يصلحه ولما انكسرت القاف من قوام ابدلوا الواو يا وقراه اهل
المدينه قيما بغير الف قال الكسائي والفرا قياما وقواما بمعنى قياما
وانتصب عندهما على المصدر اي ولا تؤتوا السفها اموالكم التي يصلح بها
اموركم فيقومون بها قياما   وقال الاخفش المعنى قائمه بامورك
يذهب الى انه جمع   وقال البصريون قيما جمع قيمه كديمه وديم
اي جعلها قيمة الاشيا وخطا ابو علي هذا القول وقال هي مصدر
كقيام وقوام واصلها قوم ولكن شذت في الرد الى اليا كما شذ قولهم
جياد في جمع جواد جواد وجود وقوما وقواما وقياما معناها ثبات
صلاح للحال ودواما في ذلك   وقرا الحسن والنخعي اللاتي جعل على جمع
التي   وقراه العامه التي على لفظ الجماعه   قال الفرا الاكثر في كلام العرب
النسا اللواتي والاموال التي وكذلك غير الاموال ذكره النحاس
قوله تعالى وارزقوهم فيها واكسوهم قيل معناه اجعلوا لهم فيها وافرضوا لهم
وهذا فيمن يلزم الرجل نفقته وكسوته من زوجته وبنيه الاصاغر فكان

هذا دليلا

بالـ عربيه

هذا دليلا على وجوب نفقه الولد على الوالد والزوجه على زوجها وفي
البخاري عن ابي هريره قال قال النبي صلى الله عليه وسلم افضل الصدقه ما
ترك غنا واليد العليا خير من اليد السفلا وابدا بمن تعول تقول المرأة اما
تطعمني واما تطلقني ويقول العبد اطعمني واستعملني ويقول
العبد الابن الي من تدعني قالوا يا ابا هريره سمعته هذا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا هذا من كيس ابا هريره قال المهلب
النفقه على الاهل والعيال واجبه باجماع وهذا الحديث
حجه في ذلك قال ابن المنذر واختلفوا في نفقه من بلغ من الاولاد
ولا مال له ولا كسب طايفه على الاب ان ينفق ولده الذكور
حتى يحتلموا والنسا حتى يتزوجن ويدخل بهن فان طلقها بعد
البنا او مات عنها فلا نفقه لها على ابيها وان طلقها قبل البنا فهي
على نفقتها ولا نفقه لولد الولد على الجد هذا قول
ملك وقالت طايفه ينفق على ولده حتى يبلغوا الحلم والمحيض ثم لا
نفقه عليه الا ان يكونوا زمنا وسوا في ذلك الذكور والاناث
ما لم يكن لهم اموال وسوا في ذلك ولده وولد ولده وان سفلوا
ما لم يكن لهم اب دونه ومن يقدر على النفقه عليهم هذا قول
الشافعي واوجبت طايفه النفقه لجميع الاطفال والبالغين
من الرجال والنسا اذا لم يكن لهم اموال يستغنوا بها عن نفقه
الوالد على ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم لهند خذي ما يكفيك
وولدك بالمعروف وفي حديث ابي هريره يقول الابن اطعمني
الي من تدعني يدل على انه انما يقول ذلك لانه قد بلغ حد السعي

على نفسه والحسب لها بدليل قوله تعالى حتى اذا بلغوا النكاح الايه
فجعل بلوغ النكاح حدا في ذلك وفي قوله تقول المراه اما تطعمني واما
تطلقني يرد على من قال لا نفرق بالاعسار ويلزم المراه الصبر وتتعلق
النفقه بذمته بحكم الحاكم هذا قول عطا والزهري واليه ذهب
الكوفيون متمسكين بقوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة
قالوا فوجب ان ينظر الى ان يوسر وقوله تعالى وانكحوا الايامى
منكم الايه قالوا فندب تعالى الى انكاح الفقير فلا يجوز ان يكون
الفقر سببا للفرقه وهو مندوب معه الى النكاح ولا حجه لهم في
هذه الايه على ما ياتي بيانه في موضعها والحديث نص في موضع الخلاف
وقيل الخلاف في ولي اليتيم لينفق عليه من ماله الذي له تحت نظره على ما
تقدم من الخلاف في اضافه المال فالوصي ينفق على اليتيم على قدر ماله وحاله
فان كان صغيرا وماله كثيرا اتخذ له ظئرا وحواضن ووسع عليه في النفقه
وان كان كبيرا قدر له ناعم اللباس وشهي الطعام والخدم وان كان
دون ذلك فبحسبه وان كان دون ذلك فخشن الطعام واللباس قدر
الحاجه ولو كان اليتيم فقيرا لا مال له وجب على الامام القيام به
من بيت المال فان لم يفعل الامام وجب ذلك على المسلمين الاخص به
فالاخص وامه اخص به فيجب عليها ارضاعه والقيام به ولا ترجع عليه
ولا على احد وقد مضى في البقره عند قوله والوالدات يرضعن اولادهن
قوله وقولوا لهم قولا معروفا اراد تليين الخطاب
والوعد الجميل واختلف في القول المعروف فقيل معناه ادعوا لهم
بارك لكم وحاطكم وصنع لكم وانا ناظر لك وهذا الاحتياط يرجع نفعه

اليك

اليك وقيل معناه عِدُوهم وعدا حسنا اي ان رشدتم دفعنا اليكم
اموالكم ويقول الاب لابنه مالي اليك مصيره وانت ان شا الله صاحبه
اذا ملكتم رشدكم وعرفتم تصرفكم. تعالى وابتلوا اليتامى
حتى اذا بلغوا النكاح الى قوله حسيبا فيه سبع عشر مسله
• قوله تعالى وابتلوا اليتامى الابتلا الاختبار وقد تقدم وهذه الايه
خطاب للجميع في بيان كيفيه دفع اموالهم وقيل انها نزلت في ثابت بن
رفاعه وفي عمه وذلك ان رفاعه توفي وترك ابنه وهو صغير فاتى
عم ثابت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابن اخي يتيم في حجري
فما يحل لي من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله تعالى هذه الايه
واختلف العلما في معنى الاختبار فقيل هو ان يتامل
الوصي اخلاق يتيمه ويستمع الى اغراضه فيحصل له العلم بنجابته والمعرفه
بالسعي في مصالحه وضبط ماله او الاهمال لذلك فاذا توسم الخير
قال علماونا وغيرهم لا باس ان يدفع اليه شيا من ماله يبيح له التصرف
فيه فان نماه وحسن النظر فيه فقد وقع الاختبار ووجب على الوصي
تسليم جميع ماله اليه وان اسا النظر فيه وجب امساك ماله عنده
وليس في العلما من يقول انه اذا اختبر الصبي فوجد رشيدا ترتفع
الولايه عنه وانه يجب دفع ماله اليه واطلاق يده في التصرف لقوله
تعالى حتى اذا بلغوا النكاح وقال جماعه الفقها الصغير لا يخلوا من
احد امرين اما ان يكون غلاما او جاريه فان كان غلاما رد النظر اليه في
نفقه الدار شهرا واعطاه شيا نزرا يتصرف فيه ليعرف كيف تدبيره
وتصرفه وهو مع ذلك يراعيه لئلا يتلفه فان تلف فلا ضمان على الوصي

فاذا راه متوجها سلم اليه ماله واشهد عليه وان كانت جاريه ردت ما يرد الى ربة البيت من تدبير بيتها والنظر فيه في الاستغال والاستقصا على الغزالات في دفع القطن واجرته واستيفا الغزل وجودته فان راها رشيده ايضا اليها مالها واشهد عليها والا بقيا تحت الحجر حتى يونس رشدهما وقال الحسن ومجاهد وغيرهما اختبروهم في عقولهم واديانهم وتنميه اموالهم قوله تعالى حتى اذا بلغوا النكاح اي الحلم لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم اي البلوغ وحال النكاح والبلوغ يكون بخمسه اشيا ثلاثه يشترك فيها الرجال والنسا واثنان تختص بالنسا وهما الحيض والحبل فاما الحلم والحيض فلم يختلف العلما انه بلوغ وان الفرايض والاحكام تجب بهما واختلفوا في الثلث فاما الانبات والسن فقال الشافعي والاوزاعي وبن حنبل خمس عشره سنه بلوغ لمن لم يحتلم وهو قول بن وهب واصبغ وعبد الملك بن الماجشون وعمر بن عبد العزيز وجماعه من اهل المدينه واختاره بن العربي وتجب الحدود والفرايض عندهم على من بلغ هذا السن قال اصبغ بن الفرج والذي يقول به ان حد البلوغ والذي يلزم به الفرايض والحدود خمس عشره سنه وذلك احب ما فيه الي واحسنه عندي لانه الحد الذي يسهم فيه في الجهاد ولمن حضر القتال واحتج بحديث بن عمر اذ عرض يوم الخندق وهو بن خمس عشره فاجيز ولم يجز يوم احد لانه كان بن اربع عشره سنه اخرجه مسلم قال ابو عمر بن عبد البر هذا فيمن عرف مولده واما من جهل مولده وعدم سنه او جحده فالعمل فيه على ما روى نافع عن اسلم عن عمر بن

الخطاب

الخطاب انه كتب الى امرا الاجناد الا يضربوا الجزيه الا من جرت
عليه المواسي وقال عثمان في غلام سرق انظروا فان كان قد اخضر
مئزره فاقطعوه وقال عطيه القرظي عرضنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بني قريظه فكل من انبت منهم قتله بحكم سعد بن معاذ ومن لم ينبت
منهم استحياه فكنت فيمن لم ينبت فتركني وقال وقال مالك
وابو حنيفه وغيرهما لا يحكم لمن لم يحتلم حتى يبلغ ما لا يبلغه احد الا
احتلم وذلك سبع عشره سنه فيلزم عليه حينئذ الحد اذا اتى
ما يجب عليه الحد وقال مالك مره بلوغه بان يغلظ صوته
وتنشق ارنبته وعن ابي حنيفه روايه اخرى تسع عشره سنه
وهي الاشهر وقال في الجاريه بلوغها لسبع عشره وعليها النظر
وروى اللؤلؤي عنه ثمان عشره سنه وقال داود لا يبلغ بالسن
ما لم يحتلم ولو بلغ اربعين سنه واما الانبات فمنهم من قال يستدل
به على البلوغ وروي عن القاسم وسالم وقاله مالك مره والشافعي
في احد قوليه وبه قال احمد واسحاق وابو ثور وقيل هو بلوغ الا
انه يحكم به في الكفار فيقتل من انبت ويجعل من لم ينبت في الذراري
قاله الشافعي في القول الاخر لحديث عطيه القرظي ولا اعتبار بالخضره
والزغب وانما يترتب الحكم على الشعر وقال ابن القاسم سمعت
مالكا يقول العمل عندي على حديث عمر بن الخطاب لو جرت عليه
المواسي لحددته قال اصبغ قال لي ابن القاسم واحب الي الا
يقام عليه الحد الا باجتماع الانبات والبلوغ وقال ابو حنيفه
لا يتعلق بالانبات حكم وليس هو ببلوغ ولا دلاله على البلوغ وقال

ب لعطا

الزهري وعطا لا احد على من لم يحتلم وهو قول الشافعي ومال اليه ملك
مرة وقال به بعض اصحابه وظاهره عدم اعتبار الانبات والسن
قال بن العربي اذا لم يكن حديث بن عمر دليلا في السن فكل يذكر دونه من
السنين فانه دعوي والسن التي اجازها النبي صلى الله عليه وسلم اولى
من سن من لم يعتبرها ولا قام في الشرع دليل عليها ولذلك اعتبر النبي
صلى الله عليه وسلم الانبات من بني قريظه لمن عدى لمن ترك امرين
اعتبرهما النبي صلى الله عليه وسلم فتاوله ويعتبر ما لم يعتبره النبي صلى
وسلم لفظا ولا جعل الله له في الشريعه نظرا قال الشيخ المولف رحمه الله
هذا قوله هنا وقال في سوره الانفال عكسه اذا لم نعرج على حديث
بن عمر هناك وتاوله جانا وله علمانا وان نوجه الفرق بين من
يطيق القتال ويسهم له وهو بن خمسه عشر سنه ومن لا يطيقه
فلا يسهم له فيجعل في العيال وهو الذي فهمه عمر بن عبد العزيز من
الحديث والله اعلم قوله تعالى فان انستم منهم رشدا
فادفعوا اليهم اموالهم اي ابصرتم ورايتم ومنه قوله انس من جانب
الطور نارا اي ابصر وراي قال الازهري تقول العرب اذهب
فاستانس هل ترى احدا معناه تبصر قال النابغه على مستانس
وحدي اذا ذودا وحسيا حسر هل يرى قانصا فيحذر وقيل انست
وحسست ووحدت بمعنى واحد ومنه قوله تعالى فان انستم منهم
رشدا اي علمتم والاصل فيه ابصرتم وقرا العامه رشدا بضم
الرا وسكون الشين وقرا السلمي وعيسى الثقفي وبن مسعود رضي الله
عنه رشدا بفتح الرا والشين وهما لغتان وقيل رشدا مصدر رشد

ورشدا

ورشدا مصدر رشد ولذلك الرشاد واختلف
العلما في تاويل رشدا فقال الحسن وقتادة وغيرهما صلاحا في العقل
وحفظ المال قال سعيد بن جبير والشعبي ان الرجل لياخذ بلحيته
وما بلغ رشده فلا يدفع الى اليتيم ماله وان كان شيخا حتى يونس منه
رشده وهكذا قال الضحاك لا يعطى اليتيم وان بلغ مايه سنة حتى
تعلم منه اصلاح ماله وقال مجاهد رشدا يعني في العقل خاصه
واكثر العلما على ان الرشد لا يكون الا بعد البلوغ وعلى انه ان لم يرشد
بعد بلوغ الحلم وان شاخ لا يزول الحجر عنه وهو مذهب مالك
وغيره وقال ابو حنيفة لا يحجر على الحر البالغ اذا بلغ مبلغ الرجال
ولو كان افسق الناس واشدهم تبذيرا اذا كان عاقلا وبه قال زفر
بن الهذيل وهو مذهب النخعي واحتجوا في ذلك بما رواه قتاده
عن انس ان حبان بن منقذ كان يبتاع وفي عقدته ضعف فقيل يا
رسول الله احجر عليه فانه يبتاع وفي عقدته ضعف فاستدعاه
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبع فقال لا اصبر فقال اذا بايعت
فقل لا خلابة ولك الخيار ثلاثا قال فلما ساله القوم الحجر عليه لما
كان في تصرفه من الغبن ولم يفعل صلى الله عليه وسلم ثبت ان الحجر
لا يجوز وهذا لا حجة لهم فيه لانه مخصوص بذلك على ما بيناه في
في البقرة فغيره بخلافه وقال الشافعي ان كان مفسدا لماله ودينه
او كان مفسدا لماله دون دينه حجر عليه ولو كان مفسدا لدينه مصلحا
لماله فعلى وجهين احدهما يحجر عليه وهو اختيار ابي العباس بن سريج
والثاني لا حجر عليه وهو اختيار ابي اسحق المروزي والاظهر من

مذهب الشافعي قال الثعلبي وهو الذي ذكرناه من الحجر على السفيه قول
عثمان وعلي والزبير وعايشه وبن عباس وعبد الله بن جعفر رضوان
عليهم ومن التابعين شريح وقال به من الفقها ملك واهل المدينه
والاوزاعي واهل الشام وابو يوسف ومحمد واحمد واسحق وابو ثور قال
الثعلبي وادعا اصحابنا الاجماع في هذه المسئله اذا ثبت
هذا فاعلم ان دفع المال يكون بشرطين ايناس الرشد والبلوغ فان وجد
احدهما دون الاخر لم يجز تسليم المال كذلك نص الايه وهو روايه بن القاسم
واشهب وبن وهب عن ملك في الايه وهو قول جماعه الفقها الا ابا حنيفه
وزفر والنخعي فانهم اسقطوا ايناس الرشد ببلوغ خمس وعشرين
سنه قال ابو حنيفه لكونه جدا وهذا يدل على ضعف قوله وضعف
ما احتج به ابو بكر الرازي في احكام القران له من استعمال الايتين حسب
ما تقدم فان هذا من باب المطلق والمقيد والمطلق يرد المقيد باتفاق
اهل الاصول وما يكون دا يعني كونه جدا اذا كان غير جد اي يجب الا
ان علمانا شرطوا في الجاريه دخول الزوج بها مع البلوغ وحينيذ
يقع الابتلا في الرشد ولم يره ابو حنيفه والشافعي وروا الاختبار في
الذكر والانثى واحدا على ما تقدم وفرق علماونا بينهما بان قال الانثى مخالفه
للغلام لكونها محجوبه لا تعاني الامور ولا تبرز لاجل البكاره فلذلك وقف
فيها على وجود النكاح فبه تفهم المقاصد كلها والذكر بخلافها فانه بتصرفه وملاقاته
للناس من اول نشيه الى بلوغه يحصل له الاختبار وتكمل عقله بالبلوغ
فيحصل له الغرض وما قاله الشافعي اصوب فان نفس الوطي بادخال
الحشفه لا تزيدها في رشدها اذا كانت عارفه بجميع امورها ومقاصدها

غير مبدل

غير مبذر لمالها ثم راد علماونا فقالوا لابد بعد دخول زوجها من مضي
مدة من الزمان تمارس فيها الاحوال قال بن العربي وذكر علماونا في تحديدها
اقوالا عديدة منها الخمسة الاعوام والستة والسبعة من ذات الاب
وجعلوا في اليتيمة التي لا اب لها ولا وصي لها عاما واحدا بعد الدخول
وجعلوا في المولى عليها مويدا حتى يثبت رشدها وليس في هذا كله دليل
وتحديد الاعوام في ذات الاب عسير واعسر منه تحديد العام
في اليتيمة واما تمادي الحجر في المولى عليها حتى يتبين رشدها فيخرجها
الوصي عنه او يخرجها الحكم منه فهو ظاهر القران والمقصود
هذا كله داخل تحت قوله سبحانه فان انستم منهم رشدا فتعين
اعتبار الرشد ولكن يختلف ايناسه بحسب اختلاف حال
الراشد فاعرفه وركب عليه واجتنب التحكم الذي لا دليل عليه
واختلفوا فيما فعلته ذات الاب في تلك المدة
فقيل هو محمول على الرد لبقا الحجر وما عملته بعد محمول على الجواز وقال
بعضهم ما عملته في تلك المدة محمول على الرد الا ان يتبين فيه السداد وما
عملته بعد ذلك محمول على الامضا حتى يتبين فيه السفه
واختلفوا في دفع المال الى المحجور عليه هل يحتاج الى السلطان ام لا
فقالت فرقة لابد من دفعه الى السلطان قال بن عطية والصواب
في اوصيا زماننا ان لا يستغني عن دفعه الى السلطان وثبوت الرشد
عنده لما حفظ من تواطي الاوصيا على ان يرشد الوصي ويبري المحجور
لسفهه وقلة تحصيله في ذلك الوقت فاذا اسلم المال
اليه بوجود الرشد ثم عاد الى السفه بظهور تبذير وقلة تدبير عاد

ويثبت عنده رشده ثم يدفع اليه ماله وقالت فرقة
موكول الى اجتهاد الوصي دون ان يحتاج الى رفعه الى السلطان

علیه الحجر عندنا وعند الشافعی واحد قولیه وقال ابو حنیفه لا یجوز لانه بالغ عاقل بدلیل جواز اقراره فی الحدود والقصاص ودلیلنا قوله تعالی ولا تؤتوا السفها اموالکم التی جعل الله لکم قیاما وقال فان کان الذی علیه الحق سفیها او ضعیفا او لا یستطیع ان یمل هو فلیملل ولیه بالعدل ولم یفرق بین ان یکون محجورا سفیها او یطرا ذلک علیه بعد الاطلاق ویجوز للوصی ان یصنع فی مال الیتیم ما کان للاب ان یصنعه من تجارة وابضاع وشرا وبیع وعلیه ان یودی الزکاة من سایر امواله عین وحرث وماشیه وفطره ویودی عنه ارش الجنایات وقیمة المتلفات ونفقة الوالدین وسایر الحقوق اللازمه ویجوز ان یزوجه ویودی عنه الصداق ویشتری له جاریه یتسرها ویصالح له وعلیه علی وجه النظر الیه واذا قضی الوصی بعض الغرما وبقی من المال بقیه بقی ما علیه من الذی کان فعل الوصی جایزا فان تلف ما فی المال فلا شی لها فی الغرما علی الوصی ولا للذین اقتضوا وان قضی الغرما جمیع المال ثم اتا غرما اخرون فان کان عالما بالدین الباقی او کان المیت موصوفا بالدین ضمن الوصی لها ولا الغرما ما کان یصیبهم من المحاصه ورجع علی الذین اقتضوا دینهم بذلک وان لم یکن عالما ولا کان المیت معروفا بالدین فلا شی علی الوصی واذا دفع الوصی دین المیت بغیر اشهاد ضمن واما ان اشهد وطال الزمان حتی مات الشهود فلا شی علیه وتقدم فی البقره عند قوله وان تخالطوهم من احکام الوصی فی الانفاق وغیره ما فیه کفایه والحمد لله تعالی ولا تاکلوها اسرافا وبدارا ان یکبروا لیس یرید ان اکل مالهم من غیر اسراف جایز فیکون له دلیل خطاب بل المراد ولا تاکلوا

اموالهم

اموالهم فانه اسراف فنها الله سبحانه الاوصيا عن اكل اموال اليتامى بغير الوجه
المباح لهم على ما ياتي بيانه والاسراف في اللغة الافراط ومجاوزة الحد
وقد تقدم في آل عمران والسرف الخطا في الانفاق ومنه قول الشاعر
اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما في عطايهم من ولا سرف اي ليس يخطون
مواضع العطا وقال اخر وقال قايلهم والخيل تخطبهم اسرفتم فاجبنا
انا سرف قال النضر بن شميل التبذير والسرف الغفلة وسياتي لمعنى
الاسراف زيادة بيان في الانعام ان شا الله تعالى قوله
تعالى وبدارا معناه ومبادرة كبرهم وهو حال البلوغ والبدار والمبا
كالقتال والمقاتلة وهو معطوف على اسراف وان يكبروا في موضع
نصب ببدارا اي لا تستقيم مال محجورك فتاكله وتقول اباد ر كبره ليلا
يرشد وياخذ ماله عن بن عباس وغيره قوله تعالى
وان غنيا فليستعفف الايه بين تعالى ما يحل لهم من اموالهم فامر الغني
بالامساك واباح للوصي الفقير ان ياكل من مال وليه بالمعروف
يقال عف الرجل عن الشي واستعف اذا امسك والاستعفاف
عن الشي تركه ومنه قوله وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا
والعفة الامتناع عما لا يحل ولا يجب فعله وروى ابو داود من
حديث الحسين المعلم عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رجلا اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني فقير وليس لي شي ولي يتيم قال فقال
كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متاثل
واختلف العلما من المخاطب والمراد بهذه الايه ففي صحيح مسلم
عن عايشه في قوله تعالى ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف قال انزلت في ولي

اليتيم الذي يقوم عليه ويصلحه اذا كان محتاجا ان ياكل منه في رواية
بقدر ماله بالمعروف وقال بعضهم المراد اليتيم ان كان غنيا وسع
عليه واعف من ماله وان كان فقيرا انفق عليه بقدره قاله ربيعة ويحيى
بن سعيد والاول قول الجمهور وهو الصحيح لان اليتيم لا يخاطب
بالتصرف في ماله لصغره ولسفهه والله اعلم واختلف
الجمهور في الاكل بالمعروف ما هو فقال قوم هو القرض اذا احتاج ويقضي
اذا ايسر قاله عمر بن الخطاب وبن عباس وعبيدة وبن جبير والشعبي
ومجاهد وابو العالية وهو قول الاوزاعي ولا يستسلف اكثر من
حاجته قال عمر الا اني انزلت نفسي من الله منزلة الولي من مال اليتيم
ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف فاذا
ايسرت قضيت وروى عبد الله بن المبارك عن عاصم عن ابي العالية
ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف قال قرضا ثم تلا فاذا دفعتم اليهم
اموالهم فاشهدوا عليهم وقول ثان روي عن ابراهيم وعطا
والحسن البصري والنخعي وقتادة لا قضا على الوصي الفقير فيما ياكل
بالمعروف لان ذلك حق النظر وعليه الفقها قال الحسن هي طعمة من الله له
وذلك انه ياكل ما يسد جوعته ويكتسي ما يستر عورته ولا يلبس
الرفيع من الكتان ولا الحلل والدليل على صحة هذا القول اجماع
الامة على ان الامام الناظر للمسلمين لا يجب عليه غرم ما اكل بالمعروف
لان الله تعالى فرض سهمه من مال الله فلا حجة لهم في قول عمر فاذا
ايسرت قضيت ان لو صح وقد روي عن بن عباس وابي العالية
والشعبي ان الاكل بالمعروف هو الانتفاع بالبان المواشي واستخدام

العبيد وركوب الدواب اذا لم يضر باصل المال كما يهنا الحربا ويشد الهنا
وبلوط الحوض وجد التمر فاما اعيان الاموال واصولها فليس للوصي اخذها
وهذا كله يخرج مع قول الفقها انه ياخذ قدر اجر عمله وقالت به طايفه
وان ذلك هو المعروف ولا قضا عليه والزيادة على ذلك محرم وفرق
الحسن بن صالح بن حي ويقال وبروى بن حيان بين وصي الاب والحاكم
فلوصي الاب ان ياكل بالمعروف واما وصي الحاكم فلا سبيل له الى المال
بوجه وهو القول الثالث وقول رابع روي عن مجاهد قال ليس له
ان ياخذ قرضا ولا غيره وذهب الى ان الايه منسوخه نسخها قوله تعالى
يايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجاره وهذا
ليس بتجاره وقال زيد بن اسلم ان الرخصه في هذه الايه منسوخه
بقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الايه وحكا بشر بن
الوليد عن ابي يوسف قال لا ادري لعل هذه الايه منسوخه بقوله
عز وجل يايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون
تجاره عن تراض منكم وقول خامس وهو الفرق بين الحضر والسفر
فيمنع اذا كان مقيما معه في المصر فاذا احتاج ان يسافر من اجله فله
ان ياخذ ما يحتاج اليه ولا يقتني شيا قاله ابو حنيفه وصاحباه
ابو يوسف ومحمد وقول سادس قال ابو قلابه فلياكل بالمعروف
مما يجي من الغله فاما المال الناض فليس له ان ياخذ منه شيا قرضا ولا
غيره وقول سابع روي عن عكرمه عن ابن عباس ومن كان فقيرا
فلياكل بالمعروف قال اذا احتاج واضطر وقال الشعبي كذلك
اذا كان منه بمنزله الدم ولحم الخنزير اخذ منه فان وجد اوفى قال

النحاس وهذا لا معنى له لانه اذا اضطر هذا الاضطرار كان له اخذ ما
يقيمه من مال يتيمه او غيره من قريب او بعيد وقال عباس ايضا والنخعي
المراد ان ياكل الوصي بالمعروف من مال نفسه حتى لا يحتاج الى مال
اليتيم فليستعفف بغناه والفقير يقوت على نفسه حتى لا يحتاج الى
مال يتيمه قال النحاس وهذا من احسن ما روي في تفسير الاية لان
اموال الناس محظورة لا يطلق منها شي الا بحجة قاطعة قال الشيخ
المولف رحمه الله وقد اختار هذا القول الكيا الطبري في احكام القران
فقال يتوهم متوهمون من السلف بحكم الاية ان للوصي ان ياخذ من مال
الصبي قدرا لا ينتهي الى حد السرقة وذلك خلاف ما امر الله تعالى به
في قوله تعالى لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض
منكم ولا يتحقق ذلك في اليتيم فقوله ومن كان غنيا فليستعفف يرجع الى
حال نفسه دون مال اليتيم لغناه ولا تاكلوا اموال اليتيم مع اموالكم
بل اقتصروا على اكل اموالكم وقد دل عليه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم
الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا وبان بقوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف
ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف الاقتصار على البلغة حتى لا يحتاج الى
اكل مال اليتيم فهذا تمام معنى الاية فقد وجدنا ايات محكمات دون
اكل مال الغير دون رضاه سيما في حق اليتيم ووجدنا هذه الاية محتملة للمعاني
فحملها على موجب الايات المحكمات متعين فان قال من ينصر مذهب السلف
ان القضاة ياخذون ارزاقهم لاجل عملهم للمسلمين فهلا كان الوصي كذلك
اذا عمل للصبي ولم ياخذ الاجر بقدر عمله قيل له اعلم ان احدا من السلف
لم يجوز للوصي ان ياخذ من مال الصبي مع غنى الوصي بخلاف القاضي

فذلك

فذلك فارق بين المسلمين وايضا فالذي ياحده الفقرا والقضاه والخلفا
العاملون بامور الاسلام لا يتعين له ملك وقد جعل الله ذلك المال
الضايع لاصناف باوصاف والفقرا جملتهم والوصي انما ياخذ بعمله
مال الشخص معين من غير رضاه وعمله مجهول واجرته مجهوله وذلك
بعيد عن الاستحقاق قال الشيخ المولف رحمه الله وكان شيخنا ابو
العباس يقول ان كان مال اليتيم كثيرا يحتاج الى كثير قيام عليه بحيث
يشغل الولي عن حاجاته ومهماته فرض له فيه اجر عمله وان كان تافها
لا يشغله عن حاجاته فلا ياكل منه شيا غير انه يستحب له شرب
قليل اللبن واكل القليل من الطعام والسمن غير مضمون ولا مستكثر
له بل على ما جرت العاده بالمسامحه فيه قال شيخنا وما ذكرته من الاجر
ونيل اليسير من اللبن والتمر كل واحد منهما معروف فصلح حمل الايه
على ذلك والله اعلم قال الشيخ المولف والاحراز عنه افضل ان شا
الله قوله تعالى فاذا دفعتم اليهم اموالهم
فاشهدوا عليهم امر الله تعالى بالاشهاد تنبيها على التحصين وزوالا
للتهم وهذا الاشهاد مستحب عند طايفه من العلما فان القول قول
الموصي لانه امين وقالت طايفه هو فرض وهو ظاهر الايه وليس
بامين فيقبل قوله كالوكيل اذا زعم انه قد رد ما دفع اليه او المودع انما
هو امين للاب ومتى ايتمنه الاب لا يقبل قوله على غيره الا ترى ان
الوكيل اذا ادعى انه قد دفع الى زيد ما امر به بعدالته لم يقبل قوله الا
ببينه فكذلك الوصي وراى عمر بن الخطاب وابن جبير ان هذا الاشها دانما
هو على دفع الوصي في سنين ما استقرضه من مال يتيمه حال فقره قال عبيده

هذه الايه دليل على وجوب القضا على من لجل المعنى افترضتم او اكلتم فا
اداعزمتم والصحيح ان اللفظ يعم هذا وسواه والظاهر ان المراد اذا
انفقتم شيا على المولى عليه فاشهدوا حتى لو وقع خلافه امكن اقامة البينه
فان كل مال قبض على وجه الامانه باشهاد لا يبرا منه الا بالاشهاد على
دفعه لقوله فاشهدوا فاذا دفع لمن دفع اليه بغير اشهاد فلا يحتاج الى
لاشهاد ان كان قبضها بغير اشهاد والله اعلم
على الوصي والكفيل حفظ مال يتيمه والتمير له لذلك عليه حفظ الصبي
في بدنه فالمال يحفظه بضبطه والبدن يحفظه بادبه وقد مضى هذا
المعنى في البقره وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان في
حجري يتيما اكل ماله قال نعم غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله قال يا
رسول الله افاضربه قال ما كنت ضاربا منه ولدك قال ابن العربي
وان لم يثبت سندا فليس يجد عنه ملجا ولا ملتحدا
قوله تعالى وكفى بالله حسيبا اي كفا بالله حاسبا لاعمالكم ومجازيا بها
ففي هذا وعيد لكل جاحد حق والبا زايده وهو في موضع رفع
تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون فيه خمس
مسايل لما ذكر تعالى امر اليتامى وصله بذكر المواريث
ونزلت الايه في اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امراه يقال لها ام
كجه وثلاث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال
لهما سُوَيْدٌ وعَرْفَجَةُ فاخذا ماله ولم يعطيا امراته وبناته شيًا وكانوا
في الجاهلية لا يورثون النسا ولا الصغير وان كان ذكرا ويقولون لا نعطي الا
من قاتل على ظهور الخيل وطاعن بالرمح وضارب بالسيف وحاز الغنيمة

فذكرت

فذكرت ام كحة ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهما فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرسًا ولا يحمل كلا ولا ينكا عدوًا فقال صلى الله عليه وسلم انصرفا حتى انظر ما يحدث الله لي فيهن فانزل الله هذه الآية ردًا عليهم وابطالًا لقولهم وتصرفهم بجهلهم فان الورثة الصغار كان ينبغي ان يكونوا احق بالمال من الكبار لعدم تصرفهم والنظر في مصالحهم فعكسوا الحكم وابطلوا الحكمة فضلوا باهوائهم واخطوا في ارائهم وتصرفاتهم قال علماؤنا في هذه الاية فوايد ثلاثة احدها بيان علة الميراث وهي القرابة الثانية عموم القرابة كيف ما تصرفت من قريب او بعيد الثالثة اجمال النصيب المفروض وذلك مبين في اية المواريث فكان في هذه الاية توطية للحكم وابطال لذلك الراي الفاسد حتى وقع البيان الشافي ثبت ان ابا طلحة لما تصدق بماله بيرحا وذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال اجعله في فقرا اقاربك فجعلها في ابي وحسان قال انس وكانا اقرب اليه مني قال ابو داود بلغني عن محمد بن عبد الله الانصاري انه قال ابو طلحه الانصاري زيد بن سهل بن الاسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناه بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار وحسان بن ثابت بن المنذر بن حرام يجتمعان في الاب الثالث وهو حرام وابي بن كعب بن قيس بن عتيك بن زيد بن معاويه بن عمرو بن مالك بن النجار قال الانصاري بين ابي طلحه وبين ابي ستة قال وعمرو بن مالك يجمع حسان وابي بن كعب وابا طلحة قال ابو عمر في هذا ما يقضي على القرابة انها ما كانت في هذه العقود ونحوها وما كان دونه فهو احرى ان يلحقه اسم القرابه

قوله تعالى مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا اثبت
تعالى للبنات نصيبا في الميراث ولم يبين كم هو فارسل النبي صلى
الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة ان لا يفرقا من مال اوس شيا
فان الله جعل لبناته نصيبا ولم يبين كم هو حتى انظر ما يقول ربنا
فنزلت يوصيكم الله في اولادكم الى قوله الفوز العظيم فارسل
اليهما ان اعطي ام كجة الثمن مما ترك ولبناته الثلثين ولكما بقية
المال استدل علماؤنا بهذه الآية في قسمة المتروك
على الفرايض اذا كان فيه تغير عن حاله كالحمام والبيت وبد الزيتو
والدار التي تبطل منافعها باقرار اهل السهام فيها فقال ملك يقسم
ذلك وان لم يكن في نصيب احدهم ما ينتفع به لقوله تعالى
مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا وهو قول بن كنانة وبه قال
الشافعي ونحو قول ابي حنيفة قال ابو حنيفة في الدار الصغيرة
بين اثنين فطلب احدهما القسمة وابى صاحبه قسمت وقال
بن ابي ليلى ان كان فيهم من لا ينتفع بما يقسم له فلا يقسم وكل قسم
يدخل فيه الضرر على احدهم دون الاخر فانه لا يقسم وهو قول
ابي ثور قال بن المنذر وهو اصح القولين رواه بن القاسم عن
ملك فيما ذكر بن العربي قال بن القاسم وانا ارى ان كل ما لا ينقسم
من الدور والمنازل والحمامات وفي قسمة الضرر ولا ينتفع به
اذا قسمت الا نباع ولا شفعة فيه لقوله صلى الله عليه وسلم
في كل ما لم يقسم فاذا وقعت الحدود فلا شفعة فجعل صلى الله عليه
وسلم الشفعة في كل ما يتاتى فيه ايقاع الحدود وعلق الشفعة

فيما

فيما لم يقسم مما يمكن ايقاع الحدود فيه هذا دليل الحديث قال الشيخ
المولف رحمه الله ومن الحجه لهذا القول الدارقطني من حديث بن
جريج اخبرني صديق بن موسى عن محمد بن ابي بكر عن ابيه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا تعضيه على اهل الميراث الا ما حمل القسم قال
ابو عبيدة هو ان يموت الرجل ويدع شيئا ان قسم بين ورثته كان في
على جميعهم او على بعضهم يقول فلا يقسم وذلك الجوهر والحمام
والطيلسان وما اشبه ذلك والتعضية التفريق يقال عضيت
الشي اي فرقته ومنه قوله تعالى الذين جعلوا القران عضين
وقال تعالى غير مضار فنفى المضارة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لا ضرر ولا ضرار وايضا فان الآية ليس فيها تعرض للقسمة وانما
اقتضت الآية وجوب الحظ والنصيب للصغير والكبير قليلا
كان او كثيرا ردا على الجاهلية فقال للرجال نصيب وللنسا
نصيب وهذا ظاهر جدا فاما ابراز ذلك النصيب فانما يوخذ
من دليل آخر وذلك ان يقول الوارث قد وجب لي نصيب بقول
الله تعالى فمكنوني منه فيقول له شريكه اما تمكينك على الا

ختصاص

فلا يمكن لانه يودي الى ضرر بيني وبينك من افساد المال
وتغيير الهيه وتنقيص القسمة فيقع الترجيح والاظهر سقوط
القسمة فيما يبطل المنفعة وينقص المال مع ما ذكرناه من الدليل
والله الموفق قال الفرا نصيبا مفروضا هو لقوله قسما واجبا
وحقا لازما فهو اسم في معنى المصدر فلهذا انتصب الزجاج
انتصب على الحال اي لهولا انصبا في حال الفرض الاخفش اي

لهم

جعل الله لهم دلك نصيبا والمفروض المقدر الواجب

تعالى واذا حضر القسمه اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم

وقولوا لهم قولا معروفا فيه اربع مسايل ... تعالى ان من

لم يستحق شيا ارثا وحضر القسمة وكان من الاقارب او اليتامى او

الفقرا الذين لا يرثون ان يكرموا ولا يحرموا ان كان المال كثيرا

والاعتذار اليهم ان كان عقارا او قليلا لا يقبل الرضخ وان

عطا من القليل ففيه امر عظيم درهم يسوى مايه الف فالايه

على هذا القول محكمة قاله ابن عباس وامتثل دلك جماعة من

التابعين عروة بن الزبير وغيره وامر به ابو موسى الاشعرى

وروي عن ابن عباس انها منسوخة نسخها قوله تعالى يوصيكم

في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وقال سعيد بن

المسيب نسخها اية الميراث والوصية وممن قال انها منسوخة

ابو ملك وعكرمة والضحاك والاول اصح فانها مثبته

استحقاق الورثه لنصيبهم واستحباب المشاركه لمن لا

نصيب ممن حضرهم قال ابن جبير ضيع الناس هذه الايه قال

الحسن ولكن الناس شحوا وفي البخاري عن ابن عباس في قوله

واذا حضر القسمه اولى القربى واليتامى والمساكين قال

هي محكمه وليست بمنسوخه وفي روايه قال ان ناسا

يزعمون ان هذه الاية منسوخه لا والله ما نسخت ولكنها

مما تهاون بها والناس والي يرثون وذلك الذى يرزق

والذي لا يرث دلك الذى يقول بالمعروف ويقول لا املك

الى ان اعطيك

رابع عشر

الى ان اعطيك قال بن عباس امر الله المومنين عند قسمه مواريثهم
ان يصلوا ارحامهم ويتاماهم ومساكينهم من الوصيه فان
لم تكن وصيه وصل لهم من الميراث قال النحاس هذا احسن ما
قيل في الايه ان يكون على الندب والترغيب في فعل الخير
والشكر لله وقالت طايفه هذا الرضخ واجب على جهه
الفرض يعطي الورثه لهذه الاصناف بما طابت به نفوسهم
كالماعون والثوب الخلق وما خف حكى هذا القول بن
عطيه والقشيري والصحيح ان هذا على الندب لانه لو
كان فرضا لكان استحقاقا في التركه ومشاركه في الميراث لاحد
الجهتين معلوم للاخر مجهول وذلك مناقض للحكمه وسبب
التنازع والتقاطع وذهبت فرقه الى ان المخاطب والمراد
في الايه المحتضرون الذين يقسمون اموالهم بالوصيه لا الورثه
روي عن بن عباس وسعيد بن المسيب وبن زيد فاذا اراد
المريض ان يفرق ماله بالوصايا وحضره من لا يرث ينبغي ان لا
يحرمه وهذا والله اعلم يتنزل حيث كانت الوصيه واجبه
ولم تنزل ايه المواريث والصحيح الاول وعليه المعول
فاذا كان الوارث صغيرا لا يتصرف في ماله فقالت طايفه
يعطي ولي الوارث من مال المحجور بقدر ما يرى وقيل لا يعطي
بل يقول لمن حضر ليس لي شي من هذا المال انما هو ليتيم فاذا بلغ
عرفته حقكم فهذا هو القول المعروف وهذا اذا لم يوصي
له الميت بشي فان اوصى يصرف له ما اوصى وروى عبيده ...

بن سيرين ان الرزق في هذه الاية ان يصنع لهم طعاما يأكلونه وفعلا ذلك فجاشاه من البركة وقال عبيدة لولا هذه الاية لكان هذا من مالي وروى قتادة عن يحيى بن يعمر قال ثلاث محكمات تركهن الناس هذه الاية واية الاستيذان يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم وقوله يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى قوله تعالى منه الضمير عايد على معنى القسمة اذ هي بمعنى المال والميراث لقوله تعالى ثم استخرجها من وعاء اخيه اي السقاية لان الصاع مذكر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينه وبين الله حجاب فاعاد مذكرا على معنى الدعا ولذلك قوله لسويد بن طارق الجعفي حين ساله عن الخمر انه ليس بدواء ولكنه داء فاعاد الضمير معنى الشراب ومثله كثير يقال قاسمه المال ومقاسماه واقتسماه والاسم القسمة مونثة والقسم مصدر قسمت الشي فانقسم والموضع مقسم مثل مجلس ومقسم الدهر فيقسموا اي فرقهم فتفرقوا والتقسيم التفريق قوله تعالى وقولوا لهم قولا معروفا قال سعيد بن جبير يقال لهم خذوا بورك لكم وقيل قولوا مع الرزق وددت ان لو كان اكثر من هذا وقيل لا حاجة مع الرزق عذر نعم ان لم يصرف اليهم شي فلا اقل من قول جميل ونوع من اعتذار تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا فيه مسئلتان قوله تعالى وليخش حذفت الالف من وليخشا للجزم بالامر ولا يجوز عند سيبويه اضمار لام الامر قياسا على حروف الجر الا في ضرورة الشعر واختار الكوفيون حذف اللام على الجزم وانشد الزجاج

محمد تفد

محمد نفد نفسك بل نفسا اذا ما خفت من شي بالا اراد لمعد ومعوسا
بخش محذوف لدلاله اللام عليه واخافوا جواب لو التقدير لو تركوا لخافوا
ويجوز حذف اللام في جواب لو وهذه الايه قد اختلف العلما في تاويلها
فقالت طايفه هذا وعظ للاوصيا اي افعلوا باليتامى ما تحبون ان
يفعل باولادكم من بعدكم قاله ابن عباس ولهذا قال تعالى ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما وقالت طايفه المراد جميع الناس امرهم
باتقا الله في الايتام واولاد الناس وان لم يكونوا في حجورهم
وان يسددوا اليهم القول كما يريد كل واحد ان يفعل بولده بعده
ومن هذا ما حكاه الشيباني قال كنا على قسطنطينيه في عسكر مسلمه
عبد الملك فجلسنا يوما في جماعه من اهل العلم فيهم ابن الديلمي فتذاكروا
ما يكون من اهوال اخر الزمان فقلت له يا ابا بشر وددت الا يكون
لي ولد فقال ما عليك ما من نسمه قضى الله بخروجها من رجل
الا خرجت احب او كره ولكن اذا اردت ان تامن عليهم فاتقوا الله في
غيرهم ثم تلى الايه في رايه الا ادلك على امر ان انت ادركته نجاك
منه وان تركت ولدا من بعدك حفظهم فيك فقلت بلى فتلا
هذه الايه وليخش الذين لو تركوا من خلفهم الى اخرها قال
الشيخ المولف رحمه الله ومن هذا المعنى ما روى محمد بن كعب القرظي
عن ابي هريره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من احسن الصدقه جاز
على الصراط ومن قضى حاجه امراه اخلف الله له في تركته وقول
ثالث قاله جمع من المفسرين هو في الرجل يحضره الموت فيقول له
من يحضره عند وصيته ان الله سيرزق ولدك فانظر لنفسك

واوصى بمالك في سبيل الله وتصدق واعتق حتى ياتي على ماله او يستغرقه
فيصرد لك بورثته فنهوا عن ذلك فكان الايه تقول لهم كما تخشون على
ورثتكم وذريتكم بعدكم فكذلك فاخشوا ورثه غيركم ولا تحملوه
على تبذير ماله قاله ابن عباس وقتاده والسدي وابن جبير والضحاك
ومجاهد روي سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال اذا حضر الرجل
الوصيه فلا ينبغي ان يقول اوصى بمالك فان الله تعالى رازق ولدك
ولكن يقول قدم لنفسك واترك لولدك فذلك قوله فليتقوا الله
مقسم وحضرمي نزلت في عكس هذا وهو ان يقول للمحتضر من يحضره
امسك على ورثتك وابق لولدك فليس احد احق بمالك من اولادك
ونهاه عن الوصيه فيتضرر بذلك ذوي القربى وكل من يستحق
ان يوصى له فيقيل لهم كما تخشون على ذريتكم وتسرون بان يحسن
اليهم فكذلك سددوا القول من جهه المساكين واليتامى واتقوا الله
في ضررهم وهذان القولان مبنيان على وقت وجوب الوصيه قبل نزول
ايه المواريث روي عن سعيد بن جبير وابن المسيب قال ابن عطيه
وهذان القولان لا يطرد احدهما في كل الناس بل الناس صنفان يصلح
لاحدهما القول الواحد ولاخر القول الثاني وذلك ان الرجل اذا ترك
لنفسك
مستقلين بانفسهم اغنيا حسن ان يندب الى الوصيه ويحمل على ان تقدم
واذا ترك ورثته ضعفا مهملين مقلين حسن ان يندب الى الترك لهم
والاحتياط فان اجره في قصد ذلك كاجره في المساكين فالمراعاه انما هو
الضعف فيجب ان يمال معه قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا
التقسيم صحيح لقوله صلى الله وسلم عليه لسعد انك ان تذر ورثتك

اغنيا

اغنيا خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس فاذا لم يكن للانسان ولد او كان
وهو غني مستقل بنفسه وماله عن ابيه فقد امن عليه فاولى بالانسان
حينيذ تقديم ماله بين يديه حتى لا ينفقه من بعده فيما لا يصلح فيكون وزره
عليه قوله تعالى وليقولوا قولا سديدا السديد العدل
والصواب من القول اي مروا المريض بان يخرج من ماله ما عليه من
الحقوق الواجبة ثم يوصي لقرابته بقدر لا يضر بورثته الصغار
وقيل المعنى قولوا للميت قولا عدلا وهو ان يلقنه لا اله الا الله ولا
يامره بذلك ولكن يقول ذلك في نفسه حتى يسمع منه ويتلقى
هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله ولم
يقل مروهم لانه اذا امر بذلك لعله يغضب ويجحد وقيل المراد
اليتيم اي لا تنهروه ولا تستخفوا به تعالى ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما فيه ثلاث مسايل قوله تعالى
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما روي انها نزلت في رجل من غطفان
يقال له مرثد بن زيد ولي مال ابن اخيه وهو يتيم صغير فاكله فانزل الله
تعالى فيه هذه الاية قاله مقاتل بن حيان ولهذا قال الجمهور ان المراد الا وصيا
الذين ياكلون ما لم يبح من مال اليتيم وقال ابن زيد نزلت في الكفار الذين
كانوا لا يورثون النسا ولا الصغار وسمي اخذ المال على كل وجوهه
اكلا لما كان المقصود هو الاكل وبه اكثر اتلاف الاشيا وخص البطون بالذكر
لتبيين نقصهم والتشنيع عليهم بضد مكارم الاخلاق وسمي الماكول نارا بما
يوول لقوله اني اراني اعصر خمرا اي عنبا وقيل نارا اي حراما لان الحرام
يوجب النار فسماه الله باسمه وروى ابو سعيد الخدري قال حدثنا

لينفقا

النبي صلى الله عليه وسلم عن ليله اسرى به قال رايت قوما لهم مشافر
كمشافر الابل وقد وكل بهم من ياخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخرا
من نار يخرج من اسافلهم فقلت يا جبريل من هولا قال الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما فدل الكتاب والسنه على ان اكل مال اليتيم من الكباير
وقال صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات وذكر فيها واكل مال
اليتيم قوله تعالى وسيصلون سعيرا قرا ابن عامر وعاصم
في روايه ابن عباس بضم اليا على اسم ما لم يسم فاعله من اصلاه الله حر النار
اصلا قال الله تعالى فسوف نصليه نارا وقرا ابو حيوه بضم اليا وفتح الصاد
وتشديد اللام من التصليه لكثره الفعل مره بعد اخرى دليله قوله ثم
الجحيم صلوه ومنه قولهم صليته مره بعد اخرى وتصليت استدفيت
بالنار قال وقد تصليت حر حربهم كما يصلي المقرور من قرس وقرا
الباقون بفتح اليا من صلي النار يصلاها صلا وصلاه قال الله تعالى لا يصلا
ها الا الاشقى والصلا هو التسخن بقرب النار او مباشرتها ومنه قول
الحارث بن عباد لم اكن من جناتها علم الله واني لحرها اليوم صال والسعير
الجمر المشتعل وهذه ايه من ايات الوعيد ولا حجه فيها لمن
يكفر بالذنوب والذي تعتقده اهل السنه ان ذلك نافذ على بعض العصاه
فيصلى ثم يحترق ويموت بخلاف اهل النار لا يموتون ولا يحيون فكان
هذا جمع بين الكتاب والسنه لئلا يقع الخبر فيهما على خلاف المخبر مخبر ساقط
بالمشيه عن بعضهم لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشا وهكذا القول في كل ما يرد عليك من هذا المعنى روى مسلم في
صحيحه عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما

اهل النار

سام

اهل النار الذين هم اهلها لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس اصابتهم النار بذنوبهم او قال بخطاياهم فاماتهم اماتة حتى اذا كانوا فحما اذن الله بالشفاعة فجي بهم ضباير ضباير فبثوا على انهار الجنة ثم قيل يا اهل الجنة افيضوا عليهم فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل فقال رجل من القوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان يرعا بالبادية تعالى

يوصيكم الله في اولادكم بين تعالى في هذه الاية ما اجمله في قوله للرجال نصيب فدل هذا على جواز تاخير البيان عن وقت السوال وهذه الاية ركن من اركان الدين وعمدة من عمد الاحكام وام من امهات الايات فان الفرايض عظيمة القدر حتى انها ثلث العلم وروي نصف العلم وهو اول علم ينزع من الناس وينسى رواه الدارقطني عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تعلموا الفرايض وعلموه الناس فانه نصف العلم وهو ينسى وهو اول شي ينزع من امتي وروي ايضا عن عبد الله بن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرايض وعلموه الناس فاني امرؤ مقبوض وان العلم سيقبض فتظهر الفتن حتى يختلف الاثنان في الفريضة لا يجدان من يفصل بينهما واذا ثبت فاعلم ان الفرايض كان جل علم الصحابة وعظم مناظرتهم ولكن الخلق ضيعوه وقد روى مطرف عن ملك قال عبد الله بن مسعود من لم يتعلم العلم والفرايض والطلاق والحج فبم يفضل اهل البادية وقال ابن وهب عن ملك اسمع ربيعة يقول من تعلم الفرايض من غير علم بها من القران ما اسرع ما ينساها قال ملك وصدق وروى ابو داود والدارقطني عن عبد الله بن عمرو بن العاصي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قايمة او فريضة
عادلة قال الخطابي سليمن الاية المحكمة هي كتاب الله تعالى واشترط فيها
الاحكام لان من الاي ما هو منسوخ لا يعمل به وانما يعمل بناسخه والسنة
القايمة هي الثابتة مما جاء عنه صلى الله عليه وسلم من السنن الثابتة وقوله
او فريضة عادلة يحتمل وجهين من التاويل احدهما ان يكون العدل في
القسمة فيكون معدلة على الانصبا والسهام المذكورة في الكتاب والسنة
ومن معناهما فيكون هذه الفريضة تعدل اخذ من الكتاب والسنة اذا
كانت في معنا ما اخذ عنهما نصا روى عكرمة قال ارسل ابن عباس
الى زيد بن ثابت عن امراة تركت زوجها وابوها قال للزوج النصف
وللام ثلث وللاب ما بقي فقال تجده في كتاب الله او تقوله براي لا
افضل اما على اب قال ابو سليمن فهذا من باب تعديل الفريضة اذا
لم يكن فيها نص وذلك انه اعتبرها بالمنصوص عليه وهو قوله وورثه ابواه
فلامه الثلث فلما وجد نصيب الام الثلث وكان باقي المال وهو
الثلثان للاب قاس النصف الفاضل من المال بعد نصيب الزوج على
كل المال اذا لم يكن مع الوالدين ابن او ذو سهم فقسمه بينهما على ثلاثة
للام سهم وللاب سهمان وهو الباقي وكان هذا اعدل في القسمة من
ان يعطي الام من النصف الباقي ثلث جميع المال وللاب ما بقي وهو السدس
فيفضلها عليه فيكون لها وهي مفضولة في اصل الموروث اكثر مما للاب وهو
المقدم والمفضل في الاصل وذلك العدل مما ذهب اليه ابن عباس من توفير
الثلث على الام وبخس الاب حقه برده الى السدس فترك قوله وصار عامة
الفقها الى زيد قال ابو عمر قال عبد الله بن عباس رحمه الله في زوج وابوين

للزوج النصف

للزوج النصف وللام ثلث جميع المال وللاب الباقي وقال في امراه
وابوين للمراه الربع وللام ثلث جميع المال وللاب الباقي وبهذا قال شريح
القاضي ومحمد بن سيرين وداود بن علي وفرقه منهم ابو الحسن محمد بن عبد الله
الفرضي المصري المعروف بابن اللبان في المسلتين جميعا وزعم انه قياس
قول علي في المشركه وقال في موضع اخر انه قد روي ذلك عن علي ايضا قال
ابو عمر المشهور المعروف عن علي وزيد وعبد الله وساير الصحابه وعامه
العلما ما رسمه مالك ومن الحجه لهم على ابن عباس ان الابوين اذا اشتركا
في الوراثه ليس معهما غيرهما كان للام الثلث وللاب الثلثان وكذلك
اذا اشتركا في النصف الذي يفضل عن الزوج كانا فيه كذلك على
ثلث وثلثين وهذا صحيح في النظر والقياس والختلفت
الروايات في سبب نزول ايه المواريث فروى الترمذي وابو داود
وابن ماجه والدارقطني عن جابر بن عبد الله ان امراه سعد بن الربيع قالت
يا رسول الله ان سعدا هلك وترك ابنتين واخاه فعمد اخوه فقبض ما
ترك سعد وانما تنكح النسا على اموالهن فلم يجبها في مجلسها ذلك ثم جاته
فقالت يا رسول الله ابنتا سعد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ادع اخاه فجا فقال ادفع الى ابنتيه الثلثين والى امراته الثمن ولك ما
بقي لفظ ابي داود وفي روايه الترمذي وغيره فنزلت ايه المواريث
قال هذا حديث صحيح وروي جابر ايضا قال عادني رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابو بكر في بني سلمه يمشيان فوجداني لا اعقل فدعا بما فتوضا
ثم رش علي منه فافقت فقلت كيف اصنع في مالي يا رسول الله فنزلت
يوصيكم الله في اولادكم اخرجاه في الصحيحين واخرجه الترمذي

وفيه فقلت يا نبي الله كيف اقسم مالي بين ولدي فلم يرد علي شيا فنزلت
يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين الايه قال الحديث حسن
وفي البخاري عن ابن عباس ان نزول ذلك كان من اجل ان المال كان للولد
والوصيه للوالدين فنسخ ذلك بهذه الايات وقال مقاتل والكلبي
نزلت في ام كجه وقد ذكرناها السدي نزلت بسبب بنات عبد
الرحمن بن ثابت بن اخي حسان بن ثابت وقيل ان اهل الجاهليه لا
يورثون الا من لاقى الحروب وقاتل العدو فنزلت الايه تبيينا ان
لكل كبير وصغير حظه ولا يبعد ان يكون جوابا للجميع ولذلك تاخر
نزولها والله اعلم قال الكيا الطبري وقد روي في بعض الاثار ان ما
كانت الجاهليه تفعله من ترك توريث الصغير كان في صدر الاسلام
الى ان نسخته هذه الايه ولم يثبت عندنا اشتمال الشريعه على ذلك بل
ثبت خلافه فان هذه الايه نزلت في ورثه سعد بن الربيع وقيل نزلت
في ورثه ثابت بن قيس بن شماس والاول اصح عند اهل النقل فاسترجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الميراث من العم ولو كان ذلك ثابتا من قبل
في شرعنا ما استرجعه ولم يثبت قط في شرعنا ان الصبي ما كان يعطى
الميراث حتى يقاتل على الفرس ويذب عن الحريم قال الشيخ المولف
رحمه الله وكذلك قال ابو بكر بن العربي قال ودل نزول هذه الايه
على بديعه وهو ان ما كانت عليه الجاهليه تفعله من اخذ المال
لم يكن في صدر الاسلام شرعا مسكوتا مقرا عليه لانه لو كان شرعا مقرا عليه
لما حكم النبي صلى الله عليه وسلم على عم الصبيتين برد ما اخذ من مالهما
لان الاحكام اذا مضت وجا النسخ بعدها انما يوثر في المستقبل ولا

ينقض

ينقضه ما تقدم وانما كانت ظلامة رفعت قاله بن العربي

قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم قالت الشافعية قوله تعالى يوصيكم الله

في اولادكم حقيقة في اولاد الصلب فاما ولد الابن فانه يدخل فيه بطريق

المجاز فاذا حلف الا ولد له وله ولد ابن لم يحنث واذا اوصى لولد فلان لم

يدخل فيه ولد ولده وابو حنيفة يقول انه يدخل فيه وان لم يكن له ولد

صلبه ومعلوم ان الالفاظ لا تتغير بما قالوه قال بن المنذر

لما قال تعالى يوصيكم الله في اولادكم فكان الذي يجب على ظاهر الاية ان

يكون الميراث لجميع الاولاد المومن منهم والكافر فلما ثبت عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم انه قال لا يرث المسلم الكافر علم ان الله اراد بعض

الاولاد دون بعض فلا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم على ظاهر الحديث

قال الشيخ المولف رحمه الله ولما قال تعالى في اولادكم دخل فيهم الاسير

في ايدي الكفار فانه يورث ما دام يعلم حياته على الاسلام وبه قال كافة اهل

العلم الا النخعي فانه قال لا يرث الاسير فاما اذا لم يعلم حياته فحكمه حكم المفقود

ولم يدخل في عموم الاية ميراث النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لا نورث

ما تركناه صدقة وسياتي بيانه في مريم ان شا الله تعالى وكذلك لم يدخل

القاتل عمدا لابيه وجده او اخيه او عمه بالسنة واجماع الامة وانه لا

يرث من مال من قتله ولا من ديته شيا على ما تقدم بيانه في البقرة

فان قتله خطا فلا ميراث له من الدية ويرث من المال في قول مالك

ولا يرث في قول الشافعي واحمد وسفين واصحاب الراي من المال

ولا من الدية شيا حسب ما تقدم بيانه في البقرة وقول مالك اصح و

قال اسحق وابو ثور وهو قول سعيد بن المسيب وعطا بن ابي رباح

ومجاهد والزهري والاوزاعي وبن المنذر لان ميراث من لم رثه الله في
كتابه ثابت لا يستثنى منه الا السنه او اجماع وكل مختلف فيه مردود
الى ظاهر الايات التي فيها المواريث اعلم ان الميراث كان
يستحق في اول الاسلام باسباب منها الحلف والهجره والمعاقده
على ما ياتي بيانه في هذه السوره عند قوله تعالى ولكل جعلنا موالي مما
ترك الوالدان ان شا الله واجمع العلما على ان الاولاد اذا كان معهم
من له فرض مسمى اعطيه وكان ما بقي من المال للذكر مثل حظ الانثيين
لقوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرايض باهلها رواه الايمه يعني
الفرايض الواقعه في كتاب الله تعالى وهي سته النصف والربع
والثمن والثلثان والثلث والسدس فالنصف فرض خمسه ابنه الصلب
وابنه الابن والاخت الشقيقه والاخت للاب والزوج وكل
ذلك اذا انفردوا عمن يحجبهن عنه والربع فرض الزوج مع الحاجب وفرض
الزوجه والزوجات مع عدمه والثمن فرض الزوجه والزوجات
مع الحاجب والثلثان فرض اربع الاثنين فما عدا من بنات الصلب
او بنات الابن او الاخوات الاشقا او للاب فكل هولا اذا انفردن
عمن يحجبهن عنه والثلث فرض صنفين الام مع عدم الولد وولد الابن
مع عدم الاثنين فما عدا من الاخوه والاخوات وفرض الاثنين فما عدا من
ولد الام وهذا هو ثلث كل المال فاما ثلث ما يبقى فذلك للام في مسئله
زوج او زوجه وابوان فللام فيها ثلث ما يبقى وقد تقدم بيانه في
مسايل الجد مع الاخوه اذا كان معهم ذو سهم وكان ثلث ما يبقى احظى له
والسدس فرض سبعه الابوان والجد مع الولد وولد الابن والجده

اوالجدات

او الجدات اذا اجتمعن وبنات الابن مع بنات الصلب والاخوات
للاب مع الاخت الشقيقه والواحد من ولد الام ذكرا كان او انثى وهذه
الفرايض كلها ماخوذه من كتاب الله تعالى الا فرض الجده والجدات فانه
ماخوذ من السنه والاسباب الموجبه لهذه الفروض بالميراث ثلاثه
اشيا نسب ثابت ونكاح منعقد ولا وعتاقه وقد تجتمع الثلاثه
الاشيا فيكون الرجل زوج المراه ومولاها وبن عمها وقد يجتمع منها شيا
ن
لا اكثر مثل ان يكون زوجها ومولاها وبن عمها فيرث بوجهين
ويكون له جميع المال اذا انفرد نصفه بالزوجيه ونصفه بالولا او
بالنسب ومثل ان تكون المراه ابنه الرجل ومولاته فيكون لها ايضا
جميع المال اذا انفردت نصفه بالنسب ونصفه بالولا
ولا ميراث الا بعد الدين والوصيه فاذا مات المتوفى اخرج من
تركته الحقوق المعينات ثم ما يلزم في تكفينه وتقبيره ثم الديون
على مراتبها ثم تخرج من الثلث الوصايا وما كان في معناها على مراتبها
ايضا ويكون الباقي ميراثا بين الورثه وجملته سبعه عشر عشره من
الرجال الابن وبن الابن وان سفل والاب وابو الاب وهو الجد
وان علا والاخ وبن الاخ والعم وبن العم والزوج ومولى
النعمه ويرث من النسا سبع البنت وبنت الابن وان سفلت والام
والجده وان علت والاخت والزوجه ومولاه النعمه وهي المعتقه وقد
نظم بعض الفضلا فقال والوارثون ان اردت جمعهم مع
الاناث الوارثات معهم عشره من جمله الذكران وسبع اشخاص
من النسوان فهم وقد حصرتهم في النظم الابن وبن الابن وبن العم

والاب منهم وهو في الترتيب والحد من قبل الاخ القريب وبن الاخ الادنى مع بن العم والزوج والسيد ثم الام وابنة البنت بعدها والبنت وروجه وجده ولخت والمراة المولاه اعنى المعتقة خذها عن محققه لما قال تعالى في اولادكم ياتينا ولد كل ولد كان موحدا او جنينا في بطن امه دنيا او بعيد من الذكور والاناث ما عدا الكافر كما تقدم قال بعضهم ذلك حقيقه في الادنين مجاز في الابعدين وقال بعضهم هو حقيقه الجمع لانه من التولد غير انهم يرثون على قدر القرب منه قال الله تعالى يا بني ادم وقال صلى الله انا سيد ولد ادم وقال يا بني اسماعيل ارموا فان اباكم كان راميا الا انه غلب عرف الاستقبال في اطلاق ذلك على الاعيان الادنين على تلك الحقيقه فان كان في ولد الصلب ذكر لم يكن لولد الولد شي وهذا مما اجمع عليه اهل العلم وان لم يكن في ولد الصلب ذكر وكان في ولد الولد ذكر البنات للصلب فاعطين الى مبلغ الثلثين ثم اعطي الثلث الباقي لولد الولد اذا استووا في العقود او كان الذكر اسفل ممن فوقه من البنات للذكر مثل حظ الانثيين هذا قول مالك والشافعي واصحاب الراي وبه قال عامه اهل العلم من الصحابه والتابعين ومن بعدهم الا ما يروى عن بن مسعود انه قال ان كان الذكر من ولد الولد بازا الولد الانثى رد عليها وان كان اسفل منها لم يرد عليها مراعيا في ذلك قوله سبحانه فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك فلن يجعل للبنات وان كثرن الا الثلثين قال الشيخ المولف رحمه الله هكذا ذكر بن العربي هذا التفصيل عن بن مسعود والذي ذكر بن المنذر والباجي عنه انما فضل عن بنات الصلب لبني الابن دون بنات الابن ولم يفصلا وحكاه بن المنذر عن ابي ثور ونحوه حكى ابو عمر وخالف في ذلك بن مسعود فقال اذا استكمل

البنات

البنات الثلثين فالباقي لبني الابن دون اخواتهم ودون من فوقهم من
بنات الابن وممن تحتهم والى هذا ذهب ابو ثور وداود بن علي وروي
مثله عن علقمة وحجة من ذهب هذا المذهب حديث بن عباس عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اقسموا المال بين اهل الفرايض على كتاب
الله فما ابقت الفرايض فلاولى رجل ذكر خرجه البخاري ومسلم وغيرهما
ومن حجة الجمهور قول الله عز وجل يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ
الانثيين لان ولد الولد ولد ومن جهة النظر والقياس ان كل من يعصب
في درجته في جملة المال فواجب ان يعصب في الفاضل من المال كاولاد
الصلب فوجب بذلك ان يشرك بن الابن اخته كما يشرك الابن للصلب
اخته وان احتج محتج لابي ثور وداود ان بنت الابن لما لم ترث شيا
من الفاضل بعد الثلثين منفردة لم يعصبها اخوها فالجواب انها اذا كان
معها اخوها قويت به وصارت عصبة معه وظاهر قوله يوصيكم الله في
اولادكم وهي من الولد قوله تعالى فان كن نسا فوق اثنتين
فلهن ثلثا ما ترك الاية فرض تعالى للواحدة النصف وفرض لما فوق
البنتين الثلثين ولم يفرض للبنتين فرضا منصوصا في كتابه فتكلم العلماء في
الدليل الذي يوجب لهما الثلثين ما هو فقيل الاجماع وهو مردود لان
الصحيح عن بن عباس انه اعطا البنتين النصف لان الله عز وجل قال
فان كن نسا فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وهذا شرط وجزا قال فلا اعطي
الثلثين وقيل اعطيا الثلثين بالقياس على الاختين لان الله سبحانه لما قال في اخر
السورة وله اخت فلها نصف ما ترك وقال فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان
فالحقت الابنتان بالاختين في الاشتراك في الثلثين والحقت الاخوات اذا زدن

على اثنتين بالبنات في التثليث واعترض هذا بان ذلك منصوص عليه في الاخوات
والاجماع منعقد عليه فهو مسلم عليه لذلك وقيل في الايه ما يدل على ان
للبنتين الثلثين وذلك انه لما كان للواحد مع اخيها الثلث اذا انفردت
علمنا ان للاثنتين الثلثين احتج بهذه الحجه وقال هذه المقاله اسمعيل القاضي
وابو العباس المبرد قال النحاس وهذا الاحتجاج عند اهل النظر غلط
لان الاختلاف في البنتين في الواحد فيقول لمخالفه اذا ترك بنتين
وابنا فللبنتين النصف فهذا دليل على ان هذا فرضهم وقيل فوق
زايده اي ان كن نسا اثنتين كقوله فاضربوا فوق الاعناق اي الاعناق
ورد هذا القول النحاس وابن عطيه وقالا هو خطا لان الظروف وجميع
الاسما لا يجوز في كلام العرب ان تزاد لغير معنى قال ابن عطيه ولان
قوله فوق الاعناق هو الفصيح وليست فوق زايده بل هي محكمه للمعنى
لان ضربه العنق انما يجب ان تكون فوق العظام في المفصل دون الدماغ
كما قال دريد بن الصمه اخفض عن الدماغ وارفع عن العظم فهكذا
كنت اضرب اعناق الابطال واقوى الاحتجاج في ان للبنتين الثلثين
الحديث الصحيح المروي في اسباب النزول ولغه اهل الحجاز وبني
اسد الثلث والربع الى العشر ولغه بني تميم وربيعه الثلث باسكان
اللام الى العشر ويقال ثلثت القوم اثلثهم وثلثت الدرهم اثلثها
اذا تممتها ثلثه واثلثت هي الا انهم قالوا في المايه والالف امايتها
والفتها وامات والفت قوله تعالى وان كانت واحده
فلها النصف قرا نافع واهل المدينه واحده بالرفع على معنى وقعت
وحدثت فهي كان التامه كما قال اذا كان الشتا فادفيوني فان الشيخ

بهذه الشبا والبا نون بالنصب قال النحاس وهذه قراه حسنه
اي وان كانت التركه او المولوده واحده مثل فان كن نسا فاذا كان مع
بنات الصلب بنات ابن وكان بنات الصلب اثنتين فصاعدا حجبن
بنات الابن ان يرثن بالفرض لانه لامدخل للبنات ان يرثن بالفرض في
غير الثلثين فان كانت بنات الصلب واحده فان ابنه الابن او بنات
الابن يرثن مع بنات الصلب تكمله الثلثين لانه فرض يرثه البنتان
فما زاد وبنات الابن يقمن مقام البنات عند عدمهن ولذلك ابنا
البنتين يقومون مقام البنتين في الحجب والميراث فلما عدم من
يستحق منهن السدس كان ذلك لبنت الابن وهي اولي بالسدس من
الاخت الشقيقه للمتوفي على هذا جمهور الفقها من الصحابه والتابعين
الاما يروي عن ابي موسى وسلمان بن ابي ربيعه ان للبنت النصف
والنصف الثاني للاخت ولاحق في ذلك لبنت الابن وقد صح عن
ابي موسى ما يقتضي انه رجع عن ذلك رواه البخاري حدثنا ادم ثنا
شعبه ثنا ابو قيس سمعت هذيل بن شرحبيل يقول سيل ابو موسى
عن بنت وابنه بن واخت فقال للبنت النصف وللاخت
النصف وات بن مسعود فانه سيتابعني فسيل بن مسعود
واخبر ابي موسى فقال لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين اقضي
فيها بما قضى النبي صلى الله عليه وسلم للابنه النصف ولابنه الابن
السدس تكمله الثلثين وما بقي فللاخت فاتينا ابا موسى فاخبرناه
بقول بن مسعود فقال لا تسالوني ما دام هذا الحبر فيكم فان
مع بنت الابن او بنات الابن بن ابن في درجتها او اسفل منها

عصبتها نجاز النصف الثانى بينهما للذكر مثل حظ الانثيين بالغا ما بلغ
خلافا لابن مسعود على ما تقدم اذا استوى بنات الصلب او بنت الصلب
وبنات الابن السدس وكذلك يقول فى الاخت لاب وام واخوات
واخوة للاب للاخت من الاب والام النصف والباقى للاخت
والاخوة مالم يصبهن فى المقاسمة اكثر من السدس فان اصابهن اكثر
من السدس اعطاهن السدس تكملة الثلثين ولم يردهن على ذلك
قاله ابو ثور   اذا مات الرجل وترك زوجته حبلى
ان المال يوقف حتى يتبين نضع واجمع اهل العلم على ان الرجل اذا مات
وزوجته حبلى ان الولد الذى فى بطنها يرث ويورث اذا
خرج حيا فاستهل وقالوا جميعا اذا خرج ميتا لم يرث فان
خرج حيا ولم يستهل فقالت طائفة لا ميراث له وان تحرك
وعطس مالم يستهل هذا قول مالك والقاسم بن محمد
وابن سيرين والشعبى والزهرى وقتاده وقالت طائفة اذا
عرفت حياة المولود بتحريك او صياح او رضاع او نفس
فاحكامه احكام الحى هذا قول الشافعى وسفين الثورى
والاوزاعى قال ابن المنذر الذى قال الشافعى يحتمل النظر
غير ان الخبر يمنع منه وهو قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل
صارخا من نخسه الشيطان الا ابن مريم وامه وهذا خبر
ولا يقع على الخبر النسخ   لما قال تعالى
فى اولادكم بنا ول الخنثى وهو الذى له فرجان واجمع العلما

على ان الخنثى

على انه يورثه من حيث يبول ان بال من حيث من حيث الرجل
ورث ميراث الرجل وان بال من حيث تبول المراه ورث
ميراث المراه قال ابن المنذر ولا احفظ من مالك فيه شيا
بل قد ذكر ابن القاسم انه هاب ان يسال مالك عنه فان بال
منهما معا فالمعتبر سبق البول قال سعيد بن المسيب
واحمد واسحق وحكي ذلك عن اصحاب الراي وروي قتاده
عن سعيد بن المسيب انه قال في الخنثى نورثه من حيث
يبول فان بال منهما جميعا فمن ايهما سبق فان بال منهما
معا فنصف ذكر ونصف انثى وقال يعقوب ومحمد
من ايهما خرج اكثر ورث وحكي عن الاوزاعي وقال
النعمان اذا خرج منهما معا فهو مشكل ولا انظر الى ايهما
اكثر وروي عنه انه وقف عنه اذا كان هكذا وحكي
عنه قال اذا اشكل يعطيا اقل النصيبين وقال
يحيى بن ادم اذا بال من حيث يبول الرجل ويحيض كما تحيض
المراة ورث من حيث يبول لان في الاثر يورث من مباله
وفي قول الشافعي اذا خرج منهما جميعا ولم يسبق احدهما
الاخر يكون مشكلا ويعطى من الميراث ميراث انثى ويوقف
الباقي بينه وبين ساير الورثه حتى يتبين امره او يصطلحوا وبه
قال ابو ثور وقال الشعبي يعطي نصف ميراث الرجل ونصف
ميراث الانثى وبه قال الاوزاعي وهو مذهب مالك قال
ابن شاس في جواهر الثمينه على مذهب مالك عالم المدينه

الخنثى يعتبر اذا كان له الرجين فرج الرجل وفرج المراة بالمبال
منهما فيعطى الحكم لما يبال منه فان بال منهما اعتبرت الكثرة
من ايهما فان تساويا في الحال اعتبر السبق فان كان ذلك منهما
معا اعتبر نبات اللحية او نبت الثديين ومشابهتهما لثدي النسا
فان اجتمع الامران اعتبر الحال عند البلوغ فان وجد الحيض
حكم به وان وجد الاحتلام وحده حكم به فان اجتمعا فهو مشكل
وكذلك لو لم يكن فرج لا المختص بالرجال ولا المختص بالنسا
بل كان له محل يبول منه فقط انتظر به البلوغ فان ظهرت
علامة تميز والا فهو مشكل ثم حيث حكمنا بالاشكال فميراثه
نصف نصيبي ذكر وانثى قال الشيخ المولف رحمه الله هذا
الذي ذكروه من العلامات في الخنثى المشكل وقد اشرنا الى
علامته في البيت وصدر هذه السورة تلحقه باحد النوعين
وهي اعتبار الاضلاع وهي مروية عن علي رضي الله عنه وبها
حكم وقد نظم بعض الفضلا حكم الخنثى في ابيات لنذكرها ولها
وفيها يقول وانه معتبر الاحوال بالثدي واللحية و المبال
وان يكن قد استوت حالاته وان يبن واشكلت اياته
فحظه من مورث القريب ستة اثمان من النصيب هذا
الذي يستحقه الاشكال وفيه ما فيه من الجدال وواجب
في الحق الا ينكحا ما عاش في الدنيا والا ينكحا اذ لم يكن من
خالص الرجال ولا اعتدى من جملة الرجال وهكذا ذكرته
في النظم قد قاله سراة اهل العلم وقد ابى الكلام فيه قوم

منهم

وابي يوسف ومحمد الشافعي وقال علي يشرك بين الجد والاخوة الى السدس
ولا ينقصه من السدس شيا مع ذوي الفرايض وغيرهم وهو قول ابن ابي
ليلى وطايفه واجمع العلما على ان الجد لا يرث مع الاب وان الابن يحجب
اباه وانزلوا الجد بمنزلة الاب في الحجب والميراث اذا لم يترك المتوفا ابا اقرب
منه في جميع المواضع وذهب الجمهور الى ان الجد يسقط بني الاخوة من
الميراث الاما روي عن الشعبي عن علي انه اجرى بني الاخوة في المقاسمه
مجرى الاخوة والجد لقول الجمهور ان هنك ذكر لا يعصب اخته فلا يقاسم
الجد كالعم وابن العم قال الشعبي واول جد ورث في الاسلام عمر بن الخطاب
رضي الله عنه مات ابن لعاصم بن عمر وترك اخوين فاراد عمر ان يستاثر بماله
فاستشار عليا وزيدا في ذلك فمثلا له مثلا فقال لولا ان رايكما اجتمع ما رايت
ان يكون ابني ولا اكون اباه روي الدارقطني عن زيد بن ثابت ان عمر بن
الخطاب استاذن عليه يوما فاذن له وراسه في يد جارية ترجله فنزع راسه
فقال عمر دعها ترجلك فقال يا امير المومنين لو ارسلت الي جيتك فقال
عمر انما الحاجه لي نجيتك لتنظر في امر الجد فقال زيد لا والله ما تقول فيه
فقال عمر ليس هو وحي حتى نزيد فيه وننقص انما هو شي نراه فان رايته وافقني تبعته
والا لم يكن عليك فيه شي فابا زيد فخرج مغضبا فقال قد جيتك وانا اظن
ستفرغ من حاجتي ثم اتاه مره اخرى في الساعه التي اتاه في المره الاولى
فلم يزل به حتى قال فسا كتب لك فيه فكتبه قطعة قتب وضرب له
مثلا انما مثله مثل شجرة نبتت على ساق واحد فخرج منها غصن ثم
خرج في الغصن غصن اخر فالساق يسقي الغصن فان قطعت الغصن
الاول رجع الما الى الغصن الثاني وان قطعت الثاني رجع الما الى

الاول فاتي به فخطب عمر الناس ثم قرا قطعه القتب عليهم ثم قال ان زيد
بن ثابت قد قال في الجد قولا وقد امضيته قال وكان اول جد كان
فاراد ان ياخذ المال كله مال ابن ابنه دون اخوته فقسمه بعد ذلك
عمر بن الخطاب رضي الله عنه   واما الجده فاجمع اهل
العلم على ان للجده السدس اذا لم يكن للميت ام واجمعوا على ان الام تحجب امها
وام الاب واجمعوا على ان الاب لا يحجب ام الام واختلفوا في توريث الجده
وابنها حي فقالت طايفه لا ترث الجده وابنها حي روي عن زيد بن ثابت وعثمان
وعلي وبه قال ملك والثوري والاوزاعي وابو ثور واصحاب الراي
وقالت طايفه ترث الجده مع ابنها وروي عن عمر وبن مسعود وعثمان
وعلي وابي موسى الاشعري وقال به شريح وجابر بن زيد وعبيد الله بن
الحسن وشريك واحمد واسحق وبن المنذر وقال كما ان الجد لا يحجبه الا الاب
كذلك الجده لا يحجبها الا الام   وروي الترمذي عن عبد الله قال في الجده
مع ابنها انها اول جده اطعمها رسول الله صلى الله عليه وسلم سدسها مع
ابنها وابنها حي   واختلف العلما في توريث الجدات
فقال ملك لا ترث الا جدتان ام ام وام اب وامهاتهما ولذلك روي
ابو ثور عن الشافعي وقال به جماعه من التابعين فان انفردت احداهما
فالسدس لها وان اجتمعا وقرابتهما سوا فالسدس بينهما وكذلك ان كثرتا
اذا تساوين في العقود وهذا كله مجمع عليه وان قربت التي من قبل الام
ولا ترث الجده ام ابي الام على حال هذا مذهب زيد بن ثابت وهو اثبت
ما روي عنه في ذلك وهو قول ملك واهل المدينه وقيل ان الجدات امهات
فاذا اجتمعن فالسدس لاقربهن كما ان الابا اذا اجتمعوا كان احقهم بالميراث

اقربهم

اقربهم فلذلك البنون والاخوة وبنوا الاخوة وبنوا العم اذا اجتمعوا
كان احقهم بالميراث اقربهم فكذلك الامهات قال ابن المنذر هذا اصح
وبه اقول وكان الاوزاعي يورث ثلاث جدات واحدة من قبل الام
واثنتين من قبل الاب وهو قول احمد بن حنبل رواه الدارقطني عن النبي
صلى الله عليه وسلم مرسلا وروي عن زيد بن ثابت على مثل هذا انه كان يورث
ثلاث جدات ثنتين من قبل الام وواحدة من قبل الاب وهو قول علي رضي
الله عنه لقول زيد وكان يجعل السدس لاقربهما من قبل الام
كانت او من قبل الاب ولا يشركها فيه من ليس في عددها وبه يقول
الثوري وابو حنيفة واصحابه وابو ثور واما عبد الله بن مسعود
وابن عباس فكانا يورثان الجدات الاربع وهو قول الحسن البصري
ومحمد بن سيرين وجابر بن زيد قال ابن المنذر وكل جدة اذا نسبت
الى المتوفى وقع نسبتها الى اب بين امين فليست ترث في قول
كل من يحفظ عنه من اهل العلم قوله تعالى
لكل واحد منهما السدس فرض تعالى لكل واحد من الابوين مع الولد
السدس وابهم الولد فكان الذكر والانثى فيه سوا فان مات
رجل وترك ابنا وابوين فلابويه لكل واحد منهما السدس وما بقي
فللابن فان ترك ابنة وابوين فللابنة النصف وللابوين السدسان
وما بقي فلاقرب عصبة وهو الاقرب لقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما ابقت الفرايض فلاولى رجل ذكر فاجتمع للاب الاستحقاق
بجهتين التعصيب والفروض فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه
الثلث فاخبر جل ذكره ان للابوين اذا ورثاه ان للام الثلث ودل

بقوله وورثه ابواه واحاز ان للام الثلث ان الباقي وهو الثلثان للاب وهذا
كما تقول لرجلين هذا المال بينهما ثم تقول لاحدهما انت يا فلان لك منه
الثلث فقد حددت للاخر منه الثلثين بنص كلامك ولان قوة الكلام
في قوله وورثه ابواه يدل على انهما منفردان عن جميع اهل السهام من
ولد وغيره وليس في هذا اختلاف   قال الشيخ المولف رحمه الله
وعلى هذا يكون الثلثان فرضا للاب مسمى لا يكون عصبه وذكر ابن العربي
ان المعنى في تفضيل الاب بالثلث عند عدم الولد الذكوريه النصره ووجوب
المونه عليه وثبتت الام على سهم لاجل القرابه   قال الشيخ المولف
رحمه الله وهذا منتقض فان ذلك موجود مع حياته فلم حرم السدس والذي
يظهر انه انما حرم السدس في حياته ارفاقا بالصبي وحياطه على ماله
اذ قد يكون اخراج جزء من ماله اجحافا به وان ذلك تعبدا وهو اولي ما يقال
والله الموفق   ان قيل ما فايده زياده الواو في قوله وورثه
ابواه وكان ظاهر الكلام ان يقول فان لم يكن له ولد وورثه ابواه قيل له
بزيادتها الاخبار ليبين انه امر مستقر ثابت فيخبر عن ثبوته واستقراره
فيكون حال الوالدين عند انفرادهما كحال الولدين للذكر مثل حظ الانثيين ويجتمع
للاب وذلك فرضان السهم والتعصيب اذ يحجب الاخوه كالولد وهذا
عدل في الحكم ظاهر في الحكمه والله اعلم   قوله تعالى
فلامه الثلث قرا اهل الكوفه فلامه الثلث وهي لغه حكاها سيبويه قال
اهل الكوفه فلامه الثلث هي لغه لكثير بني هوازن وهذيل ولان اللام
لما كانت مكسوره وكانت متصله بالحرف كرهوا ضمه بعد كسره فابدلوا
الضمه كسره لانه ليس في الكلام فعل ومن ضم جا به على الاصل ولان اللام تنفصل

لانها داخلة على الاسم فالجميعه النحاس قوله تعالى
فان كان له اخوة فلامه السدس الاخوة يحجبون الام عن الثلث الى السدس
وهذا هو حجب النقصان وسوا كانت الاخوة اشقا او للاب او للام لا
سهم لهم وروي عن بن عباس انه كان يقول السدس الذي حجبه الاخوة
الام عنه هو للاخوة وروي عنه مثل قول الناس انه للاب قال
قتاده وانما اخذ الاب دونهم لانه يمونهم ويلي نكاحهم والنفقة عليهم
واجمع اهل العلم على ان اخوين فصاعدا ذكرانا كانوا او اناثا من اب وام او
من اب او من ام يحجبون الام عن الثلث الى السدس الا ما روي عن بن
عباس ان الاثنين من الاخوة في حكم الواحد ولا يحجب الام اقل من ثلاث
وقد صار بعض الناس الى ان الاخوات لا يحجبن الام من الثلث الى السدس
لان كتاب الله في الاخوة وليست قوة ميراث الاناث مثل قوة ميراث
الذكور حتى يقتضي العبرة الالحاق قال الكيا الطبري ومقتضى اقوالهم
ان لا يدخل مع الاخوة في لفظ الاخوة فان لفظ الاخوة بمطلقه لا يتناول
الاخوات كما ان لفظ البنين لا يتناول البنات وذلك يقتضي الا يحجب
الام بالاخ الواحد والاخت من الثلث الى السدس وهو خلاف
اجماع المسلمين واذا كن مرادات بالاية مع الاخوة كن مرادات
على الانفراد واستدل الجميع بان اقل الجمع اثنان لان التثنية جمع الشي
الى مثله فالمعنى يقتضي انها جمع وقال عليه السلام الاثنان فما فوقهما
جماعة وحكي عن سيبويه انه قال سالت الخليل عن قوله ما احسن
وجوههما فقال الاثنان جماعة وقد صح قول الشاعر ومهمهين
قذفين مرتين ظهراهما مثل ظهور الترسين وانشد الاخفش لما اتينا المرء ان

بالخبر فقلن ان الامر فينا قد شهد وقال اخر حي بالسلام غني قوم
ويبخل بالسلام على الفقير اليس الموت بينهما سوا اذا ماتوا وصاروا
في القبور ولما وقع الكلام في ذلك بين عثمان وبن عباس قال له عثمان
ان قومك حجبوها يعني قريشا وهم اهل الفصاحه والبلاغه وممن قال
ان اقل الجمع ثلاثه وان لم يقل به هنا ابن مسعود والشافعي وابو حنيفه
وغيرهم قوله تعالى من بعد وصيه يوصي بها او دين
قرا ابن كثير وبن عامر وعاصم يوصي بفتح الصاد الباقون بالكسر وكذلك
الاخر واختلفت الروايه فيهما عن عاصم والكسر اختيار ابي عبيد وابي
حاتم لانه جري ذكر الميت قبل هذا قال الاخفش وتصديق ذلك قوله تعالى
يوصين وتوصون ان قيل ما الحكمه في تقديم ذكر
الوصيه على ذكر الولدين والدين مقدم عليهما باجماع وقد روي الترمذي
عن الحارث عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصيه وانتم
تقرون الوصيه قبل الدين قال والعمل على هذا عند عامه اهل العلم انه يبدا
بالدين قبل الوصيه روي الدارقطني من حديث عاصم بن ضمره عن علي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين قبل الوصيه لا وصيه
لوارث رواه عنهما ابو اسحق الهمداني فالجواب من اوجه خمسه
الاول انما قصد تقديم هذين الفصلين على الميراث ولم يقصد ترتيبهما
في انفسهما فلذلك تقدمت الوصيه في اللفظ جواب ثاني لما كانت
الوصيه اقل لزوما من الدين قدمها اهتماما بها كما قال لا يغادر صغيره
ولا كبيره جواب ثالث قدمها لكثره وجودها ووقوعها فصارت
كاللازم لكل ميت مع نص الشرع عليها واخر الدين لشذوذه فانه قد

يكون

يكون ولا يكون فبدا بذكر الذي لا بد منه وعطف بالذي قد يقع احيانا
ويقوي هذا العطف باو ولو كان راتبا لكان العطف بالواو جواب
رابع انما قدمت الوصيه اذ هي حظ مساكين وضعفا واخر الدين اذ هو
حظ غريم يطلبه بقوه وسلطان وله فيه مقال جواب خامس
لما كانت الوصيه ينشيها من قبل نفسه قدمها والدين ثابت مودى ذكره
اولم يذكره ولما ثبت هذا تعلق الشافعي بذلك
في تقديم دين الزكاه والحج على الميراث فقال ان الرجل اذا فرط في زكاته
وجب اخذ ذلك من راس ماله وهذا ظاهر بادي الراي لانه حق من الحقوق
فلزم اداوه عنه بعد الموت كحقوق الادميين لا سيما والزكاه مصرفها
الى الادمي وقال ابو حنيفه ومالك ان اوصى بها اديت من ثلثه وان
سكت عنها لم يخرج عنه شيا قالوا لان ذلك موجب لترك الورثه فقرا اذ
قد يعتمد ترك الكل حتى اذا مات استغرق ذلك جميع ماله فلا يبقى للورثه
حق قوله تعالى اباوكم وابناوكم لا تدرون الايه
والخبر مضمر تقديره هم المقسوم عليهم وهم المعطون
قوله تعالى لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا قيل في الدنيا
بالدعا والصدقه كما جا في الاثر ان الرجل ليرفع بدعا ولده من بعده وفي
الحديث الصحيح اذا مات الرجل انقطع عمله الا من ثلاث فذكر وولد صالح
يدعو له وقيل في الاخره فقد يكون الابن افضل فيشفع في ابيه عن ابن
عباس والحسن وقال بعض المفسرين ان الابن اذا كان ارفع من
درجه ابيه في الاخره سال الله فرفع اليه اباه وكذلك الاب اذا كان
ارفع من ابنه وسياتي في الطور بيانه وقيل في الدنيا والاخره قاله

لك

لح

بن زيد واللفظ يقتضي ذلك

قوله تعالى فريضه

فريضه نصب على المصدر المؤكد اذ معنى يوصيكم يفرض عليكم وقال مكي وغيره هي حال مؤكده والعامل يوصيكم وذلك ضعيف والايه متعلقه بما تقدم وذلك انه عرف العباد انهم كفوا مونة الاجتهاد في ايصا القرابه مع اجتماعهم في القرابه اي ان الابا والابنا ينتفع بعضهم لبعض في الدعا بالتناصر والمواساه وفي الاجر بالشفاعه واذا تقرر ذلك في الابا والابنا تقرر ذلك في جميع الاقارب فلو كان القسمه موكوله الى الاجتهاد لوجب النظر في غنا كل واحد منهم وعند ذلك يخرج الامر على الضبط اذ قد يختلف الامر فبين الرب تبارك وتعالى ان الاصلح للعبد الا يوكل اجتهاده في مقادير المواريث بل بين المقادير شرعا ثم قال ان الله كان عليما اي بقسمة المواريث حكيما حكم قسمتها وبينها لاهلها وقال الزجاج عليما اي بالاشيا قبل خلقها حكيما فيما يقدره ويمضيه منها وقال بعضهم ان سبحانه لم يزل ولا يزال والخبر منه بالماضي كالخبر منه بالاستقبال ومذهب سيبويه انهم راوا حكمة وعلما فقيل لهم ان الله عز وجل كان كذلك علي ما رايتم ٥

قوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم

الايتين الخطاب للرجال والولد هنا بنو الصلب وبنو ابنيهم وان سفلوا ذكرانا واناثا واحدا فما زاد باجماع واجمع العلما على ان للزوج النصف مع عدم الولد او ولد الولد وله مع وجوده الربع وترث المراة من زوجها الربع فقد الولد والثمن مع وجوده واجمعوا على ان حكم الواحده من الازواج والثنتين والثلاث والاربع في الربع ان لم يكن له ولد وفي

الثمن ان كان له ولد

الميراث كان له ولد واحد وانهن شركا في ذلك لان الله عز وجل لم يفرق
بين حكم الواحده منهن وبين حكم الجميع كما فرق بين حكم الواحده من البنات
والواحده من الاخوات وبين حكم الجميع منهن

وان كان رجل يورث كلاله او امراه الكلاله مصدر من تكلله النسب اي
احاط وبه سمي الاكليل وهي منزله من منازل القمر لاحاطتها بالقمر اذا احل
بها ومنه الاكليل ايضا وهو التاج والعصابه المحيطه بالراس فاذا مات
الرجل وليس له ولد ولا والد فورثته كلاله هذا قول ابي بكر الصديق
وعمر وعلي وجمهور اهل العلم   وذكر يحيى بن ادم عن شريك وزهير
وابي الاحوص عن ابي اسحق عن سليمان بن عبد قال ما رايتهم الا وقد تواطوا   طوا
واجتمعوا على ان الكلاله من مات وليس له ولد ولا والد وهكذا قال
صاحب كتاب العين وابو منصور اللغوي وابن عرفه والقتبي وابو
عبيد وابن الانباري فالاب والابن طرفان للرجل فاذا ذهبا تكلله
النسب ومنه قيل روضةٌ مكلّلةٌ اذا حفت بالنور وانشدوا
مكلله روضه محلله عم بها الانقحان في الورق يعني نبتين
قال امرؤ القيس   اصاح ترى برقا اريك وميضه كلمع اليدين
في حبي مكلل تسمى القرابةُ كلالةً لانهم اطافوا بالميت من جوانبه
وليسوا منه ولا هو منهم واحاطتهم به انهم ينتسبون معهم
كما قال اعرابي   مالي كثير ويرثني كلالةٌ متراخٍ نسبهم   وقال
الفرزدق   وَرِثتم قناة المجد لا عن كلالةٍ عن ابني منافٍ عبدِ شمسٍ
وهاشمِ   وقال اخر   وان ابا المرء احمى له ومولى الكلالة اولى له
لا يغضب   وقيل ان الكلالة ماخوذة من الكلال وهو الاعيا

فكانه يصير الميراث الى الوارث عن بعد واعيا قال الاعشى
فآليت لا ارثي لها عن كلالة ولا وحيّ حتى تلاقي محمدا وذكر ابو حاتم
والاثرم عن ابي عبيدة قال الكلالة كل من لم يرثه اب وابن او اخ
فهو عند العرب كلالة قال ابو عمر ذكر ابو عبيدة الاخ هنا مع
الاب والابن في شرط الكلالة غلط غيره وروي عن عمر بن الخطاب
ان الكلالة من لا ولد له خاصة وروي عن ابي بكر ثم رجع عنه
وقال بن زيد الكلالة الحي والميت جميعا وعن عطا الكلالة المال
قال بن العربي وهذا قول ظريف لا وجه له قال الشيخ المؤلف
رحمه الله وروي عن بن الاعرابي ان الكلالة بنوا العم الاباعد
وعن السدي ان الكلالة الميت وعنه مثل قول الجمهور وهذه الاقوال
تتبين وجوهها بالاعراب وقرا بعض الكوفيين يورث كلالة بكسر
الرا وتشديدها وقرا الحسن وايوب يورث بكسر الواو وتخفيفها
على اختلاف عنهما وعلى هاتين القرائتين لا تكون الكلالة الا الورثة
او المال كذلك حكى اصحاب المعاني فالاول من ورث والثاني من اورث
وكلالة مفعوله وكان بمعنى وقع ومن قرا يورث بفتح الرا احتمل ان
تكون الكلالة المال والتقدير يورث وارث كلالة فتكون نعتا
لمصدر محذوف ويجوز ان تكون الكلالة اسما للورثة وهي خبر كان
فالتقدير ذا ورثة ويجوز ان تكون تامة بمعنى وقع ويورث نعت
لرجل ورجل رفع بكان وكلالة نصب على التفسير او الحال على
ان الكلالة هو الميت التقدير وان كان رجل يورث متكلل النسب
الميت ذكر الله عز وجل في اية الكلالة

في موضعين

في موضعين اخر السورة وهذا فلم يذكره في الموضعين وارثا غير الاخوه
فاما هذه الايه فاجمع العلما ان الاخوه فيها عني بها الاخوه للام
لقوله تعالى فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركا في الثلث وكان سعد
بن ابي وقاص يقرا وان كان له اخ او اخت من امه ولا خلاف بين اهل
العلم ان للاب والام او للاب ليس ميراثهم هكذا فدل اجماعهم على
المذكورين في اخر السوره هم اخوه المتوفى لابيه وامه و لابيه لقوله
عز وجل فان كانوا اخوه رجالا ونسا فللذكر مثل حظ الانثيين ولم
يختلفوا ان ميراث الاخوه للام ليس هكذا فدلت الايتان ان الاخوه
كلهم كلاله جميعا وقال الشعبي الكلاله ما كان سوى الولد والوالد
من الورثه اخوه او غيرهم من العصبه كذلك قال علي وابن مسعود
وزيد وابن عباس وهو القول الاول الذي بدانا به قال الطبري
والصواب ان الكلاله هم الذين يرثون الميت من عدا ولده ووالده لصحه
خبر جابر فقلت يا رسول الله انما يرثني كلاله افاوصي بمالي كله قال لا
قال اهل اللغه يقال رجل كلاله وامراه كلاله
ولا تثنى ولا تجمع لانها مصدر كالوكاله والدلاله والسماحه والشجاعه
واعاد ضمير مفرد في قوله وله اخ ولم يقل لهما ومضى ذكر الرجل والمراة
على عاده العرب اذا ذكرت اسمين ثم اخبرت عنهما وكانا في الحكم سوا
ربما اضافت الى احدهما وربما اضافت اليهما جميعا تقول من كان عنده
غلام وجاريه فليحسن اليه واليها واليهما واليهم قال الله تعالى
واستعينوا بالصبر والصلاه وانها لكبيره وقال ان يكن غنيا او فقيرا
فالله اولى بهما ويجوز اولى بهم عن الفرا وغيره ويقال في امراة مراه

وهو الاصل واخ اصله اخو بدليل عليه اخوان فحذف منه وعبس
على غير قياس قال الفرايض اول الخت لان المحذوف منها واو وكسرا و
بنت لان المحذوف منها يا وهذا الحذف والتعليل غير قياس ايضا
قوله تعالى فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركا
في الثلث هذا التشريك التسويه بين الذكر والانثى وان كثروا
واذا كانوا باحد ونه لام فلا يفضل الذكر على الانثى وهذا اجماع
من العلما وليس في الفرايض موضع يكون الذكر والانثى فيه سوا
الا في ميراث الاخوه للام فاذا كانت امراة وتركت زوجها وامها
واخاها فللزوج النصف وللام الثلث وللاخ من الام السدس
فان تركت اخوين واختين والمسله بحالها فللزوج النصف وللام السدس
وللاخوين والاختين الثلث وقد تمت الفريضه على هذا عامه الصحابه
لانهم حجبوا بالاخ والاخت من الثلث الى السدس واما ابن عباس
فانه لم ير العول ولو جعل للام الثلث لعالت المسله وهو لا
يرى ذلك والعول مذكور في غير هذا الموضع ليس هذا موضعه
فان تركت زوجها واخوتها لام واخا لاب وام فللزوج النصف
ولاخوتها لامها الثلث وما بقي فلاختها لابيها وامها وهكذا
من له فرض مسمى اعطيه والباقي للعصبة ان فضل فان تركت سته
اخوه مفترقين يعني الجاريه وتسمى ايضا المشتركه قال قوم للاخوه
للام الثلث وللزوج النصف وللام السدس وسقط الاخ والاخت
من الاب والام والاخ والاخت من الاب روي عن ابن مسعود
وابي موسى والشعبي وشريك ويحيى بن ادم وبه قال احمد بن حنبل

وافضاره

واختاره بن المنذر لان الزوج والام والاخوين للام
اصحاب فرايض مسماه ولم يبق للعصبه شي وقال قوم الام واحد
وهب ان اباهم كان حمارا واشركوا بينهم في الثلث ولهذا سميت المشتركه
والحماريه وروي هذا عن عمر وعثمان وبن مسعود ايضا وزيد بن
ثابت ومسروق وشريح وبه قال ملك والشافعي واسحق ولا
تستقيم هذه المسله ان لو كان الميت رجلا لهذه جمله من علوم الفرايض
تضمنتها الايه والله الموفق للهدايه وكانت الوارثه في الجاهليه بالرجوليه
والقوه وكانوا يورثون الرجال دون النسا فابطل الله عز وجل
ذلك بقوله للرجال نصيب وللنسا نصيب كما تقدم وكانت
الوراثه ايضا في الجاهليه وبدء الاسلام بالمخالفه قال الله عز
وجل والذين عاقدت ايمانكم على ما ياتي بيانه ثم صارت بعد
المخالفه بالهجره قال الله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا ما
لكم من ولايتهم من شي حتى يهاجروا وسياتي وهناك ياتي القول
في ذوي الارحام وميراثهم ان شا الله تعالى وسياتي في سوره
النور ميراث بن الملاعنه وولد الزنا والمكاتب بحول الله تعالى
والجمهور من العلما على ان الاسير المعلوم حياته ان ميراثه ثابت لانه
داخل في جمله المسلمين الذين احكام الاسلام جاريه عليهم وقد
روي عن سعيد بن المسيب انه قال في الاسير في يد العدو لا يرث
وقد تقدم ميراث المرتد في سوره البقره والحمد لله
قوله تعالى غير مضار نصب على الحال والعامل يوصى
اي يوصي بها غير مضار اي غير مدخل الضرر على الورثه اي لا ينبغي ان

وقه

يوصي بدين ليس له ليضر بالورثه ولا يقر بدين فالاضرار راجع الى
الوصيه والدين اما رجوعه الى الوصيه فبان يزيد على الثلث
او يوصي لوارث فان زاد فانه يرد الا ان يجيزه الورثه لان المنع لحقوقهم
لا لحق الله تعالى وان اوصى لوارث فانه يرجع ميراثا واجمع العلما
على ان الوصيه للوارث لا تجوز وقد تقدم هذا في البقره واما رجوعه
الى الدين فبالاقرار في حاله لا يجوز له فيها كما لو اقر في مرضه لوارثه او
لصديق ملاطف فان ذلك لا يجوز عندنا
واجمع العلما على ان اقراره بدين لغير وارث حال المرض جائز اذا
لم يكن عليه دين في الصحه فان كان عليه دين في الصحه ببينه واقر
لاجنبي بدين فقالت طائفه يبدا بدين الصحه هذا قول النخعي
والكوفيين قالوا فاذا استوفاه صاحبه فاصحاب الاقرار في المرض
يتحاصون وقالت طائفه هما سوا اذا كان لغير وارث هذا قول
الشافعي وابو ثور وابي عبيده وذكر ابو عبيد انه قول اهل المدينه
ورواه عن الحسن قد مضى في البقره الوعيد
في الاضرار في الوصيه ووجوهها وقد روى ابو داود من حديث
شهر بن حوشب وهو مطعون فيه عن ابي هريره حدثه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل والمراة ليعمل بطاعه الله ستين سنه ثم
يحضرهما الموت فيضاران في الوصيه فتجب لهما النار قال قرا علي ابو هريره
من هاهنا من بعد وصيه يوصى بها او دين غير مضار حتى بلغ ذلك الفوز
العظيم وقال ابن عباس الاضرار في الوصيه من الكباير ورواه عن
النبي صلى الله عليه وسلم الا ان مشهور مذهب ملك وابن القاسم ان الموصي

لا يعد فعله

لا يبعد فعله مضار في ... فله التصرف فيه كيف شاء وفي
المذهب قول ان ذلك مضارة ترد وبالله التوفيق

قوله تعالى وصية وصيه نصب على المصدر في موضع الحال
والعامل يوصيكم ويصح ان يعمل فيها مضار والمعنى ان يقع او بسببها فاوقع
نحوه قاله بن عطيه وذكر ان الحسن بن ابي الحسن قرا غير مضار وصيه بالاضافة
كما تقول شجاع حرب ونضه المبرد في قول طرفه بن العبد والمعنى على ما ذكره
من التجوز في اللفظ لصحه المعنى ثم قال والله عليم حليم يعني عليما في امر
الميراث حليما على اهل الجهل منكم   وقرا بعض المتقدمين والله عليم حكيم
يعني حكيم بقسمه الميراث والوصيه

قوله تعالى تلك حدود الله تلك بمعنى هذه اي هذه احكام الله قد بينها لكم لتعرفوها
وتعملوا بها   ومن يطع الله ورسوله في قسمه المواريث فيقر بها ويعمل
بها كما امره الله   يدخله جنات تجري من تحتها الانهار جمله في موضع
نصب على النعت لجنات   ومن يعص الله ورسوله يريد في قسمه المواريث
فلم يقسمها ولم يعمل بها   ويتعد حدوده يخالف امره يدخله نارا
خالدا فيها   والعصيان ان اريد به الكفر فالخلود على بابه وان اريد به
الكبائر وتجاوز اوامر الله فالخلود مستعار لمده ما كما تقول خلد الله
ملكه   وقال زهير   ولا خالدا الا الجبال الرواسيا وقد تقدم
هذا المعنى في غير موضع   وقرا نافع وبن عامر ندخله بالنون في
الموضعين على معنا الاضافه الى نفسه سبحانه الباقون بالياء كلاهما لانه
سبق ذكر اسم الله تعالى اي يدخله الله   تم الجزو الرابع
من تفسير القران العظيم للقرطبي رضي الله عنه

ضافه
ناه
فوها

٩٤

الجزء الثالث عشر من تفسير القرطبي

تفسير القرطبي
الخامس من

٢٠

المجلد الخامس من تفسير امام القرطبي

ويكفيك قول الناس فيما ملكته
لقد كان هذا مرة لفلان

انتقل تفسير القرطبي بتمامه الى ملك احوج عباد الله الاحد مصطفى بن ... الله بن الياس بن شيخ محمد عفي عنهم الملك المنان الا ... في تاريخ سنة ٩٦١

تفسير جامع احكام القرآن للشيخ الامام ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي القرطبي المالكي المتوفى سنة ثمان وستين وستمائة رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده

قوله تعالى واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فيه ثمان

مسائل الاولى لما ذكر تعالى في هذه السورة الاحسان

الى النساء وايصال صدقاتهن اليهن وانجر الامر الى ذكر ميراثهم

مع مواريث الرجال ذكر ايضا التغليظ عليهن فيما ياتين به من

الفاحشة لئلا تتوهم المرأة انه يسوغ لها ترك التعفف

الثانية قوله تعالى واللاتي اللاتي جمع التي وهو اسم

مبهم للمؤنث وهي معرفة ولا يجوز نزع الالف واللام منه

للتنكير ولا يتم الا بصلته وفيه ثلاث لغات كما تقدم ويجمع

ايضا اللات بحذف التاء وابقاء الكسرة واللائي بالهمزة واثبات

الياء واللاء بكسر الهمزة وحذف الياء واللا بحذف الهمزة وان

جمعت الجمع قلت اللواتي وفي اللائي اللوائي وتدروي

عنهم اللوات بحذف الياء وابقاء الكسرة قاله ابن الشجري

قال الجوهري وانشد ابو عبيدة من اللواتي والتي

واللات زعمن ان قد كبرت لداتي واللوا باسقاط التاء

وتصغير التي اللتيا بالفتح والتشديد قال الراجز

بعد اللتيا واللتيا والتي وبعض الشعراء ادخل على التي

حرف النداء وحروف النداء لا تدخل على ما فيه الالف واللام

الا في قولنا يا الله وحده فكانه شبهها به من حيث كانت الالف

واللام غير مفارقتين لها وقال من اجلك يا التي تيمت

قلبي وانت بخيلة بالود عني ويقال وقع في اللتيا والتي

وهما اسمان

وفه

قوله تعالى يأتين وهما اسمان من اسماء الزاهيه
الفاحشة الفاحشة في هذا الموضع الزنا والفاحشة الفعلة
القبيحة وهي مصدر كالعافية والعاقبة • وقرأ ابن مسعود بالفاحشة
بباء الجر قوله تعالى من نسائكم اضافة في معنى الاسلام وبيان ن
حال المؤمنات كما قال واستشهدوا شهيدين من رجالكم لان الكافرة
قد تكون من نساء المسلمين بنسب ولا يلحقها هذا الحكم
قوله تعالى فاستشهدوا عليهن اربعة منكم اي من المسلمين فجعل الله الشهادة
على الزنا خاصة اربعة تغليظا على المدعي وسترا على العباد وتعديد الشهود
باربعة في الزنا حكم ثابت في التوراة والانجيل والقران قال الله تعالى
والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقال
هنا فاستشهدوا عليهن اربعة منكم روى ابو داود عن جابر
بن عبد الله قال جاءت اليهود برجل وامرأة منهم زنيا فقال ايتوني
باعلم رجلين منكم فأتوه بابني صوريا فنشدهما كيف تجدان امر هذين
في التوراة قالا نجد في التوراة اذا شهد اربعة انهم رأوا ذكره في فرجها
مثل الميل في المكحلة رجما قال فما يمنعكم ان ترجموها قالا ذهب سلطاننا
فكرهنا القتل فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بالشهود فجاؤا فشهدوا
انهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة فامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم برجمهما • وقال قوم انما كان الشهود في الزنا اربعة ليترتب
شاهدان على كل واحد من الزانيين كسائر الحقوق اذ هو حق يؤخذ من
كل واحد منهما وهذا ضعيف فان اليمين يدخل في الاموال واللوث
القسامة ولا يدخل الواحد منهما هنا ولا بد ان يكون

الشهود ذكورا لقوله منكم ولا خلاف فيه بين الامة وان يكونوا عدولا
لان الله تعالى شرط العدالة في البيوع والرجعة فهذا اعظم وهو بذلك
اولى وهذا من حمل المطلق على المقيد بالدليل على ما هو مذكور في اصول
الفقه ولا يكونون ذمة وان كان الحكم في ذمة وسياتي ذلك في المائدة وتعلق
ابو حنيفة بقوله منكم في ان الزوج اذا كان احد الشهود في القذف لم
يلاعن وسياتي بيانه في النور
قوله تعالى فان شهدوا
فامسكوهن في البيوت هذه اول عقوبات الزناة وكان هذا في ابتدا
الاسلام قاله عبادة بن الصامت والحسن ومجاهد حتى نسخ بالاذى
الذي بعده ثم نسخ ذلك باية النور وبالرجم في الثيب وقالت فرقة
بل كان الاذى هو الاول ثم نسخ بالامساك ولكن التلاوة اخرت وقدمت
ذكره ابن فورك وهذا الامساك وهو الحبس في البيوت كان في صدر الاسلام
قبل ان يكثر الجناة فلما كثروا وخشي قوتهم اتخذ لهم سجن قاله ابن العربي ٥
واختلف العلما هل كان هذا السجن حدا او توعدا بالحد
على قولين احدهما انه توعد بالحد الثاني انه حد قاله ابن عباس والحسن زاد
ابن زيد وانهم منعوا النكاح حتى يموتوا عقوبة لهم حين طلبوا النكاح من
غير وجهه وهذا يدل انه كان حدا بل اشد غير ان ذلك الحكم كان محدودا
الى غاية وهو الاذى في الاية الاخرى على اختلاف التاويلين في ايهما قبل
وكلاهما ممدود الى غاية وهو قوله صلى الله عليه وسلم في حديث عبادة بن
الصامت خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب
عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم وهذا نحو قوله تعالى ثم اتموا
الصيام الى الليل فاذا جا الليل ارتفع حكم الصيام لانتها غايته لا لنسخه

هذا قول

هذا قول المحققين المتأخرين من الاصوليين فان النسخ انما يكون في القولين
المتعارضين من كل وجه اللذين لا يمكن الجمع بينهما والجمع ممكن بين الحبس
التعيير والجلد والرجم وقد قال بعض العلماء ان الاذى والتعيير
باق مع الجلد لانهما لا يتعارضان بل يحملان على شخص واحد واما
الحبس فمنسوخ باجماع واطلاق المتقدمين النسخ على مثل هذا تجوز والله
تعالى واعلم واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فيه سبع مسايل
قوله تعالى اللذان تثنية الذى وكان القياس ان يقال الذيان
كرحيان ومصطفيان وشجيان قال سيبويه حذفت ليفرق بين الاسما
المتمكنة وبين الاسماء المبهمات وقال ابو علي حذفت اليا اذ قد امن
اللبس في الذيان لان النون لا تحذف ونون التثنية في الاسماء المتمكنة قد
تحذف مع الاضافة في رحيا ومصطفيا القوم فلو حذفت اليا لاشتبه
المفرد بالاثنين وقرا ابن كثير اللذان بشد النون وهي لغة قريش وعلته
انه جعل التشديد عوضا من الفرد على ما ياتي بيانه في سورة القصص
عند قوله فذانك برهانان وقرا ابن كثير اللذان بشد النون وهي
لغة قريش وفيها لغة اخرى اللذا بحذف النون هذا قول الكوفيين وقال
البصريون انما حذفت النون لطول الاسم بالصلة ولذلك قرا كذلك
فذانك برهانان بالتشديد فيهما والباقون بالتخفيف وشدد ابو عمرو
فذانك وحدها واللذان رفع بالابتدا قال سيبويه المعنى وفيما
يتلى عليكم اللذان يأتيانها منكم اي الفاحشة ودخلت الفا في فآذوهما
لان في الكلام معنى الامر لانه لما وصل الذي بالفعل تمكن فيه معنى
الشرط اذ لا يقع عليه شئ بعينه فلما تمكن الشرط والابهام فيه جرى

مجرى الشرط فدخلت الفا ولم يعمل فيه ما قبله من الاضمار كما لا يعمل
في الشرط ما قبله فلما لم يحسن اضمار الفعل قبلهما لينصبا رفعا بالابتدا
وهذا اختيار سيبويه ويجوز النصب على تقدير اضمار فعل وهو الاختيار
واذا كان في الكلام معنى الامر والنهي نحو قولك اللذين عندك فاكرمهما
قوله تعالى فآذوهما قال عبادة والسدي معناه التوبيخ
والتعيير وقالت فرقة هو السب والجفاء دون التعيير ابن عباس
النيل باللسان والضرب بالنعال قال النحاس وزعم قوم انه
منسوخ قال الشيخ المؤلف رحمه الله رواه ابن ابي نجيح قال واللاتي تعالى
يأتين الفاحشة واللذان يأتيانها منكم كان في اول الاول فنسختها
الآية التي في النور قاله النحاس وقيل هي اولى لانه ليس بمنسوخ وانه
واجب ان يؤذيا بالتوبيخ فيقال لهما فجرتما وفسقتما وخالفتما امر الله
عز وجل واختلف العلماء في تاويل واللاتي وقوله
واللذان فقال مجاهد وغيره الآية الاولى في النساء عامة محصنات
وغير محصنات والآية الثانية في الرجال خاصة وبين بلفظ التثنية صنفي
الرجال ممن احصن وممن لم يحصن فعقوبة النساء الحبس وعقوبة الرجال
الاذى وهذا قول يقتضيه اللفظ ويستوفي نص الكلام اصناف
الزناة ويؤيده من جهة اللفظ قوله في الاولى من نسائكم وفي الثانية
منكم واختاره النحاس ورواه عن ابن عباس وقال السدي وقتادة وغيرهما
الاولى في النساء المحصنات يريد ودخل معهن من احصن من الرجال
بالمعنى والثانية في الرجل والمرأة البكرين قال ابن عطية ومعنى هذا القول
تام الا ان لفظ الآية تعلق عنه وقد رجحه الطبري واباه النحاس قال

بتغليب المذكر على المؤنث بعيد لانه لا يخرج الشيء الى المجاز ومعناه صحيح في الحقيقة. وقيل كان الامساك للمراة الزانية دون الرجل فخصت المراة بالذكر في الامساك ثم جمعا في الايذاء قال قتادة كانت المراة ويوذيا جميعا وهذا لان الرجل في السعي والاكتساب

واختلف العلماء ايضا في القول بمقتضى حديث عبادة الذي هو بيان لاحكام الزناة على ما بيناه فقال بمقتضاه علي بن ابي طالب لا اختلاف عنه في ذلك وانه جلد شراحة الهمدانية مائة ورجمها بعد ذلك وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقال بهذا القول الحسن البصري والحسن بن صالح بن حي واسحق وقالت جماعة من العلماء بل على الثيب الرجم بلا جلد وهذا يروى عن عمر وهو قول الزهري والنخعي ومالك والثوري والاوزاعي والشافعي واصحاب الراي واحمد وابي ثور متمسكين بان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والعامدية ولم يجلدهما وبقوله صلى الله عليه وسلم لانيس اغد على امراة هذا فان اعترفت فارجمها ولم يذكر الجلد ولو كان مشروعا لما سكت عنه وقيل انما سكت عنه لانه ثابت بكتاب الله فليس بممتنع ان يسكت عنه لشهرته والتنصيص عليه في القران لان قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة يعم جميع الزناة والله اعلم ويبين هذا فعل علي باخره عن الخلفاء رضي الله عنهم ولم ينكر عليه فقيل له عملت بالمنسوخ وتركت الناسخ وهذا واضح واختلفوا في نفي البكر مع الجلد فالذي عليه الجمهور انه ينفى مع الجلد قاله الخلفاء الراشدون ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وهو قول ابن عمر رضوان الله تعالى عليهم وبه قال

م

ان يسكت

في

يعم احمد

ون

عطاء وطاوس وسفيان ومالك وابن ابي ليلى والشافعي واحمد واسحق
وابو ثور وقال بتركه حماد بن ابي سليمان وابو حنيفة ومحمد بن الحسن
والحجة للجمهور حديث عبادة المذكور وحديث ابي هريرة وزيد بن
خالد حديث العسيف وفيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لاقضين بينكما بكتاب الله اما غنمك وجاريتك فرد عليك
وجلد ابنه مائة وغربه عاما اخرجه الائمة احتج من لم ير نفيه بحديث
ابي هريرة في الامة ذكر فيه الجلد دون النفي وذكر عبد الرزاق عن
معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال غرب عمر بن ربيعة ابن امية
بن خلف في الخمر الى خيبر فلحق بهرقل فتنصر فقال عمر لا اغرب مسلما بعد هذا
قالوا ولو كان التغريب حد الله ما تركه عمر بعد ثم ان النص الذي في الكتاب
انما هو الجلد والزيادة على النص نسخ فيلزم عليه نسخ القاطع بخبر
الواحد والجواب اما حديث ابي هريرة فانما هو في الاماء لا في الاحرار وقد
صح عن عبد الله بن عمر انه ضرب امته في الزنا ونفاها واما حديث عمر
وقوله لا اغرب بعده مسلما فيعني في الخمر والله اعلم لما رواه نافع عن
عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وان ابا بكر ضرب وغرب
وان عمر ضرب وغرب اخرجه الترمذي في جامعه والنسائي في سننه
عن ابي كريب محمد بن العلاء الهمداني عن عبد الله بن ادريس عن عبيد الله بن
عمر عن نافع قال الدارقطني تفرد به عبد الله بن ادريس ولم يسنده عنه
احد من الثقات غير ابي كريب وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم النفي فلا
كلام لاحد معه وما خالفه خالفته السنة فعارضته وبالله التوفيق واما
قولهم الزيادة على النص نسخ فليس بمسلم بل زيادة حكم اخر مع الاصل

ثم هو

ثم هو قد زاد الوضوء بالنبيذ بخبر لم يصح على الماء واشترط الفقر في القربى
الى غير ذلك مما ليس منصوصا عليه في القرآن وقد مضى هذا المعنى في
البقرة ويأتي   القائلون بالتغريب لم يختلفوا في
تغريب الذكر الحر واختلفوا في تغريب العبد العبد والامة فمن رأى
التغريب فيهما ابن عمر جلد مملوكة له في الزنا ونفاها الى فدك وبه قال
الشافعي في نفي العبد فمن قال استخير الله في نفي العبد ومن قال ينفي نصف
سنة ومن قال ينفي سنة الى غير بلده وبه قال الطبري واختلف قوله
ايضا في نفي الامة على قولين   وقال مالك ينفى الرجل ولا تنفى الامة ولا
العبد ومن نفي حبس في الموضع الذي ينفى اليه وينفى من مصر الى الحجاز وبشعب
واسوان ونحوها وفي المدينة الى خيبر وفدك وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز
ونفا على من الكوفة الى البصرة   وقال الشافعي اقل ذلك يوم وليلة قال
ابن العربي كان اصل النفي ان بني اسرائيل اجمع رأيهم على ان من احدث
حدثا في الحرم غرب منه فصارت سنة فيهم يدينون بها فلاجل
ذلك استن الناس اذا احدث احد حدثا غرب عن بلده وتمادى
ذلك الى الجاهلية الى ان جاء الاسلام فاقره في الزنا خاصة احتج من
لم ير النفي على العبد بحديث ابي هريرة في الامة ولان تغريبه عقوبة
لمالكه بمنعه من منافعه من مدة تغريبه ولا يناسب ذلك تصرف الشرع
فلا يعاقب غير الجاني وايضا فقد سقط عنه الحج والجمعة والجهاد
الذي هو حق لله تعالى لاجل السيد وكذلك التغريب والله اعلم ٥
والمرأة اذا غربت ربما يكون ذلك سببا لوقوعها فيما اخرجت من سببه
وهو الفاحشة وفي التغريب سبب لكشف عورتها وتضييع حالها

ولان الاصل منعها من الخروج من بيتها وان صلاتها فيه افضل وقال صلى
الله عليه وسلم اعروا النسا يلزمن الحجال فحصل من هذا تخصيص عموم حديث
التغريب بالمحنة لمصلحة المشهود لها بالاعتبار وهو مختلف فيه عند
الاصوليين والنظار وشذت طايفة فقالت بجمع الجلد والرجم على
الشيخ ويجلد الشاب تمسكا بلفظ الشيخ في حديث زيد بن ثابت انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموها البتة خرجه النساي
وهذا فاسد لانه قد سماه في الحديث الثيب قوله تعالى فان
تابا اي من الفاحشة واصلحا يعني العمل فيما بعد ذلك فاعرضوا عنهما اي
اتركوا اذاهما وتعييرهما وانما كان هذا قبل نزول الحدود فلما نزلت الحدود
نسخت هذه الاية وليس المراد بالاعراض الهجرة ولكنها متاركة معرض
وفي ذلك احتقار لهم بحسب المعصية المتقدمة وبحسب الجهالة في الاية
الاخرى ان الله كان توابا حكيما اي يرجع بعباده عن المعاصي
تعالى انما التوبة على الله الايتان فيهما اربع مسايل قوله تعالى
انما التوبة على الله قيل هذه الاية عامة لكل من عمل ذنبا وقيل لمن جهل
فقط والتوبة لكل من عمل ذنبا في موضع اخر واتفقت الامة على ان التوبة
فرض على المومنين لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون وتصح
من ذنب مع الاقامة على غيره من غير نوعه خلافا للمعتزلة في قولهم
لا يكون تايبا من اقام على ذنب ولا فرق بين معصية ومعصية هذا
مذهب اهل السنة واذا تاب العبد فالله سبحانه بالخيار ان شا قبلها
وان شا لم يقبلها وليس قبول التوبة واجبا على الله من طريق العقل كما قال
المخالف لان من شرط الواجب ان يكون اعلى رتبة من الموجب

عليه

٦

عليه والحق سبحانه وتعالى خالق الخلق ومالكهم والمكلف لهم فلا يصح ان
يوصف بوجوب شئ عليه تعالى عن ذلك غير انه اخبر سبحانه وهو الصادق
في وعده بانه يقبل التوبة عن العاصين من عباده وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده ويعفو عن السيئات وقوله الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة
عن عباده وقوله واني لغفار لمن تاب فاخبار سبحانه وتعالى عن
اشياء اوجبها على نفسه يقتضي وجوب تلك الاشياء والعقيدة انه لا
يجب تعالى عليه شئ عقلا فاما السمع فظاهره قبول توبة التائب قال
ابو المعالي وغيره وهذه الظواهر انما تعطي غلبة ظن لا قطعا على الله تعالى
بقبول التوبة قال بن عطية وقد خولف ابي المعالي وغيره في هذا المعنى
فاذا فرضنا ان رجلا قد تاب توبة نصوحا تامة الشروط فقال ابو
المعالي يغلب على الظن قبول توبته وقال غيره يقطع على الله تعالى بقبول
توبته كما اخبر عن نفسه جل وعز قال بن عطية وكان ابي رحمه الله يميل
الى هذا القول ويرجحه وبه اقول والله تعالى بعباده من ان يحرم في
هذا الباب المفروض معنى قوله وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقوله
واني لغفار واذا تقرر هذا فاعلم ان في قوله حذفا وليس على ظاهره
وانما المعنى على فضل الله ورحمته بعباده وهذا نحو قوله صلى الله عليه
وسلم اتدري ما حق العباد على الله قال الله ورسوله اعلم قال ان
يدخلهم الجنة فهذا كله معناه على فضله ورحمته بوعده الحق وقوله الصدق
دليله قوله كتب على نفسه الرحمة اي وعد بها وقيل على هنا بمعنى عند والمعنى واحد
التقدير عند الله اي انه وعد ولا خلف في وعده انه يقبل التوبة عن عباده
اذا كانت بشروطها المصححة لها وهي اربعة الندم بالقلب وترك المعصية

ق

قيل م

في الحال والعزم على الا يعود الى مثلها وان يكون ذلك حياء من الله تعالى لا
من غيره فاذا اختل شرط من هذه الشروط لم تصح التوبة وقد قيل
في شروط الاعتراف بالذنب وكثرة الاستغفار وقد تقدم في
آل عمران كثير من معاني التوبة واحكامها ولا خلاف فيما اعلمه ان التوبة
لا تسقط حدا ولهذا قال علماؤنا ان السارق والسارقة والقاذف
متى تابوا وقامت الشهادة عليهم اقيمت عليهم الحدود وقيل على بمعنى
من اي انما التوبة من الله للذين قاله ابو بكر بن عبدوس والله اعلم ٥
وسياتي في التحريم الكلام في التوبة النصوح والاشياء التي يتاب منها
قوله تعالى للذين يعملون السوء بجهالة   السوء في هذه
الاية والانعام انه من عمل منكم سوءا بجهالة يعم الكفر والمعاصي فكل
من عصا ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته قاله قتادة واجمع اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم على ان كل معصية فهي بجهالة عمدا كانت او
جهلا وقاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد والسدي   وروي
عن الضحاك ومجاهد انهما قالا الجهالة هنا العمد   وقال عكرمة امور
الدنيا كلها جهالة يريد الخاصة بها الخارجة عن عنا وهذا القول جار مع
قوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو   وقال الزجاج يعني قوله
بجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية   وقيل بجهالة انهم
لا يعلمون كنه العقوبة ذكره ابن فورك قال ابن عطية وضعف قوله
هذا ورد عليه   قوله تعالى ثم يتوبون من قريب قال
ابن عباس والسدي معناه قبل المرض والموت   وروي عن الضحاك انه
قال كلما كان قبل الموت فهو قريب   وقال ابو مجلز والضحاك ايضا

وعكرمة

وعكرمة وبن زيد وغيرهم قبل المعاينة للملائكة والسوق وان يغلب
المرء على نفسه ولقد احسن محمد الوراق حيث قال قدم لنفسك
توبة مرجوة قبل الممات وقبل حبس الالسن بادر بها غلق النفوس
فانها ذخر وغنم للبيب المحسن قال علماؤنا رحمه الله عليهم وانما صحت
التوبة منهم في هذا الوقت لان الرجا باق ويصح منه الندم والعزم
على ترك الفعل وقد روى الترمذي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر قال هذا حديث حسن
غريب ومعنى ما لم يغرغر لم تبلغ روحه حلقومه فيكون بمنزلة الشيء
الذي يتغرغر به قاله الهروي وقيل المعنى يتوبون على قرب عهد
من الذنب من غير اصرار والمبادر في الصحة افضل والحق لامله من
العمل الصالح والبعد كل البعد الموت كما قال وأين مكان البعد
الا مكاننا وروي صالح المري عن الحسن قال من عير اخاه بذنب قد
تاب منه ابتلاه الله به قال الحسن ايضا ان ابليس لما هبط قال
بعزتك لا افارق ابن ادم ما لم تغرغر نفسه قوله تعالى
وليست التوبة نفى سبحانه ان يدخل في حكم التائبين من حضره الموت
وصار في حيز اليأس كما كان فرعون حين صار في غمرة الماء والغرق
فلم ينفعه ما اظهر من الايمان لان التوبة في ذلك الوقت لا تنفع لانها
حال زوال التكليف وبهذا قال ابن عباس وابن زيد وجمهور المفسرين
واما الكفار يموتون على كفرهم فلا توبة لهم في الاخرة واليهم الاشارة
بقوله واوليك اعتدنا لهم عذابا اليما وهو الخلود وان كانت
الاشارة الى الجميع فهو في جهة العصاة عذاب لا خلود معه وعلى

بين
نع

هدا ان السيات ما دون الكفر ليست التوبه لمن عمل دون من السيات
ثم تاب عند الموت ولا للذين يموتون كافرا فتاب يوم القيامه وقد قيل
ان السيات هنا الكفر فيكون المعنى وليست التوبه للكفار الذين يتوبون
عند الموت ولا للذين يموتون وهم كفار وقال ابو العاليه نزلت
اول الايه في المومنين انما التوبه على الله والثانيه في المنافقين وليست
التوبه للذين يعملون السيات يعني قبول التوبه للذين اصروا على فعلهم
حتى اذا حضر احدهم الموت يعني الشرق والنزع ومعاينه ملك الموت
قال اني تبت الان فليس لهذا توبه ثم ذكر توبه الكفار فقال ولا الذين
يموتون وهم كفار اوليك اعتدنا لهم عذابا اليما اي وجيعا
دايما وقد تقدم تعالى يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النسا
الى قوله كثيرا فيه ثمان مسايل قوله تعالى لا يحل لكم ان ترثوا
النسا كرها هذا متصل بما تقدم ذكره من الزوجات والمقصود نفي
الظلم عنهن واضرارهن والخطاب للاوليا وان في موضع رفع بيحل اي
يحل لكم وراثه النسا وكرها مصدر في موضع الحال واختلفت
الروايات واقوال المفسرين في سبب نزولها فروى البخاري
عن ابن عباس يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النسا كرها ولا
تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن قال كانوا اذا مات الرجل
كانوا اوليا وه احق بامراته ان شا بعضهم تزوجها وان شا زوجوها
وان شا لم يزوجوها فهم احق بها من اهلها فنزلت الايه في ذلك
واخرجه ابو داود بمعناه وقال الزهري وابو مجلز كان
عادتهم اذا مات الرجل يلقي ابنه من غيرها او اقرب عصبته

توبه على المراة

ثوبه على المراة فيصير احق بها من نفسها ومن اوليايها فان شا تزوجها
بغير صداق الا الصداق الذي اصدقها الميت وان شا زوجها من
غيره واخذ صداقها ولم يعطها شيا وان شا عضلها لتفتدي منه بما
ورثت من الميت او تموت فيرثها فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا يحل لكم ان ترثوا النسا كرها فيكون المعنى لا يحل لكم ان ترثوهن
من ازواجهن فتكونوا ازواجا لهن وقيل كان الوارث ان سبق فالقى
عليها ثوبا فهو احق بها وان سبقته فذهبت الى اهلها كانت احق بنفسها
قاله السدي   وقيل كان يكون عند الرجل عجوز ونفسه تتوق الى
الشابه فيكره فراق العجوز لمالها فيمسكها ولا يقربها حتى تفتدي منه بما لها
او تموت فيرث مالها فنزلت هذه الايه وامر الزوج ان يطلقها ان
كره صحبتها ولا يمسكها كرها فلذلك قال تعالى لا يحل لكم ان ترثوا
النسا كرها والمقصود من الايه اذهاب ما كانوا عليه من جاهليتهم
والا تجعل النسا كالمال تورث عن الرجال كما يورث المال   وكرها
بضم الكاف قراه والكسايي الباقون بالفتح وهما لغتان وقال القتبي
الكره بالفتح بمعنى الاكراه والكره بالضم المشقه يقال لتفعل ذلك
طوعا او كرها يعني طوعا او مكرها والخطاب للاوليا وقيل للازواج
النسا اذا حبسوهن مع سو العشره طماعيه ارثها او يفتدين
ببعض مهورهن وهو اصح اختاره ابن عطيه قال ودليل ذلك قوله الا
ان ياتين بفاحشه واذا اتت بفاحشه فليس للولي حبسها حتى تذهب
بمالها اجماعا من الامه وانما ذلك للزوج على ما ياتي بيانه في المسله
بعد هذا   قوله تعالى ولا تعضلوهن الا ان ياتين بفاحشه

مبينة قد تقدم معنى العضل وانه المنع في البقرة واختلف الناس
في معنى الفاحشة فقال الحسن هو الزنا واذا زنت البكر فانها تجلد مائة
وتنفى سنة وترد الى زوجها ما اخذت منه وقال ابو قلابة اذا زنت
امراة الرجل فلا باس ان يضارها ويشق عليها حتى تفتدي منه وقال
السدي اذا فعلن ذلك فخذوا مهورهن وقال ابن سيرين وابو قلابة
لا يحل له ان ياخذ منها فدية الا ان يجد على بطنها رجلا قال ابو عمر
قول ابن سيرين وابي قلابة عندي ليس بشي لان الفاحشة قد تكون البذا
والحلام والاذى ومنه قيل البذي فاحش ومتفحش وعلى انه لو اطلع منها
على الفاحشة كان له لعانها وان شا طلقها واما ان يضارها حتى تفتدي
منه بمالها فليس ذلك له وما اعلم احدا قال له ان يضارها ويسي اليها حتى
تختلع منه اذا وجدها تزني غير ابي قلابة والله اعلم وقال الله عز وجل
فان خفتم الا يقيما حدود الله يعني في حسن العشرة والقيام بحق الزوج
وقيامه بحقها فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقال عز وجل
فان طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه هنيا مريا فهذه الايات اصل هذا
الباب قال الله تعالى الا ان ياتين بفاحشة مبينة وقال ابن مسعود
وابن عباس والضحاك وقتادة الفاحشة المبينة في هذه الاية البغض
والنشوز قالوا فاذا نشزت حل له ان ياخذ مالها وهذا هو مذهب
مالك قال ابن عطية الا اني لا احفظ له نصا في الفاحشة في الاية
وقال قوم الفاحشة البذا باللسان وسو العشرة قولا وفعلا وهذا
في معنى النشوز ومن اهل العلم من يجيز اخذ المال من الناشز على
جهة الخلع الا انه يرى الا يتجاوز ما اعطاها ركونا الى قوله لتذهبوا

بعض

ببعض ما اتيتموهن وقال ملك وجماعه من اهل العلم للزوج ان ياخذ
من الناشز جميع ما تملك قال بن عطيه والزنا اصعب على الزوج من
النشوز والاذى وكل ذلك فاحشه يحل فيها اخذ المال وقال عطا
الخراساني بان الرجل اذا صابت امراته فاحشه اخذ منها ما ساق اليها
واخرجها فنسخ ذلك بالحدود وقول رابع الا ان ياتين بفاحشة مبينه
الا ان يزنين فيجلسن في البيوت فيكون هذا قبل النسخ وهذا معنى قول
عطا وهو ضعيف واذا تنزلنا على القول بان المراد
بالخطاب في العضل الاوليا ففقهه انه متى صح في ولي انه عاضل نظر
القاضي في امر المراة وزوجها الا في بناته فانه ان كان في عضله
صلاح فلا يتعرض قولا واحدا وذلك بالخاطب والخاطبين وان صح عضله
ففيه قولان في مذهب ملك انه كساير الاوليا يزوج القاضي من
شا التزويج من بناته وطلبه والقول الاخر يعرض له
يجوز ان يعضلوهن جزما على النهي فتكون الواو مشترك عطفت فعلا
على فعل وقرا بن مسعود ولا ان تعضلوهن بهذه القراه تقوى
احتمال النصب وان الفعل ما لا يجوز بالنص قوله
تعالى مبينه بكسر اليا قراه نافع وابو عمرو والباقون اليا وقرا ابن
عباس بكسر البا وسكون اليا من ابان الشي يقال ابان الامر بنفسه وا...
وبين وبينه وهذه القرات كلها لغات فصيحه قوله
تعالى وعاشروهن بالمعروف اي على ما امر الله به من حسن المعاشره
والخطاب للجميع اذ الكل احد عشر زوجا زاو وليا ولكن المراد
بهذا الامر في هذا الخطاب الاغلب الازواج وهو مثل قوله

فامساك بمعروف وذلك توفيه حقها من المهر والنفقه والا يعبس
في وجهها بغير ذنب وان يكون منطلقا في القول لا فظا ولا غليظا
ولا مظهرا ميلا الى غيرها والعشرة المخالطه والممازجه ومنه
قوله طرفه ولئن شحطت نواها مرة لعلى عهد حبيب معتشر
جعل الحبيب جمعا كالخليط والفريق وعاشره معاشره وتعاشر القوم
واعتشروا فامر الله سبحانه بحسن صحبة النسا اذا اعتقدوا
عليهن ليكون ادمه ما بينهم وصحبتهم على الكمال فانه اهدى للنفس
واهنا للعيش وهذا واجب على الزوج ولا يلزمه في القضا وقال
بعضهم هو ان يتصنع لها كما تتصنع له قال يحيى بن عبد الرحمن
الحنظلي اتيت محمد بن الحنفيه فخرج الي في ملحفة حمرا ولحيته تقطر
من الغاليه فقلت ما هذا قال ان هذه الملحفه القتها على امراتي
ودهنتني بالطيب وانهن يشتهين منا ما نشتهيه منهن وقال
بن عباس رضي الله عنه اني احب ان اتزين لامراتي كما احب ان تتزين
المراة لي وهذا داخل فيما ذكرناه قال بن عطيه والى معنى الايه
ينظر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمتع بها وفيها عوج
اي لا يكن منك سو عشرة مع اعوجاجها ففيها تنشا المخالفه وبها
يقع الشقاق وهو سبب الخلع استدل علماونا بقوله
تعالى وعاشروهن بالمعروف ان المراة اذا كانت لا يكفيها خادم واحد
ان عليه ان يخدمها قدر كفايتها كابنة الخليفه او الملك وشبهها ممن لا
يكفيها خادم واحد وان ذلك هو المعاشرة بالمعروف وقال الشافعي
وابو حنيفه لا يلزمه الا خادم واحد وذلك يكفيها خدمة نفسها وليس

في العالم

في العالم امراه الا وخادم واحد يكفيها وهذا كالمقاتل تكون له افراس عده فلا يسهم له الا لفرس واحد لانه لا يمكنه القتال الا على واحد قال علماونا وهذا غلط لان مثل بنات الملوك اللاتي لهن الامة الكثيره لا يكفيها خادم واحد لانها تحتاج من غسل ثيابها واصلاح مطبخها وغير ذلك الى ما يقوم به الواحد وهذا بين **الثامنة** قوله تعالى فان كرهتموهن اي لدمامه وسوخلق من غير ارتكاب فاحشه او نشوز فهذا يندب فيه الى الاحتمال فعسى ان يوول الامر الى ان يرزق الله منها اولا صالحين وان رفع بعسى وان الفعل مصدر قال الشيخ المولف رحمه الله ومن هذا المعنى ما ورد في صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفرك مومن مومنة ان كره منها خلقا رضي منها اخر وقال غيره المعنى لا يبغضها بغضا كليا يحمله على فراقها اي لا ينبغي له ذلك بل يغفر سيئها لحسنها ويتغاضى عما يكره لما يحب ∴ وقال مكحول سمعت ابن عمر يقول ان الرجل ليستخير الله تعالى فيختار له فيسخط على ربه عز وجل فلا يلبث ان ينظر في العاقبة فاذا هو قد خير له ∴ وذكر ابن العربي قال اخبرنا ابو القاسم بن حبيب بالمهدية عن ابي القاسم السيوري عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال كان الشيخ ابو محمد بن ابي زيد من العلم والدين في المنزلة والمعرفة وكانت له زوجه سيئة العشره وكانت تقصر في حقوقه وتوذيه بلسانها فيقال له في امرها ويعذل في الصبر عليها فكان يقول انا رجل قد اكمل الله على النعمة في صحة بدني ومعرفتي وما ملكت يميني فلعلها بعثت عقوبة على ذنبي فاخاف اذا فارقتها ان تنزل بي

عقوبه هي اشد منها قال علماونا في هذا دليل على كراهه الطلاق
مع الاباحه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لم يحرم شيا اباحه
الا الطلاق والاكل وان الله ليبغض المعا اذا امتلا تعالى
وان اردتم استبدال زوج الى قوله غليظا فيه ست مسايل
لما مضى في الايه المتقدمه حكم الفراق الذي سببه المراه وان
للزوج اخذ المال منها عقيب ذلك بذكر الفراق الذي سببه الزوج
وبين انه اذا اراد الطلاق من غير نشوز فليس له ان يطلب منها مالا
واختلف العلما اذا كان الزوجان يريدان الفراق
وكان منها نشوز وسو عشرة فقال ملك رحمه الله للزوج ان ياخذ منها
اذا تسبب الفراق ولا يراعي تسببه وقالت جماعه من العلما لا يجوز
له اخذ المال الا ان تنفرد هي بالنشوز وتطلبه في ذلك قوله تعالى
واتيتم احداهن قنطارا الايه دليل على جواز المغالاه في المهور لان الله
سبحانه لا يمثل الا بمباح وخطب عمر رضي الله عنه فقال الا لا تغالوا
في صدقات النسا فانها لو كانت مكرمه في الدنيا عند الله لكان اولاكم
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصدق قط امراه من نسايه فوق
اثنى عشر اوقيه فقامت اليه امراه فقالت يا عمر يعطينا الله وتحرمنا
اليس الله سبحانه يقول واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيا
فقال عمر اصابت واخطا امير في روايه قال فاطرق عمر ثم قال كل الناس
افقه منك يا عمر وفي روايه اخرى امراه اصابت ورجل اخطا والله
المستعان وترك الانكار اخرجه ابو حاتم البستي في صحيح مسنده
عن ابي العجفا السلمي قال خطب عمر الناس فقال فذكره الى قوله اثنى عشره

اوقيه

اوقيه ولم يدلو فقامت اليه امراه الى الحرم اخرجه بن ماجه في سننه عن
ابى العجفا وزاد بعد قوله اوقيه وان الرجل ليغلي صدقة امراته حتى
يكون لها عداوة في نفسه ويقول قد كلفت اليك علق القربه او عرق
القربه وكنت رجلا عربيا موكدا ما ادري ما علق القربه او عرق القربه
قال الجوهري وعلق القربه لغة في عرق القربه قال غيره ويقال علق
القربه عصامها الذي تعلق به يقول كلفت اليك حتى عصام القربه
وعرق القربه ماوها يقول جشمت اليك حتى احتجت الى عرق
القربه وهو ماوها في السفر ويقال بل عرق القربه ان يقول نصبت
لك وتكلفت حتى عرقت عرق القربه وهو سيلانها وقيل الخصم
كانوا يحملون الما فيعلقونه على الابل يتناولونه فيشق
على الظهر ففسر به اللفظان العرق والعلق وقال
الاصمعي عرق القربه كلمة معناها الشده قال ولا ادري
ما اصلها قال الاصمعي وسمعت بن ابي طرفه وكان
من افصح الناس سمعت يقول سمعت شيخاننا يقولون لقيت من
فلان عرق القربه يعنون الشده وانشدني لابن
الاحمر ليست بشتمه يعدو بها عرق السقا على القعو
اللاعب قال ابو عبيد اراد انه يسمع الكلمه يغيظه
وليست بشتم فيواخذ صاحبها بها وقد ابلغت اليه كعرق
السقا فقال عرق السقا لما لم يمكنه الشعر ثم قال على القعو
اللاعب وكان معناه ان يعلق القربه على القعود في اسفارهم
وهذا المعنى شبيه بما كان الفرا يحكيه زعم ان الخصم كانوا في

سافرت

د
ف
د

المفاوز في اسفارهم فيبردون الما فيعلقونه على الابل ثنا وبونه
فكان في ذلك تعب ومشقه على الظهر وكان الفرا يجعل
هذا التفسير في علق القربه باللام وقال قوم لا يعطى الا به
جوازا لمغالات بالاصدقه لمهور لان التمثيل بالقنطار انما هو
على جهه المبالغه كانه قال وانتم هذا القدر العظيم الذي لا
يوتيه احد وهذا لقوله صلى الله وسلم من بنا مسجدا لله ولو
كمفحص قطاه بنا الله له بيتا في الجنه ومعلوم انه لا يكون
مسجدا كمفحص قطاة وقد قال صلى الله عليه وسلم لابن
ابي حدرد وقد جا يستعينه في مهره فساله عنه فقال
مائتين فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كانكم
تقطعون الذهب والفضه من عرض الحرة او جبل ٥
فاستقرا بعض الناس من هذا منع المغالات بالمهور
وهذا لا يلزم وانكار النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الرجل
المتزوج ليس انكارا لاجل المغالاه والاكثار في المهر
وانما الانكار لانه كان فقيرا تلك الحاله فاخرج نفسه الى
الاستعانه والسوال وذلك مكروه باتفاق وقد
اصدق عمر ام كلثوم بنت علي من فاطمه رضوان الله
عليهم اربعين الف درهم وروى ابو داود عن عقبه
بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل اترضى ان ازوجك
فلانه قال نعم وقال للمراه اترضين ان ازوجك فلانا قالت
نعم فزوج احدهما صاحبه فدخل بها الرجل ولم يفرض

لها صداقا

لها صداقا ولم يعطها شيا وكان ممن شهد الحديبيه وكان
من شهد الحديبيه سهم خيبر فلما حضرته الوفاه قال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجني فلانه ولم افرض لها
صداقا ولم اعطها شيا واني اشهدكم اني قد اعطيتها
من صداقها سهمي بخيبر واخذت سهمها فباعته بمايه
الف وقد اجمع العلما على ان لا تحديد في اكثر الصداق
لقوله تعالى واتيتم احداهن قنطارا واختلفوا في اقله
وسياتي عند قوله ان تبتغوا باموالكم ومضى القول في تحديد
القنطار في ال عمران وقرا ابن محيصن واتيتم احداهن
بوصل الف احداهن وهي لغه ومنه قول الشاعر
وتسمع من تحت العجاج لها ازملا وقول الاخر ان لم
اقاتل فالبسوني برقعا قوله تعالى فلا تاخذوا
منه شيا قال بكر بن عبد الله المزني لا ياخذ الزوج من المختلعه
شيا لقوله تعالى فلا تاخذوا وجعلها ناسخه لايه البقره وقال
ابن زيد وغيره هي منسوخه بقوله تعالى ولا يحل لكم ان
تاخذوا مما اتيتموهن شيا الايه والصحيح ان هذه الايات
محكمه وليس فيها ناسخ ولا منسوخ وكلها يبني بعضها على بعض
قال الطبري هي محكمه ولا معنى لقول بكر ان اردت هي
العطا فقد جوز النبي صلى الله عليه وسلم لثابت ان ياخذ من
زوجته ما ساق اليها وبهتانا مصدر في موضع الحال
واثما معطوف عليه مبينا من نعته قوله تعالى

وكيف تاخذونه الايه تعليل المنع الاخذ مع الخلوه وقال
بعضهم الافضا اذا بات معها في لحاف واحد جامعها ولم يجامع
حكاه الهروي وهو قول الحلبي وقال الفرا الافضا ان
يخلوا الرجل في المراه ولم يجامعها وقال بن عباس ومجاهد والسدى
وغيرهم الافضا في هذه الايه الجماع قال بن عباس ولكن الله كريم
يكني واصل الافضا في اللغه المخالطه ويقال للشي فضا
قال الشاعر فقلت لها يا عمتا لك ناقتي وتمر فضا في عيبتي
وزبيب ويقال القوم فوضى فضا اي يختلطون لا امير
عليهم وعلى ان معنى افضى خلا وان لم يكن جماع هل يتقرر
المهر بوجود الخلوه ام لا اختلف علما وما في ذلك على اربعه
اقوال يستقر بمجرد الخلوه لا يستقر الا بالوطء يستقر بالخلوه
في بيت هذه التفرقه مرتبه بينها والصحيح استقراره بالخلوه
مطلقا وبه قال ابو حنيفه واصحابه قالوا اذا خلا بها خلوه
صحيحه يجب كمال المهر والعده دخل بها او لم يدخل بها لما رواه
الدارقطني عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من كشف خمار امراه ونظر اليها وجب الصداق وقال
عمر اذا ارخى بابا وارخى سترا فقد وجب الصداق وعليها
العده ولها الميراث وعن علي اذا اغلق بابا وارخى سترا اي
عورته فقد وجب الصداق وقال مالك اذا طال مكثه
معها مثل السنه ونحوها واتفقا على ان لا مسيس وطلبت
المهر كله كان ذلك لها وقال الشافعي لا عده عليها ولها

نصف

نصف المهر وقد مضى في البقرة قوله تعالى
واخذن منكم ميثاقا غليظا فيه ثلاثة اقوال قيل قوله عليه
السلام فاتقوا الله في النسا فانكم اخذتموهن بامانة الله
واستحللتم فروجهن بكلمة الله قاله عكرمة والربيع والثاني
قوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان قاله
الحسن وبن سيرين وقتاده والضحاك والسدي الثالث
عقده النكاح قول الرجل نكحت وملكت عقدة النكاح
قاله مجاهد وبن زيد وقال قوم الميثاق الغليظ الولد
والله اعلم تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من
النسا فيه اربع مسايل قوله تعالى ولا تنكحوا ما
نكح اباوكم يقال كان الناس يتزوجون امراة الاب برضاها
بعد نزول قوله لا يحل لكم ان ترثوا النسا كرها حتى نزلت
الاية ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا فصار حراما في
الاحوال كلها لان النكاح يقع على الجماع والتزوج فان
كان الاب تزوج امراة او وطيها بغير نكاح حرمت على
ابنه على ما ياتي بيانه ان شا الله تعالى قوله تعالى
ما نكح قيل المراد بها النسا وقيل العقد اي نكاح اباوكم
الفاسد المخالف لدين الله اذ الله قد احكم وجه النكاح
وفصل شروطه وهذا اختيار الطبري فمن متعلقة بتنكحوا
وما نكح مصدر قال ولو كان بمعناه ولا تنكحوا النسا
اللاتي نكح اباوكم لوجب ان يكون موضع ما من والتي

على هذا انما وقع على الا ينكحوا مثل نكاح اباىهم الفاحش
والاول اصح ويكون ما بمعنى الذي ومن الدليل عليه
ان الصحابة تلقت الاية على ذلك المعنى ومنه استدل
على منع نكاح الابنا حلايل الابا وقد كان في العرب
قبايل قد اعتادت ان يخلف الرجل امراة ابيه وكانت
هذه السيرة في الانصار لازمة وكانت في قريش مباحة
مع التراضي الا ترى ان عمرو بن امية خلف على امراة ابيه
بعد موته فولدت له مسافرا وابا معيط وكان لها من
ابيه ابو العيص وغيره فكان بنو امية اخوة مسافر وابي
معيط واعمامهما ومن ذلك صفوان بن امية بن خلف
تزوج بعد ابيه امراته فاختة بنت الاسود بن المطلب
بن اسد وكان امية قتل عنها ومن ذلك منظور بن زبان
خلف على مليكة بنت خارجة وكانت تحت ابيه زبان بن سيار
ومن ذلك حصن بن ابي قيس تزوج امراة ابيه كبيشة بنت معن
والاسود بن خلف تزوج امراة ابيه وقال الاشعث بن سوار
توفي ابو قيس وكان من صالحي الانصار فخطب ابنه قيس امراة
ابيه فقالت اني اعدك ولدا ولكني اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
استامره فاتته فاخبرته فانزل الله تعالى هذه الاية وقد كان في
العرب من تزوج ابنته وهو حاجب بن زرارة تمجس وفعل هذه الفعلة
ذكر ذلك النضر بن شميل في كتاب المثالب فنهى الله المومنين عما كان
عليه اباوهم من هذه السيرة قوله تعالى الا ما قد سلف

اي تقدم

اي
تقدم ومضى والسلف من ابايك وذوي قرابتك وهذا استثنا منقطع
اي لكن ما قد سلف فاجتنبوه ودعوه وقيل الا بمعنى بعد اي بعد ما
سلف كما قال لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل الا ما
سلف كقوله وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطا يعني ولا خطا
وقيل في الاية تقديم وتاخير معناه ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من
النسا انه كان فاحشة وسا سبيلا الا ما قد سلف وقيل في
الاية اضمار تقول ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا فانكم ان
فعلتم تعاقبون وتواخذون الا ما قد سلف قوله
تعالى انه كان فاحشة ومقتا وسا سبيلا عقب بالذم البالغ
المتتابع وذلك دليل على انه فعل انتهى من القبح الى الغاية قال
ابو العباس سالت ابن الاعرابي عن نكاح المقت فقال هو ان يتزوج
الرجل امراة ابيه اذا طلقها او مات عنها ويقال لهذا الرجل الضيزن
وقال ابن عرفة كانت العرب اذا تزوج الرجل امراة ابيه فاولدها
قيل للولد المقتي واصل المقت البغض من مقته يمقته مقتا فهو ممقوت
ومقيت فكانت العرب تقول للرجل من امراة ابيه مقيت فسمى
تعالى هذا النكاح مقتا اذ هو ذا مقت يلحق فاعله وقيل المراد
بالاية النهي عن ان يطا الرجل امراة وطيها الابا الا ما سلف من الابا
في الجاهلية من الزنا بالنسا لا على وجه المناكحة فانه جايز لكم زوا
وان يطوا بعقد النكاح وما وطيه اباوكم من الزنا قاله ابن زيد وعليه
فيكون الاستثنا متصلا ويكون اصلا وان الزنا لا يحرم على ما ياتي بيانه
تعالى حرمت عليكم امهاتكم الى قوله غفورا رحيما فيه احدى

جهض

وعشرون مسئله قوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم
الايه اي نكاح امهاتكم ونكاح بناتكم ذكر الله في هذه الايه ما يحل
وما يحرم من النسا فاذكر تحريم حليله الاب فحرم الله سبعا من النسب
وستا من بين رضاع وصهر والحقت السنه المواتر بسابعه وذلك
الجمع بين المراه وعمتها ونص عليه الاجماع وثبتت الروايه عن بن عباس
قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع وتلى هذه الايه وقال
عمرو بن سالم مولى الانصار مثل ذلك وقال السابعه قوله تعالى
والمحصنات فالسبع المحرمات من النسب الامهات والبنات والاخوات
والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت والسبع المحرمات
بالصهر والرضاع الامهات من الرضاعه والاخوات من الرضاعه
وامهات النسا والربايب وحلايل الابنا والجمع بين الاختين والسابعه
ولا تنكحوا ما نكح اباوكم قال الطحاوي وكل هذا من المحكم المتفق عليه
وغير جايز نكاح واحده منهن بالاجماع الا امهات النسا اللواتي لم يدخل
بهن ازواجهن فان جمهور السلف ذهبوا الى ان الام تحرم بالعقد
على الابنه ولا تحرم الابنه الا بالدخول بالام وبهذا قال جميع ايمه الفتوي
بالامصار وقال طايفه من السلف الام والربيبه سوا لا تحرم منهما
واحده الا بالدخول بالاخرى قالوا ومعنى قوله وامهات نسايكم اي
اللاتي دخلتم بهن وربايبكم اللاتي في حجوركم من نسايكم اللاتي دخلتم
بهن وزعموا ان شرط الدخول راجع الى الامهات والربايب جميعا
رواه خلاس عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وروي عن بن عباس
وجابر وزيد بن ثابت وهو قول بن الزبير ومجاهد قال مجاهد الدخول

مراد

مراد في النازلتين وقول الجمهور مخالف لهذا وعليه الحلم والفتيا وقد
شدد اهل العراق فيه حتى قالوا لو وطيها بزنا او قبلها او لامسها بشهوة
حرمت ابنتها وعندنا وعند الشافعي انها تحرم بالنكاح والحرام لا يحرم
الحلال على ما ياتي وحديث خلاس عن علي لا تقوم به حجة ولا تصح
به روايه عند اهل العلم بالحديث والصحيح مثل قول الجماعة وقال
بن جريج قلت لعطا الرجل ينكح المراة ثم لا يراها ولا يجامعها حتى
يطلقها اتحل له امها قال لا هي مرسلة دخل بها او لم يدخل فقلت له
اكان بن عباس يقرا وامهات نسايكم اللاتي دخلتم بهن قال لا لا وروى
سعيد عن قتاده عن عكرمه عن بن عباس في قوله وامهات نسايكم
قال هي مبهمة لا تحل العقد على الابنة وكذلك روى ملك في موطيه عن زيد
بن ثابت وفيه فقال زيد لا الام مبهمة وانما الشرط في الربايب قال
بن المنذر وهذا هو الصحيح لدخول امهات جميع النسا في قوله وامهات
نسايكم ويويد هذا القول من جهة الاعراب ان الخبرين اذا اختلفا
في العامل لم يكن نعتهما واحدا لا يجوز عند النحويين مررت بنسايك
وهربت من نسا زيد الظريفات على ان تكون الظريفات نعتا لنسايك
ونسا زيد فكذلك الايه لا يجوز ان يكون اللاتي من نعتيهما جميعا لان
الخبرين مختلفا ولكنه يجوز على معنى اعني   وانشد الخليل وسيبويه
انها اثك او ردا ماجورين شعار الها ماجورين بمعنى لصن بمعنى
اعني وشعفا ان يكسر ان يوقفت راسه لسرته وقد جاء صحيحا من حديث
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا نكح
الرجل المراة فلا يحل له ان يتزوج امها دخل بالابنة او لم يدخل واذا

تزوج الام فلم يدخل بها ثم طلقها فان شا تزوج البنت اخرجه في الصحيحين
واذا تقرر هذا وثبت فاعلم ان التحريم ليس صفة للاعيان
والاعيان ليست موردا للتحليل والتحريم ولا مصدرا وانما يتعلق التكليف
بالامر والنهي بافعال المكلفين من حركة وسكون لكن الاعيان لما كانت
موردا للافعال اضيف الامر والنهي والحكم اليها وعلق بها مجازا على
معنى الكناية بالمحل عن الفعل الذي يحل به قوله تعالى امهاتكم
تحريم الامهات عام في كل حال لا يتخصص بوجه من الوجوه ولهذا تسميه
اهل العلم المبهم اي لا باب فيه ولا طريق اليه لانسداد التحريم وقوته
وكذلك تحريم البنات والاخوات ومن ذكر من المحرمات والامهات
جمع امهة يقال ام وامهة بمعنى واحد وجا القران بهما وقد تقدم
في الفاتحة بيانه وقيل ان اصل ام امهة على وزن فعلة مثل قبرة
وحمرة لطيرين فسقطت وعادت في الجمع قال الشاعر امهتي
خندف والدوس ابي وقيل اصل الام امة وانشدوا
تقبلها عن امة لها ما ينوب اليها في النوايب اجمعا ويكون امات قال
الراعي كانت بجانب منذر ومحرق امانهن وطرفهن فحيلا فالام
اسم لكل انثى لها عليك ولادة فيدخل في ذلك الام دنية وامهاتها وجداتها
وام الاب وجداته وان علون والبنت اسم لكل انثى لك عليها ولادة او
شئت قلت كل انثى يرجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او درجات
فيدخل في ذلك بنت الصلب وبناتها وبنات الابناء وان نزلن
والاخت اسم لكل انثى جاورتك في اصليك او في احدهما والبنات
جمع بنت والاصل بنية والمستعمل ابنة وبنت قال الفرا كسرت

والدوس ابي ح

ام م

البا من بنت لتدل الكسرة على اليا وضمت الالف من اخت لتدل على حذف
الواو فان اصل اخت اخوه والجمع اخوات والعمة اسم لكل انثى شاركت
اباك اوجدك في اصليه او احدها وان شئت قلت كل انثى رجع نسبه اليك
فاخته عمتك وقد تكون العمه من جهة الام وهي اخت اب امك والخاله
اسم لكل انثى شاركت امك في اصليها او في احدها وان شئت قلت
كل انثى رجع نسبها اليك بالولاده فاختها خالتك وقد تكون الخاله
من جهة الاب وهي اخت ام ابيك وبنت الاخ اسم لكل انثى لاخيك
عليها ولاده بواسطه او مباشره وكذلك بنت الاخت فهذا
السبع المحرمات من النسب وقرا نافع في روايه ابي بكر بن ابي اويس
بتشديد الخا من الخالاخ اذا كانت فيه الالف واللام مع ثقل
الحركه قوله تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم وهي في التحريم
مثل من ذكرنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما
يحرم من النسب وقرا عبد الله وامهاتكم اللاتي بغير يا كقوله واللاي
يئسن من المحيض قال الشاعر من اللاي لم يحججن يبغين حسبه
ولكن ليقتلن البري المغفلا ارضعنكم فاذا ارضعت المراه طفلا حرمت
عليه لانها امه وبنتها لانها اخته واختها لانها خالته وامها لانها جدته
وبنات بنتها وبناتها لانهن بنات اخوته واخواته قال ابو
نعيم عبد الله بن هشام الحلبي سئل مالك عن المراة يحج معها اخوها من
الرضاعه قال نعم قال ابو نعيم وسال مالك عن امراه تزوجت فدخل
بها زوجها ثم جات امراة فزعمت انها ارضعتهما قال يفرق بينهما وما اخذ
من شي فهو لها وما بقي عليه فلا شي عليه ثم قال مالك ان النبي صلى الله عليه

وسلم سيل عن مثل هذا فامر بذلك فقالوا يا رسول الله انها امراة ضعيفه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اليس يقال فلانا تزوج اخته ٥ ٥
التحريم بالرضاع انما يحصل اذا اتفق الارضاع
في الحولين كما تقدم في البقره ولا فرق بين قليل الرضاع وكثيره عندنا اذا
وصل الامعا ولو مصة واحده واعتبر الشافعي في الرضاع شرطين احدهما
خمس رضعات لحديث عايشه قالت كان فيما انزل الله عشر رضعات
معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات وتوفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهن مما يقرا من القران موضع الدليل منه انها اثبتت ان العشر
نسخن بخمس فلو تعلق التحريم بما دون الخمس لكان ذلك نسخا للخمس ولا يقبل
على هذا خبر واحد ولا قياس لانه لا ينسخ بهما وفي حديث سهلة ارضعيه
خمس رضعات يحرم بهن الشرط الثاني ان يكون في الحولين فان كان
خارجا عنهما لم يحرم لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعه
وليس بعد التمام والكمال شي واعتبر ابو حنيفه بعد الحولين ستة اشهر
ومالك الشهر ونحوه وقال زفر ما دام يجتزي باللبن ولم يفطم فهو
رضاع وان اتى عليه ثلاث سنين وقال الاوزاعي اذا فطم لسنه
واستمر فطامه فليس بعده فطام رضاع وانفرد الليث بن سعد من
بين العلما الى ان رضاع الكبير يوجب التحريم وهو قول عايشه وروي عن ابي
موسى وروي عنه ما يدل على رجوعه عن ذلك وهو ما رواه ابو حصين
عن ابي عطيه قال قدم رجل بامراته من المدينه فوضعت وتورم
ثديها فجعل يمجه ويصبه فدخل في بطنه جرعة منه فسال ابا موسى
فقال بانت منك وات ابن مسعود فاخبره ففعل فاقبل بالاعرابي

الى

ابي الاشعري وقال ارضيعا ترى هذا الاشمط انما يحرم من الرضاع
ما ينبت اللحم والعظم فقال الاشعري لا تسالوني عن شي وهذا الحبر
بين اظهركم فقوله لا تسالوني عن شي يدل على انه رجع عن ذلك واحتجت
عايشه بقصه سالم مولى ابي حذيفه وانه كان رجلا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لسهله بنت سهيل ارضعيه خرجه الموطا وغيره وشذت
طايفه فاعتبرت عشر رضعات تمسكا بما انزل عشر رضعات
وكانهم لم يبلغهم الناسخ وقال داود لا يحرم الا ثلاث رضعات
واحتج بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحرم الاملاجه ولا الا ملاجتان
خرجه مسلم وهو مروي عن عايشه وابن الزبير وبه قال احمد واسحق وابو
ثور وابو عبيد وهو تمسك بدليل الخطاب وهو مختلف فيه ٥
وذهب من عدا هولا من ايمه الفتوى الى ان الرضعه الواحده تحرم
اذا تحققت كما ذكرنا متمسكين باقل ما ينطلق عليه اسم الرضاع وعضد
هذا بما وجد من العمل عليه بالمدينه وبالقياس على الصهر بعله انه
بمعنى طاري يقتضي تابيد التحريم فلا يشترط فيه العدد كالصهر
وقال الليث بن سعد اجمع المسلمين ان قليل الرضاع وكثيره
يحرم في المهد ما يفطر الصايم قال ابو عمر لم يقف الليث على الخلاف
في ذلك قال الشيخ المولف رحمه الله وانص ما في هذا الباب قوله
صلى الله عليه وسلم لا تحرم المصة ولا المصتان اخرجه مسلم في
صحيحه وهو يفسر معنى قوله تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم
اي ارضعنكم ثلاث رضعات فاكثر غير انه يمكن ان يحمل على ما
اذا لم يتحقق وصوله الى جوف الرضيع لقوله عشر رضعات معلومات

وخمس معلومات فوصفها بالمعلومات انما هو تحرز مما يوشك في
وصوله الى الجوف ويفيد دليل خطابه ان الرضعات اذا كانت
غير معلومات لم تحرم والله اعلم   وذكر الطحاوي ان حديث
الاملاجة والاملاجتين لا يثبت لانه مرة يرويه ابن الزبير عن النبي
صلى الله عليه وسلم ومرة يرويه عن عايشة ومرة يرويه عن ابيه ومثل
هذا الاضطراب يسقطه   وروي عن عايشة انه لا يحرم الا سبع رضعات
وروي عنها انها امرت اختها ام كلثوم ان ترضع سالم بن عبد الله عشر
رضعات   وروي عن حفصة مثله وروي عنها ثلاث وروي
عنها خمس قال الشافعي وحكي عن اسحق   قوله تعالى
وامهاتكم اللاتي ارضعنكم استدل به من نفى لبن الفحل وهو سعيد
بن المسيب وابراهيم النخعي وابو سلمة بن عبد الرحمن وقالوا لبن
الفحل لا يحرم شيا من قبل الرجال   وقال الجمهور قوله تعالى
وامهاتكم اللاتي ارضعنكم يدل على ان الفحل اب لان اللبن منسوب
اليه فانه در بسبب ولده وهذا ضعيف فان الولد خلق من ما الرجل
والمراة جميعا واللبن للمراة ولم يخرج من الرجل الا وطي وهو سبب
لنزول الما منه واذا فصل الولد خلق الله اللبن من غير ان يكون مضافا
الى الرجل بغير وجه ما ولذلك لم يكن للرجل حق في اللبن وانما اللبن
لها فلا يمكن اخذ ذلك من القياس على الما وقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب يقتضي التحريم من الرضاع ولا
يظهر وجه نسبة الرضاع الى الرجل مثل ظهور نسبة الما اليه والرضاع
منها الاصل فيه حديث الزهري وهشام بن عروة عن عروة عن عايشة

رضي الله عنها

رضي الله عنها ان افلح اخا ابي العقيس جا يستاذن عليها وهو عمها من
الرضاعه بعد ان نزل الحجاب قالت فابيت ان اذن له فلما جا النبي
صلى الله عليه وسلم اخبرته ليلج عليك فانه عمك تربت يمينك
وقال ابو العقيس زوج المراة التي ارضعت عايشه وهذا ايضا
خبر واحد ويحتمل ان يكون افلح مع ابي بكر رضيعي لبان فلذلك
قال ليلج عليك فانه عمك وبالجمله فالقول فيه مشكل والعلم
عند الله ولكن العمل عليه والاحتياط في التحريم اولا مع ان قوله
تعالى واحل لكم ما ورا ذلكم يقوي قول المخالفه
قوله
تعالى واخواتكم من الرضاعه وهي الاخت لاب وام وهي التي
ارضعتها امك بلبن ابيك سوا ارضعتها معك او ولد قبلك او
بعدك والاخت من الاب دون الام وهي التي ارضعتها زوجه
ابيك والاخت من الام دون الاب وهي التي ارضعتها امك
بلبن رجل اخر ثم ذكر التحريم بالمصاهره فقال وامهات نسايكم ٥
والصهر اربع ام المراة وابنتها وزوجه الاب وزوجه الابن
فام المراة تحرم بمجرد العقد الصحيح على ابنتها على ما تقدم
قوله تعالى وربايبكم اللاتي في حجوركم من نسايكم
اللاتي دخلتم بهن هذا مستقل بنفسه ولا يرجع قوله من نسايكم اللا
دخلتم بهن الى الفريق الاول بل هو راجع الى الربايب اذ هو اقرب
مذكور كما تقدم والربيبه بنت امراه الرجل من غيره سميت بذلك
لانه يربيها في حجره فهي مربوبه فعليه بمعنى مفعوله واتفق الفقها
على ان الربيبه تحرم على زوج امها اذا دخل بالام وان لم تكن الربيبه

نى

في حجره وشذ بعض المتقدمين واهل الظاهر فقالوا لا تحرم عليه
الا ان يكون في حجر المتزوج فلو كانت في بلد اخر ففارق الام بعد الدخول
فله ان يتزوج بها واحتجوا بالاية قالوا حرم الله الربيبة بشرطين احدهما
ان يكون في حجر المتزوج بامها والثاني الدخول بالام فاذا عدم احد
الشرطين لم يوجد التحريم واحتجوا بقوله عليه السلام لو لم تكن
ربيبتي في حجري ما حلت انها ابنة اخي من الرضاعة فشرط الحجر وروي
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه اجازة ذلك قال ابن المنذر والطحاوي
اما الحديث عن علي فلا يثبت لان راويه ابرهيم بن عبيد عن ملك
بن اوس عن علي وابراهيم هذا لا يعرف واكثر اهل العلم قد تلقوه
بالدفع والخلاف قال ابو عبيد ويدفعه قوله فلا تعرضن علي
بناتكن ولا اخواتكن فعم ولم يقل اللاتي في حجري ولكنه سوى
بينهن بالتحريم قال الطحاوي واضافتهن الى الحجور انما ذلك على
الاغلب مما يكون عليه الربايب لا انهن يحرمن اذا لم يكن كذلك
قوله تعالى فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا ح
عليكم يعني في نكاح بناتهن اذا طلقتموهن او متن عنكم واجمع العلما
على ان الرجل اذا تزوج المراه ثم طلقها او ماتت قبل ان يدخل بها
حل له نكاح ابنتها واختلفوا في معنى الدخول بالامهات الذى
يقع به تحريم الربايب فروى عن ابن عباس انه قال الدخول
الجماع وهو قول طاوس وعمرو بن دينار وغيرهما واتفق ملك والثوري
وابو حنيفة والاوزاعي والليث انه اذا مسكها لشهوة حرمت
عليه امها وابنتها وحرمت على الاب والابن وهو احد قولي

الشافعي

الشافعي واختلفوا في النظر فقال مالك اذا نظر الى شعرها او صدرها
او شي من محاسنها للذة حرمت عليه امها وابنتها وقال الكوفيون
اذا نظر الى فرجها متعمدا او باسها ولم يذكر الشهوة وقال
بن ابي ليلى لا تحرم بالنظر حتى يلمس وهو قول الشافعي والدليل
على ان بالنظر يقع التحريم ان فيه نوع استمتاع فجرى مجرى
النكاح اذ الاحكام تتعلق بالمعاني لا بالالفاظ وقد يحتمل
ان يقال انه نوع من الاجتماع بالاستمتاع فان النظر
اجتماع ولقا وفيه بين المحبين استمتاع وقد بالغ في ذلك
الشعرا فقالوا اليس الليل يجمع ام عمرو وايانا
فذاك بنا تداني نعم وترى الهلال كما اراه ويعلوها
النهار كما علاني فكيف بالنظر والمجالسة واللذة

قوله تعالى وحلايل ابنايكم الحلايل جمع حليله
وهي الزوجة سميت بذلك لانها تحل مع الزوج حيث حل
فهي فعيله بمعنى فاعله وذهب الزجاج وقوم الى انها
من لفظ الحلال فهي حليله بمعنى محلله وقيل لان كل واحد
منهما يحل ازار صاحبه اجمع العلما على
تحريم ما عقد عليه الابا على الابنا وما عقد عليه الابنا
على الابا كان مع العقد وطي او لم يكن لقوله تعالى ولا تنكحوا
ما نكح اباوكم وقوله وحلايل ابنايكم فان نكح احدهما نكاحا فاسدا
حرم على الاخر العقد عليها كما يحرم بالصحيح لان النكاح
الفاسد لا يخلوا ان يكون متفقا على فساده او مختلفا فيه

بانه كان متفقا على افساده لم يوجب حكما وكان وجوده كعدمه وان كان مختلفا فيه فيتعلق به من الحرمه ما يتعلق بالصحيح لاحتماله ان يكون نكاحا فيدخل تحت مطلق اللفظ والفروج اذا تعارض فيها التحليل والتحريم غلب التحريم والله اعلم قال ابن المنذر اجمع كل من يحفظ عنه من علما الامصار على ان الرجل اذا وطى امراه بنكاح فاسد انها تحرم على ابيه وابنه وعلى اجداده وولد ولده واجمع العلما على ان عقد الجاريه لا يحرمها على ابيه وابنه فاذا اشترى رجل جاريه فلمس او قبل حرمت على ابيه وابنه لا اعلمهم يختلفون فيه فوجب تحريم ذلك تسليما لهم ولما اختلفوا في تحريمها بالنظر دون اللمس لم يجز ذلك لاختلافهم قال ابن المنذر ولا يصح عند احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما قلناه وقال يعقوب ومحمد اذا نظر رجل في فرج امراه من شهوه حرمت على ابيه وابنه وتحرم عليه امها وابنتها وقال مالك اذا وطى الامه او قعد منها مقعدا لذلك وان لم يفض اليها او قبلها او باشرها او غمزها تلذذا فلا تحل لابنه وقال الشافعي انها تحرم باللمس ولا تحرم بالنظر دون اللمس وهو قول الاوزاعي واختلفوا في الوطي بالزنا هل يحرم ام لا فقال اكثر اهل العلم لو اصاب رجل امراه بزنا لم يحرم عليه نكاحها بذلك وكذلك لا تحرم

عليه

عليه امراته اذا زنا بامها او بابنتها وحسبه ان يقام عليه
الحد ثم يدخل بامراته ومن زنا بامراه ثم اراد نكاح امها او
ابنتها لم يحرما عليه بذلك وقالت طايفه تحرم عليه روى هذا القول
عن عمران بن حصين وبه قال الشعبي وعطا والحسن وسفين الثوري
واحمد واسحق واصحاب الراي وروى عن ملك وان الزنا يحرم الام
والابنه وانه بمنزله الحلال وهو قول اهل العراق والصحيح من
قول ملك واهل الحجاز ان الزنا لا حكم له لان الله سبحانه قال وامهات
نسايكم وليست التي زنا بها امهات من نسايه ولا ابنتها من ربايبه
وهو قول الشافعي وابي ثور لانه لما ارتفع الصداق في الزنا ووجوب
العده والميراث ولحوق الولد ووجب الحد ارتفع ان يحكم له بحكم النكاح
الجايز وروى الدارقطني من حديث الزهري عن عروه عن عايشه
قالت سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل زنا بامراه فاراد
ان يتزوجها او ابنتها قال لا يحرم الحرام الحلال انما يحرم ما كان
بنكاح ومن الحجه للقول الاخر اخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن
جريج وقوله يا غلام من ابوك قال فلان الراعي فهذا يدل على ان
الزنا يحرم كما يحرم الوطي الحلال فلا تحل ام المزني بها ولا بناتها لابا
الزاني ولا لاولاده وهي روايه ابن القاسم في المدينه ويستدل به ايضا
على ان المخلوقه من ما الزاني لا تحل للزاني ان يتزوج بامها وهو المشهور
وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل نظر الى فرج امراه وابنتها
ولم يفصل بين الحلال والحرام وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله
الى من كشف قناع امراه وابنتها قال ابن خويز منداد ولهذا قلنا ان

القبله وساير وجوه الاستمتاع تنشر الحرمه وقال عبد الملك بن
الماجشون انها تحل وهو الصحيح لقوله تعالى وهو الذى خلق من الما بشرا
فجعله نسبا وصهرا يعنى بالنكاح الصحيح على ما ياتى فى الفرقان بيانه ووجه
التمسك من الحديث على تلك المسلتين ان النبى صلى الله عليه وسلم قد حكى
عن جريج انه نسب ابن الزنا للزانى وصدق الله نسبه بما خرق له من
العادة فى نطق الصبى بالشهادة له بذلك واخبر بها النبى صلى الله عليه
وسلم عن جريج فى معرض المدح واظهار كرامته فكانت تلك النسبه
صحيحه بتصديق الله تعالى وباخبار النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فثبتت البنوة واحكامها فان قيل فيلزم على هذا ان تجرى احكام
البنوه والابوة من التوارث والولايات وغير ذلك وقد اتفق
المسلمون على انه لا توارث بينهما فلا تصح تلك النسبه فالجواب
ان ذلك موجب ما ذكرناه وما انعقد عليه الاجماع من الاحكام
استثنيناه وبقى الباقى على اصل ذلك الدليل والله اعلم
واختلف العلما ايضا من هذا الباب فى مسله اللايط
فقال ملك والشافعى وابو حنيفه واصحابهم لا يحرم النكاح باللواط
وقال الثورى اذا لعب بالصبى حرمت عليه امه وهو قول احمد بن
حنبل قال اذا تلوط بابن امراة او ابيها او اخيها حرمت عليه امراته
وقال الاوزاعى اذا لاط بغلام وولد للمفجور به بنت لم يجز للفاجر
ان يتزوجها لانها بنت من قد دخل به وهو قول احمد بن حنبل
قوله تعالى الذين من اصلابكم تخصيص ليخرج عنه كل من
كانت العرب تتبناه ممن ليس للصلب ولما تزوج النبى صلى الله عليه
وسلم

وسلم امراه زيد بن حارثه قال المشركون تزوج امراه ابنه وكان صلى الله عليه وسلم يتبناه على ما ياتى بيانه فى الاحزاب وحرمت حليله الابن من الرضاع وان لم للصلب بالاجماع المستند الى قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب قوله تعالى

وان تجمعوا بين الاختين موضع ان رفع على العطف على حرمت عليكم امهاتكم والاخات لفظ يعم الجميع بنكاح وبملك يمين واجمعت الامه على منع جمعهما فى عقد واحد من النكاح لهذه الاية وقوله صلى الله عليه وسلم لا تعرضن على بناتكن ولا اخواتكن واختلفوا فى الاختين بملك اليمين فذهب كافه العلما الى انه لا يجوز الجمع بينهما بالملك فى الوطى وان كان يجوز الجمع بينهما فى الملك باجماع وكذلك المراه وابنتها صفقه واحده واختلفوا فى عقد النكاح على اخت الجاريه التى يطاها فقال الاوزاعى اذا وطى جاريه له بملك اليمين لم يجز له ان يتزوج اختها وقال الشافعى ملك اليمين لا يمنع نكاح الاخت قال ابو عمر من جعل عقد النكاح كالشرا اجازه ومن جعله كالوطى لم يجزه وقد اجمعوا على انه لا يجوز العقد على اخت الزوجه لقوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين يعنى الزوجتين بعقد النكاح فقف على ما اجمعوا عليه وما اختلفوا فيه يتبين لك الصواب ان شا الله تعالى

شذ اهل الظاهر فقالوا يجوز الجمع بين الاختين بملك اليمين فى الوطى كما يجوز الجمع بينهما فى الملك واحتجوا بما روى عن عثمان فى الاختين من ملك اليمين حرمتهما ايه واحلتهما ايه ذكره عبد الرزاق اخبرنا معمر عن الزهرى عن قبيصه بن ذويب ان عثمان بن

عفان سيل عن الاختين مما ملكت اليمين فقال لا امرك ولا انهاك احلتهما
ايه وحرمتهما ايه فخرج السايل فلقي رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم قال معمر احسبه قال على قال ما سالت عنه عثمان فاخبره بما ساله
وبما افتاه فقال له لكني انهاك ولو كان لي عليك سبيل ثم فعلت لجعلتك
نكالا وذكر الطحاوي والدارقطني عن علي وبن عباس مثل قول عثمان
والايه التي احلتهما قوله واحل لكم ما وراء ذلكم ولم يلتفت احد من ايمه
الفتوى الي هذا القول لانهم فهموا من تاويل كتاب الله خلافه ولا يجوز
عليهم تحريف التاويل وممن قال ذلك من الصحابه عمر وعلي وبن مسعود
وبن عباس وعمار وبن عمر وعايشه وبن الزبير وهولا اهل العلم بكتاب
الله فمن خالفهم فهو متعسف في التاويل وذكر بن المنذر ان اسحق
بن راهويه حرم الجمع بينهما بالوطي وان جمهور اهل العلم كرهوا ذلك
وجعلوا مالكا ممن كرهه ولا خلاف في جواز جمعهما في الملك وكذلك
الام وبنتها قال بن عطيه وحكى من قول اسحق ان يرجم الجامع بينهما
بالوطي وتستقرا الكراهيه من قول مالك انه اذا وطي واحده ثم
وطي وقف عنهما حتى يحرم احداهما فلم يلزمه حدا قال ابو عمر
يقول علي لجعلته نكالا ولم يقل لحددته حد الزاني فلان من
تاول ايه او سنه ولم يطا عند نفسه حراما فليس باجماع وان
كان مخطيا الا ان يدعي من ذلك ما لا يعذر بجهله وقول بعض السلف
في الجمع بين الاختين بملك اليمين احلتهما ايه وحرمتهما ايه معلوم
محفوظ فكيف يحد الزاني من فعل ما فيه مثل هذا من الشبهه
القويه وبالله التوفيق واختلف العلما اذا كان

بيطا

يطا واحده ثم اراد ان يطا الاخرى لعال علي وبن عمر والحسن البصري
والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق لا يجوز له وطي الثانيه حتى يحرم
فرج الاخرى باخراجها من ملكه ببيع او عتق او بان يزوجها قال
بن المنذر وفيه قول ثان لقتاده وهو انه اذا كان يطا واحده واراد د
وطي الاخرى فانه ينوي تحريم الاولى على نفسه والا يقربها ثم يمسك
عنهما حتى يستبرى الاولى المحرمه ثم يغشى الثانيه وفيه قول
ثالث وهو اذا كان عنده اختان فلا يقرب واحده منهما هكذا قال
الحكم وحماد وروي معنى ذلك عن النخعي ومذهب ملك اذا كان
اختان عند رجل بملك فله ان يطا ايتهما شا والكف عن الاخرى
موكول الى امانته فان اراد وطي الاخرى فيلزمه ان يحرم على
نفسه فرج الاولى بفعل يفعله من اخراج عن الملك اما بتزويج او
ببيع او عتق الى اجل او كتابه واخدام طويل فان كان يطا احداهما ثم
وثب على الاخرى دون ان يحرم الاولى وقف عنهما ولم يجز له قرب
احداهما حتى يحرم الاخرى ولم يكل ذلك الى امانته لانه متهم فيمن
قد وطي ولم يكن قبل منهما اذا كان لم يطا الا الواحده ومذهب
الكوفيين في هذا الباب الثوري وابو حنيفه واصحابه ان وطي احدى
امتيه لم يطا الاخرى فان باع الاولى او زوجها ثم رجعت اليه امسك
عن الاخرى وله ان يطاها ما دامت اختها في العده من طلاق او وفاه
فاما بعد انقضا العده فلا حتى يملك فرج التي يطا غيره وروي معنى
ذلك عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قالوا لان الملك الذي منع وطي
الزوجه في الابتدا موجود فلا فرق بين عودها اليه وبين بقايها في

ل

ملكه وقول مالك حسن لانه تحريم صحيح في الحال ولا يلزم مراعاة المآل
وحسبه اذا حرم فرجها عليه ببيع او تزويج انها حرمت عليه في الحال فلم
يختلفوا الى العقو لانه لا ينصرف فيه قال واما الصحابه فقد يعجز فترجع
الى ملكه فان كان عند رجل امه يطاها ثم تزوج اختها ففيها في المذهب ثلاثه
اقوال في النكاح الثالث من المدونه انه يوقف عنهما اذا وقع عقد
النكاح حتى يحرم احداهما مع كراهيه لهذا النكاح اذ هو عقد في
موضع لا يجوز فيه الوطي وفي هذا ما يدل على ان ملك اليمين لا يمنع
النكاح كما تقدم عن الشافعي وفي الباب بعينه قول اخر ان النكاح لا
ينعقد وهو معنى قول الاوزاعي وفي الباب قال اشهب في كتاب
الاستبرا عقد النكاح في الواحده تحريم لفرج المملوكه

واجمع العلما على ان الرجل اذا طلق زوجته طلاقا يملك رجعتها
انه ليس له ان ينكح اختها او اربعا سواها حتى تنقضي عده المطلقه واختلفوا
اذا طلقها طلاقا لا يملك رجعتها فقالت طايفه ليس له ان ينكح اختها
ولا اربع حتى تنقضي عده التي طلق وروي عن علي وزيد بن ثابت وهو
مذهب مجاهد وعطا بن ابي رباح والنخعي وسفين الثوري واحمد
حنبل واصحاب الراي وقالت طايفه له ان ينكح اختها واربعا سواها
وروي عن عطا وهي اثبت الروايتين عنه وروي عن زيد بن ثابت
ايضا وبه قال سعيد بن المسيب والحسن والقاسم وعروه بن الزبير
وبن ابي ليلى والشافعي وابو ثور وابي عبيد قال بن المنذر ولا احسبه
الا قول مالك وبه نقول قوله تعالى الا ما
قد سلف يحتمل ان يكون معناه معنى قوله الا ما قد سلف في قوله ولا

تنكحوا

تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا الا ما قد سلف وانه اذا جرى الجمع في
الجاهليه كان النكاح صحيحا واذا جرى في الاسلام خير بين الاختين
على ما قاله ملك والشافعي من غير اجرا عقود الكفار على موجب الاسلام
ومقتضى الشرع وسوا عقد عليهما عقدا واحدا جمع به بينهما في
عقدين وابو حنيفه يبطل نكاحهما ان جمع في عقد واحد وروي
هشام بن عبد الله عن محمد بن الحسن انه قال اذا كان اهل الجاهليه يعرفون
هذه المحرمات كلها التي ذكر في هذه الايه الا اثنتين احداهما نكاح امراه
الاب والثاني الجمع بين الاختين الا تري انه قال ولا تنكحوا ما نكح اباو
من النسا الا ما قد سلف وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف والله
اعلم تعالى والمحصنات عطف على المحرمات المذكورات قيل
والمحصن التمنع ومنه الحصن لانه يمتنع فيه ومنه قوله تعالى
وعلمناه صنعه لبوس لكم ليحصنكم من باسكم اي ليمنعكم ومنه
للفرس حصن بكسر الحا لانه يمنع صاحبه من الهلاك والحصان بفتح الحا
المراه العفيفه لمنعها نفسها من الهلاك وحصنت المراه تحصن فهي
مثل جبنت فهي جبان وقال حسان في عايشه رضي الله عنها
حصان رزان ماتزن بريبه وتصبح غرثى من لحوم الغوافل والمصدر
الحصانه بفتح الحا والحصن كالعلم فالمراد بالمحصنات هنا ذوات
الازواج يقال امراه محصنه اي متزوجه ومحصنه اي الحره ومنه
المحصنات من المومنات من الذين اوتوا الكتاب ومحصنه اي
عفيفه قال الله تعالى محصنات غير مسافحات وقال محصنين
غير مسافحين ومحصنه وحصان اي عفيفه اي ممتنعه من

الفسق والحريه تمنع الحر مما يتعاطاه العبيد قال الله تعالى والذين
يرمون المحصنات اي الحراير وكان عرف الاما في الجاهليه الزنا الا
ترى الى قول هند بنت عتبه للنبي صلى الله عليه وسلم حين بايعته
وهل يزني الحر والزوج ايضا يمنع زوجه من تزوج غيره فبناء
ص ن معناه المنع كما بينا ويستعمل الاحصان في الاسلام
لانه حافظ ومانع ولم يرد في الكتاب وورد في السنه ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم الايمان قيد الفتك ومنه قول الهذلي
فليس كعهد الدار يام مالك ولكن احاطت بالرقاب السلاسل
وقال الشاعر قالت هلم الى الحديث فقلت لا يابي عليك الله
والاسلام ومنه قول سحيم كفا الشيب والاسلام للمرء
ناهيا اذا ثبت هذا فقد اختلف العلما في تاويل هذه
الايه فقال بن عباس وابو قلابه وبن زيد ومكحول والزهري
وابو سعيد الخدري المراد بالمحصنات هنا المسبيات ذوات
الازواج خاصه اي هن محرمات الا ما ملكت اليمين بالسبا من
ارض الحرب فان تلك حلال للذي تقع في سهمه وان كان لها زوج وهو
قول الشافعي في ان السبا يقطع العصمة وقاله بن وهب وبن عبد الحكم
ورواياه عن مالك وقال به اشهب يدل عليه ما رواه مسلم في
صحيحه عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
حنين بعث جيشا الى اوطاس فلقوا العدو فقاتلوهم فظهروا عليهم
واصابوا لهم سبايا فكان ناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
تحرجوا من غشيانهم من اجل ازواجهن من المشركين فانزل الله عز

وجل

ل

وجل في ذلك والمحصنات من النسا الا ما ملكت ايمانكم اي فهن لكم حلال
اذا انقضت عدتهن وهذا نص صريح صحيح في ان الاية نزلت بسبب
تحرج اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن وطي المسبيات ذوات الازواج
فانزل الله في جوابهم الا ما ملكت ايمانكم وبه قال مالك وابو حنيفة
واصحابه والشافعي واحمد واسحاق وابو ثور وهو الصحيح ان شا الله
تعالى واختلفوا في استبرايها بماذا يكون فقال الحسن كان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يستبرون المسبية وقد روي ذلك
من حديث ابي سعيد الخدري في سبايا اوطاس لا توطا حامل حتى
تضع ولا حايل حتى تحيض ولم يجعل لفراش الزوج السابق اثرا حتى
يقال ان المسبية مملوكة ولكنها كانت زوجة زال نكاحها فتعتد
عدة الاما على نقل عن الحسن بن صالح قال عليها العدة حيضتان
اذا كان لها زوج في دار الحرب وكافة العلما او استبراها وان
التي لا زوج لها واحدا في ان الجميع بحيضة واحدة والمشهور من
مذهب مالك انه لا فرق بين ان يسبى الزوجان مجتمعين او مفترقين
وروي عنه بن بكير انهما اسبيا جميعا واسبي الرجل اقرا على نكاحهم
اي في هذه الرواية ان استبقاه ايما لما يملكه لانه قد صار له عبد
وزوجه من جملة ما يملكه فلا يحال بينه وبينها وهو قول ابي حنيفة
والثوري وبه قال بن القاسم ورواه عن مالك والصحيح الاول
لما ذكرنا ولان الله تعالى قال الا ما ملكت ايمانكم فاحال على ملك
اليمين وجعله هو المؤثر فيتعلق من حيث العموم والتعليل جميعا
الا ما خصه الدليل وفي الاية قول ثان قاله عبد الله بن مسعود

وسعيد بن المسيب والحسن بن ابي الحسن وابي بن كعب وجابر بن
عبد الله وبن عباس في روايه عكرمه ان المراه بالايه ذوات الازواج
اي هن حرام الا ان يشتري الرجل الامه ذات الزوج فان بيعها
طلاقها والصدقه بها طلاقها وان يورث طلاقها وبطلق الزوج
طلاقها قال بن مسعود اذا بيعت الامه ولها زوج فالمشتري
احق ببضعها وكذلك المسبيه كل ذلك موجب للفرقه بينها وبين
زوجها قالوا واذا كان كذلك فلا بد ان يكون بيع الامه طلاقا
لها لان الفرج محرم على اثنين في حال واحده باجماع من المسلمين
قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا يرده حديث بريره لان عايشه
رضي الله عنها اشترت بريره واعتقتها ثم خيرها النبي صلى الله عليه
وسلم وكانت ذات زوج وفي اجماعهم على ان بريره قد خيرت تحت
زوجها مغيث بعد ان اشترتها عايشه فاعتقتها دليل على ان بيع الامه
ليس طلاقا وعلى ذلك الجماعه فقها الامصار من اهل الراي والحديث
وان لا طلاق لها الا الطلاق وقد احتج بعضهم بعموم قوله الا ما
ملكت ايمانكم وقياسا على المسبيات وما ذكرناه من حديث بريره
يخصه ويرده وان ذلك انما هو خاص بالمسبيات على حديث
ابي سعيد وهو الصواب والحمد لله وفي الايه قول ثالث
روي الترمذي عن مجاهد عن ابراهيم قال بن مسعود في قوله تعالى
والمحصنات من النسا الا ما ملكت ايمانكم قال ذوات الازواج
من المسلمين والمشركين وقال علي بن ابي طالب ذوات الازواج من
المشركين وفي الموطا عن سعيد بن المسيب والمحصنات من النسا هو

ذوات

ذوات من المسلمين والمشركين وقال علي بن ابي طالب ذوات الازواج من المشركين
وفي الموطا عن سعيد بن المسيب والمحصنات من النسا هن ذوات الازواج
ويرجع ذلك الى ان الله حرم الزنا وقالت طايفة المحصنات في هذه الايه
يراد بها العفايف اي كل النسا حرام والبسهن اسم الاحصان من كان
منهن ذات زوج او غير ذات زوج اذ الشرايع في انفسها تقتضي ذلك
الا ما ملكت ايمانكم قالوا معناه بنكاح او شرا هذا قول ابي العالية وعبيدة
السلماني وطاوس وسعيد بن جبير وعطا ورد واعبيدة عن عمر فادخلوا
النكاح تحت ملك اليمين ويكون معنى الايه عندهم في قوله تعالى الا ما
ملكت ايمانكم يعني تملكون عصمتهن بالنكاح وتملكون الرقبة بالشرا فكا
كلهن ملك يمين وما عدا ذلك فزنا وهو قول حسن وقد قال ابن عباس
المحصنات العفايف من المسلمين ومن اهل الكتاب قال ابن عطيه وهذا
التاويل يرجع معنى الايه الى تحريم الزنا واسند الطبري ان رجلا قال
لسعيد بن جبير ما رايت ابن عباس سيل عن هذه الايه فلم يقل شيا فقال سعيد
كان ابن عباس لا يعلمها واسند ايضا عن مجاهد انه قال لو قال لو اعلم
من يفسر لي هذه الايه لضربت اليه اكباد الابل قوله والمحصنات الى قوله
حكيما قال ابن عطيه ولا ادري كيف نسبه هذا القول الى ابن عباس
ولا كيف انتهى مجاهد الى هذا القول قوله تعالى كتاب الله
عليكم نصب على المصدر المؤكد اي حرمت هذه النسا كتابا من الله عليكم
ومعنى حرمت عليكم كتب الله عليكم وقال الزجاج والكوفيون هو
نصب على الاغرا اي الزموا كتاب الله اي عليكم كتاب الله وفيه نظر
على ما ذكر ابو علي فان الاغرا لا يجوز فيه تقديم المنصوب على حرف

نفس

الاغرا فلا يقال زيدا عليك وزيدا دونك بل يقال عليك زيدا ودونك
عمرا وهذا الذي قاله صحيح على ان يكون منصوبا بعليكم واما على تقدير حذف
الفعل فيجوز ويجوز الرفع على معنى هذا كتاب وفرضه وقرا ابو حيوة ومحمد
بن السميفع كتب الله عليكم ما قصه على التحريم وقال عبيدة السلماني وغيره
قوله كتاب الله عليكم اشارة الى ما ثبت في القران من قوله مثنى وثلاث
ورباع وفي هذا بعد والاظهر ان قوله كتاب الله عليكم انما هو اشارة
الى التحريم الحاجز بين الناس وبين ما كانت العرب تفعله
قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم قرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية
حفص واحل لكم ما وراء ذلكم ردا على حرمت عليكم الباقون بالفتح ردا على
قوله كتاب الله عليكم وهذا يقتضي ان لا يحرم من النسا الا من ذكر
وليس كذلك فان الله تعالى قد حرم على لسان نبيه من لم يذكر في الاية
فيضم اليها قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا روى مسلم وغيره عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا يجمع بين المراة وعمتها ولا بين المراة وخالتها قال ابن شهاب
فنرى خالة ابيها وعمة ابيها بتلك المنزلة وقيل ان تحريم الجمع بين المراة
وعمتها وخالتها متلقى من الاية نفسها لانه تعالى حرم الجمع بين الاختين
والجمع بين المراة وعمتها في معنى الجمع بين الاختين او لان الخالة في معنى الوالدة
والعمة في معنى الوالد والصحيح الاول لان الكتاب والسنة كالشي الواحد
فكانه قال احللت لكم ما وراء ذلكم مما ذكرنا في الكتاب وما وراء ما اكملت
به البيان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقول ابن شهاب فنرى خالة ابيها وعمة
ابيها بتلك المنزلة انما صار الى ذلك لانه حمل الخالة والعمة على العموم وتم له

داك

ذلك لان العمه اسم لكل انثى شاركت اباك في اصليك او في احدهما والخا
له كذلك كما بيناه وفي مصنف ابي داود وغيره عن ابي هريره قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المراه على عمتها ولا العمه على
بنت اخيها ولا المراه على خالتها ولا الخاله على بنت اختها لا تنكح الكبرى
على الصغرى ولا الصغرى على الكبرى وروى ابو داود ايضا عن
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى ان يجمع بين العمه والخاله وبين العمتين
والخالتين الروايه لا يجمع برفع العين على الخبر عن المشروعيه فيتضمن النهي
عن ذلك وهذا الحديث مجمع على العمل به في تحريم الجمع بين من ذكر فيه
بالنكاح واجاز الخوارج الجمع بين الاختين وبين المراه وعمتها وخالتها ولا
يعتد بخلافهم مرقوا من الدين وخرجوا منه ولانهم مخالفون للسنه الثابته
وقوله لا يجمع بين العمتين والخالتين فقد اشكل على بعض اهل العلم وتحير في
معناه على ما يبعد ولا يحور فقال المعنى بين العمتين على المجاز اي بين العمه
وبنت اختها فقيل لهما عمتان كما قيل سنه العمرين ابو بكر وعمر قال وبين
الخالتين مثله قال النحاس وهذا من التعسف الذي لا يكاد يسمع بمثله
وفيه ايضا مع التعسف انه يكون كلاما مكررا لغير فايده لانه اذا كان
المعنى نهى ان يجمع بين العمه وبنت اخيها وبين العمتين يعني بين العمه وبنت اخيها
صار الكلام مكررا بغير فايده وايضا فلو كان كما قال لوجب ان يكون
وبين الخاله وليس كذلك لان الحديث نهى ان يجمع بين العمه والخاله فالو
على لفظ الحديث ان يجمع بين امراتين احدهما عمه والاخرى خاله الاخرى
قال النحاس وهذا يخرج على معنى صحيح يكون رجل وابنه تزوجا رجلا
وابنتها تزوج الرجل البنت وتزوج الابن الام فولد لكل واحد منهما

له

في تحيله

الها:

الاخرى

عن هاتين الزوجتين فابن الابن عمه ابنه الاب وابنه الابن خاله ابنه الا .
واما الجمع بين خالتين فهذا يوجب ان يكونا امتين كل واحدة منهما خاله
الاخرى وذلك ان يكون رجل تزوج ابنه رجل وتزوج الاخر ابنه
فولدت لكل واحد منهما ابنه فابنه كل واحد منهما خاله الاخرى
واما الجمع بين العمتين فيوجب ان لا يجمع بين امراتين كل واحدة منهما
عمه الاخرى وذلك ان يتزوج رجل ام رجل ويتزوج الاخر ام
الاخر فيولد لكل واحد منهما ابنه فابنه كل واحد منهما عمه الاخرى
فهذا ما حرم الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مما ليس في القران
واذا انفرد هذا فقد عقد العلما فيمن يحرم الجمع بينهم عقدا
حسنا فروى معتمر بن سليمان عن فضيل بن ميسرة عن ابي جرير عن الشعبي
قال كل امراتين اذا جعلت موضع احدهما ذكرا لم يجز له ان يتزوج الاخرى
فالجمع بينهما باطل فقلت له عمن هذا قال عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال سفين الثوري تفسيره عندنا ان يكون من النسب ولا يكون
بمنزله امراه وابنه زوجها يجمع بينهما ان شا قال ابو عمر وعلى هذا مذهب
ملك والشافعي وابي حنيفه والاوزاعي وساير فقها الامصار من اهل
الحديث وغيرهم فيما علمت لا يختلفون في هذا الاصل وقد كره قوم من
السلف ان يجمع الرجل بين ابنه رجل وامراته من اجل ان احدهما لو كان
ذكرا لم يحل له نكاح الاخرى والذي عليه العلما انه لا باس بذلك وان
المراعى النسب دون غيره من المصاهره ثم ورد في بعض الاخبار التنبيه
على العله في منع الجمع بين من ذكر وذلك ما يفضي اليه الجمع من قطع الارحام
القريبه بما يقع بين الضراير من الشنان والشرور بسبب الغيره فروى

بن عباس قال نها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوج الرجل المراة علي
العمة او على الخالة وقال انكم اذا فعلتم ذلك قطعتم ارحامكم ذكره ابو محمد
الاصيلي في فوايده وبن عبد البر وغيرهما ومن مراسيل ابي داود عن
حسين بن طلحه قال نها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تنكح المراة علي
اخواتها مخافة القطيعه وقد طرد بعض السلف هذه العله فمنع الجمع
بين المراة وقريبتها وسوا كانت بنت عم او بنت عمة او بنت خال او خالة
روي ذلك عن اسحق بن طلحه وعكرمه وقتاده وعطا في روايه بن
نجيح وروي عنه بن جريج انه لا باس بذلك وهو الصحيح وقد
نكح حسن بن حسين بن علي في ليله واحده ابنه محمد بن علي وابنه عمر بن علي
فجمع بين ابنتي عم ذكره عبد الرزاق زاد بن عيينه فاصبح نسا وهم
لا يدرين الى ايهما يذهبن وقد كره مالك هذا وليس بحرام عنده
في سماع بن القاسم سيل مالك عن ابنتي العم اجمع ان بينهما فقال
ما اعلمه حراما قيل له افتكرهه قال ان ناسا ليتقونه قال بن
القاسم وهو حلال لا باس به قال بن المنذر لا اعلم احدا ابطل هذا
النكاح وهما داخلان في جملة ما ابيح بالنكاح غير خارجتين منه بكتاب
ولا سنه ولا اجماع وكذلك معنى الجمع بين ابنتي عمه وابنتي خاله وقال السدى
في قوله تعالى احل لكم ما ورا ذلكم يعني النكاح فيما دون الفرج وقيل معناه
واحل لكم ما ورا ذلكم ذوات المحارم من اقربايكم قتاده يعني بذلك ملك اليمين
خاصه
قوله تعالى ان تبتغوا باموالكم يجمع لفظ التزوج والشرا
وان في موضع نصب بدل من ما على قراه حمزه في موضع رفع ويحتمل ان
يكون المعنى لان او بان فتحذف اللام او البا فتكون في موضع نصب محصنين

وم

وم

نصب على الحال ومعناه متعففين عن الزنا مسافحين اى غير زانيين والسفاح الزنا وهو ماخوذ من سفح الماء وسيلانه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حين سمع الزفاف في عرس هذا النكاح لا السفاح لا نكاح السر وقيل ان قوله تعالى محصنين غير مسافحين يحتمل وجهين احدهما ماذكرناه وهو الاحصان في عقد النكاح تقديره اطلبوا منافع البضع باموالكم على وجه النكاح لا على وجه السفاح فتكون الاية على هذا الوجه عموم ويحتمل ان يكون المحصنين اى الاحصان صفة لهن ومعناه لتزوجوهن على شرط الاحصان فيهن والوجه الاول اولى لان متى امكن جرى الاية على عمومها والتعلق بمقتضاها فهو اولى ولان مقتضى الوجه الوجه الثاني ان المسافحات لا يحل التزوج بهن وذلك خلاف الاجماع

قوله تعالى باموالكم اباح الله تعالى الفروج بالاموال ولم يفصل فوجب اذا حصل بغير المال الا تقع الاباحة لانها على غير الشرط المادون فيه كما لو عقد على خمر او خنزير او ما لا يصح تمليكه يرد على احمد قوله في العتق يكون صداقا لانه ليس فيه تسليم مال وانما فيه اسقاط الملك من غير ان استحقت به تسليم مال اليها فان الذي كان يملكه المولى من عتقه لم ينتقل اليها وانما سقط فاذا لم يسلم الزوج اليها ولم يستحق عليه شيئا وانما اتلف به ملكه لم يكن مهرا وهذا بين مع قوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه وذلك محال في العتق فلم يبق ان يكون الصداق الا مالا لقوله باموالكم واختلف قول من قال بذلك في قدر ذلك فتعلق الشافعي بعموم قوله تعالى باموالكم في جواز الصداق بقليل وكثير وهو الصحيح ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الموهوبة ولو خاتما من حديد وقوله صلى الله عليه وسلم انكحوا الايامى ثلاثا

انه

قيل

قيل ما العلايق بينهم يا رسول الله قال ما تراضى عليه الاهلون ولو قضيبا من اراك وقال ابو سعيد الخدري سالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صداق النسا فقال هو ما اصطلح عليه اهلوهم وروي جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان رجلا اعطا امراته مل يده طعاما كانت به حلالا اخرجهما الدارقطني في سننه قال الشافعي كل ما جاز ان يكون ثمنا لشي او جاز ان يكون اجرة جاز ان يكون صداقا وهذا قول جمهور اهل العلم وجماعة اهل الحديث من اهل المدينة وغيرها كلهم اجاز الصداق بقليل المال وكثيره وهو قول عبد الله بن وهب صاحب ملك واختاره ابن المنذر وغيره قال سعيد بن المسيب لو اصدقها سوطا حلت به وانكح ابنته من عبد الله بن وداعه بدرهمين وقال ربيعة يجوز النكاح بدرهم وقال ابو الزناد ما تراضا به الاهلون وقال ملك لا يكون الصداق اقل من ربع دينار او ثلاث دراهم كيلا قال بعض اصحابنا في تعليله وكان اشبه الاشيا بذلك قطع اليد لان البضع عضو واليد يستباح بمقدار من المال وذلك ربع دينار او ثلثة دراهم كيلا فرد ذلك البضع اليه قياسا على اليد قال ابو عمر قد تقدمه الى هذا ابو حنيفه فقاس الصداق على قطع اليد واليد عنده لا تقطع عنده الا في دينار ذهبا او عشرة دراهم كيلا ولا صداق عنده اقل من ذلك وعلى ذلك جماعة اصحابه واهل مذهبه وهو قول اكثر اهل بلده في قطع اليد لا في اقل الصداق وقد قال الداوودي لملك اذا قال لا صداق اقل من

ربع دينار فعرفت فيها يا ابا عبد الله او سلكت فيها بسبيل اهل
العراق وقد احتج ابو حنيفه بما رواه جابر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا صداق دون عشره دراهم اخرجه الدارقطني وفي
سنده مبشر بن عبيد متروك وروي عن داود الاودي عن
الشعبي عن علي رضي الله عنه لا يكون المهر اقل من عشره دراهم
قال احمد بن حنبل لقن غياث بن ابراهيم داود الايدي عن الشعبي
عن علي لا مهر اقل من عشره دراهم فصار حديثا وقال اقله اربعون
درهما سعيد بن جبير خمسون درهما بن شبرمه خمسه دراهم
رواه الدارقطني عن بن عباس عن علي رضي الله عنه لا مهر اقل من
خمسه دراهم قوله تعالى فما استمتعتم به منهن فاتوهن
اجورهن فريضه الاستمتاع التلذذ والاجور المهور وسمي
المهر اجرا لانه اجر الاستمتاع وهذا نص على ان المهر يسمى اجرا وقد
اختلف الناس في المعقود عليه في النكاح ما هو بدن المراه او
منفعه البضع او الحل ثلاثه اقوال والظاهر المجموع بان العقد يقتضي
كل ذلك والله اعلم واختلف العلما في معنى الايه تعال
الحسن ومجاهد وغيرهما المعنى فما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النسا
بالنكاح الصحيح فاتوهن اجورهن اي مهورهن فاذا جامعها مره
واحده فقد وجب المهر كاملا ان كان مسمى او مهر مثلها ان لم يسم
وان كان النكاح فاسدا فقد اختلف الروايه عن مالك في النكاح الفاسد
هل يستحق به مهر المثل او المسمى اذا كان مهرا صحيحا فقال مره
المهر المسمى وبه قال وهو ظاهر مذهبه وذلك ان ما تراضوا عليه

نقين

يقين ومهر المثل اجتهاد فيجب ان يرجع الى ما تيقناه لان الاموال لا
تستحق بالشك ووجه قوله مهر المثل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ايما امراة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل فان دخل بها فلها
مهر مثلها بما استحل من فرجها قال ابن خواز منداد ولا يجوز ان تحمل
الاية على جواز المتعة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح
المتعة وحرمه ولان الله تعالى قال فانكحوهن باذن اهلهن ومعلوم
ان النكاح باذن الاهلين هو النكاح الشرعي بولي وشاهدين ونكاح
المتعة ليس كذلك وقال الجمهور المراد بنكاح المتعة الذي كان
في صدر الاسلام وقرا ابن عباس وابي وابن جبير فما استمتعتم به
منهن الى اجل مسمى فاتوهن اجورهن ثم نهى عنها النبي صلى الله عليه
وسلم وقال سعيد بن المسيب نسختها اية الميراث اذ كانت المتعة
لا ميراث فيها وقالت عايشة والقاسم بن محمد تحريمها ونسخها
في القران وذلك قوله تعالى والذين لفروجهم حافظون الا على
ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين وليست المتعة
نكاحا ولا ملك يمين وروى الدارقطني عن علي بن ابي طالب قال
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة قال وانما كانت لمن لم
يجد فلما نزل النكاح والطلاق والعدة والميراث بين الزوج والمراة
نسخت وروي عن علي رضي الله عنه انه قال نسخ صوم رمضان
كل صوم ونسخت الزكاة كل صدقة ونسخ الطلاق والعدة والميراث
المتعة ونسخت الاضحية كل ذبح وعن ابن مسعود قال المتعة منسوخة
نسخها الطلاق والعدة والميراث وروى عطا عن ابن عباس قال

ما كانت المتعه الا رحمه من الله رحم بها عباده ولولا نهي عمر عنها ما زني الا شقي واختلف العلما هل مره ابيحت ونسخت ففي صحيح مسلم عن عبد الله قال كنا نغزوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لنا نسا فقلنا الا نستخصي فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا ان ننكح المراه بالثوب الى اجل قال ابو حاتم البستي في صحيحه قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم دليل على ان المتعه كانت محظوره قبل ان ابيح لهم الاستمتاع ولو لم تكن محظوره لم يكن لسوالهم هذا معنى ثم رخص لهم في الغزو ان ينكحوا المراه بالثوب الى اجل ثم نهى عنها عام خيبر ثم اذن فيها عام الفتح ثم حرمها بعد ثلاث فهي محرمه الى يوم القيامه وقال ابن العربي واما متعه النسا فهي من غرايب الشريعه لانها ابيحت في صدر الاسلام ثم حرمت يوم خيبر ثم ابيحت في غزوه اوطاس ثم حرمت بعد ذلك واستقر الامر على التحريم وليس لها اخت في الشريعه الا مسله القبله فان النسخ طرا عليها مرتين ثم استقرت بعد ذلك وقال غيره ممن جمع طرق الاحاديث فيها انها تقتضي طرق التحليل والتحريم سبع مرات فروي ابن ابي عمره انها كانت في الاسلام وروي سلمه بن الاكوع انها كانت عام اوطاس ومن روايه علي تحريمها يوم خيبر ومن روايه ربيع بن سبره اباحتها يوم الفتح قال الشيخ المولف رحمه الله وهذه الطرق كلها في صحيح مسلم وفي غيره عن علي نهيه عنها في غزوه تبوك رواه اسحق بن راشد عن الزهري عن عبد الله بن محمد بن علي عن ابيه عن علي ولم يتابع اسحق بن راشد على هذه الروايه عن ابن شهاب قاله ابو عمر رحمه الله وفي مصنف ابي داود من حديث الربيع بن

سبره

رابع

سبرة النهي عنها في حجة الوداع وذهب ابو داود الى ان هذا اصح ما روي في ذلك وقال عمر وعن الحسن ما حلت المتعة قط الا ثلثا في عمرة القضا ما حلت قبلها ولا بعدها وروي هذا عن سبرة ايضا فهذه سبعة مواطن احلت فيها المتعة وحرمت قال ابو جعفر الطحاوي كل هولا الذين رووا عن النبي صلى الله عليه وسلم اطلاقها اخبروا انها كانت في سفر وان النهي لحقها في ذلك السفر بعد ذلك فمنع منها وليس منهم يخبر انها كانت في حضر وكذلك روي عن ابن مسعود فاما حديث سبرة الذي فيه اباحة النبي صلى الله عليه وسلم لها في حجة الوداع فخارج عن معانيها وقد اعتبرنا هذا الحرف فلم نجده الا في رواية عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فذكر ان ذلك كان في فتح مكة وانهم شكوا اليه العزبة فرخص لهم فيها ومحال ان يشكوا اليه العزبة في حجة الوداع لانهم كانوا قد حجوا بالنسا وكان تزويج السابقة يملهم ولم يكونوا حينيد كما كانوا في الغزوات المتقدمة ويحتمل انه لما كانت عادة النبي صلى الله عليه وسلم تكرير مثل هذا في مغازيه وفي المواضع الجامعة ذكر تحريمها في حجة الوداع لاجتماع الناس حتى يسمعه من لم يكن سمعه فاكد ذلك حتى لا يبقى شبهة لاحد يدعي تحليلها ولان اهل مكة كانوا يستعملونها كثيرا

روى الليث بن سعد عن بكير بن الاشج عن عمار مولى الشريد قال سالت ابن عباس عن المتعة اسفاح هي ام نكاح قال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هي قال المتعة كما قال الله تعالى قلت هل عليها عدة قال نعم قلت يتوارثان قال لا قال ابو عمر لم يختلف العلما من السلف

عدة

والخلاف ان المتعه نكاح الى اجل لا ميراث فيه والفرقه تقع عند انقضا
الاجل من غير طلاق وقال بن عطيه وكانت المتعه ان يتزوج الرجل
المراة بشاهدين واذن الولي الى اجل مسمى وعلى ان لا ميراث بينهما
ويعطيها ما اتفقا عليه فاذا انقضت المده فليس له عليها سبيل وتستبري
رحمها لان الولد لاحق فيه بلا شك فان لم تحمل حلت لغيره وفي كتاب النحاس
في هذا خطا وان الولد لا يلحق في نكاح المتعه قال المولف رحمه الله هذا
هذا هو المفهوم من عبارة النحاس لانه قال وانما المتعه ان يقول لها اتزوجك
يوما او ما اشبه ذلك على ان لا عده عليك ولا ميراث بيننا ولا طلاق ولا
شاهد يشهد على ذلك وهذا هو الزنا بعينه ولم يبح قط الا في الاسلام
ولذلك قال عمر لا اوتي برجل تزوج متعه الا غيبته تحت الحجاره
وقد اختلف علماونا اذا دخل في نكاح المتعه هل
يحد ولا يلحق به الولد او يدفع الحد الشبهه ويلحق الولد على قولين ولكن
يعزر ويعاقب واذا لحق الولد اليوم في نكاح المتعه في قول بعض العلما
مع القول بتحريمه فكيف لا يلحق في ذلك الوقت الذي ابيح فدل على
ان نكاح المتعه كان على حكم النكاح الصحيح ويفارقه في الاجل والميراث
وحكى المهدوي عن بن عباس ان نكاح كان بلا ولي ولا شهود وفيما حكاه
ضعف لما ذكرنا قال بن العربي وقد كان بن عباس يقول بجوازها
ثم ثبت رجوعه عنها فانعقد الاجماع على تحريمها فعلها فاذا فعلها احد
رجم في مشهور المذهب وفي روايه اخرى عن مالك لا يرجم لان
نكاح المتعه ليس بحرام ولكن لاصل اخر لعلمايا غريب انفرد به دون
ساير العلما وهو ان ما حرم بالسنه هل مثل ما حرم بالقران ام لا من روايه

الشيخ م

بعض

بعض المدنيين عن ملك انهما ليسا سوا وهذا ضعيف قال ابو بكر
الطرطوشي ولم يرخص في نكاح المتعه الا عمران بن حصين وبن عباس
وبعض الصحابه وطايفه من اهل البيت وفي قول بن عباس يقول الشاعر
اقول للركب اذا طال الثوا يا صاح هل لك في فتيا بن عباس في بيضه
رخصه الاطراف ناعمه تكون مثوى الحتى يرجع الناس وساير العلما
والفقها من الصحابه والتابعين والسلف الصالحين على ان هذه الايه وان
المتعه حرام وقال ابو عمر اصحاب بن عباس من اهل مكه واليمن كلهم
يرون المتعه حلالا على مذهب بن عباس وحرمها ساير الناس وقال
معمر قال الزهري ازداد الناس لها مقتا حتى قال الشاعر قال المحدث
لما طال مجلسه يا صاح هل لك في فتيا بن عباس كما تقدم قوله تعالى
اجورهن يعم المال وغيره فيجوز ان يكون الصداق منافع اعيان وقد اختلف
في هذا العلما فمنعه ملك والمزني واحمد وابو حنيفه واصحابه الا ان
ابا حنيفه قال اذا تزوج على ذلك فالنكاح جايز وفي حكم من لم يسم لها
ولها مهر مثلها ان دخل بها وان لم يدخل بها فلها المتعه وكرهه بن
القاسم في كتاب محمد واجازه اصبغ قال بن شاس فان وقع مضى في
قول اكثر الاصحاب وهي روايه اصبغ عن بن القاسم وقال الشافعي
النكاح ثابت وعليه ان يعلمها ما شرط لها فان طلقها قبل الدخول
ففيها للشافعي قولان احدهما ان لها اجر تعليم السوره والاخر ان
لها نصف مهرها وقال اسحق النكاح جايز وقاله ابو الحسن
اللخمي والقول بجواز ذلك احسن والاجاره والحج كغيرها من الاموال
التي تملك وتباع وتشترى وانما كره ذلك ملك لانه يستحب ان

يكون الصداق معجلا والاجارة والحج في معنى المؤجل احتج اهل القول
الاول بان الله تعالى قال بأموالكم وحقيقة المال ما يتعلق به الاطماع
ويعد الانتفاع ومنفعة الرقبة في الاجارة ومنفعة التعليم العلم كله
ليس بمال قال الطحاوي والاصل المجتمع عليه ان رجلا لو استاجر
رجلا على ان يعلمه سورة من القران سماها بدرهم لم يجز لان الاجارة لا تجوز
الا لاحد معنيين اما على عمل بعينه كخياطة ثوب وما اشبهه واما على وقت
معلوم وكان اذا استاجره على تعليم سورة فتلك اجارة لا على وقت
معلوم ولا على عمل معلوم وانما استاجره على ان يعلم وقد يفهم بقليل
وكثير في قليل الاوقات وكثيرها وكذلك لو باعه داره على ان يعلمه سورة
من القران لم يجز للمعاني التي ذكرناها في الاجارات واذا كان التعليم لا يملك
به المنافع ولا اعيان الاموال ثبت بالنظر انه لا يملك به الابضاع
والله الموفق احتج من اجاز ذلك بحديث سهل بن سعد في حديث الموهوبة
وفيه فقال اذهب فقد ملكتها بما معك من القران في رواية قال
انطلق فقد زوجتها فعلمها من القران قال الواقفي هذا دليل على انعقاد
النكاح وتاخر المهر الذي هو التعليم وهذا هو الظاهر من قوله بما معك
من القران فان الباء للعوض كما تقول هذا بهذا اي عوضا منه وقوله في
الرواية الاخرى فعلمها نص في الامر بالتعليم والمساق يشهد بان ذلك
لاجل النكاح ولا يلتفت لقول من قال ان ذلك كان اكراما للرجل بما حفظه
من القران اي لما حفظه فتكون الباء بمعنى اللام فان الحديث الثاني يصرح
بخلافه في قوله فعلمها من القران ولا حجة فيما روي عن ابي طلحة انه خطب
ام سليم فقالت ان اسلم تزوجته فاسلم فتزوجها فلا نعلم مهرا كان اكرم

من مهرها

من مهرها فان مهرها الاسلام فان ذلك خاص به وايضا فانه لا
تصل الهامه شى بخلاف التعليم وغيره من المنافع وقد زوج شعيب
عليه السلام ابنته من موسى عليه السلام على انه يرعى له غنما فى
صداقها على ما ياتى بيانه فى سورة القصص وقد روى من حديث
بن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من اصحابه يا فلا ن
هل تزوجت قال لا وليس معى ما اتزوج به قال اليس معك قل هو
الله احد قال بلى قال ثلث القران قال اليس معك اية الكرسى قال
بلى قال ربع القران قال اليس معك اذا جا نصر الله قال بلى قال ربع
القران قال اليس معك اذا زلزلت قال بلى قال ربع القران تزوج
تزوج قال الشيخ المولف رحمه الله وقد اخرج الدارقطنى حديث
سهل من حديث بن مسعود وفيه زيادة سنن ما احتج به ملك وغيره
وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينكح هذه فقام ذلك
الرجل فقال انا يا رسول الله فقال لك مال فقال لا يا رسول الله
قال فهل تقرا من القران شيا قال نعم سورة البقرة وسورة المفصل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد انكحتكها على ان تقريها وتعلمها
واذا رزقك الله عوضتها فتزوجها الرجل على ذلك وهذا نص لو صح
فى التعليم لا يكون صداقا قال الدارقطنى تفرد به عتبه بن السكن
وهو متروك الحديث وفريضة نصب على المصدر فى موضع الحال
اى مفروضه قوله تعالى ولا جناح عليكم
فيما تراضيتم به من بعد الفريضة اى من زيادة ونقصان فى المهر فان
ذلك سايغ عند التراضى بعد استقرار الفريضة والمراد ابرا المراة

عن المهر او يوفيه الرجل كل المهر ان طلق قبل الدخول وقال القايلون بان الايه في المتعه هذا اشارة الى ما تواصيا عليه من زياده في مدة المتعه في اول الاسلام فانه كان يتزوج الرجل المراه شهرا على دينار مثلا فاذا انقضا الشهر فربما كان يقول زدني في الاجل ازدك في المهر فبين ان ذلك كان جايزا عند التراضي تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات الى قوله غفور رحيم فيه احدى وعشرون مسله

قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا الايه نبه تعالى على تخفيف في النكاح وهو نكاح الامه لمن لم يجد الطول واختلف العلما في معنى الطول على ثلاثه اقوال الاول السعه والغنى قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والسعدى وبن زيد وملك في المدونه تقال طال يطول طولا في الافضال والقدره وفلان ذو طول اى ذو قدره في ماله بفتح الطا وطولا بضم الطا في ضد القصر والمراد ها هنا القدره على المهر في قول اكثر اهل العلم وبه يقول الشافعي واحمد واسحق وابو ثور قال احمد بن المعدل قال عبد الملك الطول كل ما يقدر به على النكاح من نقد او عرض او دين على ملي قال وكل ما يمكن بيعه واجارته فهو طول قال وليست الزوجه والزوجتان ولا الثلاثه طولا قال وقد سمعت ذلك من ملك رحمه الله قال عبد الملك لان الزوجه لا ينكح بها ولا يصل بها الى غيرها اذ ليست بمال وقد سيل ملك عن رجل يتزوج امه وهو ممن يجد الطول فقال ارى ان يفرق بينهما قيل له انه يخاف العنت قال السوط يضرب به ثم خففه بعد

ذلك

ذلك القول الثاني في الطول الحرة وقد اختلف قول مالك في
الحرة هل طول ام لا قال في المدونة ليست الحرة بطول يمنع من
نكاح الحرة لامة اذا لم يجد سعة لاخرى وخاف العنت وقال
في كتاب محمد ما يقتضي ان الحرة بمثابة الطول قال اللخمي وهو ظاهر
القران وروي نحو هذا عن ابن حبيب وقاله ابو حنيفة فيقتضي
هذا ان من عنده حرة فلا يجوز له نكاح امة وان عدم السعة وخا ف
العنت لانه طالب شهوة وعنده امراة قال به الطبري واحتج له
قال ابو يوسف الطول هو وجود الحرة تحته فاذا كان
تحته حرة فهو ذو طول فلا يجوز نكاح الامة القول الثالث
الطول الجلد والصبر لمن احب امة وهويها حتى صار لذلك لا
يستطيع ان يتزوج غيرها فان له ان يتزوج الامة اذا لم يملك
هواها وخاف ان يبغي بها وان كان يجد سعة في المال لنكاح حرة
هذا قول قتادة والنخعي وعطا وسفين الثوري فيكون قوله لمن
خشي العنت على هذا التاويل الاول يكون تزويج الامة معلقا
بشرطين عدم السعة في المال وخوف العنت فلا يصح الا باجتما عهما
وهذا هو نص مذهب مالك في المدونة من رواية ابن نافع وابن
القاسم وابن وهب وابن زياد قال مطرف وابن الماجشون لا يحل
للرجل ان ينكح امة ولا يقران الا ان يجتمع الشرطان كما قال الله تعالى
وقاله اصبغ وروي القول عن جابر بن عبد الله وابن عباس وعطا وطاو س
والزهري ومكحول وبه قال الشافعي وابو ثور واحمد واسحق واختاره وم
ابن المنذر وغيره فان وجد المهر وعدم النفقة فقال مالك في كتاب محمد لا

يجوز له ان يتزوج امة وقال اصبغ ذلك جايز اذ نفقة الامة على
اهلها اذا لم يضمها اليه وفي الاية قول رابع قال مجاهد مما وسع الله
على هذه الامة نكاح الامة والنصرانية وان كان موسرا وقال ملك
وابو حنيفة ايضا لم يشترط خوف العنت اذا لم يكن تحته حرة قالوا لان
كل مال يمكن ان يتزوج به الامة يمكن ان يتزوج به الحرة فالاية على هذا
اصل في جواز نكاح الامة مطلقا قال مجاهد وبه اخذ سفين وذلك
اني سالته عن نكاح الامة فحدثني عن ابن ابي ليلا عن المنهال عن عباد بن عبد
الله عن علي رضي الله عنه قال اذا نكحت الحرة على الامة كان للحرة يومان
وللامة يوم قال ولم ير علي به باسا ووجه هذا القول عموم قوله تعالى
واحل لكم ما وراء ذلكم وقوله ومن لم يستطع منكم طولا الى قوله لمن خشي
منكم لقوله فانكحوا ما طاب لكم من النسا مثنى وثلاث ورباع فان خفتم
الا تعدلوا فواحدة وقد اتفق الجميع على ان للحر ان يتزوج اربعا وان خاف
الا يعدل قالوا فكذلك له تزويج الامة وان كان واجدا للطول غير
خايف للعنت وقد روي عن ملك في الذي يجد طولا لحرة انه يتزوج
امة مع قدرته على طول الحرة وذلك ضعيف من قوله وقد قال مرة
اخرى ما هو بالحرام البين واجوزه والصحيح انه لا يجوز للحر المسلم
ان ينكح امة غير مسلمة بحال ولا له ان يتزوج الامة المسلمة الا بالشرطين
المنصوص عليهما كما بينا والعنت الزنا فان عدم الطول ولم يخش
العنت لم يجز له نكاح الامة وكذلك ان وجد الطول وخشي العنت
فان قدر على طول حرة وهي المسئلة فهل يتزوج الامة اختلف
علماونا في ذلك فقيل يتزوج الامة فان الامة المسلمة لا تلحق بالكافرة فامة

موسنة

مومنه خير من حره مشركه واختار بن العربى وقيل يتزوج الكتابيه
لان الامه وان كانت تفضلها بالايمان فالكافره تفضلها بالحريه وهي
زوجه وايضا فان ولدها يكون حرا لا يسترق وولد الامه يكون رقيقا
وهذا هو الذى يتمشى على اهل المذهب   واختلف العلما في
الرجل يتزوج الحره على الامه ولم تعلم الامه بها فقالت طايفه النكاح
ثابت كذلك قال سعيد بن المسيب وعطا بن ابى رباح والشافعى
وابو ثور واصحاب الراي وروي عن علي وقيل للحره الخيار اذا علمت
ثم فى اى شي يكون لها الخيار فقال الزهرى وسعيد بن المسيب
ومالك واحمد واسحق لها ان تقيم معه او تفارقه   وقال عبد الملك
في تقر نكاح الامة او تفسخه   وقال النخعي اذا تزوج الحره على الامة
فارق الامه الا ان يكون له منها ولد فان كان لم يفرق بينهما وقال مسروق
يفسخ نكاح الامه لانه امر ابيح للضروره كالميتة فاذا ارتفعت
الضروره ارتفعت الاباحه   فان كان تحته امتان علمت
الحره بواحده ولم تعلم بالاخرى افيكون لها الخيار الا ترى لو ان حره
تزوج عليها امه فرضيت ثم تزوج عليها اخرى فانكرت كان ذلك
لها فكذلك هذه اذا لم تعلم بالاثنين وعلمت بواحدة قال بن القاسم
قال مالك انما جعلنا الخيار للحره في هذه المسايل لما قالت العلما
قبلى يريد سعيد بن المسيب وبن شهاب وغيرهما قال مالك ولولا ما
قالوه لرايته حلالا لانه الله حلال فان لم تكفه الحره واحتاج اخرى ولم
يقدر على صداقها جاز له ان يتزوج الامه حتى ينتهى الى اربع بالتزويج
بظاهر القران   وروي بن وهب عن مالك وروي ابو القاسم عنه

مطلب نكاح الحرة على الامة

ان

في كتاب

بردنكاحه   قال بن العربي والاول اصح في الدليل وكذلك هو القران
فان من رضي بالسبب المحقق رضي بالسبب المرتب عليه لا يكون لها خيار
ولانها قد علمت ان له نكاح الاربع وعلمت انه ان لم يقدر على نكاح
حرة تزوج امة وما شرط الله سبحانه عليها كما شرطت على نفسها ولا تعتبر
في شروط الله سبحانه علمها وهذا غاية التحقيق في الاباب والانصاف
فيه   قوله تعالى والمحصنات يريد الحراير يدل عليه التقسيم
بينهن وبين الاما في قوله من فتياتكم المومنات وقالت فرقة معناه العفايف
وهو ضعيف لان الاما يقعن تحته فاختاروا نكاح اما اهل الكتاب وحرموا
البغايا من المومنات والكتابيات وهو قول بن ميسرة والسدي وقد اختلف
العلما فيما يجوز للحر الذي لا يجد الطول ويخشى العنت من نكاح الاما
ملك وابو حنيفه وبن شهاب الزهري والحرث العلكي له ان يتزوج اربعا
وقال حماد بن ابي سليمان ليس له ان ينكح اكثر من اثنتين وقال الشافعي وابو ثور
واحمد واسحق ليس له ان ينكح من الاما الا واحدة وهو قول بن عباس
ومسروق وجماعة واحتجوا بقوله تعالى ذلك لمن خشي العنت وهذا المعنى
يزول بنكاح واحدة   قوله فما ملكت ايمانكم اي فليتزوج
بامة الغير ولا خلاف بين العلما انه لا يجوز له ان يتزوج امة نفسه لتعارض
الحقوق واختلافها   من فتياتكم اي المملوكات وهي جمع
فتاة والعرب تقول للمملوك فتى وللمملوكة فتاة وفي الحديث الصحيح لا يقولن
احدكم عبدي وامتي ولكن ليقل فتاي وفتاتي وسيأتي ولفظ الفتا والفتاة يطلق
ايضا في الاحرار في ابتدا الشباب فاما في المماليك فيطلق في الشباب وفي
الكبير   قوله تعالى المومنات بين بهذا انه لا يجوز التزوج بالامة

الكتابيه فهذه مشترطه عند ملك واصحابه والشافعي واصحابه والثوري والاو زاعي
والحسن البصري والزهري ومكحول ومجاهد قالت طايفه من اهل العلم منهم
اصحاب الراي ونكاح الامه الكتابيه جايز قال ابو عمر ولا اعلم سلفا في قولهم
الا ابا ميسره وعمرو بن شرحبيل فانه قال اما اهل الكتاب بمنزله الحراير منهن
وقوله المومنات على جهه الوصف الفاضل وليس بشرط لا يجوز غيرها وهذا
بمنزله قوله تعالى فان خفتم الا تعدلوا فواحده فان خاف الا يعدل
فتزوج اكثر من واحده جاز ولكن الافضل الا يتزوج فكذلك هنا الافضل
الا يتزوج الا مومنه ولو تزوج غير المومنه جاز واحتجوا بالقياس على
الحراير وذلك انه لما يمنع قوله المومنات في الحراير في نكاح الكتابيات فكذلك
لا يمنع قوله المومنات في الاما من نكاح اما الكتابيات وقال اشهب
في المدونه جايز للعبد المسلم ان يتزوج امه كتابيه فالمنع عنده ان يفضل
الزوج في الحريه والدين ولا خلاف بين العلما انه لا يجوز لمسلم نكاح مجوسيه
ولا وثنيه واذا كان حراما باجماع نكاحهما فكذلك وطيهما بملك اليمين
قياسا ونظرا وقد روى عن طاوس ومجاهد وعطا وعمرو بن دينار انهم
قالوا لا باس بنكاح الامه المجوسيه بملك اليمين وهو قول شاذ منهم
وجور لم يلتفت اليه احد من الفقها بالامصار وقالوا لا يحل له ان يطاها
حتى تسلم وقد تقدم القول في هذه المسله في البقره مستوفا والحمد وحده
قوله تعالى والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض المعنى ان الله
عليم بباطن الامور ولكم ظاهرها وكلكم بنوا ادم واكرمكم عند الله اتقاكم
فلا تستنكفوا من التزوج بالاما عند الضرورة وان كانت حديثه عهد
بسبا او كانت اخرسا وما اشبه ذلك ففي اللفظ تنبيه على انه ربما كان ايمان

امه افضل من ايمان بعض الحراير قوله تعالى بعضكم من بعض ابتدا

وخبر لهولاء زيد في الكلام فالمعنى انتم بنوا ادم وقيل انتم مومنون وقيل في

الكلام تقديم وتاخير المعنى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات

المومنات فلينكح بعضكم من بعض هذا فتاه هذا وهذا فتاة هذا فبعضكم

على هذا التقدير مرفوع بفعله وهو فلينكح والمقصد بهذا الكلام توطيه

نفوس العرب التي كانت تستهجن ولد الامه وتعيره وتسميه الهجين فلما جا

الشرع بجواز نكاحها علموا ان ذلك التهجين لا معنى له وانما انحطت الامه

فلم يجز للحر التزوج بها الا عند الضرورة لانه تسبب الى ارقاق الولد وان

الامه لا تفرغ للزوج على الدوام لانها مشغوله بخدمه المولى

قوله تعالى فانكحوهن باذن اهلهن اي بولايه اربابهن

المالكين واذنهم وكذلك العبد لا ينكح الا باذن سيده لان العبد مملوك

لا امر له وبدنه كله مستغرق لكن الفرق بينهما ان العبد اذا تزوج بغير اذن

سيده فان اجاز السيد جاز هذا مذهب مالك واصحاب الراي وهو

قول الحسن البصري وعطا بن ابي رباح وسعيد بن المسيب وشريح والشعبي

والامه اذا تزوجت بغير اذن اهلها فسخ ولم يجز باجازه السيد لان نقصان

الانوثه في الامه تمنع من انعقاد النكاح البته وقالت طايفه اذا نكح العبد

بغير اذن سيده فسخ نكاحه هذا قول الشافعي والاوزاعي وداود بن علي قالوا

لا تجوز اجازه المولى ولم يجز لان العقد الفاسد لا تصح اجازته فان اراد النكاح

استقبله على سنته وقد اجمع علما المسلمين على انه لا يجوز نكاح العبد بغير

اذن سيده وقد كان ابن عمر يعد العبد بذلك زانيا ويحده وهو قول ابي ثور

وذكر عبد الرزاق عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر وعن معمر عن ايوب عن نافع

عن

عن بن عمر انه اخذ عبدا له نكح بغير اذنه فضربه الحد وفرق بينهما وابطل صداقها
قال واخبرنا بن جريج عن موسى بن عقبه انه اخبره عن نافع عن بن عمر انه كان
يرى نكاح العبد بغير اذنه زنا ويرى عليه الحد ويعاقب الذين انكحوها جميعا
وانا بن جريج وعن عبد الله بن محمد بن عقيل قال سمعت جابر بن عبد الله يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما عبد نكح بغير اذن سيده فهو عاهر
وعن عمر بن الخطاب هو نكاح حرام فان نكح باذن سيده فالطلاق بيد من يستحل
الفرج قال بن عمر على هذا مذهب فقها جماعه فقها الامصار بالحجاز والعراق
ولم يختلف عن بن عباس ان الطلاق بيد السيد وتابعه على ذلك جابر بن زيد
وهو عند العلما شذوذ لا يعرج عليه واظن بن عباس تاول في ذلك قول
الله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شي واجمع اهل العلم على ان نكاح العبد
جائز باذن مولاه فان نكح نكاحا فاسدا فقال الشافعي ان لم يكن دخل فلا شي لها
وان كان دخل فعليه المهر اذا اعتق هذا الصحيح من مذهبه وهو قول ابي يوسف
ومحمد لا مهر عليه حتى يعتق وقال ابو حنيفه ان علمها فلها المهر وقال مالك
والشافعي اذا كان عبد بين رجلين فاذن له احدهما في النكاح فنكح فالنكاح باطل
فاما الامه اذا اذن اهلها فالنكاح فاذنوا اجاز وان لم تباشر العقد لكن
تولى من يعقده عليها قوله تعالى فاتوهن اجورهن
دليل على وجوب المهر في النكاح وانه للامه بالمعروف معناه بالشرع والسنه
وهذا مقتضى انهن احق بمهورهن من الساده وهو مذهب مالك في
كتاب الرهون ليس للسيد ان ياخذ مهرا امته ويدعها بلا جهاز وقال
الشافعي الصداق للسيد لانه عوض فلا يكون للامه اصله اجاره المنفعه
في الرقبه وانما ذكرت لان المهر وجب بسببها وذكر القاضي اسمعيل

في احكامه زعم بعض العراقيين اذا زوج امته من عبده فلا مهر وهذا خلاف الكتاب والسنه والعلم فيه قوله تعالى

محصنات اي عفايف وقرا الكسائي محصنات بكسر الصاد في جميع القران الا في قوله والمحصنات من النسا وقرا الباقون بالنصب في جميع القران ثم قال غير مسافحات اي غير زوان اي معلنات بالزنا لان اهل الجاهليه كان فيهم الزواني في العلانيه ولهن رايات منصوبا كرايات البيطار ولا متخذات اخدان اصدقا على الفاحشه واحدهم خدن وخدين وهو الذي يخادنك ورجل خدنه اذا اتخذ اخدانا اي اصحابا عن ابي زيد وقيل المسافحه المجاهره بالزنا اي التي تكرى نفسها لذلك وذوات الخدن هي التي تزني سرا وقيل المسافحه المبذوله وذوات الخدن التي تزني بواحد وكانت العرب تعيب الاعلان بالزنا ولا تعيب اتخاذ الاخدان ثم رفع الاسلام جميع ذلك وفي ذلك نزل قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن عن ابن عباس وغيره

قوله تعالى فاذا احصن قراه عاصم وحمزه والكسائي بفتح الهمزه الباقون بضمها فبالفتح معناه اسلمن وبالضم زوجن فاذا زنت الامه المسلمه جلدت نصف جلد الحره واسلامها هو احصانها في قول الجمهور ابن مسعود والشعبي والزهري وغيرهم وعليه فلا تحد كافره اذا زنت وهو قول الشافعي فيما ذكر ابن المنذر وقال اخرون احصانها التزوج بحر فاذا زنت الامه المسلمه التي لم تتزوج فلا حد عليها قاله سعيد بن جبير والحسن وقتاده وروي عن ابن عباس وابي الدردا وبه قال ابو عبيد وقال في حديث عمر بن الخطاب انه سيل عن حد الامه فقال

ان الامه

ان الامه الفت فروه راسها من ورا الدار قال الاصمعي الفروه جلده الراس
قال ابو عبيد وهو لم يرد الفروه بعينها وكيف تلقي جلده
راسها من ورا الدار ولكن هذا مثل انما اراد بالفروه الفنا
يقول ليس عليها قناع ولا حجاب وانما تخرج الى كل موضع
يرسلها اهلها اليه ولا تقدر على الامتناع من ذلك فتصير حيث
لا تقدر على الامتناع من الفجور مثل رعايه الغنم واداء الضريبه
ونحو ذلك فكانه راي الا حد عليها اذا خرجت لهذا المعنى وقالت
فرقه احصانها التزوج الا ان الحد واجب على الامه المسلمه غير
المتزوجه بالسنه كما في صحيح البخاري ومسلم انه قيل يا رسول الله
الامه اذا زنت ولم تحصن فاوجب عليها الحد قال الزهري فالمتزوجه
محدوده بالقران والمسلمه غير المتزوجه محدوده بالسنه قال
القاضي اسمعيل في قول من قال اذا احصن اسلمن بعد ذكر الايمان
قد تقدم لهن في قوله من فتياتكم المومنات واما من قال اذا احصن
تزوجن وانه لا حد على الامه حتى تتزوج فانهم ذهبوا الى ظاهر
القران واحسبهم لم يعلموا هذا الحديث والامر عندنا ان
الامه اذا زنت وقد احصنت مجلوده بكتاب الله واذا زنت
ولم تحصن مجلوده بحديث النبي صلى الله عليه وسلم ولا رجم عليها
لان الرجم لا يتنصف قال ابو عمر ظاهر قول الله تعالى يقتضي ان لا
حد على الامه وان كانت مسلمه الا بعد التزويج ثم جات السنه
بجلدها وان لم تحصن فكان ذلك زياده بيان قال الشيخ المولف
رحمه الله ظهر المومن حمى لا يستباح الا بيقين ولا يقين مع الاختلاف

لولا ما جا في صحيح السنه من الجلد من الجلد في ذلك والله اعلم وبما
ابو ثور ربما ذكر بن المنذر ان زنا ثم اختلفوا في رجمها فانهما يرجمان
اذا كانا محصنين وان كان اجماع الاجماع اولى
واختلف العلما فيمن يقيم الحد عليهما قال بن شهاب مضت السنه
ان يحد العبد والامه اهلوهم في الزنا الا ان يرفع امرهم الى
السلطان فليس لاحد ان يفتات عليه وهو مقتضى قوله صلى الله عليه وسلم
اذا زنت امه احدكم فليجلدها الحد وقال علي رضي الله عنه في
خطبته ايها الناس اقيموا على ارقايكم الحد من احصن منهم ومن لم يحصن
فان امه لرسول الله صلى الله عليه وسلم زنت فامرني ان اجلدها فاذا هي
حديثه عهد بنفاس فخشيت ان انا جلدتها اقتلها فذكرت ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم فقال احسنت اخرجه مسلم موقوفا على علي واسنده
النساي وقال فيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقيموا الحد على
ما ملكت ايمانكم من احصن منهم ومن لم يحصن وهذا نص في اقامه الساده
الحد على المماليك من احصن ومن لم يحصن قال مالك يحد المولى
عبده في الزنا وشرب الخمر والقذف واذا شهد عنده الشهود بذلك
ولا يقطعه في السرقه وانما يقطعه الامام وهو قول الليث وروى
عن جماعه من الصحابه انهم اقاموا الحدود على عبيدهم منهم بن عمر وانس
ولا مخالف لهم من الصحابه وروي عن بن ابي ليلى قال ادركت بقايا
الانصار يضربون الوليده من ولايدهم اذا زنت في مجالسهم وقال
ابو حنيفه يقيم الحد والحدود على العبيد والاما السلطان دون المولى في الزنا
وساير الحدود وهو قول الحسن بن حي وقال الشافعي يحد المولى كل حد

ويقطعه

ويقطعه واحتج بالاحاديث التي ذكرنا وقال الثوري والاوزاعي
يحد في الزنا وهو مقتضى الاحاديث والله اعلم وقد مضى القول في
تغريب العبيد في هذه السوره فان زنت الامه
ثم عتقت قبل ان يحدها سيدها لم يكن له سبيل الى حدها والسلطا ن
يجلدها اذا ثبت ذلك عنده فان زنت ثم تزوجت لم يكن لسيدها ايضا
ان يجلدها لحق الزوج اذ قد يضره ذلك وهذا مذهب ملك اذا لم
يكن الزوج ملكا للسيد فلو كان جاز للسيد ذلك لان حقهما حقه
فان اقر العبد بالزنا وانكر المولى فان الحد يجب
على العبد لاقراره ولا التفات الى ما انكر المولى وهذا مجمع عليه من
العلما وكذلك المدبر وام الولد والمكاتب والمعتق بعضه واجمعوا
ايضا على ان الامه اذا زنت ثم اعتقت حدت حد الاما واذا زنت
وهي لا تعلم بالعتق ثم علمت وقد حدت اقيم عليها تمام حد الحر ذكره بن
المنذر واختلفوا في عفو السيد عن عبده
وامته اذا زنيا فكان الحسن البصري يقول له ان يعفو وقال غير الحسن
لا ينفعه الا اقامه الحد كما لا يسع السلطان ان يعفو عن الحد اذا
علمه لم يسع السيد كذلك ان يعفو عن امته اذا وجب عليها الحد وهذا
على مذهب ابي ثور قال بن المنذ وبه نقول
قوله تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب اي الجلد ويعني
بالمحصنات هاهنا الابكار الحراير لان الثيب عليها الرجم والرجم لا
يتبعض وانما قيل للبكر محصنه وان لم تكن متزوجه لان الاحصان يكون بها
كما يقال اضحيه قبل ان يضحى بها وكما يقال للبقره مثيره قبل ان

نفير وقيل المحصنات المتزوجات لان عليها الضرب والرجم في الحديث
والرجم لا يتبعض فصار عليهن نصف الضرب والفايدة في نقصان حدهن
انهن اضعف من الحراير ويقال انهن لا يصلن الى مرادهن كما تصل الحراير
ويقال لان العقوبة تجب على قدر النعمة الا ترى ان الله تعالى قال
لازواج النبي صلى الله عليه وسلم يا نسا النبي من يات منكن بفاحشة
مبينة يضعف لها العذاب ضعفين فلما كملت نعمتهن اي جعلت
عقوبتهن اشد ولذلك الامة لما كانت نعمتها اقل فعقوبتها اقل وذكر
في الاما حد الاما خاصة ولم يذكر حد العبيد ولكن حد العبيد والاما
سوا خمسون جلدة في الزنا وفي القذف وشرب الخمر اربعون لان
لا حد الامة انما نقص لنقصان الرق وقد دخل الذكور من العبيد في ذلك
بعلة المملوكية كما دخل الاما تحت قوله صلى الله عليه وسلم من اعتق
شركا له في عبد وهذا الذي تسميه العلما القياس في معنى الاصل
ومنه قوله تعالى والذين يرمون المحصنات الاية فدخل في ذلك
المحصنين قطعا على ما ياتي بيانه في النور ان شا الله تعالى
واجمع العلما على ان بيع الامة الزانية ليس بيعها بواجب لازم على ربها
وان اختاروا ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت امة احدكم فتبين
زناها فليجلدها الحد ولا تثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا
تثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل شعر اخرجه
مسلم عن ابي هريرة . وقال اهل الظاهر بوجوب بيعها في الرابعة
منهم داود وغيره لقوله فليبعها وقوله فبيعوها ولو بضفير قال
بن شهاب فلا ادري بعد الثالثة او الرابعة والضفير الحبل فاذا باعها

عرف بزناها لانه عيب فلا يحل ان يكتم فان قيل اذا كان مقصود الحد
انعقاد الزانيه ووجب على بايعها التعريف بزناها فلا ينبغي لاحد ان يشتريها
لانها مما قد امر بابعادها فالجواب انها مال ولا يضاع للنهي عن
اضاعه المال ولا تسيب لان ذلك اغرالها بالزنا وتمكين منه ولا تحبس
دايما فان فيه تعطيل منفعتها على سيدها فلم يبق الا بيعها ولعل السيد
الثاني يعفها بالوطي او يبالغ في التحرز فيمنعها من ذلك وعلى الجمله فعند تبدل
الملاك تختلف عليها الاحوال والله اعلم
قوله تعالى وان تصبروا خير لكم اي الصبر على الغربه خير من نكاح الامه
لانه يفضي الى ارقاق الولد والغض من النفس والصبر على مكارم الاخلاق
اولى من النذاله وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال ايما حر تزوج بامه
فقد ارق نصفه يعني يصير ولده رقيقا فالصبر عن ذلك افضل لكي لا
يرق ولده وقال سعيد بن جبير ما نكاح الامه من الزنا الا قريب
قال الله تعالى وان تصبروا خير لكم اي عن نكاح الاما وفي سنن
بن ماجه عن الضحاك بن مزاحم قال سمعت انس بن مالك يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اراد ان يلقى الله طاهرا مطهرا فليتزوج
الحراير رواه ابو اسحق الثعلبي من حديث بشر بن مراس وكان جاد ما
لانس وزاد فقال ابو هريره سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الحراير صلاح البيت والاما هلاك البيت او قال فساد
البيت تعالى يريد الله ليبين لكم اي ليبين امر دينكم ومصالح
امركم وما يحل لكم وما يحرم عليكم وذلك يدل على امتناع خلو واقعه
عن حكم الله تعالى ومنه قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شي على ما

ياتي بيانه   وقال بعد هذا يريد الله ان يخفف عنكم فجا هذا بان
والاول باللام   وقال الفرا العرب تعاقب بين لام كي وان فتاتي
باللام التي على معنى كي في موضع ان في اردت وامرت فتقول اردت
ان يفعل واردت ليفعل لانهما يطلبان المستقبل ولا يجوز ظننت ان
قدمت   وفي التنزيل وامرت لاعدل بينكم وامرنا لنسلم لرب
العالمين يريدون ليطفيوا نور الله بافواههم   وقال الشاعر
اريد لانسا ذكرها وكانما تمثل لي ليلى بكل سبيل   يريد ان انسى
قال النحاس اخطا الزجاج هذا القول وقال لو كانت اللام بمعنى ان
لدخلت عليها لام اخرى كما تقول جيت كي تكرمني ثم تقول جيت لكي
تكرمني   وانشدوا   اردت لكيما يعلم الناس انها سراويل قيس
والوفود شهود   قال والتقدير ارادته ليبين لكم   قال النحاس
وزاد الامر على هذا حتى سماها بعض القرا لام ان   وقيل المعنى يريد
الله هذا من اجل ان يبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم اي اهل
الحق   وقيل معنى يهديكم يبين لكم طريق الذين من قبلكم من اهل
الحق واهل الباطل   وقال بعض اهل النظر في هذا دليل على ان كل ما
حرم قبل هذه الاية علينا فقد حرم على من كان قبلنا   قال النحاس
وهذا غلط لانه يكون المعنى ويبين لكم امر من كان قبلكم ممن كان يجتنب
ما نهي عنه   وقد يكون ويبين لكم كما بين لمن كان قبلكم من الانبيا ولا
يومي به الى هذا بعينه   ويقال ان قوله يريد الله ابتدا القصة اي
يريد الله اي يبين لكم كيفية طاعته ويهديكم يعرفكم سنن الذين من قبلكم
انهم لما تركوا امري كيف عاقبتهم وانتم اذا فعلتم ذلك لا اعاقبكم

ولكني اتوب عليكم

خامس

ولكن اتوب عليكم والله عليم بمن تاب حكيم بقبول التوبه

تعالى والله يريد ان يتوب عليكم ابتدا وخبر وان في موضع
نصب بيريد والمعنى توبتكم اي يقبلها فيتجاوز عن ذنوبكم ويريد
التخفيف عنكم قيل في جميع احكام الشرع وهو الصحيح وقيل
المراد بالتخفيف نكاح الامه اي لما علمنا ضعفكم عن الصبر عن النسا خففنا
عنكم باباحه الاما قاله مجاهد وبن زيد وطاوس قال طاوس
ليس يكون الانسان في شي اضعف منه في امر النسا واختلف
في تعيين المتبعين للشهوات فقال مجاهد هم الزناة السدي هم
اليهود والنصارى وقالت فرقه اليهود خاصه لانهم ارادوا ان
يتبعوهم المسلمين في الاخوات من الاب وقال بن زيد ذلك على العموم
وهو الاصح والميل العدول عن طريق الاستوا فمن كان عليها احب
ان يكون امثاله عليها حتى لا تلحقه معره تعالى وخلق الا نسان
ضعيفا نصب على الحال ومعناه ان هواه يستميله وشهوته وغضبه
يستخفانه وهذا اشد الضعف فاحتاج الى التخفيف وقال
طاوس ذلك في امر النسا خاصه وروي عن بن عباس انه قرا وخلق
وخلق الانسان ضعيفا اي وخلق الله الانسان ضعيفا اي لا يصبر
عن النسا قال بن المسيب لقد اتى علي ثمانون سنه وذهبت
احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وصاحبي اعمى اصم يعني ذكره واني
اخاف من فتنه النسا ونحوه عن عباده بن الصامت رضي الله عنه
قال عباده الا تروني لا اقوم الا رفدا ولا اكل الا مالوق لي قال
يحيى يعني لين وسخن وقد مات صاحبي منذ زمان قال يحيى يعني ذكره

وما يسرني اني خلوت بامراه لا تحل وان لي ما تطلع عليه الشمس مخافه
ان ياتيني الشيطان فيجرك على انه لا سمع له ولا بصر تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجاره عن تراض
منكم فيه تسع مسايل قوله تعالى بالباطل اى بغير حق
ووجوه ذلك تكثر على ما بيناه وقد منا معناه في البقره ومن اكل المال
بالباطل بيع العربان هو ان ياخذ منك السلعه او يكرى منك الدابه
او يعطيك درهما فوقه على انه ان اشتراها او ركب الدابه فهو من السلعه
او كرا الدابه وان ترك ابتياع السلعه او كرا الدابه فما اعطاك فهو لك
فهذا لا يصح ولا يجوز عند جماعة فقها الامصار من الحجازيين والعراقيين
لانه من باب بيع القمار والغرر والمخاطره واكل المال بالباطل
بغير عوض ولا هبه وهو بيع العربان مفسوخ اذا وقع على هذا الوجه
قبل القبض وبعده وترد السلعه ان كانت قايمه فان فاتت رد قيمتها
يوم قبضها وقد روى عن قوم منهم ابن سيرين ومجاهد ونافع
بن عبد الحارث وزيد بن اسلم انهم اجازوا بيع العربان على ما وصفنا
وكان زيد بن اسلم يقول اجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابو عمر هذا لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه صحيح وانما ذكره
عبد الرزاق عن الاسلمي عن زيد بن اسلم مرسلا وهذا ومثله ليس حجه
ويحتمل ان يكون العربان الجايز على ما تاوله مالك والفقها معه وذلك
ان يعربنه ثم يحسبه عربانه من الثمن اذا اختار تمام البيع وهذا لا
خلاف في جوازه عن مالك وغيره وفي موطا مالك عن الثقه عنده عن
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى

عن بيع العربان

عن بيع العربان قال ابو عمر قد تحلم الناس في الثقة عنده في هذا
الموضع واشبه ما قيل فيه انه اخذه عن بن لهيعه او عن بن وهب
عن بن لهيعه لان بن لهيعه وغيره وبن لهيعه احد العلما الا انه يقال
انه احترقت كتبه فكان اذا احدث بعد ذلك من حفظه غلط وما رواه
عنه بن المبارك وبن وهب سمعه من عمرو بن شعيب ورواه عنه
جندب عن بن لهيعه بن وهب وغيره فهو عند بعضهم صحيح ومنهم
من يضعف حديثه كله وكان عنده علم واسع وكان كثير الحديث
الا ان حاله عندهم ما وصفنا تعالى الا ان تكون تجارة عن
تراض منكم هذا استثنا منقطع اي لكن تجارة عن تراض والتجارة هي
البيع والشرا وهذا مثل قوله تعالى واحل الله البيع على ما تقدم قري
تجارة بالرفع اي الا ان تقع تجارة وعليه انشد سيبويه بدى
لبني ذهل بن شيبان ناقتي اذا كان يوم ذو كواكب اشهب وتسمى
هذه كان التامه لانها تمت بفعالها ولم تحتج الى المفعول وقرى
تجارة بالنصب تكون كان ناقصه لانها لا تتم الا بالاسم دون
الخبر فاسمها مضمر فيها وان شيت قدرته الا ان تكون الاموال
اموال تجارة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وتقدم
هذا ومنه قوله وان كان ذو عسرة قوله تعالى تجارة التجارة
في اللغة عبارة عن المعاوضه ومنه الاجر الذي يعطيه الباري للعبد
عوضا عن الاعمال الصالحه التي هي بعض من فعله قال الله تعالى يا ايها
الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقال يرجون
تجارة لن تبور وقال ان الله اشترى من المومنين انفسهم الايه

تقدم

مسمي ذلك بيعا وشرى على وجه المجاز تشبيها بعقود الاشريه والبياعات
التي يحصل بها الاغراض وهي نوعان تقلب في الحضر من غير نقله ولا سفر
وهذا تربص واحتكار قد رغب عنه اولوا الاقدار وزهد فيه ذوو
الاخطار والثاني تقلب المال بالاسفار ونقله الى الامصار فهذا اليق
باهل المروه واعم جدوى ومنفعه غير انه خطرا واعظم غررا
وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان المسافر وماله لعلى
قلت الا ما وقى الله يعني على خطر وقيل في التوراه يا بن ادم احدث
سفرا احدث لك رزقا اعلم ان كل بيعا ومنه تجاره
على اي وجه كان العوض الا ان قوله بالباطل اخرج منها كل عوض لا يجوز
شرعا من ربا او جهاله او تقدير عوض فاسد كالخمر والخنزير وغير ذلك
وخرج ايضا منها كل عقد جائز لا عوض فيه كالقرض والصدقه والهبه
لا للثواب وجاز عقود التبرعات بادله اخر مذكوره في موضعها
فهذا طرفان متفق عليهما وخرج منها ايضا دعا اخيك اياك الى طعامه
روى ابو داود عن ابن عباس في قوله تعالى لا تاكلوا اموالكم بينكم
الا ان تكون تجاره عن تراض منكم فكان الرجل يخرج ان ياكل عند احد من
الناس بعد ما نزلت هذه الايه فنسخ ذلك بالايه الاخرى التي في النور
تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا من بيوتكم الى قوله اشتاتا فكان الرجل
الغني يدعو الرجل من اهله الى طعامه فيقول اني لا اجتنح ان اكل منه والتجنح
الحرج ويقول المسلمين احق به مني فاحل في ذلك ان تاكلوا مما ذكر اسم الله
عليه واحل طعام اهل الكتاب لو اشتريت من السوق
شيا فقال لك صاحبه قبل الشرا ذقه وانت في حل فلا تاكل منه لان

اذنه

اذ نه بالاجل لاجل الشرا فرب ما لا يقع بيع فلو ان ذلك الاجل يشبهه
ولكن لو وصف لك صفة فاشتريته فلم تجده على تلك الصفة فانت بالخيار
والجمهور على جواز الغبن في التجارة مثل ان يبيع رجل ياقوتة
بدرهم وهي تساوي مائة فذلك جايز وان المالك الصحيح الملك جايز
ان يبيع ماله الكثير بالتافه اليسير وهذا ما لا اختلاف فيه بين العلما
اذا عرف قدر ذلك كما تجوز الهبة لو وهب واختلفوا فيه اذا لم
يعرف قدر ذلك تعالى قوم عرف قدر ذلك ام لم يعرف فهو جايز
اذا كان رشيدا حرا بالغا وقالت فرقة الغبن ان تجاوز الثلث مردود
وانما ابيح منه المتقارب المتعارف في التجارات واما المتفاحش
الفادح وقاله بن وهب من اصحاب ملك رحمه الله والاول اصح
لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الامة الزانية فليبعها ولو
بضفير وقوله صلى الله عليه وسلم لعمر لا تبعه يعني الفرس وان
اعطاكه بدرهم واحد وقوله عليه السلام دعوا الناس يرزق الله
بعضهم من بعض وقوله عليه السلام لا يبيع حاضر لباد وليس فيها
تفصيل بين القليل والكثير من ثلث ولا غيره قوله
تعالى عن تراض منكم اي عن رضى الا انها جات من المفاعلة اذ التجارة
من اثنين واختلف العلما في التراضي فقالت طايفة تمامه وجزمه
بافتراق الابدان بعد عقده البيع او بان يقول احدهما لصاحبه اختر
فيقول قد اخترت وذلك بعد العقد ايضا ينجزم ايضا وان لم يتفرقا
قاله جماعة من الصحابة والتابعين وبه قال الشافعي والثوري
والاوزاعي والليث وبن عيينة واسحق وغيرهم قال الاوزاعي

هما بالخيار ما لم يتفرقا الا سوعا لمشروع السلطان المغانم والشركه
في الميراث والشركه في التجارة ما داما متفقه في هذه الثلاثه فقد وجب البيع
وليسا فيه بالخيار   قال وحد الفرقه ان يتوارا كل واحد منهما عن صاحبه
وهو قول اهل الشام   وقال الليث التفرق ان يقوم احدهما وكان
احمد بن حنبل يقول هما بالخيار ابدا ما لم يتفرقا بابدانهما ابدا وسوا قالا اختر
او لم يقولاه حتى يتفرقا بابدانهما من مجلسهما وقاله الشافعي ايضا وهو
الصحيح في هذا الباب للاحاديث الوارده في ذلك وهو مروي عن
ابن عمر وابي برزه وجماعه من العلما   وقال مالك وابو حنيفه تمام البيع
هو ان يعقد البيع بالالسنه فينجزم العقد بذلك ويرتفع الخيار
قال محمد بن الحسن معنى قوله في الحديث البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ان
البايع اذا قال قد بعتك فله ان يرجع ما لم يقل المشتري قد قبلت وهو
قول ابي حنيفه ونص مذهب مالك ايضا حكاه ابن خوازمنداد وقال
ليس له ان يرجع وقد مضى في البقره   احتج الاولون بما ثبت من حديث سمره
بن جندب وابي برزه وابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وابي هريره وحكيم
بن حزام وغيرهم عن النبي صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار ما لم يتفرقا
او يقول احدهما لصاحبه اختر رواه ايوب عن نافع عن ابن عمر   وقوله
صلى الله عليه وسلم في هذه الروايه او يقول احدهما لصاحبه اختر هو معنى
الروايه الاخرى الا بيع الخيار وقوله الا ان يكون بيعهما عن خيار ونحوه اي
يقول احدهما بعد تمام البيع لصاحبه اختر انفاذ البيع او فسخه فان
اختار امضا البيع تم البيع بينهما وان لم يفترقا وكان ابن عمر وهو راوي
الحديث اذا بايع احدا واحب ان ينفذ البيع مشى قليلا ثم رجع وفي

الاصول

الاصول ان من روي حديثا فهو اعلم بتاويله لاسيما الصحابه اذهم
اعلم بالمقال واقعد بالحال وروي ابو داود والدارقطني عن
ابي الوضي قال كنا في سفر في عسكر فاتا رجل معه فرس فقال له رجل
منا اتبيع هذا الفرس بهذا الغلام قال نعم فباعه ثم بات معنا فلما
اصبح قام الى فرسه فقال له صاحبه ما لك والفرس اليس قد بعتنيها
فقال ما لي في هذا البيع من حاجه فقال ما لك ذلك لقد بعتني فقال
لهما القوم هذا ابو برزه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتياه
فقال لهما اترضيان بقضا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا نعم
فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار ما لم يتفرقا
واني لا اراكما افترقتما فهذان صحابيان قد علما مخرج الحديث وعملا
بمقتضاه بل هذا كان عمل الصحابه قال سالم قال ابن عمر كنا اذا تبايعنا
كان كل واحد منا بالخيار ما لم يتفرق المتبايعان قال فتبايعت انا وعثمان
فبعته مالي بالوادي بمال له بخيبر قال فلما بعته طفقت القهقرى خشيه
ان يرادني عثمان البيع قبل ان افارقه اخرجه الدارقطني ثم ان
اهل اللغه فرقوا بين فرقت مثقلا وفرقت مخففا فجعلوا بالتخفيف في
الكلام وبالتثقيل في الابدان قال احمد بن يحيى ثعلب اخبرني ابن
الاعرابي عن المفضل قال يقال فرقت بين الكلامين مخففا فافترقا وفرقت
بين اثنين مشددا فتفرقا فجعل الافتراق في القول والتفرق بالابدان
احتجت المالكيه بما تقدم بيانه في ايه الدين وبقوله تعالى اوفوا بالعقود
وهذان قد تعاقدا وفي هذا الحديث ابطال الوفا بالعقود
قالوا وقد يكون التفرق بالقول كعقد النكاح ووقوع الطلاق الذي

بيعا
ن
المص
د

قد سماه الله فراقا قال الله تعالى وان يتفرقا يغني الله كلا من سعته وقال ولا تكونوا كالذين تفرقوا وقال صلى الله عليه وسلم تفترق امتي ولم يقل بابدانها وقد روى الدارقطني وغيره عن عمرو بن شعيب قال سمعت شعيبا يقول سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ايما رجل ابتاع من رجل بيعة فان كل واحد منهما بالخيار حتى يتفرقا من مكانهما الا ان تكون صفقة خيار ولا يحل لاحدهما ان يفارق صاحبه مخافة ان يقيله قالوا فهذا يدل على انه قد تم البيع بينهما قبل الافتراق لان الاقالة لا تصح الا فيما قد تم من البيوع قالوا ومعنى قوله المتبايعان بالخيار اي المتساومان بالخيار ما لم يعقدا فاذا عقدا بطل الخيار فيه والجواب اما ما اعتلوا به من الافتراق بالكلام فانما المراد بذلك الاديان كما ساه في العمران وان كان صحيحا في بعض المواضع فهو في هذا الموضع غير صحيح وبيانه ان يقال خبرونا عن الكلام الذي وقع به الاجماع وتم به البيع اهو الكلام الذي اريد به الافتراق ام غيره فان قالوا هو غيره فقد احالوا واجابوا بما لا يعقل لانه ليس ثم كلام غير ذلك وان قالوا هو ذلك الكلام بعينه قيل لهم كيف يجوز ان يكون الكلام الذي به اجتمعا وبه تم بيعهما به افترقا هذا عين المحال والفاسد من القول واما قوله ولا يحل له ان يفارق صاحبه مخافة ان يقيله فمعناه ان صح على الندب بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من اقال مسلما اقاله الله عثرته وباجماع المسلمين على ان ذلك يحل لفاعله على خلاف ظاهر الحديث ولاجماعهم انه جايز له ان يفارقه لينفذ بيعه ولا يقيله الا ان يشا وفيما اجمعوا عليه من ذلك لرواية من روى

لا يحل

لاجل فان لم يكن وجه هذا الخبر الندب والا فهو باطل باجماع واما
تاويل المتبايعان المتساومان فعدول عن ظاهر اللفظ وانما معناه المتبايعين
بعد عقدهما مخيرنا زيادا مادام في مجلسهما الا بيعا يقول احدهما لصاحبه
اختر فيختار فان الخيار ينقطع بينهما وان يتفرقا فان فيض خيار فالمعنى
لا بيع الخيار فانه يبقى الخيار بعد التفرق بالابدان وتتميم هذا الباب
في كتب الخلاف وفي قول عمرو بن شعيب سمعت ابي يقول دليل على
صحة حديثه قال الدارقطني ثنا ابو بكر النيسابوري ثنا محمد بن
علي الوراق قال قلت لاحمد بن حنبل شعيب سمع من ابيه شيئا قال يقول
حدثني ابي قال فقلت فابوه سمع من عبد الله بن عمرو بن شعيب بن محمد بن
عبد الله بن عمرو بن العاص وقد صح سماع عمرو بن شعيب من ابيه شعيب
وسماع شعيب من جده عبد الله بن عمرو روى الدارقطني
عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التاجر الصدوق
الامين المسلم مع النبيين والصديقين والشهدا يوم القيمة ويكره للتاجر
ان يحلف لاجل ترويج السلعة ويزينها او يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
في عرض سلعته وهو ان يقول صل على محمد ما اجود هذا ويستحب
للتاجر ان لا تشغله تجارته عن اداء الفرايض فاذا جا وقت الصلاة ينبغي
ان يترك التجارة حتى يكون من اهل هذه الاية رجال لا تلهيهم تجارة
وسياتي وفي هذه الاية مع الاحاديث التي
ذكرناها ما يرد قول من ينكر طلب الاقوات بالتجارات والصناعات
من المتصوفة الجهلة لان الله حرم اكلها بالباطل واحلها بالتجارة وهذا
بين تعالى ولا تقتلوا انفسكم فيه مسلة واحدة قرا

للحسن تقتلوا على التكثير واجمع اهل التاويل على ان المراد بهذه الاية النهي
ان يقتل بعض الناس بعضا ثم لفظها يتناول ان يقتل الرجل نفسه بقصد منه
للقتل فالحرص على الدنيا وطلب المال بان يحمل نفسه على الغرر المودي
الى التلف ويحتمل ان يقال ولا تقتلوا انفسكم في حال ضجر او غضب
فهذا كله يتناوله النهي وقد احتج عمرو بن العاص بهذه الاية حين امتنع
من الاغتسال بالما البارد حين اجنب في غزاة ذات السلاسل خوفا
على نفسه منه فقرر النبي صلى الله عليه وسلم احتجاجه وضحك عنده ولم يقل
شيا اخرجه ابو داود وغيره وسياتي تعالى ومن يفعل ذلك
عدوانا وظلما ذلك اشارة الى القتل لانه اقرب مذكور قاله عطا وقيل
هو عايد الى اكل المال بالباطل وقتل النفس لان النهي عنهما جا متسقا
مسرودا ثم ورد الوعيد حسب النهي وقيل هو عام على كل ما
نهي عنه من القضايا من اول السورة الى قوله ومن يفعل ذلك وقال
الطبري ذلك عايد على ما نهي عنه من وعيد وذلك قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النسا كرها لان كل ما نهي عنه من اول السورة قرن
به وعيد الا من قوله يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم فانه لا وعيد بعده
الا قوله ومن يفعل ذلك عدوانا والعدوان تجاوز الحد والظلم وضع
الشي في غير موضعه وقد تقدم وقيد الوعيد بذكر العدوان
ليخرج منه فعل السهو والغلط وذكر العدوان والظلم مع تقارب
معانيهما لاختلاف الفاظهما وحسن ذلك في الكلام كما قال والقى قولها
كذبا ومينا وحسن العطف لاختلاف اللفظين يقال بعدا
وسحقا ومنه قول يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله ويحسن

وم

ذلك

ذلك لاختلاف اللفظ وتصله معناه نمسه حرها وقد سا معنى الجمع
بين هذه الاي وحديث ابي سعيد الخدري في العصاه واهل الكباير
ولمن انفذ عليه الوعيد فلا معنى لاعاده ذلك وقال الاعمش والنخعي
نصليه بفتح النون على انه مفعول من صلى نارا اي صليته وفي الحرشاه
مصليه ومن ضم النون مفعول بالهمز مثل طمعت واطمعت
تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم فيه مسلتان
لما نهى تعالى في هذه السورة عن اثام هي كباير وعد على اجتنابها
التخفيف من الصغاير ودل هذا على ان في الذنوب كباير وصغاير وعلى
هذا جماعه اهل التاويل وجماعه الفقها وان اللمسه والنظره تكفر باجتناب
الكباير قطعا بوعد الصدق وقوله الحق الا انه لا يجب عليه ذلك ونظير
الكلام في هذا ما تقدم بيانه في قبول التوبه في قوله انما التوبه على الله
فالله تعالى يغفر الصغاير باجتناب الكباير لكن بضميمه اخرى الى الاجتناب
وهي اقامه الفرايض روى مسلم عن ابي هريره قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعه الى الجمعه ورمضان الى رمضان
مكفرات ما بينهن اذا اجتنبت الكباير وروي ابو حاتم البستي في
صحيح مسنده عن ابي هريره وابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم جلس على المنبر ثم قال والذي نفسي بيده ثلاث مرات ثم
سكت فاكب كل رجل منا يبكي حزنا ليمين رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال ما من عبد يودي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويجتنب
الكباير السبع الا فتحت له ابواب الجنة يوم القيامه حتى انها لتصفق
ثم تلى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم فقد تعاضد الكتاب

ثمانيه

وصحيح السنه بتكفير الصغاير قطعا لا بالظن وشبهه وثبتت السنة
المراد بتجتنبوا ليس كل الاجتناب لجميع الكباير والله اعلم واما الاصوليين
فقالوا لا يجب على القطع بتكفير الصغاير باجتناب الكباير وانما يحمل ذلك
على غلبه الظن وقوه الرجا والمشيه ثابته ودل على ذلك انه لو قطعنا
الكباير بمثل الفرايض تكفير صغاير قطعا لكانت له في حكم المباح الذي
يقطع بان لا تباعه فيه وذلك نقض لعرى الشريعه ولا صغيره عندنا
قال القشيري عبد الرحيم والصحيح انها كباير ولكن بعضها اعظم
وقعا من بعض والحكمه في عدم التمييز ان يجتنب العبد جميع المعاصي ه
قال الشيخ المولف رحمه الله وايضا فان من نظر الى نفس المخالفه كما قال
بعضهم لا تنظر الى صغر الذنوب ولكن انظر الى من عصيت كانت الذنوب
بهذه النسبه كلها كباير وعلى هذا النحو يخرج كلام القاضي ابي بكر بن الطيب
والاستاذ ابي اسحق الاسفرايني وابو المعالي وابي نصر عبد الرحمن القشيري
وغيرهم قالوا وانما يقال لبعضها صغيره بالاضافه الى ما هو اكبر منها كما
قال الزنا صغيره باضافته الى الكفر والقبله المحرمه صغيره بالنسبه
الى الزنا ولا ذنب عندنا يغفر باجتناب ذنب اخر بل كل ذلك كبيره
ومرتكبه في المشيه غير الكفر لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشا واحتجوا بقراءه من قرا ان تجتنبوا كباير ما تنهون
عنه على التوجيه وكبير الاثم الشرك قالوا وعلى الجميع فالمراد اجناس
الكفر والايه التي قيدت الحكم فترد اليها هذه المطلقات كلها قوله ويغفر
ما دون ذلك لمن يشا واحتجوا بما رواه مسلم وغيره ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد اوجب الله له النار وحرم

عن ابي امامه

عليه الجنه

٤٦

عليه الجنة فقال له يا رسول الله وان كان شيا يسيرا قال وان كان قضيبا من اراك فقد جا الوعيد الشديد على اليسير كما جا على الكثير وقال بن عباس الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب وقال بن مسعود الكباير ما نهى الله عنه في هذه السورة الى ثلاثين اية وتصديقه قوله تعالى وان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه وقال طاوس قيل لابن عباس الكباير سبع قال هي الى سبعين اقرب وقال سعيد بن جبير قال رجل لابن عباس الكباير سبع قال هي الى السبعماية اقرب منها الى سبع غير انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وروي عن بن مسعود انه قال الكباير اربعة الايس من روح الله والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله والشرك بالله دل عليها القران وروي عن بن عمر هي تسع قتل النفس واكل الربا واكل مال اليتيم ورمي المحصنات وشهادة الزور وعقوق الوالدين والفرار من الزحف والسحر والالحاد في البيت الحرام ومن الكباير عند العلما القمار والسرقة وشرب الخمر وسب السلف الصالح وعدول الحكام عن الحق واتباع الهوى واليمين الفاجرة والقنوط من رحمة الله وسب الانسان ابويه بان يسب رجلا فيسب ذلك الرجل ابويه والسعي في الارض فسادا الى غير ذلك مما يكثر تعداده حسبما جا بيانه في القرآن وفي احاديث خرجها الايمة وقد ذكر مسلم في كتاب الايمان منها جملة وافرة وقد اختلف الناس في تعدادها وحصرها لاختلاف الاثار فيها والذي اقول انه قد جاءت فيها احاديث كثيرة صحاح وحسان لم يقصد بها الحصر لكن بعضها اكبر من بعض بالنسبة الى ما يكثر ضرره والشرك اكبر ذلك كله وهو الذي لا يغفر لنص الله على ذلك

٢٠

وصحيح السنه بتكفير الصغاير قطعا كالنظر وشبهه وثبتت السنه
المراد بتجتنبوا ليس كل الاجتناب لجميع الكباير والله اعلم واما الاصوليين
فقالوا لا يجب على القطع بتكفير الصغاير باجتناب الكباير وانما يحمل ذلك
على غلبه الظن وقوه الرجا والمشيه ثابته ودل على ذلك انه لو قطعنا
الكباير ومثل الفرايض بتكفير صغاير قطعا لكانت له في حكم المباح الذي
يقطع بان لا تباعه فيه وذلك نقض لعري الشريعه ولا صغيره عندنا
قال القشيري عبد الرحيم والصحيح انها كباير ولكن بعضها اعظم
وقعا من بعض والحكمه في عدم التمييز ان يجتنب العبد جميع المعاصي ٥
قال الشيخ المولف رحمه الله وايضا فان من نظر الى نفس المخالفه كما قال
بعضهم لا تنظر الى صغر الذنوب ولكن انظر الى من عصيت كانت الذنوب
بهذه النسبه كلها كباير وعلى هذا النحو يخرج كلام القاضي ابي بكر بن الطيب
والاستاد ابي اسحق الاسفرايني وابو المعالي وابي نصر عبد الرحمن القشيري
وغيرهم قالوا وانما يقال لبعضها صغيره بالاضافه الى ما هو اكبر منها كما
قال الزنا صغيره باضافته الى الكفر والقتله المحرمه صغيره بالنسبه
الى الزنا ولا ذنب عندنا يغفر باجتناب ذنب اخر بل كل ذلك كبيره
ومرتكبه في المشيه غير الكفر لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشا واحتجوا بقراه من قرا ان تجتنبوا كباير ما تنهون
عنه على التوجيه وكبير الاثم الشرك قالوا وعلى الجميع فالمراد اجناس
الكفر والايه التي قيدت الحكم فترد اليها هذه المطلقات كلها قوله ويغفر
ما دون ذلك لمن يشا واحتجوا بما رواه مسلم وغيره ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من اقتطع حق امرى مسلم بيمينه فقد اوجب الله له النار وحرم

عليه الجنه

عن ابي امامه

عليه الجنة فقال له يا رسول الله وان كان شيا يسيرا قال وان كان قضيبا من
اراك فقد جا الوعيد الشديد على اليسير كما جا على الكثير وقال ابن
عباس الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب وقال
ابن مسعود الكباير ما نهى الله عنه في هذه السورة الى ثلاثة وثلاثين اية وتصديقه
قوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه وقال طاوس قيل لابن عباس
الكباير سبع قال هي الى سبعين اقرب وقال سعيد بن جبير قال رجل لابن
عباس الكباير سبع قال هي الى السبعماية اقرب منها الى سبع غير انه
لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وروي عن ابن مسعود
انه قال الكباير اربعة الاياس من روح الله والقنوط من رحمة الله والا
من من مكر الله والشرك بالله دل عليها القران وروي عن ابن عمر هي
تسع قتل النفس واكل الربا واكل مال اليتيم ورمي المحصنات وشهادة
الزور وعقوق الوالدين والفرار من الزحف والسحر والالحاد في
البيت الحرام ومن الكباير عند العلما القمار والسرقة وشرب الخمر وسب
السلف الصالح وعدول الحكام عن الحق واتباع الهوى واليمين الفاجرة
والقنوط من رحمة الله وسب الانسان ابويه بان يسب رجلا فيسب
ذلك الرجل ابويه والسعي في الارض فسادا الى غير ذلك مما يكثر تعداده
حسبما جا بيانه في القران وفي احاديث خرجها الايمه وقد ذكر مسلم في
كتاب الايمان منها جملة وافرة وقد اختلف الناس في تعدادها وحصرها
لاختلاف الاثار فيها والذي اقول انه قد جاءت فيها احاديث كثيرة صحاح
وحسان لم يقصد بها الحصر لكن بعضها اكبر من بعض بالنسبة الى ما يكثر
ضرره والشرك اكبر ذلك كله وهو الذي لا يغفر لنص الله على ذلك

وبعده الاياس من رحمة الله لان فيه تكذيب القران اذ يقول وقوله الحق
ورحمتي وسعت كل شي وهو يقول لا يغفر له فقد حجر واسعا هذا
اذا كان معتقدا لذلك ولذلك قال الله تعالى انه لا ييئس من روح الله الا
القوم الكافرون وبعده القنوط قال الله تعالى ومن يقنط من رحمة ربه
الا الضالون وبعده الامن من مكر الله فيسترسل في المعاصي ويتكل
على رحمة الله من غير عمل قال الله تعالى افامنوا مكر الله فلا يامن مكر
الله الا القوم الخاسرون وقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم
فاصبحتم من الخاسرين وبعده القتل لان فيه ذهاب النفوس
واعدام الوجود واللواط فيه قطع النسل والزنا فيه اختلاط
الانساب بالمياه والخمر فيه ذهاب العقل الذي هو مناط التكليف
وترك الصلاه والاذان فيه ترك اظهار شعار الاسلام وشهاده
الزور فيها استباحه الدما والفروج والاموال الى غير ذلك مما هو بين
الضرر فكل ذنب عظم الشرع التوعد عليه بالعقاب وشدده او
عظم ضرره في الوجود كما ذكرنا فهو كبير وما عداه صغير فهذا يربط لك
لك الباب ويضبطه والله اعلم قوله تعالى وندخلكم مدخلا
كريما قرا ابو عمرو والكوفيون مدخلا بضم الميم فيحتمل ان يكون مصدرا
اي ادخالا والمفعول محذوف اي وندخلكم الجنه ادخالا ويحتمل ان يكون
بمعنى المكان فيكون مفعولا وقرا اهل المدينه بفتح الميم فيجوز ان يكون ادخل [margin: مصدرا]
وهو منصوب باضمار فعل التقدير فيدخلكم فتدخلون مدخلا ودل
الكلام عليه ويجوز ان يكون اسم مكان فينتصب على انه مفعول به اي وندخلكم
مكانا كريما وهو الجنه وقال ابو سعيد بن الاعرابي سمعت ابا داود

السجستاني

الشيجستاني يقول سمعت ابا عبد الله احمد بن حنبل يقول المسلمون كلهم في الجنه
فقلت وكيف قال يقول الله عز وجل ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر
عنكم سياتكم وندخلكم مدخلا كريما يعني الجنه وقال النبي صلى الله عليه
وسلم ادخرت شفاعتي لاهل الكباير فاذا كان الله عز وجل يغفر ما دون
الكباير والرسول الله عليه وسلم يشفع في الكباير فاي ذنب يبقى على المسلمين
قال علماونا فالكباير عند اهل السنه تغفر لمن اقلع عنها قبل الموت حسبما تقدم
وقد يغفر لمن مات عليها من المسلمين كما قال تعالى ويغفر ما دون ذلك
لمن يشا والمراد بذلك من مات على الذنوب ولو كان المراد من تاب قبل الموت
لم يكن للتفرقه بين الاشراك وغيره معنى اذ التايب من الشرك ايضا مغفور
له وروى عن بن مسعود انه قال خمس ايات من سوره النسا هي لي احب الي
من الدنيا وما فيها جميعا قوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه الايه وقوله
ان الله لا يغفر ان يشرك به الايه وقوله ومن يعمل سوا او يظلم نفسه
الايه وقوله ان تك حسنه يضاعفها وقوله والذين امنوا بالله
ورسله وقال بن عباس ثمان ايات في سوره النسا هن خير لهذه الامه
مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد
ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كباير ما تنهون
نكفر عنكم سياتكم الايه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم
مثقال ذره ومن يعمل سوا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم
تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض الى قوله عليما
فيه اربع مسايل روى الترمذي عن ام سلمه انها قالت يغزو
الرجال ولا يغزو النسا وانما لنا نصف الميراث فانزل الله تعالى ولا تتمنوا

ما فضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد وانزل فيها ان المسلمين والمسلمات
فكانت ام سلمه اول اول ظعينه قدمت المدينه مهاجره قال ابو عيسى
هذا حديث مرسل رواه بعضهم عن ابن نجيح عن مجاهد مرسلا ان ام سلمه قالت
كذا قال قتاده كانت الجاهليه لا يورثون النسا ولا الصبيان فلما ورثوا وجعل
للذكر مثل حظ الانثيين تمنى النسا ان لو جعل انصبا وهن كانصبا الرجال
وقال الرجال انا لنرجوا ان نفضل على النسا بحسناتنا في الاخره كما فضلنا عليهن
في الميراث فنزلت ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
قوله تعالى ولا تتمنوا نوع من الاراده يتعلق بالمستقبل كالتلهف نوع منها
يتعلق بالماضي فنهى الله سبحانه المومنين عن التمني لان فيه تعلق البال
ونسيان الاجل وقد اختلف العلما هل يدخل في هذا النهي الغبطه
وهي ان يتمنى الرجل ان يكون له حال صاحبه وان لم يتمنى زوال حاله والجمهور
على اجازة ذلك مالك وغيره وهو المراد عند بعضهم في قوله عليه السلام
لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله القران فهو يقوم به انا الليل وانا
النهار ورجل اتاه الله مالا فهو ينفقه انا الليل وانا النهار فمعنى قوله
لا حسد اي لا غبطه اعظم وافضل من الغبطه في هذين
الامرين وقد نبه البخاري على هذا المعنى حيث بوب على هذا الحديث
باب الاغتباط في العلم والحكمه قال المهلب بين الله تعالى في هذه الايه
ما لا يجوز تمنيه وذلك ما كان من عرض الدنيا واشباهها قال
ابن عطيه واما التمني في الاعمال الصالحه فذلك هو الحسن واما اذا
تمنى المرء على الله من غير ان يقرن امنيته بشي مما قدمنا ذكره فذلك جايز
وذلك موجود في حديث النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وددت اني احيا ثم

اقتل

افتل قال الشيخ المولف رحمه الله هذا الحديث هو الذي صدر به البخاري
كتاب التمني في صحيحه وهو يدل على تمني الخير وافعال البر والرغبة فيها وفيه
فضل الشهادة على ساير اعمال البر لانه صلى الله عليه وسلم تمناها دون غيرها
وذلك لرفيع منزلتها وكرامة اهلها فرزقه الله اياها لقوله مازالت اكلة خيبر
تعاودني الان اوان قطعت ابهري وفي الصحيح لان الشهيد يقال له
تمنى فيقول اتمنى ان ارجع الى الدنيا حتى اقتل في سبيلك مرة اخرى وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمنى ايمان ابي طالب وابي لهب وصناديد
قريش مع علمه بانه لا يكون وكان يقول واشوقاه الى اخواني الذين
يجيئون من بعدي يومنون بي ولم يروني وهذا يدل على ان التمني
لا ينهى عنه اذا لم يكن داعية الى الحسد والتباغض والتمني
المنهي عنه في الاية من هذا القبيل فيدخل فيه ان يتمنى الرجل
حال الاخر من دين او دنيا على ان يذهب ما عند الاخر وسوا
تمنيت مع ذلك ان يعود اليك اولا وهذا هو الحسد بعينه
وهو الذي ذمه الله تعالى بقوله ام يحسدون الناس على ما اتاهم
الله من فضله ودخل فيه ايضا خطبة الرجل على خطبة اخيه
وبيعه على بيعه لانه داعية للحسد والمقت وقد كره بعض
العلما الغبطة وانها داخلة في النهي والصحيح جوازها على ما
بينا وبالله توفيقنا قال الضحاك لا يحل لاحد ان يتمنى
مال احد الم تسمع الذين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون
الى ان قال وقال الذين تمنوا مكانه بالامس حين خسف به
وبداره وامواله لولا ان من الله علينا لخسف بنا وقال

الطبري لا يتمنى الرجل مال اخيه ولا امراته ولا خادمه ولا دابته و[لكن]
ليقل اللهم ارزقني مثله وهو كذلك في التوراه وكذلك في قوله
في القران واسلوا الله من فضله وقال ابن عباس نهى الله سبحانه
ان يتمنى الرجل مال فلان واهله وامر عباده المومنين ان يسالوه
من فضله ومن الحجه للجمهور قوله صلى الله عليه وسلم انما الدنيا
لاربعه نفر رجل اتاه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه
رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بافضل المنازل ورجل اتاه الله
علما ولم يوته مالا فهو صادق النيه يقول لو ان لي مالا لعملت فيه
بعمل فلان فهو بنيته فهو اجرهما سوا الحديث وقد تقدم خرجه
الترمذي وصححه وقال الحسن لا يتمن احدكم المال وما يدريه
لعل هلاكه فيه وهذا انما يصح اذا تمناه للدنيا واما اذا تمناه
للخير فقد جوزه الشرع فيتمناه العبد ليصل به الى الرب ويفعل
ما يشا قوله تعالى للرجال نصيب مما اكتسبوا يريد من
الثواب والعقاب وللنسا كذلك قاله قتاده فللمراه الجزا على
الحسنه بعشر امثالها كما للرجل وقال ابن عباس المراد بذلك
الميراث والاكتساب على هذا القول بمعنى الاصابه للذكر مثل
حظ الانثيين فنهى الله عز وجل عن التمني على هذا الوجه لما فيه من
دواعي الحسد ولان الله اعلم بمصالحهم منهم فوضع القسمه بينهم
على التفاوت على ما علم من مصالحهم قوله تعالى واسالوا الله
من فضله روى الترمذي عن عبد الله قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسال وافضل

العباده

العباده انتظار الفرج وخرج ايضا ابن ماجه عن ابي هريره قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسئل الله يغضب عليه
وهذا يدل على ان الامر بالسوال لله واجب وقد اخذ بعض العلما
هذا المعنى فنظمه الله يغضب ان تركت سواله وبني ادم
حين يسئل يغضب وقال احمد بن المعدل ابو الفضل الفقيه المالكي
فاحسن التمس الارزاق عند الذي ما دونه يسئل من حاجب من
يبغض الباذل يساله جودا ومن يرضى عن الطالب ومن اذا قال
جرى قوله بغير توقيع الى كاتب وقد اشبعنا القول في هذا في
كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعه وقال سعيد بن جبير واسلوا
الله من فضله العباده ليس من امر الدنيا وقيل سلوه التوفيق
للعمل بما يرضيه وعن عايشه رضي الله عنها قالت سلوا ربكم حتى
الشسع فانه ان لم ييسره الله تعالى لم يتيسر وقال سفين بن
عيينه لم يامر بالسوال الا ليعطي وقرا الكساي وابن كثير وسلوا
وسلوا الله من فضله بغير همز في جميع القران الباقون بالهمز وسئلوا
الله واصله بالهمز الا انه حذف الهمزه للتخفيف تعالى
ولكل جعلنا موالي فيه خمس مسايل بين تعالى ان لكل
انسان ورثه وموالي فلينتفع كل احد بما قسم له من الميراث ولا يتمنى
مال غيره روى البخاري في كتاب الفرايض من روايه سعيد بن جبير
عن ابن عباس ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين
عاقدت ايمانكم قال كان المهاجرون حين قدموا المدينه يرث
الانصاري المهاجر دون ذوي رحمه للاخوه التي اخا رسول الله صلى الله

عليه وسلم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي فالناسخه والذين عاقدت ايمانكم
والصواب ان الايه الناسخه لكل جعلنا موالي في المنسوخه والذين
عاقدت ايمانكم وهذا رواه الطبري في روايته روي عن جمهور
السلف ان الايه الناسخه لقوله والذين عاقدت ايمانكم قوله تعالى
في الانفال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض روي هذا عن
عباس وقتاده والحسن البصري وهو الذي اثبته ابو عبيد في
باب الناسخ والمنسوخ له وفيها قول اخر رواه الزهري عن سعيد
بن المسيب قال امر الله عز وجل الذين يتبنوا غير ابناهم في الجاهليه
وورثوا في الاسلام ان يجعلوا لهم نصيبا في الجاهليه لوصيه ورد
الميراث الى ذوي الرحم والعصبه وقالت طايفه قوله والذين
عاقدت ايمانكم محكم وليس بمنسوخ وانما امر الله المومنين ان
يعطوا الحلفا انصباهم من النصر والنصيحه وما اشبه ذلك
ذكر الطبري عن بن عباس والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم
من النصر والنصيحه والرفادة ويوصي لهم وقد ذهب الميراث وهو
قول مجاهد والسدي قال الشيخ المولف رحمه الله اختاره
النحاس ورواه عن سعيد بن جبير ولا يصح النسخ فان الجمع ممكن
كما بينه بن عباس فيما ذكر الطبري ورواه البخاري عنه في كتاب التفسير
وسياتي ميراث ذوي الارحام في الانفال ان شا الله تعالى
كل في كلام العرب معناها الاحاطه والعموم فاذا جات مفرده فلا
بد ان يكون في الكلام حذف عند جميع النحويين حتى ان بعضهم اجاز
مررت بكل مثل قبل وبعد وتقدير الحذف ولكل احد جعلنا

موالي

سادس

موالي يعني ورثه والذين عاقدت ايمانكم اي بالحلف عن قياده وذلك
ان الرجل كان يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري
ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب
بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث
الحليف ثم نسخ قوله تعالى موالي اعلم ان المولى لفظ مشترك
يطلق على وجوه فيسمي المعتق مولى والمعتق كذلك ويقال المولى الاسفل والا على
ايضا ويسمي الناصر المولى ومنه قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم ويسمي
ابن العم مولى والجار مولى فاما قوله ولكل جعلنا موالي يريد عصبه لقوله
صلى الله عليه وسلم ما ابقت فلاولى عصبه ذكر ومن العصبات
المولى الاعلى لا الاسفل على قول اكثر العلما لان المفهوم في حق المعتق انه
المنعم على المعتق كالمنعم به فالمستحق لميراثه لهذا المعنى وحكى
الطبري عن الحسن بن زياد ان المولى الاسفل يرث من الاعلى واحتج فيه
بما روي ان رجلا اعتق عبدا له فمات المعتق ولم يترك الا المعتق فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراثه للغلام المعتق قال الطحاوي
ولا معارض لهذا الحديث فوجب القول به ولانه اذا امكن اثبات
الميراث للمعتق على تقدير انه كان الموجود له فهو شبيه بالاب والمولى
الاسفل شبيه بالابن وذلك يقتضي التسويه بينهما في الميراث والاصل ان
الاتصال يعم وفي الخبر مولى القوم منهم والذين خالفوا هذا وهم
الجمهور قالوا الميراث يستدعي القرابه ولا قرابه غير انا اثبتنا للمعتق
الميراث بحكم الانعام على المعتق فيقتضي مقابله الانعام بالمجازاه وذلك
لا ينعكس في الاسفل واما الابن فهو اولى الناس بان يكون خليفه

ابيه وفايما مقامه وليس المعتق صالحا لان يقوم مقام معتقه واما انعم
تدا نعم عليه فقابله الشرع بان جعله احق لمولاه المعتق ولا يوجد هذا
في المولى الاسفل فظهر الفرق بينهما والله اعلم قوله تعالى
والذين عاقدت ايمانكم روي على بن كبيسه عن حمزه عقدت بتشديد
القاف على التكثير والمشهور عن حمزه عقدت ايمانكم مخففه القاف وهي
قراه عاصم والكساي وهي قراه بعيده لان المعاقده لا تكون الا من اثنين
فصاعدا اما انهما فاعل قال ابو جعفر النحاس وقراه حمزه تجوز على
غموض من العربيه يكون التقدير فيها والذين عقدتهم ايمانكم الحلف تعدى
الى مفعولين وتقديره عقدت لهم ايمانكم الحلف ثم حذفت اللام
مثل واذا كالوهم اي كالوا لهم وحذف المفعول الثاني كما يقال
حلفتك اي حلفت لك برا وحذف المفعول الاول لانه متصل في
الصفه قوله تعالى ان الله كان على كل شي شهيدا اي قد
عاقدتم اياهم وهو عز وجل يحب الوفا تعالى الرجال
قوامون على النسا الى قوله عليا كبيرا فيه احد عشر مسله
قوله تعالى الرجال قوامون على النسا ابتدا وخبر اي يقومون بالنفقة عليهن
والذب عنهن وايضا فان فيهم الحكام والامرا ومن يغزوا وليس ذلك
في النسا فجعل لهم حق القيام عليهن بذلك يقال قوام وقيم والايه نزلت
نزلت في سعد بن الربيع نشزت عليه امراته حبيبه بنت زيد بن ابي
زهير فلطمها فقال ابوها يا رسول الله افرشته كريمتي فلطمها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع ابيها لتقتص
منه فقال عليه السلام ارجعوا هذا جبريل اتاني فانزل الله هذه الايه

فقال

٥٦

فقال صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله غيره وفي رواية اخرى
اردنا شيا وما اراد الله خير ونقض الحكم الاول وقد قيل ان في هذا
الحكم المردود نزل ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه ٥٠
د حدثنا اسماعيل بن اسحق قال حدثنا حجاج بن المنهال وعارم بن الفضل واللفظ
لحجاج قال ثنا جرير بن حازم قال سمعت الحسن يقول ان امراه اتت النبي
صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي لطم وجهي فقال بينهما القصاص
فانزل الله تعالى ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وسكت
النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل الرجال قوامون على النسا وقال ابو روق
نزلت في جميله بنت عبد الله وفي زوجها ثابت بن قيس بن شماس وقال
الكلبي نزلت في عميره بنت محمد بن مسلمه وفي زوجها سعد بن الربيع وقيل
سببها قول ام سلمه المتقدم ووجه النظم انهن تكلمن في تفضيل الرجال
على النسا وفي الارث فنزلت ولا تتمنوا الايه ثم بين تعالى ان تفضيلهم
عليهن في الارث لما على الرجال من المهر والانفاق ثم فايده تفضيلهم
عايده اليهن فجعل لهم حق القيام عليهن بذلك مع قوله وبما انفقوا من
اموالهم ويقال ان الرجال لهم في زياده العقل والتدبير فجعل
لهم حق القيام عليهن لذلك وقيل للرجال زياده قوه في النفس
والطبع ما ليس للنسا لان طبع الرجال غلب عليه الحراره واليبوسه فيكون
فيه قوه وشده وطبع النسا غلب عليه طبع الرطوبه والبروده فيكون
فيها معنى اللين والضعف والله اعلم ودلت هذه
الاية على تاديب الرجال نساهم فاذا حفظن حقوق الرجال فلا
ينبغي ان يسى الرجل عشرتها وقوام فعال للمبالغه من القيام على

نزم
ق

الشى واستبداد بالمطرفيه وحفظه بالاجتهاد فيقام الرجل على النسا
هو على هذا الحد وهو ان يقوم بتدبيرها وتاديبها وامساكها في
بيتها ومنعها البروز وان عليها طاعته وقبول امره مالم يكن معصيه وتعليل
ذلك بالفضيله والنفقه والعقل والقوه في امر الجهاد والميراث والامر
بالمعروف والنهى عن المنكر وقد ادعى بعضهم في التفضيل اللحيه وليس
بشى فان اللحيه قد تكون وليس معها شى مما ذكرنا وقد مضى الرد على هذا
في البقره فهم العلما من قوله وبما انفقوا من اموالهم انه متى
عجز عن نفقتها لم يكن قواما عليها واذا لم يكن قواما عليها كان لها فسخ العقد لزوال
المقصود الذى شرع لاجله النكاح وفيه دلاله على ظاهر من هذا الوجه
على ثبوت فسخ النكاح عند الاعسار بالنفقه والكسوه وهذا مذهب
ملك والشافعى وقال ابو حنيفه لا يفسخ لقوله تعالى وان كان
ذو عسره فنظره الى ميسره وقد تقدم القول في هذا في هذه السوره
قوله تعالى فالصالحات قانتات حافظات للغيب
هذا كله خبر ومقصوده الامر بطاعه الزوج والقيام بحقه في ماله
وفى نفسها في حال غيبه الزوج وفى مسند ابى داود الطيالسى
عن ابى هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النسا خير النسا
من اذا نظرت اليها سرتك واذا امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك
في نفسها ومالها قال وتلى هذه الايه الرجال قوامون على النسا الى اخر
الايه وقال صلى الله عليه وسلم الا اخبرك بخير ما يكنزه المرء المراه الصالحه
اذا نظر اليها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته اخرجه
ابو داود وفى مصحف ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ وهذا

بنا يختص بالمونث قال ابن جني والتكسير اشبه لفظا بالمعنى اذ هو يعطي الكثره وهي المقصود ها هنا وما في قوله بما حفظ الله مصدريه اي بحفظ الله لهن ويصح ان تكون بمعنى الذي ويكون العايد في حفظ ضمير نصب وفي قراه ابي جعفر بما حفظ الله بالنصب قال النحاس الرفع ابين اي حافظات لغيب ازواجهن بحفظ الله ومعونته وتسديده وقيل بما حفظهن الله في مهورهن وعشرتهن وقيل بما استحفظهن الله من اداء الامانات الى ازواجهن ومعنى قراه النصب بحفظهن الله اي بحفظهن امره او دينه وقيل في التقدير بما حفظن الله ثم وحد الفعل كما قيل ان الحوادث اودى بها وقيل المعنى بحفظ الله مثل حفظت الله قوله تعالى واللاتي تخافون نشوزهن اللاتي جمع التي وقد تقدم قال ابن عباس تخافون تعلمون وتتيقنون وقيل هو على بابه والنشوز العصيان من النشز وهو ما ارتفع من الارض يقال نشز الرجل ينشز وينشز اذا كان قاعدا فنهض قايما ومنه قوله عز وجل واذا قيل انشزوا فانشزوا اي ارتفعوا وانهضوا الى حرب او امر من امور الله فالمعنى تخافون عصيانهن وتعاليهن عما اوجب الله عليهن من طاعه الازواج قال ابو منصور اللغوي النشوز كراهه كل واحد من الزوجين صاحبه يقال نشزت تنشز فهي ناشز بغير ها ونشصت وهي السيه للعشره وقال ابن فارس ونشزت المراة استصعبت على بعلها ونشز بعلها اذا ضربها وجفاها قال ابن دريد نشزت المراة ونشست ونشصت بمعنى واحد قوله تعالى فعظوهن اي بكتاب الله اي ذكروهن ما اوجب الله عليهن من حسن الصحبه وجميل العشره للزوج والاعتراف

بالدرجة التي له عليها ويقول ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو امرت
احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لبعلها وقال لا تمنعه نفسها
وان كانت على قتب وقال ايما امراة باتت هاجرة فراش زوجها
لعنتها الملايكة حتى تصبح في رواية حتى تراجع وتضع يدها على يده وما
كان مثل هذا قوله تعالى واهجروهن في المضاجع وقرا ابن مسعود
والنخعي وغيرهما المضجع على الافراد فانه اسم جنس يودي عن الجميع والهجر
في المضاجع ان يضاجعها ويوليها ظهره ولا يجامعها عن ابن عباس وغيره
وقال مجاهد جنبوا مضاجعهن فيتقدر على هذا الكلام حذف ويعضده
اهجروهن من الهجران وهو البعد يقال هجره اي تباعد ونا عنه ولا
يمكن بعدها الا بترك مضاجعها وقال معناه ابراهيم النخعي والشعبي
وقتادة والحسن البصري ورواه ابن وهب وابن القاسم عن ملك واختاره
ابن العربي وقال حملوا الامر على الاكثر الموفي ويكون هذا كما تقول اهجره
في الله وهذا اصل ملك قال الشيخ المولف رحمه الله هذا قول
حسن فان الزوج اذا اعرض عن فراشها فان كانت محبة للزوج فذلك
يشق عليها فترجع للصلاح وان كانت مبغضة فيظهر النشوز فيها
فيتبين ان النشوز من قبلها وقيل اهجروهن من الهجر وهو القبيح
من الكلام اي غلظوا عليهن القول وضاجعوهن للجماع وغيره قال
معناه سفيان وروي عن ابن عباس وقيل شدوهن وثاقا في
بيوتهن من قولهم هجر البعير اي ربطه بالهجار وهو حبل يشد به
البعير وهو اختيار الطبري وقدح في ساير الاقوال وفي كلامه في هذا
الموضع نظر وقد رد عليه القاضي ابو بكر ابن العربي في احكامه فقال يا لها من

هفوة

هضوه من علم بالقران والسنه   قال والذي حمله على هذا التاويل
حديث غريب رواه ابن وهب عن مالك ان اسما بنت ابي بكر الصديق
امراه الزبير بن العوام كانت تخرج حتى عوتبت في ذلك قال وعتب عليها
وعلى ضرتها فعقد شعر واحده بالاخرى ثم ضربهما ضربا شديدا وكانت
الضره احسن اتقا وكانت اسما لا تتقي فكان الضرب بها اكثر فشكت
الى ابيها ابي بكر فقال لها فقال اي بنيه اصبري فان الزبير رجل صالح
ولعله ان يكون زوجك في الجنه ولقد بلغني ان الرجل اذا ابتكر بالمراة
تزوجها في الجنه فراى الربط والعقد مع احتمال اللفظ مع فعل
الزبير فاقدم على هذا التفسير وهذا الهجر غايته عند العلما شهرا
كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين اسر الى حفصه فافشته الى
عايشه وتظاهرتا عليه ولا تبلغ به الاربعه الاشهر الذي ضرب
الله اجلا عذرا للمولى   قوله تعالى واضربوهن
امر الله تعالى ان يبدا النسا بالموعظه اولا ثم بالهجران فان لم ينجعا
فالضرب فانه الذي يصلحها ويحملها على توفيه حقه والضرب في
هذه الايه هو ضرب الادب غير المبرح وهو الذي لا يكسر
ولا يشين جارحه كاللكزه ونحوها فان المقصود منه الصلاح لا غير
فلا جرم اذا ادى الى الهلاك وجب الضمان وكذلك القول في ضرب المودب
غلامه لتعليم القران والادب وفي صحيح مسلم اتقوا الله في النسا فانكم
اخذتموهن بامانه الله واستحللتم فروجهن بكلمه الله ولكم عليهن ان لا
يوطين فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح
الحديث اخرجه من حديث جابر الطويل في الحج اي لا يدخلن

منار لكن احدا ممن تكرهونه من الاقارب والنسا الاجانب وعلى هذا
يحمل ما رواه الترمذي وصححه عن عمرو بن الاحوص انه شهد حجة الوداع
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه وذكر ووعظ فقال
الا واستوصوا بالنسا خيرا فانهن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيا
غير ذلك الا ان ياتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع
واضربوهن ضربا غير مبرح فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا الا ان
لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فاما حقكم على نسائكم فلا يوطين
فرشكم من تكرهون ولا ياذن في بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهن عليكم
ان تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن قال هذا حديث حسن صحيح
فقوله بفاحشة مبينة يريد لا يدخلن من يكرهه ازواجهن ولا
يغضبنهم وليس المراد بذلك الزنا فان ذلك ويلزم عليه الحد وقد
قال صلى الله عليه وسلم اضربوا النسا اذا عصينكم في معروف ضربا
غير مبرح. قال عطا قلت لابن عباس ما الضرب غير المبرح قال
بالسواك ونحوه وروي ان عمر رضي الله عنه ضرب امراته فعذل
في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسل الرجل فيما
يضرب اهله قوله تعالى فان اطعنكم اي تركوا
النشوز فلا تبغوا عليهن سبيلا اي لا تجنوا عليهن بقول او فعل
وهذا نهي عن ظلمهن بعد تقرير الفضل عليهن والتمكين من ادبهن
وقيل المعنى لا تكلفوهن الحب لكم فانه ليس اليهن
قوله تعالى ان الله كان عليا كبيرا اشارة الى الازواج بخفض الجناح
ولين الجانب اي ان كنتم تقدرون عليهن فتذكروا قدرة الله فيدك بالقدرة

فوق كل

فوق كل يد فلا يستعلي احد على امراته فالله بالمرصاد فلذلك حسن
الانصاف هنا بالعلو والكبر   واذا ثبت هذا
فاعلم ان الله عز وجل لم يامر في شي من كتابه بالضرب صراحا الا هنا وفي
الحدود العظام فساوي معصيتهن بازواجهن بمعصيه الجابر وولي
الازواج ذلك دون الايمه وجعله لهم دون القضاه بغير شهود
ولا بينات ايتمانا من الله تعالى للازواج على النسا   قال المهلب انما
جوز ضرب النسا من اجل امتناعهن على ازواجهن في المباضعه واختلف
في وجوب ضربها في الخدمه والقياس يوجب انه اذا جاز ضربها في المبا...
جاز في الخدمه الواجبه للزوج عليها بالمعروف   قال ابن خويزمنداد
النشوز يسقط النفقه وجميع حقوق الزوجيه ويجوز معه ان يضربها
الزوج ضرب الادب غير المبرح والوعظ والهجر حتى ترجع عن نشوزها
فاذا رجعت عادت حقوقها ولذلك كلما اقتضى الادب فجايز للزوج
تاديبها ويختلف الحال في ادب الرفيعه والدنيه فادب الرفيعه العدل
وادب الدنيه السوط وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله امرا علق
سوطه وادب اهله   وقال ان ابا جهم لا يضع عصاه عن عاتقه وقال
بشار الحر يلحى والعصا للعبد يلحى اي يلام   وقال ابن دريد واللوم للحر مقيم
رادع والعبد لا يردعه الا العصا   قال ابن المنذر اتفقوا اهل العلم على وجوب
نفقات الزوجات على ازواجهن اذا كانوا جميعا بالغين الا الناشز
منهن الممتنعه   وقال ابو عمر من نشزت عنه امراته
بعد دخوله سقطت عنه نفقتها الا ان تكون حاملا وخالف
ابن القاسم جماعه الفقها في نفقه الناشز فاوجبها واذا

لف

عادت الناشز الى زوجها وجب في المستقبل نفقتها ولا تسقط
نفقة المراة عن زوجها لشي غير النشوز لا من مرض ولا من
حيض ولا نفاس ولا صوم ولا حج ولا مغيب زوجها
ولا حبسه عنها في حق او جور غير ما ذكرنا والله اعلم
تعالى وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما
من اهلها الى قوله خبيرا فيه ست مسايل قوله
وان خفتم شقاق بينهما قد تقدم معنى الشقاق في البقرة
فكان كل واحد من الزوجين ياخذ شقا غير شق صاحبه اي
ناحية غير ناحية صاحبه والمراد ان خفتم شقاقا بينهما فاضاف
المصدر الى الظرف لقوله بل مكر الليل والنهار وصوم عرفة
وفي التنزيل بل مكر الليل والنهار وقيل ان بين اجري مجرى الاسم
وازيل عنه الظرفية اذ هو بمعنى حالهما وعشرتهما اي وان
خفتم تباعد عشرتهما وصحبتهما فابعثوا وخفتم على الخلاف
المتقدم قال سعيد بن جبير الحكم ان يعظها اولا فان
قبلت والا هجرها فان هي قبلت والا ضربها فان هي قبلت
والا بعث الحاكم حكما من اهله وحكما من اهلها فينظران ممن
الضرر وعند ذلك يكون الخلع وقيل له ان يضرب قبل
الوعظ والاول اصح لترتيب ذلك في الاية الجمهور
من العلما على ان المخاطب بقوله وان خفتم الحكام والامرا وان
قوله ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما يعني الحكمين في قول
ابن عباس ومجاهد وغيرهما اي ان يرد الحكمان اصلاحا يوفق الله بين

الزوجين وقيل المراد الزوجان اي ان يريد الزوجان اصلاحا
وصدقا فيما اخبرا به الحكمين يوفق الله بينهما وقيل الخطاب
للاوليا يقول ان خفتم اي علمتم خلافا بين الزوجين فابعثوا حكما من
اهله وحكما من اهلها والحكمان لا يكونان الا من اهل الرجل والمراه
اذ هما اعرف باحوال الزوجين ويكونان من اهل العداله وحسن
النظر والبصر بالفقه فان لم يوجد من اهلهما من يصلح لذلك فيرسل
من غيرهما عدلين عالمين وذلك اذا اشكل امرهما ولم يدر ممن الاساه
منهما فاما ان عرف الظالم فانه يوخذ له الحق من صاحبه ويجبر على
ازاله الضرر ويقال ان الحكم من اهل الزوج يخلوا به ويقول
له اخبرني ما في نفسك اتهواها لا حتى اعلم مرادك فان قال لا حاجة لي
فيها خذ لي منها ما استطعت وفرق بيني وبينها فيعرف ان من قبله النشوز
فان قال اني اهواها فارضها من مالي بما شئت ولا تفرق بيني وبينها
فيعلم انه ليس ناشز ويخلوا بالمراة ويقول لها اتهوى زوجك ام لا
فان قالت فرق بيني وبينه واعطه من مالي ما اراد علم ان النشوز
من قبلها وان قالت لا تفرق بيننا ولكن حثه على ان يزيد في نفقتي
ويحسن الي علم ان النشوز ليس قبلها فاذا ظهر لهما الذي كان النشوز
من قبله يقبلان عليه بالعظه والزجر والنهي فذلك قوله تعالى
فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها قال العلما قسمت
هذه النسا تقسيما عقليا لانهن اما طايعة واما ناشزة والنشز
اما ان يرجع الى الطواعيه اولا فان كان الاول تركها لما رواه النسائي
ان عقيل بن ابي طالب تزوج فاطمه بنت عتبه بن ربيعه فكان

اذا دخل عليها يقول يا بني هاشم والله لا يحبكم قلبي ابدا اين الذين
اعناقهم كاباريق الفضة ترد انوفهم قبل شفاههم اين عتبة بن
ربيعة بن شيبة بن ربيعة فقال على يسارك في النار اذا دخلت فنشرت
عليها ثيابها فجاءت عثمان فذكرت له ذلك فارسل ابن عباس ومعوية
فقال ابن عباس لافرقن بينهما وقال معاوية ما كنت لافرق بين شخصين من بني
عبد مناف فاما هما فوجداهما قد سدا عليهما ابوابهما فان وجداهما
قد اختلفا ولم يصطلحا وتنافر امرهما سعيا في الالفة جهدهما
وذكرا بالله وبالصحبة فان انابا ورجعا تركاهما فان كانا غير ذلك
ورايا الفرقة فرقا بينهما وتفريقهما جائز على الزوجين وسواء وافق
حكم قاضي البلد او خالفهما وكلهما الزوجان بذلك ولم يوكلاهما في
والفراق في ذلك طلاق بائن وقال قوم ليس لهما الطلاق ما لم يوكلهما
الزوج في ذلك وليعرفا الامام وهذا بناء على انهما رسولان
شاهدان ثم الامام يفرق ان اراد ويامر الحكم بالتفريق
وهذا احد قولي الشافعي وبه قال الكوفيون وهو قول عطاء وابن
زيد والحسن وبه قال ابو ثور والصحيح الاول وان للحكمين التطليق
دون توكيل وهو قول مالك والاوزاعي واسحاق وروي عن عثمان
وعلي وابن عباس وعن الشعبي والنخعي وهو قول الشافعي لان الله قال
فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها وهذا نص من الله تعالى بانهما
قاضيان لا وكيلان ولا شاهدان وللوكيل اسم في الشريعة ومعنى وللحكم
اسم في الشريعة ومعنى فاذا بين الله كل واحد منهما فلا ينبغي لشاذ فكيف
لعالم ان يركب معنى احدهما على الاخر . وقد روى الدارقطني من حديث

حديث

حدثنا محمد بن سيرين عن عبيده في هذه الايه وان خفتم شقاق بينهما
فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها قال جا رجل وامراه الى علي مع
واحد منهما فيام من الناس فامرهم فبعثوا حكما من اهله وحكما من
اهلها وقال للحكمين هل تدريان ما عليكما ان رايتما ان تفرقا فرقتما
فقالت المراه رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي وقال الزوج
اما الفرقه فلا فقال علي كذبت والله لا تنقلب حتى تقر بمثل الذي
اقرت به وهذا اسناد صحيح ثابت روي عن علي من وجوه ثابته عن
سيرين عن عبيده قاله ابو عمر فلو كانا وكيلين او شاهدين لم يقل لهما
اتدريان ما عليكما انما كان يقول اتدريان بما وكلتما وهذا بين احتج
ابو حنيفه بقول علي رضي الله عنه للزوج لا تبرح حتى ترضى
بما رضيت به فدل على ان مذهبه انهما لا يفرقان الا برضى الزوج
وبان الاصل المجتمع عليه ان الطلاق بيد الزوج او بيد من جعل
ذلك اليه وجعله ملك ومن تابعه من باب السلطان على المولى والعنين
قال فان اختلف الحكمان لم ينفذ قولهما ولم يلزم من ذلك شي الا ما
اجتمعا عليه وكذلك كل حكمين حكما في امر فان حكم احدهما بالفرقه ولم يحكم بها
الاخر او حكم احدهما بمال وابى الاخر فليسا بشي حتى يتفقا وقال مالك
في الحكمين يطلقان ثلاثا تكون واحده وليس لهما الفراق باكثر من واحده بائنه
وهو قول ابن القاسم ايضا يلزمه الثلاث ان اجتمعا عليها وقاله المغيره
واشهب وابن الماجشون واصبغ وقال ابن المواز ان حكم احدهما
بواحده والاخر بثلاث فهي واحده وحكى ابن حبيب عن اصبغ ان ذلك
ليس بشي ويجزي ان شا الله الواحده لان الله سبحانه حكم في

الزنا باربعه شهود ثم قد ارسل النبي صلى الله عليه وسلم الى المراه الزانيه
انيسا وحده وقال له ان اعترفت فارجمها وكذلك قال عبد الملك في
المدونه   قال الشيخ المولف رحمه واذا جاز ارسال الواحد فلو حكم
الزوجان لواحد لاجزا وهو بالجواز اولى اذا رضيا بذلك وانما خاطب
الله بالارسال الحكام دون الزوجين   فان ارسل الزوجان
حكمان وحكما نفذ حكمهما لان التحكيم عندنا جايز وينفذ فعل الحكم في كل
مسله هذا اذا كان كل واحد منهما عدلا ولو كان غير عدل قال عبد
الملك حكمه منقوض لانهما تخاطرا بما لا ينبغي من الغرر   قال بن العربي
والصحيح نفوده لانه ان كان توكيلا ففعل الوكيل نافذ وان كان تحكيما فقد
قدماه على انفسهما وليس الغرر بموثر فيه كما لم يوثر في باب التوكيل وباب
القضا مبني على الغرر كله وليس يلزم فيه معرفه المحكوم عليه بوول
عليه اليه الحكم   قال بن العربي مسله الحكمان نص الله عليهما وحكم بهما
عند ظهور الشقاق بين الزوجين واختلاف ما بينهما وهي مسله
عظيمه اجمعت الامه على اصلها في البعث فان اختلفوا في تفاصيل ما
ترتب عليه وعجبا لاهل بلادنا حيث عقلوا عن موجب الكتاب والسنه
في ذلك وقالوا يجعلان على يدي امين وفي هذا من معانده النص ما لا يخفى
عليكم فلا بكتاب الله ايتمروا ولا بالاقيسه احتزوا وقد ندبت الى ذلك فما
اجابني الى بعث الحكم عند الشقاق الا قاض واحد ولا بالقضا باليمين
مع الشاهد الا اخر فلما ملكني الله الامر اجريت السنه كما ينبغي ولا تعجب لاهل
بلدنا لما عندهم من الجهاله ولكن العجب لابي حنيفه ليس للحكمين عنده حكم
بل العجب من الشافعي فانه قال الذي يشتبه ظاهر الايه انه فيما عم

عقلوا

الزوجين معا

الزوجين معا حتى يشتبه فيه حالاهما قال وذلك ان وجدت الله عز وجل اذن
في نشوز الزوج بان يصطلحا واذن في خوفهما الا يقيما حدود الله بالخلع
وذلك يشبه ان يكون برضى المراة وحظر ان ياخذ الزوج مما اعطى
شيا اذا اراد استبدال زوج مكان زوج فلما امر فيمن خفنا الشقاق
بينهما بالحكمين دل على ان حكمهما غير حكم الازواج فاذا كان كذلك بعث
حكما من اهله وحكما من اهلها ولا يبعث الحكمين الا مامونين برضى الزوجين
وتوكيلهما بان يجمعا او يفرقا اذا رايا ذلك وذلك يدل على ان الحكمين
وكيلان للزوجين قال ابن العربي هذا منتهى كلام الشافعي واصحابه
يفرحون به وليس ما يلتفت اليه ولا يشبه نصابه في العلم وقد تولى الرد
عليه القاضي ابو اسحق ولم ينصفه في الالتزام اما قوله الذي يشبه الا
انه فيما عم الزوجين فليس بصحيح بل هو نصه وهو من ابين ايات القران
واوضحها جلا فان الله تعالى قال الرجال قوامون على النسا ومن خاف من
امراته نشوزا وعظها فان انابت والا هجرها في المضجع فان ارعوت
والا ضربها فان استمرت في لوايها مشى الحكمان اليها وهذا ان لم يكن
نصا فليس في القران بيان ودعه لا يكون نصا يكون ظاهرا فاما ان
يقول الشافعي يشبه الظاهر فلا ندري ما الذي اشبه الظاهر ثم
قال واذن في خوفهما الا يقيما حدود الله في الخلع وذلك يشبه ان
يكون برضى المراة بل يجب ان يكون كذلك وهو نصه ثم قال فلما امر
بالحكمين علمنا ان حكمهما غير حكم الازواج ويجب ان يكون غيره بان
ينفذ عليهما من غير اختيارهما فتتحقق الغيرية فاما اذا انفذا عليهما ما
وكلاهما به فلم يحكما بخلاف امرهما فلم تتحقق الغيرية واما قوله برضى الزوجين

ف

يه

ظاهر

وتوكيلهما لخطا صراح فان الله سبحانه خاطب غيرا ذا خاف الشقاق
بين الزوجين بارسال الحكمين واذا كان المخاطب غيرهما كيف يكون ذلك
بتوكيلهما ولا يصح لهما حكم الا بما عليه هذا وجه الانصاف والتحقيق في
الرد عليه وفي هذه الاية دليل على اثبات التحكيم وليس كما تقول الخوارج
انه ليس التحكيم لاحد سوي الله تعالى وهذه كلمة حق ولكن يريد وبه
الباطل تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيا فيه سبع عشره
مسئله اجمع العلماء ان هذه الاية من المحكم المتفق عليه ليس
منها شي منسوخ وكذلك في جميع الكتب ولو لم يكن ذلك لعرف ذلك
من جهة العقل وان لم ينزل به الكتاب وقد مضى معنى العبوديه وهي التذلل
والافتقار لمن له الحكم والاختيار فامر تعالى عباده بالتذلل والاخلاص
فيه فالايه اصل في خلوص الاعمال لله تعالى وتصفيتها من شوايب الريا
وغيره قال الله تعالى فمن كان يرجوا لقا ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه احدا حتى لقد قال بعض علمائنا انه من تطهر تبردا او صام
محما لمعدته ونوى مع ذلك التقرب لم يجزه لانه مزج في نية التقرب نية
دنياويه وليس لله الا العمل الخالص كما قال تعالى الا لله الدين الخالص وقال
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وكذلك اذا احس الرجل
بداخل في الركوع وهو امام لم ينتظره لانه يخرج ركوعه بانتظاره عن
كونه خالصا لله تعالى وفي صحيح مسلم عن ابي هريره قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركا
عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشريكه وروي
الدارقطني عن انس بن ملك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجا يوم

القيامه

القيامه بصحف مختمه فتنصب بين يدي الله فيقول الله سبحانه للملايكه القوا
هذا واقبلوا هذا فتقول الملايكه وعزتك ما راينا الا خيرا فيقول الله عز وجل
وهو اعلم ان هذا كان لغيري ولا اقبل اليوم من العمل الا ما ابتغي به وجهي
وروي ايضا عن الضحاك بن قيس الفهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يقول انا خير شريك فمن اشرك معي شريكا فهو لشريكي يا ايها الناس
اخلصوا اعمالكم لله تعالى فان الله لا يقبل الا ما خلص له ولا تقولوا هذا لله
وللرحم فانها للرحم وليس لله منها شي ولا تقولوا هذا لله ولوجهكم فانها
لوجوهكم وليس لله تعالى منها شي اذا ثبت هذا فاعلم ان علماونا
رحمهم الله عليهم قالوا الشرك على ثلاث مراتب وكله محرم واصله اعتقاد
شريك لله في الوهيته وهو الشرك الاعظم وهو شرك الجاهليه وهو
المراد بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويليه في الرتبه اعتقاد شريك
لله تعالى في الفعل وهو قول من قال ان موجودا غير الله تعالى
يستقل باحداث فعل وايجاده وان يعتقد كونه الها كالقدريه
مجوس هذه الامه وقد تبرا منهم ابن عمر كما في حديث جبريل ويلي
هذه المرتبه الاشراك في العباده وهو الريا وهو ان يفعل شيا من
العبادات التي امر الله بفعلها له لغيره وهذا هو الذي سبقت الايات
والاحاديث لبيان تحريمه وهو مبطل للاعمال وهو خفي لا يعرفه
كل جاهل غبي ورضي الله عن المحاسبي فلقد اوضحه في كتاب الرعايه وبين
فساد الاعمال وفي سنن ابن ماجه عن ابي سعيد بن ابي فضاله الانصاري
وكان من الصحابه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع
الله الاولين والاخرين ليوم القيامه ليوم لا ريب فيه نادى مناد

من طن ان اشرك في عمل عمله لله عز وجل احدا فليطلب ثوابه من عند غير
الله فان الله اغنى الشركا عن الشرك وفيه عن ابي سعيد الخدري قال
خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر المسيح الدجال
قال فقلنا يا رسول الله ما الشرك الخفي قال الشرك الخفي ان يقوم الرجل
يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل وفيه عن شداد بن اوس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخوف من امتي الاشراك
بالله اما اني لست اقول يعبد ون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ولكن اعمالا لغير
الله وشهوة خفيه خرجه الترمذي الحكيم وسياتي في اخر سورة الكهف
وفيه بيان الشهوة الخفيه وروي عن ابن لهيعة عن يزيد بن حبيب
قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشهوة الخفيه فقال هو
الرجل يتعلم العلم يحب ان يجلس اليه قال سهل بن عبد الله التستري رحمه
الله الريا على ثلاثه وجوه احدها ان يعقد في اصل فعله لغير الله ويريد
به ان يعرف انه لله فهذا صنف من النفاق وتشكك في الايمان والاخر
يدخل في الشي لله فاذا اطلع عليه غير الله نشط فهذا اذا تاب يريد
ان يعيد جميع ما عمل والثالث دخل في العمل بالاخلاص وخرج به لله
فعرف بذلك ومدح عليه وسكن الى مدحهم فهذا الريا الذي نهى الله
عنه قال سهل قال لقمان لابنه الريا ان تطلب ثواب عملك في دار الدنيا
وانما عمل القوم للاخرة قيل له فما دوا الريا قال كتمان العمل قيل له فكيف
يكتم العمل قال ما كلفت اظهاره من العمل فلا تدخل فيه الا بالاخلاص وما
لم تكلف اظهاره احب الا يطلع عليه الا الله قال وكل عمل اطلع عليه الخلق
لا تعده من العمل وقال ايوب السختياني ما هو بعاقل من احب ان يعرف

مكانه

مكانه من عمله قال الشيخ المولف رحمه الله قوله سهل والثالث دخل في
العمل بالاخلاص الى اخره ان يسرون ويسلونه اليهم لتحصل منزلته
في قلوبهم يحمدونه ويجلونه ويبرونه وينال ما يريد منهم
من مال وغيره فهذا مذموم لان قلبه مغمور فرحا بالاطلا عهم
وان كان قد اطلعوا عليه بعد الفراغ فاما من اطلع الله
خلقه عليه وهو لا يحب اطلاعهم عليه فيسر بصنع الله
وبفضله عليه فسروره بفضل طاعه كما قال قل بفضل
الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وبسط
هذه وتبيينه في كتاب الرعايه لمن اراده فليتفقه عليه
هناك وقيل قد سيل سهل عن حديث النبي صلى الله عليه
وسلم اني اسر العمل فيطلع عليه فيعجبني قال يعجبه من جهه
الشكر لله الذي اظهره الله عليه او نحو هذا فهذه جمله كافيه
في الدنيا وخلوص الاعمال وقد مضى في البقره حقيقه الا خلاص
والحمد لله قوله تعالى وبالوالدين احسانا قد
تقدم في صدر هذه السوره ان من الاحسان اليهما عتقهما
ويأتي في سبحان حكم برهما مستوفا وقرا ابي عبله احسان
بالرفع اي واجب الاحسان اليهما الباقون بالنصب على
معنى احسنوا اليهم احسانا قال العلما فاحق بعد الخالق
المنان بالشكر والاحسان والتزام البر والطاعه له والا دعان
من قرن الله الاحسان اليه بعبادته وطاعته وشكره
بشكره وهما الوالدان فقال تعالى ان اشكر لي ولوالديك

وروي شعبه وهشيم الواسطيان عن يعلى عن عطا عن ابيه عن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رضى الرب في رضا الوالدين وسخطه في سخط الوالدين
قوله تعالى وبذي القربى واليتامى والمساكين
قد مضى الكلام فيه في البقرة قوله تعالى والجار ذي
القربى والجار الجنب اما الجار فقد امر الله بحفظه والقيام
بحقه والوصاه برعي ذمته في كتابه وعلى لسان نبيه الا تراه
سبحانه اكد ذكره بعد الوالدين والاقربين فقال والجار
ذي القربى اي القريب والجار الجنب اي الغريب قاله ابن
عباس وكذلك هو في اللغه ومنه فلان اجنبي وكذلك الجنابه
البعد وانشد اهل اللغه فلا تحرمني نائلا عن جنابه
فاني امرؤ وسط القباب غريب وقال الاعشى اتيت
حريثا زائرا عن جنابه فكان حريث عن عطائي جامدا وقرا
الاعمش والمفضل والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون
وهما لغتان يقال جنب وجنب واجنب واجنبي اذا لم يكن
بينهما قرابه وجمعه اجانب وقيل على تقدير حذف المضاف
اي والجار ذي الجنب اي ذي الناحيه وقال نوف الشامي
الجار ذي القربى المسلم والجار الجنب اليهودي والنصراني
قال الشيخ المولف رحمه الله وعلى هذا فالوصاه بالجار مامور بها
مندوب اليها مسلما كان او كافرا وهو الصحيح فالاحسان
قد يكون بمعنى المواساه وقد يكون بمعنى حسن العشره وكف

الاذا

الاذا والحاماه دونه ورَوي البخاري عن عايشه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال مازال جبريل يوصيني بالجار
حتى ظننت انه سيورثه وروي عن ابي شريح ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال والله لا يومن والله لا يومن والله لا
يومن قيل يا رسول الله ومن قال الذي لا يامن جاره بوايقه
وهذا عام في كل جار وقد اكد عليه السلام ترك اذايته
بقسمه ثلاث مرات وانه لا يومن الايمان الكامل من
اذا جاره فينبغي للمومن ان يحذر اذا جاره وينتهي عما نهى الله
ورسوله عنه ويرغب فيما رضياه وحظا العباد عليه روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجيران ثلث فجار له ثلاث حقوق
وجار له حقان وجار له حق واحد فاما الذي له ثلاث حقوق فالجار
القريب المسلم له حق الجوار وحق القرابه وحق الاسلام والجار
الذي له حقان فهو الجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام
والجار الذي له حق واحد هو الكافر له حق الجوار روي
البخاري عن عايشه قالت يا رسول الله ان لي جارين فالى ايهما
اهدي قال الى اقربهما بابا فذهب جماعه من العلما الى هذا الحديث
فيسر المراد من قوله تعالى والجار ذي القربى وانه القريب المسكن
منك والجار الجنب هو البعيد المسكن منك واحتجوا بهذا
على ايجاب الشفعه للجار وعضدوه بقوله عليه السلام
الجار احق بصقبه ولا حجه في ذلك فان عايشه انما سالت النبي
صلى الله عليه وسلم عن من تبدا به من جيرانها في الهديه فاخبرها

د

منك ه

ها

انه من قرب بابه فانه اولي بها من غيرها من غيره   قال بن المنذر
تدل هذا الحديث على ان الجار يقع على غير اللصيق وقد خرج ابو حنيفه
عن ظاهر الحديث فقال ان الجار اللصيق اذا ترك الشفعه وطلبها الذي
يليه وليس له جدار الى الدار ولا طريق لا شفعه فيه وعوام العلما
وقالوا لا يعطى الا اللصيق وحده   واختلف الناس في حد
الجيره فكان الاوزاعي يقول اربعون دارا من كل جانب ناحيه وقاله
بن شهاب   وروي ان رجلا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني نزلت
محله قوم وان اقربهم الي جوارا اشدهم لي اذا فبعث النبي صلى الله عليه
وسلم ابا بكر وعمر وعليا يصيحون على ابواب المساجد الا ان اربعين جار ولا
يدخل الجنه من لا يامن جاره بوايقه   وقال علي بن ابي طالب من سمع الندا
فهو جار   وقالت فرقه من سمع اقامه الصلاه فهو جار ذلك المسجد
وقالت فرقه من ساكن رجلا في محله او مدينه فهو جار قال الله تعالى
لين لم ينته المنافقون الى قوله لا يجاورونك فيها الا قليلا فجعل تعالى
اجتماعهم في المدينه اجتماع   والجيره مراتب بعضها الصق من بعض
ادناها الزوجه   كما قال   اجارتنا بيني فانك طالقه
ومن اكرام الجار ما رواه مسلم عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا با ذر اذا طبخت مرقه فاكثر ماها وتعاهد جيرانك فحض صلى
الله عليه وسلم على مكارم الاخلاق لما يترتب عليها من المحبه وحسن العشره
ودفع الحاجه والمفسده فان الجار قد يتاذي بقتار قدر جاره وربما يكون
له ذريه فتهيج من ضعفايهم الشهوه ويعظم على القايم عليهم الالم والكلفه
لا سيما ان كان القايم ضعيفا او ارمله فتعظم المشقه ويشتد منهم الالم

والحسره

بالحسن وهذه كانت عقوبة يعقوب في فراق يوسف عليهما السلام فيما
قيل وكل هذا يندفع في تشريكهم بشي من الطبيخ يدفع اليهم ولهذا المعنى حض
عليه السلام الجار القريب بالهدايا لانه ينظر الى ما يدخل دار جاره وما
يخرج منها فاذا راي ذلك احب ان يشارك فيه وايضا فانه اسرع اجابة
لجاره عندما ينوبه من حاجة في اوقات الغفلة والغرة فلذلك بدا به على
بعد من بابه وان كانت داره اقرب والله اعلم قال العلما لما
قال عليه السلام فاكثر ماها نبه بذلك على تيسير الامر على البخيل تنبيها
لطيفا وجعل الزيادة فيما ليس له ثمن وهو الما ولذلك لم يقل اذا مرقة
فاكثر لحمها اذ لا يسهل ذلك على احد ولقد احسن القايل فذرى
وقدر الجار واحدة واليه مثلي برمع القدر ولا يهدى الى اليسير
المحتقر لقوله عليه السلام ثم انظر اهل بيت من جيرانك فاصبهم منها
بمعروف اي بشي يهدى عرفا فان القليل وان كان مما يهدى فقد لا يقع ذلك
الموقع فلو لم يتيسر الا القليل فليهده ولا يحتقر وعلى المهدي اليه قبوله
لقوله عليه السلام يا نسا المومنات بالرفع على غير الاضافة والنصب (ير
يا ايها النسا كما تقول يا رجال الكرام فالمنادي محذوف وهو يا ايها النسا
في تقدير النعت لانها والمومنات نعت للنسا وقد قيل فيه يا نسا
المومنات بالاضافة والاول اكثر من الزام الجار
ان لا يمنع من غرز خشبة ارفاقا به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يمنع احدكم جاره ان يغرز خشبة في جداره ثم يقول ابو هريرة مالى
اراكم عنها معرضين والله لارمين بها بين اكتافكم روي خشبة وخشبه
على الجمع والافراد وروي اكنافكم بالنا واكنافكم بالنون ومعنى

لا دمين بها اي بالجلد والقصه وهل يقضي بها على الايجاب والندب فيه
خلاف بين العلما فذهب ملك وابو حنيفه واصحابهما الى ان معناه
الندب الى بر الجار والتجاوز له والاحسان اليه وليس ذلك على الوجوب
بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امر مسلم الا عن طيب نفس منه
قالوا ومعنى قوله لا يمنع احدكم جاره هو مثل معنى قوله عليه السلام اذا
استاذنت احدكم امراته الى المسجد فلا يمنعها وهذا معناه عند
الجميع الندب على ما يراه الرجل من الصلاح والخير في ذلك وقال الشافعي
واصحابه واحمد بن حنبل واسحق وابو ثور وداود بن علي وجماعه اهل
الحديث على ذلك على الوجوب قالوا ولولا ان ابا هريره فهم فيما سمع من
النبي صلى الله عليه وسلم معنى الوجوب ما كان ليوجب عليهم غير
واجب وهو واجب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه قضى على محمد بن
مسلمه للضحاك بن خليفه في الخليج ان يمر به في ارض محمد بن مسلمه فقال
محمد بن مسلمه لا والله فقال عمر والله ليمر به ولو على بطنك فامره عمر
ان يمر به فيفعل الضحاك رواه ملك في الموطا وزعم الشافعي في كتاب
الرد ان ملكا لم يرو عن احد من الصحابه خلاف عمر في هذا الباب وانكر
على ملك انه رواه وادخله في كتابه ولم ياخذ به ورده برايه قال ابو
عمر ليس كما زعم الشافعي لان محمد بن مسلمه كان رايه في ذلك خلاف راي
عمر وراي الانصاري ايضا كان خلافا لراي عمر وعبد الرحمن بن عوف
في قصه الربيع وتحويله والربيع الساقيه واذا اختلف الصحابه وجب
الرجوع الى النظر لعل ان دما المسلمين واموالهم واعراضهم بعضهم
على بعض حرام الا ما تطيب به النفس خاصه فهذا هو الثابت عن النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ويدل على الخلاف في ذلك قول ابي هريرة مالي اراكم
عنها معرضين والله لارمين بها هذا او نحوه اجاب الاولون وقالوا القضا
بالمرفق خارج بالسنة عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال
امرى مسلم الا عن طيب نفس منه لان هذا معناه التمليك والاستهلاك
وليس المرفق من ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم قد فرق بينهما والحكم بغير
واجب ان يجمع بين ما فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى مالك
انه كان بالمدينة قاض يقضا به يسمى المطلب واحتجوا من الاثر بحديث
الاعمش عن انس قال استشهد منا غلام يوم احد فجعلت امه تمسح الترا
عن وجهه وتقول ابشر هنيا لك الجنة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم
وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره والاعمش لا يصح
له سماع من انس قاله ابو عمر وورد حديث جمع النبي
صلى الله عليه وسلم مرافق الجار وهو حديث معاذ بن جبل قال قلنا يا
رسول الله ما حق الجار قال ان استقرضك اقرضته وان استعانك
اعنته وان احتاج اعطيته وان مرض عدته وان مات تبعت جنازته
وان اصابه خير سرك وهنيته وان اصابته مصيبة ساتك وعزيته
لا تؤذيه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها ولا تستطل عليه بالبنا
لتشرف عليه وتسد عليه الريح الا باذنه وان اشتريت فاكهة فاهد
له منها والا فاخفها سرا لا يخرج ولدك بشي منها يغيظون به ولده وهل
تفهمون ما اقول لكم لن يودي حق الجار الا قليل ممن رحم الله او
كلمة نحوها هذا حديث جامع وهو حديث حسن في اسناده ابو
الفضل عثمان بن مطر الشيباني غير مرضي قال

العلا الاحاديث في اكرام الجارحات مطلقة غير مقيدة حتى الكافر كما
بينا وفي الخبر قالوا يا رسول الله انطعمهم من لحوم النسك قال لا يطعم
المشركين من نسك المسلمين ونهيه صلى الله عليه وسلم عن طعام المشركين
من نسك المسلم يحتمل النسك الواجب في الذمة الذي لا يجوز للناسك ان
ياكل منه ولا ان يطعمه الاغنيا فاما غير الواجب الذي يجزيه اطعام الاغنيا
فجايز ان يطعمه اهل الذمة قال النبي صلى الله عليه وسلم لعايشة عند
تفريق لحم الاضحية ابدي بجارنا اليهودي وروي ان شاة ذبحت
في اهل عبد الله بن عمرو فلما جا قال اهديتم لجارنا اليهودي اهديتم
لجارنا اليهودي ثلاث مرات سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه
قوله تعالى والصاحب بالجنب اي الرفيق في السفر واسند الطبري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه رجل من اصحابه وهما على راحلتين
فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم غيضة فقطع قضيبين احدهما معوج وخرج
فاعطى صاحبه القويم فقال كنت يا رسول الله احق بهذا فقال يا فلان
ان كل صاحب يصحب اخر فانه مسول عن صحابته ولو ساعة من نهار قال
ربيعة بن ابي عبد الرحمن للسفر مروة وللحضر مروة فاما المروة في
السفر فبذل الزاد وقلة الخلاف على الاصحاب وكثرة المزاح في غير مساخط
الله واما المروة في الحضر فالادمان الى المساجد وتلاوة القران وكثرة
الاخوان في الله عز وجل ولبعضهم وقيل انها لحاتم طي اذا ما
رفيقي لم يكن خلف ناقتي له مركب فضلا فلا حملت رجلي ولم يكن من زادي له
شطر مزودي فلا كنت ذا زاد ولا كنت ذا فضل شريكان في كل ما
فيه

و قداري

وقد اوى عليه فضلا بما نال من فضلي وقال علي وابن مسعود وابن ابي ليلا الصا
بالجنب الزوجه ابن جريج هو الذي يصحبك ويلزمك رجا نفعك والاول
اصح وهو قول ابن عباس وابن جبير وعكرمه ومجاهد والضحاك وقد تتناو
ول
الايه الجميع بالعموم والله اعلم قوله تعالى وابن السبيل
قال مجاهد هو الذي يجتاز بك مارا والسبيل الطريق فنسب المسافر
اليه لمروره عليه ولزومه اياه ومن الاحسان اليه اعطاوه وارفاقه وهدا
يته
ورشده قوله تعالى وما ملكت ايمانكم امر الله تعالى
بالاحسان الى المماليك وبين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فروى مسلم وغيره
عن المعرور بن سويد قال مررنا بابي ذر بالربذه وعليه برد وعلى غلامه
مثله فقلنا يا ابا ذر لو جمعت بينهما كانت حله فقال انه كان بيني وبين رجل
من اخواني كلام وكانت له امه اعجميه فعيرته بامه فشكاني الى النبي صلى الله عليه
وسلم فلقيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر انك امرؤ فيك
جاهليه هم اخوانكم جعلهم تحت ايديكم فاطعموهم مما تاكلون والبسوهم
مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم وروي
عن ابي هريره انه ركب بغلته ذات يوم فاردف غلامه خلفه فقال
له قايل لو انزلته يسعى خلف دابتك فقال ابو هريره لان يسعى معي
ضغثان من نار يحرقان مني ما احرقا احب الي من ان يسعى غلامي خلفي وخرج
ابو داود عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لايمكم
من مملوكيكم فاطعموه مما تاكلون مما تلبسون ومن لا يلايمكم منهم فبيعوه ولا
والبسوهم
ولا تعذبوا خلق الله لايمكم وافقكم والملايمه الموافقه وروى مسلم
عن ابي هريره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمملوك طعامه

وكسوته ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وقال صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم عبدي وامتي بل يقل فتاي وفتاتي وسياتي بيانه في سورة يوسف عليه السلام

الى ما ندب صلى الله عليه وسلم السادة بمكارم الاخلاق وحضهم عليها وارشدهم الى الاحسان والى سلوك طريق التواضع حتى لا يروا لانفسهم مزية على عبيدهم اذ الكل عبيد الله والمال مال الله ولكن سخر بعضهم لبعض وملك بعضهم بعضا وانما ما للنعمة وتنفيذ للحكمة فان اطعموا اقل مما ياكلون والبسوا اقل مما يلبسون صفة ومقدارا جاز اذا قام بواجبه عليه ولا خلاف في ذلك والله اعلم وروي مسلم عن عبد الله بن عمرو وجاءه قهرمان له فقال اعطيت الرقيق قوتهم قال لا قال فانطلق فاعطهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يحبس عن من يملك قوتهم والله اعلم ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ضرب عبده حدا لم ياته او لطمه فكفارته ان يعتقه ومعناه ان يضربه قدر الحد ولم يكن عليه حد وجاء عن نفر من الصحابة انهم اقتصوا للخادم من الولد في الضرب واعتقوا الخادم لما لم يرد القصاص وقال صلى الله عليه وسلم من قذف ناسه مملوكه بالزنا اقام عليه الحد يوم القيمة ثمانين وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة سيء الملكة وقال عليه السلام سوء الخلق مشوم وحسن الملكة نماء والصدقة تدفع ميتة السوء واختلف العلماء من هذا الباب ايما افضل الحرام العبد فروى مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعبد المملوك اجران والذي نفس ابي هريرة بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر امي لاحببت ان اموت وانا مملوك وروي عن ابن عمر ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة الله فله اجره
مرتين فاستدل بهذا وما كان مثله من فضل العبد لانه مخاطب من جهتين
مطالب بعبادة الله مطالب بخدمة سيده والى هذا ذهب ابو عمر يوسف
بن عبد البر النمري وابو بكر محمد بن عبد الله بن احمد العامري البغدادي الحافظ
استدل من فضل الحر بان الاستقلال بامور الدين والدنيا انما تحصل
بالاحرار والعبد كالمفقود لعدم استقلاله وكالاله المتصرفة بالقهر
والبهيمة المسخرة بالجبر ولذلك سلب مناصب الشهادات ومعظم
الولايات ونقصت حدوده عن حدود الاحرار اشعارا بخسة المقدار
والحر وان طولب من جهة واحدة فوظائفه فيها اكثر وعناؤه اعظم فثوابه
اكثر وقد اشار الى هذا ابو هريرة بقوله لولا الجهاد والحج اي لولا النقص
الذي يلحق العبد لفوت هذه الامور والله اعلم

روى انس بن ملك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما زال جبريل يوصيني
بالجار حتى ظننت انه سيورثه وقال ما زال يوصيني بالنسا حتى ظننت
انه سيحرم طلاقهن وما زال يوصيني بالمماليك حتى ظننت انه سيجعل لهم
مدة اذا انتهوا اليها عتقوا وما زال يوصيني بالسواك حتى خشيت ان
يحفي فمي ويروى حتى كاد وما زال يوصيني بقيام الليل حتى ظننت ان
خيار امته لا ينامون ليلا ذكره ابو الليث السمرقندي في تفسيره

قوله تعالى ان الله لا يحب اي لا يرضى من كان مختالا فخورا اعلم
سبحانه محبته ورضاه عمن هذه صفته اي لا يظهر عليه اثار نعمه في الاخرة
وفي هذا ضرب من التوعد والمختال ذو الخيلاء اي الكبر والفخور اي يعدد
مناقبه كبرا والفخر البذخ والتطاول وخص هاتين الصفتين بالذكر هنا لانهما

عمل صاحبهما على الانفه من القريب الفقير والجار الفقير وغير ممن ذكر في
الايه فتضييع امر الله بالاحسان اليهم   وقرا عاصم فيما ذكر
المفضل عنه والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون قال المهدوي
هو على تقدير حذف المضاف اي والجار ذي الجنب اي ذي
الناحيه   وانشد الاخفش   الناس جنب والامير جنب
والجنب الناحيه اي المتنحي عن القرابه   تعالى الذين
يبخلون ويامرون الناس بالبخل الايه مسالتان   قوله
تعالى الذين يبخلون الذين في موضع نصب على البدل من من في قوله
من كان ولا يكون صفه لان من وما لا يوصفان فلا يوصف بهما
ويجوز ان يكون في موضع رفع بدلا من المضمر الذي في فخور ويجوز ان
يكون في موضع رفع فيعطف عليه ويجوز ان يكون ابتدا والخبر
محذوف اي الذين يبخلون لهم كذا ويكون الخبر ان الله لا يظلم
مثقال ذره ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعني فتكون الايه
في المومنين فتجي الايه على هذا التاويل ان الباخلين منفيه عنهم محبه
الله فاحسنوا ايها المومنون الى من سمي فان الله لا يحب من فيه الخلال
المانعه من الاحسان   قوله تعالى يبخلون ويامرون الناس
بالبخل البخل المذموم في الشرع هو الامتناع من اداء ما اوجب الله
تعالى عليه وهو مثل قوله لا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من
فضله الايه وقد مضى في ال عمران القول في البخل وحقيقته والفرق
بينه وبين الشح مستوفا والمراد بهذه الايه في قول ابن عباس وغيره
اليهود فانهم جمعوا بين الاختيال والفخر والبخل بالمال وكتمان ما

انزل الله

انزل الله من التوراه من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد
المنافقون الذين كان انفاقهم وايمانهم بقيه والمعنى ان الله لا يحب
كل مختال فخور ولا الذين يبخلون على ما ذكرنا من اعرابه تعالى
واعتدنا للكافرين عذابا مهينا فصل الله تعالى بوعد المومنين
الباخلين من بوعد الكافرين بان جعل الاول عدم المحبه والثاني
عذابا مهينا تعالى والذين ينفقون اموالهم رئا الناس
فيه مسئلتان قوله تعالى والذين ينفقون اموالهم رئا الناس
الايه عطف تعالى على الذين يبخلون الذين ينفقون اموالهم رئا الناس
وقيل هو عطف على الكافرين فيكون في موضع خفض ومن راي
زياده الواو اجاز ان يكون الثاني عنده خبرا للاول قال الجمهور
نزلت في المنافقين لقوله تعالى رئا الناس والريا من النفاق مجاهد
في اليهود وضعفه الطبري لانه تعالى نفى عن هذه الصفه الايمان
بالله واليوم الاخر واليهود ليس كذلك قال ابن عطيه وقول
مجاهد متجه على المبالغه والالزام اذ ايمانهم باليوم الاخر كلا ايمان
من حيث لا ينفعهم وقيل نزلت في مطعمي يوم بدر وهم رؤسا مكه
انفقوا على الناس ليخرجوا الى بدر وقال ابن العربي ونفقه
الريا تدخل في الاحكام من حيث انها لا تجزى قال الشيخ المولف
رحمه الله ويدل على ذلك من الكتاب قوله تعالى قل انفقوا طوعا
او كرها لن يتقبل منكم وسياتي والقرين المقارن قوله
تعالى ومن يكن الشيطان له قرينا فسا قرينا في الكلام اضمار تقديره
ولا يومنون بالله ولا باليوم الاخر فقرينهم الشيطان ومن يكن

الشيطان له قرينا فسا قرينا والقرين المقارن اي الصاحب والخليل
وهو فعيل من الاقتران قال عدي بن زيد عن المرء لا تسئل
وابصر قرينه فان القرين بالمقارن يقتدي والمعنى من قبل من الشيطان
في الدنيا فقد قارنه ويجوز ان يكون المعنى من قرنه الشيطان
في النار فسا قرينا اي فبئس الشيطان قرينا وهو نصب على التمييز
تعالى وماذا عليهم ما في موضع رفع بالابتدا وذا خبره
وذا بمعنى الذي ويجوز ان يكون ما وذا اسما واحدا فعلى الاول
تقديره وما الذي عليهم وعلى الثاني تقديره واي شي عليهم لو امنوا
بالله واليوم الاخر اي صدقوا بواجب الوجود وبما جا به الرسول
من تفاصيل الاخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما في
معناه في غير موضع تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة اي
لا يبخسهم ولا ينقصهم من ثواب عملهم وزن ذرة بل يجازيهم بها
ويثيبهم عليها والمراد من الكلام ان الله لا يظلم مثقال ذرة قليلا ولا
كثيرا كما قال ان الله لا يظلم الناس شيا والذرة النملة الحمرا عن ابن
عباس وغيره وهي اصغر النمل وعنه ايضا راس النملة وقال
يزيد بن هارون زعموا ان الذرة ليس لها وزن وحكي ان رجلا وضع
خبزا حتى علاه الذر مقدار ما يسترة ثم وزنه فلم يزد على مقدار وزن
الخبز شيا قال الشيخ المولف رحمه الله والقران والسنة يدلان
على ان للذرة وزنا كما ان للدينار ونصفه وزنا والله اعلم وقيل الذرة
الخردلة كما قال فلا تظلم نفس شيا وان كان مثقال حبة من خردل
اتينا بها وقيل غير هذا وهي في الجملة عبارة عن اقل الاشيا واصغرها

وبي صحيح

وفي صحيح مسلم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا
يظلم مومنا حسنه يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الاخره واما الكافر فيطعم
بحسنات ما عمل لله بها في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخره لم يكن له حسنه
يجزى بها تعالى وان تك حسنة يضاعفها اي يكثر ثوابها وقرا
اهل الحجاز حسنه بالرفع والعامه بالنصب فعلى الاول بمعنى تحدث
فهي تامه وعلى الثاني هي الناقصة ان تك فعلته حسنه وقرا الحسن
نضاعفها بنون العظمه والباقون بالياء وهو اصح لقوله ويوت
وقرا ابو رجا يضعفها والباقون يضاعفها وهما لغتان معناهما التكثير
وقال ابو عبيد يضاعفها معناه يجعله اضعافا كثيره ويضعفها
بالتشديد يجعلها ضعفين من لدنه من عنده وفيه اربع لغات
لدن ولدى ولد لدى فاذا اضافوا الى انفسهم شددوا النون
ودخلت عليه من حيث كانت من الداخله لابتدا الغايه ولدن
كذلك فلما تشاكلا احسن دخول من عليها ولذلك قال سيبويه في
اذانه الموضع الذي هو اول الغايه اجرا عظيما يعني الجنه
وفي صحيح مسلم من حديث ابي سعيد الخدري الطويل حديث
الشفاعه وفيه حتى اذا خلص المومنون من النار فوالذي نفسي
بيده ما من احد منكم باشد مناشده لله في استيفا الحق من
المومنين يوم القيامه لاخوانهم الذين في النار يقولون ربنا
كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا
من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت
النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه يقولون ربنا ما بقي فيها احد

ممن امرتنا فيقول عز وجل ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار
من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا
ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار
فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا
احدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذره من خير فاخرجوه
فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد
الخدري يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا ان شئتم ان الله
لا يظلم مثقال ذره وان تك حسنه يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما
وذكر الحديث وروي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال يوتى بالعبد يوم القيامه فيوقف وينادي مناد على روس
الخلايق هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فلياتي الى حقه ثم
يقول ات هولاء حقوقهم فيقول يا رب من اين لي وقد ذهبت
الدنيا عني فيقول الله تعالى للملايكه انظروا الى اعماله الصالحه
فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنه قالت الملايكه رب
وهو اعلم بذلك منهم قد اعطي لكل ذي حق حقه وبقيت مثقال
ذره من حسنه فيقول الله للملايكه ضعفوها لعبدي وادخلوه
بفضل رحمتي الجنه ومصداقه ان الله لا يظلم مثقال ذره وان
تك حسنه يضاعفها وان كان عبدا شقيا قالت الملايكه الهنا فنيت
حسناته وبقيت سياته وبقي طالبون كثير فيقول الله تعالى خذوا
من سياتهم فاضيفوها على سياته ثم صكوا له صكا الى النار فالايه
على هذا التاويل في الخصوم وانه سبحانه لا يظلم مثقال ذره للخصم

على الخصم

على الخصم بأخذه منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها ويضعفها
له فذلك قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها وروى ابو هريرة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سبحانه يعطي عبده المؤمن
بالحسنة الواحدة الفي الف حسنة وتلا ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان
تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما قال عبيدة قال
ابو هريرة واذا قال الله اجرا عظيما فمن ذا الذي يقدر قدره وتقدم
عن ابن مسعود وابن عباس ان هذه الاية احدى الايات التي هي خير
مما طلعت عليه الشمس تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد بحث للاكتفا الساكنين واذا ظرف زمان والعامل فيه جئنا
وخرج الليث السمرقندي حدثنا الخليل بن احمد قال ثنا ابن منيع ثنا
ابن كامل فضيل عن يونس بن محمد بن فضالة عن ابيه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتاهم في بني ظفر فجلس على الصخرة التي في بني ظفر ومعه ابن
مسعود ومعاذ وناس من اصحابه فامر قاريا يقرا حتى اتى على هذه
الاية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولا شهيدا
بكا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اخضل وجناته فقال يا رب
هذا على من انا بين ظهرانيهم فكيف من لم ارهم وروى البخاري
عن عبد الله قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم اقرا علي قلت اقرا
عليك وعليك انزل القران قال اني احب ان اسمعه من غيري فقرات
عليه سورة النسا حتى بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هولا شهيدا قال امسك فاذا عيناه تذرفان
واخرجه مسلم وقال بدل قوله امسك فرفعت راسي او غمزني

رجل الى جنبي فرفعت راسي فرايت دموعه تسيل قال علماونا بكا النبي
صلى الله عليه وسلم انما كان لعظيم ما تضمنته هذه الاية من هول
المطلع وشدة الامر اذ يوتا بالانبيا شهدا على اممهم بالتصديق والتكذيب
وبه صلى الله عليه وسلم شهيدا والاشارة بقوله على هولا الى كفار
قريش وغيرهم من الكفار وانما خص كفار قريش بالذكر لان وصفه
العذاب اشد عليهم منها على غيرهم لعنادهم عند روية المعجزات
وما اظهر الله على يديه من خوارق العادات والمعنى فكيف يكون
حال هولا الكفار يوم القيامة اذا جينا من كل امة بشهيد
معذبين او معاقبين وهذا استفهام معناه التوبيخ وقيل
الى جميع امته ذكر بن المبارك اخبرنا رجل من الانصار عن المنهال
بن عمرو حدثه انه سمع بن المسيب يقول ليس من يوم الا تعرض
امته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم واعمالهم فلذلك يشهد
عليهم يقول الله تبارك وتعالى فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد
يعني نبيها وجينا بك على هولا شهيدا وهو مبني كيف نصب بفعل
مضمر التقدير فكيف يكون حالهم او نحو هذا والفعل المضمر قد سد مسد اذا
والعامل في اذا جينا وشهيدا حال وفي الحديث من الفقه جواز
قراة الشيخ على الطالب والعرض عليه ويجوز عكسه وسياتي
بيانه في حديث ابي في سورة لم يكن وشهيدا نصب على الحال
تعالى يوميذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم
الارض ضمت الواو في عصوا لالتقا الساكنين ويجوز كسرها
وقرا نافع وابن عامر تسوى بفتح التا والتشديد في السين وحمزة

والكساي

والكسائي كذلك الا انهما خففا السين والباقون ضموا التا وخففوا
السين مبنيا للمفعول والفاعل غير مسمى والمعنى ليسوى الله بهم
الارض اي يجعلهم والارض سوا ومعنى اخر تمنوا لو لم يبعثهم
الله وكانت الارض مستويه عليهم لانهم من التراب نقلوا وعلى
القراه الاولى والثانيه فالارض فاعله والمعنى تمنوا لو انفتحت
لهم الارض فساخوا فيها قاله قتاده وقيل الباء بمعنى على اي لو
تسوى عليهم اي تنشق فتستوي عليهم عن الحسن فقراه التشديد
على الادغام والتخفيف على حذف التا وقيل انما تمنوا هذا حين
را والبهايم تصير ترابا وعلموا انهم مخلدون في النار وهذا معنى
قوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل انما تمنوا
هذا حين شهدت هذه الايه للانبيا على ما تقدم في البقره عند
قوله وكذلك جعلناكم امه وسطا الايه فتقول الامم الخاليه
ان فيهم الزناه والسراق فلا تقبل شهادتهم فيزكيهم النبي صلى الله
عليه وسلم فيقول المشركون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على
افواههم وتشهد ارجلهم وايديهم بما كانوا يكسبون فذلك
قوله تعالى يوميذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى
بهم الارض تخسف بهم الارض والله اعلم تعالى ولا يكتمون
الله حديثا قال الزجاج قال بعضهم لا يكتمون الله حديثا
لان ما عملوا ظاهر عند الله لا يقدرون على كتمانه قال بعضهم هو
معطوف المعنى يودون ان الارض سويت بهم وانهم لا يكتمون
الله حديثا لانه ظهر كذبهم وسيل ابن عباس عن هذه

الايه وعن قوله تعالى ربنا ما كنا مشركين فقال لما راوا انهم لا
يدخل الجنه الا اهل الاسلام قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
فختم الله على افواههم وتكلمت ايديهم وارجلهم فلا يكتمون الله حديثا
وقال الحسن وقتادة الاخره مواطن لا يكون هذا في بعضها وهذا
في بعضها ومعناه انهم لما تبين لهم وحوسبوا لم يكتموا وسياتي
لهذا مزيد بيان في الانعام ان شا الله تعالى تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تقربوا الصلاه وانتم سكاري الى قوله عفوا غفورا
فيه خمس واربعون مسئله قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تقربوا الصلاه وانتم سكاري خص الله تعالى بهذا الخطاب المومنين
لانهم كانوا يقيمون الصلاه وقد اخذوا من الخمر واتلفت عليهم اذهانهم
فخصوا بهذا الخطاب اذ كان الكفار لا يفعلونها صحاه ولا سكارى
روي ابو داود عن عمر بن الخطاب قال لما نزل تحريم الخمر قال عمر
اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الايه التي في البقره يسلونك
عن الخمر والميسر قال فدعا عمر فقريت عليه قال اللهم بين لنا في
الخمر بيانا شافيا فنزلت الايه التي في النسا يا ايها الذين امنوا لا تقربوا
الصلاه وانتم سكارى وكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اقيمت نادي ان لا يقربن الصلاه سكران فدعا عمر فقريت عليه
فقال اللهم بين لنا بيانا شافيا فنزلت هذه الا فهل انتم منتهون
قال عمر انتهينا وقال سعيد بن جبير كان الناس على امر
جاهليه حتى يومروا وينهوا فكانوا يشربونها اول الاسلام حتى
يسلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما

اكبر

٦٦٧

الخمر فقالوا نشربها للمنفعة لا للاثم فشربها رجل فتقدم يصلي بهم فقرا
يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت يا ايها الذين امنوا لا
تقربوا الصلاة وانتم سكارى فقال في غير عين الصلاة فقال عمر اللهم
انزل علينا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما يريد الشيطان الاية فقال
عمر انتهينا انتهينا ثم طاف منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا انما الخمر قد حرمت على ما ياتي بيانه في المايدة وروى الترمذي عن
علي بن ابي طالب قال صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا
من الخمر فاخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقرات قل يا ايها الكافرون
لا اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فانزل الله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح ووجه الاتصال والنظم
بما قبل انه قال سبحانه واعبدوا الله ولا تشركوا به شيا ثم ذكر بعد
الايمان الصلاة التي هي راس العبادات ولذلك يقتل تاركها ولا
يسقط فرضها واعاد الكلام الى ذكر شروطها التي لا تصح الا بها
والجمهور من العلما وجماعة الفقها على ان المراد
بالسكر سكر الخمر الا الضحاك فانه قال المراد سكر النوم لقوله
عليه السلام اذا نعس احدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه
النوم فانه لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه وقال
عبيدة السلماني وانتم سكارى يعني اذا كنت حاقنا لقوله عليه السلام
لا يصلين احدكم وهو حاقن في رواية وهو ضام بين فخذيه قال
الشيخ المولف رحمه الله وقول الضحاك وعبيدة صحيحا المعنى فان

المطلوب من المصلي الاقبال على الله تعالى بقلبه وترك الالتفات الى غيره
والخلو عن كل ما يشوش من نوم وحقنة وجوع وكلما يشغل البال ويغير
الحال قال صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشا واقيمت الصلاة فابدوا
بالعشا فراعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زوال كل مشوش يتعلق به
الخاطر حتى يقبل على عبادة ربه بفراغ قلبه وخالص لبه فيخشع في صلاته
ويدخل في هذه الاية قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
على ما ياتي بيانه وقال بن عباس قوله يا ايها الذين امنوا لا تقربوا
الصلاة وانتم سكارى منسوخ باية النسا اذا اقمتم الصلاة الاية
فامروا على هذا القول بان لا يصلوا سكارى ثم امروا بان يصلوا على
كل حال وهذا قبل التحريم وقال مجاهد نسخت بتحريم الخمر ولذلك
قال عكرمة وقتادة وهو الصحيح في الباب لحديث علي المذكور وروي
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اقيمت الصلاة فنادى منادي رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يقربن الصلاة سكران ذكره النحاس وعلى قول
الضحاك وعبيدة الاية محكمة لا نسخ فيها قوله تعالى لا تقربوا
الصلاة اذا قيل لا تقرب بفتح الرا كان معناه لا تتلبس بالفعل واذا كان
بضم الرا كان معناه لا تدن منه والخطاب لجماعة الامة الصالحين
واما السكران اذا عدم الميز بسكره فليس بمخاطب في ذلك الوقت لذهاب
عقله وانما هو مخاطب بامتثال ما يجب عليه وبتكفير ما ضيع في
وقت سكره من الاحكام التي تقرر تكليفه اياها قبل السكر
قوله تعالى الصلاة اختلف العلما في المراد بالصلاة هنا فقالت طايفة
هي العبادة المعروفة نفسها وهو قول ابي حنيفة ولذلك قال حتى تعلموا

ما تقولون

ثامن

مانقولون وقالت طايفه المراد مواضع الصلاه وهو قول الشافعي
فحذف المضاف وقد قال تعالى لهدمت صوامع وبيع وصلوات
فسمي مواضع الصلاه صلاه وقد لعلى هذا التاويل قوله ولا جنبا الا
عابري سبيل وهو يقتضي جواز العبور للجنب في المسجد لا الصلاه فيه
وقال ابو حنيفه المراد بقوله ولا جنبا الا عابري سبيل المسافر اذا
لم يجد الما فانه يتيمم ويصلي وسياتي بيانه وقالت طايفه المراد الموضع
والصلاه معا لانهم دانوا حينيذ لا ياتون المسجد الا للصلاه ولا يصلون
الا مجتمعين فكانا متلازمين قوله تعالى وانتم سكارى ابتدا
وخبر جمله في موضع الحال من تقربوا وسكارى جمع سكران مثل كسلان
وكسالى وقرا النخعي سكرى بفتح السين على مثال فعلى وهو تكسير سكران
وانما كسر على سكرى لان السكر افه تلحق العقل فجرى مجرى صرعى
وبابه وقرا الاعمش سكرى كحبلى فهو صفه مفرده وجاز الاخبار
بالصفه المفرده عن الجماعه على ما يستعملونه من الاخبار عن الجماعة بالواحد
والسكر نقيض الصحو يقال سكر يسكر سكرا من باب حمد يحمد وسكرت
عينه تسكر اي تحيرت وانما سكرت ابصارنا وسكرت السد ... منه
فالسكران قد ينقطع عما كان عليه من العقل وفي هذه
الايه دليل او نص على ان الشرب كان مباحا في اول الاسلام حتى
ينتهي بصاحبه الى السكر وقال قوم السكر محرم في العقل وما ابيح
في شي من الاديان وحملوا السكر في هذه الايه على النوم وقال
الفقها يحتمل انه كان ابيح من الشراب ما يحرك الطبع الى السخا
والشجاعه والحميه قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا المعنى

موجود في اشعارهم وقد قال حسان ونشربها فتتركنا ملوكا
وقد اشبعنا هذا المعنا في البقره قال القفال فاما يزيل العقل
حتى يصير صاحبه في حد الجنون والاغما فما ابيح قصد بل لو انفق من غير
قصد فيكون من نوعا من صاحبه قال الشيخ المولف رحمه الله هذا صحيح
وسياتي بيانه في المايده ان شا الله تعالى في قصه حمزه وكان المسلمون لما نزلت
هذه الايه يجتنبون الشرب في اوقات الصلاه فاذا صلوا العشا شربوها
فلم يزالوا على ذلك حتى نزل تحريمها في المايده في قوله فهل انتم منتهون

قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون حتى تعلموه متيقنين
فيه من غير غلط والسكران لا يعلم ما يقول ولذلك قال عثمان بن عفان
رضي الله عنه ان السكران لا يلزمه طلاقه وروي عن عباس وطاوس
وعطا والقاسم وربيعه وهو قول الليث بن سعد واسحق وابي ثور والمزني
واختاره الطحاوي واجمع العلما على ان طلاق المعتوه لا يجوز والسكران معتوه
كالموسوس معتوه بالوسواس ولا يختلفون ان من شرب البنج فذهب
عقله ان طلاقه غير جايز فكذلك من سكر من الشراب واجازت طايفه
طلاقه روي عن عمر بن الخطاب ومعاويه وجماعه من اهل التابعين وهو
قول ابي حنيفه والثوري والاوزاعي واختلف قول الشافعي والزمه
مالك الطلاق والقود من الجراح والقتل ولم يلزمه النكاح والبيع وقال
ابو حنيفه افعال السكران وعقوده كلها ثابته كافعال الصاحي الا الرده
فانه اذا ارتد فانه لا تبين منه امراته الا استحسانا وقال ابو يوسف
يكون مرتدا في حال سكره وهو قول الشافعي الا انه لا يقتله في حال سكره
ولا يستتيبه وقال الامام ابو عبدالله المازري وقد رويت عندنا رواية

شاذة

بن م

فيه م

م م

شادة انه لا يلزم طلاق السكران وقال محمد بن عبد الحكم لا يلزمه طلاق
ولا عتاق وقال ساس ونزل ابو الوليد الخلاف على المخلط الذي معه
بقيه من عقله الا انه لا يملك الاختلاط من نفسه فيخطي ويصيب قال فاما
السكران الذي لا يعرف الارض من السما والرجل من المراه فلا فلا اختلاف
انه كالمجنون في جميع افعاله واحواله فيما بينه وبين الناس وفيما بينه وبين الله
تعالى ايضا الا فيما ذهب وقته من الصلوات فقيل انها لا تسقط عنه بخلاف
المجنون من اجل انه بادخاله السكر على نفسه كالمتعمد لتركها حتى خرج وقتها
وقال سفين الثوري حد السكر اختلال العقل فاذا استقرى فخلط في قرانه
وتكلم بما لا يعرف جلد وقال احمد اذا تغير عقله عن حال الصحه فهو
سكران وحكي عن ملك نحوه قال بن المنذر اذا خلط في قرانه فهو
سكران استدلالا بقوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فاذا كان بحيث لا يعلم
ما يقول يجنب المسجد مخافة التلويث ولا تصح صلاته فان صلى قضى وان
كان بحيث يعلم ما يقول فاتى بالصلاه فحكمه حكم الصاحي قوله
تعالى ولا جنبا عطف على موضع الجمله المنصوبه في قوله حتى تعلموا ما تقو
اي لا تصلوا وقد اجنبتم ويقال تجنبتم وجنبتم بمعنى ولفظ الجنب لا
يونث ولا يثنى ولا يجمع لانه على وزن المصدر كالقرب والبعد والقرب
وربما خففوه فقالوا جنب وقد قراه كذلك قوم وقال الفرا يقال جنب
الرجل واجنب من الجنابه وقيل يجمع الجنب في لغه على اجناب مثل
عنق واعناق وطنب واطناب ومن قال للواحد جانب قال في الجمع
جناب كقولك راكب وركاب والاصل البعد كان الجنب بعد بخروج
الما الرافق عن حال الصلاه [illegible] قال فلا تحرمني نايلا عن جنابه فاني امرو

لاام
لون

القباب غريب ورجل جنب غريب والجنابه مخالطه الرجل المراه
والجمهور من الامه على ان الجنب هو غير الطاهر من
انزال او مجاورة ختان وروي بعض الصحابه لاغسل الا من انزال
لقوله صلى الله عليه وسلم انما الما من الما اخرجه مسلم وفي البخاري
عن ابي بن كعب انه قال يا رسول الله اذا جامع الرجل المراه فلم ينزل
يغسل ما مس المراه منه ثم يصلي ويتوضا قال ابو عبد الله الغسل احوط
وذلك الاخر انما بيناه لاختلافهم واخرجه مسلم في صحيحه بمعناه
وقال في اخره قال ابو العلا بن الشخير بان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ينسخ حديثه بعضه بعضا كما ينسخ القران بعضه بعضا قال
ابو اسحق هذا منسوخ وقال الترمذي كان هذا الحكم في اول الاسلام
ثم نسخ قال الشيخ المولف رحمه الله على هذا جماعه العلما من
الصحابه والتابعين وفقها الامصار وان الغسل يجب بنفس التقا
الختانين وقد كان فيه خلاف بين الصحابه ثم رجعوا فيه الى روايه
عايشه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا جلس بين شعبها الاربع
ومس الختان الختان فقد وجب الغسل اخرجه مسلم وفي
الصحيحين من حديث ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قعد
بين شعبها الاربع ثم جهدها فقد وجب الغسل زاد مسلم وان لم ينزل
قال ابن القصار اجمع التابعون ومن بعدهم بعد خلاف من قبلهم
على الاخذ بحديث اذا التقا الختانان واذا صح الاجماع بعد الخلاف
كان مسقطا للخلاف قال القاضي عياض لا نعلم احدا قال به
بعد خلاف الصحابه الا ما حكي عن الاعمش ثم بعده داود الاصبهاني

وقد روي

وتدروي ان عمر حمل الناس على نزل الاحد بحديث الما من الما لما اختلفوا
وتاوله بن عباس على الاحتلام اي انما يجب الاغتسال بالما من انزال
الما في الاحتلام ومتى لم يكن انزال وان راي انه يجامع فلا غسل وهذا
ما لا خلاف فيه بين كافة العلما   قوله تعالى الا عابري
سبيل يقال عبرت الطريق اي قطعته من جانب الى جانب وعبرت
النهر عبورا وهذا عبر النهر اي شطه ويقال عبر بالضم والمعبر ما
يعبر عليه من سفينة او قنطرة وهذا عابر السبيل اي مار الطريق
وناقة عبر اسفار لا تزال يسافر عليها ويقطع بها الفلاة والهاجره
لسرعة مشيها. قال الشاعر   عيرانة شرح اليدين شملة عبر الهوا   جر
كالهرقل الخاصب   وعبر القوم ماتوا   وانشد قضا الله تغلب
كل شي ويغلب بالجروح وبالصبور فان نعبر فان لنا لمات وان نغبر
فنحن على نذور   يقول ان متنا فلنا اقران وان بقينا فلابد لنا من
الموت حتى كان علينا في اتيانه نذورا   واختلف العلما
في قوله الا عابري سبيل فقال علي وبن عباس وبن جبير ومجاهد والحكم
عابر السبيل المسافر ولا يصح لاحد ان يقرب الصلاة وهو جنب الا
بعد الاغتسال والمسافر فانه يتيمم وهذا قول ابي حنيفه لان الغالب
ان الما لا يعدم في الحضر فالحاضر يغتسل لوجود الما والمسافر يتيمم اذا
لم يجده   قال بن المنذر وقال اصحاب الراي في الجنب المسافر يمر
على مسجد فيه عين ما يتيمم بالصعيد ويدخل المسجد فيستقي منها ثم
يخرج الما من المسجد ورخصت طائفة في دخول المسجد الجنب واحتج بعضهم
بقول النبي صلى الله عليه وسلم المومن ليس بنجس قال بن المنذر وبه نقول

وقال بن عباس ايضا وبن مسعود وعكرمه والنخعي عابر والسبيل الحاضر المجتاز وهو قول عمرو بن دينار ومالك والشافعي وقالت طايفه لا يمر الجنب في المسجد الا ان يجد بدا فيتيمم ويمر فيه هكذا قال الثوري واسحق بن راهويه وقال احمد واسحق في الجنب اذا توضا لا باس ان يجلس في المسجد حكاه بن المنذر وروى بعضهم في سبب الايه ان قوما من الانصار كانت ابواب دورهم شارعه في المسجد فاذا اصاب احدهم الجنابه اضطر الى المرور في المسجد قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا صحيح يعضده ما رواه ابو داود عن جسره بنت دجاجه قالت سمعت عايشه رضي الله عنها تقول جا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت اصحابه شارعه في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد ثم دخل النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيا رجاء ان تنزل لهم رخصه فخرج اليهم فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فاني لا احل المسجد لحايض ولا جنب وفي صحيح مسلم لا تبقين في المسجد خوخه الا خوخه ابي بكر فامر صلى الله عليه وسلم بسد الابواب لما كان يودي ذلك الى اتخاذ المسجد طريقا والعبور فيه واستثنى خوخه ابي بكر اكراما له وخصوصيه لانهما كانا لا يفترقان غالبا وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لم يكن اذن لاحد ان يمر في المسجد ولا يجلس فيه الا علي بن ابي طالب رضي الله عنه ورواه عطيه العوفي عن ابي سعيد الخدري فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لمسلم ولا يصلح ان يجنب في المسجد الا انا وعلي قال علماونا وهذا يجوز ان يكون ذلك لان بيت علي كان في المسجد كما كان بيت النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم في المسجد وان كان البيتان لم يكونا في المسجد ولكن كانا متصلين بالمسجد
وابوابهما كانت في المسجد فجعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد
فقال ما ينبغي لمسلم الحديث والذي يدل على ان بيت علي كان في
المسجد ما رواه ابن شهاب عن سالم بن عبد الله قال سال رجل عن علي
وعثمان رضي الله عنهما ايهما كان خيرا فقال له عبد الله بن عمر هذا بيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم واشار الى بيت علي الى جنبه لم يكن في
المسجد غيرهما وذكر الحديث فلم يكونا يجنبان في المسجد وانما كانا يجنبان
في بيوتهما وبيوتهما من المسجد اذ كان ابوابهما فيه وكانا يستطرقانه
في حال الجنابة اذا خرجا من بيوتهما ويجوز ان يكون ذلك تخصيصا لهما
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم خص اشياء فيكون هذا مما خص به ثم خص
النبي صلى الله عليه وسلم عليا فرخص له فيما لم يرخص فيه لغيره وان كانت
ابواب بيوتهم في المسجد فانه كانت في المسجد ابواب بيوت غير بيتهما
حتى امر صلى الله عليه وسلم بسدها الا باب علي وروى عمرو بن ميمون
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سدوا الابواب
الا باب علي فخصه صلى الله عليه وسلم بان ترك بابه في المسجد فكان يجنب
في بيته ويبيت في المسجد واما قوله لا تبقين في المسجد خوخة الا خوخة ابي بكر
فان ذلك كانت والله اعلم ابوابا تطلع الى المسجد خوخات وابواب
البيوت خارجة من المسجد فامر صلى الله عليه وسلم بسد تلك الخوخات
وترك باب ابي بكر اكراما له والخوخات كالكوى والمشاكي وباب كان باب
البيت الذي يدخل منه ويخرج وقد فسر ابن عمر ذلك بقوله ولم يكن في
المسجد غيرهما فان قيل فقد ثبت عن عطاء بن يسار انه قال كان رجال من

اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تصيبهم الجنابه فيتوضون ويانون المسجد
فيتحدثون فيه وهذا يدل على ان اللبث في المسجد للجنب جايز اذا توضا
وهو مذهب احمد واسحق كما ذكرنا فالجواب ان الوضو لا يرفع حدث
الجنابه وكل موضع وضع للعباده والكرم عن النجاسه الطاهر ينبغي ان لا
يدخله من لا يرضى لتلك العباده ولا يصح له ان يتلبس بها والغالب من
احوالهم المنقوله انهم كانوا يغتسلون في بيوتهم فان قيل ينتقض
بالحدث قلنا ذلك يكثر وقوعه فيشق الوضو منه وفي قوله تعالى
ولا جنبا الا عابري سبيل ما يغني ويكفي واذا كان لا يجوز له اللبث في
المسجد فاحرى ان لا يجوز له حبس المصحف ولا القراه فيه اذ هو اعظم
حرمه وسياتي بيانه في الواقعه ان شا الله تعالى
ويمنع الجنب عند علمايا من قراه القران غايبا الا الايات اليسيره
للتعوذ وقد روى موسى بن عقبه عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يقرا الحايض والجنب القران اخرجه ابن ماجه واخرج
الدارقطني من حديث سفين بن مسعود وشعبه عن عمرو بن مره عن
عبد الله بن سلمه عن علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحجبه عن
قراه القران شي الا ان يكون جنبا قال سفين قال شعبه ما احدث
بحديث احسن منه واخرجه ابن ماجه فقال حدثنا محمد بن بشار ثنا
محمد بن جعفر ثنا شعبه عن عمرو بن مره فذكره بمعناه وهذا اسناد
وعن ابن عباس عن عبد الله بن رواحه نهى ان يقرا احدنا القران وهو جنب
اخرجه الدارقطني وروي عن عكرمه قال كان ابن رواحه مضطجعا
الى جنب امراته فقام الى جاريه له في ناحيه الحجره فوقع عليها وفزعت
امراته فلم تجده في مضجعه فقامت فخرجت فلم فراته على جاريته فرجعت

شيا منه

الى البيت

الى البيت فاخذت الشفره ثم خرجت وفزع فقام فلقيها تحمل الشفره
فقال مهيم قالت مهيم لو ادركتك حيث رايتك لوجات بين كتفيك
بهذه الشفره قال واين رايتيني قالت رايتك على الجاريه فقال ما رايتني
قال وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقرا احدنا القران وهو جنب
قالت فاقرا وكانت لا تقرا القران فقال اتانا رسول الله يتلو كتابه
كما لاح مشهور من الفجر طالع اتانا بالهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات
انما قال واقع يبيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالمشركين
المضاجع فقالت امنت بالله وكذبت البصر ثم غدا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخبره فضحك حتى بدت نواجذه

قوله تعالى حتى تغتسلوا نهى الله سبحانه عن الصلاه الا بعد
الاغتسال والاغتسال معنى معقول ولفظه عند العرب معلوم
يعبر عنه عن امرار اليد مع الما على المغسول ولذلك فرقت العرب
بين قولهم غسلت الثوب وبين قولهم افضت عليه الما وغمسته في الما
واذا تقرر هذا فاعلم ان العلما اختلفوا في الجنب يصب على جسده الما
او ينغمس فيه ولا يتدلك فالمشهور من مذهب مالك انه لا يجزيه حتى
يتدلك لان الله تعالى امر الجنب بالاغتسال كما امر المتوضي بغسل وجهه
ويديه ولم يجز للمتوضي بد من امرار يديه مع الما على وجهه ويديه
جميع جسد الجنب وراسه في حكم وجه المتوضي ويديه وهذا
قول المزني واختاره قال ابو الفرج عمرو بن محمد المالكي وهذا هو المعقول
من لفظ الغسل لان الاغتسال في اللغه هو الافتعال ومن لم يمر يديه
فلم يفعل غير صب الما لا يسميه اهل اللسان غاسلا بل يسمونه صابا

للما ومنغمسا فيه قال وعلى دليل النجاسات الاثار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تحت كل شعرة جنابة فاغسلوا الشعر وانقوا البشره قال وانقاوه والله اعلم لا يكون الا بتتبعه على حد ما ذكرنا قال الشيخ المولف رحمه لا حجه فيما استدل به من الحديث لوجهين احدهما انه قد خولف في تاويله قال سفين بن عيينه المراد بقوله صلى الله عليه وسلم وانقوا البشره اراد غسل الفرج وتنظيفه وانه كنى بالبشره عن الفرج قال ابن وهب ما رايت اعلم بتفسير الاحاديث من ابن عيينه الثاني ان الحديث اخرجه ابو داود في سننه وقال فيه وهذا الحديث ضعيف كذا في روايه ابن داسه وفي روايه اللولوي عنه الحارث بن وجيه ضعيف حديثه منكر فسقط الاستدلال بالحديث وبقي المعول على اللسان كما بينا ويعضده ما ثبت في صحيح الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي فبال عليه فدعا بما فاتبعه بوله ولم يغسله رواه عايشه ونحوه عن قيس بنت محصن اخرجهما مسلم وقال الجمهور من العلما وجماعه الفقها يجزي الجنب صب الما والانغماس فيه اذا اسبغ وعم وان لم يتدلك على مقتضى حديث ميمونه وعايشه في غسل النبي صلى الله عليه وسلم كان يفيض الما على جسده وبه قال محمد بن عبد الحكم واليه يرجع ابو الفرج ورواه عن ملك قال وانما امرنا بامرار اليدين في الغسل لانه لا يكاد من لم يمر يديه عليه يسلم من تنكب الما عن بعض ما يجب من جسمه قال ابن العربي واعجب لابي الفرج الذي روى وحكى عن صاحب المذهب ان الغسل دون دلك يجزي وما قاله ملك قط نصا ولا تخريجا وانما هي من اوهامه قال الشيخ المولف رحمه قد روي هذا عن ملك نصا قال مروان بن محمد الطاهري

وهو ثقه

وهو نقه من ثقات سالت ملك عن رجل انغمس في ما وهو جنب ولم يتوضا
قال مصت صلاته قال ابو عمر فهذه الروايه فيها لم يتدلك ولا يتوضا وقد
اجزاه عند ملك والمشهور من مذهبه انه لا يجزيه حتى يتدلك قياسا
على غسل الوجه واليدين وحجه الجماعه ان كل من صب عليه الما فقد
اغتسل والعرب تقول غسلتني الما وقد حكت عايشه وميمونه صفه
غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تذكرا تدلكا ولو كان واجبا ما
تركه لانه المبين عن الله تعالى مراده فلو فعل لنقل عنه كما نقل تخليل اصول
شعره بالما وغرفه على راسه وغير ذلك من صفه غسله ووضوه صلى الله
عليه وسلم قال ابو عمر وغير نكير ان يكون الغسل في لسان العرب مره
بالعرك ومره بالصب والافاضه واذا كان هذا لا يمتنع ان يكون الله جل
وعز تعبد عباده في الوضو بامرار ايديهم على وجوههم مع الما ويكون
غسلا وان يفيضوا الما على انفسهم في غسل الجنابه والحيض ويكون
ذلك غسلا موافقا للسنه غير خارج من اللغه ويكون كل واحد من
الامرين اصلا في نفسه لا يجب ان يرد احدهما الى صاحبه لان الاصول
لا يرد بعضها الى بعض قياسا وهذا ما لا خلاف فيه بين علما الامه وانما
ترد الفروع قيا على الاصول وبالله التوفيق
حديث ميمونه وعايشه يرده ما رواه شعبه مولى بن عباس انه كان اذا
اغتسل من الجنابه غسل يديه سبعا وقد روي عن بن عمر قال كانت الصلاه
خمسين والغسل من الجنابه سبع مرار وغسل البول من الثوب سبع مرار
فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال حتى جعلت الصلاه خمسا والغسل
من الجنابه واحده والغسل من الثوب مره -- قال بن عبد البر واسناد

هذا الحديث عن بن عمر فيه ضعف ولين وان كان ابو داود قد خرجه
والذي قبله عن شعبه مولى بن عباس وشعبه هذا ليس بالقوي ويرد هما حديث
عايشه وميمونه   ومن لم يستطع امرار يده على حسده
فقد قال سحنون يجعل من يلي ذلك منه او يعالجه بخرقه وفي الواضحه يمر
يده على ما يدركه من جسده ثم يفيض الماء حتى يعم ما لم تبلغه يداه
واختلف قول مالك في تخليل الجنب لحيته فروى
بن القاسم عنه انه قال عليه ذلك وروى اشهب عنه ان عليه ذلك
قال بن عبد الحكم وهو احب الينا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يخلل شعره في غسل الجنابه وذلك عام وان كان الاظهر فيه شعر الراس
وعلى هذين القولين العلما ومن جهه المعنى ان استيعاب البدن في الغسل
واجب والبشره التي تحت اللحيه من جملته فوجب ايصال الما اليها ومباشرتها
باليد وانما الفرض الى الشعر في الطهاره الصغرى لانها مبنيه على التخفيف
ونابه الابدال فيه من غير ضروره ولذلك جاز فيها المسح على الخفين ولم
يجز في الغسل   قال الشيخ المولف رحمه الله ويعضد هذا قوله صلى الله عليه
وسلم تحت كل شعره جنابه   وقد بالغ قوم فاوجبوا
المضمضه والاستنشاق بقوله تعالى حتى تغتسلوا منهم ابو حنيفه ولانهما
من جمله الوجه وحكمهما حكم ظاهر الوجه كالخد والجبين لمن تركهما وصلى
اعاد كمن ترك لمعه ومن تركهما في الوضو فلا اعاده عليه   وقال مالك
ليستا بفرض لا في الجنابه ولا في الوضو لانهما باطنان فلا عبره لداخل
الجسد بذلك قال محمد بن جرير الطبري والليث بن سعد والاوزاعي
وجماعه من التابعين   وقال بن ابي ليلى وحماد بن ابي سليمان انهما فرض في

الوضو

الوضو والغسل جميعا وهو قول اسحق واحمد بن حنبل وبعض اصحاب
داود وروي عن الزهري وعطا مثل هذا القول وروي عن احمد ايضا
ان المضمضه سنه والاستنشاق وقال به بعض اصحاب داود وحجه من
لم يوجبها ان سبحانه لم يذكرها في كتابه ولا اوجبها رسوله ولا اتفق الجميع
عليه والفرايض لا تثبت الا بهذه الوجوه من احتج اوجبها بالايه وقوله
فاغسلوا وجوههكم فاوجب في الواحد من الغسل ما وجب في الاخر فالنبي
صلى الله عليه وسلم يحفظ انه ترك المضمضه والاستنشاق في وضوه ولا
في غسله من الجنابه وهو المبين عن الله مراده قولا وعملا احتج من
فرق بينهما بان النبي صلى الله عليه وسلم فعل المضمضه ولم يامر بها
وافعاله مندوب اليها ليست بواجبه الا بدليل وفعل الاستنشاق
وامر به وامره على الوجوب ابدا قال علماونا
ولابد في غسل الجنابه من النيه لقوله حتى تغتسلوا وذلك يقتضي النيه
وبه قال مالك والشافعي واحمد واسحق وابو ثور وكذلك الوضو
والتيمم وعضد واهذا بقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين والاخلاص النيه في التقرب الى الله والقصد له
باداما افترض على عباده المومنين وقال صلى الله عليه وسلم انما
الاعمال بالنيات وهذا عمل وقال الاوزاعي والحسن يجزي
الوضو والتيمم بغير نيه وقال ابو حنيفه واصحابه كل
طهارة بالما فانها تجزي بغير نيه ولا تجزي التيمم الا بنيه قياسا
على ازاله النجاسه بالاجماع من الابدان والثياب بغير نيه وروا
الوليد بن مسلم عن مالك ... وامام قدر الما الذي

يغتسل به فروى ملك عن ابن شهاب عن عروه بن الزبير عن عايشه
ام المومنين رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يغتسل من انا هو الفرق من الجنابه تحرك راوه ويسكن والابن
وهب الفرق مكيال من خشب كان ابن شهاب يقول انه يسع خمسه
اقساط باقساط بني اميه وقد فسر محمد بن عيسى الاعشى الفرق
فقال ثلاثه اصع قال وهي خمسه اقساط قال وفي الخمسه
اقساط اثنا عشر مدا بمد النبي صلى الله عليه وسلم وفي
صحيح مسلم قال سفين الفرق ثلاثه اصع وعن انس قال كان
صلى الله عليه وسلم يتوضا بالمد ويغتسل بالصاع الى خمسه امداد
وفي روايه يغتسل بخمسه مكاكيك ويتوضا بمكوك وهذه الاحاديث
تدل على الاستحباب بقليل الما من غير كيل ولا وزن ياخذ منه
الانسان بقدر ما يكفي ولا يكثر منه فان الاكثار منه مسرف
والسرف مذموم وهو مذهب الاباضيه الاكثار من الما
وذلك من الشيطان قوله تعالى وان كنتم
مرضى الايه هذه الايه نزلت في عبد الرحمن بن عوف اصابته جنابه
وهو جريح فرخص له بان يتيمم ثم صارت الايه عامه في جميع الناس
وقيل نزلت بسبب عدم الصحابه الما في غزوه المريسيع حين
انقطع العقد لعايشه اخرج الحديث مالك من روايه عبد الرحمن
بن القاسم عن ابيه عن عايشه وترجم البخاري هذه الايه في كتاب
التفسير حدثنا محمد قال انا عبده عن هشام بن عروه عن ابيه عن
عايشه قال هلكت قلاده لاسما فبعث النبي صلى الله عليه وسلم

في طلبها

فى طلبها رجلا فحضرت الصلاه وليسوا على وضو ولم يجدوا ما فصلوا
وهم على غير وضو فانزل الله التيمم   قال الشيخ المولف رحمه الله
وهذه الروايه ليس فيها ذكر الموضع وفيها ان القلاده كانت لاسما
خلاف حديث ملك   وذكر النساى من روايه على بن مسهر عن
هاشم بن عروه عن ابيه عن عايشه انها استعارت من اسما قلاده لها
وهى فى سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانسلت منها وكان
ذلك المكان يقال له الصلصل وذكر الحديث ففى هذه الروايه
عن هشام ان القلاده كانت لاسما وان عايشه استعارتها من
اسما وهذا بيان لحديث ملك اذ قال انقطع عقد لعايشه
ولحديث البخارى اذ قال هلكت قلاده لاسما وفيه ان المكان يقال
له الصلصل واخرجه الترمذى   حدثنا الحميدى ثنا سفين نا هشام
بن عروه عن ابيه عن عايشه انها سقطت قلادتها ليله الابوا فارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين فى طلبها وذكر الحديث ففى هذه
الروايه عن هشام ايضا اضافه القلادة اليها لكن اضافه مستعير
بدليل حديث النساى وقال فى المكان الابوا كما قال ملك الا
انه من غير شك وفى حديث ملك قالت فبعثنا البعير الذى
كنت عليه فوجدنا العقد تحته   وجا فى البخارى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجده وهذا كله صحيح المعنى وليس اختلاف النقله
فى العقد والقلاده ولا فى الموضع ما يقدح فى الحديث ولا يوهن
شيا منه لان المعنى المراد من الحديث والمقصود به اليه هو نزول
التيمم وقد ثبتت الروايات امر القلاده واما قوله فى حديث

الترمذى فارسل رجلين قيل احدهما اسيد بن حضير ولعلهما المراد
بالرجال فى حديث البخارى يعبر عنهما بلفظ الجمع اذ اقل الجمع اثنان
واردف فى اثرهما غيرهما فصح اطلاق اللفظ والله اعلم فبعثوا فى
فى طلبها فطلبوا فلم يجدوا شيا فى وجههم فلما رجعوا اثاروا البعير
فوجدوه تحته وقد روى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصابتهم جراحة ففشت فيهم ثم ابتلوا بالجنابة فشكوا ذلك فنزلت
هذه الايه وهذا ايضا ليس بخلاف لما ذكرناه فانهم ربما اصابتهم
الجراحة فى غزاتهم تلك التى فعلوا منها ادبا ان فيها قتال فشكوا وضاع
العقد ونزلت الايه وقد قيل ان ضياع العقد كان فى غزاة بنى
المصطلق وهذا ايضا ليس بخلاف لقول من قال فى غزاة المريسيع اذ
هى غزاة واحدة فان النبى صلى الله عليه وسلم غزا بنى المصطلق فى شعبان
من السنة السادسة من الهجرة على ما قاله خليفة بن خياط وابو عمر بن
عبد البر واستعمل على المدينة ابا ذر الغفاري وقيل بل نميلة بن عبد الله
الليثى واغار رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى المصطلق وهم غارون
وهم على ماء يقال له المريسيع من ناحية قديد مما يلى الساحل فقتل من قتل
وسبى من سبى من النساء والذرية وكان شعارهم يومئذ امت امت وقد
قيل ان بنى المصطلق جمعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وارادوه فلما بلغه
ذلك خرج اليهم فلقيهم على ماء فهذا ما جاء فى بدء التيمم وهى ابه الوضوء المذكورة
فى سورة المائدة او الايه التى فى سورة النساء ليس التيمم مذكورا فى غيرهما تين
الايتين وهما مدنيتان ... قوله تعالى مرضى المرض
عبارة عن خروج البدن عن حد الاعتدال والاعتياد الى الاعوجاج والشذوذ

وهو على

وهو على ضربين كثير ويسير فاذا كان كثيرا بحيث يخاف الموت لبرد الما او
للعلة التى به او يخاف فوات بعض الاعضا فهذا يتيمم باجماع الا ما روي
عن الحسن وعطا انه يتطهر وان مات وهذا مردود بقوله تعالى ما جعل
عليكم في الدين من حرج وقوله ولا تقتلوا انفسكم وروى الدارقطني
عن سعيد بن جبير عن بن عباس في قوله عز وجل وان كنتم مرضى او على سفر
قال اذا كانت بالرجل الجراحة بالقروح او الجدرى فيجنب فيخاف
ان يموت ان اغتسل يتيمم وعن سعيد بن جبير ايضا عن بن عباس قال
رخص للمريض التيمم بالصعيد وتيمم عمرو بن العاص لما خاف ان يهلك
من شدة البرد ولم يامره صلى الله عليه وسلم بغسل ولا اعاده فان كان
يسيرا الا انه يخاف معه حدوث علة او زيادتها او بطء برئها فلا
يتيممون باجماع من المذهب قال فيما حفظت قال الشيخ المولف
رحمه الله ذكر الباجي فيه خلافا قال القاضي ابو الحسن مثل ان يخاف
الصحيح نزلة او حمى وكذلك ان كان المريض يخاف زيادة مرض وبحوه
قال ابو حنيفه وقال الشافعي لا يجوز له التيمم وجود الما الا ان
يخاف التلف ورواه القاضي ابو الحسن عن ملك قال بن العربي
قال الشافعي لا يباح التيمم للمريض الا اذا خاف التلف لان زيادة
المرض غير متحققة لانها قد تكون ولا تكون ولا يجوز ترك الفرض
المتيقن بالخوف المشكوك قلنا قد تناقضت فاذا قلت اذا خاف التلف
من البرد تيمم فكما يبيح التيمم خوف التلف كذلك يبيحه خوف المرض لان
المرض محذور كما ان التلف محذور وعجبا للشافعي يقول لو زاد الما على
حبة لم يلزمه شراوه صيانة للمال ويلزمه التيمم وهو يخاف على بدنه

المرض وليس لهم كلام يساوي سماعه   قال الشيخ المولف رحمه الله الصحيح
من قول الشافعي جواز التيمم   روى ابو داود والدارقطني عن
يحيى بن ايوب عن يزيد بن حبيب عن عمران بن ابي انس عن عبد الرحمن
بن جبير عن عمرو بن العاص قال احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات
السلاسل فاشفقت ان اغتسل ان اهلك فتيممت ثم صليت باصحابي
الصبح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عمرو صليت
باصحابك وانت جنب فاخبرته الذي منعني من الاغتسال
وقلت اني سمعت الله يقول ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم
رحيما فضحك نبي الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيا فدل هذا الحديث
على اباحة التيمم مع الخوف لا مع اليقين وفيه اطلاق اسم الجنب
على المتيمم وجواز صلاة المتيمم بالمتوضيين وهو احد القولين عندنا
وهو الصحيح وهذا الذي اقراه مالك في موطيه وترى عليه الى
مات والقول الثاني انه لا يصلي لانه انقص فضيلة من المتوضي وحكم
الامام ان يكون اعلا رتبة   وقد روى الدارقطني من حديث جابر
بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوم المتيمم
المتوضين اسناده ضعيف   وروى ابو داود والدارقطني عن
جابر قال خرجنا في سفر فاصاب رجل معنا حجر فشجه في راسه ثم
احتلم فسال اصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد
لك رخصة وانت تقدر على الما فاغتسل فمات فلما قدمنا على
النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله الا سالوا
اذ لم يعلموا فانما شفا العي السوال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصو ا

ويعصب

وتعصب سك موسى على جرحه خرقه ثم يمسح عليها ويغسل ساير
جسده قال الدارقطني قال ابو بكر هذه سنة تفرد بها اهل مكه
وحملها اهل الجزيرة لم يروه عن عطا عن جابر غير الزبير بن خريق وليس
بالقوي وخالفه الاوزاعي فرواه عن عطا عن بن عباس وهو الصواب.
واختلف عن الاوزاعي فقيل عنه عن عطا وقيل عنه بلغني عن عطا وارسل
الاوزاعي اخرجه عن عطا عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصواب
وقال بن ابي حاتم سالت ابي وابا زرعه عنه فقالا رواه بن ابي
العشرين عن الاوزاعي عن اسماعيل بن مسلم عن عطا عن بن عباس
واسند الحديث وقال داود كل من اطلق عليه اسم المريض فجاير
له التيمم لقوله وان كنتم مرضى قال بن عطيه وهذا قول خلف وانما
هو عند علما الامه لمن خاف من استعمال الما وتاذيه كالجدري
والحصوب والعلل المخوف عليها من الما كما تقدم عن بن عباس

قوله تعالى او على سفر يجوز التيمم بسبب السفر
طال او قصر عند عدم الما ولا يشترط ان يكون مما تقصر فيه الصلاه هذا
مذهب ملك وجمهور الفقها وقال قوم لا يتيمم الا في سفر تقصر فيه الصلاه
واشترط اخرون ان يكون سفر طاعه وهذا كله ضعيف

اجمع العلما على جواز التيمم في السفر حسبما ذكرنا واختلفوا
فيه في الحضر فذهب ملك واصحابه الى ان التيمم في الحضر والسفر جايز
وهو قول ابي حنيفه ومحمد وقال الشافعي لا يجوز للحاضر الصحيح ان يتيمم الا
ان يخاف التلف وهو قول الطبري ايضا وقال الشافعي ايضا والليث
والطبري اذا عدم الما في الحضر مع خوف الوقت الصحيح والسقيم

يتيمم ويصلي ثم اعاد وقال ابو يوسف وزفر لا يجوز التيمم في الحضر
لا لمرض ولا لخوف الوقت وقال الحسن وعطا لا يتيمم المريض اذا وجد
الما ولا غير المريض وسبب الخلاف اختلافهم في مفهوم الايه فقال
مالك ومن تابعه ذكر الله تعالى المرضى والمسافرين في شرط التيمم خرج
على الاغلب فيمن لا يجد الما والحاضرون الاغلب عليهم وجوده فلذلك
لم ينص عليهم فكل من لم يجد الما او منعه منه مانع وخاف فوات وقت
الصلاه يتيمم المسافر بالنص والحاضر بالمعنى وكذلك المريض بالنص والصحيح
بالمعنى واما من منعه في الحضر فقال ان الله سبحانه جعل التيمم رخصة للمريض
والمسافر كالفطر وقصر الصلاه ولم يبح التيمم الا بشرطين وهما المرض
والسفر فلا دخول للحاضر الصحيح في ذلك بخروجه من شرط الله تعالى
واما قول الحسن وعطا الذي منعه حمله على وجود الما فقال انما شرطه
الله تعالى مع عدم لقوله فلم تجدوا واما فلم يبح التيمم لاحد الا عند فقد الما
قال ابو عمر ولولا قول الجمهور وما روي من الاثر لكان قول الحسن وعطا
صحيحا والله اعلم وقد اجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم التيمم لعمرو
بن العاص وهو مسافر اذ خاف الهلاك ان اغتسل بالما فالمريض احرى
بذلك قال الشيخ المولف رحمه ومن الدليل على جواز التيمم في الحضر
اذا خاف فوات الصلاه ان ذهب الى الما الكتاب والسنه اما الكتاب
فقوله سبحانه او جا احد منكم من الغايط يعني المقيم اذا عدم نص عليه
القشيري عبد الرحيم قال ثم يقع النظر في وجوب القضا لان عدم الما
في الحضر عذر نادر وفي القضا قولان قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا
نص اصحابنا فيمن تيمم في الحضر يصلي يعيد اذا وجد الما ام المشهور من مذهب

مالك انه لا يعيد

٨

تاسع

ملك انه لا يعيد وهو الصحيح وقال بن حبيب ومحمد بن عبد الحكم يعيد
ابدا ورواه بن المنذر عن ملك وقال الوليد عنه يغتسل وان طلعت الشمس
واما السنة فما رواه البخاري عن ابي الجهم بن الحارث بن الصمة الانصاري
قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم من نحو بير جمل فلقيه رجل فسلم عليه
فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم حتى اقبل على الجدار فمسح بوجهه ويديه
ثم رد عليه السلام واخرجه مسلم وليس فيه لفظ بير واخرجه
الدارقطني من حديث بن عمر وفيه ثم رد على الرجل السلام وقال انه لم
يمنعني ان ارد عليك الا اني لم اكن على طهر

قوله تعالى او جا احد منكم من الغايط اصله لما انخفض من الارض
والجمع الغيطان والاغواط وبه سمي غوطة دمشق وكانت العرب تقصد
هذا الصنف من المواضع لقضا حاجتها تسترا عن الناس ثم سمي
الحدث الخارج من الانسان غايطا للمقارنه وغاط في الارض يغوط
اذا غاب وقرا الزهري من الغيط فيحتمل ان يكون اصله الغيط
مخففة كهين وميت وشبهه ويحتمل ان يكون من الغوط بدلالة
قولهم يغوط اذا اتى الغايط فقلبت واو الغوط يا كما قالوا في
لاحول لاحيل واو بمعنى الواو اي كنتم مرضى او على سفر او جا
احد منكم من الغايط فتيمموا فالسبب الموجب للتيمم على
هذا هو الحدث لا المرض ولا السفر فدل على جواز في الحضر
كما بينا والصحيح في او انها على بابها عند اهل النظر فلاو معناها
وللواو معناها وهذا عندهم على الحذف والمعنى وان كنتم مرضى
مرضا لا تقدرون فيه على مس الما او على سفر ولم تجدوا ما او جا

الى الماء والله اعلم لفظ الغايط يجمع بالمعنى
جميع الاحداث الناقضه للطهاره الصغرى وقد اختلف الناس في
حصرها واسل ما قيل في ذلك انها ثلاثه انواع لا اختلاف فيها في
مذهبنا زوال عقل خارج معتاد ملامسه وعلى مذهب ابي حنيفه
ماخرج من الجسد من النجاسات فلا يراعى المخرج ولا يعد اللمس
وعلى مذهب الشافعي ومحمد بن عبد الحكم ماخرج من السبيلين ولا يراعي
الاعتياد ويعد اللمس واذا تقرر هذا فاعلم ان المسلمين اجمعوا على ان
من زال عقله باغما او جنون او سكر فعليه الوضوء واختلفوا اهل هو
حدث كساير الاحداث او ليس بحدث او مظنه حدث طرفان
وواسطه الطرف الاول ذهب المزني ابو ابراهيم اسماعيل الى انه
حدث وان الوضوء يجب بقليله وكثيره كساير الاحداث وهو
مقتضى قول ملك في الموطا لقوله ولا يجب وضوء الا من حدث
يخرج من ذكر او دبر او نوم ومقتضى حديث صفوان بن عسال اخرجه
النساى والدارقطني والترمذي وصححه رووه جميعا من حديث عاصم
بن ابي النجود عن زر بن حبيش قال اتيت صفوان بن عسال المرادي
فقلت جيتك اسالك عن المسح على الخفين فقال كنت في الجيش الذي
بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرنا ان نمسح على الخفين اذا نحن
ادخلناهما على طهر ثلاثا اذا سافرنا يوما وليله اذا اقمنا ولا نخلعهما
من بول ولا غايط ولا نوم الا من جنابه ففي هذا الحديث
وقول ملك التسويه بين الغايط والبول والنوم قالوا والقياس
انه لما كان كثيره وما غلب على العقل حدثا وجب ان يكون قليله كذلك

وقد روي

في النوم م

وقد روي عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكا السه العينان فمن نام فليتوض وهذا عام اخرجه ابو داود واخرجه
الدارقطني من حديث معاويه بن ابي سفين عن النبي صلى الله عليه وسلم
واما الطرف الاخر فروي عن ابي موسى الاشعري ما يدل على ان النوم
عنده ليس بحدث على اي حال كان حتى يحدث النايم حدثا غير النوم
لانه كان يوكل من يحرسه اذا نام فان لم يخرج منه حدث قام من
نومه وصلى وروي عن عبيده وسعيد بن المسيب والاوزاعي
في روايه محمود بن خالد والجمهور على خلاف هذين الطريقين فاما جمله
مذهب ملك فان كل نايم استثقل نوما وطال نومه على اي حال
كان فقد وجب عليه الوضو وهو قول الزهري وربيعه والاوزاعي
في روايه الوليد بن مسلم وبه قال احمد بن حنبل فان كان النوم خفيفا لا
يخامر القلب ولا يغمره لم يخرج وقال ابو حنيفه واصحابه لا وضو
الا على من نام مضطجعا او متوركا وقال الشافعي من نام جالسا
فلا وضو عليه ورواه بن وهب عن ملك والصحيح من هذه الاقوال
مشهور مذهب ملك لحديث بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم شغل عنها ليله يعني العشا فاخرها حتى رقدنا ثم استيقظنا ثم
خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ليس احد من اهل ينتظر الصلاه
غيركم رواه الايمه واللفظ للبخاري وهو اصح ما في هذا الباب
من جهه الاسناد والعمل واما ما قاله ملك في موطيه وصفوان بن
عسال احاديثه بمعناه ونوم ثقيل عالى على التفسير لا هل الحديث
وما كان في معناه وايضا فقد روي حديث صفوان وكيع عن مسعر

عن عاصم بن ابي النجود فقال او ريح بدلا و نوم قال الدارقطني لم يقل في هذا الحديث او ريح غير وكيع عن مسعر قال الشيخ المولف رحمه الله ووكيع ثقة امام اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من الايمة فسقط الاستدلال بحديث صفوان لمن تمسك به في ان النوم حدث واما ما ذهب اليه ابو حنيفه فضعيف رواه الدارقطني عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نام وهو ساجد حتى غط او نفخ ثم قام فصلى فقلت يا رسول الله انك قد نمت فقال ان الوضوء لا يجب الا من نام مضطجعا فانه اذا اضطجع استرخت مفاصله تفرد به ابو خالد عن قتاده ولا يصح قاله الدارقطني واخرجه ابو داود وقال قوله الوضوء على من نام مضطجعا هو حديث منكر لم يروه الا ابو خالد يزيد الدالاني عن قتاده ه وروى اوله جماعه عن ابن عباس لم يذكروا شيا من هذا وقال ابو عمر بن عبد البر هذا حديث منكر لم يروه احد من اصحاب قتاده الثقات وانما انفرد به ابو خالد الدالاني وانكروه وليس بحجه فيما نقل واما قول الشافعي على ذلك بانه لا وضوء الا على الجالس وحده وان ذلك من زال عن حد الاستوا ونام فعليه الوضوء فهو قول الطبري وداود وروي عن علي وابن مسعود وابن عمر لان الجالس لا يكاد يستثقل فهو في معنى نوم الخفيف وقد روى الدارقطني من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نام جالسا فلا وضوء عليه ومن وضع جنبه فلا وضوء عليه واما الخارج فلنا ما رواه البخاري قال ثنا قتيبه قال ثنا يزيد بن زريع عن خالد عن عكرمه عن عايشه قالت اعتكفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم امراه من ازواجه فكانت ترى

الدم

الدم والصفرة والطست تحتها وهي تصلي فهذا خارج عن غير المعتاد وانما هو عرق انقطع فهو مرض وما كان هذا سبيله فما يخرج من السبيلين فلا وضوء فيه عندنا ايجابا خلافا للشافعي لما ذكرنا وبالله توفيقنا ويرد على الحنفي حيث راعا الخارج النجس فصح ووضح مذهب مالك رضي الله عنه وعنهم اجمعين

قوله تعالى او لامستم النسا قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم وابن عامر لامستم وقرا حمزة والكسائي لمستم وفي معناه ثلاثة اقوال الاول ان يكون لمستم جامعتم الثاني لمستم باشرتم الثالث يجمع الامرين جميعا ولامستم بمعناه عند اكثر الناس الا انه حكي عن محمد بن يزيد انه قال الاولى في ان لامستم بمعنى قبلتم او نحوه لان لكل واحد منهما فعلا قال ولمستم بمعنى غشيتم ومسستم وليس للمراة في هذا فعل واختلف العلما في حكم الاية على مذاهب خمسة فقالت فرقة الملامسة هنا مختصة باليد والجنب لا ذكر له الا مع الما فلم يدخل في المعنى المراد بقوله وان كنتم مرضى الاية فلا سبيل له الى التيمم وانما يغتسل الجنب او يدع الصلاة حتى يجد الما روي هذا القول عن عمر وابن مسعود قال ابو عمر ولم يقل بقول عمر وعبد الله في هذه المسئلة احد من فقها الامصار من اهل الراي وحملة الاثار وذلك والله اعلم لحديث عمار وعمران بن حصين وحديث ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم تيمم الجنب وقال ابو حنيفة عكس هذا القول فقال الملامسة هنا مختصة باللمس الذي هو الجماع فالجنب يتيمم واللامس بيده لم يجر له ذكر فليس بحدث ولا هو ناقض لوضوء فاذا قبل الرجل امراته للذة لم ينتقض وضوء وعضد واحتج بما رواه الدارقطني عن عايشة ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم قبل بعض نسايه ثم خرج الى الصلاه ولم يتوضى قال عروه فقلت لها من هي الا انت فضحكت وقال ملك الملامس بلجماع يتيمم واللامس باليد يتيمم اذا التذ فان لمسها لغير شهوه فلا وضو وبه قال احمد واسحق وهو مقتضى الايه وقال على زياد ان كان عليها ثوب كثيف فلا شي عليه وان كان خفيفا فعليه الوضوء وقال عبد الملك بن الماجشون من تعمد مس امراته بيده للملاعبه فليتوضى التذ او لم يلتذ قال القاضي ابو الوليد الباجي في المنتقى والذى تحقق من مذهب ملك واصحابه ان الوضو انما يجب لقصد اللذه دون وجودها فمن قصد اللذه بلمسه فقد وجب عليه التذ بذلك او لم يلتذ وهذا معنى ما في العتبيه من روايه عيسى عن ابن القاسم واما الانعاظ بمجرده فقد روى ابن نافع عن ملك انه لا يوجب وضوا ولا غسل ذكر حتى يكون معه لمس او مذى وقال الشيخ ابو اسحق من انعظ انعاظا انتقض وضوه وهذا قول ملك في المدونه وقال الشافعي اذا افضى الرجل بشي من بدنه الى بدن المراه سوا كان باليد او بغيرها من اعضا الجسد تعلق نقض الطهر به وهو قول ابن مسعود وابن عمر والزهري وربيعه وقال الاوزاعي اذا كان المس باليد نقض الطهر وان كان بغير اليد لم ينقضه لقوله تعالى فلمسوه بايديهم فهذه خمسه مذاهب اسدها مذهب ملك وهو مروي عن عمر وابنه عبد الله وهو قول عبد الله بن مسعود وان الملامسه ما دون الجماع وان الوضو يجب بذلك والى هذا ذهب اكثر الفقها قال ابن العربي وهو الظاهر من معنى الايه فان قوله في اولها ولا جنبا افاد الجماع وان قوله او جا احد منكم من الغايط

افاد الحدث

افاد الحدث فان قوله او لمستم افاد اللمس والقبل فصارت الاية
لثلاثة احكام وهذه غاية في العلم والاعلام ولو كان المراد باللمس الجماع
كان تكرارا في الكلام قال الشيخ المولف رحمه الله واما ما استدل
به ابو حنيفة من حديث عايشة فحديث مرسل رواه وكيع عن
الاعمش عن حبيب بن ابي ثابت عن عروة عن عايشة قال يحيى بن سعيد
وذكر حديث الاعمش عن حبيب عن عروة فقال اما ان سفين الثوري
كان اعلم الناس بهذا زعم ان حبيبا لم يسمع من عروة شيا قاله الدارقطني
فان قيل فانتم تقولون بالمرسل فيلزمكم قبوله والعمل به قلنا قد خالف
الفاروق روايته وتابعهما عبد الله بن مسعود وهو كوفي فما لكم لا خلفتموه
فان قيل الملامسة من باب المفاعلة ولا تكون الا من اثنين واللمس
باليد انما يكون من واحد فثبت ان الملامسة هي الجماع قلنا
الملامسة مقتضاها التقا البشرتين سوا كان ذلك من واحد او
من اثنين لان كل واحد منهما يوصف لامس وملموس جواب اخر
وهو ان الملامسة قد تكون من واحد ولذا نهى النبي صلى الله عليه
وسلم عن بيع الملامسة والثوب ملموس وليس بلامس وقد قال
بن عمر مخبرا عن نفسه وانا يومئذ قد ناهزت الاحلام وتقول
العرب عاقبت اللص وطارقت النعل وهو كثير فان قيل لما
ذكر الله سبحانه سبب الحدث وهو المجي من الغايط ذكر سبب الجنابة
وهو الملامسة فبين حكم الحدث والجنابة عند عدم الما كما افاد بيان
حكمهما عند وجود الما قلت لا يمنع حمل اللفظ على الجماع واللمس ويفيد الحكمين
كما بينا وقد قرى لمستم كما ذكرنا فاما ما ذهب اليه الشافعي من لمس الرجل

من م

المراه ببعض اعضايه لا حايل بينها وبينه لشهوه او لغير شهوه وجب عليه
الوضو فهو ظاهر القران ايضا وكذلك ان لمسته هي وجب عليه الوضو
الا الشعر فانه لا وضو لمن لمس شعر امراته لشهوه كان او لغير شهوه وكذلك
السن والظفر فان ذلك مخالف للبشره ولو احتاط فتوضا اذا مس
شعرها كان ذلك حسنا ولو مسها بيده او مسته بيدها من فوق الثوب
فالتذ لذلك او لم يلتذ لم يكن عليهما شي حتى يفضي الى البشره وسوا كان
ذلك عامدا او ساهيا كانت المراه حيه او ميته اذا كانت اجنبيه واختلف
قوله اذا لمس صبيه صغيره او عجوزا كبيره او واحده من ذوات محارمه
ممن لا يحل له نكاحها لمن قال ببعض الوضو لقوله او لمستم النسا فلم يفرق
والثاني لا ينقض لانه مدخل للشهوه فيهن قال المروزي قول الشافعي
اشبه بظاهر الكتاب لان الله عز وجل قال او لمستم النسا ولم يقل بشهوه
ولا من غير شهوه وكذلك الذين اوجبوا الوضو من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم لم يشترطوا الشهوه قال وكذلك عامه التابعين قال
المروزي فاما ما ذهب اليه مالك من مراعات الشهوه واللذه من فوق الثوب
توجب الوضو فقد وافقه على ذلك في النظر لان من فعل ذلك فهو غير
لامس لامراته وغير مماس لها في الحقيقه انما هو لامس لثوبها وقد اجمعوا انه
لو تلذذ واشتهى ان يلمس لم يجب عليه وضو فكذلك الذي من لمس فوق الثوب
لانه غير مماس للمراه قال الشيخ المولف رحمه الله اما ما ذكره من انه لم
يوافق مالكا على قوله الا الليث بن سعد فقد ذكر الحافظ ابو عمر بن عبد
البر ان ذلك قول اسحق واحمد وروي ذلك عن الشعبي والنخعي كلهم قالوا اذا
لمس فالتذ وجب الوضو وان لم يلتذ فلا وضو واما قوله ولا يصح ذلك في

النظر

النظر فليس بصحيح وقد كان في صحيح الخبر عن عايشه قالت كنت انام بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاي في قبلته فاذا سجد غمزني فقبضت
رجلي واذا قام بسطتها قالت والبيوت يوميذ ليس فيها مصابيح فهذا
نص في ان النبي صلى الله عليه وسلم كان الملامس وانه غمز رجلي عايشه كما في
روايه القاسم عن عايشه فاذا اراد ان يسجد غمز رجلي فقبضتهما اخرجه
البخاري فهذا يخص عموم قوله او لامستم فكان واجبا بظاهر الايه انتقاض
وضو كل ملامس كيف لامس ودلت السنه التي هي البيان لكتاب الله تعالى
ان الوضو على بعض الملامسين دون بعض وهو من لم يلتذ ولم يقصد لا
يقال كان على قدمي عايشه ثوب او كان يضرب رجليها بكمه فانا نقول حقيقه
الغمز انما هو باليد ومنه غمزك الله الكبش اي جسه لتنظر اهو سمين ام
لا فاما ان يكون الغمز بالضرب بالكم فلا والرجل من النايم الغالب عليها
ظهورها من النايم لا سيما مع ابتداره وضيق حاله وهذه كانت
الحال في ذلك الوقت الا ترى قولها واذا قام بسطتها وقولها والبيوت
يوميذ ليس فيها مصابيح وقد جاء صريحا عنها قالت كنت امد رجلي في
قبله النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فاذا سجد غمزني فرفعتهما فاذا قام
مددتهما اخرجه البخاري فظهر ان الغمز كان على حقيقته مع المباشره وقد
اخرجوا ما دونه عايشه ايضا رضي الله عنها قالت فقدت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليله من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه
وهو في المسجد وهما منصوبتان الحديث فلما وضعت يدها على قدمه وهو
ساجد وتمادى في سجوده كان ذلك دليلا على ان الوضو لا ينتقض الا
على بعض الملامسين دون بعض فاذا قيل كان على قدمه حايل كما قاله المزني

ص

م

ليل

قبل له القدم ودم بلا حايل حتى تثبت الحايل والاصل الوقوف مع الظاهر
بل بمجموع ما ذكرنا يجتمع منه ما النص فان قيل فقد اجمعت الامة على
ان رجلا لو استلم امراته لمس خيانه ختانا وهي لا تلتذ لذلك او كانت
نايمه فلم تلتذ ولم تشته الغسل واجب عليها فلذ للحلم من قبل او لامس
لشهوه او لغير شهوه انتقضت طهارته ووجب عليه الوضو لان المعنى
لمن لمسه والملمسه والقبله الفعل لا اللذه قلنا وقد ذكرنا ان الاعمش
وغيره خالف فيما عينموه من الاجماع سلمناه لكن هذا الاستدلال
بالاجماع في محل النزاع فلا يلزم وقد استشكد لنا على صحه مذهبنا باحاديث
صحيحه وقد قال الشافعي فيما انه لم يسبق اليه وقد سبقه اليه شيخه
ملك كما هو مشهور عندنا اذا صح الحديث فخذوا به ودعوا قولي
وقد ثبت الحديث بذلك فلم لا تقولون به ويلزم على مذهبكم ان من ضرب
امراته فلطمها بيده تاديبا لها واغلاظا عليها ان ينتقض وضوءه اذ المقصود
وجود الفعل وهذا لا يقوله احد فيما اعلم والله اعلم وروى الايمه ملك
وغيره انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي وامامه بنت ابي العاص ابنه زينب
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على عاتقه فاذا ركع وضعها واذا رفع من
السجود اعادها وهذا يرد ما قاله الشافعي في احد قوليه لو لمس صغيره
انتقض طهره تمسكا بلفظ النسا وهذا ضعيف فان لمس الصغيره كلمس
الحايط واختلف قوله في ذوات المحارم لاجل انه لا يعتبر اللذه وعن اعتبرنا
اللذه فحيث وجدت وجد الحكم وهو وجوب الوضو واما قول الاوزاعي
في اعتبار اليد خاصه فلان اللمس اكثر ما يستعمل باليد فقصره عليه دون
غيره من الاعضا حتى انه قال لو ادخل الرجل رجليه في ثياب امراته فلمس

فرجها

فرجها او بطنها لا سعص دلك وضوء وقال في الرجل يقبل امراته ان جاسلني فلت ينوضا وان لم ينوض لم اعبه   وقال ابو ثور لا وضوء على من قبل امراه او لمسها او باشرها وهذا مخرج على مذهب ابي حنيفه

قوله تعالى فلم تجدوا ما الاسباب التي لا يجد المسافر معها الما هي اما عدمه جمله او عدم بعضه واما ان يخاف فوات الرفيق او على الرجل بسبب طلبه او يخاف لصوصا او سباعا او فوات الرفيق او عطشا على نفسه او غيره ولذلك لطبخ يطبخه لمصلحه بدنه فاذا كان احد هذه الاشيا تيمم وصلى وترتب عدمه للمريض بان لا يجد من يناوله او يخاف ضرره وتترتب عدمه ايضا للصحيح الحاضر بالغلا الذي يعم الاصناف او بان يسجن او يربط   وقال الحسن يشتري الرجل الما بماله ويبقى عديما وهذا ضعيف لان دين الله يسر   وقالت طايفه يشتريه ما لم يزد على القيمه الثلث فصاعدا ويشتري قيمه الدرهم بالدرهمين والثلث ونحو هذا وهذا كله في مذهب ملك رحمه الله   وقيل لاشهب ايشتري القربه بعشره دراهم فقال ما ارى ذلك على الناس   وقال الشافعي يعدم الزياده

واختلف العلما هل طلب الما شرط في صحه التيمم ام لا فظاهر مذهب ملك ان ذلك شرط وهو قول الشافعي وذهب القاضي ابو محمد بن نصر الي ان ذلك ليس بشرط في صحه التيمم وهو قول ابي حنيفه   وروي عن ابن عمر انه كان يكون في السفر على غلوتين من طريقه فلا يعدل اليه قال اسحق لا يلزمه الطلب الا في موضعه وذكر حديث ابن عمر والاول اصح وهو المشهور من مذهب ملك في الموطا لقوله تعالى فلم تجدوا واما

علم
من م
جميع م
علم

وهذا يقتضي ان التيمم لا يستعمل الا بعد طلب الما وايضا من جهة القياس
ان هذا بدل على مامور به عند العجز عن مبدله فلا يجزي فعله الا مع
تيقن عدم مبدله كالصوم مع العتق في الكفارة

واذا ثبت هذا وعدم الما فلا يخلو ان يغلب على ظن المكلف اليأس من
وجوده في الوقت او يغلب على ظنه وجوده ويقوى رجاه له او يتساوى
عنده الامران فهذه ثلاثة احوال فالاول يستحب له التيمم
والصلاة اول الوقت لانه اذا فاتته فضيلة الما فانه يستحب له
ان يحرز فضيلة اول الوقت   الثاني يتيمم وسط الوقت
حكاه اصحاب ملك عنه فيوخر الصلاة رجا ادراك فضيلة الما لم
تفته فضيلة اول الوقت قد يدرك بوسطه منه   الثالث يوخر
الصلاة الى ان يجد الما في اخر الوقت لان فضيلة الما اعظم من فضيلة
اول الوقت لان فضيلة اول الوقت مختلف فيها وفضيلة الما متفق
عليها وفضيلة اول الوقت يجاوز تركها دون ضرورة ولا يجوز ترك
فضيلة الما الا لضرورة والوقت في ذلك هو اخر الوقت المختار
قاله ابن حبيب فلم علم وجوده في اخر الوقت فتيمم في اوله وصلى فقد
قال ابن القاسم يجزيه فان وجد الما عاد في الوقت خاصة   وقال
عبد الملك بن الماجشون ان وجد فلم يجد اعاد ابدا

والذي يراعي من وجود الما ان يجد منه ما يكفيه لطهارته
فان وجد اقل من الكفاية تيمم ولم يستعمل ما وجد منه هذا قول ملك واصحابه
وبه قال ابو حنيفة والشافعي في احد قوليه وهو قول اكثر العلما لان الله
تعالى جعل فرضه احد الشيئين اما الما او التراب فاذا لم يكن الما معينا عن   تمام

التيمم

التيمم كان غير موجود شرعا لان المطلوب من وجوده الكفايه وقال الشافعي في القول الاخر يستعمل ما معه من الما ويتيمم لانه واجد ما فلم يتحقق شرط التيمم فاذا استعمله ونفد الما تيمم لما لم يجد الما واختلف قول الشافعي ايضا فيما اذا نسي الما في رحله فتيمم والصحيح انه يعيد لانه اذا كان الما عنده فهو واجد وانما فرط والقول الاخر انه لا يعيد وهو قول مالك لانه اذا لم يعلمه ولم يجده

واجاز ابو حنيفه الوضو بالما المتغير لقوله تعالى فما هنا نفي في نكره وهو يعلم لغه ملون مفيد جواز الوضو بالما المتغير وغير المتغير لانطلاق اسم الما عليه قلنا النفي في النكره يعم كما قلتم ولكن في الجنس فهو عام في كل ما كان من سما او نهرا وعين عذب او ملح فاما غير الجنس وهو المتغير فلا يدخل فيه كما لا يدخل فيه ما الباقلا ولا ما الورد وسياتي حكم المياه في الفرقان ان شا الله تعالى

واجمعوا على ان الوضو والاغتسال لا يجوز بشي من الاشربه سوى النبيذ عند عدم الما وقوله تعالى فلم تجدوا ما فتيمموا يرده والحديث الذي فيه ذكر الوضو بالنبيذ رواه بن مسعود وليس بثابت لان الذي رواه ابو زيد وهو مجهول لا يعرف بصحبه عبد الله قاله بن المنذر وغيره وسياتي في الفرقان بيانه ان شا الله تعالى

الما الذي يبيح عدمه التيمم هو الطاهر المطهر الباقي على اصل خلقته وفي بعض من الف في احكام القران لما قال تعالى فلم تجدوا ما فتيمموا فانما اباح التيمم عند عدم كل جزو من ما لانه لفظ منكر يتناول كل جزء منه سوا كان يخالطه غيره او منفردا بنفسه ولا يمتنع احد ان يقول في

في ابتداء التيمم مالما كان كذلك لم يجز التيمم مع وجوده وهذا مذهب الكوفيين ابي حنيفة واصحابه واسندوا الى اخبار ضعيفة يأتي ذكرها في سورة الفرقان وهناك يأتي القول في الماء ان شاء الله

على ذلك

قوله تعالى فتيمموا التيمم مما خصت به هذه الامة توسعة عليها قال صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا وذكر الحديث وقد تقدم ذكر نزوله وذلك بسبب القلادة حسب ما بيناه وتقدم ذكر الاسباب التي تبيحه والكلام ها هنا في معناه لغة وشرعا وفي صفته وكيفيته وما يتيمم به وله ومن يجوز له التيمم وشروط التيمم الى غير ذلك من احكامه فالتيمم لغة هو القصد تيممت الشيء قصدته وتيممت الصعيد تعمدته وتيممته برمحي وسهمي اي قصدته دون من سواه وانشد الخليل من قال هذا امممته فقد اخطا لانه قال شزرا ولا يكون الشزر من ناحية ولم يقصد به امامه وقال امرؤ القيس تيممتها من اذرعات واهلها بيثرب ادنى دارها نظر عال وقال تيممت العين التي عند ضارج يفيء عليها الظل عرمضها طام اخراني لذاك اذا ما ساءني بلد يممت بعيري غيره بلدا وقال اعشى باهلة تيممت قيسا وكم دونه من الارض من مهمه ذي شزن وقال حميد بن ثور سل الربع اني يممت ام طارق وهل عادة للربع ان يتكلما وللشافعي رضي الله عنه علمي معي حيث ما يممت احمله بطني وعاء له لا بطن صندوق قال ابن السكيت قوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اي اقصدوا ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم مسح الوجه واليدين بالتراب . . . قال ابن الانباري

الامه

في

في قولهم قد تيمم الرجل معناه قد مسح التراب على وجهه ويديه قال الشيخ المولف رحمه وهذا هو التيمم الشرعي اذا تان المقصود به القربة وتيممت المريض فتيمم للصلاه ورجل ميمم يظفر بكل ما يطلب عن الشيباني وانشد

انا وجدنا اعصر بن سعد ميمم البيت رفيع المجد اخر ازهر لم

يولد بنجم الشح ميمم البيت كرم السنح

لفظ التيمم ذكره الله تعالى في ها به في البقرة وفي هذه السورة والمايدة والتي في هذه هي ايه التيمم والله اعلم قال القاضي ابو بكر بن العربي هذه معضلة ما وجدت لدائها من دوا عند احدهما ايتان فيهما ذكر التيمم في النسا والاخرى في المايده فلا نعلم اي ايه عنت عايشه بقولها فانزلت ايه التيمم ثم قال وحديثها يدل على ان التيمم قبل ذلك لم يكن معلوما ولا مفعولا لهم قال الشيخ المولف رحمه الله اما قوله فلا نعلم ايه عنت عايشه فهي هذه الايه على ما ذكرنا والله اعلم وقوله وحديثها يدل على ان التيمم قبل ذلك لم يكن معلوما ولا مفعولا لهم فصحيح ولا خلاف فيه بين اهل السير لانه معلوم ان غسل الجنابه لم يفرض قبل الوضو كما انه معلوم عند جميع اهل السير ان النبي صلى الله عليه وسلم منذ فرضت عليه الصلاه بمكه لم يصل الا بوضو مثل وضونا اليوم فدل ان ايه الوضو انما نزلت ليكون فرضها المتقدم متلوا في التنزيل وفي قوله فنزلت ايه التيمم ولم يقل ايه الوضو ما يبين ان الذي طرا لهم من العلم في ذلك الوقت حكم التيمم لا حكم الوضو وهذا بين لا اشكال فيه

[illegible] التيمم يلزم كل مكلف لزمته الصلاه اذا عدم الما ودخل وقت الصلاه [illegible] قال ابو حنيفه وصاحباه والمزني

صاحب الشافعي يجوز قبله لان طلب الما عندهم ليس بشرط قياسا على النافله فلما جاز التيمم للنافله دون طلب الما جاز ايضا للفريضه واستدلوا من السنه بقوله عليه السلام لابي ذر الصعيد الطيب وضوا المسلم ولو لم يجد الما عندهم فسمي عليه السلام الصعيد وضوا كما يسمى الما كذلك اذا لحم الما والله اعلم ودليلنا قوله تعالى فلم تجدوا ما ولا يقال لم يجد الا لمن طلب ولم يجد وقد تقدم هذا المعنى ولا نفاظهار ضرورة المستحاضه لان النبي صلى الله عليه وسلم قال فانما ادركتك الصلاة تيممت وصليت وهو قول الشافعي واحمد وهو مروي عن علي وابن عمر وابن عباس

لمن لم يجد الما

واجمع العلما على ان التيمم لا يرفع الجنابه ولا الحدث وان التيمم لهما اذا وجد الما عاد جنبا كما كان او محدثا لقوله صلى الله عليه وسلم لابي ذر اذا وجدت الما فامسه جلدك الاسى وروي عن ابي سلمه بن عبد الرحمن رواه ابن جريج عبد الحميد بن جبير بن شيبه عنه ورواه ابن ابي ذيب عن عبد الرحمن بن حرمله عنه قال في الجنب المتيمم يجد الما وهو على طهارته لا يحتاج الى غسل ولا وضو حتى يحدث وقد روي فيمن تيمم وصلى ثم وجد الما في الوقت انه يتوضا ويعيد تلك الصلاة قال ابن عبد البر وهذا تناقض وقله رويه ولم يكن ابو سلمه عندهم يفقه كفقه اصحابه التابعين بالمدينه ولجمعوا على ان من تيمم ثم وجد الما قبل الدخول في الصلاة بطل تيممه وعليه استعمال الما والجمهور على ان من تيمم وصلى وفرغ من صلاته وقد كان اجتهد في طلبه الما ولم يكن في رحله ان صلاته تامه لانه ادى فرضه كما امر بغير جايز ان توجب عليه الاعاده وبغير حجه ومنهم من استحب له

ان يعيد

ان يعيد في الوقت اذا توضا واغتسل روي عن طا وس وعطا والقاسم
بن محمد ومكحول وبن سيرين والزهري وربيعه كل منهم يقول يعيد
الصلاه واستحب الاوزاعي ذلك وقال ليس بواجب لما رواه ابو
سعيد الخدري قال خرج رجلان في سفر فحضرت الصلاه وليس معهما
ما فتيمما صعيدا طيبا فصليا ثم وجدا الما في الوقت فاعاد احدهما
الصلاه والوضو ولم يعد الاخر ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكرا ذلك له فقال للذي لم يعد اصبت السنه واجزاتك
صلاتك وقال للذي توضا واعاد لك الاجر مرتين اخرجه ابو
داود وقال وغير نافع يرويه عن الليث عن عميره بن ابي ناجيه عن
بكر بن سواده عن عطا عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ابي سعيد الخدري
في هذا الاسناد ليس بمحفوظ واخرجه الدارقطني وقال فيه ثم
وجد الما بعد الوقت واختلف العلما
اذا وجد الما بعد دخوله في الصلاه فقال مالك ليس عليه قطع
الصلاه واستعمال الما والتيمم صلاته وليتوضا لما يستقبل وبهذا
قال الشافعي واختار بن المنذر وقال ابو حنيفه وجماعه منهم
احمد بن حنبل والمزني يقطع ويتوضا ويستانف الصلاه لوجود الما
وحجتهم ان التيمم يبطل بوجود الما قبل الصلاه وكذلك يبطل ما بقي
منها واذا بطل بعضها بطل كلها لاجماع العلما ان المعتده بالشهور لا
يبقى عليها الا اقلها ثم حاضت انها تستقبل عدتها بالحيض قالوا والذي
يطرا عليه الما وهو في الصلاه كذلك قياسا ونظرا ودليلنا قوله
تعالى ولا تبطلوا اعمالكم وقد اتفق الجميع على جواز الدخول في الصلاه

بالتيمم عند عدم الما واختلفوا في قطعها اذا راى الما ولم يثبت سنه
ولا اجماع ومن حجتهم ايضا ان من وجب عليه الصوم في ظهار او قتل فصام
منه اليوم ثم وجد الرقبة لا يلغي صومه ولا يعود الى الرقبه وكذلك من
دخل في الصلاه بالتيمم لا يقطعها ولا يعود الى الوضو بالما

واختلفوا هل يصلي به صلوات ام يلزم التيمم لكل صلاه
فرض ونفل فقال شريك بن عبد الله القاضي يتيمم لكل صلاه نافله وفرض
وقال مالك لكل فريضه لان عليه ان يبتغي الما لكل صلاه لمن ابتغا الما فلم
يجده فانه يتيمم وقال ابو حنيفه والثوري والليث والحسن
بن حي وداود يصلي ما شا بتيمم واحد ما لم يحدث لانه طاهر ما لم
يجد الما وليس عليه طلب الما اذا ايس منه وما قلنا اصح لان الله
عز وجل اوجب على كل قايم الى الصلاه طلب الما واوجب عند عدمه
التيمم لاستباحه الصلاه قبل خروج الصلاه لوقت فهي طهاره ضروره ناقصه
بدليل اجماع المسلمين على بطلانها بوجود الما فان لم يحدث وليس كذلك
الطهاره بالما وقد ينبني هذا الخلاف ايضا في جواز التيمم قبل دخول
الوقت فالشافعي واهل المقاله الاولى لا يجوزونه لانه لما قال
فلم تجدوا ما فتيمموا ظهر منه تعلق احدا التيمم بالحاجه ولا حاجه
قبل الوقت وعلى هذا لا يصلي فرضين بتيمم واحد واختلف علماونا فيمن
صلى صلاتي فرض بتيمم واحد فروى يحيى بن يحيى عن ابن القاسم يعيد
الثانيه ما دام في الوقت وروى ابو زيد بن ابي الغمر عنه يعيد
ابدا وكذلك روي عن مطرف وابن الماجشون يعيد الثانيه ابدا وهذا
الذي ناظر عليه اصحابنا لان طلب الما شرط وذكر ابن عبدوس ان

ابن نافع

بن نافع روي عن ملك في الذي يجمع بين الصلاتين انه يتيمم لكل صلاة وقال
ابو الفرج يتيمم لخمس صلوات قضاهن بتيمم واحد فلاشي عليه وذلك
جايز وهذا على ان طلب الما ليس بشرط والاول اصح
قوله تعالى صعيدا طيبا الصعيد وجه الارض
كان عليه تراب ولم يكن قاله الخليل وابن الاعرابي والزجاج قال الزجاج
لا اعلم فيه خلافا بين اهل اللغة قال الله تعالى وانا لجاعلون ما عليها
صعيدا جرزا اي ارض غليظة لا تنبت وقال فتصبح صعيدا زلقا
ومنه قول ذي الرمة كانه بالضحى يرمي الصعيد به دبابة في
عظام الراس خرطوم وانما سمي صعيدا لانه نهاية ما يصعد اليه
من الارض وجمع الصعيد صعدات ومنه الحديث اياكم والجلوس
بالصعدات واختلف الفقها فيه من اجل تقييده بالطيب فقالت
طايفة يتيمم بوجه الارض كله ترابا كان او رملا او حجارة او معدنا او
سبخة هذا مذهب ملك وابي حنيفة والثوري والطبري
وطيبا معناه طاهرا وقالت طايفة طيبا حلالا وهذا قلق وقال
الشافعي وابو يوسف الصعيد التراب المنبت وهو الطيب قال
الله عز وجل والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه فلا يجوز عند هم
التيمم على غيره قال الشافعي لا يقع الصعيد الا على تراب ذي غبار
وذكر عبد الرزاق عن ابن عباس انه سيل اي الصعيد اطيب فقال
الحرث قال ابو عمر وفي قول ابن عباس هذا ما يدل على ان الصعيد
يكون غير ارض الحرث وقال علي رضي الله عنه هو التراب خاصة
وفي كتاب الخليل تيمم بالصعيد اي خذ من غباره حكاه ابن فارس

وهو يقتضي التيمم بالتراب فان الحجر الصلد لاغبار عليه قال الكيا
الطبري واشترط الشافعي ان تعلق التراب باليد ويتيمم به نقلا الى
اعضا كالما ينقل الى اعضا الوضو قال الكيا ولا شك ان لفظ
الصعيد ليس نصا فيما قاله الشافعي الا ان قول الرسول صلى الله عليه
وسلم جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا بين ذلك قال
الشيخ المولف رحمه الله فاستدل صاحب المقاله بقوله عليه السلام
وجعلت تربتها لنا طهورا وقالوا هذا من باب المطلق والمقيد وليس
كذلك وانما هو من باب النص على بعض اشخاص العموم كما قال فيهما
فاكهه ونخل ورمان وقد ذكرنا في البقره عند قوله وملايكته ورسله
وجبريل وميكال وقد حكى اهل اللغه ان الصعيد اسم لوجه الارض
كما ذكرنا وهو نص القران كما بينا وليس بعد بيان الله بيان وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم للجنب عليك بالصعيد فانه يكفيك وسياتي
فصعيدا على هذا ظرف مكان ومن جعله للتراب فهو مفعول به
بتقدير حذف الباء اي بصعيد وطيبا نعت له ومن جعل طيبا بمعنى
حلالا نصبه على الحال او المصدر
واذا تقرر هذا فاعلم ان محل الاجماع مما ذكرناه ان يتيمم الرجل على
تراب منبت طاهر غير منقول ولا مغصوب ومحل الاجماع في
المنع ان يتيمم الرجل على الذهب الصرف والفضه والياقوت والزمرد
والاطعمه كالخبز واللحم وغيرها او على النجاسات واختلف في هذا
كالمعادن فاجيز وهو مذهب مالك وغيره ومنع وهو مذهب الشافعي
وغيره قال ابن خويز منداد ولا يجوز عند مالك التيمم الحشيش اذا
كان دون الارض

فان دون الارض واختلف عنه في التيمم على الثلج ففي المدونة والمبسوط
جوازه وفي غيرهما منعه واختلف المذهب في التيمم على العود فالجمهور
على المنع وفي مختصر الوقار انه جايز وقيل بالفرق بين ان يكون متصلا او منفصلا
فاجيز على المتصل ومنع على المنفصل وذكر الثعلبي ان ملكا قال لو ضرب
بيده على شجرة ثم مسح بها اجزاه قال وقال الاوزاعي والثوري يجوز
بالارض وكل ما عليها من الشجر والحجر والمدر وغيرها حتى قالوا لو ضرب
بيده الجمد والثلج اجزاه قال بن عطية واما التراب المنقول من طين
او غيره فجمهور المذهب على جواز التيمم به وفي المذهب المنع وهو
في غير المذهب اكثر واما ما طبخ كالجص والاجر ففيه في المذهب
قولان الاجازة والمنع وفي التيمم على الجدار خلاف قال
الشيخ المولف رحمه الله والصحيح الجواز لحديث ابي جهيم بن الحارث
بن الصمة الانصاري قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من
نحو بئر جمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد عليه السلام حتى اقبل على
الجدار فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام اخرجه البخاري
وهو دليل على صحة التيمم بغير التراب كما يقوله ملك ومن وافقه
ويرد على الشافعي ومن تابعه في ان الممسوح به تراب طاهر ذو غبار
يعلق باليد وذكر النقاش عن بن عليه وبن كيسان انهما اجازا التيمم
بالمسك والزعفران قال بن عطيه وهذا خطا من جهات
قال ابو عمر وجماعة العلماء على اجازة التيمم بالسباخ الا اسحق بن راهويه
وروي عن بن عباس فيمن ادركه التيمم وهو في طين قال ياخذ من الطين
فيطلي بعض جسده فاذا جف تيمم به وقال الثوري واحمد يجوز التيمم

بغبار اليد قال الثعلبي واجاز ابو حنيفه بالكحل والزرنيخ والنوره والجص والجوهر المسحوق وقال فاذا تيمم بسحالة الذهب والفضه والصفر والنحاس والرصاص لم يجزه لانه ليس من جنس الارض

قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم

لفظ مشترك يكون بمعنى الجماع يقال مسح الرجل المراة اذا جامعها والمسح مسح الشي بالسيف وقطعه به ومسحت الابل يومها اذا سارت والمسحا المراه الرسحا التي لا است لها وبفلان مسحه من جمال والمراد هنا بالمسح عبارة عن جر اليد على الممسوح خاصه فان كان باله فهو عبارة عن نقل الاله الى اليد وجرها على الممسوح وهو مقتضى قوله تعالى في اية المايده فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه يدل على انه لا بد من نقل التراب الى محل التيمم وهو مذهب الشافعي ولا نشترطه نحن لان النبي صلى الله عليه وسلم وضع يديه على الارض ورفعهما نفخ فيهما في روايه نفض وذلك يدل على عدم اشتراط الاله يوضحه تيممه على الجدار قال الشافعي لما لم يجزه في مسح الراس بالماء من بلل ينقل الى الراس فكذلك بالتراب لا بد من نقل ولا خلاف في ان حكم الوجه في التيمم والوضوء الاستيعاب وتتبع مواضعه واجاز بعضهم ان لا يتتبع كالمغضوب في الخفين وما بين الاصابع في الراس وهو في المذهب قول محمد بن مسلمه حكاه ابن عطيه ٥ وقال الله عز وجل بوجوهكم وايديكم فبدا بالوجه قبل اليدين وبه قال الجمهور ووقع في البخاري في حديث عمار في باب التيمم ضربه ذكر اليدين قبل الوجه وقال بعض اهل العلم قياسا على تنكيس الوضوء ٥

واختلف العلما اين يبلغ بالتيمم في اليدين

فقال

فقال بن شهاب الى المناكب وروى عن ابي بكر الصديق وفي مصنف
ابي داود عن الاعمش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح الى انصاف
ذراعيه قال بن عطيه ولم يقل احد بهذا الحديث فيما حفظت وقيل
يبلغ به الى المرفقين قياسا على الوضوء وهو قول ابي حنيفه والشافعي
واصحابهما والثوري وابو سلمه والليث كلهم يرون بلوغ المر
بالتيمم فرضا واجبا وبه قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وبن نافع واليه
ذهب اسمعيل القاضي قال بن نافع من تيمم للكوعين اعاد الصلاه ابدا وقال
ملك في المدونه يعيد في الوقت وروي التيمم الى المرفقين عن النبي صلى الله
عليه وسلم جابر بن عبد الله وبن عمر وبه كان يقول قال الدارقطني سئل
قتاده عن التيمم في السفر فقال كان بن عمر يقول الى المرفقين وكان الحسن
وابراهيم النخعي يقولان الى المرفقين قال وحدثني محدث عن الشعبي
عن عبد الرحمن بن ابزى عن عمار بن ياسر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الى المرفقين قال ابو اسحق فذكرته لاحمد بن حنبل فعجب منه وقال
ما احسنه وقالت طايفه يبلغ به الى الكوعين وهما الرسغان وروي
علي بن ابي طالب رضي الله عنه والاوزاعي وعطا والشعبي وفي روايه وبه
قال احمد بن حنبل واسحق بن راهويه وداود بن علي والطبري وروي
عن ملك وهو قول الشافعي في القديم وقال مكحول اجتمعت انا
والزهري فتذاكرنا التيمم فقال الزهري المسح الى الاباط فقلت عن من
اخذت هذا فقال عن كتاب الله عز وجل ان الله تعالى يقول فامسحوا
بوجوهكم وايديكم فهي يد كلها قلت له فان الله تعالى يقول والسارق
والسارقه فاقطعوا ايديهما فمن اين تقطع اليد قال فخصمته وحكى

قين

الي م

٩١

عن الدراوردي ان الكوعين فرض والاباط فضيله قال بن عطيه
هذا قول لا يعضده قياس ولا دليل وانما عم قوم لفظة اليد فاجبوه
من المنكب وقاس قوم على الوضو فاوجبوه من المرافق وها هنا جمهور الامه
ووقف قوم مع الحديث في الكوعين وقيس ايضا على القطع اذ هو حكم شرعي
وتطهير كما هو تطهير ووقف مع حديث عمار قوم في الكفين وهو قول الشعبي
واختلف العلما ايضا هل يكفي في التيمم
ضربه واحده اولا فذهب ملك ومن تابعه الى ان التيمم بضربتين ضربه للوجه
وضربه لليدين وهو قول الاوزاعي والشافعي وابي حنيفة واصحابهم والثوري
والليث وبن ابي سلمه ورواه جابر بن عبد الله وبن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم وقال بن ابي الجهم التيمم بضربه واحده وروي عن الاوزاعي في الاشهر
عنه وهو قول عطا والشعبي في روايه وبه قال احمد بن حنبل واسحق وداود
والطبري وهو اثبت ما روي في ذلك من حديث عمار قال ملك في
كتاب محمد ان تيمم بضربه واحده اجزاه وقال بن نافع يعيد ابدا قال
ابو عمر وقال بن ابي ليلى والحسن بن حيي ضربتان يمسح بكل ضربه منهما وجهه
وذراعيه ومرفقيه ولم يقل بذلك احد من اهل العلم غيرهما قال ابو
عمر لما اختلفت الاثار في كيفيه التيمم وتعارضت كان الواجب في ذلك الرجوع
الى ظاهر الكتاب وهو يدل على ضربتين ضربه للوجه ولليدين الى المرفقين
قياسا على الوضو واتباعا لفعل بن عمر فانه من لا يدفع علمه بكتاب الله ولو
ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك شي وجب الوقوف عنده وبالله التوفيق
تعالى ان الله كان غفورا رحيما اي لم يزل كان بنا بعيد العفو وهو
السهل الذي يغفر الذنب اي يستر عقوبته فلم يعاقب تعالى الم ترا الى

الذين

الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله فمنهم من امن به ومنهم من صد عنه
الايه نزلت في يهود المدينه وما والاها ومعنى يشترون يستبدلون
وهو في موضع نصب على الحال وفي الكلام حذف تقديره يشترون
الضلاله بالهدى كما قال اوليك الذين اشتروا الضلاله بالهدى قاله القتبي
وغيره ويريدون ان تضلوا السبيل عطف عليه والمعنى تضلوا عن طريق
الحق وقرا الحسن تضلوا بفتح الضاد اي عن السبيل تعالى
والله اعلم باعدايكم يريد منكم فلا تستنصحوهم فانهم اعدا ولكم
ويجوز ان يكون اعلم بمعنى عليم لقوله وهو اهون عليه اي هين وكفى بالله
وليا الباء زايده زيدت لان المعنى اكتفوا بالله فهو يكفيكم اعداكم
ووليا ونصيرا نصب على البيان وان شيت على الحال تعالى
من الذين هادوا قال الزجاج ان جعلت من متعلقه بما قبل فلا يوقف
على قوله نصيرا وان جعلت منقطعه فيجوز الوقف على قوله نصيرا
والتقدير من الذين هادوا قوم يحرفون ثم حذف وهذا مذهب
سيبويه وانشد النحويون لو قلت ما في قومها لم تيثم يفضلها
في حسب وميسم قالوا المعنى لو قلت ما في قومها احد يفضلها ثم
حذف وقال الفرا المحذوف من المعنى من الذين هادوا من
يحرفون وهذا كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي من له وقال
ذو الرمه فظلوا ومنهم دمعه سابق له واخر يذري عبره العين
بالهمل يريد ومنهم دمعه فحذف الموصول وانكره المبرد والز
جاج لان حذف الموصول كحذف بعض الكلمه وقرا ابو عبد الرحمن
السلمي وابراهيم النخعي الكلام قال النحاس والكلم في هذا اولى لانهم

انما يحرفون كلم النبي صلى الله عليه وسلم او ما عندهم في التوراه وليس يحرفون
جميع الكلام ومعنى يحرفون يتاولونه على غير تاويله وذمهم الله عز
وجل بذلك لانهم يفعلونه متعمدين وقيل عن مواضعه يعني صفه
النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون سمعنا وعصينا اي سمعنا قولك وعصينا
قولك واسمع غير مسمع كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم روسا من
احبار يهود منهم عبد الله بن صوريا الاعور وكعب بن اسد فقال
لهم يا معشر يهود اتقوا الله واسلموا فوالله انكم لتعلمون الذي جيتكم
به للحق قالوا ما نعرف ذلك يا محمد وجحدوا ما عرفوا واصروا على
الكفر فانزل الله عز وجل يا يها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا
الايه واسمع غير مسمع قال ابن عباس كانوا يقولون للنبي صلى الله
عليه وسلم اسمع لا سمعت هذا مرادهم لعنهم الله وهم يظهرون
انهم اسمع غير مسمع مكروها ولا اذي وقال الحسن ومجاهد معناه
غير مسمع منك اي لا مقبول ولا يجاب الى ما يقول قال النحاس
ولو كان كذا لكان غير مسمع منك وتقدم القول في راعنا ومعنى ليًّا
بالسنتهم اي يلوون السنتهم عن الحق اي يميلونها الى ما في قلوبهم واصل
اللي الفتل وهو نصب على المصدر وان شيت كان مفعولا من اجله
فاصله لويا ثم ادغمت الواو في اليا وطعنا معطوف عليه اي يطعنون
في الدين الذي يقولون لاصحابهم لو كان نبيا لدري انا نسبه فاظهر الله عز
وجل نبيه على ذلك وكان من علامات نبوته ونهاهم عن هذا القول
ومعنى اقوم اصوب لهم في الراي فلا يومنون الا قليلا الا ايمانا
قليلا لا يستحقون به اسم الايمان وقيل معناه لا يومنون الا قليلا
منهم

منهم وهذا بعيد لان الله عز وجل قد اخبر عنهم انه لعنهم بكفرهم ٥
تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا قال بن اسحق كلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم روسا من احبار يهود منهم عبد الله بن صوريا الاعور
وكعب بن اسد فقال لهم يا معشر يهود اتقوا الله واسلموا فو الله
انكم لتعلمون ان الذي جيتكم به لحق قالوا ما نعرف ذلك يا محمد وجحدوا
ما عرفوا واصروا على الكفر فانزل الله عز وجل فيهم يا ايها الذين اوتوا
الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها الى
اخر الايه وقوله تعالى مصدقا لما معكم نصب على الحال من قبل ان نطمس
وجوها الطمس استيصال اثر الشي ومنه قوله واذا النجوم طمست
ونطمس بكسر السين وضمها في المستقبل ويقال في الكلام يطسم ويطسم
بمعنى طمس يقال طمس الاثر وطمس اي محي كله لغات ومنه قوله تعا
ربنا اطمس على اموالهم اي اهلكها عن بن عرفه ويقال طمسته فطمس
لازم ومتعد وطمس الله بصره وهو مطموس البصر اذا ذهب اثر
العين ومنه لطمسنا يقول اعمينا هم واختلف العلما في المعنى المراد
بهذه الايه هل هو حقيقه فيجعل الوجه كالقفا فيذهب بالانف
والفم والحاجب والعين او ذلك عبارة عن الضلاله في قلوبهم وسلبهم
التوفيق قولان روى عن ابي بن كعب انه قال من قبل ان نطمس من
قبل ان نضلكم اضلالا لا تهتدون يعني يذهب الى انه تمثيل وانه ان
يومنوا فعل هذا بهم عقوبه وقال قتاده معناه من قبل ان نجعل الوجو ٥
اقفا اي يذهب بالانف والشفاه والاعين والحواجب هذا معناه عند
اهل اللغه وروي عن بن عباس وعطيه العوفي ان الطمس ان تزال

طسم
لي

العينان خاصه وترد في القفا فيكون ذلك رداً على الدبر ومشي القهقري
وقال مالك رحمه الله كان اول الاسلام كعب الاحبار انه مر برجل
من الليل وهو يقرأ هذه الايه يا ايها الذين اوتوا الكتاب فوضع
كفيه على وجهه ورجع القهقرا الى بيته فاسلم مكانه وقال
والله لقد خفت الا ابلغ بيتي حتى يطمس وكذلك فعل عبد الله
بن سلام لما نزلت هذه الايه وسمعها اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل ان ياتي اهله واسلم وقال يا رسول الله ما كنت ادري
ان اصل اليك حتى يحول وجهي في قفاي فان قيل فكيف جاز
ان يهددهم بطمس الوجوه ان لم يومنوا ثم لم يومنوا ولم يفعل
ذلك بهم فقيل انه لما امن هولاي ومن اتبعهم رفع الوعيد عن
الباقين وقال المبرد الوعيد باق منتظر وقال لا بد من
طمس اليهود ومسخ قبل يوم القيامه تعالى او نلعنهم
اي اصحاب الوجوه كما لعنا اصحاب السبت نمسخهم قردة
وخنازير عن الحسن وقتادة وقيل هو خروج من الخطاب الى
الغيبه وكان امر الله مفعولا اي كاينا موجودا ويراد
بالامر المامور فهو مصدر وقع موقع المفعول فالمعنى انه متى
اراده اوجده وقيل معناه ان كل امر اخبر يكون فهو كاين
على ما اخبر به تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا ان الله يغفر الذنوب جميعا فقال
له رجل يا رسول الله والشرك فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وهذا من المحكم المتفق عليه الذي لا

اختلاف

اختلاف فيه بين الامه ويغفر ما دون ذلك لمن يشا من المتشابه
الذي قد تكلم العلما فيه قال محمد بن جرير الطبري قد بانت هذه
الايه ان كل صاحب كبيره في مشيه الله عز وجل ان شا عفا عنه
ذنبه وان شا عاقبه ما لم تكن كبيره شرك بالله جل وعز وقد قال
بعضهم قد بين الله ذلك بقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر
عنكم سياتكم فاعلم الله انه يشا ان يغفر الصغاير لمن اجتنب الكباير
ولا يغفرها لمن اتا الكباير وذهب بعض اهل التاويل الى
ان هذه الايه ناسخه للتي في اخر الفرقان عن زيد بن ثابت يقول
نزلت سوره النسا بعد الفرقان بستة اشهر والصحيح انه لا نسخ
لان النسخ في الاخبار يستحيل وسياتي ان الجمع بين الاي في هذه
السوره وفي الفرقان ان شا الله وفي الترمذي عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه قال ما في القران ايه احب الي من هذه ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا قال هذا
حديث حسن غريب تعالى الم تر الى الذين يزكون
انفسهم فيه ثلاث مسايل قوله تعالى الم تر الى
الذين يزكون انفسهم هذا اللفظ عام في ظاهره ولم يختلف احد
من المتاولين في ان المراد اليهود واختلفوا في المعنى الذي زكوا به
انفسهم فقال قتاده والحسن ذلك قولهم نحن ابنا الله واحباوه
وقولهم لن يدخل الجنه الا من كان هودا او نصاري وقال
الضحاك والسدي قولهم لا ذنوب لنا وما فعلناه نهارا غفر
لنا ليلا ونحن كالاطفال في عدم الذنوب وقال مجاهد وابو

مالك وعكرمة تقديمهم الصغار للصلاة لانهم لا ذنوب عليهم
وهذا بعيد من مقصد الاية   وقال ابن عباس رد الله قولهم اباونا
الذين يشفعون لنا ويزكوننا   وقال عبد الله بن مسعود
ذلك ثناء بعضهم على بعض وهذا احسن ما قيل فانه الظاهر من
معنى الاية والتزكيه التطهير والتبريه من الذنوب
هذه الاية وقوله تعالى فلا تزكوا انفسكم تقتضي الغض من المزكي
نفسه بلسانه واعلام بان المزكي من حسنت افعاله وزكاه الله عز
وجل فلا عبرة بتزكيه الانسان نفسه وانما العبرة تزكيه الله له
وفي صحيح مسلم عن محمد بن عمرو بن عطا قال سميت ابنتي برة فقالت
لي زينب بنت ابي سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا الاسم
وسميت برة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزكوا انفسكم الله
اعلم باهل البر منكم فقالوا بم نسميها قال سموها زينب فقد
دل الكتاب والسنة على المنع من تزكيه الانسان نفسه ويجري
هذا المجرى ما قد كثر في هذه الديار المصريه من نعتهم انفسهم بالنعوت
التي تقتضي التزكيه كزكي الدين ومحيي الدين وما اشبه ذلك لكن لما
كثرت قبائح المسمين بهذه الاسما ظهر تخلف هذه النعوت عن اصلها
فصارت لا تفيد شيا   فاما تزكيه الغير ومدحه له ففي
البخاري من حديث ابي بكرة ان رجلا ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم
فاثنى عليه رجل خيرا قال النبي صلى الله عليه وسلم قطعت عنق صاحبك
يقوله مرارا ان كان احدكم مادحا لا محالة فليقل احسب كذا وكذا ان
كان يرى انه كذلك وحسيبه الله ولا يزكي على الله احدا فنهى صلى الله عليه
وسلم

وسلم عن ان يفرط في مدح الرجل بما ليس فيه فيدخله في ذلك الاعجاب
والكبر ويظن انه في الحقيقة بتلك المنزله فيحمله ذلك على تضييع العمل
وترك الازدياد من الفضل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
ويحك قطعت عنق صاحبك وفي الحديث الاخر قطعتم ظهر الرجل
حين وصفتموه بما ليس فيه وعلى هذا تاول العلما قوله صلى الله عليه وسلم
احثوا التراب في وجوه المداحين ان المراد به المداحون في وجوههم
وبما ليس فيهم حتى يجعلوا ذلك بضاعه يستاكلون به الممدوح ويفتنونه
فاما مدح الرجل بما فيه من الفعل الحسن والامر المحمود ليكون منه
ترغيبا له في امثاله وتحريضا للناس على الاقتدا به في اشباهه
فليس بمداح وان كان قد صار مادحا بما تكلم به من جميل القول
فيه وهذا راجع الى النيات والله يعلم المفسد من المصلح وقد
مدح صلى الله عليه وسلم في الشعر والخطب والمخاطبه ولم يحث
في وجوه المادحين التراب ولا امر بذلك لقول ابي طالب
وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمه للارامل
وكمدح العباس وحسان له في شعرهما ومدحه كعب بن زهير
ومدح هو ايضا اصحابه فقال انكم لتقلون عند الطمع وتكثرون
عند الفزع واما قوله صلى الله عليه وسلم في صحيح الحديث لا تطروني
كما اطرت النصارى عيسى بن مريم وقولوا عبد الله ورسوله فمعناه
لا تصفوني بما ليس في من الصفات تلتمسون بذلك مدحي كما وصف
النصارى عيسى بما لم يكن فيه فنسبوه الى انه ابن الله فكفروا بذلك
وضلوا وهذا يقتضي ان رفع امرا فوق حده وتجاوز مقداره بما ليس

و في

نبه تبعدا ثم لا زج لك جا نرى احدلكا ن اولى الخلو بدلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعالى ولا تظلمون فتيلا الضمير في
تظلمون عايد على المذكورين ممن زكى نفسه ومن يزكيه الله تعالى وغير
هذين الصنفين علم ان الله لا يظلمهم من غير هذه الايه والفتيل الخط
الذى في شق نواة التمرة قاله بن عباس وعطا ومجاهد وقيل القشرة
التي حول النواة بينها وبين البسر وقال بن عباس ايضا وابو مالك
والسدى هو ما يخرج من بين اصبعيك او كفيك من الوسخ اذا فتلتهما فهو
فعيل بمعنى مفعول وهذا كله يرجع الى الكنايه على تحقير الشي وتصغير
وان الله لا يظلمه شيا ومثل هذا في التحقير قوله ولا تظلمون نقيرا
وهي النكتة التي في ظهر النواة ومنه تنبت النخلة وسياتى وقال
الشاعر يذم بعض الملوك يجمع الجيش ذا الالوف وتغزوا ثم
لا ترزو العدو فتيلا ثم عجب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك
فقال انظر كيف تفترون على الله الكذب في قولهم نحن ابنا الله
واحباوه وقيل تزكيتهم لانفسهم عن بن جريج وروي انهم قالوا
ليس لنا ذنوب الا كذنوب ابنا بنا يوم تولد والافترا الاختلا
ومنه افترى فلان على فلان اي رماه بما ليس فيه وفريت الشي
قطعته وكفى به اثما مبينا نصب على البيان والمعنى تعظيم الذنب
وذمه والعرب تستعمل مثل ذلك في المدح والدم تعالى الم تر
الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت اختلف
اهل التاويل في تاويل الجبت والطاغوت فقال بن عباس وبن جبير
وابو العاليه الجبت الساحر بلسان الحبشه والطاغوت الكاهن وقال

الفاروق

الفاروق عمر رضي الله عنه الجبت السحر والطاغوت الشيطان ابن
مسعود الجبت والطاغوت هاهنا كعب بن الاشرف وحيي بن
اخطب عكرمة الجبت حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف
دليله قوله تعالى يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت قتادة الجبت
الشيطان والطاغوت الكاهن وروى ابن وهب عن مالك بن انس
ان الطاغوت ما عبد من دون الله قال وسمعت من يقول الجبت الشيطان
ذكره النحاس وقيل هو كل معبود من دون الله او مطاع في معصية
الله وهذا حسن واصل الجبس وهو الذي لا خير فيه فابدلت السين
التاء قاله قطرب وقيل الجبت ابليس والطاغوت اولياؤه وقول
مالك في هذا الباب حسن يدل عليه قوله تعالى ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت وقال والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها
وروى قطن بن قبيصة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الطرق والطيرة والعيافة من الجبت الطرق الزجر والعيافة الخط
خرجه ابو داود في سننه وقيل الجبت ما حرم الله والطاغوت
كل ما يطغي الانسان والله اعلم تعالى ويقولون للذين
كفروا اي يقول اليهود لكفار قريش انتم اهدى سبيلا من الذين
امنوا بمحمد وذلك ان كعب بن الاشرف خرج من سبعين راكبا من
اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على قتال محمد صلى الله عليه
وسلم فنزل كعب على ابي سفيان فاحسن مثواه ونزلت اليهود في دور قريش
فتعاقدوا وتعاهدوا ليجتمعن على قتال محمد صلى الله عليه وسلم فقال
ابو سفيان انك امرؤ تقرا الكتاب وتعلم ونحن اميون فاينا اهدى

سبيلا واقرب الى الحق نحن ام محمد فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا
بما عليه محمد تعالى ام لهم نصيب من الملك اي الهم والميم صله
نصيب حظ من الملك وهذا على وجه الانكار يعني ليس لهم من الملك
شي ولو كان لهم منه شي لم يعطوا لاحد منه شيا لبخلهم وحسدهم
وقيل المعنى بل الهم نصيب فيكون ام المنقطعه ومعناها الاضراب
عن الاول والاستيناف للثاني وقيل هي عاطفه على محذوف لانهم
انفوا من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم والتقدير اهم اولى بالنبوة ممن
ارسلته ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يوتون الناس نقيرا اي
يمنعون الحقوق وخبر الله عنهم بما يعلمه منهم والنقير النكته في ظهر
النواه عن ابن عباس وقتاده وغيرهما وعن ابن عباس ايضا النقير
ما نقر الرجل باصبعه كما ينقر الارض وقال ابو العاليه سالت ابن
عباس عن النقير فوضع طرف الابهام على باطن السبابه ثم رفعها وقال
هذا النقير اصل خشبه ينقر فيه وفيه جا النهي ثم نسخ وفلان كريم
النقير اي الاصل واذا هنا ملغاه غير عامله لدخول العطف عليها ولو
نصب لجاز قال سيبويه اذن في عوامل الافعال بمنزله اظن في
عوامل الاسما اي يلغى اذا لم يكن الكلام معتمدا عليها فان كانت في اول
الكلام وكان الذي بعدها مستقبلا نصبت لقولك انا ازورك
فتقول مجيبا له اذا اكرمك قال عبد الله بن عنمه الضبي اردد
حمارك لا يرتع بروضتنا اذن يرد وقيد العير مكروب نصب
لان الذي قبل اذن تام فوقعت ابتدا كلام فان وقعت متوسطه بين
شيين لقولك زيد اذا يزورك الغيث فان دخل عليها فا العطف

او واو

٩٧

او واو العطف فيجوز فيها الاعمال والالغا اما الاعمال فلان ما بعد
الواو بيستانف على طريق عطف الجمله فيجوز في غير القران فاذا لا يلبثوا
وفي التنزيل واذا لا يلبثون وفي مصحف ابي واذا لا يلبثوا واما
الالغا فلان ما بعد الواو لا يكون الا بعد كلام يعطفه والناصب
للفعل عند سيبويه اذن لمضارعتها ان وعند الخليل ان مضمر بعد
اذن وزعم الفرا ان اذا تكتب بالالف وانها منونه قال النحاس
وسمعت علي بن سليمان يقول سمعت ابا العباس محمد بن يزيد يقول
اشتهي ان اكوي يد من يكتب اذن بالالف لانها مثل لن وان ولا يدخل خل
التنوين في الحروف تعالى ام يحسدون الناس فيه اربع مسايل
قوله تعالى ام يحسدون الناس يعني اليهود الناس يعني
النبي صلى الله عليه وسلم خاصه عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما حسدوه
على النبوه واصحابه على الايمان به وقال قتاده الناس العرب
حسدتهم اليهود على النبوه الضحاك حسدت اليهود قريشا لان
النبوه فيهم والحسد مذموم وصاحبه مغموم وهو ياكل الحسنات ت
كما تاكل النار الحطب رواه انس عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال
الحسن ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد نفس دايم وحزن
لازم وغم لا ينفد وقال عبد الرحمن بن مسعود لا تعادوا انعم
الله قيل له ومن يعادي نعم الله قال الذين يحسدون الناس على
ما اتاهم الله من فضله يقول الله تعالى في بعض الكتب الحسود
عدو نعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمي ولمنصور الفقيه الا
قل لمن ظل لي حاسدا اتدري على من اسات الادب اسات على الله

فى حكمه اذا انت لم ترض ما قد وهب ويقال الحسد اول ذنب
عصى الله به فى السما واول ذنب عصى به فى الارض فاما الذى فى السما
فحسد ابليس لادم واما الذى فى الارض فحسد قابيل لهابيل ولابى
العتاهيه فى الناس يا رب ان الناس لا ينصفوننى لعمرى
ولو انصفتهم ظلمونى وان كان لى شى تعد والاخذ وان
جيت ابغى شيهم منعونى وان نالهم بذلى فلا شكر عندهم وان انا
لم ابذل لهم شتمونى وان طرقتنى نكبة فرحوا بها وان صحبتنى
نعمه حسد ونى سا منع قلبى عنكم ان يحن اليهم واحجب عنهم ناظرى
وجفونى وقيل اذا سرك ان تسلم من الحاسد نغم عليه امرك
ولرجل من قريش حسد والنعمه لما ظهرت فرموها بالباطل
الكلم واذا ما الله اسدى نعمه لم يضر قول اعدا النعم ولقد
احسن من قال اصبر على حسد الحسود فان صبرك قاتله فالنار
تاكل بعضها ان لم تجد ما تاكله وقال بعض اهل التفسير فى
قول الله تعالى اربنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت
اقدامنا ليكونا من الاسفلين انه انما اراد بالذين من الجن ابليس
والذى من الانس قابيل وذلك ان ابليس اول من سن الكفر وقابيل
اول من سن القتل وانما كان اصل ذلك كله الحسد قال الشاعر
ان الغراب وكان يمشى مشيه فيما مضى من سالف الاحوال
حسد القطاه فرام يمشى مشيها فاصابه ضرب من العقال
قوله تعالى فقد اتينا ثم اخبر تعالى انه اتا ال ابراهيم الكتاب
والحكمه واتاهم ملكا عظيما قال همام بن الحارث ايدوا بالملايكه

وقيل

وقيل معنى ملك سليمان عن ابن عباس وعنه ايضا ام يحسد ون محمدا على ما
احل الله له من النسا فيكون الملك العظيم على هذا انه احل له تسعا و تسعين
امراه ولسليمان اكثر من ذلك واختار الطبري ان يكون ما اوتيه
سليمان من الملك وتحليل النسا والمراد تكذيب اليهود والرد عليهم
في قولهم لو كان نبيا ما رغب في كثرة النسا ولشغلته النبوة عن
ذلك فاخبر الله بما كان لداود وسليمان فافترت اليهود انه اجتمع عند
سليمان الف امراه فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الف امراه قالوا
نعم ثلثمايه مهريه وسبع مايه سرية وعند داود مايه امراه
فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الف عند رجل ومايه عند رجل
اكثر او تسع نسوة فسكتوا وكان له يوميذ تسع يقال
ان سليمان عليه السلام كان اكثر الانبيا نسا والفايدة في كثرة تزوجه
انه كان له قوة اربعين نبيا وكل من كان اقوى فهو اكثر نكاحا ويقال
انه اراد بالنكاح كثرة العشيرة لان لكل امراة قبيلتان قبيله قبيلة
من قبل الاب وقبيله من قبل الام وكلما تزوج امراة صرف وجوه
القبيلتين الى نفسه فتكون عونا له على اعدايه ويقال ان كل من
كان اتقى فشهوته اشد لان الذي لا يكون تقيا فانما يتفرج بالنظر
والخبر الاثري ما روي في الخبر العينان تزنيان واليدان تزنيان
فاذا كان في النظر والمس نوع من قضا الشهوة قل الجماع والمتقي لا
ينظر ولا يمس فتكون الشهوة مجتمعة في نفسه فيكون اكثر نكاحا وقال
ابو بكر الوراق كل شهوة تغشي القلب الا الجماع فانه يصفي القلب
ولهذا كان الانبيا يفعلون ذلك قوله تعالى فمنهم

من امن به يعني النبي صلى الله عليه وسلم لانه تقدم ذكره وهو المحسود
ومنهم من صد عنه اعرض فلم يومن به وقيل الضمير فيه راجع الى
ابراهيم والمعنى لمن ال ابرهيم من امن به ومنهم من صد عنه وقيل
يرجع للكتاب والله اعلم تعالى ان الذين كفروا باياتنا
سوف نصليهم نارا قد تقدم معنى الاصلا اول السورة وقرا
حميد بن قيس نصليهم بفتح النون اي نشويهم يقال شاة مصليه
ونصب نارا على هذه القراه نزع بالخافض تقديره بنار كلما
نضجت جلودهم يقال نضج الشي ينضج نضجا ونضاجا وفلان
نضج الراي محكم والمعنى في الاية تبدل الجلود جلودا اخر فان
قال من يطعن في القران من الزنادقة كيف جاز ان يعذب جلدا لم
يعصه قيل له ليس الجلد بمعذب ولا بمعاقب وانما الالم واقع على
النفوس لانها التي تحس وتعرف فتبديل الجلود زيادة في عذاب
النفوس يدل عليه قوله ليذوقوا العذاب وقوله كلما خبت زدناهم
سعيرا فالمقصود تعذيب الابدان والايلام للارواح ولو اراد
الجلود لقال ليذوقوا العذاب وقيل تاكلهم النار كل يوم سبع
مرات الحسن كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا
فيعاد واكما كانوا ابن عمر اذا احترقوا بدلت لهم جلود بيض
كالقراطيس وقيل المراد بالجلود السرابيل كما قال وترى المجرمين
يومئذ مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران سميت جلودا
للزومها جلودهم على المجاورة كما يقال للشي الخاص بالانسان هو
جلدة ما بين عينيه وانشد ابن عمر رضي الله عنه يلومونني في

سالم

سالم والوهم وجلده بين العين والانف سالم كلما احترقت السرابيل
اعيدت قال الشاعر لسا اللوم ثيابا خضرا في جلودها فويل
لئيم من سرابيلها الخضر فكنى عن الجلود بالسرابيل وقيل
المعنى اعدنا الجلد الاول جديدا كما تقول للصايغ صغ لي من
هذا الخاتم خاتما غيره فيكسره ويصوغ له منه خاتما فالخاتم
المصوغ هو الاول الا ان الصياغة تغيرت والفضه واحدة
وهذا كالنفس اذا صارت ترابا وصارت لا شي ثم احياها الله
وكعهدك باخ لك صحيح ثم تراه بعد ذلك سقيما فتقول
له كيف فيقول انا غير الذي عهدت فهو هو ولكن حاله تغيرت
لقول القايل انا غير الذي عهدت وقوله تعالى غيرها مجاز
ونظيره قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وهي تلك الارض
بعينها الا انها تغيرات انهارها وجبالها واشجارها وتراد
سعتها ويسوي ذلك منها على ما ياتي بيانه في سورة ابراهيم عليه
السلام ومن هذا المعنى قول الشاعر فما الناس بالناس
الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت اعرف وقال
الشعبي جا رجل الى ابن عباس فقال الا ترى ما صنعت عايشه
ذمت دهرها وانشدت بيتي لبيد ذهب الذين يعاش
في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب يتلددون مجانة ومذلة
ويعاب قايلهم وان لم يشغب فقال رحم الله لبيدا فكيف
لو ادرك زماننا هذا فقال ابن عباس لين ذمت عايشه دهرها
لقد ذمت عاد دهرها لانه وجد في خزانه عاد بعد ما

هلكوا بزمن بلوىل سهم باطول مايلون من دلماح دلك الزمان
عليه مكتوب   بلاد بها كنا ونحن من اهلها اد الناس ناس
والبلاد بلاد   البلاد باقيه كما هي الا ان احوالها واحوال
اهلها تنكرت وتغيرت   ان الله كان عزيزا اي لا يعجز شى ولا يفوته
حكيما في انفاد عباده   وقوله في صفه اهل الجنه ويدخلهم ظلا
ظليلا يعني كثيفا لا شمس فيه   الحسن وصف بانه ظليل لانه لا
يدخله ما يدخل ظل الدنيا من الحر والسموم ونحو دلك   وقال
الضحاك يعني الاشجار وظلال قصورها   الكلبي ظلا ظليلا يعني
دايما   تعالى ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى
اهلها فيه مسلتان   قوله تعالى ان الله يامركم ان
تودوا الامانات هذه الايه من امهات الاحكام تضمنت جميع الدين
والشرع   وقد اختلف من المخاطب بها فقال على بن ابي طالب
وزيد بن اسلم وشهر بن حوشب وبن زيد هذا خطاب لولاه
المسلمين فيدى النبى صلى الله عليه وسلم وامرايه ثم يتينا ولمن بعدهم
وقال بن جريج وغيره دلك خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة
في امر مفتاح الكعبه حين اخذه من عثمان بن ابى طلحه الحجبى العبدري
من بني عبد الدار ومن بن عمه شيبه بن عثمان بن ابى طلحه وكانا
كافرين وقت فتح مكه فطلبه العباس بن عبد المطلب لينضاف
له السدانه الى السقايه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكسر ما كان فيها من الاوثان واخرج مقام ابراهيم ونزل عليه
جبريل بهذه الايه قال عمر بن الخطاب وخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم وهو يقرا هذه الايه وما كنت سمعتها قبل منه ثم دعا عثمان
وشيبه وقال لهما خالدة تالده لا ينزعها منكما الا ظالم وحكي
مكي ان شيبه اراد الا يدفع المفتاح ثم دفعه وقال للنبي صلى الله
عليه وسلم خذه بامانة الله وقال ابن عباس الايه في الولاه في ان
يعظوا النسا في النشوز ونحوه ويردوهن الى الازواج والاظهر
في الايه انها عامه في جميع الناس فهي تتناول الولاه فيما اليهم من
الامانات في قسمة الاموال ورد الظلامات والعدل في
الحكومات وهذا اختيار الطبري وتتناول من دونهم من الناس
في حفظ الودايع والتحرز في الشهادات وغير ذلك كالرجل يحكم في
نازله ونحوه والصلاه والزكاة وساير العبادات امانة الله تعالى
وروي هذا المعنى مرفوعا من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال القتل في سبيل الله يكفر الذنوب او قال كل شي الا
الامانه والامانه في الصلاه والامانه في الصوم والامانه في الحديث
واشد ذلك الودايع ذكره ابو نعيم الحافظ في الحليه وممن قال
ان الايه عامه في الجميع البرا بن عازب وابن مسعود وابن عباس وابي
بن كعب قالوا الامانه في كل شي في الوضو والصلاه والزكاة والجنابه
والصوم والكيل والوزن والودايع وقال ابن عباس لم يرخص
الله لمعسر ولا لموسر ان يمسك الامانه قال الشيخ المولف
رحمه الله وهذا اجماع واجمعوا على ان الامانات مردوده الى
اربابها الابرار منهم والفجار قاله ابن المنذر والامانه مصدر بمعنى
المفعول فلذلك جمع ووجه النظم بما تقدم انه تعالى اخبر عن كتمان

اهل الكتاب صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقولهم ان المشركين اهدى سبيلا
فكان ذلك خيانة منهم فانجر الكلام الى ذكر جميع الامانات فالاية
شاملة بنظمها لكل امانة وهي اعداد كثيرة كما ذكرنا وامهاتها في الاحكام
الوديعة واللقطة والرهن والعارية ودوي ابي بن كعب قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ادّ الامانة الى من ائتمنك
ولا تخن من خانك اخرجه الدارقطني ورواه انس وابو هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم في البقرة معناه وروى ابو امامة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته عام حجة الوداع
العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضي والزعيم غارم صحيح
اخرجه الترمذي وغيره وزاد الدارقطني فقال رجل فعهد الله قال
عهد الله احق ما ادي وقال بمقتضى هذه الاية والحديث في رد الامانات
وانها مضمونة على كل حال كانت مما يغاب عليها او لا يغاب تعدى
فيها او لم يتعد عطا والشافعي واحمد واشهب وروي ان ابن
عباس وابا هريرة رضي الله عنهما ضمنا الوديعة وروى ابن القاسم
عن مالك ان من استعار حيوانا او غيره مما لا يغاب عليه فتلف عنده
فهو مصدق في تلفه ولا يضمنه الا بالتعدي وهذا قول الحسن البصري
والنخعي وهو قول الكوفيين والاوزاعي قالوا ومعنى قوله عليه السلام
العارية مؤداة هو كمعنى قوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى
اهلها فاذا تلفت الامانة لم يلزم المؤتمن غرمها لانه مصدق فكذلك
العارية اذا تلفت من غير تعد لانه لم ياخذها على الضمان فاذا تلفت
بتعديه عليها لزمه قيمتها بجنايته عليها وروي عن عمر وعلي وابن

مسعود

مسعود انه لا ضمان في العاريه   وروى الدارقطني عن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استعار منه الادراع اعاريه
مضمونه ام عاريه مؤداه فقال بل مؤداه   واذا حكمتم بين
الناس ان تحكموا بالعدل قال الضحاك فالبينه على المدعي واليمين على
من انكر وهذا خطاب للولاه والامرا والحكام ويدخل في ذلك المعنى
جميع الخلق كما ذكرناه في اذا الامانات قال صلى الله عليه وسلم ان
المقسطين يوم القيمه على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين
الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا   وقال كلكم راع وهو
مسول عن رعيته   والرجل راع على اهله وهو مسول عنهم   والمراه
راعيه على بيت زوجها وهي مسوله عنه   والعبد راع على مال سيده
وهو مسول عنه   الا فكلكم راع وكلكم مسول عن رعيته
فدخل في هذه الاحاديث الصحيحه كل هولا رعاه وحكاما على مراتبهم
وكذلك العالم الحاكم لانه اذا حكم افتى وقضى وفصل بين الحلال والحرام
والفرض والندب والصحه والفساد فجميع ذلك امانه تودى
وحكم يقضى وقد تقدم في البقره القول في نعما يعظكم ان الله كان
سميعا بصيرا وصف تعالى نفسه بانه سميع بصير يسمع ويرى كما
قال انني معكما اسمع وارى فهذا طريق السمع والعقل يدل على ذلك
فان انتفا السمع والبصر يدل على نقيضيهما من العمى والصمم اذ المحل القابل
للضدين لا يخلو من احدهما وهو تعالى مقدس عن النقايص ويستحيل
صدور الافعال الكامله من المتصف بالنقايص كخلق السمع والبصر
بمن له سمع ولا بصر   واجمعت الامه على تنزيهه تعالى عن النقايص وهو

ليس

ايضا دليل سمعي نكتفي به في نص القران في مناظره من يجمعهم كلمة الاسلام
جل الرب تبارك وتعالى عما يتوهمه المتوهمون ويختلقه المفترون الكاذبون
سبحان ربك رب العزة عما يصفون   تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الرسول واولى الامر منكم الى قوله تعالى تاويلا فيه ثلاث مسايل
لما تقدم الى الولاة في الاية المتقدمة وبدا بهم فامرهم باداء الامانات وان
يحكموا بين الناس بالعدل تقدم في هذه الاية الى الرعية فامر بطاعته
عز وجل اولا وهي امتثال اوامره واجتناب نواهيه ثم بطاعة رسوله
ثانيا فيما امر به ونهى عنه ثم بطاعة الامرا ثالثا على قول الجمهور ابي
هريرة وابن عباس وغيرهم   قال سهل بن عبد الله التستري اطيعوا
السلطان في سبعة ضرب الدراهم والدنانير والمكاييل والاوزان
والاحكام والحج والجمعة والعيدين والجهاد   قال سهل واذا نهى السلطان
العالم ان يفتي فليس له ان يفتي فان افتى فهو عاص وان كان اميرا جايرا وقال
ابن خويز منداد واما طاعة السلطان فتجب فيما كان لله فيه طاعة ولا تجب
فيما كان لله فيه معصية ولذلك قلنا ان ولاة زماننا لا تجوز طاعتهم
ولا معاونتهم ولا تعظيمهم ويجب الغزو معهم متى غزوا والحكم من
قبلهم وتولية الامانة والحسبة واقامة ذلك على وجه الشريعة وان
صلوا لنا وكانوا فسقة من جهة المعاصي جازت الصلاة معهم وان كانوا
مبتدعة لم تجز الصلاة معهم الا ان يخافوا فيصلوا معهم تقية وتعاد
الصلاة   قال الشيخ المولف رحمه الله   روي عن علي رضي الله عنه انه
قال حق على الامام ان يحكم بالعدل ويودي الامانة فاذا فعل ذلك وجب
على المسلمين ان يطيعوه لان الله تعالى امر باداء الامانة والعدل ثم امر

بطاعتهم .

بطاعتهم وقال جابر بن عبد الله ومجاهد اولوا الامر اهل القران والعلم وهو اختيار مالك رحمه الله ونحوه قول الضحاك قال يعني الفقها والعلما في الدين وحكي عن مجاهد انهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصه وحكي عن عكرمه انها اشاره الي ابي بكر وعمر خاصه وروي سفين عن عيينه عن الحكم بن ابان انه سال عكرمه عن امهات الاولاد فقال هن احرار فقلت باي شي قال بالقران قلت باي شي في القران قال قال الله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولوا الامر منكم وكان عمر من اولي الامر قال عتقت ولو بسقط وسياتي هذا المعنى مبينا في سوره الحشر عند قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وقال ابن كيسان هم اولوا العقل والراي الذين يدبرون امر الناس قال الشيخ المولف رحمه الله واصح هذه الاقوال الاول والثاني اما الاول فلان اصل الامر منهم والحكم اليهم وروي الصحيحان عن ابن عباس قال نزل يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم في عبد الله بن حذافه بن قيس بن عدي اذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سريه قال ابو عمر وكان في عبد الله بن حذافه دعابه معروفه ومن دعابته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره على سريه فامرهم ان يجمعوا حطبا ويوقدوا نارا فلما اوقدوها امرهم بالتقحم فيها فقال لهم الم يامركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعتي وقال من اطاع اميري فقد اطاعني فقالوا ما امنا بالله واتبعنا رسوله الا لننجو من النار فصوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلهم وقال لا طاعه لمخلوق في معصيه الخالق قال الله تعالى ولا تقتلوا انفسكم

وهو حديث صحيح الاسناد مشهور وروي بن عمر بن علقمة عن
عمر بن الحكم بن ثوبان ان ابا سعيد الخدري قال كان عبد الله بن حذافة
بن قيس السهمي من اصحاب بدر وكانت فيه دعابة وذكر الزبير
قال حدثني عبد الجبار بن سعيد عن عبد الله بن وهب عن الليث بن
سعيد قال بلغني انه حل حزام راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض اسفاره حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع قال بن
وهب فقلت لليث ليضحكه قال نعم كانت فيه دعابة قال
ميمون بن مهران ومقاتل والكلبي اولوا الامر اصحاب السرايا
واما القول الثاني فيدل على صحته قوله تعالى فان تنازعتم في شي
فردوه الى الله والرسول فامر تعالى برد المتنازع فيه الى كتاب الله
وسنة نبيه وليس لغير العلما معرفة كيفية الرد الى الكتاب والسنة
ويدل هذا على صحته لون سوال العلما واجب وامتثال فتواهم لازم
قال سهل بن عبد الله رحمه الله لا يزال الناس بخير ما عظموا
السلطان والعلما فاذا عظموا هذين اصلح الله دنياهم واخراهم
فاذا استخفوا بهذين فسد دنياهم واخراهم واما القول
الثالث فخاص واخص منه القول الرابع واما القول الخامس فاباه
ظاهر اللفظ فان كان المعنى صحيحا فان العقل لكل فضيلة اس ولكل
ادب ينبوع وهذا الذي جعله الله للدين اصلا وللدنيا عمادا فاوجب
التكليف بكماله وجعل الدنيا مدبرة باحكامه والعاقل اقرب الى
ربه تعالى من جميع المجتهدين بغير عقل وروي هذا المعنى عن بن عباس
وزعم قوم ان المراد باولي الامر علي والايمة المعصومون ولو كان كذلك

ما كان ...

ما كان لقوله فردوه الى الله والرسول معنى بل كان يقول فردوه الى
الامام واولى الامر فان قوله عند هولا هو المحكم عن الكتاب والسنه
وهذا قول مهجور يخالف لما عليه الجمهور وحقيقه الطاعه امتثال
الامر كما ان المعصيه ضدها وهي مخالفه الامر والطاعه ماخوذه
من طاع اذا انقاد والمعصية ماخوذه من عصى اذا اشتد واولوا
واحدهم ذو على غير قياس كالنسا والابل والخيل كل واحد اسم الجمع
ولا واحد له من لفظه وقد قيل في واحد الخيل خايل وقد تقدم
قوله تعالى فان تنازعتم في شي اي تجادلتم واختلفتم فكان
كل ينتزع حجه الاخر ويذهبها والنزع الجذب والمنازعه مجادبه
الحج ومنه الحديث وانا اقول مالي ينازعني القران وقال الاعشى
نازعتهم قضيب الريحان مبتسما وقهوه مزه راووقها خضل
الخضل النبات الناعم والخضيله الروضه في شي اي من امر دينكم
فردوه الى الله والرسول اي ردوا ذلك الحكم الى كتاب الله او
الى رسوله بالسوال في حياته او بالنظر في سنته بعد وفاته صلى
الله عليه وسلم هذا قول مجاهد والاعمش وقتاده وهو الصحيح ومن
لم يرد هذا اختل ايمانه لقوله ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر
وقيل المعنى قولوا الله ورسوله اعلم فهذا هو الرد وهذا كما قال
عمر بن الخطاب الرجوع الى الحق خير من التمادي في الباطل والقول
الاول اصح لقول علي رضي الله عنه ما عندنا الا ما في كتاب الله وما في
هذه الصحيفه او فهم اعطيه رجل مسلم ولو كان كما قال هذا القايل
لبطل الاجتهاد الذي خص به هذه الامه والاستنباط الذي اعطيها

في م
بل

ولكن يضرب الامثال ويضرب المال حتى يخرج الصواب قال ابو
العاليه وذلك قوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم
لعلمه الذين يستنبطونه منهم نعم ما دائما استاثر الله بعلمه ولم
يطلع عليه احد من خلقه فذلك الذى يقال فيه الله وقد استنبط
علي رضى الله عنه مده اقل الحمل وانه سته اشهر من قوله تعالى وحمله
وفصاله ثلاثون شهرا وقوله والوالدات يرضعن اولادهن حولين
كاملين فاذا فصلنا الحولين من ثلاثين شهرا بقيت سته اشهر ومثله
كثير وفي قوله تعالى والى الرسول دليل على ان سنته صلى الله عليه
وسلم يعمل بها ويمتثل ما فيها قال صلى الله عليه وسلم ما نهيتكم عنه
فاجتنبوه وما امرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فانما اهلك
الذين من قبلكم كثره مسايلهم واختلافهم على انبيايهم اخرجه مسلم
وروي ابو داود عن ابي رافع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين
احدكم متكيا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت
عنه فيقول لا ادري وجدنا في كتاب الله اتبعناه وعن العرباض
بن ساريه انه حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس وهو
يقول ايحسب احدكم متكيا على اريكته قد يظن ان الله لم يحرم شيا الا
ما في هذا القران الا واني والله قد امرت ووعظت ونهيت عن اشيا
انها لمثل القران او اكثر واخرجه الترمذى من حديث المقداد بن معدي
كرب بمعناه وقال حديث حسن غريب والقاطع قوله تعالى
فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنه الايه وسياتي
قوله تعالى ذلك خير اي رد كم ما اختلفتم فيه الى الكتاب والسنه خير

من التنازع

من التنازع   واحسن تاويلا اي مرجعا من ال يوول الى كذا اي
صار   وقيل من الت الشي اي جمعته واصلحته والتاويل جمع معانى
الفاظ اشكلت بلفظ لا اشكال فيه يقال اول الله عليك امرك اى
جمعه ويجوز ان يكون المعنى واحسن من تاويلكم   تعالى الم تر الى
الذين يزعمون الايه روى يزيد بن زريع عن داود بن ابى هند عن الشعبى
قال كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومه فدعا اليهودى
المنافق الى النبى صلى الله عليه وسلم لانه علم انه لا يقبل الرشوه ودعا المنافق
اليهودى الى حكامهم لانه علم انهم ياخذون الرشوه فى احكامهم فلما اختلفوا
اجتمعوا على ان يحكما كاهنا فى جهينه فانزل الله تعالى الم تر الى الذين
يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك يعنى المنافق وما انزل من قبلك
يعنى اليهودى يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت الى قوله ويسلموا تسليما وقال
الضحاك دعا اليهودى المنافق الى النبى صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى
كعب بن الاشرف وهو الطاغوت ورواه ابو صالح عن ابن عباس قال
كان بين رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودى خصومه فقال
اليهودى انطلق بنا الى محمد وقال المنافق بل الى كعب بن الاشرف وهو الذى
سماه الطاغوت اى ذو الطغيان فابى اليهودى ان يخاصمه الا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما راى ذلك المنافق اتا معه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقضى لليهودى فلما خرجا قال المنافق لا ارضى انطلق بنا الى ابى بكر
فحكم لليهودى فلم يرض ذكره الزجاج وقال انطلق بنا الى عمر فاقبلا الى عمر
فقال اليهودى انا مرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الى ابى بكر
فلم يرض فقال عمر للمنافق اكذلك هو قال نعم فقال رويدكما حتى اخرج

اليها فدخل واخذ السيف ثم ضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي
على من لم يرض بقضا الله وقضا رسوله وهرب اليهودي ونزلت الاية وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق ونزل جبريل وقال ان عمر
فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق وفي ذلك نزلت الايات كلها الى قوله
ويسلموا تسليما وانتصب ضلالا على المعنى اي فيضلون ضلالا ومثله
قوله والله انبتكم من الارض نباتا وقد تقدم هذا المعنى مستوفي وصدودا
اسم للمصدر عند الخليل والمصدر الصد والكوفيون يقولون هما مصدران
تعالى فكيف اذا اصابتهم مصيبه اي فكيف حالهم وكيف يصنعون
اذا اصابتهم مصيبه اي من ترك الاستعانه بهم وما يلحقهم من الذل في قوله
فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا وقيل يريد قتل صاحبهم
جا قومه يطلبون ديته ويحلفون ما نريد بطلب ديته الا الاحسان وموافقه
وموافقه الحق وقيل المعنى ما اردنا بالعدول عنك في المحاكمه الا التوفيق
بين الخصوم والاحسان بالتقريب في الحكم بن كيسان عدلا وحقا نظيرها
وليحلفن ان اردنا الا الحسنى فقال الله تعالى مكذبا لهم اوليك الذين يعلم
الله ما في قلوبهم قال الزجاج معناه قد علم الله انهم منافقون والفايده
لنا اعلموا انهم منافقون فاعرض عنهم قيل عن عقابهم وقيل عن قبول اعتذا
رهم وعظهم اي خوفهم قبل الملا وقل لهم في انفسهم قولا بليغا
اي ازجرهم بابلغ الزجر في السر والخلا الحسن قل لهم ان اظهرتم ما في قلوبكم
قتلتم وقد بلغ القول بلاغة ورجل بليغ يبلغ بلسانه كنه ما في
قلبه والعرب تقول احمق بلغ وبلغ اي نهايه في الحماقه وقيل
معناه بليغ ما يريد وان كان احمق ويقال ان قوله تعالى فكيف

اذا

اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم نزلت في شان الذين
بنوا مسجدا لضرار فلما اظهر الله نفاقهم وامر بهدم المسجد
حلفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم دفاعا عن انفسهم ما اردنا
ببنا المسجد الا طاعة الله ورسوله تعالى وما ارسلنا من
رسول من زايده للتوكيد الا ليطاع فيما امر به ونهى عنه
باذن الله بعلم الله وقيل بتوفيق الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
جاوك روى ابو صادق عن علي قال قدم علينا اعرابي بعدما دفنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة ايام فرمى بنفسه على قبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحثا على قبره من ترابه فقال يا رسول الله سمعنا
قولك ووعيت عن الله فوعينا عنك وكان فيما انزل الله عليك ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم الايه وقد ظلمت نفسي وجيتك تستغفر لي فنودي
من القبر انه قد غفر لك ومعنى لوجدوا الله توابا رحيما اي
قابلا لتوبتهم وهما مفعولان لا غير تعالى فلا وربك لا
يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيه خمس مسايل
قال مجاهد وغيره المراد بهذه الايه من تقدم ذكره ممن اراد التحاكم
الى الطاغوت وفيهم نزلت وقال الطبري قوله فلا رد
على ما تقدم ذكره تقديره فليس الامر كما يزعمون انهم امنوا بما
انزل اليك ثم استانف القسم بقوله وربك لا يومنون وقال
غيره انما قدم لا على القسم اهتماما بالنفي واظهار القوه ثم كرره
بعد القسم تاكيدا للتهمم بالنفي وكان يصح اسقاط لا الثانيه ويبقى
اكثر الاهتمام بالاولى وكان يصح اسقاط الاولى ويبقى معنى النفي

ويذهب معنى الاهتمام وشجر معناه اختلف واختلط ومنه الشجر
لاختلاف اغصانه ويقال لعصي الهودج شجار لتداخل بعضها
في بعض قال الشاعر نفسي فداؤك والرماح شواجر
والقوم ضنك للقاء قيام وقال طرفه وهم الحكام ارباب الهوى
وسعاة الناس في الامر الشجر وقالت طايفه نزلت في الزبير
مع الانصاري وكانت وقعت الخصومه في سقي بستان فقال
عليه السلام اسق ارضك ثم ارسل الما الى ارض جارك فقال الخصم
اراك تحاف بن عمك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال للزبير اسق ثم احبس الما حتى يبلغ الجدر ونزل فلا وربك
لا يومنون الحديث صحيح رواه البخاري عن علي بن عبد الله عن محمد
بن جعفر عن معمر رواه مسلم عن الزهري واختلف اهل هذا
القول في الرجل الانصاري فقال بعضهم هو رجل من الانصار
من اهل بدر وقال مكي والنحاس هو حاطب بن ابي بلتعه وقال
الثعلبي والواحدي والمهدوي حاطب وقيل غيره والصحيح
القول الاول وانه غير معين ولا مسمى وكذا في البخاري ومسلم
انه رجل من الانصار واختار الطبري ان يكون نزول الايه في
المنافق واليهودي كما قال مجاهد ثم تناول بعمومها قصه الزبير قال
بن العربي وهو وهو الصحيح فكل من اتهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الحكم فهو كافر لكن الانصاري زل زله فاعرض عنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم واقال عثرته لعلمه بصحه يقينه وانها كانت
فلته وليست لاحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم وكل من لم يرض

بحكم

بحكم الحاكم وطعن فيه ورده فهي ردة يستتاب فاما ان طعن في
الحاكم نفسه لا في الحكم فله تعزيره وله ان يصفح عنه وسياتي بيان
هذا في اخر الاعراف ان شا الله تعالى واذا كان سبب
نزول هذه الاية ما ذكرنا من الحديث ففيها انه عليه السلام سلك
مع الزبير وخصمه مسلك الصلح فقال اسق يا زبير لقربه من الما ثم
ارسل الما الى جارك اي يساهل في حقك ولا تستوفه وعجل في ارسال
الما الى جارك بحضه على المسامحه والتيسير فلما سمع الانصاري هذا لم
يرض بذلك وغضب لانه كان يريد الا يمسك الما اصلا وعند ذلك
نطق بالكلمة الجايرة المهلكة الفاقرة فقال ان كان ابن عمتك بمد همزة ان المفتوحة
على جهة الانكار اي اتحكم له علي لاجل انه قرابتك فعند ذلك تلون
وجه النبي صلى الله عليه وسلم غضبا عليه وحكم للزبير باستيفا حقه
من غير مسامحه له وعليه لا يقال كيف حكم في حال غضبه وقد قال
لا يقضي القاضي وهو غضبان فانا نقول لانه معصوم من الخطا في
التبليغ والاحكام بدليل العقل الدال على صدقه فيما يبلغه عن الله
تعالى فليس مثل غيره من الحكام وفي هذا الحديث ارشاد الحاكم الى
الاصلاح بين الخصوم وان ظهر الحق ومنعه مالك واختلف فيه
قول الشافعي وهذا الحديث حجة واضحة على الجواز فان اصطلحوا
والا استوفى لذي الحق حقه وبت الحاكم واختلف
اصحاب مالك في صفة ارسال الما الاعلى على الاسفل فقال ابن حبيب
يدخل صاحب الاعلى جميع الما في حايطه ويسقي به حتى اذا بلغ الما قاع
الحايط الى الكعبين من القايم اغلق مدخل الما وصرف ما زاد من

الما على مقدار الكعبين الى من يليه فيصنع به مثل ذلك حتى يبلغ
الى اقصى الحوايط وهذا اشبه الى مطرف وبن الماجشون وقال بن وهب
وقال بن القاسم اذا انتهى الما في الحايط الى مقدار الكعبين ارسله
كله الى من يليه ولم يحبس شيا منه في حايطه قال بن حبيب وقول مطرف
وبن الماجشون احب الي وهما اعلم بذلك لان المدينة دارهما وبها كانت
القضية وبها جرى العمل   روى مالك عن عبد الله بن ابي بكر
انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في سيل مهزور ومذينب
يمسك حتى الكعبين ثم يرسل الاعلى على الاسفل قال ابو عمر لا اعلم هذا
متصل عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه من الوجوه وارفع اسانيده ما ذكر
محمد بن اسحق عن ابي مالك بن ثعلبة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى في
سيل مهزور ان يحبس على كل حايط حتى يبلغ الكعبين ثم يرسل وغيره من
السيول لذلك   وسئل ابو بكر البزار عن حديث هذا الباب فقال
لست احفظ فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا يثبت قال ابو عمر في هذا
المعنى وان لم يكن بهذا اللفظ حديث ثابت مجتمع على صحته رواه بن وهب
عن الليث بن سعد ويونس بن يزيد جميعا عن بن شهاب ان عروة بن
الزبير حدثه ان عبد الله بن الزبير حدثه عن الزبير انه خاصم رجلا من
الانصار قد شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة
كانا يسقيان بها كلاهما النخل فقال الانصاري سرح الما فابى عليه فاختصما
الى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث قال ابو عمر وقوله في الحديث
ثم يرسل وفي الحديث الاخر اذا بلغ الما الكعبين لم يحبس الاعلى يشهد
لقول بن القاسم ومن جهة النظر ان الاعلى لو لم يرسل الا ما زاد على

الكعبين

الكعبين لا يقطع ذلك الماني اقل منه ولم ينته حيث ينتهي اذا ارسل
الجميع وفي ارسال الجميع بعد اخذ الاعلى منه ما بلغ الكعبين اعم فايده واكثر
نفعا فيما قد جعل الناس فيه شركا فقول ابن القاسم اولى على كل حال
هذا ما لم يكن للاسفل مختصا به فان ربما استحق بعمل او بملك صحيح او
استحقاق قديم وثبوت ملك فيحمل على حقه على حسب ما كان من
ذلك بيده وعلى اصل مسلته وبالله التوفيق قوله تعالى
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت اي ضيقا وشكا ومنه قيل
للشجر الملتف حرج وحرجه وجمعها اي اثما بانكارهم ما قضيت
ويسلموا تسليما اي ينقادوا لامرك في القضا وقال الزجاج تسليما
مصدر مؤكد فاذا قلت ضربت ضربا فكانك قلت لا اشك فيه
وكذلك ويسلموا تسليما اي ويسلموا لحكمك تسليما لا يدخلون
على انفسهم شكا تعالى ولو انا كتبنا عليهم الاية سبب
نزولها ما روي ان ثابت بن قيس بن شماس تفاخر هو ويهودي فقال
اليهودي والله لقد كتب علينا ان نقتل انفسنا فقتلنا وبلغت القتلى
سبعين الفا فقال ثابت والله لو كتب الله علينا ان اقتلوا
انفسكم لفعلنا وقال ابو اسحق السبعي لما نزلت ولو انا كتبنا عليهم
الاية قال رجل لو امرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان من امتي رجالا الايمان اثبت
في قلوبهم من الجبال الرواسي قال ابن وهب قال مالك القايل
ذلك هو ابو بكر الصديق رضي الله عنه وذكر عن الحجر رضي
الله عنه وهكذا ذكر مكي انه ابو بكر وذكر النقاش انه عمر

لفعلنا

بن الخطاب رضي الله عنه   وذكر عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال
لو كتب علينا القتال ذلك لبدات بنفسي واهل بيتي   وذكر في
السمرقندي ان القليل منهم عمار بن ياسر وبن مسعود وثابت بن
قيس قالوا لو ان الله امرنا ان نقتل انفسنا او نخرج من ديارنا لفعلنا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم الايمان اثبت في قلوب الرجال من الجبال
الرواسي ولو حرف يدل على اساغ الشي لامساغ غيره فاخبر الله
سبحانه لم يكتب علينا رفقا بنا لئلا تظهر معصيتنا فكم امر قصرنا عنه
مع خفته فكيف بهذا الامر مع ثقله لكن اما والله لو ترك المهاجرون
مساكنهم خاوية وخرجوا يطلبون بها عيشة راضية ما فعلوه اي القتل
والخروج الا قليل منهم قليل بدل من الواو والتقدير ما فعله احد الا
قليل منهم   واهل الكوفه يقولون هو على التكرير ما فعلوه ما فعله
الا قليل منهم   وقرا عبد الله بن عامر وعيسى بن عمر الا قليلا على
الاستثنا وكذلك هو في مصاحف اهل الشام والباقون بالرفع والرفع
اجود عند جميع النحويين وقيل انتصب على اضمار فعل تقديره الا ان
يكون قليلا منهم وانما صار الرفع اجود لان اللفظ اولى من المعنى
وهو ايضا يشتمل على المعنى وكان من القليل ابو بكر وعمر وثابت
بن قيس فذكرنا   وزاد الحسن ومقاتل عمارا وبن مسعود   وقد ذكرناهما
ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم اي في الدنيا والاخرة
واشد تثبيتا اي على الحق   واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما
اي ثوابا في الاخرة   وقيل اللام لام الجواب   واذا دالة على
الجزا والمعنى لو فعلوا ما يوعظون به لاتيناهم   تعالى ومن

يطع الله

من م

يطع الله والرسول فاوليك مع الذين انعم الله عليهم فيه ثلاث
مسايل قوله تعالى ومن يطع الله والرسول لما ذكر تعالى الامر
الذى لو فعله المنافقون حين وعظوا به وانابوا اليه لانعم عليهم ذكر
بعد ذلك ثواب من يفعله وهذه الايه تفسير قوله تعالى اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم وهى المراد فى قوله صلى الله
عليه وسلم عند موته اللهم الرفيق الاعلا وفى البخاري عن عايشه قالت
سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول ما من نبى يمرض الا خير بين الدنيا
والاخره كان فى شكواه الذى مرض فيه بحه شديده فسمعته يقول
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين
فعلمت انه خير وقالت طايفه انما نزلت هذه الايه لما قال عبد الله
بن زيد بن عبد ربه الانصاري الذى اراى الاذان يا رسول الله اذا متّ
ومتنا كنت فى عليين فلا نراك ولا نجتمع بك وذكر حزنه على ذلك فنزلت
هذه الايه وذكر مكي عن عبد الله هذا وانه لما مات النبى صلى الله
عليه وسلم قال اللهم اعمنى حتى لا ارى شيا بعده فعمى وحكاه القشيري
فقال اللهم اعمنى فلا ارى شيا بعد حبيبى حتى القى حبيبى فعمى مكانه وحكى
الثعلبى انها نزلت فى ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
شديد الحب له قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل
جسمه يعرف فى وجهه الحزن فقال له ثوبان ما غير لونك فقال يا رسول الله
ما بى ضر ولا وجع غير انى اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت
وحشه شديده حتى القاك ثم ذكرت الاخره واخاف الا اراك
هناك لانى عرفت انك ترفع مع النبيين وانى ان دخلت كنت فى

منزله هي ادنى من منزلتك وان لم تدخل لك للحين لا اراك ابدا فانزل
الله هذه الايه ذكر الواحدى عن الكلبى واسند عن مسروق وقال قال
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغى لنا ان نفارقك فى الدنيا
فانك اذا فارقتنا رفعت فوقنا فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول
فاوليك مع الله انعم الله عليهم من النبيين وفى طاعه الله طاعه رسوله
ولانه ذكر تشريفا لقدره وتنويها باسمه صلى الله عليه وسلم فاوليك
مع الذين اى هم معهم فى دار واحده ونعيم واحد يستمتعون برويتهم
والحضور معهم لا انهم ليسا وبعضهم فى الدرجه فانهم يتفاوتون
لكنهم يتزاورون للاتباع فى الدنيا والاقتدا وكل من فيها قد رزق الرضا
بحاله وقد ذهب عنه اعتقاد انه مفضول ونزعنا ما فى صدورهم
من غل والصديق فعيل المبالغ فى الصدق او فى التصديق والصديق
هو الذى يحقق فعله ما يقول بلسانه وقيل هم فضلا اتباع الانبيا
الذين يسبقونهم الى التصديق وقد تقدم فى البقره اشتقاق
الصديق ومعنى الشهيد والمراد هنا بالشهدا عمر وعثمان وعلى والصالحين
وساير الصحابه رضى الله عنهم اجمعين وقيل الشهدا القتلا فى سبيل
الله والصالحين صلحى امه محمد صلى الله عليه وسلم قال الشيخ المولف
رحمه الله واللفظ يعم كل صالح وشهيد والله اعلم والرفيق لمن الجانب
وسمى الصاحب رفيقا لارتفاقك بصحبته ومنه الرفقه لارتفاق بعضهم
ببعض ويجوز وحسن اوليك رفيقا قال الاخفش رفيقا منصوب
على الحال وهو بمعنى رفقا وقال انتصب على التمييز فوحد لذلك وكان
المعنى وحسن كل واحد منهم رفيقا كما ويخرجكم طفلا اى يخرج كل

واحد

واحد منكم طفلا وقال تعالى ينظرون من طرف خفي وينظر الى معنى هذه
الاية قوله صلى الله عليه وسلم خير الرفقا اربعه ولم يذكر الله هذه
الاربعه فتامله   في هذه الاية دليل على خلافه
ابي بكر رضي الله عنه وذلك ان الله تعالى لما ذكر مراتب اوليا
في كتابه بدا بالاعلى منهم وهم النبيون ثم ثنى بالصديقين
ولم يجعل بينهما واسطه واجمع المسلمون على تسميه ابي بكر
الصديق رضي الله عنه صديقا كما اجمعوا على تسميه محمد صلى الله
عليه وسلم رسولا واذا ثبت هذا فصح انه الصديق وانه
ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجز ان يتقدم بعده احد
والله اعلم   قوله ذلك الفضل من الله اخبر تعالى
انهم لم ينالوا الدرجه بطاعتهم بل نالوها بفضل الله تعالى
ولزمه خلافا لما قالت المعتزله انما ينال العبد ذلك
بفعله فلما امتن الله سبحانه على اوليايه بما اتاهم الله من
فضله وبان لا يجوز لاحد ان يثني على نفسه بما لم يفعله دل
ذلك على بطلان قولهم   تعالى يا ايها الذين امنوا
خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا فيه خمس
مسايل   قوله تعالى يا ايها الذين امنوا خذوا
حذركم هذا خطاب للمومنين المخلصين من امه محمد صلى الله
عليه وسلم وامرلهم بجهاد الكفار والخروج في سبيل الله وحماية
الشرع ووجه النظم والاتصال بما قبل انه لما ذكر طاعه
الله وطاعه رسوله امر اهل الطاعه بالقيام باحياء دينه

واعلاد عونه وامرهم ان لا يقتحموا على عدوهم على جهالة حتى
يحسسوا الى ما عندهم ويعلمون كيف يردون عليهم فذلك
اثبت لهم فقال خذ واحد ثم فعلهم مباشر للحروب ولا ينافي
هذا التوكل بل هو مقام عين التوكل كما تقدم في العمران
ويأتي والحذر والحذر لغتان كالمثل والمثل قال الفرا
اكثر الكلام الحذر والحذر مسموع ايضا يقال خذ حذرك
اي احذر وقيل خذوا السلاح حذرا لان به الحذر والحذر
لا يدفع القدر وهي خلافا للقدرية في قولهم ان
الحذر يدفع ويمنع من مكايد الاعداء ولو لم يكن كذلك ما كان
امرهم بالحذر معنى فيقال لهم ليس في الاية دليل على ان
الحذر ينفع من القدر شيئا ولكنا تعبدنا بان لا نلقي بايدينا
الى التهلكة ومنه الحديث اعقلها وتوكل وان كان القدر جار
على ما قضى ويفعل الله ما يشا فالمراد منه طمانينة النفس لا
ان ذلك ينفع من القدر ولذلك اخذ الحذر والدليل على
ذلك ان الله تعالى اثنى على اصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم بقولهم
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا فلو كان يصيبهم غير ما قضى
الله عليهم لم يكن لهذا الكلام معنى قوله تعالى فانفروا
ثبات يقال نفر ينفر بكسر الفا نفيرا ونفرت الدابة تنفر
بضم الفا نفورا المعنى انهضوا لقتال العدو واستنفر الامام
الناس دعاهم الى النفر اي للخروج الى قتال العدو والنفير اسم
للقوم الذين ينفرون واصله من النفار والنفور وهو الفزع

ومنه قوله تعالى

ماني عشر

ومنه قوله تعالى ولوا على ادبارهم نفورا اي نافرين ومنه نفر
الجلد اي ورم وتحلل رجل بالعصب فنفرت اي ورم قال
ابو عبيد انما هو من نفار الشي وهو تجافيه عنه وتباعده منه
قال بن فارس النفر عدة رجال من ثلاثة الى عشرة والنفير النفر
ايضا ولذلك النفور والنفر حكاها الفرا بالها ويوم النفر يوم
ينفر الناس عن منا وثبات معناه جماعات متفرقات ويقال
ثبين جمع السلامة والثابت والذي قاله عمرو بن كلثوم فاما يوم
خشيتنا عليهم فتصبح خيلنا عصا ثبينا فقوله ثبات عن السرايا الوا
ثبة والثبة وسط الحوض الذي يثوب اليه الما اي يرجع قال
النحاس وربما توهم الضعيف في العربية انهما واحد وان احدهما
من الاخر وبينهما فرق فثبة الحوض يقال في تصغيرها ثويبة لانها
من ثاب يثوب ويقال في الجماعة ثبيبة قال غيره فثبة الحوض
محذوفة الواو وهي عين الفعل وثبة الجماعة معتل اللام من ثبا يثبوا
مثل خلا يخلوا ويجوز ان تكون الثبة بمعنى الجماعة من ثبة الحوض لان
الما اذا ثاب اجتمع فعلى هذا تصغر به الجماعة ثويبة فيدخل احد
البابين في الاخر وقد قيل ان ثبة الجماعة انما اشتقت من ثبت
على الرجل اذا اثنيت عليه في حياته وجمعت محاسن من ذلك فعود الى
قوله تعالى او انفروا جميعا معناه الجيش الكثيف مع

حك

الرسول صلى الله عليه وسلم قاله بن عباس وغيره ولا تخرج السرايا الا با
الامام ليكون متحسسا لهم عضدا من ورايهم وربما احتاجوا الى دونه
وسياتي حكم السرايا وغنايمهم واحكام الجيوش ووجوب النفير في

ذ ن

الانفاك وبراه ان شا الله تعالى   دكر بن خواز منداد ع

الايه منسوخه بقوله انفروا خفافا وثقالا وبقوله الا تنفروا يعذبكم

عذابا اليما الا ان يكون انفروا خفافا وثقالا منسوخا بقوله انفروا ثبات

او انفروا جميعا وبقوله وما كان المومنون لينفروا كافه اولا لان

فرض الجهاد تقرر على الكفايه فمتى سد الثغور بعض المسلمين اسقطوا

الفرض عن الباقين والصحيح ان الايتين جميعا محكمتين احداهما في الوقت

الذي يحتاج فيه الى تعين الجميع والاخر عند الاكتفا بطايفه دون غيرها

تعالى وان منكم لمن ليبطين يعني المنافقين والتبطيه والابطا

التاخر تقول ما ابطاك عنا وهو لازم   ويجوز بطات فلانا عن كذا

اي اخرته فهو متعد والمعنيان مراد في الايه فكانوا يقعدون عن الخروج

ويقعدون غيرهم والمعنى ان من دخلايكم وجنسكم وممن اظهر ايمانه لكم

فالمنافقون في ظاهر الحال من عدد المسلمين باجرا احكام المسلمين عليهم

واللام في قوله لمن لام توكيد والثانيه لام قسم ومن في موضع نصب

وصلتها ليبطين لان فيه معنى اليمين والخبر منكم   وقرا مجاهد والنخعي والكلبي

وان منكم لمن ليبطين بالتخفيف والمعنى واحد   وقيل المراد بقوله وان

منكم ليبطين بعض المومنين لان الله تعالى خاطبهم بقوله وان منكم وقد

فرق الله تعالى بين المومنين والمنافقين بقوله ما هم منكم ولا منهم وهذا تاباه

مساق الكلام وظاهره وانما جمع بينهم في الخطاب من جهة الجنس والنسب

كما بينا الا من جهة الايمان هذا قول الجمهور وهو الصحيح ان شا الله والله اعلم

يدل عليه قوله تعالى فان اصابتكم مصيبة اي قتل وهزيمه قال قد انعم

الله علي يعني بالقعود وهذا لا يصدر الا من منافق لاسيما في ذلك

الرمان الكريم تعدل بقوله مومن وينظر الى هذه الايه ما رواه الايمه عن
ابى هريره عن النبى صلى الله عليه وسلم اخبارا عن المنافقين ان اثقل صلاه
عليهم صلاه الفجر وصلاه العشا ولو يعلمون ما فيهما لاتوها ولو حبوا الحديث
في روايه ولو علم احدكم انه يجد عظما سمينا لشهدها يعنى صلاه العشا
يقول لولاح شى من الدنيا فاخذونه وكانوا على يقين منه لبادروا اليه
وهو معنى قوله ولين اصابكم فضل من الله اى غنيمه وفتح ليقولن هذا المنافق
قول نادم حاسد ياليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما كان لم يكن
بينكم وبينه موده فالكلام فيه تقديم وتاخير وقيل المعنى ليقولن
كان لم يكن بينكم وبينه موده اى كان لم يعاقد ولم عن الجهاد وقيل
هو في موضع نصب على الحال وقرا الحسن ليقولن بالضم على معنى لان
معنى قوله لمن ليبطين ليس يعنى به رجلا بعينه ومن فتح اللام اعاد الضمير
على لفظ من توجد وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم كان لم تكن بالتاء على
لفظ الموده ومن قرا بالياجعل موده بمعنى الود وقول المنافق
ياليتنى كنت معهم على وجه الحسد والاسف على فوت الغنيمه مع
الشك في الجزاء من الله تعالى فافوز جواب التمنى ولذلك نصب وقرا
الحسن فافوز بالرفع على انه بمعنى الفوز كانه قال ياليتنى افوز فوزا
عظيما والنصب على الجواب والمعنى ان اكن معكم افز والنصب فيه
باضمار ان لانه محمول على تاويل المصدر التقدير ياليتنى كان لى حضور
ففوز تعالى فليقاتل في سبيل الله الى قوله عظيما فيه ثلاث
مسايل قوله تعالى فليقاتل في سبيل الله الخطاب للمومنين
اى فليقاتل في سبيل الله الكفار الذين يشرون اى يبيعون اى يبدلون

انفسهم واموالهم لله عز وجل بالاجر اي بثواب الاخرة
قوله تعالى ومن يقاتل في سبيل الله شرط فيقتل او يغلب عطف
عليه والمجازات فسوف نؤتيه اجرا عظيما ومعنى فيقتل فيستشهد
او يغلب يظفر فيغنم وقرات طايفة ومن يقاتل فليقاتل بسكون لام
الامر وقرات فرقة فليقاتل بكسر لام الامر فذكر تعالى غايتي حالة
المقاتل واكتفى بالغايتين عما بينهما ذكره ابن عطية ظاهر القران
يقتضي التسوية بين من قتل شهيدا او يغلب غانما وفي صحيح مسلم
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن
خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيله وايمانه وتصديق برسولي
فهو علي ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نايلا
ما نال من اجر او غنيمة وذكر الحديث وفيه عن عبد الله بن عمرو ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة
الا تعجلوا ثلثي اجرهم من الاخرة ويبقى لهم الثلث وان لم يصيبوا غنيمة تم
لهم اجرهم فقوله نايلا ما نال من اجر او غنيمة يقتضي ان من يستشهد
من المجاهدين احد امرين اما الاجر ان لم يغنم واما الغنيمة ولا اجر
بخلاف حديث عبد الله بن عمرو ولما كان هذا قال قوم حديث عبد الله
بن عمرو ليس بشي لان في اسناده حميد بن هاني وليس بمشهور ورجحوا
الحديث الاول عليه لشهرته وقال اخرون ليس بينهما تعارض
ولا خلاف واو في حديث ابي هريرة بمعنى الواو كما قوله الكوفيون
وتدل عليه رواية ابي داود فانه قال فيه من اجر وغنيمة بالواو
الجامعة وقد رواه بعض رواة مسلم بالواو الجامعة ايضا وحميد

بن هاني

بن هانى مصري سمع اباعبد الرحمن الحبلى وعمرو بن مالك روى عنه حيوة
شرح وبن وهب فالحديث الاول محمول على مجرد النيه والاخلاص في
الجهاد فذلك الذى ضمن من الله اما الشهاده واما رده الى اهله ماجورا
غانما ويحمل الثانى على ما اذا نوى الجهاد وللكن مع نيل المغنم فلما انقسمت نيته
انحط اجره فقد دلت السنه على ان الغانم اجرا كما دل عليه الكتاب فلا تعا
ثم قيل ان نقص اجر الغانم على من لم يغنم بما هو بما فتح الله عليه من الدنيا
فاستمتع به وازال عن نفسه شظف عيشه ومن اخفق فلم يصب شيا بقى
على شظف عيشه والصبر على حالته فبقى اجره موفرا بخلاف الاول
ومثله قوله فى الحديث الاخر لمنا من مات لم ياكل من اجره شيا منهم
مصعب بن عمير ومنا من ايعنت له ثمرته فهو يهد بها تعالى
ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله فيه ثلاث مسايل قوله
تعالى ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله حض على الجهاد وهو تخليص
المستضعفين من ايدى الكفرة المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب
ويفتنوهم عن الدين فاوجب تعالى الجهاد لاعلا كلمته واظهار دينه
واستنقاذ المومنين الضعفا من عباده وان كان فى ذلك تلف
النفوس وتخليص الاسارى واجب على جماعة المسلمين اما بالقتال واما
بالاموال وذلك اوجب لكونها دون النفوس اذ هي اهون منها قال
ملك واوجب على الناس ان يفدوا الاسارى بجميع اموالهم وهذا لا
خلاف فيه لقوله عليه السلام فكوا العانى وقد مضى فى البقرة ولذلك
قالوا عليهم ان يواسوهم فان المواساه دون المعاداه فان كان
الاسير غنيا فهل يرجع عليه الفادي ام لا قولان للعلما اصحهما الر

دص

جوع

قوله تعالى والمستضعفين عطف على اسم الله عز وجل
وفي سبيل المستضعفين فان خلاص المستضعفين من سبيل الله وهذا
اختيار الزجاج وقاله الزهري وقال محمد بن يزيد اختار ان يكون
المعنى وفي المستضعفين فيكون عطفا على السبيل اي وفي المستضعفين
لاستنقاذهم فالسبيلان مختلفان ويعني بالمستضعفين من كان
بمكة من المومنين تحت اذلال كفرة قريش واذاهم وهم المعنيون بقوله
صلى الله عليه وسلم اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش
بن ابي ربيعه والمستضعفين من المومنين وقال بن عباس كنت انا
وامي من المستضعفين في البخاري عنه الا المستضعفين من الرجال
والنسا والولدان قال كنت انا وامي ممن عذر الله انا من الولدان وامي
من النسا قوله تعالى من هذه القرية الظالم اهلها القرية هنا
مكة باجماع المتاولين ووصفها بالظلم وان كان الفعل للاهل لعلقة
الضمير وهذا كما تقول مررت بالرجل الواسعة داره والكريم ابوه
والحسنة جاريته وانما وصف الرجل بهما للعلقة اللفظية بينهما وهو
الضمير فلو قلت مررت بالرجل الكريم عمرو لم تجز المسالة لان الكريم
لعمرو فلا يجوز ان يجعل صفة للرجل الا بعلقة وهي الها ولا تثنى هذه الصفة
ولا تجمع لانها تقوم مقام الفعل فالمعنى اي التي ظلم اهلها ولهذا لم يقل
الظالمين وتقول مررت برجلين كريم ابوهما حسنة جاريتاهما وبرجال
كريم اباوهم حسنة جواريهم واجعل لنا من لدنك اي من عندك وليا
اي من يستنقذنا واجعل لنا من لدنك نصيرا اي ينصرنا عليهم
قوله تعالى الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله اي في طاعته والذين كفروا يقاتلون

في سبيل

في سبيل الطاغوت قال ابو عبيده والكسائي الطاغوت يذكر ويونث
قال ابو عبيد وانما ذكر وانث لانهم كانوا يسمون الكاهن والكاهنه
طاغوتا قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال ثنا ابو الزبير انه سمع جابر بن
عبد الله وسيل عن الطاغوت التي كانوا يتحاكمون اليها فقال كانت في جهينه
واحده وفي اسلم واحده وفي كل حي واحده قال ابو اسحق الدليل على انه
الشيطان قوله عز وجل فقاتلوا اوليا الشيطان ان كيد الشيطان كان
ضعيفا اي مكره ومكر من اتبعه ويقال اراد به يوم بدر حين قال
المشركون لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما ترات الفيتان
نكص على عقبيه على ما ياتي تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا
ايديكم الايه روى عمرو بن دينار عن عكرمه عن ابن عباس ان عبد الرحمن
بن عوف واصحابا له اتوا النبي صلى الله عليه وسلم بمكه فقالوا يا نبي الله كنا في
عز ونحن مشركون فلما امنا صرنا اذله فقال اني امرت بالعفو فلا تقاتلوا
القوم فلما حوله الله تعالى الى المدينه امره بالقتال فكفوا فنزلت الايه
اخرجه النسائي في سننه وقاله الكلبي وقال مجاهد هم يهود وقال
الحسن هي في المومنين لقوله يخشون الناس اي مشركي مكه كخشيه فهي على ما
طبع البشر من المخافه لا على المخالفه قال السدي هم قوم اسلموا قبل
فرض القتال فلما فرض كرهوه وقيل هو وصف للمنافقين والمعنى
يخشون القتل من المشركين كما يخشون الموت من الله او اشد خشيه
اي عندهم وفي اعتقادهم قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا اشبه
بسياق الايه لقوله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى
اجل قريب اي هلا ولولا لا يليها الا الفعل ومعاذ الله ان يصدر هذا

القول من اصحابي لم نعلم ان الاجال محدوده والارزاق مقسومه بل كانوا
لاوامر الله ممتثلين سامعين طايعين يرون الوصول الى الدار الاجله خيرا
من المقام في الدار العاجله على ما هو معروف من سيرتهم رضي الله عنهم اللهم
الا ان يكون قايله ممن لم يرسخ في الايمان قدمه ولا انشرح بالاسلام
جنانه فان اهل الايمان متفاضلون فمنهم الكامل ومنهم الناقص وهو الذي
تنفر نفسه عما يومر به فيما تلحقه فيه المشقه وتدركه فيه الشده والله اعلم

تعالى قل متاع الدنيا قليل ابتدا وخبر ولدار الاخره خير لمن
اتقى اي المعاصي وقد مضى الكلام في هذا في البقره ومتاع الدنيا منفعتها
والاستمتاع بلذاتها وسماه قليلا لانه لا بقاله وقال النبي صلى الله عليه
وسلم مثلي ومثل الدنيا كراكب قال قيلولة تحت شجره ثم راح وتركها وقد
تقدم هذا المعنى في البقره مستوفى تعالى اينما تكونوا يدرككم
الموت فيه اربع مسايل قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت
شرط ومجازاة وما زايده وهذا الخطاب عام وان كان المراد المنافقين او
من ذكرنا لقولهم لما اصيب اهل احد قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
فرد الله عليهم اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيده
قاله ابن عباس في روايه ابي صالح عنه وواحد البروج برج وهو البنا
المرتفع والقصر العظيم قال طرفه يصف ناقه كانها برج رومي
تكنفها بان بشيد واجر واحجار وقراه طلحه بن سليمان يدرككم الموت
برفع الكاف على اضمار الفا وهو قليل لم يات الا في الشعر نحو قوله
من يفعل الحسنات الله يشكرها اراد فالله يشكرها واختلف
العلما واهل التاويل في المراد بهذه البروج فقال الاكثر وهو الاصح انه

اراد البروج

صعقه المومنين الذين قالوا لو اخرتنا الى اجل قريب اي تموت باجالنا وهو اشبه بالمنافقين

اراد البروج في الحصون التي في الارض المبنيه لانها غايه البشر في التحصن
والمنعه لتمثل الله تعالى لهم بها قال قتاده في بروج محصنه وقاله حصون
معاس جريح والجمهور منه قول عامر بن الطفيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل
لك في حصن حصين ومنعه وقال مجاهد البروج القصور بن عباس
البروج الحصون والاطام والقلاع ومعنى مشيده مطوله قاله
الزجاج والقتبي عكرمه المرسه بالشيد وهو الجص قتاده محصنه
والمشيد سوا وقيل مشيد والتشديد للتكثير ومنه المشيد
الطول والمشيد المطلي بالشيد يقال شاد البنيان واشاد بدلكم و
السدي المراد بالبروج بروج في السما الدنيا مبنيه وحكى هذا القول
مكي عن مالك وانه قال الا ترى الى قوله والسماء ذات البروج وجعل
فيها بروجا ولقد جعلنا في السما بروجا وحكاه بن العربي ايضا عن بن القاسم
عن مالك وحكى النقاش عن بن عباس انه قال في بروج مشيده انه قال
في قصور من حديد قال بن عطيه وهذا لا يعطيه ظاهر اللفظ
هذه الايه ترد على القدريه في الاجال لقوله اينما تكونوا يدرككم
الموت ولو كنتم في بروج مشيده فعرفهم بذلك ان الاجال اذا
انقضت فلابد من مفارقه الروح الجسد كان ذلك بقتل او موت
او غير ذلك مما اجرى الله العادة بزهوقها وقالت المعتزله ان
المقتول لو لم يقتله القاتل لعاش وقد تقدم الرد عليهم في ال عمران
وياتي فوافقوا بقولهم هذا الكفار والمنافقين اتخاذ البلاد
وبنايها لتمنع بها في حفظ الاموال والنفوس وهي سنه الله في عباده
وفي ذلك ادل دليل على رد قول من يقول التوكل ترك الاسباب فان

فان اتخاذ البلاد من اكبر الاسباب واعظمها وقد امرنا بها واتخذها الانبيا
وحفروا حولها الخنادق عدة وزيادة في التمنع وقد قيل للاحنف ما الحلم قال
فقال ليردع السفيه حتى ياتي الحليم بحميه   واذا نزلنا على قول
ملك والسدي في انها بروج السما فبروج الفلك اثنا عشر برجا مشيدة
من الرفع وهي الكواكب العظام   وقيل الكواكب بروج لظهورها من
برج يبرج اذا ظهر وارتفع ومنه ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى
وجعلها الله تعالى منازل للشمس والقمر وقدرها فيها ورتب الازمنة عليها
وجعلها جنوبية وشمالية دليلا على المصالح وعلما على القبلة وطريقا الى
تحصيل انا الليل وانا النهار بمعرفة اوقات التهجد وغير ذلك من
احوال المعاش   تعالى وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله
الاية اي ان تصيب المنافقين خصب قالوا هذه من عند الله وان تصبهم
سيئة اي جدب ومحل قالوا هذه من عندك اي اصابنا ذلك بشومك
وشوم اصحابك   وقيل الحسنة السلامة والامن والسيئة الامراض
والخوف   وقيل الحسنة الغنا والسيئة الفقر   وقيل الحسنة النعمة
والفتح والغنيمة يوم بدر والسيئة البلية والشدة وهي القتل والشدة
يوم احد   وقيل الحسنة السرا والسيئة الضرا هذه اقوال المفسرين
وعلما التاويل بن عباس وغيره في الاية وانها نزلت في اليهود والمنافقين
وذلك انهم لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قالوا ما زلنا   عليهم
نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا مذ قدم علينا هذا الرجل واصحابه قال
بن عباس ومعنى من عندك اي بسو تدبيرك   وقيل من عندك بشومك
الذي لحقنا قالوه على جهة التطير   قال الله قل

كل من عند الله اي الشدة والرخا والظفر والهزيمة من عند الله اي بقضايه وقدره
فما لهولاي القوم يعني المنافقين لا يكادون يفقهون حديثا اي ما شانهم لا يفقهون
ان كلا من عند الله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك
اي يا محمد من خصب ورخا وصحة وسلامة فبفضل الله عليك واحسانه اليك
وما اصابك من جدب وشدة فبذنب اتيته عوقبت عليه والخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد امته اي ما اصابكم يا معشر الناس من خصب واتساع
رزق فمن فضل الله عليكم وما اصابكم من جدب وضيق رزق فمن انفسكم
اي من اجل ذنوبكم وقع ذلك بكم قاله الحسن والسدي وغيرهما كما قال
يا ايها الذين امنوا اذا طلقتم النسا وقد قيل الخطاب للانسان والمراد به
الجنس كما قال والعصر ان الانسان لفي خسر اي ان الناس لفي خسر الا تراه
استثنا منهم فقال الا الذين امنوا ولا يستثنى الا من جملة او من جماعة
وعلى هذا التاويل يكون قوله ما اصابك استيناف وقيل في الكلام
حذف تقديره يقولون وعليه يكون الكلام متصلا والمعنى فما لهولاء
القوم لا يكادون يفقهون حديثا حتى يقولوا ما اصابك من حسنة فمن
الله وقيل ان الف الاستفهام مضمر والمعنى افمن نفسك ومثله
قوله تعالى وتلك نعمة تمنها علي والمعنى او تلك وكذا قوله فلما را القمر بازغا
قال هذا ربي اي هذا ربي وبقول ابي خراش الهذلي رموني
وقالوا يا خويلد لم ترع فقلت وانكرت الوجوه هم هم اراد ا هم فاضمر
الف الاستفهام وهو كثير وسياتي قال الاخفش ما بمعنى الذي
وقيل هو شرطية قال النحاس والصواب قول الاخفش لانه نزل
في شي بعينه من الجديث وقيل هذا من المعاصي في شي ولو كانت منها

لكان وما اصبت من سية ورى عبد الوهاب بن مجاهد عن ابيه عن
عباس وابي مسعود ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة
فمن نفسك. وانا كتبتها عليك فهذه قراءة على التفسير وقد اثبتها بعض اهل
الزيغ من القران والحديث بذلك عن ابي بن مسعود منقطع لان
مجاهد لم ير عبد الله ولا اسا عليه وعلى قول من قال الحسنة الفتح والغنيمة
يوم بدر والسيئة ما اصابهم يوم احد فكانهم عوقبوا عند خلاف الرماة
الذين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحموا ظهره ولا يبرحوا من مكانهم
فراوا الهزيمة على قريش والمسلمون يغنمون اموالهم تركوا مصافهم فنظر خالد
بن الوليد وكان مع الكفار يومئذ ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انكشف
من الرماة فاخذ سرية من الخيل ودار حتى صار خلف المسلمين وحمل عليهم ولم
يكن خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرماة الا صاحب اللوا به حفظ وصية
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف حتى استشهد مكانه على ما تقدم في آل عمران
بيانه فانزل الله تعالى نظير هذه الاية وهو قوله اولما اصابتكم مصيبة يعني
يوم احد قد اصبتم مثليها يعني يوم بدر قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم
ولا يجوز ان تكون الحسنة هاهنا الطاعة والسيئة المعصية كما قالت القدرية
اذ لو كان كذلك لكان ما اصبت كما قدمنا اذ هو بمعنى الفعل عندهم والكسب
عندنا وانما تكون الحسنة الطاعة والسيئة المعصية في نحو قوله من جا بالحسنة
فله عشر امثالها ومن جا بالسيئة فلا يجزى الا مثلها واما في هذه الاية فهي كما
تقدم شرحنا له من الخصب والجدب والرخا والشدة على نحو ما جا في اية
الاعراف وهي قوله تعالى ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص
من الثمرات لعلهم يذكرون بالسنين بالجدب سنة بعد سنة وحبس

المطر

المطر عنهم فنقصت ثمارهم وغلت اسعارهم فاذا جاتهم الحسنه قالوا لنا
هذه وان تصبهم سيه يطيروا بموسى ومن معه آيتشاموا بهم ويقولون هذا
من اجل اتباعنا لك وطاعتنا اياك فرد الله عليهم بقوله الا انما طايرهم
عند الله يعني ان طاير البركه وطاير الشوم من الخير والشر والنفع والضر
من الله تعالى لا صنع فيه لمخلوق فكذلك قوله فيما اخبر عنهم انهم يضيفونه
الى النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال وان تصبهم سيه يقولوا هذه من
عندك قل كل من عند الله كما قال الا انما طايرهم عند الله وكما قال
وما اصابكم يوم التقا الجمعان فباذن الله اي بقضاء الله وقدره وعلمه
وايات الكتاب تشهد بعضها لبعض قال علماونا ومن كان يومن بالله واليوم
الاخر فلا يشك ان كل شي بقضا الله وقدره وارادته ومشيته ونبلو
بالشر والخير فتنه وقال واذا الله بقوم سوا فلا مرد له وما لهم من دونه
من وال   وقد عارض بعض جهال اهل السنه هذه الايه وا
بها كما عارض القدريه واحتجوا بها ووجه احتجاجهم بها ان القدريه
يقولون ان الحسنه ها هنا الطاعة والمعصيه السيه قالوا
وقد نسب المعصيه في قوله وما اصابك من سيه فمن نفسك الى
الانسان دون الله تعالى فهذا وجه تعلقهم بها ووجه تعلق الاخرين
منها قوله قل كل من عند الله فقالوا فقد اضاف الحسنه والسيه الى
نفسه دون خلقه وهذه الايه انما يتعلق بها الجهال من الفريقين جميعا
لانهم بنوا على ان السيه هي المعصيه وليست كذلك كما بيناه والله
اعلم   والقدريه ان قالوا ما اصابك من حسنه اي من طاعه فمن
الله فليس هذا اعتقادهم لان اعتقادهم الذي بنوا عليه مذهبهم

ي
لهم
حتج
ذلك

ان الحسنه فعل المحسن والسيه فعل المسى وايضا لو كان لهم فيها حجه
لكان يقول ما اصبت من حسنه وما اصبت من سيه لانه الفاعل
للحسنه والسيه جميعا فلا يضاف اليه الا بفعله لهما لا بفعل غيره نص
على هذه المقاله الامام ابو الحسن شبيب بن ابرهيم بن محمد بن حيدره في
كتابه المسمى بجز والعلاصم في الخام المخاصم تعالى وارسلناك
للناس رسولا مصدر موكد ويجوز ان يكون ذا رساله وكفى بالله شهيدا في
على البيان والبارايه اي كفى الله شهيدا على صدق رساله نبيه وانه ماد
تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله اعلم الله تعالى ان طاعة رسوله
صلى الله عليه وسلم طاعه له وفي صحيح مسلم عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله ومن يطع
الامير فقد اطاعني ومن يعصي الامير فقد عصاني في روايه من اطاع اميري
ومن عصى اميري ومن تولى اي اعرض فما ارسلناك عليهم اي
حافظا ورقيبا لاعمالهم انما عليك البلاغ وقال القتبي محاسا فنسخ
الله هذه بايه السيف وامره بقتال من خالف الله ورسوله
تعالى ويقولون اي امرنا طاعه ويجوز طاعه بالنصب اي يطيع طاعة وهي
قراه نصر بن عاصم والحسن والجحدري وهذه في المنافقين في قول اكثر المفسرين
اي يقولون اذا كانوا عندك امرنا طاعة او نطيع طاعة وليس
قولهم هذا بنافع لان من لم يعتقد الطاعه ليس يطيع حقيقه لان
الله تعالى لم يحقق طاعتهم بما اظهروه فلو كانت الطاعه بلا اعتقاد
حقيقه لحكم بها لهم فثبت ان الطاعه بالاعتقاد مع وجودها فاذا بر
اي خرجوا من عندك بيت طايفه منهم غير الذي يقول لان الطاعه لا تعالى يعني

رحال

رجال وادغم الكوفيون التا في الطا لانهما من مخرج واحد واستقبح
ذلك الكسايي في الفعل وهو عند البصريين غير فصيح ومعنى بيّت
دوّره وقيل غيّر وبدل وحرّف اي بدّلوا قول النبي صلى الله عليه
وسلم فيما عهد اليهم وامرهم به والتبييت التبديل ومنه
قول الشاعر اتوني فلم ارض ما بيّتوا وكانوا اتوني بامر نكر
اخر لانكح ايمهم منذرا وهل ينكح العبد حر لعبد بيّت قول
عبد الملك قاتله الله عبد عبد لعبد وبيّت الرجل الامر اذا
دبره ليلا قال الله تعالى اذ يبيتون ما لا يرضى من القول والعرب
تقول امر بيّت بليل اذا احكم وانما خص الليل بذلك لانه وقت
يتفرغ فيه قال الشاعر اجمعوا امرهم بليل فلما اصبحوا اصبحت لهم ضوضا ومن هذا بيت الصايم والبيوت الما
بيت ليلا والبيوت الامر يبيت عليه صاحبه مهتما به قال
الهذلي واحعل ففرتها عده اذا خفت سوت امر عضال
والبيت والبات ان ياتي العدو ليلا ويفعل لبرا اذا فعله ليلا كما
يقال ظل بالنهار وبيت الشي قدم فان قيل ما وجه الحكم في ابتدايه
بذكر جملتهم ثم قال بيّت طايفة منهم قيل انما عبر عن حال من
علم انه بقي على كفره ونفاقه وصفح عن من علم انه سيرجع عن ذلك وقيل
انما عبر عن حال من شهد وحاز في امره واما من سمع وسكت فلم يذكره
والله اعلم والله يكتب ما يبيتون اي يثبته في صحايف اعمالهم ليجازيهم عليه
وقال الزجاج المعنى ينزله عليك في الكتاب وفي هذه الاية دليل على ان
مجرد القول لا يفيد شيا لما ذكرنا فانهم قالوا طاعه ولفظوا بها ولم

يخفوا الله طاعتهم ولا حكم لهم بصحتها لانهم لم يعتقدوها فثبت انه لا
يكون المطيع مطيعا الا باعتقاده مع وجودها تعالى فاعرض
عنهم اي لا تخبر باسمايهم عن الصحابة بمعنى المنافقين وقيل لا تعاقبهم
ثم امره بالتوكل عليه والثقة به في النصر على عدوه ويقال ان هذا
منسوخ بقوله يا ايها النبي جاهد الكفار ثم عاب المنافقين بالاعراض
عن التدبر في القران والتفكر فيه وفي معانيه تدبرت الشي فكرت
في عاقبته وفي الحديث لا تدابروا اي لا يولي بعضكم بعضا
دبره وادبر القوم مضى امرهم الى اخره والتدبير ان يدبر الانسان
امره كانه ينظر الى ما يصير اليه عاقبته ودلت هذه الايه تعالى
افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها على وجوب التدبر للقران
ليعرف معناه وكان في هذا رد على فساد قول من قال لا يوخذ من تفسيره
الا ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ومنع ان يتناول على ما يسوغه لسان
العرب وفيه دليل على الامر بالنظر والاستدلال وابطال التقليد
وفيه دليل على اثبات القياس تعالى ولو كان من عند غير
الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اي تفاوتا وتناقضا عن ابن عباس وقتاده
وابن زيد ولا يدخل في هذا اختلاف الفاظ القرات والفاظ الامثال
والدلالات ومقادير السور والايات وانما اراد اختلاف التناقض
والتفاوت وقيل المعنى لو كان ما يخبر وبه من عند غير الله لاختلف
فيه وقيل انه ليس من متكلم يتكلم كثيرا الا وجد في كلامه اختلاف كثير
في الوصف واللفظ واما في جودة المعنى واما في التناقض واما في الكذب
فانزل الله عز وجل القران وامرهم بتدبيره لانهم لا يجدون فيه اختلافا

في وصف

في وصف ولا ورد اله في معنى ولا تناقضا ولا لذ بانيما يخبرون به من
العيوب وما يسرون   تعالى واذا جاهم امر من الامن او اذا
معنى الشرط ولا تجازى بها وان زيدت عليها ما وهي قليلة الاستعمال
قال سيبويه والجيد ما قال كعب بن زهير   واذا ما تشاء تبعث منها
مغرب الشمس ناشطا مذعورا يعني ان الجيد لا تجزم باذا ما كما لم يجزم في
هذا البيت وقد تقدم في اول البقرة والمعنى انهم اذا سمعوا شيا من
الامور فيه امن نحو ظفر المسلمين وقتل عدوهم او الخوف وهو ضد هذا
اذاعوا به اي افشوه واظهروه وتحدثوا به قبل ان يقفوا على حقيقته
فقيل هذا كان من ضعف المسلمين عن الحسن لانهم كانوا يفشون امر النبي
صلى الله عليه وسلم ويظنون انهم لا شي عليهم في ذلك   وقال الضحاك
وابن زيد في المنافقين فنهوا عن ذلك لما يلحقهم من الكذب في الارجاف
تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم اي
لم يحدثوا به ولم يفشوه حتى يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي
يحدث به ويفشيه او الى اولي الامر وهم اهل العلم والفقه عن
الحسن وقتاده وغيرهما السدي وابن زيد الولاه وقيل امراء السرايا
لعلمه الذين يستنبطونه منهم اي يستخرجونه اي يعلموا ما ينبغي ان
يفشى منه وما ينبغي ان يكتم   والاستنباط ماخوذ من استنبط الما
اذا استخرجه   والنبط الما المستنبط اول ما يخرج من ما البير اول ما
يحفر   وسمي النبط نبطا لانهم يستخرجون ما في الارض   والاستنباط
في اللغة الاستخراج وهو يدل على الاجتهاد اذا عدم النص والاجماع
كما تقدم   تعالى ولولا فضل الله عليكم رفع بالابتدا عند سيبويه

ولا يجوز ان يظهر الخبر عنه والكوفيون يقولون نعم بل ولا لاتبعتم
الشيطان الا قليلا في هذه الايه ثلاثه اقوال قال ابن عباس وغيره
المعنى اذاعوا به الا قليلا منهم لم يذع ولم يفش قاله جماعه من النحويين
الكسائي والاخفش وابو عبيد وابو حاتم والطبري وقيل المعنى
لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا منهم عن الحسن وغيره واختار
الزجاج قال لان هذا الاستنباط الا لاكثر تعرفه لانه استعلام
خبر واختار الاول الفرا قال لان علم السرايا اذا ظهر علمه المستنبط
وغيره والاذاعه تكون في بعض دون بعض قال الكلبي عنه فلذلك
استحسنت الاستثنا من الاذاعه قال النحاس فهذان قولان على المجاز
يريد ان في الكلام تقديما وتاخيرا وقول ثالث بغير مجاز يكون المعنى
ولولا فضل الله عليكم ورحمته بان بعث فيكم رسولا اقام فيكم الحجه
لكفرتم واشركتم الا قليلا منكم فانه كان يوحد وفيه قول رابع قال
الضحاك المعنى لاتبعتم الشيطان الا قليلا ان اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم حدثوا انفسهم بامر من الشيطان الا قليلا يعني الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى وعلى هذا القول يكون قوله الا قليلا مستثنى من قوله لاتبعتم
الشيطان قال المهدي وانكر هذا القول اكثر العلما اذ لولا فضل الله ورحمته
لاتبع الناس كلهم الشيطان فقاتل في سبيل الله هذه الفا متعلقه
بقوله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف يوتيه اجرا عظيما
فقاتل في سبيل الله اي من اجل هذا فقاتل وقيل هي متعلقه بقوله وما لكم
لاتقاتلون في سبيل الله فقاتل كان المعنى لا تدع جهاد العدو والاستنصار
للمستضعفين من المومنين ولو وحدك لانه وعده بالنصر قال الزجاج

امر الله

امر الله رسوله بالجهاد وان يقاتل وحده لانه قد كتب له النصره قال
بن عطيه هذا ظاهر اللفظ الا انه لم يجي في خبر قط ان القتال فرض
عليه دون الامة مرة ما فالمعنى والله اعلم انه خطاب له في اللفظ وهو
مثال ما يقال لكل احد في خاصه نفسه اي انت يا محمد وكل واحد من
امتك القول له فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك ولهذا ينبغي
لكل مومن ان يجاهد ولو وحده ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم
والله لاقاتلنهم حتى تنفرد سالفتي وقول بن ابي بكر وقت الرده ولو خالفتني
يميني لجاهدتها بشمالي وقيل ان هذه الايه نزلت في موسم بدر
الصغري فان ابا سفين لما انصرف من احد واعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم موسم بدر الصغرى فلما جا الميعاد خرج اليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا فلم يحضر ابو سفين ولم يبق قتال
وهذا على ما قاله مجاهد كما تقدم في ال عمران ووجه النظم على
هذا والاتصال بما قبل انه وصف المنافقين بالتخليط وايقاع الاراجيف
ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم بالاعراض عنهم والجد في القتال في سبيل
الله وان لم يساعده احد على ذلك تعالى لا تكلف الا نفسك
مرفوع لا مستقبل ولم يجزم لانه عله للاول وزعم الاخفش انه يجوز
جزمه الا نفسك خبر ما لم يسم فاعله والمعنى لا يلزم فعل غيرك ولا تواخذ
به تعالى وحرض المومنين فيه ثلاث مسايل قوله تعالى
وحرض المومنين حضهم على القتال والجهاد يقال حرضت فلانا على كذا اذا
امرت به وحارض فلان على الامر واكب وواظب بمعنى واحد
قوله تعالى عسى الله ان يكف باس الذين كفروا اطماع والاطماع من الله عز

وجل واجب على ان الطمع قد جاء في كلام العرب على الوجوب ومنه قوله
تعالى والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقال ابن مقبل ظني
بهم كعسى وهم بتنوفة يتنازعون جوائز الامثال تعالى والله اشد
باسا اي صولة واعظم سلطانا واقدر باسا على ما يريده واشد تنكيلا
اي عقوبة عن الحسن وغيره قال ابن دريد رماه الله بنكله اي
رماه بما ينكله قال ونكلت بالرجل تنكيلا من النكال والمنكل الشي الذي
ينكل بالانسان قال وارم على اقفائهم بمنكل اذا قال قايل
نحن ترى الجهاد في باس وشده وقلتم ان عسى بمعنى اليقين فاين ذلك الوعد
قيل له قد وجد هذا الوعد ولا يلزم وجوده على الاستمرار والدوام
فمتى وجد ولو لحظة مثلا فقد صدق الوعد فكف الله باس المشركين
ببدر الصغرى واخلفوا ما كانوا عاهدوه من الحرب والقتال وكفى الله
المومنين القتال وبالحديبيه ايضا عما راموه من الغدر وانتهاز الفرصه
ففطن بهم المسلمون فخرجوا فاخذوهم اسرى وكان ذلك والسفرا يمشون
بينهم في الصلح وهو المراد بقوله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم على ما
ياتي وقد القى الله في قلوب الاحزاب الرعب وانصرفوا من غير قتل
ولا قتال كما قال وكفى الله المومنين القتال وخرج اليهود من ديارهم
واموالهم بغير قتال المومنين لهم فهذا كله باس قد كفه الله عن المومنين
مع انه قد دخل من اليهود والنصارى العدد الكثير والجم الغفير تحت
الجزية صاغرين وتركوا المحاربه داخرين فكف الله باسهم عن المومنين
والحمد لله رب العالمين تعالى من يشفع شفاعة حسنه يكن له نصيب منها
فيه ثلاث مسايل قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنه اصل
الشفاعة

الشفاعه والشفعه ونحوها من الشفع وهو الزوج في العدد ومنه
الشفيع لانه يصير مع صاحب الحاجه شفعا ومنه ناقه شفوع اذا
جمعت بين محلبين في حلبه واحده وناقه شفيع اذا اجتمع لها حمل وولد
يتبعها والتشفيع ضم واحد الى واحد والشفعه ضم ملك الشريكين
الى ملك والشفاعه اذا ضم غيرك الى جاهك ووسيلتك فهي على
التحقيق اظهار لمنزله الشفيع عند المشفع وايضا منفعه الى المشفوع له
واختلف المتاولون في هذه الايه فقال مجاهد والحسن
وبن زيد وغيرهم هي في شفاعات الناس بينهم في حوايجهم فمن يشفع
لينفع فله نصيب ومن يشفع ليضر فله كفل وقيل الشفاعه الحسنه
هي في البر والطاعه والسيه في المعاصي فمن شفع شفاعه حسنه ليصلح
بين اثنين استوجب الاجر ومن سعى بالغيبه والنميمه اثم وهذا قريب
من معنى الاول وقيل يعني بالشفاعة الحسنه الدعا للمومنين
والسيه الدعا عليهم وفي صحيح الخبر من دعا بظهر الغيب استجيب
له وقال الملك امين ولك مثله فهذا هو النصيب وكذلك في
الشر بل يرجع شوم دعايه عليه وكانت اليهود تدعوا على المسلمين
وقيل المعنى من يكن شفعا لصاحبه في الجهاد يكن له نصيب من الاجر
ومن شفعا لاجر في باطل نصيبه من الوزر وعن الحسن ايضا الحسنه
ما يجوز في الدين والسيه ما لا يجوز فيه وكان هذا القول جامع والكفل
الوزر والاثم عن الحسن وقتاده والسدي وبن زيد هو النصيب
واشتقاقه من الكسا الذي يحويه راكب البعير على سنامه ليلا يسقط
يقال اكتفلت البعير اي ادرت على سنامه كسا وركبت عليه ويقال

له النفل لانه لم يستعمل الظهر كله بل استعمل نصيبا من الظهر ويستعمل
في النصيب من الخير والشر وفي كتاب الله يوتكم كفلين من رحمته والشافع
يوجر فيما يجوز وان لم يشفع لانه قال تعالى من يشفع ولم يقل يشفع ه
وفي صحيح مسلم اشفعوا توجروا وليقض الله على لسان نبيه صلى الله عليه
وسلم ما احب   قوله تعالى وكان الله على كل شي مقيتا مقيتا معناه
مقتدرا ومنه قول الزبير بن عبد المطلب   وذي ضغن كففت النفس
عنه وكنت على اساته مقيتا اي قديرا فالمعنى ان الله تعالى يعطي كل انسان
قوته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقيت على
من رواه هكذا اي من هو تحت قدرته وفي قبضته من عيال وغيره ذكره
بن عطيه يقول منه قته اقوته قوتا واقته اقيته اقاته فانا قايت ومقيت
وحكي الكسايي اقات يقيت واما قول الشاعر   اني على الحساب مقيت
فقال فيه الطبري انه من غير هذا المعنى المتقدم وانه بمعنى الموقوف
وقال ابو عبيده المقيت الحافظ   وقال الكسايي المقتدر   قال
النحاس وقول ابي عبيده اولى لانه مشتق من القوت والقوت معناه
مقدار ما يحفظ الانسان   وقال الفرا المقيت الذي يعطي كل رجل
قوته   وجا في الحديث كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت ويقيت ذكره
الثعلبي   وحكى بن فارس في المجمل المقيت المقتدر والمقيت الحافظ ه
والشاهد وما عنده قيت ليله وقوت ليله   تعالى واذا حييتم
بتحيه فحيوا باحسن منها او ردوها فيه اثنا عشره مسله
قوله تعالى واذا حييتم التحيه تفعله من حييت فالاصل تحيه مثل ترضيه
وتسميه فادغموا الياي في اليا   والتحيه السلام   واصل التحيه الدعا

قوله الاولى

بالحياة والتحيات لله اي السلام من الافات وقيل الملك قال عبدالله
بن صالح العجلي سالت الكسائي عن قوله التحيات لله ما معناها فقال
التحيات مثل البركات قلت ما معنى البركات قال ما سمعت فيها
شيئا وسالت عنها محمد بن الحسن فقال هي شي تعبد الله به عباده فقدمت
الكوفه فلقيت عبدالله بن ادريس فقلت اني سالت الكسائي ومحمدا عن
قوله التحيات فاجابا بما ذكرنا فقال عبدالله بن ادريس انه لا علم لهما
بالشعر وبهذه الاشيا التحيه الملك وانشد ام بها ابا قا
حتى اناخ على تحيته بجندي وانشده بن خوارمنداد اسيره الى
النعمان حتى اناخ على تحيته بجندي يريد على ملكه وقال اخر ولكل ما
نال الفتى قد نلته الا التحيه وقال القتبي انما قال التحيات
لله على الجمع لانه كان في الارض ملوك بتحيات مختلفات فيقال
لبعضهم ابيت اللعن ولبعضهم اسلم وانعم ولبعضهم عش الف سنه
فقيل لنا قولوا التحيات لله اي الالفاظ التي تدل على الملك ويكنى
بها عند الله تعالى ووجه النظم بما قبل انه قال اذا خرجتم الى الجهاد
كما سبق به الامر فحييتم في سفركم بتحيه الاسلام فلا تقولوا لمن القى
اليكم السلام لست مومنا بل ردوا جواب السلام فان احكام الاسلا
تجرى عليهم واختلف العلما في معنى الايه وتاويلها فروى
بن وهب وبن القاسم عن مالك ان هذه الايه في تشميت العاطس والرد
على المشمت وهذا ضعيف اذ ليس في الكلام دلاله على ذلك اما ان
الرد على المشمت مما يدخل بالقياس في معنى رد التحيه وهذا هو منحى
كلام مالك ان صح ذلك عنه والله اعلم وقال بن خوازمنداد يجوز

ان يحمل هذه الايه على الهبه اذا كانت للثواب لمن وهب له هبه على
الثواب فهو بالخيار ان شا ردها وان شا قبلها واثاب عليها قيمتها قال
الشيخ المولف رحمه الله قال اصحاب ابى حنيفه التحيه هنا الهبه لقوله
او ردوها ولا يمكن رد السلام بعينه وظاهر الكلام يقتضى رد التحيه
بعينها وهي الهديه فامر بالتعويض ان قبل او الرد بعينه وهذا لا يمكن
في السلام وسياتى بيان حكم الهديه الثواب والهديه في سورة الروم
عند قوله وما اتيتم من ربا ان شا الله والصحيح ان التحيه هاهنا السلام
لقوله تعالى واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله وقال النابغه
الذبيانى تحيتهم بيض الولايد بينهم واكسية الاضريج فوق المشاجب
اي يسلم عليهم وعلى هذا جماعه المفسرين واذا ثبت هذا وتقرر ففقه
الايه ان يقال اجمع العلما على ان الابتدا بالسلام سنه مرغب فيها
ورده فريضه لقوله تعالى فحيوا باحسن منها او ردوها واختلفوا اذا
رد واحد من الجماعة هل يجزي ام لا فذهب ملك والشافعي الى الاجزا
وان المسلم قد رد عليه مثل قوله وذهب الكوفيون الى ان رد السلام
من الفروض المتعينه قالوا والسلام خلاف الرد لان الابتدا به
تطوع ورده فريضه ولو رد غير المسلم عليهم لم يسقط ذلك عنهم
فرض الرد فدل على ان رد السلام يلزم كل انسان بعينه حتى قال قتاده والحسن ان المصلي يرد السلام كلاما اذا سلم عليه ولا يقطع ذلك
عليه صلاته لانه فعل ما امر به والناس على خلافه احتج الاولون بما
رواه ابو داود عن علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يجزي من الجماعه اذا مروا ان يسلم احدهم ويجزي من الجلوس ان يرد احدهم
وهذا نص في موضع الخلاف قال ابو عمر وهو حديث حسن لا معارض

له وفي

له وفي اسناده سعيد بن خالد وهو سعيد بن خالد الخزاعي ليس به باس
عند بعضهم وقد ضعفه بعضهم منهم ابو زرعه وابو حاتم ويعقوب
بن شيبه وجعلوا حديثه هذا منكرا لانه انفرد فيه بهذا الاسناد على
ان عبد الله بن الفضل لم يسمع من عبيد الله بن ابي رافع بينهما الاعرج في
غير ما حديث والله اعلم واحتجوا ايضا بقوله صلى الله عليه وسلم يسلم
القليل على الكثير ولما اجمعوا ان الواحد يسلم على الجماعه ولا يحتاج الى
تكرير على عداد الجماعه لذلك يرد الواحد على الجماعة وينوب عن الباقين
كفروض الكفايه ورَوى مالك عن زيد بن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يسلم الراكب على الماشي واذا سلم واحد من القوم اجزا عنهم
قال علماونا وهذا يدل على ان الواحد يكفي في الرد لانه لا يقال اجزا
عنهم الا فيما قد وجب والله اعلم قال الشيخ المولف رحمه الله هكذا
تاول علماونا هذا الحديث وجعلوه حجه في جواز رد الواحد وفيه قلق
قوله تعالى فحيوا باحسن منها او ردوها رد الاحسن
ان تزيد فتقول عليك السلام ورحمه الله ان قال سلام عليك فان قال
سلام عليك ورحمة الله زدت في ردك وبركاته وهذا هو هو النهايه
فلا مزيد قال الله تعالى مخبرا عن البيت الكريم رحمة الله وبركاته على ما
ياتي هناك ان شا الله فان انتهى بالسلام غايته زدت في ردك الواو في اول
كلامك فقلت وعليك السلام ورحمه الله وبركاته والرد بالمثل ان
تقول لمن قال السلام عليك عليك السلام الا انه ينبغي ان يكون السلام
كله بلفظ الجماعه وان كان المسلم عليه واحدا روى الاعمش عن ابراهيم
التيمي قال اذا سلمت على الواحد فقل السلام عليكم فان معه الملايكه وكذلك

للجواب يكون بلفظ الجمع قال بن ابي زيد يقول المسلم السلام عليكم ويقول
الراد وعليكم السلام ويقول السلام عليكم قيل له وهو معنى قوله او
ردوها ونقل في ذلك سلام عليك والاختيار في التسليم
والادب فيه تقديم اسم الله تعالى على اسم المخلوق قال الله تعالى سلام
على ال ياسين وقال في قصة ابراهيم رحمة الله وبركاته عليكم اهل
وقال مخبرا عن ابراهيم سلام عليك وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله ادم على
صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال اذهب فسلم على اوليك النفر
وهم نفر من الملايكة جلوس فاستمع ما يجيبونك فانها تحيتك وتحية
ذريتك قال فذهب فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة
الله فزادوه ورحمة الله قال وكل من يدخل الجنة على صورة ادم طوله
ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الان قال الشيخ المولف
رحمه الله فقد جمع هذا الحديث مع صحته فوايد سبع الاولى الاخبار
عن صفة خلق ادم الثانية انا ندخل الجنة عليها بفضله الثالثة تسليم
القليل على الكثير الرابعة تقديم اسم الله الخامسة الرد بالمثل
لقولهم السلام عليك السادسة الزيادة في الرد السابعة اجابة
الجميع بالرد كما تقوله اللغويون واعلم فان رد تقدم اسم الله
المسلم عليه لم يات تحريما ولا مكروها لثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث
قال للرجل الذي لم يحسن الصلاة وقد سلم عليه وعليك السلام ارجع فصل فانك
لم تصل وقالت عايشة وعليه السلام ورحمة الله حين اخبرها النبي صلى الله
عليه وسلم يقرا عليها السلام اخرجه البخاري ولم يجد شيء عايشة من الفقه

ان الرجل

ان الرجل اذا ارسل الى رجل بسلامه فعليه ان يرد عليه اذا شافهه وجا
رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابي يقريك السلام فقال عليك
وعلى ابيك السلام وقد روى النساي وابو داود من حديث جابر
بن سليم قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت عليك السلام
يا رسول الله فقال لا تقل عليك السلام فان عليك السلام تحية الميت
ولكن قل السلام عليك وهذا الحديث لا يثبت الا انه لما جرت
عادة العرب بتقديم اسم المدعو عليه في الشر كقولهم لعنة الله وغضب
عليه قال الله تعالى وان عليك لعنتي الى يوم الدين وجاز ذلك ايضا دا
الشعرا وعادتهم في تحية الموتى كقولهم عليك سلام الله قيس بن عاصم
ورحمته ما شا ان يرحما وقال اخر هو الشماخ عليك سلام
من امير وباركت يد الله في ذاك الاديم الممزق نهاه عن ذلك لا ان
ذاك هو اللفظ المشروع في حق الموتى لانه صلى الله عليه وسلم ثبت عنه
انه سلم على الموتى كما سلم على الاحيا فقال السلام عليكم دار قوم مومنين
وانا ان شا الله بكم لاحقون وقالت عايشه قلت يا رسول الله كيف
اقول اذا دخلت المقابر قال قولي السلام عليكم اهل الديار من
المومنين الحديث وسياتي في سورة الهاكم ان شا الله قال
الشيخ المولف رحمه الله وقد يحتمل ان يكون حديث عايشه وغيره في
السلام على اهل القبور جميعهم اذا دخلها واشرف عليها وحديث
جابر بن سليم خاص في السلام على المزور المقصود بالزيارة والله اعلم
من السنه تسليم الراكب على الماشي والقايم على القاعد والقليل
على الكثير هذا جا في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول

صلى الله عليه وسلم يسلم الراكب فذلك فيه بالراكب لعلو مرتبته ولان
ذلك ابعد له من الزهو ولذلك قيل في الماشي مثله وقيل لما كان القائم
على حال وقار وثبوت وسكون فله مزية بذلك على الماشي لان حاله على
العكس من ذلك واما تسليم القليل على الكثير فمراعاة لشرفه جميع المسلمين
والكثير منهم وقد زاد البخاري في هذا الحديث ويسلم الصغير على الكبير
فاما تسليم الكبير على الصغير فروى الاشعث عن الحسن انه كان لا يرى
التسليم على الصبيان قال لان الرد فرض والصبي لا يلزمه الرد فلا ينبغي
ان يسلم عليهم   وروي عن ابن سيرين انه كان يسلم على الصبيان ولكن لا يسمعهم
قال واكثر العلما التسليم عليهم افضل من تركه وقد جا في الصحيحين عن سيار
قال كنت امشي مع ثابت فمر بصبيان فسلم عليهم وحدث انه كان يمشي
مع انس فمر بصبيان فسلم عليهم وحدث انه كان يمشي مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمر بصبيان فسلم عليهم لفظ مسلم وهذا من خلقه العظيم صلى الله عليه
وسلم وفيه تدريب الصغير وحض على تعليم السنن ورياضة لهم على
اداب الشريعة فيه فليقتدى   واما التسليم على النسا فجائز الا
على الشابات منهن خوف الفتنة من مكالمتهن بنزغة شيطان او خاينة عين
واما المتجالات والعجز فحسن للامن مما ذكرناه هذا قول عطا وقتادة واليه
ذهب مالك وطايفة من العلما ومنعه الكوفيون اذا لم يكن منه ذوات
محرم وقال لما سقط عن النسا الاذان والاقامة والجهر بالقراة سقط عنهن
رد السلام فلا يسلم عليهن والصحيح الاول لما خرجه البخاري عن سهل بن سعد
قال كنا نفرح بيوم الجمعة قلت ولم قال كانت لنا عجوز ترسل الى بضاعة
قال ابن مسلمة نخل بالمدينة فتاخذ من اصول السلق فتطرحه في القدر وتكركر

حبات

حباب من شعير فاذا صلينا الجمعه انصرفنا فنسلم عليها فتقدمه الينا فنفرح من اجله وما كنا نقيل ولا نتغدا الا بعد الجمعه تمر كراي يتطحن باله القبني

والسنه في السلام والجواب الجهر ولا تكفي الاشارة بالا والكف عند الشافعي وعندنا تكفي اذا كان على بعد روي بن وهب عن بن مسعود قال السلام اسم من اسما الله عز وجل وضعه الله في الارض فافشوه بينكم وان الرجل اذا سلم على القوم فرد عليه كان له عليهم فضل درجه لانه ذكرهم فان لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم والطيب روي الاعمش عن عمرو بن مره عن عبد الله بن الحرث قال اذا سلم الرجل على القوم كان له فضل درجه فان لم يردوا عليه ردت عليه الملايكه ولعنتهم فاذا رد المسلم اسمع جوابه لانه اذا لم يسمع المسلم لم يرجوا باله الا ترى ان المسلم اذا سلم سالم يجز ذلك منه سلاما فلذلك اذا اجاب بجواب لم يسمع منه فليس بجواب وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سلمتم فاسمعوا فاذا رددتم فاسمعوا واذا قعدتم فاقعدوا بالامانه ولا يرفعن بعضكم حديث بعض قال بن وهب اخبرني اسامه بن زيد عن نافع قال كنت اسا رجلا من فقها السلام يقال له عبد الله بن زكريا الخبستني ذا ابتي بعود ثم ادركته ولو اسلم فقال الا تسلم فقلت انما كنت معك انفا فقال ان لقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسا فيفرق بينهم فاذا التقوا سلم بعضهم على بعض واما الحا

لحكم الرد عليه ان يقال له وعليك قال بن عباس وغيره المراد بالا اذا حييتم بتحيه فان كانت من مومن فحيوا باحسن منها وان كانت من كافر

صبح

يو

برون

فر

يه

ل
فرد واعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال لهم وعليكم وقال
عطا الايه في المومنين خاصه ومن سلم من غيرهم قيل له عليك كما جا
في الحديث قال الشيخ المولف رحمه الله قد جا اثبات الواو واسقا
طها وفي صحيح مسلم عليك بغير واو وهي الروايه الواضحه المعنى
واما مع اثبات الواو ففيها اشكال لان الواو العاطفه تقتضي التشريك
فيلزم منه ان ندخل معهم فيما دعوا به علينا من الموت او من سامه
ديننا فاختلف العلما ولو ذلك على اقوال اولاها ان يقال ان الواو
على بابها من العطف غير انا نجاب عليهم ولا يجابون علينا كما قاله صلى
الله عليه وسلم وقيل هي زايده وقيل للاستيناف والاول اولى ورواية
حذف الواو احسن معنى واثباتها اصح روايه واشهر وعليها من العلما
الاكثر واختلف في رد السلام على اهل الذمه هل هو
واجب كالرد على المسلمين واليه ذهب ابن عباس والشعبي وقتاده تمسكا
بعموم الايه وبالامر بالرد عليهم في صحيح السنه وذهب مالك فيما
روى عنه اشهب وابن وهب الى ان ذلك ليس بواجب فان رددت
فقل عليك واختار ابن طاوس ان يقول في الرد عليهم علاك السلام
اي ارتفع عنك واختار بعض علماينا السلام بكسر السين يعني به الحجارة
وقول مالك وغيره في ذلك كاف شاف كما جا في الحديث وسياتي
في سوره مريم القول في القول بتلقيهم بالسلام عند قوله تعالى اخبارا
عن ابراهيم في قوله لابيه سلام عليك وفي صحيح مسلم عن ابي هريره
عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تدخلون الجنه حتى تومنوا ولا تومنوا حتى
تحابوا ولا ادلكم على شي اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم وهذا

يقتضي

يقتضي افشا وه بين المسلمين دون المشركين والله اعلم
ولا يسلم على المصلي فان سلم عليه فهو بالخيار ان شا رد بالاشارة باصبعه
وان شا امسك حتى يفرغ من الصلاة ثم يرد ولا ولا ينبغي ان يسلم على من
يقضي حاجته فان فعله لم يلزمه ان يرد عليه دخل رجل على النبي صلى الله عليه
وسلم في مثل هذه الحال فقال له اذا وجدتني او رايتني على هذه الحالة فلا
تسلم علي فانك ان سلمت لم ارد عليك ولا يسلم على من يقرا القران فتنقطع
عليه قراته وهو بالخيار ان شا رد وان شا امسك حتى يفرغ يرد ولا
يسلم على من دخل الحمام وهو كاشف العورة او مكان مشغولا بما له دخل
الحمام ومن بخلاف ذلك سلم عليه قوله تعالى ان الله كان
على كل شي حسيبا معناه حفيظا وقيل كافيا من قولهم احسبني كذا اي كفاني
ومثله حسبك الله وقال قتادة محاسبا كما يقال اكيل بمعنى مواكل
وقيل هو فعيل من الحساب وحسنت هذه الصفة هنا لان معنى الاية
في ان يزيد الاحسان او بنقصان يوفي ما جي به روي النساي عن عمران
بن حصين قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجا رجل فسلم فقال السلام
عليكم فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام فقال عشر ثم
جلس ثم جا اخر فسلم فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال عشرون ثم جلس وجا اخر وقال السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ثلاثون
وقد جا هذا الخبر مفسرا وهو من قال لاخيه المسلم سلام عليكم كتب
له عشر حسنات فان قال السلام عليكم ورحمة الله كتب له عشرون
حسنة فان قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب له ثلاثون

حسنه ولد له لمزيد الاجر تعالى الله لا اله الا هو اسد واجبره

واللام في قوله ليجمعنكم لام القسم نزلت في الذين شكوا في البعث فاقسم الله

تعالى بنفسه وكل لام بعدها نون مشدده فهي لام القسم ومعناه في الموتا

وتحت الارض الى يوم القيامه وقال بعضهم الى صله في الكلام معنا ٥

ليجمعنكم يوم القيامه وسميت القيامه قيامه لان الناس يقومون

فيه لرب العالمين جل وعز قال الله تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا

واصل القيمه الواو ومن اصدق من الله حديثا نصب على البيان والمعنى لا

احد اصدق منه وقرا حمزه والكسائي ومن ازدق بالزاي الباقون بالصاد

واصله الصاد الا ان يقرب مخرجها جعل مكانها زاي تعالى فما لكم

في المنافقين فيتين اي فرقتين مختلفتين روى مسلم عن زيد بن ثابت ان

النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى احد فرجع ناس ممن كان معه فكان

اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين فقال بعضهم نقتلهم

وقال بعضهم لا فنزلت فما لكم في المنافقين فيتين واخرجه الترمذي

فزاد وقال انها طيبة وقال انها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الحديد قال

حديث حسن صحيح وقال البخاري انما طيبه تنفي الخبث النار الفضه

والمعنى بالمنافقين هنا عبد الله بن ابي واصحابه الذين خذلوا رسول الله صلى

الله عليه وسلم يوم احد ورجعوا بعسكرهم بعد ان خرجوا كما تقدم ٥

قال الضحاك في العمران وقال ابن عباس هو قوم بمكه امنوا وتركوا الهجره

قال الضحاك وقالوا ان ظهر محمد فقد عرفنا وان ظهر قومنا فهو احب الينا

فصار المسلمون فيهم فيتين قوم يتولونهم وقوم يتبرون منهم فقال

الله عز وجل فما لكم في المنافقين فيتين وذكر ابو سلمه بن عبد الرحمن عن

ابيه انما نزلت في قوم جاوا الى المدينه واظهروا الاسلام فاصابهم وبا
في المدينه وحماها فاركسوا فخرجوا من المدينه فاستقبلهم نفر من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما لكم رجعتم فقالوا اصابنا وبا
بالمدينه فاجتوانا ها فقالوا اما لكم في رسول الله اسوه فقال بعضهم
نافقوا وقال بعضهم لم ينافقوا هم مسلمون فانزل الله تعالى فما لكم في
المنافقين فيتين والله اركسهم بما كسبوا الايه حتى جاوا المدينه يزعمون
انهم مهاجرون ثم ارتدوا بعد ذلك واستاذنوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى مكه لياتوا ببضايع لهم يتجرون فيها فاختلف فيهم المومنون فقايل
يقول هم منافقون وقايل يقول هم مومنون فبين الله تعالى نفاقهم
وانزل هذه الايه وامر بقتلهم قال الشيخ المولف رحمه الله وهذ ان
القولان يعضدهما سياق اخر الايه من قوله حتى يهاجروا والاول اصح
نقلا وهو اختيار البخاري ومسلم والترمذي وفيتين نصب على الحال
كما يقال ما لك قايما عن الاخفش وقال الكوفيون هو خبر ما لكم
كخبر كان وظننت واجازوا ادخال الالف واللام فيه وحكى
اركسهم وركسهم اي ردهم الى الكفر ونكسهم وقال النضر
بن شميل والكساي والركس والنكس قلب الشي على راسه او رد اوله
على اخره والمنكوس المركوس وفي قراه عبد الله وابي رضي الله عنهما
والله ركسهم وقال بن رواحه اركسوا في فتنه مظلمه
كسواد الليل يتلوها فتن اي نكسوا وارتكسوا فلان في امر
كان نجا منه والركوسيه قوم بين النصارى والصابيين والراكس
الثور وسط البيدر والثيران حواليه حين الدياس اتريدون

ان يهدوا من اضل الله اي ترشدوه الى الثواب بان يحكم لهم بحكم المومنين
فلن تجد له سبيلا اي طريقا الى الهدى والرشد وطلب الحجه في هدا رد
على القدريه وغيرهم القايلين بخلق هداهم وقد تقدم تعالى ودوا
لو تكفرون كما كفروا فتكونون سوا الى قوله سبيلا فيه خمس مسايل
قوله تعالى ودوا لو تكفرون اي تمنوا ان تكونوا لهم في الكفر والنفاق شرع
سوا فامر الله تعالى بالبراه منهم تعالى فلا تتخدوا منهم اوليا حتى يهاجروا
والهجره انواع منها الهجره الى المدينه لنصره النبي صلى الله عليه وسلم وكانت
هذه واجبه اول الاسلام حتى قال لا هجره بعد الفتح وكذلك هجره المنافقين
مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوات وهجره من اسلم في دار الحرب فانها
واجبه وهجره المسلم ما حرم عليه كما قال صلى الله عليه وسلم والمهاجر
من هجر ما حرم الله عليه وهاتان الهجرتان ثابتتان الان وهجره اهل المعاصي
حتى يرجعوا تاديبا لهم فلا يكلمون ولا يخالطون حتى يتوبوا كما فعل النبي
صلى الله عليه وسلم مع كعب وصاحبيه فان تولوا فخذوهم واقتلوهم
يقول ان اعرضوا عن التوحيد والهجره فاسروهم واقتلوهم حيث
وجدتموهم عام في الاماكن من حل وحرم والله اعلم ثم استثنى وهي
الذين يصلون اي يتصلون بهم ويدخلون فيما بينهم بالجوار
والحلف المعنى فلا تقتلوا قوما بينهم وبين من بينكم وبينهم عهد فانهم
على عهدهم ثم انتسخت العهود فانتسخ هذا هذا قول مجاهد وابن زيد
وغيرهم وهو اصح ما قيل في معنى الايه وقال ابو عبيد يصلون
ينتسبون ومنه قول الاعشى اذا اتصلت قالت ابكر بن
وايل وبكر سبتها والانوف رواغم يريد اذا انتسبت قال

المهدوى

١٢٧

المهدوي وانكر العلما لان النسب لا يمنع من قتال الكفار وقتلهم وقال
النحاس وهذا غلط عظيم لانه يذهب الى ان الله حظر ان يقاتل
احد بينه وبين المسلمين نسب والمشركون قد كان بينهم وبين السابقين
الاولين انساب واشد من هذا الجهل فانه كان يزعم نسخ لان اهل
التاويل مجمعون ان الناسخ له براه وانما نزلت براه بعد الفتح وبعد
ان انقطعت الحروب وقال معناه الطبري قال الشيخ المولف
رحمه الله حمل بعض العلما معنى ينتسبون على الامان اي ان المنتسب
الى اهل الامان اذا امن كان مثلهم لا على معنى النسب الذي هو بمعنى
القرابه واختلف في هولا الذين كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه
وسلم ميثاق فقيل بنوا مدلج عن الحسن كان بينهم وبين قريش عقد وكان
بين قريش وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وقال عكرمه
نزلت في هلال بن عويمر وسراقه بن جعشم وخزيمه بن عامر بن عبد مناف
كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد وقيل خزاعة وقال
الضحاك عن ابن عباس انه اراد بالقوم الذين بينهم وبينهم ميثاق
بني بكر بن زيد بن مناه كانوا في الصلح والهدنه في هذه
الايه دليل على اثبات الموادعه بين اهل الحرب واهل الاسلام اذا كان
في الموادعه مصلحه للمسلمين على ما ياتي بيانه في الانفال وبراه ان شا الله ٥
قوله تعالى او جاوكم حصرت صدورهم اي ضاقت وقال
لبيد اسهلت وانتصبت كجذع منيفه جردا يحصر دونها جرامها اي
تضيق صدورهم من طول هذه النخله ومن الحصر في القول وهو ضيق
الكلام على المتكلم والحصر الكتوم للسر قال جرير ولقد تسقطني فصادفوا

بتقين
ن
ف

وقف

حصر السرك باسم صدرا ومعنى حصرت قد حصرت فاضمرت قد قاله قاله مكي
وهو حال من المضمر المرفوع في جاوكم كما تقول جا فلان ذهب عقله اي قد
ذهب عقله وقيل هو خبر بعد خبر قاله الزجاج اي جاوكم ثم اخبر
فقال حصرت صدورهم فعلى هذا يكون حصرت بدلا من جاوكم وقيل حصرت
في موضع خفض على النعت لقوم وفي حرف ابي الا الذين يصلون الى قوم بينكم
وبينهم ميثاق حصرت صدورهم ليس فيه اوجاوكم وقيل تقديره او
جاوكم رجالا او قوما حصرت صدورهم فهي صفة موصوف منصوبة على
الحال وقرا الحسن او حصرة صدورهم نصبا على الحال ويجوز رفعه
على الابتدا والخبر وحكي اوجاوكم حصرت صدورهم ويجوز الرفع وقال
محمد بن يزيد حصرت صدورهم هو دعا عليهم كما تقول لعن الله الكافر وقال
المبرد وضعفه بعض المفسرين وقال هذا يقتضي الا يقاتلوا قومهم وذلك
فاسد لانهم كفار وقومهم كفار واجيب بان معناه صحيح فيكون عدم
القتال في حق المسلمين تعجيزا لهم وفي حق قومهم تحقيرا لهم وقيل او
بمعنى الواو كانه يقول الى قوم بينكم وبينهم ميثاق وجاوكم ضيقة صدورهم
عن قتالكم والقتال معكم فكرهوا قتال الفريقين ويحتمل ان يكونوا معاهدين
على ذلك فهو نوع من العهد او قالوا نسلم ولا نقاتل فيحتمل ان يقبل ذلك
منهم في اول الاسلام حتى يفتح الله قلوبهم للتقوى ويشرحها للاسلام والا
ول اظهر والله اعلم وان يقاتلوكم في موضع نصب اي من ان يقاتلوكم
قوله تعالى ولو شا الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم تسليط الله تعالى المشركين
على المومنين هو بان يقدرهم على ذلك ويقويهم اما عقوبة ونقمة عند اداعة
المنكر وظهور المعاصي واما ابتلا واختبار كما قال ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين

منكم

منكم والصابرين ونبلوا اخباركم واما تمحيصا للذنوب كما قال وليمحص الله الذين
امنوا والله ان يفعل ما يشا ويسلط من يشا على من يشا اذا شا ووجه النظم
والاتصال بما قبل اي اقتلوا المنافقين الذين اختلفتم فيهم ان لم يهاجروا الا
ان يتصلوا بمن بينكم وبينه ميثاق فيدخلون فيما دخلوا فيه فلهم حكمهم
والا الذين جاوكم قد حصرت صدورهم عن ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم
فدخلوا فيكم فلا تقتلوهم تعالى ستجدون اخرين الاية معناها
معنا الاية الاولي قال قتاده نزلت في قوم من اهل تهامه طلبوا
الامان من النبي صلى الله عليه وسلم ليامنوا عنده وعند قومهم مجا
هد قوم من اهل مكه وقال السدي نزلت في نعيم بن مسعود كان
يا من المسلمين والمشركين وقال الحسن هذا في قوم من المنافقين
وقيل نزلت في اسد وغطفان قدموا المدينه فاسلموا ثم رجعوا الي
ديارهم فاظهروا الكفر تعالى كلما ردوا الي الفتنه قراءه
ابن وثاب والاعمش ردوا بكسر الرا لان الاصل رددوا فادغم وقلبت
الكسره على الرا الي الفتنه الي الكفر اركسوا فيها وقيل اي ستجدون
من يظهر لكم الصلح ليامنوكم واذا سنحت لهم فرصه كانوا مع اهلها
عليكم ومعنى اركسوا فيها اي انتكسوا عن عهدهم الذين عاهدوه
وقيل اي اذا دعوا الى الكفر لشرك رجعوا اليه تعالى وما
كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطا الى قوله حكيما فيه عشرون مسئله
قوله تعالى وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطا هذه
ايه من امهات الاحكام والمعنى ما ينبغي لمومن ان يقتل مومنا الا خطا فقوله
وما كان ليس على النفي لما وجد مومن قتل مومنا قط ما نفاه الله فلا يجوز

مهم

هد

اي م

وجوده لقوله تعالى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها فلا يقدر العباد ان
ان ينبتوا شجرها ابدا وقال قتادة المعنى ما كان له ذلك في عهد الله ه
وقيل ما كان له ذلك فيما سلف كما ليس له الان ذلك بوجه ثم استثنى
استثنا منقطعا من الاول وهو الذي يكون فيه الا بمعنى لكن والتقدير ما
ليس له
كان له ان يقتله البته لكن ان قتله خطا فعليه كذا هذا قول سيبويه
والزجاج رحمهما الله ومن الاستثنا المنقطع قوله تعالى ما لهم به من
علم الا اتباع الظن قال النابغه وقفت بها اصيلالا اسايلها
عيت جوابا وما بالربع من احد الا الاواري لايا ما ابينها والنوى
كالحوض بالمظلومه الجلد فلما لم يكن الاواري من جنس احد حقيقه
لم يدخل في لفظه ومثله قول الاخر امست سقام خلا لا انيس
به الا السباع ومر الريح بالغرف اخر وبلده ليس بها انيس الا اليعافير
والا العيس وقال اخر وبعض الرجال نخله لا جنا لها ولا ظل الا
ان يعد من النخل وانشد سيبويه ومثله كثير ومن ابدعه قول جرير
من البيض لم تظعن بعيدا ولم تطا على الارض الا ذيل برد مرحل كانه
قال لم تطا على الارض الا ان تطا ذيل البرد ونزلت الايه بسبب قتل
عياش بن ابي ربيعه الحارث بن زيد بن ابي انيسه العامري لحنه كانت بينهما
فلما هاجر الحارث مسلما لقيه عياش فقتله ولم يشعر باسلامه فلما اخبر
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه قد كان من امري
وامر الحرث ما قد علمت ولم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت الايه
وقيل هو استثنى متصل اي وما كان لمومن ان يقتل مومنا فلا يقتص منه
الا ان يكون خطا فلا يقتص منه ولكن فيه كذا وكذا ووجه اخر وهو ان

تقدر

تقدير كان بمعنى استقر ووجد كانه قال وما وجد وما تقرر وما ساغ
لمومن ان يقتل مومنا الا خطا اذ هو مغلوب فيه احيانا فيجي الاستثنا على
هذين التاويلين غير منقطع وتتضمن الاية على هذا اعظام العهد وبشاعه
شانه كما تقول ما كان لك يا فلان ان تتكلم بهذا الا ناسيا اعظاما للعهد والمقصد
مع حصر الكلام به البتة وقيل المعنى ولا خطا قال النحاس ولا يجوز
ان يكون الا بمعنى الواو ولا يعرف ذلك في كلام العرب ولا يصح في
المعنى الا الخطا لا يحظر ولا يفهم من دليل خطابه جواز قتل الكافر المسلم
فان المسلم محترم الدم وانما خص المومن بالذكر تاكيدا لحياته واخوته ومنفعته
وعقيدته وقرا الاعمش خطا ممدودا في المواضع الثلث ووجوه
الخطا كثيرة لا تحصى يربطها عدم القصد مثل ان يرمي صفوف المشركين
فيصيب مسلما او يسعى بين يديه من يستحق القتل من زان او محارب او
مرتد فطلبه ليقتله فلقي غيره فظنه هو فقتله فذلك خطا او يرمي
الى غرض فيصيب انسانا او ما جرى مجراه وهذا مما لا خلاف فيه والخطا
اسم من اخطا خطا واخطا اذا لم يصنع عن تعمد فالخطا الاسم يقوم
مقام الاخطا ويقال لمن اراد شيا ففعل غيره اخطا ولمن فعل غير الصواب
اخطا قال ابن المنذر قال الله تبارك وتعالى وما كان لمومن ان يقتل
مومنا الا خطا الى قوله ودية مسلمة الى اهله فحكم الله جل ثناوه في المومن
يقتل خطا بالدية وثبتت بالسنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ذلك واجمع اهل العلم على ذلك القول به ذهب
داود الى القصاص بين الحر والعبد في النفس وفي كل ما يستطاع القصاص
فيه من الاعضا تمسكا بقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس

الى قوله والجروح قصاص وقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافا دماهم فلم يفرق بين حر وعبد وهو قول بن ابي ليلى وقال ابو حنيفه واصحابه لا قصاص بين الاحرار والعبيد الا في النفس فيقتل الحر بالعبد كما يقتل العبد بالحر ولا قصاص بينهما في شي من الجراح والاعضا واجمع العلما على ان قوله تعالى وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطا انه لم يدخل فيها العبيد وانما اريد بها الاحرار دون العبيد فكذلك قوله صلى الله عليه وسلم المومنون تتكافا دماهم اريد بها الاحرار خاصه والجمهور على ذلك واذا لم يكن قصاص من العبيد والاحرار فيما دون النفس فالنفس احرى بذلك وقد مضى هذا في البقره قوله تعالى فتحرير رقبه مومنه اي فعليه تحرير هذه الكفاره التي اوجبها الله في كفارة القتل والظهار ايضا على ما ياتي واختلف العلما فيما يجزى منها فقال بن عباس والحسن والشعبي والنخعي وقتاده وغيرهم الرقبه المومنه هي التي صلت وعقلت الايمان لا تجزى في ذلك الصغيره وهو الصحيح في هذا الباب وقال عطا بن ابي رباح تجزى الصغيره المولود بين مسلمين وقال جماعة منهم مالك والشافعي تجزى عن كل من حكم له بحكم في الصلاه عليه ان مات ودفنه قال مالك ومن صلى وصام احب الي ولا يجزى في قول كافة العلما اعمى ولا مقعد ولا مقطوع اليدين او الرجلين ولا اشلهما ويجزى عند اكثرهم الاعرج والاعور قال مالك الا ان يكون عرجا شديدا ولا يجزى عند مالك والشافعي واكثر العلما اقطع احدى اليدين او احدى الرجلين ويجزى عند ابي حنيفه واصحابه ولا يجزى عند اكثرهم المجنون المطبق ولا يجزى عند مالك الذي يجن ويفيق ويجزى عند الشافعي ولا يجزى عند مالك المعتق الى سنين

ويجزى عند الشافعي

رابع عشر

وتجزي عند الشافعي ولا تجزي المدبر عند ملك والاوزاعي واصحاب الراي
وتجزي بقول الشافعي وابي ثور واختاره ابن المنذر قال ملك لا يصح من اعتق
بعضه لقوله فتحرير رقبة ومن اعتق البعض لا يقال حرر رقبته وانما حرر بعضها
واختلفوا ايضا في معناها فقيل اوجبت تمحيصا وطهورا لذنب القاتل وذنبه
ترك الاحتياط والتحفظ حتى هلك على يديه امرؤ محقون الدم وقيل اوجبت
من تعطيل حق الله تعالى في نفس القتيل فانه كان له في نفسه حق وهو التنعم
بالحياة والتصرف فيما احل له تصرف الاحيا وكان لله سبحانه فيه حق وهو
انه كان عبدا من عباده يجب له من اسم العبودية صغيرا كان او كبيرا حرا
كان او عبدا مسلما او ذميا ما يتميز به عن البهايم والدواب ويرجى مع ذلك
ان يكون من نسله من يعبد الله ويطيعه فلم يخل قاتله من ان يكون فوت منه الاسم الذي
ذكرنا والمعنى الذي وصفنا فلذلك ضمن الكفارة واي واحد من هذين المعنيين
كان ففيه بيان ان النص وان وقع على القاتل خطا فالقاتل عمدا مثله بل اولى
بوجوب الكفارة عليه منه على ما ياتي بيانه والله اعلم وقال ملك لا يجزي
لقوله فتحرير رقبة ومن اعتق رقبة لا يقال حرر رقبة وانما يقال بعضها

قوله تعالى ودية مسلمة الدية ما يعطى عوضا من دم القتيل
الى وليه مسلمة مدفوعة مؤداة ولم يعين الله في كتابه ما يعطى في الدية وانما
في الاية ايجاب الدية مطلقا وليس فيها ايجابها على العاقلة او على القاتل وانما
اخذ ذلك من السنة ولا شك ان ايجاب المواساة على العاقلة خلاف قياس
الاصول في الغرامات وضمان المتلفات والذي وجب على العاقلة لم يجب
تغليظا ولا ان وزر القاتل عليهم ولكنه مواساة محضة واعتقد ابو
حنيفة انها باعتبار النصرة فاوجبها على اهل ديوانه وثبتت الاخبار عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم بان الديه مايه من الابل وواداها صلى الله عليه
وسلم في عبد الله بن سهل المقتول بخيبر لحويصه ومحيصه وعبد الرحمن فكان ذلك
بيانا على لسان نبيه لمجمل كتابه واجمع اهل العلم على ان اهل الابل مايه واختلفوا
فيما يجب على اهل غير الابل فقالت طايفه على اهل الذهب الف دينار
وهم اهل الشام ومصر والمغرب والعراق هذا قول ملك واحمد واسحق
واصحاب الراي والشافعي في احد قوليه في القديم وروى هذا عن عمر
وعروه بن الزبير وقتاده واما اهل الورق فاثنا عشر الف درهم
وهم اهل العراق وفارس وخراسان هذا مذهب ملك على ما بلغه
عن عمر انه قوم الديه على اهل القرى فجعلها على اهل الذهب الف
دينار وعلى اهل الورق اثنا عشر الف درهم وقال المزني قال
الشافعي الديه من الابل فان اعوزت فقيمتها بالدنانير والدراهم على ما
قومها عمر الف دينار على اهل الذهب واثنا عشر الف درهم على
اهل الورق وقال ابو حنيفه واصحابه والثوري الديه من الورق
عشرة الاف درهم رواه الشعبي عن عبيده عن عمر انه جعل الديه على
اهل الذهب الف دينار وعلى اهل الورق عشرة الاف درهم وعلى اهل
البقر مايتي بقره وعلى اهل الشياه الفي شاة وعلى اهل الابل مايه من الابل
وعلى اهل الحلل مايه من الحلل قال ابو عمر في هذا الحديث ما يدل على
ان الدنانير والدراهم صنف من اصناف الدية لا على وجه البدل
والقيمه وهو الظاهر في الحديث عن عثمان وعلي وابن عباس وخالفها ابو حنيفه
ما رواه في البقر عن عمر والشياه والحلل وبه قال عطا وطاوس وطايفه
من التابعين وهو قول الفقها السبعه المدنيين قال ابن المنذر وقالت

طايفه

طايفة ديه الحر المسلم مايه من الابل لا ديه غيرها كما فرض رسول الله صلى الله
عليه وسلم واختلفت الاخبار عن عمر في عدد الدراهم وما منها شي يصح
لانها مراسيل وقد عرفتك مذهب الشافعي وبه نقول
واختلف الفقها في اسنان ديه الابل فروى ابو داود من حديث عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى ان من قتل خطا ان ديته
مايه من الابل ثلاثون بنت مخاض وثلاثون بنت لبون وثلاثون حقة وعشر
بني لبون قال الخطابي هذا الحديث لا اعرف احدا قال به من الفقها وانما
قال اكثر العلما ديه الخطا اخماس كذلك قال اصحاب الراي والثوري
وكذلك مالك وابن سيرين واحمد بن حنبل الا انهم اختلفوا في الاصناف
فقال اصحاب الراي واحمد خمس بنو مخاض وخمس بنات مخاض وخمس بنات لبون
وخمس حقاق وخمس جذاع وروي هذا القول عن ابن مسعود وقال
مالك والشافعي خمس حقاق وخمس جذاع وخمس بنات لبون وخمس
بنات مخاض وخمس بنو لبون وحكي هذا القول عن عمر بن عبد العزيز
وسليمان بن يسار والزهري وربيعة والليث بن سعد قال
الخطابي ولاصحاب الراي فيه اثر الا ان راويه عبد الله بن خشف
بن مالك وهو مجهول لا يعرف الا بهذا الحديث وعدل الشافعي
عن القول به لما ذكرنا من العلة في راويه ولان فيه بني مخاض
ولا مدخل لبني مخاض في شي من اسنان الصدقات وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة القسامة انه وداه قتيل خيبر
مايه من ابل الصدقة وليس في اسنان الصدقة ابن مخاض قال
ابو عمر وقد روى زيد بن جبير عن خشف بن مالك عن عبد الله بن

مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الدية في الخطا اخماسا
الا ان هذا لم يرفعه الا خشف بن مالك الطائي وهو مجهول لانه
لم يرو عنه الا زيد بن جبير بن حرملة الطائي الجشمي من بني جشم بن معوية
احد ثقات الكوفيين قال الشيخ المولف رحمه الله قد ذكر الدارقطني في
سننه حديث خشف بن مالك من رواية الحجاج بن ارطاة عن زيد بن جبير
عن خشف بن مالك عن عبد الله بن مسعود قال قضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الدية في الخطا مائة من الابل منها عشرون حقة وعشرون
جذعة وعشرون بنات لبون وعشرون بنات مخاض وعشرون
بني مخاض قال الدارقطني هذا حديث ضعيف غير ثابت عند اهل
المعرفة بالحديث من وجوه عدة احدها انه مخالف لما رواه ابو عبيدة
عن عبد الله بن مسعود عن ابيه بالسند الصحيح عن الراوي لا مطعن فيه ولا
تاويل عليه وابو عبيدة اعلم بحديث ابيه وبمذهبه من خشف بن مالك
ونظرائه وعبد الله بن مسعود اتقى لربه واشح على دينه من ان يروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قضى بقضاء ويفتي هو بخلافه هذا لا
يتوهم على عبد الله بن مسعود وهو القائل في مسئلة وردت عليه لم
يسمع فيها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغه عنه فيها قول
اقول فيها برايي فان يكن صوابا فمن الله ورسوله وان يكن خطا فمني ثم
بلغه بعد ان رساه فيها وافق قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثلها فراه
اصحابه فرح عند ذلك فرحا شديدا لم ير فرح مثله لموافقته فتياه قضاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هذه صفته وهذا حاله كيف يصح عنه انه
يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخالفه ووجه اخر وهو ان الخبر المرفوع

الذي

الذي فيه ذكر بني المخاض لا نعلم رواه الا خشف بن مالك عن ابن مسعود
وهو رجل مجهول لم يروه الا زيد بن جبير بن حرمل الجشمي واهل العلم بالحديث
لا يحتجون بخبر ينفرد بروايته رجل غير معروف وانما يثبت العلم عندهم
بالخبر اذا كان راويه عدلا مشهورا او رجل قد ارتفع عنه اسم الجهالة وارتفاع
اسم الجهالة عنه ان يروي عنه رجلان فصاعدا فاذا كانت هذه صفته ارتفع
عنه حينئذ اسم الجهالة وصار حينئذ معروفا فاما من لم يرو عنه الا
رجل واحد وانفرد بخبر وجب التوقف عن خبره ذلك حتى يوافقه
عليه غيره والله اعلم ووجه اخر وهو ان خشف بن مالك لا نعلم احدا
رواه عن زيد بن جبير عنه غير الحجاج بن ارطاه والحجاج رجل مشهور
بالتدليس وبانه يحدث عمن لم يلقه ولم يسمع منه وترك الرواية عنه
سفين بن عيينه ويحيى بن سعيد القطان وعيسى بن يونس بعد ان
جالسوه وخبروه وكفاك بهم علما بالرجال ونبلا وقال يحيى بن
معين حجاج بن ارطاه لا يحتج بحديثه وقال عبد الله بن ادريس
سمعت الحجاج يقول لا يبل الرجل حتى يدع الصلاه في الجماعه وقال
عيسى بن يونس سمعت الحجاج يقول اخرج الى الصلاه يزاحمني الحمالون
والبقالون وقال جرير سمعت الحجاج يقول اهلكني حب المال والشرف
وذكر اوجها اخر منها ان الجماعه من الثقاه رووا هذا الحديث عن الحجاج بن
ارطاه فاختلفوا عليه فيه الى غير ذلك مما يطول ذكره وفيما ذكرنا
مما ذكره كفايه ودلاله على ضعف ما ذهب اليه الكوفيون في المدينه
وان ابن المنذر مع جلالته قد اختاره على ما ياتي وروى حماد بن سلمه ثنا
سليمن التيمي عن ابي مجلز عن ابي عبيده ان ابن مسعود قال دية الخطا خمسه

اخماس عشرون حقه وعشرون جذعه وعشرون بنات مخاض وعشرون
بنات لبون وعشرون بنوا لبون ذكور قال الدارقطني هذا اسناد
حسن ورواته ثقات وقد روي عن علقمه عن عبد الله نحو هذا قال
الشيخ المولف رحمه الله وهذا هو مذهب ملك والشافعي ان الديه
مخمسه قال الخطابي وقد روي عن نفر من العلما انهم قالوا ديه الخطا
ارباع وهو الشعبي والنخعي والحسن البصري واليه ذهب اسحق بن
راهويه الا انهم قالوا خمس وعشرون جذعه وخمس وعشرون
حقه وخمس وعشرون بنات لبون وخمس وعشرون بنت مخاض
وقد روي ذلك عن علي بن ابي طالب قال ابو عمر اما قول ملك والشافعي
فروي عن سليمن بن يسار ولم يبين فيه عن صاحب شي ولكن عليه عمل اهل المدينه
وكذلك حكى بن جريج عن بن شهاب قال الشيخ المولف رحمه الله قد ذكرنا
عن بن مسعود ما يوافق ما صار اليه مالك والشافعي قال ابو عمر واسناد الابل
في الديات لم يوجد قياسا ولا نظرا وانما اخذ اتباعا وتسليما وما اخذ
من جهه الاثر فلا مدخل فيه للنظر فكل يقول بما قد صح عنده من سلفه رضي الله
عنهم اجمعين قال الشيخ المولف رضي الله عنه واما ما حكاه الخطابي من انه
لا نعلم من قال حديث عمرو بن شعيب فقد حكاه بن المنذر عن طاوس ومجاهد
الا ان مجاهدا جعل مكان بني مخاض بنات جذعه قال بن المنذر بالقول
الاول اقول يريد قول عبد الله واصحاب الراي الذي ضعفه الدارقطني
والخطابي وبن عبد البر قال لانه الاقل مما قيل والحديث مرفوع رويناه عن
النبي صلى الله عليه وسلم يوافق هذا القول قال الشيخ المولف رحمه الله وعجبا
لابن المنذر مع سعه واجتهاده كيف قال بحديث لم يوافقه اهل النقد على

صحته لكن الذهول والنسيان قد يعتري الانسان وانما الكمال لعز ذي الجلال   ثبتت الاخبار عن النبي المختار محمد صلى الله عليه وسلم
انه قضى بديه الخطا على العاقله واجمع اهل العلم على القول به وفي
اجماع اهل العلم ان الديه في الخطا على العاقله دليل على ان المراد من
قول النبي صلى الله عليه وسلم رمثه حيث دخل معه ومعه ابنه لا
يجني عليك ولا تجني عليه العمد دون الخطا   واجمعوا على ان ما زاد على
ثلث الديه على العاقله واختلفوا في الثلث فالذي عليه جمهور العلما
ان العاقله لا تحمل عمدا ولا اعترافا ولا صلحا ولا تحمل من ديه الخطا الا ما
جاوز الثلث وما دون الثلث في مال الجاني   وقالت طايفه عقل
الخطا على عاقله الجاني قلت الجنايه او كثرت لان من غرم الاكثر غرم الاقل
كما عقل العمد في مال الجاني قل او كثر هذا قول الشافعي   وحكمها
ان تكون منجمه على العاقله والعاقله العصبه وليس ولد المراه اذا كان من
غير عصبتها من العاقله ولا الاخوه من الام بعصبه لاخوتهم من الاب
والام فلا يحملون عنهم شيا وكذلك الديوان لا يكون عاقله في قول
جمهور اهل الحجاز   وقال الكوفيون يكون عاقله ان كان من اهل الديوان
فتنجم الديه على العاقله في ثلاثه اعوام على ما قضاه عمر وعلي لان
الابل قد تكون حوامل فيضر بها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعطيها دفعه
واحده لاغراض منها انه كان يعطيها تشديدا ومنها انه كان يعجلها
تاليفا فلما تمهد الاسلام قدرتها الصحابه على هذا النظام   قال
ابن العربي وقال ابو عمر اجمع العلما قديما وحديثا ان الديه على العاقله
لا تكون الا في ثلاث سنين ولا تكون في اقل منها واجمعوا على انها على البالغين

من الرجال واجمع اهل السير والعلم ان الديه كانت في الجاهليه تحملها
العاقله فاقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاسلام وكانوا يتعاقلون
بالنصره ثم جا الاسلام فجرى الامر على ذلك حتى جعل عمر الديوان واتفق
الفقها على روايه ذلك والقول به واجمعوا انه لم يكن في زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا زمن ابي بكر ديوان وان عمر جعل الديوان وجمع به
الناس وجعل اهل كل ناحيه يدا وجعل عليهم قتال من يليهم من العدو
قال الشيخ المولف رحمه الله ومما يحرط في شان هذا الباب
ويدخل في نظامه قتل الجنين في بطن امه وهو ان يضرب بطن امه فتلقيه حيا
ثم يموت فقال كافه العلما فيه الديه كامله في الخطا وفي العمد بعد القسامه
وقيل بغير قسامه واختلفوا فيما به يعلم حيا بعد اتفاقهم على انه
اذا استهل صارخا او ارتضع او تنفس نفسا محققه حي فيه الديه
كامله فان تحرك فقال الشافعي وابو حنيفه الحركه تدل على حياته وقال
مالك لا الا ان يقارنها طول اقامه والذكر والانثى عند كافه العلما سوا
في الحكم فان القته ميتا ففيه غره عبد او وليده فان لم تلقه وماتت
وهو في جوفها لم يخرج فلا شي فيه وهذا كله اجماع لا خلاف فيه وروي
عن الليث بن سعد وداود انهما قالا في المراه اذا ماتت من ضرب
بطنها ثم خرج الجنين ميتا بعد موتها ففيه الغره وسوا رمته قبل موتها
او بعد موتها المعتبر حياة امه في وقت ضربها لا غير وقال سائر
الفقها لا شي فيه اذا خرج ميتا من بطنها بعد موتها قال الطحاوي محتجا
لجماعة الفقها بان قال قد اجمعوا والليث معهم على انه لو ضرب بطنها
وهي حيه فماتت والجنين في بطنها فلم يسقط انه لا شي فيه فلذلك اذا

سقط بعد

١٤٤

سقط بعد موتها ولا تكون الغرة الا بيضا قال ابو عمرو
بن العلا في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد بالغرة معنى لقال في
في الجنين عبدا وامه ولكنه عنى عن البياض لا تقبل في الدية الا غلام
او جارية بيضا لا يقبل فيها اسود ولا سودا واختلف العلما في قيمتها
فقال ملك تقوم بخمسين دينارا او ستمايه درهم نصف عشر دية الحر
المسلم وعشر دية امه الحر وهو قول ابن شهاب وربيعه وساير اهل
المدينه وقال اصحاب الراي قيمتها خمس مايه درهم وقال
الشافعي سن الغرة سبع سنين او ثمان سنين وليس عليه ان يقبلها معيبه
ومقتضى مذهب ملك انه مخير بين اعطا غرة او عشر دية الام
من الذهب عشرون دينارا ان كانوا اهل ذهب او من الورق ان
كانوا اهل ورق ستمايه درهم او خمس فرايض من الابل قال ملك
واصحابه هي في مال الجاني وهو قول الحسن بن حي وقال ابو حنيفه
والشافعي واصحابهما هي على العاقلة وهو اصح لحديث المغيره
بن شعبه ان امراتين كانتا تحت رجل من الانصار في روايه فتغايرتا
فضربت احداهما الاخرى بعمود فقتلتها فاختصما الى النبي صلى الله عليه
وسلم الرجلان فقالا ندى من لا صاح ولا اكل ولا شرب فقال
اسجع كسجع الاعراب فقضى فيه غرة وجعلها على عاقلة المراه وهو حديث
ثابت صحيح نص في موضع الخلاف يوجب الحكم ولما كانت دية المراه
المضروبه على العاقلة كان الجنين كذلك في القياس والنظر واحتج علماونا
بقول الذى قضى عليه كيف اغرم قالوا وهذا يدل على ان الذى قضى عليه
معين وهو الجاني ولو ان دية الجنين قضي به على العاقلة لقال فقال الذى

فضا عليهم وفي القياس ان كل جنايه عليه الاما قام بخلافه الدليل
الذي لا معارض له مثل اجماع لا يجوز خلافه او نص سنه من جهه نقل
الاحاد العدول لا معارض لها يجب الحكم بها وقد قال الله تعالى ولا تزر
وازره وزر اخرى ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا خلاف
بين العلما ان الجنين اذا خرج حيا فيه الكفارة مع الديه واختلفوا في الكفاره
اذا خرج ميتا فقال ملك فيه الغرة والكفارة وقال ابو حنيفه والشافعي
فيه الغرة ولا كفاره واختلفوا في ميراث الغرة عن الجنين فقال
ملك والشافعي واصحابهما الغرة في الجنين موروثه عن الجنين على كتاب
الله تعالى لانها ديه وقال ابو حنيفه واصحابه الغرة للام وحده
لانها جنايه جنا عليها بقطع عضو من اعضايها وليست بديه من الدليل
على ذلك انه لم يعتبر فيه الذكر والانثى كما يلزم في الديات فدل على ان
ذلك كالعضو وكان ابن هرمز يقول ديته لابويه خاصة لابيه ثلثاها
ولامه ثلثها من كان منهما حيا كان ذلك له فان كان احدهما قد مات كانت
للباقي منهما ابا كان او اما ولا ترث الاخوه شيا قوله
تعالى الا ان يصدقوا اصله يتصدقوا فادغمت التا في الصاد والتصدق الاعطا
يعني الا ان يبري الاوليا ورثه المقتول مما اوجب الله لهم من الديه عليهم
هذا استثنا ليس من الاول وقرا ابو عبد الرحمن بفتح الا ان يصدقوا
بتخفيف الصاد واليا ولذلك قرا ابو عمرو الا انه شدد الصاد ويجوز على
هذه القراه حذف التا الثانيه ولا يجوز حذفها على قراه اليا وفي مصحف
ابي بن مسعود الا ان يتصدقوا واما الكفارة التي هي لله تعالى فلا
تسقط بابرا الخصم لانه اتلف شخصا في عباده الله سبحانه وتعالى فعليه ان

يخلص

بخلص احرا عباده ربه وانما تسقط الدية التي هي حق لهم وتجب الكفارة في مال الجاني ولا يتحمل

قوله تعالى فان كان من قوم عدو لكم وهو مومن هذه مسئلة المومن يقتل في بلاد الكفار او في حروبهم على انه من الكفار والمعنى عند ابن عباس وقتادة والسدي وعكرمة ومجاهد والنخعي فان كان هذا المقتول رجلا مومنا قد امن وبقي في قومه وهم كفرة عدو لكم فلا دية فيه وانما كفارته تحرير الرقبة وهو المشهور من قول مالك وبه قال ابو حنيفة وسقطت الدية لوجهين احدهما ان اولياء القتيل كفار فلا يصح ان تدفع اليهم فيتقووا بها والثاني ان حرمة هذا الذي امن ولم يهاجر قليلة فلا دية لقوله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وقالت طائفة بل الوجه في سقوط الدية ان الاولياء كفار فقط فسوا كان القتل خطا بين اظهر المسلمين او قومه ولم يهاجر او هاجر ثم رجع الى قومه كفارته التحرير ولا دية فيه اذ لا يصح دفعها الى الكفار ولو وجبت الدية لوجبت لبيت المال على بيت المال فلا تجب الدية في هذا الموضع وان جرى القتل في دار الاسلام هذا قول الشافعي وبه قال الاوزاعي والثوري وابو ثور وعلى القول الاول قتل المومن في بلد المسلمين وقومه حرب ففيه الدية لبيت المال والكفارة قال الشيخ المولف رحمه الله ومن هذا الباب ما جاء في صحيح مسلم عن اسامة قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فصبحنا الحرقات فادركت رجلا فقال لا اله الا الله فطعنته فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقال لا اله الا الله وقتلته قال قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح قال افلا شققت عن قلبه حتى تعلم اقالها ام لا فلم

حكم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصاص ولا دية وروى اسامة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لي بعد ثلاث وقال اعتق رقبة
فلم يحكم علي بقصاص ولا دية وروى اسامة انه قال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم استغفر لي بعد ثلاث مرات وقال اعتق رقبة ولم يحكم عليه بقصاص
ولا دية قال علماؤنا اما سقوط القصاص فواضح اذ لم يكن القتل عدوانا
واما سقوط الدية فلاوجه ثلاثة الاول فلانه كان اذن في اصل القتال
فكان عنه اتلاف نفس محترمة غلطا كالخاسر والطبيب الثاني لكونه من العدو
ولم يكن له ولي من المسلمين يكون له ديته لقوله وان كان من قوم عدو لكم كما ذكرنا
الثالث ان اسامة اعترف بالقتل ولم تقم بذلك بينة ولا تعقل العاقلة
اعترافا ولعل اسامة لم يكن له مال تكون فيه الدية والله اعلم
قوله تعالى وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق هذا في الذمي
والمعاهد يقتل خطا فتجب الدية والكفارة قاله ابن عباس والشعبي والنخعي
والشافعي واختاره الطبري قال لان الله سبحانه ابهمه ولم يقل وهو مومن
كما قال في القتيل من المومنين ومن اهل الحرب واطلاقه ما قيد قبل على انه
خلافه وقال الحسن وجابر بن زيد وابراهيم ايضا المعنى وان كان المقتول
خطا مومنا من قوم معاهدين لكم فعهدهم يوجب انهم احق بدية صاحبهم
فكفارته التحرير واداء الدية وقراها الحسن وان كان من قوم بينكم وبينهم
ميثاق وهو مومن قال الحسن اذا قتل المسلم الذمي فلا كفارة عليه وقال ابو عمر
واما الاية فمعناها عند اهل الحجاز مردوده على قوله وما كان لمومن ان يقتل مومنا
الا خطا ثم قال وان كان من قوم يريد ذلك المومن والله اعلم قال ابن
العربي والذي عندي ان الجملة محمولة حمل المطلق على المقيد قال الشيخ
المولف

المولف رحمه الله وهذا معنى ما قاله الحسن وحكاه ابو عمر عن اهل الحجاز
وقوله فدية مسلمة على لفظ النكرة ليس يقتضي دية بعينها وقيل هذا
هذا في مشركي العرب الذين كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه عهد
على ان يسلموا او يأذنوا بحرب الى اجل معلوم لمن قتل منهم وجبت
الدية والكفارة ثم نسخ بقوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم
من المشركين واجمع العلماء على ان دية المراة على
النصف من دية الرجل من اجل ان لها نصف ميراث الرجل وشهادة
امراتين بشهادة رجل وهذا انما هو في دية الخطا واما العمد ففيه القصاص
بين الرجال والنسا لقوله عز وجل النفس بالنفس والحر بالحر كما تقدم
في البقرة روى الدارقطني من حديث موسى عن
علي بن رباح اللخمي قال سمعت ابي يقول ان اعمى كان ينشد في خلافة
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يقول ايا ايها الناس لقيت منكرا
هل يعقل الصحيح المبصر اعمى اعمى وقعا كلاهما تكسرا وذلك ان اعمى
كان يقوده بصيرا فوقعا في بير فوقع الاعمى على البصير فمات البصير فقضى
عمر بعقل البصير على الاعمى وقد اختلف العلما في الرجل يسقط على الاخر
فيموت احدهما فروى عن ابن الزبير يضمن الاعلى الاسفل ولا يضمن الاسفل الا
الاعلى وهذا قول شريح والنخعي واحمد واسحق وقال مالك في رجل جبذ
احدهما صاحبه حتى سقطا وماتا على عاقلة الذي جبذه الدية قال ابو
عمر ما اظن في هذا خلافا والله اعلم الا ما قال بعض المتاخرين من اصحابنا
واصحاب الشافعي يضمن نصف الدية لانه مات من فعله ومن سقوط الساقط
عليه وقال الحكم وابن شبرمة ان اسقط رجل على رجل من فوق بيت احدهما

قال يضمن الحي منهما وقال الشافعي في رجلين يصدم احدهما الاخر فماتا ان على
دية المصدوم على عاقلة الصادم هدر وقال في الفارسين اذا اصطدما
فماتا على كل واحد منهما نصف دية صاحبه لان كل واحد منهما مات من
فعل نفسه وفعل صاحبه وقال عثمان البتي وزفر والاوزاعي والحسن
بن حي وابو حنيفة واصحابه في الفارسين يصطدمان فيموتان على كل واحد منهما
دية الاخر على عاقلته قال بن خواز منداد ولذلك عندنا السفينتان
يصطدمان اذا لم يكن النوتي صرف السفينة ولا الفارس صرف الفرس
وروي عن مالك في السفينتين والفارسين على كل واحد منهما الضمان بقيمة
ما تلف لصاحبه كاملا واختلف العلما في هذا الباب
في تفصيل دية اهل الكتاب فقال مالك واصحابه هي على النصف من دية
المسلم ودية المجوسي ثمان مائة درهم ودية نسائهم على النصف من ذلك
روي هذا عن عمر بن عبد العزيز وعروة بن الزبير وعمرو بن شعيب وبه قال
احمد بن حنبل وهذا المعنى قد روي سليمن بن بلال عن عبد الرحمن بن الحرث
بن عياش بن ابي ربيعة عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله
عليه وسلم جعل دية اليهودي والنصراني على النصف من دية المسلم وعبد الرحمن
هذا قد روي عنه الثوري ايضا وقال بن عباس والشعبي المقتول من
اهل العهد خطا لا يبالي مومنا كان او كافرا على عهد قومه فيه الدية كدية
المسلم وهو قول ابي حنيفة والثوري وعثمان البتي والحسن بن حي جعلوا الديات
كلها سوا المسلم واليهودي والنصراني والمجوسي والمعاهد والذمي وهو قول
عطا والزهري وسعيد بن المسيب وحجتهم قوله تعالى فدية وذلك يقتضي
الدية كاملة كدية المومن وعضد واهذا بما رواه محمد بن اسحق عن داود بن

الحصين

الحصين عن عكرمه بن عباس في قصه بني قريظه والنضير ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم جعل دينهم سواديه كامله قال ابو عمر وهذا حديث فيه
لين وليس في مثله حجه وقال الشافعي ديه اليهودي والنصراني ثلث ديه
المسلم وديه المجوسي ثمان مايه درهم وحجته ان ذلك اقل ما قيل في ذلك والذمه
بريه الا بيقين او حجه وروي هذا القول عن عمر وعثمان وبه قال بن المسيب
وعطا والحسن وعكرمه وعمر بن دينار وابو ثور واسحق
قوله تعالى فمن لم يجد اي الرقبه ولا يتسع ماله لشرايها فصيام
شهرين اي فعليه صيام شهرين متتابعين حتى لو افطر يوما استانف هذا
قول الجمهور وقال مكي عن الشعبي ان صيام الشهرين يجزي عن الديه والعتق
لمن لم يجد قال بن عطيه وهذا القول وهم لان الديه انما هي على
العاقله وليست على القاتل والطبري حكى هذا القول عن مسروق
والحيض لا يمنع التتابع من غير خلاف وانها
اذا طهرت ولم توخر وصلت باقي صيامها بما سلف منه لا شي
عليها غير ذلك الا ان تكون طاهرا قبل الفجر فتترك صيام ذلك اليوم
عالمه بطهرها فان فعلت استانفت عند جماعه العلما قاله ابو عمر واختلفوا
في المريض الذي قد صام من شهري التتابع بعضهما على قولين مالك وليس
لاحد وجب عليه صيام شهرين متتابعين في كتاب الله ان يفطر الا من
عذر مرض او حيضه وليس له ان يسافر فيفطر وممن قال يبني في المريض
سعيد بن المسيب وسليمن بن يسار والحسن والشعبي وعطا ومجاهد
وقتاده وطاوس وقال سعيد بن جبير والنخعي والحكم بن عتيبه
وعطا الخراساني يستانف في المرض وهو قول ابي حنيفه واصحابه والحسن

بن حي واحد قولي الشافعي وله قول اخرانه يبني كما قال ملك وقال
بن شبرمه يقضي ذلك اليوم وحده ان كان عذر غالب لصوم رمضان
قال ابو عمر حجه من قال يبني لانه معذور في قطع التتابع لمرضه ولم يتعمد
وقد تجاوز الله عن غير المتعمد وحجه من قال يستانف لان التتابع فرض لا
يسقط لعذر وانما يسقط الماثم قياسا على الصلاه لانها ركعات
متتابعات فاذا قطعها من عذر استانف ولم يبن
قوله تعالى توبه من الله نصب على المصدر ومعناه رجوعها وانما مست
حاجة المخطي الي التوبه لانه لم يتحرز وكان من حقه ان يتحفظ وقيل اي فليات
بالصيام تخفيفا من الله تعالى عليه لقبول الصوم بدلا عن الرقبه ومنه قوله
تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم اي خفف وقوله علم
ان لن تحصوه فتاب عليكم وكان الله اي في ازله وابده عليما بجميع المعلومات
حكيما فيما حكم وابرم تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا الى قوله
عظيما فيه ثمان مسايل قوله تعالى ومن يقتل من شرط وجوابه
فجزاوه وسياتي واختلف العلما في صفه المتعمد في القتل فقال عطا والنخعي
وغيرهما هو من يقتل بحديده كالسيف والخنجر وسنان الرمح من المحدود او
مما يعلم ان فيه الموت من ثقال الحجارة ونحوها وقالت فرقه المتعمد
كل من قتل بحديده كالقتل او بحديده او بحجر او بعصا او بغير ذلك
وهذا قول الجمهور ذكر الله عز وجل في كتابه العمد والخطا
ولم يذكر شبه العمد وقد اختلف العلما في القول به فقال بن المنذر
انكر ذلك ملك وقال ليس في كتاب الا العمد والخطا وذكر الخطابي
ايضا عن ملك وزاد واما شبه العمد فلا نعرفه قال ابو عمر انكر

ن ام

م ه

ملكي

ملك والليث بن سعد شبه العمد لمن قتل عندهما بما لا يقتل مثله غالبا كالعضه واللطمه وضربه السوط والقضيب وشبه ذلك فانه عمد وفيه القود قال ابو عمر وقال بقولهما جماعه من الصحابه والتابعين
وذهب جمهور فقها الامصار الى ان هذا كله شبه العمد وقد ذكر عن ملك وقاله ابن وهب وجماعه من الصحابه والتابعين قال ابن المنذر وشبه العمد يعمل به عندنا وممن اثبت شبه العمد الشعبي والحكم وحماد والنخعي وقتاده وسفين الثوري واهل العراق والشافعي
وروينا ذلك عن عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما قال الشيخ المولف رحمه الله وهو فان الدما احق ما احتيط لها اذ الاصل صيانتها في اهبها فلا تستباح الا بامر بين لا اشكال فيه وهذا فيه اشكال
فانه لما كان مترددا حكم له بشبه والضرب مقصود والقتل غير مقصود وانما وقع بغير المقصود فيسقط القود وتغلظ الديه وبمثل هذا جا
السنه روى ابو داود من حديث عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ان ديه الخطا شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مايه من الابل منها اربعون في بطونها اولادها وروى الدارقطني عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العمد قود اليد والخطا عقل لا ديه فيه ومن قتل في عميه بحجر او عصا او سوط فهي ديه مغلظه في اسنان الابل
وروي من حديث سليمن موسى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عقل شبه العمد مغلظه مثل عقل العمد ولا يقتل صاحبه وهذا نص وقال طاوس في الرجل يصاب في الدنيا في القتال بالعصا والسواط والترامي بالحجارة يودى ولا يقتل به من اجل انه لا

يدرى من قتله وقال احمد بن حنبل العما هو الامر الاعمى بالعصبيه لا يتبين ما وجهه وقال اسحق هذا في تحارج القوم وقتل بعضهم بعضا وكان اصله من التعميه وهو التلبيس ذكره الدارقطني واختلف القايلون بشبه العمد في الدية المغلظة فقال عطا والشافعي هي ثلاثون حقه وثلاثون جذعه واربعون خلفه وقد روى هذا القول عن عمر وزيد بن ثابت والمغيرة بن شعبه وابي موسى الاشعري وهو مذهب مالك حيث يقول شبه العمد ومشهور مذهبه انه لم يقل به الا في قصة المدلجي حيث ضربه بالسيف وقيل هي مربعة ربع بنات لبون وربع حقاق وربع جذاع وربع بنات مخاض هذا قول النعمان ويعقوب وذكر ابو داود عن سفين عن ابي اسحق عن عاصم بن ضمره عن علي وقيل هي خمسة عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون بن لبون وعشرون وعشرون جذعه هذا قول ابي ثور وقيل اربعون جذعه الى بازل عامها وثلاثون حقه وثلاثون بنات لبون روي عن عثمان بن عفان وبه قال الحسن البصري وطاوس والزهري وقيل اربع وثلاثون حقه الى بازل عامها وثلاث وثلاثون حقه وثلث وثلاثون حقه وثلاث وثلاثون جذعه وبه قال الشعبي والنخعي وذكره ابو داود عن ابي الاحوص عن ابي اسحق عن عاصم بن ضمرة عن علي واختلفوا فيمن يلزم ديه شبه العمد فقال الحارث العكلي وبن ابي ليلى وبن شبرمه وقتاده وابو ثور هو عليه في ماله وقال الشعبي والنخعي والحكم والشافعي والثوري واحمد واسحق واصحاب الراي هو على العاقله قال بن المنذر وهو على العاقله قال بن المنذر وقول الشافعي اصح لحديث ابي هريره ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل ديه الجنين على عاقله

المضا ربه

المضاربة والله اعلم اجمع العلماء على ان العاقلة لا تحمل دية
العمد فانها في مال الجاني وقد تقدم ذكرها في البقرة واجمعوا على ان على
القاتل خطأ الكفارة وقال ابو ثور واصحاب الراي لا تجب الكفارة الا
حيث اوجبها الله تعالى قال ابن المنذر وكذلك نقول لان الكفارات عبادات
ولا يجوز التمثيل وليس يجوز لاحد ان يفرض فرضا يلزمه عباد الله الا
بكتاب او سنة او اجماع في العمد قال الشافعي اذا وجبت الكفارة في
الخطأ فلان تجب في العمد اولى وقال اذا شرع السجود في السهو فلان يشرع
في العمد اولى وليس ما ذكره الله تعالى في كفارة العمد بمسقط ما قد ذكره
الله تعالى في الخطأ وقد قيل ان القاتل عمدا انما تجب عليه الكفارة اذا عفا عنه
فلم يقتل فاما اذا قتل قودا فلا كفارة تؤخذ من ماله وقيل تجب ومن
قتل نفسه فعليه الكفارة في ماله وقال الثوري وابو ثور واصحاب
الراي لا تجب الكفارة الا حيث اوجبها الله تعالى فيمن فرض على عمد كفارة
حجة من حيث ذكرت واختلفوا في الجماعة يقتلون الرجل
خطأ فقالت طائفة على كل واحد منهما الكفارة كذلك قال الحسن وعكرمة
والنخعي والحرث العكلي ومالك والثوري والشافعي واحمد واسحق
وابو ثور واصحاب الراي وقالت طائفة عليهم كلهم كفارة واحدة هكذا
قال ابو ثور وحكي ذلك عن الاوزاعي وفرق الزهري بين العتق
والصوم فقال في الجماعة يرمون بالمنجنيق فيقتلون رجلا عليهم كلهم
عتق رقبة فان كانوا لا يجدون فعلى كل رجل منهم صوم شهرين متتابعين
روى النسائي ابا الحسن بن اسحق المروزي ثقة قال حدثني
خالد بن خداش قال ثنا حاتم بن اسمعيل بن بشر عن المهاجر بن عبد الله بن

يريد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل المومن اعظم عند
الله من زوال الدنيا   وروي عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اول ما يحاسب به العبد الصلاه واول ما يقضى بين الناس في الدما
وروي اسمعيل بن اسحق عن نافع بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عباس انه
ساله سايل فقال يا ابا العباس هل للقاتل توبه فقال له ابن عباس كالمتعجب
من مسالته ماذا تقول مرتين او ثلاثا فقال يا ابا العباس هل للقاتل توبه
مرتين او ثلاثا ثم قال ابن عباس ويحك انى له توبه سمعت نبيكم صلى الله عليه
وسلم يقول ياتي المقتول معلق راسه باحدى يديه متلبيا قاتله بيده
الاخرى تشخب اوداجه دما حتى يوقفا فيقول المقتول لله تعالى رب
هذا قتلني فيقول الله تعالى للقاتل تعست ويذهب به الى النار   وعن
الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نازلت ربي في شي ما نازلته
في قتل المومن فلم يجبني   واختلف العلما في قاتل العمد هل له
من توبه فروى البخاري عن سعيد بن جبير قال اختلف فيها فرحلت فيها الى
ابن عباس فسالته عنها فقال نزلت هذه الايه ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم
هي اخر ما نزل وما نسخها شي وروي النساي عنه قال سالت ابن عباس هل لمن
قتل مومنا متعمدا من توبه قال لا وقرات عليه الايه التي في الفرقان والذين لا
يدعون مع الله الها اخر قال هذه ايه مكيه نسختها ايه مدنيه ومن يقتل مومنا
متعمدا فجزاوه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه   وروي عن زيد بن ثابت نحو
وان ايه النسا نزلت بعد ايه الفرقان بسته اشهر وفي روايه بثمانيه اشهر ذكرها
النساي عن زيد بن ثابت والى عموم هذه الاخبار عن زيد وابن عباس ذهب
المعتزله وقالوا هذا تخصيص عموم قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشا الا

من قتل

ك

نسخ هذه الايه

من قتل عمدا ودهب جماعة من العلما منهم عبد الله بن عمر وهو ايضا مروى
عن زيد وبن عباس الى ان له توبه روى يزيد بن هارون قال حدثنا
ملك الاسجعي عن سعد بن عبيده قال جا رجل الى بن عباس فقال المن
قتل متعمدا توبه قال لا الا النار قال فلما ذهب قال له جلساوه هكذا
كنت تفتينا ان لمن قتل توبه مقبوله قال لا انى احسبه رجلا مغضبا
يريد ان يقتل مومنا قال فبعثوا فى امره فوجدوه كذلك وهذا مذهب
اهل السنه وهو الصحيح وان هذه الايه مخصوصه ودليل التخصيص
ايات واخبار وقد اجمعوا على ان الايه نزلت فى مقيس بن صبابه وذلك انه
كان قد اسلم هو واخوه هشام بن صبابه فوجد هشام قتيلا فى بنى
النجار فاخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فكتب له اليهم ان يدفعوا
اليه قاتل اخيه وارسل معه رجلا من بنى فهر وقال بنوا النجار والله
ما نعلم له قاتلا ولكنا نودى الديه فاعطوه مايه من الابل ثم انصرفا
راجعين الى المدينه فعدا مقيس على الفهرى فقتله ناحيه واخذ الابل
وانصرف الى مكه كافرا مرتدا وجعل ينشد قتلت فهرا وحملت
عقله سراة بنى النجار ارباب فارع حللت به وترى ونزلت
نورتى وكنت الى الاوثان اول راجع فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا اومنه فى حل ولا حرم وامر بقتله يوم فتح مكه وهو متعلق
بالكعبه واذا ثبت هذا بنقل اهل التفسير وعلما اهل الدين فلا ينبغى
ان يحمل على المسلمين ثم ليس الاخذ بظاهر الايه باولى من الاخذ بظاهر
قوله ان الحسنات يذهبن السيات وقوله وهو الذى يقبل التوبه
عن عباده وقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشا والاخذ بالظاهرين

تناقض فلابد من التخصيص ثم ان الجمع بين اية الفرقان وهذه الاية ممكن
فلا نسخ ولا تعارض وذلك ان يحمل مطلق اية النسا على مقيدها في الفرقان
فيكون معناه فجزاوه لذا من الايات لا سيما وقد اتحد الموجب وهو القتل
والموجب وهو التوعد بالعقاب واما الاخبار فكثيرة كحديث عبادة
بن الصامت الذي قال فيه تبايعوني على ان لا تشركوا بالله شيا ولا تزنوا
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق فمن اصاب شيا من ذلك فهو كفارة له
ومن اصاب شيا من ذلك فستره الله فهو الى الله ان شا عفا عنه وان شا
عذبه رواه الايمة اخرجه الصحيحان وكحديث ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم في الذي قتل ماية نفس اخرجه مسلم في صحيحه وابن ماجه
في سننه وغيرهما الى غير ذلك من الاخبار الثابتة ثم انهم قد اجمعوا معنا في
الرجل يشهد عليه بالقتل ويقر بانه قتل عمدا ويأتي السلطان او الاوليا فيقام
عليه الحد ويقتل قودا فهذا غير متبع في الاخرة والوعيد غير نافذ عليه
اجماعا على مقتضى حديث عبادة فقد انكسر عليهم ما تعلقوا به من عموم قوله
ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم ودخله التخصيص بما ذكرنا واذا كان
ذلك فالوجه ان هذه الاية مخصوصة كما بينا او تكون محمولة على ما حكي عن
بن عباس انه قال متعمدا معناه مستحلا لقتله فهذا ايضا يوول الى الكفر
اجماعا وقالت جماعة ان القاتل في المشية تاب او لم يتب قاله ابو حنيفة
واصحابه والشافعي فان قيل قوله تعالى فجزاوه جهنم وغضب الله عليه دليل
على كفره لان الله لا يغضب الا على كافر خارج من الايمان قلنا هذا وعيد
والخلف في الوعيد كرم كما قال واني متى اوعدته او وعدته لمخلف
ايعادي ومنجز موعدي وقد تقدم جواب ثان جزاوه اي هو اهل

ولعدم

ذلك ومستحقه

دلك وتحقه لعظيم دنبه نص على هذا ابو مجلز لاحق بن حميد وابو صالح
وغيرهما وروى انس بن ملك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا وعد الله لعبد ثوابا فهو منجز وان اوعد له العقوبة فله المشية
ان شا عاقبه وان شا عفا عنه وفي هذين الما وبلين دخل اما الاول
فقال القشيري وفي هذا نظر لان كلام الرب تعالى لا يقبل الخلف
الا ان يراد بهذا تخصيص العام فهو اذا جايز في الكلام واما الثاني وان
روي انه مرفوع فقال النحاس وهذا الوجه الغلط فيه بين وقد قال
الله تعالى ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا ولم يقل احد ان جازاهم وهو خطا
في العربية لان بعده وغضب الله عليه وهو محمول على معنا جازاه جوا
ثالث فجزاوه جهنم ان لم يتب واصر على الذنب حتى وافا به على الكفر بشوم
المعاصي وذكر هبة الله في كتاب الناسخ والمنسوخ ان هذه الاية منسوخة
ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقال هذا اجماع الناس الا ابن عباس وابن
عمر فانهما قالا هي محكمة وفي هذا الذي قاله نظر لانه موضع عموم وتخصيص
لا موضع نسخ قاله ابن عطية قال الشيخ المولف رحمه الله هذا حسن
لان النسخ لا يدخل الاخبار وانما المعنى فهو جزيه وقال النحاس
في معاني القران له القول فيه عند العلما اهل النظر انه محكم وانه يجازيه
اذا لم يتب فان تاب فقد بين الله امره بقوله واني لغفار لمن تاب فهذا
لا يخرج عنه والخلود لا يقتضي الدوام قال الله تعالى وما جعلنا لبشر
من قبلك الخلد وقال يحسب ان ماله اخلده وقال زهير ولا
خالدا الا الجبال الرواسيا وهذا يدل على ان الخلد يطلق على غير معنى
التابيد فان هذا يزول بزوال الدنيا وكذلك العرب تقول لاخلدن

وم

فلانا في السجن والسجن ينقطع ويفنى ولذلك المسجون ومثله قولهم في الدعا

حبل الله مسلكه وابلى ايامه وقد تقدم هذا كله لفظا ومعنا والحمد لله

تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الى اخر قوله

خبيرا احدى عشر مسله قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم

في سبيل الله فتبينوا هذا متصل بذكر القتل والجهاد والضرب السير في

الارض تقول العرب ضربت في الارض اذا سرت لتجارة او غزو او غيره

مقترنه بفي وتقول ضربت الارض دون في اذا قصدت قضا حاجة الانسان

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا يخرج الرجلان يضربان الغايط يتحدثان

كاشفين عن فرجهما فان الله يمقت على ذلك وهذه الايه نزلت في قوم من

المسلمين مروا في سفرهم برجل معه جمل وغنيمة يبيعها فسلم على القوم وقال

لا اله الا الله محمد رسول الله فحمل عليه احدهم فقتله فلما ذكر للنبي صلى الله عليه

وسلم نزلت الايه واخرجه البخاري عن عطا عن ابن عباس قال قال ابن

عباس كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون فقال السلام عليكم فقتلوه واخذوا

غنيمته فانزل الله ذلك الى قوله عرض الحياة الدنيا تلك الغنيمة قرا ابن عباس

قال م

في غير البخاري وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديته الى اهله ورد عليهم

غنيماته واختلف في تعيين القاتل والمقتول في هذه النازله فالذي عليه

الاكثر وهو في سير ابن اسحق ومصنف ابي داود والاستيعاب لابن

عبد البر القاتل محلم بن جثامه والمقتول عامر بن الاضبط فدعا عليه السلام

على محلم فما عاش بعد ذلك الا سبعا ثم دفن فلم تقبله الارض ثم دفن فلم

تقبله ثم دفن ثالثه فلم تقبله فلما راوا ان الارض لا تقبله القوه في بعض

تلك الشعاب وقال عليه السلام ان الارض لتقبل من هو شر منه قال

الحسن

الحسن اما انها تخبر من هو شر منه ولكن وعظ القوم الا يعودوا وفي مسند بن ماجه عن عمران بن حصين قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا من المسلمين الى المشركين فقاتلوهم قتالا شديدا فمنحوهم اكتافهم فحمل رجل من لحمتي على رجل من المسلمين بالرمح فلما غشيه قال اشهد ان لا اله الا الله واني مسلم فطعنه فقتله فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هلكت فقال وما الذي صنعت مرة او مرتين فاخبره الذي صنع فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلا شققت بطنه فعلمت ما في قلبه قال يا رسول الله لو شققنا بطنه الكنت اعلم ما في بطنه قال لا فلا انت قبلت ما تكلم به ولا انت تعلم ما في قلبه قال فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلبث يسيرا حتى مات فدفناه فاصبح على ظهر الارض فقلنا لعل الغلمان نبشوه فدفناه ثم حرسناه بانفسنا فاصبح على ظهر الارض فالقيناه في بعض تلك الشعاب وفي ان القاتل اسامة بن زيد والمقتول مرداس بن نهيك الغطفاني ثم الفزاري من بني مرة من اهل فدك وقاله بن القاسم عن مالك وقيل بان مرداس هذا قد اسلم من الليلة واخبر بذلك اهله ولما عظم النبي صلى الله عليه وسلم الامر على اسامة حلف عند ذلك ان لا يقاتل رجلا يقول لا اله الا الله وقد تقدم القول وقيل القاتل ابو قتادة وقيل ابو الدردا ولا خلاف ان الذي لفظته الارض حين مات هو محلم الذي ذكرناه ولعل هذه الاحوال جرت في زمان متقارب فنزلت الاية في الجميع وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم رد على اهل المسلم الغنم والجمل وحمل ديته على طريق الايتلاف

والله اعلم وذكر الثعلبي ان امير تلك السريه رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي وقيل المقداد حكاه السهيلي قوله تعالى فتبينوا

اي تاملوا وتبينوا قراة الجماعة وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقالا من امر بالتبين فقد امر بالتثبت يقال تبينت الامر وتبين الامر بنفسه فهو متعد ولازم وقرا حمزه فتثبتوا من التثبت بالثا مثلثة والبا بعدها بواحده وتبينوا في هذا اولى لان الانسان قد يتثبت ولا يتبين وفي اذا معنى الشرط فلذلك دخلت الفا في قوله فتبينوا وقد يجازى بها كما قال واذا تصبك خصاصه فتحمل والجيد الا يجازى بها كما قال والنفس راغبة اذا رغبتها واذا ترد الى قليل تقنع والتبين والتثبت في القتل واجب حضرا وسفرا لا خلاف فيه وانما خص السفر بالذكر لان الحادثة التي فيها نزلت الايه وقعت في السفر قوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مومنا والسلم والسلام واحد قال البخاري وقرى بها كلها واختار ابو عبيد القسم بن سلام والسلام وخالفه اهل النظر فقالوا السلم هنا اشبه لانه بمعنى الانقياد والتسليم كما قال عز وجل فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء فالسلم الاستسلام والانقياد اي لا تقولوا لمن القى بيده واستسلم لكم واظهر دعوتكم لست مومنا وقيل السلام عليكم وهو راجع الى الاول لان سلامه بتحية الاسلام موذن بطاعته وانقياده ويحتمل ان يراد به الانحياز والترك قال الاخفش يقال فلان سلام اذا كان لا يخالط احدا والسلم بشد السين وكسرها وسكون اللام الصلح وروي عن ابن اشته انه قرا لست مومنا بفتح الميم الثانية من امنته اذا اجرته فهو مومن المسلم اذا القى السلام فلا يعد له حاذه

فقتله فان

قتله فان قال لا اله الا الله لم يجز قتله لانه قد اعتصم بعصام الاسلام
المانع من دمه وماله واهله فان قتله بعد ذلك قتل به وانما سقط القتل
عن هولا لاجل انهم كانوا في صدر الاسلام وتاولوا انه قالها خوفا من
السلاح فان العاصم قولها مطمئنا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه عاصم
كيف ما قالها ولذلك قال لاسامة افلا شققت عن قلبه حتى تعلم اقالها
ام لا اخرجه مسلم اي انظر اصادق هو في قوله ام كاذب وذلك لا يمكن فلم
يبق الا ان يبين عنه لسانه وفي هذا من الفقه باب عظيم وهو ان الاحكام
تناط بالمظان والظواهر لا على القطع واطلاع السرائر

فان قال سلام عليكم فلا ينبغي ان يقتل ايضا حتى يعلم ما وراء هذا لانه موضع
اشكال وقد قال مالك في الكافر يوجد فيقول جئت مستامنا اطلب الامان
هذه امور مشكلة وارى ان يرد الى مامنه ولا يحكم له بحكم الاسلام لان
الكفر قد ثبت له فلا بد ان يظهر منه ما يدل على قوله ولا يكفي ان
يقول انا مسلم ولا انا مومن ولا ان يصلي حتى يتكلم بالكلمة العاصمة التي
علق النبي صلى الله عليه وسلم الحكم بها عليه في قوله امرت ان اقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله فان صلى او فعل فعلا من خصائص
الاسلام فقد اختلف علماونا فقال ابن العربي نرى انه لا يكون بذلك
مسلما اما انه يقال له ما وراء هذه الصلاة فان قال صلاة مسلم قيل له
قل لا اله الا الله محمد رسول الله فان قالها تبين صدقه وان ابى علمنا ان
ذلك تلاعب وكان عند من يرى اسلامه ردة والصحيح انه كفر
اصلي ليس بردة ولذلك هذا الذي قال سلام عليكم يكلف الكلمة فان
قالها تحقق رشاده وان ابى تبين عناده وقتل وهذا معنى قوله فتبينوا اي

ضع
فيقوله

الامر المشكل وتبينوا ولا تعجلوا المعنيا نسوا فان قتله احد فقد اتى منهيا عنه فان قيل فتغليظ النبي صلى الله عليه وسلم على محلم وتبعد من فتين فكيف مخرجه قلنا لانه علم من نيته انه سال باسلامه فقتله متعمدا لاحل الحنة التي كانت بينهما في الجاهلية قوله تعالى يبتغون عرض الحياة الدنيا اي تبتغون اخذ ماله ويسمى متاع الحياة الدنيا عرض لانه عارض زايل غير ثابت قال ابو عبيده لا يقال لجميع متاع الدنيا متاعرض بفتح الرا ومنه الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الرا ما سوى الدنانير والدراهم فكل عرض عرض وليس كل عرض عرضا وفي صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقد اخذ بعض العلما فنظمه تقنع بما يكفيك واستعمل الرضى فانك لا تدري اتصبح ام تمسى فليس الغنى عن المال انما يكون الغنى والفقر من قبل النفس وهذا يصحح قول ابي عبيده فان المال يشمل كل ما يتمول وفي كتاب العين العرض ما نيل من الدنيا ومنه قوله تريدون عرض الدنيا وجمعه عروض وفي المجمل لابن فارس والعرض ما يعترض للانسان من مرض ونحوه وعرض الدنيا ما كان فيها من مال قل او كثر والعرض من الاثاث ما كان غير نقد واعرض الشي اذا ظهر وامكن والعرض خلاف الطول قوله تعالى فعند الله مغانم كثيره عدة من الله تعالى على ما ياتي به على وجهه ومن حله دون ارتكاب محظور اي فلا تتهافتوا لذلك كذلك كنتم من قبل كنتم تخفون ايمانكم عن قومكم خوفا منكم على انفسكم حتى باعزاز الدين وغلبه المشركين فهم الان كذلك كل واحد منهم في قومه متربص ان يصل اليكم فلم يصلح اذا وصل

اليكم

اليكم ان تقتلوه حتى تتبينوا امره وقال ابن زيد المعنى لذلك كنتم
تخفون ايمانكم فمن الله عليكم بان اسلمتم فلا تنكروا ان يكون هو كذلك ثم يسلم
لحينه حين لقيتموه فيجب ان تتثبتوا في امره   استدل بهذه الاية
من قال ان الايمان هو القول لقوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام
لست مومنا منع من قتلهم بمجرد القول ولولا الايمان الذي هو هذا
القول لم يعب قتلهم قلنا انما شك القوم في حاله ان يكون هذا القول
تعوذا منه فقتلوه والله لم يجعل لعباده غير الحكم بالظاهر وقد قال
صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وليس في
ذلك ان الايمان هو الاقرار فقط الا ترى ان المنافقين كانوا يقولون هذا القول
وليسوا بمومنين حسب ما تقدم بيانه في البقرة وقد كشف البيان في هذا
قوله عليه السلام افلا شققت عن قلبه فثبت ان الايمان هو الاقرار
وغيره وان حقيقته التصديق بالقلب ولكن ليس للعبد طريق اليه الا
ما سمعه منه فقط واستدل بها ايضا من قال ان الزنديق تقبل توبته
اذا اظهر الاسلام وقد مضى القول في هذا اول البقرة
وفيها رد على القدرية فان الله تعالى اخبر انه من على المومنين من بين جميع الخلق
بان خصهم بالتوفيق والقدرية تقول خلقهم كلهم للايمان ولو كان كما زعموا
لما كان للاختصاص للمومنين بالمنة من بين الخلق معنى
قوله تعالى فتبينوا اعاد الامر بالتبيين للتاكيد ان الله كان بما تعملون خبيرا تحذيرا
عن مخالفة امر الله اي احفظوا انفسكم وجنبوا الزلل المزيل لكم   تعالى
لا يستوي القاعدون من المومنين الى قوله رحيما فيه خمس مسايل
قوله تعالى لا يستوي القاعدون من المومنين قال ابن عباس لا يستوي

القاعدون عن بدر والخارجون اليها ثم قال غير اولي الضرر والضرر الزمانة
روى الايمة واللفظ لابي داود عن زيد بن ثابت قال كنت الى جنب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم على فخذي فما وجدت ثقل شي اثقل من فخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم على فخذي ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي
القاعدون من المومنين والمجاهدون في سبيل الله الى اخر الاية فقام ابن ام
مكتوم وكان رجلا اعمى لما سمع فضيلة المجاهدين فقال يا رسول الله
فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المومنين فلما قضى كلامه غشيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم السكينة فوقعت فخذه على فخذي ووجدت من ثقلها
في المرة الثانية كما وجدت في المرة الاولى ثم سري عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اقرا يا زيد لا يستوي القاعدون من المومنين فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم غير اولي الضرر الاية كلها قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها
والذي نفسي بيده لكاني انظر الى ملحقها عند صدع في كتف   وفي البخاري
عن مقسم مولى عبد الله بن الحرث انه سمع ابن عباس يقول لا يستوي
القاعدون من المومنين عن بدر والخارجون الى بدر قال العلماء اهل
الضرر هم اهل الاعذار اذ قد اضرت بهم حتى منعتهم الجهاد وصح وثبت
في الخبر انه صلى الله عليه وسلم قال وقد قفل عن بعض غزواته ان بالمدينة
رجالا ما قطعتم واديا ولا سرتم مسيرا الا كانوا معكم اولئك قوم حبسهم
العذر فهذا يقتضي ان صاحب العذر يعطى اجر الغازي فقيل يحتمل ان
يكون اجره مساويا وفي فضل الله متسع وثوابه فضل لا باستحقاق فيثيب على النية
الصادقة ما لا يثيب على الفعل وقيل يعطى اجره من غير تضعيف فيفضله

الغازي

الغازي بالتصعيف للمباشر والله اعلم قال الشيخ المولف رحمه الله
القول الاول اصح ان شا الله للحديث الصحيح في ذلك ان بالمدينه رجالا
والحديث الي خشيه الانماري قوله عليه السلام انما الدنيا لاربعه نفر
الحديث وقد تقدم في سورة العمران ومن هذا المعنى ما ورد في الخبر
اذا مرض العبد قال الله تعالى اكتبوا لعبدي ما كان يعمله في الصحة الي
ان يبرا او اقبضه الي وقد تمسك بعض العلما بهذه الايه
بان اهل الديوان اعظم اجرا من المتطوع لان اهل الديوان لما كانوا متملكين
بالعطا ويصرفون في الشدايد وتروعهم البعوث والاوامر كانوا اعظم
اجرا من المتطوع حاشه وتمهم باله في الطرايف الجبار ونحوها قال بن محيريز
اصحاب العطا افضل من المتطوعه لما يروعون قال مكحول يروعات البعوث
تنمي روعات الغنيمه وتعلق بها ايضا من قال ان الغني افضل
من الفقر لكثر الذي يوصل الي صالح الاعمال وقد اختلف الناس في هذه
المسله مع اتفاقهم ما احوج من الفقر مكروه وما ابطر من الغني مذموم فذهب
قوم الي تفضيل الغني لان الغني مقتدر والفقير عاجز والقدره افضل من العجز
قال الماوردي وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهه وذهب اخرون
الي تفضيل الفقر لان الفقير تارك والغني ملابس وترك الدنيا افضل
من ملابستها قال الماوردي وهذا مذهب من غلب عليه حب السلامه
وذهب اخرون الي تفضيل التوسط بين الامرين بان يخرج من حد الفقر الي
ادني مراتب الغني ليصل الي فضيله الامرين ويسلم من مذمة الحالين
قال الماوردي وهذا مذهب من يري تفضيل الاعتدال وان
خيار الامور اوسطها ولقد احسن الشاعر الحكيم حيث قال الا عايذا

و

بالله من عدم الغنائم رغبة يوما الى غير مرغب قوله تعالى غير اولى الضرر قراه اهل الكوفه وابو عمرو غير بالرفع قال الاخفش هو نعت للقاعدين لانهم لا يقصد بهم قوم باعيانهم فصاروا كالنكره فجاز وصفهم بغير والمعنى لا يستوى القاعدون الذين هم غير اولى الضرر والمعنى لا يستوى القاعدون الاصحا قاله الزجاج وقرا ابو حيوه غير جعله نعتا للمومنين اي من المومنين الذين هم اولى الضرر من المومنين الاصحا وقرا اهل الحرمين غير بالنصب على الاستثنا من القاعدين او من المومنين اي الا اولى الضرر فانهم يستوون مع المجاهدين وان شيت على الحال من القاعدين اي لا يستوي القاعدون اصحا في حال صحتهم وجازت الحال منهم لان لفظهم لفظ المعرفه وهو كما تقول جاني زيد غير مريض وما ذكرناه من سبب النزول يدل على معنى النصب والله اعلم قوله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجه وقد قال بعد هذا درجات فقال قوم التفضيل بالدرجه ثم بالدرجات انما هو مبالغه وبيان وتاكيد وقيل فضل الله المجاهدين على القاعدين من اولى الضرر بدرجه واحده وفضل الله المجاهدين على القاعدين من غير عذر درجات قاله ابن جريج والسدى وغيرهما وقيل ان معنى درجه ودرجات علوا اي اعلا ذكرهم ورفعهم بالثنا والمدح والتقريظ فهذا معنى درجه ودرجات يعني في الجنه قال ابن محيريز سبعين درجه بين كل درجتين حضر الفرس الجواد سبعين سنه ودرجات بدل من اجر وتفسير له ويجوز نصبه ايضا على تقدير الظرف اى فضلهم بدرجات ويجوز ان يكون توكيدا لقوله اجرا عظيما لان الاجر العظيم هو الدرجات والمغفره والرحمه ويجوز الرفع اي ذلك درجات واجرا نصب بفضل وان شيت كان مصدرا وهو احسن ولا ينتصب

بفضل

غيره

بفصل لانه قد استوفى مفعوليه وهما قوله على المجاهدين وعلى القاعدين
ولذا درجه والدرجات منازل بعضها اعلى من بعض وفي الصحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مايه درجه اعدها للمجاهدين في سبيله ما بين
الدرجتين كما بين السما والارض وكلا وعد الله الحسنى كلا منصوب بوعد
والحسنى الجنه اي وعد الله كلا الحسنى ثم قيل المراد بكل المجاهدون خاصه
وقيل المجاهد وزوا اولوا الضرر   تعالى ان الذين توفاهم الملايكه
ظالمي انفسهم الايه المراد بها جماعه من اهل مكه كانوا قد اسلموا واظهروا للنبي
صلى الله عليه وسلم الايمان به فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم اقاموا مع قومهم
وفتن منهم جماعه فافتتنوا فلما كان امر بدر خرج منهم قوم مع الكفار فنزلت
الايه وقيل انهم لما استحقروا عدد المسلمين دخلهم شك في دينهم فارتدوا
فقتلوا على الرده فقال المسلمون كان اصحابنا هولا مسلمين واكرهوا على
الخروج فاستغفروا لهم فنزلت الايه والاول اصح   روى البخاري
عن محمد بن عبد الرحمن قال قطع على اهل المدينه بعث فاكتتبت فيه فلقيت
عكرمه مولى بن عباس فاخبرته فنهاني عن ذلك اشد النهي ثم قال اخبرني
بن عباس ان ناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فياتي السهم يرمى به فيصيب احدهم
فيقتله او يضرب فيقتل فانزل الله تعالى الذين توفاهم الملايكه ظالمي انفسهم
تعالى توفاهم يحتمل ان يكون فعلا ماضيا لم يستند بعلامه
تانيث اذ تانيث لفظ الملايكه غير حقيقي ويحتمل ان يكون فعلا مستقبلا
على معنى تتوفاهم فحذفت احدى التايين وحكى بن فورك عن الحسن ان المعنى
تحشرهم الى النار وقيل تقبض ارواحهم وهو اظهر وقيل المراد بالملايكه

ملك الموت لقوله يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وظالمي انفسهم نصب
على الحال اي في حال ظلمهم انفسهم والمراد ظالمين انفسهم فحذف النون
استخفافا واضاف كما قال بالغ الكعبة وقول الملايكة فيم كنتم سوال
تقرير وتوبيخ اي اكنتم في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ام كنتم مشركين
وقول هولا كنا مستضعفين في الارض يعني مكة اعتذار غير صحيح اذ
كانوا يستطيعون الحيل ويهتدون السبيل ثم وقفهم الملايكة على ذنبهم بقوله
الم تكن ارض الله واسعة ويفيد هذا السوال والجواب انهم ماتوا
مسلمين ظالمين لانفسهم في تركهم الهجرة والا فلو ماتوا كافرين لم يقل لهم
شي من هذا وانما اضرب عن ذكرهم في الصحابة لشدة ما واقعوه ولعدم
تعين احدهم بالايمان واحتمال ردته والله اعلم ثم استثنى تعالى منهم
من الضمير الذي هو الها والميم في ماواهم من كان مستضعفا حقيقة من زمنا
الرجال وضعفة النسا والولدان كعياش بن ابي ربيعة وسلمة بن هشام
وغيرهم الذين دعا لهم الرسول صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس كنت انا
وامي ممن عنى الله بهذه الاية وذلك انه كان من الولدان اذ ذاك وامه هي ام
الفضل بنت الحرث واسمها لبابة وهي اخت ميمونة واختها الاخرى لبابة
الصغرى وهن تسع اخوات قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهن الاخوات مومنات
ومنهن سلمى والعصما وحفيدة ويقال في حفيدة ام حفيد واسمها هزيلة
وهن ست شقايق وثلاث لام وهن سلمى وسلامة واسما بنت عميس
الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب ثم امراة ابي بكر الصديق ثم امراة علي بن
ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين   تعالى فيم كنتم سوال توبيخ وقد تقدم
والاصل فيما ثم حذفت الالف فرقا بين الاستفهام والخبر والوقوف عليها فيمه

بلا حذف الالف

لئلا تحذف الالف والحركه والمراد بقوله الم تكن ارض الله واسعه المدينه
اي الم تكونوا متمكنين قادرين على الهجره والتباعد ممن كان يستضعفكم
وفي هذه الايه دليل على ان هجران الارض التي يعمل فيها المعاصي وقال
سعيد بن جبير اذا عمل بالمعاصي في ارض فاخرج وتلا الم تكن ارض الله واسعه
فتهاجروا فيها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من فر بدينه من ارض
الى ارض وان كان شبرا استوجب الجنه وكان رفيق ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما
وسلم فاولئك ماويهم جهنم اي مثواهم النار وكانت الهجره واجبه على
كل من اسلم وساءت مصيرا نصب على التفسير وقوله لا يستطيعون
حيله الحيله لفظ عام لانواع اسباب التخلص والسبيل سبيل المدينه
فيما ذكر مجاهد والسدي وغيرهما والصواب انه عام في جميع السبيل
وقوله فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم هذه الايه لا حيله له في الهجره
لا ذنب له حتى يعفى عنه ولكن المعنى انه يتوهم انه يجب تحمل غاية المشقه
في الهجره حتى ان من لم يتحمل تلك المشقه يعاقب فازال ذلك الوهم اذ لا
يجب تحمل غايه المشقه بل كان يجوز ترك الهجره عند فقد الزاد والراحله فمعنى
الايه فاولئك لا يستقصى عليهم في المحاسبه ولهذا قال وكان الله عفوا
غفورا والماضي والمستقبل في حقه تعالى واحد وقد تقدم
تعالى ومن يهاجر في الارض مراغما كثيرا الى قوله رحيما فيه ست مسايل
قوله تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد شرط وجوابه في
الارض مراغما اختلف في تاويل المراغم فقال مجاهد المراغم المتزحزح وقال
ابن عباس والضحاك والربيع وغيرهم المراغم المتحول والمذهب
وقال ابن زيد المهاجر وقاله ابو عبيده قال النحاس فهذه الاقوال

متفقة المعاني فالمراغم المذهب والمتحول في حال هجره وهو اسم الموضع
الذي يراغم فيه وهو مشتق من الرغام ورغم انف فلان اي لصق بالتراب
وراغمت فلانا هجرته وعاديته ولم ابال ان رغم انفه وقيل انما سمي مهاجرا
ومراغما لان الرجل كان اذا اسلم عادا قومه وهجرهم فسمي خروجه مراغما
وسمي مصيره الى النبي صلى الله عليه وسلم هجرة السدي المراغم المبتغى للمعيشه
وقال بن القاسم سمعت مالكا يقول المراغم الذهاب في الارض وهذا
تفسير بالمعنى وكله قريب بعضه من بعض فاما الخاص باللفظه فان المراغم موضع
المراغمه كما ذكرنا وهو ان يرغم كل واحد من المتنازعين انف صاحبه بان يغلبه
على مراده كان كفار قريش ارغموا انوف المحبوسين بمكه فلو هاجر منهم مهاجر
لارغم انوف قريش لحصوله في منعه منهم فتلك المنعه هي موضع المراغمه ومنه
قول النابغه كطود يلاد بار كانه عزيز المراغم والمهرب
قوله تعالى وسعه اي في الرزق قاله بن عباس والربيع والضحاك المعنى سعه
من الضلاله الى الهدى ومن العيله الى الغنى وقال مالك السعه سعه
البلاد وهذا اشبه بفصاحه العرب فان بسعه الارض وكثره المعاقل
تكون السعه في الرزق واتساع الصدر لهمومه وفكره وغير ذلك من وجوه
الفرج ونحو هذا المعنى قول الشاعر وكنت اذا خليل رام قطعي
وجدت وراي منفسحا عريضا اخر لكان لي مضطرب واسع في الارض
ذات الطول والعرض قال مالك هذه الايه داله على انه ليس
لاحد المقام بارض يسب فيها السلف ويعمل فيها بغير الحق قال والمراغم الذهاب
في الارض والسعه سعه البلاد على ما تقدم واستدل ايضا بعض العلما بهذه
الايه على ان للغازي اذا خرج الى الغزو ثم مات قبل القتال سهمه وان لم يحضر الحرب

دواه

رواه بن لهيعه عن يزيد بن ابي حبيب عن اهل المدينه وروى ذلك عن
بن المبارك ايضا   قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله الا يه
قال عكرمه مولى بن عباس طلبت اسم هذا الرجل اربع عشره سنه حتى
وجدته وفي قول عكرمه هذا دليل على شرف هذا العلم قديما وان
الاعتنا به حسن والمعرفه به فضل ونحو منه بن عباس مكثت سنتين
اريد ان اسال عمر رضي الله عنه عن المراتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما يمنعني الا مهابته والذي ذكر عكرمة هو ضمرة بن العيص
والعيص بن ضمرة بن زنباع حكاه الطبري عن سعيد بن جبير ويقال فيه
ضمره ايضا ويقال جندح بن ضمره من بني ليث وكان من المستضعفين بمكه
وكان مريضا فلما سمع ما انزل الله في الهجره قال اخرجوني فهيء له فراش
ثم وضع عليه وخرج به فمات بالطريق بالتنعيم فانزل الله فيه ومن
يخرج من بيته مهاجرا الايه   وذكر ابو عمر انه قد قيل فيه خالد بن
حزام بن خويلد بن اخي خديجه وانه هاجر الى ارض الحبشه فنهشته حيه
في الطريق فمات قبل ان يبلغ ارض الحبشه فنزلت فيه الايه والله ا علم
وحكى ابو الفرج الجوزي انه حبيب بن ضمره بن نعيم بن جندب
الضمري عن السدي وحكى عن عكرمه انه جندب بن ضمرة الجندعي وحكى
عن بن جابر انه ضمره بن العيص الذي من بني ليث وحكى المهدوي انه ضمره
بن ضمره بن نعيم وقيل ضمره بن خزاعه والله اعلم   وروى معمر عن
قتاده قال لما نزلت ان الذين توفاهم الملايكه ظالمي انفسهم الايه قال
رجل من المسلمين وهو مريض والله ما لي عذر واني لدليل في الطريق
واني لموسر فاحملوني فحملوه فادركه الموت في الطريق فقال اصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم لو بلغ النبا لتم اجره وقدمات بالتنعيم وجاسوه الي رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه بالقصه فنزلت هذه الايه ومن يخرج الايه وكان اسمه ضمره بن جندب ويقال جندب ضمره على ما تقدم وكان الله غفورا لما كان منه في الشرك رحيما حين قبل توبته

قال بن العربي قسم العلما رضي الله عنهم الذهاب في الارض قسمين هربا وطلبا فالاول ينقسم الي سته اقسام الاول الهجره وهي الخروج من دار الى دار الاسلام وكانت فرضا في ايام النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الهجره باقيه مفروضه الي يوم القيامه واللتي انقطعت بالفتح القصد الى النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان فان بقي في دار الحرب عصى ويختلف في حاله الثاني الخروج من ارض البدعه قال بن القاسم سمعت مالكا يقول لا يحل لاحد يقيم بارض يسب فيها السلف قال بن العربي وهذا صحيح فان المنكر اذا لم يقدر ان يغيره نزل عنه قال الله تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم الى قوله الظالمين الثالث الخروج من ارض غلب عليها الحرام فان طلب الحلال فرض على كل مسلم الرابع الفرار من الاذايه في البدن وذلك فضل من الله ارخص فيه فاذا خشي على نفسه فقد اذن الله بالخروج عنه والفرار بنفسه ليخلصها من ذلك المحذور واول من فعله عليه السلام فانه لما خاف من قومه قال اني مهاجر الى ربي وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين وقال مخبرا عن موسى فخرج منها خايفا يترقب الخامس خوف المرض في البلاد الوخمه والخروج الى الارض المنزهه وقد اذن صلى الله عليه وسلم للرعاين استوخموا المدينه ان يخرجوا الى المسرح فيكونوا فيه حتى يصحوا

وقد

وقد استثنى من ذلك الخروج من الطاعون فمنع الله سبحانه منه بالحديث
الصحيح عن نبيه صلى الله عليه وسلم وقد تقدم بيانه في المقدمة بيد ان علماونا
قالوا هو مكروه السادس خوف الاذاية في المال فان حرمة مال
المسلم كحرمة دمه والاهل مثله او اوكد واما قسم الطلب
فينقسم قسمين طلب دين وطلب دنيا فاما طلب الدين فيتعدد بتعدد
انواعه الى تسعة اقسام الاول سفر العبر قال الله عز وجل اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وهو كثير ويقال
ان ذو القرنين انما طاف ليرى عجايبها وقيل لينفذ الحق فيها الثاني سفر
الحج الاول وان كان نديا فهو فرض الثالث سفر الجهاد وله احكامه الرابع
سفر المعاش فقد يتعذر على الرجل معاشه مع الاقامة فيخرج في طلبه
لا يزيد من صيد او احتطاب او احتشاش فهو فرض عليه الخامس
سفر التجارة والكسب الزايد على القوت وذلك جايز بفضل الله سبحانه
قال الله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم يعني التجارة وهي
نعمة من بها في سفر الحج فكيف اذا انفرد السادس في طلب العلم
وهو مشهور السابع قصد البقاع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد الثامن الثغور للرباط وتكثير
سوادها للذب عنها التاسع زيارة الاخوان في الله تعالى قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم زار رجل اخا له في قرية فارسل الله ملكا
على مدرجته فقال اين تريد فقال اريد اخا لي في هذه القرية قال
هل لك من نعمة تربها عليه قال لا غير اني احببته في الله تعالى قال فاني
رسول الله اليك بان الله قد احبك كما احببته فيه رواه مسلم وغيره

تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة
فيه عشر مسايل قوله تعالى واذا ضربتم في الارض ضربتم سافرتم
وقد تقدم واختلف العلما في حكم القصر في السفر فروي عن جماعة انه فرض
وهو قول عمر بن عبد العزيز والكوفيين والقاضي اسماعيل وحماد بن ابي سليمان
واحتجوا بحديث عايشة فرضت الصلاة ركعتين ركعتين الحديث ولا حجة فيه
لمخالفتها له فانها كانت تتم في السفر وذلك يوهنه اجماع فقها الامصار على
انه ليس بامر يعتبر في صلاة المسافر خلف المقيم وقد قال غيرها من الصحابة
كعمر وابن عباس وجبير بن مطعم ان الصلاة فرضت في الحضر اربعا وفي السفر
ركعتين وفي الخوف ركعة رواه مسلم عن ابن عباس ثم حديث عايشة قد
رواه ابن عجلان عن صالح بن كيسان عن عروة عن عايشة قالت فرض رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصلاة ركعتين ركعتين وقال فيه الاوزاعي عن ابن شهاب
عن عروة عن عايشة قالت فرض الله الصلاة على رسوله ركعتين ركعتين الحديث
وهذا اضطراب ثم ان قولها فرضت الصلاة ليس على ظاهره فقد خرج عنه
صلاة المغرب والصبح فان المغرب ما زيد فيها ولا نقص منها وكذلك الصبح فهذا
كله يضعف متنه لا سنده وحكى ابن الجهم ان اشهب روى عن
مالك ان القصر فرض وهو مشهور من مذهبه وجل اصحابه واكثر العلما من
السلف والخلف ان القصر سنة وهو قول الشافعي وهو الصحيح على ما ياتي
بيانه ان شا الله ومذهب عامة البغداديين من المالكيين ان الفرض
التخيير وهو قول اصحاب الشافعي واختلفوا في ايهما افضل فقال بعضهم
القصر افضل وهو قول الابهري وغيره وقيل ان الاتمام افضل
وحكي عن الشافعي وحكى ابو سعيد الفروي المالكي ان الصحيح في مذهب مالك

التخيير

التخيير للمسافر في الاتمام والقصر قال الشيخ المولف رحمه الله وهو الذي
يظهر من قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاه الا ان ملكا رحمه
الله يستحب القصر ولذلك يروي عليه الاعاده في الوقت ان اتم وحكى
ابو مصعب في مختصره عن ملك واهل المدينه قال القصر في السفر للرجال
والنسا سنه قال ابو عمر وحسبك بهذا في مذهب ملك مع انه يختلف
قوله ان من اتم في السفر يعيد ما دام في الوقت وذلك استحباب عند من
فهم الاصحاب وقال الشافعي القصر في غير الخوف بالسنه واما بالسفر

في الخوف

فبالقران والسنه ومن صلى اربعا فلا شي عليه ولا احب لاحد ان يتم في
السفر اربعا رغبه عن السنه وقال ابو بكر الاثرم قلت لاحمد بن حنبل
للرجل ان يصلي في السفر اربعا قال لا ما يعجبني السنه ركعتين وفي موطا
ملك عن ابن شهاب عن رجل من ال خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر
فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاه الخوف وصلاه الحضر في القران ولا نجد
صلاه السفر فقال عبد الرحمن بن عمر يا ابن اخي ان الله تبارك وتعالى بعث
الينا محمدا صلى الله وسلم عليه ولا نعلم شيا فانا نفعل كما رايناه يفعل ففي
هذا الحديث قصر في السفر من غير خوف سنه لا فريضه لانها لا ذكر لها في
القران وانما القصر المذكور في القران اذا كان سفرا وخوفا واجتمعا فلم يبح
القصر في كتابه الا مع هاتين الشرطين ومثله في القران ومن لم يستطع منكم
طولا الايه وقد تقدم ثم قال فاذا اطماننتم فاقيموا الصلاه اي فاتموها وقصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اربع الى اثنتين الا المغرب في اسفاره كلها امنا
لا يخاف الا الله عز وجل فكان ذلك سنه مسنونه منه صلى الله عليه وسلم
زياده في احكام الله تعالى كساير ما سنه وبينه مما ليس له في القران ذكر

وقوله انما اراه تفعل مع حديث عمر حيث سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن القصر في السفر من غير خوف فقال تلك صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا
صدقته دل على ان الله عز وجل قد يبيح الشي في كتابه بشرط ثم يبيح ذلك الشي على
لسان نبيه من غير ذلك الشرط   وسال حنظله ابن عمر عن صلاة السفر فقال
ركعتين قلت فاين قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ونحن امنون قال سنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا ابن عمر قد اطلق عليها سنه وكذلك قال
ابن عباس فان المذهب قال ابن عمر ولم يقم مالك اسناد هذا الحديث لانه لم
يسم الرجل الذي سال ابن عمر واسقط من الاسناد رجلا والرجل الذي لم يسمه
هو اميه بن عبد الله بن خالد بن اسيد بن ابي العيص بن اميه بن عبد شمس بن عبد
مناف   واختلف العلما في حد المسافه التي تقصر فيها الصلاة
فقال داود تقصر في كل سفر طويل او قصير ولو كان ثلاثة اميال من حيث تؤتى
الجمعه متمسكا بما رواه مسلم عن يحيى بن يزيد قال سالت انس بن مالك عن قصر الصلاة
فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج مسيرة ثلاثة اميال او ثلاثة
فراسخ شعبه الشاك صلى ركعتين وهذا لا حجه فيه لانه مشكوك فيه وعلى
احدهما فلعله حد المسافه التي بدا منها القصر وكان سفرا طويلا زايدا على ذلك
والله   قال ابن العربي وقد تلاعب قوم بالدين فقالوا ان من خرج من البلد الى
ظاهر قصر واكل وقايل هذا اعجمي لا يعرف السفر عند العرب او مستخف بالدين
ولولا ان العلما ذكروه ما رضيت ان الحظه بمؤخر عيني ولا افكر فيه بفضول قلبي
ولم يذكر حد السفر الذي يقع به القصر لا في القران ولا في السنه وانما كان
كذلك لانها كانت لفظه عربيه مستقر علمها عند العرب الذين خاطبهم الله بالقران
فنحن نعلم قطعا ان من برز عن الدور لبعض الامور انه لا يكون مسافرا لغة ولا شرعا

وان مشى

وان مشا يوما وليله فانه مسافر لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل لامراة تومن
بالله واليوم الاخر ان تسافر مسيره يوم الا مع ذي محرم منها وهذا هو الصحيح
لانه وسط بين الحالتين وعليه قول مالك ولانه لما لم يجد هذا الحديث متفقا
عليه وروي مسيره يوما وليله ومسيره ثلاثه ايام رجعنا الى عبد الله بن عمر نقول
على فعله فانه كان يقصر الصلاة الى ريم وهي اربعه برد لان ابن عمر كان كثير
الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم قال غيره وكافه العلما على ان القصر انما
شرع تخفيفا وانما يكون في السفر الطويل الذي تلحق فيه المشقه غالبا فرا
مالك والشافعي واصحابهما والليث والاوزاعي وفقها اصحاب الحديث
احمد واسحاق وغيرهما يوما وليله تاما وقول مالك يوم وليله راجع
الى اليوم التام لانه لم يرد بقوله يوم وليله ان يسير النهار كله والليل
كله وانما اراد ان يسير سيرا يبيت فيه عن اهله ولا يمكنه الرجوع
اليهم وفي البخاري وكان ابن عمر وابن عباس يفطران في اربعه برد وهي
سته عشر فرسخا وهذا مذهب مالك وقال الشافعي والطبري سته
واربعون ميلا وعن مالك في العتبيه فيمن خرج الى ضيعته على خمسه
واربعين ميلا قال يقصر وهو امر متقارب وعن مالك في الكتب المنثوره
انه يقصر في سته وثلاثين ميلا وهي تقرب من يوم وليله وقال يحيى بن عمر
يعيد ابدا ابن عبد الحكم في الوقت وقال الكوفيون لا يقصر في اقل مسيره ثلثه
ايام وهو قول عثمان وابن مسعود وحذيفه وفي صحيح البخاري عن ابن
عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسافر المراه ثلاثه ايام الا مع ذي
محرم قال ابو حنيفه ثلاثه ايام ولياليها بسير الابل ومشي الاقدام وقال
الحسن والزهري يقصر الصلاه في مسيره يومين وروي هذا القول عن

عا

ملك ورواه ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسافر
المراه مسيره ليلتين الا مع زوج او ذي محرم وقصر ابن عمر في ثلاثين ميلا وانس
في خمسه عشر ميلا قال الاوزاعي عامه العلما في القصر على اليوم التام
وبه ناخذ قال ابو عمر اضطربت الاثار المرفوعه في هذا الباب كما
ترى في الفاظها ومحملها عندي والله اعلم انها خرجت على اجوبة السايلين
فحدث كل واحد بمعنى ما سمع كانه قيل له صلى الله عليه وسلم في وقت ما هل
تسافر المراة مسيره يوم بلا محرم فقال لا وقيل له في وقت اخر تسافر
المراه يومين بغير محرم فقال لا وقال له اخر هل تسافر المراه ثلاثه ايام بغير
محرم فقال لا وكذلك معنى الليله والبريد على ما روي فادى كل واحد ما سمع
على المعنى والله اعلم ويجمع معانى الاثار في هذا الباب وان اختلفت ظواهرها
تقصيرا كان او طويلا والله اعلم واختلفوا في نوع السفر
الذي تقصر فيه الصلاه فاجمع الناس على الجهاد والحج والعمره وما ضارعها
من صله رحم واحيا نفس واختلفوا فيما سوى ذلك والجمهور على جواز
القصر في السفر المباح كالتجارة ونحوها وروي عن ابن مسعود انه قال
لا تقصر الصلاه الا في حجة او جهاد وقال عطا لا تقصر في سفر طاعة وسبيل
من سبل الخير وروي عنه انها تقصر في كل السفر المباح مثل قول الجمهور
وقال مالك ان خرج للصيد لا للمعاشه ولكن متنزها او خرج لمشاهدة
بلد متنزها ومتلذذا لم يقصر والجمهور من العلما على انه لا قصر في سفر
المعصيه كالباغي وقاطع الطريق وما في معناها وروي عن ابي حنيفه والاوزاعي
اباحه القصر في جميع ذلك وروي عن مالك وقد تقدم في البقره واختلف عن
احمد فمره قال بقول الجمهور ومره قال لا يقصر الا في حج او عمره والصحيح

ما قاله

ما قاله الجمهور لان القصر انما تخفيفا عن المسافر للمشقات اللاحقة فيه
ومعونة على ما هو بصدده مما يجوز وكل الاسفار في ذلك سوا لقوله تعالى
واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة فعم وقال
صلى الله عليه وسلم خير عباد الله الذين اذا سافروا قصروا وافطروا وقال
الشعبي ان الله يحب ان يعمل برخصه كما يحب ان يعمل بعزايمه فاما سفر المعصية
فلا يجوز القصر فيه لان ذلك يكون عونا له على معصيته والله تعالى يقول
وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
واختلفوا متى يقصر فالجمهور على ان المسافر لا يقصر حتى يخرج من بيوت
القرية وحينيذ هو ضارب في الارض وهو قول مالك في المدونة ولم
يحد مالك في القرب حدا وروي عنه اذا كانت قرية يجمع اهلها فلا يقصر
اهلها حتى يجاوزوها بثلاثة اميال والى ذلك في الرجوع وان كانت لا
يجمع اهلها قصروا اذا جاوزوا بساتينها وروي عن الحارث بن ابي ربيعة
انه اراد سفرا فصلى بهم ركعتين في منزله وفيهم الاسود بن يزيد وغيروا
من اصحاب بن مسعود وبه قال عطا بن ابي رباح وسليمان بن موسى قال
الشيخ المولف رحمه الله ويكون معنى الاية على هذا واذا ضربتم في
الارض اي اذا عزمتم على الضرب في الارض والله اعلم وروي عن
مجاهد انه لا يقصر المسافر يومه الاول حتى الليل قال وقد ثبت
من حديث انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر
بالمدينة اربعا وصلى العصر بذي الحليفة ركعتين اخرجه الايمة وبين
ذي الحليفة والمدينة نحو من ستة اميال وقيل سبعة
وعلى المسافر ان ينوي القصر حين الاحرام فان

سفرا

هذه

افتتح الصلاة بنيه القصر ثم عزم على المقام في اضعاف صلاته جعلها نافله
واركان ذلك بعد ان صلى منها ركعه اضاف اليها اخرى وسلم ثم صلى
صلاة مقيم قال الابهرى وبن الجلاب هذا والله اعلم استحباب
ولو بنى على صلاته واتمها اجزاته صلاته قال ابو عمر هو عندي كما
قالا لا لا ظهر سفريه كانت او حضريه وكذلك ساير الصلوات الخمس
واختلف العلما من هذا الباب في مده الاقامه
التي اذا نواها المسافر اتم فقال ملك والشافعي والليث بن سعد
والطبري وابو ثور اذا نوى اقامه اربعه ايام اتم وروي عن سعيد
بن المسيب وقال ابو حنيفه واصحابه والثوري اذا نوى اقامه
خمس عشره ليله اتم وان كان اقل قصر وهو قول بن عمر وبن عباس ولا
مخالف لهما من الصحابه فيما ذكر الطحاوي وروي عن سعيد ايضا
وقال احمد اذا اجمع المسافر مقام اي وعشرين صلاه مكتوبه قصر وان زاد
على ذلك اتم وبه قال داود والصحيح ما قاله ملك لحديث الحضرمي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه جعل للمهاجر ان يقيم بمكه بعد قضا نسكه ثلاثه
ايام ثم يصدر اخرجه الطحاوي وبن ماجه وغيرهما ومعلوم ان الهجره
اذا كانت مفروضه قبل الفتح كان المقام بمكه لا يجوز فجعل صلى الله عليه
وسلم للمهاجر ثلاثه ايام لقضيه حوايجه وتهديه اسبابه ولم يحكم لها
بحكم المقام ولا في حد الاقامه وابقى عليه فيها حكم المسافر ومنعه من
مقام الرابع فحكم له بحكم الحاضر القاطن فكان ذلك اصلا معتمدا عليه
ومثله ما فعله عمر رضي الله عنه حين اجلى اليهودي لقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجعل لهم مقام ثلاثه ايام في قضا امورهم قال

بن العربي

بن العربي وسمعت بعض اخبار المالكية يقول انما كانت الثلاثة الايام
خارجة عن حكم لان الله رخص فيها من ابتلي به العذاب وسفر الخروج
عن الدنيا فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب
وفي المسئلة قول غير هذه الاقوال وهو ان المسافر يقصر ابدا حتى يرجع
الى وطنه ويترك وطنا له روي عن انس انه اقام سنتين بنيسابور
يقصر الصلاة وقال ابو مجلز قلت لابن عمر اني اتي المدينة فاقيم بها السبعة
اشهر والثمانية طالبا حاجة قال صل ركعتين وقال ابو اسحق السبيعي
اقمنا بسجستان ومعنا رجال من اصحاب ابن مسعود سنتين نصلي ركعتين
واقام ابن عمر باذربيجان يصلي ركعتين ركعتين وكان الثلج حال بينهم وبين
القفول قال ابو عمر محمل هذه الاحاديث عندنا على ان لا نية لواحد
من هولاء المقيمين هذه المدة وانما مثل ذلك ان يقول اخرج اليوم اخرج
غدا واذا كان هكذا فلا عزيمة هاهنا على الاقامة روى
مسلم عن عروة عن عايشة قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم
اتمها في الحضر واقرت صلاة السفر على الفريضة الاولى قال الزهري
فقلت لعروة ما بال عايشة تتم في السفر قال انها تاولت ما تاول
عثمان وهذا جواب ليس بموعب وقد اختلف الناس في تاويل اتمام
عثمان وعايشة رضي الله عنهما على اقوال فقال معمر عن الزهري ان
عثمان انما صلى بمنى اربعا لانه اجمع على الاقامة بعد الحج وروى
مغيرة عن ابراهيم ان عثمان صلى اربعا لانه اتخذها وطنا وقال
يونس عن الزهري قال لما اتخذ عثمان الاموال بالطايف واراد ان
يقيم بها صلى اربعا قال ثم اخذته الايمة بعد وقال ايوب عن الزهري

ان عثمن بن عفان اتم الصلاة بمنى من اجل الاعراب لانهم لئلا يتزوا عليه رضي
بالناس اربعا ليعلمهم ان الصلاة اربع ذكر هذه الاقوال كلها ابو داود
في مصنفه في كتاب المناسك في باب الصلاة بمنى وذكر ابو عمر في التمهيد
قال ابن جريج وبلغني انما اوفاها عثمن اربعا بمنى من اجل ان اعرابيا ناداه
في مسجد الخيف بمنى فقال يا امير المومنين ما زلت اصليها ركعتين منذ
رايتك عام الاول فخشي عثمن ان يظن جهال الناس انما الصلاة ركعتان
قال ابن جريج وانما اوفاها بمنى فقط قال ابو عمر وانما التاويلات في
اتمام عايشه فليس منها بشي يروى عنها وانما هي ظنون وتاويلات لا يصحبها
دليل واضعف ما قيل في ذلك انها ام المومنين وان الناس حيث كانوا هم
بنوها وكانوا منازلهم منازلها وهل كانت اما للمومنين الا انها زوج ابي
المومنين صلى الله عليه وسلم وهو الذي سن القصر في اسفاره في غزواته وحجه
وعمره وفي قراه ابي بن كعب ومصحفه النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه
امهاتهم وهو اب لهم وقال مجاهد في قوله تعالى هولا بناتي هن اطهر
لكم قال لم تكن بناته ولكن نسا امته وكل نبي فهو ابو امته   قال الشيخ
المولف رحمه الله وقد اعترض بهذا بان كان النبي صلى الله عليه وسلم
كان مشرعا وليست هي كذلك فانفصلا قال الشيخ المولف رحمه الله واضعف
من هذا قول من قال انها حيث اتمت لم تكن في سفر كانت جايزة وهذا
باطل قطعا فانها كانت اخوف لله واتقى من ان تخرج في سفر لا يرضاه وهذا التاويل
عليها من اكاذيب الشيعه المبتدعه وتشنيعاتهم سبحانك هذا بهتان
عظيم وانما خرجت رضي الله عنها مجتهدة محتسبة تريد ان تطفي نار الفتنة
اذ هي احق ان يستحيى منها فخرجت الامور عن الضبط وسياتي بيان هذا المعنى

ان شا الله

ان شاء الله وقيل انها اتمت لانها لم تكن ترى القصر الا في الحج والعمرة والغزو
وهذا باطل لان ذلك لم ينقل عنها ولا عرف من مذهبها ثم هي قد اتمت
في سفرها الى علي واحسن ما قيل في قصرها واتمامها انها اخذت برخصة الله لتري
الناس ان الاتمام ليس فيه حرج وان كان غيره افضل وقد قال عطا القصر
سنة ورخصة وهو الراوي عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم صام وافطر واتم الصلاة وقصر في السفر رواه طلحة بن عمرو وعنه
قالت كل ذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم صام وافطر وقصر
الصلاة واتم روى النسائي باسناد صحيح ان عائشة اعتمرت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم من المدينة مكة قالت يا رسول الله بابي انت وامي
قصرت واتممت وافطرت وصمت فقال احسنت يا عائشة ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يقصر في السفر ويتم ويفطر ويصوم قال
اسناده صحيح قوله ان تقصروا من الصلاة ان في موضع نصب
اي في ان تقصروا وقال ابو عبيدة فيها ثلاث لغات قصرت الصلاة وقصرتها
واقصرتها واختلف العلماء في تاويله فذهب جماعة من العلماء الى انه من
صلاة القصر الى اثنتين من اربع في الخوف وغيره لحديث يعلى بن امية على
ما ياتي وقال اخرون انما هو قصر الركعتين الى ركعة والركعتان في السفر
انما هي تمام كما قال عمر رضي الله تمام غير قصر وقصرها ان تصير ركعة قال
السدي اذا صليت في السفر ركعتين فهو تمام والقصر لا يحل الا ان تخاف
فهذه الاية مبيحة ان تصلي كل طائفة ركعة لا تزيد عليها شيا ويكون
للامام ركعتان وروي نحوه عن ابن عمر وجابر بن عبد الله وكعب وفعله
حذيفة بطبرستان وقد ساله الامير سعيد بن العاصي ذلك وروي

بن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى كذلك باصحابه يوم حارب محصه
وبني ثعلبه وروي ابو هريره انه صلى الله عليه وسلم صلى كذلك باصحابه بمحاربه
وعسفان قال الشيخ المولف رحمه الله وفي صحيح مسلم عن ابن عباس
قال فرض الله الصلاه على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر اربعا وفي
السفر ركعتين والخوف ركعة وهذا يؤيد هذا القول وبعض الائمه
القاضي ابا بكر بن العربي ذكر في كتابه المسمى بالقبس قال علماونا رحمه الله
عليهم هذا الحديث مردود بالاجماع قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا
لا يصح وقد ذكر هو وغيره الخلاف والنزاع فلم يصح ما ادعوه من
الاجماع وبالله التوفيق وحكى ابو بكر الرازي الحنفي في احكام القران
ان المراد بالقصر ها هنا القصر في صفة الصلاه بترك الركوع والسجود
الى الايما وبترك القيام الى الركوب وقال اخرون هذه الايه مبيحه
للقصر من حدود الصلاه وهيبها عند المسايفه واشتعال الحرب
فابيح لمن هذه حاله ان يصلي ايما براسه ويصلي ركعه واحده حيث توجه
الى ركعتين على ما تقدم في البقره ورجح الطبري هذا القول وقال انه
يعادله قوله تعالى فاذا اطمانتم فاقيموا الصلاه اي بحدودها وهيئتها
الكامله قال الشيخ المولف رحمه الله الاقوال الثلاثه لمعنى متقارب وهي
مبنيه على ان فرض المسافر القصر وان الصلاه في حقه ما نزلت الا ركعتين
فلا قصر ولا يقال في هذه العزيمه لا جناح ولا يقال فيما شرع ركعتين انه
قصر كما لا يقال في صلاه الصبح ذلك وذكر الله تعالى القصر بشرطين
والذي يعتبر فيه الشرطان صلاه الخوف هذا ما ذكره ابو بكر الرازي
في احكام القران واحتج به ورد عليه بحديث يعلى بن اميه على ما ياتي

انفا قوله تعالى ان خفتم مخرج الكلام على الغالب اذا كان
الغالب على المسلمين الخوف في الاسفار ولهذا قال يعلى بن امية لعمر ما لنا
نقصر وقد امنا فقال عمر عجبت مما عجبت منه سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته قال
الشيخ المولف رحمه الله وقد استدل اصحاب الشافعي وغيرهم
على الحنفية بحديث يعلى بن امية فقالوا ان قوله ما لنا نقصر وقد امنا دليل
قاطع على ان مفهوم الاية القصر في الركعات قال الكيا الطبري ولم
يذكر اصحاب ابي حنيفة على هذا تاويلا يساوي الذكر ثم ان صلاة الخوف
لا يعتبر فيها الشرطان فانه لو لم يضرب في الارض ولم يوجد السفر بل
بل جاءنا الكفار وغزونا في بلادنا فيجوز صلاة الخوف فلا يعتبر وجود
الشرطين على ما قاله وفي قراءة ابي ان تقصروا من الصلاة ان يفتنكم
بسقوط ان خفتم والمعنى على قراءته كراهة ان يفتنكم الذين كفروا وثبت
في مصحف عثمان رضي الله عنه ان خفتم وذهب جماعة الى ان هذه
الاية انما هي مبيحة للقصر في السفر للخائف من العدو ولمن كان امنا فلا
قصر له روي عن عايشة رضي الله عنها انها كانت تقول في السفر اتموا
صلاتكم فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقصر فقالت انه
كان في حرب وكان يخاف وهل انتم تخافون وقال عطا كان يتم من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عايشة وسعد بن ابي وقاص
واتم عثمان ولكن ذلك بعلة تقدم بعضها وذهب جماعة الى ان الله عز
وجل لم يبح القصر في كتابه الا بشرطين السفر والخوف وفي غير الخوف
بالسنة منهم الشافعي وقد تقدم وذهب اخرون الى ان قوله تعالى

ان خفتم ليس متصلا بما قبل وان الكلام تم عند قوله من الصلاة ثم افتتح
تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فاقم لهم بالجد صلاة الخوف
وقولهم ان الكافرين كانوا لكم عدوا كلام معترض قاله الجرجاني ودكره المهدوي
وغيرهما ورد القول القشيري والقاضي ابو بكر بن العربي قال القشيري
ابو نصر وفي الحمل على هذا تكلف شديد وان اطنب الرجل يريد الجرجاني
في التقدير وضرب الامثال وقال بن العربي وهذا كله لم يفتقر اليه عمر
ولا ابنه ولا يعلى بن امية معهما قال الشيخ المولف رحمه الله قد جا
حديث بما قاله الجرجاني ذكره القاضي ابو الوليد بن رشد في مقدماته وفي
عطيه ايضا في تفسيره عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال
سال قوم من التجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نضرب في
الارض فكيف نصلي فانزل الله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلاة ثم انقطع الكلام فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبي
صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر فقال المشركون لقد امكنكم محمد واصحابه
من ظهورهم هل لا شددتم عليهم فقال قايل منهم ان لهم اخرى في
اثرها فانزل الله تعالى بين الصلاتين ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا الى
اخر صلاة الخوف فان صح هذا الخبر فليس لاحد معه مقال ويكون
فيه دليل على القصر في غير الخوف بالقران وقد روي عن بن عباس
ايضا مثله قال ان قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلاة نزلت في الصلاة في السفر ثم نزل ان خفتم
ان يفتنكم الذين كفروا في الخوف بعدها بعام فالاية على هذا
تضمنت قضيتين وحكمين فقوله واذا ضربتم في الارض فليس عليكم

جناح

جناح ان يقصروا من الصلاه يعني به السفر وتم الكلام ثم ابتدا فريضه
اخرى فقدم الشرط والتقدير ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا واذا
كنت فيهم فاقمت لهم الصلاه والواو زايده والجواب فلتقم طايفه منهم
معك وقوله ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا اعتراض وذهب
قوم الى ان ذكر الخوف منسوخ بالسنه وهو حديث عمر اذ روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له هذه صدقه تصدق الله بها عليكم
فاقبلوا صدقته قال النحاس من جعل قصر النبي صلى الله عليه وسلم في غير
خوف وفعله لذلك ناسخا للايه فقد غلط لانه ليس في الايه منع
من القصر في الامن وانما فيها اباحه القصر في الخوف فقط
قوله تعالى ان يفتنكم الذين كفروا اهل الحجاز يقولون فتنت الرجل وربيعه
وقيس واسد وجميع اهل نجد يقولون افتنت الرجل وفرق الخليل
وسيبويه بينهما فقالا فتنته جعلت فيه فتنه مثل كحلته وافتنته
جعلته مفتتنا وزعم الاصمعي انه لا يعرف افتنته ان الكافرين كانوا
لكم عدوا مبينا عدوا ها هنا بمعنى اعدا تعالى واذا كنت فيهم
فاقمت لهم الصلاه الى قوله مهينا فيه احدى عشره مسله
قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاه روى الدارقطني عن ابي
عياش الزرقي قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان
فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبله فصلى بنا
النبي صلى الله عليه وسلم الظهر فقالوا قد كانوا على حال لو اصبنا غرتهم
قال ثم قالوا تاتي الان عليهم صلاه هي احب اليهم من ابنايهم وانفسهم
قال فنزل جبريل عليه السلام بهذه الايه بين الظهر والعصر واذا كنت

فيهم وذكر الحديث وسياتي تمامه ان شا الله وهذا كان سبب اسلام
خالد رضي الله عنه وقيل اتصلت هذه الايه بما سبق من ذكر الجهاد
وبين الرب تبارك وتعالى ان الصلاه لا تسقط بعذر السفر ولا بعذر
الجهاد وقتال العدو ولكن فيها رخص على ما تقدم في البقره وهذه السوره
بيانه من اختلاف العلما وهذه الايه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو
يتناول الامرا بعده الى يوم القيامه ومثله قوله خذ من اموالهم صدقه
هذا قول كافه العلما وشذ ابو يوسف واسماعيل بن عليه فقالوا لا
تصلي صلاه الخوف بعد النبي صلى الله عليه وسلم فان الخطاب كان خاصا له
بقوله واذا كنت فيهم واذا لم يكن فيهم لم يكن ذلك لهم لان النبي صلى الله
عليه وسلم ليس كغيره في ذلك وكلهم كان يحب ان ياتم به ويصلي خلفه وليس
احد من الفضل يقوم في الفضل مقامه والناس بعده تستوي احوالهم
وتتفاوت فلذلك يصلي الامام بفريق ويامر من يصلي بالفريق الاخر واما ان
يصلوا بامام واحد فلا وقال الجمهور انا قد امرنا باتباعه والتاسي به في
غير ما ايه وغير حديث فقال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم
فتنه وقال صلوا كما رايتموني اصلي فلزم اتباعه مطلقا حتى يدل دليل
واضح على الخصوص ولو كان ما ذكروه دليلا على الخصوص للزم قصر الخطابات
على من توجهت له وحينيذ كان يلزم ان تكون الشريعه قاصره على من خوطب بها
ثم ان الصحابه رضوان الله عليهم اطرحوا توهم الخصوص في هذه الصلاه
وعدوه الى غير النبي صلى الله عليه وسلم وهم اعلم بالمقال واقعد بالحال
وقد قال تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى
يخوضوا في حديث غيره وهذا خطاب له وامته داخله فيه ومثله

كثير

كثير وما لحد من اموالهم صدقه وذلك لا يوجب الاقتصار عليه وع
وان من بعده يقوم في ذلك مقامه فلذلك قوله واذا كنت فيهم الا تري
ان ابا بكر الصديق رضي الله في جماعة من الصحابه قالوا من تاول في الزكاه
مثل ما تاول قوم في صلاه الخوف قال ابو عمر ليس في اخذ الزكاه الذي قد
استوي فيها النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الخلفا ما يشبه صلاه
من صلا خلف النبي صلى الله عليه وسلم وصلى غيره خلف غيره لان
اخذ الزكاه فايدتها توصيلها للمساكين وليس فيها فضل للمعطي كما في الصلا
فضل للمصلي خلفه قوله فلتقم طايفه منهم معك يعني جماعه
منهم معك في الصلاه وليأخذوا اسلحتهم يعني الذين يصلون معك
ويقال وليأخذوا اسلحتهم الذين بازا العدو وعلى ما ياتي بيانه ولم
يذكر الله في الايه لكل طايفه الا ركعه واحده ولكن روي في الاحاديث
انهم اضافوا اليها اخرى على ما ياتي وحذفت الكسره من قوله فلتقم وليكونوا
لثقلها وحكى الاخفش والفرا والكساي ان لام الامر ولام كي ولام
الجحود يفتحن وسيبويه يمنع من ذلك لعله توجبه وهي الفرق بين لام
الجر ولام التاكيد والمراد من هذا الامر الانقسام اي وسايرهم
وجاه العدو حذرا من توقع حملته وقد اختلفت الروايات في هيئه
صلاه الخوف واختلف العلما لاختلافها فذكر ابن القصار انه صلى الله
عليه وسلم صلاها في عشره مواضع قال ابن العربي روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه صلى صلاه الخوف اربعا وعشرين مره قال احمد بن حنبل
وهو امام اهل الحديث والمقدم في معرفه علل النقل فيه لا اعلم
انه روي في صلاه الخوف الا حديث ثابت هي كلها صحاح ثابته فعلى

اي حديث صلاها المصلي صلاه الخوف اجزاه ان شا الله وكذلك قال
ابو جعفر الطبري وامام ملك وساير اصحابه الا اشهب فذهبوا
في صلاه الخوف الى حديث سهل بن ابي حثمه وهو ما رواه في موطيه
عن يحيي بن سعيد عن القاسم بن محمد عن صالح بن خوات الانصاري ان
سهل بن ابي حثمه حدثه ان صلاه الخوف ان يقوم الامام ومعه طايفه
من اصحابه وطايفه مواجهه العدو فيركع الامام ركعه ويسجد بالذين
معه ثم يقوم فاذا استوى قايما ثبت واتموا لانفسهم الركعه الباقيه
ثم يسلمون وينصرفون والامام قايم فيكونون وجاه العدو ثم
يقبل الاخرون الذين لم يصلوا فيكبرون ورا الامام فيركع بهم
ويسجد ثم يسلم فيقومون فيركعون لانفسهم الركعه الباقيه ثم
يسلمون قال ابن القاسم وقد كان ياخذ بحديث يزيد بن رومان
ثم رجع الى هذا قال ابو عمر حديث القاسم وحديث يزيد بن
رومان كلاهما عن صالح بن خوات الا ان بينهما فصلا في السلام ففي
حديث القاسم ان الامام يسلم بالطايفه الثانيه ثم يقومون
فيقضون لانفسهم الركعه وفي حديث يزيد بن رومان انه ينتظرهم
ويسلم بهم وبه قال الشافعي واليه ذهب قال الشافعي حديث
يزيد بن رومان عن صالح بن خوات هذا اشبه الاشيا في صلاه الخوف
بظاهر كتاب الله وبه اقول ومن حجه ملك في اختياره حديث القاسم
القياس على ساير الصلاه في ان الامام ليس له ان ينتظر احدا سبقه بشي
منها وان السنه المجمع عليها ان يقضي الماموم ما سبقوا به بعد سلام الامام
وقول ابي ثور في هذا الباب كقول ملك وقال احمد كقول الشافعي

الصلوات

في

في المختار عنده وكان لا يعيب من فعل شيا من الاوجه المروية في صلاة
الخوف وذهب اشهب من اصحاب مالك الى حديث بن عمر قال
صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف باحدى الطايفتين ركعة والطايفة
الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا مقام اصحابهم مقبلين
على العدو وجا اوليك ثم صلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم ركعة ثم سلم
النبي صلى الله عليه وسلم ثم قضى هولا ركعة وهولا ركعة قال بن عمر
فاذا كان خوف اكثر من ذلك صلى راكبا او قايما اخرجه البخاري ومسلم
ومالك وغيرهم والى هذه الصفة ذهب الاوزاعي وهو الذي ارتضاه
ابو عمر بن عبد البر قال لانه اصحها اسنادا وقد ورد بنقل اهل
المدينة وبهم الحجة على من خالفهم ولانه اشبه بالاصول لان
الطايفة الاولى والثانية لم يقضوا الركعة الا بعد خروج رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الصلاة وهو المعروف من سنته المجتمع عليها في
ساير الصلوات واما الكوفيون ابو حنيفة واصحابه الا ابا يوسف
والقاضي يعقوب فذهبوا الى حديث عبد الله بن مسعود اخرجه
ابو داود والدارقطني قال صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فقاموا
صفين صف خلف النبي صلى الله عليه وسلم وصف مستقبل العدو فصلى
بهم النبي صلى الله عليه وسلم ركعة وجا الاخرون فقاموا مقامهم
واستقبل هولا العدو فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
سلم فقام هولا فصلوا لانفسهم ركعة ثم سلموا ثم ذهبوا فقاموا
مقام اوليك مستقبلي العدو ورجع اوليك الى مقامهم فصلوا
لانفسهم ركعة ثم سلموا وهذه الصفة والهيية هي الهيية المذكورة

في حديث بن عمر الا ان بينهما فرقا وهو ان قضا اوليك في حديث بن عمر
يظهر انه في حالة واحدة ويبقى الامام كالحارس وحده وها هنا قضا وهم
متفرق على صفة صلاتهم وقد تاول بعضهم حديث بن عمر على ما في حديث
بن مسعود وقد ذهب الى مذهب الى حديث بن مسعود الثوري في
احدى الروايات الثلاث عنه واشهب وبن عبد العزيز فيما ذكر ابو ا
لحسن اللخمي عنه والاول ذكره ابو عمر بن يونس وبن حبيب عنه وروى ابو
داود من حديث حذيفة وابي هريرة وبن عمر انه صلى الله عليه وسلم صلى
بكل طايفة ركعة ولم يقضوا وهو مقتضى حديث بن عباس في الخوف ركعة
وهذا قول اسحاق وقد تقدم في البقرة الاشارة الى هذا وان الصلاة اولى
احتياط لها وان حديث بن عباس لا يقوم به حجة وقوله في حديث حذيفة
وغيره ولم يقضوا اي في علم من روى ذلك لانه قد روي انهم قضوا ركعة
في تلك الصلاة بعينها وشهادة من زاد اولى ويحتمل ان يكون المراد لم يقضوا
اي يقضوا اذا امنوا ويكون فايدة ان الخايف اذا امن لا يقضي ما صلى على تلك
الهيئة من الصلوات في الخوف والحجة بن عمر في صحيح عن جابر انه عليه
السلام صلى بطايفة ركعتين ثم تاخروا وصلى بالطايفة الاخرى ركعتين
قال فكانت لرسول الله صلى الله وسلم اربع ركعات وللقوم ركعتان واخرجه
ابو داود والدارقطني من حديث الحسن عن ابي بكرة وذكر فيه انه سلم
من كل ركعتين واخرجه الدارقطني ايضا عن الحسن عن جابر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلى بهم ركعتين ثم سلم ثم صلى بالاخرين ركعتين ثم سلم قال
ابو داود وبذلك كان الحسن يفتي وروي عن الشافعي وبه يحتج من اجاز
اختلاف نية الامام والماموم في الصلاة وهو مذهب الاوزاعي والشافعي

وبن

مسلم

٢٥٩

ونزعليه واحمد بن حنبل وداود وعنه واهد الحديث جابر ان معاذا
كان يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم العشا ثم ياتي فيقوم قومه الحديث
وقال الطحاوي انما كان هذا في اول الاسلام اذ كان يجوز ان يصلي الفريضة
مرتين ثم نسخ ذلك والله اعلم فهذه اقاويل العلما في صلاة الخوف

وهذه الصلاة المذكورة في القران انما يحتاج والمسلمون
مستدبرون القبلة ووجه العدو القبلة وانما اتفق هذا بذات الرقاع
واما بعسفان والموضع الاخر فالمسلمون كانوا في قبالة القبلة وما ذكرناه
من سبب النزول في قصة خالد بن الوليد لا يلايم تفريق القوم الى
طايفتين فان في الحديث بعد قوله فاقمت لهم الصلاة فحضرت الصلاة فامر
النبي صلى الله عليه وسلم ان ياخذوا السلاح وصفنا خلفه صفين قال
ثم ركعنا فركعنا جميعا قال ثم رفعنا جميعا قال ثم سجد النبي صلى الله عليه
وسلم بالصف الذي يليه والاخرون قيام يحرسونهم فلما سجدوا وقاموا
جلس الاخرون فسجدوا في مكانهم قال ثم تقدم هولا ثم رفعوا جميعا
في مصاف هولا وجا هولا الى مصاف هولا قال ثم ركع فركعوا جميعا
ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم والصف الذي يليه والاخرون سجدوا ثم
سلم عليهم قال فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرة بعسفان
ومرة في ارض بني سليم واخرجه ابو داود من حديث ابي عياش الزرقي
وقال وهو قول الثوري وهو احوطها واخرجه ابو عيسى الترمذي
من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بين ضجنان وعسفان
الحديث وفيه انه صلى الله عليه وسلم صدعهم صدعين وصلى بكل
طايفة ركعة فكانت للقوم ركعة ركعة وللنبي صلى الله عليه وسلم ركعتان

هم

فع قرم

ن

ن

قال حديث حسن صحيح غريب وفي الباب عن عبد الله بن مسعود
وزيد بن ثابت وابن عباس وجابر وابي عياش الزرقي واسمه زيد بن
الصامت قال الشيخ المولف رحمه الله ولا تعارض بين هذه الروايات
لعله صلى بهم صلاة كما جاء في حديث ابي عياش مجتمعين وصلى بهم صلاة
اخرى مفترقين كما في حديث ابي هريرة ويكون فيه حجة لمن يقول صلاة
الخوف ركعة قال الخطابي صلاة الخوف انواع صلاها النبي صلاها
النبي صلى الله عليه وسلم في ايام مختلفة واشكال متباينة يتوخى
فيها كلها ما هو احوط للصلاة وابلغ في الحراسة
واختلفوا في كيفية صلاة المغرب فروى الدارقطني عن الحسن عن
ابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بالقوم صلاة المغرب ثلاث
ركعات ثم انصرف وجاء الاخرون فصلى بهم ثلاث ركعات فكانت
للنبي صلى الله عليه وسلم ست وللقوم ثلاث ثلاث وبه قال الحسن
والجمهور في صلاة المغرب على خلاف هذا وهو انه يصلي بالاولى
ركعتين وبالثانية ركعة ويقضي على اختلاف اصولهم فيه متى يكون
هل قبل سلام الامام او بعده هذا قول مالك وابو حنيفة لانه
احفظ لهيئة الصلاة وقال الشافعي يصلي بالاولى ركعة لان عليا رضي الله
عنه فعلها ليلة الهرير واختلفوا في صلاة الخوف
عند التحام الحرب وشدة القتال وخيف خروج الوقت فقال
مالك والثوري والاوزاعي والشافعي وعامة العلما يصلي كيف ما
امكن لقول ابن عمر فان كان خوف اكثر من ذلك فصلى راجلا او قائما يومي
ايما قال في الموطا مستقبل القبلة وغير مستقبلها وقد تقدم في البقرة
قول الضحاك

قول الضحاك واسحق وقال الاوزاعي ان كان تهيا الفتح ولم
يقدروا على الصلاه صلوا ايماء كل امرئ لنفسه فان لم يقدروا على
الايماء اخروا الصلاه حتى ينكشف القتال ويامنوا فيصلوا
ركعتين فان لم يقدروا صلوا ركعه وسجدتين فان لم يقدروا
لم يجزهم التكبير ويوخروها حتى يامنوا وبه قال مكحول
قال الشيخ المولف رحمه الله وحكاه الطبري في احكام القران
له عن ابي حنيفه واصحابه قال والما اذا كان الخوف اشد من
ذلك وكان التحام القتال فان المسلمين يصلوا على ما امكنهم
مستقبلين القبله ومستدبريها وابو حنيفه واصحابه الثلاثه
متفقون على انهم لا يصلون والحاله هذه بل يوخرون وان
قاتلوا في الصلاه قالوا فسدت الصلاه وحكي عن الشافعي انه تابع
الطعن والضرب فسدت صلاته قال الشيخ المولف رحمه الله
هذا القول يدل على صحته وقال انس حضرت مناهضة حصن
تستر عند اضاءة الفجر واشتد اشتعال القتال فلم يقدر على
الصلاه الا بعد ارتفاع النهار فصليناها ونحن مع ابي موسى ففتح لنا
قال انس وما يسرني بتلك الصلاه الدنيا وما فيها ذكره البخاري واليه
كان يذهب شيخنا الاستاد ابو جعفر احمد بن محمد القيسي القرطبي
المعروف بابي حجه وهو اختيار البخاري فيما يظهر لانه اردفه
بحديث جابر قال جاء عمر يوم الخندق فجعل يسب كفار قريش
ويقول يا رسول الله ما صليت العصر حتى كادت الشمس ان
تغرب فقال النبي صلى الله عليه وسلم وانا والله ما صليتها قال

فنزل الى بطحان فتوضا وصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى المغرب
بعدها واختلفوا فى صلاه الطالب والمطلوب
فقال مالك وجماعه من اصحابه هما سوا كل واحد منهما يصلى على
دابته وقال الاوزاعى والشافعى وفقها اهل الحديث وابن عبد الحكم
لا يصلى الطالب الا بالارض وهو الصحيح لان الطلب تطوع
والصلاه المكتوبه فرضها ان يصلى بالارض حيث ما امكن ذلك فلا
يصليها راكب الا خايف شديد خوفه وليس كذلك الطالب
والله اعلم واختلفوا ايضا فى العسكر اذا راوا
سوادا فظنوه عدوا فصلوا صلاه الخوف ثم بان لهم انه غير
شى فللعلما فيه روايتان احداهما يعيدون وبه قال ابو حنيفه
والثانيه لا اعاده عليهم وهو الظاهر من قولى الشافعى ووجه الاول
انهم تبين لهم الخطا فعادوا الى الصواب كحكم الحاكم ووجه الثانيه
انهم عملوا على اجتهادهم فجاز لهم كما لو اخطاوا القبله وهذا اولى
لانهم فعلوا ما امروا به وقد يقال يعيدون فى الوقت ما بعد خروجه
فلا والله اعلم قوله تعالى وليأخذوا اسلحتهم قال وليأخذوا
حذرهم واسلحتهم وهذه وصاه بالحذر واخذ السلاح لئلا ينال العدو
امله وذلك فرصته والسلاح ما يدفع به المرء عن نفسه فى الحرب
قال عنترة كسرت بحد حد بنى اياى سلاحى بعد عرى وافتضاحى
يقول اعرته سلاحى ليمتنع بها عندى عرى من السلاح قال ابن عباس
وليأخذوا اسلحتهم يعنى الطايفه التى وجاه العدو لان المصليه لا تحارب
وقال غيره هى المصليه اى وليأخذ الذين صلوا اولا اسلحتهم ذكره

الزجاج

الزجاج قال ويحتمل ان تكون الطايفه الذين هم في الصلاه امروا بحمل السلاح اي فلتقم طايفه منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فانه ارهب للعدو والنحاس يجوز ان يكون للجميع لانه اهيب للعدو ويحتمل ان تكون التي وجاه العدو خاصه قال بن عمر واكثر اهل العلم يستحبون للمصلي اخذ سلاحه اذا صلا في الخوف ويحملون قوله وخذوا اسلحتكم على الندب لانه شي لولا الخوف لم يجب اخذه فكان الامر به ندبا وقال اهل الظاهر اخذ السلاح في صلاه الخوف واجب لامر الله به الا لمن كان به اذى من مطر فان كان ذلك جاز له وضع سلاحه وقال بن العربي اذا صلوا اخذوا سلاحهم عند الخوف وبه قال الشافعي وهو نص القران وقال ابو حنيفه لا يحملونها لانه لو وجب عليهم حملها لبطلت الصلاه بتركها قلنا لم يجب حملها لاجل الصلاه وانما وجب عليهم قوه لهم ونظرا

قوله فاذا سجدوا الضمير في سجدوا للطايفه المصليه فلينصرفوا هذا على بعض الهيات المرويه وقيل المعنى فاذا سجدوا ركعه القضا وهذا على هيئه سهل بن ابي حثمه ودلت هذه الايه على ان السجود قد يعبر به عن جميع الصلاه وهو كقوله صلى الله عليه وسلم اذا دخل احدكم المسجد فليسجد سجدتين اي فليصل ركعتين وهي في السنه والضمير في قوله فليكونوا يحتمل ان يكون الذين سجدوا ويحتمل ان يكون للطايفه القايمه اولا بازا العدو

قوله تعالى ود الذين كفروا اي تمنى واحب الكافرون غفلتكم عن اخذ السلاح ليصلوا الى مقصود فبين الله تعالى بهذا وجه الحكمه في الامر باخذ السلاح وذكر الحذر في الطايفه الثانيه دون الاولى لانها اولى باخذ الحذر لان العدو لا يوخر قصده عن هذا الوقت لانه

اخر الصلاه وايضا يقول للعدو قد اثقلهم السلاح وكلوا وفي هذه الايه
ادل دليل على تعاطي الاسباب واتخاذ كل ما ينجي ذوي الالباب ويوصل
الى السلامه ويبلغ دار الكرامه ومعنى ميله واحده مبالغه اي مستاصله
لا يحتاج معها الى ثانيه قوله تعالى ولا جناح عليكم
ان كان بكم اذى من مطر الايه للعلما في وجوب حمل السلاح في الصلاه
كلام قد اشرنا اليه فان لم يجب فيستحب للاحتياط ثم رخص في المطر
ومعه لانه يثقل المطاب وسهل ويبعد الحديد وقيل نزلت في النبي صلى
الله عليه وسلم يوم بطن نخله لما انهزم المشركون وغنم المسلمون وذلك انه كان
يوما مطيرا وخرج النبي صلى الله عليه وسلم لقضا حاجته واضعا سلاحه
فراه الكفار منقطعا عن اصحابه فقصده غورث بن الحارث فانحدر اليه
من الجبل بسيفه وقال من يمنعك مني اليوم فقال الله ثم قال اللهم اكفني
الغورث بما شيت فاهوى بالسيف الى النبي صلى الله عليه وسلم ليضربه فاكب
لوجهه لزلقه ذلقها ذكر الواقدي ان جبريل عليه السلام دفع في صدره
على ما ياتي بيانه في المايده وسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى الله عليه
وسلم وقال من يمنعك مني يا غورث فقال لا احد قال فتشهد بالحق واعطيك
سيفك قال لا ولكن اشهد الا اقاتلك بعد هذا ولا اعين عليك عدوا
فدفع اليه السيف فنزلت الايه رخصه في وضع السلاح في المطر ومرض
عبد الرحمن بن عوف من جرح كما في صحيح البخاري فرخص الله سبحانه لهم في
ترك السلاح والتاهب للعدو بعذر المطر ثم امرهم فقال خذوا حذركم
اي كونوا متيقظين وضعتم السلاح او لم تضعوه وهذا يدل على تاكيد التاهب
والحذر من العدو في كل الاحوال وترك الاستسلام فان الجيش ما جاءه مصاب

فط الا من تفريط في حذر وقال الضحاك في قوله تعالى ميله واحدة واحد بكم يعني
تعلقوا باسيوفكم فان ذلك هيبة الغزاة فاذا قضيتم الصلاة
فيه خمس مسايل قضيتم معناه فرغتم من صلاة الخوف وهذا يدل
على ان القضا يستعمل فيما قد فعل في وقته ومنه قوله فاذا قضيتم مناسككم
وقد تقدم قوله تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم
ذهب الجمهور الى ان هذا الذكر المامور به انما هو اثر صلاة الخوف اي اذا
فرغتم من الصلاة فاذكروا بالقلب واللسان على اي حال كنتم قياما وقعودا
وعلى جنوبكم وادبموا ذكره بالتكبير والتهليل والدعا بالنصر لاسيما في
حال القتال ونظيره اذا لقيتم فية فاثبتوا واذكروا الله كثيرا
لعلكم تفلحون ويقال فاذا قضيتم الصلاة يعني اذا صليتم في دار
الحرب فصلوا على الدواب او قياما او قعودا او على جنوبكم ان لم
تستطيعوا القيام اذا كان خوفا او مرضا كما قال في اية اخرى فان
خفتم فرجالا او ركبانا وقال قوم هذه الاية نظير التي في ال عمران
فروي ان عبد الله بن مسعود راى الناس يضحكون في المسجد فقال ما
هذه الضحكة قالوا اليس ايه تعالى اذكروا الله قياما وقعودا وعلى
جنوبكم قال انما يعني بهذه الصلاة المكتوبة ان لم تستطع قايما فقاعدا
وان لم تصل على جنبك فالمراد نفس الصلاة لان الصلاة ذكر الله تعالى
وقد اشتملت على الاذكار المفروضة والمسنونة والقول الاول
اظهر والله اعلم قوله تعالى فاذا اطمانتم اي امنتم ٥
والطمانينة سكون النفس من الخوف واقيموا الصلاة اي فاتوا باركانها
وكمال هياتها في السفر وبكمال عددها في الحضر ان الصلاة كانت على المومنين

تا با موقوتا اي موقتة مفروضة وقال زيد بن اسلم موقوتا منجما اي
تؤدي في انجمها والمعنى عند اهل اللغة مفروض لوقت بعينه يقال وقته
فهو موقوت ووقته فهو موقت وهذا قول زيد بن اسلم بعينه وقال
تا با والمصدر رمد كرفلهذا قال موقوتا — قوله تعالى ولا تهنوا
اي لا تضعفوا وقد تقدم في ال عمران في ابتغا القوم طلبهم قيل نزلت الاية
في حرب احد حيث امر النبي صلى الله عليه وسلم في اثار المشركين وكان المسلمين
جراحات وكان امر ان لا يخرج معه الا من كان في الوقعة كما تقدم في ال
عمران وقيل هذا في كل جهاد — قوله تعالى ان تكونوا تالمون اي
تتالمون مما اصابكم من الجراح فهم يتالمون ايضا مما يصيبهم ولكم مزية وهي
انكم ترجون ثواب الله وهم لا يرجونه وذلك ان من لا يومن بالله لا
يرجوا من الله شيا ونظير هذه الاية ان يمسسكم قرح فقد مس القوم
قرح مثله وقد تقدم وقرا عبد الرحمن الاعرج ان تكونوا بفتح الهمزة اي
لان وقرا منصور بن المعتمر ان تكونوا تيلمون بكسر التا ولا يجوز عند البصريين
كسر التا لثقل الكسر فيها ثم قيل الرجا هنا بمعنى الخوف لان من رجا شيا فهو
غير قاطع بحصوله فلا يخلو من خوف فوت ما يرجوا وقال الفرا والزجاج لا
يطلق الرجا بمعنى الخوف الا مع النفي كقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا
تخافون لله عظمة وقوله الذين لا يرجون ايام الله اي لا يخافوا قال القشيري
ولا يبعد ذكر الخوف من غير ان يكون في الكلام نفي ولكنهما ادعيا انه لم
يوجد ذلك الا مع النفي — تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق
لتحكم بين الناس بالحق بما اراك الله ولا تكن للخاينين خصيما فيه اربع مسايل
في هذه الاية تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وتكريم وتعظيم

وتفويض

رجع

وتفويض وتقديم ايضا على الحادثة في الحلم وما تعلق مما رفع اليه في امر بني
ابيرق وكانوا ثلاثة اخوة بشر وبشير ومبشر واسير بن عروة بن عمر لهم
نقبوا مشربة لرفاعة بن زيد بالليل وسرقوا ادراعا له وطعاما فعثر على
ذلك وقيل ان السارق بشير وحده وكان يكنى ابا طعمة اخذ درعا قيل كان
ذلك الدرع في جراب فيه دقيق فكان الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى
انتهى الى داره فجاء ابن اخي رفاعة واسمه قتادة بن النعمان يشكوهم الى النبي
صلى الله عليه وسلم فجاء اسير بن عروة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ان هؤلاء عمدوا الى اهل بيت هم اهل صلاح ودين فابنوهم بالسرقة ورموهم
بها من غير بينة وجعل يجادل عنهم حتى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على قتادة ورفاعة فانزل الله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم
الاية وانزل الله ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وكان البريء
الذي رموه بالسرقة لبيد بن سهل وقيل زيد بن السمين وقيل رجل من
الانصار فلما انزل الله ما انزل هرب ابن ابيرق السارق الى مكة ونزل على سلافة
بنت سعد بن شهيد فقال حسان بيتا يعرض فيه بها وهو فلما بلغها
قالت انما اهديت لي شعر حسان واخذت رحله فطرحته خارج المنزل
فهرب الى الحجر وارى انه نقب بيتا ذات ليلة ليسرق فسقط الحائط
عليه فمات مرتدا ذكر هذا الحديث بكثير من الفاظه الترمذي وقال حديث
حسن غريب لا نعلم احدا اسنده غير محمد بن سلمة الحراني وذكره الليث والطبري
بالفاظ مختلفة وذكر قصة موته يحيى بن سلام في تفسيره والقشيري كذلك
وزاد ذكر الردة ثم قيل كان زيد بن السمين ولبيد بن سهل يهوديان
وقيل كان لبيد مسلما ذكره المهدوي وادخله ابو عمر في كتاب الصحابة له

فدل ذلك على اسلامه عنده وكان بشير رجلا منافقا يهجوا اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم وينحل الشعر غيره فكان المسلمون يقولون والله ما هو الا
شعر الخبيث فقال بشعرا يتنصل فيه فمنه قوله اوكلما قال الرجال قصيدة اضحلت
وقالوا ابن الابيرق قالها وقال الضحاك اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان
يقطع يده وكان مطاعا فجاءت اليهود شاكين في السلاح فاخذوه وهربوا
به فنزلها اثم اولا والله اعلم . قوله تعالى بما اراك الله معناه
على قوانين الشرع اما بوحي ونص او بنظر جار على سنن الوحي وهذا اصل في
القياس وهذه تدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا راى شيا اصاب
لان الله تعالى اراه ذلك وقد تضمن الله لانبيائه العصمة فاما احدنا
اذا راى شيا يظنه فلا قطع فيما راه ولم يرد رؤية العين هنا لان
الحكم لا يرى بالعين وفي الكلام اضمار اي بما اراكه الله وفيه اضمار اخر
وامض الاحكام على ما عرفناك من غير اعتداد بالنظر لا للحصر
قوله تعالى ولا تكن للخائنين خصيما اسم فاعل كقوله جالسته فانا
جليسه ولا يكون فعيلا بمعنى مفعول يدل على ذلك ولا تجادل فالخصم
هو المجادل وجمع الخصم خصما وقيل خصيما مخاصم اسم فاعل ايضا
فنهى عز وجل رسوله عن عضد اهل التهم والدفاع عنهم بما يقوله
خصمهم من الحجة وفي هذا دليل على ان النيابة عن المبطل والمتهم في
الخصومة لا تجوز فلا يجوز لاحد ان يخاصم عن احد الا بعد ان يعلم
انه محق وبنى الكلام في هذه السورة على حفظ اموال اليتامى والناس
فبين ان مال الكافر محفوظ عليه كمال المسلم الا في موضع الذي اباحه الله
قال العلماء ولا ينبغي اذا ظهر للمسلمين نفاق قوم ان يجادل فريق منهم

فريقا

فريقا عنهم ليحموهم ويدفعوا عنهم فان هذا قد وقع على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفيهم نزل قوله تعالى ولا تكن للخائنين خصيما وقوله
وقوله ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم والخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد امته الذين كانوا يفعلونه من المسلمين دونه لوجهين
احدهما انه تعالى ابان ذلك بما ذكر بعد بقوله ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم
في الحياة الدنيا والاخر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان حكما فيما بينهم
ولذلك كان يعتذر اليه ولا يعتذر هو الى غيره فدل ان القصد بغيره
والله اعلم واستغفر الله ذهب الطبري الى ان
المعنى استغفر الله من ذنبك في خصامك للخائنين فامره بالاستغفا ر
لما هم بالدفع عنهم وقطع يد اليهودي وهذا مذهب من جوز الصغاير
على الانبيا قال ابن عطية وهذا ليس بذنب لان النبي صلى الله عليه وسلم
انما دافع على الظاهر وهو يعتقد براءتهم والمعنى واستغفر الله للمذنبين
من امتك والمتخاصمين بالباطل ومحلك من الناس ان تسمع من المتداعيين
وتقضي بنحو ما تسمع وتستغفر للمذنب وقيل هو امر بالاستغفار على
طريق التسبيح كالرجل يقول استغفر الله على وجه التسبيح من غير ان
يقصد توبة من ذنب وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بنو
ابيرق كقوله يا ايها النبي اتق الله وان كنت في شك تعالى ولا تجا دل
عن الذين يختانون انفسهم اي لا تحاجج عن الذين يخونون انفسهم نزلت
في اسير بن عروة كما تقدم والمجادلة المخاصمة من الجدل وهو الفتل
ومنه رجل مجدول الخلق ومنه الاجدل للصقر وقيل هو من
الجدالة وهي وجه الارض فكل واحد من الخصمين يريد ان يلقي

حاصبه عليها قال العجاج قد نال لب الحاله بعد الحاله وانزل العاجر بالجداله منعفر البيت له مجاله الجداله الارض من ذلك قولهم تركته مجدلا اي مطروحا على الجداله تعالى ان الله لا يحب
اي لا يرضى عنه ولا ينوه بذكره من كان خوانا خاينا وخوانا ابلغ لانه اسم المبالغه وانما كان ذلك لعظم قدر تلك الجنايه تعالى
يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله الايه قال الضحاك لما سرق الدرع اتخذ حفره في بيته وجعل الدرع تحت التراب فنزلت يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله يقول لا يخفى مكان الدرع عن الله وهو معهم اي رقيب حفيظ عليهم وقيل يستخفون من الناس اي يستترون كما قال ومن هو مستخف بالليل اي مستتر وقيل يستخفون من الناس وهذا لان الاستحيا سبب الاستتار ومعنى وهو معهم اي بالعلم والرويه والسمع هذا قول اهل السنه وقالت الجهميه والمعتزله هو بكل مكان تمسكا بهذه الايه وما كان مثلها قالوا لما قال وهو معهم ثبت انه بكل مكان لانه قد اثبت كونه معهم تعالى الله عن قولهم وان هذه صفه الاجسام والله متعال عن ذلك الا ترى مناظره بشر في قول الله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثه الا هو رابعهم حين قال هو بذاته في كل مكان فقال له خصمه هو في قلنسوتك وفي حشوك وفي جوف حمارك تعالى الله عما يقولون حكى وكيع رحمه ومعنى يبيتون يقولون قاله الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ما لا يرضى اي ما لا يرضاه الله لاهل طاعته من القول اي من الراي والاعتقاد كقولك مذهب مالك والشافعي وقيل القول بمعنى

اقول

المفعول لان نفس القول لا عنت   تعالى ها انتم اولا يريد قوم
بشير السارق لما هربوا به وجادلوا عنه قال الزجاج اولاى بمعنى الذين
جادلتم في الحياه الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمه استفهام معناه
الانكار والتوبيخ ام من يكون عليهم وكيلا الوكيل القايم بتدبير الامور
فالله قايم بتدبير خلقه والمعنى لا احد لهم يقوم بامرهم اذا اخذهم
الله بعذابه وادخلهم النار   تعالى ومن يعمل سوا الايه
قال بن عباس عرض التوبه على بنى ابرق بهذه الايه اي ومن يعمل سوا
بان يسرق او يظلم نفسه بان يشرك ثم يستغفر الله يعنى بالتوبه
فان الاستغفار باللسان من غير توبه لا ينفع وقد بيناه في العمران
وقال الضحاك نزلت الايه في شان وحشى قاتل حمزه اشرك بالله وقتل
حمزه ثم جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اني لنادم فهل لي
من توبه فنزلت ومن يعمل سوا او يظلم نفسه الايه وقيل المراد بهذه
الايه العموم والشمول لجميع الخلق وروى سفين عن ابى اسحق عن
الاسود وعلقمه قالا قال عبد الله بن مسعود من قرا هاتين الايتين
من سوره النسا ثم استغفر الله غفر له ومن يعمل سوا او يظلم نفسه
ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك
فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما
وروى عن علي رضى الله عنه انه قال كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم نفعنى الله به ما شا واذا سمعته من غيره حلفته وحدثني
ابو بكر وصدق ابو بكر قال ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضا ويصلى
ركعتين ويستغفر الله الا غفر له ثم تلا هذه الايه ومن يعمل سوا او

يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما   تعالى ومن
يكسب اثما اي ذنبا فانما يكسبه على نفسه اي عاقبته عايد عليه
والكسب ما يجر به الانسان الى نفسه نفعا او يدفع عنه ضررا ولهذا
لا يسمى فعل الرب عز وجل كسبا   تعالى ومن يكسب خطيه
او اثما قيل هما بمعنى واحد كرر لاختلاف اللفظ تاكيدا وقال الطبري
انما فرق بين الخطيه والاثم ان الخطيه تكون عن عمد وعن غير عمد والاثم
لا يكون الا عن عمد وقيل الخطيه ما لم تتعمد خاصه كالقتل بالخطا وقيل
الخطيه الصغيره والاثم الكبيره وهذه الايه لفظها عام يندرج
تحته اهل النازله وغيرهم   تعالى ثم يرم به بريا قد تقدم
اسم البري والهاء في به للاثم والخطيه لان معناها الاثم او لهما جميعا
وقيل ترجع الى الكسب فقد احتمل بهتانا واثما مبينا تشبيه اذ الذنوب
ثقل ووزر فهي كالمحمولات وقد قال وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
والبهتان من البهت وهو ان تستقبل اخاك بان تقذفه بذنب هو منه
بري روى مسلم عن ابي هريره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اتدرون ما الغيبه قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل
افرايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته
وان لم يكن فيه فقد بهته وهذا نص فرمي البري بهت له يقال بهته بهتا
وبهتا وبهتانا اذا قال عليه ما لم يقل وهو بهات والمقول له مبهوت
ويقال بهت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير وبهت بالضم وافصح منهما
بهت كما قال تعالى فبهت الذي كفر لانه يقال رجل مبهوت ولا يقال
باهت ولا بهيت قاله الكسائي   تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته

انما يعد

ما بعد لولا مرفوع بالابتدا عند سيبويه والخبر محذوف لا يظهر
والمعنى ولولا فضل الله عليك ورحمته بان نبهك على الحق وقيل بالنبوه
والعصمة لهمت طايفه منهم ان يضلوك عن الحق لانهم سالوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يبرى بن ابيرق من التهمه ويلحقها اليهودي فتفضل الله عز
وجل على رسوله بان نبهه على ذلك واعلمه اياه وما يضلون الا انفسهم لانهم
يعملون عمل الضالين فوباله راجع عليهم وما يضرونك من شي لانك
معصوم وانزل الله عليك الكتاب والحكمة هذا ابتدا كلام وقيل الواو
للحال لقولك جيتك والشمس طالعه ومنه قول امرء القيس وقد
اغتدي والطير في وكناتها فالكلام متصل اي ما يضرونك من شي مع
انزال الله عليك القران والحكمة القضا بالوحي وعلمك ما لم تكن تعلم يعني
من الشرايع والاحكام وتعلم في موضع نصب لانه خبر كان وحذفت
الضمة من النون للجزم وحذفت الواو لالتقا الساكنين
لا خير في كثير من نجواهم ارادما نفا وضربه قوم بني ابيرق من التدبير
ودكروه للنبي صلى الله عليه وسلم والنجوى السر بين الاثنين تقول
ناجيت فلانا مناجاة وهم ينتجون ويتناجون ونجوت فلانا
انجو نجوا اي ناجيته فنجوى مشتقه من نجوت الشي انجوه اي خلصته
وافردته والنجوه من الارض المرتفع لانفراده بارتفاعه عما حوله
قال الشاعر فمن بنجوته كمن بعقوته والمستكن كمن يمشي بقرواح
فالنجوى المسار مصدر وقد تسمى به الجماعه كما يقال قوم عدل ورضى
قال الله تعالى واذهم نجوى فعلى الاول يكون الا من امر استثنا
المنقطع وقد تقدم ويكون من في موضع رفع اي لكن من امر بصدقه

اومعروف او اصلاح بين الناس ودعا اليه فهي نجواه خير ويجوز ان
يكون من في موضع خفض ويكون التقدير لا خير في كثير من نجوى الا نجوى
من امر بصدقة ويكون في موضع نصب على قول من قال ما مررت باحد
الا زيدا وقال بعض المفسرين منهم الزجاج النحوي كلام الجماعة المنفردين
او الاثنان كان ذلك سرا او جهرا وفيه بعد والله اعلم والمعروف
لفظ يعم اعمال البر كلها وقال مقاتل المعروف هنا القرض والاول اصح
قال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وان من المعروف ان تلقا
اخاك بوجه طلق وقال صلى الله عليه وسلم المعروف كاسمه واول من
يدخل الجنة يوم القيمة المعروف واهله وقال علي بن ابي طالب لا يزهدنك
في المعروف كفر من كفره فقد يشكره الشاكر باضعاف جحود الكافر
وقال الحطيه من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله
والناس وانشد الرياشي يد المعروف غنم حيث كانت تحملها شكور
او كفور ففي شكر الشكور لها جزا وعند الله ما كفر الشكور قال الماوردي
فينبغي لمن قدر على اسدا المعروف ان يعجله حذار فواته ويبادر به خيفة
عجزه ليعلم انه من فرص زمانه وغنايم امكانه ولا يهمله ثقة بالقدرة
عليه فكم واثق بالقدرة عليه فاتت فاعقبت ندما ومعول على مكنة
زالت فاورثت خجلا كما قال الشاعر ما زلت اسمع كم من واثق خجل
حتى ابتليت فكنت الواثق الخجلا ولو فطن لنوايب دهره وتحفظ من
عواقب دهره لكانت مغانمه مذخوره ومغارمه مجبوره وقد روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من فتح عليه باب من الخير فلينتهزه فانه
لا يدري متى يغلق عنه وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شي

ثمن وثمن المعروف السراح وقيل لابي شروان ما اعظم المصايب عندكم
قال ان يقدر على المعروف فلا يصطنعه حتى يفوت وقال عبد الحميد
من اخر الفريضه عن وقتها فليس على ثقه من فوتها وقال بعض الشعراء
اذا هبت رياحك فاغتنمها فان لكل خافقه سكون ولا تغفل عن الاحسان
فيها فما تدري السكون متى يكون وكتب بعض ذوي الحرمات الى والي قصر في
رعايه حرمته اعلى الصراط تريد رعيه حرمتي ام في الحساب تمن بالانعام
للنفع في الدنيا اريدك فانتبه لحوايجي من رقده النوام وقال العباس
رضي الله عنه لا يتم المعروف الا بثلاث خصال تعجيله وتصغيره وستره
فاذا عجلته هنيته واذا صغرته عظمته واذا سترته اتممته وقال
بعض الشعرا زاد معروفك عندي عظما انه عندك مستور
حقير تتناساه كان لم تاته وهو عند الناس مشهور خطير ومن
شرط المعروف ترك الامتنان به وترك الاعجاب بفعله لما فيهما من
اسقاط الشكر واحباط الاجر وقد تقدم في البقره بيانه
او اصلاح بين الناس عام في الدما والاموال والاعراض
وفي كل شي يقع التداعي والاختلاف فيه بين المسلمين وفي الكلام يراد
به وجه الله تعالى وفي الخبر كلام ابن ادم عليه لا له الا ما كان من امر
بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى فاما من طلب الريا والترووس
فلا ينال الثواب وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنهما رد
الخصوم حتى يصطلحوا فان فصل القضا يورث بينهم الضغاين وعن انس
بن مالك رضي الله عنه انه قال من اصلح بين اثنين اعطاه الله بكل كلمه عتق
رقبه وقال النبي صلى الله وسلم لابي ايوب الا ادلك على صدقه يحبها

الله ورسوله تصلح بين اناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا ه
وقال الاوزاعي ما خطوة احب الى الله من خطوة في صلاح ذات البين
ومن اصلح بين اثنين كتب الله له براة من النار وقال محمد بن المنكدر تنازع
رجلان في ناحية المسجد فملت اليهما فلم ازل بهما حتى اصطلحا فقال ابو
هريرة وهو يراني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اصلح بين
اثنين استوجب ثواب شهيد ذكر هذه الاخبار ابو مطيع مكحول بن
الفضل في كتاب اللؤلؤيات وسياتي في المجادلة ما يحرم من المجادلة وما
يجوز ان شا الله تعالى وابتغا نصب على المفعول من اجله
ومن يشاقق الرسول الى قوله مصيرا فيه مسئلتان قال
العلما هاتان الايتان نزلتا في بني ابيرق السارق لما حكم النبي صلى الله عليه
وسلم بالقطع وهرب الى مكة وارتد قال سعيد بن جبير لما صار الى مكة
نقب بيتا بمكة فلحقه المشركون فقتلوه فانزل الله ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا الى قوله فقد ضل ضلالا بعيدا ه
وقال الضحاك تقدم نفر من قريش المدينة واسلموا ثم انقلبوا الى مكة
مرتدين فنزلت هذه الاية ومن يشاقق الرسول والمشاقة المعاداة والاية
وان نزلت في سارق الدرع او غيره فهي عامة في كل من خالف طريق المسلمين
والهدى الرشد والبيان وقد تقدم وقوله تعالى نوله ما تولى يقال انه نزل
فيمن ارتد والمعنى نتركه وما يعبد عن مجاهد اي نكله الى الاصنام التي لا تنفع
ولا تضر وقاله مقاتل وقال الكلبي نزل نوله ما تولى في ابن ابيرق لما ظهر حاله
وسرقته هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا لرجل بمكة يقال له حجاج بن
علاط فسقط حجر فبقي في النقب حتى وجد على حاله واخرجوه من مكة فخرج

الى

الى الشام فسرق بعض اموال القافلة فرجموه وقتلوه فنزلت نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وقرا عاصم وحمزة وابو عمرو نوله ونصله بجزم الها وبكسرها وهما لغتان قال العلما في قوله تعالى ومن يشاقق الرسول دليل على صحة القول بالاجماع وفي قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به رد على الخوارج حين زعموا ان مرتكب الكبيرة كافر وقد تقدم القول في هذا المعنى وروى الترمذي عن علي بن ابي طالب قال ما في القران اية احب الي من هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا هذا حديث حسن غريب قال بن فورك واجمع اصحابنا على انه لا تخليد الا للكافر وان الفاسق من اهل القبلة اذا مات غير تايب فانه ان عذب بالنار فلا محالة ان يخرج منها بشفاعة الرسول او بابتدا رحمة من الله قال الضحاك ان شيخا من الاعراب جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني شيخ منهمك في الذنوب والخطايا الا اني لم اشرك بالله شيا منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراة على الله ولا مكابرة له واني لنادم وتايب ومستغفر فما حالي عند الله فانزل الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية ٥ ان يدعون من دونه الا اناثا نزلت في اهل مكة اذ

٥ عبدوا الاصنام وان نافية بمعنى ما واناثا اصناما يعني اللات والعزى ومناة وكان لكل حي صنم يعبدونه ويقولون انثى بني فلان قاله الحسن بن عباس واتى مع كل صنم شيطانة تتراى للسدنة والكهنة وتكلمهم فخرج الكلام مخرج التعجب لان الانثى من كل جنس اخسه فهذا جهل ممن يشرك بالله جمادا فيسميه انثى او يعتقده انثى وقيل الا اناثا مواتا لان الموات لا روح له كالخشبة والحجر

والموات يخبر عنه كما يخبر عن المونث لا تضاع المنزلة تقول الاحجار كما تقول
المراة تحيى وقيل الا اناثا ملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهي شفاونا
عبد الله عن الضحاك وقراة بن عباس الا وثنا بفتح الواو والثا على افراد
اسم الجنس وقرا ايضا وثنا بضم الواو والثا جمع وثن واوثانا ايضا وثن
مثل اسد واساد الغاس ولم يقرا به فيما علمت قال الشيخ المولف رحمه الله
فذلك ابو بكر الانباري ثنا ابي ثنا نصر بن داود ثنا ابو عبيدة ثنا حجاج عن
ابن جريج عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة رضي الله عنها انها كانت تقرا
ان يدعون من دونه الا انثا وقرا ابن عباس ايضا الا انثا كانه جمع وثني
على وثان يقول جمل جمال ثم جمع وثانا على وثن كما تقول مثال ومثل ثم
ابدل من الواو همزة لما انضمت كما قال جل وعز واذا الرسل وقتت من
الوقت فانه جمع الجمع وقرا النبي صلى الله عليه وسلم الا انثا جمع انيث
لعدد بن وعد وحكى الطبري انه جمع اناث كثمر وثمار وحكى هذه
القراة عن النبي صلى الله عليه وسلم ابو عمرو الداني قال وقرا بها
ابن عباس والحسن وابو حيوة
تعالى وان يدعون الا
شيطانا مريدا يريد ابليس لانهم اذا اطاعوه فيما سبيل لهم فقد
عبدوه ونظيره في المعنى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من
دون الله اي اطاعوهم فيما امروهم به لا انهم عبدوهم وسياتي
وقد تقدم اشتقاق لفظ الشيطان والمريد العاتي المتمرد فعيل
من مرد اذا عتا قال الازهري المريد الخارج عن الطاعة وقد مرد
الرجل يمرد مرودا اذا عتا وخرج عن الطاعة فهو مارد ومريد
ومتمرد ابن عرفه هو الذي ظهر شره ومن هذا يقال شجرة مردا اذا

تعالى قطع

تساقط ورقها وظهرت عيدانها ومنه قيل امرد اي ظاهر
محان الشعر من عارضه تعالى لعنه الله اصل اللعن
الابعاد وقد تقدم وهو في العرف ابعاد مقترن بسخط او غضب
فلعنة ابليس عليه لعنة الله على التعيين جايز وكذلك ساير الكفرة
الموتى كفرعون وهامان وابي جهل فاما الاحيا فقد مضى الكلام
فيه في البقرة تعالى وقال لاتخذن من عبادك نصيبا
مفروضا اي وقال الشيطان والمعنى لاستخلصنهم لي غاوية
واضلهم باضلالي وهم الكفرة والعصاة وفي الخبر من كل الف
واحد لله والباقي للشيطان قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا
صحيح معنى يعضده قوله تعالى لادم يوم القيمة ابعث
بعث النار فيقول وما بعث النار فيقول من كل الف تسع ماية
وتسعة وتسعين اخرجه مسلم وبعث النار هو نصيب الشيطان
والله اعلم وقيل من النصيب طاعتهم اياه في اشيا منها انهم
كانوا يضربون للمولود مسمارا عند ولادته ودورانهم به
يوم اسبوعهم يقولون ليعرفه العمار تعالى
ولاضلنهم الى قوله خسرانا مبينا فيه تسع مسايل
قوله تعالى ولاضلنهم اي لاصرفنهم عن طريق
الهدى ولامنينهم اي لاسولن لهم من التمني وهذا لا ينحصر
الى واحد من الامنية لان كل واحد في نفسه امانيه بقدر رغبته
وقراين حاله لامنينهم طول الحياة الخير والتوبة والمغفرة
مع الاصرار ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام البتك القطع

ومنه سيف باتك اي احلهم على اذان البحيرة والسايبة ونحو
تعال بتله وبتله مخففا ومشددا وفي بعض بتله اي قطعه والجمع
بتك قال زهير طارت وفي لحفه من ريشها بتك

قوله تعالى ولامرنهم فليغيرن خلق الله اللامات كلها للقسم
واختلف العلما في هذا التغيير الى ما ذا يرجع فقالت طايفة هو
الخصا وفقو الاعين وقطع الاذان قال معناه بن عباس وعكرمة
وابو صالح وذلك كله تعذيب للحيوان وتحريم وتحليل بالطغيان
وقوله بغير حجه ولا برهان والاذان في الانعام جمال ومنفعه
وكذلك غيرها من الاعضا فلذلك راي الشيطان ان يغير بها
خلق الله وفي حديث عياض بن حماد المجاشعي واني خلقت
عبادي حنفا كلهم وان الشيطان اتتهم فاجتالتهم عن دينهم وحرمت
عليهم ما احللت لهم وامرتهم ان يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا
وامرتهم ان يغيروا خلقي الحديث خرجه القاضي اسماعيل عن مسلم
ايضا وروي اسماعيل قال نا ابو الوليد عن سليمان عن حماد قال نا
شعبة عن ابي الاحوص عن ابيه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانا قشف الهيئة قال هل لك من مال قال قلت نعم قال
من اي المال قلت من كل المال من الخيل والابل والرقيق قال ابو الوليد
والغنم قال فاذا اتاك الله مالا فلير عليك اثره ثم قال هل تنتج
ابلك وافية اذانها فتشق اذانها وتقول هذه بحيرة وتشق جلودها
وتقول هذه حرم عليك وعلى اهلك قال قلت اجل قال فكل ما
اتاك الله حل وموسى الله احد من موسك وساعد الله اشد من

ساعدك

ساعدك قال قلت يا رسول الله ارايت رجلا نزلت به فلم تقر بي ثم نزل
بي اقريه ام اكافيه قال بل اقره   وللاذان هذا من نحل الشيطا ن
واتى وامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نستشرف العين والاذ ن
ولا نضحي بعورا ولا مقابله ولا مدابره ولا خرقا ولا شرقا اخرجه ابو
داود عن علي قال امرنا فذكره والمقابله المقطوعه طرف الاذن والمدابره
المقطوعه موخر الاذن والشرقا شق الاذن والخرقا التي تخرق السمه
والعيب في الاذن يراعا عند جماعه العلما قال مالك والليث المقطوعه
الاذن او جل الاذن لا تجزي والشق للميسم يجزي وهو قول الشافعي وجماعه
الفقها فان كانت سكا وهي التي خلقت بلا اذن قال مالك والشافعي
لا يجوز وان كانت صغيره الاذن اجزت وروي عن ابي حنيفه مثل
ذلك   واما خصا البهايم فرخص فيه جماعة من اهل العلم
اذا قصدت فيه المنفعه اما السمن او غيره والجمهور من العلما وجماعتهم
على انه لا باس ان يضحي بالخصي واستحسنه بعضهم اذا كان اسمن
من غيره ورخص في خصا الخيل عمر بن عبد العزيز وخصى عروه بن الزبير
بغلا له ورخص مالك في خصا ذكور الغنم وانما جاز ذلك لانه لا يقصد
به تعليق الحيوان بالدين لصنم يعبد ولا لرب يوحد وانما يقصد به تطييب
اللحم وتقويه الذكر اذا انقطع امله عن الانثى ومنهم من كره ذلك
لقول النبي صلى الله عليه وسلم انما يفعل ذلك الذين لا يعلمون واختاره
ابن المنذر قال لان ذلك ثابت عن ابن عمر وكان يقول هو نما خلق الله وكره
ذلك عبد الملك بن مروان وقال الاوزاعي كانوا يكرهون خصا كل شي له
نسل قال ابن المنذر وفيه حديثان احدهما عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم

مطلب خصا البهايم

نهي خصا البقر والغنم والابل والخيل والاخر حديث بن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم نهى عن صبر الروح وخصا البهايم والذي في الموطا من
هذا الباب ما ذكره عن نافع عن بن عمر انه كان يكره الاخصا ويقول
فيه تمام الخلق قال ابو عمر يعني في ترك الخصا تمام الخلق وروي نما الخلق
قال الشيخ المولف رحمه الله اسند ابو محمد عبد الغني من حديث عمر بن
ابي اسماعيل عن نافع عن بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تخصوا ما ينمي خلق الله رواه عن الدارقطني شيخه قال قال ابو عبد الله
المعدل نا عباس بن محمد نا قراد نا ابو مالك النخعي عن عمر بن ابي
اسماعيل فذكره قال الدارقطني رواه عبد الصمد بن النعمان عن ابي
مالك واما خصيان الادمي فمصيبة فانه اذا اخصي
بطل قلبه وقوته عكس الحيوان والقطع نسله المامور به في قوله عليه
السلام تناكحوا تكاثروا فاني اباهي بكم الامم ثم ان فيه الما عظيما ربما يفضي
بصاحبه الى الهلاك فيكون فيه تضييع مال وذهاب نفس وكل ذلك
منهي عنه ثم هذه مثلة وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة وهو
صحيح وقد كره جماعة من فقها الحجاز والكوفيين شرا الخصي من الصقالبة
وغيرهم وقالوا لو لم يشتروا منهم لم يخصوا ولم يختلفوا ان خصي
بني ادم لا يحل ولا يجوز وانه مثلة وتغيير لخلق الله وكذلك قطع
ساير اعضايهم في غير حد ولا قود قاله ابو عمر
والوسم جايز في كل الاعضا غير الوجه لما رواه جابر قال نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الضرب في الوجه وعن الوسم في الوجه اخرجه مسلم
وانما كان ذلك لشرفه على الاعضا اذ هو مقر الحسن والجمال ولان به

مطلب قطع خصية الانسان

قوام

قوام للحيوان وقد مر النبي صلى الله عليه وسلم برجل يضرب عبده فقال
فقال اتق الوجه فان الله خلق ادم على صورته اي على صورة المضروب
اي وجه هذا المضروب يشبه وجه ادم فينبغي ان يحترم لشبهه
وهذا احسن ما قيل في تاويله والله اعلم وقالت طايفة الاشارة
بالتغيير الى الوسم وما جرى مجراه من التصنع للحسن قاله ابن مسعود
والحسن ومن ذلك الحديث الصحيح عن عبد الله قال لعن الله الواشمات
والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله الحديث اخرجه
مسلم وسياتي حاله في الحسن ان شا الله تعالى والوشم يكون في اليدين
وهو ان يغرز ظهر الكف للمراة ومعصمها بابرة ثم يحشى بالكحل او بالنور
فيخضر وقد وشمت تشم وشما فهي واشمة والموشمة التي يفعل ذلك
بها قاله الهروي وقال ابن العربي ورجال صقلية وافريقية يفعلونه
ليدل كل واحد منهم على رجلته في حداثته قال القاضي عياض ووقع في
رواية الهوزني احد رواة مسلم مكان الواشمة والموشمة الواشية والمتو
بالياء مكان الميم وهو من الوشي وهو التزين واصل الوشي نسج الثوب على
لونين وثور موشى في وجهه وقوايمه سواد اي تشي المراة نفسها
بما تفعله فيها من النمص والتفلج والاشر والمتنمصات جمع متنمصة
وهي التي تقلع الشعر من وجهها بالمنماص وهو الذي يقلع الشعر ويقال
عليها النامصة ابن العربي واهل مصر ينتفون شعر العانة وهو منه
فان السنة حلق العانة ونتف الابط واما نتف الفرج فانه يرخيه
ويوذيه ويبطل كثيرا من المنفعة فيه والمتفلجات جمع متفلجة وهي
التي تفعل الفلج في اسنانها اي تعانيه حتى ترجع المصمتة الاسنان

مطلب خلق الله ادم على صورته

حلقه فالحاصعه وفي غيرها تمسلم الواشرات وهي جمع واشره وهي
التي تشر اسنانها اي تصنع فيها اشرا وهي التحريرات التي يكون في اسنان
الشاب تفعل ذلك المراة الكبيرة تتشبها بالشابة وهذه الامور كلها قد
شهدت الاحاديث بلعن فاعلها وبانها من الكباير واختلف في المعنى
الذي نهي لاجلها فقيل انها من باب التدليس وقيل من باب تغيير خلق الله
كما قال بن مسعود وهو اصح وهو يتضمن المعنى الاول ثم قيل هذا المنهى
عنه انما هو فيما يكون باقيا لانه من باب تغيير خلق الله فاما ما لا يكون
باقيا كالكحل والتزين به للنسا فقد اجاز العلما مالك وغيره وكرهه
للرجال واجاز مالك ايضا ان يشي المراه يديها بالحنى وروي عن عمر انكار
ذلك وقال اما ان تخضب يديها كلها او تدع وانكر مالك هذه الرواية
عن عمر ولا تدع الخضاب بالحنا فان النبي صلى الله عليه وسلم راى امراه لا
تخضب فقال تدع احداهن يدها كانها يد رجل فما زالت تختضب وقد
جاوزت السبعين حتى ماتت قال القاضي عياض وجا حديث بالنهي
عن تسويد الحنا ذكره صاحب المصابيح ولا يعطل ولتكون في عنقها
قلاده من سير في خرز فانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لعايشه رضي الله عنها انه لا ينبغي ان يكون بغير قلاده اما بخيط واما
بسير وقال انس يستحب للمراه ان تعلق في عنقها في الصلاه ولو سيرا
قال ابو جعفر الطبري في حديث بن مسعود دليل انه لا يجوز
تغيير شي من خلقها الذي خلقه الله عليها بزياده او نقص التماس
الحسن لزوج او غيره سوا تحت اسنانها او شرفها او كان لها
سن زايده فازالتها او اسنان طوال فقطعت اطرافها وكذلك لا

يجوز

يجوز خلق لحيه او شارب او عنفقه ان نبتت لها لان ذلك تغيير
خلق الله قال عياض وياتي على ما ذكر ان من خلق باصبع زايد او عضو
زايد لا يجوز له قطعه ولا نزعه لانه من تغيير خلق الله الا ان تكون
هذه الزوايد تولمه فلا باس بنزعها عند ابي جعفر وغيره
قال الشيخ المولف رحمه الله ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم
لعن الله الواصله والمتوصله والواشمه والمتوشمه اخرجه مسلم فنهى
صلى الله عليه وسلم عن وصل المراه شعرها وهو ان يضاف اليه شعر اخر يكثر
به والواصله هي التي تفعل ذلك والمستوصله هي التي تستدعي من
يفعل ذلك بها مسلم عن جابر قال زجر النبي صلى الله عليه وسلم ان
تصل المراه بشعرها شيا وخرج عن اسما بنت ابي بكر قالت جات امراه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان لي ابنه عريسا
اصابتها حصبه فتمرق شعرها افاصله قال لعن الله الواصله والمستو صله
هذا كله نص في تحريم وصل الشعر وبه قال مالك وجماعه العلما ومنعوا
الوصل بكل شي من الصوف والخرق وغير ذلك لانه في معنى وصله
بالشعر وشذ الليث بن سعد فاجاز وصله بالصوف وما ليس بشعر
وهذا اشبه بمذهب اهل الظاهر اباح اخرون وضع الشعر على
الراس وقالوا انما جا النهي عن الوصل خاصه وهذه ظاهريه محضه واعرا ض
عن المعنى وشذ قوم فاجازوا الوصل مطلقا وهو قول باطل قطعا
ترده الاحاديث وقد روي عن عايشه ولم يصح وروي عن ابن سيرين
انه ساله رجل فقال ان امي كانت تمشط النسا اترانى اكل من مالها
فقال ان كانت تصل فلا ولا يدخل في النهي ما ربط منه بخيوط

الحرير الملونة على وجه الزينة والتجمل والله اعلم
وقالت طائفة المراد بالتغيير لخلق هو ان الله تعالى خلق الشمس والقمر
والاحجار والنار وغيرها من المخلوقات ليعتبر بها وينتفع بها
فغيرها الكفار بان جعلوها الهة معبودة قال الزجاج ان الله
تعالى خلق الانعام لتركب وتوكل فحرموها على انفسهم وخلق الشمس
والقمر والحجارة مسخرة للناس فجعلوها الهة يعبدونها فقد غيروا ما
خلق الله وقال جماعة من اهل التفسير وسعيد بن جبير وقتادة وروى
عن ابن عباس ومجاهد والضحاك ولدوا على الاسلام فامرهم
الشيطان بتغييره يعني دين الله وقاله النخعي واختاره الطبري
وقال واذا كان ذلك معناه دخل فعل كل ما نهى الله عنه من خصا
ووشم وغير ذلك من المعاصي لان الشيطان يدعوا الى جميع المعاصي اي
فليغيرون ما خلق الله من دينه وقال مجاهد ايضا فليغيرن خلق الله فطرة
الله التي فطر الناس عليها وبعني انهم ولدوا على الاسلام فامرهم
الشيطان بتغييره وهو معنى قوله عليه السلام كل مولود يولد على
الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فيرجع الى معنى الخلق الى
ما اوجد فيهم يوم الذر من الايمان في قوله الست بربكم قالوا
بلى قال ابن العربي وروي عن طاوس انه كان لا يحضر نكاح سودا بابيض
ولا بيضا باسود ويقول هذا من قول الله فليغيرن خلق الله قال القاضي
وهو وان كان يحتمله اللفظ فهو مخصوص بما انفذ النبي صلى الله عليه وسلم
من نكاح مولاه زيد وكان ابيض بظئره بركة الحبشية او اسامة وكان اسود
من ابيض وهذا مما خفي على طاوس مع علمه قال الشيخ المولف رحمه الله

خلق م

ثم انه

نم انكح فاطمه بنت قيس وكانت بيضا قرشيه وقد كانت تحت بلال
اخت عبد الرحمن بن عوف زهريه وهذا ايضا خص وبه خفي عليهم
ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله اي يطيعه ويدع امر الله
فقد خسر اي نقص نفسه وغبنها بان اعطا الشيطان حق الله تعالى فيه
وتركه من اجله تعالى يعدهم المعنى يعدهم اباطيله وترهاته
من المال والجاه والرياسه وان لا بعث ولا عقاب ويوهمهم الفقر حتى
لا ينفقوا في الخير ويمنيهم لذلك وما يعدهم الشيطان الا غرورا اي
خديعه قال ابن عرفه الغرور ما رايت له ظاهرا تحبه وفيه باطن
مكروه او مجهول والشيطان غرور لانه يحمل على محاب النفس ووراء ذلك
ما يسوء اوليك ابتدا ما واهم ابتدا ثان جهنم الثاني والجمله خبر الاول
ومحيصا ملجا والفعل حاص يحيص ومن اصدق من الله قيلا ابتدا وخبر
قيلا على البيان قال قيلا وقولا وقالا بمعنى اي لا احد اصدق من الله
وقد مضى الكلام على ما تضمنته هذه الاي من المعاني والحمد لله ٥
تعالى ليس باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب قرا ابو جعفر
الطبري المدني ليس باما نيكم والاماني حذف اليا منهما جميعا ومن
احسن ما روي نزولها ما رواه الحكم بن ابان عن عكرمه عن ابن
عباس قال قالت اليهود والنصارى لن يدخل الجنه الا من كان منا وقالت
قريش ليس نبعث فانزل الله ليس باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن احق بالله منكم وقال
المومنون نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على ساير الكتب فنزلت
الايه وقوله من يعمل سوا يجز به السوء هاهنا الشرك قال الحسن

جهنم م

هذه الاية في الكافر وقرا وهل يجازى الا الكفور وعنه ايضا من
سوا يجز به قال ذلك لمن اراد الله هوانه فاما من اراد كرامته
فلا يذكر الله ذنوبه قال تعالى اوليك الذين نتقبل عنهم احسن ما
عملوا ونتجاوز عن سياتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا
يوعدون وقال الضحاك يعني اليهود والنصارى والمجوس
وكفار العرب وقال الجمهور لفظ الاية عام والكافر والمومن مجازا
بعمله السو فاما مجازاة الكافر فالنار لان كفره اوبقه واما المومن
فبنكبات الدنيا كما روى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة قال نزلت
من يعمل سوا يجز به بلغت من المسلمين مبلغا شديدا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المومن
كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها وخرج الترمذي الحكيم
في نوادر الاصول في الاصل الخامس والتسعين حدثنا ابراهيم
بن المستمر الهذلي الهلالي قال حدثني عبد الرحمن بن سليم عن عطا ابن ابو
زيد قال سمعته يذكر عن ابيه قال صحبت ابن عمر من مكة الى المدينة فقال
لنافع لا تمر بي على المصلوب يعني ابن الزبير قال فما فجاه في جوف
الليل ان صك محمله جذعه فجلس يمسح عينيه ثم قال يرحمك الله ابا
ان كنت وان كنت لقد سمعت اباك الزبير يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من يعمل سوا يجز به في الدنيا والاخرة فان
يك هذا بذاك فهيه فهيه قال الترمذي ابو عبد الله فاما في
التنزيل فقد اجمله قال تعالى من يعمل سوا يجز به ولا يجد له من دون الله
وليا ولا نصيرا فدخل فيه البر والفاجر والعدو والولي والمومن

والكافر

والكافر ثم ميز رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين فهالك يجزيه في
الدنيا والاخرة وليس يجمع عليه الجزا لاحد المؤمنين الا ترى ان ابن عمر قال
فازيك هذا بذاك لهذه لهذه معناه انه قال تحرم الله واحدث
فيه حدثا عظيما حتى احرق البيت ورمى الحجر الاسود بالمنجنيق فانصدع
حتى ضبب بالفضة فهو الى يومنا كذلك وسمع للبيت انينا آه آه فلما
راى ابن عمر فعله ثم راه مصلوبا ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يعمل سوا يجز به ثم قال ان يكن هو الذي بذاك الذي فعله فهذه اي كانه
جوزي بذلك السو هذا القتل والصلب رحمه الله ثم ميز رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حديث اخر بين الفريقين حدثنا ابي رحمه الله نا ابو
نعيم نا محمد بن مسلم عن يزيد بن عبد الله بن اسامة بن الهادي الليثي قال لما
نزلت من يعمل سوا يجز به قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ما هذه بمبقيتنا
قال يا ابا بكر انما يجزى بها المومن في الدنيا ويجزى بها الكافر في الاخرة يوم
القيامة حدثنا الجارود نا وكيع وابو معاوية وعبد الله عن اسماعيل
بن ابي خالد عن ابي بكر بن زهير الثقفي قال لما نزلت من يعمل سوا يجز به
قال ابو بكر كيف الصلاح يا رسول الله مع هذا كل شي عملناه جزينا به فقال ل
غفر الله لك يا ابا بكر الست تنصب الست تحزن الست تصل
الاوا قال بلى قال فذلك ما تجزون به ففسر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما اجمله التنزيل من قوله من يعمل سوا يجز به وروى الترمذي عن
ابي بكر الصديق ايضا لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم اما انت يا ابا
بكر والمومنون فيجزون بذلك في الدنيا حتى يلقوا الله وليس لكم ذنوب واما
الاخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيمة قال هذا حديث

غريب وفي اسناده مقال وموسى بن عبيد تضعف في الحديث ضعفه
يحيى بن سعيد القطان واحمد بن حنبل ومولى بن سباع مجهول وقد روي به
هذا الحديث من غير وجه عن ابي بكر وليس له اسناد صحيح وفي الباب
عن عايشه قال الشيخ المولف رحمه الله اخرجه اسماعيل بن اسماعيل
القاضي قال ثنا حرب ثنا حماد بن سلمه عن علي بن زيد عن امه انها سالت
عايشه رضي الله عنها عن هذه الايه ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وعن
هذه الايه من يعمل سوا يجز به فقالت عايشه ما سالني عنها احد منذ
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عايشه هذه ما يعد
الله بما يصيبه من الحمى والنكبه والسوكه حتى البضاعة يضعها في كمه
فيفقدها فيفزع فيجدها في عيبته حتى ان المومن ليخرج من ذنوبه
كما يخرج التبر من الكير واسم ليس مضمر فيها في جميع هذه الاقوال
والتقدير ليس الكاين من امورهم ما تمنوه بل من يعمل سوا يجز به وقيل
المعنى ليس ثواب الله باماتيكم اذ تقدم والذين امنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تعالى ولا يجد له من دون الله وليا ولا
نصيرا يعني المشركين لقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوه
الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وقيل من يعمل سوا يجز به الا ان يتوب
وقرا الجماعه ولا يجد له بالجزم عطفا على يجز به وروى بن بكار عن ابن عامر
بالرفع استينافا فان حمله الايه على الكافر فليس له غدا ولي ولا نصير دون
الله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مومن
فاوليك يدخلون الجنه شرط الايمان لان المشركين ادلوا بخدمه الكعبه
واطعام الحجيج وقرا الاصناف واهل الكتاب لسبقهم وقولهم نحن
ابنا الله

من م

ابا الله واحباوه فبين تعالى ان الاعمال الحسنه لا تقبل من غير ايمان
وقرا الشيخان ابو عمرو وابن كثير يدخلون بضم اليا وفتح الخا على ما لم يسم
فاعله الباقون بنصب اليا وضم الخا يعني الجنه باعمالهم وقد مضى ذكر التشديد
وهو النكته في ظهر النواه   تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم افضل
دين الاسلام على سائر الاديان واسلم وجهه معناه اخلص دينه لله
وخضع له وتوجه اليه بالعباده قال ابن عباس اراد ابا بكر الصديق
رضي الله عنه وانتصب دينا على اهل البيان وهو محسن ابتدا وخبر
في موضع الحال اي موحدا فلا يدخل فيه اهل الكتاب لانهم تركوا
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والمله الدين الحنيف المسلم وقد بعد م
تعالى واتخذ الله ابرهيم خليلا قال ثعلب انما سمي الخليل
خليلا لان محبته تتخلل القلب فلا تدع فيه خللا الا ملاته   وانشد
قول بشار   قد تخللت مسلك الروح مني وبه سمي الخليل
خليلا وخليل فعيل بمعنى فاعل كالعليم بمعنى العالم وقد قيل بمعنى المفعول
كالحبيب بمعنى المحبوب وابراهيم كان محبا لله وكان محبوبا لله وقيل
الخليل من الاختصاص فالله عز وجل اختص ابراهيم في وقته للرساله
واختاره هذا النحاس قال والدليل على هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم
وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا يعني نفسه وقال صلى الله عليه وسلم لو
كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا اي لو كنت مختصا احدا
بشي لاختصصت ابا بكر قال وفي هذا رد على من زعم ان النبي
صلى الله عليه وسلم اختص بعض اصحابه بشي من الدين وقيل الخليل
المحتاج فابراهيم خليل الله معناه انه فقير محتاج الى الله كانه الذي

وجهه لله وهو محسن

به الاختلال وقال زهير هرم بن سنان وان اتاه خليل يوم
مسغبة يقول لا غايب مالي ولا حرم اي ممنوع قال الزجاج
ومعنى الخليل الذي ليس الذي في محبته خلل فجايز ان يكون سمي خليلا
لله بانه الذي احبه واصطفاه محبة تامة وجايز ان يسمى خليل الله اي
فقيرا الى الله لانه لم يجعل فقره ولا فاقته الا الى الله تعالى مخلصا في
ذلك والاختلال الفقر فروي انه لما رمي بالمنجنيق وصار في الهوى
اتاه جبريل عليه السلام فقال له الك حاجة قال اما اليك فلا فخله
الله لابرهيم نصرته اياه وقيل سمي بذلك بسبب انه مضى الى
خليل له بمصر وقيل بالموصل ليمتار من عنده طعاما فلم يجد حاجته
فملا غرايره رملا وراح به الى اهله فحطه ونام ففتحه اهله فوجدوه
طعاما فصنعوا له منه فلما قدموه اليه قال من اين لكم هذا قالوا
من عند الذي جيت به من عند الخليل المصري فقال هو من عند خليلي
يعني الله تعالى فسمي خليل الله ويقال انه اضاف روسا الكفار
واهدى لهم هدايا واحسن اليهم فقالوا ما حاجتك فقال حاجتي
ان تسجدوا فسجدوا فدعا الله فقال اللهم اني قد فعلت ما امكنني فافعل
انت ما انت اهلا لذلك فوفقهم الله للاسلام فاتخذه الله خليلا
لذلك ويقال لما دخلت عليه الملايكة بشبه الادميين وجا بعجل
فلم ياكلوا منه وقالوا انا لا ناكل شيا بغير ثمن فقال لهم اعطوا ثمنه وكلوا
قالوا وما ثمنه قال ان تقولوا في اوله بسم الله وفي اخره الحمد لله فقالوا فيما
بينهم حق على الله ان يتخذه خليلا فاتخذه الله خليلا وروى جابر بن
عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتخذ الله ابرهيم لاطعام

سجدة

الطعام

الطعام وافشايه السلام وصلاته بالليل والناس نيام وروى عبدا لله
بن عمرو بن العاصي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل لم اتخذ الله
ابرهيم خليلا قال لاطعامه الطعام يا محمد وقيل معنى الخليل الذي
يوالي فيه ويعادي فيه والخله بين الادميين الصداقه مشتقه من
تخلل الاسرار بين المتخالين وقيل هي من الخله فكل واحد من الخليلين
يسد خلة صاحبه وفي مصنف ابي داود عن ابي هريره ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الرجل على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل
ولقد احسن من قال   من لم تكن في الله خلته فخليله منه على
خطر   اخر   اذا ما كنت متخذا خليلا فلا تثقن بكل اخي اخا
فان خيرتهم فالصق باهل العقل منهم والحياء فان العقل ليس له
اذا ما تفاضلت الفضايل من كفا   وقال حسان بن ثابت
اخلا الرجال هم كثير ولكن في البلا هم قليل فلا تغرنك خلة من
تواخي فما لك عند نايبه خليل وكل خليل يقول انا وفي ولكن ليس
يفعل ما يقول سوى خل له حسب ودين فذاك لما يقول هو الفعو ل
تعالى ولله ما في السموات وما في الارض اي ملكا واختراعا
والمعنى انه اتخذ ابرهيم خليلا لحسن طاعته لا لحاجته الى مخالته ولا
التكثير به والاعتضاد وكيف وله ما في السموات وما في الارض وانما
اكرمه لامتثاله لامره   تعالى وكان الله بكل شي محيطا اي احاط علمه
بكل الاشيا   تعالى ويستفتونك في النسا الايه نزلت بسبب
سوال قوم من الصحابه عن امر النسا واحكامهن في الميراث وغير ذلك
فامر الله نبيه ان يقول لهم الله يفتيكم فيهن اي يبين لكم حكم ما سالتم

عنه وهذه الايه رجوع الي ما افتتحت به السوره من امر النسا وكان
قد بقيت لهم احكام لم يعرفوها فسالوه فقيل لهم ان الله يفتيكم فيهن
روي اشهب عن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يسال فلا يجيب
حتى ينزل عليه الوحي وذلك في كتاب الله يستفتونك قل الله يفتيكم في
ويسالونك عن اليتامى ويسالونك عن الخمر والميسر ويسالونك عن الجبال
تعالى وما يتلى عليكم ما في موضع رفع عطف على اسم الله تعالى
والمعنى والقران يفتيكم فيهن وهو قوله فانكحوا ما طاب لكم من النسا وقد
تقدم وقوله وترغبون ان تنكحوهن ثم حذفت عن وقيل وترغبون في
ان تنكحوهن ثم حذفت قال سعيد بن جبير ومجاهد وترغب في نكاحها
اذا كانت كثيرة المال وحديث عايشه يقوي حذف عن فان في حديثها
وترغبون ان تنكحوهن رغبة احدكم عن يتيمته التي تكون في حجره حين تكون
قليلة المال والجمال وقد تقدم اول السوره تعالى وان
امراه خافت من بعلها نشوزا الايه فيه سبع مسايل
قوله تعالى وان امراه رفع باضمار فعل يفسره ما بعده وخافت من بعلها
دوام النشوز قال النحاس الفرق بين النشوز والاعراض ان النشوز
التباعد والاعراض الا يكلمها ولا يانس بها ونزلت الايه بسبب
سوده بنت زمعه روي الترمذي عن ابن عباس قال خشيت سوده
ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تطلقني وامسكني
واجعل يومي منك لعايشه ففعل فنزلت فلا جناح عليهما ان يصلحا
بينهما صلحا والصلح خير فما اصطلحا عليه من شي فهو جايز قال
هذا حديث حسن غريب وروي ابن عيينه عن الزهري عن سعيد بن
المسيب

هنا قال الزجاج المعنى وان امراه خافت
يعني توقعت وقول من قال خافت تيقنت

المسيب ان رافع بن خديج كانت تحته خوله بنت محمد بن سلمه فكره من امرها اما كبرا واما غيره فاراد ان يطلقها فقالت لا تطلقني واقسم لي ما شيت فجرت السنه بذلك ونزلت وان امراه خافت من بعلها نشوزا او اعراضا وروى البخاري عن عايشه وان امراه خافت من بعلها نشوزا او اعراضا قالت الرجل تكون عنده المراة ليس بمستكثر منها يريد ان يفارقها فيقول اجعلك من شاني في حل فنزلت هذه الايه وقراه العامه ان يصالحا وقرا اكثر الكوفيين ان يصلحا وقرا الجحدري وعثمان الليثي ان يصّلحا والمعنى يصطلحا ثم ادغم في هذه الايه من الفقه الرد على الرعن الجهال الذين يرون ان الرجل اذا اخذ شَبَابَ المرأة وأَسَنَّتْ لا ينبغي له ان يتبدّل بها قال بن ابي مليكه إن سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ لمّا أَسَنَّتْ اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يطلقها فاثرت الكون معه فقالت امسكني واجعل يومي لعايشه ففعل صلى الله عليه وسلم وماتت وهي من ازواجه رضي الله عنها قال الشيخ المولف رحمه الله وكذا السـ بنت محمد بن سلمه روى مالك عن بن شهاب عن رافع بن خديج انه تزوج بنت محمد بن سلمه الانصاري فكانت عنده حتى كبرت فتزوج عليها فتاه شابه فاثر الشابه عليها فناشدته الطلاق فطلقها واحده ثم امهلها حتى اذا كانت تحل راجعها ثم عاد فاثر الشابه عليها فناشدته الطلاق فقال ما شيت انما بقيت واحده فان شيت استمررت على ما ترين من الاثره وان شيت فارقتك قالت بل استمر على الاثره فامسكها على ذلك ولم ير رافع اثما حين قرت عنده على الاثره رواه معمر عن الزهري بلفظه ومعناه وزاد فذلك الصلح الذي بلغنا

١

انه نزل فيه وان امراه خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح
عليهما ان يصلحا بينهما صلحا قال ابو عمر بن عبد البر قوله والله اعلم
فاثر الشابه عليها يريد في الميل بنفسه اليها والنشاط لها لا انه اثرها
عليها في مطعم ولا ملبس ومبيت لان هذا لا ينبغي ان يظن بمثل رافع
والله وذكر ابو بكر بن ابي شيبه قال نا ابو الاحوص عن سماك بن
حرب عن خالد بن عرعره عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رجلا
سال عن هذه الايه فقال هي المراه تكون عند الرجل فتنبو عيناه
عنها من دمامتها او فقرها او كبرها او سو خلقها ويكره فراقها فان
وضعت له من مهرها شيا حل له وان جعلت له من اياما فلا حرج وقال
الضحاك لا باس ان ينقص من حقها اذا تزوج من اشبه منها واعجب اليه
وقال مقاتل بن حيان هو الرجل يكون تحته المراه الكبيره فيتزوج عليها
الشابه فيقول لهذه الكبيره اعطيك من مالي على ان اقسم لهذه الشابه
اكثر مما اقسم لك من الليل والنهار فترضى الاخرى بما اصطلحا وان ابت
الا ترضى فعليه ان يعدل بينهما في القسم قال علماونا وفي
هذا ان انواع الصلح مباحه في هذه النازله بان يعطي الزوج على ان تصبر
هي او تعطي هي على ان يصبر الزوج او على ان يوثرها ويتمسك بالعصمه او
يقع الصلح على الصبر والاثره من غير عطا فهذا كله مباح وقد يجوز
ان يصالح احداهن صاحبها عن يومها بشي تعطيها كما فعل ازواج النبي صلى
الله عليه وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غضب على
صفيه فقالت لعايشه اصلحي بيني وبين النبي صلى الله عليه وسلم وقد وهبت
يومي لك ذكره ابن خويز منداد في احكامه عن عايشه رضي الله عنها قالت

يوثره

وجد

وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفيه في شي فقالت لي صفيه هل
لك ان ترضين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولك يومي قالت فلبست
خمارا كان عندي مصبوغا بزعفران ونضحته ثم جئت فجلست الى
جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اليك عني فانه ليس يومك
فقلت ذلك فضل الله يوتيه من يشا واخبرته الخبر فرضي عنها وفيه ان
ترك التسويه من النسا وتفضيل بعضهن على بعض لا يجوز الا باذن
المفضوله ورضاها   قرا الكوفيون يصلحا الباقون
يصالحا الجحدري يصلحا لمن قرا يصالحا فوجهها ان المعروف في كلام
العرب اذا كان بين قوم تشاجر ان يقال تصالح القوم ولا يقال اصلح
القوم ولو كان على اصلح لكان مصدره اصلاحا ومن قراه يصلحا فقد
استعمل مثله في التشاجر والتنازع كما قال فاصلح بينهم ونصب قوله صلحا على
هذه القراه على انه مفعول له وهو اسم مثل العطا من اعطيت
فاصلحت صلحا مثل اصلحت امرا ولذلك هو مفعول ايضا على قراه
من قرا يصالحا لان تفاعل قد جا متعديا ويحتمل ان يكون مصدرا
حذفت زوائده ومن قرا يصلحا فالاصل يصطلحا ثم صار الى يصطلحا
ثم ابدلت الطا صادا وادغمت فيها الصاد ولم تبدل الصاد طا لما فيها
من امتداد الزفير   قوله تعالى والصلح خير لفظ عام
مطلق يقتضي ان الصلح الحقيقي الذي تسكن النفوس ويزول به الخلاف
خير على الاطلاق ويدخل في هذا المعنى جميع ما يقع عليه الصلح بين
الرجل وامراته في مال او وطي او غير ذلك خيراي من الفرقه فان التمادي
على الخلاف والشحنا والمباغضه هي قواعد الشر وقد قال عليه السلام

في البغضة انها الحالقة يعني حالقة الدين لا حالقة الشعر
قوله تعالى واحضرت الانفس الشح اخبار بان الشح في كل احد وان
الانسان لا بد ان يشح بحكم خلقته وجبلته حتى يحمل صاحبه على بعض
ما يكره يقال الشح يشح بكسر الشين قال بن جبير هو المراه بالنفقة من
زوجها ونفسه لها اياما معا وقال بن زيد الشح هنا منه ومنها قال بن
عطيه وهذا احسن فان الغالب على المراه الشح بنصيبها من زوجها
والغالب على الزوج الشح بنصيبه من الشابه والشح الضبط على
المعتقدات والاراده وفي الهمم والاموال ونحو ذلك فما فرط منه
على الدين فهو محمود وما افرط منه في غيره ففيه بعض المذمه وهو
الذي قال الله تعالى فيه ومن يوق شح نفسه فاوليك هم المفلحون
وما صار الى حيز منع الحقوق الشرعيه التي تقتضيها المروه فهو
البخل وهي رذيله واذا ادل البخل الى هذه الاخلاق المذمومه والشيم
اللييمه لم يبق معه خير مرجو ولا صلاح مامول قال الشيخ المولف
رحمه الله وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للانصار من سيدكم
قالوا الجد بن قيس على بخل فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم واي داء ادوي
من البخل قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال ان قوما نزلوا بساحل
فكرهوا لبخلهم نزول الاضياف بهم فقالوا ليبعد الرجال منا
عن النسا حتى يعتذر الرجال الى الاضياف ببعد النسا وتعتذر
النسا ببعد الرجال ففعلوا وطال ذلك بهم واشتغل الرجال
بالرجال والنسا بالنسا ذكر هذا الخبر الماوردي في كتاب ادب
الدنيا والدين له قوله تعالى وان تحسنوا وتتقوا

شرط

شرط فان الله كان غفورا رحيما وهذا خطاب للازواج من حيث ان
للزوج ان يشح ولا يحسن اي ان تحسنوا وتتقوا في عشرة النسا باقا منكم
عليهن مع كراهتكم لصحبتهن وابقا ظلمهن فهو افضل لكم
ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا اخبر تعالى بنفي الاستطاعة في
العدل بين النسا وذلك في ميل الطبع في المحبة والجماع والحظ من
القلب فوصف الله تعالى حالة البشر وانهم بحكم الخلقة لا يملكون
ميل قلوبهم الى بعض دون بعض ولهذا كان عليه يقول اللهم هذه قسمتي
فيما املك فلا تلمني فيما لا املك ثم نهى تعالى ولا تميلوا كل الميل قال
مجاهد لا تتعمدوا الاساة بل الزموا التسوية في القسم والنفقة
لان هذا مما استطاع وسيأتي بيان هذا في الاحزاب مبسوطا ان
شا الله تعالى وروى قتادة عن النضر عن بشير بن نهيك عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له امراتان
ولم يعدل بينهما جا يوم القيمة وشقه مايل تعالى
فتذروها كالمعلقة اي لا هي مطلقة ولا ذات زوج قاله الحسن
وهذا تشبيه بالشي المعلق من شي لانه لا على الارض استقر ولا
على ما علق عليه انحمل وهذا مطرد في قولهم في المثل ارض من المرب
بالتعليق وفي عرف النحويين في تعليق الفعل ومنه في حديث ام
زرع قول المراة زوجي العشنق ان انطق اطلق وان اسكت اعلق
وقال قتادة كالمحبوسة المسجونة وكذا قرا ابي فتذروها كالمسجو نة
وقرا ابن مسعود فتذروها كانها معلقة وموضع فتذروها
نصب لانه جواب النهي والكاف من كانها في موضع نصب ايضا

تعالى وان يتفرقا اي وان يصطلحا بل يفرقا فليحا طهما

بالله فقد يغبط للرجل امراه تقر بها عينه وللمراه من يوسع عليها وروى

عن جعفر بن محمد ان رجلا شكا اليه الفقر فامره بالنكاح فذهب

الرجل فتزوج ثم جا اليه وشكا الفقر فامره بالطلاق فسئل عن

ذلك فقال امرته بالنكاح فقلت لعله من هذه الايه ان يكونوا فقرا

يغنهم الله من فضله فلما لم يكن من اهل تلك امرته بالطلاق فقلت لعله

من اهل هذه الايه وان يتفرقا يغن الله من سعته

تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي الا

بالتقوى فانها عام لجميع الامم وقد مضى القول في التقوى

واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله في موضع نصب

قال الاخفش اي بان اتقوا الله وقال بعض العارفين

هذه الايه هي رحى القران لان جمعه يدور عليها

تعالى وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض

وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما في الارض

وكفى بالله وكيلا ان قال قايل ما فايده هذا التكرير فعنه

جوابان احدهما انه كرر لينبه العباد وينظروا في ملكوته

وملكه وانه غني عن خلقه الثاني انه كرر لفوايد فاخبر في

الاول ان الله تعالى يغني كلا من سعته لان له ما في السموات

وما في الارض فلا تنفد خزاينه ثم قال اوصينا كم واهل

الكتاب بالتقوى وان تكفروا اي وان تكفروا فان الله غني

عنكم لان له ما في السموات وما في الارض وقال ما في

السموات

تاسع عشر

السموات ولم يقل من في السموات لانه ذهب مذهب الجنس
وفي السموات والارض يعقل وما لا يعقل   تعالى
ان يشا يذهبكم يعني بالموت ايها الناس يريد المشركين والمنا   نفقين
ويات باخرين اي بغيركم ولما نزلت هذه الاية ضرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان فقال لهم قوم هذا
وقيل الاية عامة اي وان تكفروا يذهبكم ويات بخلق اطوع   ع
لله منكم وهو كما قال في اية اخرى وان تتولوا يستبدل قوما
غيركم ثم لا يكونوا امثالكم وفي الاية تخويف وتنبيه لجميع من
كانت له ولاية وامارة ورياسة فلا يعدل في رعيته او
كان عالما فلا يعمل بعلمه ولا ينصح الناس ان يذهبه ويات
بغيره وكان الله على ذلك قديرا والقدرة صفة ازلية لا تتنا   ها
هيه وانه كما لا تتناهى معلوماته والماضي والمستقبل في
صفاته بمعنى واحد وانما خص الماضي بالذكر لئلا يتوهم انه
محدث في ذاته وان القدرة هي التي يكون بها الفعل ولا يجوز وجود   وصفاته
العجز معها)   تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله
ثواب الدنيا اي من عمل عملا افترضه الله عليه طلبا للاخرة اتاه الله
ذلك في الاخرة ومن عمل طلبا للدنيا اتاه ما كتب له في الدنيا وليس   الله م
له في الاخرة من ثواب لانه عمل لغير الله قال وما له في الاخرة
من نصيب وقال اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وهذا
على ان يكون المراد بالاية المنافقون والكفار وهو اختيار الطبري   ي
وروي ان المشركين كانوا لا يومنون بالقيمة وانما يتقربون الى الله

ليوسع لي الدنيا ويدفع عنهم مكروهها فانزل الله عز وجل من
كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخره
وكان الله سميعا بصيرا اي يسمع ما تقولونه ويبصر ما تسرونه
تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهدا
لله الى قوله تعالى خبيرا فيه عشر مسايل قوله تعالى كونوا
قوامين قوامين مبالغه اي ليتكرر منكم القيام بالقسط وهو
العدل في شهادتكم على انفسكم وشهاده المرء على نفسه اقراره
بالحقوق عليها ثم ذكر الوالدين لوجوب برهما وعظم قدرهما
ثم ثنى بالاقربين اذهم مظنه الموده والتعصب فكان الاجنبي
من الناس احرى ان يقام عليه بالقسط ويشهد عليه فجا الكلام
في السوره في حفظ حقوق الخلق في الاموال لا خلاف
بين اهل العلم في صحه احكام هذه الايه وان شهاده الولد على
الوالدين الاب والام ماضيه ولا يمنع ذلك برهما ان يشهد
عليهما ويخلصهما من الباطل وهو معنى قوله تعالى قوا انفسكم
واهليكم نارا فان شهد لهما او شهدا له وهي
اختلف فيها قديما وحديثا فقال ابن شهاب الزهري كان من مضى
من السلف الصالح رضوان الله عليهم ثم ظهرت من الناس امور
حملت الولاه على اتهامهم فتركت شهاده من يتهم وصار ذلك لا يجوز
في الولد والوالد والاخ والزوج والزوجه وهو مذهب الحسن والنخعي
والشعبي وشريح ومالك والثوري والشافعي وابن حنبل وقد اجاز
قوم شهاده بعضهم لبعض اذا كانوا عدولا وروي عن عمر بن الخطاب

انه اجاز

بلغ

انه اجازه وكذلك روى عن عمر بن عبد العزيز وبه قال اسحاق والثوري
والمزني ومذهب مالك جواز شهادة الاخ لاخيه الا في النسب
وروى عنه ابن وهب انها لا تجوز اذا كان في عياله او في نصيب
من مال يرثه وقال مالك وابو حنيفة شهادة الزوج لزوجته
لا تقبل لتواصل منافع الاملاك عنهما وهي محل الشهادة وقال
الشافعي تجوز شهادة الزوجين بعضهما لبعض لانهما اجنبيان
وانما بينهما عقد الزوجية وهو معرض للزوال والاصل قبول
الشهادة الا حيث ما عدى المخصوص بقي على الاصل وهذا ضعيف
فان الزوجية توجب الحنان والمواصلة والالفة والمحبة فالتهمة قوية
ظاهرة وقد روى ابو داود من حديث سليمان بن موسى عن عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شهادة
الخائن والخائنة وذي الغمر على اخيه ورد شهادة القانع لاهل البيت
واجازها لغيرهم قال الخطابي ذو الغمر هو الذي بينه وبين المشهود
عليه عداوة ظاهرة فترد شهادته للتهمة وقال ابو حنيفة شهادته
على العدو مقبولة اذا كان عدلا والقانع السائل والمستطعم واصل
القنوع السؤال ويقال في القانع انه المنقطع الى القوم يخدمهم
ويكون في حوائجهم وذلك مثل الاجير او الوكيل ونحوه ومعنى رد
هذه الشهادة التهمة في جر المنفعة الى نفسه لان القانع لاهل
البيت ينتفع بما يصير اليهم من نفع وكل من جر الى نفسه بشهادته
نفعا فشهادته مردودة كمن يشهد لرجل على شراء دار هو شفيعها او
لمن حكم له على رجل بدين وهو مفلس فشهد المفلس على رجل بدين ونحوه

س

قال الخطابي ومن رد شهاده القانع لاهل البيت بسبب جر المنفعه فقياس
قوله ان ترد شهاده الزوج لزوجته لان ما بينهما من التهمه في جر المنفعه
اكثر والى هذا ذهب ابو حنيفه والحديث ايضا حجه على من اجاز شهاده
الاب لابنه لانه يجر به النفع لما جبل عليه من حبه الميل اليه ولانه
يتملك عليه ماله وقد قال صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك وممن
ترد شهادته البدوى على القروي قال الا ان في باديه او قريه فاما الذى
شهد في الحضر بدويا ويدع جيرته من اهل الحضر عندي مريب وقد روى ابو
داود والدارقطني عن ابي هريره انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تجوز شهاده بدوى على صاحب قريه قال محمد بن عبد الحكم تاول مالك
هذا الحديث على ان المراد به الشهاده في الحقوق والاموال ولم ترد الشهاده
في الدما وما في معناها مما يطلب به الحلوات وقال عامه اهل العلم شهاده
البدوي اذا كان عدلا يقيم الشهاده على وجهها جايزه والله اعلم وقد مضى
في البقره القول في هذا وياتي في براه ان شا الله قوله تعالى
شهدا لله نصب على النعت لقوامين وان شيت كان خبرا بعد خبر
قال النحاس واجود من هذين ان يكون نصبا على الحال لما في قوامين
من ذكر الذين امنوا لانه نفس المعنى اي كونوا قوامين بالعدل عند شهادتكم
قال ابن عطيه والحال فيه ضعيفه في المعنى لانها تخصص القيام
بالقسط الى معنى الشهاده فقط ولم ينصرف شهدا لانه فيه الف
التانيث قوله تعالى لله معناه لذات الله ولوجهه ولمرضاته
وثوابه ولو على انفسكم متعلق بشهدا هذا هو الظاهر الذى فسر عليه
الناس وان هذه الشهاده المذكوره هي في الحقوق فيقر بها لاهلها فذلك

قيامه

قيامه بالشهاده على نفسه كما تقدم ادب الله عز وجل بهذا المومنين
كما قال بن عباس رحمه الله امروا ان يقولوا الحق ولو على انفسهم ويحتمل
ان يكون قوله شهدا لله معناه بالوحدانيه لله ويتعلق قوله ولو على
انفسكم بقوامين والتاويل الاول ابين   قوله تعالى ان
يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما في الكلام اضمار وهو اسم كان اي ان يكن
المطالب او المشهود عليه غنيا فلا يراعا لغناه ولا يخاف منه وان
يكن فقيرا فلا يراعا اشفاقا عليه فالله اولى بهما اي فيما اختار لهما من
فقر وغنى قال السدي اختصم الى النبي صلى الله عليه وسلم غنى وفقير فكان
صلعه مع الفقير وراي ان الفقير لا يظلم الغنى فنزلت الايه   ٥
قوله تعالى بهما انما قال بهما ولم يقل به وان كانت او انما
تدل على الحصول لواحد لان المعنى فالله اولى بهما بكل واحد منهما وقال
الاخفش تكون او بمعنى الواو اي ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بالخصمين
كيفما كان وفيه ضعف وقيل انما قال بهما لانه قد تقدم ذكرهما كما
قال وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس   قوله تعالى فلا
تتبعوا الهوى ان تعدلوا نهى فان اتباع الهوى يردى الى مهلك قال الله
تعالى فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فاتباع
الهوى يحمل على الشهاده بغير الحق وعلى الجور في الحكم الى غير ذلك وقال
الشعبي اخذ الله عز وجل على الحكام ثلاثة اشيا ان لا يتبعوا الهوى والا يخشوا
الناس ويخشوه ولا يشتروا باياته ثمنا قليلا وان تعدلوا في موضع
نصب   قوله تعالى وان تلووا او تعرضوا قرى تلووا من
من لويت فلانا حقه ليا اذا دفعته به والفعل منه لوى والاصل فيه

٤

لوى قلبت اليا الفا لحركتها وحركة ما قبلها والمصدر ليا والاصل لويا ثم
ادغمت الواو في اليا وقال القتبي تلووا من اللي في الشهادة والميل الى
احد الخصمين وقرا ابن عامر والكوفيون تلوا اراد فقمتم بالامر واعرضتم
من قولك وليت الامر فيكون في الكلام معنى التوبيخ للاعراض عن القيام بها
بالامر وقيل ان معنى تلوا فالقراة بضم اللام تفيد معنيين الولاية والاعراض
والقراة بواوين تفيد معنى واحدا وهو الاعراض وزعم بعض النحويين
ان من قرا تلوا فقد لحن لانه لا معنى للولاية هاهنا قال النحاس وغيره
وليس هذا بلازم ولكن تلوا بمعنى تلووا فاستثقلت الضمة على الواو وبعدها
واو اخرى فالقيت حركة الواو على اللام وحذفت احدى الواوين لالتقا
الساكنين فهو كالقراة باسكان اللام وراى في ذلك مكي وقال الزجاج المعنى
على قراته ان تلووا ثم همز الواو الاولى فصارت تلووا ثم خففت الهمزة
بالقا حركتها على اللام فصارت تلوا واصلها تلووا فتتفق القراتان
على هذا التقدير وذكره مكي والنحاس وابن العربي وغيرهم قال ابن عباس
هو في الخصمين يجلسان بين يدي القاضي فيكون لي القاضي واعراضه لاحدهما
على الاخر فاللي على هذا مطل الكلام وجره حتى يفوت فصل القضا وانفاذه
الذي يميل القاضي عليه قال ابن عطية وقد شاهدت بعض القضاة
يفعلون ذلك والله حسيب الكل وقال ابن عباس ايضا والسدي وابن زيد
والضحاك ومجاهد هي في الشهود تلوى الشهادة بلسانه ويحرفها فلا
يقول الحق فيها ويعرض عن اداء الحق فيها ولفظ الاية يعم القضا والشهادة
وكل انسان مامور بان يعدل وفي الحديث لي الواجد يحل عرضه وعقوبته وقد
قال ابن العربي عقوبته حبسه وعرضه شكايته

استدل

استدل بعض العلما في رد شهاده العبد بهذه الايه تعالى حيث جعل الله
تعالى الحاكم شاهدا في هذه الايه وفي ادل دليل على ان العبد ليس باهل
للشهاده لان المقصود منه الاستقلال بهذا المهم اذا دعت الحاجه
اليه ولا يتاتى ذلك من العبد اصلا فلذلك الشهاده   تعالى يا ايها
الذين امنوا امنوا الايه نزلت في جميع المومنين والمعنى يا ايها الذين امنوا
صدقوا واقيموا على تصديقكم واثبتوا عليه والكتاب الذي نزل على
رسوله والكتاب اي القران والكتاب الذي انزل من قبل اي كل كتاب
انزل على النبيين وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر نزل وانزل بالضم
الباقون نزل وانزل بالفتح وقيل نزلت فيمن امن ممن تقدم محمدا صلى الله
عليه وسلم من الانبيا عليهم السلام وقيل انه خطاب للمنافقين والمعنى
على هذا يا ايها الذين امنوا في الظاهر اَخْلِصُوا لِلّٰهِ وقيل المرادُ المشركون
والمعنى يا ايها الذين آمنوا باللّاتِ والعُزّى وَالطّاغُوتِ امنوا بالله
اي صدقوا به وبكتبه   تعالى ان الذين امنوا ثم كفروا
الايه قيل المعنى امنوا بموسى ثم كفروا بعزير ثم امنوا بعزير ثم
كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل اي الذين
امنوا بموسى ثم امنوا بعزير ثم كفروا بعد عزير بالمسيح وكفرت
النصارى بما جا به موسى وامنوا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى
الله عليه وسلم وما جا به من القران فان قيل الله سبحانه لا يغفر شيا من
الكفر فكيف قال ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا
كفرا لم يكن الله ليغفر لهم فالجواب ان الكافر غفر له كفره فاذا
رجع فكفر لم يغفر له الكفر الاول وهذا كما جا في صحيح مسلم عن عبد الله

وا

قال قال اناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انواخذ بما عملنا
في الجاهلية قال اما من احسن منكم في الجاهلية والاسلام فلا يواخذ
بها ومن اساء احد بعمله في الجاهلية والاسلام في رواية ومن اسا
في الاسلام اخذ بالاول والاخر الاساءه ههنا بمعنى الكفر اذ لا
يصح ان يراد بها ارتكاب سيه فانه يلزم عليه الا يهدم الاسلام
ما سبق قبله لمن يعصم من جميع المساوي الى حين موته وذلك باطل
بالاجماع ومعنى ثم ازدادوا كفرا اصروا على الكفر لم يكن الله ليغفر لهم
ولا ليهديهم يرشدهم سبيلا طريقا الى الجنه وقيل لا يخصهم بالتوفيق
كما يخص اولياه وفي هذه الايه رد على اهل القدر فان الله تعالى لا
يهدي الكافر من طريق حسن ليعلم العبد انه انما ينال الهدى بالله تعالى
ويحرم الهدى بارادة الله تعالى وتضمنت ايضا حكم المرتدين وقد مضى
القول فيهم في البقره عند قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت
وهو كافر تعالى بشر المنافقين الايه التبشير الاخبار
بما يظهر اثره على البشره وقد تقدم في البقره ومعنى النفاق ثم
تعالى الذين يتخذون الكافرين اوليا من دون المومنين الذين نعت للمنافقين
وفي هذا دليل على ان من عمل معصيه من الموحدين ليس بمنافق
لانه لا يتولى الكفار وتضمنت المنع من موالاة الكافر وان يتخذوا اعوانا
على الاعمال المتعلقه بالدين وفي الصحيح عن عايشه ان رجلا من المشركين
لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم يقاتل معه فقال ارجع فانا لا نستعين
بمشرك والعزه اي الغلبه عزه يعزه عزا اذا غلبه فان العزه لله جميعا
اي الغلبه والقوه لله قال ابن عباس يبتغون يريد عند بني قينقاع

فان من

فان بن ابي كان يو البهم   تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب الخطاب
لجميع من اظهر الايمان من محقق ومنافق لانه اذا اظهر الايمان فقد لزمه
ان يمتثل اوامر كتاب الله والمنزل قوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون
في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وكان المنافقون
يجلسون الى احبار اليهود فيسخرون من القران وقرا عاصم ويعقوب وقد
نزل بفتح النون والزاي وشدها لتقدم اسم الله جل جلاله في قوله فان
العزة لله جميعا وقرا حميد كذلك الا انه خفف الزاي الباقون نزل غير
مسمى الفاعل ان اذا سمعتم ايات الله موضع اذا سمعتم على قراه عاصم
ويعقوب بوقوع الفعل عليه وفي قراه الباقين رفع لكونه اسم ما لم
يسم فاعله يكفر بها اي اذا اي اذا سمعتم الكفر والاستهزا بايات
الله فاوقع السماع على الايات والمراد سماع الكفر والاستهزا كما تقول
سمعت عبد الله يلام اي سمعت اللوم في عبد الله   تعالى
فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره اي غير الكفر انكم
اذا مثلهم فدل بهذا على وجوب اصحاب المعاصي اذا ظهر منهم
منكر لان من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم والرضى بالكفر كفر قال الله
عز وجل انكم اذا مثلهم فكل من جلس في مجلس معصيه ولم ينكر
عليهم يكون معهم في سوا وينبغي ان ينكر عليهم اذا تكلموا بالمعصيه
وعملوا بها فان لم يقدر على النكر عليهم ينبغي ان يقوم عنهم حتى لا
يكون من اهل هذه الايه وقد روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
انه اخذ قوما يشربون الخمر فقيل له عن احد الحاضرين انه صايم فحمل
عليه الادب وقرا هذه الايه انكم اذا مثلهم اي ان الرضى بالمعصيه

حرم

ان م

معصيه ولهذا يواخذ الفاعل والراضي بعقوبه المعاصي حتى يهلكوا
باجمعهم وهذه المماثله ليست في جميع الصفات ولكنه الزام سنه
بحكم الظاهر من المقارنه كما قال فكل قرين بالمقارن يقتدى وقد
تقدم واذا ثبت تجنب اصحاب المعاصي كما بيناه فتجنب اهل البدع
والاهوى اولى وقال الحلبي قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا
في حديث غيره وما على الذين يتقون من حسابهم من شي وقال عامه
المفسرين هي محكمه روي جويبر عن الضحاك قال دخل في هذه الايه
كل محدث في الدين مبتدع الى يوم القيمه تعالى ان الله
جامع المنافقين الاصل جامع بالتنوين فحذف استخفافا فالمعنى يجمع
الذين يتربصون بكم يعني المنافقين اي ينتظرون بكم الدوائر فان كان لكم فتح
اي غلبة على اليهود وغنيمه قالوا الم نكن معكم اي اعطونا من الغنيمه وان
كان للكافرين نصيب اي ظفر قالوا الم نستحوذ عليكم اي الم نغلب عليكم حتى
هابكم المسلمون وخذلناهم يقال استحوذ على كذا اي غلب عليه ومنه قوله
تعالى استحوذ عليهم الشيطان وقيل اصل الاستحواذ الحوط حاده
يحوده حودا اذا احاطه وهذا الفعل جا على الاصل لا اعلال استحاذ يستحيذ
وعلى غير الاعلال استحوذ يستحوذ ونمنعكم من المومنين اي بتخذيلنا اياهم
عنكم وتفريقنا اياهم بما يريدونه منكم والايه تدل على ان المنافقين كانوا
يخرجون من الغزوات مع المسلمين ولهذا قالوا الم نكن معكم ويدل على انهم
كانوا لا يقطعون لهم الغنيمه ولهذا طلبوها وقالوا الم نكن معكم ويحتمل
ان يريدوا بقولهم الم نكن معكم الامتنان على المسلمين اي كنا نعلمكم باخبارهم
وكنا انصارا لكم تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا

فيه

فيه ثلث مسايل   قوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المومنين

سبيلا فيه تاويلات خمس الاول ما روى عن يسيع الحضرمي قال كنت عند
علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقلت له يا امير المومنين اريت قول الله تبارك
وتعالى ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا كيف ذلك وهم يقاتلوننا
ويظهرون علينا احيانا فقال علي رضي الله عنه معنى ذلك يوم القيمة يوم
الحكم وكذا قال بن عباس ذلك يوم القيمة قال بن عطيه وبهذا قال جميع
اهل التاويل قال بن العربي وهذا ضعيف لعدم فايدة الخبر فيه وان اوهم
صدر الكلام معناه لقوله فالله يحكم بينهم يوم القيمة وجعل الامر في الدنيا
دولا تغلب الكفار تارة وتغلب اخرى بما راي من الحكمة وسبق من الكلمة ثم
قال ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا فتوهم من توهم ان اخر
الكلام يرجع الى اوله وذلك يسقط فايدته اذ يكون تكرارا الثاني ان
الله لا يجعل لهم سبيلا يمحو به دولة المومنين ويذهب اثارهم ويستبيح
بيضتهم كما جا في صحيح مسلم من حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال واني سالت ربي الا يهلكها بسنة عامة وان لا يسلط عليهم
عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من باقطارها
حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا الثالث ان الله سبحانه
لا يجعل للكافرين على المومنين سبيلا الا ان يتواصوا بالباطل ولا يتناهوا عن
المنكر ويتقاعدوا عن التوبة فيكون تسليط العدو من قبلهم كما قال وما
اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم قال بن العربي وهذا نفيس جدا
قال الشيخ المولف رحمه الله ويدل عليه قوله عليه السلام في حديث ثوبان
حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا وذلك ان حتى غاية

وان ربك قال يا محمد اني اذا قضيت قضاء فانه لا يرد واني اعطيتك لامتك الا اهلكهم بسنة عامة والا اسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم يستبيح بيضتهم نه

ل

فيقتضي ظاهر الكلام انه لا يسلط عليهم عدوهم فيستبيحهم الا اذا
كان منهم اهلاك بعضهم لبعض وسبا بعضهم لبعض وقد وجد ذلك
في هذه الازمان بالفتن الواقعة بين المسلمين فغلظت شوكة المسلمين
واستولوا على بلاد المسلمين حتى لم يبق من الاسلام الا اقله فنسال
الله تعالى ان يتدارك بعفوه ونصره ولطفه الرابع ان الله لا يجعل
للكافرين على المومنين سبيلا شرعا فان وجد فبخلاف الشرع الخامس
ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا اي حجة عقلية ولا شرعية
يستظهرون بها الا ابطلها ودحضت قال ابن العربي
ونزع علماونا بهذه الاية في الاحتجاج على ان الكافر لا يملك العبد المسلم
وبه قال اشهب والشافعي لان الله سبحانه نفى السبيل للكافر عليه والملك
بالشرا سبيل فلا يشرع ولا ينعقد العقد بذلك وقال ابن القاسم عن
مالك وهو قول ابي حنيفة ان معنى ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا
في دوام الملك لانا نجد ابتداه يكون له وذلك بالارث وصورته ان
يسلم في يد كافر في يد كافر فيلزم القضا عليه ببيعه فقبل الحكم عليه ببيعه
مات فيرث العبد المسلم الكافر فهذه سبيل قد ثبت قهرا لا قصد فيه
وان ملك الشرا ثبت بقصد النية فقد اراد الكافر تملكه باختياره فان
حكم بعقد بيعه وثبوت ملكه حقوقه فقد جعل له سبيل اليه
قال ابو عمر وقد اجمع المسلمون على ان عتق النصراني او اليهودي لعبده المسلم
صحيح نافذ عليه واجمعوا على انه اذا اسلم عبد الكافر فبيع عليه ان ثمنه
يدفع اليه فدل على انه على ملكه وعلى ملكه ثبت العتق له الا انه ملك غير مستقر
لوجوب بيعه عليه وذلك والله اعلم لقول الله عز وجل ولن يجعل الله للكافرين

عدم

ملكه

على المومنين

على المومنين سبيلا يريد الاسترقاق والملك والعبوديه ملكا مستقرا
دايما واختلف العلما في شرا العبد الكافر العبد المسلم على قولين احدهما البيع
مفسوخ والثاني البيع صحيح ويباع على المشتري واختلف
العلما ايضا من هذا الباب في رجل نصراني دبر عبدا نصرانيا فاسلم العبد
قال مالك والشافعي في احد قوليه يحال بينه وبين العبد ويخارج على
سيده النصراني ولا يباع عليه حتى يتبين امره فان هلك النصراني وعليه
دين قضي دينه من ثمن المدبر الا ان يكون في ماله ما يحمل المدبر فيعتق المدبر
قال الشافعي في القول الاخر انه يباع عليه ساعة اسلم واختاره
المزني لانه وصيه ولا يجوز ان يملك مسلم في ملك مشرك بدله ويخاره وقد
صار بالاسلام عدوا لله وقال الليث بن سعد يباع النصراني من مسلم
فيعتقه ويكون ولاوه للذي اشتراه وان اعتقه ويدفع الى النصراني
ثمنه وقال سفين والكوفيون اذا اسلم مدبر النصراني قوم قيمته فيعطي في
قيمته فان مات النصراني قبل ان يخرج المدبر سا..ته عتق العبد ويطلب
السعايه تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم قد
مضى في البقرة معنى الخدع والخدع من الله مجازاتهم على خداعهم اولياه
ورسله قال الحسن يعطي كل انسان من مومن ومنافق نور يوم القيمه فيفرح
المنافقون ويظنون انهم قد نجوا فاذا جاوا الى الصراط طفي نور كل
منافق فذلك قولهم انظرونا نقتبس من نوركم تعالى واذا
قاموا الى الصلاه قاموا كسالا اي يصلون وهم متثاقلون متكاسلون
لا يرجون ثوابا ولا يعتقدون على تركها عقابا وفي صحيح الحديث ان
اثقل صلاة على المنافقين العتمة والصبح فان العتمة تاتي وقد اتعبهم عمل النهار

فيثقل عليهم القيام اليها وصلاه الصبح تاتي في النوم احب اليهم من
مفروح به ولولا السيف ما قاموا اليها الا طلبا للجميل لبراة الناس لا لاتباع
امر الله وقد تقدم بيانه ثم وصفهم بنقله الذكر عند المراياه وعند الخوف
وقال صلى الله عليه وسلم داتما لمن اخر الصلاه تلك صلاه المنافقين تلك يجلس
احدهم يرقب الشمس حتى اذا كانت على قرن الشيطان او على قرن الشيطان
قام فنقر اربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا رواه مالك وغيره وقيل
وصفهم بقلة الذكر انهم كانوا لا يذكرون الله بقراءة ولا تسبيح وانما
كانوا يذكرونه بالتكبير وقيل وصفه بالقلة لان الله لا يقبله وقيل
لعدم الاخلاص فيه وهنا مسئلتان بين الله تعالى في هذه
الايه صلاه المنافقين وبينها رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لمن صلى كصلاتهم
وذكر كذكرهم لحق بهم في عدم القبول وخرج من مقتضى قوله تعالى
قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون وسياتي الكلم الا ان يكون
له عذر فيقتصر على الفرض حسب ما علمه النبي صلى الله عليه وسلم للاعرابي
حين راه اخل فقال له اذا قمت الى الصلاه فاسبغ الوضوء ثم استقبل
القبلة فكبر ثم اقرا ما تيسر معك من القران ثم اركع حتى تطمين راكعا ثم
ارفع حتى تعتدل قايما ثم اسجد حتى تطمين ساجدا ثم ارفع حتى
تطمين جالسا ثم افعل ذلك في صلاتك رواه الايمه وقال صلى الله عليه وسلم
لا صلاه لمن لم يقرا بام القران وقال لا تجزي صلاه لا يقيم الرجل
فيها صلبه في الركوع والسجود اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند اهل العلم من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم يرون ان يقيم الرجل

صلبه

صلبه في الركوع والسجود قال الشافعي واحمد واسحق من لا يقيم
صلبه في الركوع والسجود فصلاته فاسده لحديث النبي صلى
الله عليه وسلم لا تجزي صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع
والسجود قال بن العربي وذهب بن القاسم وابو حنيفه الى
ان الطمانينه ليست بفرض وهي روايه عراقيه لا ينبغي
لاحد من المالكيين ان يشتغل بها وقد مضى في البقره هذا المعنى
قال بن العربي ان من صلى صلاة ليراها الناس
ويرونه فيها فيشهدون له بالايمان واراد طلب المنزله
والظهور لقبول الشهاده وجواز الامامه فليس ذلك الريا
المنهي عنه ولم يكن عليه حرج وانما الريا المعصيه ان يظهرها
صيدا للناس وطريقا الى الاكل فهذه نيه لا تجزي وعليه
الاعاده قال الشيخ المولف رحمه الله قوله واراد طلب
المنزله والظهور لقبول الشهاده فيه نظر وقد تقدم
بيانه في النسا فتامله هناك ودلت هذه الايه على ان الريا
يدخل في الفرض والنفل لقول الله تعالى واذا قاموا الى
الصلاه قاموا وقال قوم انما يدخل النفل خاصه لان
الفرض واجب على جميع الناس والنفل عرضه لذلك وقيل
بالعكس لانه لو لم يات بالنوافل لم يواخذ بها
تعالى مذبذبين بين ذلك المذبذب المتردد بين امرين
والذبذبه الاضطراب ذبذبه فتذبذب ومنه قول
النابغه الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها

بين ذلك مذبذب اخر حبال لام السلسبيل و ذ كما مسيره
شهر للترنيذ المذبذب لعله روى بكسر الذال الثانيه فال
من حى المتر الفلق الذى لا يثبت ولا يتمهل فهولاى المنافقون
متردد دون بين المومنين و المشركين لا مخلصين بالايمان ولا
مصرحين بالكفر و في صحيح مسلم من حديث بن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاه العابر بين الغنمين تعبر
الى هذه مره والى هذه اخرى و في روايه يكريد لعبثره وقرا
الجمهور مذبذبين بضم الميم وفتح الذالين وقرا ابن عباس بكسر
الذال الثانيه و في مصحف ابي مذبذبين ويجوز الادغام
على هذه القراه مذبذبين بتشديد الذال الاولى وكسر
الثانيه وعن الحسن مذبذبين بفتح الميم والذالين تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اوليا مفعولان اى لا تجعلوا
خاصتكم وبطانتكم منهم وقد تقدم هذا المعنى اتريدون
ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اي في تعذيبه ايا كم باقامه
حجته عليكم اذ قد نهاكم تعالى ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار قرا الكوفيون الدرك باسكان الرا والاولى
افصح لانه يقال في الجمع ادراك مثل جمل واجمال قاله النحاس
وقال ابو علي هما لغتان كالشمع والشمع ونحوه والجمع ادراك
وقيل جمع الدرك ادرك كفلس وافلس والنار دركات سبعه
اي طبقات ومنازل الا ان استعمال العرب لما كان سافل
ادراك يقال للبئر ادراك ولما تعالى درج فللجنه درج

وللنار

ولكن الدرك وقد تقدم هذا فالمنافق في الدرك الاسفل
وهي الهاويه لغلظ كفره وكثرة غوائله وتمكنه من اذى
المومنين واعلى الدركات جهنم ثم لظى ثم الحطمه ثم السعير
ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاويه وقد سمي جميعها باسم الطبقة
العليا اعاذنا الله من عذابها بمنه وعن ابن مسعود في قوله
قوله تعالى في الدرك الاسفل من النار قال توابيت من
حديد مقفلة في النار تطبق عليهم وقال ابن عمر ان اشد
الناس عذابا يوم القيامه المنافقون ومن كفر من اصحاب
المائده وال فرعون وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى في
قوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقال في
اصحاب المائده فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من
العالمين وقال في ال فرعون ادخلوا ال فرعون اشد العذاب
تعالى الا الذين تابوا استثنا ممن نافق ومن شرط
التايب من النفاق ان يصلح في قوله وفعله ويعتصم بالله
يجعله ملجا ومعادا ويخلص دينه لله كما قال نصت عليه
هذه الايه والا فليس بتايب ولهذا اوقع اجر المومنين
في التسويف لانضمام المنافقين اليهم والله اعلم روى
البخاري عن الاسود قال كنا في حلقة عبد الله فجا حذيفه
يعني قام علينا فسلم ثم قال لقد نزل النفاق على قوم
خير منكم قال الاسود سبحان الله ان الله تعالى يقول ان
المنافقين في الدرك الاسفل من النار فتبسم عبد الله وجلس

حذيفه في ناحيه المسجد فقام عبد الله فتفرق اصحابه فرماني
بالحصا فاتيته فقال حذيفه عجبت من ضحكه وقد عرف ما قلت
لقد انزل النفاق على قوم كانوا خيرا منكم ثم تابوا فتاب الله عليهم
وقال الفرا معنى فاولئك مع المومنين اي من المومنين وقال
القتبي حاد عن كلامهم غضبا عليهم فقال فاولئك مع المومنين
ولم يقل هم المومنون وحذفت اليا من يوت في الخط كما حذفت
في اللفظ لسكونها وسكون اللام بعدها ومثله يوم ينادي
المنادي وسندع الزبانيه ويوم يدع الداع حذفت الواوات
لالتقا الساكنين تعالى ما يفعل الله بعذابكم استفهام
بمعنى التقرير للمنافقين التقدير اي منفعه له في عذابكم ان
شكرتم وامنتم فنبه تعالى انه لا يعذب الشاكر المومن وان
تعذيبه عباده لا يزيد في ملكه وتركه عقوبتهم على فعلهم لا
ينقص من سلطانه وقال مكحول اربع من كن فيه كن له وثلاث
من كن فيه كن عليه فالاربع اللاتي له الشكر والايمان والدعا
والاستغفار قال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم
وامنتم وقال وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
وقال قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاوكم واما الثلاث الذي
عليه فالبغي والمكر والنكث قال الله تعالى ومن نكث فانما ينكث
على نفسه وقال ولا يحيق المكر السيي الا باهله وقال انما بغيكم
على انفسكم وكان الله شاكرا عليما اي يشكر عباده على طاعته
ومعنى يشكرهم يثيبهم فيتقبل العمل القليل ويعطي عليه الثواب

الجزيل

الجزيل وذلك شكر منه لعباده والشكر في اللغه الظهور
يقال دابه شكورا اذا ظهرت من السمن فوق ما يعطى العلف
وقد تقدم هذا المعنى مستوفا والعرب تقول في المثل اشكر
من بروقه لانها تعال بعصر وسطر بيطل الحساب دون مطر
تعالى لا يحب الله الجهر بالسو من القول الا من ظلم
فيه ثلاث مسايل قوله لا يحب الله الجهر بالسوء من
القول وتم الكلام ثم قال عز وجل الا من ظلم استثنا ليس من
الاول في موضع نصب اي من ظلم فله ان يقول ظلمني فلان ويجوز
ان يكون في موضع رفع ويكون التقدير لا يحب الله ان يجهر احد
بالسو الا من ظلم وقرا الجمهور ظلم بضم الظا وكسر اللام ويجوز
اسكانها ومن قرا ظلم بفتح الظا واللام وهو زيد بن اسلم وابن
ابي اسحق وغيرهما على ما ياتي فلا يجوز له ان يسكن اللام لخفه الفتحه
فعلى القراه الاولى قالت طايفه المعنى لا يحب الله احدا بالسو
من القول الا من ظلم فلا يكره له الجهر به ثم اختلفوا في كيفيه
الجهر بالسو وما هو المباح من ذلك فقال الحسن هو الرجل
يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقل اللهم اعني عليه اللهم
استخرج حقي اللهم حل بينه وبين ما يريد من ظلمي فهذا دعا في
المدافعه وهي اقل منازل السو وقال بن عباس وغيره المباح
لمن ظلم ان يدعو على من ظلمه وان صبر فهو خير له فهذا اطلاق
في نوع الدعا على الظالم وقال ايضا السدي لا باس لمن ظلم ان
ينتصر ممن ظلمه بمثل ظلمه ويجهر له بالسوء من القول وقال بن

الفتحه
ان يجهر

المستثنى الا من ظلم معناه الا من ظلم له ان يجهر بالسوء من
من القول لغوا ونحو ذلك مباح والاية على هذا في الاكراه
وكذا قال قطرب الا من ظلم يريد المكره لانه مظلوم فذلك
موضوع عنه وان كفر قال ويجوز ان يكون المعنى الا من ظلم على البدل
كانه قال لا يحب الله الا من ظلم اي لا يحب الله الظالم فكانه يقول
يحب من ظلم ان ياجر من ظلم والتقدير على هذا القول لا يحب الله الجهر
بالسوء الا من ظلم على البدل وقال مجاهد نزلت في رجل ضاف رجلا
بفلاة من الارض فلم يضفه فنزلت الا من ظلم ورواه ابن ابي نجيح ايضا
عن مجاهد قال نزلت هذه الاية لا يحب الله الجهر بالسوء من ظلم في
الرجل يمر بالرجل فلا يضيفه فرخص له ان يقول فيه انه لم يحسن ضيافته
وقد استدل من اوجب الضيافة بهذه الاية قالوا لان الظلم
ممنوع منه فدل على وجوبها وهو قول الليث بن سعد والجمهور
على انها من مكارم الاخلاق وسياتي بيانها في هود والذي يقتضيه
ظاهر الاية ان للمظلوم ان ينتصر من ظالمه ولكن مع اقتصاد ان كان مومنا
كما قال الحسن فاما ان يقابل العدو بالقذف ونحوه فلا وقد في
البقرة فان كان كافرا فارسل لسانك وادع بما شئت من الهلكة وبكل
دعا كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك على مضر
واجعلها عليهم سنين كسني يوسف وقال اللهم عليك بفلان
وفلان سماهم وان كان مجاهرا بالظلم دعا عليه جهرا ولم يكن له
عرض محترم ولا بدن محترم ولا مال محترم وقد روى ابو داود عن عائشة
قالت سرق لها شي فجعلت تدعو عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا تسبخي

عشرين

لا يستحي عنه المعنى لا تخفى عنه العقوبة بدعائك عنه وروى ايضا عن
عمرو بن الشريد عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي الواجد يحل
عرضه وعقوبته قال ابن المبارك يحل عرضه يغلظ له وعقوبته يحبس له
وفي صحيح مطل الغني ظلم فالموسر المتمكن اذا طولب بالادا ومطل ظلم
وذلك يبيح من عرضه ان يقال فلان يمطل الناس ويحبس حقوقهم
ويبيح للامام ادبه وتعزيره حتى يرتدع عن ذلك حكى معناه عن
سفين وهو معنى قول ابن المبارك رضي الله عنهما وليس
من هذا الباب ما وقع في صحيح مسلم من قول ابن العباس في علي رضي الله
عنهما بحضرة عمر وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف يا امير المومنين
اقض بيني وبين هذا الكاذب الاثم الغادر الخاين الحديث ولم يرد
عليه واحد منهم لانها كانت حكومة كل واحد منهما يعتقدها
لنفسه فيما عليهم عمر الواجب قاله ابن العربي وقال قال علماونا هذا
انما يكون فيما اذا استوت المنازل وتقاربت واما اذا تفاوتت فلا
يمكن الوغا من ان يستطيل على الفضلا وانما يطلب حقها بمجرد الدعوى
من غير تصريح بظلم ولا غضب وهذا صحيح وعليه تدل الاثار
ووجه اخر وهو ان هذا القول اخرجه من العباس الغضب
وصولة سلطنة العمومة فان العم صنو الاب ولا شك ان
الاب اذا اطلق هذه الالفاظ على ولده انما حمل ذلك منه على انه قصد
الاغلاظ والردع مبالغة في تاديبه لانه موصوف بتلك الامور
ثم انضاف الى هذا الخصم في محاجه ولابه دبه فان العباس يعتقد
ان مخالفته فيما لا تجوز وان المخالفة فيما تودي الى ان يتصف المخالف

يمطل

بتلك الامور فاطلقها بنوا رد الغضب على هذه الاوجه ولم اعلم
الحاضرون ذلك لما يثلوا عليه اشار الى هذا المازرى والقاضى
عياض وغيرهما فاما من قرا ظلم بالفتح فى الظا واللام
وهى قراه زيد بن اسلم وكان من العلما بالقران بالمدينة بعد محمد بن كعب
القرظى وقراه بن ابى اسحق والضحاك وبن عباس وبن جبير وعطا بن السايب
فالمعنى الا من ظلم فى فعل او قول فاجهروا له بالسو من القول ومعنى
النهى عن فعله والتوبيخ والرد عليه المعنى لا يحب الله ان يقال لمن تاب
من النفاق الست نافقت الا من ظلم اى اقام على النفاق ودل على هذا
قوله تعالى الا الذين تابوا قال بن زيد وذلك انه سبحانه لما اخبر عن
المنافقين انهم فى الدرك الاسفل من النار كان ذلك جهرا بسو من
من القول ثم قال لهم بعد ذلك ما يفعل الله بعذابكم على معنى
التانيس والاستدعا الى الشكر والايمان ثم قال للمومنين لا يحب
الله الجهر بالسو من القول الا من ظلم فى اقامته على النفاق فانه يقال له
الست المنافق الكافر الذى لك فى الاخرة الدرك الاسفل ونحو هذا من
القول وقال قوم معنى الكلام لا يحب الله ان يجهر احد بالسو من
القول ثم استثنا استثنا منقطعا اى لكن من ظلم فانه يجهر بالسو ظلما
وعدوانا وهو ظالم فى ذلك قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا شان
كثير من الظلمة ودابهم فانهم مع ظلمهم يستطيلون بالسنتهم
وينالون من عرض مظلومهم ما حرم عليهم وقال ابو اسحاق الزجاج
يجوز ان يكون المعنى الا من ظلم فقال سوا فانه ينبغى ان ياخذوا على
يديه ويكون استثنا ليس من الاول قال الشيخ المولف رحمه الله ويدل

على هذا

على هذا احاديث منها قوله عليه السلام خذوا على ايدى سفهايكم وقوله
انصر اخاك ظالما ومظلوما قالوا هذا مظلوما فكيف ننصره ظالما تكفه
عن الظلم وقال الفرا الا من ظلم يعنى ولا من ظلم تعالى وكان
الله سميعا عليما تحذير للظالم حتى لا يظلم وللمظلوم حتى لا يتعدا الحد
فى الانتصار ثم اتبع هذا بقوله ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا
عن سوء فندب الى العفو ورغب فيه والعفو صفة الله تعالى
مع القدرة على الانتقام وقد تقدم فى آل عمران فضل العافين فى
هذه الالفاظ اليسيرة معان كثيرة لمن تاملها وقيل ان عفوت
فان يعفو عنك روى بن المبارك قال حدثنى من سمع الحسن يقول
اذا حشت الامم بين يدى رب العالمين يوم القيامة نودى ليقم من اجره
على الله فلا يقوم الا من عفا فى الدنيا يصدق هذا الحديث قوله تعالى
ان الذين يكفرون بالله ورسله الاية فيه ثلاث مسايل
قوله تعالى ان الذين يكفرون لما ذكر المشركين والمنافقين ذكر الكفار
من اهل الكتاب اليهود والنصارى اذ كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وبين ان الكفر به كفر بالكل لانه ما من نبى الا وقد امر قومه الا وقد
امر قومه بالايمان بمحمد وبجميع الانبيا عليه وعليهم السلام ومعنى
ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله اى بين الايمان بالله ورسله فنص
سبحانه على التفريق بين الله ورسله وانما كان كفرا لانه سبحانه فرض
على الناس ان يعبدوه بما شرع لهم على السنة الرسل فاذا جحدوا
الرسل ردوا عليهم شرايعهم ولم يقبلوها منهم فكانوا ممتنعين من
التزام العبودية التى امروا بالتزامها فكان كجحد سبحانه وجحد الصانع

كفر لما فيه من ترك التزام الطاعه والعبوديه ولذلك الفرق بين
رسله في الايمان لهم كفر وهي المسله الثانيه لقوله تعالى ويقولون
نومن ببعض ونكفر ببعض وهم اليهود امنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد
صلى الله عليه وسلم وقد تقدم هذا في قولهم في البقره ويقولون لعوامهم
لم نجد لمحمد في كتبنا ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اي يجعلوا بين
الايمان والجحد طريقا اي دينا مبتدعا بين الاسلام واليهوديه وقال ذلك
ولم يقل ذينك لان ذلك يقع للاثنين ولو كان ذينك لجاز تعالى
اولئك هم الكافرون حقا تاكيد يزيل التوهم في ايمانهم حين وصفهم بانهم
يقولون نومن ببعض وان ذلك لا ينفعهم اذا كفروا برسوله واذا كفروا
برسوله فقد كفروا به عز وجل وكفروا بكل رسول مبشر بذلك الرسول
فلذلك صاروا الكافرين حقا والكافرين يقوم مقام المفعول الثاني لاعتدنا
اي اعتدنا لجميع اصنافهم عذابا مهينا مذلا تعالى والذين
امنوا بالله ورسله الايه يعني به النبي صلى الله عليه وسلم وامته تعالى
يسالك اهل الكتاب الايه سالت اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم ان يصعد
بصعد الى السما وهم يرونه فينزل عليهم كتابا مكتوبا فيما يدعيه على
صدقه دفعه واحده كما اتى موسى بالتوراه تعنيا له صلى الله عليه وسلم
فاعلم الله عز وجل ان اباهم قد عنتوا موسى عليه السلام فقالوا ارنا
الله جهره فعوقبوا بالصاعقه لعظم ما جاوا به من السوال والظلم
بعدما راوا من المعجزات تعالى ثم اتخذوا العجل في الكلام حذف
فاحييناهم فلم يبرحوا فاتخذوا العجل وقد تقدم في البقره ويأتي ذكره في
طه من بعد ما جاتهم البينات اي البراهين والدلالات المعجزات الظاهرات

ملكتوبا

بابين من هذا م

من اليد

روي في ذلك اخرجه الآجري وابو حاتم البستي في المسند الصحيح له
تعالى لكن الله يشهد رفع بالابتدا وان شيت شددت
النون ونصبت وفي الكلام حذف دل عليه الكلام كان الكفار قالوا
ما نشهد لك يا محمد فيما تقول فمن يشهد لك فانزل الله لكن الله يشهد ومعنى
انزله بعلمه اي وهو يعلم انك اهل لانزاله عليك ودلت الاية على انه
تعالى يعلم والملايكة يشهدون ذكر شهاده الملايكة ليقابل بها نفي
شهادتهم وكفى بالله شهيدا اي كفى بالله شاهدا والبا زايده
تعالى ان الذين كفروا يعني اليهود وصدوا عن سبيل الله اي عن اتباع محمد
صلى الله عليه وسلم بقولهم ما نجد صفته في كتابنا وانما النبوه في ولد
هارون وداود وان في التوراة ان شرع موسى لا ينسخ قد ضلوا ضلالا
بعيدا لانهم كفروا ومع ذلك منعوا الناس من الاسلام
تعالى ان الذين كفروا وظلموا يعني اليهود اي ظلموا محمدا بكتمان نعته وقيل
اذ كفروا والناس اراد لتوهم لم يكن الله ليغفر لهم هذا فيمن يموت على
كفره ولم يتب تعالى يا ايها الناس خطاب للكل قد
جاكم الرسول يريد محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق بالقران وقيل بالدين
الحق وقيل بشهاده ان لا اله الا الله وقيل البا للتعديه اي جاكم ومعه
الحق فهو في موضع الحال تعالى فامنوا خيرا في الكلام اضمار اي
وايتوا خيرا لكم هذا مذهب سيبويه وعلى قول الفرا نعت لمصدر
محذوف اي ايمانا خيرا لكم وعلى قول ابي عبيده يكن خيرا لكم
تعالى يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم نهي عن الغلو والغلو التجاوز
في الحد ومنه غلا السعر يغلو غلاء وغلا الرجل في الامر غلوا وغلا بالجاريه

لحمها وعظمها اذا اسرعت الشباب تجاوزت لذاتها ويعني بذلك فيما
ذكره المفسرون غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم وغلو النصارى فيه
حتى جعلوه ربا فالافراط والتقصير كله سيئة وكفر ولذلك قال
مطرف بن عبد الله الحسنة بين سيئتين وقال الشاعر وأوف ولا
تستوف حقك كله وسامح فلم يستوف قط كريم ولا تغل في شيء من
الامر واقتصد كلا طرفي قصد الامور ذميم وقال اخر عليك
باوساط الامور نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا وفي صحيح البخاري
عنه صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى وقولوا عبد الله
ورسوله تعالى ولا تقولوا على الله الا الحق اي لا تقولوا ان له شريكا
او ابنا ثم بين تعالى حال عيسى عليه السلام وصفته فقال انما المسيح عيسى
ابن مريم رسول الله وكلمته وفيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى انما
المسيح رفع بالابتدا عيسى بدل منه وابن مريم ويجوز ان يكون خبرا
لابتدا ويكون المعنى انما المسيح ابن مريم ودل بقوله عيسى مريم على ان من
كان منسوبا بوالدته كيف يكون الها وحق الاله ان يكون قديما لا محدثا
ويكون رسول الله خبرا بعد خبر لم يذكر الله عز وجل امراة
وسماها باسمها في كتابه الا مريم ابنت عمران فانه ذكر اسمها في نحو من ثلاثين
موضعا لحكمة ذكرها بعض الاشياخ فان الملوك والاشراف لا
يذكرون حرايرهم في ملا ولا يبدلون اسماءهن بل يكنون عن الزوجة بالعرس
والاهل والعيال ونحو ذلك فاذا ذكروا الاماء لم يكنوا عنهن ولم يصونوا
اسماءهن عن الذكر والتصريح بها فلما قالت النصارى في مريم ما قالت وفي
ابنها صرح باسمها ولم يكن عنها للاموة والعبودية التي هي صفة لها

واجرا

والجواب ان الكلام عادة العرب اعتقاد ان عيسى عليه
السلام لا اب له واجب فاذا لم يذكر منسوبا الى الام استشعرت
القلوب ما يجب عليها اعتقاده من نفي الاب عنه وتنزيه الام الطاهرة
عن مقالة اليهود لعنهم الله والله اعلم تعالى وكلمته القاها
الى مريم اي هو مكنون بكلمة كن فكان بشرا من غير اب والعرب تسمي الشي
باسم الشي اذا كان صادرا عنه وقيل كلمته بشارة الله تعالى مريم عليها السلام
ورسالته اليها على لسان جبريل وذلك قوله اذ قالت الملائكة يا مريم ان
ان الله يبشرك بكلمة منه وقيل الكلمة هنا معنى الاية قال الله تعالى
وصدقت بكلمات ربها وما نفذت كلمات الله وكان لعيسى
اربعة اسما المسيح وعيسى وكلمة وروح وقيل غير هذا مما
ليس في القران ومعنى القاها الى مريم اعلمها بها تعالى
تعالى وروح منه هذا الذي اوقع النصارى في الضلال
فقالوا عيسى جزء منه فجهلوا وضلوا وعنه اجوبة ثمانية الاول
قال ابي بن كعب خلق الله ارواح بني ادم لما اخذ عليهم الميثاق
ثم ردها الى صلب ادم وامسك عنده روح عيسى فلما
اراد خلقه ارسل ذلك الروح الى مريم فكان منه عيسى
فلهذا قال وروح منه وقيل هذه الاضافة للتفضيل وان
كان جميع الارواح من خلقه وهذا لقوله وطهر بيتي وقيل قد
يسمى من يظهر منه الاشيا العجيبة روحا ويضاف الى الله فيقال
هذا روح الله اي من خلقه كما يقال في النعمة انها من الله وكان عيسى
يبرى الاكمه والابرص ويحيي الموتى فاستحق هذا الاسم وقيل سمي

روحا للسبب نفخه جبريل عليه السلام وسمي النفخ روحا لانه يخرج
من الروح قال ذو الرمة فقلت له ارفعها اليك واحيها
بروحك واقتت لها قيتة قدرا وقد روي ان جبريل نفخ في درع
مريم فحملت منه باذن الله وعلى يكون روح منه معطوفا على الضمير
الذي هو اسم الله في القاها التقدير القاها الله وجبريل الكلمة الى
مريم وقيل روح منه اي من خلقه كما قال وسخر لكم ما في السماوات
وما في الارض جميعا منه اي من خلقه وقيل روح منه اي رحمة منه
وكان عيسى رحمة من الله لمن اتبعه ومنه قوله تعالى وايدهم بروح
منه اي برحمة وقرئ فروح وريحان وقيل الروح البرهان منه وكان
عيسى برهانا وحجة على قومه صلى الله عليه وعلى نبينا محمد وسلم

زام

تعالى فامنوا بالله ورسله اي امنوا بان الله اله واحد خالق المسيح
ومرسله وامنوا برسله ومنهم عيسى فلا تجعلوه الها ولا تقولوا
ثلاثة اي لا تقولوا الهتنا ثلاثة عن الزجاج قال ابن عباس يريد
بالتثليث الله وصاحبته وابنه وقال الفراء وابو عبيدة اي لا تقولوا
هم ثلاثة لقوله سيقولون ثلاثة ابو علي التقدير ولا تقولوا هو ثالث
ثلاثة فحذف المبتدأ والمضاف والنصارى مع فرقهم مجمعون على التثليث

جوم

ويقولون ان الله هو واحد وله ثلاثة اقانيم فيجعلون كل اقنوم الها
ويعنون بالاقانيم الوجود والحيوة والعلم وربما يعبرون عن الاقانيم
بالاب والابن والروح القدس فيعنون بالاب الوجود وبالروح الحياة
وبالابن المسيح وكلامهم فيه تخبط بيانه في اصول الدين ومحصول
كلامهم يؤول الى التمسك بان عيسى اله بما كان يجريه الله سبحانه على

يديه

حادی
عربية - ٢

بدنه من خوارق العادات على حسب دواعيه وارادته وقالوا قد علمنا
خروج هذه الامور عن مقدور البشر فينبغي ان يكون المقتدر عليها بالالهيه
فيقال لهم لو كان ذلك من مقدوراته وكان مستقلا به كان يخلص نفسه
من اعدايه ودفع شرهم عنه من مقدوراته وليس كذلك فان اعترف
النصارى بذلك فقد سقط قولهم ودعواهم ان كان يفعلها مستقلا به
وان لم يسلموا ذلك فلا حجه ايضا لانهم معارضون لموسى عليه السلام
وما كان يجرى على يديه من الامور العظام مثل قلب العصا ثعبانا
البحر واليد البيضا والمن والسلوى وغير ذلك وكذلك ما جرى على
يدى الانبيا فان انكروا ذلك فينكر ما يدعونه ايضا من ظهوره على
يدى عليه السلام فلا يمكنهم اثبات شى من ذلك لعيسى فان طريق اثباته
عندنا نصوص القران وهم ينكرون القران ويكذبون من اتى به
فلا يمكنهم اثبات ذلك باخبار التواتر وقد قيل ان النصارى كانوا
على دين الاسلام احدى وثمانين سنه بعد رفع عيسى يصلون الى
القبله ويصومون شهر رمضان حتى وقع فيما بينهم حرب وكان في
اليهود رجل شجاع يقال له بولس قتل جماعه من اصحاب عيسى
فقالوا ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا وجحدنا والنار مصيرنا ونحن
مغبونون ان دخلوا الجنه ودخلنا النار واني احتال فيهم فاضلهم
فيدخلون النار وكان له فرس يقال له العقاب فاظهر الندامه ووضع
على راسه التراب وقال للنصارى انا بولس عدوكم وقد نوديت من
السما ان ليست لك توبه الا ان تتنصر فادخلوني الكنيسه بيتا فاقام
فيه سنه لا يخرج ليلا ولا نهارا حتى تعلم الانجيل فخرج وقال نوديت

من السما ان الله قد قبل توبتك فصدقوه واحبوه ثم مضى الى بيت المقدس
واستخلف عليهم نسطورا واعلمه ان عيسى بن مريم اله ثم توجه الى الروم وعلمهم
اللاهوت والناسوت وقال لم عيسى بانس فتانس ولا بجسم فتجسم ولكنه
ابن الله وعلم رجلا يقال له يعقوب ذلك ثم دعا رجلا يقال له الملك فقال
له ان اله لم يزل ولا يزال عيسى فلما استمكن منهم دعا هولا الثلاثه
واحدا واحدا وقال له انت خالصتي وقد رايت المسيح في النوم
ورضي عني وقال لكل واحد منهم اني غدا اذبح نفسي واتقرب بها
فادعوا الناس الى نحلتك ثم دخل المذبح فذبح نفسه فلما كان يوم
ثالثه دعا كل واحد منهم الى نحلته فتبع كل واحد منهم طايفه فاقتتلوا
واختلفوا الى يومنا هذا فجميع النصارى من الفرق الثلث فهذا
كان سبب شركهم فيما يقال والله اعلم وقد رويت هذه القصه
في معنى قوله فاغرينا بينهم العداوه والبغضا الى يوم القيمه وسياتي
ان شا الله تعالى   تعالى انتهوا خيرا لكم منصوب عند سيبويه
باضمار فعل لانه قال انتهوا لكم لانه اذا نهاهم الشرك فقد امرهم باتيان
ما هو خير لهم قال سيبويه ومما ينتصب على اضمار الفعل المتروك
اظهاره انتهوا خيرا لكم لانك اذا قلت انته فانت تخرجه من امر وتدخله
في اخر   وانشد   فواعديه سرحتي مالك او الربا بينهما اسهلا
ومذهب ابي عبيده انتهوا يكن خيرا لكم قال محمد بن يزيد هذا خطا لانه
يضمر الشرط وجوابه وهذا لا يوجد في كلام العرب ومذهب الفرا
انه نعت لمصدر محذوف قال علي بن سليمن هذا خطا فاحش لانه يكون
المعنى انتهوا الانتها الذي هو خير لكم   تعالى انما الله اله واحد

وخبر

وخبره الله نعت لاله ويجوز ان يكون اله بدلا من اسم الله عز وجل واحد
خبر المبتدا انما المعبود واحد سبحانه ان يكون له ولد اي تنزيها ان يكون له
ولد فلما سقط عن كان ان محل النصب بنزع الخافض اي كيف يكون له ولد
وولد الرجل مشبه له ولا شبيه لله عز وجل له ما في السموات وما في
الارض فلا شريك له وعيسى ومريم من جملة ما في السموات والارض وما فيهما
مخلوق فكيف يكون عيسى الها وهو مخلوق وان جاز ولد فليجز اولادا حتى
يكون كل من ظهرت عليه معجزة ولدا له وكفى بالله وكيلا اي لاوليا به وقد تقدم
تعالى لن يستنكف المسيح اي لن يانف ولن يحتشم ان يكون
عبد الله اي من ان يكون فهو في موضع نصب وقرا الحسن ان يكون بكسر الهمزة
على انها بمعنى ما والمعنى ما يكون له ولد وينبغي رفع يكون ولم يذكره الرواة ولا
الملايكة المقربون اي من رحمة الله ودعاه يدل بهذا على ان الملايكة افضل
من الانبيا صلى الله عليهم ولذا ولا اقول اني ملك وقد تقدمت الاشارة
الى هذا المعنى في البقرة ومن يستنكف اي يانف عن عبادته ويستكبر فلا
يفعلها فسيحشرهم اليه والى الحشر جميعا فيجازي كلا بما يستحق كما بينه
في الاية بعد هذه فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
ويزيدهم من فضله الى قوله نصيرا واصل يستنكف يكف فالبا والسين
والتا زايد يقال نكفت من الشي واستنكفت منه وانكفت اي نزهته
عما يستنكف منه ومنه الحديث سيل عن سبحان الله فقال انكاف الله
من كل شي سوء يعني تنزيهه وتقديسه عن الانداد والاولاد وقال الزجاج
استنكف اي انف ماخوذ من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك عن
خدك ومنه الحديث ما ينكف العرق عن جبينه اي ما ينقطع ومنه الحد

عزه

بكافة

ج

ث

هو

جا بجيش لا ينكف آخره اي لا ينقطع آخره اي وقيل من النكف وهو العيب يقال
ما عليه في هذا الامر نكف ولا وكف اي عيب اي لن يمتنع المسيح ولن يتنزه
من العبودية ولن ينقطع عنها ولن يعيبها   يا ايها الناس قد جاءكم
برهان من ربكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم عن الثوري وسماه برهانا لان
معه البرهان وهو المعجز وقال مجاهد البرهان ها هنا المعجز والمعنى هنا
متقارب فان المعجزات حجته صلى الله عليه وسلم والنور المنزل هو القران عن
الحسن وسماه نورا لانه تتبين به الاحكام ويهتدى به من الضلالة فهو نور
مبين اي واضح بين   تعالى فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به اي
بالقران عن معاصيه واذا اعتصموا بكتابه فقد اعتصموا به وبنبيه وقيل
اعتصموا به اي بالله والعصمة الامتناع وقد تقدم ويهديهم اي وهو
يهديهم فاضمر هو ليدل على ان الكلام مقطوعا عما قبله اليه اي الى ثوابه
وقيل الى الحق ليعرفوه صراطا مستقيما اي دينا مستقيما وصراطا منصوبا
باضمار فعل دل عليه ويهديهم التقدير ويعرفهم صراطا مستقيما وقيل هو
مفعول ثان على تقدير ويهديهم الى ثوابه ابو علي الهاء راجعة الى ما تقدم
من اسم الله عز وجل والمعنى ويهديهم الى صراطه فاذا جعلنا صراطا
مستقيما نصبا على الحال كانت الحال من هذا المحذوف وفي قوله وفضل دليل
على انه تعالى يتفضل على عباده بثوابه اذ لو كان في مقابلة العمل لما كان فضلا
والله اعلم   تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة فيه ست
مسايل   قال البراء بن عازب هذه اخر اية نزلت من القران كذا في
كتاب مسلم وقيل نزلت والنبي صلى الله عليه وسلم متجهز لحجة الوداع ونزلت
بسبب جابر قال جابر بن عبد الله مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم وابو بكر يعوداني ماشيين فاغمي علي فتوضا ثم صب علي من وضوءه فافقت
فقلت يا رسول الله كيف اقضي في مالي فلم يرد علي شيئا حتى نزلت اية الميراث
يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة رواه مسلم وقيل اخر اية نزلت واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله وقد تقدم ومضى في اول السورة الكلام في الكلالة
مستوفى وان المراد بالاخوة هنا الاخوة للاب والام او للاب وكان
لجابر تسع اخوات   قوله تعالى ان امرؤ هلك ليس له ولد اي
ليس له ولد ولا والد فاكتفى بذكر احدهما قال الجرجاني لفظ الولد ينطلق على
الوالد والمولود فالوالد يسمى والدا بانه ولد والمولود يسمى ولدا لانه ولد كالذرية
فانها من ذرا ثم يطلق على المولود وعلى الوالد قال الله تعالى واية لهم انا
حملنا ذريتهم في الفلك المشحون   والجمهور من العلماء من الصحابة
والتابعين يجعلون الاخوات عصبة البنات واليه ذهب داود وطايفة
وحجتهم ظاهر قوله تعالى ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف
ما ترك ولم يورث الاخت الا اذا لم يكن للميت ولد قالوا ومعلوم ان الابنة
من الولد فوجب ان لا ترث الاخت مع وجودها وكان ابن الزبير يقول القول
قول ابن عباس في هذه المسالة حتى اخبره الاسود بن يزيد ان معاذا
اقضى في بنت واخت فجعل المال نصفين بينهما   هذه الاية تسمى
اية الصيف لانها نزلت في زمن الصيف قال عمر اني والله لا ادع شيئا
اهم الي من امر الكلالة وقد سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما اغلظ
لي في شي ما اغلظ لي فيها حتى طعن باصبعه في جنبي او في صدري ثم قال
يا عمر الا يكفيك اية الصيف التي انزلت في اخر سورة النسا وعنه رضي الله
عنه قال ثلاث لان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهن احب الي من

الدنيا وما فيها الربا والجلاله والحلاله خرجه بن ماجه في سننه
طن بعض الرافضه بقول عمر والله لا ادع الحديث قوله تعالى
يبين الله لكم ان تضلوا قال الكسائي المعنى يبين الله لكم لئلا تضلوا قال ابو عبيد
فحديث الكسائي بحديث رواه بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدعون
احد لكم على ولده ان يوافق من الله اجابه فاستحسن قال النحاس المعنى عند ابي
عبيد لئلا يوافق من الله اجابه وهذا القول عند البصريين خطا لا يجيزون
اضمارا والمعنى عندهم يبين الله لكم كراهه ان تضلوا ثم حذف كما قال واسئل
القريه وكذا معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم اي كراهيه ان يوافق من الله
اجابه والله بكل شي عليم تقدم في غير موضع والله اعلم تمت سوره النساء
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
واله وصحبه وسلم

سوره المايده

وهي مدنيه باجماع وروي انها نزلت منصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الحديبيه وذكر النقاش عن ابي سلمه انه لما رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبيه اشعرت انه نزلت علي سوره
المايده ونعمت الفايده قال بن العربي هذا حديث موضوع لا يحل
لمسلم اعتقاده اما انا نقول سوره المايده ونعمت الفايده ولا ناثره
على احد ولكنه كلام حسن وقال بن عطيه وهذا عندي لا يشبه كلام
النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه صلى الله عليه وسلم سوره المايده
تدعى في ملكوت الله المنقذه تنقذ صاحبها من ايدي ملايكه العذاب
ومن هذه السوره ما نزل في حجه الوداع ومنها ما نزل عام الفتح وهو
قوله لا يجرمنكم شنان قوم الايه وكلما نزل من القران بعد هجره النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم فهو مدني سوا بالمدينه او في سفر من الاسفار دوانما
يوسم بالمكي ما نزل قبل الهجره قال ابو ميسره المايده من اخر ما نزل
ليس فيها منسوخ وفيها ثمان عشر فريضه ليست في غيرها وهي المنخنقة
والموقوده والمترديه والنطيحه وما اكل السبع وما ذبح على النصب
وان تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين
اوتوا الكتاب والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وتمام
الطهور اذا قمتم الى الصلاه والسارق والسارقه ولا تقتلوا
الصيد وانتم حرم الى قوله عزيز ذو انتقام وما جعل الله من بحيره
ولا سايبه ولا وصيله ولا حام وقوله شهاده بينكم اذا حضر
احدكم الموت الايه قال الشيخ المولف رحمه الله وفريضه تاسعه
عشر وهي قوله عز وجل واذا ناديتم الى الصلاه ليس للاذان ذكر
في القران الا في هذه السوره عام لجميع الصلوات فاعلم وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم قرا سوره المايده في حجه الوداع وقال يا ايها
الناس ان سوره المايده من اخر ما نزل فاحلوا حلالها وحرموا حرا مها
ونحوه عن عايشه موقوفا قال جبير بن نفير دخلت على عايشه فقالت
هل تقرا سوره المايده فقلت نعم قالت فانها من اخر ما انزل الله فما
وجدتم فيها من حلال فاحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرموه وقال
الشعبي لم ينسخ من هذه السوره غير قوله ولا الشهر الحرام ولا الهدي
الايه وقال بعضهم نسخ منها قوله واخران من غيركم
يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الى قوله يحكم ما يريد فيه سبع مسا يل
قال علقمه كل ما في القران يا ايها الذين امنوا فهو مدني ويا

ايها الناس فهو مكي وهذا خرج على الاكثر وقد تقدم وهذه الاية مما
تلوح فصاحتها وكثرة معانيها على قلة الفاظها لكل ذي بصر بالكلام فانها
تضمنت خمسة احكام الاول الامر بالوفا بالعقود الثاني تحليل بهيمة
الانعام الثالث استثنا ما يلي بعد ذلك الرابع استثنا حال الاحرام
فيما يصاد الخامس ما تقتضيه الاية من اباحة الصيد لمن ليس بمحرم
وحكي النقاش ان اصحاب الكندي قالوا له ايها الحكيم اعمل لنا مثل هذا
القران فقال نعم اعمل مثل بعضه فاحتجب اياما كثيرة ثم خرج فقال
والله ما اقدر ولا يطيق هذا احد اني فتحت المصحف فخرجت سورة
المايدة فنظرت فاذا هو نطق بالوفا ونهى عن النكث وحلل تحليلا
عاما ثم استثنى استثنا بعد استثنا ثم اخبر عن قدرته وحكمته في
سطرين ولا يقدر احد ان ياتي بهذا الا في اجلاد قوله تعالى
اوفوا يقال وفا واوفا لغتان قال الله تعالى ومن اوفي بعهده من الله
وقال وابراهيم الذي وفا وقال الشاعر اما ابن طوق
فقد اوفي بذمته كما وفا بقلاص النجم حاديها فجمع بين اللغتين
بالعقود العقود الربوط واحدها عقد يقال عقدت العهد
والحبل واعقدت العسل فهو يستعمل في المعاني والاجسام قال
الحطيية قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا
فوقه الكربا فامر الله سبحانه بالوفا بالعقود قال الحسن يعني بذلك
عقود الدين وهو ما عقده المر على نفسه من بيع وشرا واجارة
وكرا ومناكحة وطلاق ومواعدة ومصالحة وتمليك وتخيير
وعتق وتدبير وغير ذلك من الامور ما كان ذلك غير خارج في

الشريعة

١٩٨
٢٠٤

الشريعه وكذلك ما عقده على نفسه لله من الطاعات كالحج والصيام والاعتكاف والقيام وما اشبه ذلك من طاعات مله الاسلام واما نذر المباح فلا يلزم باجماع من الامه قاله ابن العربي ثم قيل ان الايه نزلت في اهل الكتاب لقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال ابن جريج هو خاص باهل الكتاب وفيهم نزلت وقيل هي عامه وهو الصحيح فان لفظ المومنين يعم مومني اهل اهل الكتاب لان بينهم وبين الله عقدا في اذا الامانه فيما في كتابهم من امر محمد صلى الله عليه وسلم ويعم امه محمد صلى الله عليه وسلم فانهم مامورون بذلك في قوله اوفوا بالعقود وغير موضع قال ابن عباس اوفوا بالعقود بما احل وبما حرم وبما فرض وبما حد في جميع الاشيا وكذلك قال مجاهد وغيره وقال ابن شهاب قرات كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتبه لعمرو بن حزم حين بعثه الى نجران وفي صدره هذا بيان من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود فكتب الايات منها الى قوله ان الله سريع الحساب وقال الزجاج المعنى اوفوا بعقد الله عليكم وبعقدكم بعضكم على بعض وهذا كله راجع الى القول بالعموم وهو الصحيح في الباب قال النبي صلى الله وسلم عليه المومنون عند شروطهم وقال كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وان كان مايه شرط فبين ان الشرط او العقد الذي يجب الوفا به ما وافق كتاب الله اي دين الله فان ظهر ما يخالف رد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد ذكر ابن اسحق قال اجتمعت قبايل من قريش

في دار عبد الله بن جدعان لشرفه ونسبه فتعاقدوا وتعاهدوا
على ان لا يجدوا بمكة مظلوما من اهلها او غيرهم الا قاموا معه
حتى ترد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول
وهو الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لقد شهدت في دار
عبد الله بن جدعان حلفا ما احب ان لي به حمر النعم ولو ادعى به في
الاسلام لاجبت وهذا الحلف هو المعنى المراد في قوله صلى الله عليه
وسلم وايما حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة لانه
موافق الشرع اذ الامر بالانتصاف من الظالم فاما ما كان من عهودهم
الفاسدة وتعاقدهم الباطلة على الظلم والغارات فقد هدمه الاسلام
والحمد لله قال ابن اسحاق وتحامل الوليد بن عتبة على حسين بن علي في مال
له لسلطان الوليد فانه كان اميرا على المدينة فقال له حسين احلف
بالله لتنصفني من حقي او لاخذن سيفي ثم لاقومن في مسجد رسول الله صلى
الله على الله عليه وسلم ثم لادعون بحلف الفضول قال عبد الله بن
الزبير انا احلف بالله لان دعاني لاخذن سيفي ثم لاقومن معه حتى
ينتصف من حقه او نموت جميعا وبلغت المسور بن مخرمة فقال
مثل ذلك وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك
فلما بلغ ذلك الوليد انصفه قوله تعالى احلت لكم بهيمة
الانعام الخطاب لكل من التزم الايمان على وجهه وكماله وكانت للعرب
سنن في الانعام من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام تاتي بيانها
فنزلت هذه الاية رافعة لتلك الاوهام الخيالية والارا الفاسدة
الباطلية واختلف في معنى بهيمة الانعام والبهيمة اسم لكل ذي

اربع سميت بذلك لانها مها من جهة نقص نطقها وفهمها وعدم تمييزها وعقلها ومنه باب مبهم اي مغلق وليل بهيم وبهمة للشجاع الذي لا يدرى من اين يوتى له والانعام الابل والبقر والغنم سميت بذلك للين مشيها قال الله تعالى وان الانعام خلقها لكم فيها دف الى قوله وتحمل اثقالكم وقال ومن الانعام حمولة وفرشا يعني كبارا وصغارا ثم بينها فقال ثمانية ازواج الى قوله ام كنتم شهدا وقال ومن جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها يعني الغنم واشعارها يعني المعز واوبارها يعني الابل فهذه ثلاثة ادلة تنبي عن تضمن اسم الانعام لهذه الاجناس الابل والبقر والغنم وهو قول ابن عباس والحسن قال الهروي واذا قيل النعم فهو الابل خاصة وقال الطبري وقال قوم بهيمة الانعام وحشيها كالظبا وبقر الوحش والحمر وغير ذلك وذكره غير الطبري عن السدى والربيع وقتادة والضحاك كانه قال احلت لكم الانعام فاضيف الجنس الى اخص منه قال ابن عطيه وهذا قول حسن وذلك ان الانعام هي الثمانية الازواج وما انضاف اليها من ساير الحيوان يقال له انعام بمجموعه معها وكان المفترس كالاسد وكل ذي ناب خارج عن حد الانعام فبهيمة الانعام هي الراعي من ذوات الاربع قال الشيخ المولف رحمه الله فعلى هذا يدخل فيها ذوات الحافر لانها راعية غير مفترسة وليس كذلك لان الله تعالى قال والانعام خلقها لكم فيها دف ومنافع ثم عطف عليها بقوله والخيل والبغال والحمير فلما استانف ذكرها وعطفها

على الانعام دل على انها ليست منها والله اعلم وقيل بهيمة الانعام ما لم
تكن صيدا لان الصيد يسمى وحشا لا بهيمة وهذا راجع الى القول
الاول وروي عن عبد الله بن عمر انه قال بهيمة الانعام
الاجنة التي تخرج عند الذبح من بطون الامهات فهي تؤكل
دون ذكاة وقاله ابن عباس وفيه بعد لان الله تعالى قال الا
ما يتلى عليكم وليس في الاجنة ما يستثنى قال مالك وذكاة
الذبيحة ذكاة لجنينها اذا لم يدرك حيا وكان قد نبت شعره
وتم خلقه فان لم يتم خلقه ولم ينبت شعره لم يوكل الا ان
يدرك حيا فيذكى وان بادروا الى تذكيته فمات بنفسه
فقيل هو ذكي وقيل ليس بذكي وسياتي لهذا مزيد بيان ان شا
الله تعالى قوله تعالى الا ما يتلى عليكم اي يقرا عليكم
في القران والسنة من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة وقوله صلى
الله عليه وسلم فكل ذي ناب من السباع حرام فان قيل الذي يتلى
علينا الكتاب ليس السنة قلنا كل سنة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فهي من كتاب الله والدليل عليه امران احدهما حديث
العسيف لاقضين بينكما بكتاب الله والرجم ليس منصوصا في
كتاب الله الثاني حديث ابن مسعود وما لي لا العن من لعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله الحديث وسياتي في
سورة الحشر ان شاء الله تعالى ويحتمل الا ما يتلى الان وما يتلى
عليكم فيما بعد من مستقبل الزمان على لسان رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيكون فيه دليل على جواز تاخير البيان عن وقت

لا

لا يفتقر فيه الى تعجيل الحاجه قوله تعالى غير محلي
الصيد اي ما كان صيدا فهو حلال في الحالين واختلف النحاه في الا
ما يتلى هل هو استثنا ام لا فقال البصريون هو استثنا من بهيمه
الانعام وغير محلي الصيد استثنا اخر ايضا منه فالاستثنا ان جميعا
منه من قوله بهيمه الانعام وهي المستثنى منها التقدير الا ما يتلى
عليكم الا الصيد وانتم محرمون بخلاف قوله انا ارسلنا الى
قوم مجرمين الا ال لوط على ما ياتي قيل هو مستثنى مما يليه من
الاستثنا فيصير بمنزله قوله عز وجل انا ارسلنا الى قوم مجرمين
ولو كان كذلك لوجب اباحه الصيد في الاحرام لانه مستثنى
من المحظور اذ كان قوله تعالى الا ما يتلى عليكم مستثنى من الاباحه
وهذا وجه ساقط فاذا معناه احلت لكم بهيمه الانعام غير
محلي الصيد وانتم حرم الا ما يتلى عليكم سوى الصيد ويجوز ان
يكون معناه ايضا اوفوا بالعقود واحلت لكم بهيمه الانعام
الا ما يتلى عليكم واجاز الفرا الا ما يتلى عليكم في موضع رفع على
البدل على ان يعطف بالا كما يعطف بلا ولا يجيزه البصريون
الا في النكره او ما قاربها من الاجناس نحو جا القوم الا زيد
والنصب عنده بان غير محلي الصيد نصب على الحال مما في اوفوا
قال الاخفش يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود غير محلي الصيد
وقيل غير حال من الكاف والميم في لكم والتقدير احلت لكم بهيمة
الانعام غير محلي الصيد ثم قيل يجوز ان يرجع الاحلال الى الناس
اي لا تحلوا الصيد في حال الاحرام ويجوز ان يرجع الى الله تعالى

وما لم يكن صيد فهو حلال ... دون الاحرام

اي احللت لكم البهيمة الا ما نصيد الى وقت الاحرام كما تقول احللت
لك كذا غير مبيح يوم الجمعه فاذا قلت ترجع الى الناس فالمعنى غير محلين
الصيد لحذف النون تخفيفا . قوله تعالى وانتم حرم يعني
الاحرام بالحج والعمرة يقال رجل حرام وقوم حرم اذا احرموا بالحج
ومنه قول الشاعر فقلت لها في اليك فانني حرام واني بعد
ذاك لبيب اي ملبّ وسمي ذلك احراما لما يحرمه من دخل فيه على نفسه
من النسا والصيد وغيرهما ويقال احرم دخل في الحرم فيحرم صيد
الحرم ايضا وقرا الحسن وابرهيم ويحيى بن وثاب حرم بسكون الرا
وهي لغة تميمية يقولون في رسل رسل وفي كتب كتب ونحوه
قوله تعالى ان الله يحكم ما يريد تقوية لهذه الاحكام
الشرعية المخالفة لمعهود احكام العرب اي فانت يا محمد صلى عليه وسلم
السامع لنسخ تلك التي عهدت من احكامهم تنبه فان الذي هو مالك الكل
يحكم ما يريد لا معقب لحكمه يشارع ما يشا كما يشا يا ايها
الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله الى قوله شديد العقاب فيه ثلاث
عشرة مسلة قوله تعالى لا تحلوا شعاير الله خطاب للمومنين
حقا اي لا تتعدوا حدود الله في امر من الامور والشعاير جمع شعيرة
على وزن فعيلة وقال ابن فارس ويقال للواحد شعارة وهو احسن
والشعيرة ايضا البدنة تهدى واشعارها ان يجز سنامها حتى يسيل
منه الدم فتعلم انها هدى والاشعار الاعلام من طريق الاحساس يقال
اشعر هديه اي جعل له علامة ليعرف انه هدي ومنه المشاعر المعالم
واحدها مشعر وهي المواضع التي قد اشعرت بالعلامات ومنه الشعار

يكون

يكون تحت نفع الشعور ومنه الشاعر لانه يشعر بفطنته لما لا يفطن
له غيره ومنه الشعير لشعرته التي في راسه فالشعاير على قول ما اشعر
من الحيوانات لتهدى الى بيت الله وعلى قول جميع مناسك الحج قاله بن
عباس وقال مجاهد الصفا والمروه والهدي والبدن كل ذلك من
الشعاير قال الشاعر تقتلنا جيلا فجيلا تراهم شعاير قربان بهم
تتقرب وكان المشركون يحجون ويعتمرون ويهدون فاراد المسلمون
ان يغيروا عليهم فقال الله تعالى لا تحلوا شعاير الله وقال عطا بن
ابي رباح شعاير جميع ما امر به ونهى عنه وقال الحسن دين الله كله
لقوله ومن يعظم شعاير الله فانها من تقوى القلوب اي دين الله قال
الشيخ المولف رحمه الله وهذا هو القول الراجح الذي يقدم على غيره
لعمومه وقد اختلف العلما في اشعار الهدى وهي فاجازه
الجمهور ثم اختلفوا في اي جهه يشعر فقال الشافعي واحمد وابو ثور
يكون في الجانب الايمن وروي عن بن عمر وثبت عن بن عباس ان
النبي صلى الله عليه وسلم اشعر ناقته في صفحه سنامها الايمن
اخرجه مسلم وغيره وهو الصحيح وروي انه اشعر بدنته من
الجانب الايسر قال ابو عمر بن عبد البر هذا عندي حديث منكر
من حديث بن عباس والصحيح يعني حديث مسلم عن بن
عباس قال ولا يصح عنه غيره وصفحه السنام جانبه والسنام
اعلا الظهر وقالت طايفه يكون في الجانب الايسر وهو قول مالك
وقال لا باس به في الجانب الايمن وقال مجاهد من اي الجانبين شا
وبه قال احمد في احد قوليه ومنع من هذا كله ابو حنيفه وقال

م

انه تعذيب للحيوان والحديث يرد عليه وايضا فقد للهدي
يجري الوسم الذي به يعرف الملك كما تقدم وقد اوغل ابن الجوزي على
ابي حنيفه في الانكار حين لم يرى العلما قال الشيخ المولف رحمه الله
والذي رايته منصوصا في كتب علما الحنفيه الاشعار مكروه من قول
ابي حنيفه وعند ابي يوسف ومحمد ليس بمكروه ولا سنه بل هو مباح
لان الاشعار لما كان اعلاما كان سنه بمنزله التقليد ومن حيث انه
حرج ومثله كان حراما فكان مشتملا على السنه والبدعه فيجعل مباحا
ولابي حنيفه ان الاشعار مثله وانه حرام من حيث انه تعذيب
الحيوان فكان مكروها وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما كان في اول الابتدا حين كانت العرب تنتهب كل مال الا ما جعل
هديا وكانوا لا يعرفون الهدي الا بالاشعار ثم زال لزوال العذر
هكذا روي عن ابن عباس وحكي عن الشيخ الامام ابي منصور الماتريدي
رحمه الله انه قال يحتمل ان ابا حنيفه كره اشعار اهل زمانه وهو
المبالغه في العضو لبضع على وجه يخاف منه السرايه اما ما لم يجاوز
الحد وفعل كما كان يفعل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو
حسن وهكذا ذكر ابو جعفر الطحاوي فهذا اعتذار علما الحنفيه لابي
حنيفه عن الحديث الذي ورد في الاشعار فقد سمعوه ووصل اليهم
وعلموه فقالوا على القول بانه مكروه لا يصير به احد مجرما لان
مباشره المكروه لا تعد من المناسك قوله تعالى ولا الشهر
الحرام اسم مفرد يدل على الجنس في جميع الاشهر الحرم وهي اربعه واحد
فرد وثلاثه سرد يأتي بيانها في براءة ان شاء الله تعالى والمعنا لا تستحلوها

للقتال

للقائل ولا للخائف ولا يبدلونها فان ستبدلها استحلال وذلك
ما كانوا يفعلونه من النسي ولذلك قوله ولا الهدى ولا القلايد
اى لا تستحلوه وهو على حذف مضاف اي ولا ذوات القلايد جمع
قلاده فنهى سبحانه عن استحلال الهدي جمله ثم ذكر المقلد منه تاكيد
ومبالغه في التنبيه على الحرمه والتقليد قوله تعالى
ولا الهدى ولا القلايد الهدى ما اهدي الى بيت الله من ناقه او
بقره او شاه الواحده هديه وهديه وهدي فمن قال اراد
بالشعاير المناسك قال ذكر الهدى تنبيها على تخصيصها ومن قال
الشعاير الهدى قال ان الشعاير ما كان قد اشعر اي معلما بما سال
الدم من سنامه والهدى ما لم يشعر اكتفى فيه بالتقليد وقيل الفرق
ان الشعاير هي البدن من الانعام والهدي البقر والغنم والثياب
وكلما يهدي وقال الجمهور الهدي عام في جميع ما يتقرب به من الذبايح
والصدقات ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم المبكر الى الجمعه
كالمهدي بدنه الى ان قال كالمهدى بيضه فسماها هديا وتسميه
البيضه هديا لا محمل له الا انه اراد به الصدقه ولذلك قال
العلما اذا قال جعلت ثوبي هديا فعليه ان يتصدق به الا ان
انما ينصرف الى احد الاصناف الثلاثه من الابل والبقر والغنم وسوقها
الى الحرم وذبحها فيه وهذا انما تلقى من عرف الشرع في قوله تعالى فان
احصرتم فما استيسر من الهدى واراد به الشاه وقال تعالى يحكم به
ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبه وقال تعالى فمن تمتع بالعمره الى الحج
فما استيسر من الهدى واقله شاه عند الفقها وقال مالك اذا قال ثوبي

طلاق
فيها

هدي يجعل ثمنه في هدي والقلايد ما كان لنا من يتقلد ونه امنه
لهم فهو على حذف مضاف اي ولا اصحاب القلايد ثم نسخ قال بن
عباس اثنان نسختا من المايده ايه القلايد وقوله فان جاوك فاحكم بينهم
او اعرض عنهم فاما القلايد فنسخها الامر بقتل المشركين حيث كانوا في
اي شهر كانوا واما الاخرى فنسخها قوله وان احكم بينهم بما انزل الله على
ما ياتي ان شا الله وقيل اراد بالقلايد نفس القلايد فهو نهي عن اخذ
لحا شجر الحرم حتى يتقلد به طلبا للامن قاله مجاهد وعطا ومطرف بن
الشخير فالله اعلم وحقيقه الهدى كل معطى لم يذكر معه عوض واتفق
الفقها على ان من قال لله على هدي انه يبعث بثمنه الى مكه واما
القلايد فهي كلما علق على اسنمه الهدايا واعناقها علامه انه لله سبحانه من
بعل او غيره وهي سنه ابراهيميه بقيت في الجاهليه واقرها الاسلام
وهي سنه البقر والغنم قالت عايشه اهدى رسول الله صلى الله عليه
وسلم مره الى البيت غنما فقلدها اخرجه البخاري ومسلم والى هذا
صار جماعة من العلما الشافعي واحمد واسحق وابو ثور وبن حبيب
وانكره ملك واصحاب الراي وكانهم لم يبلغهم هذا الحديث
في تقليد الغنم او بلغ لكنهم ردوه لانفراد الاسود به عن عايشه
والقول به اولى والله اعلم واما البقر فان كانت لها اسنمه اشعرت
وتقلد كالبدن قاله بن عمر وبه قال ملك وقال الشافعي تقلد وتشعر مطلقا
ولم يفرقوا وقال سعيد بن جبير تقلد ولا تشعر وهذا اصح اذ
ليس لها سنام وهي اشبه بالغنم منها بالابل والله اعلم
واتفقوا فيمن قلد بدنه على نيه الاحرام وساقها انه يصير محرما قال الله

تعالى

تعالى لا تحلوا شعاير الله الى ان قال فاصطادوا ولم يذكر الاحرام
لكن لما ذكر التقليد عرف انه بمنزلة الاحرام فان
بعث بالهدي ولم يسبق بنفسه لم يكن محرما لحديث عايشة قالت
انا فتلت قلايد هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ثم قلدها
بيده ثم بعث بها مع ابي بكر فلم يحرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
شي احله الله له حتى نحر الهدي اخرجه البخاري وهذا مذهب
ملك والشافعي واحمد واسحق وجمهور العلما وروي عن بن عباس
انه يصير محرما قال بن عباس من اهدى هديا حرم الله عليه ما
يحرم على الحاج حتى ينحر الهدي رواه البخاري وهذا مذهب بن عمر
وعطا ومجاهد وسعيد بن جبير وحكاه الخطابي عن اصحاب الراي
واحتجوا بحديث جابر بن عبد الله قال كنت عند النبي صلى الله
عليه وسلم جالسا فقد قميصه من جيبه ثم اخرجه من رجليه فنظر
القوم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني امرت ببدني التي بعث
بها ان تقلد وتشعر على مكان كذا وكذا فلبست قميصي ونسيت
فلم اكن لاخرج قميصي من راسي وكان بعثه ببدنه واقام بالمدينة
في اسناده عبد الرحمن بن عطا بن ابي لبيبة وهو ضعيف فان
قلد شاة وتوجه معها فقال الكوفيون لا يصير محرما لان
تقليد الشاة ليس بمسنون ولا من الشعاير لانه يخاف عليها
الذيب فلا تصل الى الحرم بخلاف البدن فانها تترك حتى ترد الما
وترعى الشجر وتصل الى الحرم وفي صحيح البخاري عن عايشة ام
المومنين قلدت قلايدها من عهن كان عندي العهن الصوف المصبوغ

ومنه قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش ولا
يجوز بيع الهدي ولا هبته اذا قلد او اشعر لانه قد وجب وازالة
موجبه لم يورث عنه وينفذ لوجهه بخلاف الاضحيه فانها لا
تجب الا بالذبح خاصة عند مالك الا ان يوجبها بالقول
فان اوجبها بالقول قبل الذبح فقال جعلت هذه الشاه اضحيه تعينت
وعليه ان تلفت ثم وجدها قبل الذبح او بعده ذبحها ولم يجز له
بيعها وان كان اشترى صحيحه غير ذبحهما جميعا في قول احمد واسحق وقال
الشافعي لا بدل عليه اذا ضلت او سرقت انما الابدال في الواجب وروى
عن ابن عباس انه قال اذا ضلت فقد اجزت ومن مات يوم النحر قبل
ان يضحي كانت ضحيته موروثه عنه كسائر ماله بخلاف الهدي وقال
احمد وابو ثور تذبح بكل حال وقال الاوزاعي تذبح الا ان يكون عليه
دين لا وفاء له الا من تلك الاضحيه فتباع في دينه ولو مات بعد ذبحها
لم يرثها عنه ورثته وصنعوا بها من الاكل والصدقه ما كان له ان
يصنع بها ولا يقتسمون لحمها على سبيل الميراث وما اصاب الضحيه
قبل الذبح من العيوب كان على صاحبها بدلها بخلاف الهدي هذا تحصيل
مذهب مالك وقد قيل في الهدي على صاحبه البدل والاول اصوب
والله اعلم قوله تعالى ولا امين البيت الحرام يعني القاصدين
له من قولهم اممت له اي قصدته وقرا الاعمش ولا امي البيت الحرام
بالاضافه كقوله غير محلي الصيد والمعنى لا تمنعوا الكفار القاصدين
البيت الحرام على جهه التعبد والقربه وعليه فقيل ما في هذه الايات
من نهي عن مشرك او مراعات حرمة له بقلاده او ام البيت فهو كله
منسوخ

منسوخ بايه السيف في قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يمنع المشرك
من الحج ولا يومن في الاشهر الحرم وان اهدى وقلد وحج روى
عن ابن عباس وقاله ابن زيد على ما ياتي ذكره وقال قوم الايه محكمه
لم تنسخ وهي في المسلمين وقد نهى الرب عن اخافه من يقصد بيته
من المسلمين والنهي عام في اشهر الحرم وغيره ولكنه خص الشهر
الحرام بالذكر تعظيما وتفضيلا وهذا يتمشى على قول عطا فان
المعنى لا تحلوا معالم الله وهي امره ونهيه وما اعلم الناس فلا
تحلوه ولذلك قال ابو ميسره هي محكمه وقال مجاهد لم ينسخ منها
الا القلايد كان الرجل يتقلد بشي من لحا الحرم فلا يقرب فنسخ
ذلك وقال ابن جريج هذه الايه نهي عن الحجاج ان يقطع سبلهم
وقال ابن زيد نزلت الايه عام الفتح ورسول الله صلى الله عليه
وسلم بمكه جا ناس من المشركين يحجون ويعتمرون فقال المسلمون
يا رسول الله انما هولاي مشركون فلن ندعهم الا ان نغير عليهم
فنزل القران ولا امين البيت الحرام وقيل كان هذا لامر شريح بن
ضبيعه البكري ويلقب بالحطم اخذته جند رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو في عمرته فنزلت هذه الايه ثم نسخ هذا الحكم كما ذكرنا
وادرك الحطم هذا رده اليمامه فقتل مرتدا وقد روي من خبره
انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينه وخلف خيله خارج المدينه
فقال الى ما تدعوا الناس فقال الى شهاده ان لا اله الا الله واقام
الصلاه وايتا الزكاه فقال حسن الا ان لي امرا لا اقطع امرا دونهم ولعلي

اسلم واتى لصم وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل
عليكم رجل يتكلم بلسان شيطان ثم خرج من عنده فقال النبي صلى
الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل
بمسلم فمر بسرح المدينه فاستاقه فطلبوه فعجزوا عنه فانطلق
وهو يقول لقد لفها الليل بسواق حطم ليس براعي ابل ولا غنم ولا
بجزار على ظهر وضم باتوا نياما وابن هند لم ينم بات يقاسيها
غلام كالزلم خدلج الساقين خفاق القدم فلما خرج النبي صلى الله عليه
وسلم عام القضيه سمع تلبيه حجاج اليمامه فقال هذا الحطم
واصحابه وكان قد قلد ما نهب من سرح المدينه واهداه الى
الكعبه فتوجهوا الى طلبه فنزلت الايه اي لا تحلوا ما اشعر
الله وان كانوا مشركين كذا عن ابن عباس وعلى ان الايه
محكمه قوله تعالى لا تحلوا شعاير الله يوجب اتمام امور المناسك
ولهذا قال العلما ان الرجل اذا دخل في الحج ثم افسده فعليه ان
ياتي بجميع افعال الحج ولا يجوز ان يترك شيا منها وان فسد حجه ثم
عليه القضا في السنه الثانيه قال ابو الليث السمرقندي وقوله
تعالى ولا الشهر الحرام منسوخ بقوله وقاتلوا المشركين كافه وقوله
ولا الهدي ولا القلايد محكم لم ينسخ فمن قلد الهدي ونوى الاحرام
صار محرما لا يجوز له ان يحل لبيان هذه الايه فهذه الاحكام معطوف
بعضها على بعض بعضها منسوخه وبعضها غير منسوخه
قوله تعالى يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا قال فيه جمهور المفسرين
معناه يبتغون الفضل والارباح في التجاره ويبتغون مع ذلك رضوانه

في ظنهم

في ظنهم وطمعهم وقيل كان منهم من يبتغي التجارة ومنهم من يطلب
بالحج رضى الله وان كان لا يناله وكان من العرب من يعتقد جزا بعد الموت
وانه يبعث ولا يبعد ان يعطيهم نوع تخفيف في الدنيا قال ابن
عطيه هذه الايه استيلاف من الله تعالى للعرب ولطف بهم لتنبسط
النفوس وتتداخل الناس ويردون الموسم فيسمعون القران ويدخل
الايمان في قلوبهم وتقوم عندهم الحجه كالذي كان وهذه الايه نزلت
عام الفتح ونسخ الله تعالى ذلك كله بعد عام سنه تسع اذ حج ابو بكر
ونودي الناس بسوره براه قوله تعالى واذا احللتم
فاصطادوا امر اباحه باجماع الناس رفع ما كان محظورا بالاحرام حكاه
كثير من العلما وليس بصحيح بل صيغه افعل الوارده بعد الحظر على اصلها
من الوجوب وهو مذهب القاضي ابن الطيب وغيره لان المقتضي
للوجوب قايم وتقدم الحظر لا يصلح مانعا دليله قوله تعالى فاذا
انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين فهذه افعل على الوجوب لان المراد
بها الجهاد وانما فهمت الاباحه هناك وما كان مثله من قوله فاذا قضيت
الصلاة فانتشروا فاذا تطهرن فاتوهن من النظر الى المعنى والاجماع
لا من صيغه الامر والله اعلم قوله تعالى ولا يجرمنكم
شنان قوم ان صدوكم اي لا يحملنكم عن ابن عباس وقتاده وهو قول الكسائي
وابي العباس وهو يتعدى الى مفعولين يقال جرمني كذا على بغضك اي
حملني عليه قال الشاعر ولقد طعنت ابا عيينه طعنه جرمت فزاره
بعدها ان يغضبوا وقال الاخفش لا يحقنكم وقال ابو عبيده
والفرا معنى ولا يجرمنكم يكسبنكم بغض قوم ان تعتدوا الحق الى

الباطل والعدل الى الظلم قال النبي صلى الله عليه وسلم اد الامانه
الى من ائتمنك ولا تخن من خانك وقد مضى القول في هذا ونظير هذه
الايه فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقد تقدم
مستوفي ويقال فلان جرمه اهله اي كاسبهم فالجريمه والجارم بمعنى
الكاسب واجرم فلان اي اكتسب الاثم ومنه قول الشاعر جريمه
ناهض في راس نيق ترى العظام ما جمعت صليبا معناه كاسب قوت والصليب
الودك وهذا هو الاصل في بناج رم قال ابن فارس يقال جرم واجرم ولا
جرم بمنزله قولك لابد ولا محاله واصلها من جرم اي كسب قال جرمت
فزاره بعدها ان يغضبوا وقال اخر يا ايها المشتكي عكلا وما جرمت الي
القبايل من قتل وايا س ويقال جرم يجرم جرما اذا قطع قال الرماني علي
بن عيسى وهو الاصل فجرم بمعنى حمل على الشي لقطعه من غيره فجرم بمعنى
كسب لانقطاعه الى الكسب وجرم بمعنى حق لان الحق يقطع عليه وقال
الخليل لا جرم ان لهم النار لقد حق ان لهم النار وقال الكساي جرم
واجرم لغتان بمعنى واحد اي اكتسب وقرا ابن مسعود يجرمنكم
بضم اليا والمعنى ايضا لا يكسبنكم ولا يعرف البصريون الضم وانما
يقولون جرم لا غير والشنان البغض وقرى بفتح النون واسكانها
شنيت الرجل اشنوه شنا ومشنا ومسا وشنا ومشناه وشنانا بجميع
النون كل ذلك اذا ابغضه اي لا يكسبكم بغض قوم بصدهم اياكم
ان تعتدوا والمراد بغضكم قوما واضاف المصدر الى المفعول قال ابن زيد
لما صد المسلمون عن البيت الحرام عام الحديبيه مر بهم ناس من المشركين
يريدون العمره فقال المسلمون نصدهم كما صدنا اصحابهم فنزلت هذه الا

٢٢٩٢

اي لا تعتد وا عليها ولاي تصد وهم ان صدكم اصحابهم بفتح الهمزه
مفعول من اجله اي صدوكم وقرا ابو عمرو وبن كثير بكسر الهمزه ان
صدوكم وهو اختيار ابي عبيده وروي عن الاعمش ان يصدوكم قال بن
عطيه فان الجزا اي وقع مثل هذا الفعل في المستقبل والقراه الاولي
امكن في المعني وقال النحاس واما ان صدوكم بكسر ان فالعلما الجله بالنحو
والحديث والنظر يمنعون القراة بها لاشيا منها ان الايه نزلت عام
الفتح سنه ثمان وكان المشركون صدوا المومنين عام الحديبيه سنه
ست فالصد كان قبل الايه واذا قري بالكسر لم يجز الا ان يكون
الا بعد كما تقول لا تعط فلان شيا ان قاتلك فهذا لا يكون الا
للمستقبل وان فتحت كان للماضي فوجب على هذا ان لا يجوز الا ان
صدوكم وايضا فلم يصح هذا الحديث لكان الفتح واجبا لان
قوله لا تحلوا شعاير الله الى اخر الايه يدل على مكه كانت في ايديهم
وانهم لا ينهون عن هذا الا وهم قادرون على الصد عن البيت
الحرام فوجب من هذا فتح ان لانه لما مضى ان تعتدوا في موضع
نصب لانه مفعول به اي لا يجرمنكم شنان قوم الاعتدا وانكر
ابو حاتم وابو عبيد شنان باسكان النون لان المصادر انما تاتي في
مثل هذا متحركه وخالفهما غيرهما وقال ليس هذا مصدرا ولكنه اسم
الفاعل على وزن كسلان وغضبان قوله تعالى وتعاونوا
على البر والتقوى قال الاخفش هو مقطوع من اول الكلام وهو امر لجميع
الخلق بالتعاون على البر والتقوى اي ليعن بعضكم بعضا وتحاثوا على ما
امر الله تعالى واعملوا به وانتهوا عما نهى الله عنه وامتنعوا منه وهذا

لام

موافق لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدال على الخير كفاعله وقد
قيل الدال على الشر كصانعه ثم قيل البر والتقوى لفظان بمعنى واحد
وكرر باختلاف اللفظ تاكيدا ومبالغة اذ كل بر تقوى وكل تقوى بر
قال بن عطيه وفي هذا تسامح ما والعرف في دلالة هاذين اللفظين ان
يتناول الواجب والمندوب اليه والتقوى رعاية الواجب فان
جعل احدهما بدل الاخر فيتجوز وقال الماوردي ندب الله سبحانه
الى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى له لان في التقوى رضى الله وفي البر رضى
الناس ومن جمع بين رضى الله ورضى الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته
وقال بن خواز منداد في احكامه والتعاون على البر والتقوى يكون
بوجوه فواجب على العالم ان يعين الناس بعلمه فيعلمهم ويعينهم والغني
بماله والشجاع بشجاعته في سبيل الله وان يكون المسلمين متظاهرين كاليد
الواحدة المومنون تتكافو دماوهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم
يد على من سواهم ويجب الاعراض عن المتعدى وترك النصرة له ورده
عن ما هو عليه ثم نهى تعالى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وهو
الحكم اللاحق عن الجرايم وعن العدوان وعن ظلم الناس ثم امر بالتقوى
وتوعد توعدا مجملا فقال واتقوا الله ان الله شديد العقاب

حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل
لغير الله به الى قوله غفور رحيم فيه سبع وعشرون مسله
قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله
به تقدم القول فيه في البقرة

قوله تعالى والمنخنقة هي
تموت خنقا وهو حبس النفس سوا فعل ذلك بها ادمي او اتفق لها

في

في حبل او بين عودين او نحوه وذكر قتاده ان اهل الجاهليه كانوا يخنقو
الشاة وغيرها فاذا ماتت اكلوها وذكر نحوه عن ابن عباس
قوله تعالى والموقوذه هي التي ترمى او تضرب بحجر او عصا حتى تموت من غير
تذكيه عن ابن عباس والحسن وقتاده والضحاك والسدي يقال منه وقذ
يقذه وقذا وهو وقيذ والوقذ شدة الضرب وفلان وقيذ اي مثخن
ضربا قال قتاده كان اهل الجاهليه يفعلون ذلك وياكلونه وقال الضحاك
كانوا يضربون الانعام بالخشب لالهتهم حتى يقتلوها فياكلوها ومنه
المقتوله بقوس البندق وقال الفرزدق شعرا شغارة تقذ الفصيل برجلها فطا
لقوادم الاظفار وفي صحيح مسلم عن عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله
اني ارمي بالمعراض الصيد فاصيب فقال اذا رميت بالمعراض فخرق
فكله وان اصاب بعرضه فلا تاكله في روايه فانه وقيذ قال ابو
اختلف العلما قديما وحديثا في الصيد بالبندقه والحجر والمعراض فمن ذهب
الى انه وقيذ لم يجزه الا ما ادرك ذكاته على ما روي عن ابن عمر وهو قول
ملك وابي حنيفه واصحابه والثوري والشافعي وخالفهم الشاميون في
ذلك قال الاوزاعي في المعراض كله خزق او لم يخزق فقد كان ابو الدردا
وفضاله بن عبيد وعبد الله بن عمر ومكحول لا يرون به باسا قال ابو عمر
هكذا ذكر الاوزاعي عن عبد الله بن عمر والمعروف عن ابن عمر ما ذكره مالك
عن نافع عنه والاصل في هذا الباب والذي عليه العمل وفيه الحجه لمن لجا
اليه حديث عدي بن حاتم وفيه وما اصاب بعرضه فلا تاكل فانما هو وقيذ
قوله تعالى والمترديه هي التي تتردى من العلو الى السفل فتموت
كان ذلك جبلا او بير ونحوه وهي متفعله من الردا وسوا ترددت بنفسها او

رداها غيره واذا اصاب السهم الصيد فتردى من جبل على الارض حرم
ايضا لانه ربما مات بالصدمه والتردي لا بالسهم ومنه الحديث وان
وجدته غريقا في الما فلا تاكل فانك لا تدري الما قتله او سهمك اخرجه مسلم
وكانت الجاهليه تاكل المتردي ولم تكن تعتقد ميته الا ما مات بالوجع ونحو
دون سبب يعرف فاما هذه الاسباب فكانت عندها كالذكاه فخصر
الشرع الذكاه الى صفه مخصوصه على ما ياتي بيانها وبقيت هذه كلها ميته وهذا
كله من الحكم المتفق عليه وكذلك النطيحه واكيله السبع التي فات نفسها بالنطح
والاكل قوله تعالى والنطيحه النطيحه فعيله بمعنى مفعوله وهي
الشاة تنطحها اخرى او غير ذلك فتموت قبل ان تذكى وتاول قوم النطيحه
بمعنى الناطحه لان الشاتين قد يتناطحان فتموتان وقال نطيحه ولم يقل نطيح
وحق فعيل لا يذكر فيه الها كما يقال كف خضيب ولحيه دهين لكن ذكر
الها ها هنا لان الها انما تحذف من الفعيله اذا كانت صفه لموصوف منطوقا
به يقال شاه نطيح وامراه قتيل فان لم يذكر الموصوف اثبت لها ها فتقول
رايت قتيله بني فلان وهذه نطيحه الغنم لانك لو لم تذكر الها فقلت
رايت قتيل بني فلان لم يعرف ارجل هو او امراه وقرا ابو ميسره والمنطوحه
قوله تعالى وما اكل السبع يريد كل ما افترسه ذو ناب
واظفار من الحيوان كالاسد والنمر والثعلب والذيب والضبع ونحوها
وهذه كلها سباع يقال سبع فلان فلانا اي عضه بسنه وسبعه اي عابه
ووقع فيه وفي الكلام اضمار اي وما اكل منه السبع لان ما اكله السبع فقد فني
ومن العرب من يوقف اسم السبع على الاسد وكانت العرب اذا اخذ السبع
شاه ثم خلصت منه اكلوها وكذلك ان اكل بعضها قاله قتاده وغيره وقرا

لحسن

الحسن وابو جوه السبع بسكون البا وهي لغه لاهل نجد وقال حسان في
عتبه بن ابي لهب من يرجع العام الي اهله فما اكيل السبع بالراجع وقرا بن
مسعود واكيله السبع وقرا بن عباس واكيل السبع قوله تعالى
الاما ذكيتم نصب على الاستثنا المتصل عند الجمهور من العلما والفقها
وهو راجع على ما ادرك ذكاته من المذكورات وفيه حياه فان الذكاه
عامله فيه لان حق الاستثنا ان يكون مصروفا الى ما تقدم من الكلام ولا
يجعل منقطعا الا بدليل يجب التسليم له روي بن عيينه وشريك وجرير
عن الركين بن الربيع عن ابي طلحة الاسدي قال سالت بن عباس عن ذيب
عدا على شاه فشق بطنها حتى انتثر قصبها فادركت ذكاتها فذكيتها فقال
كل وما انتثر من قصبها فلا تاكل قال اسحق بن راهويه السنه
في الشاه على ما وصف بن عباس لانه وان خرجت مصارينها
فانها حيه بعد وموضع الذكاه منها سالم وانما ينظر عند
الذبح احيه هي ام ميته ولا ينظر الى هل تعيش مثلها ولذلك
المريضه قال اسحق ومن خالف هذا فقد خالف السنه من
جمهور الصحابه وعامه العلما قال الشيخ المولف رحمه الله واليه
ذهب بن حبيب وذكر عن اصحاب ملك وهو قول بن وهب
والاشهر من مذهب الشافعي قال المزني واحفظ للشافعي قولا
اخر انها لا توكل اذا بلغ منها السبع او التردي الى ما لا حياه معه
وهو قول المدنيين والمشهور من قول ملك وهو الذي ذكره
عبد الوهاب في تلقينه وروي عن زيد بن ثابت ذكره ملك
في موطيه واليه ذهب اسماعيل القاضي وجماعة المالكيين البغداديين

والاستثنا على هذا القول منقطع حرمت عليكم هذه الاشيا
ما ذكيتم فهو لم يحرم قال بن العربي اختلف قول مالك في هذه الاستثنا
فروى عنه انه ما يوكل الا ما ذكي بذكاه صحيحه والذي في الموطا انه
ان كان ذبحها ونفسها يجرى وهي تضطرب فليا كل وهو الصحيح من قوله
الذى كتبه بيده وقراه على الناس من كل بلد طول عمره فهو اولى من الروايات
النادره وقد اطلق علماونا على المريضه ان المذهب جواز تذكيتها ولو
اشرفت على الموت اذا كانت فيها بقيه حياه وليت شعري اي فرق بين
بقيه مرض وبقيه حياه من سبع لو انسق النظر وسلمت عن الشبه الفكر
وقال ابو عمر قد اجمعوا في المريضه التي لا ترجا حياتها ان ذبحها ذكاه
لها اذا كانت فيها الحياه في حين ذبحها وعلم ذلك منها بما ذكروا من حركه يدها
او رجلها او ذنبها او نحو ذلك واجمعوا انها اذا صارت في حال النزع
ولم تحرك يدا ولا رجلا انه لا ذكاه فيها وكذلك ينبغي في القياس ان
يكون حكم المترديه وما ذكر معها في الايه والله اعلم قوله
تعالى ذكيتم الذكاه في كلام العرب الذبح قاله قطرب وقال بن سيده
في المحكم والعرب تقول ذكاه الجنين ذكاه امه قال بن عطيه وهذا انما هو
حديث وذكي الحيوان ذبحه ومنه قول الشاعر يذكيها الاسل الشيخ
المولف رحمه الله الحديث الذي اشار اليه اخرجه الدارقطني من حديث ابي
سعيد الخدري وابي هريره وعلي وعبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ذكاه الجنين ذكاه امه وبه تقول جماعه اهل العلم الا ما روي عن ابي
حنيفه انه قال اذا خرج الجنين من بطن امه ميتا لم يحل اكله لان ذكاه نفس
لا تكون ذكاه نفسين قال بن المنذر وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم ذكاه

الجنين

الجنين ذكاة امه دليل على ان الجنين غير الام وهو يقول لو اعتقت امة ان يعتقه غير ابيه وهذا يلزمه ان ذكاة امه لانه اذا جاز ان يكون عضو واحد عن اثنين جاز ان يكون ذكاة واحدة ذكاة اثنين على ان الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء عن اصحابه وما عليه جمل الناس مستغنى به عن كل قول واجمع اهل العلم على الجنين اذا خرج حيا ان ذكاة امه ليست بذكاة له واختلفوا اذا ذكيت الام وفي بطنها جنين فقال مالك وجميع اصحابه ذكاته ذكاة امه اذا كان تم خلقه ونبت شعره وذلك اذا خرج ميتا او خرج به رمق من الحياة غير انه يستحب ان يذبح ان خرج يتحرك فان سبقهم بنفسه اكل وقال ابن القاسم ضحيت بنعجة فلما ذبحتها جعل يركض ولدها في بطنها فامرتهم ان يتركوها حتى يموت في بطنها ثم امرتهم فشقوا جوفها فاخرج منها فذبحته فسال منه دم فامرت اهلي ان يشووه وقال عبد الله بن كعب بن مالك كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون اذا اشعر الجنين فذكاته ذكاة امه قال ابن المنذر وممن قال ذكاته ذكاة امه ولم يذكر اشعر او لم يشعر علي بن ابي طالب وسعيد بن المسيب والشافعي واحمد واسحق قال القاضي ابو الوليد الباجي وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذكاة الجنين ذكاة امه اشعر او لم يشعر الا انه حديث ضعيف فمذهب مالك هو الصحيح من الاقوال الذي عليه عامة الفقهاء الامصار والله الموفق قوله تعالى ذكيتم الذكاة في اللغة التمام ومنه تمام السن والفرس المذكي الذي ياتي عليه بعد القروح سنة وذلك تمام استكمال القوة ويقال ذكي يذكي والعرب يقول الذكيات غلاء والذكاء حدة القلب قال الشاعر يفضله اذا اجتهدا عليه تمام السن

ذكاته

اصله

منه والذكا والذكا سرعة الفطنة والفعل منه ذكي يذكي والذكوة
ما يذكى به النار واذكيت الحرب والنار اوقدتهما وذكا اسم الشمس وذلك
انها تذكو كما تذكو النار والصبح ابن ذكا لانه من ضوئها فمعنى ذكيتم ادركتم اردتم
ذكاته على التمام ذكيت الذبيحة اذكيها مشتقة من التطيب يقال رايحة
ذكية فالحيوان اذا اسيل دمه فقد طيب لانه يتسارع التخفيف وفي حديث
محمد بن علي رضي الله عنهما ذكاة الارض يبسها يريد طهارتها من النجاسة فالذكاة
في الذبيحة تطهير لها واباحة لاكلها فجعل يبس الارض بعد النجاسة تطهيرا لها
واباحة للصلاة فيها بمنزلة الذكاة للذبيحة وهو قول اهل العراق واذا
تقرر هذا فاعلم انها في الشرع عبارة عن انهار الدم وفري الاوداج في
المذبوح والنحر في المنحور والعقر في غير المقدور مقرونا بنية القصد
لله تعالى وذكر عليه على ما ياتي بيانه ان شاء الله تعالى
واختلف العلما فيما يقع به الذكاة فالذي عليه الجمهور من العلما ان كل ما فري
الاوداج وانهر الدم فهو من آلة الذكاة ما خلا السن والعظم على هذا تواترت
الاثار وقال به فقها الامصار والسن والظفر المنهي عنهما في الذبيحة هما غير
المنزوعين لان ذلك يصير خنقا ولذلك قال ابن عباس ذلك الخنق فاما المنزوعين
اذا فري الاوداج فجايز الذكاة بهما عندهم وقد كره قوم السن والظفر
والعظم على كل حال منزوعة وغير منزوعة منهم ابرهيم والحسن والليث
بن سعد وروي عن الشافعي وحجتهم ظاهر حديث رافع بن خديج قال قلت
يا رسول الله انا لاقوا العدو غدا وليست معنا مدى في رواية فنذكي بالليط
وفي موطا ملك عن نافع عن رجل من الانصار عن معاذ بن سعد او سعيد بن
معاذ ان جارية لكعب بن ملك كانت ترعى غنما له بسلع فاصيب شاة منها

فادركتها

فادركناه قد لقيناه بحجر فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال لا
باس فكلوها وفي مصنف ابي داود فذبح بالمروة وشعبة العصا قال اعجل
وارني ما انهر الدم وذكر اسم الله فكل ليس السن والظفر وساحدثك اما السن
فعظم واما الظفر فمدى الحبش الحديث اخرجه مسلم وروي عن سعيد بن المسيب
انه قال ما ذبح بالليطة والشظير والصرد فحل ذكي الليطة فلقة القصبة
ويمكن بها الذبح والنحر والشظير فلقة العود وقد يمكن بها الذبح لان لها
جانبا دقيقا والصرد فلقة الحجر يمكن الذكاة ولا يمكن النحر وعكسه الشطاط
يمكن به النحر لانه كطرف السنان ولا يمكن به الذبح قال
ملك وجماعة لا تصح الذكاة الا بقطع الحلقوم والودجين وقال الشافعي
يصح بقطع الحلقوم والمري ولا يحتاج الى الودجين لانهما مجرى الطعام
والشراب الذي لا يكون معهما حياة وهو الغرض من الموت وملك وغيره
اعتبروا الموت على وجه يطيب معه اللحم ويفترق فيه الحلال وهو
اللحم من الحرام الذي يخرج بقطع الاوداج وهو مذهب ابي حنيفة
وعليه يدل حديث رافع بن خديج في قوله وما انهر الدم وحكى البغداديون
عن ملك انه يشترط قطع اربع الحلقوم والودجين والمري وهو قول
ابي ثور والمشهور ما تقدم وهو قول الليث ثم اختلف اصحابه في
قطع احد الودجين والحلقوم هل هو ذكاة او لا على قولين
واجمع العلماء على ان الذبح مهما كان في الحلق تحت الغلصمة فقد
تمت الذكاة واختلف فيما اذا ذبح فوقها وجازها الى البدن هل ذلك
ذكاة ام لا على قولين وقد روي عن ملك انها لا تؤكل وكذلك لو ذبحها
من القفا واستوفى القطع وانهر الدم وقطع الحلقوم والودجين لم

توكل وقال الشافعي توكل لان المقصود منها انهار الدم ففيها ضرب من التعبد
وقد ذبح صلى الله عليه وسلم في الحلق ونحر في اللبة وقال انما الذكاة في الحلق
واللبة فبين محلها وعين موضعها وقال مبينا لفائدتها ما انهر الدم وذكر
اسم الله عليه فكل فاذا اهمل ذلك ولم يقطع بنية ولا بشرط ولا بصفة
مخصوصة زال منها حظ التعبد فلم توكل لذلك والله اعلم
واختلفوا فيمن رفع يده قبل تمام الذكاة ثم رجع في الفور واكمل فقيل
تجزيه وقيل لا تجزيه والاول اصح لانه جرحها ثم ذكاها بعد وحياتها
مستجمعة فيها ويستحب الا يذبح الا من ترضى
حاله وكل من اطاقه وجاء به على سنته من ذكر او انثى بالغ او غير بالغ جاز
ذبحه اذا كان مسلما او كتابيا وذبح المسلم افضل من ذبح الكتابي ولا يذبح
نسكا الا مسلم فان ذبح النسك كتابيا فقد اختلف فيه ولا يجوز في تحصيل
المذهب وقد اجازه اشهب وما استوحش من الانسي
لم يجز في ذكاته الا ما يجوز في ذكاة الانسي في قول مالك واصحابه وربيعة
والليث بن سعد وكذلك المتردي في البير لا تكون الذكاة فيه الا فيما بين
الحلق واللبة على سنة الذكاة وقد خالف في هاتين المسلتين بعض اهل
المدينة وغيرهم وفي الباب حديث رافع بن خديج وقد تقدم وتمامه
بعد قوله فمدى الحبش قال فاصبنا نهب ابل وغنم فند منها بعير فرماه
رجل بسهم فحبسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهذه الابل
اوابد كاوابد الوحش فما غلبكم منها شي فافعلوا به هكذا في رواية
وكلوه وبه قال ابو حنيفة والشافعي قال الشافعي تسليط النبي صلى الله
عليه وسلم على هذا الفعل دليل على ذكاته واحتج بما رواه ابو داود والترمذي

عن ابي

عن ابي العشراء عن ابيه قال قلت يا رسول الله اما تكون الا في اللبة قال لو
طعنت في فخذها لاجزا عنك قال يزيد بن هرون وهو حديث صحيح اعجب
احمد بن حنبل رواه عن ابي داود واشار على من دخل عليه من الحفاظ ان يكتبه
قال ابو داود لا يصح هذا الا في المتردية والمتوحش وقد حمل ابن
حبيب هذا الحديث على ما سقط في مهواة فلا يوصل الى ذكاته الا
بالطعن في غير موضع الذكاة وهو قول انفرد به عن مالك واصحابه
قال ابو عمر قول الشافعي اظهر في اهل العلم وانه يوكل بما يوكل به الوحشي
لحديث رافع بن خديج وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومن جهة
القياس لما كان الوحشي اذا قدر عليه لم يحل الا بما يحل به الانسي لانه
صار مقدورا عليه فكذلك ينبغي في القياس اذا توحش او صار في
معنى الوحشي من الامتناع ان يحل بما يحل به الوحشي قال الشيخ المولف
رحمه الله اجاب علماونا عن حديث رافع بان قالوا تسليط النبي صلى الله عليه
وسلم انما هو على حبسه لا على ذكاته وهو مقتضى الحديث وظاهره لقوله
فحبسه ولم يقل ان السهم قتله وايضا فانه مقدور عليه في غالب الاحوال
فلا يراعي النادر منه وانما يكون ذلك في الصيد وقد صرح الحديث بان
السهم حبسه وبعد ان صار محبوسا صار مقدورا فلا يوكل الا بالذبح
والنحر والله اعلم واما حديث ابي العشراء فقد قال فيه الترمذي حديث
غريب لا نعرفه الا من حديث حماد بن سلمة ولا نعرف لابي العشراء عن ابيه غير
هذا الحديث واختلفوا في اسم ابي العشراء فقال بعضهم اسمه اسامة بن
قهطم ويقال اسمه يسار بن بزر بلز ويقال اسمه عطارد نسب الى جده
فهذا سند مجهول لا حجة فيه ولو سلمت صحته لما قال يزيد بن هارون

لما كان فيه مجهاد مقتضاه جواز الذكاة في اي عضو كان مطلقا في
المقدور وغيره ولا قايل به في المقدور وظاهره ليس بمراد قطعا وتاويل
ابي داود وابن حبيب له غير منقطع متفق عليه فلا يكون فيه حجة والله
اعلم قال ابو عمر وحجة مالك انهم قد اجمعوا انه لو لم يند الانسي انه لا
يذكى الا بما يذكى به المقدور عليه ثم اختلفوا فهو على اصله حتى يتفقوا
وهذا لا حجة فيه لان اجماعهم انما انعقد على مقدور عليه وهذا غير
مقدور عليه ومن تمام هذا الباب قول النبي صلى
الله عليه وسلم ان الله كتب الاحسان على كل شي فاذا قتلتم فاحسنوا
القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته
رواه مسلم عن شداد بن اوس قال ثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله كتب فذكره قال علماونا احسان الذبح في البهايم الرفق
بها فلا يصرعها بعنف ولا يجرها من موضع الى اخر واحداد الالة واحضار
نية الاباحة والقربة وتوجيهها الى القبلة والاجهاز وقطع الودجين
والحلقوم وارواحها وتركها الى ان تبرد والاعتراف لله بالمنة والشكر
له بالنعم بانه سخرلنا ما لو شا لسلطه علينا واباح لنا ما لو شا لحرمه
علينا وقال ربيعة من احسان الذبح الا تذبح بهيمة واخرى تنظر وحكي
جوازه عن مالك والاول احسن واما حسن القتلة فعام في كل شي من التذكية
والقصاص والحدود وغيرها وقد روى ابو داود عن ابن عباس وابي
هريرة قالا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شريطة الشيطان
زاد ابن عيسى في حديثه وهي التي تذبح فتقطع ولا تفرى الاوداج ثم تترك
فتموت قوله تعالى وما ذبح على النصب قال

بن فارس النصب حجر كان ينصب فيعبد وتصب عليه دما الذبايح وهو
النصب ايضا والنصايب حجارة تنصب حوالي شفير البير فتجعل عضايد
وغبار منتصب مرتفع وقيل النصب جمع واحده نصاب كحمار وحمر
وقيل هو اسم مفرد والجمع انصاب وكانت ثلاث مايه وستين حجرا
وقرا مجاهد النصب بجزم الصاد وروى عن ابن عمر النصب بفتح
وجزم الصاد للجحدري والجمع انصاب بفتح النون والصاد جعله
اسما موحدا كالجبل والجمل والاجمال والاجبال قال مجاهد هي حجاره
كانت حوالي مكه يذبحون عليها قال ابن جريج كانت العرب تذبح بمكه
وتنضح بالدم ما اقبل من البيت ويشرحون اللحم ويضعونه على
الحجاره فلما جا الاسلام قال المسلمون للنبي صلى الله عليه وسلم نحن احق
ان نعظم هذا البيت بهذه الافعال فكانه صلى الله عليه وسلم لم
يكره ذلك فانزل الله لن ينال الله لحومها ولا دماوها ونزلت وما
ذبح على النصب المعنى والنيه فيها تعظيم النصب لان الذبح عليها
غير جايز قال الاعشى ولا النصب المنصوب لا تنسكنه لعاقبه
والله ربك فاعبدا وقيل على معنى اللام اي لاجلها قاله قطرب قال
ابن زيد ما ذبح على النصب وما اهل به لغير الله شي واحد قال
ابن عطيه ما ذبح على النصب جزء مما اهل به لغير الله لكن خص بالذ كر
بعد جنسه لشهرة الامر وشرف الموضع وتعظيم النفوس له
قوله تعالى وان تستقسموا بالازلام معطوف على ما قبله وان
في محل رفع اي وحرم عليكم الاستقسام والازلام قداح الميسر
واحدها زلم وزلم قال بات يقاسيها غلام كالزلم وقال اخر فجمع

فلينجد به فتلك سر واتما فنسا وها يضربا لازلام وذكر محمد بن جرير
ان ابن وكيع حدثهم عن ابيه عن شريك عن ابي حصين عن سعيد بن جبير
ان الازلام حصا بيض كانوا يضربون بها قال محمد بن جرير قال لنا سفين بن
وكيع الشطرنج فاما قول لبيد عن التي ادلامها فقالوا اراد اطلاق البقر
الوحشيه والازلام للعرب ثلثه انواع منها الثلاثه التي كان يتخذها كل
انسان لنفسه على احدها افعل وعلى الاخر لا تفعل والثالث مهمل لا شي
عليه فيجعلها في خريطه معه فاذا اراد فعل شي ادخل يده وهي متشابهه
فاذا خرج احدهما ايتمر وانتهى بحسب ما خرج له وان خرج القدح
الذي لا شي عليه اعاد الضرب وهذه هي التي ضرب بها سراقه بن مالك
بن جعشم حين اتبع النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وقت الهجره وانما قيل لهذا
الفعل استقسام لانهم كانوا يستقسمون به الرزق وما يريدون كما
يقال الاستقسا في الاستسقا قال المسقى نظير هذا الذي حرمه الله قول
المنجم من اجل نجم كذا واخرج من اجل نجم كذا وقال الله عز وجل وما تدري نفس ما
ذا تكسب غدا الايه وسياتي بيان هذا مستوفى ان شا الله تعالى والنوع
الثاني سبعه قداح كانت عند هبل في جوف الكعبه مكتوب عليها ما يدور
بين الناس من النوازل كل قدح منها فيه كتاب قدح فيه العقل في امر
الديات وفي اخر منكم وفي اخر من غيركم وفي اخر ملصق وفي سايرها
احكام المياه وغير ذلك وهي التي ضرب بها عبد المطلب بنيه اذ كان نذر
نحر احدهم اذا اكملوا عشره الخبر المشهور ذكره ابن اسحق وهذه السبعه كانت
عند كل كاهن من كهان العرب وحكامهم على نحو ما كانت في الكعبه عند
هبل والنوع الثالث هو قداح الميسر وهي عشره سبعه منها فيها خطوط

وثلاثه

وثلاثه اغفال وكانوا يضربون بها مقامرة لهوا ولعبا وكان عقلاؤهم يقصد
بها اطعام المساكين والمعدم في زمن الشتا وكلب البرد وتعذر التجر وقال
مجاهد الازلام هي كعاب فارس والروم يتقامرون بها وقال سفين ووكيع
هي الشطرنج فالاستقسام بهذا كله هو طلب القسم والنصيب كما بينا
وهو من اكل المال بالباطل وهو حرام وكل مقامرة بحمام او نرد او شطرنج
او بغير ذلك من هذه الالعاب فهو استقسام بما هو في معنى الازلام حرام كله
وهو ضرب من التكهن وتعرض لدعوى علم الغيب قال ابن خويزمنداد ولهذا
نهى اصحابنا عن الامور التي يفعلها المنجمون على الطرقات من السهام التي
معهم ورقاع الفال في اشباه ذلك وقال الكيا الطبري انما نهى الله عنها
فيما يتعلق بامور الغيب فانه لا تدري نفس ماذا يصيبه غدا فليس للازلام
في تعريف المغيبات اثر فاستنبط بعض الجاهلين من هذا الرد على الشافعي في
الاقراع بين المماليك في العتق ولم يعلم هذا الجاهل ان الذي قاله الشافعي
بني على الاخبار الصحيحه وليس مما يعترض عليه بالنهي عن الاستقسام بالازلام
فان العتق حكم شرعي يجوز ان يجعل الشرع خروج القرعه علما على اثبات حكم
العتق قطعا للخصومه او لمصلحه يراها ولا يساوي ذلك قول القايل اذا
فعلت كذا او قلت كذا فذلك يدلك في المستقبل على امر من الامور فلا
يجوز ان يجعل خروج القداح علما على شي يتجدد في المستقبل ويجوز ان يجعل علما
على المتاخر قطعا فظهر افتراق البابين وليس من هذا الباب
طلب الفال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه ان يسمع يا راشد يا نجيح اخرجه
وقال الحديث صحيح غريب وانما كان صلى الله عليه وسلم يعجبه الفال لانه
تنشرح له النفس وتستبشر بقضا الحاجه وبلوغ الامل فيحسن الظن

فال

بالله عز وجل وقد انا عند ظن عبدي بي وقال النبي صلى الله عليه وسلم يكره
الطيرة لانها من اعمال اهل الشرك ولانها تخلف ظن السو بالله عز وجل قال
الخطابي الفرق بين الفال والطيرة ان الفال انما هو من طريق حسن الظن بالله
والطيرة انما هي من طريق الاتكال على شي سواه وقال الاصمعي سالت بن عوف عن
الفال فقال هو ان يكون مريضا فيسمع يا سالم او يكون باغيا فيقول يا واجد
وهذا معنى حديث الترمذي وفي صحيح عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا طيرة وخيرها الفال قيل يا رسول الله وما الفال قال الكلمة الصالحة
يسمعها احدكم وسياتي لمعنى الطيرة مزيد بيان ان شاء الله وروى عن ابي الدردا
رضي الله عنه انه قال انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه
ومن يتوق الشر يوقه وثلاثة لا ينالون الدرجات العلى من تكهن واستقسم
او رجع من سفر من طيرة قوله تعالى ذلكم فسق اشارة
الى الاستقسام بالازلام والفسق الخروج وقد تقدم يرجع الجميع ما ذكر
من استحلال هذه المحرمات وكل شي منها فسق وخرج من الحلال الى الحرام
والانكفاف عن هذه المحرمات من الوفا بالعقود اذ قال اوفوا بالعقود
قوله تعالى اليوم يئس الذين كفروا من دينكم يعني ان
ترجعوا الى دينهم كفارا قال الضحاك نزلت هذه الاية حين فتح مكة وذلك
ان رسول الله صلى الله وسلم فتح مكة لثمان بقين من رمضان سنة تسع ويقال سنة
ثمان ودخلها ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من قال لا اله الا الله
فهو امن ومن وضع السلاح فهو امن ومن اغلق بابه فهو امن وفي يئس لغتان ييس
ويياس ياسا وايس يايس اياسا واياسة قال النضر بن شميل فلا تخشوهم واخشون
اي لا تخافوهم وخافون فاني انا القادر على نصركم قوله تعالى

اليوم اكملت

مالك عشرينه

اليوم اكملت لكم دينكم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم حين كان بمكه لم
تكن الا فريضه الصلاه وحدها فلما قدم المدينه انزل الله الحلال
والحرام الى ان حج فلما حج وكمل الدين نزلت هذه الايه اليوم اكملت
لكم دينكم الايه على ما نبينه وروي الايمه عن طارق بن شهاب قال رجل
من اليهود الى عمر فقال يا امير المومنين ايه في كتابكم تقرونها لو علينا انزلت
معشر اليهود ولا اتخذنا ذلك اليوم عيدا قال واي ايه قال اليوم
اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا
فقال عمر اني لاعلم اليوم الذي انزلت فيه والمكان الذي انزلت فيه
نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفه في يوم جمعه لفظ مسلم
عند النساي ليله جمعه وروي انها نزلت في يوم الحج الاكبر وقراها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يبكيك قال ابكاني انا كنا في زياده من ديننا فاما ان كمل فانه لم
يكمل شي الا نقص فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت وروي عن
مجاهد ان هذه الايه نزلت يوم فتح مكه قال الشيخ المولف رحمه الله
والقول الاول اصح انها نزلت في يوم جمعه وكان يوم عرفه بعد
العصر في حجه الوداع سنه عشر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف
بعرفه على ناقته العضبا فكادت عضد الناقه تنقد من ثقلها فبركت
واليوم قد يعبر بجزو منه عن جميعه وكذلك عن الشهر ببعضه تقول
فعلنا في شهر كذا وفي سنه كذا وكذا ومعلوم انك لم تستوعب الشهر
ولا السنه وذلك مستعمل في لسان العرب والعجم والدين عباره عن
الشرايع الذي شرع وفتح لنا فانها نزلت نجوما واخر ما نزل منها هذه الايه

ولم ينزل بعدها حكم قاله ابن عباس والسدي وقال الجمهور المراد معظم الفرايض
والتحليل والتحريم قالوا وقد نزلت بعد ذلك قران كثير ونزلت اية الربا ونزلت
اية الكلالة الى غير ذلك وانما كمل معظم الدين امر الحج ولم يطف معهم في تلك
السنة مشرك ولا طاف بالبيت عريان ووقف الناس كلهم بعرفة وقيل اكملت
لكم دينكم اهلكت عدوكم واظهرت دينكم على الدين كله كما تقول قد تم
لنا ما نريد اذا كفيت عدوك
قوله تعالى واتممت
عليكم نعمتي اي باكمال الشرايع والاحكام واظهار دين الاسلام كما وعدتكم
اذ قلت ولاتم نعمتي عليكم وهي دخول مكة امنين مطمئنين وغير ذلك مما
انتظمته هذه الملة الحنفية الى دخول الجنة في رحمة الله
لعل قايلا يقول قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم
يدل على ان الدين كان غير كامل في وقت من الاوقات وذلك يوجب ان
يكون جميع من مات من المهاجرين والانصار والذين شهدوا بدرا والحديبية
وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعتين جميعا وبذلوا انفسهم لله مع
عظيم ما حل بهم من انواع المحن ماتوا على دين ناقص وان رسول الله صلى
الله عليه وسلم في ذلك كان يدعوا الناس الى دين ناقص ومعلوم ان النقص عيب
ودين الله تعالى قيم كما قال دينا قيما فالجواب ان يقال له لم قلت ان كل
نقص فهو عيب وما دليلك عليه ثم يقال له ارايت نقصان الشهر هل
يكون عيبا ونقصان صلاة المسافر فهل هو عيب لها ونقصان العمر الذي اراده
الله بقوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره اهو عيب له ونقصان ايام
الحيض عن المعهود ونقصان ايام الحمل ونقصان المال بسرقة او حريق او غرق
اذا لم يفتقر به صاحبه فما انكرت ان نقصان اجزا الدين في زمن الشرع قبل ان

يلحقه

يلحق به الاجزا الناقصه في علم الله تعالى فهذا ليس بشين ولا عيب وما انكرت
ان معنى قول الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم يخرج على وجهين احدهما ان يكون
المراد بلغته اقصى الحد الذي كان له عندي فيما قضيته وقدرته وذلك لا
يوجب ما قبل ذلك ناقصا نقصان عيب لكنه يوصف بنقصان مقيد
فقال انه كان ناقصا عما كان عند الله تعالى انه يلحقه به وضامه اليه
كالرجل يبلغه الله مائة سنة فيقال اكمل الله عمره ولا يجب عن ذلك
ان يكون عمره حين كان ابن ستين كان ناقصا نقص قصور وخلل فان النبي صلى
الله عليه وسلم من عمره الله ستين سنة فقد اعذر اليه في العمر ولكنه يجوز
ان يوصف بنقصان مقيد فيقال انه كان ناقصا عما كان عند الله تعالى
انه يبلغه اياه ومعمره اليه وقد بلغ الله بالظهر والعصر والعشا اربع ركعات
فلو قيل عند ذلك اكملها لكان الكلام صحيحا ولا يجب عن ذلك انها كانت حين
كانت ركعتين ناقصة نقص قصور وخلل ولو قيل كانت ناقصة عما عند الله
انه ضامه اليها وزايد عليها لكان ذلك صحيحا فهكذا هذا في شرايع الاسلا
وما كان شرع منها شيا فشيا الى ان انهى الله الدين منتهاه الذي كان له عند
والله اعلم والوجه الاخر انه اراد بقوله اليوم اكملت لكم دينكم انه وفقهم
للحج الذي لم يكن بقي عليهم من اركان الدين غيره فحجوا فاستجمع الدين اداء لاركانه
وقياما بفرايضه فانه يقول صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس الحديث
وقد كانوا اشهدوا وصلوا وزكوا وصاموا وجاهدوا واعتمروا ولم
يكونوا حجوا فلما حجوا ذلك اليوم مع النبي صلى الله عليه وسلم انزل الله تعالى
وهم بالموقف عشية عرفة اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي فانما اراد اكمل وضعه لهم وفي ذلك دلالة على ان الطاعات

للهادين وايمان واسلام   قوله تعالى
ورضيت لكم الاسلام دينا اعلمتكم برضاي به لكم دينا فانه تعالى
لم يزل راضيا بالاسلام لنا دينا فلا يكون لاختصاص الرضا
بذلك اليوم فايدة ان حملناه على ظاهره ودينا نصب على التمييز
وان شئت على مفعول ثان وقيل المعنى ورضيت عنكم
اذا انقدتم لي بالدين الذي شرعته لكم ويحتمل ان يريد برضيت
لكم الاسلام دينا اي رضيت اسلامكم الذي انتم عليه اليوم دينا
باقيا بحاله الى اخر الابد لا انسخ منه شيا والله اعلم والاسلام في
هذه الايه هو الذي في قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وهو
يفسر في سوال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم وشو الايمان
والاعمال والشعب   قوله تعالى فمن
اضطر في مخمصة يعني من دعته ضرورة الى اكل الميتة وساير المحرمات
في هذه الايه والمخمصة الجوع وخلا البطن من الطعام الخمص ضمور
البطن ورجل خميص وخمصان وامراة خميصة وخمصانة ومنه
اخمص القدم ويستعمل كثيرا في الجوع والغرث قال الاعشى يبيتون
في المشتا ملا بطونكم وجاراتكم غرثا يبتن خمايصا اي يبتن منطويات
على الجوع قد اضمر بطونهن وقال النابغة في خمص البطن من جهة ضمره
والبطن وعلى خميص لبن والنحر نفجة بثدي مقعد وفي الحديث
خماص البطون خفاف الظهور الخماص جمع الخميص البطن وهو الضامر
اخبر انهم اعفا عن اموال الناس ومنه الحديث ان الطير تغدو
خماصا وتروح بطانا والخميصة ايضا ثوب قال الاصمعي الخمايص ثياب

خز

خز او صوف معلمه وهي سود يا نشبس من لباس الناس وقد تقدم معنى
الاضطرار وحكمه في البقره قوله تعالى غير
متجانف لاثم اي غير مايل الحرام وهو بمعنى غير باغ ولا عاد وقد تقد م
والجنف الميل والاثم الحرام ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تجانفنا
فيه لاثم اي ما ملنا ولا تعمدناه ونحن نعلمه وكل مايل فهو متجا نف
وجنف وقرا النخعي ويحيى بن وثاب والسلمي فتجنف دو ن
الف وهي ابلغ في المعنى لان شد العين يقتضي مبالغة وتوغلا
في المعنى وثبوتا لحكمه وتفاعل انما هي محاذاه الشي والتقرب
منه الا ترى انك اذا قلت تمايل الغصن فان ذلك يقتضي تاودا
ومقاربه ميل واذا قلت تميل فقد ثبت حكم الميل وكذلك تصا و ن
الرجل وتصون وتغافل وتغفل فالمعنى غير متعمد لمعصيه في
مخمصه قاله قتاده والشافعي فان الله غفور رحيم اي فان الله
غفور رحيم له فحذف وانشد سيبويه قد اصبحت ام الخيار تدعي
علي ذنبا كله لم اصنع اراد لم اصنعه فحذف
يسالونك ماذا احل لهم الى قوله سريع الحساب فيه تسع عشره
مسله قوله تعالى يسالونك الايه نزلت بسبب عدي
بن حاتم وزيد بن مهلهل وهو زيد الخير الذي سماه رسول الله صلى الله
عليه وسلم زيد الخير قالا يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاه
وان الكلاب تاخذ البقر والحمر والظبا فمنه ما ندرك ذكاته ومنه
ما يقتله فلا ندرك ذكاته وقد حرم الله الميته فماذا يحل لنا منها
فنزلت الايه قوله تعالى ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبا ت

ما في موضع رفع بالابتدا والخبر احل لهم وذا زايد وان كان بمعنى
الذي ويكون الخبر قل احل الطيبات وهو الحلال وكل حرام فليس
بطيب وقيل ما التذ اكله وشاربه ولم يكن عليه فيه ضرر في الدنيا ولا
في الاخرة وقيل الطيبات الذبايح لانها طابت بالتذكية
قوله تعالى وما علمتم اي وصيد ما علمتم ففي الكلام اضمار لا بد منه ولو
لاه لكان المعنى يقتضي ان يكون الحل المسول عنه متنا ولا المعلم من الجوارح
المكلبين وذلك ليس مذهبا لاحد فان الذي يبيح لحم الكلب فلا يختص
الاباحة بالمعلم وسياتي ما للعلما في اكل الكلب في الانعام ان شا الله تعالى
وقد ذكر بعض من صنف في احكام القران ان الاية تدل على ان الاباحة
تناولت ما علمنا من الجوارح وهو ينتظم الكلب وساير جوارح الطير
وذلك يوجب اباحة ساير وجوه الانتفاع فدل على جواز بيع الكلب
والجوارح والانتفاع بها بساير وجوه المنافع الا ما خصه الدليل وهو
الاكل من الجوارح اي الكواسب من الكلاب وسباع الطير وكان
لعدي كلاب خمسة قد سماها باسما اعلام وكان اسما كلبه سلهب وغلاب
والمختلس والمتناعس قال السهيلي وخامس اشك اقال فيه اخطب وقال
فيه وثاب اجمعت الامة على ان الكلب اذا لم يكن اسود
وعلمه مسلم فينشلي اذا اشلي ويجيب اذا دعي وينزجر بعد ظفره بالصيد اذا
زجر وان يكون لا ياكل من صيده الذي صاده واثر فيه بجرح او تنييب
وصاد به مسلم وذكر اسم الله عند ارساله ان صيده صحيح يوكل بلا
خلاف فان انخرم شرط من هذه الشروط دخل الخلاف فان كان الذي
يصاد به غير كلب كالفهد وما اشبهه وكالبازي والصقر ونحوهما من

الطير

الطير فجمهور الامة على ان كل ما صاد بعد التعليم فهو جارح اي كا
يقال جرح فلان واجترح اذا اكتسب ومنه الجارحة لانه يكتسب ومنه اجترا
السيئات وقال الاعشى ذات سنح ميسمها نذكر الجادر ما كان اجترح وفي
التنزيل ويعلم ما جرحتم بالنهار وقال ام حسب الذين اجترحوا
قوله تعالى مكلبين معنى المكلبين اصحاب الكلاب وهو المودب صاحب التاديب وقيل
معناه مضرين على الصيد كما تضري الكلاب قال الرماني وكلا القولين محتمل وفي
في مكلبين دليل على انه انما ابيح صيد الكلاب خاصة لانه بمنزلة قوله مومنين
فان كان قد تمسك به من قصر الاباحة على الكلاب خاصة وروي عن ابن عمر فيما
حكي ابن المنذر عنه قال واما ما يصاد به من البزاة وغيرها من الطير فما ادركت
ذكاته فذكه فهو لك حلال والا فلا تطعمه قال ابن المنذر وسيل ابو جعفر عن
البازي يحل صيده قال لا الا ان تدرك ذكاته وقال الضحاك والسدي وما
علمتم من الجوارح مكلبين هي الكلاب خاصة فان كان الكلب اسود بهيما فكره
صيده الحسن وقتادة والنخعي وقال احمد ما اعرف احدا يرخص فيه اذا
كان بهيما وبه قال اسحق بن راهويه فاما عوام اهل العلم بالمدينة والكو
فيرون جواز صيد كل كلب معلم اما من منع صيد الكلب الاسود فلقوله
صلى الله عليه وسلم الكلب الاسود شيطان اخرجه مسلم احتج الجمهور بعموم
الاية واحتجوا ايضا في جواز صيد البازي بما ذكر من سبب النزول وبما
خرجه الترمذي عن عدي بن حاتم قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن صيد البازي فقال ما امسك عليك فكل في اسناده مجالد ولا يعرف
من جهته وهو ضعيف وبالمعنى وهو ان كل ما يتاتى من الكلب يتاتى من
الفهد مثلا فلا فارق الا فيما لا مدخل له في التاثير وهذا هو القياس في

معنى الاصل فقياس على المدينه والامه على العبد وقد تقدم

واذا تقرر هذا فاعلم انه لابد للصايد ان ينوي عند الارسال التذكيه

وهذا لا يختلف فيه لقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا ارسلت كلبك وذكرت

اسم الله فكل وهذا يقتضي النيه والتسميه فلو قصد مع ذلك اللهو فكرهه مالك

واجازه ابن عبد الحكم وهو ظاهر قول الليث ما رايت حقا اشبه بباطل منه

يعني الصيد فاما لو فعله بغير نيه التذكيه فهو حرام لانه من باب الفساد

واتلاف حيوان لغير منفعه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الحيوان

الا لماكله وذهب الجمهور من العلما الى التسميه لابد منها بالقول عند الارسال

لقوله وذكرت اسم الله فلو لم يوجد على اي وجه كان لم يوكل الصيد وهو

مذهب اهل الحديث وذهب جماعه من اصحابنا وغيرهم الى انه يجوز اكل ما

صاده المسلم وذبحه وان ترك التسميه لابد منها بالقول عند الارسال لقوله

وذكرت اسم الله وحملوا الامر بالتسميه على الندب وذهب مالك في المشهور الى

الفرق بين ترك التسميه عمدا او سهوا فقال لا توكل مع العمد وتوكل مع السهو

وهو قول فقها الامصار واحد قولي الشافعي وستاتي هذه المساله في الانعام

ان شا الله تعالى ثم لا بد ان يكون انبعاث الكلب بارسال من يد الصايد

بحيث يكون زمامه بيده فيخلي عنه ويغريه عليه فينبعث او يكون الجارح

ساكنا مع رويه الصيد فلا يتحرك الا باغرا الصايد فهذا بمنزله ما زمامه

بيده فاطلقه مغريا له على احد القولين فاما لو انبعث الجارح من تلقا نفسه

من غير ارسال ولا اغرا فلا يجوز صيده ولا يحل اكله عند الجمهور مالك

والشافعي وابي ثور واصحاب الراي لانه انما صاد لنفسه وامسك

عليها ولا صنع للصايد فيه فلا ينسب اليه ارساله لانه لا يصدق

عليه

اهل الظاهر وجماعه اهل العلم

عليه قوله النبي صلى الله وسلم اذا ارسلت كلبك المعلم وقال عطا بن ابي
رباح والاوزاعي يوكل صيده اذا كان اخرجه للصيد
قول الجمهور علمتم بفتح العين و اللام وابن عباس ومحمد بن الحنفيه
بضم العين وكسر اللام اي من امر الجوارح والصيد بها والجوارح
الكواسب وسميت اعضا الانسان جوارح لانها تكتسب وتتصرف
وقيل سميت جوارح لانها تجرح وتسيل الدم فهو ماخوذ من
الجراح وهذا ضعيف واهل اللغه على خلافه وحكاه ابن المنذر
عن قوم ومكلبين قراه الجمهور بفتح الكاف وشد اللام والمكلب معلم
الكلاب ومضريها ويقال لمن يعلم غير كلب مكلب لانه يرد ذلك
الحيوان كالكلب ويقال للصايد مكلب فعلى هذا معناه صايدين
وقيل المكلب صاحب الكلاب يقال كلب فهو مكلب وكلاب وقرا
الحسن مكلبين بسكون الكاف وتخفيف اللام ومعناه اصحاب كلاب
يقال امشى الرجل كثرت ماشيته واكلب كثرت كلابه وانشد الاصمعي
فكل شي وان امشى فانه ساتحد عن الدنيا منون قوله تعالى
تعلمونهن مما علمكم الله انث الضمير للفظه الجوارح اذ هو جمع جارحه
ولا خلاف بين العلما في شرطين في التعلم وهما ان يا تمر اذا امر وينزجر
اذا زجر لا خلاف في هذين الشرطين في الكلاب وما في معناها من سباع
الوحوش واختلف فيما يصاد به من الطير فالمشهور ان ذلك مشترط فيها
عند الجمهور وذكر ابن حبيب ان ذلك لا يشترط فيها انه يزجر اذا زجرت
فانه لا ياتي ذلك فيها غالبا فيكفي انها اذا امرت اطاعت وقال ربيعه ما
اجاب منها اذا دعي فهو المعلم الضاري لان اكثر الحيوان بطبيعه ينشلي وقد

شرط الشافعي وجمهور من العلما في التعليم ان يمسك عن صاحبه وم يشترطه
ملك في المشهور عنه وقال الشافعي المعلم هو الذي اذا
اشلاه صاحبه انشلا واذا دعاه الى الرجوع رجع اليه
ويمسك الصيد على صاحبه ولا ياكل منه فاذا فعل هذا
مرارا قال اهل العرف صار معلما فهو المعلم وعن الشافعي
ايضا والكوفيين اذا اشلا فانشلا واذا اخذ حبس
وفعل ذلك مرة بعد مرة اكل صيده في الثالثه ومن العلما
من قال يفعل ذلك ثلاث مرات ويوكل صيده في الرابعه
ومنهم من قال اذا فعل ذلك مرتين فهو معلم ويوكل صيده
في الثانيه قوله تعالى فكلوا مما امسكن عليكم
اي حبسن لكم واختلف العلما في تاويله فقال ابن عباس ابو هريره
والنخعي وقتاده وابن جبير وعطا بن ابي رباح وعكرمه
والشافعي واحمد واسحق وابو ثور والنعمان واصحابه
المعنى ولم ياكل فان اكل لم يوكل ما بقي لانه امسك على نفسه
ولم يمسك على ربه والفهد عند ابي حنيفه واصحابه كالكلب
ولم يشترطوا ذلك في الطيور بل يوكل ما اكلت منه وقال
سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر وسلمان الفارسي
وابو هريره ايضا المعنى وان اكل فاذا اكل الجارح كلبا
كان او فهدا او طايرا اكل ما بقي من الصيد وان لم يبق الا
بضعه وهذا قول ملك واصحابه وهو القول الثاني
للشافعي وهو القياس وفي الباب حديثان بمعنى ما ذكرنا

اخذهما

احدهما حديث عدي في الكلب المعلم واذا اكل فلا تاكل فانما امسك على نفسه اخرجه مسلم الثاني حديث ابي ثعلبة الخشني قال قال النبي صلى الله عليه وسلم في صيد الكلب اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وان اكل منه وكل ما ردت عليك يدك اخرجه ابو داود وروي عن عدي ولا يصح والصحيح عنه حديث مسلم ولما تعارضت الروايتان رام بعض اصحابنا وغيرهم الجمع بينهما فحملوا حديث النهي على التنزيه والورع وحديث الاباحة على الجواز وقالوا ان وقالوا ان عديا كان موسعا عليه فافتاه النبي صلى الله عليه وسلم بالكف ورعا وثعلبة كان محتاجا فافتاه النبي صلى الله عليه وسلم بالجواز والله اعلم وقد دل على صحة هذا التاويل قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عدي فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه هذا تاويل علمائنا وقال ابو عمر في كتاب الاستذكار وقد عارض حديث عدي هذا حديث ابي ثعلبة والظاهر ان حديث ابي ثعلبة ناسخ له بقوله وان اكل يا رسول الله قال وان اكل قال الشيخ المولف رحمه الله هذا فيه نظر فان التاريخ مجهول والجمع بين الحديثين اولى ما لم يعلم التاريخ والله اعلم واما اصحاب الشافعي فقالوا اذا كان الاكل عن فرط جوع من الكلب اكل والا لم يوكل فان ذلك من سوء تعليمه وقد روي عن قوم من السلف التفرقة بين ما اكل منه الكلب والفهد فمنعوه وبين ما اكل منه البازي فاجازوه قاله النخعي والثوري

واصحاب الراي وحماد بن ابي سليمان وحكي عن ابن عباس وقالوا
الكلب والفهد يمكن ضربه وزجره والطير لا يمكن ذلك فيه وحد
تعليمه ان يدعى فيجيب وان يشلى فينشلي لا يمكن فيه اكثر من ذلك
والضرب يوذيه   والجمهور من العلما على ان
الجارح اذا شرب من دم الصيد ان الصيد يوكل وقال عطا ليس
شرب الدم باكل ولم ار احدا كره للصيد الشعبي وسفيان الثوري
ولا خلاف بينهم ان سبب اباحة الصيد الذي هو عقر الجارح
له لا بد محققا غير مشكوك فيه ومع الشك لا يجوز الاكل وهي
فان وجد الصايد مع كلبه كلب اخر فهو
محمول على انه غير مرسل من صايد اخر وانه انما انبعث في طلب
الصيد بطبعه ونفسه ولا يختلف في هذا القول النبي صلى الله
عليه وسلم وان خالطها كلاب من غيرها فلا تاكل في رواية فانما
سميت ولم تسم على غيره فاما لو ارسله صايد اخر فاشترك الكلبان
فيه فانه للصايدين يكونان شريكين فلو انفذ احد الكلبين مقاتله ثم
جا الاخر فهو الذي انفذ مقاتله وكذلك لا ما يوكل ما رمي بسهم
فتردى من جبل او غرق في الما لقوله صلى الله عليه وسلم لعدي فان رميت
بسهمك فاذكر اسم الله فان غاب يوما فلم تجد فيه الا اثر سهمك فكل
وان وجدته غريقا في الما فلا تاكل فانك لا تدري الما قتله او سهمك
وهذا نص   لو مات الصيد في افواه الكلاب
من غير بضع لم يوكل لانه مات خنقا فاشبه ان يذبح بسكين كالة
فيموت في الذبح قبل ان يفري حلقه ولو اكله لحد من الجوارح

ودبحه

ودجه فلم يفعل حتى مات لم يؤكل ان مقصرا فى الدكاه لانه قد
صار مقدورا على دبحه بحيانه المعقود عليه بخلاف دكاه
غير المقدور عليه ولو اخده ثم مات قبل ان يخرج السكين او ينشبها ولها
وهى معه جاز اكله ولو لم تكن السكين معه فتشاغل بطلبها لم تؤكل
وقال الشافعي فيما نالته الجوارح ولم تدمه قولان احدهما ان
لا يؤكل حتى يجرح لقوله تعالى من الجوارح وهو قول ابن القاسم
والاخر انه حل وهو قول اشهب قال اشهب ان مات من صدمة الكلب
اكل   قوله فان غاب عنك يوما فلم تجد فيه الا
اثر سهمك . فكل ونحوه فى حديث ابى ثعلبة الذى خرجه ابو داود وغير
انه زاد فكله بعد ثلاث ما لم ينتن يعارضه قوله صلى الله عليه وسلم
ما اصميت ودع ما انميت فالاصما ما قتل مسرعا وانت تراه والا نما
ان ترمى الصيد فيغيب عنك فيموت وانت لا تراه يقال قد امنت
الرميه فنمت تنمى اذا غابت ثم ماتت قال امرء القيس فهو لا تنمى رميته ما
له لا عد من نفره وقد اختلف العلما فى اكل الصيد الغايب على ثلاثه اقوال
يوكل وسوا قتله السهم او الكلب والثانى لا يوكل شى من ذلك اذ غاب
لقوله صلى الله عليه وسلم كل ما اصميت ودع ما انميت وانما لم يوكل
مخافه ان يكون قد اعان على قتله غير السهم من الهوام الثالث الفرق
بين السهم فيوكل وبين الكلب فلا يوكل ووجه ان السهم يقتل على جهه
واحده فلا يشكل والجارح على جهات متعدده فيشكل والثلاثه
الاقوال للعلمائنا وقال مالك فى غير الموطا اذا بات الصيد ثم
اصابه ميتا لم ينفد الكلب والبازى او السهم مقاتله لم ياكله قال ابو

عمر فهذا يدلك انه اذا بلغ مقاتله كان حلالا عند اكله وان بات الا انه
يكرهه اذا بات لما جاء عن ابن عباس وان غاب عنك ليلة فلا تاكل ونحوه عن
الثوري قال اذا غاب عنه يوما كرهت اكله وقال الشافعي القياس الا
ياكله اذا غاب عنه مصرعه وقال الاوزاعي ان وجده من الغد ميتا ووجد
فيه سهمه او اثرا من كلبه فلياكله ونحوه قال اشهب وعبد الملك واصبغ
قالوا جائز اكل الصيد وان بات اذا انفذ مقاتله وقوله في الحديث ما لم
ينتن تعليل لانه اذا انتن لحق بالمستقذرات التي تمجها الطباع فيكره اكلها
فلو اكلها لجاز كما اكل النبي صلى الله عليه وسلم الاهالة السنخة وهي المنتنة وقيل
هو معلل بما يخاف منه من الضرر على اكله وعلى هذا التعليل يكون اكله
محرما ان كان الخوف محققا والله اعلم   واختلف العلما
من هذا الباب في الصيد بكلب اليهودي اذا كان معلما فكرهه الحسن البصري
فاما كلب المجوسي وبازه وصقره فكره الصيد به جابر بن عبد الله والحسن
وعطا ومجاهد والنخعي والثوري واسحق واجاز الصيد بكلابهم ملك
والشافعي وابو حنيفة اذا كان الصايد مسلما قالوا وذلك مثل شفرته واما ان
كان الصايد من اهل الكتاب فجمهور الامة على جواز صيده غير ملك وفرق
بين ذلك وبين ذبيحته وتلا يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشي من الصيد
تناله ايديكم ورماحكم قال فلم يذكر الله في هذا اليهود ولا النصارى وقال
ابن وهب واشهب صيد اليهودي والنصراني حلال كذبيحته وفي كتاب محمد لا
يجوز صيد الصابي ولا ذبيحته وهم قوم بين اليهود والنصارى ولا دين لهم
واما ان كان الصايد مجوسيا فمنع من اكله ملك والشافعي وابو حنيفة واصحا
بهم وجمهور الناس وقال ابو ثور فيها قولان احدهما كقول هولاي والاخر

المجوسي

ان الحوشي من اهل الكتاب ولا صيدهم جايز ولوا صطاد السكران او دجـ لم يو كل
ولا ذبيحته لان ذبحته الدكاه تحتاج الى قصد والسكران لا قصد له
واختلف النحاه في من من قوله مما امسكن فقال الاخفش هي زايده
كقوله كلوا من ثمره وخطاه البصريون وقالوا من لا تزاد في الايجاب وانما تزاد
في النفي والاستفهام وقوله من ثمره يكفر عنكم من سياتكم ويغفر لكم من ذنوبكم
للتبعيض اجاب فقال قد قال يغفر لكم ذنوبكم باسقاط من فدل على زيادتها
في الايجاب اجيب بان من ها هنا للتبعيض لانه انما يحل من الصيد اللحم دون
الفرث والدم قال الشيخ المولف رحمه الله هذا ليس بمراد ولا معهود في
الاكل فيعكر على ما قال ويحتمل ان يريد مما امسكن اي مما ابقته الجوارح
لكم وهذا على قول من قال لو اكل الكلب الفريسه لم يوكل بسبب هذا الاحتمال
اختلف العلما في جواز اكل الصيد اذا اكل الجارح منه على ما تقدم
ودلت الاية على جواز اتخاذ الكلاب واقتنايها للصيد
وثبت ذلك في صحيح السنه وزاد ت الحرث والماشيه وقد كان في اول
الاسلام امر بقتل الكلاب حتى كان يقتل كلب المريه من البادية يتبعها روى
مسلم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا الا كلب صيد او
ماشيه او صيد او زرع انقص من اجره كل يوم قيراط قال الزهري وذكر
لابن عمر قول ابي هريره فقال يرحم الله ابا هريرة كان صاحب زرع فدلت
السنه على ما ذكرنا وجعل النقص في اجر من اقتناها على غير ذلك من المنفعه
اما لترويع الكلب المسلمين وتشويشه عليهم بنباحه كما قال بعض شعرا البصره وقد
نزل بعمار فسمع لكلابه نباحا فانشا يقول نزلنا بعمار فاشلا كلابه
علينا فكدنا بين بيتيه نوكل فقلت لاصحابي اسر اليهم اذا اليوم ام يوم

القيامه اطول او لمنع دخول الملايكه البيت او لنجاسه على ما يراه الشافعي او
لاقتحام النهي عن اتخاذ ما لا منفعه والله اعلم وقال في احد الروايتين قيراطان
وفي الاخرى قيراط وذلك يحتمل ان يكون في نوعين من الكلاب احدهما اشد اذى
من الاخر كالاسود الذي امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله ولم يدخله في الاستثنا
حين نهى عن قتلها كما قال عليكم بالاسود البهيم ذي النقطتين فانه شيطان اخرجه
مسلم ويحتمل ان يكون ذلك لاختلاف المواضع فيكون ممسكه بالمدينه مثلا او
مكه ينقص قيراطان وبغيرها قيراط والله اعلم واما المباح اتخاذه فلا ينقص
اجر متخذه كالفرس والهر ويجوز بيعه وشراوه حتى قال سحنون ويحج بثمنه وكلب
الماشيه المباح اتخاذه عند مالك هو الذي يسرح معها لا الذي يحفظها في الدار
من السراق وكلب الزرع هو الذي يحفظه من الوحوش بالليل والنهار لا من
السراق وقد اجاز مالك اتخاذها لسراق الماشيه والزرع والدار في الباديه
في هذه الايه دليل على ان العالم له من الفضيله ما
ليس للجاهل لان الكلب اذا علم تكون له فضيله على ساير الكلاب والانسان اذا كان
له علم اولى ان يكون له فضل على ساير الناس لا سيما وان عمل بما علم وهذا كما روي عن
علي رضي الله عنه انه قال لكل شي قيمه وقيمه المرا ما يحسنه
قوله تعالى واذكروا اسم الله امر بالتسميه قيل عند الارسال على الصيد وفقه
الصيد والذبح في معنى التسميه واحد ياتي بيانه في الانعام ان شا الله تعالى
وقيل المراد بالتسميه هنا التسميه عند الاكل وهو الاظهر وفي الصحيح
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن ابي سلمه يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل
مما يليك وروي من حديث حذيفه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
ليستحل الطعام ان لا يذكر اسم الله عليه الحديث فان نسي التسميه اول الاكل

فليسم

فليبسم آخره روى النساى عن اميه بن مخشى وكان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا ياكل ولم يسم فلما كان فى اخر لقمه قال بسم الله اوله واخره فقال رسول الله صلى الله عليه ما زال الشيطان ياكل معه فلما سمى قاء ما اكل قوله تعالى

واتقوا الله امر بالتقوى على الجمله والاشاره القريبه هى ما تضمنته هذه الايات من الاوامر وسرعة الحساب هى من حيث كونه تعالى قد احاط بكل شى علما واحصى كل شى عددا فلا يحتاج الى محاوله عد ولا عقد كما يفعله الحساب ولهذا وكفى بنا حاسبين فهو سبحانه حاسب الخلايق دفعه واحده ويحتمل ان يكون وعيدا ليوم القيامه كانه قال ان حساب الله سريع اتيانه اذ يوم القيامه قريب ويحتمل ان يريد بالحساب المجازاه فكانه توعد فى الدنيا بمجازاه سريعه قريبه ان لم يتقوا الله اليوم احل لكم الطيبا

اى اليوم اكملت لكم دينكم واليوم احل لكم الطيبات فاعاد تاكيدا اى احل لكم الطيبات التى سالتم عنها وكانت الطيبات ابيحت للمسلمين قبل نزول هذه الايه فهذا جواب سوالهم اذ قالوا ماذا احل لنا وقيل اشاره بذكر اليوم الى وقت محمد صلى الله عليه وسلم كما يقال هذه ايام فلان اى هذا اوان فلان ظهوركم وشيوع الاسلام فقد اكملت بهذا دينكم واحللت لكم الطيبات وقد تقدم ذكر الطيبات فى الايه قبل هذا قوله تعالى وطعام

الذين اوتوا الكتاب حل لكم ابتدا وخبر والطعام اسم لما يوكل والذبايح منه وهو هنا خاص بالذبايح عند كثير من اهل العلم بالتاويل واما ما حرم علينا من طعامهم فليس يدخل تحت عموم الخطاب قال بن عباس قال الله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ثم استثنى فقال وطعام الذين اوتوا الكتا

الكلام في ذكر الايات ... قوله تعالى اليوم احل لكم الطيبات ...

حل لكم يعني ذبيحة اليهودي والنصراني وان كان يقول عند الذبح بسم المسيح
واليهودي باسم عزير وذلك لانهم يذبحون على الملة وقال عطا كل من ذبحه
وان قال بسم سرجين اسم كنيسة لهم وهو قول الزهري وربيعة والشعبي
ومكحول وروي عن صحابيين عن ابي الدردا وعبادة بن الصامت وقالت طايفة
اذا سمعت الكتابي يسمي غير الله عز وجل فلا تاكل وقال بهذا من الصحابة علي وعايشة
وبن عمر وهو قول طاوس والحسن متمسكين بقوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه وانه لفسق وقال مالك اكره ذلك ولم يحرمه قال الشيخ المولف
رحمه الله العجب من الكيا الطبري الذي حكى الاتفاق على جواز كل ذبيحة
اهل الكتاب ثم اخذ يستدل بهذا على ان التسمية على الذبيحة ليست
بشرط فقال ولا شك انهم لا يسمون على الذبيحة الا الاله الذي ليس
معبودا حقيقة مثل المسيح وعزير ولو سموا الاله حقيقة لم يكن
تسميتهم العبادة وانما كان على طريق اخر واشتراط التسمية لا على وجه
العبادة لا تعقل ووجود التسمية من الكافر وعدمها بمثابة واحدة اذا
لم تتصور منه العبادة ولان النصراني انما يذبح على اسم المسيح وقد حكم
الله بحل ذبايحهم مطلقا وفي ذلك دليل على ان التسمية لا تشترط اصلا كما
يقوله الشافعي وسياتي ما في هذا للعلما في الانعام ان شا الله تعالى
ولا خلاف بين العلما ان ما لا يحتاج الى ذكاة كالطعام الذي لا محالة فيه
كالفاكهة والبر جايز اكله اذ لا يضر فيه تملك احد والطعام الذي تقع فيه
محاولة على ضربين احدهما ما فيه محاولة صنعة لا تعلق للدين بها كخبز الدقيق
وعصير الزيت ونحوه فهذا ان تجنب من الذمي فعلى وجه التقزز والضرب
الثاني هي التذكية التي ذكرنا التي هي محتاجة الى الدين والنية فلما كان

٦

المقياس

الغياس انه تجوز ذبايحهم كما نقول انهم لا صلاه لهم ولا عباده مقبوله ر
الله تعالى فى ذبايحهم على هذه الامه واخرجنا النص عن القياس على ما ذكرناه
من قول ابن عباس والله اعلم   واختلف العلما ايضا فيما ذكوه هل
تعمل الذكاه فيما حرم عليهم اولا على قولين فالجمهور على انها عامله فى كل الذبيحه
ما احل له منها وما حرم عليه لانه مذكى وقالت جماعه من اهل العلم انما احل
لنا من ذبحهم ما حل لهم لان ما لا يحل لهم لا تعمل فيه تذكيتهم فمنعت هذه
الطايفه الطريف والشحوم المحضه من ذبايح اهل الكتاب وقصرت لفظ
الطعام على البعض وحملته الاولى على العموم فى جميع ما يوكل وهذا الخلاف
موجود فى مذهب مالك قال ابو عمر كره مالك شحوم اليهود واكل ما نحر
من الابل واكثر اهل العلم لا يرون بذلك باسا وسياتى هذا فى الانعام
ان شا الله تعالى وكان مالك رحمه الله يكره ما ذبحوه اذا وجد ما ذبحه
المسلم وكره ان يكون لهم اسواق يبيعون فيها ما يذبحون وهذا منه
رحمه الله تنزه   واما المجوس فالعلما مجمعون الا من شذ منهم
على ان ذبايحهم لا توكل ولا يتزوج منهم لانهم ليسوا اهل كتاب على
المشهور عند العلما ولا باس باكل طعام من لا كتاب له كالمشركين
وعبده الاوثان ما لم يكن من ذبايحهم ولم يحتج الى ذكاه الا الجبن لما فيه
من انفحه الميته فان كان ابو الصبى مجوسيا وامه كتابيه حكمه حكم ابيه عند
مالك وعند غيره لا توكل ذبيحه الصبى اذا كان احد ابويه ممن لا
تجوز ذبيحته   واما نصارى بنى تغلب وذبايح كل
دخيل فى اليهوديه فكان على بن ابى طالب رضى الله عنه ينهى عن ذبايح
بنى تغلب لانهم عرب ويقول انهم لم يتمسكوا بشى من النصرانيه الا

بشرب الخمر وهو قول الشافعي وعلى هذا فليس ينهى عن ذبايح النصارى المحققين منهم وقال الجمهور الامة ان ذبيحة كل نصراني حلال سوا كان من بني تغلب وغيرهم وكذلك اليهودي واحتج ابن عباس بقوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم فلو لم يكن بنو تغلب من النصارى الا بتوليهم اياهم لاكلت ذبايحهم ولا باس بالاكل والشرب والطبخ في انيه الكفار كلهم ما لم تكن ذهبا او فضه او جلد خنزير بعد ان تغسل وتغلى لانهم لا يتقون النجاسات ويأكلون الميتات فاذا طبخوا في تلك القدر تنجست وربما سرت النجاسات في اجزا قدور الفخار فاذا طبخ فيها بعد ذلك توقع مخالطه تلك الاجزا النجسه للمطبوخ في القدر ثانيه فاقتضى الورع الكف عنها وروي عن ابن عباس انه قال ان كان الانا من نحاس او حديد غسل وان كان من فخار اغلي فيه الما ثم غسل هذا اذا احتيج اليه وقال مالك فاما ما يستعملونه لغير الطبخ فلا باس باستعماله من غير غسل لما روى الدارقطني عن عمر انه توضى من بيت نصراني في حق نصرانيه وهو صحيح وسياتي في الفرقان بكماله ان شا الله تعالى وفي صحيح مسلم من حديث ابي ثعلبه الخشني قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انا بارض قوم اهل كتاب ناكل في انيتهم وارض صيد اصيد بقوسي واصيد بكلبي المعلم وبكلبي الذي ليس بمعلم فاخبرني ما الذي يحل لنا من ذلك قال اما ما ذكرت انكم بارض قوم اهل كتاب تاكلون في انيتهم فان وجدتم غير انيتهم فلا تاكلوا فيها وان لم تجدوا فاغسلوها ثم كلوا فيها وذكر الحديث قوله تعالى وطعامكم حل لهم دليل على انهم مخاطبون بتفاصيل شرعنا اي اذا اشتروا منا اللحم يحل لهم ويحل

لنا الثمن

لنا الخمر الماخود منهم قوله تعالى والمحصنات
من المومنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم الاية
قد تقدم معناها في البقرة والنسا والحمد لله رب العالمين وروي
عن ابن عباس في قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب هو
على العهد دون اهل الحرب فيكون خاصا وقال غيره يجوز نكاح الذمية
والحربية بعموم الاية وروى عن ابن عباس انه قال المحصنات
العفيفات الغافلات وقال الشعبي هو ان تحصن فرجها فلا تزني
وتغتسل من الجنابة وقرا الشعبي والمحصنات بكسر الصاد وبه قرا
الكسائي وقال مجاهد المحصنات الحراير قال ابو عبيد يذهب
الى انه لا يحل نكاح اما اهل الكتاب لقول الله عز وجل فمما ملكت
ايمانكم من فتياتكم المومنات وهذا القول الذي عليه جلة العلما
قوله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله لما قال تعالى
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب قال نسا اهل الكتاب لولا
ان الله تعالى رضي دينا لم يبح لكم نكاحنا فنزلت ومن يكفر بالايمان
اي بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابو الهيثم الباء صلة اي ومن
يكفر الايمان اي يجحده فقد حبط عمله قال العلما اي اجر عمله وثوابه لا
الكفر وان وقع نعوذ بالله منه واحبط ما تقدم من ايمانه فليس
ينقلب الموجود منه معدوما من اصله وانما يحبط اجره ويبطل ثوابه
وفي اجماع المسلمين على اثبات الردة ما دل على ثبوت الايمان قبله فبان بهذا
ان الكفر اذا طرا على الايمان قطعه من حين وجد لا ان ما مضى يحبط ا...
لا ان عينه تحبط فيصير كان لم يكن وينقلب الموجود منه حقيقة

بعد وما وهذا واصح وقوله ابن المسيب لقد احبط بنعم الله وقيل لما ذكرت فرايض واحكام يلزم القيام بها ذكر الوعيد على مخالفتها لما في ذلك من تاكيد الزجر عن تضييعها وروي عن ابن عباس ومجاهد ان المعنى ومن يكفر بالله قال الحسين بن الفضل ان صحت هذه الروايه فمعناها برب الايمان وقال الشيخ ابو الحسن الاشعري ويجوز ان يسمى الله ايمانا خلافا للحشويه والسالميه لان الايمان مصدر امن يومن ايمانا واسم الفاعل منه مومن والايمان التصديق والتصديق لا يكون الا كلاما ويجوز ان يكون الباري تعالى كلاما

لام

يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاه الى قوله لعلكم تشكرون فيه ثلاثه وثلاثون مسئله ذكر القشيري وابن عطيه ان هذه الايه نزلت في قصه عايشه حين فقدت العقد في غزوه المريسيع وهي ايه الوضوء قال ابن عطيه لكن من حيث كان الوضوء متقررا عندهم مستعملا فكان الايه لم تزدهم الا تلاوته وانما اعطتهم الفايده والرخصه في التيمم وقد ذكرنا في ايه النسا خلاف هذا فالله اعلم ومضمون هذه الايه داخل فيما امر به من الوفا بالعقود واحكام الشرع وفيما ذكر من اتمام النعمه فان هذه الرخصه من اتمام النعم واختلف العلما في المعنى المراد بقوله اذا قمتم الى الصلاه على اقوال فقالت طايفه هذا لفظ عام في كل قيام الى الصلاه سوا كان القيام متطهرا او محدثا فانه ينبغي له اذا قام الى الصلاه يتوضا وكان علي يفعله ويتلوا هذه الايه ذكره ابو محمد الدارمي في مسنده وروي نحوه عن عكرمه وقال ابن سيرين كان الخلفا يتوضون لكل صلاه قال الشيخ المولف رحمه الله فالايه على هذا محكمه لا نسخ فيها وقالت طايفه الخطاب خاص بالنبي صلى الله وسلم قال عبد الله بن حنظله بن ابي عامر الغسيل ان النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم امر بالوضو عند كل صلاه فشق ذلك فامر بالسواك ورفع عنه الوضو
الا من حدث وقال علقمه بن الفغوا عن ابيه وهو من الصحابه وكان دليل رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك نزلت هذه الايه رخصه لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لانه كان لا يعمل عملا الا وهو على وضو لا يكلم احدا ولا يرد سلاما
الى غير ذلك فاعلمه الله بهذه الايه ان الوضو انما هو الى القيام الى الصلاه
فقط دون سائر الاعمال وقالت طايفه المراد بالايه الوضو لكل صلاه طلب
الفضل وحملوا الامر على الندب وكان كثير من الصحابه منهم ابن عمر يتوضون
لكل صلاه طلب الفضل وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك الى ان
جمع الفتح بين الصلوات الخمس بوضو واحد ارادة البيان لامته صلى
الله عليه وسلم قال الشيخ المولف رحمه الله وظاهر هذا القول
ان الوضو لكل صلاه قبل ورود الناسخ كان مستحبا لا ايجابا وليس
كذلك فان الامر اذا ورد مقتضاه الوجوب لا سيما عند الصحابه
رضوان الله عليهم على ما هو معروف من سيرتهم وقال اخرون ان
الفرض في الوضو كان لكل صلاه ثم نسخ في فتح مكه وهذا غلط لحديث
انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضا لكل صلاه وان امته كانت
على خلاف ذلك وسياتي الحديث سويد بن النعمان ان النبي صلى الله عليه
وسلم صلى وهو باصحابه العصر والمغرب بوضو واحد وذلك في غزوة
خيبر وهي سنه ست وقيل سنه سبع وفتح مكه كان في سنه ثمان
وهو حديث صحيح رواه مالك في موطيه واخرجه البخاري ومسلم فبان
بهذين الحديثين ان الفرض لم يكن قبل الفتح لكل صلاه فان قيل فقد روى
مسلم عن بريده بن الحصيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضا لكل

صلاة فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات بوضوء واحد ومسح على خفيه
فقال عمر رضي الله عنه لقد صنعت اليوم شيا لم تكن صنعته فقال عمدا
صنعته يا عمر فلم يسأله عمر واستفهمه قيل له انما ساله لمخالفة عادته منذ
صلاته بخيبر والله اعلم وروي الترمذي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يتوضا لكل صلاة طاهرا وغير طاهر قال حميد قلت لانس وكيف تصنعون
انتم قال كنا نتوضا وضوا واحدا قال الحديث حسن صحيح وروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال الوضوء على الوضوء نور فكان عليه الصلاة والسلام
يجدد لكل صلاة وقد سلم عليه رجل وهو يبول فلم يرد عليه حتى تيمم ثم
رد السلام وقال اني كرهت ان اذكر الله الا على طهر رواه الدارقطني وقال
السدي وزيد بن اسلم معنى الاية اذا قمتم الى الصلاة يريد من المضاجع يعني
النوم والمقصد بهذا التاويل ان يعم الاحداث بالذكر ولاسيما النوم
الذي هو مختلف فيه هل هو حدث في نفسه ام وفي الاية على هذا التاويل تقديم
وتاخير التقدير يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة من النوم او جا احد من الغائط
او لامستم النسا يعني الملامسة الصغرى فاغسلوا فتمت احكام المحدث حدثا
اصغر ثم قال وان كنتم جنبا فاطهروا فهذا حكم نوع اخر ثم قال للنوعين جميعا
وان كنتم مرضى او على سفر فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا وقال بهذا التاويل
محمد بن مسلمة من اصحاب مالك رحمه الله وغيره وقال الجمهور اهل العلم معنى الاية
اذا قمتم الى الصلاة محدثين وليس في الاية على هذا تقديم وتاخير بل ترتب في
الاية حكم واحد الما الى فاطهروا ودخلت الملامسة الصغرى في قوله محدثين
ثم ذكر بعد قوله وان كنتم جنبا فاطهروا وحكم عادم الما من النوعين جميعا
وكانت الملامسة هي الجماع ولا بد ان يذكر الجنب العادم للما كما ذكر الواجد

وهذا

وهذا تاويل الشافعي وغيره عليه فجمع اقوال الصحابه لسعد بن ابي وقاص وبن
عباس وابي موسى الاشعري وغيرهم قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا التاو . بلان
احسن ما قيل في الايه والله اعلم ومعنى اذا قمتم اذا اردتم كما قال واذا قرات
القران فاستعذ بالله اي اذا اردت لان الوضوء حاله القيام الى الصلاه لا
يمكن قوله تعالى فاغسلوا وجوهكم ذكر الله تعالى اربعه اعضا الوجه
وفرضه الغسل واليدين كذلك والراس المسح اتفاقا واختلف في الرجلين على
ما ياتي لم يرتب لرسوها ... لذلك على ان ما عداها اداب وسنن ولا بد في
غسل الوجه في الوضوء من نقل الما اليه وامرار اليد عليه وهذه حقيقه
الغسل عندنا وقد بيناه في النسا والحمد لله وقال غيرنا انما عليه اجرا
الما وليس عليه ذلك بيده ولا شك انه اذا انغمس الرجل في الما وغمس وجهه
او يده ولم يدلك يقال غسل وجهه ويده ومعلوم انه لا يعتبر في ذلك غير
حصول الاسم فاذا حصل كفى والوجه في اللغه ماخوذ من المواجهه وهو
عضو مشتمل على اعضا وله طول وعرض فحده في الطول من مبتدا سطح
الجبهه التي منتهى اللحيين ومن الاذن الى الاذن في العرض وهذا في الامرد واما
الملتحي فاذا اكتسى الذقن بالشعر فلا يخلو ان يكون خفيفا او كثيفا فان كان
الاول بحيث تبين معه البشره فلا بد من ايصال الما اليها وان كان كثيفا فقد
انتقل الفرض اليه كشعر الراس ثم ما زاد على الذقن من الشعر واسترسل من
اللحيه فقال سحنون عن ابن القاسم سمعت مالكا سيل هل سمعت بعض
اهل العلم يقول ان اللحيه من الوجه فليمر عليها الما قال نعم وتخليلها في الوضوء
ليس من امر الناس وعاب ذلك على من فعله وذكر ابن القاسم ايضا عن مالك
قال يحرك المتوضي ظاهر لحيته من غير ان يدخل يده فيها قال وهي مثل اصابع

الرجلين قال بن عبد الحكم تخليل اللحيه واجب في الوضوء والغسل قال ابو عمر وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خلل لحيته في الوضوء من وجوه كلها ضعيفه
وذكر بن خواز منداد ان الفقها اتفقوا على ان تخليل اللحيه ليس بواجب في
الوضوء الا شي روي عن سعيد بن جبير قوله ما بال الرجل يغسل لحيته قبل ان
تنبت فاذا انبتت لم يغسلها وما بال الامرد يغسل ذقنه ولا يغسله ذو اللحيه
قال الطحاوي التيمم واجب وفيه مسح البشره قبل نبات الشعر في الوجه ثم سقط
بعده عن جميعهم فذلك الوضوء قال ابو عمر من جعل غسل اللحيه كلها واجبا
جعلها وجها لان الوجه ماخوذ من المواجهه والله تعالى امر بغسل الوجه امرا
مطلقا لم يخص صاحب لحيه من امرد فوجب غسلها بظاهر القران لانها
بدل من البشره قال الشيخ المولف رحمه الله واختار هذا القول بن العربي وقال
وبه اقول لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يغسل لحيته اخرجه الترمذي
وغيره فعين المحتمل بالفعل وحكى بن المنذر عن اسحق ان من ترك تخليل لحيته
عامدا اعاد وروي الترمذي عن عثمان بن عفان ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يخلل لحيته قال هذا حديث حسن صحيح قال ابو عمر ومن لم يوجب
غسل ما انسدل من اللحيه ذهب الى ان الاصل المامور بغسله البشره فوجب
غسل ما ظهر فوق البشره وما انسدل من اللحيه ليس تحته ما يلزم غسله فيكون
غسل اللحيه بدلا منه واختلفوا ايضا في غسل ما وراء العذار الى الاذن
فروى بن وهب عن مالك قال ليس ما خلف الصدغ الذي من وراء شعر اللحيه
الى الذقن من الوجه قال ابو عمر لا اعلم احدا من فقها الامصار قال بما
رواه بن وهب عن مالك وقال ابو حنيفه واصحابه البياض بين العذار
والاذن من الوجه وغسله واجب ونحو قول الشافعي واحمد وقيل يغسل

البياض

البياض استحبابا قال ابن العربي والصحيح عندي انه لا يلزم غسله لا للالتحي ولا للمعذر قال الشيخ المولف رحمه الله وهو اختيار القاضي عبد الوهاب
وسبب الخلاف هل يقع عليه المواجهة ام لا والله اعلم وسبب هذا الاحتمال
اختلفوا هل يتناول الامر بغسل الوجه باطن الانف والفم فذهب
احمد بن حنبل واسحق وغيرهما الى وجوب ذلك في الوضو والغسل الا ان احمد
قال يعيد من ترك الاستنشاق في وضوه ولا يعيد من ترك المضمضة وقال
عامة الفقها هما سنتان في الوضو والغسل لان الامر انما يتناول الظاهر
دون الباطن والعرب لا تسمي وجها الا ما وقعت به المواجهة ثم ان الله تعالى
لم يذكرهما في كتابه ولا اوجبهما المسلمون ولا اتفق الجميع عليه والفرايض لا
تثبت الا من هذه الوجوه وقد مضى هذا المعنى في النسا واما العينان
فالناس كلهم مجمعون على ان داخل العينين لا يلزم غسله الا ما يروى
عن عبد الله بن عمر انه كان ينضح الما في عينيه وانما سقط غسلهما للتاذي
بذلك والحرج به ابن العربي ولذلك كان عبد الله بن عمر لما عمي يغسل عينيه
اذ كان لا يتاذى بذلك واذا تقرر هذا من حكم الوجه فلا بد من غسل جزو
من الراس مع الوجه من غير تحديد كما لا بد على القول بوجوب عموم الراس
من مسح جز معه من الوجه لا يتقدر وهذا ينبني على اصل من اصول الفقه
وهو ان ما لا يتم الواجب الا به واجب مثله والله اعلم
وجمهور العلما على ان الوضو لا بد فيه من نية لقول النبي صلى الله عليه وسلم
انما الاعمال بالنيات قال البخاري فدخل فيه الايمان والوضو والصلاه والزكا
والحج والصوم والاحكام وقال الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته يعني على نيته
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ولكن جهاد ونية وقال غير من الشافعية لا حاجة

الى النيه وهو قول الحنفيه قالوا لا تجب النيه الا في الفروض التي هي مقصوده
لاعيانها ولم تجعل سببا لغيرها فاما ما كان شرطا لصحة فعل اخر فليس يجب
ذلك فيه بنفس ورود الامر الا بدلاله تقارنه فالطهاره شرط فان من لا
صلاه لا يجب عليه فرض الطهاره كالحايض والنفسا احتج علماونا وبعض
الشافعيه بقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاه فاغسلوا وجوهكم فلما اوجب فعل
الغسل كانت النيه لفعل لاجله لان الفرض من قبل الله تعالى فينبغي ان يجب فعل ما امر
الله به فاذا قلنا ان النيه لا تجب عليه لم يجب عليه القصد الى فعل ما امر الله تعا
لي ومعلوم ان الذي اغتسل تبردا او لغرض ما قصد اداء الواجب وصح في الحديث
ان الوضوء يكفر فلو صح بغير نيه لما كفر وقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا
مخلصين له الدين   قال بن العربي قال بعض علماينا ان من خرج الى
النهر بنيه الغسل اجزاه وان عزبت نيته في الطريق ولو خرج الى الحمام فعزبت
في اثنا الطريق بطلت النيه قال القاضي ابو بكر بن العربي رضي الله فركب على
هذا سفسفة المفتين ان نيه الصلاه تخرج على القولين واوردوا فيها نصا
عن من لا يفرق بين الظن واليقين بانه قال يجوز ان يتقدم فيها النيه على التكبير وما
لله ويا للعالمين من امه ارادت ان تكون مفتيه بجهالة مجتهد لها وفقها الله ولا اسددها
اعلموا رحمكم ان النيه في الوضوء مختلف في وجوبها بين العلما وقد اختلف فيها قول مالك
فلما نزلت عن مرتبه الاتفاق سومح في تقديمها في بعض المواضع فاما الصلاه لم يختلف
احد من العلماء في الانيه فيها وهي اصل مقصود فكيف يحمل الاصل المقصود
المتفق عليه على الاصل لفرع التابع المختلف فيه هل هذا لا غايه الغباوه
واما الصوم فان الشرع دفع الحرج فيه لما كان ابتداوه في وقت الغفله بتقدم
النيه عليه   قوله تعالى وايديكم الى المرافق اختلف الناس في

دخول المرافق في التحديد فقال قوم نعم لان ما بعد الى اذا كان من نوع ما
قبلها دخل فيه قال سيبويه وغيره وقد مضى هذا في البقرة مبينا والحمد لله
وقيل لا تدخل المرفقان في الغسل والروايتان مرويتان الثانية لاشهب والاولى
عليها اكثر العلما وهو الصحيح لما رواه الدارقطني عن جابر ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا توضا ادار الما على مرفقيه وقد قال بعضهم ان الى بمعنى مع كقولهم
الذود الى الذود ابل اي مع الذود وهذا لا يحتاج اليه كما بيناه في النسا
ولان اليد عند العرب تقع على اطراف الاصابع الى الكف وكذلك الرجل
تقع على الاصابع الى اصل الفخذ فالمرفق داخل تحت اسم اليد فلو كان المعنى
مع المرافق لم يفد فلما قال الى اقتطع من حد المرفق عن الغسل وتبقت المرافق مغسوله
الى الظفر وهذا كلام صحيح يجري على الاصول لغة ومعنى قال ابن العربي
وما فهم احد مقطع المسئلة الا القاضي ابا محمد فانه قال ان قوله الى
المرافق حد للمتروك من اليدين لا للمغسول فيهما ولذلك تدخل المرافق
في الغسل قال الشيخ المولف رحمه الله ولما كان اليد والرجل ينطلق في
اللغة على ما ذكرنا كان ابو هريرة يبلغ بالوضو ابطه وساقه ويقول سمعت
خليلي صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المومن حيث يبلغ الوضو
قال القاضي عياض والناس مجمعون على خلاف هذا والا يتعدا بالوضو
حدوده لقوله صلى الله عليه وسلم فمن زاد فقد تعدى وظلم قال غيره
كان هذا الفعل مذهب له ومما انفرد به ولم يحكه عن النبي صلى الله عليه
وسلم وانما استنبطه من قوله صلى الله عليه وسلم انتم الغر المحجلون ومن قوله
صلى الله عليه وسلم تبلغ الحلية كما ذكرنا قوله تعالى وامسحوا
برؤسكم قد تقدم في النسا ان المسح لفظ مشترك واما الراس فهو عبارة

عن الجلد التي يعلمها الناس ضرورة ومنها الوجه مما ذكر الله عز وجل في الوضو
وعين الوجه للغسل بقي ما فيه للمسح ولو لم يذكر الغسل للزم مسح جميعه ما عليه
شعر من الراس وما فيه العينان والانف والفم وقد اشار مالك في وجوب
مسح الراس الى ما ذكرناه فانه سيل عن الذي يترك بعض راسه في الوضو فقال
ارايت ان ترك بعض وجهه اكان يجزيه ووضح بهذا الذي ذكرناه ان الاذنين
من الراس وان حكمهما حكم الراس خلافا للزهري حيث هما من الوجه يغسلان معه
وخلافا للشعبي حيث ما اقبل منهما من الوجه وظاهرهما من الراس وهو قول
الحسن واسحق وحكاه ابن ابي هريرة عن الشافعي وسياتي بيان حكمهما وانما
سمي الراس راسا لعلوه ونبات الشعر فيه ومنه راس الجبل وانما قلنا ان
الراس اسم لجملة اعضا لقول الشاعر   اذا احتملوا راسي وفي الراس
اكثري   وغودر عند الملتقى ثم سايري   واختلف العلما في
تقدير مسحه على احد عشر قولا ثلاثة لابي حنيفة وقولان للشافعي وستة
اقوال لعلمائنا والصحيح منها واحد وهو وجوب تعميمه لما ذكرناه
واجمع العلما على ان من مسح راسه كله فقد احسن وفعل ما يلزمه والبا مؤكدة
زايدة ليست للتبعيض والمعنى وامسحوا رؤوسكم وقيل دخولها هنا كدخولها
في التيمم في قوله فامسحوا بوجوهكم فلو كان معناها التبعيض لافادته في ذلك
الموضع وهذا قاطع وقيل انما دخلت لتفيد معنا بديعا وهو ان الغسل لغة
يقتضي مغسولا والمسح لغة لا يقتضي ممسوحا به فلو قال وامسحوا رؤوسكم لاجزا
المسح باليد امرارا من غير شي على الراس فدخلت البا لتفيد ممسوحا به وهو الما
فكانه قال وامسحوا برؤوسكم الما وذلك فصيح في اللغة على وجهين اما على القلب كما
انشد سيبويه   كنواح ريش حمامة نجدية   ومسحت باللثتين عصف الاثمد

والله

والليته هي الممسوحه بعصف الائمه للغلب واما على الاشتراك في الفعل والتساوي
في نسبته كقول الشاعر مثل القنافد هداجون قد بلغت نجران او بلغت
سوآتهم هجر فهذا ما العلما بنا في معنى البا وقال الشافعي احتمل قول الله عز وجل
فامسحوا برؤسكم بعض الراس ومسح جميعه فدلتنا السنه ان مسح بعضه يجزي وهو
ان النبي صلى الله عليه وسلم مسح بناصيته وقال في موضع اخر فان قيل قد قال الله عز وجل
فامسحوا بوجوهكم في التيمم ايجزي بعض الوجه فيه قيل له مسح الوجه في التيمم بدل من
غسله فلا بد ان ياتي بالمسح على جميع موضع الغسل منه ومسح الراس اصل فهذا فرق
ما بينهما اجاب علما ونا عن الحديث بان قالوا لعل النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك لعذر
لا سيما وكان هذا الفعل منه صلى الله عليه وسلم في السفر وهو مظنه الاعذار
وموضع الاستعجال والاختصار وحذف كثير من الفرايض لاجل المشقات والاخطار
ثم هو لم يكتف بالناصيه حتى مسح على العمامه اخرجه مسلم من حديث المغيره
بن شعبه فلو لم يكن مسح جميع الراس واجبا لما مسح على العمامه والله اعلم
وجمهور العلما على ان مسحه واحده موعبه كامله تجزي وقال
الشافعي يمسح راسه ثلاثا وروي عن انس وسعيد بن جبير وعطا وكان ابن
سيرين يمسح مرتين قال ابو داود احاديث عثمان الصحاح كلها تدل على مسح
الراس انه مره فانهم ذكروا الوضو ثلاثا قالوا فيها ومسح براسه لم يذكروا
عددا واختلفوا من اين يبدا بمسحه فقال مالك يبدا بمقدم
راسه ثم يذهب بيديه الى موخره ثم يردهما الى مقدمه على حديث عبد الله
بن زيد اخرجه مسلم وبه يقول الشافعي وابن حنبل وكان الحسن بن حي يقول يبدا
بموخر الراس على حديث الربيع بنت معوذ بن عفرا وهو حديث مختلف في الفاظه
وهو يدور على عبد الله بن محمد بن عقيل وليس بالحافظ عندهم اخرجه ابو داود

من رواية بشر بن المفضل عن عبد الله عن الربيع وروي بن عجلان عنه عن الربيع
رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا ذلك اليوم عندنا فمسح الراس كله من قرن الشعر
كل ناحية بمنصب الشعر لا يحرك الشعر عن هيئته وروية هذه الصفة عن
بن عمرو وانه كان يبدا من وسط راسه واصح ما في هذا الباب حديث عبد الله
بن زيد وكل من اجاز بعض الراس فانما يرى ذلك البعض في مقدم الراس وروي
عن ابراهيم والشعبي قالا اي نواحي راسك مسحت اجزا عنك ومسح بن عمر
اليافوخ فقط والاجماع منعقد على استحسان باليدين معا وعلى هذا الاجزا ان
مسح بيد واحدة واختلف في من مسح باصبع واحدة حتى عم ما يرى انه يجزيه
من الراس فالمشهور ان ذلك يجزي وهو قول سفين الثوري ان مسح راسه باصبع
واحدة اجزاه وقيل ان ذلك لا يجزي لانه خروج عن سنة المسح وكانه لعب الا
ان يكون ذلك عن ضرورة مرض فينبغي الا يختلف في الاجزا قال ابو حنيفة وابو
يوسف ومحمد لا يجزي مسح الراس باقل من ثلاثة اصابع واختلفوا في رد اليدين
على شعر الراس هل هو فرض او سنة بعد الاجماع على ان المسحة الاولى فرض بالقران
فالجمهور على انه سنة وقيل هو فرض فلو غسل متوضي راسه
بدل المسح فقال بن العربي لا نعلم خلافا ان ذلك يجزيه الا ما اخبرنا الامام
فخر الاسلام الشاشي في الدرس عن ابي العباس بن العاص من اصحابهم قال لا يجزيه
وهذا تولج في مذهب الداودية الفاسد من اتباع الظاهر المبطل للشريعة
التي ذم الله سبحانه في قوله يعلمون ظاهرا من الحياة وقال ام بظاهر من القول
والا فقد جاء هذا الغاسل بما امر وزيادة فان قيل هذه زيادة خرجت عن
اللفظة المتعبد به قلنا ولم تخرج من معناه وفي ايصال الفعل الى المحل وكذلك
لو مسح راسه حلقه لم يكن عليه اعادة المسح واما الاذنان فهما من

الراس

الراس عند ملك واحمد والثوري وابي حنيفه وغيرهم ثم اختلفوا في
حد بد الما قال ملك واحمد يستانف لهما ما جديدا سوى الما الذي
مسح به الراس على ما فعل بن عمر وهذا قال الشافعي في تجديد الما وقال
هما سنه على حيالهما لا من الوجه ولا من الراس لاتفاق العلما على انه لا يحلق
ما عليهما من الشعر في الحج وقول ابي ثور في هذا كقول الشافعي وقال الثوري
وابو حنيفه يمسحان مع الراس بما واحد وروي عن جماعه من السلف
مثل هذا القول من الصحابه والتابعين وقال داود ان مسح اذنيه فحسن
والا فلا شي عليه اذ ليستا مذكورتين في القران قيل له اسم الراس تضمنهما
كما بيناه وقد جات احاديث صحيحه في كتاب النساي وابي داود وغيرهما
بان النبي صلى الله وسلم مسح ظاهرهما وباطنهما وادخل اصابعه في صماخيه
وانما يدل عدم ذكرهما من الكتاب على انهما ليسا بفرض كغسل الوجه
واليدين وثبتت سنه مسحهما بالسنه واهل العلم يكرهون للمتوضي ترك
مسح اذنيه ويجعلونه تارك سنه من سنن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يوجبون
عليه اعاده الا اسحق فانه قال ان ترك مسح اذنيه لم يجزه وقال احمد ان
تركهما عمدا احببت ان يعيد وروي عن علي بن زياد من اصحاب ملك انه قال
من ترك سنه من سنن الوضوا والصلاه عامدا اعاد وهذا عند الفقها ضعيف
وليس لقايله سلف ولا له حظ من النظر ولو كان كذلك لم يعرف الفرض
الواجب من غيره والله اعلم احتج من قال هما من الوجه بما ثبت عن النبي صلى الله
صلى الله عليه وسلم انه يقول في سجوده سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق
سمعه وبصره فاضاف السمع الى الوجه فثبت ان يكون لهما حكم الوجه وفي
مصنف ابي داود من حديث عمر تغسل بطونهما وظهورهما مع واحده ثم

غسل رجليه ثم قال اين السايلون عن الوضوء هكذا رايت رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم يتوضا اصح من قال بغسل ظاهرهما مع الوجه وباطنهما يمسح
مع الراس ان الله عز وجل قد امر بغسل الوجه وامر بمسح الراس فما واجهك
من الاذنين وجب غسله لانه من الوجه وما لم يواجهك وجب مسحه لانه من
الراس وهذا يرده الاثار بان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمسح ظاهر اذنيه وبا
طنهما من حديث علي وعثمن وبن عباس والربيع وغيرهم احتج من قال هما من الراس
بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الصنابحي فاذا مسح راسه خرجت الخطايا
من راسه حتى تخرج من اذنيه الحديث اخرجه مالك
قوله تعالى وارجلكم قرانافع وبن عامر والكساي وارجلكم بالنصب وروي
الوليد بن مسلم عن نافع انه قرا بالرفع وهي قراه الحسن والاعمش وسليمان
وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزه وارجلكم بالخفض وبحسب هذه القرات
اختلف الصحابه والتابعون فمن قرا بالنصب جعل العامل اغسلوا وبنى على
ان الفرض في الرجلين الغسل دون المسح وهذا مذهب الجمهور والكافه من العلما
وهو الثابت من فعل النبي صلى الله عليه وسلم واللازم من قوله في غير ما حديث
وقد راي قوما يتوضون واعقابهم تلوح فنادا باعلا صوته صلى الله عليه
وسلم ويل للاعقاب من النار اسبغوا الوضوء ثم ان الله تعالى حدهما فقال
الى الكعبين كما قال في اليدين الى المرفقين فدل على وجوب غسلهما والله اعلم ومن قرا
بالخفض جعل العامل البا قال بن العربي اتفقت الامه على وجوب غسلهما وما
علمت من رد ذلك الا الطبري من فقها المسلمين والرافضه من غيرهم وتعلق الطبري
بقراه الخفض قال الشيخ المولف رحمه قد روي عن بن عباس رضي الله عنه انه قال
الوضوء غسلتان ومسحتان وروي ان الحجاج خطب بالاهواز فذكر الوضوء فقال

اغسلوا

اغسلوا وجوهكم وايديكم وامسحوا برؤسكم وارجلكم فانه ليس شي من ابن ادم اقرب
من خبثه من قدميه فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما فسمع ذلك
انس بن مالك فقال صدق الله وكذب الحجاج قال الله تعالى وامسحوا برؤسكم وارجلكم
قال وكان اذا مسح رجليه بلهما وروي عن انس رضي الله عنه ايضا انه قال نزل
القران بالمسح والسنة بالغسل وكان عكرمة يمسح على رجليه وقال ليس في
الرجلين غسل انما نزل فيهما المسح وقال عامر الشعبي نزل جبريل عليه السلام بالمسح
ثم قال الا ترى ان التيمم يمسح فيه ما كان غسلا ويلغى ما كان مسحا وقال قتادة افترض
الله غسلين ومسحين وذهب ابن جرير الطبري الى ان فرضهما التخيير بين الغسل
والمسح وجعل القراءتين كالروايتين قال النحاس ومن احسن ما قيل فيه ان المسح والغسل
واجبان جميعا فالمسح واجب على قراءة من قرا بالخفض والغسل واجب على قراءة من قرا بالنصب
والقراءتان بمنزلة ايتين قال ابن عطية وذهب قوم ممن يقرا بالكسر الى ان المسح في
الرجلين هو الغسل قال الشيخ المولف رحمه الله وهو الصحيح فان لفظ المسح
مشترك يطلق بمعنى الغسل قال الهروي الاوزاعي ابو بكر محمد بن عثمان بن سعيد
الداري عن ابي حاتم عن ابي زيد الانصاري قال المسح في كلام العرب يكون غسلا
ويكون مسحا ومنه يقال للرجل اذا توضا فغسل اعضاه قد تمسح ويقال مسح الله
ما بك اذا غسلك وطهرك من الذنوب فاذا ثبت بالنقل عن العرب ان
المسح يكون بمعنى الغسل فيترجح قول من قال ان المراد بقراءة الخفض بقراءة النصب
التي لا احتمال فيها وبكثرة الاحاديث الثابتة بالغسل والتوعد على ترك غسلها في
اخبار صحاح لا تحصى كثرة اخرجها الايمة ثم ان المسح في الراس انما دخل بين ما يغسل
لبيان الترتيب على انه مفعول قبل الرجلين التقدير فاغسلوا وجوهكم وايديكم
الى المرافق وارجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم فلما كان الراس مفعولا قبل

الرجلين قدم عليها في التلاوة والله اعلم لانهما يشتركان مع الراس لتقدمه عليهما
في صفة التطهير وقد روي عن عاصم بن كليب عن ابي عبد الرحمن السلمي قال قرا الحسن
والحسين رحمة الله عليهما علي وارجلكم فسمع علي ذلك وكان يقضي بين الناس فقال
وارجلكم هذا من المقدم والموخر من الكلام وروى ابو اسحق عن الحارث عن علي رضي الله
عنه قال اغسلوا الاقدام الى الكعبين وكذا روي عن ابن مسعود وابن عباس انهما
قرءا وارجلكم بالنصب وقد قيل ان الخفض في الرجلين انما جا مقيدا لمسحهما اذا
كان عليهما خفان وتلقينا هذا القيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم بفعله
الحال التي يغسل فيه الرجل والحال التي يمسح فيه وهذا حسن فان قيل المسح على
الخفين منسوخ بسورة المائدة وقد قاله ابن عباس ورد المسح ابو هريرة وعايشة
وانكره مالك فالجواب ان من نفى شيا واثبته غيره فلا حجة للنافي وقد اثبت المسح
على الخفين عدد كثير من الصحابة وغيرهم وقد قال الحسن حدثني سبعون رجلا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم انهم مسحوا على الخفين وقد ثبت بالنقل الصحيح عن همام قال
بال جرير ثم توضا ومسح على خفيه قال ابرهيم النخعي وان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بال ثم توضا ومسح على خفيه قال ابرهيم كان يعجبهم هذا الحديث لان اسلام جرير
كان بعد نزول المائدة وهذا نص يرد ما ذكروه وما احتجوا به من رواية الوا
قدي عن عبد الحميد بن جعفر عن ابيه ان جريرا اسلم في سنة عشر من شهر رمضان
وان وان المائدة نزلت في ذي الحجة يوم عرفة وهذا حديث لا يثبت لوهاه
وانما نزل منها يوم عرفة اليوم اكملت لكم دينكم على ما تقدم وقال احمد بن حنبل
انا استحسن حديث جرير في المسح على الخفين لان اسلامه كان بعد نزول المائدة
واما ما روي عن ابي هريرة وعايشة فلا يصح اما عايشة فلم يكن عندها بذلك
علم ولذلك ردت السائل الى علي رضي الله عنه واحالته عليه فقالت سله فانه

بان بيا فرمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث واما مالك فما روى عنه في
الانكار فهو منكر لا يصح والصحيح ما قاله عند موته لابن نافع قال الا اني لست
احد في خاصه نفسي بالطهور ولا ادري من مسح مقصرا فيما يجب عليه وعلى هذا
حمل احمد بن حنبل ما رواه بن وهب عنه انه قال لا امسح في حضر ولا سفر قال
احمد كما روى عن بن عمر انه امرهم ان يمسحوا اخفافهم وخلع هو وتوضا وقال
حبب الي الوضو ونحوه عن ابي ايوب قال احمد رحمه الله لمن ترك على نحو ما
تركه بن عمر وابو ايوب ومالك لم انكر عليه وصلينا خلفه ولم نعبه الا ان
يترك ذلك ولم يعبه لا يراه كما صنع اهل البدع فلا يصلى خلفه وقد قيل
ان قوله وارجلكم معطوف على اللفظ دون المعنى وهذا يدل ايضا على الغسل
فان المراعى المعنى لا اللفظ وانما خفض للجوار كما تفعله العرب وقد جاء هذا
في القران وغيره قال الله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس
بالجر لان النحاس الدخان وقال بل هو قران مجيد في لوح محفوظ
بالخفض وقال امرو القيس كبير اناس في بجاد مزمل فخفض مزمل
بالجوار وان المزمل الرجل واعرابه الرفع وقال زهير لعب الزمان
بها وغيرها بعدي سوافي المور والقطر قال ابو حاتم كان الوجه
القطر بالرفع ولكنه جره على جوار المور كما قالت العرب هذا جحر ضب
خرب فجره وانما هو رفع وهذا مذهب الاخفش وابي عبيدة ورد ٥
النحاس وقال هذا القول غلط عظيم لان الجوار لا يكون في الكلام
ان يقاس عليه وانما هو غلط ونظيره الاقوا قال الشيخ المولف رحمه
الله والقاطع في الباب من فرض الرجلين الغسل ما قدمناه وما ثبت
من قول النبي صلى الله عليه وسلم ويل للاعقاب وبطون الاقدام من النار

نحو نيا بدلوا النار من مخالفه مراد الله عز وجل ومعلوم ان النار لا تعذب
بها الا من ترك الواجب ومعلوم ان المسح ليس شانه الاستيعاب ولا خلاف
بين القايلين بالمسح على الرجلين ان ذلك على ظهورهما لا على بطونهما فتبين بهذا
الحديث بطلان قول من قال المسح اذ لا مدخل لمسح بطونها عندهم وانما ذلك
يدرك بالغسل لا بالمسح ودليل اخر من جهة الاجماع وذلك انهم اتفقوا
على ان من غسل قدميه فقد ادى الواجب عليه واختلفوا فيمن مسح قدميه
باليقين ما اجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه ونقل الجمهور كافه عن كافه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يغسل رجليه في وضوه مره وثنتين
وثلاثا حتى ينقيهما وحسبك بهذا حجه في الغسل مع ما بيناه فقد وضح
وظهر ان قراه الخفض المعنى فيها الغسل لا المسح كما ذكرنا وان العامل في قوله
وارجلكم قوله فاغسلوا والعرب قد تعطف الشي على الشي بفعل ينفرد به
احدهما تقول اكلت الخبز واللبن اى وشربت اللبن ومنه قول الشاعر علفتها تبنا
وما باردا وقال اخر ورايت زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا وقال اخر
واطفلت بالجهلتين ظباوها ونعامها وقال اخر شراب البان وتمر واقط
التقدير علفتها تبنا وسقيتها ما ومتقلدا سيفا وحاملا رمحا واطفلت
بالجهلتين ظباوها وفرخت نعامها والنعام لا تطفل انما تفرخ واطفلت
كان لها اطفال والجهلتان جنبتا الوادي وشراب البان واكل تمر ملون قوله
وامسحوا برووسكم وارجلكم عطف بالغسل على المسح حملا على المعنى والمراد
الغسل والله اعلم قوله تعالى الى الكعبين وفي البخاري
حدثني موسى قال نا وهيب عن عمرو وهو ابن يحيى عن ابيه قال شهدت عمرو
بن ابي حسن سال عبد الله بن زيد عن وضو النبي صلى الله عليه وسلم فدعا بتور

من

بن ما فيو ضالهم وضو النبي صلى الله عليه وسلم فاكفا على يديه من التور فغسل يديه
ثلاثا ثلاثا ثم ادخل يده في التور فمضمض واستنشق واستنثر ثلاث غرفات
ثم ادخل يده فغسل وجهه ثلاثا ثم ادخل يده فغسل يديه الى المرفقين ثم ادخل
يده فمسح راسه فاقبل بهما وادبر مرة واحدة ثم غسل رجليه الى الكعبين وفي
هذا الحديث دليل على ان البا في قوله فامسحوا برؤسكم زايدة لقوله فمسح را
وان مسح الراس وقد جا مبينا في كتاب مسلم من حديث عبد الله بن زيد تفسير
قوله فاقبل بهما وادبر بدا بمقدم راسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى
رجع الى المكان الذي بدا منه واختلف العلما في الكعبين
فالجمهور على انهما العظمان الناتيان في جنبي الرجل وانكر الاصمعي قول
الناس ان الكعب في ظهر القدم قاله في الصحاح وروي عن ابن القاسم وبه
قال محمد بن الحسن قال ابن عطية ولا اعلم احدا جعل حد الوضو الى هذا ولكن
عبد الوهاب في التلقين جا في ذلك بلفظ تخليط وابهام وقال الشافعي رحمه الله
لم اعلم مخالفا في ان الكعبين هما العظمان في مجمع مفصل الساق وروي الطبري
عن يونس عن اشهب عن مالك قال الكعبان اللذان يجب الوضو اليهما هما
العظمان الملتصقان بالساق المحاديان للعقب وليس بالظاهر في وجه
القدم قال الشيخ المولف رحمه الله هذا هو الصحيح لغة وسنة فان
الكعب في كلام العرب ماخوذ من العلو وبه سميت الكعبة ومنه كعبة
المراة اذا فلك ثديها وكعب القناة انبوبها وانبوب ما بين كل عقدتين
كعب وقد يستعمل في الشرف والمجد تشبيها ومنه الحديث والله لا يزال
كعبك عاليا واما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو داود عن
النعمان بن بشير والله لتقيمن صفوفكم او ليخالفن الله بين قلوبكم قال فرايت

الرجل يلزق منكبه بمنكب صاحبه وركبته بركبة صاحبه وكعبه بكعبه
فالعقب هو مؤخر الرجل تحت العرقوب والعرقوب هو مجمع مفصل الساقين
والقدم ومنه الحديث ويل للعراقيب من النار يعني اذا لم تغسل كما قال ويل
للاعقاب وبطون الاقدام من النار قال ابن وهب عن مالك

والعلوم

ليس على احد تخليل اصابع رجليه في الوضوء ولا في الغسل ولا خير في الجفا قال ابن
وهب تخليل اصابع الرجلين مرغب فيه ولا بد من ذلك في اصابع اليدين وقال
ابن القاسم عن مالك من لم يخلل اصابع رجليه فلا شي عليه وقال محمد بن خالد عن ابن
القاسم عن مالك فيمن توضا على نهر فحرك رجليه انه لا يجزيه حتى يغسلهما بيده
قال ابن القاسم وان قدر على غسل احدهما بالاخرى اجزاه قال الشيخ المولف
رحمه الله الصحيح انه لا يجزي فيهما الا غسل ما بينهما لانها من الرجل اذ ذلك من الرجل
كما ان ما بين اصابع اليدين من اليد ولا اعتبار بانفراج اصابع اليدين وانضمام
اصابع الرجلين فان الانسان مامور بغسل الرجل جميعا كما هو مامور بغسل يديه جميعا
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا توضا يدلك اصابع رجليه بخنصره
مع ما ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يغسل رجليه وهذا يقتضي العموم وقد رجع
مالك رحمه الله في اخر عمره بدلك الاصابع رجليه بخنصره او ببعض اصابعه لحديث حدثه
به ابن وهب عن ابن لهيعة والليث بن سعد عن يزيد بن عمرو الغفاري عن ابي عبد
الرحمن الحبلي عن المستورد بن شداد القرشي قال رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتوضا فيخلل بخنصره ما بين اصابع رجليه قال ابن وهب فقال لي مالك ان
هذا لحسن وما سمعته قط الا الساعة قال ابن وهب وسمعته سئل بعد ذلك
عن تخليل الاصابع في الوضوء فامر به وقد روي حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال خللوا بين الاصابع لا تخللها النار وهذا نص في الوعيد على ترك التخليل فثبت

ما قلناه

حاس عشرة

الفاظ الايه تقتضى

ما قلناه وبالله التوفيق
الموالاه بين الفاظ الاعضا وهي اتباع المتوضي الفعل الفعل الى اخره من
غير تراخ بين ابضاعه ولا فصل بفعل ليس منه واختلف العلما في ذلك
فقال ابن ابي سلمه وابن وهب ذلك من فروض الوضو في الذكر والنسيا
لمن فرق بين اعضا وضوه متعمدا او ناسيا لم يجزه وقال ابن عبد الحكم يجزيه
ناسيا ومتعمدا وقال ملك في المدونه وكتاب محمد ان التوالي ساقط و
قال الشافعي وقال ملك وابن القاسم ان فرقه متعمدا لم يجزيه ويجزيه
ناسيا وقال ملك في رواية ابن حبيب يجزيه في المغسول ولا يجزيه في
الممسوح فهذه خمسه اقوال انبتت على اصلين الاول ان الله سبحانه
امر امرا مطلقا فوالا او فرق انما المقصود وجود الغسل في جميع
الاعضا عند القيام الى الصلاه الثاني انها عبادات ذات اركان
مختلفه توجب فيها التوالي كالصلاه وهذا اصح والله اعلم
وتضمن الفاظ الايه ايضا الترتيب وقد اختلف فيه فقال
الابهري الترتيب سنه وظاهر المذهب ان التنكيس للناسي يجزي
لانه غايب والى هذا ذهب الشافعي وساير اصحابه وبه يقول
احمد بن حنبل وابو عبيد القاسم بن سلام واسحق وابو ثور واليه
ذهب ابو مصعب صاحب ملك وذكره في مختصره وحكاه عن اهل
المدينه وملك معهم في ان من قدم في الوضو يديه على وجهه ولم
يتوضا على ترتيب الايه فعليه الاعاده لما صلى بذلك الوضو وذهب
ملك في اكثر الروايات عنه واشهرها ان الواو لا توجب التعقيب
ولا تعطي رتبه وبذلك قال اصحابه وهو قول ابي حنيفه واصحابه

والثوري والاوزاعي والليث بن سعد والمزني وداود بن علي قال
انما الطبري ظاهر قوله تعالى فاغسلوا وجوهكم وايديكم يقتضي الاجزا
فرقا وجمعا او والى على ما هو الصحيح من مذهب الشافعي وهو مذهب
الاكثرين من العلما قال ابو عمر ان ملكا يستحب له استينافا الوضو على
النسق لما يستقبل من الصلاة ولا يرى ذلك واجبا عليه هذا تحصيل
مذهبه وقد روي علي بن زياد عن ملك قال من غسل ذراعيه ثم وجهه
ثم ذكر مكانه اعاد غسل ذراعيه وان لم يذكر حتى صلى اعاد الوضو
والصلاة قال علي ثم قال بعد ذلك لا يعيد الصلاة ويعيد الوضو لما
يستانف وسبب الخلاف ما قال بعضهم ان الفا توجب التعقيب
في قوله فاغسلوا فانها لما كانت جوابا للشرط ربطت المشروط به
فاقتضت الترتيب في الجميع واوجب بانه انما اقتضت البداية في
الوجه اذ هو جزا الشرط وجوابه وانما كانت تقتضي الترتيب في
الجميع لو كان جواب الشرط معنى واحدا فاذا كانت جملا كلها جوابا
لم تبال بايهما بدات اذ المطلوب تحصيلها وقيل ان الترتيب انما
جا من قبل الواو وليس كذلك لانا نقول تقاتل زيد وعمرو وتخاصم
خالد وبكر فدخولها في باب المفاعلة يخرجها عن الترتيب والصحيح ان
يقال ان الترتيب متلقى من وجوب اربعة الاول ان يبدا بما بدا الله به
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين حج نبدا بما بدا الله به الثاني من اجماع
السلف فانهم كانوا يرتبون الثالث من تشبيه الوضو بالصلاة الرابع
من مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك احتج من اجاز ذلك بالاجماع
على ان لا ترتيب في غسل اعضا الجنابة فكذلك غسل اعضا الوضو لان المعنى

في ذلك

في ذلك الغسل لا التبدية وروي عن علي انه قال ما ابالي اذا اتممت وضوئي باي اعضائي بدات وعن عبد الله لا باس ان تبدا برجليك قبل يديك قال الدارقطني هذا مرسل ولا يثبت والاولى وجوب الترتيب والله اعلم

اذا كان في الاشتغال بالوضوء فوات الوقت لم يتيمم عند اكثر العلماء ومالك يجوز التيمم في مثل ذلك لان التيمم انما جاز في الاصل لحفظ وقت الصلاة ولولا ذلك لوجب تاخيره الى حين وجود الماء احتج الجمهور بقوله تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا وهذا واجد فقد عدم شرط صحة التيمم فلا يتيمم

وقد استدل بعض العلماء بهذه الاية على ان ازالة النجاسة ليست بواجبة لانه قال اذا قمتم الى الصلاة ولم يذكر الاستنجاء وذكر الوضوء فلو كانت ازالتها واجبة لكانت اول مبدو به وهو قول ابي حنيفة وهي رواية اشهب عن مالك وقال ابن وهب عن مالك وقال ابن وهب عن مالك ازالتها واجبة في الذكر والنسيان وهو قول الشافعي وقال ابن القاسم تجب ازالتها مع الذكر وتسقط مع النسيان وقال ابو حنيفة تجب ازالة النجاسة اذا زادت على قدر الدرهم البغلي يريد الكبير الذي هو على هيئة المثقال قياسا على فم المخرج المعتاد الذي عفي عنه والصحيح رواية ابن وهب لان النبي صلى الله عليه وسلم قال في صاحب القبرين انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان يمشي بالنميمة واما الاخر فكان لا يستتر من بوله ولا يعذب الا على ترك الواجب ولا حجة في ظاهر القران لان الله سبحانه انما بين من اية الوضوء صفة الوضوء خاصة ولم يتعرض لازالة النجاسة ولا غيرها

ودلت الاية ايضا على المسح على الخفين كما تقدم ولمالك في ذلك ثلاث روايات الانكار مطلقا كما تقوله الخوارج وهذه الرواية منكرة وليست بصحيحة وقد تقدم الثانية يمسح في السفر دون الحضر لان اكثر الاحاديث

بالمسح انما هي في السفر وحديث السباطة يدل على جواز المسح في الحضر اخرجه مسلم
من حديث حذيفة قال فلقد رايتني انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نتماشا
فاتا سباطة قوم خلف حايط فقام كما يقوم احدكم فبال فانتبذت فاشار
الي فقمت عند عقبه حتى فرغ زاد في رواية فتوضا ومسح على خفيه ومثله حديث
شريح بن هاني قال اتيت عايشة اسالها عن المسح على الخفين فقالت عليك بابن ابي
طالب فسله فانه كان يسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالناه فقال
جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسافر ثلاثة ايام ولياليهن وللمقيم يوما وليلة
وهي الرواية الثالثة يمسح حضرا وسفرا وقد تقدم ذكرها
ويمسح المسافر عند مالك على الخفين بغير توقيت وهو قول الليث قال ابن وهب
سمعت مالكا يقول ليس عند اهل بلدنا في ذلك وقت وروى ابو داود من
حديث ابي بن عمارة انه قال يا رسول الله امسح على الخفين قال نعم قال يوما قال
ويومين قال وثلاثة قال نعم وما شيت في رواية وما بدا لك قال ابو
داود وقد اختلف في اسناده وليس بالقوي وقال الشافعي واحمد بن حنبل
والنعمان والطبري يمسح المقيم يوما وليلة والمسافر ثلاثة ايام على حديث شريح
وما كان مثله وروي عن مالك في رسالته الى هارون وبعض الخلفا وانكرها
اصحابه والمسح عند جميعهم لمن لبس خفيه على
وضوء لحديث المغيرة بن شعبة انه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات
ليلة في مسير الحديث وفيه فاهويت لانزع خفيه فقال دعهما فاني
ادخلتهما طاهرتين ومسح عليهما وراى ان من طهارة التيمم وهذا بناه منه
على ان التيمم يرفع الحدث وشذ داود فقال المراد بالطهارة هاهنا هي
الطهارة من النجس فقط فاذا كانت رجلاه طاهرتين من النجاسة جاز المسح

على الخفين

على الخفين وسبب الخلاف الاشتراك في اسم الطهارة
ويجوز عند مالك المسح على الخف وان كان فيه خرق يسير قال ابن خويز منداد معناه
ان يكون الخرق لا يمنع من الانتفاع به ومن لبسه ويكون مثله يمشي فيه ومثل قول
مالك هذا قال الثوري والليث والشافعي والطبري وقد روي عن الثوري
والطبري اجازة المسح على الخف المخرق جملة وقال الاوزاعي يمسح على الخف وعلى ما
ظهر من القدم وهو قول الطبري وقال ابو حنيفة اذا كان ما ظهر من الرجل اقل
من ثلثة اصابع مسح ولا يمسح اذا ظهر ثلثة وهذا تحديد يحتاج الى توقيف ومعلوم
ان الخفاف للصحابة رضي الله عنهم وغيرهم من التابعين كانت لا تسلم من
الخرق اليسير وذلك متجاوز عند الجمهور منهم وروي عن الشافعي اذا كان الخرق
في مقدم الرجل انه لا يجوز المسح عليه وقال الحسن بن حي يمسح على الخف اذا كان
ما ظهر منه يغطيه الجورب فان ظهر شي من القدم لم يمسح قال ابو عمر هذا على
مذهبه في المسح على الجوربين اذا كانا ثخينين وهو قول الثوري وابي يوسف
ومحمد وهي   ولا يجوز المسح على الجوربين عند ابي حنيفة
والشافعي الا ان يكونا مجلدين وهو احد قولي مالك وله قول اخر انه لا يجوز المسح
على الجوربين وان كانا مجلدين وفي كتاب ابي داود عن المغيرة بن شعبة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم توضا ومسح على الجوربين والنعلين قال ابو داود وكان عبد الرحمن
بن مهدي لا يحدث بهذا الحديث لان المعروف عن المغيرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم مسح على الخفين وروي هذا الحديث عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى
الله عليه وسلم وليس بالقوي ولا بالمتصل قال ابو داود ومسح على الجوربين علي
بن ابي طالب وابن مسعود والبراء بن عازب وانس بن مالك وابو امامة وسهل
بن سعد وعمرو بن حريث وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهم

اجمعين قال الشيخ المولف رحمه الله واما المسح على النعلين فروى ابو محمد الدارمي
في مسنده نا ابو نعيم نا يونس عن ابي اسحق عن عبد خير قال رايت عليا توضا فمسح
على النعلين فوسع ثم قال لولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما رايتموني
فعلت لرايت ان باطن القدمين احق بالمسح من باطنهما قال ابو محمد الدارمي رحمه الله
هذا الحديث منسوخ لقوله تعالى فامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين قال
الشيخ المولف رحمه وقول علي رضي الله عنه لرايت ان باطن القدمين احق بالمسح من
ظاهرهما مثله قال في المسح على الخفين اخرجه ابو داود عنه قال لو كان الدين بالراي
لكان باطن الخف اولى بالمسح من اعلاه وقد رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يمسح على ظاهر خفيه قال مالك والشافعي فيمن مسح ظهور خفيه دون بطونهما
ان ذلك يجزيه الا ان مالكا قال احب لك ان اعاد في الوقت ومن مسح على باطن الخفين دون
ظهورهما لم يجز وكان عليه الاعاده في الوقت وبعده وكذلك قال جميع اصحاب
مالك الا شيا روي عن اشهب انه قال باطن الخفين وظاهرهما سوا ومن مسح باطنهما
دون ظاهرهما لم يعد الا في الوقت وروي عن الشافعي انه يجزيه مسح بطونهما دون
ظهورهما والمشهور من مذهبه انه من مسح بطونهما واقتصر عليهما لم يجز وليس
بماسح وقال ابو حنيفه والثوري يمسح ظاهر الخفين دون باطنهما وبه قال احمد بن
حنبل واسحق وجماعه والمختار عند مالك والشافعي واصحابهما مسح الاعلى والاسفل
وهو قول ابن عمر وابن شهاب لما رواه ابو داود والدارقطني عن المغيره بن شعبه
قال وضات النبي صلى الله عليه وسلم في غزوه تبوك فمسح اعلا الخف واسفله قال
ابو داود وروي ان ثورا لم يسمع هذا الحديث من رجا بن حيوه
واختلفوا فيمن نزع خفيه وقد مسح عليهما على اقوال ثلاثه الاول
يغسل رجليه مكانه وان اخر استانف الوضو قاله مالك والليث وكذلك قال

الشافعي

الشافعي وابو حنيفه واصحابهما وروي عن الاوزاعي والنخعي ولم يذكروا امحانه الثاني
بستانف الوضو قاله مالك بن حي وروي عن الاوزاعي والنخعي الثالث ليس عليه شي
ويصلي كما هو قاله ابن ابي ليلى والحسن البصري وهي روايه عن ابرهيم النخعي رضي الله عنهم

قوله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا قد مضى في النسا

معنى الجنب واطهروا امر بالاغتسال ولذلك راى عمر وابن مسعود رضي الله عنهما
ان الجنب لا يتيمم البته بل يدع الصلاه حتى يجد الما وقال الجمهور من الناس بل هذه
العباره هي لواجد الما وقد ذكر الجنب بعد في احكام عادم الما بقوله او لامستم
النسا والملامسه ها هنا الجماع وقد صح عن ابن عمر وابن مسعود انهما رجعا
الى ما عليه الناس وان الجنب يتيمم وحديث عمران بن حصين نص في ذلك وهو
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا معتزلا لم يصل في القوم فقال يا
فلان ما منعك ان تصلي في القوم فقال يا رسول الله اصابتني جنابه
ولا ما قال عليك بالصعيد فانه يكفيك اخرجه البخاري

قوله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر او جا احد منكم

من الغايط تقدم في النسا مستوفا ونزيد هنا مسئله اصوليه
اغفلنا ها هناك وهي تخصيص العموم بالعاده الغالبه فان الغايط
كنايه عن الاحداث الخارجه من المخرجين كما بيناه في النسا فهو عام
غير ان جل علمايبا خصصوا ذلك بالاحداث المعتاده الخارجه
على الوجه المعتاد فلو خرج غير معتاد كالحصا والدود او خرج المعتاد
على وجه المرض والسلس لم يكن شي من ذلك ناقضا وانما صاروا الى
ذلك لان اللفظ مهمى تقرر له عرف غالب في الاستعمال سبق
ذلك الغالب لفهم السامع حاله الاطلاق وصار غيره مما وضع له

اللفظ بعيدا عن الذهن فصار غير مدلول له وصار الحال فيه كالحال
في الدابة فانها اذا اطلقت سبق منها الى الذهن ذات الاربع ولم تخطر
النملة ببال السامع فصارت غير مرادة ولا مدلول لذلك اللفظ والمخالف
يقول لا يلزم من سبقية الغالب ان يكون النادر غير مراد فان تناول اللفظ لهما
واحد وضعا وذلك يدل على شعور المتكلم بهما قصدا والاول اصح وتتمته
في كتب الاصول   قوله تعالى او لامستم النساء روى
عبيدة بن عبد الله بن مسعود انه قال القبلة من اللمس وكلما دون الجماع لمماع
لمس وكذلك قال بن عمر واختاره محمد بن يزيد قال لانه قد ذكر في اول الاية
ما يجب على من جامع في قوله وان كنتم جنبا فاطهروا وقال عبد الله بن عباس اللمس
والمس والجماع والغشيان واللمم كل هذا كناية عن الجماع وقال مجاهد في قوله جل وعز واذا
مروا باللغو مروا كراما قال اذا ذكروا النكاح كنوا عنه وقد مضى في النساء
القول في هذا الباب مستوفى   قوله تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا
في النساء ان عدمه يترتب للصحيح الحاضر بان يسجن او يربط وهو الذي يقال فيه ماء ولا ترابا
او وخشي خروج الوقت اختلف الفقهاء في حكمه على اربعة اقوال الاول قال ابن خويز منداد
الصحيح من مذهب مالك انه لا يصلي ولا شي عليه قال ورواه المدنيون
عن مالك قال وهو الصحيح من المذهب وقال ابن القاسم يصلي ويعيد وهو قول
الشافعي وقال اشهب يصلي ولا يعيد وقال اصبغ لا يصلي ولا يقضي وبه قال
ابو حنيفة قال ابو عمر بن عبد البر ما اعرف كيف اقدم ابن خويز منداد على ان
جعل الصحيح من المذهب ما ذكر وعلى خلافه جمهور السلف وعامة الفقهاء
وجماعة المالكيين واظنه ذهب الى ظاهر حديث مالك في قوله وليس على ماء
الحديث ولم يذكر انهم صلوا وهذا لا حجة فيه وقد ذكر هشام بن عروة عن

اببيه

ابيه عن عايشة في هذا الحديث انهم صلوا بغير وضو ولم يذكر اعاده وقد ذهب
الى هذا طايفة من الفقها قال ابو ثور وهو القياس قال الشيخ المولف رحمه الله وقد احتج
المزني فيما ذكر الجيا بما ذكر في قصة قلادة عايشة رضي الله عنها حين ضلت وان اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم الذين بعثهم لطلب القلادة صلوا بغير تيمم ولا وضو واخبروه بذلك
ثم نزلت اية التيمم ولم ينكر عليهم فعلها بلا وضو ولا تيمم والتيمم متى لم يكن مشروعا فقد
صلوا بلا طهارة اصلا ومنه قال المزني لا اعادة وهو نص في الحدهما جواز الصلاة
مع عدم الطهارة مطلقا عند تعذر الوصول اليها قال ابو عمر ولا ينبغي حمله على
المغمى لان المغمى مغلوب على عقله وهذا معه عقله وقال ابن القاسم وساير العلما
الصلاة عليه واجبة اذا كان عقله معه فاذا زال المانع له توضا او تيمم وصلى وعن
الشافعي روايتان المشهور عنه يصلي كما هو ويعيد قال المزني اذا كان محبوسا لا
يقدر على تراب نظيف صلى واعاد وهو قول ابي يوسف ومحمد والثوري والطبري
وقال زفر بن الهذيل المحبوس في الحضر لا يصلي وان وجد ترابا نظيفا وهذا على
اصله فانه لا يتيمم عنده في الحضر كما تقدم قال ابو عمر من قال يصلي كما هو ويعيد اذا
قدر على الطهارة فانهم احتاطوا للصلاة بغير طهور قالوا وقوله صلى الله عليه
وسلم لا يقبل الله صلاة بغير طهور لمن قدر على طهور فاما من لم يقدر فليس كذلك
لان الوقت فرض وهو قادر عليه فيصلي كما قدر في الوقت ثم يعيد فيكون قد اخذ
بالاحتياط في الوقت والطهارة جميعا وذهب الذين قالوا لا يصلي لظاهر هذا الحديث
وهو قول مالك وابن نافع واصبغ قالوا من عدم الما والصعيد لم يصل ولم يقض ان
خرج وقت الصلاة لان عدم قبولها لعدم شرطها يدل على انه ليس مخاطبا حال عدم
شرطها فلا يترتب شي في الذمة فلا يقضي قاله غير ابي عمر وعلى هذا تكون الطهارة من
شروط الوجوب قوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا قد مضى

فی النسا اختلافهم فی الصعید وحدیث عمران بن حصین نص علی ما یقوله مالک
اذ لو کان الصعید التراب لقال النبی صلی الله علیه وسلم للرجل علیک بالتراب فانه
یکفیک فلما قال علیک بالصعید احاله علی وجه الارض والله اعلم

قوله تعالی فامسحوا بوجوهکم وایدیکم منه تقدم فی النسا
الکلام فیه فتامله هناک واذا انتهی القول بما فی الآیة الی هنا فاعلم ان العلما
تکلموا فی فضل الوضو والطهارة وهی خاتمة الباب قال النبی صلی الله علیه وسلم
الطهور شطر الایمان الحدیث اخرجه مسلم من حدیث ابی مالک الاشعری وقد
تقدم فی البقرة الکلام فیه قال بن العربی والوضو اصل فی الدین وطهارة المسلمین
وخصوصا لهذه الامة فی العالمین وقد روی ان النبی صلی الله علیه وسلم توضا فقال
هذا وضوی ووضو الانبیا من قبلی ووضو خلیلی ابرهیم وذلک لا یصح قال
غیره لیس هذا بمعارض لقول النبی صلی الله علیه وسلم سیما لیست لغیرکم فانهم
کانوا یتوضون وانما الذی خص به هذه الامة الغرة والتحجیل لا بالوضو وهما
تفضل من الله تعالی اختص بهما هذه الامة شرفا لها ولنبیها صلی الله علیه وسلم
کسایر فضایلها علی سایر الامم کما فضل نبیها صلی الله علیه وسلم بالمقام المحمود
وغیره علی سایر الانبیا والله اعلم قال ابو عمر وقد یجوز ان یکون الانبیا یتوضو
فیکتسبون بذلک الغرة والتحجیل ولا یتوضا اتباعهم کما جا عن سیدنا موسی
علیه السلام انه قال یا رب اجد امة کلهم کالانبیا اجعلها امتی فقال تلک امة
احمد صلی الله علیه وسلم فی حدیث فیه طول وقد روی سالم بن عبد الله بن عمر عن کعب
الاحبار انه سمع رجلا یحدث انه رای رویا فی المنام ان الناس جمعوا للحساب
ثم دعی الانبیا مع کل نبی امته وانه رای لکل نبی نورین یمشی بینهما ولمن اتبعه من امته
نورا واحدا یمشی به حتی دعا بمحمد صلی الله علیه وسلم فاذا شعر راسه ووجهه

نور كله يراه كل من نظر اليه واذا المرا تبعه نور ان نحو الانبيا فقال كعب وهو
لا يشعر انها رويا من حدثنا بهذا الحديث وما علمك به فاخبره انها رويا فقال
كعب بالله الذى لا اله الا هو لقد رايت ما تقول فى منامك منامك فقال نعم والله
لقد رايت ذلك فقال كعب والذى نفسى بيده او قال والذى بعث محمدا صلى الله
عليه وسلم بالحق ان هذه لصفة احمد صلى الله عليه وسلم وامته وصفة الانبيا فى كتاب
الله لكان ما يقوله من التوراة اسنده فى كتاب التمهيد قال ابو عمر وقد قيل ان سائر
الامم كانوا يتوضون والله اعلم وهذا لا اعرفه من وجه صحيح مسلم عن ابى هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا توضا العبد المسلم او المومن فغسل وجهه
خرج من وجهه كل خطيه نظر اليها بعينه مع الما او مع اخر قطر الما فاذا غسل
يديه خرج من يديه كل خطيه كان بطشتها يداه مع الما او مع اخر قطر
الما فاذا غسل رجليه خرج كل خطيه مشتها رجلاه مع الما او مع اخر
قطر الما حتى من الذنوب وحدث ملك عن عبد الله الصنابحى اهل
والصواب ابى عبد الله لا عبد الله وهو مما وهم فيه ملك واسمه عبد الر حمن
بن عسيله تابعى شامى ليس له ادراك اول خلافة ابى بكر قال ابو عبد الله الصنا بحى
قدمت مهاجرا الى النبى صلى الله عليه وسلم من اليمن فلما وصلنا الجحفة ادا برا كب
قلنا له ما الخبر قال دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ ثلاثة ايام وهذه
الاحاديث وما كان فى معناها من حديث عمرو بن عبسة تفيد ان
المراد بها كون الوضوء مشروعا عبادة لدحض الاثام وذلك يقتضى افتقاره
الى النيه لانه شرع لمحو الاثم ولرفع الدرجات عند الله تعالى

قوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اى من ضيق فى الدين
دليله قوله تعالى ما جعل عليكم فى الدين من حرج ومن صله اى ليجعل عليكم حرجا ولكن

يريد ليطهركم اي من الذنوب بما فرطتم من حدث ابي هريرة والصنابحي وقيل من الحدث والجنابة وقيل ليستحقوا الوصف بالطهارة التي توصف بها اهل الطاعة وقرا سعيد بن المسيب ليطهركم والمعنى واحد كما يقال نجاه وانجاه وليتم نعمته عليكم اي بالترخص في التيمم عند المرض والسفر وقيل بتبيان الشرايع وقيل بغفران الذنوب وفي الخبر تمام النعمة دخول الجنة والنجاة من النار لعلكم تشكرون اي اشكروا نعمته فتقبلوا على طاعته واذكروا نعمة الله

عليكم وميثاقه الذي واثقكم به قيل هو الميثاق الذي في قوله عز وجل واذ اخذ ربك من بني ادم قاله مجاهد وغيره ونحن وان لم نذكره فقد اخبرنا الصادق به فيجوز ان يؤمر بالوفا به وقيل هو خطاب لليهود بحفظ ما اخذ عليهم من التوراة والذي عليه الجمهور من المفسرين كابن عباس والسدي هو العهد والميثاق الذي جرى لهم مع النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكره اذ قالوا سمعنا واطعنا كما جرى ليلة العقبة وتحت الشجرة واضافه تعالى الى نفسه كما قال انما يبايعون الله فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة على ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم ونساءهم وابناءهم وان يرحل اليهم هو واصحابه وكان اول من بايعه البراء بن معرور وكان له في تلك الليلة المقام المحمود في التوثق لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشد لعقد امره وهو القايل والذي بعثك لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا رسول الله فنحن والله ابناء الحرب واهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر الخبر المشهور في سيرة ابن اسحق وياتي ذكر بيعة الشجرة في موضعها وقد اتصل هذا بقوله اوفوا بالعقود فوفوا بما قالوا جزاهم الله عن نبيهم صلى الله عليه وسلم وعن الاسلام خيرا رضي الله عنهم وارضاهم واتقوا الله اي في مخالفته انه عالم بكل شي يا ايها الذين امنوا كونوا

قوامين الاية تقدم معناها في النساء والمعنى تممت عليكم نعمتي فكونوا قوامين لله اي لاجل

ثوابه

٢٤٦

مبك

لوا انه تقوم الحقه واشهد وا بالحق من عير ميل الى اقاربكم وحيف على اعدايكم
ولا يحرمنكم شنان قوم على ترك العدل وايثار العدوان على الحق وفي هذا دليل على
نفود حكم العدو على عدوه في الله تعالى ونفود شهادته عليه لانه امر بالعدل
وان يغضه ولو كان حكمه عليه وشهادته لا تجوز فيه مع البغض لما كان لامر بالعدل
وان ابغضه وان فيه وجه ودلت ايضا على ان كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه وا
يقتصر بهم على المستحق من القتال والاسترقاق وان المثله بهم غير جايز وان
قتلوا نسانا واطفالنا وعمونا بذلك فليس لنا ان نقتلهم بمثله قصدا لاتصال
الغم والحزن اليهم واليه عبد الله بن رواحه بقوله في القصه المشهوره هذا معنى
الايه وتقدم في صدر هذه السوره معنى ولا يحرمنكم شنان قوم وقرى ولا
يجرمنكم قال الجباي ولا يحرمنكم لا يدخلنكم في الجرم كما تقول اثمني اي ادخلني
في الاثم ومعنى هو اقرب للتقوى اي لان تتقوا الله وقيل لان تتقوا النار ومعنى
لهم مغفره واجر عظيم اي بالله بحق منزلهم مغفره واجر عظيم اي لا يعرف
كنهه افهام الخلق كما قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قره اعين واذا قال الله تعالى
اجر عظيم واجر كريم واجر كبير فمن ذا الذي يقدر قدره ولما كان الوعد من قبيل
القول حسن ادخال اللام في قوله لهم مغفره وهو في موضع نصب لانه وقع موقع
الموعود به على معنى وعدهم ان لهم مغفره او وعدهم مغفره الا ان الجمله وقعت
موقع للمفرد كما قال الشاعر وجدنا الصالحين لهم جزا وجنات وعينا سلسبيلا
وموضع الجمله نصب ولذلك عطف عليها بالنصب وقيل هو في موضع رفع على ان
الموعود به محذوف على تقدير لهم مغفره واجر عظيم فيما وعدهم به وهذا المعنى
عن الحسن والدين كفروا نزلت في بني النضير وقيل في جميع الكفار
يا ايها الدين امنوا اذكروا نعمه الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم قال

لـ ن

عاملهما وكان الاول كالزمان سعي

لي

جماعه نزلت بسبب فعل الاعرابي في غزوة ذات الرقاع حين اخترط سيف النبي
صلى الله عليه وسلم وقال من يعصمك مني يا محمد كما تقدم في النسا وفي البخاري ان
النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس فاجتمعوا وهو جالس عند النبي صلى الله عليه
وسلم ولم يعاقبه وذكر الواقدي وابن ابي حاتم انه اسلم وذكر قوم انه ضرب برأسه
في ساق الشجرة حتى مات وفي البخاري في غزوة ذات الرقاع ان اسم الرجل غورث بن الحرث
بالغين منقوطه مفتوحه وسكون الواو وبعدها ثا مثلثه وقد ضم بعضهم الغين
والاول اصح وذكر ابو حاتم محمد بن ادريس الرازي وابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي
ان اسمه دعثور بن الحرث وذكر انه اسلم كما تقدم وحكى محمد بن اسحق ان اسمه عمرو
بن جحاش وهو اخو بني النضير وذكر بعضهم ان قصة عمرو بن جحاش غير هذه القصه
والله اعلم وقال قتادة ومجاهد وغيرهما نزلت في قوم من اليهود جاءهم النبي صلى
الله عليه وسلم يستعينهم في ديه فهموا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم فمنعه منهم
قال القشيري وقد تنزل الايه في قصه ثم ينزل ذكرها مرة اخرى لادكار ما سبق ان
يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم اي منعهم ولقد اخذ
الله ميثاق بني اسراءيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا فيه ثلاث مسايل
قال ابن عطيه هذه الايات المتضمنه للخبر عن بعضهم مواثيق الله تقوي ان الايه
المتقدمه في كف الايدي انما كانت في بني النضير واختلف اهل التاويل في كيفية بعث
هولا النقبا بعد الاجماع على ان النقيب كبير القوم القايم باموره الذي
ينقب عنها وعن مصالحهم فيها والنقاب الرجل العظيم الذي هو في الناس على هذه
الطريقه ومنه قيل في عمر رضي الله عنه انه كان نقابا فالنقبا الضمانه واحدهم
نقيب وهو شاهد القوم وضمينهم يقال نقب عليهم وهو حسن النقبه اي
حسن الخليقه والنقب والنقب الطريق في الجبل وانما قيل نقيب لانه

يعلم

بعلم دخليه امر قومه ويعرف مناقبهم وهو الطريق الى معرفه امورهم وقال
قوم النقبا الامنا على قومهم وهذه كله قريب بعضه من بعض والنقيب اكبر
مكانه من العريف قال عطا بن يسار حمله القران عرفا اهل الجنه ذكره الدارمي
في مسنده قال قتاده رحمه الله وغيرها ولا النقبا قوم هبار من كل سبط يكفل
كل واحد سبطه بان يومنوا ويتقوا الله وغو هذا كان النقبا ليله العقبه
بايع فيها سبعون رجلا وامراتان فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم من السبعين
اثني عشر رجلا وسماهم النقبا اقتدا بموسى عليه السلام وعلى نبينا افضل الصلاه
والسلام وقال الربيع والسدي وغيرهما انما بعث النقبا من بني اسرايل
امنا على الاطلاع على الجبارين والسير لقوتهم ومنعتهم فساروا ليختبروا
حال من بها ... اطلعوا عليه فيها حتى ينظروا لغزو اليهم فاطلعوا
من الجبارين فاطلعوا على قوه عظيمه على ما ياتي وظنوا انهم لا قبل لهم بها
فتعاقدوا بينهم على ان يخفوا ذلك عن بني اسرايل وان يعلموا به موسى
فلما انصرفوا الى بني اسرايل خان منهم عشره فعرفوا قراباتهم ومن وثقوه على
سرهم ففشى الخبر حتى اعوج امر بني اسرايل وقالوا اذهب انت وربك
فقاتلا انا هاهنا قاعدون ففي الايه دليل على قبول خبر
الواحد فيما يفتقر اليه المرء ويحتاج الى اطلاعه من حاجاته الدينيه والد
نيويه فترتب عليه الاحكام ويرتبط به الحلال والحرام وقد جا ايضا مثله
في الاسلام قال النبي صلى الله عليه وسلم لهوازن ارجعوا حتى يرفع الينا عرفاوكم
امركم اخرجه البخاري وفيها ايضا دليل على اتخاذ الجاسوس
والتجسس البحث وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيسه عينا
اخرجه مسلم وسياتي حكم الجاسوس في الممتحنه ان شا الله تعالى واما اسما نقبا

الاحكام

بني اسرايل فعدد لنا اسماهم محمد بن حبيب في المحبر فقال من سبط روبيل سوع
بن لوب ومن سبط شمعون سوقوط بن جورى ومن سبط يهوذى لوب
بن يوفنا ومن سبط الساحر يعودل بن يوسف ومن سبط ابن تيم بن يوسف
يوشع بن النون ومن سبط بنيامين يلطى بن روقوا ومن سبط ريا لون لدابيل بن
سودي ومن سبط منشا بن يوسف كدى بن سوسا ومن سبط دان عابيل بن
حسلى ومن سبط شيرستور بن ميخاييل ومن سبط نفتال يحنى بن وقوسى
ومن سبط كاد لوال بن موخى فالمومنان منهم يوشع ولوب ودعا موسى عليه
السلام على الاخرين فهلكوا سخوطا عليهم قاله الماوردى واما نقبا ليلة العقبة
فمذكورون في سير بن اسحق فلينظر هناك وقال الله اني معكم
قال الربيع بن انس قال ذلك للنقبا وقال غيره قال ذلك لجميع بني اسرايل
وكسرت ان لانها مبتداه معكم منصوب لانه ظرف اي بالنصر والعون
ثم ابتدا فقال لين اقمتم الصلاة الى قال لاكفرن عنكم سياتكم ان فعلتم
اي م
ذلك ولادخلنكم جنات واللام في لين لام توكيد ومعناها القسم وكذا لاكفرن
عنكم ولادخلنكم جنات وقيل المعنى لين اقمتم الصلاة لاكفرن عنكم سياتكم وتضمن
شرطا اخر لقوله لاكفرن اي ان فعلتم ذلك لاكفرن وقيل قوله لين اقمتم جزا لقوله
اني معكم وشرط لقوله لاكفرن والتعزير التعظيم والتوقير وانشد ابو عبيدة
والرد يقول عزرت فلانا اي ادبته ورددته عن القبيح فقوله عزرتموهم اي رددتم
عنهم اعداهم واقرضتم الله قرضا حسنا يعني الصدقات ولم يقل اقراضا وهذا مما
جا من المصدر بخلاف المصدر كقوله والله انبتكم من الارض نباتا فتقبلها ربها بقبول
حسن وقد تقدم ثم قيل حسنا اي طيبة بها نفوسكم وقيل يبتغون بها وجه الله وقيل
حلالا وقيل قرضا اسم لا مصدر فمن كفر بعد ذلك منكم اي بعد الميثاق فقد ضل سوا

السبيل

اي احصا فصد الطريق

السبع آخر الخامس بحمد الله وعونه والحمد لله وحده ويليه قوله تعالى

فبما نقضهم ميثاقهم وحسبنا الله ونعم الوكيل

٩٥

الجزء السادس من فتح الباري

الجزء السادس من تفسير القرطبي

ك: 97

الجزو السادس من القرطبي

من كتب الفقير مفتي السلطنة العثمانية
السيد فيض الله ابن الشيخ محمد
عفي عنهما

تفسير جامع احكام القرآن للشيخ الامام ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن فرح الانصاري
الخزرجي القرطبي المالكي المتوفى في سنة ثمان وستين وستمائة رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده

قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم اي فبنقضهم ميثاقهم ما زايده للتوكيد عن
قتادة وساير اهل العلم وذلك انها تؤكد الكلام بمعنى تمكنه في النفس من جهة حسن
النظم ومن جهة تكثيره للتوكيد كما قال لشي ما يسود من يسود فالتاكيد بعلامه
موضوعه كالتاكيد بالتكرير لعناهم قال بن عباس عذبناهم بالجزيه وقال الحسن
ومقاتل بالمسخ عطا بعدناهم واللعن الابعاد والطرد من الرحمه وجعلنا قلوبهم
قاسيه اي صلبه لا تعي خيرا ولا تفعله والقاسيه العاتيه بمعنى واحد وقرا
الكساي وحمزه قسيه بتشديد اليا من غير الف وهي قراه بن مسعود والنخعي
ويحيى بن وثاب والعام القسي الشديد الذي لا مطر فيه وقيل هو من الدراهم
القسيات الفاسدات الرديه بمعنى قسيه على هذا ليست بخالصة
الايمان اي فيها نفاق قال النحاس وهذا قول حسن لانه يقال درهم قسي اذا
كان مغشوشا بنحاس او غيره يقال درهم قسي بتخفيف السين مشدد اليا مثال شقي
اي زايف ذكر ذلك ابو عبيد وانشد لها صواهل في صم الصلاب كما صلح
القسيات في ايدي الصياريف تصف وقع المساحي في الحجارة وقال الاصمعي
وابو عبيد درهم قسي كانه معرب قاسي قال القشيري وهذا بعيد لانه
ليس في القران ما ليس من لغة العرب بل الدرهم القسي من القسوه والشده ايضا
لان ما قلت نقرته يقسو ويصلب وقرا الاعمش قسيه بتخفيف اليا على وزن
فعله نحو عميه وشجيه من قسي يقسى لا قسا يقسو وقرا الباقون على وزن فاعله
وهو اختيار ابي عبيد وهما لغتان مثل العليه والعاليه والزكيه والزاكيه
قال ابو جعفر النحاس وهو اولى ما فيه ان تكون قسيه بمعنى قاسيه الا ان
فعيله ابلغ من فاعله فالمعنى جعلنا قلوبهم غليظه نابيه عن الايمان والتوفيق

لطاعتي

وقه

نطاعني لان القوم لم يوصفوا بشي من الايمان فتكون قلوبهم موصوفه بان ايمانها
خالصه لغيرها كالدراهم القسيه التي خالطها غش بال الزايف   وقد قسوت
وقسا لذا يحرفون الكلم عن مواضعه اي يتاولونه على غير تاويله ويلقون ذلك
الى العوام وقيل معناه يبدلون حروفه ويحرفون في موضع نصب اي جعلنا
قلوبهم قاسيه محرفين وقال السلمي والنخعي الكلام بالالف وذلك انهم غيروا   صفه
محمد صلى الله عليه وسلم وايه الرجم ونسوا حظا مما ذكروا به اي نسوا عهد الله
الذى اخذه الانبيا عليهم من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته ولا تزال
تطلع اي وانت يا محمد لا تزال الان تقف على خاينه منهم والخاينه الخيانه
قاله قتاده وهذا جايز في اللغه ويكون مثل قولهم قايله بمعنى قيلوله و   قيل
هو نعت لمحذوف والتقدير فرقه خاينه وقد تقع خاينه للواحد كما يقال
رجل نسابه وعلامه فخاينه على هذا للمبالغه يقال رجل خاينه اذا بالغت
في وصفه بالخيانه قال الشاعر حدثت نفسك بالوفا ولم تكن للغدر خاينه
مغل الاصبع قال ابن عباس على خاينه اي معصيه كما نكث وفجور وكانت
خيانتهم نقضهم العهد بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ومظاهرهم
المشركين على حرب رسول الله ليوم الاحزاب وغير ذلك من همهم
بقتله وسمه الا قليلا منهم لم يخونوا فهو استثنا متصل من الهاء والميم
اللتين في خاينه منهم فاعف عنهم واصفح في معناه قولان فاعف عنهم
واصفح ما دام بينك وبينهم عهد وهم اهل ذمه والقول الاخر انه
منسوخ بايه السيف وقيل بقوله عز وجل واما تخافن من قوم خيانه
قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي في التوحيد
والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم اذ هو مكتوب في الانجيل فنسوا حظا وهو

الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم اي لم يعملوا بما امروا به وجعلوا ذلك الهوى
والتحريف سببا للكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ومعنا اخذنا منهم ميثاقهم
هو كقولك اخذت من زيد ثوبه ودرهمه قاله الاخفش ورتبة الذين ان يكون
بعد اخذنا وقبل الميثاق فيكون التقدير اخذنا من الذين قالوا انا نصارى
ميثاقهم لانه في موضع المفعول الثاني لاخذنا وتقديره عند الكوفيين ومن
الذين قالوا انا نصارى من اخذنا ميثاقهم فالهاء والميم تعودان على من المحذوفة
وعلى القول الاول تعودان على الذين ولا يجيز النحويون اخذنا ميثاقهم
من الذين قالوا انا نصارى فلا يليها ليست من الباب لئلا يتقدم
مضمر على ظاهر وفي قولهم انا نصارى ولم يقل من النصارى دليل على انهم ابتدعوا
النصرانية وتسموا بها روي معناه عن الحسن فاغرينا بينهم
العداوة والبغضاء اي هيجنا وقيل الصقنا بهم ماخوذ من الغراء وهو ما يلصق
الشي بالشي كالصمغ وشبهه يقال غري بالشي يغرى غرى بفتح الغين مقصورا
وغراء بكسر الغين ممدودا اي اولع به كانه التصق به وحكى الرماني الاغراء
تسليط بعضهم على بعض وقيل الاغراء التحريش واصله اللصوق يقال غريت
بالرجل غرا مقصورا وممدود ومفتوح الاول اذا لصقت به وقال
كثير اذا قيل مهلا قالت بالبكا غرا ومدتها حوافل نهل واغريت زيدا بكذا حتى
غري به للصوقه فالاغرا بالشي الالصاق به من جهة التسليط عليه واغريت
الكلب اولعته بالصيد بينهم ظرف للعداوة والبغضاء البغض اشار بهذا الى
اليهود والنصارى لتقدم ذكرهما عن السدي وقتادة بعضهم لبعض عدو
وقيل اشار الى افتراق النصارى خاصة قاله الربيع بن انس لانهم اقرب
مذكور وذلك انهم افترقوا الى اليعاقبة والنسطورية والملكانية اي

كفر بعضهم بعضا قال النحاس ومن احسن ما قيل في معنا اغرينا بينهم العداوة
والبغضا ان الله عز وجل امر بعداوة الكفار وابغاضهم فكل فرقة مامورة
بعداوة صاحبها وابغاضه لانهم كفار وسوف ينبيهم الله تهديد لهم
اي سيلقون جزا نقض الميثاق   يا اهل الكتاب اسم جنس
بمعنى الكتب فجميعهم مخاطبون قد جاكم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم يبين لكم
كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب اي من كتبكم من الايمان به ومن اية الرجم ومن قصة
اصحاب السبت الذين مسخوا قردة فانهم كانوا يخفونها ويعفو عن كثير اي يتركه
ولا يبينه وقيل ويعفو عن كثير يعني يتجاوز عن كثير فلا يخبركم به وذكر ان رجلا
من احبارهم جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال ما هذا عفوت عنا فاعرض
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين وانما اراد اليهودي ان يظهر مناقضة
كلامه فلما بين له رسول الله صلى الله عليه وسلم قام من عنده متعجب وقال
لاصحابه اري انه صادق فيما يقول لانه كان وجد في كتابه انه لا يبين له ما
سأله عنه قد جاكم من الله نور اي ضيا قبل الاسلام وقيل محمد صلى الله عليه
وسلم عن الزجاج وكتاب مبين اي القران فانه يبين الاحكام وقد تقدم يهدي
به الله من اتبع رضوانه اي ما رضيه الله سبل السلام اي طرق السلامة
الموصلة الى طرق دار السلامة المنزهة عن كل افة والمومنة من كل مخافة
وهي الجنة وقال الحسن والسدي السلام الله عز وجل فالمعنى دين الله وهو
الاسلام كما قال ان الدين عند الله الاسلام ويخرجهم من الظلمات الى النور
اي من ظلمات الكفر والجهالات الى نور الاسلام والهدايات باذنه بتوفيقه
وارادته   لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم
تقدم في اخر النسا بيانه والقول فيه وكفر النصارى في دلالة هذا الكلام

انما كان يقولهم ان الله هو المسيح بن مريم على جهة الدينونية لانهم لو قالوه
على جهة الحكاية منكرين لم يكفروا قل فمن يملك من الله شيا اي من امر الله ويملك
بمعنى يقدر من قولهم ملكت على فلان امره اي اقتدرت عليه اي لمن يقدر ان يمنع من
ذلك شيا فاعلم الله تعالى ان المسيح لو كان الها لقدر على دفع ما ينزل به او بغيره
وقد امات امه ولم يتمكن من دفع الموت عنها فلو اهلكه هو ايضا لم يدفعه
عن ذلك ويرد ولله ملك السموات والارض وما بينهما والمسيح وامه بينهما
ولم يقل بينهن لانه اراد النوعين والصنفين كما قال الراعي طرفا فتلك هماهمي
اقريهما قلصا لواقح كالقسي وحول لاشهال طرفا ثم قال فتلك هماهمي يخلق ماي
عيسى من امر لا اب ايه لعباده ••• وقالت اليهود والنصارى
نحن ابنا الله واحباوه قال ابن عباس خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما
من اليهود العقاب فقالوا لا تخاف فانا ابنا الله واحباوه فنزلت الاية
قال ابن اسحق اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن اصا وبحرى بن عمير وشاس
بن عدي فكلموه وكلمهم ودعاهم الى الله عز وجل وحذرهم نقمته فقالوا ما تخوفنا
يا محمد نحن ابنا الله واحباوه كقول النصارى فانزل الله عز وجل فيهم وقالت
اليهود والنصارى نحن ابنا الله واحباوه قل فلم يعذبكم بذنوبكم الى اخر الاية
قال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب يا معشر يهود اتقوا
الله فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنتم تذكرونه
لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهودا
ما قلنا هذا لكم وما انزل الله من كتاب بعد موسى ولا ارسل بشيرا ولا
نذيرا من بعده فانزل الله تعالى قل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم
على فترة من الرسل الى قوله والله على كل شي قدير السدي زعمت اليهود ان الله اوحى

الي

فقال ... وقالوا ان الله اوحى ... زعم انه ...

الى اسرائيل عليه السلام ان ولدك بكري من الولد فالبغوا والنصارى قالت نحن
ابنا الله لان في الانجيل حكاية اذهب الى ابي وابيكم وقيل المعنى نحن ابنا رسل الله فهو
على حذف وبالجملة فانهم راوا لانفسهم فضلا فرد عليهم قولهم فقال قل فلم يعذبكم
بذنوبكم فلم يكونوا يخلون من احد وجهين اما ان يقولوا هو يعذبنا فيقال لهم فلستم
اذا ابناوه واحباوه فان الحبيب لا يعذب حبيبه وانتم تقرون بعذابه فذلك
دليل على كذبكم وهذا هو المسمى عند الجدليين برهان الخلف او يقولوا ما يعذبنا
فيكذبوا ما في كتبهم وما جاءت به رسلهم ويبيحوا المعاصي وهم معترفون
بعذاب العصاة منهم ولهذا يلتزمون احكام كتبهم وقيل معنى يعذبكم عذبكم
فهو بمعنى المضي اي فلم مسخكم قردة وخنازير ولم عذب من قبلكم من اليهود والنصا دي
بانواع العذاب وهم امثالكم لان الله سبحانه لا يحتج عليهم بشي لم يكن بعد
لانهم ربما يقولون لا نعذب غدا بل يحتج عليهم بما عرفوه ثم قال بل انتم بشر
ممن خلق اي كسائر خلقه يحاسبكم على الطاعة والمعصية ويجازي كلا بما عمل
يغفر لمن يشا اي لمن تاب من اليهود ويعذب من يشا اي لمن مات عليها ولله ملك
السموات والارض فلا شريك له يعارضه واليه المصير اي يول امر العباد اليه
في الاخرة   يا اهل الكتاب قد جاكم رسولنا يعني محمد صلى الله
عليه وسلم يبين انقطاع حجتهم حتى لا يقولوا غدا ما جانا رسول على فترة من
الرسل اي سكون يقال فتر الشي سكن وقيل على فترة على انقطاع ما بين النبيين عن
ابي علي وجماعة اهل العلم حكاه الرماني قال والاصل فيها انقطاع العمل عما كان
عليه من الجد فيه من قولهم فتر عن عمله وفترته عنه ومنه فتر الما اذا انقطع
عما كان من البرد الى السخونة وامراة فاترة الطرف اي منقطعة عن حدة النظر
وفتور البدن كفتور الما والفتر ما بين السبابة والابهام اذا فتحتهما والمعنى اي

مضت للرسل مده قبله واختلف في قدر مدة تلك الفترة فذكر محمد بن سعد
في كتاب الطبقات عن ابن عباس قال كان بين موسى بن عمران وعيسى بن مريم عليهما
السلام الف سنه وتسع مايه ولم يكن بينهما فترة وانه ارسل بينهما الف نبي
من بني اسرايل سوى من ارسل من غيرهم وكان بين ميلاد عيسى والنبي صلى الله
عليه وسلم خمس مايه سنه وتسع وستون سنه بعث في اولها ثلاثه انبيا وهو
قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث والذي عزز به شمعون
وكان من الحواريين وكانت الفترة التي لم يبعث الله فيها رسولا اربع مايه سنه
واربعه وثلاثون سنه وذكر الكلبي ان بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم خمس
مايه سنه وتسع وستون سنه وبينهما اربعه انبيا واحد من العرب من
بني عبس وهو خالد بن سنان قال القشيري ومثل هذا لا يعلم الا بخبر صدق وقال
قتاده كان بين عيسى عليه وبين محمد صلى الله عليه وسلم ست مايه سنه وقاله مقاتل
والضحاك ووهب بن منبه الا ان وهبا زاد عشرين سنه وعن الضحاك ايضا اربع مايه
وبضع وثلاثون سنه وذكر ابن سعد عن عكرمه قال بين ادم ونوح عشرة قرون
كلهم على الاسلام قال ابن سعد اخبرنا محمد بن عمر بن واقد الاسلمي عن غير واحد قالوا
كان بين ادم ونوح عشرة قرون القرن مايه سنه وبين نوح وابراهيم عشرة قرون
والقرن مايه سنه وبين ابرهيم وموسى بن عمران عشرة قرون والقرن مايه سنه
فهذا ما بين ادم ومحمد صلى الله عليه وسلم والسنين والله اعلم ان تقولوا وكراهيه لئلا
ان تقولوا فهو في موضع نصب ما جانا من بشير اي مبشر ولا نذير اي منذر ويجوز
من بشير ولا نذير على الموضع قال ابن عباس قال معاذ بن جبل وسعد بن عباده وعقبه
بن وهب لليهود يا معشر يهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون ان محمدا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه بصفته فقالوا ما انزل

الله من كتاب بعد موسى ولا ارسل بعده من بشير ولا نذير فنزلت الاية والله
على كل شي قدير على ارسال من يشا من خلقه وقيل قدير على انجاز ما بشر به وانذر
منه   واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم الاية
تبيين من الله تعالى على اسلافهم تمردوا على موسى وعصوه فكذلك هولاء مع محمد صلى الله
عليه وسلم وهو تسلية له اي يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا
قصة موسى وروي عن عبد الله بن كثير انه قرا يا قوم اذكروا بضم الميم وكذلك
ما اشبهه وتقديره يا ايها القوم اذ جعل فيكم انبيا لم يصرف لان فيه الف التانيث
وجعلكم ملوكا اي تملكون امركم لا يغلبكم عليه غالب بعد ان كنتم مملكين لفرعون
مقهورين فانقذكم منه بالغرق فهم ملوك بهذا الوجه وبنحوه فسر السدي والحسن
وغيرهما قال السدي ملك كل واحد منهم نفسه واهله وماله وقال قتادة انما
قال وجعلكم ملوكا لانا كنا نتحدث انهم اول من خدم من بني ادم قال ابن عطية
وهذا ضعيف لان القبط قد كانوا يستخدمون بني اسرائيل وظاهر امر بني ادم
ان بعضهم كان يسخر بعضا مذ تناسلوا وكثروا وانما اختلفت الامم في معنى التمليك
فقط وقيل جعلكم ذوي منازل لا يدخل عليكم الا باذن وروي معناه عن جماعة من
اهل العلم قال ابن عباس الرجل اذا لم يدخل احد في بيته الا باذنه فهو ملك وعن
الحسن ايضا وزيد بن اسلم ان من كانت له دار وزوجة وخادم فهو ملك وهو قول   ل
عبد الله بن عمرو كما في صحيح مسلم عن ابي عبد الرحمن الحبلي قال سمعت عبد الله بن
عمرو بن العاص وساله رجل فقال الستا من فقرا المهاجرين فقال عبد الله الك امراة
تاوي اليها قال نعم قال الك مسكن تسكنه قال نعم قال فانت من الاغنيا قال
فان لي خادما قال فانت من الملوك قال ابن العربي وفايدة هذا ان الرجل اذا وجبت
عليه كفارة وملك دارا وخادما باعهما في الكفارة ولم يجزه الصيام لانه

قادر على الرقبة والملوك لا يكفرون بالصيام ولا يوصفون بالعجز عن الاعتاق
وقال ابن عباس ومجاهد جعلكم ملوكا بالمن والسلوى والحجر والغمام اي هم
مخدومون كالملوك وعن ابن عباس ايضا يعني الخادم والمنزل وقاله مجاهد وعكرمة
والحكم بن عيينة وزادوا الزوجة وكذا قال زيد بن اسلم الا انه قال فيما نعلم عن
النبي صلى الله عليه وسلم من كان له بيت او قال منزل يأوي اليه وزوجة وخادم يخدمه
فهو ملك ذكره النحاس ويقال من استغنى عن غيره فهو ملك وكما قال النبي صلى الله
عليه وسلم من اصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا
بحذافيرها وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين والخطاب من
موسى لقومه في قول جمهور المفسرين وهو وجه الكلام مجاهد والمراد بالايتاء
المن والسلوى والحجر والغمام وقيل كثرة الانبياء فيهم والايات التي جاءتهم وقيل
قلوبا سليمة من الغل والغش وقيل احلال الغنائم والانتفاع بها قال الشيخ المؤلف
رحمه الله وهذا القول مردود فان الغنائم لم تحل لاحد الا لهذه الامة على ما
ثبت في الصحيح وما يأتي بيانه ان شاء الله تعالى وهذه المقالة من موسى توطئة
لهم ولنفوسهم حتى تعززوا باخذ الامر بدخول ارض الجبارين بقوة وتنفذ
في ذلك نفوذ من اعزه الله و رفع شانه ومعنى على العالمين اي عالمي زمانكم
عن الحسن وقال ابن جبير وابو مالك الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم
وهذا عدول عن ظاهر الكلام بما لا يحسن مثله وتظاهرت الاخبار
ان دمشق قاعدة الجبارين المقدسة معناه المطهرة مجاهد المباركة
والبركة التطهير من القحوط والجوع ونحوه قتادة هي الشام مجاهد
الطور وما حوله ابن عباس والسدي وابن زيد هي اريحا الزجاج دمشق
وفلسطين وبعض الاردن وقول قتادة يجمع هذا كله التي كتب الله لكم

اي

اى فرض دخولها عليكم و وعدكم دخولها وسكناها لكم ولما خرجت
بنوا اسرايل من مصر امرهم بجهاد اهل اريحا من بلاد فلسطين فقالوا لا
علم لنا بتلك الديار فبعث بامر الله اثنا عشر نقيبا من كل سبط رجلا
يتجسسون الاخبار على ما تقدم فراوا سكانها الجبابرين من العمالقة وهم
ذوا اجسام هايلة حتى قيل ان بعضهم راى هولا النقبا فاخذهم في كمه مع
فاكهة كان قد حملها من بستانه وجا بهم الى الملك فنثرهم بين يديه وقال
ان هولا يريدون قتالنا فقال لهم ارجعوا الى صاحبكم واخبروه بخبرنا على
ما تقدم وقيل انهم لما رجعوا اخذوا من عنب تلك الارض عنقودا فحمله
رجل واحد وقيل حمله النقبا الاثنا عشر قال الشيخ المولف رحمه الله وهو
اشبه فانه يقال انهم لما وصلوا الى الجبابرين وجدوهم يدخل في كم احدهم
اثنان منهم ولا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة منهم في خشبه ويدخل في شطر
الرمانة اذا نزع حبه خمسة انفس او اربع قال الشيخ المولف ولا تعارض بين
هذا والاول فان ذلك الجبار الذى اخذهم في كمه ويقال في حجره هو عوج
بن عناق وكان اطولهم قامة واغلظهم خلقا على ما ياتي من ذكره ان شا
الله تعالى وكان طول سايرهم ستة اذرع ونصف في قول مقاتل وقال
الكلبي كان طول كل رجل منهم ثمانون ذراعا فالله اعلم فلما ادعوا الخبر ما
عدا يوشع وكلاب بن يوقنا وامتنعت بنوا اسرايل من الجهاد عوقبوا
بالتيه اربعين سنة الى ان مات اوليك العصاة ونشا اولادهم فقاتلوا
الجبابرين وغلبوهم ولا ترتدوا على ادباركم اى لا ترجعوا
عن طاعتي وما امرتكم به من قتال الجبابرين وقيل لا ترجعوا عن طاعة الى معصيته
والمعنى واحد قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين اى عظام الاجسام

طوال وقد تقدم يقال نخله جباره اي طويله والجبار المتعظم الممتنع من
الذل والفقر قال الزجاج الجبار من الادميين العاتي وهو الذي يجبر الناس
على ما يريد فاصله على هذا من الاجبار وهو الاكراه فانه يجبر غيره على ما يريده
اجبره اي اكرهه وقيل هو ماخوذ من جبر العظم فاصل الجبار على هذا المصلح
امر نفسه ثم استعمل في كل من جر لنفسه نفعا حقا او باطلا وقيل ان جبر العظم
راجع الى معنى الاكراه قال الفرا لم اسمع فعالا من افعل الا في حرفين جبار من
اجبر ودراك من ادرك ثم قيل هولا من بقايا عاد وقيل هم من ولد عيص
بن اسحق وكانوا من الروم وكان زعيمهم عوج الاعنق وكان طوله ثلاثه الاف
وعشرون الف ذراع وثلاث مايه وثلاثه وثلاثون ذراعا قاله ابن عمر وكان
تحتجز السحاب ان عيد به لحجنه ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر
فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم ياكله وحضر طوفان نوح عليه السلام ولم
يجاوز ركبتيه وكان عمره ثلاثه الاف وستمايه سنه وانه قطع صخره
على قدر عسكر موسى ليرضخهم بها فبعث الله طايرا فنقرها ووقعت في عنقه
فصرعته واقبل موسى عليه السلام وطوله عشره اذرع وعصاه عشره
اذرع وترقا في السما عشره اذرع فما اصاب الا كعبه وهو مصروع
فقتله وقيل بل ضربه في العرق الذي تحت كعبه فصرعه فمات ووقع على
نيل مصر فجسرهم سنه ذكر هذا المعنى باختلاف الفاظ محمد بن اسحق والطبري
ومكي وغيرهم وقال الكلبي عوج من ولد هاروت وماروت حيث وقعا
بالمراه فحملت والله اعلم وانا لن ندخلها يعني البلد ايليا وقيل اريحا
حتى يخرجوا منها اي حتى يسلموها لنا من غير قتال وقيل قالوا ذلك خوفا
من الجبارين فلم يقصدوا العصيان لانهم قالوا فان يخرجوا منها فانا داخلون

قوله تعالى

قال رجلان من الذين يخافون قال ابن عباس وغيره هما يوشع
وكلاب بن يوفنا ويقال بن قانيا وكانا من الاثنا عشر نقيبا ويخافون اي من الجبارين
قتاده يخافون الله تعالى وقال الضحاك هما رجلان كانا في مدينه الجبارين على دين
موسى والمعنى يخافون على هذا اي من العمالقه من حيث الطبع لان لا يطلعوا على
ايمانهم فيفتنوهم ولكن وثقا بالله وقيل يخافون ضعف بني اسرائيل وجبنهم
وقرا مجاهد وابن جبير يُخافون بضم اليا وهذا يقوى انهما من غير قوم موسى
انعم عليهما اي بالاسلام او باليقين والصلاح ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه
فانكم غالبون قالا لبني اسرائيل لا يهولنكم عظم اجسامهم فقلوبهم مليت رعبا
منكم فاجسامهم عظيمه وقلوبهم ضعيفه فكانوا قد علموا انهم اذا دخلوا
من ذلك الباب كان لهم الغلب ويحتمل ان يكونا قالا ذلك ثقه بوعد الله
ثم قالا وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين مصدقين به فانه ينصركم ثم قيل على
القول الاول لما قالا هذا اراد بنوا اسرائيل رجمهما بالحجاره وقالوا ا
نصدقكما وندع قول عشره ثم قالوا لموسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها
وهذا عناد وحيد من القتال واياس من النصر ثم جهلوا صفه الرب سبحانه
وتعالى فقالوا اذهب انت وربك فقاتلا وصفوه بالذهاب والانتقال
والله متعال عن ذلك وهذا يدل على انهم كانوا مشبهه وهو معنى قول
الحسن لانه قال هو كفر منهم بالله وهو الاظهر في معنى هذا الكلام وقيل اي ان
نصرة ربك لك احق من نصرتنا وقتاله معك ان كنت رسوله اولى من قتالنا فعلى
هذا يكون ذلك منهم كفرا لانهم شكوا في رسالته وقيل المعنى اذهب انت
فقاتل وليعنك ربك وقيل ارادوا بالرب هارون وكان اكبر من موسى وكان
موسى يطيعه وبالجمله فقد سفهوا بقولهم لقوله فلا تاس على القوم الفا

اي لا تعرض عليهم انا هاهنا قاعدون اي لا نبرح ولا نقاتل ويجوز قاعدين على
الحال لان الكلام قد تم قبله   قال رب اني لا املك الا نفسي
واخي لانه كان يطيعه وقيل المعنى اني لا املك ثم ابتدا فقال واخي اي واخي
ايضا لا يملك الا نفسه فاخي على القول الاول في موضع نصب عطفا على نفسي
وعلى الثاني في موضع وان شيت عطفت على اسم ان وهي اليا اي اني واخي لا نملك
الا انفسنا وان شيت على المضمر في املك كانه قال لا املك انا واخي الا انفسنا
فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين يقال باي وجه سال الفرق بينه وبين هولا القوم
ففيه اجوبة الاول بما يدل على بعدهم عن الحق وذهابهم عن الصواب فيما ارتكبوا
من العصيان ولذلك القول في التيه الثاني بطلب التمييز اي ميزنا عن جملتهم
ولا تلحقنا بهم في العقاب وقيل المعنى فاقض بيننا وبينهم بعصمتك ايانا
من العصيان الذي ابتليتهم به ومنه فيها يفرق كل امر حكيم اي يقضى وقد
فعل لما اماتهم في التيه وقيل انما اراد في الاخرة اي اجعلنا في الجنة
ولا تجعلنا معهم في النار والشاهد على الفرق والذي يدل على
المباعدة في الاحوال قول الشاعر يا رب فافرق بينه وبيني اشد ما
فرقت بين اثنين وروي بن عيينه عن عمرو رويناه عن عبيد بن عمير انه
قرافافرق بيننا لها   قال فانها محرمه عليهم استجاب
الله دعاه وعاقبهم في التيه اربعين سنه واصل التيه في اللغه
الحيره يقال منه تاه يتيه تيها وتوها اذا تحير وتيهته وتوهته
والتيه الحر والارض التيه التي لا يهتدي فيها ارض تيهه وتيها قال تيه
اتاويه على السقاط اخرتينا قفرا والمطي بها قطا الحرت قد كانت
فراسخ يوضعها فكانوا يسيرون في فراسخ قليله فيل في قدر سنه فراسخ

يومهم

يومهم وليلتهم فيصبحون حيث امسوا ويمسون حيث امسوا وكانوا
سيارة لا قرار لهم واختلف هل كان معهم موسى فقيل لا لان التيه
عقوبة وكانت سنون التيه بعدد ايام العجل فقوبلوا على يوم سنة
وقد قال فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقيل كان معهم لكن
سهل الله الامر عليهما كما جعل النار بردا وسلاما على ابرهيم
ومعنى محرمة اي انهم ممنوعون من دخولها كما يقال حرم وجهك
على النار وحرمت عليك دخول الدار فهو تحريم منع لا تحريم شرع
عن اكثر اهل التفسير كما قال الشاعر جالت لتصرعني فقلت لها
اقصري اني امرؤ صرعي عليك حرام اي انا فارس فلا يمكنك صرعي وقال
ابو علي يجوز ان يكون تحريم تعبد ويقال كيف يجوز على جماعة
كبيرة من العقلاء ان يسيروا في فراسخ يسيرة فلا يهتدوا للخروج
منها الجواب قال ابو علي قد يكون ذلك بان يحول الله الارض
التي هم عليها اذا ناموا فيردهم الى المكان الذي ابتدوا منه
وقد يكون بغير ذلك من الاشتباه والاسباب المانعة من الخروج
عنها على طريق المعجز الخارجة عن العادة اربعين ظرف زمان للتيه
في قول الحسن وقتادة قالا ولم يدخلها احد منهم فالوقف على هذا
عليهم وقال الربيع بن انس وغيره ان اربعين سنة ظرف للتحريم
فالوقف على هذا على اربعين سنة فعلى الاول انما دخلها اولادهم
وقاله بن عباس ولم يبق منهم الا يوشع بعد رايهم الى ملك المدينة وفتحوها
وعلى الثاني لمن بقي منهم بعد اربعين سنة دخلوها وروي عن
بن عباس ان موسى وهارون كانا في التيه قال غيره ونبا الله يوشع

وامرنبيا للجبارين وفيها حبست عليه الشمس حتى دخل المدينه وفيها
احرق الذى وجد الغلول عنده وكانت تنزل من السما اذا اغنموا
نارا بيضا تاكل الغنايم وكان ذلك دليلا على قبولها فان كان فيها غلولا لم
تاكله وجات السباع والوحوش فاكلته فنزلت النار فلم تاكل ما غنموا
فقال ان فيكم الغلول فلتبايعني كل قبيله فبايعته فلصقت يد رجل
منهم بيده فقال ان فيكم الغلول فاخرج مثل راس البقره من ذهب
فنزلت النار فاكلت الغنايم وكانت نارا بيضا مثل الفضه لها هفيف
اى صوت الشجر وجناح الطاير فيما يذكرون فذكر وا انه احرق الغال
ومتاعه بغور يقال له ليز غور عاجز عرف باسم الغال وكان اسمه
عاجزا قال الشيخ المولف رحمه الله ونستفاد من هذا عقوبة الغال
قبلنا وقد تقدم حكمه فى ملتنا وبيان ما ابهم اسم النبى والغال
فى الحديث الصحيح عن ابى هريره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال غزا نبى من الانبيا الحديث اخرجه مسلم وفيه قال فغزا فادنى القريه
حين صلاه العصر او قريبا من ذلك فقال للشمس انت مامور وانا مامور
اللهم احبسها على شيا فحبست عليه حتى فتح الله عليه قال فجمعوا ما
غنموا فاقبلت النار لتاكله فابت ان تطعمه فقال فيكم غلول فليبايعنى
من كل قبيله رجل فبايعوه قال فلصق بيد رجلين او ثلاثة فقال فيكم
الغلول وذكر نحو ما تقدم قال علماونا والحكمه فى حبس الشمس على
يوشع عند قتاله اهل اريحا واشرافه على فتحها عشى يوم الجمعه واشفاقه
من ان تغرب الشمس قبل الفتح انه لو لم تحبس عليه حرم عليه القتال
لاجل السبت ويعلم به عدوهم فيعمل فيهم السيف ويجتاحهم فكان

ذلك

دلاله له خصها بعد ان كانت توبته تابته بخبر موسى عليه السلام
على ما يقال والله اعلم وفي هذا الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم فلم
تحل الغنايم لاحد من قبلنا ذلك بان الله عز وجل راى ضعفنا وعجزنا
فطيبها لنا وهذا يرد قول من قال في تاويل قوله واتاكم ما لم يوت احدا من
العالمين انه تحليل الغنايم والانتفاع بها وممن قال ان موسى مات بالتيه
عمرو بن ميمون الاودي وزاد وهارون وكانا خرجا في التيه الى بعض الكهوف
فمات هارون فدفنه موسى وانصرف الى بني اسرايل فقالوا ما فعل هارون ن
قال مات قالوا كذبت ولكنك قتلته لحبنا له وكان محببا في بني
اسرايل فاوحى الله تعالى اليه ان انطلق بهم الى قبره فاني باعثه حتى يخبر هم
انه مات موتا ولم يقتله فانطلق بهم الى قبره فنادى يا هارون فخرج من
قبره ينفض راسه فقال انا قاتلك قال لا ولكني مت قال فعد الى مضجعك
وانصرف وقال الحسن ان موسى لم يمت بالتيه وقال غيره وان موسى فتح
اريحا وكان يوشع على مقدمته فقاتل الجبابرة الذين كانوا بها ثم
دخلها موسى ببني اسرايل فاقام فيها ما شا الله ان يقيم ثم قبضه الله
تعالى اليه لا يعلم قبره احد من الخلايق قال الثعلبي وهو اصح الاقاويل
قال الشيخ المولف رحمه الله وقد روى مسلم عن ابي هريرة قال ارسل ملك
الموت الى موسى فلما جاه صكه ففقا عينه فرجع الى ربه فقال ارسلتني الى
عبد لا يريد الموت قال فرد الله اليه عينه وقال ارجع اليه فقل له
يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة قال اي رب
ثم مه قال ثم الموت قال فالان فسال الله ان يدنيه من الارض المقدسة
رمية بحجر فقال النبي صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لاريتكم قبره الى جانب

الطريق تحت الكثيب الاحمر فهذا نبينا صلى الله عليه وسلم قد علم قبره ووصف
موضعه ورآه فيه قائما يصلي كما جاء في حديث الاسرا الا انه يحتمل ان
يكون اخفاه الله عن الخلق سواه ولم يجعله مشهورا عندهم ولعل
ذلك لئلا يعبد والله اعلم ويعني بالطريق طريق بيت المقدس ووقع
في بعض الروايات الى جانب الطور مكان الطريق واختلف العلما في
تاويل لطم موسى عين ملك الموت وفقيها على اقوال منها انها كانت عينا
متخيله لا حقيقة وهذا باطل لانه يودي الى ما يراه الانبيا من صور
الملايكة لا حقيقة له ومنها انها كانت عينا معنويه وانما فقاها بالحجه
وهذا مجاز لا حقيقة ومنها انه عليه السلام لم يعرف ملك الموت وانه
راى رجلا دخل منزله بغير اذنه يريد نفسه فدافع عن نفسه فلطم
عينه ففقاها وتجب المدافعة في هذا بكل ممكن وهذا وجه حسن لانه
حقيقة في العين والصك قاله الامام ابو بكر بن خزيمه غير انه اعترض
عليه بما في الحديث وهو ان ملك الموت لما رجع الى الله تعالى قال يا رب
ارسلتني الى عبد لا يريد الموت فلو لم يعرفه موسى لما صدر هذا القول
من ملك الموت وايضا قوله في الروايه الاخرى اجب ربك يدل على تعريفه
بنفسه والله اعلم ومنها ان موسى عليه السلام كان سريع الغضب اذا
غضب طلع الدخان من قلنسوته ورفع شعر بدنه جبته وسرعة غضبه
كان سببا لصكه ملك الموت قاله ابن العربي وهذا كما ترى فان الانبيا معصو
مون ان يقع منهم ابتدا مثل هذا في الرضا والغضب ومنها وهو الصحيح من
هذه الاقوال ان موسى عليه السلام عرف ملك الموت وانه جا ليقبض روحه
لكنه جا مجي الجازم بانه قد امر بقبض روحه من غير تخيير وعند موسى ما نص عليه

نبينا صلى الله

نبينا صلى الله عليه وسلم من ان الله لا يقبض روح نبي حتى يخيره فلما جاءه على الوجه
الذي اعلم بادر بشيا منه ووقع نفسه الى ادبه فلطمه ففقات عينه امتحانا للملك
الموت اذ لم يصرح له بالتخيير ومما يدل على صحه هذا انه لما رجع اليه ملك الموت
فخيره بين الحياه والموت واختار الموت واستسلم والله بغيبه احكم واعلم هذا
اصح ما قيل في وفاه موسى عليه السلام وقد ذكر المفسرون في ذلك قصصا
واخبارا الله اعلم بصحتها وفي الصحيح غنيه عنها وكان عمر موسى مايه وعشرين
سنه فيروي ان يوشع راه بعد موته في المنام فقال له كيف وجدت الموت
قال كشاه تسلخ وهي حيه وهذا صحيح المعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح ان للموت سكرات على ما بيناه في كتاب التذكره والحمد لله وقوله فلا تاس
على القوم الفاسقين اي لا تحزن والاسى الحزن اسي ياسى اسى اي حزن قال يقولون لا تهلك
اسى وتجمل   واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق الى قوله من المتقين فيه مسلتان
قوله تعالى واتل عليهم نبا ابني ادم وجه اتصال هذه الايه بما قبلها
التنبيه من الله تعالى على ظلم اليهود ونقضهم المواثيق والعهود كظلم ابن ادم لاخيه
المعنى اي ان هم هولا اليهود بالفتك بك يا محمد فقد قتلوا قبلك الانبيا وقتل
قابيل هابيل والشر قديم اي ذكرهم هذه القصه فهي قصه صدق لا كالاحاديث
الموضوعه وفي ذلك تبكيت لمن خالف الاسلام وتسليه للنبي صلى الله عليه وسلم
واختلف في بني ادم فقال الحسن البصري ليسا لصلبه كانا رجلين من اسرايل ضرب
الله بهما المثل في ابانه حسد اليهود وكان بينهما خصومه فتقربا بقربانين ولم
تكن القرابين الا في بني اسرايل قال ابن عطيه وهذا وهم وكيف يجهل صوره الدفن
احد من بني اسرايل حتى يقتدي بالغراب والصحيح انهما ابناه لصلبه هذا
قول الجمهور من المفسرين وقال ابن عباس وابن عمر وغيرهما هابيل وقابيل وكان

قربان قابيل حزمة من سنبل لانه كان صاحب زرع واختارها من ارذل زرعه
ثم انه وجد فيها سنبلة طيبة ففركها واكلها وكان قربان هابيل كبشا لانه كان
صاحب غنم اخذه من اجود غنمه فتقبل فرفع الى الجنة فلم يزل يرعى فيها الى ان فدي
به الذبيح عليه السلام قاله سعيد بن جبير وغيره فلما تقبل قربان هابيل لانه
كان مؤمنا قال له قابيل حسدا لانه كان كافرا اتمشي على الارض يراك الناس
افضل مني لاقتلنك وقيل سبب هذا القربان ان حوا عليها السلام كانت تلد
في كل بطن ذكرا وانثى الا شيثا عليه السلام فانها ولدته منفردا عوضا من
هابيل على ما ياتي واسمه هبة الله لان جبريل عليه السلام قال لحوا لما ولدته
هذا هبة الله لك بدل هابيل وكان ادم يوم ولد شيث ابن ثلاثين ومائة سنة
وكان يزوج الذكر من هذا البطن الانثى من البطن الاخر ولا تحل له اخته توامته
فولدت مع قابيل اختا جميلة واسمها اقليما ومع هابيل اختا ليست كذلك اسمها ليوذا
فلما اراد ادم تزويجها قال قابيل انا احق باختي فامره ادم فلم ياتمر وزجره فلم
ينزجر فاتفقوا على التقريب قاله جماعة من المفسرين منهم ابن مسعود وروي ان
ادم حضر ذلك والله اعلم وقد روي في هذا الباب عن جعفر الصادق ان
ادم لم يكن يزوج ابنته من ابنه ولو فعل ذلك ادم ما رغب عنه النبي صلى الله
عليه وسلم ولا كان دين ادم الا دين النبي صلى الله عليه وسلم وان الله تعالى لما
اهبط ادم وحوا الى الارض جمع بينهما ولدت حوا بنتا فسماها عناقا فبغت
وهي اول من بغى على وجه الارض فسلط الله عليها من قتلها ثم ولدت لادم
قابيل ثم ولد له هابيل فلما ادرك قابيل اظهر الله له جنية من ولد الجن يقال
لها جمالة في صورة انسية واوحى الله الى ادم ان زوجها من قابيل فزوجها منه
فلما ادرك هابيل اهبط الله الى ادم حورا في صورة انسية وخلق لها رحما وكان

ادم

اسمها

اسمها نزله فلما نظر اليها هابيل احبها فاوحى الله الى ادم ان زوج نزله من هابيل
ففعل فقال قابيل يا ابه الست اكبر من اخي قال قلت احق بما فعلت به منه
فقال له ادم يا بني ان الله الذي امرني بذلك وان الفضل بيد الله يوتيه من يشا
فقال لا والله ولكنك اثرته علي قال ادم فقربا قربانا فايهما يقبل قربانه فهو احق
بالفضل قال الشيخ المولف رحمه الله هذه القصه عن جعفر ما اظنها تصح وان
القول ما ذكرناه من انه كان يزوج غلام هذا البطن لجاريه تلك البطن
والدليل على هذا من الكتاب قوله الحق يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من
نفس واحده وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونسا وهذا كالنص
ثم نسخ ذلك حسب ما تقدم بيانه في سوره البقره وكان جميع ما ولدته حوا
اربعين من ذكر وانثى في عشرين بطنا اولهم قابيل واخرهم عبد المغيث ثم بارك
الله في نسل ادم قال ابن عباس لم يمت ادم حتى بلغ نسله ولده وولد ولده اربعين
الفا وما روي عن جعفر قوله فولدت بنتا وانها بغت فيقال لمن بغت امه
حتى تسول لها ومثل هذا يحتاج الى نقل صحيح يقطع العذر وذلك معدوم
والله اعلم   وفي قول هابيل انما يتقبل الله من المتقين كلام قبله
محذوف لانه لما قال له قابيل لاقتلنك قال له ولم تقتلني وانا لم اجن ولا ذنب
لي في قبول الله قرباني اما اني اتقيته وكنت على لاحب الحق وانما يتقبل الله من
المتقين قال ابن عطيه المراد بالتقوى هنا اتقا الشرك باجماع اهل السنه لمن
اتقاه وهو موحد فاعماله التي تصدق فيها نيته مقبوله واما المتقي الشرك والمعاصي
فله الدرجه العليا من القبول والختم بالرحمه علم ذلك باخبار الله تعالى لا ان
ذلك يجب على الله تعالى عقلا وقال عدي بن ثابت وغيره قربان متقي هذه الامه
الصلاه قال الشيخ المولف رحمه وهذا خاص في نوع من العبادات وقد روى البخا

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى قال
من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب وما تقرب عبدي بشي احب الي مما افترضت
عليه وما يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن
سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شي انا فاعله ترددي
عن نفس عبدي المومن يكره الموت وانا اكره اساته لئن بسطت الي يدك
لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك فيه مسئلتان قوله تعالى
لئن بسطت الاية اي لئن قصدت قتلي فانا لا اقصد قتلك فهذا استسلام منه
وفي الخبر اذا كانت الفتنة فكن خير ابني ادم وروى ابو داود عن سعد بن ابي وقاص
قال قلت يا رسول الله ان دخل علي بيتي وبسط الي يده ليقتلني قال فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كن كخير ابني ادم وتلا هذه الاية لئن بسطت الي يدك لتقتلني قال
مجاهد كان الفرض عليهم حينئذ الا يسل احد سيفا وان لا يمتنع ممن يريد قتله
قال علماونا وذلك مما يجوز ورود التعبد به الا ان في شرعنا يجوز دفعه اجماعا
وفي وجوب ذلك عليهم خلاف والاصح وجوب ذلك لما فيه من النهي عن المنكر وفي
الحشوية قوم لا يجوزون للمصول عليه الدفع واحتجوا بحديث ابي ذر وحمله العلما
على ترك القتال في الفتنة وكف اليد عن الشبهة على ما بيناه في كتاب التذكرة وقال
عبد الله بن عمرو وجمهور الناس كان هابيل اشد قوة من قابيل ولكنه تحرج قال
ابن عطية وهو الاظهر ومن ههنا يقوى ان قابيل انما هو عاص لا كافر لانه لو كان
كافرا لم يكن للتحرج هنا وجه وانما وجه التحرج في هذا ان المتحرج يابى ان يقاتل موحدا
ويرضى بان يظلم ليجازى في الاخرة ونحو هذا فعل عثمان رضي الله وقيل المعنى لا اقصد
قتلك بل الدفع عن نفسي وعلى هذا قيل كان نائما فجا قابيل فرضخ راسه بحجر على ما

هدام

ياتي

باثمي ومدافعة الانسان عمن يريد ظلمه جائز وان كان على نفس العادي وقيل اذا د
لئن بدأت بقتلي فلا ابدأ بالقتل وقيل لئن بسطت الي يدك ظلما فما انا بظالم اني اخاف ف
الله رب العالمين قوله تعالى اني اريد ان تبوء باثمي واثمك قيل معناه
معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في
النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل
صاحبه فكانّ هابيل اراد اني لست بحريص على قتلك فالاثم الذي كان يلحقني
لو كنت حريصا على قتلك اريد ان تحمله انت مع اثمك في قتلي وقيل المعنى باثمي الذي
يختص بي فيما فرط لي اي يوخذ من سيأتي فتطرح عليك بسبب ظلمك لي وتبوء باثمك
في قتلك وهذا يعضده قول النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيمة بالظالم والمظلوم
فيوخذ من حسنات الظالم فتزاد في حسنات المظلوم حتى ينتصف فان لم يكن له حسنات
اخذ من سيأت المظلوم فتطرح عليه اخرجه مسلم بمعناه وقد تقدم ويعضده قوله
تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وهذا بين لا اشكال فيه وقيل المعنى اني
اريد ان لا تبوء باثمي واثمك كما قال تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وقوله
يبين الله لكم ان تضلوا اي لا تضلوا فحذف قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا
ضعيف لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول
كفل من دمها لانه اول من سن القتل فثبت بهذا ان اثم القتل حاصل وبهذا قال
اكثر العلماء ان المعنى ترجع باثم قتلي واثم قتلك الذي عملته قبل قتلي قال الثعلبي هذا
قول عامة المفسرين وقيل هو استفهام اي او اني اريد على جهة الانكار كقوله تعالى
وتلك نعمة اي او تلك نعمة وهذا لان ارادة القتل معصية حكاه القشيري وسئل اي م
ابو الحسن بن كيسان كيف يريد المومن ان ياثم اخوه وان يدخل النار فقال انما وقعت
الارادة بعدما بسط يده اليه بالقتل والمعنى لئن بسطت الي يدك لتقتلني لا تمتنع

من ذلك مريد الثواب فقيل له فكيف قال باثمي واثمك واي اثم له اذا قتل فقال
فيه ثلاثة اجوبة احدها ان تبوء باثم قتلي واثم ذنبك الذي من اجله لم يتقبل قربانك
ويروى هذا القول عن مجاهد والوجه الاخر ان تبوء باثم قتلي واثم اعتدايك علي
لانه قد ياثم في الاعتدا وان لم يقتل والوجه الثالث انه لو بسط يده اليه
فراى انه اذا امسك عن ذلك فاثمه يرجع على صاحبه فصار هذا مثل قولك
المال بينه وبين زيد اى المال بينهما فالمعنى ان تبوء باثمنا واصل باء رجع الى
الاباءة وهي المنزل وباوا بغضب من الله اي رجعوا وقد مضى في البقرة مستوفى
وقال الشاعر الا انتهى عنا ملوك وتتقي محارمنا لا يبوء الدم بالدم اي لا
يرجع الدم بالدم في القود فتكون من اصحاب النار دليل على انهم كانوا في
ذلك مكلفين قد لحقهم الوعد والوعيد وقد استدل بقول هابيل لاخيه
قابيل فتكون من اصحاب النار على انه كان كافرا لان لفظ اصحاب النار انما ورد
في الكتاب حيث وقع في الكفار وهذا مردود وهنا ذكرناه عن اهل العلم
في تاويل الاية ومعنى من اصحاب النار مدة كونك فيها والله اعلم

قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه فيه اربع مسايل

فطوعت له نفسه اي سهلت له يقال الشي طوع اي سهل وانقاد وطوعه فلان
له اي سهله قال الهروي طوعت وطاعت واحد يقال طاع له كذا اذا اتاه طوعا
وقيل طاوعته نفسه في قتل اخيه فنزع الخافض فانتصب روي انه جهل
كيف يقتله فجا ابليس بطاير او حيوان غيره فجعل يشدخ راسه بين حجرين
ليقتدي قابيل به ففعل قاله ابن جريج ومجاهد وغيرهما وقال ابن عباس
وابن مسعود وجده نايما فشدخ راسه بحجر وكان ذلك في ثور جبل بمكة
قاله ابن عباس وقيل عند عقبة حرا حكاه محمد بن جرير الطبري وقال جعفر الصادق

بالبصرة

بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وكان لهابيل يوم قتله قابيل عشرون سنه
ويقال ان قابيل كان يعرف القتل بطبعه لان الانسان وان لم ير القتل فانه يعلم
بطبعه ان النفس فانيه ويمكن اتلافها فاخذ حجرا فقتله بارض الهند فالله اعلم
ولما قتله ندم فقعد يبكي عند راسه اذ اقبل غرابان فاقتتلا فقتل احدهما الاخر
ثم حفر له حفرة فدفنه ففعل القاتل باخيه كذلك والسوءة يراد بها العورة
وقيل يراد بها جيفة المقتول ثم انه هرب الى ارض عدن من اليمن فاتاه ابليس وقال
انما اكلت النار قربان اخيك لانه كان يعبد النار فانصب انت ايضا نارا تكون لك ولعقبك
فبنا بيت نار فهو اول من عبد النار فيما قيل والله اعلم وروي عن ابن عباس انه لما
قتله وادم بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه وملحت المياه
واغبرت الارض فقال ادم عليه السلام قد حدث في الارض حدث فاتى
الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل وقيل ان قابيل هو الذي انصرف الى ادم فلما
وصل اليه قال له اين هابيل قال لا ادري كانك وكلتني بحفظه فقال له ادم
افعلتها والله ان دمه لينادي اللهم العن ارضا شربت دم هابيل فروي انه من
حينئذ ما شربت ارض دما ثم ان ادم بقي مايه سنه لم يضحك حتى جاءه ملك
فقال له حياك الله يا ادم وبياك قال ما بياك قال اضحكك قاله سالم بن
ابي الجعد ولما مضى من عمر ادم مايه وثلاثون سنه وذلك بعد قتل هابيل
بخمس سنين ولدت له شيثا وتفسيره هبة الله اي خلفا من هابيل وقال مقاتل
كان قبل قتل قابيل هابيل السباع والطيور تستانس بادم فلما قتل قابيل اخاه
هربوا فلحقت الطيور بالهوا والوحوش بالبرية والسباع بالغياض وروي
ان ادم قال لما تغيرت الحال تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون وقل بشاشة الوجه المليح في ابيات ذكرها

الثعلبي وغيره قال ثم ما قال الشعر وانما صلى الله عليه وسلم والانبيا كلهم في
النهي عن الشعر سوا لان لما قتل هابيل رثاه ادم وهو سرياني فهي مرثيه بلسان
السريانيه اوصى بها الى ابنه شيث قال انك وصيي فاحفظ مني هذا الكلام
ليتوارث فحفظت منه الى زمان يعرب بن قحطان فترجم يعرب عنه بالعبرانيه
وجعله شعرا   روي من حديث انس قال سيل النبي صلى الله عليه وسلم
عن يوم الثلثا فقال يوم الدم فيه حاضت حوا وفيه قتل بن ادم اخاه وثبت في
صحيح مسلم وغيره عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس
ظلما الا كان على بن ادم الاول كفل من دمها لانه كان اول من سن القتل وهذا نص
على التعليل وبهذا الاعتبار يكون على ابليس كفل من معصيه كل عصى بالسجود
لانه اول من عصى به وكذلك كل من احدث في دين الله ما لا يجوز من البدع والا
هوا قال النبي صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنه حسنه كان له اجرها
واجر من عمل بها الى يوم القيامه ومن سن في الاسلام سنه سيه كان
عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمه وهذا نص في الخير والشر وقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الايمه المضلين وهذا كله صريح
ونص صحيح في معنى الايه وهذا ما لم يتب الفاعل من تلك المعصيه لان ادم عليه
السلام اول من خالف في اكل ما نهي عنه ولا يكون عليه من اوزار من عصى لاكل
ما نهي عنه ولا شربه ممن بعده بالاجماع لان ادم من ذلك وتاب الله عليه فصار
لمن لم يجن ووجه اخر فانه اكل ناسيا على الصحيح من الاقوال كما بيناه في البقره والتايب
غير اثم ولا مواخذ   تضمنت هذه الايه البيان عن حال الحاسد
حتى انه قد يحمله حسده على اهلاك نفسه بقتل اقرب الناس اليه قرابه وامسهم
به رحما واولاهم بالحنو عليه ودفع الاذيه   قوله تعالى فاصبح
من الخاسرين

من الخاسرين اي ممن خسر حسناته وقال مجاهد علقت احد رجلي القابيل بساقها الى فخذها
من يوميذ الى يوم القيمة ووجهه الى الشمس حيث ما دارت عليه في الصيف حظيرة
من نار وعليه في الشتا حظيرة من ثلج قال بن عطيه فان صح هذا فهو من خسرانه
الذي تضمنه قوله فاصبح من الخاسرين والا فالخسران يعم خسران الدنيا والاخره
قال الشيخ المولف رحمه الله ولعل هذا يكون عقوبته على القول بانه عاصٍ لا كافر فيكون ن
المعنى فاصبح من الخاسرين اي في الدنيا والله اعلم فبعث الله غرابا
يبحث في الارض قال مجاهد بعث الله غرابين فاقتتلا حتى قتل احدهما صاحبه ثم
حفر فدفنه وكان بن ادم هذا اول من قتل وقيل ان الغراب بحث الارض على طعمه
ليخفيه الى وقت الحاجة اليه لانه من عاده الغراب فعل ذلك فتنبه قابيل لذلك
على مواراة اخيه وروي ان قابيل لما قتل هابيل جعله في جراب ومشا به يحمله في عنقه
مايه سنه قاله مجاهد وروى بن القاسم عن مالك انه حمله سنه واحده قاله بن عباس
وقيل حتى اروح ولا يدري ما يصنع به الى ان اقتدى بالغراب كما تقدم وفي الخبر
عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول امتن الله على بن ادم بثلاث
بالريح بعد الروح فلولا ان الريح تفوح بعد الروح ما دفن حميم حميما وبالدود
في الجثه فلولا ان الدود يقع في الجثه لاكتنزها فما ن خيرا لهم من الدنانير والدراهم لكنزها
وبالموت بعد الكبر وان الرجل ليكبر حتى يمل نفسه ويمله اهله وولده واقرباوه
فكان الموت استر له وقال قوم قابيل يعلم الدفن ولكن ترك اخاه بالعرا استخفافا به فبعث
الله غرابا يبحث التراب على هابيل ليدفنه فقال عند ذلك يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل
مثل هذا الغراب فاصبح من النادمين حيث راى اكرام الله لهابيل بان قيض الله الغراب ب
حتى واراه ولم يكن ذلك ندم توبه وقيل ندمه انما كان على فقده لا على قتله وان
لم يكن فاشر وطه او ندم فلم يستمر ندمه فقال بن عباس ولو كانت ندامته على قتله

لكانت الندامه توبه منه ويقال ان ادم وحوى اتيا قبره وبكيا ايا ما عليه ثم ان قابيل كان على ذروة
جبل فنطحه ثور فوقع الى السفح وقد تفرقت عروقه ويقال دعا عليه ادم فانخسفت به
الارض ويقال ان قابيل استوحش بعد قتل هابيل ولزم البريه وكان لا يقدر على ما ياكله الا
من الوحش فكان اذا ظفر به وقذه حتى يموت ثم ياكله قال ابن عباس فكانت الموقوذه حراما من
لدن قابيل بن ادم وهو اول من يساق من الادميين الى النار وذلك قوله تعالى ربنا ارنا الذين
اضلانا من الجن والانس فابليس راس الكافرين من الجن وقابيل راس الخطيه من الانس على ما ياتي
بيانه في حم فصلت ان شا الله تعالى وقد قيل ان الندم في ذلك الوقت توبه والله بكل ذلك
اعلم واحكم وظاهر الايه ان هابيل اول ميت من بني ادم ولذلك جهلت سنه المواراه
وكذلك حكى الطبري عن ابن اسحاق عن بعض اهل العلم بما في الكتب الاوايل ويبحث معناه
يفتش التراب بمنقاره ويثيره ومنه من هذا سميت سوره براه البحوث لانها فتشت عن
المنافقين ومن ذلك قول الشاعر ان الناس غطوني فغطيت عنهم وان بحثوني كان فيهم
مباحث وفي المثل لا تكن كالباحث على الشفره قال الشاعر فكانت كعنز السو قامت
برجلها الى مديه مدفونه تستثيرها بعث الله الغراب حكمه ليرى
ابن ادم كيفيه المواراه وهو معنى قوله ثم اماته فاقبره فصار فعل الغراب في المواراه سنه
باقيه في الخلق فرضا على جميع الناس على الكفايه من فعله منهم سقط فرضه عن الباقين
واخص الخلق به الاقربون الذين يلونه ثم الجيره ثم ساير المسلمين واما الكفار فقد روى
ابو داود عن علي قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ان عمك الشيخ الضال قد مات
قال اذهب فوار اباك ثم لا تحدثن شيا حتى تاتيني فواريته وجيته فامرني فاغتسلت
ودعا لي ويستحب في القبر سعته واحسانه لما رواه ابن ماجه عن
هشام بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احفروا واوسعوا
واحسنوا وروى عن الادرع الاسلمي قال جيت ليله احرس النبي صلى الله عليه وسلم فاذا

رجل

رجل قراءة عاليه فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا مرائي قال
فمات بالمدينه ففرغوا من جهازه فحملوا نعشه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارفقوا به
رفق الله به انه كان يحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قال وحضر حفرته فقال
اوسعوا له وسع الله عليه فقال بعض اصحابه لقد حزنت عليه فقال اجل
انه كان يحب الله ويحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اخرجه عن ابي بكر بن ابي
شيبه عن زيد بن الحباب عن موسى بن عبيده عن سعيد بن ابي سعيد قال ابو عمر
بن عبد البر ادرع الاسلمي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا واحدا روى عنه
سعيد بن ابي سعيد المقبري واما هشام بن عامر بن اميه الخشخاش بن عامر بن غنم بن
عدي بن النجار الانصاري كان يسمى في الجاهليه شهابا فغير النبي صلى الله عليه وسلم
اسمه فسماه هشاما واستشهد ابوه عامر يوم احد سكن هشام البصره ومات
بها ذكره في كتاب الصحابه   ثم قيل اللحد افضل من الشق فانه
الذي اختاره الله لرسوله صلى الله عليه وسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم لما توفي كان بالمد ينه
رجلان احدهما يلحد والاخر لا يلحد فقالوا ايهما جاء اول عمل عمله فجاء الذي يلحد فلحد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره مالك في الموطا عن هشام بن عروه عن ابيه واخر جه
بن ماجه عن انس بن مالك وعايشه عنهما والرجلان هما ابو طلحه وابو عبيده
كان ابو طلحه يلحد وابو عبيده يشق واللحد هو ان يحفر في جانب القبر
ان كانت تربه صلبه يوضع فيه الميت وتوضع عليه اللبن ثم يهال
التراب قال سعد بن ابي وقاص في مرضه الذي هلك فيه الحدوا لي لحدا
وانصبوا علي اللبن نصبا كما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم روى
عن بن ماجه وغيره عن بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحد
لنا والشق لغيرنا   روى بن ماجه عن سعيد بن المسيب قال

حضرت ابن عمر في جنازة فلما وضعها في اللحد قال بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اخذ في تسوية اللحد قال اللهم اجرها من
الشيطان ومن عذاب القبر اللهم جاف الارض عن جنبيها وصعد روحها ولقها منك
رضوانا قلت يا ابن عمر اشي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ام قلته
برايك قال اني اذا لقادر على القول بل شي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على جنازة ثم اتى قبر
الميت فحثا عليه من قبل راسه ثلاثا فهذا ما تعلق في معنى الاية من الاحكام والاصل
في ناويلنا يا ويلتى ثم ابدل من اليا الف وقرا الحسن على الاصل باليا والاول
افصح لان حذف اليا في النداء اكثر وهي كلمة تدعو بها العرب عند الهلاك قاله
سيبويه وقال الاصمعي ويل بعد وقرا الحسن اعجزت بكسر الجيم قال النحاس
وهذه لغة شاذة انما يقال عجزت المراة اذا عظمت عجيزتها عن الشي عجزا ومعجزة
ومعجزة من اجل ذلك اي من جر ذلك القاتل وجريرته وقال الزجاج
اي من جنايته يقال اجل الرجل على اهله شرا ياجل اجلا اذا جنى اخذ باخذ اخذا
قال الخنوت واهل خبا صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل انا اجله اي جانيه
وقيل انا جاره عليهم وقال عدي بن زيد اجل ان الله قد فضلكم فوق من احكا صلبا
بازار واصله الجر ومنه الاجل لانه وقت يجر اليه العقد الاول ومنه الاجل
نقيض العاجل وهو بمعنى يجر اليه امر متقدم ومنه اجل بمعنى نعم انقياد الى ما
جر اليه ومنه الاجل للقطيع من بقر الوحش لان بعضه يجر الى بعض قاله الرماني
وقرا يزيد بن القعقاع ابو جعفر من اجل ذلك بكسر النون وحذف الهمزة وهي لغة
والاصل من اجل ذلك فالقيت كسرة الهمزة على النون وحذفت الهمزة ثم قيل يجوز ان
يكون قوله من اجل متعلقا بقوله من النادمين فالوقف على قوله من اجل ذلك ويجوز ان

ان يكون

ان يكون متعلقا بما بعده وهو كتبنا من اجل ابتدا كلام والنحام من النادمين وعلى هذا
الكثر الناس اي من سبب هذه النازله كتبنا وخص بني اسرايبل بالذكر وقد تقدمتهم
امم قبلهم كان قتل النفس فيهم محصورا لانهم اول امة نزل الوعيد عليهم
في قتل الانفس مكتوبا وكان قبل ذلك قولا مطلقا فغلظ الامر على بني اسرايبل
بالكتاب بحسب طغيانهم وسفكهم الدما ومعنى بغير نفس اي بغير ان يقتل نفسا
فتستحق القتل وقد حرم الله القتل في جميع الشرايع الا بثلاث خصال كفر بعد
ايمان او زنا بعد احصان او قتل نفس ظلما وتعديا او فساد في الارض اي شرك
وقيل قطع الطريق وقرا الحسن او فسادا بالنصب على تقدير حذف فعل يدل
عليه اول الكلام تقديره او احدث فسادا والدليل عليه قوله من قتل نفسا
بغير نفس لانه من اعظم الفساد وقرا العامه فساد بالجر على معنى او بغير
فساد فكانما قتل الناس جميعا اضطرب لفظ المفسرين في ترتيب هذا
التشبيه لاجل ان عقاب من قتل جميعا اكثر من عقاب من قتل واحدا فروى عن ابن
عباس انه قال المعنى انه قال من قتل نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا ومن
احياه بان شد عضده ونصره فكانما احيا الناس جميعا وعنه ايضا انه قال المعنى
من قتل نفسا واحده وانتهك حرمتها فهو مثل من قتل الناس جميعا ومن ترك
قتل نفس واحده وصان حرمتها واستحياها خوفا من الله فهو كمن احيا الناس
جميعا وعنه ايضا المعنى فكانما قتل الناس جميعا عند المقتول ومن احياها
واستنقذها من هلكة فكانما احيا الناس جميعا عند المستنقذ وقال مجاهد
المعنى ان الذي يقتل النفس المومنه متعمدا جعل الله جزاوه جهنم وغضب عليه ولعنه
واعد له عذابا عظيما يقول لو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك ومن لم يقتل فقد
احيا الناس منه وقال ابن زيد المعنى ان من قتل نفسا فيلزمه من القود والقصاص

ما يلزم من قتل الناس جميعا قال ومن احياها اي من عفا عن من وجب له قتله وقاله
الحسن ايضا اي هو من العفو بعد المقدرة وقيل المعنى ان من قتل نفسا فالمومنون
كلهم خصماوه لانه قد وتر الجميع ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا اي يجب
اي يجب على الكل شكره وقيل جعل اثم قاتل الواحد اثم قاتل الجميع وله ان يحكم بما
يريد ومله ان هذا مختصا ببني اسرايل تغيظا عليهم قال بن عطيه وعلى الجمله
فالتشبيه على ما قيل واقع كله والمنتهك في واحد ملحوظ بعين منتهك الجميع ومثاله
رجلان حلفا على شجر ثمر لا يطعمان من ثمرها شيا فطعم احدهما واحده من ثمر شجرته
وطعم الاخر ثمر شجرته كله فقد استويا في الحنث وقيل المعنى اي من استحل
واحدا فقد استحل الجميع لانه انكر الشرع وفي قوله ومن احياها تجوز
فانه عبارة عن الترك والانقاذ من هلكه والا فالاحيا حقيقة الذي
هو الاختراع انما هو لله تعالى وانما هذا الاحيا بمنزلة قول نمرود
اللعين انا احيي واميت فسمى الترك احيا ثم اخبر تعالى عن بني اسرايل
انهم جاتهم الرسل من الله بالبينات وان اكثرهم مجاوزون الحد وتاركون
امر الله تعالى انما جزا الذين يحاربون الله ورسوله الى قوله رحيم
فيه خمس عشرة مسلة اختلف الناس في سبب هذه الايه
فالذي عليه الجمهور انها نزلت في العرنيين روى الايمة واللفظ لابي داود
عن انس بن ملك ان قوما من عكل او قال من عرينه قدموا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاجتووا المدينه فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بلقاح وامرهم
ان يشربوا من ابوالها والبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي رسول الله صلى
الله عليه وسلم واستاقوا الغنم فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم من اول
النهار فارسل في اثارهم فما ارتفع النهار حتى جي بهم وامر بهم فقطعت ايديهم

وارجلهم

وارجلهم وسمل اعينهم والقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون قال ابو
قلابه فهولا قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم في روايه فامر بمسامير فاحميت فكحلهم وقطع ايديهم وارجلهم
وما حسمهم في روايه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم قافة فاتى بهم
قال فانزل الله في ذلك انما جزا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا
الايه في روايه قال انس فلقد رايت احدهم يكدم الارض بفيه عطشا حتى
ماتوا وفي البخاري وقال جرير بن عبد الله في حديثه فبعثني رسول الله صلى الله
عليه وسلم في نفر من المسلمين حتى ادركناهم وقد اشرفوا على بلادهم فجينا بهم
النبي صلى الله عليه وسلم قال جرير فكانوا يقولون الما ويقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم النار وقد حكى اهل التواريخ والسير انهم ايدي الراعي ورجليه وغرزوا
الشوك في عينيه حتى مات وادخل المدينه ميتا وكان اسمه يسار وكان نوبيا
وكان هذا الفعل من المرتدين سنه ست من الهجره وفي بعض الروايات عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احرقهم بالنار بعد ما قتلهم وروي عن ابن
عباس والضحاك انها نزلت بسبب قوم من اهل الكتاب بينهم وبين رسول
الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وافسدوا في
الارض في مصنف ابي داود عن ابن عباس قال انما جزا الذين يحاربون الله ورسوله
ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من
من خلاف او ينفوا من الارض الى قوله غفور رحيم نزلت هذه الايه في المشركين
فمن اخذ منهم قبل ان يقدر عليه لم يمنعه ذلك ان يقام عليه الحد الذي اصابه
وممن قال ان الايه نزلت في المشركين عكرمه والحسن وهذا ضعيف يرده قوله
تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقول النبي صلى الله عليه وسلم

الاسلام يهدم ما قبله اخرجه مسلم والصحيح الاول لنصوص الاحاديث الثابتة
في ذلك وقال مالك والشافعي وابو ثور واصحاب الراي الاية نزلت فيمن خرج من
المسلمين يقطع السبيل ويسعى في الارض بالفساد قال ابن المنذر قول مالك صحيح
قال ابو ثور محتجا لهذا القول وفي الاية دليل على ان الاية نزلت في غير
اهل الشرك وهو قوله جل ثناؤه الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم وقد اجمعوا
قوم
على ان اهل الشرك اذا وقعوا في ايدينا واسلموا ان دماءهم تحرم فدل ذلك على ان الاية
نزلت في اهل الاسلام وحكى الطبري عن بعض اهل العلم ان هذه الاية نسخت فعل
النبي صلى الله عليه وسلم في العرنيين ووقف الامر على هذه الحدود وروى محمد بن سيرين
قال كان هذا قبل ان تنزل الحدود يعني حديث انس ذكره ابو داود وقال قوم منهم
الليث بن سعد ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بوفد عرينة لم يجز اذ لا يجوز التمثيل
بالمرتد قال ابو الزناد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قطع الذين سرقوا
لقاحه وسمل اعينهم بالنار عاتبه الله عز وجل فانزل الله عز وجل انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا الاية
اخرجه ابو داود قال ابو الزناد فلما وعظ ونهى عن المثلة لم يعد وحكى
عن جماعة ان هذه الاية ليست بناسخة لذلك الفعل لان ذلك
وقع في مرتدين لا سيما وقد ثبت في صحيح مسلم وكتاب النسائي وغيرهما
قال انما سمل النبي صلى الله عليه وسلم اعين اولئك لانهم سملوا اعين
الرعاة فكان هذا قصاصا وهذه الاية في المحارب المؤمن قال الشيخ المؤلف
رحمه الله وهذا قول حسن وهو معنى ما ذهب اليه مالك والشافعي
ولذلك قال تعالى الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم ومعلوم
ان الكفار لا تختلف احكامهم في زوال العقوبة عنهم بالتوبة بعد القدرة
كما تسقط قبل القدرة والمرتد يستحق القتل بنفس الردة دون المحاربة ولا

ينفي

ينفى ولا تقطع يمينه ورجله ولا يخلى سبيله بل يقتل ان لم يسلم ولا يصلب
ايضا فدل ان ما اشتملت عليه الايه ما عنى به المرتد وقال تعالى فى حق
الكفار قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقال فى المحاربين
الا الذين تابوا الايه وهذا بين وعلى ما قررناه فى اول الباب لا اشكال
ولا لوم ولا عتاب اذ هو مقتضى الكتاب قال الله تعالى فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فمثل بهم الا انه يحتمل ان
يكون العتاب ان صح على الزياده فى القتل وذلك تكحيلهم بمسامير محماه
وتركهم عطاشا حتى ماتوا والله اعلم وحكى الطبرى عن السدى ان
النبى صلى الله عليه وسلم لم يسمل اعين العرنيين وانما اراد ذلك فنزلت
الايه ناهيه عن ذلك وهذا ضعيف جدا فان الاخبار الثابته وردت
بالسمل فى صحيح البخارى فامر بمسامير فاحميت فكحلهم ولا خلاف
من اهل العلم ان حكم هذه الايه مترتب فى المحاربين من اهل الاسلام
وان كانت نزلت فى المرتدين او اليهود وفى قوله انما جزا الذين يحاربون
الله ورسوله استعاره ومجاز اذ الله لا يحارب ولا يغالب لما هو عليه
من صفات الكمال ولما وجب له من التنزه عن الاضداد والانداد والمعنى
يحاربون اوليا الله فعبر بنفسه العزيزه عن اوليايه اكبارا لادا يتهم
كما عبر بنفسه عن الفقرا الضعفا فى قوله من ذا الذى يقرض الله قرضا
حسنا حثا على الاستعطاف عليهم ومثله فى صحيح السنه استطعمتك
فلم تطعمنى الحديث اخرجه مسلم وقد تقدم فى البقره واختلف
العلما فيمن يستحق اسم المحاربه فقال مالك المحارب عندنا من حمل على
الناس فى مصر او فى بريه فكابرهم عن انفسهم واموالهم دون نايره ولا ذحل

ولا عدا وه قال بن المنذر اختلف عن مالك في هذه المسئله فاثبت المحاربه في مصر مره ونفا ذلك مره وقالت طايفه حكم ذلك في مصر او المنازل والطرق وديار اهل البادية والقرى سوا وحدودهم واحده هذا قول الشافعي وابي ثور قال بن المنذر كذلك هو لان كلا يقع عليه اسم المحاربه والكتاب على العموم ليس لاحد ان يخرج من جمله الايه قوما بغير حجه وقالت طايفه لا تكون المحاربه في المصر انما تكون خارجا من المصر هذا قول سفين الثوري واسحق والنعمان والمغتال كالمحارب وهو ان يحتال في قتل انسان على اخذ ماله وان يشهر السلاح لكن يدخل عليه بيته او يصحبه في سفر فاطعمه سما فقتله فيقتل حدا لا قودا واختلفوا في حكم المحارب فقالت طايفه يقام عليه بقدر فعله فمن اخاف السبيل واخذ المال قطعت يده ورجله من خلاف وان اخذ المال وقتل قطعت يده ورجله ثم صلب فاذا قتل ولم ياخذ المال قتل وان هو لم ياخذ المال ولم يقتل نفي قاله بن عباس وروي عن ابي مجلز والنخعي وعطا الخراساني وغيرهم وقال ابو يوسف اذا اخذ المال وقتل صلب وقتل على الخشبه قال الليث بالحربه مصلوبا وقال ابو حنيفه اذا قتل قتل واذا اخذ المال وقتل فالسلطان مخير فيه ان شا قطع يده ورجليه وان شا لم يقطع وقتله وصلبه قال ابو يوسف القتل ياتي على كل شي ونحوه قول الاوزاعي وقال الشافعي اذا اخذ المال قطعت يده اليمنى وحسمت ثم قطعت رجله اليسرى وحسمت وخلي لان هذه الجنايه زادت على السرقه بالحرابه واذا قتل قتل واذا اخذ المال وقتل قتل وصلب وروي عنه انه قال يصلب ثلاثه ايام قال وان حضر وكثر وهيب

وقال

وكان ردًّا للعفو حبس وقال احمد ان قتل قتل وان اخذ المال قطعت يده ورجله
لقول الشافعي وقال قوم لا ينبغي ان يصلب قبل القتل فيحال بينه وبين الصلاة
والاكل والشرب وحكى انه كره ان يقتل مصلوبا لنهي رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن المثلة وقال ابو ثور الامام مخير على ظاهر الايه وكذلك قال مالك
وهو مروي عن ابن عباس وهو قول سعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز
ومجاهد والضحاك والنخعي كلهم قال الامام مخير في الحكم على المحاربين
يحكم عليهم باي الاحكام التي اوجبها الله تعالى من القتل والصلب او
القطع او النفي بظاهر الايه قال ابن عباس ما كان في القران او فصاحبه
بالخيار وهذا القول اسعد بظاهر الايه فان اهل القول الاول
الذين قالوا ان او للترتيب وان اختلفوا فانك تجد اقوالهم انهم يجمعون
عليه حدين فيقولون يقتل ويصلب ويقول بعضهم يصلب ويقتل
ويقول بعضهم تقطع رجله ويده وينفى وليس كذلك الايه ولا معنى
او في اللغه قاله النحاس واحتج الاولون بما ذكر الطبري عن انس بن مالك
انه قال سال رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام عن الحكم
في المحارب فقال من اخاف السبيل واخذ المال فاقطع يده للاخذ ورجله
للاخافه ومن قتل فاقتله ومن جمع ذلك فاصلبه قال ابن عطيه وبقي النفي
للمخيف فقط والمخيف في حكم القاتل ومع ذلك فمالك يرى الاخذ بايسر
العقاب استحبابا قوله تعالى او ينفوا من الارض اختلف
في معناه فقال السدي هو ان يطلب ابدا بالخيل والرجل حتى يوخذ فيقام عليه
حد الله او يخرج من دار الاسلام هربا ممن يطلبهم عن ابن عباس وانس بن مالك
ومالك بن انس والحسن والسدي والضحاك وقتاده وسعيد بن جبير والربيع

بن انس والزهري حكاه الرماني في كتابه وحكى عن الشافعي انهم يخرجون من بلد الى بلد
ويطلبون لتقام عليهم الحدود وقاله الليث بن سعد والزهري ايضا ينفى من
البلد الذي احدث هذا فيه الى غيره ويحبس فيه كالزاني وقال الكوفيون نفيهم
سجنهم فينفى من سعة الدنيا الى ضيقها فصار كانه اذا سجن فقد نفي من الارض
الا من موضع استقراره واحتجوا بقول بعض اهل السجون في ذلك خرجنا من الدنيا
ونحن من اهلها فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى اذا جانا السجان يوما لحاجة
عجبنا وقلنا جا هذا من الدنيا وحكى مكحول ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اول
من حبس في السجون وقال احبسه حتى اعلم منه التوبة ولا انفيه من بلد الى بلد
فيوذيهم والظاهر ان الارض في الاية هي الارض النازلة وقد تجنب الناس قديما
الارض التي اصابوا فيها الذنوب ومنه الحديث الذي ناء بصدره نحو الارض المقدسة
وينبغي للامام ان كان هذا المحارب مخوف الجانب يظن انه يعود الى حرابة او فساد ان
يسجنه في البلد الذي يغرب اليه وان كان غير مخوف الجانب سرح قال ابن عطية وهذا
صريح مذهب مالك ان يغرب ويسجن حيث يغرب وهذا على الاغلب في انه مخوف
ورجحه الطبري وهو الراجح لان نفيه من ارض النازلة هو نص الاية وسجنه بعد
بحسب الخوف منه فاذا تاب وفهمت حالته سرح قوله تعالى او ينفوا
من الارض النفي اصله الاهلاك ومنه الاثبات والنفي فالنفي الاهلاك بالاعدام ومنه
النفاية لردي المتاع ومنه النفي لما تطاير من الماء عن الدلو قال الراجز كان متنيه من
النفي مواقع الطير على الصفي قال ابن خويزمنداد ولا يراعى في المال
الذي ياخذه نصابا كما يراعى في السارق وقد قيل يراعى في ذلك النصاب ربع دينار قال
ابن العربي قال الشافعي واصحاب الراي لا يقطع من قاطع الطريق الا من اخذ قدر ما تقطع
فيه يد السارق وقال مالك يحكم عليه بحكم المحارب وهو الصحيح فان الله تعالى وقت على

لسان نبيه

مالك

لسان نبيه صلى الله عليه وسلم القطع في السرقة في ربع دينار ولم يوقت في الحرابة شيا
بل لعظم جزا المحارب فاقتضى ذلك توفيه الجزا لهم على المحاربه عن حبه ثم ان هذا قياس اصل
على اصل وهو مختلف فيه وقياس الاعلى بالادنى والادنى بالاسفل وذلك عكس القياس
وكيف يصح ان يقاس المحارب على السارق وهو يطلب خطف المال فان شعر به فر حتى ان
السارق اذا دخل بالسلاح يطلب المال فان منع منه او صيح عليه وحارب عليه
فهو محارب يحكم عليه بحكم المحارب قال القاضي بن العربي كنت في ايام حكمي بين الناس اذا
جاني احد بسارق وقد دخل الدار بسكين يحبسه على قلب صاحب الدار وهو نايم واصحابه
ياخذون مال الرجل حكمت فيهم بحكم المحاربين فافهموا هذا من اصل الدين وارتفعوا
الى يفاع العلم عن حضيض الجاهلين قال الشيخ المولف رحمه الله اليفع اعلى الجبل ومنه
غلام يفعة اذا ارتفع الى البلوغ والحضيض الحفر في اسفل الوادي كذا قال اهل
اللغه ولا خلاف ان الحرابه يقتل فيها من قتل وان لم يكن المقتول مكافيا
للقاتل وللشافعي قولان احدهما انها تعتبر المكافاه لانه قتل فاعتبر فيه المكافاه
كالقصاص وهذا ضعيف لان القتل هنا ليس على مجرد القتل وانما هو على
الفساد العام من التخويف وسلب المال قال الله تعالى انما جزا الذين
يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا فامر تعالى
باقامه الحدود على المحارب اذا اجمع شيئين محاربه وسعيا في الارض
بالفساد ولم يخص شريفا من وضيع ولا رفيعا من دني
واذا خرج المحاربون فاقتتلوا مع القافله فقتل بعض المحاربين ولم يقتل بعض قتل الجميع وقال
الشافعي لا يقتل الا من قتل وهذا ايضا ضعيف فان من حضر الوقيعة شرك
في الغنيمه وان لم يقتل جميعهم وقد اتفق معنا على قتل الردء وهو الطليعه
فالمحارب اولى واذا اخاف المحاربون السبيل وقطعوا الطريق

وجب على الامام قتالهم من غير ان يدعوهم ووجب على المسلمين التعاون
على قتالهم وكفهم عن اذى المسلمين فان انهزموا لم يتبع منهم مدبر الا ان يكون
قتل واخذ مالا فان كان ذلك اتبع ليوخذ ويقام ما وجب بجنايته ولا يدفف
منهم على جريح الا ان يكون قد قتل فان اخذ واو وجد في ايديهم مال
لاحد بعينه رد اليه او الى ورثته وان لم يوجد له صاحب جعل في بيت
المال وما اتلفوه من مال لاحد غرموه ولا دية لمن قتلوا اذا قدر عليهم
قبل التوبة فان تابوا وجاوا تائبين وهي لم يكن للامام عليهم
سبيل وسقط عنهم ما كان حدا لله واخذوا بالحقوق الادميين فاقتص منهم
من النفس والجراح وكان عليهم ما اتلفوه من مال ودم لاولياء ذلك ويجوز
لهم العفو والهبة كسائر الجناة من غير المحاربين هذا مذهب مالك
والشافعي وابو ثور واصحاب الراي وانما اخذ ما بايديهم من الاموال
وضمنوا قيمة ما استهلكوا لان ذلك غصب فلا يجوز ملكه لهم ويصرف
الى اربابه او يوقفه الامام عنده حتى يعلم صاحبه وقال قوم من الصحابة
والتابعين لا يطلب من المال الا بما وجد عنده واما ما استهلكه فلا يطلب
به وذكر الطبري ذلك عن مالك من رواية الوليد بن مسلم عنه وهو الظاهر
من فعل علي بن ابي طالب رضي الله عنه بحارثة بن بدر الغداني فانه كان محاربا
ثم تاب قبل القدرة فكتب له بسقوط الاموال والدم عنه كتابا منشورا
قال ابن خويز منداد واختلفت الرواية عن مالك في المحارب اذا اقيم عليه
الحد ولم يوجد له مال هل يتبع دينا بما اخذ او يسقط عنه كما يسقط عن
السارق والمسلم والذمي في ذلك سوا واجمع اهل العلم على ان
السلطان ولي من حارب فان قتل محارب اخا امرء او اباه في حال المحاربة فليس

الى

الى طالب الدم من امر المحارب شي ولا يجوز عفو ولى الدم والقايم بذلك الامام
جعلوا ذلك بمنزلة حد من حدود الله قال الشيخ المولف رحمه فهذه جملة من
احكام المحاربين جمعنا غررها واجتلبنا دررها ومن اغرب ما قيل في تفسيرها
وهي تفسير مجاهد لها قال مجاهد المراد بالمحاربة في هذه الاية
الزنا والسرقة وليس بصحيح فان الله تعالى بين في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله
عليه وسلم ان السارق تقطع يده وان الزاني يجلد ويغرب ان كان بكرا ويرجم ان كان ثيبا
محصنا واحكام المحارب في هذه الاية مخالف لذلك اللهم الا ان يريد اخافة الطريق
باظهار السلاح قصد الغلبة على الفروج فهذا افحش المحاربة وافتح من اخذ الاموال
وقد دخل هذا في معنى قوله ويسعون في الارض فسادا قال
علماونا وينا شد اللص بالله تعالى فان كف ترك وان ابى قوتل فان انت قتلته فشر
قتيل ودمه هدر روى النساي عن ابي هريره ان رجلا جا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله ارايت ان عدي على مالي قال فانشد بالله قال فان ابو علي
قال فقاتل فان قتلت ففي الجنه وان قتلت ففي النار واخرجه البخاري ومسلم
وليس فيه ذكر المناشدة عن ابي هريره قال جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ارايت ان جا رجل يريد اخذ مالي قال فلا تعطه مالك قال ارايت
ان قاتلني قال قاتله قال ارايت ان قتلني قال فانت شهيد قال ارايت ان قتلته
قال هو في النار قال ابن المنذر وروينا عن جماعة من اهل العلم رأوا قتال اللصوص
ودفعهم عن انفسهم واموالهم هذا مذهب ابن عمر والحسن البصري وابراهيم
النخعي وقتاده ومالك والشافعي واحمد واسحق والنعمان وبهذا يقول عوام اهل
العلم ان للرجل ان يقاتل عن نفسه واهله وماله اذا اريد ظلما للاخبار التي جات
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخص وقتا دون وقت ولا حالا دون حال الا السلطان

قال جماعة اهل الحديث كالمجمعين على ان من لم يمكنه ان يمنع عن نفسه وماله الا بالخروج
على السلطان ومحاربته انه يحاربه ولا يخرج عليه للاخبار الداله عن رسول الله لام
صلى الله عليه وسلم التي فيها الامر بالصبر على ما يكون منهم من الجور والظلم وترك
قتالهم والخروج عليهم ما اقاموا الصلاه قال الشيخ المولف رحمه الله وقد اختلف
من هنا اذا طلب اللص الخفيف الثوب والطعام هل يعطونه او يقاتلون وهذا
الخلاف مبني على اصل وهل الامر بقتالهم لانه تغيير منكر او هو من باب دفع الضرر
وهذا ايضا ينبني الخلاف في دعوتهم قبل القتال والله اعلم قوله
تعالى ذلك لهم خزي في الدنيا لشناعة المحاربه وعظم ضررها وانما كانت المحاربه
عظيمه الضرر لان فيها سد سبيل الكسب على الناس لان اكثر المكاسب واعظمها
التجارات وركنها وعمادها الضرب في الارض كما قال الله عز وجل واخرون يضربون
في الارض يبتغون من فضل الله فاذا اخيف الطريق انقطع الناس عن السفر واحتاجوا
الى لزوم البيوت وانسد باب التجارات عليهم وانقطعت اسبابهم فشرع الله على
قطاع الطريق الحدود المغلظه وذلك الخزي في الدنيا ردعا لهم عن سوء فعلهم وفتحا
لباب التجارات التي اباحها لعباده لمن ارادها منهم ووعد فيها بالعذاب العظيم
في الاخره ولتكون هذه المعصيه خارجه عن المعاصي ومستثناه من حديث عباده
في قول النبي صلى الله عليه وسلم فمن اصاب من ذلك شيا فعوقب به في الدنيا فهو كفاره
والله اعلم ويحتمل ان يكون الخزي لمن عوقب وعذاب الاخره لمن سلم في الدنيا ويجري
هذا الذنب مجرى غيره ولا خلود لمن في النار على ما تقدم ولكن يعظم عقابه
لعظم الذنب ثم يخرج اما بالشفاعه واما بالقبضه ثم ان هذا الوعيد مشروط
الانفاذ بالمشيه لقوله تعالى ويغفر لمن يشا اما ان الخوف يغلب عليهم بحسب الوعيد
وكبر المعصيه
قوله تعالى الا الذين تابوا استثنا جل وعز

التايبين

التائبين قبل ان يقدر عليهم واخبر بسقوط حقه عنهم بقوله فاعلموا ان الله غفور
رحيم اما القصاص وحقوق الادميين فلا يسقط ومن تاب بعد القدرة فظاهر
الاية ان التوبة لا تنفع وتقام الحدود عليه لما تقدم وللشا. في قوله انه يسقط
كل حد بالتوبة والصحيح من مذهبه ان ما تعلق بحق الادمي قصاصا كان او غيره
فانه لا يسقط بالتوبة قبل القدرة وقيل اراد بالاستثنا المشرك اذا امن قبل
القدرة عليه فانه يسقط عنه الحدود وهذا ضعيف لانه ان امن بعد القدرة
عليه لم يقبل ايضا بالاجماع وقيل انما يسقط الحد عن المحاربين بعد القدرة عليهم
والله اعلم لانهم متهمون بالكذب في توبتهم والتصنع فيها اذا نالتهم
يد الامام او لانه لما قدر عليهم صاروا بمعرض ان ينكل بهم فلم تقبل
توبتهم كالمتلبس بالعذاب من الامم قبلنا او من صار الى حال الغرغرة فتا
فاما اذا تقدمت توبتهم قبل القدرة عليهم فلا تهمة وهي نافعة
على ما ياتي بيانه في سورة يونس ان شا الله تعالى فاما الشراب والسراق
والزناة اذا تابوا واصلحوا وعرف ذلك منهم ثم رفعوا الى الامام
فلا ينبغي له ان يحدهم وان رفعوا فقالوا تبنا لم يتركوا وهم في هذه
الحال كالمحاربين اذا غلبوا   يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وابتغوا اليه الوسيلة القربة عن ابي وايل والحسن ومجاهد وقتادة
وعطا والسدي وابن زيد وعبد الله بن كثير وهي فعيلة من توسلت اليه
اي تقربت   قال عنترة ان الرجال لهم اليك وسيلة ان ياخذوك
تكحلي وتخضبي والجمع الوسايل قال اذا غفل الواشون عدنا
لوصلنا وعاد التصافي بيننا والوسايل وقال منه سلت اسال اي طلبت
وهما يتساولان اي يطلب كل واحد من صاحبه فالاصل الطلب والوسيلة

قلم

م

القربه التي ينبغي ان يطلب بها والوسيله درجه في الجنه وهي التي جا الحديث
الصحيح في قوله صلى الله عليه وسلم لمن سال لي الوسيله حلت عليه الشفاعه
يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها قال يزيد
الفقير قيل لجابر بن عبد الله انكم يا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقولون
ان قوما يخرجون من النار والله تعالى يقول وما هم بخارجين منها فقال
جابر انكم تجعلون العام خاصا والخاص عاما انما هذا في الكفار خاصه فقرات
الايه كلها من اولها الى اخرها فاذا هي في الكفار خاصه ومقيم معناه دايم
ثابت لا يزول ولا يحول قال الشاعر فان لكم بيوم الشعب مني عذابا
دايما لكم مقيما والسارق والسارقه فاقطعوا ايديهما جزا بما
كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فيه ست وعشرون مسله قوله
تعالى والسارق الايه لما ذكر تعالى اخذ الاموال بطريق السعي في الارض والفساد
ذكر حكم السارق من غير حراب على ما ياتي بيانه اثنا الباب وبدا سبحانه
بالسارق قبل السارقه عكس الزنا على ما نبينه اخر الباب وقد قطع السارق
الجاهليه واول من حكم بقطعه في الجاهليه الوليد بن المغيره فامر الله بقطعه
في الاسلام فكان اول سارق قطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الاسلام من الرجال الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ومن النسا مره بنت
سفين بن عبد الاسد من بني مخزوم وقطع ابو بكر اليمني الذي سرق
العقد وقطع عمر ابن سمره اخي عبد الرحمن بن سمره ولا اختلاف فيه
وظاهر الايه العموم في كل سارق وليس كذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم
لا تقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا فبين انه انما اراد بقوله والسارق
والسارقه بعض السراق دون بعض فلا تقطع يد السارق الا في ربع دينار او

في ما قيمته

في ما قيمته ربع دينار وهذا قول عمر بن الخطاب وعثمن وعلي رضي الله عنهم
وبه قال عمر بن عبد العزيز والليث والشافعي وابو ثور وقال ملك تقطع اليد
في ربع دينار او في ثلاثة دراهم فان سرق درهمين وهو ربع دينار لانحطاط الصرف
لم يقطع بهما وفيهما والعروض لا يقطع فيها الا ان تبلغ ثلاثة دراهم قل الصرف
او كثر فجعل ملك الذهب والورق كل واحد منهما اصلا بنفسه وجعل تقويم
العروض بالدراهم في المشهور وقال احمد واسحق ان سرق ذهبا فربع دينار
وان سرق غير الذهب والفضة فكانت قيمته ربع دينار او ثلاثة دراهم من الورق
وهذا نحو مما ذهب اليه ملك في القول الاخر والحجة للاول حديث بن عمر ان
رجلا سرق مجنة فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فامر بها فقومت ثلاثة
دراهم وجعل الشافعي حديث عايشة في الربع دينار اصلا رد اليه تقويم
العروض لا بالثلاثة دراهم على غلاء الذهب ورخصه وترك حديث بن عمر
لما راه والله اعلم في اختلاف الصحابة في المجن الذي قطع فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فابن عمر يقول ثلاثة دراهم وبن عباس يقول عشرة دراهم وانس
يقول خمسة دراهم وحديث عايشة في الربع دينار حديث صحيح ثابت لم
يختلف فيه عن عايشة الا ان وقفه ورفعه من يجب العمل بقوله لحفظه وعدالته
قاله ابو عمر وغيره وعلى هذا فان بلغ العرض المسروق ربع دينار بالتقويم قطع
سارقه وهو قول اسحق فقف على هذين الاصلين فهما عمدة الباب وهو اصح ما قيل
فيه وقال ابو حنيفة وصاحباه والثوري لا تقطع اليد الا في عشرة دراهم كيلا او
دينار ذهبا عينا او وزنا ولا تقطع حتى يخرج بالمتاع من ملك الرجل وحجتهم
حديث بن عباس قال قوم المجن الذي قطع فيه النبي صلى الله عليه وسلم عشرة
دراهم ورواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال كان ثمن المجن يوميذ

عشرة دراهم اخرجهما الدارقطني وغيره وفي المسئله قول رابع وهو ما
رواه الدارقطني عن عمر قال لا تقطع الخمس الا في خمس وبه قال سليمان بن يسار
وابن ابي ليلى وابن شبرمه وقال انس بن مالك قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
رحمه الله في مجن قيمته خمسة دراهم وهو قول خامس وهو ان اليد تقطع في اربعه
دراهم فصاعدا روي عن ابي هريره وابي سعيد الخدري وهو قول سادس
وهو ان اليد تقطع في درهم فما فوقه قاله عثمان البتي وذكر الطبري ان عبد الله
بن الزبير قطع في درهم وقول سابع ان اليد تقطع في كل ما له قيمه على ظاهر
الايه هو قول الخوارج وروي عن الحسن البصري وهي احدى الروايات الثلاث
عنه والثانيه كما روي عن عمر والثالثه حكاها قتاده عنه انه قال تذاكرنا
القطع في كم يكون على عهد زياد فاتفق رأينا على درهمين وهذه اقوال متنافيه
والصحيح منها ما قدمناه لك فان قيل قد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي
هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضه
فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده وهذا موافق لظاهر الايه في القطع في القليل
فالجواب ان هذا خرج مخرج التحذير بالقليل عن الكثير كما جا في معرض الترغيب
بالقليل مجرى الكثير في قول النبي صلى الله عليه وسلم من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاه
بنى الله له بيتا في الجنه وقيل ان ذلك مجاز من وجه اخر وذلك انه اذا ضري بسرقه
القليل سرق الكثير فقطعت يده واحسن من هذا ما قاله الاعمش وذكره البخاري
في اخر الحديث كالتفسير قال كانوا يرون انه بيض الحديد والحبل كانوا
يرون انه منها ما يساوي دراهم قال الشيخ المولف رحمه الله كحبل السفينه وشبه
ذلك والله اعلم اتفق جمهور الناس على ان القطع لا يكون الا
على من اخرج من حرز ما يجب فيه القطع وقال الحسن بن ابي الحسن اذا جمع الثياب

في البيت

في البيت قطع وقال الحسن بن ابي الحسن ايضا في قول اخر مثل قول ساير اهل العلم فصار انفا قا صحيحا والحمد لله رب العالمين الحرز هو ما نصب عادة لحفظ اموال الناس وهو يختلف في كل شي بحسب حاله على ما ياتي بيانه قال بن المنذر وليس في هذا الباب خبر ثابت لا مقال فيه لاهل العلم وانما ذلك كالاجماع من اهل العلم وحكي عن الحسن واهل الظاهر انهم لم يشترطوا الحرز وفي الموطا عن عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي حسين المكي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل فاذا اواه المراح او الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن قال ابو عمر هذا حديث يتصل معناه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره وعبد الله هذا ثقة عند الجميع كان احمد يثني عليه وعن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيل عن الثمر المعلق من اصاب منه من ذي حاجة غير متخذ خبنة فلا شي عليه ومن خرج بشي منه فعليه القطع ومن سرق ومن سرق دون ذلك فعليه غرامة مثليه والعقوبة في رواية وجلدات نكال بدل والعقوبة قال العلما ثم نسخ الجلد وجعل مكانه القطع وقال ابو عمر قوله غرامة مثليه منسوخ لا اعلم احدا من الفقها قال به الا ما جا عن عمر في دقيق حاطب بن ابي بلتعة خرجه مالك ورواية عن احمد بن حنبل والذي عليه الناس في الغرم بالمثل لقوله تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وروى ابو داود عن صفوان بن امية قال كنت نايما في المسجد على خميصة لي ثمن ثلاثين درهما فجا رجل فاختلسها مني فاخذ الرجل فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فامر به ليقطع قال فاتيته فقلت اتقطعه من اجل ثلاثين درهما انا ابيعه وانسيه ثمنها قال فهلا كان هذا قبل ان تاتيني به وجهة النظر ان الاموال خلقت مهياة للانتفاع للخلق اجمعين ثم الحكمة الاولية حكمت فيها بالاختصا

ع
ي

الذي هو الملك شرعا وبقيت الاطماع متعلقة بها والامال محومة عليها فتكفها المروة والديانة في اقل الخلق ويكفها الصون والحرز عن اكثرهم فاذا احرزها مالكها فقد اجتمع فيها الصون والحرز الذي هو غاية الامكان للانسان فاذا هتكها فحشت الجريمة فعظمت العقوبة واذا هتك احد الصونين وهو الملك وجب الضمان والادب

فاذا اجتمع جماعة فاشتركوا في اخراج نصاب من حرز فلا يخلو اما ان يكون بعضهم ممن يقدر على اخراجه او لا الا بتعاونهم فان كان الاول فاختلف فيه علماؤنا على قولين احدهما يقطع فيه والثاني لا يقطع وبه قال ابو حنيفة والشافعي قالا لا يقطع في السرقة المشتركون الا بشرط ان يجب لكل واحد من حصته نصاب لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا تقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا وكل واحد منهم من هو لا لم يسرق نصابا فلا قطع عليهم ووجه القطع في احدى الروايتين الاشتراك في الجناية لا يسقط عقوبتها كالاشتراك في القتل بين العري وما اقرب ما بينهما فانا انما قتلنا الجماعة بالواحد صيانة للدماء لئلا يتعاون على سفكها الاعداء فكذلك في الاموال مثله لا سيما وقد ساعدنا الشافعي على الجماعة اذا اشتركوا في قطع يد رجل قطعوا ولا فرق بينهما وان كان الثاني وهو مما لا يمكن اخراجه الا بالتعاون فانه يقطع جميعهم باتفاق من العلماء ذكره ابن العربي

فان اشتركوا في السرقة بان نقب واحد الحرز واخرج اخر فان كانا متعاونين قطعا وان انفرد كل واحد بفعله دون اتفاق بينهما بان يجي اخر فيخرج فلا قطع على واحد منهما وان تعاونا في النقب وانفرد احدهما بالاخراج فالقطع عليه خاصة وقال الشافعي لا يقطع لان هذا نقب ولم يسرق والاخر سرق من حرز مهتوك الحرمة وقال ابو حنيفة ان شارك في النقب ودخل واحد قطع ولا يشترط في الاشتراك في النقب التحامل على الة واحدة بل التعاقب في الضرب يحصل به الشركة ولو دخل

احدهما

احدهما فاخرج المتاع الى باب الحرز فادخل الاخر يده فاخذه فعليه القطع ويعاقب
الاول وقال اشهب يقطعان وان وضعه خارج الحرز فعليه القطع لا على الاخذ وان
وضعه في وسط النقب فاخذه الاخر والتقت ايديهما في النقب قطعا جميعا
والقبر والمسجد حرز فيقطع النباش عند الاكثر وقال ابو حنيفة لا
قطع عليه لانه سرق مالا من غير حرز مالا معرضا للتلف لا مالك له لان الميت لا يملك
ومنهم من ينكر السرقة لانه ليس فيه ساكن وانما تكون السرقة بحيث تتقى الاعين ويتحفظ
من الناس وعلى نفي السرقة عول اهل ما وراء النهر وقال الجمهور هو سارق لانه تدرع الليل
لباسا واتقى الاعين وقصد وقتا لا ناظر فيه ولا مار عليه فكان بمنزلة ما لو سرق في
وقت بروز الناس للعيد وخلو البلد من جميعهم واما قولهم ان القبر غير حرز فباطل
لان حرز كل شي بحسب حاله الممكنة فيه واما قولهم ان الميت لا يملك فباطل ايضا لانه
لا يجوز ترك الميت عاريا فصارت هذه الحاجة قاضية بان القبر حرز وقد نبه
الله سبحانه عليه بقوله الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا ليسكن فيها حيا ويدفن
فيها ميتا واما قولهم انه عرضة للتلف وكل ما يلبسه الحي ايضا معرض للتلف والاخلاق
بلباسه الا ان احد الامرين اعجل من الثاني وقد روى ابو داود عن ابي ذر قال دعاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف انت اذا اصاب الناس موت يكون البيت
فيه بالوصيف يعني القبر قلت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اعلم قال عليك بالصبر
قال حماد فبهذا قال من قال تقطع يد السارق لانه دخل على الميت بيته واما المسجد
فمن سرق حصره قطع رواه عيسى عن ابن القاسم وان لم يكن المسجد باب ورآها محروزة
وان سرق الابواب قطع ايضا وروى عن ابن القاسم ايضا ان كانت سرقته للحصر نهارا
لم يقطع وان كان تسور عليها ليلا قطع وذكر سحنون ان كانت حصره خيط بعضها
الى بعض قطع والا لم يقطع قال اصبغ يقطع سارق حصر المسجد وقناديله وبلاطه

ظل

فن

ف

كالو سرق بابه مستترا او خشبه من سقفه او من جوائزه وقال اشهب في كتاب
محمد لا قطع في شي من حصر المسجد وقناديله وبلاطه   واختلف العلما
هل يكون غرم مع القطع ام لا فقال ابو حنيفة لا يجتمع القطع مع الغرم بحال لان
الله سبحانه قال والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزا بما كسبا نكالا من الله ولم
يذكر غرما وقال الشافعي يغرم قيمة السرقة موسرا كان او معسرا وتكون دينا عليه
علمه اذا ايسر اداه وهو قول احمد واسحق واما علماونا مالك واصحابه فقالوا ان
ان كان العين قايمة ردها فان تلفت فان كان موسرا غرم وان معسرا لم يتبع به دينا ولم
يكن عليه شي وروي مثل ذلك عن الزهري قال الشيخ ابو اسحق وقد قيل انه يتبع بها
دينا مع القطع موسرا كان او معسرا قال وهو قول غير واحد من اهل المدينه
واستدل على صحته بانهما حقان لمستحقين فلا يسقط احدهما الاخر كالديه والكفاره
ثم قال وبهذا اقول واستدل القاضي ابو الحسن للمشهور بقول النبي صلى الله عليه
وسلم اذا اقيم على السارق الحد فلا ضمان عليه واسنده في كتابه وقال
بعضهم ان الاتباع بالغرم عقوبة ولا يجتمع عقوبتان وعليه عول القاضي
عبد الوهاب والصحيح قول الشافعي ومن وافقه قال الشافعي يغرم السارق
ما سرق موسرا كان او معسرا قطع او لم يقطع وكذلك اذا قطع الطريق قال
ولا يسقط الحد بما اتلف العباد واما ما احتج به علماونا من الحديث اذا
كان معسرا فيه احتج الكوفيون وهو قول الطبري ولا حجة فيه رواه النساى
والدارقطني عن عبد الرحمن بن عوف قال ابو عمر هذا حديث ليس بالقوى ولا تقوم
به حجة وقال ابن العربي وهذا حديث باطل وقال الطبري القياس ان عليه غرم ما
استهلك ولكن تركنا ذلك اتباعا للاثر في ذلك قال ابو عمر ترك القياس لضعيف
الاثر غير جايز لان الضعيف لا يوجب حكما   واختلف في قطع يد

من سرق

من سرق المال من الذي سرقه فقال علماونا تقطع وقال الشافعي لا تقطع لانه سرق من غير
ملك ومن غير حرز وقال علماونا حرمة المالك عليه باقية لم تنقطع عنه ويد السارق
كلا يد كالغاصب لو سرق منه المغصوب قطع فان قيل اجعلوا حرزه كلا حرز قلنا
الحرز قايم والملك قايم ولم يبطل الملك فيه فيقولوا لنا ابطلوا الحرز

ل ولختلفوا اذا تكرر السرقة بعد القطع في العين المسروقة فقال
الاكثر يقطع وقال ابو حنيفة لا قطع عليه وعموم القران يوجب عليه القطع
وهو يرد قوله وقال ابو حنيفة ايضا لو ملك السارق الشي المسروق بشرا او هبة
قبل القطع فانه لا يقطع والله تعالى يقول والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما
فاذا وجب القطع حقا لله تعالى لم يسقطه شي

ق قرا الجمهور والسارق
بالرفع قال سيبويه المعنى وفيما فرض عليكم السارق والسارقة وقيل الرفع فيهما
على الابتدا والخبر فاقطعوا ايديهما وليس القصد الى معين اذ لو قصد معينا لوجب
النصب تقول زيدا اضربه بل هو كقوله من سرق فاقطع يده قال الزجاج وهذا القول
ل هو المختار وقرى والسارق بالنصب فيهما على تقدير اقطعوا السارق والسارقة
وهو اختيار سيبويه لان الفعل بالامر اولى قال سيبويه رحمه الله الوجه في
كلام العرب النصب كما تقول زيدا اضربه ولكن العامة ابت الا الرفع يعني عامة
القرا وجلهم فانزل سيبويه النوع السارق منزلة الشخص المعين وقرا ابن مسعود
والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم وهو يقوي قراة الجماعة والسرق
والسرقة بكسر الرا فيهما هو اسم للمسروق والمصدر من سرق يسرق سرقا بفتح الرا

ف قال الجوهري واصل هذا اللفظ انما هو اخذ الشي في خفية من الاعين ومنه استرق
السمع وسارقه النظر قال عرفة السارق عند العرب هو من جا مستترا الى حرز
فاخذ منه ما ليس له فان اخذ من ظاهر فهو مختلس ومستلب ومنتهب ومحترس

فان منع مما فيه فهو غاصب قال الشيخ المولف رحمه الله وفي الخبر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم واسوا السرقة الذي يسرق صلاته قالوا وكيف يسرق صلاته قال
لا يتم ركوعها ولا سجودها خرجه الموطا وغيره فسماه سارقا وان كان ليس سارقا
من حيث موضع الاشتقاق فانه ليس فيه مسارقة الاعين غالبا
قوله تعالى فاقطعوا القطع معناه الابانه والازاله ولا يجب الا بجميع اوصاف تعتبر
في السرقه وفي الشي المسرق وفي الموضع المسروق منه وفي صفته فاما يعتبر في السارق
فخمسه اوصاف وهي البلوغ والعقل وان يكون غير مالك للمسروق منه وان لا
يكون له عليه ولايه فلا يقطع العبد ان سرق من مال سيده وكذلك السيد ان
اخذ من مال عبده لا قطع بحال لان العبد وماله لسيده ولم يقطع احد باخذ
مال عبده لانه اخذ لماله وسقط قطع العبد باجماع الصحابه وبقول
الخليفه غلامكم سرق متاعكم وذكر الدارقطني عن ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليس على العبد الابق اذا سرق قطع ولا على الذمي قال لم
يرفعه غير فهد بن سليمان والصواب موقوف وذكر ابن ماجه عن ابي هريره
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سرق العبد فبيعوه ولو بنش
اخرجه عن ابي بكر بن ابي شيبه نا ابو اسامه عن ابي عوانه عن عمر بن ابي سلمه
عن ابيه عن ابي هريره قال ابن ماجه ونا جبارة بن المغلس نا حجاج بن تميم عن
ميمون بن مهران عن ابن عباس ان عبدا من رقيق الخمس سرق من الخمس فرفع الى النبي
صلى الله عليه وسلم فلم يقطعه وقال مال الله سرق بعضه بعضا وجبارة بن
المغلس متروك قاله ابو زرعه الرازي ولا قطع على صبي ولا مجنون ويجب على
الذمي والمعاهد والحربي اذا دخل بامان واما ما يعتبر في الشي المسروق فاربعه
اوصاف وهي النصاب وقد مضى القول فيه وان يكون مما يتمول ويتملك ويحل

بيعه

بيعه وان كان مما لا يتمول ولا يحل بيعه كالخمر والخنزير فلا يقطع فيه باتفاق وجاء في
الحر الصغير عند مالك وابن القاسم وقيل لا قطع عليه وبه قال الشافعي وابو
حنيفة لانه ليس بمال وقال علماؤنا هو من اعظم المال ولم يقطع السارق في المال
لعينه انما قطع لتعلق النفوس به وتعلقها بالحر اكثر من تعلقها بالعبد
وان كان مما يجوز تملكه ولا يجوز بيعه كالكلب المأذون في اتخاذه ولحوم
الضحايا ففي ذلك اختلاف بين ابن القاسم واشهب قال ابن القاسم لا يقطع
سارق الكلب وقال اشهب ذلك في المنهي عن اتخاذه فاما المأذون في اتخاذه
فيقطع سارقه قال ومن سرق لحم اضحية او جلدها قطع اذا كان قيمته
ذلك ثلاثة دراهم وقال ابن حبيب قال اصبغ ان سرق الاضحية قبل الذبح
قطع واما ان سرقها بعد الذبح فلا يقطع وان كان مما يجوز اتخاذ اصله و بيعه
ويصنع منه ما لا يجوز استعماله كالطنبور والملاهي من المزمار والعود
وشبهه من آلات اللهو فينظر فان كان يبقى منها بعد فساد صورها واذهاب
المنفعة المقصودة بها ربع دينار فاكثر قطع وكذلك الحكم في اواني الذهب
والفضة التي لا يجوز استعمالها ويومر بكسرها فانما يقوم ما فيها من ذهب
او فضة دون صنعة وكذلك الصليب من ذهب او فضة والزيت النجس ان
كانت قيمته على نجاسته نصابا قطع فيه الوصف الثالث وان لا يكون
للسارق فيه ملك كمن سرق ما رهنه او استأجره ولا شبهة ملك على اختلاف
بين علمائنا وغيرهم في مراعات شبهة ملك كالذي يسرق من المغنم او من
بيت المال لان له فيه نصيبا فروي عن علي رضي الله عنه انه اتي برجل سرق
مغفرا من الخمس فلم ير عليه قطعا وقال له فيه نصيب وعلى هذا مذهب
الجماعة في بيت المال وقيل يجب عليه القطع تغليظا بعموم لفظ السرقة

وان يكون ممن تصح سرقته مثل الصغير والاعجمي الكبير لان ما لا يصح سرقته
كالعبد الفصيح فانه لا يقطع فيه واما ما يعتبر في الموضع المسروق منه فوصف
واحد وهو الحرز لمثل ذلك الشي المسروق وجملة القول فيه ان كل شي له مكان
معروف مكانه حرزه وكل معه حافظ فحافظه حرزه فالدور والمنازل
والحوانيت حرز لما فيها غاب عنها اهلها او حضروا ولذلك بيت المال حرز لجماعة
المسلمين والسارق لا يستحق فيه شيا وان كان قبل السرقة ممن يجوز ان
يعطيه الامام وانما يتعين حق كل مسلم بالعطية الا ترى ان الامام قد
يجوز ان يصرف جميع المال الى [illegible] من وجوه المصالح ولا يصرفه في
الناس او يصرفه في بلد دون بلد اخر ويمنع منه قوما دون قوم فقد
التقدير ان هذا السارق ممن لا حق له فيه وكذلك المغانم لا يخلوان
تتعين بالقسمة فهو ما ذكرنا في بيت المال او تتعين بنفس التناول لمن شهد
الوقعة فيجب ان يراعى قدر ما سرق فان كان فوق حقه قطع والا لم
يقطع وظهور الدواب حرز لما حملت وافنية الحوانيت
حرز لما وضع فيها في موقف البيع وان لم يكن هناك حانوت كان معه اهله
ام سرقت بليل او نهار ولذلك موقف الشاة في السوق مربوطة او غير
مربوطة والدواب على مرابطها محرزة الا ان يكون معها حافظ ومن ربط
بفنائه او اتخذ موضعا مربطا لدابة فانه حرز لها والسفينة حرز لما
فيها وسواء كانت سايبة او مربوطة فان سرقت السفينة نفسها فهي كالدابة
ان كانت محرزة وان كان صاحبها ربطها في موضع وارساها فيه فربطها حرز
وهكذا ان كان معها احد حيث ما كانت فهي محرزة كباب المسجد معها حافظ الا
ان ينزلوا بالسفينة في سفرهم منزلا فيربطوها فهو حرز لها كان صاحبها معها

ام لا

امرلا ولا خلاف ان السارق منه ... اروا حد ما الفنا دیق
الذی یسکن کل رجل بیته علی حده یقطع من یسرق ... من بیت صاحبه اذا اخذ
وقد خرج بسرقته الی قاعه الدار وان لم یخرج ... به ولا خرج بها من الدار
ولا خلاف فی انه لا یقطع من سرق منهم من قاعه الدار وان لم یدخل بها بیته
دابه فی مربطها او ما یشبهها من الا ... ولا یقطع الابوان
بسرقه مال ابنهما لقول النبی صلی الله علیه وسلم انت ومالک لابیک ویقطع
فی سرقه مالهما لانه لا شبهه له فیه وقیل لا یقطع وهو قول بن وهب واشهب
لان الابن ینبسط فی مال ابیه فی العاده الا تری ان العبد لا یقطع فی مال سیده
فلان لا یقطع ابنه فی ماله اولی واختلفوا فی الجد فقال ملك وبن القاسم لا یقطع
وقال اشهب یقطع وقول ملك احب الی لانه اب قال ملك احب الی ان لا تقطع
الاجداد من قبل الاب والام وان لم ... نفقه قال بن القاسم واشهب
ویقطع من سواهما من القرابات قال بن القاسم ولا یقطع من سرق من جوع
اصابه وقال ابو حنیفه لا قطع علی ... ذی المحارم مثل العمه والخاله
والاخت وغیرهم وهو قول الثوری وقال ملك والشافعی واحمد واسحق
یقطع من سرق منها ولا وقال ابو ثور یقطع کل سارق سرق ما یقطع فیه
الید الا ان یجمعوا علی شی فیسلم الاجماع واختلفوا فی
سارق المصحف فقال الشافعی وابو یوسف وابو ثور یقطع اذا کانت قیمته ما
تقطع فیه الید وبه قال بن القاسم وقال النعمان لا یقطع من سرق مصحفا قال
بن المنذر یقطع سارق المصحف واختلفوا فی الطرار یطر النفقه من الکم فقالت
طایفه یقطع من داخل الکم طرا او من خارج وهو قول ملك والاوزاعی وابی ثور
ویعقوب وقال ابو حنیفه ومحمد بن الحسن واسحق ان کانت الدراهم مصروره فی

والشرار الا ان یکون من المطر ... لان ... شیئا وان ادخل یده او اخرجه ... لصاحبه

ظاهر كمه فطرحها فسرقها قطع وان كانت مصرورة الى داخل الكم فادخل يده ثم
قطع وقال الحسن يقطع قال ابن المنذر يقطع على اي جهة طر

واختلفوا في قطع اليد في السفر واقامة الحدود في ارض الحرب فقال مالك
والليث بن سعد تقام الحدود في ارض الحرب ولا فرق بين دار الحرب والاسلام
وقال الاوزاعي يقيم من غزا على جيش وان لم يكن امير مصر من الامصار الحدود
في عسكره غير القطع وقال ابو حنيفة اذا غزا الجند ارض الحرب وعليهم
امير فانه لا يقيم الحدود في عسكره الا ان امام مصر او الشام او العراق او
ما اشبهه فيقيم الحدود في عسكره استدل الاوزاعي ومن قال بقوله بحديث
جنادة بن ابي امية قال كنا مع بسر بن ارطاة في البحر فاتي بسارق يقال له مصدر
قد سرق بختية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقطع الايدي
في الغزو ولولا ذلك لقطعته بسر هذا يقال ولد في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم وكانت له اخبار سوء في جانب علي واصحابه وهو الذي ذبح طفلين
لعبيد الله بن العباس ففقدت امهما عقلها فهامت على وجهها فدعا عليه علي رضي
الله عنه ان يطيل الله عمره ويذهب عقله فكان كذلك قال يحيى بن معين كان
بسر بن ارطاة رجل سوء استدل من قال بالقطع بعموم القران وهو الصحيح
ان شاء الله تعالى واولى ما يحتج به لمن منع القطع في ارض الحرب مخافة ان يلحق ذلك
بالشرك والله اعلم

فاذا قطعت اليد او الرجل فالى اين تقطع
فقال الجماعة تقطع من الرسغ والرجل من المفصل ويحسم السارق اذا قطع وقال
بعضهم تقطع الى المرفق وقيل الى المنكب لان اسم اليد يتناول ذلك وقال علي
رضي الله عنه تقطع الرجل من شطر القدم ويترك له العقب وبه قال احمد وابو ثور
قال ابن المنذر وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال امر بقطع يد رجل فقال

احسموها

احسموها وفي اسناده مقال واستحب في الجماعه منهم الشافعي وابو ثور وغيرهما
وهذا احسن وهو اقرب الى البر وابعد من التلف لا خلاف ان
اليمنى هي التي تقطع اولا ثم اختلفوا ان سرق ثانيه فقال مالك واهل المدينه والشافعي
وابو ثور وغيرهم تقطع رجله اليسرى ثم في الثالثه يده اليسرى ثم في الرابعه رجله
اليمنى ثم ان سرق خامسه يعزر ويحبس وقال ابو مصعب يقتل بعد الرابعه واحتج
بحديث خرجه النسائي عن الحارث بن حاطب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي
بلص فقال اقتلوه فقالوا يا رسول الله انما سرق فقال اقتلوه فقالوا يا رسول الله انما
سرق قال اقطعوا يده قال ثم سرق فقطعت رجله ثم سرق على عهد ابي بكر حتى قطعت
قوائمه كلها ثم سرق ايضا الخامسه فقال ابو بكر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم
بهذا حين قال اقتلوه ثم دفع الى فتيه من قريش ليقتلوه منهم عبد الله بن الزبير وكان
يحب الاماره فقال امروني عليكم فامروه عليهم فكان اذا ضرب ضربوه حتى قتلوه
وحديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بسارق في الخامسه فقال اقتلوه
قال جابر فانطلقنا به فقتلناه ثم اجتررناه فرميناه في بير ورمينا عليه الحجاره
رواه ابو داود وخرجه النسائي وقال هذا حديث منكر واحد رواته ليس
بالقوي ولا اعلم في هذا الباب حديثا صحيحا قال ابن المنذر ثبت عن ابي بكر وعمر
انهما قطعا اليد بعد اليد والرجل بعد الرجل وقيل تقطع في الثانيه في الثانيه
رجله اليسرى ثم لا قطع في غيرها فان عاد عزر وحبس روي عن علي بن ابي طالب وبه
قال الزهري وحماد بن ابي سليمان واحمد بن حنبل قال الزهري لم يبلغنا في السنه الا
قطع اليد والرجل وقال عطا تقطع يده اليمنى خاصه ولا يعود عليه القطع
ذكره ابن العربي وقال اما قول عطا فان الصحابه قالوا قبله خلافه
واختلفوا في الحاكم يامر بقطع يد السارق اليمنى فتقطع يساره فقال

قتادة قد اقيم عليه الحد لا يزداد عليه وبه قال مالك اذا اخطا القاطع فقطع شماله وبه قال اصحاب الراي استحسانا وقال ابو ثور على الجزار الدية لانه اخطا وتقطع يمينه الا ان يمنع منه اجماع قال ابن المنذر وليس يخلو قطع يسار السارق من احد معنيين اما ان يكون القاطع عمد ذلك فعليه القود او يكون خطا فديته على عاقلة القاطع وقطع يمين السارق يجب ولا يجوز ازالة ما اوجب الله سبحانه بتعدي متعد او اخطا مخط وقال الثوري في الذي يقتص منه في يمينه اذا برا وذلك انه هو اتلف يساره ولا شي على القاطع في قول اصحاب الراي وقياس قول الشافعي تقطع يمينه اذا برات وقال قتاده والشعبي لا شي على القاطع وحسبه ما قطع منه

وتعلق يد السارق في عنقه قال عبد الله بن محيريز سالت فضاله عن تعليق يد السارق في عنقه امن السنه هو قال جي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسارق فقطعت يده ثم امر بها فعلقت في عنقه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وابو داود والنساي

اذا وجب حد السرقه فقتل السارق رجلا فقال مالك يقتل ويدخل القطع فيه وقال الشافعي يقطع لانهما حقان لمستحقين فوجب ان يوفي كل واحد منهما حقه وهذا هو الصحيح ان شا الله تعالى وهو اختيار ابن العربي

قوله تعالى ايديهما لما قال تعالى ايديهما ولم يقل يديهما تكلم علما اللسان في ذلك قال ابن العربي وتابعهم الفقها على ما ذكروه حسن ظن بهم فقال الخليل بن احمد والفرا كل شي يوجد من خلق الانسان اذا اضيف الى اثنين جمع تقول هشمت روسهما واشبعت بطونهما وان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما ولهذا قال فاقطعوا ايديهما ولم يقل يديهما والمراد فاقطعوا يمينا من هذا ويمينا من هذا ويجوز في اللغه فاقطعوا يديهما وهو الاصل وقد قال الشاعر فجمع بين اللغتين ومهمهين قذفين مرتين ظهراهما مثل ظهور الترسين وقيل فعل هذا لانه لا

يشكل

رابع كراس

يشكل وقال سيبويه اذا كان مفردا قد يجمع اذا اردت به التثنيه وحكي عن
العرب وضعا رحالهما يريد رحلي راحلتيهما قال ابن العربي وهذا بنا على
ان اليمين وحدها التي تقطع وليس كذلك بل تقطع الايدي والارجل فيعود
قوله ايديهما الى اربعه وهي جمع في الاثنين وهما تثنيه فياتي الكلام على فصاحته
ولو قال فاقطعوا ايديهم لكان وجها لان السارق والسارقه لم يرد بهما
شخصين خاصه وانما هما اسما جنس يعما ما لا يحصى
قوله تعالى جزا بما كسبا مفعول من اجله وان شيت كان مصدرا وكذلك
نكالا من الله يقال نكلت به اذا فعلت ما يجب ان ينكل به عن ذلك الفعل
والله عزيز لا يغالب حكيم فيما يفعله وقد تقدم
قوله تعالى فمن تاب من بعد ظلمه واصلح شرط وجوابه
فان الله يتوب عليه ومعنى من بعد ظلمه من بعد السرقه فان الله تعالى
يتجاوز عنه والقطع لا يسقط بالتوبه وقال عطا وجماعه يسقط بالتوبه
قبل القدره على السارق وقاله بعض الشافعيه وعزاه الى الشافعي
قولا وتعلقوا بقول الله تعالى الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم
وذلك استثنا من الوجوب فوجب حمل جميع الحدود عليه وقال علماونا
هذا بعينه دليلنا لان الله تعالى لما ذكر حد المحارب قال الا الذين
تابوا من قبل ان تقدروا عليهم وعطف عليه حد السارق وقال فيه فمن
تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه فلو كان مثله في الحكم
بينهما ابن العربي ويا معشر الشافعيه سبحان الله اين الدقايق الفقهيه
والحكم الشرعيه التي تستنبطونها في غوامض المسايل الم تروا ان المحارب
المستبد بنفسه المعتدي بسلاحه الذي يفتقر الامام معه الى الايجاف

بالخيل والركاب كيف اسقط جزاه استنزالا عن تلك الحاله كما فعل بالكافر
في مغفره جميع ما سلف استيلافا على الاسلام فاما السارق والزاني وهما في
قبضه المسلمين وتحت حكم الامام ما الذي الذي يسقط عنهم حكم ما وجب عليهم
او كيف يجوز ان يقال يقاس على المحارب وقد فرقت بينهما الحكمه والحاله هذا
ما لا يليق بمثالكم يا معشر المحققين فاذا ثبت ان الحد لا يسقط بالتوبه فالتوبه
مقبوله والقطع كفاره له واصلح اي كما تاب عن السرقه تاب عن كل ذنب وقيل
واصلح ترك المعصيه بالكليه فاما من ترك السرقه بالزنا او التهود بالتنصر
فهذا ليس توبه وتوبه الله على العبد ان يوفقه للتوبه وقيل ان يقبل منه
التوبه   يقال بدا الله بالسارق في هذه الايه قبل
السارقه وفي الزنا بالزانيه قبل الزاني ما الحكمه في ذلك فالجواب ان يقال
لما كان حب المال على الرجال اغلب وشهوه الاستمتاع على النسا اغلب
بدا بهما في الموضعين هذا احد الوجوه في المراه على ما ياتي بيانه في سوره النور ان
شا الله تعالى من البدايه بها على الزاني ثم جعل سبحانه حد السرقه قطع اليد
لتناول المال ولم يجعل حد الزنا قطع الذكر مع موافقه الفاحشه به لثلاثه
معان احدها ان للسارق مثل يده التي فعلت فان انزجر بها اعتاض بالباقيه
وليس للزاني مثل ذكره اذا قطع فلم يعتض بغيره لو انزجر بقطعه الثاني ان الحد
زجر للمحدود وغيره وقطع اليد في السرقه ظاهر وقطع الذكر في الزنا باطن الثالث
ان قطع الذكر فيه ابطال النسل وليس في قطع اليد ابطاله   الم
تعلم ان الله له ملك السماوات والارض الايه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وغيره اي لا قرابه بين الله وبين احد توجب المحاباه حتى يقول قايل نحن ابنا الله
واحباوه والحدود تقام على كل من يقارف موجب الحد وقيل له ان يحكم بما يريد

فلهذا

فلهذا فرق بين المحارب وبين السارق وغير المحارب وقد تقدم نظاير هذه الاية
والكلام فيها فلا معنى لاعادتها يايها الرسول لا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر الى قوله عظيم فيه تسع مسايل قوله تعالى يايها الرسول
لا يحزنك الاية في نزولها ثلاثة اقوال قيل نزلت في بني قريظة والنضير قتل قرظي
نضيريا وكان بنو النضير اذا قتلوا من بني قريظة لم يقيدوهم وانما يعطونهم
الدية على ما ياتي بيانه فتحاكموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فحكم بالتسوية بين
القرظي والنضيري فساءهم ذلك ولم يقبلوا وقيل انها نزلت في شان ابي لبابة حين
ارسله النبي صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة فخانه حين اشار عليهم انه الذبح وقيل
انها نزلت في زنا اليهودي من قصة الرجم وهذا اصح الاقوال رواه الايمة
مالك والبخاري ومسلم والترمذي وابو داود عن جابر بن عبد الله ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم ايتوني باعلم رجلين منكم فجاوا بابني صوريا
فنشدهما كيف تجدان امر هذين في التوراة قالا نجد في التوراة اذا
شهد اربعة انهم راوا ذكره في فرجها كالمرود في المكحلة رجما قال فما
يمنعكما ان ترجموهما قال ذهب سلطاننا فكرهنا القتل فدعا النبي
صلى الله عليه وسلم باليهود فجاوا فشهدوا انهم راوا ذكره في فرجها
مثل الميل في المكحلة فامر النبي صلى الله عليه برجمهما وفي غير الصحيحين عن الشعبي
عن جابر بن عبد الله قال زنا رجل من اهل فدك فكتب اهل فدك الى ناس من
اليهود بالمدينة ان سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن ذلك فان امركم بالجلد
فخذوه وان امركم بالرجم فلا تاخذوه فسلوه فدعا ابن صوريا وكان
عالمهم وكان اعور فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله كيف
تجدون حد الزاني في كتابكم فقال ابن صوريا فاما اذ ناشدتني الله فانا نجد

ل
يمه
الميل م

في التوراه ان النظر زنيه والاعتناق زنيه والقبله زنيه فان شهد اربعه
انهم راوه كالميل في المكحله فقد وجب الرجم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هو ذلك وفي صحيح مسلم عن البرا بن عازب قال مر النبي صلى الله وسلم بيهودي
محمما مجلودا فدعاهم فقال هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قالوا نعم
فدعا رجلا من علمايهم فقال انشدك بالذي انزل التوراه على موسى اهكذا
تجدون حد الزاني في كتابكم قال لا ولولا انك نشدتني بهذا لم اخبرك
نجده الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا
الضعيف اقمنا عليه الحد قلنا تعالوا فلنجتمع على شي نقيمه على الشريف والوضيع
فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم اني اول من احيا امرك اذ اماتوه فامر به فرجم فانزل الله تعالى يا ايها الرسول
لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الى قوله ان اوتيتم هذا فخذوه يقول
ايتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فان امركم بالتحميم والجلد فخذوه وان افتاكم
بالرجم فاحذروا فانزل الله عز وجل ومن لم يحكم بما انزل الله فاوليك هم
الكافرون ومن لم بما انزل الله فاوليك هم هم الظالمون ومن لم يحكم بما
انزل الله فاوليك هم الفاسقون في الكفار هكذا في هذه الروايه مر على النبي
صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابن عمر اتي بيهودي ويهوديه قد زنيا فانطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جا يهود فقال ما تجدون في التوراه على
من زنا الحديث وفي الحديث روايه ان اليهود جاوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
برجل وامراه قد زنيا وفي كتاب ابي داود من حديث ابن عمر قال اتى نفر من يهود فدعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القف فاتاهم في بيت المدارس فقالوا يا ابا
القاسم ان رجلا منا زنا بامراه فاحكم بينهم ولا تعارض في شي من هذا كله وهي

كلها

كلها قصة ولكن وقد ابو داود من حديث ابي هريرة سياقة حسنة فقال
زنى رجل من اليهود وامراة فقال بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى هذا النبي صلى الله
عليه وسلم فانه نبي بعث بالتخفيفات فان افتانا بالفتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا
بها عند الله وقلنا فتيا نبي من انبيائك قال فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في
المسجد في اصحابه فقالوا يا ابا القاسم ما ترى في رجل وامراة منهم زنيا فلم يكلمهم
النبي صلى الله عليه وسلم حتى اتى مدراسهم فقام على الباب فقال انشدكم بالله الذي
انزل على موسى ما تجدون في التوراة على من احصن قالوا يحمم ويجبه ويجلد والتجبيه
ان يحمل الزانيان على حمار وتقابل اقفيتهما ويطاف بهما قال وسكت شاب منهم
فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم الظ به النشدة فقال اللهم اذ انشدتنا
فانا نجد في التوراة الرجم وساق الحديث الى ان قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
فاني احكم بما في التوراة فامر بهما فرجما والحاصل من
هذه الروايات ان اليهود حكموا النبي صلى الله عليه وسلم فحكم عليهم بمقتضى
ما في التوراة واستند في ذلك الى قول ابن صوريا وانه سمع شهادة اليهود
وعمل بها وان الاسلام ليس شرطا في الاحصان نقض مسايل في الاحصان
فاذا ترافع اهل الذمة الى الامام فان كان ما رفعوه ظلما كالقتل والعدوان
والغصب حكم بينهم ومنعهم منه بلا خلاف واما ان لم يكن كذلك فالامام
مخير في الحكم بينهم وتركه عند مالك والشافعي غير ان مالكا راى ان الاعراض
عنهم اولى فان حكم حكم بحكم الاسلام وقال الشافعي لا يحكم بينهم في الحدود وقال
ابو حنيفة يحكم بينهم على كل حال وهو قول الزهري وعمر بن عبد العزيز والحكم
وروي عن ابن عباس وهو احد قولي الشافعي لقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل
الله على ما ياتي بيانه احتج مالك بقوله تعالى فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض

عنهم وهو نص في التخيير قال ابن القاسم اذا جا الاساقفه والزانيان
لان انفاذ الحكم حق للاساقفه والمخالف يقول لا يلتفت الى الاساقفه قال
ابن العربي وهو الاصح لان مسلمين لو حكما بينهما رجلا لنفذ ولم يعتبر رضى الحاكم
فالكتابيون بذلك اولى وقال عيسى عن ابن القاسم لم يكونوا اهل ذمه انما كانوا
اهل حرب قال ابن العربي وهذا الذي قاله عيسى عنه انما نزع به لما رواه الطبري
وغيره ان الزانيين كانا من اهل خيبر او فدك وكانوا حربا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم واسم المراه الزانيه بسره وكانوا بعثوا الى يهود المدينه يقولون
اسالوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن هذا فان افتاكم بالرجم فخذوا منه واقبلوه وان
افتى به فاحذروا الحديث قال ابن العربي وهذا لو كان صحيحا لكان مجيئهم بالزانيين
وسوالهم عهدا وامانا وان لم يكن عهد وذمه ودار لكان له حكم الكف عنهم
والعدل فيهم فلا حجه لروايه عيسى في هذا وعنهم اخبر الله تعالى بقوله سماعون
للكذب سماعون لقوم اخرين لم ياتوك ولما حكموا النبي صلى الله عليه وسلم نفذ الحكم
عليهم ولم يكن لهم الرجوع فكل من حكم رجلا في الدين وهي   فاصله
هذه الايه قال مالك اذا حكم رجلان رجلا فحكمه ماض وان رفع الى قاض امضاه الا ان
يكون جورا بينا وقال سحنون يمضيه ان راه قال ابن العربي وذلك في الاموال والحقوق
التي تختص بالطالب فاما الحدود فلا يحكم فيها الا السلطان والضابط ان كل
حق اختص به الخصمان جاز التحكيم فيه ونفذ تحكيم المحكم به وتحقيقه ان التحكيم بين
الناس انما هو حقهم لا حق الحاكم بيد ان الاسترسال على التحكيم خرم لقاعده الولايه
ومؤد الى تهارج الناس تهارج الحمر فلا بد من نصب فاصل فامر الشرع بنصب
لتحسم قاعده الهرج واذن في التحكيم تخفيفا عنه وعنهم في مشقه الترافع لتتم
المصلحتان وتحصل الفائده وقال الشافعي وغيره التحكيم جائز وهو غير لازم

وانما هي فتوى

وانما هي فتوى .   وقال بعض العلما انما كان حكم النبي صلى الله
عليه وسلم على اليهود بالرجم اقامة لحكم كتابهم لما حرفوه واخفوه وتركوا العمل
به الا ترى انه قال اللهم اني اول من احيا امرك اذا اماتوه وان ذلك كان حين
قدم المدينة ولذلك استثبت ابني صوريا عن حكم التوراة واستحلفه على ذلك
واقوال الكفار في الحدود وفي شهادتهم عليها غير مقبولة بالاجماع لكن
فعل ذلك على طريق الزامهم ما التزموه وعملوا به وقد يحتمل ان يكون حصول
طريق العلم بذلك الوحي او ما القى الله في روعه من تصديق ابني صوريا فيما
قالاه من ذلك لا قولهما مجرد تبيين له صلى الله عليه وسلم واخبر بمشرعية الرجم
ومبدايه ذلك الوقت فيكون افاد بما فعله اقامة حكم التوراة وبين ان ذلك
حكم شريعته وان التوراة حكم الله لقوله انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها
النبيون الذين اسلموا وهو من الانبيا وقد قال عنه ابو هريرة فاني احكم بما
في التوراة والله اعلم   والجمهور على رد شهادة الذمي لانه ليس
من اهلها فلا تقبل على مسلم ولا على كافر وقد قبل شهادتهم جادتهم جماعة
من التابعين وغيرهم اذا لم يوجد مسلم وعلى ياتي بيانه اخر السورة ان شا
الله تعالى فان حكم بشهادتهم ورجم الزانيين فالجواب انه انما نفذ عليهم
ما علم انه حكم التوراة والزمهم العمل به على نحو ما عملت به بنو اسرايل
الزاما للحجة عليهم واظهارا لتحريفهم وتغييرهم فكان منفذا لا حاكما وهذا
على التاويل الاول وعلى ما ذكر من الاحتمال تكون تلك خاصا بتلك الوقعة
اذ لم يسمع في الصدر الاول من قبل شهادتهم في مثل ذلك والله اعلم
قوله تعالى فلا يحزنك قرانا فع بضم اليا وكسر الزاي والباقون بفتح اليا وضم
الزاي والحزن خلاف السرور وحزن الرجل بالكسر فهو حزن وحزين واحزنه

غيره وحزنه ايضا مثل اسلكه وسلكه ومحزون يخ عليه قال اليزيدي حزنه
لغة قريش واحزنه لغة تميم وقد قرى بهما واحتزن وتحزن بمعنى والمعنى في
الاية تانيس النبي صلى الله عليه وسلم اي لا يحزنك مسارعتهم الى الكفر فان الله
قد وعدك بالنصر عليهم . قوله تعالى من الذين قالوا امنا بافواههم
وهم المنافقون ولم تومن قلوبهم اي يظهرون ما في قلوبهم الايمان بما انطقت به
السنتهم ومن الذين هادوا يعني يهود المدينة ويكون هذا تمام الكلام
ثم ابتدا فقال سماعون للكذب اي هم سماعون ومثله طوافون عليكم
وقيل الابتدا من قوله ومن الذين هادوا اي ومن الذين هادوا قوم سماعون
للكذب اي قابلون للكذب ورسايهم من تحريف التوراه وقيل اي يسمعون
كلامك يا محمد ليكونوا عليك فكانوا يختلفون من عند النبي صلى الله عليه وسلم ثم يكذب
عليه عند عامتهم ويقبح اصورته في اعينهم وهو معنى قوله سماعون لقوم اخرين
لم ياتوك وكان في المنافقين من يفعل هذا قال الفرا ويجوز سماعين وطوافين
كما قال ملعونين اينما ثقفوا كما قال ان المتقين في جنات ونعيم ثم قال فاكهين
اخذين وقال سفين بن عيينه قال ان الله سبحانه وتعالى ذكر الجاسوس في القران
بقوله سماعون لقوم اخرين لم ياتوك ولم يعرض النبي صلى الله عليه وسلم
لهم مع علمه بهم لانه لم يكن حينيذ تقررت الاحكام ولا تمكن الاسلام وسياتي
حكم الجاسوس في الممتحنة ان شا الله تعالى . قوله تعالى يحرفون
الكلم من بعد مواضعه اي يتاولونه على غير تاويله بعد ان فهموه عنك
وعرفوا مواضعه التي اراده الله جل وعز وبين احكامه فقالوا شرعه ترك
الرجم وجعله بدل رجم المحصن جلد اربعين تغيرا لحكم جل وعز ويحرفون في
صفة لقوله سماعون وليس بحال من الذي في ياتوك لانهم اذا اتوا لم يسمعوا

والتحريف

والتحريف انما هو ممن يشهد ويسمع فيحرف والمحرفون من اليهود بعضهم لا كلهم
ولذلك كان حمل المعنى على من الذين هادوا وفريق سماعون اشبه يقولون في
موضع الحال من المضمر في يحرفون ان اوتيتم هذا فخذوه اي ان اتاكم محمد صلى
الله عليه وسلم بما قبلتموه والا فلا   قوله تعالى ومن يرد الله فتنته
اي ضلالته في الدنيا وعقوبته في الاخره فلن تملك له من الله شيئا اي فلن تنفعه
اولياء الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم بيان ان منه جل وعز انه قضى عليهم بالكفر
ودلت على ان الضلاله بمشيئة الله ردا على من قال خلاف ذلك كما تقدم اي   الايه ص
لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الطبع عليها والختم كما طهر قلوب المومنين ثوابا لهم
لهم في الدنيا خزي قيل هو فضيحتهم حين انكروا الرجم ثم احضرت التوراه فو   جد
فيها الرجم وقيل خزيهم في الدنيا اخذ الجزيه والذل   سماعون
للكذب اكالون للسحت فيه مسئلتان   قوله تعالى سماعون
للكذب كرره تاكيدا لتفخيما وقد تقدم في البقره   قوله تعالى
اكالون للسحت على التكثير والسحت في اللغه اصله الهلاك والشده
قال الله تعالى فيسحتكم بعذاب وقال الفرزدق وعض الزمان يا ابن
مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف كذا الروايه او مجلف
بالرفع عطفا على المعنى لان معنى لم يدع لم يبق ويقال للحالق اسحت
اي استاصل وسمي المال الحرام سحتا لانه يسحت الطاعات اي يذهبها
ويستاصلها وقال الفرا اصله كلب الجوع يقال رجل مسحوت المعده اي
اكول فكان بالمسترشي واكل الحرام من الشره الى ما يعطى مثل الذي بالمسحوت
المعده من النهم وقيل سمي الحرام سحتا لانه يسحت مروة الانسان قال
الشيخ المولف رحمه الله والقول الاول اولى لان بذهابها الدين يذهب

المروة ولا مروة لمن لا دين له قال ابن مسعود وعمر السحت الرشا وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه رشوة الحاكم من السحت وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال كل لحم نبت بالسحت فالنار اولى به قالوا يا رسول الله
وما السحت قال الرشوة في الحكم وعن ابن مسعود ايضا انه قال السحت
ان يقضي الرجل لاخيه حاجة فيهدي اليه هدية فيقبلها وقال ابن خويز منداد
من السحت ان ياكل الرجل بجاهه وذلك ان يكون له جاه عند السلطان فيسأله
انسان حاجة فلا يقضيها الا برشوة ياخذها ولا خلاف بين السلف ان اخذ
الرشوة على ابطال حق او ما لا يجوز سحت حرام وقال ابو حنيفة اذا ارتشا
الحاكم انعزل في الوقت وان لم يعزل بطل كل حكم حكم به بعد ذلك قال
الشيخ المولف رحمه الله وهذا لا يجوز ان يختلف فيه ان ارتشا لان اخذ الرشوة
منه فسق والفاسق لا يجوز حكمه والله اعلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعن
الله الراشي والمرتشي وعن علي رضي الله عنه انه قال السحت الرشوة وحلوان
الكاهن والاستعجال في المعصية وروي عن وهب بن منبه انه قيل له الرشوة
حرام في كل شيء فقال لا انما يكره من الرشوة ان ترشي لتعطى ما ليس لك او تدفع
حقا قد لزمك فاما ان ترشي لتدفع عن دينك ودمك ومالك فليس بحرام قال
ابو الليث السمرقندي الفقيه وبهذا ناخذ لا باس ان يدفع الرجل عن نفسه
وماله بالرشوة وهذا كما روي عن عبد الله بن مسعود انه كان بالحبشة فرشا
دينارين وقال انما الاثم على القابض دون الدافع قال المهدوي ومن جعل كسب
الحجام ومن ذكر معه سحتا فمعناه انه سحت مروة اخذه قال الشيخ المولف رحمه
الله الصحيح في كسب الحجام انه طيب ومن اخذ طيبا لا تسقط مروته ولا
تنحط مرتبته وقد روى مالك عن حميد الطويل عن انس انه قال احتجم رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم حجمه ابو طيبه فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بصاع من
تمر وامر اهله ان يخففوا عنه من خراجه قال بن عبد البر هذا يدل على ان كسب
الحجام طيب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجعل ثمنا ولا جعلا ولا عوضا
لشي من الباطل وحديث انس هذا ناسخ لما حرمه النبي صلى الله عليه وسلم من
ثمن الدم وناسخ لما كرهه من اجارة الحجام وروى البخاري وابو داود عن بن
عباس قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطا الحجام اجره ولو علمه سحتا
لم يعطه والسحت والسحت لغتان قرى بهما قرا ابو عمرو وبن كثير والكسائي
بضمتين الباقون بضم السين وحدها وروى العباس بن الفضل عن خارجه بن
مصعب عن نافع اكالون للسحت بفتح السين واسكان الحا وهذا مصدر من
سحته يقال اسحت وسحت بمعنى واحد وقال الزجاج سحته ذهب به قليلا
قليلا فان جاوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم هذا تخيير من الله
تعالى ذكره القشيري وتقدم معناه انهم كانوا اهل موادعة لا اهل ذمة فان
النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينه وادع اليهود ولا يجب علينا الحكم
بين الكفار اذا لم يكونوا اهل ذمة بل يجوز الحكم ان اردنا فاما اهل الذمة فهل
يجب علينا الحكم بينهم اذا ترافعوا الينا فيه قولان للشافعي واذا ارتبطت
الخصومه بمسلم يجب الحكم قال المهدوي اجمع العلما على ان على الحاكم ان يحكم بين
المسلم والذمي واختلفوا في الذميين فذهب بعضهم الى ان الايه محكمه وان
الحاكم مخير روي ذلك عن النخعي والشعبي وغيرهما وهو مذهب مالك
والشافعي وغيرهما سوى ما روي عن مالك في ترك اقامة الحد على اهل الكتاب
في الزنا فانه قال اذا زنا المسلم بالكتابيه حد ولا حد عليها فان كان الزانيان
ذميين فلا حد عليهما وهو مذهب ابو حنيفه ومحمد بن الحسن وغيرهما وقد

روي عن ابي حنيفه ايضا انه يجلدان ولا يرجمان وقال الشافعي وابو يوسف
وابو ثور وغيرهم عليهما الحد اذا اتيا راضيين بحكمنا قال ابن خواز منداد
ولا يرسل الامام اليهم اذا استعدى بعضهم على بعض ولا يحضر الخصم مجلسه
الا ان يكون فيما يتعلق بالظالم الذي ينتشر منها الفساد كالقتل ونهب المنازل
واشباه ذلك فاما الديون والطلاق وساير المعاملات فلا يحكم بينهم
الا بعد التراضي والاختيار له الا يحكم ويردهم الى حكامهم فان حكم بينهم
حكم بحكم الاسلام واما اجبارهم على حكم المسلمين فيما ينتشر منه الفساد
فليس على الفساد عاهدناهم وواجب قطع الفساد عنهم منهم ومن غيرهم
لان في ذلك حفظ اموالهم ودمايهم ولعل في دينهم استباحة ذلك
فينتشر منه الفساد بيننا ولذلك منعناهم ان يبيعوا الخمر جهارا وان
يظهروا الزنا وغير ذلك من القاذورات لئلا يفسد بهم سفها المسلمين
واما الحكم فيما يختص به دينهم من الطلاق والزنا وغيره فليس يلزمهم ان
يتدينوا بديننا وفي الحكم بينهم اضرار بحكامهم وتغيير ملتهم وليس كذلك
الديون والمعاملات لان فيها وجها من المظالم وقطع الفساد والله اعلم
وفي الايه قول ثان وهو ما روي عن عمر بن عبد العزيز والنخعي ان التخيير
المذكور في الايه منسوخ بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وان على
الحاكم ان يحكم بينهم وهو مذهب عطا الخراساني وابي حنيفه واصحابه
وغيرهم روي عن عكرمه انه قال فان جاوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم
نسختها ايه اخرى وان احكم بينهم بما انزل الله وقال مجاهد لم ينسخ من المايده
الا ايتين قوله تعالى فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسختها قوله وان احكم بينهم بما
انزل الله وقوله لا تحلوا شعاير الله نسختها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم

وقال

وقال الزهري مضت السنه ان يرد اهل الكتاب في حقوقهم ومواريثهم الى
اهل دينهم الا ان ياتوا راغبين في حكم الله فيحكم بينهم بكتاب الله قال السمرقندي
وهذا القول يوافق قول ابي حنيفه انه لا يحكم بينهم مالم يتراضوا بحكمنا وقال
النحاس في الناسخ والمنسوخ له قوله تعالى فان جاوك فاحكم بينهم او اعرض
عنهم منسوخ لانه انما نزل اول ما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينه واليهود
فيها يوميذ كثير وكان الادعى لهم والاصلح ان يردوا الى احكامهم فلما قوى
الاسلام انزل الله عز وجل وان احكم بينهم بما انزل الله وقاله بن عباس
ومجاهد وعكرمه والزهري وعمر بن عبد العزيز والسدي وهو الصحيح
من قول الشافعي قال في كتاب الجزيه ولا خيار له اذا تحاكموا اليه لقوله عز
وجل حتى يعطوا الجزيه عن يد وهم صاغرون قال النحاس وهذا من اصح
الاحتجاجات لانه اذا كان معنى قوله وهم صاغرون ان تجرى عليهم
احكام المسلمين وجب ان لا يردوا الى احكامهم فاذا وجب هذا فالايه منسوخه
وهو ايضا قول الكوفيين ابي حنيفه وزفر وابي يوسف ومحمد لا اختلاف
بينهم اذا تحاكم اهل الكتاب الى الامام انه ليس له ان يعرض عنهم غير ان
ابا حنيفه قال اذا جات المراه والزوج فعليه ان يحكم بينهما بالعدل وان
جات المراه وحدها ولم يرض الزوج لم يحكم وقال الباقون يحكم فثبت ان قول
اكثر العلما ان الايه منسوخه مع ما ثبت فيها من توقيف بن عباس ولو لم
يات الحديث عن بن عباس لكان النظر يوجب انها منسوخه لانهم قد اجمعوا
ان اهل الكتاب اذا تحاكموا الى الامام فله ان ينظر بينهم لانه مصيب عند الجماعه
وان لا يعرض عنهم فيكون عند بعض العلما تاركا فرضا فاعلا ما لا يحل له ولا
يسعه قال النحاس ولمن قال بانها منسوخه من الكوفيين قول اخر منهم من يقول

على الامام اذا علم من اهل الكتاب حدا من حدود الله عز وجل ان يقيمه وان لم يتحاكموا
اليه ويحتج بقول الله عز وجل وان احكم بينهم يحتمل امرين احدهما وان احكم بينهم
وان لم يتحاكموا اليك اذا علمت ذلك منهم قالوا فوجدنا في كتاب الله عز وجل
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما يوجب اقامة الحق عليهم وان لم يتحاكموا الينا
فاما ما في كتاب الله فقوله تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله
واما ما في السنة فحديث البراء قال مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودي قد
جلد وحمم فقال هكذا حد الزاني عندكم فقالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم
فقال سالتك بالله هكذا حد الزاني فيكم فقال لا الحديث وقد تقدم
قال النحاس واحتجوا بان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له ليس في حديث مالك
ايضا ان الذين زنيا رضيا بالحكم وقد رجمهما النبي صلى الله عليه وسلم قال
ابو عمر بن عبد البر لو تدبر من احتج بحديث البراء لم يحتج لان في درج الحديث
تفسير قوله عز وجل ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا
يقول ان افتاكم بالتحميم والجلد فخذوه وان افتاكم بالرجم فاحذروا
دليل على انه حكموه وذلك بين في حديث ابن عمر وغيره قال قايل ليس في
حديث ابن عمر ان الزانيين حكما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رضيا بحكمه قيل له
حد الزاني حق من حقوق الله تعالى على الحاكم اقامته ومعلوم ان اليهود كان لهم حاكم
يحكم بينهم ويقيم حدودهم عليهم وهو الذي حكم رسول الله صلى الله عليه
وسلم والله اعلم وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط روى النساي
عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان قريظة والنضير وكان النضير اشرف من قريظة
وكان اذا قتل رجل من قريظة رجلا من النضير قتل به واذا قتل رجل من النضير رجلا
من قريظة ودا مائة وسق من تمر فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجل

من النضير

١

من النضير رجلا من قريظة فقالوا ادفعوه الينا لنقتله فقالوا بيننا وبينكم النبي صلى
الله عليه وسلم فنزلت وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط النفس بالنفس ونزلت
افحكم الجاهلية يبغون   وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها
حكم الله قال الحسن هو الرجم وقال قتادة هو القود ويقال له يدل قوله عز
وجل فيها حكم الله على انه لم ينسخ الجواب قال ابو علي نعم لانه لو نسخ لم يطلق
عليه بعد النسخ انه حكم الله كما لا يطلق ان حكم الله تحليل او تحريم السبت
وقوله وما اولئك بالمومنين اي بحكمك انه من عند الله وقال ابو علي ان من
طلب غير حكم الله من حيث لم يرض به فهو كافر وهذه حالة اليهود
انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور اي بيانات وضيا وتعريف
ان محمدا صلى الله عليه وسلم حق هدى في موضع رفع بالابتدا ونور عطف
عليه يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا قيل المراد بالنبيين محمد صلى
الله عليه وسلم وعبر عنه بلفظ الجمع وقيل كل من بعث من بعد موسى باقامة
التوراة وان اليهود قالت ان الانبيا كانوا يهودا وقالت النصارى كانوا نصا   ري
فبين الله عز وجل كذبهم ومعنى اسلموا صدقوا بالتوراة من لدن موسى الى
عيسى على نبينا وعليهما افضل الصلاة والسلام وبينهما الف نبي ويقال اربعة
الاف ويقال اكثر من ذلك كانوا يحكمون بما في التوراة وقيل معنى اسلموا
خضعوا وانقادوا لامر الله فيما بعثوا به وقيل اي يحكم بها النبيون الذين
هم على دين ابرهيم عليه السلام والمعنى واحد ومعنى للذين هادوا على
الذين هادوا فاللام بمعنى على وقيل المعنى يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين
هادوا وعليهم فحذف عليهم والذين اسلموا هاهنا نعت فيه معنى المدح
مثل بسم الله الرحمن الرحيم هادوا اي تابوا من الكفر وقيل فيه تقديم وتا   خير اي

انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون والربانيون
والاحبار اي يحكم بها الربانيون وهم الذين يسوسون الناس بالعلم ويربونهم بصغاره قبل كباره عن ابن عباس وغيره وقد تقدم في آل عمران
وقال ابو رزين الربانيون العلما الحكما والاحبار قال ابن عباس هم الفقها والحبر
الرجل العالم وهو ماخوذ من التحبير وهو التحسين فهم يحبرون العلم
اي يبينونه ويزينونه وهو محبر في صدورهم قال مجاهد الربانيون
فوق العلما والالف واللام للمبالغة قال الجوهري والحبر والحبر واحد احبار
اليهود وبالكسر افصح لانه يجمع على افعال دون الفعول قال الفرا هو حبر بالكسر
يقال ذلك للعالم وقال الثوري سالت الفرا لم سمي الحبر حبرا فقال يقال
للعالم حبر وحبر فالمعنى مداد حبر ثم حذف كما قال واسال القرية قال فسالت
الاصمعي فقال ليس هذا بشي انما سمي حبرا لتاثيره يقال على اسنانه حبر اي صفرة او سواد
وقال ابو العباس سمي الحبر الذي يكتب به حبرا لانه يحبر به اي يحسن به
وقال ابو عبيد والذي عندي في واحد الاحبار الحبر بالفتح ومعناه
العالم بتحبير الكلام والعلم وتحسينه قال وهكذا يرويه المحدثون كلهم
بالفتح والحبر الذي يكتب به وموضعه المحبرة بالكسر والحبر ايضا الاثر
والجمع حبور عن يعقوب بما استحفظوا من كتاب الله اي استودعوا من
علمه والبا متعلقة بالربانيين والاحبار كانه قال والعلما بما استحفظوا
او تكون متعلقة بيحكم اي يحكمون بما استحفظوا وكانوا عليه شهدا اي على
الكتاب بانه من عند الله ابن عباس شهدا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم انه في
التوراة فلا تخشوا الناس اي في اظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم واظهار
الرجم واخشوني اي في كتمان ذلك فالخطاب لعلما اليهود وقد يدخل

بالمعنى

ا

بالمعنى كل من كتم حقا وجب عليه ولم يظهره وتقدم معنى ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا مستوفى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون نزلت كلها في الكفار ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث البرا وقد تقدم على هذا المعظم فاما المسلم فلا يكفر وان ارتكب كبيره وقيل فيه اضمار اى ولم يحكم بما انزل ردا للقران وجحدا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر قاله ابن عباس ومجاهد فالايه عامة على هذا قال ابن مسعود والحسن هي عامه في كل من لم يحكم بما انزل الله من المسلمين واليهود والكفار اي معتقدا ذلك ومستحلا له فاما من فعل ذلك وهو معتقد انه راكب محرم فهو من فساق المسلمين وامره الى الله تعالى ان شا عذبه وان شا غفر له وقال ابن في روايه ومن لم يحكم بما انزل الله فقد فعل فعلا يضاهي افعال الكفار وقيل اى ومن لم يحكم بجميع ما انزل الله فهو كافر فاما من حكم بالتوحيد ولم يحكم ببعض الشرايع فلا يدخل في هذه الايه والصحيح الاول الا ان الشعبي قال هي في اليهود خاصه واختار النحاس قال ويدل على ذلك اشيا منها ان اليهود قد ذكروا قبل هذا في قوله للذين هادوا فعاد الضمير عليهم ومنها ان سياق الكلام يدل على ذلك الا ترى ان بعده وكتبنا عليهم فيها فهذا الضمير لليهود باجماع وايضا فان اليهود هم الذين انكروا الرجم والقصاص فان قال قايل من اذا كانت للمجازاه فهي عامه الا ان يقع دليل على تخصيصها قيل له من هنا بمعنى الذي مع ما ذكرناه من الادله والتقدير واليهود الذين لم يحكموا بما انزل الله فاولئك هم الكافرون فهذا من احسن ما قيل في هذا ويروى ان حذيفه سيل عن هذه الايات اهي في بني اسرايل قال نعم هي فيهم ولتسلكن سبيلهم حذو النعل بالنعل وقيل الكافرون

المسلمين والظالمون لليهود والفاسقون للنصارى وهذا اختيار القاضي ابي بكر
بن العربي قال لانه ظاهر الايات وهو اختيار ابن عباس وجابر بن زيد وابن
ابي زائده وابن شبرمه والشعبي ايضا قال طاوس وغيره ليس بكفر ينقل عن
المله ولكنه كفر دون كفر وهذا يختلف ان حكم بما عنده على انه من عند الله فهو
تبديل له يوجب الكفر وان حكم به هوى ومعصيه فهو ذنب تدركه المعصيه
على اصل اهل السنه في الغفران للمذنبين قال القشيري ومذهب الخوارج ان
من ارتشا وحكم بغير حكم الله فهو كافر وعزي هذا الى الحسن والسدي وقال
الحسن ايضا اخذ الله عز وجل على الحكام ثلاثه اشيا ان لا يتبعوا الهوي ولا يخشوا
الناس ويخشوه وان لا يشتروا باياته ثمنا قليلا وكتبنا عليهم
فيها ان النفس بالنفس الى قوله الظالمون فيه ثلاثون مسئله قوله
تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس بين انه ساوى بين النفس والنفس في
التوراه وخالفوا ذلك فضلوا فكانت ديه النضيري اكثر وكان النضيري
لا يقتل بالقرظي ويقتل به القرظي فلما جا الاسلام راجع بنوا قريظه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيه فحكم بالاستوا فقالت بنوا النضير قد حططت
منا فنزلت هذه الايه وكتبنا معنا فرضنا وقد تقدم وكان شرعهم القصاص
او العفو وما كان فيهم الديه كما تقدم في البقره بيانه وتعلق ابو حنيفه وغيره
بهذه الايه فقال يقتل المسلم بالذمي لانه نفس بنفس وقد تقدم في البقره
بيان هذا وقد روي ابو داود والترمذي والنساي عن علي رضي الله عنه
انه سئل هل خصك رسول الله بشي قال لا الا ما في هذا واخرج كتابا من قراب
سيفه واذا فيه المومنون تتكافا دماوهم وهم يد على من سواهم ولا يقتل مسلم بكافر
ولا ذو عهد في عهده وايضا فان الايه انما جات للرد على اليهود في المفاضله

بين المقابل واخذ هم من قبيله رجلا برجل ومن قبيله اخرى رجلا برجلين وقالت
هذا خبر عن شرع من قبلنا وشرع من قبلنا ليس شرعا لنا وقد مضى في البقره
في الرد عليهم ما يكفي فتامله هناك ووجه رابع وهو انه تعالى قال وكتبنا
عليهم فيها ان النفس بالنفس وكان ذلك مكتوبا على اهل التوراه وهي مله واحده
ولم يكن لهم اهل ذمه كما للمسلمين اهل ذمه لان الجزيه فيء وغنيمه افاها
الله على المومنين ولم يجعل الفيء لاحد قبل هذه الامة ولم يكن نبي فيما مضى
مبعوثا الا الى قومه فاوجبت الاية الحكم على بني اسرايل اذ كانت دماو
هم
يتكافوا فهو مثل قولك مسلم من ذمي سوى المسلمين النفس بالنفس اذ تشير الى قوم
معينين وتقول الحكم في هولا ان النفس منهم بالنفس فالذي يجب بحكم هذه الايه
على القران ان يقال لهم فيما بينهم على هذا الوجه النفس بالنفس وليس في
كتاب الله ما يدل على ان النفس بالنفس مع اختلاف الملله قال
اصحاب الشافعي وابي حنيفه اذا جرح او قطع اليد والاذن ثم قتل فعل
ذلك به لان الله تعالى قال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين
فيوخذ منه ما اخذ ويفعل به كما فعل وقال علماونا ان قصد به المثله
فعل به مثله وان كان ذلك في اثنا مضاربته ومدافعته قتل بالسيف
وانما قالوا ذلك في المثله يجب لان النبي صلى الله عليه وسلم سمل اعين العرنيين
حسب ما تقدم بيانه في هذه السورة قوله تعالى والعين
بالعين قرا نافع وعاصم والاعمش وحمزه بالنصب في جميعها على العطف ويجوز
تخفيف ان ورفع الكل بالابتدا والعطف وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو
وابو جعفر بنصب الكل الا الجروح وكان الكسائي وابو عبيد يقرا والعين
والانف والاذن والسن والجروح بالرفع فيها كلها قال ابو عبيد حجاج

عن همام و زعن عباد بن كثير عن عقيل عن الزهري عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قرا وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف
والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص الرفع من ثلاث جهات
بالابتدا والخبر وعلى المعنى على موضع ان النفس لان المعنى قلنا لهم النفس بالنفس
والوجه الثالث قاله الزجاج يكون عطفا على المضمر في النفس لان المضمر في
النفس في موضع رفع لان التقدير ان النفس هي ماخوذة بالنفس فالاسما
معطوفة على هي قال ابن المنذر ومن قرا بالرفع جعل ذلك ابتدا كلام حكم في
المسلمين وهذا اصح القولين وذلك انها قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين
فالقصاص من العين يجب على قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعين بالعين
وكذلك ما بعده والخطاب للمسلمين امروا بهذا ومن خص الجروح بالرفع فعلى
القطع مما قبلها والاستيناف بها كان المسلمين امروا بهذا خاصة وما قبله
لم يواجهوا به هذه الاية تدل على جريان القصاص فيما ذكر
وقد تعلق ابن شبرمة بعموم قوله العين بالعين على ان اليمنى تفقا باليسرى وكذلك
على العكس واجرى ذلك في اليد اليمنى واليسرى وقال توخذ الثنية بالضرس
والضرس بالثنية لعموم قوله تعالى والسن بالسن والذين خالفوه وهم
علما الامة قالوا العين اليمنى هي الماخوذة باليمنى عند وجودها ولا يتجاوز
ذلك الى اليسرى مع الرضى وقد تبين لنا ان المراد بقوله العين بالعين استيفا
ما يماثله من الجاني فلا يجوز له ان يتعدى الى غيره كما لا يتعدى من الرجل الى
اليد في الاحوال كلها وهذا لا ريب فيه واجمع العلما على
ان العينين اذا اصيبتا خطا ففيهما الدية وفي العين الواحدة نصف الدية
وفي عين الاعور اذا فقيت الدية كاملة روي عن عمر وعثمان وبه قال عبد الملك

بن مروان

خامس

بن مروان والزهري وقتادة ومالك والليث بن سعد واحمد واسحق وقيل
نصف الديه روي عن عبد الله بن المغفل ومسروق والنخعي وبه قال الثوري
والشافعي والنعمان قال بن المنذر وبه نقول لان في الحديث في العينين
الدية ومعقول اذا كان كذلك ان في احدهما نصف الديه قال بن العربي
وهو القياس الظاهر ولكن علماونا قالوا ان منفعة الاعور ببصره كمنفعة
السالم او قريب من ذلك فوجب عليه مثل ديته واختلفوا
في الاعور يفقا عين صحيح فروي عن عمر وعثمن وعلي انه لا قود عليه وعليه
الديه كامله وبه قال عطا وسعيد بن المسيب واحمد بن حنبل وقال
مالك ان شا اقتص فتركه اعمى وان شا اخذ الديه كامله دية عين الاعور
وقال النخعي ان شا اقتص وان شا اخذ نصف الديه وقال الشافعي وابو
حنيفه والثوري عليه القصاص وروي ذلك عن علي ايضا وهو قول مسروق
وبن سيرين وبن معقل واختاره بن المنذر وبن العربي لان الله تعالى قال
والعين بالعين وجعل النبي صلى الله عليه وسلم في العينين الديه ففي العين نصف
الديه والقصاص بين صحيح العين والاعور كهيئته بين ساير الناس
ومتعلق احمد بن حنبل ان في القصاص منه اخذ جميع البصر ببعضه وذلك
ليس بمساواه وبما روي عن عمر وعثمان وعلي في ذلك ومتمسك مالك ان
الادلة لما تعارضت خير المجني عليه قال بن العربي والاخذ بعموم القران
اولى فانه اسلم عند الله تعالى واختلفوا في عين الاعور
التي لا يبصر بها فروي زيد بن ثابت انه قال فيها مايه دينار وعن عمر بن
الخطاب انه قال فيها ثلث ديتها وبه قال اسحق وقال مجاهد فيها
نصف ديتها وقال مسروق والزهري ومالك والشافعي وابو ثور والنعمان

فيها حكومه قال بن المنذر وبه نقول لانه الاقل مما قيل وفي
ابطال البصر من العينين مع بقا الحدقتين كمال الديه ويستوي فيه الاعمش
والاحفش وفي ابطاله من احداهما مع بقايها النصف قال بن المنذر واحسن ما
قيل في ذلك ما قاله علي بن ابي طالب انه امر بعينه الصحيحه فغطيت واعطا
رجل بيضه فانطلق بها وهو ينظر حتى انتها بصره ثم امر فخط عند ذلك
ثم امر بعينه الاخرى فغطيت وفتحت الصحيحه واعطا رجل بيضه
فانطلق بها وهو ينظر حتى انتها بصره ثم خط عند ذلك ثم امر به
فحول الى مكان اخر ففعل به مثل ذلك فوجده سوا فاعطا ما نقص
من بصره من مال الاخر وهذا على الشافعي وهو قول علمايها وهي
ولا خلاف بين اهل العلم على ان لا قود من بعض البصر اذ غير ممكن الوصول
اليه وكيفيه القود في العين ان تحمى مراه ثم توضع على العين الاخرى
قطنه ثم تقرب المراه من عينه حتى يسيل انسانها روي عن علي رضي الله عنه
ذكره المهدوي وبن العربي واختلف في جفن العين فقال زيد بن ثابت
فيه ربع الديه وهو قول الشعبي والحسن وقتاده وابو هاشم والثوري
والشافعي واصحاب الراي وروي عن الشعبي انه قال في الجفن الاعلى ثلث
الديه وفي الجفن الاسفل ثلثا الديه وبه قال مالك
قوله تعالى والانف بالانف جا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال وفي الانف اذا اوعب جدعا الديه قال بن المنذر واجمع
كل من يحفظ عنه من اهل العلم على القول به والقصاص من الانف اذا كانت
الجنايه عمدا كالقصاص من ساير الاعضا على كتاب الله تعالى واختلفوا
في كسر الانف فكان مالك يرى في العمد منه القود وفي الخطا

الاجتهاد

الاجتهاد وروي بن نافع انه لا دية في الانف حتى يستاصله من اصله قال ابو
التونسي وهذا شاذ والمعروف الاول واذا فرعنا على الاول المعروف ففي
بعض المارن من الدية بحسابه من المارن قال ابن المنذر وما قطع من الانف فبحسابه
روي ذلك عن عمر بن عبد العزيز والشعبي وبه قال الشافعي قال ابو عمر واختلفوا
في المارن اذا قطع ولم يستاصل الانف فذهب مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابهم
الى ان في ذلك الدية كاملة ثم ان قطع منه شي بعد ذلك ففيه حكومة قال مالك
الذي فيه الدية من الانف ان يقطع المارن وهو دون العظم قال ابن القاسم
وسوا قطع المارن من العظم او استوصل الانف من العظم من تحت العينين انما
فيه الدية كالحشفة فيها الدية وفي استيصال الذكر الدية
قال ابن القاسم واذا خرم الانف او كسر فبرا على عثم ففيه الاجتهاد وليس فيه
دية معلومة وان بري على غير عثم فلا شي فيه قال وليس الانف اذا خرم فبرا
على غير عثم كالموضحة تبرا على غير عثم فيلزم فيها ديتها لان تلك جات بها السنة
وليس في خرم الانف اثر قال والانف عظم منفرد ليس فيه موضحة واتفق مالك
والشافعي واصحابهم على ان لا جايفة فيه ولا جايفة عندهم الا فيما كان في الجوف
والمارن ما لان من الانف كذلك قال الخليل وغيره قال ابو عمر واظن روثة مارنه
وارنبته طرفه وقد قيل الارنبة والروثة والعرتمة طرف الانف والذي عليه
الفقها مالك والشافعي والكوفيون ومن تبعهم في الشم اذا نقص او فقد حكومة
قوله تعالى والاذن بالاذن قال علماونا رحمه الله عليهم
في الذي يقطع اذني رجل عليه حكومة وانما تكون عليه الدية في السمع ويقاس
في نقصانه كما يقاس في البصر وفي ابطاله من احدهما نصف الدية ولو لم يكن يسمع
الا بها بخلاف العين العورا فيها الدية كاملة على ما تقدم وقال اشهب ان كان

السمع اذا سلعنه قبل ان اخذ السمعين يسمع ما يسمع السمعان فهو عندي كالبصر
واذا شك في السمع جرب بان يصاح به من مواضع عدة يقاس ذلك فان تساوتا
وتفاوتت اعطي بقدر ما ذهب من سمعه ويحلف على ذلك قال اشهب وعسب
له ذلك على سمع وسط من الرجال مثله فان اختبر فاختلف قوله لم يكن له شي وقال
عيسى بن دينار اذا اختلف قوله عقل له الاقل من يمينه قوله تعالى
والسن بالسن قال بن المنذر وثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقاد من سن وقال
كتاب الله القصاص وجا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في السن خمس
من الابل قال بن المنذر وبظاهر هذا الحديث نقول لا افضل للثنايا منها على الانياب
والاضراس والرباعيات لدخولها كلها في ظاهر الحديث وبه يقول الاكثر من اهل
العلم وممن قال بظاهر الحديث ولم يفضل شيا منها على شي عروة بن الزبير وطاوس
والزهري وقتاده وملك والثوري والشافعي واحمد واسحق والنعمان وبن الحسن
وروي ذلك عن علي بن ابي طالب وبن عباس ومعاويه وفيه قول ثان رويناه عن عمر بن
الخطاب انه قضى فيما اقبل من الفم لخمس فرايض خمس فرايض وذلك خمسون دينارا قيمة
كل فريضة عشرة دنانير وفي الاضراس بعير بعير وكان عطا يقول في الثنيتين والرباعيتين
والنابين خمس خمس وفيما بقي بعيران بعيران اعلى الفم واسفله سوا والاضراس سوا قال
ابو عمر اما ما رواه ملك في موطيه عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب ان عمر قضى
في الاضراس بعير بعير فان معنى ذلك ان الاضراس عشرون ضرسا والاسنان اثنا عشر
سنا اربع ثنايا واربع رباعيات فعلى قول عمر تصير الديه ثمانين بعيرا في الاسنان
خمسة خمسة وفي الاضراس بعير بعير وعلى قول معاويه في الاضراس والاسنان
خمسة ابعرة خمسة ابعرة تصير الديه ستين وماية بعير وعلى قول سعيد بن المسيب
بعيرين بعيرين في الاضراس وهي عشرون ضرسا يجب لها اربعون وفي الاسنان

خمسة ابعر خمسة ابعر فذلك ستون وهي تتمة المايه بعير وهي الدية كامله من
الابل والاختلاف بينهم انما هو في الاضراس لا في الاسنان قال ابو عمر واختلاف
العلما من الصحابه والتابعين في ديات الاسنان وتفضيل بعضها على بعض كثير جدا
والحجة قايمة لما ذهب اليه الفقها ملك والشافعي وابو حنيفه والثوري بظاهر حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي السن خمس من الابل والضرس سن من الاسنان وروي بن عباس   س
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الاصابع سوا والاسنان سوا الثنية والضرس
سوا هذه وهذه سوا وهذا نص اخرجه ابو داود وروي ابو داود ايضا عن
بن عباس قال جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اصابع اليدين والرجلين سوا
قال ابو عمر على هذه الاثار جماعة فقها الامصار وجمهور اهل العلم ان الاصابع
في الدية كلها سوا وان الاسنان في الدية كلها سوا الثنايا والاضراس والانياب
لا يفضل شي منها على شي على ما في كتاب عمرو بن حزم ذكر الثوري عن ازهر بن محارب
قال اختصم الى شريح رجلان ضرب احدهما ثنية الاخر واصاب الاخر ضرسه فقال
شريح الثنية وجمالها والضرس ومنفعته سن بسن قوما قال ابو عمر على هذا العمل
اليوم لجميع الامصار والله اعلم   فان ضرب سنه فاسود   د ت
ففيها ديتها كامله عند ملك والليث بن سعد وبه قال ابو حنيفه وروي
عن زيد بن ثابت وهو قول سعيد بن المسيب والزهري والحسن وبن سيرين وشريح
وروي عن عمر بن الخطاب ان فيها ثلث ديتها وبه قال احمد واسحق وقال الشافعي
وابو ثور فيها حكومة قال بن العربي وهذا عندي خلاف يؤول الى وفاق فانه ان
كان سوادها اذهب منفعتها وانما بقيت صورتها كاليد الشلا والعين العميا فلا
خلاف في وجوب الديه ثم ان كان بقي من منفعتها شي او جميعها لم يجب الا بمقدار
ما نقص من المنفعة حكومة وما روي عن عمر فيها ثلث ديتها لم يصح عنه سندا

ولا فيها   واختلفوا في سن الصبي يقلع قبل ان يثغر فقال مالك
والشافعي واصحاب الراي يقولوا اذا قلعت سن الصبي فنبتت فلا شي على القالع
الا ان مالكا والشافعي قالا اذا نبتت ناقصة الطول عن التي تقاربها اخذ له من
ارشها بقدر نقصها وقالت طايفة فيها حكومة روي ذلك عن الشعبي وبه قال
النعمان قال ابن المنذر يستانا بها الي الوقت الذي يقول اهل المعرفة انها لا تنبت
فاذا كان ذلك فيها قدرها تاما على ظاهر الحديث وان نبتت رد الارش واكثر
من يحفظ عنه من اهل العلم يقولون يستانا بها سنة روي ذلك عن علي وزيد وعمر
بن عبد العزيز وشريح والنخعي وقتادة ومالك واصحاب الراي ولم يجعل
الشافعي لها مدة معلومة   واذا قلع سن الكبير فاخذ
ديتها ثم نبتت فقال مالك لا يرد ما اخذ وقال الكوفيون يرد اذا نبتت وللشافعي
قولان يرد لا يرد لان هذا نبات لم تجر به عادة ولا يثبت الحكم بالنادر هذا
قول علمائنا تمسك الكوفيون بان عوضه قد نبتت فيرد اصله سن الصغير قال
الشافعي ولو جنا عليها جان اخر وقد نبتت صحيحة كان فيها ارشها تاما قال ابن المنذر
هذا اصح القولين لان كل واحد منهما قالع سن وقد جعل النبي صلى الله عليه
وسلم في السن خمسا من الابل   فلو قلع رجل سن رجل فردها
صاحبها فالتحمت فلا شي فيها عندنا وقال الشافعي ليس له ان يردها من قبل انها
نجسة وقال ابن المسيب وعطا ولو ردها اعاد كل صلاة صلاها لانها ميتة وكذلك
لو قطعت اذنه فردها بحرارة الدم فالتزقت مثله وقال عطا يجبره السلطان
على قلعها لانها ميتة الصقها قال ابن العربي وهذا غلط وقد جهل من خفي عليه ان
ردها وعودها بصورتها لا يوجب عودها بحكمها لان النجاسة كانت فيها
للانفصال وقد عادت متصلة واحكام الشريعة ليست صفات للاعيان وانما

هي

هي احكام تعود الى قول الله سبحانه فيها واخبار عنها قال الشيخ المولف رحمه الله
ما حكاه بن العربي عن عطا خلاف ما حكاه بن المنذر عنه قال بن المنذر واختلفوا
في السن تقلع قودا ثم ترد مكانها فتنبت فقال عطا الخراساني وعطا بن ابي رباح
لا باس بذلك وقال الثوري واحمد واسحق تقطع لان القصاص للشين وقال
الشافعي ليس له ان يردها من قبل انها نجسة ويجبره السلطان على القلع
فلو كانت له سن زايدة فقلعت ففيها حكومة وبه
قال فقها الامصار وقال زيد بن ثابت فيها ثلث الدية قال بن العربي وليس
في التقدير دليل فالحكومة اعدل قال بن المنذر ولا يصح ما روي عن زيد
وقد روي عن علي انه قال في السن اذا اسود بعضها اعطي صاحبها بحساب ما
نقص منه وهذا قول مالك والشافعي وغيرهما قال الشيخ المولف رحمه الله وهنا
انتهى ما نص الله جل وعز عليه من الاعضا ولم يذكر الشفتين واللسان وهي
التاسعة عشر فقال الجمهور وفي الشفتين الدية وفي كل واحدة منهما نصف الدية
لا فضل للعليا منهما على السفلى وروي عن زيد بن ثابت وسعيد بن المسيب
والزهري في الشفة العليا ثلث الدية والشفة السفلى ثلثا الدية قال بن المنذر
وبالقول الاول اقول للحديث المرفوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال وفي الشفتين الدية ولان في البدن الدية ومنافعهما مختلفة وما قطع
من الشفتين فبحساب ذلك واما اللسان ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال في اللسان الدية واجمع اهل العلم من اهل المدينة واهل الكوفة
واصحاب الحديث واهل الراي على القول به قاله بن المنذر
واختلفوا في الرجل يجني على لسان الرجل فيقطع من اللسان شيا
ويذهب من الكلام بعضه فقال اكثر اهل العلم ينظر الى مقدار ما ذهب من

الكلام من ثمانيه وعشرين حرفا فيكون عليه من الديه بقدر ما ذهب من كلامه وان ذهب الكلام كله ففيه الديه هذا قول ملك واحمد واسحق واصحاب الراي وقال ملك لسر في اللسان قود لعدم الاحاطه باستيفا القود فان امكن فالقود هو الاصل

واختلفوا في لسان الاخرس يقطع فقال الشعبي وملك واهل المدينه والثوري واهل العراق والشافعي وابو ثور والنعمان وصاحباه فيه حكومه قال بن المنذر وفيه قولان شاذان احدهما قول النخعي ان فيه الديه والاخر قول قتاده ان فيه ثلث الديه قال بن المنذر القول الاول اصح لانه الاقل مما قيل قال بن العربي نص الله سبحانه امهات الاعضا وترك باقيها للقياس عليها فكل عضو فيه القصاص اذا امكن ولم يخش عليه عليه الموت وكذلك كل عضو بطلت منفعته وبقيت صورته فلا قود فيه وفيه الديه لعدم امكان القود فيه

قوله تعالى والجروح قصاص اي مقاصة وقد تقدم في البقرة ولا قصاص في كل مخوف ولا فيما لا يوصل الى القصاص فيه الا بان يخطي الضارب او يزيد او ينقص ويقاد من جراح العمد اذا كان مما يمكن القود فيه وهذا كله في العمد فاما الخطا فالديه وان كانت الديه في قتل الخطا فكذلك في الجراح وفي صحيح مسلم عن انس ان اخت الربيع ام حارثه جرحت انسانا فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القصاص القصاص فقالت ام الربيع يرسول الله اتقتص من فلانه والله لا يقتص منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله يا ام الربيع القصاص كتاب الله قالت والله لا يقتص منها ابدا قال فما زالت حتى قبلوا الديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله من لو اقسم على الله لابره قال الشيخ المولف رحمه الله الجروح في هذا الحديث جاريه والجرح كسر ثنيتها اخرجه النسائي عن انس ايضا ان عمته كسرت ثنية

جارية

جارية فقضى نبي الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص فقال اخوها انس بن النضير تكسر ثنيه فلانه
والذي بعثك بالحق نبيا لا تكسر ثنيتها قال وكانوا قبل ذلك سالوا اهلها العفو والارش
فلما اخوها وهو عم انس وهو الشهيد يوم احد رضي القوم بالعفو فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله من لو اقسم على الله لابره خرجه ابو داود ايضا
وقال سمعت احمد بن حنبل قيل له كيف يقتص من السن قال تبرد قال الشيخ المولف
رحمه الله ولا تعارض بين الحديثين فانه يحتمل ان يكون كل واحد منهما حلف فبر ا
الله قسمهما وفي هذا ما يدل على كرامات الاوليا على ما ياتي بيانه في قصة الخضر
ان شا الله تعالى اجمع العلما على ان قوله تعالى والسن بالسن
انه في العمد لمن اصاب سن احد عمدا ففيه القصاص على حديث انس واختلفوا في
ساير عظام الجسد اذا كسرت عمدا فقال مالك عظام الجسد كلها فيها القود الا
ما كان مخوفا مثل الفخذ والصلب والمامومه والمنقله والهاشمه ففي ذلك الديه
وقال الكوفيون لا قصاص في عظم يكسر ما خلا السن لقوله والسن بالسن وهو
قول الليث والشافعي قال الشافعي لا يكون كسر ككسر ابدا فهو ممنوع قال
الطحاوي اتفقوا على انه لا قصاص في عظم الراس فكذلك ساير العظام والحجه
لمالك حديث انس في السن وهي عظم فكذلك ساير العظام الا عظما اجمعوا
على انه لا قصاص فيه لخوف ذهاب النفس منه قال ابن المنذر ومن قال لا قصاص
في عظم فهو مخالف للحديث والخروج الى النظر غير جايز مع وجود الخبر
قال الشيخ المولف رحمه الله ويدل على هذا ايضا قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا
بمثل ما عوقبتم به وما اجمعوا عليه فغير داخل في الاي وبالله التوفيق

قال ابو عبيد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم في الموضحه
وما جا عن غيره في الشجاج قال الاصمعي وغيره دخل كلام بعضهم في بعض اول

الشجاج الحارصه وهي التي تحرص الجلد يعني التي تشقه قليلا ومنه قيل حرص
القصار الثوب اذا شقه وقد يقال لها الحرصه ايضا ثم الباضعه وهي
التي تشق اللحم تبضعه بعد الجلد ثم المتلاحمه وهي التي اخذت في الجلد ولم
تبلغ السمحاق والسمحاق جلده او قشره رقيقه بين اللحم والعظم وقال الواقدي
هي عندنا الملطاه قال وهي التي جا فيها الحديث يقضى في الملطاه بدمها ثم
الموضحه وهي التي تكشط عنها ذلك القشر او تشق حتى يبدو واضح العظم فتلك
الموضحه قال ابو عبيد وليس في شي من الشجاج قصاص الا في الموضحه خاصه
لانه ليس منها شي له حد ينتهي اليه سواها واما غيرها من الشجاج ففيها ديتها
ثم الهاشمه وهي التي تهشم العظم ثم المنقله بكسر القاف حكاه الجوهري وهي
التي تنقل العظم اي تكسر حتى يخرج منها فراش العظام مع الدوا ثم الامة
ويقال لها المامومه وهي التي تبلغ ام الراس يعني الدماغ قال ابو عبيد ويقال
في قوله ويقضى في الملطا بدمها انه اذا شج الشاج حكم عليه للمشجوج بملغ الشجه
ساعه شج ولا يستانى بها قال وساير الشجاج يستانى بها حتى ينظر الى ما يصير
امرها ثم يحكم فيها حينيذ قال ابو عبيد والامر عندنا في الشجاج كلها وفي
الجراحات كلها انه يستانى بها ... هشام عن حصين قال قال عمر بن عبد العزيز ما
دون الموضحه خدوش فيها صلح وقال الحسن البصري ليس فيما دون الموضحه قصاص
وقال مالك القصاص فيما دون الموضحه الملطا والداميه والباضعه وما اشبه
ذلك ولذلك قال الكوفيون وزادوا السمحاق وحكاه بن المنذر وقال ابو عبيد
الداميه التي تدمل من غير ان يسيل منها دم والدامعه ان يسيل منها دم وليس
فيما دون الموضحه قصاص وقال الجوهري والداميه الشجه التي تدمى ولا تسيل
وقال علماونا الداميه هي التي تسيل الدم ولا قصاص فيما دون الموضحه من الهاشمه

للعظم

للعظم والمنقلة على خلاف فيها خاصة والامة هي البالغة الى ام الراس والدامغة
الخارقة لخريطة الدماغ وفي هاشمة الجسد القصاص الا ما هو مخوف كالفخذ وشبهه
واما هاشمة الراس فقال ابن القاسم لاقود فيها لانها لابد تعود منقلة وقال
اشهب فيها القصاص الا ان تنتقل فتصير منقلة لاقود فيها واما الاضراس
فيجب القصاص لجميع المفاصل الا المخوف وفي معنى المفاصل ابعاض
المارن والاذنين والذكر والاجفان والشفتين لانها تقبل التقدير وفي
اللسان روايتان والقصاص في كسر العظام الا ما كان متلفا كعظام الصدر
الصدر والعنق والصلب والفخذ وشبهه وفي كسر عظم العضد القصاص
وقضا ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في رجل كسر فخذ رجل ان يكسر فخذه وفعل
ذلك عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن اسيد بمكة وروي عن عمر بن عبد
العزيز انه فعله وهذا مذهب مالك على ما ذكرنا وقال انه الامر
المجتمع عليه عندهم والمعمول به في بلادنا في الرجل يضرب الرجل فيتقيه
بيده فكسرها يقاد منه قال العلما الشجاج
في الراس والجراح في البدن واجمع اهل العلم على ان ما دون الموضحة
ارش فيما ذكر ابن المنذر واختلفوا في ذلك الارش وما دون الموضحة شجاج خمس
الدامية والدامغة والباضعة والمتلاحمة والسمحاق فقال مالك والشافعي
واحمد واسحق واصحاب الراي في الدامية حكومة وفي الباضعة حكومة
وفي المتلاحمة حكومة وذكر عبد الرزاق عن زيد بن ثابت قال في الدامية بعير
وفي الباضعة بعيران وفي المتلاحمة ثلاثة من الابل وفي السمحاق اربع
وفي الموضحة خمس وفي الهاشمة عشر وفي المنقلة خمس عشرة وفي المامومة ثلث
الدية وفي الرجل يضرب حتى يذهب عقله الدية كاملة او يضرب حتى

بغرو لا يفهم الديه كامله و في جفن العين ربع الديه و في حلمه الثدي
ربع الديه قال بن المنذر وروي عن علي في السمحاق مثل قول زيد وروي عن
عمر وعثمن انهما قالا فيهما نصف الموضحه وقال الحسن البصري وعمر بن عبد العزيز والنخعي
فيهما حكومه وكذلك قال ملك والشافعي واحمد لا يختلف العلما ان الموضحه فيها
خمس من الابل على ما في حديث عمرو بن حزم وفيه وفي الموضحه خمس واجمع اهل العلم
على ان الموضحه تكون في الراس والوجه واختلفوا في تفضيل موضحه الوجه
على موضحه الراس فروي عن ابي بكر وعمر وهما سوا وقال بقولهما جماعه
من التابعين وبه يقول الشافعي واسحق وروي عن سعيد بن المسيب تضعف
موضحه الوجه على موضحه الراس وقال احمد موضحه الوجه احري ان يزاد فيها
وقال ملك المامومه والمنقله والموضحه لا تكون الا في الراس والوجه ولا
تكون المامومه الا في الراس خاصه اذا وصل الى الدماغ قال والموضحه ما تكون في
جمجمه الراس وما دونها فهو من العنق ليس فيها موضحه قال ملك والانف ليس
من الراس وليس فيها موضحه وكذلك اللحي الاسفل ليس فيه موضحه واختلفوا
في الموضحه في غير الراس والوجه فقال اشهب وبن القاسم في موضحه الجسد
ومنقلته وما مومته الا الاجتهاد وليس فيها ارش معلوم قال بن المنذر وهذا قول
ملك والثوري والشافعي واحمد واسحق وبه نقول وروي عطا الخراساني ان
الموضحه اذا كانت في جسد الانسان فيها خمس وعشرون دينارا قال ابو عمر
واتفق ملك والشافعي واصحابهم ان من شج انسان رجلا ما مومتين او موضحتين
او ثلاث ما مومات او موضحات او اكثر وضربه واحده ان فيهن كلهن وان
انخرقت فصارت واحده ديه كامله واما الهاشمه فلا ديه فيها عندنا
بل حكومه قال بن المنذر ولم نجد في كتب المدنيين ذكر الهاشمه بل قد

قال ملك

قال ملك في من كسرانف رجل ان كان خطا ففيه الاجتهاد وكان الحسن البصري
لا يوقت في الهاشمه شيا وقال ابو ثور ان اختلفوا فيه ففيها حكومه قال
بن المنذر النظر يدل على هذا اذ لا سنه فيها ولا اجماع وقال القاضي ابو الوليد
الباجي فيها ما في الموضحه فان صارت منقله فخمسه عشر وان صارت ماموه فثلث
الديه قال بن المنذر ووجدنا اكثر من لقيناه وبلغنا عنه من اهل العلم يجعلون
في الهاشمه عشرا من الابل روينا هذا القول عن زيد بن ثابت وبه قال قتاده
وعبيد الله بن الحسن والشافعي وقال الثوري واصحاب الراي فيها الف
درهم ومرادهم عشر الديه واما المنقله فقال بن المنذر جا الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في المنقله خمس عشره من الابل واجمع اهل
العلم على القول به قال بن المنذر وقال كل من يحفظ عنه من اهل العلم ان
المنقله التي ينقل منها العظام وقال ملك والشافعي واحمد واصحاب
الراي وهو قول قتاده وبن شبرمه ان المنقله لا قود فيها ورويناعن بن الزبير
وليس بثابت عنه انه اقاد من المنقله قال بن المنذر والاول اولى لاني لا اعلم احدا
خالف ذلك واما الماموه فقال بن المنذر جا الحديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال في الماموه ثلث الديه واجمعوا اهل العلم على القول به ولا
نعلم احدا خالف ذلك الا مكحولا فانه قال اذا كانت الماموه عمدا ففيها ثلث
الديه وهذا قول شاذ وبالقول الاول اقول واختلفوا في القود من الماموه
فقال كثير من اهل العلم لا قود فيها وروي عن بن الزبير انه اقص من الماموه
فانكر ذلك الناس وقال عطا ما علمنا احدا اقاد منها قبل بن الزبير واما في
الجايفه ففيها ثلث الديه على حديث عمرو بن حزم ولا خلاف في ذلك الا ما
روي عن مكحول انه قال اذا كانت عمدا ففيها ثلث الديه واذا كانت خطا

الثالث والجايفه كل ما حرق الى الجوف ولو مدخل ابره فان نفذت من جهتين فهي عندهم جايفتان وفيها من الديه الثلثان قال اشهب وقد قضا الصديق رضي الله عنه في جايفه نافذه من الجنب الاخر بديه جايفتين وقال عطا ومالك والشافعي واصحاب الراي يقولون لا قصاص في الجايفه قال ابن المنذر وبه نقول واختلفوا في القود من اللطمه

وشبهها فذكر البخاري عن ابي بكر وعلي وابن الزبير وسويد بن مقرن انهم اقادوا من اللطمه وشبهها وروي عن عثمن وخالد بن الوليد مثل ذلك وهو قول الشعبي وجماعه من اهل الحديث وقال الليث ان كانت اللطمه في العين فلا قصاص فيها للخوف على العين ويعاقبه السلطان وان كانت على الخد ففيها القود وقالت طايفه لا قصاص في اللطمه روي هذا عن الحسن وقتاده وهو قول مالك والكوفيين والشافعي واحتج مالك في ذلك فقال ليس لطمه المريض الضعيف مثل لطمه القوي وليس العبد الاسود يلطم مثل الرجل ذي الحاله والهيبه وانما في ذلك كله الاجتهاد لجهلنا بمقدار اللطمه

واختلفوا في القود من ضرب السوط فقال الليث يقاد منه ويزاد عليه للتعدي وقال ابن القاسم يقاد منه ولا يقاد منه عند الكوفيين والشافعي الا ان يجرح قال الشافعي ان جرح السوط ففيه حكومه قال ابن المنذر وما اصيب به من سوط او عصا او حجر فكان دون النفس فهو عمد وفيه القود وهذا قول جماعه من اصحاب الحديث وفي البخاري واقاد عمر من ضربه بالدره واقاد علي بن ابي طالب من ثلاثه اسواط واقتص شريح من سوط وخموش قال ابن بطال وحديث ابن بطال النبي صلى الله عليه وسلم لاهل البيت حجه لمن جعل القود في كل الم وان لم يكن جرح واختلفوا في عقل جراحات النسا

ففي

نفي موطا ملك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه كان يقول تعاقل المراه
الرجل الى ثلث الديه اصبعها كاصبعه وسنها كسنه وموضحتها كموضحته ومنقلتها
كمنقلته قال ابن بكير قال ملك فاذا بلغت ثلث دية الرجل كانت الى النصف
من ديه الرجل قال ابن المنذر روينا هذا القول عن عمر وزيد بن ثابت وبه قال
سعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز وعروة بن الزبير والزهري وقتاده وابن
هرمز ومالك واحمد بن حنبل وعبد الملك بن الماجشون وقالت طايفه ديه
المراه على النصف من ديه الرجل فيما قل اوكثر روينا هذا القول عن علي بن طالب وبه
قال الثوري والشافعي وابو ثور والنعمان وصاحباه واحتجوا بانهم لما اجمعوا على
الكثير وهو الديه كان القليل مثله وبه نقول
قال القاضي عبد الوهاب وكلما فيه جمال منفرد عن منفعه اصلا ففيه حكومه
كالحاجبين وذهاب شعر اللحيه وشعر الراس وثدي الرجل والبنيه وصفه
الحكومه ان يقوم المجني عليه لو كان عبدا سليما ثم يقوم مع الجنايه فما نقص
من ثمنه جعل جزا من ديته من بالغا ما بلغ وحكاه ابن المنذر عن كل من يحفظ عنه
من اهل العلم قال ويقبل فيه قول رجلين ثقتين من اهل المعرفه وقيل بل يقبل
قول عدل واحد والله اعلم فهذه جمل من احكام الجراحات والاعضا تضمنتها
هذه الايه فيها لمن اقتصر عليها كفايه والله الموفق للهدايه
قوله تعالى فمن تصدق به فهو كفاره له شرط وجوابه اي تصدق بالقصاص فعفا فهو
كفاره له اي لذلك المتصدق وقيل هو كفاره للجارح فلا يواخذ بجنايه في الاخره
لانه يقوم مقام اخذ الحق منه واجر المتصدق عليه وقد ذكر ابن عباس القولين
وعلى الاول اكثر الصحابه ومن بعدهم وروى الثاني عن ابن عباس ومجاهد وعن
ابرهيم النخعي والشعبي بخلاف عنهما والاول اظهر لان العايد فيه يرجع الى

مذكور وهو من وعن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصاب
بشي في جسده فيهبه الا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة قال ابن
العربي والذي يقول انه اذا عفى عنه المجروح عفا الله عنه لم يقم عليه
دليل فلا معول له والله اعلم وقفينا على اثارهم بعيسى بن
مريم اي جعلنا عيسى يقفوا اثارهم اي اثار النبيين الذين اسلموا مصدقا
لما بين يديه يعني التوراة فانه راى التوراة حقا وراى وجوب العمل بها
الى ان ياتي ناسخ مصدقا نصب على الحال فيه هدى في موضع رفع بالابتدا
ونور عطف عليه ومصدقا فيه وجهان يجوز ان يكون لعيسى ويعطف على مصدقا
الاول ويجوز ان يكون حالا من الانجيل ويكون التقدير واتيناه الانجيل مستقرا فيه
هدى ونور ومصدقا وهدى وموعظة عطف على مصدقا اي هاديا وواعظا
للمتقين وخصهم لانهم المنتفعون بهما ويجوز رفعهما على العطف على قوله فيه
هدى ونور وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه قراه الاعمش
وحمزة بنصب الفعل على ان يكون اللام لام كي والباقون بالجزم على الامر فعلى
الاول تكون متعلقة بقوله واتيناه فلا يجوز الوقف اي واتيناه الانجيل
ليحكم اهله بما انزل الله فيه ومن قراه على الامر فهو كقوله وان احكم بينهم فهو
الزام مستانف يبدا به اي ليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه اي في
ذلك الوقت فاما الان فهو منسوخ وقيل هذا امر للنصارى الان
بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فان في الانجيل وجوب الايمان به والنسخ انما
يتصور في الفروع لا في الاصول قال مكي والاختيار الجزم لان الجماعة عليه
ولان ما بعده من الوعيد والتهديد يدل على انه الزام من الله لاهل الانجيل قال النحاس
والصواب عندي انهما قراءتان حسنتان لان الله جل وعز لم ينزل كتابا الا ليعمل

بما فيه

وانزلنا اليك الكتاب   بما فيه وامر بالعمل بما فيه فصحنا جميعا

لمحمد صلى الله عليه وسلم والكتاب القران بالحق اي بالامر الحق مصدقا لما بين يد يه

من الكتاب اي من جنس الكتب ومهيمنا عليه اي غالبا عليها ومرتفعا وهذا

على تاويل من يقول بالتفضيل اي في كثرة الثواب على ما تقدمت الاشارة ا ليه

في الفاتحة وهذا اختيار ابن الحصار في كتاب شرح السنة له وقد ذكرنا

ما ذكره في كتابنا في شرح الاسما والحمد لله وقال قتادة المهيمن معناه

الشاهد وقيل الحافظ لحسن المصدق ومنه قول الشاعر ان الكتاب

مهيمن لنبينا والحق يعرفه ذوو الالباب وقال ابن عباس ومهيمنا عليه اي

موتمنا عليه قال سعيد بن جبير القران موتمن على ما قبله من الكتاب للكتب

وعن ابن عباس والحسن ايضا المهيمن الامين المبرد واصله موتمن ابدل من الهمزة ها

كما قيل في ارقت الماء هرقت قاله الزجاج ايضا وابو علي وقد صرف فقيل هيمن

هيمنه وهو مهيمن بمعنى كان امينا الجوهري وهو من امن غيره من الخوف واصله

اامن فهو مامن بهمزتين قلبت الهمزة الثانية يا كراهة لاجتماعهما فصار

مايمن ثم صيرت الاولى ها كما قالوا هراق الماء واراقه يقال منه هيمن على

الشي يهيمن اذا كان له حافظا فهو مهيمن عن ابي عبيد وقرا مجاهد وابن

محيصن ومهيمنا عليه بفتح الميم قال مجاهد اي محمد صلى الله عليه وسلم موتمن

على القران   فاحكم بينهم بما انزل الله يوجب الحكم فقيل هذا

نسخ للتخيير في قوله تعالى فاحكم بينهم او اعرض عنهم وقيل ليس هذا وجوبا

والمعنى فاحكم بينهم ان شيت اذ لا يجب علينا الحكم بينهم اذا لم يكونوا من اهل

الذمة وقد مضى الكلام فيه وقيل اراد فاحكم بين الخلق فهذا كان واجبا

عليه   ولا تتبع اهواهم فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى

ولا تتبع اهواهم يعني لا تعمل بهواهم ومرادهم على ما جاك من الحق لا تترك
الحكم بما بين الله تعالى من القران من بيان الحق وبيان الاحكام والاهوا جمع
هوا ولا تجمع اهويه وقد تقدم في البقره فنهاه عن ان يتبعهم فيما يريدونه
وهو يدل على بطلان قول من قوم الخمر على من اتلفها عليهم لانها ليست مالا
لهم فتكون مضمونه على متلفها لان ايجابه ضمانها على متلفها حكم بموجب
اهوا اليهود وقد امرنا بخلاف ذلك ومعنى عما جاك على ما جاك لكل جعلنا
منكم شرعه يدل على عدم التعلق بشرايع الاولين والشرعه والشريعه
الطريقه الظاهره التي يتوصل بها الى النجاه والشريعه في اللغه الطريق الذي
يتوصل به الى الما والشريعه ما شرع لعباده من الدين وقد شرع لهم يشرع
شرعا اي سن والشارع الطريق الاعظم والشرعه ايضا الوتر والجمع شرع
وشرع وشراع جمع الجمع عن ابي عبيد فهو مشترك والمنهاج الطريق المستمر
وهو النهج والمنهج اي البين قال الراجز من يك ذا شك فهذا فلج ما
رواء وطريق نهج وقال ابو العباس محمد بن يزيد الشريعه ابتدا الطريق
والمنهاج الطريق المستمر وروي عن ابن عباس والحسن وغيرهما شرعه ومنهاجا
سنه وسبيلا ومعنى الايه انه جعل التوراه لاهلها والانجيل لاهله
والقران لاهله وهذا في الشرايع والعبادات كما ذكرنا والاصل التوحيد
لا اختلاف فيه روي معنى ذلك عن قتاده وقال مجاهد الشرعه والمنهاج
دين محمد صلى الله عليه وسلم وقد نسخ به كل ما سواه ولو شا الله
لجعلكم امه واحده اي يجعل شريعتكم واحده فكنتم على الحق فبين انه اراد الاختلاف
ليمتحنكم ولكن ليبلوكم فيما اتاكم في الكلام حذف يتعلق به لام كي اي
ولكن جعل شرايعكم مختلفه ليختبركم والابتلا الاختبار فاستبقوا

الخيرات

الخيرات اي سارعوا الى الطاعات وهذا يدل على ان تقدم الواجبات افضل
من تاخيرها وذلك لاخلاف فيه فى العبادات كلها الا فى الصلاه فى اول
الوقت فان اباحنيفه يرى ان الاولى تاخيرها وعموم الايه دليل عليه
قاله الكيا الطبرى وفيه دليل على ان الصوم فى السفر اولى من الفطر وقد
تقدم جميع هذا كله فى البقره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم
فيه تختلفون اى بما اختلفتم فيه وتزول الشكوك
وان احكم بينهم بما انزل الله تقدم الكلام فيها وانها ناسخه للتخيير قال
بن العربي وهذه دعوي عريضه فان شروط النسخ اربعه منها معرفه التاريخ
تحصيل المتقدم والمتاخر وهذا مجهول من هاتين الايتين فامتنع ان يدعا ان
واحده منهما ناسخه للاخرى وبقي الامر على حاله قال الشيخ المولف
رحمه الله قد ذكرنا عن ابي جعفر النحاس ان هذه الايه متاخره فى النزول
فتكون ناسخه الا ان يقدر فى الكلام حذف التخيير منه لا لاله الا و
عليه لانه معطوف عليه فحكم التخيير كحكم المعطوف عليه فهما
شريكان وليس الاخر بمنقطع مما قبله اذ لا معنى لذلك ولا يصح فلابد
من ان يكون قوله وان احكم بينهم بما انزل الله معطوفا على ما قبله من قوله
وان احكم فاحكم بينهم بالقسط ومن قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم فمعنى
وان احكم بينهم بما انزل الله اي احكم بذلك ان حكمت واخترت الحكم
فهو كله محكم غير منسوخ لان الناسخ لا يكون مرتبطا بالمنسوخ معطوفا
عليه فالتخيير للنبي صلى الله عليه وسلم فى ذلك محكم غير منسوخ قاله مكي رحمه
الله وان احكم فى موضع نصب عطفا على الكتاب اي وانزلنا اليك ان
احكم بينهم بما انزل الله اي بحكم الذى انزله الله اليك فى كتابه ولحذرهم ان

تاريخ

ل

ب
انزله

يفتنوك ان يزيلوك عنها والميم في ولهم وهو بدل الاشتمال ومفعول من اجله اي من اجل ان يفتنوك وعن ابن اسحق قال ابن عباس اجتمع قوم من الاحبار منهم ابن صوريا وكعب بن اسيد وابن صلوبا وشاس بن عدي وقالوا اذهبوا بنا الى محمد صلى الله عليه وسلم فلعلنا نفتنه عن دينه فانما هو بشر فاتوه فقالوا انك عرفت يا محمد انا احبار اليهود وان اتبعناك لم يخالفنا احد من اليهود وان بيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فاقض لنا عليهم حتى نومن بك فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية واصل الفتنة الاختبار حسبما تقدم ثم يختلف معناها فقوله تعالى هنا ويفتنوك معناه يصدوك ويردوك وتكون الفتنة بمعنى الشرك ومنه قوله والفتنة بمعنى العبرة كقوله لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ولا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وتكون الفتنة الصد عن السبيل كما في هذه الاية وتكرير وان احكم بينهم بما انزل الله للتاكيد او هي احوال واحكام امره ان يحكم في كل واحد بما انزل الله وفي الاية دليل على جواز النسيان على النبي صلى الله عليه وسلم لانه قال ان يفتنوك وانما يكون ذلك عن نسيان لا عن تعمد وقيل المراد له والمراد غيره وسياتي بما زهد في الانعام ان شاء الله تعالى ومعنى عن بعض ما انزل الله اليك عن كل ما انزل الله والبعض يشتمل بمعنى الكل ويغتبط بعض النفوس حمامها ويروى او يرتبط اراد كل النفوس وعليه حملوا قوله تعالى ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه قال ابن العربي والصحيح ان بعض على حالها في هذه الاية وان المراد به الرجم او الحكم الذي كانوا ارادوه ولم يقصد وا ان يفتنوه عن الكل
فان تولوا اي ابوا حكمك واعرضوا عنه فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم ان يعذبهم بالجلا والجزية والقتل ولذلك كان وانما قال

ببعض لان .

سادس

ببعض لان المجازاه بالبعض كانت كافيه في التنبيه عليهم وان كثيرا من الناس
لفاسقون يعني اليهود   الحكم الجاهليه يبغون فيه ثلاث
مسايل   قوله تعالى الحكم الجاهليه نصب بيبغون والمعنى ان الجاهليه
كانوا يجعلون حكم الشريف خلاف حكم الوضيع كما تقدم في غير موضع وكانت
اليهود تقيم الحدود على الضعفا الفقرا ولا يقيموها علي الاقويا الاغنيا فضاهوا
الجاهليه في هذا الفعل   روي سفين بن عيينه عن ابن ابي نجيح عن
طاوس قال كان اذا سالوه عن الرجل يفضل بعض ولده يقرا الحكم الجاهليه يبغون
فكان طاوس يقول لا يجوز لاحد ان يفضل ولده على بعض فان فعل لم ينفذ
وفسخ وبه قال اهل الظاهر وروي عن احمد بن حنبل مثله وكرهه الثوري وبن
المبارك واسحق فان فعل ذلك نفذ ولم يرد واجاز ذلك مالك والثوري
والليث والشافعي واصحاب الراي واستدلوا بفعل الصديق في نحله عايشه
دون ساير ولده وبقول النبي صلى الله عليه وسلم فارجعه وقوله صلى الله عليه
وسلم فاشهد على هذا غيري واحتج الاولون بقول النبي صلى الله عليه وسلم
لبشير الك ولد سوا هذا قال نعم فقال اكلهم وهبت له مثل هذا
قال لا قال فلا تشهدني اذا فاني لا اشهد على جور في روايه واني لا اشهد
الا على حق قالوا وما كان جورا وغير حق فهو باطل لا يجوز وقوله صلى الله عليه
وسلم اشهد على هذا غيري ليس اذنا في الشهاده وانما هو زجر عنها لان النبي
عليه وسلم قد سماه جورا وامتنع من الشهاده فيه فلا يمكن ان يشهد احد من
المسلمين في ذلك واما فعل ابو بكر فلا يعارض به قول النبي صلى الله عليه وسلم ولعله
قد كان نحل اولاده نحلا يعادل ذلك فان قيل الاصل تصرف الانسان في ماله
مطلقا قيل له الاصل الكلي والواقعه المعينه المخالفه لذلك الاصل لا تعارض

بينهما كالعموم والخصوص وفي الاصول ان الصحيح بنا العام على الخاص ثم انه
يخشيا عن ذلك العقود الذي هوا كبر الكبايرو ذلك محرم وما يودي الي
المحرم فهو ممنوع ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله واعدلوا بين
اولادكم قال النعمان فرجع ابي فرد تلك الصدقة والصدقة لا يعتصرها الاب
بانفاق وقوله صلى الله عليه وسلم فارجعه محمول على معنى فاردده والرد ظاهر
في الفسخ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رداي
مردود منسوخ وهذا كله ظاهر قوي وترجيح جلي في المعنى قرا ابن
وثاب والنخعي الحكم بالرفع على معنى يبغونه فحذف الها كما حذفها ابو النجم في قوله
قد اصبحت ام الخيار تدعي على ذنبا كله لم اصنع فيمن روى كله بالرفع ويجوز ان
ان يكون التقدير الحكم الجاهلية حكم تبغونه فحذف الموصوف وقرا الحسن
وقتاده والاعرج والاعمش لحكم بنصب الحا والكاف وفتح الميم وهي راجعه
الى معنى قراه المجاهد اذ ليس المراد نفس الحكم وانما المراد الحكم فكانه قال الحكم
حكم الجاهلية يبغون وقد يكون الحكم في اللغه والحاكم واحد وكانهم يريدون
الكاهن وما اشبهه من حكام الجاهلية فيكون المراد بالحكم الشياع والجنس
اذ لا يراد به حاكم بعينه وجاز وقوع المضاف جنسا كما جاز في قولهم منعت
مصار ارديها وشبهه وقرا ابن العامر تبغون بالتا الباقون باليا
ومن احسن من الله حكما هذا استفهام على جهة الانكار بمعنى لا احد احسن
فهو ابتدا وخبر وحكما نصب على البيان لقوم يوقنون اي عند قوم يوقنون
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى فيه مسلتان
اليهود والنصارى اوليا مفعولان وهو يدل على قطع الموالاه شرعا وقد
مضى في ال عمران بيان ذلك ثم قيل المراد به المنافقون المعنى يا ايها الذين امنوا بظاهرهم

يوالون.

يوالون المشركين ويخبرونهم باسرا المسلمين وقيل نزلت في ابي لبابه عن عكرمه
السدي نزلت في قصه يوم احد حين خاف المسلمون حتى هم قوم منهم ان يوالوا
اليهود والنصارى وقيل نزلت في عباده بن الصامت وعبد الله بن ابي سلول — بن م
فتبرا عباده من موالاه اليهود وتمسك بها بن ابي وقال اخاف ان تدور
الدوابر بعضهم اوليا بعض مبتدا وخبر وهو يدل على اثبات الشرع الموالاه
فيما بينهم حتى يتوارث اليهود والنصارى بعضهم من بعض — قوله تعالى
ومن يتولهم منكم اي يعضدهم على المسلمين فانه منهم بين ان حكمه حكمهم وهو يمنع
اثبات الميراث للمسلم من المرتد وكان الذي تولاهم بن ابي ثم هذا الحكم باق الى
يوم القيمه في قطع الموالاه وقد قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم
النار وقال تعالى في ال عمران لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا وقال ولا تتخذوا
بطانه من دونكم وقد مضى القول فيه وقيل ان معنى بعضهم اوليا بعض اي في
النصر ومن يتولهم منكم فانه منهم شرط وجوابه اي لانه قد خالف الله تعالى
ورسوله صلى الله عليه وسلم كما خالفوا ووجبت معاداته كما وجبت معاداتهم
ووجب له النار كما وجبت لهم فصار منهم اي من اصحابهم
فترى الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق وقد تقدم في البقره والمراد بن
ابي واصحابه يسارعون فيهم اي في موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان
ان تصيبنا دايره اي يدور الدهر علينا اما بقحط فلا يميرونا ولا يفضلوا
علينا واما ان تظفر اليهود بالمسلمين فلا يدوم الامر لمحمد صلى الله عليه وسلم
وهذا القول اشبه بالمعنى كانه من دارت تدور اي نخشى ان يدور الامر ويدل
عليه قوله جل وعز فعسى الله ان ياتي بالفتح وقال الشاعر يرد عنك القدر
المقدورا ودايرات الدهر ان تدورا يعني دول الدهر الدايره

من قوم الى قوم واختلف في معنى الفتح فقيل الفتح الفصل والحكم عن قتاده وغيره
قال بن عباس ان الله بالفتح فقتلت مقاتله بني قرايظه وسبيت ذراريهم
واجلي بنوا النضير وقال ابو علي هو فتح بلاد المشركين على المسلمين وقال السدي
يعني بالفتح فتح مكه او امر من عنده قال السدي هو الجزيه الحسن اظهار امر المنافقين
والاخبار باسمايهم والامر بقتلهم وقيل الخصب والسعة للمسلمين فيصبحوا
على ما اسروا في انفسهم نادمين اي فيصبحوا نادمين على توليهم الكفار اذا راوا
نصر الله المومنين واذا عاينوا عند الموت فبشروا بالعذاب ويقول
الذين امنوا اهل المدينه واهل الشام يقول بغير واو وقرا ابو عمرو وابن اسحق
ويقول بالواو والنصب عطفا على ان ياتي عند اكثر النحويين التقدير فعسى الله
ان ياتي بالفتح وان يقول وقيل هو عطف على المعنى لان معنى عسى الله ان ياتي
بالفتح اذ لا يجوز عسى زيد ان ياتي و يقوم عمرو ولانه لا يصح المعنى اذا قلت وعسى
زيد ان يقوم عمرو ولكن لو قلت عسى ان يقوم زيد وياتي عمرو لكان جيدا فاذا
قدرت التقديم في ان ياتي الجنب عسى حسن لانه يصير التقدير عسى ان ياتي وعسى
ان يقول ويكون من باب قوله ورايت زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا وفيه
قول ثالث وهو ان تعطفه على الفتح كما قال الشاعر للبس عباءة وتقر عيني ويجوز
ان يجعل ياتي بدلا لان اسم الله جاء ذكره فيصير التقدير عسى ان ياتي الله
ويقول الذين امنوا وقرا الكوفيون ويقول الله الذين امنوا بالرفع على القطع
من الاول اهاولاي اشاره الى المنافقين اقسموا حلفوا والجهد واني الايمان
انهم لمعكم اي قالوا انهم ويجوز انهم باقسموا اي قال المومنون لليهود على جهه
التوبيخ اهاولا اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم يعينونكم على محمد صلى الله
عليه وسلم ويحتمل ان يكون من المومنين بعضهم لبعض اهاولاي الذين كانوا

ان م

يحلفون

يحلفون بانهم مومنون فقد انتهك اليوم سترهم حبطت اعمالهم بطلت
اي نفاقهم فاصبحوا خاسرين اي خاسرين الثواب وقيل خسروا في موالات
اليهود فلم يحصل لهم ثمره بعد قتل اليهود واجلايهم
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فيه اربع مسايل
الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه شرط وجوابه فسوف وقراه اهل المدينه
والشام من يرتدد بدالين الباقون يرتد وهذا من اعجاز القران والنبي صلى الله
عليه وسلم اذا اخبرهم عن ارتدادهم ولم يكن ذلك في عهده وكان ذلك غيبا فكان
على ما اخبر بعد مده واهل الرده كان بعد موته صلى الله عليه وسلم قال ابن
اسحق لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب الا ثلاثه مساجد
مسجد المدينه ومسجد مكه ومسجد جواثى وكانوا في ردتهم على قسمين قسم نبذ
الشريعه كلها وخرج عنها وقسم نبذ وجوب الزكاه واعترف بوجوب غيرها
فقالوا نصلي ونصوم ولا نزكي فقاتل الصديق جميعهم وبعث خالد بن الوليد
اليهم بالجيوش فقتلهم وسباهم على ما هو مشهور من اخبارهم
قوله تعالى فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه في موضع النعت قال
الحسن وقتاده وغيرهما نزلت في ابي بكر الصديق واصحابه وقال السدي
نزلت في الانصار وقيل هو اشاره الى قوم لم يكونوا موجودين في ذلك الوقت
وان ابا بكر قاتل اهل الرده بقوم لم يكونوا وقت نزول الايه وهم احيا
من اليمن من كنده وبجيله ومن اشجع وقيل انها نزلت في الاشعريين ففي الخبر
انها لما نزلت قدم بعد ذلك بيسير سفاين الاشعريين وقبايل اليمن من طريق
البحر فكان لهم بلا في الاسلام في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت
فتوح العراق في زمن عمر على يدي قبايل اليمن هذا اصح ما قيل في نزولها

والله اعلم وروي الحاكم ابو عبد الله في المستدرك باسناده ان النبي صلى
الله عليه وسلم اشار الى ابي موسى الاشعري لما نزلت هذه الاية نعالهم
قوم هذا قال القشيري فاتباع ابي الحسن من قومه لان كل موضع اضيف فيه
قوم الى نبي اريد به الاتباع قوله تعالى اذلة على المومنين
اذلة نعت لقوم وكذلك اعزة اي يرافون بالمومنين ويرحموهم ويلينون لهم
من قولهم دابة ذلول اي تنقاد سهله وليس من الذل في شي ويغلظون
على الكافرين ويعادونهم قال ابن عباس هم للمومنين كالوالد والولد والسيد
للعبد وهم في الغلظة على الكفار كالسبع على فريسته قال الله تعالى اشدا
على الكفار رحما بينهم ويجوز اذلة بالنصب على الحال اي يحبهم ويحبونه في هذه
الحال وقد تقدمت معنى محبة الله لعباده ومحبتهم له قوله
تعالى يجاهدون في سبيل الله في موضع الصفة ايضا ولا يخافون لومة
لايم بخلاف المنافقين يخافون الدوائر فدل بهذا على تثبيت امامة ابي بكر
وعمر وعثمن وعلي رضي الله عنهم لانهم جاهدوا في الله عز وجل في حياة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوا المرتدين بعده ومعلوم ان من كانت فيه
هذه الصفات فهو ولي لله تعالى وقيل الاية عامة في كل من جاهد الكفار الى
قيام الساعة والله ذلك فضل الله يوتيه من يشا ابتدا وخبر والله واسع
عليم اي واسع الفضل عليم بمصالح خلقه انما وليكم الله ورسوله
والذين امنوا الذين يقيمون الصلوات ويوتون الزكاة وهم راكعون فيه
مسلمان قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله قال جابر بن عبد الله
قال عبد الله بن سلام للنبي صلى الله وسلم ان قوما من قريظة والنضير قد هجرونا
واقسموا ان لا يجالسونا ولا نستطيع مجالسة اصحابك لبعد المنزلة

فنزلت

فنزلت هذه الايه فقال رضينا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبالمومنين
اوليا والذين عام في جميع المومنين وقد سيل ابو جعفر محمد بن علي رضي الله عنه
عن معنى انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا هل هو علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال
علي من المومنين يذهب الى هذا لجميع المومنين قال النحاس وهذا قول بين لان الذين
لجماعه وقال ابن عباس نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وقال في روايه اخرى
نزلت في علي رضي الله عنه وقال مجاهد والسدي وحملهم على ذلك قوله الذين
يقيمون الصلاه ويوتون الزكاه وهم راكعون وهي المسله
وذلك ان سايلا سال في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يعطه احد شيا
وكان علي في الصلاه في الركوع وفي يمينه خاتم فاشار الى السايل به حتى
اخذه قال الكيا الطبري وهذا يدل على ان العمل القليل لا يبطل الصلاة
فان التصدق بالخاتم في الركوع عمل جا به في الصلاه ولم تبطل به الصلاه
وقوله ويوتون الزكاه وهم راكعون يدل على ان الصدقه التطوع
تسمى زكاة فان عليا تصدق بخاتمه في الركوع وهو نظير قوله وما
اتيتم من زكاه تريدون وجه الله فاوليك هم المضعفون وقد
انتظم النفل والفرض فصار اسم الزكاه شاملا للفرض والنفل كاسم
الصدقه وكاسم الصلاه ينتظم الامرين قال الشيخ المولف رحمه الله
فالمراد على هذا بالزكاه التصدق بالخاتم وحمل لفظ الزكاه على الصدقه
بالخاتم فيه بعد لان الزكاه لا تاتي بلفظها المختص بها وهو الزكاه
المفروضه على ما تقدم بيانه في اول البقره وايضا فان قبله ويقيمون
الصلاه ومعنى يقيمون الصلاه ياتون بها في اوقاتها بجميع حقوقها والمرا
صلاه الفرض ثم قال وهم راكعون اي النفل وقيل افراد الركوع بالذكر

تشريفا وقيل المومنون وقت نزول الايه كانوا بين متمم الصلاه وبين
راكع وقال بن خواز منداد قوله تعالى ويوتون الزكاه وهم راكعون
تضمنت جواز العمل اليسير في الصلاه وذلك ان هذا خرج مخرج المدح
واقل ما في باب المدح ان يكون مباحا وقد روى ان على بن ابي طالب كرم
الله وجهه اعطا السايل شيا وهو في الصلاه وقد يجوز ان يكون هذه صلاه
تطوع وذلك انه مكروه في الفرض ويحتمل ان يكون متوجها على اجتماع
حالتين كانه وصف من يعتقد وجوب الصلاه والزكاه فعبر عن الصلاه
بالركوع وعن الاعتقاد للوجوب بالفعل كما تقول المسلمون هم المصلون
ولا يريد انهم في تلك الحال مصلون ولا يوجه المدح حال الصلاه فانما
يريد من يفعل هذا الفعل ويعتقده ومن يتول الله ورسوله
والذين امنوا اي من فوض امره الى الله وامتثل امر رسوله صلى الله عليه وسلم ووالي
المسلمين فهو من حزب الله وقيل اي ومن يتول القيام بطاعة الله ونصره رسوله
صلى الله عليه وسلم والمومنين فان حزب الله هم الغالبون قال الحسن حزب الله جند الله
وقال غيره انصار الله قال الشاعر فكيف اضوى وبلال حزبي اي ناصري والمومنون
حزب الله فلا جرم غلبوا اليهود بالسبي والقتل والاجلا وضرب الجزيه والحزب
الصنف من الناس واصله من النايبه من قولهم حزبه كذا اى نابه فكان
المتحزبين يجتمعون كاجتماع اهل النايبه عليها وحزب الرجل اصحابه والحزب
الورد ومنه الحديث فمن فاته حزبه من الليل وقد حزبت القران والحزب
الطايفه وتحزبوا اجتمعوا والاحزاب الطوايف التي تجتمع على محاربه
الانبيا وحزبه امر اي اصابه يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا فيه مسلتان روى بن عباس

رحمه الله

رحمه الله ان قوما من اليهود والمشركين ضحكوا من المسلمين وقت سجودهم فانزل الله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا الى اخر
الايات وتقدم معنى الهزو في البقرة من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار
د
اوليا قراه ابو عمرو والكساي بالخفض يعني ومن الكفار قال الكساي رحمه الله
في حرف ابي رحمه الله ومن الكفار ومن هاهنا لبيان الجنس والنصب اوضح و
قال النحاس وقيل هو معطوف على اقرب العاملين منه وهو قوله من الذين
اوتوا انهاهم الله ان يتخذوا اليهود والمشركين اوليا واعلمهم ان الفريقين
اتخذوا دين المومنين هزوا ولعبا ومن نصب عطف على الذين الاول في قوله
لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا والكفار اوليا اي لا تتخذوها
ولاي
وهاولاي اوليا فالموصوف بالهزي واللعب في هذه القراه القراه اليهود لا
غير والنهي عن اتخاذه اوليا اليهود والمشركين وكلاهما في القراه بالخفض
موصوف بالهزي واللعب قال مكي ولولا اتفاق الجماعه على النصب لاخترت
الخفض لقوته في الاعراب وفي المعنى والتفسير والقران من المعطوف عليه
وقيل المعنى لا تتخذوا المشركين والمنافقين اوليا بدليل قولهم انما نحن
مستهزءون والمشركون كلهم كفار لكن يطلق في الغالب لفظ
الكفار على المشركين فلهذا فصل ذكر اهل الكتاب من الكافرين
قال ابن خويزمنداد هذه الاية مثل قوله لا تتخذوا
وا
اليهود والنصارى اوليا بعضهم اوليا بعض ولا تتخذوا بطانة
نه
من دونكم تضمنت المنع من التايد والانتصار بالمشركين ونحو
ذلك وروى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اراد الخروج
الى احد جاه قوم من اليهود فقالوا نسير معك فقال النبي صلعم

الله عليه وسلم انا لا نستعين على امرنا بالمشركين وهذا هو الصحيح
من مذهب الشافعي وابو حنيفه جوز الاستنصار بهم على المشركين
للمسلمين وقال الله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا بعضهم اوليا بعض ... على خلاف ما قالوه مع ما جا من السنه
في ذلك   وادا ناديتم الى الصلاه اتخذوها هزوا
ولعبا فيه اثنا عشر مسله   قال الكلبي كان اذا اذن
المودن واقام المسلمون الصلاه قالت اليهود قد قاموا لا قاموا
وكانوا يضحكون اذا ركع المسلمون وسجدوا وقالوا في
حق الاذان لقد ابتدعت شيا لم نسمع به فيما مضى من
الامم فمن اين لك صياح كصياح العير فما اقبحه من صوت
وما اسمجه من امر وقيل انهم كانوا اذا اذن المودن للصلاه
تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السخف والمجون تجهيلا
لاهلها وتنفيرا للناس عنها وعن الداعي اليها وقيل انهم كانوا
يرون المنادي اليها بمنزله اللاعب الهازي بفعلها جهلا منهم
بمنزلتها فنزلت هذه الايه ونزل قوله ومن احسن قولا ممن
دعا الى الله والندا الدعا برفع الصوت وقد يضم مثل الدعا
والرغا وناداه مناداه ونداا اي صاح به وتنادوا اي نادى
بعضهم بعضا وتنادوا اي جلسوا في النادي وناداه جالسه
في النادي وليس في كتاب الله تعالى ذكر الاذان الا في هذه الايه
اما انه ذكر في الجمعه على الاختصاص   قال العلما ولم يكن
الاذان بمكه قبل الهجره وانما كانوا ينادون الصلاه جامعه فلما
هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وصرفت القبله امر بالاذان وبقيت

القبلة الى

الصلاه

الصلاة جامعة للامر يحرض وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اهمه امر
الاذان حتى اريه عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب وابو بكر الصد يق
رضي الله عنهم وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم سمع الاذان ليلة
الاسرا في السما واما رويا عبد الله بن زيد الانصاري الخزرجي وعمر
رضي الله عنهما فمشهور وان عبد الله بن زيد اخبر النبي صلى الله عليه
وسلم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فاذن بالصلاة اذان
الناس اليوم وزاد بلال في الصبح الصلاة خير من النوم فاقرها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وليست فيما ارى الانصاري ذكره ابن
سعد عن ابن عمر وذكر الدارقطني رحمه الله ان الصديق ارى الاذان
وانه اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وان النبي صلى الله عليه
وسلم امر بلالا بالاذان قبل ان يخبره الانصاري ذكره في كتاب
المدبج له في حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن ابي بكر الصديق
وحديث ابي بكر عنه من الاصل واختلف العلما
في وجوب الاذان والاقامة فاما مالك واصحابه فان الاذان
عندهم انما يجب في المساجد للجماعات حيث يجتمع الناس
وقد نص على ذلك في موطئه واختلف المتاخرون من اصحابه
على قولين احدهما انه سنة مؤكدة واجبة مؤكدة على الكفاية
في المصر وما جرى مجرى المصر من القرى وقال بعضهم هو فرض على الكفا يه
وكذلك اختلف اصحاب الشافعي وحكى الطبري عن مالك قال
ان ترك اهل مصر الاذان عامدين اعادوا الصلاة قال ابو عمر ولا
اعلم خلافا في وجوب الاذان جملة على اهل المصر لان الاذان

هو العلامه الداله المفرقه من دار الاسلام ودار الكفر بان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث سريه قال لهم اذا سمعتم
الاذان فامسكوا وكفوا فان لم تسمعوا الاذان فاغيروا او قال
فشنوا الغارة وفي صحيح مسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يغير اذا طلع الفجر فان سمع اذانا امسك والا اغار الحديث
وقال عطا ومجاهد والاوزاعي وداود الاذان فرض ولم يقولوا
على الكفايه وقال الطبري الاذان سنه وليس بواجب وذكر عن
اشهب عن مالك ان ترك الاذان مسافر عمدا فعليه اعاده
الصلاه ذكر الكوفيون ان يصلي المسافر بغير اذان ولا اقامه
قالوا واما فيستحب له ان يوذن ويقيم فان استجزا باذان الناس
واقامتهم اجزاه وقال الثوري تجزيه الاقامه من الاذان في السفر
وان شيت اذنت واقمت وقال احمد بن حنبل يوذن المسافر لحديث
مالك بن الحويرث وقال داود الاذان واجب على كل مسافر في خاصته
والاقامه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمالك بن الحويرث
ولصاحبه اذا كنتما في سفر فاذنا واقيما ما اكبركما خرجه البخاري
وهو قول اهل الظاهر قال ابن المنذر ثبت ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لمالك بن الحويرث ولابن عمه اذا سافرتما فاذنا واقيما
وليؤمكما اكبركما قال ابن المنذر الاذان والاقامه واجبان على
كل جماعه في الحضر والسفر لان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالاذان
وامره على الفرض قال ابو عمر واتفق الشافعي وابو حنيفه واصحابهما
والثوري واحمد واسحق وابو ثور والطبري على ان المسافر اذا ترك

الاذان عامدا اوناسيا اجزاته صلاته وكذلك اذا ترك الاقامه
عندهم وهم اشد كراهه لترك الاقامه واحتج الشافعي في
ان الاذان غير واجب فرضا من فروض الصلاه بسقوط الاذان
للواحد عند الجميع بعرفه والمزدلفه وتحصيل مذهب ملك
في الاذان في السفر كالشافعي سوا واتفق ملك
والشافعي واصحابهما على ان الاذان مثنى والاقامه مره مره
الا ان الشافعي يربع التكبير الاول وذلك محفوظ من روايه الثقات
في حديث ابي محذورة وفي حديث عبد الله بن زيد قال وهي زياده
يجب قبولها وزعم الشافعي ان اذان اهل مكه لم يزل في ال ابي
محذوره كذلك الى وقته وعصره قال اصحابه وكذلك هو الان
عندهم وما ذهب اليه ملك موجود ايضا في احاديث صحاح في
اذان ابي محذوره وفي اذان عبد الله بن زيد والعمل عنده بالمدينه
على ذلك في ال سعد القرظ الى زمانهم واتفق ملك والشافعي على
الترجيع في الاذان وذلك رجوع المودن اذا قال اشهد ان لا
اله الا الله مرتين اشهد ان محمدا رسول الله مرتين رجع فمد من صوته
جهده ولا خلاف بين ملك والشافعي في الاقامه الا قوله قد قامت
الصلاه فان مالكا يقولها مره والشافعي مرتين واكثر العلما على ما قال
الشافعي وبه جات الاثار وقال ابو حنيفه واصحابه والثوري
والحسن بن حي الاذان والاقامه جميعا مثنى مثنى والتكبير عندهم
في اول الاذان واول الاقامه الله اكبر اربع مرات ولا ترجيع عندهم
في الاذان وحجتهم في ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي ليلى قال حدثنا

اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان عبد الله بن زيد جا الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله رايت في المنام كان رجلا قام وعليه بردان
اخضران على جذم حايط فاذن مثنى مثنى واقام مثنى وقعد بينهما
قعدة فسمع بذلك بلال فقام واذن مثنى وقعد قعدة واقام
مثنى رواه الاعمش وغيره عن عمرو بن مرة عن ابن ابي ليلى وهو قول جماعة
التابعين والفقها بالعراق قال ابو اسحق السبيعي كان اصحاب علي
وعبد الله يشفعون الاذان والاقامة فهذا اذان الكوفيين متوارث
عندهم به العمل قرنا بعد قرن ايضا كما يتوارث الحجازيون فاذانهم
تربيع التكبير مثل المكيين ثم الشهادة بان لا اله الا الله مرة واحدة اشهد
ان محمدا رسول الله مرة واحدة ثم حي على الصلاة مرة ثم حي على الفلاح
مرة ثم يرجع المؤذن فيمد صوته ويقول اشهد ان لا اله الا الله الاذان
كله مرتين الى اخره قال ابو عمر وذهب احمد بن حنبل واسحق بن راهويه
وداود بن علي ومحمد بن جرير الطبري الى اجازة القول بكل ما روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملوه على الاباحة والتخيير قالوا كل
ذلك جايز لانه قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع ذلك
وعمل به اصحابه فمن شا قال الله اكبر مرتين في اول الاذان ومن شا قال
ذلك اربعا ومن شا رجع في اذانه ومن شا لم يرجع ومن شا ثنى الاقامة
ومن شا افردها الا قوله قد قامت الصلاة فان ذلك مرتان مرتان على كل
حال واختلفوا في التثويب لصلاة الصبح وهو قول
المؤذن الصلاة خير من النوم فقال مالك والثوري والليث يقول المؤذن
في صلاة الصبح بعد قوله حي على الفلاح مرتين الصلاة خير من النوم مرتين

وهو قول

و هو قول الشافعي بالعراق وقال بمصر لا يقول ذلك وقال ابو حنيفة واصحابه
يقوله بعد الفراغ من الاذان ان شاء وقد روي عنهم ان ذلك في نفس الاذان وعليه
الناس في صلاة الفجر قال ابو عمر روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث
ابي محذورة انه امره ان يقول في اذان الصبح الصلاة خير من النوم وروي عنه
ايضا ذلك من حديث عبد الله بن زيد وروي عن انس انه قال من السنة ان
يقال في الفجر الصلاة خير من النوم وروي عن ابن عمر انه كان يقوله واما قول مالك
في الموطا انه بلغه ان المؤذن جاء عمر بن الخطاب يؤذنه بصلاة الصبح فوجده
نايما فقال الصلاة خير من النوم فامره ان يجعلها في الصبح فلا اعلم انه روي
هذا عن عمر من جهة يحتج بها وتعلم صحتها وانما فيه حديث هشام بن عروة
عن رجل يقال له اسماعيل فاعرفه ذكر ابن ابي شيبة حدثنا عبدة بن سليمان
عن هشام بن عروة عن رجل يقال له اسمعيل قال جا المؤذن يؤذن عمر بصلاة الصبح
فقال الصلاة خير من النوم فاعجب به عمر وقال للمؤذن اقرها في اذانك قال
ابو عمر والمعنى فيه عندي انه قال له نداء الصبح موضع القول بها لا هاهنا
كانه كره ان يكون منه نداء اخر عند باب الامير كما احدثه الامرا بعد قال ابو
عمر وانما حملني على هذا التاويل وان كان الظاهر من الخبر خلافه لان التثويب
في صلاة الصبح اشهر عند العلما والعامة من ان يظن بعمر رضي الله عنه انه جهل
ما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر به مؤذنيه بالمدينة بلالا وبمكة
ابا محذورة فهو محفوظ معروف في تاذين بلال واذان ابي محذورة في صلاة
الصبح للنبي صلى الله عليه وسلم مشهور عند العلما روى وكيع عن سفين
عن عمران بن مسلم عن سويد بن غفلة انه ارسل الى مؤذنه اذا بلغت حي على
الفلاح فقل الصلاة خير من النوم فانه اذان بلال ومعلوم ان بلالا لم

عن م

٥

يؤذن قط لعمر ولا سمعه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مرة بالشام
اذ دخلها واجمع اهل العلم على ان من السنة الا يؤذن للصلاة
الا بعد دخول وقتها الا الفجر فانه يؤذن لها قبل طلوع الفجر في قول مالك والشافعي
واحمد واسحق وابي ثور وحجتهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بلالا يؤذن
بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن ام مكتوم وقال ابو حنيفة والثوري
ومحمد بن الحسن لا يؤذن لصلاة الصبح حتى يدخل وقتها لقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم لمالك بن الحويرث وصاحبه اذا حضرت الصلاة فاذنا ثم اقيما وليؤمكما
اكبركما وقياسا على سائر الصلوات وقالت طائفة من اهل الحديث اذا كان للمسجد
موذنان احدهما قبل طلوع الفجر والاخر بعد طلوع الفجر واختلفوا
في المؤذن يؤذن ويقيم غيره فذهب ابو حنيفة واصحابهما الى انه لا باس
به لحديث محمد بن عبد ربه عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره اذا
راى النداء في النوم ان يلقيه على بلال فاذن بلال ثم امر عبد الله بن زيد فاقام
وقال الثوري والليث والشافعي من اذن فيقيم لحديث عبد الرحمن بن زياد بن
انعم عن زياد بن نعيم عن عبد الله بن الحارث الصدائي قال اتيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما كان اول الصبح امرني فاذنت ثم قام الى الصلاة فجا بلال
ليقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخا صداء اذن ومن اذن فهو
يقيم قال ابو عمر عبد الرحمن بن زياد هو الافريقي واكثرهم يضعفونه وليس
يروي هذا الحديث غيره والاول احسن اسنادا ان شاء الله وان صح حديث
الافريقي فان من اهل من يؤتقد وينبني عليه فالقول اولى لانه نص في موضع الخلاف
وهو متاخر عن قصة عبد الله بن زيد مع بلال والاخر فالاخر من امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم اولى ان يتبع مع هذا فاني استحب ان كان المؤذن واحدا راتبا ومن

ان يتولى

ان يتولى الاقامه فان اقامها غيره فالصلاه ماضيه بالاجماع والحمد لله رب العالمين وحكم المؤذن ان يترسل في اذانه ولا يطرب به كما يفعله اليوم كثير من الجهال بل وقد اخرجه كثير من الطغام والعوام عن حد الاطراب فيرجعون فيه الترجيعات ويكثرون فيه التقطيعات حتى لا يفهم ما يقول ولا بما به يصول روى الدارقطني من حديث ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن يطرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاذان سهل سمح فان كان اذانك سمحا سهلا والا فلا تؤذن ويستقبل في اذانه القبله عند جماعة العلما ويلوي راسه يمينا وشمالا في حي على الصلاه حي على الفلاح عند كثير من اهل العلم قال احمد لا يدور الا ان يكون في منارة ان يسمع الناس وبه قال اسحق والافضل ان يكون متطهرا ويستحب لسامع الاذان ان يحكيه الى اخر التشهدين وان اتمه جاز لحديث ابي سعيد وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال المؤذن الله اكبر الله اكبر فقال احدكم الله اكبر الله اكبر ثم قال اشهد ان لا اله الا الله قال اشهد ان لا اله الا الله ثم قال اشهد ان محمدا رسول الله قال اشهد ان محمدا رسول الله ثم قال حي على الصلاه قال لا حول ولا قوه الا بالله ثم قال حي على الفلاح قال لا حول ولا قوه الا بالله ثم قال الله اكبر الله اكبر قال الله اكبر الله اكبر ثم قال لا اله الا الله قال لا اله الا الله من قلبه دخل الجنه وفيه عن سعد بن ابي وقاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قال حين يسمع المؤذن اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا صلى الله عليه وسلم وبالاسلام دينا غفر له ما تقدم من ذنبه

واما فضل الاذان والموذن فجات به اثار صحاح منها ما رواه مسلم عن ابي هريره
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا نودي للصلاه ادبر الشيطان له حتى لا
يسمع النداء من الحديث وحسبك انه شعار الاسلام وعلم على الايمان كما
تقدم واما الموذن فروى مسلم عن معاويه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الموذنون اطول الناس اعناقا يوم القيمه وهذه اشارة الى الامن
من هول ذلك اليوم والله اعلم والعرب تكنى بطول العنق عن اشراف القوم
وسادتهم كما قال قايلهم طوال انضيه الاعناق واللمم وفي الموطا عن ابي
سعيد الخدري سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسمع ندى صوت الموذن
جن ولا انس ولا شي الا شهد له يوم القيامه وفي سنن ابن ماجه عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذن محتسبا سبع سنين كتبت
له براه من النار وفيه عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اذن ثنتا
عشر سنه وجبت له الجنه وكتب له بتاذينه في كل يوم ستون حسنه ولكل
اقامه ثلاثون حسنه قال ابو حاتم هذا الاسناد منكر والحديث صحيح وعن
عثمن بن ابي العاص قال كان اخر ما عهد الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا اتخذ
موذنا ياخذ على اذانه اجرا حديث ثابت واختلفوا في
اخذ الاجره على الاذان فكره ذلك القاسم بن عبد الرحمن واصحاب الراي ورخص لام
فيه ملك وقال لا باس به وقال الاوزاعي ذلك مكروه ولا باس باخذ الرزق
على ذلك من بيت المال وقال الشافعي لا يرزق الموذن الا من خمس الخمس سهم النبي
صلى الله عليه وسلم قال ابن المنذر لا يجوز اخذ الاجره على الاذان وقد استدل
علماونا باخذ الاجره بحديث ابي محذوره وفيه نظر اخرجه النساي وابن ماجه وغيرهما
قال خرجت في نفر فكنا ببعض الطريق فاذن موذن رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالصلاه

بالصلاة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسمعنا صوت المؤذن ونحن عنه متنكبون
فصرخنا نحكيه نهزأ به فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الينا قوما فاقعدونا
بين يديه فقال ايكم الذي سمعت صوته فاشار الي القوم كلهم وصدقوا فارسل
كلهم وحبسني وقال قم فاذن فقمت ولا شي اكره الي من امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا مما يامرني به فقمت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقى علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم التاذين هو بنفسه فقال قل الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله
اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد
ان محمدا رسول الله ثم قال لي ارجع فمد صوتك اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا
اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على
الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله ثم
دعاني حين قضيت التاذين فاعطاني صرة فيها شي من فضة ثم وضع يده على
ناصية ابي محذورة ثم امرها على وجهه ثم بين يديه ثم على كبده ثم بلغت
يد رسول الله صلى الله عليه وسلم سرة ابي محذورة ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بارك الله لك وبارك عليك فقلت يا رسول الله مرني بالتاذين بمكة
قال قد امرتك به فذهب كل شي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كراهة
وعاد ذلك كله محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت على عتاب بن
اسيد عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فاذنت معه بالصلاة على
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ماجه   قوله تعالى ذلك
بانهم قوم لا يعقلون اي انهم بمنزلة من لا عقل له يمنعه من القبائح روي ان
رجلا من النصارى وكان بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول
الله قال حرق الكاذب فسقطت في بيته شرارة من نار وهو نائم فتعلقت

بالبيت فاحرقته واحرقت ذلك الحافر معه فكانت غيرة للحق والبلاء بالمنطق وتداعوا يبهلون مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى يستفتحوا فلا يوفقوا بعد ذلك ذكره ابن العربي والله اعلم قل يا اهل الكتاب

هل تنقمون منا قال ابن عباس جا نفر من اليهود فيهم ابو ياسر بن احطب ورافع بن ابي رافع الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال نؤمن بالله وما انزل الى ابرهيم واسماعيل الى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت هذه الاية وما بعدها وهي متصلة بما سبق من انكارهم الاذان وهو جامع بالشهادة لله بالتوحيد ولمحمد بالنبوة صلى الله عليه وسلم دين من فرق بين انبيا الله لا دين من يؤمن بالكل ويجوز ادغام اللام في التا لقربها وتنقمون معناه تسخطون وقيل تكرهون وقيل تنكرون والمعنا متقارب يقال نقم من كذا ينقم ونقم ينقم والاول اكثر قال عبد الله بن الرقيات ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وفي التنزيل وما نقموا منهم ويقال نقمت على الرجل بالكسر فانا ناقم اذا عتبت عليه يقال ما نقمت عليه الاحسان قال الكسائي نقمت بالكسر لغة ونقمت الامر ايضا ونقمته اذا كرهته وانتقم الله منه اي عاقبه والاسم منه النقمة والجمع نقمات مثل كلمة وكلمات وكلم وان شيت سكنت القاف ونقلت حركتها الى النون فقلت نقمة والجمع نقم مثل نعمة ونعم الا ان امنا بالله في موضع نصب بتنقمون وتنقمون بمعنى تعيبون اي هل تنقمون منا الا ايماننا بالله وقد علمتم انا على الحق وان اكثركم فاسقون اي في ترككم الايمان وخروجكم عن امتثال امر الله فقيل هو مثل قول القايل هل تنقم مني الا اني عفيف

منهم

ومن

سابع

وانك فاجر وقيل اي لان اكثركم فاسقون تنقمون منا ذلك قل
هل انبيكم بشر من ذلك اي بشر من نقمتم علينا وقيل من شر مما تريد ونا من
المكروه وهذا جواب قولهم ما نعرف دينا شرا من دينكم مثوبة نصب على
البيان واصلها مفعولة فالقيت حركة الواو على الثا فسكنت الواو وبعدها
واو ساكنة فحذفت احداهما لذلك ومثله مقولة ومحوزة ومضوفة على
معنى المصدر كما قال الشاعر وكنت اذا جاري دعا لمضوفة اشمر حتى
ينصف الساق مئزري وقيل مفعلة كقولك مكرمة ومعقلة من
لعنه الله في موضع رفع كما قال الله بشر من ذلكم النار والتقدير هو
لعن من لعنه الله ويجوز ان يكون في موضع نصب بمعنى قل هل انبيكم
من لعنه الله ويجوز ان يكون في موضع خفض على البدل من بشر والتقدير
هل انبيكم من لعنه والمراد اليهود وقد تقدم القول في الطاغوت
اي وجعل منهم من عبد الطاغوت فالموصول محذوف عند الفرا وقال
البصريون لا يجوز حذف الموصول والمعنى من لعنه الله وعبد الطاغوت
وقرا ابن وثاب والنخعي انبيكم بالتخفيف وقرا حمزة عبد الطاغوت بضم
البا وكسر التا جعله اسما على فعل كعضد فهو بنا للمبالغة والكثرة كيقظ وندس
وحذر واصله الصفة ومنه قول النابغة لسيف الصقيل الفرد بضم الرا
ونصبه بجعل اي جعل منهم عبد الطاغوت واضاف عبد الى الطاغوت
فخفضه وجعل بمعنى خلق والمعنى وجعل منهم من يبالغ في عبادة الطاغوت وقرا
الباقون بفتح البا والتا جعلوه فعلا ماضيا وعطفه على فعل ماض وهو غضب
والمعنى عندهم من لعنه ومن عبد الطاغوت او منصوبا بجعل اي جعل منهم
القردة والخنازير وعبد الطاغوت ووحد الضمير في عبد حملا على لفظ من

دون معناها وقرا ابى وبن مسعود وعبد الطاغوت على المعنى بن عباس وعبد
الطاغوت فيجوز ان يكون جمع عبد كما يقال رهن ورهن وسقف وسقف ويجوز
ان يكون جمع عباد كما يقال مثال ومثل ويجوز ان يكون جمع عبيد كرغيف
ورغف ويجوز ان يكون جمع عابد كنازل ونزل والمعنى وخدم الطاغوت
وعن بن عباس ايضا وعبد الطاغوت جعله جمع عابد كما يقال شاهد وشهد
وغايب وغيب وعن ابى واقد وعباد الطاغوت للمبالغة جمع عابد ايضا
كعامل وعمال وضارب وضراب وذكر محبوب ان البصريين قروا وعباد
الطاغوت جمع عابد ايضا كقايم وقيام ويجوز ان يكون جمع عبد وقرا ابو
جعفر الرواسى وعُبِدَ الطاغوت على المفعول والتقدير وعُبِدَ الطاغوت
فيهم وقرا عون العقيلى وبن بريده وعابد الطاغوت على التوحيد وهو يودى
عن جماعه وقرا بن مسعود ايضا وعبد الطاغوت وعنه ايضا وابى وعبدت
الطاغوت على تانيث الجماعة كما قال تعالى قالت الاعراب وقرا عبيد بن
عمير واعبد الطاغوت مثل كلب واكلب فهذه اثنا عشر وجها
اوليك شر مكانا لان مكانهم النار واما المومنون فلا شر فى مكانهم وقال الزجاج
اوليك شر مكانا على قولكم النحاس ومن احسن ما قيل فيه اوليك الذين لعنهم الله
شر مكانا فى الاخرة من مكانكم فى الدنيا لما لحقكم من الشر وقيل اوليك لعنهم الله
شر مكانا من الذين نقموا عليكم وقيل اوليك الذين نقموا عليكم شر مكانا من
الذين لعنهم الله ولما نزلت هذه قال المسلمون لهم يا اخوة القردة والخنازير
فنكسوا روسهم افتضاحا وفيهم يقول الشاعر فلعنة الله على اليهود
ان اليهود اخوة القرود واذا جاوكم قالوا امنا الايه
هذه صفة المنافقين والمعنى انهم لم ينتفعوا بشى مما سمعوه بل دخلوا كافرين

وخرجوا

وخرجوا كافرين والله اعلم كانوا يكتمون اي من نفاقهم وقيل المراد اليهود الذين
قالوا امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار اذا دخلتم المدينه واكفروا
اذا رجعتم الى بيوتكم يدل عليه ما قبله من ذكرهم وما ياتي لولا
ينهاهم الربانيون والاحبار لولا بمعنى افلا ينهاهم الربانيون نزجرهم الربانيون
علما النصارى والاحبار علما اليهود قاله الحسن وقيل الكل في اليهود لان هذه الايات
فيهم ثم وبخ علماهم في تركهم نهيهم فقال لبيس ما كانوا يعملون ودلت الايه
على ان تارك النهي عن المنكر كمن يكب المنكر فالايه توبيخ للعلما في ترك الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وقد مضى القول في هذا في البقره وال عمران وروي سفين بن
عيينه قال حدثني سفين بن سعيد عن مسعر قال بلغني ان ملكا امر ان يخسف
بقريه فقال يا رب فيها فلان العابد فاوحى الله تعالى اليه ان به فابدا فانه لم
يتمعر وجهه في ساعه قط وفي صحيح الترمذي ان الناس اذا راوا الظالم ولم ياخذوا
على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب من عنده وسياتي والصنع بمعنى العمل
الا انه يقتضي الجوده يقال سيف صنيع اذا جود عمله وقالت
اليهود يد الله مغلوله قال عكرمة انما قال هذا فنحاص بن عازورا واصحابه
وكان لهم اموال فلما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم قل مالهم فقالوا ان الله بخيل ويده
مقبوضه عنا في العطا فالايه خاصة في بعضهم وقيل لما قال قوم هذا ولم ينكر
الباقون صاروا كانهم باجمعهم قالوا هذا وقال الحسن المعنى يد الله مقبوضه
عن عذابنا وقيل انهم لما راوا النبي صلى الله عليه وسلم في فقر وقله مال وسمعوا
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وراوا ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان
يستعين بهم في الديات قالوا ان اله محمد فقير وربما قالوا بخيل وهذا معنى
قولهم يد الله مغلوله فهو على التمثيل كقوله ولا تجعل يدك مغلوله الى عنقك

ويقال للبخيل جعد الانامل ومقبوض الكف فاستبد لت بعده جعد انما مثله
كانما وجهه بالبخل منضوح واليد في كلام العرب تكون الجارحة لقوله تعالى
وخذ بيدك ضغثا وهذا محال على الله تعالى ويكون النعمة تقول العرب كم يدلي
عند فلان اي كم من نعمة لي قد اسديتها له وتكون القوة قال الله عز وجل واذكر
عبدنا داود ذا الايدي اي ذا القوة وتكون الملك والقدرة قال الله تعالى
قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ويكون بمعنى الصلة قال الله تعالى مما عملت ايدينا
انعاما اي مما عملنا نحن وقال او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وتكون بمعنى التأييد
والنصر ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم يد الله مع القاضي حتى يقضي والقاسم
حتى يقسم وتكون لاضافة الفعل الى المخبر عنه تشريفا له وتكريما قال الله تعالى
يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي فلا يجوز ان يحمل على الجارحة لان
الباري جل وتعالى واحد لا يجوز عليه التبعيض ولا على القوة والملك والنعمة
والصلة لان الاشتراك يقع حينئذ بين وليه ادم وعدوه ابليس ويبطل ما ذكر
من تفضيله عليه لبطلان معنى التخصيص فلم يبق الا ان يحملا على صفتين تعلقتا
بخلق ادم تشريفا له دون خلق ابليس تعلق القدرة بالمقدور لا من طريق المباشرة
ولا من حيث المماسة ومثله ما روي انه كتب التوراة بيده وغرس دار الكرامة
لاهل الجنة وغير ذلك تعلق الصفة بمقتضاها غلت ايديهم
ولعنوا بما قالوا احدث الضمة من الياء لثقلها اي غلت في الاخرة ويجوز ان
يكون دعا عليهم وكذا ولعنوا بما قالوا والمقصود تعليمنا كما قال لتدخلن المسجد
الحرام ان شاء الله علمنا الاستثناء وكما علمنا الدعاء على ابي لهب بقوله تبت يدا
وقيل اراد انهم ابخل الخلق فلا ترى يهوديا غير لئيم وفي الكلام على هذا القول
اضمار الواو اي قالوا يد الله مغلولة وغلت ايديهم واللعن الابعاد وقد

تقدم

نقدم

بل يداه مبسوطتان فنعم الله جل وعز اكثر من ان
تحصى فكيف يكون بل نعماه مبسوطتان والجيب بانه يجوز ان يكون هذا تثنية
جنس لا تثنية واحد مفرد فيكون مثل قوله صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كالشاه
العاير بين الغنمين فاحد الجنسين نعمة الدنيا والثاني نعم الاخرة وقيل نعما الدنيا
النعم الظاهرة والنعم الباطنة كما قال واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة دوي
بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فيه النعمة الظاهرة ما حسن
من خلقك والباطنة ما ستر عليك من سيي عملك وقيل نعماه المطر والنبات
اللتان النعم بهما ومنهما وقيل ان النعمة للمبالغة لقول العرب لبيك
وسعديك وليس يريد الاقتصار على مرتين وقد يقول القايل
مالي بهذا الامر يد اي قوة قال السعدي معنى قوله يداه قوتاه
بالثواب والعقاب بخلاف ما قالت اليهود ان يده مقبوضة
عن عذابهم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله قال لي انفق انفق عليك وقال رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم يمين الله ملأى لا يغيضها سحا الليل والنهار
ارايتم ما انفق مذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في
يمينه قال وعرشه على الما وبيده الاخرى القبض يرفع ويخفض
ويخفض السح الصب الكثير ويغيض ينقص ونظير هذا الحديث
قوله جل ذكره والله يقبض ويبسط وفي قراة بن مسعود وعبد الله
بل يداه بسطان حكاه الاخفش وقال يقال يد الله بسطه
اي منطلقة منبسطة ينفق كيف يشا اي يرزق كما يريد
ويجوز ان يكون اليد في هذه الاية بمعنى القدرة اي قدرته

يوم

شاملة فان شا وسع وان شا قتر وليزيدن كثيرا منهم لام
قسم ما انزل اليك اي بالذي انزل اليك طغيانا وكفرا اي
اذا انزل شي من القران كفروا ازداد كفرهم والقينا بينهم
قال مجاهد اي بين اليهود والنصارى لانه قال قبل هذا لا
تتخذوا اليهود والنصارى اوليا وقيل اي القينا بين طوايف
اليهود كما قال تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى فهم متباغضون
غير متفقين فهم ابغض خلق الله الى الناس كلما اوقدوا نارا للحرب
اليهود وكلما ظرف اي اجمعوا واعدوا واشتت الله جمعهم وقيل
ان اليهود لما افسدوا وخالفوا كتاب الله التوراة ارسل الله   دم
عليهم بخت نصر ثم افسدوا فارسل عليهم بطرس الرومي ثم افسدوا
فبعث الله عليهم المجوس ثم افسدوا فبعث عليهم المسلمين
فكانوا كلما استقام امرهم شتتهم الله وكلما اوقدوا نارا
اي هاجوا شرا واجمعوا امرهم على حرب النبي صلى الله عليه
وسلم اطفاها الله وقهرهم ووهن امرهم فذكر النار مستعار
قال قتادة اذلهم الله عز وجل فلقد بعث النبي صلى الله عليه
وسلم وهم تحت ايدي المجوس بم قال الله عز وجل ويسعون
في الارض فسادا اي يسعون في ابطال الاسلام وذلك من اعظم   لم
الفساد والله اعلم وقيل المراد بالنار هنا نار الغضب اي كلما
اوقدوا نار الغضب في انفسهم وتجمعوا بابدانهم وقوة
النفوس منهم باجتماع نار الغضب اطفاها الله حتى يضعفوا
وذلك بما جعله الله من الرعب نصرة بين يدي نبيه صلى الله عليه

وسلم

وسلم ولو ان اهل الكتاب ان في موضع رفع ولذا

ولو انهم اقاموا التوراه امنوا صدقوا واتقوا اي الشرك والمعا صي

لكفرنا اللام جواب لو ولكفرنا غطينا وقد تقدم واقامه التورا ه

والانجيل العمل بمقتضاهما وعدم تحريفهما وقد تقدم هذا المعنى

في البقره مستوفا وما انزل اليهم من ربهم اي القران وقيل كتب

انبيايهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم قال بن عباس

وغيره يعني المطر والنبات وهذا يدل على انهم كانوا في

جدب وقيل المعنى لوسعنا عليهم في ارزاقهم ولاكلوا اكلا

متواصلا وذكر فوق وتحت للمبالغه فيما يفتح عليهم من الدنيا

ونظير هذه الايه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث

لا يحتسب وان لو استقاموا على الطريقه لاسقيناهم ما

غدقا ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات

من السما والارض فجعل سبحانه التقى من ابواب الرزق كما في

هذه الايات ووعد بالمزيد لمن شكر فقال ولين شكرتم لازيد نكم

ثم اخبر تعالى ان منهم مقتصدا وهم المومنون منهم النجاشي وسلمان

وعبد الله بن سلام اقتصد وا فلم يقولوا في عيسى عليه السلام

ومحمد صلى الله عليه وسلم الا ما يليق بهما وقيل اراد بالاقتصا د

قوما لم يومنوا ولكنهم لم يكونوا من الموذين المستهزين والله اعلم

والاقتصاد الاعتدال في العمل وهو من القصد والقصد

اتيان الشي تقول قصدته وقصدت له وقصدت اليه بمعنى

سا ما يعملون اي بيس شي عملهم كذبوا الرسل وحرفوا الكتب وكلو ا

السحث يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك
فيه مسلمان قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ قيل معناه
اظهر التبليغ لانه كان في اول الاسلام يخفيه خوفا من المشركين
ثم امر باظهاره في هذه الايه واعلمه انه يعصمه من الناس فكان عمر
رضي الله عنه اول من اظهر اسلامه وقال لا يعبد الله سرا وفي
ذلك نزلت يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين فدلت
الايه على رد قول من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كتم شيا من امر
الدين تقيه وبطلانه وهم الرافضه ودلت على انه صلى الله عليه
وسلم لم يسر الى احد شيا من امر الدين لان المعنى بلغ كما انزل اليك
ظاهرا ولولا هذا ما كان في قوله عز وجل وان لم تفعل فما بلغت
رسالته فايده وقيل بلغ ما انزل من ربك في امر زينب بنت جحش
الاسديه وقيل غير هذا والصحيح القول بالعموم بلغ جميع
ما انزل اليك من ربك فان كتمت منه شيا فما بلغت رسالته وهذا
تاديب للنبي صلى الله عليه وسلم وتاديب لحمله العلم من امته
الا يكتموا شيا من امر الشريعه وقد علم الله تعالى من نبيه صلى الله
عليه وسلم انه لا يكتم شيا من وحيه وفي صحيح مسلم عن مسروق عن
عايشه انها قالت من حدثك ان محمدا صلى الله عليه وسلم كتم شيا من الوحي
فقد كذب والله تعالى يقول يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
من ربك فان لم تفعل فما بلغت رسالته وقبح الله الروافض حيث
قالوا انه صلى الله عليه وسلم كتم شيا مما اوحى الله اليه كان بالناس
حاجه اليه قوله تعالى والله يعصمك من الناس دليل

على

على ان نبوته صلى الله عليه وسلم لان الله عز وجل خبر انه معصوم ومن
ضمن له العصمة فلا يجوز ان يكون قد ترك شيا مما امر الله به
وسبب نزول هذه الايه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان نازلا
تحت شجرة فجا اعرابي فاخترط سيفه وقال للنبي صلى الله عليه
وسلم من يمنعك مني فقال الله فذعرت يد الاعرابي وسقط السيف
من يده وضرب براسه الشجرة حتى انتثر دماغه ذكره المهدوي
وذكره القاضي عياض في كتاب الشفا قال وقد رويت هذه
القصة في الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب القصة وان
النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جيتكم من
عند خير الناس وقد تقدم الكلام في هذا المعنى في هذه السورة
عند قوله اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم مستوفا وفي
النسا ايضا في ذكر صلاة الخوف وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله
قال سرونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة قبل نجد
فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاة
فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق سيفه بغصن
من اغصانها قال وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر قال
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاني وانا نايم
فاخذ السيف فاستيقظت وهو قايم على راسي فلم اشعر الا
والسيف صلتا في يده فقال لي من يمنعك مني قال قلت الله ثم قال
في الثانيه من يمنعك مني قال قلت الله فشام السيف فها هو ذا هو
جالس ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس

قال النبي عليه السلام لما بعثني الله برسالته ضقت بها ذرعا و
ان من الناس من يكذبني فانزل الله هذه الايه وكان يرسل ابو طالب
كل يوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا من بني هاشم
يحرسونه حتى نزل والله يعصمك من الناس فقال النبي صلى الله
عليه وسلم يا عماه ان الله قد عصمني من الجن والانس فلا احتاج الي
من يحرسني قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا يقتضي ان ذلك كان
بمكه وان الايه مكيه وليس كذلك وقد تقدم ان هذه السوره
مدنيه باجماع ومما يدل على ان هذه الايه مدنيه ما رواه مسلم
في الصحيح عن عايشه قالت سهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم مقدمه المدينه ليله فقال ليت رجلا صالحا من اصحابي
يحرسني الليله قال فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشه سلاح فقال
من هذا قال سعد ابي وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما جا بك فقال وقع في نفسي خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجيت احرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام في
غير الصحيح قال فبينما نحن كذلك سمعت صوت السلاح فقال
من هذا قال سعد وحذيفه جينا نحرسك فنام رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى سمعت غطيطه ونزلت هذه الايه فاخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم راسه من قبه ادم وقال انصرفوا ايها الناس
فقد عصمني الله وقرا اهل المدينه رسالاته على الجمع وابو عمرو واهل
الكوفه رسالته على التوحيد قال النحاس والقراتان حسنتان والجمع
ابين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل عليه الوحي شيا شيا

ثم بينه

ثم حسد والافراد يدل على الكثرة فهي بالمصدر والمصدر في اكثر الكلام لا يجمع
ولا يثنى لدلالته على نوعه بلفظه كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
ان الله لا يهدي القوم الكافرين اي لا يرشدهم وقد تقدم وقيل ابلغ انت
فاما الهداية فالينا نظيره ما على الرسول الا البلاغ قل يا
اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل فيه ثلاث مسايل
قال ابن عباس جا جماعة من اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا الست تقر ان التوراة حق من عند الله قال بلى فقالوا فانا نومن
بها ولا نومن بما عداها فنزلت الاية اي لستم على شيء من الدين حتى تعملوا
بما في الكتابين من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والعمل بما يوجبه ذلك منهما
وقال ابو علي ويجوز ان يكون ذلك قبل النسخ لهما قوله تعالى
وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي يكفرون به
فيزدادوا كفرا على كفرهم والطغيان تجاوز الحد في الظلم والعلو فيه
وذلك ان الظلم منه صغيرة ومنه كبيرة فمن تجاوز منزلة الصغيرة
فقد طغا ومنه قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى اي يتجاوز الحد في
الخروج عن الحق قوله تعالى فلا تاس على القوم الكافرين
اي لا تحزن عليهم اسا ياسى اسا اذا حزن قال وانحلبت عيناه من فرط
الاسا وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وليس بنهي عن الحزن وقد
مضى هذا المعنى في اخر ال عمران مستوفا ان الذين امنوا
والذين هادوا والصابيون الاية تقدم الكلام في ذلك كله فلا معنى
لاعادته والذين هادوا معطوف وكذلك والصابيون معطوف على
الضمير في هادوا في قول الكساي والاخفش قال النحاس سمعت الزجاج

يقول وقد ذكر له قول الاخفش والكسابي هذا خطا من جهتين احداهما ان
المضمر المرفوع يقبح العطف عليه حتى يوكد والجهه الاخرى ان المعطوف
شريك المعطوف عليه فيصير المعنى ان الصابين قد دخلوا في اليهوديه
وهذا محال وقال الفرا انما جاز الرفع في الصابيون لان ضعيفه فلا
توثر الاسم دون الخبر والذين هنا لا يتبين فيه الاعراب فجرا على جهه
واحده واحد الامرين جاز رفع الصابين رجوعا الى اصل الكلام قال
الزجاج وسبيل ما يتبين فيه الاعراب وما لا يتبين واحد قال الخليل
وسيبويه الرفع محمول على التاخير والتقدير ان الذين امنوا والذين
هادوا من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون والصابيون والنصارى كذلك وانشد سيبويه وهو لطين
والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق وقال صنابي البرجمي
لمن يك امسى بالمدينه رحله فاني وقيار بها لغريب وقيل ان معنى والصابيون
مرتفع بالابتدا وحذف الخبر لدلاله الثاني عليه فالعطف يكون على هذا
التقدير بعد تمام الكلام وانقضا الاسم والخبر قال قيس الرقيات بكر
العواذل في الصباح يلمنني والومهنه ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت
فقلت انه قال الاخفش انه بمعنى نعم وهذه الها ادخلت للسوت

لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا قد
تقدم في البقره معنى الميثاق وهو ان يعبدوا الا الله وما يتصل به والمعنى
في هذه الايه لا تاس على القوم الكافرين فانا قد اعذرنا اليهم وارسلنا
الرسل فنقضوا العهود وكل هذا يرجع الى ما افتتحت به السوره وهو
قوله اوفوا بالعقود كلما جاهم اي اليهود رسول بما لا تهوى انفسهم

لا يوافق

لا يوافق هواهم فريقا كذبوا اي كذبوا فريقا وقتلوا فريقا لمن كذبوه
ومن مثله من الانبيا وقتلوا زكريا ويحيى وغيرهما من الانبيا وانما قال يقتلون
لمراعات راس الاية وقيل اراد فريقا كذبوا وفريقا قتلوا وفريقا يكذبون
وفريقا يقتلون فهذا دابهم وعادتهم فاختصر وقيل فريقا كذبوا لم يقتلوهم
وفريقا قتلوهم فكذبوا ويقتلون نصب لفريق وحسبوا
ان لا تكون فتنة المعنى ظن هولا الذين اخذ عليهم الميثاق انه لا يقع من الله
عز وجل ابتلا واختبار بالشدايد اغترارا بقولهم نحن ابنا الله واحباوه
وانما اغتروا بطول الامهال وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي تكون
نصب الباقون بالرفع على ان حسب بمعنى علم وتيقن وان مخففة من الثقيلة
ودخول لا عوض من التخفيف وحذف الضمير لانهم كرهوا ان يليها الفعل
وليس من حكمها ان يدخل عليه فقصلوا بينهما بلا ومن نصب جعل ان ناصبة
للفعل وبقى حسب على بابه من الشك قال سيبويه حسبت ان لا يقول
ذلك اي حسبت انه قال ذلك وان شيت نصبت قال النحاس
والرفع عند النحويين في حسبت واخواتها اجود كما قال الا زعمت
بسباسة القوم اني كبرت وان لا يشهد اللهو امثالي وانما صار
الرفع اجود لان حسبت واخواتها بمنزلة العلم في انه شي ثابت
فعموا اي عن الهدى وصموا اي عن سماع الحق لانهم لم
ينتفعوا بما راوه ولا سمعوه ثم تاب الله عليهم في الكلام اضمار اي
اوقعت بهم الفتنة فتابوا فتاب الله عليهم بكشف القحط او بارسال محمد
صلى الله عليه وسلم يخبرهم بان الله ان امنوا بهذا بيان تاب الله عليهم
اي يتوب عليهم ان امنوا وصدقوا الا انهم تابوا على الحقيقة ثم عموا

وصموا كثير منهم وصم بعد تبيين الحق لهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فارتفع
كثير على البدل من الواو وقال الاخفش سعيد كما تقول رايت قومك ثلاثتهم
وان شيت كان على اضمار مبتدا اي العمى والصم كثير منهم وان شيت كان
التقدير العما والصم منهم كثير وجواب رابع ان يكون على لغة من قال
اكلوني البراغيث وعليه قول الشاعر ولكن ديافي ابوه وامه بحوران يعصرن
السليط اقاربه ومن هذا المعنى قوله واسروا النجوى ويجوز في غير القران
كثيرا بالنصب يكون نعتا لمصدر محذوف   لقد كفر الذين قالوا
ان الله هو المسيح بن مريم هذا قول اليعقوبية فرد الله عليهم ذلك بالحجة القاطعة
مما يقرون به فقال وقال المسيح يا بني اسرايل اعبدوا الله ربي وربكم اي
اذا كان المسيح يقول يارب ويا الله فكيف يدعو نفسه ام كيف يسلها
هذا محال انه من يشرك بالله قيل هو من قول عيسى وقيل ابتدا كلام من الله
تعالى والاشراك ان يعتقد معه موجودا وقد مضى القول في اشتقاق
المسيح فلا معنى لاعادته وما للظالمين من انصار   لقد كفر الذين
قالوا ان الله ثالث ثلاثة اي احد ثلاثة ولا يجوز فيه التنوين عن الزجاج
وغيره وفيه للعرب مذهب اخر يقولون رابع ثلاثة فعلى هذا يجوز
الجر والنصب لان معناه الذي صير الثلاثة اربعة بكونه فيهم وكذلك
اذا قلت ثالث اثنين جاز التنوين وهذا قول فرق النصارى من الملكية
والنسطورية واليعقوبية لانهم يقولون اب وابن وروح القدس اله
واحد ولا يقولون ثلاثة الهة وهو معنى مذهبهم وانما يمتنعون من العبارة
وهي لازمة لهم وما كان هكذا صح ان يحكى بالعبارة اللازمة وذلك انهم
يقولون ان الابن اله والاب اله وروح القدس اله وقد تقدم القول
في هذا في النسا

في القران

في هذا في النسا فاكفرهم الله بقولهم هذا وقال وما من اله الا اله واحد اي
الا لاه لا يتعدد وهم يلزمهم القول بثلاثة الهة كما تقدم وان لم يصرحوا
بذلك لفظا وقد مضى في البقرة معنى الواحد ومن زيادة ويجوز في غير القران
الها واحدا على الاستثنا واجاز الكسائي الخفض على البدل
وان لم ينتهوا اي يكفوا عن القول بالتثليث ليمسنهم عذاب اليم في الدنيا
والاخرة افلا يتوبون تقرير وتوبيخ اي فليتوبوا اليه وليسالوه ستر ذنوبهم
والمراد الكفرة منهم وانما خص الكفرة بالذكر لانهم القايلون بذلك دون
المومنين ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
ابتدا وخبر اي ما المسيح وان ظهرت الايات على يديه فانما جا بها كما جات بها
الرسل فان كان الاها فليكن كل رسول الاها فهذا رد لقولهم واحتجاج عليهم
ثم بالغ في الحجة فقال وامه صديقة ابتدا وخبر كانا ياكلان الطعام
اي انه مولود مربوب ومن ولدته النسا وكان ياكل الطعام مخلوق محدث
كساير المخلوقات ولم يدفع هذا احد منهم فمتى يصلح المربوب لان يكون
ربا وقولهم كان ياكل بناسوته لا بلاهوته فهذا منهم مصير الى مذهب
الاختلاط ولا يتصور اختلاط الا لاه بغير الاه ولو جاز اختلاط
بالمحدث لجاز ان يصير القديم محدثا ولو صح هذا في حق عيسى لصح في حق
غيره حتى يقال اللاهوت مخالط لكل محدث وقال بعض المفسرين
في قوله كانا ياكلان الطعام انه كناية عن الغايط والبول وفي هذا
دلالة على انهما بشران وقد استدل من قال ان مريم عليها السلام
لم تكن نبية بقوله تعالى وامه صديقة قال الشيخ المولف رحمه الله
وفيه نظر فانه يجوز ان تكون صديقة مع كونها نبية كادريس عليه

عليه السلام وقد مضى في آل عمران ما يدل على هذا والله اعلم وانما قيل
لها صديقة لكثرة تصديقها بايات ربها وتصديقها بولدها فيما اخبرها
به عن الحسن وغيره انظر كيف نبين لهم الايات اي الدلالات
ثم انظر انى يوفكون اي كيف يصرفون عن الحق بعد هذا البيان يقال افكه يافكه
اذا صرفه وفي هذا رد على القدرية والمعتزلة قل اتعبدون من
دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا زيادة في البيان واقامة حجة اي انتم مقرون
ان عيسى كان جنينا في بطن امه لا يملك لاحد ضرا ولا نفعا واذ قد اقررتم ان
عيسى كان في حال من الاحوال لا يسمع ولا يعلم ولا ينفع ولا يضر فكيف
اتخذتموه الاها والله هو السميع اي لم يزل سميعا عليما يملك الضر والنفع ومن
كانت هذه صفته فهو الالاه على الحقيقة قل يا اهل الكتاب
لا تغلوا اي لا تفرطوا كما افرطت اليهود والنصارى في عيسى غلو اليهود قولهم
في عيسى ليس ولد رشدة وغلو النصارى قولهم انه الاه والغلو مجاوزة الحد
وقد تقدم في النسا بيانه ولا تتبعوا اهوا قوم الاهوا
جمع هوى وقد تقدم في البقرة وسمي الهوا هوى لانه يهوي بصاحبه في النار
قد ضلوا من قبل قال مجاهد والحسن يعني اليهود واضلوا كثيرا من الناس
وضلوا عن سوا السبيل اي عن قصد طريق محمد صلى الله عليه وسلم وتكرير
ضلوا على معنى انهم ضلوا من قبل وضلوا من بعد والمراد الاسلاف الذين
سنوا الضلالة وعملوا بها من روسا اليهود والنصارى لعن الذين
كفروا من بني اسرايل على لسان داود وعيسى بن مريم فيه مسلة واحدة وهي
جواز لعن الكافرين وان كانوا من اولاد الانبيا وان شرف النسب لا يمنع اطلاق
اللعنة في حقهم ومعنى على لسان داود وعيسى بن مريم اي لعنوا في الزبور والانجيل

فان الزبور

فان الزبور بلسان داود والانجيل بلسان عيسى اي لعنهم الله في الكتابين وقد تقدم
اشتقاقهما قال مجاهد وقتاده وغيرهما لعنهم مسخهم قرده وخنازير قال
ابو ملك الذين لعنوا على لسان داود مسخوا قرده والذين مسخوا على لسان
عيسى مسخوا خنازير وقال ابن عباس لعنوا على لسان داود اصحاب السبت
والذين لعنوا على لسان عيسى الذين كفروا بالمايده بعد نزولها وروي نحوه عن
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لعن الاسلاف والاخلاف ممن كفر بمحمد صلى الله
عليه وسلم على لسان داود لانهما اعلما ان محمد صلى الله عليه وسلم نبي مبعوث
فلعنا من يكفر به ذلك بما عصوا ذلك في موضع رفع بالابتدا
اي ذلك اللعن بما عصوا اي بعصيانهم ويجوز ان يكون على اضمار مبتدا اي الامر
ذلك ويجوز ان يكون في موضع نصب اي فعلنا ذلك بهم بعصيانهم واعتدا
قوله تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فيه مسئلتان الاولى
قوله تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم بعضا لبيس ما
كانوا يفعلون ذمهم لتركهم النهي وكذا من بعدهم بذم من فعل فعلهم خرج
ابو داود عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اول ما دخل النقص على بني اسرايل كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق
الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك
ان يكون اكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب قلوب بعضهم ببعض
ثم قال لعن الذين كفروا من بني اسرايل على لسان داود وعيسى بن مريم الى
قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر
ولتاخذن على يدي الظالم ولتاطرنه على الحق اطرا ولتقصرنه على الحق
قصرا وليضربن الله قلوب بعضكم على بعض وليلعننكم كما لعنهم خرجه

لما ذكر ان اول ما وقع النقص في بني اسرايل
الخ بهم كان يدركنا على المعصية نهاه ثم لا يمنعه ذلك من العرتينة بهم

الترمذي انما معنى لتناطونه لتردنه الاية قال ابن عطيه والاجماع منعقد

علي ان النهي عن المنكر فرض لمن اطاقه وامن الضرر علي نفسه وعلى المسلمين فان خاف

فينكر بقلبه ويهجر ذا المنكر ولا يخالطه وقال حذاق اهل العلم ليس من شرط

الناهي ان يكون سليما عن معصيته بل ينهى العصاة بعضهم بعضا وقال بعض

الاصوليين فرض على الذين يتعاطون الكوس ان ينهى بعضهم بعضا واستدل

بهذه الاية قال لان قوله كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه يقتضي اشتراكهم

في الفعل وذمهم على ترك التناهي وفي الاية دليل على النهي عن مجالسة المجرمين

وامر بتركهم وهجرانهم واكد ذلك بقوله في الانكار على اليهود ترى كثيرا منهم

يتولون الذين كفروا وما من قوله ما كانوا يجوز ان يكون في موضع نصب

وما بعدها نعت لها التقدير لبيس شيا كانوا يفعلونه او تكون في

موضع رفع وهي بمعنى الذي قوله تعالى ترى كثيرا منهم اي من اليهود

قيل كعب بن الاشرف واصحابه وقال مجاهد يعني المنافقين يتولون

الذين كفروا اي المشركين وليسوا على دينهم لبيس ما قدمت انفسهم اي

سولت وزينت وقيل المعنى لبيس ما قدموا لانفسهم ومعادهم

ان سخط الله عليهم ان في موضع رفع على اضمار مبتدا كقولك بيس رجلا

زيد وقيل بدل لما في لبيس على ان تكون ما نكرة فتكون رفعا ايضا ويجوز ان

تكون في موضع نصب بمعنى لان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون

ابتدا وخبر ولو كانوا يومنون بالله والنبي وما انزل اليه

ما اتخذوهم اوليا يدل بهذا ان من اتخذ كافرا وليا فليس بمومن اذا اعتقد

اعتقاده ورضي افعاله ولكن كثيرا منهم فاسقون اي خارجون عن

الايمان بنبيهم لتحريفهم او عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لنفاقهم

قوله تعالى

قوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود اللام لام
قسم ودخلت النون على قول الخليل وسيبويه فرقا بين الحال والمستقبل
عداوة نصب على البيان وكذا ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا
انا نصارى وهذه الاية نزلت في النجاشي واصحابه لما قدم عليهم المسلمون
في الهجرة الاولى حسب ما هو مشهور في سيرة ابن اسحق وغيره خوفا من
المشركين وفتنتهم وكانوا ذوو عدد ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة بعد ذلك فلم يقدروا على الوصول اليه حالت بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب فلما كانت وقعة بدر وقتل الله فيها صناديد
الكفار قال كفار قريش ان ثاركم بارض الحبشة فاهدوا الى النجاشي وابعثوا
رجلين من ذوي رايكم لعله يعطيكم من عنده فتقتلونهم بمن قتل منكم ببدر فبعث
كفار قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن ابي ربيعة بهدايا فسمع النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن امية الضمري
ومعه كتب الى النجاشي فقدم على النجاشي فقرا كتاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين وارسل الى الرهبان
والقسيسين فجمعهم ثم امر جعفر ان اقرا عليهم القران فقرا سورة مريم
وقاموا تفيض اعينهم من الدمع فهم الذين انزل الله فيهم ولتجدن
اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى وقرا الى الشاهدين
رواه ابو داود قال نا محمد بن سلمة المرادي قال نا ابن وهب قال اخبرني
يونس عن ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن سعيد
بن المسيب وعن عروة بن الزبير ان الهجرة الاولى هجرة المسلمين الى ارض
الحبشة وساق الحديث بطوله وذكر البيهقي عن ابن اسحق قال قدم على النبي

صلى الله عليه وسلم عشرون رجلا وهو بمكة او قريب من ذلك من النصارى
حين ظهر خبره من الحبشة فوجدوه في المجلس فكلموه وسالوه ورجال
من قريش في انديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسالتهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم عما ارادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله عز
وجل وتلا عليهم القران فلما سمعوه فاضت اعينهم من الدمع ثم
استجابوا وامنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم
من امره فلما قاموا من عنده اعترضهم ابو جهل في نفر من قريش فقالوا خيبكم
الله من ركب بعثكم من وراءكم من اهل دينكم ترتادون لهم فتاتونهم بخبر
الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما
قال لكم ما نعلم ركبا احمق منكم او كما قال لهم فقالوا سلام عليكم
لا نجاهلكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا نالوا انفسنا خيرا فيقال
ان النفر النصارى من اهل نجران ويقال ان فيهم نزلت هولا
الايات الذين اتيناهم من قبله هم مومنون الى قوله لا نبتغي
الجاهلين وقيل ان جعفرا واصحابه قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم
في سبعين رجلا عليهم ثياب صوف منهم اثنان وستون من الحبشة
وثمانية من اهل الشام منهم بحيرا الراهب وادريس واشرف وتمام
ونسيم ودريد وايمن فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
سورة يس الى اخرها فبكوا حين سمعوا القران وامنوا وقالوا ما اشبه
هذا بما كان ينزل على عيسى فنزلت فيهم لتجدن الناس عداوة للذين
اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين
قالوا انا نصارى يعني وفد النجاشي وكانوا اصحاب الصوامع

ثامن

وقال سعيد بن جبير وانزل الله فيهم ايضا الذين اتيناهم الكتاب
من قبله هم به يومنون الى قوله اوليك يوتون اجرهم مرتين الى اخر
الاية وقال مقاتل والكلبي كانوا اربعين رجلا من اهل نجران من
الحارث بن كعب واثنان وثلاثون من الحبشه وثمانيه وستون من
اهل الشام وقال قتاده نزلت في ناس من اهل الكتاب كانوا على شريعه
من الحق مما جاء به عيسى فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم امنوا به فاثنى الله
عليهم قوله تعالى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا قس وقسيس قاله
قطرب والقسيس العالم واصله من قس اذا تتبع الشي وطلبه قال
الراجز يصبحن عن قس الاذى غوافلا وتنسست اصواتهم بالليل تسمعنها
والقس النميمه والقس ايضا رييس من النصارى في الدين والعلم وجمعه
قسوس وكذلك القسيس مثل الشر والشرير فالقسيسون هم الذين
يتبعون العلما والعباد ويقال في جمع قسيس مكسرا اقسا وقسية ابدل
من احدى السينين واوا وقساوسة ايضا كالمهالبة والاصل قساسسة فابدل
احدى السينات واوا لكثرتها ولفظ القسيس اما ان يكون عربيا واما ان
يكون بلغة الروم ولكن خلطته العرب بكلامهم فصار من لغتهم اذ ليس
في الكتاب ما ليس من لغه العرب كما تقدم وقال ابو بكر الانباري نا
ابي نا نصر بن داود نا ابو عبيد قال حدثت عن معاويه بن هشام عن
نصير الطايي عن الصلت عن حاميه بن رياب قال قلت لسلمان بان
منهم قسيسين ورهبانا فقال دع القسيسين في الصوامع والخرب
اقرانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بان منهم صديقين ورهبانا وقال
عروه بن الزبير ضيعت النصارى الانجيل وادخلوا فيه ما ليس منه وكانوا

واحد القسيسين

روساء

اقاوسه ساه لوا

اربعة نفر والذي غيره لوقاس ومرقوس ويحنس ومقبوس وبقي قسيس
على الحق وعلى الاستقامة فمن كان على دينه وهديه فهو قسيس قوله تعالى
ورهبانا الرهبان جمع راهب كركبان وراكب قال النابغة لو انها عرضت
لأشمط راهب عبد الاله صرورة يتعبد لرنا لرويتها وحسن حديثها ولخاله
رشدا وان لم يرشد والفعل منه رهب الله يرهبه اي خافه رهبا
ورهبة والرهبانية والترهب التعبد في صومعة قال ابو عبيد وقد
يكون رهبان للواحد والجمع قال الفراء ويجمع رهبان اذا كان للمفرد رهابنة ورهابين
كقربان وقرابين قال جرير في الجمع رهبان مدين لو راوك تنزلوا والعصم
من شعف العقول الفادر المسن من الوعول ويقال العظيم ولذلك
الفدور والجمع فدر وفدر وموضع المفدرة قاله الجوهري وقال اخر
في التوحيد لو ابصرت رهبان دير في الجبل لانحدر الرهبان يسعى ويصل
من الصلاة والرهابة على وزن السحابة عظم في الصدر مشرف على البطن
مثل اللسان وهذا المدح لمن امن منهم محمد صلى الله عليه وسلم دون من
اصر على كفره ولقد قال وانهم لا يستكبرون اي عن الانقياد للحق
قوله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من
الدمع اي بالدمع مما عرفوا من الحق وهو في موضع الحال وكذا تقول
وقال امرؤ القيس ففاضت دموع العين مني صبابة على النحر حتى بل
دمعي محملي وخبر مستفيض اذا كثر وانتشر كفيض الماء عن الكثرة وهذه
احوال العلماء يبكون ولا يصعقون ويسألون ولا يصيحون ويتحازنون
ولا يتموتون ان الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه
جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال

انما المومنون

انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم و في الانفال ياتي بيان
هذا المعنى ان شا الله تعالى وبين الرب سبحانه في هذه الايات ان اشد الكفار
تمردا وعتوا وعداوه للمسلمين اليهود و يضاهيهم المشركون وبين
اقربهم مودة النصارى **قوله تعالى** فاكتبنا مع الشاهدين اي مع امة
محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق من قوله عز وجل و كذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس عن ابن عباس وابن جريج
وقال الحسن الذين يشهدون بالايمان وقال ابو علي الذين يشهدون بتصديق نبيك
محمد صلى الله عليه وسلم وكتابك ومعناه فاكتبنا اجعلنا نكون بمنزلة ما قد
كتب ودون **قوله تعالى** ومالنا لانومن بالله بين استبصارهم في الدين
اي يقولون ومالنا لانومن بالله اي ومالنا تاركين الايمان فنومن في موضع نصب
على الحال ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين اي مع امة محمد صلى الله عليه
وسلم بدليل قوله ان الارض يرثها عبادي الصالحون يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم
وفي الكلام اضمار اي نطمع ان يدخلنا ربنا الجنة وقيل مع بمعنى في كما تذكر
في بمعنى مع تقول كنت في منزل الامير اي مع منزل الامير والطمع يكون
مخففا وغير مخفف يقال طمع فيه طمعا وطماعة وطماعية مخفف
فهو طمع **قوله تعالى** فاثابهم الله بما قالوا جنات دليل على اخلاص
ايمانهم وصدق مقالهم فاجاب الله سوالهم وحقق طمعهم وهكذا
من خلص ايمانه وصدق يقينه يكون ثوابه الجنة ثم قال والذين كفروا
من اليهود والنصارى ومن المشركين وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم
والجحيم النار الشديدة الاتقاد يقال جحم فلان النار اذا اشد ايقادها
ويقال ايضا لعين جحمة لشدة ايقادها ويقال لذلك الحرب قال

الشاعر والحرب لا يبقى لجاحمها التخيل والمراح الا الفتى الصبار في النجدات
والفرس الوقاح **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله
لكم ولا تعتدوا فيه خمس مسايل **الاولى** اسند الطبري الى ابن عباس
ان الاية نزلت بسبب رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
اني اذا اصبت من اللحم انتشرت واخذتني شهوتي فحرمت اللحم فانزل الله هذه
الاية وقيل انها بسبب جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم
ابو بكر وعلي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو وابو ذر الغفاري وسالم
مولى ابي حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن رضي
الله عنهم اجتمعوا في دار عثمان بن مظعون واتفقوا على ان يصوموا النهار ويقوموا
الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النسا
ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحون في الارض ويترهبوا ويجبوا
المذاكير فانزل الله تعالى الاية والاخبار بهذا المعنى كثيرة وان لم يكن فيها ذكر
النزول وهي **الثانية** خرج مسلم عن انس ان نفرا من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم سالوا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر فقال
بعضهم لا اتزوج النسا وقال بعضهم لا اكل اللحم وقال بعضهم لا انام
على فراش فحمد الله واثنى عليه فقال ما بال اقوام قالوا كذا وكذا لكني اصلي وانام
واصوم وافطر واتزوج النسا فمن رغب عن سنتي فليس مني وخرجه
البخاري عن انس ايضا ولفظه قال جا ثلاثة نفر الى بيوت ازواج النبي صلى
الله عليه وسلم يسالون عن عبادته فلما اخبروا كانهم تقالوها فقالوا واين نحن
من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فقال احدهم
اما انا فاني اصلي الليل ابدا وقال الاخر اما انا فاصوم ولا افطر وقال الاخر

وانا

وانا اعتزل النسا فلا اتزوج ابدا فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
انتم القايلون كذا وكذا اما والله انى لاخشاكم لله واتقاكم له لكنى اصوم وافطر
واصلى وارقد واتزوج النسا فمن رغب عن سنتى فليس منى وخرجا عن سعد
بن ابى وقاص قال اراد عثمن بن مظعون ان يتبتل فنهاه النبى صلى الله عليه وسلم ولو
اجاز له ذلك لاختصينا وخرج الامام احمد بن حنبل فى مسنده ثنا ابو المغيرة
قال ثنا معان بن رفاعه قال حدثنى على بن يزيد عن القاسم عن ابى امامه البا
رضى الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سريه من سرايه
قال فمر رجل بغار فيه شى من الما فحدث نفسه بان يقيم فى ذلك الغار فيقوته
ما كان فيه شى من ما ويصيب ما حوله من البقل ويتخلا من الدنيا قال لو انى
اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فان اذن لى فعلت والا لم
افعل فاتاه فقال يا نبى الله انى مررت بغار فيه ما يقوتنى من الما والبقل
فحدثتنى نفسى بان اقيم فيه واتخلا من الدنيا قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم
انى لم ابعث باليهوديه ولا النصرانيه ولكنى بعثت بالحنيفية السمحه والذى
نفس محمد بيده لغدوه او روحه فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام
احدكم فى الصف خير من صلاته ستين سنه الثالثه قال علماونا رحمه
الله عليهم فى هذه الايه وما شابهها والاحاديث الوارده فى معناها
رد على غلاه المتزهدين وعلى اهل البطاله من المتصوفين اذ كل فريق منهم
قد عدل عن طريقه وحاد عن تحقيقه قال الطبرى لا يجوز لاحد من المسلمين
تحريم شى مما احل الله لعباده المومنين على نفسه من طيبات المطاعم
والملابس والمناكح اذا خاف على نفسه باحلال ذلك لها بعض العنت
والمشقه ولذلك رد النبى صلى الله عليه وسلم التبتل على بن مظعون

فثبت انه لا فضل في شي مما احله الله لعباده وان الفضل والبر انما هو في فعل
ما ندب عباده اليه وعمل به رسوله صلى الله عليه وسلم وسنه لامته
واتبعه على منهاجه الايمه الراشدون وان كان خير الهدى هدي نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم فاذا كان كذلك تبين خطا من اثر لباس الشعر والصوف
على لباس القطن والكتان اذا قدر على لباس ذلك من حله واثر اكل الخشن
من الطعام واكل اللحم وغيره حذرا من عارض الحاجه الى النسا قال
الطبري فان ظن ظان ان الفضل في غير الذي قلنا لما في لباس الخشن واكله
من المشقه على النفس وصرف ما فضل بينهما من القيمه الى اهل الحاجه
فقد ظن خطا وذلك ان الاولى بالانسان صلاح نفسه وعونه لها
على طاعه ربها ولا شي اضر للجسم من المطاعم الرديه لانها مفسده
لعقله ومضعفه لادواته التي جعلها الله سببا الى طاعته وجا
رجل الى الحسن البصري انى لي جارا لا ياكل الفالوذج قال يقول لا يودي
شكره فقال الحسن فيشرب الما البارد قال نعم فقال ان جارك جاهل ان نعمه
الله عليه في الما البارد اكثر من نعمته عليه في الفالوذج قال ابن العربي قال
علماونا هذا اذا كان الدين قواما ولم يكن الما لحراما فاما اذا فسد الدين
عند الناس وعم الحرام فالتبتل افضل وترك اللذات اولى واذا وجد
الحلال فحال النبي صلى الله عليه وسلم افضل واعلى قال المهلب انما نها النبي
صلى الله عليه وسلم عن التبتل والترهب من اجل انه مكاثر بامته الامم يوم
القيامه وانه في الدنيا مقاتل بهم طوايف الكفار وفي اخر الزمان يقاتلون
الدجال فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يكثر النسل الرابعه قوله
تعالى ولا تعتدوا قيل المعنى فتحلوا ما حرم الله فالنهيان على هذا تضمنا

الطبري اي لا تشددوا فتحرموا حلالا ولا تترخصوا فتحلوا حراما قاله الحسن البصري وقيل معناه التاكيد لقوله تحرموا قاله السدي وعكرمه وغيرهما اي لا تحرموا ما احل الله وشرع والاول اولى والله اعلم الخامسه من حرم على نفسه طعاما او شرابا او امه له او شيا مما احل له فلا شي عليه ولا كفارة في شي من ذلك عند مالك الا انه ان نوى بتحريم الامه عتقها صارت حره وحرم عليه وطيها الا بنكاح جديد بعد عتقها ولذلك اذا قال لامراته انت علي حرام فانه تطلق عليه ثلاثا وذلك ان الله تعالى قد اباحه ان يحرم امراته عليه بالطلاق صريحا وكنايه وحرام من كنايات الطلاق وسياتي ما للعلما فيه في سورة التحريم ان شا الله تعالى وقال ابو حنيفه ان من حرم شيا صار محرما عليه واذا تناوله لزمته الكفارة وهذا بعيد والايه ترد عليه وقال سعيد بن جبير لغو اليمين تحريم الحلال وهو معنى قول الشافعي على ما ياتي بيانه قوله تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فيه مسله واحده الاكل في هذه الايه عبارة عن التمتع بالاكل والشرب واللباس والركوب ونحو ذلك وخص الاكل بالذكر لانه اعظم المقصود واخص الانتفاعات بالانسان وسياتي بيان حكم الاكل والشرب واللباس في الاعراف ان شا الله تعالى فاما شهوة الاشيا الملذه ومنازعة النفس الى طلب الانواع الشهيه فمذاهب الناس في تمكين النفس منها مختلفه فمنهم من يرى صرف النفس عنها وقهرها عن اتباع شهواتها احرى ليذل له قيادها ويهون عليه عنادها فانه اذا اعطاها المراد يصير اسير شهواتها ومنقادا بانقيادها حكي ان ابا حازم كان يمر على الفاكهه فيشتهيها فيقول موعدك الجنه وقال

اخرون بمكين النفس من لذاتها اولى لما فيه من ارتياحها ونشاطها باذراك
ارادتها وقال اخرون بل التوسط اولى لان في اعطايها ذلك مرة ومنعها
اخرى جمع بين الامرين وذلك النصف من غير تشيين وتقدم معنى الاعتدا
والرزق في البقرة والحمد لله رب العالمين **قوله تعالى** لا يواخذكم الله باللغو
في ايمانكم الى قوله تشكرون فيه سبع واربعون مسئله **الاولى** قوله
تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم تقدم معنى اللغو في البقرة ومعنى
في ايمانكم اي من ايمانكم والايمان جمع يمين وقيل يمين فعيل من اليمن وهي
البركة سماها الله تعالى بذلك لانها تحفظ الحقوق ويمين تذكر وتونث
وتجمع ايمان وايمن قال زهير فتجمع ايمن منا ومنكم **الثانيه** واختلف
في سبب نزول الايه فقال بن عباس سبب نزولها القوم الذين
حرموا طيبات المطاعم والملابس والمناكح على انفسهم حلفوا على ذلك
فلما نزلت لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا كيف نصنع بايماننا
فنزلت هذه الايه والمعنى على هذا القول اذا اتيتم باليمين ثم الغيتموها
اسقطتم حكمها بالتكفير فكفرتم فلا يواخذكم الله بذلك وانما يواخذكم
بما اقمتم عليه فلم تلغوه اي فلم تكفروا فبان بهذا ان الحلف لا يحرم شيا
وهو دليل الشافعي على ان اليمين لا يتعلق بها تحريم الحلال وان تحريم الحلال
لغو مثل قول القايل استحللت شرب الخمر فتقتضى الايه على هذا القول
ان الله تعالى جعل تحريم الحلال لغوا في انه لا يحرم فقال لا يواخذكم الله
باللغو في ايمانكم اي تحريم الحلال وروى ان عبد الله بن رواحه كان له ايتام
وضيف فانقلب باللغو شغله بعد ساعه من الليل فقال اعشيتم
ضيفي فقالوا انتظرناك فقال لا والله لا اكله الليله فقال ضيفه وما

انا بالذي

انا بالذي باذل وقال ابن تامه ونحن لانا ذل فلما راى ذلك اذلوا دلوا ا
ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال له اطعت الرحمن وعصيت الشيطا ن
فنزلت الايه الثالثه والايمان في الشريعه على اربعه اقسام قسمان
فيهما الكفاره وقسمان لا كفاره فيهما خرج الدارقطني في سننه
نا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز نا خلف بن هشام نا عبثر عن ليث
عن حماد عن ابرهيم عن علقمه عن عبد الله قال الايمان اربعه يمينان
تكفران ويمينان لا تكفران فاليمينان اللذان تكفران فالرجل يحلف والله
لا افعل كذا وكذا فيفعل والرجل يقول والله لافعلن فلا يفعل
واليمينان اللذان لا تكفران فالرجل يحلف ما فعلت كذا وكذا وقد
فعل والرجل يحلف لقد فعلت كذا وكذا ولم يفعله قال ابن
عبد البر وذكر سفين الثوري في جامعه وذكره المروزي عنه ايضا
قال سفين الايمان اربعه يمينان تكفران وهو ان يقول الرجل والله
لا افعل فيفعل او يقول والله لافعلن ثم لا يفعل ويمينان لا
تكفران وهو ان يقول والله ما فعلت وقد فعل او يقول
والله لقد فعلت وما فعل او يقول والله لقد فعلت وما
فعل قال المروزي اما اليمينان الاوليان فلا اختلاف فيهما بين
العلما على ما قال سفين واما اليمينان الاخريان فقد اختلف
اهل العلم فيهما فان كان الحالف على انه لم يفعل كذا وكذا او
انه قد فعل كذا وكذا عند نفسه صادقا يرى انه على ما حلف
عليه فلا اثم عليه في قول مالك وسفين الثوري واصحاب الراي
وكذلك قال احمد وابو عبيد وقال الشافعي لا اثم وعليه

الكفارة قال المروزي وليس قول الشافعي في هذا بالقوي قال
وان كان الحالف على انه لم يفعل كذا وقد فعل متعمدا للكذب فهو
اثم ولا كفارة عليه في قول عامة العلما مالك وسفين الثوري
واصحاب الراي واحمد بن حنبل وابي ثور وابي عبيد وكان الشافعي
يقول يكفر قال وقد روي عن بعض التابعين مثل قول الشافعي
قال المروزي اميل الى قول مالك واحمد فاما يمين اللغو التي اتفق
عامة العلما على انها لغو فهو قول الرجل لا والله بلى والله في حديثه وكلام
غير معتقد لليمين ولا مريدها قال الشافعي وذلك عند اللجاج
والغضب والعجلة الرابعة قوله تعالى ولكن يواخذكم بما
عقدتم الايمان بتخفيف القاف من العقد والعقد ضربين
حسي كعقد الحبل وحكمي كعقد البيع قال اذا عقدوا عقدا
لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا فاليمين المنعقدة
منفعلة من العقد وهي عقد القلب في المستقبل الا يفعل او ليفعلن
فلا يفعل كما تقدم فهذه التي يحلها الاستثنا والكفارة على ما ياتي
وقرى عاقدتم بالف بعد العين على وزن فاعل وذلك لا يكون الا
من اثنين في الاكثر وقد يكون الثاني من حلف لاجله في كلام وقع معه او
يكون المعنى بما عقدتم عليه الايمان لان عاقد قريب من عاهد بعد
بحرف الجر لما كان في معنى عاهد وعاهد يتعدي الى مفعولين الثاني
منهما بحرف الجر قال الله تعالى ومن اوفى بما عاهد عليه الله وهذا كما
عديت ناديتم الى الصلاة بالى وبابه ان تقول ناديت زيدا وناديناه
من جانب الطور الايمن لكن لما كان بمعنى دعوت عدي بالى

قال الله

قال الله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله ثم اتسع في قوله تعالى
عاقدتم عليه الايمان فحذف حرف الجر توصل الفعل الى المفعول فصار
عاقدتموه ثم حذفت الهاء كما حذفت من قوله تعالى فاصدع بما تؤمر
او يكون فاعل بمعنى فعل كما قال تعالى قاتلهم الله اي قتلهم وقد تاتي
المفاعلة في كلام العرب من واحد بغير معنى فاعلت كقولهم سافرت
وظاهرت وقرئ عقدتم بتشديد القاف قال مجاهد معناه تعمدتم
اي قصدتم وروي عن ابن عمر ان التشديد يقتضي التكرار فلا
يجب عليه الكفارة الا اذا كرر وهذا يرده ما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اني والله ان شاء الله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها
الا اتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني فذكر وجوب الكفارة في
اليمين التي لم تكرر قال ابو عبيد التشديد يقتضي تكرير مرة
بعد مرة ولسنا نامن ان يلزم من قرا بتلك القراءة الا يوجب عليه كفارة
في اليمين الواحدة حتى يرددها مرارا وهذا قول خلاف الاجماع
روى نافع ان ابن عمر كان اذا حنث من غير ان يوكد اليمين اطعم
عشرة مساكين فاذا وكد اليمين اعتق رقبة قيل لنافع ما معنى وكد
اليمين قال ان يحلف على الشيء مرارا **الخامسة** اختلف في اليمين
الغموس هل هي يمين منعقدة ام لا فالذي عليه الجمهور انها يمين
مكر وخديعة وكذب فلا تنعقد ولا كفارة فيها وقال
الشافعي هي يمين منعقدة لانها مكتسبة بالقلب معقودة بخبر مقرونة
باسم الله تعالى وفيها الكفارة والصحيح الاول قال ابن المنذر وهذا
قول مالك بن انس ومن تبعه من اهل المدينة وبه قال الاوزاعي ومن

وافقه من اهل الشام وهو قول الثوري واهل العراق وبه قال
احمد واسحق وابو ثور وابو عبيد واصحاب الحديث واصحاب
الراي من اهل الكوفه قال ابو بكر وقول النبي صلى الله عليه وسلم
من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فلياتِ الذي هو خير وليكفر
عن يمينه وقوله فليكفر عن يمينه وياتي الذي هو خير يدل على ان الكفارة
انما تجب فيمن حلف على فعل يفعله مما يستقبل فلا يفعله او على فعل
الا يفعله فيما يستقبل فيفعله وفي المسله قول ثان وهو ان يكفر
وان اثم وعمد الكذب بالله كاذبا هذا قول الشافعي قال ابو بكر
ولا نعلم خبرا يدل على القول والكتاب والسنة دالان على القول الاول
قال الله عز وجل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا
وتصلحوا بين الناس قال ابن عباس هو الرجل يحلف الا يصل قرابته
فجعل الله له مخرجا والتكفير وامره ان لا يعتل بالله وليكفر عن يمينه
والاخبار دالة على ان اليمين التي يحلف بها الرجل يقتطع بها مالا حراما
هو اعظم من ان يكفرها ما يكفر اليمين قال ابن العربي الايه وردت
بقسمين لغو ومنعقده وخرجت على الغالب في ايمان الناس فدع ما
بعدها يكون مائة قسم فانه لم يعلق عليه كفارة قال الشيخ المولف
رحمه الله خرج البخاري عن عبد الله بن عمرو قال جا اعرابي الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الكباير قال الاشراك بالله قال
ثم ماذا قال عقوق الوالدين قال ثم ماذا قال اليمين الغموس قلت
وما اليمين الغموس قال الذي يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها
كاذب وخرج مسلم عن ابي امامه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

من

من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد اوجب الله له النار وحرم عليه الجنة
فقال رجل وان كان شيئا يسيرا يا رسول الله قال وان كان قضيبا من اراك
ومن حديث عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو
عليه غضبان فنزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا
الى اخر الاية ولم يذكر كفارة فلو اوجبنا عليه كفارة لسقط جرمه ولقي
الله وهو عنه راض ولم يستحق الوعيد المتوعد عليه وكيف لا يكون ذلك
وقد جمع هذا الحالف الكذب واستحلال مال الغير والاستخفاف
باليمين بالله تعالى والتهاون بها وتعظيم الدنيا فاهان ما عظمه الله
وعظم ما حقره الله وحسبك. ولهذا قيل انما سميت اليمين الغموس غموسا
لانها تغمس صاحبها في النار **السادسة** الحالف بان لا يفعل على بر
ما لم يفعل فان فعل حنث ولزمته الكفارة لوجود المخالفة منه وكذا
اذا قال ان فعلت فاذا حلف بان ليفعلن فانه في الحال على حنث لوجود
المخالفة فان فعل بر وكذلك اذا قال ان لم افعل **السابعة** قول
الحالف لافعلن وان لم افعل بمنزلة الامر وقوله لا افعل وان
فعلت بمنزلة النهي ففي الاول لا يبر حتى يفعل جميع المحلوف
عليه مثاله لاكلن هذا الرغيف فاكل بعضه لم يبر حتى ياكل جميعه
لان كل جزء منه محلوف عليه فان قال والله لاكلن مطلقا فانه
يبر باكل ما يقع عليه الاسم لادخال ماهية الاكل في الوجود
واما في النهي فانه يحنث باقل ما يطلق عليه الاسم لان مقتضاه
ان لا يدخل فرد من افراد المنهي عنه في الوجود فلو حلف ان لا يدخل

دارا فادخل لحدى رجليه حنث والدليل عليه انا وجدنا الشارع غلظ جهة التحريم باول الاسم في قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباوكم لمن عقد على امراة ولم يدخل بها حرمت على ابيه وابنه ولم يكتف في جهة التحليل باول الاسم فقال لا حتى تذوقي عسيلته **الثامنة** المحلوف به هو الله سبحانه واسماوه الحسنى كالرحمن والرحيم والسميع والعليم والحليم ونحو ذلك من اسمايه وصفاته العلى كعزته وقدرته وعلمه وارادته وكبريايه وعظمته وعهده وميثاقه وساير صفات ذاته لانها يمين قديم غير مخلوق فكان الحالف بها كالحالف بالذات روى الترمذي والنساي وغيرهما ان جبريل عليه السلام لما نظر الى الجنة ورجع الى الله تعالى قال وعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها وكذلك قال في النار وعزتك لا يسمع فيدخلها وخرجا ايضا وغيرهما عن ابن عمر قال كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم لا ومقلب القلوب وفي رواية لا ومصرف القلوب واجمع اهل العلم على ان من حلف فقال والله او بالله او تالله فحنث ان عليه الكفارة قال ابن المنذر وكان مالك والشافعي وابو عبيد وابو ثور واسحق واصحاب الراي يقولون من حلف باسم من اسما الله فحنث فعليه الكفارة وبه نقول ولا اعلم في ذلك خلافا قال الشيخ المولف رحمه الله قد تقدم في باب ذكر الحلف بالقران وقال يعقوب من حلف بالرحمن فحنث فلا كفارة عليه قال الشيخ المولف رحمه الله والرحمن من اسماء الله سبحانه جمع ولا خلاف فيه **التاسعة** واختلفوا في حق الله وعظمة الله وقدرة الله وعلم الله ولعمر الله وايم الله فقال مالك كلها ايمان تجب فيها الكفارة وقال الشافعي في وحق الله وجلال الله

وعظمة الله

وعظمة الله وقدرة الله يمين إن نوى بها اليمين وإن لم يرد اليمين فليست
بيمين لأنه يحتمل وحق الله به واجب وقدرته ماضية وقال في امانة الله
ليست بيمين وقال اصحابه اي اذا قال وعظمة الله وعزة الله وجلال الله
وكبرياء الله وامانة الله تحنث فعليه الكفارة وقال الحسن في وحق الله ليست
بيمين ولذلك قال بعض اصحابه هي يمين وقال الطحاوي ليست بيمين وكذلك
اذا قال وعلم الله لم يكن يمينا في قول ابي حنيفة وخالفه صاحبه ابو يوسف
فقال تكون يمينا قال ابن العربي والذي اوقعه في ذلك ان العلم قد ينطلق
على المعلوم وهو المحدث فلا يكون يمينا وذهل عن ان القدرة تنطلق على
المقدور وكل كلام له في المقدور فهو حجتنا في المعلوم قال ابن المنذر وثبت ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وايم الله ان كان لخليقا للامارة في قصة اسامة
بن زيد وابيه زيد وكان ابن عباس يقول وايم الله وكذلك قال ابن عمر وقال
اسحق اذا اراد بايم الله يمينا كانت يمينا بالارادة وعقد القلب العاشرة
واختلفوا في الحلف بالقرآن فقال ابن مسعود عليه بكل آية يمين وبه قال
الحسن البصري وابن المبارك وقال احمد ما اعلم شيئا يدفعه وقال ابو عبيدة
يكون يمينا واحدة وقال ابو حنيفة لا كفارة عليه وكان قتادة يحلف
بالمصحف وقال احمد واسحق لا نكره ذلك الحادية عشر لا تنعقد
اليمين بغير الله سبحانه واسمائه وصفاته وقال احمد بن حنبل اذا حلف
بالنبي صلى الله عليه وسلم انعقدت يمينه لانه حلف بما لا يتم الايمان
الا به فيلزمه الكفارة كما لو حلف بالله وهذا يرده ما ثبت في الصحيحين
وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ادرك عمر بن الخطاب في
ركب وعمر يحلف بابيه فناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان الله

بنهاهم ان تحلفوا باابيهم لمن كان حالفا فيحلف بالله اوليصمت وهذا حصر
في عدم الحلف بكل شي سوى تعالى واسمايه وصفاته كماذكرنا ومما يحقق
ذلك ما رواه ابو داود والنساي وغيرهما عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تحلفوا باابيكم ولا بامهاتكم ولا بالانداد ولا تحلفوا الا
بالله ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون ثم ينتقض عليه بمن قال وادم وابراهيم
فانه لا اهانة عليه وقد حلف بما لا يتم الايمان الا به الثاني عشر
روي الايمه واللفظ لمسلم عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من حلف منكم فقال في حلفه باللات فليقل لا اله الا الله ومن قال
لصاحبه تعال اقامرك فليتصدق وخرج النساي عن مصعب بن سعد عن ابيه
قال كنا نذكر بعض الامر وانا حديث عهد بالجاهليه فحلفت باللات
والعزى فقال بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبيس ما قلت
في روايه قلت هجرا فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له
ذلك فقال قل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على
كل شي قدير وانفث عن يسارك ثلاثا وتعوذ بالله من الشيطان ثم لا تعد
قال العلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من نطق بذلك ان يقول
هذه لا اله الا الله تكفيرا لتلك اللفظه وتذكيرا من الغفله واتماما للنعمه
وخص اللات بالذكر لانها اكثر ما كانت تجرى على السنتهم وحكم غيرها من
اسما الهتهم حكمها اذ لا فرق بينهما وكذا من قال لصاحبه تعال اقامرك
فليتصدق فالقول فيه كالقول في اللات لانهم كانوا اعتادوا المقامره
وهي من اكل المال بالباطل الثالث عشر قال ابو حنيفه في الرجل يقول
هو يهودي او نصراني او بري من الاسلام او من النبي صلى الله عليه وسلم او القران

او اشرك بالله او الكفر بالله انها يمين يلزم فيها الكفارة ولا يلزم فيما اذا قال
واليهودية والنصرانية والنبي صلى الله عليه وسلم والكعبة وان كانت على صيغة
الايمان ومتمسكه ما رواه الدارقطني عن ابي رافع ان مولاته ارادت ان تفرق بينه وبين
امراته فقالت هي يوما يهودية ويوما نصرانية وكل مملوك لها حر وكل مال
لها في سبيل الله وعليها مشي الى بيت الله ان لم تفرق بينهما فسالت عائشة وابن
عمر وحفصة وام سلمة فكلهم قال لها اتريدين ان تكوني مثل هاروت وماروت
وامروها ان تكفر عن يمينها وتخلي بينهما وخرج ايضا عنه قال قالت مولاتي لافرقن
بينك وبين امراتك وكل مالها في رتاج الكعبة وهي يوما يهودية ويوما نصرانية
ويوما مجوسية ان لم تفرق بينك وبين امراتك قال فانطلقت الى ام المومنين
ام سلمة فقلت ان مولاتي تريد ان تفرق بيني وبين امراتي فقالت انطلق الى مولاتك
فقل لها ان هذا لا يحل لك قال فرجعت اليها قالت ثم اتيت ابن عمر فاخبرته فجا
حتى جا الى الباب فقال ها هنا هاروت وماروت فقالت اني جعلت كل مال
لي في رتاج الكعبة قال فما تاكلين قال وقلت انا يوما يهودية ويوما نصرانية
ويوما مجوسية فقال ان تهودت قتلت وان تنصرت قتلت وان تمجست
قتلت قالت فما تامرني قال تكفري عن يمينك وتجمعين بين فتاتك وفتاك
اجمع العلما على ان الحالف اذا قال اقسم بالله انها يمين واختلفوا اذا قال
اقسم او اشهد ليكونن كذا وكذا ولم يقل بالله فانها تكون ايمانا عند مالك اذا
اراد بالله وان لم يرد بالله لم تكن ايمانا تلزم وقال ابو حنيفة والاوزاعي والحسن
والنخعي هي ايمان في الموضعين وقال الشافعي لا تكون ايمانا حتى يذكر اسم الله
هذه رواية المزني عنه وروى عنه الربيع مثل قول مالك **الرابعة عشر**
اذا قال اقسمت عليك لتفعلن فان اراد سؤاله فلا كفارة فيه فليست يمين

وان اراد اليمين بان ما ذكرناه انفا الخامس عشر من حلف بما يجافي
الى الله تعالى مما ليس بصفه كقوله وحق الله وذمه وبيته لا شي عليه لانها ايمان
غير جايزه وحلف بغير الله تعالى السادس عشر اذا انعقدت اليمين
الكفارة والاستثنا وقال ابن الماجشون الاستثنا بدل عن الكفارة وليست حلا
لليمين قال ابن القاسم هي اليمين قال ابن العربي وهو مذهب فقها الامصار وهو الصحيح
وشرطه ان يكون متصلا منطوقا به لفظا لما رواه النسائي وابو داود عن ابن عمر عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال من حلف فاستثنا فان شا مضى وان شا ترك غير حنث
فان نواه من غير نطق او قطعه من غير عذر لم ينفعه وقال محمد بن المواز يكون الاستثنا
مقترنا باليمين اعتقادا ولو لآخر حرف قال فان فرغ منها واستثنا لم ينفعه ذلك
لان اليمين فرغت عاريه من الاستثنا فورودها بعده لا يوثر وبالتراخي وهذا
يرده الحديث من حلف فاستثنا والفا للتعقيب وعليه جمهور اهل العلم
وايضا فان ذلك يودي الى ان لا ينحل يمين ابدا عقدها وذلك باطل وقال ابن
خوازمنداد واختلف اصحابنا متى استثنا في نفسه تخصيص ما حلف عليه
فقال بعض اصحابنا استثناوه وقد ظلم المحلوف له وقال بعضهم لا يصح حتى
يسمع المحلوف له وقال بعضهم يصح اذا حرك به لسانه وشفتيه وان لم
يسمع المحلوف له قال ابن خوازمنداد وانما قلنا يصح استثناوه في نفسه
فلان الايمان تعتبر بالنيات وانما قلنا لا يصح ذلك حتى يحرك به لسانه
وشفتيه فان من لم يحرك به لسانه لم يكن متكلما والاستثنا من الكلام يقع
بالكلام دون غيره وانما قلنا لا يجاب فلان ذلك للمحلوف له وانما يقع على حسب
ما يستوفيه الحاكم فلما لم يكن اليمين على اختيار الحالف بل كانت مستوفاة
وجب ان لا يكون له فيها حكم وقال ابن عباس يدرك الاستثنا بعد سنة وتابعه

على ذلك

ذلك ابو العاليه والحسين فيتعلق بقوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها اخر الا
فلما كان بعد عام نزلت الا من تاب وقال مجاهد من قال بعد سنتين ان شا الله اجزاه
وقال سعيد بن جبير ان استثنا بعد اربعة اشهر اجزاه وقال طاوس له ان يستثنى ما
دام في مجلسه وقال قتاده ان استثنا قبل ان يقوم او يتكلم فله ثنياه وقال احمد
بن حنبل واسحق يستثنى ما دام في ذلك وقال عطا له ذلك قدر حلب الناقة الغزيرة
السابعة عشرة قال ابن العربي اما ما تعلق به ابن عباس من الايه فلا متعلق
له فيها لان الايتين كانتا متصلتين في علم الله تعالى وفي اللوح وانما تاخر نزولها
لحكمة علم ذلك فيها اما انه يترتب عليها فرع حسن وهو ان الحالف اذا قال والله لا
دخلت الدار وانت طالق ان دخلت الدار واستثنا في يمينه الاول ان شا الله في
قلبه واستثنا في اليمين الثاني في قلبه ايضا ما يصلح للاستثنا الذي يرفع اليمين
بمده او بسبب ومشيه احد ولم يظهر شيا من الاستثنا اركانا على المحلوف
فان ذلك ينفعه ولا تنعقد اليمينان عليه وهذا في الطلاق ما لم تحضره البينة
فان حضرت بينة لم تقبل منه دعواه الاستثنا وانما يكون ذلك نافعا له اذا
جا مستفتيا قال الشيخ المولف رحمه الله الاستثمار ان الله تعالى اظهر الايه الاولى
واخفا الثانيه وكذلك الحالف اذا احلف اظهرها واخفا الاستثنا والله اعلم
قال ابن العربي كان ابو الفضل المراغي يقرا بمدينة السلام فكانت الكتب
تاتيه من بلده فيضعها في صندوق ولا يقرا منها واحدا مخافة ان يطلع فيها على ما
يزعجه ويقطع به عن طلبه فلما كان بعد خمسة اعوام وقضى غرضا من الطلب
وعزم على الرحيل شد رحله وابرز كتبه واخرج تلك الرسايل فقرا فيها ما لو ان
واحدا منها يقراه بعد وصوله ما تمكن بعده من تحصيل حرف من العلم فحمد الله
ورحل على دابته فاشه وخرج الى باب الحلبه طريق خراسان وتقدمه الكرى

وقف

بالدابه واقام هو على قايتي يتباع منه سفره فتبيته هو يحاول ذلك معه اذ سمعه
يقول لغامي لحرما سمعت العالم يقول يعني الواعظ ان ابن عباس يجوز الاستثنا
ولو بعد سنه لقد اشتغل بذلك بالي منذ سمعته فظلت متفكرا ولو كان
ذلك صحيحا لما قال الله تعالى لايوب وخذ بيدك ضغثا فاضرب ولا تحنث
وما الذي يمنعه قال ان شا الله فلما سمعه يقول ذلك قال بلد يكون فيه
العامون بهذا الحظ من العلم وهذه المرتبه لخرج عنه الى المزاعه لا افعله ابدا
واقتفى اثر الكرى وحلله من الكري واقام بها الى الزمان الثامن عشر
الاستثنا انما يرفع اليمين بالله اذ هي رخصه من لاخلاف في هذا واختلفوا في الاستثنا
في اليمين بغير الله فقال الشافعي وابو حنيفه الاستثنا يقع في كل يمين بالطلاق
والعتاق وغير ذلك كاليمين بالله تعالى قال ابو عمر ما اجمعوا عليه فهو وانما ورد
التوقيف بالاستثنا في اليمين بالله عز وجل لا في غير ذلك التاسع عشر
قوله تعالى فكفارته اختلف العلما في تقديم الكفاره على الحنث هل يجزي ام لا
بعد اجماعهم على ان الحنث قبل الكفاره مباح حسن وهو عندهم اولى على ثلاثه
اقوال احدها يجزي مطلقا وهو مذهب اربعه عشر من الصحابه وجمهور
الفقها وهو مشهور مذهب مالك وقال ابو حنيفه لا يجزي بوجه وهي روايه
اشهب عن مالك وجه الجواز ما رواه ابو موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم واني والله ان شا الله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا كفرت
عن يميني واتيت الذي هو خير خرجه ابو داود ومن جهه المعنى ان اليمين سبب
الكفاره لقوله تعالى ذلك كفاره ايمانكم اذا حلفتم فاضاف الكفاره الى اليمين
والمعاني تضاف الى اسبابها وايضا فان الكفاره بدل عن البر فيجوز تقديمها
قبل الحنث وجه المنع ما رواه مسلم عن عدي بن حاتم قال سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم

تاسع

صلى الله وسلم يقول من حلف على يمين فراى خيرا منها فليات الذى هو خير
زاد النساى وليكفر عن يمينه ومن جهة المعنى ان الكفارة انما هى لرفع
الاثم وما لم يحنث لم يكن هناك ما يرفع فلا معنى لفعلها وكان معنى
قوله اذا حلفتم اى اذا حلفتم وحنثتم وايضا فان كل عبادة فعلت
قبل وجوبها لم تصح اعتبارا بالصلاة وساير العبادات وقال
الشافعى تجزى بالاطعام والعتق والكسوة ولا تجزى بالصوم لان عمل
البدن لا يقوم قبل وقته وتجزى فى غير ذلك تقديم الكفارة وهو
القول الثالث **العشرون** ذكر الله سبحانه فى الكفارة الخلال
الثلاث فخير فيها وعقب عند عدمها بالصيام وبدا بالطعام لانه
كان الافضل فى بلاد الحجاز لغلبة الحاجة اليه وعدم شبعهم ولا خلاف
فى انها على التخيير قال بن العربى والذى عندى انها تكون
بحسب الحال فان علمت محتاجا فالطعام افضل لانك اذا اعتقت
لم ترفع حاجتهم وزدت محتاجا حاديا عشر اليهم وكذلك الكسوة
تليه ولما علم الله الحاجة بدا بالمقدم المهم **الحادية والعشرون**
قوله تعالى اطعام عشرة مساكين لا بد عندنا وعند الشافعى من تمليك
المساكين ما يخرج لهم ودفعه اليهم حتى يتملكوه ويتصرفوا فيه لقوله
تعالى وهو يطعم ولا يطعم وفى الحديث اطعم رسول الله صلى الله
عليه وسلم الجدة السدس ولانه احد نوعى الكفارة فلم يجز فيها الا
التمليك كالكسوة وقال ابو حنيفة لو غداهم وعشاهم
جاز وهو اختيار بن الماجشون من علمائنا قال بن الماجشون
ان التمكين من الطعام اطعام قال الله تعالى ويطعمون الطعام

على حبه مسكينا ويتيما واسيرا فيباري ومما اطعمه دخل في الايه
الثامنه والعشرون قوله تعالى من اوسط ما تطعمون اهليكم
قد تقدم في البقره ان الوسط بمعنى الاعلى الخيار وهو هنا منزله بين
منزلتين ونصفا بين طرفين ومنه الحديث خير الامور اوسطها وخرج بن ماجه نا
محمد بن يحيى نا عبد الرحمن بن مهدي نا سفين بن عيينه عن سليمان بن ابي المغيره عن سعيد
بن جبير عن بن عباس قال كان الرجل يقوت اهله قوتا فيه سعه وكان الرجل يقوت
اهله قوتا فيه شده فنزلت من اوسط ما تطعمون اهليكم وهذا يدل على ان
الوسط ما ذكرناه وهو ما كان بين شيئين الثالثه والعشرون الاطعام
عند مالك مد لكل واحد من المساكين من العشره ان كان بمدينه النبي صلى الله عليه
وسلم وبه قال الشافعي واهل المدينه قال سليمان بن يسار ادركت الناس
وهم اذا اعطوا في كفارة اليمين اعطوا مدا من حنطه بالمد الاصغر وراو
ذلك يجزيا عنهم وهو قول بن عمر وبن عباس وزيد بن ثابت وبه قال عطا
بن ابي رباح واختلف واذا كان بغيرها فقال بن القاسم يجزيه المد بكل
مكان وقال بن المواز افتى بن وهب بمصر بمد ونصف واشهب بمد وثلث
قال وان مدا وثلثا لوسط من عيش الامصار في الغدا والعشا وقال ابو حنيفه
يخرج من البر نصف صاع ومن التمر والشعير صاعا على حديث عبد الله بن
ثعلبه بن صغير عن ابيه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا
فامر بصدقه الفطر صاع تمرا وصاع شعير عن كل راس او صاع بر بين
اثنين وبه اخذ سفين وبن المبارك وروي عن علي وعمر وبن عمر وعايشه وبه
قال سعيد بن المسيب وهو قول فقها العراق لما رواه بن عباس
قال كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصاع من تمر وامر الناس بذلك

عامه م

فمن لم يجد

فمن لم يجد فنصف صاع من بر من اوسط ما تطعمون اهليكم خرجه بن ماجه في سننه الرابع والعشرون لا يجوز ان يطعم غنيا ولا ذا رحم يلزمه فان كان ممن لا يلزمه نفقته فقد قال مالك لا يعجبني ان يطعمه ولكن ان فعل وكان فقيرا اجزاه فان اطعم غنيا جاهلا بغناه ففي المدونه وغير كتاب لا كتاب لا يجزي وفي الاسديه انه يجزي الخامس والعشرون ويخرج الرجل مما ياكل قال ابن العربي وقد زلت هنا جماعة من العلما فقالوا انه اذا كان ياكل الشعير وياكل الناس البر فليخرج مما ياكل الناس وهذا سهو بين فان المكفر اذا لم يستطع في خاصة نفسه الا الشعير لم يكلف ان يعطي لغيره سواه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم صاعا من طعام صاعا من شعير ففصل ذكرهما ليخرج كل احد فرضه مما ياكل وهذا مما لا خفا به

السادس والعشرون قال مالك ان غدى عشرة مساكين وعشاهم اجزاه وقال الشافعي لا يجوز ان يطعمهم جملة واحدة لانهم يختلفون في الاكل ولكن يعطي كل مسكين مدا وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لا يجزي اطعام العشرة وجبة واحدة يعني غداء دون عشاء او عشا دون غدا حتى يغديهم ويعشيهم قال ابو عمر وهو قول ايمة الفتوى بالامصار

السابع والعشرون قال ابن حبيب ولا يجزي الخبز قفارا بل يعطى معه اداما زيتا او كشكا او كامخا او ما تيسر قال ابن العربي هذه زيادة ما اراها واجبة اما انه يستحب له ان يطعم مع الخبز السكر نعم واللحم واما تعيين الادام للطاعم فلا سبيل اليه لان اللفظ لا يتضمنه قال الشيخ المولف رحمه الله نزول الاية في الوسط يقتضي الخبز والزيت والخل وما كان في معناه من الجبن والكشك كما قال ابن

بن حبيب والله اعلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الادم الخل قال الحسن البصري ان
اطعمهم خبزا ولحما وخبزا وزيتا مرة واحدة في اليوم حتى يشبعوا اجزاه وهو قول
ابن سيرين وجابر بن زيد ومكحول وروى ذلك عن انس بن مالك الثامنة
والعشرون لا يجوز عندنا دفع الكفارة الى مسكين واحد وبه قال الشافعي واصحاب
ابي حنيفة يمنعون صرف الجميع الى واحد دفعة واحدة ويختلفون فيما اذا
صرف الجميع في يوم واحد بدفعات مختلفة فمنهم من اجاز ذلك وانه اذا
تعدد الفعل حسن انطباقه في الفعل الثاني لا يمنع من الذي دفعت اليه اولا
فان اسم المسكين يتناوله وقال الآخرون لا يجوز دفع ذلك اليه في ايام وان
تعددت الايام تقوم مقام اعداد المساكين وقال ابو حنيفة يجزيه ذلك لان
المقصود من الاية التعريف بقدر ما يطعم فلو دفع ذلك القدر لواحد
اجزاه ودليلنا نص الله تعالى على العشرة فلا يجوز العدول عنهم وايضا
فان فيه احيا جماعة من المسلمين وكفايتهم يوما واحدا فيتفرغون فيه لعبادة الله
تعالى ولدعائه فيغفر للمكفر بسبب ذلك والله اعلم التاسعة والعشرون
قوله تعالى ككفارته الضمير على الصناعة النحوية عائد على ما ويحتمل في هذا
الموضع ان يكون بمعنى الذي ويحتمل ان يكون مصدرية او يعود على اثم الحنث
ولم يجر له ذكر صريح لكن المعنى يقتضيه الثلاثون قوله تعالى
اهليكم هو جمع اهل على السلامة وقرا جعفر بن محمد الصادق اهاليكم
وهذا جمع مكسر قال ابو الفتح اهال بمنزلة ليال واحدها اهلات
وليلات والعرب تقول اهل واهله قال الشاعر واهله ود قد تبريت
ودهم وابليتهم في الحمد جهدي ونائلي الحادية والثلاثون قوله تعالى
او كسوتهم قرئ بكسر الكاف وضمها مثل اسوة واسوة وقراة سعيد بن جبير ومحمد بن

السميع

السميفع اليماني او ناسو [illegible] يجزي باسوه اهلك والكسوه في حق الثوب الواحد
الساتر لجميع الجسد واما في حق النسا فاقل ما يجزيهن فيه الصلاه وهو الدرع
والخمار وهل الحكم الصغار قال بن القاسم في العتبيه تكسى الصغير كسوة كبير
قياسا على الطعام وقال الشافعي وابو حنيفه والثوري والاوزاعي اقل ما
يقع عليه الاسم وذلك ثوب واحد وفي روايه ابي الفرج عن مالك وبه قال
ابرهيم ومغيره ما يستر جميع البدن بنا على ان الصلاه لا يجزي في اقل من ذلك وروى
عن سلمان رضي الله عنه انه قال نعم الثوب التبان اسنده الطبري وقال
الحكم بن عيينه تجزي عمامه يلف بها راسه وهو قول الثوري قال بن العربي وما
كان احرصني على ان يقال انه لا يجزي الا كسوة تستر عن اذى الحر والبرد
كما عليه طعام يشبعه من الجوع فاقول به واما القول بمئزر واحد فلا اذ
والله يفتح لي ولكم في المعرفه بعونه قال الشيخ المولف رحمه الله قد راعى قوم
معهود الزي والكسوه المتعارفه فقال بعضهم لا يجزي الثوب الواحد الا
اذا كان جامعا مما قد يتزيى به كالكسا والملحفه وابو حنيفه واصحابه
الكسوه في كفارة اليمين لكل مسكين ثوب وازار ورد او قميص او قبا او كسا
وروي عن ابي موسى الاشعري انه امر ان يكسى عنه ثوبين ثوبين وبه قال
الحسن وبن سيرين وهذا في معنى ما اختار بن العربي والله التابعه
والملون لا يجزي القيمه عن الطعام والكسوه وبه قال الشافعي وقال
ابو حنيفه يجزي وهو يقول وكما تجزي القيمه في الزكاه فكيف في الكفاره
قال بن العربي وعمدته ان الغرض سد الخله ودفع الحاجه فالقيمه تجزي فيه قلنا
ان نظرتم الى سد الخله فاين العباده ونص القران على الاعيان الثلاثه والا
بالبيان من نوع الى نوع التابعه والملون اذا دفع الكسوه الذي

دية

تنتقل

او عبد لم يجزه وقال ابو حنيفه تجزيه لانه مسكين بينا وله لفظ المسكنه
ويشمل عليه الاية قلنا هذا حجه بان يقول جرى [illegible] لما ليجب اخراجه
للمساكين فلا يجوز دفعه للكفار اصله الزكاه وقد اتفقنا على انه لا يجوز دفعه
للمرتد فمن دليل خصه للمرتد فهو دليل في العبد ليس مسكين لاستغنايه
بنفقه سيده فلا تدفع اليه كالغني **الخامسه الثلثون** قوله تعالى وتحرير
رقبه التحرير الاخراج من الرق ويستعمل في الاسر والمشقات وتعب الدنيا
ونحوها ومنه قوم ام مريم اني نذرت لك ما في بطني محررا اي من شغوب
الدنيا ونحوها ومن ذلك قول الفرزدق بن غالب ابني عدانة انني حررتكم فوهبتكم
لعطيه بن جعال اي حررتكم من الهجا وخص الرقبه من الانسان اذ هو العضو الذي يكون
فيه الغل والتوثق غالبا من الحيوان فهو موضع الملك فاضيف التحرير اليها **الحاديه**
والثلثون لا يجوز عندنا الا عتاق رقبه مومنه كامله ليس فيها شرك لغيره
ولا عتاقه بعضها ولا عتق الى اجل ولا كتابه ولا تدبير ولا تكون ام ولد وتعتق
اذا ملكه ولا يكون بها من الهرم والزمانه ما يضربها في الاكتساب سليمه غير
معيبه خلافا لداود في تجويزه اعتاق المعيبه وقال ابو حنيفه يجوز عتق الكافره
لان مطلق اللفظ يقتضيها ودليلنا انه قربه واجبه فلا يكون الكافر محلا لها كالزكاه
وايضا فكل مطلق في القران من هذا فهو راجع الى المقيد في عتق الرقبه في قتل
الخطا وانما قلنا لا يكون فيها شرك لقوله تعالى فتحرير رقبه وبعض الرقبه ليس برقبه
وانما قلنا لا يكون فيها عقد عتق لان التحرير يقتضي ابتدا عتق دون تنجيز دون
عتق مقدم وانما قلنا سليمه لقوله تعالى فتحرير رقبه والاطلاق يقتضي تحرير رقبه
كامله والعميا ناقصه وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يعتق امرا
مسلما الا كان فكاكه من النار عضوا منه بعضو منها حتى الفرج بالفرج وهذا

وقد روي

وقد روي في الاعور قولان في المذهب وكذلك في الاصم والخصي
السادس والثلاثون من اخرج مالا لعتق رقبة في كفارة او كانت الكفارة
باقية عليه بخلاف مخرج المال في الزكاة ليدفعه الى الفقرا او ليشتري به رقبة
فتلف لم يكن عليه غيره لامتثال الا **السابع والثلاثون** اختلفوا في الكفارة
اذا مات الحالف فقال الشافعي وابو ثور كفارات الايمان تخرج من راس مال
الميت وقال ابو حنيفة تكون في الثلث وكذلك قال مالك ان اوصى بها **الثامن والثلاثون**
روى مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم والله لان يلج احدكم بيمينه في اهله اثم له عند الله من ان يعطي كفارته
التي فرض الله اللجاج في اليمين هو المضي على مقتضاه وان لزم من ذلك حرج ومشقة
وترك ما فيه منفعة عاجلة او اجلة فان تبين من ذلك فالاولى به تحنيث
نفسه وفعل الكفارة ولا يعتل باليمين كما ذكرناه في قوله تعالى ولا تجعلوا الله
عرضة لايمانكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها
فليكفر يمينه وليفعل الذي هو خير اي الذي هو اكثر خيرا **الاربعون**
روى مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمين على نية المستحلف
قال العلما معناه ان من وجبت عليه في حق وجب عليه وهو ينوي غيره لم تنفعه
ولا يخرج بها عن اثم تلك اليمين وهو معنى قوله في الحديث الاخر يمينك على ما يصدقك
عليه صاحبك وروي يصدقك به صاحبك خرجه مسلم ايضا قال مالك من حلف
لطالبه في حق له عليه واستثنى في يمينه او حرك لسانه او شفتيه او تكلم به لم
ينفعه استثناوه ذلك لان النية نية المحلوف له لان اليمين حق له وانما تقع
على حسب ما يستوفيه له الحاكم لا على اختيار الحالف لانها مستوفاة منه

هذا تحصيل مذهبه وقوله الحادية والاربعون قوله تعالى فمن لم
يجد معناه لم يجد في ملكه احد هذه الثلاثة من الاطعام او الكسوة او عتق
الرقبة باجماع فاذا عدم هذه الثلاثة الاشيا صام والعدم يكون بوجهين
اما بمغيب المال او عدمه فالاول ان يكون في غير بلده فان وجد من يسلفه
لم يجزيه الصوم وان لم يجد من يسلفه فقد اختلف فيه فقيل ينتظر الى بلده قال
ابن العربي وذلك لا يلزمه بل يجزيه الصيام لان الوجوب قد تقرر في الذمة
والعدم قد تحقق فلا وجه لتاخير الامر فليكفر مكانه لعجزه عن الانواع الثلاثة
لقوله تعالى فمن لم يجد وقيل من لم يكن له فضل عن راس ماله الذي يعيش به فهو
الذي لم يجد وقيل هو من لم يكن له الا قوت يومه وليلته وليس عنده فضل
يطعم وبه قال الشافعي واختاره الطبري وهو مذهب واصحابه وروى عن ابن القاسم
ان يفضل عنه نفقة يوم فانه لا يصوم قال ابن القاسم في كتاب ابن مزين انه ان كان
للحانث فضل عن قوت يومه اطعم الا ان يخاف الجوع او يكون في بلد لا يعطف
عليه فيه وقال ابو حنيفة اذا لم يكن عنده نصاب فهو غير واجد وقال احمد
واسحق اذا كان عنده قوت يومه وليلته اطعم ما فضل عنه وقال ابو عبيد اذا كان
عنده قوت يومه وليلته وعياله وكسوة تكون لكفايتهم ثم يكون بعد ذلك مالكا
لقدر الكفارة فهو عندنا واجد قال ابن المنذر قول ابي عبيد حسن الثانية
والاربعون قوله تعالى فصيام ثلاثة ايام قراها ابن مسعود متتابعات فيقيد
المطلوبة قال ابو حنيفة والثوري وهو احد قولي الشافعي واختاره المزني قياسا
على الصوم في كفارة الظهار واعتبارا بقراة عبد الله وقال مالك والشافعي في
قوله الاخر يجزي التفريق لان التتابع صفة لا تجب الا بنص او قياس على منصوص

وقد عدما

وقد عدما الثالث والاربعون ومن افطر في يوم من ايام الصيام ناسيا
تعالى ملك عليه القضا ... الشافعي لا قضا عليه على ما تقدم بيانه في البقرة
الرابع والاربعون هذه الكفارة التي نص الله عليها لازمة للحر المسلم
باتفاق واختلفوا في ما يجب منها على العبد اذا حنث فكان سفين الثوري والشافعي
واصحاب الراي يقولون ليس عليه الصوم لا يجزيه غير ذلك واختلف فيه عن ملك
فحكى عنه بن نافع انه قال لا يكفر العبد بالعتق لانه لا يكون له الولا ولكن يكفر
بالصدقة ان اذن له سيده اصوب ذلك ان وحكا بن القاسم عنه انه قال
ان اطعم او كسا باذن السيد فما هو بالبين وفي قلبي منه شي الخامس والاربعون
قوله تعالى ذلك كفارة ايمانكم اي تغطية ايمانكم وكفرت الشي غطيته وسترته وقد
تقدم ولا خلاف ان هذه الكفارة في اليمين بالله وقد ذهب بعض التابعين الى ان
كفارة اليمين فعل الخير الذي حلف على تركه وترجم بن ماجه في سننه من قال كفارتها
تركها نا علي بن محمد نا عبد الله بن نمير عن حارثة بن ابي الرجال عن عمرة عن عايشة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف في قطيعة رحم او فيما لا يصلح فبره
ان لا يتم على ذلك واسند عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليتركها فان تركها كفارتها
قال الشيخ المولف رحمه ويعضد بقصة الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا
يطعم الطعام وحلفت امراته الا تطعمه حتى يطعم وحلف الضيف او الاضياف ان
لا يطعمه او لا يطعموه حتى يطعم فقال ابو بكر انما هذه من الشيطان فدعا بالطعا
فاكل واكلوا اخرجه مسلم قال فلما اصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله بروا وحنثت قال فاخبره قال بل انت ابرهم واخيرهم قال ولم تبلغني
كفارة السادس والاربعون واختلفوا في كفارة غير اليمين بالله فقال ملك من

حلف بصدقة ماله اخرج ثلثه وقال الشافعي عليها كفارة يمين وبه قال
اسحاق وابو ثور وروي عن عمر وعايشه رضي الله عنهما وقال الشعبي وعطا
وطاوس لاشي عليه واما اليمين بالمشي الى مكه فعليه ان يحج به عند ملك وابي
حنيفه وعليه كفارة يمين عند الشافعي واحمد بن حنبل في احد قوليه وابو ثور وقال بن المسيب
والقاسم بن محمد لاشي عليه قال بن عبد البر اكثر اهل المدينه وغيرها يوجبون
في اليمين بالمشي الى مكه كفارة مثل كفارة اليمين بالله عز وجل وهو قول جماعة من
الصحابه والتابعين وجمهور فقها المسلمين وقد افتى به بن القاسم ابنه عبد الصمد
وذكر له انه قول الليث بن سعد والمشهور عن ابن القاسم انه لا كفارة
عنده في المشي الى مكه الا بالمشي لمن قدر عليه وهو قول ملك واما
الحالف بالعتق فعليه عتق من حلف عليه بعتقه في قول ملك والشافعي
وغيرهما وروي عن ابن عمر وابن عباس وعايشه انه يلزم كفارة يمين ولا يلزم
العتق وقال عطا يتصدق بشي قال المهدوي واجمع من يعتمد على قوله من العلما
على ان الطلاق لا يلزم لمن حلف به وحنث السابعة والاربعون
قوله تعالى واحفظوا ايمانكم اي بالبدار الى ما يلزمكم من الكفارة اذا
حنثتم وقيل اي بترك الحلف فانكم اذا لم تحلفوا لم تتوجه عليكم
هذه التكليفات لعلكم تشكرون تقدم معنى الشكر ولعل في البقره
والحمد لله رب العالمين قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر
والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه الى قوله المبين
فيه سبع عشرة مسله الاولى قوله تعالى خطاب لجميع المومنين
بترك هذه الاشيا اذ كانت شهوات وعادات تلبسوا بها في الجاهليه
وغلبت على النفوس فكان بقي منها في نفوس كثير من المومنين من عطبه ومن

هذا القبيل

هذا القبيل هو الزجر والطيرة اخذ الفال في الكتب ونحوه مما يصنعه
الناس اليوم واما الخمر فكانت لم تحرم بعد وانما نزل تحريمها في سنة ثلاث
بعد وقعة احد وكانت وقعت احد في شوال سنة ثلاث من الهجرة وتقدم
اشتقاقها واما الميسر فقد مضى في البقرة القول فيه واما الانصاب
فقيل هي الاصنام وقيل هي النرد والشطرنج ويأتي بيانها في سورة يونس
عند قوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال واما الازلام فهي القداح
وقد مضى في اول السورة القول فيها ويقال كانت في البيت عند سدنة
البيت وخدام الاصنام يأتي الرجل اذا اراد حاجة فيقبض منها شيا فان
عليه امرني ذلك خرج لحاجته على ما احب او كره الثانية تحريم ام
الخمر كان بتدريج ونوازل كثيرة فانهم كانوا مولعين بشربها واول
ما نزل في شانها امرها يسلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع
للناس اي في تجاراتهم فلما نزلت هذه الاية ترك بعض الناس وقالوا لا حاجة
لنا فيما فيه اثم كبير ولم يتركها بعض الناس وقالوا ناخذ منفعتها ونترك
اثمها فنزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم
سكارى فتركها بعض الناس في غيرا وقات الصلاة حتى نزلت يا ايها الذين امنوا
انما الخمر والميسر والانصاب الاية فصارت حراما عليهم حتى كان
يقول بعضهم ما حرم شيا اشد من الخمر وقال ابو ميسرة نزلت بسبب
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم عيوب
الخمر وما ينزل بالناس من اجلها ودعا الله في تحريمها وقال اللهم بين
لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت هذه الايات فقال عمر انتهينا انتهينا
وقد مضى في البقرة والنساء وروى ابو داود عن ابن عباس قال يا ايها الذين

امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى يسلونك عن الخمر والميسر قل فيهما
اثم كبير ومنافع للناس نسختها التي في المايدة انما الخمر والميسر والانصاب
وفي صحيح مسلم عن سعد بن ابي وقاص انه قال نزلت في ايات من القران
وفيه قال واتيت على نفر من الانصار فقالوا تعال نطعمك ونسقيك خمرا
وذلك قبل ان تحرم الخمر قال فاتيتهم في حش والحش البستان فاذا راس جزور
مشوي وزق من خمر قال فاكلت وشربت معهم قال فذكرت الانصار
والمهاجرين عندهم فقلت المهاجرين خير من الانصار قال فاخذ رجل لحي
جمل فضربني به فخرج انفي وفي رواية ففزره وكان سعد مفزورا فاتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فانزل الله فيّ يعني بنفسه شان
الخمر انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه الثالثة هذه الاحاديث تدل على ان شرب الخمر كان قد
ذاك مباحا معمول به معروفا عندهم بحيث لا ينكر ولا يغير وان النبي
صلى الله عليه وسلم اقر عليه هذا ما لا خلاف فيه تدل عليه اية
النسا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى على ما تقدم وهل كان يباح لهم
شرب القدر الذي يسكر حديث حمزة ظاهر فيه حين بقر خواصر ناقتي علي
رضي الله عنهما وجب اسنمتهما فاخبر علي بذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فجا الى حمزة فصدر عن حمزة للنبي صلى الله عليه وسلم من القول الجافي
المخالف لما يجب عليه من احترام النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره وتعزيره ما
يدل على ان حمزة كان قد ذهب عقله بما يسكر ولذلك قال الراوي فعرف رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه ثمل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر على حمزة ولا
عنفه لا في حال سكره ولا بعد ذلك بل رجع لما قال حمزة وهل انتم الا

عبيد

عبيد لابي علي عقيبه الفهري ا خرج عنه وهذا خلاف ما قاله الاصوليون
وحلوه فانهم قالوا ان السكر حرام في كل شريعة لان الشرايع مصالح العباد
لا مفاسدهم واصل المصالح العقل كما ان اصل المفاسد ذهابه فيجب المنع من
كل ما يذهبه او يشوشه الا انه يحتمل حديث حمزة انه لم يقصد بشربه السكر
لكنه اسرع فيه فغلبه والله اعلم **الرابعة** قوله تعالى رجس قال ابن
عباس في هذه الاية رجس سخط وقد يقال للنتن والعذرة والاقذار رجس
والرجز بالزاي العذاب لا غير والركس العذرة لا غير والرجس يقال
للامرين ومعنى من عمل الشيطان اي بحمله عليه وتزيينه وقيل هو الذي كان
عمل مبادي هذه الامور بنفسه حتى اقتدي به فيها **الخامسة** قوله تعالى
فاجتنبوه يريد ابعدوه واجعلوه ناحية فامر تعالى باجتناب هذه الامور واقترن
بصيغة الامر مع نصوص الاحاديث واجماع الامة فحصل الاجتناب في جهة التحريم
فبهذا حرمت الخمر ولا خلاف بين علما المسلمين ان سورة المائدة نزلت بتحريم
الخمر وهي مدنية من اخر ما نزل وورد التحريم في الميتة والدم ولحم
الخنزير في قوله تعالى قل لا اجد وغيرها من الاي خبرا وفي الخمر نهيا وزجرا
وهو اقوى التحريم واوكده روى عباس قال لما نزل تحريم الخمر مشى اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم الى بعض وقالوا حرمت الخمر وجعلت
عدلا للشرك يعني انه قرنها بالذبح للانصاب وذلك شرك ثم علق لعلكم
تفلحون فعلق الفلاح بالامر وذلك يدل على تاكيد الوجوب والله اعلم
السادسة فهم الجمهور من تحريم الخمر واستخباث الشرع لها واطلاق
الرجس عليها والامر باجتنابها الحكم بنجاستها وخالفهم في ذلك ربيعة والليث
بن سعد والمزني صاحب الشافعي وبعض المتأخرين من البغداديين والقرويين

قرا وانا ظاهر وان المحرم انما هو شربها وقد استدل سعيد بن الحداد القروي
على طهارتها بسفكها في طرق المدينة قال ولو كانت نجسة لما فعل ذلك الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين ولنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التخلي في
الطرق والجواب ان الصحابة فعلت ذلك لانهم لم تكن لهم سروب وابار
يفرغونها فيها اذ الغالب من احوالهم انهم لم تكن لهم كنف في بيوتهم وقالت
عائشة انهم كانوا يتقذرون من اتخاذ الكنف في البيوت ونقلها الى خارج المدينة
فيه كلفة ومشقة ويلزم منه تاخير ما وجب على الفور وايضا فانه يمكن التحرز
منها فان طرق المدينة كانت واسعة ولم تكن الخمر من الكثرة بحيث تصير نهرا يعم
الطريق كلها بل انما جرت في مواضع يسيرة يمكن التحرز عنها هذا مع ما يحصل في
ذلك من فايدة شهرة اراقتها في طرق المدينة ليشيع العمل على مقتضى تحريمها
من اتلافها وانه لا ينتفع بها وتتابع الناس وتوافقوا على ذلك والله اعلم
فان قيل التنجيس حكم شرعي ولا نص فيه ولا يلزم من كون الشيء محرما ان يكون نجسا فكم
من محرم في الشرع ليس بنجس قلنا قوله تعالى رجس يدل على نجاستها فان الرجس في
اللسان النجاسة ثم لو التزمنا ان لا نحكم بحكم الا حتى نجد فيه نصا لتعطلت
الشريعة فان النصوص فيها قليل واي نص يوجد على تنجيس البول والعذرة والدم
والميتة وغير ذلك وانما هي الظواهر والعمومات والاقيسة وسياتي في سورة
الحج ما يوضح هذا المعنى ان شاء الله تعالى **السابعة** قوله تعالى فاجتنبوه
يقتضي الاجتناب المطلق الذي لا ينتفع معه بشيء بوجه من الوجوه لا بشرب ولا
لا بيع ولا تخليل ولا مداواة ولا غير ذلك وعلى هذا تدل الاحاديث الواردة
في الباب روى مسلم عن ابن عباس ان رجلا اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
راوية خمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل علمت ان الله حرمها لا

لذي م

قال م

فسار

فسار انسانا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بم ساررته قال امرته ببيعها
قال ان الذي حرم شربها حرم بيعها قال ففتح المزاد حتى ذهب ما فيها فهذا الحديث
يدل على ما ذكرناه اذ لو كان فيها منفعة من المنافع الجائزة لنبيه صلى الله عليه وسلم
كما قال في الشاة الميتة هلا اخذتم اهابها فدبغتموه فانتفعتم به الحديث
الثامنة اجمع المسلمون على تحريم بيع الخمر والدم وفي ذلك دليل على تحريم بيع العذرات
وساير النجاسات وما لا يحل اكله لذلك والله اعلم ذكره ملك بيع زبل الدواب
ورخص فيه ابن القاسم لما فيه من المنفعة والقياس ما قاله ملك وهو مذهب الشافعي
وهذا الحديث شاهد لصحة ذلك التاسعة ذهب جمهور الفقها الى
ان الخمر لا يجوز تخليلها لاحد ولو جاز تخليلها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليدع الرجل يفتح المزادتين حتى يذهب ما فيهما لان الخل مال وقد نهى عن اضاعة
المال ولا يقول احد لمن اراق خمرا على مسلم انه اتلف له مالا وقد اراق عمر بن ابي
العاصي خمر اليتيم واستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تخليلها فقال لا
ونهى عن ذلك ذهب الى هذا طايفة من العلما من اهل الراي واليه مال سحنون
بن سعيد وقال اخرون لا باس بتخليل الخمر ولا باس باكل ما تخلل منها بمعالجة
ادمي او غيرها وهو قول الثوري والاوزاعي والليث بن سعد والكوفيين وقال
ابو حنيفة ان طرح فيها المسك والملح فصارت مريا وتحولت عن حال الخمر جاز وخالفه
محمد بن الحسن في المري وقال لا تعالجوا الخمر بغير تحويلها الى الخل وحده قال ابو
عمر احتج العراقيون في تخليل الخمر بابي الدردا وهو يروى عن ابي ادريس الخولاني
عن ابي الدردا من وجه ليس يقوى انه كان ياكل المري منه ويقول دبغته الشمس والملح
وخالفه عمر بن الخطاب وعثمان بن ابي العاصي في تخليل الخمر وليس في احد حجة
مع السنة وبالله التوفيق وقد يحتمل ان يكون المنع من تخليلها كان في بدو الاسلام

٢١٨

عند نزول تحريمها لا ليلا بيسند ام حبسها لقرب العهد بشربها اراده لقطع دواعى

فى ذلك واذا كان هذا لم يرخص النبى عن تخليلها حينيذ والامر باراقتها ما يمنع

من اهلها كلها اذا خللت وروى اشهب عن مالك قال اذا خلل النصرانى خمرا

فلاباس باكله وكذلك ان خللها واستغفر الله وهذه الروايه ذكرها ابن

عبد الحكم فى كتابه والصحيح ما قاله مالك فى روايه بن القاسم وبن وهب انه

لا يحل المسلم ان يعالج بخمر حتى يجعلها خلا بيعها ولكن ليهريقها **العاشره** لم

يختلف قول مالك واصحابه ان الخمر اذا تخللت بذاتها ان اكل ذلك الخل حلال

وهو قول عمر بن الخطاب وقبيصه وبن شهاب وربيعه واحد قولى الشافعى

وهو تحصيل مذهبه عند اكثر اصحابه **الحاديه عشر** ذكر بن خوازمنداد

انها تملك ونزع الى انه يمكن ان يزال بها الغصص ويطفا بها حريق وهذا نقل لا

يعرف لمالك بل يخرج هذا على قول من يرى انها طاهره ولو جاز ملكها لما امر

النبى صلى الله عليه وسلم باراقتها وايضا فان الملك نوع نفع وقد بطل باراقتها

والحمد لله رب العالمين **الثانيه عشر** هذه الايه تدل على تحريم اللعب بالنرد

والشطرنج قمارا او غير قمار لان الله تعالى لما حرم الخمر اخبر بالمعنى الذى فيها فقال

يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الايه ثم قال انما يريد الشيطان ان يوقع

بينكم العداوه والبغضا الايه ثم قال دعا قليله الى كثيره واوقع العداوه والبغضا

بين العاكفين عليه وصد عن ذكر الله وعن الصلاه فهو شرب الخمر واوجب ان يكون

حراما مثله فان قليل شرب الخمر يورث السكر فلا يقدر معه على الصلاه وليس في

اللعب بالنرد والشطرنج هذا المعنى قيل له قد جمع الله بين الخمر والميسر ووصفهما

جميعا بانهما يوقعان العداوه والبغضا بين الناس ويصدان عن ذكر الله وعن

الصلاه ومعلوم ان الخمر ان اسكرت فالميسر لا يسكر ثم لم يكن عند الله افتراقهما

فى ذلك

في ذلك يمنع من التسويه بينهما في التحريم لاجل ما اشتركا فيه من المعاني وايضا
فان قيل ان الخمر لا يسكر كما ان اللعب بالنرد والشطرنج لا يسكر ثم كان حراما من
الكثير فلا ينكر ان يكون اللعب بالنرد والشطرنج حراما مثل الخمر وان كان لا يسكر
وايضا فان ابتدا اللعب يورث الغفله فتقوم تلك الغفله المستوليه على القلب
مقام السكر وان كانت الخمر انما حرمت لانها تسكر فتصد بالاسكار عن الصلاه فيحرم
اللعب بالنرد وبالشطرنج لانه يغفل ويلهي فيصد بذلك عن الصلاه والله اعلم الثالثه
عشر مهدي الروايه يدل على انه كان لم يبلغه الناسخ وكان متمسكا بالاباحه
المتقدمه فكان ذلك دليلا على ان الحكم لا يرتفع بوجود الناسخ كما يقوله بعض
الاصوليين بل ببلوغه كما دل عليه هذا الحديث وهو الصحيح لان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يوبخه بل بين له الحكم ولانه مخاطب بالعمل بالاول بحيث لو تركه
عصا بلا خلاف وان كان الناسخ قد حصل في الوجود وذلك كما وقع لاهل قبا
اذ كانوا يصلون الى بيت المقدس الى ان اتاهم الاتي فاخبرهم بالناسخ فمالوا نحو
الكعبه وقد تقدم في سورة البقره والحمد لله تقدم فيما ذكر الخمر واشتقاقها
والميسر ومضى في صدر هذه السوره القول في الانصاب والازلام والحمد لله
الرابعه عشر قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوه والبغضا
في الخمر والميسر الايه اعلم الله تعالى عباده ان الشيطان انما يريد ان يوقع العدا
بيننا بسبب الخمر وغيره فحذرنا منها ونهانا عنها روي ان قبيلتين من الانصار شربوا
الخمر وانتشوا فعبث بعضهم ببعض فلما صحوا راى بعضهم في وجه بعض اثار
ما فعلوا وكانوا اخوه ليس في قلوبهم ضغاين فجعل الرجل يقول لو كان اخي بي رحيما
ما فعل هذا فحدثت بينهم الضغاين فانزل الله انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم
العداوه والبغضا في الخمر والميسر الايه الخامسه عشر قوله تعالى ويصدكم

عن ذكر الله وعن الصلاة بقوله اذا سكرتم لم تذكروا الله ولم تصلوا وان صليتم
خلط عليكم كما فعل بعلي وروي عبد الرحمن كما تقدم في النسا وقال عبد الله بن
عمر سيل القاسم بن محمد عن الشطرنج اهي ميسر وعن النرد اهو ميسر فقال
كل ما صد عن ذكر الله وعن الصلاة السادسة عشر قوله تعالى فهل انتم منتهون
لما علم عمر رضي الله ان هذا وعيد شديد زايد على معنى انتهوا قال انتهينا وامر
النبي صلى الله عليه وسلم مناديه ان ينادي بمكة ولما في سكك المدينة الا ان الخمر
قد حرمت فكسرت الدنان واريقت الخمر حتى جرت في سكك المدينة السابعة
عشر قوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا تاكيدا للتحريم وتشديد
في الوعيد وامتثال للامر وكف عن المنهي وحسن عطف واطيعوا الله لما تقدم
المتقدم معنى انتهوا وكرر واطيعوا في ذكر الرسول تاكيدا ثم حذر في مخالفة الامر
وتوعد من تولى بعذاب الاخرة فقال ان توليتم اي خالفتم فانما على رسولنا البلاغ
المبين في تحريم ما امر بتحريمه وعلى المرسل ان يعاقب او يثيب بحسب ما يعصي او
يطاع قوله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا فيه تسع
مسايل الاولى قال ابن عباس والبرا بن عازب وانس بن مالك انه لما نزل تحريم
الخمر قال قوم من الصحابة كيف من مات منا وهو يشربها وياكل الميسر ونحو هذا
فنزلت الايه روي البخاري عن انس قال كنت ساقي القوم في منزل ابي طلحة
فنزل تحريم الخمر فامر مناديا ينادي فقال ابو طلحة اخرج فانظر ما هذا الصوت
قال فخرجت فقلت هذا منادي ينادي الا ان الخمر قد حرمت فقال اذهب
فاهرقها وكان الخمر من الفضيخ قال فجرت في سكك المدينة فقال بعض القوم
قتل قوم وهي في بطونهم فانزل الله عز وجل ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا الى قوله المحسنين الثامنة هذه الايه وهذا الحديث

نظير

نظير سؤالهم عن من مات الى القبلة الاولى فنزلت وما كان الله ليضيع ايمانكم
ومن فعل ما ابيح له حتى مات على فعله لم يكن له ولا عليه شي لا اثم ولا مواخذه ولا
ولا ذم ولا اجر ولا مدح لان المباح مستوي الطرفين بالنسبه الى الشرع وعلى
هذا فما كان ينبغي ان يتخوف ولا يسال عن حال من مات والخمر في بطنه وقت اباحتها
ان يكون ذلك القايل غفل عن دليل الاباحه فلم يخطر له او يكون لغلبة خوفه من
الله تعالى وشفقته على اخوانه المومنين توهم مواخذه ومعاقبه لاجل شرب
الخمر المتقدم فرفع الله التوهم بقوله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا الايه **الثالثه** هذا الحديث في نزول الايه فيه دليل
واضح على ان نبيذ التمر اذا اسكر خمر وهو نص لا يجوز الاعتراض عليه لان
الصحابه رحمهم الله هم اهل اللسان وقد عقلوا ان شرابهم ذلك خمر لم يكن
شراب ذلك الوقت بالمدينه غيره وقال الحكمي لنا خمر وليست خمر كرم ولكن
من نتاج الباسقات كرام في السماء ذهبن طولا وفات ثمارها ايدي الجنات
ومن الدليل الواضح على ذلك ما رواه النساي انا القاسم بن زكريا انا عبد الله
عن شيبان عن الاعمش عن محارب بن دثار عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
الزبيب والتمر هو الخمر وثبت بالنقل الصحيح الثابت ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وحسبك به عالما باللسان والشرع خطب على منبر النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس انه قد نزل تحريم الخمر يوم نزول الامم
وهي من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطه والشعير والخمر ما
خامر العقل وهذا بين ما يكون في معنى الخمر خطب به عمر بالمدينه
على المنبر بمحضر جماعة الصحابه وهم ولم يفهموا من الخمر الا ما ذكرناه واذا
ثبت هذا ابطل مذهب ابي حنيفه والكوفيين القايلين بان الخمر لا يكون ن

الا من العنب وما كان من غيره لا يسمى خمرا ولا يتناوله اسم الخمر وانما
يسمى نبيذا وقال الشاعر تركت النبيذ لاهله وصرت حليفا لمن عابه
شراب يدنس عرض الفتى ويفتح للشر ابوابه الرابعة قال الامام ابو
عبد الله المازري ذهب جمهور العلما من السلف وغيرهم الى ان كل ما يسكر
نوعه حرم شربه قليلا كان او كثيرا كان او مطبوخا ولا فرق بين المستخرج
من العنب او غيره وان من شرب شيا من ذلك حد فاما المستخرج من
العنب المسكر النى فهو الذي انعقد الاجماع على تحريم كثيره وقليله ولو
النقطه منه واما ما عدا ذلك فالجمهور على تحريمه وخالف الكوفيون
في القليل مما عدا ما ذكر وهو الذي لا يبلغ الاسكار وفي المطبوخ المستخرج
من العنب فذهب قوم من اهل البصره الى قصر التحريم على عصير العنب ونقيع
الزبيب النى فاما المطبوخ منهما والنى والمطبوخ مما سواهما فحلال
ما لم يقع الاسكار وذهب ابو حنيفه الى قصر التحريم على المعتصر من ثمرات
النخيل والاعناب على تفصيل فيرى ان سلافه العنب يحرم قليلها وكثيرها
الا ان يطبخ حتى ينقص ثلثاها واما نقيع الزبيب والتمر فيحل مطبوخهما
وان مسته النار مسا قليلا من غير اعتبار بحد واما النى منه فحرام
ولكنه مع تحريمه اياه لا يوجب الحد فيه وهذا كله ما لم يقع
الاسكار فان وقع الاسكار استوى الجميع قال شيخنا الفقيه الامام
ابو العباس رضي الله عنه العجب من المخالفين في هذه المسله فانهم
قالوا ان القليل من الخمر المعتصر من العنب حرام ككثيره وهو
مجمع عليه فاذا قيل لهم فلم حرم القليل من الخمر وليس مذهبا
للعقل فلا بد ان يقال لانه داعيه الى الكثير او للتعبد فحينيذ

يقال لهم

يقال لهم كلما قدرتموه في قليل الخمر هو بعينه موجود في قليل النبيذ فيحرم
ايضا اذ لا فارق بينهما الا مجرد الاسم اذا سلم ذلك وهو القياس ارفع
انواع القياس لان الفرع فيه مساو للاصل في جميع صفاته او صافه
وهذا كما نقوله في قياس الامه على العبد في سرايه العتق ثم العجب من ابي
حنيفه واصحابه رحمهم الله فانهم يتوغلون في القياس ويرجحونه على اخبار
الاحاد ومع ذلك فقد تركوا هذا القياس الجلي المعضود بالكتاب والسنه
واجماع صدر الامه لاحاديث لا يصح شي منها على ما قد بين عللها المحدثون
في كتبهم وليس في الصحاح شي منها وسياتي في سورة النحل بيان تمام هذه المسئله
ان شا الله تعالى **الخامسه** طعموا اصل هذه اللفظه في الاكل يقال
طعم الطعام وشرب الشراب لكن يتجوز في ذلك فيقال لم اطعم خبزا ولا ماء ولا
نوما قال الشاعر نعاما بوجرة صعر الخدود ما تطعم النوم الا صياما وقد
تقدم القول في البقره في قوله تعالى ومن لم يطعمه بما فيه كفايه **السادسه**
قال ابن خويز منداد تضمنت هذه الايه تناول المباح والشهوات والانتفاع
بكل لذيذ من مطعم ومشرب ومنكح وان بولغ فيه وتنوهي في ثمنه وهذه الايه
نظير قوله تعالى لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ونظير قوله قل من حرم زينه
الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق **السابعه** قوله تعالى اذا ما
اتقوا وامنوا الى قوله المحسنين فيه اربعه اقوال الاول انه ليس في
ذكر التقوى تكرار والمعنى اتقوا شربها وامنوا بتحريمها والمعنى الثاني دام اتقاؤهم
وايمانهم الثالث على معنى الاحسان الى الاتقا الثاني اتقوا قبل التحريم في غيرها
من المحرمات ثم اتقوا بعد تحريمها شربها ثم اتقوا فيما بقي من اعمارهم
واحسنوا العمل الثالث اتقوا الشرك وامنوا بالله ورسوله صلى الله عليه

وسلم ومعنى الثاني ثم اتقوا الكباير وازداد وا ايمانا ومعنى الثالث
ثم اتقوا الصغاير واحسنوا اي تنفلوا وقال محمد بن جرير الاتقا الاول
هو الاتقا بتلقا امر الله بالقبول والتصديق والدينونة به والعمل والاتقا
الثاني الاتقا بالثبات على التصديق والثالث الاتقا بالاحسان والتقرب
بالنوافل الثامنة قوله تعالى ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين
دليل على ان المتقي المحسن افضل من المتقي المومن الذي عمل الصالحات فضله باجر
الاحسان التاسعة قد تاول هذه الاية قدامة بن مظعون الجمحي من الصحابة
رضي الله عنهم وهو ممن هاجر الى ارض الحبشة مع اخويه عثمان وعبد الله ثم هاجر
الى المدينة وشهد بدرا وعمر وكان ختن عمر بن الخطاب خال عبد الله
وحفصة وولاه عمر بن الخطاب على البحرين ثم عزله لشهادة الجارود
سيد عبد القيس عليه بشرب الخمر روى الدارقطني قال نا ابو الحسن علي بن
محمد المصري نا يحيى بن ايوب العلاف حدثني سعيد بن عفير حدثني يحيى
بن فليح بن سليمان قال حدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس ان الشراب
كانوا يضربون في عهد رسول الله صلى الله وسلم بالايدي والنعال والعصي حتى
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان في خلافة ابي بكر اكثر منهم في عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكان ابو بكر يجلدهم اربعين حتى توفي ثم كان عمر من بعده
فجلدهم كذلك اربعين حتى اتي برجل من المهاجرين الاولين وقد شرب فامر به ان
يجلد فقال لم تجلدني وبيني وبينك كتاب الله فقال عمر واي كتاب الله
تجد الا اجلدك فقال له ان الله تعالى يقول في كتابه ليس على الذين امنوا
وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية فانا من الذين امنوا ثم اتقوا
وامنوا ثم اتقوا واحسنوا شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا

واحدا

واحدا والخندق والمشاهد فقال عمر الا تردون عليه ما يقول فقال ابن عباس
ان هولا انزلن عذرا للماضين وحجة على الناس لان الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا
انما الخمر والميسر الايه ثم قرا حتى انفذ الايه الاخرى فان كان من الذين امنوا وعملوا
الصالحات الايه فان الله قد نهاه ان يشرب الخمر فقال عمر صدقت ماذا ترون قال
علي رضي الله عنه انه اذا شرب سكر واذا سكر هذى واذا هذى افترى وعلى
المفترى ثمانون جلده فامر به فجلد ثمانين وذكر الحميدى عن ابى بكر البرقانى عن ابن
عباس قال قدم الجارود من البحرين فقال يا امير المومنين ان قدامه بن مظعون قد
شرب مسكرا وانى اذا رايت حقا من حقوق الله حق على ان ارفعه اليك فقال عمر
من يشهد على ما يقول فقال ابو هريره فدعا عمر ابا هريره فقال علام تشهد يا
ابا هريره فقال لم اره حين شرب ورايته سكران يقئ فقال عمر لقد تنطعت
في الشهاده ثم كتب عمر الى قدامه وهو بالبحرين فامره بالقدوم عليه فلما
قدم قدامه والجارود بالمدينه كلم الجارود عمر فقال اقم على هذا كتاب
الله فقال عمر للجارود اشهيد انت ام خصم فقال الجارود انا شهيد قال
قد كنت اديت الشهادة ثم قال لعمر انى انشدك الله فقال عمر اما والله
لتملكن لسانك او لاسونك فقال الجارود اما والله ما ذلك بالحق
ان يشرب ابن عمك وتسونى فاوعده عمر فقال ابو هريره وهو جالس يا امير
المومنين ان كنت تشك فى شهادتنا فسل بنت الوليد امراه ابن مظعون فارسل
عمر الى هند ينشدها بالله فاقامت هند على زوجها الشهادة فقال
عمر يا قدامه انى جالدك فقال قدامه والله لو شربت كما يقولون ما كان
لك ان تجلدنى يا عمر قال ولم يا قدامة قال لان الله سبحانه يقول ليس على
الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الايه الى المحسنين فقال

عمر اخطات التاويل يا قدامه اذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله ثم
اقبل عمر على القوم فقال ما ترون في جلد قدامه فقال القوم لا نرى ان
تجلده ما دام وجعا فقال عمر انه والله فسكت عمر عن جلده ثم اصبح يوما
فقال لاصحابه ما ترون في جلد قدامه فقالوا ما نرى ان تجلده ما دام وجعا
فقال عمر انه والله لان يلقى الله تحت السوط احب الي من ان القى الله وهو في عنقي
والله لاجلدنه ايتوني بسوط فجاء مولاه اسلم بسوط رقيق صغير فاخذه
عمر فمسحه بيده ثم قال لاسلم اخذتك دقرارة اهلك ايتوني بسوط
غير هذا قال فجاءه اسلم بسوط تام فامر عمر بقدامة فجلد فغاضب
قدامه عمر وهجره فحجا وقدامه مهاجر لعمر حتى قفلوا عن حجهم ونزل عمر
بالسقيا ونام بها فلما استيقظ عمر قال عجلوا على قدامة انطلقوا فاتوني به
فوالله لارى في النوم انه جاءني ات فقال سالم قدامه فانه اخوك فلما
جاؤا قدامه ابا ان ياتيه فامر بقدامه ان يجر اليه جرا حتى كلمه عمر واثنى
له فكان اول صلحهما قال ايوب بن ابي تميمه لم يحد احد من اهل بدر في الخمر
غيره ما حد على الخمر احد فكان هذا من انسد تاويل وقد خفي على قدامه وعرفه
من وفقه الله لعمر وابن عباس قال الشاعر وان حرا انما لا ارى الدهر باكيا على شجوه
الا بكيت على عمر وروى عن علي ان قوما شربوا بالشام وقالوا هي لنا حلال وتاولوا
هذه الايه فاجمع علي وعمر على ان يستتابوا فان تابوا والا قتلوا ذكره الجبا
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشي من الصيد تناله ايديكم وعامحكم
فيه ثمان مسايل الاولى قوله تعالى ليبلونكم اي ليختبرنكم والابتلا الاختبار
وكان الصيد احد معايش العرب العاربه وشايعا عند الجميع منهم مستعملا جدا
فابتلاهم الله فيه مع الاحرام والحرم كما ابتلا بني اسرايل في ان لا يعتدوا في السبت

وقيل

وقيل انها نزلت عام الحديبيه احرم بعض الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحرم
بعضهم فكان اذا عرض صيد اختلف فيه احوالهم وافعالهم واشتبهت احكامه
عليهم فانزل الله هذه بيانا لاحكام احوالهم وافعالهم ومحظورات حجهم وعمرتهم
الثانيه اختلف العلماء في المخاطب بهذه الايه على قولين احدهما انهم المحلون
قاله مالك الثاني انهم المحرمون قاله ابن عباس وتعلق بقوله تعالى ليبلونكم فان تكليف
الامتناع الذي يتحقق به الابتلا هو مع الاحرام قال ابن وهب هذا لا يلزم فان التكليف
يتحقق في المحل بما شرط له من امور الصيد وما شرع له من وصفه في كيفيه الاصطياد
والصحيح ان الخطاب في الايه لجميع الناس محلهم ومحرمهم لقوله تعالى ليبلونكم
اي ليكلفنكم والتكليف كله ابتلا وان تفاضل في الكثره والقله وتباين في الضعف
والشده الثالثه قوله تعالى بشي من الصيد يريد ببعض الصيد فمن
للتبعيض وهو صيد البر خاصه ولم يعم الصيد كله لان للبحر صيدا قاله
الطبري وغيره واراد بالصيد المصيد لقوله تناله ايديكم الرابعه قوله
تعالى تناله ايديكم ورماحكم بيان لحكم صغار الصيد وكباره وقرا ابن وثاب
والنخعي يناله بالياء منقوطه من تحت قال مجاهد الايدي تنال الفراخ
والبيض وما لا يستطيع ان يفر والرماح تنال كبار الصيد وقال
ابن وهب قال مالك قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشي من
الله الصيد تناله ايديكم ورماحكم فكل شي يناله الانسان بيده او برمحه او بشي
من سلاحه فقتله فهو صيد كما قال الله تعالى الخامسه خص الله تعالى
الايدي بالذكر لانها عظم التصرف في الاصطياد وفيها تدخل الجوارح
والحبالات وما عمل باليد من فخاخ وشباك وخص الرماح بالذكر لانها
عظم ما يجرح به الصيد وفيها يدخل السهم ونحوه وقد مضى القول فيما

يصاد به من الجوارح والسهام في اول السورة بما فيه كفايه والحمد لله وحده
السادسة ما وقع في الفخ والحباله فلربها فان الجا الصيد اليها احد
ولولاها لم يتهيا له اخذه فربها فيه شريكه وما وقع في الجبح المنصوب في الجبل
من ذباب النحل فهو كالحباله والفخ وحمام الابرجه ترد على اربابها ان استطيع علي
ذلك وكذلك النحل الجباح وقد روي عن مالك وقاله بعض اصحابه انه ليس على من حصل
الحمام او النحل عنده ان يرده ولو الجات الكلاب صيدا فدخل في بيت احد او داره فهو
للصايد مرسل الكلاب دون صاحب البيت ولو دخل في البيت من غير اضطرار
الكلاب له فهو لرب البيت السابعة احتج بعض الناس على ان الصيد للاخذ
لا للمثير بهذه الايه لان المثير لا يبدله ولا برمحه بعد شيا وهو قول ابي حنيفه الثامنه
كره مالك صيد اهل الكتاب ولم يحرمه لقول الله عز وجل تناله ايديكم ورماحكم يعني
اهل الايمان لقوله تعالى في صدر الايه يا ايها الذين امنوا فخرج عنهم اهل الكتاب
وخالفه جمهور اهل العلم لقوله تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وهو عندهم
مثل ذبايحهم واجاب علماونا بان الايه انما تضمنت اكل طعامهم والصيد
باب اخر فلا يدخل في عموم الطعام ولا يتناوله مطلق لفظه قال الشيخ المولف
رحمه الله هذا بنا على ان الصيد ليس مشروعا عندهم فلا يكون من طعامهم
فيسقط عنا هذا الالتزام فاما ان كان مشروعا عندهم في دينهم فيلزمنا اكله
لتناول اللفظ له فانه من طعامهم والله اعلم قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم الى قوله والله عزيز ذو انتقام فيه
ثلاثون مسله هذا خطاب عام لكل مسلم ذكر وانثى وهذا النهي هو الابتلا
المذكور في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشي من الصيد الايه روي
ان ابا اليسر واسمه عمرو بن مالك الانصاري كان محرما عام الحديبيه بعمره

فقتل

بقتل حمار وحش فنزلت فيه لا تقتلوا الصيد وانتم حرم **الاولى** قوله
تعالى لا تقتلوا القتل هو كل فعل يفيت الروح وهو انواع منها الذبح والنحر
والخنق والرضخ وشبهه فحرم الله تعالى على المحرم في الصيد كل فعل يكون مفيتا
للروح **الثانيه** من قتل صيدا او ذبحه فاكل منه فعليه جزا واحد لقتله
دون اكله وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفه عليه جزا ما اكل يعني قيمته وخالفه
صاحباه فقالا لا شي عليه سوى الاستغفار لانه يتناول الميته كما لو تناول
ميته اخرى ولهذا لو اكل محرم اخر لا يلزمه الا الاستغفار ووجه ابي حنيفه
انه تناول محظور احرامه لان قتله كان من محظورات الاحرام ومعلوم ان
المقصود من القتل هو التناول فاذا كان ما يتوصل به الى المقصود محظور احرامه
موجبا عليه الجزا فما هو المقصود كان اولى **الثالثه** لا يجوز عندنا ذبح
المحرم للصيد لنهي الله سبحانه المحرم عن قتله وبه قال ابو حنيفه والشافعي
ذبح المحرم للصيد ذكاته وتعلق بانه ذبح صدر من اهله وهو المسلم مضاف
الى محله وهو الانعام فافاد مقصوده من حل الاكل مقصوده اصله ذبح
الحلال قلنا قولكم ذبح صدر من اهله فالمحرم ليس باهل لذبح الصيد اذ
الاهليه لا تستفاد عقلا وانما يفيدها الشرع وذلك باذنه في الذبح
او بنفيها وذلك بنهيه عن الذبح والمحرم منهي عن ذبح الصيد بقوله لا تقتلوا
الصيد فقد انتفت الاهليه بالنهي وقولكم افاده مقصوده فقد اتفقنا على
ان المحرم اذا ذبح الصيد لا يحل له اكله وانما ياكل منه غيره عندكم فاذا كان
الذبح لا يفيد الحل للذابح فاحرى واولى الا يفيد لغيره لان الفرع تبع للاصل
في احكامه فلا يصح ان يثبت له ما لا يثبت لاصله **الرابعه** قوله تعالى
الصيد مصدر عومل معامله الاسما فاوقع على الحيوان الصيد ولفظ الصيد

هنا عام في كل صيد بري وبحري حتى جا قوله تعالى وحرم عليكم صيد البر فابلح
صيد البحر اباحه مطلقه على ما ياتي بيانه في الايه بعد هذا انشا الله تعالى
الخامسه واختلف العلما في خروج السباع من صيد البر وتخصيصها منه
فقال ملك كل شي لا يعدو من السباع مثل الهر والثعلب والضبع وما
اشبهها فلا يقتله المحرم وان قتله فداه قال وصغار الدباب لا ارى ان يقتلها
المحرم فان قتلها فداها وهي مثل فراخ الغربان ولا باس بقتل كل ما عدى على
الناس في الاغلب مثل الاسد والديب والنمر والفهد ولذلك لا باس
عليه بقتل الحيات والعقارب والفارة والغراب والحداه قال اسماعيل
انما ذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم
الحديث فسماهن فساقا ووصفهن بافعالهن لان الفاسق فاعل والصغار لا فعل
لهن ووصف الكلب بالعقور واولاده لا تعقر فلا تدخل في هذا النعت قال
اسماعيل الكلب العقور مما يعظم ضرره على الناس قال ومن ذلك الحيه والعقرب
لانه يخاف منه منهما وكذلك الحداه لا تخطف اللحم من ايدي الناس قال
بن بكير انما اذن في قتل العقرب لانها ذات حمه وفي الفاره لقرضها السقا والحذا
الذين بهما قوام المسافر وفي الغراب لوقوعه على الظهر ونقبه عن لحومها
وقد روي عن ملك انه قال لا يقتل الغراب ولا الحداه الا ان يضرا قال
اسماعيل واختلف في الزنبور فشبهه بعضهم بالحيه والعقرب قال ولولا
ان الزنبور لا يبتدي لكان اغلظ على الناس من الحيه والعقرب ولكنه ليس في
طبعه من العداء ما في الحيه والعقرب وانما يحمي الزنبور اذا اوذي قال
فان عرض الزنبور لاحد فدفعه عن نفسه لم يكن عليه في قتله شي وثبت
عن عمر بن الخطاب اباحه قتل الزنبور وقال ملك يطعم قاتله شيا وكذلك

قال ملك

قال مالك فيمن قتل البرغوث والذباب والنمل ونحوه وقال اصحاب الراي
لا شي على قاتل هذه كلها وقال ابو حنيفه لا يقتل المحرم من السباع الا الكلب
العقور والذيب خاصة سوا ابتداه او ابتداهما وان قتل غيرهما من السباع
فداه قال فان ابتداه غيرهما من السباع فقتله فلا شي عليه قال ولا شي عليه
في قتل الحيه والغراب والعقرب والحداه هذه جملة قول ابي حنيفه واصحابه
الا زفر وبه قال الاوزاعي والثوري والحسن واحتجوا بان النبي صلى الله عليه وسلم
خص دواب باعيانها وارخص للمحرم في قتلها من اجل ضردها فلا وجه ان يزاد عليها
الا ان يجمعوا على شي فيدخل معناها قال الشيخ المولف رحمه الله العجب من
ابي حنيفه رحمه الله يحمل التراب على البر بعلة الكيل ولا يحمل السباع العاديه
بعلة الفسق والعقرب كما فعل مالك والشافعي رحمهما الله وقال زفر بن
الهذيل لا يقتل الا الذيب وحده ومن قتل غيره وهو محرم فعليه الفديه سوا
ابتداه او لم يبتديه لانه عجما فعان فعله هدرا وهذا رد للحديث ومخالفه
له وقال الشافعي كل ما لا يوكل لحمه فللمحرم ان يقتله وصغار ذلك وكباره
سوا الا السمع وهو المتولد بين الذيب والضبع قال وليس في الرخمه والخنا
والفردان والحلم وما لا يوكل لحمه شي لان هذا ليس من الصيد لقوله تعالى
وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فدل ان الصيد الذي حرم عليهم
ما كان لهم قبل الاحرام حلالا حكى عنه هذه الجمله المزني والربيع فان قيل
فلم يفدي القمله وهي توذي ولا توكل قيل له ليس تفدي الا ما يفدي به
الشعر والظفر وليس ما ليس له لبسه لان في طرح القمله اماطه اذى عن
نفسه اذا كانت في راسه ولحيته فكانه اماط بعض شعره فاما اذا ظهرت فقتلت
فانها لا تودي وقول ابي ثور في هذا الباب كقول الشافعي قال ابو عمر السادسه

قس

روي الايمه عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب ليس
على المحرم في قتلهن جناح الغراب والحدا والعقرب والفاره والكلب العقور
اللفظ للبخاري وبه قال احمد واسحق وفي كتاب مسلم عن عايشه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الحيه والغراب الابقع والفاره والكلب العقور
والحديا وبه قالت طايفه من اهل العلم قالوا لا يقتل من الغربان الا الابقع خاصة لانه تقييد مطلق
وفي كتاب ابي داود عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ويرمي الغراب ولا يقتله
وبه قال مجاهد وجمهور العلما على القول بحديث ابن عمر والله اعلم وعند ابي داود والترمذي
والسبع العادي وهذا تنبيه على العله السابعه قوله تعالى وانتم حرم عام في النوعين
من الرجال والنسا الاحرار والعبيد يقال رجل حرام وامراه حرام وجمع ذلك حرم كقولهم
قذال وقذل واحرم الرجل دخل الحرم كما يقال اسهل دخل السهل وهذا اللفظ يتناول
الزمان والمكان وحاله الاحرام بالاشتراك لا بالعموم يقال رجل حرام اذا دخل في الشهر
الحرم او في الحرم او تلبس بالاحرام الا ان تحريم الزمان خرج بالاجماع عن ان يكون معتبرا
وبقي تحريم المكان وحاله الاحرام على اصل التكليف قاله ابن العربي الثامنه
حرم المكان حرمان حرم المدينه وحرم مكه وزاد الشافعي الطايف فلا يجوز عنده قطع شجره
ولا صيد صيده ومن فعل ذلك فلا جزا عليه واما حرم المدينه فلا يجوز فيه الاصطياد
لاحد ولا قطع الشجر كحرم مكه فان فعل اثم ولا جزا عليه عند مالك والشافعي واصحابهما
وقال ابن ابي ذيب عليه الجزا وقال سعد جزاوه اخذ سلبه وروي عن الشافعي وقال
ابو حنيفه صيد المدينه غير حرام وكذلك قطع شجرها واحتج له بعض من ذهب مذهبه
بحديث سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من وجدتموه يصيد
في حدود المدينه او يقطع شجرها فخذوا سلبه واخذ سعد سلب من فعل ذلك
وقال وقد اتفق الفقها على انه لا يوجد سلب من صاد في المدينه فدل ذلك على انه

منسوخ

منسوخ واحتج لهم الطحاوي ايضا حديث انس يا ابا عمير ما فعل النغير فلم ينكر صيده و امساكه
وهذا كله لا حجة فيه اما الحديث فليس بقوي ولو صح لم يكن في نسخ اخذ السلب ما
يسقط ما صح من تحريم المدينة فكم من محرم ليس عليه عقوبة في الدنيا واما الحديث
الثاني فيجوز ان يكون صيد في غير الحرم وكذلك حديث عايشة انه كان لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وحش فاذا خرج لعب واشتد واقبل وادبر فاذا احس برسول الله صلى الله
عليه وسلم ربض فلم يترمرم كراهية ان يوذيه ودليلنا عليهم ما رواه مالك عن ابن
شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة قال لو رايت الظبا ترتع بالمدينة ما
ذعرتها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتيها حرام فقول ابي هريرة ما
ذعرتها دليل على انه لا يجوز ترويع الصيد في حرم المدينة كما لا يجوز ترويعه في
حرم مكة وكذلك نزع زيد بن ثابت النهس وهو طاير من يد شرحبيل بن سعد كان صاده
بالمدينة دليل على ان الصحابة فهموا مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحريم صيد
المدينة فلم يجيزوا فيها الاصطياد ولا تملك ما يصاد ويتعلق من طريق الراي بقوله
صلى الله عليه وسلم في الصحيح اللهم ان ابرهيم حرم مكة واني احرم المدينة
بمثل ما حرم به مكة ومثله معه لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها
ولا ينفر صيدها ولانه حرم منع الاصطياد فيه فتعلق الجزاء به
كحرم مكة قال القاضي عبد الوهاب وهذا القول اقيس عندي
على اصولنا لا سيما ان المدينة عند اصحابنا افضل من مكة وان
الصلاة فيها افضل من الصلاة في المسجد الحرام ومن حجة مالك
والشافعي ان لا حكم عليه بجزاء ولا اخذ سلب في المشهور
من قول الشافعي عموم قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح المدينة
حرام ما بين عير الى ثور فمن احدث فيها حدثا او اوى محدثا

تعليه لعنة الله والملايكه والناس اجمعين لا يقبل الله منه يوم
القيمه صرفا ولا عدلا فارسل النبي صلى الله عليه وسلم الوعيد
الشديد ولم يذكر كفاره واما ما ذكر عن سعد فذلك مذهب
مالك له مخصوص لما رواه عبد الصحيح انه ركب الى قصره
بالعقيق فوجد عبدا يقطع شجرا ويخبطه فسلبه فلما رجع سعد
جاه اهل العبد فكلموه ان يرد على غلامهم او عليهم ما اخذ من
غلامهم فقال معاذ الله ان ارد شيا نفلنيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابا ان يرد عليهم فقوله نفلنيه ظاهر الخصوص
والله اعلم **الثامنه** قوله تعالى ومن قتله منكم متعمدا ذكر سبحانه
المتعمد ولم يذكر المخطي والناسي والمتعمد هو القاصد للشي مع العلم
بالاحرام والمخطي هو الذي يقصد شيا فيصيب الصيد والناسي
هو الذي يتعمد الصيد ولا يذكر احرامه واختلف العلما في ذلك
على خمسه اقوال الاول ما اسنده الدارقطني عن بن عباس قال
انما التكفير في العمد وانما غلظوا في الخطا لان لا يعودوا والثاني ان قوله
متعمدا خرج على الغالب فالحق به النادر دا صول الشريعه الثالث
انه لا شي على المخطي والناسي وبه قال الطبري واحمد بن حنبل في
احدى روايتيه روى عن بن عباس وسعيد بن جبير وبه قال
طاوس وابو ثور وهو قول داود وتعلق احمد بان قال لما
خص الله سبحانه المتعمد بالذكر دل على ان غيره بخلافه وزاد بان
قال الاصل براة الذمة فمن ادعى شغلها فعليه الدليل الرابع انه
يحكم عليه في العمد والخطا والنسيان قاله بن عباس وروى عن عمر وطاوس

والحسن

والحسن وابرهيم والزهري وبه قال مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابهم
قال الزهري وجب الجزا في العمد بالقران وفي الخطا والنسيان بالسنة قال
ابن العربي ان كان يريد بالسنة الاثار التي وردت عن ابن عباس وعمر
فنعما هي وما احسنها اسوة الخامس ان يقتله متعمدا للقتل ناسيا لاحرامه
وهو مجاهد لقوله تعالى بعد ذلك ومن عاد فينتقم الله منه
قال ولو كان ذاكرا لاحرامه لوجبت عليه العقوبة لاول مرة قال
فدل على انه اراد متعمدا للقتل ناسيا لاحرامه قال مجاهد فان كان
ذاكرا لاحرامه فقد حل ولا حج له لارتكابه محظور احرامه فبطل
عليه كما لو تكلم في الصلاة او احدث قال ومن اخطا فذلك الذي
يجزيه ودليلنا على مجاهد ان الله سبحانه اوجب الجزا ولم يذكر الفساد
ولا فرق بين ان يكون ذاكرا للاحرام او ناسيا له ولا يصح اعتبار
الحج بالصلاة فانهما مختلفان وقد روي عنه انه لا حكم عليه في
قتله متعمدا ويستغفر الله وحجه تام وبه قال ابن زيد ودليلنا
على داود ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الضبع فقال هي صيد
وجعل فيها اذا اصابها المحرم كبشا ولم يقل عمدا ولا خطا وقال ابن بكير
من علمائنا قوله سبحانه متعمدا لم يرد به التجاوز عن الخطا وانما اراد
متعمدا ليبين انه ليس كابن آدم الذي لم يجعل في قتله متعمدا كفارة
وان الصيد فيه كفارة ولم يرد به اسقاط الجزا في قتل الخطا والله
اعلم **العاشر** فان قتله في احرامه مرة بعد مرة حكم عليه كلما قتله
في قول مالك والشافعي وابي حنيفة وغيرهم لقول الله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا

فجزا مثل ما قتل من النعم فالنهي دايم مستمر عليه ما دام محرما فمتى قتله فالجزا
لاجل ذلك لازم له وروي عن ابن عباس قال لا يحكم عليه في الاسلام و لا
يحكم عليه الا مرة واحدة فان عاد ثانية فلا يحكم عليه ويقال له ينتقم
الله منك لقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه وبه قال الحسن وابرهيم
ومجاهد وشريح وقد ليلنا عليهم ما ذكرناه من تمادي التحريم في
الاحرام وتوجه الخطاب عليه في دين الاسلام الحادية عشر قوله
تعالى فجزا مثل ما قتل من النعم فيه اربع قراات فجزا مثل برفع جزا
وتنوينه ومثل على الصفة والخبر مضمر التقدير فعليه جزا مماثل
واجب او لازم من النعم وهذه القراة تقتضي ان يكون المثل هو الجزا
بعينه وجزا بالرفع غير منون ومثل بالاضافة فعليه جزا ما
قتل فمحمه لقولهم انا اكرم مثلك وانت تقصد انا اكرمك
ونظير هذا قوله اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به
في الناس كمن مثله في الظلمات التقدير كمن هو في الظلمات و قوله
ليس كمثله شي اي ليس هو شي وهذه القراة تقتضي ان يكون الجزا
غير المثل اذ الشي لا يضاف الى نفسه وقال ابو علي انما يجب عليه
جزا المقتول لا جزا مثل المقتول والاضافة توجب لا جزا المقتول
وهو قول الشافعي على ما ياتي و قوله من النعم صفة لجزا على
القراتين جميعا و قرا الحسين من النعم باسكان العين وهي لغة وقرا عبد
الرحمن فجزا بالرفع والتنوين مثل النصب قال ابو الفتح مثل منصوبة
بنفس الجزا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرا ابن مسعود والاعمش
فجزاوه مثل باظهارها ويحتمل ان يعود على الصيد او على الصايد القاتل

الثانية عشر الجزا انما يجب بقتل الصيد لا بنفس اخذه كما قال في المدونه
من اصطاد طايرا فنتف ريشه ثم حبسه حتى نسل ريشه فطار قال لا جزا
عليه ولذلك قطع يد صيد او رجله او شيا من اعضايه وسلمت نفسه
وصح ولحق بالصيد فلا شي عليه وقيل عليه من الجزا بقدر ما نقصه ولو ذهب
فلم يدر ما فعل فعليه جزاوه ولو دمي الصيد ولم يلحق بالصيد او تركه
محوفا عليه فعليه جزاوه كاملا الثالثة عشر ما يجزى من الصيد شيا ن
دواب وطير فجزاما كان من الدواب بنظيره في الخلقه والصورة ففي النعامه
بدنه وفي حمار الوحش وبقرة الوحش بقره وفي الضبي شاه وبه قال الشافعي
واقل ما يجزي عند ملك ما استيسر من الهدي وكان ضحيه وكان ذلك الجذع
من الضان والثني مما سواه وما لم يبلغ جزاوه ذلك ففيه اطعام او صيام
وفي الحمامه كله قيمته الا حمام مكه فان في الحمامه منه شاة اتباعا للسلف
في ذلك والدبسي والفواخت والقمري وذوات الاطواق كله حمام وحكى ابن عبد
الحكم عن ملك ان في حمام مكه وفراخها شاه قال ولذلك حمام الحرم قال وفي
حمام الحل حكومه وقال ابو حنيفه انما يعتبر بالمثل في القيمه دون الخلقه فيقوم
الصيد دراهم في المكان الذي قتله او في اقرب موضع اليه ان كان لا يباع الصيد
في موضع قتل فيشتري بتلك القيمه هديا ان شا او يشترى بها طعاما ويطعم
المساكين كل مسكين نصف صاع من شعير او صاعا من تمر واما الشافعي فانه يرى
المثل من النعم ثم يقوم المثل كما في المتلفات يقوم المثل ويوخذ قيمه المثل لقيمه
الشي فان المثل هو الاصل في الوجوب وهذا بين وعليه تخرج قراه الاضافه
فجزا مثل ما احتج ابو حنيفه فقال لو كان الشبه من طريق الخلقه معتبرا في
النعامه بدنه وفي الحمار بقره وفي الضبي شاه لما اوقفه على عدلين يحكمان

به لان ذلك قد علم فلا يحتاج الى الاديبا و النظر وانما يفتقر الى العد ول والنظر

ما يشكل الحال فيه و يضطرب وجه النظر عليه و دليلنا عليه قول الله تعالى

فجزاء مثل ما قتل من النعم الايه فالمثل يقتضي بظاهره المثل الخلقي الصوري دون

المعنى ثم قال من النعم فبين جنس المثل ثم قال يحكم به ذوا عدل منكم وهذا ضمير

راجع الى مثل من النعم لانه لم يتقدم ذكر لسواه يرجع الضمير عليه ثم قال

هديا بالغ الكعبه والذي يتصور فيه الهدي مثل المقتول من النعم فاما القيمه

فلا يتصور ان تكون هديا ولا جرلها ذكر في نفس الايه فصح ما ذكرناه ولله الحمد

و قولهم لو كان الشبه معتبرا لما اوقفه على عدلين فالجواب ان اعتبار العدلين انما

وجب النظر في حال الصيد من صغر وكبر وما لا جنس له مما له جنس والحاق ما لم يقع عليه

نص بما وقع عليه نص الرابعة عشر من احرم من مكه فاغلق باب بيته على

فراخ حمام فمات فعليه في كل فرخ شاه قال مالك وفي صغار الصيد مثل ما في

كباره وهو قول عطاء ولا يفدى عند مالك شي بعناق ولا جفره قال مالك وذلك مثل

الدية الصغير والكبير فيها سواء وفي الضب عنز واليربوع قيمتهما طعاما ومن

اهل المدينه من يخالفه في صغار الصيد وفي اعتبار الجذع والثني ويقول بقول

عمر في الارنب عناق وفي اليربوع جفره رواه مالك مرفوعا وروى ابو الزبير عن

جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الضبع اذا اصابه المحرم كبش وفي الظبي

شاه وفي الارنب عناق وفي اليربوع جفره قال والجفره التي قد ارتعت وفي

طريق اخر قلت لابي الزبير وما الجفره قال التي قد فطمت ورعت خرجه الدارقطني

وقال الشافعي في النعامه بدنه وفي فرخها فصيل وفي حمار الوحش بقره وفي سخله

عجل لان الله تعالى حكم بالمثليه في الخلقه والصغر والكبر متفاوتان فوجب اعتبار

الصغير فيه والكبير كسائر المتلفات قال ابن العربي وهذا صحيح وهو اختيار

علمائنا

علمائنا قال الشيخ المولف رحمه الله قوله وهو اختيار علمائنا بشعرانه المشهور والمختار
وليس كذلك وانما هو صريح مذهب الشافعي رضي الله عنه قالوا ولو كان الصيد
اعور او اعرج او كسيرا كان المثل على صفته لتتحقق المثلية فلا يلزم المتلف فوق
ما اتلف دليلنا قول الله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم ولم يفصل بين كبير وصغير وقوله
هديا يقتضي ما يتناوله اسم الهدي بحق الاطلاق وذلك مقتضى الهدي التام والله اعلم
الخامس عشر في بيض النعامة عشر ثمن البدنة عند مالك وفي بيض الحمام المكية
عنده عشر ثمن الشاة قال ابن القاسم وسواء كان فيها فرخ او لم يكن ما لم يستهل الفرخ
بعد الكسر فان استهل فعليه الجزاء كاملا جزاء كبير ذلك الطير قال ابن المواز بحكومة
عدلين واكثر العلماء يرون في بيض كل طاير القيمة قال ابن المواز بحكومة عدلين روى
عكرمة عن ابن عباس عن كعب بن عجرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى في بيض نعام اصابه
محرم بقدر ثمنه خرجه الدارقطني وروي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم في كل بيضة نعام صيام يوم او اطعام مسكين **السادس عشر**
واما ما لا مثل له كالعصافير والفيلة فقيمة لحمه او عدله من الطعام دون ما يراد
له من الاغراض لان المراعي فيما له مثل وجوب مثله فان عدم المثل فالقيمة قايمة
مقامه كالغصب وغيره لان الناس قايلان اي على مذهبين [مذهبين] معتبر للقيمة في جميع
الصيد ومقتصر بها على ما لا مثل له من النعم فقد تضمن ذلك الاجماع على اعتبار
القيمة فيما لا مثل له واما الفيل فقيل فيه بدنة من الهجان العظام التي لها
سنامان وهي بيض خراسانية فان لم يوجد شي من هذه الابل فينظر الى قيمته
طعاما فيكون عليه ذلك والعمل فيه ان يجعل الفيل في مركب وينظر الى منتهى
ما ينزل المركب في الماء ثم يخرج الفيل ويجعل في المركب الطعام حتى ينزل الى الحد
الذي نزل والفيل فيه وهذا عدله من الطعام واما ان ينظر الى قيمته فهو

وص

يكون له ثمن عظيم لاجل عظامه وانيابه فيكثر الطعام وذلك ضرر السابعه عشر قوله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم روى ملك عن عبد الملك قريب عن محمد بن سيرين ان رجلا جا الى عمر بن الخطاب فقال انى اجريت انا وصاحب لي فرسين نستبق نغرم ثنيه فاصبنا ضبيا ونحن محرمان فما ذا ترى فقال عمر بن الخطاب لرجل الى جنبه تعال حتى احكم انا وانت قال فحكما عليه بعنز فولى الرجل وهو يقول هذا امير المومنين لا يستطيع ان يحكم في ضبى حتى دعا رجلا يحكم معه فسمع عمر بن الخطاب قول الرجل فدعاه فساله هل تقرا سورة المايده فقال لا قال فهل تعرف الرجل الذى حكم معى فقال لا فقال عمر رضى الله عنه لو اخبرتنى انك تقرا سورة المايده لاوجعتك ضربا ثم قال ان الله سبحانه يقول في كتابه يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبه وهذا عبد الرحمن بن عوف الثامنه عشر اذا اتفق الحكمان لزم الحكم وبه قال الحسن والشافعي وان اختلفا نظر في غيرهما وقال بن المواز لا ياخذ بارفع من قولهما لانه عمل بغير تحكيم وكذلك لا ينتقل عن المثل الخلقي اذا حكما به الى الطعام لانه امر قد لزم قاله بن شعبان وقال بن القاسم ان امرهما ان يحكما بالجزا من المثل ففعلا فارادان ينتقل الى الطعام جاز وقال بن وهب في العتبيه من السنه ان يخير الحكمان من اصاب الصيد كما خيره الله في ان يخرج هديا بالغ الكعبه او كفاره طعام مساكين او عدل ذلك صياما فان اختار الهدى حكما عليه بما يريانه نظيرا لما اصاب ما بينهما وبين ان يكون عدل ذلك شاه لانها ادنى الهدى وما لم يبلغ شاه حكما فيه بالطعام ثم خيران يطعم او يصوم مكان كل مد يوما وكذلك قال ملك في المدونه التاسعه عشر ويستانف الحكم في كل ما مضت فيه حكومه او لم تمض ولو اجتزا بحكومه الصحابه رضى الله عنهم فيما حكموا به من جزا الصيد كان حسنا وقد روى ملك

انه ما عدا حمام مكة وحمار الوحش والضبي والنعامه لا بد فيه من الحكومه ويستحب فى هذه الاربعه بحكومة من مضى من السلف رضى **العشرون** لا يجوز ان يكون الجانى احد الحكمين وبه قال ابو حنيفه والشافعى فى احد قوليه يكون احد الحكمين وهذا تسامح منه فان ظاهر الايه يقتضى جانيا وحكمين فحذف بعض العدد اسقاط للظاهر وافساد للمعنى لان حكم المرا لنفسه لا يجوز ولو كان ذلك جايزا لاستغنى بنفسه عن غيره لانه حكم بينه وبين الله تعالى فزياده ثان اليه دليل على استيناف الحكم برجلين **الحاديه والعشرون** اذا اشترك جماعه محرمون فى قتل صيد فقال مالك وابو حنيفه على كل واحد منهم جزا كامل وقال الشافعى عليهم كلهم كفارة واحدة لقضا عمر وعبد الرحمن وروي الدارقطنى ان موالى لابن الزبير احرموا ادركت بهم ضبع فحذفوها بعصيهم فاصابوها فوقع فى انفسهم فاتوا ابن عمر فذكروا له فقال عليكم كلكم كبش قالوا او على كل واحد منا كبش قال انكم لمعزز بكم عليكم كلكم كبش قال اللغويون لمعزز بكم اي لمشدد عليكم وروي عن ابن عباس فى قوم اصابوا ضبعا قال عليهم كبش يتخارجونه بينهم ودليلنا قول الله سبحانه ومن قتله منكم متعمدا فجزا مثل ما قتل من النعم وهذا خطاب لكل قاتل وكل واحد من القاتلين للصيد قاتل نفسا على الكمال والتمام دليل قتل الجماعه بالواحد ولولا ذلك ما وجب عليهم القصا ص بوجوبه اجماعا منا ومنهم ثبت ما قلناه **الثانيه والعشرون** قال ابو حنيفه اذا قتل جماعه صيدا فى الحرم وهم محلون عليهم جزا واحد بخلاف ما لو قتله المحرمون فى الحل والحرم فان ذلك لا يختلف وقال مالك على كل واحد منهم جزا كامل بنا على ان الرجل يكون محرما بدخوله الحرم كما يكون محرما بتلبسه بالاحرام وكل من الفعلين يكتسبه صفه تتعلق بها نهى فهو هاتك لها وجه ابي حنيفه ماذكره

القاضي ابو زيد الدبوسي قال السرفيه ان الجنايه في الاحرام على العباده تعدادنا
كل واحد منهم محظور احرامه واذا قتل المحلون في الحرم فانما اتلفوا دابه محرمه بمنزله
ما لو اتلف جماعه دابه فان كل واحد منهم قاتل دابه ويشتركون في القيمه بن
العربي في ابو حنيفه اقوامنا وهذا الدليل يستهينه علماونا وهو عسير الا
قوله تعالى هديا بالغ الكعبه المعنى اذا حكما **الثالثه والعشرون**
بالهدي فانه يفعل به ما يفعل بالهدي من الاشعار والتقليد ويرسل من
الى مكه وينحر ويتصدق به فيها لقوله هديا بالغ الكعبه ولم يرد الكعبه بعينها
فان الهدي لا يبلغها اذ هي في المسجد وانما اراد الحرم ولا خلاف في هذا وقال
الشافعي لا يحتاج الهدي الحل بناء على ان الصغير من الهدي في الصغير من الصيد
فانه يبتاع في الحرم ويهدى فيه **الرابعه والعشرون** او كفاره طعام مساكين
الكفاره انما هي عن الصيد لا عن الهدي قال بن وهب قال مالك احسن ما سمعت
في الذي يقتل الصيد كما يحكم عليه فيه انه يقوم الصيد الذي اصاب فينظر كم ثمنه
من الطعام فيطعم لكل مسكين مدا او يصوم مكان كل مد يوما وقال بن القاسم
عنه ان قوم الصيد دراهم ثم قومها طعاما اجزاه والصواب الاول وقال عبدالله
بن عبد الحكم مثله قال عنه وهو في هذه الثلاثه بالخيار اي ذلك فعل اجزا موسرا كان
او معسرا وبه قال عطا وجمهور الفقها لان او للتخيير قال مالك كل شي في كتاب الله في
الكفارات كذا او كذا فصاحبه مخير في ذلك اي ذلك احب ان يفعل فعل وروي
بن عباس انه قال اذا قتل المحرم ظبيا او نحوه فعليه شاه تذبح بمكه فان لم
يجد فاطعام سته مساكين فان لم يجد فعليه صيام ثلاثه ايام وان قتل
ايلا او نحوه فعليه بقره فان لم يجد اطعم عشرين مسكينا فان لم يجد فصيام
عشرين يوما وان قتل نعامه او حمارا فعليه بدنه من الطعام ثلاثين مسكينا

فان لم يجد

حادى عشر

فان لم يجد فصيام ثلاثين يوما والطعام مد مد لشبعهم وقاله ابرهيم النخعى وحماد
بن سلمه قالوا والمعنى او هاهنا طعام ان لم يجد الهدى وحكى الطبري عن ابن عباس انه
قال اذا اصاب المحرم الصيد حكم عليه بجزايه فان كان عنده جزاوه ذبحه وتصدق به وان
لم يجد عنده جزاوه قوم جزاوه بدراهم ثم قومت الدراهم حنطه ثم
صام مكان كل نصف صاع يوما وقال انما اريد بالطعام تبيين امر
الصيام لمن لم يجد طعاما فانه يجد جزاوه واسند ايضا عن السدى نحوه وتعبير
هذا القول بظاهر الايه فانه ينافره الخامسة والعشرون اختلف العلما
فى الوقت الذى يعتبر فيه المتلف فقال قوم يوم الاتلاف وقال اخرون
يوم القضا وقال اخرون يلزم المتلف اكثر القيمتين من يوم الاتلاف الى يوم
الحكم قال ابن العربى واختلف علماونا كاختلافهم والصحيح انه يلزمه القيمه
يوم الاتلاف والدليل على ذلك ان الوجوب كان حقا للمتلف عليه فاذا اعدمه المتلف
لزمه ايجاده بمثله وذلك فى وقت العدم السادسة والعشرون اما
الهدى فلا خلاف انه لا بد له من مكه لقوله هديا بالغ الكعبه واما الاطعام
فاختلف فيه قول مالك هل يكون بمكه او بموضع الاصابه والى كونه بمكه ذهب
الشافعى وقال ما كان من دم او طعام فبمكه ويصوم حيث شا وهو قول مالك فى
الصوم ولا خلاف فيه قال القاضى ابو محمد عبد الوهاب ولا يجوز اخراج
شى من جزا الصيد بغير الحرم الا الصيام وقال حماد وابو حنيفه يكفر بموضع
الاصابه مطلقا وقال الطبري يكفر حيث شا مطلقا فاما قول ابى حنيفه فلا
وجه له فى النظر ولا اثر فيه واما من قال يصوم حيث شا فلان الصوم
عباده تختص بالصايم فتكون فى كل موضع كصيام ساير الكفارات
وغيرها واما وجه القول بان الطعام يكون بمكه فلانه بدل عن الهدى

او نظيره والهدي حق لمساكين مكة فلذلك يكون بمكة بدله ونظيره واما من
قال انه يكون بكل موضع فاعتبارا بكل طعام وفديه فانه يجوز بكل موضع والله اعلم
السابعة والعشرين قوله تعالى او عدل ذلك صياما العدل والعدل
بفتح العين وكسرها لغتان وهما المثل قاله الكسائي وقال الفراء العدل الشيء بكسر العين مثله
من جنسه وبفتح العين مثله من غير جنسه ويؤثر هذا القول عن الكسائي يقول عندي
عدل دراهمك من الدراهم وعندي عدل من الثياب والصحيح عن الكسائي انهما	دراهم
وهو قول البصريين ولا يصح ان يماثل الصيام الطعام في وجه اقرب من العدد قال
مالك يصوم عن كل مد يوما وان زاد على شهرين او ثلاثة وبه قال الشافعي وقال يحيى بن
عمر من اصحابنا انما يقال لهم كم من رجل يشبع من هذا الصيد فيعرف العدد ثم يقال
لهم كم من الطعام يشبع هذا العدد فان شاء اخرج ذلك الطعام وان شاء صام عدد امداده
وهذا قول حسن احتاط فيه لانه قد تكون قيمة الصيد من الطعام قليله
فبهذا النظر يكثر الطعام ومن اهل العلم من لا يرى ان يتجاوز في صيام الجزاء
شهرين قالوا لانها اعلى الكفارات واختاره ابن العربي وقال ابو حنيفة يصوم
عن مدين يوما اعتبارا بفدية الاذى الثامنة والعشرين قوله تعالى
ليذوق وبال امره الذوق هنا مستعار لقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم
وقال فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وحقيقة الذوق انما هي في حاسة اللسان
وهي هاهنا مستعارة ومنه الحديث ذاق طعم الايمان من رضي الله ربا الحديث	في م
والوبال سوء العاقبة والمرعى الوبيل هو الذي يتأذى به بعد اكله وطعام وبيل
اذا كان ثقيلا ومنه قوله عقيلة شيخ كالوبيل يلندد وعبر بامره عن جميع حاله
التاسعة والعشرين قوله تعالى عفا الله عما سلف يعني في جاهليتكم من
قتلكم الصيد قاله عطاء بن ابي رباح وجماعة معه قبل نزول الكفارة ومن	وم

عاد

عاد بمعنى النهي فينتقم الله منه اي بالكفارة وقيل المعنى فينتقم الله منه في الا خرة
ان كان مستحلا ويكفر في ظاهر الحكم وقال شريح وسعيد بن جبير عليه في اول مرة
فاذا عاد لم يحكم عليه وقيل له اذهب ينتقم الله منك اي ذنبك اعظم من ان يكفر كما
ان اليمين الفاجرة لا كفارة لها عند اكثر اهل العلم لعظم اثمها والمتورعون يتقون النقمة
بالتكفير وقد روي عن ابن عباس يملا ظهره سوطا حتى يموت وروي عن زيد ابي المعلى ان
رجلا اصاب صيدا وهو محرم فتجوز ثم عاد فانزل الله عز وجل نارا من السما فاحرقته
وهذه عبرة للامة وكف للمعتدين عن المعصية **الثالثة والثلاثون**
قوله تعالى والله عزيز ذو انتقام عزيز اي منيع في ملكه ولا يمتنع عليه ما يريده ذو
انتقام ممن عصاه ان شا **قوله تعالى** احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة
الى قوله تحشرون فيه ثلاث عشرة مسالة **الاولى** قوله تعالى احل لكم صيد البحر
هذا حكم بتحليل صيد البحر وهو كلما صيد من حيتانه والصيد هنا يراد به المصيد واضيف
الى البحر لما كان منه بسبب وقد مضى القول في البحر في البقرة والحمد لله رب العالمين
متاعا نصب على المصدر اي متعتم متاعا **الثانية** قوله تعالى وطعامه الطعام
لفظ مشترك يطلق على كل ما يطعم ويطلق على مطعوم خاص كالما وحده والبر وحده
والتمر وحده واللبن وحده وقد يطلق على النوم كما تقدم وهو هنا عبارة عما قذف
به البحر وطفا عليه اسند الدارقطني عن ابن عباس في قوله عز وجل احل لكم صيد
البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة الاية صيده ما يصيد وطعامه ما لفظ وروي
عن ابي هريرة مثله وهو قول جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين وروي عن ابن عباس
طعامه ميتته وهو في ذلك المعنى وروي عنه انه قال طعامه ما ملح منه وبقي وقاله
معه جماعة وقال قوم طعامه ملحه الذي ينعقد من ماية وساير ما فيه من نبات
وغيره **الثالثة** قال ابو حنيفة لا يوكل السمك الطافي ويوكل ما سواه من

السمك ولا يوكل شي من حيوان البحر الا السمك وهو قول الثوري في رواية ابي اسحق
الفزاري عنه وكره الحسن اكل الطافي من السمك وروي عن علي بن ابي طالب انه كرهه
وروي عنه ايضا انه كره اكل الجري وروي عنه اكل ذلك كله وهو اصح ذكر عبد الرزاق
عن الثوري عن جعفر بن محمد عن علي الجراد والحيتان ذكي كله ولم يختلف عنه في اكل الطافي من السمك
ولم يختلف عن جابر انه كرهه وهو قول طاوس ومحمد بن سيرين وجابر بن زيد واحتجوا بعموم
قوله تعالى حرمت عليكم الميتة وبما رواه ابو داود والدارقطني عن جابر بن عبد الله عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال كلوا ما حسر عنه البحر وما القاه وما وجدتموه ميتا او طافيا
فوق الماء فلا تاكلوه قال الدارقطني تفرد به عبد العزيز بن عبيد الله عن وهب بن كيسان
عن جابر وعبد العزيز ضعيف لا يحتج به وروى سفين الثوري عن ابي الزبير عن جابر
عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه قال الدارقطني لم يسنده عن الثوري غير ابي احمد
الزبيري وخالفه وكيع والعدنيان وعبد الرزاق ومومل وابو عاصم وغيرهم رووه
عن الثوري موقوفا وهو الصواب وكذلك رواه ايوب السختياني وعبيد الله بن
عمر وابن جريج وزهير وحماد بن سلمة وغيرهم عن ابي الزبير موقوفا قال ابو داود
وقد اسند هذا الحديث من وجه ضعيف عن ابن ابي ذيب عن ابي الزبير عن جابر
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدارقطني وروي عن اسماعيل بن امية وابن ابي ذيب
عن ابي الزبير مرفوعا ولا يصح رفعه رفعه يحيى بن سليم عن اسمعيل بن امية ووقفه
غيره وقال ملك والشافعي وابن ابي ليلى والاوزاعي والثوري في رواية الاشجعي
يوكل كل ما في البحر من السمك والدواب وساير ما في الحيوان وسواء اصطيد او
وجد ميتا واحتج ملك ومن تابعه بقوله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور
ماوه الحل ميتته واصح ما في هذا الباب من جهة الاسناد حديث جابر في
الحوت الذي يقال له العنبر وهو من اثبت الاحاديث خرجه الصحيحان

ونبه

وفيه فلما قدمنا المدينة اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له
فقال هو رزق اخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شي فتطعمونا فارسلنا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم منه فاكله لفظ مسلم واسند الدارقطني عن ابن عباس
انه قال اشهد على ابي بكر انه قال السمكة الطافية حلال لمن اراد اكلها واسند عنه
ايضا انه قال اشهد على ابي بكر انه اكل السمكة الطافية على الما واسند عن ابي
ايوب انه ركب البحر في رهط من الصحابة فوجدوا سمكة طافية على الما فسالوه عنها
فقال اطيبة هي لم تتغير قالوا نعم قال فكلوها وارفعوا نصيبي منها وكان صايما
واسند عن جبلة بن عطية ان اصحاب ابي طلحة اصابوا سمكة طافية فسالوا عنها
ابا طلحة فقال اهدوها الي وقال عمر بن الخطاب الحوت ذكي والجراد ذكي كله
رواه عنه الدارقطني فهذه الاثار ترد قول من خص ذلك وتخصيص عموم الاية
وهي حجة الجمهور الا ان مالكا كان يكره خنزير الما من جهة اسمه ولم يحرمه وقال
انتم تقولون خنزيرا وقال الشافعي لا باس بخنزير الما وقال الليث ليس بميتة البحر
باس قال وكذلك كلب الما وترس الما ولا يوكل انسان الما ولا خنزير الما الرابعة
اختلف العلما في الحيوان الذي يكون في البر والبحر هل يحل صيده للمحرم ام لا
فقال مالك وابو مجلز وعطا وسعيد بن جبير وغيرهم كل ما يعيش في البر
وله فيه حياة فهو صيد البر ان قتله المحرم وداه وزاد ابو مجلز في ذلك
الضفادع والسلاحف والسرطان الضفادع واجناسها حرام عند ابي
حنيفة ولا خلاف عن الشافعي في انه لا يجوز اكل الضفدع واختلف قوله فيما
له شبه في البر مما لا يوكل كالخنزير والكلب وغير ذلك والصحيح اكل ذلك كله لانه
نص على الخنزير في جواز اكله وقوله شبه في البر مما لا يوكل ولا يوكل عنده التمساح
ولا القرش ولا الغدلين وكل ما له ناب لنهيه صلى الله عليه وسلم عن اكل كل ذي ناب

قال بن عطيه ومن هذه انواع لا زوال لها من الما فهي لا محاله من صيد
البحر وعلى هذا اخرج جواب مالك في الصفادع في المدونه فانه قال الصفادع
من صيد البحر وروي عن عطا بن ابي رباح خلاف ما ذكرناه وهو انه يراعي اكثر عيش
صيده — الحيوان سئل عن ابن الما اصيد بر هو ام صيد بحر فقال حيث يكون اكثر فهو منه وحيث
يفرخ فهو منه وهو قول ابي حنيفه والصواب في ابن الما انه صيد بر يرعا وياكل
الحب قال بن العربي الصحيح في الحيوان الذي يكون في البر والبحر منعه لانه تعارض
دليلان دليل تحليل ودليل تحريم فيغلب دليل التحريم احتياطا والله اعلم
الخامسه قوله تعالى وللسياره فيه قولان احدهما للمقيم والمسافر كما جاء في
حديث ابي عبيده انهم اكلوه وهم مسافرون واكل النبي صلى الله عليه وسلم وهو
مقيم فبين الله تعالى انه حلال لمن اقام كما احله لمن سافر الثاني ان السياره هم
الذين يركبونه كما جاء في حديث مالك والنسائي ان رجلا سال النبي صلى الله
عليه وسلم فقال انا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الما فان توضانا به عطشنا
افنتوضا بما البحر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الطهور ماوه الحل
ميتته قال بن العربي قال علماونا فلو قال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم لما جاز
خوف — الوضوء منه الا عند خوف العطش لان الجواب مرتبط بالسوال فكان يكون محالا عليه
ولكن النبي صلى الله عليه وسلم ابتدا تاسيس القاعده وبيان الشرع فقال هو الطهور ماوه
قال الشيخ المولف رحمه وكان يجوز الجواب مقصورا عليهم لا يتعدى لغيرهم
لولا ما تقرر من حكم الشريعه ان حكمه على الواحد حكم على الجميع الا ما نص
بالتخصيص عليه كقوله لابي برده في العناق ضح بها ولن تجزي عن احد غيرك
السادسه قوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما التحريم ليس
صفه للاعيان وانما يتعلق بالافعال فمعنى قوله وحرم عليكم صيد البر اي فعل

الصيد

الصيد وهو المنع من الاصطياد او يكون الصيد بمعنى المصيد على معنى تسمية المفعول بما تقدم وهو الاظهر لاجماع العلما على انه لا يجوز للمحرم قبول صيد وهب له ولا يجوز له شراوه ولا اصطياده ولا استحداث ملكه بوجه من الوجوه ولا خلاف بين علما المسلمين اذ لالعموم قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ولحديث الصعب بن جثامه على ما ياتي **السابعه** اختلف العلما فيما ياكله المحرم من الصيد فقال ملك والشافعي واصحابهما واحمد وروي عن اسحق وهو الصحيح عن عثمن بن عفان انه لا باس باكل المحرم الصيد اذا لم يصد له ولا من اجله لما روى الترمذي والنساي والدارقطني عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه او يصد لكم قال ابو عيسى هذا احسن حديث في الباب وقال النساي عمرو بن ابي عمرو ليس هو بالقوي في الحديث وان كان قد روى عنه ثابت فان اكل من صيد صيد من اجله فداه وبه قال الحسن بن صالح والاوزاعي واختلف قول ملك فيما صيد لمحرم بعينه والمشهور من مذهبه عند اصحابه ان المحرم لا ياكل مما صيد لمحرم معين او غير معين ولم ياخذ بقول عثمن لاصحابه حين اتي بلحم صيد وهو محرم كلوا فلستم مثلي لانه صيد من اجلي وبه قالت طايفه من اهل المدينه وروي عن ملك وقال ابو حنيفه واصحابه اكل الصيد للمحرم جايز على كل حال اذا اصطاده الحلال سوا صيد من اجله او لم يصد لظاهر قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم فحرم قتله على المومنين دون ما صاده غيرهم واحتجوا بحديث البهزي واسمه زيد بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في حمار الوحش العقير

انه امر ابا بكر فقسمه في الرفاق من حديث مالك وغيره وبحديث ابي قتادة
عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه انما هي طعمة اطعمكموها الله وهو
قول عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان في رواية عنه وابي هريرة والزبير
بن العوام ومجاهد وعطا وسعيد بن جبير وروي عن علي بن ابي طالب
وابن عباس وابن عمر انه لا يجوز للمحرم اكل صيد على حال من الاحوال سوا
صيد من اجله او لم يصد لعموم قوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما
دمتم حرما قال ابن عباس هي مبهمة وبه قال طاوس وجابر بن زيد وابو
الشعثا وروي ذلك عن الثوري وبه قال اسحق واحتجوا بحديث الصعب
بن جثامة الليثي انه اهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا
وهو بالابوا او بودان فرده عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في وجهي قال انا لم نرده
عليك الا انا حرم خرجه الايمة واللفظ لمالك قال ابو عمر روى ابن
عباس من حديث سعيد بن جبير ومقسم وعطا وطاوس عنه ان
الصعب بن جثامة اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحم حمار وحش
قال سعيد بن جبير في حديثه عجز حمار وحش فرده يقطر دما كانه صيد
في ذلك الوقت وقال مقسم في حديثه رجل حمار وحش وقال عطا في حديثه
اهدي له عضو صيد فلم يقبله وقال انا حرم وقال طاوس في حديثه
عضدا من لحم صيد حدثنا به اسماعيل عن علي المديني عن يحيى بن سعيد عن
ابن جريج عن الحسن بن مسلم عن طاوس عن ابن عباس الا انهم عن ابن عباس عن
سعيد بن انم قال اسمعيل سمعت سليمان بن حرب يتاول هذا الحديث
على انه صيد من اجل النبي صلى الله عليه وسلم ولولا ذلك كان اكله جايز

قال سليمان

قال سليمان ومما يدل على انه صيد من اجله قولهم في الحديث فرده فقطر دما بانه صيد في ذلك الوقت قال اسماعيل فما تاول سليمان هذا الحديث لانه يحتاج الى تاويل واما روايه مالك فلا تحتاج الى التاويل لان المحرم لا يجوز له ان يمسك صيدا حيا ولا يذكيه قال اسماعيل وعلى تاويل سليمان بن حرب تكون الاحاديث المرفوعه كلها غير مختلفه ان شا الله تعالى **الثامنه** اذا احرم وبيده صيد او في بيته عند اهله فقال مالك ان كان في يده فعليه ارساله وان كان في اهله فليس عليه ارساله وهو قول ابي حنيفه واحمد بن حنبل وقال الشافعي في احد قوليه سوا كان في يده او في بيته ليس عليه ان يرسله وبه قال ابو ثور وعن مجاهد وعبد الله بن الحرث مثله وروي عن مالك وقال ابن ابي ليلى والثوري والشافعي في القول الاخر عليه ان يرسله سوا كان في بيته او بيده فان لم يرسله ضمن وجه القول بارساله قوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما وهذا عام في الملك والتصرف كله وجه القول بامساكه انه معنى لا يمنع من ابتدا الاحرام فلا يمنع من استدامه ملكه اصله النكاح **التاسعه** فان صاده الحلال في الحل فادخله الحرم جاز له التصرف فيه بكل نوع من ذبحه واكل لحمه وقال ابو حنيفه لا يجوز ودليلنا انه معنى يفعل في الصيد فجاز في الحرم للحلال كالامساك والشرا ولا خلاف فيهما **العاشره** اذا دل الحرام حلالا على صيد فقتله الحلال فاختلف فيه فقال مالك والشافعي وابو ثور لا شي عليه وهو قول ابن الماجشون وقال الكوفيون واحمد واسحق وجماعه من الصحابه والتابعين عليه الجزا ولان

الحرم الترم باحرامه ترك التعرض فيضمن بالدلاله كالمودع اذا دل
سارقا على السرقه **الحاديه عشر** اذا حلعوا في الحرم اذا دل
محرما اخر فمذهب الكوفيون واشهب من اصحابنا الى ان على كل واحد
منهم جزا كاملا وقال مالك والشافعي وابو ثور الجزا على المحرم القاتل لقوله
تعالى ومن قتله منكم متعمدا فعلق وجوب الجزا بالقتل فدل على انتفايه بغيره
ولانه دال فلم يلزمه بدلا لته عرم كما لو دل الحلال في الحرم على صيد في
الحرم وتعلق الكوفيون واشهب بقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
ابي قتاده هل اشرتم او اعنتم وهذا يدل على وجوب الجزا والاول اصح
والله اعلم **الثانيه عشر** اذا كانت شجرة ثابته في الحل وفرعها في الحرم
فالصيد فيه الجزا لانه اخذ في الحرم وان كان اصلها في الحرم وفرعها في الحل
فاختلف علماونا فيما اخذ عليه على قولين الجزا نظرا الى الاصل ونفيه نظرا
الى الفرع **الثالثه عشر** قوله تعالى واتقوا الله الذي اليه تحشرون
تشديد وتنبيه عقب هذا التحليل والتحريم ثم ذكر بامر الحشر
والقيامه مبالغه في التحذير والحمد لله رب العالمين **قوله تعالى** جعل
الله الكعبه البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلايد فيه
خمس مسايل **الاولى** قوله تعالى جعل الله الكعبه جعل هنا بمعنى خلق
وقد تقدم وسميت الكعبه كعبه لانها مربعه واكثر بيوت العرب مدوره
وقيل انما سميت كعبه لنتوها وبروزها فكل ناتي بارز كعب مستديرا
كان او غير مستدير ومنه كعب القدم وكعوب القناه وكعب ثدي
المراة اذا ظهر في صدرها والبيت سمي بذلك لانها ذات سقف وجدار
وهي حقيقه البيتيه وان لم يكن بها ساكن وسماه سبحانه حراما بتحريمه اياها

قال النبي

قف: مسايل عدة في جزاء الصيد

قال النبي صلى الله عليه وسلم ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس وقد تقدم الشهد ا
مستوفى والحمد لله رب العالمين **الثانية** قوله تعالى قياما للناس اي
صلاحا ومعاشا لامر الناس بها وتكون قيا ما بمعنى يقومون بها وقيل قيا قياما اي
يقومون بشرايعها وقرا ابن عامر وعاصم قيما وهما من ذوات الواو وقلبت الواو يا
لكسر ما قبلها وقد قيل قوام قال العلما والحكمة في جعل الله تعالى هذه الاشيا
قياما للناس ان الله سبحانه خلق الخلق على سليقة الادمية من التحاسد والتنافس
والتقاطع والتدابر والسلب والغارة والقتل والثار فلم يكن بد في الحكمة الالاهية
والمشية الازلية من كاف يدوم معه الحال ووازع يحمد معه المآل قال الله
تعالى اني جاعل في الارض خليفة فامرهم الله سبحانه بالخلافة وجعل امورهم
الى واحد يزعهم عن التنازع ويحملهم على التالف من التقاطع ويرد الظالم عن
المظلوم ويقرر كل يد على ما تستولي عليه روى ابن القاسم قال ح مالك ان عثمن
بن عفان رضي الله عنه كان يقول ما يزع الامام اكثر مما يزع القران ذكره ابو عمر
رحمه الله وجور السلطان عاما واحدا اقل اذاية من كون الناس فوضى لحظه
واحدة فانشا سبحانه عادية الامور فعظم الله سبحانه في قلوبهم البيت الحرام واوقع
في نفوسهم هيبته وعظم بينهم حرمته فكان من لجا اليه معصوما وكان به من
الاضطهاد محميا بالكون فيه قال العلما فلما كان موضعا مخصوصا لا يدركه كل مظلوم ولا
يناله كل خايف جعل الله الشهر الحرام وهي **الثالثة** ملجا اخر وهو اسم
جنس والمراد الاشهر الثلاثة باجماع من العرب فقرر الله في قلوبهم حرمتها فكانوا لا
يروعون فيها سربا اي نفسا ولا يطلبون فيها دما ولا يتوقعون فيها ثارا حتى كان
الرجل يلقا قاتل ابيه وابنه واخيه فلا يوذيه واقتطعوا فيها ثلث الزمان ووصلوا
منها ثلثة متوالية فسحة وراحة ومجالا للسياحة في الامن والاستراحة وجعلوا

وعلى هذا

هيبه

منها واحدا منفردا في نصف العام دركا للاحترام وهو شهر رجب الاصم ويسمى
مضر وانما قيل له رجب الاصم لانه كان لا يسمع فيه صوت الحديد ويسمى
منصل الاسنه لانهم كانوا ينزعون فيه الاسنه من الرماح وهو شهر قريش
وله يقول عوف بن الاحوص وشهر بني اميه والهدايا اذا سيقت مضرجها
الدما وسماه النبي صلى الله عليه وسلم شهر الله اي شهر آل الله وكان يقال لاهل
الحرم آل الله ويحتمل ان يريد شهر الله لان الله سنه وشدده اذ كان كثير من العرب
لا يراه وسياتي في براة اسما الشهور ان شا الله تعالى ثم يسر لهم الالهام او شرعا
على السنه الرسل الحرام الهدي والقلايد وهي فكان اذا اخذوا
بعيرا واشعروه دما او علقوا عليه نعلا او فعل ذلك الرجل بنفسه من التقليد
على ما تقدم بيانه اول السوره لم يروعه احد حيث لقيه وكان الفيصل بينه
وبين من طلبه او ظلمه حتى جا الله بالاسلام وبين الحق بمحمد صلى الله عليه وسلم
فانتظم الدين في سلكه وعاد الحق الى نصابه فاسندت الامامه اليه وانبنى
وجوبها للخلق عليه وهو قوله سبحانه وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض الايه وقد مضى في البقره احكام الامامه فلا معنى لاعادتها
قوله تعالى ذلك لتعلموا ذلك اشاره الى جعل الله هذه الامور
قياما والمعنى فعل الله ذلك لتعلموا ان الله يعلم تفاصيل امور السموات والارض
ويعلم مصالحكم ايها الناس قبل وبعد فانظروا لطفه بالعباد على حال كفرهم
اعلموا ان الله شديد العقاب تخويف وان الله غفور رحيم ترجيه
وقد تقدم هذا المعنى ما على الرسول الا البلاغ اي ليس له الهداية
والتوفيق ولا الثواب انما عليه البلاغ وفي هذا رد على القدريه كما
تقدم واصل البلاغ البلوغ وهو الوصول بلغ يبلغ بلوغا وابلغه ابلاغا وتبلغ

تبلغا

تبلغا وبالغه مبالغه وبلغه تبليغا ومنه البلاغة لانها ايصال المعنى الى النفس
في حسن صورة من اللفظ وتبالغ الرجل اذا تعاطى البلاغه وليس ببليغ وفي هذا بلاغ
اي كفاية لانه يبلغ مقدار الحاجه والله يعلم ما تبدون اي تظهرونه يقال
بدا السر وابداه صاحبه يبديه وما تكتمون اي تسرونه وتخفونه في قلوبهم
من الكفر والنفاق قل لا يستوي الخبيث والطيب فيه اربع
مسايل قال الحسن الحلال والحرام السدي المومن والكافر وقيل
المطيع والعاصي وقيل الردى والجيد وهذا على ضرب المثال والصحيح ان اللفظ
عام في جميع الامور يتصور في المكاسب والاعمال والناس والمعارف من
العلوم وغيرها فالخبيث من هذا كله لا يفلح ولا ينجب ولا يحسن له عاقبه
وان كثر والطيب وان قل نافع جميل العاقبه قال الله تعالى والبلد الطيب
يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا ونظير هذه الايه قوله
تعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل
المتقين كالفجار وقوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيات ان نجعلهم
كالذين امنوا وعملوا الصالحات فالخبيث لا يساوي مقدارا ولا انفاقا ولا
مكانا ولا ذهابا فالطيب ياخذ جهة اليمين والخبيث ياخذ جهة الشمال
والطيب في الجنه والخبيث في النار وهذا بين وحقيقه الاستوا الا ستمرار
في جهه واحده ومثله الاستقامه وضدها الاعوجاج ولما كان هذا
وهي الثانيه قال بعض علماينا ان البيع الفاسد يفسخ ولا يمضي عواله سو
ولا بتغير بدن فيستوي في امضايه مع البيع الصحيح بل يفسخ ابدا ويرد الثمن
على المبتاع ان كان قبضه وان تلف في يده ضمنه لانه لم يقبضه على الامانه
وانما قبضه بشبهة عقد وقيل لا يفسخ نظرا الى ان البيع اذا فسخ ورد

ق

بعد البيع لفوت يكون فيه ضرر وغبن على البايع فتكون السلعة تساوى
مايه وترد عليه وهي تساوى عشرين ولا عفو به في الاموال والاول اصح لعموم
الايه وقول النبي صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد قال
الشيخ المولف رحمه الله واذا تتبع هذا المعنى في عدم الاستوا في مسايل
الفقه تعددت وكثرت فمن ذلك الغاصب وهي اذا بنى في
البقعه المغصوبه او غرس فانه يلزمه قلع ذلك من البنا والغرس لانه خبيث
وردها خلافا لابي حنيفه في قوله لا يقلع واخذ صاحبها القيمه وهذا يرده
قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس لعرق ظالم حق قال هشام العرق الظالم
ان يغرس الرجل في ارض غيره ليستحقها بذلك قال مالك العرق الظالم كل ما
اخذ واحتفر وغرس في غير حق قال مالك من غصب ارضا فزرعها او اكراها
او دارا فسكنها او اكراها ثم استحقها ربها ان على الغاصب كرا ما سكن ورد ما
احد في الكرا واختلف قوله اذا لم يسكنها او لم يزرع الارض وعطلها فالمشهور
من مذهبه انه ليس عليه فيه شي وقد روى عنه ان عليه كرا ذلك كله واختاره
الوقار وهو مذهب الشافعي لقول النبي صلى الله عليه وسلم ليس لعرق ظالم
حق وروى ابو داود عن الزبير ان رجلين اختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم غرس
احدهما نخلا في ارض الاخر فقضا لصاحب الارض بارضه وامر صاحب النخل يخرج
نخله منها قال فلقد رايتها وانها لتضرب اصولها بالفوس حتى اخرجت منها
وانها لنخل عم وهذا نص قال بن حبيب والحكم فيه ان يكون صاحب الارض مخيرا
على الظالم ان شا حبس ذلك في ارضه بقيمته مقلوعا وان شا نزعه من ارضه واجر
النزع على الغاصب وروى الدارقطني عن عايشه قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من بنى في رباع قوم باذنهم فله القيمه ومن بنى بغير اذنهم فله

النقض

النقض قال علماونا انما تكون له القيمه لانه بنى في موضع يملك منفعته وذلك
لمن بنى او غرس بشبهه فله حق ان شاء رب المال ان يدفع اليه قيمته قايما وان ابى
قيل للذي بنى او غرس ادفع اليه قيمه ارضه براحا فان ابى كانا شريكين قال ابن الماجشو ن
وتفسيرا شترا كهما ان تقوم الارض براحا ثم تقوم بعمارتها فما زادت قيمتها بالعما ره
على قيمتها براحا كان العامل شريكا لرب الارض فيها ان احبا قسما او حبسا قال ابن
الجهم فاذا دفع رب الارض قيمه العمارة واخذ ارضه كان له كراها فيما مضى من
السنين وقد روى عن ابن القاسم وغيره انه اذا بنا رجل في ارض رجل باذنه ثم
وجب له اخراجه فانه يعطيه بنا به مقلوعا والاول اصح لقوله صلى الله عليه
وسلم فله القيمه وعليه اكثر الفقها **الرابعه** ولو اعجبك كثره الخبيث
قيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد امته فان النبى صلى الله عليه وسلم
لا يعجبه الخبيث وقيل المراد النبى صلى الله عليه وسلم واعجابه له انه صار عنده عجبا
مما يشاهده من كثرة الكفار والمال الحرام وقله المومنين والمال الحلال فاتقوا الله
يا اولى الالباب لعلكم تفلحون تقدم معناه **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا
لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم فيه عشر مسايل **الاولى** روى
البخارى ومسلم وغيرهما واللفظ للبخارى عن انس قال قال رجل يا نبى الله من ابى قال
ابوك فلان قال ونزلت يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم الا
وخرج ايضا عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم وفيه فوالله لا تسلونى عن شى
الا اخبرتكم به ما دمت في مقامى هذا فقام اليه رجل فقال اين مدخلى يا رسول الله
قال النار فقام عبد الله بن حذافه فقال من ابى يا رسول الله قال ابوك حذافه
وذكر الحديث قال ابن عبد البر عبد الله بن حذافه اسلم قديما وهاجر الى ارض
الحبشه الهجره الثانيه وشهد بدرا وكانت فيه دعابه وكان رسول الله صلى

الله عليه وسلم الى كسرى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما قال من
ابي يرسول الله قال ابوك حذافه قالت له امه ما سمعت بابن اعق منك
امنت ان تكون امك قارفت ما تقارف نسا الجاهليه فتفضحها على اعين الناس
فقال والله لو الحقني بعبد اسود للحقت به وروي الترمذي والدارقطني عن
علي عليه السلام قال لما نزلت هذه ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا قالوا يرسول الله افي كل عام فسكت فقالوا افي كل عام قال لا
ولو قلت نعم لوجبت فانزل الله تعالى يايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان
تبد لكم تسوكم الى اخر الايه اللفظ للدارقطني سيل عن هذا الحديث فقال
هو حديث حسن الا انه مرسل ابو البختري لم يدرك عليا واسمه سعيد واخرجه
الدارقطني عن ابي عياض عن ابي هريره قال قال رسول الله وسلم يايها الناس كتب
عليكم الحج فقام رجل فقال في كل عام يرسول فاعرض عنه ثم عاد فقال في كل
عام يرسول الله قال من القايل قالوا فلان قال والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت
ولو وجبت ما اطقتموها ولو لم تطيقوها لكفرتم فانزل الله تعالى يايها الذين
امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم وقال الحسن البصري في هذه سالوا
النبي صلى الله عليه وسلم عن امور الجاهليه التي عفا الله عنها ولا وجه
للسوال عما عفا الله عنه وروي مجاهد عن ابن عباس انها نزلت في قوم سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيره والسايبه والوصيله والحام وهو
قول سعيد بن جبير وقال الا ترى انه بعده ما جعل الله من بحيره ولا سايبه
ولا وصيله ولا حام قال الشيخ المولف رحمه وفي الصحيح المسند كفايه ويحتمل
ان تكون الايه جوابا للجميع فيكون السوال بعضه قريبا من بعض والله اعلم واشيا
وزنه افعال ولم ينصرف لانه مشبه بحمرا قاله الكساي وقيل وزنه افعلا

لقولك

لقولك هيزوا هوناعن الفرا والاخفش وتصغر فيقال اشيا المازني يجب ان
شيبات كما يصغر اصدقا في المونث صديقات وفي المذكر صديقون الثانيه
قال ابن عون سالت نافعا عن قوله تعالى لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم فقال
لم تزل المسايل منذ قط تكره روي مسلم عن المغيره بن شعبه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الله حرم عليكم عقوق الامهات ووادالبنات ومنعا وهات وكره لكم
ثلاثا قيل وقال وكثره السوال واضاعه المال قال كثير من العلما المراد بقوله وكثره
السوال التكثير من السوال في المسايل الفقهية تنطعا وتكلفا فيما لم ينزل والاغلو
وتشقيق المولدات وقد كان السلف يكرهون ذلك ويرونه من التكليف ويقولو
اذا نزلت النازله وفق المسول لها قال ملك ادركت اهل هذا البلد وما
عندهم علم غير الكتاب والسنه فاذا نزلت نازله جمع الامير لها من حضر من العلما
فما اتفقوا عليه انفذه وانتم تكثرون المسايل وقد كرهها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل المراد بكثره المسايل سوال الناس الاموال والحوايج الحاحا واستكثارا
وقاله ايضا ملك وقيل المراد بكثره المسايل السوال عما لا يعني من احوال الناس
بحيث يودي ذلك الى كشف عوراتهم والاطلاع على مساويهم وهذا مثل
قوله تعالى ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا قال ابن خويزمنداد ولذا
قال اصحابنا متى قدم اليه طعام لم يسال عنه من اين هو او عرض عليه شي
يشتريه لم من اين هو وحمل امور المسلمين على السلامه والصحه قال الشيخ المولف
رحمه الله والوجه حمل الحديث على عمومه فيتناول جميع تلك الوجوه كلها والله
اعلم الثالثه قال ابن العربي اعتقد قوم من الغافلين تحريم اسوله النوا
حتى تقع تعلقا بهذه الاية وليس كذلك لان هذه الاية مصرحة بان السوال
المنهي عنه انما كان فيما تقع المساة في جوابه ولا مساه في جواب نوازل الوقت

فانتبر قال الشيخ المولف رحمه الله قوله اعتقد قوم من الغافلين فيه قبح وانما
كان الاولى به ان يقول ذهب قوم الى تحريم اسولة النوازل لكنه جرى على
عادته وانما قلنا كان الاولى به لانه قد كان قوم من السلف يكرهها وكان عمر
بن الخطاب رضي الله عنه يلعن من سال عما لم يكن ذكره الدارمي في مسنده
وذكر عن الزهري قال بلغنا ان زيد بن ثابت الانصاري كان يقول اذا سيل
عن الامر اكان هذا فان قالوا نعم قد كان حدث فيه بالذي يعلم وان قالوا لم
يكن قال فذروه حتى يكون واسند عن عمار بن يسار وقد سيل عن مسيلة فقال
هل كان هذا بعد قالوا لا قال دعونا حتى يكون فاذا كان تجشمناها لكم قال
الدارمي نا عبد الله بن محمد بن ابي شيبة قال نا بن فضيل عن عطا عن بن عباس
قال ما رايت قوما كانوا خيرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
سالوه الا عن ثلاثه عشر مسيلة حتى قبض كلهن في القران منهن يسالونك عن
الشهر الحرام ويسالونك عن المحيض ما كانوا يسالون الا عما ينفعهم
قال بن عبد البر السوال اليوم لا يخاف منه ان ينزل تحريم ولا تحليل من اجله
لمن سال مستفهما راغبا في العلم ونفي الجهل عن نفسه باحثا عن معنى يجب
الوقوف في الديانه عليه فلا باس به فشفا العي السوال ومن سال
متعنتا غير متفقه ولا متعلم فهو الذي لا يحل قليل سواله ولا
كثيره قال بن العربي الذي ينبغي للعالم ان يشتغل به هو بسط الادله
وايضاح سبل النظر وتحصيل مقدمات الاجتهاد واعداد
الاله المعينه على الاستمداد فاذا عرضت نازله اتيت من
بابها ونشدت في مظانها والله يفتح في صوابها
قوله تعالى وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم فيه غموض

وذلك

وذلك ان في اول الايه النهي عن السوال ثم قال وان تسالوا عنها
حين ينزل القران تبد لكم فاباحه لهم فقيل المعنى وان تسالوا عن غيرها
مما مست الحاجه اليه فحذف المضاف ولا يصح حمله على غير الحذف
قال الجرجاني الكنايه في عنها ترجع الى اشيا اخر كقوله تعالى ولقد
خلقنا الانسان من سلاله من طين يعني ادم ثم قال ثم جعلناه
نطفه اي ابن ادم لان ادم لم يجعل نطفه في قرار مكين لكن لما
ذكر الانسان وهو ادم دل على انسان مثله وعرف ذلك بقرينه
الحال بالمعنى وان تسالوا عن اشيا حين ينزل القران من تحليل او
تحريم او حكم او مست حاجتكم الى التفسير فاذا سالتم فحينيذ
تبد لكم فقد اباح هذا النوع من السوال ومثاله انه بين
عده المطلقه والمتوفى عنها زوجها والحامل ولم يجد لو عدة التي
ليست بذات قروء ولا حامل فسالوا عنها فنزلت واللاي
ييسن من المحيض اذا في شي لم يبين لهم حاجه الى السوال فيه فاما
مست الحاجه فيه فلا   قوله تعالى عفا الله عنها
اي عن المسله التي سلفت منهم وقيل عن الاشيا التي سالوا عنها
من امور الجاهليه وما جرى مجراها وقيل العفو بمعنى الترك اي
تركها ولم يعرف بها في حلال ولا حرام فهو معفو عنها فلا تبحثوا
عنه فلعله ان ظهر لكم حكمه ساءكم وذا زعبيد بن عمير يقول
ان الله احل وحرم فما احل فاستحلوه وما حرم فاجتنبوه
وترك بين ذلك اشيا لم يحللها ولم يحرمها فذلك عفو من الله
ثم يتلو هذه الايه وخرج الدارقطني عن ابي ثعلبه الخشني قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى فرض فرائض فلا
تضيعوها وحرم حرمات فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا
تعتدوها وسكت عن اشيا من غير نسيان فلا تبحثوا عنها والكلام على
هذا التقدير فيه تقدم وتاخير اي لا تسالوا عن اشيا عفا الله عنها
ان تبد لكم تسوكم اي امسك عن ذكرها فلم يوجب فيه حكما وقيل
ليس فيه تقديم ولا تاخير بل المعنى قد عفا الله عن مسئلتكم التي
سلفت وان كرهها النبي صلى الله عليه وسلم فلا تعودوا لامثالها
فقوله عنها عن المسئلة او عن السوالات كما ذكرنا
قوله تعالى قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين اخبر
تعالى ان قوما من قبلنا قد سالوا ايات مثلها فلما اعطوا وفرضت
عليهم كفروا بها وقالوا ليست من عند الله وذلك كسوال قوم
صالح الناقة واصحاب عيسى المائدة وهذا تحذير مما وقع فيه
من سبق من الامم والله اعلم ان قال قايل ما ذكرتم
من كراهة السوال والنهي عنه يعارضه قوله تعالى فسلوا اهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون فالجواب ان هذا الذي امر الله به عباده
هو ما تقرر وثبت وجوبه مما يجب عليهم العمل به والذي جا فيه
النهي هو ما لم يتعبد الله عباده به ولم يذكره في كتابه والله اعلم
روى مسلم عن عامر بن سعد عن ابيه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سال
عن شي لم يحرم على المسلمين فحرم عليهم من اجل مسالته قال القشيري
ابو نصر ولو لم يسال العجلاني عن الزنا لما ثبت اللعان قال ابو الفرج

الجوزي

ثاني عشر

الجوزي هذا محمول على من سال عن الشي عنتا وعبثا فعوقب لسو قصده وتحريم ما سال عنه والتحريم يعم قال علماونا لا تعلق للقدريه بهذا الحديث في ان الله تعالى يفعل شيا من اجل شي وسببه تعالى عن ذلك فان الله على كل شي قدير وبكل شي عليم بل السبب والداعي فعل من افعاله لكن سبق القضا والقدر ان يحرم الشي المسول عنه اذا وقع السوال فيه لا ان السوال موجب للتحريم وعله له ومثله كثير لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ما جعل الله من بحيره ولا سايبه ولا وصيله ولا حام فيه سبع مسايل قوله تعالى ما جعل الله هنا بمعنى سمى كما قال تعالى انا جعلناه قرانا عربيا اي سميناه والمعنى في هذه الايه ما سمى الله ولا سن ذلك حكما ولا تعبد به شرعا بيد انه قضى علما واوجده بقدرته وارادته خلقا فان الله خالق كل شي من خير وشر ونفع وضر وطاعه ومعصيه قوله تعالى من بحيره ولا سايبه من زايده والبحيره فعيله بمعنى مفعوله وهي على وزن النطيحه والذبيحه في الصحيح عن سعيد بن المسيب البحيره التي يمنع درها للطواغيت فلا يحتلبها احد من الناس واما السايبه التي يسيبونها لالهتهم وقيل البحيره لغه هي الناقه المشقوقه الاذن يقال بحرت اذن الناقه اي شققتها شقا واسعا والناقه بحيره ومبحوره وكان البحر علامه التخليه قال بن سيده ويقال البحيره هي التي خليت بلا راع ويقال للناقه الغزيره بحيره ومبحوره قال بن اسحق البحيره هي ابنه السايبه والسايبه هي الناقه اذا تابعت بين عشر اناث ليس بينهن ذكر لم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف كما فعل بامها فهي البحيره ابنه السايبه وقال الشافعي

اذا نتجت الناقة خمسة ابطن اناثا بحرت اذنها فحرمت قال المحرمة لا يطعم الناس
لحمها ولا نحر في شي لذلك البحاير وقال ابن عزيز البحيرة الناقة اذا نتجت خمسة
ابطن فان كان الخامس ذكرا نحروه فاكله الرجال والنسا وان كان الخامس انثى بحروا
اذنها اي شقوه وكانت حراما على النسا لحمها ولبنها وقاله عكرمة فاذا ماتت
حلت للنسا والسايبة البعير يسيب بنذر يكون على الرجل ان سلمه الله من مرض
او بلغه منزله ان كان يفعل ذلك فلا يحبس عن رعي ولا ما ولا يركبها احد وقال ابو
عبيد قال وسايبة لله تنمي تشكرا ان الله عافى عامرا او مشاجعا وقد يسيبون
غير الناقة وكانوا اذا سيبوا العبد لم يكن عليه ولا وقيل السايبة هي المخلاه
لا قيد عليها ولا راعي لها فاعل بمعنى مفعول نحو عيشة راضية اي مرضية من
سابت الحية وانسابت قال العقرئم ناقة كانت لزني وسايبة فقوموا للعقاب
واما الوصيلة والحام فقال ابن وهب قال مالك كان اهل الجاهلية يعتقون
الابل والغنم يسيبونها فاما الحام من الابل كان الفحل اذا انقضى ضرابه جعلوا عليه
من ريش الطواويس ويسيبونه واما الوصيلة من الغنم اذا ولدت انثى بعد انثى
يسيبوها وقال ابن عزيز الوصيلة في الغنم كانوا اذا ولدت الشاة سبعة ابطن
نظروا فان كان السابع ذكرا ذبح فاكل منه الرجال والنسا وان كانت انثى تركت
في الغنم وان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم تذبح لمكانها وكان لحمها حراما
على النسا ولبن الانثى حراما على النسا الا ان يموت منهما شي فياكله الرجال والنسا
والحامي الفحل اذا ركب ولد ولده قال حماها ابو قابوس عن ملكه كما قد حما
اولاد اولاده الفحل ويقال اذا نتج من صلبه عشرة ابطن قالوا قد حمي ظهره فلا
يركب ولا يمنع من كلا ولا ما وقال ابن اسحق الوصيلة الشاة اذا اتامت عشر
اناث متتابعات في خمسة ابطن ليس بينهن ذكر قالوا وصلت فكان ما ولدت

بعد ذلك

ان
بعد ذلك للذكور منهم دون الاناث الا يموت شي منها فيشترك في اكله ذكورهم
وانا بهم روى مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رايت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار وكان اول من سيب السوايب
في رواية عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف اخا بني كعب هولاي وروى ابو هريرة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لاكثم بن جون يا اكثم رايت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف
يجر قصبه في النار فما رايت رجلا اشبه برجل منك به ولا به منك فقال اكثم اخشى
ان يضرني شبهه يا رسول الله قال لا انك مومن وهو كافر انه اول من غير دين
اسماعيل وبحر البحيرة وسيب السايبة وحمى الحامي وفي رواية رايته رجلا قصيرا اشعر
له وفره يجر قصبه في النار وفي رواية ابن القاسم وغيره عن زيد بن اسلم عن عطا بن يسار
عن النبي صلى الله عليه وسلم يوذي اهل النار بريحه مرسلا ذكره ابن العربي وقيل ان اول
من ابتدع ذلك جناده بن عوف والله اعلم وفي الصحيح كفاية وروى ابو اسحق ان
سبب نصب الاوثان وتغيير دين ابراهيم عمرو بن لحي خرج من مكة الى الشام فلما
قدم ماب من ارض البلقا وبها يومئذ العماليق اولاد عمليق ويقال عملاق بن لاود
بن سام بن نوح راهم يعبدون الاصنام فقال لهم ما هذه الاصنام التي اراكم
تعبدون قالوا هذه اصنام نستمطر بها فنمطر ونستنصر بها فننصر فقال لهم
افلا تعطوني منها صنما اسير به الى ارض العرب فيعبدونه فاعطوه صنما
يقال له هبل فقدم فقدم به مكة فنصبه واخذ الناس بعبادته وتعظيمه فلما
بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم انزل عليه ما جعل الله من بحيرة ولا سايبة ولا
وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يعني من قريش وخزاعة ومشركي العرب يفترون
على الله الكذب بقولهم ان الله امر بتحريمها ويزعمون انهم يفعلون ذلك لرضا ربهم
في طاعة الله وطاعة الله انما تعلم من قوله ولم يكن عندهم من الله بذلك قول

فما زد لك فيما يفترونه على الله وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصه لذكورنا
يعني من الولد والالبان ومحرم على ازواجنا وان يكن ميته يعني ان وضعته ميتا
اشترك فيه الرجال والنسا فذلك قوله عز وجل فهم فيه شركا سيجزيهم وصفهم
اي يكذبهم العذاب في الاخره انه حكيم عليم اي بالتحليل والتحريم وانزل عليه
قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام
على الله تفترون وانزل عليه ثمانيه ازواج من الضان اثنين الايه وانزل عليه
وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افترا عليه قد ضلوا وما كانوا مهتدين
تعلق ابو حنيفه رضي الله عنه في منعه الاحباس ورده الاوقاف
بان الله تعالى عاب على العرب ما كانت تفعل من تسييب البهايم وحمايتها وحبس
انفسها عنها وقاس على البحيره والسايبه والفرق بين من لو عمد رجل الى ضيعه له
فقال هذه تكون حبسا لا يجتنى ثمرها ولا تزرع ارضها ولا ينتفع منها بنفع لجاز
ان يشبه هذا بالبحيره والسايبه وقد قال علقمه لمن ساله عن هذه الاشيا
ما تريد الى شي كان من عمل اهل الجاهليه وقد ذهب وقال نحو بن زيد وجمهور
العلما على القول بجواز الاحباس والاوقاف ما عدا ابا حنيفه وابا يوسف
وزفر وهو قول شريح الا ان ابا يوسف رجع عن قول ابي حنيفه لما حدثه ابن
عطيه عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ان يتصدق من سهمه بخيبر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم احبس الاصل
وسبل الثمره وبه يحتج كل من اجاز الاحباس وهو حديث صحيح قاله ابن عمر وايضا
فان في المسله اجماع من الصحابه وذلك ان ابا بكر وعمر وعثمان وعليا وعايشه وسعد
وعمرو بن العاصي وابن الزبير وجابر كلهم وقفوا الاوقاف واوقافهم بمكه والمدينه
معروفه مشهوره وروي ان ابا يوسف قال لمحمد بحضره الرشيد ان الحبس لا يجوز

فقال له

فقال له ملك هذه الاحباس احباس رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وفدك
واحباس اصحابه واما ما احتج به ابو حنيفه من الايه فلا حجه فيه لان الله
سبحانه انما عاب عليهم ان تصرفوا بعقولهم بغير شرع توجه اليهم او تكليف
فرض عليهم في قطع طريق الانتفاع واذهاب نعم الله تعالى وازاله المصلحه التي
للعباد في تلك الابل وبهذا فارقت هذه الامور الاحباس والاوقاف ومما
احتج به ابو حنيفه وزفر ما رواه عطا بن المسيب قال شريحا عن رجل جعل داره
حبسا على الاخر من ولده فقال لا حبس عن فرايض الله قالوا فهذا شريح قاضي عمر وعثمان
وعلي الخلفا الراشدين حكم بذلك واحتج ايضا بما رواه بن لهيعه عن اخيه عيسى
عن عكرمه عن بن عباس قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما انزلت سوره
النسا وانزل الله فيها الفرايض ينهى عن الحبس قال الطبري الصدقه التي يمضيها
المتصدق في حياته على ما اذن الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وعمل به
الايمه الراشدون ليس عن الحبس عن فرايض الله ولا حجه في قول شريح ولا في
قول احد يخالف السنه وعمل الصحابه الذين هم الحجه على جميع الخلق واما حديث
بن عباس فرواه بن لهيعه وهو رجل اختلط عقله في اخر عمره واخوه غير
معروف فلا حجه فيه قاله بن القصار فان قيل كيف يجوز ان تخرج الارض
بالوقف من ملك اربابها الى غير ملك قال الطحاوي يقال وما ينكر من هذا وقد
اتفقت انت وخصمك على الارض يجعلها صاحبها مسجدا للمسلمين ويخلي بينهم وبينها
وقد خرجت بذلك من ملكه الى غير مالك ولكن الى الله تعالى وكذلك السقايات
والجسور والقناطر فما الزمت مخالفك في حجتك عليه يلزمك في هذا كله
والله اعلم   اختلف المجيرون للحبس فيما للمحبس من التصرف فقال
الشافعي ويحرم على الموقف ملكه كما يحرم عليه ملك رقبه العبد الا انه جايز

عن م

له ان يتولى صدقته ويكون بيده ليفرقها ويسبلها كما فيما اخرجها فيه لان عمر بن
الخطاب لم يزل يلي صدقته فيما بلغنا حتى قبضه الله عز وجل قال وكان على
وفاطمة كانا يليان صدقاتهما وبه قال ابو يوسف وقال ملك من حبس ارضا او
نخلا او دارا على المساكين وكانت بيده يقوم بها ويكريها ويقسمها في المساكين حتى
مات والحبس في يديه انه ليس بحبس مالم يحزه غيره وهو ميراث والربع عنده والحايط
لا ينفذ حبسها ولا يتم حوزها حتى يتولاه غير من حبسه بخلاف الخيل والسلاح
هذا تحصيل مذهبه عند جماعة اصحابه وبه قال بن ابي ليلى
لا يجوز للواقف ان ينتفع بوقفه لانه اخرجه لله وقطعه عن ملكه فانتفاعه
بشي منه رجوع في صدقته وانما يجوز له الانتفاع ان شرط ذلك في الوقف
او ان يفتقر المحبس او ورثته فيجوز لهم الاكل منه ذكر بن حبيب عن ملك قال
من حبس اصلا يجري عليه المساكين فان ولده يعطون منه اذا افتقروا كانوا يوم حبس
اغنيا او فقرا غير انهم لا يعطون جميع الغلة مخافة ان يندرس الحبس ولكن
يبقى منه سهم للمساكين ليبقى عليه اسم الحبس ويكتب على الولد كتاب انهم
انما يعطون منه ما اعطوا على سبيل المسكنة وليس على حق لهم دون المساكين
عتق السايبة جايز وهو ان يقول السيد لعبده انت حر وينوي
العتق او يقول اعتقتك سايبة فالمشهور من مذهب ملك عند جماعة اصحابه
ان ولاه لجماعة المسلمين وعتقه نافذ هكذا روى عنه بن القاسم وبن عبد الحكم
واشهب وغيرهم وبه قال بن وهب وروى بن وهب عن ملك قال لا يعتق
احد سايبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الولا وعن هبته قال ابن
عبد البر وهذا عند كل من ذهب مذهبه انما هو محمول على كراهة عتق السايبة
لا غير فان وقع نفذ وكان الحكم فيه ما ذكرناه وروى بن وهب ايضا وبن القاسم

عن ملك

عن ملك انه قال انا اكره عتق السايبه وانهى عنه فان وقع نفذ وكان ميراثا
لجماعه المسلمين وعقله عليهم وقال اصبغ لا باس بعتق السايبه ابتدا ذهب
الى المشهور من مذهب ملك وله احتج اسماعيل بن اسحق واياه تقلد ومن حجته
في ذلك ان عتق السايبه مستفيض بالمدينه لا ينكره عالم وان عبد الله بن عمر وغيره
من السلف اعتقوا سايبه وروي عن ابن شهاب وربيعه وابي الزناد وهو قول
عمر بن عبد العزيز وابي العاليه وعطا وعمرو بن دينار وغيرهم قال الشيخ المولف
رحمه الله ابو العاليه الرياحي البصري التميمي رضي الله عنه ممن اعتق اعتقته مولاه
له من بني رياح سايبه لوجه الله تعالى وطافت به على حلق المسجد واسمه رفيع بن
مهران وقال ابن نافع لا سايبه اليوم في الاسلام ومن اعتق سايبه كان ولاوه له
وبه قال الشافعي وابو حنيفه وابن الماجشون ومال اليه ابن العربي واحتجوا بقوله
صلى الله عليه وسلم من اعتق سايبه فولاوه له وقوله صلى الله عليه وسلم انما الولا لمن اعتق
فنفى ان يكون الولا لغير معتق واحتجوا بقوله تعالى ما جعل الله من بحيره ولا سايبه
وبالحديث لا سايبه في الاسلام وبما رواه ابو قيس عن هزيل بن شرحبيل
قال قال رجل لعبد الله اني اعتقت غلاما لي سايبه فماذا ترى فيه فقال
عبد الله ان اهل الاسلام لا يسيبون انما كانت تسيب الجاهليه انت وارثه
وولي نعمته   واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول
قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا الايه تقدم معناها والكلام عليها في
البقره فلا معنى لاعادتها   يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم فيه اربع مسايل   قال علماونا وجه
اتصال هذه الايه بما قبلها التحذير مما يجب ان يحذر منه وهو حال من تقدمت
صفته ممن ركن في دينه الى تقليد ابايه واسلافه وظاهر هذه الايه يدل

على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس القيام به بواجب اذا استقام
الانسان وانه لا يوخذ احد بذنب غيره لولا ما ورد من تفسيرها في السنه
واقاويل الصحابه والتابعين على ما نذكره قول الله تعالى   قوله
تعالى عليكم انفسكم معناه احفظوا انفسكم من المعاصي تقول عليك زيدا بمعنى
الزم زيدا ولا يجوز عليه زيدا بل انما تجوز هذا في المخاطبه في ثلاثه الفاظ
عليك زيدا اي خذ زيدا وعندك زيدا اي حضرك ودونك زيدا اي قرب
منك وانشد يا ايها المائح دلوي دونكا فاما قوله عليه رجلا ليسني
فشاذ   روى ابو داود والترمذي وغيرهما عن قيس قال خطبنا
ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال انكم تقرؤون هذه الايه وتتاولونها على
تاويلها يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا الظالم
ولم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده قال
ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح قال اسحق بن ابرهيم سمعت عمرو بن علي
يقول سمعت وكيعا يقول لا يصح عن ابي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم
ولا حديثا واحدا قلت ولا اسمعيل عن قيس قال ان اسماعيل روى عن
قيس موقوفا قال النقاش وهذا افراط من وكيع رواه شعبه عن سفيان
والخلق عن اسماعيل مرفوعا وروى ابو داود والترمذي وغيرهما عن ابي
اميه الشعباني قال اتيت ابا ثعلبه الخشني فقلت له كيف تصنع بهذه الايه
فقال ايه ايه قلت قوله تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من
ضل اذا اهتديتم فقال اما والله لقد سالت عنها خبيرا سالت عنها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا

مطاعا

مطاعا وهوًا متبعا ودنيا موثره واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصه
نفسك ودع عنك امر العامة فان من وراءكم ايا ما الصبر فيهن مثل القبض
على الجمر للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا مثل يعملون مثل عملكم وفي رواية قيل
يا رسول الله اجر خمسين منا اومنهم قال لا بل اجر خمسين منكم قال ابو عيسى
هذا حسن غريب قال ابن عبد البر قوله بل منكم هذه اللفظة قد سكت عنها
بعض الرواة فلم يذكرها وقد تقدم روى الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال انكم في زمان من ترك منكم عشر ما امر به هلك ثم ياتي زمان
من عمل منهم بعشر ما امر به نجا قال هذا حديث غريب وروى ابن مسعود انه
قال ليس هذا بزمان من عمل هذه قولوا الحق ما قبل منكم فاذا رد عليكم فعليكم
انفسكم وقيل لابن عمر في بعض اوقات الفتن لو تركت القول في هذه الايام فلم
تامر ولم تنه فقال ان رسول الله صلى الله وسلم عليه قال لنا ليبلغ الشاهد الغائب
ونحن شهدنا فيلزمنا ان نبلغكم وسياتي زمان اذا قيل فيه الحق لم يقبل وفي رواية
عن ابن عمر بعد قوله ليبلغ الشاهد الغايب فكنا نحن الشهود وانتم الغيب ولكن
هذه الاية لاقوام يجيبون من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم وقال ابن المبارك
قوله تعالى عليكم انفسكم خطاب لجميع المومنين اي عليكم اهل دينكم لقوله تعالى
ولا تقتلوا انفسكم فكانه قال ليامر بعضكم بعضا ولينه بعضكم بعضا
فهو دليل على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يضركم ضلال
المشركين والمنافقين واهل الكتاب وهذا لان الامر بالمعروف يجري مع المسلمين
من اهل العصيان كما تقدم وروي بمعنى هذا عن سعيد بن جبير وقال سعيد بن
المسيب معنى الاية لا يضركم من ضل اذا اهتديتم بعد الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر وقال ابن خويز منداد تضمنت اشتغال الانسان بخاصة نفسه وتركه

التعرض لمعايب الناس والبحث عن احوالهم فانهم لا يسالون عن حاله فلا يسال ل
عن حالهم وهذا كقوله كل نفس بما كسبت رهينة ولا تزر وازرة وزر اخرى
وقول النبي صلى الله عليه وسلم كن جلس بيتك وعليك بخاصة نفسك ويجوز
ان يكون اريد به الزمان الذي يتعذر فيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فينكر بقلبه ويشتغل باصلاح نفسه قال الشيخ المولف رحمه الله قد جاء حديث
غريب رواه ابن لهيعة قال بكر بن سوادة الجذامي عن عقبة بن عامر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان راس مايتين فلا تامرن بمعروف ولا تنه عن
منكر وعليك بخاصة نفسك قال علماونا انما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
جام لتغير الزمان وفساد الاحوال وقلة المعينين وقال ابن زيد معنى الاية يا
ايها الذين امنوا اولئك الذين بحروا البحيرة وسيبوا السوايب عليكم انفسكم
في الاستقامة على الدين لا يضركم ضلال الاسلاف اذا اهتديتم قال وكان
الرجل اذا اسلم قال له الكفار سفهت اباك وضللتهم وفعلت وفعلت
فانزل الله الاية بسبب ذلك وقيل الاية في اهل الاهوا الذين لا ينفعهم
الوعظ فاذا علمت من قوم انهم لا يقبلون ويستخفون ويظهرون فاسكت
عنهم وقيل نزلت في الاسارى الذين عذبهم المشركين حتى ارتد بعضهم فقيل لمن بقي
على الاسلام عليكم انفسكم لا يضركم ارتداد اصحابكم وقال سعيد بن جبير
هي في اهل الكتاب وقال مجاهد في اليهود والنصارى ومن كان مثلهم يذهبان
الى ان المعنى لا يضركم كفر اهل الكتاب اذا ادوا الجزية وقيل هي منسوخة بالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر قاله المهدوي قال ابن عطية وهذا ضعيف ولا يعلم
قائله قال الشيخ المولف رحمه الله قد جا عن ابي عبيد القاسم بن سلام انه قال
ليس في كتاب الله تعالى اية جمعت الناسخ والمنسوخ غير هذه الاية قال غيره الناسخ

منها

منها قوله اذا اهتديتم والهدى هنا هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والله اعلم
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر متعين متى رجي القبول او رجي رد
الظالم ولو بعنف مالم يخف الامر ضررا يلحقه في خاصته او فتنه يدخلها على
المسلمين اما بشق عصا واما بضرر يلحق طايفه من الناس فاذا خيف هذا فعليكم انفسكم
محكم واجب ان يوقف عنده ولا يشترط ان يكون عدلا كما تقدم على هذا جماعه اهل
العلم فاعلم يايها الذين امنوا شهاده بينكم الى قوله الفاسقين
فيه سته وعشرون مسئله قال مكي رحمه الله هذه الايات
الثلاث عند اهل المعاني من اشكل ما في القران اعرابا ومعنى وحكما قال ابن عطيه
هذا كلام من لم يقع له الثلج في تفسيرها وذلك بين من كتابه رحمه الله قال الشيخ
المولف رحمه ما ذكره مكي ذكره ابو جعفر النحاس قبله ايضا ولا اعلم خلافا ان هذه
الايات نزلت تميم الداري وعدي بن بدا روى البخاري والدارقطني وغيرهما
عن ابن عباس قال كان تميم الداري وعدي يختلفان الى مكه فخرج معهما فتى من بني سهم
فتوفي بارض ليس بها مسلم فاوصى اليهما فدفعا تركته الى اهله وحبسا
جاما من فضه مخوصا بالذهب فاستحلفهما النبي صلى الله عليه وسلم ما كتمتما ولا
اطلعتما ثم وجد الجام بمكه فقالوا اشتريناه من عدي وتميم فجا الرجلان من ورثه
السهمي فحلفا ان هذا الجام للسهمي ولشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا
قال فاخذوا الجام وفيهم نزلت هذه الايه لفظ الدارقطني وروى الترمذي
عن تميم الداري في هذه الايه يايها الذين امنوا شهاده بينكم برى منها الناس
غيري وغير عدي بن بدا وكانا نصرانيين يختلفان الى الشام قبل الاسلام فاتيا
الشام بتجارتهما وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن ابي مريم
ومعه جام مفضض يريد به الملك وهو عظم تجارته فمرض فاوصى اليهما

الناهي
من

وامرهما ان يبلغا ما ترك اهله قال تميم فلما مات اخذنا ذلك فبعناه بالف
درهم ثم اقتسمنا ها انا وعدي بن بدّاء فلما قدمنا الى اهله دفعنا اليهم ما
كان معنا وفقد والجام فسالونا عنه فقلنا ما ترك غير هذا وما دفع الينا
غيره قال تميم فلما اسلمت بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة تاثمت
من ذلك فاتيت اهله واخبرتهم الخبر واديت اليهم خمس مائة واخبرتهم
ان عند صاحبي مثلها فاتوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالهم البينة
فلم يجدوا فامرهم ان يستحلفوه بما يقطع به على اهل دينه فحلف فانزل
عز وجل يا ايها الذين امنوا الى قوله بعد ايمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل
اخر منهم فحلفا فنزعت الخمس مائة من يدي عدي بن بدا قال ابو عيسى
هذا حديث غريب وليس اسناده بصحيح ذكر الواقدي ان الايات
الثلاث نزلت في تميم واخيه عدي وكانا نصرانيين وكان متجرهما الى
مكة فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة قدم ابن ابي مارية
مولى عمرو بن العاص المدينة وهو يريد الشام تاجرا فخرج مع تميم
واخيه عدي وذكر الحديث وذكر النقاش قال نزلت في بديل
بن ابي مارية مولى العاص بن وايل السهمي كان خرج مسافرا الى
في البحر
ارض النجاشي ومعه رجلان نصرانيان احدهما يسمى تميما وكان
من لخم وعدي بن بدا فمات بديل وهم في السفينة فرمي به في البحر
وكان كتب وصيته ثم جعلها في المتاع فقال ابلغا هذا المتاع اهلي
فلما مات بديل قبضا المال فاخذا منه ما اعجبهما فكان فيما اخذا
اناء من فضة فيه ثلاث مائة مثقال منقوشا مموها بالذهب
وذكر الحديث وذكره سنيد وقال فلما قدموا الشام مرض

بديل

ب بل وكان مسلما الحديث قوله تعالى شهادة بينكم

ورد شهد في كتاب الله بانواع مختلفة منها قوله تعالى واستشهدوا
شهيدين من رجالكم قيل معناه احضروا ومنها شهد بمعنى قضا اي اعلم
قاله ابو عبيدة كقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو ومنها شهد
بمعنى اقر كقوله تعالى والملايكة يشهدون ومنها شهد بمعنى حكم قال
الله وشهد شاهد من اهلها وشهد بمعنى حلف كما في اللعان وشهد
بمعنى وصى كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم وقيل معناها
هنا الحضور للوصية يقال شهدت وصية فلان اي حضرت وذهب
الطبري الى ان الشهادة بمعنى اليمين فيكون المعنى يمين ما بينكم ان
يحلف اثنان واستدل على ان ذلك غير الشهادة التي تودى للمشهود
له بانه لا يعلم لله حكم يجب فيه على الشاهد يمين واختار هذا
القول القفال وسميت اليمين شهادة لانه يثبت بها الحكم كما
يثبت بالشهادة واختار ابن عطية ان الشهادة هنا هي الشهادة التي
تحفظ فتودى وضعف كونها بمعنى الحضور واليمين

قوله تعالى بينكم قيل معناه ما بينكم فحذفت ما واضيفت الشهادة
الى الظرف واستعمل اسما على الحقيقة وهو المسمى عند النحويين بالمفعول
على السعة كما قال ويوما شهدناه سليما وعامرا اراد شهدنا
فيه وقال تعالى بل مكر الليل والنهار اي مكر كم فيهما وانشد
تصافح من لاقيت لي ذا عداوة صفاحا وعني بين عينيك منزوي
اراد ما بين عينيك فحذف ومنه قوله تعالى هذا فراق بيني وبينك
اي ما بيني وبينك قوله تعالى اذا حضر اذا قاربه الحضور

والا فاذا حضر الموت لم يشهد ميت وهذا لقوله تعالى فاذا قرات
القران فاستعذ بالله ولقوله واذا طلقتم النسا فطلقوهن ومثله
كثير والعامل في اذا المصدر الذي هو شهادة قوله
تعالى حين الوصيه اثنان حين ظرف زمان والعامل فيه حضر وقوله
اثنان يقتضي بمطلقه شخصين ويحتمل رجلين الا انه لما قال بعد ذلك
ذوا عدل بين انه اراد رجلين لانه لفظ لا يصلح الا للمذكر كما ان ذوا انا
لا يصلح الا للمونث وارتفع اثنان على انه خبر المبتدا الذي هو شهادة
قال ابو علي شهادة رفع بالابتدا والخبر في قوله اثنان التقدير
شهادة بينكم في وصايا كم شهادة اثنين فحذف المضاف واقام المضاف
اليه مقامه كما قال تعالى وازواجه امهاتهم اي مثل امهاتهم ويجوز
ان يرتفع اثنان بشهادة التقدير وفيما انزل عليكم او ليكن منكم ان
يشهد اثنان وليقم الشهادة اثنان قوله تعالى ذوا عدل
منكم ذوا عدل صفه لقوله اثنان ومنكم صفه بعد صفه وقوله
او اخران من غيركم اي او شهادة اخرين من غيركم من غيركم صفه لاخرين
وهذا الفصل هو المشكل في هذه الايه والتحقيق فيه ان يقال
اختلف العلما فيه على ثلاثه اقوال الاول ان الكاف والميم في قوله
منكم ضمير المسلمين واخران من غيركم للكافرين فعلى هذا تكون شهادة
اهل الكتاب على المسلمين جايزه في السفر اذا كانت وصيه وهو الاشبه
بسياق الايه مع ما تقرر من الاحاديث وهو قول ثلاثه من الصحابه
الذين شاهدوا التنزيل ابو موسى الاشعري وعبد الله بن قيس
وعبد الله بن عباس فمعنى الايه من اولها الى اخرها على هذا القول

اخرين

ان الله

ان الله تعالى اخبر ان حكمه في الشهاده على الموصي اذا حضر الموت ان تكون
شهاده عدلين فان كان في سفر وهو الضرب في الارض ولم يكن معه احد
من المومنين فليشهد شاهدين ممن حضره من اهل الكفر فاذا قدما وادّيا
الشهاده على وصيه حلفا بعد الصلاه انهما ما كذبا ولا بدلا وان ما
شهدا به حق ما كتما فيه شهاده وحكم بشهادتهما فان عثر بعد ذلك
على انهما كذبا او خانا ونحو هذا مما هو اثم حلف رجلان من اوليا الموصي
في السفر وغرم الشاهدان ما ظهر عليهما هذا معنى الايه على مذهب
ابي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب ويحيى بن يعمر وسعيد بن
جبير وابي مجلز وابراهيم وشريح وعبيده السلماني وابن سيرين ومجاهد
وقتاده والسدي وابن عباس وغيرهم وقال به الفقها سفين الثوري
ومال اليه ابو عبيد القاسم بن سلام لكثره من قال به واختاره احمد
بن حنبل وقالوا شهاده اهل الذمه جايزه على المسلمين في السفر عند
عدم المسلمين كلهم يقولون منكم من المومنين ومعنى من غيركم من
الكفار قال بعضهم وذلك ان الايه نزلت ولا مومن الا بالمدينه
وكانوا يسافرون في التجاره صحبه اهل الكتاب وعبده الاوثان
وانواع الكفره والايه محكمه على مذهب ابي موسى وشريح وغيرهما
القول الثاني ان قوله سبحانه او اخران من غيركم منسوخ هذا قول
زيد بن اسلم والنخعي ومالك والشافعي وابي حنيفه وغيرهم من الفقها
الا ان ابا حنيفه خالفهم فقال تجوز شهاده الكفار بعضهم على بعض ولا
تجوز على المسلمين واحتجوا بقوله تعالى ممن ترضون من الشهدا وقوله
واشهدوا ذوي عدل منكم فهولاي زعموا ان ايه الدين من اخر ما نزلت

وان فيها مما يرضون من الشهدا فهو ناسخ ولم يكن الاسلام يومئذ الا بالمدينة
فجازت شهادة اهل الكتاب وهو اليوم طبق الارض فسقطت شهادة
الكفار وقد اجمع المسلمون ان شهادة الفساق لا تجوز والكفار فساق
ولا تجوز شهادتهم قال الشيخ المولف رحمه الله ما ذكرتموه صحيح الا انا
نقول بموجبه وان ذلك جاير في شهادة اهل الذمة على المسلمين في
الوصية في السفر خاصة للضرورة بحيث لا يوجد مسلم واما مع وجود
مسلم فلا ولم يات ما ادعيتموه من النسخ عن احد ممن شهد التنزيل وقد
قال بالاول ثلاثة من الصحابة وليس ذلك في غيره ومخالفة الصحابة الى
غيرهم ينفر منه اهل العلم ويقوي هذا ان سورة المايدة من اخر القران
نزولا حتى قال ابن عباس والحسن وغيرهما انه لا منسوخ فيها وما ادعوه
من النسخ لا يصح فان الناسخ لا بد ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ولم يرفع هذا
مع تراخي الناسخ فما ذكروه لا يصح ان يكون ناسخا فانه في قصة غير قصة
الوصية لمكان الحاجة والضرورة ولا يمتنع اختلاف الحكم عند الضرورات
ولانه ربما كان الكافر ثقة عند المسلم ويرتضيه عند الضرورة فليس فيما
قالوه ناسخ القول الثالث ان الاية لا نسخ فيها قاله الزهري والحسن
وعكرمة ويكون معنى قوله اي من عشيرتكم وقرابتكم لانهم احفظ
واضبط وابعد من النسيان ومعنى قوله او اخران من غيركم اي من
غير القرابة والعشيرة قال النحاس وهذا ينبني على معنى غامض في
العربية وذلك ان معنى اخر من جنس الاول تقول مررت بكريم وكريم
اخر فقولك اخر يدل على انه من جنس الاول ولا يجوز عند اهل العربية
مررت بكريم وخسيس اخر ولا مررت برجل وحمار اخر فوجب من

هذا ان يكون معنى قوله واخران من غيركم اي عدلان من الكفار لا يكونون
عدولا ولا يصح على هذا قول من قال من غيركم من غير عشيرتكم من المسلمين
وهذا معنى حسن من جهة اللسان وقد يحتج به لمالك ومن قال بقوله
لان المعنى عندهم من غيركم من غير قبيلتكم على انه قد عورض هذا القول
بان في اول الاية يا ايها الذين امنوا فخوطب الجماعة من المومنين
استدل ابو حنيفة بهذه الاية على جواز شهادة الكفار
من اهل الذمة فيما بينهم قال ومعنى واخران من غيركم اي من غير اهل
دينكم فدل على جواز شهادة بعضهم على بعض فيقال له انت لا تقول
بمقتضى هذه الاية لانها نزلت في قبول شهادة اهل الذمة على
المسلمين وانت لا تقول بها فلا يصح احتجاجك بها فان قيل هذه
الاية دلت على جواز قبول شهادة اهل الذمة على المسلمين من
طريق النطق ودلت على قبول شهادتهم على اهل الذمة من طريق التنبيه
وذلك انه اذا قبلت شهادتهم على المسلمين فلان تقبل على اهل الذمة
اولى ثم دل الدليل على بطلان شهادتهم على المسلمين فبقي شهادتهم
على الذمة على ما كان عليه وهذا ليس بشي لان قبول شهادة اهل
الذمة على اهل الذمة فرع لقبول شهادتهم على المسلمين فاذا
بطل شهادتهم على المسلمين وهي الاصل فلان تبطل شهادتهم على
اهل الذمة وهي فرعها احرى واولى والله اعلم ان انتم
ضربتم في الارض اي سافرتم وفي الكلام حذف تقديره ان انتم
ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت فاوصيتم الى اثنين عدلين
في ظنكم ودفعتم اليهما ما معكم من المال ثم متم وذهبا الى ورثتكم

بالتركة فاذنا بوا الى امرهما وادعوا عليهما خيانة فالحكم ان تحبسوهما
من بعد الصلاة اي تستوثقوا منهما قال ابو علي تحبسونهما صفة لاخران
واعتراض بين الصفة والموصوف بقوله ان انتم وسمى الله تعالى الموت في هذه
الاية مصيبة قال علماونا والموت وان كان مصيبة عظمى ورزية كبرى فاعظم
منه الغفلة عنه والاعراض عن ذكره وترك التفكر فيه وان فيه وحده
لعبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لو ان البهايم
تعلم من الموت ما تعلمون منه ما اكلتم منها سمينا ويروى ان اعرابيا كان
يسير على جمل له فخر الجمل ميتا فنزل الاعرابي عنه وجعل يطوف به ويتفكر
فيه ويقول مالك لا تقوم مالك لا تنبعث هذه اعضاوك كاملة
وجوارحك سالمة ما شانك ما الذى كان يحملك ما الذى كان يبعثك
ما الذي صرعك ما الذي عن الحركة منعك ثم تركه وانصرف متفكرا في
شانه متعجبا من امره   وهذه الاية اصل في حبس من وجب
عليه حق والحقوق على قسمين منها ما يصلح استيفاوه معجلا ومنها ما لا
يمكن استيفاوه الا موجلا فان خلي من عليه غاب واختفى وبطل الحق
وتوى فلم يكن بد من التوثق منه فاما بعوض عن الحق وهو المسمى رهنا واما
بشخص ينوب منابه في المطالبة والذمة وهو الحميل وهو دون الاول
لانه يجوز ان يغيب كمغيبه ويتعذر وجوده كتعذره ولكن لا يمكن اكثر من
هذا فان تعذرا جميعا لم يبق الا التوثق بحبسه حتى يقع منه التوفية لما
كان عليه من حق او تبين عسرته   فان كان الحق بدنيا لا يقبل
البدل كالحدود والقصاص ولم يتفق استيفاوه معجلا لم يكن فيه الا التوثق
بسجنه ولاجل هذه الحكمة شرع السجن روى ابو داود وغيره عن بهز بن حكيم عن ابيه

عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته قال
ابن المبارك يحل عرضه يغلظ له وعقوبته يحبس له قال الخطابي الحبس على ضربين
حبس عقوبة وحبس استظهار فالعقوبة لا تكون الا في واجب واما ما كان في
تهمة فانما يستظهر بذلك ليستكشف به ما وراءه وقد روي انه حبس
رجلا في تهمة ساعة من نهار ثم خلى عنه وروى معمر عن ايوب عن ابن سيرين
قال كان شريح اذا قضى على رجل بحق امر بحبسه في المسجد الى ان يقوم فان
اعطاه حقه والا امر به الى السجن قوله تعالى من بعد
الصلاة يريد صلاة العصر قاله الاكثر من العلماء لان اهل الاديان يعظمون
ذلك الوقت ويتجنبون فيه الكذب واليمين الكاذبة وقال الحسن صلاة
الظهر وقيل اي صلاة كانت وقيل من بعد صلاتهما على انهما كافران قاله
السدي وقيل ان فائدة اشتراطه بعد الصلاة تعظيما للوقت وارهابا به
لشهود الملائكة ذلك الوقت وفي الصحيح من حلف على يمين كاذبة بعد العصر
لقي الله وهو عليه غضبان هذه الاية اصل في التغليظ
في الايمان والتغليظ يكون باربعة اشيا احدها الزمان كما ذكرنا الثاني
المكان كالمسجد والمنبر خلافا لابي حنيفة واصحابه حيث يقولون لا يجب
استحلاف احد عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا بين الركن والمقام لا
في قليل الاشيا ولا في كثيرها والى هذا القول ذهب البخاري حيث ترجم
باب يحلف المدعى عليه حيث ما وجبت عليه اليمين ولا يصرف من موضع الى
غيره وقال مالك والشافعي يحلف في ايمان القسامة الى مكة من كان من
عملها فيحلف عند المنبر الثالث الحال روى مطرف وابن الماجشون وبعض اصحاب
الشافعي انه يحلف قائما مستقبل القبلة لان ذلك ابلغ في الردع والزجر

قال بن بطال انه يحلف جالسا قال بن العربى والذى عندى انه يحلف كما يحكم
بها ان قايما فقايما وان جالسا فجالسا اذ لم يثبت فى اثر ولا نظر اعتبار ذلك
من قيام او جلوس قال الشيخ المولف رحمه الله قد استنبط بعض العلما من
قوله فى حديث علقمة بن وايل عن ابيه فانطلق ليحلف القيام والله اعلم خرجه
مسلم الرابع التغليظ باللفظ فذهبت طايفة الى الحلف بالله لا تزيد عليه
لقوله تعالى فيقسمان بالله وقوله قل اي وربى وقال وتالله لاكيدن اصنامكم
وقوله صلى الله عليه وسلم من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت وقول الرجل
والله لا ازيد عليهن وقال مالك يحلف بالله الذى لا اله الا هو ما له عندى حق
وما ادعاه على باطل والحجة له ما رواه ابو داود نا مسدد قال نا ابو
الاحوص قال نا عطا بن السايب عن ابى يحيى عن بن عباس ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال يعنى لرجل حلفه احلف بالله الذى لا اله الا هو ما لك عنده شى يعنى
للمدعى قال ابو داود ابو يحيى اسمه زياد كوفى ثقة ثبت وقال الكوفيون يحلف
بالله لا غير فان اتهمه القاضى غلظ عليه اليمين فيحلف بالله الذى لا اله الا
هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الذى يعلم من السر ما يعلم من العلانية
الذى يعلم خاينة الاعين وما تخفى الصدور وزاد اصحاب الشافعى التغليظ
بالمصحف قال بن العربى وهى بدعة ما ذكرها احد قط من الصحابة وزعم
الشافعى انه راي بن مازن قاضى صنعا يحلف فى المصحف ويامر اصحابه بذلك
ويرويه عن بن عباس ولم يصح قال الشيخ المولف رحمه الله وفى كتاب المهذب
وان حلف بالمصحف وما فيه من القران فقد حكى الشافعى عن مطرف ان بن
الزبير كان يحلف على المصحف قال ورايت مطرفا بصنعا يستحلف على المصحف
قال الشافعى وهو حسن قال بن المنذر واجمعوا على انه لا ينبغى للحاكم ان

يستحلف

يستحلف بالطلاق والعتاق او المصحف قال الشيخ المولف رحمه الله قد
تقدم في الايمان وكان قتادة يحلف بالمصحف وقال احمد واسحق لا يكره
ذلك حكاه عنهم ابن المنذر اختلف مالك والشافعي
من هذا الباب في قدر المال الذي يحلف به في مقطع الحق فقال مالك لا تكون
اليمين في مقطع الحق في اقل من ثلاثة دراهم قياسا على القطع وكل مال يقطع فيه
اليد وتسقط به حرمة العضو فهو عظيم وقال الشافعي لا تكون اليمين في
ذلك في اقل من عشرين دينارا قياسا على الزكاة وكذلك عند منبر كل مسجد
قوله تعالى فيقسمان بالله الفاء في فيقسمان عاطفة جملة على جملة
او جواب جزاء لان تحبسونهما معناه احبسوهما اي لليمين فهو جواب
الامر الذي دل عليه الكلام كانه قال اذا حبستموهما اقسما قال ذو الرمة
وانسان عيني يحسر الماء تارة فيبدو وتارات يجم فيغرق تقديره عندهم
اذا حسر بدا واختلف في المراد بقوله فيقسمان فقيل
الوصيان اذا ارتيب بقولهما وقيل الشاهدان اذا لم يكونا عدلين وارتاب
بقولهما الحاكم حلفهما قال ابن العربي مبطلا لهذا القول الذي سمعت وهو
بدعة عن ابن ابي ليلى انه يحلف الطالب مع شاهديه ان الذي شهدا به حق
وحينئذ يقضى له بالحق وتاويل هذا عندي اذا ارتاب الحاكم بالقبض فيحلف
انه لباق واما غير ذلك فلا يلتفت اليه هذا في المدعي فكيف ان يحبس الشاهد
او يحلف هذا ما لا يلتفت اليه قال الشيخ المولف رحمه الله وقد تقدم من
قول الطبري انه لا يعلم لله حكم يجب فيه على الشاهد يمين وقد قيل انما استحلف
الشاهدان لانهما صارا مدعى عليهما حيث ادعى الورثة انهما خانا في المال
قوله تعالى ان ارتبتم شرط لا يتوجه تحليف الشاهدين الا به ومتى لم يقع ريب ولا

اختلاف فلا يمين قال بن عطيه اما انه يظهر من حكم ابى موسى فى تحليف الذميين
انه باليمين تكمل شهادتهما وتنفذ الوصيه لاهلها روى ابو داود عن الشعبى ان
رجلا من المسلمين حضرته الوفاه بدقوقا هذه ولم يجد احدا من المسلمين حضر يشهده
على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الكوفه فاتيا الاشعرى
فاخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال الاشعرى هذا امر لم يكن بعد الذى
كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا
ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وانها لوصيته وتركته فامضى شهادتهما قال بن عطيه
وهذه الريبه عند من لا يرى الايه منسوخه تترتب فى الخيانه وفى الاتهام بالميل
الى بعض الموصى لهم دون بعض وتقع مع ذلك اليمين عنده واما من يرى الايه منسوخه
فلا يقع تحليف الا ان يكون الارتياب فى خيانه او تعد بوجه من وجوه التعدى
فيكون التحليف عنده بحسب الدعوى على منكر لا على انه تكميل للشهاده قال ابن العربى
يمين التهمه والريبه على قسمين احدهما ما تقع الريبه فيه بعد ثبوت الحق وتوجيه
الدعوى فلا خلاف فى وجوب اليمين الثانى التهمه المطلقه فى الحقوق والحدود وله
تفصيل بانه فى كتب الفروع وقد تحققت ها هنا الدعوى وقويت حسب
ما ذكر فى الروايات   الشرط فى قوله ان ارتبتم يتعلق بقوله
تحبسونهما لا بقوله يقسمان لان هذا الحبس سبب القسم
قوله تعالى لا نشترى به ثمنا ولو كان ذى قربى يقولان فى يمينهما لا نشترى بقسمنا
عوضا ناخذه بدلا مما اوصى به ولا ندفعه الى احد ولو كان الذى يقسم له ذا
قربى منا واضمار القول كثير كقوله والملايكه يدخلون عليهم من كل باب سلام
عليكم اى يقولون سلام والاشترى هنا ليس بمعنى البيع بل هو التحصيل
اللام فى قوله لا نشترى جواب لقوله فيقسمان لان اقسم يتلقى

بما يتلقى

بما يلتقى به القسم وهو لا وما في النفي وان واللام في الايجاب والها في به عايد
على اسم الله تعالى وهو اقرب مذكور المعنى لا نبيع حظنا من الله تعالى بهذا العوض
ويحتمل ان يعود على الشهاده وذكرت على معنى القول كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
واتقوا دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب فاعاد على معنى الدعوة الذي هو الدعا
وقد تقدم في سورة النسا قوله تعالى ثمنا قال الكوفيون
المعنى ذا ثمن اي سلعه ذا ثمن فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعندنا
وكثير من العلما ان الثمن قد يكون هو ويكون السلعه فان الثمن عندنا مشترى
وكل واحد من المبيعين ثمنا ومثمونا كان المبيع دايرا على عرض ونقد او على عرضين
او على نقدين وعلى هذا الاصل تنبني مسئله اذا افلس المبتاع ووجد البايع
متاعه هل يكون اولى به قال ابو حنيفه لا يكون اولى به وبناه على هذا الاصل
وقال يكون صاحبها اسوة الغرما وقال مالك هو احق بها في الفلس دون الموت وقال
الشافعي صاحبها احق بها في الفلس والموت تمسك ابو حنيفه بما ذكرنا وبان الاصل
الكلي ان الدين في ذمه المفلس والميت وما بايديهما محل الوفا فيشترك جميع الغرما
فيه بقدر رؤس اموالهم ولا فرق في هذا من ان يكون اعيان السلع موجوده او
لا اذ قد خرجت عن ملك بايعها ووجبت اثمانها لهم في الذمه بالاجماع فلا يكون
لهم الا اثمانها او ما وجد منها وخصص مالك والشافعي هذه القاعده باخبار
رويت في هذا الباب رواها الايمه ابو داود وغيره
قوله تعالى ولا نكتم شهاده الله اي ما اعلمنا الله من الشهاده وفيها سبع قرات
من ارادها وجدها في التحصيل وغيره قوله تعالى فان
عثر على انهما استحقا اثما قال عمر هذه الايه اعضل ما في هذه السوره من الاحكام
وقال الزجاج اصعب ما في القران من الاعراب قوله من الذين استحق عليهم الاوليان

عثر على كذا اي اطلع عليه يقال عثرت منه على خيانة اى اطلعت واعثرت
غيري عليه ومنه قوله تعالى كذلك اعثرنا عليهم لانهم كانوا ابطنونهم وقد
خفي عليهم موضعهم واصل العثور الوقوع والسقوط على الشي ومنه قولهم عثر
الرجل يعثر عثرا اذا وقعت اصبعه بشي صدمته وعثرت اصبع فلان بكذا
اذا اصدمته فاصابته ووقعت عليه وعثر الفرس عثارا قال الاعشى بذات
لوث عفرناه اذا عثرت فالتعس اولى لها ان اقول لعا والعثير الغبار الساطع
لانه يقع على الوجه والعثير الاثر الخفي لانه يوقع عليه من خفا والضمير في انهما
يعود على الوصيين الذين ذكرا في قوله عز وجل اثنان عن سعيد بن جبير وقيل على
الشاهدين عن ابن عباس واستحقا اى استوجبا اثما اي يعنا الخيانة واخذهما ما
ليس لهما او باليمين الجاد به او بالشهادة الباطلة وقال ابو على الاثم هنا اسم
الشي الماخوذ لان اخذه باخذ اثم فسمى اثما كما سمى ما يوخذ بغير حق مظلمة قال
سيبويه الظلمة اسم ما اخذ منك فلذلك سمي هذا الماخوذ باسم المصدر
وهو الجام — قوله تعالى فاخران يقومان مقامهما
يعني في ايمان او في الشهادة وقال الاخران بحسب ان الورثة كانا اثنين وارتفع اخران
بفعل مضمر يقومان في موضع نعت مقامهما مصدر وتقديره مقاما مثل مقامهما
ثم اقيم النعت مقام المنعوت والمضاف مقام المضاف اليه

قوله تعالى من الذين استحق عليهم الاوليان قال ابن السري المعنى
استحق عليهم الايصا قال النحاس وهذا من احسن ما قيل فيه لانه لا يجعل
حرف بدل حرف واختاره ابن العربي ايضا وان التفسير عليه لان المعنى عند
اهل التفسير من الذين استحقت عليهم الوصية والاوليان بدل من قوله او اخران
قاله ابن السرى واختاره النحاس وهو بدل المعرفة من النكرة وابدال المعرفة من النكرة جايز

وقيل

وقيل النكرة اذا تقدم ذكرها ثم اعيد ذكرها صارت معرفة لقوله تعالى كمشكاة
فيها مصباح ثم قال المصباح في زجاجة ثم قال الزجاجة وقيل هو بدل من الضمير
في يقومان كانه قال فيقوم الاوليان او خبر ابتدا محذوف فالتقدير فآخران
يقومان مقامهما الاوليان وقال ابو عبيد الاوليان مفعول استحق على حذف
المضاف اي استحق فيهم وبسببهم اثم الاولين فعليهم بمعنى فيهم مثل على ملك
سليمان اي في ملك سليمان وقال الشاعر متى ما تنكروها تعرفوها على اقطارها
علق نفيث اي في اقطارها وقرا يحيى بن وثاب والاعمش وحمزة الاولين جمع اول
على انه بدل من الذين او من الهاء والميم في عليهم وقرا حفص استحق بفتح التا والحا
وروي عن ابي بن كعب وفاعله الاوليان والمفعول محذوف والتقدير من الذين
استحق عليهم الاوليان بالميت وصيته التي اوصى بها وقيل استحق عليهم الاوليان رد
الايمان وروي عن الحسن الاولان وعن ابن سيرين الاولين قال النحاس والقراتان
لحن لا يقال في مثنى مثنيان غير انه قد روي عن الحسن الاولان

قوله تعالى فيقسمان بالله اي يحلفان الآخران اللذان يقومان مقام الشاهدين ان
الذي قال صاحبنا في وصيته حق وان المال الذي وصى به اليهما كان اكثر مما اتيتمانا
به وان هذا الاناء لمن متاع الذي خرج معه وكتبه في وصيته وانكما خنتما فذلك قوله
لشهادتنا احق من شهادتهما اي يميننا احق من يمينهما فصح ان الشهادة قد تكون بمعنى اليمين
ومنه قوله تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات وقد روى معمر عن ايوب عن ابن سيرين
عن عبيدة قال قام رجلان من اولياء الميت فحلفا لشهادتنا احق ابتدا وخبر وقوله وما
اعتدينا اي تجاوزنا الحق في قسمنا انا اذا لمن الظالمين اي ان كنا حلفنا باطلا واخذنا
ما ليس لنا   قوله تعالى ذلك ادنى ابتدا وخبر ان في موضع   ضع
نصب بادنى نصب بان او يخافوا عطف عليه ان ترد في موضع نصب بيخافوا

ايمان بعد ايمانهم قيل الضمير في يا تيا او يخافوا راجع الى الموصى اليهما وهو الاليق بمساق الاية وقيل المراد به الناس اي احرى ان يخاف الناس الخيانة فيشهدوا بالحق خوف الفضيحة في رد اليمين على المدعى والله اعلم واتقوا الله واسمعوا امر الله للحذف منه النور اي اسمعوا ما يقال لكم قابلين له متبعين امر الله فيه والله لا يهدي القوم الفاسقين فسق يفسق ويفسق اذا خرج من الطاعة الى المعصية وقد تقدم يوم يجمع الله الرسل يقال ما وجه هذه الاية بما قبلها فالجواب انه اتصال الزجر عن الاظهار خلاف الابطان في وصية او غيرها مما ينبئ ان المجازي عليه عالم به ويوم ظرف زمان والعامل فيه واسمعوا اي واسمعوا خبر يوم وقيل التقدير واتقوا يوم يجمع الله الرسل عن الزجاج وقيل التقدير اذكروا او احذروا يوم القيامة حين يجمع الله الرسل والمعنى متقارب والمراد التخويف والتهديد فيقول ماذا اجبتم اي ما الذي اجابتكم به اممكم وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم الى توحيدي قالوا اي فيقولون لا علم لنا واختلف اهل التاويل في المعنى المراد بقولهم لا علم لنا فقيل معناه لا علم لنا بباطن ما اجابوا به انما معنا لا ان ذلك هو الذي يقع عليه الجزا وهذا مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المعنى لا علم لنا الا ما علمتنا فحذف عن ابن عباس ومجاهد بخلاف وقال ابن عباس ايضا معناه لا علم لنا الا علم انت اعلم به منا وقيل انهم يذهلون من هول ذلك ويفزعون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما تثوب اليهم عقولهم فيقولون لا علم لنا قاله الحسن ومجاهد والسدي قال النحاس هذا لا يصح لان الرسل على نبينا وعليهم افضل الصلاة والسلام لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الشيخ المولف رحمه الله هذا في اكثر مواطن القيمة ففي الخبر ان جهنم اذا جي بها زفرت زفرة فلا يبقى نبي ولا صديق الا جثى لركبتيه

قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفني جبريل عليه السلام يوم القيامة
حتى ابكاني فقلت يا جبريل الم يغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر فقال
لي يا محمد لتشهدن من هول ذلك اليوم ما ينسيك المغفرة قال الشيخ المولف
رحمه الله فان كان السوال عند زفرة جهنم فما قاله بعضهم فقول مجاهد والحسن
صحيح والله اعلم النحاس والصحيح في هذا ان المعنى ماذا اجبتم في السر والعلانية
ليكون هذا توبيخا للكفار فيقولون لا علم لنا فيكون هذا تكذيبا لمن اتخذ المسيح
الاها وقال ابن جريج معنا قوله ماذا اجبتم ماذا عملوا بعدكم قالوا لا علم لنا
انك انت علام الغيوب قال ابو عبيد ويشبه هذا حديث النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال يرد على اقوام الحوض فيختلجون فاقول امتي فيقال انك لا
تدري ماذا احدثوا بعدك وكسر الغين حمزة وابو بكر وضم الباقون قال الماوردي
فان قيل فلم سالهم عما هو اعلم به منهم ففيه جوابان احدهما انه سالهم ليعلمهم
ما يعلمون من كفر اممهم ونفاقهم وكذبهم عليهم من بعدهم الثاني انه اراد ان
يفضحهم بذلك على الاشهاد ليكون ذلك نوعا من العقوبة لهم
اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك هذا من صفة يوم القيمة كانه
قال اذكر يجمع الله الرسل واذ يقول الله لعيسى كذا قاله المهدوي وعيسى يجوز
ان يكون في موضع رفع على ان يكون مريم نداثانيا ويجوز ان يكون في موضع
نصب لانه ندا منسوب كما قال يحكم يا حكم بن المنذر بن الجارود ولا يجوز
الرفع في الثاني اذا كان مضافا الا عند الطول   اذكر نعمتي عليك انما
ذكر الله تعالى عيسى نعمه عليه وعلى والدته وان كان لهما ذاكرا لامرين احدهما ليتلو
ما خصهما به من الكرامة وميزهما به من علو المنزلة الثاني ليوكد به حجته
ويرد به جاحده ثم اخذ بعدد يد نعمه فقال اذ ايدتك يعني قويتك ماخوذ

من الايد وهو القوه وقد تقدم وفي روح القدس وجهان احدهما انها الروح
الطاهره التي خصها الله بها كما تقدم في قوله وروح منه الثاني انه جبريل عليه
السلام وهو الاصح كما تقدم في البقره تكلم الناس يعني وتكلم الناس في المهد صبيا
وفي الكهوله نبيا وقد تقدم ما في هذا في ال عمران فلا معنى لاعادته وكففت
معناه دفعت وصرفت بني اسرايل عنك حين هموا بقتلك اذ
جيتهم بالبينات اي الدلالات والمعجزات وهي المذكوره في الايه
فقال الذين كفروا يعني الذين لم يومنوا بك وجحدوا نبوتك ان
هذا اي المعجزات الا سحر مبين وفي قراه حمزه والكساي ساحر اي ان
هذا الرجل الا ساحر قوي على السحر واذا وحيت الى
الحواريين ان امنوا بي وبرسولي قد تقدم القول في معاني هذه
الايه والوحي في كلام العرب معناه الالهام ويكون على اقسام
وحي بمعنى ارسال جبريل عليه السلام الى الرسل ووحي بمعنى
الالهام كما في هذه الايه اي الهمتهم وقذفت في قلوبهم ومنه
قوله تعالى واوحى ربك الى النحل واوحينا الى ام موسى ووحي
بمعنى الاعلام في اليقظه والمنام قال الله تعالى بان ربك اوحى
لها وقال العجاج وحى لها القرار فاستقرت اي امرها بالقرار
فاستقرت وقيل اوحيت هنا بمعنى امرتهم وقيل بينت لهم
واشهد بانا مسلمون على الاصل ومن العرب من يحذف احدى
النونين اي واشهد يا رب وقيل يا عيسى باننا مسلمون لله
اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم على ما تقدم من الاعراب
هل يستطيع ربك قراه الكساي وعلي وابن عباس وسعيد بن

جبير

جبير ومجاهد هل تستطيع بالتاء ربك بالنصب وادغم الكسائي
اللام من هل في التاء وقرأ الباقون بالياء ربك بالرفع وهذه القراءة
اشكل من الاولى فقال السدي المعنى هل يطيعك ربك ان سالته
ان ينزل فيستطيع بمعنى يطيع كما قال استجاب بمعنى اجاب وكذلك
استطاع بمعنى اطاع وقيل المعنى هل يقدر ربك فكان هذا
السوال في ابتدا امرهم قبل استحكام معرفتهم بالله عز وجل
ولهذا قال عيسى في الجواب عند غلطهم وتجويزهم على الله ما
لا يجوز اتقوا الله ان كنتم مومنين اي لا تشكوا في قدرة الله تعالى
قال الشيخ المولف رحمه الله تعالى وهذا فيه نظر لان
الحواريين خلصاء الانبيا ودخلاوهم وانصارهم كما قال
من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله وقال النبي
صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري وحواري الزبير ومعلوم ان
الانبيا صلوات الله عليهم جاوا بمعرفة الله تعالى وما يجب له ويجوز
ويستحيل وان يبلغوا ذلك امتهم فكيف يخفى ذلك على من باطنهم
واختص بهم حتى يجهلوا قدرة الله تعالى الا انه يجوز ان يقال
ان ذلك صدر ممن كان معهم كما قال بعض جهال الاعراب للنبي
صلى الله عليه وسلم اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط
وكما قال من قال من قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة على ما ياتي
بيانه في الاعراف ان شا الله تعالى وقيل ان القوم لم يشكوا في
استطاعة الباري سبحانه لانهم كانوا مومنين عارفين عالمين وانما
هو كقولك للرجل هل يستطيع فلان ان ياتي وقد علمت انه يستطيع

فالمعنى هل يفعل ذلك وهل يجيبني الى ذلك ام وقد كانوا عالمين
باستطاعة الله تعالى لذلك ولغيره علم ودلالة وخبر ونظر فارادوا
علم معاينة لذلك كما قال ابرهيم رب ارني على ما تقدم وقد كان
ابراهيم علم ذلك خبر ونظر ولكن اراد المعاينة التي لا يدخلها ريب
ولا شبهة لان علم النظر والخبر قد يدخله الشبهة والاعتراضات
وعلم المعاينة لا يدخله شي من ذلك ولذلك قال الحواريون ولتطمين
قلوبنا كما قال ابرهيم ليطمين قلبي قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا
تاويل حسن واحسن منه ان ذلك كان من قول من كان مع الحواريين على ما
ياتي بيانه ان شا الله تعالى وقد ادخل ابن العربي المستطيع في اسما الله
تعالى وقال لم يرد به كتاب ولا سنة اسما وقد ورد فعلا وذكر
قول الحواريين هل يستطيع ربك ورده عليه ابن الحصار في كتاب شرح
السنة وغيره قال ابن الحصار وقوله سبحانه مخبرا عن الحواريين
لعيسى هل يستطيع ربك ليس بشك في الاستطاعة وانما هو
تلطف في السوال وادب مع الله تعالى اذ ليس كل ممكن سبق
في علمه وقوعه ولا لاحد والحواريون هم كانوا خيرة من امن بعيسى
فكيف يظن بهم الجهل باقتدار الله سبحانه على كل شي ممكن واما قراة
التا فقيل المعنى هل تستطيع ان تسال ربك هذا قول عايشة
ومجاهد رضي الله عنهما قالت عايشة رضي الله عنها كان القوم
اعلم بالله عز وجل من يقولوا هل يستطيع ربك قالت ولكن هل
تستطيع ربك وروي عنها ايضا انها قالت كان الحواريون لا يشكو
ان الله يقدر على انزال مايدة ولكن قولوا هل تستطيع ربك وعن

معاذ بن جبل قال اقرانا النبي صلى الله عليه وسلم هل يستطيع ربك معاذ
وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم مرارا يقرا بالتا هل تستطيع قال الزجاج
المعنى هل تستدعي طاعة ربك فيما تساله وقيل هل تستطيع ان تدعو
ربك وتساله والمعنى متقارب ولابد من محذوف كما قال وسل
القرية وعلى قراه اليا لا يحتاج الحذف قال اتقوا الله اي
معاصيه وكثرة السوال فانكم لا تدرون ما يحل بكم عند اقتراح
الايات اذ كان الله عز وجل انما يفعل الاصلح لعباده ان كنتم
مومنين اي ان كنتم مومنين به وبما جيت به فقد جاتكم من الايات
ما فيه غنى   قالوا نريد ان ناكل منها نصب بان وتطمين
قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين عطف كله
بيناه سبب سوالهم حين نهوا عنه وفي قولهم ناكل منها وجهان
احدهما انهم ارادوا الاكل منها للحاجة الداعية اليها وذلك ان
عيسى عليه السلام كان اذا خرج اتبعه خمسة الاف او اكثر بعضهم
كانوا اصحابه وبعضهم كانوا يطلبون منه ان يدعو لهم لمرض كان
بهم او علة اذ كانوا زمنى او عميانا وبعضهم كانوا ينظرون ويستهزون
فخرج الى موضع فوقعوا في مفازة ولم يكن معهم نفقة فجاعوا وقالوا
للحواريين قولوا لعيسى حتى يدعو بان ينزل علينا مايدة من السما فجاه
شمعون راس الحواريين واخبره ان الناس يطلبون ان يدعو بان ينزل
عليهم مايدة من السما فقال عيسى لشمعون قل لهم اتقوا الله ان كنتم
مومنين فاخبر بذلك شمعون القوم فقالوا له نريد ان ناكل منها الاية
الثاني ناكل منها تبركا بها لا لحاجة دعتهم اليها الماوردي وهذا اشبه

لانهم لو احتاجو لم ينهوا عن السوال ونطمئن قلوبنا يحتمل ثلثه اوجه
احدها نطمئن الى ان الله تعالى بعثك الينا نبيا الثاني نطمئن الى ان الله تعالى
قد اختارنا لدعوانا الثالث نطمئن الى ان الله تعالى قد اجابنا الى ما سالنا
ذكرها الماوردي والمهدوي اي نطمئن بان الله قد قبل صومنا وعلمنا الثعلبي
نستيقن قدرته فتستكن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا بانك رسول الله
ونكون عليها من الشاهدين لله بالوحدانيه ولك بالرساله والنبوه وقيل
ونكون عليها من الشاهدين لك عند من لم يرها اذا رجعنا اليهم
قال عيسى بن مريم اللهم ربنا الاصل عند سيبويه يا الله والميمان بدل من يا ربنا
ندا ثان لا يجيز سيبويه غيره ولا يجوز ان يكون نعتا لانه قد اشبه الاصوات
من اجل ما لحقه انزل علينا مايده المايده الخوان الذي عليه الطعام قال
قطرب لا تكون المايده مايده حتى يكون عليها طعام فان لم يكن قيل خوان
وهي فاعله ممادة بمعنى اذا اطعمه واعطاه فالمايده تميد ما عليها اي تعطي
ومنه قول روبه انشده الاخفش يهدي روس المترفين الانداد الى امير
المومنين الممتاد اي المستعطي المسول فالمايده هي المطعمه والمعطيه الاكلين
الطعام ويسمى الطعام ايضا مايده تجوزا لانه يوكل على المايده كقولهم
للمطر سما وقال اهل الكوفه سميت مايده لحركتها بما عليها من قولهم
ماد الشي اذا مال وتحرك قال الشاعر لعلك باك ان تغنت حمامه
يميد بها غصن من الايك مايل وقال اخر واقلقني قتل الكماني بعده
فكادت بي الارض الفضا تميد ومنه قوله تعالى والقى في الارض رواسي ان
تميد بكم وقال ابو عبيده مايده فاعله بمعنى مفعوله مثل عيشه راضيه
بمعنى مرضيه وماذا فواي مدفوق تكون لنا عيدا لكون

نعت

نعت لمايدة وليس بجواب وقرا الاعمش تكن على الجواب والمعنى تكون يوم نزولها
عيدا لاولنا اي لاول امتنا واخرها فقيل ان المايدة نزلت عليهم يوم الاحد
غدوة وعشية فلذلك جعلوا الاحد عيدا والعيد واحد الاعياد وانما جمع
بالياء واصله الواو للزومها في الواو ويقال للفرق بينه وبين اعواد الخشب
وقد عيدوا اي شهدوا العيد قاله الجوهري وقيل اصله من عاد يعود اي رجع
فهو عود بالواو فقلبت ياء لانكسار ما قبلها مثل الميزان والميقات والميعاد
فقيل ليوم الفطر والاضحى عيدا لانهما يعودان كل سنة وقال الخليل العيد
كل يوم جمع كانهم عادوا اليه وقال ابن الانباري سمي عيدا للعود في المرح والفرح
فهو يوم سرور الخلق كلهم الا ترى ان المحبوسين في ذلك اليوم لا يطالبون ولا يعاقبون
ولا تصاد الوحش ولا الطيور ولا ينفذ الصبيان الى المكاتب وقيل سمي عيدا
لان كل انسان يعود الى قدر منزلته الا ترى الى اختلاف ملابسهم وهياتهم
وماكلهم فمنهم من يضيف ومنهم من يضاف ومنهم من يرحم ومنهم من يرحم
وقيل سمي بذلك لانه يوم شريف تشبيها بالعيد وهو فحل كريم مشهور في العرب
وينسبون اليه فيقال ابل عيدية قال عيدية ارهنت فيها الدنانير وقد
تقدم وقرا زيد بن ثابت لاولينا واخرينا على الجمع قال ابن عباس ياكل منها
من اخر الناس كما ياكل اولهم وايه منك يعني دلالة وحجة وارزقنا اي
اعطنا وانت خير الرازقين اي خير من اعطا ورزق لانك الغني الحميد

اني منزلها عليكم هذا وعد من الله تعالى اجاب به سوال عيسى
كما كان سوال عيسى اجابة للحواريين وهذا يوجب انه قد انزلها ووعده الحق
فجحد القوم وكفروا بعد نزولها فمسخوا قردة وخنازير قال ابن عمر ان اشد الناس
عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من اصحاب المايدة وال فرعون قال الله

قبول

ح

س

تعالى ومن يكفر فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين واختلف العلما في المايده
هل نزلت ام لا فالذي عليه الجمهور وهو الحق نزولها لقوله اني منزلها عليكم وقال
مجاهد ما نزلت وانما هذا ضرب مثل ضربه الله تعالى لخلقه فنهاهم عن مسئلة الا
يات لانبيايه وقيل وعدهم بالاجابه فلما قال لهم فمن يكفر بعد منكم الايه
استعفوا منها واستغفروا الله وقالوا لا نريد هذا قاله الحسن وهذا القول
والذي قبله خطا والصواب انها نزلت قال ابن عباس ان عيسى بن مريم قال
لبني اسرايل صوموا ثلاثين يوما ثم اسالوا الله ما شيتم يعطيكم فصاموا
ثلاثين يوما وقالوا يا عيسى لو عملنا لاحد فقضينا عملنا وانا صمنا وجعنا
فادع الله ان ينزل علينا مايده من السما فاقبلت الملايكه بمايده يحملونها عليها
سبعه ارغفه وسبعه احوات فوضعوها بين ايديهم فاكل منها اخر
الناس كما اكل اولهم وذكر ابو عبد الله محمد بن علي الترمذي في نوادر الاصول
نا عمر بن ابي عمر قال نا عمار بن هارون الثقفي عن زكريا بن حكيم الحنظلي عن علي
بن زيد بن جدعان عن ابي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال لما سالت
الحواريون عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه المايده قام
فوضع ثياب الصوف ولبس ثياب المسوح وهو سربال من مسوح اسود ولحافا
اسود فقام فالزق القدم بالقدم والصق العقب بالعقب والابهام بالابهام
ووضع يده اليمنى على يده اليسرى ثم طاطا راسه خاشعا لله ثم ارسل عينيه يبكي حتى
جرى الدمع على لحيته وجعل يقطر على صدره ثم قال اللهم انزل علينا مايده من
السما تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا وايه منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال
الله اني منزلها عليكم الايه فنزلت سفره حمرا مدوره بين غمامتين غمامه من
فوقها وغمامه من تحتها والناس ينظرون اليها فقال عيسى اللهم اجعلها رحمه ولا

تجعلها

فجعلها فتنة الهي اسلك من العجايب فتغطي فهبطت بين يدي عيسى عليه السلام وعليها
منديل مغطي فخر عيسى ساجدا والحواريون معه وهم يجدون لها رايحة طيبة لم يكونوا
يجدون قبل ذلك فقال عيسى ايكم اعبد لله واجرا على الله واوثق بالله فليكشف عن
هذه السفرة حتى ناكل منها ونذكر اسم الله عليها ونحمد الله عليها قالت الحواريون
يا روح الله انت احق بذلك فقام عيسى صلوات الله عليه فتوضا وضوا حسنا وصلى
صلاة مكملة جيدة ودعا دعا كثيرا ثم جلس الى السفرة فكشف عنها فاذا عليها
سمكة مشوية ليس فيها شوك تسيل سيلان الدسم وقد نضد حولها من كل
البقول ما خلا الكراث وعند راسها ملح وخل وعند ذنبها خمسة ارغفة على
واحد منها خمس رمانات وعلى اخر تمرات وعلى اخر زيتون الثعلبي على الواحد منها
زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث بيض وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد
فبلغ ذلك اليهود فجاوا غما وكمدا ينظرون اليه فراوا عجبا فقال شمعون وهو
راس الحواريين يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الجنة فقال عيسى صلوات ت
الله وسلامه على نبينا وعليه اما افترقتم فتنتم قتم بعد عن هذه المسايل ما
اخوفني ان تعذبوا ما لشمعون والاه اسرايل ما اردت بذلك سوا ء
يا روح الله لو كان مع هذه الايه ايه اخرى قال عيسى عليه يا سمكة احيي باذن
الله فاضطربت السمكة ضربة تبصبص عيناها ففزع الحواريون فقال عيسى
ما لي اراكم تسالون عن الشي فاذا اعطيتموه كرهتموه ما اخوفني ان تعذبوا
وقال لقد نزلت من السما وما عليها طعام من الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه
ابتدعه الله بالقدرة البالغة فقال لها كوني فكانت فقال عيسى يا سمكة
عودي كما كنت فعادت كما كانت مشوية فقال الحواريون يا روح الله كن اول
من ياكل منها فقال عيسى معاذ الله انما ياكل منها من طلبها وسالها فابت الحواريون

ان يادلوا منها خيفه ان يكون مثله وفتنه فلما راى عيسى ذلك دعا عليها الفقرا
والمساكين والمرضى والزمنا والمجذمين والمقعدين والعميان واهل البلا الاهم
فقال كلوا من رزق ربكم ودعوة نبيكم واحمدوا الله عليه ويكون الهنى
لكم والعذاب على غيركم فاكلوا حتى صدروا عن سبع الاف وثلاثمايه يتجشون
فبرى كل سقيم اكل منه واستغنا كل فقيرا كل منه حتى الممات فلما راى ذلك
الناس ازدحموا عليه فما بقي صغير ولا كبير ولا شيخ ولا شاب ولا غني ولا فقير
الاجاوا ياكلون منه فضغط بعضهم بعضا فلما راى ذلك عيسى جعلها نوايب
بينهم فكانت تنزل يوما ولا تنزل يوما كالناقة كانت لثمود ترعا يوما وتشرب
يوما فنزلت اربعين يوما تنزل ضحا فلا تزال هكذا حتى يفى الفى موضعه فيا كل
الناس منها ثم ترجع الى السما والناس ينظرون الى ظلها حتى تتوارا عنهم فلما تم
اربعون يوما اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى اجعل مايدتى
هذه للفقرا دون الاغنيا فتمارا الاغنيا في ذلك وعادوا الفقرا وشككوا
الناس فقال الله يا عيسى انى اخذ بشرطى فاصبح منهم ثلاثه وثلاثين خنزيرا
ياكلون العذره يطلبونها في الاكبا والاكبا هي الكناسه واحدها كبى ذو
بعدما كانوا ياكلون الطيب وينامون على الفرش اللينه فلما راي الناس ذلك
اجتمعوا على عيسى يبكون فجات الخنازير فجثوا على ركبهم قدام عيسى فجعلوا
يبكون وتقطر دموعهم فعرفهم عيسى فجعل يقول الست فلان فيومى براسه
ولا يستطيع الكلام فلبثوا بذلك سبعه ايام ومنهم من يقول اربعه ايام
ثم دعا الله عيسى ان يقبض ارواحهم فاصبحوا لا يدرى كيف ذهبوا
الارض ابتلعتهم او ما صنعوا قال الشيخ المولف رحمه الله في هذا الحديث
مقال ولا يصح من قبل اسناده وعن ابن عباس وابى عبد الرحمن السلمى ان

طعام

طعام المايده خبزا وسمكا وقال ابن عطيه كانوا يجدون في السمك طيب كل
طعام وذكر الثعلبي وقال عمار بن ياسر وقتاده كانت مايده تنزل من السما
وعليها ثمار من ثمار الجنه وهب منبه انزل الله تعالى اقرصه من شعير وحيتانا
وخرج الترمذي في ابواب التفسير عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انزلت المايده من السما خبزا ولحما وامروا الا يخونوا رواه ابو
عاصم وغير واحد عن سعيد بن ابي عروبه عن قتاده عن خلاس عن عمار بن ياسر
موقوفا ولا نعلمه مرفوعا الا من حديث الحسن بن قزعه حدثنا حميد بن مسعده قال
سفين بن حبيب عن سعيد بن ابي عروبه نحوه ولم يرفعه وهذا اصح من حديث
الحسن بن قزعه ولا نعلم للحديث المرفوع اصلا وقال سعيد بن جبير انزل على المايده
كل شي الا الخبز واللحم وقال عطا انزل عليها كل شي الا السمك واللحم وقال كعب
نزلت المايده منكوسه من السما تطير بها الملايكه بين السما والارض عليها كل
الطعام الا اللحم قال الشيخ المولف رحمه الله هذه الثلاثه اقوال مخالفه لحديث
الترمذي وهو اولى منها لانه ان لم يصح مرفوعا فصح موقوفا عن صحابي كبير
والله اعلم والمقطوع به انها نزلت وعليها طعام يوكل الله اعلم بتعيينه وذكر
ابو نعيم عن كعب انها نزلت ثانيه لبعض عباد بني اسرايل قال كعب اجتمع
ثلاثه نفر من عباد بني اسرايل فاجتمعوا في ارض فلاه مع كل رجل منهم
اسم من اسما الله فقال احدهم سلوني فادعو الله لكم بما شيتم قالوا نسالك
ان تدعو الله ان يظهر لنا عينا سايحه بهذا المكان ورياضا خضرا وعبقريا قال
فدعا الله فاذا عين سايحه ورياض خضر وعبقري ثم قال احدهم سلوني فادعو
الله لكم بما شيتم فقالوا نسالك ان تدعو الله ان يطعمنا شيا من ثمار الجنه فدعا الله
فنزلت بسره فاكلوا منها لا تقلب الا اكلوا منها لونا ثم رفعت ثم قال احدهم سلوني

فادعوا الله لكم ما شئتم قالوا نسألك أن تدعو الله أن ينزل علينا المائدة التي أنزلها
على عيسى قال فدعا فنزلت فقضوا منها حاجتهم ثم رفعت وذكر تمام الخبر
مسألة جاء في حديث للكوربيان المائدة وإنما كانت سفرة لا مائدة دايم قوايم
والسفرة مائدة النبي صلى الله عليه وسلم وموائد العرب خرج أبو عبد الله الترمذي
قال نا محمد بن بشار قال نا معاذ بن هشام وذكره وقال فيه حسن غريب قال
الترمذي أبو عبد الله فالخوان هو شيء محدث فعلته الأعاجم ولم تكن العرب
لتمتهنها وكانوا يأكلون على السفر واحدها سفرة وهي التي تتخذ من الجلود
ولها معاليق تنضم وتنفرج فبالانفراج سميت سفرة لأنها إذا حلت
معاليقها انفرجت فأسفرت عما فيها فقيل لها سفرة وإنما سمي السفر لإسفار
الرجل بنفسه عن البيوت وقوله ولا في سكرجة لأنها أوعية الأصباغ
للألوان ولم يكن من شأنهم الألوان إنما كان طعامهم الثريد عليها
مقطعات اللحم وكان يقول انهشوا اللحم نهشا فإنه أشهى وأمرأ
فإن قيل فقد جاء ذكر المائدة في الأحاديث من ذلك حديث ابن عباس
قال لو كان الضب حراما ما أكل على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرجه مسلم وغيره وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم تصلي الملائكة على الرجل ما دامت مائدته موضوعة خرجه قيل
له المائدة كل شيء يمد ويبسط مثل المنديل والثوب وكان من حقه أن
يكون مادة الدال مضاعفة فجعلوا إحدى الدالين ياء فقيل مائدة والفعل
واقع به فكأنه ينبغي أن يكون ممدودة ولكن خرجت في اللغة مخرج فاعل كما
قالوا سر كاتم وهو مكتوم وعيشة راضية وهي مرضية وكذلك خرج
في اللغة ما هو فاعل مخرج مفعول فقالوا رجل مشؤوم وإنما هو شائم حجاب

مستور

مستورا وانما هو سانر للخوان هو المرتفع عن الارض بقوايمه والمايده ماامد
وبسط والسفره ما اسفرعما في جوفه وذلك انها مضمومه بمعاليقها وعن الحسن
قال الاكل على الخوان فعل الملوك وعلى المنديل فعل العجم وعلى السفره فعل العرب
وهو السنه وادقال الله يا عيسى بن مريم انت قلت للناس
اتخذوني الايه اختلف في وقت هذه المقاله فقال قتاده وبن جريج واكثر
المفسرين انما يقول هذا يوم القيامه وقال السدي وقطرب قال له ذلك
حين صعد الى السما وقالت النصارى فيه ما قالت واحتجوا بقولهم ان تعذبهم
فانهم عبادك واذ في كلام العرب لما مضى والاول اصح يدل عليه ما قبله
من قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل الايه وبعده هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم
وعلى هذا تكون اذ بمعنى اذا لقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا اي اذا فزعوا وقال
ابو النجم ثم جزاه الله عنا اذ جزا جنات عدن في السموات العلى يعني اذا جزى
وقال الاسود بن جعفر الاسدي فالان اذ هازلتهن فانما يقلن الا لم يذهب
الشيخ مذهبا يعني اذا هازلتهن تعبر عن المستقبل بلفظ الماضي لانه
لتحقيق امره وظهور برهانه كانه قد وقع وفي التنزيل ونادا اصحاب
النار اصحاب الجنه ومثله كثير وقد تقدم واختلف اهل التاويل في
معنى هذا السوال وليس هو باستفهام وان خرج مخرج الاستفهام على
قولين احدهما انه ساله عن ذلك توبيخا لمن ادعى ذلك عليه ليكون انكاره بعد
السوال ابلغ في التكذيب واشد في التوبيخ والتقريع الثاني قصد بهذا السوا
تعريفه ان قومه غيروا بعده وادعوا عليه ما لم يقله فان قيل فالنصارى لم
يتخذوا مريم الها فكيف قال ذلك فيهم فقيل لما كان من قولهم انها
لم تلد بشرا وانما ولدت الاها لزمهم ان يقولوا انها لاجل البعضيه

بمثابه من ولدته فصار واحد منهم دلك بمثابه الفاعلين له

قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته خرج

الترمذي عن ابي هريرة قال تلقى عيسى حجته ولقاه الله في قوله واذ قال الله يا

عيسى بن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي الاهين من دون الله قال ابو هريرة

عن النبي صلى الله عليه وسلم فلقاه الله سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق

الايه كلها قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وبدا بالتسبيح قبل الجواب

لامرين احدهما تنزيها له عن ما اضيف اليه وثانيهما خضوعا لعزته وخوفا من سطوته ويقال

ان الله تعالى لما قال لعيسى انت قلت للناس اتخذوني وامي الاهين من دون الله اخذته

الرعدة من ذلك القول حتى سمع صوت عظامه في نفسه فقال سبحانك ثم قال

ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق اي ان ادعي لنفسي ما ليس من حقها يعني انني مربوب ولست

برب وعابد ولست بمعبود ثم قال ان كنت قلته فقد علمته فرد ذلك الى

علمه وقد كان الله عالما به انه لم يقله ولكنه ساله عنه تقريعا لمن اتخذ عيسى الاها

ثم قال تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم ما في غيبي ولا اعلم ما في غيبك

وقيل المعنى تعلم ما اعلم ولا اعلم ما تعلم وقيل تعلم ما اخفيه ولا اعلم ما تخفيه وقيل

تعلم ما اريد ولا اعلم ما تريد وقيل تعلم سري ولا اعلم سرك لان السر موضعه

النفس وقيل تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا اعلم ما يكون منك في دار الاخرة قال

الشيخ المولف رحمه الله والمعنى في هذه الاقوال متقارب اي تعلم سري وما انطوى

عليه ضميري الذي خلقته ولا اعلم شيا مما استاثرت به من غيبك وعلمك

انك انت علام الغيوب ما كان وما يكون وما لم يكن وما هو كاين

ما قلت لهم الا ما امرتني به يعني في الدنيا بالتوحيد ان اعبدوا الله ان لا موضع

لها من الاعراب وهي مفسرة مثل وانطلق الملا منهم ان امشوا ويجوز ان يكون

في موضع نصب اي ما دلت لهم الا عباده الله ويجوز ان يكون في موضع خفض
اي بان اعبدوا الله وضم النون اولى لانهم يستثقلون كسره بعدها ضمه والكسر
جايز على اصل التقا الساكنين   وكنت عليهم شهيدا اي حفيظا بما
امرتهم ما دمت فيهم ما في موضع نصب اي وقت دوامي فيهم فلما توفيتني
كنت انت الرقيب عليهم قيل هذا يدل على ان الله عز وجل توفاه قبل ان
يرفعه وليس بشي لان الاخبار تظاهرت برفعه وانه في السما وانه ينزل
ويقتل الدجال على ما ياتي وانما المعنى فلما رفعتني الى السما قال
الحسن الوفاه في كتاب الله تعالى على ثلاثه اوجه وفات الموت وذلك
قوله الله يتوفى الانفس حين موتها يعني وقت انقضا اجلها ووفات
النوم قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل يعني ينيمكم ووفاه الرفع
قال الله يا عيسى اني متوفيك انت توكيد الرقيب خبر كنت ومعناه
الحافظ عليهم والعالم بهم والشاهد على افعالهم واصله المراقبه
اي المراعاه ومنه الرقبه لانها في موضع الرقيب من علو المكان وانت
على كل شي شهيد من مقالتي ومقالتهم وقيل على من عصى واطاع خرج
مسلم عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمو عظه
فقال يا ايها الناس انكم محشورون الى الله حفاه عراه غرلا كما
بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الا وان اول الخلايق
يكسى يوم القيمه ابرهيم صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه الا
وانه سيجا برجال من امتي فيوخذ بهم ذات الشمال فاقول يارب
اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول كما قال
العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت

انت الرقيب عليهم الى قوله وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم قال
فيقال لي انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم
ان تعذبهم فانهم عبادك شرط وجوابه وان تغفر لهم
فانك انت العزيز الحكيم مثله روى النسائي عن ابي ذر قال قام النبي صلى الله
عليه وسلم حتى اصبح بايه والايه ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر
لهم فانك انت العزيز الحكيم واختلف في تاويله فقيل قاله على وجه
الاستعطاف لهم والرافه بهم كما يستعطف السيد لعبده ولهذا لم
يقل فانهم عصوك وقيل قاله على وجه التسليم لامره والاستجاره
من عذابه وهو يعلم انه لا يغفر لكافر وقيل الهاء والميم في ان تعذبهم
لمن مات منهم على الكفر والهاء والميم في تغفر لهم لمن تاب منهم قبل
الموت وهذا حسن واما قول من قال ان عيسى عليه السلام لم يعلم
ان الكافر لا يغفر له فقول مجترئ على كتاب الله عز وجل لان الاخبار من الله
جل وعز لا تنسخ وقيل كان عند عيسى انهم احدثوا معاصي وعملوا بعده
بما لم يامرهم به الا انهم على عمود دينه فقال وان تغفر لهم ما
احدثوا بعدي من المعاصي وقال فانك انت العزيز الحكيم ولم
يقل فانك انت الغفور الرحيم على ما تقتضيه القصه من التسليم
لامره والتفويض لحكمه ولو قال فانك انت الغفور الرحيم لاوهم
الدعا بالمغفره لمن مات على شركه وذلك مستحيل فالتقدير ان تبقهم
على كفرهم حتى يموتوا وتعذبهم فانهم عبادك وان تهدهم الى توحيدك
وطاعتك فتغفر لهم فانك انت الذي لا يمتنع عليك ما تريده الحكيم
فيما تفعله تضل من تشا وتهدي من تشا وقد قرا جماعه فانك انت الغفور

الرحيم وليست من المصحف ذكره القاضي عياض في كتاب الشفا وقال
ابو بكر الانباري وقد طعن على القران من قال ان قوله انت العزيز الحكيم
ليس يشاكل لقوله فان تغفر لهم لان الذي يشاكل المغفرة فانك انت الغفور
الرحيم والجواب انه لا يحتمل الا ما انزل الله ومتى نقل الى الذي نقله اليه
ضعف معناه فانه ينفرد الغفور الرحيم بالشرط الثاني ولا يكون له
بالشرط الاول متعلق وهو على ما انزله الله عز وجل واجتمع على قراءته
المسلمون مقرون بالشرطين كليهما اولهما واخرهما اذ تلخيصه ان
تعذبهم فانك عزيز حكيم وان تغفر لهم فانك العزيز الحكيم في الامرين
كليهما من التعذيب والغفران فكان العزيز الحكيم اليق بهذا المكان
لعمومه وانه يجمع الشرطين ولم يصلح الغفور الرحيم اذ لم يحتمل من
العموم ما احتمله العزيز الحكيم وما شهد بتعظيم الله تعالى وعدله
والثنا عليه في الايه كلها والشرطين المذكورين اولى واثبت معنى في الايه
مما يصلح لبعض الكلام دون بعض خرج مسلم عن عبد الله بن عمرو بن
العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلى قول الله عز وجل في ابراهيم رب
انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني الايه وقال عيسى عليه
السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز
العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتي وبكى فقال الله عز وجل يا
جبريل اذهب الى محمد صلى الله عليه وسلم وربك اعلم فسله ما يبكيك
فاتاه جبريل عليه السلام فساله فاخبره رسول الله صلى الله عليه
وسلم بما قال وهو اعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد صلى الله عليه
وسلم فقل انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وقال بعضهم في الايه

لان

تقديم وتاخير ومعناه ان تعذبهم فانك انت العزيز الحليم وان تغفر لهم فانهم
عبادك ووجه الكلام على نسقه اولى لما بيناه وبالله توفيقنا

قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم اي صدقهم في الدنيا فاما في
الاخرة فلا ينفع فيها الصدق وصدقهم في الدنيا يحتمل ان يكون صدقهم
في العمل لله تعالى ويحتمل ان يكون تركهم الكذب عليه وعلى رسله وانما نفعهم
الصدق في ذلك اليوم وان كان نافعا في كل الايام لوقوع الجزاء فيه وقيل
المراد صدقهم في الاخرة وذلك في الشهادة لانبيائهم بالبلاغ وفيما شهدوا
به على انفسهم من اعمالهم ويكون وجه النفع فيه ان يكفوا المواخذة بتركهم
كتم الشهادة فيغفر لهم باقرارهم لانبيائهم وعلى انفسهم والله اعلم
وقرا نافع وابن محيصن يوم بالنصب ورفع الباقون وهي القراءة البينة على
الابتدا والخبر فيوم ينفع خبر لهذا والجملة في موضع نصب بالقول
واما قراءة نافع وابن محيصن فحكى ابرهيم بن حميد عن محمد بن يزيد ان
هذه القراءة لا تجوز لانه نصب خبر الابتدا ولا يجوز فيه البناء وقال
ابرهيم بن السري هي جائزة بمعنى قال الله هذا لعيسى بن مريم يوم ينفع
الصادقين صدقهم فيوم ظرف للقول وهذا مفعول القول والتقدير
قال الله هذا القول في يوم ينفع الصادقين وقيل التقدير قال الله
عز وجل هذه الاشيا تنفع يوم القيامة وقال الكسائي والفراء
يوم ها هنا على النصب لانه مضاف الى غير اسم كما تقول مضى يومئذ
وانشد الكسائي على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت الما اصح
والشيب وازع الزجاج ولا يجيز البصريون ما قالاه اذا اضفت
الظرف الى فعل مضارع فان كان الى ماض كان جيدا كما في البيت وانما

جاز

جاز ان يضاف الفعل الى ظرف الزمان لان الفعل بمعنى المصدر وقيل يجوز
ان يكون منصوبا ظرفا ويكون خبر الابتدا الذي هو هذا لانه مشار به الى
حدث وظروف الزمان يكون اخبارا عن الاحداث تقول القتال اليوم والخروج
الساعه والجمله في موضع نصب بالقول وقيل يجوز ان يكون هذا في موضع
رفع بالابتدا ويوم خبر الابتدا والعامل فيه محذوف والمعنى قال
الله هذا الذي قصصناه يقع يوم ينفع الصادقين صدقهم وفيه قرا
نافع يوم ينفع بالتنوين الصادقين صدقهم وفي الكلام حذف تقديره فيه
مثل واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا وهي قراه الاعمش
لهم جنات ابتدا وخبر تجري في موضع الصفه من تحتها اي من تحت غرفها
واشجارها وقد تقدم رضي الله تعالى ثوابهم وانه راض عنهم رضي الله
بعد ابدا ورضوا عنه اي الجزا الذي اثابهم به ذلك الفوز اي
الظفر العظيم اي الذي عظم خيره وكثر وارتفعت منزلته
وشرف لله ملك السموات والارض الايه جاهدا عقب
ما جرى من دعوى النصارى في عيسى انه الاه فاخبر تعالى ان ملك السموا
والارض له دون عيسى ودون ساير المخلوقين ويجوز ان يكون المعنى
ان الذي ملك السموات والارض يعطي الجنات المتقدم ذكرها
للمطيعين من عباده بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على
سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا عدد ما خلقت وما انت
خالق وهي مكيه في قول الاكثرين
قال ابن عباس وقتاده هي مكيه كلها الا ايتين منها نزلت بالمدينه قوله
وما قدروا الله حق قدره نزلت في مالك بن الصيف وكعب بن الاشرف

اليهود بين والاخرى قوله وهو الذى انشا جنات معروشات نزلت
في ثابت بن قيس بن شماس الانصاري وقال بن جريج نزلت في معاذ بن
جبل قاله الماوردى وقال الثعلبي سوره الانعام مكيه الا ست ايات
نزلت بالمدينه وما قدروا الله حق قدره الى اخر ثلاث ايات وقل تعالوا
اتل ما حرم ربكم عليكم الى اخر ثلاث ايات قال بن عطيه وهي الايات
المحكمات وذكر بن العربي ان قوله تعالى قل لا اجد نزل بمكه يوم عرفه
وسياتي القول في جميع ذلك ان شا الله تعالى وفي الخبر انها نزلت جمله
واحده غير الست الايات وشيعها سبعون الف ملك مع ايه واحده
منها اثنا عشر الف ملك وهي وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو
نزلوا بها ليلا لهم زجل بالتسبيح والتحميد فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم الكتاب فكتبوها من ليلتهم واسند ابو جعفر النحاس قال نا
محمد بن يحيى نا ابو حاتم روح بن الفرج مولى الحضارمه قال نا احمد بن محمد
ابو بكر العمري نا بن ابي فديك حدثني عمر بن طلحه بن علقمه بن وقاص
عن نافع ابي سهيل بن مالك عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم نزلت سوره الانعام معها موكب من الملايكه سد ما بين الخافقين
لهم زجل بالتسبيح والارض لهم ترتج ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول سبحان ربي العظيم ثلاث مرات وذكر الدارمي ابو محمد في مسنده عن عمر
بن الخطاب قال الانعام من نواجب القران وفيه عن كعب قال فاتحه
التوراه الانعام وخاتمتها خاتمه هود وقاله وهب بن منبه ايضا وذكر
المهدوي ذكر المفسرون ان التوراه افتتحت بقوله الحمد لله الذى خلق السموات
والارض الايه وختمت بقوله الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في

الملك

الملك الى اخر الايه وذكر الثعلبي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا ثلاث
ايات من اول سوره الانعام الى قوله ويعلم ما تكسبون وكل الله به اربعين الف ملك
يكتبون له مثل عبادتهم الى يوم القيمه وينزل ملك من السما السابعه ومعه
مرزبه من حديد فاذا اراد الشيطان يوسوس له او يوحي في قلبه شيا ضربه
ضربه فيكون بينه وبينه سبعون حجابا فاذا كان يوم القيمه قال الرب تعالى
امش في ظلي يوم لا ظل الا ظلي وكل من ثمار جنتي واشرب من ما الكوثر واغتسل
من ما السلسبيل فانت عبدي وانا ربك وفي البخاري عن ابن عباس قال اذا اسرك
ان تعلم جهل العرب فاقرا ما فوق الثلاثين وماية في سوره الانعام قد خسر الذين
قتلوا اولادهم سفها بغير علم الى قوله وما كانوا مهتدين تنبيه قال العلما هذه السوره
اصل في محاجه المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور وهذا
يقتضي انزالها جمله واحده لانها في معنى واحد من الحجه وان تصرف ذلك لوجوه كثيره
وعليها بنى المتكلمون اصول الدين لان فيها ايات بينات ترد على القدريه دون
السوره التي تذكر والمذكورات وسترى ذلك ان شا الله مبينا بحول الله تعالى

الحمد لله الذي خلق السموات والارض الى قوله بعد لون فيه خمس
مسايل قوله تعالى الحمد لله بدا سبحانه فاتحتها بالحمد لله على نفسه
واثبات الوهيته اي ان الحمد كله لله فلا شريك له فان قيل فقد افتتح غيرها
بالحمد لله فكان الاجتزا بواحده تغني عن سايره فيقال لان لكل واحده منه معنى
في موضعه لا يودي عنه غيره من اجل عقده بالنعم المختلفه وايضا فلما فيه
من الحجه في هذا الموضع على الذين هم بربهم يعدلون وقد تقدم معنى الحمد في
الفاتحه قوله تعالى الذي خلق السموات والارض اخبر عن قدرته وعلمه
وارادته تعالى الذي خلق اي اخترع واوجد وانشا وابدع والخلق يكون

سفها

ك

تفسير سورة الانعام

بمعنى الاختراع ويكون بمعنى التقدير وقد تقدم وكلاهما مراد هنا وذلك
دليل احد ونهما نوع السما بغير عمد وجعلها مستوية من غير اود وجعل فيها
الشمس والقمر ايتين وزينها بالنجوم واودعها السحاب والغيوم علامتين وبسط
الارض واودعها الارزاق والنبات وبث فيها من كل دابة ايات وجعل الجبال
اوتاد وسبلا فجاجا واجرى فيها الانهار والبحار وفجر فيها العيون من الاحجار دلالات
على وحدانيته وعظيم قدرته وانه هو الواحد القهار وبين بخلقه السموات والارض
انه خالق كل شي   خرج مسلم قال حدثني شريح بن يونس وهارون بن
عبد الله قالا نا حجاج بن محمد قال قال بن جريج اخبرني اسماعيل بن اميه عن ايوب عن
خالد عن عبد الله بن رافع مولى ام سلمه عن ابي هريرة قال اخذ بيدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال خلق الله عز وجل التربه يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم
الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلثا وخلق النور يوم الاربعا
وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر يوم الجمعه في اخر الخلق في
اخر ساعه من ساعات الجمعه فيما بين العصر الى الليل قال الشيخ المولف رحمه الله
ادخل العلما هذا الحديث تفسير الفاتحه هذه السورة قال البيهقي وزعم
اهل العلم بالحديث انه غير محفوظ لمخالفة ما عليه اهل التفسير واهل التواريخ
وزعم بعضهم ان اسماعيل بن اميه انما اخذه عن ابرهيم بن ابي يحيى عن ايوب بن خالد
وابرهيم غير محتج به وذكر محمد بن يحيى قال سالت علي بن المديني عن حديث ابي هريرة
خلق الله التربه يوم السبت فقال علي هذا حديث مدني رواه هشام بن يوسف
عن جريج عن اسماعيل بن اميه عن ايوب بن خالد عن ابي خالد رافع مولى ام سلمه عن ابي
هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي قال علي شبك بيدي ابرهيم بن
يحيى فقال لي شبك بيدي ايوب بن خالد وقال لي شبك بيدي عبد الله بن رافع وقال

لي شبك

لي شبك بيدي ابو هريرة وقال لي شبك بيدي ابو القاسم صلى الله عليه وسلم فقال خلق
الله الارض يوم السبت ثم ذكر الحديث بنحوه قال علي بن المديني وما ارى اسماعيل
بن امية اخذ هذا الامر الا من ابرهيم بن ابي يحيى قال البيهقي وقد تابعه على ذلك موسى بن
عبيدة الربذي عن ايوب بن خالد الا ان موسى بن عبيدة ضعيف وروي عن بكر بن الشرود
عن ابرهيم بن ابي يحيى عن صفوان بن سليم عن ايوب بن خالد واسناده ضعيف عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها احد يسال
الله عز وجل فيها شيا الا اعطاه اياه قال فقال عبد الله بن سلام ان الله عز وجل
ابتدا الخلق فخلق الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق السموات يوم الثلثا ويوم
الاربعا وخلق الاقوات وما في الارض يوم الخميس ويوم الجمعة الى صلاة العصر
وما بين صلاة العصر الى غروب الشمس خرجه البيهقي قال الشيخ المولف رحمه الله
ان الله تعالى بدا الخلق يوم الاحد لا يوم السبت ولذلك تقدم في البقرة عن ابن
مسعود وغيره من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيها الاختلاف فيما خلق اول
الارض او السما مستوفي والحمد لله قوله تعالى وجعل الظلمات والنور
ذكر بعض خلق الجواهر بعد خلق الاعراض لكون الجوهر لا يستغني عنه وما لا يستغني
عن الحوادث فهو حادث والجوهر في اصطلاح المتكلمين هو الجزء الذي لا يتجزى
الحامل للعرض وقد اتينا على ذكره في كتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى في
اسمه الواحد وسمي العرض عرضا لانه يعرض في الجسم والجوهر فيتغير به من
حال الى حال والجسم هو المجتمع واقل ما يقع عليه اسم الجسم جوهران يجتمعان
وهذه الاصطلاحات وان لم تكن موجودة في الصدر الاول فقد دل عليها
معنى الكتاب والسنة فلا معنى لانكارها وقد استعملها العلما واصطلحوا
عليها وبنوا عليها كلامهم وقتلوا بها خصومهم تقدم في البقرة واختلف

العلمانى للعفو المراد بالظلمات والنور فقال السدى وقتاده وجمهور المفسرين المراد
سواد الليل وضيا النهار وقال الحسن الكفر والايمان قال بن عطيه وهذا خروج عن
الظاهر قال الشيخ المولف المولف رحمه الله اللفظ يعمه وفى التنزيل او من كان ميتا فاحييناه
وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات والارض اسم للجنس فافرادها فى
اللفظ بمنزلة جمعها وكذلك والنور ومثله ثم نخرجكم طفلا وقال الشاعر كلوا فى
نصف بطنكم تعيشوا وقد تقدم وجعل هنا بمعنى خلق لا يجوز غيره قاله بن
عطيه قال الشيخ المولف رحمه وعليه يتفق اللفظ والمعنى فى النسق فيكون الجمع
معطوفا على المفرد فيتجانس اللفظ وتظهر الفصاحه والله اعلم وقيل جمع الظلمات
ووحد النور لان الظلمات لا تتعدى والنور يتعدى وحكى الثعلبى ان بعض اهل
المعانى قال جعل هنا زايد والعرب تزيد جعل فى الكلام كقول الشاعر وقد جعلت
ارى الاثنين اربعه والواحد اثنين لما هدى الكبر قال النحاس جعل هنا بمعنى خلق واذا
كانت بمعنى خلق لم تتعد الا الى مفعول واحد وقد تقدم هذا المعنى ومحامل
جعل فى البقره مستوفى قوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
ابتدا وخبر والمعنى ثم الذين كفروا يجعلون لله عدلا وشريكا وهو الذى خلق
هذه الاشيا وحده قال بن عطيه ثم دالة على قبح فعل الكافرين لان المعنى ان
خلقه السموات والارض قد تقرر واياته قد سطعت وانعامه بذلك قد تبين
ثم بعد ذلك كله عدلوا بربهم فهذا كما تقول يا فلان اعطيتك واكرمتك
واحسنت اليك ثم تشتمنى ولو وقع العطف بالواو فى هذا ونحوه لم يلزم
التوبيخ كلزومه بثم هو الذى خلقكم من طين الاية خبر وفى
معناه قولان احدهما وهو الاشهر وعليه من الخلق الاكثر ان المراد ادم عليه السلام
والخلق نسله والفرع يضا فاذا اصله فلذلك قال خلقكم بالجمع فاخرجه

يخرج الخطاب لهم ادلهودا نوا ولكن هذا قول الحسن وقتاده وبن جريج والسدى
والضحاك وبن زيد وغيرهم الثاني ان يكون النطفه خلقها الله من طين على الحقيقه
ثم قلبها حتى كان الانسان منها ذكره النحاس قال الشيخ المولف رحمه الله وبالجمله
فلما ذكر عز وجل العالم الكبير ذكر بعده خلق العالم الصغير وهو الانسان وجعل
فيه ما في العالم الكبير على ما بيناه في البقره في ايه التوحيد والحمد لله وروى ابو
نعيم الحافظ في كتابه عن مره عن بن مسعود ان الملك الموكل بالرحم ياخذ
النطفه فيضعها على كفه ثم يقول يا رب مخلقه او غير مخلقه فان قال مخلقه قال
يا رب ما الرزق ما الاثر ما الاجل فيقول انظر في ام الكتاب فينظر في اللوح المحفوظ
فيجد فيه رزقه واثره واجله وعمله وياخذ التراب الذي يدفن في بقعته
ويعجن به نطفته فذلك قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم وخرج عن
ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا وقد ذر عليه
من تراب حفرته قال الشيخ المولف رحمه وعلى هذا يكون كل انسان مخلوق من
طين وما مهين كما اخبر عز وجل في سوره المومنين فتنتظم الايات والاحاديث
ويرتفع الاشكال والتعارض والله اعلم واما الاخبار عن خلق ادم عليه السلام
فقد تقدم في البقره ذكره واشتقاقه ونزيد هنا من ذلك ونعته وسنه
ووفاته ذكر بن سعد في الطبقات عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الناس ولد ادم وادم من التراب وعن سعيد بن جبير قال
خلق الله ادم من ارض يقال لها دحنا قال الحسن وخلق جوجوه من ضريه قال الجوهري
ضريه قريه لبني كلاب على طريق البصره وهي الى مكه اقرب وعن بن مسعود قال
ان الله تعالى بعث ابليس فاخذ من اديم الارض من عذبها وملحها فخلق منه ادم عليه
السلام فكل شي خلقه من عذبها فهو صاير الى الجنه وان كان بن

فا فرو كل شي خلقه من الحما فهو صاير الى النار وان كان من نفي قال
لمن ثم قال ابليس اسجد لمن خلقت طينا الا انه جا بالطينة وسمي
ادم لانه خلق من اديم الارض وعن عبد الله بن سلام قال خلق
الله ادم في اخر يوم الجمعة وعن ابن عباس قال لما خلق ادم كان راسه
تمس السما قال فوطده الى الارض حتى صار ستين ذراعا في سبع اذرع
عرضا وعن ابي بن كعب قال كان ادم عليه السلام طوالا جعدا كانه
نخلة سحوق وعن ابن عباس في حديث فيه طول وحج ادم عليه السلام
من الهند الى مكة اربعين حجة على رجليه وكان ادم حين اهبط تمسح راسه
السما فمن ثم صلع واورث ولده الصلع ونفرت من طوله دواب
البر فصارت وحشا من يومئذ ولم يمت حتى بلغ ولده اربعين الفا
وتوفي على بوذ الجبل الذي انزل عليه فقال شيث لجبريل عليه السلام
صل على ادم فقال جبريل عليهما السلام تقدم انت فصل على ابيك وكبر
عليه ثلاثين تكبيرة فاما خمس فهي الصلاة وخمس وعشرون تفضيلا
لادم وقيل كبر عليه اربعا فجعل بنو شيث ادم في مغارة وجعلوا
عليها حافظا لا يقربه احد من بني قابيل وكان الذين ياتونه ويستغفرون
له بنو شيث وكان عمر ادم تسع مائة سنة وستا وثلاثين سنة
ويقال هل في الاية دليل على ان الجواهر من جنس واحد الجواب نعم
لانه اذا جاز ان ينقلب الطين انسانا حيا قادرا عليما جاز ان ينقلب
الى كل حال من احوال الجوهر لتسوية العقل بين ذلك في الحكم وقد
صح انقلاب الجماد الى الحيوان بدلالة هذه الاية
ثم قضى اجلا مفعولا واجل مسمى عنده انتم تمترون وخبر قال الضحاك

اجلا في

اجلا في الموت واجل مسمى عنده اجل القيمه فالمعنى على هذا اجلكم واعلمكم انكم تقيمون الى الموت ولم نعلمكم باجل القيمه وقال الحسن ومجاهد وعكرمه وخصيف وقتاده وهذا لفظ الحسن قضى اجل الدنيا من يوم خلقك الى ان تموت واجل مسمى عنده يعني الاخره وقيل قضى اجلا ما اعلمناه من انه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم واجل مسمى من الاخره وقيل قضى اجلا مما نعرفه من اوقات الاهله والزرع وما اشبههما واجل مسمى اجل الموت لا يعلم الانسان متى يموت وقال ابن عباس ومجاهد معنى الايه وقضى اجلا بقضاء الدنيا واجل مسمى عنده لابتداء الاخره وقيل الاول قبض الارواح في النوم والثاني قبض الارواح عند الموت عن ابن عباس ايضا ثم انتم تمترون ابتدا وخبر اي تشكون في انه اله واحد وقيل تمارون في ذلك اي تجادلون وحكي الشاكين والتماري المجادله على مذهب الشك ومنه قوله افتمارونه على ما يرى وهو الله في السموات وفي الارض يقال ما عامل الاعراب في الظرف من في السموات وفي الارض ففيه اجوبه احدها اي وهو الله العظيم او المعبود في السموات وفي الارض كما تقول زيد الخليفه في الشرق والغرب اي حكمه ويجوز ان يكون المعنى وهو الله المنفرد بالتدبير في السموات وفي الارض كما تقول هو في حاجات الناس وفي الصلاه ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر ويكون المعنى وهو الله في السموات وهو الله في الارض وقيل المعنى وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض فلا يخفى عليه شي قال النحاس وهذا من احسن ما قيل فيه وقال محمد بن جرير وهو الله في السموات ويعلم سركم وجهركم

فى الارض فيعلم مقدم فى الوجهين والاول اسلم وابعد من الاشكال و قيل غير هذا والقاعدة تنزيهه عن الحركة والانتقال وشغل الامكنة ويعلم ما تكسبون اى من خير وشر والكسب الفعل لاجتلاب نفع او دفع ضر ولهذا لا يقال لفعل الله كسب   وما تاتيهم من اية اى علامة كانشقاق القمر ونحوها ومن لاستغراق الجنس تقول ما فى الدار من احد من ايات ربهم من الثانية للتبعيض و معرضين خبر كانوا والاعراض ترك النظر فى الايات التى يجب ان يستدلوا بها على توحيد الله عز وجل من خلق السموات والارض وما بينهما وانه يرجع الى قديم غنى عن جميع الاشيا قادر لا يعجزه شى عالم لا يخفى عليه شى مع المعجزات التى اقامها لنبيه صلى الله عليه وسلم ليستدل به على صدقه فى جميع ما اتى به   فقد كذبوا يعنى مشركى مكة بالحق يعنى القران وقيل محمدا صلى الله عليه وسلم فسوف ياتيهم اى يحل بهم العقاب واراد بالانبا وهى الاخبار العذاب لقولك اصبر وسوف ياتيك الخبر اى العذاب والمراد ما نالهم يوم بدر ونحوه وقيل يوم القيامه   الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن كم فى موضع نصب باهلكنا لا بقوله الم يروا لان لفظ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وانما يعمل فيه ما بعده من اجل ان له صدر الكلام والمعنى الا يعتبرون ونحن اهلكنا من الامم قبلهم لتكذيبهم انبيائهم اى الم يعرفوا ذلك والقرن الامه من الناس والجمع القرون قال الشاعر اذا ذهب القرن الذى كنت فيهم وخلفت فى قرن فانت غريب فالقرن كل عالم فى عصره ماخوذ من الاقتران اى عالم مقترن بعضهم الى بعض وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرنى يعنى اصحابه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم هذا اصح ما قيل فيه وقيل المعنى من اهل قرن فحذف كقوله واسل القرية فالقرن على هذا مدة من

الزمان

الزمان قيل ستون عاما وقيل سبعون وقيل ثمانون وقيل مائة وعليه اكثر اصحاب
الحديث ان القرن مائة سنة واحتجوا بان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله
بن بسر تعيش قرنا فعاش مائة سنة ذكره النحاس واصل القرن الشي الطالع لقرن
ما له قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم خروج من الغيبة الى الخطاب عكسه
حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقال اهل البصرة اخبر عنهم بقوله الم
يروا وفيهم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم خاطبهم معهم والعرب تقول
قلت لعبد الله ما اكرمه وقلت لعبد الله ما اكرمك ولو جا على ما تقدم من
الغيبة لقال ما لم نمكن لهم ويجوز مكنه ومكن له فجا باللغتين جميعا اي اعطيناهم
ما لم نعطكم من الدنيا وارسلنا السما عليهم مدرارا يريد المطر الكثير عبر
عنه بالسما لانه من السما ينزل ومنه قول الشاعر اذا سقط السما بارض
قوم ومدرارا بنا دال على التكثير كمذكار للمراة التي كثرت ولادتها للذكور
ومئناث للتي تلد الاناث يقال در اللبن يدر اذا اقبل على الحالب بكثرة وانتصب
مدرارا على الحال وجعلنا الانهار تجري من تحتهم اي من اشجارهم ومنازلهم
ومنه قول فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي والمعنى وسعنا عليهم النعم فكفروها
فاهلكناهم بذنوبهم اي بكفرهم فالذنوب سبب الانتقام وزوال النعم
وانشانا من بعدهم قرنا اخرين اي اوجدنا فليحذرها ولا من الاهلاك ايضا
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس الاية المعنى لو نزلنا يا محمد بما
سالوه كما اقترحوا وطلبوا كلاما مكتوبا في قرطاس وعن ابن عباس كتابا معلقا بين
السما والارض وهذا يبين لك ان التنزيل على وجهين احدهما على معنى نزل عليك
الكتاب بمعنى نزول الملك به والاخر لو نزلنا كتابا في قرطاس يمسكه الله بين
السما والارض وقال نزلنا على المبالغة بطول مكث الكتاب بين السما

والارض والحساب مصدر بمعنى الحسابه فيبرز الحسابه في قرطاس لانه غير
مغفول كتابه لا في قرطاس اي في صحيفه والقرطاس الصحيفه الملزقه
بالهدف فلمسوه بايديهم اي فعاينوا ذلك ومسوه باليديهما فتترحوا وبا
لغوا في تميزه وتقليبه حسا بايديهم ليرتفع كل ارتياب ويزول عنهم كل
اشكال لعاندوا فيه وتابعوا لهواهم وقالوا سحر مبين انما سكرت ابصارنا
وسحرنا وهذه الايه جواب لقولهم حتى تنزل كتابا نقراوه فاعلم بما سبق في علمه
من انه لو نزل لكذبوا به قال الكلبي نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله
بن ابي اميه ونوفل بن خويلد قالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
الايه وقالوا لولا انزل عليه ملك اقترحوا هذا ايضا ولولا
بمعنى هلا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر بن عباس لو راوا الملك على
صورته لماتوا اذ لا يطيقون رويته مجاهد وعكرمه لقامت الساعه
الحسن وقتاده لاهلكوا بعذاب الاستيصال لان الله اجرى سنته
بان من طلب ايه فاظهرت فلم يومن اهلكه الله في الحال ثم لا
ينظرون اي لا يمهلون ولا يوخرون ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا اي لا يستطيعون ان يروا الملك في صورته
الا بعد التجسم بالاجسام الكثيفه لان كل جنس يانس بجنسه
وينفر من غير جنسه فلو جعل الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم
ملكا لنفروا من مقاربته ولما انسوا به ولداخلهم من الرعب
من كلامه والاتقاء له ما يكفهم عن كلامه ويمنعهم من سواله فلا
تعم المصلحه ولو نقله من صوره الملايكه الى مثل صورهم ليانسوا به
نسوا به وليسكنوا اليه لقالوا لست ملكا وانما انت بشر فلا

يومن

نومن بك وعادوا الى مثل حالهم وكانت الملايكه تاتى الانبيا فى صورة
البشر فاتوا ابرهيم ولوطا فى صوره الادميين واتى جبريل عليه
السلام النبى صلى الله عليه وسلم فى صوره دحيه الكلبى اى لو
نزل ملك لراوه فى صوره رجل كما جرت عاده الانبيا ولو نزل على
عادته لم يروه فاذا جعلناه رجلا التبس عليهم فكانوا يقولو
هذا ساحر مثلك وقال الزجاج المعنى للبسنا عليهم اى على
روسايهم كما يلبسون على ضعفتهم وكانوا يقولون لهم انما محمد
صلى الله عليه وسلم بشر وليس بينه وبينكم فرق فيلبسون عليهم بهذا
ويشككونهم فاعلم الله عز وجل انه لو انزل ملكا فى صورة رجل
لوجدوا سبيلا الى اللبس كما يفعلون واللبس الخلط يقال لبست
عليه الامر البسه لبسا اى خلطته واصله التستر بالثوب ونحوه
وقال لبسنا بالاضافه الى نفسه على جهه الخلق وقال ما يلبسون
فاضاف اليهم على جهه الاكتساب ثم قال مونسا لنبيه صلى الله
عليه وسلم ومعزيا ولقد استهزى برسل من قبلك فحاق بهم اى
نزل بامهم من العذاب بما اهلكوا جزا استهزايهم بانبيايهم
حاق الشى يحيق حيقا وحيوقا وحيقا فانزل الله تعالى ولا يحيق المكر
السى الا باهله وما فى قوله ما كانوا بمعنى الذى وقيل بمعنى المصدر
اى حاق بهم عاقبه استهزايهم قل سيروا فى الارض
اى قل يا محمد لهولاى المستهزين المستسخرين المكذبين سافروا فى
الارض ثم انظروا واستخبروا لتعرفوا ما حل بالكفرة قبلكم من
العقاب واليم العذاب وهذا السفر مندوب اليه اذا كان على

سبيل الاعتبار باثار من خلا من الامم واهل الديار والعاقبه لخسر الامر والملك يوزهنا من ذهب بالحق واهله لا من ذهب بالباطل قوله تعالى قل لمن ما في السموات والارض هذا احتجاج عليهم المعنى قل لهم يا محمد لمن ما في السموات والارض فان قالوا لمن هو فقل لله المعنى واذا ثبت انه ما في السموات والارض وانه خالق الكل اما باعترافهم او بقيام الحجه عليهم فالله قادر على ان يعاجلهم بالعقاب ويبعثهم بعد الموت ولكنه كتب على نفسه الرحمه اي وعد بها فضلا منه وكرما فلذلك امهل وذكر النفس هنا عباره عن وجوده وتاكيد وعده وارتفاع الوسائط دونه ومعنى الكلام الاستعطاف منه تعالى للمتولين عنه الى الاقبال اليه واخبار منه سبحانه بانه رحيم بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبه ويقبل منهم الانابه والتوبه وفي صحيح مسلم عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتاب على نفسه فهو موضوع عنده ان رحمتي تغلب غضبي اي لما اظهر قضاه وابرزه لمن شا اظهر كتابا في اللوح المحفوظ او فيما شاء مقتضاه خبر حق ووعد صدق ان رحمتي تغلب غضبي اي تسبقه وتزيد عليه قوله تعالى ليجمعنكم اللام لام القسم والنون نون التاكيد قال الفرا وغيره يجوز ان يكون تمام الكلام عند قوله الرحمه ويكون ما بعده مستانفا على جهه التبيين فيكون معنى ليجمعنكم ليمهلنكم وليوخرن جمعكم وقيل المعنى ليجمعنكم اي في القبور الى اليوم الذي انكرتموه وقيل الى بمعنى في اي ليجمعنكم في يوم القيامه وقيل يجوز ان يكون موضع ليجمعنكم نصبا على البدل من الرحمه فتكون اللام بمعنى ان المعنى كتب ربكم على نفسه ليجمعنكم اي ان يجمعكم

واذلك

ولذلك قال كثير من النحويين في قوله ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه
اي ليسجنونه وقيل موضعه نصب بكتب كما تكون ان في قوله عز وجل كتب
ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوا بجهالة وذلك انه مفسر للرحمة
بالامهال الى يوم القيامة عن الزجاج لا ريب فيه لا شك فيه الذين
خسروا انفسهم فهم لا يومنون ابدا وخبر قاله الزجاج وهو اجود
ما قيل فيه تقول الذي يكرمني فله درهم فالفا تتضمن معنى الشرط والجزا
وقال الاخفش ان شيت كان الذين في موضع نصب على البدل من الكاف
والميم في ليجمعنكم اي ليجمعن المشركين الذين خسروا انفسهم وانكر المبرد
وزعم انه خطا لانه لا يبدل من المخاطب ولا من المخاطب لا يقال
مررت بك زيد ولا مررت بي زيد لان هذا يشكل فيبين وقال القتبي
يجوز ان يكون الذين جرا على البدل من المكذبين الذين تقدم ذكرهم
او على النعت لهم وقيل الذين ابتدا مفرد قوله تعالى وله ما سكن في
الليل والنهار ثبت وهذا احتجاج عليهم ايضا وقيل نزلت الاية لانهم
قالوا علمنا انه ما يحملك على ما تفعل الا الحاجة فنحن نجمع لك من اموالنا حتى
تصير اغنانا فقال الله تعالى لخبر ان جميع الاشيا لله فهو قادر على
ان يغنيني وسكن معناه حل واستقر والمراد ما سكن وما تحرك فحذف
لعلم السامع وقيل خص الساكن بالذكر لان نعمه السكون اكثر مما نعمه
الحركة وقيل المعنى ما خلق فهو عام في جميع المخلوقات متحركها وساكنها
فانه يجري عليه الليل والنهار وعلى هذا فليس المراد بالسكون ضد الحركة
بل المراد الخلق وهذا احسن ما قيل لانه يجمع شتات الاقوال وهو
السميع لاصواتهم العليم لا باسرارهم قوله تعالى قل اغير الله

اتخذ وليا مفعولان لما دعوه الى عبادة الاصنام دين ابايه انزل الله تعالى
قل يا محمد اغير الله اتخذ وليا اي ربا ومعبودا وناصرا دون الله فاطر السموات
والارض بالخفض على النعت لاسم الله تعالى واجاز الاخفش الرفع على اضمار مبتدا
وقال الزجاج ويجوز النصب على المدح ابو على الفارسي ويجوز نصبه على فعل مضمر
كانه قال اترك فاطر السموات والارض لان قوله اغير الله اتخذ وليا يدل
على ترك الولاية له وحسن اضماره لقوة هذه الدلالة وهو يطعم ولا يطعم
هذه قراءة العامة اي يرزق ولا يرزق دليله قوله ما اريد منهم من رزق وما
اريد ان يطعمون وقرا سعيد بن جبير ومجاهد والاعمش وهو يطعم ولا يطعم
وهي قراءة حسنة اي انه يرزق عباده وهو سبحانه غير محتاج الى ما يحتاج اليه
المخلوقون من الغذا وقرئ بضم اليا وكسر العين في الفعلين اي ان الله يطعم
عباده ويرزقهم والولي لا يطعم بضم اليا وكسر العين وخص الاطعام بالذكر
دون غيره من ضروب الانعام لان الحاجة اليه امس لجميع الانام قل اني امرت
ان اكون اول من اسلم اي استسلم لامر الله تعالى وقيل اول من اخلص اي من
قومي وامتي عن الحسن وغيره ولا تكونن من المشركين اي وقيل لي لا تكونن من المشركين
قل اني اخاف ان عصيت ربي اي بعبادة غيره يعذبني والخوف توقع المكروه ابن
عباس اخاف هنا بمعنى اعلم من يصرف عنه اي العذاب يوميذ يوم القيامة
فقد رحمه اي نال ونجا ورحم وقرا الكوفيون من يصرف بفتح اليا وكسر الرا وهو
اختيار ابي حاتم وابي عبيد لقوله قل لمن ما في السموات والارض قل لله ولقوله
فقد رحمه ولم يقل رحم على المجهول ولقراءة ابي من يصرفه الله عنه واختار سيبويه
القراءة الاولى قراءة اهل المدينة وابي عمرو وقال سيبويه وكلما قل الاضمار
في الكلام كان اولى فاما قراءة من يصرف بفتح اليا فتقديره من يصرف الله عنه العذاب

واذا قرا

سادس عشر

كنت ترابا فحينئذ يتمنى الكافر ان يكون ترابا وما لسجاعة هي الحشر الذي في الاية رد حج
الى الكفار وما تخلل كلام معترض واقامة حجج واما الحديث فالمقصود منه التمثيل
على جهة تعظيم الحساب والقصاص والاعتنا به حتى يفهم منه انه لا بد لكل احد
منه وانه لا محيص له عنه وعضد واهذا بما في هذا الحديث في غير الصحيح عن
بعض رواته من الزياده فقال حتى يقاد للشاة الجلحا من القرنا وللحجر لما ركب
على الحجر وللعود لما خدش العود قالوا فظهر من هذا ان المقصود منه التمثيل
المفيد للاعتبار والتهويل لان الجمادات لا يعقل خطابها ولا ثوابها ولا عقابها ولم
يصر اليه احد من العقلا ومتخيله من جملة المعتوهين الاغبيا قالوا ولان القلم لا يجري
عليهم فلا يجوز ان يواخذوا قال الشيخ المولف رحمه الله الصحيح القول الاول
لما ذكرناه من حديث ابي هريره وان كان القلم لا يجري عليهم في الاحكام ولكن فيما
بينهم يواخذون به وروي عن ابي ذر قال انتطحت شاتان عند النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا ابا ذر هل تدري فيما انتطحتا قلت لا قال لكن الله تعالى يدري
وسيقضي بينهما وهذا نص وقد ذكرناه بيانا في كتاب التذكره باحوال
الموتى وامور الاخره والله اعلم والذين كذبوا باياتنا صم وبكم
ابتدا وخبر اي عدموا الانتفاع باسماعهم وابصارهم فكل امه من الدواب وغيرها
تهتدي لمصالحها والكفار لا يهتدون وقد تقدم في البقره في الظلمات اي ظلمات
الكفر وقال ابو علي يجوز ان المعنى صم وبكم في الاخره فيكون حقيقه دون مجاز
اللغه من يشا الله يضلله دل على انه شا ضلال الكافر واراده لينفذ فيه عدله
الا ترى انه قال ومن يشا يجعله على صراط مستقيم اي على دين الاسلام لينفذ
فيه فضله وفيه ابطال لمذهب القدريه والمشيه راجعه الى الذين
كذبوا فمنهم من يضلله ومنهم من يهديه قل ارايتكم قرا نافع بتخفيف

الهمزتين يلقي حركة الاولى على ما قبلها ويأتي بالثانية بين بين وحكى ابو عبيد عنه انه
يسقط الهمزة ويعوض عنها منها الفا قال النحاس وهذا عند اهل العربية
غلط عليه لان اليا ساكنة والالف ساكنة ولا يجتمع ساكنان
قال مكي وقد روي عن ورش انه ابدل من الهمزة الفا لان الرواية
عنه انه يمد الثانية والمد لا يتمكن الا مع البدل فرع عن الاصول
والاصل ان تجعل الهمزة بين الهمزة المفتوحة والالف وعليه
كل من خفف الثانية غير ورش وحسن جواز البدل في الهمزة
وبعدها ساكن لان الاول حرف مد ولين والمد الذي يحدث
مع الساكن تقوم مقام حركة يوصل بها الى النطق بالساكن الثاني
وقرا ابو عمرو وعاصم وحمزة اراييتم بتحقيق الهمزتين واتوا بالكلمة
على اصلها والاصل الهمز لان همزة الاستفهام دخلت على رايت
فالهمزة عين الفعل واليا ساكنة لاتصال الهمزة المرفوع بها وقرا
عيسى بن عمر والكسائي اراييتم بحذف الهمزة الثانية قال النحاس
وهذا بعيد في العربية وانما يجوز في الشعر والعرب تقول
ارايتك زيدا ما شانه ومذهب البصريين ان الكاف
والميم للخطاب لاحظ لهما في الاعراب وهو اختيار الزجاج ومذهب
الكسائي والفرا وغيرهما ان الكاف والميم نصب بوقوع الروية
عليهما والمعنى ارايتم انفسكم فاذا كانت للخطاب زايدة للتاكيد
كان ان من قوله ان اتاكم في موضع نصب على المفعول لرايت واذا
كان اسما في موضع نصب فان في موضع المفعول الثاني فالاول
من روية العين لتعديها لمفعول واحد بمعنى العلم يتعدى

الى

مفاتيح والفتح عباره عن كل ما حل غلقا محسوسا كالقفل على البيت
او معقولا كالنظر وروى ابن ماجه في سننه وابو حاتم البستي في صحيحه
عن انس بن ملك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الناس مفاتيح
للخير مغاليق للشر وان من الناس مغاليق للخير مفاتيح للشر فطوبى لمن جعل الله
مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه وهو في الايه
استعاره عن التوصل الى الغيوب كما يتوصل في الشاهد بالمفتاح الى المغيب
عن الانسان ولذلك قال بعضهم هو ماخوذ من قول الناس افتح على كذا اي
اعطني او علمني ما اتوصل اليه به والله تعالى عنده علم الغيب الطرق الموصله
اليه لا يملكها الا هو فمن شا اطلعه عليها اطلعه ومن شا حجبه عنها حجبه ولا
يكون ذلك من افاضته الا على رسله بدليل قوله تعالى وما كان الله ليطلعكم
على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشا وقال عالم الغيب فلا يظهر على
غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وقيل المراد بالمفاتح خزاين الرزق عن السدي
والحسن ومقاتل والضحاك خزاين الارض وهذا مجاز عبر عنها بما يتوصل اليه
بها وقيل غير هذا مما يتضمنه معنى الحديث اي عنده الاجال ووقت انقضايها
وقيل عواقب الاعمار وخواتم الاعمال الى غير هذا من الاقوال والاول المختار
والله اعلم   قال علماونا اضاف سبحانه علم الغيب الى نفسه
في غير ما اية من كتابه الا من اصطفى من عباده فمن قال انه ينزل الغيث غدا وجزم
فهو كافر اخبر عنه بامارة ادعاها ام لا وكذلك من قال انه يعلم ما في الرحم
فهو كافر فان لم يجزم وقال ان النو ينزل الله به الما عاده وانه سبب الما
على قدره وسبق في علمه لم يكفر الا انه يستحب الا يتكلم به فان فيه تشبيها بكلمه
اهل الكفر وجهلا بلطيف حكمته لانه ينزل متى شا مره بنو كذا ومره دون النو

قال الله تعالى اصبح من عبادي مومن بي وكافر على ما ياتي بيانه في الواقعة ان شا
الله تعالى قال ابن العربي وكذلك قول الطبيب اذا كان الثدي الايمن مسود الحلمة
فهو ذكر وان كان في الثدي الايسر فهو انثى وان كانت المراة تجد الجنب الايمن
اثقل فالولد انثى وادعا ذلك عادة لا واجبا في الخلقة لم يكفر ولم يفسق واما من
ادعا الكسب في مستقبل العمر فهو كافر او خبر عن الكوائن المجملة او المفصلة
في ان يكون قبل ان تكون فلا ريبة في كفره ايضا فاما من اخبر عن كسوف الشمس والقمر
فقد قال علماونا يودب ولا يسجن اما عدم تكفيره فلان جماعة قالوا انه امر يدرك
بالحساب وتقدير المنازل حسب ما اخبر الله عنه من قوله والقمر قدرناه منازل
واما ادبهم فلانهم يدخلون الشك على العامة اذ لا يدرون الفرق بين هذا وغيره
فيشوشون عقايدهم ويتركون قواعدهم في اليقين فادبوا حتى يستروا ذلك اذا
عرفوه ولا يعلنوا به قال الشيخ المولف رحمه الله ومن هذا الباب ما جا في
صحيح مسلم عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتى عرافا لم تقبل له
صلاة اربعين ليلة والعراف هو الحازي والمنجم الذي يدعي علم الغيب وهي
العرافة وصاحبها عراف وهو الذي على الامور باسباب ومقدمات يدعي
معرفتها وقد يعتقد بعض اهل هذا الفن في ذلك بالزجر والطرق والنجوم
واسباب معتادة في ذلك وهذا الفن هو العيافة بالياء وكلها ينطلق عليها اسم
الكهانة قال القاضي والكهانة ادعا علم الغيب قال ابو عمر بن عبد البر في كتاب
الكافي من المكاسب المجتمع على تحريمها الربا ومهور البغا والسحت والرشا واخذ
الاجرة على النياحة والغنا وعلى الكهانة وادعا الغيب واخبار السما وعلى الزمر
واللعب والباطل كله قال علماونا وقد انقلبت الاحوال في هذه الازمان باتيان
المنجمين والكهان لا سيما بالديار المصرية فقد شاع في روسايهم واتباعهم

وامرايهم

وان اتيانهم واتخاذ المنجمين ولقد انخدع كثير من المنتسبين للفقه والدين فجاوا الى
هولاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال واستخرجوا منهم الاموال
فحصلوا من اقوالهم على السراب والال ومن اديانهم على الفساد والضلال
وكل ذلك من الكبائر لقول النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل له فكيف بمن اتخذهم
وانفق عليهم معتمدا على اقوالهم روى مسلم عن عايشه قالت سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ناس عن الكهان فقالوا ليس بشي فقالوا يا رسول الله انهم
يحدثون احيانا بشي فيكون حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الكلمه
من الحق يحفظها الجني فيقرها في اذن وليه فيخلطون معها مايه كذبه قال الحميدي
ليس ليحيى بن عروه عن ابيه عن عايشه في الصحيح غير هذا واخرجه البخاري من
حديث ابي الاسود محمد بن عبد الرحمن عن عروه عن عايشه انها سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان الملايكه تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الامر قضي في السما
فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مايه كذبه من عند
انفسهم وسياتي هذا المعنى في سبا ان شا الله قوله تعالى ويعلم ما
في البر والبحر خصهما بالذكر لانهما اعظم المخلوقات المجاوره للبشر اي يعلم ما يهلك
في بر او بحر ويقال يعلم ما في البر من النبات والحب والنوا وما في البحر من الدواب
ورزق ما فيها وما تسقط من ورقه الا يعلمها روى يزيد بن هارون عن محمد بن اسحق
عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من زرع على الارض ولا ثمار
على الاشجار ولا حبه في ظلمات الا عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم رزق
فلان بن فلان وذلك قوله في محكم كتابه وما تسقط من ورقه الا يعلمها ولا حبه
في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وحكى النقاش
عن جعفر بن محمد ان الورقه يراد بها السقط من اولاد بني ادم والحبه يراد بها

الذي ليس يسقط والرطب يراد به الحي واليابس يراد به الميت قال ابن عطية وهذا
قول جار على طريقة الرموز ولا يصح عن جعفر بن محمد ولا ينبغي ان يلتفت اليه وقيل
المعنى وما تسقط من ورقة اي من ورق الشجر الا يعلم متى تسقط واين تسقط وكم
تدور في الهوي ولا حبة الا متى تنبت وكم تنبت ومن ياكلها في ظلمات الارض
بطونها وهذا اصح فانه موافق للحديث وهو مقتضى الاية والله الموفق للهداية
وقيل في ظلمات الارض يعني الصخرة التي هي اسفل الارضين السابعة ولا رطب
ولا يابس بالخفض عطفا على اللفظ وقرا ابن السميفع والحسن وغيرهما بالرفع فيهما
عطفا على موضع من ورقة لمن علم هذا التوحيد الا في كتاب مبين اي في اللوح
المحفوظ لتعتبر الملايكة بذلك لا انه سبحانه كتب ذلك لنسيان لحقه تعالى
عن ذلك وقيل كتبه وهو يعلمه لتعظيم الامر اي اعلموا ان هذا الذي ليس فيه
ثواب ولا عقاب مكتوب فكيف بما فيه ثواب وعقاب
وهو الذي يتوفاكم بالليل اي ينيمكم فيقبض نفوسكم التي بها تميزون وليس ذلك
موتا حقيقة بل هو قبض الارواح عن التصرف بالنوم كما يقبضها بالموت
والتوفي استيفا الشي وتوفي الميت استوفى عدد ايام عمره والذي ينام كانه
استوفى حركاته في اليقظة والوفاة الموت واوفيتك المال وتوفيت الشي
واستوفيته اذا اخذته اجمع وقال الشاعر ان بني الادرم ليسوا من احد ولا
توفاهم قريش في العدد ويقال ان الروح اذا خرج من البدن في المنام تبقى
فيه الحياة فلهذا تكون فيه الحركة والنفس فاذا انقضى عمره خرج روحه وتنقطع
حياته وصار ميتا لا يتحرك ولا يتنفس وقال بعضهم لا تخرج منه الروح ولكن
يخرج منه الذهن ويقال هذا امر لا يعرف حقيقته الا الله تعالى وهذا اصح الاقاويل
والله اعلم ثم يبعثكم فيه اي في النهار يعني اليقظة ليقضى اجل مسمى اي عنده وجرحتم

لسبتم وقد تقدم في المايده وفي الايه تقديم وتاخير والتقدير وهو الذي يتوفاكم
بالليل ثم يبعثكم بالنهار ويعلم ما جرحتم فيه تقدم الاهم الذي من اجله وقع البعث
في النهار وقال ابن جريج ثم يبعثكم فيه اي في المنام ومعنى الايه ان امهاله تعالى الكفار
ليس لغفلة عن كفرهم فانه احصى كل شي عددا وعلمه واثبته ولكن ليقضي اجلا مسمى من
رزق وحياه ثم يرجعون اليه فيجازيهم وتدل على الحشر والنشر بالبعث لان النشاه الثانيه
منزلتها بعد الاولى كمنزلة اليقظه بعد النوم في ان من قدر على احدهما فهو قادر على الاخرى
وهو القاهر فوق عباده يعني فوقيه المكانه والرتبه لا فوقيه
المكان والجهه على ما تقدم بيانه اول السوره ويرسل عليكم حفظه اي من الملايكه
كما قال وان عليكم لحافظين اي ملايكه تحفظ اعمال العباد وتحفظهم من الافات
فالارسال حقيقه اطلاق الشي بما حمل من الرساله فارساله الملايكه بما حملوا من
الحفظ الذي امروا به وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن الناس من يعيش سقيا
جاهل القلب غافل اليقظه فاذا كان ذا وفا ورايي حذر الموت واتقى الحفظه انما
الناس راحل ومقيم فالذي بان للمقيم عظه الحفظه جمع حافظ من الحيثيه والحافظ
يقال انهما ملكان بالليل وملكان بالنهار يكتب احدهما الخير والاخر الشر فاذا مشى
الانسان يكون احدهما بين يديه والاخر وراه واذا جلس يكون احدهما عن يمينه
والاخر عن شماله لقوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد الايه ويقال لكل انسان
خمسه من الملايكه اثنان بالليل واثنان بالنهار والخامس لا يفارقه ليلا ولا نهارا
والله اعلم   حتى اذا جا احدكم الموت توفته رسلنا
في البقره توفيه رسلنا على تانيث الجماعه كما قال فلما جاتهم رسلنا بالبينات وكذبت
رسل وقرا حمزه توفاه رسلنا على تذكير الجمع وقرا الاعمش تتوفاه رسلنا بزياده
تا والتذكير والمراد اعوان ملك الموت قاله ابن عباس وغيره ويروى انهم يسلون

الروح من الجسد حتى اذا كان عند قبضها قبضها ملك الموت وقال الكلبي يقبض ملك
الموت الروح من الجسد ثم يسلمها الى ملايكة الرحمة ان كان مومنا او الى ملايكة العذاب
ان كان كافرا ويقال معه سبعة من ملايكة الرحمة وسبعة من ملايكة العذاب
فاذا قبض نفسا مومنة دفعها الى ملايكة الرحمة فيبشرونها بالثواب ويصعدون
بها الى السما واذا قبض نفسا كافرة دفعها الى ملايكة العذاب فيبشرونها
بالعذاب وافزعوها ثم يصعدونها الى السما ثم ترد الى سجين وروح
المومن الى عليين والتوفي تارة يضاف الى ملك الموت كما قال قل يتوفاكم ملك
الموت وتارة الى الملايكة لانهم يتولون ذلك كما في هذه الاية وغيرها وتارة
الى الله وهو المتوفي على الحقيقة كما قال الله يتوفى الانفس حين موتها
وهو الذي يحييكم ثم يميتكم الذي خلق الموت والحياة فكل ياتمر من
الملايكة فانما يفعل بامره وهم لا يفرطون اي يضيعون ويقصرون
اي يطيعون امر الله واصله من التقدم كما تقدم فمعنى فرط قدم العجز
وقال ابو عبيدة لا يتوانون وقرا عبيد بن عمير لا يفرطون بالتخفيف
اي لا يجاوزون الحد فيما امروا به من الاكرام والاهانة ثم ردوا الى الله
اي ردهم بالبعث للحساب مولاهم الحق اي خالقهم ورازقهم ومالكهم
الحق بالخفض قرا الجمهور على النعت والصفة لاسم الله تعالى وقرا الحسن
الحق بالنصب على اضمار اعني او على المصدر اي حقا الا له الحكم اي اعلموا وقولوا
له الحكم وحده يوم القيامة اي القضا والفصل وهو اسرع الحاسبين لا
يحتاج الى فكر وروية ولا عقد يد وقد تقدم قل من
ينجيكم من ظلمات البر والبحر اي شدايدهما يقال يوم شديد اي مظلم قال
النحاس والعرب تقول يوم مظلم اذا كان شديدا فاذا عظمت ذلك قالت

يوم

يوم ردّ وكوكب وانشد سيبويه بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوم
ذو كواكب اشنعا وجمع الظلمات على انه يعني ظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة
الغيب اي اذا اخطاتم الطريق وخفتم الهلاك تدعونه لين انجيتنا من هذه
اي من هذه الشدايد لنكونن من الشاكرين اي من الطايعين فوبخهم الله في
دعايهم اياه عند الشدايد وهم يدعون معه في حالة الرخا غيره بقوله
ثم انتم تشركون وقرا الاعمش وخيفة من الخوف وابو بكر عن عاصم خفية
بكسر الخا والباقون بضمها لغتان وزاد الفرا خفوة وخفوة قال ونظيره حبية
وحبية وجوة وجوة وقراه الاعمش بعيد لان معنى تضرعا ان تظهروا التذلل
وخيفة ان يبطنوا مثل ذلك وقرا الكوفيون لين انجانا واستاق المعنى بالتا
كما قرا اهل المدينة واهل الشام وقوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل
كرب قرا الكوفيون ينجيكم بالتشديد والباقون بالتخفيف قيل معناهما واحد
مثل نجا وانجيته ونجيته وقيل التشديد للتكثير والكرب الغم باخذ النفس
يقال منه رجل مكروب قال عنترة ومكروب كشفت الكرب عنه بطعنة
فيصل لما دعاني والكربة مشتقة من ذلك وقوله ثم انتم تشركون تقريع وتوبيخ
مثل قوله في اول السورة ثم انتم تمترون لان الحجة اذا قامت بعد المعرفة
وجب الاخلاص وهم قد جعلوا بدلا منه وهو الاشراك فحسن ان يقرعوا
ويوبخوا على هذه الجهة وان كانوا مشركين قبل النجاة قل هو
القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم الاية اي القادر على انجايكم من الكرب
قادر على تعذيبكم ومعنى من فوقكم الرجم بالحجارة والطوفان والصيحة والريح
كما فعل بعاد وثمود وقوم شعيب وقوم لوط وقوم نوح عن مجاهد وبن جبير
وغيرهما ومن تحت ارجلكم الخسف والرجفة كما فعل بقارون واصحاب مدين

وقيل من فوقكم يعني الامرا الظلمه ومن تحت ارجلكم يعني السفله وعبيد السو عن
ابن عباس ومجاهد ايضا او يلبسكم شيعا روى عن ابي عبد الله المدني او يلبسكم بضم
اليا اي يجللكم العذاب ويعمكم به وهذا من اللبس بضم الاول وقراه الفتح من
اللبس وهو موضع مشكل والاعراب يبينه اي يلبس عليكم امركم فحذف احد
المفعولين وحرف الجر كما قال واذا كالوهم او وزنوهم وهذا اللبس بان
يخلط امرهم فيجعلهم مختلفي الاهوا عن ابن عباس وقيل معنى يلبسكم شيعا
يقوي عدوكم حتى يخالطكم واذا خالطكم فقد لبسكم شيعا معناه فرقا وقيل
وقيل يجعلكم فرقا يقاتل بعضكم بعضا وذلك بتخليط امرهم وافتراق امرائهم
على طلب الدنيا وهو معنى ويذيق بعضكم باس بعض اي بالحرب والقتل في
الفتنه عن مجاهد والايه عامه في المسلمين والكفار وقيل هي في الكفار خاصة
وقال الحسن هي في اهل الصلاه قال الشيخ المولف رحمه الله وهو الصحيح فانه
المشاهد في الوجود فقد لبسنا العدو في ديارنا واستولى على انفسنا
واموالنا مع الفتنه المستوليه علينا بقتل بعضنا بعضا واستباحه
بعضنا اموال بعض نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن وعن
الحسن ايضا انه تاول ذلك فيما جرى بين الصحابه رضي الله عنهم روى مسلم
عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله زوى لي الارض
فرايت مشارقها ومغاربها وان امتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها
واعطيت الكنزين الاحمر والابيض واني سالت ربي لامتي ان لا يهلكها بسنه
عامه وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم وان
ربي قال يا محمد اني اذا قضيت قضا فانه لا يرد واني قد اعطيتك لامتك
الا اهلكهم بسنه عامه وان لا اسلط عدوا من سوى انفسهم فيستبيح

بيضتهم

بعضهم ولو اجتمع عليهم من باقطارها وقال ما بين اقطارها حتى يكون
بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا وروى النسائي عن خباب بن الارت
وكان قد شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راقب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الليلة كلها حتى كان مع الفجر فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم
من صلاته جاءه خباب فقال يا رسول الله بابي انت وامي اجل انها صلاة رغب
ورهب سالت الله عز وجل فيها ثلاث خصال فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة
سالت ربي عز وجل الا يهلكنا بما اهلك به الامم فاعطانيها وسالته ان لا
يظهر علينا عدوا من غيرنا فاعطانيها وسالته الا يلبسنا شيعا فمنعنيها وقد
اتينا على هذه الاخبار في كتاب التذكرة والحمد لله وروى انه لما نزلت هذه الاية
قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام يا جبريل ما بقاء امتي على ذلك قال له
جبريل عليه السلام انما انا عبد مثلك فادع ربك لامتك فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم واسبغ الوضوء وصلى فاحسن الصلاة ثم دعا فنزل جبريل عليه السلام وقال ان
الله تعالى سمع مقالتك واجارهم من خصلتين وهو العذاب من فوقهم ومن
تحت ارجلهم فقال يا جبريل ما بقاء امتي اذا كان فيهم اهواء مختلفة ويذيق
بعضهم باس بعض فنزل جبريل عليه السلام بهذه الاية الم احسب الناس
ان يتركوا ان يقولوا امنا الاية وروى عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال
لما نزلت هذه الاية قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او
من تحت ارجلكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجه الله فلما
نزلت او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض قال هاتان اهون وفي
سنن ابن ماجه عن ابن عمر قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع هذه
الكلمات يمسي وحين يصبح اللهم اني اسالك العفو والعافية في الدنيا

والاخرة اللهم اني اسالك العفو والعافية في ديني ودنياي واهلي ومالي
اللهم استر عوراتي وامن روعاتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني
وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان اغتال من تحتي قال وكيع يعني الخسف
انظر كيف نصرف الايات اي نبين لهم الحجج والدلالات لعلهم
يفقهون ربه بطلان ما هم عليه من الشرك والمعاصي وكذب
به قومك اي بالقران وقرا ابن ابي عبله وكذبت بالتا وهو الحق اي الصدق الحق قل
لست عليكم بوكيل قال الحسن لست بحافظ اعمالكم حتى اجازيكم عليها انما انا
منذر وقد بلغت نظيره وما انا عليكم بحفيظ اي احفظ عليكم ثم قيل هذا منسوخ
اذ لم يومر في وسعه ايما نهم لكل نبا لكل خبر حقيقة اي لكل شي وقت يقع فيه من
غير تقدم وتاخر وقيل اي لكل عمل جزا قال الحسن هذا وعيد من الله تعالى للكفار
لانهم كانوا يقرون بالبعث الزجاج يجوز ان يكون وعيدا بما ينزل بهم في الدنيا
السدي استقر يوم بدر ما كان يعدهم به من العذاب وذكر الثعلبي انه راى في
بعض التفاسير ان هذه الاية نافعة من وجع الضرس اذا كتبت على كاغد ووضع على
السن واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا بالتكذيب والرد والاستهزا
فاعرض والخطاب مجرد للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان المومنين داخلون في
الخطاب معه وهو صحيح فان العلة سماع الخوض في ايات الله وذلك
يشملهم واياه وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وحده لان
قيامه عن المشركين كان يشق عليهم ولم يكن المومنون عندهم كذلك
فامر ان ينابذهم بالقيام عنهم اذا استهزوا وخاضوا ليتادبوا
بذلك ويدعوا الخوض والاستهزا والخوض اصله في الما ثم استعمل
بعد في غمرات الاشيا التي هي مجاهل تشبيها بغمرات الما فاستعير

من

من المحسوس والمعقول وقيل هو ماخوذ من الخلط وكل شي خضته
فقد خلطته ومنه خاض الما بالعسل خلطه فادب الله نبيه صلى
الله عليه وسلم بهذه الايه بان يقعد الحقوم من المشركين يخطهم ويد — عوهم
ويستهزون بالقران فامره الله ان يعرض عنهم اعراض منكر ودل بعد
هذا على ان الرجل اذا علم من الاخر منكرا وعلم انه لا يقبل منه فعليه
ان يعرض عنه اعراض منكر ولا يقبل عليه وروى شبل عن ابن ابي نجيح
عن مجاهد في قوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا قال
هم الذين يستهزون بكتاب الله نهاه الله ان يجلس معهم الا ان ينسا فاذا
ذكر قام وروى ورقا عن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال هم الذين يقولون
في القران غير الحق   في هذه الايه رد من كتاب الله عز وجل على
من زعم ان الايمه الذين هم حجج واتباعهم لهم ان يخالطوا الفاسقين
ويصوبوا اراهم تقيه وذكر الطبري عن ابي جعفر محمد بن علي رضي الله
عنهم انه قال لا تجالسوا اهل الخصومات فانهم الذين يخوضون في
ايات الله ابن العربي وهذا دليل على ان مجالسه اهل الكبائر لا تحل
قال ابن خواز منداد من خاض في ايات الله تركت مجالسته وهجر
مومنا كان او كافرا قال وكذلك منع اصحابنا الدخول الى ارض العدو
ودخول كنايسهم والبيع ومجالسه الكفار واهل البدع وان لا
نعتقد مودتهم ولا يسمع كلامهم ولا مناظرتهم وقد قال بعض — وقدم
اهل البدع لابي عمران النخعي اسمع مني كلمه فاعرض عنه وقال ولا
نصف كلمه ومثله عن ايوب السختياني وقال الفضيل بن عياض
من احب صاحب بدعه احبط الله عمله واخرج نور الاسلام من

قلبه ومن زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها ومن جلس مع صاحب
بدعة لم يعط الحكمة واذا علم الله من رجل انه مبغض لصاحب بدعة رجوت
ان يغفر الله له وروى ابو عبد الله الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقر صاحب بدعة فقد اعان
على هدم الاسلام فبطل بهذا كل من زعم ان مجالستهم جائزة اذا
صانوا اسماعهم واما ينسينك الشيطان فلا تقعد
فيه مسئلتان قوله تعالى واما ينسينك الشيطان اما
شرط ويلزمها النون الثقيلة في الاغلب وقد لا تلزم كما قال اما يصبك
عدو في مناواة يوما فقد كنت تستعلي وتنتصر وقرا ابن عباس وابن
عامر ينسينك مشدد السين على التكثير يقال نسى وانسى بمعنى واحد
لغتان قال الشاعر قالت سليمى اتسري اليوم ام تقل وقد ينسيك بعض
الحاجة الكسل امرؤ القيس تنسيني اذا قمت سربالي المعنى يا محمد ان انساك
الشيطان ان تقوم عنهم فجالستهم بعد النهي فلا تقعد بعد الذكرى اي
اذا ذكرت فلا تقعد مع القوم الظالمين يعني المشركين والذكرى اسم
للتذكير قيل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
امته ذهبوا الى تبرئته صلى الله عليه وسلم من النسيان وقيل هو خاص
به والنسيان جائز عليه قال ابن العربي وان عذرنا اصحابنا في قوله تعالى
لئن اشركت ليحبطن عملك انه خطاب للامة باسم النبي صلى الله عليه وسلم
لاستحالة الشرك عليه فلا عذر لهم في هذا لجواز النسيان عليه قال
النبي صلى الله عليه وسلم نسي آدم فنسيت ذريته خرجه الترمذي وصححه
وقال مخبرا عن نفسه انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني

خرجه

خرجه الصحيح فاضاف النسيان اليه وقال وقد سمع قراه رجل لقد
اذكرني ايه كذا وكذا كنت انسيتها واختلفوا بعد جواز النسيان
عليه هل يكون فيما طريقه البلاغ من الافعال واحكام الشرع ام لا فذهب
الى الاول فيما ذكره القاضي عياض عامه العلما والايمه النظار كما هو ظاهر
القران والاحاديث لكن شرط الايمه ان الله تعالى ينبهه ولا يقره عليه ثم
اختلفوا هل شرط التنبيه اتصاله بالحادثه على الفور وهو مذهب القاضي
ابي بكر والاكثر من العلما او يجوز في ذلك التراخي ما لم ينخرم عمره وينقطع تبليغه
واليه نحا ابو المعالي ومنعت طايفه من العلما السهو عليه في الافعال
البلاغيه واعتذروا عن الظواهر الوارده في ذلك واليه مال الاستاذ
ابو اسحق وشذت الباطنيه وطايفه من ارباب علم القلوب فقالوا لا يجوز
النسيان عليه وانما ينسى قصدا و يتعمد صوره النسيان ليسن ونحا الى هذا
عظيم من ايمه التحقيق وهو ابو المظفر الاسفرايني في كتابه الاوسط وهو منحى
غير غير سديد وجمع الضد مع الضد مستحيل بعيد وما على
الذين يتقون من حسابهم من شي قال ابن عباس لما نزل لا تقعد وا مع الظالمين
وهو المراد بقوله فاعرض عنهم قال المسلمون لا يمكننا دخول المسجد والطواف
فنزلت هذه الايه ولكن ذكرى اي بان يعظوا ويعني المومنين فليذكروهم
لعلهم يتقون الله في ترك ما هم فيه ثم قيل نسخ هذا بقوله وقد نزل عليكم
في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم
حتى يخوضوا في حديث غيره وانما كانت الرخصه قبل الفتح وكان الوقت
وقت تقيه واشار بقوله وقد نزل عليكم في الكتاب الى قوله وذر الذين
اتخذوا دينهم لعبا ولهوا قال القشيري والاظهر ان الايه ليست منسوخه

والمعنى ما عليهم شيء من حساب المشركين فعليهم تذكيرهم وزجرهم قال ابو
الحسا بهم على الله وذكرى في موضع نصب على المصدر ويجوز ان يكون في موضع رفع اي
ولكن الذين يفعلونه ذكرى قال الكسائي المعنى ولكن هذا ذكرى   وذر الذين
اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي لا تعلق قلبك بهم فانهم اهل تعنت وان كنت مامورا
بوعظهم قال قتاده هذا منسوخ نسخه قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتمو
هم ومعنى لعبا ولهوا اي استهزا بالدين الذي هم عليه فلم يعملوا به والاستهزا
ليس مسوغا في دين وقيل لعبا ولهوا باطلا وفرحا وقد تقدم هذا وجا اللعب
مقدما في اربعه مواضع وقد تضمنت اذا انا لعب ولهو وله من موضع هو في
القران تحرف في الحديد وفي القتال وفي الانعام منها موضعان وقيل
المراد بالدين هنا العيد قال الكلبي ان الله تعالى جعل لكل قوم عيدا يعظمونه
ويصلون فيه لله تعالى وكل قوم اتخذوا عيدهم لعبا ولهوا الا امه محمد صلى
الله عليه وسلم فانهم اتخذوه صلاه وذكرا وحضورا بالصدقه مثل الجمعه
والفطر والنحر   وغرتهم الحياه الدنيا اي لم يعلموا الا ظاهرا
من الحياه الدنيا   وذكر به اي بالقران او بالحساب ان تبسل نفس
بما كسبت اي ترتهن وتسلم للهلكه عن مجاهد وقتاده والحسن وعكرمه والسدي
والابسال تسليم المرء للهلاك هذا المعروف في اللغه ابسلت ولدي ارهنته
قال عوف بن الاحوص بن جعفر وابسالي بني بغير جرم بعوناه ولا بدم
مراق بعوناه بالعين المهمله معناه جنيناه والبعو الجنايه وكان حمل عن غنيمي
لبني قشير دم ابني السجفيه فقالوا لا نرضى بك فرهنهم بنيه صلى الله عليه وسلم
طلبا للصلح والنشد النابغه   ونحن رهنا بالافاقه عامرا بما كان في الدرداء رهنا
فابسلا الدردا كتيبه كانت لهم ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع تقدم معناه

قوله تعالى

وان تعدل كل عدل لا يوخذ منها العدل الفديه وقد تقدم
معناه في الحكم الايه يطوفون بينها وبين حميم ان والايه منسوخه بايه القتال
وقيل ليست بمنسوخه لان قوله وذر الذين اتخذوا دينهم تهديد لقوله
ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ومعناه لا تحزن عليهم فانما عليك التبليغ والتذكير لئلا
تبسل النفوس لمن ابسل فقد اسلم وارتهن وقيل اصله التحريم من قولهم هذا بسيل
عليك اي حرام فكانهم حرموا الجنه وحرمت عليهم الجنه قال الشاعر اجارتكم
بسل علينا محرم وجارتنا حل لكم وحليلها والابسال التحريم قل اندعوا
من دون الله ما لا ينفعنا اي ما لا ينفعنا ان دعوناه ولا يضرنا ان تركناه يريد
الاصنام ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله اي نرجع الى الضلاله بعد الهدى
وواحد الاعقاب عقب وهي موتنه تصغير عقيبه يقال رجع فلان عقيبه اذا
ادبر قال ابو عبيده يقال لمن رد عن حاجته ولم يظفر بها قد رد على عقبيه وقال
المبرد معناه يعقب بالشر بعد الخير واصله من العاقبه والعقبى وهما ما كان
تاليا للشي واجبا ان يتبعه ومنه والعاقبه للمتقين ومنه عقب الرجل ومنه العقو
لانها تاليه للذنب وعنه يكون كالذي الكاف في موضع نصب
نعت لمصدر محذوف استهوته الشياطين في الارض حيران اي استغوته
وزينت له هواه ودعته اليه يقال هوى يهوي الى الشي اسرع اليه وقال
الزجاج هو من هوى يهوى من هوى النفس اي زين له الشيطان هواه وقرا الجماعه
استهوته اي هوت به على تانيث الجماعه وقرا حمزه استهواه الشياطين على تذكير
الجمع وروي عن ابن مسعود استهواه الشيطان وروي عن الحسن وهو كذلك في
حرف ابي ومعنى ايتنا تابعنا وفي قراه عبد الله ايضا يدعونه الى الهدى بينا وعن
الحسن ايضا استهوته الشياطين حيران نصب على الحال ولم ينصرف لان انثاه حيرا

كسكران وسكرى وغضبان وغضبى وحيردة اي تردد وبه سمي الما المستنقع
الذي لا منفذ له حاير والجمع حوران والحاير الموضع يتحير فيه الما قال الشاعر تخطوا
على برد تبين هذا هاعد وساحه حاير يعبوب قال ابن عباس اي مثل عابد الصنم
مثل من دعاه الغول فيتبعه فيصبح وقد القته في مضله ومهلكه فهو حاير في
تلك المهامه وقال في رواية ابي صالح نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق كان
يدعوا اباه الى الكفر واباه يدعونه الى الاسلام والمسلمون وهو معنى له اصحاب
يدعونه الى الهدى ايتنا قال ابو عمر امه ام رومان بنت الحرث بن غنم الكنانيه فهو
شقيق عايشه وشهد عبد الرحمن بن ابي بكر بدرا واحدا مع قومه كافرا ودعا الى البراز
فقام اليه ابوه ليبارزه فذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال متعنا بنفسك
ثم اسلم وحسن اسلامه وصحب النبي صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبيه هذا قول اهل السير
قالوا كان اسمه عبد الكعبه فغير عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه عبد
الرحمن وكان اسن ولد ابي بكر ويقال انه لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم اربعة ولاء
اب وبنوهم الا ابا قحافه وابنه ابو بكر وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وابنه ابو عتيق ام
محمد بن عبد الرحمن والله اعلم وامرنا لنسلم لرب العالمين وان اقيموا
الصلاه اللام لام كي امرنا لكي نسلم وبان اقيموا الصلاه لان حروف الاضافه تعطف
بعضها على بعض الفرا المعنى امرنا بان نسلم لان العرب تقول امرتك لتذهب وبان
تذهب بمعنى قال سمعت ابا الحسن بن كيسان يقول هي لام الخفض واللامات كلها
لام خفض ولام امر ولام توكيد لا يخرج شي عنها والاسلام الاخلاص واقامة
الصلاه الاتيان بها والدوام عليها ويجوز يكون وان اقيموا الصلاه عطفا على
المعنى اي يدعونه الى الهدى ويدعونه ان اقيموا الصلاه لان معنى ايتنا ان ايتنا
وهو الذي اليه تحشرون ابتدا وخبر وكذا وهو الذي خلق السموات

والارض

والارض اي فهذا الذي يجب ان يعبد لا الاصنام ومعنى بالحق اي بكلمة الحق يعني
قوله كن ويوم يقول كن فيكون اي واذكر يوم يقول كن او اتقوا يوم
يقول كن او تقدير يوم يقول كن وقيل هو عطف على الهاء في واتقوه قال الفرا
كن فيكون يقال انه للصور خاصة اي ويوم يقول للصور كن فيكون وقيل المعنى
فيكون جميع ما اراد من موت الناس وحياتهم وعلى هذين التاويلين يكون قوله
الحق ابتدا وخبر وقيل ان قوله قوله رفعا بيكون اي فيكون ما يامر به والحق من
نعته ويكون التمام على هذا فيكون قوله الحق وقرا ابن عامر فنكون بالنون وهو اشارة ن
الى سرعة الحساب والبعث وقد تقدم في اول البقرة القول فيه مستوفى
يوم ينفخ في الصور اي وله الملك يوم ينفخ في الصور او له الحق
يوم ينفخ في الصور وقيل هو بدل من يوم يقول والصور قرن من نور ينفخ فيه
النفخة الاولى للفنا والثانية للانشا وليس جمع صورة كما زعم بعضهم اي ينفخ في
الموتى على ما نبينه روى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه
احد الا اصغى ليتا ورفع ليتا قال واول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله قال فيصعق
ويصعق الناس ثم يرسل الله او قال ينزل الله مطرا كانه الطل فتنبت منه
اجساد الناس ثم ينفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وذكر الحديث وكذا
في التنزيل ثم ينفخ فيه اخرى ولم يقل فيها فعلم انه ليس جمع الصورة والامم مجمعة
على ان الذي ينفخ في الصور اسرافيل اسرا عليه السلام قال ابو الهيثم من انكر ان
يكون الصور قرنا فهو كمن ينكر العرش والصراط والميزان وطلب لها تاويلات قال
ابن فارس الصور الذي في الحديث كالقرن ينفخ فيه والصور جمع صورة قال
الجوهري قال الصور القرن قال الراجز لقد نطحناهم غداة الجمعين نطحا شديدا
لا كنطح الصورين ومثله قوله ويوم ينفخ في الصور قال ابن الكلبي لا ادري ما الصور ويقال

هو جمع صوره مثل بسره وبسر اي ينفخ في صور الموتى الارواح وقرا الحسن يوم ينفخ
في الصور والصور بكسر الصاد لغه في الصور جمع صوره والجمع صوار وصيار
باليا لغه فيه وقال عمرو بن عبيد قرا عياض يوم ينفخ في الصور فهذا يعني به الخلق
والله اعلم قال الشيخ المولف رحمه الله وممن قال ان المراد بالصور في هذه الايه
جمع صوره ابو عبيده وهذا وان كان محتملا فهو مردود بما ذكرناه من الكتاب والسنه
وايضا لا ينفخ في الصور للبعث مرتين بل ينفخ مره واحده فاسرافيل عليه السلام
ينفخ في الصور الذي هو القرن والله عز وجل يحيي الصور وفي التنزيل فنفخنا فيه
من روحنا عالم الغيب والشهاده رفع صفه للذي اي وهو الذي
خلق السموات والارض عالم الغيب ويجوز ان يرتفع على اضمار المبتدا وقد روي
عن بعضهم انه قرا ينفخ فيجوز ان يكون الفاعل عالم الغيب لانه اذا كان النفخ فيه
بامر الله جل وعز كان منسوبا الى الله عز وجل ويجوز ان يكون ارتفع عالم حملا على
المعنى كما انشد سيبويه ليبك يزيد ضارع لخصومه وقرا الحسن والاعمش عالم
الغيب بالخفض على البدل من الهاء التي في له واذ قال ابراهيم لابيه
ازر تكلم العلما في هذا فقال ابو بكر محمد بن محمد بن الحسن الجويني الشافعي في النكت
من التفسير له وليس بين اختلاف على ان اسم والد ابرهيم تارخ والذي في القران يدل
على ان اسمه ازر وقيل ازر عندهم ذم في لغتهم كانه قال واذ قال لابيه يا
مخطي اتتخذ اصناما الهه واذا كان كذلك فالاختيار الرفع وقيل ازر اسم صنم
واذا كان كذلك فموضعه نصب على اضمار الفعل كانه قال واذ قال ابرهم لابيه
اتتخذ ازر الاها اتتخذ اصناما الهه قال الشيخ المولف رحمه الله ما ادعاه
من الاتفاق ليس عليه وفاق فقال محمد بن اسحق والضحاك والكلبي ان ازر ابو
ابرهيم عليه السلام هو تارخ مثل اسرايل ويعقوب قال الشيخ المولف

رحمه الله

رحمه الله فيكون له اسمان كما تقدم وقال مقاتل ازر لقب وتارخ اسم وحكا
الثعلبي عن ابن اسحق القشيري ويجوز ان يكون على العكس قال الحسن كان اسم ابيه ازر
وقال سليمان التيمي هو سب وعيب ومعناه في كلامهم المعوج روي المعتمر
بن سليمان عن ابيه قال بلغني انها اعوج قال وهي اشد كلمة قالها ابرهيم لابيه وقال
الضحاك معنى ازر الشيخ الهرم بالفارسية الفراء هي صفة ذم بلغتهم كانه قال يا مخطي
فيمن نحله او كانه قال واذ قال ابرهيم لابيه المخطي فمن خفض ولا ينصرف
لانه على افعل قال النحاس الجوهري اسم اعجمي وهو مشتق من ازر فلان فلانا اذا
عاونه فهو موازر قومه على عبادة الاصنام وقيل هو مشتق من القوة والازر
القوة عن ابن فارس وقال مجاهد ازر اسم صنم وهو في هذا التاويل في موضع نصب
التقدير اتتخذ ازر الاها اتتخذ اصناما وقيل في الكلام تقديم وتاخير التقد
اتتخذ ازر اصناما قال الشيخ المولف رحمه الله فعلى هذا ازر اسم جنس والله
اعلم الثعلبي في العرايس ان اسم ابي ابرهيم الذي سماه به ابوه تارخ فلما صار مع
النمرود قيما على خزانة الهند سماه ازر وقال مجاهد ان ازر ليس باسم ابيه وانما
هو اسم صنم وهو ابرهيم بن تارح بن ناحور بن ساروع بن ارغو بن فالغ بن
عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليهم السلام وازر
فيه قراات اازر بهمزتين الاولى مفتوحة والثانية ملينة
عن ابن عباس وعنه اازر بهمزتين مفتوحتين وقرى بالرفع
وروي ذلك عن ابن عباس وعلى القراتين الاولتين عنه تتخذ
بغير همز قال المهدوي ازرا فقيل انه اسم صنم فهو منصوب
على تقدير اتتخذ ازرا وكذلك ااازرا ويجوز ان تجعل ازرا على
انه مشتق من الازر وهو الظهر فيكون مفعولا من اجله كانه

قال للقوم تتخذ اصناما ويجوز ان يكون اذر بمعنى وزر ابدلت
الواو همزة الفتشبرد لزوفي الاحتجاج عن المشركين بقصه ابرهيم
ورده على ابيه في عباده الاصنام واولى الناس باتباع ابرهيم
العرب فانهم ذريته اي واذكر اذ قال ابرهيم وذكره اذ انها
تبسل نفس وذكر اذ قال ابراهيم وقرى اذرُ انى يا ازر على
النداء المفرد وهي قراه ابى ويعقوب وغيرهما وهو يقوى قول
ان اذر اسم ابى ابراهيم انتخذ اصناما الهه مفعولان وفيه
معنى الانكار وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض
اى ملك وزيدت الواو والتا للمبالغه في الصفه ومثله الرغبوت
والرهبوت والجبروت وقرا ابن السمال العدوى ملكوت باسكان
اللام ولا يجوز عند سيبويه حذف الفتحه لخفتها ولعلها لغه
ونرى بمعنى اريناه فهو بمعنى المضي قيل اراد به ما في السموات من
عباده الملائكه والعجايب وما في الارض من عصيان بني ادم فكان
يدعو على من يراه يعصي فيهلكه الله فاوحى الله يا ابرهيم امسك
عن عبادي اما علمت ان من اسماي الصبور وروى معناه عن على
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كشف الله له عن السموات
والارض حتى العرش واسفل الارضين وروى ابن جريج عن القاسم
عن ابرهيم النخعي قال فرجت له السموات السبع فنظر اليهن حتى
انتهى الى العرش وفرجت له الارضون فنظر اليهن وراى مكانه في
الجنه فذلك قوله واتيناه اجره في الدنيا عن السدى الضحاك
اراه ملكوت السما ما قصه من الكواكب ومن ملكوت الارض البحار

والجبال

والجبال والاشجار ونحو ذلك ما استدل بها وقال الحسن بن
عباس وقال جعل حين ولد في سرب وجعل رزقه في اطراف اصابعه
فكان يمصها وكان نمرود اللعين راى رويا فعبرت له انه يذهب
ملكه على يدي مولود يولد فامر بعزل الرجال عن النسا وقيل امر
بقتل كل مولود ذكر وكان ازر من المقربين عند نمرود فارسله
يوما في بعض حوايجه فواقع امراته فحملت بابراهيم وقيل بل
واقعها في بيت الاصنام فحملت وخرت الاصنام على وجوهها
حينيذ فحملها الى بعض الشعاب حتى ولدت ابراهيم وحفر
لابراهيم سربا في الارض ووضع على بابه صخرة ليلا يفترسه سبع
وكانت امه تختلف اليه فترضعه وكانت تجده يمص ابهامه
من احدها عسل ومن الاخر ما ومن الاخر لبن وسمن وكان
على سنه مثل ابن ثلاث سنين فلما اخرجه من السرب توهم
الناس انه ولد منذ سنين فقال لامه من ربي فقالت انا فقال
ومن ربك قالت ابوك قال ومن ربه قالت نمرود فقال ومن
ربه فلطمته وعلمت انه الذي يذهب ملكهم على يديه والقصص
في هذا تام في قصص الانبيا للكسائي وهو كتاب حسن لطيف
مما يقرى وقال بعضهم كان مولده بحران ولكن ابوه نقله الى
ارض بابل وقال عامه السلف من اهل العلم ولد ابراهيم في
زمن النمرود بن كنعان بن سنجاريب بن كوش بن سام بن نوح
وقد مضى ذكره في البقرة وكان بين الطوفان وبين مولد ابرهيم
الف ومايتا سنه وثلاث وستون سنه وذلك بعد خلق

ادم بثلاثة الاف سنة وثلاث مائة سنة وثلاثين سنة
وليكون من الموقنين اي وليكون من الموقنين اريناه ذلك اي
الملكوت فلما جن عليه الليل اي ستره بظلمته ومنه الجنة
والجنة والجنة والجنين والمجن والجن كله بمعنى الستر وجنان الليل
ادلهمامه وستره قال الشاعر ولولا جنان الليل اذ ال ...
بذي الرمث والارطى عياض بن ناشب ويقال جنون الليل ايضا
ويقال جن الليل واجنه الليل لغتان راى كوكبا هذه قصة
عرض الملكوت عليه فقيل راى ذلك من شق الصخرة الموضوعة على
راس السرب وقيل لما اخرجه ابوه من السرب وكان وقت غيبوبة
الشمس فراى الابل والخيل والغنم فقال لا بد لها من رب فراى
المشتري قال محمد بن اسحق كان ابن خمس عشرة سنة وقيل ابن سبع سنين
وقيل لما خرج نمرود كان ابن سبع عشرة سنة قال
هذا ربي اختلف في معناه على اقوال فقيل كان هذا منه في مهلة النظر
وحال الطفولية وقيل قيام الحجة في تلك الحال لا يكون كفر ولا
ايمان استدل قائلوا هذه بما روى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس
قال فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي فعبده حتى غاب
عنه وكذلك الشمس والقمر فلما تم نظره قال اني بري مما تشركون واستدل
بالافول لانه اظهر الايات على الحدوث وقال قوم هذا لا يصح وقالوا
غير جائز ان يكون لله تعالى رسول ياتي عليه وقت من الاوقات الا
وهو لله تعالى موحد وبه عارف ومن كل معبود سواه برى قالوا
وكيف يصح ان يتوهم هذا على من عصمه الله تعالى واتاه رشده

من قبل

بامر عسر

من قبل واراه ملكوت ليكون من الموقنين ولا يجوز ان يوصف بالخلو
عن المعرفه بل عرف الرب اول النظر قال الزجاج هذا الجواب عندي
خطا وغلط ممن قاله وقد اخبر الله تعالى عن ابرهيم انه قال واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام وقال جل وعز بقلب سليم اي لم يشرك قط قال
والجواب عندي انه قال هذا ربي على قولكم لانهم كانوا يعبدون
الاصنام والشمس والقمر ونظير هذا قوله تعالى اين شركاي
وهو جل وعلى واحد لا شريك له والمعنى اين شركاي على قولكم
وقيل لما خرج ابرهيم من السرب راي ضو الكوكب وهو طالب لربه
فظن انه ضوه فقال هذا ربي اي بانه يترا اما في نوره فلما افل علم
انه ليس بربه فلما راي القمر بازغا ونظر الى ونظر الى صبه ضوه قال
هذا ربي فلما افل قال لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما
راي الشمس بازغه قال مثل ذلك وليس هذا شركا انما نسب ذلك الضو
الى ربه فلما راه زايلا دله العلم انه غير مستحق لذلك فنفاه بقلبه وعلم
ان هذا مربوب وليس برب وقيل انما قال هذا ربي لتقرير الحجه على
قومه فاظهروا موافقتهم فلما افل النجم قرر الحجه وقال ما تغير لا
يجوز ان يكون ربا وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها ويحكمون بها
وقال النحاس ومن احسن ما قيل في هذا ما صح عن بن عباس انه قال
في قوله الله عز وجل نور على نور قال كذا قلب المومن يعرف الله عز وجل
ويستدل عليه بقلبه فاذا عرفه ازداد نورا على نور وكذا ابرهيم
عليه السلام عرف الله عز وجل بقلبه واستدل عليه بدلايله فعلم
ان له ربا وخالقا فلما عرفه الله عز وجل بنفسه ازداد معرفه فقال

اتحاجوني في الله وقد هدان وقيل هو على معنى الاستفهام والتوبيخ
لفعلهم والمعنى اهذا ربي او مثل هذا يكون ربا فحذف الهمزة وفي التنزيل
افإين مت فهم الخالدون اي افهم وقال الهذلي رفوني وقالوا يا خويلد لم ترع
فقلت وانكرت الوجوه هم هم اخر لعمرك ما ادري وان كنت داريا
بسبع رمين الجمر ام بثمان وقيل المعنى هذا ربي على زعمكم كما قال اين شركاي
الذين كنتم تزعمون وقال ذق انك انت العزيز الكريم اي عند نفسك
وقيل المعنى اي وانتم تقولون هذا ربي واضمر القول واضماره في القران
كثير وقيل المعنى هذا ربي اي هذا دليل على ربي فلما راى القمر
بازغا اي طالعا يقال بزغ القمر اذا ابتدا في الطلوع والبزغ الشق
كانه يشق بنوره الظلمة ومنه بزغ البيطار الدابة اذا اسال دمه لين
لم يهدني ربي اي لين لم يثبتني ربي على الهداية وقد كان مهتديا فيكون
جرى هذا في مهلة النظر او سال التثبيت لامكان الجواز الفعل كما قال
شعيب وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشا الله وفي التنزيل اهدنا الصراط
المستقيم اي ثبتنا على الهداية وقد تقدم فلما راى الشمس
بازغة نصب على الحال لان هذا من روية العين بزغ يبزغ بزوغا اذا طلع وافل
يافل افولا اذا غاب وقال هذا والشمس موثنة لقوله فلما افلت فقيل ان تانيث
الشمس لتفخيمها وعظمها فهو كقولهم رجل نسابة وعلامة وانما قال هذا
ربي على معنى هذا الطالع ربي قاله الكسائي والاخفش وقال غيرهما اي هذا
الضو قال ابو الحسن علي بن سليمان اي هذا الشخص كما قال الاعشى قامت
تبكيه على قبره من لي من بعدك يا عامر تركتني في الدار ذا غربة قد ذل
من ليس له ناصر اني وجهت وجهي اي قصدت بعبادتي وتوحيدي

لله عز وجل

لله عز وجل وحده وذكر الوجه لانه اظهر لانه ما يعرف صاحبه حنيفا مائلا
الى الحق وما انا من المشركين اسم ما وخبرها واذا وقفت قلت انا رددنا الالف
لبيان الحركة وهي اللغة الفصيحة وقال الاخفش ومن العرب من يقول انه وقال
الكسائي ومن يقول انه ثلاث لغات وفي الوصل ايضا ثلاث لغات ان تحذف
الالف في الادراج لانها زايدة لبيان الحركة في الوقف وفي العرب من يثبت
الالف في الوصل كما قال الشاعر انا سيف العشيرة فاعرفوني وهي لغة بعض
بني قيس وربيعة عن الفرا ومن العرب من يقول في الوصل انا فعلت مثل ما
فعلت حكاه الكسائي عن بعض قضاعة وحاجه قومه دليل
على الحجاج والجدال حاجوه في توحيد الله قال اتحاجوني في الله قرا نافع
بتخفيف النون وشدد النون الباقون وفيه عن ابن عامر من رواية هشام عنه
خلاف لمن شدد قال الاصل فيه نونان الاولى علامة والثانية فاصلة
الفعل واليا فلما اجتمع مثلان في فعل وذلك ثقيل ادغم النون في الاخرى
فوقع التشديد ولا بد من مد الواو ليلا يلتقي الساكنان الواو واول
التشديد فصارت المدة واصلة بين الساكنين ومن خفف حذف النون الثانية
استخفافا لاجتماع المثلين ولم يحذف الاولى لانها علامة الرفع فلو حذفت
لاشتبه المرفوع بالمجزوم والمنصوب وحكى عن ابي عمرو بن العلا ان هذه القرا
لحن واجاز سيبويه ذلك قال استثقلوا التضعيف وانشد تراه كالثغام
يعل مسكا يسو الفاليات اذا فليني ولا اخاف ما تشركون
به اي لانه لا ينفع ولا يضر وكانوا اجرفوهم الهتهم الا ان تصيبه وتقدير فيخاف
ضرر حينيذ وهو معنى قوله الا ان يشا ربي شيا اي الا ان يشا ان يلحقني بشي من
المكروه بذنب عملته فتتم مشيته وهذا استثنا من الاول والهايد يجوز

ان يكون لله عز وجل ويجوز ان يكون للمعبود ويقال الا ان يشا ربي يعني ان الله تعالى
لا يشا ان اخافهم وسع ربي كل شي علما اي وسع علمه كل شي وقد تقدم
وكيف اخاف ما اشركتم يعني كيف لا اخاف وانكر عليهم تخويفهم اياه
بالاصنام وهم لا يخافون الله عز وجل اي كيف اخاف مواتا وانتم لا تخافون الله
القادر على كل شي ما لم ينزل به سلطانا اي حجه وقد تقدم فاي الفريقين
احق بالامن اي من عذاب الله الموحّد ام المشرك فقال الله قاضيا بينهم الذين
امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي بشرك قاله ابو بكر الصديق وعلي وسلمان
وحذيفه رضي الله عنهم وقال ابن عباس هو من قول ابراهيم كما يسال العالم
ويجيب نفسه وقيل هو من قول قوم ابرهيم اي اجابوا بما هو حجه عليهم قاله
جريج وفي الصحيح عن ابن مسعود لما نزلت الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم شق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اينا لم يظلم
نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هو كما تظنون انما هو كما
قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وهم مهتدون اي
في الدنيا وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم اشارة الى جميع
احتجاجاته حتى خاصمهم وغلبهم بالحجه وقال مجاهد هي قوله الذين امنوا
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقيل حجتهم حجته عليهم انهم لما قالوا له اما
تخاف ان تخبلك الهتنا لسبك اياها قال لهم افلا تخافون انتم منها اذ سويتم
بين الصغير والكبير بالعلم والفهم والامامه والملك وقرا الكوفيون درجات
بالتنوين ومثله في يوسف اوقعوا الفعل على من لانه المرفوع في الحقيقه
التقدير ونرفع من نشا الى درجات ثم حذفت الى وقرا اهل الحرمين وابو عمرو
بغير تنوين على الاضافه والفعل واقع على الدرجات واذا رفعت فقد

دفع

رفع صاحبها بقوى هذه القراه قوله رفيع الدرجات وقول النبى صلى الله
عليه وسلم اللهم ارفع درجته فاضاف الرفع الى الدرجات وهو لا اله الا هو الرفيع
المتعال فى شرفه وفضله فالقراتان متقاربتان لان من رفعت درجاته فقد رفع
ومن رفع فقد رفعت درجاته فاعلم ان ربك حكيم عليم يضع كل شى موضعه
قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل
ومن ذريته فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى ووهبنا له اسحق
ويعقوب جزاله على الاحتجاج فى الدين وبذل النفس فيه كلا هدينا اى كل واحد
منهم مهتد وكلا نصب بهدينا ونوحا نصب بهدينا ومن
ذريته اي من ذريه ابراهيم وقيل من ذريه نوح قاله الفرا واختاره الطبرى
وغير واحد من المفسرين كالقشيرى وبن عطيه وغيرهما والاول قاله الزجاج
واعترض بانه عد من هذه الذريه يونس ولوطا وما كانا من ذريه ابراهيم
فكان لوط بن اخيه وقيل بن اخته وقال بن عباس هولا الانبيا جميعا مضا
الى ذريه ابراهيم وان كان فيهم من لم يلحقه ولادة من جهته من قبل ام ولا
اب لان لوطا بن اخى ابراهيم والعرب تجعل العم ابا كما اخبر الله تعالى عن
ولد يعقوب انهم قالوا نعبد الهك واله ابايك ابرهيم واسماعيل واسحق
واسماعيل عم يعقوب وعد عيسى من ذريه ابراهيم وانما هو بن البنت واولاد
فاطمه رضى الله عنها ذريه النبى صلى الله عليه وسلم وبهذا تمسك وهى الثانيه
من راى ان ولد البنات يدخلون فى اسم الولد قال ابو حنيفه والشافعى
من وقف وقفا على ولده وولد ولده انه يدخل فيه ولد ولده وولد بناته ما تناسلوا
وكذلك اذا اوصى لقرابته يدخل فيه ولد البنات والقرابه عند ابى حنيفه
كل ذى رحم محرم ويسقط عنده بن العم والعمه وبن الخال والخاله لانهم

ليسوا بمحرمين وقال الشافعي القرابه كل ذي رحم محرم وغيره فلم يسقط عنده
بن العم ولا غيره وقال مالك لا يدخل في ذلك ولد البنات وقوله لقرابتي
وعقبي كقوله لولدي وولد وولدي يدخل في ذلك ولد البنين ومن يرجع الي
عصبه الاب وصلبه يدخل في ذلك البنات وقد تقدم نحو هذا عن
الشافعي في العمران والحجه لهما قوله سبحانه يوصيكم الله في اولادكم فلم
يعقل المسلمون من ظاهر الاية الا ولد الصلب وولد الابن خاصه وقال
تعالى وللرسول ولذي القربى فاعطا النبي صلى الله عليه وسلم القرابه
منهم من اعمامه دون بني اخواله فكذلك ولد البنات لا ينتمون اليه
بالنسب ولا يلتقون معه في اب قال بن القصار ووجه من ادخل
البنات في الاقارب قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي ان
ابني هذا سيد ولا يعلم احد يمنع ان يقول في ولد البنات انهم ولد لابي
امهم والمعنى يقتضي ذلك لان الولد مشتق من التولد وهم متولدون
عن ابي امهم لا محاله والتولد عن جهه الام كالتولد من جهه الاب
وقد دل القران على ذلك قال الله تعالى ومن ذريته داود وسليمان الى
قوله من الصالحين فجعل عيسى من ذريته وهو بن ابنته قد
تقدم في النسا ما لا ينصرف من هذه الاسما ولم ينصرف داود لانه اسم
اعجمي ولما كان على فاعول لا يحسن فيه الالف واللام لم ينصرف والياس
عجمي قال الضحاك كان الياس من ولد اسماعيل وذكر القتبي قال كان
من سبط يوشع بن نون وقرا الاعرج والحسن وقتاده والياس بوصل
الالف وقرا اهل الحرمين وابو عمرو وعاصم واليسع مخففه بلام
وقرا الكوفيون الا عاصما والليسع وكذا قرا الكسائي ورد قراه من قرا

اليسع

اليسع قال لانه لا يقال اليفعل مثل اليحيى قال النحاس وهذا الرد لا يلزم
والعرب تقول اليعمل واليحمد ولو نكر اليحيى لقلت اليحيى ورد ابو حاتم على
من قرا الليسع وقال لا يوجد ليسع قال النحاس وهذا الرد لا يلزم فقد جا
في كلام العرب حيدر وزينب والحق في هذا انه اسم اعجمي والعجمة لا تؤخذ
بالقياس وانما تؤدى سماعا والعرب تغيرها كثيرا فلا ينكر ان ياتي الاسم
بلغتين قال مكي من قرا بلامين فاصل الاسم لَيْسَعْ ثم دخلت الالف واللام
للتعريف والقراءة بلام واحدة احب الي لان اكثر القرا عليه
ولوطا اعجمي الصرف لخفته وسياتي اشتقاقه في الاعراف قال
المهدوي من قرا اليسع بلام واحدة فالاسم يسع ودخلت
الالف واللام زائدتين كزيادتهما في نحو الخمسة عشر
وفي نحو قوله وجدت اليزيد بن الوليد مباركا شديدا باعباء
الخلافة كاهله وقد زادوها في الفعل المضارع نحو قوله
وهو ما بين الكتفين فاعل شديدا
يستخرج اليربوع من نافقائه ومن بيته ذي الشيخة اليتقصع
يريد الذي يتقصع القشيري قرئ بتخفيف اللام والتشديد
والمعنى واحد في انه اسم لنبي معروف في مثل اسماعيل وابرهيم
ولكن خرج عما عليه الاسما الاعجمية بادخال الالف واللام وتوهم
قوم ان اليسع الياس وليس كذلك لان الله افرد كل واحد بالذكر
وقال وهب اليسع صاحب الياس وكانوا قبل زكريا
ويحيى وعيسى وقيل الياس هو ادريس وهذا غير صحيح لان
ادريس جد نوح والياس من ذريته وقيل الياس هو الخضر
وقيل لا بل اليسع هو الخضر ومن ابائهم وذرياتهم

مطلب كلمة الاعباء

وهو جمع عبء والناحية الجانب او الحمل من قبيل اضافة الاعم الى الاخص (؟)

هم
كر

من للتبعيض اي هدينا بعض ابايهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم
فالمجاهد خلصناهم وهو عند اهل اللغه بمعنى اخترناهم
مشتق من جبيت الما في الحوض جمعته فالاجتبا ضم الذي يجتبيه
الخالص لك قال الكسائي جبيت الما في الحوض جبا مقصور والجابيه
الحوض قال كجابية الشيخ العراقي تفهق وقد تقدم الاصطفا
والهدايه ذلك هدى الله يهدي به من يشا من عباده
ولو اشركوا اي لو عبدوا غيري لحبطت اعمالهم ولكني عصمتهم
والحبوط البطلان وقد تقدم اوليك الذين اتيناهم
الكتاب والحكم والنبوه ابتدا وخبر والحكم العلم والفقه
فان يكفر بها اي باياتنا هولاي اي كفار عصرك يا محمد فقد وكلنا
بها جواب الشرط اي وكلنا بالايمان بها قوما ليسوا بها كافرين
يريد الانصار من اهل المدينه والمهاجرين من اهل مكه وقال
قتاده يعني النبيين الذين قص الله عز وجل قال النحاس وهذا القول
اشبه بالمعنى لانه قال بعد اوليك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وقال ابو رجا هم الملايكه وقيل هو عام في كل مؤمن
من الجن والانس والملايكة والبا في بكافرين زايدة على جهة التاكيد
قوله تعالى اوليك الذين هدى الله ابتدا وخبر فبهداهم اقتده فيه
مسلتان الاولى قوله تعالى فبهداهم اقتده الاقتدا طلب
موافقه الغير في فعله فقيل المعنى اصبر كما صبروا وقيل معنى
فبهداهم اقتده التوحيد والشرايع مختلفه وقد احتج بعض
العلما بهذه الايه على وجوب اتباع شرايع الانبيا فيما عدم

فيه النص

١

فيه النص كما في صحيح مسلم وغيره ان اخت الربيع ام حارثة
جرحت انسانا فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم القصاص القصاص فقالت ام
الربيع يا رسول الله اتقتص من فلانه والله لا يقتص منها
فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله يا ام الربيع القصاص
كتاب الله قالت والله لا يقتص منها ابدا قال فما زالوا حتى قبلوا
الديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله
من لو اقسم على الله لابره فاحال صلى الله عليه وسلم على قوله
وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الايه وليس في كتاب الله
نص على القصاص في السن الا في هذه الايه وهي خبر عن شرع
التوراه ومع ذلك فحكم بها واحال عليها والى هذا ذهب
معظم اصحاب ملك واصحاب الشافعي وانه يجب العمل
بما وجد منها قال بن بكير وهو الذي تقتضيه اصول ملك
وخالف في ذلك كثير من اصحاب ملك واصحاب الشافعي
والمعتزله لقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وهذا لا
حجه فيه لانه يحتمل التقييد الا فيما نص عليكم من اخبارهم
مما لم ياتي في كتابكم وفي صحيح البخاري عن العوام قال سالت
مجاهدا عن سجدة ص فقال سالت بن عباس عن سجدة ص فقال اوما
تقرا ومن ذريته داود وسليمان الى قوله اولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده وكان داود عليه السلام ممن امر نبيكم صلى الله عليه
وسلم بالاقتدا به   فرا حمزه والكسايي اقتد فلا بغير

ها في الوصل ابن عامر اقتده هي قال النحاس وهذا لحن لان الهاء لبيان
الحركة في الوقف وليست بهاء اضمار ولا بعدها واو ولا ياء وكذلك
ايضا لا يجوز فبهداهم اقتده قل ومن اجتنب اللحن واتبع السواد
وقرا الجمهور بالهاء في الوصل على نية الوقف وعلى نية الادراج
اتباعا لثباتها في الخط وقرا ابن عباس وهشام اقتده قل بكسر الهاء وهو
غلط لا يجوز في العربية قل لا اسالكم عليه اجرا اي
جعلا على القران ان هو الا ذكرى للعالمين اي موعظة
للخلق واضاف الهداية اليهم فقال فبهداهم اقتده اوقع الهداية
بهم وقال ذلك هدى الله لانه الخالق للهداية وما قدروا
الله حق قدره اي فيما وجب له واستحال عليه واجاز قال ابن عباس
ما امنوا انه على كل شي قدير الحسن ما عظموه حق عظمته وهذا
يكون من قولهم لفلان قدر وشرح هذا انهم لما قالوا ما انزل الله
على بشر من شي فنسبوا الله جل وعز انه لا يقيم الحجة على عباده ولا يا
مرهم بما لهم فيه الصلاح لم حق عظمته ولا عرفوه حق معرفته
وقال ابو عبيدة اي ما عرفوا الله حق معرفته النحاس وهذا قول
حسن لان معنى قدرت الشي وقدرته عرفت مقداره ويدل
عليه قوله جل وعز اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي اي لم
يعرفوه حق معرفته اذ انكروا ان يرسل رسولا والمعنيان
متقاربان وقد قيل وما قدروا نعم الله حق تقديرها وقرا
ابو حيوة وما قدروا الله حق قدره بفتح الدال وهي لغة اذ قالوا
ما انزل الله على بشر من شي قال ابن عباس وغيره يعني مشركي

قريش

قد بشر قال الحسن وسعيد بن جبير الذي قاله احد اليهود قال لم ينزل الله
كتابا من السما السدي اسمه فنحاص وعن سعيد بن جبير ايضا هو مالك بن
الصيف جا يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
انشدك بالذي انزل التوراه على موسى اما تجد في التوراه ان الله يبغض
الحبر السمين وكان حبرا سمينا فغضب وقال والله ما انزل الله على
بشر من شي فقال له اصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى فقال
والله ما انزل الله على بشر من شي فنزلت الايه ثم قال نقضا لقولهم
وردا عليهم قل من انزل الكتاب الذي جا به موسى نورا وهدى للناس
يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا هذا لليهود الذين
اخفوا صفه النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها من الاحكام وقال
مجاهد قوله قل من انزل الكتاب الذي جا به موسى خطاب
للمشركين وقوله يجعلونه قراطيس لليهود وعلمتم ما لم تعلموا
انتم ولا اباوكم للمسلمين وهذا يصح على قراه من قرا يجعلونه
قراطيس يبدونها ويخفون بالتا والوجه على قراه التا ان يكون
كله لليهود ويكون معنى وعلمتم ما لم تعلموا اي وعلمتم ما لم
تكونوا تعلمونه انتم ولا اباوكم على وجه المن عليهم بانزال التوراه
وجعلت التوراه صحفا فلذلك قال قراطيس يبدونها اي
القراطيس وهذا ذم لهم ولذلك كره العلما كتب القران اجزا قل
الله اي قل يا محمد الذي انزل ذلك الكتاب على موسى وهذا الكتاب على
او قل الله علمكم الكتاب ثم ذرهم في خوضهم يلعبون اي لاعبين
ولو كان جوابا للامر لقال يلعبوا ومعنى الكلام التهديد وقيل

س

هو من المنسوخ بالقتال ثم قيل يجعلونه في موضع الصفه لقوله
نورا و هدى فيكون في الصله ويحتمل ان يكون مستانفا والتقدير
يجعلونه قراطيس وقوله يبدونها ويخفون كثيرا يحتمل ان يكون صفه
لقراطيس لان النكره توصف بالجمل ويحتمل ان يكون مستانفا حسب ما
تقدم وهذا كتاب انزلناه يعني القران انزلناه صفه
مبارك اي بورك فيه والبركه الزياده ويجوز نصبه في غير القران
على الحال ولذا مصدق الذي بين يديه اي من الكتب المنزله قبله فانه يوافقها
في نفي الشرك واثبات التوحيد ولتنذر ام القرى يريد مكه وقد تقدم
معنى تسميتها بذلك والمراد اهلها بحذف المضاف اي انزلناه للبركه
والانذار ومن حولها يعني جميع الافاق والذين يومنون بالاخره يومنون به
يريد اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله وهم على صلاتهم يحافظون
وايمان من امن بالاخره ولم يومن بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا بكتابه غير
معتد به ومن اظلم ابتدا وخبر اي لا احد اظلم ممن افترى اي
اختلق على الله كذبا او قال اوحي الي فزعم انه نبي ولم يوح اليه شي نزلت
رحمان اليمامه والاسود العبسي وسجاح زوج مسيلمه تنبا وزعم ان الله
قد اوحى قال قتاده بلغنا ان هذا انزل في مسيلمه وقاله ابن عباس قال
الشيخ المولف رحمه الله ومن هذا النمط من اعرض عن الفقه والسنن وما
كان عليه السلف من السنن فيقول وقع في خاطري كذا واخبرني قلبي بكذا
فيحكمون بما يقع في قلوبهم ويغلب عليهم من خواطرهم ويزعمون ان ذلك
لصفاها من الاكدار وخلوها من الاغيار فتتجلى لهم العلوم الالاهيه
والحقايق الربانيه فيقفون على اسرار الكليات ويعلمون احكام الجزييات

فيستغنون

فيستغنون بها عن احكام الشرايع ويقولون هذه الاحكام الشرعيه العامه
انما يحكم بها على الاغنيا والعامه واما الاوليا واهل الخصوص فلا يحتاجو
الى تلك النصوص وقد جا فيما ينقلون استفت قلبك وان افتاك المفتيون
ويستدلون على هذا بالخضر وانه استغنى بما تجلى له من تلك العلوم عما كان
عند موسى من تلك المفهوم وهذا القول زندقه وكفر يقتل قايله ولا يستتا
ولا يحتاج معه الى سوال ولا جواب فانه يلزم منه هدم الاحكام وانبيا
بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وسياتي لهذا المعنى في الكهف ان شا الله مزيد
بيان ومن قال سانزل مثل ما انزل الله من في موضع خفض اي
ومن اظلم ممن قال سانزل مثل ما انزل الله والمراد عبد الله بن ابي سرح الذي
كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد ولحق المشركون
وسبب ذلك في ذكر المفسرون انه لما نزلت الايه التي في المومنين ولقد
خلقنا الانسان من سلاله من طين دعاه النبي صلى الله عليه وسلم فاملا
عليه فلما انتهى الى قوله ثم انشاه خلقا اخر عجب عبد الله في تفصيل خلق
الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هكذا انزلت علي فشك عبد الله حينيذ وقال لان كان محمد صلى الله
عليه وسلم صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولين كان كاذبا لقد قلت
كما قال فارتد عن الاسلام ولحق المشركين فذلك قوله ومن قال سانزل
مثل ما انزل الله رواه الكلبي عن ابن عباس وذكر محمد بن اسحق قال حدثني
شرحبيل قال نزلت في عبد الله بن سعد بن ابي سرح ومن قال سانزل مثل ما
انزل الله ارتد عن الاسلام فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكه امر
بقتله وقتل عبد الله بن خطل ومقيس بن صبابه ولو وجدوا تحت استار

الكعبه ففر عبد الله بن سرح الى عثمن رضى الله عنه وكان اخاه من الرضاعه ارضعته
ام عثمان فغيبه عثمن حتى اتا به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اطمان
اهل مكه فاستامنه له فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا ثم قال
نعم فلما انصرف عثمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صمت الا ليقوم اليه بعضكم
فيضرب عنقه فقال رجل من الانصار فهلا اومات الي يا رسول الله فقال ان النبي لا
تكون له خاينه اعين قال ابو عمر واسلم عبد الله بن سعد بن ابي سرح ايام الفتح فحسن
اسلامه ولم يظهر منه شي ينكر عليه بعد ذلك وهو احد النجبا العقلا الكرما
من قريش وفارس بني عامر بن لوي المعدود فيهم ثم ولاه عثمن بعد ذلك مصر في سنه
خمس وعشرين وفتح على يديه افريقيه سنه سبع وعشرين وغزا منها الاوساد من
ارض النوبه سنه احدي وثلاثين وهو هادنهم الهدنه الباقيه الى اليوم وغزا
الصواري من ارض الروم سنه اربع وثلاثين فلما رجع من وفاداته منعه ابن ابي
حذيفه من دخول الفسطاط فمضى الى عسقلان فاقام بها حتى قتل عثمن رضى الله عنه
وقيل بل اقام بالرمله حتى مات فارا من الفتنه ودعا ربه فقال اللهم اجعل
خاتمه عملي صلاه الصبح فتوضى ثم صلا فقرا بالركعه الاولى بام القران والعاديات
وفي الثانيه بام القران وسوره ثم سلم عن يمينه وذهب ليسلم عن يساره فقبض الله روحه
وذكر ذلك يزيد بن ابي حبيب وغيره ولم يبايع لعلي ولا لمعاويه وكانت وفاته قبل
اجتماع الناس على معاويه وقيل انه توفي بافريقيه والصحيح انه توفي بعسقلان سنه
ست او سبع وثلاثين وقيل سنه ست وثلاثين وروي حفص بن عمر عن الحكم بن
ابان عن عكرمه ان هذه الايه نزلت في النضر بن الحارث لانه عارض القران فقال
والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا فالخابزات خبزا فاللاقمات لقما
ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت اي شدايده وسكراته والغمر الشده

واصلها

ايه واصلها الشي الذي يغمر الاشيا فيغطيها ومنه غمر الما ثم وضعت في معنى الشد
والمكاره ومنه غمرة الحرب قال الجوهري الغمرة الشدة والجمع غُمَر مثل نوبه
ونوب قال القطامي يصف سفينة نوح عليه وحان لتالك الغمر انحسار وغمرات
ن الموت شدايده والملايكة باسطوا ايديهم ابتدا وخبر والاصل باسطون
قيل العذاب ومطارق الحديد عن الحسن والضحاك وقيل لقبض الارواح وفي
التنزيل ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملايكة يضربون وجوههم وادبارهم
وجمعت هذه الايه القولين يقال بسط اليه يده بالمكروه اخرجوا انفسكم
اي خلصوها من العذاب ان امكنكم وهو توبيخ وقيل اخرجوها كرها لان
نفس المومن تنشط للخروج للقاء ربه وروح الكافر تنتزع انتزاعا شديدا ويقال
ايتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة مسخوطا عليك الى عذاب الله وهوانه كذا جا
في حديث ابي هريرة وغيره وقد اتينا عليه في كتاب التذكرة والحمد لله وقيل هو
بمنزلة قول القايل لمن يعذبه لاذيقنك العذاب ولاخرجن نفسك وهذا لانهم
لا يخرجون انفسهم بل يقبضها ملك الموت واعوانه وقيل يقال هذا للكفار
وهم في النار والجواب محذوف لعظم الامر اي ولو رايت الظالمين في هذه
الحال لرايت عذابا عظيما والهون والهوان سوا وتستكبرون اي تتعظمون
وتانفون عن قبول اياته ولقد جيتمونا فرادى هذه عباره
عن الحشر وفرادى في موضع نصب على الحال ولم ينصرف لان فيه الف تانيث
وقرا ابو حيوة فرادًى بالتنوين وهي لغة تميم ولا يقولون في موضع الرفع فراد
وحكى احمد بن يحيى فراد بلا تنوين قال مثل ثلاث ورباع جمع فردان كسكارى
جمع سكران وكسالى جمع كسلان وقيل واحده فرد بجزم الرا وفرد بكسرها
وفرد بفتحها وفريد والمعنى جيتمونا واحدا واحدا كل واحد منكم منفردا بلا

اهل ولا مال ولا ولد فلانا صرنم بانيصا حبكم في الغي ولم ينفعكم ما عبدتم من
دون الله وقرا الاعرج فردى مثل سكرى وكسلى بغير الف كما خلقناكم اول مرة
مرة اي منفردين كما خلقتم وقيل عراة كما خرجتم من بطون امهاتكم حفاة غرلا
بهما ليس معهم شي وقال العلما يحشر العبد غدا وله من الاعضا ما كان له في يوم ولد
لمن قطع منه عضو يرد في القيامة عليه وهذا معنى قوله غرلا اي غير مختونين
اي يرد عليهم ما قطع عنه عند الختان وتركتم ما خولناكم
اي اعطيناكم وملكناكم والخول ما اعطاه الله للانسان من العبيد والغنم
وراء ظهوركم اي خلفكم وما نرى معكم شفعاكم اي الذين عبدتموهم وجعلتموهم
شركا يريد الاصنام اي شركا ي وكان المشركون يقولون الاصنام شركا الله
وشفعاونا عنده لقد تقطع بينكم قرا نافع والكساي وحفص بالنصب على
على معنى لقد تقطع وصلكم بينكم ودل على حذف الوصل قوله وما نرى معكم
شفعاكم الذين زعمتم فدل هذا على التقاطع والتهاجر بينهم وبين شركايهم
اذ تبروا منهم ولم يكونوا معهم وتقاطعهم لهم هو تركهم وصلهم لهم فحسن
اضمار الوصل بعد تقطع لدلالة الكلام عليه وفي حرف ابن مسعود ما يدل
على النصب فيه لقد تقطع ما بينكم وهذا لا يجوز فيه الا النصب لانك
ذكرت المتقطع وهو ما كانه قال لقد تقطع الوصل بينكم وقيل المعنى لقد
تقطع الامر بينكم والمعنى متقارب وقرا الباقون بينكم بالرفع على انه اسما غير
ظرف فاسند الفعل اليه ويقوي جعل بين اسما من جهة دخول حرف الجر عليه في قوله
تعالى ومن بيننا وبينك حجاب وهذا فراق بيني وبينك ويجوز ان تكون قراة النصب معنى
قراة الرفع وانما نصب لكثرة استعماله ظرفا منصوبا وهو في موضع رفع
وهو مذهب الاخفش فالقراتان على هذا بمعنى واحد فاقرا بايهما شيت

وضل

وضل اي ذهب ما كنتم تزعمون اي تكذبون به في الدنيا روي ان الايه في النضر بن
الحرث وروي ان عايشه رضي الله عنها قرات قول الله تعالى ولقد جيتمونا
فرادى كما خلقناكم اول مره فقالت يا رسول الله واسواتاه ان الرجال
والنسا يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى سواه بعض فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لكل امرئ منهم يوميذ شان يغنيه لا ينظر الرجال الى النسا ولا
النسا الى الرجال شغل بعضهم عن بعض وهذا حديث ثابت صحيح اخرجه
مسلم بمعناه ان الله فالق الحب والنوى عد من عجايب صنعه
ما يعجز عن ادنى شي منه الهتكم والفلق الشق اي يشق النواه الميته فيخرج
منها ورقا اخضر وكذلك الحبه ويخرج من الورق الاخضر نواه ميته
وحبه وهذا معنى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي عن الحسن
وقتاده وابن عباس والضحاك معنى فالق خالق مجاهد عنى بالفلق الشق الذي
في الحب وفي النوى والنوى جمع نواه ويجري في كل ما له عجم كالمشمس
والخوخ يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي يخرج البشر الحي من
النطفه الميته والنطفه الميته من البشر الحي عن ابن عباس وقد تقدم
قول قتاده والحسن وقد مضا ذلك في ال عمران وفي صحيح مسلم عن علي
والذي فلق الحبه وبرا النسمه انه لعهد النبي الامي الي انه لا يحبني الا مومن
ولا يبغضني الا منافق ذلكم الله ابتدا وخبر فانى تؤفكون فمن اين تصرفون عن الحق
مع ما ترون من قدره الله عز وجل فالق الاصباح نعت لاسم
الله اي ذلكم الله ربكم فالق الاصباح وقيل المعنى اي ان الله فالق الاصباح
والصبح والصباح اول النهار وكذلك الاصباح اي فالق الصبح كل يوم يريد
الفجر والاصباح مصدر اصبح والمعنى شاق الضيا عن الظلام وكاشفه وقال

الضحاك فالق الاصباح خالق النهار وهو معرفة لا يجوز فيه التنوين عند احد من
النحويين وقرا الحسن وعيسى وعيسى بن عمر فالق الاصباح بفتح الهمزة وهو
جمع صبح وروى الاعمش عن ابرهيم النخعي انه قرا فلق الاصباح على فعل والهمزة
مكسورة والحا منصوبة وقرا الحسن وعيسى بن عمر وحمزة والكسائي وجعل الليل
سكنا بغير الف ونصب الليل حملا على معنى فالق في الموضعين لانه بمعنى فلق لانه امر
قد كان فحمل على المعنى وايضا فان بعده افعالا ماضية وهو قوله جعل لكم النجوم
انزل من السما ما فحمل اول الكلام على اخره يقوى ذلك اجماعهم على نصب الشمس والقمر
على اضمار فعل ولم يحملوه على فاعل فيخفضوه قاله مكي رحمه الله قال النحاس وقد قرا
يزيد بن قطيب الشلوني وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا بالخفض
عطفا على اللفظ قال الشيخ المولف رحمه الله يريد مكي والمهدوي وغيرهما اجماع
القرا السبع والله اعلم وقرا يعقوب في رواية رويس عنه وجاعل الليل ساكنا
واهل المدينة وجاعل الليل سكنا اي محلا للسكون وفي الموطا عن يحيى بن سعيد
انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو فيقول اللهم فالق الاصباح
وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عني الدين واغنني من الفقر
وامتعني بسمعي وبصري وقوتي في سبيلك ان قيل كيف قال متعني بسمعي وبصري
وفي كتاب النسائي والترمذي وغيرهما واجعله الوارث مني وذلك يؤذن مع البدن
قيل في الكلام تجوز والمعنى اللهم لا تعدمه قبلي وقد قيل ان المراد بالسمع
والبصر هنا ابو بكر وعمر لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيهما هما السمع والبصر
وهذا تاويل بعيد انما المراد بهما الجارحتان ومعنى حسبانا اي بحساب
تتعلق به مصالح العباد وقال ابن عباس في قوله جل وعز الشمس والقمر
بحسبان اي بحساب قال الاخفش حسبان جمع حساب مثل شهاب وشهبان

وقال

وقال يعقوب حسبان مصدر حسبت الشي احسبه حسبا وحسابا وحسبانا
وحسبه والحساب الاسم وقال غيره جعل الله سير الشمس والقمر بحساب
لا يزيد ولا ينقص فدلهم الله عز وجل بذلك على قدرته ووحدانيته وقيل
حسابا اي ضيا والحسبان النار في لغه وقد قال الله تعالى او يرسل عليها
حسبانا من السما قال بن عباس نارا والحسبانه الوساده الصغيره
وهو الذى جعل لكم النجوم بين جل قدرته وفي النجوم منافع جمه ذكر في هذه
الايه بعض منافعها وهي التي ندب الشرع الى معرفتها وفي التنزيل وحفظا من
كل شيطان مارد وجعلناها رجوما للشياطين وجعل هنا بمعنى خلق قد فصلنا
الايات قد بيناها مفصله لتكون ابلغ في الاعتبار لقوم يعلمون خصهم
لانهم المنتفعون بها وهو الذى انشاكم من نفس واحده يريد
ادم وقد تقدم اول السوره فمستقر قرا ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن
وابو عمرو وعيسى والاعرج وشيبه والنخعي بكسر القاف والباقون بفتحها
وهي في موضع رفع بالابتدا الا ان التقدير بمن كسر القاف فمنكم مستقر
والفتح بمعنى ولكم مستقر قال عبد الله بن مسعود فلها مستقر في الرحم ومستودع
في الارض التي تموت فيها وهذا التفسير يدل على الفتح وقال الحسن فمستقر
في القبر واكثر اهل التفسير يقولون المستقر ما كان في الرحم والمستودع ما
كان في الصلب رواه سعيد بن جبير عن بن عباس وقاله النخعي وعن بن عباس ايضا
مستقر في الارض ومستودع في الاصلاب قال سعيد بن جبير قال لي
هل تزوجت فقلت لا فقال ان الله عز وجل يستخرج من ظهرك ما استود
فيه وروي عن بن عباس ايضا ومستودع عند الله قال الشيخ المولف رحمه
الله وفي التنزيل ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين والاستيداع اشاره الى

لونهم في القبر الى ان يبعثوا للحساب وقد تقدم في البقرة قد فصلنا الايات

لقوم يفقهون قال قتادة فصلنا بينا   وهو الذي انزل من السما

ما فاخرجنا به نبات كل شي الى قوله يومنون فيه سبع مسايل

قوله وهو الذي انزل من السما ما اي المطر فاخرجنا به نبات كل شي اي كل

صنف من النبات وقيل رزق كل حيوان فاخرجنا منه خضرا قال

الاخفش اي اخضر كما تقول العرب ارنيها نمرة اركها مطرة والخضر رطب

البقول وقال ابن عباس يريد القمح والشعير والسلت والذرة وساير

وساير الحبوب نخرج منه حبا متراكبا اي يركب بعضه على بعض كالسنبلة

ومن النخل من طلعها قنوان دانية ابتدا وخبر واجاز الفرا في غير القران قنوانا

دانية على العطف على ما قبله قال سيبويه ومن العرب من يقول قنوان

قال الفرا هذه لغة قيس واهل الحجاز يقولون قنوان وتميم تقول قنيان ثم

يجمعون في الواحد فيقولون قنو وقنو والطلع الكفرى قبل ان ينشق عن

الاغريض يسمى طلعا ايضا والطلع ما يرى من عذق النخلة والقنوان جمع قنو

وتثنيته قنوان كصنو وصنوان بكسر النون وجا الجمع على لفظ الاثنين

قال الجوهري وغيره الاثنين صنوان والجمع صنوان برفع النون والقنو العذق

والجمع القنوان والاقنا قال طويلة الاقنا والاثاكل غيره اقنا جمع القلة

المهدوي قرا ابن هرمز قنوان بفتح القاف وروي عنه ضمها فعلى الفتح هو

اسم للجمع غير مكسر بمنزلة ركب عند سيبويه وبمنزلة الباقر والجامل

لان فعلان ليس من امثلة الجمع وضم القاف على انه جمع قنو وهو العذق

بكسر العين وهي الكباسة وهي عنقود النخلة والعذق بفتح العين النخلة نفسها

وقيل القنوان الجمار دانية قريبة ينالها القايم والقاعد عن ابن عباس والبرا

بن عازب

بن عازب وغيرهما الزجاج منها دانيه ومنها بعيد فحذف ومثله سرابيل تقيكم
الحر وخص الدانيه بالذكر لان من الغرض في الايه ذكر القدره والامتنان
بالنعم والامتنان فيما يقرب متناوله اكثر وجنات من اعناب
اي واخرجنا جنات وقرا محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى والاعمش وهو الصحيح
من قراه عاصم وجنات بالرفع وانكر هذه القراه ابو عبيد وابو حاتم حتى
قال ابو حاتم هي محال لان الجنات لا تكون من النخل قال النحاس والقراه
جايزه وليس التاويل على هذا ولكنه رفع بالابتدا والخبر محذوف اي ولهم
جنات كما قرا جماعه من القرا وحور عين واجاز مثل هذا سيبويه والكساي
والفرا ومثله كثير وعلى هذا ايضا وحورا عينا حكاه سيبويه وانشد
جيئني بمثل بني بدر لقومهم او مثل اسره منظور بن سيار وقيل التقدير
وجنات من اعناب اخرجناها كقولك اكرمت عبد الله واخوه اي واخوه
اكرمت ايضا فاما الزيتون والرمان فليس فيه الا النصب للاجماع على
ذلك وقيل وجنات بالرفع عطف على قنوان لفظا وان لم يكن في المعنى من
جنسها والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه اي متشابها في الاوراق
اي ورق الزيتون يشبه ورق الرمان في اشتماله على جميع الغصن وفي حجم
الورق وغير متشابه في الذواق عن قتاده وغيره ابن جريج متشابها في النظر
وغير متشابه في الطعم مثل الرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف وخص
الرمان والزيتون بالذكر لقربهما منهم ومكانهما عندهم وهو كقوله
افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ردهم الى الابل لانها اقرب ما يعرفونه
انظروا الى ثمره اذا اثمر يعني نظر الاعتبار لا نظر الابصار المجرد
عن التفكر والثمر في اللغه جنى الشجر وقرا حمزه والكساي ثمره بضم الثا والميم

ف

والبا قون بالفتح فيهما جمع ثمرة مثل بقرة وبقر وشجرة وشجر قال مجاهد الثمر صنا
المال والتمر ثمر النخل وكان المعنى على قول مجاهد انظروا الى الاموال التي تتحصل
منه الثمر فالثمر بضمتين جمع ثمار وهو المال المثمر وروي عن الاعمش ثمره بضم
الثا وسكون الميم حذف الضمة لثقلها طلبا للخفة ويجوز ان يكون جمع ثمرة مثل
بدنة وبدن ويجوز ان يكون ثمر جمع ثمر وثمار وثمر مثل حمار وحمر ويجوز ان
يكون جمع ثمرة كخشبة وخشب لا جمع الجمع

قوله تعالى وينعه قرا

محمد بن السميفع ويانعه وابن محيصن وابن ابي اسحق وينعه بضم اليا قال الفرا هي
لغة بعض اهل نجد يقال ينع الثمر يينع والثمر يانع واينع يونع والثمر مونع والمعنى
ونضجه ينع وينع وينع واينع اذا نضج وادرك قال ابن الانباري الينع جمع
يانع كراكب وركب وتاجر وتجر وهو المدرك البالغ وقال الفرا اينع اكثر من
ينع ومعناه احمر ومنه ما روي في حديث الملاعنة ان ولدته احمر مثل الينعة
وهي خرزة حمرا يقال انه العقيق او نوع منه فدلت الاية لمن تدبر ونظر ببصره
وقلبه نظر من تفكر ان المصير للمتغيرات لا بد لها من مغير وذلك انه تعالى
قال انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه فتراه اولا طلعا ثم اغريضا اذا انشق
عنه الطلع والاغريض يسمى ضحكا ايضا ثم بلحا ثم سيابا ثم جدالا اذا اخضر
واستدار قبل ان يشتد ثم بسرا اذا عظم ثم زهوا اذا احمر يقال ازها يزهي
ثم موكتا اذا بدت فيه نقطة من الارطاب فان كان ذلك من قبل الذنب فهو
مذنبة وهي التذنوب فاذا لانت فهي ثعدة فاذا بلغ الارطاب نصفها فهي مجزعة
فاذا بلغ ثلثيها فهي حلقانة فاذا عمها الارطاب فهي منسبتة يقال رطب منسبت
ثم ييبس فيصير تمرا فنبه تعالى بانتقالها من حال الى حال وتغيرها ووجودها
بعد ان لم تكن على وحدانيته وكمال قدرته وان لها صانعا قادرا عالما ودل على

جواز البعث لايجاد النبات بعد الجفاف قال الجوهري ينع التمر ينع ويينع
ينعا وينعا وينوعا اذا نضج   قال بن الجوزي قال مالك الايناع
الطيب بغير فساد ولا نقش قال مالك والنقش ان ينقش اهل البصره التمر حين يرطب
يريد يثقب فيه بحيث يسرع دخول الهوا اليه فيرطب معجلا فليس ذلك الينع المراد
في القران ولا هو الذي ربط به رسول الله صلى الله عليه وسلم البيع وانما هو ما
يكون من ذاته بغير محاوله وفي بعض بلاد التين وهي البلاد البارده لا ينضج حتى
يدخل في فمه عود تدهن زيتا فاذا طاب حل بيعه لان ذلك ضرورة الهوا وعادة
البلاد ولولا ذلك ما طاب في وقت الطيب قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا
البيع الذي يقف عليه جواز بيع التمر وبه يطيب اكلها ويامن من العاهه هو
عند طلوع الثريا بما اجرى الله سبحانه من العاده واحكمه من العلم والقدره
ذكر المعلى بن اسد عن وهيب عن عسل بن سفيان عن عطاء عن ابي هريره قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طلعت الثريا صباحا رفعت العاهه عن
اهل البلد والنجم الثريا لاخلاف في ذلك وطلوعها صباحا لاثنتي عشره
ليله تمضي من شهر ايار وهو شهر مايه وفي البخاري واخبرني خارجه بن
زيد بن ثابت ان زيد بن ثابت لم يكن يبيع ارض ثماره حتى تطلع الثريا
فيتبين الاصفر من الاحمر   وقد استدل من اسقط الجوايح
في الثمار بهذه الاثار وما كان مثلها من نهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع
الثمر حتى يبدو صلاحها وعن بيع الثمار حتى تذهب العاهه قال
عثمان بن سراقه فسالت ابن عمر متى ذلك فقال طلوع الثريا قال الشافعي
لم يثبت عندي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بوضع الجوايح ولو
ثبت عندي لم اعده والاصل المجتمع عليه ان كل من ابتاع ما يجوز بيعه

وقبضه كانت المصيبه منه قال ولولنت قايلا بوضع الجوايح لوضتها
في القليل والكثير وهو قول الثوري والكوفيين وذهب مالك واكثر اهل
المدينه الى وضعها لحديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بوضع
الجوايح اخرجه مسلم وبه كان يقضي عمر بن عبد العزيز وهو قول احمد بن حنبل
وساير اصحاب الحديث واهل الظاهر وضعوها عن المبتاع في القليل والكثير
على عموم الحديث الا ان مالكا واصحابه اعتبروا ان تبلغ الجايحه
ثلث الثمر فصاعدا وما كان دون الثلث الغوه وجعلوه تبعا اذ لا يخلو
ثمر من ان يتحذر القليل طبعا وان يلحقها في اليسير منها فساد وكان اشهب
واصبغ لا ينظران الى الثمر ولكن الى القيمه فاذا كانت القيمه الثلث
فصاعدا وضع عنه والجايحه ما لا يمكن دفعه عند ابن القاسم وعليه
فلا يكون السرقه جايحه كذا في كتاب محمد وفي كتاب انه جايحه وروي
عن ابن القاسم وخالفه اصحابه والناس وقال مطرف وابن الماجشون ما
اصاب الثمر من السما من عفن او برد او عطش او حر او كسر الشجر بما ليس
بصنع ادمي فهو جايحه واختلف في العسكر ففي روايه ابن القاسم هو جايحه
والصحيح في البقول انها كالثمر ومن باع ثمرا قبل بدو صلاحه بشرط التبقيه
فسخ بيعه ورد للنهي عنه ولانه من اكل المال بالباطل لقول النبي صلى الله
عليه وسلم ارايت اذا منع الله الثمره فبم ياخذ احدكم مال اخيه بغير
حق هذا قول الجمهور وصححه ابو حنيفه واصحابه وحملوا النهي على الكراهه
وذهب الجمهور الى جواز بيعها قبل بدو الصلاح بشرط القطع ومنعه الثوري
وابن ابي ليلى تمسكا بالنهي الوارد عن ذلك وخصصه الجمهور بالقياس
الجلي لانه مبيع معلوم يصح قبضه حالة العقد فصح بيعه كساير المبيعات

قوله تعالى

قوله تعالى وجعلوا لله شركا الجن هذا ذكر نوع اخر من جهالاتهم اي بينهم
من عبد لله شركا من الجن الجان من الجن مفعول وشركا مفعول ثان مثل وجعلكم
ملوكا وجعلت له مالا ممدودا وهو في القران كثير وجعلوا لله الجن شركا ويجوز ن
ان يكون الجن بدلا من شركا والمفعول الثاني لله واجاز الكسائي رفع الجن وخلقهم
كذا قراه الجمهور اي جعلوا الجاعلين له شركا وقيل خلق الجن الشركا ابن مسعود وهو
خلقهم بزياده هو وقرا يحيى بن يعمر وخلقهم بسكون اللام وقال اي وجعلوا
خلقهم لله شركا لانهم كانوا يخلقون الشي يعبدونه والايه نزلت في شركا
العرب ومعنا اشراكهم بالجن انهم اطاعوهم كطاعه عز وجل روى ذلك عن
الحسن وغيره قتاده والسدي هم الذين قالوا الملايكه بنات الله الكلبي نزلت
في الزنادقه قالوا ان الله وابليس اخوان فالله خالق الناس والدواب
وابليس خالق الحيات والسباع والعقارب ويقرب من هذا قول المجوس
فانهم قالوا للعالم صانعان الاله قديم والثاني شيطان حادث من فكره الاله لاه
القديم والاخر محدث وزعموا ان صانع الشر محدث حادث ولذلك
الحايطيه من المعتزله من اصحاب احمد بن حايط زعموا ان للعالم صانعين
الاله القديم والاخر محدث خلقه الله عز وجل اولا ثم فوض اليه تدبير
العالم وهو الذي يحاسب الخلق في الاخره تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون ن
علوا كبيرا وخرقوا قراه نافع بالتشديد على التكثير لان المشركين ادعوا ان
لله بنات وهم الملايكه وسموهم جنا لاجتنانهم والنصارى ادعت المسيح
ابن الله واليهود قالت عزير ابن الله فكثر ذلك من كفرهم فشدد الفعل لمطا بقه
المعنى تعالى الله عما يقولون وقرا الباقون بالتخفيف على التقليل وسيل الحسن
البصري عن معنا وخرقوا له بالتشديد فقال انما هو وخرقوا بالتخفيف كلمه

عربية كان الرجل اذا كذب في النادي قيل خرقها ورب الكعبة وقال اهل
اللغة معنى خرقوا اختلقوا وافتعلوا وخرقوا على التكثير قال مجاهد وقتادة
وابن زيد وابن جريج خرقوا كذبوا وقيل ان المعنى خرق واخترق واختلق سواء
اي احدث بديع السموات والارض اي مبدعها فكيف يجوز ان
يكون له ولد وبديع خبر ابتدا مضمر اي هو بديع واجاز الكسائي خفضه على
النعت لله عز وجل ونصبه بمعنى بديعا السماوات والارض ورد احطا
عن البصريين لانه لما مضى اني يكون له ولد اي من اين يكون له ولد كل شي شبيهه
ولا شبه له ولم تكن له صاحبة اي زوجة وخلق كل شي عموم معناه الخصوص
اي خلق العالم ولا يدخل في ذلك كلامه ولا غيره من صفات ذاته ومثله ورحمتي
وسعت كل شي ولم تسع ابليس ولا من مات كافرا ومثله تدمر كل شي ولم
تدمر السموات والارض ذلكم الله ربكم لا اله الا هو ذلكم في
موضع رفع بالابتدا الله ربكم على البدل خالق كل شي خبر الابتدا ويجوز ان يكون
ربكم الخبر وخالق خبرا ثانيا او على اضمار مبتدا اي هو خالق واجاز الكسائي
والفرا النصب فيه قوله تعالى لا تدركه الابصار بين انه سبحانه
منزه عن سمات الحدوث ومنها الادراك بمعنى الاحاطة والتحديد كما يدرك
سائر المخلوقات والرؤية ثابتة فقال الزجاج اي لا يبلغ كنه حقيقته كما يقول ادركت كذا
وكذا لانه قد صح عن النبي عم الحديث في الرؤية يوم القيمة وقال ابن عباس لا تدركه الابصار
في الدنيا ويراه المؤمنون في الاخرة باخبار الله بها في قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
وقال السدي وهو احسن ما قيل لدلالة التنزيل والاخبار الواردة برؤية الله في الجنة وسياتي
بيانه في يونس وقيل لا تدركه الابصار لا يحيط به وهو يحيط بها عن ابن عباس ايضا وقيل المعنى
لا تدركه ابصار القلوب اي لا تدركه العقول فتتوهمه اذ ليس كمثله شي وقيل المعنى لا تدركه الابصار

المخلوقة

المخلوقة في الدنيا لكنه يخلق لمن يريد كرامته بصراً ادراكاً يراه به كمحمد
صلى الله تعالى عليه وسلم اذ رؤيته تعالى في الدنيا جايزة عقلاً
اذ لو لم تكن جايزة لكان سؤال موسى عليه الصلاة والسلام مستحيلاً
ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز بل لا يسأل
الا جايزاً غير مستحيل واختلف السلف رحمه الله تعالى في
رؤية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ربه ففي صحيح مسلم
عن مسروق قال كنت متكئاً عند عائشة رضي الله تعالى عنها
ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد اعظم على الله الفرية قلت ما
هن قالت من زعم ان محمداً رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية
قال وكنت متكئاً فجلست فقلت يا ام المؤمنين انظريني
ولا تعجلي الم يقل الله عز وجل ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه
نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سأل عن ذلك
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انما هو جبريل لم اره
على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء
ساداً عظم خلقه ما بين السماء والارض فقالت اولم تسمع
ان الله تعالى يقول لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو
اللطيف الخبير اولم تسمع ان الله عز وجل يقول وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحياً او من وراء حجاب او يرسل رسولاً الى قوله تعالى علي حكيم
قالت ومن زعم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتم شيئاً من
كتاب الله فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول يا ايها الرسول بلغ ما

مطلب رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه
اختلاف في رؤية حضرة الله عز وجل

انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته قالت ومن زعم انه يخبر بما يكون
في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله والى ما ذهبت اليه عائشة رضي الله تعالى عنها من عدم الروية وانه انما
راى جبريل ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنهما انه انما راى جبريل واختلف
عنهما وقال بانكار هذا وامتناع رويته جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه راى بعينيه هذا هو المشهور عنه وحجته قوله تعالى
ما كذب الفواد ما راى وقال عبد الله بن الحرث اجتمع ابن
عباس وابي بن كعب رضي الله تعالى عنهما فقال ابن عباس رضي الله تعالى
عنه اتعجبون ان الخلة تكون لابراهيم عليه الصلاة والسلام والكلام
لموسى عليه الصلاة والسلام والروية لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم
قال فكبر كعب رضي الله تعالى عنه حتى جاوبته الجبال
ثم قال ان الله تعالى قد قسم رويته وكلامه
بين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وموسى عليه الصلاة
والسلام فكلم موسى وراه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وحكى عبد الرزاق رحمه الله تعالى ان الحسن كان يحلف بالله لقد
راى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة
وحكاه بعض المتكلمين عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه والاول عنه اشهر
وحكى ابن اسحق ان مروان سال ابا هريرة هل راى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل
انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه راه راه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد والى هذا ذهب
الشيخ ابو الحسن الاشعري وجماعة من اصحابه انه راى الله تعالى ببصره وعيني راسه وقال ابن عباس وعكرمة والربيع والحسن
وكان الحسن يحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد راى محمد ربه

لقد رای محمد ربه وقال جماعة منهم ابو العالیه والقرطبی والربیع بن انس انما رای ربه
بقلبه وفواده وحکی عن ابن عباس ایضا وعکرمه وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل رای
بقلبه وحبس عن القول بروبته فی الدنیا بالابصار وعن ملک بن انس قال لم یر فی
الدنیا لانه باق ولا یرا الباقی بالفانی فاذا کان فی الاخره ورزقوا ابصارا باقیه را و
الباقی بالباقی قال القاضی عیاض وهذا کلام حسن ملیح ولیس فیه دلیل علی الاستحالة
من حیث ضعف القدرة فاذا قوی الله تعالی من شاء من عباده واقدره علی حمل اعبا
الرویه لم یمنع فی حقه وسیاتی من هذا فی حق موسی علیه السلام فی الاعراف انشاء الله تعالی
قوله تعالی وهو یدرک الابصار ای لا یخفی علیه شیء الا یراه واما حص الابصار لتحسین
الکلام وقال الزجاج وفی هذا الکلام دلیل ان الخلق لا یدرکون الابصار ای لا یعرفون
کیفیة البصر حقیقة البصر وما الشیء الذی صار به الانسان یبصر عن عینیه دون ان یبصر
من غیرهما من سایر اعضائه ثم قال وهو اللطیف الخبیر ای الرفیق بعباده یقال لطف فلان
بفلان یلطف ای رفق به واللطف فی العمل الرفق فیه واللطف من الله التوفیق والعصمه
والطفه بکذا ای بره به والاسم اللطف بالتحریک یقال جاءنا من فلان لطف ای هدیه
والملاطفة المبارة عن الجوهری وابن فارس ابو العالیه المعنی لطیف باستخراج الاشیا خبیر
بمکانها وقال الجنید اللطیف من نور قلبک بالهدی وربی جسمک بالغذا وجعل لک
الولایه فی البلوی ویحرسک وانت فی لظی ویدخلک جنة الماوی وقیل غیر هذا فما
معناه راجع الی معنی الرفق وغیره وسیاتی ما للعلما من الاقوال فی ذلک فی الشوری
انشاء الله تعالی قوله تعالی قد جاءکم بصائر من ربکم ای آیاتٌ وبَرَاهِینُ
یبصر بها ویستدل جمع بصیرة وهي الدلالة قال الشاعر جاوا بصائرهم علی اکتافهم

ونصيرى بعد ديها عدواى يعنى بالبصيرة الحجة البينة الظاهرة ووصف الدلالة
بالحجى التفخيم شانها اذا كانت بمنزلة الغائب المتوقع حصوله للنفس كما يقال جاءت
العافية وقد انصرف المرض واقبل السعود وادبر النحوس فمن ابصر فلنفسه الابصار
وهو الادراك بحاسة البصر اى من استدرك ويعرف نفسه نفع ومن عمى لم يستدرك
فصار بمنزلة الاعمى فعلى نفسه يعود ضرر عماه وما انا عليكم بحفيظ اى لم اومر بحفظكم
على ان يهلكوا انفسكم وقيل اى لا احفظكم من عذاب الله وقيل بحفيظ برقيب
احصى عليكم اعمالكم وانما انا رسول ابلغكم رسالات ربى وهو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شئ
من افعالكم الزجاج نزل هذا قبل فرض القتال ثم امر ان يمنعهم بالسيف من عبادة
الاوثان قوله تعالى وكذلك نصرف الايات الكاف فى موضع نصب اى ونصرف
الايات مثل ما تلوناه عليك اى كما صرفنا الايات فى الوعد والوعيد والوعظ والتنبيه
فى هذه السورة نصرف فى غيرها وليقولوا درست الواو للعطف على مضمر اى نصرف
الايات ليقولوا درست وقيل وليقولوا درست صرفناها فهى لام الصيرورة قال
الزجاج هذا كما تقول كتب فلان هذا الكتاب لحتفه اى ال امره الى ذا وكذا لما صرفت
الايات ال امرهم الى ان قالوا درست وتعلمت من جبر ويسار وكانا علامين نصرانيين
بمكة فقال اهل مكة انما يعلم منهما قال النحاس وفى المعنى قول اخر حسن وهو ان يكون
معنى نصرف الايات ناتى بها اية بعد اية ليقولوا درست علينا فيذكرون
الاول بالاخر فهذا حقيقة والذى قال ابو اسحق مجاز وفى درست سبع قراءات فقرا ابو
عمرو وابن كثير دارست بالف بين الدال والراء كما علمت وهى قراءة على وابن عباس
وسعيد بن جبير ومجاهد وقرا الباقون درست كخرجت فعلى الاول دارست اهل الكتاب

ودارسوك اى ذاكرتهم وذاكروك قال سعيد بن جبير ودل على هذا المعنى قوله
اخباراً عنهم واعانه عليه قوم اخرون اى اعان اليهود النبى صلى الله عليه وسلم على القرآن
وذاكروه فيه وهذا كله قول المشركين ومثله قولهم قالوا اساطير الاولين اكتتبها فهى تُمْلَى
عليه بكرةً واصيلا واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين وقيل المعنى دارسنا
فيكون معناه لمعنى درست ذكره النحاس واختاره والاول ذكره مكى وزعم النحاس انه
مجاز كما قال فللموت ما تلد الوالدة ومن قال درست فاحسن ما قيل فى قراته ان
المعنى ولان لا يقولوا انقطعت وانمحت وليس يأتى محمد صلى الله عليه وسلم بغيرها وقرا
قتاده درستُ اى قريت وَرَوَى سُفْيٰنُ بن عُيَيْنَةَ عن عمرو بن عبيد عن الحسن انه
قرا دارست وكان ابو حاتم يذهب الى ان هذه القراءة لا تجوز قال لان الآيات لا تدارس
وقال غيره القراءة بهذا تجوز وليس المعنى على ما ذهب اليه ابو حاتم ولكن معناه دارست
امتك اى دارستك وان كان لم يتقدم لها ذكر مثل قوله حتّى تَوَارَتْ بالحجاب وحكى
الاخفش وليقولوا درست وهو بمعنى درست الا انه ابلغ وحكى ابو العباس انه قرى
وليقولوا درست باسكان اللام على الامر وفيه معنى التهديد اى فليقولوا بما شاؤا
اللام فانها عنده لام كى وهذه القرآت كلها يرجع اشتقاقها الى شيئين احدهما الى التلثين
وليذلل ودرست من درس يدرس دراسه وهى القراءة على الغير وقيل درسته
اى ذللته بكثرة القرآءة واصله درس اذا داسه والدياس الدراس بلغة اهل
الشام وقيل اصله من درست للهوب اى دسه درسا اى حلقه وقد درس الثوب
درسا اى اخلق ويرجع هذا الى التذلل ايضا ويقال سمى ادريس لكثرة دراسته
كتاب الله وتدارست الكتب وتدارستها وادارستها اى درستها ودرست الكتاب درسا

ودارسته وَدَرَسَتِ المراة درسا اى حاضت ويقال ان فرج المراة يكنى اباادراس وهو من الحيض والدرس ايضا الطريق الخفى وحكى الاصمعى بعير لم يدرس اى لم تركب ودرست من درس المنزل اذا عفا وقرا ابن مسعود واصحابه وابى طلحة والاعمش وليقولوا دَرَسَ اى دَرَسَ محمدٌ الآيَاتِ ولنبيّنه يعنى القول والتصريف او القران لقوم يعلمون قوله تعالى اتبع ما اوحى اليك اى القران اى لا تشغل قلبك وخاطرك بهم بل اشتغل بعبادة الله لا اله الا هو واعرض عن المشركين منسوخ هـ قوله تعالى ولو شاء الله ما اشركوا نص على ان الشرك بمشيته وهذا ابطال لمذهب القدرية كما تقدم وما جعلناك عليهم حفيظا اى لا يمكنك حفظهم من عذاب الله وما انت عليهم بوكيل اى قيم باموره‍م فى مصالحهم لدينهم او دنياهم حتى تتلطف لهم فى تناول ما يجب لهم فلست بحفيظ فى ذلك ولا وكيل فى هذا انما انت مبلّغ وهذا قبلَ أنْ يؤمر بالقتالِ قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله الايه فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله نهى فسبوا اوا آلهتهم نهى سبحانه المؤمنين ان يسبوا اوثانهم لانه علم اذا سبوا نفر الكفار وازدادوا كفرا قال ابن عباس قالت كفار قريش لابى طالب اما ان ينهى محمد واصحابه عن سب الهتنا والغض منها واما ان نسب الهه ونهجوه فنزلت الايه الثانيه قال العلماء حكمها باق فى هذه الامة على كل حال فمتى كان الكافر فى منعة وخيف ان يسب الاسلام او النبى صلى الله عليه وسلم او الله عز وجل فلا يحل لمسلم ان يسب دينهم ولا صلبانهم ولا كنائسهم ولا يتعرض ما يودى الى ذلك لانه بمنزلة البعث على المعصية وعبر عن الاصنام وهى لا تعقل بالذين على معتقد الكفرة فيها الثالثه

الا ان الحسن قرا وليرضوه وليقترفوا باسكان اللام جعلها لام امر فيه معنى
التهديد كما يقال افعل ما شئت ومعنى وليقترفوا ما هم مقترفون وليكتسبوا
عن ابن عباس والسدى وابن زيد وقال جرح يقترف اهله اى يكتسب لهم و
قارف فلان هذا الامر اذا واقعه وعمله وقرفني بما ادعيت عليه معنى بالريبة
وقرف الوجه اذا قشر منها واصله اقتطاع قطعه من الشى قوله تعالى
افغير الله ابتغى حكما غير نصب بابتغى حكما نصب على البيان وان شئت على الحال
والمعنى افغير الله اطلب لكم حاكما وهو الذى كفاكم مؤنة المسئلة فى الآيات
ما انزله اليكم من الكتاب المفصّل المبين ثم قيل الحكم ابلغ من الحاكم اذ لا
يستحق التسمية بحكم الا من يحكم بالحق لانها صفة تعظيم فى مدح والحاكم صفة جارية
على الفعل فقد يسمى بها من يحكم بغير الحق والذين آتيناهم الكتاب يريد به
اليهود والنصارى وقيل من اسلم منهم كسلمان وصهيب وعبد الله بن
سلام يعلمون انه اي القران منزّل من ربك بالحق اي ان كل ما فيه من الوعد
والوعيد بحق فلا تكوننّ من الممترين اى من الشاكين فى انهم يعلمون
انه منزل من الله وقال عطا الذين آتيناهم الكتاب هم رؤسا أصحاب محمد
عليه السلام ابو بكر وعمر وعثمان وعلي قوله تعالى وتمت كلمات ربك كلمة
قراه اهل الكوفه بالتوحيد والباقون بالجمع قال ابن عباس مواعد ربك فلا
مغير لها والكلمات ترجع الى العبارات اوالى المتعلقات من الوعد والوعيد
وغيرها قتاده الكلمات ترجع الى العبارات اوالى المتعلقات من الوعد والوعيد
وغيرها قتاده الكلمات هى القران لا مبدل له لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون

صدقا وعدلا اى فيما وعد وحكم لا راد لقضائه ولا خلف فى وعده و
حكى الرمانى عن قتادة لا مبدل لها فيما حكم به اى انه وان امكنه التغير
والتبديل فى الالفاظ كما غير اهل الكتاب التوراة والانجيل فانه لا يعتد بذلك
ودلت الآية على وجوب اتباع دلالات القران لانه حق لا يمكن تبديله بما يناقضه
لانه من عند حكيم لا يخفى عليه شىء من الامور قوله تعالى وان تطع اكثر من
فى الارض اى الكفار يضلوك عن سبيل الله اى عن الطريق التى تؤدى الى ثواب
الله ان يتبعون الا الظن ان بمعنى ما ولذلك وان هم الا يخرصون اى يحدسون
ويقدرون ومنه الخرص واصله القطع قال الشاعر ترى قصد المران كانه
تووح خرصان بايدى الشواطب يعنى جريدا يقطع طولا ويتخذ منه الخصر وهو
جمع الخرص ومنه خرص يخرص النخل اذا حزره ليأخذ الخراج منه فالخارص يقطع
بما لا يجوز القطع به اذ لا يقين معه وسيأتى لهذا مزيد بيان فى الذاريات ان شاء الله
تعالى ان ربك هو اعلم قال بعض الناس ان اعلم هنا بمعنى يعلم وانشد قول حاتم
الطائى فحالفت طى من دوننا حلفا والله اعلم ما كنا لهم خذلا وقول الخنساء
القوم اعلم ان جفنته تغدو غداة الريح او تسرى وهذا لا حجة فيه لانه لا يطابق
وهو اعلم بالمهتدين ولانه يحتمل ان يكون على اصله من يضل عن سبيله من معنى
اى فهو بمحل رفع والرافع له يضل وقيل فى محل نصب باعلم اى ان ربك اعلم اى
الناس يضل عن سبيله وقيل فى محل نصب بنزع الخافض اى بمن يضل قاله
بعض البصريين وهو حسن لقوله وهو اعلم بالمهتدين وقوله فى اخر النحل ان
ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وقرئ يضل وهذا على حذف

المفعول والاول احسن لانه قال وهو اعلم بالمهتدين فلو كان من الاضلال لقال
وهو اعلم بالهادين قوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه نزلت بسبب ناس
اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انا ناكل ما نقتل ولا ناكل ما
قتل الله فنزلت فكلوا الى قوله وان اطعتموهم انكم لمشركون خرجه الترمذي و
غيره قال عطا هذه الآية امر بذكر الله على الشراب والذبح وكل مطعوم وقوله
ان كنتم باياته مؤمنين اى باحكامه واوامره آخذين فان الايمان بها يتضمن
ويقتضي الاخذ بها والانقياد لها قوله تعالى وما لكم الا تاكلوا مما ذكر
اسم الله عليه وقد فصل لكم اى بين لكم الحرام من الحلال وازيل عنكم اللبس والشك
فما استفهام يتضمن التقرير وتقدير الكلام واى شي لكم في ان لا تاكلوا فان
في موضع خفض بتقدير حرف الجر ويصح ان يكون في موضع نصب على ان لا تقدير
حرف جر ويكون الناصب بمعنى الفعل الذى في قوله ما لكم تقديره ما يمنعكم ثم
استثنى تعالى الا ما اضطررتم اليه يريد من جميع ما حرم كالميتة وغيرها كما تقدم
في البقرة وهو استثنا منقطع وقرا نافع ويعقوب وقد فصل لكم ما حرم بفتح
العين وقرا ابو عمرو وابن عامر وابن كثير بالضم فيهما الكوفيون فصل بالفتح
حرم بالضم وقرا عطية العوفي فصل مخففا ومعناه ابان وظهر كما قرئ الر كتاب
احكمت اياته ثم فصلت اى استبانت واختار ابو عبيد قراءة اهل المدينة
وقيل فصل اى بين وهو ما ذكره في سورة المائدة من قوله حرمت عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير الآية قلت هذا فيه نظر فان الانعام مكية والمائدة مدنية
فكيف يحيل بالبيان على ما لم ينزل بعد الا ان يكون فصل بمعنى يفصل والله اعلم

قوله تعالى وان كثيرا ليضلون وقرا الكوفيون يضلون من اضل،
باهوائهم بغير علم يعنى المشركين حيث قالوا ما ذبح الله بسكينه خير مما ذبحتم،
بسكاكينكم بغير علم اى بغير علم يعلمونه فى امر الذبح اذ الحكمة فيه اخراج ما حرمه
الله علينا من الدم بخلاف ما مات حتف انفه وكذلك شرع الزكاة فى محل مخصوص
ليكون الذبح سببا لجذف كلام فى الحيوان بخلاف غيره من الاعضاء والله اعلم
قوله تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه للعلماء فيه اقوال كثيرة وحاصلها
راجع الى ان الظاهر ما كان عملا بالبدن مما نهى الله عنه وباطنه ما عقد بالقلب
من مخالفة امر الله فيما امر ونهى وهذه المرتبة لا يبلغها الا من اتقى واحسن كما
قال ثم اتقوا واحسنوا وهى المرتبة الثالثة حسنا وقدم بيانه فى المائدة وقيل
هو ما كان عليه الجاهلية من الزنا الظاهر واتخاذ الحلائل فى الباطن وما قدمنا
جامع لكل اثم قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق
فيه خمس مسائل الاولى روى ابو داود قال جاءت اليهود الى النبى صلى الله عليه وسلم
فقالوا ياكل ما قتلنا ولا ياكل ما قتل الله فانزل الله عز وجل ولا تاكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه الى آخر الاية وروى النسائى عن ابن عباس فى قوله تعالى ولا تاكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه قال خاصمهم المشركون فقالوا ما ذبح الله فلا تاكلوا وما
ذبحتموه انتم اكلتموه فقال الله سبحانه لا تاكلوا فانكم لم تذكروا اسم الله عليها و
ينشا هنا مسئلة اصولية وهى الثانية وذلك ان اللفظ الوارد بسبب هل يقصر عليه
ام لا فقال علماؤنا لا اشكال فى صحة دعوى العموم فيما يذكره الشارع ابتداء من
صيغ الفاظ العموم اما ما ذكره جوابا لسوال ففيه تفصيل على ما هو معروف فى اصول

الوقف الا انه اتى بلفظ مستقبل دون السوال لحق بالاول فى صحة القصد الى النعيم

فقوله لا ياكلوا ظاهر فى تناول الميتة و يدخل فيه ما ذكر عليه غير الله بعموم انه

لم يذكر عليه اسم الله و بزيادة ذكر غير الله سبحانه عليه الذى يقتضى تحريمه ايضا

لقوله وما اهل به لغير الله وهل يدخل فيه ما ترك المسلم التسمية عمدا عليه من الذبح

وعند ارسال الصيد اختلف العلما فى ذلك على اقوال خمسة وهى الثالثة الاول ان

تركها سهوا اكلا جميعا وهو قول اسحق ورواية عن احمد بن حنبل فان تركها عمدا لم يوكلا

وقاله فى الكتاب ملك وابن القسم وهو قول ابى حنيفة واصحابه والثورى والحسن

بن حى وعيسى واصبغ وقاله سعيد بن جبير وعطا واختار النحاس وقال هذا لانه

لا يسمى فاسقا اذا كان ناسيا الثانى ان تركها عمدًا او ناسيا باكلها وهو قول الشافعى

والحسن وروى ذلك عن ابن عباس وابى هريرة وعطا وسعيد بن المسيب والحسن

وجابر بن ابى ليلى وقتادة. وحكى الزهرى عن ملك بن انس انه قال توكل الذبيحة

التى تركت التسمية عليها عمدا ونسيانا وعن ربيعة ايضا قال عبد الوهاب التسمية

سنة فاذا تركها الذابح ناسيا اكلت الذبيحة فى قول مالك واصحابه الثالث ان

تركها عامدا او ساهيا حرام اكلها قاله محمد بن سيرين وعبد الله بن زيد الخطمى

والشعبى وبه قال ابو ثور وداود بن على واحمد فى رواية الرابع ان تركها عامدا

كره اكلها قاله القاضى ابو الحسن والشيخ ابو بكر من علمائنا الخامس قال اشهب يوكل

ما ذبحه تارك التسمية عمدا الا ان يكون مستخفا وقال نحوه الطبرى ادلة قال الله

فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه فبين الحالين واوضح

الحكمين فقوله لا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه نهى عن التحريم لا يجوز حمله على الكراهة

لنا وله فی بعض معضبا ته الحرام المحض ولا یجوز ان یبعض ای یراد به
التحریم والکراهة معا وهذا من نفس الاصول واما الناسی فلا خطاب یوجه
الیه اویستحیل خطابه فالشرط لیس بواجب علیه واما التارک عمدا فلا یخلوا
من ثلثة احوال ان ترکها اذا اضجع الذبیحة ویقول قلبی مملو من اسما الله تعالی و
توحیده فلا افتقر الی ذکر بلسانی فذلک یجزیه لانه ذکر الله جل جلاله وعظمه او
یقول ان هذا لیس بموضع تسمیة صریحا اذ لیست بقربة فهذا ایضا یجزیه او یقول لا
اسمی وای قدر للتسمیة فهذا متهاون فاسق لا یوکل ذبیحته قال ابن العربی واعجب
لراس المحققین امام الحرمین حیث قال ذکر الله تعالی شرع فی القرب والذبح لیس بقربة
وهذا معارض للقران والسنة قال صلی الله علیه وسلم فی الصحیح ما انهر الدم وذکر
اسم الله فکل فان قیل المراد بذکر الله القلب لان الذکر والقلب وقد روی البرائی
عازب اسم الله علی کل قلب مومن سمی اولم یسم قلنا الذکر باللسان وبالقلب والذی
کان العرب تفعله تسمیة للاصنام والنصب باللسان فنسخ الله ذلک بذکره فی الالسنة
واشتهر ذلک فی الشریعة حتی قیل لمالک هل یسمی الله اذا توضا فقال اترید ان قذبح
واما الحدیث الذی تعلقوا به من قوله اسم الله علی کل قلب مومن فحدیث
ضعیف وقد استدل جماعة من اهل العلم علی ان التسمیة علی الذبیحة لیست بواجبة
لقوله علیه السلام لاناس سالوه قالوا یا رسول الله ان قوما اتونا باللحم لا ندری
اذکروا اسم الله علیه ام لا فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم سموا علیه وکلوا
اخرجه الدارقطنی عن عایشة ومالک رسلا عن هشام بن عروة عن ابیه لم یختلف
علیه فی ارساله وتاوله بان قال فی آخره وذلک فی اول الاسلام یرید قبل ان ینزل علیه

ولا ياكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال ابو عمر وهذا ضعيف وفى الحديث نفسه ما يرده
وذلك انه امرهم فيه بتسمية الله على الاكل فدل على ان الاية قد كانت نزلت عليه و
مما يدل على صحة ما قلناه ان هذا الحديث كان بالمدينة ولا يختلف العلماء ان قوله
عز وجل ولا ياكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه نزل فى سورة الانعام بمكة ومعنى وانه
لفسق اى لمعصية عن ابن عباس والفسق الخروج وقد تقدم الرابعة قوله تعالى وان
الشياطين ليوحون الى اولياءهم اى يوسوسون فيلقون فى قلوبهم الجدال بالباطل
وروى ابو داود عن ابن عباس فى قوله وان الشياطين ليوحون الى اولياءهم يقولون
ما ذبح الله فلا ياكلوا وما ذبحتموه انتم فكلوه فانزل الله ولا تاكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه قال عكرمة عنى بالشياطين الجن وكفرة الجن اولياء قريش وروى عن
عبد الله بن الزبير انه قيل له ان المختار يقول يوحى الى فقال صدق ان الشياطين
ليوحون الى اولياءهم ليجادلوكم يريد ما قتل الله لم ياكلوه وما قتلتم اكلتموه و
المجادلة دفع القوم عن طريق الحجة بالقوة ماخوذ من الاجدل لطائر قوى وقيل
هو ماخوذ من الجدالة وهى الارض وكان تغلبه بالحجة وتقهره حتى يصير كالمجدل
بالارض وقيل هو ماخوذ من الجدل وهو شدة الفتل فكان كل واحد منهما يفتل
حجة صاحبه حتى يقطعها وتكون حقا فى نصرة الحق وباطلا فى نصرة الباطل ه
الخامسة قوله تعالى وان اطعتموهم اى فى تحليل الميتة انكم لمشركون فدلت الاية
على ان من استحل شيئا مما حرم الله تعالى صار به مشركا وقد حرم الله سبحانه
الميتة نصا فاذا قبل تحليلها من غيره فقد اشرك قال ابن العربى انما يكون المؤمن
بطاعة المشرك مشركا اذا اطاعه فى الاعتقاد فاما اذا اطاعه فى الفعل وعقد

سليم مستمر على التوحيد والتصديق فهو عاص فافهموه وقد مضى في المائدة قوله
تعالى اومن كان ميتا فاحييناه قرا الجمهور بفتح الواو دخلت عليها همزة الاستفهام
روى المسيبي عن نافع عن ابي نعيم اَوْمَنْ باسكان الواو وقال النحاس يجوز ان يكون
محمولا على المعنى اي انظروا وتدبروا اغير الله ابتغي حكما اومن كان ميتا فاحييناه
قيل معناه كان ميتا حين كان نطفة فاحييناه بنفخ الروح فيه حكاه ابن بحر
وقال ابن عباس اومن كان كافرا فهديناه نزلت في حمزة بن عبد المطلب وابي
جهل وقال زيد بن اسلم والسدي فاحييناه عمر كمن مثله في الظلمات ابوجهل و
الصحيح انها عامة في كل مؤمن وكافر وقيل كان ميتا بالجهل فاحييناه بالعلم وانشد
بعض اهل العلم ما يدل على صحة هذا التاويل لبعض شعراء البصرة وفي الجهل
قبل الموت موت لاهله فاجسامهم قبل القبور قبور وان امرأ لم يحي بالعلم ميت
فليس له حتى النشور نشور والنور عبارة عن الهدى والايمان الحسن القران
وقيل الحكمة وقيل هو النور المذكور في قوله يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وقوله
انظرونا نقتبس من نوركم يمشي به اي بالنور في الناس كمن مثله في الظلمات اي
كمن هو مثل زائد تقول انا اكرم مثلك اي من هو في الظلمات والمثل واحد كذلك
زين للكافرين ما كانوا يعملون اي زين لهم الشيطان عبادة الاصنام واوهمهم
انهم افضل من المسلمين قوله تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها
المعنى وكما زينا للكافرين ما كانوا يعملون كذلك جعلنا في كل قرية مجرميها مفعول اول
لجعل اكابر الثاني على التقديم والتاخير وجعل بمعنى صير والاكابر جمع الاكبر قال
مجاهد يريد العظماء وقيل الرؤساء والعظماء وخصهم بالذكر لانهم اقدر على الفساد

والمكر الحيلة في مخالفة الاستقامة واصله العاهل فالماكر يعتل عن الاستقامة اى
يصرف عنها قال مجاهد كانوا جلسوا عن كل عقبة ينفرون الناس عن اتباع النبي
صلى الله عليه وسلم كما فعل من قبلهم من الامم السالفة بانبيائهم وما يمكرون الا
بانفسهم اى وبال مكرهم راجع اليهم وهو من الله عز وجل الجزاء على مكر الماكرين
بالعذاب الاليم وما يشعرون في الحال لفرط جهلهم ان وبال مكرهم عائد اليهم
قوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن بين شيا اخر من جهلهم وهو
انهم قالوا لن نومن حتى يكون انبيا نبوتى مثل ما اوتي موسى وعيسى من الايات و
نظيره بل يريد كل امرى منهم ان يوتى صحفا منشرة والكنايه في جاءتهم ترجع الى الاكابر
الذى جرى ذكرهم قال الوليد بن المغيرة لو كانت النبوة لكنت اولى بها منك لانى اكبر
سنا منك واكثر منك مالا وقال ابو جهل والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان
ياتينا وحى كما ياتيه فنزلت الايه وقيل لم يطلبوا النبوة وقالوا لا نصدقك حتى ياتينا
جبريل والملائكة يخبرونا بصدقك والاول اصح لان الله تعالى قال الله اعلم حيث
يجعل رسالته اى من هو مامون عليها وموضع لها وحيث ليس ظرفا هنا بل هو
اسم نصب نصب المفعول به على الاتساع اى الله اعلم اهل الرسالة وكان الاصل
الله اعلم بموضع رسالته ثم حذف الحرف ولا يجوز ان يعمل اعلم في حيث ويكون
ظرفا لان المعنى يكون على ذلك الله اعلم في هذا الموضع وذلك لا يجوز ان يوصف به البارى
تعالى وانما موضعها نصب بفعل مضمر دل عليه اعلم وهي اسم كما ذكرنا والصغار الضيم
والذل والهوان وكذلك الصغر بالضم والمصدر الصغر بالتحريك واصله من الصغر دون
الكبر فكان الذل يصغر الى المرء نفسه وقيل اصله من الصغر وهو الرضى بالذل فقال منه

صغر يصغر بفتح العين فى الماضى وضمها فى المستقبل وصغر بالكسر يصغر بالفتح لغتان
صغرا وصغارا واسم الفاعل صاغر وصغير والصاغر الراضى بالضيم والمصغور
الصغار وارض مصغو ...ها لم يطل عن ابى السكيت عند الله اى من عند الله فحذف
وقيل فيه تقديم وتاخير اى سيصيب الذين اجرموا عند الله صغارا لو استصيب الذين
اجرموا صغار من الله وقيل المعنى سيصيب الذين اجرموا صغار ثابت عند الله النحاس
وهذا احسن الاقوال لان عند فى موضعها قولــــه تعالى فمن يرد الله ان
يهديه يشرح صدره للاسلام اى يوسعه له ويوفقه ويزين عنده ثوابه ويقال
شرح شق واصل التوسعه وشرح الله صدره وسعه بالبيان كذلك وشرحت
الامر بينته واوضحته وكانت قريش تشرح النسا شرحا وهو مما تقدم من التوسعه
والبسط وهى وطى المراة مستلقيه على قفاها فالشرح على الكشف يقول شرحت الغامض
ومنه تشرح اللحم قال الراجز كم اكلت كبدًا والنحى ثم ادخرت اليه شرحه والقطعه
منه شرحه وكل سمين من اللحم ممتد فهو شرحيه ومن يرد ان يضله يغويه يجعل صدره
ضيقًا حرجًا وهذا رد على القدريه ونظيرهذه الايه من السنه قوله عليه السلام
من يرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين اخرجه الصحيحان ولايكون ذلك الابشرح الصدر
وتنويره والدين العبادات كما قال ان الدين عند الله الاسلام ودليل خطابه
ان من لم يرد الله به خيرا ضيق صدره وابعد فهمه فلم يفقهه والله اعلم وروى ان
عبدالله بن مسعود قال يا رسول الله وهل تشرح الصدور فقال نعم يدخل القلب نور
قال وهل لذلك من علامه قال صلى الله عليه وسلم التجافى عن دار الغرور والانابه
الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الموت وقرا ابن كثير ضيقا بالتخفيف

مثل هين ولين لغتان ونافع وابو بكر حرجا بالكسر ومعناه الضيق كرر المعنى وحسن
ذلك لاختلاف اللفظ والباقون بالفتح جمع حرجة وهو شدة الضيق ايضا هواه للمعاصي
قال الهروي وقال ابن عباس الحرج موضع الشجر الملتف وكان قلب الكافر لا يصل
اليه الحكمة كما لا يصل الراعية الى الموضع الذي التف شجره وروي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه هذا المعنى ذكره مكي والثعلبي وغيرهما وكل ضيق حرج وحرج الجوهري
مكان حرج وحرج اي ضيق كثير الشجر لا يصل اليه الراعية وقرى يجعل صدره ضيقا حرجا
وحرجا وهو بمنزلة الواحد والواحد والفرد والفرد الدنف والدنف في معنى واحد و
حكاه عن الفرا وقد حرج صدره يحرج حرجا والحرج الاثم والحرج ايضا الناقة
الضامرة ويقال الطويلة على وجه الارض عن ابن زيد فهو لفظ مشترك والحرج شد
بعضه الى بعض يحمل فيه الموتى عن الاصمعي وهو قول امرئ القيس فاما تريني في رحالة
حابر على حرج كالقر تحفق اكفاني وربما وضع فوق نعش النسا قال عنترة يصف ظليما
يتبع قلة راسه وكانه حرج على نعش لهن مخيم وقال الزجاج الحرج اضيق الضيق
فاذا قيل فلان حرج الصدر فالمعنى ذو حرج في صدره فاذا قيل حرج فهو فاعل النحاس
حرج اسم الفاعل وحرج مصدر وصف به كما يقال رجل عدل ورضى قوله تعالى
كانما يصعد في السما قراه ابن كثير باسكان الصاد مخففا من الصعود وهو الطلوع
شبه الله الكافر في نفوره عن الايمان وثقله عليه بمنزلة من تكلف ما لا يطيقه
كما ان صعود السما لا يطاق وكذلك يصاعد واصله يتصاعد ادغمت التاء في الصاد
وهي قراءة ابي بكر والنخعي الا ان فيه معنى فعل شي بعد شي وذلك اثقل على فاعله وقرا
الباقون بالتشديد من غير الف وهو كالذي قبله معناه يتكلف ما لا يطيق شيا

بدشی کقولك سحرع وسعرف وروی عن عبد الله بن مسعود انه قرا کانما یتصعد
النحاس ومعنی هذه القراه وقراه من قرا یصعد ویصاعد واحد والمعنی فهاان
الکافر من ضیق صدره کانه یرید ان یصعد الی السمآ وهو لا یقدر علی ذلك کانه یستدعی
ذلک وقیل المعنی کاد قلبه یصعد الی السماء نبوعن الاسلام کذلک یجعل الله الرجس
علیهم کجعله ضیق الصدر فی اجسادهم واصل الرجس فی اللغة النتن ابن زید هو العذاب
ابن عباس الرجس الشیطان ای یسلطه علیهم مجاهد الرجس ما لا خیر فیه وکذلک الرجس
عند اهل اللغة هو النتن فمعنی الایه والله اعلم ویجعل اللعنه فی الدنیا والعذاب فی
الاخره علی الذین لا یؤمنون قوله تعالی وهذا صراط ربک مستقیما ای هذا
الذی انت علیه یا محمد والمومنون دین ربک لا عوجاج فیه قد فصلنا الایات ای
بیناها لقوم یذکرون قوله تعالی لهم ای للمتذکرین دار السلام ای
الجنه دار الله کما یقال الکعبه بیت الله ویجوز ان یکون المعنی دار السلامه ای التی یسلم
فیها من الافات ومعنی عند ربهم ای مضمونه لهم عنده یوصلهم الیها بفضله وهو ولیهم
ای ناصرهم ومعینهم قوله تعالی ویوم نحشرهم نصب علی الفعل المحذوف
ای ویوم نحشرهم نقول جمیعا نصب علی الحال والمراد حشر جمیع الخلق فی موقف القیمه
یا معشر الجن ندا مضاف قد استکثرتم من الانس ای من الاستمتاع بالانس فحذف
المصدر المضاف الی المفعول وحرف الجر یدل علی ذلک قوله ربنا استمتع بعضنا
ببعض وهذا یرد قول من قال ان الجن هم الذین استمتعوا من الانس فلوامهم
والصحیح ان کل واحد مستمتع بصاحبه والتقدیر فی العربیه استمتع بعضنا بعضا
فاستمتاع الجن من الانس انهم تلذذوا بطاعة الانس اياهم وتلذذ الانس بقبولهم

من الجن زنوا وشربوا الخمور باعوا الجن اباهم وميل كان الرجل اذا مر بواد فى
سفره وخاف على نفسه قال اعوذ برب هذا الوادى من جميع ما احذر وفى
التنزيل وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا
فهذا استمتاع الانس بالجن واما استمتاع الجن بالانس فما كانوا يلقون اليهم
من الاراجيف والكهانة والسحر وقيل استمتاع الجن بالانس انهم يعترفون ان الجن
يقدرون ان يدفعوا عنهم ما يحذرون ومعنى الاية تقريع الضالين والمضلين و
توبيخهم فى الاخرة على اعين العالمين وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا يعنى الموت و
القبر ووافينا نادمين قال النار مثويكم اى موضع مقامكم والمثوى المقام خالدين
فيها الا ما شاء الله استثناء ليس من الاول قال الزجاج يرجع الى يوم القيمة اى خالدين
فى النار الا ما شاء الله من بعد بعثكم بغير النار فى بعض الاوقات وقال ابن عباس
الاستثناء لاهل الايمان فما على هذا المعنى من وعنه ايضا انه قال الاية توجب الوقف
فى جميع الكفار ومعنى ذلك انها توجب الوقف فيمن لم يمت اذ قد يسلم وقيل الا ما شاء
الله من كونهم فى الدنيا بغير عذاب ومعنى هذه الاية معنى الاية التى فى هود قوله
واما الذين شقوا ففى النار وهناك بانى مستوفا ان شاء الله ان ربك حكيم اى فى
عقوبتهم وفى جميع افعاله عليهم بمقدار مجازاتهم قوله تعالى وكذلك نولى
بعض الظالمين بعضا المعنى فكما فعلنا بهؤلاء مما وصفته لكم من استمتاع بعضهم ببعض
اجعل بعض الظالمين اوليا بعض ثم يتبرا بعضهم من بعض غدا ومعنى نولى على هذا
نجعل وليا ابن زيد نسلط ظلمة الجن على ظلمة الانس وعنه ايضا نسليط بعض الظلمة
على بعض ويهلكه ويذله وهذا تهديد للظالمين ان لم يمتنع من ظلمه سلط الله عليه

ظالما اخر ويدخل في الاية جميع من يظلم او يظلم الرعية او التاجر يظلم الناس
في تجارته او السارق وغيرهم وقال فضيل بن عياض اذا رايت ظالما ينتقم
من ظالم فقف وانظر فيه متعجبا وقال ابن عباس اذا رضي الله عن قوم ولى امرهم
خيارهم واذا سخط الله على قوم ولى امرهم شرارهم وفي الخبر عن النبي صلى الله
عليه وسلم من اعان ظالما سلطه الله عليه وقيل المعنى نكل بعضهم الى بعض فيما
يختارونه من الكفر كما نكلهم غدا الى رؤسائهم الذين لا يقدرون على تخليصهم
من العذاب اي كما فعلنا بهم ذلك في الاخرة كذلك نفعل بهم في الدنيا وقد قيل في
قوله تعالى نوله ما تولى نكله الى ما وكل اليه نفسه ابن عباس تفسيرها هو ان الله اذا
اراد بقوم شرا ولى امرهم شرارهم يدل عليه قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم قوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم اي يوم نحشرهم نقول
الم ياتكم رسل فحذف فيعترفون بما فيه افتضاحهم ومعنى منكم في الخلق والتكليف
والمخاطبة ولما كانت الجن ممن يخاطب ويعقل قال منكم وان كانت الرسل من الانس
وغلب الانس في الخطاب كما يغلب المذكر على المؤنث وقال ابن عباس رسل
الجن هم الذين بلغوا قومهم ما سمعوه من الوحي كما قال ولوا الى قومهم منذرين
وقال مقاتل والضحاك ارسل الله رسولا من الجن كما ارسل من الانس وقال مجاهد
الرسل من الانس والنذر من الجن ثم قرا الى قومهم منذرين وهو معنى قول
ابن عباس وهو الصحيح على ما ياتي بيانه في الاحقاف وقال الكلبي كانت الرسل
قبل ان بعث محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يبعثون الى الانس والجن جميعا قلت وهذا
لا يصح بل في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله الانصاري قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه
خاصه وبعثت الى كل احمر واسود الحديث على ما ياتي بيانه في الاحقاف وقال ابن
عباس كانت الرسل يبعث الى الانس وان محمدا صلى الله عليه وسلم بعث الى
الجن والانس ذكره ابو ابو الليث السمرقندي وقيل كان قوم من الجن استمعوا الى
الانبيا ثم عادوا الى قومهم واخبروهم كالحال مع نبينا عليه السلام فقال لهم
رسل الله وان لم ينص على ارسالهم وفي التنزيل يخرج منهما اللولو والمرجان اي من
احدهما وانما يخرج من الملح دون العذب فكذلك الرسل من الانس دون الجن فمعنى
منكم من احدكم وكان هذا جايز لان ذكرهما سبق وقيل انما صير الرسل في مخرج
اللفظ من الجميع لان الثقلين قد ضمهما عرصة القيمه والحساب عليهم دون الخلق
فلما صادوا في تلك العرصه في حساب واحد في شان الثواب والعقاب خوطبوا
يومئذ بمخاطبه واحده كانهم جماعه واحده لان بدو خلقهم للعبوده والثواب
والعقاب على العبوده ولان الجن اصلهم من مارج من نار وخلقهم غير خلقنا
ومنهم مؤمن وكافر ومنهم اهوما سيعه وقدرته ومرجيه يكون كتابا وقد
وصف الله عنهم في سورة الجن من قوله وانا منا المسلمون ومنا القاسطون وانا
منا المسلمون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا على ما ياتي بيانه هناك يقصون
في موضع رفع نعت لرسل قالوا شهدنا على انفسنا اي شهدنا انهم بلغوا وغرتهم
الحيوة الدنيا قيل هذا خطاب من الله للمومنين اي ان هولا قد غرتهم الحيوة الدنيا
اي خدعتهم وظنوا انها تدوم وخافوا زوالها عنهم ان امنوا وشهدوا على
قوله ـــــــ تعالى ذلك في موضع رفع عند سيبويه اي الامر ذلك وان مخففه من

التعقل اى انما فعلنا هذا بهم لانى لم اكن اهلك القرى بظلم اى بشركهم قبل
ارسال الرسل اليهم فيقولوا ما جانا من بشير ولا نذير وقيل لم اكن اهلك القرى
بشرك من اشرك منهم فهو مثل ولا تزر وازرة وزر اخرى ولو اهلكهم قبل بعثة
الرسل فله ان يفعل ما يريد وقد قال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وقد تقدم
واجاز الفرا ان يكون ذلك فى موضع نصب المعنى فعل ذلك بهم لانه لم يكن يهلك القرى
بظلم قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا اى من الجن والانس كما قال فى
اية اخرى اولئك الذين حق عليهم القول فى امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس
انهم كانوا خاسرين ثم قال ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم
لا يظلمون وفى هذا ما يدل على المطيع من الجن فى الجنة والعاصى منهم فى النار كالانس
سوا وهو اصح ما قيل فى ذلك فاعلمه ومعنى ولكل درجات اى ولكل عامل
بطاعة درجات فى الثواب ولكل عامل بمعصية درجات فى العقاب وما ربك بغافل
اى ليس بلاه ولا ساه والغفلان يذهب الشى عنك لاشتغالك بغيره عما يعملون
قراه ابن عامر بالتا والباقون باليا قوله تعالى وربك الغنى اى عن خلقه
وعن اعمالهم ذو الرحمة اى باوليائه واهل طاعته ان يشا يذهبكم بالاماته
والاستيصال بالعذاب ويستخلف من بعدكم ما يشا اى خلقا اخر مثل منكم
واطول كما انشاكم من ذرية قوم اخرين والكاف فى موضع نصب اى يستخلف
من بعدكم ما يشا استخلافا مثل ما انشاكم ونظيره ان يذهبكم ايها الناس
ويات باخرين وان تتولوا يستبدل قوما غيركم فالمعنى يبدل غيركم مكانكم كما
تقول اعطيتك من دينارك ثوبا قوله تعالى انما توعدون وتحتمل

ان يكون وعدت على ان يكون المراد الساعة التى فى مجيها الخير والشر فعلب
الخبر روي معناه عن الحسن وما انتم بمعجزين اى فايتين يقال اعجزنى فلان
اى علنى وفاتنى * قوله تعالى قل ياقوم اعملوا على مكانتكم وقرا ابو بكر
بالجمع مكاناتكم والمكانة الطريقة والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه فانا اثبت على
ما انا عليه فان قيل كيف يجوز ان يومروا بالثبات على ما هم عليه وهم كفار فالجواب
ان هذا تهدد كما قال عز وجل فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ودل عليه فسوف
تعلمون من يكون له عاقبة الدار اى العاقبة المحموده التى يحمد صاحبها عليها اى منزلة
النصر فى دار الاسلام ومن له وراثة الارض ومن له دار الاخرة اى الجنة الزجاج
مكانتكم تمكنكم فى الدنيا ابن عباس والنخعى على ناحيتكم العنبى على موضعكم انى
عامل على مكانى يحذف لدلالة الحال عليه ومن من قوله من يكون فى موضع نصب
بمعنى الذى لوقوع العلم عليه ويجوز ان يكون فى موضع رفع لان الاستفهام لا يعمل
فيه ما قبله فيكون الفعل معلقا اى تعلمون اينا يكون له عاقبة الدار كقوله لنعلم
اى الحزبين احصى وقرا حمزة والكسائى من يكون بالياء * قوله تعالى و
جعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فيه مسئلة واحدة يقال ذرا يذرا
ذرءا اى خلق وفى الكلام حذف واختصار وهو وجعلوا لاصنامهم نصيبا دل عليه
ما بعده وكان هذا مما زينه الشيطان وسوله لهم صرفوا من مالهم طائفة الى الله
بزعمهم وطائفة الى اصنامهم قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والمعنى
متقارب جعلوا لله جزءا ولشركائهم جزءا فاذا ذهب ما لشركائهم بالانفاق عليها
وعلى سدنتها عوضوا منه ما لله واذا ذهب ما لله بالانفاق على الضيفان والمساكين

لم يعوضوا منه شيئا وقالوا الله مستغن وشركاؤنا فقرا وكان هذا من جهالاتهم وبزعمهم والزعم الكذب قال شريح القاضي ان كل شي كنيته الكذب زعموا وكانوا يكذبون في هذه الاشيا لانه لم ينزل بذلك شرع وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال انه من اراد ان يعلم جهل العرب فليقرا ما فوق الثلثين والماية من سورة الانعام الى قوله قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم قال ابن العربي وهذا الذي قاله صحيح فانها تصرفت بعقولها العاجزة في تنويع الحلال والحرام سفاهة بغير معرفة ولا عدل والذي تصرفت بالجهل فيه من اتخاذ الالهة اعظم جهلا واكثر جرما فان الاعتدا على الله تعالى اعظم من الاعتدا على المخلوقات والدليل في ان الله واحد في ذاته واحد في صفاته واحد في مخلوقاته ابين واوضح من الدليل على ان هذا حلال وهذا حرام وقد روى ان رجلا قال لعمرو بن العاص انكم على كمال عقلكم ووفور احلامكم عبدتم الحجر فقال عمرو تلك عقول كادها باريها هذا الذي اخبر الله سبحانه من سخافة العرب وجهلها امر اذهبه الاسلام وابطله الله ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان من الظاهر لنا ان نميته حتى لا يظهر وننساه حتى لا يذكر الا ان ربنا تبارك وتعالى ذكره بنصه واورده بشرحه كما ذكر كفر الكافرين به وكانت الحكمة في ذلك والله اعلم ان قضاه قد سبق وحكمه قد نفذ بان الكفر والتخليط لا ينقطعان الى يوم القيمة وقرا يحيى بن وثاب والاعمش والسلمي والكسايي بزعمهم بضم الزاي والباقون بفتحها وهما لغتان فما كان لشركايهم فلا يصل الى الله اي المساكين ساما يحكمون اي ساء الحكم حكمهم ابن زيد كانوا اذا ذبحوا ما لله ذكروا عليه اسم الاوثان واذا

ذبحوا ملاوثانهم لم يذكروا عليه اسم الله فهذا معنى فما كان لشركائهم فلا يصل
الى الله وكان تركهم لذكر الله مذموما منهم وكان داخلا فى ترك اكل ما لم يذكر
اسم الله عليه قوله تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
شركاؤهم المعنى فكما زين لهم ان جعلوا لله نصيبا وللاصنام نصيبا كذلك زين لكثير
من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم قال مجاهد زينت لهم قتل البنات مخافة العيلة
الفرا والزجاج شركاؤهم هاهنا والذين كانوا يخدمون الاوثان وقيل هم
الغواة من الناس وقيل هم الشياطين واشار بهذا الى الوأد الخفى وهو دفن
البنت حية مخافة السبا والحاجة وعدم ما حرمن النصرة وسمى الشياطين شركا
لانهم اطاعوهم فى معصية الله فاشركوهم مع الله فى وجوب طاعتهم وقيل كان
الرجل فى الجاهلية يحلف بالله لين ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما فعل
عبد المطلب حين نذر ذبح ولده عبد الله ثم قيل فى الآية اربع قراآت اصحها قراءة
الجمهور وكذلك زين كثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم رفع برس لانهم زينوا
ولم يقتلوا قتل نصب بزين اولادهم مضاف الى المفعول والاصل فى المصدر
ان يضاف الى الفاعل لانه احدثه ولانه لا يستغنى عنه ويستغنى عن المفعول فهو
هنا مضاف الى المفعول لفظا مضاف الى الفاعل معنى لان التقدير زين لكثير
من المشركين قتلهم اولادهم ثم حذف المضاف وهو الفاعل كما حذف من قوله
لا يسئم الانسان من دعاء الخير اي من دعائه الخير فالهاء فاعل الدعاء لا يسئم لا
ان يدعوا بالخير وكذبوا قوله زين لكثير من المشركين فى ان يقتلوا اولادهم
شركاؤهم قال مكى وهذه القراءة هى الاختيار لصحة الاعراب فيها ولان عليه الجماعة

القراه الثالثه زين بضم الزاى لكثير من المشركين قتل بالدفع اولادهم با
لخفض شركاوهم بالرفع قراه الحسن ابن عامر واهل الشام زين بضم الزاى
لكثير من المشركين قتل اولادهم برفع قتل ونصب اولادهم شركايهم بالخفض
فيما حكى ابو عبيد وحكى غيره من اهل الشام انهم قروا وكذلك زين بضم الزاى
لكثير من المشركين قتل بالرفع اولادهم بالخفض شركايهم بالخفض ايضا فالقراه الثا
قراه الحسن جايزه يكون قتل اسم مالم يسم فاعله شركاوهم رفع باضمار فعل
يدل عليه زين اى زينه شركاوهم ويجوز على هذا ضرب زيد عمرو بمعنى ضربه
عمرو والبيت سويه ليبك يزيد ضارع وقرا ابن عامر وعاصم من
روايه ابى بكر يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال التقدير يسبحه رجال وقرا
ابراهيم بن ابى عبله قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود بمعنى قتلهم النار
قال النحاس فاما ما حكاه ابو عبيد ابن عامر واهل الشام فلا يجوز فى كلام
ولا فى شعر وانما اجاز النحويون التفريق بين المضاف والمضاف اليه بالظرف
لانه لا يفصل فاما بالاسماء غير الظروف فلحن وقال مكى وهذه القراه فيها ضعف
للتفريق بين المضاف والمضاف اليه لانه انما يجوز مثل هذا التفريق فى الشعر
مع الظروف لاتساعهم فيها وهو فى المفعول به فى الشعر بعيد فاجازته فى القرآن
ابعد وقال الهروى قراه ابن عامر هذه التفرقه بين المضاف واليه ومثله قول
الشاعر فزججتها بمزجه زج القلوص ابى مزاده يريد زج ابى مزاده القلوص
والشعر تمر على ما تستمر وقد سقت علايل عبد القيس منها صدورها يريد
سقت عبد القيس علايل صدورها وقال ابو غانم احمد بن حمدان النحوى قراه

ابن عامر لا يجوز في العربية وهي زلة عالم واذا زل العالم لم يجز اتباعه ورد قوله
الى الاجماع وكذلك يجب ان يرد من تمنزل منهم او سها الى الاجماع فهو اولى
من الاصرار على غير الصواب وانما اجازوا في الضرورة للشاعر ان يفرق
بين المضاف والمضاف اليه بالظرف لانه لا يفصل كما قال كما خط الكتاب
بكف يوما يهودي يقارب او يزيل وقال آخر لما رايت ساتيك ما استعبرت
لله در اليوم من لامها وقال القشيري وقال قوم هذا قبيح وهذا محدل
لانه اذا ثبت بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو الفصيح لا القبيح وقد
ورد ذلك في كلام العرب وفي مصحف عثمان شركايهم باليا وهذا يدل على قراة
عامر والصف الفعل في هذه القراه الى الشركا لان الشركا هم الذين زينوا ذلك و
دعوا اليه بالفعل مضافا الى فاعله على ما يجب في الاصل لكنه فرق بين المضاف
والمضاف اليه وقدم المفعول وتركه منصوبا على حاله اذا كان متاخرا في المعنى
واخر المضاف وتركه محفوظا على حاله اذا كان مقدما بعد القتل والتقدير وكذلك
زين لكثير من المشركين قتل شركايهم اولادهم اي ان قتل شركا وهم اولادهم
قال النحاس فاما ما حكاه عن ابي عبيد وهي القراه الرابعه فهو جايز على ان تبدل
شركاهم من اولادهم لانهم شركا في النسب والميراث ليردوهم اللام لام كي
والارادة الاهلاك وليلبسوا عليهم دينهم اي يامرونهم بالباطل ويشككونهم
في دينهم وكانوا على دين اسمعيل وما كان قتل الولد فيصير الحق مغطى عليه فهذا
يلبسون ولو شاء الله ما فعلوه بين ان كفرهم بمشيه الله وهو رد على القدريه
فذرهم وما يفترون يريد قولهم ان لله شركاه قوله تعالى وقالوا هذه

انعام وحرث حجر ذكر نوعا اخر من جهالتهم وقرا ابان بن عثمان حُجُر بضم

الحا والجيم وقرا الحسن وقتاده حَجْر بفتح الحا واسكان الجيم لغات بمعنى و

عن الحسن ايضا حُجر بضم الحا قال ابو عبيد عن هرون قال كان الحسن يضم

الحا من حجر في جميع القران الا في قوله برزخا وحجرا محجورا فانه كان يكسرها

ههنا وروى عن ابن عباس وابن الزبير وحرث حرج الرا قبل الجيم وكذلك

في مصحف ابي وفيه قولان احدها انه مثل جذ وجذب والقول الاخر وهو

الاصح انه من الحرج فان الحرج بكسر الحا لغة في الحرج بفتح الحا وهو الضيق

والاثم فيكون معناه الحرام ومنه فلان يتحرج اي يضيق عليه نفسه الدخول فيما

تشتبه عليه من الحرام والحجر لفظ مشترك وهو ههنا بمعنى الحرام واصله المنع وسمى

العقل حجر المنعه عن القبايح وفلان في حجر القاضي اي منعه حجر فا على الصبي حجرا

والحجر العقل قال الله تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر الحجر الفرس الانثى والحجر القرابه

قال يريدون ان يعصوه عني وانه لذو حسب ذاني الى وذو حجر وحجر الانسان

وحجر لغتان والفتح اكثر اي حرموا انعاما وحرثا وجعلوها لاصنامهم وقالوا

لا نطعمها الا من نشا وهم خدام الاصنام ثم بين ان هذا الحكم لم يرد به شرع و

لهذا قال بزعمهم وانعام حرمت ظهورها يريد ما يسبوه لالهتهم على ما تقدم

من النصيب وقال مجاهد المراد البحيره والوصيله والحام وانعام لا يذكرون

اسم الله عليها يعني ما ذبحوه لالهتهم ابو وائل لا يحجون عليها افترا اي للافترا

على الله لانهم كانوا يقولون الله امرنا بهذا فهو نصب على المفعول له وقيل اي

يفترون افترا وانتصابه لكونه مصدرا له قوله تعالى وقالوا ما في بطون

هذه الانعام خالصه لذكورنا ومحرم على ازواجنا هذا نوع اخر من جهلهم قال
ابن عباس هو اللبن جعلوه حلالا للذكور وحراما على الاناث وقيل الاجنه
قالوا انها لذكورنا ثم ان مات منها شئ اكله الرجال والنسا والها في خالصه
للمبالغة في الخلوص ومثاله دخل علامه واسابه عن الكسائي والاخفش وخالصه
بالرفع خبر المبتدا الذى هو منا وقال الفرا انثها لتانيث الانعام وهذا القول
عند قوم خطا لان ما في بطونها ليس منها فلا يشبه بالمقطه بعض السياره ساع
وذلك لا يلزم الفرا لان ما في بطون الانعام انعام مثلها فانث لتانيثها اى
الانعام التى في بطون الانعام خالصه لذكورنا وقيل اى جماعه ما في البطون وقيل
ان ما يرجع الى الالبان او الاجنه فانا التانيث على المعنى والتذكير على اللفظ
ولهذا قال ومحرم على ازواجنا على اللفظ ولو راعى المعنى لقال ومحرمه على
ويعضد هذا قراه الاعمش بغيرها قال الكسائى يعنى خالص وخالصه واحد لان
الها للمبالغة كما يقال رجل داهيه وعلامه وقرا قتاده. خالصه بالنصب على الحال
من الضمير في الظرف الذى هو صله لما وخبر المبتدا محذوف كقولك الذى في
الدار قايما زيد هذا مذهب البصريين وانتصب عند الفرا على القطع وكذلك
القول في قراه سعيد بن جبير خالصا وقراه ابن عباس خالصه على الاضافه فيكون
ابتدا ثانيا لذكورنا والجمله خبر ما ويجوز ان يكون خالصه بدلا من ما وهذه خمس
قرات ومحرم على ازواجنا اى بناتنا عن ابن زيد غيره نساوهم وان يكن
ميته قرى بالياء والتاء اى يكن ما في البطون ميته فهم فيه شركاء اى الرجال والنسا و
قال فيه لان المراد بالميتة الحيوان وهى يقوى قراه التاء ولم يقل فيها ميته بالرفع

بمعنى تعو او تحدث منه بالنصب اى وان يكن التسمية ميتة سيجزيهم وصفهم اى كذبهم
وافتراهم اى نعذبهم على ذلك وانتصب وصفهم بنزع الخافض اى بوصفهم
والاية دليل على ان العالم ينبغى ان يتعلم قول من خالفه وان لم ياخذ به حتى يعرف
فساد قوله ويعلم كيف يرد عليه لان الله تعالى اعلم النبى صلى الله عليه وسلم
واصحابه قول من خالفهم من زمانهم ليعرفوا فساد قولهم قوله تعالى
قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم اخبر بخسرانهم لوادهم البنات
وتحريمهم الحرث وغيرها بعقولهم ولم يخشوا الاملاق فابان ذلك عن ناقص
رايهم قلت كان من العرب من يقتل ولده خشية الاملاق كما ذكر الله عز وجل
فى غير هذا الموضع وكان فيهم الحمية ومنهم من يقول الملائكة بنات الله فالحقوا
البنات بالبنات روى ان رجلا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يزال
مقيما بين يدى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك تكون محزونا فقال
يا رسول الله انى اذنبت فى الجاهلية ذنبا فاخاف ان لا يغفره الله وان اسلمت
فقال له اخبرنى عن ذنبك فقال يا رسول الله انى كنت من الذين يقتلون بناتهم
فولدت لى بنت فتشفعت الى امراتى بان اتركها فتركتها حتى كبرت وادركت فصارت
من اجمل النسا فخطبوها فدخلتنى الحمية ولم يحتمل قلبى ان ازوجها واتركها فى
البيت بغير زوج فقلت للمراة انى اريد ان اذهب الى قبيلة كذا وكذا فى زيارة اقربائى
فابعثيها معى فسرت بذلك وزينتها بالثياب والحلى واخذت على المواثيق
بان لا اخونها فذهبت بها الى راس بئر فنظرت فى البئر ففطنت الجارية انى اريد
ان القيها فى البئر فالتزمتنى وجعلت تبكى وتقول يا ابة ايش تريد ان تفعل بى

فرحمتها ثم نظرت في البير فدحلت على الحميه ثم التزمتني وجعلت تقول يا ابة لا تضيع
امانة امي فجعلت مرة انظر في البير ومرة انظر اليها وارحمها حتى غلبني الشيطان
فاخذتها والقيتها في البير منكوسة وهي تنادي في البير يا ابة قتلتني فمكثت هناك
حتى انقطع صوتها فرجعت فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال لو
امرت ان اعاقب احدا فعل في الجاهلية لعاقبتك قوله تعالى وهو الذي
انشا جنات معروشات وغير معروشات الى قوله المسرفين فيه ثلاث وعشرون
مسئله الاولى قوله تعالى انشا اي خلق معروشات مرفوعات وغير موعان ابن عباس
معروشات ما انبسط على الارض مما يعرش مثل الكروم والزروع والبطيخ وغير
معروشات ما قام على ساق مثل النخل وساير الاشجار وقيل المعروشات ما
ارتفعت اشجارها واصل التعريش الرفع وعن ابن عباس ايضا المعروشات ما
انبته الناس وغير معروشات ما خرج في البراري والجبال من الثمار يدل
عليه قراءة علي معروشات وغير معروشات بالغين المعجمة والسين المهملة الثانية
قوله تعالى والنخل والزرع افردهما بالذكر وهما داخلان في الجنات لما فيهما
من الفضيل على ما تقدم بيانه في البقرة عند قوله من كان عدوا لله الآية مختلفا
اكله يعني طعمه منه الجيد والدون وسماه اكلا لانه يوكل واكله مرفوع بالابتدا
ومختلفا نعته لكنه لما تقدم عليه وولي منصوبا فنصب كما تقول عندي طباخا
غلاما قال الشاعر متشر يلقاك عن عرض والصالحات عليها مغلقا باب
وقيل مختلفا نصب على الحال قال ابو اسحق الزجاج وهذه مسئلة مشكلة من النحو
لانه تعالى قد انشاها وكيف يختلف اكلها وهو ثمرها فالجواب ان الله سبحانه انشاها

بقوله كل شي فاعلم انه انشاها مختلفا اكلها اى انشاها مقدارا فيه الاختلاف
وقد بين هذا سيبويه بقوله مررت برجل معه صقر صايدا به غدا على الحال
كما تقول لتدخلن الدار اكلين شاربين اى مقدرين ذلك جواب بان قال
لم انشاه كان مختلفا اكله على معنى انه لو كان له اكل لكان مختلفا اكله ولم يقل
اكلهما لانه اكتفى باعاده الذكر على احدهما كقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها اى اليهما وقد تقدم هذا المعنى الثالثة والزيتون والرمان عطف متشابها
وغير متشابه نصب على الحال وقد تقدم القول فيه وفى هذه ادلة ثلاثة احدها ما
تقدم من قيام الدليل على ان المتغيرات لا بد لها من مغير الثانى على المنة منه سبحانه
علينا فلو شاء اذ خلقنا ان لا يخلق لنا غذا واذ خلقه ان لا يكون جميل المنظر
طيب المطعم واذ خلقه كذلك ان لا يكون سهل الجنا فلم يكن عليه ان يفعل ذلك
ابتدا لانه لا يجب عليه شي الثالث على القدرة فى ان يكون الماء الذى من شانه
الرسوب يصعد بقدرة الواحد علام الغيوب من اسافل الشجر الى عاليها حتى
اذا انتهى الى اخرها نشا فيها اوراق ليست من جنسها وثمر خارج من صفة الجرم
الوافر واللون الزاهر والجنا الجديد والطعم واللون فاين الطبايع واجناسها واين
الفلاسفة واناسها هل فى قدرة الطبيعة ان تتقن هذا الاتقان او ترتب
هذا الترتيب العجيب كلا لا يتم ذلك فى العقول الا لحى عالم قدير مريد فسبحان
من له فى كل شى ايه ونهايه ووجه اتصال هذا بما قبله ان الكفار لما افتروا على الله
الكذب واشركوا معه وحرموا وحللوا دلهم على وحدانيته بانه خالق الاشيا وانه
جعل هذه الاشيا ارزاقا لهم الرابعة قوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وا توا حقه

يوم حصاده فهذان بناان جا ا بصيغه افعل احدهما مباح كقوله فانتشروا
في الارض والثاني واجب وليس يمنع في الشريعه اقتران المباح والواجب وبدا
يذكر نعمه الاكل قبل الامر بايتاء الحق ليبين ان الابتدا بالنعمه كان من فضله قبل
التكليف الخامسه قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده اختلف الناس في تفسير هذا
الحق ماهو فقال انس بن مالك وابن عباس وطاوس والحسن وابن زيد وابن الحنفيه
والضحاك وسعيد بن المسيب هي الزكاه المفروضه العشر ونصف العشر ورواه ابن
وهب وابن القسم عن ملك في تفسير الايه وبه قال بعض اصحاب الشافعي وحكى الزجاج
ان هذه الايه قيل فيها انها نزلت بالمدينه وقال علي بن الحسين وعطا والحكم وسعيد
بن جبير ومجاهد هو حق في المال سوى الزكاه امر الله به ندبا وروي عن ابن عمر
ومحمد بن الحنفيه ايضا ورواه ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مجاهد
اذا احصدت تحضرك المساكين فاطرح لهم من السنبل واذا احددت فالق لهم
من الشماريخ واذا درسته ودريته فاطرح لهم منه واذا عرفت كيله فاخرج لهم
زكاته وقول ثالث هو منسوخ بالزكاه لان هذه السوره مكيه وايه الزكاه لم ينزل
الا بالمدينه خذ من اموالهم صدقه واقيموا الصلوه واتوا الزكوه روى ابن عباس
وابن الحنفيه والحسن وعطيه العوفي والنخعي وسعيد بن جبير وقال سفيان سالت
السدي عن هذه الايه فقال نسخها العشر ونصف العشر فقلت عمن قال عن العلما
السادسه وقد تعلق ابو حنيفه بهذه الايه وبعموم ما في قوله صلى الله عليه وسلم فيما
سقيت السما العشر وفيما سقي بنضح او داليه نصف العشر في ايجاب الزكوه في كل
ما انبتت الارض طعاما كان او غيره وقال ابو يوسف عنه الا الحطب والحشيش

في القصب والتبن والسعف وقصب الدريرة وقصب السكر واياه الجمهور
معولين على ان المقصود من الحديث بيان ما يوخذ منه العشر وما يوخذ منه
نصف العشر قال ابو عمر لا خلاف بين العلما فيما علمت ان الزكاة واجبه فى
الحنطة والشعير والتمر والزبيب وقالت طايفة لا زكاة فى غيرها روى ذلك
عن الحسن وابن سيرين والشعبى وقال به من الكوفيين ابن ابى ليلى والثورى
والحسن بن صالح وابن المبارك ويحيى بن ادم واليه ذهب ابو عبيد وروى
ذلك عن ابى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو مذهب ابى موسى فانه كان
لا ياخذ الزكاة الا من الحنطة والشعير والتمر والزبيب ذكره وكيع عن طلحه
بن يحيى عن ابى بردة عن ابيه وقال ملك واصحابه الزكاة واجبه فى كل مقتات
مدخر وبه قال الشافعى قال انما تجب الزكاة فيما ييبس ويدخر ويقتات ماكولا
ولا شى فى الزيتون لانه ادم وقال ابو ثور مثله وقال احمد اقوالا اظهرها ان
الزكاة انما تجب فى كل ما قال ابو حنيفة اذا كان يوسق فاوجبها فى اللوز لانه
مكيل دون الجوز لانه معدود واحتج بقوله عليه السلام ليس فيما دون خمسه
اوسق من تمر او حب صدقه قال فبين النبى صلى الله عليه وسلم ان محل الواجب
هو الموسق وبين المقدار الذى تجب اخراج الحق منه وذهب النخعى الى ان الزكاة
واجبه فى كل ما اخرجته الارض حتى فى عشره دساتج وسيحه بقل وقد اختلف فيه
فى ذلك وهو قول عمر بن عبد العزيز فانه كتب ان يوخذ مما تنبت الارض من قليل
او كثير العشر ذكره عبد الرزاق عن معمر عن سماك بن الفضل قال كنت فذكره
وهو قول حماد بن ابى سليمان وتلميذه ابى حنيفة والى هذا مال ابن العربى

فی احکامه فقال واما ابو حنیفه فجعل الآیه مرآته فابصر الحق واحد بعضد مذهب
الحنفی ولعقوبه وقال فی کتاب المعیس بها علیه الامام ملک بن انس فقال قال
الله تعالی والزیتون والرمان متشابها وغیر متشابه واختلف الناس فی
وجوب الزکاة فی جمیع ما یضمنه او بعضه وقد بیناه ذلک فی الاحکام لبانه ان الزکاه
انما یتعلق بالمقتات کما قدمناه دون الخضراوات وقد کان بالطایف الرمان
والفرسک والاترج فما اعترضه رسول الله صلی الله علیه وسلم ولا ذکره ولا
احد من خلفائه قلت هذا وان لم یذکره فی الاحکام هو الصحیح فی المسئله وان
الخضراوات لیس فیها شی واما الآیه فقد اختلف فیها هل هی محکمة او منسوخ او
محمول علی الندب ولا قاطع یعین احدها ما هابل القاطع المعلوم ما ذکره ابن بکیر فی
احکامه ان الکوفه افتتحت بعد موت النبی صلی الله علیه وسلم وبعد استقرار الاحکام
بالمدینه افیجوز ان یتوهم متوهم او من له ادنی بصیره ان یکون شریعه مثل هذه
عطلت فلم یعمل بها فی دار الهجره ومستقر الوحی ولا خلافه ابی بکر حتی عمل بذلک
الکوفیون ان هذه لمصیبه فیمن ظن هذا وقال به قلت ومما یدل علی هذه
من معنی التنزیل قوله تعالی یا ایها الرسول بلغ ما انزل الیک من ربک وان لم تفعل
فما بلغت رسالته اتراه یکتم شیا بتبلیغه او بیانه حاشاه عن ذلک وقال تعالی
الیوم اکملت لکم دینکم ومن اکمال الدین کونه لم یاخذ من الخضر شیا وقال جابر
بن عبد الله فما رواه الدارقطنی ان المعانی کانت یکون عندنا تخرج عشرة الالف
فلا یکون فیها شیا وقال الزهری والحسن تزکی اثمان الخضر اذا بیعت وبلغ الثمن
مائتی درهم وقاله الاوزاعی فی ثمن الفواکه ولا حجه فی قولها لما ذکرنا وقد روی الترمذی

عن معاذ انه كتب الى النبى صلى الله عليه وسلم يسئله عن الخضراوات وهى البقول

فقال ليس فيها شى وقد روى هذا المعنى عن جابر وانس وعلى ومحمد بن عبد الله

بن جحش وابى موسى وعائشة ذكر احاديثهم الدار قطنى رحمه الله قال الترمذى

ليس يصح فى هذا الباب شى عن النبى صلى الله عليه وسلم واحتج بعض اصحاب ابى

حنيفة بحديث صلح بن موسى عن منصور عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة قالت

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما انبتت الارض من الخضر زكاة قال ابو عمرو

هذا الحديث لم يروه من ثقات اصحاب منصور احد هكذا وانما هو من قول

ابراهيم قلت واذا سقط الاستدلال من جهة السنة لضعف اسانيدها فلم

يبق الا ما ذكرناه من تخصيص عموم الاية وعموم قوله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا

وقال ابو يوسف ومحمد ليس فى شى من الخضر زكاة الا ما كانت له ثمرة باقية سوى

الزعفران ونحوه مما يوزن ففيه الزكاة وكان محمد يعتبر فى العصفر والكتان البزر

فاذا بلغ بزرهما من القرطم والكتان خمسة اوسق كان العصفر والكتان تبعا

للبزر واخذ منه العشر او نصف العشر واما القطن فليس عنده فى دون خمسة احمال

شى والحمل ثلثمائة من بالعراقى والورس والزعفران ليس فيما دون خمسة امنان

منها شى فاذا بلغ احدها خمسة امنان كانت فيه الصدقة عشرا او نصف عشر وقال

ابو يوسف وكذلك قصب السكر الذى يكون منه السكر ويكون فى ارض العشر دون

ارض الخراج فيه ما فى الزعفران فاوجب عبد الملك ابن الماجشون الزكاة فى اصول

الثمار دون البقول وهذا خلاف ما عليه مالك واصحابه لا زكاة عندهم فى الجوز

واللوز ولا فى الجلود وما كان مثلهما وان كان ذلك يدخر كما انه لا زكاة عندهم

فى الاجاص ولا فى التفاح ولا فى الكمثرى ولا ما كان مثل ذلك كله مما لا ييبس
ولا يدخر واختلفوا فى التين والاشهر عند اهل المغرب ممن يذهب مذهب مالك
انه لا زكاة عندهم فى التين الا عبدالملك بن حبيب فانه كان يرى فيه الزكاة
على مذهب المالكيين اسمعيل بن اسحق ومن اتبعه قال ملك فى الموطا السنة التى
لا اختلاف فيها عندنا والذى سمعت من اهل العلم انه ليس فى شئ من الفواكه كلها
صدقة الرمان والفرسك والتين وما اشبه ذلك وما لم يشبهه اذا كان من
الفواكه قال ابو عمر فادخل التين فى هذا الباب لانه اشبه بالتمر والزبيب منه
بالرمان وقد بلغنى عن الابهرى وجماعة من اصحابه انهم كانوا يفتون بالزكاة
فيه ويرونه مذهب مالك على اصوله عندهم والتين مكيل يراعى فيه الخمسة الاوسق
وما كان مثلها وزنا ويحكم فى التين عندهم بحكم التمر والزبيب المجتمع عليهما وقال
الشافعى لا زكاة فى شئ من الثمار غير التمر والعنب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذ الصدقة منهما وكانا بالحجاز قوتا يدخر قال وقد يدخر الجوز واللوز ولا زكاة
فيهما لانهما لم يكونا بالحجاز قوتا فيما علمت وانما كانا فاكهة ولا زكاة فى الزيتون
والرمان لقوله تعالى والزيتون والرمان فقرنه مع الرمان ولا زكاة فيه ايضا
فان التين امنع منه فى القوت ولا زكاة فيه وللشافعى قول بزكاة الزيتون قاله
بالعراق والاول قاله بمصر فاضطرب قول الشافعى فى الزيتون ولم يختلف فيه مالك
فدل على ان الاية محكمة عندهما غير منسوخة واتفاقهما على ان لا زكاة فى الرمان
وكان يلزمهما ايجاب الزكاة فيه قال ابو عمر فان كان الرمان خرج باتفاق فقد بان
بذلك المراد ان الاية ليست على عمومها وكان الضمير عائدا على بعض المذكور دون

بعض والله اعلم قلت بهذا استدل من اوجب العشر فى الخضراوات فانه
تعالى قال واتوا حقه يوم حصاده والمذكور قبله الزيتون والرمان والمذكور
عقيب جملة ينصرف الى الاخير بلا خلاف قاله الكيا الطبرى وروى عن ابن عباس
انه قال ما لقحت رمانة قط الا بقطرة من ماء الجنة روى عن على كرم الله وجهه انه
قال اذا اكلتم الرمانة فكلوها بشحمها فانه دباغ المعدة وذكر ابن عساكر فى تاريخ
دمشق عن ابن عباس قال لا يكسر الرمانة من راسها فان فيها دودة تعترى
منها الحرام ويأتى منافع زيت الزيتون فى سورة المؤمنين انشاء الله تعالى و
ممن قال بوجوب زكاة الزيتون الزهرى والاوزاعى والليث والثورى وابو
حنيفة واصحابه وابو ثور قال الزهرى والاوزاعى والليث يخرص زيتونا ويؤخذ زيتا
صافيا وقال مالك لا يخرص ولكن يؤخذ العشر بعد ان يعصر ويبلغ كيله خمسة اوسق
وقال ابو حنيفة والثورى يؤخذ من حبه السابعة قوله تعالى يوم حصاده قرأ ابو عمرو
ابن عامر وعاصم حصاده بفتح الحاء والباقون بكسرها وهما لغتان مشهورتان
ومثله الصرام والصرام والجداد والجداد والقطاف والقطاف واختلف العلماء
فى وقت الوجوب على ثلثة اقوال انه وقت الجداد قاله محمد بن مسلمة لقوله تعالى يوم
حصاده الثانى يوم الطيب لان ما قبل الطيب يكون علفا لا قوتا ولا طعاما فاذا
طاب وكان الاكل الذى انعم الله به وجب الحق الذى امر الله به اذ بتمام النعمة يجب
شكر النعمة ويكون الايتاء يوم الحصاد لما قد وجب يوم الطيب الثالث انه يكون
بعد تمام الخرص لانه حينئذ يتحقق الواجب فيه من الزكاة فيكون شرطا لوجوبها
اصله مجئ الساعى فى الغنم وبه قال المغيرة والصحيح الاول لنص التنزيل والمشهور

من المذهب الثاني وبه قال الشافعي وفايدة الخلاف اذا مات بعد الطيب تركت
على ملكه او قبل الخرص على ورثته وقال محمد بن مسلمة انما قدم الخرص توسعة على
ارباب الثمار ولو قدم رجل زكاته بعد الخرص وقبل الجداد لم يجز لانه اخرجها قبل
وجوبها وقد اختلف العلما في القول بالخرص وهي الثامنة وكرهه الثوري ولم يجزه
بحال وقال الخرص غير مستعمل قال وانما على رب الحوايط ان يودي عشر ما يصير في
يده للمساكين اذا بلغ خمسة اوسق وروى الشاني عن الشعبي انه قال الخرص اليوم بدعة
والجمهور على خلاف هذا ثم اختلفوا فالمعظم على جوازه في النخل والعنب لحديث
عتاب بن اسيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه وامره ان يخرص العنب كما
يخرص النخل ويوخذ زكاته زبيبا كما يوخذ زكاة النخل تمرًا رواه ابو داود وقال
داود بن علي الخرص للزكاة جاير في النخل وغير جاير في العنب ودفع حديث عتاب
بن اسيد لانه منقطع ولا يتصل من حديث صحيح قاله ابو محمد عبد الحق التاسعة
وصفة الخرص ان يقدر ما على نخله رطبا ويقدر ما ينقص لو تتمر ثم يعتد بما بقي
بعد النقص ويضيف بعض ذلك الى بعض حتى يكمل الحايط وكذلك في العنب
العاشرة ويكفي في الخرص الواحد كالحاكم فاذا كان في التمر زيادة على ما خرص لم
يلزم رب الحايط الاخراج عنه لانه حكم قد نفذ قاله عبد الوهاب وكذلك اذا نقص
لم ينقص الزكاة قال الحسن كان المسلمون يخرص عليهم ثم يوخذ منهم على ذلك الخرص
الحادية عشرة فان استكثر رب الحايط خرص الخارص فيّ ان يعطيه ما خرص واحد
خرصه ذكره عبد الرزاق انا ابن جريج عن ابي الزبير انه سمع جابر ابن عبد الله يقول
خرص ابن رواحة اربعين الف وسق وزعم ان اليهود لما خيرهم اخذوا التمر واعطوا

عشرين الف وسق قال جريج قلت لعطا تحق على الخارص اذا استكثر سيد المال
الخرص ان يخيره كما خير ابن رواحة اليهود قال اى لعمرى واى سنة خير من سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية عشرة ولا يكون الخرص الا بعد الطيب لحديث
عائشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يبعث ابن رواحة الى اليهود فيخرص عليهم
النخل حين يطيب اول التمر قبل ان يوكل منها ثم يخير يهود ا ياخذونها بذلك
الخرص او يدفعونها اليه وانما كان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخرص لكى
يحصى الزكاة قبل ان يوكل الثمار وتفرق اخرجه الدارقطنى من حديث ابن جريج عن
الزهرى عن عروة عن عايشة قال ورواه صالح بن ابى الاخضر عن الزهرى عن
ابن المسيب عن ابى هريرة وارسله ملك ومعمر وعقيل عن الزهرى عن سعيد عن
النبى صلى الله عليه وسلم الثالثة عشرة فاذا خرص الخارص فحكمه ان يسقط من
خرصه مقدار الثلث رواه ابو داود والترمذى والنسائي فى صحيحه عن سهل بن
ابى حثمة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا خرصتم فجذوا ودعوا
الثلث فان لم تدعوا الثلث فدعوا الربع لفظ الترمذى قال ابو داود الخارص
يدع الثلث للخرفة وكذا قال يحيى القطان وقال ابو حاتم البستى لهذا الخبر
صفتان احديهما ان يترك الثلث والربع من العشر والثانى ان يترك ذلك من
نفس التمر قبل تعشيره اذا كان ذلك حايطا كبيرا يحتمله الخرفة بضم الخاء ما يخرف
من النخل حين يدرك ثمره اى يجنى يقال التمر خرفة الصايم عن الجوهرى
والهروى والمشهور من مذهب مالك انه لا يترك الخارص شيئا فى حين
خرصه من تمر النخل والعنب الا خرصه وقد روى بعض المدنيين انه يخفف

ويترك العرايا والصلة ونحوها الرابعة عشرة قالوا الحقت الثمرة جائحة بعد
الخرص وقبل الجداد سقطت الزكاة عنه باجماع من اهل العلم الا ان يكون مما بقى
منه خمسة اوسق فصاعدا الخامسة عشرة ولا زكاة فى اقل من خمسة اوسق كذا
جا مبينا عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى كتاب محمد قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض وقال واتوا حقه
ثم وقع البيان بالعشر او نصف العشر ثم لما كان المقدار الذى اذا بلغه المال اخذ
منه الحق مجملا بينه ايضا فقال ليس فيما دون خمسة اوسق من تمر او حب صدقة و
هو يعنى الصدقة فى الخضراوات اذا ليست مما يوسق فمن حصل له خمسة اوسق فى
نصيبه من تمر او حب وجبت عليه الزكاة وكذلك من زبيب وهو المسمى بالنصاب
عند العلما ويقال وسق و وسق بكسر الواو وفتحها وهو ستون صاعا والصاع
اربعة امداد والمد رطل وثلث بالبغدادى ومبلغ الخمسة الاوسق من الامداد
الف مد ومائتا مد وهو بالوزن الف رطل وستماية رطل السادسة عشرة
من حصل له من تمر او زبيب ما خمسة اوسق لم يلزمه الزكاة اجماعا لانهما
صنفان مختلفان وكذلك اجمعوا على انه لا يضاف التمر الى البر ولا البر الى الزبيب
ولا الابل الى البقر ولا البقر الى الابل ولا البقر الى الغنم ويضاف الضان
الى المعز باجماع واختلفوا فى ضم البر الى الشعير والسلت وهى السابعة عشرة
فاجاز مالك فى هذه الثلثة خاصة فقط لانها فى معنى الصنف الواحد لتقاربها
فى المنفعة واجتماعها فى المنبت والمحصد وافتراقها فى الاسم لا يوجب افتراقها
فى الحكم كالجواميس والبقر والغنم وقال الشافعى وغيره لا يجمع بينهما لانها اصناف

مختلفة وصفاتها متباينة واسماوها متغايرة وطعمها مختلف وذلك يوجب افتراقها
والله اعلم قال ملك والقطاني كلها صنف واحد يضم بعضها الى بعض وقال
الشافعي لا يضم حبة عرفت باسم منفرد دون صاحبها وهي خلافها مباينة في
الخلقة والطعم الى غيرها ويضم كل صنف بعضه الى بعض رديه الى جيده كالتمر و
انواعه والزبيب احمره واسوده والحنطة وانواعها من السمرا وغيرها وهو قول
الثوري وابي حنيفة وصاحبيه ابي يوسف ومحمد وابي ثور. وقال الليث يضم الحبوب
كلها القطنية وغيرها بعضها الى بعض في الزكاة وكان احمد بن حنبل يجبن عن ضم
الذهب الى الورق وضم الحبوب بعضها الى بعض ثم كان في اخر امره يقول فيها
بقول الشافعي الثامنة عشرة قال ملك وما استهلكه ربه منه بعد بدو صلاحه
او بعد ما افرك حسب عليه وما اعطاه ربه منه في حصاده وجداده ومن الزيتون
في التقاطه تحري ذلك وحسب عليه واكثر الفقها يخالفونه في ذلك ولا يوجبون
الزكاة الا فيما حصل في يديه بعد الدرس قال الليث في زكاة الحبوب يبدا بها
قبل النفقة وما اكل من فريك هو واهله فلا يحسب عليه بمنزلة الرطب الذي
يترك لاهل الحايط ياكلونه فلا يخرص عليهم وقال الشافعي يترك الخارص لرب
الحايط ما ياكله هو واهله رطبا لا يخرصه عليهم وما اكله وهو رطب لم يحسب
عليه قال ابو عمر احتج الشافعي ومن وافقه بقول الله تعالى كلوا من ثمره اذا
اثمر واتوا حقه يوم حصاده واستدلوا على انه لا يحسب الماكول قبل الحصاد
بهذه الاية واحتج بقوله عليه السلام اذا خرصتم فدعوا الثلث فان لم تدعوا الثلث
فدعوا الربع وما اكلت الدواب والبقر منه عند الدرس لم يحسب شي من ذلك

على صاحبه عند مالك ولا غيره التاسعة عشرة وما سمع من القول والحصر والحلب احصر تحرى معداد ذلك يابسًا واخرجت زكاته حبًا وكذلك ما يبع من التمر احصرا عبرد لوحى وحرص يابسًا واخرجت زكاته على ذلك الحرص زبيبا وتمرا وقيل تخرج من ثمنه الموفية عشرين واما ما لا يتمر من ثمر النخل ولا يتزبب من العنب لعنب مصر ونخلها وكذلك زيتونها الذي لا يعصر فقال مالك تخرج زكاته من ثمنه ولا تكلف غير ذلك صاحبه ولا يراعى فيه بلوغ ثمنه عشرين مثقالا او مائتي درهم وانما ينظر الى ما يرى انه يبلغ خمسة اوسق فاكثر وقال الشافعي عشره او نصف عشره من وسطه تمرا اذا اكله اهله رطبا او اطعموه الحادية والعشرون روى داود عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سقت السما والانهار والعيون او كان بعلا العشر وفيما سقي بالسواقي او النضح نصف العشر وكذلك كان يشرب سيحا ففيه العشر وهو الما الجاري على وجه الارض قاله ابن السكيت ولفظ السيح مذكور في الحديث خرجه النسائي فان كان يشرب بالسيح لكن رب الارض لا يملك ما وانما يكتريه له فهو كالسما على المشهور من المذهب وراى ابو الحسن اللخمي انه كالنضح فلو سقي مرة بما السما ومرة بداليه فقال مالك ينظر الى ما تم به الزرع وحيي وكان اكثر فيتعلق الحكم عليه هذه رواية ابن القاسم عنه وروى عنه ابن وهب اذا سقي نصف سنة بالعيون ثم انقطع فسقي بقية السنة بالناضح فان عليه نصف زكاته عشرا والنصف الاخر نصف العشر وقال مرة زكاته بالذي تمت به حياته وقال الشافعي تزكى كل واحد منهما بحسابه مثاله ان يشرب شهرين بالنضح واربعة اشهر بالسما فيكون فيه ثلثا

العشر ٥١ السما وسدس العشر للنضح وهكذا ما داد ونقص لحسابه وهذا كان
لعنتى مكاراى قبيله وقال ابو حنيفه وابو يوسف ينظر الى الاغلب فيزكى ولا
يلتفت الى ما سوى ذلك وروى عن الشافعى قال الطحاوى قد اتفق الجميع على
انه لو سقاه بما المطر يوما او يومين انه لا اعتبار به ولا يجعل لذلك حصه
فدل على ان الاعتبار بالاغلب والله اعلم قلت فهذه جمله من احكام
هذه الايه ولعل غيرنا ياتى باكثر منها على ما يفتح الله وقد مضى فى البقره جمله
من معنى هذه الايه والحمد لله ه الثانيه والعشرون واما قوله صلى الله عليه وسلم
ليس فى حب ولا تمر صدقه حتى يبلغ خمسه اوساق قال حمزه الكنانى لم يذكر فى هذا الحديث
من حب غير اسمعيل بن اميه وهو ثقه قرشى من اولاد سعيد بن العاص قال و
هذه السنه لم يردها احد عن النبى صلى الله عليه وسلم من اصحابه غير ابى سعيد
الخدرى قال ابو عمر هو كما قال حمزه وهذه سنه جليله تلقاها الجميع بالقبول
وهو لم يردها احد عن النبى صلى الله عليه وسلم من اصحابه مثل ذلك ولكنه
غريب وقد وجدناه من حديث ابى هريره باسناد حسن الثالثه والعشرون
قوله تعالى ولا تسرفوا الاسراف فى اللغه الخطا وقال اعرابى اراد قوما طلبتكم
فسرفتكم اى اخطات موضعكم وقال الشاعر وقال قائلهم والخيل تخبطهم
اسرفتم فاجبنا انا سرف والاسراف فى النفقه التبذير ومسرف لقب مسلم بن
عقبه المرى صاحب وقعه الحره لانه قد اسرف فيها قال علمت عبد الله بن العباس
هم منعوا ذمارى يوم جاءت كتائب مسرف وبنى اللكيعه والمعنى المقصود من
الايه لا تاخذوا الشئ بغير حقه وتضعونه فى غير حقه قاله اصبغ بن الفرج ونحوه

قال اياس بن معويه ما جاوزت به امر الله فهو سرف واسراف وقال ابن
زيد هو خطاب للولاة يقول لا تاخذوا فوق حقكم وما لا يجب على الناس و
المعنيان يحتملهما قوله عليه السلام المعتدى فى الصدقة كمانعها وقال مجاهد
لو كان ابو قبيس ذهبا لرجل فانفقه فى طاعة الله لم يكن مسرفا ولو انفق درهما
او مدًّا فى معصية كان مسرفا وفى هذا المعنى قيل لحاتم لا خير فى السرف فقال لا سرف
فى الخير قلت وهذا ضعيف يرده ما روى ابن عباس ان ثابت بن قيس بن شماس
عمد الى خمس مائة نخلة يجدها ثم قسمها فى يوم واحد ولم يترك لاهله شيئا فنزلت
ولا تسرفوا اى لا تعطوا كله وروى عبد الرزاق عن ابن جريج قال جد معاذ بن جبل
نخله فلم يزل يتصدق حتى لم يبق منه شئ فنزلت ولا تسرفوا قال السدى ولا
تسرفوا اى لا تعطوا اموالكم فتقعدوا فقرا وروى عن معاوية بن ابى سفيان
انه سئل عن قوله تعالى ولا تسرفوا قال الاسراف ما قصرت عن حق الله قلت فعلى
هذا لا يكون الصدقة بجميع ماله ومنع اخراج حق المساكين داخلين فى حكم السرف
والعدل خلاف هذا فيتصدق ويبقى كما قال عليه السلام خير الصدقة ما كان عن
ظهر غنى الا ان يكون قوى النفس غنيا بالله متوكلا عليه منفردا لا عيال له فله
ان يتصدق بجميع ماله وكذا يخرج الحق الواجب عليه من زكاة وما يعن فى
بعض الاحوال من الحقوق المعينة فى المال وقال عبد الرحمان بن زيد بن اسلم
ما لم يقدر على رده الى السرف والصلاح ما يقدر على رده الى الصلاح وقال
النضر بن شميل الاسراف التبذير والافراط والسرف الغفلة والجهل قال جرير
اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما فى عطائهم من ولا سرف اى غفال ويقال خطا

ورجل سرف الوادی الفواد ای یخطی الفواد عاقله قال طرفه ان امرأ سرف
الفواد یری عسلا بماء سحابة شتمی قوله تعالی ومن الانعام حمولة وفرشا
ای وانشأنا حمولة وفرشا من الانعام وللعلما فی الانعام ثلثة اقوال احدها
ان الانعام الابل خاصة وسیاتی فی النحل بیانه الثانی الانعام الابل وحدها
واذا کان معها بقر وغنم فهی انعام ایضا الثالث وهو اصحها قال احمد بن
یحیی الانعام کل ما احله الله عز وجل من الحیوان ویدل علیه قوله تعالی احلت
لکم بهیمة الانعام الا ما یتلی علیکم وقد تقدم والحمولة ما اطاق الحمل والعمل
عن ابن مسعود وغیره ثم قیل یختص اللفظ بالابل وقیل بکل ما احتمل علیه
الحی من حمار او بغل وبعیر عن ابی زید سوا کانت علیه الاحمال او لم یکن قال
عنترة ما راعنی الا حمولة اهلها وسط الدیار تسف حب الخمخم وفعولة بفتح
الفا اذا کان بمعنی الفاعل استوی فیها المذکر والمونث نحو قولک رجل فروقة
وامرأة فروقة للجبان والخائف ورجل ضروب وامرأة ضروب اذا لم یکحا
ولا جمع له فاذا کانت بمعنی المفعول بها فرق بین المذکر والمونث بالها کالحلوبة
والرکوبة والحمولة بضم الحا الاحمال واما الحمولة بلا ها فهی الابل التی علیها
الهوادج کان فیها نسا او لم یکن عن ابی زید وفرشا قال الضحاک الحمولة
من الابل والبقر والفرش الغنم النحاس واستشهد لصاحب هذا القول بقوله
ثمانیة ازواج قال فثمانیة بدل من قوله حمولة وفرشا وقال الحسن الحمولة
الابل والبقر والخیل والبغال والحمیر والفرش الغنم ابن زید الحمولة ما ترکبت
والفرش ما یوکل لحمه ویحلب مثل الغنم والعفلان والعجاجیل سمیت فرشا للطافة

اجسامها وقربها من الفرش وهي الارض المتوسطة التي سوطاها للناس قال ١٣٠

الزاجر اورثني حمولة وفرشا امسها في كل يوم مسا وقال اخر وحوينا

الفرش من انعامكم والحمولات وربات الحمل قال الاصمعي لم اسمع له بجمع قال

ويحتمل ان يكون مصدرا سمي به من قولهم فرشها الله فراشا اي بسطها بساطا والفرش

المفروش متاع البيت والفرش الزرع اذا فرش والفرش الفضا الواسع و

الفرش في رجل البعير اتساع قليل وهو محمود وافترش الشي وانبسط فهو

لفظ مشترك وقد يرجع قوله تعالى وفرشا الى هذا قال النحاس ومن احسن

ماقيل فيها ان الحمولة المسخر المذللة للحمل والفرش ما خلقه الله عزوجل

من الجلود والصوف ما يجلس عليه ويمهد وباقي الاية قد تقدم قوله

تعالى ثمانية ازواج الى قوله الظالمين فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى ثمانية

ازواج ثمانية منصوب بفعل مضمر اي وانشا ثمانية ازواج عن الكسائي وقال

الاخفش سعيد هو منصوب على البدل من حمولة وفرش وقال الاخفش علي بن

سليمان يكون منصوبا بكلوا اي كلوا لحم ثمانية ازواج ويجوز ان يكون منصوبا

على البدل من ما على الموضع ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى كلوا المباح ثمانية

ازواج من الضان اثنين ونزلت الاية في مالك بن عوف واصحابه حيث قالوا

ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا فنبه الله عزوجل

نبيه والمؤمنين بهذه الاية على ما احله لهم لئلا يكونوا بمنزلة من حرم الله عزوجل

والزوج خلاف الفرد يقال زوج او فرد كما يقال خسا او زكا شفع او وتر فقوله

ثمانية ازواج يعني ثمانية افراد وكل فرد عند العرب يحتاج الى آخر يسمى زوجا فيقال للذكر

زوج وللانثى زوج ويقطع لفظ الزوج للواحد والاثنين فيقال هما زوجان
وهما زوج كما يقال هما شان وهما سوا ويقول اشتريت زوجي حمام وانت تعني
ذكر وانثى الثانيه قوله تعالى من الضان اثنين اى الذكر والانثى والضان
ذوات الصوف من الغنم وهي جمع ضائن والانثى ضانيه والجمع ضوائن و
قيل هو جمع لا واحد له وقيل في جمعه ضئين كعبد وعبيد ويقال فيه ضئين كما
يقال في شعير شعير كسرت الضاد اتباعا وقرا طلحه بن مصرف من الضان اثنين
بفتح الهمزة وهي لغه مسموعه عند البصريين وهو مطرد عند الكوفيين في كل ما
ثانيه حرف حلق وكذلك الفتح والاسكان في المعز وقرا ابان بن عثمان ومن الضان
اثنان ومن المعز اثنان رفعا بالابتدا وفي حرف ابى ومن المعز وهي قراة
الاكثر وقرا ابن عامر وابو عمرو بالفتح قال النحاس الاكثر في كلام العرب المعز
والضان بالاسكان فيدل على هذا قولهم في الجمع معيز فهذا جمع معز كما يقال
عبد وعبيد قال امرالقيس ويمنحها بنو شمجى بن جرم معيزهم حنانك ذا الحنان
ومثله ضان وضئين والمعز من الغنم خلاف الضان وهي ذوات الاشعار و
الاذناب القصار وهي اسم جنس وكذلك المعز والمعيز والامعوز والمعزى
وواحد المعز ماعز مثل صاحب وصحب وتاجر وتجر والانثى ماعزه وهي العنز
والجمع مواعز وامعز القوم كثرت معزاهم والمعاز صاحب معزى قال ابو محمد
الفقعسي يصف ابلا بكثرة اللبن ويفضلها على الغنم في شدة الزمان ه
يكلن كيلا ليس بالمحوق اذا رضي المعاز باللعوق والمعز الصلابه من الارض
والامعز المكان الصلب الكثير الحصى والمعزا ايضا واستمعز الرجل في امره جد

الذكر بن منصوب بحرم ام الانثيين عطف عليه وكذا ما اشتملت وزدت مع
الف الوصل مده لنفرق بين الاستفهام والخبر ويجوز حذف الهمزة لان
ام تدل على الاستفهام كما قال تروح من الحي ام تبتكر الثالث قال العلماء الايه
احتجاج على المشركين في امر البحيرة وما ذكر معها وقولهم ما في بطون هذه الانعام
خالصة لذكورنا فدلت على اثبات المناظرة في العلم لان الله تعالى امر نبيه عليه السلام
بان يناظرهم ويبين فساد قولهم وفيها اثبات القول بالنظر والقياس و
فيها دليل بان القياس اذا ورد عليه النص بطل القول به ويروى اذا ورد
عليه النقض لان الله تعالى امرهم بالمقايسة الصحيحة وامرهم بطرد علتهم والمعنى
قل لهم ان كان حرم الذكور وكل ذكر حرام وان كان حرم الانثى وكل انثى حرام
وان كان حرم ما اشتملت عليه ارحام الانثيين يعني من الضان والمعز وكل
مولود حرام ذكرا كان او انثى وكلها مولود وكلها اذا حرام لوجود العلة فيها
ومن انتقاض علتهم وفساد قولهم فاعلم ان الله سبحانه ان ما فعلوه من ذلك
افتراء عليه سوى بعلم اى بعلم ان كان عندهم من اين هذا التحريم الذى
افتعلتموه ولا علم عندهم لانهم لا يقرؤن الكتب والقول في زمن الابل
الابل اثنين وما بعده كما سبق ام كنتم شهداء اى شاهدتم الله قد حرم هذا
ولما لزمتهم الحجة اخذوا في الافتراء فقالوا كذا امر الله فقال الله تعالى ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم بين انهم كذبوا اذ قالوا ما لم
يدل عليه دليل قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما اعلم الله
عز وجل في هذه الايه بما حرم والمعنى قل يا محمد لا اجد فيما اوحي الي محرما

الا هذه الاشيا الا ما تحرمونه تشهوتكم والايه مكيه ولم يكن في الشريعه في ذلك
الوقت محرم غير هذه الاشيا ثم نزلت سورة المائدة بالمدينه وزيد في المحرمات
كالمنخنقه والموقوذه والمترديه والنطيحه والخمر وغير ذلك وحرم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمدينه اكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير
وقد اختلف العلما في حكم هذه الايه وتاويلها على اقوال الاول ما اشرنا اليه
من ان هذه الايه مكيه وكل محرم حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجا في
الكتاب مضموم اليها وهو زياده حكم من الله عز وجل لسان نبيه صلى الله عليه
وسلم على هذا اكثر اهل العلم من النظر واهل الفقه والاثر ونظيره نكاح المراة
على عمتها وعلى خالتها مع قوله واحل لكم ما ورا ذلكم وكحكمه باليمين مع الشاهد
مع قوله فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان وقد تقدم وقيل انها منسوخه بقوله
عليه السلام اكل كل ذي ناب من السباع حرام اخرجه ملك في الموطا وهو حديث
صحيح وقيل الايه محكمه ولا يحرم الا ما فيها وهو قول يروى عن ابن عباس وابن عمر
وعايشه وروى عنهم خلافه قال ملك لا حرام بين الا ما ذكر في هذه الايه قال
ابن خوار منداد تضمنت هذه الايه تحليل كل شي من الحيوان وغيره الا ما استثني
في الايه من الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير ولهذا قلنا ان لحوم السباع وساير
الحيوان ما سوى الانسان والخنزير مباح وقال الكيا الطبري وعليها بنى الشافعي
تحليل كل مسكوت عنه اخذا من هذه الايه الا ما دل عليه الدليل وقيل ان
الايه جواب لمن سال عن شي بعينه فوقع الجواب مخصوصا وهذا مذهب الشافعي
وقد روى الشافعي عن سعيد بن جبير انه قال في هذه الايه اشيا سالوا عنها

رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابهم عن المحرمات من تلك الاشيا وقيل اى
لا احد فيما اوحى الى اى فى هذه الحال حال الوحى ووقت نزوله ثم لا يمتنع حدوث
وحى بعد ذلك بتحريم اشيا اخر منها وزعم ابن العربى ان هذه الاية مدينة
مكيه فى قول الاكثر نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم يوم نزل عليه اليوم اكملت
لكم دينكم ولم ينزل بعدها ناسخ وهى محكمة فلا محرم الاما فيه واليه اميل قلت
وهذا ما رايته قاله غيره وقد ذكر ابو عمر بن عبد البر الاجماع فى ان سورة الانعام
مكيه الا قوله تعالى قل تعالوا اتل الثلاث الايات وقد نزل بعدها قران كثير
وسنن جمه فنزل تحريم الخمر بالمدينه فى المائده واجمعوا على ان نهيه عليه السلام
عن اكل كل ذى ناب من السباع انما كان منه بالمدينه قال اسمعيل بن اسحق وهذا
كله يدل على انه امر كان بالمدينه بعد نزول قوله قل لا اجد فيما اوحى الى لان ذلك مكى
قلت وهذا هو منشا الخلاف بين العلما فعدل جماعة عن ظاهر الاحاديث
الواردة بالنهى عن اكل ذى ناب من السباع لانها متاخرة عنها والحصر فيها ظاهر
فالاخذ بها اولى لانها اما ناسخة لما تقدمها او راجحة على تلك الاحاديث واما
القايلون بالتحريم فظهر لهم وثبت عندهم ان سورة الانعام مكيه نزلت
قبل الهجرة وان هذه الايه قصد بها الرد على الجاهليه فى تحريم البحيرة والسايبه
والوصيله والحام ثم بعد ذلك حرم امورا كثيره كالحمر الاهليه ولحوم البغال
وغيرهما وكل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير قال ابو عمرو
ويلزم على قول من قال لا محرم الا فيها ان لا يحرم ما لم يذكر اسم الله عليه عمدا
وتستحل الخمر المحرمة عند جماعة المسلمين وفى اجماع المسلمين على تحريم خمر العنب

دليل واضح على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وجد فيما اوحى اليه محرما
غيرما في سورة الانعام ما قد نزل بعدها من القران وقد اختلفت الروايه
عن ملك في لحوم السباع والحمير والبغال فقال هي محرمه لما روى عن لحضه
عليه السلام عن ذلك وهو الصحيح من قوله على ما في الموطا وقال مره هي
مكروهه وهي ظاهر المدونه لظاهر الايه لما روى عن ابن عباس وابن عمر
وعايشه من اباحه اكلها وهو قول الاوزاعي روى البخارى من روايه عمرو
بن دينار قال قلت لجابر بن زيد انهم يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى عن لحوم الحمر الاهليه فقال قد كان يقول ذلك الحكم ابن عمرو الغفارى
عندنا بالبصره ولكن اباد لك البحر ابن عباس وقرا قل لا اجد فيما اوحى الى
محرما وروى عن ابن عباس انه سيل عن لحوم السباع فقال لا باس بها فقيل
له حديث ابى ثعلبه الخشنى فقال لا يدع كتاب ربنا لقول اعرابى يبول على
ساقيه وسيل الشعبى عن لحم الفيل والاسد فتلا هذه الايه وقال القاسم
كانت عايشه تقول لما سمعت الناس يقولون حرم كل ذى ناب من السباع
ذلك حلال وتتلوا هذه الايه قل لا اجد فيما اوحى الى محرم ثم قالت ان
كانت البرمه ليكون ماوها اصفر من الدم ثم يراها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلا يحرمها والصحيح في هذا الباب ما بدانا وان ما ورد من المحرمات
بعد الايه مضموم اليها معطوف عليها وقد اشار القاضى ابو بكر بن العربى
الى هذا في قبسه خلاف ما ذكر في احكامه قال روى عن ابن عباس ان هذه الايه
آخر ما نزل فقال البغداديون من اصحابنا ان كل ما عداها حلال لكن يكره

اكل السباع وعند فقها الامصار منهم مالك والشافعى وابو حنيفه
وعبد الملك ان اكل كل ذى ناب من السباع حرام وليس يمنع ان
تقع الزياده بعد قوله قل لا اجد فيما اوحى الى محرما بما يرد من الدليل
فيها كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امر مسلم الا باحدى ثلث
فذكر الكفر والزنا والقتل ثم قال علماؤنا ان اسباب القتل عشرة بما ورد
من الادلة اذ النبى صلى الله عليه وسلم انما يخبر عما وصل اليه من العلم
عن البارى تعالى وهو يمحو ما يشا ويثبت وينسخ ويقدر وقد ثبت عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال اكل كل ذى ناب من السباع حرام وروى
انه نهى عن اكل كل ذى ناب من السباع وذى مخلب من الطير وروى مسلم
عن معن عن ملك نهى عن اكل ذى ناب من الطير والاول اصح وتحريم ذى
ناب من السباع هو صريح المذهب وبه ترجم مالك فى الموطا حين قال تحريم
اكل كل ذى ناب من السباع حرام ثم ذكر الحديث وعقبه بعد ذلك بان قال
وهو الامر عندنا فاخبر ان العمل اطرد مع الاثر قال القشيرى بقول
مالك هذه الايه من اواخر ما نزل لا يمنعنا بان نقول ثبت تحريم بعض
هذه الاشيا بعد هذه الايه وقد احل الله الطيبات وحرم الخبائث
ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل كل ذى ناب من السباع
وكل ذى مخلب من الطير ونهى عن لحوم الحمر الاهليه عام خيبر
والذى يدل على صحة هذا التاويل الاجماع على تحريم العذره والبول
والحشرات المستقذره والخمر مما ليس مذكورا فى هذه الايه الثانيه

قوله تعالى محرما قال ابن عطيه لفظة التحريم اذا وردت على لسان رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانها صالحه ان ينتهى بالشى المذكور غاية
الحظر والمنع وصالحه بحسب اللغه ان يقف دون الغايه فى حيز
الكراهه ونحوها مما اقترنت به قرينه التسليم من الصحابه المتاولين
واجمع الكل منهم ولم يضطرب فيه الفاظ الاحاديث وجب بالشرع
ان يكون تحريمه قد وصل الغايه فى حظر والمنع ولحق بالخنزير والميته
والدم وهذه صفه تحريم الخمر وما اقترنت به قرينه اضطراب
الفاظ الاحاديث واختلف الامه فيه مع علمهم بالاحاديث واختلفت
الامه فيه مع علمهم بالاحاديث كقوله عليه السلام اكل كل ذى ناب
من السباع حرام وقد روى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اكل كل ذى ناب من السباع ثم اختلف الصحابه ومن بعدهم
فى تحريم ذلك فجاز لهذه الوجوه لمن ينظر ان يحمل لفظ التحريم على المنع
الذى هو الكراهه ونحوها وما اقترنت به قرينه التاويل كتحريمه عليه السلام
لحوم الحمر الانسيه فتاول بعض اصحابه الحاضرين ذلك لانها نجس وتاول
بعضهم ذلك لئلا تفنى حموله الناس وتاول بعضهم التحريم المحض وثبت
فى الامه الاختلاف فى تحريم لحمها فجاز لمن ينظر من العلما ان يحمل لفظ
التحريم بحسب اجتهاده وقياسه على كراهه اونحوها قلت وهذا
عقد حسن فى الباب وسبب للخلاف مع ما تقدم وقد قيل ان الحمار
لا يوكل لانه ادى جوهره الخبث حيث نزى كل ذكر وتلوط فسمى رجسا

قال محمد بن سيرين ليس شي من الدواب يعمل عمل قوم لوط
الا الخنزير والحمار ذكره الترمذي في نوادر الاصول الثالثة
روى عن عمرو بن دينار عن ابي الشعثا عن ابن عباس قال
كان اهل الجاهلية ياكلون اشيآ فبعث الله نبيه عليه السلام
وانزل كتابه واحل حلاله وحرم حرامه فما احل فهو حلال
وما حرم فهو حرام وما سكت فهو عفو وتلا هذه الايه قل لا اجد
فيما اوحى الي محرما يعني ما لم يبين تحريمه فهو مباح بظاهر الايه
روى الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن
عباس انه قرا قل لا اجد فيما اوحي الي محرما قال انما حرم من الميتة
اكلها ما يوكل منها وهو اللحم فاما الجلد والعظم والصوف
والشعر فحلال وروى ابو داود عن ملقام بن تلب عن ابيه
قال صحبت النبي صلى الله عليه وسلم فلم اسمع لحشرة الارض تحريما
الحشرة صغار دواب الارض كاليرابيع والضباب والقنافذ و
نحوها قال الشاعر اكلنا الربا يا ام عمرو ولم يكن عبر سالد نكم
باكل الحشرات اي ما دبت ودرج والرباجع دبيبه وهي الفاره
قال الخطابي وليس في قوله لم اسمع لها تحريما دليل على انها
مباحة لجواز ان يكون غيره قد سمعه وقد اختلف في اليربوع
عروه وعطا والشافعي وابو ثور وقال الشافعي لا باس
بالوبر وكرهه ابن سيرين والحكم وحماد واصحاب الراي

وكرهه اصحاب الراى القنفذ وسئل عنه ملك بن انس فقال
لا ادرى وحكى ابو عمرو قال لا باس باكل القنفذ وكان ابو ثور
لا يرى به باسا وحكاه عن الشافعي وسيل عنه ابن عمر فقال
قل لا اجد فيما اوحى الى محرما الاية فقال سيخ عنده سمعت ابا
هريرة يقول ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال خبيثة من
الخبائث فقال ابو عمران كان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا فهو كما ذكره ابو داود وقال ملك لا باس باكل الضب واليربوع
والورل وجاز عنده اكل الحيات اذا ذكيت وهو قول ابن
ابى ليلى والاوزاعي فكذلك الافاعي والعقارب والفار والعظاية
القنفذ والضفدع وقال ابن القاسم لا باس باكل خشاش الارض
وعقاربها ودودها فى قول ملك لانه قال موته فى الماء لا يفسده
وقال ملك لا باس باكل فراخ النحل ودود الجبن والتمر ونحوه
والحجة له حديث ملقام بن تلب وقول ابن عباس وابى الدردا ما
حل الله فهو حلال وما حرم الله فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو
وقالت عايشة فى الفار ما هو بحرام وقرات قل لا اجد حرام وما سكت
عنه فهو عفو وقالت عايشة فى الفار ما هو بحرام وقرات قل لا اجد ومن
علما اهل المدينة جماعة لا يجيزون اكل شى من خشاش الارض
وهوامها مثل الحيات والاوزاغ والفار وما اشبهه وكل ما
يجوز قتله فلا يجوز عند هولاء اكله ولا تعمل الذكاة عندهم فيه

وهو قول ابن شهاب وعروة والشافعي وابي حنيفه وغيرهم ولا يوكل
عند مالك واصحابه شي من سباع الوحوش كلها ولا الهر الوحشي ولا الاهلي
لانه سبع قال ولا يوكل الضبع والثعلب ولا باس باكل سباع الطير كلها
الرخم والنسور والعقبان الرخم وحجة مالك انه لم يجد احدا من اهل العلم
يكره اكل سباع الطير وانكر الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن
عن اكل ذى مخلب من الطير وروى عن اشهب انه قال لا باس باكل الفيل اذا
ذكى وهو قول الشعبي ومنع منه الشافعي وكره النعمان واصحابه اكل الضبع والثعلب
ورخص في ذلك الشافعي وروى عن سعيد بن ابي وقاص انه قال كان ياكل
الضباع وحجة مالك عموم النهى عن اكل كل ذى ناب من السباع ولم يخص سبعا
من سبع وليس حديث الضبع الذى خرجه النساى في اباحة اكلها مما تعارض
منه حديث النهى لانه حديث انفرد به عبد الرحمن بن ابي عمار وليس مشهور
بنقل العلم ولا ممن يحتج به اذا خالفه من هو اثبت منه قال ابو عمر وقد روى
النهى عن اكل كل ذى ناب من السباع من طرق متواترة روى ذلك جماعة من
الايمة الثقات الاثبات ومحال ان تعارضوا بمثل حديث ابن ابي عمار قال
ابو عمر اجمع المسلمون على انه لا يجوز اكل القرد لنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اكله ولا يجوز بيعه لانه لا منفعة فيه قال وما علمت احدا رخص في اكله
الا ما ذكره عبد الرزاق عن معمر عن ايوب سيل مجاهد عن اكل القرد
فقال ليس من بهيمة الانعام قلت ذكر ابن المنذر انه قال روينا عن عطا
انه سيل عن القرد يقتل في الحرم فقال يحكم به ذوا عدل قال فعلى مذهب عطا

يجوز اكل لحمه لان الجزا لا يجب على من قتل غير الصيد وفي بحر المذهب
للروياني على مذهب الشافعي وقال الشافعي يجوز بيع القرد لانه يعلم
وينتفع به بحفظ وحكى الكشفلي عن ابن سريج يجوز بيعه لا ينتفع به قبل
ما وجه الانتفاع به قال يفرح به الصبيان قال ابو عمرو والكلب والفيل
وذو الناب كله عندي مثل القرد والحجة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا في قول غيره وقد زعم ناس انه لم يكن في العرب من ياكل لحم الكلب
الا قوم من فقعس روى ابو داود عن ابن عمر قال نهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن اكل الجلالة والبانها في رواية عن الجلالة في الابل
ان يركب عليها او يشرب من البانها قال الحليمي ابو عبد الله فاما الجلالة
فهي التي تاكل العذرة من الدواب والدجاج المخلاة ونهى النبي صلى الله
عليه وسلم عن لحومها وقال العلما كل ما ظهر منها ريح العذرة في لحمه
او طعمه فهو حرام وما لم يظهر فهو حلال وقال الخطابي هذا نهي تنزيه
وتنظف وذلك انها اغتذت الجلة وهي العذرة وجد نتن رائحتها في لحومها
وهذا اذا كان غالب علفها منها فاما اذا رعت الكلا واعتلفت الحب وكانت
تنال مع ذلك شيا من الجلة فليست بجلالة وانما هي كالدجاج المخلاة
ونحوها من الحيوان الذي ربما نال الشي منها وغالب غذائه وعلفه من غيره
فلا يكره اكلها وقال اصحاب الراي والشافعي واحمد لا تؤكل حتى تحبس
اياما وتعلف علفا غيرها فاذا طاب لحمها اكلت وقد روي في حديث
ان البقر تعلف اربعين يوما ثم يؤكل لحمها وكان ابن عمر يحبس

الدجاج ثلثاً ثم يذبح وقال إسحق لا بأس بأكلها بعد أن يغسل لحمها غسلاً جيداً وكان الحسن لا يرى بأساً
بأكل لحوم الجلالة وكذلك مالك بن أنس ومن هذا الباب أن يلقى في الأرض العذرة روي عن بعضهم قال
كنا نكري أرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونشترط على من يكريها أن لا يلقي فيها العذرة وعن ابن عمر
أنه كان يكري أرضه ويشترط أن لا تدمن بالعذرة وروي أن رجلا كان يزرع أرضه بالعذرة فقال
له عمر أنت الذي تطعم الناس ما يخرج منهم واختلفوا في أكل الخيل فأباحها الشافعي رحمه الله تعالى وهو
الصحيح وكرهها مالك وأما البغل فهو متولد من بين الحمار والفرس وأحدهما مأكول أو مكروه
وهو الفرس والآخر محرم وهو الحمار فغلب حكم التحريم لأن التحليل والتحريم إذا اجتمعا في عين واحدة
غلب حكم التحريم وسيأتي ما فيه إن شاء الله تعالى في النحل بأوعب من هذا وسيأتي حكم الجراد في
الأعراف والجمهور من السلف والخلف على جواز أكل الأرنب وقد حكي عن عبد الله
بن عمرو بن العاص تحريمه وعن ابن أبي ليلى كراهته قال عبد الله بن عمرو جيء بها إلى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا جالس فلم يأكلها ولم ينه عن أكلها وزعم أنها تحيض ذكره أبو داود
وروى النسائي عن موسى بن طلحة قال أتي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بأرنب قد شواها رجل فقال يا رسول الله إني
رأيت بها دماً فتركها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يأكلها وقال لمن عنده كلوا فلو اشتهيتها أكلت
وليس في هذا ما يدل على تحريمه وإنما هو من قبيل قوله عليه الصلاة والسلام أنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه وروى
مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك قال مررنا فاستنفجنا أرنباً بمر الظهران فسعوا القوم فلغبوا قال فسعيت
حتى أدركتها فأتيت بها أبا طلحة فذبحها فبعث بوركيها وفخذيها إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأتيت بها
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقبله الرابعة قوله تعالى على طاعم يطعمه أي آكل يأكله وروي عن ابن عامر أنه
قرأ أوحي بفتح الهمزة وقرأ علي بن أبي طالب يطّعمه مثقلة الطاء أراد يتطعمه فأدغم وقرأت عائشة
ومحمد بن الحنفية على طاعم طعمه بفعل ماض إلا أن يكون ميتة بالرفع بمعنى يقع ويحدث ميتة والمسفوح
الجاري الذي يسيل وهو المحرم وغيره معفو عنه وحكى الماوردي أن الدم غير المسفوح أنه إن كان ذا عروق
يجمد عليها كالكبد والطحال فهو حلال لقوله عليه السلام أحلت لنا ميتتان ودمان الحديث وإن كان غير ذي عروق

يحل عليها وانما هو مع اللحم ففي تحريمه قولان لانه من جملة المسفوح او بعضه وانما ذكر المسفوح لاستثناء الكبد والطحال منه

وانه لا حرج لتخصيص التحريم بالمسفوح قلت وهو الصحيح قال عمران بن حدير سالت ابا مجلز عما يتلطخ من الدم من اللحم وعن القدر

يعلوها الحمرة من الدم فقال لا باس به انما حرم الله المسفوح وقالت نحوه عائشة وغيرها وعليه اجماع العلماء وقال عكرمة لولا

هذه الاية لاتبع المسلمون من العروق ما اتبع اليهود وقال ابراهيم النخعي لا باس بالدم في عرق او مخ وقد تقدم هذا وحكم المضطر في

البقرة والله تعالى اعلم قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى قوله وانا لصادقون فيه ست مسائل الاولى

قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر لما ذكر الله عز وجل ما حرم على امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

عقب ذلك بذكر ما حرم على اليهود لما في ذلك من تكذيبهم في قولهم ان الله لم يحرم علينا شيا وانما حرمنا

على انفسنا ما حرمه اسرائيل على نفسه وقد تقدم في البقرة معنى هادوا وهذا التحريم على

الذين هادوا انما هو تكليف بلوى وعقوبة فاول ما ذكر من المحرمات عليهم كل ذي ظفر وقرا الحسن

ظفر باسكان الفاء وقرا ابو السمال ظفر باسكان الفاء وكسر الظاء وانكر ابو حاتم كسر الظاء واسكان الفاء

ولم يذكر هذه القراءة وهي لغة وظفر بكسرهما والجمع اظفار واظفور واظافير قاله الجوهري وزاد

النحاس عن الفراء اظافير واظافرة مثل جارية وجوارب قال ابن السكيت يقال رجل اظفر

بين الظفر اذا كان طويل الاظفار كما يقال رجل اشعر للطويل الشعر قال مجاهد وقتادة

ذي ظفر ما ليس بمنفرج الاصابع من البهائم والطير مثل الابل والنعام والاوز والبط وقال

ابن زيد الابل فقط ابن عباس ذو الظفر البعير والنعامة لان النعامة ذات ظفر كالابل وقيل يعني ذي

مخلب من الطير وذي حافر من الدواب ويسمى الحافر ظفرا استعارة وقال الترمذي الحكيم

الحافر ظفر والمخلب ظفر الا ان هذا على قدره وذاك على قدره وليس ها هنا استعارة الا ترى

كلاهما يقصا ويوخذ منهما وكلاهما جنس واحد عظم لين رخو اصله من غذاء ينبت فيقص مثل

ظفر الانسان وانما سمي حافرا لانه يحفر الارض بوقع الحافر عليها وسمي مخلبا لانه

يخلب الطير برؤوس تلك الابر منها وسمي ظفرا لانه ياخذ الاشيا بظفره اي يظفر به

الادمي والطير الثانية قوله تعالى ومن البقر والغنم حرمنا عليهم

حرمنا عليهم شحومهما قال قتاده يعني الثروب وشحم الكليتين وقاله السدي والثرو
جمع الثرب وهو الشحم الرقيق الذي يكون علي الكرش ابن جريج حرم عليهم كل شحم
غير مختلط بعظم او علي عظم واحل لهم شحم الجنب والاليه لانه علي العصعص
الثالثه قوله تعالى الا ما حملت ظهورهما ما في موضع نصب علي الاستثنا ء
ظهورهما رفع بحملت او الحوايا في موضع رفع عطف علي الظهور اي او حملت حواياهما
والالف واللام بدل من الاضافه وعلي هذا تكون الحوايا من جمله ما احل
او ما اختلط بعظم ما في موضع نصب عطف علي ما حملت ايضا هذا اصح ما قيل فيه وهو
قول الكساي والفرا واحمد ابن يحيي والنظر يوجبه اي يعطف الشي علي ما يليه
الا ان لا يصح معناه او يدل دليل علي غير ذلك خاديه وقوله او الحوايا او ما اختلط
بعظم معطوف علي المحرم والمعنى حرمت عليهم شحومهما او الحوايا او ما اختلط
بعظم الا ما حملت الظهور فانه غير محرم وقد احتج الشافعي بهذه الايه في ان من
حلف لا ياكل الشحم حنث باكل شحوم الظهور لاستثنا الله عز وجل من جمله الشحم
الرابعه قوله تعالى او الحوايا الحوايا المباعر عن ابن عباس وغيره وهو جمع مبعر
سمي بذلك لاجتماع البعر فيه وهو الزبل وواحد الحوايا حاويا مثل قاصعا وقوا صع
وقيل حاويه مثل ضاربه وضوارب وقيل حويه كسفينه وسفاين ابو عبيده
الحوايا ما تحوي من البطن اي استدار وهي متحويه اي مستديره وقيل
الحوايا خزاين اللبن وتتصل بالمباعر وهي المصارين وقيل الحوايا الامعا التي عليها
الشحوم والحوايا في غير هذا الموضع كسا يحوي حول سنام البعير قال امرو القيس

جعلن حوايا واقتعدن قعايدا ن وخففن من حول العراق المنمق

فاخبر سبحانه انه كتب تحريم هذا عليهم في التوراه ردا لكذبهم ونصه
فيها حرمت عليكم الميته والدم ولحم الخنزير وكل دابه ليس ... مشقوقه

الحافر وحوت ليس فيه سفاسق اي بياض ثم نسخ الله ذلك كله لشريعة محمد
صلي الله عليه وسلم واباح لهم ما كان محرما عليهم من الحيوان وازال الحرج بمحمد صلي
الله عليه وسلم والزم الخليقة دين الاسلام بحله وحرامه وامره ونهيه فلو ذبحوا
انعامهم وهي **الخامسة** فاكلوا ما احل الله لهم في التوراة وتركوا ما حرم فهل
يحل لنا فقال ملك في كتاب محمد هي محرمة وقال في سماع المبسوط هي محللة وبه
قال ابن نافع وقال ابن القسم اكرهه وجه الاول انهم يدينون بتحريمها
ولا يقصدونها عند الزكوة فكانت محرمة كالدم وجه الثاني وهو الصحيح ان الله
عز وجل رفع ذلك التحريم بالاسلام واعتقادهم فيه لا يوثر لانه اعتقاد فاسد قاله
ابن العربي **قلت** ويدل علي صحته ما رواه الصحيحان عن عبد الله ابن مغفل قال كنا
محاصرين قصر خيبر فرمي انسان بجراب فيه شحم فنزوت لاخذه فالتفت فاذا
رسول الله صلي الله عليه وسلم مبتسما قال علماونا تبسمه صلي الله عليه وسلم انما كان
لما راي من شدة حرص ابن مغفل علي اخذ الجراب ومن ضنته به ولم يامره بطرحه
ولا نهاه وعلي جواز الاكل مذهب ابي حنيفة ٢ رسول الله صلي الله عليه وسلم مبتسما قال
علماونا تبسمه صلي الله عليه وسلم انما كان لما راي من شدة حرص ابن مغفل علي اخذ
الجراب ومن ضنته به ولم يامره بطرحه ولا نهاه وعلي جواز الاكل مذهب ابي حنيفة
والشافعي وعامة العلما غير ان ملكا كرهه للخلاف فيه وحكي ابن المنذر عن
ملك تحريمها واليه ذهب كبرا اصحاب ملك وتمسكهم بما تقدم والحديث حجة عليهم فلو
ذبحوا كل ذي ظفر فقال اصبغ ما كان محرما في كتاب الله من ذبايحهم فلا
يحل اكله لانهم يدينون بتحريمها وقاله اشهب وابن القسم واجازه ابن وهب وقال
ابن حبيب ما كان محرما عليهم وعلمنا ذلك من كتابنا فلا يحل لنا من ذبايحهم وما لم
نعلم تحريمه الا من اقوالهم واجتهادهم فهو غير محرم علينا من ذبايحهم

فاستحييت منه لفظ البخاري ولفظ مسلم قال ابو عبد الله
ابن مغفل اصبت جرابا من شحم يوم خيبر قال فالتزمته
فقلت لا اعطي اليوم احدا من هذا شيا قال فالتفت فاذا

السادسه قوله تعالى ذلك اي ذلك التحريم فذلك في موضع رفع اي الامر ذلك جزيناهم ببغيهم اي بظلمهم عقوبة لهم لقتلهم الانبيا وصدهم عن سبيل الله واكلهم الربا واستحلالهم اموال الناس بالباطل وفي هذا دليل على ان التحريم انما يكون بذنب لانه ضيق فلا يعدل عن السعه اليه الا عند عدم المواخذه وانا لصادقون في اخبارنا عن هذا ولا اليهود عما حرمنا عليهم من اللحوم والشحوم قوله تعالى فان كذبوك شرط والجواب فقل ربكم ذو رحمه واسعه اي من سعة رحمته حلم عنكم فلم يعاقبكم في الدنيا ثم اخبر بما اعد لهم من العذاب في الاخره فقال ولا يرد باسه عن القوم المجرمين وقيل المعنى ولا يرد باسه عن القوم المجرمين اذا اراد حلوله في الدنيا قوله تعالى سيقول الذين اشركوا قال مجاهد يعني كفار قريش لو شا الله ما اشركنا ولا اباونا ولا حرمنا من شي يريد البحيره والسايبه اخبر عز وجل بالغيب بما سيقولون وظنوا ان هذا متمسك لهم لما لزمتهم الحجه وتيقنوا باطل ما كانوا عليه والمعنى لو شا الله لارسل الى ابايا رسولا فنهاهم عن الشرك وعن تحريم ما احل فينتهوا فاتبعناهم على ذلك فرد الله عليهم ذلك فقال هل عندكم من علم فتخرجوه لنا اي اعندكم دليل على هذا كله ان تتبعون الا الظن في هذا القول وان انتم الا تخرصون لتوهمكم انه اعتقدتم ان لكم حجه ولا اباونا عطف على النون في اشركنا ولم يقل نحن ولا اباونا لان قوله ولا قام مقام توكيد المضمر ولهذا حسن ان يقال ما قمت ولا زيد قوله تعالى قل فلله الحجه البالغه على هذا تثنيه اي التي تقطع عذر المحجوج وتزيل الشك عمن نظر فيها فحجته البالغه على هذا تبيينه انه الواحد وارساله الرسل والانبيا فبين التوحيد بالنظر في المخلوقات وايد الرسل بالمعجزات ولزم امره كل مكلف فاما علمه وارادته وكلامه فغيب لا يطلع عليه العبد الا من ارتضى من رسول ويكفي في التكليف ان يكون العبد

بحيث لو اراد ان يفعل ما امر به امكنه وقد لبست المعتزلة بقوله لو شا الله ما
اشركنا فقالوا قد ذم الله هولا الذين جعلوا شركهم عن مشيته وتعلقهم بذلك
باطل لان الله تعالي انما ذمهم علي ترك اجتهادهم في طلب الحق وانما قالوا ذلك علي
جهة الهزو واللعب نظيره وقالوا لو شا الرحمن ما عبدناهم ولو قالوه علي جهة
التعظيم والاجلال والمعرفة لما عابهم لان الله تعالي يقول ولو شا الله ما
اشركوا وما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله ولو شا لهداكم اجمعين ومثله
كثير والمومنون يقولونه لعلم منهم بالله **قوله تعالي** قل هلم شهداكم اي قل
لهولا المشركين احضروا شهداكم علي ان الله حرم ما حرمتم وهلم كلمة دعوة الي شي
ويستوي فيه الواحد والجماعة والذكر والانثي عند اهل الحجاز الا في لغة نجد
فانهم يقولون هلما هلمي يأتون بالعلامة كما تكون في ساير الافعال وعلي لغة اهل
الحجاز جا القران قال الله تعالي والقايلين لاخوانهم هلم الينا تقول هلم اي
احضر وادن وهلم الطعام اي هات الطعام والمعني ها هنا هاتوا شهداكم وفتحت الميم
لالتقا الساكنين كما تقول رد يا هذا ولا يجوز ضمها ولا كسرها والاصل عند الخليل
ها ضمت اليها لم ثم حذفت الالف لكثرة الاستعمال وقال غيره الاصل هل زيدت
عليها لم وقيل هي علي لفظها تدل علي معني هات وفي كتاب العين للخليل اصلها
هل ام اي هل اقصدك ثم كثر استعمالهم اياها حتي صار المقصود يقولها
كان تعال اصلها ان يقولها المتعالي للمتسافل فكثر استعمالهم اياها حتي صار المسافل
يقول للمتعال تعال **قوله تعالي** قل تعالوا اتل ما حرم عليكم ربكم الثلاث
الايات الي قوله تتقون فيه اربع عشر مسله الاولي قوله تعالي قل تعالوا اتل اي
اقرا واقص عليكم ما حرم ربكم حقا يقينا كما اوحي الي ربي لا ظنا ولا كذبا كما زعمتم ثم بين
ذلك فقال ان لا تشركوا يقال للرجل تعال اي تقدم وللمراة تعالي وللاثنين والاثنين

تعاليا وكما عد الرجال تعالوا وكاعه النسا تعالين قال الله تعالى فتعالين امتعكن
وجعلوا التعدم ضرب من التعالي لان المامور بالتقدم في اصل وضع هذا الفعل
كانه كان قاعدًا فقيل له تعال اي ارفع شخصك بالقيام وتقدم واتسعوا
فيه حتى جعلوه للواقف والماشي قاله ابن الشجري **الثانيه** ما حرم الوجه في ما
ان تكون خبريه في موضع نصب باتل والمعنى تعالوا اتل الذي حرمه ربكم عليكم
فان علقت عليكم بحرم فهو الوجه لانه الاقرب وهو اختيار البصريين وان علقته باتل
فجيد لانه الاسبق وهو اختيار الكوفيين فالتقدير في هذا القول اتل عليكم الذي
حرم ربكم ان لا تشركوا في موضع نصب بتعدي فعل من لفظ الاول اي اتل
عليكم تحريم الاشراك ويحتمل ان يكون منصوبًا بما في عليكم من الاغرا ويكون عليكم
منقطعه مما قبلها اي عليكم ترك الاشراك وعليكم احسانًا بالوالدين وان لا تقتلوا اولا
وان لا تقربوا الفواحش كما تقول عليك شانك اي الزم شانك وكما قال
عليكم انفسكم قال جميعه ابن الشجري النحاس يجوز ان تكون ان في موضع نصب
بدلًا من ما اي اتل عليكم تحريم الاشراك واختار الفرا ان تكون لا للنهي لان بعد
ولا **الثالثه** هذه الايه امر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بان يدعو جميع الخلق
الى تلاوة سماع ما حرم الله وهكذا يجب على كل من بعده من العلما ان يبلغوا الناس
ولا يكتمونه وذكر ابن المبارك اخبرنا عيسى ابن عمر عن عمرو ابن مره انه حدثهم
قال قال ربيع ابن خيثم لجليس له ايسرك ان توتى بصحيفه من النبي صلى الله عليه وسلم
لم يفك خاتمها قال نعم قال فاقرا قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم فقرا الى اخر
الثلاث الايات وقال كعب الاحبار هذه الايه مفتتح التوراة بسم الله الرحمن الرحيم
تعالوا اتل ما حرم ربكم الايه وقال ابن عباس هذه الايات المحكمات التي
ذكرها الله في سورة ال عمران اجتمعت عليها شرايع الخلق

ذكر

مطلب

مطلب

ولم تنسخ قط في مله وقد قيل انها العشر كلمات المنزله علي موسى **الرابعه**
قوله تعالي وبالوالدين احسانا الاحسان الي الوالدين برهما وحفظهما وصيانتهما
وامتثال امرهما وازاله الرق عنهما وترك السلطنه عليهما واحسانا نصب علي المصدر
وناصبه فعل مضمر من لفظه تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا **الخامسه**
قوله تعالي ولا تقتلوا اولادكم من املاق الاملاق الفقر اي لا تئدوا من الموءوده
بناتكم خشية العيله فاني رازقكم واياهم وقد كان منهم من يفعل
ذلك بالاناث والذكور خشيه خشية الفقر كما هو ظاهر الايه املق اي افتقر واملقه
اي افقره فهو لازم ومتعد وحكي النقاش عن مورخ انه قال الاملاق الانفاق
يقال املق ماله يعني انفقه وذكر ان عليا قال لامراته املقي من مالك ما شيت
ورجل ملق يعطي بلسانه ما ليس في قلبه والملق لفظ مشترك بيانه في موضعه
السادسه وقد يستدل بهذا من يمنع العزل لان الوأد رفع الموجود والنسل
والعزل منع اصل النسل فتشابها الا ان قتل النفس اعظم وزرا واقبح فعلا ولذلك
قال بعض علمايتا انه يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم في العزل ذلك الوأد الخفي الكراهه
لا التحريم وقال به جماعه من الصحابه وغيرهم وقال بالاباحه ايضا جماعه من الصحابه
والتابعين والفقها لقوله صلى الله عليه وسلم لا عليكم ان لا تفعلوا
فانما هو القدر اي ليس عليكم جناح في ان لا تفعلوا وقد فهم منه
الحسن ومحمد ابن مثنى النهي والزجر عن العزل والتاويل الاول
اولي لقوله صلى الله عليه وسلم واذا اراد الله خلق شي لم يمنعه
شي قال مالك والشافعي لا يجوز العزل عن الحره الا باذنها وكانهم
راوا الانزال من تمام لذتها ومن حقها في الولد ولم يروا ذلك
في الموطوه بملك اليمين اذ له ان يعزل عنها بغير اذنها اذ لا حق لها في

شيء مما ذكر **السابعة** قوله تعالى ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن
نظيره وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما ظهر نهي عن جميع انواع الفواحش وهي المعاصي
وما بطن ما عقد عليه القلب من المخالفة وظهر وبطن حالان يستويان [?] في ان اقسام ما
جعلت له من الاشيا وما ظهر نصب على البدل من الفواحش وما بطن عطف
عليه **الثامنة** قوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
الالف واللام في النفس لتعريف الجنس كقولهم اهلك الناس الدينار
والدرهم ومثله ان الانسان خلق هلوعا الى ترا استثناه قال الا المصلين وكذلك قوله (له)
والعصر ان الانسان لفي خسر لانه قال الا الذين امنوا وهذه الاية نهي عن قتل النفس
المحرمة مومنة كانت او معاهدة الا بالحق الذي يوجب قتلها قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله
فقد عصم ماله ونفسه الا بحقه وحسابهم على الله وهذا الحق امور منها
منع الزكوة وترك الصلاة وقد قاتل الصديق مانعي الزكاة وفي التنزيل فان تابوا
واقاموا الصلاة واتوا الزكاة وهذا بين وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرء
مسلم الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه
المفارق للجماعة وقال صلى الله عليه وسلم اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما اخرجه
مسلم وروى ابو داود عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجدتموه
يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وسيأتي بيان هذا في الاعراف
وفي التنزيل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان
يقتلوا وقال وان طائفتان من المومنين اقتتلوا الاية وكذلك من شق عصا المسلمين
وخالف امام جماعتهم وفرق كلمتهم وسعى في الارض الفساد بانتهاب الاهل والمال
والبغي على السلطان والامتناع من حكمه يقتل فهذا معنى قوله الا بالحق وقال

صلي الله عليه وسلم المومنون تتكافو دماوهم ويسعى بذمتهم ادناهم الا يقتل مسلم
بكافر ولا ذو عهد في عهده ولا يتوارث اهل ملتين وروي ابو داود والنسائي
عن ابي بكره رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول من
قتل معاهدا في غير كنهه حرم الله عليه الجنه وفي روايه اخري لابي
داود قال من قتل رجلا من اهل المدينه لم يجد ريح الجنه وان ريحها ليوجد
من مسيره سبعين عاما في البخاري في هذا الحديث وان ريحها يوجد
من مسيره اربعين عاما اخرجه من حديث عبد الله ابن عمرو ابن العاصي رضي الله عنهما
التاسعه قوله تعالي ذلكم اشاره الي هذه المحرمات والكاف والميم للخطاب
ولا حظ لهما من الاعراب وصاكم به الوصيه الامر المؤكد المقدور والكاف والميم
محله النصب لانه ضمير موضوع للمخاطبه وفي وصي ضمير فاعل يعود علي الله
روي مطر الوراق عن نافع عن ابن عمر ان عثمان ابن عفان رضي الله عنهم
اشرف علي اصحابه فقال علي م تقتلوني فاني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقول دم امري مسلم الا باحدي ثلاث رجل ثلاث رجل زني بعد احصانه فعليه
الرجم او قتل عمدا فعليه القود او ارتد بعد اسلامه فعليه القتل فوالله ما
زنيت في جاهليه ولا اسلام ولا قتلت احدا فاقيد نفسي به ولا ارتددت منذ اسلمت
اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ذلكم الذي ذكرت وصاكم به لعلكم
تعقلون **العاشره** قوله تعالي ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن اي بما فيه
صلاحه وتثميره وذلك بحفظ اصوله وتثمير فروعه وهذا احسن الاقوال في هذا فانه
جامع قال مجاهد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن التجاره فيه ولا تشتر
منه ولا تستقرض **الحاديه عشر** قوله تعالي حتي يبلغ اشده يعني
قوته وقد تكون في البدن وقد تكون في المعرفه بالتجربه ولا بد من حصول

الوجهين فان الاشد وقعت هنا مطلقه ولو جا بيان حال اليتيم في سوره
النسا مقيدةً فقال وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان انستم منهم رشدا
فجمع بين قوة البدن وهو بلوغ النكاح وبين قوة المعرفه بايناس الرشد فلو مكن
اليتيم من ماله قبل حصول المعرفه وبعد حصول القوة لاذهبه في شهواته
وبقي صعلوكاً لا مال له وخص اليتيم بهذا الشرط لغفلة الناس عنه وافتقاد
الاباء لابنايهم فكان الاهتمام بتقييد الاب اولى وليس ببلوغ الاشد مما يبيح
قرب ماله بغير الاحسن لان الحرمه في حق البالغ ثابته وخص اليتيم بالذكر لان خصمه
الله والمعنى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن على الابد حتى يبلغ اشده وفي
الكلام حذف فاذا بلغ اشده واونس منه الرشد فادفعوا اليه ماله واختلف
العلما في اشد اليتيم فقال ابن زيد بلوغه اهل المدينه بلوغه وايناس رشده
وعند ابي حنيفه خمس وعشرون سنه قال ابن العوزي وعجبنا من ابي
حنيفه فانه يرى المقدرات لا تثبت قياسا ولا نظراً وانما تثبت نقلاً وهو يثبتها
بالاحاديث الضعيفه ولكنه سكن دار الضرب فكثر عنده المدلس ولو سكن
المعدن كما قيض الله لمالك لما صدر عنه الا ابريز الدين وقد قيل ان انتها الكهوله
فيها يجمع الاشد كما قال سحيم ابن وثيل ٥

اخو خمسين مجتمع اشدي ونجذني مداوره الشوون ٥

يروى بحدني بالدال والذال والاشد واحد لا جمع له بمنزلة الآنك وهو الرصاص
وقيل واحده شد كفلس وافلس واصله من شد النهار اي ارتفع يقال اتيته
شد النهار ومد النهار وكان محمد ابن محمد الضبي ينشد بيت عنتره ٥

عهدي به شد النهار كانما خضب اللبان وراسه بالعظلم ٥

اخر

تطيف به شدة الهما رطعينه طويله اتقا اليدين سحوق ن وكان سيبويه
يقول واحده شده قال الجوهري وهو حسن في المعني لانه يقال بلغ الغلام شدته
ولكن لا يجمع فعله علي افعل واما انعم فانما هو جمع نعم من قولهم يوم بوس ويوم
نعم واما قول من قال واحده شد مثل كلب واكلب وشد مثل ذيب واديب
فانما هو قياس كما يقولون في واحد الابابيل ابول قياس علي عجول
وليس هو شي سمع من العرب ابو زيد اصابتني شدي علي فعلي اي
شده واشد الرجل اذا كانت معه دابه شديده الثاني عشر قوله تعالي
واوفوا الكيل والميزان بالقسط اي بالاعتدال في الاخذ والعطا عند البيع
والشرا والقسط العدل لا نكلف نفسا الا وسعها طاقتها في ايفا الكيل
والوزن وهذا يقتضي ان هذه الاوامر انما هي فيما يقع تحت قدر البشر من
التحفظ والتحرز وما لا يمكن الاحتراز عنه من تفاوت ما بين الكيلين ولا يدخل
تحت قدر البشر فمعفو عنه وقيل الكيل بمعني المكيال يقال هذا كذا وكذا كيلا
ولهذا عطف عليه بالميزان وقال بعض العلما لما علم الله سبحانه من عباده ان كثيرا
منهم تضيق نفسه عن ان تطيب للغير بما لا يجب عليها له امر المعطي بايفا رب
الحق حقه الذي هو له ولم يكلفه الزياده لما في الزياده عليه من ضيق نفسه بها
وامر صاحب الحق باخذ حقه ولم يكلفه الرضى باقل منه لما في النقصان
من ضيق نفسه وفي الموطا مالك عن يحي ابن سعيد انه بلغه عن عبد الله ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال ما ظهر الغلول في قوم قط الا القي في قلوبهم الرعب ولا فشا
الزنا في قوم قط الا كثر فيهم الموت ولا نقص قوم المكيال والميزان الا قطع
عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير الحق الا فشا فيهم الدم ولا خان قوم بالعهد
الا سلط عليهم العدو وقال ابن عباس ايضا انكم معشر الاعاجم قد وليتم

اي

امرين بها هلك من كان من قبلكم **الثالث عشر** قوله تعالى واذا قلتم فاعدلوا
بتضمن الاحكام والشهادات ولو كان ذا قربي اي ولو كان الحق على مثل قراباتكم
كما تقدم في النسا وبعهد الله اوفوا عام في جميع ما عهد الله الى عباده ويحتمل
ان يراد به جميع ما انعقد بين انسانين واضيف ذلك العهد الى الله من حيث
امر بحفظه والوفا به لعلكم تذكرون فتتعظون **الرابع عشر** قوله تعالى
وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه هذه اية عظيمة عطفها على ما تقدم
فانه لما نهى وامر حذر هنا عن اتباع غير سبيله وامر فيها باتباع طريقه على ما بينته بالاحاديث
الصحيحه واقاويل السلف وان في موضع نصب اي واتلوا ان هذا صراطي عن الفرا
والكسائي قال الفرا ويجوز ان يكون خفضا اي اوصيكم به وبان هذا صراطي
مستقيما وتقديرها عند الخليل وسيبويه ولان هذا صراطي مستقيما كما قال وان
المساجد لله وقرا الاعمش وحمزه والكسائي وان هذا بكسر الهمزه على الاستيناف
اي الذي ذكر في هذه الايات صراطي مستقيما وقرا ابن ابي اسحق ويعقوب وان هذا
صراطي بالتخفيف والمخففه مثل المشدده الا ان فيه ضمير القصه والشان اي وانه
هذا وهي في موضع رفع ويجوز النصب ويجوز ان يكون زايده للتوكيد كما قال جل
وعز فلما ان جا البشير والصراط الطريق الذي هو دين الاسلام مستقيما نصب
على الحال ومعناه مستويا قويما لا اعوجاج فيه فامر باتباع طريقه
الذي طرقه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه ونهايته الجنه وتشعبت
منه طرق فمن سلك الجاده نجا ومن خرج الى تلك الطرق افضت به الى النار قال الله تعالى
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله اي تميل روى الدارمي ابو محمد في مسنده
باسناد صحيح اخبرنا عفان ثنا حماد ابن زيد ثنا عاصم ابن بهدله عن ابي وايل عن عبد
الله ابن مسعود رضي الله عنه قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

ديث

يوماً خطاً ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال هذه
سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليها ثم قرا هذه الايه واخرجه ابن ماجه
في سننه عن جابر ابن عبد الله قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطا وخط
خطين عن يمينه وخط خطين عن يساره ثم وضع يده في الخط الاوسط فقال
هذا سبيل الله ثم تلى هذه الايه وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله وهذه السبل تعم اليهوديه والنصرانيه
والمجوسيه وساير اهل الملل واهل البدع والضلالات من اهل الاهوا والشذوذ
في الفروع وغير ذلك من اهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام هذه كلها عرضه للزلل
ومظنه لسو المعتقد قاله ابن عطيه قلت وهو صحيح ذكر الطبري في
كتاب اداب النفوس حدثنا محمد ابن عبد الاعلى الصنعاني قال حدثنا محمد
ابن ثور عن معمر عن ابان ان رجلا قال لابن مسعود ما الصراط المستقيم قال
تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في ادناه وطرفه في الجنه وعن يمينه جواد وعن يساره
جواد وثم رجال يدعون من مر بهم فمن اخذ في تلك الجواد انتهت به الى النار ومن
اخذ على الصراط انتهى به الى الجنه ثم قرا ابن مسعود وان هذا صراطي مستقيما
الايه وقال عبد الله ابن مسعود تعلموا العلم قبل ان يقبض وقبضه ان
يذهب اهله الا واياكم والتنطع والتعمق والبدع وعليكم بالعتيق
اخرجه الدارمي وقال مجاهد في قوله ولا تتبعوا السبل قال البدع وقال ابن شهاب
وهذا كقوله تعالى ان الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا الايه فالهرب الهرب
والنجا النجا والتمسك بالطريق المستقيم والسنن القويم الذي سلكه السلف الصالح
وفيه المتجر الرابح روى الايمه عن ابي هريره رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما امرتكم به فخذوه وما نهيتكم عنه فانتهوا وروى

ابن ماجه وغيره عن العرباض ابن سارية رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صلي
الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا يا رسول الله
ان هذه لموعظة مودع فما تعهد الينا فقال قد تركتكم علي البيضا ليلها كنهارها
لا يزيغ عنها بعدي الا هالك من يعش منكم فسيري اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم
من سنتي وسنة الخلفا الراشدين من المهديين بعدي عضوا عليها بالنواجذ
واياكم والامور المحدثات فان كل بدعة ضلاله وعليكم بالطاعه وان عبدا حبشيا
فانما المومن كالجمل الانف حيث ما قيد انقاد اخرجه الترمذي بمعناه وصححه وروي
ابو داود قال ثنا ابن كثير ثنا سفيان قال كتب رجل الي عمر ابن عبد العزيز يساله عن
القدر فكتب اما بعد اوصيك بتقوي الله والاقتصاد في امره واتباع سنة رسول الله صلي
الله عليه وسلم وترك ما احدث المحدثون بعد ما جرت به سنته وكفوا مونته
فعليك بلزوم الجماعه فانها لك باذن الله عصمه ثم اعلم انه لم يبتدع الناس
بدعة الا قد مضي قبلها ما هو دليل عليها او عبرة فيها لان السنة انما سنها من قد علم ما
في خلافها من الخطا والزلل والحمق والتعمق فارض لنفسك ما رضي به القوم لانفسهم
فانهم عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا ولهم علي كشف الامور كانوا اقوي وبفضل
ما كانوا فيه اولي فان كان الهدي ما انتم عليه لقد سبقتموهم اليه ولين قلتم انما
حدث بعضكم بعدهم ما احدثه الا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم فانهم
هم السابقون فقد تكلموا فيه بما يكفي ووصفوا ما يشفي فما دونهم من مقصر وما فوقهم
من محسر فقد قصر قوم دونهم فجفوا وطمح عنهم اقوام فغلوا وانهم بين ذلك لعلي
هدي مستقيم وذكر الحديث وقال سهل بن عبد الله التستري عليكم بالاقتدا
بالاثر والسنة فاني اخاف انه سياتي عن قليل زمان اذا ذكر انسان
النبي صلي الله عليه وسلم والاقتدا به في جميع احواله ذموه ونفروا

وقف

عنه وتبروا منه واذلوه واهانوه قال سهل انما ظهرت البدعه على يدي اهل
السنه لانهم ظاهروهم وقاولوهم فظهرت اقاويلهم وفشت في العامه فسمعه من
لم يكن سمعه ولو تركوهم ولم يكلموهم لمات كل واحد على ما في صدره ولم يظهر منه شي
وحمله معه الى قبره قال سهل لا يحدث احدكم بدعه حتى يحدثها له ابليس عباده
فيتعبد بها ثم يحدث له بدعه فاذا نطق بالبدعه ودعا الناس اليها نزع منه
تلك الخدمه قال سهل لا اعلم حديثا جا في المبتدعه اشد من هذا الحديث
حجب الله الجنه عن صاحب بدعه قال فاليهودي والنصراني ارجا منهم قال سهل من
اراد ان يلزم دينه فلا يدخل على السلطان ولا يخلون بالنسوان ولا يخاصم اهل
الاهوا وقال ايضا اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم وفي مسند الدارمي ان ابا
موسى الاشعري جاء الى عبد الله ابن مسعود رضي الله عنهما فقال يا ابا عبد
الرحمن اني وجدت في المسجد انفا شيا انكرته ولم ار والحمد لله الا خيرا قال فما هو
قال ان عشت فستراه قال رايت في المسجد قوما حلقا حلقا جلوسا ينتظرون
الصلوه في كل حلقه رجل وفي ايديهم حصا فيقول لهم كبروا مايه فيكبرون مايه
فيقول لهم هللوا مايه فيهللون مايه ويقول سبحوا مايه فيسبحون مايه قال فماذا
قلت لهم قال ما قلت لهم شيا انتظار رايك وانتظار امرك قال افلا امرتهم
ان يعدوا سياتهم وضمنت لهم ان لا يضيع من حسناتهم ثم مضى ومضينا معه حتى اتا
حلقه من تلك الحلق فوقف عليهم فقال ما هذا الذي تصنعون قالوا يا ابا عبد الرحمن حصا
نعد به التكبير والتهليل والتسبيح قال فعدوا سياتكم وانا ضامن ان لا يضيع من
حسناتكم شي ويحكم يا امة محمد ما اسرع هلكتكم او مفتحي باب ضلاله قالوا يا ابا عبد
الرحمن والله ما اردنا الا الخير فقال وكم من مريد للخير لن يصيبه وعن عمر بن عبد
العزيز وساله رجل عن شي من اهل الاهواء والبدع فقال عليك بدين

الاعراب والغلام في الكتاب واله عاسوي ذلك وقال الاوزاعي قال ابليس لاوليائه من اي شي ياتون بني ادم قالوا من كل شي قال فهل ياتوهم من قبل الاستغفار قالوا هيهات ذلك شي قرن بالتوحيد قال لابثن فيهم شيئا لا يستغفرون الله منه قال فبثت فيهم الاهوا وقال مجاهد ما ادري اي النعمتين علي اعظم ان هداني للاسلام او عافاني من هذه الاهواء وقال الشعبي انما سموا اصحاب الاهواء لانهم يهوون في النار كله عن الداربي وسيل سهل ابن عبد الله عن الصلوة خلف المعتزلة والنكاح منهم وترد بحهم فقال لا ولا كرامة هم كفار وكيف يومن من يقول القران مخلوق ولا جنة مخلوقة ولا نار مخلوقة ولا لله صراط ولا شفاعة ولا احد من المومنين يدخل النار ولا يخرج من النار من مذنبي امة محمد صلى الله عليه وسلم ولا عذاب القبر ولا منكر ولا نكير ولا رويه لربنا في الاخرة ولا الزيادة وان علم الله تعالى مخلوق ولا يرون السلطان والجمعة ويكفرون من يا من بهذا وقال الفضيل بن عياض من احب صاحب بدعة احبط الله عمله واخرج نور الاسلام من قلبه وقد تقدم هذا من كلامه وزيادة وقال سفيان الثوري البدعة احب الي ابليس من المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها وقال ابن عباس النظر الي الرجل من اهل السنة يدعوا الي السنة وينهى عن البدعة عبادة وقال ابو العالية عليكم بالامر الاول الذي كانوا عليه قبل ان يفترقوا قال عاصم الاحول حدثت به الحسن فقال قد نصحك والله وصدقك وقد مضى في ال عمران معنى قوله صلى الله عليه وسلم تفرقت بنوا اسرائيل على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلث وسبعين الحديث وقد قال بعض العلما العارفين هذه الفرقة التي زادت في فرق امة محمد صلى الله عليه وسلم هم قوم يبغضون العلما ويعادون الفقها ولم يكن لهم قط في

مطلب في الصلوة خلف المعتزلة

آه

الامم السالفه وقد روي رافع ابن خديج رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يكون في امتي قوم يكفرون بالله وبالقران وهم لا يشعرون قال
فقلت جعلت فداك يا رسول الله كيف ذلك قال يقرون ببعض ويكفرون ببعض
قال قلت جعلت فداك يا رسول الله وكيف يقولون قال يجعلون ابليس عدلا لله
في خلقه وقوته ورزقه ويقولون الخير من الله والشر من ابليس قال فيكفرون بالله
ثم يقرون على ذلك كتاب الله فيكفرون بالقران بعد الايمان والمعرفه قال
فما تلقى امتي منهم من العداوه والبغضا والجدال اولئك زنادقه هذه الامه وذكر
الحديث ومضى في النساء وهذه السوره التي عن مجالسه اهل البدع والاهواء
وان من جالسهم حكمه حكمهم فقال واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا الايه ثم
بين في سوره النسا وهي مدنيه عقوبه من فعل ذلك وخالف ما امر الله به فقال
وقد نزل عليكم في الكتاب الايه فالحق من جالسهم بهم وقد ذهب الى هذا
جماعه من ايمه هذه الامه وحكم بموجب هذه الايات في مجالس اهل البدع على المعاشره
والمخالطه منهم احمد بن حنبل والاوزاعي وابن المبارك فانهم قالوا في رجل شانه
مجالسه اهل البدع قال قالوا ينهى عن مجالستهم فان انتهى والا الحق بهم يعنون
به في الحكم وقد حكم عمر بن عبد العزيز الحد على مجالس شربه الخمر وتلا انكم
اذا مثلهم قيل لهم فانه يقول اني مجالسهم لا اناسهم واورد لهم قالوا ينهى عن
مجالستهم فان لم ينته الحق بهم **قوله تعالى** ثم اتينا موسى الكتاب مفعولا
تماما مفعول من اجله او مصدر على الذي احسن قري بالنصب والرفع فمن رفع وهي
وهي قراءه يحيى ابن يعمر وابن ابي اسحق فعلى تقدير تماما على الذي هو احسن قال المهدوي
وفيه بعد من اجل حذف المبتدا العايد على الذي وحكى سيبويه عن الخليل انه
سمع ما انا بالذي قايل لك شيا ومن نصب فعلى انه فعل ماض داخل في الصله

هذا قول البصريين واجاز الكسايي والفرا ان يكون اسما نعتا للذي واجاز
امررت بالذي اخيك ينعتان الذي بالمعرفه وما قاربها قال النحاس وهذا
محال عند البصريين لانه ينعت الاسم قبل ان يتم والمعني عندهم علي المحسنين
قال مجاهد تماما علي المحسن المومن وقال الحسن في معني قوله تماما علي الذي
احسن كان فيهم محسن وغير محسن فانزل الله الكتاب تماما علي المحسن
والدليل علي صحة هذا القول ان ابن مسعود قرا تماما علي الذين احسنوا وقيل
المعني اعطينا موسي التوراه زيادة علي ما كان يحسنه موسي مما كان علمه الله قبل
نزول التوراه عليه قال محمد ابن يزيد فالمعني تماما علي الذي احسن اي تماما
علي الذي احسنه الله جل وعز الي موسي عليه السلام من الرساله وغيرها وقال
عبد الله ابن زيد معناه علي احسان الله تعالي الي انبيايه عليهم السلام وقال الربيع
ابن انس تماما علي احسان موسي من طاعته لله عز وجل وقاله الفرا ثم قيل ثم تدل
علي ان الثاني بعد الاول وقصة موسي عليه السلام واتيانه الكتاب قبل هذا فقيل
ثم بمعني الواو اي واتينا موسي الكتاب قبل انزالنا القران علي محمد صلي الله عليه وسلم
وقيل المعني قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم اتل ما اتينا موسي تماما وتفصيلا
عطف عليه وكذلك وهدي ورحمة وهذا كتاب ابتدا وخبر انزلناه مبارك نعت اي
كثير الخيرات ويجوز في غير القران مباركا علي الحال فاتبعوه اي اعملوا بما فيه و
اي اتقوا تحريفه لعلكم ترحمون اي لتكونوا راجين للرحمة فلا تعذبون

قوله تعالي ان تقولوا في موضع نصب قال الكوفيون لسيلا
تقولوا وقال البصريون انزلناه كراهية ان تقولوا وقال الفرا والكسايي
المعني فاتقوا ان تقولوا يا اهل مكه انما انزل الكتاب اي التوراه والانجيل
علي طايفتين من قبلنا اي علي اليهود والنصاري ولم ينزل علينا كتاب وان

كما عن دراستهم لغافلين اي عن تلاوة كتبهم وعن لغاتهم ولم يغفل عن دراستهما لان
كل طايفه جماعه او تقولوا عطف علي ان تقولوا فقد جاءكم بينه اي قد زال العذر
بمجي محمد صلي الله عليه وسلم والبينة والبيان واحد والمراد محمد صلي الله عليه
وسلم سماه سبحنه بينه وهدي ورحمه اي لمن اتبعه ثم قال فمن اظلم اي فان
كذبتم فلا احد اظلم منكم وصدف اعرض ويصدفون يعرضون وقد
تقدم قوله تعالي هل ينظرون معناه اقمت عليهم الحجه
وانزلت عليهم الكتاب فلم يومنوا فما ذا ينظرون هل ينظرون الا ان تاتيهم
الملايكه اي عند الموت لقبض ارواحهم او ياتي ربك قال ابن عباس والضحاك
امر ربك بالفصل بينهم او غيره وقد يحذف المضاف اليه والمراد به المضاف كقوله
تعالي واسال القريه يعني اهل القريه وقوله واشربوا في قلوبهم العجل اي
حب العجل كذلك هنا ياتي ربك يعني عقوبه ربك وعذاب ربك ويقال
هذا من المتشابه الذي لا يعلم تاويله الا الله وقد تقدم القول في مثله في البقره وغيرها
او ياتي بعض ايات ربك قبل طلوع الشمس من مغربها بين بهذا انهم يمهلون
في الدنيا فاذا ظهرت الساعه فلا امهال وقيل ياتيان الله بمجيه لفصل القضا
بين خلقه في موقف القيمه كما قال تعالي وجاء ربك والملك صفا صفا وليس
مجيه تعالي حركة ولا انتقالا ولا زوالا لان ذلك انما يكون اذا كان الجاي جسما
او جوهرا والذي عليه جمهور ايمه اهل السنه انهم يقولون يجي وينزل وياتي
ولا يكيفون لانه ليس كمثله شي وهو السميع البصير وفي صحيح مسلم عن ابي
هريره رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ثلاث اذا خرجن
لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا طلوع الشمس
من مغربها والدجال ودابه الارض وعن صفوان ابن عسال المرادي

رضي الله عنه

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة
مسيرة سنة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها اخرجه الدارقطني والترمذي
وقال هذا حديث حسن صحيح وقال سفيان قبل الشام خلقه الله يوم
خلق السموات والارض مفتوحا يعني للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس
منه قال حديث حسن صحيح **قلت** وكذب بهذا كله الخوارج والمعتزلة
كما تقدم وروى ابن عباس قال سمعت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
قد رجم وانا مدرجنا بعدها وسيكون قوم من هذه الامة يكذبون بالرجم
ويكذبون بالدجال ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها ويكذبون بعذاب القبر
ويكذبون بالشفاعة ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا ذكره ابو
عمرو وذكر الثعلبي في حديث فيه طول عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم ما معناه ان الشمس تحبس عن الناس حين تكثر المعاصي في الارض
ويذهب المعروف فلا يامر به احد ويفشوا المنكر فلا ينهى عنه مقدار ليلة تحت
العرش كلما سجدت واستاذنت ربها تعالى من اين تطلع لم يحر اليها جواب حتى
يوافيها القمر فيسجد معها ويستاذن من اين يطلع فلا يجاب اليهما بجواب
حتى يحبسا مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا
يعرف طول تلك الليلة الا المتهجدون في الارض وهم
يومئذ عصابة قليلة في كل بلدة من بلاد المسلمين فاذا تم
لها مقدار ثلاث ليال ارسل الله تعالى اليهما جبريل عليه السلام
فيقول ان الرب سبحانه يامركما ان ترجعا الى مغاربكما فتطلعا
منه وانه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيطلعان من مغاربهما اسودان لا
ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما في كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله وجمع

الشمس والقمر وقوله اذا الشمس كورت فيرتفعان كذلك مثل البعيرين القرينين
فاذا ما بلغ الشمس والقمر سرة السماء وهي منصفها جاءهما جبريل عليه السلام فاخذ
بقرونهما وردهما الى المغرب فلا يغربهما من مغاربهما ولكن يغربهما من باب التوبة
ثم يرد المصراعين ثم يلتئم ما بينهما فيصير كانه لم يكن بينهما صدع فاذا اغلق باب
التوبة لم تقبل لعبد بعد ذلك توبة ولم تنفعه حسنة يعملها الا من كان قبل ذلك
محسنا فانه يجري عليه ما كان قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى يوم ياتي
بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها
خيرا ثم ان الشمس والقمر يكسيان بعد ذلك الضوء والنور ثم يطلعان على الناس ويغربان
كما كانا قبل ذلك يطلعان ويغربان قال العلماء وانما لا ينفع نفسا ايمانها عند
طلوعها من مغربها لانه خلص الى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من
شهوات النفس وتفتر كل قوة من قوى النفس البدن فيصير الناس كلهم
لايقانهم بدنو القيامة في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي الى انواع المعاصي عنهم
وبطلانها من ابدانهم فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره
الموت قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اي
يبلغ روحه راس حلقه وذلك وقت المعاينة الذي يرى فيه مقعده من الجنة
او مقعده من النار فالمشاهد لطلوع الشمس من مغربها مثله وعلى هذا ينبغي
ان تكون توبة كل من شاهد ذلك او كان كالمشاهد له مردودة ما عاش لان
علمه بالله تعالى وبنبيه صلى الله عليه وسلم وبوعده قد صار ضرورة فان امتدت
ايام الدنيا الى ان ينسى الناس من هذا الامر العظيم ما كان ولا يتحدثوا عنه
الا قليلا فيصير الخبر عنه خاصا وينقطع التواتر عنه فمن اسلم في
ذلك الوقت او تاب قبل منه والله اعلم وفي صحيح مسلم عن عبد الله

قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم انسه بعد سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها
وخروج الدابه على الناس ضحى وايهما ما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على
اثرها قريبا وفيه عن حذيفه رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غرفه ونحن اسفل منه فاطلع علينا فقال ما تذكرون قلنا الساعه قال ان
الساعه لا تكون حتى تكون عشر ايات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف
في جزيره العرب والدخان والدجال ودابه الارض وياجوج وماجوج وطلوع الشمس
من مغربها ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس قال شعبه وحدثني عبد العزيز
ابن رفيع عن ابي الطفيل عن ابي سريحه مثل ذلك لا يذكر النبي صلى الله عليه وسلم
وقال احدهما في العاشره نزول عيسى ابن مريم وقال اخر وريح تلقي الناس في
البحر **قلت** وهذا حديث متفق على ترتيب العلامات وقد وقع بعضها
وهي الخسوفات على ما ذكر ابو الفرج الجوزي من وقوعها بعراق العجم والمغرب
هلك بسببها خلق كثير ذكره في كتاب فهوم الاثار وغيره وياتي ذكر الدابه في النمل
وياجوج وماجوج في الكهف ويقال ان الايات تتابع كالنظم في الخيط عاما فعاما
وقيل ان الحكمه في طلوع الشمس من مغربها ان ابرهيم عليه السلام قال لنمرود فان
الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وان الملحده
والمنجمه عن اخرهم ينكرون ذلك ويقولون هو غير كاين فيطلعها الله تعالى
يوما من المغرب ليري المنكرين قدرته ان الشمس في ملكه ان شا اطلعها من المشرق
وان شا اطلعها من المغرب وعلى هذا يحتمل ان يكون رد التوبه والايمان على من امن
ومات من المنكرين كذلك المكذبين لخبر النبي صلى الله عليه وسلم بطلوعها فاما
المصدقين لذلك فانه يقبل توبته وينفعه ايمانه قبل ذلك وروي عن عبد الله ابن عباس

انه قال لا يقبل من كافر عمل ولا توبه اذا اسلم حين يراها الا من كان صغيرا يومئذ
فانه لو اسلم بعد ذلك قبل ذلك منه وروي عن ع‍ح ومن كان مومنا مذنبا وتاب من الذنب
قبل منه وروي عن عمران ابن حصين رضي الله عنه انه قال انما لم تقبل وقت الطلوع
حتي تكون صيحة فيهلك فيها كثير من الناس فمن اسلم في ذلك الوقت او تاب
وهلك لم تقبل توبته ومن تاب بعد ذلك قبلت منه ذكره ابو الليث السمرقندي
في تفسيره وقال عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما يبقي الناس بعد طلوع
الشمس من مغربها مايه وعشرين سنه حتي يغرسوا النخل والله بعينه اعلم
قرا ابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم يوم ياتي بالتا مثل يلتقطه بعض السياره
وذهبت بعض اصابعه ن وقال جرير ن لما اتي خبر الزبير تواضعت سور المدينه
والجبال الخشع ن قال المبرد التانيث علي المجاوره لمونث لا علي الاصل وقرا
ابن سيرين قال النحاس في هذا شي دقيق من النحو ذكره سيبويه وذلك ان الايمان
والنفس بعضا كل واحد منهما مشتمل علي الاخر فانث الايمان اذ هو من النفس
بها واستشهد سيبويه ن مشين كما اهتزت رياح تسفهت اعاليها مر الرياح
النواسم ن قال المهدوي وكثيرا ما يونثون فعل المضاف المذكر اذا كانت
اضافته الي مونث وكان المضاف بعض المضاف اليه او منه او به او عليه
قول ذي الرمه مشين البيت
فانث المر لاضافته الي الرياح وهي المونثه مونثه اذ كان المر من الرياح
قال النحاس وفيه قول اخر هو ان يونث الايمان لانه مصدر كما يذكر
المصدر المونث مثل فمن جاءه موعظه من ربه وكما قال
فقد عذرتنا في صحابته العذر ن ففي احد الاقوال انث العذر لانه
بمعني المعذره قل انتظروا انا منتظرون بكم العذاب قوله تعالي

ان الدين فرقوا دينهم قرا حمزه والكساي بالالف وهي قراه علي ابن ابي طالب كرم
الله وجهه من المفارقه والفارق علي معني انهم تركوا دينهم وخرجوا عنه وكان علي
يقول والله ما فرقوه ولكن فارقوه وقرا الباقون بالتشديد الا النخعي فانه قرا
فرقوا مخففا اي امنوا ببعض وكفروا ببعض والمراد اليهود والنصارى في قول
مجاهد وقتاده والسدي والضحاك وقد وصفوا بالتفرق قال الله تعالي وما
تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاتهم البينه وقال ويريدون ان
يفرقوا بين الله ورسله وقيل عني المشركين عبد بعضهم الصنم وبعضهم الملايكه
وقيل الايه عامه في جميع الكفار وكل من ابتدع وجا بما لم يامر الله جل وعز به فقد
فرق دينه وروى ابو هريره عن النبي صلي الله عليه وسلم في هذه الايه ان الذين فرقوا
دينهم هم اهل البدع والشبهات واهل الضلاله من هذه الامه وروى بقيه
ابن الوليد نا شعبه ابن الحجاج نا مجالد عن الشعبي عن شريح عن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لعايشه رضي الله
عنها ان الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا انما هم اصحاب البدع واصحاب الاهواء
واصحاب الضلاله من هذه الامه يا عايشه ان لكل صاحب ذنب توبة غير اصحاب
البدع واصحاب الاهواء ليس لهم توبه وانا بري منهم وهم منا برا وروى ليث ابن
ابي سليم عن طاوس عن ابي هريره ان النبي صلي الله عليه وسلم قرا ان الذين
فارقوا دينهم ومعني شيعا فرقا واحزابا وكل قوم امرهم واحد يتبع بعضهم راي
بعض فهم شيع لست منهم في شي فاوجب براته منهم وهو كقوله صلي الله عليه
وسلم من غشنا فليس منا اي نحن برآ منه وقال الشاعره

اذا حاولت في اسد فجورا فاني لست منك ولست مني

اي انا بري منك وموضع في شي نصب علي الحال من المضمر الذي في

الخبر قاله ابو علي الفزاري هو علي حذف مضاف المعنى لست من عقابهم في شي وانما عليك الانذار انما امرهم الي الله تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى**
من جا بالحسنه ابتداء وهو شرط والجواب فله عشر امثالها اي فله عشر حسنات امثالها فحذف الحسنات واقيمت الامثال التي هي صفتها مقامها جمع مثل
وحكى سيبويه عندي عشره نسابات اي عندي عشره رجال نسابات
وقال ابو علي حسن التانيث في عشر امثالها لما كان الامثال مضافا
الي مونث والاضافه الي المونث اذا كان اياه في المعني يحسن فيه ذلك نحو تلتقطه
بعض السياره وذهبت بعض اصابعه وقرا الحسن وسعيد ابن جبير والاعمش
فله عشر امثالها وبعدها فله عشر حسنات امثالها اي له من الجزا عشره اضعاف
ما يجب له ويجوز ان يكون له مثل ويضاعف المثل فيصير عشره والحسنه هنا
الايمان اي من جا بشهاده ان لا اله الا الله فله بكل عمل عمله في الدنيا من
الخير عشره امثاله من الثواب ومن جا بالسيه يعني الشرك فلا يجزي الا مثلها وهو
الخلود في النار لان الشرك اعظم الذنوب والنار اعظم العقوبه فذلك قوله تعالى
جزا وفاقا يعني جزا وافق العمل واما الحسنه فبخلاف ذلك لنص الله تعالى على ذلك
وفي الخبر الحسنه بعشر امثالها وازيد والسيه واحده واعفو فالويل
لمن غلبت احاده اعشاره وروي الاعمش عن ابي صالح قال الحسنه لا
اله الا الله والسيه الشرك وهم لا يظلمون اي لا ينقص ثواب اعمالهم وقد مضى في
البقره بيان هذه الايه وانها مخالفه للانفاق في سبيل الله ولهذا قال بعض العلما
العشر لسائر الحسنات والسبع مايه للنفقه في سبيل الله والخاص والعام فيه سوا
وقال بعضهم تكون للعوام عشره وللخواص سبعمايه واكثر الي ما لا يحصى وهذا يحتاج
الي توقيف والاول اصح لحديث خريم ابن فاتك عن النبي صلى الله عليه وسلم

وفيه واما حسنه بعشر فمن عمل حسنه فله عشر امثالها واما حسنه بسبع مايه
فالنفقه في سبيل الله **قوله تعالى** قل انني هداني ربي الي صراط مستقيم الي
قوله اول المسلمين فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى قل انني هداني ربي الي صراط مستقيم
لما بين ان الكفار تفرقوا بين ان الله هداه الي الدين المستقيم وهو دين ابرهيم دينا نصب
علي الحال عن قطرب وقيل هداني عن الاخفش غيره انتصب حملا علي المعني لان
معني هداني عرفني دينا ويجوز ان يكون بدلا عن الصراط اي هداني صراطا
مستقيما دينا وقيل منصوب باضمار فعل كانه قال اتبعوا دينا او اعرفوا دينا قيما
قراه الكوفيون وابن عامر بكسر القاف والتخفيف وفتح اليا مصدر كالشبع موصف
به والباقون بفتح القاف وكسر اليا وشدها وهما لغتان واصل اليا الواو قووم ثم
ادغمت اليا في الواو كميت ومعناه دينا مستقيما لا عوج فيه مله ابرهيم بدل حنيفا
قال الزجاج هو حال من ابرهيم وقال علي ابن سليمن هو نصب باضمار اعني **الثانيه**
قل ان صلاتي ونسكي قد تقدم اشتقاق لفظ الصلاه وقيل المراد بها هنا صلاه
الليل وقيل صلاه العيد والنسك جمع نسيكه وهي الذبيحه وكذلك قال
مجاهد والضحاك وسعيد ابن جبير وغيرهم المعني ذبحي في الحج والعمره الحسن نسكي
ديني الزجاج عبادتي ومنه الناسك الذي يتقرب الي الله بالعباده وقال قوم النسك
في هذه الايه جميع اعمال الطاعات من قولك نسك فلان فهو ناسك اذا تعبد
ومحياي اي ما اعمله في حياتي ومماتي اي ما اوصي به بعد وفاتي لله رب العالمين
اي افرده بالتقرب بها اليه وقيل محياي ومماتي لله اي حياتي وموتي له وقرا الحسن
نسكي باسكان السين واهل المدينه ومحياي بسكون اليا في الادراج والعامه بفتحها
لا يجتمع ساكنان قال النحاس لم يجزه احد من النحويين الا يونس وانما اجازه لان قبله
الف والالف المده التي فيها تقوم مقام الحركه واجاز يونس اضربان زيدا

وانما منع النحويون هذا لانه جمع بين ساكنين وليس في الثاني ادغام ومن قراه
اهل الكوفه المدينه واراد ان يسلم من اللحن وقف على محياي فيكون غير لاحن
عند النحويين وقرا ابن ابي اسحق وعيسى ابن عمر وعاصم الجحدري ومحياي بتشديد
اليا الثانيه من غير الف ولي لغه عليا مضر يقولون قفي وعصي وانشد
اهل اللغه ن سبقوا هوي واعنقوا لهواتهم ن وقد تقدم **الثالث** قال
الطبري قوله تعالى قل انني هداني ربي الي صراط مستقيم الي قوله
قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين استدل به الشافعي علي
افتتاح الصلاه بهذا الذكر فان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم وانزله في كتابه
ثم ذكر حديث علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا افتتح الصلاه
قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين
ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين الي قوله وانا المسلمين ن
قلت روى مسلم في صحيحه عن علي بن ابي طالب رضي الله عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قام الي الصلاه قال وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب
العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا من المسلمين اللهم انت الملك لا اله الا
انت انت ربي وانا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا
انه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف
عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر
ليس اليك تباركت وتعاليت استغفرك واتوب اليك الحديث واخرجه الدارقطني وقال
في اخره بلغنا عن النضر ابن شميل وكان من العلما باللغه وغير ذلك قال معنى قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم والشر ليس اليك الشر ليس مما يتقرب به اليك

قال ملك ليس التوجيه في الصلاه بواجب على الناس والواجب عليهم التكبير
ثم القراه قال ابن القاسم لم ير ملك هذا الذي يقوله الناس قبل القراه سبحانك
اللهم وبحمدك وفي مختصر ما ليس في المختصر ان ملكا كان يقوله في خاصه نفسه
لصحه الحديث به وكان لا يراه للناس مخافه ان يعتقدوا وجوبه قال ابو الفرج الجوزي
وقد كنت اصلي وراء شيخنا ابي بكر الدينوري الفقيه في زمان الصبا فرآني مره
افعل هذا فقال يا بني ان الفقها قد اختلفوا في وجوب قراه الفاتحه خلف
الامام ولم يختلفوا ان الاستفتاح سنه فاشتغل بالواجب ودع السنن والحجه
لملك قوله صلى الله عليه وسلم للاعرابي الذي علمه الصلاه اذا قمت الى الصلاه فكبر
ثم اقرا ولم يقل له سبح كما يقول ابو حنيفه ولا قل وجهت وجهي كما يقول الشافعي وقال
لابي كيف تقرا اذا افتتحت الصلاه قال قلت الله اكبر الحمد لله رب العالمين فلم يذكر
توجها ولا تسبيحا فان قيل فان عليا رضي الله عنه قد اخبر ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يقوله قلنا يحتمل ان يكون قاله قبل التكبير ثم كبر وذلك حسن عندنا
فان قيل فقد روى النسائي والدارقطني ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا افتتح
الصلاه كبر ثم يقول ان صلاتي الحديث قلنا هذا نحمله على النافله في صلاه الليل
كما جاء في كتاب النسائي عن ابي سعيد رضي الله عنه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا استفتح الصلاه بالليل قال اللهم سبحانك وبحمدك
تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك او في النافله مطلقا فان النافله اخف
من الفرض لانه يجوز ان يصليها قايما او قاعدا او راكبا والى القبله وغيرها في السفر فامرها
ايسر وقد روى النسائي عن محمد ابن مسلمه رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا قام يصلي تطوعا قال الله اكبر وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي

ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين اللهم انت
الملك لا اله الا انت سبحانك وبحمدك ثم يقرا وهذا نقص في التطوع لا في الواجب
وان صح ان ذلك كان في الفريضة بعد التكبير فيحمل على الجواز والاستحباب واما
المسنون فالقراءة بعد التكبير والله بحقايق الامور عليم ثم اداماله فلا يقل
وانا اول المسلمين وهي الرابعة اذ ليس احدهم باولهم الا محمد صلى الله عليه وسلم فان
قيل اوليس ابرهيم والنبيون قبله قلنا عنه ثلاثة اوجه الاول انه اول
الخلق اجمع معنى كما في حديث ابي هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون
الاولون يوم القيمة ونحن اول من يدخل الجنة ومن حديث حذيفة رضي الله عنه نحن
الاخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيمة المقضى لهم قبل الخلايق الثاني انه اولهم
لكونه متقدما في الخلق عليهم قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك و
من نوح قال قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبيا في الخلق
واخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره الثالث اول
المسلمين من اهل ملته قاله ابن العربي وهو قول قتادة وغيره وقد اختلفت الروايات
في اول مع بعضها بثبوتها وفي بعضها الا على ما ذكرنا وروى عمران ابن حصين قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة قومي فاشهدي اضحيتك فانه يغفر لك في
اول قطرة من دمها كل ذنب عملتيه ثم قولي ان صلاتي ونسكي ومحياي
ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين قال عمران يا رسول
الله هذا لك ولاهل بيتك خاصة ام للمسلمين عامة قال بل للمسلمين عامة قوله
تعالى قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شي اي مالكه روي ان الكفار قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع يا محمد الى ديننا واعبد الهتنا واترك ما انت عليه
ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك واخرتك فنزلت الاية وفي

استفهام بمعنى التقرير والتوبيخ وغيره نصب باغي وربا تمييز **قوله**
تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى ولا تكسب
كل نفس الا عليها اي لا ينفعني في ابتغاء رب غير الله كونكم على ذلك اذ لا تكسب كل
نفس الا عليها اي لا تؤخذ بما اتيت من المعصية وركبت من المعصية سواها **الثانية**
وقد استدل بعض العلماء من المخالفين بهذه الاية على ان بيع الفضولي لا يصح
وهو قول الشافعي وقال علماؤنا المراد من الاية تحمل الثواب والعقاب دون
احكام الدنيا بدليل قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى على ما ياتي وبيع الفضولي
عندنا موقوف على اجازة المالك فان اجازه جاز هذا عروة البارقي قد باع للنبي
صلى الله عليه وسلم واشترى وتصرف بغير امره فاجازه النبي صلى الله عليه وسلم
وبه قال ابو حنيفة وروى البخاري والدارقطني عن عروة ابن ابي الجعد رضي الله عنه
قال عرض للنبي صلى الله عليه وسلم جلب فاعطاني دينارا وقال اي عروة
ائت الجلب فاشتر لنا شاة بهذا الدينار فاتيت الجلب فساومت فاشتريت شاتين
بدينار فجئت اسوقهما او قال اقودهما فلقيني رجل في الطريق فساومني فبعته
احدى الشاتين بدينار وجئت بالشاة الاخرى وبدينار فقلت يا رسول الله هذه
الشاة وهذا ديناركم قال كيف صنعت فحدثته الحديث قال اللهم بارك له في صفقة
يمينه فلقد رايتني في كناسة الكوفة فاربح اربعين الفا قبل ان اصل الى
اهلي لفظ الدارقطني قال ابو عمر وهو حديث جيد وفيه صحة ثبوت النبي صلى الله
عليه وسلم للشاتين ولولا ذلك ما اخذ منه الدينار ولا امضى له البيع وفيه دليل على
جواز الوكالة ولا خلاف فيها بين العلماء فاذا قال الموكل لوكيله اشتر كذا فاشترى
زيادة على ما وكل به فهل يلزم ذلك الامر ام لا كرجل قال لرجل اشتر بهذا الدرهم
رطل لحم صفته كذا فاشترى له اربعة ارطال من تلك الصفة بذلك

الدرلهم فالدي عليه ملك واصحابه ان الجميع يلزمه ادا وانى الصفه ومن جنسها
لانه محسن وهو قول ابي يوسف ومحمد ابن الحسن وقال ابو حنيفه الزياده للزمخشري
وهذا الحديث حجه عليه **قوله تعالى** ولا تزر وازرة وزر اخرى اي
لا تحمل حامله ثقل اخرى اي لا تواخذ نفس بذنب غيرها بل كل نفس ماخوذه
بجرمها ومعاقبه باثمها واصل الوزر الثقل ومنه قوله تعالى ووضعنا عنك
وزرك وهو هنا الذنب كما قال وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقد تقدم قال الاخفش
يقال وزر يوزر ووزر يوزر ووزر يوزر وزرا ويجوز ازرا كما يقال اساد والايه
نزلت في الوليد ابن المغيره كان يقول اتبعوا سبيلي احمل اوزاركم ذكره ابن عباس
وقيل انها نزلت ردا على العرب في الجاهليه من مواخذه الرجل بابنه وابيه وبجريره
حليفه **قلت** ويحتمل ان يكون المراد بهذه الايه في الاخره وكذلك
التي قبلها فاما في الدنيا فقد يواخذ فيها بعضهم بجرم بعض لا سيما
اذا لم ينه الطايعون العاصين كما تقدم في حديث ابي بكر رضي الله عنه
في قوله عليكم انفسكم وقال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصه
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقالت زينب بنت جحش
يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث قال العلما معناه
اولاد الزنا والخبث بفتح البا اسم للزنا واوجب الله تعالى على لسان رسوله
صلى الله عليه وسلم ديه الخطا على العاقله حتى لا يطل دم المرء المسلم تعظيما للدماء واجمع
اهل العلم على ذلك من غير خلاف بينهم في ذلك فدل على ما قلناه وقد يحتمل ان يكون هذا
في الدنيا في انه لا يواخذ زيد بفعل عمرو وان كان مباشرا لجريمه
فعليه مغبتها وروى ابو داود عن ابي رمثه قال انطلقت مع ابي
نحو النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال

لابي ابنك هذا فقلت اي ورب الكعبه حقا اشهد به قال فتبسم النبي صلي الله
عليه وسلم ضاحكا من ثبت شبهي في ابي ومن حلف ابي علي ثم قال اما انه لايجني
عليك ولاتجني عليه وقرا رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا تزر وازره وزر اخري
ولايعارض ماقلناه اولا بقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فان هذا
مبين في الايه الاخري قوله ليحملوا اوزارهم كامله يوم القيمه ومن اوزار الذين
يضلونهم بغير علم فمن كان اماما في الضلاله ودعا اليها واتبع عليها فانه يحمل
وزر من اضله من غير ان ينقص من وزر المضل شي علي ماياتي بيانه ان شا الله

قوله تعالي وهو الذي جعلكم خلايف الارض خلايف جمع خليفه اي
جعلكم خلفا الامم الماضيه والقرون السالفه قال الشماخ تصيبهم وتخطيني
المنايا واخلف في ربوع عن ربوع ورفع بعضكم فوق بعض في الخلق والرزق
والقوه والبسط والفضل والعلم درجات نصب باسقاط الخافض اي الي درجات
ليبلوكم نصب بلام كي والابتلا الاختبار اي ليظهر منكم ما يكون
عاقبته الثواب والعقاب ولم يزل بعلمه غنيا فابتلي الموسر بالغنا وطلب
منه الشكر وابتلي المعسر بالفقر وطلب منه الصبر ويقال ليبلوكم اي
بعضكم ببعض كما قال وجعلنا بعضكم لبعض فتنة علي ماياتي بيانه ثم خوفهم
فقال ان ربك سريع العقاب لمن عصاه وانه لغفور
رحيم لمن اطاعه وقال سريع العقاب مع وصفه سبحانه بالامهال
ومع ان عقاب النار في الاخره لان كل ات قريب فهو سريع علي هذا
كما قال عز وجل وما امر الساعه الا كلمح البصر او هو اقرب وقال
يرونه بعيدا ونراه قريبا ويكون ايضا سريع العقاب لمن استحقه في
دار الدنيا فيكون تحذيرا لمواقع الخطيه علي هذه الجهه والله اعلم

سورة الاعراف مكية الا ثمان

ايات وهي قوله تعالى وسلهم عن القرية الى قوله واذ نتقنا الجبل روى النسائي
عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا في المغرب بسورة الاعراف فرقها
في ركعتين صححه ابو عبد الحق **قوله تعالى** المص تقدم في اول البقرة
وموضعه رفع بالابتداء وكتاب خبره كانه قال المص حروف كتاب انزل اليك
وقال الكسائي اي هذا الكتاب فلا يكن في صدرك حرج منه فيه مسلتان
الاولى قوله تعالى حرج اي ضيق اي لا يضيق صدرك بالابلاغ لانه روي عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال اني اخاف ان يثلغوا راسي فيدعوه خبزه الحديث خرجه مسلم قال
الكيا فظاهره النهي ومعناه رفع الحرج عنه اي لا يضيق صدرك ان لا يومنوا به
فانما عليك البلاغ وليس عليك سوى الانذار به من شي من ايمانهم او كفرهم ومثله
قوله تعالى فلعلك باخع نفسك الاية وقال لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مومنين
ومذهب مجاهد وقتاده ان الحرج هنا الشك وليس هذا شك الكفر انما هو شك
الضيق وكذلك قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون وقيل الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد امته وفيه بعد والهاء في منه للقران وقيل للانذار اي
انزل اليك الكتاب لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج منه فالكلام فيه تقديم
وتاخير وقيل للتكذيب الذي يعطيه قوة الكلام اي فلا يكن في نفسك ضيق من
تكذيب المكذبين له **الثانية** وذكرى يجوز ان يكون في موضع
نصب ورفع وخفض فالرفع على وجهين قال البصريون هي رفع على اضمار مبتدا
الكسائي عطف على كتاب والنصب من وجهين على المصدر اي وذكر
به ذكرى قاله البصريون الكسائي عطف على الهاء في انزلناه والخفض
حملا على موضع لتنذر به والانذار للكافرين والذكرى للمومنين لانهم

المتبعون **قوله تعالي** اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم فيه مسلتان
الاولي قوله تعالي اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعني الكتاب والسنة قال تعالي
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقالت فرقة هذا امر للنبي صلي
الله عليه وسلم وامته والظاهر انه امر لجميع الناس دونه اي اتبعوا ملة
الاسلام والقران واحلوا حلاله وحرموا حرامه وامتثلوا امره واجتنبوا
نهيه ودلت الايه علي ترك اتباع الاراء مع وجود النص **الثانيه**
قوله تعالي ولا تتبعوا من دونه اوليا من دونه من غيره والها تعود علي الرب سبحانه
والمعني لا تعبدوا معه غيره ولا تتخذوا من عدل عن دين الله وليا من دونه ومن
غيره وكل من رضي مذهبا فاهل ذلك المذهب اوليا وروي عن ملك ابن دينار
انه قرا ولا تبتغوا من دونه اوليا اي ولا تطلبوا ولم ينصرف اوليا لان فيه الف التانيث
وقيل تعود علي ما من قوله تعالي اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم قليلا ما تذكرون
ما زايده وقيل يكون مع الفعل مصدرا **قوله تعالي** وكم من قريه
اهلكناها كم للتكثير كما ان رب للتقليل وهي في موضع رفع بالابتدا واهلكنا
الخبر اي وكثير من القري وهي مواضع اجتماع الناس اهلكناها ويجوز النصب باضمار
فعل بعدها ولا يقدر قبلها لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ويقوي الاول
قوله وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح ولولا اشتغال اهلكنا بالضمير لانتصب
به موضع كم ويجوز ان يكون اهلكنا صفه للقريه وكم في المعني هي القريه فاذا
وصفت القريه فكانك قد وصفت كم يدل علي ذلك قوله تعالي وكم من ملك في
السموات لا تغني شفاعتهم شيئا فعاد الضمير علي كم علي المعني اذ كانت الملايكه
في المعني فلا يصح علي هذا التقدير ان يكون كم في موضع نصب باضمار فعل بعدها
فجاها باسنا فيه اشكال بالعطف بالفا فقال الفرا الفا بمعني الواو فلا يلزم

الترتيب وقيل اي وكم من قرية اردنا اهلاكها فجاها باسنا كقوله فاذا
قرات القران فاستعذ بالله وقيل ان الهلاك واقع ببعض القوم فيكون التقدير
وكم من قرية اهلكنا بعضها فجاها باسنا فاهلكنا الجميع وقيل المعنى وكم
من قرية اهلكناها في حكمنا فجاها باسنا وقيل اهلكناها بارسالنا ملايكة
العذاب اليها فجاها باسنا وهو الاستيصال والباس العذاب الاتي
على النفس وقيل المعنى اهلكناها فكان اهلاكها اياهم في وقت كذا
فجا الباس على هذا هو الاهلاك وقيل الباس غير الاهلاك كما ذكرنا وحكى
الفرا انه ايضا اذا كان معنى الفعلين واحدا او كالواحد قدمت ايهما شيت
فيكون المعنى وكم من قرية جاها باسنا فاهلكناها مثل دنا فقرب وقرب فدنا
وشتمني فاسا واسا فشتمني لان الاسا والشتم شي واحد وكذلك قوله اقتربت الساعه
وانشق القمر المعنى والله اعلم انشق القمر واقتربت الساعه والمعنى واحد
بياتا اي ليلا ومنه البيت لانه يبات فيه يقال بات يبيت بيتا وبياتا او هم
قايلون اي وهم قايلون فاستثقلوا فحذفوا الواو قاله الفرا وقال الزجاج هذا خطا اذا
عاد الذكر استغنى عن الواو يقول جاني زيد راكبا وهو ماش ولا يحتاج الى
الواو المهدوي ولم يقل بياتا او وهم قايلون لان في الجمله ضميرا يرجع الى الاول
فاستغنى عن الواو وهو معنى قول الزجاج سواء وليس او للشك
بل للتفصيل كقولك لا كرمنك منصفا او ظالما وهذه الواو تسمى
عند النحويين واو الوقت وقايلون من القايله وهي القيلوله وهي
نوم نصف النهار وقيل الاستراحه نصف النهار اذا اشتد الحر وان
لم يكن معها نوم والمعنى جاهم عذابنا وهم غافلون اما ليلا واما
نهارا والدعوى الدعا ومنه قوله واخر دعواهم وحكى النحويون

اللهم اشركنا في صالح دعوي من دعا وقد تكون الدعوي بمعني الادعاء
والمعني انهم لم يخلصوا عند الاهلاك الا علي الاقرار بانهم كانوا ظالمين ودعواهم
في موضع نصب خبر كان واسمها الا ان قالوا ويجوز ان يكون الدعوي
رفعًا وان يكون نصبًا كقوله ليس البر ان تولوا برفع البر وقوله
ثم كان عاقبة الذين اساوا السواي برفع عاقبة **قوله تعالي**
فلنسالن الذين ارسل عليهم دليل علي ان الكفار يحاسبون وفي
التنزيل ثم ان علينا حسابهم وفي القصص ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون
يعني اذا استقروا في العذاب فالاخرة مواطن موطن يسالون فيه للحساب
وموطن لا يسالون وسوالهم سوال التقرير وتوبيخ وافضاح وسوال
الرسل سوال استشهاد بهم وافصاح اي عن جواب القوم
لهم وهو معني قوله ليسال الصادقين عن صدقهم علي ما ياتي وقيل
المعني فلنسالن الذين ارسل اليهم اي الانبيا ولنسالن المرسلين اي الملايكه
الذين ارسلوا اليهم واللام في لنسالن لام القسم وحقيقتها التوكيد وكذا فلنقص
عليهم بعلم ابن عباس ينطق عليهم وما كنا غايبين اي كنا شاهدين لاعمالهم
ودلت الايه علي ان الله تعالي عالم بعلم **قوله تعالي** والوزن يوميذ
الحق ابتدا وخبر ويجوز ان يكون الحق نعته والخبر يوميذ ويجوز نصب الحق علي
المصدر والمراد بالوزن وزن اعمال العباد بالميزان قال ابن عمر توزن صحايف اعمال
العباد وهذا هو الصحيح وهو الذي ورد به الخبر علي ما ياتي وقيل الميزان الكتاب الذي فيه
اعمال الخلق مجاهد الميزان الحسنات والسيات باعيانها وعنه ايضا والضحاك والاعمش الوزن
والميزان بمعني العدل والقضا وذكر الوزن ضرب مثل كما تقول هذا الكلام في وزن هذا وفي وزانه
اي يعادله ويساويه وان لم يكن هناك وزن قال الزجاج هذا سايغ من جهة

اللسان والاولي ان يتبع ما جاء في الاسانيد الصحاح من ذكر الميزان قال القشيري
وقد احسن فيما قال اذ لو حمل الميزان علي هذا فليحمل الصراط علي الدين الحق والجنة
والنار علي ما يرد علي الارواح دون الاجساد والشياطين والجن علي الاخلاق المذمومه
والملايكه علي القوي المحموده وقد اجمعت الامه في الصدر الاول علي الاخذ
بهذه الظواهر من غير تاويل واذا اجمعوا علي منع التاويل وجب
الاخذ بالظاهر وصارت هذه الظواهر نصوصا قال ابن فورك
وقد انكرت المعتزله الميزان بناء منهم علي ان الاعراض يستحيل وزنها اذ لا تقوم بانفسها
ومن المتكلمين من يقول ان الله تعالي يقلب الاعراض اجساما فيزنها يوم القيمه
وهذا ليس بصحيح عندنا والصحيح ان الموازين تثقل بالكتب التي فيها الاعمال
مكتوبه وبها تخف وقد روي في الخبر ما يحقق ذلك وهو انه روي ان ميزان
بعض بني ادم كاد يخف بالحسنات فيوضع فيه رق فيه مكتوب
لا اله الا الله فيثقل فقد علم ان ذلك يرجع الي وزن ما كتب فيه الاعمال لا نفس
الاعمال وان الله سبحانه يخفف الميزان اذا اراد ويثقله اذا اراد بما يوضع
في كفتيه من الصحف التي فيها الاعمال وفي الصحيح مسلم عن صفوان ابن محرز
قال قال رجل لابن عمر كيف سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول في
النجوي قال سمعته يقول يدني المومن من ربه يوم القيمه حتي يضع عليه
كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف فيقول رب اعرف قال فاني قد سترتها
عليها في الدنيا واني اغفرها لك اليوم فيعطي صحيفه حسناته واما الكفار
والمنافقون فينادي بهم علي رووس الخلايق هولا الذين كذبوا علي الله فقوله يعطي
صحيفه حسناته دليل علي ان الاعمال تكتب في الصحف وتوزن وروي
ابن ماجه من حديث عبد الله ابن عمرو قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم

يصاح برجل من امتي يوم القيمة علي رؤس الخلايق فينشر عليه تسعه وتسعون
سجلاً كل سجل مد البصر ثم يقول الرب تبارك وتعالي تعل تنكر من هذا شيا فيقول
لا يارب فيقول اظلمتك كتبتي الحافظون فيقول لا ثم يقول الك عذر الك حسنه
فيهاب الرجل فيقول لا فيقول بلي ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم اليوم عليك
فتخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله
فيقال ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم فتوضع السجلات
في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة زاد الترمذي فلا يثقل
مع اسم الله شي قال حديث حسن غريب وسياتي لهذا الباب مزيد بيان في العهد
والانبيا ان شا الله قوله تعالي فمن ثقلت موازينه جمع ميزان واصله
موزان قلبت الواو يا لكسرة ما قبلها فقيل يجوز ان يكون هناك موازين للعامل
الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من اعماله ويمكن ان يكون ذلك ميزاناً واحداً عبر عنه
بلفظ الجمع كما تقول خرج فلان الي مكه علي البغال وخرج الي البصرة في السفن وفي التنزيل
كذبت قوم نوح المرسلين كذبت عاد المرسلين وانما هو رسول واحد في احد التاويلين
وقيل الموازين جمع موزون لا ميزان اراد بالموازين الاعمال الموزونه ومن خفت موازينه
مثله وقال ابن عباس توزن الحسنات والسيات في ميزان له لسان وكفتان
فاما المومن فيوتي بعمله في احسن صورة فيوضع في كفه الميزان فتثقل حسناته
علي سياته فذلك قوله فمن ثقلت موازينه ويوتي بعمل الكافر في اقبح صورة فيوضع
في كفه الميزان فيخف وزنه حتي يقع في النار وما اشار اليه ابن عباس قريب مما
قيل يخلق الله تعالي كل جزء من اعمال العباد جوهراً فيقع الوزن علي تلك
الجواهر ورده ابن فورك وغيره وفي الخبر اذا خفت حسنات المومن اخرج رسول
الله صلي الله عليه وسلم بطاقة كالانملة فيلقيها في كفه الميزان

اليمنى التي فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المومن للنبي صلي
الله عليه وسلم بابي انت وامي ما احسن وجهك وما احسن خلقك فمن انت فيقول انا
نبيك محمد وهذه صلواتك التي كنت تصلي علي قد وفيتك احوج ما تكون اليها ذكره العشيري
في تفسيره وذكر البطاقة بكسر البا رقعة فيها رقم المتاع بلغة اهل مصر وقال ابن
ماجه قال محمد ابن يحي البطاقة الرقعة واهل مصر يقولون للرقعة بطاقة وقال
حذيفة صاحب الموازين يوم القيمة جبريل عليه السلام يقول الله تعالى
يا جبريل زن بينهم فرد من بعضهم علي بعض قال وليس ثمة ذهب ولا فضة فان كان
للظالم حسنات اخذ من حسناته فرد علي المظلوم وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات
المظلوم فتحمل علي الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل الجبال وروي عن النبي صلي الله
عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيمة يا آدم ابرز الي جانب الكرسي عند
الميزان وانظر ما يرفع اليك من اعمال بنيك فمن رجح خيره علي شره مثقال
حبة فله الجنة ومن رجح شره علي خيره مثقال حبة فله النار حتي يعلم اني لا اعذب
الا ظالما **قوله تعالى** ولقد مكناكم في الارض اي جعلناها لكم قرارا
ومهادا وهيانا لكم فيها اسباب المعيشة والمعايش جمع معيشة اي ما يتعيش
به من المطعم والمشرب وما تكون به الحياة يقال عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشا
ومعيشة وعيشة وقال الزجاج المعيشة ما يتوصلون به الي العيش ومعيشة
في قول الاخفش وكثير من النحويين مفعلة وقرا الاعرج معائش بالهمز وكذا
روي خارجة ابن مصعب عن نافع قال النحاس والهمز لحن لا يجوز لان الواحد معيشة
اصلها معيشة فزيدت الف الوصل وهي ساكنة والياء ساكنة فلا بد من تحريك اذ لا
سبيل الي الحذف والالف لا تحرك فحركت الياء بما كان يجب لها في الواحد ونظيره من الواو
منارة ومناور ومقام ومقاوم كما قال **الشاعر**

وابي لقوام مقاوم لم يكن جرير ولا مولي جرير يقومونها وكذا مصيبه ومصاوب هذا
الجيد ولغه شاذه مصايب قال الاخفش انما جاز مصايب لان الواحد معتله قال
الزجاج هذا خطا يلزمه عليه ان يقول مقايم ولكن القول انه مثل وساده
واساده وقيل لم يجز الهمز في معايش لان المعيشه مفعله فالياء اصليه وانما يهمز
اذا كانت اليا زايده مثل مدينه ومداين وصحيفه وصحايف وكريمه وكرايم
ووضيعه ووضايع **قوله تعالي** ولقد خلقناكم ثم صورناكم
لما ذكر نعمه ذكر ابتدا خلقه وقد تقدم معني الخلق في غير موضع ثم صورناكم اي
خلقناكم نطفا ثم صورناكم ثم انا نخبركم انا قلنا للملايكه اسجدوا لادم وعن ابن
عباس والضحاك وغيرهما المعني خلقنا ادم ثم صورناكم في ظهره الاخفش ثم
بمعني الواو وقيل المعني ولقد خلقناكم يعني ادم عليه السلام ثم قلنا للملايكه
اسجدوا لادم ثم صورناكم علي التقديم والتاخير وقيل ولقد خلقناكم يعني ادم
ذكر بلفظ الجمع لانه ابو البشر ثم صورناكم راجع اليه ايضا كما يقال نحن
قتلناكم اي قتلنا سيدكم ثم قلنا للملايكه اسجدوا لادم وعلي هذا لا تقديم ولا تاخير
عن ابن عباس ايضا وقيل المعني ولقد خلقناكم يريد ادم وحوا فادم من التراب
وحوا من ضلع من اضلاعه ثم وقع التصوير بعد ذلك فالمعني ولقد خلقنا ابويكم
ثم صورناكم هذا قاله الحسن وقيل المعني خلقناكم في ظهر ادم ثم صورناكم حين اخذنا
عليكم الميثاق وهذا قول مجاهد رواه عنه ابن جريج وابن ابي نجيح النحاس وهذا احسن الاقوال
فذهب مجاهد الي انه خلقهم في ظهر ادم ثم صورهم حين اخذ عليهم الميثاق ثم كان السجود بعد ويقوي
هذا واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم والحديث انه اخرجهم امثال الذر فاخذ عليهم
الميثاق وقيل ثم للاخبار اي ولقد خلقناكم يعني في ظهر ادم عليه السلام ثم صورناكم
اي في الارحام قال النحاس هذا حديث صحيح عن ابن عباس **قلت** كل هذه

الاقوال محتمل والصحيح منها ما يعضده التنزيل قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين يعني ادم وقال وخلق منها زوجها ثم قال جعلناه اي جعلنا نسله
وذريته نطفة في قرار مكين الايات فادم خلق من طين ثم صوروا كرم بالسجود
وذريته صوروا في ارحام الامهات بعد ان خلقوا فيها وفي اصلاب الاباء وقد
تقدم في اول سورة الانعام ان كل انسان مخلوق من نطفة وتربة فتاملة
وقال هنا خلقناكم ثم صورناكم وقال في اخر الحشر هو الله الخالق البارئ
المصور فذكر التصوير بعد البراء وسياتي بيان ذلك ان شاء الله تعالى ثم قيل معنى
ولقد خلقناكم اي خلقنا الارواح اولا ثم صورنا الاشباح اخرا **قوله تعالى**
الا ابليس استثنا من غير الجنس وقد اختلف العلما هل كان من الملائكة ام لا
كما سبق بيانه في البقرة **قوله تعالى** ما منعك الا تسجد اذ امرتك
قال الا تخبر منه فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى ما منعك ما في موضع رفع بالابتدا
اي اي شي منعك وهذا سوال توبيخ الا تسجد في موضع نصب اي من ان تسجد ولا
زايدة وفي ص ما منعك ان تسجد قال الشاعر ابي جوده لا البخل فاستعجلت به نعم
من فتى لا يمنع الجود نايله ان اراد ابي جوده البخل فزاد لا وقيل ليست بزايدة فان المنع
فيه طرف من القول والدعاء فكانه قال من قال لك الا تسجد او من دعاك الى ان
لا تسجد كما تقول قد قلت لك الا تفعل كذا وقيل في الكلام حذف والتقدير
ما منعك من الطاعة واحوجك الى ان لا تسجد **الثانية** قوله تعالى اذ امرتك
يدل على ما يقوله الفقها من ان الامر يقتضي الوجوب بطلقه من غير قرينة لان الذم
علق على ترك الامر المطلق الذي هو قوله عز وجل للملايكة اسجدوا وهذا بين **الثالثة**
قوله تعالى قال انا خير منه اي منعني من السجود فضلي عليه وهذا من ابليس
جواب على المعنى كما تقول لمن هذه الدار فيقول المخاطب مالكها زيد فليس

هذا عين الجواب بل هو كلام يرجع الى معنى الجواب خلقتني من نار وخلقته من
طين فرأى ان النار اشرف من الطين لعلوها وصعودها وخفتها ولانها جوهر مضي
قال ابن عباس والحسن وابن سيرين اول من قاس ابليس فاخطا القياس فمن قاس
الدين برايه قرنه الله مع ابليس ابن سيرين وما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس وقالت
الحكما اخطا عدو الله من حيث فضل النار على الطين وان كانا في درجه واحده
من حيث هي جماد مخلوق فان الطين افضل من النار من وجوه اربعه احدها
ان من جوهر الطين الرزانه والسكون والوقار والاناه والحلم والحيا والصبر وذلك
هو الداعي لادم عليه السلام بعد السعاده التي سبقت له الى التوبه والتواضع
والتضرع فاورثه المغفره والاجتباء والهدايه ومن جوهر النار الخفه والطيش والحده
والارتفاع والاضطراب وذلك هو الداعي لابليس بعد الشقاوه التي سبقت له الى الاستكبار
والاصرار فاورثه الهلاك والعذاب واللعنه والشقاء قاله القفال الثاني
ان الخبر ناطق بان تراب الجنه مسك اذفر ولم ينطق الخبر بان في الجنه نارا وان في
النار ترابا الثالث ان النار سبب العذاب وهي عذاب الله لاعدائه وليس التراب
سببا للعذاب الرابع ان الطين مستغن عن النار والنار محتاجه الى المكان
ومكانها التراب **قلت** ويحتمل قولا خامسا وهو ان التراب مسجد وطهور كما
جا في صحيح الحديث والنار تخويف وعذاب كما قال تعالى ذلك الذي يخوف الله به عباده
وقال ابن عباس كانت الطاعه اولى بابليس من القياس فعصى ربه وهو اول من قاس
برايه والقياس في مخالفه النص مردود **الرابعه** واختلف الناس في القياس الى
قايل به وراد له فاما القايلون به فهم الصحابه والتابعون وجمهور من بعدهم وان التعبد
به جايز عقلا واقع شرعا وذهب القفال من الشافعيه وابو الحسن البصري الى وجوب التعبد
به عقلا وذهب النظام الى انه يستحيل التعبد به عقلا وشرعا ورده بعض

اهل الظاهر والاول الصحيح قال البخاري رحمه الله كتاب الاعتصام بالكتاب والسنه

المعني لا عصمه لاحد الا في كتاب الله او سنه نبيه صلي الله عليه وسلم او في اجماع العلما اذا

وجد فيها الحكم فان لم يوجد فالقياس وقد ترجم علي هذا باب من شبه اصلا معلوما

باصل مبين قد بين الله حكمها ليفهم السايل وترجم بعد هذا باب الاحكام التي

تعرف بالدلايل وكيف معني الدلاله وتفسيرها وقال الطبري الاجتهاد والاستنباط

من كتاب الله وسنه رسوله صلي الله عليه وسلم واجماع الامه هو الحق

الواجب والفرض اللازم لاهل العلم وبذلك جاءت الاخبار عن النبي صلي الله عليه وسلم

وعن جماعه الصحابه والتابعين وقال ابو تمام المالكي اجمعت الامه علي القياس فمن

ذلك انهم اجمعوا علي قياس الذهب والورق في الزكوه وقال ابو بكر اقيلوني

بيعتي فقال علي والله لا نقيلك رضيك رسول الله صلي الله عليه وسلم لديننا فلا

نرضاك لدنيانا فقاس الامامه علي الصلاه وقاس الصديق الزكوه علي الصلاه

وقال والله لا افرق بين ما جمع الله وصرح علي بالقياس في شارب الخمر بمحضر الصحابه

وقال انه اذا سكر هذي واذا هذي افتري فحده حد القاذف وكتب عمر الي ابي

موسي الاشعري كتابا فيه الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك مما لم يبلغك في الكتاب

والسنه اعرف الامثال والاشباه ثم قس الامور عند ذلك فاعمد الي احبها الي الله

واشبهها بالحق فيما تري الحق الحديث بطوله ذكره الدارقطني وقد قال ابو عبيده

لعمر في حديث الوباء حين رجع عمر من سرغ افرارا من قدر الله وقال عمر نعم نفر من

قدر الله الي قدر الله ثم قال عمر ارايت ... وما اشبهه في مسالته بمحضر

المهاجرين والانصار وحسبك رضي الله عنهم اجمعين واما الاثار واي القران في هذا

المعني فكثيره وهو يدل علي ان القياس اصل من اصول الدين وعصمه من عصم المسلمين يرجع اليه

المجتهدون ويفزع اليه العلما العاملون فيستنبطون به الاحكام وهذا قول

الجماعه الذين هم الحجه ولا يلتفت الى من شذ عنها واما الراي المذموم والقياس
المتكلف المنهي عنه فهو ما لم يبن على هذه الاصول المذكوره فان ذلك ظن ونزغ من
الشيطان قال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وكل ما يورده المخالف من
الاحاديث الضعيفه والاخبار الواهيه في ذم القياس فهي محموله على هذا النوع من
القياس المذموم الذي ليس له في الشرع اصل معلوم وتتميم هذا الكتاب في كتب
الاصول **قوله تعالى** قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها
لان اهلها الملايكه المتواضعون فاخرج انك من الصاغرين اي من الاذلين ودل على هذا ان
من عصى مولاه فهو ذليل وقال ابو روق والبجلي فاهبط منها اي من صورتك التي
انت فيها لانه افتخر بانه من النار فشوهت صورته بالاظلام وذهاب اشراقه
وقيل فاهبط منها اي انتقل من الارض الى جزاير البحار كما يقال هبطنا ارض
كذا اي انتقلنا اليها من مكان اخر فكانه اخرج من الارض الى جزاير البحار
فسلطانه فيها فلا يدخل الارض الا كهيه السارق يخاف فيها حتى يخرج منها
والقول الاول اظهر وقد تقدم في البقره **قوله تعالى** قال انظرني الى
يوم يبعثون سال النظره والامهال الى يوم البعث والحساب طلب ان لا يموت
لان يوم البعث لا موت بعده فقال انك من المنظرين قال ابن عباس والسدي وغيرهما
انظره الى النفخه الاولى حين يموت الخلق كلهم وكان طلب الانظار الى النفخه الثانيه حين يقوم
الناس لرب العالمين فابى الله ذلك عليه وقال الى يوم يبعثون ولم يتقدم ذكر من يبعث
لان القصه في ادم وذريته فدلت القرينه على انهم هم المبعوثون **قوله تعالى**
قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم فيه ثلاث مسايل الاولى قوله فبما
اغويتني الاغواء ايقاع الغي في القلب اي فبما اوقعت في قلبي من الغي والعناد
والاستكبار وهذا لان كفر ابليس ليس كفر جهل بل هو كفر عناد واستكبار وقد

تقدم في البقرة قيل معنى الكلام القسم اي فباغوايك اياي لاقعدن لهم على صراطك
اي في صراطك فحذف دليل هذا القول قوله في ص فبعزتك لاغوينهم اجمعين
وكان ابليس اعظم قدرا اغوا الله اياه لما فيه من التسلط على العباد فاقسم
به اعظاما لقدره عنده وقيل الباء بمعنى اللام كانه قال فلاغوايك اياي وقيل
هي بمعنى مع والمعنى مع اغوايك اياي وقيل هو استفهام كانه سيل باي شي اغواه
وكان ينبغي على هذا ان يكون فبم اغويتني وقيل المعنى فبما اهلكتني بلعنك
اياي والاغوا الاهلاك قال الله تعالى فسوف يلقون غيا اي هلاكا وقيل فبما
اضللتني والاغوا الاضلال والابعاد قاله ابن عباس وقيل خيبتني من رحمتك
ومنه قول الشاعر ومن يغو لا يعدم على الغي لائما ● اي من يخب وقال
ابن الاعرابي يقال غوي الرجل يغوي غيا اذا فسد عليه امره او فسد
هو في نفسه وهو احد معاني قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى اي فسد
عيشه في الدنيا الجنة ويقال غوي الفصيل اذا لم يدر لبن امه **الثانية** مذهب
اهل السنة ان الله تعالى اضله وخلق فيه الكفر ولذلك نسب الاغوا في هذا الى الله
تعالى وهو الحقيقة فلا شي في الوجود الا وهو مخلوق له صادر عن ارادته
تعالى وخالف الامامية والقدرية وغيرهما شيخهم ابليس الذي طاوعوه في كل ما زينه
لهم وهو اهل الخطا اذ نسب الغواية الى ربه تعالى الله عن ذلك فيقال لهم وابليس
وان كان اهل الخطا فما تصنعون في نبي مكرم معصوم وهو نوح عليه السلم
حيث قال ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم
واليه ترجعون وقد روي ان طاوسا جاءه رجل في المسجد الحرام وكان متهما بالقدر
وكان من الفقها الكبار فجلس اليه فقال له طاوس تقوم او تقام فقيل لطاوس
تقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس افقه منه يقول ابليس رب بما اغويتني

ويقول هذا انا اغوي نفسي **الثالثه** قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم
اي بالصد عنه وتزيين الباطل حتى يهلكوا كما هلك او يضلوا كما ضل
او يخيبوا كما خيب حسب ما تقدم من المعاني الثلاثه في اغويتني والصراط المستقيم
هو الطريق الموصل الى الجنه وصراطك منصوب على حذف على او في من قوله صراطك
المستقيم كما حكى سيبويه ضرب زيد الظهر والبطن وانشد
لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب
ومن احسن ما قيل في تاويل ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن
شمايلهم اي لاصدنهم عن الحق وارغبنهم في الدنيا واشككهم في الاخره وهذا غايه في
الضلال كما قال ولاضلنهم حسب ما تقدم وروي سفيان عن منصور عن الحكم ابن
عيينه قال من بين ايديهم من دنياهم ومن خلفهم من اخرتهم وعن ايمانهم يعني حسناتهم
وعن شمايلهم يعني سياتهم النحاس وهذا قول حسن وشرحه ان معنى ولاتينهم
من بين ايديهم من دنياهم حتى يكذبوا بما فيها من الايات واخبار الامم السالفه ومن
خلفهم من اخرتهم حتى يكذبوا بها وعن ايمانهم من حسناتهم وامور دينهم ويدل على
هذا قوله تعالى انكم كنتم تاتوننا عن اليمين وعن شمايلهم يعني سياتهم اي
يتبعون الشهوات لانه يزينها لهم ولا تجد اكثرهم شاكرين اي موحدين
طايعين مظهرين الشكر **قوله تعالى** قال اخرج منها اي من الجنه مذموما
مدحورا مذموما اي مذموما والذام العيب بتخفيف الميم قال ابن زيد مذوما
ومذموما سواء يقال ذامته وذممته وذممته بمعنى واحد وقرا الاعمش مذوما
والمعنى واحد الا انه خفف الهمزه وقال مجاهد المذوم المنفي والمعنيان متقاربان
والمدحور المبعد المطرود عن مجاهد وغيره واصله الدفع لمن تبعك منهم اللام لام
القسم والجواب لاملان جهنم وقيل لمن تبعك لام توكيد لاملان لام قسم

والدليل علي هذا انه يجوز في غير القراه حذف اللام الاولي ولا يجوز حذف الثانيه
وفي الكلام معني الشرط والمجازاه اي من تبعك عذبته ولو قلت من تبعك اعذبه
لم يجز الا ان تريد لا اعذبه وقرا عاصم من روايه ابي بكر ابن عياش لمن تبعك بكسر اللام
وانكر بعض النحويين قال النحاس وتقديره والله اعلم من اجل من تبعك كما يقال
اكرمت فلانا لك وقد يكون المعني الدحر لمن تبعك ومعني منكم اي اجمعين اي
منكم ومن بني ادم لان ذكرهم قد جري اذ قال ولقد خلقناكم خاطب ولد ادم
قوله تعالى ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنه قال لادم بعد اخراج
ابليس من موضعه من السما اسكن الجنه انت وحوا وقد تقدم في البقره معني الاسكان
فاغني عن اعادته وتقدم معني ولا تقربا هذه الشجره هناك والحمد لله **قوله
تعالى** فوسوس لهما الشيطان اي اليهما قيل داخل الجنه بادخال الحيه اياه
وقيل من خارج بالسلطنه التي جعلت له وقد مضي هذا في البقره والوسوسه الصوت الخفي
والوسوسه حديث النفس يقال وسوست اليه نفسه وسوسه ووسواسا بكسر
الواو والوسوسه بالفتح الاسم مثل الزلزال والزلزال ويقال لهمس الصايد والكلاب
واصوات الحلي وسواس قال الاعشي ٭ تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت كما استعان
بريح عشرق زجل ٭ والوسواس اسم الشيطان قال الله تعالى من شر الوسواس
الخناس ليبدي لهما اي ليظهر لهما واللام لام العاقبه كما قال ليكون لهم عدوا
وحزنا وقيل لام كي ووري اي ستر وغطي عنهما ويجوز في غير القران اوري مثل
مثل اقتت من سواتهما من عوراتهما وسمي الفرج عوره لان اظهاره يسو صاحبه ودل علي
هذا قبح كشفها فقيل انما بدت سواتهما لهما لا لغيرهما كان عليهما نور لا تري عوراتهما
فزال النور وقيل ثوب فتهافت والله اعلم الا ان تكونا ملكين ان في موضع نصب
بمعني الا كراهه ان فحذف المضاف هذا قول البصريين والكوفيون يقولون

الوسواس اسم الشيطان

ليلا تكونا وقيل اي الا ان لا تكونا ملكين تعلمان الخير والشر وقيل طمع في
الخلود لانه علم ان الملايكه لا يموتون الي يوم القيمه قال النحاس وبين الله
جل وعز فضل الملايكه علي جميع الخلق في غير موضع من القران فمنها هذا وهو
الا ان تكونا ملكين ومنه ولا اقول اني ملك ومنه ولا الملايكه المقربون وقال
الحسن فضل الله الملايكه بالصور والاجنحه والكرامه وقال غيره فضلهم جل وعز
بالطاعه وترك المعصيه فهذا يقع التفضيل في كل شي وقال ابن فورك
لا حجه في هذه الايه لانه يحتمل ان يريد ملكين في ان لا يكون لهما شهوه في طعام
واختيار ابن عباس والزجاج وكثير من العلما تفضيل المومنين علي الملايكه وقد مضي في
البقره وقال الكلبي فضلوا علي الخلايق كلهم غير طايفه من الملايكه جبريل وميكايل
واسرافيل وملك الموت لانهم من جمله رسل الله وتمسك كل فريق بظواهر من الشرع بعد
والفضل بيد الله وقرا ابن عباس ملكين بكسر اللام وهي قراه يحيى ابن ابي كثير
والضحاك وانكر ابو عمرو ابن العلا كسر اللام وقال لم يكن قبل ادم عليه السلام ملك
فيصيرا ملكين النحاس ويجوز علي هذه القراه اسكان اللام ولا يجوز علي القراه الاولي
لخفه الفتحه قال ابن عباس اتاهما الملعون من جهه الملك ولهذا قال هل ادلك علي
شجره الخلد وملك لا يبلي حجه بينه ولكن الناس علي تركها فلهذا تركنا هاهنا
قال النحاس الا ان تكونا ملكين قراه شاذه وقد انكر علي ابن عبيد هذا الكلام
وجعل من الخطا الفاحش وهل يجوز ان يتوهم ادم عليه السلام انه يصل الي
اكثر من ملك الجنه وهي غايه الطالبين وانما معني وملك لا يبلي المقام في
ملك الجنه والخلود فيه وقاسمهما اي حلف لهما يقال اقسم اقساما اي حلف قال
الشاعر وقاسمها بالله جهدا لانتم الذ من السلوي اذا ما نشورها
وجا فاعلت من واحد وهو يرد علي من قال ان المفاعله لا تكون الا من

اثنين وقد تقدم في المايده اي لكما لمن الناصحين ليس لكما داخلا في الصله والنفد
اي ناصح لكما لمن الناصحين قاله هشام النحوي وقد تقدم مثله في البقره ومعنى الكلام
انعاني ارشد كما ذكر قتاده **قوله تعالى** فدلاهما بغرور اوقعهما في
الهلاك قال ابن عباس غرهما باليمين وكان يظن ادم لا يحلف احد بالله كاذبا فغرهما
بوسوسه وقسم لهما وقال قتاده حلف بالله لهما حتى خدعهما وقد يخدع المومن
بالله كان بعض العلما يقول من خادعنا بالله خدعنا وفي الحديث عنه
صلى الله عليه وسلم المومن غر كريم والفاجر خب ليم وانشد نفطويه
ان الكريم اذا تشا خدعته وترى اللييم مجربا لا يخدع
فدلاهما يقال ادلى دلوه ارسلها ودلاها اخرجها وقيل
دلاها اي دللهما من الداله وهي الجراه اي جراهما على المعصيه
فخرجا من الجنه **قوله تعالى** فلما ذاقا الشجره بدت لهما سواتهما
فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى فلما ذاقا الشجره اي اكلا منها وقد مضى
في البقره الخلاف في هذه الشجره وكيف اكل ادم منها بدت لهما سواتهما اكلت
حوا منها اولا ولم يصبها شي فلما اكل ادم حلت العقوبه لان النهي ورد عليهما
كما تقدم في البقره قال ابن عباس تقلص النور الذي كان لباسهما فصار اظفارا
في الايدي والارجل **الثانيه** وطفقا ويجوز اسكان الفا وحكى الاخفش
طفق يطفق مثل ضرب يضرب يقال طفق اي اخذ في الفعل يخصفان وقرا الحسن
بكسر الخا وشد الصاد والاصل يختصفان فادغم وكسرت الخا لالتقا الساكنين
وقرا ابن بريده ويعقوب بفتح الخا القى حركه التا عليها ويجوز يخصفان بضم اليا من
خصف يخصف وقرا الزهري يخصفان من اخصف وكلاهما منقول بالهمز او
التضعيف والمعنى يقطعان الورق ويلزقانه ليستترا به ومنه خصف النعل

والخصاف الذي يرقعها والمخصف المثقب قال ابن عباس هو ورق التين وروي
ان ادم عليه السلام لما بدت سواته وظهرت عورته طاف على شجر الجنة يسل
منها ورقا يغطي بها عورته فزجرته اشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين فاعطته
ورقا وطفقا يعني ادم وحوا يخصفان عليهما من ورق الجنة فكافا الله التين
بان سوى ظاهره وباطنه في الحلاوة والمنفعة واعطاه ثمرتين في
عام واحد مرتين وفي الاية دليل على قبح كشف العورة وان الله اوجب
عليهما التستر ولذلك ابتدرا الى سترها ولا يمتنع ان يومرا بذلك في الجنة
كما قيل لهما ولا تقربا وقد حكى صاحب البيان عن الشافعي ان من لم يجد ما يستر
به عورته الا ورق الشجر لزمه ان يستتر بذلك لانه ستر ظاهر يمكنه الستر بها
كما فعل ادم في الجنة والله اعلم **الثالثة** قوله تعالى وناداهما ربهما اي قال لهما
الم انهكما قالا ربنا نداء مضاف والاصل يا ربنا وقيل ان في حذف يا معنى التعظيم
فاعترفا بالخطيه وتابا وقد مضى في البقرة ومعنى قوله قال اهبطوا بعدم اتصالى
اخر الاية **قوله تعالى** قال فيها تحيون الضمير كلها للارض ولم يذكر الواو
في وقال ولو ذكرها لجاز ايضا وهو كقولك قال زيد لعمرو كذا قال له كذا **قوله
تعالى** يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم وريشا ولباس
التقوى ذلك خير فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى لباسا يواري
سواتكم قال كثير من العلما هذه الاية دليل على وجوب ستر العورة لانه قال يواري
سواتكم وقال قوم انه ليس فيها دليل على ما ذكروه بل فيها دلالة على الانعام
فقط **قلت** القول الاول اصح ومن جملة الانعام ستر العورة فبين انه جعل
لذريته ما يسترون به عوراتهم ودل على الامر بالتستر ولا خلاف بين
العلما في وجوب ستر العورة عن اعين الناس واختلفوا في العورة

ماهي فقال ابن ابي ذويب هي من الرجل الفرج نفسه القبل والدبر دون غيرهما
وهو قول داود واهل الظاهر وابن عليه والطبري لقوله تعالى لباسا يواري
سواتكم بدت لهما سواتهما ليريهما سواتهما وفي البخاري عن انس رضي الله عنه فاجرى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في زقاق خيبر وفيه ثم حسر الازار عن فخذه حتى
اني انظر الى بياض فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك السره ليست
بعوره واكره للرجل ان يكشف فخذه بحضره زوجته وقال ابو حنيفه
الركبه عوره وهو قول عطا وقال الشافعي ليست السره و/ الركبتان من العوره
على الصحيح وحكى ابو حامد الترمذي ان للشافعي في السره قولين وجه ملك قوله
صلى الله عليه وسلم لجرهد غط فخذك فان الفخذ عوره خرجه البخاري تعليقا وقال
حديث انس اسند وحديث جرهد رضي الله عنه احوط حتى يخرج من اختلافهم و حديث
جرهد هذا يدل على خلاف ما قال ابو حنيفه وروي ان ابا هريره قبل
سره الحسن ابن علي رضي الله عنهم وقال اقبل منك ما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقبل منك فلو كانت السره عوره ما فعلها ابو هريره ولا مكنه الحسن منها واما
المراه الحره فعوره كلها الا الوجه والكفين على هذا اكثر اهل العلم وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم من اراد ان يتزوج امراه فلينظر الى وجهها وكفيها ولان
ذلك واجب كشفه في الاحرام وقال ابو بكر ابن عبد الرحمن ابن الحرث
ابن هشام كل شي من المراه عوره حتى ظفرها وروي عن احمد ابن حنبل نحوه واما ام الولد
فقال الاثرم سمعته يعني احمد يسال عن ام الولد كيف تصلي فقال تغطي راسها
وقدميها لانها لا تباع وتصلي كما تصلي الحره واما الامه فالعوره منها ما تحت ثديها
ولها ان تبدي راسها ومعصميها وقيل حكمها حكم الرجل وقيل يكره لها كشف
راسها وصدرها وكان عمر رضي الله عنه يضرب الاما على تغطيتهن

ووسهن ويقول لا تشبهن بالحراير وقال اصبغ ان انكشفت فخذها اعادة الصلاه
في الوقت وقال ابو بكر ابن عبد الرحمن ابن الحرث ابن هشام كل شي من الامه عوره
حتي ظفرها وهذا خارج عن اقوال الفقها لاجماعهم علي ان المراه الحره لها ان تصلي
المكتوبه ويداها ووجهها مكشوف ذلك كله تباشر الارض به فالامه اولي وام
الولد اغلظ حالا والصبي الصغير لا حرمه لعورته فاذا بلغت الجاريه الي
حد تاخذها العين وتشتهي سترت عورتها وحجه ابي بكر ابن عبد
الرحمن قوله تعالي يايها النبي قل لازواجك وبناتك ونسا المومنين يدنين عليهن
من جلابيبهن وحديث ام سلمه رضي الله عنها انها سيلت ماذا تصلي فيه المراه من الثياب
فقالت تصلي في الدرع والخمار السابغ الذي يغيب ظهور قدميها وقد روي مرفوعا والذين
اوقفوه علي ام سلمه اكثر واحفظ منهم ملك وابن اسحق وغيرهما قال ابو داود
ورفعه عبد الرحمن ابن عبد الله ابن دينار عن محمد ابن زيد عن امه عن ام
سلمه انها سالت النبي صلي الله عليه وسلم قال ابو عمرو عبد الرحمن هذا ضعيف
عندهم الا انه قد خرج البخاري بعض حديثه والاجماع في هذا الباب اقوي من الخبر
الثانيه قوله تعالي انزلنا عليكم لباسا اي المطر الذي ينبت القطن والكتان
ويقيم البهايم التي منها الاصواف والاوبار والاشعار فهو مجاز مثل وانزل لكم
من الانعام ثمانيه ازواج علي ما ياتي وقيل هذا الانزال انزال شي من
اللباس مع ادم وحوا ليكون مثالا لغيره وقال سعيد ابن جبير انزلنا عليكم خلقنا
لكم لقوله وانزل لكم من الانعام ثمانيه ازواج اي خلق علي ما ياتي وقيل الهمناكم
كيف صنعته **الثالثه** قوله تعالي وريشا قرا ابو عبد الرحمن والحسن
وعاصم من روايه المفضل الضبي وابو عمرو من روايه الحسين ابن علي الجعفي
ورياشا ولم يحكه ابو عبيد الا عن الحسن ولم يفسر معناه وهو جمع ريش وهو

من

ما كان المال واللباس وقال الفراء ريش ورياش كما يقال لبس ولباس
وريش الطاير ما ستره الله به وقيل هو الخصب ورفاهيه العيش والذي عليه
اكثر اهل اللغه ان الريش ما ستر من لباس او معيشه وانشد سيبويه ○

○ ريشي منكم وهواي معكم وان كانت زيارتكم لماما ○

وحكي ابو حاتم عن ابي عبيده وهبت له دابه بريشها اي بكسوتها
وما عليها من اللباس **الرابعه** قوله تعالي ولباس التقوي ذلك
خير بين ان التقوي خير لباس كما قال ○ اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقي تقلب عريانا وان
كان كاسيا ○ وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيا ○
وروي قاسم ابن ملك عن عوف عن معبد الجهني قال لباس التقوي
الحياء وقال ابن عباس لباس التقوي هو العمل الصالح وعنه ايضا
السمت الحسن في الوجه الحسن وقيل ما علمه جل وعز وهدي به وقيل لباس
التقوي لبس الصوف والخشن من الثياب مما يتواضع لله تعالي به ويتعبد له خير
من غيره قال زيد ابن علي لباس التقوي الدرع والمغفر والساعدان والساقان
يتقي بهما في الحرب عروه ابن الزبير هو الخشيه لله وقيل هو استشعار تقوي الله تعالي
فيما امر به ونهي عنه **قلت** وهو الصحيح واليه يرجع قول ابن عباس وعروه و قول
زيد ابن علي حسن فانه حض علي الجهاد وقال ابن زيد هو ستر العوره وهذا
فيه تكرار اذ قال اولا قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم ومن قال انه لبس الخشن
من الثياب فانه اقرب الي التواضع وترك الرعونات فدعوي وقد كان الفضلاء من
العلما يلبسون الرفيع من الثياب مع حصول التقوي علي ما ياتي مبينا ان شا الله
تعالي وقرا اهل المدينه والكسائي ولباس بالنصب عطفا علي لباسا الاول
وقيل انتصب بفعل مضمر اي وانزلنا لباس التقوي والباقون بالرفع علي

الابتدا ودلك نعته وخبر خبر المبتداء والمعني ولباس التقوي المشار اليه الدي
علمتموه خير لكم من لبس الثياب التي تواري سواتكم ومن الرياش الدي انزلنا عليكم
فالبسوه وقيل ارتفع باضمار هواي وهو لباس التقوي اي وهو ستر العوره وعليه
يخرج قول ابن زيد وقيل المعني ولباس التقوي هو خير فدلك بمعني هو والاعراب
الاول احسن ماقيل فيه وقرا الاعمش ولباس التقوي خير ولم يقرا دلك وهو
خلاف المصحف دلك من ايات الله اي مما يدل علي ان له خالقا ودلك رفع علي
الصفه او البدل او عطف بيان **قوله تعالي** يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان
فيه مسلتان الاولي قوله تعالي لا يفتننكم اي لا يصرفنكم الشيطان عن الدين كما
فتن ابويكم بالاخراج من الجنه اب للمدكر وابه للمونث فعلي هدا قيل ابوان ينزع
عنهما لباسهما في موضع نصب علي الحال ويكون مستانفا فيوقف علي من الجنه ليريهما
نصب بلام كي انه يراكم هو وقبيله الاصل يراكم ثم خففت الهمزه وقبيله عطف
علي المضمر وهو توكيد ليحسن العطف كقوله اسكن انت وزوجك الجنه هدا يدل علي وجوب
ستر العوره لقوله ينزع عنهما لباسهما قال الاخرون انما فيه التحدير من زوال النعمه
كما نزل بادم عليه السلام هدا ان لو ثبت ان شرع ادم يلزمنا والامر بخلاف دلك
الثانيه قوله تعالي انه يراكم هو وقبيله قبيله جنوده قال مجاهد يعني الجن
والشياطين ابن زيد قبيله نسله وقيل جيله من حيث لا ترونهم قال بعض العلما
في هدا دليل علي ان الجن لا يرون لقوله من حيث لا ترونهم وقيل جايز ان
يروا لان الله تعالي اذا شا ان يريهم كشف اجسامهم حتي تري قال
النحاس من حيث لا ترونهم يدل علي ان الجن لا يرون الا في وقت نبي ليكون
دلك دلاله علي نبوته لان الله جل وعز خلقهم خلقا لا يرون فيه وانما يرون
اذا نقلوا عن صورهم ودلك من المعجزات التي لا تكون الا في وقت

الانبيا عليهم السلام قال القشيري اجري الله العاده بان بني ادم لا يرون الشياطين
اليوم وفي الخبر ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم وقال الذي يوسوس في
صدور الناس وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان للملك لمة وللشيطان لمة يعني بالقلب
فاما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق واما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب
بالحق وقد جاءت في رويتهم اخبار صحيحه وقد خرج البخاري عن ابي هريره قال وكلني رسول
الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكوة رمضان وذكر قصه طويله ذكر فيها انه
اخذ الجني الذي كان ياخذ التمر وان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما فعل اسيرك
البارحه وقد تقدم في البقره وفي صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
والله لولا دعوة اخي سليمن لاصبح موثقا يلعب به ولدان اهل المدينه في العفريت
الذي تفلت عليه وسياتي في ص ان شا الله انا جعلنا الشياطين اوليا للذين لا يومنون
اي زياده في عقوبتهم وسوينا بينهم في الذهاب عن الحق **قوله تعالى**
واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها الفاحشه هنا في قول
اكثر المفسرين طوافهم بالبيت عراه وقال الحسن هي الشرك والكفر واحتجوا على ذلك
بتقليدهم اسلافهم وبان الله امرهم بها قالوا لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه قل ان
الله لا يامر بالفحشاء بين انهم متحكمون ولا دليل لهم على ان الله امرهم بما ادعوا
وقد مضى ذم التقليد وكثير من جهالاتهم وهذا منها **قوله تعالى**
قل امر ربي بالقسط قال ابن عباس لا اله الا الله وقيل القسط العدل اي امر
بالعدل فاطيعوه ففي الكلام حذف واقيموا وجوهكم اي توجهوا اليه في كل صلاه
الى القبله عند كل مسجد اي في كل مسجد كنتم وادعوه مخلصين له الدين اي وحدوه
ولا تشركوا به كما بداكم تعودون نظيره ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول
مره وقد تقدم والكاف في موضع نصب اي تعودون كما بداكم اي كما

خلقكم اول مره يعيدكم وقال الزجاج هو متعلق بما قبله اي ومنها تخرجون كما بداكم
تعودون وفريقا هدى وفريقا نصب على الحال من المضمر في تعودون اي تعودون فريقين
سعدا واشقيا يقوي هذا قراه ابي تعودون فريقين فريقا هدى وفريقا حق عليهم
الضلاله عن الكسائي وقال كعب القرظي في قوله تعالى فريقا هدى وفريقا حق عليهم
الضلاله قال من ابتدا الله خلقه للضلاله صيره الى الضلاله وان عمل باعمال
الهدى ومن ابتدا الله خلقه على الهدى صيره الى الهدى وان عمل باعمال
الضلاله ابتدا الله ابليس على الضلاله وعمل بعمل السعاده مع الملايكه ثم رده الى
ما ابتدا عليه خلقه قال وكان من الكافرين وفي هذا رد واضح على القدريه ومن
تابعهم وقيل فريقا نصب بهدى وفريقا الثاني نصب باضمار فعل اي واضل فريقا
وانشد سيبويه ٥ اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا
٥ والذيب اخشاه ان مررت به وحدي واخشى الرياح والمطرا ٥
قال الفرا ولو كان مرفوعا لجاز انهم اتخذوا الشياطين اوليا من دون الله وقرا عيسى
ابن عمر انهم بفتح الهمزه بمعنى لانهم **قوله تعالى** يا بني ادم خذوا زينتكم
عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى يا
بني ادم هو خطاب لجميع العالم وان كان المقصود به من كان يطوف من العرب
بالبيت عريانا فانه عام في كل مسجد للصلاه لان العبره للعموم لا للسبب
ومن العلما من انكر ان يكون المراد به الطواف لان الطواف لا يكون الا في مسجد
واحد والذي يعم كل مسجد هو الصلاه وهذا قول من خفي عليه مقاصد
الشريعه وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال كانت المراه تطوف بالبيت وهي
عريانه وتقول من يعيرني تطوافا تجعله على فرجها وتقول ٥
٥ اليوم يبدو بعضه او كله فما بدا منه فلا احله ٥

فنزلت هذه الايه خذوا زينتكم للطواف بكسر التا وهذه المراه هي ضباعه بنت
عامر ابن قرط قاله القاضي عياض وفي صحيح مسلم ايضا عن هشام ابن عروه عن ابيه
قال كانت العرب تطوف بالبيت عراه الا الحمس والحمس قريش وما ولدت
كانوا يطوفون عراه الا ان يعطيهم الحمس ثيابا فيعطوا الرجال الرجال والنسا النسا
وكان الحمس لا يخرجون من المزدلفه وكان الناس كلهم يبلغون عرفات في غير مسلم
ويقولون نحن اهل الحرم فلا ينبغي لاحد ان يطوف الا في ثيابنا ولا ياكل
اذا دخل ارضنا الا من طعامنا فمن لم يكن له من العرب صديق بمكه يعيره ثوبا ولا
يسارا يستاجره به كان بين احد امرين اما ان يطوف بالبيت عريانا واما ان يطوف في
ثيابه فاذا فرغ من طوافه القى ثوبه عنه فلم يمسه احد فكان ذلك الثوب يسمى اللقا

قال قايل العرب ٥

كفى حزنا كري عليه كانه لقى بين ايدي الطايفين حريم

فكانوا على ذلك من الجهاله والبدعه والضلاله حتى بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه
وسلم وانزل الله يا بني ادم خذوا زينتكم واذن موذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا يطوف بالبيت عريان **قلت** ومن قال ان المراد الصلاه فزينتها النعال لما
رواه كرز ابن وبره عن عطا عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ذات يوم خذوا زينه الصلاه فقيل وما زينه الصلاه قال البسوا نعالكم وصلوا
فيها **الثانيه** دلت الايه على وجوب ستر العوره كما تقدم وذهب جمهور اهل
العلم الى انها فرض من فروض الصلاه وقال الابهري هي فرض في الجمله وعلى الانسان
ان يسترها عن اعين المخلوقين في الصلاه وغيرها وهو الصحيح لقوله
صلى الله عليه وسلم للمسور ابن مخرمه رضي الله عنه ارجع الى ثوبك
فخذه ولا تمشوا عراه اخرجه مسلم وذهب اسمعيل القاضي الى ان ستر

العورة من ستر الصلاة واحتج بانه لو كان فرضا في الصلاة لكان العريان لا
يجوز له ان يصلي لان كل شي من فروض الصلاة يجب الاتيان به مع القدرة
عليه او بدله مع عدمه او يسقط الصلاة جملة وليس كذلك ابن العربي
واذا قلنا ان ستر العورة فرض في الصلاة فسقط ثوب امام فانكشف دبره وهو
راكع فرفع راسه فغطاه اجزاه قاله ابن العربي العشم وقال سحنون وكل من نظر اليه من
الماموميين اعاد وروي عن سحنون ايضا انه يعيد ويعيدون لان ستر العورة شرط
من شروط الصلاة فاذا ظهرت بطلت الصلاة اصله الطهارة قال القاضي ابن
العربي اما من قال ان صلاتهم لا تبطل فانهم لم يعتقدوا شرطا واما من قال ان
اخذه مكانه صحت صلاته وتبطل صلاة من نظر اليه فصحيفه يجب نحوها ولا يجب
الاشتغال بها وفي البخاري والنسايي عن عمرو ابن سلمة قال لما رجع قومي من عند
النبي صلى الله عليه وسلم قالوا قال ليؤمكم اكثركم قراءة للقران قال فدعوني
فعلموني الركوع والسجود فكنت اصلي بهم وكانت علي بردة مفتوقة وكانوا يقو
لابي الا تغطون عنا است ابنك لفظ النسايي وثبت عن سهل ابن سعد
قال لقد كانت الرجال عاقدي ازرهم في اعناقهم من ضيق الازر خلف رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الصلاة كامثال الصبيان فقال قايل يا معشر النسا لا ترفعن رووسكم
حتى يرفع الرجال اخرجه البخاري والنسايي وابو داود **الثالثة** واختلفوا
اذا راي عورة نفسه فقال الشافعي اذا كان الثوب ضيقا يزره او يخلله بشي لئلا يتجافى
القميص فترى من الجيب العورة فان لم يفعل وراي عورة نفسه اعاد الصلاة وهو
قول احمد ورخص مالك في الصلاة في القميص محلول الازرار ليس عليه سراويل وهو
قول ابي حنيفة وابي ثور وكان سالم يصلي محلول الازرار وقال داود الطايي
اذا كان عظيم اللحية فلا باس به وحكى معناه الاثرم عن احمد فان كان

اما ما فلا يصلي الا برداية لانه من الزينه وقيل من الزينة الصلاه في النعلين رواه
انس عن النبي صلي الله عليه وسلم ولم يصح وقيل زينة الصلاه رفع الايدي في
الركوع والرفع منه قاله ابن عمر لكل شي زينة وزينة الصلاه التكبير ورفع الايدي
وقال عمر رضي الله عنه اذا وسع الله عليكم فا وسعوا علي انفسكم جمع رجل عليه ثيابه
صلي في قميص ورداء في ازار وقميص في ازار وقباء في سراويل ورداء في
سراويل وقميص في سراويل وقباء واحسبه قال في تبان وقميص في تبان
ورداء في تبان وقباء رواه البخاري والدارقطني **الرابعه** قوله تعالي وكلوا
واشربوا ولا تسرفوا قال ابن عباس احل الله الاكل والشرب في هذه الايه ما
لم يكن سرفا او مخيله فاما ما تدعو الحاجه اليه وهو ما سد الجوعه وسكن الظما
فمندوب اليه عقلا وشرعا لما فيه من حفظ النفس وحراسه الحواس ولذلك
ورد الشرع بالنهي عن الوصال لانه يضعف الجسد ويميت النفس
ويضعف عن العباده وذلك يمنع منه الشرع ويدفعه العقل وليس لمن منع نفسه
قدر الحاجه حظ من بر ولا نصيب من زهد لان ما حرمها من فعل الطاعة بالعجز
والضعف اكثر ثوابا واعظم اجرا وقد اختلف في الزايد علي قدر الحاجه علي قولين
فقيل حرام وقيل مكروه ابن العربي وهو الصحيح فان قدر الشبع يختلف باختلاف
البلدان والازمان والاسنان والطعان ثم قيل في قله الاكل منافع كثيره
منها ان يكون الرجل اصح جسما واجود حفظا وازكي فهما واقل نوما واخف نفسا
وفي كثره الاكل كظ المعده ونتن التخمه ويتولد منه الامراض المختلفه فيحتاج من
العلاج اكثر مما يحتاج اليه القليل الغدا وقال بعض الحكما اكبر الدوا تقدير الغدا
وقد بين النبي صلي الله عليه وسلم هذا المعني بيانا شافيا يغني عن كلام
الاطبا فقال ما ملا الادمي وعاء شرا من بطن بحسب ابن ادم لقيمات

يقمن صلبه فان كان لا محاله فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه خرجه
الترمذي من حديث المقدام ابن معدي كرب قال علماونا الوسمع بقراط بهذه
القسمه لعجب من هذه الحكمه يذكر ان الرشيد كان له نصراني حاذق فقال لعلي
ابن حسين ليس في كتابكم من علم الطب شي والعلم علمان علم الاديان وعلم
الابدان فقال له علي كرم الله وجهه قد جمع الله الطب كله في نصف
ايه فقال ما هي قال قوله عز وجل وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال
النصراني ولا يوثر عن رسولكم شي من الطب فقال علي رضي الله عنه جمع رسول
الله صلي الله عليه وسلم الطب في الفاظ يسيره قال المعده بيت الادوا والحميه
راس كل دوا واعط كل جسد ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم
لجالينوس طبا **قلت** ويقال ان معالجه المريض نصفان نصف دوا ونصف
حميه فان اجتمعا فكانك بالمريض قد برا وصح باذن الله والا فالحميه به اولي
اذ لا ينفع دوا مع ترك الحميه ولقد ينفع الحميه مع ترك الدوا ولقد قال صلي الله عليه
وسلم اصل كل دوا الحميه والمعني بها والله اعلم انها تغني عن كل دواء ولذلك يقال
ان الهند جل معالجتهم الحميه يمتنع المريض من الاكل والشرب والكلام عده ايام
فيبرا ويصح **الخامسه** روي مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت
رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول الكافر ياكل في سبعه امعا والمومن
ياكل في معي واحد وهذا منه صلي الله عليه وسلم حض علي التقلل من الدنيا
والزهد فيها والقناعه بالبلغه وقد كانت العرب تمدح وتمتدح بقله الاكل
وتذم بكثرته كما قال قايلهم ن تكفيه فلذ الكبد ان الم بها من الشوا
ويروي شربه الغمر ن وقالت ام زرع في ابن ابي زرع وتشبعه ذراع
الجفره وقال حاتم الطاي يذم بكثره الاكل

فانك ان عطيت بطنك سوله وفرجك نالا منتهي الذم اجمعان وقال الخطابي
معني قوله المومن ياكل في معي واحد اي يتناول دون شبعه ويوثر علي نفسه
ويبقي من زاده لغيره فيقنعه ما اكل والتاويل الاول اولي والله اعلم وقيل في
قوله صلي الله عليه وسلم الكافر ياكل في سبعة امعاء ليس علي عمومه لان
المشاهده تمنعه فانه قد يوجد كافر اقل اكلا من مومن ويسلم الكافر فلا
يقل اكله ولا يزيد وقيل هو اشاره الي معين ضاف النبي صلي الله عليه
وسلم ضيفه كافر يقال له الجهجاه الغفاري ويقال ثمامه ابن اثال وقيل نضله ابن عمرو
الغفاري وقيل بصره ابن ابي بصره الغفاري فشرب حلاب سبع شياه ثم اصبح فاسلم
فشرب حلاب شاه فلم يستتمه فقال النبي صلي الله عليه وسلم ذلك فكانه قال هذا
الكافر والله اعلم وقيل ان القلب لما تنور بنور التوحيد نظر الي الطعام بعين
التقوى علي الطاعه فاخذ منه قدر الحاجه وحين كان مظلما بالكفر كان
اكله كالبهيمه ترتع حتي تثلط واختلف في هذه الامعا هل هي حقيقه ام لا فقيل
حقيقه ولها اسما معروفه عند اهل العلم بالطب والتشريح وقيل هي كنايات عن
اسباب سبعا ياكل بها البهيم ياكل للحاجه وللخبر والنظر والشم واللمس والذوق
ويزيد استغناما وقيل المعني اي ياكل اكل من له سبعة امعاء والمومن
بخفه اكله ياكل اكل من ليس له الا معي واحد فيشارك الكافر بجزء من
اجزا اكله ويزيد الكافر عليه بسبعة امثاله والمعاني في هذا الحديث هو
المعده السادسه واذا تقرر هذا فاعلم انه يستحب للانسان غسل اليد قبل
الطعام وبعده لقوله صلي الله عليه وسلم الوضو قبل الطعام وبعده بركه
وعدا في التوراه رواه زاذان عن سلمان وكان مالك يكره غسل اليد
النظيفه والاقتدا بالحديث اولي ولا ياكل طعاما حتي يعرف احاره الطعام باردا

فانه ان كان حاراً فقد يتاذي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ابردوا بالطعام فان الحار غير ذي بركه حديث صحيح قد تقدم في البقره ولا يشمه
فان ذلك من عمل البهايم بل ان اشتهاه اكله وان كرهه تركه ويصغر اللقمه
ويكثر مضغها لئلا يعد شرهاً ويسمي الله تعالى في اوله ويحمد في اخره
ولا ينبغي ان يرفع صوته بالحمد الا ان يكون جلساو قد فرغوا من
الاكل لان في رفع الصوت منعاً لهم من الاكل واداب الاكل كثيره هذه
جمله منها وسياتي بعضها في سوره هود ان شا الله تعالى وللشراب ايضاً
اداب معروفه تركنا ذكرها لشهرتها وفي صحيح مسلم عن ابن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا اكل احدكم فليأكل بيمينه فاذا شرب فليشرب بيمينه
فان الشيطان ياكل بشماله ويشرب بشماله **السابعه** قوله تعالى ولا تسرفوا
اي في كثره الاكل وعنه يكون كثره الشرب وذلك يثقل المعده ويثبط الانسان
عن خدمه ربه والاخذ بحظه من نوافل الخير فان تعدي ذلك الى ما فوقه مما يمنعه
من القيام بالواجب حرم عليه وكان قد اسرف في مطعمه ومشربه روي اسد بن
موسى من حديث عون بن ابي جحيفه عن ابيه قال اكلت ثريدا بلحم سمين فاتيت
النبي صلى الله عليه وسلم وانا اتجشى فقال اكفف عليك من جشابك ابا جحيفه فان
اكثر الناس شبعاً في الدنيا اطولهم جوعاً يوم القيمه فما اكل ابو جحيفه بملء بطنه
حتى فارق الدنيا كان اذا تغدي لا يتعشى واذا تعشى لا يتغدى **قلت**
وقد يكون هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم المومن ياكل في معي واحد اي التام
الايمان لان من حسن اسلامه وكمل ايمانه كابي جحيفه رضي الله عنه تفكر فيما
يصير اليه من الموت وما بعده فيمنعه الخوف والاشفاق من تلك الاهوال
من استيفاء شهواته والله اعلم وقال ابن زيد معنى ولا تسرفوا لا

تاكلوا حراما وقيل من السرف ان تاكل كل ما اشتهيت رواه انس ابن ملك عن
النبي صلي الله عليه وسلم خرجه ابن ماجه في سننه وقيل من الاسراف الاكل بعد
الشبع وكل ذلك محظور وقال لقمان لابنه يا بني لا تاكل شبعا فوق شبع فانك ان
تنبذه للكلب خير من ان تاكله وسال سمرة ابن جندب رضي الله عنه عن ابنه ما
فعل فقالوا بشم البارحه قال بشم فقالوا نعم قال اما انه لو مات ما صليت عليه
وقيل ان العرب في الجاهليه كانوا لا ياكلون دسما في ايام حجهم ويكتفون
باليسير من الطعام ويطوفون عراة فقيل لهم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا
واشربوا ولا تسرفوا اي لا تسرفوا في تحريم ما لم يحرم عليكم **قوله تعالي**
قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق فيه اربع مسايل الاولي
قوله تعالي قل من حرم زينة الله بين انهم حرموا من تلقا انفسهم ما لم يحرمه الله عليهم
والزينه هنا الملبس الحسن اذا قدر عليه صاحبه وقيل جميع الثياب كما روي
عن عمر اذا وسع الله عليكم فاوسعوا وقد تقدم وروي عن علي ابن الحسين ابن ابي
طالب رضي الله عنهم شيخ سلك انه كان يلبس كسا خز بخمسين درهما دينارا يلبسه
في الشتا فاذا كان في الصيف تصدق به او باعه وتصدق بثمنه وكان يلبس
في الصيف ثوبين من متاع مصر ممشقين ويقول من حرم زينة الله التي
اخرج لعباده والطيبات من الرزق **الثانيه** واذا كان هذا فقد دلت
الايه علي لباس الرفيع من الثياب والتجمل بها في الجمع والاعياد وعند لقاء
الناس وتزاور الاخوان قال ابو العاليه كان المسلمون اذا تزاوروا تجملوا وفي صحيح
مسلم من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه راي حلة سيراء تباع عند
باب المسجد فقال يا رسول الله لو اشتريتها ليوم الجمعه وللوفود اذا قدموا عليك
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم انما يلبس هذه من لا خلاق له

مطلب شريف

في الاخره فما انكر عليه ذلك التجمل وانما انكر عليه كونها سيرا وقد اشترى تميم
الداري رضي الله عنه حلة بالف درهم كان يصلي فيها وكان مالك ابن دينار يلبس
الثياب العدنيه الجياد وكان ثوب احمد ابن حنبل رحمه الله يشترى بنحو الدينار اين هذا
ممن يرغب عنه ويوثر لبس الخشن من الكتان والصوف من الثياب ويقول
ولباس التقوى ذلك خير هيهات اترى من ذكرنا لكانوا تركوا لباس التقوى
لا والله بل هم اولوا التقوى واولوا المعرفه والنهى وغيرهم اهل دعوى
وقلوبهم خاليه من التقوى قال خالد ابن شوذب شهدت الحسن واتاه فرقد
فاخذ بكسائه فجذبه اليه فقال يا فرقد يا ابن ام فرقد ان البر ليس في هذا
الكساء انما البر ما وقر في الصدر وصدقه العمل ودخل ابو محمد ابن اخي معروف
الكرخي علي ابي الحسن ابن بشار وعليه جبه صوف فقال له ابو الحسن
يا ابا محمد صوفت قلبك او جسمك صوف قلبك والبس القوهي علي القوهي
وقال رجل للشبلي قد ورد جماعه من اصحابك وهم في الجامع فمضى فراي عليهم
المرقعات والفوط فانشا يقول ن اما الخيام فانها كخيامهم واري نسا الحي
غير نسايها ن قال ابو الفرج الجوزي وانا اكره لبس الفوط والمرقعات
لاربعه اوجه احدها انه ليس من لبس السلف وانما كانوا يرقعون ه
ضروره والثاني انه يتضمن ادعا الفقر وقد امر الانسان ان يظهر نعمه
الله عليه والثالث اظهار التزهد وقد امرنا بستره والرابع انه تشبه بهولا
المتزحزحين عن الشريعه ومن تشبه بقوم فهو منهم وقال الطبري ولقد اخطا من
اثر لباس الشعر والصوف علي لباس القطن والكتان مع وجود السبيل اليه من
حله ومن اكل البقول والعدس واختاره علي خبز البر ومن ترك اكل اللحم خوفا
من عارض شهوه النسا وسيل بشر ابن الحرث عن لبس الصوف فشق عليه

وتبيت الكراهه في وجهه ثم قال لبس الحق والمعصفر احب الي من لبس الصوف
في الاسمار قال ابو الفرج وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطه لا المرتفعه
ولا الدون ويتخيرون اجودها للجمعه والعيد وللقا الاخوان ولم يكن تخير الاجود
عندهم قبيحًا واما اللباس الذي يزري بصاحبه فانه يتضمن اظهار الزهد واظهار
الفقر وكانه لسان شكوى من الله تعالي ويوجب احتقار اللابس وكل ذلك
مكروه منهي عنه فان قال قايل تجويد اللباس هوى النفس وقد امرنا
بمجاهدتها وتزين للخلق وقد امرنا ان تكون افعالنا لله لا للخلق فالجواب انه ليس
كل ما تهواه النفس يذم ولا كل ما يتزين به للخلق يكره وانما ينهى عن ذلك اذا
كان الشرع قد نهى عنه او علي وجه الريا في باب الدين فان الانسان يحب ان
يرى جميلًا وذلك حظ للنفس لا يلام فيه ولهذا يسرح شعره وينظر في المراه ويسوى
عامته ويلبس بطانه الثوب الخشنه الي داخل وبطانته الحسنه الي الخارج
وليس في شي من هذا ما يكره ولا يذم وقد روى مكحول عن عايشة قالت كان نفر من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه علي الباب فخرج يريدهم وفي
الدار ركوه فيها ما فجعل ينظر في الما ويسوي شعره ولحيته فقلت يا رسول
الله وانت تفعل هذا قال نعم اذا خرج الرجل الي اخوانه فليهيي
من نفسه فانه الله تعالي جميل يحب الجمال وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود
عن النبي صلي الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من
كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة قال ان الله
جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس والاحاديث في هذا المعني كثيره
تدل كلها علي النظافه وحسن الهيه وقد روى محمد ابن سعد انا الفضل ابن دكين
قال نا مندل عن ثور عن خالد ابن معدان قال كان رسول الله صلي الله

عليه وسلم يسافر بالمشط والمراة والدهن والسواك والكحل عن ابن جريج مشط عاج يمتشط به قال ابو سعد وانا قبيصه ابن عقبه قال نا سفيان عن ربيع ابن صبيح عن يزيد الرقاشي عن انس ابن مالك قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يكثر دهن راسه ويسرح لحيته بالماء انا يزيد ابن هرون نا عباد ابن منصور عن عكرمه عن ابن عباس قال كانت لرسول الله صلي الله عليه وسلم مكحلة يكتحل بها عند النوم ثلاثا في كل عين **الثالثه** قوله تعالي والطيبات من الرزق الطيبات اسم عام لما طاب كسبا وطعما ابن عباس وقتاده يعني بالطيبات من الرزق ما حرم اهل الجاهليه من البحاير والسوايب والوصايل والحوامي وقيل هي مستلذ من الطعام وقد اختلف في ترك الطيبات والاعراض عن اللذات فقال قوم ليس ذلك من القربات والفعل والترك فيستوي في المباحات وقال اخرون ليس قربه في ذاته وانما هو سبيل الي الزهد في الدنيا وقصر الامل فيها وترك التكلف لاجلها وذلك مندوب اليه والمندوب قربه وقال اخرون ونقل عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قوله لو شينا لاتخذنا صلا وصدايق وصنابا ولكني سمعت الله تعالي يذم اقواما فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ويروي صرايق بالرا وهما جميعا الجرادق وقيل الصلاو بالالام ما يصلق من اللحم والبقول والصلا بكسر الصاد والمد الشوا والصناب الخردل بالزبيب وفرق اخرون بين حضور ذلك كله بكلفه وبغير كلفه قال ابو الحسن علي ابن المفضل المقدسي شيخ اشياخنا وهو الصحيح ان شا الله عز وجل فانه لم ينقل عن النبي صلي الله عليه وسلم انه امتنع من طعام لاجل طيبه قط بل كان يا كل الحلوا والعسل والبطيخ والرطب وانما يكره التكلف لما فيه من التشاغل بشهوات الدنيا عن مهمات الاخره والله اعلم **قلت** وقد كره بعض الصوفيه اكل الطيبات

واحتج بقول عمر رضي الله عنه اياكم واللحم فان له ضراوة كضراوة الخمر والجواب
ان هذا من عمر قول خرج على من خشي منه ايثار التنعم في الدنيا والمداومة على
الشهوات وشفاء النفس من اللذات ونسيان الاخرة والاقبال على الدنيا ولذلك
كان يكتب الى عماله اياكم والتنعم وزي اهل الشرك العجم واخشوشنوا ولم يرد
رحمه الله تحريم شي احله الله ولا تحظير ما اباحه تبارك اسمه وقول الله عز وجل
اولى ما امتثل واعتمد عليه قال الله عز وجل قل من حرم زينة الله التي اخرج
لعباده والطيبات من الرزق وقال صلى الله عليه وسلم سيد ادام الدنيا والآخرة اللحم
وقد روى هشام ابن عروة عن ابيه عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ياكل
البطيخ بالرطب ويقول يكسر حر هذا برد هذا وبرد هذا حر هذا والطبيخ لغة في
البطيخ وهو من المقلوب وقد مضى في البقرة الرد على من اثر اكل الخشن
من الطعام وهذه الاية ترد عليه وغيرها والحمد لله **الرابعة**
قوله تعالى قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا يعني بحقها من توحيد الله تعالى
والتصديق له فان الله ينعم ويرزق فان وحده المنعم عليه وصدقه فقد قام بحق النعمة
وان كفر فقد امكن الشيطان من نفسه وفي صحيح الحديث لا احد اصبر على اذى من
الله يعافيهم ويرزقهم وهم يدعون له صاحبة والولد وتم الكلام على الحيوة الدنيا
ثم قال خالصة بالرفع وهي قراة ابن عباس ونافع خالصة يوم القيمة
اي يخلص الله الطيبات في الاخرة للذين امنوا وليس للمشركين فيها شي كما كان
لهم من الاشراك فيها ومجاز الاية قل هي للذين امنوا مشتركة في الدنيا مع غيرهم
وهي للمومنين خالصة يوم القيمة فخالصة مستانفة على خبر مبتدا مضمر وهذا
قول ابن عباس والضحاك والحسن وقتادة والسدي وابن جريج وابن
زيد وقيل المعنى ان هذه الطيبات الموجودات في الدنيا هي

خالصة يوم القيمه للمؤمنين في الدنيا وخلوصها انهم يعاقبون عليها ولا يعذبون
فقوله في الحيوة الدنيا متعلق بآمنوا والى هذا يشير تفسير سعيد بن جبير
وقرا الباقون بالنصب على الحال والقطع لان الكلام قد تم دونه ولا يجوز الوقف
على هذه القراءة على الدنيا لان ما بعده متعلق بقوله للذين امنوا حالا منه بتقدير
قل هي ثابته للذين امنوا في الحيوة الدنيا في حال خلوصها لهم
يوم القيمه قاله ابو علي وخبر الابتداء للذين امنوا والعامل في الحال
ما في اللام من معنى الفعل في قوله للذين واختار سيبويه النصب لتقدم
الظرف كذلك نفصل الايات اي كالذي فصلت لكم الحرام والحلال افصل لكم ما
يحتاجون اليه **قوله تعالى** قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
قيل مسلها واحد قال الكلبي لما لبس المسلمون الثياب وطافوا بالبيت عيرهم
المشركون فنزلت هذه الايه والفواحش الاعمال المفرطة في القبح روى روح
عن عباده عن زكريا ابن اسحق عن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال ما ظهر منها
نكاح الامهات في الجاهليه وما بطن الزنا وقال سرها وعلانيتها وهذا فيه
نظر فانه ذكر الاثم والبغي فدل ان المراد بالفواحش بعضها واذا كان كذلك
فالظاهر من الفواحش الزنا والله اعلم والاثم قال الحسن الخمر قال الشاعر

شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم يلعب بالعقول

وقال اخر نشرب الاثم بالصواع جهارا وترى المسك بيننا مستعارا
والبغي الظلم وتجاوز الحد فيه وقد تقدم وقال ثعلب البغي
ان يقع الرجل في الرجل فيتكلم فيه ويبغي عليه بغير الحق الا
ان ينتصر منه بحق واخرج الاثم والبغي من الفواحش وهما منه لعظمهما
وفحشهما نص على ذكرهما تاكيدا لامرهما وقصدا للزجر عنهما وكذا وان

تشربوا وان تقولوا وهما في موضع نصب عطفا علي ما قبل وقد انكر جماعه ان
يكون الاثم يعني الخمر قال الفرا الاثم ما دون الحد والاستطاله علي الناس قال
النحاس فاما ان يكون الاثم الخمر فلا يعرف ذلك وحقيقه الاثم انه جميع المعاصي
كما قال الشاعر ه اني وجدت الامر ارشده تقوي الاله وشره الاثم ه
قلت وانكره ابن العربي ايضا وقال لا حجه في الاثم لانه
لو قال شربت الذنب او شربت الوزر لكان كذلك ولم يوجب قوله
ان يكون الوزر والذنب اسما من اسماء الخمر كذلك الاثم والذي اوجب التكلم بمثل
هذا الجهل بالجهل باللغه وبطريق المعاني **قلت** قد ذكرنا عن الحسن وقال
الجوهري في الصحاح وقد تسمي الخمر اثما وانشد شربت الاثم البيت وانشده الهروي
في غريبه فلا يبعد ان يكون الاثم يقع علي جميع المعاصي وعلي الخمر ايضا لغه فلا
تناقض والبغي التجاوز في الظلم وقيل الفساد **قوله تعالي** ولكل امه
اجل فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعه ولا يستقدمون فيه مسله ولكل قوله تعالي
ولكل امه اجل اي وقت موقت فاذا جا اجلهم اي الوقت المعلوم عند الله عز
وجل وقرا ابن سيرين جا اجلهم بالجمع لا يستاخرون ساعه ولا يستقدمون باقل من ساعه
الا ان الساعه خصت بالذكر لانها اقل اسما الاوقات وهي ظرف زمان
ولا يستقدمون فدل بهذا علي ان المقتول انما يقتل باجله واجل
الموت هو وقت الموت كما ان اجل الدين هو وقت حلوله وكل شي وقت به شي
فهو اجل له واجل الانسان هو الوقت الذي يعلم الله انه يموت الحي فيه لا محاله
وهو وقت لا يجوز تاخير موته عنه لا من حيث انه ليس مقدورا تاخيره وقال كثير
من المعتزله الا من شذ منهم ان المقتول مات بغير اجله الذي ضرب له وانه
لو لم يقتل لحيي وهذا غلط لان المقتول لم يمت من اجل قتل غيره له

بل من اجل ما فعله الله من ازهاق نفسه عند الضرب له قيل فان مات باجله
فلم تعلون ضاربه وتقتصون منه قيل نقتله لتعديه وتصرفه فيما ليس له ان
يتصرف فيه لا لموته وخروج الروح اذ ليس ذلك من فعله ولو ترك الناس
والتعدي من غير قصاص لادى ذلك الى الفساد ودمار العباد وهذا واضح
قوله تعالى يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم شرط ودخلت
النون توكيدا لدخول ما وقيل ما صلة اي ان ياتكم اخبر انه يرسل
اليهم الرسل منهم لتكون اجابتهم اقرب والقصص اتباع الحديث بعضه بعضا اياتي
اي فرايضي واحكامي فمن اتقى واصلح شرط وما بعده جوابه هو جواب الاول اي
واصلح منكم يا بني وبينه فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون دليل على ان المومنين يوم
القيمة لا يخافون ولا يحزنون ولا يلحقهم رعب ولا فزع وقيل قد يلحقهم اهوال القيمة ولكن
مآلهم الأمن وقيل جواب اما يأتينكم ما دل عليه الكلام اي فاطيعوهم فمن
اتقى واصلح والاول قول الزجاج **قوله تعالى** فمن اظلم ممن افترى على
الله كذبا او كذب باياته المعنى اي شيء اظلم واشنع من الافترا على الله تعالى
والتكذيب باياته ثم قال اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي ما كتب لهم من رزق
وعمر وعمل عن ابن زيد ابن جبير من شقاء وسعادة عن ابن عباس من خير
وشر الحسن وابو صالح من العذاب بقدر كفرهم واختيار الطبري ان يكون
المعنى ما كتب لهم ما قدر لهم من خير وشر ورزق وعمل واجل على ما تقدم عن ابن
زيد وابن عباس وابن جبير قال الا ترى انه اتبع ذلك بقوله حتى اذا جاءتهم رسلنا
يتوفونهم يعني رسل ملك الموت وقيل الكتاب هنا القران لان عذاب
الكفار مذكور فيه وقيل الكتاب اللوح المحفوظ ذكر الحسن ابن
علي الحلواني قال املى علي علي ابن المديني قال سألت عبد الرحمن

ابن مهدي عن القدر فقال لي كل شي بقدر قال وقد اعظم الفريه من قال ان
المعاصي ليست بقدر قال علي وقال لي عبد الرحمن ابن مهدي العلم والقدر والكتاب
سوا ثم عرضت كلام عبد الرحمن ابن مهدي علي يحيى ابن سعيد فقال لم يبق بعد
هذا قليل ولا كثير وروي يحيى ابن معين نا مروان الفزاري نا اسمعيل ابن سميع
عن بكير الطويل عن مجاهد عن ابن عباس اوليك ينالهم نصيبهم من الكتاب
قال قوم يعملون اعمالهم لا بد لهم من ان يعملوها وحتي ليس بغاية بل هو ابتدا
خبر عنهم قال سيبويه الخليل وسيبويه حتي واما والا لا يملن لانهن حروف ففرق
بينها وبين الاسما مثل حبلي وسكري قال الزجاج تكتب حتي بالالف لانها اشبهت
سكري ولو كتبت الا بالبا لاشبهت الي ولم تكتب الا بالبا لان هاتان ضمت اليها ما
قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله سوال توبيخ ومعني تدعون تعبدون
قالوا ضلوا عنا اي بعدوا ان بطلوا وذهبوا قيل هذا يكون في الاخره وشهدوا
علي انفسهم انهم كانوا كافرين اي اقروا بالكفر علي انفسهم **قوله تعالي**
قال ادخلوا مع امم اي في امم اي مع امم في بمعني مع وهذا لا يمتنع ان قولك زيد
في القوم اي مع القوم وقيل في علي بابها ادخلوا في جملتهم والقايل قيل هو الله جل
وعز اي قال الله ادخلوا وقيل هو ملك خازن النار ولعنت اختها في الدين والملة حتي
اذا اداركوا اي اجتمعوا وقرا الاعمش تداركوا وهو الاصل ثم وقع الادغام
فاحتيج الي الف الوصل وحكاها المهدوي عن ابن مسعود النحاس
وقرا ابن مسعود حتي اذا ادركوا اي ادرك بعضهم بعضا وعصمه
عن ابي عمرو حتي اذا اداركوا باثبات الالف علي الجمع بين الساكنين
وحكي هادان عبد الله وله تملشا الملال وعن ابي عمرو ايضا اذا اداركوا
بقطع الف الوصل فكانه سكت علي اذا للتذكير فلما طال سكونه قطع

الف الوصل كالمبتدي بها وقد جا في الشعر قطع الف الوصل نحو قول الشاعر

، يا نفس صبرا كل حي لاتي ، وكل اثنين الى افتراق ،

وعن مجاهد وحميد ابن قيس حتى اذا دركوا بحذف الف اذا لالتقا

الساكنين وحذف الالف التي بعد الدال جميعا نصب على الحال قالت

اخراهم لاولاهم اي اخرهم دخولا وهم الاتباع لاولاهم وهم القادة

ربنا هولا اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار فاللام في لاولاهم لام

اجل لانهم لم يخاطبوا اولاهم ولكن قالوا في حق اولاهم ربنا هولا اضلونا والضعف

المثل الزايد على مثله مرة او مرات وعن ابن مسعود ان الضعف هاهنا الافاعي

والحيات ونظير هذه الايه ربنا اتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وهنا

باتي ذكر الضعف باشبع من هذا وما يترتب عليه من الاحكام ان شا الله

تعالى قال لكل ضعف اي للتابع والمتبوع ولكن لا يعلمون على قراة من

قرا باليا اي لا يعلم كل فريق ما الفريق الاخر اذ لو علم بعض من في النار ان عذاب

احد فوق عذابه لكان نوع سلوة له وقيل المعنى ولكن لا يعلمون بالتا اي

ولكن لا تعلمون بالتا اي ولكن لا تعلمون ايها المخاطبون ما يجدون من

العذاب ويجوز ان يكون المعنى ولكن تعلمون يا اهل الدنيا مقدار ما هم فيه

من العذاب وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل اي قد كفرتم وفعلتم كما

فعلنا فليس تستحقون تخفيفا من العذاب **الثالثه** لا تفتح لهم ابواب السماء اي

لارواحهم جات بذلك اخبار صحاح ذكرناها في كتاب التذكره منها حديث البرا بن عازب

وفيه في قبض روح الكافر قال ويخرج منها ريح كانتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض

فيصعدون بها فلا يمرون على ملا من الملايكه الا قالوا ما هذه الروح

الخبيثه فيقولون فلان ابن فلان باقبح اسمايه التي يسمي بها في الدنيا

حتي ينتهوا بها الي السما الدنيا فيستفتحون فلا يفتح لهم ثم قرا رسول الله صلي الله
عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السما الايه وقيل لا تفتح لهم ابواب السما اذا
دعوا قاله مجاهد والنخعي وقيل المعني لا تفتح لهم ابواب الجنه لان الجنه في السما ودل
علي ذلك قوله ولا يدخلون الجنه حتي يلج الجمل في سم الخياط والجمل لا يلج فلا يدخلونها
البته وهذا دليل قطعي لا يجوز العفو عنهم وعلي هذا اجماع المسلمين الذين
لا يجوز عليهم الخطا ان الله سبحانه لا يغفر لهم ولا لاحد منهم قال
القاضي ابو بكر ابن الطيب فان قال قايل وكيف يكون هذا
اجماعا من الامه وقد زعم قوم من المتكلمين بان مقلدة اليهود والنصاري وغيرهم من اهل
الكفر ليسوا في النار قيل له هولا قوم انكروا ان يكون المقلد كافرا لشبهه دخلت
عليهم ولم يزعموا ان المقلد كافر وانه مع ذلك ليس في النار والعلم بان المقلد
كافر او غير كافر طريقه النظر دون التوقيف والخبر لا يفتح بالياء
مضمومه علي تذكير الجمع وقرا الباقون بالتا علي تانيث الجماعه كما قال مفتحه لهم
الابواب فانث ولما كان التانيث في الابواب غير حقيقي جاز تذكير الجمع وهي قراه
ابن عباس بالتا وخفف ابو عمرو وحمزه والكساي علي معني ان التخفيف يكون
للقليل والكثير والتشديد للتكثير والتكرير مره بعد مره لا غير والتشديد هنا
اولي لانه علي الكثير ادل والجمل من الابل قال الفرا الجمل زوج الناقه
وكذا قال عبد الله ابن مسعود لما سيل عن الجمل فقال هو زوج الناقه كانه
استجهل من ساله عما يعرفه الناس جميعا والجمع جمال واجمال وجمالات وانما يسمى
جملا اذا اربع وفي قراه عبد الله حتي يلج الجمل الاصفر في سم الخياط ذكره ابو بكر الانباري
نا ابي نا نصر ابن داود نا ابو عبيد نا حجاج عن ابن جريج عن ابن كثير عن
مجاهد قال في قراه عبد الله فذكره وقرا ابن عباس الجمل بضم

الجيم وفتح الميم وتشديدها وهو حبل السفينه الذي يقال له القلس وهو حبال مجموعه جمع جمله قاله احمد ابن يحيي ثعلب وقيل الحبل الغليظ من القنبه وقيل الحبل الذي يصعد به في النخل وروي عنه ايضا وعن سعيد ابن جبير الجمل بضم الجيم وتخفيف الميم قيل هو القلس ايضا والحبل علي ما ذكرنا انفا وروي عنه ايضا الجمل بضمتين جمع اجمال كاسد واسد والجمل مثل اسد واسد وعن ابي السمال الجمل بفتح الجيم وسكون الميم تخفيف جمل وسم الخياط ثقب الابره عن ابن عباس وغيره وكل ثقب لطيف في البدن يسمي سما وسما جمعه سموم وجمع السم القاتل سمام وقرا ابن سيرين في سم بضم السين والخياط ما يخاط به يقال خياط ومخيط مثل ازار ومئزر وقناع ومقنع والمهاد الفراش وغواش جمع غاشيه اي نيران تغشاهم وكذلك نجزي الظالمين يعني الكفار والله اعلم **قوله تعالي** لا نكلف نفسا الا وسعها كلام معترض اي والذين امنوا وعملوا الصالحات اوليك اصحاب الجنه ومعني لا يكلف الله نفسا الا وسعها اي لم يكلف احد من نفقات الا ما وجد وتمكن منه دون ما لا يساله بيه ولم يرد اثبات الاستطاعه قبل الفعل قاله ابن الطيب نظيره لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها **قوله تعالي** ونزعنا ما في صدورهم من غل ذكر الله عز وجل فيما انعم به علي اهل الجنه نزع الغل من صدورهم والنزع الاستخراج والغل الحقد الكامن في الصدر والجمع غلال اي اذهبنا في الجنه ما كان في قلوبهم من الغل في الدنيا قال النبي صلي الله عليه وسلم الغل علي باب الجنه كمبارك الابل قد نزعه الله من قلوب المومنين وروي عن علي كرم الله وجهه انه قال ارجوا ان اكون انا وعثمان وطلحه والزبير من الذين قال الله فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل وقيل نزع الغل في الجنه ان لا يحسد بعضهم بعضا في تفاضل منازلهم وقد قيل

ان ذلك يكون عن شراب الجنة ولهذا قال وسقاهم ربهم شرابا طهورا اي يطهر
الاوضار من الصدور على ما ياتي في سورة الانسان والزمر ان شا الله تعالى وقالوا
الحمد لله الذي هدانا الثواب بان ارشدنا وخلق لنا الهداية وهذا رد على
القدرية وما كنا قراه ابن عامر باسقاط الواو والباقون باثباتها
لنهتدي لام كي لولا ان هدانا الله في موضع رفع ونودوا اصله
نوديوا ان في موضع نصب مخففة من الثقيلة اي بانه تلكم
الجنة وقد يكون تفسيرا لما نودوا به لان الندا قول فلا يكون لها موضع اي قيل
لهم ذلك قبل الدخول حين عاينوها من بعد وقيل تلكم بمعنى هذه ومعنى اورثتموها
بما كنتم تعلمون اي ورثتم منازلها بعملكم ودخولكم اياها برحمة الله وفضله كما قال ذلك
الفضل من الله وقال فسيدخلهم في رحمة منه وفضل وفي صحيح مسلم لن يدخل احدا منكم عمله
الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل
وفي غير الصحيح ليس من كافر ولا مومن الا وله في الجنة والنار منزل فاذا دخل اهل
الجنة الجنة واهل النار النار رفعت الجنة لاهل النار فنظروا الى منازلهم فيها فيقيل
لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله ثم يقول يا اهل الجنة رثوهم بما كنتم تعلمون فيقتسم
بين اهل الجنة منازلهم **قلت** وفي صحيح مسلم لا يموت رجل مسلم الا
ادخل الله مكانه النار يهوديا او نصرانيا فهذا ايضا ميراث
نعم بفضله من يشا وعذب بعدله من يشا وبالجملة فالجنة ومنازلها
لا تنال الا برحمته فاذا دخلوها باعمالهم فقد ورثوها برحمته ودخلوها
برحمته اذ اعمالهم رحمة منه لهم وتفضل عليهم وقرى اورثتموها من
غير ادغام وقرى بادغام الثاء في التاء **قوله تعالى** ونادي
اصحاب الجنة هذا سوال تقريع وتعيير ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا

ان تلكم الجنه اي انه قد وجدناه وقيل هو نفس الندا فاذن موذن بينهم اي
نادي وصوت يعني من الملايكه بينهم ظرف كما تقول اعلم وسطهم وقرا الاعمش
والكساي نعم بكسر العين ويجوز علي هذه اللغه باسكان العين قال مكي من قال
نعم بكسر العين اراد ان يفرق بين نعم التي هي جواب وبين نعم التي هي اسم لابقر
والغنم وقد روي عن عمر انكار نعم بفتح العين في الجواب وقال قل نعم
ونعم لغتان بمعنى العده والتصديق فالعده اذا استفهمت عن
موجب نحو قولك ايقوم زيد فيقول نعم والتصديق اذا اخبرت عما وقع تقول قد
كان كذا وكذا فيقول نعم فاذا استفهمت عن منفي الجواب فالجواب بلي نحو
قولك الم اكرمك فيقول بلي فنعم لجواب الاستفهام الداخل علي الايجاب كما في
هذه الايه وبلي جواب الاستفهام الداخل علي النفي كما قال تعالي الست بربكم
قالوا بلي وقرا البزي وابن عامر وحمزه والكساي ان لعنه الله وهو الاصل وقرا الباقون
بتخفيف ان ورفع اللعنه علي الابتدا فان في موضع رفع علي القرايتين علي اسقاط
الخافض ويجوز في غير المخففه ان لا يكون لها موضع من الاعراب ويكون بمعنى اي كما تقدم
وحكي عن الاعمش انه قرا ان لعنه الله بكسر الهمزه فهذا علي اضمار القول كما قرا الكوفيون
فناداه الملايكه وهو قايم يصلي في المحراب ان الله ويروي ان طاووسا دخل علي هشام
ابن عبد الملك فقال له اتق الله واحذر يوم الاذان فقال وما يوم الاذان
قال قوله تعالي فاذن موذن بينهم ان لعنه الله علي الظالمين فصعق هشام فقال
طاووس هذا ذل الصفه فكيف ذل المعاينه **قوله تعالي** الذين يصدون
عن سبيل الله في موضع خفض للظالمين علي النعت ويجوز الرفع والنصب علي
اضمار هم او اعني الذين كانوا يصدون في الدنيا الناس عن الاسلام فهو من الصد
الذي هو المنع او يصدون بانفسهم عن سبيل الله اي يعرضون وهذا

من الصدود ويبغونها عوجا يطلبون اعوجاجها ويذمونها فلا يومنون بها وقد

مضى هذا المعنى وهم بالاخرة كافرون اي كانوا بها كافرين فحذف وهو كثير في

الكلام **قوله تعالى** وبينهما حجاب اي النار والجنة لانه جرى ذكرهما حجاب

اي سور وهو السور الذي ذكره الله في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف

رجال اي وعلى اعراف السور وهي شرفه ومنه عرف الفرس

وعرف الديك روى عبد الله ابن ابي يزيد عن ابن عباس انه قال

الاعراف الشي المشرف وروى مجاهد عن ابن عباس انه قال الاعراف سور له عرف

كعرف الديك والاعراف في اللغة المكان المرتفع جمع عرف قال يحيى ابن ادم

سالت الكسائي عن واحد الاعراف فسكت فقلت حدثنا اسرائيل عن جابر عن مجاهد

عن ابن عباس قال الاعراف سور له عرف مثل عرف الديك فقال نعم والله ولعل

يعني واحده واجماعه اعراف يا غلام هات القرطاس فكتبه وهذا الكلام خرج

مخرج المدح كما قال فيه رجال لا تلهيهم تجارة وقد تكلم العلماء في اصحاب الاعراف على

عشرة اقوال فقال عبد الله ابن مسعود وحذيفة ابن اليمان وابن عباس والشعبي

والضحاك وابن جبير هم قوم قد استوت حسناتهم وسيئاتهم قال ابن عطية وفي

مسند خيثمة ابن سليمان في اخر الجزء الخامس عشر حديث عن جابر ابن عبد الله

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توضع الموازين يوم القيمة فتوزن الحسنات

والسيئات فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صوابة دخل الجنة ومن رجحت سيئاته

على حسناته مثقال دخل النار قيل يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته قال

اوليك اصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون وقال مجاهد هم قوم

صالحون فقهاء علماء وقيل هم الشهداء ذكره المهدوي القشيري وقيل هم فضلاء

المؤمنين والشهداء فرغوا من شغل انفسهم وتطلعوا لمطالعة حال

مطلب في بيان اهل الاعراف

النار فاذا راوا اصحاب النار يعوذوا بالله ان يردوا الى النار فان في قدرة الله كل شيء
وخلاف المعلوم يقدور فاذا راوا اهل النار الجنه ولم يدخلوها بعد يرجون ان يدخلوها
وقال شرحبيل ابن سعد هم المستشهدون في سبيل الله الذين خرجوا عصاة لاباىهم
وذكر الطبري ذلك حديثا عن النبي صلى الله عليه وانه تعادل عقوقهم واستشهادهم
وذكر الثعلبي باسناده عن ابن عباس في قوله عز وجل وعلى الاعراف
رجال قال الاعراف موضع عال على الصراط عليه العباس وحمزة وعلي
ابن ابي طالب وجعفر ذو الجناحين يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم
بسواد الوجوه وحكى الزهراوي انهم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس
باعمالهم وهم في كل امه واختار هذا القول النحاس وقال وهو من احسن ما قيل فيه
فهم على السور بين الجنه والنار وقال الزجاج هم قوم انبيا وقيل هم قوم كانت لهم صغا
لم تكفر عنهم بالالام والمصايب في الدنيا وليست لهم كباير يحبسون عن
الجنه لينالهم بذلك غم فيقع في مقابلة صغايرهم وتمنى سالم مولى ابي حنيفه ان يكون من
اصحاب الاعراف لان مذهبه انهم مذنبون وقيل هم اولاد الزنا ذكره النقاش القشيري
عن ابن عباس وقيل هم ملايكه موكلون بهذا السور يميزون الكافرين من المومنين
قبل ادخالهم الجنه والنار ذكره ابو مجلز فقيل له لا يقال للملايكه رجال فقال
انهم ذكور وليسوا باناث فلا يبعد ايقاع لفظ الرجال عليهم كما اوقع على
الجن في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فهولا الملايكه
يعرفون المومنين بعلاماتهم والكفار بعلاماتهم فيبشرون المومنين بدخولهم الجنه
وهم لم يدخلوها بعد فيطمعون فيها واذا راوا اهل النار دعوا لانفسهم بالسلامة
من العذاب قال ابن عطيه واللازم به من الايه ان على الاعراف
رجالا من اهل الجنه يتاخر دخولهم ويقع لهم ما وصف من الاعتبار في

الفريقين ويعرفون كلا بسيماهم اي بعلامتهم وهي بياض الوجوه وحسنها في اهل الجنة وسوادها وقبحها في اهل النار الي غير ذلك من معرفة حيز هولا وحيز هولا **قلت** فوقف عن التعيين لاضطراب الاثر والتفصيل والله بحقائق الامور عليم ثم قيل الاعراف جمع عرف وهو كل عال مرتفع لانه بظهوره اعرف من المنخفض قال ابن عباس الاعراف شرف الصراط وقيل هو جبل احد يوضع هناك قال ابن عطيه وذكر الزهراوي حديثا ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ان احدا علي ركن من اركان الجنة **قلت** وذكر ابو عمر عن انس بن مالك ان النبي صلي الله عليه وسلم قال احد جبل يحبنا ونحبه وانه لعلي ترعة من ترع الجنة **قوله تعالي** ونادوا اصحاب الجنة اي نادي اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي قالوا لهم سلام عليكم وقيل المعني سلمتم من العقوبة لم يدخلوها وهم يطمعون اي لم يدخل الجنة اصحاب الاعراف اي لم يدخلوها بعد وهم يطمعون علي هذا التاويل بمعني وهم يعلمون انهم يدخلونها وذلك معروف في اللغة ان يكون طمع بمعني علم ذكره النحاس وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ان المراد اصحاب الاعراف وقال ابو مجلز هم اهل الجنة اي قال لهم اصحاب الاعراف سلام عليكم واهل الجنة لم يدخلوا الجنة بعد وهم يطمعون في دخولها لاهل الجنة المادين علي اصحاب الاعراف والوقف علي قوله سلام علي عليكم وعلي قوله لم يدخلوها ثم يبتدي وهم يطمعون علي معني وهم يطمعون في دخولها ويجوز ان يكون وهم يطمعون حالا ويكون المعني لم يدخلها المومنون المادون علي اصحاب الاعراف طامعين وانما دخلوها غير طامعين في دخولها فلا يوقف علي لم يدخلوها

قوله تعالى وادا صرفت ابصارهم تلقا اصحاب النار ابي جهة اللقا وهي جهة المقابله ولم يات مصدر علي تفعال غير حرفين تلقا وتبيان والباقي بالفتح مثل تسيار وتهيام وتذكار واما الاسم بالكسر فيه فكثير مثل تقصار وتمثال قالوا اي قال اصحاب الاعراف ربنا لا تجعلنا مع القوم الظلمين سالوا الله ان لا يجعلهم معهم وقد علموا انه لا يجعلهم معهم فهذا علي سبيل التذلل كما يقول اهل الجنه ربنا اتمم لنا نورنا ويقولون الحمد لله علي سبيل الشكر لله عز وجل ولهم في ذلك لذة

قوله تعالى ونادي اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم اي من اهل النار قالوا ما اغني عنكم جمعكم اي للدنيا واستكباركم عن الايمان اهولا الذين اشار الي قوم من المومنين الفقرا كبلال وسلمان وخباب وغيرهم اقسمتم في الدنيا لا ينالهم الله في الاخره برحمته يوبخونهم بذلك وزيدوا غما وحسرة بان قالوا لهم ادخلوا الجنه وقرا عكرمه دخلوا الجنه بغير الف والدال مفتوحه وقرا طلحه ابن مصرف ادخلوا الجنه بكسر الخا علي انه فعل ماض ودلت الايه علي ان اصحاب الاعراف ملايكة او انبيا فان قولهم ذلك اخبار عن الله جل وعز ومن جعل اصحاب الاعراف المذنبين كان اخر قولهم لاصحاب النار وما كنتم تستكبرون ويكون اهولا الذين الي اخر الايه من قول الله تعالى لاهل النار توبيخا لهم علي ما كان من قولهم في الدنيا وروي عن ابن عباس والاول عن الحسن وقيل هو من كلام الملايكه الموكلين باصحاب الاعراف فان اهل النار يحلفون ان اصحاب الاعراف يدخلون معهم النار فتقول الملايكه لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنه

قوله تعالى ونادي اصحاب النار اصحاب الجنه ان افيضوا علينا من الما او مما رزقكم الله فيه ثلاث مسايل الاولي قوله تعالى ونادي قيل اذا صار اهل الاعراف الي الجنه طمع اهل النار فقالوا يا ربنا ان لنا قرابات في

الجنة فاذن لنا حتى نزاهم ونكلمهم فاهل الجنة لا يعرفونهم لسواد وجوههم فيقولون
افيضوا علينا من الما او مما رزقكم الله فيبين ان ابن ادم لا يستغني عن الطعام
والشراب وان كان في العذاب قالوا ان الله حرمهما على الكافرين يعني طعام الجنة
وشرابها والافاضة التوسعة يقال افاض عليه نعمة **الثانية** في هذه
الاية دليل على ان سقي الما من افضل الاعمال وقد سيل ابن عباس اي الصدقة
افضل قال الما الم تروا الى اهل النار حين استغاثوا باهل الجنة ان
افيضوا علينا من الما او مما رزقكم الله وروى ابو داود ان سعدا رضي الله عنه اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اي الصدقة اعجب قال الما في رواية فحفر بيرا
فقال هذه لام سعد وعن انس قال قال سعد يا رسول الله ان ام سعد كانت
تحب الصدقة افينفعها ان اتصدق عنها قال نعم وعليك بالما في رواية ان النبي صلى
الله عليه وسلم امر سعد بن عبادة ان يسقي عنها الما فدل على ان سقي الماء
من اعظم القربات الى الله تعالى وقال بعض التابعين من كثرت ذنوبه فعليه بسقي
الما وقد غفرت ذنوب الذي سقى الكلب فكيف بمن سقى رجلا مؤمنا موحدا واحياه
روى البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل يمشي
اشتد عليه الحر فنزل بيرا فشرب منها ثم خرج فاذا كلب ياكل الثرى من العطش
فقال لقد بلغ هذا الكلب مثل الذي بلغ بي فملا خفه ثم امسكه بفيه ثم
رقي فسقى الكلب فشكر الله فغفر له قالوا يا رسول الله وان لنا في البهائم اجرا قال في
كل كبد رطبة اجر وعكس هذا ما رواه مسلم عن عبد الله ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال عذبت امراة في هرة سجنتها حتى ماتت
فدخلت فيها النار لا هي اطعمتها وسقتها اذ هي حبستها ولا هي تركتها
تاكل من خشايش الارض ومن حديث عايشة عن النبي صلى الله

من حشرات الارض

عليه وسلم من سقا مسلمًا شربة من ما حيث يوجد الما فكانما اعتق رقبه ومن سقا مسلمًا
شربة ماء حيث لا يوجد الما فكانما احياها خرجه ابن ماجه في السنن **الثالثه** وقد
استدل بهذه الايه من قال ان صاحب الحوض والقربه احق بمايه وان له منعه ممن
اراده لان معنى قول اهل الجنه ان الله حرمها على الكافرين لا حق لكم فيها
وقد بوب البخاري رحمه الله على هذا المعنى باب من راي ان صاحب
الحوض والقربه احق بمايه وادخل في الباب عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لاذودن رجالاً عن حوضي كما
تذاد الغريبه من الابل عن الحوض قال المهلب لاخلاف ان صاحب الحوض احق بمايه
لقوله صلى الله عليه وسلم لاذودن رجالاً عن حوضي **قوله تعالى** الذين
اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا الذين في موضع خفض نعت للكافرين وقد يكون رفعًا
ونصبًا باضمار وقيل هو من قول اهل الجنه واليوم ننساهم اي نتركهم في النار كما نسوا
لقا يومهم هذا اي تركوا العمل له وكذبوا به وما مصدريه اي كنسيهم وما كانوا باياتنا
يجحدون عطف عليه اي وجحدهم **قوله تعالى** ولقد جيناهم بكتاب يعني القران
فصلناه انزلناه متفرقًا على علم منا لم يقع فيه سهو ولا غلط هدى ورحمة قال الزجاج
اي هاديًا وذا رحمة فجعله حالا من الها التي في فصلناه قال الزجاج ويجوز هدى ورحمة
بمعنى هو هدي ورحمة وقيل يجوز هدي ورحمة بالخفض على البدل من كتاب
وقال الكسائي والفرا يجوز هدى ورحمة بالخفض على النعت لكتاب
قال الفرا مثل وهذا كتاب انزلناه مبارك لقوم يومنون خص المومنون لانهم
المنتفعون به **قوله تعالى** هل ينظرون الا تاويله بالهمز من
ال واهل المدينه يخففون الهمز والنظر الانتظار اي هل ينتظرون
الا ما وعدوا به في القران من العقاب والحساب وقيل ينظرون من

السطر الي يوم القيمة فالكناية في تاويله ترجع الي الكتاب وعاقبة الكتاب ما وعد الله فيه
من البعث والحساب وقال مجاهد تاويله جزاؤه اي جزا تكذيبهم بالكتاب قتادة تاويله
عاقبته والمعنى متقارب يوم ياتي تاويله اي تبدوا عواقبه يوم القيمة ويوم نصب
بيقول اي يقول الذين نسوه من قبل يوم ياتي تاويله وقد جات رسل ربنا
بالحق فهل لنا من شفعا استفهام فيه معنى التمني فيشفعوا نصب لانه
جواب الاستفهام لنا او نرد قال الفرا المعنى او هل نرد فنعمل قال
الزجاج نرد عطف على المعنى اي هل يشفع لنا احد او نرد وقرا ابن اسحق او نرد
فنعمل بالنصب فيهما والمعنى الا ان نرد فنعمل كما قال ف قلت لا تبك عينك انما
تحاول ملكا او نموت فنعذرا ن وقرا الحسن او نرد فنعمل برفعهما جميعا قد خسروا
انفسهم اي لم ينتفعوا بها وكل من لم ينتفع بنفسه فقد خسرها وقيل خسروا النعم
وحظ انفسهم منها وضل عنهم ما كانوا يفترون اي بطل ما كانوا يقولون
من ان مع الله الها اخر قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام بين ان المنفرد بقدرة الايجاد فهو الذي يجب ان يعبد
واصل ستة سدسة فارادوا ادغام الدال في السين فالتقيا عند مخرج التا
فغلبت عليها وان شيت قلت ابدل من احد السينين تا وادغم في الدال لانك
تقول في تصغيرها سديسة وفي الجمع اسداس والجمع والتصغير يردان الاسما الي
اصولها ويقولون جا فلان سادسا وسادتا وساتا فمن قال ساتا ابدل من
السين تا واليوم من طلوع الشمس الي غروبها فان لم يكن شمس فلا يوم قاله القشيري وقال
ومعنى في ستة ايام اي من ايام الاخرة كل يوم الف سنة لتفخيم الامر في خلق السموات
والارض وقيل من ايام الدنيا قال مجاهد وغيره اولها الاحد
واخرها الجمعة وذكر هذه المدة ولو اراد خلقها في لحظة لفعل

اذ هو قادر على ان يقول لها كوني فتكون ولكنه اراد ان يعلم عباده الرفق والتثبت
في الامور وليظهر قدرته للملائكة شيئا بعد شي وهذا عند من يقول خلق الملائكة
قبل السموات والارض وحكمة اخرى خلقها في ستة ايام لان لكل شي عنده اجلا
كقوله ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من
لغوب فاصبر على ما يقولون بعد ان خلق وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد
منهم بطشا. **قوله تعالى** ثم استوى على العرش هذه مسئلة
الاستوا وللعلما فيها كلام ولجرا وقد بينا قول العلما فيها في الكتاب الاسنى في
شرح اسما الله الحسنى وصفاته العليا وذكرنا هناك فيها اربعة عشر قولا والاكثر
من المتقدمين والمتاخرين انه اذا وجب تنزيه الباري سبحانه عن الجهة والتحيز
فمن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة عليه عند عامة العلما المتقدمين وقادتهم
من المتاخرين تنزيهه تبارك وتعالى عن الجهة فليس بجهة فوق عندهم لانه
لازم من ذلك عندهم متى اختص بجهة ان يكون في مكان او حيز ويلزم على المكان والحيز
الحركة والسكون للتحيز والتغير والحدوث هذا قول المتكلمين وقد كان السلف
الاول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة
باثباتها لله تعالى كما نطق كتابه واخبرت رسله ولم ينكر احد من
السلف الصالح انه استوى على عرشه حقيقة وخص العرش بذلك
لانه اعظم مخلوقاته وانما جهلوا كيفية الاستواء فانه لا تعلم
حقيقته كما قال مالك رحمه الله الاستوا معلوم يعني في اللغة والكيف
مجهول والسوال عن هذا بدعة وكذا قالت ام سلمة رضي الله عنها
وهذا القدر كاف ومن اراد الزيادة عليه فليقف عليه في مواضعه
من كتب العلما والاستوا في كلام العرب هو العلو والاستقرار

والتحيز ح

ا مبني بي

قال الجوهري واستوي من اعوجاج واستوي علي ظهر دابته اي استقر
واستوي الي السما اي قصد واستوي اي استوي وظهر قال ه
قد استوي بشر علي العراق ه من غير سيف ودم مهراق ه
واستوي الرجل اي انتهي شبابه واستوي الشي اي اعتدل
وحكي ابو عمر ابن عبد البر عن ابي عبيده في قوله تعالي الرحمن
علي العرش استوي قال علا وقال الشاعر ه
فاوردتهم ما ثقيفا مقفرا وقد حلق النجم اليماني فاستوي ه اي علا وارتفع قلت
فعلو الله وارتفاعه عبارة عن علو مجده وصفاته وملكوته اي ليس فوقه فيما يجب
له من معاني الجلال احد ولا معه من يكون العلو مشتركا بينه وبينه لكنه
العلي بالاطلاق سبحانه قوله تعالي علي العرش العرش لفظ
مشترك يطلق علي اكثر من واحد قال الجوهري وغيره العرش سرير الملك
وفي التنزيل نكروا لها عرشها ورفع ابويه علي العرش والعرش سقف البيت وعرش القدم
ما نتا في ظهرها وفيه الاصابع وعرش السماك اربعة كواكب صغار اسفل من العوا
يقال انها عجز الاسد وعرش البير طيها بالخشب بعدان يطوي اسفلها
بالحجارة وقدر قامه فذلك الخشب هو العرش والجمع عروش والعرش اسم الملك
والعرش الملك والسلطان ويقال ثل عرش فلان اذا ذهب ملكه
وسلطانه وعزه قال زهير ن تداركتما عبسا وقد ثل عرشها وذبيان اذ زلت بافدامها
النعل ن وقد تاول العرش في الايه بمعني الملك اي ما استوي الملك
الا لله جل وعز وهو قول حسن وفيه نظر وقد بيناه في جملة الاقوال
في كتابنا والحمد لله قوله تعالي يغشي الليل النهار اي
يجعله كالغشاء اي يذهب نور النهار ليتم قوام الحيوة في

الدنيا يغشي الليل فالليل للسكون والنهار للمعاش وقرى يغشي بالتشديد ومثله
في الرعد وهي قراءة ابي بكر عن عاصم وحمزة والكسائي وخفف الباقون وهما
لغتان اغشي وغشي وقد اجمعوا على فغشاها ما غشى مشددا واجمعوا
على فاغشيناهم فالقراءتان متساويتان وفي التشديد معنى التكثير
والتكرير والتغشية والاغشية الباس الشي الشي ولم يذكر في هذه الاية دخول
النهار على الليل فاكتفا باحدهما على الاخر مثل سرابيل تقيكم الحر ببليه
الخبر وقرا حميد ابن قيس يغشى الليل النهار ومعناه ان النهار يغشى الليل يطلبه
حثيثا اي دايما من غير فتور ويغشي الليل النهار في موضع نصب على الحال والعامل
استوى على العرش مغشيا الليل النهار وكذا يطلبه حال من الليل اي يغشي الليل
النهار طالبا له ويحتمل ان تكون الجملة مستانفة ليبتت بحال حثيثا بدل
من طالب المقدر او نعت له او نعت لمصدر محذوف اي يطلبه طلبا سريعا
والحث الاعجال والسرعة وولى حثيثا اي مسرعا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره
قال الاخفش هي معطوفة على السموات اي وخلق السموات وروى عن عبد الله ابن
عامر بالرفع فيها كلها على الابتدا والخبر **قوله تعالى** الا له الخلق
والامر فيه مسئلتان الاولى صدق الله في خبره فله الخلق والامر خلقهم وامرهم بما احب
وهذا الامر يقتضي النهي قال ابن عيينة فرق بين الخلق والامر فقد
جمع بينهما فقد كفر فالخلق المخلوق والامر كلامه الذي هو غير مخلوق وهو قوله
كن انما امرنا الشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وفي تفرقته بين الخلق والامر
دليل بين على فساد قول من قال بخلق القران اذ لو كان كلامه الذي هو
امر مخلوقا لكان قد قال الا له الخلق والخلق وذلك عي من الكلام ومستهجن
ومستغث والله تعالى عن التكلم بما لا فايدة فيه ويدل عليه قوله

سبحانه ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره فاخبر سبحانه ان المخلوقات قايمه بامره فلو كان الامر مخلوقا لافتقر الى
امر اخر يقوم به وذلك الامر الى امر اخر ما لا نهايه له وذلك محال فثبت ان امره
الذي هو كلامه قديم ازلي غير مخلوق ليصح قيام المخلوقات به ويدل عليه
ايضا قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واخبر
تعالى انه خلقهما بالحق يعني القول وهو قوله للمكونات كن فلو
كان الخلق مخلوقا لما صح ان يخلق به المخلوقات لان الخلق لا يخلق بالمخلوق يدل
عليه ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك
عنها مبعدون ولكن حق القول مني وهذا كله اشاره الى السبق في القول في
القدم وذلك يوجب الازل في الوجود وهذه النكته كافيه في الرد عليهم ولهم
ايات احتجوا بها على مذهبهم مثل قوله ما ياتيهم من ذكر من
ربهم محدث الايه ومثل قوله وكان امر الله قدرا مقدورا ومفعولا وما كان مثله
قال القاضي ابو بكر يعني بما ياتيهم من ذكر اي من وعظ من النبي صلى الله عليه وسلم
ووعد وتخويف الا استمعوه وهم يلعبون لان وعظ الرسل وتحذيرهم ذكر قال الله
تعالى انما انت مذكر يقال فلان في مجلس الذكر ومعنى وكان امر الله قدرا
مقدورا ومفعولا اراد سبحانه عقابه وانتقامه من الكفره ونصر المومنين
وما حكم به وقدره من افعاله ومن ذلك قوله تعالى حتى اذا جا امرنا وقال عز وجل
وما امر فرعون برشيد يعني به شانه وافعاله وطرايقه

قال الشاعر

لها امرها حتى اذا ما تبوات باخفافها مرعى تبوا مضجعا

الثانيه واذا تقرر هذا فاعلم ان الامر ليس من الارادة في

شيء والمعتزله تقول الامر نفس الاراده وليس بصحيح بل يامر بما لا يريد وينهى عما يريد
الا ترى انه امر ابرهيم بذبح ابنه اسمعيل ولم يرده منه وامر نبيه عليه السلام ان يصلي
مع امته خمسين صلاه ولم يرد منه الا خمس صلوات وقد اراد شهاده حمزه حيث
يقول ويتخذ منكم شهدا وقد نهى الكفار عن قتله ولم يامرهم به وهذا صحيح نفيس في
بابه فتامله **قوله تعالى** تبرك الله رب العالمين تبرك تفاعل
من البركه وهو الكثره والاتساع يقال بورك الشي وبورك فيه
قال ابن عرفه وقال الازهري تبارك الله تعالى وتعاظم وقيل اي باسمه
يتبرك ويتيمن وقد مضى في الفاتحه رب العالمين **قوله تعالى** ادعوا ربكم
تضرعا وخفيه انه لا يحب المعتدين فيه ثلاث مسايل الاول قوله تعالى ادعوا ربكم
هذا امر بالدعا وتعبد به ثم قرن جل وعز بالامر صفات تحسن معه وهي الخشوع والا
والتضرع ومعنى خفيه اي سرا في النفس ليبعد عن الريا وبذلك اثنى على
نبيه زكريا صلى الله عليه وسلم اذ قال مخبرا عنه اذ نادى ربه ندا خفيا ونحو قال قول
النبي صلى الله عليه وسلم خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي والشريعه مقرره
ان السر فيما يعترض من اعمال البر اعظم اجرا من الجهر وقد تقدم هذا المعنى في البقره
وقال الحسن بن ابي الحسن لقد ادركنا اقواما ما كان على الارض عمل يقدرون ان يكون سرا فيكون
جهرا ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعا فلا يسمع لهم صوت ان هو الا
الهمس بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا
وخفيه وذكر عبدا صالحا رضي فعله فقال اذ نادى ربه ندا
خفيا وقد استدل اصحاب ابي حنيفه بهذا على ان اخفا امين
اولى من الجهر بها لانه دعا وقد مضى القول فيه في الفاتحه
وروى مسلم عن ابي موسى رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم

ستكتانه

في سفر وفي رواية فجعل رجل كلما علا ثنية قال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم لستم تدعون اصم ولا غايبا انكم تدعونه سميعا قريبا وهو معكم الحديث الثانية واختلف العلماء في رفع اليدين في الدعا فكرهه طايفة منهم جبير ابن مطعم وسعيد ابن جبير وسعيد ابن المسيب وراى شريح رجلا رافعا يديه فقال من تتناول بهما لا ام لك وقال مسروق لقوم ارفعوا ايديكم قطعها الله واختاروا اذا دعا الله في حاجة ان يشير باصبعه السبابة ويقولون ذلك الاخلاص وكان قتادة يشير باصبعه ولا يرفع يديه وكره رفع الايدي عطا وطاوس ومجاهد وغيرهم وروي جواز الرفع عن جماعة من الصحابة والتابعين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره البخاري قال ابو موسى الاشعري دعا النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع يديه ورايت بياض ابطيه ومثله عن انس وقال ابن عمر رفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم اني ابرا اليك مما صنع خالد وفي صحيح مسلم من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه وهم الوف واصحابه ثلثماية وسبعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة مادا يديه فجعل يهتف بربه وذكر الحديث وروى الترمذي عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع يديه لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه قال هذا حديث صحيح غريب وروى ابن ماجه عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبده يرفع اليه يديه فيردهما صفرا خايبتين احتج الاولون بما رواه مسلم عن عمارة ابن رويبة وراى بشر ابن مروان على المنبر رافعا يديه فقال قبح الله هاتين اليدين لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزيد على ان يقول بيده هكذا واشار باصبعه المسبحة وبما روي

سعيد ابن ابي عروبه عن قتاده ان انس ابن مالك حدثه ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان لا يرفع يديه في شي من الدعا الا عند الاستسقا فانه كان يرفعهما
حتى يرى بياض ابطيه والاول اصح طرقا واثبت من حديث سعيد ابن
ابي عروبه فان سعيدا كان قد تغير عقله في اخر عمره وقد خالفه شعبه
في روايته عن قتاده عن انس فقال فيه كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه وقد قيل انها اذا نزلت بالمسلمين
نازله ان الرفع عند ذلك جميل حسن كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في الاستسقا
ويوم بدر **قلت** والدعا حسن كيف ما تيسر وهو مطلوب من الانسان لاظهار
موضع الفقر والحاجه الى الله عز وجل والتذلل له والخضوع فان شا استقبل
القبله ورفع يديه فحسن وان شا لا فقد ذلك النبي صلى الله عليه وسلم حسب
ما ورد في الاحاديث وقد قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفيه ولم يرد صفه من رفع يدين
وغيرها وقال **ـــ** الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولم يشترط حالة
غير هذا ما ذكر وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم الجمعه وهو غير مستقبل
القبله **الثالثه** قوله تعالى ان الله لا يحب المعتدين يريد في الدعا وان كان اللفظ
عاما الى هذا هي الاشاره والمعتدي هو المجاوز الحد ومرتكب الحظر وقد يتفاضل بحسب ما اعتدى
به وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون قوم يعتدون في الدعا اخرجه
ابن ماجه عن ابي بكر ابن ابي شيبه نا عفان نا حماد ابن سلمه نا سعيد الجريري عن
ابي نعامه ان عبد الله ابن مغفل رضي الله عنه سمع ابنه يقول اللهم اني اسالك
القصر الابيض عن يمين الجنه اذا دخلتها فقال اي بني سل الله الجنه
وعذ به من النار فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

سيكون قوم يعتدون في الدعا والاعتدا في الدعا على وجوه منها الجهر الكثير

والصياح كما تقدم ومنها ان يدعو الانسان في ان يكون له منزلة نبي او يدعو في

محال ونحو هذا من التشطط ومنها ان يدعو طالبا معصية وغير ذلك ومنها ان

يدعو بما ليس في الكتاب والسنة فيتخير الفاظا مفقرة وكلمات مسجعة

قد وجدها في كراريس لا اصل لها ولا معول عليها فيجعلها شعاره ويترك ما دعا

به رسوله صلى الله عليه وسلم وكل هذا يمنع من استجابة الدعا كما تقدم في البقرة بيانه

قوله تعالى ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها فيه مسئلة واحدة

وهو انه سبحانه نهى عن كل فساد قل او كثر بعد صلاح قل او كثر فهو على العموم على

الصحيح من الاقوال وقال الضحاك معناه لا تغوروا الما المعين ولا تقطعوا الشجر

المثمر ضرارا وقد ورد قطع الدنانير من الفساد في الارض وقد قيل تجارة الحكام

من الفساد في الارض وقال القشيري المراد ولا تشركوا فهو نهي عن

الشرك وسفك الدماء والهرج في الارض وامر بلزوم الشرايع ووضوح ملة محمد صلى الله عليه وسلم

قال ابن عطية وقايل هذه المقالة قصد الى اكبر فساد بعد اعظم صلاح فخصه بالذكر

قلت واما ما ذكره الضحاك فليس على عمومه وانما ذلك اذا كان فيه ضرر

على المومنين واما ما يعود ضرره على المشركين فذلك جائز فان النبي صلى الله عليه وسلم

قد عور ما قلب يوم بدر وقطع شجر الكافرين وسياتي الكلام على قطع الدنانير في هود ان شا الله

قوله تعالى وادعوه خوفا وطمعا امر بان يكون الانسان في حالة ترقب وتخوف

وتامل لله عز وجل حتى يكون الخوف والرجا للانسان كالجناحين للطاير يحملانه في طريق استقامته

وان انفرد احدهما هلك الانسان قال الله تعالى نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو

العذاب الاليم فرجى وخوف فيدعو الانسان خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه

قال الله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وسياتي القول فيه والخوف الانزعاج لما لا
يومن من المضار والطمع توقع المحبوب قاله القشيري وقال بعض اهل العلم ينبغي
ان يغلب الخوف الرجا طول الحيوة فاذا جا الموت غلب الرجا قال صلى الله عليه
وسلم لا يموتن احدهم الا وهو يحسن بالله الظن اخرجه مسلم **قوله تعالى**
ان رحمت الله قريب من المحسنين ولم يقل قريبة وفيه سبعة اوجه اولها ان الرحمة
والرحم واحد وهي بمعنى العفو والغفران قاله الزجاج واختاره النحاس وقال
النضر بن شميل الرحمة مصدر وحق المصدر التذكير كقوله فمن جاءه موعظة وهذا
قريب من قول الزجاج لان الموعظة بمعنى الوعظ وقيل اراد بالرحمة الاحسان ولان ما
يكون تانيثه حقيقيا جاز تذكيره ذكره الجوهري وقيل اراد بالرحمة هنا المطر قال
الاخفش قال ويجوز ان يذكر كما يذكر بعض المونث وانشد

فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها

وقال ابو عبيدة ذكر قريب على تذكير المكان اي مكانا قريبا قال
علي ابن سليمن وهذا خطا ولو كان كما قال لكان قريبا منصوبا في القران كما تقول
ان زيدا قريبا منك وقد ذكر على النسب كانه قال ان رحمة الله ذات قرب كما تقول
امراة طالق وحايض وقال الفرا اذا كان القريب في معنى المسافة يذكر ويونث
واذا كان في معنى النسب يونث بلا اختلاف بينهم تقول هذه المراة
قريبتي اي ذات قرابتي ذكره الجوهري وذكر غيره عن الفرا يقال في النسب قريبة
فلان وفي غير النسب يجوز التذكير والتانيث يقال دارك منا قريب وفلانة
منا قريب قال الله تعالى وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا وقال من احتج له
كذا كما قال امرء القيس له الويل ان امسى ولا ام هاشم قريب ولا البسباسة ابنة يشكرا
قال الزجاج وهذا خطا لان سبيل المذكر والمونث ان يجريا على

انعامها **قوله تعالى** وهو الذي يرسل الرياح عطف على قوله يغشي الليل
النهار ذكر اشيا اخر من نعمه ودل على وحدانيته وثبوت الالهية وقد مضى الكلام
في الريح في البقرة ورياح جمع كثرة وارواح جمع قلة واصل ريح روح وقد حكي من
قال في جمع قلة ارياح نشرا فيه سبع قراءات قرا اهل الحرمين وابو عمرو نشرا بضم النون
والشين جمع ناشر على معنى النسب اي ذات نشر فهو مثل شاهد وشهد ويجوز
ان يكون جمع نشور كرسول ورسل يقال ريح نشور اذا اتت من ها هنا
وها هنا والنشور بمعنى المنشور كالركوب بمعنى المركوب اي وهو الذي يرسل الرياح
منشرة وقرا الحسن وقتادة نشرا بضم النون واسكان الشين مخففا من نشر كما يقال كتب
ورسل وقرا الاعمش وحمزة نشرا بفتح النون واسكان الشين على المصدر اعمل فيه معنى
ما قبله كانه قال وهو الذي ينشر الرياح نشرا نشرت الشي فانتشر فكانها
كانت مطوية فنشرت عند الهبوب ويجوز ان يكون مصدرا في موضع الحال
من الرياح كانه قال يرسل الرياح منتشرة اي محييه من انشر الله الميت فنشر كما تقول
اتانا ركضا اي راكضا وقد قيل ان نشرا بالفتح من النشر الذي هو خلاف الطي
على ما ذكرنا كان الريح في سكونها كالمطوية ثم ترسل من طيها ذلك فتصير كالمنفتحة
فسره ابو عبيد بمعنى متفرقة في وجوهها على معنى ينشر ها هنا وها هنا
وقرا عاصم بشرا بالبا واسكان الشين والتنوين جمع بشير اي الرياح
تبشر بالمطر وشاهده قوله وهو الذي يرسل الرياح مبشرات واصل الشين الضم
لكن اسكنت تخفيفا كرسول ورسل وروي عنه بشرا بفتح البا النحاس ويقرا
بشرا وبشرا مصدر بشره يبشره بمعنى بشره فهذه خمس قراءات وقرا محمد اليماني
بشرى على وزن حبلى وقراءة سابعة بشرا بضم الباء والشين **قوله
تعالى** حتى اذا اقلت سحابا ثقالا السحاب يذكر ويونث وكذا كل

جمع بينه وبين واحده فلو يجوز نعته بواحد فتقول سحاب ثقيل وثقيله
والمعنى حملت الريح سحاباً ثقالاً بالماء اي استقلت بحمله يقال اقل فلان الشي
اي حمله سقناه اي السحاب لبلد ميت اي ليس فيه نبات يقال سقته لبلد
كذا او الى بلد كذا وقيل لاجل بلد ميت فاللام لام اجل والبلد واحد البلاد والبلاد كل
موضع من الارض عامرا او غير عامل خال او مسكون والبلده واحده البلاد والبلدان
والبلد الاثر وجمعه ابلاد قال الشاعر من بعد ما شمل البلي ابلادها
والبلد ادحي النعام يقال هو اذل من بيضه البلد اي من بيضه النعام التي
تتركها والبلده الارض يقال هذه بلدتنا كما يقال بحرتنا والبلده من منازل القمر
وهي سته انجم من القوس تنزلها الشمس في اقصر يوم من السنه والبلده الصدر يقال فلان
واسع البلده اي واسع الصدر قال الشاعر

انيخت فالقت بلده فوق بلده قليل بها الاصوات الا بغامها

يقال بركت الناقه فالقت صدرها على الارض والبلده بضم الباء وفتحها نقاوه ما بين
الحاجبين فهما من الالفاظ المشترك فانزلنا به الماء الذي بالبلد وقيل انزلنا بالسحاب
الماء لان السحاب اله لانزال الماء ويحتمل ان يكون المعنى فانزلنا منه الماء كقوله
يشرب بها عباد الله اي منها فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك الكاف في موضع
نصب اي مثل ذلك الاخراج يحيي الموتى وخرج البيهقي وغيره عن ابن رزين
العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق وما ايه ذلك في خلقه
قال اما مررت بوادي قومك جدبا ثم مررت به يهتز خضرا قال نعم قال فتلك
ايه الله في خلقه وقيل وجه التشبيه ان احياهم من قبورهم يكون بمطر يبعثه الله
على قبورهم فتنشق عنهم القبور ثم تعود اليهم الارواح وفي صحيح مسلم من
حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ثم يرسل الله او قال ينزل الله مطرا كانه الطل فتنبت منه اجساد الناس ثم يقال
يا ايها الناس هلموا الي ربكم وقفوهم انهم مسولون وذكر الحديث وقد كتبناه بكماله
في كتاب التذكره والحمد لله فدل علي البعث والنشور والي الله ترجع الامور ٥
قوله تعالي والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه اي التربه الطيبه
والخبيث الذي في تربته حجارة او شوك عن الحسن وقيل معناه التشبيه شبه تعالي
السريع الفهم بالبلد الطيب والبليد الذي خبث عن النحاس وقيل
هذا مثل للقلوب فقلب يقبل الوعظ والذكري وقلب فاسق ينبو عن ذلك قاله الحسن
ايضا قتاده مثل المومن يعمل محتسبا متطوعا والمنافق غير محتسب قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده لو يعلم احدكم انه يجد عظما سمينا او مرماتين حسنتين
لشهد العشا نكدا نصب علي الحال وهو العسر الممتنع من اعطاء الخير وهذا
تمثيل قال مجاهد يعني ان في بني ادم الطيب والخبيث وقرا
طلحه الا نكدا حذف الكسره لثقلها وقرا ابن القعقاع نكدا بفتح الكاف فهو مصدر
بمعني ذا نكد كما قال ن فانما هي اقبال وادبار ن وقيل نكدا بنصب الكاف
وخفضها بمعني كالدنف والدنف لغتان كذلك نصرف الايات اي كما صرفنا من
الايات وهي الحجج والدلالات في ابطال الشرك كذلك نصرف في كل ما يحتاج اليه
الناس وخص الشاكرين لانهم المنتفعون بذلك قوله تعالي لقد
ارسلنا نوحا الي قومه فقال لما بين انه القادر الخالق القادر علي الكمال
ذكر اقاصيص الامم وما فيها من تحذير الكفار واللام في لقد للتاكيد المنبه
علي القسم والفا داله علي ان الثاني بعد الاول يا قوم ندا مضاف
ويجوز يا قومي علي الاصل ونوح اول الرسل علي الارض بعد
ادم عليهما السلام بتحريم البنات والاخوات والعمات والخالات قال

النحاس وانصرف لانه علي ثلثة احرف وقد يجوز ان يشتق من ناح ينوح وقد تقدم في
ال عمران ان هذا المعني وغيره فلا غني عن اعادته قال ابن العربي ومن قال ان ادريس
كان قبله من المورخين فقد وهم والدليل علي صحة وهمه الحديث الصحيح في الاسرا
حين لقي النبي صلي الله عليه وسلم ادم وادريس فقال ادم مرحبا بالنبي الصالح
والابن الصالح وقال له ادريس مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح
ولو كان ادريس ابا لنوح لقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح فلما
قال له والاخ الصالح دلك علي انه يجتمع معه في نوح صلوات الله عليهم اجمعين ولا

دل

كلام لمنصف بعد هذا وقال القاضي عياض وجا جواب الاباء هاهنا كنوح وابرهيم
وادم مرحبا بالابن الصالح وقال عن ادريس بالاخ الصالح كما قال عن موسي وعيسي ويوسف
وهرون ويحيى ممن ليس بباب باتفاق للنبي صلي الله عليه وسلم وقال المازري قد
ذكر المورخون ان ادريس جد نوح عليه السلم فان قام الدليل علي ان ادريس بعث ايضا
لم يصح ما قول النسابين انه قبل نوح لما اخبر صلي الله عليه وسلم من قول ادم ان
نوحا اول رسول بعث وان لم يقم دليل جاز ما قالوا وصح ان يحمل ان ادريس
كان نبيا غير مرسل قال عياض قد يجمع بين هذا بان يقال اختص بعث نوح لاهل
الارض كما قال في الحديث كافة كنبينا عليه الصلاة والسلم ويكون ادريس لقومه
كموسي وهود وصالح ولوط وغيرهم وقد استدل بعضهم علي هذا بقوله تعالي وان الياس لمن
المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون وقد قيل ان الياس هو ادريس وقد قري سلام علي
ادراسين عياض وقد رايت ابا الحسن ابن بطال ذهب الي ان ادم ليس برسول ليسلم من
هذا الاعتراض وحديث ابي ذر الطويل يدل علي ان ادم وادريس رسولان قال
ابن عطيه ويجمع ذلك بان يكون بعثة نوح مشهوره لاصلاح
الناس وحملهم بالعذاب والاهلاك علي الايمان فالمراد انه

اول نبي بعث على هذه الصفه والله اعلم وروي عن ابن عباس ان نوحًا عليه السلام بعث
ابن اربعين سنه قال الكلبي بعد ادم بثمان مايه سنه ابن عباس وبقي في قومه يدعوهم
الف سنه الا خمسين عامًا كما اخبر التنزيل ثم عاش بعد الطوفان ستين سنه
حتى كثر الناس وفشوا وقال وهب بعث نوح وهو ابن خمسين سنه وقال عون
ابن شداد بعث نوح وهو ابن ثلثمايه وخمسين سنه وفي كثير من كتب الحديث
الترمذي وغيره ان جميع الخلق الان ذريه نوح عليه السلام وذكر
النقاش عن سليمن ابن ارقم عن الزهري ان العرب وفارس والروم واهل الشام واهل اليمن
من ولد سام ابن نوح والهند والسند والزنج والحبشه والزط والنوبه وكل جلد اسود من
ولد حام ابن نوح والترك وبربر ووارو والصين وياجوج وماجوج والصقالبه
كلهم من ولد يافث ابن نوح والخلق كلهم ذريه نوح **قوله
تعالى** ما لكم من اله غيره يرفع غيره قراه نافع وابي عمرو وعاصم
وحمزه اي ما لكم اله غيره نعتًا على الموضع وقيل غير بمعنى الا اي ما لكم
اله غيره نعتًا على الموضع وقيل غير بمعنى الا اي ما لكم من اله الا الله قال ابو عمرو وما اعرف
الجر ولا النصب وقرا الكساي بالخفض على الموضع ويجوز النصب على الاستثنا وليس بكثير
غير ان الكساي والفرا اجاز نصب غير في كل موضع يحسن فيه الا تم الكلام او لم يتم فاجاز ما
جاني غيرك قال الفرا هي لغه بعض بني اسد وقضاعه وانشد لم يمنع الشرب منها
غير ان هتفت حمامه في سحوق ذات اوقال قال الزجاج الكساي ولا يجوز جاني غيرك
في الايجاب لان الا لا تقع ها هنا قال النحاس لا يجوز عند البصريين نصب غير اذا لم يتم
الكلام وذلك عندهم من قبيح اللحن **قوله تعالى** قال الملا من قومه الملا الاشراف
القوم ورؤساهم وقد تقدم في البقره بيانه والضلال والضلاله العدول
العدول عن طريق الحق والذهاب عنه اي انا لنراك في دعايتنا الي

الى واحد في ضلال عن الحق ابلغكم بالتشديد من التبليغ والتخفيف من الابلاغ وقيل هما
لغتان بمعنى واحد مثل كرمه واكرمه وانصح لكم النصح اخلاص النية من شوائب الفساد
في المعاملة بخلاف الغش يقال نصحته ونصحت له نصيحة ونصاحة وهو بالام
افصح قال الله تعالى وانصح لكم والاسم النصيحة والنصيح الناصح وقوم نصحاء
ورجل ناصح الجيب اي نقي القلب الاصمعي الناصح الخالص من العسل وغيره
مثل الناصع وكل شي خلص فقد نصح وانتصح فلان اقبل على النصيحة يقال
انتصحني انني لكم ناصح والناصح الخياط والنصاح السلك يخاط به والنصاحات ايضا
الجلود قال الاعشى ن فترى الشرب تساوي كلهم مثل ما مدت نصاحات الربح
الربح لغة في الربع وهو الفصيل والربح ايضا طاير وسياتي لهذا
زيادة معنى في براءة ان شاء الله **قوله تعالى** اوعجبتم فتحت الواو
لانها واو عطف دخلت عليها الف الاستفهام الا الف لقوتها ان جاكم ذكر
اي وعظ من ربكم على رجل منكم اي على لسان رجل منكم وقيل على بمعنى مع اي مع
رجل وقيل المعنى ان جاكم ذكر من ربكم منزل على رجل منكم اي تعرفون نسبه او على
رجل من جنسكم ولو كان ملكا لربما كان في اختلاف الجنس تنافر الطبع والملك
يكون واحد ويكون جمعا وقد تقدم في البقرة وعمين اي عن الحق قاله قتادة
وقيل عن معرفة الله وقدرته يقال رجل عم بكذا اي جاهل ○

قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا اي وارسلنا الى عاد
اخاهم هودا قال ابن عباس اي ابن ابيهم وقيل اخاهم في القبيلة وقيل
اي بشرا من بني ابيهم وفي مصنف ابي داود ان اخاهم صدا اذن
اي صاحبهم وعاد من ولد سام ابن نوح قال ابن اسحق
وعاد هو ابن عوص ابن ارم ابن شالخ ابن ارفخشد ابن نوح عليهم السلم وهود

هو هود ابن عبد الله ابن رباح ابن الخلود ابن عاد ابن عوص ابن ارم ابن سام ابن نوح بعثه الله
الى عاد نبيا وكان من اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا وعاد من لم يصرفه جعله اسم
للقبيله ومن صرفه جعله اسما للحي قال ابو حاتم وفي حرف ابي وابن مسعود عادا الاولى
بغير الف وهود اعجمي وانصرف لخفته لانه على ثلاثة احرف وقد يجوز ان يكون
عربيا مشتقا من هاد يهود وانتصب على البدل وكان بين هود ونوح فيما
ذكر المفسرون سبعة ابا وكانت عاد فيما روي ثلاثه عشر قبيله ينزلون
الرمال رمل عالج وكانوا اهل بساتين وزروع وعمارة وكانت بلادهم اخصب البلاد
فسخط الله عليهم فجعلها مفاوز وكانت فيما روي بنواحي حضرموت الى اليمن وكانوا
يعبدون الاصنام ولحق هود حين اهلك قومه من امن معه مكه فلم يزالوا بها حتى
ماتوا انا لنراك في سفاهه اي حمق وخفه عقل قال

مشين كما اهتزت رماح تسفهت اعاليها مر الرياح النواسم

وقد تقدم هذا المعنى في البقره والرويه هنا في قصه نوح قيل هي من رويه البصر وقيل
يجوز ان يراد بها الراي الذي هو اغلب الظن قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم
خلفا من بعد قوم نوح خلفا جمع خليفه على التذكير والمعنى وخلايف على الارض
من عليهم بان جعلهم سكان الارض من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطه
ويجوز بصطه بالصاد لان بعدها طا اي طولا في الخلق وعظم الجسم قال
ابن عباس كان اطولهم مايه ذراع واقصرهم ستين ذراعا وهذه الزياده كانت على خلق
ابايهم وقيل على خلق قوم نوح قال وهب كان راس احدهم مثل قبه عظيمه وكان
عين الرجل يفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم وروي شهر ابن حوشب
عن ابي هريره قال ان كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصراعين من
حجاره لو اجتمع عليها خمس مايه من هذه الامه لم يطيقوه وان كان

احدهم ليغز بقدمه الارض فندخل فيها فاذكروا آلا الله اي نعم الله واحدها إلا والأ والو والي كالانا واحدها اِنى واني وانو واني لعلكم تفلحون تقدم **قوله تعالى** قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباونا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين طلبوا العذاب اي خوفهم به وحذرهم منه وقال لهم قد وقع ومعنى وقع اي وجب يقال وقع القول والحكم اي وجب ومثله ولما وقع عليهم الرجز اي نزل بهم مثل واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض والرجس العذاب وقيل عني بالرجس الرين على القلب بزيادة الكفر اتجادلونني في اسماء يعني الاصنام التي عبدوها وكانت لهم اسما مختلفة ما نزل الله بها من سلطان اي من حجة لكم في عبادتها فالاسم هنا بمعنى المسمى نظيره ما تعبدون من دونه الا اسما سميتموها وهذه الاسما مثل العزى من العز والاعز واللات وليس لها من العز والا شي دابر اخر وقد عدم اي لم تبق لهم بقيه **قوله تعالى** والى ثمود اخاهم صالحًا وهو ثمود ابن عاد ابن ارم ابن سام ابن نوح وهو اخو جديس وكانوا في سعة من معايشهم فخالفوا امر الله وعبدوا غيره وفسدوا في الارض فبعث الله اليهم صالحًا نبيًا وهو صالح ابن عبيد ابن اسف ابن ماسح ابن عبيد ابن حاذر ابن ثمود وكانوا قوما عربا وكان صالح من اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا فدعاهم الى الله تعالى حتى شمط ولم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون ولم ينصرف ثمود لانه جعله اسما للقبيله وقال ابو حاتم لم ينصرف لانه اعجمي قال النحاس وهذا غلط وهو المذا العليل وقد قرا القرا الا ان ثمودًا كفروا ربهم على انه اسم للحي وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وهم من ولد سام ابن نوح وسميت ثمودا لقلة مايها ومساكنهم في الحجر ان شا الله هذه ناقة الله لكم اية اخرج لهم الناقة حين سالوه من حجر صلد وكان لها يوم تشرب فيه ما الوادي كله وتسقيهم مثله لبنا لم يشرب قط

الذواحل منه وكان تقدر حاجتهم علي كثرتهم قال الله تعالي لها شرب ولكم شرب يوم
معلوم واضيفت الناقة الي الله عز وجل علي جهة اضافة الخلق الي الخالق وفيه معني
التشريف والتخصيص فذروها تاكل في ارض الله اي ليس عليكم رزقها ولا تمسوها بسوء
قوله تعالي واذكروا اذ جعلكم خلفا من بعد عاد وبواكم فيه ثلث
مسايل الاولي قوله تعالي وبواكم في الارض فيه محذوف اي وبواكم
في الارض منازل تتخذون من سهولها قصورًا اي تبنون القصور بكل
موضع وتنحتون الجبال بيوتًا اتخذوا البيوت في الجبال لطول اعمارهم فان السقوف
والابنية كانت تبلي قبل فنا اعمارهم وقرا الحسن بفتح الحا وهي لغة وفيه حرف من حروف
الحلق فلذلك جا علي فعل يفعل الثانيه استدل بهذه الاية من اجاز جواز
البنا الرفيع كالقصور ونحوها وبقوله من حرم زينة الله التي اخرج لعباده
والطيبات من الرزق ذكر ان ابنا لمحمد ابن سيرين بني دارًا وانفق فيها
مالًا كثيرًا فذكر ذلك لمحمد ابن سيرين فقال ما اري باسًا ان يبني الرجل بنا ينفعه
وروي عنه صلي الله عليه وسلم انه قال اذا انعم الله علي عبد احب ان يري اثر النعمه
عليه ومن اثار النعمه البنا الحسن والاثواب الحسنه الا تري انه لو اشتري جاريه
جميله بمال عظيم فانه يجوز وقد يكفيه دون ذلك فكذلك البنا وكره ذلك اخرون
منهم الحسن وغيره واحتجوا بقوله صلي الله عليه وسلم اذا اراد الله
بعبد شرًا اهلك ماله في الطين واللبن وفي اخر خبر اخر عنه صلي الله عليه وسلم
من بنا فوق ما يكفيه جا به يوم القيمه يحمله علي عنقه قلت بهذا اقول
لقوله صلي الله عليه وسلم وما انفق المومن من نفقه فان خلفها علي الله
ضامن الا ما كان في بنيان او معصيه رواه جابر ابن عبد الله خرجه
الدارقطني وقوله صلي الله عليه وسلم ليس لابن ادم حق

حتى في سوى هذه الخصال ببيت يكنه وبيت وثوب يواري عورته وجلف الخبز والماء خرجه الترمذي الثالثة قوله تعالى فاذكروا الا الله اي نعمه وهذا بدل على ان الكفار منعم عليهم وقد مضى في ال عمران القول فيه ولا تعثوا في الارض مفسدين تقدم في البقرة والعثي والعثو لغتان وقرا الاعمش تعثوا بكسر التا اخذه من عثى يعثي لا من عثا يعثو قوله تعالى قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم الثاني بدل من الاول لان المستضعفين هم المومنون وهو بدل البعض من الكل قوله تعالى فعقروا الناقة العقر الجرح وقيل قطع عضو يوثر في النفس وعقرت الفرس اذا ضربت قوايمه بالسيف وخيل عقارا وعقرت ظهر الدابة اذا ادمرته قال امرؤ القيس

تقول وقد مال الغبيط بنا معا عقرت بعيرنا يا امرا القيس فانزل

اي جرحته وادبرته قال القشيري العقر كسر عرقوب البعير ثم قيل للنحر عقر لان العقر سبب النحر في الغالب وقد اختلف في عاقر الناقة على اقوال اصحها ما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن زمعة رضي الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في اهله مثل ابي زمعة وذكر الحديث وقيل في اسمه قدار بن سالف وقيل ان ملكهم كان الى امراة يقال لها ملكا فحسدت صالحا لما مال له الناس وقالت لامراتين كان لهما خليلان يعشقانهما لا تطيعاهما وسلاها عقر الناقة ففعلتا وخرج الرجلان والجا الناقة الى مضيق ورماها بسهم وقتلاها وجا السقب وهو ولدها الى الصخرة التي خرجت الناقة منها فرغا ثلاثا وانفرجت الصخرة فدخل فيها فيقال انه الدابة التي تخرج في اخر الزمان على الناس على ما ياتي بيانه في النمل قال

ابن اسحق تبع السقب اربعة نفر ممن كان عقر الناقة مصدع واخوه ذواب فرماه مصدع
بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجله فالحقه بامه والقوه معها والاول اصح وان صالحا
قال لهم ابدا قد بقي من عمركم ثلاثة ايام ولهذا رغا ثلاثا وقيل عقرها عاقرها ومعه
ثمانية رجال وهم الذين قال الله فيهم وكان في المدينة تسعة رهط على ما ياتي بيانه
في النمل وهو معنى قوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر وكانوا يشربون
فاعوزهم الماء ليمزجوا شرابهم وكان يوم لبن الناقة فقام احدهم وترصد
الناس وقال لاريحن الناس منها فعقرها **قوله تعالى** وعتوا عن امر
ربهم اي استكبروا عتا يعتو عتوا اي استكبر وتعتى فلان اذا لم يطع والليل
العاتي الشديد الظلمة عن الخليل وقالوا يا صالح ايتنا بما تعدنا من العذاب فاخذتهم
الرجفة اي الزلزلة الشديدة وقيل كانت صيحة شديدة خلعت قلوبهم كما في قصة
ثمود في سورة هود فاخذتهم الصيحة يقال رجف الشي يرجف رجفا ورجفانا وارجفت
الريح الشجر حركته واصله حركة مع صوت ومنه قوله تعالى يوم ترجف الراجفة
قال الشاعر ولما رايت الحج قد ان وقته وظلت مطايا القوم بالقوم ترجف
فاصبحوا في دارهم اي بلدهم جاثمين وقيل وحد على طريق الجنس والمعنى
في دورهم وقال في موضع اخر ديارهم اي في منازلهم جاثمين لاصقين
بالارض على ركبهم ووجوههم كما يجثم الطاير اي صاروا خامدين من شدة
العذاب واصل الجثوم للارنب وشبهها والموضع مجثم قال زهير ٥
بها العين والارام يمشين خلفة واطلاوها ينهضن من كل مجثم
وقيل احترقوا بالصاعقة فاصبحوا ميتين الا رجلا واحدا كان في
حرم الله فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه فتولى عنهم
اي عند الياس منهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي بجمل

انه قال ذلك قبل موتهم ويحتمل انه قاله بعد موتهم كقوله صلى الله عليه وسلم لقتلى
بدر هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل اتكلم هولاء الجيف فقال ما انتم باسمع
منهم ولكنهم لا يقدرون على الجواب والاول اظهر يدل عليه ولكن لا تحبون الناصحين
اي لم تقبلوا نصحي **قوله تعالى** ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة
ما سبقكم بها من احد من العالمين فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى ولوطا اذ
قال لقومه قال الفرا لوط مشتق من قولهم هذا اليط بقلبي اي الصق وقال
النحاس قال الزجاج زعم بعض النحويين يعني الفرا ان لوطا يجوز ان يكون مشتقا من
لطت الحوض اذا ملسته بالطين قال وهذا غلط لان الاسما الاعجمية لا تشتق كاسحق
فلا يقال انه من السحق وهو البعد وانما صرف لوط لخفته لانه على ثلاثة احرف وهو ساكن
الوسط قال النقاش لوط من الاسما الاعجمية وليس من العربية فاما لطت الحوض
وهذا اليط بقلبي من هذا فصحيح ولكن الاسم اعجمي كابرهيم واسحق قال
سيبويه نوح ولوط اسما اعجمية الا انها خفيفة فلذلك صرفت بعثه الله تعالى
الى امة تسمى سدوم وكان ابن اخي ابرهيم ونصبه اما بارسلنا المتقدمة فيكون معطوفا
ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى واذكر **الثانية** قوله تعالى اتاتون الفاحشة يعني
اتيان الذكور ذكرها الله باسم الفاحشة ليبين انها زنى كما قال ولا تقربوا الزنى
انه كان فاحشة واختلف العلما فيما يجب على من فعل ذلك بعد اجماعهم على تحريمه
فقال ملك يرجم احصن او لم يحصن وكذلك يرجم المفعول به ان كان محتلما وروي عنه
ايضا يرجم ان كان محصنا ويحبس ويودب ان كان غير محصن وهو مذهب عطا والنخعي
وابن المسيب وغيرهم وقال ابو حنيفة يعزر المحصن وغيره وروي عن ملك وقال
الشافعي يحد حد الزنا قياسا عليه احتج ملك بقوله تعالى وامطرنا عليهم
حجارة من سجيل فكان ذلك عقوبة لهم وجزاء على فعلهم فان قيل لا حجة

فيه لوجهين احدها ان قوم لوط انما عوقبوا على الكفر والتكذيب كسائر الامم الثاني ان
صغيرهم وكبيرهم دخل فيها فدل على خروجها من باب الحدود قيل اما الاول فغلط فان
الله سبحانه اخبر عنهم انهم كانوا على معاصي فاخذهم بها منها هذه واما الثاني فكان
منهم فاعل وكان منهم راض فعوقب الجميع لسكوت الجمهور عليه وهي حكمة الله
وسنته في عباده وبقي امر العقوبة على الفاعلين مستمرا والله اعلم وقد روى
ابو داود وابن ماجه والترمذي والنسائي والدارقطني ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به
لفظ ابي داود وابن ماجه وعند الترمذي احصنا او لم يحصنا وروى ابو داود والدارقطني
عن ابن عباس في البكر يوجد على اللوطية قال يرجم وقد روي عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه انه حرق رجلا يقال له الفجاءة حين عمل عمل قوم لوط بالنار وهو
راي علي ابن ابي طالب فانه لما كتب خالد ابن الوليد الى ابي بكر في ذلك
جمع ابو بكر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واستشارهم فيه فقال علي ان
هذا الذنب لم تعص به امة من الامم الا امة واحدة صنع الله بها ما علمتم اري ان
يحرق بالنار فكتب ابو بكر الى خالد ابن الوليد رضي الله عنهما ان يحرقه بالنار فاحرقه
ثم احرقهم ابن الزبير في زمانه ثم احرقهم هشام ابن الوليد ثم احرقهم خالد القسري
بالعراق وروي ان سبعة اخذوا في زمان ابن الزبير في لواط فسال عنهم فوجد
اربعة قد احصنوا فامر بهم فخرج بهم من الحرم فرجموا بالحجارة حتى ماتوا وحد الثلاثة
قال وعنده ابن عباس وابن عمر فلم ينكرا عليه والى هذا ذهب الشافعي قال ابن
العربي والذي صار اليه مالك احق وهو اصح سندا واقوى معتمدا وتعلق
الحنفيون بان قالوا عقوبة الزنا معلومة فلما كانت هذه المعصية غيرها وجب
ان لا تشاركها في حدها ويأثرون في ذلك حديثا من وضع حدا

في غير حد فقد تعدي وظلم وايضا فانه وطي في فرج لا يتعلق به الحلال ولا الاحصان
ولا وجوب مهر ولا ثبوت نسب فلم يتعلق به حد **الثالثه** وان اتي بهيمه
فقد قيل لا يقتل هو ولا البهيمه وقيل يقتلان حكاه ابن المنذر عن ابي سلمه ابن عبد
الرحمن وفي الباب حديث رواه ابو داود والدارقطني عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم من وقع علي بهيمه فاقتلوه واقتلوا البهيمه معه فقلنا
لابن عباس ما شان البهيمه قال ما اراه قال ذلك الا انه كره ان يوكل لحمها
وقد عمل بها ذلك العمل قال ابن المنذر ان يكن الحديث ثابتا فالعمل به يجب وان لم
يثبت فليستغفر الله من فعل ذلك كثيرا وان عزره الحاكم كان حسنا والله اعلم وقد قيل
ان قتل البهيمه لئلا تلقي خلقا مشوها فيكون قتلها مصلحه لهذا المعني مع ما جاء من السنه
والله اعلم وقد روي ابو داود عن ابن اسحق عن ابن عباس قال ليس علي الذي يزني بالبهيمه حد
قال ابو داود وكذا قال عطا وقال الحكم اري ان يجلد ولا يبلغ به الحد
وقال الحسن هو بمنزله الزاني وقال الزهري يجلد مائه احصن او لم يحصن وقال
مالك والثوري واحمد واصحاب الراي يعزر وروي عن عطا والنخعي والحكم
واختلفت الروايات عن الشافعي وهذا اشبه علي مذهبه في هذا الباب وقال
جابر ابن زيد يقام عليه الحد الا ان تكون له البهيمه **الرابعه** قوله تعالي ما
سبقكم بها من احد من العالمين من لاستغراق الجنس اي لم يكن اللواط في امه قبل
قوم لوط والملحدون يزعمون ان ذلك كان قبلهم والصدق ما ورد به القران حكي
النقاش ان ابليس كان اصل عملهم بان دعاهم الي نفسه لعنه الله فكان ينكح بعضهم
بعضا الحسن كانوا يفعلون ذلك بالغربا ولم يكن يفعله بعضهم ببعض وروي ابن
ماجه عن جابر ابن جابر قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان اخوف
ما اخاف علي امتي عمل قوم لوط وقال محمد ابن سيرين ليس شي من

الدواب يعمل عمل قوم لوط الا الخنزير والحمار **قوله تعالى** أئنكم قرأ نافع وحفص
على الخبر بهمزة واحدة مكسورة تفسير الفاحشة المكسورة فلم يحسن ادخال الاستفهام
عليه لانه يقطع ما بعده مما قبله وقرأ الباقون بهمزتين على لفظ الاستفهام الذي معناه
التوبيخ وحسن ذلك لان ما قبله وبعده كلام مستقل واختار الاول ابو
عبيد والكسائي وغيرهما واحتجوا بقوله عز وجل افاين مت فهم الخالدون
ولم يقل افهم وقال افاين مات او قتل انقلبتم ولم يقل انقلبتم وهذا من
اقبح الغلط لانهما تشبيها بشيئين بشيء ما الاستفهام لان الشرط وجوابه بمنزلة شيء واحد
كالمبتدا والخبر فلا يجوز ان يكون فيهما استفهامان فلا يجوز افان مت افهم كما لا يجوز ازيدا
منطلق وقصة لوط عليه السلام فيها جملتان فلك ان تستفهم عن كل واحدة منهما هذا
قول الخليل وسيبويه واختاره النحاس ومكي وغيرهما شهوة نصب على المصدر
اي تشتهونهم شهوة ويجوز ان يكون مصدرا في موضع الحال بل انتم
قوم مسرفون نظيره بل انتم قوم عادون في جمعكم الى الشرك هذه الفاحشة ه
قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم اي لوطا واتباعه
ومعنى يتطهرون عن الاتيان في هذا المحل يقال تطهر الرجل اي برئ عن الاثم
قال قتادة عابوهم والله بغير عيب من الغابرين اي من الباقين في عذاب الله قاله ابن عباس
وقتادة غبر الشيء اذا مضى وغبر اذا بقي وهو من الاضداد وقال قوم الماضي
عابر بالعين غير معجمة والباقي غابر بالغين معجمة حكاه ابن فارس في المجمل الزجاج من
الغابرين اي من الغائبين عن النجاة وقيل لطول عمرها قال النحاس وابو عبيدة يذهب
الى ان المعنى من المعمرين اي انها قد هرمت والاكثر في اللغة ان يكون الغابر
الباقي قال الراجز ه

فما ونى محمد مذ ان غفر ... له الاله ما مضى وما غبر

قوله تعالى وامطرنا عليهم مطرًا سري لوط باهله كما وصف الله
بقطع من الليل ثم امر جبريل عليه السلام فادخل جناحه تحت مداينهم فاقتلعها
ورفعها حتى سمع اهل السما صياح الديكه ونباح الكلاب ثم جعل عاليها اسافلها
وامطرت عليها حجاره من سجيل قيل على من غاب منهم وادرك امراه لوط وكانت
معه حجر فقتلها وكانت فيما ذكر اربع قرى وقيل خمس فيها اربعمايه الف
وسياتي في هود قصه لوط بابين من هذا ان شا الله تعالى ٥ .
قوله تعالى والى مدين اخاهم شعيبًا الى قوله عوجا فيه اربع مسايل
الاولى قوله تعالى والى مدين قيل في مدين اسم بلد وقطر وقيل اسم قبيله كما يقال
بكر وتميم وقيل هم من ولد مدين ابن ابرهيم الخليل عليه السلام فمن راى ان مدين اسم
رجل لم يصرفه لانه معرفه اعجمي ومن راه اسمًا للقبيله او الارض فهو احرى ان لا يصرفه
المهدوي ويروي انه كان ابن بنت لوط مكي كان زوج بنت واختلف في
نسبه فقال عطا وابن اسحق وغيرهما وشعيب هو ابن ميكيل ابن يشجر ابن مدين
ابن ابرهيم واسمه بالسريانيه بيروث وامه ميكايل بنت لوط وزعم الشرقي ابن قطامي
ان شعيبًا ابن عيفا ابن نويب ابن مدين ابن ابرهيم وزعم ابن سمعان ان شعيبا ابن
جزا ابن يشجر ابن لاوي ابن يعقوب ابن اسحق ابن ابرهيم وشعيب تصغير شعب
او شعيب وقال قتاده هو شعيب ابن نويب وقيل شعيب ابن صفوان
ابن عيفا ابن ثابت ابن مدين ابن ابرهيم والله اعلم وكان اعمي فلذلك قال قومه وانا
لنراك فينا ضعيفا وكان يقال له خطيب الانبيا لحسن مراجعة قومه وكان قومه
اهل كفر بالله وبخس المكيال والميزان قد جاتكم بينة من ربكم ذكركم
اي بيان وهو مجي شعيب بالرساله ولم يذكر له معجزة في القران
وقيل معجزته فيما ذكر الكسايي في قصص الانبيا ان **الثانيه**

ولا تبخسوا الناس البخس النقص وهو يكون في السلعه بالتعييب والتزهيد فيها او
المخادعه عن القيمه والاحتيال في التزيد في الكيل والنقصان منه وكل ذلك من اكل المال
بالباطل وذلك نهي عنه في الامم المتقدمه والسالفه على السنه الرسل وحسبنا الله
ونعم الوكيل **الثالثه** ولا تفسدوا عطف على ولا تبخسوا وهو لفظ يعم دقيق
الفساد وجليله قال ابن عباس كانت الارض قبل ان يبعث الله شعيبا
رسولا يعمل فيها بالمعاصي ويستحل فيها المحارم ويسفك فيها الدما قال
فذلك فسادها فلما بعث الله شعيبا ودعاهم الى الله صلحت الارض وكل نبي بعث الى
قوم فهو صلاحهم **الرابعه** قوله تعالى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون نهاهم عن
القعود بالطرق والصد عن الطريق التي يودي الى طاعه الله وكانوا يوعدون العذاب
من امن واختلف العلما في معنى قعودهم على الطرق على ثلاثه معان فقال
ابن عباس وقتاده ومجاهد والسدي كانوا يقعدون على الطرقات
المفضيه الى شعيب فيتوعدون من اراد المجي اليه ويصدونه ويقولون انه كذاب فلا
تذهب اليه كما كانت قريش تفعله مع النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ظاهر الايه
وقال ابو هريره هذا نهي عن قطع الطرق واخذ السلب وكان ذلك من فعلهم وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ليله اسري بي خشبه على الطريق
لا يمر بها ثوب الا شقته ولا شي الا خرقته فقلت ما هذا يا جبريل
فقال هذا مثل قوم من امتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا ولا تقعدوا بكل
صراط توعدون الايه وقد مضى القول في اللصوص والمحاربين والحمد لله وقال
السدي ايضا كانوا عشارين متقبلين قال علماونا ومثلهم اليوم
هولا المكاسون الذين ياخذون من الناس ما لا يلزمهم شرعا
من الوظايف المالية بالقهر والجبر فضمنوا ما لا يجوز ضمان اصله من

الزنوات والمواريث والملاهي والمرتبون في الطرق الي غير ذلك مما قد كثر في
الوجود وعمل به في ساير البلاد وهو من اعظم الذنوب واكبرها وافحشها فانه غصب
وظلم وعسف على الناس واذاعة للمنكر وعمل به ودوام عليه واقرار له واعظمه
تضمين الشرع والحكم للقضا فانا لله وانا اليه راجعون لم يبق من الاسلام الا
رسمه ولا من الدين اسمه يعضد هذا التاويل ما تقدم من النهي في شان المال
في الموازين والاكيال والبخس **قوله تعالى** من امن به
الضمير في به يحتمل ان يعود على اسم الله وان يعود على شعيب في قول من راي القعود
على الطريق للصد وان يعود على السبيل عوجا قال ابو عبيد والزجاج كسر العين في
المعاني وفتحها في الاجرام واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم اي كثر عددكم او كثركم
بالغنا بعد الفقر اي فكنتم فقرا فاغناكم فاصبروا والصبر هذا امر بالمقام
على الكفر ولكنه وعيد وتهديد وقال وان كان طايفة فذكر على المعني
ولو راعي اللفظ قال كانت **قوله تعالى** قال الملا الذين استكبروا من
قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي
لتصيرن الي ملتنا وقيل كان اتباع شعيب قبل الايمان على الكفر
اي لتعودن الينا كما كنتم قبل الزجاج يجوز ان يكون العود بمعنى الابتدا يقال
عاد الي من فلان مكروه اي صار وان لم يكن سبقه مكروه قبل ذلك اي لحقني
ذلك منه فقال لهم شعيب اولو كنا كارهين مجبرين عليه اي على الخروج من
الوطن او العود في ملتكم اي ان فعلتم هذا اتيتم عظيما قد افترينا على الله كذبا ان عدنا
في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها ايايس من العود الي ملتكم وما يكون لنا ان نعود فيها
الا ان يشا الله قال ابو اسحق الزجاج اي الا بمشية الله عز وجل
قال وهذا قول اهل السنة اي وما يقع منا العود الي الكفر الا

الجزو التاسع

ان يشا الله ذلك فما استثنا منقطع وقيل الاستثنا هنا علي جهة التسليم لله عز وجل
كما قال وما توفيقي الا بالله والدليل علي هذا ان بعده وسع ربنا كل شيء علما علي الله
توكلنا وقيل هو كقولك لا اكلمك حتى يبيض الغراب وحتى يلج الجمل في سم الخياط والغراب
لا يبيض ابدا والجمل لا يلج **قوله تعالى** وسع ربنا كل شيء علما اي علم
ما كان وما يكون علما نصب علي التمييز وقيل المعنى وما يكون لنا ان نعود
فيها اي في القرية بعد ان كرهتم مجاورتنا بل نخرج من قريتكم مهاجرين
الى غيرها الا ان يشا الله ردنا اليها وفيه بعد لانه يقال عاد للقرية ولا يقال عاد في
القرية **قوله تعالى** علي الله توكلنا اي اعتمدنا وقد تقدم في غير موضع ربنا افتح
بيننا وبين قومنا بالحق قال قتاده بعثه الله الى امتين اهل مدين واصحاب الايكة قال
ابن عباس وكان شعيب كثير الصلاة فلما طال تمادي قومه في غيهم
وكفرهم ويئس من صلاحهم دعا عليهم فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا
قومنا بالحق وانت خير الفاتحين فاستجاب الله دعاه فاهلكهم بالرجفة وقال الملا الذين
كفروا من قومه اي قالوا لمن دونهم لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون اي هالكون
فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة وقيل الصيحة واصحاب الايكة اهلكوا بالظلة علي ما ياتي
قوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها قال الجرجاني
قيل هذا كلام مستانف اي الذين كذبوا شعيبا صاروا كانهم لم
يزالوا موتى ويغنوا يقيموا يقال غنيت بالمكان اذا اقمت به وغنا القوم في
دارهم اي طال مقامهم فيها والمغنى المنزل والجمع المغاني قال لبيد
وغنيت سبتا قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود
وقال حاتم طي
غنينا زمانا بالتصعلك والغنى فكلا سقيناه بكاسيهما الدهر

فما زادنا بغيا على ذي قرابة غنانا ولا ازرى باحسابنا الفقر ن الذين كذبوا شعيبا
كانوا هم الخاسرين ابتدا خطاب وهو مبالغة في الذم والتوبيخ واعادة لتعظيم
الامر وتحقيقه ولما قالوا لمن اتبع شعيبا خاسر قال الله الخاسرون هم المعنيين قالوا هذا
القول فكيف اسى اي احزن اسيت على الشي اسى اسى وانا اسي **قوله تعالى**
وما ارسلنا في قرية من نبي فيه اضمار فكذب اهلها الا اخذناهم
بالبأسا والضرا لعلهم يضرعون تقدم القول فيه ثم بدلنا مكان السيئة
الحسنة اي ابدلناهم بالجدب خصبا حتى عفوا اي كثروا عن ابن عباس ابن زيد كثرت
اموالهم واولادهم وعفا من الاضداد عفا كثر وعفا درس اعلم الله تعالى انه اخذهم بالشدة
والرخا فلم يزدجروا ولم يشكروا وقالوا قد مس اباءنا الضرا والسرا فنحن مثلهم فاخذناهم
بغتة اي فجاة ليكون اكثر حسرة **قوله تعالى** ولو ان اهل القرى يقال للمدينة
قرية لاجتماع الناس فيها من قريت الما اذا جمعته وقد مضى في البقرة مستوفى امنوا اي
صدقوا واتقوا اي الشرك لفتحنا عليهم بركات من السما والارض يعني المطر والنبات
وهذا في اقوام على الخصوص جرى ذكرهم اذ قد يمتحن المومنون بضيق العيش ويكون
تكفيرا لذنوبهم الا ترى انه اخبر عن نوح انه قال لقومه استغفروا ربكم انه كان
غفارا يرسل السما عليكم مدرارا وعن هود ثم توبوا اليه يرسل السما عليكم مدرارا
فوعدهم المطر والخصب على التخصيص يدل عليه ولكن كذبوا اي كذبوا
الرسل والمومنون صدقوا ولم يكذبوا **قوله تعالى** افامن اهل القرى
الاستفهام للانكار والفا للعطف نظيره افحكم الجاهلية والمراد
بالقرى مكة وما حولها لانهم كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل
هو عام في جميع القرى ان ياتيهم باسنا عذابنا بياتا اي ليلا وهم نائمون
اومن قرا ابن عياص والحرميان باسكان الواو للعطف على معنى

الابلحه مثل و لا ادطع منهم اثما او كفورا احلس الحسن او ابن سيرين و المعني او امنوا
هذه الضروب من العقوبات اي ان امنتم ضربا منها لم تامنوا الاخر ويجوز ان يكون
او لاحد الشيئين كقولك ضربت زيدا او عمرا وقرا الباقون بفتحها وهمزه بعيم ها
جعلها واو العطف وهم يلعبون دخلت عليها الف الاستفهام نظيره اوكلما
عاهدوا عهدا ومعني ضحي وهم يلعبون اي هم في ما لا يجدي عليهم يقال لكل من كان فيما
يضره ولا يجدي عليه لاعبه ذكره النحاس وفي الصحاح اللعب معروف واللعب
مثله وقد لعب يلعب وتلعب مرة بعد اخري ورجل تلعابه كثير اللعب واللعاب
بالفتح المصدر وجاريه لعوب **قوله تعالي** افامنوا مكر الله اي عذابه وجزاه علي
مكرهم وقيل مكره استدراجه بالنعمه والصحه **قوله تعالي** اولم يهد اي
يبين للذين يرثون الارض يريد كفار مكه ومن حولها اصبناهم اي اخذناهم بذنوبهم اي
بكفرهم وتكذيبهم ونطبع اي ونحن نطبع فهو مستانف وقيل هو
معطوف علي اصبنا اي نصيبهم ونطبع فوقع الماضي مع المستقبل **قوله تعالي**
تلك القري اي هذه القري التي اهلكناها وهي قري نوح وعاد وهود ولوط وشعيب
المتقدمه الذكر نقص اي نتلوا عليك من انبايها اي من اخبارها وهو تسليه
للنبي صلي الله عليه وسلم والمسلمين فما كانوا ليومنوا اي فما كان اولئك الكفار
ليومنوا بعد هلاكهم لو احييناهم قاله مجاهد نظيره ولو ردوا لعادوا
وقال ابن عباس والربيع كان في علم الله تعالي يوم اخذ عليهم الميثاق انهم لا يومنون بالرسل
بما كذبوا من قبل يريد يوم الميثاق حين اخرجهم من ظهر ادم فامنوا كرها لا طوعا السدي
امنوا به يوم اخذ عليهم الميثاق كرها فلم يكونوا ليومنوا الان حقيقة
وقيل سالوا المعجزات فلما راوها ما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل
رويه المعجزات نظيره كما لم يومنوا به اول مره كذلك يطبع الله علي

قلوب الكافرين بمحمد صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** وما وجدنا لاكثرهم من
عهد من رايده وهي تدل على معنى الجنس ولولا من لجاز ان يتوهم انه واحد في المعنى قال ابن
عباس يريد العهد الماخوذ عليهم وقت الذر ومن نقض العهد قيل انه لا عهد له
اي كانه لم يعهد الحسن العهد الذي عهد اليهم مع الانبيا ان يعبدوه ولا يشركوا
به شيئا وقيل اراد ان الكفار منقسمون فالاكثرون منهم من لا امانة له
ولا وفا ومنهم من له امانة مع كفره وان قلوا روي عن ابي عبيد والله اعلم
قوله تعالى ثم بعثنا من بعدهم اي من بعد نوح وهود وصالح ولوط شعيب
موسى اي موسى ابن عمران باياتنا اي بمعجزاتنا فظلموا بها اي كفروا ولم
يصدقوا بالايات والظلم وضع الشي غير موضعه **قوله تعالى** فانظر كيف كان
عاقبة المفسدين اي اخرامرهم **قوله تعالى** وقال موسى يا فرعون اني رسول
من رب العالمين حقيق علي اي واجب علي ومن قرا علي ان لا فالمعنى حريص على ان لا اقول
وفي قراة عبد الله حقيق ان لا اقول باسقاط علي وقيل على بمعنى البا اي حقيق
بان لا اقول وكذا في قراة ابي والاعمش بان لا اقول كما تقول رميت بالقوس
وعلى القوس فحقيق على هذا بمعنى محقوق ومعنى فارسل معي بني اسرايل اي خلصهم
وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة فالقى عصاه يستعمل في الاجسام والمعاني وقد
تقدم والثعبان الحية الضخم الذكر وهو اعظم الحيات مبين اي اي حية لا
لبس فيها ونزع يده اي اخرجها واظهرها قيل من جيبه او من جناحه كما في التنزيل
وادخل يدك في جيبك تخرج بيضا من غير سوا اي من غير برص وكان موسى عليه
السلام اسمر شديد السمرة ثم اعاد يده الى جيبه فعادت الى لونها الاول وقال
ابن عباس كان ليده نور ساطع يضي ما بين السما والارض وقيل كانت تخرج يده
بيضا كالثلج تلوح فاذا ردها عادت الى مثل ساير بدنه ومعنى عليم

اي بالسحر من ارضكم اي من ملكتكم معاشر القبط بتقديمه بني اسرايل عليكم فماذا تامرون
اي قال فرعون فماذا تامرون وقيل هو من قول الملا اي قالوا لفرعون وحده فماذا
تامرون كما يخاطب الجبارون والروسا ما ترون في كذا ويجوز ان يكون قالوا له ولاصحابه
وما في موضع نصب رفع على ان ذا بمعنى الذي وفي موضع نصب على ما وذا شي
واحد قالوا ارجيه قراه اهل المدينه وعاصم والكساي بغير همز الا ان ورشا
والكساي اشبعا كسرة الها وقرا ابو عمرو بهمزه ساكنه والها مضمومه
وهما لغتان يقال ارجاته وارجيته اي اخرته ولذلك قرا ابن كثير وابن محيصن وهشام
الا انهم اشبعوا ضمة الها قال الفرا هي لغه للعرب يقفون على الها المكنى عنها في الوصل اذا
تحرك ما قبلها وكذا هذه طلحه قد اقبلت وانكر البصريون هذا معنى ارجه احبسه ابن عباس
اخره وقيل ارجه ماخوذ من رجا يرجو اي اطمعه ودعه يرجو حكاه النحاس عن محمد ابن يزيد
وكسر الها على الاتباع ويجوز ضمها على الاصل واسكانها لحن لا يجوز الا في شذوذ
من الشعر واخاه عطف على الها حاشرين نصب على الحال ياتوك جزم لانه جواب الامر
فلذلك حذفت منه النون وقرا اهل الكوفه الا عاصما بكل سحار وقرا سايرالناس ساحر
وهما متقاربان ان فعالا اشد مبالغه **قوله تعالى** وجا السحرة فرعون
وحذف ذكر الارسال لعلم السامع قال ابن عبد الحكم كانوا اثنا عشر
نقيبا مع كل نقيب عشرون عريفا تحت يدي كل عريف الف
ساحر وكان رئيسهم شمعون في قول مقاتل ابن جريج كانوا تسعماية من
العريش والفيوم والاسكندريه اثلاثا ابن اسحق كانوا خمسة عشر الف
ساحر وروي عن وهب وقيل كانوا اثني عشر الفا ابن المنكدر ثمانين
الفا وقيل اربعة عشر الفا وقيل كانوا ثلاثماية الف ساحر من الريف
وثلثماية الف ساحر من الصعيد وثلاثماية الف ساحر من الفيوم وما

والاها وقيل كانوا سبعين رجلا وقيل بلاثه وسبعين والله اعلم وكان معهم فيما
روي حبال وعصي يحملها المثمانيه بعير فالتقمت الحيه ذلك كله قال ابن عباس والسدي
كانت اذا فتحت فاها صار شدقها ثمانين ذراعا واضعه فكها الاسفل علي الارض
وفكها الاعلي علي سور القصر وقيل كان سعه فيها اربعين ذراعا والله اعلم
فقصدت فرعون لتبتلعه فوثب من سريره فهرب منها واستغاث بموسى
فاخذها فاذا هي عصا كما كانت وقال وهب بات من خوف العصي خمسة وعشرون
الفا والوا ان لنا لاجرا اي جايزة ومالا ولم يقل فقالوا بالفا لانه اراد لما جاوا قالوا
وقري ان لنا علي الخبر وهي قراه نافع وابن كثير الزبوا فرعون ان يجعل لهم مالا
ان غلبوا فقال لهم فرعون نعم وانكم لمن المقربين اي لمن اهل المنزله الرفيعه لدينا
فزادهم علي ما طلبوا وقيل انهم انما قطعوا ذلك لانفسهم في حكمهم ان غلبوا اي كانوا قالوا
يجب لنا الاجر ان غلبنا وقرا الباقون بالاستفهام علي جهة الاستخباره
استخبروا فرعون هل يجعل لهم اجرا ان غلبوا او لا فلم يقطعوا علي فرعون بذلك انما
استخبروه هل يفعل ذلك فقال لهم نعم لكم الاجر والقرب ان غلبتم قوله
تعالي قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين بادوا مع موسي
عليه السلام وكان ذلك سبب ايمانهم وان في موضع نصب عند الكسايي والفرا
علي معني اما ان تفعل الالقا ومثله قول الشاعر قالوا الركوب فقلنا تلك عادتنا
قال الفرا في الكلام حذف والمعني قال لهم موسي انكم لن تغلبوا ربكم ولن تبطلوا
اياته وهذا من معجز القران الذي لا ياتي مثله في كلام الناس ولا يقدرون عليه
باتي اللفظ اليسير يجمع المعاني الكثيره وقيل هو تهديد اي ابتدوا بالالقاء
فسترون ما يحل بكم من الافتضاح اذ لا يجوز علي موسى ان يامرهم
بالسحر وقيل امرهم بذلك ليبين كذبهم وتمويههم فلما القوا اي

الحبال والعصي سحروا اعين الناس اي حيلوا لهم وقلبوها عن صحة ادراكها بما يحل من
التمويه الذي جرى مجرى الشعوذة وخفة اليد كما تقدم في البقرة بيانه ومعنى عظيم
اي عندهم لانه كان كثيرا وليس بعظيم على الحقيقة وقال ابن زيد كان الاجتماع
بالاسكندرية فبلغ ذنب الحية وراء البحيرة وقال غيره وفتحت فاها فجعلت
تلقف اي تلتهم ما القوا من حبالهم وعصيهم وقيل كان ما القوا حبلا الا من
ادم فيها زيبق فتحركت وقالوا هذه حيات وقرا حفص تلقف باسكان اللام
والتخفيف جعله مستقبل لقف يلقف النحاس ويجوز على هذه القراة تلقف لانه من
لقف وقرا الباقون بالتشديد وفتح اللام جعلوه مستقبل تلقف وهي تلقف وتلم
وتلهم بمعنى واحد قال ابو حاتم وبلغني في بعض القراات تلقم بالميم والتشديد
قال الشاعر ۝ انت عصى موسى التي لم تزل تلقم ما يافكه الساحر ۝
ويروى تلقف ما يافكون اي ما يكذبون لانهم جاءوا بحبال وجعلوا فيها
زيبقا حتى تحركت **قوله تعالى** فوقع الحق قال مجاهد اي فظهر الحق
وانقلبوا صاغرين نصب على الحال والفعل منه صغر يصغر صغرا وصغرا وصغارا
اي انقلب قوم فرعون وفرعون معهم اذلاء مقهورين مغلوبين فاما السحرة فقد
امنوا **قوله تعالى** قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم انكار منه
عليهم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة اي جرت بينكم وبينه مواطاة في هذا
لتستولوا على مصر اي كان هذا منكم في مدينة مصر قبل ان تبرزوا الى هذه الصحراء فسوف
تعلمون تهديد لهم قال ابن عباس كان فرعون اول من صلب وقطع الايدي والارجل
من خلاف الرجل اليمنى واليد اليسرى والرجل اليسرى عن الحسن وما تنقم منا وقرا
الحسن بفتح القاف قال الاخفش هي لغة يقال نقمت الامر ونقمته انكرته اي لست تكره
منا سوى ان امنا بالله وهو الحق لما جاءتنا اياته وبيناته ربنا افرغ

علينا صبرًا الافراغ الصب اي اصببه علينا عند القطع والصلب وتوفنا مسلمين
فيقال ان فرعون اخذ السحرة وقطعهم علي شاطي النهر وانه امن موسى عند ايمان
السحرة ستمايه الف **قوله تعالي** وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسي وقو
ليفسدوا في الارض اي بايقاع الفرقة وتشتيت الشمل ويذرك والهتك بنصب
الرا جواب الاستفهام والواو نائبة عن الفاء والهتك قال الحسن كان
فرعون يعبد الاصنام فكان يَعبُد ويُعبَد قال سليمن التيمي بلغني ان فرعون
كان يعبد البقر قال التيمي فقلت للحسن هل كان فرعون يعبد شيئا قال نعم ان كان
ليعبد شيئا قد جعله في عنقه وقيل معنى والهتك اي وطاعتك كما قيل في قوله اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله انهم ما عبدوهم ولكن اطاعوهم فصار تمثيلا
وقرا نعيم ابن ميسرة ويذرك بالرفع علي تقدير وهو يذرك وقرا الاشهب العقيلي
ويذرك مجزومًا مخفف يذرك لثقل الضمة وقرا انس ابن ملك ونذرك بالنون والرفع
اخبروا عن انفسهم انهم يتركون عبادته ان ترك موسي حيا وقرا علي ابن ابي طالب وابن
عباس والضحاك والهتك معناه وعبادتك وعلي هذه القراة كان يعبد ولا يعبد اي
ويترك عبادة الله لك قال ابو بكر الانباري فمن مذهب اصحاب هذه القراة ان فرعون
لما قال انا ربكم الاعلي وما علمت لكم من اله غيري نفي ان يكون له رب
واله فيقال له ويذرك والهتك بمعني ويتركك وعبادة الناس لك وقراه
العامه والهتك كما تقدم وهي مبنية علي ان فرعون ادعي الربوبية في ظاهر امره
وكان يعلم انه مربوب دليل هذا قوله عند حضور الحمام امنت انه لا اله الا
الذي امنت به بنو اسرايل فلم يقبل منه هذا القول لما اتي به بعد اغلاق
باب التوبة وكان قبل هذه الحالة له اله يعبده سرًا دون رب العالمين جل وعز
قاله الحسن وغيره وفي حرف ابي اتذر موسي وقومه ليفسدوا في

الارض وقد تركوك ان يعبدوك وقيل والهتك قيل كان يعبد بقرة وكان اذا استحسن
بقرة امر بعبادتها وقال انا ربكم ورب هذه لهذا قال فاخرج لهم عجلا ذكره ابن عباس
والسدي الزجاج كان لهم اصنام صغار يعبدونها قومه تقربا اليه فنسبت اليه
ولهذا قال انا ربكم الاعلى قال اسمعيل ابن اسحق قول فرعون انا ربكم الاعلى يدل على
انهم كانوا يعبدون شيئا غيره وقد قيل ان المراد بالالاهة على قراة ابن عباس
البقرة التي كان يعبدها وقيل ارادوا بها الشمس وكانوا يعبدونها
قال الشاعر واعجلنا الالاهة ان تؤوبا ثم انس قوله فقال سنقتل ابناهم
بالتخفيف قراه نافع وابن كثير وقرا الباقون بالتشديد على التكثير ونستحي نساهم
اي لا نحافوا اجابهم وانا فوقهم قاهرون اسمهم هذا الكلام ولم يقل سنقتل موسى
لعلمه انه لا يقدر عليه وعن سعيد ابن المسيب قال كان فرعون قد ملى من
موسى رعبا فكان اذا راه بال كما يبول الحمار ولما بلغ قوم موسى من
فرعون هذا قال لهم موسى استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشا اطمعهم
في ان يورثهم الله ارض مصر والعاقبة للمتقين اي الجنة لمن اتقى وعاقبة كل شي اخره و لكنها
اذا اطلقت فقيل العاقبة لفلان فهم منه في العرف الخير **قوله تعالى**
قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا اي في ابتدا ولادتك بقتل الابنا واسترقاق النسا
ومن بعد ما جيتنا اي والان اعيد علينا ذلك يعنون الوعيد الذي كان من
فرعون وقيل الاذى من قبل تسخيرهم لبني اسرائل في اعمالهم الى نصف النهار وارسالهم
نصفه ليكتسبوا لانفسهم والاذى من بعد تسخيرهم جميع النهار بلا طعام ولا شراب
قاله جويبر وقال الحسن الاذى من قبل ومن بعد واحد وهو اخذ الجزيه قال عسى
ربكم ان يهلك عدوكم عسى من الله واجب جدد لهم الوعد وحققه وقد
استخلفوا في مصر في زمان داود وسليمان عليهما السلام وفتحوا بيت

المقدس مع يوشع ابن نون كما تقدم وروي انهم قالوا ذلك حين خرج بهم موسى وسعهم فرعون وقومه وانجاهم فسنظر كيف تعملون بعدهم تطانس اي نري ذلك العمل الذي يجب به الجزا لان الله يجازيهم على ما تعمله منهم انما يجازيهم على ما يقع منهم ○

قوله تعالى ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين يعني الجدوب وهذا معروف في اللغه يقال اصابتهم سنه اي جدبه وتقدير جدبه سنه وفي الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ومن العرب من يعرب النون في السنين وانشد الفرا ○ اري مر السنين اخذن مني كما اخذ السرار من الهلال ○ قال النحاس وانشد سيبويه هذا البيت بفتح النون ولكن انشد في هذا ما لا يجوز غيره وهو قوله ○ وقد جاوزت راس الاربعين ○ وحكي الفرا عن بني عامر انهم يقولون اقمت عنده سنينًا يا هذا مصروفا قال وبنوا تميم لا يصرفون ويقولون مضت له سنين يا هذا وسنين جمع سنه والسنه هنا بمعني الجدب لا بمعني الحول ومنه اسنه القوم اي اجدبوا قال عبد الله ابن الزبعري ○ عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكه مسنتون عجاف ○ لعلهم يذكرون اي ليتعظوا وترق قلوبهم **قوله تعالى** فاذا جاتهم الحسنه قالوا لنا هذه وان تصبهم سيىه يطيروا الايه فيه مسلتان الاولي قوله فاذا جاتهم الحسنه اي الخصب والسعه قالوا لنا هذه اي اعطيناها باستحقاق وان تصبهم سيئه تطيرنا الايه فيه مسلتان الاولي قحط ومطر ومرض وهي المسله الثانيه تطيروا بموسى اي تشاموا به نطيرو وان تصبهم سيئه يقولوا هذه من عندك والاصل يتطيروا وادغمت التا في الطا وقرا طلحه تطيروا على انه فعل ماض والاصل في هذا من الطير وزجر الطير ثم كثر استعمالهم حتي قيل لكل من تشام تطير وكانت العرب تتيمن بالسانح وهو الذي

الذي ياتي من جهة اليمين ويسمونه البارح وهو الذي ياتي من جهة الشمال وكانوا
يتطيرون ايضا بصوت الغراب ويتاولونه البين وكانوا يستدلون بمجاوبات الطيور
بعضها بعضا علي امور باصواتها في غير اوقاتها المعهودة علي مثل ذلك وهكذا الظبا
اذا مضت سانحة او بارحة ويقولون اذا برحت من لي بالسانح بعد البارح الا ان اقوي ما
عندهم كان يقع من جميع الطير وسموا الجميع تطيرا من هذا الوجه وتطير الاعاجم
اذا راو صبيا يذهب به الي المعلم بالغداة ويتيمنون برويته جيئا يرجع
من عند المعلم الي بيته ويتشاءمون برويه السقا علي ظهره قربه مملوه مشدوده
ويتيمنون برويته فارغ السقا مفتوحه ويتشاءمون بالحمال المثقل بالحمل والدابه الموقرة
ويتيمنون بالحمال الذي وضع حمله وبالدابه يحط عنها ثقلها فجا الاسلام بالنهي عن التطير والتشاوم
بما يسمع من صوت طاير ما كان وعلي اي حال كان فقال صلي الله عليه وسلم
اقروا الطير علي مكاناتها وذلك ان كثيرا من الجاهلية كان اذا اراد الحاجة اتي الطير
في وكرها فنفرها فان اخذت ذات اليمين مضي لحاجته وهذا هو السانح عندهم
وان اخذت ذات الشمال رجع وهذا هو البارح عندهم فنهي النبي صلي الله عليه وسلم
عن هذا بقوله اقروا الطير علي مكاناتها هكذا في الحديث واهل العربية يقولون وكناتها
قال امرؤ القيس وقد اغتدي والطير في وكناتها
والموكنه اسم لكل مكان وكر وعش والوكن موضع الطاير الذي يبيض فيه
ويفرخ وهو الخرق في الحيطان والشجر ويقال وكن الطاير يكن وكونا اذا حضن
علي بيضه وكان ايضا من العرب من لا يري التطير شيا ويمدحون من كذب به
قال امرؤ القيس ولو غدوت وكنت لا اغدو علي واق وحاتم
فاذا الاشايم كالايامن والايامن كالاشايم
وقال عكرمه كنت عند ابن عباس فمر طاير يصيح فقال رجل من القوم

خير خير فقال ابن عباس ما عند هذا الا خير ولا شر قال علماؤنا واما اقوال الطير فلا
تعلق لها بما يجعل دلالة عليه ولا لها علم بكائن فضلا عن مستقبل فتخبر به ولا في الناس من
يعلم منطق الطير الا ما كان الله تعالى خص به سليمان عليه السلام من ذلك فالتحق
التطير بجملة الباطل والله اعلم وقال صلى الله عليه وسلم ليس منا من تحلم او تكهن
اورده عن سفره تطير ن وروى ابو داود عن عبد الله ابن مسعود عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال الطيرة شرك ثلاثا وما منا الا ولكن
الله يذهبه بالتوكل وروى عبد الله ابن عمرو ابن العاصي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من رجعته الطيرة عن حاجته فقد اشرك فقيل وما كفارة ذلك يا رسول الله
قال ان يقول احدهم اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم يمضي لحاجته
وفي خبر اخر اذا وجد ذلك احدكم فليقل اللهم لا ياتي بالحسنات
الا انت ولا يذهب بالسيات الا انت ولا حول ولا قوة الا بك ثم يذهب
متوكلا على الله فان الله يكفيه ما وجد في نفسه من ذلك وكفاه الله تعالى ما يهمه
وقد تقدم في المائدة الفرق بين الفال والطيرة الا انما طايرهم عند الله وقرا الحسن طيرهم
جمع طاير اي ما قدر لهم وعليهم ولكن اكثرهم لا يعلمون ما لحقهم من القحط والشدايد
انما هو من عند الله عز وجل بذنوبهم لا من عند موسى وقومه **قوله
تعالى** وقالوا مهما تاتنا به من اية اي قال قوم فرعون
لموسى مهما قال الخليل الاصل ما ما الاولى للشرط والثانية زايدة توكيدا للجزا
كما تزاد في ساير الحروف مثل اما وحيثما واينما وكيفما فكرهوا حرفين لفظهما واحد
فابدلوا من الالف الاولى هاء فقالوا مهما وقال الكسائي اصله مه اي اكفف ما تاتينا
به من اية وقيل هي كلمة مفردة يجازى بها ليجزم ما بعدها على تقدير ان
والجواب فما نحن لك بمومنين لتسحرنا لتصرفنا عما نحن عليه وقد مضى في البقرة

بيان هذه اللفظة فقيل بقي موسى في القبط بعد القا السحرة سجدا عشرين سنة يريهم
الايات الى ان غرق الله فرعون فكان هذا قولهم **قوله تعالى** فارسلنا عليهم
الطوفان والجراد الى قوله مجرمين فيه خمس مسايل الاولى روى اسرايل عن سماك عن نوف
الشامي قال مكث موسى عليه السلام في ال فرعون بعد ما غلب السحرة اربعين
عاما وقال محمد بن عثمان ابن ابي شيبة عن مجاهد عشرين سنة يريهم الايات
الجراد والقمل والضفادع **الثانية** قوله الطوفان اي المطر الشديد
حتى عاموا فيه مجاهد وعطا الطوفان الموت الاخفش واحدته طوفانة وقيل هو مصدر
كالرجحان والنقصان فلا يطلب له واحد قال النحاس الطوفان في اللغة ما كان مهلكا من
موت او سيل اي ما يطيف بهم فيهلكهم السدي ولم يصب بني اسرايل قطرة من ماء بل
دخل بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم ودام عليهم سبعة ايام وقيل
اربعين يوما فقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا فنومن لك فدعا ربه فرفع
عنهم الطوفان فلم يومنوا فانبت الله لهم تلك السنة ما لم ينبته قبل ذلك من الكلا
والزرع فقالوا كان ذلك الماء نعمة فبعث الله عليهم الجراد وهو الحيوان المعروف جمع جرادة
في المذكر والمونث وان اردت الفصل نعت فقلت رايت جرادة ذكرا فاكل زروعهم
وثمارهم حتى انها كانت تاكل السقوف والابواب حتى تنهدم ديارهم ولم
يدخل دور بني اسرايل منها شي **الثالثة** واختلف العلما في قتل الجراد
اذا حل بارض فافسد فقيل لا يقتل وقال اهل الفقه كلهم يقتل احتج الاولون بانه
خلق عظيم من خلق الله تعالى ياكل من رزق الله ولا يجري عليه القلم وبما روي لا تقتلوا
الجراد فانه جند الله الاعظم احتج الجمهور بان في تركها فساد الاموال
وقد رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المسلم اذا اراد اخذ ماله فالجراد اذا
ارادت فساد الاموال كانت اولى ان يجوز قتلها الا ترى انهم قد اتفقوا على

انه يجوز قتل الحيه والعقرب لانهما يوذيان الناس فكذلك الجراد وروي ابن ماجه عن جابر
وانس ابن مالك ان النبي صلي الله عليه وسلم كان اذا دعا علي الجراد قال اللهم اهلك كباره
واقتل صغاره وافسد بيضه واقطع دابره وخذ بافواهه عن معايشنا وارزاقنا
انك سميع الدعا قال رجل يرسول الله كيف تدعوا علي جند من اجناد
الله بقطع دابره قال ان الجراد نثرة حوت في البحر **الرابعه**
ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله ابن ابي اوفي رضي الله عنه قال
غزونا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم سبع غزوات كنا ناكل الجراد معه ولم يختلف
العلما في اكله علي الجمله وانه اذا اخذ حيا وقطعت راسه انه حلال باتفاق وان ذلك
يتنزل منزلة الذكاة فيه واختلفوا هل يحتاج الي سبب يموت به اذا صيد ام لا
فعامتهم علي انه لا يحتاج الي ذلك ويوكل كيف ما مات وحكمه عندهم حكم
الحيتان واليه ذهب ابن نافع ومطرف وذهب مالك الي انه لا بد له من سبب يموت
به كقطع روسه او اجنحته او ارجليه اذا مات من ذلك او يصلق او يطرح في النار
لانه عنده من حيوان البر فميتته محرمه وكان الليث يكره اكل ميت الجراد الا ما اخذ
حيا ثم مات فان اخذه ذكاته واليه ذهب سعيد ابن المسيب روي الدارقطني
عن ابن عمر ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال احل لنا ميتتان الحوت
والجراد ودمان الكبد والطحال وقال ابن ماجه نا محمد ابن صبيح نا سفيان
ابن عيينه عن ابي سعد سمع انس ابن مالك يقول كان ازواج النبي صلي الله
عليه وسلم يتهادين الجراد علي الاطباق ذكره ابن المنذر ايضا **الخامسه** روي
محمد ابن المنكدر عن جابر ابن عبد الله عن عمر ابن الخطاب قال سمعت رسول الله
صلي الله عليه وسلم يقول ان الله تعالي خلق الف امه ستمايه منها في البحر واربعمايه
في البر وان اول هلاك هذه الامم الجراد فاذا هلكت الجراد تتابعت

الامم مثل نظام السلك اذا انقطع ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الاصول وقال وانما
صار الجراد اول هذه الامم هلاكا لانه خلق من الطينه التي فضلت من طينه ادم وانما
تهلك الامم لهلاك الادميين لانها سخرت لهم رجعنا الي قصه القبط فعاهدوا موسي
ان يومنوا لو كشف عنهم الجراد فدعا فكشف وكان قد بقي من زروعهم شي فقالوا
يكفينا ما بقي ولم يومنوا فبعث الله عليهم القمل وهو صغار الدبا
قاله قتاده والدبا الجراد قبل ان يطير الواحده دباه وارض مدبيه اذا
اكل الدبا نباتها ابن عباس القمل السوس الذي في الحنطه ابن زيد البراغيث
الحسن دواب صغار سود صغار ابو عبيده الحمنان وهو ضرب من القراد واحدها
حمنانه فاكلت دوابهم وزروعهم ولزمت جلودهم كانها الجدري عليهم ومنعهم
النوم والقرار وقال حبيب ابن ابي ثابت القمل الجعلان والقمل عند اهل اللغه
ضرب من القردان قال ابو الحسن الاعرابي العدوي القمل دواب صغار من جنس
القردان الا انها اصغر منها واحدتها قمله النحاس وليس هذا بناقض لما قاله اهل
التفسير لانه يجوز ان يكون هذه الاشيا كلها ارسلت عليهم وكلها تجتمع في انها
توذيهم وذكر المفسرين انه كان بعين شمس كثيب من رمل فضربه موسي بعصاه
فصار قملا وواحد القمل قمله وقيل القمل النمل قاله عطا الخراساني وفي قراه الحسن القمل
بفتح القاف واسكان الميم فتضرعوا فلما كشف عنهم لم يومنوا فارسل الله عليهم الضفادع
جمع ضفدع وهي المعروفه التي تكون في الما وفيه مسله واحده وهو ان النهي ورد عن
قتلها اخرجه ابو داود عن احمد ابن حنبل عن عبد الرزاق وابن ماجه باسناد صحيح اخرجه ابو داود
عن احمد ابن حنبل عن عبد الرزاق وابن ماجه عن محمد ابن يحيي النيسابوري الذهلي عن ابي هريره قال
نهي رسول الله صلي الله عليه وسلم عن قتل الصرد والضفدع والنمله والهدهد
وخرج النساي عن عبد الرحمن ابن عثمان ان طبيبا ذكر ضفدعا في دواء

عند النبي صلى الله عليه وسلم فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله صححه ابو محمد
عبد الحق وعن ابي هريرة قال الصرد اول طير صام ولما خرج ابرهيم عليه السلام
من الشام الى الحرم في بنا البيت كانت السكينه معه والصرد فكان الصرد دليله الى
الموضع والسكينه مقداره فلما صار الى البقعه وقعت السكينه على موضع البيت
ونادت ابن يا ابرهيم على مقدار ظلي فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الصرد
لانه كان دليل ابرهيم على البيت وعن الضفدع لانها كانت تصب الما على نار
ابرهيم ولما سلطت على فرعون جاءت فاخذت الامكنه كلها فلما صارت الى التنور
وثبت فيها وهي نار تسعر طاعة لله فجعل نقيقها تسبيحا ويقال انها اكثر الدواب
تسبيحا وقال عبد الله ابن عمرو لا تقتلوا الضفدع فان نقيقه الذي تسمعون تسبيح وروي
انها ملات فرشهم واوعيتهم وطعامهم وشرابهم فكان الرجل يجلس الى ذقنه
في الضفادع وكان اذا تكلم وثب الضفدع في فيه فشكوا الى موسى وقالوا نتوب
فكشف عنهم ذلك فعادوا الكفرهم فارسل الله عليهم الدم فسال الدم النيل عليهم
دما وكان الاسرايلي يغترف الما والقبطي الدم وكان الاسرايلي يصب الما في
فم القبطي فيصير دما والقبطي يصب الدم في فم الاسرايلي فيصير ما" ز/١/٧ ايات
مفصلات اي مبينات ظاهرات عن مجاهد الزجاج ايات مفصلات نصب على الحال
ويروى انه كان بين الايه والايه ثمانيه ايام وقيل اربعين يوما وقيل شهرا فهذا
قال مفصلات فاستكبروا اي ترفعوا عن الايمان بالله تعالى **قوله تعالى**
ولما وقع عليهم الرجز اي العذاب وقرى بضم الرا الغنان ابن جبير كان طاعونا
مات به من القبط في يوم واحد سبعون الفا وقيل المراد بالرجز ما تقدم ذكره من
الايات بما عهد عندك ما بمعنى الذي اي بما استودعتك من العلم او بما اختصك
به فيسال وقيل للقسم اي بعهده عندك الا ما دعوت لنا فما صلته

لين كشفت عنا الرجز اي بدعايك لا لا هلك حتي يكشف عنا لنومنن لك اي نصدق فيما جيت به ولنرسلن معك بني اسرايل وكانوا يستخدمونهم علي ما يعدهم الي اجل هم بالغوه يعني اجلهم التي ضرب لهم في التغريق فنكثون ينقضون ما عقدوه علي انفسهم واليم البحر وكانوا عنها غافلين اي عن النقمة دل عليها فانتقمنا وقيل عن الايات اي لم يعتبروا بها حتي صاروا كالغافلين عنها **قوله تعالي** واورثنا القوم يريد بني اسرايل الذين كانوا يستضعفون اي يذلون بالخدمة مشارق الارض ومغاربها ثم حذف في زعم الكسايي والفرا ان الاصل في مشارق الارض ومغاربها ثم حذف في فنصب والظاهر انهم ورثوا ارض القبط فهما نصب علي المفعول الصريح يقال ورثته المال واورثته المال فلما تعدي الفعل بالهمزة نصب مفعولين والارض هي ارض الشام ومصر ومشارقها ومغاربها جهات الشرق والغرب بها فالارض مخصوصة عن الحسن وقتادة وغيرهما وقيل اراد جميع الارض لان التي باركنا حولها لان من بني اسرايل داود وسليمن وقد ملكا الارض التي باركنا فيها اي باخراج الزرع والثمار والانهار وتمت كلمة ربك الحسني هي قوله ونريد ان نمن علي الذين استضعفوا الي قوله الوارثين بما صبروا اي بصبرهم علي اذي فرعون وعلي امر الله بعد ان امنوا بموسي وما كانوا يعرشون يبنون يقال عرش يعرش اي بني قال ابن عباس ومجاهد اي ما كانوا يبنون من القصور وغيرها الحسن للوتعريش الكرم وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم يعرشون بضم الراء قال الكسايي هي لغة تميم وقرا ابرهيم ابن ابي عبلة يعرشون بتشديد الراء وضم اليا **قوله تعالي** وجاوزنا ببني اسرايل البحر فاتوا علي قوم يعكفون قرا حمزة والكسايي بكسر الكاف والباقون بضمها يقال عكف يعكف ويعكف بمعني اقام علي الشي ولزمه والمصدر منهما علي فعول قال قتادة كان اوليك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة

وقيل كانت اصنامهم تماثيل بقر ولهذا اخرج لهم السامري عجلا قالوا اموسى اجعل
لنا الها كما لهم الهه نظير قول جهال الاعراب وقد راوا شجرة خضرا للكفار تسمى ذات
انواط يعظمونها في كل سنه يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط
فقال صلى الله عليه وسلم الله اكبر قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم
موسى اجعل لنا الها كما لهم الهه قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن
من قبلكم حذو القذه بالقذه حتى انهم لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه وهذا كان
في مخرجه الى حنين على ما ياتي بيانه في براه ان شا الله تعالى **قوله تعالى**
ان هولا متبر ما هم فيه اي مهلك والتبار الهلاك وكل اناء منكسر متبر وامر متبر اي ان
العابد والمعبود مهلكان وقوله وباطل اي ذاهب ومضمحل ما كانوا يعملون كانوا
صله زايده قال اغير الله ابغيكم الها اي اطلب لكم الها غير الله يقال بغيته وبغيت
له وهو فضلكم على العالمين اي على عالمي زمانكم وقيل فضلكم باهلاك عدوكم وبما خصكم به
من الايات واذ انجيناكم من ال فرعون ذكرهم منته وقيل هو خطاب ليهود عصر
النبي صلى الله عليه وسلم اي واذكروا اذ انجينا اسلافكم حسب ما تقدم بيانه في
البقره **قوله تعالى** وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذكر ان مما كرم به موسى
عليه السلام هذا فكان وعده المناجاه اكراما له واتممناها بعشر قال ابن عباس
ومجاهد ومسروق هي ذو القعده وعشر ذي الحجه امره ان يصوم الشهر
وينفرد فيه بالعباده فلما صامه انكر خلوف فمه فاستاك قيل بعود
خروب فقالت الملايكه انا كنا نستنشق من فيك رايحه المسك فافسدته
بالسواك فزيد عليه عشر ليال من ذي الحجه وقيل ان الله تعالى
اوحى اليه لما استاك يا موسى لا اكلمك حتى يعود فوك الى ما كان عليه قبل
قبل اما علمت ان رايحه الصايم احب الي من ريح المسك وامره بصيام عشره

بلغ

ايام وكان كلام الله تعالى لموسى عليه السلام غداه النحر حين فدي اسمعيل من الذبح
واكمل لمحمد صلى الله عليه وسلم الحج وحذفت الها من عشره لان العدد مونث والفايده في
قوله فتم ميقات ربه اربعين ليله وقد علم ان ثلاثين وعشره اربعين لئلا يتوهم ان
المراد اتممنا الثلاثين بعشر منها فبين ان العشر سوى الثلثين فان قيل فقد قال في
البقره اربعين وقال هنا ثلاثين فيكون ذلك من البداء قيل ليس كذلك فقد
قال واتممناها بعشر والاربعون والثلثون والعشره قول واحد ليس بمختلف
وانما قال القولين على تفصيل وتاليف قال اربعين في قول مولف وقال ثلثين يعني
شهرا متتابعا وعشرا وكل ذلك اربعون كما قال الشاعر عشر واربع
يعني اربع عشره ليله البدر وهذا جايز في كلام العرب **النابعه** قال علماونا
دلت هذه الايه على ان ضرب الاجل للمواعده سُنة ماضيه ومعنى قديم اسسه الله
في القضايا وحكم به للامم وعرفهم به مقادير التاني في الاعمال واول اجل ضربه
الله الايام السته التي خلق فيها جميع المخلوقات ولقد خلقنا السموات والارض وما
بينهما في سته ايام قال ابن العربي فاذا ضرب الاجل لمعنى يحاول فيه تحصيل المؤجل
فجا الاجل ولم يتيسر زيد فيه تبصره ومعذره وقد بين الله تعالى ذلك لموسى فضرب
وما مسنا من لغوب وقد بينا معناه فيما تقدم من هذه السوره من قوله ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض وما بينهما في سته ايام قال ابن العربي فاذا ضرب الاجل لمعنى يحاول فيه تحصيل المؤجل
فجا الاجل ولم يتيسر زيد فيه تبصره ومعذره وقد بين الله تعالى ذلك لموسى فضرب له اجلا ثلاثين ثم
زاد عشرا تتمه اربعين وابطا موسى على قومه في هذا العشر فما عقلوا جواز التاني والتاخر حتى
قالوا ان موسى ضل ونسي ونكثوا عهده وبدلوا بعده وعبدوا الها غير الله قال ابن عباس
ان موسى قال لقومه ان ربي وعدني ثلاثين ليله ان القاه واخلف فيكم هرون فلما
فصل موسى الى ربه زاده الله عشرا فكانت فتنتهم في العشر الذي

زاده الله بما فعلوه من عباده العمل على ما ياتي بيانه ثم الزياده التي تكون على الاجل
تكون بمقدره كما ان الاجل مقدر ولا تكون الا باجتهاد من الحاكم بعد النظر الى المعاني
المتعلقه بالامر من وقت وحال وعمل فتكون مثل تلك المده السالفه كما اجل
الله لموسى فان راى الحاكم ان يجمع له الاجل في الاجل والزياده في مده واحده
جاز ولكن لا بد من التربص بعدها لما يطراء من العذر على البشر قال ابن
العربي روى البخاري عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعذر
الله الى امرا اخر اجله حتى بلغه ستين سنه قلت هذا ايضا اصل
لاعذار الحكام الى المحكوم عليه مره بعد اخرى وكان هذا لطفا بالخلق ولينفذ القيام
عليهم بالحق يقال اعذر في الامر بالغ فيه اي اعذر غايه الاعذار الذي لا اعذار
بعده واكبر الاعذار الى بني ادم بعثه الرسل اليهم لتتم حجته عليهم وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا وقال وجاءكم النذير قيل هم الرسل ابن عباس
هو الشيب فانه ياتي في سن الاكتهال فهو علامه لمفارقه سن الصبا وجعل الستين
غايه الاعذار لان الستين قريب من معترك العباد وهو سن الانابه والخشوع والاستسلام
لله وترقب المنيه ولقاء الله ففيه اعذار بعد اعذار الاول بالنبي صلى الله عليه وسلم
والثاني بالشيب وذلك عند كمال الاربعين قال الله تعالى وبلغ اربعين
سنه قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك فذكر عز وجل ان من بلغ الاربعين فقد
ان له ان يعلم مقدار نعم الله عليه وعلى والديه ويشكرها قال مالك ادركت اهل
العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا ويخالطون الناس حتى ياتي لاحدهم اربعون
سنه فاذا اتت عليهم اعتزلوا الناس **قوله تعالى** ودلت الايه ايضا
على ان التاريخ يكون بالليالي دون الايام لقوله ثلاثين ليله لان
الليالي اوايل الشهور وبها كانت الصحابه تخبر عن الايام حتى روي

انها كانت تقول صمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجم يخالف في ذلك فتحسب بالايام لان معولها على الشمس ابن العربي وحساب الشمس للمنافع وحساب القمر للمناسك ولهذا قال وواعدنا موسى ثلاثين ليلة يقال ارخت تاريخا وورخت توريخا لغتان **قوله تعالى** وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي واصلح المعنى وقال موسى حين اراد المضي للمناجاة والمغيب فيها لاخيه هرون كن خليفتي فدل على النيابة وفي صحيح مسلم عن سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي حين خلفه في بعض مغازيه اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي فاستدل بهذا الروافض والامامية وساير فرق الشيعة على ان النبي صلى الله عليه وسلم استخلف عليا على جميع الامة حتى كفر الصحابة الامامية قبحهم الله لانهم عندهم تركوا العمل الذي هو النص على استخلاف علي واستخلفوا غيره بالاجتهاد منهم ومنهم من كفر عليا اذ لم يطلب حقه وهولا لا شك في كفرهم وكفر من تبعهم على مقالتهم ولم يعلموا ان هذا استخلاف في حيوة كالوكالة التي تنقضي بعزل الموكل او موته لا يقتضي انه متماد بعد وفاته فينحل على هذا ما تعلق به الامامية وغيرهم وقد استخلف النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن ام مكتوم وغيره ولم يلزم من ذلك استخلافه دايما بالاتفاق على انه قد كان هرون شرك مع موسى في اصل الرسالة فلا يكون لهم فيه على ما راموه دلالة والله الموفق للهداية **قوله تعالى** واصلح امر بالاصلاح قال ابن جريج كان من الاصلاح ان يزجر السامري ويغير عليه وقيل اي ارفق بهم واصلح امرهم واصلح نفسك اي كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين لا تسلك سبيل العاصين ولا تكن عونا للظالمين **قوله تعالى** ولما جا موسى لميقاتنا اي في الوقت الموعود وكلمه ربه اي اسمعه كلامه من غير واسطه

قال رب ارني انظر اليك سال النظر اليه واشتاق الى رويته لما اسمعه كلامه فقال لن
تراني اي في الدنيا ولا تحور الحمل على انه اراد ارني اية عظيمة لانظر الى قدرتك لانه
قال اليك وقال لن تراني ولو سال اية لاعطاه الله ما سال كما اعطاه ساير الايات
وقد كان لموسى فيها مقنع عن طلب اية اخرى فبطل هذا التاويل ولكن انظر الى
الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ضرب له مثلا لما هو اقوى من بنيته واثبت
اي فان ثبت الجبل واستقر فسوف تراني وان لم يسكن فانك لا تطيق
رويتي كما ان الجبل لا يطيق رويتي وذكر القاضي عياض عن القاضي ابي بكر ابن الطيب
ما معناه ان موسى عليه السلام راى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل راى ربه فصار
دكا بادراك خلقه الله له واستنبط ذلك من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر
مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وتجلى
معناه ظهر من قولك جلوت العروس اي ابرزتها وجلوت السيف ابرزته
من الصدا جلا فيهما وتجلى الشي انكشف وقيل تجلى امره وقدرته قاله قطرب وغيره وقرا
اهل المدينه واهل البصره دكا يدل على صحتها دكت الارض دكا وان الجبل مذكر
وقراه اهل الكوفه دكاء اي جعله مثل الارض دكاء هي الناتيه لا تبلغ ان
تكون جبلا والمذكر ادك وجمع دكاء دكاوات ودك مثل حمراوات
وحمر قال الكسايي الدك من الجبال العراض واحدها ادك غيره
والدكاوات جمع دكا رواب من طين ليست بالغلاظ والدكادك ما لدا من الارض
الرمل ما التبد بالارض فلم يرتفع وناقه دكا لا اسنام لها وفي التفسير فساخ الجبل
في الارض فهو يذهب فيها حتى الان وقال ابن عباس جعله ترابا عطية العوفي
رملا هايلا وخر موسى صعقا اي مغشيا عليه عن ابن عباس والحسن وقتاده وقيل
ميتا يقال صعق الرجل فهو صعق وصعق فهو مصعوق قال قتاده

والكلبي خر موسي صعقا يوم الخميس يوم عرفه واعطي التوراه يوم الجمعه يوم النحر فلما افاق
قال سبحانك تبت قال مجاهد من مسله الرؤيه في الدنيا وقيل سال من غير استيذان
فلذلك تاب وقيل قاله علي جهة الانابه الي الله تعالي والخشوع له عند ظهور
الايات واجمعت الامه علي ان هذه التوبه ما كانت عن معصيه فان الانبيا
معصومون وايضا عند اهل السنه والجماعه الرويه جاين وعند المبتدعه سال
لاجل القوم ليبين لهم انها غير جاين وهذا لا يقتضي التوبه فقيل اني تبت اليك
من قتل القبطي ذكره القشيري وقد مضي في الانعام بيان ان الرويه جاين قال علي بن
مهدي الطبري لو كان سوال موسي مستحيلا ما اقدم عليه مع معرفته بالله كما لم
يجز ان يقول له يارب الك صاحبه وولد وسياتي في القيمه مذهب المعتزله والرد عليها
ان شا الله قوله تعالي وانا اول المومنين قيل من قومي وقيل من بني اسرايل في هذا
العصر وقيل بانك لا ترى في الدنيا لوعدك السابق في ذلك وفي الحديث
الصحيح من حديث ابي هريره وغيره ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لا تخيروا
بين الانبيا فان الناس يصعقون يوم القيمه فارفع راسي فاذا موسي اخذ بقايمه من قوايم
العرش فلا ادري اصعق فيمن صعق فافاق قبلي او حوسب بصعقته الاولي او قال
كفته صعقته الاولي وذكر ابو بكر ابن ابي شيبه عن كعب قال ان الله تعالي قسم كلامه
ورويته بين محمد وموسي عليهما السلام فكلمه موسي مرتين وراه محمد صلي
الله عليه وسلم مرتين قوله تعالي قال يا موسي اني اصطفيتك علي
الناس الاصطفا الاجتبا اي فضلتك ولم يقل علي الخلق لان من هذا الاصطفا
انه كلمه وقد كلم الملايكه وارسله وارسل غيره فالمراد علي الناس المرسل اليهم وقرا
برسالتي علي الافراد نافع وابن كثير والباقون بالجمع والرساله مصدر فيجوز
افرادها ومن جمع علي انه ارسل بضروب من الرسالات فاختلفت

انواعها فجمع المصدر لاختلاف انواعه كما قال ان انكر الاصوات لصوت الحمير
فجمع لاختلاف اجناس الاصوات واختلاف المصوتين ووحد في قوله لصوت لما
اراد به جنسًا واحدًا من الاصوات ودل على هذا ان قوله قومه لم تشاركه في التعليم
ولا واحدًا من السبعين كاشتباه في البقرة فخذ ما اتيتك اشاره الى القناعه اي
اقنع بما اتيتك وكن من الشاكرين اي من المظهرين لاحساني اليك وفضلي
عليك يقال دابه شكور اذا ظهر عليها من السمن فوق ما تعطى من
العلف والشاكر معرض للمزيد كما قال لئن شكرتم لازيدنكم ويروى ان موسى عليه
السلام مكث بعد ان كلمه الله تعالى اربعين ليله لا يراه احدًا الا مات من نور الله تعالى
قوله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شي يريد التوراه وروى في الخبر
انه قبض عليه جبريل بجناحه فمر به في العلى حتى ادناه حتى سمع صريف القلم
حين كتب الله له في الالواح ذكره الترمذي الحكيم وقال مجاهد كانت الالواح
من زمرد خضر ابن جبير من ياقوته حمرا ابو العاليه من زبرجد الحسن خشب نزلت
من السما وقيل من صخره صما لينها الله لموسى عليه السلام فقطعها بيده ثم شققها
باصابعه فاطاعته كالحديد لداود قال مقاتل اي كتبنا له في الالواح كنقش الخاتم
ربيع ابن انس نزلت التوراه وهي سبعون وقر بعير واضاف الكتابه الى
نفسه على جهه التشريف اذ هي مكتوبه بامره كتبها جبريل بالقلم الذي كتب به
الذكر واستمد من نهر النور وقيل هي كتابه اظهرها الله وخلقها في الالواح
واصل اللوح اللمع بفتح اللام قال الله تعالى بل قران مجيد في لوح محفوظ فكان
اللوح تلوح فيه المعاني ويروى انه لوحان وجا بالجمع لان الاثنين جمع ويقال
رجل عظيم الالواح اذا كان كبير عظم اليدين والرجلين ابن عباس
وتكسرت الالواح حين القاها فرفعت الا سدسها وقيل بقي سبعها

ورفعت سته اسباعها وكان في الذي رفع تفصيل كل شي وفي الذي بقي الهدي
والرحمه واسند ابو نعيم الحافظ عن عمرو ابن جبير قال بلغني ان موسي ابن عمران نبي
الله صلي الله عليه وسلم صام اربعين ليله فلما القي الالواح تكسرت فصام مثلها
فردت اليه ومعني من كل شي مما يحتاج اليه في دينه من الاحكام وتبيين الحلال والحرام
عن الثوري وغيره قيل وهو لفظ يذكر تفخيما ولا يراد به التعميم تقول دخلت
السوق فاشتريت كل شي وعند فلان كل شي وتدمر كل شي واوتيت من
كل شي وقد تقدم موعظه وتفصيلا لكل شي اي لكل شي امروا به من الاحكام فانه
اذا لم يكن عندهم اجتهاد وانما خص بذلك امه محمد صلي الله عليه وسلم فخذها بقوه
في الكلام حذف اي فقلنا له فخذها بقوه اي بجد ونشاط نظيره خذوا ما اتيناكم
بقوه وقد تقدم وامر قومك ياخذوا باحسنها اي يعملوا بالاوامر ويتركوا
النواهي ويتدبروا الامثال والمواعظ نظيره واتبعوا احسن ما انزل
اليكم من ربكم وقال فيتبعون احسنه والعفو احسن من الاقتصاص والصبر احسن
من الانتصار وقيل احسنها الفرايض والنوافل وادونها المباح ساريكم دار الفاسقين
قال الكلبي دار الفاسقين ما مروا عليه اذا سافروا من منازل عاد وثمود
والقرون الذين اهلكوا وقيل جهنم عن الحسن ومجاهد اي فلتكن منكم
علي ذكر فاحذروا ان تكونوا منها وقيل اراد بها مصر اي ساريكم
ديار القبط ومساكن فرعون خاليه عنهم ابن جبير قتاده المعني ساريكم منازل الكفار
التي سكنوها قبلكم من الجبابره والعمالقه لتعتبروا بها يعني الشام وهذا العقول لان
يدل عليها واورثنا القوم الايه ونريد ان نمن الايه وقد تقدم وقرا ابن عباس
وقسامه ابن زهير ساورثكم من ورث وهذا ظاهر وقيل الدار الهلاك
وجمعه ادار ادوار وذلك ان الله تعالي لما اغرق فرعون

اوحي الي البحر ان اقذف باجسادهم الى الساحل قال ففعل فنظر اليهم
بنوا اسرائل فاراهم هلاك الفاسقين قوله تعالى سأصرف عن
آياتي الذين يتكبرون قال قتادة سأمنعهم فهم كتابي وقاله سفيان ابن
عيينه وقيل سأصرفهم عن الايمان بها وقيل سأصرفهم عن نفعها وذلك
مجازاه علي تكبرهم نظيره فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والآيات علي هذا
المعجزات او الكتب المنزلة وقيل خلق السموات والارض اي اصرفهم
عن الاعتبار بها يتكبرون يرون انهم افضل الخلق وهذا ظن باطل
فلهذا قال بغير الحق فلا يتبعون بينًا ولا يصغون اليه لتكبرهم قوله تعالى
وان يروا كل آية يعني هولاء المتكبرون اخبر عنهم انهم يتركون طريق
الرشاد ويتبعون سبيل الغي والضلال اي الكفر فيحدوه دسائم علل
فقال ذلك بانهم كذبوا بآياتنا اي ذلك الفعل الذى فعلته بهم بتكذيبهم
وكانوا عنها غافلين اي كانوا في تركهم تدبر الحق كالغافلين ويحتمل
ان تكونوا غافلين عما يجازون به كما يقال ما اغفل فلان
عما يراد به وقرا ملك ابن دينار وان يروا بضم الياء في الحرفين
اى يفعل ذلك بهم وقرا اهل المدينة واهل البصرة سبيل
الرُشد بضم الراء واسكان الشين واهل الكوفة الا
عاصما الرَشَد بفتح الراء والشين قال ابو عبيد فرق ابو عمرو
بين الرشد والرشد فقال الرُشد الصلاح والرَشد في الدين
قال النحاس سيبويه يذهب الى ان الرُشد والرشد مثل السخط
والسخط وكذا قال الكسائي والصحيح عن ابي عمرو غير ما قال
ابو عبيد قال اسمعيل ابن اسحق بنا نصر ابن علي عن ابيه عن

ابي عمرو ابن العلا قال اذا كان الرشد وسط الآية فهو
مسكن واذا كان راس الآية فهو محرك قال النحاس يعني
براس الآية نحو وهي لنا من امرنا رشدا فهما عنده لغتان بمعنى
واحد الا انه فتح هذا لاتفاق الايات ويقال رشد يرشد ورشد
يرشد وحكى سيبويه رشد يرشد وحقيقة الرشد والرشد في اللغة
ان يظفر الانسان بما يريد وهو ضد الخيبة قوله تعالى
واتخذ قوم موسى من بعده اي من بعد خروجه الى الطور من
حليهم هذه قراءة اهل المدينة واهل البصرة وقرا اهل الكوفة الا
عاصما من حليهم بكسر الحاء وقرا يعقوب بفتح الحاء والتخفيف قال
النحاس جمع حلي حلي وحلي مثل يدي يدي فالاصل حلوي ثم ادغمت الواو
في الياء فانكسرت اللام لمجاورتها الياء وتكسر الحاء لكسرة اللام
وضمها على الاصل عجلا مفعول جسدا نعت او بدل له خوار رفع
بالابتداء يقال خار يخور خوارا اذا جبن وضعف وروي
في قصص العجل ان السامري واسمه موسى ابن
ظفر ينسب الى قرية تدعى سامرة ولد عام قتل الابناء
واخفته امه في كهف جبل فغذاه جبريل فعرفه لذلك فاخذ
حين عبر البحر على فرس وديق ليتقدم فرعون في البحر
فقبض قبضة من اثر حافر الفرس وهو معنى قوله
فقبضت قبضة من اثر الرسول وكان موسى
وعد قومه ثلثين يوما فلما ابطل في العشر الزايد و
مضت ثلاثون ليلة لبني اسرائيل وكان
مطاعا

مطاعا فيهم ان معكم حليا من حلي ال فرعون وكان
لهم عيد يتزينون فيه ويستعيرون من القبط الحلي
فاستعاد لذلك اليوم فلما اخرجهم الله من مصر وغرق
القبط بقي ذلك الحلي في ايديهم فقال لهم السامري
انه حرام عليكم فهاتوا ما عندكم فنحرقه وقيل هذا الحلي
مما اخذه بنوا اسرائل من قوم فرعون بعد الغرق
وان هرون قال لهم ان الحلي غنيمه وهي لا تحل
لكم فجمعها في حفره حفرلها فاخذها السامري و
قيل استعاروا الحلي ليله ارادوا الخروج من مصر
واوهموا القبط ان لهم عرسا ومجتمعا وكان
السامري سمع قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة
وكانت تلك الالهه علي مثال البقر فصاغ لهم
عجلا جسدا اي مصمتا غير انهم كانوا يسمعون
منه خوارا وقيل قلبه الله لحما ودما وقيل
لما القي تلك القبضة من التراب في النار على الحلي صار
عجلا له خوار نخار خورة واحدة ولم يثن ثم
قال للقوم هذا الهكم واله موسى
فنسي يقول نسيه ههنا وذهب بطلبه فضل عنه
فتعالوا نعبد هذا العجل فقال الله لموسى
وهو يناجيه انا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم و

السامری فقال موسی یا رب هذا السامری اخرج لهم عجلا من حلیهم فمن جعل
له جسدا یرید اللحم والدم ومن جعل له خوارا فقال الله انا فقال وعزتک
وجلالک ما اضلهم غیرک قال صدقت یا حلیم الحلما وهو معنی قوله ان هی الا
فتنتک وقال العفاره کان السامری احتال بان جوف العجل وکان قابل به
الریح حتی جاء من ذلک ما یحاکی الخوار واوهمهم ان ذلک انما صار کذلک لما
طرح فی الجسد من التراب الذی کان اخذه من تراب قوائم فرس جبریل وهذا
کلام متهافت قاله القشیری **قوله تعالی** الم یروا انه لا یکلمهم
بین ان المعبود یجب ان یتصف بالکلام ولا یهدیهم سبیلا ای طریقا الی حجة
اتخذوه ای الها وکانوا ظالمین ای لانفسهم فیما فعلوا من اتخاذه وقیل
وصاروا ظالمین ای مشرکین لجعلهم العجل الها **قوله تعالی** ولما سقط
فی ایدیهم ای بعد عود موسی من المیقات یقال للنادم المتحیر قد سقط فی یده
قال الاخفش یقال سقط فی یده واسقط ومن قال سقط فی ایدیهم علی بنا
الفاعل فالمعنی عنده سقط الندم قاله الازهری والنحاس وغیرهما والندم
یکون فی القلب ولکنه ذکر الید لانه یقال لمن یحصل علی شی قد حصل فی
یده امر کذا لان مباشره الاشیا فی الغالب بالید قال الله تعالی ذلک بما
قدمت یداک وایضا الندم وان حل القلب فاثره یظهر فی البدن لان
النادم یعض یده ویضرب احدی یدیه علی الاخری قال الله تعالی فاصبح
یقلب کفیه علی ما انفق فیها ای ندم   ویوم یعض الظالم علی یدیه ای من الندم
والنادم یضع ذقنه فی یده وقیل اصله من الاستیسار وهو ان یضرب الرجل
الرجل او یصرعه فیرمی به من یدیه الی الارض لیاسره او یکتفه والمرمی به
مسقوط فی ید الساقط وراوا انهم قد ضلوا ای ابتلوا بمعصیه الله .

قالوا لئن لم يرحمنا ربنا اخذوا في الاقرار بالعبودية والاستغفار وقرا حمزه
والكسائي لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا على الخطاب وفيه معنى الاستغاثه
والتضرع والابتهال في السوال والدعا ربنا بالنصب على حذف النداء وهو ايضا
ابلغ في الدعا والخضوع فقراتهما ابلغ في الاستكانه والتضرع فهي اولى ٥

قوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا لم ينصرف
غضبان لان مونثه غضبى ولان الالف والنون فيه بمنزلة الفي التانيث في قولك
حمرا وهو نصب على الحال واسفا شديد الغضب قال ابو الدردا الاسف
منزلة ورا الغضب اشد من ذلك وهو اسف واسيف واسفان واسوف
والاسوف ايضا الحزين قال ابن عباس والسدي رجع حزينا من صنيع قومه قال
الطبري اخبره الله تعالى قبل رجوعه انهم قد فتنوا بالعجل فلذلك رجع وهو
غضبان قال ابن العربي وكان موسى صلى الله عليه وسلم من اشد الناس غضبا
لكنه كان سريع الفيئة فتلك بتلك قال ابن القاسم سمعت مالكا يقول كان
موسى اذا غضب طلع الدخان من قلنسوته ورفع شعر بدنه جبته وذلك ان الغضب
جمره تتوقد في القلب ولاجله امر النبي صلى الله عليه وسلم من غضب ان يضطجع
فان لم يذهب غضبه اغتسل فيخمدها اضطجاعه ويطفيها اغتساله وسرعه
غضبه كان سببا لصكه ملك الموت ففقا عينه وقد تقدم في المايده ما
للعلما في هذا قال الترمذي الحكيم وانما استجاز موسى عليه السلام ذلك لانه
كليم الله تعالى وكانه راى ان من اجترا عليه او مد بيده اليه باذى فقد عظم الخطب
فيه الا ترى انه احتج عليه فقال من اين تنزع روحي امن فمي وقد ناجيت به ربي
ام من سمعي وقد سمعت به كلام ربي ام من يدي وقد قبضت منه الالواح ام من
قدمي وقد قمت بين يديه اكلمه بالطور ام من عيني وقد اشرق وجهي بنوره فرجع

اعظم

وقف

الى ربه منجما وفي مصنف ابي داود عن ابي ذر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لنا اذا غضب احدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع
وروى ايضا عن ابي وايل العاصي قال دخلنا على عروة بن محمد السعدي فكلمه
رجل فاغضبه فقام ثم رجع وقد توضا فقال حدثني ابي عن جدي عطيه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق
من النار وانما تطفى النار بالما فاذا غضب احدكم فليتوضا **قوله تعالى**
بيس ما خلفتموني من بعدي ذم منه لهم اي بيس العمل عملتم بعدي يقال خلفه
بما يكره ويقال في الخير ايضا يقال منه خلفه بخير او بشر في اهله وقومه بعد
مخرجه اعجلتم امر ربكم اي سبقتموه والعجله التقدم بالشي قبل وقته وهي
مذمومه والسرعه عمل الشي في اول اوقاته وهي محموده يقال عجلت الشي سبقته
واعجلت الرجل استعجلته اي حملته على العجله ومعنى امر ربكم اي ميعاد
ربكم اي وعد اربعين ليله وقيل اتعجلتم سخط ربكم وقيل اعجلتم بعباده العجل
قبل ان ياتيكم امر من ربكم **قوله تعالى** والقى الالواح فيه مسلتان
الاولى قوله تعالى والقى الالواح اي مما اعتراه من الغضب والاسف حزنا على
على قومه وهم عاكفون على عباده العجل وعلى اخيه في اهمال امرهم قال سعد بن جبير
ولهذا قيل ليس الخبر كالمعاينه ولا التفات بما روي عن قتاده ان صح عنه
ولا يصح ان القاه الالواح انما كان لما راى فيها من فضيله امه محمد صلى الله
عليه وسلم ولم يكن ذلك لامته وهذا قول ردي لا ينبغي ان ينسب الى موسى
عليه السلام وقد تقدم عن ابن عباس ان الالواح تكسرت وانه رفع منها التفصيل
وبقي فيها الهدى والرحمه **الثانيه** استدل بعض جهال المتصوفه بهذا
على جواز رمي الثياب اذا اشتد طربهم على المغنى ثم منهم من رمى بها صحاحا ومنهم

من

من تحرقها ثم رمى بها قال هولاء في غيبة فلا يلامون فان موسى عليه السلام
لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الالواح فكسرها ولم يدر ما صنع
قال ابو الفرج الجوزي من يصحح عن موسى عليه السلام انه رماها رمي كاسر
والذي ذكر في القران القاها فمن اين لنا انها تكسرت ثم لو قيل تكسرت فمن اين لنا
انه قصد كسرها ثم لو صححنا ذلك عنه قلنا كان في غيبة حتى لو كان بين يديه بحر من نار
لخاضه ومن لم يصحح لهولاء غيبتهم وهم يعرفون المغني من غيره ويحذرون من بير لو
كانت عندهم ثم كيف يقاس احوال الانبيا على هولاء السفها وقد سئل ابن عقيل
عن تواجدهم وتخريق ثيابهم فقال خطا وحرام وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اضاعة المال فقال له قائل فانهم لا يعقلون ما يفعلون فقال ان حضروا هذه
الامكنة مع علمهم ان الطرب يغلب عليهم فيزيل عقولهم اثموا بما ادخلوه على انفسهم
من التخريق وغيره مما يفسد ولا يسقط عنهم خطاب الشرع لانهم مخاطبون قبل
الحضور بتجنب هذه المواضع التي تفضي الى ذلك كما هم منهيون عن شرب المسكر
كذلك هذا الطرب الذي يسميه اهل التصوف وجدا ان صدقوا ان فيه سكر طبع
وان كذبوا افسدوا مع الصحو فلا سلامة فيه مع الحالين وتجنب مواضع الريب
واجب **قوله تعالى** واخذ براس اخيه يجره اليه اي بلحيته وذوابته
وكان هرون اكبر من موسى بثلاث سنين واحب الى بني اسرائيل من موسى لانه كان
لين الغضب وللعلماء في اخذ موسى براس اخيه اربع تاويلات الاول ان ذلك كان
متعارفا عندهم كما كانت العرب تفعله من قبض الرجل على لحية اخيه وصاحبه اكراما
وتعظيما فلم يكن ذلك على طريق الاذلال الثاني ان ذلك كان ليسر اليه نزول
الالواح عليه لانها نزلت عليه في هذه المناجاة واراد ان يخفيها عن بني اسرائيل
قبل التوراة فقال له هرون لا تاخذ بلحيتي ولا براسي لئلا يشتبه سراره على بني اسرائيل

بادلاله ٥ الثالث انما فعل ذلك به لانه وقع في نفسه ان هارون مائل مع بني اسرائيل
فيما فعلوه من امر العجل ومثل هذا لا يجوز على الانبياء ٥ الرابع ضم اليه اخاه ليعلم
ما لديه فكره ذلك هرون لئلا يظن بنو اسرائيل انه اهانه فبين له اخوه انهم
استضعفوه يعني عبدة العجل وكادوا يقتلونني اي قاربوا فلما سمع عذره
قال رب اغفر لي ولاخي اي اغفر لي ما كان من الغضب الذي القيت من اجله
الالواح واغفر لاخي لانه ظنه مقصرا في الانكار عليهم وان لم يقع منه تقصير
اي اغفر لاخي ان قصر قال الحسن عبد كلهم العجل غير هرون اذ لو كان ثم
مومن غير موسى وهرون لما اقتصر على قوله اغفر لي ولاخي ولدعا لذلك المومن
ايضا وقيل استغفر لنفسه من فعله باخيه فعل ذلك لموجدته عليه اذ لم يلحق
به فيعرفه ما جرى ليرجع فيتلافاهم ولهذا قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم
ضلوا الا تتبعن الاية فبين هرون انه انما اقام خوفا على نفسه من القتل فدلت
الاية على ان لمن خشي القتل على نفسه عند تغيير المنكر ان يسكت وقد تقدم بيان
هذا في ال عمران قال ابن العربي وفيها دليل على ان الغضب لا يغير بعض الاحكام
كما زعم بعض الناس فان موسى عليه السلام لم يغير غضبه شيا من افعاله بل
اطردت على مجراها من القاء لوح وعتاب اخ وصك ملك قال المهدوي
لان غضبه كان لله عز وجل وسكوته عن بني اسرائيل خوفا ان يتحاربوا ويتفرقوا
قوله تعالى قال ابن ام وكان ابن امه وابيه ولكنها كلمة لين وعطف
قال الزجاج وقيل كان هرون اخا موسى لامه لا لابيه وقرئ بفتح الميم
وكسرها فمن فتح جعل ابن ام اسما واحدا كخمسة عشر فصار كقولك يا خمسة عشر
اقبلوا ومن كسر الميم جعله مضافا الى ضمير المتكلم ثم حذف ياء الاضافة لان
مبنى النداء على الحذف وابقى الكسرة في الميم لتدل على الاضافة كقوله يا عباد

يدل عليه قراه ابن السميفع يا ابن امي باثبات اليا على الاصل وقال الكسائي
والفرا وابو عبيد يا ابن ام بالفتح تقديره يا ابن اما وقال البصريون هذا
القول غلط لان الالف خفيفة لا تحذف ولكن جعل الاسمين اسما واحدا وقال
الاخفش وابو حاتم يا ابن ام بالكسر كما تقول يا غلام غلام اقبل وهي لغة
شاذه والقراه بها بعيده وانما هذا فيما يكون مضافا اليك فاما المضاف
الى مضاف اليك فالوجه ان تقول يا غلام غلامي ويا ابن اخي وجوزوا يا ابن ام
يا ابن عم لكثرتها في الكلام قال الزجاج والنحاس ولكن لها وجه حسن جيد
بجعل الابن مع الام ومع العم اسما واحدا بمنزلة قولك يا خمسة عشر اقبلوا فحذ
اليا كما حذفت من يا غلام ٥ استضعفوني استذلوني وعدوني ضعيفا وكادوا
اي قاربوا يقتلونني نونين لانه فعل مستقبل ويجوز الادغام في غير القران
فلا تشمت بي الاعدا اي لا تسرهم والشماته السرور بما يصيب اخاك من المصايب
في الدين والدنيا وهي محرمه منهي عنها وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
لا تظهر الشماته باخيك فيعافيه الله ويبتليك وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتعوذ منها ويقول اللهم اني اعوذ بك من سوء القضا ودرك الشقا وشماته
الاعدا خرجه البخاري وغيره وقال الشاعر

اذا ما الدهر جر على اناس كلاكله اناخ باخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

وقال مجاهد ومالك بن دينار تشمت بالنصب في التا وفتح الميم الاعدا بالرفع
والمعنى لا تفعل بي ما تشمت من اجله الاعدا اي لا يكون ذلك منهم لفعل تفعله
انت بي وعن مجاهد ايضا تشمت بالفتح فيهما الاعدا بالنصب قال ابن جني
المعنى فلا تشمت بي انت يا رب وجاز هذا كما قال الله يستهزي بهم ونحوه ٥

ثم عاد الى المراد فاما من فعلا تنصب به الاعدا كانه قال ولا تشمت بي الاعداء
قال ابو عبيد وحكي عن حميد فلا تشمت بكسر الميم قال النحاس ولا وجه لهذه القراءة
لانه ان كان من شمت وجب ان يقول شمت وان كان من اشمت وجب ان يقول
تشمت وقوله ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال مجاهد يعني الذين عبدوا
العجل **قوله تعالى** ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم
الغضب من الله العقوبة وذلة في الحياة الدنيا لانهم امروا بقتل بعضهم بعضا
وقيل الذلة الجزية وفيه بعد لان الجزية لم تؤخذ منهم انما اخذت من ذراريهم
ثم قيل هذا من كلام موسى عليه السلام اخبر الله جل وعز به عنه وتم الكلام
ثم قال الله عز وجل وكذلك نجزي المفترين وكان هذا القول من موسى عليه السلام
قبل ان يتوب القوم بقتلهم انفسهم فانهم لما تابوا وعفا الله عنهم بعد ان جرى
القتل العظيم كما تقدم بيانه في البقرة اخبرهم ان من مات منهم قتيلا فهو شهيد
ومن بقي حيا فهو مغفور له وقيل كان ثم طائفة اشربوا في قلوبهم العجل اي حبه
فلم يتوبوا فهم المعنيون بقوله ان الذين اتخذوا العجل وقيل اراد من مات
منهم قبل رجوع موسى من الميقات وقيل اراد اولادهم وهو ما جرى على قريظة
والنضير اي سينال اولادهم والله اعلم وكذلك نجزي المفترين اي مثل ما
فعلنا بهولا نفعل بالمفترين وقال مالك بن انس ما من مبتدع الا ويجد فوق
راسه ذلة ثم قرا ان الذين اتخذوا العجل حتى قال وكذلك نجزي المفترين اي
المبتدعين وقيل ان موسى امر بذبح العجل فجرى منه دم وبرده بالمبرد والقاه
مع الدم في اليم وامرهم بالشرب من ذلك الما فمن عبد ذلك العجل واشربه
ظهر ذلك على اطراف فمه فبذلك عرف عبدة العجل وقد مضى هذا في البقرة
ثم اخبر تعالى ان الله يقبل توبة التايب من الشرك وغيره وقد مضى هذا في غير موضع

والذين

والذين عملوا السيئات اى الكفر والمعاصى ثم تابوا من بعدها اى من بعد فعلها
وامنوا ان ربك من بعدها اى من بعد التوبة لغفور رحيم **قوله تعالى**
ولما سكت عن موسى الغضب اى سكن وكذلك قراها معاوية بن قرة سكن
بالنون واصل السكوت السكون والامساك يقال جرى الوادى ثلاثا ثم سكن
اى امسك عن الجرى وقال عكرمة سكت موسى عن الغضب فهو من المقلوب كقولك
ادخلت الاصبع الخاتم والخاتم الاصبع وادخلت القلنسوة فى راسى وراسى فى
القلنسوة اخذ الالواح التى القاها وفى نسختها هدى ورحمة هدى اى من
الضلالة ورحمة اى من العذاب والنسخ نقل ما فى كتاب الى كتاب اخر ويقال
للاصل الذى نسخت منه نسخة وللفرع نسخة وقيل لما تكسرت الالواح صام
موسى اربعين يوما فردت عليه واعيدت له تلك الالواح فى لوحين ولم يفقد منها
شيئا ذكره ابن عباس قال القشيرى فعلى هذا وفى نسختها اى وفيما نسخ من الالواح
المكسرة ونقل الى الالواح الجديدة هدى ورحمة وقال عطا وفيما بقى منها
وذلك انه لم يبق منها الا سبعها وذهب ستة اسباعها ولكن لم يذهب من
الحدود والاحكام شى وقيل المعنى وفى نسختها اى فيما نسخ له منها من اللوح المحفوظ
هدى وقيل المعنى وفيما كتب له فيها هدى ورحمة فلا يحتاج الى اصل ينقل
عنه وهذا كما يقال انسخ ما يقول فلان اى اثبته فى كتابك **قوله تعالى**
للذين هم لربهم يرهبون اى يخافون وفى اللام ثلثة اقوال قول الكوفيين هى زائدة
قال الكسائى حدثنى من سمع الفرزدق يقول نقدت لها مائة درهم بمعنى نقدتها
وقيل هى لام اجل المعنى والذين هم من اجل ربهم يرهبون لا رياء ولا سمعة عن
الاخفش وقال محمد بن يزيد هى متعلقة بمصدر المعنى للذين هم رهبتهم لربهم
وقيل لما تقدم المفعول حسن دخول اللام كقوله ان كنتم للرؤيا تعبرون فلما تقدم

المعمول وهو المفعول ضعف عمل الفعل فصار بمنزلة ما لا يتعدى **قوله تعالى**
واختار موسى قومه سبعين رجلا معمولان احدهما حذفت منه من وانشد سيبويه
منا الذي اختير الرجال سماحة وبرا اذا هب الرياح الزعازع وقال الراعي
يمدح رجلا اخترتك الناس اذ رثت خلائقهم واختل من كان يرجى عنده السول
واصل اختار اختير فلما تحركت الياء وقبلها فتحة قلبت الفا نحو قال وباع
فلما اخذتهم الرجفة اى ماتوا والرجفة فى اللغة الزلزلة الشديدة ويروى
انهم زلزلوا حتى ماتوا قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل اى امتهم كما قال
عز وجل ان امرؤ هلك واياى عطف والمعنى لو شئت امتنا من قبل ان
نخرج الى الميقات بمحضر بنى اسرائيل حتى لا يتهمونى قال ابو بكر بن ابى شيبة حدثنا
يحيى بن سعيد القطان عن سفيان عن ابى اسحق عن عمارة بن عبد عن على رضى الله عنه
قال انطلق موسى وهرون صلى الله عليهما وانطلق شبر وشبير فانتهوا
الى جبل فيه سرير فقام عليه هرون فقبض روحه فرجع موسى الى قومه فقالوا
انت قتلته حسدتنا على لينه وعلى خلقه او كلمة نحوها الشك من سفيان
فقال كيف اقتله ومعى ابناه قال فاختاروا من شئتم فاختاروا من كل سبط
عشرة قال فذلك قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا فانتهوا اليه فقالوا
من قتلك يا هرون قال ما قتلنى احد ولكن الله توفانى قالوا يا موسى ما تعصى
فاخذتهم الرجفة فجعلوا يترددون يمينا وشمالا ويقول لو شئت اهلكتهم من
قبل واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك قال فدعا الله
فاحياهم وجعلهم انبياء كلهم وقيل اخذتهم الرجفة لقولهم ارنا الله جهرة كما
قال تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة
على ما تقدم فى البقرة بيانه وقال ابن عباس انما اخذتهم الرجفة لانهم لم ينهوا

من عبد العجل ولم يرضوا عبادته وقيل هولا السبعون غير من قال ارنا الله جهره
وقال ابن وهب ما ماتوا ولكن اخذتهم من الهيبه الرجفه حتى كادت ان
تبين مفاصلهم وخاف موسى عليهم الموت وقد تقدم في البقره عن وهب انهم ماتوا
يوما وليله وقيل غير هذا فالله اعلم بصحه ذلك ومقصود الاستفهام في قوله
اتهلكنا الجحد اي لست تفعل ذلك وهو شهير في كلام العرب واذا كان نفيا
كان بمعنى الايجاب كما قال الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح
وقيل معناه الدعا والطلب اي لا تهلكنا واضاف الى نفسه والمراد القوم
الذين ماتوا من الرجفه وقال المبرد المراد بالاستفهام استفهام استعظام
كانه قال لا تهلكنا وقد علم موسى ان الله لا يهلك احدا بذنب غيره ولكنه
هو كعيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وقيل المراد بالسفها السبعون والمعنى
اتهلك بني اسرايل بما فعل هولا السفها في قولهم ارنا الله جهره ان هي الا
فتنتك اي ما هذا الا اختبارك وامتحانك واضاف الفتنه الى الله عز وجل
ولم يضفها الى نفسه كما قال ابرهيم واذا مرضت فاضاف المرض الى نفسه
والشفا الى الله وقال يوشع وما انسانيه الا الشيطان وانما استفاد
ذلك موسى عليه السلام من قوله تعالى له انا قد فتنا قومك من بعدك فلما
رجع الى قومه وراى العجل منصوبا للعباده وله خوار قال ان هي الا فتنتك
تضل بها اي بالفتنه من تشا وتهدي من تشا وهذا رد على القدريه ٥
قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنه اي وفقنا للاعمال
الصالحه التي تكتب لنا بها الحسنات وفي الاخره اي جزا عليها انا هدنا
اليك اي تبنا قاله مجاهد وابو العاليه وقتاده والهود التوبه وقد تقدم
في البقره قال عذابي اصيب به من اشا اي المستحقين له اي هذه الرجفه

والصاعقة عذاب من اصيب به من اشا وقيل المعنى من اشا اى من اشاء ان
اضله ورحمتى وسعت كل شي عموم اى لا نهاية لها اى من دخل فيها لم تعجز
عنه وقيل وسعت كل شي من الخلق حتى ان البهيمة لها رحمة وعطف على
ولدها قال بعض المفسرين طمع فى هذه الاية كل شي حتى ابليس فقال انا شي
فقال الله تعالى فساكتبها للذين يتقون فقالت اليهود والنصارى نحن
متقون فقال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الاية فخرجت الاية
عن العموم روى حماد بن سلمة عن عطا بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال كتبها الله عز وجل لهذه الامة **قوله تعالى**
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الى قوله المفلحون فيه عشر مسايل الاولى
روى يحيى بن كثير عن نوف البكالى الحميرى قال لما اختار موسى قومه سبعين
رجلا لميقات ربه قال الله تعالى لموسى انى اجعل لكم الارض مسجدا وطهورا
تصلون حيث ادركتكم الصلاة الا عند مرحاض او حمام او قبر واجعل
السكينة فى قلوبكم واجعلكم تقرون التوراة عن ظهر قلوبكم يقراها الرجل
منكم والمراة والحر والعبد والصغير والكبير فقال ذلك موسى لقومه فقالوا
لا نريد ان نصلى الا فى الكنايس ولا نستطيع حمل السكينة فى قلوبنا ونريد
ان تكون كما كانت فى التابوت ولا نستطيع ان نقرا التوراة عن ظهر قلوبنا
ولا نريد ان نقراها الا نظرا فقال الله تعالى فساكتبها للذين يتقون الى
قوله المفلحون فجعلها لهذه الامة فقال موسى يا رب اجعلنى نبيهم فقال
نبيهم منهم قال رب اجعلنى منهم قال انك لن تدركهم فقال موسى يا رب
اتيتك بوفد بنى اسرايل فجعلت وفادتنا لغيرنا فانزل الله تعالى ومن قوم
موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فرضي موسى قال نوف فاحمد الله الذي

جعل

جعل وقاده بني اسرائيل لكم وذكر ابو نعيم هذه القصص من حديث الاوزاعي
قال حدثنا يحيى بن ابي عمرو الشيباني قال حدثني نوف البكالي قال كان عمرو
البكالي اذا افتتح موعظة قال الا تحمدون ربكم الذي حفظ غيبتكم واخذ
سهمكم وجعل وفادة القوم لكم وذلك ان موسى عليه السلام وفد بني
اسرائيل فقال الله لهم اني قد جعلت لكم الارض مسجدا حيث ما صليتم منها
تقبلت صلاتكم الا في ثلثة مواطن من صلى فيهن لم اقبل صلاته المقبرة والحمام
والمرحاض قالوا لا الا في كنيسة قال وجعلت لكم التراب طهورا اذا لم
تجدوا الماء قالوا لا الا بالماء قال وجعلت لكم حيث ما صلى الرجل وكان وحده
تقبلت صلاته قالوا لا الا في جماعة **الثانية** قوله تعالى الذين يتبعون
الرسول النبي الامي هذه الالفاظ كما ذكرنا اخرجت اليهود والنصارى من
الاشتراك الذي يظهر في قوله فساكتبها للذين يتقون وخلصت هذه العده
لامة محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وابن جبير وغيرهما ويتبعون يعني
في شرعه ودينه وما جاء به والرسول والنبي اسمان لمعنيين فان الرسول
اخص من النبي وقدم الرسول اهتماما لمعنى الرسالة والا فمعنى النبوه هو
المتقدم ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على البراء حين قال
وبرسولك الذي ارسلت فقال له قل امنت بنبيك الذي ارسلت خرجه
الصحيح وايضا فان في قوله وبرسولك الذي ارسلت تكرير الرسالة وهو
معنى واحد فيكون كالحشو الذي لا فائدة فيه بخلاف قولك ونبيك الذي
ارسلت فانهما لا تكرار فيهما وعلى هذا فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا
لان الرسول والنبي قد اشتركا في امر عام وهو النبا وافترقا في امر وهي
الرسالة فاذا قلت محمد رسول من عند الله تضمن ذلك انه نبي رسول وكذلك غيره

من الانبيا صلوات الله عليهم **الثالثة** قوله تعالى الامي هو منسوب الى
الامة الامية التي هي على اصل ولادتها لم تتعلم الكتابة ولا قراتها قاله ابن عزيز
وقال ابن عباس كان نبيكم صلى الله عليه وسلم اميا لا يكتب ولا يقرا ولا يحسب
قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وفي الصحيح
عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انا امة امية لا نكتب ولا نحسب
الحديث وقيل نسب النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة ام القرى ٥
الرابعة قوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل
روى البخاري قال حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا فليح قال حدثنا هلال
عن عطا بن يسار لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصي قلت اخبرني عن صفة
النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال اجل والله انه لموصوف في التوراة
ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا
غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفوا ويغفر
ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح بها
اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وفي غير البخاري قال عطا ثم لقيت كعبا
فسالته عن ذلك فما اختلفا حرفا الا ان كعبا قال بلغته قلوبا غلوفيا واذانا
صموميا واعينا عموميا قال ابن عطية واظن هذا وهما او عجمة وقد روي
عن كعب انه قالها قلوبا غلوفا واذانا صموما واعينا عموما قال الطبري
هي لغة حميرية وزاد كعب في صفة النبي صلى الله عليه وسلم قال مولده بمكة
وهجرته بطابة وملكه بالشام وامته الحامدون يحمدون الله تعالى على كل
حال وفي كل منزل يوضون اطرافهم ويأتزرون الى انصاف ساقهم رعاة.

الشمس

الشمس يصلون الصلاة حيث ادركتهم ولو على ظهر الكناسة صفهم في القتال
مثل صفهم في الصلاة ثم قرا ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم
بنيان مرصوص **الخامسة** قوله تعالى يامرهم بالمعروف وينهاهم عن
المنكر قال عطا يامرهم بالمعروف بخلع الانداد ومكارم الاخلاق وصلة
الارحام وينهاهم عن المنكر عبادة الاصنام وقطع الارحام **السادسة**
قوله تعالى ويحل لهم الطيبات مذهب مالك ان الطيبات هي المحللات فكانه
وصفها بالطيب اذ هي لفظة تتضمن مدحا وتشريفا وبحسب هذا نقول في الخبائث
انها المحرمات ولذلك قال ابن عباس الخبائث هي لحم الخنزير والربا وغيره
وعلى هذا احل مالك المستقذرات كالحيات والخنافس والعقارب ونحوها
ومذهب الشافعي ان الطيبات هي من جهة الطعم الا ان اللفظة عنده ليست
على عمومها لان عمومها بهذا الوجه من الطعم يقتضي تحليل الخمر والخنزير بل يراها
مختصة فيما حلله الشرع ويرى الخبائث لفظا عاما في المحرمات بالشرع وفي
المستقذرات فيحرم العقارب والخنافس والوزغ وما جرى هذا المجرى
والناس على هذين القولين وقد تقدم في البقرة هذا المعنى **السابعة**
قوله تعالى ويضع عنهم اصرهم الاصر الثقل قاله قتادة ومجاهد وابن جبير والاصر
ايضا العهد قاله ابن عباس والضحاك والحسن وقد جمعت هذه الاية
المعنيين فان بني اسرائيل كان قد اخذ عليهم عهد ان يقوموا باعمال ثقال
فوضع عنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك العهد وثقل تلك الاعمال كغسل البول
وتحليل الغنائم ومجالسة الحائض ومواكلتها ومضاجعتها فانهم كانوا اذا
اصاب ثوب احدهم بول قرضه وروي جلد احدهم واذا جمعوا الغنائم نزلت
نار من السماء فاكلته واذا حاضت المراة لم يقربوها الى غير ذلك مما ثبت في

الصحيح وغيره **الثامنة** قوله تعالى والاغلال التي كانت عليهم الاغلال
عبارة مستعارة لتلك الاثقال ومن الاثقال ترك الاشتغال يوم السبت
فانه يروى ان موسى عليه السلام راى يوم السبت رجلا يحمل قصبا فضرب
عنقه هذا قول جمهور المفسرين ولم يكن فيهم الدية وانما كان القصاص
وامروا بقتل انفسهم علامة لتوبتهم الى غير ذلك فشبه ذلك بالاغلال كما قال
الشاعر فليس كعهد الدار يا ام مالك ولكن احاطت بالرقاب السلاسل
وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل سوى العدل شيئا فاستراح العواذل
فشبه حدود الاسلام وموانعه عن التخطي الى المحظورات بالسلاسل المحيطات
بالرقاب ومن هذا المعنى قول ابي احمد بن جحش لابي سفيان اذهب بها طوقتها
طوق الحمامة اي لزمك عارها يقال طوق فلان كذا اذا لزمه **التاسعة**
ان قيل لم عطف الاغلال وهي جمع على الاصر وهو مفرد فالجواب ان الاصر
مصدر يقع على الكثرة وقرا ابن عامر اصارهم بالجمع مثل اعمالهم لجمعه اختلاف
ضروب المآثم والباقون بالتوحيد لانه مصدر يقع على القليل والكثير من جنسه
مع افراد لفظه وقد اجمعوا على التوحيد في قوله ولا تحمل علينا اصرا وكذلك
كل ما يرد عليك من هذا المعنى مثل وعلى سمعهم لا يرتد اليهم طرفهم من طرف
خفي كله بمعنى الجمع **العاشرة** قوله تعالى فالذين امنوا به وعزروه ونصروه
اي وقروه م
قال الاخفش وقرا الجحدري وعيسى وعزروه بالتخفيف وكذا وعزروهم
يقال عزره يعزره ويعزره والنور القران والفلاح الظفر بالمطلوب
وقد تقدم هذا **قوله تعالى** ومن قوم موسى امة يهدون بالحق
اي يدعون الناس الى الهداية ويعدلون معناه في الحكم وفي التفسير ان هولاء
قوم من وراء الصين من وراء نهر الرمل يعبدون الله بالحق والعدل امنوا بمحمد

وتركوا السبت يستقبلون قبلتنا لا يصل الينا منهم احد ولا منا اليهم احد
وروي انه لما وقع الاختلاف بعد موسى كانت منهم امة يهدون بالحق ولم يقدروا
ان يكونوا بين ظهراني بني اسرائيل حتى اخرجهم الله الى ناحية من ارضه في عزلة من
الخلق فصار لهم سرب في الارض فمشوا فيه سنة ونصف سنة حتى خرجوا وراء
الصين فهم على الحق الى الان وبين الناس وبينهم بحر لا يوصل اليهم بسببه ذهب
جبريل بالنبي عليه السلام اليهم ليلة المعراج فامنوا به وعلمهم سورا من القران
وقال لهم هل لكم مكيال وميزان قالوا لا قال فمن اين معاشكم قالوا نخرج الى
البرية فنزرع فاذا حصدنا وضعناه هناك فاذا احتاج احدنا اليه ياخذ
حاجته قال فاين نساؤكم قالوا في ناحية منا فاذا احتاج احدنا الى زوجته صار
اليها في وقت الحاجة قال فيكذب احدكم في حديثه قالوا لو فعل ذلك احدنا اخذته
لظى ان النار تنزل فتحرقه قال فما بال بيوتكم مستوية قالوا لئلا يعلو بعضنا
على بعض قال فما بال قبوركم على ابوابكم قالوا لئلا نغفل عن ذكر الموت ثم لما رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدنيا من ليلة الاسرا انزل عليه تعالى وممن
خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون يعني امة محمد عليه السلام يعلمه ان الذي
اعطيت موسى في قومه اعطيتك في امتك وقيل هم الذين امنوا بنبينا عليه
السلام من اهل الكتاب وقيل هم قوم من بني اسرائيل تمسكوا بشرع موسى
قبل نسخه ولم يبدلوا ولم يقتلوا الانبيا **قوله تعالى** وقطعناهم اثنتي عشرة
اسباطا امما عدد نعمه على بني اسرائيل وجعلهم اسباطا ليكون امر كل سبط معروفا
من جهة رئيسهم فيخف الامر على موسى وفي التنزيل وجعلنا منهم اثني عشر نقيبا وقد
تقدم وقال اثنتي عشرة والسبط مذكر لان بعده امما فذهب التانيث الى الامم
ولو قال اثني عشر لتذكير السبط جاز عن الفرا وقيل اراد بالاسباط القبايل

والفرق فلذلك انث العدد وقال الشاعر وان قريشا كلها عشر ابطن وانت
بري من قبايلها العشره فذهب بالبطن الى القبيلة والفصيلة فلذلك انثها
والبطن مذكر كما ان الاسباط جمع مذكر قال الزجاج المعنى قطعناهم اثني عشرة
فرقة اسباطا بدل من اثنتي عشرة انما نعت الاسباط وروى المفضل عن عاصم
وقطعناهم مخففا اسباطا الاسباط في ولد اسحق بمنزلة القبايل في ولد اسمعيل
عليهما السلام والاسباط ماخوذ من السبط وهو شجر تعلفه الابل وقد مضى في
البقره مستوفى وروى معمر عن همام بن منبه عن ابى هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قول الله عز وجل فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم قالوا حبه في شعره
وقيل لهم ادخلوا الباب سجدا فدخلوا متوركين على استاههم بما كانوا يظلمون
مرفوع لانه فعل مستقبل وموضعه نصب وما بمعنى المصدر اى بظلمهم وقد مضى في
البقره ما في هذه الايه من المعاني والاحكام والحمد لله **قوله تعالى** واسالهم
عن القريه اى عن اهل القريه فعبر عنهم بها لما كانت مستقرا لهم او سبب
اجتماعهم نظيره واسال القريه التي كنا فيها وقوله عليه السلام اهتز العرش
لموت سعد بن معاذ يعني اهل العرش من الملايكه فرحا واستبشارا به اى بقدومه
اى واسال اليهود الذين هم جيرانك عن اخبار اسلافهم وما مسخ الله منهم قرده
وخنازير وهذا سوال تقرير وتوبيخ وكان ذلك علامه لصدق النبي عليه السلام
اذ اطلعه الله على تلك الامور من غير تعلم وكانوا يقولون نحن ابنا الله واحباوه
لانا من سبط خليله ابرهيم ومن سبط اسرايل وهو بكر الله ومن سبط موسى
كليم الله ومن سبط ولده عزير فنحن من اولادهم فقال الله لنبيه محمد سلهم عن
القريه اما عذبتهم بذنوبهم وذلك بتغيير فرع من فروع الشريعه واختلف
في تعيين هذه القريه فقال ابن عباس وعكرمه والسدى هي ايله وعن ابن عباس ايضا

انها مدين بين ايله والطور الزهري طبريه قتاده وزيد بن اسلم هي ساحل من سواحل
الشام بين مدين وعينونه يقال لها معناه وكان اليهود يكتمون هذه القصه لما فيها
من السبه عليهم ه التي كانت حاضره البحر اي كانت بقرب البحر تقول كنت بحضره
الدار اي بقربها اذ يعدون في السبت اي يصيدون الحيتان وقد نهوا عنه يقال
سبت اليهود تركوا العمل في سبتهم وسبت الرجل للمفعول سباتا اخذه ذلك
مثل الخرس واسبت سكن ولم يتحرك والقوم صاروا في السبت واليهود دخلوا
في السبت وهو اليوم المعروف وهو من الراحه والقطع ويجمع اسبت وسبوت
واسبات وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتجم يوم السبت فاصابه
برص فلا يلومن الا نفسه قال علماونا وذلك لان الدم يجمد يوم السبت فاذا مددته
لتستخرجه لم يجر وعاد برصا وقراه الجماعه يعدون وقرا ابو نهيك يُعِدّون بضم
اليا وكسر العين وشد الدال الاولى من الاعتدا والثانيه من الاعداد اي يهيون
الاله لاخذها وقرا ابن السميفع في الاسبات على جمع السبت اذ تاتيهم حيتانهم
يوم سبتهم وقرى اسباتهم شرعا اي شوارع ظاهره على الماء كثيره وقال الليث
حيتان شرع رافعه روسها وقيل معناه ان حيتان البحر كانت ترد يوم السبت
عنقا من البحر تزاحم ايله الهمها الله تعالى انها لا تصاد يوم السبت لنهيه تعالى اليهود
عن صيدها وقيل انها كانت تشرع على ابوابهم كالكباش البيض رافعه روسها
حكاه بعض المتاخرين فتعدوا فاخذوها في السبت قاله الحسن وقيل يوم الاحد وهو
الاصح على ما ياتي ويوم لا يسبتون لا تاتيهم اي لا يفعلون السبت يقال سبت يسبت
اذا عظم السبت وقرا الحسن يُسبِتون بضم اليا اي يدخلون في السبت كما يقال
اجمعنا واظهرنا واشهرنا اي دخلنا في الجمعه والظهر والشهر ه كذلك نبلوهم اي
نشدد عليهم في العباده ونختبرهم والكاف في موضع نصب ه بما كانوا يفسقون

اي حيتا

اي يفسقهم وسئل الحسين بن الفضل هل تجد في كتاب الله تعالى الحلال لا ياتيك
الا قوتا والحرام ياتيك جرفا جرفا قال نعم في قصة داود وايلة اذ تاتيهم حيتانهم
يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وروي في قصص هذه الاية انها
كانت في زمن داود عليه السلام وان ابليس اوحى اليهم فقال انما نهيتم عن
اخذها يوم السبت فاتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم الجمعة
فتبقى فيها فلا يمكنها الخروج منها لقلة الما فياخذونها يوم الاحد وروى
اشهب عن مالك قال زعم ابن رومان انهم كانوا ياخذ احدهم الرجل خيطا ويضع
فيه وهقة ويلقيها في ذنب الحوت وفي الطرف الاخر من الخيط وتد ويتركه كذلك
الى الاحد ثم تطرق الناس حين راوا من صنع هذا لا يبتلى حتى كثر صيد الحوت
ومشي به في الاسواق واعلن الفسقة بصيده فقامت فرقة من بني اسرايل ونهت
وجاهرت بالنهي واعتزلت ويقال ان الناهين قالوا لا نساكنكم فقسموا القرية
بجدار فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا
ان للناس لشانا فعلوا على الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا
عليهم فعرفت القردة انسابها من الانس ولا تعرف الانس انسابهم من القردة
فجعلت القردة تاتي نسيبها من الانس فتشم ثيابه وتبكي فتقول الم ننهكم
فتقول براسها نعم قال قتادة صار الشبان قردة والشيوخ خنازير فما نجا
الا الذين نهوا وهلك سايرهم فعلى هذا القول ان بني اسرايل لم تفترق الا
فرقتين ويكون المعنى في قوله تعالى واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما اي قال
الفاعلون للواعظين حين وعظوهم اذا علمتم ان الله مهلكنا فلم تعظوننا فمسخهم الله
قردة قالوا معذرة الى ربكم اي قال الواعظون موعظتنا اياكم معذرة الى
ربكم اي انما يجب علينا ان نعظكم لعلكم تتقون اسعد هذا القول الطبري.

عن ابن الكلبي وقال جمهور المفسرين ان بني اسرائيل افترقت ثلاث فرق وهو الظاهر
من الضماير في الاية فرقة عصت وصادت وكانوا نحوا من سبعين الفا وفرقة نهت
واعتزلت وكانوا اثني عشر الفا وفرقة اعتزلت ولم تنه ولم تعص وان هذه
الطايفة قالت للناهية لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم على غلبة الظن
وما عهد من فعل الله تعالى بالامم العاصية فقالت الناهية موعظتنا معذرة
الى الله لعلهم يتقون ولو كانوا فرقتين لقالت الناهية للعاصية ولعلكم تتقون
بالكاف ثم اختلف بعد هذا فقالت فرقة ان الطايفة التي لم تعص ولم تنه هلكت
مع العاصية عقوبة على ترك النهي قاله ابن عباس وقال ايضا ما ادري ما فعل بهم
وهو الظاهر من الاية وقال عكرمة قلت لابن عباس لما قال ما ادري ما فعل بهم الا
ترى انهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم فقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم
فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا فكساني حلة وهذا مذهب الحسن ومما يدل على انه
انما هلكت الفرقة العادية لا غير قوله واخذنا الذين ظلموا بعذاب وقوله ولقد
علمتم الذين اعتدوا في السبت الاية وقرا عيسى وطلحة معذرةً بالنصب ونصبه عند
الكسائي من وجهين احدهما على المصدر والثاني على تقدير فعلنا ذلك معذرة وهي
قراة حفص عن عاصم والباقون بالرفع وهو الاختيار لانهم لم يريدوا ان يعتذروا
اعتذارا مستانفا من امر ليموا عليه ولكنهم قيل لهم لم تعظون فقالوا موعظتنا
معذرة ولو قال رجل لرجل معذرة الى الله واليك من كذا يريد اعتذارا لنصب
هذا قول سيبويه ودلت الاية على القول بسد الذرايع وقد مضى في البقرة ومضى فيها
الكلام في الممسوخ هل ينسل ام لا مبينا والحمد لله ومضى في ال عمران والمايدة
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومضى في النسا اعتزال اهل الفساد ومجانبتهم
وان من جالسهم كان مثلهم فلا معنى للاعادة والنسيان يطلق على الساهي

بعد العاصية

منكم

والعامد التارك لقوله فلما نسوا ما ذكروا به اى تركوه عن قصد ومنه نسوا الله فنسيهم ومعنى بعذاب بئيس اى شديد وفيه احدى عشره قراه الاول قراه ابى عمرو وحمزه والكسائى بئيس بكسر البا على وزن فعيل الثانيه قراه اهل مكه بئيس بكسر البا والوزن واحد الثالثه قراه اهل المدينه بيس البا مكسوره بعدها يا ساكنه بعدها سين مكسوره منونه وفيها قولان قال الكسائى الاصل فيه بئيس خففت الهمزه فالتقت يا ان فحذفت احداهما وكسر اوله كما يقال رغيف وشهيد وقيل اراد بئس على فعل فكسر اوله وخفف الهمزه وحذف الهمزه كما يقال رحم ورِحم الرابعه قراه الحسن بئس البا مكسوره بعدها همزه ساكنه بعدها سين مفتوحه الخامسه قرا ابو عبد الرحمن المقرى بيئس البا مفتوحه والهمزه مكسوره والسين مكسوره منونه السادسه قرا يعقوب القارى وجاء عن بعض القرا بعذاب بئس البا مفتوحه والهمزه مكسوره والسين مفتوحه السابعه قراه الاعمش بيئس على وزن فيعل وروى عنه بيس بيا مفتوحه وهمزه مشدده مكسوره والسين في كله مكسوره منونه اعنى قراه الاعمش العاشره قراه نصر بن عاصم بعذاب بيس البا مفتوحه والبا مشدده بغير همز قال يعقوب القارى وجاء عن بعض القرا بئيس البا مكسوره وبعدها همزه ساكنه وبعدها يا مفتوحه فهذه احدى عشره قراه حكاها النحاس قال على بن سليمان العرب تقول جا بنبات بئيس اى بشى ردى فمعنى بعذاب بئيس بعذاب ردى واما قراه الحسن فزعم ابو حاتم انه لا وجه لها قال لانه لا يقال مررت برجل بئس حتى يقال بئس الرجل او بئس رجلا قال النحاس وهذا مردود من كلام ابى حاتم حكى النحويون ان فعلت كذا وكذا فبها ونعمت يريد فبها ونعمت الخصله والتقدير على قراه الحسن بئس العذاب **قوله تعالى** فلما عتوا عما نهوا عنه اى فلما تجاوزوا فى معصيه الله قلنا لهم كونوا قرده خاسئين يقال خسانه فخسا اى باعدته

دطرده

وطردته وقد تقدم في البقرة ودل على ان المعاصي سبب النقمة وهذا الاخفاء فقيل
قال لهم ذلك كلام يسمع فكانوا كذلك وقيل المعنى تو ناهم فرده **قوله تعالى**
واذ تاذن ربك اي اعلم اسلافهم انهم ان غيروا ولم يومنوا بالنبي الامي بعث عليهم
من يعذبهم وقال ابو علي اذن بالمد اعلم واذن بالتشديد نادى وقال قوم اذن
واذن بمعنى اعلم كما يقال ايقن وتيقن وقال زهير
فقلت تعلم ان للصيد غرة فان لا تضيعها فانك قاتله ٥ وقال اخر
تعلم ان شر الناس حي ينادى في شعارهم يسار ٥ اي اعلم ومعنى يسومهم يذيقهم
وقد تقدم في البقرة قيل المراد بخت نصر وقيل العرب وقيل امة محمد صلى الله عليه
وسلم وهو اظهر فانهم الباقون الى يوم القيامة والله اعلم قال ابن عباس سوء العذاب
هنا اخذ الجزية فان **قيل** فقد مسخوا فكيف تؤخذ منهم الجزية فالجواب
انها توخذ من ابنائهم واولادهم وهم اذل قوم وهم اليهود وعن سعيد بن جبير سوء العذاب
قال الخراج ولم يجب نبي قط الخراج الا موسى هو اول من وضع الخراج فجباه بضع
عشرة سنة ثم امسك ونبينا عليه السلام **قوله تعالى** وقطعناهم في الارض امما
اي فرقناهم في البلاد اراد به تشتت امرهم فلم تجمع لهم كلمة منهم الصالحون رفع على
الابتداء والمراد من امن بمحمد عليه السلام ومن لم يبدل منهم ومات قبل نسخ شرع
موسى او هم الذين وراء الصين كما سبق ومنهم دون ذلك منصوب على الظرف قال
النحاس ولا نعلم احدا رفعه والمراد الكفار منهم وبلوناهم اي اختبرناهم بالحسنات
اي بالخصب والعافية والسيئات اي الجدب والشدائد لعلهم يرجعوا عن كفرهم ٥
قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف يعني اولاد الذين فرقهم في الارض قال
ابو حاتم الخلف بسكون اللام الاولاد الواحد والجمع فيه سواء والخلف بفتح اللام
البدل ولدا كان او غريبا وقال ابن الاعرابي الخلف بالفتح الصالح وبالجزم الطالح

قال لبيد ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب
ومنه قيل للردى من الكلام خلف ومنه المثل السائر سكت الفا ونطق خلفا
فخلف في الذم بالاسكان وخلف بالفتح في المدح هذا هو المستعمل
المشهور قال النبي صلى الله عليه وسلم يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله
وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الاخر قال حسان بن ثابت
لنا القدم الاولى اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع وقال اخر
انا وجدنا خلفا بيس الخلف اغلق عنا بابه ثم حلف
لا يدخل البواب الا من عرف عبدا اذا ما ناء بالحمل وقف ويروى خضف
اي ردم والمقصود من الاية الذم ورثوا الكتاب قال المفسرون هم
اليهود ورثوا كتاب الله فقراوه وعلموه وخالفوا حكمه واتوا محارمه مع
دراستهم له فكان هذا توبيخا لهم وتقريعا ثم اخبر عنهم انهم ياخذون ما
يعرض لهم من متاع الدنيا لشدة حرصهم ونهمتهم ويقولون سيغفر لنا وهم
لا يتوبون ودل على انهم لا يتوبون قوله وان ياتهم عرض مثله ياخذوه
والعرض متاع الدنيا بفتح الرا واسكانها ما كان من المال سوى الدراهم
والدنانير والاشارة في الاية الى الرشا والمكاسب الخبيثة ثم ذمهم باغترارهم
في قولهم سيغفر لنا وانهم بحال اذا امكنتهم ثانية ارتكبوها فقطعوا
باغترارهم بالمغفرة وهم مصرون وانما يقول سيغفر لنا من اقلع وندم
قال المولف رحمه الله وهذا الوصف الذي ذم الله تعالى لهم هو
موجود فينا اسند الدارمي ابو محمد اخبرنا محمد بن المبارك حدثنا صدقة بن
خالد عن ابن جابر عن شيخ يكنى ابا عمرو عن معاذ بن جبل قال سيبلى القران في
صدور اقوام كما يبلى الثوب فيتهافت يقرونه لا يجدون له شهوة ولا لذة

بالمنشور

يلبسون جلود الضان على قلوب الذياب اعمالهم طمع لا يخالطه خوف ان
قصروا قالوا سيبلغ وان اساوا قالوا سيغفر لنا انا لا نشرك بالله شيا
وقيل ان الضمير في ياتهم ليهود المدينه اي وان يات يهود يثرب الذين كانوا على
عهد النبي صلى الله عليه وسلم عرض مثله ياخذوه كما اخذه اسلافهم
قوله تعالى الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق
فيه مسلتان الاولى قوله الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب يريد التوراه وهذا
تشديد في لزوم قول الحق في الشرع والاحكام وان لا يميل الحكام بالرشا
الى الباطل قلت **المولف** رحمه الله وهذا الذي لزم هولا واخذ عليهم به
الميثاق في قول الحق لازم لنا على لسان نبينا وكتاب ربنا على ما تقدم بيانه
في النسا ولا خلاف فيه في جميع الشرائع **الثانيه** قوله تعالى ودرسوا ما فيه
اي قراوه وهم قريبوا العهد به وقرا ابو عبد الرحمن وادارسوا ما فيه فادغم
التا في الدال قال ابن زيد كان ياتيهم المحق برشوه فيخرجون له كتاب الله فيحكمون
له به فاذا جا المبطل اخذوا منه الرشوه واخرجوا له كتابهم الذي كتبوه
بايديهم وحكموا له وقال ابن عباس ان لا يقولوا على الله الا الحق وقد قالوا الباطل
في غفران ذنوبهم الذي يوجبونه ويقطعون به وقال ابن زيد يعني في الاحكام التي
يحكمون بها كما ذكرنا وقال بعض العلما ان معنى ودرسوا ما فيه اي محوه بترك
العمل والفهم له من قولك درست الريح الاثار اذا محتها وخط دارس وربع
دارس اذا امحى وعفى اثره وهذا المعنى مواطي اي موافق لقوله تعالى نبذ فريق
من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله ورا ظهورهم الايه وقوله فنسوه ورا ظهورهم
حسب ما تقدم بيانه في البقره **قوله تعالى** والذين يمسكون بالكتاب
اي بالتوراه اي بالعمل بها يقال مسك به وتمسك به اي استمسك به

وقرا ابو العاليه وعاصم في روايه ابي بكر يمسكون بالتخفيف من امسك
يمسك والقراه الاولى اولى لان فيها معنى التكرير والتكثير للتمسك بكتاب
الله وبدينه فبذلك يمدحون والتمسك بكتاب الله والدين يحتاج الى الملازمه
والتكرير لفعل ذلك وقال كعب بن زهير فجا به على طبعه يذم بكثره نقض العهد
فما تمسك بالعهد الذي زعمت الا كما يمسك الما الغرابيل ه
قوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم معناه رفعنا وقد تقدم
بيانه في البقره كانه ظله اي كانه لارتفاعه سحابه تظل خذوا ما اتيناكم
بقوه اي بجد وقد مضى في البقره الى اخر الايه **قوله تعالى** واذ اخذ
ربك من بني ادم الى قوله غافلين فيه ست مسايل الاولى قوله واذ اخذ ربك
اي واذكر لهم مع ما سبق من تذكير المواثيق في كتابهم ما اخذت من الميثاق
من العباد يوم الذر وهذه ايه مشكله وقد تكلم العلما في تاويلها واحكامها
فنذكر ما ذكروه من ذلك حسب ما وقفنا عليه فقال قوم معنى الايه ان
الله تعالى اخرج من ظهور بني ادم بعضهم من بعض قالوا ومعنى اشهدهم على
انفسهم الست بربكم دلهم بخلقه على توحيده لان كل بالغ يعلم ضروره ان
له ربا واحدا الست بربكم اي قال فقام ذلك مقام الاشهاد عليهم
والاقرار منهم كما قال تعالى في السموات والارض قالتا اتينا طايعين
ذهب الى هذا القفال واطنب وقيل انه سبحانه اخرج الارواح قبل خلق
الاجساد وانه جعل فيها من المعرفه ما علمت ما خاطبها قال المولف
رحمه الله وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذين القولين وانه سبحانه
اخرج الاشباح فيها الارواح من ظهر ادم روى مالك في الموطا ان
عمر بن الخطاب سيل عن هذه الايه واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم

فقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى خلق ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هولا للجنة
وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هولا للنار
وبعمل اهل النار يعملون قال رجل ففيم العمل قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل
الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت
على عمل من اعمال اهل النار فيدخله النار قال ابو عمر هذا حديث منقطع الاسناد
لان مسلم بن يسار لم يلق عمر وقال فيه يحيى بن معين مسلم بن يسار لا يعرف بينه وبين نعيم
ابن ربيعة ذكره النساي ونعيم غير معروف بحمل العلم لكن معنى هذا الحديث قد
صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه ثابتة كثيرة من حديث عمر بن الخطاب
وعبد الله بن مسعود وعلي بن ابي طالب وابي هريرة وغيرهم روى الترمذي وصححه عن
ابي هريرة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله ادم مسح ظهره
فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل رجل منهم
وبيصا من نور ثم عرضهم على ادم فقال يا رب من هولا قال هولا ذريتك فراى رجلا
منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه فقال اي رب من هذا فقال رجل من اخر الامم
من ذريتك يقال له داود فقال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال اي رب
زده من عمري اربعين سنة فلما انقضى عمر ادم جاءه ملك الموت فقال اولم يبق
من عمري اربعون سنة قال اولم تعطها ابنك داود قال فجحد فجحدت ذريته ونسي
فنسيت ذريته وفي غير الترمذي فحينئذ امر بالكتاب والشهود وفي رواية فراى
فيهم الضعيف والغني والفقير والمبتلى والصحيح فقال له ادم يا رب ما هذا
الا سويت بينهم قال اردت ان اشكر وروى عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال اخذوا من ظهره كما يوخذ بالمشط من الراس وجعل الله لهم عقولا
كنملة سليمان واخذ عليهم العهد بانه ربهم وان لا اله غيره فاقروا بذلك والتزموه
واعلمهم بانه سيبعث اليهم الرسل فشهد بعضهم على بعض قال ابي بن كعب واشهد
عليهم السموات السبع فليس من احد يولد الى يوم القيامه الا وقد اخذ عليه
العهد واختلف في الموضع الذي اخذ فيه الميثاق حين اخرجوا على اربعة اقوال
فقال ابن عباس ببطن نعمان واد الى جنب عرفة وعنه ان ذلك برهبا ارض
بالهند الذي هبط فيه ادم عليه السلام وقال يحيى بن سلام قال ابن عباس في
هذه الايه اهبط الله ادم بالهند ثم مسح على ظهره فاخرج منه كل نسمه هو خالقها
الى يوم القيامه ثم قال الست بربكم قالوا بلى شهدنا قال يحيى قال الحسن ثم اعادهم
في صلب ادم عليه السلام وقال الكلبي بين مكه والطائف وقال السدي في
السما الدنيا حين اهبط من الجنة اليها مسح ظهره فاخرج من صفحة ظهره اليمنى ذريه
بيضا مثل اللولو فقال لهم ادخلوا الجنه برحمتي واخرج من صفحة ظهره اليسرى
ذريه سودا وقال لهم ادخلوا النار ولا ابالي قال ابن جريج خرجت كل نفس
للجنه مخلوقه بيضا وكل نفس مخلوقه للنار سودا **الثانيه** قال ابن العربي
ان قيل كيف يجوز ان يعذب الخلق وهم لم يذنبوا او يعاقبهم على ما اراده منهم
وكتبه عليهم وساقه اليهم **قلنا** ومن اين يمتنع ذلك اعقلا ام شرعا فان قيل
لان الرحيم الحليم منا لا يجوز ان يفعل ذلك قلنا لان فوقه امرا امره وناهيا
نهاه وربنا لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولا يجوز ان يقاس الخلق بالخالق
ولا تحمل افعال العباد على افعال الاله وبالحقيقه الافعال كلها لله جل جلاله
والخلق باجمعهم صرفهم كيف شا وحكم فيهم بما اراد وهذا الذي يجده الادمي
انما تبعث عليه رقه الجبليه وشفقة الجنسيه وحب الثنا والمديح

لما يتوقع في ذلك من الاسقاع والباري تعالى متقدس عن ذلك فلا يجوز ان يعتقده
الثالثة واختلف في هذه الآية هل هي خاصة ام عامة فقيل الآية خاصة
لانه تعالى قال من بني آدم من ظهورهم فخرج من هذا من كان من ولد آدم لصلبه
وقال تعالى او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل فخرج كل من لم يكن له آباء مشركون
وقيل هي مخصوصة فيمن اخذ عليه العهد على السنة الانبياء وقيل هي عامة لجميع
الناس لان كل احد يعلم انه كان طفلا فغذي وربي وان له مدبرا وخالقا فهذا
معنى واشهدهم على انفسهم ومعنى قالوا بلى اي ان ذلك واجب عليهم فلما اعترف
الخلق لله سبحانه بانه الرب ثم ذهلوا عنه ذكرهم بانبيائه وختم الذكر بافضل
اصفيائه لتقوم حجته عليهم فقال له فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر
ثم مكنه من السيطرة وآتاه السلطنة ومكن له دينه في الارض قال
الطرطوسي ان هذا العهد يلزم البشر وان كانوا لا يذكرونه في هذه الحياة كما يلزم
الطلاق من شهد عليه به وقد نسيه **الرابعة** وقد استدل بهذه الآية من
قال ان من مات صغيرا دخل الجنة لاقراره في الميثاق الاول ومن بلغ العقل لم
يغنه الميثاق الاول وهذا القائل يقول اطفال المشركين في الجنة وهو الصحيح في
الباب وهذه المسألة اختلف فيها لاختلاف الآثار والصحيح ما ذكرناه وسياتي
الكلام في هذا في الروم ان شاء الله وقد اتينا عليها في كتاب التذكرة **الخامسة**
قوله تعالى من ظهورهم بدل اشتمال من قوله من بني آدم والفاظ الآية تقتضي ان الاخذ
انما كان من بني آدم وليس لآدم في الآية ذكر بحسب اللفظ ووجه النظم على هذا
واذ اخذ ربك من ظهور بني آدم ذريتهم وانما لم يذكر ظهر آدم لان المعلوم انهم
كلهم بنوه وانهم اخرجوا يوم الميثاق من ظهره فاستغنى عن ذكره لقوله من بني
آدم ذريتهم قرأه ابن كثير بالتوحيد وفتح التاء وهي تقع للواحد والجمع قال الله هب لي

من لدنك ذرية طيبة فهذا للواحد لانه انما سال هبة ولده فبشر بيحيى واجمع
القرا على التوحيد في قوله من ذرية ادم ولا شي اكثر من ذرية ادم وقال وكنا
ذرية من بعدهم فهذا للجمع وقرا الباقون ذرياتهم بالجمع لان الذرية لما كانت
تقع للواحد اي بلفظ لا تقع للواحد تجمع ليخلص الكلمة الى معناها المقصود اليه
لا يشركها فيه شي وهو الجمع لان ظهور بني ادم استخرج منها ذريات كثيرة متناسلة
اعقاب بعد اعقاب لا يعلم عددهم الا الله فجمع لهذا المعنى **السادسة**
قوله تعالى بلى تقدم القول فيها في البقرة عند قوله بلى من كسب سيئة مستوفى
فتامله هناك ٥ ان يقولوا او يقولوا قرا ابو عمرو بالياء فيهما ردهما على لفظ
الغيبة المتكرر قبله وهو قوله من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم
على انفسهم وقوله قالوا بلى ايضا لفظ غيبة وكذا وكنا ذرية من بعدهم ولعلهم
فحمله على ما قبله وما بعده من لفظ الغيبة وقرا الباقون بالتاء فيهما رده
على لفظ الخطاب المتقدم في قوله الست بربكم قالوا بلى ويكون شهدنا من
قول الملائكة لما قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا ان تقولوا او تقولوا اي لئلا
تقولوا وقيل معنى ذلك انهم قالوا بلى فاقروا له بالربوبية قال الله للملائكة
اشهدوا قالوا شهدنا باقرارهم لئلا تقولوا او تقولوا وهذا قول مجاهد
والضحاك والسدي وقال ابن عباس وابي بن كعب قوله شهدنا هو من قول بني ادم
والمعنى شهدنا انك ربنا والهنا وقال ابن عباس اشهد بعضهم على بعض
والمعنى على هذا قالوا بلى شهد بعضنا على بعض واذا كان ذلك من قول الملائكة
فيوقف على بلى ولا يحسن الوقف عليه اذا كان من قول بني ادم لان ان متعلقة
بما قبل بلى من قوله واشهدهم على انفسهم لان لا تقولوا وقد روى مجاهد عن ابن عمر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم كما

يوخذ

يوخر بالمشط من الراس فقال لهم الست بربكم قالوا بلى قالت الملئكة شهدنا ان تقولوا
اى شهدنا عليكم بالاقرار بالربوبية لئلا تقولوا فهذا يدل على ان قال بلى وهو
الاختيار لصحة معناه ولان الاجماع عليه وقد قيل ان قوله شهدنا من قول الله تعالى
والملئكة والمعنى فشهدنا على اقرارهم قاله ابو مالك وروى عن السدى ايضا
وكنا ذرية من بعدهم اى اقتدينا بابائهم افتهلكنا بما فعل المبطلون بمعنى لست تفعل هذا
ولا عذر للمقلد في التوحيد **قوله تعالى** واتل عليهم نبا الذى اتيناه اياتنا
ذكر اهل الكتاب قصة عرفوها في التوراة واختلف في تعيين الذى اوتى الايات
فقال ابن مسعود وابن عباس هو بلعم بن باعورا ويقال باعر من بنى اسرائيل في زمن
موسى عليه السلام وكان بحيث اذا نظر يرى العرش وهو المعنى بقوله واتل عليهم
نبا الذى اتيناه اياتنا ولم يقل اية وكان في مجلسه اثنى عشرة الف محبرة للمتعلمين
الذين يكتبونه عنه ثم صار بحيث كان اول من صنف كتابا ان ليس للعالم صانع
قال مالك بن دينار بعث بلعم بن باعورا الى ملك مدين ليدعوه الى الايمان فاعطاه
واقطعه فاتبع دينه وترك دين موسى ففيه نزلت هذه الايات قال المعتمر بن سليمان
عن ابيه بلعم قد اوتى النبوة وكان مجاب الدعوة فلما اقبل موسى في بنى اسرائيل يريد
قتال الجبارين سال الجبارون بلعم بن باعورا ان يدعوا على موسى فقام ليدعو ا
فتحول لسانه بالدعا على اصحابه فقيل له في ذلك فقال لا اقدر على اكثر مما تسمعون
واندلع لسانه على صدره فقال قد ذهبت منى الان الدنيا والاخرة فلم يبق الا
المكر والخديعة والحيلة وسامكر لكم وانى ارى ان تخرجوا اليهم فتياتكم
فان الله يبغض الزنا فان وقعوا فيه هلكوا ففعلوا فوقع بنو اسرائيل في الزنا فارسل
الله عليهم الطاعون فمات منهم سبعون الفا وقد ذكر هذا الخبر بكماله الثعلبى وغيره
وروى ان بلعم بن باعورا دعا ان لا يدخل موسى مدينة الجبارين فاستجيب له

وبقي في التيه فقال موسى يا رب بأي ذنب بقينا في التيه فقال بدعاء بلعام فقال
فكما سمعت دعاءه عليّ فاسمع دعائي عليه فدعا موسى ان ينزع الله عنه الاسم الاعظم
فسلخه الله مما كان عليه وقال ابو حامد في آخر كتاب منهاج العابدين له وسمعت
بعض العارفين يقول ان بعض الانبياء سأل الله تعالى عن امر بلعام وطرده بعد
تلك الآيات والكرامات فقال الله تعالى لم يشكرني يوما من الايام على ما اعطيته
ولو شكرني على ذلك مرة لما سلبته وقال عكرمة كان بلعم نبيا واوتي كتابا وقال
مجاهد انه اوتي النبوة فرشاه قومه على ان يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه
قال الماوردي وهذا غير صحيح لان الله تعالى لا يصطفي لنبوته الا من يعلم انه لا
يخرج عن طاعته الى معصيته وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وزيد بن اسلم نزلت
في امية بن ابي الصلت الثقفي وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا
في ذلك الوقت وتمنى ان يكون هو ذلك الرسول فلما ارسل محمد عليه السلام حسده
وكفر به وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفر
قلبه وقال سعيد بن المسيب نزلت في ابي عامر بن صيفي وكان يلبس المسوح
في الجاهلية فكفر بالنبي عليه السلام وذلك انه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة فقال يا محمد ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم
قال فاني عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست عليها لانك ادخلت فيها
ما ليس منها فقال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريدا وحيدا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم نعم امات الله الكاذب منا كذلك وانما قال هذا يعرض
بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث خرج من مكة فخرج ابو عامر الى الشام ومر الى
قيصر وكتب الى المنافقين استعدوا فاني آتيكم من عند قيصر بجند لنخرج محمدا
من المدينة فمات بالشام وحيدا وفيه نزل وارصادا لمن حارب الله ورسوله

مطلب

وسيأتي

وسالني في براه وقال ابن عباس في روايه نزلت في رجل كان له ثلاث دعوات
مستجاب له فيها وكان له امراه يقال لها البسوس وكان له منها ولد فقالت
اجعل لي منها دعوه واحده قال لك واحده فما تامرين قالت ادع الله ان
يجعلني اجمل امراه في بني اسرائيل فلما علمت انه ليس فيهم مثلها رغبت عنه فدعا
الله عليها ان يجعلها كلبه نباحه فذهب فيها دعوتان فجاء بنوها وقالوا لا صبر
لنا على هذا وقد صارت امنا كلبه يعيرنا الناس بها فادع الله ان يردها الى ما
كانت عليه فدعا فعادت كما كانت وذهبت الدعوات فيها وقال عباده بن الصامت
نزلت في قريش اتاهم الله اياته التي انزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم فانسلخوا
منها ولم يقبلوها والقول الاول اشهر وعليه الاكثر قال ابن عباس كان بلعم من
مدينه الجبارين وقيل كان من اليمن فانسلخ منها اي من معرفه الله تعالى فنزع منه العلم
الذي كان يعلمه وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم في
القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجه الله على ابن ادم فهذا
مثل علم بلعام واشباهه نعوذ بالله منه ونسئله التوفيق والممات على التحقيق
والانسلاخ الخروج يقال انسلخت الحيه من جلودها اي خرجت منه وقيل هذا
من المقلوب اي انسلخت الايات منه فاتبعه الشيطان اي لحقه يقال
اتبعت القوم اي لحقتهم وقيل نزلت في اليهود والنصارى انتظروا خروج محمد
عليه السلام فكفروا به **قوله تعالى** ولو شئنا لرفعناه بها يريد بعلم
اي لو شئنا لامتناه قبل ان يعصي فرفعناه الى الجنه بها اي بالعمل بها ولكنه
اخلد الى الارض اي ركن اليها عن ابن جبير والسدي وقال مجاهد سكن اليها
اي سكن الى لذاتها واصل الاخلاد اللزوم يقال اخلد فلان بالمكان اذا اقام
به ولزمه قال زهير لمن الديار غشيتها بالغرقد كالوحي في حجر المسيل المخلد

يعني المقيم وكان المعنى لزم لذات الارض فعبر عنها بالارض لان متاع الدنيا على وجه
الارض واتبع هواه اي ما زين له الشيطان وقيل كان هواه مع الكفار وقيل اتبع
رضى زوجته وكانت رغبت في اموال حتى حملته على الدعا على موسى فمثله كمثل الكلب
لاهثا والمعنى انه على شي واحد لا يرعوي عن المعصية كمثل الكلب الذي هذه حاله
فالمعنى انه لاهث على كل حال طردته ام لم تطرده كان ان خرج الكلب منقطع الفواد
لا فواد له ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث كذلك الذي يترك الهدى لا فواد له
وقال القتيبي كل شي يلهث فانما يلهث من اعيا او عطش الا الكلب فانه يلهث في
حال الكلال وحال الراحة وحال المرض وحال الصحة وحال الري وحال العطش
فضربه الله مثلا لمن كذب باياته فقال ان وعظته ضل وان تركته ضل
فهو كالكلب ان تركته لهث وان طردته لهث كقوله تعالى وان تدعوهم الى الهدى لا
يتبعوكم سوا عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وقال الجوهري لهث الكلب
بالفتح يلهث لهثا ولهاثا بالضم اذا اخرج لسانه من التعب او العطش وكذلك
الرجل اذا اعيا وقوله ان تحمل عليه يلهث لانك اذا حملت على الكلب نبح وولى
هاربا وان تركته شد عليك ونبح فيتعب نفسه مقبلا عليك ومدبرا عنك
فيعتريه عند ذلك ما يعتريه عند العطش من اخراج اللسان وقال الترمذي
الحكيم انما شبهه بالكلب من بين السباع لان الكلب ميت الفواد وانما الهاثه
لموت فواده وساير السباع ليست كذلك فلذلك لا يلهثن وانما صار الكلب كذلك
لانه لما نزل ادم عليه السلام الى الارض شمت به العدو فذهب الى السباع فاشلاهم
على ادم وكان الكلب من اشدهم كلبها فنزل جبريل بالعصى التي صرفها الى موسى بمدين
وجعلها اية له الى فرعون وملائه وجعل فيها سلطانا عظيما وكانت من اس الجنة
فاعطاها ادم يومئذ ليطرد بها السباع عن نفسه وامره فيما روي ان يدنو

من الكلب ويضع يده على راسه فمن ذلك الفه الكلب ومات الفواد منه لسلطان
العصى والف به وتوالده الى يومنا هذا لو ضع يده على راسه وصار حارسا من
حراس ولده وادا ادب وعلم الاصطياد تعلم وتادب وذلك قوله تعالى تعلمونهن
مما علمكم الله قال مجاهد في قوله تعالى فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه
يلهث اي ان تحمل عليه بدابتك او برجلك يلهث او تتركه يلهث وكذلك من يقرا الكتاب
ولا يعمل بما فيه وقال غيره هذا شر تمثيل لانه مثله في انه قد غلب عليه هواه حتى
صار لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا بكلب لاهث ابدا حمل عليه او لم يحمل فهو لا يملك
ترك اللهثان وقيل من اخلاق الكلب الوقوع بمن لم يجمعه على جهة الابتدا بالجفا
ثم يهدى طاشتبه بمثل كل عوض خسيس ضرب الله مثلا للذي قبل الرشوة في
الدين حتى انسلخ من ايات ربه قال السدي كان بلعم بعد ذلك يلهث كما يلهث الكلب
وهذا المثل في قول كثير من اهل العلم بالتاويل عام في كل من اوتي القران فلم يعمل به
وقيل هو كل منافق والاول اصح فدلت الاية لمن تدبرها على ان لا يغتر احد بعلمه ولا
بعمله اذ لا يدري بما يختم له ودلت على منع اخذ الرشوة لابطال حق او تغييره وقد مضى
بيانه في المايده ودلت ايضا على منع التقليد لعالم الا بحجة بينها لان الله تعالى
اخبر انه اعطى هذا اياته فانسلخ منها فوجب ان يخاف مثل هذا على غيره وان لا يقبل
منه الا بحجة **قوله تعالى** ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا اي هو جميع
الكفار وقوله سا مثلا القوم تعال سا الشي قبح فهو لازم وساه يسوءه مساه
فهو متعد اي قبح مثلهم وتقديره سا مثلا مثل القوم فحذف المضاف ونصب
مثلا على التمييز قال الاخفش فجعل المثل القوم مجازا والقوم مرفوع بالابتدا
او على اضمار مبتدا التقدير سا المثل مثلا فهو مثل القوم وقدره ابو علي سا
مثلا مثل القوم وقرا عاصم الجحدري والاعمش سا مثل القوم رفع مثلا بسا

قوله تعالى من يهد الله فهو المهتدي تقدم معناه في غير موضع وهذه
ترد على القدرية كما سبق وترد على من قال ان الله تعالى هدى جميع المكلفين ولا
يجوز ان يضل احدا قوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس الاية
اخبر تعالى انه خلق للنار اهلا بعدله ثم وصفهم فقال لهم قلوب لا يفقهون بها
اي هم بمنزلة من لا يفقه لانهم لا ينتفعون بها لا يعقلون ثوابا ولا يخافون
عقابا واعين لا يبصرون بها الهدى واذان لا يسمعون بها المواعظ وليس
الغرض نفي الادراكات عن حواسهم جملة كما بيناه في البقرة اولئك
كالانعام بل هم اضل لانهم لا يهتدون الى ثواب فهم كالانعام اي همتهم الاكل
والشرب وهم اضل لان الانعام تبصر منافعها ومضارها وتتبع مالكها
وهم بخلاف ذلك وقال عطا الانعام تعرف الله والكافر لا يعرفه وقيل
الانعام مطيعة لله تعالى والكافر غير مطيع اولئك هم الغافلون اي تركوا
التدبر واعرضوا عن الجنة والنار قوله تعالى ولله الاسما الحسنى
فادعوه بها فيه ست مسايل الاولى قوله ولله الاسما الحسنى فادعوه بها امر
باخلاص العبادة لله ومجانبة المشركين والملحدين قال مقاتل وغيره من
المفسرين نزلت الاية في رجل من المسلمين كان يقول في صلاته يا رحمن يا
رحيم فقال رجل من مشركي مكة اليس يزعم محمد واصحابه انهم يعبدون ربا
واحدا فما بال هذا يدعو ربين اثنين فانزل الله تعالى ولله الاسما الحسنى فادعوه بها
الثانية جا في كتاب الترمذي وسنن ابن ماجه وغيرهما حديث عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نص فيه تسعة وتسعين اسما وفي احدهما
ما ليس في الاخر وقد بينا ذلك في الكتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى
قال ابن عطية وذكر حديث الترمذي وذلك الحديث ليس بالمتواتر وان كان

قد قال فيه ابو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث صفوان بن صالح وهو
ثقة عند اهل الحديث وانما المتواتر منه قوله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة
وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة ومعنى احصاها عدها
وحفظها وقيل غير هذا مما قد بيناه في كتاب الاسنى وذكرنا هناك تصحيح حديث
الترمذي وذكرنا من الاسماء ما اجتمع عليه وما اختلف فيه مما وقفنا عليه في
كتب ائمتنا ما ينيف على مائتي اسم وذكرنا قبل تعيينها في مقدمة الكتاب اثنين
وثلاثين فصلا فيما يتعلق باحكامها فمن اراده وقف عليه هناك او في غيره من
الكتب الموضوعة في هذا الباب والله الموفق للصواب **الثالثة** واختلف
العلماء في هذا الباب في الاسم والمسمى وقد ذكرنا ما للعلماء في ذلك في كتاب
الاسنى قال ابن الحصار وفي هذه الاية وقوع الاسم على المسمى ووقوعه على التسمية
فقوله ولله واقع على المسمى وقوله الاسماء وهو جمع اسم واقع على التسميات
يدل على صحة ما قلناه قوله فادعوه بها فالهاء في قوله فادعوه تعود على الاسماء
وهي التسميات التي يدعى بها لا بغيرها هذا الذي يقتضيه لسان العرب ومثل
ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد واحمد الحديث
وقد تقدم في البقرة شيء من هذا والذي يذهب اليه اهل الحق ان الاسم هو المسمى
او صفة له تتعلق به وانه غير التسمية قال ابن العربي عند كلامه على قوله تعالى
ولله الاسماء الحسنى فيه ثلاثة اقوال قال بعض علمائنا في ذلك دليل على ان الاسم
المسمى لانه لو كان غيره لوجب ان تكون الاسماء لغير الله تعالى الثاني قال اخرون
المراد به التسميات لانه سبحانه واحد والاسماء جمع قال المؤلف رحمه الله
ذكر ابن عطية في تفسيره ان الاسماء في الاية بمعنى التسميات اجماعا من المتأولين
لا يجوز غيره وقال القاضي ابو بكر في كتاب التمهيد وتأويل قول النبي صلى الله عليه

لله تسعة وتسعين تسمية بالاخلاف وهي عبارات عن كون الله تعالى على اوصاف
شتى منها ما يستحقه لنفسه ومنها ما يستحقه لصفة تتعلق به واسماؤه العائدة
الى نفسه هي هو وما تعلق بصفة له فهي اسماء له ومنها صفات لذاته ومنها صفات
افعال وهذا هو تاويل قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها اى التسميات
الحسنى الثالثة قال اخرون منهم ولله الصفات **الرابعة** سمى الله سبحانه
اسماءه بالحسنى لانها حسنة في الاسماع والقلوب وانها تدل على توحيده
وكرمه وجوده ورحمته وافضاله والحسنى مصدر وصف به ويجوز ان يقدر
الحسنى فعلى مونث الاحسن كالكبرى تانيث الاكبر والجمع الكبر والحسن وعلى
الاول افرد كما افرد وصف ما لا يعقل كما قال مآرب اخرى ويا جبال اوبي معه
الخامسة قوله تعالى فادعوه بها اى اطلبوا منه باسمائه فيطلب بكل اسم
ما يليق به تقول يا رحيم ارحمني يا حليم احلم لي يا رزاق ارزقني يا هادي اهدني
يا فتاح افتح لي يا تواب تب علي هكذا فان دعوت باسم عام قلت يا مالك
ارحمني يا عزيز احلم لي يا لطيف ارزقني وان دعوت بالاعم الاعظم فقلت
يا الله فهو متضمن لكل اسم ولا تقول يا رزاق اهدني الخير قال ابن العربي
وهكذا رتب دعاءك تكن من المخلصين وقد تقدم في البقرة شرائط الدعاء وفي
هذه السورة ايضا **السادسة** ادخل القاضي ابو بكر بن العربي عدة من
الاسماء في اسمائه سبحانه مثل متم نوره وخير الوارثين وخير الماكرين ورابع ثلاثة
وسادس خمسة والطيب والمعلم وامثال ذلك قال ابن الحصار واقتدى
في ذلك بابن برجان اذ ذكر في الاسماء النظيف وغير ذلك مما لم يرد في كتاب
ولا سنة قال المولف رحمه الله اما ما ذكر من قوله مما لم يرد في كتاب ولا سنة
فقد جاء في صحيح مسلم الطيب وخرج الترمذي النظيف وخرج عن ابن عباس

ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه رب اعني ولا تعن علي وانصرني ولا
تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي الحديث وقال فيه حديث حسن صحيح فعلى هذا يجوز
ان يقال يا خير الماكرين امكر لي ولا تمكر علي والله اعلم وقد ذكرنا الطيب
والتلطيف في كتابنا وغيره مما جاء ذكره في الاخبار وعن السلف الاخيار وما يجوز
ان يسمى به ويدعى به وما يجوز ان يسمى به ولا يدعى وما لا يجوز ان يسمى به ولا يدعى حسب
ما ذكره الشيخ ابو الحسن الاشعري وهنا ليس يسير لذلك الرساله **قوله تعالى**
وذروا الذين يلحدون في اسمائه فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى يلحدون الالحاد
الميل وترك القصد يقال لحد الرجل في الدين والحد اذا مال ومنه اللحد في القبر
لانه في ناحيته وقرئ يلحدون لغتان والالحاد يكون بثلثة اوجه احدها بالتغيير
فيها كما فعله المشركون وذلك انهم عدلوا بها عما هي عليه فسموا بها اوثانهم فاشتقوا
اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان قاله ابن عباس وقتادة الثاني
بالزيادة فيها الثالث بالنقصان منها كما يفعله الجهال الذين يخترعون ادعية
يسمون فيها الله تعالى بغير اسمائه ويذكرونه بغير ما يذكر من افعاله الى غير ذلك مما
لا يليق به قال ابن العربي فحذار منها ولا يدعون احدكم الا بما في كتاب الله والكتب
الخمسة وهي البخاري ومسلم والترمذي وابي داود والنسائي فهذه الكتب هي
التي يدور الاسلام عليها وقد دخل فيها ما في الموطا الذي هو اصل التصانيف
وذروا ما سواها ولا يقولن احد اختار دعاء كذا وكذا فان الله قد اختار له
وارسل بذلك الى الخلق رسوله **الثانية** معنى الزيادة في الاسماء التشبيه
والنقصان التعطيل فان المشبهة وصفوه بما لم ياذن فيه والمعطلة سلبوه
ما اتصف به ولذلك قال اهل الحق ان ديننا طريق بين طريقين لا تشبيه ولا
تعطيل وسئل الشيخ ابو الحسن البوشنجي عن التوحيد فقال اثبات ذات

غير مشبهه بالذوات ولا معطله من الصفات وقد قيل في قول الله تعالى وذروا
الذين يلحدون معناه اتركوهم ولا تحاجوهم ولا تعرضوا لهم فالايه على هذا
منسوخه بالقتال قاله ابن زيد وقيل معناه الوعيد هو قوله تعالى ذرني ومن
خلقت وحيدا وقوله ذرهم ياكلوا ويتمتعوا وهو الظاهر من الايه لقوله تعالى
سيجزون ما كانوا يعملون **قوله تعالى** وممن خلقنا امه يهدون بالحق
وبه يعدلون روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هم هذه الامه وروي
انه قال هذه لكم وقد اعطى الله قوم موسى مثلها وقرا هذه الايه وقال ان من
امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم فدلت الايه على ان الله عز وجل لا يخلي
الدنيا في وقت من الاوقات من داع يدعوا الى الحق **قوله تعالى**
والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون اخبر تعالى عمن كذب
باياته انه سيستدرجهم قال ابن عباس هم اهل مكه والاستدراج هو الاخذ
بالتدريج منزله بعد منزله والدرج لف الشي يقال ادرجته ودرجته ومنه
ومنه ادرج الميت في اكفانه وقيل هو من الدرجه فالاستدراج ان يحط درجه
بعد درجه الى المقصود قال الضحاك كلما جددوا لنا معصيه جددنا لهم
نعمه وقيل لذي النون ما اقصى ما يخدع به العبد قال بالالطاف والكرامات
لذلك قال سبحانه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون اسبغ عليهم النعم وننسيهم
الشكر وانشد احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر **قوله تعالى**
واملي لهم اي اطيل لهم المده وامهلهم واوخر عقوبتهم ان كيدي اي مكري
متين اي شديد قوي واصله من المتن وهو اللحم الغليظ الذي عن جانب الصلب
وقيل نزلت في المستهزئين من قريش قتلهم الله تعالى في ليله واحده بعد ان امهلهم

بعده

مده نظيره حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وقد تقدم **قوله تعالى**
اولم يتفكروا اي فيما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم والوقف على يتفكروا احسن
ثم قال ما بصاحبهم من جنة رد لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وقيل
نزلت بسبب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ليلة على الصفا فدعا قريشا
فخذا فخذا يقول يا بني فلان يحذرهم باس الله وعقابه فقال قايلهم ان صاحبهم
هذا المجنون بات يصوت حتى الصباح **قوله تعالى** اولم ينظروا في ملكوت
السموات والارض فيه اربع مسايل الاولى قوله اولم ينظروا عجب من اعراضهم عن
النظر في اياته ليعرفوا كمال قدرته حسب ما بيناه في سورة البقرة والملكوت
من ابنية المبالغة ومعناه الملك العظيم وقد تقدم **الثانية** استدل بهذه
الاية وما كان مثلها من قوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض وقوله
افلم ينظروا الى السما فوقهم كيف بنيناها وقوله افلا ينظرون الى الابل كيف
خلقت الاية وقوله وفي انفسكم افلا تبصرون من قال بوجوب النظر في اياته والاعتبار
بمخلوقاته قالوا وقد ذم الله تعالى من لم ينظر وسلبهم الانتفاع بحواسهم فقال
لهم قلوب لا يفقهون بها الاية وقد اختلف العلما في اول الواجبات هل هو النظر
والاستدلال او الايمان الذي هو التصديق الحاصل في القلب الذي ليس من شرط
صحته المعرفة فذهب القاضي وغيره الى ان اول الواجبات النظر والاستدلال
لان الله تبارك وتعالى لا يعلم ضرورة وانما يعرف بالنظر والاستدلال بالادلة
التي نصبها لمعرفته والى هذا ذهب البخاري رحمه الله حيث بوب في كتابه باب العلم قبل
القول والعمل لقول الله جل وعز فاعلم انه لا اله الا الله قال القاضي من لم يكن عالما
بالله فهو جاهل والجاهل به كافر قال ابن رشد في مقدماته وليس هذا بالبين لان
الايمان يصح باليقين الذي قد يحصل لمن هداه الله بالتقليد وباول وهلة من

الاعتبار بما ارشد الله الخلق الى الاعتبار به في غير ما ايه قال وقد استدل الناجي
على من قال ان النظر والاستدلال اول الواجبات باجماع المسلمين في جميع
الاعصار على تسميه العامه والمقلد مومنين قال فلو كان ما ذهبوا اليه صحيحا
لما صح ان يسمى مومنا الا من عنده علم بالنظر والاستدلال قال وايضا فلو
كان الايمان لا يصح الا بعد النظر والاستدلال فاخرونا حتى ننظر ونستدل
قال وهذا يودي الى تركهم على كفرهم وان لا يقتلوا حتى ينظروا ويستدلوا قال
المولف رحمه الله هذا هو الصحيح في الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ويومنوا بي وبما جيت به فاذا
فعلوا ذلك عصموا مني دماهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله ٥
وترجم ابن المنذر في كتاب الاشراف ذكر صفه كمال الايمان اجمع كل من يحفظ
عنه من اهل العلم على ان الكافر اذا قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
عبده ورسوله وان كل ما جا به محمد حق وابرا من كل دين خالف دين الاسلام
وهو بالغ صحيح العقل انه مسلم وان رجع بعد ذلك واظهر الكفر كان مرتدا
يجب عليه ما يجب على المرتد وقال ابو حفص الزنجاني وكان شيخنا القاضي
ابو جعفر احمد بن محمد السمناني يقول اول الواجبات الايمان بالله وبرسوله
وبجميع ما جا به ثم النظر والاستدلال المودبان الى معرفه الله تعالى فيتقدم
وجوب الايمان بالله عنده على المعرفه بالله قال وهذا اقرب الى الصواب وارفق
بالخلق لان اكثرهم لا يعرفون حقيقه المعرفه والنظر والاستدلال فلو قلنا ان
اول الواجبات المعرفه بالله لادى الى تكفير الجم الغفير والعدد الكثير
وان لا يدخل الجنه الا احاد الناس وذلك بعيد لان الرسول صلى الله عليه وسلم
قطع بان اكثر اهل الجنه امته وان امم الانبيا كلهم صف واحد وامته

ثمانون

بما يكون صفا وهذا بين لا اشكال فيه **الثانيه** ذهب بعض المتاخرين والمتقدمين من المتكلمين الى ان من لم يعرف الله تعالى بالطرق التي طرقوها والابحاث التي حرروها لم يصح ايمانه وهو كافر فيلزم على هذا تكفير اكثر المسلمين واول من يبدا بتكفيره اباوه واسلافه وجيرانه وقد اورد على بعضهم هذا فقال لا تشنع علي بكثرة اهل النار او كما قال **قال** المولف رحمه الله وهذا القول لا يصدر الا من جاهل بكتاب الله وسنة نبيه لانه ضيق رحمة الله الواسعة على شرذمة يسيرة من المتكلمين واقتحموا في تكفير عامة المسلمين اين هذا من قول الاعرابي الذي كشف عن فرجه ليبول وانتهره اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا احدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد تحجرت واسعا اخرجه البخاري والترمذي وغيرهما من الايمه اترى هذا الاعرابي عرف الله بالدليل والبرهان والحجة والبيان وان رحمته وسعت كل شي وكم من مثله محكوم له بالايمان بل اكتفى صلى الله عليه وسلم من كثير ممن اسلم بالنطق بالشهادتين وحتى انه اكتفى بالاشاره في ذلك الاشاره لما قال للسوداء اين الله قالت في السما قال من انا قالت انت رسول الله قال اعتقها فانها مومنه ولم يكن هناك نظر واستدلال بل حكم بايمانهم من اول وهله وان كان هناك عن النظر والمعرفة غفله والله اعلم **الرابعه** ولا يكون ايضا النظر والاعتبار في الوجوه الحسان من المرد والنسوان قال ابو الفرج الجوزي قال ابو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري بلغني عن هذه الطايفة التي تسمع السماع انها تضيف اليه النظر الى وجه الامرد وربما زينته بالحلي والمصبغات من الثياب وتزعم انها تقصد به الازدياد في الايمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع وهذه النهاية في متابعة الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم قال ابو الفرج وقال الامام

او الوفا ان عقل لم يجعل الله النظر الا على صور لا ميل للنفس اليها ولا حظ
للهوى فيها بل عبرة لا يمازجها شهوة ولا يقارنها لذة ولذلك ما بعث الله سبحانه
امراة بالرسالة ولا جعلها قاضيا ولا اماما ولا مؤذنا كل ذلك لانها محل
شهوة وفتنة ثم قال انا احد من الصور المستحسنة عبرا للرسالة ومن
مير نفسه وطبيعته يخرج عن طباعنا للرسالة وانما هذه خدع الشطار
للمدعين وقال بعض الحكما كل شي في العالم الكبير له نظير في العالم الصغير
ولذلك قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقال وفي انفسكم افلا
تبصرون وقد بينا وجه التمثيل في اول الانعام فعلى العاقل ان ينظر الى
نفسه ويتفكر في خلقه من حين كونه ماء دافقا الى كونه خلقا سويا يعان
بالاغذية ويربى بالرفق ويحفظ باللين حتى يكتسب القوى ويبلغ الاشد واذا
هو قد قال انا وانا ونسي حين اتى عليه شي من الدهر لم يكن شيا مذكورا وسيعود
مقبورا فيا ويحه ان كان محسورا قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين الى قوله تبعثون فينظر انه عبد مربوب مكلف بالعذاب
ان قصر مرجيا بالثواب ان ايتمر فيقبل على عبادة مولاه وان كان لا يراه
ويخشى الناس والله احق ان يخشاه ولا يتكبر على احد من عباد الله فانه مؤلف
من اقذار صابرا الى جنة ان اطاع او الى نار قال ابن العربي وكان شيوخنا
يستحسنون ان ينظر المرء في الابيات الحكمية التي جمعت هذه الاوصاف
العلمية فكيف يزهو من رجيعه ابد الدهر ضجيعه فهو منه واليه واخوه
ورضيعه وهو يدعوه الى الحش بحصر فيطيعه قوله تعالى وما خلق الله
من شي معطوف على ما قبله اي وفيما خلق الله من الاشياء وان عسى ان يكون
قد اقترب اجلهم اي وفي اجالهم التي عسى ان تكون قربت فهو في موضع خفض

معطوف على ما قبله وقال ابن عباس اراد باقتراب الاجل يوم بدر ويوم احد ه
فباي حديث بعده يؤمنون اي باي قران غير ما جاء به محمد يصدقون وقيل الهاء
للاجل على معنى باي حديث بعد الاجل يؤمنون حين لا ينفع الايمان لان الاخرة
ليست بدار تكليف **قوله تعالى** من يضلل الله فلا هادي له بين ان
اعراضهم لان الله اضلهم وهذا رد على القدرية ويذرهم بالرفع على الاستئناف
وقرئ بالجزم حملا على موضع الفا وما بعدها يعمهون اي يتحيرون وقيل يترددون
وقد مضى في البقرة مستوفى **قوله تعالى** يسألونك عن الساعة ايان مرساها
ايان سؤال عن الزمان مثل متى قال الراجز ايان تقضي حاجتي ايانا اما ترى لنجحها اوانا
وكانت اليهود تقول للنبي عليه السلام ان كنت نبيا فاخبرنا عن الساعة متى تقوم ه
وروي ان المشركين قالوا ذلك لفرط الانكار ومرساها في موضع رفع بالابتداء
عند سيبويه والخبر ايان وهو ظرف مبني على الفتح بني لان فيه معنى الاستفهام ومرساها
بضم الميم من ارساها الله اي اثبتها اي متى مثبتها اي متى وقوعها وبفتح الميم
من رست اي ثبتت ووقفت ومنه وقدور راسيات قال قتادة اي ثابتات
قل انما علمها عند ربي ابتدا وخبر اي لم يبينها لاحد حتى يكون العبد ابدا على حذر
لا يجليها اي لا يظهرها لوقتها الا هو والتجلية اظهار الشي يقال جلى لي فلان
الخبر اذا اظهره واوضحه ومعنى ثقلت خفي علمها على اهل السموات والارض
وكل ما خفي علمه فهو ثقيل على الفواد وقيل كبر مجيها على اهل السموات والارض
عن الحسن وغيره وقال ابن جريج والسدي عظم وصفها على اهل السموات والارض
وقال قتادة وغيره المعنى لا تطيقها السموات والارض لعظمها لان السما تنشق
والنجوم تتناثر والبحار تنضب وقيل المعنى ثقلت المسألة عنها لا تاتيكم الا
بغتة اي فجاة مصدر في موضع الحال يسألونك كانك حفي عنها اي عالم بها

ايلاف وقد مرضوا

كثر السوال عنها قال ابن فارس الحفي العالم بالشي والحفي المستقصي في السوال
قال الاعشي فان تسلي عني فيارب سايل حفي عن الاعشي به حيث اصعدا
قال الحفي في المسلة وفي الطلب فهو محف وحفي على التكثير مثل مخصب وخصيب
قال محمد بن يزيد المعنى يسلونك كانك حفي بالمسلة عنها اي ملح يذهب الى انه لبس
في الكلام تقديم وتاخير وقال ابن عباس وغيره هو على التقديم والتاخير والمعنى
يسلونك عنها كانك حفي بهم اي حفي برهم وفرح بسوالهم وذلك لانهم قالوا
بيننا وبينك قرابة فاسر الينا بوقت الساعة قل انما علمها عند الله ليس
هذا تكريرا ولكن احد العلمين لوقوعها والاخر لكنهها **قوله تعالى** قل لا
املك لنفسي نفعا ولا ضرا اي لا املك ان اجلب الى نفسي خيرا ولا ادفع عنها
شرا فكيف املك علم الساعة وقيل لا املك لنفسي الهدى والضلال الا
ما شا الله ان يملكني ويعلمني منه وانشد سيبويه مهما شا بالناس يفعل
ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير قيل المعنى لو كنت اعلم ما يريد الله جل وعز
مني من قبل ان يعرفنيه لفعلته وقيل لو كنت اعلم ما يكون لي النصر في الحرب لقاتلت
ولم اغلب وقال ابن عباس لو كنت اعلم سنة الجدب لهيات لها في زمن الخصب ما
يكفيني وقيل المعنى لو كنت اعلم التجارة التي تنفق لاشتريتها وقت كسادها
وقيل المعنى لو كنت اعلم متى اموت لاستكثرت من العمل الصالح عن الحسن وابن جريج
وقيل المعنى لو كنت اعلم الغيب لاجبت عن كل ما اسل عنه وكله مراد والله اعلم
وما مسني السو هذا استيناف كلام اي ليس بي جنون لانهم نسبوه الى
الجنون وقيل هو متصل والمعنى لو علمت الغيب لما مسني سو ولحذرت ودل
على هذا قوله ان انا الا نذير وبشير **قوله تعالى** هو الذي خلقكم من نفس واحدة
الى قوله يشكرون فيه سبع مسايل الاولى قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة قال

الجمهور

جمهور المفسرين المراد بالنفس الواحده ادم وجعل منها زوجها يعني حوا ليسكن
اليها ليانس بها ويطمين وكان هذا كله في الجنه ثم ابتدا الحاله اخرى هي في الدنيا بعد
هبوطهما فقال فلما تغشاها كنايه عن الوقاع حملت حملا خفيفا كلما كان في
بطن او على راس شجره فهو حمل بالكسر بالفتح واذا كان على ظهر او على راس فهو حمل
بالكسر وقد حكى يعقوب في حمل النخله الكسر وقال ابو سعيد السيرافي يقال في
حمل المراه حمل وحمل يشبه مره لاستبطانه بحمل المراه ومره لبروزه وظهوره
بحمل الدابه والحمل ايضا مصدر حمل عليه يحمل حملا اذا صال فمرت به يعني
المني اي استمرت بذلك الحمل الخفيف يقول تقوم وتقعد وتقلب ولا تكترث بحمله
الى ان ثقل عن الحسن ومجاهد وغيرهما وقيل المعنى فاستمر بها الحمل فهو من المقلوب
كما يقول ادخلت القلنسوه في راسي وراسي في القلنسوه وقرا عبد الله بن عمر فمارت
به بالف والتخفيف من مار يمور اذا ذهب وجا وتصرف وقرا ابن عباس ويحيى بن
يعمر فمرت به خفيفه من المريه اي شكت فيما اصابها هل هو حمل او مرض او
نحو ذلك **الثانيه** قوله تعالى فلما اثقلت صارت ذا ثقل كما يقول اصبح وامسى
دعوا الله ربهما الضمير في دعوا عائد على ادم وحوا وعلى هذا القول ما روي في
قصص هذه الايه ان حوا لما حملت اول حمل لم تدر ما هو وهذا يقوي قراه من
قرا فمرت بالتخفيف فجزعت لذلك فوجد ابليس السبيل اليها قال الكلبي ان
ابليس اتى حوا في صوره رجل لما اثقلت في اول ما حملت فقال ما هذا الذي في
بطنك فقالت ما ادري قال اني اخاف ان يكون بهيمه فقالت ذلك لادم عليه
السلام فلم يزالا في هم من ذلك ثم عاد اليها فقال هو من الله بمنزله فان دعوت الله
فولدت انسانا فتسميه بي قالت نعم قال فاني ادعو الله فاتاها وقد ولدت
فقال سميه باسمي قالت وما اسمك قال الحارث ولو سمى لها نفسه لعرفته فسمته

عبد الحارث ونحو هذا بعد هو من ضعيف الحديث في الترمذي وغيره وفي الاسرائيليات
كثير ليس لها ثبات فلا يعول عليها من له قلب فان ادم وحوا عليهما السلام وان
غرهما بالله الغرور فلا يلدغ المومن من جحر مرتين على انه قد سطر وهب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خدعهما مرتين في الجنة وخدعهما في الارض
وعضد هذا بقراءة السلمي اتشركون بالثا ومعنى صالحا ولدا سويا فلما
اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما واختلف العلما في تاويل الشرك المضاف
الى ادم وحوا وهي الثالثة فقال المفسرون كان شركا في التسمية والصفة
لا في العبادة والربوبية وقال اهل المعاني انهما لم يذهبا الى ان الحارث ربهما
بتسميتهما ولدهما عبد الحارث لكنهما قصدا الى ان الحارث كان سبب نجاة الولد فسمياه
به كما يسمي الرجل نفسه عبد ضيفه على جهة الخضوع له لا على ان الضيف ربه كما
قال حاتم وانى لعبد الضيف ما دام ثاويا وما فيّ الا تلك من شيمة العبد
وقال قوم ان هذا راجع الى جنس الادميين والتبيين عن حال المشركين من ذرية
ادم وهو الذي يعول عليه فقوله جعلا له يعني الذكر والانثى الكافرين
ويعني به الجنسان ودل على هذا فتعالى الله عما يشركون ولم يقل يشركان
وهذا قول حسن وقيل المعنى هو الذي خلقكم من نفس واحدة من هيئة واحدة
وشكل واحد وجعل منها زوجها اي من جنسها فلما تغشاها يعني الجنسين
وعلى هذا القول لا يكون لادم وحوا ذكر في الاية فان اتاهما الولد صالحا سليما
سويا كما ارادا صرفاه عن الفطرة الى الشرك فهذا فعل المشركين قال
صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا يولد على الفطرة وفي رواية على هذه الملة
ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقال عكرمة لم يخص بها ادم ولكن جعلها
عامة لجميع الخلق بعد ادم وقال الحسين بن الفضل وهذا اعجب الى اهل النظر

سبب م

لما في القول الاول من المضاف العظائم بني الله ادم وقرا اهل المدينه وعاصم
شركا على التوحيد وابو عمرو وسائر اهل الكوفه بالجمع على مثل فعلا جمع شريك
وانكر الاخفش سعيد القراه الاولى وهي صحيحه على حذف مضاف اي جعلا له ذا
شرك مثل واسئل القريه فيرجع المعنى الى انهم جعلوا له شركا **الرابعه**
ودلت الايه على ان الحمل مرض من الامراض روى ابن القاسم ويحيى عن مالك قال اول
الحمل بشر وسرور واخره مرض من الامراض وهو الذي قاله مالك وهو مرض من
الامراض بعطيه ظاهر قوله دعوا الله ربهما وهذه الحال مشاهده في الحمل واجل
عظم الامر وشده الخطب جعل موتها شهاده كما ورد في الحديث واذا ثبت هذا
من ظاهر الايه فحال الحامل حال المريض في افعاله ولا خلاف بين علما الامصار
ان فعل المريض فيما يهب ويحابي في ثلثه وقال ابو حنيفه والشافعي انما يكون ذلك
في الحامل بحال الطلق فاما قبل ذلك فلا واحتجوا بان الحمل عاده والغالب فيه
السلامه قلنا كذلك اكثر الامراض غالبه السلامه وقد يموت من لم يمرض
الخامسه قال مالك اذا مضت للحامل سته اشهر من يوم حملت لم يجز لها
قضا في مالها الا في الثلث ومن طلق زوجته وهي حامل طلاقا باينا فلما اتى عليها
سته اشهر اراد ارتجاعها لم يكن له ذلك لانها مريضه ونكاح المريضه لا يصح
السادسه قال يحيى وسمعت مالكا يقول في الرجل يحضر القتال انه اذا
زحف في الصف للقتال لم يجز له ان يقضي في ماله شيا الا في الثلث وانه بمنزله الحامل
والمريض المخوف عليه ما كان بتلك الحال ويلتحق بهذا المحبوس للقتل في قصاص
وخالف في هذا ابو حنيفه والشافعي وغيرهما قال ابن العربي واذا استوعب
النظر لم يترتب في ان المحبوس على القتل اشد حالا من المريض وانكار ذلك
غفله في النظر فان سبب الموت موجود عندهما كما ان المرض سبب الموت

وهدا مو

الطاى ٥

قال الله تعالى ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون
وقال الراشد يا ايها الراكب المزجى مطيته سائل بنى اسد ما هذه الصوت
وقل لهم بادروا بالعذر والتمسوا قولا يبرئكم انى انا الموت
ومما يدل على هذا قوله تعالى اذ جاوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت
الابصار وبلغت القلوب الحناجر فكيف يقول ابو حنيفة والشافعى ان الحال
الشديدة انما هى المبارزة وقد اخبر الله تعالى عن مقاومة العدو وتدانى الفريقين
بهذه الحالة العظمى من بلوغ القلوب الحناجر ومن سوء الظنون بالله ومن
زلزلة القلوب واضطرابها على هذه حالة يرى على المريض امر لا هذا اما لا نشك
فيه منصف وهذا لمن ثبت فى اعتقاده وجاهد فى الله حق جهاده وشاهد
الرسول واياته فكيف بنا **السابعة** وقد اختلف علماونا فى راكب البحر
وقت الهول هل حكمه حكم الصحيح او الحامل اذا بلغت ستة اشهر قال
القاضى ابو محمد وقولهما اقيس لانها حالة خوف على النفس كاثقال الحمل قال
ابن العربى وابن القاسم لم يركب البحر ولا راى دودا على عود ومن اراد ان يوقن
بالله انه الفاعل وحده لا فاعل معه وان الاسباب ضعيفة لا تعلق لموقن
بها ويتحقق التوكل والتفويض فليركب البحر **قوله تعالى** ايشركون
ما لا يخلق شيا اى يعبدون ما لا يقدر على خلق شى وهم يخلقون اى الاصنام
مخلوقة وقال يخلقون بالواو والنون لانهم اعتقدوا ان الاصنام تضر وتنفع
فاجريت مجرى الناس كقوله فى فلك يسبحون وقوله يا ايها النمل ادخلوا
مساكنكم ولا يستطيعون لهم نصرا اى ان الاصنام لا تنصر ولا تنتصر ٥
قوله تعالى وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم قال الاخفش اى
وان تدعوا الاصنام الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون

قال احمد بن يحيى لانه راس ايه يريد انه قال ام انتم صامتون ولم يقل ام صمتم
وصامتون وصمتم عند سيبويه واحد وقيل المراد من سبق في علم الله انه
لا يومن وقرى لا يتبعوكم مشددا ومخففا لغتان بمعنى وقال بعض اهل اللغه
اتبعه مخففا اذا مضى خلفه ولم يدركه واتبعه مشددا اذا مضى خلفه
وادركه **قوله تعالى** ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم حاججهم
في عباده الاصنام تدعون تعبدون وقيل تدعونها الهه من دون الله اي
من غير الله وسميت الاوثان عبادا لانها مملوكه لله مسخره وقال الحسن
المعنى انها ان الاصنام مخلوقه امثالكم ولما اعتقد المشركون ان الاصنام
تضر وتنفع اجراها مجرى الناس فقال فادعوهم ولم يقل فادعوهن
وقال عباد وقال ان الذين ولم يقل ان التي ومعنى فادعوهم فاطلبوا منهم النفع
والضر ان كنتم صادقين ان عباده الاصنام تنفع وقال ابن عباس معنى
فادعوهم فاعبدوهم ثم وبخهم تعالى وسفه عقولهم فقال الهم ارجل يمشون
بها الايه اي انتم افضل منهم فكيف تعبدونهم والغرض بيان جهلهم لان
المعبود يتصف بالجوارح وقرا سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون الله
عبادا امثالكم بتخفيف ان وكسرها لالتقا الساكنين ونصب عبادا بالتنوين
امثالكم بالنصب والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم اي
هي حجاره وخشب فانتم تعبدون ما انتم اشرف منه قال النحاس وهذه
قراه لا ينبغي ان تقرا بها من ثلاث جهات احدها انها مخالفه للسواد ه
والثانيه ان سيبويه يختار الرفع في خبر ان اذا كانت بمعنى ما فيقول ان زيد
منطلق لان عمل ما ضعيف وان بمعناها فهي اضعف منها والثالثه ان
الكسائي زعم ان ان لا تكاد تاتي في كلام العرب بمعنى ما الا ان يكون بعدها

اجاب كما قال عز وجل ان الكافرون الا في غرور ه فليستجيبوا لكم الاصل ان
تكون اللام مكسورة فحذفت الكسرة لثقلها ثم قيل في الكلام حذف والمعنى
فادعوهم ان يتبعوكم فليستجيبوا لكم انكم صادقين انهم الهة وقرا
ابو جعفر وشيبه ام لهم ايد يبطشون بها بضم الطا وهي لغة واليد
والرجل والاذن مونثات يصغرن بالها ويزاد في اليد يا في التصغير
ترد الى اصلها فيقال يديه بالتشديد لاجتماع اليايين **قوله تعالى**
قل ادعوا شركاكم اي الاصنام ثم كيدون انتم وهي ولا تنظرون اي
ولا تؤخرون والاصل كيدوني حذفت اليا لان الكسرة تدل عليها وكذا
ولا تنظرون والكيد المكر والكيد الحرب تعالى عز فلم يلق كيدا ه
ان وليي الله الذي نزل الكتاب اي الذي يتولى نصرتي وحفظي الله وولي
الشي الذي يحفظه ويمنع منه الضرر والكتاب القران وهو يتولى الصالحين
اي يحفظهم وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاصي قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم جهارا غير سر يقول الا ان ال ابي يعني فلانا ليسوا لي باوليا
انما وليي الله وصالح المومنين وقال الاخفش وقرئ ان وليي الله الذي
نزل الكتاب يعني جبريل عليه السلام قال النحاس هي قراة عاصم الجحدري
والقراة الاولى ابين لقوله وهو يتولى الصالحين **قوله تعالى** والذين
تدعون من دونه كرر ليبين ان ما يعبدونه لا ينفع ولا يضر وان تدعوهم
الى الهدى شرط والجواب لا يسمعوا وتراهم مستانف ينظرون اليك في
موضع الحال يعني الاصنام ومعنى النظر فتح العينين الى المنظور اليه
اي وتراهم كالناظر اليك وخبر عنهم بالواو وهي جماد لا تبصر لان الخبر
جرى على فعل من يعقل وقيل كانت لهم اعين من جواهر مصنوعة فلذلك

قال وتراهم ينظرون اليك وقيل ان المراد بذلك المشركون اخبر عنهم
بانهم لا يبصرون حين لم ينتفعوا بابصارهم **قوله تعالى** خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فيه ثلاث مسايل الاولى هذه الاية من
ثلاث كلمات تضمنت قواعد الشريعة في المامورات والمنهيات فقوله
خذ العفو دخل فيه صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمومنين وغير
ذلك من اخلاق المطيعين ودخل في قوله وامر بالعرف صلة الارحام وتقوى
الله في الحلال والحرام وغض الابصار والاستعداد لدار القرار وفي قوله
واعرض عن الجاهلين الحظ على التخلق بالعلم والاعراض عن اهل الظلم
والتنزه عن منازعة السفها ومساواة الجهلة الاغبيا وغير ذلك من
الاخلاق الحميدة والافعال الرشيدة قال المولف رحمه الله هذه الجملة
تحتاج الى بسط وقد جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جابر بن
سليم ركبت قعودي ثم اتيت الى مكة فطلبت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانخت قعودي بباب المسجد فدلوني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو
جالس عليه برد من صوف فيه طرايق حمر فقلت السلام عليك يا رسول الله
فقال وعليك السلام فقلت انا معشر اهل البادية قوم فينا الجفا فعلمني
كلمات ينفعني الله بها فقال ادن ثلاثا فدنوت فقال اعد علي فاعدت فقال
اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيا وان تلقى اخاك بوجه منبسط وان تفرغ
من فضل دلوك في انا المستسقي وان امرؤ سبك بما لا يعلم منك فلا تسبه
بما تعلم فيه فان الله جاعل لك اجرا وعليه وزرا ولا تسبن شيا مما خولك الله تعالى
قال فوالذي نفسي بيده ما سببت بعده لا شاة ولا بعيرا اخرجه ابو بكر البزار
في مسنده وروى ابو سعيد المقبري عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

مطلب

انه قال انكم لا تسعون الناس باموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق وقال ابن الزبير ما انزل الله هذه الآية الا في اخلاق الناس روى البخاري من حديث هشام بن عروة عن ابيه عن عبد الله بن الزبير في قوله خذ العفو وأمر بالعرف قال ما انزل الله هذه الآية الا في اخلاق الناس وروى سفيان بن عيينة عن الشعبي انه قال ان جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل فقال لا ادري حتى اسأل العالم وفي رواية لا ادري حتى اسأل ربي فذهب فمكث ساعة ثم رجع فقال ان الله تعالى يأمرك ان تعفوا عن من ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك فنظمه بعض الشعرا فقال

مكارم الاخلاق في ثلثة من كملت فيه فذاك الفتى
اعطاء من يحرمه ووصل من يقطعه والعفو عمن اعتدى

وقال جعفر الصادق امر الله نبيه بمكارم الاخلاق من هذه الآية وليس في القران آية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه الآية وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال الشاعر

كل الامور تزول عنك وتنقضي الا الثنا فانه لك باقي
ولو انني خيرت كل فضيلة ما اخترت غير مكارم الاخلاق

وقال سهل بن عبد الله كلم الله موسى بطور سينا قيل له باي شيء اوصاك قال بتسعة اشيا الخشية في السر والعلانية وكلمة الحق في الرضا والغضب

مطلب

والقصد في الفقر والغنى وامرني ان اصل من قطعني واعطي من حرمني واعفو عن من ظلمني وان يكون صمتي تفكرا وقولي ذكرا ونظري عبرة قال المولف رحمه الله وقد روي عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انه قال امرني ربي بتسع الخلاص ذكره الخطيب في المشكوة

فى السر والعلانية والعدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر
وان اعفوا عن من ظلمنى واصل من قطعنى واعطى من حرمنى وان يكون نطقى ذكرا
وصمتى فكرا ونظرى عبرة وقيل المراد بقوله خذ العفو اى الزكاة لانها يسير
من كثير وفيه بعد لانه من عفى اذا درس وقيل تعالى خذ العفو منه اى تنقص
عليه وسامحه وسبب النزول يرده والله اعلم فانه لما امره بمحاجة المشركين
دله على مكارم الاخلاق فانها سبب جر المشركين الى الايمان اى اقبل من الناس
ما عفى لك من اخلاقهم وتيسر تقول اخذت حقى عفوا صفوا اى سهلا **الثانية**
قوله تعالى وامر بالعرف اى بالمعروف وقرا عيسى بن عمر بالعرف بضمتين مثل
الحلم وهما لغتان والعرف والمعروف والعارفة كل خصلة حسنة ترتضيها
العقول وتطمئن اليها النفوس قال الشاعر
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
وقال عطا وامر بالعرف يعنى بلا اله الا الله **الثالثة** قوله تعالى واعرض
عن الجاهلين اى اذا اقمت عليهم الحجة وامرتهم بالمعروف فجهلوا عليك فاعرض
عنهم صيانة له عليهم ورفعا لقدره عن مجاوبتهم وهذا وان كان خطابا لنبيه
فهو تاديب لجميع خلقه وقال ابن زيد وعطا هى منسوخة باية السيف وقال
مجاهد وقتادة هى محكمة وهو الصحيح لما رواه البخارى عن عبد الله بن عباس
قال قدم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فنزل على ابن اخيه الحر بن قيس بن حصن
وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان القرا اصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا
كانوا او شبانا فقال عيينة لابن اخيه يا ابن اخى هل لك وجه عند هذا الامير
فتستاذن لى عليه قال سأستاذن لك عليه فاستاذن لعيينة فلما دخل
قال يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر

حتى هم بان يقع به فقال الحر يا امير المومنين ان الله قال لنبيه خذ العفو وامر
بالعرف واعرض عن الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان
وقافا عند كتاب الله عز وجل قال المولف رحمه الله فاستعمال عمر رضي الله
عنه لهذه الايه واستدلال الحر بها يدل على انها محكمه لا منسوخه وكذلك
استعملها الحسن بن علي رضي الله عنهما على ما ياتي بيانه واذا كان الجفا
على السلطان تعمدا او استخفافا بحقه فله تعزيره واذا كان غير ذلك
فالاعراض والصفح والعفو كما فعل الخليفه العدل **قوله تعالى**
واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله فيه مسلتان الاولى
لما نزل قوله خذ العفو قال عليه السلام كيف يا رب والغضب فنزلت واما
ينزغنك ونزغ الشيطان وساوسه وفيه لغتان نزغ ونغز يقال
اياك والنزاغ والنغاز وهم المورشون قال الزجاج النزغ ادنى
حركه تكون ومن الشيطان ادنى وسوسه قال سعيد بن المسيب شهدت
عثمان وعليا وكان بينهما نزغ من الشيطان فما ابقى واحد منهما لصاحبه
شيا ثم لم يبرحا حتى استغفر كل واحد منهما لصاحبه ومعنى ينزغنك يصيبنك
ويعرض لك عند الغضب وسوسه بما لا يحل فاستعذ بالله اي اطلب
النجاه من ذلك بالله فامر تعالى ان يدفع الوسوسه بالالتجا اليه والاستعاذه
به ولله المثل الاعلى فلا يستعاذ من الكلاب الا برب الكلاب وقد حكي عن
بعض السلف انه قال لتلميذه ما تصنع بالشيطان اذا سول لك
الخطايا قال اجاهده قال فان عاد قال اجاهده قال فان عاد قال اجاهده
قال هذا يطول ارايت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنعك من العبور ما تصنع
قال اكابده واردة جهدي قال هذا يطول عليك ولكن استغث بصاحب الغنم

اي

حفه عنك الثامنه النفث والنزغ والهمز والوسوسه سوا
قال الله تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وقال من شر
الوسواس الخناس واصل النزغ الفساد يقال نزغ بيننا اي افسد
ومنه قوله نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد وقيل النزغ الاغرا
والاغوا والمعنى متقارب قال المولف رحمه الله ونظير هذه الايه ما في
صحيح مسلم عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي
الشيطان احدكم فيقول له من خلق كذا وكذا حتى يقول له من خلق ربك
فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته وفيه عن عبد الله قال سيل النبي صلى الله
عليه وسلم عن الوسوسه قال تلك محض الايمان وفي حديث ابي هريره
ذلك صريح الايمان والصريح الخالص وهذا ليس على ظاهره اذ لا يصح ان
يكون الوسوسه نفسها هي الايمان لان الايمان اليقين وانما الاشاره الى ما
وجدوه من الخوف من الله تعالى ان يعاقبوا على ما وقع في انفسهم فكانه قال
جزعكم من هذا هو محض الايمان وخالصه لصحه ايمانكم وعلمكم بفسادها
فسمى الوسوسه ايمانا لما كان دفعها والاعراض عنها والرد لها وعدم
قبولها والجزع منها صادرا عن الايمان واما امره بالاستعاذه فلكون
تلك الوسواس من اثار الشيطان واما الامر بالانتها فعن الركون اليها والا
بحوها فمن كان صحيح الايمان واستعمل ما امره به ربه ونبيه نفعه واسعفه
واما من خالجته الشبهه وغلب عليه الحس ولم يقدر على الانفكاك عنها فلا
بد من مشافهته بالدليل العقلي كما قال صلى الله عليه وسلم للذي خالطته
شبهه الابل الجرب حين قال النبي صلى الله عليه وسلم لا عدوى وقال الاعرابي
فما بال الابل تكون في الرمل كانها الظبا فاذا دخل فيها البعير الاجرب اجربها

فقال صلى الله عليه وسلم فمن اعدى الاول فاستاصل الشبهة من اصلها
فلما يئس الشيطان من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بالاغواء والاضلال
اخذ يشوش عليهم اوقاتهم بتلك الالقاءات والوساوس الترهات فنفرت
عنها قلوبهم وعظم عليهم وقوعها عندهم فجاؤوا فقالوا يا رسول الله انا نجد
في انفسنا ما يتعاظم احدنا ان يتكلم به قال اوقد وجدتموه قالوا نعم قال
ذلك صريح الايمان رغما للشيطان حسب ما نطق به القران في قوله
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فالخواطر التي ليست بمستقرة ولا اجتلبتها
شبهة فهي التي تدفع بالاعراض عنها وعلى مثلها يطلق اسم الوسوسة والله اعلم
وقد مضى في اخر البقرة هذا المعنى والحمد لله **قوله تعالى** ان الذين اتقوا
اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فيه مسالتان الاولى
قوله تعالى ان الذين اتقوا يريد الشرك والمعاصي اذا مسهم طيف من الشيطان
هذه قراءة اهل البصرة واهل مكة وقرا اهل المدينة واهل الكوفة طائف
وروي عن سعيد بن جبير طيّف بتشديد الياء قال النحاس ومعنى طيف في
اللغة ما يتخيل في القلب او يرى في النوم وكذا معنى طائف وقال ابو حاتم
سالت الاصمعي عن طيف فقال ليس في المصادر فيعل قال النحاس ليس
هو بمصدر ولكن يكون بمعنى طائف والمعنى ان الذين اتقوا المعاصي اذا
لحقهم شيء تفكروا في قدرة الله جل وعز وفي انعامه عليهم فتركوا المعصية
وقيل الطيف والطائف معنيان مختلفان فالاول التخيل والثاني
الشيطان نفسه فالاول مصدر طاف الخيال يطوف طيفا ولم يقولوا من
هذا طائف في اسم الفاعل قال السهيلي لانه تخيل لا حقيقة له فاما قوله
فطاف عليها طائف من ربك فلا يقال فيه طيف لانه اسم فاعل حقيقة

ويقال انه خبل قال الزجاج طيف عليهم الطوف وطاف الخيال يطيف قال حسان

فدع هذا ولكن من لطيف يورقني اذا ذهب العشاء قال مجاهد الطيف

الغضب ويسمى الجنون والغضب والوسوسة طيفا لانه لمة من الشيطان

تشبه لمة الخيال فاذا هم مبصرون اي منتهون وقيل فاذا هم على بصيرة

وقرا سعيد بن جبير تذكروا بتشديد الذال ولا وجه له في العربية ذكر النحاس

الثانية قال عصام بن المصطلق دخلت المدينة فرايت الحسن بن علي

عليهما السلام فاعجبني سمته وحسن رواه فاثار مني الحسد ما كان يجنه صدري

لابيه من البغض فقلت انت ابن ابي طالب فقال نعم فبالغت في شتمه وشتم ابيه

فنظر الي نظرة عاطف رؤف فقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله

الرحمن الرحيم خذ العفو وامر بالعرف وقرا الى قوله مبصرون ثم قال لي

خفض عليك استغفر الله لي ولك انك لو استعنتنا اعناك ولو

استرفدتنا رفدناك ولو استرشدتنا ارشدناك فتوسم في الندم على

ما فرط مني فقال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين امن

اهل الشام انت قلت نعم فقال شنشنة اعرفها من اخزم حياك الله

وبياك وعافاك واداك انبسط الينا في حوائجك وما يعرض لك تجدنا

عند افضل ظنك ان شاء الله قال عصام فضاقت علي الارض بما رحبت

ووددت انها ساخت بي ثم تسللت منه لواذا وما على الارض احب الي منه ومن

ابيه قوله تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي قيل المعنى واخوان الشياطين

وهم الفجار من ضلال الانس يمدهم الشياطين في الغي وقيل للفجار اخوان

الشياطين لانهم يقبلون منهم وقد سبق في هذه الاية ذكر الشيطان وهذا

احسن ما قيل فيه وهو قول قتادة والحسن والضحاك ومعنى لا يقصرون اي لا يتوبون

ولا يرجعون وقال الزجاج في الكلام تقديم وتاخير والمعنى والذين تدعون
من دونه لا يستطيعون لكم نصرا ولا انفسهم ينصرون واخوانهم يمدونهم في
الغي لان الكفار اخوان الشياطين ومعنى الاية ان المومن اذا مسه طيف
من الشيطان تنبه عن قرب فاما المشركون يمدهم الشيطان ولا يقصرون
قيل يرجع الى الكفار على القولين جميعا وقيل يجوز ان يرجع الى الشيطان قاله
قتادة والمعنى ثم لا يقصرون عنهم ولا يرحمونهم والاقصار الانتهاء عن الشي
اي لا يقصر الشياطين في مدهم الكفار بالغي وقوله في الغي يجوز ان يكون
متصلا بالاخوان والغي الجهل وقرا نافع يمدونهم بضم اليا وكسر الميم
والباقون بفتح اليا وضم الميم وهما لغتان مد وامد ومد اكثر بغير
الف قاله مكي وقال النحاس وجماعة من اهل العربية ينكرون قراة اهل
المدينة منهم ابو حاتم وابو عبيد قال ابو حاتم لا اعرف له وجها الا
ان يكون المعنى يزيدونهم في الغي وحكى جماعة من اهل اللغة منهم ابو عبيد
انه يقال اذا كثر شي شيا بنفسه مده واذا امده بغيره قيل امده
نحو يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملايكة وحكى عن محمد بن يزيد انه احتج لقراة
اهل المدينة قال يقال مددت له في كذا اي زينته واستدعيته
ان يفعله وامددته في كذا اي اعنته براي او غير ذلك قال مكي والاختيار
الفتح لانه يقال مددت في الشر وامددت في الخير قال الله تعالى ويمدهم
في طغيانهم يعمهون فهذا يدل على قوة الفتح في هذا الحرف لانه في الشر
والغي هو الشر والجماعة عليه وقرا عاصم الجحدري يمادونهم في الغي
وقرا عيسى بن عمر يقصرون بفتح اليا وضم الصاد وتخفيف القاف والباقون
يقصرون بضده وهما لغتان قال امرؤ القيس

بسم الله

سما الله سور بعد ما كان اقرا **قوله تعالى** واذا لم تاتهم باية اي
تقرؤها عليهم قالوا لولا اجتبيتها لولا بمعنى هلا ولا يليها على هذا المعنى
الا الفعل ظاهرا او مضمرا وقد تقدم القول فيها في البقرة مستوفى
ومعنى اجتبيتها اختلقتها من نفسك فاعلمهم ان الايات من قبل الله عز وجل
وانه لا يقرا عليهم الا ما انزل عليه يقال اجتبيت الكلام اي ارتجلته
واختلقته واخترعته اذا جئت به من عند نفسك قل انما اتبع ما يوحى
الي من ربي اي من عند الله لا من عند نفسي هذا بصائر من ربكم يعني القران
جمع بصيرة وهي الدلالة والعبرة اي هذا الذي دللتكم به على ان الله عز وجل
واحد بصائر اي يستبصر بها وقال الزجاج بصائر اي طرق والبصائر
طرق الدم قال الجعفي راحوا بصائرهم على اكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد واي
وهدى رشد وبيان ورحمة اي ونعمة **قوله تعالى** واذا قرئ القران
فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى
واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا قيل ان هذا نزل في الصلاة روي
عن ابن مسعود وابي هريرة وجابر والزهري وعبيد الله بن عمير وعطاء بن ابي
رباح وسعيد بن المسيب قال سعيد كان المشركون ياتون رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا صلى فيقول بعضهم لبعض بمكة لا تسمعوا لهذا القران
والغوا فيه فانزل الله جل وعز جوابا لهم واذا قرئ القران فاستمعوا له
وانصتوا وقيل انها نزلت في الخطبة قاله سعيد بن جبير ومجاهد وعطا
وعمرو بن دينار وزيد بن اسلم والقاسم ومسلم بن يسار وشهر بن حوشب
وعبد الله بن المبارك وهذا ضعيف لان القران فيها قليل والانصات
يجب في جميعها قاله ابن العربي قال النقاش والاية مكية ولم يكن بمكة خطبة

ولا جمعه وذكر الطبري عن سعيد بن جبير ايضا ان هذا في الانصات يوم
عيد النحر ويوم الفطر ويوم الجمعه وفيما يجهر به الامام فهو عام وهو الصحيح
لانه يجمع جميع ما اوجبته الايه وغيرها من السنه في الانصات قال النقاش
اجمع اهل التفسير ان هذا الاستماع في الصلاه المكتوبه وغير المكتوبه
وقال النحاس وفي اللغه يجب ان يكون في كل شي الا ان يدل دليل على اختصاص
شي وقال الزجاج يجوز ان يكون فاستمعوا له وانصتوا اعملوا بما فيه ولا
تجاوزوه والانصات السكوت للاستماع والاصغا والمراعاه انصت
ينصت انصاتا ونصت ايضا وقال الشاعر

قال الامام عليكم امر سيدكم فلم نخالف وانصتنا كما قالا

وقال انصتوه وانصتوا له قال الشاعر

اذا قالت حذام فانصتوها فان القول ما قالت حذام

وقال بعضهم في قوله فاستمعوا له وانصتوا كان هذا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم خاصا ليعيه عنه اصحابه قال المولف رحمه الله هذا فيه بعد
والصحيح القول بالعموم لقوله لعلكم ترحمون والتخصيص يحتاج الى دليل
وقال عبد الجبار بن احمد في فوايد القران ان المشركين كانوا يكثرون
اللغط والشغب تعنتا وعنادا على ما حكاه الله عنهم وقال الذين كفروا
لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون فامر الله المسلمين حاله
اداء الوحي ان يكونوا على خلاف هذه الحاله وان يستمعوا ومدح الجن على
ذلك فقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران الايه وقال
محمد بن كعب القرظي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا في الصلاه
اجابه من وراه اذا قال بسم الله الرحمن الرحيم قالوا مثل قوله حتى

ينقضي

بعض الفاتحه والسوره فلبث بذلك ما شا الله ان يلبث فنزل واذا قري
القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون فانصتوا وهذا ادل على ان
المعنى بالانصات ترك الجهر على ما كانوا يفعلون من مجاوبه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال قتاده في هذه الايه كان الرجل ياتي وهم في الصلاه فيسالهم
كم صليتم كم بقي فانزل الله تعالى واذا قري القران فاستمعوا له وانصتوا وعن
مجاهد ايضا كانوا يتكلمون في الصلاه بحاجتهم فنزل قوله تعالى واذا قري القران
فاستمعوا له الايه وقد مضى في الفاتحه الاختلاف في قراه الماموم خلف الامام
وياتي في الجمعه حكم الخطبه ان شا الله **قوله تعالى واذكر ربك في**
نفسك تضرعا وخيفه نظيره ادعوا ربكم تضرعا وخفيه وقد تقدم قال
ابو جعفر النحاس ولم يختلف في معنى واذكر ربك في نفسك انه في الدعا قال
المولف رحمه الله وروي عن ابن عباس انه يعني بالذكر القراه في الصلاه وقيل
المعنى اقرا القران بتامل وتدبر تضرعا مصدر وقد يكون في موضع الحال
وخيفه معطوف عليه وجمع خيفه خوف لانه بمعنى الخوف ذكره النحاس
واصل خيفه خوفه قلبت الواو يا لانكسار ما قبلها خاف الرجل يخاف
خوفا وخيفه ومخافه فهو خايف وقوم خوف على الاصل وخيف على اللفظ
وحكى الفرا انه يقال ايضا في جمع خيفه خيف قال الجوهري والخيفه
الخوف والجمع خيف واصله الواو ودون الجهر اي دون الرفع من القول
اي اسمع نفسك كما قال وابتغ بين ذلك سبيلا اي بين الجهر والمخافه ودل
هذا على ان رفع الصوت بالذكر ممنوع على ما تقدم في غير موضع بالغدو
والاصال قال قتاده وابن زيد الاصال العشيات والغدو جمع غدوه
وقرا ابو مجلز بالغدو والايصال وهو مصدر اصلنا اي دخلنا في

العشي والاصال جمع اصل عن الزجاج وقال الاخفش الاصال جمع اصيل مثل
يمين وايمان وقال الفرا اصل جمع اصيل وقد يكون اصل واحدا كما قال الشاعر
ولا باحسن منها اذ دنا الاصل ه وقال الجوهري الاصيل الوقت بعد العصر
الى المغرب وجمعه اصل واصال واصايل كانه جمع اصيله قال الشاعر
لعمري لانت البيت اكرم اهله واقعد في افيايه بالاصايل ه ويجمع ايضا على
اصلان مثل بعير وبعران ثم صغروا الجمع فقالوا اصيلان ثم ابدلوا من
النون لاما فقالوا اصيلال ومنه قول النابغه
وقفت فيها اصيلالا اسايلها عيت جوابا وما بالربع من احد
وحكى اللحياني لقيته اصيلالا ولا تكن من الغافلين اي عن الذكر ه ن

قوله تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون
فيه ثمانه مسائل الاولى قوله ان الذين عند ربك يعني الملايكه باجماع وقال
عند ربك والله عز وجل بكل مكان لانهم قريبون من رحمته وكل قريب من رحمه
الله عز وجل فهو عنده عن الزجاج وقال غيره لانهم في موضع لا ينفذ فيه الا حكم
الله تعالى وقيل لانهم رسل الله كما يقال عند الخليفه جيش كثير وقيل هذا
على جهه التشريف لهم وانهم بالمكان المكرم فهو عباره عن قربهم في الكرامه لا
في المسافه ويسبحونه اي يعظمونه وينزهونه عن كل سو وله يسجدون قيل
يصلون وقيل يذلون خلافا لاهل المعاصي **الثانيه** والجمهور من العلما
على ان هذا موضع سجود للقاري وقد اختلفوا في عدد سجود القران فاقصى
ما قيل خمس عشره اولها خاتمه الاعراف واخرها خاتمه العلق وهو قول
ابن حبيب وابن وهب في روايه واسحق ومن العلما من راى سجده الحجر قوله تعالى
وكن من الساجدين على ما ياتي ان شا الله فعلى هذا يكون ست عشره وقيل اربع عشره

قاله

قاله ابن حبيب في الرواية الاخرى عنه واسقط ثانية الحج وهو قول اصحاب الراي
والصحيح سقوطها لان الحديث لم يصح ثبوتها رواه ابن ماجه وابو داود في
سننهما عن عبد الله بن منين من بني عبد كلال عن عمرو بن العاص ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقراه خمس عشرة سجدة في القران منها ثلاث في المفصل وفي
الحج سجدتان وعبد الله بن منين لا يحتج به قاله ابو محمد عبد الحق وذكر ابو داود ايضا
من حديث عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله افي سورة الحج سجدتان قال نعم
ومن لم يسجدهما فلا يقراهما وفي اسناده عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف جدا
واثبتها الشافعي واسقط سجدة النجم وقيل احدى عشرة سجدة واسقط اخرة
الحج وثلاث المفصل وهو مشهور مذهب مالك وروي عن ابن عمر وابن عباس
وغيرهم وفي سنن ابن ماجه عن ابي الدرداء قال سجدت مع النبي صلى الله عليه وسلم
احدى عشرة سجدة ليس فيها من المفصل شي الاعراف والرعد والنحل وبني اسرائيل
ومريم والحج سجدة والفرقان وسليمان في سورة النمل والسجدة وص وسجدة
الحواميم وقيل عشرة واسقط اخرة الحج وص وثلاث المفصل ذكر عن ابن عباس
وقيل اربع سجدة الم تنزيل وحم تنزيل والنجم والعلق وسبب الاختلاف اختلاف
النقل في الاحاديث والعمل واختلافهم في الامر المجرد بالسجود في القران هل
المراد به سجود التلاوة او سجود الفرض في الصلاة **المسالة الثالثة** واختلفوا
في وجوب سجود التلاوة فقال مالك والشافعي ليس بواجب وقال ابو حنيفة هو
واجب وتعلقوا بان مطلق الامر بالسجود على الوجوب وبقوله عليه السلام امر
ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وقال ابليس امرت بالسجود فابيت فلي النار اخرجه
مسلم ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحافظ عليه وعول علماؤنا على حديث
عمر الثابت خرجه البخاري انه قرا سجدة على المنبر فسجد وسجد الناس معه ثم قراها

في الجمعة الاخرى فتهيا الناس للسجود فقال ايها الناس على رسلكم ان الله لم
يكتبها علينا الا ان نشا وذلك بمحضر من الصحابة اجمعين من الانصار والمهاجرين
ولم ينكر عليه احد فثبت الاجماع به في ذلك واما قوله امر ابن ادم بالسجود فاخبار
عن السجود الواجب ومواظبة النبي عليه السلام يدل على الاستحباب والله اعلم
الرابعة ولا خلاف في ان سجود القران يحتاج الى ما تحتاج اليه الصلاة
من طهارة من حدث ونجس ونية واستقبال قبلة ووقت الا ما ذكر البخاري
عن ابن عمر انه كان يسجد على غير طهارة وذكره ابن المنذر عن الشعبي وعلى قول
الجمهور هل يحتاج الى تحريم ورفع يدين عنده وتكبير وتسليم اختلفوا في ذلك
فذهب الشافعي واحمد واسحق الى انه يكبر ويرفع للتكبير لها وقد روي في الاثر
عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سجد كبر واذا رفع كبر ومشهور
مذهب مالك انه يكبر لها في الخفض والرفع في الصلاة واختلف عنه في التكبير
لها في غير الصلاة واما التكبير لذلك فعامة الفقهاء ولا سلام لها عند الجمهور
وذهب جماعة من السلف واسحق الى انه يسلم منها وعلى هذا المذهب يتحقق
ان التكبير في اولها للاحرام وعلى قول من لا يسلم يكون للسجود فحسب والاول
اولى لقوله عليه السلام مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها
التسليم وهذه عبادة لها تكبير فكان لها تحليل كصلاة الجنازة بل اولى
لانها فعل وصلاة الجنازة قول وهذا اختيار ابن العربي **الخامسة**
واما وقته فقيل يسجد في سائر الاوقات مطلقا لانها صلاة لسبب وهو
قول الشافعي وجماعة وقيل ما لم يسفر الصبح او ما لم تصفر الشمس بعد العصر بعد الصبح
وقيل لا يسجد بعد العصر ولا بعد الصبح وقيل يسجد بعد الصبح ولا يسجد بعد
العصر وهذه الثلثة اقوال في مذهبنا وسبب الخلاف معارضة ما يقتضيه

يبيد

سبب قراءة السجدة من السجود المرتب عليها العموم النهي عن الصلاة بعد العصر
وبعد الصبح واختلافهم في المعنى الذي لاجله نهى عن الصلاة في هذين
الوقتين والله اعلم **السادسة** اذا سجد يقول في سجوده اللهم احطط
عني بها وزرا واكتب لي بها اجرا واجعلها لي عندك ذخرا رواه ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم **السابعة** فان قراها في صلاة فان كان في نافلة
سجد ان كان منفردا وفي جماعة يامن التخليط فيها فان كان في جماعة لا يامن ذلك
فيها فالمنصوص جوازه وقيل لا يسجد فيها واما في الفريضة فالمشهور عن مالك
النهي عنه فيها سواء كانت صلاة سر او جهر جماعة او فرادى وهو معلل
بكونها زيادة في اعداد سجود الفريضة وقيل هو معلل بخوف التخليط على الجماعة
وهذا اشبه وهذا لا يمنع منه الفرادى ولا الجماعة التي يامن فيها التخليط ٥
الثامنة روى البخاري عن ابي رافع قال صليت مع ابي هريرة العتمة فقرا
اذا السماء انشقت فسجد فقلت ما هذه فقال سجدت بها خلف ابي القاسم
صلى الله عليه وسلم ولا ازال اسجد فيها حتى القاه انفرد باخراجه وفيه وقيل
لعمران بن الحصين الرجل يسمع السجدة ولم يجلس لها قال ارايت لو قعد لها كانه
لا يوجبه عليه وقال سلمان ما لهذا غدونا وقال عثمان انما السجدة على من استمعها
وقال الزهري لا يسجد الا ان يكون طاهرا فاذا سجدت وانت في حضر فاستقبل
القبلة وان كنت راكبا فلا عليك حيث كان وجهك وكان السائب لا يسجد
لسجود القاص ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانفال مدنية بدرية

في قول عكرمة وجابر وعطا وابن عباس هي مدنية الا سبع ايات من قوله تعالى واذ
يمكر بك الذين كفروا الى اخر السبع الايات **قوله تعالى** يسئلونك عن الانفال

قال

قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فيه سبع مسايل
الاولى روى عبادة بن الصامت قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى بدر فلقوا العدو فلما هزمهم الله اتبعتهم طايفة من المسلمين يقتلونهم
واحدقت طايفة برسول الله صلى الله عليه وسلم واستولت طايفة على العسكر
والنهب فلما نفى الله العدو ورجع الذين طلبوهم قالوا لنا النفل نحن طلبنا
العدو وبنا نفاهم الله وهزمهم وقال الذين احدقوا برسول الله صلى الله عليه
وسلم ما انتم احق به منا بل هو لنا نحن احدقنا برسول الله لئلا ينال العدو
منه غرة وقال الذين استولوا على العسكر والنهب ما انتم احق به منا هو لنا
نحن حويناه واستولينا عليه فانزل الله عز وجل يسئلونك عن الانفال الى اخر
فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فواق بينهم قال ابو عمر وقال اهل
العلم بلسان العرب استلوا اطافوا واحاطوا يقال الموت مستلو
على العباد وقوله فقسمه عن فواق يعني عن سرعة قالوا والفواق ما بين حلبتي
الناقة يقال انتظره فواق ناقة اي هذا المقدار ويقولونها بالضم والفتح
فُواق وفَواق وكان هذا قبل ان ينزل واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه
الاية وكان المعنى عند العلما اي الى الله والى الرسول الحكم فيها والعمل بها
بما يقرب الى الله وذكر محمد بن اسحق قال حدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره من
اصحابنا عن سليمان بن موسى الاشدق عن مكحول عن ابي امامة الباهلي
قال سالت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا معشر اصحاب بدر
نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا وجعله
الى الرسول فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بواء يقول على السوا
فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وصلاح ذات البين وروى في الصحيح

عن

من م

عن سعد بن ابي وقاص قال اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة
فاذا فيها سيف فاخذته فاتيت به الرسول صلى الله عليه وسلم فقلت نفلني
هذا السيف فانا من قد علمت حاله قال رده من حيث اخذته فانطلقت
حتى اردت ان القيه في القبض لامتني نفسي فرجعت اليه فقلت اعطنيه
قال فشد لي صوته رده من حيث اخذته فانزل الله يسئلونك عن الانفال
لفظ مسلم والروايات كثيرة وفيما ذكرناه هاهنا كفاية والله الموفق للهداية ٥

الثانية الانفال واحدها نفل بتحريك الفا قال
ان تقوى ربنا خير نفل وباذن الله ريثي وعجل ه اي خير غنيمة والنفل
اليمين ومنه الحديث فتبريكم يهود بنفل خمسين منهم والنفل الانتفا ومنه
الحديث فانتفل من ولدها والنفل نبت معروف والنفل الزيادة على
الواجب وهو التطوع وولد الولد نافلة لانه زيادة على الولد والغنيمة نافلة
لانها زيادة فيما احل الله لهذه الامة مما كان محرما على غيرها قال صلى الله عليه
وسلم فضلت على الانبياء بست وفيها واحلت لي الغنائم والانفال الغنائم
انفسها قال عنترة انا اذا احمر الوغى نروي القنا ونعف عند مقاسم الانفال
اي الغنايم **الثالثة** اختلف العلماء في محل الانفال على اربعة اقوال
الاول محلها فيما شذ عن الكافرين الى المسلمين او اخذ بغير حرب الثاني محلها
الخمس الثالث خمس الخمس الرابع راس الغنيمة حسب ما يراه الامام ومذهب
مالك رحمه الله ان الانفال مواهب الامام من الخمس على ما يرى من الاجتهاد
وليس في الاربعة الاخماس نفل وانما لم ير النفل من راس الغنيمة لان اهلها
معينون وهم الموجفون والخمس مردود قسمه الى اجتهاد الامام واهله
غير معينين قال صلى الله عليه وسلم ما لي مما افاء الله عليكم الا الخمس

والخمس مردود عليهم فلم يكن بعد هذا ان يكون النفل من خواحد وانما يكون
من خمس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الخمس هذا هو المعروف من مذهبه
وقد روي عنه ان ذلك من خمس الخمس وهو قول ابن المسيب والشافعي وابي
حنيفة وسبب الخلاف حديث ابن عمر رواه مالك قال بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم سرية قبل نجد فغنموا ابلا كثيرة وكانت سهمانهم اثني عشر بعيرا
او احد عشر بعيرا ونفلوا بعيرا بعيرا هكذا رواه مالك على الشك في رواية
يحيى عنه وتابعه على ذلك جماعة رواة الموطا الا الوليد بن مسلم فانه رواه
عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في
جيش قبل نجد في رواية الوليد اربعة الاف وانبعثت سرية من الجيش في رواية
الوليد فكنت فيمن خرج فيها وكان سهمان الجيش اثني عشر بعيرا اثني عشر بعيرا
ونفل اهل السرية بعيرا بعيرا فكان سهمانهم ثلثة عشر بعيرا ذكره ابو داود
واحتج بهذا من يقول ان النفل انما يكون من جملة الخمس وبيانه ان هذه السرية
لو نزلت على ان اهلها كانوا عشرة مثلا اصابوا في غنيمتهم مائة وخمسين
اخرج منها خمسها ثلثين وصار لهم مائة وعشرون قسمت على عشرة وجب
لكل واحد اثنا عشر بعيرا ثم اعطي القوم من الخمس بعيرا بعيرا لان خمس ثلثين
لا يكون فيه عشرة ابعرة واذا عرفت ما للعشرة عرفت ما للمائة والالف
وازيد واحتج من قال ان ذلك كان من خمس الخمس بان قال جائز ان يكون
هنالك ثياب تباع ومتاع غير الابل فاعطي من لم يبلغه البعير قيمة البعير
من تلك العروض ومما يعضد هذا ما روى مسلم في بعض طرق هذا الحديث
ان الامير نفلهم قبل القسم وهذا يوجب ان يكون النفل من راس الغنيمة وهو خلاف
قول مالك وقول من روى خلافه اولى لانهم حفاظ قاله ابو عمر رحمه الله

وفيه ... من ... اللازم على ... الخمس في ...

دماك

وقال مكحول والاوزاعي لا ينفل باكثر من الثلث وهو قول الجمهور من العلماء قال
الاوزاعي فان زادهم فليف لهم ويجعل ذلك من الخمس وقال الشافعي ليس في
النفل حد لا يتجاوزه الامام **الرابعة** وفي حديث ابن عمر على ما ذكره
الوليد والحكم عن شعيب عن نافع ان السرية اذا خرجت من العسكر فغنمت
ان العسكر شركاؤهم فيها وهذه مسئلة وحكم لم يذكره في الحديث غير
شعيب عن نافع ولم يختلف العلماء فيه والحمد لله **الخامسة** واختلف العلماء
في الامام يقول قبل القتال من هدم كذا فله كذا ومن جاء براس فله كذا ومن
جاء باسير فله كذا يضريهم فروي عن مالك انه كرهه وقال هو قتال على الدنيا وكان
لا يجيزه وقال الثوري ذلك جائز ولا باس به قال المؤلف رحمه الله قد جاء هذا
المعنى مرفوعا من حديث ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال النبي صلى الله عليه وسلم
من قتل قتيلا فله كذا ومن اسر اسيرا فله كذا الحديث بطوله وفي رواية عكرمة
عنه عن النبي عليه السلام من فعل كذا وكذا فله كذا واتى مكان كذا وكذا فله كذا
فتسارع الشبان وثبت الشيوخ مع الرايات فلما فتح لهم جاء الشبان
يطلبون ما جعل لهم فقال لهم الاشياخ لا تذهبون به دوننا فقد كنا ردءا لكم
فانزل الله تعالى فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم ذكره اسمعيل بن اسحق ايضا
وروي عن عمر بن الخطاب انه قال لجرير بن عبد الله البجلي لما قدم عليه في قومه
وهو يريد الشام هل لك ان تاتي الكوفة ولك الثلث بعد الخمس من كل ارض وسبي
وقال بهذا جماعة فقهاء الشام الاوزاعي ومكحول وابن حيوة وغيرهم ورأوا
الخمس من جملة الغنيمة والنفل بعد الخمس ثم الغنيمة بين اهل العسكر وبه قال
احمد واسحق وابو عبيد قال ابو عبيد والناس اليوم على ان لا نفل من جملة الغنيمة
حتى تخمس وقال مالك لا يجوز ان يقول الامام لسرية ما اصبتم فلكم ثلثه

قال سحنون يبدا بالابتدا فان نزل مضى ولهم انصباوهم في الباقي وقال سحنون
اذا قال الامام لسريه ما اخذتم فلا خمس عليكم فيه فهذا لا يجوز فان نزل
رددته لان هذا حكم شاذ لا يجوز ولا يمضى **السادسه** واستحب مالك
ان لا ينفل الامام الا ما يظهر كالعمامه والفرس والسيف ومنع بعض
العلما ان ينفل الامام ذهبا او فضه او لولوا ونحوه وقال بعضهم النفل
جايز من كل شى وهو الصحيح لقول عمر ومقتضى الايه **السابعه**
قوله تعالى فاتقوا الله امر بالتقوى والاصلاح اى كونوا مجتمعين على امر الله
وفي الدعا اللهم اصلح ذات البين اى الحال التى يقع بها الاجتماع فدل هذا
على التصريح بانه شجر بينهم اختلاف او مالت النفوس الى التشاح كما هو
منصوص في الحديث وتقدم معنى التقوى اى اتقوا الله في اقوالكم وافعالكم
واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله اى في الغنايم وغيرها ان كنتم
مومنين اى ان سبيل المومن ان يمتثل ما ذكرنا وقيل ان بمعنى اذ ○
قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فيه ثلاث
مسايل الاولى قال العلما هذه الايه تحريض على الزام طاعه الرسول صلى الله
عليه وسلم فيما امر به من قسمه تلك الغنيمه والوجل الخوف وفي مستقبله
اربع لغات وجل يوجل وياجل وييجل وبيجل حكاها سيبويه والمصدر
وجل وجلا وموجلا بالفتح وهذا موجله بالكسر للموضع والاسم فمن قال
ياجل في المستقبل جعل الواو الفا لفتحه ما قبلها ولغه القران الواو
قال لا توجل ومن قال ييجل كسر اليا وهي على لغه بني اسد فانهم يقولون انا
ايجل ونحن نيجل وانت تيجل كلها بالكسر ومن قال بيجل بناه على هذه اللغه
ولكنه فتح اليا كما فتحوها في يعلم ولم يكسر اليا في يعلم لاستثقالهم الكسر

على

على اليا وكسرت في ييجل لتقوى احدى اليائين بالاخرى والامر منه ايجل
صارت الواو يا للكسرة ما قبلها وتقول اني منه لاوجل ولا يقال في المونث
وجلا وللذكر وجله وروى سفيان عن الثوري في قوله جل وعز الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم قال اذا اراد ان يظلم مظلمة قيل له اتق الله فوجل
قلبه **الثانية** وصف الله تعالى المومنين في هذه الاية بالخوف والوجل
عند ذكره وذلك لقوة ايمانهم ومراعاتهم لربهم وكانهم بين يديه ونظير هذه الاية
وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال وتطمئن قلوبهم بذكر الله
فهذا يرجع الى كمال المعرفة وثقة القلب والوجل الفزع من عذاب الله فلا تناقض
وقد جمع الله بين المعنيين في قوله الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي
تسكن نفوسهم من حيث اليقين الى الله وان كانوا يخافون الله فهذه حالة العارفين
بالله الخائفين من سطوته وعقوبته لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة
الطغام من الزعيق والزئير ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير فيقال لمن
تعاطى ذلك وزعم ان ذلك وجد وخشوع لم تبلغ ان تساوي حال الرسول
ولا حال اصحابه في المعرفة بالله والخوف منه والتعظيم لجلاله ومع ذلك فكانت
حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكا والخوف خوفا من الله ولذلك وصف الله
احوال اهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه فقال واذا سمعوا ما انزل الى
الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع
الشاهدين فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم
ولا على طريقتهم فمن كان مستنا فليستن ومن تعاطى احوال المجانين والجنون
فهو من اخسهم حالا والجنون فنون روى مسلم عن انس بن مالك ان الناس

سالوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى احفوه في المسئلة فخرج ذات يوم فصعد
المنبر فقال سلوني لا تسئلوني عن شي الا بينته لكم ما دمت في مقامي هذا
فلما سمع ذلك القوم ازموا ورهبوا ان يكون بين امر قد حضر قال انس فجعلت
التفت يمينا وشمالا فاذا كل انسان لاف ثوبه على راسه يبكي وذكر الحديث
وروى الترمذي وصححه عن العرباض بن سارية قال وعظنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب
الحديث ولم يقل زعقنا ولا رقصنا ولا زفنا ولا قمنا الثالثة قوله تعالى
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا اي تصديقا فان ايمان هذه الساعة
زيادة على ايمان امس فمن صدق ثانيا وثالثا فهو زيادة تصديق بالنسبة
الى ما تقدم وقيل هو زيادة انشراح الصدر بكثرة الايات والادلة وقد
مضى هذا المعنى في ال عمران وعلى ربهم يتوكلون تقدم معنى التوكل في ال عمران
ايضا الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون تقدم في اول سورة البقرة
اولئك هم المؤمنون حقا اي الذي استوى في الايمان ظاهرهم وباطنهم
ودل هذا على ان لكل حق حقيقة وقال عليه السلام لحارثة ان لكل حق حقيقة
فما حقيقة ايمانك الحديث وسال رجل الحسن فقال يا ابا سعيد امؤمن
انت فقال الايمان ايمانان فان كنت تسئلني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه
ورسله والجنة والنار والبعث والحساب فانا به مؤمن وان كنت
تسئلني عن قول الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله
اولئك هم المؤمنون حقا فوالله لا ادري انا منهم ام لا وقال ابو بكر الواسطي
من قال انا مؤمن بالله حقا قيل له الحقيقة تشير الى اشراف واطلاع واحاطة
فمن فقده بطل دعواه فيها يريد بذلك ما قاله اهل السنة ان المؤمن الحقيقي

راسه في ثوبه

من

من كان محكوما له بالجنة فمن لم يعلم ذلك من سر حكمته تعالى فدعواه بانه مومن
حقا غير صحيح **قوله تعالى** كما اخرجك ربك من بيتك بالحق قال الزجاج
الكاف في موضع نصب اى الانفال ثابته لك كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
اي مثل اخراجك ربك من بيتك بالحق والمعنى امض لامرك في الغنايم ونفل
من شئت وان كرهوا لان بعض الصحابه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حين جعل لكل من اتى باسير شيئا قال بقي اكثر الناس بغير شي موضع الكاف في كما
نصب كما ذكرنا وقاله الفرا ايضا وقال ابو عبيده هو قسم اى والذى اخرجك
فالكاف بمعنى الواو وما بمعنى الذى وقال سعيد بن مسعده المعنى اولئك هم
المومنون حقا كما اخرجك ربك من بيتك بالحق قال وقال بعض العلما كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وقال عكرمه المعنى اطيعوا
الله ورسوله كما اخرجك وقيل كما اخرجك متعلق بقوله لهم درجات المعنى
لهم درجات عند ربهم ومغفره ورزق كريم اى هذا الوعد حق للمومنين في الاخره
كما اخرجك ربك من بيتك بالحق الواجب له فانجزك وعدك واظفرك بعدوك
واوفى لك لانه قال عز وجل واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم فكما انجز
هذا الوعد في الدنيا كذا ينجز ما وعدكم به في الاخره وهذا قول حسن ذكره
النحاس واختاره وقيل الكاف في كما كاف التشبيه ومخرجه على سبيل المجازاه
كقول القايل لعبده كما وجهتك الى اعداي فاستضعفوك وسالت مددا
فامددتك وقويتك وازحت علتك فخذهم الان فعاقبهم بكذا وكما كسوتك
واجريت عليك الرزق فاعمل كذا وكذا وكما احسنت اليك فاشكرني
عليه فقال كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وغشاكم النعاس امنة منه
يعني به اياه ومن معه وانزل من السما ما ليطهركم به وانزل عليكم من السما

ملايكة مردفين فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان كانه يقول قد
ارحت عللكم وامددتكم بالملايكة فاضربوا منهم هذه المواضع وهو المقتل
لتبلغوا مراد الله في احقاق الحق وابطال الباطل والله اعلم وان فريقا من
المومنين لكارهون اي لكارهون ترك مكة وترك اموالهم وديارهم ٥
قوله تعالى يجادلونك في الحق بعدما تبين مجادلتهم قولهم لما ندبهم الى
العير وفاتهم العير وامرهم بالقتال ولم يكن معهم كبير اهبة شق ذلك عليهم
وقالوا لو اخبرتنا بالقتال لاخذنا العدة ومعنى في الحق اي في القتال
بعدما تبين لهم ان الله وعدهم اما الظفر بالعير او باهل مكة واذ فات
العير فلا بد من اهل مكة والظفر بهم فمعنى الكلام الانكار لمجادلتهم كانما
يساقون الى الموت كراهة للقاء الموت وهم ينظرون اي يعلمون ان ذلك
واقع بهم قال الله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه اي يعلم ٥ **قوله تعالى**
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم احدى في موضع نصب مفعول
ثان انها لكم في موضع نصب ايضا بدل من احدى وتودون اي تحبون ان
غير ذات الشوكة تكون لكم قال ابو عبيدة اي غير ذات الحد والشوكة السلاح
والشوك النبت الذي له حد ومنه رجل شايك السلاح اي حديد السلاح
ثم يقلب فيقال شاكي السلاح اي تودون ان تظفروا بالطائفة التي
ليست معها سلاح ولا فيها حرب عن الزجاج ويريد الله ان يحق الحق بكلماته
اي ان يظهر الاسلام والحق حق ابدا ولكن اظهار تحقيقه من حيث انه اذا
لم يظهر اشبه الباطل بكلماته اي بوعده فانه وعد بنبيه ذلك في سورة
الدخان فقال يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون اي من ابي جهل
واصحابه وقال ليظهره على الدين كله وقيل بكلماته اي باوامره اياكم ان تجاهدوهم

ويقطع

ويقطع دابر الكافرين اي يستاصلهم بالهلاك ليحق الحق اي يظهر دين الاسلام
ويعزه ويبطل الباطل اي الكفر وابطاله اعدامه كما ان احقاق الحق
اظهاره بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ٥
قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم الاستغاثة طلب
الغوث والنصر غوث الرجل قال واغوثاه والاسم الغوث والغواث
واستغاثني فلان فاغثته والاسم الغياث عن الجوهري روى مسلم عن عمر
ابن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
المشركين وهم الف واصحابه ثلثمائة وتسعة عشر رجلا فاستقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه اللهم انجز لي
ما وعدتني اللهم اتني ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل
الاسلام لا تعبد في الارض فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة
حتى سقط رداؤه عن منكبيه فاتاه ابو بكر فاخذ رداءه فالقاه على منكبيه
ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك
ما وعدك فانزل الله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف
من الملئكة مردفين فامده الله بالملئكة وذكر الحديث مردفين بفتح الدال
قراءة نافع والباقون بالكسر اسم فاعل اي متتابعين تاتي فرقة بعد فرقة وذلك
اهيب في العيون وهو مردفين بفتح الدال على ما لم يسم فاعله لان الناس الذين
قاتلوا يوم بدر اردفوا بالف من الملئكة اي انزلوا اليهم لمعونتهم على الكفار
فمردفين بفتح الدال نعت لالف وقيل هو حال من المضمر المنصوب في ممدكم
اي ممدكم في حال اردافكم بالف من الملائكة وهذا مذهب مجاهد وحكى
ابو عبيدة ان ردفني واردفني واحد وانكر ابو عبيدة ان يكون اردف بمعنى ردف

قال القول الله عز وجل يتبعها الرادفة ولم يقل المردفة قال النحاس ومكي
وغيرهما وقراءة كسر الدال اولى لان اهل التاويل على هذه القراءة يفسرون
اي اردف بعضهم بعضا ولان فيها معنى الفتح على ما حكى ابو عبيدة ولان عليه
اكثر القرا قال سيبويه وقرا بعضهم مرِدّفين بفتح الرا وشد الدال وبعضهم
مردفين بكسر الرا وبعضهم مردفين بضم الرا والدال مكسورة مشددة
في القرات الثلاث والقراءة الاولى تقديرها عند سيبويه مرتدفين ثم
ادغم التاء في الدال والقى حركتها على الرا لئلا يلتقي ساكنان والثاني
كسرت فيها الرا لالتقاء الساكنين وضمت الرا في الثالثة اتباعا لضمة
الميم كما تقول ردنا هذا وقرا جعفر بن محمد وعاصم الجحدري بثلثة الف
جمع الف مثل فلس وافلس وعنهما ايضا بالف وقد مضى في ال عمران
ذكر نزول الملائكة وسيماهم وقتالهم وتقدم فيها القول في معنى قوله
وما جعله الله الا بشرى والمراد الامداد ويجوز ان يكون الارداف
وما النصر الا من عند الله نبه على ان النصر من عنده جل وعز لا من الملائكة
اي لولا نصره لما انتفع بكثرة العدد بالملائكة والنصر من عند الله يكون
بالسيف ويكون بالحجة **قوله تعالى** اذ يغشيكم النعاس مفعولان
وهي قراءة اهل المدينة وهي حسنة لاضافة الفعل الى الله عز وجل لتقدم
ذكره في قوله وما النصر الا من عند الله ولان بعده وينزل عليكم فاضاف
الفعل الى الله عز وجل فكذلك الاغشا يضاف الى الله عز وجل ليتشاكل
الكلام وقرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس باضافة الفعل الى
النعاس دليله امنة نعاسا يغشى في قراءة من قرا بالياء او التاء فاضاف
الفعل الى النعاس او الى الامنة والامنة هي النعاس فاخبر ان النعاس

هو

هو الذي يغشي القوم وقرا الباقون يغشيكم بفتح الغين وشد الشين النعاسَ
بالنصب على معنى قراءة نافع لغتان بمعنى غشي واغشى قال الله تعالى فاغشيناهم
وقال فغشاها ما غشى وقال كانما اغشيت وجوههم قال مكي والاختيار
ضم اليا والتشديد ونصب النعاس لان بعده امنة منه والهاء في منه لله
فهو الذي يغشيهم النعاس ولان الاكثر عليه وقيل امنة من العدو وامنة
مفعول من اجله او مصدر يقال امن امنة وامنا واماناً كلها سواء والنعا[س] س
حالة الآمن الذي لا يخاف وكان هذا النوم في الليلة التي كان القتال من غدها
فكان النوم عجيبا مع ما كان بين ايديهم من الامر المهم ولكن الله ربط جاشهم
وعن علي رضي الله عنه قال ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد على فرس ابلق
ولقد رايتنا وما فينا الا نائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة
يصلي ويبكي حتى اصبح ذكره البيهقي الماوردي وفي امتنان الله عليهم بالنوم
في هذه الليلة وجهان احدهما ان قواهم على الاستراحة على القتال من الغد
الثاني ان امنهم بزوال الرعب من قلوبهم كما يقال الامن منيم والخوف مسهر
وقيل غشاهم في حال التقاء الصفين وقد مضى مثل هذا في يوم احد في ال عمران
قوله تعالى وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ز
وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام ظاهر القران يدل على ان النعاس كان
قبل المطر وقال ابن ابي نجيح كان المطر قبل النعاس وحكى الزجاج ان الكفار
يوم بدر سبقوا المؤمنين الى ما بدر فنزلوا عليه وبقي المومنون لا ماء لهم
فوجست نفوسهم وعطشوا واجنبوا وصلوا كذلك فقال بعضهم في نفوسهم
بالقاء الشيطان اليهم نزعم انا اولياء الله وفينا رسوله وحالنا هذه
والمشركون على الماء فانزل الله المطر ليلة بدر السابعة عشر من رمضان

حتى سالت الاودية فشربوا وتطهروا وسقوا الظهر وتلبدت السبخة
التي كانت بينهم وبين المشركين حتى ثبتت فيها اقدام المسلمين وفي العبارة
وقد قيل ان هذه الاحوال كانت قبل وصولهم الى بدر وهو الاصح وهو الذي
ذكره ابن اسحق في سيرته وغيره وهذا اختصاره قال ابن عباس لما اخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي سفيان انه مقبل من الشام ندب
المسلمين اليهم وقال هذه عير قريش فيها الاموال فاخرجوا اليهم لعل الله
ان ينفلكموها قال فانبعث معه من خف وثقل قوم وكرهوا الخروج
واسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلوي على من تعذر ولا ينتظر من
غاب ظهره فسار في ثلثمائة وثلثة عشر من اصحابه من مهاجري وانصاري
في البخاري عن البراء بن عازب قال كان المهاجرون يوم بدر ستا وثمانين
وكانت الانصار نيفا واربعين ومائتين وخرج ايضا عنه قال كنا
نتحدث ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر على
عدة اصحاب طالوت الذي جاوزوا معه النهر وما جاز معه الا مومن
وذكر البيهقي عن ابي ايوب الانصاري قال خرجنا يعني الى بدر فلما سرنا
يوما او يومين امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتعاد ففعلنا
فاذا نحن ثلثمائة وثلثة عشر رجلا فاخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بعدتنا
فسر بذلك وحمد الله وقال عدة اصحاب طالوت قال ابن اسحق وقد ظن
الناس باجمعهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلقى حربا فلم يكثر
استعدادهم وكان ابو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الاخبار ويسال
من لقي من الركبان تخوفا على اموال الناس حتى اصاب خبرا من بعض الركبان
ان محمدا قد استنفر الناس لكم فحذر عند ذلك واستاجر ضمضم بن عمرو

العفاري

الغفاري وبعثه الى مكه وامره ان ياتي قريشا يستنفرهم الى اموالهم
ويخبرهم ان محمدا قد عرض لها في اصحابه ففعل ضمضم فخرج اهل مكه في الف
رجل او نحو ذلك وخرج النبي صلى الله عليه وسلم في اصحابه واتاه الخبر
عن قريش بخروجهم ليمنعوا عيرهم فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم
الناس فقام ابو بكر فقال واحسن وقام عمر فقال واحسن ثم قام المقداد
ابن عمرو فقال يا رسول الله امض لما امرك الله فنحن معك والله لا نقول كما
قالت بنوا اسرايل اذهب انت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون والذي
بعثك بالحق لو سرت الى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه
فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير ثم قال اشيروا علي
ايها الناس يريد الانصار وذلك انهم عدد الناس وكانوا حين بايعوه بالعقبة
قالوا يا رسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا
فانت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه انفسنا وابناءنا ونساءنا فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى ان عليها نصرته الا بالمدينة
وانه ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو بغير بلادهم فلما قال ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلمه سعد بن معاذ وقيل سعد بن عبادة ويمكن انهما تكلما
جميعا في ذلك اليوم فقال يا رسول الله كانك تريدنا معشر الانصار فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل فقال انا قد امنا بك واتبعناك فامض
لما امرك الله فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه
معك فقال عليه السلام امضوا على بركة الله فكاني انظر الى مصارع القوم
فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبق قريشا الى ماء بدر ومنع قريشا من
السبق اليه مطر عظيم انزله الله عليهم ولم يصب منه المسلمين الا ما شد لهم من

دهش الوادي واعانهم على المسير والدهش الرمل اللين الذي تسوخ فيه
الارجل فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ادنا ما من مياه بدر الى
المدينه فاشار عليه الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح بغير ذلك وقال
له يا رسول الله ارايت هذا المنزل امنزل انزلكه الله فليس لنا ان نتقدمه
او نتاخر عنه ام هو الراي والحرب والمكيده فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم   فقال يا رسول الله ان هذا ليس لك بمنزل فانهض بنا الى
ادنا ما من القوم فننزله ونغور ما وراه من القلب ثم نبني عليه حوضا فنملوه
فنشرب ولا يشربون فاستحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك من
رايه وفعله ثم التقوا فنصر الله نبيه والمسلمين فقتل من المشركين سبعين
واسر منهم سبعين وانتقم منهم للمومنين وشفا الله صدر رسوله وصدور
اصحابه من غيظهم وفي ذلك يقول حسان

عرفت ديار زينب بالكثيب   كخط الوحي في الورق القشيب
تداولها الرياح وكل جون   من الوسمي منهمر سكوب
فامسى ربعها خلقا وامست   يبابا بعد ساكنها الحبيب
فدع عنك التذكر كل يوم   ورد حراره الصدر الكئيب
وخبر بالذي لا عيب فيه   بصدق غير اخبار الكذوب
بما صنع الاله غداه بدر   لنا في المشركين من النصيب
غداه كان جمعهم حراء   بدت اركانه جنح الغروب
فلاقيناهم منا بجمع   كاسد الغاب مردان وشيب
امام محمد قد وازروه   على الاعداء في لفح الحروب
بايديهم صوارم مرهفات   وكل مجرب خاطي الكعوب

بنوا الاوس الغطارف وازرتها بنوا النجار في الدين الصليب
فغادرنا ابا جهل صريعا وعتبة قد تركنا بالجبوب
وشيبة قد تركنا في رجال ذوي نسب اذا نسبوا حسيب
يناديهم رسول الله لما قذفناهم كباكب في القليب
الم تجدوا كلامي كان حقا وامر الله ياخذ بالقلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا اصبت وكنت ذا راي مصيب

وهنا ثلاث مسائل الاولى قال مالك بلغني ان جبريل عليه السلام قال للنبي
عليه السلام كيف اهل بدر فيكم قال خيارنا فقال انهم كذلك عندنا فدل هذا
على ان شرف المخلوقات ليس بالذوات وانما هو بالافعال فللملائكة افعالها
الشريفة من المواظبة على التسبيح الدائم ولنا افعالنا بالاخلاص بالطاعة
وتتفاضل الطاعات بتفضيل الشرع لها وافضلها الجهاد وافضل
الجهاد يوم بدر لان بناء الاسلام كان عليه **الثانية** ودل خروج
النبي عليه السلام لتلقي العير على جواز النفر للغنيمة لانها كسب حلال وهو
يرد ما كره مالك من ذلك اذ قال ذلك قتال على الدنيا وما جاء ان من قاتل
لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله دون من يقاتل للغنيمة يراد به
اذا كان قصده وحده وليس للدين فيه حظ وروى عكرمة عن ابن عباس قال
قالوا للنبي عليه السلام حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه
العباس وهو في الاسرى لا يصلح هذا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ولم
قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك الله ما وعدك فقال
النبي صلى الله عليه وسلم صدقت وعلم ذلك العباس بحديث اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم وبما كان من شان بدر فسمع ذلك في اثناء الحديث **الثالثة**

روى مسلم عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثا
ثم قام عليهم فناداهم فقال يا ابا جهل بن هشام يا امية بن خلف يا عتبة بن ربيعة
يا شيبة بن ربيعة اليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا فانى قد وجدت ما وعدنى
ربى حقا فسمع عمر قول النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعون
وانى يجيبون وقد جيفوا قال والذى نفسى بيده ما انتم باسمع لما اقول منهم
ولكن لا يقدرون ان يجيبوا ثم امر بهم فسحبوا فالقوا فى القليب قليب بدر
جيفوا بفتح الجيم والياء ومعناه انتنوا فصاروا جيفا وقال عمر يسمعون
استبعاد على حكم العادة فاجابه النبى صلى الله عليه وسلم بانهم يسمعون
كسمع الاحياء وفى هذا ما يدل على ان الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف
وانما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما وتبدل
حال وانتقال من دار الى دار وقال صلى الله عليه وسلم ان الميت اذا وضع
فى قبره وتولى عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم الحديث **قوله تعالى**
ويثبت به الاقدام الضمير فى به عايد على الماء الذى شد دهس الوادى
كما تقدم وقيل هو عايد على ربط القلوب فيكون تثبيت الاقدام عبارة عن
النصر والمعونة فى موطن الحرب قوله اذ يوحى العامل فى اذ يثبت اى
يثبت به الاقدام ذلك الوقت وقيل العامل ليربط اى وليربط اذ يوحى
وقد يكون التقدير اذكر اذ يوحى ربك الى الملئكة انى معكم فى موضع نصب
والمعنى بانى معكم بالنصر والمعونة معكم بفتح العين ظرف ومن اسكنها
فهى عنده حرف فثبتوا الذين امنوا اى بشروهم بالنصر او القتال معهم
او الحضور معهم من غير قتال فكان الملك يسير امام الصف فى صورة الرجل
ويقول سيروا فان الله ناصركم ونظر المسلمون انه منهم وقد تقدم فى آل عمران

ساحرت بحلم

اى

ان الملائكة قاتلت ذلك اليوم فكانوا يرون رؤوسا تندر عن الاعناق من
غير ضارب يرونه وسمع بعضهم قائلا يسمع قوله ولا يرى شخصه اقدم حيزوم
وقيل الخ وهذا التثبيت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين نزول
الملائكة مددا **قوله تعالى** سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب تقدم
في ال عمران بيانه فاضربوا فوق الاعناق هذا امر للملائكة وقيل للمؤمنين
اي اضربوا الاعناق وفوق زائدة قاله الاخفش والضحاك وعطيه وقد
روى المسعودي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم ابعث لاعذب
بعذاب الله وانما بعثت بضرب الرقاب وشد الوثاق وقال محمد بن يزيد هذا
خطا لان فوق تفيد معنى فلا يجوز زيادتها ولكن المعنى انه ابيح لهم ضرب
الوجوه وما قرب منها وقال ابن عباس كل هام وجمجمة وقيل اي ما فوق
الاعناق وهو الرؤس قاله عكرمة والضرب على الراس ابلغ لان ادنى شيء يؤثر
في الدماغ وقد مضى شيء من هذا المعنى في النسا وان فوق ليس بزائدة قوله
فوق اثنتين ٥ واضربوا منهم كل بنان قال الزجاج واحد البنان بنانه
وهي هنا الاصابع وغيرها من الاعضا والبنان مشتق من قولهم ابن الرجل
بالمكان اذا اقام به فالبنان يعتمد به ما يكون للاقامة والحياة وقيل
المراد بالبنان هنا اطراف الاصابع من اليدين والرجلين وهو عبارة عن
الثبات في الحرب وموضع الضرب فاذا ضربت البنان تعطل من المضروب
القتال بخلاف سائر الاعضا قال عنتره العبسي

وكان فتى الهيجا يحمي ذمارها ويضرب عند الكرب كل بنان

ومما جا ان البنان الاصابع قول عنتره ايضا

وان الموت طوع يدي اذا ما وصلت بنانها بالهندوان ٥

فهو كثير في اشعار العرب البنان الاصابع قال ابن فارس البنان الاصابع
وقيل الاطراف وذكر بعضهم انها سميت بنانا لان بها صلاح الاحوال
التي بها يستقر بها الانسان ويبن وقال الضحاك البنان كل مفصل ٥
قوله تعالى ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ذلك في موضع رفع على
الابتدا والتقدير ذلك الامر او الامر ذلك شاقوا الله اي اولياه والشقاق
ان يصير كل واحد في شق وقد تقدم ذلكم فذوقوه قال الزجاج ذلكم
رفع باضمار الامر او القصه اي الامر ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون في موضع
نصب بذوقوا كقولك زيدا فاضربه ومعنى الكلام التوبيخ للكافرين
وان في موضع رفع عطف على ذلكم قال الفرا ويجوز ان يكون في موضع نصب
بمعنى وبان للكافرين ويجوز ان يضمر واعلموا ان قال الزجاج لو جاز اضمار
واعلموا لجاز زيد منطلق وعمرا جالسا بل كان يجوز في الابتدا زيدا منطلقا
لان المخبر معلم وهذا لا يقوله احد من النحويين **قوله تعالى** يا ايها الذين
امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار فيه سبع مسايل
الاولى قوله تعالى زحفا الزحف الدنو قليلا قليلا واصله الاندفاع على
الاليه ثم سمي كل ماش في الحرب الى اخر زاحفا والتزاحف التداني
والتقارب تقول زحف الى العدو زحفا وازدحف القوم اي مشى بعضهم
الى بعض ومنه زحاف الشعر وهو ان يسقط ما بين الحرفين حرف فيزحف
احدهما الى الاخر يقول اذا تدانيتم وتعاينتم فلا تفروا عنهم ولا تعطوهم
ادباركم حرم الله ذلك على المومنين حين فرض عليهم الجهاد وقتال الكفار
قال ابن عطيه والادبار جمع دبر والعبارة بالدبر في هذه الايه متمكنه
الفصاحه لانها بشيعه على الفار ذامه له **الثانيه** امر الله عز وجل

في هذه الآية ان لا يولي المؤمنون امام الكفار وهذا الامر مقيد بالشريطة
المنصوصة في مثلي المؤمنين فاذا لقيت فئة من المؤمنين فئة هي ضعف المؤمنة
من المشركين فالفرض ان لا يفروا امامهم فمن فر من اثنين فهو فار من الزحف
ومن فر من ثلاثة فليس بفار من الزحف ولا يتوجه عليه الوعيد والفرار كبيرة
موبقة بظاهر القرآن واجماع الاكثر من الامة وقالت فرقة منهم ابن الماجشون
في الواضحة انه يراعى الضعف والقوة والعدة فيجوز على قولهم ان يفر مائة فارس
امام مائة فارس اذا علموا ان ما عند المشركين من النجدة والبسالة ضعف
ما عندهم واما على قول الجمهور فلا يحل فرار مائة الا مما زاد على مائتين فمهما
كان في مقابلة مسلم اكثر من اثنين فيجوز الانهزام والصبر احسن وقد وقف
جيش مؤتة وهم ثلاثة الاف في مقابلة مائتي الف منهم مائة الف من الروم
ومائة الف من المستعربة من لخم وجذام قال المؤلف رحمه الله ووقع في
تاريخ فتح الاندلس وذلك في رجب سنة ثلاث وتسعين من الهجرة فالتقى ملك
الاندلس لذريق وكان في سبعين الف عنان فزحف اليه طارق وصبر له فهزم
الله الطاغية وكان الفتح قال ابن وهب سمعت مالكا سئل عن القوم يلقون
العدو او يكونون في محرس يحرسون فياتيهم العدو وهم يسير أيقاتلون ام ينصرفون
فيؤذنون اصحابهم قال ان كانوا يقوون على قتالهم قاتلوهم والا انصرفوا الى اصحابهم
فآذنوهم **الثالثة** واختلف الناس هل الفرار يوم الزحف مخصوص
بيوم بدر ام عام في الزحوف كلها الى يوم القيامة فروي عن ابي سعيد الخدري
ان ذلك مخصوص بيوم بدر وبه قال نافع والحسن وقتادة ويزيد بن ابي حبيب
والضحاك وبه قال ابو حنيفة وان ذلك خاص باهل بدر فلم يكن لهم ان يتحازوا
ولو انحازوا لانحازوا للمشركين ولم يكن في الارض يومئذ مسلمون غيرهم ولا

ان طارقا مولى موسى بن نصير [illegible]
[illegible]
الى الاندلس

للمسلمين فئة الا النبي صلى الله عليه وسلم فاما بعض ذلك فان بعضهم فئة لبعض
قال الكيا وهذا فيه نظر لانه كان بالمدينة خلق كثير من الانصار لم يامرهم النبي
صلى الله عليه وسلم بالخروج ولم يكونوا يرون انه قتال وانما ظنوا انها العير
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن خف معه ويروى عن ابن عباس
وسائر العلماء ان الاية باقية الى يوم القيامة احتج الاولون بما ذكرنا وبقوله تعالى
يومئذ فقالوا هو اشارة الى يوم بدر وانه نسخ حكم الاية باية الضعف وبقي
الفرار من الزحف ليس بكبيرة وقد فر الناس يوم احد فعفا الله عنهم وقال
الله فيهم يوم حنين ثم وليتم مدبرين ولم يقع على ذلك تعنيف وقال الجمهور
من العلماء انما ذلك اشارة الى يوم الزحف الذي يتضمنه قوله تعالى اذا
لقيتم وحكم الاية باق الى يوم القيامة بشرط الضعف الذي بينه الله تعالى
في اية اخرى وليس في الاية نسخ والدليل عليه ان الاية نزلت بعد القتال
وانقضاء الحرب وذهاب اليوم بما فيه والى هذا ذهب مالك والشافعي
واكثر العلماء وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اجتنبوا السبع الموبقات وفيه والتولي يوم الزحف وهذا نص في
المسالة واما يوم احد فانما فر الناس من ضعفيهم ومع ذلك عنفوا
واما يوم حنين فكذلك من فر انما انكشف عن الكثرة على ما ياتي
بيانه **الرابعة** قال ابن القاسم لا يجوز شهادة من فر من الزحف ولا
يجوز لهم الفرار وان فر امامهم لقوله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره الاية
قال ويجوز الفرار من اكثر من ضعفيهم وهذا ما لم يبلغ عدد المسلمين اثني عشر
الفا فان بلغ اثني عشر الفا لم يحل لهم الفرار وان زاد عدد المشركين على
الضعف لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولن يغلب اثنا عشر الفا من قلة

فان

فان اكثر اهل العلم خصوا هذا العدد بهذا الحديث من عموم الايه قال
المولف رحمه الله رواه ابو بشر وابو سلمه العامري وهو الحكم بن عبد الله بن خطاف
وهو متروك قال حدثنا الزهري عن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يا اكثم بن الجون اغز مع غير قومك يحسن خلقك وتكرم على رفقايك يا اكثم
خير الرفقا اربعه وخير الطلايع اربعون وخير السرايا اربع مايه وخير
الجيوش اربعه الاف ولن يوتى اثنا عشر الف من قله وروي عن مالك ما يدل
على ذلك من مذهبه وهو قوله للعمري العابد اذ ساله هل لك سعه في ترك
مجاهده من غير الاحكام وبدلها فقال ان كان معك اثنا عشر الف فلا سعه
لك في ذلك **الخامسه** فان فر فليستغفر الله جل وعز روى الترمذي
عن بلال بن يسار بن زيد قال حدثني ابي عن جدي سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول
من قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه غفر له وان
كان قد فر من الزحف قال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه
السادسه قوله تعالى الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فيه التحرف
الزوال عن جهه الاستوا فالمتحرف من جانب الى جانب لمكايد الحرب غير منهزم
ايضا روى ابو داود عن عبد الله بن عمر انه كان في سريه من سرايا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فحاص الناس حيصه فكنت فيمن حاص قال فلما
برزنا قلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبونا بالغضب فقلنا ندخل
المدينه فنتثبت فيها ونذهب ولا يرانا احد قال فقلنا لو عرضنا انفسنا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كانت لنا توبه اقمنا وان كان غير ذلك
ذهبنا قال فجلسنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل صلاه الفجر فلما
خرج قمنا اليه فقلنا نحن الفرارون فاقبل الينا فقال لا بل انتم العكارون

العادون هم العطافون فقال للرجل الذي يولي عند الحرب ثم يكر راجعا على واعتكر وروى جرير عن منصور عن ابرهيم قال انهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر فقال يا امير المومنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر انا فيتك وقال محمد بن سيرين لما قتل ابو عبيدة جا الخبر الى عمر فقال لو انحاز الى كنت له فية فانا فئة كل مسلم وعلى هذه الاحاديث لا يكون الفرار كبيرة لان الفية هنا المدينة والامام وجماعة المسلمين حيث كانوا وعلى القول الاخر يكون كبيرة لان الفية هناك الجماعة من الناس الحاضرة للحرب هذا قول الجمهور ان الفرار من الزحف كبيرة قالوا وانما كان ذلك القول من النبي عليه السلام وعمر على جهة الحيطة على المومنين اذ كانوا في ذلك الزمان يثبتون لاضعافهم مرارا والله اعلم وفي قوله والتولي يوم الزحف ما يكفي

السابعة قوله تعالى فقد باء بغضب من الله اي استحق الغضب واصل باء رجع وقد تقدم وماواه جهنم اي مقامه وهذا لا يدل على الخلود كما تقدم في غير موضع وقد قال عليه السلام من قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم غفر له وان كان قد فر من الزحف **قوله تعالى** فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم اي يوم بدر روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صدروا عن بدر ذكر كل واحد منهم ما فعل فعلت كذا فعلت كذا فجا من ذلك تفاخر ونحو ذلك فنزلت الاية اعلاما بان الله هو المميت والمقدر لجميع الاشيا وان العبد انما يشارك بتكسبه وقصده وهذه الاية ترد على من يقول بان افعال العباد خلق لهم فقيل المعنى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم بسوقهم اليكم حتى امكنكم منهم وقيل ولكن الله قتلهم بالملائكة الذين امدكم بهم وما رميت اذ رميت مثله ولكن الله رمى واختلف العلما

في هذا الرمي على اربعة اقوال الاول ان هذا الرمي انما كان في حصب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم حنين رواه ابن وهب عن مالك قال مالك ولم يكن في
ذلك اليوم احد الا وقد اصابه ذلك وكذلك روى عنه ابن القاسم ايضا
الثاني ان هذا كان يوم احد حين رمى ابي بن خلف بالحربة في عنقه فكر ابي منهزما
فقال له المشركون والله ما بك من باس فقال والله لو بصق علي لقتلني اليس
قد قال بل انا اقتله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعسل قد اوعده فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك فمات عدو الله من ضربة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرجعه الى مكة بموضع يقال له سرف قال
موسى بن عقبة عن ابن شهاب لما كان يوم احد اقبل ابي مقنعا بالحديد على فرسه
يقول لا نجوت ان نجا محمد فحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله قال
موسى بن عقبة قال سعيد بن المسيب فاعترض له رجال من المومنين فامرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلوا طريقه واستقبله مصعب بن عمير فقتل
مصعب بن عمير وابصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة ابي بن خلف من
فرجة بين سابغة البيضة والدرع فطعنه بحربته فوقع ابي عن فرسه ولم
يخرج من طعنته دم قال سعيد فكسر ضلعا من اضلاعه وقال وفي ذلك
نزل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهذا ضعيف لان الاية نزلت عقب بدر
الثالث ان المراد السهم الذي رمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في
حصن خيبر فسار في الهوا حتى اصاب ابن ابي الحقيق وهو على فراشه وهذا
ايضا فاسد وخيبر وفتحها ابعد من احد بكثير والصحيح في صورة قتل ابن
ابي الحقيق غير هذا الرابع انها كانت يوم بدر قاله ابن اسحق وهو اصح لان
السورة بدرية وذلك ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم

مما وعدابن؟

خذ قبضة من التراب فاخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم فما من المشركين
من احد الا اصاب عينيه ومنخريه وفمه ترابا من تلك القبضة قاله ابن عباس
وسيأتي قال ثعلب المعنى وما رميت الفزع والرعب في قلوبهم اذ رميت
بالحصا فانهزموا ولكن الله رمى اي اعانك واظفرك والعرب رمى الله لك
اي اعانك واظفرك وصنع لك حكى هذا ابو عبيدة في كتاب المجاز وقال
محمد بن يزيد وما رميت بقوتك اذ رميت ولكنك بقوة الله رميت وليبلي
المومنين منه بلاء حسنا البلاء ههنا النعمة واللام تتعلق بمحذوف اي وليبلي
المومنين فعل ذلك ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين قراءة اهل الحرمين
وابي عمرو وقراءة اهل الكوفة موهن كيد الكافرين وفي التشديد معنى
المبالغة وروي عن الحسن موهن كيد بالاضافة والتخفيف والمعنى
ان الله عز وجل يلقي في قلوبهم الرعب حتى يتشتتوا ويتفرق جمعهم فيضعفوا
والكيد المكر وقد تقدم **قوله تعالى** ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
شرط وجوابه وفيه ثلثة اقوال يكون خطابا للكفار لانهم استفتحوا فقالوا
اللهم اقطعنا للرحم واظلمنا لصاحبه فانصره عليه قاله الحسن
ومجاهد وغيرهما وكان هذا القول منهم وقت خروجهم لنصرة العير
وقيل قاله ابو جهل وقت القتال وقال النضر بن الحارث اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم
وهو ممن قتل ببدر والاستفتاح طلب النصر اي قد جاءكم الفتح ولكنه
كان للمسلمين عليكم اي فقد جاءكم ما بان به الامر وانكشف لكم الحق
وان تنتهوا اي عن الكفر فهو خير لكم وان تعودوا اي الى هذا القول
وقتال محمد نعد الى نصر المومنين ولن تغني عنكم فئتكم اي جماعتكم شيا

ولو

ولو كثرت اي في العدد ه الثاني يكون خطابا للمومنين اي ان تستنصروا
فقد جاكم النصر وان تنتهوا اي عن مثل ما فعلتموه من اخذ الغنايم
والاسرى قبل الاذن فهو خير لكم وان تعودوا اي الى مثل ذلك نعد الى
توبيخكم كما قال لولا كتاب من الله سبق الاية والقول الثالث ان يكون ان
تستفتحوا فقد جاكم الفتح خطابا للمومنين وما بعده للكفار اي وان
تعودوا الى القتال نعد الى قتال وقعة بدر قال القشيري والصحيح انه خاطب
الكفار فانهم لما نفروا الى نصرة العير تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم
انصر اهدى الطايفتين وافضل الدينين قال المهدوي وروي ان المشركين
خرجوا معهم باستار الكعبة يستفتحون بها اي يستنصرون قال المولف رحمه الله
ولا تعارض لاحتمال ان يكونوا فعلوا الحالتين وان الله مع المومنين بكسر الالف
على الاستيناف وبفتحها عطفا على قوله وان الله موهن او على قوله اني معكم
او المعنى ولان الله والتقدير لكثرتها اي من كان في نصره لم تغلبه اجرفته ولو
كثرت قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله الخطاب للمومنين
المصدقين افردهم بالخطاب دون المنافقين اجلالا لهم جدد عليهم الامر
بطاعة الله والرسول ونهاهم عن التولي عنه هذا قول الجمهور وقالت فرقة
الخطاب بهذه الاية انما هو للمنافقين والمعنى يا ايها الذين امنوا بالسنتهم
فقط قال ابن عطيه وهذا وان كان محتملا على بعد فهو ضعيف جدا لاجل ان
الله تعالى وصف من خاطب في هذه الاية بالايمان والايمان التصديق
والمنافقون لا يتصفون من التصديق بشي وابعد من هذا من قال ان الخطاب
لبني اسرائيل فانه اجنبي من الاية قوله تعالى ولا تولوا عنه التولي
الاعراض وقال عنه ولم يقل عنهما لان طاعة الرسول طاعته وهو كقوله

والله ورسوله احق ان يرضوه واسم تسمعون ابتدا وخبر في موضع الحال والمعنى
وانتم تسمعون ما يتلى عليكم من الحجج والبراهين في القران **قوله تعالى**
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون اى كاليهود او المنافقين او المشركين
وهو من سماع الاذن وهم لا يسمعون اى لا يتدبرون ما سمعوا ولا يفكرون فيه
فهم بمنزلة من لم يسمع واعرض عن الحق نهى المومنين ان يكونوا مثلهم فدلت الاية
على ان قول المومن سمعت واطعت لا فايدة له ما لم يظهر اثر ذلك عليه بامتثال
فعله فاذا قصر في الاوامر فلم ياتها واعتمد النواهي واقتحمها فاى سمع عنده
واى طاعة وانما يكون حينيذ بمنزلة المنافق الذى يظهر الايمان ويسر الكفر
وذلك هو المراد بقوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ثم اخبر
تعالى ان الكفار شر ما دب على الارض وفي البخاري عن ابن عباس ان شر
الدواب عند الله الصم البكم الاية قال هم نفر من بنى عبد الدار والاصل
اشر حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال وكذا خير الاصل اخير **قوله**
تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم قيل الحجج والبراهين اسماع تفهيم
ولكن سبق علمه بشقاوتهم ولو اسمعهم اى ولو افهمهم لما امنوا بعد علمه
الازلى بكفرهم وقيل المعنى لاسمعهم كلام الموتى الذين طلبوا احياهم
لانهم طلبوا احيا قصى بن كلاب وغيره ليشهدوا بنبوة محمد عليه السلام
وقال الزجاج لاسمعهم جواب كل ما سالوا عنه ولو اسمعهم لتولوا وهم
معرضون اذ سبق في علمه انهم لا يومنون **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فيه ثلاث مسايل
الاولى يا ايها الذين امنوا استجيبوا هذا خطاب للمومنين المصدقين بلا خلاف
والاستجابة الاجابة ويحييكم اصله يحييكم حذفت الضمة من اليا لثقلها

ولا يجوز الادغام قال ابو عبيده معنى استجيبوا اجيبوا ولكن عرف الكلام
ان يتعدى استجاب بلام ويتعدى اجاب دون لام قال الله تعالى يا قومنا
اجيبوا داعي الله وقد يتعدى استجاب بغير لام والشاهد له قول الشاعر
وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب ٥ تقول اجابه
واجاب عن سواله والمصدر الاجابه والاسم الجابه بمنزله الطاقه والطاعه
تقول اساء سمعا فاساء جابه هكذا يتكلم بهذا الحرف والمحاوره والتجاوب
التحاور وتقول انه لحسن الجيبه بالكسر اى الجواب لما يحييكم متعلق
بقوله استجيبوا المعنى استجيبوا لما يحييكم اذا دعاكم وقيل اللام بمعنى الى
اى الى ما يحييكم اى يحيي دينكم ويعلمكم وقيل اى الى ما يحيي به قلوبكم فتوحدوه
وهذا احيا مستعار لانه من موت الكفر والجهل وقال مجاهد والجمهور
المعنى استجيبوا للطاعه وما تضمنه القران من اوامر ونواهي ففيه الحياه
الابديه والنعمه السرمديه وقيل المراد بقوله لما يحييكم الجهاد فانه سبب
الحياه في الظاهر لان العدو اذا لم يغز غزا وفي غزوه الموت في جهاده
الحياه الابديه قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل
احيا والصحيح العموم كما قال الجمهور **الثانيه** روى البخاري عن ابي
سعيد بن المعلى قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم اجبه ثم اتيت فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي فقال الم يقل الله تعالى
استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم وذكر الحديث وقد تقدم في الفاتحه قال
الشافعي هذا دليل على ان الفعل الفرض او القول الفرض اذا اتى به في الصلاه
لا تبطل لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاجابه وان كان في الصلاه قال
المولف رحمه الله وفيه حجه لقول الاوزاعي لو ان رجلا يصلي فابصر غلاما يريد

ان يسقط في بير فصاح به وانصرف اليه واشهره لم يكن بذلك باس والله اعلم
السابعة قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه قيل انه يقتضي
النص منه على خلقه تعالى الكفر والايمان فيحول بين المرء الكافر وبين الايمان
الذي امره به فلا يكتسبه اذ لم يقدره عليه بل اقدره على ضده وهو الكفر
وهكذا المومن يحول بينه وبين الكفر فبان بهذا النص انه تعالى خالق لجميع
اكساب العباد خيرها وشرها وهذا معنى قوله عليه السلام لا ومقلب
القلوب وكان فعل الله تعالى ذلك عدلا فيمن اضله وخذله اذ لم يمنعهم حقا
وجب عليه فتزول صفة العدل وانما منعهم ما كان له ان يتفضل به عليهم
لا ما وجب لهم قال السدي يحول بين المرء وقلبه فلا يستطيع ان يومن
الا باذنه ولا يكفر ايضا الا باذنه اي بمشيته والقلب موضع الكفر وقد
تقدم في البقرة بيانه وهو بيد الله متى شا حال بين العبد وبينه بمرض
او افة بحيلا يعقل اي بادروا الى الاستجابة قبل ان لا تتمكنوا منها بزوال
العقل وقال مجاهد المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدري ما يصنع وفي
التنزيل ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي عقل وقيل يحول بينه وبينه اي
بالموت فلا يمكنه استدراك ما فات وقيل خاف المسلمون يوم بدر كثرة
العدو فاعلمهم الله انه يحول بين المرء وقلبه بان يبدلهم بعد الخوف امنا ويبدل
عدوهم من الامن خوفا وقيل المعنى يقلب القلوب من حال الى حال وهذا جامع
واختار الطبري ان يكون ذلك اخبارا من الله عز وجل بانه املك لقلوب
العباد منهم وانه يحول بينهم وبينها اذا شا حتى لا يدرك الانسان شيا
الا بمشيته الله عز وجل وانه اليه تحشرون عطف قال الفرا ولو استونف
لكسرت وانه كان صوابا قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة

منكم خاصة ق

فتنة مسلتان الاولى قال ابن عباس امر الله المومنين ان لا يقروا المنكر بين
اظهرهم فيعمهم العذاب ولذلك تاولها الزبير بن العوام فانه قال يوم الجمل
وكان سنة ست وثلثين ما علمنا انا اردنا بهذه الاية الا اليوم وما كنت
اظنها الا فيمن خوطب ذلك الوقت ولذلك تاول الحسن البصري والسدي
وغيرهما قال السدي نزلت في اهل بدر خاصة فاصابتهم الفتنة يوم الجمل
فاقتتلوا وقال ابن عباس نزلت هذه الاية في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال امر الله المومنين ان لا يقروا المنكر فيما بينهم فيعمهم الله بالعذاب وعن حذيفة
ابن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون بين ناس من اصحابي فتنة
يغفرها الله لهم بصحبتهم اياي يستن بهم فيها اناس بعدهم يدخلهم الله بها النار
قال المولف رحمه الله وهذه التاويلات هي التي تعضدها الاحاديث الصحيحة
ففي صحيح مسلم عن زينب بنت جحش انها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
له يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث وفي صحيح
الترمذي ان الناس اذا راوا الظالم ولم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله
بعقاب من عنده وقد تقدمت هذه الاحاديث وفي صحيح البخاري والترمذي
عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل القائم على حدود الله
والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم
اسفلها فكان الذين في اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا
لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نوذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا
هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا ففي هذا الحديث تعذيب
العامة بذنوب الخاصة وفيه استحقاق العقوبة بترك الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر قال علماونا فالفتنة اذا عمت هلك الكل وذلك عند ظهور

المعاصي واشتهار المنكر وعدم التغيير واذا لم يغير وجب على المومنين المنكرين
لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها وهكذا كان الحكم فيمن قبلنا من
الامم كما في قصة السبت حين هجروا العاصين وقالوا لا نساكنكم وبهذا
قال السلف رضي الله عنهم روى ابن وهب عن مالك انه قال تهجر الارض التي
يصنع فيها المنكر جهارا ولا يستقر فيها واحتج بصنيع ابي الدرداء في خروجه عن
ارض معاوية حين اعلن بالربا فاجاز بيع سقاية الذهب باكثر من وزنها خرجه
الصحيح وروى البخاري عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
انزل الله بقوم عذابا اصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على اعمالهم فهذا يدل
على ان الهلاك العام منه ما يكون طهرة للمومنين ومنه ما يكون نقمة للعاصين
وروى مسلم عن عبد الله بن الزبير ان عائشة قالت عبث رسول الله صلى الله عليه وسلم
في منامه فقلت يا رسول الله صنعت شيا في منامك لم تكن تفعله فقال العجب
ان ناسا من امتي يؤمون هذا البيت برجل من قريش قد لجا بالبيت حتى اذا كان
بالبيدا خسف بهم فقلنا يا رسول الله ان الطريق قد يجمع الناس قال نعم فيهم
المستبصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر
شتى يبعثهم الله على نياتهم فان قيل فقد قال الله عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى
وكل نفس بما كسبت رهينة لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وهذا يوجب ان
لا يوخذ احد بذنب احد وانما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب فالجواب
ان الناس اذا تظاهروا بالمنكر فمن الفرض على كل من راه ان يغيره فاذا سكت
عليهم فكلهم عاص هذا بفعله وهذا برضاه وقد جعل الله في حكمه وحكمته الراضي
بمنزلة العامل فانتظم في العقوبة قاله ابن العربي وهو مضمون الاحاديث كما ذكرنا
ومقصود الاية اتقوا فتنة تتعدى الظالم فتصيب الصالح والطالح التابعة

احلف

اختلف النحاة في دخول النون في لا تصيبن فقال الفراء هو بمنزلة قولك انزل عن الدابة
لا تطرحنك فهو جواب الامر بلفظ النهي اي ان تنزل عنها لا تطرحنك ومثله قوله
ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم اي ان تدخلوا لا يحطمنكم فدخلت النون لما فيه
من معنى الجزاء وقيل لانه خرج مخرج القسم والنون لا تدخل الا على فعل النهي او
جواب القسم وقال ابو العباس المبرد انه نهي بعد امر والمعنى النهي للظالمين اي لا
تقربن الظلم وحكى سيبويه لا اريتك هاهنا اي لا تكن هاهنا فانه من كان هاهنا رايته
وقال الجرجاني المعنى اتقوا فتنة تصيب الذين ظلموا خاصة فقوله لا تصيبن
نهي في موضع وصف النكرة وتاويله الاخبار بانها لا تصيب الذين ظلموا وقرا علي وزيد بن
ثابت وابي وابن مسعود لتصيبن بلا الف قال المهدوي من قرا لتصيبن جاز ان يكون
مقصورا من لا تصيبن حذفت الالف كما حذفت من ما وهي اخت لا في نحو اما والله
لافعلن وشبهه ويجوز ان يكون مخالفا لقراءة الجماعة فيكون المعنى انها تصيب الظالم
خاصة **قوله تعالى** واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون قال الكلبي نزلت
في المهاجرين يعني وصف حالهم قبل الهجرة وفي ابتداء الاسلام مستضعفون نعت
في الارض اي ارض مكة تخافون نعت ان يتخطفكم في موضع نصب والخطف الاخذ
بسرعة الناس رفع على الفاعل قال قتادة وعكرمة هم مشركو قريش وقال وهب بن منبه
فارس والروم فاواكم قال ابن عباس الى الانصار السدي الى المدينة والمعنى واحد
اوى اليه بالمد ضم اليه واوى اليه بالقصر انضم اليه وايدكم قواكم بنصره اي بعونه
وقيل بالانصار وقيل بالملائكة ورزقكم من الطيبات اي الغنائم لعلكم تشكرون
تقدم معناه **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول روي انها نزلت
في ابي لبابة بن عبد المنذر حين اشار الى بني قريظة بالذبح قال ابو لبابة والله ما زالت
قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت هذه الاية فلما نزلت شد نفسه

على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت
او يتوب الله علي والخبر مشهور وعن عكرمة قال لما كان شان بني قريظة بعث النبي
صلى الله عليه وسلم عليا عليه السلام فيمن كان عنده من الناس فلما انتهى اليهم
وقعوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء جبريل عليه السلام على فرس ابلق
فقالت عايشة رضي الله عنها فلكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار
عن وجه جبريل عليه السلام فقلت هذا دحية يا رسول الله فقال هذا جبريل
قال يا رسول الله ما يمنعك من بني قريظة ان تاتيهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكيف لي بحصنهم فقال جبريل فاني ادخل فرسي هذا عليهم فركب رسول الله صلى الله
عليه وسلم معرورا فلما راه علي عليه السلام قال يا رسول الله لا عليك ان لا تاتيهم
فانهم يشتمونك فقال كلا انها ستكون تحية فاتاهم النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا اخوة القردة والخنازير فقالوا يا ابا القاسم ما كنت فحاشا وقالوا
لا ننزل على حكم محمد ولكنا ننزل على حكم سعد بن معاذ فنزل فحكم فيهم ان يقتل
مقاتلتهم وتسبى ذراريهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طرقني
الملك سحرا فنزل فيهم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم
وانتم تعلمون نزلت في ابي لبابة اشار الى بني قريظة حين قالوا ننزل على حكم
سعد بن معاذ لا تفعلوا فانه الذبح واشار الى حلقه وقيل نزلت الاية في انهم
كانوا يسمعون الشي من النبي صلى الله عليه وسلم فيلقونه الى المشركين ويفشونه
وقيل المعنى بغلول الغنايم ونسبتها الى الله لانه الذي امر بقسمتها والى
الرسول عليه السلام لانه المودي عن الله تعالى والقيم بها والخيانة الغدر
واخفا الشي ومنه خاينة الاعين وكان عليه السلام يقول اللهم اني اعوذ بك
من الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة اخرجه النساي

عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ٥ وتخونوا اماناتكم
في موضع جزم نسقا على الاول وقد يكون على الجواب كما تقال لا تاكل السمك وتشرب
اللبن والامانات الاعمال التي ائتمن الله العباد عليها وسميت امانة لانها يؤمن
معها من منع الحق ماخوذة من الامن وقد تقدم في النسا القول في ادا الامانات
والودايع وغير ذلك وانتم تعلمون اي ما في الخيانة من القبح والعار وقيل تعلمون
انها امانة **قوله تعالى** واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة كان لابي لبابة
اموال واولاد في بني قريظة وهو الذي حمله على ملاينتهم فهذا اشارة الى ذلك
فتنة اي اختبار امتحنهم بها وان الله عنده اجر عظيم فاثروا حقه على حظكم
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قد تقدم معنى
التقوى وكان الله عالما بانهم يتقون ام لا يتقون فذكر بلفظ الشرط لانه خاطب
العباد بما يخاطب بعضهم بعضا فاذا اتقى العبد ربه وذلك باتباع اوامره
واجتناب نواهيه وترك الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات وشحن قلبه بالنية
الخالصة وجوارحه بالاعمال الصالحة وتحفظ من شوايب الشرك الخفي والظاهر
بمراعاة غير الله في الاعمال والركون الى الدنيا بالعفة عن المال جعل له بين الحق
والباطل فرقانا ورزقه فيما يريد من الخير امكانا قال ابن وهب سالت مالكا عن
قوله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال مخرجا ثم قرا ومن يتق الله يجعل له مخرجا
وحكى ابن القاسم واشهب عن مالك مثله سوا وقاله مجاهد قبله وقال الشاعر
ما لك من طول الاسى فرقان بعد قطين رحلوا وبانوا ٥ وقال اخر
وكيف ارجي الخلد والموت طالبي وما لي من كاس المنية فرقان قال ابن اسحق فرقانا فصلا
بين الحق والباطل وقاله ابن زيد وقال السدي نجاة الفرا فتحا ونصرا وقيل
في الاخرة فيدخلكم الجنة ويدخل الكفار النار **قوله تعالى** واذ يمكر بك الذين كفروا

هذا اخبار بما احتمع عليه المشركون من المكر بالنبي عليه السلام عليه في
دار الندوه فاحتمع رايهم على قتله فبيتوه ورصدوه على باب منزله طول
ليلتهم ليقتلوه اذا خرج فامر النبي عليه السلام علي بن ابي طالب ان ينام على
فراشه ودعى الله عز وجل ان يعمي عليهم اثره فطمس الله على ابصارهم فخرج وقد
غشيهم النوم فوضع على رووسهم ترابا ونهض فلما اصبحوا اخرج عليهم علي واخبرهم
ان ليس في الدار احد فعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فات ونجا
والخبر مشهور في السيره وغيرها ومعنى ليثبتوك ليحبسوك يقال اثبته اذا
حبسه وقال قتاده ليشدوك وثاقا وعنه ايضا وعبد الله بن كثير ليسجنوك
وقال ابان بن ثعلب وابو حاتم ليثخنوك بالجراحات والضرب الشديد قال الشاعر

فقالوا الخليفه امسى مثبتا وجعا ٥ او يقتلوك او يخرجوك عطف

ويمكرون مستانف والمكر التدبير في الامر في خفيه والله خير الماكرين ابتدا
وخبر والمكر من الله هو جزاوهم بالعذاب على مكرهم من حيث لا يشعرون ٥
قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا الايه نزلت في النضر بن الحارث كان
خرج الى الحيره في التجاره فاشترى احاديث كليله ودمنه وكسرى وقيصر
فلما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبار من مضى قال النضر لو شيت
لقلت مثل هذا وكان هذا وقاحه وكذبا وقيل انهم توهموا انهم يانون بمثله كما
توهمت سحره موسى ثم راموا ذلك فعجزوا عنه وقالوا عنادا ان هذا الا
اساطير الاولين وقد تقدم **قوله تعالى** واذ قالوا اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك القراه على نصب الحق على خبر كان ودخلت هو للفصل
ويجوز هو الحق بالرفع من عندك قال الزجاج ولا اعلم احدا قراها ولا اختلاف
بين النحويين في اجازتها ولكن القراه سنه لا يقرا بها الا بقراه مرضيه

واحد

واختلف فيمن قال هذه المقالة فقال مجاهد وابن جبير قائل هذا النضر بن الحارث
وقال أنس بن مالك قائله أبو جهل رواه البخاري ومسلم ثم يجوز أن يقال قالوه
لشبهة كانت في صدورهم أو على وجه العناد والإيهام على الناس أنهم على
بصيرة ثم حل بهم يوم بدر ما حل. وحكي أن ابن عباس لقيه رجل من اليهود
فقال اليهودي ممن أنت قال من قريش فقال أنت من القوم الذين قالوا اللهم
إن كان هذا هو الحق من عندك فهلا قالوا فاهدنا له إن هؤلاء قوم يجهلون قال ابن عباس
وأنت يا إسرائيلي من القوم الذين لم تجف أرجلهم من بلل البحر الذي أغرق فيه فرعون
وقومه وأنجي موسى وقومه حتى قالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فقال لهم موسى
إنكم قوم تجهلون فأطرق اليهودي مفحما ٥ فأمطر أمطر في العذاب ومطر
في الرحمة عن أبي عبيدة وقد تقدم **قوله تعالى** وما كان الله ليعذبهم وأنت
فيهم لما قال أبو جهل اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية نزل وما كان
الله ليعذبهم كذا في صحيح مسلم وقال ابن عباس لم يعذب أهل قرية حتى يخرج النبي
منها والمؤمنون ويلحقوا بحيث أمروا وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
قال ابن عباس كانوا يقولون في الطواف غفرانك والاستغفار وإن وقع من
الفجار يدفع به ضرب من الشرور والإضرار وقيل إن الاستغفار راجع
إلى المسلمين الذين بين أظهرهم أي وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر من
المسلمين فلما خرجوا عذبهم الله يوم بدر وغيره قاله الضحاك وغيره وقيل
إن الاستغفار هنا يراد به الإسلام أي وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
أي يسلمون قاله مجاهد وعكرمة وقيل وهم يستغفرون أي في أصلابهم من يستغفر الله
روي عن مجاهد أيضا وقيل معنى يستغفرون لو استغفروا أي لو استغفروا
لم يعذبوا استدعاهم إلى الاستغفار قاله قتادة وابن زيد وقال المدائني عن

عن بعض العلما قال كان رجل من العرب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مسرفا
على نفسه لم يكن يتحرج فلما ان توفي النبي صلى الله عليه وسلم لبس الصوف ورجع
عما كان عليه واظهر الدين والنسك فقيل له لو فعلت هذا والنبي صلى الله
عليه وسلم حي لفرح بك قال كان لي امانان فمضى واحد وبقي الاخر قال
الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فهذا امان والثاني وما كان
الله معذبهم وهم يستغفرون **قوله تعالى** وما لهم الا يعذبهم الله
المعنى وما يمنعهم من ان يعذبوا اي انهم مستحقون للعذاب لما ارتكبوا
من القبائح والاسباب ولكن لكل اجل كتاب فعذبهم الله بالسيف
بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم وفي ذلك نزلت سال سايل بعذاب واقع
وقال الاخفش ان ان زايده قال النحاس لو كان كما قال لرفع يعذبهم ٥
ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ان المتقين اولياؤه **قوله تعالى** وما كان
صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال ابن عباس كانت قريش يطوف
بالبيت عراة يصفرون ويصفقون وكان ذلك عبادة في ظنهم فالمكا
الصفير والتصدية التصفيق قاله مجاهد والسدي وابن عمر ومنه قول عنتره
وحليل غانية تركت مجدلا تمكو فريصته كشدق الاعلم
اي تصوت ومنه مكت است الدابه اذا نفخت بالريح قال السدي
المكا الصفير على لحن طاير ابيض بالحجاز يقال له المكا قال الشاعر
اذا غرد المكا في غير روضه فويل لاهل الشا والحمرات
وقال قتاده المكا ضرب بالايدي والتصديه صياح وعلى التفسيرين ففيه
رد على الجهال من الصوفيه الذين يصفقون ويرقصون ويصعقون وذلك كله منكر
ينتزه عن مثله العقلا ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت

وروي

وروى ابن جريج وابن ابي نجيح عن مجاهد انه قال المكا ادخالهم اصابعهم في
افواههم والتصدية الصفير يريدون ان يشغلوا بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم
عن الصلاة قال النحاس المعروف في اللغة ما روى عن ابن عمر حكى ابو عبيد
وغيره انه قال مكا يمكو مكوا ومكا اذا صفر وصدى يصدي تصدية
اذا صفق ومنه قول عمرو بن الاطنابة وظلوا جمعا لهم ضجة مكاء لدى البيت بالتصدية
اي بالتصفيق وقال سعيد بن جبير وابن زيد معنى التصدية صدهم عن البيت
فالاصل على هذا تصددة فابدل من احدى الدالين يا ومعنى ليميز الله الخبيث
من الطيب اي المومن من الكافر وقيل هو عام في كل شي من الاعمال والنفقات
وغير ذلك **قوله تعالى** قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى قل للذين كفروا امر للنبي عليه السلام ان يقول
للكفار هذا المعنى وسواء قاله بهذه العبارة او غيرها قال ابن عطية ولو كان
كما ذكر الكسائي انه في مصحف عبد الله بن مسعود قل للذين كفروا ان تنتهوا يغفر
لكم لما تادت الرسالة الا بتلك الالفاظ بعينها هذا بحسب ما تقتضيه
الالفاظ **الثانية** قوله تعالى ان ينتهوا يريد عن الكفر قال ابن عطية
ولا بد والحامل على ذلك جواب الشرط يغفر لهم ما قد سلف ومغفرة ما قد
سلف لا تكون الا لمنته عن الكفر ولقد احسن القائل وهو ابو سعيد احمد بن محمد الزبيري

يستوجب العفو الفتى اذا اعترف ثم انتهى عما اتاه واقترف
لقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

روى مسلم عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت
فبكى طويلا الحديث وفيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما علمت ان الاسلام
يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم ما كان قبله

قال ابن العربي هذه لطيفة من الله سبحانه بها على الخلق وذلك ان الكفار يقتحمون الكفر والجرائم ويرتكبون المعاصي والمآثم فلو كان ذلك يوجب مواخذة لهم لما استدركوا ابدا توبة ولا نالتهم مغفرة فيسر الله عليهم قبول التوبة عند الانابة وبذل المغفرة بالاسلام وهدم جميع ما تقدم ليكون ذلك اقرب لدخولهم في الدين وادعى الى قبولهم كلمة المسلمين ولو علموا انهم يواخذون لما تابوا ولا اسلموا وفي صحيح مسلم ان رجلا ممن كان قبلكم قتل تسعة وتسعين نفسا ثم سال هل له من توبة فجاء عابدا فساله هل له من توبة فقال لا توبة لك فقتله فكمل به المائة الحديث فانظروا الى قول العابد لا توبة له فلما علم انه قد ايأسه قتله فعل الايس من الرحمة فالتنفير مفسدة للخلائق والتيسير مصلحة لهم وروي عن ابن عباس انه كان اذا جاء اليه رجل لم يقتل فساله هل للقاتل من توبة فيقول لا توبة تخويفا وتحذيرا واذا جاءه من قتل فساله هل له من توبة قال له لك توبة تاليفا وتيسيرا وقد تقدم

الثالثة قال ابن القاسم وابن وهب عن مالك فيمن طلق في الشرك ثم اسلم فلا طلاق له وكذلك من حلف فاسلم فلا حنث عليه وكذلك من وجبت عليه هذه الاشيا فذلك مغفور له فاما من افترى على مسلم ثم اسلم او سرق ثم اسلم اقيم عليه الحد للفرية والسرقة ولو زنى واسلم او اغتصب مسلمة ثم اسلم سقط عنه الحد وروى اشهب عن مالك انه قال انما يعني الله عز وجل ما قد مضى قبل الاسلام من مال او دم او شي قال ابن العربي وهذا هو الصواب لما قدمناه من عموم قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله الاسلام يهدم ما كان قبله وما بيناه من المعنى من التيسير وعدم التنفير قال المولف رحمه الله اما الكافر الحربي فلا خلاف في اسقاط ما فعله في حال كفره في دار الحرب واما ان دخل الينا بامان فقذف مسلما فانه يحد وان سرق

قطع

قطع وهذا للادمي اذا قذف حد ثمانين واذا سرق قطع وان قتل قتل ولا يسقط
الاسلام ذلك عنه لنقضه العهد حال كفره على رواية ابن القاسم وغيره قال
ابن المنذر واختلفوا في النصراني يزني ثم يسلم وقد شهدت عليه بينة من المسلمين
فحكي عن الشافعي اذ هو بالعراق لا حد عليه ولا تغريب لقول الله تعالى قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف قال ابن المنذر وهذا موافق لما روي عن مالك
وقال ابو ثور اذا اقر وهو مسلم انه زنى وهو كافر اقيم عليه الحد وحكي عن الكوفي انه
قال لا يحد **الرابعة** فاما المرتد اذا اسلم وقد فاتته صلوات واصاب
جنايات واتلف اموالا فقيل حكمه حكم الكافر الاصلي اذا اسلم لا يؤخذ بشيء
مما احدثه في حال ارتداده وقال الشافعي في احد قوليه يلزمه كل حق لله عز وجل
وللادمي بدليل ان حقوق الادميين تلزمه فوجب ان يلزمه حقوق الله تعالى وقال
ابو حنيفة ما كان لله يسقط وما كان للادمي لا يسقط قال ابن العربي وهو قول
علمائنا لان الله تعالى مستغن عن حقه والادمي مفتقر اليه الا ترى ان حقوق
الله تعالى لا تجب على الصبي ويلزمه حقوق الادميين قالوا وقوله تعالى قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف عام في الحقوق التي لله تعالى **الخامسة** قوله تعالى
وان يعودوا يريد الى القتال لان لفظة عاد اذا جاءت مطلقة فانما تقتضي الرجوع
الى حالة كان الانسان عليها ثم انتقل عنها قال ابن عطية ولسنا نجد في هذه الاية
لهؤلاء الكفار حالة تشبه ما ذكرنا الا القتال ولا يجوز ان يتاول الى الكفر
لانهم لم ينفصلوا عنه وانما قلنا ذلك في عاد اذا كانت مطلقة لانها قد تجي في
كلام العرب داخلة على الابتداء والخبر فيكون معناها معنى صار كما تقول عاد
زيد ملكا تريد صار ومنه قول ابي الصلت تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا
وهذه لا تتضمن الرجوع الى حالة قد كان العائد عليها قبل فهي مقيدة بخبرها

لا يجوز الاقتصار دونها لحكمها حكم صار **قوله تعالى** قد مضت سنه الاولين عبارة تجمع الوعيد والتهديد والتمثيل بمن هلك من الامم في سالف الدهر بعذاب الله **قوله تعالى** وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي كفر الى اخر الاية تقدم معناها وتفسير الفاظها في البقرة وغيرها **قوله تعالى** واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه الى قوله بالله فيه ست وعشرون مسئلة الاولى قوله واعلموا انما غنمتم من شي الغنيمة في اللغة ما يناله الرجل او الجماعة بسعي ومنه قول الشاعر وقد طوفت في الافاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب
وقال اخر ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه انى توجه والمحروم محروم
والمغنم والغنيمة بمعنى يقال غنم القوم غنما واعلم ان الاتفاق حاصل على ان المراد بقوله تعالى غنمتم من شي مال الكفار اذا ظفر به المسلمون على وجه الغلبة والقهر ولا تقتضي اللغة هذا التخصيص على ما بيناه ولكن عرف الشرع قيد اللفظ بهذا النوع وسمى الشرع الواصل من الكفار الينا من الاموال باسمين غنيمة وفيا فالشي الذي يناله المسلمون من عدوهم بالسعي وايجاف الخيل والركاب يسمى غنيمة ولزم هذا الاسم هذا المعنى حتى صار عرفا والفي ماخوذ من فا يفي اذا رجع وهو كل مال دخل على المسلمين من غير حرب ولا ايجاف كخراج الارضين وجزية الجماجم وخمس الغنيمة ونحو هذا قال سفيان الثوري وعطا بن السايب وقيل انهما واحد وفيهما الخمس قاله قتادة وقيل الفي عبارة عن كل ما صار للمسلمين من الاموال بغير قهر والمعنى متقارب ٥
الثانية هذه الاية ناسخة لاول السورة عند الجمهور وقد ادعى ابن عبد البر الاجماع على ان هذه الاية نزلت بعد قوله يسلونك عن الانفال وان اربعة اخماس الغنيمة مقسومة على الغانمين على ما ياتي بيانه وان قوله يسلونك عن الانفال

نزلت

نزلت حين تشاجر اهل بدر في غنائم بدر على ما تقدم اول السورة قال المولف رحمه الله
ومما يدل على صحة هذا ما ذكره اسمعيل بن اسحق قال حدثنا محمد بن كثير قال حدثنا سفيان
قال حدثني محمد بن السائب عن ابي صالح عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال النبي
صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله كذا ومن اسر اسيرا فله كذا وكذا فقتلوا سبعين
واسروا سبعين فجاء ابو اليسر بن عمرو باسيرين فقال يا رسول الله انك وعدتنا من
قتل قتيلا فله كذا ومن اسر اسيرا فله كذا وقد جئت باسيرين فقام سعد فقال
يا رسول الله انا لم يمنعنا زيادة في الاجر ولا جبن عن القوم ولكنا قمنا هذا المقام
خشية ان يعطف المشركون وانك ان تعطي هولا لا يبقى لاصحابك شي قال وجعل
هولا يقولون وهولا يقولون فنزلت يسلونك عن الانفال قل الانفال لله وللرسول
فسلموا الغنيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نزلت واعلموا انما غنمتم من شي
فان لله خمسه وقيل هي محكمة غير منسوخة وان الغنيمة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وليست مقسومة بين الغانمين وكذلك لمن بعده من الايمة حكاه المازر
عن كثير من اصحابنا وان للامام ان يخرجها عنهم واحتجوا بفتح مكة وقصة حنين
وكان ابو عبيد يقول افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة ومن
على اهلها فردها عليهم ولم يقسمها ولم يجعلها فيا وراى بعض الناس ان هذا
جائز للايمة بعده قال المولف رحمه الله وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى واعلموا
انما غنمتم من شي فان لله خمسه والاربعة اخماس للامام ان شا حبسها وان شا
قسمها بين الغانمين وهذا ليس بشي لما ذكرناه ولان الله سبحانه اضاف الغنيمة
للغانمين فقال واعلموا انما غنمتم من شي ثم عين الخمس لمن سمى في كتابه وسكت
عن الاربعة الاخماس كما سكت عن الثلثين في قوله وورثه ابواه فلامه الثلث
فكان للاب الثلثين اتفاقا وكذا الاربعة الاخماس للغانمين اجماعا على ما ذكره

في

ابن المنذر وابن عبد البر والداودي والمازري ايضا والقاضي عياض وابن العربي
والاخبار بهذا المعنى متظاهرة وسياتي بعضها ويكون معنى قوله يسلونك عن
الانفال الايه ما ينفله الامام لمن شا لما يراه من المصلحة قبل القسمة وقال
عطا والحسن هي مخصوصة بما شذ من المشركين الى المسلمين من عبد او امة
او دابة يقضي فيها الامام ما احب وقيل المراد بها انفال السرايا اي
غنايمها ان شا خمسها الامام وان شا نفلها كلها قال ابرهيم النخعي في
الامام يبعث السرية فيصيبوا المغنم ان شا الامام خمسه وان شا
نفله كله وحكاه ابو عمر وعن مكحول وعطا قال علي بن ثابت سالت مكحولا
وعطا عن الامام ينفل القوم ما اصابوا قال ذلك لهم قال ابو عمر من
ذهب الى هذا تاول قول الله عز وجل يسلونك عن الانفال قل الانفال لله
والرسول ان ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم يضعها حيث شا ولم ير هذه
الايه منسوخة بقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وقيل
غير هذا مما قد اتينا عليه في كتاب المقتبس في شرح موطا مالك بن انس ولم
ينقل احد من العلما فيما اعلم ان قوله تعالى يسلونك عن الانفال الايه ناسخ
لقوله واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه بل قال الجمهور ان قوله ما غنمتم
ناسخ وهم الذين لا يجوز عليهم التحريف ولا التبديل لكتاب الله واما قصة
فتح مكة فلا حجة فيها لاختلاف العلما في فتحها وقد قال ابو عبيد ولا نعلم
مكة يشبهها شي من البلدان من جهتين احداهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان الله قد خصه من الانفال والغنايم ما لم يجعله لغيره وذلك
لقوله يسلونك عن الانفال الايه فنرى ان هذا كان خاصا له والجهة
الاخرى انه سن لمكة سننا ليس لشي من البلدان واما قصة حنين

فقد

فقد عوض الانصار لما قالوا يعطي الغنائم قريشا وسيوفنا تقطر
من دمائهم بنفسه فقال لهم اما ترضون ان يرجع الناس بالدنيا وترجعون
برسول الله الى بيوتكم خرجه مسلم وغيره وليس لغيره ان يقول هذا القول مع ان
ذلك خاص به على ما قاله بعض علمائنا والله اعلم **الثالثة** لم يختلف العلما
ان قوله واعلموا انما غنمتم من شي ليس على عمومه وانه يدخله الخصوص فمما
خصوه باجماع ان قالوا سلب المقتول لقاتله اذا نادى به الامام وكذلك
الرقاب اعني الاسارى الخيرة فيها الى الامام بلا خلاف على ما ياتي بيانه
ومما خص به ايضا الارض والمعنى ما غنمتم من ذهب وفضة وسائر الامتعة
والسبي واما الارض فغير داخلة في عموم هذه الاية لما روى ابو داود عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لولا اخر المسلمين ما فتحت قرية الا قسمتها
كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ومما يصحح هذا المذهب ما رواه
الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال منعت العراق قفيزها
ودرهمها ومنعت الشام مديها ودينارها الحديث قال الطحاوي منعت
بمعنى ستمنع فدل ذلك على انها لا تكون للغانمين لان ما تملكه الغانمون لا
يكون فيه قفيز ولا درهم ولو كانت الارض تقسم ما بقي لمن جاء بعد الغانمين شي
والله تعالى يقول والذين جاءوا من بعدهم بالعطف على قوله للفقراء المهاجرين
قال وانما يقسم ما ينقل من موضع الى موضع وقال الشافعي كل ما حصل من
الغنائم من اهل دار الحرب من شي قل او كثر من دار او ارض او متاع او غير ذلك
قسم الا الرجال البالغون فان الامام فيهم مخير ان يمن او يقتل او يسبي وسبيل
ما اخذ منهم وسبي سبيل الغنيمة واحتج بعموم الاية قال والارض مغنومة لا
محالة فوجب ان تقسم كسائر الغنائم وقد قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما افتتح عنوة من خيبر قالوا ولو جاز ان يدعى الخصوص في الارض جاز ان يدعى في
غير الارض فيبطل حكم الاية واما اية الحشر فلا حجة فيها لان ذلك في الفي لا
في الغنيمة وقوله والذين جاءوا من بعدهم استيناف كلام بالدعا لمن سبقهم
بالايمان لا لغير ذلك قالوا وليس يخلوا فعل عمر في توقيفه الارض من احد
وجهين اما ان تكون غنيمة استطاب انفس اهلها فطابت بذلك فوقفها
وكذلك روى جرير ان عمر استطاب انفس اهلها وكذلك صنع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سبي هوازن لما اتوه استطاب انفس اصحابه عما كان
في ايديهم واما ان تكون ما وقفه عمر فيئا فلم يحتج الى مراضاة احد وذهب
الكوفيون الى تخيير الامام في قسمها او اقرارها او توظيف الخراج عليها وتصير
ملكا لهم كارض الصلح قال شيخنا ابو العباس وكان هذا جمع بين الدليلين
ووسط بين المذهبين وهو الذي فهمه عمر قطعا ولذلك قال لولا اخر الناس
فلم يخبر بنسخ فعل النبي صلى الله عليه وسلم ولا بتخصيصه بهم غير ان الكوفيين
زادوا على ما فعل عمر فان عمر انما وقفها على مصالح المسلمين ولم يملكها
لاهل الصلح وهم قالوا للامام ان يملكها لاهل الصلح **الرابعة**
ذهب مالك وابو حنيفة والثوري الى ان السلب ليس للقاتل وان حكمه حكم
الغنيمة الا ان يقول الامير من قتل قتيلا فله سلبه فيكون حينئذ له وقال
الليث والاوزاعي والشافعي واسحق وابو ثور وابو عبيد والطبري وابن المنذر
السلب للقاتل على كل حال قاله الامام او لم يقله الا ان الشافعي قال
انما يكون السلب للقاتل اذا قتل قتيلا مقبلا عليه واما اذا قتله مدبرا
عنه فلا قال ابو العباس بن سريج من اصحاب الشافعي ليس الحديث من قتل
قتيلا فله سلبه على عمومه لاجماع العلما على ان من قتل اسيرا او امراة او شيخا

انه ليس له سلب واحد منهم وكذلك من دفف على جريح ومن قتل من قطعت يداه ورجلاه
قال وكذلك المنهزم لا يمنع في انهزامه وهو كالمكتوف قال يعلم بذلك ان الحديث
انما جعل السلب لمن لفعله معنى زائدا ولمن في قتله فضيلة وهو القاتل في
الاقبال لما في ذلك من المونة واما من اثخن فلا وقال الطبري السلب للقاتل مقبلا
قتله او مدبرا اتوها ربا او مبارزا اذا كان في المعركة وهذا يرده ما ذكره
عبد الرزاق ومحمد بن بكر عن ابن جريج قال سمعت نافعا مولى ابن عمر يقول لم نزل
نسمع اذا التقى المسلمون والكفار فقتل رجل من المسلمين رجلا من الكفار فان
سلبه له الا ان يكون في معمعة القتال لانه حينئذ لا يدرى من قتل قتيلا وظاهر
هذا يرد قول الطبري لاشتراطه في السلب القتل في المعركة خاصة وقال ابو ثور
وابن المنذر السلب للقاتل في معركة كان او غير معركة في الاقبال والادبار والهروب
والانتهار على كل الوجوه لعموم قوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه
قال المولف رحمه الله روى مسلم عن سلمة بن الاكوع قال غزونا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم هوازن فبينا نحن نتضحى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ جاء رجل على جمل احمر فاناخه ثم انتزع طلقا من حقبه فقيد به الجمل ثم تقدم
يتغدى مع القوم وجعل ينظر وفينا ضعفة ورقة في الظهر وبعضنا مشاة
اذ خرج يشتد فاتى جمله فاطلق قيده ثم اناخه وقعد عليه فاثاره فاشتد
به الجمل فاتبعه رجل على ناقة ورقاء قال سلمة وخرجت اشتد فكنت عند ورك
الناقة ثم تقدمت حتى كنت عند ورك الجمل ثم تقدمت حتى اخذت بخطام الجمل
فانخته فلما وضع ركبته في الارض اخترطت سيفي فضربت راس الرجل فندر ثم
جئت بالجمل اقوده عليه رحله وسلاحه فاستقبلني رسول الله صلى الله عليه وسلم
والناس معه فقال من قتل الرجل قالوا ابن الاكوع قال له سلبه اجمع فهذا

سلبه قتله هاربا غير مقبل واعطاه سلبه وفيه حجة لمالك من ان السلب لا
يستحقه القاتل الا باذن الامام اذ لو كان واجبا له بنفس القتل لما احتاج
الى تكرير هذا القول ومن حجته ايضا ما ذكره ابو بكر بن ابي شيبة قال حدثنا ابو
الاحوص عن الاسود بن قيس عن بشر بن علقمة قال بارزت رجلا يوم القادسية
فقتلته واخذت سلبه فاتيت سعدا فخطب سعد اصحابه ثم قال هذا
سلب بشر بن علقمة لهو خير من اثني عشر الف درهم وانا قد نفلناه اياه
فلو كان السلب للقاتل قضاء من النبي صلى الله عليه وسلم ما احتاج الامراء
ان يضيفوا ذلك الى انفسهم باجتهادهم ولاخذه القاتل دون امرهم والله اعلم
وفي الصحيح ان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء ضربا ابا جهل بسيفيهما
حتى قتلاه ثم اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال ايكما قتله فقال كل واحد
منهما انا قتلته فنظر في السيفين فقال كلاكما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو
بن الجموح وهذا نص على ان السلب ليس للقاتل اذ لو كان له لقسمه النبي صلى الله
عليه وسلم بينهما وفي الصحيح ايضا عن عوف بن مالك قال خرجت مع من خرج مع
زيد بن حارثة في غزوة مؤتة ورافقني مددي من اليمن وساق الحديث وفيه قال
عوف يا خالد اما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالسلب للقاتل
قال بلى ولكني استكثرته واخرجه ابو بكر البرقاني باسناده الذي اخرجه به
مسلم وزاد فيه بيانا ان عوف بن مالك قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يكن يخمس السلب وان مدديا كان رفيقا لهم في غزوة مؤتة في طرف من الشام
قال فجعل رومي منهم يشتد على المسلمين وهو على فرس اشقر وسرج مذهب
ومنطقة ملطخة وسيف محلى بذهب قال فيغري بهم قال فتلطف له المددي
حتى مر به فضرب عرقوب فرسه فوقع وعلاه بالسيف فقتله واخذ سلاحه

قال

قال فاعطاه خالد بن الوليد وحبس همنه قال عوف فقلت له اعطه كله أليس
قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول السلب للقاتل قال بلى ولكني
استكثرته قال عوف وكان بيني وبينه كلام فقلت له لاخبرن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال عوف فلما اجتمعنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عوف
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لخالد لم لم تعطه قال فقال استكثرته
قال فادفعه اليه فقلت له الم انجز لك ما وعدتك قال فغضب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال لخالد لا تدفعه اليه هل انتم تاركوا لي امرائي فهذا
يدل دلالة واضحة على ان السلب لا يستحقه القاتل بنفس القتل بل برأي الامام
ونظره وقال احمد بن حنبل لا يكون السلب للقاتل الا في المبارزة خاصة
الخامسة اختلف العلماء في تخميس السلب فقال الشافعي لا يخمس وقال
اسحق ان كان السلب يسيرا فهو للقاتل وان كان كثيرا خمس وفعله عمر بن الخطاب
مع البراء بن مالك حين بارز المرزبان فقتله وكانت قيمة منطقته وسواريه ثلثين
الفا فخمس ذلك وروى انس عن البراء بن مالك انه قتل من المشركين مائة رجل الا رجل
مبارزة وانهم لما غزوا الزارة خرج دهقان الزارة فقال رجل ورجل فبرز
البراء فاختلفا بسيفيهما ثم اعتنقا فتوركه البراء فقعد على كبده ثم اخذ السيف
فذبحه واخذ سلاحه ومنطقته واتى به عمر فنفله السلاح وقوم المنطقة
ثلثين الفا فخمسها وقال انها مال وقال الاوزاعي ومكحول السلب مغنم وفيه الخمس
وروي نحوه عن عمر بن الخطاب **والحجة** للشافعي ما روى ابو داود عن عوف بن
مالك الاشجعي وخالد بن الوليد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في السلب
للقاتل ولم يخمس السلب **السادسة** ذهب جمهور الفقهاء الى ان
السلب لا يعطى للقاتل الا ان يقيم البينة على قتله قال اكثرهم ويجزى شاهد واحد

على حديث ابي قتادة وقيل شاهدان او شاهد ويمين وقال الاوزاعي يعطاه بمجرد
دعواه وليست البينة شرطا في الاستحقاق بل ان اتفق ذلك فهو الاولى رفعا
للمنازعة الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى ابا قتادة سلب مقتوله
من غير شهادة ولا يمين ولا تكفي شهادة واحد ولا يناط بها حكم بمجردها وبه
قال الليث بن سعد قال المولف رحمه الله سمعت شيخنا الحافظ المنذري
الشافعي ابا محمد عبد العظيم يقول انما اعطاه النبي صلى الله عليه السلب بشهادة
الاسود بن خزاعي وعبد الله بن انيس وعلى هذا ينتفع النزاع ويزول الاشكال
ويطرد الحكم واما المالكية فيخرج على قولهم انه لا يحتاج الامام فيه الى بينة
لانه من الامام ابتداء عطية فان شرط الشهادة كان له وان لم يشترط جاز
ان يعطيه من غير شهادة **السابعة** اختلفوا في السلب ما هو فاما
السلاح وكل ما يحتاج الى القتال فلا خلاف انه من السلب وفرسه ان
قاتل عليه وصرع عنه وقال احمد في الفرس ليس من السلب وكذلك ان كان
في هميانه وفي منطقته دنانير او جواهر او نحو ذلك فلا خلاف انه ليس من
السلب واختلفوا فيما يتزين به للحرب فقال الاوزاعي ذلك كله من السلب
وقالت فرقة ليس من السلب وهذا مروي عن سحنون الا المنطقة فانها
عنده من السلب وقال ابن حبيب في الواضحة والسواران من السلب
الثامنة قوله تعالى فان لله خمسه قال ابو عبيد هذا ناسخ لقوله تعالى
في اول السورة قل الانفال لله والرسول ولم يخمس رسول الله صلى الله عليه وسلم
غنائم بدر فنسخ حكمه في ترك التخميس بهذا الا انه يظهر من قول علي رضي الله عنه
في صحيح مسلم كان لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعطاني شارفا من الخمس يومئذ الحديث انه خمس

فان

فان كان هذا فقول ابى عبيد مردود قال ابن عطيه ويحتمل ان يكون الخمس
الذى ذكر على رضى الله عنه من احدى الغزوات التى كانت بين بدر واحد فقد
كانت غزوه بنى سليم وغزوه المصطلق وغزوه ذى امر وغزوه بحران ولم
يحفظ فيها قتال ولكن يمكن ان غنمت غنائم والله اعلم قال المولف رحمه الله
وهذا التاويل يرده قول على يومئذ وذلك اشاره الى يوم قسم غنائم بدر الا
انه يحتمل ان يكون من الخمس ان كان لم يقع فى بدر تخميس من خمس سريه عبد الله بن
جحش فانها اول غنيمه غنمت فى الاسلام واول خمس كان فى الاسلام ثم نزل القران
واعلموا انما غنمتم من شى فان لله خمسه وهذا اولى من التاويل الاول والله اعلم
التاسعه ما فى قوله ما غنمتم بمعنى الذى والها محذوفه اى الذى غنمتموه
ودخلت الفا لان فى الكلام معنى المجازاه وان الثانيه توكيد للاولى ويجوز
كسرها وروى عن ابى عمرو قال الحسن هذا مفتاح كلام الله الدنيا والاخره
لانهما اسرف ذكره النسائى واستفتح جل وعز الكلام فى الفى والخمس بذكر
النسب ولم ينسب الصدقه اليه لانها اوساخ الناس **العاشره** اختلف
العلما فى كيفيه قسمه الخمس على اقوال سته الاول قالت طائفه يقسم الخمس
على سته فيجعل السدس للكعبه وهو الذى لله والثانى لرسوله والثالث لذوى
القربى والرابع لليتامى والخامس للمساكين والسادس لابن السبيل وقال بعض
اصحاب هذا القول يرد السهم الذى لله على ذوى الحاجه الثانى قال ابو العاليه
والربيع يقسم الغنيمه على خمسه فيعزل منها سهم واحد ويقسم الاربعه على الناس
ثم يضرب بيده فى السهم الذى عزله فما قبض عليه من شى جعله للكعبه ثم يقسم
بقيه السهم الذى عزله على خمسه سهم للنبى صلى الله عليه وسلم وسهم لذوى
القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل الثالث قال المنهال

ابن عمرو سالت عبد الله بن محمد بن علي وعلي بن الحسين عن الخمس فقال هو لنا قلت
لعلي ان الله يقول واليتامى والمساكين وابن السبيل قال ايتامنا ومساكيننا
الرابع قال الشافعي يقسم على خمسة ورأى ان سهم الله ورسوله واحد
وانه يصرف في مصالح المؤمنين والاربعة اخماس على الاربعة الاصناف المذكورة
في الاية الخامس قال ابو حنيفة يقسم على ثلثة لليتامى والمساكين وابن السبيل
وارتفع عنده حكم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بموته كما ارتفع حكم
سهمه قالوا ويبدأ من الخمس باصلاح القناطر وبناء المساجد وارزاق
القضاة والجنود وروي نحو هذا عن الشافعي ايضا السادس قال مالك
هو موكول الى نظر الامام واجتهاده فياخذ منه من غير تقدير ويعطي منه القرابة
باجتهاد ويصرف الباقي في مصالح المسلمين وبه قال الخلفاء الاربعة وبه
عملوا وعليه يدل قوله عليه السلام ما لي مما افاء الله عليكم الا الخمس
والخمس مردود عليكم فانه لم يقسمه اخماسا ولا اثلاثا وانما ذكر في الاية
من ذكر على وجه التنبيه عليهم لانهم من اهم من يدفع اليه قال الزجاج محتجا
لمالك قال الله تعالى يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين
والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وللرجل جائز بالاجماع ان
ينفق في غير هذه الاصناف اذا رأى ذلك وذكر النسائي عن عطاء قال
خمس الله وخمس الرسول واحد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل منه
ويعطي منه ويضعه حيث شاء ويصنع به ما شاء **الحادية عشرة**
قوله تعالى ولذي القربى ليست اللام لبيان الاستحقاق والملك وانما هي
لبيان المصرف والمحل والدليل عليه ما روى مسلم ان الفضل بن عباس
وربيعة بن عبد المطلب اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فتكلم احدهما فقال

يا رسول الله انت ابر الناس واوصل الناس وقد بلغنا النكاح فجينا لتأمرنا
على بعض هذه الصدقات فنودي اليك ما يودي الناس ونصيب كما يصيبون
فسكت طويلا حتى اردنا ان نكلمه قال وجعلت زينب تلمع الينا من وراء الحجاب
ان لا تكلما ثم قال ان الصدقة لا تحل لال محمد انما هي اوساخ المسلمين ادعوا
لي محمية وكان على الخمس ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب قال فجاآه فقال
لمحمية انكح هذا الغلام ابنتك للفضل بن عباس وقال لنوفل بن الحارث انكح
هذا الغلام ابنتك يعني ربيعة بن عبد المطلب وقال لمحمية اصدق عنهما من
الخمس كذا وكذا وقال صلى الله عليه وسلم ما لي مما افاء الله عليكم الا الخمس
والخمس مردود عليكم وقد اعطى جميعه وبعضه واعطى منه المولفة قلوبهم وليس
ممن ذكرهم الله في التقسيم فدل على ما ذكرناه والله الموفق المسالة عشرون
اختلف العلماء في ذوي القربى على ثلثة اقوال قريش كلها قاله بعض السلف لان
النبي صلى الله عليه وسلم لما صعد الصفا جعل يهتف يا بني فلان يا بني عبد مناف
يا بني عبد المطلب يا بني كعب يا بني مرة يا بني عبد شمس انقذوا انفسكم من النار
الحديث وسياتي في الشعراء وقال الشافعي واحمد وابو ثور ومجاهد وقتادة وابن
جريج ومسلم بن خالد بنوا هاشم وبنوا المطلب لان النبي صلى الله عليه وسلم
لما قسم سهم ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب قال انهم لم يفارقوني في
جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شي واحد وشبك بين
اصابعه اخرجه النسائي والبخاري قال البخاري قال الليث حدثني يونس
وزاد ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل شيئا قال
ابن اسحق وعبد شمس وهاشم والمطلب اخوة لام وامهم عاتكة بنت مرة وكان
نوفل اخاهم لابيهم قال النسائي واسهم النبي صلى الله عليه وسلم لذوي القربى

وهم بنوا هاشم وبنوا المطلب منهم الغني والفقير وقيل انه للفقراء منهم دون الغني
كالشافعي وابن السبيل وهو اشبه القولين بالصواب عندي والله اعلم والصغير
والكبير والذكر والانثى سوا لان الله جعل ذلك لهم وقسمه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيهم وليس في الحديث انه فضل بعضهم على بعض كالثالث بنو هاشم
خاصة قاله مجاهد وعلي بن الحسين وهو قول مالك والثوري والاوزاعي
الثالثة عشرة لما بين الله جل ذكره حكم الخمس وسكت عن الاربعة
الاخماس دل ذلك على انها ملك للغانمين وبين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
بقوله وايما قرية عصت الله ورسوله فان خمسها لله ورسوله ثم هي لكم
وهذا ما لا خلاف فيه بين الامة ولا بين الايمة على ما حكاه ابن العربي في
احكامه وغيره بيد ان الامام ان راى ان يمن على الاسرى بالاطلاق فعل
وبطلت حقوق الغانمين فيهم كما فعل عليه السلام بثمامة بن اثال وغيره
وقال لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هولاء النتنى يعني اسارى بدر
لتركتهم له مكافاة له لقيامه في شان الصحيفة وله ان يقتل جميعهم وقد قتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن ابي معيط من بين الاسرى صبرا
وكذلك النضر بن الحارث قتله بالصفرا صبرا وهذا مما لا خلاف فيه وكان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم سهم كسهم الغانمين حضر او غاب
وسهم الصفي يصطفي سيفا او سهما او خادما او دابة وكانت صفية بنت
حيي بن اخطب من الصفي من غنائم خيبر وكذلك ذو الفقار كان من الصفي وقد انقطع
بموته الا عند ابي ثور فانه راه باقيا للامام يجعله محل سهم النبي صلى الله
عليه وسلم وكانت الحكمة في ذلك ان اهل الجاهلية كانوا يرون للرئيس ربع
الغنيمة قال شاعرهم لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول

احكام الاسارى

وقال اخر منا الذي ربع الجيوش لصلبه عشرون وهو بعد في الاحياء
يقال ربع الجيش يربعه رباعة اذا اخذ ربع الغنيمة قال الاصمعي ربع في
الجاهلية وخمس في الاسلام فكان ياخذ بغير شرع ولا امر الربع من الغنيمة ويصطفي
منها ثم يتحكم بعد الصفا في اي شي اراد وكان ما شذ منها وما فضل عن حرب
ومتاع له فاحكم الله سبحانه الدين بقوله واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه
وابقى سهم الصفي لنبيه واسقط حكم الجاهلية قال عامر الشعبي كان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم سهم يدعى الصفا ان شا عبدا او امة او فرسا يختاره قبل
الخمس اخرجه ابو داود وفي حديث ابي هريرة قال فيلقى العبد فيقول اي فل الم
اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك تراس وتربع اخرجه
اخرجه مسلم تربع بالبا واحده من تحتها تاخذ الربع مما يحصل لقومك من الغنايم
والكسب وقد ذهب بعض اصحاب الشافعي الى ان خمس الخمس كان للنبي عليه
السلام يصرفه في قرابة اولاده ونسائه ويدخر من ذلك قوت سنة ويصرف
الباقي في الكراع والسلاح وهذا يرده ما رواه عمر قال كانت اموال بني
النضير مما افا الله على رسوله مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب
فكانت للنبي عليه السلام خاصة فكان ينفق على نفسه منها قوت سنته وما
بقي جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله اخرجه مسلم قال والخمس مردود
عليكم الرابعة عشرة ليس في كتاب الله تعالى دلالة على تفضيل الفارس
على الراجل بل فيه انهم سوا لان الله تعالى جعل الاربعة الاخماس لهم ولم يخص
راجلا من فارس ولولا الاخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم لكان الفارس
كالراجل والعبد كالحر والصبي كالبالغ وقد اختلف العلما في قسمة الاربعة
الاخماس فالذي عليه عوام اهل العلم فيما ذكر ابن المنذر انه يسهم للفرس سهمين

المسالة الرابعة عشرة

وللراجل سهم وممن قال ذلك مالك بن انس ومن تبعه من اهل المدينة وبذلك
قال الاوزاعي ومن وافقه من اهل الشام وبذلك قال الثوري ومن وافقه
من اهل العراق وهو قول الليث بن سعد ومن تبعه من اهل مصر وبذلك قال
الشافعي واصحابه وبه قال احمد بن حنبل واسحق وابو ثور ويعقوب ومحمد
قال ابن المنذر ولا نعلم احدا خالف ذلك الا النعمان فانه خالف فيه السنن
وما عليه جل اهل العلم من القديم والحديث قال لا يسهم للفرس الا سهم واحد
قال المولف رحمه الله لعله شبه عليه بحديث ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم جعل للفارس سهمين وللراجل سهما خرجه الدارقطني
وقال قال الرمادي هكذا يقول ابن نمير قال لنا النيسابوري هذا عندي
وهم من ابن ابي شيبة او من الرمادي لان احمد بن حنبل وعبد الرحمن بن بشر
وغيرهما رووه عن ابن عمر بخلاف هذا وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسهم للرجل ولفرسه ثلثة اسهم سهما له وسهمين لفرسه هكذا رواه
عبد الرحمن بن بشر عن عبد الله بن نمير عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر
وذكر الحديث وفي صحيح البخاري عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جعل للفرس سهمين ولصاحبه سهما وهذا نص وقد روى الدارقطني عن
الزبير قال اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر اربعة اسهم
سهمين لفرسي وسهما لي وسهما لامي من ذوي القرابة وفي رواية وسهما
لامه سهم ذوي القربى وخرج عن بشير بن عمرو بن محصن قال اسهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم لفرسي اربعة اسهم ولي سهما فاخذت خمسة اسهم ٥
وقيل ان ذلك راجع الى اجتهاد الامام فينفذ ما راى والله اعلم ٥
الخامسة عشرة لا يفاضل بين الفارس والراجل باكثر من فرس واحد

وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفه يسهم لاكثر من فرس واحد لانه اكثر غنا واعظم
منفعه وبه قال ابن الجهم من اصحابنا ورواه سحنون عن ابن وهب ودليلنا انه
لم ترد رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم بان يسهم لاكثر من فرس واحد وكذلك
الايمه بعده ولان العدو لا يمكن ان يقاتل الا على فرس واحد وما زاد على ذلك
فرفاهيه وزياده عده وذلك لا يوثر في زياده السهمان كالذي معه زياده
سيوف او رماح واعتبارا بالثالث والرابع وقد روي عن سليمان بن موسى
انه كان يسهم لمن كان عنده افراس لكل فرس سهم **السادسة عشره**
لا يسهم الا للعتاق من الخيل لما فيها من الكر والفر وما كان من البراذين والهجن
بمثابتها في ذلك وما لم يكن كذلك لم يسهم له وقيل ان اجازها الامام اسهم
لها لان الانتفاع بها يختلف بحسب المواضع فالهجن والبراذين تصلح للمواضع
المتوعره كالشعاب والجبال والعتاق تصلح للمواضع التي يتاتى فيها الكر
والفر فكان ذلك متعلقا براي الامام والعتاق خيل العرب والهجن والبراذين
خيل الروم **السابعه عشره** واختلف علماونا في الفرس الضعيف فقال
اشهب وابن نافع لا يسهم له لانه لا يمكن القتال عليه فاشبه الكسير وقيل
يسهم له لانه يرجى برؤه ولا يسهم للاعجف اذا كان في حيز ما لا ينتفع به كما
لا يسهم للكسير فاما المريض مرضا خفيفا مثل الرهيص وما يجري مجراه
مما لا يمنعه المرض عن حصول المنفعه المقصوده منه فانه يسهم له **الثامنه عشره**
الفرس المستعار والمستاجر وكذلك المغصوب يسهم له وسهمه لصاحبه
ويستحق السهم للخيل وان كانت في السفن ووقعت الغنيمه في البحر لانها معده
للنزول الى البر **التاسعه عشره** لا حق في الغنايم للحشوه كالاجرا
والصناع الذين يصحبون الجيش للمعاش لانهم لم يقصدوا قتالا ولا خرجوا

مجاهدين وقيل يسهم لهم لقوله صلى الله عليه وسلم الغنيمة لمن شهد الوقعة
اخرجه البخاري وهذا لا حجة فيه فانه جا بيانا لمن باشر الحرب وخرج اليه
وهي بيان ان الله تعالى المقاتلين واهل المعاش من المسلمين حيث جعلهم فرقتين
مميزتين لكل واحدة حالها في حكمها فقال علم ان سيكون منكم مرضى
واخرون يقاتلون في سبيل الله الا ان هولا اذا قاتلوا لا يضرهم كونهم
على معاشهم لان سبب الاستحقاق قد وجد منهم وقال اشهب لا يستحق
احد منهم وان قاتل وبه قال ابن القصار في الاجير لا يسهم له وان قاتل وهذا
يرده حديث سلمة بن الاكوع قال كنت تبيعا لطلحة بن عبيد الله اسقي
فرسه واحسه واخدمه واكل من طعامه الحديث وفيه ثم اعطاني رسول
الله صلى الله عليه وسلم سهمين سهم الفارس والراجل فجمعهما لي خرجه مسلم
واحتج ابن القصار ومن قال بقوله بحديث عبد الرحمن بن عوف ذكره
عبد الرزاق وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن
هذه الثلثة الدنانير حظه ونصيبه من غزوته في امر دنياه واخرته ٥

الموفية عشرين فاما العبيد والنسا فمذهب الكافة انه لا
يسهم لهم ولا يرضخ وقيل يرضخ لهم وبه قال جمهور العلماء وقال الاوزاعي ان
قاتلت المراة اسهم لها وزعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسهم للنسا
يوم خيبر قال واخذ المسلمون بذلك عندنا والى هذا القول مال ابن حبيب
من اصحابنا خرج مسلم عن ابن عباس انه كتب في كتابه الى نجدة تسألني
هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بالنسا وقد كان يغزو
بهن فيداوين الجرحى ويحذين من الغنيمة واما بسهم فلم يضرب لهن واما
الصبيان فان كان مطيقا للقتال ففيه عندنا ثلثة اقوال الاسهام ونفيه

حتى

واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله

حتى يبلغ تحديثا ابن عمرو وقال ابو حنيفة والشافعي والمعرفة بين ان يقاتل
فيسهم له او لا يقاتل فلا يسهم له والصحيح الاول لامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بني قريظة ان يقتل منهم من انبت ويخلى من لم ينبت وهذه
مراعاة لا طاقة القتال لا البلوغ وقد روى ابو عمر في الاستيعاب عن سمرة
ابن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض عليه الغلمان
من الانصار فيلحق من ادرك منهم فعرضت عليه عاما والحق غلاما وردني
فقلت يا رسول الله الحقته ورددتني ولو صارعني صرعته قال فصارعني
فصرعته فالحقني واما العبيد فلا يسهم لهم ايضا ويرضخ لهم الحادية
والعشرون الكافر اذا حضر باذن الامام وقاتل ففي الاسهام له
ثلثة اقوال الاسهام وبنفيه وبه قال مالك وابن القاسم وزاد ابن حبيب ولا
نصيب لهم ويفرق في الثالث وهو لسحنون بين ان يستقل المسلمون
بانفسهم فلا يسهم لهم او لا يستقلوا ويفتقروا الى معونة فيسهم لهم
فان لم يقاتل فلا يستحق شيئا وكذلك العبيد مع الاحرار وقال الثوري
والاوزاعي اذا استعين باهل الذمة اسهم لهم وقال ابو حنيفة واصحابه
لا يسهم لهم ولكن يرضخ وقال الشافعي يستاجرهم الامام من مال لا
له بعينه فان لم يفعل اعطاهم سهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال في
موضع اخر يرضخ للمشركين اذا قاتلوا مع المسلمين قال ابو عمر اتفق الجميع
ان العبد وهو ممن يجوز امانه اذا قاتل لم يسهم له ولكن يرضخ فالكافر
بذلك اولى ان لا يسهم له الثانية والعشرون لو خرج
العبيد واهل الذمة لصوصا واخذوا مال اهل الحرب فهو لهم ولا
يخمس لانه لم يدخل في عموم قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه

مال الامام

احد منهم ولا من النسا فاما الصغار فلا مدخل لهم من غير خلاف وقال سحنون
لا يخمس ما ينوب العبد وقال ابن القاسم يخمس لانه يجوز ان ياذن له سيده في
القتال ويقاتل على الدين بخلاف الكافر وقال اشهب في كتاب محمد اذا خرج العبد
والذمي من الجيش وغنما فالغنيمة للجيش دونهم **الثامنة والعشرون**
سبب استحقاق السهم شهود الوقعة لنصر المسلمين على ما تقدم فلو شهد
اخر الوقعة استحق ولو حضر بعد انقضا القتال فلا ولو غاب بانهزام فلا الا
ان كان قصد التحيز الى فئة فلا يسقط استحقاقه روى البخاري وابو داود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابان بن سعيد واصحابه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بخيبر بعد ان فتحها وان حزم خيلهم ليف فقال ابان اقسم
لنا يا رسول الله قال ابو هريرة فقلت لا تقسم لهم يا رسول الله فقال ابان
انت بها يا وبر تحدر علينا من راس ضال فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اجلس ابان ولم يقسم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم **الرابعة والعشرون**
واختلف العلما فيمن خرج لشهود الوقعة فمنعه العذر منه فمرض ففي ثبوت
الاسهام له ثلثة اقوال يفرق في الثالث وهو المشهور فيثبته ان كان الضلال
قبل القتال وبعد الادراب وهو الاصح قاله ابن العربي ويثبته ان كان قبله
وفيمن بعثه الامير من الجيش في امر من مصلحة الجيش فشغله ذلك عن شهود
الوقعة فانه يسهم له قاله ابن المواز ورواه ابن وهب وابن نافع عن مالك
وروي لا يسهم له بل يرضخ له لعدم السبب الذي يستحق به السهم والله اعلم
قال اشهب يسهم للاسير وان كان في الحديد والصحيح انه لا يسهم له
لانه ملك مستحق بالقتال فمن غاب وحضر مريضا فمن لم يحضره
الخامسة والعشرون الغائب المطلق لا سهم له ولم يسهم

(margin:) يا وبر

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم لغايب قط الا يوم خيبر فانه لم اسهم لاهل الحديبيه
من حضر منهم ومن غاب لقول الله تعالى وعدكم الله مغانم كثيره تاخذونها قاله
موسى بن عقبه وروى ذلك عن جماعه من السلف وقسم يوم بدر لعثمان ولسعيد
ابن زيد وطلحه وكانوا غايبين فهم كمن حضرها ان شا الله واما عثمان فانه تخلف على
رقيه ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بامره من اجل مرضها فضرب له رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسهمه واجره فكان كمن شهدها واما طلحه بن عبيد الله فكان
بالشام في تجاره فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه واجره فيعد
لذلك في اهل بدر واما سعيد بن زيد فكان غايبا بالشام ايضا فضرب له رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسهمه واجره فهو معدود في البدريين قال ابن العربي اما
اهل الحديبيه فكان ميعادا من الله اختص به اوليك النفر فلا يشاركهم فيه غيره
واما عثمان وسعيد وطلحه فيحتمل ان يكون اسهم لهم من الخمس لان الامه مجمعه
على ان من بقي لعذر فلا سهم له قال المولف رحمه الله الظاهر ان ذلك مخصوص
بعثمان وطلحه وسعيد فلا يقاس عليهم غيرهم وان سهمهم كان من صلب الغنيمه
كساير من حضرها لا من الخمس هذا الظاهر من الاحاديث والله اعلم وقد روى
البخاري عن ابن عمر قال انما تغيب عثمان عن بدر فانه كان تحته بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانت مريضه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان لك
اجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه

السادسه والعشرون

قوله تعالى ان كنتم امنتم بالله قال الزجاج عن فرقه المعنى فاعلموا ان الله مولاكم ان
كنتم فان متعلقه بهذا الوعد وقالت فرقه ان ان متعلقه بقوله واعلموا ان ما
غنمتم قال ابن عطيه وهذا هو الصحيح لان قوله واعلموا يتضمن الامر بالانقياد
والتسليم لامر الله في الغنايم فعلق ان بقوله واعلموا على هذا المعنى اي ان كنتم

مومنين بالله فانقادوا وسلموا الامر لله فيما اعلمكم به من حال قسمة الغنيمة ٥

قوله تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان ما في موضع خفض
عطف على اسم الله يوم الفرقان اي اليوم الذي فرقت فيه بين الحق والباطل
وهو يوم بدر التقى الجمعان حزب الله وحزب الشيطان **قوله تعالى**
اذ انتم بالعدوة الدنيا اي انزلنا اذ انتم على هذه الصفة او يكون المعنى
واذكروا اذ انتم والعدوة جانب الوادي وقرئ بضم العين وكسرها
فعلى الضم يكون الجمع عُدًى وعلى الكسر عِدًى مثل لحية ولحى وفرية وفرى
والدنيا تانيث الادنى والقصوى تانيث الاقصى من دنا يدنو وقصى يقصو
ويقال القصيا والاصل الواو وهي لغة اهل الحجاز قصوى فالدنيا كانت
مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة اي انتم نزول بشفير الوادي
بالجانب الادنى الى المدينة وعدوكم بالجانب الاقصى والركب اسفل منكم
يعني ركب ابي سفيان وغيره كانوا في موضع اسفل منهم الى ساحل البحر
فيه الامتعة وقيل هي الابل التي كانت تحمل امتعتهم فكانت في موضع يامنون
عليها توفيقا من الله عز وجل فذكرهم نعمه عليهم الركب ابتدا اسفل
منكم ظرف في موضع الخبر اي مكانا اسفل واجاز الاخفش والكسائي
والفرا والركب اسفل منكم اي اشد تسفلا منكم والركب جمع راكب
ولا تقول العرب ركب الا للجماعة الراكبي الابل وحكى ابن السكيت واكثر
اهل اللغة انه لا يقال راكب وركب الا للذي على الابل ولا يقال لمن كان
على فرس او غيرها راكب والركب والاركب والركبان والراكبون لا يكونون
الا على جمال غير فارس ٥ ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو كان
مع الاتفاق لكثرتهم ولقلتكم فانكم لو عرفتم كثرتهم لتاخرتم ثم وفق الله جل وعز لكم

ليقضي

ليقضي الله امرا كان مفعولا من نصر المومنين واظهار الدين واللام في ليقضي
متعلقة بمحذوف والمعنى جمعهم ليقضي ثم كررها فقال ليهلك اى جمعهم
هنالك ليقضي امرا ليهلك من هلك من في موضع رفع ويحيى في موضع نصب
عطف على ليهلك عن بينة اقامة الحجة والبرهان اى ليموت من يموت
عن بينة راها وعبرة عاينها فقامت عليه الحجة وكذلك حياة من يحيى
وقال ابن اسحق ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه وقطعت عذره ويومن من
امن على ذلك وقرى من حيي بيايين على الاصل وبيا واحدة مشددة الاولى
قراة اهل المدينة والبزي وابو بكر والثانية قراة الباقين وهي اختيار
ابي عبيد لانها كذلك وقعت في المصحف **قوله تعالى** اذ يريكهم الله في
منامك قليلا قال مجاهد راهم النبي عليه السلام في منامه قليلا فقص
ذلك على اصحابه فثبتهم الله بذلك وقيل عني بالمنام محل النوم وهو العين
اى في موضع منامك فحذف عن الحسن قال الزجاج وهذا مذهب حسن
ولكن الاولى اسوغ في العربية لانه قد جاء واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم
قليلا ويقللكم في اعينهم فدل بهذا ان هذه روية الالتقا وان تلك
روية النوم ومعنى لفشلتم لجبنتم عن الحرب ولتنازعتم في الحرب الامر
اختلفتم ولكن الله سلم اى اتم امر المسلمين بالظفر **قوله تعالى**
واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا هذا في اليقظة ويجوز حمل الاولى
على اليقظة ايضا وقيل المنام موضع النوم وهو العين فتكون
الاولى على هذا خاصة بالنبي عليه السلام وهذه للجميع قال ابن مسعود قلت
لانسان كان بجانبي يوم بدر اتراهم سبعين قال اراهم نحو المائة فاسرنا
رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم كان هذا في ابتدا القتال

حتى قال ابو جهل في ذلك اليوم انما هم اكلة جزور خذوهم اخذا واربطوهم حتى
بالحبال فلما اخذوا في القتال عظم المسلمون في اعينهم فكثروا كما قال يرونهم
مثليهم راي العين حسب ما تقدم في ال عمران بيانه ليقضي الله امرا كان
مفعولا تكرر هذا المعنى في الاول من اللقا وفي الثاني من قتال المشركين
واعزاز الدين وهو اتمام النعمة على المسلمين والى الله ترجع الامور اي مصيرها
ومردها اليه **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة اي جماعة
فاثبتوا امر بالقتال بالثبات عن قتال الكفار كما في الاية قبلها النهي عن
الفرار عنهم وهذا تاكيد على الوقوف للعدو والتجلد له **قوله تعالى**
واذكروا الله كثيرا للعلماء في هذا الذكر ثلاثة اقوال الاول اذكروا الله
عند جزع قلوبكم فان ذكره يعين على الثبات في الشدايد الثاني اثبتوا
بقلوبكم واذكروا بالسنتكم فان القلب قد يسكن عند اللقا ويضطرب
اللسان فامر بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين ويثبت اللسان على
الذكر ويقول ما قاله اصحاب طالوت ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين وهذه الحالة لا تكون عن قوة المعرفة واتقاد
البصيرة وهي الشجاعة المحمودة في الناس الثالث اذكروا ما عندكم
من وعد الله لكم في ابتياعه انفسكم ومثامنته لكم قال المولف رحمه الله
والاظهر انه ذكر اللسان الموافق للجنان قال محمد بن كعب القرظي لو رخص
لاحد في ترك الذكر لرخص لزكريا يقول الله عز وجل الا تكلم الناس ثلاثة ايام
الا رمزا واذكر ربك كثيرا ولرخص للرجل يكون في الحرب يقول الله عز وجل
اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وقال قتادة افترض الله ذكره على
عباده اشغل ما يكونون عند الضراب والسيوف وحكم هذا الذكر ان

يكون

يكون خفيا لان رفع الصوت في موضع القتال ردي مكروه اذا كان الغاطا
فاما اذا كان من الجميع عند الحملة فحسن لانه يفت في اعضاد العدو وروى
ابو داود عن قيس بن عباد قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكرهون الصوت عند القتال وروى ابو برده عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
مثل ذلك وقال ابن عباس يكره التلثم عند القتال قال ابن عطيه وبهذا والله اعلم
استن المرابطون بطرحه عند القتال على صيانتهم **قوله تعالى** واطيعوا الله
ورسوله ولا تنازعوا هذا استمرار على الوصيه لهم والاخذ على ايديهم في اختلافهم
في امر بدر وتنازعهم فتفشلوا نصب بالفاء في جواب النهي ولا يجيز سيبويه حذف
الفا والجزم واجازه الكسائي وقرئ تفشلوا بكسر الشين وهو غير معروف
وتذهب ريحكم اي قوتكم ونصركم كما تقول الريح لفلان اذا كان غالبا في الامر
قال الشاعر اذا هبت رياحك فاغتنمها فان لكل عاصفة سكون
وقال قتاده وابن زيد انه لم يكن نصر قط الا بريح تهب فتضرب في وجوه الكفار
ومنه قوله عليه السلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور قال الحكم
وتذهب ريحكم يعني الصبا اذ بها نصر محمد صلى الله عليه وسلم وامته قال مجاهد
وذهبت ريح اصحاب محمد حين نازعوه يوم احد **قوله تعالى** واصبروا امر
بالصبر وهو محمود في كل المواطن وخاصة موطن الحرب كما قال اذا لقيتم فئة
فاثبتوا **قوله تعالى** ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس
يعني ابا جهل واصحابه الخارجين يوم بدر لنصرة العير خرجوا بالقيان والمغنيات
فلما وردوا الجحفه بعث خفاف الكناني وكان صديقا لابي جهل بهدايا اليه
مع ابن له وقال ان شئت امددتك بالرجال وان شئت امددتك بنفسي
مع من خف من قومي فقال ابو جهل ان كنا نقاتل الله كما يزعم محمد فوالله ما لنا بالله طاقه

وان كنا نقاتل الناس فوالله ان بنا على الناس لقوة والله لا نرجع عن قتال محمد حتى
نرد بدرا فنشرب فيها الخمور وتعزف علينا القيان فان بدرا موسم من مواسم
العرب وسوق من اسواقهم حتى تسمع العرب بمخرجنا فتهابنا اخر الابد فوردوا
بدرا ولكن جرى ما جرى من هلاكهم والبطر في اللغة التقوي بنعم الله تعالى
وما البسه من العافية على المعاصي وهو مصدر في موضع الحال اي خرجوا بطرين
مرائين صادين وقد هم اصلا الناس **قوله تعالى** واذ زين لهم
الشيطان اعمالهم روي ان الشيطان تمثل لهم يومئذ في صورة سراقة بن مالك
ابن جعشم وهو من بني بكر بن كنانة وكانت قريش تخاف من بني بكر ان يأتوهم
من ورائهم لانهم قتلوا رجلا منهم فلما تمثل لهم قال ما اخبر الله عنه وقال
الضحاك جاءهم ابليس يوم بدر برايته وجنوده والقى في قلوبهم انهم لن يهزموا
وهم يقاتلون على دين ابائهم وعن ابن عباس قال امد الله نبيه صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين بالف من الملائكة فكان جبريل عليه السلام في خمس مائة من الملائكة
مجنبة وميكائيل في خمس مائة مجنبة وجاء ابليس في جند من الشياطين
معه رايته في صورة رجال من بني مدلج والشيطان في صورة سراقة بن مالك
فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما
اصطف القوم قال ابو جهل اللهم اولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يده فقال يا رب انك ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد في
الارض ابدا فقال جبريل خذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم فاخذ قبضة
من التراب فرمى بها وجوههم فما من المشركين من احد الا اصاب عينيه ومنخريه
وفمه فولوا مدبرين واقبل جبريل عليه السلام الى ابليس فلما رآه كانت يده في يد
رجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال الرجل يا

سراقة

سراقة الم تزعم انك لنا جار قال انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون ذكره
البيهقى وغيره وفى الموطا مالك عن ابرهيم بن ابى عبلة عن طلحة بن عبد الله بن
كريز ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رئى الشيطان يوما هو فيه
اصغر ولا احقر ولا ادحر ولا اغيظ منه فى يوم عرفة وما ذاك الا لما راى
من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما راى يوم بدر قيل وما
راى يوم بدر يا رسول الله قال اما انه راى جبريل يزع الملئكة ومعنى نكص
رجع بلغة سليم عن مورج وغيره وقال الشاعر
ليس النكوص على الادبار مكرمة   انما المكارم اقدام على الاسل
وقال اخر   وما ينفع المستاخرين نكوصهم   ولا ضر اهل السابقات التقدم
وليس ههنا قهقرى بل هو فرار كما قال اذا سمع الاذان ادبر وله ضراط قوله انى اخاف
الله قيل خاف ابليس ان يكون يوم بدر اليوم الذى انظر اليه وقيل كذب ابليس فى
قوله انى اخاف الله ولكن علم انه لا قوة له ويجمع جار اجوار وجيران وفى القليل جيرة
قوله تعالى اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض قيل المنافقون الذين
اظهروا الايمان وابطنوا الكفر والذين فى قلوبهم مرض الشاكون وهم دون
المنافقين لانهم حديث عهد بالاسلام وفيهم بعد ضعف نية قالوا عند الخروج
الى القتال وعند التقا الصفين غر هولاء دينهم وقيل هما واحد وهو اولى الا
ترى الى قوله جل وعز الذين يومنون بالغيب ثم قال والذين يومنون بما انزل اليك
وهما الواحد قوله تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملئكة قيل
اراد من بقى ولم يقتل يوم بدر وقيل هى فيمن قتل يوم بدر وجواب لو محذوف
تقديره لرايت امرا عظيما يضربون فى موضع الحال وجوههم وادبارهم اى
استاههم كنى عنها بالادبار قاله مجاهد وسعيد بن الجبير وقال الحسن ظهورهم

وقال ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني رايت بظهر ابي
جهل مثل الشراك قال ذلك لضرب الملائكة وقيل هذا الضرب يكون عند الموت
وقيل يكون يوم القيامة حين يصيرون بهم الى النار وذوقوا عذاب الحريق الذوق
يكون محسوسا ومعنى وقد يوضع موضع الابتلاء والاختبار تقول اركب هذا
الفرس فذقه وانظر فلانا فذق ما عنده قال الشماخ يصف فرسا
فذاق فاعطته من اللين جانبا كفى ولها ان يغرق السهم حاجز ٥ واصله من
الذوق بالفم ذلك في موضع رفع اي الامر ذلك او ذلك جزاؤكم بما قدمت ايديكم
اي اكتسبتم من الاثام وان الله ليس بظلام للعبيد اذ قد اوضح السبيل وبعث
الرسل فلم خالفتم وان في موضع خفض عطف على ما وان شئت نصبت
بمعنى وبان وحذفت الباء او بمعنى وذلك ان الله ويجوز ان يكون في موضع رفع
نسقا على ذلك **قوله تعالى** كداب ال فرعون الداب العادة وقد تقدم في
ال عمران اي العادة في تعذيبهم عند قبض الارواح وفي القبور كعادة ال فرعون
وقيل المعنى جوزي هولاء بالقتل والسبي كما جوزي ال فرعون بالغرق اي دابهم
كداب ال فرعون ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة اي هذا العقاب لانهم غيروا
وبدلوا ونعمة الله على قريش الخصب والسعة والامن والعافية اولم يروا انا
جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وقال السدي نعمة الله عليهم
محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به فنقل الى المدينة وحل بالمشركين
العقاب كداب ال فرعون ليس هذا بتكرير لان الاول للعادة في التكذيب
والثاني للعادة في التغيير وباقي الاية بين **قوله تعالى** ان شر الدواب
عند الله اي من يدب على وجه الارض في علم الله وحكمه الذين كفروا فهم لا يومنون
نظيره الصم البكم الذين لا يعقلون ثم وصفهم فقال الذين عاهدت منهم ثم ينقضون

عهدهم

عهدهم في كل مره وهم لا يتقون اي لا يخافون الانتقام ومن في قوله منهم للتبعيض
لان العهد انما كان يجري مع اشرافهم ثم ينقضونه والمعني بهم قريظه والنظر
في قول مجاهد وغيره نقضوا العهد فاعانوا مشركي مكه بالسلاح ثم اعتذروا
وقالوا نسينا فعاهدهم عليه السلام ثانيه فنقضوا يوم الخندق ٥
قوله تعالى فاما تثقفنهم في الحرب فشرد شرط وجوابه ودخلت النون
توكيدا لما دخلت ما هذا قول البصريين وقال الكوفيون تدخل النون الثقيله
والخفيفه مع اما في المجازاه للفرق بين المجازاه والتخيير ومعنى تثقفنهم تاسرهم
وتحصلهم في ثقاف او تلقاهم بحال ضعف تقدر عليهم فيها وتغلبهم وهذا
لازم من اللفظ لقوله في الحرب وقال بعض الناس تصادفنهم وتلقاهم يقال
ثقفته اثقفه ثقفا اي وجدته وفلان ثقف لقف اي سريع الوجود لما يحاوله
ويطلبه وثقف لقف وامراه ثقاف والقول الاول اولى لارتباطه بالايه
لما ذكرنا والمصادف قد يغلب فيمكن التشريد به وقد لا يغلب والثقاف في
اللغه ما تشد به القناه ونحوها ومنه قول النابغه
تدعو قعينا وقد عض الحديد بها عض الثقاف على صم الانابيب
فشرد بهم من خلفهم قال سعيد بن جبير المعنى انذر بهم من خلفهم قال ابو عبيد
هي لغه قريش شرد بهم سمع بهم وقال الضحاك اي نكل بهم والزجاج افعل بهم
فعلا من القتل تفرق به من خلفهم والتشريد في اللغه التبديد والتفريق
يقال شردت بني فلان قلعتهم عن مواضعهم وطردتهم عنها حتى فارقوها وكذلك
الواحد تقول تركته شريدا عن وطنه واهله قال الشاعر من هذيل
اطوف في الاباطح كل يوم مخافه ان يشرد بي حكيم ٥ ومنه شرد البعير والدابه
اذا فارق صاحبه ومن معنى الذي قاله الكسائي وروي عن ابن مسعود فشرذ

بالذال معجمة وهما لغتان وقال قطرب التشريد بالذال المعجمة التنكيل وبالمهملة التفريق حكاه الثعلبي وقال المهدوي الذال لا وجه لها الا ان تكون بدلا من الدال لتقاربهما ولا نعرف شرذ في اللغة وقرئ من خلفهم بكسر الميم والفا لعلهم يذكرون اي يتذكرون بوعدك اياهم وقيل هذا يرجع الى من خلفهم لان من قتل لا يتذكر اي شرد بهم من خلفهم من عمل مثل عملهم **قوله تعالى**
واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى
واما تخافن من قوم خيانة اي غشا ونقضا للعهد فانبذ اليهم عهدهم على سوا
وهذه الاية نزلت في بني قريظة حكاه الطبري عن مجاهد قال ابن عطية
والذي يظهر من الفاظ القران ان امر بني قريظة انقضى عند قوله فشرد بهم
من خلفهم ثم ابتدا تبارك وتعالى في هذه الاية يامره فيما يصنعه في
المستقبل مع من يخاف منه خيانة فتترتب فيهم هذه الاية وانما كانت
خيانتهم ظاهرة **الثانية** قال ابن العربي فان قيل كيف يجوز نقض العهد
مع خوف الخيانة والخوف ظن لا يقين معه فكيف يسقط يقين العهد مع
ظن الخيانة فالجواب من وجهين احدهما ان الخوف قد ياتي بمعنى اليقين
كما قد ياتي الرجا بمعنى العلم قال الله تعالى لا ترجون لله وقارا الثاني اذا
ظهرت اثار الخيانة وثبتت دلايلها وجب نبذ العهد لئلا يوقع التمادي
عليه في الهلكة وجاز اسقاط اليقين هنا ضرورة واما اذا علم اليقين
فيستغنى عن نبذ العهد اليهم وقد سار النبي صلى الله عليه وسلم الى اهل مكة
عام الفتح لما اشتهر منهم نقض العهد من غير ان ينبذ اليهم عهدهم
والنبذ الرمي والرفض قال الازهري معناه اذا عاهدت قوما فعلمت
منهم النقض بالعهد فلا توقع بهم سابقا الى النقض حتى تلقي اليهم انك

اهل م

قد نقضت العهد والموادعة فيكونوا في علم النقض مستوين ثم اوقع بهم
قال النحاس هذا من معجز ما جا في القران مما لا يوجد في الكلام مثله على
اختصاره وكثرة معانيه والمعنى فاما تخافن من قوم بينك وبينهم عهد
خيانة فانبذ اليهم العهد اي قل لهم قد نبذت اليكم عهدكم وانا مقاتلكم
ليعلموا ذلك فيكونوا معك في العلم سوا ولا تقاتلهم وبينك وبينهم عهد
وهم يثقون بك فيكون ذلك خيانة وغدرا ثم بين هذا بقوله ان الله لا يحب
الخائنين قال المولف رحمه الله ما ذكره الازهري والنحاس من انباذ
العهد مع العلم بنقضه يبرده فعل النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة
فانهم لما نقضوا لم يوجه اليهم بل قال اللهم اقطع خبرنا عنهم وغزاهم وهو
معنى الاية لان في قطع العهد منهم ونكثه مع العلم به حصول نقض عهدهم
والاستوا معهم فاما مع غير العلم بنقض العهد منهم فلا يحل ولا يجوز روى
الترمذي وابو داود عن سليم بن عامر قال كان بين معاوية وبين الروم عهد
وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى اذا انقضى العهد غزاهم فجاء رجل على
فرس او برذون وهو يقول الله اكبر الله اكبر فنظروا فاذا هو عمرو بن عبسة
فارسل اليه معاوية يسأله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقده ولا يحلها حتى ينقضي امدها
او ينبذ اليهم على سوا فرجع معاوية بالناس قال الترمذي هذا حديث
حسن صحيح والسوا المساواة والاعتدال وقال الراجز
فاضرب وجوه الغدر الاعدا حتى يجيبوك الى السواء وقال الكسائي
السوا العدل وقد يكون بمعنى الوسط ومنه قوله في سوا الجحيم ومنه قول
حسان يا ويح انصار النبي ورهطه بعد المغيب في سوا الملحد

هم

في الغزو وتقال فانبذ اليهم على سوا احمد الاسرا **الثامنة** روى مسلم
عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل غادر
لوا يوم القيامة يرفع له بقدر غدرته الا ولا غادر اعظم غدرا من امير
عامة قال علماونا رحمة الله عليهم انما كان الغدر في حق الامام اعظم وافحش
منه في غيره لما في ذلك من المفسدة فانهم اذا غدروا وعلم ذلك منهم
ولم ينبذوا العهد لم يامنهم العدو على عهد ولا صلح فتشتد شوكته
ويعظم ضرره ويكون ذلك منفرا عن الدخول في الدين وموجبا لذم ايمة
المسلمين فاما اذا لم يكن للعدو عهد فينبغي ان يتحيل عليه بكل حيلة وتدار
عليهم كل خديعة وعليه يحمل قوله عليه السلام الحرب خدعة وقد اختلف
العلما هل يجاهد مع الامام الغادر على قولين فذهب اكثرهم الى انه لا
نقاتل معه بخلاف الخاين والفاسق وذهب بعضهم الى الجهاد معه والقولان
في مذهبنا **قوله تعالى** ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا اي
من افلت من وقعة بدر سبق الى الحياة ثم استانف فقال انهم لا يعجزون
اي في الدنيا حتى يظفرك الله بهم وقيل يعني في الاخرة وهو قول الحسن
وقرا ابن عامر وحفص وحمزة يحسبن بالياء والباقون بالتاء على ان يكون في
الفعل ضمير الفاعل والذين كفروا مفعول اول وسبقوا مفعول ثان
واما قراءة الياء فزعم جماعة من النحويين منهم ابو حاتم ان هذا لحن لا تحل القراءة
به ولا تسع لمن عرف الاعراب او عرفه قال ابو حاتم لانه لم يات لتحسبن
بمفعول وهو يحتاج الى مفعولين قال النحاس وهذا تحامل شديد والقراءة
تجوز ويكون المعنى ولا يحسبن من خلفهم الذين كفروا سبقوا فيكون الضمير
يعود على ما تقدم الا ان القراءة بالتاء ابين قال المهدوي ومن قرا بالياء

احمل

احتمل ان يكون في الفعل ضمير النبي عليه السلام ويكون الذين كفروا وسبقوا
فيكون الضمير يعود على ما تقدم الا ان القراءة المفعولين ويجوز ان يكون الذين
كفروا فاعلين والمفعول الاول محذوفا المعنى ولا يحسبن الذين كفروا انفسهم
سبقوا قال مكي ويجوز ان يضمر مع سبقوا ان فتسد مسد المفعولين والتقدير
ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا فهو مثل احسب الناس ان يتركوا في سد
ان مسد المفعولين وقرا ابن عامر انهم لا يعجزون بفتح الهمزة واستبعد هذه
القراءة ابو حاتم وابو عبيد قال ابو عبيد وانما يجوز على ان يكون المعنى ولا يحسبن
الذين كفروا انهم لا يعجزون قال النحاس الذي ذكره ابو عبيد لا يجوز عند النحويين
البصريين حسبت زيدا انه خارج الا بكسر ان وانما لم يجز لانه في موضع المبتدا
كما تقول حسبت زيدا خروجه وهذا محال وفيه ايضا من البعد ما انه لا وجه
لما قاله يصح به معنى الا ان يجعل لا زائدة ولا وجه لتوجيه حرف في كتاب الله عز وجل
الى التطول بغير حجة يجب التسليم لها والقراءة جيدة على ان يكون المعنى لانهم لا
يعجزون قال مكي والمعنى لا يحسبن الكفار انفسهم فاتوا لانهم لا يعجزون اي
لا يفوتون فان في موضع نصب بحذف اللام او في موضع خفض على اعمال اللام
لكثرة حذفها مع ان وهو مروي عن الخليل والكسائي وقرا الباقون بكسر
ان على الاستئناف والقطع مما قبله وهو الاختيار لما فيه من معنى التاكيد ولان
الجماعة عليه وروي عن ابن محيصن انه قرا لا يعجزون بالتشديد وكسر النون
قال النحاس وهذا خطا من وجهين احدهما ان معنى عجزه ضعفه وضعف امره
والاخر انه كان يجب ان يكون بنونين ومعنى اعجزه سبقه وفاته حتى لم يقدر عليه
قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون
به عدو الله وعدوكم الى قوله يظلمون فيه خمس مسائل الاولى قوله واعدوا

امر الله سبحانه المومنين باعداد القوه للاعدا بعد ان اكد بعد مه التقوى
فان الله سبحانه لو شا لهزمهم بالكلام والتفل في وجوههم وبحفنة من تراب
كما فعل رسوله ولكنه اراد ان يبتلي بعض الناس ببعض بعلمه السابق وقضايه
النافذ وكل ما تعده لصديقك من خير او لعدوك من شر فهو داخل في عدتك
قال ابن عباس القوه هنا السلاح والقسى وفي صحيح مسلم عن عقبه بن عامر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول واعدوا
لهم ما استطعتم من قوه الا ان القوه الرمي الا ان القوه الرمي الا ان
القوه الرمي وهذا نص رواه عن عقبه ابو علي ثمامه بن شفي الهمداني
وليس له في الصحيح غيره وحديث اخر في الرمي عن عقبه ايضا قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم ارضون
ويكفيكم الله ولا يعجز احدكم ان يلهو باسهمه وقال صلى الله عليه وسلم
كل شي يلهو به الرجل باطل الا رميه بقوسه وتاديبه فرسه وملاعبته
اهله فانه من الحق ومعنى هذا والله اعلم ان كل ما يلتهي به الرجل مما لا يفيده
في العاجل ولا في الاجل فايده فهو باطل والاعراض عنه اولى وهذه
الامور الثلثه فانه وان كان يفعلها على انه يلتهي بها وينشط فانها حق
لاتصالها بما قد يفيد فان الرمي بالقوس وتاديب الفرس جميعا من معاون
القتال وملاعبه الاهل قد يودي الى ما يكون عنه ولد يوحد الله ويعبده
فلهذا كانت هذه الثلثه من الحق وفي سنن ابي داود والترمذي
والنساي عن عقبه بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يدخل
ثلثه نفر الجنه بسهم واحد صانعه يحتسب في صنعه الخير والرامي
ومنبله وفضل الرمي عظيم ومنفعته عظيمه للمسلمين ونكايته شديده

على

على الكافرين قال صلى الله عليه وسلم يا بني اسمعيل ارموا فان اباكم كان
راميا وتعلم الفروسيه واستعمال الاسلحه فرض كفايه وقد تعين
الثانيه قوله تعالى ومن رباط الخيل وقرا الحسن وعمرو بن دينار
وابو حيوه ومن ربط الخيل بضم الرا والبا جمع رباط ككتاب وكتب قال
ابو حاتم عن ابي زيد الرباط من الخيل الخمس فما فوقها وجماعه ربط وهي
التي ترتبط يقال منه ربط يربط ربطا وارتبط يرتبط ارتباطا ومربط
الخيل ومرابطها وهي ارتباطها بازا العدو قال الشاعر
امر الاله بربطها لعدوه في الحرب ان الله خير موفق وقال مكحول
ابن عبد الله يلوم على ربط الجياد وحبسها وقد اوصى بها الله النبي محمدا
ورباط الخيل فضل عظيم ومنزله شريفه وكان لعروه البارقي سبعون فرسا
معده للجهاد والمستحب منها الاناث قاله عكرمه وجماعه وهو صحيح فان
الاناث بطنها كنز وظهرها عز وفرس جبريل كان انثى وروى الايمه عن ابي هريره
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلثه لرجل اجر ولرجل ستر
ولرجل وزر الحديث ولم يخص ذكرا من انثى واجودها اعظمها اجرا واكثرها
نفعا وقد سئل صلى الله عليه وسلم اي الرقاب افضل فقال اغلاها ثمنا
وانفسها عند اهلها وروى النساي عن ابي وهب الجشمي وكانت له صحبه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسموا باسما الانبيا واحب الاسما الى
الله عبد الله وعبد الرحمن وارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها واكفالها
وقلدوها ولا تقلدوها الاوتار وعليكم بكل كميت اغر محجل او اشقر
اغر محجل او ادهم اغر محجل وروى الترمذي عن ابي قتاده ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال خير الخيل الادهم الاقرح الارثم الطلق اليمين فان لم يكن ادهم فكميت

على هذه الشية ورواه الدارمي عن ابي قتادة ايضا ان رجلا قال يا رسول الله
اني اريد ان اشتري فرسا فايها اشتري قال اشتر ادهم ارثم محجل
طلق اليمين او من الكميت على هذه الشية تغنم وتسلم وكان عليه السلام
يكره الشكال من الخيل والشكال ان يكون الفرس في رجله اليمنى بياض
وفي يده اليسرى او في يده اليمنى ورجله اليسرى خرجه مسلم عن ابي هريرة
ويذكر ان الفرس الذي قتل عليه الحسين كان اشكل الثالثة
وان قيل ان قوله واعدوا لهم ما استطعتم كان يكفي فلم خص الرمي
والخيل بالذكر قيل له ان الخيل لما كانت هي اصل الحروب واوزارها
التي عقد الخير في نواصيها وهي اقوى القوة واشد العدة وحصون
الفرسان وبها يجال في الميدان خصها الله بالذكر تشريفا واقسم
بغبارها تكريما فقال والعاديات ضبحا الاية ولما كانت السهام
من انجع ما يتعاطى في الحروب والنكاية في العدو واقربها تناولا
للارواح خصها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذكر لها والتنبيه
عليها ونظير هذا في التنزيل وجبريل وميكال ومثله كثير والله اعلم
الرابعة وقد استدل بعض العلماء بهذه الاية على جواز وقف
الخيل والسلاح واتخاذ الخزائن والخزان لها عدة للاعداء وقد اختلف
عن مالك في جواز وقف الحيوان كالخيل والابل على قولين المنع وبه قال
ابو حنيفة والصحة وبه قال الشافعي وهو اصح لهذه الاية ولحديث
ابن عمر في الفرس الذي حمل عليها في سبيل الله وقوله عليه السلام في
حق خالد واما خالد فانكم تظلمون خالدا فانه قد احتبس ادراعه
واعتاده في سبيل الله الحديث وما روي ان امراة جعلت بعيرا

اليد

في سبيل الله فاراد زوجها الحج فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ادفعيه اليه ليحج عليه فان الحج من سبيل الله ولانه مال ينتفع
به في وجه قربة فجاز ان يوقفه كرباع وقد ذكر السهيلي في هذه الاية
تسمية خيل النبي صلى الله عليه وسلم واله حربه من ارادها وجدها في كتاب
الاعلام **الخامسة** قوله تعالى ترهبون به عدو الله وعدوكم يعني
تخيفون به عدو الله وعدوكم من اليهود وقريش وكفار العرب واخرين
من دونهم يعني فارس والروم قاله السدي وقيل الجن وهو اختيار الطبري
وقيل المراد بذلك كل من لا تعرف عداوته قال السهيلي قيل هم قريظه
وقيل هم من الجن وقيل غير ذلك ولا ينبغي ان يقال فيهم شي لان الله سبحانه
قال واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم فكيف يدعي احد علما بهم الا
ان يصح حديث في ذلك جا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله في
هذه الايه هم الجن ثم قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان لا يخبل
احدا في داره فرس عتيق وانما سمي عتيقا لانه قد تخلص من الهجانة وهذا
الحديث اسنده الحارث بن ابي اسامة عن ابن المليكي عن ابيه عن جده
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان الجن لا تقرب دارا فيها فرس
وانها تنفر من صهيل الخيل **السادسة** قوله تعالى وما تنفقوا من خير
اي تتصدقوا وقيل تنفقوا على خيلكم او انفسكم في سبيل الله يوف
اليكم في الاخرة الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الى اضعاف
كثيرة وانتم لا تظلمون **قوله تعالى** وان جنحوا للسلم فاجنح لها
انما قال لها لان السلم مونثة ويجوز ان يكون التانيث للفعلة والجنوح الميل
تقول ان مالوا يعني الذين نبذ اليهم عهدهم الى المسالمة اي الصلح فمل اليها

وجنح الرجل الى الاخر مال اليه ومنه قيل للاضالع جوانح لانها مالت
على الحشوه وجنحت الابل اذا مالت اعناقها في السير قال ذو الرمه
اذا مات فوق الرحل احييت روحه بذكراك والعيس المراسيل جنح
وقال عنتره جوانح قد ايقن ان قبيله اذا ما التقى الجمعان اول غالب
يعني الطير وجنح الليل اذا اقبل وامال اطنابه على الارض والسلم
والسلام هو الصلح وقرا الاعمش وابو بكر وابن محيصن والمفضل السلم
بكسر السين الباقون بالفتح وقد مضى في البقره مستوفى وقد يكون السلام
من التسليم وقرا الجمهور فاجنح بفتح النون وهي لغة تميم وقرا الاشهب
العقيلي فاجنح بضم النون وهي لغة قيس قال ابن جني وهذه اللغة هي القياس
الثانيه واختلف في هذه الايه هل هي منسوخه ام لا فقال قتاده
وعكرمة نسخها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقاتلوا المشركين
كافه وقالا نسخت براءة كل موادعه حتى يقولوا لا اله الا الله وقال ابن عباس
الناسخ لها ولا تهنوا وتدعوا الى السلم وقيل ليست بمنسوخه بل اراد قبول
الجزيه من اهل الجزيه وقد صالح اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن بعده من الائمه كثيرا من بلاد العجم
على ما اخذوه منهم وتركوهم على ما هم فيه وهم قادرون على استيصالهم
وكذلك صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا من البلاد على مال يودونه
من ذلك خيبر رد اهلها اليها بعد الغلبه على ان يعملوا ويودوا النصف
قال ابن اسحق قال مجاهد عنى بهذه الايه قريظه لان الجزيه تقبل منهم فاما
المشركون فلا يقبل منهم شي وقال السدي وابن زيد معنى الايه ان دعوك
الى الصلح فاجبهم ولا نسخ فيها قال ابن العربي وبهذا يختلف الجواب عنه

وقد قال الله تعالى ولا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم
فاذا كان المسلمون على عزة وقوة ومنعة وجماعة عديدة وشدة شديدة
فلا صلح كما قال فلا صلح حتى تطعن الخيل بالقنا وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم
مصلحة
وان كان للمسلمين منفعة في الصلح لنفع يجتلبونه او ضرر يدفعونه فلا باس
ان يبتدي المسلمون به اذا احتاجوا اليه وقد صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل خيبر على شروط نقضوها فنقض صلحهم وقد صالح الضمري واكيدر دومة
واهل نجران وقد هادن قريشا لعشرة اعوام حتى نقضوا عهده وما زالت
الخلفا والصحابة على هذه السبيل التي شرعناها سالكة وبالوجوه التي
شرحناها عاملة قال القشيري اذا كانت القوة للمسلمين فينبغي ان لا تبلغ
الهدنة سنة فاذا كانت القوة للكفار جاز مهادنتهم عشر سنين ولا يجوز
الزيادة قال ابن المنذر اختلف العلما في المدة التي كانت بين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبين اهل مكة عام الحديبية فقال عروة كانت اربع سنين وقال
ابن جريج كانت ثلاث سنين وقال ابن اسحق كانت عشر سنين وقال الشافعي
لا تجوز مهادنة المشركين اكثر من عشر سنين على ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم
عام الحديبية فان هودن المشركون اكثر من ذلك فهي منتقضة لان الاصل
فرض قتال المشركين حتى يومنوا او يعطوا الجزية وقال ابن حبيب عن مالك تجوز
مهادنة المشركين السنة والسنتين والثلاث والى غير مدة قال المهلب
انما قاضاهم النبي صلى الله عليه وسلم هذه القضية التي ظاهرها الوهن على
المسلمين لسبب حبس الله ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة حين
توجه اليها فبركت وقال حبسها حابس الفيل على ما خرجه البخاري من حديث
المسور بن مخرمة ودل على جواز صلح المشركين ومهادنتهم دون مال يوخذ منهم

اذا راى ذلك الامام وجها ويجوز عند الحاجة للمسلمين عقد الصلح بمال يبذلونه للعدو ولموادعة النبي صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزاري والحارث بن عوف المري يوم الاحزاب على ان يعطيهما ثلث ثمر المدينة وينصرفا بمن معهما من غطفان ويخذلا قريشا ويرجعا بقومهما عنهم وكانت هذه المقاولة مراوضة ولم تكن عقدا ولما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهما انهما قد انابا ورضيا استشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فقالا يا رسول الله هذا امر تحبه فنصنعه لك او شيء امرك الله به فنسمع له ونطيع او امر تصنعه لنا قال بل امر نصنعه لكم فان العرب قد رمتكم عن قوس واحدة فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله والله قد كنا نحن وهولاء القوم على الشرك وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وما طمعوا قط ان ينالوا منها تمرة الا شرا او قرا فحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك نعطيهم اموالنا والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فسر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وقال انتم وذاك وقال لعيينة والحارث انصرفا فليس لكما عندنا الا السيف وتناول سعد الصحيفة وليس فيها شهادة فمحاها **قوله تعالى** وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله يخدعوا بان يظهروا لك السلم ويبطنوا الغدر والخيانة فاجنح وما عليك من نياتهم الفاسدة فان حسبك الله كافيك الله اي يتولى كفايتك وحياطتك وقال الشاعر

اذا كانت الهيجا وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند

اي كافيك وكافي الضحاك سيف **قوله تعالى** هو الذي ايدك اي قواك بنصره يريد يوم بدر وبالمومنين قال النعمان بن بشير نزلت في الانصار

والف بين قلوبهم اى جمع بين قلوب الاوس والخزرج وكان تالف القلوب
مع العصبيه الشديده فى العرب من ايات النبى عليه السلام ومعجزاته
لان احدهم كان يلطم اللطمه فيقاتل عنها حتى يستقيدها وكانوا اشد خلق
الله حميه فالف الله بالايمان بينهم حتى قاتل الرجل اباه واخاه بسبب الدين
وقيل اراد التاليف بين المهاجرين والانصار والمعنى متقارب **قوله تعالى**
يا ايها النبى حسبك الله ليس هذا تكريرا فانه قال فيما سبق وان يريدوا
ان يخدعوك فان حسبك الله وهذه فى حاله خاصه وفى قوله يا ايها النبى حسبك
الله اراد التعميم اى حسبك الله فى كل حال وقال ابن عباس نزلت فى اسلام
عمر فان النبى صلى الله عليه وسلم كان اسلم معه ثلثه وثلثون رجلا وست
نسوه فاسلم عمر وصاروا اربعين والايه مكيه كتبت بامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى سوره مدنيه ذكره القشيرى قال المولف رحمه الله ما ذكره من
اسلام عمر عن ابن عباس فقد وقع فى السيره خلافه عن عبد الله بن مسعود قال
ما كنا نقدر على ان نصلى عند الكعبه حتى اسلم عمر فلما اسلم قاتل قريشا حتى
صلى عند الكعبه وصلينا معه وكان اسلام عمر بعد خروج من خرج من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحبشه قال ابن اسحق وكان جميع من لحق
بارض الحبشه مهاجرا اليها من المسلمين سوى ابنائهم الذين خرجوا بهم صغارا
وولدوا بها ثلثه وثمانين رجلا ان كان عمار بن ياسر فيهم وهو يشك فيه
وقال الكلبى نزلت الايه بالبيدا فى غزوه بدر قبل القتال **قوله تعالى**
ومن اتبعك من المومنين قيل المعنى حسبك الله وحسبك المهاجرون
والانصار وقيل المعنى كافيك الله وكافى من تبعك قاله الشعبى وابن زيد
والاول عن الحسن واختاره النحاس وغيره فمن على القول الاول فى موضع

رفع عطفا على اسم الله على معنى فان حسبك الله واتباعك من المومنين
وعلى الثاني على اضمار ومثله قوله صلى الله عليه وسلم يكفينيه الله وابنا قيلة
وقيل يجوز ان يكون المعنى ومن اتبعك من المومنين حسبهم الله فيضمر الخبر ويجوز
ان يكون في موضع نصب على معنى يكفيك الله ويكفي من اتبعك **قوله تعالى**
يا ايها النبي حرض المومنين على القتال اي حثهم وحضهم يقال حارض على الامر
وواظب وواظب واكب بمعنى واحد والحارض الذي قد قارب الهلاك
ومنه قوله تعالى حتى تكون حرضا اي تذوب غما فتقارب الهلاك فتكون من
الهالكين ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وعشرون وثلثون
واربعون كل واحد منهما اسم موضوع على صورة الجمع لهذا العدد يجري
هذا الاسم مجرى فلسطين فان قال قايل لم كسر اول عشرين وفتح اول
ثلثين وما بعده الى الستين والى ثمانين فالجواب عند سيبويه ان عشرين
من عشرة بمنزلة اثنين من واحد فكسر اول عشرين كما كسر اثنان والدليل
على هذا قولهم ستون وتسعون كما قيل ستة وتسعة روى ابو داود عن
ابن عباس قال نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فشق ذلك
على المسلمين حين فرض الله عليهم ان لا يفر واحد من عشرة ثم انه جا التخفيف
فقال الان خفف الله عنكم قرا ابو توبة الى قوله مائة صابرة يغلبوا مائتين
قال فلما خفف الله تبارك وتعالى عنهم من العدد نقص من الصبر بقدر ما
خفف عنهم قال ابن العربي قال قوم ان هذا كان يوم بدر ونسخ وهذا خطا
من قايله ولم ينقل قط ان المشركين صافوا المسلمين عليها ولكن الباري تعالى
فرض ذلك عليهم اولا وعلق ذلك بانكم تفقهون ما تقاتلون عليه وهو الثواب
وهم لا يعلمون ما يقاتلون عليه قال الشيخ رحمه الله وحديث ابن عباس يدل

على

على ان ذلك فرض ثم لما شق ذلك عليهم حط الفرض الى ثبوت الواحد للاثنين
فخفف عنهم وكتب عليهم ان لا يفر مائة من مائتين فهو على هذا القول تخفيف
لا نسخ وهذا حسن وقد ذكر القاضي ابن الطيب ان الحكم اذا نسخ بعضه او بعض
اوصافه او غير عدده فجائز ان يقال انه نسخ لانه حينئذ ليس بالاول بل هو غيره
وذكر في ذلك خلافا قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى
فيه خمس مسائل الاولى قوله اسرى جمع اسير مثل قتيل وقتلى وجريح
وجرحى ويقال في جمع اسير ايضا اسارى بضم الهمزة واسارى بفتحها وليست
بالعالية وكانوا يشدون الاسير بالقد وهو الاسار فسمي كل اخيذ وان لم يؤسر
اسيرا قال الاعشى وقيدني الشعر في بيته كما قيد الاسرات الحمارا
وقد مضى هذا في البقرة وقال ابو عمرو بن العلاء الاسرى هم غير الموثقين عندما
يؤخذون والاسارى هم الموثقون ربطا وحكى ابو حاتم انه سمع هذا من
العرب الثانية هذه الآية نزلت يوم بدر عتابا من الله عز وجل لاصحاب
نبينا عليه السلام والمعنى ما كان ينبغي لكم ان تفعلوا هذا الفعل الذي
اوجب ان يكون للنبي عليه السلام اسرى قبل الاثخان ولهم هذا الاخبار بقوله
تريدون عرض الدنيا والنبي عليه السلام لم يامر باستبقاء الرجال وقت
الحرب ولا اراد قط عرض الدنيا وانما فعله جمهور مباشري الحرب فالتوبيخ
والعتاب انما كان متوجها بسبب من اشار على النبي عليه السلام باخذ الفدية
هذا قول اكثر المفسرين وهو الذي لا يصح غيره وقد جاء ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم في الآية حين لم ينه عنه حين راه من العريش واذ كره سعد بن معاذ وعمر بن
الخطاب وعبد الله بن رواحة ولكنه عليه السلام شغله بغت الامر وظهور
النصر فترك النهي عن الاستبقاء ولذلك بكى هو وابو بكر حين نزلت الآيات والله اعلم

روى مسلم من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم اوله في ال عمران وهذا تمامه
قال ابو زميل قال ابن عباس فلما اسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لابي بكر وعمر ما ترون في هولا الاسارى فقال ابو بكر يا نبي الله هم
بنوا العم والعشيره ارى ان ناخذ منهم فديه فيكون لنا قوه على الكفار وعسى
الله ان يهديهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى
يا ابن الخطاب قلت لا والله يا رسول الله ما ارى الذي راى ابو بكر ولكني
ارى ان تمكنا فنضرب اعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني
من فلان نسيبا لعمر فاضرب عنقه فان هولا ايمه الكفر وصناديدها فهوى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان
من الغد جيت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدين
يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني من اي شي تبكي انت وصاحبك فان
وجدت بكا بكيت وان لم اجد بكا تباكيت لبكاكما فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابكي للذي عرض على اصحابك من اخذهم الفدا لقد عرض علي
عذابهم ادنى من هذه الشجره شجره قريبه كانت من نبي الله صلى الله عليه وسلم
وانزل الله عز وجل ما كان لنبي ان يكون له اسرى الى قوله فكلوا مما غنمتم
حلالا طيبا فاحل الله الغنيمه لهم وروى يزيد بن هارون قال حدثنا يحيى
قال حدثنا ابو معاويه عن الاعمش عن عمرو بن مره عن ابي عبيده عن عبد الله
قال لما كان يوم بدر جي بالاسارى وفيهم العباس فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما ترون في هولا الاسارى فقال ابو بكر يا رسول الله قومك
واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وقال عمر كذبوك واخرجوك
وقاتلوك قدمهم فاضرب اعناقهم وقال عبد الله بن رواحه انظر واديا

بكثير

كثير الحطب فاضرمه عليهم فقال العباس وهو يسمع قطعت رحمك قال
فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليهم شيا فقال اناس ياخذ
بقول ابي بكر وقال اناس ياخذ بقول عمر وقال اناس ياخذ بقول عبد الله فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون
الين من اللبن ويشدد قلوب رجال فيه حتى تكون اشد من الحجاره مثلك
يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم
ومثلك يا ابا بكر مثل عيسى اذ قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم
فانك انت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح اذ قال رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا ومثلك يا عمر مثل موسى اذ قال ربنا اطمس على اموالهم
واشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم انتم عاله فلا يفلتن
احد الا بفدا او ضربة عنق فقال عبد الله الا سهيل بن بيضا فاني سمعته يذكر
الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رايتني اخوف ان تقع على
الحجاره من السما مني في ذلك اليوم وانزل الله تعالى ما كان لنبي ان يكون له
اسرى الى اخر الايتين وفي روايه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كاد
ليصيبنا في خلافه عمر بن الخطاب عذاب ولو نزل عذاب ما افلت الا عمر
وروى ابو داود عن عمر قال لما كان يوم بدر اخذ يعني رسول الله صلى الله عليه
وسلم الفدا انزل الله عز وجل ما كان لنبي ان يكون له اسرى الى قوله لمسكم
فيما اخذتم اي من الفدا عذاب عظيم ثم احل الغنائم وذكر القشيري ان سعد بن
معاذ قال يا رسول الله انه اول وقعه لنا مع المشركين فكان الاثخان احب
الي والاثخان كثره القتل عن مجاهد وغيره اي بالغ في قتل المشركين
تقول العرب اثخن فلان في هذا الامر اي بالغ وقال بعضهم حتى يقهر ويقتل

واشتد المفصل تصلي الضحى ما دهرها بتعبد وقد اتخذت فرعون في هذه
وقيل حتى يتمكن وقيل الاثخان القوة والشدة فاعلم الله سبحانه ان قتل
الاسرى الذين فودوا ببدر كان اولى من فدائهم قال ابن عباس كان هذا يوم بدر
والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله تعالى بعد
هذا في الاسارى فاما منا بعد واما فداء على ما ياتي بيانه في سورة القتال
ان شاء الله وقد قيل انما عوتبوا لان قضية بدر كانت عظيمة الموقع والتصرف
في صناديد قريش وساداتهم واموالهم بالقتل والاسترقاق والتملك
وذلك كله عظيم الموقع فكان حقهم ان ينتظروا الوحي ولا يستعجلوا فلما
استعجلوا ولم ينتظروا توجه عليهم ما توجه والله اعلم **الثالثة**
اسند الطبري وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس ان شئتم
اخذتم فداء الاسارى ويقتل منكم في الحرب سبعون على عددهم وان
شئتم قتلوا وسلمتم فقالوا نأخذ الفداء ويستشهد منا سبعون
وذكر عبد بن حميد بسنده ان جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم
بتخيير الناس هكذا وقد مضى في آل عمران القول في هذا وقال عبيدة السلماني
طلبوا الخيرتين كلتيهما فقتل منهم يوم احد سبعون وينشأ هنا
اشكال وهي **الرابعة** وهو ان يقال اذا كان التخيير فكيف وقع
التوبيخ بقوله لمسكم فالجواب ان التوبيخ وقع اولا لحرصهم
على اخذ الفداء ثم وقع التخيير بعد ذلك ومما يدل على ذلك ان المقداد
قال حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل عقبة بن ابي معيط
اسيري يا رسول الله وقال مصعب بن عمير للذي اسر اخاه شد عليك
يديك فان له اما موسرة الى غير ذلك من قصصهم وحرصهم على اخذ الفداء

ولما

ولما حصل الاسارى وسيقوا الى المدينه وانفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
القتل في النظر وعقبه وغيرهما وجعل يرى في سايرهم نزل التخيير من
الله تعالى فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه حينيذ فمر عمر
على اول رايه في القتل وراى ابو بكر المصلحه في قوه المسلمين بمال الفدا
ومال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى راى ابي بكر وكلا الرايين اجتهاد
بعد تخيير فلم ينزل بعد على هذا شي من تعتيب والله اعلم **الخامسه**
قال ابن وهب قال مالك كان ببدر اسارى مشركون فانزل الله ما كان
لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض فكانوا يوميذ مشركين وفادوا ورجعوا
ولو كانوا مسلمين لاقاموا ولم يرجعوا وكان عده من قتل منهم اربعه واربعين
ومثلهم اسروا وكان الشهدا قليلا وقال عمرو بن العلا ان القتلى كانوا
سبعين والاسرى كذلك وكذلك قال ابن عباس وابن المسيب وغيرهم
وهو الصحيح كما في صحيح مسلم فقتلوا يوميذ سبعين واسروا سبعين
وذكر البيهقي قالوا فجي بالاسارى وعليهم شقران مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم تسعه واربعون رجلا الذين احصوا وهم
سبعون في الاصل مجتمع عليه لا شك فيه قال ابن العربي انما قال مالك
وكانوا مشركين لان المفسرين رووا ان العباس قال للنبي صلى الله عليه وسلم
اني مسلم وفي روايه ان الاسارى قالوا للنبي عليه السلام امنا بك
وهذا كله ضعفه مالك واحتج على ابطاله بما ذكر من رجوعهم وزياده
عليه انهم غزوه في احد كما قال ابو عمر بن عبد البر اختلفوا في وقت
اسلام العباس فقيل اسلم قبل بدر ولذلك قال عليه السلام من لقي
العباس فلا يقتله فانما اخرج كرها وعن ابن عباس ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر ان ناسًا من بني هاشم وغيرهم قد
اخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم احدا من بني هاشم فلا
يقتله ومن لقي ابا البختري فلا يقتله ومن لقي العباس فلا يقتله فانه
انما اخرج مستكرها وذكر الحديث وذكر انه اسلم عام خيبر وكان
يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم باخبار المشركين وكان يحب ان
يهاجر فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم امكث بمكة فمقامك
بها انفع لنا قوله تعالى لولا كتاب من الله سبق فيه مسئلتان
الاولى قوله تعالى لولا كتاب من الله في انه لا يعذب قوما حتى يبين لهم ما يتقون
واختلف الناس في كتاب الله السابق على اقوال اصحها ما سبق من
احلال الغنايم فانها كانت محرمة على من قبلنا فلما كان يوم بدر اسرع
الناس الى الغنايم فانزل الله لولا كتاب من الله سبق اي بتحليل الغنايم
روى ابو داود الطيالسي في مسنده حدثنا سلام عن الاعمش عن ابي صالح
عن ابي هريرة قال لما كان يوم بدر تعجل الناس الى الغنايم فاصابوها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغنيمة لا تحل لاحد سود الرؤس
غيركم وكان النبي واصحابه اذا غنموا الغنيمة جمعوها ونزلت نار من السما
فاكلتها فانزل الله لولا كتاب من الله سبق الى اخر الايتين واخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح وقاله مجاهد والحسن وعنهما ايضا وسعيد بن
جبير الكتاب السابق هو مغفرة الله لاهل بدر ما تقدم او تاخر من
ذنوبهم وقالت فرقة الكتاب السابق هو عفو الله عنهم في هذا الذنب معينا
والعموم اصح لقوله عليه السلام لعمر في اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم
فقد غفرت لكم خرجه مسلم وقال الكتاب السابق هو ان لا يعذبهم ومحمد فيهم

وقيل

وقيل الكتاب السابق هو ان لا يعذب احدا بذنب اتاه جاهلا حتى يتقدم
اليه وقالت فرقة الكتاب السابق هو ما قضى الله من محو الصغاير باجتناب
الكباير وذهب الطبري الى ان هذه المعاني كلها داخلة تحت اللفظ وانه
يعمها ونكب عن تخصيص معنى دون معنى **الثانيه** قال ابن العربي وفي
هذه الاية دليل على ان العبد اذا اقتحم ما يعتقده حراما مما هو في علم الله
حلال له لا عقوبة عليه كالصايم اذا قال هذا يوم نوبتي فافطر الان وتقول
المراه هذا يوم حيضتي فافطر ففعلا ذلك وكان النوب والحيض الموجبان
للفطر ففي المشهور من المذهب فيه الكفاره وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفه
لا كفاره عليه وهي الروايه الاخرى وجه الروايه الاولى ان طرو الاباحه
لا يثبت عذرا في عقوبة التحريم عند الهتك كما لو وطي امراه ثم نكحها ووجه
الروايه الثانيه ان حرمة اليوم ساقطه عند الله فصادف الهتك محلا
لا حرمه له في علم الله فكان بمنزلة ما لو قصد وطي امراه قد زفت اليه وهو
يعتقدها انها ليست بزوجته فاذا هي زوجته وهذا اصح والتعليل
الاول لا يلزم لان علم الله سبحانه مع علمنا قد استوى في مسله التحريم وفي
مسلتنا اختلف فيها علمنا وعلم الله فكان المعول على علم الله كما قال
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم **قوله تعالى**
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا يقتضي ظاهره ان تكون الغنيمه كلها للغانمين
وان يكونوا مشتركين فيها على سوا الا ان قوله تعالى واعلموا انما غنمتم
من شي فان لله خمسه بين وجوب اخراج الخمس منه وصرفه الى الوجوه المذكوره
وقد تقدم القول في هذا مستوفى **قوله تعالى** يا ايها النبي قل لمن في ايديكم
من الاسرى فيه ثلاث مسايل الاولى قوله يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى

لغيرها

وانشد المفضل تصلي الضحى ما دهرها بتعبد وقد اثخنت فرعون في قبره
وقيل حتى يتجبر بتمكن وقيل الاثخان القوه والشده فاعلم الله سبحانه ان قتل
الاسرا الذين فودوا ببدر كان اولى من فدائهم قال ابن عباس كان هذا يوم بدر
والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله تعالى بعد
هذا في الاسارى فاما منا بعد واما فدا على ما ياتي بيانه في سوره القتال
ان شا الله وقد قيل انما عوتبوا لان قضيه بدر كانت عظيمه الموقع والتصرف
في صناديد قريش وساداتهم واموالهم بالقتل والاسترقاق والتملك
وذلك كله عظيم الموقع فكان حقهم ان ينتظروا الوحي ولا يستعجلوا فلما
استعجلوا ولم ينتظروا توجه عليهم ما توجه والله اعلم **الثالثه**
اسند الطبري وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس ان شئتم
اخذتم فدا الاسارى ويقتل منكم في الحرب سبعون على عددهم وان
شئتم قتلوا وسلمتم فقالوا ناخذ الفدا ويستشهد منا سبعون
وذكر عبد بن حميد بسنده ان جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم
بتخيير الناس هكذا وقد مضى في ال عمران القول في هذا وقال عبيده السلماني
طلبوا الخيرتين كلتيهما فقتل منهم يوم احد سبعون وينشا هنا
اشكال وهي **الرابعه** وهو ان يقال اذا كان التخيير فكيف وقع
التوبيخ بقوله لمسكم فالجواب ان التوبيخ وقع اولا لحرصهم
على اخذ الفدا ثم وقع التخيير بعد ذلك ومما يدل على ذلك ان المقداد
قال حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل عقبه بن ابي معيط
اسيري يا رسول الله وقال مصعب بن عمير للذي اسر اخاه شد عليك
يدك فان له اما موسره الى غير ذلك من قصصهم وحرصهم على اخذ الفدا

فلما

عليه وسلم
ولما تحصل الاسارى وسيقوا الى المدينة وانفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
القتل في النظر وعقبة وغيرهما وجعل يرى في سائرهم نزل التخيير من
الله تعالى فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه حينئذ فمر عمر
على اول رايه في القتل وراى ابو بكر المصلحة في قوة المسلمين بمال الفدا
ومال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى راى ابي بكر وكلا الرايين اجتهاد
بعد تخيير فلم ينزل بعد على هذا شي من تعتب والله اعلم **الخامسة**
قال ابن وهب قال مالك كان ببدر اسارى مشركون فانزل الله ما كان
لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض وكانوا يومئذ مشركين وفادوا ورجعوا
ولو كانوا مسلمين لاقاموا ولم يرجعوا وكان عدة من قتل منهم اربعة وار بعين
ومثلهم اسروا وكان الشهدا قليلا وقال عمرو بن العلا ان القتلى كانوا
سبعين والاسرى كذلك وكذلك قال ابن عباس وابن المسيب وغيرهم
وهو الصحيح كما في صحيح مسلم فقتلوا يومئذ سبعين واسروا سبعين
وذكر البيهقي قالوا فجي بالاسارى وعليهم شقران مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم تسعة واربعون رجلا الذين احصوا وهم
سبعون في الاصل مجتمع عليه لاشك فيه قال ابن العربي انما قال مالك
وكانوا مشركين لان المفسرين رووا ان العباس قال للنبي صلى الله عليه وسلم
اني مسلم وفي رواية ان الاسارى قالوا للنبي عليه السلام امنا بك
وهذا كله ضعفه مالك واحتج على ابطاله بما ذكر من رجوعهم وزيادة
عليه انهم غزوه في احد كما ذكر ابو عمر بن عبد البر اختلفوا في وقت
اسلام العباس فقيل اسلم قبل بدر ولذلك قال عليه السلام من لقي
العباس فلا يقتله فانما اخرج كرها وعن ابن عباس ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر ان ناسًا من بني هاشم وغيرهم قد
اخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم احدا من بني هاشم فلا
يقتله ومن لقي ابا البختري فلا يقتله ومن لقي العباس فلا يقتله فانه
انما اخرج مستكرها وذكر الحديث وذكر انه اسلم عام خيبر وكان
يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم باخبار المشركين وكان يحب ان
يهاجر فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم امكث بمكة فمقامك
بها انفع لنا قوله تعالى لولا كتاب من الله سبق فيه مسئلتان
الاولى قوله تعالى لولا كتاب من الله في انه لا يعذب قوما حتى يبين لهم ما يتقون
واختلف الناس في كتاب الله السابق على اقوال اصحها ما سبق من
احلال الغنائم فانها كانت محرمة على من قبلنا فلما كان يوم بدر اسرع
الناس الى الغنائم فانزل الله لولا كتاب من الله سبق اي بتحليل الغنائم
روى ابو داود الطيالسي في مسنده حدثنا سلام عن الاعمش عن ابي صالح
عن ابي هريرة قال لما كان يوم بدر تعجل الناس الى الغنائم فاصابوها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغنيمة لا تحل لاحد سود الرؤس
غيركم وكان النبي واصحابه اذا غنموا الغنيمة جمعوها ونزلت نار من السما
فاكلتها فانزل الله لولا كتاب من الله سبق الى اخر الايتين واخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح وقاله مجاهد والحسن وعنهما ايضا وسعيد بن
جبير الكتاب السابق هو مغفرة الله لاهل بدر ما تقدم او تاخر من
ذنوبهم وقالت فرقة الكتاب السابق هو عفو الله عنهم في هذا الذنب معينا
والعموم اصح لقوله عليه السلام لعمر في اهل بدر وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم
فقد غفرت لكم خرجه مسلم وقال الكتاب السابق هو ان لا يعذبهم ومحمد فيهم

وقيل

وقيل الكتاب السابق هو ان لا يعذب احدا بذنب اتاه جاهلا حتى يتقدم
اليه وقالت فرقة الكتاب السابق هو ما قضى الله من محو الصغاير باجتناب
الكباير وذهب الطبري الى ان هذه المعاني كلها داخلة تحت اللفظ وانه
يعمها ولا يطلب عن تخصيص معنى دون معنى الثانية قال ابن العربي وفي
هذه الاية دليل على ان العبد اذا اقتحم ما يعتقده حراما مما هو في علم الله
حلال له لا عقوبة عليه كالصايم اذا قال هذا يوم نوبتي فافطر الان وتقول
المراة هذا يوم حيضتي فافطر ففعلا ذلك وكان النوب والحيض الموجبان
للفطر ففي المشهور من المذهب فيه الكفارة وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة
لا كفارة عليه وهي الرواية الاخرى وجه الرواية الاولى ان طرو الاباحة
لا يثبت عذرا في عقوبة التحريم عند الهتك كما لو وطي امراة ثم نكحها ووجه
الرواية الثانية ان حرمة اليوم ساقطة عند الله فصادف الهتك محلا
لا حرمة له في علم الله فكان بمنزلة ما لو قصد وطي امراة قد زفت اليه وهو
يعتقدها انها ليست بزوجته فاذا هي زوجته وهذا اصح والتعليل
الاول لا يلزم لان علم الله سبحانه مع علمنا قد استوى في مسئلة التحريم وفي
مسئلتنا اختلف فيها علمنا وعلم الله فكان المعول على علم الله كما قال
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم **قوله تعالى**
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا يقتضي ظاهره ان تكون الغنيمة كلها للغانمين
وان يكونوا مشتركين فيها على سوا الا ان قوله تعالى واعلموا انما غنمتم
من شي فان لله خمسه بين وجوب اخراج الخمس منه وصرفه الى الوجوه المذكورة
وقد تقدم القول في هذا مستوفى **قوله تعالى** يا ايها النبي قل لمن في ايديكم
من الاسرى فيه ثلاث مسايل الاولى قوله يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى

قبل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقيل له وحده قال
ابن عباس الاسرى في هذه الايه عباس واصحابه قالوا للنبي عليه السلام
امنا بما جيت به ونشهد انك رسول الله لننصحن لك على قومك فنزلت
هذه الايه وقد تقدم بطلان هذا من قول مالك وفي مصنف ابي داود
عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل فدا اهل الجاهليه يوم بدر
اربعمايه وعن ابن اسحق فبعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في
فدا اسراهم ففدا كل قوم اسيرهم بما رضوا وقال العباس يا رسول الله
اني قد كنت مسلما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم باسلامك
فان يكن كما تقول فالله يجزيك بذلك فاما ظاهر امرك فكان علينا فافد
نفسك وابني اخيك نوفل وعقيل ابن ابي طالب وحليفك عتبه بن عمرو
واخا بني الحارث بن فهر قال ما ذاك عندي يا رسول الله قال فاين
المال الذي دفنته انت وام الفضل فقلت لها ان اصبت في سفري
هذا فهذا المال لبني الفضل وعبد الله وقثم فقال والله يا رسول الله
اني لاعلم انك رسول الله ان هذا الشي ما علمه غيري وغير ام الفضل
فاحسب لي يا رسول الله ما اصبتم مني عشرين اوقية من مال كان معي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ذلك شي اعطانا الله منك ففدى
نفسه وابني اخيه وحليفه وانزل الله فيه يا ايها النبي قل لمن في ايديكم
من الاسرى الايه قال ابن اسحق وكان اكثر الاسارى فدا العباس بن
عبد المطلب لانه كان رجلا موسرا فافتدى نفسه بمايه اوقيه من ذهب
وفي البخاري وقال موسى بن عقبه قال ابن شهاب حدثني انس بن مالك ان
رجالا من الانصار استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا

ما

فيه العباس ابن الحارث بن فهر الطلب

يا رسول الله ايذن لنا فلنترك لابن اختنا عباس فداه فقال لا والله لا
تذرون درهما وقال النقاش وغيره ان فدا كل واحد من الاسارى
كان اربعين اوقيه الا العباس فان النبي صلى الله عليه وسلم قال اضعفوا
الفدا على العباس وكلفه ان يفدى ابني اخيه عقيل ونوفل فادى عنهما
ثمانين اوقيه واخذ منه عشرون اوقيه وقت الحرب وذلك انه كان احد
العشره الذين ضمنوا الاطعام لاهل بدر فبلغت النوبه اليه يوم بدر
فاقتتلوا قبل ان يطعم وبقيت العشرون معه فاخذت منه وقت الحرب
فاخذ منه يوميذ مايه اوقيه وثمانون اوقيه فقال العباس للنبي صلى الله
عليه وسلم لقد تركتني ما حييت اسال قريشا بكفى فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اين الذهب الذى تركته عند امراتك ام الفضل فقال العباس
اى ذهب فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت لها لا ادرى ما
يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولولدك فقال يا ابن
اخي من اخبرك بهذا قال الله اخبرني قال العباس اشهد انك صادق
وما علمت انك رسول الله قط الا اليوم وقد علمت انه لم يطلعك عليه
الا عالم السراير اشهد ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله وكفرت
بما سواه وامر ابني اخيه فاسلما ففيهما نزلت يا ايها النبي قل لمن في ايديكم
من الاسرى وكان الذى اسر العباس ابو اليسر كعب بن عمرو اخو
بني سلمه وكان رجلا قصيرا وكان العباس ضخما طويلا فلما جا به الى
النبي صلى الله عليه وسلم قال له لقد اعانك عليه ملك كريم
قوله تعالى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اى اسلاما يوتكم خيرا مما
اخذ منكم اى من الفديه قيل في الدنيا وقيل في الاخره وفي صحيح مسلم

انه لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مال من البحرين قال له العباس
انى فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
خذ فبسط ثوبه واخذ ما استطاع ان يحمله مختصر في عن الصحيح فقال
العباس هذا خير مما اخذ مني وانا بعد ارجو ان يغفر الله لي وقال
العباس واعطاني زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة
واسند الطبري الى ابن العباس انه قال فيّ نزلت حين اعلمت رسول الله
صلى الله عليه وسلم باسلامي وسالته ان يحاسبني بالعشرين اوقية
التي اخذت مني قبل المفاداه فابى وقال ذلك فيّ فابدلني الله بذلك عشرين
عبدا كلهم تاجر بمالي وفي مصنف ابي داود عن عائشة قالت لما بعث
اهل مكة في فدا اسراهم بعثت زينب في فدا ابي العاصي بمال وبعثت
بقلادة لها كانت عند خديجة ادخلتها بها على ابي العاصي قالت فلما
راها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال ان
رايتم ان تطلقوا لها اسيرها وتردوا عليها الذي لها فقالوا نعم وكان
النبي صلى الله عليه وسلم اخذ عليه او وعده ان يخلي سبيل زينب وبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلا من الانصار فقال
كونا ببطن ياجج حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تاتيا بها قال ابن اسحق
وذلك بعد بدر بشهر قال عبد الله بن ابي بكر حدثت عن زينب بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم انها قالت لما قدم ابو العاص مكة قال
لي تجهزي فالحقي بابيك قالت فخرجت اتجهز فلقيتني هند بنت عتبة فقالت
يا بنت محمد الم يبلغني انك تريدين اللحوق بابيك فقلت لها ما اردت ذلك
فقالت اي بنت عم لا تفعلي اني امراة موسرة وعندي سلع من حاجتك

مزج

فان

فان اردت سلعه بعلها او قرضا من نفقه اقرضتك فانه لا يدخل
من النسا ما بين الرجال قالت فوالله ما اراها قالت ذلك الا لتفعل
فخفتها فكتمتها وقلت ما اريد ذلك فلما فرغت زينب من جهازها
ارتحلت وخرج بها حموها يقود بها نهارا هاتانه بن الربيع وتسامع بذلك
اهل مكه وخرج في طلبها هبار بن الاسود ونافع بن عبد قيس الفهري
وكان اول من سبق اليها هبار فروعها بالرمح وهي في هودجها وبرك
كنانه ونثر نبله ثم اخذ قوسه وقال والله لا يدنوا مني رجل الا وضعت
فيه سهما واقبل ابو سفيان في اشراف قريش فقال يا هذا امسك عنا
نبلك حتى نكلمك فوقف عليه ابو سفيان وقال انك لم تصنع شيا
خرجت بالمراه على روس الناس وقد عرفت مصيبتنا التي اصابتنا ببدر
فتظن العرب وتتحدث ان هذا وهن منا وضعف خروجك اليه بابنته
على روس الناس من بين اظهرنا ارجع بالمراه فاقم بها اياما ثم سلها سلا
رفيقا في الليل فالحقها بابيها فلعمري ما لنا بحبسها عن ابيها حاجه
وما لنا في ذلك الان من ثرة فيما اصاب منا ففعل فلما مر به يومان او
ثلثه سلها فانطلقت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكروا انها قد كانت القت للروعه التي اصابها حين روعها هبار
ابن ام درهم ما في بطنها **الثالثه** قال ابن العربي لما اسر من اسر
من المشركين تكلم قوم منهم بالاسلام ولم يمضوا فيه عزيمه ولا اعترفوا به
اعترافا جازما ويشبه انهم ارادوا ان يقربوا من المسلمين ولا يبعدوا
من المشركين قال علماونا ان تكلم الكافر بالايمان في قلبه ولسانه ولم يمض
فيه عزيمه لم يكن مومنا واذا وجد مثل ذلك من المومن كان كافرا الا

ما كان من الوسوسه التي لا تقدر على دفعها فان الله قد عفى عنها واسقطها
وقد بين الله لرسوله صلى الله عليه وسلم الحقيقة فقال وان يريد وا خيانتك
اى ان كان هذا القول منهم خيانه ومكرا فقد خانوا الله ورسوله من قبل
بكفرهم ومكرهم بك وقتالهم لك وان كان هذا القول منهم خيرا ويعلمه
الله فيقبل منهم ذلك ويعوضهم خيرا مما اخذ منهم ويغفر لهم ما تقدم
من كفرهم وخيانتهم ومكرهم وجمع خيانه خيانين وكان يجب ان يقال
خوائن لانه من ذوات الواو الا انهم فرقوا بينه وبين جمع خاينه ويقال
خاين وخون وخونه وخانه **قوله تعالى** ان الذين امنوا وهاجروا
الى اخر السوره فيه سبع مسائل الاولى قوله تعالى ان الذين امنوا ختم السوره
بذكر الموالاه ليعلم كل فريق وليه الذي يستعين به وقد تقدم معنى الهجره
والجهاد لغه ومعنى والذين اووا ونصروا معطوف عليه وهم الانصار
الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم وانضوى اليهم النبي صلى الله عليه
وسلم والمهاجرون اولئك رفع بالابتدا بعضهم ابتدا ثان اوليا
بعض خبره والجميع خبر ان قال ابن عباس اوليا بعض في الميراث
وكانوا يتوارثون بالهجره وكان لا يرث من امن ولم يهاجر من هاجر
فنسخ الله ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض الايه اخرجه
ابو داود وصار الميراث لذوي الارحام من المومنين ولا يتوارث اهل
ملتين شتا ثم جا قوله عليه السلام الحقوا الفرايض باهلها على ما
تقدم بيانه في ايه المواريث وقيل ليس هنا نسخ وانما معناه في النصره
والمعونه كما تقدم في النسا والذين امنوا ابتدا والخبر ما لكم من ولايتهم
من شي وقرا يحيى بن وثاب والاعمش وحمزه من ولايتهم بكسر الواو

قيل

قيل هي لغة وقيل هي من ولية الشي تعالى ولي بين الولاية وقال بين الولاية والفتح
في هذا ابين واحسن لانه بمعنى النصرة والنسب وقد تطلق الولاية والولاية
بمعنى الامارة **الثانية** قوله تعالى وان استنصروكم في الدين يريد
ان دعوا هولا المومنون الذين لم يهاجروا من ارض الحرب عونكم بنفير او
مال لاستنقاذهم فاعينوهم فذلك فرض عليهم فلا تخذلوهم الا ان
يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليهم ولا
ينقضوا العهد حتى تتم مدته قال ابن العربي الا ان يكونوا مستضعفين
فان الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة حتى لا تبقى منا عين تطرف حتى
نخرج الى استنقاذهم ان كان عددنا يحتمل ذلك او نبذل جميع اموالنا في
استخراجهم حتى لا يبقى لاحد منا درهم كذلك قال مالك وجميع العلما فانا لله
وانا اليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم اخوانهم في اسر العدو وبايديهم
خزائن الاموال وفضول الاحوال والقدرة والعدد والقوة والجلد
قال الزجاج ويجوز فعليكم النصر بالنصب على الاغرا **الثالثة** قوله تعالى
والذين كفروا بعضهم اوليا بعض قطع الله الولاية بين الكفار والمومنين فجعل
المومنين بعضهم اوليا بعض والكفار بعضهم اوليا بعض يتناصرون بدينهم ويتعاملون
باعتقادهم قال علماونا في الكافرة يكون لها الاخ المسلم لا يزوجها اذ لا
ولاية بينهما ويزوجها اهل ملتها فكما لا يزوج المسلمة الا مسلم فكذلك الكافرة
لا يزوجها الا كافر قريب لها او اسقف ولو من مسلم الا ان تكون معتقة فان
عقد على غير المعتقة فسخ ان كان لمسلم ولا يعرض للنصراني وقال اصبغ لا يفسخ
عقد المسلم اولى وافضل **الرابعة** قوله تعالى الا تفعلوه الضمير
عائد على الموارثة والتزامها المعنى الا تتركوهم يتوارثون كما كانوا يتوارثون

وقف

قاله ابن زيد وقيل هي عائدة على التناصر والموازرة والمعاونة واتصال الايدي
قال ابن جريج وغيره وهذا ان لم يفعل تقع الفتنة عنه عن قريب فهو آكد من الاول
وذكر الترمذي عن عبد الله بن مسلم بن هرمز عن محمد وسعيد ابني عبيد عن ابي حاتم
المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءكم من ترضون دينه
وخلقه فانكحوه ثلاث مرات قال حديث غريب وقيل يعود على حفظ العهد
والميثاق الذي تضمنه قوله الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق وهذا ان لم
يفعل فهو الفتنة بعينها وقيل يعود على النصر للمسلمين في الدين وهو معنى
القول الثاني قال ابن اسحق جعل الله المهاجرين والانصار اهل ولايته
في الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم اولياء بعض ثم قال
الا تفعلوه وهو ان يتولى المومن الكافر دون المومنين تكن فتنة اي
محنة بالحرب وما انجر معها من الغارات والجلاء والاسر والفساد الكبير
ظهور الشرك قال الكسائي ويجوز النصب في قوله تكن فتنة على معنى تكن
فعلتكم فتنة وفسادا كبيرا حقا مصدر اي حققوا ايمانهم بالهجرة
والنصرة وحقق الله ايمانهم بالبشارة في قوله لهم مغفرة واجر كبير
اي ثواب عظيم في الجنة **الخامسة** قوله تعالى والذين امنوا من بعد
يريد من بعد الحديبية وبيعة الرضوان وذلك ان الهجرة من بعد ذلك
كانت اقل رتبة من الهجرة الاولى والهجرة الثانية هي التي وقع فيها
الصلح ووضعت الحرب اوزارها نحو عامين ثم كان فتح مكة ولهذا
قال عليه السلام لا هجرة بعد الفتح فبين ان من امن وهاجر من بعد
يلتحق بهم ومعنى منكم اي مثلكم في النصر والموالاة **السادسة**
قوله تعالى واولوا الارحام ابتدا والواحد ذو والرحم مونثة والجمع ارحام

والمراد بها هنا العصبات دون المولود من الرحم ومما يبين ان المراد
بالرحم العصبات قول العرب وصلتك رحم لا يريدون قرابة الام
قالت قتيلة بنت الحارث اخت النضر بن الحارث كذا قال ابن هشام
قال السهيلي الصحيح انها بنت النضر لا اخته كذا وقع في كتاب الدلائل
ترثي اباها حين قتله النبي صلى الله عليه وسلم صبرا بالصفرا
يا راكبا ان الاثيل مظنة من صبح خامسة وانت موفق
ابلغ بها ميتا بان تحية ما ان تزال بها النجائب تخفق
مني اليك وعبرة مسفوحة جادت بوا كفها واخرى تخنق
هل يسمعن النضر ان ناديته ام كيف يسمع ميت لا ينطق
امحمد يا خير ضنء كريمة في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق
لو كنت قابل فدية لفديته باعز ما يفدى به ما ينفق
فالنضر اقرب من اسرت قرابة واحقهم ان كان عتق يعتق
ظلت سيوف بني ابيه تنوشه لله ارحام هناك تشقق
صبرا يقاد الى المنية متعبا رسف المقيد وهو عان موثق

السابعة واختلف السلف ومن بعدهم في توريث ذوي الارحام
وهو من لا سهم له في الكتاب من قرابة الميت وليس بعصبة كاولاد البنات
واولاد الاخوات وبنات الاخ والعمة والخالة والعم اخي الاب للام
والجد ابي الام والجدة ام الام ومن ادلى بهم فقال قوم لا يرث من لا
فرض له من ذوي الارحام روي عن ابي بكر الصديق وزيد بن ثابت وابن
عمر ورواية عن علي وهو قول اهل المدينة وروي عن مكحول والاوزاعي

وبه قال الشافعي وقال بتوريثهم عمر بن الخطاب وابن مسعود ومعاذ
وابو الدردا وعايشه وعلي في روايه عنه وهو قول الكوفيين واحمد
واسحق واحتجوا بالايه قالوا وقد اجتمع في ذوي الارحام سببان القرابه
والاسلام فهو اولى ممن له سبب واحد وهو الاسلام اجاب
الاولون فقالوا هذه الايه مجمله جامعه والظاهر لكل رحم قرب او بعد
وايات المواريث مفسره والمفسر قاض على المجمل ومبين قالوا وقد
جعل النبي صلى الله عليه وسلم الولا سببا ثابتا اقام المولى فيه مقام
العصبه فقال الولا لمن اعتق ونهى عن بيع الولا وعن هبته احتج
الاخرون بما روى ابو داود والدارقطني عن المقدام قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ترك كلا فالي وربما قال فالى الله والى رسوله
ومن ترك مالا فلورثته وانا وارث من لا وارث له اعقل عنه وارثه وروى
الدارقطني عن طاوس قال قالت عايشه الله مولى من لا مولى له والخال
وارث من لا وارث له موقوف وروى عن ابي هريره ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الخال وارث وروى عن ابي هريره قال سيل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ميراث العمه والخاله فقال لا ادري حتى ياتيني
جبريل ثم قال اين السايل عن ميراث العمه والخاله قال فاتى الرجل
فقال سارني جبريل انه لا شي لهما قال الدارقطني لم يسنده غير مسعده
عن محمد بن عمرو وهو ضعيف والصواب مرسل وروى عن الشعبي قال
قال زياد بن ابي سفيان لجليسه هل تدري كيف قضى عمر رضي الله عنه
في العمه والخاله قال لا قال اني لاعلم خلق الله كيف قضى فيهما عمر جعل
الخاله بمنزله الام والعمه بمنزله الاب والله اعلم

٩٦

الجزء السابع من تفسير القرآن

٩٦

الجزء السابع من تفسير القرطبي

الجزء السابع من تفسير القرطبي

باكبيكج

ك: ٩٥

من كتب العصر مفتي السلطنة العثمانية السيد فيض الله
ابن الشيخ محمد عفي عنهما

لله تعالى

تفسير جامع احكام القرآن للشيخ الامام ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي
القرطبي المالكي المتوفى سنة ثمان وستين وستمائة رحمه الله تعالى

وقف

سورة براءة مدنية باتفاق

قوله تعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فيه خمس مسايل
الاولى في اسمايها قال سعيد بن جبير سالت ابن عباس رضي الله عنه عن سورة
براءة فقال تلك الفاضحة ما زال ينزل ومنهم ومنهم حتى خشينا ان لا تدع
احدا قال القشيري ابو نصر عبد الرحيم وهذه السورة نزلت في غزوة تبوك
ونزل بعدها وفي اولها نبذ عهود الكفار اليهم وفي السورة كشف اسرار
المنافقين وتسمى الفاضحة والبحوث لانها تبحث عن اسرار المنافقين
وتسمى المبعثرة والبعثرة البحث **الثانية** اختلف العلماء في سبب
سقوط البسملة من اول هذه السورة على اقوال خمسة الاول انه قيل
كان من شان العرب في زمانها في الجاهلية اذا كان بينهم وبين قوم عهد
وارادوا نقضه كتبوا اليهم كتابا ولم يكتبوا فيه بسملة فلما نزلت سورة
براءة بنقض العهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم والمشركين
بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقراها
عليهم في الموسم ولم يبسمل في ذلك على ما جرت به عادتهم في نقض العهد
من ترك البسملة وقول ثان روى النسائي قال حدثنا احمد قال حدثنا محمد
ابن المثنى عن يحيى بن سعيد قال حدثنا عوف قال حدثنا يزيد الرواسي
قال قال لنا ابن عباس قلت لعثمان ما حملكم الى ان عمدتم الى الانفال
وهي من المثاني والى البراءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر
بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال فما حملكم على
ذلك قال عثمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الشي
يدعو بعض من يكتب عنده فيقول ضعوا هذه في السورة التي فيها كذا وكذا

وننزل عليه الايات فيقول ضعوا هذه الايات في السوره التي فيها كذا وكذا
وكانت الانفال من اوايل ما انزل وبراه من اخر القران وقصتها شبيهه
بقصتها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها
وظننت انها منها فمن ثم قرنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم
وخرجه ابو عيسى الترمذي وقال حديث حسن وقول ثالث روي عن
عثمان ايضا وقاله مالك فيما رواه ابن وهب وابن القاسم وابن عبد الحكم
انه لما سقط اولها سقط بسم الله الرحمن الرحيم معه وروي ذلك عن
ابن عجلان انه بلغه ان سوره براه كانت تعدل البقره او قربها فذهب
منها فلذلك لم يكتب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم وقال سعيد بن جبير
كانت مثل سوره البقره وقول رابع قاله خارجه وابو عصمه وغيرهما
قالوا لما كتبوا المصاحف في خلافه عثمان اختلف اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم براه والانفال سوره واحده وقال
بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجه لقول من قال هما سورتان وتركت
بسم الله الرحمن الرحيم لقول من قال هما سوره واحده فرضي الفريقان
معا وثبتا جميعا في المصحف وقول خامس قال عبد الله بن عباس سالت
علي بن ابي طالب لم لم تكتب في براه بسم الله الرحمن الرحيم قال لان
بسم الله الرحمن الرحيم امان وبراه نزلت بالسيف ليس فيها امان وروي
معناه عن المبرد قال ولذلك لم يجمع بينهما فان بسم الله الرحمن الرحيم رحمه
وبراه نزلت سخطه ونحوه عن سفيان قال سفيان بن عيينه انما لم يكتب
في صدر هذه السوره بسم الله الرحمن الرحيم لان التسميه رحمه والرحمه
امان وهذه السوره نزلت في المنافقين وبالسيف ولا امان للمنافقين

والصحيح

والصحيح ان التسمية لم تكتب لان جبريل عليه السلام ما نزل بها في
هذه السورة قاله القشيري وفي قول عثمان قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها دليل على ان السور كلها انتظمت بقوله
وتبيينه وان براءة وحدها ضمت الى الانفال من غير عهد من النبي .. من
صلى الله عليه وسلم لما عاجله الحمام قبل تبيينه ذلك وكانتا تدعى
القرينتين فوجب ان تجمعا وتضم احداهما الى الاخرى للوصف الذي لزمهما
من الاقتران ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي **الثالثة**
قال ابن العربي هذا دليل على ان القياس اصل في الدين الا ترى الى عثمان
واعيان الصحابة كيف نحوا الى قياس الشبه عند عدم النص وراوا ان قصة
براءة شبيهة بقصة الانفال فالحقوها بها واذا كان الله تعالى قد بين
دخول القياس في تاليف القران فما ظنك بسائر الاحكام **الرابعة**
قوله تعالى براءة تقول برئت من الشي ابرا براءة فانا منه بري اذا ازلته عن
نفسك وقطعت سبب ما بينك وبينه وبراءة رفع على خبر ابتداء مضمر
تقديره هذه براءة ويصح ان ترفع بالابتداء والخبر في قوله الى الذين وجاز
الابتداء بالنكرة لانها موصوفة فتعرفت تعريفا ما وجاز الاخبار عنها وقرا
عيسى بن عمر براءة بالنصب على تقدير التزموا براءة ففيها معنى الاغراء وهي
مصدر على فعالة كالشناءة والدناءة **الخامسة** قوله تعالى الى الذين
عاهدتم من المشركين يعني الى الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه كان المتولي للعقود واصحابه بذلك كلهم راضون فكانهم عاقدوا وعا هدوا
فنسب العقد اليهم وكذلك ما عقده ائمة الكفر على قومهم منسوب اليهم
محسوب عليهم يواخذون به اذ لا يمكن غير ذلك فان تحصيل الرضى من الجميع

متعدد فاذا اعتقد الامام لما يراه من المصلحة امرا لزم جميع الرعايا ٥
قوله تعالى فسيحوا في الارض اربعة اشهر فيه ثلاث مسائل الاولى قوله
فسيحوا رجع من الخبر الى الخطاب اى قل لهم سيحوا اى سيروا في الارض
مقبلين ومدبرين امنين غير خائفين احدا من المسلمين بحرب ولا سلب ولا
قتل ولا اسر يقال ساح فلان في الارض يسيح سياحة وسيوحا وسيحانا
ومنه السيح في الما وهو الجاري المنبسط ومنه قول طرفة بن العبد
لو خفت هذا منك ما نلتني حتى ترى خيلا امامي تسيح **الثانيه**
اختلف العلما في كيفية هذا التاجيل وفي هولا الذين برى الله منهم ورسوله
فقال محمد بن اسحق وغيره هما صنفان من المشركين احدهما كانت مدة عهده
اقل من اربعة اشهر فامهل تمام اربعة اشهر والاخر كانت مدة عهده
بغير اجل محدود فقصر به على اربعة اشهر ليرتاد لنفسه ثم هو حرب بعد
ذلك لله ولرسوله وللمومنين يقتل حيث ما ادرك ويوسر الا ان يتوب
وابتدا هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاوه الى عشر من شهر ربيع الاخر
فاما من لم يكن له عهد فانما اجله انسلاخ الاشهر الحرم وذلك
خمسون يوما عشرون من ذي الحجة والمحرم وقال الكلبي انما كانت الاربعة
الاشهر لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد دون اربعة
اشهر ومن كان عهده اكثر من اربعة اشهر فهو الذي امر الله ان يتم له
عهده بقوله فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وهذا اختيار الطبري
وغيره وذكر محمد بن اسحق ومجاهد وغيرهما ان هذه الاية نزلت في اهل مكة
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح قريشا عام الحديبية
على ان يضعوا الحرب عشر سنين يامن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض

فدخل

فدخلت خزاعه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر
في عهد قريش فعدت بنو بكر على خزاعه فنقضوا عهدهم وكان سبب
ذلك دما كان لبني بكر عند خزاعه قبل الاسلام بمده فلما كانت الهدنه
المنعقده يوم الحديبيه امن الناس بعضهم بعضا فاغتنم بنو الديل
من بني بكر وهم الذين كان الدم لهم تلك الفرصه وغفلت خزاعه
وارادوا ادراك ثار بني الاسود بن رزن الذين قتلهم خزاعه فخرج نوفل
ابن معاويه الديلي فيمن اطاعه من بني بكر بن عبد مناه حتى بيتوا خزاعه واقتتلوا ا
واعانت قريش بني بكر بالسلاح وقوم من قريش اعانوهم بانفسهم فانهزمت
خزاعه الى الحرم على ما هو مشهور مسطور فكان ذلك نقضا للصلح الواقع
يوم الحديبيه فخرج عمرو بن سالم الخزاعي وبديل بن ورقا الخزاعي وقوم من
خزاعه فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مستغيثين به فيما اصابهم
به بنو بكر وقريش وانشد عمرو بن سالم فقال

يا رب اني ناشد محمدا حلف ابينا وابيه الاتلدا كنت لنا ابا وكنا ولدا
ثمت اسلمنا ولم ننزع يدا فانصر هداك الله نصرا اعتدا وادع عباد الله ياتوا مددا دا
فيهم رسول الله قد تجردا ابيض مثل الشمس ينمو صعدا ان سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا ان لست تدعو احدا وهم اذل واقل عددا هم بيتونا بالحطيم هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا نصرت ان لم انصر بني كعب ثم نظر الى سحابه فقال انها لتستهل بنصر
بني كعب يعني خزاعه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبديل بن ورقا
ومن معه ان ابا سفيان سياتي ليشد العقد ويزيد في الصلح وسينصرف

بعد حاجة فقدمت قريش على ما فعلت فخرج ابو سفيان الى المدينة ليستديم
العقد ويزيد في الصلح فخرج بغير حاجة كما اخبر صلى الله عليه وسلم على ما
هو معروف من خبره وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة
ففتحها الله وذلك في سنة ثمان من الهجرة فلما بلغ هوازن فتح مكة
جمعهم مالك بن عوف النصري على ما هو معروف ومشهور من غزاة حنين
وسياتي بعضها وكان الظفر والنصر للمسلمين على الكافرين وكانت
وقعة هوازن يوم حنين في اول شوال من السنة الثامنة من الهجرة
وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم الغنايم من الاموال
والنسا فلم يقسمها حتى اتى الطايف فحاصرهم صلى الله عليه وسلم
بضعا وعشرين ليلة وقيل غير ذلك ونصب عليهم المنجنيق ورماهم به
على ما هو معروف من تلك الغزاة ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الجعرانة وقسم غنايم حنين على ما هو مشهور من امرها وخبرها ثم
انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا واقام الحج للناس
عتاب بن اسيد في تلك السنة وهو اول امير اقام الحج في الاسلام
وحج المشركون على مشاعرهم وكان عتاب بن اسيد خيرا فاضلا
ورعا وقدم كعب بن زهير بن ابي سلمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامتدحه واقام على راسه بقصيدته التي اولها بانت سعاد فقلبي
اليوم متبول وانشدها الى اخرها وذكر فيها المهاجرين فاثنى عليهم
وكان قبل ذلك قد حفظ له هجا في النبي صلى الله عليه وسلم فعاب عليه
الانصار اذ لم يذكرهم فغدا على النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة
يمدح فيها الانصار فقال من سره كرم الحياة فلا يزل في مقنب من صالح الانصار

ورثوا المكارم كابرا عن كابر ان الخيار هم بنوا الاخيار
المكرهين السمهري باذرع كسوالف الهند عن قصار
والناظرين باعين محمرة كالجمر غير كليلة الابصار
والبايعين نفوسهم لنبيهم للموت يوم تعانق وكرار
يتطهرون يرونه نسكا لهم بدما من علقوا من الكفار
دربوا كما دربت ببطن خفية غلب الرقاب من الاسود ضوار
واذا حللت ليمنعوك اليهم اصبحت عند معاقل الاغفار
ضربوا عليا يوم بدر ضربة دانت لوقعتها جميع نزار
لو يعلم الاقوام علمي كله فيهم لصدقني الذين اماري
قوم اذا خوت النجوم فانهم للطارقين النازلين مقاري
ثم اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد انصرافه من الطايف
ذا الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وربيع الاخر وجمدى الاولى
وجمدى الاخرة وخرج في رجب من سنة تسع بالمسلمين الى غزو الروم
غزوة تبوك وهي اخر غزاة غزاها قال ابن جريج عن مجاهد لما انصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك اراد الحج ثم قال انه يحضر
البيت عراة مشركون يطوفون بالبيت فلا احب ان احج حتى لا يكون
ذلك فارسل ابا بكر اميرا على الحج وبعث معه باربعين اية من صدر
براة ليقراها على اهل الموسم فلما خرج دعا النبي صلى الله عليه وسلم
عليا وقال اخرج بهذه القصة من صدر براة فاذن بذلك في الناس
اذا اجتمعوا فخرج على ناقة النبي صلى الله عليه وسلم العضبا حتى ادرك
ابا بكر الصديق رضي الله عنهما بذي الحليفة فقال له ابو بكر لما راه

امير او مامور فقال بل مامور ثم نهضا فاقام ابو بكر للناس الحج على منازلهم
التي كانوا عليها في الجاهلية وفي كتاب النسائي عن جابر ان عليا قرا على
الناس براءة حتى ختمها قبل يوم التروية بيوم وفي يوم عرفة وفي يوم النحر
عند انقضاء خطبة ابي بكر في الثلاثة الايام فلما كان يوم النفر الاول
قام ابو بكر فخطب الناس فحدثهم كيف ينفرون وكيف يرمون يعلمهم
مناسكهم فلما فرغ قام علي فقرا على الناس براءة حتى ختمها وقال
سليمان بن موسى لما خطب ابو بكر بعرفة قال قم يا علي فاد رسالة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علي ففعل قال ثم وقع في نفسي ان
جميع الناس لم يشاهدوا خطبة ابي بكر فجعلت اتتبع الفساطيط
يوم النحر وروى الترمذي عن زيد بن يثيع قال سالنا عليا باي
شي بعثت في الحج قال بعثت باربع ان لا يطوف بالبيت عريان ومن
كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له
عهد فاجله اربعة اشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مومنة ولا يجتمع المسلمون
والمشركون بعد عامهم هذا قال هذا حديث حسن صحيح واخرجه
النسائي وقال فكنت انادي حتى صحل صوتي قال ابو عمر بعث
عليا ينبذ الى كل ذي عهد عهده ويعهد اليهم ان لا يحج بعد العام
مشرك ولا يطوف بالبيت عريان واقام الحج في ذلك العام سنة
تسع ابو بكر ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قابل حجته التي
لم يحج غيرها من المدينة فوقعت حجته في ذي الحجة فقال ان الزمان قد
استدار الحديث على ما ياتي في اية النسي بيانه وثبت الحج في
ذي الحجة الى يوم القيامة وذكر مجاهد ان ابا بكر حج في ذي القعدة

من سنة تسع قال ابن العربي وكانت الحكمة في اعطا براة لعلي ان براة
تضمنت نقض العهد الذي كان عقده النبي صلى الله عليه وسلم
وكانت سيرة العرب ان لا يحل العقد الا الذي عقده او رجل من اهل
بيته فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يقطع السنة العرب بالحجة
ويرسل ابن عمه الهاشمي من بيته ينقض العهد حتى لا يبقى لهم متكلم قال
معناه الزجاج **الثالثة** قال العلما وتضمنت الاية جواز
قطع العهد بيننا وبين المشركين ولذلك حالتان حالة تنقضي المدة بيننا
وبينهم فيوذنهم بالحرب والايذان اختيار ه الثانية ان يخاف
منهم غدرا فننبذ اليهم عهدهم كما سبق قال ابن عباس والاية منسوخة
فان النبي صلى الله عليه وسلم عاهد ثم نبذ العهد لما امر بالقتال
قوله تعالى واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر
فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى واذان الاذان الاعلام لغة من غير
خلاف وهو عطف على براة الى الناس هنا جميع الخلق يوم الحج
الاكبر ظرف والعامل فيه اذان وان كان قد وصف بقوله من الله
فان رايحة الفعل فيه باقية وهي عاملة في الظروف وقيل العامل فيه
مخزي ولا يصح عمل اذان لانه قد وصف فخرج عن حكم الفعل ه
الثانية واختلف العلما في الحج الاكبر فقيل يوم عرفة روي عن
عمر وعثمان وابن عباس وطاوس ومجاهد وهو مذهب ابي حنيفة وبه قال
الشافعي وعن علي وابن عباس ايضا وابن مسعود وابن ابي اوفى والمغيرة
ابن شعبة انه يوم النحر واختاره الطبري وروى ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر في الحجة التي حج فيها فقال

مطلب بيان الحج الاكبر

اى يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الاكبر اخرجه ابو داود
وخرج البخاري عن ابي هريرة قال بعثني ابو بكر الصديق رضي الله عنه فيمن
يؤذن يوم النحر بمنى لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان
ويوم الحج الاكبر يوم النحر وانما قيل الاكبر من اجل قول الناس الحج الاصغر
فنبذ ابو بكر الى الناس في ذلك العام فلم يحج عام حجة الوداع الذي
حج فيها النبي صلى الله عليه وسلم مشرك وقال ابن ابي اوفى يوم النحر يوم
الحج الاكبر يهراق فيه الدم ويوضع فيه الشعر ويلقى فيه التفث وتحل فيه
الحرم وهذا مذهب مالك لان يوم النحر فيه الحج كله لان الوقوف انما هو
في ليلته والرمي والنحر والحلق والطواف في صبيحته احتج الاولون بحديث
سمرة ان النبي عليه السلام قال يوم الحج الاكبر يوم عرفة رواه اسمعيل
القاضي وقال الثوري وابن جريج الحج الاكبر ايام منى كلها وهذا كما قال
يوم صفين ويوم الجمل ويوم بعاث فيراد به الحين والزمان لا نفس
اليوم وروي عن مجاهد الحج الاكبر القران والاصغر الافراد وهذا
ليس من الاية في شيء وعنه وعن عطاء الحج الاكبر الذي فيه الوقوف بعرفة
والاصغر العمرة وعن مجاهد ايضا ايام الحج كلها وقال الحسن وعبد الله
ابن الحارث بن نوفل انما سمي يوم الحج الاكبر لانه حج ذلك العام المسلمون
والمشركون واتفقت فيه يومئذ اعياد الملل اليهود والنصارى
والمجوس قال ابن عطية وهذا ضعيف ان يصفه الله في كتابه بالاكبر
لهذا وعن الحسن ايضا انما سمي اكبر لانه حج فيه ابو بكر ونبذت فيه العهود
وهو الذي يشبه نظر الحسن وقال ابن سيرين يوم الحج الاكبر العام الذي
حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وحجت معه فيه الامم ٥

اللهم

الثالثه قوله تعالى ان الله برى من المشركين ان بالفتح في موضع نصب
والتقدير بان الله ومن قراانا بالكسر فقدره بمعنى قال ان الله برى خبر ان
ورسوله عطف على الموضع وان شئت على المضمر المرفوع في برى وكلاهما
حسن لانه قد طال الكلام وان شئت على الابتدا والخبر محذوف التقدير
ورسوله برى منهم ومن قرا ورسوله بالنصب وهو الحسن وغيره عطفه
على اسم الله عز وجل على اللفظ وفي الشواذ ورسوله بالخفض على القسم
اي وحق رسوله وروت عن الحسن وقد تقدمت قصة عمر فيها اول
الكتاب وان تبتم اي عن الشرك فهو خير لكم اي انفع وان توليتم اي
عن الايمان فاعلموا انكم غير معجزي الله اي فايتيه فانه محيط بكم ومنزل
عقابه عليكم **قوله تعالى** الا الذين عاهدتم من المشركين في موضع
نصب بالاستثنا المتصل المعنى ان الله برى من المشركين الا من المعاهدين
مدة عهدهم وقيل الاستثنا منقطع اي ان الله برى منهم ولكن
الذين عاهدتم فثبتوا على العهد فاتموا اليهم عهدهم وقوله ثم
لم ينقصوكم يدل على انه كان من اهل العهد من خاس بعهده ومنهم
من ثبت عليه فاذن الله سبحانه لنبيه عليه السلام في نقض عهد من
خاس وامر بالوفا لمن بقي على عهده الى مدته ومعنى لم ينقصوكم اي
من شروط العهد شيا ولم يظاهروا لم يتعاونوا وقرا عكرمة وعطا
ابن يسار ثم لم ينقضوكم بالضاد المعجمة على حذف مضاف التقدير لم
ينقضوا عهدكم يقال ان هذا مخصوص يراد به بنو ضمرة خاصة ثم قال
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم اي وان كانت اكثر من اربعة اشهر ٥
قوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث

وجد بمو هم الى قوله غفور رحيم فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى
فاذا انسلخ الاشهر الحرم اى خرج وسلخت الشهر اذا صرت فى اخر
ايامه سلخه سلخا وسلوخا بمعنى خرجت منه قول الشاعر
اذا ما سلخت الشهر اهللت قبله كفى قاتلا سلخى الشهور واهلالى
وانسلخ الشهر وانسلخ النهار من الليل المقبل وسلخت المراه درعها
نزعته وفى التنزيل وايه لهم الليل نسلخ منه النهار ونخلة مسلاخ وهى
التى ينتثر بسرها اخضر والاشهر الحرم فيها للعلما قولان قيل هى
الاشهر المعروفة ثلثه سرد وواحد فرد قال الاصم اريد به من لا عهد
له من المشركين فاوجب ان يمسك عن قتالهم حتى ينسلخ المحرم وهو مده
خمسين يوما على ما ذكره ابن عباس لان النداء كان بذلك يوم النحر وقد تقدم
هذا وقيل شهور العهد وابن اسحق وابن زيد وعمرو بن شعيب وقيل لها
حرم لان الله حرم على المومنين فيها دما المشركين والتعرض لهم الا
على سبيل الخير **الثانيه** قوله تعالى فاقتلوا المشركين عام فى كل
مشرك لكن السنه خصت منه ما تقدم بيانه فى البقره من امراه وراهب
وصبى وغيرهم وقال تعالى فى اهل الكتاب حتى يعطوا الجزيه الا انه يجوز
ان يكون لفظ المشركين لا يتناول اهل الكتابين ويقتضى ذلك منع اخذ
الجزيه من عبده الاوثان وغيرهم على ما ياتى بيانه واعلم ان مطلق
قوله اقتلوا المشركين يقتضى جواز قتلهم باى وجه كان الا ان الاخبار
وردت بالنهى عن المثله ومع هذا فيجوز ان يكون الصديق رضى الله عنه
حين قتل اهل الرده بالاحراق بالنار وبالحجاره والرمى من روس
الجبال والتنكيس فى الابار تعلق بعموم الايه وكذلك احراق على رضى الله عنه

فوما

قوما من اهل الرده يجوز ان يكون ميلا الى هذا المذهب واعتمادا
على عموم اللفظ والله اعلم **الثالثه** قوله تعالى حيث وجدتموهم
عام في كل موضع وخص ابو حنيفه المسجد الحرام كما سبق في البقره
ثم اختلفوا فقال الحسين بن الفضل نسخت هذه كل ايه في القران فيها ذكر
الاعراض والصبر على اذا الاعدا وقال الضحاك والسدي وعطا هي منسوخه
بقوله فاما منا بعد واما فدا وانه لا يقتل اسير صبرا اما ان يمن عليه
واما ان يفادى وقال مجاهد وقتاده بل هي ناسخه لقوله فاما منا بعد
واما فدا وانه لا يجوز في الاسارى من المشركين الا القتل وقال ابن زيد الايتان
محكمتان وهو الصحيح لان القتل والمن والفدا لم يزل من حكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيهم من اول حرب حاربهم وهو يوم بدر كما سبق وقوله
وخذوهم يدل عليه والاخذ هو الاسر والاسرا انما يكون للقتل او الفدا
او المن على ما يراه الامام ومعنى احصروهم يريد عن التصرف الى بلادكم
والدخول اليكم الا ان تاذنوا لهم فيدخلون اليكم بامان **الرابعه**
قوله تعالى واقعدوا لهم كل مرصد المرصد الموضع الذي يرقب فيه العدو
يقال رصدت فلانا ارصده اي رقبته اي اقعدوا لهم في مواضع الغره
حيث يرصدون قال عامر بن الطفيل
ولقد علمت وما اخالك ناسيا ان المنيه للفتى بالمرصد وقال النا بغه
اعاذل ان الجهل من لذه الفتى وان المنايا للنفوس بمرصد وفي هذا
دليل على جواز اغتيالهم قبل الدعوه ونصب كل على الظرف وهو اختيار
الزجاج يقال ذهبت طريقا وذهبت كل طريق او باسقاط الخافض
التقدير في كل مرصد وعلى كل مرصد فيجعل المرصد اسما للطريق وخطا

ابو علي الزجاج في جعله الطريق ظرفا وقال الطريق مكان مخصوص كالبيت
والمسجد فلا يجوز حذف حرف الجر منه الا فيما ورد فيه الحذف سماعا كما حكى
سيبويه دخلت الشام ودخلت البيت وكما قيل كما عسل الطريق الثعلب
الخامسة قوله تعالى فان تابوا اي من الشرك واقاموا الصلاة واتوا
الزكاة فخلوا سبيلهم هذه الاية فيها تامل وذلك ان الله تعالى علق القتل
على الشرك ثم قال فان تابوا والاصل ان القتل متى كان للشرك يزول
بزواله وذلك يقتضي زوال القتل بمجرد التوبة قبل وقت الصلاة والزكاة
وهذا بين في هذا المعنى غير ان الله تعالى ذكر التوبة وذكر معها شرطين
اخرين فلا سبيل الى الغائهما نظيره قوله صلى الله عليه وسلم امرت
ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة
فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله
وقال ابو بكر رضي الله عنه والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة
فان الزكاة حق المال قال ابن عباس رحم الله ابا بكر ما كان افقهه قال
ابن العربي فانتظم القران والسنة واطردا ولا خلاف بين المسلمين ان
من ترك الصلاة وسائر الفرائض مستحلا كفر وان ترك السنن متهاونا
فسق ومن ترك النوافل لم يحرج الا ان يستحل فعلها فيكفر لانه يصير
رادا على الرسول عليه السلام ما جاء واخبر عنه واختلفوا فيمن ترك
الصلاة من غير جحد لها ولا استحلال فروى يونس بن عبد الاعلى قال
سمعت ابن وهب يقول قال مالك من آمن بالله وصدق المرسلين وابى
ان يصلي قتل وبه قال ابو ثور وجميع اصحاب الشافعي وهو قول حماد بن زيد
ووكيع وقال ابو حنيفة يسجن ويضرب ولا يقتل وهو قول ابن شهاب

وبه يقول داود بن علي ومن حجتهم قوله عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى
يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وقالوا
حقها الثلاث التي قال صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى
ثلاث كفر بعد ايمان او زنا بعد احصان او قتل نفس بغير نفس وذهب
جماعة من الصحابة والتابعين الى ان من ترك صلاة واحدة متعمدا حتى يخرج
وقتها لغير عذر وابى من ادائها وقضائها وقال لا اصلي فانه كافر ودمه وماله
حلالان ولا يرثه وارثه من المسلمين ويستتاب فان تاب والا قتل وحكم
ماله كحكم مال المرتد وهو قول اسحق قال اسحق وكذلك كان راي اهل العلم
من لدن النبي صلى الله عليه وسلم الى زماننا قال ابن خويز منداد واختلف
اصحابنا متى يقتل تارك الصلاة فقال بعضهم في اخر الوقت المختار وقال
بعضهم اخر وقت الضرورة وهو الصحيح من ذلك وذلك ان يبقى من وقت
العصر اربع ركعات الى مغيب الشمس ومن الليل اربع ركعات لوقت العشاء
ومن الصبح ركعتين قبل طلوع الشمس وقال اسحق وذهاب الوقت ان يؤخر الظهر
الى غروب الشمس والمغرب الى طلوع الفجر **السادسة** هذه الاية
دالة على ان من قال قد تبت انه لا يجتزا بقوله حتى يضاف الى ذلك افعاله
المحققة للتوبة لان الله تعالى شرط هنا مع التوبة اقام الصلاة وايتاء
الزكاة ليحقق بهما التوبة وقال في اية الربا فان تبتم فلكم رءوس اموالكم وقال
الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا وقد مضى في البقرة **قوله تعالى**
وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فيه اربع مسائل
الاولى قوله وان احد من المشركين اي من الذين امرتك بقتالهم استجارك
اي سال جوارك اي امانك وذمامك فاعطه اياه ليسمع القران

اى بعهم احكامه واوامره ونواهيه فان قبل امرا لحسن وان ابى فرده الى
مامنه قال ابن القاسم وهو كذلك الذى يوجد وقد نزل تاجرا بساحلنا
فيقول ظننت ان لا تعرضوا لمن جاء تاجرا سعع وظاهر الايه انما يريد سماع
القران والنظر فى الاسلام فاما الاجاره لغير ذلك فانما هى لمصالح المسلمين
والنظر فيما يعود به عليهم نفعه **الثانيه** ولا خلاف بين كافة العلماء
ان امان السلطان جائز لانه مقدم للنظر والمصلحه نايب عن الجميع فى
جلب المنافع ودفع المضار واختلفوا فى امان غير الخليفه فالحر يمضى
امانه عند كافة العلما الا ابن حبيب قال ينظر الامام فيه واما العبد فله
الامان فى مشهور المذهب وبه قال الشافعى واصحابه واحمد واسحق
والاوزاعى والثورى وابو ثور وداود ومحمد بن الحسن وقال ابو حنيفه لا امان
له وهو القول الثانى لعلمائنا والاول اصح لقوله عليه السلام المسلمون
تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم قالوا فلما قال ادناهم جاز امان
العبد وكانت المراه الحره احرى بذلك ولا اعتبار بعله لا يسهم له
وقال عبد الملك بن الماجشون لا يجوز امان العبد المراه الا ان يجيزه
الامام فشذ بقوله عن الجمهور واما الصبى فاذا اطاق القتال جاز امانه
لانه من جمله المقاتله ودخل فى الفيه الكامله وقد ذهب الضحاك
والسدى الى ان هذه الايه منسوخه بقوله اقتلوا المشركين وقال الحسن
هى محكمه سنه الى يوم القيامه وقال مجاهد وقيل هذه الايه انما كان حكمها
باقيا مده الاربعه الاشهر التى ضربت لهم اجلا وليس بشى قال سعيد بن
جبير جاء رجل من المشركين الى على بن ابى طالب فقال ان اراد الرجل منا
ان ياتى محمدا بعد انقضا الاربعه الاشهر فيسمع كلام الله او ياتى لحاجه

قتل

قبل فقال علي لا ان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك فاجره
حتى يسمع كلام الله وهذا هو الصحيح والاية محكمة **المسالة الثالثة** قوله تعالى
وان احد احد مرفوع باضمار فعل كالذي بعده وهذا احسن في ان
وقبيح في اخواتها ومذهب سيبويه في الفرق بين ان واخواتها انها لما كانت
ام حروف الشرط خصت بهذا ولانها لا تكون في غيره وقال محمد بن يزيد اما
قوله انها لا تكون في غيره فغلط لانها تكون بمعنى ما و مخففة من الثقيلة
ولكنها مبهمة وليس كذا غيرها وانشد سيبويه

لا تجزعي ان منفسا اهلكته واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي

الرابعة قال العلماء في قوله حتى يسمع كلام الله دليل على ان كلامه تعالى
مسموع عند قراءة القاري قاله الشيخ ابو الحسن والقاضي ابو بكر وابو العباس
القلانسي وابن مجاهد وابو اسحاق الاسفرايني وغيرهم لقوله تعالى حتى يسمع كلام الله
فنص ان كلامه مسموع عند قراءة القاري لكلامه ويدل عليه اجماع المسلمين
على ان القاري اذا قرا فاتحة الكتاب وسورة قالوا سمعنا كلام الله وفرقوا
بين ان يقرا كلام الله وبين ان يقرا شعر امرئ القيس وقد مضى في البقرة معنى
كلام الله وانه ليس بحرف ولا صوت والحمد لله **قوله تعالى** كيف يكون
للمشركين عهد كيف هنا للتعجب كما تقول كيف يسبقني فلان اي لا ينبغي
ان يسبقني وعهد اسم يكون وفي الاية اضمار اي كيف يكون للمشركين عهد
مع اضمار الغدر كما قال وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وكثيب
التقدير فكيف مات عن الزجاج وقيل المعنى كيف يكون للمشركين عهد عند الله
يامنون به عذابه غدا وكيف يكون لهم عند رسوله عهد يامنون به عذاب
الدنيا ثم استثنى فقال الا الذين عاهدتم قال محمد بن اسحاق هم بنو بكر اي

ليس العهد الا لهولاء الذين لم ينقضوا ولم ينكثوا **قوله تعالى**
فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فما اقاموا على الوفا بعهدكم فاقيموا لهم
على مثل ذلك قال ابن زيد فلم يستقيموا فضرب لهم اجلا اربعة اشهر فاما
من لا عهد له فقاتلوه حيث وجدتموه الا ان يتوب **قوله تعالى**
كيف وان يظهروا عليكم اعاد التعجب من ان يكون لهم عهد مع خبث اعمالهم
اي كيف يكون لهم عهد وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة
يقال ظهرت على فلان اي غلبته وظهرت البيت علوته ومنه فما اسطاعوا
ان يظهروه اي ان يعلوا عليه وقوله تعالى لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة
يرقبوا يحافظوا والرقيب الحافظ وقد تقدم في الا عهدا عن مجاهد وابن
زيد وعن مجاهد ايضا هو اسم من اسما الله عز وجل وقال ابن عباس والضحاك
قرابة وقال الحسن جوارا وقال قتادة حلفا وذمة عهدا وقال ابو عبيدة
يمينا وعنه ايضا الال العهد والذمة والذمم وقال الازهري اسم
الله بالعبرانية واصله من الاليل وهو البريق يقال ال لونه يؤل الا
اي صفا ولمع وقيل اصله من الحدة ومنه الالة للحربة ومنه اذن مؤللة
اي محددة ومنه قول طرفة بن العبد يصف اذني ناقته بالحدة والانتصاب

مؤللتان تعرف العتق فيهما كسامعتي شاة بحومل مفرد

واذا قيل للعهد والجوار والقرابة ال فمعناه ان الاذن تصرف الى تلك
الجهة اي تحدد لها والعهد يسمى الا لصفائه وظهوره ويجمع في القلة آلال
وفي الكثرة الال قال الجوهري وغيره والال بالكسر هو الله عز وجل
والال العهد والقرابة قال حسان

لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام

قوله تعالى ولا ذمه اى عهدا وهى كل حرمة يلزمك اذا ضيعتها ذنب
قال ابن عباس والضحاك وابن زيد الذمة العهد ومن جعل الال العهد فالتكرير
لاختلاف اللفظين وقال ابو عبيده معمر الذمة التذمم وقال ابو عبيدة الذمة
الامان في قوله عليه السلام ويسعى بذمتهم ادناهم وجمع ذمة ذمم وبير ذمه
بفتح الذال قليله الما وجمعها ذمام قال ذو الرمه
على حميريات كان عيونها ذمام الركايا انكرتها المواتح ٥ انكرتها اذهبت
ماها واهل الذمه اهل العقد قوله تعالى يرضونكم بافواههم اى يقولون
بالسنتهم ما لا يرضى ظاهره وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون اى ناقضون للعهد
وكل كافر فاسق ولكنه اراد ههنا المجاهرين بالقبايح ونقض العهد ٥
قوله تعالى اشتروا بايات الله ثمنا قليلا يعنى المشركين في نقضهم العهود
بالله اطعمهم اياها ابو سفيان قال مجاهد وقيل استبدلوا بالقران متاع
الدنيا وصدوا عن سبيله اى اعرضوا عن الصدود او منعوا عن سبيل الله
من الصد قوله تعالى لا يرقبون في مومن الا ولا ذمه قال النحاس ليس هذا
تكريرا ولكن الاول لجميع المشركين والثاني لليهود خاصه والدليل على هذا
اشتروا بايات الله ثمنا قليلا يعنى اليهود باعوا حجج الله عز وجل وبيانه بطلب
الرياسه وطمع في شى واولئك هم المعتدون اى المجاوزون للحلال الى
الحرام بنقض العهد قوله تعالى فان تابوا عن الشرك والتزموا
احكام الاسلام فاخوانكم في الدين قال ابن عباس حرمت هذه دما اهل
القبله وقد تقدم هذا المعنى وقال ابن زيد افترض الله الصلاه والزكاه
وابى ان يفرق بينهما وابى ان يقبل الصلاه الا بالزكاه وقال ابن مسعود
امرتم بالصلاه والزكاه فمن لم يزك فلا صلاه له وفي حديث قال النبى

اى
اى ...

صلى الله عليه وسلم من فرق بين ثلاث فرق الله بينه وبين رحمته يوم القيامه من قال اطيع الله ولا اطيع الرسول والله تعالى يقول اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومن قال اقيم الصلاه ولا اوتي الزكاه والله يقول اقيموا الصلاه واتوا الزكاه ومن فرق بين شكر الله وشكر والديه والله تعالى يقول ان اشكر لي ولوالديك **قوله تعالى** ونفصل الايات اي نبينها لقوم يعلمون خصهم لانهم المنتفعون بها والله اعلم **قوله تعالى** وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فيه سبع مسائل الاولى قوله وان نكثوا النكث النقض واصله في كل ما فتل ثم حل فهي في الايمان والعهود مستعاره قال وان حلفت لا ينقض النأي عهدها فليس لمخضوب البنان يمين اي عهد وقوله وطعنوا في دينكم اي بالاستنقاص والحرب وغير ذلك مما تفعله المشرك يقال طعنه بالرمح وطعن بالقول السيء فيه يطعن بضم العين فيهما وقيل يطعن بالرمح بالضم ويطعن بالقول بالفتح وهي هنا استعاره ومنه قوله عليه السلام حين امر اسامه ان تطعنوا في امارته فقد طعنتم في اماره ابيه من قبل وايم الله ان كان لخليقا للاماره اخرجه الصحيح

الثانيه استدل بعض العلما بهذه الايه على وجوب قتل كل من طعن في الدين اذ هو كافر والطعن هو ان ينسب اليه ما لا يليق او يعترض بالاستخفاف على ما هو من الدين لما ثبت من الدليل القطعي على صحة اصوله واستقامة فروعه وقال ابن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي وقد حكي عن النعمان انه قال لا يقتل من سب النبي صلى الله عليه وسلم من اهل الذمه على ما ياتي وروي ان رجلا قال في مجلس علي ما قتل كعب بن الاشرف الا غدرا

فامر على بضرب عنقه وقاله اخر في مجلس معاويه فقام محمد بن مسلمه فقال
ايقال هذا في مجلسك وتسكت والله لا اساكنك تحت سقف ابدا
ولئن خلوت به لاقتلنه قال علماونا هذا يقتل ولا يستتاب ان نسب
الغدر للنبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي فهمه على ومحمد بن مسلمه رضى الله عنهما
لان ذلك زندقه فاما ان نسبه للمباشرين لقتله بحيث يقول انهم امنوه ثم
غدروه كانت هذه النسبه كذبا محضا فانه ليس في كلامهم معه ما يدل
على انهم امنوه ولا صرحوا له بذلك ولو فعلوا ذلك لكان امانا لان النبي
صلى الله عليه وسلم انما وجههم لقتله لا لتامينه واذن لمحمد بن مسلمه
في ان يقول ــ وعلى هذا فيكون في قتل من نسب ذلك لهم نظر وتردد
وسببه هل يلزم من نسبه الغدر لهم نسبته للنبي صلى الله عليه وسلم فاذا
لم يلزم من نسبته فلا يقتل واذا قلنا لا يقتل فلا بد من تنكيل ذلك القايل وعقوبته
بالسجن والضرب الشديد والاهانه العظيمه **المسالة الثالثه** فاما
الذمي اذا طعن في الدين ينقض عهده في المشهور من مذهب مالك لقوله وان
نكثوا ايمانهم الايه فامر بقتلهم وقتالهم وهو مذهب الشافعي وقال ابو حنيفه
في هذا انه يستتاب وان مجرد الطعن لا ينقض به العهد الا مع وجود النكث
لان الله تعالى انما امر بقتلهم بشرطين احدهما نقضهم العهد والثاني طعنهم
في الدين قلنا ان عملوا اما يخالف العهد انتقض عهدهم وذكر الامرين لا يقتضي
توقف قتاله على وجودهما فان النكث يبيح ذلك بانفراده عقلا وشرعا وتقدير
الايه عندنا فان نكثوا حل قتالهم وان لم ينكثوا بل طعنوا في الدين مع
الوفا بالعهد حل قتالهم وقد روى ان عمر رفع اليه ذمي نخس دابه عليها
امراه مسلمه فرمحت فاسقطتها فانكشف بعض عورتها فامر بصلبه في الموضع

الرابعة اذا حارب الذمي نقض عهده وكان ماله وولده فيئا معه وقال
محمد بن مسلمة لا يؤخذ ولده به لانه نقض وحده وقال اما ماله فيؤخذ وهذا
تعارض لا يشبه منصب محمد بن مسلمة لان عهده هو الذي حمى ماله وولده فاذا
ذهب عنه ماله ذهب عنه ولده وقال اشهب اذا نقض الذمي العهد فهو على
عهده ولا يعود في الرق ابدا وهذا من العجب وكانه راى العهد معنى محسوسا
وانما العهد حكم اقتضاه النظر والتزمه المسلمون له فاذا نقضه انتقض
كسائر العقود **الخامسة** اكثر العلماء على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم
من اهل الذمة او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي
كفر به فانه يقتل لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا الا ابا حنيفة
والثوري واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من
الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر والحجة عليه قوله تعالى وان نكثوا
الاية واستدل عليه بعضهم بامره صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن
الاشرف وكان معاهدا وتغيظ ابو بكر على رجل من اصحابه فقال
ابو برزة الا اضرب عنقه فقال ما كانت لاحد بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وروى الدارقطني عن ابن عباس ان رجلا اعمى كانت له
ام ولد له منها ابنان مثل اللؤلؤتين وكانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم
وتقع فيه فينهاها فلم تنته ويزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة
ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم فما صبر ان قام الى معول فوضعه في
بطنها ثم اتكا عليها حتى انفذه فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا اشهدوا
ان دمها هدر وفي رواية عن ابن عباس فقتلها فلما اصبح قيل ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم فقام الاعمى فقال يا رسول الله انا صاحبها

كانت

كانت تشتمك وتقع فيك فانهاها فلا تنتهي وازجرها فلا تنزجر ولي
منها ابنان مثل اللؤلؤتين وكانت بي رفيقة فلما كان البارحة جعلت
تشتمك وتقع فيك فقتلتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا اشهدوا
ان دمها هدر **السادسة** واختلفوا اذا سبه ثم اسلم تقيه
من القتل فقيل يسقط اسلامه قتله وهو المشهور من المذهب لان الاسلام
يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب قال الله تعالى قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقيل لا يسقط الاسلام قتله قاله
في العتبية لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب لانتهاك حرمته وقصده
الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه
ولا يكون احسن حالا من المسلم **السابعة** قوله تعالى فقاتلوا ائمة الكفر
ائمة جمع امام والمراد صناديد قريش في قول بعض العلماء كابي جهل
وعتبة وشيبة وامية بن خلف وهذا بعيد فان الاية في سورة براءة وحين
نزلت وقرئت على الناس كان الله قد استاصل شافة قريش ولم يبق الا
مسلم او مسالم فيحتمل ان يكون المراد فقاتلوا ائمة الكفر اي من اقدم
على نكث العهد والطعن في الدين يكون اصلا ورأسا في الكفر فهو من ائمة
الكفر على هذا ويحتمل ان يعني به المتقدمون والرؤساء منهم وان قتالهم
قتال لاتباعهم وانهم لا حرمة لهم والاصل اأممة كمثال وامثلة ثم
ادغمت الميم في الميم وقلبت الحركة على الهمزة فاجتمعت همزتان فابدلت
من الثانية ياء وزعم الاخفش انك تقول هذا ايم من هذا بالياء وقال
المازني اوم من هذا بالواو وقرا حمزة أئمة والاكثر النحويين يذهب
الى ان هذا لحن لانه جمع بين همزتين في كلمة واحدة ٥ انهم لا ايمان لهم

اى ليست عهودهم صادقة يوفون بها وقرا ابن عامر لا ايمان لهم بكسر الهمزة
من الايمان اى لا اسلام لهم ويحتمل ان يكون مصدر امنته ايمانا من الامن
الذى ضده الخوف اى لا يؤمنوا من امنته ايمانا اى اجرته ولهذا قال
فقاتلوا ايمة الكفر لعلهم ينتهون اى عن الشرك قال الكلبى قال النبى صلى الله
عليه وسلم وادع اهل مكة سنة وهو بالحديبية فحبسوه عن البيت ثم
صالحوه على ان يرجع فمكثوا ما شاء الله ثم قاتل حلفا النبى صلى الله عليه وسلم
من خزاعة حلفا بنى امية من كنانة فامدت بنو امية حلفاهم بالسلاح
والطعام فاستغاثت خزاعة برسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
هذه الاية وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعين حلفاه كما
سبق وفى البخارى عن زيد بن وهب قال كنا عند حذيفة فقال ما بقى
من اصحاب هذه الاية يعنى فقاتلوا ايمة الكفر انهم لا ايمان لهم الا ثلثة
وما بقى من المنافقين الا اربعة فقال اعرابى انكم اصحاب محمد تخبرونا
اخبارا لا ندرى ما هى يزعمون انه ما بقى منافق الا اربعة فما بال هولا
الذين ينقرون بيوتنا ويسرقون اعلاقنا قال اولئك الفساق اجل لم
يبق منهم الا اربعة احدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده
قوله تعالى لعلهم ينتهون اى عن كفرهم وباطلهم واذيتهم للمسلمين
وذلك يقتضى ان يكون الغرض من قتالهم دفع ضررهم لينتهوا عن معاملتنا
ويدخلوا فى ديننا **قوله تعالى** الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم
توبيخ وفيه معنى التحضيض نزلت فى كفار مكة كما ذكرنا انفا وهموا
باخراج الرسول اى كان منهم سبب الخروج فاضيف الاخراج اليهم
وقيل اخرجوا الرسول عليه السلام عن المدينة لقتال اهل مكة للنكث

الذى كان منهم عن الحسن وهم بدؤكم اول مرة اى نقضوا العهد واعانوا
بنى بكر على خزاعة وقيل بدؤكم بالقتال يوم بدر لان النبى صلى الله عليه وسلم
خرج للعير ولما احرزوا عيرهم كان عليهم الانصراف فابوا الا الوصول
الى بدر وشرب الخمر بها كما تقدم فالله احق ان تخشوه اى تخافوا عقابه
في ترك قتالهم من ان تخافوا ان ينالكم في قتالهم مكروه وقيل اخراجهم
الرسول منعهم اياه من الحج والعمرة والطواف وهو ابتداؤهم والله اعلم

قوله تعالى قاتلوهم امرٌ يعذبهم الله جوابه وهو جزم بمعنى
المجازاة والتقدير ان تقاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم
عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم دليل على ان
غيظهم كان قد اشتد قال مجاهد يعنى خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكله عطف ويجوز فيه كله الرفع على القطع من الاول ويجوز النصب
على اضمار ان وهو الصرف عند الكوفيين كما قال

فان يهلك ابو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام
ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام

ان شئت رفعت
ونأخذ وان شئت نصبته والمراد بقوله ويشف صدور قوم مؤمنين
بنو خزاعة على ما ذكرها عن مجاهد فان قريشا اعانت بنى بكر عليهم وكانت
خزاعة حلفا النبى عليه السلام فانشد رجل من بنى بكر هجاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له بعض خزاعة لان اعدته لاكسرن فمك
فاعاده فكسر فمه وثار بينهم قتال فقتلوا من الخزاعيين اقواما فخرج
عمرو بن سالم الخزاعى في نفر الى النبى عليه السلام واخبره به فدخل
منزل ميمونة فقال اسكبوا الى ماءً فجعل يغتسل وهو يقول لا نصرت ان لم

انصر بني هم ثم امر عليه السلام بالتجهز والخروج الى مكة فكان الفتح ٥
قوله تعالى ويتوب الله على من يشاء القراءة بالرفع على الاستئناف
لانه ليس من جنس الاول ولهذا لم ينقل وينتصب بالجزم لان القتال غير موجب
لهم التوبة من الله جل وعز وهو موجب لهم العذاب والخزي وشفاء صدور
المومنين وذهاب غيظ قلوبهم ونظيره فان يشا الله يختم على قلبك تم الكلام
ثم قال ويمحو الله الباطل والذي تاب الله عليهم مثل ابي سفيان وعكرمة
ابن ابي جهل وسليم بن ابي عمرو فانهم اسلموا وقرا ابن ابي اسحق ويتوب بالنصب
وكذا روي عن عيسى الثقفي والاعرج وعليه فتكون التوبة داخلة في جواز
الشرط لان المعنى ان تقاتلوهم يعذبهم الله وكذلك ما عطف عليه ثم قال
ويتوب الله اي ان تقاتلوهم يجمع بين تعذيبهم بايديكم وشفاء صدوركم منهم
واذهاب غيظ قلوبكم والتوبة عليكم والرفع احسن لان التوبة لا يكون
سببها القتال اذ قد توجد بغير قتال لمن شاء الله ان يتوب عليه في كل حال
قوله تعالى ام حسبتم خروج من شي الى شي ان تتركوا في موضع
المفعولين على قول سيبويه وعند المبرد انه قد حذف الثاني ومعنى الكلام
ام حسبتم ان تتركوا من غير ان تبتلوا بما يظهر به المومن والمنافق الظهور
الذي يستحق به الثواب والعقاب وقد تقدم هذا المعنى في غير موضع
ولما يعلم جزم بلما وان كانت ما زائدة فانها تكون عند سيبويه جوابا
لقولك قد فعل كما تقدم وكسرت لالتقاء الساكنين ٥ وليجة مباطنة
ومداخلة من الولوج وهو الدخول ومنه سمي الكناس الذي يلجه الوحش
مولج ولج يلج ولوجا اذا دخل كالمعنى دخيلة مودة من دون الله ورسوله
قال ابو عبيدة كل شي ادخلته في شي ليس منه فهو وليجة والرجل يكون

في القوم وليس منهم وليجه قال ابن زيد الوليجه الدخيله والوليجة الدخلا
فوليجه الرجل من يختص بدخلته امره دون الناس يقول هو وليجي وهم وليجي
الواحد والجمع فيه سوا قال ابان   فبيس الوليجه للهاربين والمعتدين واهل الريب
وقيل وليجه بطانه والمعنى واحد نظيره لا تتخذوا بطانه من دونكم قال الفرا
وليجه بطانه من المشركين يتخذونهم ويفشون اليهم اسرارهم ويعلمونهم امورهم
قوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله الكلام في ان يعمروا
في موضع رفع اسم كان شاهدين على الحال واختلف العلما في تاويل هذه
الايه فقيل اراد ليس لهم الحج بعد ما نودي فيهم بالمنع عن المسجد الحرام
وكانت امور البيت كالسدانه والسقايه والرفاده الى المشركين فبين
انهم ليسوا اهلا لذلك بل اهله المومنون وقيل ان العباس لما اسر
وعيرنا بالكفر وقطيعه الرحم قال تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا
فقال علي الكم محاسن قال نعم انا نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبه ونسقي
الحاج ونفك العاني فنزلت هذه الايه ردا عليه فيجب اذا على المسلمين
تولي احكام المساجد ومنع المشركين من دخولها وقراه العامه يعمروا بفتح
اليا وضم الميم من عمر يعمر وقرا ابن السميفع بضم اليا وكسر الميم اي يجعلوه عامرا
او يعينوا على عمارته وقرى مسجد الله على التوحيد اي المسجد الحرام وهي
قراه ابن عباس وسعيد بن جبير وعطا بن ابي رباح ومجاهد وابن كثير وابي عمرو
وابن محيصن ويعقوب والباقون مساجد على التعميم وهو اختيار ابي عبيد لانه
اعم والخاص يدخل تحت العام وقد يحتمل ان يراد بقراه الجمع المسجد الحرام
خاصه وهذا جايز فيما كان من اسما الجنس كما يقال فلان يركب الخيل وان لم يركب
الا فرسا والقراه مساجد اصوب لانه يحتمل المعنيين وقد اجمعوا على

قراه قوله انما يعمر مساجد الله على الجمع قاله النحاس وقال الحسن انما قال مساجد
يريد المسجد الحرام لانه قبلة المساجد كلها وامامها ٥ وقوله شاهدين
قيل اراد وهم شاهدون فلما طرح وهم نصب قال ابن عباس شهادتهم
على انفسهم بالكفر سجودهم لاصنامهم واقرارهم انها مخلوقة وقال السدي
شهادتهم بالكفر هو انه هو ان النصراني تسئله ما دينك فيقول نصراني
واليهودي فيقول يهودي والصابي فيقول صابي ويقال للمشرك ما دينك
فيقول مشرك اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون تقدم معناه
قوله تعالى انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر دليل
على ان الشهادة لعمار المساجد بالايمان صحيحة لان الله تعالى ربطه بها
واخبر عنه بملازمتها وقد قال بعض السلف اذا رايتم الرجل يعمر المسجد
فحسنوا به الظن وروى الترمذي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له
بالايمان قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر وفي
رواية يتعاهد المسجد قال حديث حسن غريب قال ابن العربي هذا في
ظاهر الصلاح ليس في مقاطع الشهادات فان الشهادات لها احوال
عند العارفين بها فان منهم الذكي الفطن المحصل لما يعلم اعتقادا
واخبارا ومنهم المغفل وكل واحد ينزل على منزلته ويقدر على صفته
الثانية قوله تعالى ولم يخش الا الله ان قيل ما من الا وقد خشي
غير الله وما زال المومنون والانبيا يخشون الاعدا من غيرهم قيل له
المعنى ولم يخش الا الله مما يعبد فان المشركين كانوا يعبدون الاوثان
ويخشونها ويرجونها ٥ وجواب ثان اي لم يخف في باب الدين الا الله

الثالثه فان قيل فقد اثبت في الايه الايمان لمن عمر المساجد بالصلاه
فيها وتنظيفها واصلاح ما وهي منها وامن بالله ولم يذكر الايمان بالرسول
فيها ولا ايمان لمن لم يومن بالرسول **قيل له** دل على الرسول ما ذكر من اقامه
الصلاه وغيره لانه مما جا به فاقامه الصلاه وايتا الزكاه انما يصح من
المومن بالرسول فلهذا لم يفرده بالذكر وعسى من الله واجبه عن ابن عباس
وغيره وقيل عسى بمعنى خليق اي فخليق ان يكونوا من المهتدين **قوله تعالى**
اجعلتم سقايه الحاج وعماره المسجد الحرام الى قوله الظالمين فيه مسلتان
الاولى قوله تعالى اجعلتم سقايه الحاج التقدير في العربيه اجعلتم اصحاب
سقايه الحاج او اهل سقايه الحاج مثل من امن بالله وجاهد في سبيله ويصح
ان يقدر الحذف في من امن اي اجعلتم عمل سقي الحاج كعمل من امن وقيل التقدير
كايمان من امن والسقايه مصدر كالسعايه والحمايه فجعل الاسم بموضع
المصدر اذ علم معناه مثل انما السخا حاتم وانما الشعر زهير وعماره المسجد
الحرام مثل واسال القريه وقرا ابن ابي وجزه اجعلتم سقاه الحاج وعمره
المسجد الحرام سقاه جمع ساق والاصل سقيه على فعله كذا يجمع المعتل
من هذا نحو قاض وقضاه وناس ونساه فان لم يكن معتلا جمع على فعله نحو
ناسي ونساه للذين كانوا ينساون الشهور وكذا قرا ابن الزبير وسعيد بن جبير
سقاه وعمره الا ان ابن جبير نصب المسجد على اراده التنوين في عمره وقال
الضحاك سقايه بضم السين وهي لغه والحاج اسم جنس للحجاج وعماره المسجد
الحرام معاهدته والقيام بمصالحه وظاهر هذه الايه انها مبطله قول من
افتخر من المشركين بسقايه الحاج وعماره المسجد الحرام كما ذكره السدي
قال افتخر عباس بالسقايه وشيبه بالعماره وعلي بالاسلام والجهاد فصدق الله

عليا وتديتهما واخبران العماره لاتكون بالكفر وانما تكون بالايمان والعباده
واداء الطاعه وهذا بين لاغبار عليه وتعالى ان المشركين سالوا اليهود وقالوا
نحن سقاه الحاج وعمار المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد واصحابه
فقالت لهم اليهود عنادا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انتم افضل ٥
وقد اعترض هنا اشكال وهو ما جا في صحيح مسلم عن النعمان
ابن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل
ما ابالي الا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اسقي الحاج وقال اخر ما ابالي
الا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام وقال اخر الجهاد في
سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعه ولكن اذا صليت الجمعه دخلت
واستفتيته فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل اجعلتم سقايه الحاج وعماره
المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر الى اخر الايه وهذا المساق
يقتضي انها انما نزلت عند اختلاف المسلمين في الافضل من هذه الاعمال
وحينيذ لا يليق ان يقال لهم في اخر الايه والله لا يهدي القوم الظالمين
فيتعين الاشكال **والجواب** ان يقال ان بعض الرواه تسامح
في قوله فانزل الله الايه وانما قرا النبي صلى الله عليه وسلم الايه على عمر حين
ساله فظن الراوي انها نزلت حينيذ واستدل بها النبي صلى الله عليه وسلم
على ان الجهاد افضل مما قال اوليك الذين سمعهم عمر فاستفتى لهم فتلى عليه
ما قد كان انزل عليه لا انها نزلت في هولا والله اعلم **فان قيل** فعلى هذا
يجوز الاستدلال على المسلمين بما انزل في الكافرين ومعلوم ان احكامهم مختلفه
قيل له لا يستبعد ان ينتزع مما انزل في المشركين احكام تليق بالمسلمين

وقد قال عمر انا لو شئنا لاتخذنا سلايق وشواء وتوضع صحفة وترفع اخرى
ولكنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى اذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وهذه الاية نص في الكفار ومع ذلك ففهم
منها عمر رضي الله عنه الزجر عما يناسب احوالهم بعض المناسبة ولم ينكر عليه
احد من الصحابة فيمكن ان تكون هذه الاية من هذا النوع وهذا نفيس وبه يزول
الاشكال ويرتفع الايهام والله اعلم **قوله تعالى** الذين امنوا في موضع
رفع بالابتدا وخبره اعظم درجة عند الله ودرجة نصب على البيان اي من
الذين افتخروا بالسقي والعمارة وليس للكافرين درجة عند الله حتى يقال المومن
اعظم درجة والمراد انهم قدروا لانفسهم الدرجة بالعمارة والسقي فخاطبهم
على ما قدروه في انفسهم وان كان التقدير خطا كقوله اصحاب الجنة يومئذ
خير مستقرا وقيل اعظم درجة من كل ذي درجة اي لهم المزية والمرتبة العلية
واولئك هم الفائزون بذلك **قوله تعالى** يبشرهم ربهم اي يعلمهم
في الدنيا ما لهم في الاخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم والنعيم لين العيش
ورغده ٥ خالدين نصب على الحال والخلود الاقامة ان الله عنده اجر عظيم
اي اعد لهم في دار كرامته ذلك الثواب **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اوليا ظاهر هذه الاية انها خطاب لجميع المومنين
كافة وهي باقية الحكم الى يوم القيامة في قطع الولاية بين المومنين والكافرين ودون
فرقة ان هذه الاية انما نزلت الحض على الهجرة ورفض بلاد الكفرة فالمخاطبة
على هذا انما هي للمومنين الذين كانوا بمكة وغيرها من بلاد العرب خوطبوا ان
لا يوالوا الاباء والاخوة فيكونون لهم تبعا في سكنى بلاد الكفر ان استحبوا
اي احبوا كما تقال استجاب بمعنى اجاب اي لا تطيعوهم ولا تخصوهم

وخص الله سبحانه الاباء والاخوه اذ لا قرابه اقرب منها فنفى الموالاه بينهم كما نفاها
بين الناس بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا
ليبين ان القرب قرب الاديان لا قرب الابدان وفي مثله ينشد الصوفيه

يقولون لي دار الاحبه قد دنت وانت كئيب ان ذا لعجيب
فقلت وما تغني ديار قريبه اذا لم يكن بين القلوب قريب
فكم من بعيد الدار نال مراده واخر جار الحبيب يموت كئيب

ولم يذكر الابنا في هذه الايه اذ الاغلب من البشر ان الابناء هم التبع للاباء
والاحسان والهبه مستثناه من الولايه قالت اسما يا رسول الله ان امي
قدمت علي راغبه وهي مشركه افاصلها قال صلي امك خرجه البخاري ٥
قوله تعالى ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قال ابن عباس
هو مشرك مثلهم لان من رضي بالشرك فهو مشرك **قوله تعالى**
قل ان كان اباؤكم الايه لما امر النبي عليه السلام بالهجره من مكه الى المدينه
جعل الرجل يقول لابيه والابن لابنه والاخ لاخيه والرجل لزوجته انا قد امرنا
بالهجره فمنهم من يسارع الى ذلك ومنهم من ابى ان يهاجر فيقول والله لئن لم
تخرجوا الى دار الهجره لا انفعكم ولا انفق عليكم شيا ابدا ومنهم من
تتعلق به امراته وولده ويقولون له انشدك الله لا تخرج فنضيع بعدك
فمنهم من يرق فيدع الهجره ويقيم معهم فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
اباءكم واخوانكم اوليا ان استحبوا الكفر على الايمان يقول ان اختاروا الاقامه على
الكفر بمكه على الايمان بالله والهجره الى المدينه ومن يتولهم منكم بعد نزول
الايه فاولئك هم الظالمون ثم نزل في الذين تخلفوا ولم يهاجروا قل ان
كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وهي الجماعه التي ترجع

الى

وما تغني ديار قريبه

الى عقد واحد لعقد العشره فما زاد ومنه المعاشره وهى الاجتماع على الشى
واموال اقترفتموها نعال اكتسبتموها بمله واصل الاقتراف اقتطاع
الشى من مكانه الى غيره وتجاره تخشون كسادها قال ابن المبارك هى
البنات والاخوات اذا كسدن فى البيت لا يجد لهن خاطبا قال الشاعر
كسدن من الفقر فى قومهن وقد زادهن مقامى كسودا ٥ ومساكن ترضونها
يقول منازل لكم تعجبكم الاقامه فيها احب اليكم من ان تهاجروا الى الله ورسوله
بالمدينه واحب خبر كان ويجوز فى غير القراءه رفع احب على الابتدا والخبر
واسم كان مضمر فيها وانشد سيبويه
اذا مت كان الناس صنفان شامت واخر مثن بالذى كنت اصنع ٥ وانشد ايضا
هى الشفا لداى لو ظفرت بها وليس منها شفا الداء مبذول ٥ وفى الايه دليل
على وجوب حب الله ورسوله ولا خلاف فى ذلك بين الامه وان ذلك مقدم على
كل محبوب وقد مضى فى ال عمران معنى محبه الله تعالى ومحبه رسوله ٥ وجهاد فى
سبيله فتربصوا صيغته صيغه امر ومعناه التهديد يقول انتظروا حتى
ياتى الله بامره يعنى بالقتال وفتح مكه عن مجاهد وقال الحسن بعقوبه اجله
او عاجله وفى قوله وجهاد فى سبيله دليل على فضل الجهاد واشاره على
راحه النفس وعلايقها بالاهل والمال وسياتى فضل الجهاد فى اخر السوره
وقد مضى من احكام الهجره فى النسا ما فيه كفايه والحمد لله وفى الحديث الصحيح
ان الشيطان قعد لابن ادم بثلاث مقاعد قعد له فى طريق الاسلام فقال
لم تذر دينك ودين ابايك فخالفه واسلم وقعد له فى طريق الهجره فقال
له اتذر اهلك ومالك فخالفه وهاجر ثم قعد له فى طريق الجهاد فقال
له تجاهد فتقتل فينكح اهلك ويقسم مالك فخالفه فجاهد فحق على الله

ان يدخله الجنة واخرج النسائي من حديث سبرة بن ابي فاكه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد فذكره قال البخاري ابن
الفاكه ولم يذكر فيه اختلافا وقال ابن عدي يقال ابن الفاكه وابن ابي الفاكه
قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم
كثرتكم الى قوله رحيم فيه ثمانية مسائل **الاولى** قوله لقد نصركم الله في مواطن كثيرة
لما بلغ هوازن فتح مكة جمعهم مالك بن عوف النصري من بني نصر بن مالك
وكانت الرياسة في جميع العسكر اليه وساق مع الكفار اموالهم ومواشيهم
ونساءهم واولادهم وزعم ان ذلك يحمي به نفوسهم وتشتد في القتال عن
ذلك شوكتهم وكانوا ثمانية الاف في قول الحسن ومجاهد وقيل اربعة الاف
من هوازن وثقيف وعلى هوازن مالك بن عوف وعلى ثقيف كنانة بن عبد
فنزلوا باوطاس وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي حدرد
عينا فاتاه واخبره بما شاهد منهم فعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على قصدهم واستعار من صفوان بن امية بن خلف الجمحي دروعا قيل مائة درع
وقيل اربعمائة درع واستلف من ربيعة المخزومي ثلثين الفا او اربعين الفا فلما
قدم قضاه اياه ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم بارك الله لك في
اهلك ومالك انما جزاء السلف الوفاء والحمد خرجه ابن ماجه في السنن
وخرج عليه السلام في اثني عشر الفا من المسلمين منهم عشرة الاف صحبوه
من المدينة والفان من مسلمة الفتح وهم الطلقاء الى ما انضاف اليه
من الاعراب من سليم ومن بني كلاب وعبس وذبيان واستعمل على مكة عتاب
ابن اسيد وفي مخرجه هذا راى جهال الاعراب شجرة خضراء وكان لهم في
الجاهلية شجرة معروفة تسمى ذات انواط يخرج اليها الكفار يوما معلوما

في السنة يعظمونها فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات
انواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر قلتم والذي
نفسي بيده كما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة انكم قوم تجهلون
لتركبن سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى انهم لو دخلوا جحر ضب
لدخلتموه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى وادي حنين وهو
من اودية تهامة وكانت هوازن قد كمنت في جنبتي الوادي وذلك في غبش
الصبح فحملت على المسلمين حملة رجل واحد فانهزم جمهور المسلمين ولم يلو
احد على احد وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت معه ابو بكر وعمر
ومن اهل بيته علي والعباس وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابنه
جعفر واسامة بن زيد وايمن بن عبيد وهو ايمن بن ام ايمن قتل يومئذ
بحنين وربيعة بن الحارث والفضل بن العباس وقيل في موضع جعفر بن
ابي سفيان قثم بن العباس فهؤلاء عشرة رجال ولهذا قال العباس
نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قد فر منهم واقشعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه بما مسه في الله لا يتوجع
وثبتت ام سليم في جملة من ثبت محتزمة ممسكة بعيرا لابي طلحة وفي يدها
خنجر ولم ينهزم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا واحد من هؤلاء وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته الشهباء واسمها دلدل وفي صحيح
مسلم عن انس رضه قال عباس وانا اخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان اخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله اي عباس ناد اصحاب السمرة فقال عباس وكان رجلا صيتا
ويروى من شدة صوته انه اغير يوما على مكة فنادى واصباحاه فاسقطت

كل حامل سمعت صوته حنينها فقلت يا على صوتي اين اصحاب السمره قال
والله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على اولادها فقالوا يا
لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار الحديث وفيه قال ثم اخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب
محمد قال فذهبت انظر فاذا القتال على هيئته فيما ارى قال فما هو الا
ان رماهم بحصياته فما زلت ارى حدهم كليلا وامرهم مدبرا قال
ابو عمر روينا من وجوه عن بعض من اسلم من المشركين ممن شهد حنينا انه
قال وقد سئل عن يوم حنين لقينا المسلمين فما لبثنا ان هزمناهم واتبعناهم
حتى انتهينا الى رجل راكب بغلة بيضا فلما رآنا زجرنا زجره وانتهرنا
واخذ بكفه حصا وترابا فرمى به وقال شاهت الوجوه فلم تبق عين
الا دخلها من ذلك وما ملكنا انفسنا ان رجعنا على اعقابنا وقال
سعيد بن جبير حدثنا رجل من المشركين يوم حنين قال لما التقينا مع
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقفوا لنا حلب شاة حتى
اذا انتهينا الى صاحب البغلة الشهبا يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلقانا رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا
فرجعنا وركبوا اكتافنا فكانت اياها يعني الملائكة قال المولف
رحمه الله ولا تعارض فانه يحتمل ان يكون شاهت الوجوه من قوله عليه السلام
ومن قول الملائكة معا ويدل على ان الملائكة قاتلت يوم حنين فالله اعلم
وقتل علي رضي الله عنه يوم حنين اربعين رجلا بيده وسبى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اربعة الاف راس وقيل ستة الاف واثني عشر الف
ناقة سوى ما لا يعلم من الغنايم الثانية قال العلما في هذه الغزاة

قال

قال صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه وقد مضى
في الانفال بيانه قال ابن العربي ولهذه الثلثة ولغيرها ادخل الاحكاميون
هذه الاية في الاحكام قال المولف رحمه الله وفيها ايضا جواز
استعارة السلاح وجواز الاستمتاع بما استعير اذا كان على المعهود
مما يستعار له مثله وجواز استلاف الامام المال عند الحاجة الى
ذلك ورده الى صاحبه وحديث صفوان اصل في هذا الباب وفي هذه
الغزاة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا توطا حامل حتى تضع ولا
حايل حتى تحيض حيضة وهو يدل على ان السبا يقطع العصمة وقد
مضى بيانه في سورة البقرة مستوفى وفي حديث مالك ان صفوان خرج
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كافر فشهد حنينا والطايف
وامراته مسلمة الحديث قال مالك ولم يكن ذلك بامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا ارى ان يستعان بالمشركين على المشركين الا ان يكونوا
خدما او نواتية وقال ابو حنيفة والشافعي والثوري والاوزاعي
لا باس بذلك اذا كان حكم الاسلام هو الغالب وانما يكره الاستعانة
بهم اذا كان حكم الشرك هو الظاهر وقد مضى القول في الاسهام لهم
في الانفال **الثالثة** قوله تعالى ويوم حنين حنين واد بين مكة
والطايف وانصرف لانه اسم مذكر وهي لغة القران ومن العرب من
لا يصرفه يجعله اسما للبقعة وانشد

نصروا نبيهم وشدوا ازره بحنين يوم تواكل الابطال

ويوم ظرف وانتصب هنا على معنى ونصركم يوم حنين قال الفرا لم ينصرف
مواطن لانه ليس لها نظير في المفرد وليس لها جماع الا ان الشاعر ربما

النساء

اضطر الجمع وليس يجوز في الكلام كما يجوز في الشعر وانشد
فهن يعلكن حدائداتها   قال النحاس رايت ابا اسحق يتعجب من هذا قال
احد قول الخليل واخطاقيه لان الخليل يقول لم يصرف لانه جمع لانظير له
في الواحد ولا يجمع جمع المكسر واما بالالف والتا فلا يمتنع الرابعة
قوله تعالى اذ اعجبتكم كثرتكم قيل كانوا اثنى عشر الفا وقيل احد عشر
الفا وخمسمائة وقيل ستة عشر الفا فقال بعضهم لن نغلب اليوم عن قلة
فوكلوا الى هذه الكلمة فكان ما ذكرناه من الهزيمة في الابتدا الى ان
تراجعوا فكان النصر والظفر للمسلمين ببركة سيد المرسلين فبين تعالى
في هذه الاية ان الغلبة انما تكون بنصر الله لا بالكثرة وقد قال وان يخذلكم
فمن ذا الذي ينصركم من بعده الخامسة قوله تعالى وضاقت عليكم
الارض بما رحبت اي من الخوف كما قال
كان بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل
والرحب بضم الرا السعة تقول منه فلان رحب الصدر والرحب بالفتح
الواسع تقول منه بلد رحب وارض رحبة وقد رحبت ترحب رحبا
ورحابة فقيل البا بمعنى مع اي مع رحبها وقيل بمعنى على اي على رحبها
وقيل المعنى برحبها فما مصدرية السادسة قوله تعالى ثم
وليتم مدبرين روى مسلم عن ابي اسحق قال جا رجل الى البرا فقال
افررتم يوم حنين يا ابا عمارة فقال اشهد على نبي الله صلى الله عليه
وسلم ما ولى ولكنه انطلق اخفا من الناس وحسر الى هذا الحي من
هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كانها رجل جراد فانكشفوا
فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو سفيان يقود به بغلته

فنزل

فنزل ودعا واستنصر وهو يقول   انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
اللهم نزل نصرك قال البرا كنا والله اذا احمر الباس نتقي به وان الشجاع
منا للذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم **السابعة** قوله تعالى
ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين اي انزل عليهم ما يسكنهم
ويذهب خوفهم حتى اجترو اعلى قتال المشركين بعد ان ولوا وانزل جنودا
لم تروها وهم الملايكة يقوون المومنين بما يلقون في قلوبهم من الخواطر
والتثبيت ويضعفون الكافرين بالتجبين لهم من حيث لا يرونهم ومن غير قتال
لان الملايكة لم تقاتل الا يوم بدر وروي ان رجلا من بني نصر قال للمومنين
بعد القتال اين الخيل البلق والرجال الذين كانوا عليها بيض ما كنا فيهم الا
كهيية الشامة وما كان قتلنا الا بايديهم فاخبروا النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك فقال تلك الملايكة وعذب الذين كفروا اي باسيافكم وذلك
جزا الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشا اي على من انهزم فيهديه
الى الاسلام كمالك بن عوف النصري رئيس حنين ومن اسلم معه من قومه
الثامنة ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم حنين بالجعرانة
اتاه وفد هوازن مسلمين راغبين في العطف عليهم والاحسان اليهم وقالوا
يا رسول الله انك خير الناس وابر الناس قد اخذت ابناءنا ونساءنا واموالنا
فقال لهم اني قد كنت استانيت بكم وقد وقعت المقاسم وعندي من ترون
وان خير القول اصدقه فاختاروا اما ذراريكم واما اموالكم فقالوا
لا نعدل بالانساب شيا فقام خطيبا وقال هولاء جاونا مسلمين وقد
خيرناهم ولم يعدلوا بالاحساب فرضوا برد الذرية وما كان لي
ولبني عبد المطلب ولبني هاشم فهو لهم وقال المهاجرون والانصار

اما ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وامتنع الاقرع بن
حابس وعيينة بن حصن في قومهما من ان يردوا عليهم شيا مما وقع لهم في
سهامهم وامتنع العباس بن مرداس السلمي كذلك وطمع ان يساعده
قومه كما ساعدا الاقرع وعيينة قومهما فابت بنو سليم وقالوا بل
ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ضن منكم بما في يديه فانا نعوضه عليهم فرد رسول الله
صلى الله عليه وسلم نساءهم واموالهم وعوض من لم تطب نفسه
اعراضا رضوا بها وقال قتادة ذكر لنا ان ظئر النبي صلى الله عليه وسلم
التي ارضعته من بني سعد اتته يوم حنين فسالته سبايا حنين
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لا املك الا ما نصيبي منهم ولكن
ايتيني غدا فسليني والناس عندي فاذا اعطيتك حتى اعطاك
الناس فجاءت الغد فبسط لها ثوبه واقعدها عليه ثم سالته فاعطاها
نصيبه فلما راى ذلك الناس اعطوها انصباهم وكان عدد سبي
هوازن في قول سعيد بن المسيب ستة الاف راس وقيل اربعة الاف
قال ابو عمر فيهن الشيما اخت النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة
وهي بنت الحارث بن عبد العزى من بني سعد بن بكر حليمة السعدية
فاكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاها واحسن اليها ورجعت
الى بلادها مسرورة بدينها وبما افاء الله عليها قال ابن عباس راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اوطاس امراة تعدو وتصيح ولا
تستقر فسال عنها فقيل فقدت بنيا لها ثم راها وقد وجدت ابنها
وهي تقبله وتدنيه فدعاها وقال لاصحابه اطارحة هي ولدها في النار

لعله وامها

قالوا

قالوا لا قال لم قالوا لشفقتها فقال الله ارحم بكم منها اخرجه مسلم بمعناه

قوله تعالى يايها الذين امنوا انما المشركون نجس الى قوله عليم

فيه سبع مسايل الاولى قوله يايها الذين امنوا انما المشركون نجس ابتدا وخبر
واختلف العلما في معنى وصف المشرك بالنجاسة فقال قتادة ومعمر بن راشد
وغيرهما لانه جنب اذ غسله من الجنابة ليس بغسل وقال ابن عباس وغيره
بل معنى الشرك هو الذي نجسه قال الحسن البصري من صافح مشركا فليتوضا
والمذهب كله على ايجاب الغسل على الكافر اذا اسلم الا ابن عبد الحكم فانه قال
ليس بواجب لان الاسلام يهدم ما كان قبله وبوجوب الغسل عليه قال احمد
وابو ثور واسقطه الشافعي وقال احب الي ان يغتسل ونحوه لابن القاسم
ولمالك قول انه لا يعرف الغسل رواه عنه ابن وهب وابن ابي اويس
وحديث ثمامة وقيس بن عاصم يرد هذه الاقوال رواهما ابو حاتم البستي
في صحيح مسنده وان النبي صلى الله عليه وسلم مر بثمامة يوما فاسلم فبعث
به الى حايط ابي طلحة فامره ان يغتسل فاغتسل وصلى ركعتين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حسن اسلام صاحبكم واخرجه مسلم
بمعناه وفيه ان ثمامة لما مر عليه النبي صلى الله عليه وسلم انطلق الى نخل
قريب من المسجد فاغتسل وامر قيس بن عاصم ان يغتسل بما وسدر فان كان
اسلامه قبل احتلامه فغسله مستحب ومتى اسلم بعد بلوغه لزمه ان ينوي
بغسله الجنابة هذا قول علماينا وهو تحصيل المذهب وقد اجاز ابن القاسم
للكافر ان يغتسل قبل اظهاره الشهادة بلسانه اذا اعتقد الاسلام بقلبه
وهو ضعيف في النظر مخالف للاثر وذلك ان احدا لا يكون بالنية مسلما
دون القول هذا قول جماعة اهل السنة في الايمان انه قول باللسان وتصديق

بالقلب وبنوا اما العمل قال الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
الثانية قوله تعالى فلا يقربوا نهي ولذلك حذفت منه النون المسجد
الحرام هذا اللفظ ينطلق على جميع الحرم وهو مذهب عطا فاذا يحرم
تمكين المشرك من دخول الحرم اجمع فاذا جانا رسول منهم خرج الامام
الى الحل ليسمع ما يقول ولو دخل مشرك الحرم مستورا ومات نبش قبره
واخرجت عظامه فليس لهم الاستيطان ولا الاجتياز واما جزيرة
العرب وهي مكة والمدينة واليمامة واليمن ومخاليفها فقال مالك يخرج
من هذه المواضع كل من كان على غير الاسلام ولا يمنعون من التردد بها
مسافرين وكذلك قال الشافعي غير انه استثنى من ذلك اليمن ويضرب
لهم اجل ثلاثة ايام كما ضربه لهم عمر حين اجلاهم ولا يدفنون فيها ويلجون
الى الحل الثالثة اختلف العلما في دخول الكفار المساجد والمسجد
الحرام على خمسة اقوال فقال اهل المدينة الاية عامة في سائر المشركين
وسائر المساجد وبذلك كتب عمر بن عبد العزيز الى عماله ونزع في كتابه
بهذه الاية ويويد ذلك قوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه
ودخول الكفار فيها مناقض لترفيعها وفي صحيح مسلم وغيره ان هذه
المساجد لا تصلح لشي من البول والقذر الحديث والكافر لا يخلو عن ذلك
وقال عليه السلام لا احل المسجد لحايض ولا جنب والكافر جنب وقوله تعالى
انما المشركون نجس فسماه تعالى نجسا فلا يخلوا ان يكون نجس العين او
مبعدا من طريق الحكم واي ذلك كان فمنعه من المسجد واجب لان العلة وهي
النجاسة موجودة فيهم والحرمة موجودة في المسجد يقال رجل نجس وامراة
نجس ورجلان نجس ونسا نجس لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر فاما النجس

وامراة نجسة
ورجلان نجسان

بكسر

بكسر النون وجزم الجيم فلا تقال الا اذا قيل معه رجس فاذا افرد قيل نجس بفتح النون وكسر الجيم ونجس بضم الجيم وقال الشافعي الاية عامة في سائر المشركين خاصة في المسجد الحرام ولا يمنعون من دخول غيره فاباح دخول اليهودي والنصراني في سائر المساجد قال ابن العربي وهذا جمود منه على الظاهر لان قوله تعالى انما المشركون نجس تنبيه على العلة بالشرك والنجاسة فان قيل فقد ربط النبي صلى الله عليه وسلم ثمامة في المسجد وهو مشرك قيل له اجاب علماونا عن هذا الحديث وان كان صحيحا باجوبة احدها انه كان متقدما على نزول الاية الثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد علم باسلامه فلذلك ربطه الثالث ان ذلك قضية في عين فلا ينبغي ان يرفع بها الادلة التي ذكرناها لكونها مقيدة حكم القاعدة الكلية وقد يمكن ان يقال انما ربطه في المسجد لينظر حسن صلاة المسلمين واجتماعهم عليها وحسن ادابهم في جلوسهم في المسجد فيستانس بذلك ويسلم وكذلك كان ويمكن ان يقال انهم لم يكن لهم موضع يربطونه فيه الا في المسجد والله اعلم وقال ابو حنيفة واصحابه لا يمنع اليهود والنصارى من دخول المسجد الحرام ولا غيره ولا يمنع دخول المسجد الحرام الا المشركون واهل الاوثان وهذا قول يرده كل ما ذكرناه من الاية وغيرها قال الكيا الطبري ويجوز للذمي دخول سائر المساجد عند ابي حنيفة من غير حاجة والشافعي يعتبر الحاجة ومع الحاجة لا يجوز دخول المسجد الحرام وقال عطاء بن ابي رباح الحرم كله قبلة ومسجد فينبغي ان يمنعوا من دخول الحرم لقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وانما رفع من بيت ام هانئ وقال قتادة لا يقرب المسجد الحرام مشرك الا ان يكون صاحب جزية او عبدا لاحد من المسلمين وروى

اسمعيل بن اسحق حدثنا يحيى بن عبد الحميد قال حدثنا شريك عن اشعث عن
الحسن عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقرب المسجد مشرك
الا ان يكون عبدا او امة فيدخله لحاجة وبهذا قال جابر بن عبد الله فانه قال
العموم يمنع المشرك عن قربان المسجد الحرام وهو مخصوص في العبد والامة
الرابعة قوله تعالى من بعد عامهم هذا فيه قولان احدهما انه سنة تسع
التي حج فيها ابو بكر الثاني سنة عشر قاله قتادة قال ابن العربي وهو الصحيح
الذي يعطيه مقتضى اللفظ وان من العجب ان يقال انه سنة تسع وهذا
العام الذي وقع فيه الاذان ولو دخل غلام رجل داره يوما فقال له مولاه
لا تدخل هذه الدار بعد يومك لم يكن المراد اليوم الذي دخل فيه
الخامسة قوله تعالى وان خفتم عيلة قال عمرو بن فائد المعنى واذ خفتم
وهذه عجمة والمعنى بارع بان وكان المسلمون لما منعوا المشركين من الموسم
وهم كانوا يجلبون الاطعمة والتجارات قذف الشيطان في قلوبهم الخوف
من الفقر وقالوا من اين نعيش فوعدهم الله ان يغنيهم من فضله قال
الضحاك ففتح الله عليهم باب الجزية من اهل الذمة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله وقال عكرمة اغناهم بادرار المطر والنبات وخصب الارض
فاخصبت تبالة وجرش وحملوا اليه الطعام والودك وكثر الخير
واسلمت العرب اهل نجد وصنعا وغيرهم فتمادى حجهم ونحرهم واغنى الله
من فضله بالجهاد والظهور على الامم والعيلة الفقر يقال عال الرجل
يعيل اذا افتقر قال الشاعر وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل
وقرا علقمة وغيره من اصحاب ابن مسعود عائلة وهو مصدر كالقائلة من قال
يقيل ويحتمل ان يكون نعتا لمحذوف تقديره حالا عائلة ومعناه خصلة شاقة

يقال منه عالني الامر يعولني اي شق واشتد علي وحكى الطبري انه قال عال
يعول اذا افتقر **السادسه** في هذه الايه دليل على ان تعلق القلب
بالاسباب في الرزق جائز وليس ذلك بمناف للتوكل وان كان الرزق مقدرا
وامر الله وقسمه مفعولا ولكنه علقه بالاسباب حكمه ليعلم القلوب التي
تتعلق على الاسباب من القلوب التي تتوكل على رب الارباب وقد تقدم ان
السبب لا ينافي التوكل قال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله
لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا خرجه البخاري فاخبر
ان التوكل الحقيقي لا يضاد الغدو والرواح في طلب الرزق قال ابن العربي
ولكن شيوخ الصوفيه قالوا انما تغدو وتروح في الطاعات فهو الذي يجلب
الرزق قالوا والدليل عليه امران احدهما قوله تعالى وامر اهلك بالصلاة
واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك الثاني قوله تعالى اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فليس ينزل الرزق من محله وهو السما الا
ما يصعد وهو الذكر الطيب والعمل الصالح وليس بالسعي في الارض فانه
ليس فيها رزق والصحيح ما احكمته السنه عند فقها الظاهر وهو
العمل بالاسباب الدنيويه من الحرث والتجاره في الاسواق والعماره للاموال
وغرس الثمار وقد كانت الصحابه تفعل ذلك والنبي عليه السلام بين اظهرهم
قال ابو الحسن بن بطال امر الله سبحانه عباده بالانفاق من طيبات ما كسبوا
الى غير ذلك من الاي وقال فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه فاحل
للمضطر ما كان حرم عليه عند عدمه للغذا الذي امره باكتسابه والاغتذا
به ولم يامره بانتظار طعام ينزل عليه من السما ولو ترك ما يتغدى به لكان
لنفسه قاتلا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوى من الجوع ما يجد ما ياكل

ولم ينزل عليه طعام من السما وكان يدخر لاهله قوت سنه حتى فتح الله عليه الفتوح
وقد روى انس بن مالك ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببعير فقال
يا رسول الله اعقله واتوكل او اطلقه واتوكل فقال اعقله وتوكل ٥
قال المولف رحمه الله ولا حجه لهم في اهل الصفه فانهم كانوا فقرا
يقعدون في المسجد لا يحرثون ولا يتجرون ليس لهم كسب ولا مال انما هم
اضياف الاسلام عند ضيق البلدان ومع ذلك فانهم كانوا يحتطبون
بالنهار ويسوقون الما لابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرون
القران بالليل ويصلون هكذا وصفهم البخاري وغيره فكانوا يكتسبون
وكان عليه السلام اذا جاته هديه اكلها معهم وان كانت صدقه خصهم
بها فلما كثر الفتح وانتشر الاسلام خرجوا وتامروا كابي هريره وغيره
وما قعدوا ٥ **ثم قيل الاسباب التي يطلب بها الرزق**
سته انواع اعلاها كسب نبينا محمد عليه السلام قال جعل رزقي تحت
ظل رمحي وجعل الذله والصغار على من خالف امري خرجه الترمذي وصحح
فجعل الله رزق نبيه في كسبه لفضله وخصه بانواع افضل الكسب
وهو اخذ الغلبه والقهر لشرفه ٥ الثاني اكل الرجل من عمل يده قال ٥
صلى الله عليه وسلم اطيب ما اكل الرجل من عمل يده وان نبي الله داود
كان ياكل من عمل يده خرجه البخاري وفي التنزيل وعلمناه صنعه لبوس لكم
وروي ان عيسى عليه السلام كان ياكل من غزل امه ٥ الثالث التجاره
وهي كانت عمل جل الصحابه وخاصه المهاجرين وقد دل عليها القران في غير موضع
الرابع الحرث والغرس وقد بيناه في البقره الخامس اقرا القران وتعليمه
والرقايه وقد مضى في الفاتحه ٥ السادس ياخذ بنيه الا اذا احتاج

قال عليه السلام من اخذ اموال الناس يريد اداها ادى الله عنه ومن اخذها
يريد اتلافها اتلفه الله خرجه البخاري ورواه ابو هريرة **السابعة**
قوله تعالى ان شا دليل على ان الرزق ليس بالاجتهاد وانما هو فضل من الله
تولى قسمته بين عباده وذلك بين في قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا

قوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر الى قوله صاغرون
فيه خمس عشرة مسلة **الاولى** قوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم
الاخر لما حرم الله على الكفار ان يقربوا المسجد الحرام وجد المسلمون في انفسهم
بما قطع عنهم من التجارة التي كان المشركون يوافون بها قال الله تعالى وان خفتم
عيلة الاية ثم احل في هذه الاية الجزية وكانت لم توخذ قبل ذلك فجعلها عوضا
مما منعهم من موافاة المشركين بتجارتهم فقال جل وعز قاتلوا الذين لا يومنون بالله
الاية فامر سبحانه وتعالى بمقاتلة الكفار لاصفاتهم على هذا الوصف وخص
اهل الكتاب بالذكر اكراما لكتابهم ولكونهم عالمين بالتوحيد والرسل والشرايع
والملل وخصوصا ذكر محمد عليه السلام وامته وملته فلما انكروه تاكدت
عليهم الحجة وعظمت منهم الجريمة فنبه على محلهم ثم جعل للقتال غاية وهي اعطا
الجزية بدلا عن القتل وهو الصحيح قال ابن العربي سمعت ابا الوفا علي بن عقيل
في مجلس النظر يتلوها ويحتج بها فقال قاتلوا وذلك امر بالعقوبة ثم قال الذين
لا يومنون وذلك بيان للذنب الذي اوجب العقوبة وقوله ولا باليوم الاخر تاكيد
للذنب في جانب الاعتقاد ثم قال ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله زيادة للذنب
في مخالفة الاعمال ثم قال ولا يدينون دين الحق اشارة الى تاكيد المعصية بالانحراف
والمعاندة والانفة عن الاستسلام ثم قال من الذين اوتوا الكتاب تاكيد للحجة
لانهم كانوا يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ثم قال حتى يعطوا الجزية

قبل الغايه التي تمتد اليها العقوبه وعن البدل الذي ترتفع به ٥

الثانيه اختلف العلما فيمن تؤخذ منه الجزيه فقال الشافعي لا تقبل

الجزيه الا من اهل الكتاب خاصه عربا كانوا او عجما لهذه الايه فانهم هم

الذين خصوا بالذكر فتوجه الحكم عليهم دون من سواهم لقوله تعالى فاقتلوا

المشركين حيث وجدتموهم ولم يقل حتى يعطوا الجزيه كما قال في اهل الكتاب

قال وتقبل من المجوس بالسنه وبه قال احمد وابو ثور وهو مذهب الثوري

وابي حنيفه واصحابه وقال الاوزاعي تؤخذ الجزيه من كل عابد وثن او نارا

او جاحدا ومكذب وكذلك مذهب مالك فانه راى ان الجزيه تؤخذ من

جميع اجناس الشرك والجحد عربيا او عجميا تغلبيا او قرشيا كاينا من

كان الا المرتد وقال ابن القاسم واشهب وسحنون تؤخذ الجزيه من مجوس

العرب والامم كلها واما عبده الاوثان من العرب فلم يستن الله فيهم

جزيه ولا يبقى على الارض منهم احد وانما لهم القتال او الاسلام ويوجد

لابن القاسم ان الجزيه تؤخذ منهم كما يقوله مالك وذلك ان التفريع لابن

الجلاب وهو احتمال كما ذكر وقال ابن وهب لا تقبل الجزيه من مجوس

العرب وتقبل من غيرهم قال لانه ليس في العرب مجوسي الا وجميعهم اسلم

فمن وجد منهم بخلاف الاسلام فهو مرتد يقتل بكل حال ان لم يسلم ولا تقبل

منهم جزيه وقال ابن الجهم تقبل الجزيه من كل من دان بغير الاسلام الا ما اجمع

عليه من كفار قريش وذكر في تعليل ذلك انه اكرام لهم عن الذله والصغار لمكانهم

من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره انما ذلك لان جميعهم اسلم يوم

فتح مكه والله اعلم **الثالثه** واما المجوس فقال ابن المنذر لا اعلم

خلافا ان الجزيه تؤخذ منهم وفي الموطا مالك عن جعفر بن محمد عن ابيه ان عمر بن الخطاب

ذكر امر المجوس فقال ما ادري كيف اصنع من امرهم فقال عبد الرحمن بن عوف
اشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة
اهل الكتاب. قال ابو عمر يعني في الجزية خاصة وفي قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب دليل على انهم ليسوا اهل كتاب
وعلى هذا جمهور الفقها وقد روي عن الشافعي انهم كانوا اهل كتاب فبدلوا
واظنه ذهب في ذلك الى شي روي عن علي بن ابي طالب من وجه فيه ضعف
يدور على ابي سعد البقال ذكره عبد الرزاق وغيره قال ابن عطية وروي انه

الرابعة

قد كان بعث في المجوس نبي اسمه زرادشت والله اعلم
لم يذكر الله سبحانه في كتابه مقدارا للجزية الماخوذة منهم وقد اختلف العلما في
مقدار الجزية الماخوذة منهم فقال عطا بن ابي رباح لا توقيت فيها وانما هو
على ما صولحوا عليه وكذلك قال يحيى بن ادم وابو عبيد والطبري الا ان
الطبري قال اقله دينار واكثره لا حد له واحتجوا بما رواه اهل الصحيح
عن عمرو بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح اهل البحرين
على الجزية وقال الشافعي دينار على الغني والفقير من الاحرار البالغين لا ينقص
منه شي واحتج بما رواه ابو داود وغيره عن معاذ ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعثه الى اليمن وامره ان ياخذ من كل حالم دينارا في الجزية قال الشافعي
وهو المبين عن الله تعالى مراده وهو قول ابي ثور قال الشافعي وان صولحوا على
اكثر من دينار جاز وان زادوا وطابت بذلك انفسهم قبل منهم وان صولحوا
على ضيافة ثلثة ايام جاز اذا كانت الضيافة معلومة في الخبز والشعير والتبن
والادام وذكر ما على الوسط من ذلك وما على الموسر وذكر موضع النزول
والكن من البرد والحر وقال مالك فيما رواه عنه ابن القاسم واشهب ومحمد

الحارث بن نبهان انها اربعة دنانير على اهل الذهب واربعون درهما على
اهل الورق الغني والفقير سوا ولو كان مجوسيا لا يزاد ولا ينقص على ما فرض
عمر لا يوخذ منهم غيره وقد قيل ان الضعيف يخفف عنه بقدر ما يراه
الامام وقال ابن القاسم لا ينقص من فرض عمر لعسره ولا يزاد عليه لغنى قال
ابو عمر ويوخذ من فقرائهم بقدر ما يحملون ولو درهم والى هذا رجع مالك
وقال ابو حنيفة واصحابه ومحمد بن الحسن واحمد بن حنبل اثنا عشر واربعة وعشرون
واربعون قال الثوري جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك ضرايب مختلفة
فللوالي ان ياخذ بايها شا اذا كانوا اهل ذمة واما اهل الصلح فما صولحوا عليه
لا غير **الخامسة** قال علماونا رحمة الله عليهم والذي دل عليه القران
ان الجزية توخذ من الرجال المقاتلين لانه تعالى قال قاتلوا حتى يقتضي ذلك
وجوبها على من يقاتل ويدل على انه ليس على العبد وان كان مقاتلا لانه لا مال
له وقد قال تعالى حتى يعطوا ولا يقال لمن لا يملك حتى يعطي وهذا اجماع من
العلما على ان الجزية انما توضع على جماجم الرجال الاحرار البالغين وهم الذين
يقاتلون دون النسا والذرية والعبيد والمجانين المغلوبين على عقولهم
والشيخ الفاني واختلف في الرهبان فروى ابن حبيب عن مالك انها لا توخذ
منهم قال مطرف وابن الماجشون هذا اذا لم يترهب بعد فرضها فان
فرضت ثم ترهب لم يسقطها ترهبه **السادسة** اذا اعطى اهل الجزية
الجزية لم يوخذ منهم شي من ثمارهم ولا تجاراتهم ولا زروعهم الا ان يتجروا في
بلاد غير بلادهم التي اقروا فيها وصالحوا عليها فان خرجوا تجارا عن بلادهم
التي اقروا فيها الى غيرها اخذ منهم العشر اذا باعوا ونض ثمن ذلك بايديهم
ولو كان ذلك في السنة مرارا الا في حملهم الطعام الحنطة والزيت الى المدينة

وملة خاصة فانه يوخذ منهم نصف العشر على ما فعل عمر رضي الله عنه ومن اهل
المدينة من لا يرى ان يوخذ من اهل الذمة العشر في تجاراتهم الا مرة في
الحول مثل ما يوخذ من المسلمين وهو مذهب عمر بن عبد العزيز وجماعة من ايمة
الفقها والاول قول مالك واصحابه **السابعة** اذا ادى اهل الجزية
جزيتهم التي ضربت عليهم او صولحوا عليها خلي بينهم وبين اموالهم كلها وبين
كرومهم وعصرها ما ستروا خمورهم ولم يعلنوا ببيعها من مسلم ومنعوا
من اظهار الخمر والخنزير في اسواق المسلمين فان اظهروا شيا من ذلك
اريقت الخمر عليهم وادب من اظهر الخنزير وان اراقها مسلم من غير اظهار
ها
فقد تعدى ويجب عليه الضمان وقيل لا يجب ولو غصبها وجب عليه ردها
ولا يعترض لهم في احكامهم ولا متاجرتهم فيما بينهم بالربا وان تحاكموا الينا
فالحاكم مخير ان شا حكم بينهم بما انزل الله وان شا اعرض وقيل يحكم بينهم
في المظالم على كل حال ويوخذ من قويهم لضعيفهم لانه من باب الدفع عنهم وعلى
الامام ان يقاتل عنهم عدوهم ويستعين بهم في قتالهم ولا حظ لهم في الفي
وما صولحوا عليه من الكنايس ان لم يزيدوا عليها ولم يمنعوا من اصلاح ما
وهى منها ولا سبيل لهم الى احداث غيرها ويوخذون من اللباس والهيئة
بما يتبينون به من المسلمين ويمنعون من التشبه باهل الاسلام ولا باس
باشترا اولاد العدو منهم اذا لم يكن لهم ذمة ومن لد في اداء جزيته ادب
على لدده واخذت منه صاغرا **الثامنة** اختلف العلما فيما وجبت
الجزية عنه فقال علما المالكية وجبت بدلا عن القتل بسبب الكفر وقال
الشافعي وجبت بدلا عن الدم وسكنى الدار وفايدة الخلاف انا اذا قلنا
وجبت بدلا عن القتل فاسلم سقطت عنه الجزية لما مضى ولو اسلم قبل

بتمام الحول يوما او بعده عند مالك وعند الشافعي انها دين مستقر في الذمة فلا يسقط بالاسلام كاجرة الدار وقال بعض الحنفية بقولنا وقال بعضهم انها وجبت بدلا عن النصر والجهاد واختاره القاضي ابو زيد وزعم انه سر الله في المسلة وقول مالك اصح لقوله عليه السلام ليس على مسلم جزية قال سفيان معناه اذا اسلم الذمي بعدما وجبت الجزية عليه بطلت عنه اخرجه الترمذي وابو داود قال علماؤنا وعليه يدل قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون لان بالاسلام يزول هذا المعنى ولا خلاف انهم اذا اسلموا فلا يؤدون الجزية والشافعي لا ياخذ بعد الاسلام على الوجه الذي قاله الله تعالى وانما يقول ان الجزية دين وجبت عليه بسبب سابق وهو السكنى او توقع شر القتل فصارت كالديون **الثامنة** لو عاهد الامام اهل بلد او حصن ثم نقضوا عهدهم وامتنعوا من اداء ما يلزمهم من الجزية وغيرها وامتنعوا من حكم الاسلام من غير ان يظلموا وكان الامام غير جائر عليهم وجب على المسلمين غزوهم وقتالهم مع امامهم فان قاتلوا وغلبوا حكم فيهم بالحكم في دار الحرب سواء وقد قيل هم ونساؤهم في ولا خمس فيهم وهو مذهب **العاشرة** ان خرجوا متلصصين قاطعين الطريق فهو بمنزلة المحاربين المسلمين اذا لم يمنعوا الجزية ولو خرجوا متظلمين نظر في امرهم وردوا الى الذمة وانصفوا من ظالمهم ولا يسترق منهم احد وهم احرار فان نقض بعضهم دون بعض فمن لم ينقض على عهده ولا يوخذ بنقض غيره ويعرف اقامتهم على العهد بانكارهم على الناقضين **الحادية عشرة** الجزية وزنها فعلة من جزا يجزي اذا قضى ما عليه فكانهم اعطوها جزاء ما منحوا من الامن

راي الاهل

وهو ما يقعده والجلسه ومن هذا المعنى قول الشاعر
يجزيك او يثني عليك وان من اثنى عليك بما فعلت كمن جزى
الثالثه عشره روى مسلم عن هشام بن حكيم بن حزام ومر على ناس من
الانباط بالشام قد اقيموا في الشمس في روايه وصب على روسهم الزيت فقال
ما شانهم فقال يحبسون في الجزيه فقال هشام اشهد لسمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا وفي روايه واميرهم
يوميذ عمير بن سعد على فلسطين فدخل عليه فحدثه فامرهم فخلوا قال علماونا
اما عقوبتهم اذا امتنعوا من ادايها مع التمكن فجايز فاما مع تبين عجزهم فلا
تحل عقوبتهم لان من عجز عن الجزيه سقطت عنه ولا يكلف الاغنيا اداوها عن الفقرا
وروى ابو داود عن صفوان بن سليم عن عده من ابنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ابايهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ظلم معاهدا او انتقصه
او كلفه فوق طاقته او اخذ منه شيا بغير طيب نفس فانا حجيجه يوم القيامه
الثانيه عشره قوله تعالى عن يد قال ابن عباس يدفعها بنفسه غير مستنيب
فيها احدا وروى ابو البختري عن سلمان قال مذمومين وروى معمر عن قتاده قال
عن قهر وقيل عن يد عن انعام منكم عليهم لانهم اذا اخذت منهم الجزيه فقد انعم
عليهم بذلك قال عكرمه يدفعها وهو قايم والاخذ جالس وقاله سعيد بن جبير
قال ابن العربي وهذا ليس من قوله عن يد عن انعام منكم عليهم لانهم وانما
هو من قوله وهم صاغرون والله اعلم **الرابعه عشره** روى الايمه عن
عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اليد العليا خير من اليد السفلى
واليد العليا المنفقه والسفلى السايله وروى واليد العليا هي المعطيه
فجعل يد المعطي في الصدقه عليا وجعل يد المعطي في الجزيه سفلى ويد الاخذ عليا

ذلك بانه الخافض الرافع يرفع من يشا ويخفض من يشا الا العز ٥

الخامسة عشرة عن حبيب ابن ابي ثابت قال جا رجل الى ابن عباس

فقال ان ارض الخراج يعجز عنها اهلها افاعمرها وازرعها واودي فقال لا وتلا

قوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر الى قوله وهم صاغرون

يعمد احدكم الى الصغار في عنق صاحبه احدهم فينتزعه فيجعله في عنقه

وقال كليب بن وايل قلت لابن عمر اشتريت ارضا قال الشرا حسن قلت

فاني اعطي عن كل جريب ارض درهما وقفيز طعام قال لا تجعل في عنقك

صغارا وروى ميمون بن مهران عن ابن عمر قال ما يسرني ان لي الارض كلها

بجزية خمسة دراهم اقر فيها بالصغار على نفسي **قوله تعالى**

وقالت اليهود عزير ابن الله فيه سبع مسايل **الاولى** قرا عاصم والكساي

عزيرٌ ابن بتنوين عزير والمعنى ان ابنا على هذا خبر ابتدا عن عزير وعزير

ينصرف عجميا كان او عربيا وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر عزير ابن

الله بترك التنوين لاجتماع الساكنين ومنه قراه من قرا قل هو الله احد

الله الصمد قال ابو علي وهو كثير في الشعر وانشد الطبري في ذلك

لتجدني بالامير برا وبالقناة مدعسا مكرا اذا غطيف السلمي فرا

الثانية قوله تعالى وقالت اليهود هذا لفظ خرج على العموم ومعناه

الخصوص لان ليس كل اليهود قالوا ذلك وهذا مثل قوله تعالى الذين قال

لهم الناس ولم يقل ذلك كل الناس وقيل ان قايل ما حكى عن اليهود سلام

ابن مشكم ونعمان بن ابي اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف

قالوه للنبي صلى الله عليه وسلم قال النقاش لم يبق يهودي يقولها بل انقرضوا

فاذا قالها واحد فيتوجه ان يلزم الجماعة شنعة المقالة لاجل نباهة القايل

فيهم

فيهم واقوال النبها ابدا مشهورة في الناس يحتج بها فمن ها هنا صح ان تقول الجماعة
قول نبيها والله اعلم وقد روي ان سبب ذلك القول ان اليهود قتلوا الانبيا
بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير يسيح
في الارض فاتاه جبريل فقال اين تذهب قال اطلب العلم فعلمه التوراة كلها
فجا عزير بالتوراة الى بني اسرائيل فعلمهم وقيل بل حفظها الله عزيرا كرامة منه
له فقال لبني اسرائيل ان الله قد حفظني التوراة فجعلوا يدرسونها من عنده وكانت
التوراة مدفونة كان دفنها علماوهم حين اصابهم من الفتن والجلا والمرض ما
اصاب وقتل بخت نصر اباهم ثم ان التوراة المدفونة وجدت فاذا هي مساوية
لما كان عزير يدرس فضلوا عند ذلك وقالوا ان هذا لم يتهيا لعزير الا وهو
ابن الله حكاه الطبري وظاهر قول النصارى ان المسيح ابن الله انما ارادوا
بنوة النسل كما قالت العرب في الملائكة وكذلك يقتضي قول الضحاك والطبري
وغيرهما وهذا اشنع الكفر قال ابو المعالي اطبقت النصارى على ان المسيح
اله وانه ابن الاله قال ابن عطية ويقال ان بعضهم يعتقدها بنوة حنو ورحمة
وهذا المعنى ايضا لا يحل ان يطلق البنوة عليه وهو كفر **الثالثة**
قال ابن العربي في هذا دليل من قول ربنا تبارك وتعالى على ان من اخبر عن كفر
غيره الذي لا يجوز لاحد ان يبتدي به لا حرج عليه لانه انما ينطق به على معنى الاستعظام
له والرد عليه ولو شا ربنا ما تكلم به احد فاذا مكن من اطلاق الالسن به فقد
اذن بالاخبار عنه على معنى انكاره بالقلب واللسان والرد عليه بالحجة والبرهان
الرابعة قوله تعالى ذلك قولهم بافواههم قيل معناه التاكيد كما قال تعالى
يكتبون الكتاب بايديهم وقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه وقوله فاذا نفخ في الصور
نفخة واحدة ومثله كثير وقيل المعنى انه لما كان قولا ساذجا ليس فيه بيان ولا برهان

وانما هو قول بالفم مجرد نفس دعوى لا معنى تحته صحيح لانهم معترفون بان الله سبحانه
لم يتخذ صاحبة فكيف يزعمون ان له ولدا فهو كذب وقول لساني فقط بخلاف
الاقوال الصحيحة التي تعضدها الادلة ويقوم عليها البرهان قال اهل
المعاني ان الله سبحانه لم يذكر قولا مقرونا بذكر الافواه والالسن الا كان
قولا زورا كقوله ويقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وكبرت كلمة تخرج من
افواههم ان يقولون الا كذبا ويقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم **الخامسة**
قوله تعالى يضاهون قول الذين كفروا من قبل يضاهون يشابهون ومنه
قول العرب امراة ضهيا للتي لا تحيض وللتي لا ثدي لها كانها اشبهت
الرجال وللعلماء في قول الذين كفروا ثلثة اقوال الاول قول عبدة الاوثان
اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الثاني قول الكفرة الملائكة
بنات الله الثالث قول اسلافهم فقلدوهم في الباطل واتبعوهم في الكفر
كما اخبر عنهم بقوله انا وجدنا اباءنا على امة **السادسة** اختلف
النحاة في ضهيا هل تمد ولا فقال ابن ولاد امراة ضهيا وهي التي لا تحيض
مهموز غير ممدود ومنهم من يمد وهو سيبويه فيجعلها على فعلاء بالمد
والهمزة فيها زائدة لانهم يقولون نساء ضهي فيحذفون الهمزة قال ابو الحسن
قال لي النحرمي ضهيا بالمد والهاء جمع بن علامتي تانيث حكاه عن ابي عمرو
الشيباني وانشد ضهياءة او عاقر جماد قال ابن عطية
من قال ان يضاهون ماخوذ من قولهم امراة ضهيا فقوله خطا قال ابو علي
لان الهمزة في ضاهى اصلية وفي ضهيا زائدة كحمراء **قوله تعالى**
قاتلهم الله انى يؤفكون اي لعنهم يعني اليهود والنصارى لان الملعون
كالمقتول قال ابن جريج قاتلهم الله هو بمعنى التعجب وقال ابن عباس كل شي

سابعة

في القران قيل فهو لغو ومنه قول ابان بن تغلب

فاتلها الله تلحاني وقد علمت اني لنفسي افسادي واصلاحي

وحلي النعاس ان اصل فاتل الله الدعاة كثرا استعمالهم حتى قالوه على التعجب

في الخير والشر وهم لا يريدون الدعا وانشد الاصمعي

يا قاتل الله ليلى كيف تعجبني واخبر الناس اني لا ابا لها **قوله تعالى**

اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم الاحبار

جمع حبر وهو الذي يحسن القول وينظمه ويتقنه بحسن البيان عنه ومنه

ثوب محبر اي جمع الزينة وقد قيل في واحد الاحبار حبر بكسر الحا والمفسرون

على فتحها واهل اللغة على كسرها قال يونس لم اسمعه الا بكسر الحا والدليل

على ذلك انهم قالوا مداد حبر يريدون مداد عالم ثم كثر الاستعمال حتى

قالوا للمداد حبر قال الفرا الكسر والفتح لغتان وقال ابن السكيت الحبر

بالكسر المداد والحبر بالفتح العالم والرهبان جمع راهب ماخوذ من الرهبة

وهو الذي حمله خوف الله تعالى على ان يخلص له النية دون الناس ويجعل زمانه

له وعمله معه وانسه به ٥ وقوله تعالى اربابا من دون الله قال اهل المعاني جعلوا

احبارهم ورهبانهم كالارباب حيث اطاعوهم في كل شي ومنه قوله تعالى

قال انفخوا حتى اذا جعله نارا اي كالنار قال عبد الله بن المبارك

وهل افسد الدين الا الملوك واحبار سو ورهبانها ٥ روى الاعمش

وسفيان عن حبيب بن ابي ثابت عن ابي البختري قال سئل حذيفة عن قول الله عز وجل

اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله هل عبدوهم فقال لا ولكن

احلوا لهم الحرام فاستحلوه وحرموا عليهم الحلال فحرموه وروى الترمذي

عن عدي بن حاتم قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب

فقال ما هذا ما ادري اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرا في سورة براءة اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم قال اما انهم
لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا احلوا لهم شيا استحلوه واذا
حرموا عليهم شيا حرموه قال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث
عبد السلام بن حرب وغطيف بن اعين ليس بمعروف في الحديث ٥
قوله تعالى والمسيح بن مريم مضى الكلام في اشتقاقه في ال عمران
والمسيح العرق يسيل من الجبين ولقد احسن بعض المتاخرين فقال
افرح فسوف تالف الاحزانا اذا شهدت الحشر والميزانا
وسال من جبينك المسيح كانه جداول تسيح
ومضى في النساء معنى اضافته الى مريم امه قوله تعالى
يريدون ان يطفئوا نور الله اي دلالته وحججه على توحيده جعل
البراهين بمنزلة النور لما فيها من البيان وقيل المعنى نور الاسلام
اي ان يخمدوا دين الله بتكذيبهم بافواههم جمع فوه على الاصل لان الاصل
في فم فوه مثل حوض واحواض ويابى الله الا ان يتم نوره يقال
كيف دخلت الا وليس في الكلام حرف نفي ولا يجوز ضربت الا زيدا فزعم
الفراء ان الا انما دخلت لان في الكلام طرفا من الجحد قال الزجاج الجحد
والتحقيق ليسا بذوي اطراف وادوات الجحد ما ولا ولن وليس
وهذه لا اطراف لها ينطق بها ولو كان الامر كما اراد لجاز كرهت الا زيدا
ولكن الجواب ان العرب تحذف مع ابى والتقدير ويابى الله كل شي الا
ان يتم نوره قال علي بن سليمان انما جاز هذا في ابى لانها منع او امتناع
فضارعت النفي قال النحاس فهذا احسن كما قال الشاعر

وهل

قوله تعالى وهل لي ام عندها ان ترتها ابى الله الا ان تروز لها انما

هو الذي ارسل رسوله يريد محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى اي بالقران

ودين الحق ليظهره على الدين كله اي بالحجج والبراهين وقد اظهره على شرائع

الدين حتى لا يخفى عليه شي منها عن ابن عباس وغيره وقيل ليظهره اي ليظهر

الدين دين الاسلام على كل دين قال ابو هريره والضحاك هذا عند نزول

عيسى عليه السلام وقال السدي ذلك عند خروج المهدي لا يبقى احد

الا دخل في الاسلام او ادى الجزيه وقيل المهدي هو عيسى فقط وهو

غير صحيح لان الاخبار الصحاح قد تواترت على ان المهدي من عترة رسول الله

صلى الله عليه وسلم فلا يجوز حمله على عيسى والحديث الذي ورد في انه

لا مهدي الا عيسى غير صحيح قال البيهقي في كتاب البعث والنشور لان

رواته محمد بن خالد الجندي وهو مجهول يروي عن ابان بن ابي عياش وهو

متروك عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو منقطع والاحاديث

التي قبله في التنصيص على خروج المهدي وفيها بيان كون المهدي

من عترة النبي صلى الله عليه وسلم اصح اسنادا قال الشيخ المولف

رحمه الله قد ذكرنا هذا وزدناه بيانا في كتابنا كتاب التذكره وذكرنا اخبار

المهدي مستوفاه والحمد لله وقيل اراد ليظهره على الدين كله في جزيره

العرب وقد فعل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من

الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل الى قوله اليم فيه احدى عشره

مسله الاولى قوله تعالى لياكلون دخلت اللام على يفعل ولا تدخل على فعل

لمضارعة يفعل الاسما والاحبار علما اليهود والرهبان مجتهدو النصارى

في العباده ٥ بالباطل قيل انهم كانوا ياخذون من اموال اتباعهم ضرائب وفروضا

باسم الكنائس والبيع وغير ذلك مما يوهمونهم ان النفقة فيه من الشرع
والتزلف الى الله تعالى وهم خلال ذلك يحجبون تلك الاموال كالذي ذكره
سلمان الفارسي عن الراهب الذي استخرج كنزه ذكره ابن اسحق في السير
وقيل كانوا ياخذون من غلاتهم واموالهم ضرائب باسم حماية الدين
والقيام بالشرع وقيل كانوا يرتشون في الاحكام كما يفعل اليوم كثير من
الولاة والحكام وقوله بالباطل يجمع ذلك كله ويصدون عن سبيل الله
اي يمنعون اهل دينهم عن الدخول في دين الاسلام واتباع محمد عليه السلام
الثانية قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الكنز اصله
في اللغة الضم والجمع ولا يختص ذلك بالذهب والفضة الا ترى قوله عليه
السلام الا انبيكم بخير ما يكنز المرء المرأة الصالحة التي تعينه لنفسه وعمله
قال ولم تزود من جميع الكنز غير خيوط ورثيث بز
وقال اخر لا در دري ان اطعمت جائعهم قرف الحتي وعندي البر مكنوز
قرف الحتي هو سويق المقل يقول انه نزل بقوم فكان قراه عندهم سويق
المقل وهو الحتي فلما نزلوا به قال هو لا در دري البيت وخص الذهب
والفضة بالذكر لانه مما لا يطلع عليه بخلاف سائر الاموال قال الطبري
الكنز كل شيء مجموع بعضه الى بعض في بطن الارض كان او على ظهرها وسمي
الذهب ذهبا لانه يذهب والفضة تنفض وتتفرق ومنه قوله تعالى
انفضوا اليها لانفضوا من حولك وقد مضى هذا المعنى في ال عمران
الثالثة واختلفت الصحابة من المراد بهذه الاية فذهب معاوية
الى ان المراد بها اهل الكتاب وغيرهم من المسلمين وهو الصحيح لانه لو
اراد اهل الكتاب خاصة لقال ويكنزون بغير والذين فلما قال والذين

فقد

فهذا استئناف معنى اخر بين انه عطف جملة على جملة فالذين يكنزون كلام
مستانف وهو رفع على الابتدا قال السدي هنا اهل القبلة فهذه ثلثة اقوال
وعلى قول الصحابة فيه دليل على ان الكفار عندهم مخاطبون بفروع الشريعة
روى البخاري عن زيد بن وهب قال مررت بالربذه فاذا انا بابي ذر فقلت له
ما انزلك منزلك هذا قال كنت بالشام فاختلفت انا ومعاويه في الذين يكنزون
الذهب والفضه ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاويه نزلت في اهل الكتاب
فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك فكتب الى عثمان يشكوني
فكتب الي عثمان ان اقدم المدينه فقدمتها فكثر علي الناس حتى كانهم لم
يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال لي ان شئت تنحيت فكنت قريبا
فذاك الذي انزلني هذا المنزل ولو امروا علي حبشيا لسمعت واطعت ٥
الرابعه قال ابن جوار منداد تضمنت هذه الايه زكاه العين وهي تجب
باربعه شروط حريه واسلام وحول ونصاب سليم من الدين والنصاب
مايتا درهم او عشرون دينارا او يكمل نصاب احدهما من الاخر واخرج
ربع العشر من هذه وربع العشر من هذه واما قلنا ان الحريه شرط فلان
العبد ناقص الملك واما قلنا ان الاسلام شرط فلان الزكاه طهره والكافر
لا تلحقه طهره ولان الله تعالى قال اقيموا الصلاه واتوا الزكاه فخوطب بالزكاه
من خوطب بالصلاه واما قلنا ان الحول شرط فلان النبي عليه السلام قال
ليس في مال زكاه حتى يحول عليه الحول واما قلنا ان النصاب شرط فلان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس في اقل من مايتي درهم زكاه وليس في
اقل من عشرين دينارا زكاه ولا يراعى كمال النصاب اول الحول وانما يراعى
عند اخر الحول لاتفاقهم ان الربح في حكم الاصل يدل على هذا ان من كانت

معه مائتا درهم فتجر فيها فصارت آخر الحول الفا انه يودي زكاة الالف ولا يستانف للربح حولا واذا كان هذا الدليل يخلف حكم الربح كان نصابا ادعى نصابا او دونه وهذا لاتفقوا انه لو كان له اربعون من الغنم فتوالدت راس الحول ثم ماتت الامهات الا واحدة منها وكانت السخال تتمة النصاب ان الزكاة يخرج عنها

الخامسة اختلف العلما في المال الذي وجبت زكاته هل يسمي كنزا ام لا فقال قوم نعم ورواه ابو الضحي عن جعدة بن هبيرة عن علي رضي الله عنه قال علي اربعة الاف فما دونها نفقة وما كثر فهو كنز وان ادت زكاته ولا يصح وقال قوم ما ادي زكاته منه او من غيره عنه فليس بكنز قال ابن عمر ما ادي زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل ما لم يود زكاته فهو كنز وان كان فوق الارض ومثله عن جابر وهو الصحيح روي البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا ولم يود زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم ياخذ بلهزمته يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلى لا يحسبن الذين يبخلون الاية وفيه ايضا عن ابي ذر قال انتهيت اليه يعني النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده او والذي لا اله غيره او كما حلف ما من رجل يكون له ابل او بقر او غنم لا يودي حقها الا اتي بها يوم القيامة اعظم ما تكون واسمنه تطوه باخفافها وتنطحه بقرونها كلما جازت اخراها رد عليه اولاها حتى يقضي بين الناس فدل دليل خطاب هذين الحديثين على صحة ما ذكرناه وقد بين ابن عمر في صحيح البخاري هذا المعني قال له اعرابي اخبرني عن قول الله تعالى والذين

يكنزون

يكنزون الذهب والفضه قال ابن عمر من كنزها فلم يود زكاتها فويل له
انما كان هذا قبل ان تنزل الزكاه فلما انزلت جعلها الله طهرا للاموال
وقيل الكنز ما فضل عن الحاجه روى عن ابي ذر وهو مما نقل من مذهبه
وهو من شدائده ومما انفرد به رضي الله عنه قال المولف رحمه الله
ويحتمل ان يكون مجمل ما روى عن ابي ذر في هذا ما روي ان الايه نزلت
في وقت شده الحاجه وضعف المهاجرين وقصور يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن كفايتهم ولم يكن في بيت المال ما يسعهم وكانت السنون
الجوايح هاجمه عليهم فنهوا عن امساك شي من المال الا على قدر الحاجه
ولا يجوز ادخار الذهب والفضه في مثل ذلك الوقت فلما فتح الله على
المسلمين ووسع عليهم اوجب عليهم صلى الله عليه وسلم في مايتي درهم
خمسه دراهم وفي عشرين دينارا نصف دينار ولم يوجب الكل واعتبر مده
الاستنما فكان ذلك منه بيانا صلى الله عليه وسلم وقيل الكنز ما لم
تود منه الحقوق العارضه كفك الاسير واطعام الجايع وغير ذلك وقيل
الكنز لغه المجموع من النقدين وغيرهما من المال المحمول عليهما ما القياس
وقيل المجموع منهما ما لم يكن حليا لان الحلي مادون في اتخاذه ولا حق فيه
والصحيح ما بدانا بذكره وان ذلك كله يسمى كنزا لغه وشرعا والله اعلم
السادسه اختلف العلما في زكاه الحلي فذهب مالك واصحابه
واحمد واسحق وابو ثور وابو عبيد الى ان لا زكاه فيه وهو قول الشافعي
بالعراق ووقف فيه بعد ذلك بمصر وقال استخير الله فيه وقال الثوري
وابو حنيفه واصحابه والاوزاعي في ذلك كله الزكاه احتج الاولون
فقالوا قصد النما في الكرو جب يوجب الزكاه وهي ليست بمحل ايجاب الزكاه

ذلك قطع النماء في الذهب والفضة باتخاذهما حليا للقنية سقط الزكاة
احتج ابو حنيفة بعموم الالفاظ في ايجاب الزكاة في النقدين ولم يفرق بين
حلي وغيره وفرق الليث بن سعد فاوجب الزكاة فيما صنع حليا ليفر به من
الزكاة واسقطها فيما كان زمنه يلبس ويعار وفي المذهب في الحلي تفصيل
بيانه في كتب الفروع **السابعة** روى ابو داود عن ابن عباس قال
لما نزلت هذه الاية والذين يكنزون الذهب والفضة قال كبر ذلك على
المسلمين فقال عمر انا افرج عنكم فانطلق فقال يا نبي الله انه كبر على اصحابك
هذه الاية فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب ما بقي من اموالكم وانما
فرض المواريث وذكر كلمة لتكون لمن بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا اخبرك بخير ما يكنز المرء المراة الصالحة اذا نظر
اليها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته وروى
الترمذي وغيره عن ثوبان ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا قد ذم الله سبحانه الذهب والفضة فلو علمنا اي المال خير حتى
نكسبه فقال عمر انا اسال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله
فقال لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة تعين المرء على دينه قال حديث حسن
الثامنة قوله تعالى ولا ينفقونها في سبيل الله ولم يقل ينفقونهما
فعنه اجوبة ستة الاول قال ابن الانباري قصد الاغلب والاعم وهي
الفضة ومثله قوله واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة
رد الكناية الى الصلاة لانها اعم ومثله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها فاعادها الى التجارة لانها الاهم فاله كثير من المفسرين واباه
بعضهم وقال لا يشبهها لان او قد فصلت التجارة من اللهو فحسن

عود الضمير على احدهما ٥ الثاني العلس وهو ان يكون سعفو بها للذهب
والثاني معطوفا عليه والذهب مونثه العرب يقول هي الذهب الحمرا وقد
تذكروا التانيث اشهره الثالث يكون الضمير للكنوزه ٥ الرابع الاموال
المكنوزه ٥ الخامس للزكاه التقدير ولا ينفقون زكاة الاموال المكنوزه
السادس الاكتفا بضمير الواحد عن ضمير الاخر اذا فهمه المعنى وهذا الكثير
في كلام العرب انشد سيبويه نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف
ولم يقل راضون ٥ اخر رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن اجل الطوي رماني
ولم يقل بريين ونحوه قول حسان ان شرخ الشباب والشعر الاسود ما لم يعاص كان جنونا
ولم يقل يعاصيا **التاسعه** ان قيل من لم يكنز ولم ينفق في سبيل الله
قيل له ان ذلك اشد فان من بذر ماله في المعاصي عصى من جهتين بالانفاق
والتناول كشرا الخمر وشربها بل من جهات اذا كانت المعصيه مما يتعدى
كمن اعان على ظلم مسلم من قتله او اخذ ماله الى غير ذلك والكانز عصى
من جهتين وهما منع الزكاه وحبس المال لا غير وقد لا يراعى حبس المال
العاشره قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم قد تقدم معناه وقد فسر
النبي صلى الله عليه وسلم هذا العذاب بقوله بشر الكانزين بكي يخرج من
ظهورهم حتى يخرج من جنوبهم وبكي من قبل اقفيائهم يخرج من جباههم الحديث اخرجه
مسلم رواه ابو ذر في رواية بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم
فيوضع على حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ليتعذب قلبه
وباطنه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فيتزلزل
الحديث قال علماؤنا فخروج الرضف من حلمة ثديه الى نغض كتفه لتعذيب
قلبه وباطنه حين امتلا بالفرح بالكثرة في المال والسرور في الدنيا

في ظهورهم

تعوقت في الاخره بالهم والعذاب **الحادية عشرة** قال علماونا طاهر الا يتعلقوا الوعيد على من كنز ولا ينفق في سبيل الله ويتعرض للواحد وغيره غير ان صفة الكنز لا ينبغي ان تكون معتبره فان من لم يكنز ومنع الانفاق في سبيل الله فلا بد وان يكون كذلك الا ان الذي يخبا تحت الارض هو الذي يمنع انفاقه في الواجبات عرفا فلذلك خص الوعيد به والله اعلم

قوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم الى قوله يكنزون فيه اربع مسايل

الاولى قوله تعالى يوم يحمى عليها. يوم ظرف والتقدير يعذبون يوم يحمى ولا يصح ان يكون على تقدير فبشرهم يوم يحمى عليها لان البشاره لا تكون حينيذ تقال احميت الحديده في النار اي اوقدت عليها وتقال احميته ولا تقال احميت عليه وهاهنا قال عليها لانه جعل على من صلته معنى الاحما ومعنى الاحما الايقاد اي يوقد عليها فتكوى الكي الصاق الحار من الحديد والنار بالعضو حتى يحترق الجلد والجباه جمع الجبهه وهو مستوى ما بين الحاجب الى الناصيه وجبهت فلانا بكذا اي استقبلته به وضربت جبهته والجنوب جمع الجنب والكي في الوجه اشنع واشهر وفي الجنب والظهر الم واوجع فلذلك خصها بالذكر من بين ساير الاعضا وقال علما الصوفيه لما طلبوا المال والجاه شان الله وجوههم ولما طووا اكشحا عن الفقرا اذا جالسهم كويت جنوبهم ولما اسندوا ظهورهم الى اموالهم ثقة بها واعتمادا عليها كويت ظهورهم وقال علما الظاهر انما خص هذه الاعضا لان الغني اذا راى الفقير زوى ما بين عينيه وقبض وجهه كما قال زيد. يغض الطرف عني حين القاه كانما زوى بين عينيه على المحاجم فلا ينبسط ما بين عينيك كما انزوى ولا تلقني الا وانفك راغم

واذا اسا له طوى كشحه واذا اراده في السوال والح عليه ولى ظهره فرتب
الله العقوبه على حال المعصيه **الثانيه** اختلفت الاثار في كيفيه
الكي بذلك ففي صحيح مسلم من حديث ابي ذر ما ذكرنا من ذكر الرضف وفيه
من حديث ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب
ذهب ولا فضه لا يودي منها حقها الا اذا كان يوم القيامه صفحت له صفايح
من نار فاحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت
اعيدت له في يوم كان مقداره خمسين الف سنه حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله
اما الى الجنه واما الى النار الحديث وفي البخاري انه يمثل له كنزه شجاعا
اقرع وقد تقدم وفي غير الصحيح عن عبد الله بن مسعود انه قال من كان له مال
فلم يود زكاته طوقه يوم القيامه شجاعا اقرع ينقر راسه قال المولف
رحمه الله ولعل هذا يكون في مواطن موطن يمثل المال فيه ثعبانا وموطن
يكون صفايح وموطن يكون رضفا فتتغير الصفات والجسميه واحده
فالشجاع جسم والمال جسم وهذا التمثيل حقيقه بخلاف قوله يوتى بالموت
كانه كبش املح فان تلك طريقه اخرى ولله ان يفعل ما يشا وخص الشجاع
بالذكر لانه العدو الثاني للخلق والشجاع من الحيات هو الحيه الذكر الذي
يواثب الفارس والراجل ويقوم على ذنبه وربما ابتلع الفارس ويكون في
الصحاري وربما وقيل هو الثعبان قال اللحياني يقال للحيه شجاع وثلاثه
اشجعه ثم شجعان والاقرع من الحيات الذي تمعط راسه وابيض من
السم وفي الموطا له زبيبتان اي نقطتان منتفختان في شدقه كالرغوتين
ويكون ذلك في شدقي الانسان اذا غضب واكثر من الكلام قال علما
بن جرير ربما انشدت امي حتى يزبد شدقاي ضرب مثلا للشجاع الذي

لكنز سمه فيمثل المال بهذا الحيوان فيلقى صاحبه غضبان وقال ابن دريد
نقطتان سوداوان فوق عينيه وفي روايه مثل له شجاع يتبعه فيضطره
فيعطيه يده فيقضمها كما يقضم الفحل وقال ابن مسعود والله لا يعذب الله
احدا بكنز فيمس درهم درهما ولا دينار دينارا ولكن يوسع جلده حتى
يوضع كل دينار ودرهم على حدته وهذا انما يصح في الكافر كما ورد في
الحديث لا في المومن والله اعلم **الثامنة** اسند الطبري الى ابي امامه
الباهلي قال مات رجل من اهل الصفه فوجد في برده دينار فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيتان وهذا اما لانهما كانا يعيشان
من الصدقة وعندهما التبر واما لان هذا كان في صدر الاسلام ثم
قرر الشرع ضبط المال واداء حقه ولو كان ضبط المال ممنوعا لكان
حقه ان يخرج كله وليس في الامه من يلزم هذا وحسبك حال الصحابه
واموالهم رضي الله عنهم واما ما ذكر عن ابي ذر فهو مذهب له رضي الله عنه
وقد روى موسى بن عبيده عن عمران بن ابي انس عن مالك بن اوس بن الحدثان
عن ابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جمع دينارا او درهما
او تبرا او فضه لا يعده لغريم ولا ينفقه في سبيل الله فهو كنز يكوى به
يوم القيامه قال المولف رحمه الله هذا الذي يليق بابي ذر ان يقول
به وان ما فضل عن الحاجه ليس كنزا اذا كان معدا لسبيل الله وقال
ابو امامه من خلف بيضا او صفرا كوي بها مغفورا له او غير مغفور له
الا ان حليه السيف من ذلك وروى ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما من رجل يموت وعنده احمر او ابيض الا جعل الله بكل
قيراط صفحه يكوى بها من قرنه الى قدمه مغفورا له بعد ذلك او معذب

قال

قال المولف رحمه الله وهذا محمول على ما لم يود زكاته بدليل ما ذكرنا
في الآية قبل هذا فيكون التقدير وعنده احمر او ابيض لم يود زكاته ولذلك
ما روي عن ابي هريرة من ترك عشرة الاف جعلت صفايح يعذب بها
صاحبها يوم القيامة ان لم يود زكاتها لئلا تتناقض الاحاديث والله اعلم

الرابعة قوله تعالى هذا ما كنزتم اي يقال لهم هذا ما كنزتم فحذف
فذوقوا ما كنتم تكنزون اي عذاب ما كنتم تكنزون **قوله تعالى**
ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا الى قوله انفسكم فيه تسع مسايل

الاولى قوله تعالى ان عدة الشهور الشهور جمع شهر فاذا قال الرجل
لاخيه لا اكلمك الشهور وحلف على ذلك فلا يكلمه حولا قاله بعض العلما
وقيل لا يكلمه ابدا قال ابن العربي وارى ان لم يكن له نية ان يقتضي
ذلك ثلثة اشهر لانه اقل الجمع الذي يقتضيه صيغة فعول في جمع فعل
ومعنى عند الله اي في حكم الله وفيما كتب في اللوح المحفوظ اثنا عشر
شهرا اعربت اثنا عشر دون نظايرها لان فيها حرف الاعراب ودليله
وقرا العامة عشر بفتح العين والشين وقرا ابو جعفر عشر بجزم الشين
في كتاب الله يريد اللوح المحفوظ واعاده بعدما قال عند الله لان كثيرا
من الاشيا يوصف بانه عند الله ولا يقال انه مكتوب في كتاب الله كقوله
ان الله عنده علم الساعة **الثانية** قوله تعالى يوم خلق السموات
والارض انما قال يوم خلق السموات والارض ليبين ان قضاه وقدره
كان قبل ذلك وانه سبحانه وضع هذه الشهور وسماها باسمائها
على ما رتبها عليه يوم خلق السموات والارض وانزل ذلك على انبيائه
في كتبه المنزلة وهو معنى قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا

وحكمها باق على ما كانت عليه لم يزلها عن ترتيبها تغيير المشركين لاسمائها
وتقديم المقدم في الاسم منها والمقصود من ذلك اتباع امر الله فيها ورفض ما
كان عليه اهل الجاهلية من تاخير اسماء الشهور وتقديمها وتعليق الاحكام
على الاسماء التي رتبوها عليه ولذلك قال عليه السلام في خطبته في حجة

قدم

الوداع ايها الناس ان الزمان استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض
على ما ياتي بيانه وان الذي فعل اهل الجاهلية من جعل المحرم صفرا وصفر
محرما ليس يتغير به ما وصفه الله تعالى والعامل في يوم المصدر الذي
هو في كتاب الله وليس يعني به واحد الكتب لان الاعيان لا تعمل في الظروف
والتقدير فيما كتب الله يوم خلق السموات والارض وعند متعلق بالمصدر الذي
هو العدة وهو العامل فيه وفي من قوله في كتاب الله متعلقة بمحذوف هو صفة
لقوله اثني عشر والتقدير اثنا عشر شهرا معدودة او مكتوبة في كتاب الله
ولا يجوز ان يتعلق بعدة لما فيه من التفرقة بين الصلة والموصول بخبر ان ٥
الثالثة هذه الاية تدل على ان الواجب تعليق الاحكام من العبادات
وغيرها انما يكون بالشهور والسنين التي تعرفها العرب دون الشهور التي
تعتبرها العجم والروم والقبط وان لم تزد على اثني عشر لانها مختلفة الاعداد
منها ما يزيد على ثلثين ومنها ما ينقص واشهر العرب لا تزيد على ثلثين وان كان
منها ما ينقص والذي ينقص ليس يتعين له شهر وانما تفاوتها في النقصان
والتمام على حسب اختلاف سير القمر في البروج **الرابعة** قوله تعالى
منها اربعة حرم الاشهر الحرم المذكورة في هذه الاية ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ورجب الذي بين جمادى الاخرة وشعبان وهو رجب مضر
وقيل له رجب مضر لان ربيعة بن نزار كانوا يحرمون شهر رمضان ويسمونه رجبا

وكانت مضر تحرم رجبا بعينه فلذلك قال النبي عليه السلام فيه الذي بين
جمدي وشعبان ورفع ما وقع في اسمه من الاختلاف بالبيان وكانت العرب
ايضا تسميه منصل الاسنه روى البخاري عن ابي رجا العطاردي واسمه
عمران بن ملحان وقيل عمران بن تيم قال كنا نعبد الحجر فاذا وجدنا حجرا هو
خيرا منه القيناه واخذنا الاخر فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب
ثم جينا بالشا فحلبنا عليه ثم طفنا به فاذا دخل شهر رجب قلنا منصل
الاسنه فلم ندع رمحا فيه حديده ولا سهما فيه حديده الا نزعناه فالقيناه
الخامسة قوله تعالى ذلك الدين القيم اي الحساب الصحيح والعدد المستوفي
وروى علي بن ابي طلحه عن ابن عباس ذلك الدين اي ذلك القضا معالم الحق
قال ابن عطيه والاصوب عندي ان يكون الدين ههنا على اشهر وجوهه اي
ذلك الشرع والطاعه القيم اي القايم المستقيم من قام يقوم بمنزلة سيد
من ساد يسود اصله قيوم السادسة قوله تعالى فلا تظلموا فيهن
انفسكم على قول ابن عباس راجع الى جميع الشهور وعلى قول بعضهم الى الاشهر
الحرم خاصه لانه اليها اقرب ولها مزيه في تعظيم الظلم لقوله تعالى فلا
رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج لا ان الظلم في غير هذه الايام جايز على ما بينه
ثم قيل في الظلم قولان احدهما لا تظلموا فيهن انفسكم بالقتال ثم نسخ باباحة
القتال في جميع الشهور قاله قتاده وعطا الخراساني والزهري وسفيان
الثوري وقال ابن جريج حلف بالله عطا بن ابي رباح انه ما يحل للناس ان
تغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا فيها وما نسخت والصحيح
الاول لان النبي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطايف
وحاصرهم في شوال وبعض ذي القعده وقد تقدم هذا المعنى في البقره

القول الثاني لا تظلموا فيهن انفسكم بارتكاب الذنوب فان الله سبحانه اذا عظم
شيا من جهة واحدة صارت له حرمة واحدة واذا عظم شيا من جهتين
او جهات صارت حرمته متعددة فيضاعف فيها العقاب بالعمل السيء كما
يضاعف الثواب بالعمل الصالح فان من اطاع الله في الشهر الحرام في
البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من اطاعه في شهر حلال في بلد حلال وقد
اشار تعالى الى هذا بقوله يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف
لها العذاب ضعفين **السابعة** اختلف العلماء من هذا المعنى فيمن
قتل في الشهر الحرام خطا هل تغلظ عليه الدية ام لا فقال الاوزاعي
القتل في الشهر الحرام تغلظ فيه الدية فيما بلغنا وفي الحرم فتجعل دية
وثلثا ويزاد في شبه العمد في اسنان الابل وقال الشافعي تغلظ الدية
في النفس وفي الجراح في الشهر الحرام والبلد الحرام وذوي الرحم وروي
عن القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وابن شهاب وابان بن عثمان من قتل
في الشهر الحرام او في الحرم زيد على ديته مثل ثلثها وروي ذلك عن عثمان بن
عفان ايضا وقال مالك وابو حنيفة واصحابهما وابن ابي ليلى القتل
في الحل والحرم سوا وفي الشهر الحرام وغيره سوا وهو قول جماعة من التابعين
وهو الصحيح لان النبي صلى الله عليه وسلم سن الديات ولم يذكر فيها الحرم
ولا الشهر الحرام واجمعوا ان الكفارة على من قتل خطا في الشهر الحرام
وغيره سوا والقياس ان تكون الدية كذلك والله اعلم **الثامنة**
خص تعالى الاربعة الاشهر الحرم بالذكر ونهى عن الظلم فيها تشريفا
لها وان كان منهيا عنه في كل الزمان كما قال فلا رفث ولا فسوق ولا
جدال في الحج على هذا اكثر اهل التاويل اي لا تظلموا في الاربعة الاشهر

انفسكم وروى حماد بن سلمه عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن
عباس فلا تظلموا فيهن انفسكم في الاثني عشر وروى قيس بن مسلم عن الحسن
عن محمد بن الحنفيه قال فيهن كلهن فان قيل على القول الاول لم قال فيهن
ولم يقل فيها وذلك ان العرب يقولون لما بين الثلاثه الى العشره هن وهولا
فان جاوزوا العشره قالوا هي وهذه اراده ان يعرف تسميه القليل من
الكثير وروى عن الكسائي انه قال اني لاتعجب من فعل العرب هذا وكذلك
يقولون فيما دون العشره من الليالي خلون وفيما فوقها خلت ولا يقال
لم جعل بعض الازمنه اعظم حرمه من بعض لانا نقول للباري تعالى ان يفعل
ما يشا ويخص بالفضيله ما يشا ليس لعمله عله ولا عليه حجر بل يفعل ما يريد
بحكمته وقد تظهر فيه الحكمه وقد تخفى **قوله تعالى** وقاتلوا المشركين
كافه قاتلوا امر بالقتال وكافه معناه جميعا وهو مصدر في موضع الحال
اي محيطين بهم ومجتمعين قال الزجاج مثل هذا من المصادر عافاه الله عافيه
وعاقبه عاقبه ولا يثنى ولا يجمع وكذا عامه وخاصه قال بعض العلما كان
الغرض بهذه الايه قد توجه على الاعيان ثم نسخ ذلك وجعل فرض كفايه
قال ابن عطيه وهذا الذي قاله لم يعلم قط من شرع النبي صلى الله عليه وسلم
انه الزم الامه جميعا النفر وانما معنى هذه الايه الحض على قتالهم والتحزب
عليهم وجمع الكلمه ثم قيدها بقوله كما يقاتلونكم كافه فبحسب قتالهم
واجتماعهم لنا يكون فرض اجتماعنا لهم والله اعلم **قوله تعالى**
انما النسيء زياده في الكفر هكذا يقرا اكثر الامه قال النحاس ولم يرو
احد عن نافع علمناه انما النسي بلا همز الا ورش وحده وهو مشتق من
نسأه وانسأه اذا اخره حكى اللغتين الكسائي وقال الجوهري النسي فعيل

يعني مفعول من قولك نسات الشي فهو منسو اذا اخرته ثم تحول منسو الى نسي
كما تحول مقتول الى قتيل ورجل ناسي وقوم نساة مثل فاسق وفسقه قال
الطبري النسئ بالهمز معناه الزيادة يقال نسا ينسوا اذا زاد قال ولا
يكون بترك الهمز الا من النسيان كما قال تعالى نسوا الله فنسيهم ورد على
نافع قراته واحتج بان قال انه يتعدى بحرف الجر يقال نسا الله في اجلك
كما تقول زاد الله في اجلك ومنه قوله عليه السلام من سره ان يبسط له
في رزقه وينسا له في اثره فليصل رحمه قال الازهري انسات الشي انساا
ونسيا اسم وضع موضع المصدر الحقيقي وكانوا يحرمون القتال في المحرم
فاذا احتاجوا الى ذلك حرموا صفر بعده وقاتلوا في المحرم وسبب ذلك
ان العرب كانوا اصحاب حروب وغارات وكان يشق عليهم ان يمكثوا ثلث
اشهر متواليه لا يغيرون فيها وقالوا لئن توالت علينا ثلثة اشهر لا نصيب فيها
شيا لنهلكن فكانوا اذا صدروا من منى يقوم من بني كنانه ثم من بني فقيم
منهم رجل يقال له القلمس فيقول انا الذي لا يرد لي قضا فيقولون انسيا
شهرا اي اخر عنا حرمه المحرم واحلها في صفر فيحل لهم المحرم فكانوا
كذلك شهرا فشهرا حتى استدار التحريم على السنه كلها فقام الاسلام
وقد رجع المحرم الى موضعه الذي وضعه الله فيه وهذا معنى قوله عليه السلام
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقال مجاهد
المشركون يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجه عامين ثم حجوا في المحرم
عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في الشهور كلها حتى وافقت حجة ابي بكر
التي حجها قبل حجة الوداع ذو القعده من السنة التاسعه ثم حج النبي
صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق ذا الحجه فذلك

قوله

قوله في خطبته ان الزمان قد استدار الحديث اراد بذلك ان اشهر الحج رجعت
الى مواضعهم او عاد الحج الى ذي الحجة وبطل النسي وقول ثالث قال
اياس بن معاوية كان المشركون يحسبون السنة اثنى عشر شهرا وخمسة عشر يوما
فكان الحج يكون في رمضان وفي ذي القعدة وفي كل شهر من السنة بحكم استدارة
الشهر بزيادة الخمسة عشر يوما فحج ابو بكر في سنة تسع في ذي القعدة بحكم
الاستدارة ولم يحج النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان في العام المقبل
وافق الحج ذا الحجة في العشر ووافق ذلك الاهلة وهذا القول اشبه بقول النبي
صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار اي زمان الحج عاد الى وقته الاصلي
الذي عينه الله يوم خلق السموات والارض باصل المشروعية التي سبق بها علمه
ونفذ بها حكمه ثم قال السنة اثنى عشر شهرا ينفي بذلك الزيادة التي زادوها
في السنة وهي الخمسة عشر يوما بتحكمهم فتعين الوقت الاصلي وبطل التحكم
الجهلي وحكى الامام المازري عن الخوارزمي انه قال اول ما خلق الله الشمس
اجراها في برج الحمل وكان الزمان الذي اشار به النبي صلى الله عليه وسلم صادف
حلول الشمس برج الحمل وهذا يحتاج الى توقيف فانه لا يتوصل اليه الا بالنقل
عن الانبيا ولا نقل صحيحا عنهم بذلك ومن ادعاه فليسنده ثم ان العقل يجوز
خلاف ما قال وهو ان يخلق الله الشمس قبل البرج ويجوز ان يخلق ذلك كله دفعة
واحدة ثم ان علما التعديل قد اختبروا ذلك فوجدوا الشمس في برج الحوت
وقت قوله عليه السلام ان الزمان قد استدار بينها وبين الحمل عشرون درجة
ومنهم من قال عشر درجات والله اعلم واختلف اهل التاويل في اول من نسا
فقال ابن عباس وقتادة والضحاك بنو مالك بن كنانة وكانوا ثلثة وروى جويبر عن
الضحاك عن ابن عباس ان اول من فعل ذلك عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف

وقال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة ثم كان
بعده رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي ادركه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال الزهري حي من بني كنانة ثم من بني فقيم منهم رجل يقال له القلمس
واسمه حذيفة بن عبيد وفي رواية مالك بن كنانة وكان الذي يلي النسي يظفر
بالرياسة لتريس العرب اياه وفي ذلك يقول شاعرهم
ومنا ناسي الشهر القلمس ٥ وقال الكميت
السنا الناسين على معد شهور الحل نجعلها حراما ٥ **قوله تعالى**
زيادة في الكفر بيان لما فعلته العرب من جمعها من انواع الكفر فانها
انكرت وجود الباري تعالى فقالت وما الرحمن في اصح الوجوه وانكرت
البعث فقالت من يحيي العظام وهي رميم وانكرت بعثة الرسل فقالوا
ابشرا منا واحدا نتبعه وزعمت ان التحليل والتحريم اليها فابتدعته من
ذاتها مقتفية لشهواتها فاحلت ما حرم الله ولا مبدل لكلماته ولو كره
المشركون **قوله تعالى** يضل به الذين كفروا فيه ثلاث قرات
قرا اهل الحرمين وابو عمرو يضل وقرا الكوفيون يضل على الفعل المجهول
وقرا الحسن وابو رجا يضل والقرات الثلاث كل واحدة منها تودي عن
معنى الا ان القراة الثالثة حذف منها المفعول والتقدير ويضل به الذين
كفروا من يقبل منهم والذين في محل رفع ويجوز ان يكون الضمير راجع الى الله
عز وجل التقدير يضل الله به الذين كفروا لقوله يضل من يشا ولقوله في
اخر الاية والله لا يهدي القوم الكافرين والقراة الثانية يضل به الذين كفروا
يعني المحسوب لهم واختار هذه القراة ابو عبيد لقوله تعالى زين لهم سو
اعمالهم والقراة الاولى اختارها ابو حاتم لانهم كانوا ضالين به اي بالنسي

لانهم

لانهم كانوا يحسبونه فيضلون به والهاء في يحلونه يرجع الى النسي وروى عن
ابي رجا تضل بفتح اليا والضاد وهي لغة يقال ضللت اضل وضللت
اضل ليواطيوا نصب بلام كي اي ليوافقوا تواطا القوم على كذا اي
اجتمعوا عليه اي لم يحلوا اشهرا الا حرموا شهرا ليبقى الاشهر الحرم اربعة
وهذا هو الصحيح لا ما ذكر انهم جعلوا الاشهر خمسة قال قتاده انهم عمدوا
الى صفر فزادوه في الاشهر الحرم وقرنوه بالمحرم في التحريم وقاله عن قطرب
والطبري وعليه يكون النسي بمعنى الزياده والله اعلم **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض
فيه مسلتان الاولى قوله تعالى ما لكم ما حرف استفهام معناه التقريع والتوبيخ
التقدير اي شي يمنعكم عن كذا كما تقول ما لك عن فلان معرضا ولا خلاف
ان هذه الايه نزلت عتابا على تخلف من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوه تبوك وكانت سنة تسع من الهجره بعد الفتح بعام وسياتي ذكرها
في اخر السوره والنفر هو التنقل بسرعه من مكان الى مكان لامر يحدث يقال
في ابن ادم نفر الى الامر ينفر نفيرا وقوم نفور ومنه قوله تعالى ولوا على
ادبارهم نفورا ويقال في الدابه نفرت تنفر بضم الفا وكسرها نفارا ونفورا
يقال في الدابه نفار وهو اسم مثل الحوار ونفر الحاج من منى نفرا ٥
الثانيه قوله تعالى اثاقلتم الى الارض قال المفسرون معناه اثاقلتم
الى نعيم الارض او الى الاقامه بالارض وهو توبيخ على ترك الجهاد وعتاب
في التقاعد عن المبادره الى الخروج وهو نحو من اخلد الى الارض واصله
تثاقلتم ادغمت التا في الثا لقربها منها واحتيج الى الف الوصل لتصل
الى النطق بالساكن ومثله اداركوا وادارئتم واطيرنا وازينت وانشد الكسائي

قول الصحيح اذا ما اشتاقها حجرا عذب المذاق اذا ما اتابع القبل
وقرأ الأعمش تثاقلتم على الأصل حكاه المهدوي وكانت تبوك ودعا الناس إليها
في حمارة القيظ وطيب الثمار وبرد الظلال كما جاء في الحديث الصحيح على ما
يأتي فاستولى على الناس الكسل فتقاعدوا وتثاقلوا فوبخهم الله بقوله هذا
وعاب عليهم الإيثار للدنيا على الآخرة ومعنى أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة أي
بدلا التقدير أرضيتم بنعيم الدنيا بدلا من نعيم الآخرة فمن تتضمن معنى البدل
كقوله تعالى ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون أي بدلا منكم وقال
الشاعر فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردة باتت على طهيان
ويروى من ماء حمنان أراد ليت لنا بدلا من ماء زمزم شربة مبردة والطهيان
عود ينصب في ناحية الدار للهواء يعلق عليه الماء حتى يبرد عاتبهم الله على إيثار
الراحة في الدنيا على الراحة في الآخرة إذ لا تنال راحة الآخرة إلا بنصب الدنيا
قال صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد طافت راكبة أجرك على قدر نصبك
أخرجه البخاري **قوله تعالى** إلا تنفروا يعذبكم إلا تنفروا شرط فلذلك
حذفت منه النون والجواب يعذبكم ويستبدل قوما غيركم وهذا تهديد
شديد ووعيد مؤكد في ترك النفير قال ابن العربي ومن محققات الأصول
أن الأمر إذا ورد فليس في وروده أكثر من اقتضاء الفعل فأما العقاب
عند الترك فلا يؤخذ من نفس الأمر ولا يقتضيه الاقتضاء وإنما يكون العقاب
بالخبر عنه كقوله إن لم تفعل كذا عذبتك بكذا كما ورد في هذه الآية فوجب
بمقتضاها النفير للجهاد والخروج إلى الكفار لمقاتلتهم على أن تكون كلمة الله
هي العليا روى أبو داود عن ابن عباس قال إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما
وما كان لأهل المدينة إلى قوله يعملون نسختها الآية التي تليها وما كان

المؤمنون

ابن عباس

المومنون لينفروا كافة وهو قول الضحاك والحسن وعكرمة بعد كلمة قال ابن
عباس هو حبس المطر عنهم وقال ابن العربي وان صح ذلك فهو اعلم من اين قاله
والا فالعذاب الاليم هو في الدنيا باستيلاء العدو وبالنار في الاخرة قال
المولف رحمه الله قول الامام خرجه الامام ابو داود في سننه عن ابن نجيح قال
سالت ابن عباس عن هذه الاية الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما قال فامسك عنهم
المطر فكان عذابهم وذكره الامام ابو محمد بن عطية مرفوعا عن ابن عباس قال
استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيلة من القبايل فقعدت فامسك الله
عنهم المطر وعذبها به والاليم بمعنى مولم اي موجع وقد تقدم ويستبدل قوما غيركم
توعد بان يبدل لرسوله قوما لا يقعدون عند استنفاره اياهم قيل ابناء فارس
وقيل اهل اليمن ولا تضروه شيا عطف والهاء قيل لله تعالى وقيل للنبي عليه السلام
والتثاقل عن الجهاد مع اظهار الكراهة حرام على كل احد فاما من غير كراهة فمن
عينه النبي عليه السلام حرم عليه التثاقل وان امن منهما فالفرض فرض كفاية
ذكره القشيري وقد قيل ان المراد بهذه الاية وجوب النفر عند الحاجة وظهور
الكفر واشتداد شوكتهم وظاهر الاية يدل على ان ذلك على وجه الاستدعاء فعلى
هذا لا يتجه الحمل على وقت ظهور المشركين فان وجوب ذلك لا يختص بالاستدعاء
لانه متعين واذا ثبت ذلك فالاستدعاء والاستنفار يبعد ان يكون موجبا شيا
لم يجب من قبل الا ان الامام اذا عين قوما وندبهم الى الجهاد لم يكن لهم ان يتثاقلوا
عند التعيين ويصير بتعيينه فرضا على من عينه لا لمكان الجهاد ولكن لطاعة الامام
والله اعلم **قوله تعالى** الا تنصروه فقد نصره الله الى قوله حكيم فيه عشر مسايل
الاولى قوله تعالى الا تنصروه يقول تعينوه بالنفر معه في غزوة تبوك
عاتبهم بعد انصراف نبيه عليه السلام من تبوك قال النقاش هذه اول اية

نزلت من سوره براه والمعنى انكم ان تركتم نصره فالله متكفل به اذ قد نصره في
مواطن القله واظهره على عدوه بالغلبه والعزه وقيل فقد نصره اي بصاحبه
في الغار بتانيسه له وحمله على عنقه وبوفايه ووقايته له بنفسه ومواساته
له بماله قال الليث بن سعد ما صحب الانبيا عليهم السلام مثل ابي بكر الصديق
وقال سفيان بن عيينه خرج ابو بكر بهذه الايه من المعاتبه التي في قوله الا تنصروه

الثانيه قوله تعالى اذ اخرجه الذين كفروا وهو خرج بنفسه فارا لكن
بالجايهم الى ذلك حتى فعله فنسب الفعل اليهم ورتب الحكم فيه عليهم فلهذا
يقتل المكره على القتل ويضمن المال المتلف بالاكراه لالجايه القاتل والمتلف
الى القتل والاتلاف

الثالثه قوله تعالى ثاني اثنين اي احد اثنين وهذا
كثالث ثلثه ورابع اربعه فاذا اختلف اللفظ فقلت رابع ثلثه وخامس
اربعه فالمعنى صير الثلثه اربعه بنفسه والاربعه خمسه وهو منصوب
على الحال اي اخرجوه منفردا من جميع الناس الا من ابي بكر والعامل فيها
نصره الله اي نصره منفردا ونصره احد اثنين وقال علي بن سليمان التقدير
فخرج ثاني اثنين مثل والله انبتكم من الارض نباتا وقرا جمهور الناس
ثاني بنصب اليا قال ابن جني حكاها ابو عمرو بن العلا ووجهها انه سكن اليا
تشبيها لها بالالف قال ابن عطيه فهي كقراه الحسن ما بقي من الربا وكقول
جرير هو الخليفه فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمه ما في حكمه جنف

الرابعه قوله تعالى اذ هما في الغار الغار نقب في جبل ثور
ولما رات قريش ان المسلمين قد صاروا الى المدينه قالوا هذا شر شاغل
لا يطاق فاجمعوا امرهم على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبيتوه
ورصدوه على باب منزله طول ليلتهم ليقتلوه اذا خرج فامر النبي عليه السلام

علي

علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان ينام على فراشه ودعا الله ان يعمي عليهم اثره
فطمس الله على ابصارهم فخرج وقد غشيهم النوم فوضع على رؤوسهم ترابا
ونهض فلما اصبحوا خرج عليهم علي واخبرهم ان ليس في الدار احد فعلموا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فات ونجا وتواعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع ابي بكر الصديق للهجرة فدفعا راحلتيهما الى عبد الله بن ارقط ويقال
ابن اريقط وكان كافرا لكنهما وثقا به وكان دليلا بالطرق فاستاجراه
ليدل بهما الى المدينة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من خوخة في ظهر
دار ابي بكر التي في بني جمح ونهضا نحو الغار في جبل ثور وامر ابو بكر ابنه عبد الله
ان يستمع ما يقول الناس وامر مولاه عامر بن فهيرة ان يرعى غنمه ويريحها
عليهما ليلا فياخذ منها حاجتهما ثم نهضا فدخلا الغار وكانت اسماء
بنت ابي بكر الصديق تاتيهما بالطعام وياتيهما عبد الله بن ابي بكر بالاخبار
ثم يتلوهما عامر بن فهيرة بالغنم فيعفي اثارهما فلما فقدتهم قريش جعلت
تطلبه بقائف معروف فقفا الاثر حتى وقف على الغار فقال هنا
انقطع الاثر فنظروا فاذا بالعنكبوت قد نسج على باب الغار من ساعته
ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله فلما راوا نسج العنكبوت ايقنوا
ان لا احد فيه فرجعوا وجعلوا في النبي صلى الله عليه وسلم مائة ناقة
لمن رده عليهم والخبر مشهور وقصة سراقة بن مالك بن جعشم في ذلك مذكور
وقد روي من حديث ابي الدرداء وثوبان ان الله تعالى امر حمامة فباضت
على نسج العنكبوت وجعلت ترقد على بيضها فلما نظر الكفار اليها ردهم ذلك
عن الغار **الخامسة** روى البخاري عن عائشة قالت استاجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر رجلا من بني الديل هاديا خريتا وهو على دين

هارقريش فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما
براحلتيهما صبيحة ثلاث فارتحلا وانطلق معهما عامر بن فهيره والدليل الديلي
فاخذ بهم طريق الساحل قال المهلب فيه من الفقه ائتمان اهل الشرك
على السر والمال اذا علم منهم وفا ومروه كما ائتمن النبي صلى الله عليه وسلم هذا
المشرك على سره في الخروج من مكه وعلى الناقتين وقال ابن المنذر فيه
استيجار المسلمين الكفار على هدايه الطريق وقال البخاري في ترجمة باب
استيجار المشركين عند الضروره او اذا لم يوجد اهل الاسلام قال ابن
بطال انما قال البخاري في ترجمته واذا لم يوجد اهل الاسلام من اجل ان
النبي صلى الله عليه وسلم انما عامل اهل خيبر على العمل في ارضها اذ لم يوجد
من المسلمين من ينوب منابهم في عمل الارض حتى قوي الاسلام واستغنى
عنهم اجلاهم عمر رضي الله عنه وعامة الفقها يجيزون استيجارهم عند الضروره
وغيرها وفيه استيجار الرجلين الرجل الواحد على عمل واحد لهما وفيه دليل
على جواز الفرار بالدين خوفا من العدو والاستخفا في الغيران وغيرها وان
لا يلقي الانسان بيده الى العدو توكلا على الله واستسلاما له ولو شا ربكم
لعصمه مع كونه معهم ولكنها سنة الله في الانبيا وغيرهم ولن تجد لسنة الله
تبديلا وهذا ادل دليل على فساد من منع ذلك وقال من خاف مع الله سواه
كان ذلك نقصا في توكله ولم يومن بالقدر وهذا كله في معنى الايه والله الحمد والهدايه
السادسه قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن تضمنت هذه الايه
فضايل الصديق رضي الله عنه روى اصبغ وابو زيد عن ابن القاسم عن مالك
ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا هو الصديق
فحقق تعالى قوله له بكلامه ووصف الصحبه في كتابه قال بعض العلما

من

من انكر ان يكون عمر وعثمان او احد من الصحابة صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فهو كذاب مبتدع ومن انكر ان يكون ابو بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فهو كافر لانه رد نص القران ومعنى ان الله معنا اي بالنصر والرعاية والحفظ
والكلاءة روى الترمذي والحارث بن ابي اسامة قال حدثنا عفان قال حدثنا
همام قال اخبرنا ثابت عن انس ان ابا بكر حدثه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم
ونحن في الغار لو ان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا تحت قدميه فقال يا ابا بكر ما
ظنك باثنين الله ثالثهما قال المحاسبي يعني معهما بالنصر والدفاع لا على معنى
ما يعم به الخلائق فقال ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم فمعناه العموم
انه يسمع ويرى من الكفار والمؤمنين **السابعة** قال ابن العربي
قالت الامامية قبحها الله حزن ابي بكر في الغار دليل على جهله ونقصه وضعف
قلبه وخرقه واجاب علماؤنا عن ذلك بان اضافة الحزن اليه ليس
بنقص كما لم ينقص ابرهيم حين قال عنه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا
تخف ولم ينقص موسى قوله فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف
وفي لوط ولا تحزن انا منجوك واهلك فهولا العظما صلوات الله عليهم وقد
وجدت عندهم التقية نصا ولم يكن ذلك طعنا عليهم ووصفا لهم بالنقص
وكذلك في ابي بكر ثم هي عند الصديق احتمال فانه قال لو ان احدهم نظر تحت
قدمه لابصرنا جواب ثان ان حزن الصديق انما كان خوفا على النبي
صلى الله عليه وسلم ان يصل اليه ضرر ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك الوقت معصوما وانما نزل عليه والله يعصمك من الناس بالمدينة
الثامنة قال ابن العربي قال لنا ابو الفضايل العدل قال لنا جمال
الاسلام ابو القاسم قال موسى صلى الله عليه وسلم كلا ان معي ربي سيهدين

وقال في محمد صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا لا جرم لما كان الله
مع موسى وحده ارتد اصحابه بعده فرجع من عند ربه ووجدهم يعبدون
العجل ولما قال في محمد صلى الله عليه وسلم ان الله معنا بقي ابو بكر مهتديا
موحدا عالما جازما قايما بالامر ولم يتطرق اليه اختلال التاسعة
خرج الترمذي من حديث سيط بن شريط عن سالم بن عبيد وله صحبة
قال اغمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه واجتمع المهاجرون
يتشاورون فقالوا انطلقوا بنا الى اخواننا من الانصار ندخلهم
معنا في هذا الامر فقالت الانصار منا امير ومنكم امير فقال عمر
رضي الله عنه من له مثل هذه الثلاث ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول
لصاحبه لا تحزن ان الله معنا من هما قال ثم بسط يده فبايعه وبايع
الناس بيعة حسنة جميلة قال المولف رحمه الله ولهذا قال بعض العلما
في قوله تعالى ثاني اثنين ما يدل ان الخليفة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر
الصديق لان الخليفة لا يكون ابدا الا ثانيا وسمعت شيخنا الامام ابا
العباس احمد بن عمر يقول انما استحق الصديق ان يقال له ثاني اثنين
لقيامه بعد النبي عليه السلام بالامر كقيام النبي عليه السلام به اولا
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات ارتدت العرب كلها ولم يبق
الاسلام الا بالمدينة ومكة وجواثا فقام ابو بكر يدعو الناس الى
الاسلام ويقاتلهم على الدخول في الدين كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فاستحق
من هذه الجهة ان يقال في حقه ثاني اثنين قال المولف رحمه الله وقد جاء في
السنة احاديث صحيحة يدل ظاهرها على انه الخليفة بعده وقد انعقد
الاجماع على ذلك ولم يبق منهم مخالف والقادح في خلافته مقطوع بخطابه

ويغسقه

وتفسيقه وهل يكفر ام لا اختلف فيه والاظهر تكفيره وسياتي لهذا المعنى
مزيد بيان في سورة الفتح ان شاء الله والذي يقطع به من الكتاب والسنة
واقوال علماء الامة ويجب ان تؤمن به القلوب والافئدة فضل الصديق
على جميع الصحابة ولا مبالاة باقوال اهل التشيع ولا اهل البدع فانهم بين
مكفر يضرب رقبته وبين مبتدع مفسق لا تقبل كلمته ثم بعد الصديق
عمر الفاروق ثم بعده عثمان روى البخاري عن ابن عمر قال كنا نخير بين الناس
في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخير ابا بكر ثم عمر ثم عثمان واختلف
ائمة اهل السلف في عثمان وعلي فالجمهور منهم على تقديم عثمان وروي عن
مالك انه توقف في ذلك وروي عنه انه رجع الى ما عليه الجمهور وهو الاصح

العاشرة قوله تعالى فانزل الله سكينته عليه فيه قولان احدهما على
النبي عليه السلام والثاني على ابي بكر قال ابن العربي قال علماؤنا وهو الاقوى
لانه خاف على النبي صلى الله عليه وسلم من القوم فانزل الله سكينته عليه
بتأمين النبي فسكن جأشه وذهب روعه وحصل الامن وانبت الله سبحانه
ثمامة والهم الوكر هناك حمامة وارسل العنكبوت فنسجت بيتا عليه
فما اضعف هذه الجنود في ظاهر الحس وما اقواها في باطن المعنى ولهذا
المعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر حين تغامر مع الصديق هل انتم
تاركوا لي صاحبي ان الناس قالوا كذبت وقال ابو بكر صدقت رواه
ابو الدرداء **الحادية عشرة** قوله تعالى وايده بجنود لم تروها اي
من الملائكة والكناية في قوله وايده يجوز ان ترجع الى النبي صلى الله
عليه وسلم والضميران يختلفان وهذا كثير في كلام العرب وجعل كلمة
الذين كفروا السفلى اي كلمة الشرك وكلمة الله هي العليا قيل لا اله الا الله

وقيل وعد النصر وقرا الاعمش ويعقوب وكلمه الله بالنصب حملا على جعل
والباقون بالرفع على الاستئناف وزعم الفرا ان قراه النصب بعيده
قال لانك تقول اعتق فلان غلام ابنه ولا تقول غلام ابي فلان وقال
ابو حاتم نحوا من هذا قال كان يجب ان يقال وكلمته هي العليا قال النحاس
الذي ذكره الفرا لا يشبه الايه ولكن يشبهها ما انشده سيبويه
لا ارى الموت يسبق الموت شيا نغص الموت ذا الغنى والفقيرا
فهذا جيد حسن لا اشكال فيه بل يقول النحويون الحذاق ان في اعاده
الذكر في مثل هذا فايده وهي ان فيه معنى التعظيم قال الله تعالى اذا
زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها فهذا لا اشكال فيه
والكلمه جمع كلم وتميم تقول هي كلمه بكسر الكاف وحكى الفرا فيها ثلاث
لغات كلمه وكلمه وكلمه مثل كبد وكبد وكبد وورق وورق وورق
والكلمه ايضا القصيده بطولها قاله الجوهري **قوله تعالى**
انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم فيه سبع مسايل الاولى
روى سفيان عن حصين بن عبد الرحمن عن ابي مالك الغفاري قال اول
ما نزل من سوره براه انفروا خفافا وثقالا وقال ابو الضحى كذلك ايضا
قال ثم نزل اولها واخرها **الثانيه** قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا
نصب على الحال وفيه عشره اقوال الاول يذكر عن ابن عباس انفروا
ثباتا سرايا متفرقين الثاني روي عن ابن عباس ايضا وقتاده نشاطا
وغير نشاط الثالث الخفيف الغني والثقيل الفقير قاله مجاهد الرابع
الخفيف الشاب والثقيل الشيخ قاله الحسن الخامس مشاغيل وغير
مشاغيل قاله زيد بن علي والحكم بن عتيبه السادس الثقيل الذي له

ضيعه

ضيعه يكره ان يدعها والخفيف الذى لا ضيعه له قاله ابن زيد السابع
الخفاف الرجال والثقال الفرسان قاله الاوزاعى الثامن الخفاف الذين يسبقون
الى الحرب كالطليعه وهو مقدم الجيش والثقال الجيش باسره التاسع
الخفيف الشجاع والثقيل الجبان حكاه النقاش العاشر عن ابى طلحه شبانا وكهولا
والصحيح فى معنى الايه ان الناس امروا جمله اى انفروا خفت عليكم الحركه
او ثقلت وروى ان ابن ام مكتوم جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
له اعلى ان انفر فقال نعم حتى انزل الله تعالى ليس على الاعمى حرج وهذه
الاقوال انما هى على معنى المثال فى الثقل والخفه **الثالثه** واختلف
فى هذه الايه فقيل انها منسوخه بقوله تعالى ليس على الضعفا ولا على المرضى
وقيل الناسخ لها قوله فلولا نفر من كل فرقه منهم طايفه والصحيح انها ليست
بمنسوخه روى ابن عباس عن ابى طلحه فى قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا
قال شبانا وكهولا ما سمع الله عذر احد فخرج الى الشام فجاهد حتى مات
رضى الله عنه وروى حماد عن ثابت وعلى بن زيد عن انس ان ابا طلحه قرا
سوره براه فاتى على هذه الايه انفروا خفافا وثقالا فقال اى بنى جهزونى
جهزونى فقال بنوه يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى مات ومع ابى بكر حتى مات ومع عمر حتى مات فنحن نغزو عنك قال
لا جهزونى فغزا فى البحر فمات فى البحر فلم يجدوا له جزيره يدفنونه فيها
الا بعد سبعه ايام فدفنوه فيها ولم يتغير رضى الله عنه واسند الطبرى
عن من راى المقداد بن الاسود بحمص على تابوت صراف وقد افضل
على التابوت من سمنه وهو يتجهز للغزو فقيل له لقد عذرك الله فقال اتت
علينا سوره البعوث انفروا خفافا وثقالا وقال الازهرى خرج سعيد

المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل فقال
استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد
وحفظت المتاع وروي ان بعض الناس راى في غزوات الشام رجلا
قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر فقال له يا عم ان الله قد عذرك
فقال يا ابن اخي قد امرنا بالنفر خفافا وثقالا ولقد قال ابن ام مكتوم واسمه
عمرو يوم احد انا رجل اعمى فسلموا الى اللوا فانه اذا انهزم حامل اللوا
انهزم الجيش وانا ما ادري من يقصدني بسيفه فما ابرح فاخذ اللوا
يومئذ مصعب بن عمير على ما تقدم في ال عمران بيانه فلهذا وما كان مثله
مما روي عن الصحابة والتابعين قلنا ان النسخ لا يصح وقد تكون حالة يجب
فيها نفير الكل وهي **الرابعة** وذلك اذا تعين الجهاد بغلبة العدو
على قطر من الاقطار او بحلوله بالعقر فاذا كان ذلك وجب على جميع
اهل تلك الدار ان ينفروا ويخرجوا اليه خفافا وثقالا شبابا وشيوخا
كل على قدر طاقته من كان له اب بغير اذنه ومن لا اب له ولا يتخلف
احد يقدر على الخروج من مقاتل او مكثر فان عجز اهل تلك البلدة عن
القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم ان يخرجوا على حسب
ما لزم اهل تلك البلدة حتى يعلموا ان فيهم طاقة على القيام بهم
ومدافعتهم وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم انه يدركهم
ويمكنه غياثهم لزمه ايضا الخروج اليهم فالمسلمون كلهم يد على من
سواهم حتى اذا قام بدفع العدو اهل الناحية التي نزل العدو عليها
واحتل بها سقط الفرض عن الاخرين ولو قارب العدو دار الاسلام
ولم يدخلوها لزمهم ايضا الخروج اليه حتى يظهر دين الله وتحمى البيضة

ويحفظ

وتحفظ الحوزه ويخزى العدو ولا خلاف في هذا ٥ وقسم ثان من واجب
الجهاد فرض على الامام ايضا اغزا طايفه الى العدو كل سنه مره يخرج
بنفسه او يخرج من يثق به ليدعوهم الى الاسلام ويرغبهم ويكف اذاهم
ويظهر دين الله عليهم حتى يدخلوا في الاسلام او يعطوا الجزيه ومن الجهاد
ايضا ما هو نافله وهو اخراج الامام طايفه بعد طايفه وبعث السرايا
في اوقات الغره وعند امكان الفرصه والارصاد لهم بالرباط في موضع
الخوف واظهار القوه فان قيل كيف يصنع الواحد اذا قصر الجميع وهي
الخامسه قلنا يعمد الى اسير واحد فيفديه فانه اذا فدا الواحد فقد
ادى في الواحد اكثر مما كان يلزمه في الجماعه فان الاغنيا لو اقتسموا فدا
الاسارى ما ادى كل واحد منهم الا اقل من درهم ويغزوا بنفسه ان
قدر والا جهز غازيا قال صلى الله عليه وسلم من جهز غازيا فقد غزى ومن
خلفه في اهله بخير فقد غزى خرجه الصحيح وذلك لان مكانه لا يغني وماله
السادسه روي ان بعض الملوك عاهد كفارا على ان لا
يحبسوا اسيرا فدخل رجل من المسلمين جهة بلادهم فمر على بيت مغلق فنادته
امراه اني اسيره فابلغ صاحبك خبري فلما اجتمع به واستطعمه عنده
وتجاذبا ذيل الحديث انتهى الخبر الى هذه المدريه فما اكمل حديثه حتى
قام الامير على قدميه وخرج غازيا من فوره ومشى الى الثغر حتى اخرج
الاسيره واستولى على الموضع رضي الله عنه ذكره ابن العربي وقال ولقد
نزل بنا العدو قصمه الله سنه سبع وعشرين وخمسمايه فجاس ديارنا
واسر خيرتنا وتوسط بلادنا في عدد هال الناس عدده وكان كثيرا
وان لم يبلغ ما حددوه فقلت للوالي والمولى عليه هذا عدو الله قد حصل

في الشرك والشبهة فليلتزم عنده حرمه ولينظر منكم الى بحره الذين المعيشة عليهم حرمه وليخرج الله جميع الناس حتى لا يبقى منهم احد في جميع الاقطار فيحاط به فانه هالك لا محاله ان يشاء الله فغلبت الذنوب ورحقت القلوب بالمعاصي وصار كل احد من الناس يعلبا ياوي الى وجاره وان راى المكده بجاره فانا لله وانا اليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل **السابعه**
قوله تعالى وجاهدوا امر بالجهاد وهو مشتق من الجهد باموالكم وانفسكم روى ابو داود عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جاهدوا المشركين باموالكم وانفسكم والسنتكم وهذا وصف لاكمل ما يكون من الجهاد وانفعه عند الله تعالى يحض على كمال الاوصاف وقدم الاموال في الذكر اذ هي اول مصرف ووقت التجهيز فرتب الامر كما هو في نفسه **قوله تعالى**
لو كان عرضا قريبا لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك اظهر الله نفاق قوم والعرض ما يعرض من منافع الدنيا والمعنى غنيمة قريبه اخبر عنهم انهم لو دعوا الى غنيمة لاتبعوه عرضا خبر كان قريبا نعته وسفرا قاصدا عطف عليه وحذف اسم كان لدلالة الكلام عليه التقدير لو كان المدعو اليه عرضا قريبا وسفرا قاصدا اى سهلا معلوم الطرق لاتبعوك وهذه الكنايه للمنافقين كما ذكرنا لانهم داخلون في جملة من خوطب بالنفير وهذا موجود في كلام العرب يذكرون الجملة ثم ياتون بالاضمار عائدا على بعضها كما قيل في قوله تعالى وان منكم الا واردها انها القيامة ثم قال جل وعز ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا يعني جهنم ونظير هذه الايه من السنه في المعنى قوله عليه السلام لو يعلم احدهم انه يجد عظما سمينا او مرماتين حسنتين لشهد العشاء يقول

لو نعلم احدهم انه يجد شيا حاضرا معجلا ياخذه لاتى المسجد من اجله
ولكن بعدت عليهم الشقه حكى ابو عبيده وغيره ان الشقه السفر الى
ارض بعيده يقال منه شقه شاقه والمراد بذلك غزوه تبوك
وحكى الكساى انه يقال شقه وشقه قال الجوهرى الشقه بالضم من
الثياب والشقه ايضا السفر البعيد وربما قالوه بالكسر والشقه
شظيه تشظى من لوح او خشبه يقال للغضبان احتد فطارت منه شقه
بالكسره وسيحلفون بالله لو استطعنا اى لو كان لنا سعه فى الظهر
والمال لخرجنا معكم نظيره ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه
سبيلا فسرها النبى عليه السلام فقال زاد وراحله وقد تقدم يهلكون
انفسهم اى بالكذب والنفاق والله يعلم انهم لكاذبون فى الاعتلال

قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم قيل هو افتتاح كلام
كما تقول اصلحك الله واعزك ورحمك كان كذا وكذا وعلى هذا التاويل
يحسن الوقف على قوله عفا الله عنك حكاه مكى والمهدوى والنحاس
واخبره بالعفو قبل الذنب لئلا يطير قلبه فرقا وقيل المعنى عفا الله عنك
ما كان من ذنبك فى ان اذنت لهم فلا يحسن الوقف على قوله عفا الله عنك
على هذا التقدير حكاه المهدوى واختاره النحاس ثم قيل فى الاذن قولان
الاول لم اذنت لهم فى الخروج معك وفى خروجهم بلا عده ونيه صادقه
فساده الثانى لم اذنت لهم فى القعود لما اعتلوا باعذار ذكرهما القشيرى
قال وهذا عتاب تلطف اذ قال عفا الله عنك وكان عليه السلام اذن
من غير وحى نزل فيه قال قتاده وعمرو بن ميمون ثنتان فعلهما النبى صلى الله عليه
وسلم لم يومر بهما اذنه لطايفه من المنافقين فى التخلف عنه ولم يكن له ان يمضى

شيا الا بوحي واخذه من الاسارى الفدية فعاتبه الله كما تسمعون قال بعض
العلما انما بدر منه ترك الاولى فقدم الله له العفو على الخطاب الذي هو في
صورة العتاب **قوله تعالى** حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين
اي ليتبين لك من صدق ممن نافق قال ابن عباس وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يكن يومئذ يعرف المنافقين وانما عرفهم بعد نزول سورة
التوبة وقال مجاهد هولا قوم قالوا نستاذن في الجلوس فان اذن لنا
جلسنا وان لم يوذن لنا جلسنا وقال قتادة نسخ هذه الاية بقوله في
سورة النور فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم ذكره
النحاس في معاني القران له **قوله تعالى** لا يستاذنك الذين
يومنون بالله واليوم الاخر اي في القعود ولا في الخروج بل اذا امرت
بشي ابتدروه فكان الاستيذان في ذلك الوقت من علامات النفاق
لغير عذر ولذلك قال انما يستاذنك الذين لا يومنون الى قوله فهم في
ريبهم يترددون روى ابو داود عن ابن عباس قال لا يستاذنك الذين
لا يومنون بالله نسختها التي في النور انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله
الى قوله غفور رحيم ٥ ان يجاهدوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا ٥ وارتابت
قلوبهم اي شكت في الدين فهم في ريبهم يترددون اي في شكهم يذهبون
ويرجعون **قوله تعالى** ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة
اي لو ارادوا الجهاد لتاهبوا اهبة السفر فتركهم الاستعداد دليل
على ارادتهم التخلف ولكن كره الله انبعاثهم اي خروجهم معك فثبطهم
اي حبسهم عنك وخذلهم لانهم قالوا ان لم يوذن لنا في الجلوس افسدنا
وحرضنا على المومنين ويدل على هذا ان بعده لو خرجوا فيكم ما زادوكم

الاخبالا ه وقيل اقعدوا مع القاعدين قيل هو من قول بعضهم لبعض وقيل هو
من قول النبي صلى الله عليه وسلم ويكون هذا هو الاذن الذي تقدم ذكره
وقيل قاله النبي عليه السلام غضبا فاخذوا بظاهر لفظه وقالوا قد
اذن لنا وقيل هو عبارة عن الخذلان اي اوقع الله في قلوبهم القعود ومعنى
مع القاعدين اي مع اولي الضرر والعميان والزمنى والنسوان والصبيان
قوله تعالى لو خرجوا فيكم هو تسلية للمومنين في تخلف المنافقين
عنهم والخبال الفساد والنميمة وايقاع الاختلاف والاراجيف وهذا
استثنا منقطع اي ما زادوكم قوة ولكن طلبوا الخبال وقيل المعنى لا
يزيدونكم فيما تترددون فيه من الراي الا خبالا فلا يكون الاستثنا منقطعا
قوله تعالى ولاوضعوا خلالكم المعنى لاسرعوا فيما بينكم بالفساد
والايضاع سرعة السير قال الراجز يا ليتني فيها جذع اخب فيها واضع
يقال وضع البعير اذا عدا يضع وضعا ووضوعا اذا اسرع السير
واوضعته حملته على العدو وقيل الايضاع سير مثل الخبب والخلل
الفرجة بين الشيئين والجمع الخلال اي الفرج التي تكون بين الصفوف اي
لاوضعوا خلالكم بالنميمة وافساد ذات البين يبغونكم الفتنة
مفعول ثان والمعنى يطلبون لكم الفتنة اي الافساد والتحريض ويقال
ابغيته اذا اعنته على طلبه وبغيته اذا طلبت له وقيل الفتنة هنا
الشرك وفيكم سماعون لهم اي عيون لهم ينقلون اليهم الاخبار منكم
قال قتادة وفيكم من يقبل منهم قولهم ويطيعهم قال النحاس والقول الاول
اولى لانه الاغلب من معنييه ان معنى سماع يسمعون الكلام ومثله سماعون
للكذب والقول الثاني لا يكاد يقال فيه الا سامع مثل قابل **قوله تعالى**

لقد ابتغوا الفتنة من قبل اى لقد طلبوا الافساد والخبال من قبل ان
يظهر امرهم وينزل الوحى بما اسروه وبما سيفعلونه وقال ابن جريج اراد
اثنا عشر رجلا من المنافقين وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا
بالنبى عليه السلام وقلبوا لك الامور اى صرفوها واجالوا الراى فى
ابطال ما جيت به حتى جاء الحق وظهر امر الله اى دينه **قوله تعالى**
ومنهم من يقول ائذن لى من اذن ياذن واذا امرت زدت همزة مكسورة
وبعدها همزة هى فاء الفعل ولا يجتمع همزتان فابدلت من الثانية ياء لكسر
ما قبلها فقلت ايذن فاذا وصلت زالت العلة فى الجمع بين همزتين
ثم همزت فقلت ومنهم يقول ائذن لى وروى ورش عن نافع ومنهم من
يقول اوذن لى خفف الهمزة قال النحاس يقال ايذن لفلان ثم اذن
هجا الاول والثانى واحد بالالف وبالياء قبل الذال فى الخط فان قلت
ايذن لفلان واذن لغيره كان الثانى بغير ياء وكذا الفاء والفرق بين
ثم والواو ان ثم يوقف عليها وينفصل والفاء والواو لا يوقف عليهما
ولا ينفصلان قال محمد بن اسحق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
للجد بن قيس اخى بنى سلمة لما اراد الخروج الى تبوك يا جد هل لك
فى جلاد بنى الاصفر تتخذ منهم سرارى ووصفا فقال الجد قد عرف
قومى انى مغرم بالنساء وانى اخشى ان رايت بنى الاصفر ان لا اصبر
عنهن فلا تفتنى وائذن لى فى القعود واعينك بمالى فاعرض عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك فنزلت هذه الاية
اى لا تفتنى بصباحة وجوههم ولم يكن به علة الا النفاق قال
المهدوى والاصفر رجل من الحبشة كانت له بنات ولم يكن فى وقتهم

احد

احمل منهم وكان بيلاد الروم وقيل سموا بذلك لان الحبشه غلبت على الروم
وولدت لهم بنات فاخذن من بياض الروم وسواد الحبشه فكن صفرا
لعسا قال ابن عطيه في قول ابن اسحق نظر واسند الطبري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اغزوا تغنموا بنات الاصفر فقال له ائذن لي ولا
تفتنا بالنسا وهذا منزع غير الاول وهو اشبه بالنفاق والمحاده
ولما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم لبني سلمه وكان الجد بن قيس منهم
سيدكم يا بني سلمه قالوا جد بن قيس غير انه بخيل جبان فقال النبي صلى الله
عليه وسلم واي دا ادوا من البخل بل سيدكم الفتى الابيض بشر بن البرا
ابن معرور فقال حسان بن ثابت الانصاري فيه
وسود بشر بن البرا لجوده وحق لبشر بن البرا ان يسودا
اذا ما اتاه الوفد اذهب ماله وقال خذوه انني عايد غدا
الا في الفتنه سقطوا اي في الاثم والمعصيه وقعوا وهي النفاق والتخلف
عن النبي عليه السلام وان جهنم لمحيطه بالكافرين اي مصيرهم الى النار
هي تحدق بهم **قوله تعالى** ان تصبك حسنه تسوهم شرط
ومجازاه وكذا وان تصبك مصيبه يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل اي
احتطنا لانفسنا واخذنا بالحزم فلم نخرج الى القتال ويتولوا اي
عن الايمان وهم فرحون اي معجبون بذلك **قوله تعالى** قل لن يصيبنا
الا ما كتب الله لنا قيل في اللوح المحفوظ وقيل ما اخبرنا به في كتابه من انا
اما ان نظفر فيكون الظفر حسنى لنا واما ان نقتل فيكون الشهاده
اعظم حسنى لنا والمعنى كل شي بقضا وقدر وقد تقدم في الاعراف ان
العلم والقدر والكتاب سوا هو مولانا اي ناصرنا والتوكل تفويض الامر اليه

وقراه الجمهور نصيبنا نصب بان وحكى ابو عبيده ان من العرب من يجزم بها وقرا طلحه بن مصرف لن يصيبنا وحكى عن اعين قاضي الري انه قرا قل لن يصيبنا بنون مشدده وهذا لحن لا يؤكد بالنون ما كان خبرا ولو كان هذا في قراه طلحه لجاز قال الله تعالى هل يذهبن كيده ما يغيظ قوله تعالى قل هل تربصون بنا والكوفيون يدغمون اللام في التا فاما لام المعرفه فلا يجوز الا الادغام كما قال عز وجل التائبون لكثره لام المعرفه في كلامهم ولا يجوز الادغام في قوله قل تعالوا لان قل معتل فلم يجمعوا عليه علتين والتربص الانتظار يقال تربص بالطعام اي انتظر به الحين الغلا والحسنى تانيث الاحسن وواحد الحسنيين حسنى والجمع الحسن ولا يجوز ان ينطق به الا معرفا لا يقال رايت امراه حسنى والمراد بالحسنيين الغنيمه او الشهاده عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما واللفظ استفهام والمعنى التوبيخ ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده اي عقوبه تهلككم كما اصاب الامم الخاليه من قبلكم او بايدينا اي يؤذن لنا في قتالكم فتربصوا تهديد ووعيد اي انتظروا مواعد الشيطان انا منتظرون مواعد الله قوله تعالى قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم فيه اربع مسائل الاولى قال ابن عباس نزلت في الجد بن قيس اذ قال ائذن لي في القعود وهذا مالي اعينك به ولفظ انفقوا امر ومعناه الشرط والجزا وهكذا تستعمل العرب في مثل هذا تاتي باو كما قال الشاعر

اسيئي بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقليه ان تقلت

والمعنى

ن

ان اساءت او احسنت فجر على ما تعرفين ومعنى الاية ان انفقتم طايعين او مكرهين فلن يتقبل منكم ثم بين جل وعز لم لا يقبل منهم فقال وما منعهم ان يقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله فكان في هذا ادل دليل وهي **الثانية** على ان افعال الكافر اذا كانت برا كصلة القرابة وجبر الكسير واغاثة الملهوف لا يثاب عليها ولا ينتفع بها في الاخرة بيد انه يطعم بها في الدنيا دليله ما رواه مسلم عن عايشة قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وروى عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم مومنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الاخرة واما الكافر فيطعم بما عمل لله بها في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم يكن له حسنة يجزى بها وهذا نص ثم قيل هل يحكم هذا الوعد الصادق ولابد ان يطعم الكافر ويعطى بحسناته في الدنيا او ذلك مقيد بمشية الله المذكورة في قوله عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهذا هو الصحيح من القولين والله اعلم وتسمية ما يصدر عن الكافر حسنة انما هو بحسب ظن الكافر والا فلا يصح منه قربة لعدم شرطها المصحح لها وهو الايمان او سميت حسنة لانها تشبه صورة حسنة المومن ظاهرا قولان ايضا **الثالثة** فان قيل فقد روى مسلم عن حكيم ابن حزام انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي رسول الله ارايت امورا كنت اتحنث بها في الجاهلية من صدقة او عتاقة او صلة رحم افيها اجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلمت على ما اسلفت من خير

بحسناته

قلنا قوله اسلمت على ما اسلفت من خير مخالف ظاهره للاصول لان الكافر
لا يصح منه التقرب لله تعالى فيكون مثابا على طاعته لان من شرط المتقرب
ان يكون عارفا بالمتقرب اليه فاذا عدم الشرط انتفى صحة المشروط فكان
المعنى في الحديث انك اكتسبت طباعا جميلة في الجاهلية اكسبتك
عادة جميلة في الاسلام وذلك ان حكيما رضي الله عنه عاش مائة وعشرين
سنة ستين في الاسلام وستين في الجاهلية فاعتق في الجاهلية مائة
رقبة وحمل على مائة بعير وكذلك فعل في الاسلام وهذا واضح وقد
قيل لا يبعد من كرم الله ان يثيبه على فعله ذلك بالاسلام كما يسقط
عنه ما ارتكبه في حال كفره من الاثام وانما لا يثاب من لم يسلم ولا تاب
ومات كافرا وهذا ظاهر الحديث وهو الصحيح ان شاء الله وليس عدم
شرط الايمان في عدم ثواب ما يفعله من الخير ثم اسلم ومات مسلما
بشرط عقلي لا يتبدل والله اكرم من ان يضيع عمله اذا احسن
اسلامه وقد تاول الحربي الحديث على هذا المعنى فقال اسلمت
على ما اسلفت اي ما تقدم لك من خير عملته فذلك لك كما تقول
اسلمت على الف درهم اي على ان احرزها لنفسه والله اعلم الرابعة
فان قيل فقد روى مسلم عن العباس قال قلت يا رسول الله ابا طالب
كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات
من النار فاخرجته الى ضحضاح قيل له لا يبعد ان يخفف عن الكافر
بعض العذاب بما عمل من الخير لكن مع انضمام شفاعة كما جاء
في ابي طالب فاما غيره فقد اخبر التنزيل بقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين
وقال مخبرا عن الكافرين فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقد روى مسلم

عن

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر
عنده عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامه فيجعل في
ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه من حديث العباس ولولا
انا لكان في الدرك الاسفل من النار **قوله تعالى** انكم كنتم قوما
فاسقين اي كافرين **قوله تعالى** وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم
الا انهم كفروا فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى وما منعهم ان تقبل
منهم نفقاتهم الا انهم ان الاولى في موضع نصب والثانيه في موضع رفع
والمعنى وما منعهم من ان تقبل منهم نفقاتهم الا كفرهم وقرا الكوفيون
ان يقبل منهم بالياء لان النفقات والانفاق واحد الثانيه قوله تعالى
ولا ياتون الصلاه الا وهم كسالى قال ابن عباس ان كان في جماعه صلى
وان انفرد لم يصل وهو الذي لا يرجوا على الصلاه ثوابا ولا يخشى في تركها
عقابا فالنفاق يورث الكسل في العباده لا محاله وقد تقدم في النسا
القول في هذا موعبا وذكرنا هناك حديث العلا والحمد لله الثالثه
قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم يعدونها مغرما ومنعها مغنما
واذا كان الامر كذلك فهي غير متقبله ولا مثاب عليها حسب ما تقدم
قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الايه اي لا تستحسن
ما اعطيناهم ولا تمل اليه فانه استدراج انما يريد الله ليعذبهم بها
قال الحسن المعنى باخراج الزكاه والانفاق في سبيل الله وهذا اختيار
الطبري وقال ابن عباس وقتاده في الكلام تقديم وتاخير والمعنى فلا
تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياه الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها
في الاخره وهذا قول اكثر اهل العربيه ذكره النحاس وقيل يعذبهم

بالبعث في الجمع وعلى هذا التاويل قول الحسن لا تقدم فيه ولا تاخير وهو
حسن وقيل التحقيق فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم
في الدنيا لانهم منافقون فهم ينفقون كارهين فيعذبون بما ينفقون
وتزهق انفسهم وهم كافرون نص على ان الله يريد ان يموتوا كافرين سبق في
علمه بذلك القضاء يحلفون بالله انهم لمنكم بين ان من اخلاق المنافقين
الحلف بانهم مومنون نظيره اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول
الله الايه والفرق الخوف اي يخافون ان يظهروا ما هم عليه فيقتلوا
قوله تعالى لو يجدون ملجأ الذا الوقف عليه وفي الخط بالفين
الاولى همزه والثانيه عوض من التنوين وكذا جزءا والملجا الحصن
عن قتاده وغيره وقال ابن عباس الحرز وهما سوا يقال لجات اليه لجا
بالتحريك وملجا والتجات اليه بمعنى والموضع ايضا لجا وملجا والتلجيه
الاكراه والجاته الى الشي اضطررته اليه والجات امري الى الله
اسندته وعمرو بن لجا التيمي الشاعر عن الجوهري او مغارات
جمع مغاره من غار يغير قال الاخفش ويجوز ان يكون من اغار يغير
كما قال الشاعر الحمد لله ممسانا ومصبحنا قال ابن عباس المغارات
الغيران والسراديب وهي المواضع التي يستتر فيها ومنه غار الما
وغارت العين او مدخلا مفتعل من الدخول اي مسلكا نختفي
بالدخول فيه واعاده لاختلاف اللفظ قال النحاس الاصل فيه مدتخل
قلبت التاء دالا لان التاء مهموسه والدال مجهوره وهما من مخرج واحد
وقيل الاصل فيه متدخل على متفعل كما في قوله قراه ابي او متدخلا
ومعناه دخول بعد دخول اي قوما يدخلون معهم وقال المهدوي

متدخلا من يدخل مثل يفتعل اذا تكلف الدخول وعزا ابي ايضا مندخلا
من اندخل وهو شاذ لان بلاثية عن متعدى عند سيبويه واصحابه وقرا
الحسن وابن ابي اسحق وابن محيصن او مدخلا بفتح الميم واسكان الدال
قال الزجاج ويقرا او مدخلا بضم الميم واسكان الدال الاول من
دخل يدخل والثاني من ادخل يدخل كذا المصدر والزمان والمكان
كما انشد سيبويه مغار ابن همام على حي خثعما وروي عن قتاده وعيسى
والاعمش او مدخلا بتشديد الدال والخا والجمهور بشد الدال وحدها
اي مكانا يدخلون فيه انفسهم فهذه ست قراات لولوا اليه اي لرجعوا
اليه وهم يجمحون اي يسرعون لا يرد وجوههم شي من جمح الفرس اذا لم
يرده اللجام قال سبوحا جموحا واحضارها كمعمعه السعف الموقد
والمعنى لو وجدوا شيا من هذه الاشيا المذكوره لولوا اليه مسرعين هربا
من المسلمين **قوله تعالى** ومنهم من يلمزك في الصدقات اي
يطعن عليك عن قتاده وعن الحسن يعيبك وقال مجاهد اي يرورك
ويسلك قال النحاس والقول عند اهل اللغه قول قتاده والحسن
يقال لمزه يلمزه اذا عابه واللمز في اللغه العيب في السر قال الجوهري
اللمز العيب واصله الاشاره بالعين ونحوها وقد لمزه يلمزه ويلمزه
وقري بهما ومنهم من يلمزك في الصدقات ورجل لماز ولمزه اي
عياب ويقال ايضا لمزه يلمزه اذا ضربه ودفعه والهمز مثل اللمز
والهامز والهماز العياب والهمزه مثله يقال رجل همزه وامراه
همزه ايضا وهمزه اي دفعه وضربه ثم قيل اللمز في الوجه والهمز
بظهر الغيب وصف الله قوما من المنافقين بانهم عابوا النبي عليه السلام

في بعض الصدقات وزعموا انهم فقرا ليعطيهم قال ابو سعيد الخدري بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم مالا اذ جاءه حرقوص بن زهير اصل
الخوارج ويقال له ذو الخويصرة التميمي فقال اعدل يا رسول الله فقال
ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل فنزلت الآية حديث صحيح اخرجه مسلم بمعناه
وعندها قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعني يا رسول الله فاقتل هذا
المنافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل اصحابي ان هذا
واصحابه يقرون القران لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم
من الرمية **قوله تعالى** ولو انهم رضوا ما اتاهم الله جواب لو محذوف
التقدير لكان خيرا لهم ٥ **قوله تعالى** انما الصدقات للفقرا
والمساكين الى قوله حكيم فيه ثلثون مسئلة الاولى قوله تعالى انما الصدقات
للفقرا خص الفقرا الله سبحانه وتعالى بعض الناس بالاموال نعمة منه عليهم
وجعل شكر ذلك منهم اخراج سهم يؤدونه الى من لا مال له نيابة عنه سبحانه
فيما ضمنه بقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها **الثانية**
قوله تعالى للفقرا تبيين لمصارف الصدقات والمحل حتى لا تخرج عنهم ثم
الاختيار الى من يقسم هذا قول مالك وابي حنيفة واصحابهما كما يقال
السرج للدابة والباب للدار وقال الشافعي اللام لام التمليك كقولك
المال لزيد وعمرو وبكر فلا بد من التسوية بين المذكورين قال الشافعي
واصحابه وهذا كما لو اوصى لاصناف معينين او لقوم معينين واحتجوا
بلفظة انما وانها تقتضي الحصر في وقوف الصدقات على الثمانية الاصناف
وعضدوا هذا بحديث زياد بن الحارث الصدائي قال اتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يبعث الى قومي جيشا فقلت يا رسول الله احبس جيشك

فانا

فانالك باسلامهم وطاعتهم فكتبت الى قومي فجا اسلامهم وطاعتهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اخا صدا اي المطاع في قومه قال
قلت بل من الله عليهم وهداهم قال ثم جاء رجل يسئله عن الصدقات
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض في الصدقات بحكم
نبي ولا غيره حتى جزاها ثمانية اجزا فان كنت من اهل تلك الاجزا
اعطيتك رواه ابو داود والدارقطني وحكي عن زين العابدين انه قال
انه تعالى علم قدر ما ينفع من الزكاة وانه مما تقع به الكفاية لهذه الاصناف
وجعله حقا لجميعهم فمن منعه ذلك فهو الظالم لهم رزقهم وتمسك علما وباقوله
تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتوتوها الفقرا فهو
خير لكم والصدقة متى اطلقت في القران فهي صدقة الفرض وقال صلى الله
عليه وسلم امرت ان اخذ الصدقة من اغنيايكم واردها على فقرايكم وهذا
نص في ذكر احد الاصناف الثمانية قرانا وسنة وهو قول عمر بن الخطاب
وعلي وابن عباس وحذيفة وقال به من التابعين جماعة قالوا جائز ان يدفعها
الى الاصناف الثمانية والى اي صنف منها دفعت جاز روى المنهال
ابن عمرو عن زر بن حبيش عن حذيفة في قوله انما الصدقات للفقرا والمساكين
قال انما ذكر الله هذه الصدقات لتعرف واي صنف منها اعطيت اجزاك
وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انما الصدقات للفقرا والمساكين قال
في ايها وضعت اجزا عنك وهو قول الحسن وابرهيم وغيرهما قال الكيا
الطبري حتى ادعى مالك الاجماع على ذلك قال المولف رحمه الله
يريد اجماع الصحابة فانه لا يعلم لهما مخالف منهم على ما قال ابو عمر والله اعلم
قال ابن العربي والذي جعلناه فيصلا بيننا وبينهم ان الامة اتفقت

على انه لو اعطى كل صنف حظه لم يخل بعمه فلذلك تعمم الاصناف مثله
والله اعلم **السابعة** واختلف علما اللغة واهل الفقه في الفرق
بين الفقير والمسكين على تسعة اقوال فذهب يعقوب بن السكيت
والعتبي ويونس بن حبيب الى ان الفقير احسن حالا من المسكين قالوا
الفقير هو الذي له بعض ما يكفيه ويقيمه والمسكين الذي لا شي له
واحتجوا بقول الراعي اما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد
وذهب الى هذا قوم من اهل الفقه والحديث منهم ابو حنيفة والقاضي
عبد الوهاب والوفق من الموافقة بين الشيئين كالالتحام يقال حلوبته
وفق عياله اي لها لبن قدر كفايتهم لا فضل فيه عن الجوهري وقال اخرون
بالعكس فجعلوا المسكين احسن حالا من الفقير واحتجوا بقوله تعالى
اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاخبر ان لهم سفينة من
سفن البحر وربما ساوت جملة من المال وعضدوه بما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه تعوذ من الفقر وروي عنه انه قال اللهم احيني مسكينا وامتني
مسكينا فلو كان المسكين اسوا حالا لتناقض الخبران اذ يستحيل ان
يتعوذ من الفقر ثم يسال ما هو اسوا منه وقد استجاب الله دعاه
وقبضه وله مال مما افا الله عليه ولكن لم يكن معه تمام الكفاية ولذلك
رهن درعه قالوا واما بيت الراعي فلا حجة فيه لانه انما ذكر ان الفقير
كانت له حلوبة في حال قالوا والفقير معناه في كلام العرب المفقور
الذي نزعت فقره من ظهره من شدة الفقر فلا حال اشد من هذه وقد
اخبر الله عنهم بقوله لا يستطيعون ضربا في الارض واستشهدوا بقول
الشاعر لما راى لبد النسور تطايرت رفع القوادم كالفقير الاعزل

اى لم يطق الطيران فصار بمنزلة من انقطع صلبه ولصق بالارض ذهب الى
هذا الاصمعى وغيره وحكاه الطحاوى عن الكوفيين وهذا احد قولى الشافعى
واكثر اصحابه وللشافعى قول اخر ان الفقير والمسكين سوا لا فرق بينهما
فى المعنى وان افترقا فى الاسم وهذا القول الثالث والى هذا ذهب ابن
القاسم وساير اصحاب مالك وبه قال ابو يوسف قال المولف رحمه الله
ظاهر اللفظ يدل على ان المسكين غير الفقير وانهما صنفان الا ان
احد الصنفين اشد حاجة من الاخر فمن هذا الوجه يقرب قول من جعلهما
صنفا واحدا والله اعلم ولا حجة فى قول من احتج بقوله تعالى اما
السفينة فكانت لمساكين لانه يحتمل ان يكون مساجره لهم كما يقال هذه
دار فلان اذا كان ساكنها وان كانت لغيره وقد قال تعالى فى وصف اهل
النار ولهم مقامع من حديد فاضافها اليهم وقال ولا تؤتوا السفها
اموالكم وقال عليه السلام من باع عبدا وله مال وهو كثير جدا
يضاف الشى اليه وليس له ومنه قولهم باب الدار وجل الدابة وسرج
الفرس وشبهه ويجوز ان يسموا مساكين على جهة الرحمة والاستعطاف
كما يقال لمن امتحن بنكبه او دفع الله بليه مسكين وفى الحديث مساكين اهل
النار وقال الشاعر مساكين اهل الحب حتى قبورهم عليها تراب الذل بين المقابر
واما ما تاولوه من قوله عليه السلام اللهم احيني مسكينا الحديث
رواه انس فليس كذلك وانما المعنى ههنا المتواضع لله الذى لا يجرون فيه
ولا يكبر ولا يبطر ولا يتكبر ولا اشر ولقد احسن ابو العتاهية حيث قال

اذا اردت شريف القوم كلهم فانظر الى ملك فى زى مسكين
ذاك الذى عظمت فى الله رغبته وذاك يصلح للدنيا وللدين

وليس بالسايل لان النبي صلى الله عليه وسلم قد كره السوال ونهى عنه وقال
في امراة سودا ابت ان تزول لهم عن الطريق دعوها فانها جبارة وايضا
قوله تعالى للفقرا الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض
فلا يمتنع ان يكون لهم شي والله اعلم وما ذهب اليه اصحاب مالك والشافعي
في انهما سوا حسن ويقرب منهما قال مالك في كتاب ابن سحنون قال الفقير
المحتاج المتعفف والمسكين السايل وروي عن ابن عباس وقاله الزهري
واختاره ابن شعبان وهو القول الرابع وقول خامس قال محمد بن مسلمة
الفقير الذي له المسكن والخادم الى من هو اسفل من ذلك والمسكين الذي
لا مال له قال المولف رحمه الله وهذا القول عكس ما ثبت في صحيح مسلم
عن عبد الله بن عمرو وساله رجل فقال السنا من فقرا المهاجرين فقال
له عبد الله الك امراة تاوي اليها قال نعم قال الك مسكن تسكنه
قال نعم قال فانت من الاغنيا قال ان لي خادما قال فانت من الملوك
وقول سادس روي عن ابن عباس قال الفقرا من المهاجرين والمساكين
من الاعراب الذين لم يهاجروا وقاله الضحاك وقول سابع وهو ان
المسكين من يخشع ويستكن وان لم يسال والفقير الذي يتحمل ويقبل
الشي سرا والخشوع قاله عبيد الله بن الحسن وقول ثامن قاله مجاهد
وعكرمة والزهري المساكين الطوافون والفقرا فقرا المسلمين
وقول تاسع قاله عكرمة ايضا ان الفقرا فقرا المسلمين والمساكين
فقرا اهل الكتاب وسياتي **الرابعة** وهي فايدة الخلاف
في الفقرا والمساكين هل هما صنف واحد او اكثر يظهر فيمن اوصى
بثلث ماله لفلان وللفقرا والمساكين فمن قال هما صنف واحد

قال

قال يكون لفلان نصف الثلث وللفقراء والمساكين نصف الثلث الثاني
ومن قال هما صنفان يقسم الثلث بينهم اثلاثا **الخامسة** اختلف
العلماء في حد الفقر الذي يجوز معه الاخذ بعد اجماع اكثر من يحفظ عنه
من اكثر اهل العلم ان من له دارا وخادما لا يستغني عنهما ان له ان ياخذ
من الزكاة وللمعطي ان يعطيه وكان مالك يقول ان لم يكن في ثمن الدار
والخادم فضلة عما يحتاج اليه منهما جاز له الاخذ والا لم يجز ذكره ابن
المنذر وقال النخعي والثوري بقول مالك وقال ابو حنيفة من معه عشرون
دينارا او مائتا درهم فلا ياخذ من الزكاة فاعتبر النصاب لقوله عليه السلام
امرت ان اخذ الصدقة من اغنيائكم واردها في فقرائكم وهذا واضح
ورواه المغيرة عن مالك وقال الثوري واحمد واسحق وغيرهم لا ياخذ
من له خمسون درهما او قدرها من الذهب ولا يعطى منها اكثر من خمسين
درهما الا ان يكون غارما قاله احمد واسحق وحجة هذا القول ما رواه
الدارقطني عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا
تحل الصدقة لرجل له خمسون درهما في اسناده عبد الرحمن بن اسحق
ضعيف وعنه بكر بن خنيس ضعيف ايضا ورواه حكيم بن جبير عن محمد بن
عبد الرحمن بن يزيد عن ابيه عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه
وقال خمسون درهما وحكيم بن جبير ضعيف تركه شعبة وغيره قاله
الدارقطني وقال ابو عمر هذا الحديث يدور على حكيم بن جبير وهو
متروك وعن علي وعبد الله قالا لا تحل الصدقة لمن له خمسون درهما
او قيمتها من الذهب ذكره الدارقطني وقال الحسن البصري لا ياخذ
من له اربعون درهما ورواه الواقدي عن مالك وحجة هذا القول ما

رواه الدارقطني عن عبد الله بن مسعود قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول من سال الناس وهو غني جا يوم القيامة وفي وجهه كدوح وخدوش
فقيل يا رسول الله وما غناه قال اربعون درهما وفي حديث مالك عن
زيد بن اسلم عن عطا بن يسار عن رجل من بني اسد فقال النبي صلى الله عليه وسلم
من سال منكم وله اوقيه فقد سال الحافا والاوقيه اربعون درهما
والمشهور عن مالك ما رواه ابن القاسم عنه انه سيل هل يعطى من الزكاة
من له اربعون درهما قال نعم قال ابو عمر يحتمل ان يكون الاول قويا على
الاكتساب حسن التصرف والثاني ضعيفا عن الاكتساب او من له
عيال والله اعلم وقال الشافعي وابو ثور من كان قويا على الكسب والتحرف
مع قوة البدن وحسن التصرف حتى يغنيه ذلك عن الناس فالصدقة
عليه حرام واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني
ولا لذي مرة سوي رواه عبد الله بن عمرو واخرجه ابو داود والترمذي
والدارقطني وروى جابر قال جات رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة
فركبه الناس فقال انها لا تصلح لغني ولا لصحيح ولا لعامل اخرجه
الدارقطني وروى ابو داود عن عبد الله بن عدي بن الخيار قال
اخبرني رجلان انهما اتيا النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
وهو يقسم الصدقة فسالاه منها فرفع فينا النظر وخفضه فرانا
جلدين فقال ان شيتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي
مكتسب ولانه قد صار غنيا بكسبه كغني غيره بماله فصار كل
واحد منهما غنيا عن المسالة وقال ابن خويز منداد وحكاه عن المذهب
وهذا لا ينبغي ان يعول عليه فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطيها

الفقرا ودفعها على الزمن باطل قال ابو عيسى الترمذي في جامعه
اذا كان الرجل قويا محتاجا ولم يكن عنده شي فتصدق عليه اجزا عن
المتصدق عند اهل العلم ووجه الحديث عند بعض اهل العلم على المسالة وقال
الكيا الطبري والظاهر يقتضي جواز ذلك لانه فقير مع قوته وصحة بدنه وبه
قال ابو حنيفه واصحابه وقال عبيد الله بن الحسن من لا يكون له ما يكفيه
ويقيمه سنه فانه يعطى الزكاه وحجته ما رواه ابن شهاب عن مالك بن
اوس بن الحدثان عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يدخر مما افا الله عليه قوت سنه ثم يجعل ما سوى ذلك في الكراع والسلا ح
مع قوله تعالى ووجدك عايلا فاغنى وقال بعض اهل العلم لكل احد ان
ياخذ من الصدقه فيما لا بد له منه وقال قوم من عنده عشا ليله فهو غني
وروي عن علي واحتجوا بحديث علي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من
سال مسالة عن ظهر غنى استكثر بها من رضف جهنم قالوا يا رسول الله
وما ظهر الغنى قال عشا ليلة اخرجه الدارقطني وقال في اسناده عمرو
بن خالد وهو متروك واخرجه ابو داود عن سهل بن الحنظلية عن النبي
صلى الله عليه وسلم وفيه من سال وعنده ما يغنيه فانما يستكثر من النار
وقال النفيلي في موضع اخر من جمر جهنم فقالوا يا رسول الله وما يغنيه
وقال النفيلي في موضع اخر وما الغنى الذي لا ينبغي معه المسالة قال
قدر ما يغديه ويعشيه وقال النفيلي في موضع اخر ان يكون له شبع يوم
وليله او ليله ويوم قال المولف رحمه الله فهذا ما جا في بيان الفقير
الذي يجوز معه الاخذ ومطلق لفظ الفقرا لا يقتضي الاختصاص
بالمسلمين دون اهل الذمه ولكن تظاهرت الاخبار في ان الصدقات

توخذ من اغنيا المسلمين فترد في فقرائهم وقال عكرمة الفقرا فقرا المسلمين والمساكين فقرا اهل الكتاب وقال ابو بكر العبسي راى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذميا ملقوفا مطروحا على باب المدينة فقال له عمر ما لك قال استكرهوني في هذه الجزية حتى اذا كف بصري تركوني وليس لي احد يعود علي بشي فقال عمر ما انصفت اذا فامر له بقوته وما يصلحه ثم قال هذا من الذين قال الله تعالى انما الصدقات للفقرا وهم زمنا اهل الكتاب ولما قال تعالى انما الصدقات للفقرا الاية وقابل الجملة بالجملة وهي جملة الصدقة بجملة المصرف بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال لمعاذ حين ارسله الى اليمن اخبرهم ان الله افترض عليهم صدقة توخذ من اغنيائهم فترد في فقرائهم فاختص اهل كل بلدة بزكاة بلده وروى ابو داود ان زيادا او بعض الامرا بعث عمران بن حصين على الصدقة فلما رجع قال لعمران اين المال قال وللمال ارسلتني اخذناها من حيث كنا ناخذها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعناها حيث كنا نضعها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الدارقطني والترمذي عن عون بن ابي جحيفة قال قدم علينا مصدق النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ الصدقة من اغنيائنا فجعلها في فقرائنا فكنت غلاما يتيما فاعطاني منها قلوصا قال الترمذي وفي الباب عن ابن عباس حديث ابن ابي جحيفة حديث حسن السادسة

وقد اختلف العلما في نقل الزكاة من موضعها على ثلثة اقوال لا تنقل قاله سحنون وابن القاسم وهو الصحيح لما ذكرناه قال ابن القاسم وان نقل بعضها لضرورة رايته صوابا وروى عن سحنون انه قال ولو بلغ الامام ان ببعض البلاد

حاجة شديدة جاز له نقل بعض الصدقة المستحقة لغيره اليه لان الحاجة
اذا نزلت وجب تقديمها على من ليس بمحتاج والمسلم اخو المسلم لا يسلمه
ولا يظلمه الثاني ينقل وقاله مالك ايضا وجه هذا القول ما روى
ان معاذا قال لاهل اليمن ايتوني بخميس او لبيس اخذه منكم مكان الذرة والشعير
في الصدقة فانه ايسر عليكم وانفع للمهاجرين بالمدينة اخرجه الدارقطني وغيره
والخميس لفظ مشترك وهو هنا الثوب طوله خمس اذرع ويقال سمي بذلك
لان اول من عمله الخمس ملك من ملوك اليمن ذكره ابن فارس في المجمل والجوهري ايضا
وفي هذا الحديث دليلان احدهما ما ذكرناه من نقل الزكاة من اليمن الى المدينة
فيتولى النبي صلى الله عليه وسلم قسمتها ويعضد هذا قوله تعالى انما الصدقات
للفقراء ولم يفرق بين بلد وبلد اخر والله اعلم والثاني اخذ القيمة في الزكاة
وقد اختلفت الرواية عن مالك في اخراج القيم في الزكوات فاجاز ذلك مرة
ومنع منه مرة اخرى فوجه الجواز وهو قول ابي حنيفة هذا الحديث وثبت في
صحيح البخاري من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم من بلغت عنده صدقة
الجذعة وليست عنده وعنده حقة فانه يؤخذ منه وما استيسرتا من
شاتين او عشرين درهما الحديث وقال صلى الله عليه وسلم اغنوهم عن سؤال
هذا اليوم يعني يوم الفطر وانما اراد ان يغنوا بما يسد حاجتهم فاي شيء سد
الحاجة جاز وقد قال تعالى خذ من اموالهم صدقة ولم يخص شيئا من شيء ولا
يدفع عند ابي حنيفة سكنى دار بدل الزكاة مثل ان يجب عليه خمسة دراهم
فاسكن فيها فقيرا شهرا فانه لا يجوز قال لان السكنى ليس بمال ووجه قوله
لا تجزي القيم وهو ظاهر المذهب فلان النبي صلى الله عليه وسلم قال في خمس
من الابل شاة وفي اربعين شاة شاة فنص على الشاة فاذا لم يأت بها لم

فعدم

بان المامور به واذا امر بان بالمامور به فالامر بان وعليه فالقول الثالث
ان سهم الفقراء والمساكين يقسم في الموضع وسائر السهام تنقل باجتهاد
الامام **السابعة** هل المعتبر مكان المال وقت تمام الحول فتفرق
الصدقة فيه او مكان المالك اذ هو المخاطب قولان واختار الثاني
ابو عبد الله محمد بن خواز منداد في احكامه قال لان الانسان هو المخاطب
باخراجها فصار المال تبعا له فيجب ان يكون الحكم فيه بحيث المخاطب كابن
السبيل فانه يكون غنيا في بلده فقيرا في بلد اخر فيكون الحكم له حيث هو
مسئلة اختلفت الرواية عن مالك فيمن اعطى فقيرا مسلما فانكشف
في ثاني حال انه اعطى عبدا او كافرا او غنيا فقال مرة يجزيه ومرة
لا يجزيه وجه الجواز وهو الاصح ما رواه مسلم عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال قال رجل لاتصدقن بصدقة فخرج بصدقته
فوضعها في يد زانية فاصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على زانية قال
اللهم لك الحمد على زانية لاتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد
غني فاصبحوا يتحدثون تصدق اليوم على غني فقال اللهم لك الحمد على غني
لاتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق فاصبحوا يتحدثون
تصدق على سارق فقال اللهم لك الحمد على زانية وعلى غني وعلى سارق
فاتى فقيل له اما صدقتك فقد قبلت اما الزانية فلعلها تستعف
عن زناها ولعل الغني يعتبر فينفق مما اعطاه الله ولعل السارق يستعف
بها عن سرقته وروي ان رجلا اخرج زكاة ماله فاعطاها اباه فلما
اصبح علم بذلك فسال النبي صلى الله عليه وسلم فقال له قد كتب لك
اجر زكاتك واجر صلة الرحم فلك اجران ومن جهة المعنى انه سوغ

له الاجتهاد في المعطى فاذا اجتهد واعطا من يظنه من اهلها فقد
اتى بالواجب عليه ووجه قوله لا تجزى انه لم يضعها في مستحقها فاشبه
العمد ولان العمد والخطا في ضمان الاموال واحد فيجب ان يضمن ما اتلف
على المساكين حتى يوصله اليهم **الثامنة** فان اخرج الزكاة عند
محلها فهلكت من غير تفريط لم يضمن لانه وكيل للفقرا فان اخرجها بعد
ذلك بمدة فهلكت ضمن لتاخيرها عن محلها فتعلقت بذمته فلذلك ضمن
التاسعة واذا كان الامام يعدل في الاخذ والصرف لم يسع
المالك ان يتولى الصرف بنفسه في الناض ولا في غيره ومن قيل ان زكاة
الناض الى اربابه وقال ابن الماجشون ذلك اذا كان المصرف الفقرا
والمساكين خاصة فان احتيج الى صرفها لغيرهما من الاصناف فلا يفرق
عليهم الا الامام وفروع هذا الباب كثيرة هذه امهاتها **العاشرة**
قوله تعالى والعاملين عليها يعني السعاة والجباة الذين يبعثهم الامام
لتحصيل الزكاة بالتوكل على ذلك روى البخاري عن ابي حميد الساعدي
قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الاسد على صدقات
بني سليم يدعى ابن اللتبية فلما جاء حاسبه واختلف العلماء في المقدار
الذي ياخذونه على ثلاثة اقوال قال مجاهد والشافعي هو الثمن وقال ابن
عمر ومالك يعطون قدر عملهم من الاجرة وهو قول ابي حنيفة واصحابه قالوا
لانه عطل نفسه لمصلحة الفقرا فكانت كفايته وكفاية اعوانه في مالهم كالمراة
لما عطلت نفسها لحق الزوج كانت نفقتها ونفقة اتباعها من خادم
او خادمين على زوجها ولا تقدر بالثمن بل تعتبر الكفاية ثمنا كان او
اكثر كرزق القاضي ولا تعتبر كفاية الاعوان في زماننا لانه اسراف محض

القول الثالث يعطون من بيت المال قال ابن العربي وهذا قول صحيح عن
مالك بن انس من رواية ابن ابي اويس وداود بن سعيد بن زنبوعة وهو
ضعيف دليلا فان الله سبحانه قد اخبر بسهمهم فيها نصا فكيف يخلفون
عنه استقراء وسبرا والصحيح الاجتهاد في قدر الاجرة لان البيان في
تعديد الاصناف انما كان للمحل لا للمستحق على ما تقدم واختلفوا في
العامل اذا كان هاشميا فمنعه ابو حنيفة لقوله عليه السلام ان الصدقة
لا تحل لال محمد انما هي اوساخ الناس وهذه صدقة من وجه لانها جزء
من الصدقة فتلحق بالصدقة من كل وجه كرامة وتنزيها لقرابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن غسالة الناس واجاز عمله مالك والشافعي
ويعطى اجرة عمالته لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث علي بن ابي طالب
مصدقا وبعثه عاملا الى اليمن على الزكوات وولى جماعة من بني هاشم
وولى الخلفاء بعده كذلك ولانه اجير على عمل مباح فوجب ان يستوي
فيه الهاشمي وغيره اعتبارا بسائر الصناعات قال ابن الحنفية حديث علي
ليس فيه انه فرض له من الصدقة فان فرض له من غيرها جاز وروي عن مالك
الحادية عشرة دل قوله تعالى والعاملين عليها على ان كل ما كان من
فروض الكفايات كالساعي والكاتب والقسام والعاشر وغيرهم
فالقائم به يجوز له اخذ الاجرة عليه ومن ذلك الامامة فان الصلاة
وان كانت متوجهة على جميع الخلق فان تقدم بعضهم بهم من فروض
الكفايات فلا جرم يجوز اخذ الاجرة عليها وهذا اصل الباب واليه
اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة
عاملي فهو صدقة قال ابن العربي الثانية عشرة قوله تعالى والمؤلفة

قلوبهم

قلوبهم ولذلك المولفة في التنزيل في عرض قسم الصدقات وهم قوم كانوا في صدر
الاسلام ممن يظهر الاسلام يتالفون بدفع سهم من الصدقة اليهم لضعف
يقينهم قال الزهري المولفة من اسلم من يهودي او نصراني وان كان غنيا
وقال بعض المتاخرين اختلف في صفتهم فقيل هم صنف من الكفار يعطون
ليتالفون على الاسلام وكانوا لا يسلمون بالقهر والسيف لكن يسلمون بالعطا
والاحسان وقيل هم قوم اسلموا في الظاهر ولم تستيقن قلوبهم فيعطون
ليتمكن الاسلام في صدورهم وقيل هم قوم من عظما المشركين لهم اتباع
يعطون ليتالفوا اتباعهم على الاسلام قال وهذه الاقوال متقاربة والقصد
بجميعها الاعطا لمن لا يتمكن اسلامه حقيقة الا بالعطا فكانه ضرب
من الجهاد والمشركون ثلثة اصناف صنف يرجع باقامة البرهان
وصنف بالقهر وصنف بالاحسان والامام الناظر للمسلمين يستعمل في
كل صنف ما يراه سببا لنجاته وتخليصه من الكفر وفي صحيح مسلم
من حديث انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعني للانصار فاني
اعطي رجالا حديثي عهد بكفر اتالفهم الحديث قال ابن اسحق اعطاهم
يتالفهم ويتالف به قومهم وكانوا اشرافا فاعطى ابا سفيان بن حرب
ماية بعير واعطى ابنه ماية بعير واعطى حكيم بن حزام ماية بعير واعطى
الحارث بن هشام ماية بعير واعطى سهيل بن عمرو ماية بعير واعطى حويطب
ابن عبد العزى ماية بعير واعطى صفوان بن امية ماية بعير وكذلك اعطى
مالك بن عوف والعلاء بن جارية قال فهولا اصحاب المئين واعطى رجالا
من قريش دون المائة منهم مخرمة بن نوفل الزهري وعمير بن وهب الجمحي
وهشام بن عمرو العامري قال ابن اسحق فهولا لا اعرف ما اعطاهم

واعطى سعد بن يربوع خمسين بعيرا واعطى عباس بن مرداس اباعر قليله
فسخطها فقال في ذلك كانت نهابا تلافيتها بكري على المهر في الجمع
وايقاظي القوم ان يرقدوا اذا هجع الناس لم اهجع
فاصبح نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع
وقد كنت في الحرب ذا تدرا فلم اعط شيئا ولم امنع
الا افائل اعطيتها عديد قوائمها الاربع
وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهبوا فاقطعوا عني لسانه فاعطوه
حتى رضي فكان ذلك قطع لسانه قال ابو عمر وقد ذكر من المؤلفة النضير
ابن الحارث بن علقمة بن كلدة اخو النضر بن الحارث المقتول ببدر صبرا
وذكر اخرون انه فيمن هاجر الى الحبشة فان كان منهم فمحال ان يكون
من المؤلفة قلوبهم ومن هاجر الى ارض الحبشة فهو من المهاجرين الاولين
ممن رسخ الايمان في قلبه وقاتل دونه وليس ممن يؤلف عليه قال ابو عمر
واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن عوف بن سعد بن يربوع
النصري على من اسلم من قومه من قبائل قيس وامره بمعاودة ثقيف
ففعل وضيق عليهم وحسن اسلامه واسلام المؤلفة قلوبهم حاشى
عيينة بن حصن فلم يزل مغموزا عليه وسائر المؤلفة متفاضلون منهم
الخير الفاضل المجتمع على فضله كالحارث بن هشام وحكيم بن حزام
وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو ومنهم دون هؤلاء وقد فضل الله النبيين
وسائر عباده المؤمنين بعضهم على بعض وهو اعلم بهم قال مالك يعني ان حكيم

ابن

ابن حزام اخرج ما كان اعطاه النبي صلى الله عليه وسلم في المولفة قلوبهم فتصدق
به بعد ذلك قال المولف رحمه الله حكيم بن حزام وحويطب بن عبد العزى
عاش كل واحد منهما مايه وعشرين سنه ستين في الاسلام وستين في الجاهليه
وسمعت شيخنا الحافظ ابا محمد عبد العظيم يقول سيحان من الصحابه عاشا في
الجاهليه ستين سنه وفي الاسلام ستين سنه وماتا بالمدينه سنه اربع وخمسين
احدهما حكيم بن حزام وكان مولده في جوف الكعبه قبل عام الفيل بثلاث عشرة
والثاني حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الانصاري وذكرهما ايضا ابو عمرو
عثمان الشهرزوري في كتاب انواع معرفة انواع الحديث لم يذكر غيرهما
وحويطب ذكره ابو الفرج الجوزي في كتاب الوفا في شرف المصطفى وذكره ابو عمر
في كتاب الصحابه انه ادرك الاسلام وهو ابن ستين سنه ومات وهو ابن مايه
وعشرين سنه وذكر ايضا حمنن بن عوف اخو عبد الرحمن بن عوف انه عاش في
الاسلام ستين سنه وفي الجاهليه ستين سنه وقد عد في المولفه قلوبهم معاويه
وابوه ابو سفيان بن حرب اما معاويه فبعيد ان يكون منهم وكيف يكون منهم وقد
ايتمنه النبي صلى الله عليه وسلم على وحي الله وقراه وخلطه بنفسه واما
حاله في ايام ابي بكر فاشهر من هذا واظهر واما ابوه فلا كلام فيه ان كان منهم
وفي عدهم اختلاف وبالجمله فكلهم مومن ولم يكن فيهم كافر على ما تقدم والله اعلم و

الثالثه عشره واختلف العلما في بقاهم فقال عمر والحسن والشعبي
وغيرهم انقطع هذا الصنف بعز الاسلام وظهوره وهذا مشهور من مذهب
مالك واصحاب الراي قال بعض علما الحنفيه لما اعز الله الاسلام واهله
وقطع دابر الكافرين لعنهم الله اجمعت الصحابه رضوان الله عليهم في خلافه ابي بكر
على سقوط سهمهم وقال جماعه من العلما هم باقون لان الامام ربما احتاج

ان يستالف على الاسلام وانما قطعهم عمر لما راى من اعزاز الدين قال يونس
سالت الزهرى عنهم فقال لا اعلم نسخ من ذلك قال النحاس فعلى هذا الحكم
فيهم ثابت فان كان احد يحتاج الى تالفه ويخاف ان يلحق منه المسلمين افة
او يرجى ان يحسن اسلامه بعد دفع اليه قال القاضى عبد الوهاب ان احتيج
اليهم فى بعض الاوقات اعطوا من الصدقات وقال القاضى بن العربى
الذى عندى انه ان قوى الاسلام زالوا وان احتيج اليهم اعطوا سهمهم
كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم فان فى الصحيح بدا
الاسلام غريبا وسيعود كما بدا **الرابعة عشرة** فاذا فرعنا
على انه لا يرد اليهم سهمهم فانه يرجع الى ساير الاصناف او ما راه
الامام وقال الزهرى يعطى نصف سهمهم لعمار المساجد وهذا مما
يدلك على ان الاصناف الثمانية محل لا مستحقون تسوية ولو كانوا
مستحقين لسقط سهمهم بسقوطهم ولم يرجع الى غيرهم كما لو اوصى
لقوم معينين فمات احدهم لم يرجع نصيبه الى من بقى منهم والله اعلم
الخامسة عشرة قوله تعالى وفى الرقاب اى فى فك الرقاب
قال ابن عباس وابن عمر وهو مذهب مالك وغيره فيجوز للامام ان يشترى
رقابا من مال الصدقة يعتقها عن المسلمين ويكون ولاوهم لجماعة
المسلمين وان اشتراهم صاحب الزكاة واعتقهم جاز هذا تحصيل
مذهب مالك وروى عن ابن عباس والحسن وبه قال احمد واسحق وابو عبيد
وقال ابو ثور لا يبتاع منها صاحب الزكاة نسمة يعتقها بجر ولا وهو
قول الشافعى واصحاب الراى ورواية عن مالك والصحيح الاول لان
الله عز وجل قال وفى الرقاب فاذا كان للرقاب سهم من الصدقات

كان

كان له ان يشتري رقبة بعضها ولا خلاف بين اهل العلم ان للرجل ان يشتري
الفرس يحمل عليه في سبيل الله فاذا كان له ان يشتري فرسا بالكمال من الزكاة
جاز ان يشتري رقبة بالكمال لا فرق بين ذلك والله اعلم **السادسة عشرة**
قوله تعالى وفي الرقاب الاصل في الولاء قال مالك هي الرقبة يعتق وولاؤها للمسلمين
وكذلك ان اعتقها الامام وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الولاء وعن
هبته وقال عليه السلام الولاء لحمة كلحمة النسب لا يباع ولا يوهب وقال
عليه السلام الولاء لمن اعتق ولا يرث النساء من الولاء شيئا لقوله عليه السلام
لا يرث النساء من الولاء شيئا الا من اعتقن او اعتق من اعتقن وقد ورث النبي
صلى الله عليه وسلم ابنة حمزة من مولاها النصف ولابنته النصف فاذا
ترك المعتق اولادا ذكورا او اناثا فالولاء للذكور من ولده دون الاناث
وهو اجماع الصحابة رضي الله عنهم والولاء انما يورث بالتعصيب المحض والنساء
لا تعصيب فيهن فلم يرثن من الولاء شيئا فافهم تصب **السابعة عشرة**
اختلف هل يعان منها المكاتب فقيل لا روي عن مالك لان الله عز وجل
لما ذكر الرقبة دل على انه اراد العتق الكامل واما المكاتب فانما هو داخل
في كلمة الغارمين بما عليه من دين الكتابة فلا يدخل في الرقاب والله اعلم وقد
روي عن مالك من رواية المدنيين وزياد عنه انه يعان منها المكاتب
في اخر كتابته بما يعتق وعلى هذا جمهور العلماء في تاويل قول الله تعالى وفي
الرقاب وبه قال ابن وهب والشافعي والليث والنخعي وغيرهم وحكى علي
ابن موسى القمي الحنفي انهم اجمعوا على ان المكاتب مراد واختلفوا في عتق
الرقاب قال الكيا الطبري وذكر وجها بينة في منع ذلك فقال ان
العتق ابطال ملك ليس بتمليك وما يدفع الى المكاتب تمليك ومن

حق الصدقة ان لا تجزي الا اذا جرى فيها التمليك وقوي ذلك بانه لو
دفع من الزكاة عن الغارم في دينه بغير امره لم يجزه من حيث لم يملك
ولان لا يجزي ذلك في العتق اولى وذكر ان في العتق جر الولاء الى
نفسه وذلك لا يحصل في دفعه للمكاتب وذكر ان ثمن العبد اذا دفع
الى العبد لم يملك العبد وان دفعه الى سيده فقد ملكه العتق وان
دفعه بعد الشرا والعتق فهو قاضي دين وذلك لا يجزي في الزكاة
قال المولف رحمه الله مدور دينهم على معنى ما ذكرنا من جواز
عتق الرقبة واعانة المكاتب معا اخرجه الدارقطني عن البرا قال
جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يقربني من
الجنة ويباعدني من النار قال لين كنت اقصرت الخطبة لقد اعرضت
المسلة اعتق النسمة وفك الرقبة قال يا رسول الله اوليسا
واحدا قال لا عتق النسمة ان تفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين
في ثمنها وذكر الحديث **الثامنة عشرة** واختلفوا في فك
الاسارى منها فقال اصبغ لا يجوز وهو قول ابن القاسم وقال ابن
حبيب يجوز لانها فك رقبة ملكت بملك الرق فهي تخرج من رق
الى عتق وكان ذلك احق واولى من فكاك الرقاب الذي بايدينا
لانه اذا كان فك المسلم عن رق المسلم عبادة وجايزا من الصدقة
فاحرى واولى ان يجوز ذلك في فك المسلم عن رق الكافر وذله
التاسعة عشرة قوله تعالى والغارمين هم الذين ركبهم الدين
ولا وفا عندهم به ولا خلاف فيه الا انه لا يعان في سفاهة فانه لا
يعطى منها ولا من غيرها الا ان يتوب ويعطى منها من له مال وعليه

دين يحيط به ما يقضي به دينه فان لم يكن له مال وعليه دين فهو فقير
وغارم فيعطى بالوصفين روى مسلم عن ابي سعيد الخدري قال اصيب
رجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمار ابتاعها فكثر دينه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقوا عليه فتصدق الناس
عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لغرمائه خذوا ما وجدتم وليس لكم الا ذلك **الموفيه عشرين**
يجوز للمتحمل في صلاح وبر ان يعطى من الصدقة ما يؤدي ما تحمل به اذا
وجب عليه وان كان غنيا اذا كان ذلك يجحف بماله كالغريم وهو قول
الشافعي واصحابه واحمد بن حنبل وغيرهم واحتج من ذهب هذا المذهب
بحديث قبيصة بن مخارق قال تحملت حمالة فاتيت النبي صلى الله عليه
وسلم اسأله فيها فقال اقم حتى تاتينا الصدقة فنامر لك بها ثم
قال يا قبيصة ان المسئلة لا تحل الا لاحد ثلثة رجل تحمل حمالة
فحلت له المسئلة حتى يصيبها ثم يمسك ورجل اصابته جائحة اجتاحت
ماله فحلت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش او قال سدادا
من عيش ورجل اصابته فاقة حتى يقوم ثلثة من ذوي الحجى من قومه
لقد اصابت فلانا فاقة فحلت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش
او قال سدادا من عيش فما سواهن من المسئلة يا قبيصة سحتا
ياكلها صاحبها سحتا فقوله ثم يمسك دليل على ان غنيا لان الفقير
ليس عليه ان يمسك والله اعلم وروي عنه عليه السلام لا تحل الصدقة
لغني الا لخمسة الحديث وسياتي **الحاديه والعشرون**
واختلفوا هل يقضى منها دين الميت ام لا فقال ابو حنيفة لا يؤدي

من الصدقة دين ميت وهو قول ابن المواز قال ابو حنيفة ولا يعطى منها
من عليه كفارة ونحو ذلك من حقوق الله تعالى وانما الغارم من عليه دين
يسجن فيه وقال علماونا وغيرهم يقضى منها دين الميت لانه من الغارمين
قال صلى الله عليه وسلم انا اولى بكل مومن من نفسه من ترك مالا فلاهله
ومن ترك دينا او ضياعا فعلي والي **الثامنة والعشرون**
قوله تعالى وفي سبيل الله هم الغزاة وموضع الرباط يعطون ما ينفقون
في غزوهم كانوا اغنيا او فقرا وهذا قول اكثر العلما وهو تحصيل مذهب
مالك رحمه الله وقال ابن عمر الحجاج والعمار ويوثر عن احمد واسحق انهما
قالا سبيل الله الحج وفي البخاري ويذكر عن ابي لاس حملنا النبي صلى الله
عليه وسلم على ابل الصدقة للحج ويذكر عن ابن عباس يعتق من ماله
ويعطي في الحج خرج ابو محمد عبد الغني الحافظ حدثنا محمد بن محمد الخياش
حدثنا ابو غسان مالك بن يحيى حدثنا يزيد بن هارون اخبرني مهدي
ابن ميمون عن محمد بن ابي يعقوب عن عبد الرحمن بن ابي نعم وكنا ابا الحكم
قال كنت جالسا مع عبد الله بن عمر فاتته امراة فقالت له يا ابا عبد الرحمن
ان زوجي اوصى بماله في سبيل الله قال ابن عمر كما قال في سبيل الله
فقلت له ما زدتها فيما سالت عنه الا غما قال فما تامرني يا ابن ابي
نعم امرها ان تدفعه الى هولا الجيوش الذين يخرجون فيفسدون في الارض
ويقطعون السبيل قال قلت فما تامرها قال امرها ان تدفعه الى قوم
صالحين الى حجاج بيت الله الحرام اولئك وفد الرحمن اولئك وفد الرحمن
ليسوا كوفد الشيطان ثلاثا يقولها قلت يا ابا عبد الرحمن وما وفد
الشيطان قال قوم يدخلون على هولا الامرا فينمون اليهم الحديث

ويسعون

ويسعون في المسلمين بالكتب فيجازون الجوائز ويعطون عليه العطايا
وقال محمد بن عبد الحكم ويعطى من الصدقة في الكراع والسلاح وما
يحتاج اليه من الات الحرب وكف العدو عن الحوزة لان ذلك من سبيل
الغزو ومنفعته وقد اعطى النبي صلى الله عليه وسلم مايه ناقة في
نازلة سهل بن ابي حثمة اطفا للنايره قال المولف رحمه الله اخرج
هذا الحديث ابو داود عن بشير بن يسار ان رجلا من الانصار يقال
له سهل بن ابي حثمة اخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وداه
مايه من ابل الصدقة يعني دية الانصاري الذي قتل بخيبر وقال عيسى بن
دينار تحل الصدقة لغازي في سبيل الله قد احتاج في غزوته وغاب عنه غناه
ووفره قال ولا تحل لمن كان معه ماله من الغزاة انما تحل لمن كان ماله
غايبا عنه منهم وهذا مذهب الشافعي واحمد وجمهور اهل العلم وقال
ابو حنيفة وصاحباه لا يعطى الغازي الا اذا كان فقيرا منقطعا به
وهذه زيادة على النص والزيادة عنده على النص نسخ والنسخ لا يجوز
الا بقران او خبر متواتر وذلك معدوم هنا بل في صحيح السنة خلاف
ذلك من قوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغازي في سبيل
الله او لعامل عليها او لغارم او لرجل اشتراها بماله او لرجل كان
مسكين فتصدق على المسكين واهدى المسكين للغني رواه مالك مرسلا
عن زيد بن اسلم عن عطا بن يسار عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
فكان هذا الحديث مفسرا للمعنى الاول وانه يجوز لبعض الاغنيا اخذها ومفسرا
لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي لان قوله هذا
محمل ليس على عمومه بدليل الخمسة الاغنيا المذكورين وكان ابن القاسم

يقول لا يجوز للغني ان ياخذ من الصدقة ما يستعين به على الجهاد وينفقه في
سبيل الله وانما يجوز ذلك للفقير قال وكذلك الغارم لا يجوز له ان ياخذ من
الصدقة ما يفي به ماله ويودي منها دينه وهو عنها غني قال واذا احتاج
الغازي في غزوته وهو غني له مال غاب عنه لم ياخذ من الصدقة شيا ويستقرض
فاذا بلغ بلده ادى ذلك من ماله هذا كله ذكره عن حبيب عن ابن القاسم وزعم
ان ابن نافع وغيره خالفوه في ذلك وروى ابو زيد وغيره عن ابن القاسم انه
قال يعطى في الزكاة الغازي وان كان معه في غزاته ما يكفيه من ماله
وهو غني في بلده وهذا هو الصحيح لظاهر الحديث لا تحل الصدقة لغني
الا لخمسة وروى ابن وهب عن مالك انه يعطى منها الغزاة ومواضع الرباط
فقراء كانوا او اغنيا **المسالة والعشرون** قوله تعالى
وابن السبيل السبيل الطريق ونسب المسافر اليها لملازمته اياها
ومروره عليها كما قال الشاعر ان تسالوني عن الهوى فانا الهوى وابن الهوى
واخو الهوى وابوه ٥ والمراد الذي انقطعت به الاسباب في سفره
عن بلده ومستقره وماله فانه يعطى منها وان كان غنيا في بلده ولا
يلزمه ان يشغل ذمته بالسلف وقال مالك في كتاب ابن سحنون اذا
وجد من يسلفه فلا يعطى والاول اصح فانه لا يلزمه ان يدخل تحت
منة احد وقد وجد منة الله تعالى فان كان له ما يغنيه ففي جواز
الاخذ له لكونه ابن السبيل روايتان المشهور انه لا يعطى فان
اخذ فلا يلزمه رده اذا صار الى بلده ولا اخراجه **الرابعة
والعشرون** فان جاء وادعى وصفا من الاوصاف هل يقبل
قوله ام لا ويقال له اثبت ما تقول فاما الدين فلا بد ان يثبته

واما سائر الصفات فظاهر الحال يشهد له ويكتفى به فيها والدليل على
ذلك حديثان صحيحان اخرجهما اهل الصحيح وهو ظاهر القران روى مسلم
عن جرير قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم في صدر النهار قال
فجاه قوم حفاة عراة مجتابي النمار او العبا متقلدي السيوف عامتهم
من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
راى بهم من الفاقه فدخل ثم خرج فامر بلالا فاذن واقام فصلى ثم خطب
فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم الى قوله رقيبا والاية التي
في الحشر ولتنظر نفس ما قدمت لغد تصدق رجل من ديناره من درهمه
من ثوبه من صاع بره حتى قال ولو بشق تمره قال فجا رجل من الانصار
بصره كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت قال ثم تتابع الناس حتى
رايت كومين من طعام وثياب حتى رايت وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتهلل حتى كانه مذهبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سن في الاسلام سنه حسنه فله اجرها واجر من عمل بها بعده
من غير ان ينقص من اجورهم شي ومن سن في الاسلام سنه سيئه
كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم
شي فالنبي صلى الله عليه وسلم بظاهر حالهم وحث على الصدقه
ولم يطلب منهم بينه ولا استفصل هل عندهم مال ام لا ومثله
حديث ابرص واقرع واعمى اخرجه مسلم وغيره وهذا لفظه عن
ابي هريره انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان في بني
اسرائيل ابرص واقرع واعمى فاراد الله ان يبتليهم فبعث اليهم ملكا
فاتى الابرص فقال اي شي احب اليك قال لون حسن وجلد حسن

ويذهب عني الذي قد قذرني الناس قال فمسحه فذهب قذره واعطي لونا
حسنا وجلدا حسنا قال فاي المال احب اليك قال الابل او قال
البقر شك اسحق الا ان الابرص او الاقرع قال احدهما الابل وقال الاخر
البقر قال فاعطي ناقة عشراء قال فبارك الله لك فيها قال فاتى الاقرع
فقال اي شيء احب اليك قال شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قد
قذرني الناس قال فمسحه فذهب عنه واعطي شعرا حسنا قال فاي
المال احب اليك قال البقر فاعطي بقرة حاملا وقال بارك الله لك
فيها قال واتى الاعمى فقال اي شيء احب اليك قال ان يرد الله الي
بصري فابصر به الناس قال فمسحه فرد الله اليه بصره قال فاي
المال احب اليك قال الغنم فاعطي شاة والدا فانتج هذان وولد
هذا قال فكان لهذا واد من الابل ولهذا واد من البقر ولهذا
واد من الغنم قال ثم انه اتى الابرص في صورته وهيئته فقال رجل
مسكين قد انقطعت به الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم الا
بالله وبك اسالك بالذي اعطاك اللون الحسن والجلد الحسن
والمال بعيرا اتبلغ به في سفري فقال الحقوق كثيرة فقال له
كاني اعرفك الم تكن ابرص يقذرك الناس فقيرا فاعطاك الله
فقال انما ورثت هذا المال كابرا عن كابر فقال ان كنت كاذبا
فصيرك الله الى ما كنت قال واتى الاقرع في صورته فقال له
مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد على هذا فقال ان كنت كاذبا
فصيرك الله الى ما كنت قال واتى الاعمى في صورته وهيئته فقال
رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري

فلا

فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك اسالك بالذي رد عليك بصرك شاة
ابتلغ بها في سفري فقال قد كنت اعمى فرد الله على بصري فخذ ما شئت
ودع ما شئت فوالله لا اجهدك اليوم شيئا اخذته لله فقال امسك
مالك فانما ابتليتم فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك ه وفي هذا
ادل دليل على من ادعى زيادة على فقره من عيال او غيره لا يكشف عنه خلافا
لمن قال يكشف عنه ان قدر فان في الحديث فقال رجل مسكين وابن سبيل
اسالك شاة ولم يكلفه التفسير فاما المكاتب فانه يكلف اثبات الكتابة

اثبات صح

لان الرق هو الاصل حتى تثبت الحرية **الخامسة والعشرون**
ولا يجوز ان يعطي من الزكاة من يلزمه نفقته وهم الوالدان والولد والزوجة
وان اعطى الامام صدقة الرجل لولده ولوالده وزوجته جاز واما
ان يتناول ذلك هو بنفسه فلا لانه يسقط بها عن نفسه فرضا قال
ابو حنيفة ولا يعطي منها ولد ابنه ولا ولد بنته ولا يعطي مكاتبه ولا مدبره
ولا ام ولده ولا عبدا اعتق نصفه لانه مامور بالايتاء والاخراج الى الله تعالى
بواسطة يد الفقير ومنافع الاملاك مشتركة بينه وبين هؤلاء ولهذا لا
تقبل شهادة بعضهم لبعض قال والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم وربما
يعجز فيصير الكسب له ومعتق البعض عند ابي حنيفة بمنزلة المكاتب وعند
صاحبيه ابي يوسف ومحمد بمنزلة حر عليه دين فيجوز اداؤها اليه ه
السادسة والعشرون فان اعطاها لمن لا يلزمه نفقتهم فقد
اختلف فيه فمنهم من جوزه ومنهم من كرهه قال مالك والجمهور قال
مالك مطرف رايت مالكا يعطي زكاته لاقاربه وقال الواقدي قال
مالك افضل من وضعت فيه زكاتك قرابتك الذين لا تعول وقد قال

صلى الله عليه وسلم لزوجة عبد الله بن مسعود لك اجران اجر القرابة
واجر الصدقة واختلفوا في اعطا المراة زكاتها لزوجها فذكر عن ابن
حبيب انه كان يستعين بالنفقة عليها بما تعطيه وقال ابو حنيفة لا
يجوز وخالفه صاحباه فقالا يجوز وهو الاصح لما ثبت ان زينب امراة
عبد الله اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني اريد ان اتصدق
على زوجي ايجزيني فقال عليه السلام نعم لك اجران اجر الصلة واجر
القرابة والصدقة المطلقة هي الزكاة ولانه لا نفقة للزوج عليها فكان
بمنزلة الاجنبي اعتل ابو حنيفة فقال منافع الاملاك بينهما مشتركة
حتى لا تقبل شهادة احدهما لصاحبه والحديث محمول على التطوع
وذهب الشافعي وابو ثور واشهب الى اجازة ذلك اذا لم يصرفه اليها
فيما يلزمه لها وانما يصرف ما ياخذه منها في نفقته وكسوته على نفسه
وينفق عليها من ماله **السابعة والعشرون** واختلفوا ايضا
في قدر المعطى فالغارم يعطى قدر دينه والفقير والمسكين يعطيان كفايتهما
وكفاية عيالهما وفي جواز اعطا النصاب او اقل منه خلاف ينبني على الخلاف
المتقدم في حد الفقر الذي يجوز معه الاخذ وروى علي بن زياد وابن
نافع ليس في ذلك حد وانما هو على اجتهاد الوالي وقد تقل المساكين
وتكثر الصدقة فيعطى الفقير قوت سنة وروى المغيرة يعطى دون
النصاب ولا يبلغه وقال بعض المتاخرين ان كان في البلد زكاتان
نقد وحرث اخذ ما يبلغه الى الاخرى قال ابن العربي الذي اراه ان
يعطى نصابا وان كان في البلد زكاتان واكثر فان الغرض اغنا الفقير
حتى يصير غنيا فاذا اخذ ذلك فان حضرت زكاة اخرى وعنده ما

يكفيه

في نفسه اخذها غيره قال المولف رحمه الله هذا مذهب اصحاب الراي في
اعطا النصاب وقد كره ذلك ابو حنيفة مع الجواز واجازه ابو يوسف قال
لان بعضه لحاجة مشغول للحال فكان الفاضل عن حاجته دون المايتين واذا
اعطاه اكثر من مايتي درهم جملة كان الفاضل عن حاجته للحال قدر المايتين
فلا يجوز ومن متاخري الحنفية من قال هذا اذا لم يكن له عيال ولم يكن عليه
دين فان كان عليه دين لا باس ان يعطيه مايتي درهم او اكثر مقدار ما لو قضي
به دينه يبقى له دون المايتين وان كان معيلا لا باس ان يعطيه مقدار ما
لو وزع على عياله اصاب كل واحد منهم دون المايتين لان التصدق عليه
في المعنى تصدق عليه وعلى عياله وهذا قول حسن **الثامنة والعشرون**
اعلم ان قوله تعالى للفقرا مطلق ليس فيه شرط وتقييد بل فيه دلالة جواز
الصرف الى جملة الفقرا كانوا من بني هاشم او غيرهم الا ان السنة وردت
باعتبار شروط منها ان لا يكونوا من بني هاشم وان لا يكون ممن يلزم المتصدق
نفقته وهذا لا خلاف فيه وشرط ثالث ان يكون قويا على الاكتساب لانه
عليه السلام قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي وقد تقدم القول فيه
ولا خلاف بين العلما ان الصدقة المفروضة لا تحل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا
لبني هاشم ولا لمواليهم وروي عن ابي يوسف جواز صرف صدقة الهاشمي
للهاشمي حكاه الكيا وشذ بعض اهل العلم فقال ان موالي بني هاشم لا يحرم
عليهم شي من الصدقات وهذا خلاف الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم
فانه قال لابي رافع مولاه وان مولى القوم منهم **التاسعة والعشرون**
واختلفوا في جواز صدقة التطوع لبني هاشم فالذي عليه جمهور اهل العلم
وهو الصحيح ان صدقة التطوع لا باس بها لبني هاشم ومواليهم لان عليا

والعباس وفاطمة رضي الله عنهم تصدقوا واوقفوا اوقافا على جماعة من بني هاشم
وصدقاتهم الموقوفة معروفة مشهورة وقال ابن الماجشون ومطرف واصبغ
وابن حبيب لا يعطى بنو هاشم من الصدقة المفروضة ولا من التطوع وقال
ابن القاسم يعطى بنو هاشم من صدقة التطوع قال والحديث الذي جاء لا
تحل الصدقة لآل محمد انما ذلك في الزكاة لا في التطوع واختار هذا
القول ابن خويزمنداد وبه قال ابو يوسف ومحمد قال ابن القاسم ويعطى
مواليهم من الصدقتين وقال مالك في الواضحة لا يعطى لآل محمد من التطوع
قال ابن القاسم قيل له يعني مالكا فمواليهم قال لا ادري ما الموالي فاحتججت
عليه بقوله عليه السلام موالي القوم منهم قال قد قال ابن اخت القوم منهم
قال اصبغ وذلك في البر والحرمة **الموفية ثلثين** قوله تعالى فريضة
من الله بالنصب على المصدر بالنصب عند سيبويه اي فرض الله الصدقات
فريضة ويجوز الرفع على القطع في قول الكسائي اي هي فريضة قال الزجاج
ولا اعلم قرئ به قال المؤلف رحمه الله قرأها ابرهيم بن ابي عبلة
جعلها خبرا كما تقول ان زيدا خارج **قوله تعالى** ومنهم الذين
يؤذون النبي ويقولون هو اذن بين تعالى ان في المنافقين من كان يبسط
لسانه بالوقيعة في اذاية النبي عليه السلام ويقول ان عاتبني حلفت له
باني ما قلت هذا فيقبله فانه اذن سامعة قال الجوهري يقال رجل اذن
اذا كان يسمع مقال كل احد يستوي فيه الواحد والجمع وروى علي بن ابي طلحة
عن ابن عباس في قوله تعالى هو اذن قال مستمع وقابل وهذه الآية نزلت
في عتاب بن قشير قال انما محمد اذن يقبل كل ما قيل له وقيل هو نبتل بن الحارث
قاله ابن اسحق وكان نبتل رجلا جسيما ثائر شعر الراس واللحية آدم احمر العينين

اسفع

اسمع الحديث مشوه الخلقه وهو الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم من اراد
ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث وقرى اذن بضم الذال
وسكونها قل اذن خير لكم اى هو اذن خير لا اذن شر اى يسمع الخير ولا يسمع
الشر وقرأ قل اذن خير لكم بالرفع والتنوين الحسن وعاصم في رواية ابي بكر
والباقون بالاضافة وقرا حمزه ورحمة بالخفض والباقون بالرفع على اذن
والتقدير قل هو اذن خير وهو رحمه اى هو مستمع خير لا مستمع شر اى هو
مستمع ما يجب استماعه وهو رحمه ومن خفض فعلى العطف على خير قال
النحاس وهذا عند اهل العربيه بعيد لانه قد تباعد ما بين الاسمين وهذا يقبح
في المخفوض قال المهدوي ومن جر الرحمة فعلى العطف على خير فالمعنى مستمع
خير ومستمع رحمه لان الرحمة من الخير ولا يصح عطف الرحمة على المومنين لان
المعنى يصدق بالله ويصدق المومنين فاللام زائده في قول الكوفيين ومثله
لربهم يرهبون اى يرهبون ربهم وقال ابو علي هو كقوله ردف لكم وهي عند المبرد
متعلقه بمصدر دل عليه الفعل التقدير ايمانه للمومنين اى تصديقه للمومنين
لا للكفار او يكون محمولا على المعنى فان معنى يومن يصدق فعدى باللام كما عدى
في قوله مصدقا لما بين يديه **قوله تعالى** يحلفون بالله لكم ليرضوكم فيه ثلاث
مسائل الاولى روى ان قوما من المنافقين اجتمعوا فيهم الجلاس بن سويد ووديعه
ابن ثابت وفيهم غلام من الانصار يدعى عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا ان
كان ما يقوله محمد حقا لنحن شر من الحمير فغضب الانصاري وقال والله ما يقول حق
وانتم شر من الحمير واخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم فحلفوا ان عامرا كاذب
وانا ما قلنا شيا فقال عامر هم الكذبه وحلف على ذلك وقال اللهم لا تفرق
بيننا حتى تبين صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الايات

وفيها يحلفون بالله لكم ليرضوكم **الثانيه** قوله تعالى والله ورسوله احق
ان يرضوه ابتدا وخبر ومذهب سيبويه ان التقدير والله احق ان يرضوه
ثم حذف كما قال نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف
وقال محمد بن يزيد ليس في الكلام محذوف والتقدير والله احق ان يرضوه
ورسوله على التقديم والتاخير وقال الفرا المعنى ورسوله احق ان يرضوه
والله افتتاح كلام كما تقول ما شا الله وشيت قال النحاس وقول
سيبويه اولاها لانه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن ان يقال
ما شا الله وشيت ولا يقدر في شي تقديم ولا تاخير ومعناه صحيح قال المولف
رحمه الله وقيل ان الله سبحانه جعل رضاه في رضاه الا ترى انه قال
من يطع الرسول فقد اطاع الله وكان الربيع بن خيثم اذا مر بهذه الايه وقف
ثم يقول حرف وايما حرف فوض اليه فلا يامرنا الا بخير **الثالثه**
قال علماونا تضمنت هذه الايه قبول يمين الحالف وان لم يلزم المحلوف له
الرضى واليمين حق للمدعي وتضمنت ان يكون اليمين بالله عز وجل حسب
وقال النبي صلى الله عليه وسلم من حلف فليحلف بالله او ليصمت ومن حلف له
فليصدق وقد مضى القول في الايمان والاستثنا فيها مستوفى في المايده
قوله تعالى الم يعلموا يعني المنافقين وقرا ابن هرمز والحسن تعلموا
بالتا على الخطاب ٥ انه في موضع نصب بيعلموا والها كنايه عن الحديث
من يحادد الله في موضع رفع بالابتدا والمحاده وقوع هذا في حد
وذاك في حد كالمشاقه يقال حاد فلان فلانا اي صار في حد غير حده ٥
فان له نار جهنم يقال ما بعد الفا في الشرط مبتدا وكان يجب ان يكون فان
بكسر الهمزه وقد اجازه الخليل وسيبويه فان له نار جهنم بالكسر قال سيبويه

وهو

وهو حد وانشد وعلمي باسداء المياه فلم نزل ملانص نحدى في طريق طلايع
واى اذا املت ركابي مناخها فانى على حظى من الامر جامح ٥ الا ان قراه
العامه فان بفتح الهمزه فعال الخليل وسيبويه ايضا ان الثانيه مبدله
من الاول وزعم المبرد ان هذا القول مردود وان الصحيح ما قال الجرمي
قال ان الثانيه مكرره للتوكيد لما طال الكلام ونظيره وهم في الاخره هم
الاخسرون وكذا فكان عاقبتهما انهما في النار وقال الاخفش المعنى فوجوب النار له
وانكره المبرد وقال هذا خطا من اجل ان المفتوحه المشدده لا يبتدا بها
وتضمر الخبر وقال على بن سليمان المعنى فالواجب ان له نار جهنم فان الثانيه
خبر مبتدا محذوف وقيل التقدير فله ان له نار جهنم فان مرفوعه بالاستقرار
على اضمار المجرور بين الفا وان **قوله تعالى** يحذر المنافقون ان
تنزل عليهم سورة تنبيهم بما في قلوبهم فيه ثلاث مسايل الاولى قوله يحذر المنافقون
خبر وليس بامر ويدل على انه خبر ان ما بعده ان الله مخرج ما تحذرون لانهم
كفروا عنادا وقال السدى قال بعض المنافقين والله وددت لو اني قدمت فجلدت
مايه ولا ينزل فينا شي يفضحنا فنزلت الايه يحذر اى يتحرز وقال الزجاج معناه
ليحذر فهو امر كما تقال يفعل ذلك **الثانيه** قوله تعالى ان تنزل ان في موضع
نصب اى من ان تنزل ويجوز على قول سيبويه ان يكون في موضع خفض على حذف
من ويجوز ان يكون في موضع نصب مفعوله ليحذر لان سيبويه اجاز حذرت زيدا
وانشد حذرٌ امورا لا تضير وآمنٌ ما ليس منجيه من الاقدار
ولم يجزه المبرد لان الحذر شي في الهيبه ومعنى عليهم اى على المومنين سورة في
شان المنافقين تخبرهم بمخاويهم ومساويهم ومثالبهم ولهذا سميت الفاضحه
والمثيره والمبعثره كما تقدم اول السوره وقال الحسن كان المسلمون

يسمون هذه السورة الحفارة لانها حفرت ما في قلوب المنافقين فاظهرته
المسألة الثالثة قوله تعالى قل استهزءوا هذا امر وعيد وتهديد ان الله مخرج
اي مظهر ما تحذرون ظهوره قال ابن عباس انزل الله اسماء المنافقين وكانوا
سبعين رجلا ثم نسخ تلك الاسماء من القرآن رأفة منه ورحمة لان اولادهم
كانوا مسلمين والناس يعير بعضهم بعضا فعلى هذا قد انجز الله وعده باظهار
ذلك اذ قال ان الله مخرج ما تحذرون وقيل اخرج الله انه عرف نبيه عليه السلام
احوالهم واسماءهم لا انها نزلت في القرآن وقد قال الله ولتعرفنهم في لحن القول
وهو نوع الهام وكان من المنافقين من يتردد ولا يقطع بتكذيب محمد عليه السلام
ولا بصدقه وكان فيهم من يعرف صدقه ويعاند قوله تعالى ولئن سألتهم
ليقولن انما كنا نخوض ونلعب فيه ثلاث مسائل الاولى هذه الاية نزلت
في غزوة تبوك قال الطبري وغيره عن قتادة بينا النبي صلى الله عليه وسلم
يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا
حتى يفتح قصور الشام ويأخذ حصون بني الاصفر فاطلعه الله سبحانه على ما
في قلوبهم وما يتحدثون به فقال احبسوا على الركب ثم اتاهم فقال قلتم كذا
وكذا فحلفوا انما كنا نخوض ونلعب يريدون كنا غير مجدين وذكر الطبري
عن عبد الله بن عمر قال رأيت قائل هذه المقالة وديعة بن ثابت متعلقا
بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يماشيها والحجارة تنكبه
وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ابالله ورسوله
كنتم تستهزءون وذكر النقاش ان هذا المتعلق كان عبد الله بن ابي سلول وكذا
ذكر القشيري عن ابن عمر قال ابن عطية وذلك خطأ لانه لم يشهد تبوك قال
القشيري وقيل انما قال النبي عليه السلام هذا لوديعة بن ثابت وكان من المنافقين

وكان في غزوة تبوك والخوض الدخول في المأثم استعمل في كل دخول فيه تلويث واذى
الثانية قال ابن العربي لا يخلوا ما قالوه من ذلك جدا او هزلا وهو كيف ما كان
هزؤ فان الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الامة فان التحقيق اخو العلم والحق
والهزل اخو الباطل والجهل قال علماؤنا انظر الى قوله اتتخذنا هزوا قال
اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين **الثالثة** اختلف العلماء في الهزل في سائر الاحكام
كالبيع والنكاح والطلاق على ثلثة اقوال لا يلزم مطلقا يلزم مطلقا التفرقة
بين البيع وغيره فيلزم في النكاح والطلاق وهو قول الشافعي في الطلاق قولا
واحدا ولا يلزم في البيع قال مالك في كتاب محمد يلزم نكاح الهازل وقال
ابو زيد عن ابن القاسم في العتبية لا يلزم وقال علي بن زياد يفسخ قبل وبعد وللشافعي
في بيع الهازل قولان وكذلك يتخرج من قول علمائنا القولان وحكى ابن المنذر
الاجماع في ان جد الطلاق وهزله سوا وقال بعض المتاخرين من اصحابنا ان
اتفقا على الهزل في البيع والنكاح لا يلزم وان اختلفا غلب الجد الهزل وروى
ابو داود والترمذي والدارقطني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة قال الترمذي
حديث حسن غريب والعمل على هذا عند اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم وغيرهم قال المولف رحمه الله كذا في الحديث والرجعة وفي الموطا
مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال ثلاث ليس فيهن لعب النكاح
والطلاق والعتق وكذا روي عن علي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود وابي الدردا
كلهم قال ثلاث لا لعب فيهن ولا رجوع فيهن واللاعب فيهن جاد النكاح والطلاق
والعتق وعن سعيد بن المسيب عن عمر قال اربع جائزات على كل احد العتق والطلاق
والنكاح والنذور وعن الضحاك قال ثلاث لا لعب فيهن النكاح والطلاق والنذور

قوله تعالى لا تعتذروا على جهة التوبيخ كانه يقول لا تفعلوا ما لا ينفع ثم حكم عليهم بالكفر وعدم الاعتذار من الذنب واعتذر بمعنى اعذر اى صار ذا عذر قال لبيد ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر والاعتذار محو اثر الموجدة يقال اعتذرت المنازل درست والاعتذار الدروس قال الشاعر ام كنت تعرف ايات فقد جعلت اطلال الفك بالود كا تعتذر وقال ابن الاعرابى اصله القطع واعتذرت اليه قطعت ما فى قلبه من الموجدة ومنه عذرة الغلام وهو ما يقطع منه عند الختان ومنه عذرة الجارية لانه يقطع خاتم عذرتها **قوله تعالى** ان نعف عن طائفة منكم قيل كانوا ثلثة نفر هزى اثنان وضحك واحد فالمعفو عنه هو الذى ضحك ولم يتكلم والطائفة الجماعة ويقال للواحد على معنى نفس طائفة وقال ابن الانبارى يطلق لفظ الجمع على الواحد كقولك خرج فلان على البغال قال ويجوز ان تكون الطائفة اذا اريد بها الواحد طائفا والهاء للمبالغة واختلف فى اسم هذا الرجل الذى عفى عنه على اقوال فقيل مخشى بن حمير قاله ابن اسحق وقال ابن هشام ويقال فيه ابن مخشى وقال خليفة بن خياط فى تاريخه مخاشن بن حمير وذكر ابن عبد البر مخاشن الحميرى وذكر السهيلى مخشن بن حمير وذكر جميعهم انه استشهد باليمامة وكان تاب وتسمى عبد الرحمن فدعا الله ان يقتل شهيدا ولا يعلم بقبره واختلف هل كان منافقا او مسلما فقيل كان منافقا ثم تاب توبة نصوحا وقيل انه كان مسلما الا انه سمع المنافقين فضحك لهم ولم ينكر عليهم **قوله تعالى** المنافقون والمنافقات ابتدا وخبر بعضهم ابتدا ثان ويجوز ان يكون بدلا ويكون الخبر من بعض ومعنى بعضهم من بعض انهم كالشى الواحد فى الخروج عن الدين وقال الزجاج هذا متصل بقوله يحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم

اي ليسوا من المومنين ولكن بعضهم من بعض اي متشابهون في الامر بالمنكر والنهي
عن المعروف وقبض ايديهم عبارة عن الجهاد وفيما يجب عليهم من حق والنسيان
الترك هنا اي تركوا ما امرهم الله به فتركهم في الشك وقيل تركوا امره حتى صار
كالمنسي فصيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه وقال قتادة فنسيهم اي من الخير
والفسق الخروج عن الطاعة والدين وقد تقدم **قوله تعالى** وعد الله
المنافقين يقال وعده الله بالخير وعدا ووعده بالشر وعيدا خالدين نصب على
الحال والعامل محذوف اي يصلونها خالدين هي حسبهم ابتدا وخبر اي هي
كفاية ووفا لجزا اعمالهم واللعن البعد اي من رحمة الله وقد تقدم ولهم عذاب
مقيم اي واصب دايم **قوله تعالى** كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة
فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى كالذين من قبلكم قال الزجاج الكاف في موضع
نصب اي وعد الله الكفار نار جهنم وعدا كما وعد الذين من قبلهم وقيل المعنى
فعلتم كافعال الذين من قبلكم في ترك الامر بالمنكر والنهي عن المعروف فحذف
المضاف وقيل انتم كالذين من قبلكم فالكاف في محل رفع لانه خبر ابتدا محذوف
ولم ينصرف اشد لانه افعل صفة والاصل فيه اشدد اي كانوا اشد منكم قوة
فلم يتهيا لهم ولا امكنهم رفع عذاب الله عز وجل **قوله تعالى** الثانية
روى سعد عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تاخذون كما اخذت
الامم قبلكم ذراعا بذراع وشبرا بشبر وباعا بباع حتى لو ان احدا من اولئك
دخل جحر ضب لدخلتموه قال ابو هريرة وان شيتم فاقروا القران كالذين من
قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم قال
ابو هريرة والخلاق الدين فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم
حتى فرغ من الاية قالوا يا نبي الله فما صنعت اليهود والنصارى قال وما الناس

الا هم وفي الصحيح عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن الذين من قبلكم
شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله
اليهود والنصارى قال فمن وقال ابن عباس ما اشبه الليلة بالبارحة هؤلاء
بنو اسرائيل شبهنا بهم ونحوه عن ابن مسعود ونحوه **الثالثة** قوله تعالى
فاستمتعوا بخلاقهم اي استمتعوا بنصيبهم من الدين كما فعل الذين من قبلهم
وخضتم خروج من الغيبة الى الخطاب كالذي خاضوا اي كخوضهم فالكاف في
موضع نصب نعت لمصدر محذوف اي وخضتم خوضا كالذي خاضوا والذي
اسم ناقص مثل من فانه يعبر به عن الواحد والجمع وقد مضى في البقرة ويقال خضت
الماء اخوضه خوضا وخياضا والموضع مخاضة وهو ما جاز الناس فيها
مشاة وركبانا وجمعها المخاض والمخاوض ايضا عن ابي زيد واخضت في
الماء دابتي واخاض القوم اي خاضت خيلهم وخضت الغمرات اقتحمتها ويقال
خاضه بالسيف اي حرك سيفه في المضروب وخوض في نجيعه شدد للمبالغة
والمخوض للشراب كالمجدح للسويق تقول منه خضت الشراب وخاض
القوم في الحديث وتخاوضوا اي تفاوضوا فيه فالمعنى خضتم في اسباب الدنيا
باللهو واللعب وقيل في امر محمد بالتكذيب واولئك هم الخاسرون تقدم ايضا
قوله تعالى الم ياتهم نبأ اي خبر الذين من قبلهم والالف لمعنى التقرير
والتحذير اي الم تسمعوا اهلاكنا الكفار من قبل قوم نوح وعاد وثمود بدل
من الذين وقوم ابرهيم اي نمرود بن كنعان واصحاب مدين مدين اسم للبلد الذي
كان فيه شعيب اهلكوا بعذاب يوم الظلة والموتفكات قيل يراد به قوم لوط
لان ارضهم ائتفكت بهم اي انقلبت قاله قتاده وقيل الموتفكات كل من اهلك
كما يقال انقلبت عليه الدنيا اتتهم رسلهم اي جميع الانبيا وقيل اتت

اصحاب

اصحاب المؤتفكات رسلهم بعني هذا رسولهم لوط وحده ولكنه بعث في كل
قرية رسولا وكانت ثلاث قريات وقيل اربع وقوله في موضع اخر والمؤتفكة
على طريق الجنس وقيل اريد بالرسل الواحد كقوله يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
ولم يكن في عصره غيره قال المؤلف رحمه الله وهذا فيه نظر للحديث الصحيح
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين الحديث
وقد تقدم في البقرة والمراد جميع الرسل والله اعلم **قوله تعالى** فما كان الله
ليظلمهم اي ليهلكهم حتى يبعث اليهم الانبيا ولكن ظلموا انفسهم بعد قيام الحجة
عليهم **قوله تعالى** والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اوليا بعض فيه اربع
مسائل الاولى قوله بعضهم اوليا بعض اي قلوبهم متحدة في التواد والتحاب
والتعاطف وقال في المنافقين بعضهم من بعض لان قلوبهم مختلفة ولكن يضم
بعضهم الى بعض في الحكم **الثانية** قوله تعالى يامرون بالمعروف اي بعبادة الله
وتوحيده وكل ما اتبع ذلك وينهون عن المنكر عن عبادة الاوثان وكل ما اتبع
ذلك وذكر الطبري عن ابي العالية انه قال كلما ذكر الله في القران من الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر فهو النهي عن عبادة الاوثان والشياطين وقد مضى
القول في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في سورة المائدة وال عمران والحمد لله
الثالثة قوله تعالى ويقيمون الصلاة تقدم في اول البقرة القول فيه وقال ابن
عباس الصلوات الخمس وبحسب هذا تكون الزكاة هنا المفروضة قال ابن عطية
والمدح عندي بالنوافل ابلغ اذ من يقيم النوافل احرى باقامة الفرائض
الرابعة قوله تعالى ويطيعون الله اي في الفرائض ورسوله فيما سن لهم
والسين في قوله سيرحمهم الله مدخلة في الوعد مهلة لتكون النفوس تتنعم
برجائه وفضله تعالى زعيم بالانجاز **قوله تعالى** وعد الله المؤمنين والمؤمنات

جنات اي بساتين تجري من تحتها اي من تحت اشجارها وغرفها الانهار وقد تقدم
في البقرة انها تجري منضبطة بالقدرة في غير اخدود ومساكن طيبة قصور
من الزبرجد والدر والياقوت يفوح طيبها من مسيرة خمس مائة عام في جنات
عدن اي في دار اقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به ومنه المعدن وقال
عطا الخراساني جنات عدن هي قصبة الجنة وسقفها عرش الرحمن جل وعز
وقال ابن مسعود هي بطنان الجنة اي وسطها وقال الحسن هو قصر من ذهب
لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد او حكم عدل ونحوه عن الضحاك وقال
مقاتل والكلبي عدن اعلا درجة في الجنة وفيها عين التسنيم والجنان
حولها محفوفة بها وهي مغطاة من يوم خلقها الله حتى ينزلها الانبيا
والصديقون والشهدا والصالحون ومن شا الله ورضوان من الله اكبر
اي اكبر من ذلك ذلك هو الفوز العظيم **قوله تعالى** يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى يا ايها النبي جاهد
الكفار الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وتدخل فيه امته من بعده
قيل المراد جاهد بالمؤمنين الكفار وقال ابن عباس امر بالجهاد مع الكفار
بالسيف ومع المنافقين باللسان وشدة الزجر والتغليظ وروي
عن ابن مسعود انه قال جاهد المنافقين بيدك فان لم تستطع فبلسانك
فان لم تستطع فاكفهر في وجوههم وقال الحسن جهاد المنافقين باقامة
الحدود عليهم وباللسان واختاره قتادة وكانوا اكثر من اصاب الحدود
قال ابن العربي اما اقامة الحجة باللسان فكانت دائمة واما بالحدود
لان اكثر اصابة الحدود كانت عندهم فدعوى لا برهان عليها وليس
العاصي بمنافق انما المنافق بما يكون في قلبه من النفاق كامنا لا بما

تنلبس به الجوارح ظاهرا واخبار المحدودين تشهد بسافتها انهم
لم يكونوا امنا فقين **الثانيه** قوله تعالى واغلظ عليهم الغلظ نقيض
الرافه وهي شده القلب على احلال الامر بصاحبه وليس ذلك في
اللسان فان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا زنت امه احدكم فليجلد ها
الحد ولا يثرب عليها ومنه قوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك ومنه قول النسوه لعمر انت افظ واغلظ من رسول الله ومعنى
الغلظ خشونه الجانب فهي ضد قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك
من المومنين واخفض لهما جناح الذل من الرحمه وهذه الايه نسخت كل
شي من العفو والصفح والصلح **قوله تعالى** يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمه الكفر فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا
روي ان هذه الايه نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت ووديعه بن ثابت
وقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا والله لين كان محمد صادقا على
اخواننا الذين هم ساداتنا وخيارنا لنحن شر من الحمير فقال له عامر بن قيس
اجل والله ان محمدا الصادق مصدق وانك لشر من حمار واخبر عامر بذلك
النبي صلى الله عليه وسلم وجا الجلاس فحلف بالله عند منبر النبي صلى الله عليه
وسلم ان عامرا لكاذب وحلف عامر لقد قال وقال اللهم انزل على نبيك
الصادق شيا فنزلت وقيل ان الذي سمعه عاصم بن عدي وقيل حذيفه
وقيل بل سمعه ولد امراته واسمه عمير بن سعد فيما قال ابن اسحق وقال غيره
اسمه مصعب فهم الجلاس بقتله لبلا يخبر بخبره ففيه نزل وهموا بما لم
ينالوا قال مجاهد وكان الجلاس لما قال له صاحبه اني ساخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقولك هم بقتله ثم لم يفعل عجز عن ذلك قال ذلك

هي الاشارة بقوله وهموا بما لم ينالوا وقيل انها نزلت في عبد الله بن ابي راى رجلا
من غفار يتقاتل مع رجل من جهينة وكانت جهينة حلفاء الانصار فعلا
الغفاري الجهني فقال ابن ابي يا بني الاوس والخزرج انصروا اخاكم
والله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك ياكلك ولئن
رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك فجاءه عبد الله بن ابي فحلف انه لم يقله قاله قتادة وقول ثالث انه
قول جميع المنافقين قاله الحسن قال ابن العربي وهو الصحيح لعموم القول
ووجود المعنى فيه وفيهم وجملة ذلك اعتقادهم فيه انه ليس بنبي **الثانية**
قوله تعالى ولقد قالوا كلمة الكفر قال النقاش تكذيبهم بما وعد الله من الفتح
وقيل كلمة الكفر قول الجلاس ان كان ما جاء به محمد حقا لنحن اشر من الحمير
وقول عبد الله بن ابي لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقال
القشيري كلمة الكفر سب النبي صلى الله عليه وسلم والطعن في الاسلام
وكفروا بعد اسلامهم اي بعد الحكم باسلامهم فدل هذا على ان المنافقين
كفار وفي قوله تعالى ذلك بانهم امنوا ثم كفروا دليل قاطع ودلت الاية
ايضا على ان الكفر يكون بكل ما يناقض التصديق والمعرفة وان كان
الايمان لا يكون الا بلا اله الا الله دون غيره من الاقوال والافعال
الا في الصلاة قال اسحق بن راهويه ولقد اجمعوا في الصلاة على شي لم
يجمعوا عليه في سائر الشرائع لانهم باجمعهم قالوا من عرف بالكفر ثم
راوه يصلي الصلاة في وقتها حتى صلى صلوات كثيرة ولم يعلموا منه اقرار
باللسان انه يحكم له بالايمان ولم يحكموا له في الصوم والزكاة بمثل ذلك
الثالثة قوله تعالى وهموا بما لم ينالوا يعني المنافقين من قتل النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة في غزوة تبوك وكانوا اثني عشر رجلا قال
حذيفة سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عدهم كلهم فقلت الا
تبعث اليهم فتقتلهم فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر باصحابه اقبل يقتلهم
بل يكفيهم الله بالدبيلة قيل يا رسول الله وما الدبيلة قال شهاب من
جهنم يضعه على نياط فواد احدهم حتى تزهق نفسه فكان كذلك خرجه مسلم
بمعناه وقيل هموا بعقد التاج على راس ابن ابي ليجتمعوا عليه وقد تقدم
قول مجاهد في هذا **الرابعة** قوله تعالى وما نقموا الا ان اغناهم
الله ورسوله من فضله اي ليس ينقمون شيئا كما قال النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ٥ ويقال نقم
ينقم ونقم ينقم لغتان قال الشاعر في الكسر
ما نقم الناس من امية الا انهم يحلمون ان غضبوا ٥ وقال زهير
يوخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب او يعجل فينقم ٥ ينشد بكسر
القاف وفتحها قال الشعبي كانوا يطلبون دية فقضى لهم بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاستغنوا ذكر عكرمة انها كانت اثني عشر الفا
ويقال ان القتيل كان مولى الجلاس وقال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي صلى الله
عليه وسلم في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فلما
قدم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنائم وهذا المثل مشهور
اتق شر من احسنت اليه قال نعم وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله
من فضله **الخامسة** قوله تعالى فان يتوبوا يك خيرا لهم روي ان الجلاس
قام حين نزلت الاية فاستغفر وتاب فدل هذا على توبة الكافر الذي يسر
الكفر ويظهر الايمان وهو الذي يسميه الفقهاء الزنديق وقد اختلف في ذلك العلماء

فقال الشافعي يقبل توبته وقال مالك توبة الزنديق لا تعرف لانه كان
يظهر الايمان ويسر الكفر ولا يعلم ايمانه الا بقوله وكذلك يفعل الان
وفي كل حين يقول انا مومن وهو يضمر خلاف ما يظهر فاذا عثر عليه وقال
تبت لم يتغير حاله عما كان عليه فاذا جانا تائبا من قبل نفسه قبل ان
يعثر عليه قبلت توبته وهو المراد بالاية والله اعلم **السادسة**
قوله تعالى وان يتولوا اي يعرضوا عن الايمان والتوبة يعذبهم الله عذابا
اليما في الدنيا وفي الاخرة بالنار وما لهم في الارض من ولي اي مانع يمنعهم
ولا نصير اي معين وقد تقدم **قوله تعالى** ومنهم من عاهد الله
لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى قوله علام الغيوب
فيه ثمان مسائل الاولى قوله تعالى ومنهم من عاهد الله قال قتادة هذا رجل
من الانصار قال لئن رزقني الله شيئا لاودين منه حقه ولاتصدقن فلما
اتاه الله ذلك فعل ما قص عليكم فاحذروا الكذب فانه يودي الى الفجور
وروى علي بن يزيد عن القاسم عن ابي امامة الباهلي ان ثعلبة بن حاطب
الانصاري قال للنبي صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يرزقني مالا
فقال عليه السلام ويحك يا ثعلبة قليل تودي شكره خير من كثير
لا تطيقه ثم عاود ثانيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما ترضى
ان تكون مثل نبي الله لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا لسارت
فقال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالا لاعطين كل ذي
حق حقه فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود
فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي
الظهر والعصر في جماعة وترك ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك

بالعلم

الصلوات

الصلوات الا الجمعة وهي تمشي حتى نزل الجمعه ايضا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبه ثلاثا ثم نزل خذ من اموالهم صدقه
فبعث عليه السلام رجلين على الصدقه وقال لهما مرا بثعلبه وبفلان
رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فاتيا ثعلبه واقراه كتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا اخية الجزيه انطلقا حتى تفرغا
ثم تعودا والحديث مشهور وقيل سبب غنى ثعلبه انه ورث ابن عم له قال
ابن عبد البر قيل ان ثعلبه بن حاطب هو الذي نزل فيه ومنهم من عاهد الله
الايه اذ منع الزكاه والله اعلم وما جاء فيمن شاهد بدرا يعارضه قوله تعالى
في الايه فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الايه قال المولف رحمه الله وذكر عن
ابن عباس في سبب نزول الايه ان حاطب بن ابي بلتعه ابطا عنه مال له
بالشام فحلف في مجلس من مجالس الانصار ان سلم ذلك لاتصدقن
منه ولاصلن منه فلما سلم بخل بذلك فنزلت قال المولف رحمه الله وثعلبه
بدري ايضا وممن شهد الله له ورسوله بالايمان حسب ما ياتي بيانه في الممتحنه
فما روي عنه غير صحيح قال ابو عمر ولعل قول من قال في ثعلبه انه مانع الزكاه
الذي نزلت فيه الايه غير صحيح والله اعلم وقال الضحاك ان الايه نزلت في
رجال من المنافقين نبتل بن الحارث وجد بن قيس ومعتب بن قشير قال
المولف رحمه الله وهذا اشبه بنزول الايه فيهم الا ان قوله فاعقبهم نفاقا
يدل على ان الذي عاهد لم يكن منافقا من قبل الا ان يكون المعنى زادهم نفاقا
ثبتوا عليه الى الممات وهو قوله تعالى الى يوم يلقونه على ما ياتي
الثانيه قال علماونا لما قال تعالى ومنهم من عاهد الله احتمل ان
يكون عاهد الله بلسانه ولم يعتقده بقلبه ويحتمل ان يكون عاهد الله بهما

ثم اذ ذكر هنا سوء الخاتمة فان الاعمال بخواتيمها والامام بعواقبها ومن رفع
بالابتداء او الخبر في المجرور ولفظ التمني ورد في الحديث وليس في ظاهر
القران بين الايجد الارتباط والالتزام اما انه في صفة القسم في المعنى
فان اللام يدل عليه وقد اتى بلامين الاولى للقسم والثانية لام الجواب
وكلاهما للتاكيد ومنهم من قال انهما لاما القسم والاول اظهر والله اعلم
المسالة السادسة العهد والطلاق وكل حكم ينفرد به المرء ولا يفتقر
الى غيره فيه فانه يلزمه منه ما يلتزمه بقصده وان لم يتلفظ به لم يكن
شيا حتى يتكلم به وهو القول الاخر لعلمائنا قال ابن العربي والدليل على
صحة ما ذهبنا اليه ما رواه اشهب عن مالك وقد سئل اذا نوى
الرجل الطلاق بقلبه ولم يلفظ به بلسانه فقال يلزمه كما يكون مؤمنا
بقلبه وكافرا بقلبه قال ابن العربي وهذا اصل بديع وتحريره ان يقال
عقد لا يفتقر المرء فيه الى غيره في التزامه فانعقد عليه بنيته اصله الايمان
والكفر قال المولف رحمه الله وحجة القول الثاني ما رواه مسلم عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي
عما حدثت به انفسها ما لم تعمل او تتكلم به ورواه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند اهل العلم ان الرجل اذا حدث
نفسه بالطلاق لم يكن شيا حتى يتكلم به قال ابو عمر ومن اعتقد
بقلبه الطلاق ولم ينطق به لسانه فليس بشي هذا هو الاشهر عن مالك
وقد روي عنه انه يلزمه الطلاق اذا نواه بقلبه كما يكفر بقلبه وان لم
ينطق به لسانه والاول اصح في النظر وطريق الاثر لقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم تجاوز الله لامتي عما وسوست به نفوسها ما لم ينطق به لسان

اونعمله بدا الرابعه ان كان نذرا فالوفا بالنذر واجب من غير خلاف
ونركه معصيه وان كانت يمينا فليس الوفا باليمين واجبا باتفاق بيد ان المعنى
فيه ان كان الرجل فقيرا لا تتعين عليه فرض الزكاه فسال الله ما لا يلزمه
فيه الزكاه ويودى ما تعين عليه من فرضه فلما اتاه الله ما شا الله من ذلك
ترك ما التزم مما كان يلزمه في اصل الدين لو لم يلتزمه لكن التعاطي بطلب
المال لادا الحقوق هو الذي اورطه اذ كان طلبه من الله تعالى بغير نيه
خالصه او نيه لكن سبقت فيه البدايه المكتوب عليه فيه الشقاوه نعوذ بالله
من ذلك قال المولف رحمه الله ومن هذا المعنى قوله عليه السلام
اذا تمنى احدكم فلينظر ما تمنى فانه لا يدرى ما كتب له من امنيته المعنى
فانه لا يدرى ما كتب له في غيب الله عز وجل من امنيته اى من عاقبتها فرب
امنيه يفتتن بها او يطغى فيكون سببا للهلاك دنيا واخرى لان امور الدنيا
مبهمه عواقبها خطره غايلتها واما تمنى امور الدين والاخرى فتمنيها محمود
العاقبه محضوض عليها مندوب اليها الخامسه قوله تعالى لين اتانا من
فضله لنصدقن دليل على ان من قال ان ملكت كذا وكذا فهو صدقه فانه
يلزمه وبه قال ابو حنيفه وقال الشافعي لا يلزمه والخلاف في الطلاق
مثله وكذلك في العتق وقال احمد بن حنبل يلزمه ذلك في العتق ولا يلزمه في
الطلاق لان العتق قربه وهي تثبت في الذمه بالنذر بخلاف الطلاق فانه
تصرف في محل وهو لا يثبت في الذمه احتج الشافعي بما رواه ابو داود
والترمذي وغيرهما عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا نذر لابن ادم فيما لا يملك ولا عتق له فيما لا يملك ولا طلاق
له فيما لا يملك لفظ الترمذي وقال في الباب عن علي ومعاذ وجابر وابن عباس

وعائشة حديث عبد الله بن عمر وهو حديث حسن وهو احسن شي روي
في هذا الباب وهو قول اكثر اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وغيرهم قال ابن العربي وسرد اصحاب الشافعي في هذا الباب احاديث كثيرة
لم يصح منها شي فلا يعول عليها ولم يبق الا ظاهر الاية **السادسة**
قوله تعالى فلما اتاهم من فضله اي اعطاهم بخلوا به اي باعطا الصدقة
وبانفاق المال في الخير وبالوفا بما ضمنوا والتزموا وقد مضى البخل في ال عمران
وتولوا اي عن طاعة الله وهم معرضون اي عن الاسلام اي مظهرون للاعراض
عنه **السابعة** قوله تعالى فاعقبهم نفاقا مفعولان اي اعقبهم الله
نفاقا في قلوبهم وقيل اي اعقبهم البخل نفاقا ولهذا قال بخلوا به الى يوم
يلقونه في موضع خفض اي يلقون بخلهم اي جزا بخلهم كما قال انت تلقى
غدا عملك وقيل الى يوم يلقونه اي يلقون الله وفي هذا دليل على
انه مات منافقا وهو يبعد ان تكون المنزل فيه ثعلبة او حاطب لان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر وما يدريك ان الله اطلع على اهل
بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وثعلبة وحاطب ممن حضر
بدرا وشهدها بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
كذبهم نقضهم العهد وترك الوفا بما التزموه من ذلك **الثامنة**
قوله تعالى نفاقا النفاق اذا كان في القلب فهو الكفر فاما اذا كان في
الاعمال فهو معصية قال النبي صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان
منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق
حتى يدعها اذا اوتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا
خاصم فجر خرجه البخاري وقد مضى في البقرة اشتقاق هذه الكلمة

فلا

فلا معنى لاعادتها واختلف الناس في تاويل هذا الحديث فقالت طايفة
انما ذلك لمن تحدث بحديث يعلم انه كذب ويعهد عهدا لا يعتقد الوفا به
وينتظر الامانة للخيانة فيها وتعلقوا بحديث ضعيف الاسناد وان
علي بن ابي طالب رضي الله عنه لقي ابا بكر وعمر رضوان الله عليهما خارجين من
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما ثقيلان فقال علي ما لي اراكما ثقيلين
قالا حديثا سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال المنافقين
اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اوتمن خان فقال علي افلا سالتماه
فقالا هبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكني سا سله فدخل علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله خرج ابو بكر وعمر وهما
ثقيلان ثم ذكر ما قالا فقال حدثتهما ولم اضعه على الوضع الذي وضعاه
ولكن المنافق اذا حدث وهو يحدث نفسه انه يكذب واذا وعد وهو
يحدث نفسه انه يخلف واذا اوتمن وهو يحدث نفسه انه يخون قال
ابن العربي قد قام الدليل الواضح على ان متعمد هذه الخصال لا يكون كافرا
وانما يكون كافرا باعتقاد يعود الى الجهل بالله تعالى وصفاته او
التكذيب له وقالت طايفة ذلك مخصوص بالمنافقين زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتعلقوا بما رواه مقاتل بن حيان عن سعيد بن
جبير عن ابن عمر وابن عباس قالا اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في اناس من اصحابه فقلنا يا رسول الله انك قلت ثلاث من كن فيه فهو
منافق وان صام وصلى وزعم انه مومن اذا حدث كذب واذا وعد
اخلف واذا اوتمن خان ومن كانت فيه خصلة منهن ففيه ثلث النفاق
وظننا انا لم نسلم منهن او من بعضهن ولن يسلم منهن كثير من الناس

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما لكم ولهن انما خصصت به
المنافقين كما خصهم الله في كتابه اما قولي اذا حدث كذب فذلك قوله تعالى
اذا جاءك المنافقون الاية افانتم كذلك قلنا لا قال لا عليكم انتم من ذلك
براء واما قولي اذا وعد اخلف فذلك فيما انزل الله علي ومنهم من عاهد
الله لئن اتانا من فضله الايات الثلاث افانتم كذلك قلنا لا والله لو
عاهدنا الله على شيء اوفينا به قال لا عليكم انتم من ذلك براء واما قولي
اذا اؤتمن خان فذلك فيما انزل الله علي انا عرضنا الامانة على السموات
والارض الاية فكل انسان موتمن على دينه فالمؤمن يغتسل من الجنابة في
السر والعلانية افانتم كذلك قلنا لا قال لا عليكم انتم من ذلك براء
والى هذا صار كثير من التابعين والائمة الثالث قالت طائفة هذا فيمن
كان الغالب عليه هذه الخصال ويظهر من مذهب البخاري وغيره من اهل
العلم ان هذه الخلال الذميمة منافق من اتصف بها الى يوم القيامة
قال ابن العربي والذي عندي انه لو غلبت عليه المعاصي ما كان بها كافرا
ما لم يؤثر في الاعتقاد قال علماؤنا ان اخوة يوسف عليه السلام عاهدوا
اباهم فاخلفوه وحدثوه فكذبوه وائتمنهم على يوسف فخانوه وما كانوا
منافقين قال عطاء بن ابي رباح قد فعل هذه الخلال اخوة يوسف ولم
يكونوا منافقين بل كانوا انبياء وقال الحسن بن ابي الحسن البصري النفاق
نفاقان نفاق الكذب ونفاق العمل فاما نفاق الكذب فكان على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم واما نفاق العمل فلا ينقطع الى يوم القيامة وروى
البخاري عن حذيفة ان النفاق كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاما اليوم فانما هو الكفر بعد الايمان قوله تعالى الم يعلموا

ان الله يعلم سرهم ونجواهم هذا التوبيخ واذا كان عالما فانه سيجازيهم
قوله تعالى الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات
هذا ايضا من صفات المنافقين قال قتادة يلمزون يعيبون قال وذلك
ان عبد الرحمن بن عوف تصدق بشطر ماله وكان ماله ثمانية الاف فتصدق
منها باربعة الاف فقال قوم ما اعظم رياه فانزل الله الذين يلمزون
المطوعين من المؤمنين في الصدقات وجاء رجل من الانصار بنصف صبرة
من تمره فقالوا ما اغنى الله عن هذا فانزل الله عز وجل والذين لا يجدون الا
جهدهم الاية وخرج مسلم عن ابي مسعود قال امرنا بالصدقة قال كنا
نحامل في رواية على ظهورنا قال فتصدق ابن عقيل بنصف صاع قال
وجاء انسان بشيء اكثر منه فقال المنافقون ان الله لغني عن صدقة هذا
وما فعل هذا الاخر الا رياء فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في
الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم يعني ابا عقيل واسمه الحبحاب
والجهد شيء قليل يعيش به المقل والجهد والجُهد بمعنى واحد وقد تقدم
ويلمزون يعيبون وقد تقدم والمطوعين اصله المتطوعين ادغمت التاء
في الطاء وهم الذين يفعلون الشيء تبرعا من غير ان يجب عليهم والذين في
موضع خفض عطف على المؤمنين ولا يجوز ان يكون عطفا على الاسم قبل
تمامه وقوله فيسخرون عطف على يلمزون سخر الله منهم خبر الابتداء
وهو دعاء عليهم وقال ابن عباس هو خبر اي سخر منهم حيث صاروا الى
النار ومعنى سخر الله مجازاتهم على سخريتهم وقد تقدم في البقرة ٥
قوله تعالى استغفر لهم ياتي بيانه عند قوله تعالى ولا تصل على احد
منهم مات ابدا **قوله تعالى** فرح المخلفون بمقعدهم اي بقعودهم

اولهم

قعد قعودا ومقعدا اى جلس واقعده غيره عن الجوهرى والمخلف المتروك
اى خلفهم الله وثبطهم او خلفهم رسوله والمومنون لما علموا تثاقلهم عن
الجهاد قولان وكان هذا فى غزوة تبوك خلاف رسول الله مفعول من
اجله وان شئت كان مصدرا او الخلاف المخالفة ومن قرا خلف رسول
الله اراد التاخر عن الجهاد وقالوا لا تنفروا فى الحر اى قال بعضهم لبعض
ذلك قل نار جهنم اى قل لهم يا محمد نار جهنم اشد حرا وحرا نصب
على البيان اى من ترك امر الله تعرض لتلك النار **قوله تعالى**
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا امنه مسلمان الاولى قوله فليضحكوا امر
معناه معنى التهديد وليس امرا بالضحك والاصل ان تكون اللام
مكسورة فحذفت الكسرة لثقلها قال الحسن فليضحكوا قليلا فى الدنيا
وليبكوا كثيرا فى جهنم وقيل هو امر معنى الخبر اى انهم سيضحكون
قليلا ويبكون كثيرا جزاء مفعول من اجله اى للجزاء **الثانية**
من الناس من كان لا يضحك اهتماما بنفسه وفساد حاله فى اعتقاده
من شدة الخوف وان كان صالحا قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تجأرون
الى الله ولوددت انى كنت شجرة تعضد خرجه الترمذى وكان الحسن
البصرى ممن غلب عليه الحزن فكان لا يضحك وكان ابن سيرين يضحك
ويحتج على الحسن ويقول الله اضحك وابكى وكان الصحابة يضحكون الا ان
الاكثار منه وملازمته حتى يغلب على صاحبه مذموم منهى عنه وهو من
فعل السفهاء والبطالة وفى الخبر ان كثرته تميت القلب واما البكاء
من خوف الله وعذابه وشدة عقابه فمحمود قال عليه السلام ابكوا

فان

فان لم يتبكوا اقتباكوا فان اهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم
كانها جداول حتى ينقطع الدموع فتسيل الدما فتقرح العيون فلو
ان سفنا اجريت فيها لجرت خرجه ابن المبارك من حديث انس وابن ماجه
قوله تعالى فان رجعك الله الى طايفة منهم اى المنافقين وانما قال
الى طايفة لان جميع من اقام بالمدينة ما كانوا منافقين بل كان فيهم معذورون
ومن لا عذر له ثم عفا عنه وتاب عليه كالثلاثة الذين خلفوا وسياتي
فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا اي عاقبهم بان لا تصحبهم
ابدا وهو كما قال في سورة الفتح قل لن تتبعونا والخالفين جمع خالف
كانهم خلفوا الخارجين قال ابن عباس الخالفون من تخلف من المنافقين
وقال الحسن مع النسا والضعفا من الرجال فغلب المذكر وقيل المعنى
فاقعدوا مع الفاسدين من قولهم فلان خالفة اهل بيته اذا كان فاسدا
فيهم من خلوف فم الصايم ومن قولك خلف اللبن اى فسد بطول المكث
في السقا فعلى هذا يعني فاقعدوا مع الفاسدين وهذا يدل على ان
استصحاب المخذل في الغزوات لا يجوز **قوله تعالى** ولا تصل
على احد منهم مات ابدا فيه احدى عشرة مسلة الاولى روى ان الاية
نزلت في شان عبد الله بن ابي بن سلول وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم
عليه ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما وتظاهرت الروايات بان النبي
صلى الله عليه وسلم صلى عليه وان الاية نزلت بعد ذلك وروى عن انس بن
مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تقدم ليصلي عليه جاء جبريل فجذ
ثوبه وتلا عليه ولا تصل على احد منهم مات ابدا الاية فانصرف النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يصل عليه والروايات الثابتة على خلاف هذا ففي

البخاري عن ابن عباس قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف
فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت الايتان من براءة ولا تصل على احد منهم مات
ابدا ونحوه عن ابن عمر خرجه مسلم قال ابن عمر لما توفي عبد الله بن ابي بن سلول
جاء ابنه عبد الله بن عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان
يعطيه قميصه يكفن فيه فاعطاه ثم ساله ان يصلي عليه فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر واخذ بثوب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله اتصلي عليه وقد نهاك الله ان تصلي عليه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله فقال استغفر لهم او لا
تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وسازيد على سبعين قال
انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل
ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره فترك الصلاة عليهم
وقال بعض العلما انما صلى النبي صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن ابي بنا
على الظاهر من لفظ اسلامه ثم لم يكن يفعل ذلك لما نهي عنه الثانية
ان قال قائل فكيف قال عمر رضي الله عنه اتصلي عليه وقد نهاك الله ان تصلي
عليه ولم يكن تقدم نهي عن الصلاة عليهم قيل له يحتمل ان يكون ذلك وقع
له في خاطره ويكون من قبيل الالهام والتحدث الذي شهد له به النبي
صلى الله عليه وسلم وقد كان القران ينزل على مراده كما قال وافقت ربي
في ثلاث وجاء في اربع وقد تقدم في البقرة فيكون هذا من ذلك ويحتمل ان
يكون فهم ذلك من قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم الاية لا انه كان
تقدم نهي على ما دل عليه حديث البخاري ومسلم والله اعلم قال المولف رحمه الله
ويحتمل ان يكون فهمه من قوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين

لانها

لانها نزلت عليه وسياق القول فيها **الثالثة** قوله تعالى استغفر لهم الآية
بيّن تعالى انه وان استغفر لهم لم ينفعهم ذلك وان اكثر من الاستغفار وقال
القشيري ولم يثبت ما روي انه قال لازيدن على السبعين قال المولف
وهذا خلاف ما ثبت في حديث ابن عمر وسازيد على سبعين وفي حديث ابن عباس
لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرجه البخاري **الرابعة** واختلف العلماء في قوله
استغفر لهم هل هو اياس او تخيير فقالت طائفة المقصود به الناس بدليل
قوله تعالى فلن يغفر الله لهم وذكر السبعين وفاق جرى او هو عادتهم في
العبارة عن الكثرة والاغيا فاذا قال قايلهم لا اكلمه سبعين سنة صار
عندهم بمنزلة قوله لا اكلمه ابدا ومثل هذا في الاغيا قوله تعالى في سلسلة
ذرعها سبعون ذراعا وقوله عليه السلام من صام يوما في سبيل الله باعد
الله وجهه عن النار سبعين خريفا وقالت طائفة منهم الحسن وقتادة وعروة هو
تخيير ان شئت استغفر وان شئت لا تستغفر ولهذا لما اراد ان
يصلي على ابن ابي قال عمر اتصلي على عدو الله القايل يوم كذا كذا وكذا فقال
اني خيرت فاخترت قالوا ثم نسخ هذا لما نزل سوا عليهم استغفرت لهم
ام لم تستغفر لهم ذلك بانهم كفروا اي لا يغفر الله لهم لكفرهم **الخامسة**
قال الله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية نزلت
بمكة عند موت ابي طالب على ما ياتي بيانه وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار
لمن مات كافرا وهو متقدم على هذه الاية التي فهم منها التخيير بقوله انما
خيرني الله فقيل ان استغفاره لعمه انما كان مقصوده استغفارا مرجو
الاجابة حتى تحصل له المغفرة وفي هذا الاستغفار استاذن عليه السلام

ديه في اذا نادن له فيه لانه فلم يوذن له فيه واما الاستغفار للمنافقين الذي
خير فيه فهو استغفار لساني لا ينفع وغايته تطييب قلوب بعض الاحيا
من قرابات المستغفر له والله اعلم **السادسه** واختلف في اعطا
النبي عليه السلام قميصه لعبد الله فقيل انما اعطاه لان عبد الله كان
قد اعطى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم قميصه يوم بدر وذلك ان
العباس لما اسر يوم بدر على ما تقدم وسلب ثوبه راه النبي عليه السلام
كذلك فاشفق فطلب له قميصا فما وجد له قميص يقادره الا قميص عبد الله
لتقاربهما في طول القامه فاراد النبي صلى الله عليه وسلم باعطا القميص
ان يدفع عنه اليد في الدنيا حتى لا يلقاه في الاخره وله عليه يد يكافيه بها
وقيل انما اعطاه القميص اكراما لابنه واسعافا له في طلبته وتطييبا
لقلبه والاول اصح خرجه البخاري عن جابر بن عبد الله قال لما كان يوم
بدر اتي باسارى واتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه
وسلم له قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن ابي يقدر عليه فكساه النبي
عليه السلام اياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي البسه
وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان قميصي لا يغني عنه
من الله شيا واني لارجوا ان يسلم بفعلي هذا الف رجل من قومي
كذا في بعض الروايات من قومي يريد من منافقي العرب والصحيح
انه قال رجال من قومه ووقع في مغازي ابن اسحق وفي بعض كتب التفسير
فاسلم وتاب لهذه الفعله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الف رجل
من الخزرج **السابعه** لما قال تعالى ولا تصل على احد منهم مات
ابدا قال علماونا هذا نص في الامتناع من الصلاه على الكفار والكفر

قم

٨٩

وفي

فيه دليل على الصلاة على المومنين واختلف هل يوجد من مفهومه وجوب
الصلاة على المومنين على قولين احدهما يوجد لانه علل الصلاة على الكفار بكفرهم
لقوله تعالى انهم كفروا بالله ورسوله فاذا زال الكفر وجبت الصلاة ويكون
هذا نحو قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون يعني الكفار فدل على ان غير الكفار
يرونه وهم المومنون فذلك مثله والله اعلم او يوجد الصلاة من دليل خارج
عن الاية وهي الاحاديث الواردة في الباب والاجماع ومنشا الخلاف
القول بدليل الخطاب وتركه روى مسلم عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اخا لكم قد مات فقوموا فصلوا عليه قال فقمنا فصففنا
صفين يعني النجاشي وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى للناس
النجاشي في اليوم الذي مات فيه فخرج بهم الى المصلى وكبر اربع تكبيرات
واجمع المسلمون على انه لا يجوز ترك الصلاة على جنائز المسلمين من اهل الكبائر
كانوا او صالحين وراثة عن نبيهم صلى الله عليه وسلم قولا وعملا والحمد لله
واتفق الفقها على ذلك الا في الشهيد كما تقدم والا في اهل البدع والبغاة
الثامنة والجمهور من العلما على ان التكبير اربع قال ابن سيرين كان التكبير
ثلاثا فزادوا واحدة وقالت طائفة يكبر خمسا روي عن ابن مسعود وزيد بن
ارقم وعن علي ست تكبيرات وعن ابن عباس وانس بن مالك وجابر بن زيد
ثلاث تكبيرات والمعول عليه اربع روى الدارقطني عن ابي بن كعب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة صلت على ادم فكبرت عليه اربعا
وقالوا هذه سنتكم يا بني ادم **التاسعة** ولا قراءة في هذه الصلاة
في المشهور من مذهب مالك وكذلك ابو حنيفة والثوري لقوله صلى الله عليه
وسلم اذا صليتم على الميت فاخلصوا له الدعا رواه ابو داود من حديث

الصحيح م
خ
ر

ابى هريره وذهب الشافعى واحمد واسحق ومحمد بن مسلمه واشهب من علمائنا
وداود الى انه يقرا بالفاتحه لقوله عليه السلام لا صلاه الا بفاتحه الكتاب
حملا له على عمومه وبما خرجه البخارى عن ابن عباس وصلى على جنازه فقرا
بفاتحه الكتاب وقال لتعلموا انها سنه وخرج النسائى من حديث ابى امامه
قال السنه فى الصلاه على الجنائز ان يقرا فى التكبيره الاولى بام القران
مخافته ثم يكبر ثلاثا والتسليم عند الاخره وذكر محمد بن نصر المروزى
عن ابى امامه ايضا قال السنه فى صلاه الجنائز ان يكبر ثم يقرا بام القران
ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يخلص الدعا للميت ولا يقرا
الا فى التكبيره الاولى ثم يسلم قال شيخنا ابو العباس وهذان الحديثان
صحيحان وهما ملحقان عند الاصوليين بالمسند والعمل على حديث
ابى امامه اولى اذ فيه جمع بين قوله عليه السلام لا صلاه وبين اخلاص
الدعا للميت وقراه الفاتحه فيها انما هى استفتاح للدعا والله اعلم
العاشره وسنه الامام ان يقوم عند راس الرجل وعجيزه المراه
لما رواه ابو داود عن انس وصلى على جنازه فقال له العلا بن زياد
يا ابا حمزه هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على الجنائز
يصلى كصلاتك يكبر اربعا ويقوم عند راس الرجل وعجيزه المراه قال نعم
وروى مسلم عن سمره بن جندب قال صليت خلف النبى صلى الله عليه وسلم
وصلى على ام كعب ماتت نفسا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
للصلاه عليها وسطها **الحاديه عشره** قوله تعالى ولا تقم على قبره
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دفن الميت وقف على قبره
ودعا له بالتثبيت على ما بيناه فى كتاب التذكره **قوله تعالى**

وهى م

ولا تعجبك اموالهم واولادهم قد مر تا هدا وقد تقدم **قوله تعالى**
واذا انزلت سورة ان امنوا ابتدب المومنون الى الاجابة وتعلل المنافقون
فالامر للمومنين باستدامة الايمان وللمنافقين بابتدا الايمان وان في موضع
نصب اي بان امنوا والطول الغنى وقد تقدم وخصهم بالذكر لان من لا
طول له لا يحتاج الى اذن لانه معذور وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين
اي العاجزين عن الخروج **قوله تعالى** رضوا بان يكونوا مع الخوالف
جمع خالفة اي مع النسا والصبيان واصحاب الاعذار من الرجال وقد يقال
للرجل خالفة وخالف ايضا اذا كان غير نجيب على ما تقدم قال فلان
خالفة اهله اذا كان دونهم قال النحاس واصله من خلف اللبن يخلف اذا
حمض من طول مكثه وخلف فم الصايم اذا تغير ريحه ومنه فلان خلف
سو الا ان فواعل جمع فاعلة ولا يجمع فاعل صفة على فواعل الا في الشعر
الا في حرفين وهما فارس وهالك وقوله تعالى في وصف المجاهدين واوليك
لهم الخيرات قيل النسا الحسان عن الحسن دليله قوله جل وعز فيهن خيرات
حسان ويقال هي خيرة النسا والاصل خيرة فخففت مثل هينة وهينة
وقيل جمع خير فالمعنى لهم منافع الدارين وقد تقدم معنى الفلاح والجنات
البساتين وقد تقدم ايضا **قوله تعالى** وجا المعذرون من الاعراب
قرا الاعرج والضحاك المعذرون ورواها ابو كريب عن ابي بكر عن
عاصم ورواها اصحاب القراات عن ابن عباس قال الجوهري وكان
ابن عباس يقرا وجا المعذرون مخففة من اعذر ويقول والله لهكذا
انزلت قال النحاس الا ان مدارها عن الكلبي وهي من اعذر اذا بالغ في
العذر ومنه قد اعذر من انذر اي قد بالغ في العذر من تقدم اليك

فاذرك فاما المعذّرون بالتشديد ففيه قولان احدهما انه يكون المحق
فهو في المعنى المعتذر لان له عذرا فيكون المعذرون على هذا اصله المعتذرون
ولكن التا قلبت دالا وادغمت فيها وجعلت حركتها على العين كما قرى
يخصمون بفتح الخا ويجوز المعذرون بكسر العين لاجتماع الساكنين ويجوز
ضمها اتباعا للميم ذكره الجوهري والنحاس الا ان النحاس حكاه عن
الاخفش والفرا وابي حاتم وابي عبيد ويجوز ان يكون الاصل المعتذرون
ثم ادغمت التا في الذال ويكونون الذين لهم عذر قال لبيد
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر
والقول الاخر ان المعذر قد يكون غير محق وهو الذي يعتذر ولا عذر له
قال الجوهري وكان ابن عباس يقول هو المعذر على جهة المفعل لانه
الممرض المقصر يعتذر بغير عذر قال غيره يقال عذر فلان في امر كذا
تعذيرا اي قصر ولم يبالغ فيه والمعنى انهم اعتذروا بالكذب قال الجوهري
وكان ابن عباس يقول لعن الله المعذرين كان الامر عنده ان المعذّر
بالتشديد هو المظهر للعذر اعتلالا من غير حقيقة له في العذر قال
النحاس قال ابو العباس محمد بن يزيد ولا يجوز ان يكون الاصل فيه المعتذرين
ولا يجوز الادغام فيقع اللبس ذكر اسمعيل بن اسحق ان الادغام مجتنب
على قول الخليل وسيبويه بعد ان قال ان سياق الكلام يدل على انهم
مذمومون لا عذر لهم قال لانهم جاوا ليوذن لهم ولو كانوا من الضعفا
والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون لم يحتاجوا ان يستاذنوا قال
النحاس واصل المعذرة والاعذار والتعذير من شي واحد وهو مما
يصعب ويتعذر وقول العرب من عذيري من فلان معناه قد اتى امرا

عظيما

وظهما استحق ان عاقبه عليه ولم يعلم الناس به ان عاقبته نعلى قراه
التخفيف قال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر فاذن لهم النبي صلى الله
عليه وسلم وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا يا رسول الله لو غزونا
معك اغارت اعراب طى على حلايلنا واولادنا ومواشينا فعذرهم
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى قراه التشديد في القول الثاني هم قوم
من غفار اعتذروا فلم يعذرهم النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه انهم
غير محقين والله اعلم وقعد قوم بغير عذر اظهروه جراة على النبي صلى الله
عليه وسلم وهم الذين اخبر الله عنهم فقال وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
والمراد بكذبهم قولهم انا مومنون وليودن نصب بلام في **قوله تعالى**
ليس على الضعفا ولا على المرضى الى قوله ما ينفقون فيه ست مسايل الاولى
قوله تعالى ليس على الضعفا الايه اصل في سقوط التكليف عن العاجز فكل
من عجز عن شي سقط عنه فتاره الى بدل هو فعل وتاره الى بدل هو عزم ولا
فرق بين العجز من جهه القوه او العجز من جهه المال ونظير هذه الايه قوله
لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقوله ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج وروى ابو داود عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لقد تركتم بعدكم قوما ما سرتم مسيرا ولا انفقتم من نفقه ولا
قطعتم واديا الا وهم معكم فيه قالوا يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم
بالمدينه قال حبسهم العذر فبينت هذه الايه مع ما ذكرنا من نظايرها
انه لا حرج على المعذورين وهم قوم عرف عذرهم كارباب الزمانه والهرم
والعمى والعرج واقوام لم يجدوا ما ينفقون فقال ليس على هولا حرج اذا
نصحوا لله اى اذا عرفوا الحق واحبوا اولياه وابغضوا اعداه قال العلما

فعذر الحق سبحانه اصحاب الاعذار وما صبرت القلوب فخرج ابن ام مكتوم
الى احد وطلب ان يعطى اللوا فاخذه مصعب بن عمير فجا رجل من الكفار
فضرب يده التى فيها اللوا فقطعها فامسكه باليد الاخرى فضرب
اليد الاخرى فامسكه بصدره وقرا وما محمد الا رسول هذه عزايم
القوم والحق يقول ليس على الاعمى حرج وهو فى الاول ولا على الاعرج
حرج وعمرو بن الجموح من نقبا الانصار اعرج وهو فى اول الجيش
قال له الرسول عليه السلام ان الله قد عذرك فقال والله لاحفرن
بعرجتى هذه فى الجنة الى امثالهم حسب ما تقدم فى هذه السورة
من ذكرهم رضى الله عنهم وقال عبد الله بن مسعود ولقد كان الرجل
يوتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف

الثانية

قوله تعالى اذا نصحوا لله النصح اخلاص العمل من الغش ومنه التوبة
النصوح قال بعضهم نصح الشى اذا خلص ونصح له القول اى
اخلصه له وفى صحيح مسلم عن تميم الدارى ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال الدين النصيحة ثلاثا قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولايمة
المسلمين وعامتهم قال علماونا النصيحة لله اخلاص الاعتقاد
فى الوحدانية ووصفه بصفات الالوهية وتنزيهه عن النقايص والرغبة
فى محابه والبعد من مساخطه والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته
والتزام طاعته فى امره ونهيه وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه
وتوقيره ومحبته ومحبة اهل بيته وتعظيمه وتعظيم سنته واحيايها بعد
موته بالبحث عنها والتفقه فيها والذب عنها ونشرها والدعا
اليها والتخلق باخلاقه الكريمة صلى الله عليه وسلم وكذا النصح لكتاب الله

قرائته والتفقه فيه والذب عنه وتعليمه واكرامه والتخلق به والنصح
لائمة المسلمين ترك الخروج عليهم وارشادهم الى الحق وتنبيههم فيما
اغفلوه من امور المسلمين ولزوم طاعتهم والقيام بواجب حقهم والنصح
للعامة ترك معاداتهم وارشادهم وحب الصالحين منهم والدعاء
لجميعهم وارادة الخير لكافتهم وفي الحديث الصحيح مثل المومنين في
توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له
سائر الجسد بالسهر والحمى **الثالثة** قوله تعالى ما على المحسنين
من سبيل من سبيل في موضع رفع اسم ما اي من طريق الى العقوبة وهذه
الاية اصل في رفع العقاب عن كل محسن ولهذا قال علماؤنا في الذي يقتص
من قاطع يده فيفضي ذلك في السراية الى اتلاف نفسه انه لا دية له لانه
محسن في اقتصاصه من المتعدي عليه وقال ابو حنيفة يلزمه الدية وكذلك
اذا صال الجمل على رجل فقتله في دفعه عن نفسه فلا ضمان عليه وبه قال
الشافعي وقال ابو حنيفة يلزمه لمالكه القيمة قال ابن العربي وكذلك القول
في مسائل الشريعة كلها **الرابعة** قوله تعالى ولا على الذين اذا ما
اتوك لتحملهم روي ان الاية نزلت في عرباض بن سارية وقيل نزلت في
عائذ بن عمرو وقيل نزلت في بني مقرن وعلى هذا جمهور المفسرين وكانوا سبعة
اخوة كلهم صحب النبي صلى الله عليه وسلم وليس في الصحابة سبعة اخوة
غيرهم وهم النعمان ومعقل وعقيل وسويد وسنان وسابع لم يسم
بنو مقرن المزنيون سبعة اخوة هاجروا وصحبوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يشاركهم فيما ذكره ابن عبد البر وجماعة في هذه المكرمة غيرهم وقد
قيل انهم شهدوا الخندق كلهم وقيل نزلت في سبعة نفر من بطون شتى

وهم البكاؤون اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ليحملهم
فلم يجدوا ما يحملهم عليه فتولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا
ما ينفقون فسموا البكائين وهم سالم بن عمير من بني عمرو بن عوف وعلبه
ابن زيد اخو بني حارثه وابو ليلى عبد الرحمن بن كعب من بني مازن بن
النجار وعمرو بن الحمام من بني سلمه وعبد الله بن المغفل المزني وقيل
بل هو عبد الله بن عمرو المزني وهرمي بن عبد الله اخو بني واقف وعرباض
ابن ساريه الفزاري كذا اسماهم ابو عمر في كتاب الدرر له وفيهم
اختلاف وقال القشيري معقل بن يسار وصخر بن خنسا وعبد الله بن
كعب الانصاري وسالم بن عمير وثعلبه بن غنمه وعبد الله بن معقل واخر
قالوا يا نبي الله قد ندبتنا للخروج معك فاحملنا على الخفاف المرفوعه
والنعال المخصوفه نغز معك فقال لا اجد ما احملكم عليه فتولوا
وهم يبكون وقال ابن عباس سالوه ان يحملهم على الدواب وكان الرجل
يحتاج الى بعيرين بعير يركبه وبعير يحمل ماه وزاده لبعد الطريق وقال
الحسن نزلت في ابي موسى واصحابه اتوا النبي صلى الله عليه وسلم ليستحملوه
ووافق ذلك منه غضبا فقال والله لا احملكم ولا اجد ما احملكم عليه
فتولوا يبكون فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاهم
ذودا فقال ابو موسى الست حلفت يا رسول الله فقال اما اني
ان شا الله لا احلف بيمين وارى غيرها خيرا منها الا اتيت الذي هو
خير وكفرت عن يميني قال المولف رحمه الله وهذا حديث صحيح
اخرجه البخاري ومسلم بلفظه ومعناه وفي مسلم فدعا بنا فامر
لنا بخمس ذود غر الذرى الحديث وفي اخره فانطلقوا فانما حملكم الله

وقال الحسن

وقال الحسن ايضاً

صح

صح

صح

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال الحسن ايضا وبكر ابن عبدالله نزلت في عبدالله ابن معقل المزني اتى النبي صلى الله عليه
وسلم يستحمله الجرجاني ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم فهو
مبتدا مسبوق على ما قبله بغير واو والجواب تولوا واعينهم تفيض من الدمع الجملة في
موضع اخر مصدر لا يجدوا وانتصابه ان وقال النحاس قال الفرا يجوز الا يجدون بحمل
لا بمعنى ليس وهو عند البصريين بمعنى انهم لا يجدون السادسة والجمهور من
العلما على ان من لا يجد ما ينفقه في غزوه لا يجب عليه وقال علماونا اذا كانت عادة
المسلة لزمه كالحج على العادة لان حال اذا لم يعتبر سوى الفرض عليه كتوجهه على الواجد
والله اعلم في قوله تعالى واعينهم تفيض من الدمع ما يستدل به على قوائن
الاحوال ثم منها ما يفيد العلم الضروري ومنها ما يحتمل الترديد بالاول لمن يمر على
دار قد علا فيها وحسنت الحدود وحلقت الشعور وسلقت الاصوات وحرقت الجيوب
ونادوا على صاحب الدار بالسور فيعلم انه قد مات واما الثاني فكدموع الايتام
على ابواب الحكام قال الله تعالى مخبرا عن اخوة يوسف عليه السلام وجاءوا على قميصه
بدم كذب ومع هذا فانها قراين يستدل بها على الغالب فيبنى عليها الشهادات
بناعلى ظواهر الاحوال وغالبها وقال الشاعر اذا اشتبكت دموع في خدود
تبين من بكى ممن تباكى وسياتي هذا المعنى مستوفا في يوسف ان شاء الله تعالى
قوله تعالى انما السبيل اي العقوبة والاثم على الذين يستاذنونك وهم اغنياء
والمراد المنافقون كرر ذكرهم للتاكيد 2 التحذير من سوء افعالهم قوله تعالى
يعتذرون اليكم يعني المنافقين لن نومن لكم اي لن نصدقكم قد نبانا الله من اخباركم
اي اخبرنا بسرائركم وسيرى الله عملكم مما تنافقون ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون اي يجازيكم بعملكم وقد مضى هذا كله مستوفى قوله تعالى
سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم اي من تبوك والمحلوف عليه محذوف اي يحلفون
انهم ما قدروا على الخروج لتعرضوا عنهم اي لتصفحوا عن لومهم وقال ابن عباس اي لا
تكلموهم وفي الخبر انه قال عليه السلام لما قدم من تبوك لا تجالسوهم ولا تكلموهم
انهم رجس اي عملهم رجس والتقدير انهم ذو رجس اي عملهم قبيح وماواهم جهنم اي
منزلهم ومكانهم قال الجوهري المادى كل مكان ياوي اليه شي ليلا او نهارا

وقد اوى فلان الى منزله يأوى اويا على فعول واوى واويته اذا انزلته بك فعلت
وافعلت بمعنى قوله تعالى يحلفون لكم لترضوا عنهم حلف عبد الله بن ابى ان
لا يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وطلب ان يرضى عنه قوله
تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا فيه مسألتان الاولى لما ذكر الله عز وجل احوال
المنافقين بالمدينة ذكر من كان خارجا منها ونائيا عنها من الاعراب فقال كفرهم
اشد قال قتادة لانهم ابعد عن معرفة السنن وقيل لانهم اقسى قلبا واجفى قولا واغلظ
طبعا وابعد عن سماع التنزيل ولذلك قال تعالى فى حقهم واجدر اى اخلق الا يعلموا
ان فى موضع نصب بحذف الباء تقول انت جدير بان تفعل فاذا حذفت الباء لم
يصلح الا بان وان اتيت بالباء صلح بان وغيره فتقول انت جدير ان تقوم و
جدير بالقيام ولو قلت انت جدير القيام كان خطأ وانما صلح مع ان لان ان تدل
على الاستقبال وكانها عوض من المحذوف حدود ما انزل الله اى فرائض الشرع
وقيل حجج الله فى الربوبية وبعثة الرسل لقلة نظرهم الثانية ولما كان ذلك
ودل نقصهم وحطهم عن المرتبة الكاملة عن سواهم ترتبت على ذلك احكام ثلاثة
اولها لا حق لهم فى الفئ والغنيمة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى صحيح مسلم من حديث
بريدة وفيه ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين واخبرهم انهم ان
فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فان ابوا ان يتحولوا عنها فاخبرهم
انهم يكونون كاعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ولا يكون
لهم فى الغنيمة والفئ شئ الا ان يجاهدوا مع المسلمين وثانيها اسقاط شهادة اهل
البادية عن الحاضرة لما فى ذلك من تحقق التهمة واجازها ابو حنيفة قال لانها لا
يراعى كل تهمة والمسلمون كلهم عنده على العدالة واجازها الشافعى اذا كان عدلا مرضيا
وهو الصحيح لما بيناه فى البقرة وقد وصف الله تعالى الاعراب هنا اوصافا ثلاثة
احدها بالكفر والنفاق والثانى بانه يتخذ ما ينفق مغرما والثالث بالايمان بالله
واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول فمن كانت هذه صفته
فبعيد ان لا تقبل شهادته فيلحق بالثانى والاول وذلك باطل وقد مضى الكلام
فى هذا فى النساء وثالثها ان امامتهم باهل الحاضرة ممنوعة لجهلهم بالسنة وتركهم
الجمعة وكره ابو مجلز امامة الاعراب وقال مالك لا يؤم وان كان اقرأهم وقال
سفيان الثورى والشافعى واسحق واصحاب الرأى الصلاة خلف الاعرابى جائزة ابن

المذر اذا قام حدود الصلاة قوله تعالى الاعراب اشد اصله اشدد وقد
تقدم كفرا نصب على البيان ونفاقا عطف عليه واجدر عطف على اشد ومعناه
احلق يقال فلان جدير بكذا اي خليق به وانت جدير ان تفعل كذا والجمع جدرا
وجديرون واصله من جدر الحائط وهو رفعه بالبناء وقوله هو اجدر بكذا اي
اقرب اليه واحق به ان لا يعلموا اي بان لا يعلموا والعرب جيل من الناس والنسبة اليهم
عربي بين العروبة وهم اهل الامصار والاعراب منهم سكان البادية خاصة وجاء في
الشعر الفصيح اعاريب قال والنسبة الى الاعراب اعرابي لانه لا واحد له وليس الاعراب
جمعا للعرب كما كان الانباط جمعا للنبط وانما العرب اسم جنس والعرب العاربة ومن
خلص منهم واحد من لفظه فاكد به لقولك ليل لايل وربما قالوا العرب العربا
وتعرب اي تشبه بالعرب وتعرب بعد هجرته اي صار اعرابيا والعرب المستعربة
هم الذين ليس بخالص وكذلك المتعربة والعربية هي هذه اللغة ويعرب بن قحطان
اول من تكلم بالعربية وهو ابو اليمن كلهم والعرب واحد مثل العجم والعجم والعريب
تصغير العرب قال ومكر الضباب طعام العريب ولا تشتهيه نفوس العجم
وانما صغرهم تعظيما كما قال انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب كله عن الجوهري
وحكى العشري وجمع العربي اذا قيل له يا اعرابي غضب والمهاجرون والانصار عرب
لا اعراب وسميت العرب عربا لان ولد اسمعيل نشوا من عربة وهي من تهامة فنسبوا
اليها واقامت قريش بعربة وهي مكة وانتشر العرب من جزيرتها قوله تعالى
ومن الاعراب من يتخذ في موضع رفع بالابتداء ما ينفق مغرما مفعولان والتقدير
ينفقه فحذفت الها لطول الاسم مغرما معناه غرما وخسرانا واصله لزوم ومنه ان
عذابها كان غراما اي لازما اي يرون ما ينفقونه في جهاد وصدقة غرما ولا
يرجون عليه ثوابا ويتربص بكم الدوائر التربص الانتظار وقد تقدم والدوا
يرجع دائرة وهي الحال المنقلبة عن النعمة الى البلية اي يجمعون الى الجهل بالانفاق
سوء الدخلة وخبث القلب عليهم دائرة السوء وقرا ابن كثير وابو عمرو بضم السين
هنا وفي الفتح وفتحها الباقون واجمعوا على فتح السين في قوله تعالى ما كان ابوك امراة
سوء والفرق بينهما ان السوء بالضم مكروه قال الاخفش اي عليهم دائرة الهزيمة
والشر وقال الفرا اي عليهم دائرة العذاب والبلاء قالا ولا يجوز امراة سوء بالضم
كما لا يقال هو امرؤ عذاب ولا شر وحكى عن محمد بن يزيد قال السوء بالفتح الردا قال

سوء تقول مررت برجل صدق ومعناه برجل صالح وليس من صدق اللسان ولو كان
من صدق اللسان لما قلت مررت بثوب صدق ومررت برجل سوء ليس هو
من سوء وانما معناه مررت برجل فساد وقال الفراء السوء بالفتح مصدر سؤته
اسوءه سوءا ومساءة وسوائية قال غيره والفعل منه ساء يسوء والسوء بالضم
اسم لا مصدر وهو كقولك عليهم دائرة البلاء والمكروه قوله تعالى ومن
الاعراب من يؤمن بالله اى صدق والمراد بنو مقرن من مزينة ذكره المهدوي
قربات وهي ما يتقرب به الى الله والجمع قرب وقربات وقربات حكاه النحاس و
القربان بالضم ما تقرب به الى الله تعالى تقول منه قربت لله قربانا والقربة
بكسر القاف ما يستقى فيه الماء والجمع في ادنى العدد قربات والكثير قرب
وكذلك جمع كل ما كان على فعلة مثل سدرة وشبهها لك ان تفتح العين وتكسر
وتسكن حكاه الجوهري وقرا نافع قربة بضم الراء وهي الاصل والباقون بسكونها تخفيفا مثل كتب ورسل ولا خلاف
في قربات وحكى ابن سعدان ان يزيد بن القعقاع قرا الا انها قربة لهم ومعنى
صلوات الرسول استغفاره ودعاؤه والصلاة تقع على ضروب فالصلاة من
الله جل وعز الرحمة والخير والبركة قال الله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته
والصلاة من الملائكة الدعاء وكذلك هي من النبي صلى الله عليه وسلم كما قال وصل
عليهم ان صلواتك سكن لهم اى دعاؤك تثبيت لهم وطمانينة الا انها قربة
لهم اى تقربهم من رحمة الله يعني نفقاتهم قوله تعالى والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار فيه سبع مسائل الاولى لما ذكر جل وعز اصناف الاعراب ذكر المهاجرين والانصار وبين ان منهم السابقين
والتابعين لهم وقد اختلف في عدد طبقاتهم واصنافهم ونحن نذكر من ذلك طرفا
يبين الغرض فيه ان شاء الله تعالى روي عن عمر بن الخطاب انه قرا والانصار
رفعا عطفا على السابقين قال الاخفش الخفض في الانصار الوجه لان السابقين
منهما والانصار اسم اسلامي قيل لانس بن مالك ارايت قول الناس لكم الانصار
اسم سماكم الله به ام كنتم تدعون به قال بل اسم سمانا الله به في القران ذكره ابو عمر
في الاستذكار الثانية نص القران على تفضيل السابقين الاولين من المهاجرين
والانصار وهم الذين صلوا للقبلتين في قول سعيد بن المسيب وطائفة وفي قول
اصحاب الشافعي هم الذين شهدوا بيعة الرضوان وهي بيعة الحديبية وقاله الشعبي
وعن محمد بن كعب وعطاء بن يسار هم اهل بدر واتفقوا على ان من هاجر قبل تحويل

الفضل فهو من الاولى من غير خلاف بينهم وما افضلهم وهي فقال ابو
منصور البغدادي اصحابنا مجمعون على ان افضلهم الخلفا الاربعة ثم الستة الباقون
الى تمام العشرة ثم البدريون ثم اصحاب احد ثم اهل بيعة الرضوان بالحديبية الثالثة
واما اولهم اسلاما فروى مجالد عن الشعبي قال سالت ابن عباس من اول الناس اسلاما
قال ابو بكر اوما سمعت قول حسان

اول الناس اسلاما

اذا تذكرت شجوا من اخي ثقة فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها واعدلها بعد النبي واوفاها بما حملا
الثاني التالي المحمود مشهده واول الناس منهم صدق الرسلا

وذكر ابو الفرج الجوزي عن يوسف بن يعقوب بن الماجشون انه قال ادركت مشيختنا محمد
بن المنكدر وربيعة بن عبد الرحمن وصالح بن كيسان وسعد بن ابراهيم وعثمان بن
محمد الاخنسي وهم لا يشكون ان اول القوم اسلاما ابو بكر وهو قول ابن عباس
وحسان واسماء بنت ابي بكر وبه قال ابراهيم النخعي وقيل علي اول من اسلم روي ذلك
عن زيد بن ارقم وابي ذر والمقداد وغيرهم قال الحاكم ابو عبد الله لا اعلم خلافا
بين اصحاب التواريخ ان عليا اولهم اسلاما وقيل اول من اسلم زيد بن حارثة
وذكر معمر نحو ذلك عن الزهري وهو قول سليمان بن يسار وعروة بن الزبير و
عمران ابي انس وقيل اول من اسلم خديجة ام المؤمنين وروي ذلك من وجوه عن
الزهري وهو قول قتادة ومحمد بن اسحق بن يسار وجماعة وروي ايضا عن ابن عباس
وادعى الثعلبي المفسر اتفاق العلما على ان اول من اسلم خديجة وان اختلافهم انما هو
فيمن اسلم بعدها وكان اسحق بن ابراهيم بن راهويه الحنظلي يجمع بين هذه الاخبار
وكان يقول اول من اسلم من الرجال ابو بكر ومن النسا خديجة ومن الصبيان علي
ومن الموالي زيد بن حارثة ومن العبيد بلال والله اعلم وذكر محمد بن سعد قال
اخبرني مصعب بن ثابت قال حدثني ابو الاسود محمد عبد الرحمن بن نوفل قال كان
اسلام الزبير بعد ابي بكر وكان رابعا او خامسا قال الليث بن سعد وحدثني ابو
الاسود قال اسلم الزبير وهو ابن ثمان سنين وروي ان عليا اسلم ابن سبع
سنين وقيل ابن عشر الثالثة والمعروف من طريقة اهل الحديث ان كل مسلم راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من الصحابة قال البخاري في صحيحه من صحب النبي
صلى الله عليه وسلم او راه من المسلمين فهو من اصحابه وروي عن سعيد بن المسيب

انه كان لا يعد الصحابي الا من اقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة او سنتين
وغزا معه غزوة او غزوتين وهذا القول ان صح عن سعيد لوجب ان لا يعد من الصحابة
جرير بن عبد الله البجلي ومن شاركه في فقد ظاهر ما اشترطه فيهم ممن لا نعرف خلافا
في عده من الصحابة الرابعة لا خلاف ان اول السابقين من المهاجرين ابو بكر الصديق
قال ابن العربي السبق يكون بثلاثة اشيا الصفة وهو الايمان والزمان والمكان و
افضل هذه الوجوه سبق الصفات والدليل عليه قوله عليه السلام في الصحيح نحن
الآخرون الاولون قبل انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا يومهم
الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له فاليهود غدا والنصارى بعد غد فاخبر صلى الله عليه
وسلم ان من سبقنا من الامم بالزمان سبقناهم بالايمان والامتثال لامر الله
والانقياد اليه والاستسلام لامره والرضى بتكليفه والاحتمال لوظائفه لا نعترض
عليه ولا نختار معه ولا نبدل بالرأي شريعته كما فعل اهل الكتاب وذلك بتوفيقه
لما قضاه وبتيسيره لما يرضاه وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله الخامسة قال
ابن خويز منداد تضمنت هذه الآية تفضيل السابقين الى كل منقبة من مناقب الشريعة
في علم او دين او شجاعة او غير ذلك في العطا في المال والرتبة والاكرام و
في هذه المسألة خلاف بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما واختلف العلما في تفضيل
السابقين في العطا بعضهم على بعض بحسب السابقة وكان عمر يقول له نجعل اذا
السابقة كمن لا سابقة له فقال ابو بكر انما عملوا لله واجرهم عليه وكان عمر يفضل
في خلافته ثم قال عند وفاته لئن عشت الى غد لالحقن اسفل الناس باعلاهم
فمات من ليلته والخلاف الى يومنا هذا على هذه الخلاف قوله تعالى
والذين اتبعوهم باحسان فيه مسألتان الاولى قرا عمر والانصار رفعا
الذين باسقاط الواو نعتا للانصار فراجعه زيد بن ثابت فسال عمر ابي بن كعب
فصدق زيدا فرجع اليه عمر وقال ما كنا نرى الا رفعنا لا يشاركنا احد فقال
ابي مصداق ذلك في كتاب الله في اول سورة الجمعة واخرين منهم لما يلحقوا بهم
وفي سورة الحشر والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان وفي سورة الانفال في قوله والذين امنوا من بعد وهاجروا
وجاهدوا معكم فاولئك منكم فثبتت القراءة بالواو وبين تعالى بقوله باحسان
ما يتبعون فيه من افعالهم واقوالهم لا فيما صدر عنهم من الهفوات والزلات

اذا لم يكونوا معصومين رضى الله عنهم الثانية واختلف العلما في التابعين و مراتبهم فقال الخطيب الحافظ التابعي من صحب الصحابي ويقال للواحد منهم تابع و تابعي وكلام الحاكم ابي عبد الله وغيرهم مشعر بانه يكفي فيه ان سمع من الصحابي اولقاه وان لم توجد الصحابة العرفية وقد قيل ان اسم التابعين يطلق على من اسلم بعد الحديبية كخالد بن الوليد رضى الله عنه وعمرو بن العاص ومن دانا هم من مسلمة الفتح لما ثبت ان عبد الرحمن بن عوف شكا الى النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد دعوا الى اصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفق احدكم كل يوم مثل احد ذهبا مابلغ مد احدهم ولا نصيفه ومن العجب عد الحاكم ابي عبد الله النعمان وهو سويد ابن ابي مقرن المزني في التابعين عند ماذكر الاخوة من التابعين وهما صحابيان معروفان مذكوران في الصحابة وقد شهد الخندق كما تقوم والله اعلم واكبر التابعين الفقها السبعة من اهل المدينة وهم سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وعروة بن الزبير وخارجة بن زيد وابو سلمة بن عبد الرحمن وعبد الله بن عتبة بن مسعود وسليمان بن يسار وقد نظمهم بعض الجلة في بيت واحد قال فخذهم عبد الله عروة مسعود سعيد ابو بكر سليمان خارجة وقال احمد بن حنبل افضل التابعين سعيد بن المسيب فقيل له فعلقمة والاسود فقال سعيد بن المسيب وعلقمة والاسود وعنه ايضا انه قال افضل التابعين قيس ابو عثمن و علقمة ومسروق هولا كانوا فاضلين ومن علية التابعين وقال ايضا كان عطا مفتي مكة والحسن مفتي البصرة فهذا ان اكثر الناس عنهم رايهم وروى عن ابي بكر بن داود قال سيدتا التابعين من النسا حفصة بنت سيرين وعمرة بنت عبد الرحمن وثالثهما وليست كهما ام الدردا روى عن الحاكم ابي عبد الله قال طبقة تعد في التابعين ولم يصح سماع احد منهم من الصحابة منهم ابراهيم بن سويد النخعي وليس بابراهيم بن يزيد النخعي الفقيه وبكر بن ابي السمط وبكير بن عبد الله الاشجي وذكر غيرهم قال وطبقة عدادهم عند الناس اتباع التابعين وقد لقوا الصحابة منهم ابو الزناد عبد الله بن ذكوان لقي عبد الله بن عمر وانسا وهشام بن عروة وقد ادخل على عبد الله بن جابر بن عبد الله وموسى بن عقبة وقد ادرك انس بن مالك وام خالد بنت خالد بن سعيد وفي التابعين طبقة تسمى المخضرمين وهم الذين ادركوا الجاهلية وحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا صحبة لهم

الفقها السبعة

واحدهم محضرم بفتح الرا كانه حضرم اى قطع عن نظرايه الذين ادركوا الصحبه
وغيرها وذكرهم مسلم فبلغ بهم عشرين نفسا منهم ابو عمرو الشيبانى وسويد بن
علقمة الكندى وعمرو بن ميمون الاودى وابو عثمان النهدى وعبد خير بن يزيد الخيوانى
بفتح الخا بطن من همدان وعبد الرحمن ابن مل وابو الحلال العتكى ربيعة ابن زرارة
وممن لم يذكر مسلم منهم ابو مسلم الخولانى عبد الله بن ثوب والاحنف بن قيس فهذا
نبذ من معرفة الصحابى والتابعين الذين نطق القران بفضلهم رضوان الله
عليهم اجمعين وكفانا بحسن قوله عز وجل كنتم خير امة اخرجت للناس على ما
تقدم وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددت
انا قد راينا اخواننا قالوا اولسنا اخوانك قال انتم اصحابى واخواننا الذين ياتون بعدى قال ابو حنيفة وحشرنا الله
فى زمرتهم ولا حاد بنا عن طريقتهم وملتهم بحق محمد واله قوله تعالى وممن حولكم
من الاعراب منافقون ابتدا وخبر اى قوم منافقون يعنى مزينة وجهينة واسلم
وغفار واشجع ومن اهل المدينة مبتدا اى قوم منافقون على النفاق وقيل مردوا
من نعت المنافقين فيكون فى الكلام تقديم وتاخير المعنى ومن حولكم من الاعراب
منافقون مردوا على النفاق ومن اهل المدينة مثل ذلك ومعنى مردوا اقاموا
ولم يتوبوا عن ابن زيد غيره لجوا فيه وابوا غيره والمعنى متقارب واصل الكلمة من اللين
والملاسة والتجرد فكانهم تجردوا للنفاق ومنه رملة مرداء لا نبت فيها وغصن امرد لا ورق
عليه وفرس امرد لا شعر على ثنته وغلام امرد بين المرده ولا يقال جارية مردا و
تمريد البنا تملسه ومنه قوله صرح ممرد وتمريد الغصن تجريده من الورق يقال
مرد يمرد مرودا ومرادة قوله تعالى لا تعلمهم نحن نعلمهم هو مثل قوله لا تعلمونهم الله
يعلمهم على ما تقدم وقيل المعنى لا تعلمهم يا محمد عاقبة امورهم فانا نحن نعلمها وهذا
يمنع ان يحكم على احد بجنة او نار قوله تعالى سنعذبهم مرتين قال ابن
عباس بالامراض فى الدنيا وعذاب الاخرة فمرض المؤمن كفارة ومرض الكافر عقوبة
وقيل العذاب الاول الفضيحة باطلاع النبى صلى الله عليه وسلم عليهم على ما ياتى بيانه
فى المنافقين والعذاب الثانى عذاب القبر ابن زيد الاول بالمصايب فى اموالهم و
اولادهم والثانى عذاب القبر الحسن وقتادة عذاب الدنيا وعذاب القبر مجاهد
الجوع والقتل الفرا القتل وعذاب القبر وقيل السبا والقتل وقيل الاول اخذ الزكاة
من اموالهم واجرا الحدود عليهم والثانى عذاب القبر وقيل احد العذابين ما قال

تعالى فلا تعجبك اموالهم الى قوله انما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا والغرض من الاية
اسقاط العذاب او تضعيف العذاب عليهم قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم
خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا اى ومن اهل المدينة وممن حولكم قوم اقروا بذنوبهم
وآخرون مرجون لامر الله يحكم فيهم بما يريد والصنف الاول يحتمل انهم كانوا منافقين
وما مردوا على النفاق ويحتمل انهم كانوا مؤمنين قال نزلت في عشرة تخلفوا عن
غزوة تبوك فاوثق سبعة منهم انفسهم في سوارى المسجد وقال بنحوه قتادة و
قال وفيهم نزل خذ من اموالهم صدقة ذكره المهدوى وقال زيد بن اسلم كانوا ثمانية
وقيل كانوا ستة وقيل خمسة وقال مجاهد نزلت الاية في ابى لبابة الانصارى خاصة
في شانه مع قريظة وذلك انهم كلموه في النزول على حكم الله ورسوله فاشار لهم الى
حلقه يريد ان النبى صلى الله عليه وسلم يذبحهم ان نزلوا فلما افتضح تاب وندم وربط
نفسه في سارية من سوارى المسجد واقسم ان لا يطعم ولا يشرب حتى يعفو الله عنه او يموت
فمكث كذلك حتى عفى الله عنه ونزلت هذه الاية وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحله ذكره الطبرى عن مجاهد وذكره ابن اسحق في السير اربع من هذا وقال اشهب
عن مالك نزلت وآخرون في شان ابى لبابة واصحابه وقال حين اصاب الذنب
يا رسول الله اجاورك وانخلع من مالى فقال يجزيك من ذلك الثلث وقد قال تعالى
خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ورواه ابن القاسم وابن وهب عن مالك
والجمهور ان الاية نزلت في شان المتخلفين عن غزوة تبوك وكانوا ربطوا انفسهم
كما فعل ابو لبابة وعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله
عليه وسلم يطلقهم ويرضى عنهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم
حتى او مر باطلاقهم رغبوا عنى وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فانزل الله هذه الاية
فلما نزلت ارسل اليهم النبى صلى الله عليه وسلم فاطلقهم وعذرهم فلما اطلقوا قالوا
يا رسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا عنك فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال
ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم
بها قال ابن عباس كانوا عشرة انفس منهم ابو لبابة فاخذ ثلث اموالهم وكانت كفارات الذنوب
التى اصابوها فكان عملهم السيئ التخلف باجماع هذه المقالة واختلفوا في الصالح فقال الطبرى
وغيره الاعتراف والتوبة والندم وقيل عملهم الصالح الذى عملوه انهم لحقوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم وربطوا انفسهم في سوارى المسجد وقالوا لا نقرب اهلا ولا ولدا

حتى نزل الله عذرنا وقال فرقة بل الصالح غزوهم فيما سلف من غزوات النبي صلى
الله عليه وسلم وهذه الآية وان كانت في الاعراب فهي عامة الى يوم القيمة فيمن له اعمال
صالحة وسيئة فهي ترجى ذكره الطبري عن حجاج ابن ابي زينب قال سمعت ابا عثمان
يقول ما في القرآن آية ارجى عندي لهذه الامة من قوله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم
وفي البخاري عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا اتاني
الليلة آتيان فابتعثاني فانتهيا الى مدينة مبنية بلبن من ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال
خلقهم كاحسن ما انت راء وشطر كاقبح ما انت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا في
ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في احسن
صورة قالا لي هذه جنة عدن وهذاك منزلك قالا اما القوم الذين كانوا شطر منهم
حسن وشطر منهم قبيح فانهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا تجاوز الله عنهم وذكر البيهقي من حديث
الربيع بن انس عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث الاسرا وفيه قال ثم صعد الى
السماء ثم ذكر الحديث الى ان ذكر صعوده الى السماء السابعة فقالوا حياه الله من اخ وخليفة
فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجي جا فاذا برجل اشمط جالس على كرسي عند باب الجنة و
عنده قوم بيض الوجوه وقوم سود الوجوه وفي الوانهم شي فاتوا نهرا فاغتسلوا
فيه فخرجوا منه وقد خلص الوانهم شي ثم اتوا نهرا اخر فاغتسلوا منه فخرجوا وقد خلص
الوانهم ثم دخلوا النهر الثالث فخرجوا وقد خلصت الوانهم مثل الوان اصحابهم
فجلسوا الى اصحابهم فقال يا جبريل من هولاء بيض الوجوه وهولاء الذين في الوانهم
شي فدخلوا النهر وقد خلصت الوانهم فقال هذا ابوك ابرهيم هو اول رجل شمط
على الارض وهولا بيض الوجوه قوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم قال واما هولا الذين
في الوانهم شي خلطوا عملا صالحا واخر سيا فتابوا فتاب الله عليهم فاما النهر
الاول فرحمة الله فيها واما النهر الثاني فنعمة الله واما الثالث فسقاهم ربهم شرابا
طهورا وذكر الحديث والواو في واخر سيا قيل هي بمعنى مع كقولك استوى
الما والخشبة وانكر ذلك الكوفيين وقالوا لان الخشبة لا يجوز تقديمها على الماء
واخر في الاية يجوز تقديمه على الاول فهو بمنزلة خلطت الما باللبن قوله تعالى
خذ من اموالهم صدقة الى قوله عليم فيه ثمان مسايل الاولى خذ من اموالهم صدقة اختلفوا
في هذه الصدقة المامور بها فقيل هي صدقة الفرض قاله جويبر عن ابن عباس وهذا
قول عكرمة فيما ذكر القشيري وقيل مخصوص بمن نزلت فيه بان النبي صلى الله عليه وسلم

اخذ منهم ثلث اموالهم ليس هذا من الزكاة المفروضة في شي ولهذا قال مالك اذا تصدق
الرجل بجميع ماله اجزاه اخراج الثلث متمسكا بالحديث ابي لبابة وعلى القول الاول فهو
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يقتضي بظاهره اقتصاره عليه فلا ياخذ الصدقة
سواه ويلزم على هذا سقوطها بسقوطه وزوالها بزواله وبهذا تعلق مانعوا
الزكوة على ابي بكر رضي الله عنه وقالوا انه كان يعطينا عوضا منها التطهير والتزكية
والصلاة علينا وقد عدمناها من غيره ونظم ذلك شاعرهم فقال

اطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا عجبا ما بال ملك ابي بكر
فان الذي سألوكم فمنعتم لكالتمر او احلى لديهم من التمر
سنمنعهم ما دام فينا بقية كرام على الضراء في العسر واليسر

وهذا صنف من القائمين على ابي بكر امثلهم طريقة وفي حقهم قال ابو بكر فقال والله لاقاتلن
من فرق بين الصلوة والزكوة قال ابن العربي اما قولهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
فلا يلتحق به غيره فهو كلام جاهل بالقران غافل عن ماخذ الشريعة متلاعب بالدين
فان الخطاب في القران لم يرد بابا واحدا ولكن اختلفت موارده على وجوه فمنها خطاب
توجه على جميع الامة كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة وقوله يا ايها الذين
امنوا كتب عليكم الصيام ونحوه وخطاب خص به ولم يشركه فيه غيره لفظا ولا معنى
كقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقوله خالصة لك ومنها خطاب خص به لفظا و
شركه جميع الامة معنى وفعلا كقوله اقم الصلوة لدلوك الشمس الاية وقوله واذا قرات
القران فاستعذ وقوله واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فكل من دلكت عليه الشمس
مخاطب بالصلوة وكذلك من خاف يقيم الصلوة ومن هذا القبيل قوله تعالى خذ من اموالهم
صدقة وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء
الثانية قوله تعالى خذ من اموالهم ذهب بعض العرب وهي دوس الى ان المال الثياب
والمتاع والعروض ولا يسمى العين مالا وقد جاء هذا المعنى في السنة الثابتة من رواية
مالك عن ثور بن زيد الديلي عن ابي الغيث سالم مولى ابن مطيع عن ابي هريرة قال
خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خيبر فلم نغنم ذهبا ولا ورقا الا الاموال
الثياب والمتاع الحديث وذهب غيرهم الى ان المال الصامت من الذهب والورق و
قيل الابل خاصة ومنه قولهم المال الابل وقيل جميع الماشية وذكر ابن الانباري
عن احمد بن يحيى ثعلب النحوي قال ما قصر عن بلوغ ما تجب فيه الزكوة من الذهب
والورق فليس بمال وانشد

والله ما بلغت لي قط ماشية حد الزكوة ولا ابل

ولا مال قال ابو عمر والمعروف من كلام العرب بان كل ما يمول ويملك هو مال لقوله صلى الله عليه وسلم يقول ابن ادم مالى وانما لى ماله ما اكل فامضى او لبس فابلى او تصدق فامضى مال ابو صاده فاعطانى الدرع فابتعت به مخرفا فى بنى سلمة فانه لاول مال ماثلته فى الاسلام فمن حلف بصدقة ماله كله فذلك على كل نوع ماله سواكان مما يجب فيه الزكوة او لم يكن الا ان ينوى شيا بعينه فيكون مانواه وقد قيل ان ذلك على اموال الزكاة والعلم محيط واللسان شاهد بان ما يملك يسمى مالا والله اعلم الثالثة قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة مطلق غير مقيد لشرط فى الماخوذ والماخوذ منه ولا يبين مقدار الماخوذ والماخوذ منه وانما بيان ذلك فى السنة والاجماع حسبما نذكره فتوخذ الزكاة من جميع الاموال وقد اوجب النبى صلى الله عليه وسلم الزكاة فى المواشى والحبوب والعين وهذا مما لا خلاف فيه واختلفوا فيما سوى ذلك كالخيل وساير العروض وسياتى ذكر الخيل والعسل فى النحل ان شاء الله تعالى روى الايمة عن ابى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس فيما دون خمسة اوسق من التمر صدقة وليس فيما دون خمس اواق من الورق صدقة وليس فيما دون خمس ذود صدقة وقد مضى الكلام فى الانعام فى زكاة الحبوب وما ينبت الارض مستوفى وفى المعادن فى البقرة وفى الخيل فى هذه السورة واجمع العلماء على ان الاوقية اربعون درهما فاذا ملك الحر المسلم مايتى درهم من فضة محضة وهى الخمس الاواق المنصوصة فى الحديث حولا كاملا وقد وجبت عليه صدقتها وذلك ربع خمسة دراهم وانما اشترط الحول لقوله عليه السلام ليس فى مال زكاة حتى يحول عليه الحول اخرجه الترمذى وما زاد على المايتى درهم من الورق فبحساب ذلك فى كل شى منه ربع عشره قل او كثر هذا قول ملك والليث والشافعى واكثر اصحاب حنيفة وابن ابى ليلى والثورى والاوزاعى واحمد بن حنبل وابى ثور واسحق وابى عبيد روى ذلك عن على وابن عمر وقالت طائفة لا شى فيما زاد على المايتى درهم حتى يبلغ الزيادة اربعين درهما فاذا بلغتها كان فيها درهم وذلك ربع عشرها هذا قول سعيد بن المسيب والحسن وعطاء وطاوس والشعبى والزهرى ومكحول وعمرو بن دينار وابى حنيفة الرابعة وما ذكره الذهب فالجمهور من العلماء على ان الذهب اذا كان عشرين دينارا قيمتها مايتا درهم فما زاد كان الزكاة فيها واحتجوا على حديث على اخرجه الترمذى عن حمزة والحرث عن على قال الترمذى سالت محمد بن اسمعيل عن هذا الحديث فقال كلاهما

عندی صحیح عن ابی یحیی یحتمل ان یکون عنهما جمیعا وقال الباجی فی المنتقی وهذا وان
لیس له اسناده فهناک عمران اتفاق العلماء علی الاخذ به دلیل علی صحة حکمه والله اعلم
وروی عن الحسن والثوری وانه قال بعض اصحاب داود علی ان المذهب لا زکاة
فیه حتی یبلغ اربعون دینارا وهذا یرده حدیث علی وحدیث ابن عمر وعائشة ان
النبی صلی الله علیه وسلم کان یاخذ من کل عشرین دینارا نصف دینار ومن الاربعین
دینارا دینارا وعلی هذا جماعة اهل العلم الا من ذکر الخامسة انعقد الاجماع علی
ان ما کان دون خمس ذود من الابل فلا زکاة فیه فاذا بلغت خمسا ففیها شاة و
الشاة تقع علی واحدة من الغنم الضان والمعز جمیعا وهذا ایضا اتفاق من العلماء انه
لیس فی خمس الا شاة واحدة وهی فریضتها وصدقة المواشی مثبتة فی الکتاب الذی کتبه
الصدیق لانس لما وجهه الی البحرین اخرجه البخاری وابو داود والدارقطنی والنسائی
وابن ماجه وغیرهم وکلهم متفق والخلاف فیه فی موضعین احدهما فی زکاة الابل
وهی اذا بلغت احدی وعشرین ومائة فقال مالک المصدق بالخیار ان شاء اخذ ثلاث
بنات لبون وان شاء اخذ حقتین وقال ابن القاسم وقال ابن شهاب فیها ثلاث بنات لبون
الی ان تبلغ ثلاثین ومائة فیکون فیها حقة وابنتا لبون قال ابن القاسم وروای علی
قول ابن شهاب وذکر ابن حبیب ان عبد العزیز بن ابی سلمة وعبد العزیز بن ابی حازم
وابن دینار یقولون بقول مالک واما موضع الثانی فهو فی صدقة الغنم وهذا اذا زادت
علی ثلثمائة شاة وشاة فان الحسن بن صالح بن حی قال فیها اربع شیاه واذا کانت
اربعمائة شاة وشاة ففیها خمس شیاة وهکذا کلما زادت فی کل مائة شاة وروی
عن ابراهیم النخعی مثله قال الجمهور فی مائتی شاة ثلث شیاه ثم لا شئ فیها الی اربع
مائة فیکون فیها اربع شیاه ثم کلما زادت مائة ففیها شاة اجماعا واتفاقا قال ابن عبد
البر وهذه مسئلة وهم فیها ابن المنذر وحکی فیها عن العلماء الخطا وخلط واکثر الغلط
السادسة لم یذکر البخاری ولا مسلم فی صحیحهما تفصیل زکاة البقر وخرجه ابو داود
والترمذی والنسائی والدارقطنی ومالک فی موطئه وهی مرسلة ومقطوعة وموقوفة
قال ابو عمر قد رواه قوم عن طاوس عن معاذ الا ان الذین ارسلوا اثبت من الذین
اسندوه نعیم عن المسعودی عن الحاکم عن طاوس وقد اختلفوا فیما تفرد به همه عن
النعمان ورواه الحسن بن عمارة کما رواه نعیم عن المسعودی عن الحکم والحسن مجمع علی
ضعفه وقد روی هذا الخبر باسناد متصل صحیح ثابت من غیر روایة طاوس من ذکره

عبد الرزاق قال اخبرنا معمر والثوري عن الاعمش عن ابي وايل عن مسروق عن معاذ
بن جبل قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فامره ان ناخذ من كل ثلاثين
بقرة تبيعا او تبيعة ومن اربعين مسنة او عدلها معافر ذكره الدار قطني وابو عيسى
الترمذي وصححه قال ابو عمر ولا خلاف بين العلما ان الزكاة في البقر عن النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه ما قال معاذ بن جبل في ثلاثين بقرة تبيع فانهم يوجبون في كل خمسين من البقر
شاة الى ثلاثين فهذه جملة من تفصيل الزكوات باصولها وفروعها في كتب الفقه ويأتي
ذكر الخلطة في صورة ص ان شاء الله تعالى السابعة قوله تعالى صدقة ماخوذة من الصدق
اذ هي دليل على صحة ايمانه وصدق باطنه مع ظاهره فانه ليس من المنافقين الذين يلمزون
المطوعين من المؤمنين في الصدقات تطهرهم وتزكيهم بها حالين للمخاطب التقدير خذها
مطهرا لهم ومزكيا لهم بها ويجوز ان يجعلها صفتين للصدقة مطهرة لهم ومزكية ويكون
فاعل تزكيهم المخاطب ويعود الضمير الذي في بها على الموصوف المنكر وحكى النحاس ومكي
ان يطهرهم من صفة الصدقة وتزكيهم بها حالا من الضمير في خذ وهو النبي صلى الله عليه
وسلم ويحتمل ان يكون حالا من الصدقة وذلك ضعيف لانها حال من نكرة قال الزجاج
والاجود ان تكون المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم اي فانك تطهرهم وتزكيهم بها
على القطع والاستئناف ويجوز الجزم على جواب الامر والمعنى ان تاخذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها ومنه قول امرئ القيس قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل وقرا
الحسن تطهرهم بسكون الطاء وهو منقول بالهمزة من طهر واطهرته مثل ظهر واظهرته
الثامنة قوله تعالى وصل عليهم اصل في فعل كل امام ياخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق بالبركة
روى مسلم عن عبد الله بن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم
بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه ابو اوفى بصدقته فقال اللهم صلي على ال ابي اوفى وذهب
الى هذا قوم وذهب اخرون الى ان هذا منسوخ بقوله تعالى ولا تصل على احد منهم مات
ابدا قالوا فلا يجوز ان نصلي على احد الا على النبي صلى الله عليه وسلم وحده خاصة لانه
خص بذلك واستدلوا بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم الاية وبان عبد الله بن
عباس كان يقول لا نصلي على احد الا على النبي صلى الله عليه وسلم والاول اصح فان
الخطاب ليس مقصورا عليه كما تقدم وياتي في الاية بعد هذا فيجب الاقتدا برسول الله
صلى الله عليه وسلم والتاسي به لانه كان يمتثل قوله صلى الله عليه وسلم عليهم ان
صلواتك سكن لهم اي اذا دعوت لهم حين ياتون بصدقاتهم سكن ذلك قلوبهم

وزجوا به وقد روى جابر بن عبد الله قال اتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامراتي
لا تسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا فقالت تخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عندنا ولا نسله شيا فقالت يا رسول الله صل علي وعلى زوجي فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلى الله عليك وعلى زوجك والصلاه هنا الرحمه والترحم فقال النحاس و
حكى اهل اللغه جميعا فيما علمناه ان الصلاه في كلام العرب الدعا ومنه الصلاه على الجنايز
وقرا حفص وحمزه والكساي ان صلاتك بالتوحيد وجمع الباقون وكذلك الاختلاف في اصلاتك
تامرك وروى سكن لهم بسكون الكاف قال قتاده معناه وقار لهم والسكن ما سكنت به
النفوس وتطمين به القلوب الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبه عن عباده قيل قال بان
الاولى قبل قال الذين لم يتوبوا من المخلصين هولا كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون
يجالسون فما لهم الان وما هذه الخاصه التي خصوا بها دوننا فنزلت الم يعلموا فالضمير في
يعلمون عايد الى الذين لم يتوبوا من المخلصين قال معناه ابن زيد ويحتمل ان يعود الى الذين
تابوا وربطوا انفسهم وقوله تعالى هو تاكيد لانفراد الله سبحانه بهذه الامور وتحقيق ذلك
انه لو قال ان الله يقبل التوبه لاحتمل ان يكون قبول رسوله قبولا منه فبينت الايه ان ذلك
مما لا يصل اليه نبي ولا ملك قوله تعالى ويأخذ الصدقات هذا نص صريح في ان
الله تعالى هو الاخذ والمثيب عليها وان الحق له جل وعز والنبي صلى الله عليه وسلم واسطه فان
توفي فعامله هو الواسطه بعده والله عز وجل حي لا يموت وهذا يبين ان قوله سبحانه وتعالى
خذ من اموالهم صدقه ليس مقصورا على النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم روى الترمذي
عن ابي هريره يقبل الصدقه ويأخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي احدكم مهره حتى ان
اللقمه لتصير مثل احد وتصديق ذلك في كتاب الله وهو الذي يقبل التوبه عن عباده ويأخذ
الصدقات ويمحق الله الربا ويربي الصدقات قال هذا حديث صحيح وفي صحيح مسلم لا يتصدق
احد بتمره من كسب طيب الا اخذها الله بيمينه فيربيها وفي روايه فتربو في كف الرحمن
حتى يكون اعظم من الجبل الحديث وروي ان الصدقه لتقع في كف الرحمن قبل ان تقع في كف السايل
فيربيها كما يربي احدكم فلوه او فصيله والله يضاعف لمن يشاء قال علماونا رحمه الله عليهم
في تاويل هذه الاحاديث ان هذا كنايه عن القبول والجزا عليها كما كنى بنفسه الكريمه المقدسه
على المريض تعطفا عليه بقوله يا ابن ادم مرضت فلم تعدني الحديث وقد تقدم هذا المعنى في
البقره وخص اليمين والكف بالذكر اذ كل قابل لشي انما ياخذه بكفه وبيمينه او يوضع له فيه فخرج
على ما يعرفونه والله جل وعز منزه عن الجارحه وقد تقدم وقد جات اليمين في كلام العرب

بغير معنى الجارحة كما قال الشاعر   اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

اى هو مؤهل للمجد والشرف ولم يرد بها يمين الجارحة لان المجد معنى واليمين التى تلقى بها
راية معنى وكذلك اليمين فى حق الله تعالى وقد قيل ان معنى يربو فى كف الرحمن عبارة عن كفة
الميزان التى يوزن فيه الاعمال فيكون من باب حذف المضاف فكانه قال فيربوا فى كفة ميزان
الرحمن وروى عن مالك والثورى وابن المبارك انهم قالوا فى تاويل هذه الاحاديث وما
يشاكلها امروها بلا كيف قاله الترمذى وغيره وهكذا قول اهل السنة والجماعة قوله
تعالى وقل اعملوا خطاب للجميع فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون اى باطلاعهم اياهم
على اعمالهم وفى الخبر لو ان رجلا عمل فى صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما
كان قوله تعالى واخرون مرجون لامر الله نزلت فى الثلاثة الذين تيب عليهم كعب بن
مالك وهلال بن امية من بنى واقف ومرارة بن الربيع وقيل ابن ربعى العمرى ذكره المهدوى
كانوا قد تخلفوا عن تبوك وكانوا مياسير على ما ياتى ذكرهم والتقدير ومنهم اخرون مرجون
لامر الله من ارجاته اى اخرته ومنه قيل مرجئة لانهم اخروا العمل وقرا حمزة والكسائى
مرجون بغير همز فقيل هو من ارجيته اى اخرته وقال المبرد لا يقال ارجيته بمعنى ولكن
يكون من الرجاء اما يعذبهم وما يتوب عليهم اما فى العربية لاحد امرين والله جل وعز
عالم بمصير الاشياء ولكن المخاطبة للعباد على ما يعرفون اى ليكن امرهم عندكم على الرجاء
لانه ليس للعباد اكثر من هذا قوله تعالى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا
وتفريقا بين المؤمنين معطوف اى ومنهم الذين اتخذوا مسجدا عطف جملة على جملة ويجوز
ان يكون رفعا بالابتداء والخبر محذوف كانهم يعذبون اونحوه ومن قرا الذين بغير واو
وهى قراءة المدنيين فهو عنده رفع بالابتداء والخبر لا تقم والتقدير والذين اتخذوا
مسجدا لا تقم فيه ابدا اى لا تقم فى مسجدهم قاله الكسائى وقال النحاس يكون خبر الابتداء
لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم وقيل الخبر يعذبون كما تقدم ونزلت الاية
فيمن روى فى ابى عامر الراهب لانه كان خرج الى قيصر وتنصر ووعدهم قيصر انه سياتيهم
فبنوا مسجد الضرار يرصدون مجيئه فيه قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم
وقد تقدم قصته فى الاعراف وقال اهل التفسير ان بنى عمرو بن عوف اتخذوا مسجد
قباء وبعثوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدهم اخوانهم بنو غنم
ابن عوف وقالوا نبنى مسجدا ونبعث للنبى صلى الله عليه وسلم ياتينا فيصلى لنا كما صلى
فى مسجد اخواننا ويصلى فيه ابو عامر اذا قدم من الشام فاتوا النبى صلى الله عليه وسلم

وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله قد بنينا مسجد الذى الحاجة والعلة والليلة
المطيرة ونحب ان تصلى لنا فيه وتدعوا لنا بالبركة فقال النبى صلى الله عليه وسلم
انى على سفر وحال شغل فلو قدمنا لاتيناكم وصلينا لكم فيه فلما انصرف النبى صلى الله
عليه وسلم من تبوك اتوه وقد فرغوا منه وصلوا فيه الجمعة والسبت والاحد فدعا
بقميصه ليلبسه وياتيهم فنزل عليه القران بخبر الضرار فدعا النبى صلى الله عليه وسلم
مالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشيا قاتل حمزة فقال انطلقوا
الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا مسرعين واخرج مالك بن الدخشم
من منزله شعلة نار ونهضوا فاحرقوا المسجد وهدموه وكان الذين بنوه اثنا عشر رجلا
خذام بن خالد من بنى عبيد بن زيد احد عمرو بن عوف ومن داره اخرج مسجد الضرار
ومعتب بن بشير وابو حبيبة بن الازعر وعباد بن حنيف اخو سهل بن حنيف من بنى
عمرو بن عوف وجارية بن عامر وابناه مجمع وزيد ابنا جارية ونبتل بن الحارث وبحزج
ومخلد بن عثمن ووديعة ابن ثابت وثعلبة بن حاطب مذكور فيهم قالوا ابو عمرو بن
عبد البر وفيه نظر لانه شهد بدرا وقال عكرمة سال عمر بن الخطاب رجلا منهم
بما اعنت فى هذا المسجد فقال اعنت فيه بسارية فقال ابشر بها فى عنقك من نار
جهنم الثانية قوله تعالى ضرارا مصدر مفعول من اجله وكفرا وتفريقا بين المؤمنين
وارصادا عطف كله وقال اهل التاويل ضرارا بالمسجد وليس للمسجد ضرار انما هو لاهله
وروى الدارقطنى عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ضرر
ولا ضرار من ضار ضاره الله ومن شاق شاق الله عليه قال بعض العلما الضرر الذى ليس لك
منفعة وعلى جارك فيه المضرة وقد قيل هما بمعنى واحد تكلم بهما جميعا على جهة التاكيد
الثالثة قال علماؤنا لا يجوز ان يبنى مسجد الى جنب مسجد ويجب هدمه والمنع من بنائه
لئلا ينصرف اهل المسجد الاول فيبقى شاغرا الا ان تكون المحلة كبيرة فلا يكفى اهلها
واحد فيبنى حينئذ وكذا قالوا لا ينبغى ان يبنى فى المصر الواحد جامعان وثلاثة
ويجب منع الثانى ومن صلى فيه الجمعة لم تجز وقد احرق النبى صلى الله عليه وسلم مسجد
الضرار وهدمه واسند الطبرى عن شقيق انه جاء ليصلى فى مسجد بنى غاضرة فوجد
الصلاة قد فاتته فقيل له ان مسجد بنى فلان لم يصل فيه بعد فقال لا احب
ان اصلى فيه لانه بنى على ضرار قال علماؤنا وكل مسجد بنى على ضرار او رياء وسمعة فهو
فى حكم مسجد الضرار لا تجوز فيه الصلاة وقال النقاش يلزم من هذا ان لا يصلى فى كنيسة

ونحوها لانها بنيت على شر قلت هذا لا يلزم لان الكنيسة لم تقصد بها الضرار بالغير وان كان اصل بانيها على سوء وانما اتخذ النصارى الكنيسة واليهود البيعة موضعا يتعبدون فيه بزعمهم كالمسجد قباء فترقا وقد اجمع العلما على ان من صلى في كنيسة او بيعة على موضع طاهر ان صلاته جائزة ماضية وذكر البخاري ان ابن عباس كان يصلي في البيعة اذا لم يكن فيها تماثيل وذكر ابو داود عن عثمن بن ابي العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم امره ان يجعل مسجد الطائف حيث كانت طواغيتهم الرابعة قال علماؤنا من كان اماما لظالم لا يصلى وراءه الا ان يظهر عذره او يتوب فان بني عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قباء سالوا عمر بن الخطاب في خلافته ليأذن لمجمع بن حارثة ان يصلي بهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين اليس بامام مسجد الضرار فقال له مجمع يا امير المومنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت فيه وانا لا اعلم ما قد اضمروا عليه ولو علمت ما صليت بهم فيه كنت غلاما قارئا للقران وكان شيوخا قد عسوا على جاهليتهم وكانوا لا يقرون من القران شيئا فصليت ولا احسب ما صنعت اثما ولم اعلم ما في انفسهم فعذره عمر وصدقه وامره بالصلوة في مسجد قباء الخامسة قال علماؤنا رحمة الله عليهم فاذا كان المسجد الذي يتخذ للعبادة وحض الشرع على بنائه فقال من بنى مسجدا لله ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة يهدم وينزع اذا كان فيه ضرر بغيره فما ظنك بسواه بل هو احرى ان يزال ويهدم حتى لا يدخل ضرر على الاقدام وذلك كمن بنى فرنا او رحى او حفر بئرا اوغير ذلك مما يدخل له الضرر على الغير وضابط هذا الباب ان من ادخل على احد ضررا منع من ذلك فان ادخل على احد ضرار بفعل ما كان له فعله فاضر ذلك بجاره او غير جاره نظر الى ذلك الفعل فان كان تركه اكثر ضررا من الضرر الداخل على الفاعل قطع اكبر الضررين واعظمها حرمة في الاصول مثال ذلك رجل فتح كوة في منزله يطلع منها على دار اخيه وفيها العيال والاهل ومن شان النساء في بيوتهن القاء بعض ثيابهن والانتشار في حوائجهن ومعلوم ان الاطلاع على العورات محرم قد ورد النهي فيه فلحرمة الاطلاع على عورات راى العلماء ان يغلقوا على فاتح الباب والكوة ما فتح مما له فيه منفعة وراحة وفي غلقه عليه ضرر لانهم قصدوا الى قطع اعظم الضررين اذا لم يكن بد من قطع احدهما وهكذا الحكم في هذا الباب خلافا للشافعي ومن قال بقوله قال اصحاب الشافعي لو حفر رجل في ملكه بئرا وحفر اخر في ملكه بئرا يسرق منها ماء البير الاول له جاز لان كل

واحد منهما حفر في ملكه فلا يمنع من ذلك ومثله عندهم لو حفر الى جنب بير جاره كنيفا
يفسد عليه لم يكن له منعه لانه تصرف في ملكه والسنه والقران يردان هذا القول و
بالله التوفيق ومن هذا الباب وجه اخر منع العلما منه كدخان الفران والحمام وغبار
الاندر والدود المتولد من الزبل المبسوط في الدخان وما كان مثل هذا فانه يقطع
منه ما بان ضرره وخشي تماديه واما ما كان ساعه خفيفه مثل نفض الثياب والحصر
عند الابواب فان هذا مما لا غنى بالناس عنه وليس مما يستحق به شي فنفي الضرر في منع
هذا اعظم واكثر من الصبر على ذلك ساعه خفيفه وللجار على جاره في ادب السنه ان
يصبر على اذاه على ما يقدر كما عليه ان لا يوذيه وان يحسن اليه السادسه ومما يدخل
في هذا الباب مسيله ذكر اسمعيل بن ابي اويس عن مالك انه سيل عن امراة عرض لها مس
الجن وكانت اذا اصابها زوجها واجنبت او دنا منها يشتد ذلك بها فقال مالك ما ارى
ان يقربها وارى للسلطان ان يحول بينه وبينها السابعه قوله تعالى وكفرا لما كان اعتقادهم
انه لا حرمه لمسجد قبا ولا لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم كفروا بهذا الاعتقاد قاله ابن
العربي وقيل كفروا بهذا الاعتقاد اي بالنبي صلى الله عليه وسلم وبما جا به قاله القشيري
وغيره الثامنه قوله تعالى وتفريقا بين المومنين اي يفرقون به جماعتهم ليتخلف اقوام
عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على ان المقصد الاكبر والغرض الاظهر من وضع
الجماعه تاليف القلوب والكلمه على الطاعه وعقد الذمام والحرمه بفعل الديانه حتى
يقع الانس بالمخالطه وتصفو القلوب من وضر الاحقاد التاسعه تفطن مالك رحمه الله من
هذه الايه فقال لا يصلى جماعتان في مسجد واحد بامامين خلافا لسائر العلما وقد روى
عن الشافعي المنع حيث كان تشتيتا للكلمه وابطالا لهذه الحكمه وذريعه الى ان نقول من
يريد الانفراد عن الجماعه كان له عذر فيقيم جماعه ويقدم امامه فيقع الخلاف ويبطل النظام
وخفي ذلك عليهم قال ابن العربي وهذا كان شانه معهم وهو اثبت قدما منهم في الحكمه واعلم
بمقاطع الشريعه العاشره قوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله يعني ابا عامر الراهب
وسمي بذلك لانه كان يتعبد ويلتمس العلم فمات كافرا بقنسرين بدعوه النبي صلى الله عليه
وسلم فانه كان قال للنبي صلى الله عليه وسلم لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم
فلم يزل يقاتله يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج الى الروم يستنصر وارسل الى المنافقين
وقال استعدوا بما استطعتم من قوه وسلاح وابنوا مسجدا فاني ذاهب الى قيصر فات بجند
من الروم لاخرج محمدا من المدينه فبنوا مسجد الضرار وابو عامر هذا هو والد حنظله غسيل

المليكه والارصاد الانتظار تقول ارصدت كذا اذا اعددته مرتقبا له به وقال
ابو زيد يقال رصدته وارصدته في الخير وارصدت له في الشر وقال ابن الاعرابي لا
يقال الا ارصدت ومعناه ارتقبت وقوله تعالى من قبل اي من قبل بنا الضرار وليحلفن
ان اردنا الا الحسنى اي ما اردنا ببنائه الا الفعلة الحسنى وهي الرفق بالمسلمين كما
ذكروا الذي العلة وهذا يدل على ان الافعال تختلف بالمقصود والارادات ولذلك قال
وليقولون ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون اي يعلم خبث ضمايرهم وكذبهم
فيما يحلفون عليه قوله تعالى لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى الى قوله المطهرين
فيه احدى عشرة مسئلة الاولى قوله تعالى لا تقم فيه ابدا يعني مسجد الضرار اي لا تقم فيه الصلوة
وقد يعبر عن الصلوة بالقيام يقال فلان يقوم الليل اي يصلي ومنه الحديث الصحيح من قام
رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه اخرجه البخاري عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم فذكره وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية
كان لا يمر بالطريق التي فيها المسجد وامر بموضعه ان يتخذ كناسة تلقى فيها الجيف والاقذار
والقمامات الثانية قوله تعالى ابدا ظرف زمان وظرف الزمان على قسمين ظرف مقدر
كاليوم وظرف مبهم كالحين والوقت والابد من هذا القسم وكذلك الدهر وتنشا هنا
مسئلة اصولية وهي ان ابدا وان كانت ظرفا مبهما لا عموم فيه ولكنه اذا اتصل بلا النافية
افاد العموم فلو قال لا تقم لكفى في الانكفاف المطلق فاذا قال ابدا فكانه قال في وقت
من الاوقات ولا في حين من الاحيان فاما النكرة في الاثبات اذا كانت خبرا عن
واقع لم تعم وقد فهم ذلك اهل اللسان وقضى به فقهاء الاسلام فقالوا لو قال رجل
لامراته انت طالق ابدا طلقت طلقة واحدة الثالثة قوله تعالى لمسجد اسس على التقوى
اي بنيت جدره ورفعت قواعده والاس اصل البنا وكذلك الاساس مقصور
مثل قذال وقذل وجمع الاسس اساس مثل سبب واسباب وقد اسست البنا
تاسيسا وقولهم كان ذلك على اس الدهر واس الدهر واس الدهر ثلاث لغات
اي على قدم الدهر ووجه الدهر واللام في قوله لمسجد لام قسم وقيل لام الابتدا كما تقول
لزيد احسن الناس فعلا وهي مقتضية تاكيدا اسس على التقوى نعت لمسجد احق خبر
الابتدا الذي هو مسجد ومعنى التقوى هنا الخصال التي تتقى بها العقوبة وهي فعلى من
وقيت وقد تقدم الرابعة واختلف العلما في المسجد الذي اسس على التقوى فقالت طايفة
هو مسجد قبا يروى عن ابن عباس والضحاك والحسن وتعلقوا بقوله من اول يوم ومسجد قبا

كان اول يوم اسس بالمدينة وانه بني قبل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عمر وابن
المسيب ومالك فيما يرواه ابن وهب واشهب وابن القاسم روى الترمذي عن ابي سعيد
الخدري قال تمارى رجلان في المسجد الذي اسس على التقوى من اول يوم فقال رجل
هو مسجد قبا وقال اخر هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هو مسجد هذا قال حديث حسن صحيح والقول الاول اليق بالصحة لقوله فيه وضمير الظرف
يقتضي الرجال المتطهرين فهو مسجد قبا والدليل على ذلك حديث ابي هريرة قال نزلت هذه الاية
في اهل مسجد قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون
بالما ونزلت فيهم هذه الاية قال الشعبي هم اهل مسجد قبا انزل الله فيهم هذا وقال قتادة
لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قبا ان الله سبحانه قد احسن
عليكم الثنا في التطهر فما تصنعون قالوا نغسل اثر البول والغايط بالما رواه
ابو داود وروى الدارقطني عن طلحة بن نافع قال حدثني ابو ايوب وجابر بن
عبد الله وانس بن مالك الانصاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الاية
فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين فقال يا معشر الانصار ان الله قد
اثنى عليكم خيرا في الطهور فما طهوركم هذا فقالوا يا رسول الله نتوضى للصلوة ونغتسل
من الجنابة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل مع ذلك من غيره فقالوا لا غير ان
احدنا اذا خرج من الغايط احب ان يستنجي بالما قال هو ذلك فعليكموه وهذا الحديث
يقتضي ان المسجد المذكور في الاية هو مسجد قبا الا ان حديث ابي سعيد الخدري نص
فيه النبي صلى الله عليه وسلم على انه مسجده فلا نظر معه وقد روى ابو كريب قال حدثنا
ابو اسامة قال نا صالح بن حيان قال نا عبد الله بن بريدة في قوله عز وجل في بيوت اذن
الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه قال انما هي اربعة مساجد لم يبنهن الا نبي الكعبة بناها
ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وبيت اريحا بيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما
السلام ومسجد المدينة ومسجد قبا اللذين اسسا على التقوى بناهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم الخامسة من اول يوم ومن عند النحويين مقابلة منذ فمنذ في الزمان
بمنزلة من في المكان فقيل ان معناها هاهنا معنى منذ والتقدير منذ اول يوم ابتدى
وجبر بنايه وقيل المعنى من تاسيس اول الايام فدخلت على مصدر الفعل الذي
هو اسس كما قال لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر اي من حجج ومن دهر
وانما دعى الى هذا ان من اصول النحويين ان من لا يجر بها الازمان وانما يجر الازمان

بعد ما رايته منذ شهر او سنة او يوم ولا تقول من شهر ولا من سنة ولا من يوم واذا
دفعته في الكلام وهي تلي زمنا تقدر مصدر يلتق ان تحريمن كما ذكرنا في تقدير البيت
ابن عطيه ويحسن عندي ان يستغني في هذه الايه عن تقدير وان يكون من تحرلفظه
اول لانها بمعنى البداه كانه قال من مبتدا الايام السادسه احق ان تقوم فيه اي
بان تقوم فهو في موضع نصب واحق هو افعل من الحق وافعل لا يا خلا الابين شيئين مشتر
كين لاحدهما في المعنى الذي اشتركا فيه مزيه على الاخر فمسجد الضرار وان كان باطلا
لاحق فيه فقد اشتركا في الحق من جهه اعتقاد بانيه او من جهه اعتقاد من كان يظن
القيام فيه جايز للمسجد به لكن احد الاعتقادين باطل باطنا عند الله والاخر حق باطنا
وظاهر ومثل هذا قوله تعالى اصحاب الجنه يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ومعلوم ان
الجحيم من النار متعوذه ولكنه جرى على اعتقاد كل فرقه انها على خير وان
مصيرها اليه خيرا وكل حزب بما لديهم فرحون وليس هذا من قبل العسل احلى من
الخل فان العسل مفردا بمفرد ومضافا الى غيره بمضاف السابعه قوله تعالى فيه من
قال ان المسجد يراد به مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فالهاء في احق ان تقوم فيه عايدة اليه
وفيه رجال له ايضا ومن قال انه مسجد قبا فالضمير في فيه عايد اليه على الخلاف
المتقدم الثامنه اثنى الله سبحانه وتعالى في هذه الايه على من احب الطهاره واثر النظافه
وهي مروه ادميه ووظيفه شرعيه وفي الترمذي عن عايشه رضي الله عنها انها قالت
مرن ازواجكن ان يستطيبوا بالما فاني استحييهم قال حديث صحيح وثبت ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يحمل الما في الاستنجا وكان يستعمل الحجاره تخفيفا والما
تطهيرا ابن العربي وقد كان علما العراق يحدون في مسوصانهم احجارا من تراب
سفون بهايم يستنجون بالما التاسعه اللازم في نجاسه المخرج التخفيف وفي نجاسه
ساير البدن والثوب التطهير وتلك رخصه من الله تعالى لعباده من حالتي وجود
الما وعدمه وبه قال العلما وشذ ابن حبيب فقال لا يستجمر بالاحجار الا عند عدم
الما والاخبار الثابته في الاستجمار بالاحجار الا عند عدم الماء والاخبار الثابته
في الاستجمار بالاحجار مع وجود الما ترده العاشره واختلف العلما في هذا الباب
في ازاله النجاسه من الابدان والثياب بعد اجماعهم على التجاوز والعفو عن
دم البراغيث ما لم يتفاحش على ثلثه اقوال الاول انه واجب فرض ولا يجوز صلاة
من صلى بثوب نجس عالما ذاكرا او ساهيا روي عن ابن عباس والحسن وابن سيرين

وهو قول الشافعي واحمد وابي ثور ورواه ابن وهب عن ملك وهو قول ابي الفرج
المالكي والطبري لان الطبري قال ان كان النجاسة قدر الدرهم اعاد الصلوة
ابدا وهو قول ابي حنيفة وابي يوسف في مراعاة قدر الدرهم قياسا على حلقة الدبر
وقالت طائفة ازالة النجاسة واجب بالسنة من الثياب والابدان وجرت سنة و
ليس بفرض قالوا ومن صلى بثوب نجس اعاد في الوقت فان خرج الوقت فلاشي عليه
هذا قول ملك واصحابه الا ابا الفرج ورواية ابن وهب عنه وقال ملك في يسير الدم لا
يعاد منه الصلوة في وقت ولا بعده ويعاد من يسير البول والغايط ونحو هذا كله مذهب
ملك قول الليث وقال ابن القاسم عنه تجب ازالتها في حالة الذكر دون النسيان وهي
من مفرداته والقول الاول اصح ان شاء الله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم مر على
قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما وكان يمشي بالنميمة و
اما الاخر فكان لا يستتر من بوله الحديث خرجه البخاري ومسلم وحسبك وسياتي في سورة
سبحان قالوا ولا يعذب الانسان الا بترك واجب وهذا ظاهر روى ابو بكر بن ابي
اوس عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اكثر عذاب القبر في البول احتج
الاخرون بخلع النبي صلى الله عليه وسلم نعله في الصلوة لما اعلمه جبريل عليه السلام
ان فيها قذرا واذا الحديث خرجه ابو داود وغيره من حديث ابي سعيد الخدري
وسياتي في سورة طه ان شاء الله تعالى قالوا ولما لم يعدما صلى دل على ان ازالتها سنة
وصلاته صحيحة ويعيد ما دام في الوقت طلبا للكمال والله اعلم الحادي عشر قال القاضي
ابو بكر بن العربي واما الفرق بين القليل والكثير بقدر الدرهم البغلي قياسا على المسربة
ففاسد من وجهين احدهما ان المقدرات لا تثبت قياسا فلا يقبل هذا التقدير الثاني
ان هذا الذي خفف عنه في المسربة رخصة الضرورة والحاجة والرخص لا يقاس عليها
لانها خارجة عن القياس فلا يرد اليه قوله تعالى افمن اسس بنيانه على
تقوى من الله ورضوان خير امن اسس بنيانه على شفا جرف هار فيه خمس مسايل
اى اصل وهو استفهام معناه التقرير ومن بمعنى الذي وهي في موضع رفع بالابتدا
وخبره خير وقرا نافع وابن عامر وجماعة اسس بنيانه على ما لم يسم فاعله
ورفع بنيان فيهما وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي وجماعة اسس بنيانه
على بنا الفعل للفاعل ونصب بنيان فيهما وهي اختيار ابي عبيد لكثرة من قراه
وان الفاعل سمي فيه وقرا نصر بن عاصم بن علي افمن اسس بالرفع بالخفض

بنيانه وعنه ايضا اساس بنيانه وعنه ايضا اسس بنيانه والمراد اصول البنا كما
تقدم وحكى ابو حاتم قراه سادسه وهي اتى اساس بنيانه قال النحاس والكسرة
اساس مثل حقفان وقال الشاعر اصبح الملك ثابت الاساس في البهاليل من بني العباس
الثالثه قوله تعالى على تقوى من الله قراه عيسى بن عمر فيما حكى سيبويه بالتنوين والفه
الف الحاق كالف تترى فيمن نون وقال الشاعر ليس في عقلي وفي مكنون
وانكر سيبويه التنوين وقال لا ادرى ما وجهه على شفا الشفا الحرف والحد و
قد مضى في ال عمران مستوفى وحرف قرى برفع الوا وابو بكر وحمزه باسكانها مثل
الشغل والشغل والرسل والرسل يعني جرفا ليس له اصل والجرف ما يتجرف بالسيول
من الاوديه وهو جوانبها التي تنحفر بالما واصله من الجرف والاجتراف وهو اقتلاع
الشي من اصله هار ساقط يقال تهور البنا اذا سقط واصله من هاير فهو من المقلوب
تقلب وتوخر يا وها مثال هار وهاير قاله الزجاج ومثله لا ث الشي به اذا دار
فهو لاث اى لا يث كما قالوا شاكي السلاح وشايك السلاح قال العجاج لاث لاث به
الاشا والعبرى الاشا النخل والعبرى السدر الذي على شاطى البحر الانهار ومعنى
لاث به مطيفا به وزعم ابو حاتم ان الاصل فيه هاور ثم يقال هاير مثل صايم ثم
تقلب فيقال هار وزعم الكسائى انه من ذوات الوا وانه يقال تهور وتهير قلت
ولهذا يمال ويفتح الثالثه فانهار به في نار جهنم فاعل انهار الجرف كانه قال فانهار
الجرف والبنيان في النار لان الجرف مذكور ويجوز ان يكون الضمير في به يعود
على من وهو الباني والتقدير فانهار من اسس بنيانه على الشرك والنفاق وبين
ان بنا الكافر كبنا على جرف جهنم يتهور باهله فيها والشفا الشفير واسفى على كذا
اى دنا منه الرابعه في هذه الايه دليل على ان كل شي ابتدى بنيه تقوى الله تعالى
والقصد لوجهه الكريم تعالى فهو الذي يبقى ويسعد به صاحبه ويصعد الى الله
تعالى ويرفع اليه ويخبر عنه بقوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال على احد الوجهين
ويخبر عنه ايضا بقوله والباقيات الصالحات على ما ياتي بيانه ان شا الله تعالى
الخامسه واختلف العلما في قوله تعالى فانهار به في نار جهنم هل ذلك حقيقه او
مجاز على قولين الاول ان ذلك حقيقه وان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ارسل اليه
فهدم رئى الدخان يخرج منه من روايه سعيد بن جبير وقال بعضهم كان الرجل يدخل
فيه سعفه من سعف النخل فيخرجها سودا محترقه وذكر اهل التفسير انه كان يحفر ذلك

الموضع الذي انهار فيخرج منه دخان وروى عاصم بن ابي النجود عن زر بن حبيش
عن ابن مسعود انه قال جهنم في الارض ثم تلا فانهار به في نار جهنم وقال جابر بن عبد الله
انا رايت الدخان يخرج منه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الثاني ان ذلك
مجاز والمعنى صار البنا في نار جهنم فكانه انهار اليه وهوى فيه وهذا كقوله تعالى
فامه هاويه والظاهر الاول اذ لا احال في ذلك والله اعلم قوله تعالى
لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم يعني مسجد الضرار ريبة اي شكا في
قلوبهم ونفاقا قاله ابن عباس وقتادة والضحاك قال النابغة حلفت فلم اترك
لنفسك ريبة وليس ورا الله للمرء مذهب وقال الكلبي حسرة وندامة لانهم
ندموا على بنيانه وقال السدي وحبيب والمبرد ريبة اي حزازة وغيظا الا ان
تقطع قلوبهم قال ابن عباس اي تنصدع قلوبهم فيموتوا كقوله لقطعنا منه الوتين
لان الحيوة تنقطع بانقطاع الوتين وقال قتادة والضحاك ومجاهد وقال سعيد الا
ان يتوبوا عكرمة الا ان تقع قلوبهم ولو تقطعت قلوبهم في قبورهم وكان اصحاب
عبد الله بن مسعود يقروبها ريبة في قلوبهم ولو تقطعت قلوبهم وقرا الحسن ويعقوب
وابو حاتم الا ان تقطع على الغاية اي لا يزالون في شك منه الى ان يموتوا فيستعوا
ويتيقنوا واختلف القرا في قوله تقطع والجمهور تقطع بضم التا كذلك الا انهم فتحوا
التا وروى عن يعقوب وابي عبد الرحمن تقطع خفيفة القاف قلوبهم نصبا اي انت
تفعل ذلك بهم وقد ذكرنا قول اصحاب عبد الله والله عليم حكيم تقدم قوله
تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الى قوله العظيم
فيه ثمان مسايل الاولى قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم قيل هذا مثل
مثل قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ونزلت الاية في البيعة الثانية
وهي بيعة العقبة الكبرى وهي التي اناب فيها رجال الانصار على السبعين وكان
اصغرهم سنا عقبة بن عمرو وذلك انهم اجتمعوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عند العقبة فقال عبد الله بن رواحة للنبي صلى الله عليه وسلم اشترط
لربك ولنفسك ما شئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشترط لربي ان
تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون به انفسكم
قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية ثم هي بعد ذلك عامة في كل

مجاهد فی سبیل الله من امة محمد صلی الله علیه وسلم الی یوم القیمة الثانیة هذه الایة
دلیل علی جواز معاملة السید مع عبده وان کان الکل للسید لکن اذ ملکه عاملة
فیما جعل الیه وجاز بین السید وعبده ما لا یجوز بینه وبین غیره لان ماله له وله
انتزاعه الثالثة اصل الشرا بین الخلق ان یعوضوا عما خرج من ایدیهم ما کان
انفع لهم او مثل ما خرج عنهم فی النفع فاشتری الله سبحانه من العباد اتلاف انفسهم
واموالهم فی طاعته واهلاکها فی مرضاته فاعطاهم الله سبحانه الجنة عوضا عنها
اذا فعلوا ذلک وهو عوض عظیم لا یدانیه المعوض ولا یقاس به فاجری ذلک
علی مجاری ما تعارفونه فی البیع والشرا فمن العبد تسلیم النفس والمال ومن الله الثواب
والنوال فسمی هذا شرا وروی الحسن قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ان
فوق کل بر برا حتی یبذل العبد دمه فاذا فعل ذلک فلا بر فوق ذلک وقال الشاعر
الجود بالمال جود فیه مکرمة والجود بالنفس اقصی غایة الجود ؞
وانشد الاصمعی لجعفر الصادق عفا الله عنه ؞

اثامن بالنفس النفیسة ربها ولیس لها فی الخلق کلهم ثمن ؞
بها اشتری الجنات ان انا بعتها بشی سواها ان ذلک غبن ؞
لین ذهبت نفسی بدنیا اصبتها لقد ذهب نفسی وقد ذهب الثمن ؞

قال الحسن ومر اعرابی علی النبی صلی الله علیه وسلم وهو یقرا هذه الایة ان الله اشتری
فقال کلام من هذا کلام الله قال بیع والله مربح لا نقیله ولا نستقیله فخرج الی العدو
واستشهد الرابعة قال العلما کما اشتری من المومنین البالغین المکلفین کذلک
اشتری من الاطفال فالمهم واسقمهم لما فی ذلک من المصلحة ومن مافیه من اعتبار
للبالغین فانهم لا یکونون عند شی اکثر صلاحا واقل فسادا منهم عند الم
الاطفال وما یحصل للوالدین الکافلین من الثواب فیما ینالهم من الهم ویتعلق
بهم من التربیة والکفالة ثم هو عز وجل یعوض هولا الاطفال عوضا اذا صاروا
الیه ونظیر هذا فی الشاهد انک تکری الاجیر لیبنی وینقل التراب وفی کل ذلک
له الم واذی ولکن ذلک جایز لما فی علمه من المصلحة ولما یصل الیه من الاجر
الخامسة قوله تعالی یقاتلون فی سبیل الله بیان لما یقاتل له وعلیه وقد تقدم
فیقتلون ویقتلون قرا النخعی والاعمش وحمزة والکسای وخلف بتقدیم المفعول
علی الفاعل ومنه قول امرا القیس فان تقتلونا نقتلکم ای تقتلوا بعضنا

براء منه ودخل على هذا الوعد قوله سأستغفر لك ربي قال القاضي ابو بكر بن العربي تعلقوا
النبي صلى الله عليه وسلم في الاستغفار لابي طالب بقوله تعالى سأستغفر لك ربي فاخبر الله
تعالى ان استغفار ابراهيم لابيه كان وعدا قبل تبين الكفر منه فلما تبين له الكفر منه تبرا
منه فكيف تستغفر انت لعمك يا محمد وقد شاهدت كافرا التاسلة ان ابراهيم لاواه حليم
اختلف العلماء في الاواه على خمسة عشر قولا الاول الدعاء الذي يكثر الدعاء له قاله ابن مسعود
فى معانى الاواه
وعبيد بن عمير الثاني انه الرحيم بعباد الله قال النحاس الثالث انه الموقن قاله عطا وعكرمة
ورواه ابن حلسان عن ابن عباس الرابع انه المومن بلغة الحبشة قاله ابن عباس الخامس
انه المسبح الذي يذكر الله في الارض القفر الموحشة قاله الكلبي وسعيد بن المسيب السادس
انه الكثير الذكر لله تعالى قاله عقبة بن عامر وذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يكثر
ذكر الله تعالى ويسبح فقال انه لاواه السابع انه الذي يكثر تلاوة القران وهذا مروي عن
عن ابن عباس قلت وهذه الاقاويل متداخلة وتلاوة القران يجمعها الثامن انه
المتاوه قاله ابو ذر وكان ابرهيم عليه السلام يقول آه من النار قبل ان لا تنفع اباه
وقال ابو ذر وكان رجل يكثر الطواف بالبيت ويقول في دعائه اوه اوه فشكاه
ابو ذر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال دعه فانه اواه فخرجت ذات ليلة فاذا النبي
صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل ليلا ومعه المصباح التاسع انه الفقيه قاله مجاهد
والنخعي العاشر انه المتضرع الخاشع رواه عبد الله بن شداد بن الهاد عن النبي صلى الله
عليه وسلم وقال انس تكلمت امراة عند النبي صلى الله عليه وسلم بشي كرهه فنهاها عمر فقال النبي
صلى الله عليه وسلم دعوها فانها اواهة قيل يا رسول الله وما الاواهة قال الخاشعة
الحادي عشر انه الذي اذا ذكر خطاياه استغفر منها قاله ابو ايوب الثاني عشر انه الكثير
التاوه من الذنوب قاله الفرا الثالث عشر انه المعلم للخير قاله سعيد بن جبير الرابع عشر
انه الشفيق قاله عبد العزيز بن يحيى وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يسمى الاواه لشفقته
ورافته الخامس عشر انه الراجع عن كل ما يكره الله تعالى قاله عطا واصله من التاوه
وهو ان يسمع للصدر صوت من تنفس الصعدا قال كعب كان ابرهيم عليه السلام اذا
ذكر النار تاوه قال الجوهري قولهم عند الشكاية اوه من كذا ساكنة الواو وانما هو توجع
قال الشاعر فاوه لذكراها اذا ما ذكرتها ومن بعد ارض بيننا وسماوها وربما قلبوا
الواو الفا فقالوا آه من كذا وربما شددوا الواو وكسروها وسكنوا الهاء فقالوا
اوه من كذا وربما حذفوا مع التشديد الهاء فقالوا او من كذا بلا مد وبعضهم يقول اوه

بالمد والتشديد وفتح الواو وساكنة الها لتطويل الصوت بالشكاية وربما ادخلوا فيه
الياء فقالوا اوياه يمد ولا يمد وقد اوه الرجل تاويها وتاوه تاوها اذا قال اوه
والاسم منه الاهة بالمد قال المثقب العبدي اذا ما قمت ارحلها بليل تاوه اهة الرجل
الحزين والحليم الكثير الحلم وهو الذي يصفح عن الذنوب ويصبر على الاذى وقيل الذي
لا يعاقب احدا قط الا في الله ولا ينتصر من احد الا لله وكان ابراهيم عليه السلام كذلك
وكان اذا قام يسمع وجيف قلبه على ميل قوله تعالى وما كان الله ليضل
قوما بعد اذ هداهم اي ما كان الله ليوقع الضلالة في قلوبهم بعد الهدى حتى يبين
لهم ما يتقون فلا يتقوه فعند ذلك يستحقون الاضلال قلت في هذا دليل على ان المعاصي
اذا ارتكبت وانتهك حجابها كانت سببا الى الضلالة والردى وسلما الى ترك الرشاد و
الهدى فنسال الله السداد والتوفيق والرشاد بمنه وقال ابو عمرو بن العلاء رحمه الله في قوله
حتى يبين لهم ما يتقون اي حتى يحتج عليهم بامره كما قال واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا
مترفيها ففسقوا فيها وقال مجاهد حتى يبين لهم اي امر ابراهيم ان لا يستغفروا للمشركين
خاصة ويبين لهم الطاعة والمعصية عامة وروي انه لما نزل تحريم الخمر وشدد فيها سالوا النبي
صلى الله عليه وسلم عمن مات وهو يشربها فانزل الله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم
حتى يبين لهم ما يتقون وهذه الاية رد على المعتزلة وغيرهم الذين يقولون بخلق هداهم
وايمانهم كما تقدم قوله تعالى ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات
والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير تقدم معناه غير مرة
قوله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية الى قوله رءوف
رحيم روى الترمذي نا عبد بن حميد نا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن
بن كعب بن مالك عن ابيه قال لم اتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها
حتى كانت غزوة تبوك الا بدرا ولم يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم احدا تخلف عن
بدر انما خرج يريد العير وخرجت قريش مغوثين لعيرهم فالتقوا على غير موعد كما قال
الله تعالى ولعمري ان اشرف مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس لبدر وما
كنت اني كنت شاهدتها مكان بيعتي ليلة العقبة حتى تواثقنا على الاسلام حتى كانت
غزوة تبوك وهي اخر غزوة غزاها واذن النبي صلى الله عليه وسلم بالرحيل فذكر الحديث
بطوله قال فانطلقت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون
وهو يستنير كاستنارة القمر فكان اذا سر بالامر استنار فجئت فجلست بين يديه ابشر يا

والحافظون لحده من المعطوف وقد قيل انها زائدة وهذا ضعيف لا معنى له وقيل هي
الواو الثمانية لان السبعة عند العرب عدد كامل صحيح وكذلك قالوا في قوله تعالى ثيبات
وابكارا وقوله في ابواب الجنة وفتحت ابوابها وقوله ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وقد
ذكرها ابن خالويه في مناظرته لابي علي الفارسي في معنى قوله تعالى وفتحت وانكرها ابو
علي قال ابن عطية وحدثني ابي رضي الله عنه عن الاستاذ النحوي ابي عبد الله الكفيف
المالكي وكان ممن استوطن غرناطة واقرأ فيها في مدة ابن حبوس قال هي لغة فصيحة
لبعض العرب من شانهم ان يقولوا اذا عدوا واحد اثنان ثلاثة اربعة خمسة ستة سبعة
وثمانية تسعة عشرة فهكذا هي لغتهم ومتى جاء في كلامهم امر ثمانية ادخلوا الواو وهي لغة قريش
وسياتي بيانه وبعضه في سورة الكهف ان شاء الله تعالى وفي الزمر ايضا كقول الله تعالى
قوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين فيه ثلاث مسائل
الاولى روى مسلم عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم قل لا اله الا الله كلمة اشهد لك بها عند الله
فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال ابو طالب
اخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله عز وجل ما كان
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم
انهم اصحاب الجحيم وانزل الله في ابي طالب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا
تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين فالاية على هذا ناسخة
لاستغفار النبي صلى الله عليه وسلم لعمه فانه استغفر له بعد موته على ما روي في
غير الصحيح وقال الحسين بن الفضل هذا بعيد لان السورة من اخر ما نزل من القران و
مات ابو طالب في عنفوان الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة الثانية هذه الاية
تضمنت قطع الكفار حيهم وميتهم فان الله لم يجعل للمؤمنين ان يستغفروا للمشركين
فطلب الغفران للمشركين مما لا يجوز فان قيل فقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
يوم احد حين كسروا رباعيته وشجوا وجهه اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فكيف يجتمع
هذا مع منع الله تعالى رسوله والمؤمنين من طلب المغفرة للمشركين قيل له ان ذلك القول

من النبي صلى الله عليه وسلم انما كان على سبيل الحكاية عمن تقدمه من الانبيا والدليل عليه ما رواه مسلم عن عبد الله قال كاني انظر الى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من الانبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وفي البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر نبيا قبله شجه قومه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يخبر عنه بانه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قلت وهذا صريح في الحكاية عمن قبله لا انه قاله ابتداء عن نفسه كما ظنه بعضهم والله اعلم والذي حكاه هو نوح عليه السلام على ما ياتي بيانه في سورة هود ان شاء الله تعالى وقيل المراد بالاستغفار في الاية الصلوة قال بعضهم ما كنت لادع الصلوة على احد من اهل القبلة ولو كانت حبشية حبلى من الزنا لاني لم اسمع الله حجب الصلوة الا عن المشركين بقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية قال عطا بن ابي رباح الاية نزلت في النهي عن الصلوة عن المشركين والاستغفار هنا يراد به الصلوة جواب ثالث وهو ان الاستغفار للاحياء جائز لانه مرجا ايمانهم ويمكن تالفهم بالقول الجميل وترغيبهم في الدين وقد قال كثير من العلماء لا باس ان تدعو الرجل لابويه الكافرين ويستغفر لهما ما داما حيين فاما من مات فقد انقطع عنه الرجا فلا يدعى له قال ابن عباس كانوا يستغفرون لموتاهم فنزلت فامسكوا عن الاستغفار ولم ينههم ان يستغفروا للاحياء حتى يموتوا الثالثة قال اهل المعاني ما كان في القران ياتي على وجهين على النفي نحو قوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله كتابا والاخر بمعنى النهي لقوله تعالى ما كان لكم ان توذوا رسول الله وما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا قوله تعالى وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الى قوله ان ابرهيم لاواه حليم فيه ثلاث مسائل الاولى روى النسائي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سمعت رجلا يستغفر لابويه فقال لو لم يستغفر ابرهيم عليه السلام لابويه فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فنزلت وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه والمعنى لا حجة لكم ايها المومنون في استغفار ابراهيم الخليل لابيه فان ذلك لم يكن الا عن موعدة وقال ابن عباس كان ابو ابرهيم وعد ابرهيم ان يومن بالله ويخلع الانداد فلما مات على الكفر علم انه عدو الله فترك الدعاء له والكناية في قوله اياه ترجع الى ابراهيم والواعد ابوه وقيل الواعد ابرهيم اي وعد ابرهيم اباه ان يستغفر له فلما مات مشركا

تبرأ منه ودخل على هذا الوعد قوله سأستغفر لك ربي قال القاضي أبو بكر بن العربي تعلق
النبي صلى الله عليه وسلم في الاستغفار لأبي طالب بقوله تعالى سأستغفر لك ربي فأخبر الله
تعالى أن استغفار إبراهيم لأبيه كان وعدا قبل تبين الكفر منه فلما تبين له الكفر منه تبرأ
منه فكيف تستغفر لعمك يا محمد وقد شاهدت موته كافرا الثالثة ان ابراهيم لأواه حليم
اختلف العلماء في الأواه على خمسة عشر قولا الأول الدعاء الذي يكثر الدعاء قاله ابن مسعود
وعبيد بن عمير الثاني انه الرحيم بعباد الله قال النحاس الثالث انه الموقن قاله عطاء وعكرمة
ورواه ابن حلبسان عن ابن عباس الرابع انه المؤمن بلغة الحبشة قاله ابن عباس الخامس
انه المسبح الذي يذكر الله في الأرض القفر الموحشة قاله الكلبي وسعيد بن المسيب السادس
انه الكثير الذكر لله تعالى قاله عقبة بن عامر وذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل يكثر
ذكر الله تعالى ويسبح فقال انه لأواه السابع انه الذي يكثر تلاوة القرآن وهذا مروي عن
ابن عباس قلت وهذه الأقاويل متداخلة وتلاوة القرآن يجمعها الثامن انه
المتأوه قاله أبو ذر وكان ابراهيم عليه السلام يقول آه من النار قبل أن لا تنفع آه
وقال أبو ذر وكان رجل يكثر الطواف بالبيت ويقول في دعائه أوه أوه فشكاه
أبو ذر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال دعه فانه أواه فخرجت ذات ليلة فاذا النبي
صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل ليلا ومعه المصباح التاسع انه الفقيه قاله مجاهد
والنخعي العاشر انه المتضرع الخاشع رواه عبد الله بن شداد بن الهاد عن النبي صلى الله
عليه وسلم وقال أنس تكلمت امرأة عند النبي صلى الله عليه وسلم بشيء كرهه فنهاها عمر فقال النبي
صلى الله عليه وسلم دعوها فانها أواهة قيل يا رسول الله وما الأواهة قال الخاشعة
الحادي عشر انه الذي اذا ذكر خطاياه استغفر منها قاله أبو أيوب الثاني عشر انه الكثير
التأوه من الذنوب قاله الفراء الثالث عشر انه المعلم للخير قاله سعيد بن جبير الرابع عشر
انه الشفيق قاله عبد العزيز بن يحيى وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يسمى الأواه لشفقته
ورأفته الخامس عشر انه الراجع عن كل ما يكره الله تعالى قاله عطاء وأصله من التأوه
وهو أن يسمع للصدر صوت من تنفس الصعداء قال كعب كان ابراهيم عليه السلام اذا
ذكر النار تأوه قال الجوهري قولهم عند الشكاية أوه من كذا ساكنة الواو وانما هو توجع
قال الشاعر فأوه لذكراها اذا ما ذكرتها ومن بعد أرض بيننا وسماء وربما قلبوا
الواو ألفا فقالوا آه من كذا وربما شددوا الواو وكسروها وسكنوا الهاء فقالوا
أوّه من كذا وربما حذفوا مع التشديد الهاء فقالوا أوّ من كذا بلا مد وبعضهم يقول آوه

مطلب في معاني الأواه

بالمد والتشديد وفتح الواو ساكنة الهاء لتطويل الصوت بالشكاية وربما ادخلوا فيه
الياء فقالوا اوياه بمد ولا بمد وقد اوه الرجل تاوها وتاوه تاوها اذا قال اوه
والاسم منه الاهة بالمد قال المثقب العبدي اذا ما قمت ارحلها بليل تاوه اهة الرجل
الحزين والحليم الكثير الحلم وهو الذي يصفح عن الذنوب ويصبر على الاذى وقيل الذي
لا يعاقب احدا قط الا في الله ولا ينتصر من احد الا لله وكان ابرهيم عليه السلام كذلك
وكان اذا قام يسمع وجيب قلبه على ميلين قوله تعالى وما كان الله ليضل
قوما بعد اذ هداهم اي ما كان الله ليوقع الضلالة في قلوبهم بعد الهدى حتى يبين
لهم ما يتقون فلا يتقوه فعند ذلك يستحقون الاضلال قلت في هذا دليل على ان المعاصي
اذا ارتكبت وانتهك حجابها كانت سببا الى الضلالة والردى وسلما الى ترك الرشاد و
الهدى فنسال الله السداد والتوفيق والرشاد بمنه وقال ابو عمرو بن العلاء رحمه الله في قوله
حتى يبين لهم ما يتقون اي حتى يحتج عليهم بامره كما قال واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا
مترفيها ففسقوا فيها وقال مجاهد حتى يبين لهم اي امر ابراهيم ان لا يستغفر للمشركين
خاصة ويبين لهم الطاعة والمعصية عامة وروي انه لما نزل تحريم الخمر وشدد فيها سالوا النبي
صلى الله عليه وسلم عمن مات وهو يشربها فانزل تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم
حتى يبين لهم ما يتقون وهذه الاية رد على المعتزلة وغيرهم الذين يقولون بخلق هداهم
وايمانهم كما تقدم قوله تعالى ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات
والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير تقدم معناه غير مرة ،،
قوله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الى ... الى قوله رءوف
رحيم روى الترمذي نا عبد بن حميد نا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن
بن كعب بن مالك عن ابيه قال لم اتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها
حتى كانت غزوة تبوك الا بدرا ولم يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم احدا تخلف عن
بدر انما خرج يريد العير وخرجت قريش مغوثين لعيرهم فالتقوا على غير موعد كما قال
الله تعالى ولعمري ان اشرف مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس لبدر وما
احب اني كنت شاهدتها مكان بيعتي ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام حتى كانت
غزوة تبوك وهي اخر غزوة غزاها واذن النبي صلى الله عليه وسلم بالرحيل فذكر الحديث
بطوله قال فانطلقت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون
وهو يستنير كاستنارة القمر فكان اذا سر بالامر استنار فجئت فجلست بين يديه فقال ابشر با

كعب بن مالك بخير يوم اتى عليك ولدتك امك قلت يا نبي الله ام من عندك قال بل عند
الله ثم تلا هذه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة
العسرة حتى بلغ ان الله هو التواب الرحيم قال وفينا نزلت اتقوا الله وكونوا مع
الصادقين وذكر الحديث وسياتي بكماله من صحيح مسلم في قصة الثلاثة ان شا الله تعالى
واختلف العلما في هذه التوبة التي تابها الله على النبي والمهاجرين والانصار على اقوال
فقال ابن عباس كانت التوبة على النبي لاجل اذنه للمنافقين في التخلف عنه وقيل توبة
الله عليهم استنقاذهم من شدة العسرة وقيل خلاصهم من نكاية العدو وعبر عن ذلك بالتوبة
وان خرج عن عرفها الوجودي معنى التوبة فيه وهو الرجوع الى الحالة الاولى وقال
اهل المعاني انما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في التوبة لانه لما كان سبب توبتهم معهم
كقوله فان لله خمسه وللرسول قوله تعالى الذين اتبعوه في ساعة العسرة اى
في وقت العسرة والمراد جميع اوقات تلك الغزاة ولم يرد ساعة بعينها وقيل ساعة العسرة
اشد الساعات التي مرت بهم في تلك الغزاة والعسرة صعوبة الامر قال جابر اجتمع فيه
الظهر وعسرة الزاد وعسرة الما قال الحسن كان العسرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه
بينهم وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير والاهالة المنتنة وكان النفر يخرجون
ما معهم الا التمرات بينهم فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم
يعطيها صاحبه حتى يشرب عليها جرعة من ما كذلك حتى ياتي على اخرهم فلا يبقى من التمرة
الا النواة فمضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم صدقهم ويقينهم رضى الله عنهم وقال عمر وقد سئل عن
ساعة العسرة خرجنا في قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش حتى ظننا ان
رقابنا ستقطع من العطش وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل
ما بقي على كبده فقال ابو بكر يا رسول الله ان الله عز وجل قد عودك في الدعا خيرا
فادع لنا قال نعم فرفع يديه فلم يرجعها حتى اظلت السما سكبت فملوا ما معهم ثم
ذهبوا ينظرون فلم يجدها جاوزت العسكر وروى ابو هريرة وابو سعيد قالا كنا مع
النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فاصاب الناس مجاعة وقالوا يا رسول الله
لو اذنت لنا فنحرنا نواضحنا فاكلنا وادهنا فجا عمر وقال يا رسول الله ان فعلوا قل
الظهر ولكن ادعهم بفضل ازوادهم فادع الله عليها بالبركة لعل الله ان يجعل في ذلك قال نعم
ثم دعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل الازواد فجعل الرجل يجي بكف ذرة ويجي الاخر بكف
تمر ويجي الاخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شي يسير قال ابو هريرة فحزرته

قدر بضعة العنز فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا في اوعيتكم
حتى والله الذي لا اله الا هو ما بقي في العسكر وعاء ملؤوه واكل القوم حتى شبعوا وفضلت
فضلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله لا يلقى الله
بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة خرجه مسلم في صحيحه بلفظه ومعناه والحمد لله وقال ابن عرفة
سمي جيش تبوك جيش العسرة لان النبي صلى الله عليه وسلم ندب الناس الى الغزو في حمارة
القيظ فغلظ عليهم وعسر وكان اوان ابتياع الثمر قال وانما ضرب المثل بجيش العسرة
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يغز قبله في عدد مثله لان اصحابه يوم بدر كانوا ثلثمائة
وبضعة عشر ويوم احد سبعمائة ويوم خيبر الفا وخمسمائة ويوم الفتح عشرة الاف ويوم
حنين اثني عشر الفا وكان جيشه في غزوة تبوك ثلاثين الفا وزيادة وهي آخر
مغازيه صلى الله عليه وسلم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجب واقام بتبوك
شعبان وايام من رمضان وبث سراياه وصالح اقواما على الجزية وفي هذه الغزوة
خلف عليا بالمدينة فقال المنافقون خلفه بغضا له فخرج خلف النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبره فقال عليه السلام اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى وبين ان
قعوده بامره عليه السلام يوازي في الاجر خروجه معه لان المدار على امر الشارع
وانما قيل لها غزوة تبوك لان النبي صلى الله عليه وسلم راى قوما من اصحابه يبوكون
حسي تبوك اي يدخلون القدح اي يحركونه ليخرج الما فقال ما زلتم تبوكونها بوكا فسميت
تلك الغزوة غزوة تبوك الحسي بالكسر تنشفه الارض من الرمل فاذا صار الى صلابة امسكته
فتحفر عنه الرمل فتخرجه وهو الاحتسا قال الجوهري قوله تعالى من بعد ما كاد
تزيغ قلوب فريق منهم قلوب رفع بتزيغ عند سيبويه ويضمر في كاد الحديث تشبيها
بكان لان الخبر يلزمها كما يلزم كان وان شئت رفعتها بكاد ويكون التقدير من بعد ما كاد
قلوب فريق منهم تزيغ وقرا الاعمش وحمزة وحفص يزيغ بالياء وزعم ابو حاتم ان من قرا
يزيغ بالياء فلا يجوز له ان يرفع القلوب بكاد قال النحاس والذي لم يجزه جائز عند غيره
على تذكير الجمع حكى الفرا رحب البلاد وارحبت ورحبت لغة اهل الحجاز واختلف في
معنى تزيغ فقيل تتلف بالجهد والمشقة والشدة وقال ابن عباس تعدل اي تميل عن الحق
في الممانعة والنصرة وقيل من بعد ما هم فريق منهم بالتخلف والعصيان ثم لحقوا به وقيل
هموا بالقفول فتاب الله عليهم وامرهم به قوله تعالى ثم تاب عليهم توبة
عليهم ان تدارك قلوبهم حتى لم تزغ وكذلك سنة الحق مع اوليائه اذا اشرفوا على العطب

ووطنوا النفس على الهلاك أمطر عليهم سحاب الجود وأحيى قلوبهم وينشد

منك أرجو ولست أعرف ربا يرتجى منه بعض ما منك يرجى

وإذا اشتدت الشدائد في الأرض في الخلق استغاثوا وعجوا

وابتليت العباد بالخوف والجوع وصروا على الذنوب ولجوا

لم يكن لي سواك رب ملاذا فتيقنت أنني منك أنجو

وقال في حق الثلاثة ثم تاب عليهم ليتوبوا فقيل معناه ثم تاب عليهم أي وفقهم للتوبة وقيل المعنى تاب عليهم ليتوبوا التوبة وقيل المعنى تاب عليهم ليرجعوا إلى حال الرضى عنهم وبالجملة فلولا ما سبق لهم في علمه أنه قضى لهم بالتوبة ما تابوا دليله قوله عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا قيل عن التوبة عن مجاهد وأبي مالك وقتادة عن غزوة تبوك وحكى محمد بن جرير معنى خلفوا تركوا لأن معنى خلفت فلانا فارقته قاعدا عما نهضت فيه وقرأ عكرمة بن خالد خلفوا أي أقاموا بعقب رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عن جعفر بن محمد أنه قرأ خالفوا وقيل خلفوا أي أرجئوا وأخروا عن المنافقين فلم يقض فيهم بشيء وذلك أن المنافقين لم تقبل توبتهم واعتذر أقوام فقبل عذرهم وأخر النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء الثلاثة فنزل فيهم القرآن وهذا هو الصحيح لما رواه مسلم والبخاري وغيرهما واللفظ لمسلم قال كعب كنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذي ذكر مما خلفنا تخلفنا عن الغزو وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه وفي هذا الحديث بطوله هذا آخره والثلاثة الذين خلفوا هم كعب بن مالك ومرارة بن ربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي وكلهم من الأنصار وقد خرج البخاري ومسلم حديثهم فقال مسلم عن كعب بن مالك قال لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك غير أني تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدا تخلف عنه إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

اني لم اكن قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة فغزاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا واستقبل عدوا كثيرا
وجلى للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة عدوهم فاخبرهم بوجههم الذي يريد والمسلمين
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجمعهم الكتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب
فقل رجل يريد ان يتغيب يظن ان ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي من الله تعالى و
غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وانا اليها اصعر
فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه وطفقت اغدو لكي اتجهز معهم فارجع
فلم اقض شيئا واقول في نفسي انا قادر على ذلك اذا اردت فلم يزل يتمادى بي حتى استمر
بالناس الجد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم اقض من جهازي
شيئا ثم غدوت فرجعت ولم اقض شيئا فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى اسرعوا وتفارط الغزو
فهممت ان ارتحل فادركهم فيا ليتني فعلت فلم يقدر ذلك لي فطفقت اذا خرجت في
الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني لا ارى لي اسوة الا رجلا مغموصا
عليه في النفاق ورجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني حتى بلغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل مالك فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله
حبسه برداه والنظر في عطفه فقال له معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا رسول الله
ما علمت عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو على ذلك راى رجلا
مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا خيثمة فاذا هو ابو
خيثمة الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون فقال كعب بن مالك
لما بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي
فطفقت اتذكر الكذب واقول بما اخرج من سخطه غدا واستعين على ذلك كل ذي راي
من اهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما زاح عني الباطل
عرفت اني لم انج منه بشيء ابدا فاجمعت صدقه وصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما
وكان اذا قدم من سفره بدا بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل
ذلك جاءه المخلفون وطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا
فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله
تعالى حتى جئت فلما سلمت تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت امشي حتى جلست بين يديه
قال ما خلفك لم تكن قد ابتعت ظهرك قال قلت يا رسول الله اني والله لو جلست عند غيرك

من اهل الدنيا لرأيت انى سأخرج من سخطه بعذر لقد اعطيت جدلا ولكن الله لقد علمت
كان حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشك ان الله يسخط علي ولان حدثتك حديث
صدق تجد علي فيه انى لارجو فيه عفو الله والله ما كان لى عذر والله ما كنت قط اقوى ولا
ايسر منى حين تخلفت عنك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم
حتى يقضى الله فيك فقمت وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى والله ما علمناك اذنبت
ذنبا قبل هذا لقد عجزت فى ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما اعتذر اليه المتخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم
لك قال فوالله ما زالوا يؤنبونى حتى اردت ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاكذب نفسى قال ثم قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك قال قلت من هما قالوا مرارة بن
ربيعة العمرى وهلال بن ابى امية الواقفى قال فذكروا لى رجلين صالحين شهدا
بدرا فيهما اسوة فمضيت حين ذكروهما لى قال ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسلمين عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وقال
تغير والناس حتى تنكرت فى الارض فما هى بالارض التى اعرف فلبثنا على خمسين ليلة
فاما صاحبانا فاستكانا ولزما فى بيوتهما وقعدوا فى بيوتهما يبكيان واما انا فكنت
اشب القوم واجلدهم فكنت اخرج فاشهد الصلوة واطوف فى الاسواق ولا يكلمنى احد وآتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلوة فاقول فى نفسى
هل حرك شفتيه برد السلام ثم اصلى قريبا منه واسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتى
نظر الى واذا التفت نحوه اعرض عنى حتى اذا طال ذلك على من جفوة المسلمين مشيت
حتى تسورت جدار حائط ابى قتادة وهو ابن عمى واحب الناس الى فسلمت عليه فوالله ما رد
على السلام فقلت له يا ابا قتادة انشدك الله هل تعلمنى احب الله ورسوله فسكت فعدت
فناشدته قال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار فبينما
انا امشى فى سوق المدينة اذا نبطى من نبط اهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة
يقول من يدلنى على كعب بن مالك قال فطفق الناس له يشيرون الى حتى جاءنى
فدفع الى كتابا من ملك غسان هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين
قرأتها وهذه ايضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها حتى امضت اربعون
من الخمسين واستلبث الوحى فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتينى فقال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان تعتزل امراتك قال اطلقها ام لا فافعل

قال لا بل اعتزلها فلا تقربها قال فارسل الى صاحبى بمثل ذلك قال فقلت لامراتى الحقى
باهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الامر قال فجاءت امراة هلال بن امية رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت له يا رسول الله ان هلال بن امية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره
ان اخدمه قال لا ولكن لا يقربك قالت والله انه ما به حركة الى شى فوالله مازال يبكى منذ كان
من امره ما كان الى يومه هذا قال بعض اهلى لو استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى امراتك فقد اذن لامراة هلال بن امية ان تخدمه قال فقلت لا استاذن فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما يدرينى ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذنته فيها
وانا رجل شاب فلبثت كذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا
قال ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على
الحال التى ذكر الله منا قد ضاقت على نفسى وضاقت الارض بما رحبت سمعت صوت
صارخ اوفى على سلع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر فخررت ساجدا وعرفت
ان قد جاء فرج قال واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى
صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبى مبشرون وركض رجل
الى فرسا وسعى ساع من اسلم قبلى واوفى الجبل فكان الصوت اسرع من الفرس فلما
جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبى فكسوته اياهما ببشارته والله ما املك
غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما فانطلقت اتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتلقانى الناس فوجا فوجا يبشرونى بالتوبة ويقولون لتهنك توبة الله عليك حتى دخلت
المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد حوله الناس فقام طلحة بن
عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنانى والله ما قام رجل من المهاجرين غيره قال فكان
كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو
يبرق وجهه من السرور ويقول ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قال فقلت
امن عندك يا رسول الله ام من عند الله قال بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك فلما جلست
بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتى ان انخلع من مالى صدقة الى الله والى رسوله
صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عليك بعض مالك
فهو خير لك قال فقلت فانى امسك سهمى الذى بخيبر قال وقلت يا رسول الله انما انجانى
بالصدق وان من توبتى ان لا احدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت احدا من المسلمين

هو

اداه الله فی صدق الحدیث منذ ذکرت ذلک لرسول الله صلی الله علیه وسلم الی یومی هذا
وانی لارجو الله ان یحفظنی فیما بقی فانزل الله عزوجل لقد تاب الله علی النبی
والمهاجرین والانصار الذین اتبعوه فی ساعة العسرة حتی بلغ انه لرؤف رحیم و
علی الثلثة الذین خلفوا حتی اذا ضاقت علیهم الارض بما رحبت وضاقت علیهم
انفسهم حتی بلغ اتقوا الله وکونوا مع الصادقین قال کعب والله ما انعم الله علی من
نعمة بعد اذ هدانی الله للاسلام اعظم فی نفسی من صدقی رسول الله صلی الله علیه وسلم
الا ان اکون کذبته فاهلک الذین کذبوا ان الله قال للذین کفروا حین انزل الوحی شرما
قال لاحد وقال الله تعالی سیحلفون بالله لکم اذا انقلبتم الیهم لترضوا عنهم
انهم رجس ومأویهم جهنم جزاء بما کانوا یکسبون یحلفون لکم لترضوا عنهم فان ترضوا
عنهم فان الله لا یرضی عن القوم الفاسقین قال کعب کنا خلفنا ایها الثلاثة عن اولئک
اولئک الذین قبل رسول الله صلی الله علیه وسلم حین حلفوا فبایعهم واستغفر لهم وارجا
رسول الله صلی الله علیه وسلم امرنا حتی قضی الله فیه فبذلک قال الله عزوجل وعلی
الثلاثة الذین خلفوا ولیس الذی ذکر مما خلفنا تخلفنا عن الغزو وانما هو تخلیفه
ایاهم وارجاءه امرنا عمن حلف له واعتذر الیه فقبل منه قوله تعالی وضاقت
علیهم الارض بما رحبت ای بما اتسعت فتعالی منزل رحیب ورحب ورحاب وما مصدریة
ای ضاقت علیهم الارض برحبها لانهم کانوا مهجورین لا یعاملون ولا یکلمون وفی
هذا دلیل علی هجران اهل المعاصی حتی یتوبوا قوله تعالی وضاقت علیهم انفسهم
ای ضاقت صدورهم بالهم والوحشة وبالنبوة من الصحابة من الجفوة وظنوا ان لا
ملجا من الله الا الیه ای تیقنوا ان لا ملجا یلجئون الیه فی الصفح عنهم وقبول التوبة منهم
الا الله قال ابو بکر الوراق التوبة النصوح ان تضیق علی التائب الارض بما رحبت
وتضیق علیه نفسه کتوبة کعب وصاحبیه قوله تعالی ثم تاب علیهم لیتوبوا فقدا
بالتوبة منه قال ابو زید علی غلطت فی اربعة اشیاء فی الابتداء مع الله تعالی ظننت انی احبه
فاذا هو احبنی قال الله تعالی یحبهم ویحبونه وظننت انی ارضی عنه فاذا هو قد رضی
عنی قال الله تعالی رضی الله عنهم ورضوا عنه وظننت انی اذکره فاذا هو یذکرنی قال
الله تعالی ولذکر الله اکبر وظننت انی اتوب الیه فاذا هو قد تاب علی قال الله تعالی
ثم تاب علیهم لیتوبوا وقیل المعنی ثم تاب علیهم لیثبتوا علی التوبة کما قال تعالی
یا ایها الذین امنوا امنوا وقیل ای فسح لهم ولم یعجل عقابهم کما فعل بغیرهم قال الله تعالی

فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فيه مسئلتان الاول وكونوا مع الصادقين هذا
الامر بالكون مع اهل الصدق حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق و ذهب
بهم عن منازل المنافقين قال مطرف سمعت مالك بن انس يقول قل ما كان رجل
صادقا لا يكذب الا متع بعقله ولم يصبه ما يصيب غيره من الهرم والخرف و اختلفوا
في المراد هنا بالمؤمنين والصادقين على اقوال فقيل هو خطاب لمن امن من اهل
الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لا مع المنافقين اى كونوا على مذهب الصادقين
اى مع الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم و سبيلهم وقيل هم الانبياء اى كونوا معهم
بالاعمال الصالحة في الجنة وقيل هم المراد بقوله ليس البر ان تولوا وجوهكم الاية الى قوله
اولئك الذين صدقوا وقيل هم الموفون بما عاهدوا وذلك لقول الله تعالى رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم المهاجرون لقول ابى بكر الصديق ان الله سمانا
بالصادقين فقال للفقراء المهاجرين الاية ثم سماهم بالمفلحين فقال والذين تبوؤا الدار
والايمان الاية وقيل هم الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم قال ابن العربى وهذا
القول هو الحقيقة التى اليها المنتهى فان هذه الصفة يرتفع بها النفاق فى العقيدة والمخالفة
فى الفعل وصاحبها يقال له الصديق كابى بكر وعمر وعثمان ومن دونهم على منازلهم
وازمانهم واما من قال انهم المراد بالاية فهو معظم الصدق ويتبعه الاقل وهو
معنى اية الاحزاب واما تفسير ابى بكر الصديق فهو الذى يعم الاقوال كلها فان جميع الصفات
فيهم موجودة الثانية حق من فهم عن الله عز وجل وعقل عنه ان يلازم الصدق فى
الاقوال والاخلاص فى الاعمال والصفاء فى الاحوال فمن كان كذلك لحق بالابرار
ووصل الى رضى الغفار قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق حتى يكتب عند الله
صديقا والكذب على الضد من ذلك قال صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فان
الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وما يزال الرجل يتحرى الكذب
حتى يكتب عند الله كذابا فالكذب عار واهله مسلوب الشهادة وقد رد رسول الله
صلى الله عليه وسلم شهادة رجل فى كذبة كذبها فقال معمر لا ادرى اكذب على الله
او على رسوله او كذب على الناس وسئل شريك بن عبد الله فقيل له يا عبد الله
رجل سمعته يكذب متعمدا اصلى خلفه قال لا وعن ابن مسعود قال ان الكذب
لا يصلح منه جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم شيئا ثم لا ينجزه اقرؤا ان شئتم يا ايها الذين

امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين هل ترون في الكذب رخصه وقال مالك لا يقبل خبر
الكاذب في حديث الناس وان صدق في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
غيره يقبل قوله والصحيح ان الكاذب لا تقبل شهادته ولا خبره لما ذكرناه فان القبول
مرتبه عظيمه وولايه شريفه لا تكون الا لمن كملت خصاله ولا خصلة هي اشر من الكذب
فهي تعزل الولايات وتبطل الشهادات قوله تعالى ما كان لاهل المدينة ومن
حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله المحسنين فيه
ست مسائل الاولى قوله تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا
ظاهره خبر ومعناه امر كقوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده ابدا وقد تقدم ان يتخلفوا في موضع رفع اسم كان وهذه معاتبة للمؤمنين
من اهل يثرب وقبائل العرب المجاورة لها كمزينة وجهينة واشجع واسلم وغفار على
التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك والمعنى ما كان لهؤلاء المذكورين
ان يتخلفوا فان النفير كان فيهم بخلاف غيرهم فانهم لم يستنفروا وفي قول بعضهم
ويحتمل ان يكون الاستنفار في كل مسلم وخص هؤلاء بالعتاب لقربهم وجوارهم وانهم
احق بذلك من غيرهم الثانية قوله تعالى ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اي لا يرضوا
بانفسهم بالخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المشقة يقال رغبت عن كذا اي
ترفعت عنه الثالثة قوله تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظما اي عطش وقرا عبيد بن عمير
ظماء بالمد وهما لغتان مثل خطا وخطاء ولا نصب عطف اي ولا زايدة للتوكيد وكذا ولا
مخمصة اي مجاعة واصله ضمور البطن ومنه رجل خميص وامراة خمصانه وقد تقدم
في سبيل الله اي في طاعته ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار اي ارضا يغيظ الكفار اي تطؤهم
اياها وهو في موضع نصب لانه نعت للموطئ اي غايظا ولا ينالون من عدو نيلا اي
قتلا وهزيمة واصله من نلت الشيء انال اي اصبت قال الكسائي هو من قولهم امر منيل منه
وليس هو من التناول انما التناول من نلته بالعطية قال غيره نلت انول من العطية
من الواو والنيل من اليا تقول نلته فانا نايل اي ادركته ولا يقطعون واديا الاكثر
العرب تقول واد واودية على غير قياس قال النحاس ولا يعرف فيما علمت فاعل
وافعلة سواه والقياس ان يجمع وواد ل فاستثقلوا الجمع بين واوين وهم قد يستثقلون
واحدة حتى قالوا اقتت في وقتت وحكى الخليل وسيبويه في تصغير واصل اسم رجل او
يصل ولا يقولون غيره وحكى الفراء في جمع وداء اوداء قلت وقد جمع اوداء قال جرير

عرفت بره الاولاد رسما محصلا طال عهدك من رسوم الاكتب لهم به عمل الصالح قال
ابن عباس بكل روعه سالهم فى سبيل الله لاهل الاسلام فى مرج او روضه فما
اكلت من ذلك المرج او الروضه الاكتب له عدد ما اكلت حسنات وكتب له عدد اورا ثها
وابوالها حسنات الحديث هذا وهى فى موضعها فكيف اذا ادرت بها الرابعه استدل
العلما بهذه الايه على ان الغنيمه يستحق بالادراب والكون فى بلاد العدو فان
من مات بعد ذلك فله سهمه وهو قول اشهب وعبد الملك واحد قولى
الشافعى وقال ملك وابن القسم لا شئ له لان الله تعالى انما ذكر فى هذه الايه الاجر
ولم يذكر السهم قلت الاول اصح فان الله تعالى جعل وطء ديار الكفار مثابة النيل
من اموالهم واخراجهم من ديارهم وهو الذى يغيظهم ويدخل الذل عليهم فهو
بمنزلة نيل الغنيمه والقتل والاسر واذا كان لذلك فالغنيمه يستحق بالادراب
لا بالحيازه ولذلك قال على رضى الله عنه ما وطى قوم فى غير دارهم الا ذلوا والله
اعلم الخامسه هذه الايه منسوخه بقوله وما كان المومنون لينفروا كافه وان حكمها
كان حين كان المسلمون فى قله فلما كثروا استحب واباح الله لمن شا قاله ابن زيد
وقال مجاهد بعث النبى صلى الله عليه وسلم قوما الى البوادى ليعلموا الناس فلما
نزلت هذه الايه خافوا ورجعوا فانزل الله وما كان المومنون لينفروا كافه وقال
قتاده كان هذا خاصا بالنبى صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه فليس لاحد ان
يتخلف عنه الا بعذر فاما غيره من الايمه والولاه فلمن شاء ان يتخلف خلفه من المسلمين
اذا لم يكن بالناس حاجة اليه ولا ضروره وقول ثالث انها محكمه قال الوليد بن مسلم
سمعت الاوزاعى وابن المبارك والفزارى والشعبى وسعيد بن عبد العزيز يقولون
فى هذه الايه انها لاول هذه الامه واخرها قول قتاده حسن بدليل غزاه تبوك والله
اعلم قلت روى ابو داود عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
تركتم بالمدينه اقواما ما سرتم مسيرا ولا انفقتم من نفقه ولا قطعتم من واد الا وهم
معكم فيه قالوا يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينه قال حبسهم العذر
خرجه مسلم من حديث جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فقال
ان بالمدينه رجالا ما سرتم سيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم العذر فاعطى
صلى الله عليه وسلم للمعذور من الاجر مثل ما اعطى للقوى العامل وقد قال بعض الناس
انما يكون الاجر للمعذور مضاعف ويضاعف للعامل المباشر قال ابن العربى

وهذا تحكم على الله تعالى وتضييق لسعة رحمته وقد عابه بعض الناس فقال انهم يعطون
الثواب مضاعفا قطعا ونحن لا نقطع بالتضعيف في موضع فانه ينبني على مقدار النيات
وهذا امر مغيب والذي يقطع به ان هناك تضعيفا وربك اعلم بمن يستحقه **قلت**
الظاهر من الاحاديث والآي المساواة في الاجر منها قوله صلى الله عليه وسلم من دل
على خير فله مثل اجر من صلاها وحضرها وهو ظاهر قوله تعالى ومن يخرج من بيته
مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وبدليل ان النية
الصادقة اصل هي اصل الاعمال فاذا صحت في فعل طاعة فعجز عنها صاحبها لمانع منع
منها فلا بعد في مساواة اجر ذلك العاجز لاجر القادر الفاعل ويزيد عليه لقوله
عليه السلام نية المومن خير من عمله والله اعلم **قوله** تعالى وما كان المومنون
لينفروا كافة فيه ست مسائل الاولى وهي ان الجهاد ليس على الاعيان وانه فرض
كفاية كما تقدم اذ لو نفر الكل لضاع من وراءهم من العيال فليخرج فريق منهم
للجهاد وليقم فريق يتفقهون في الدين ويحفظون الحريم حتى اذا عاد النافرون اعلمهم
المقيمون ما تعلموه من احكام الشرع وما تجدد نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم و
هذه ناسخة لقوله تعالى الا تنفروا وللآية التي قبلها عن قول مجاهد وابن زيد الثانية
هذه الآية دلت على اصل في وجوب طلب العلم لان المعنى وما كان المؤمنون لينفروا
كافة والنبي صلى الله عليه وسلم لا ينفر فيتركوه وحده فلولا نفر بعدما علموا ان
النفير لا يسع جميعهم من كل فرقة منهم طائفة وتبقى بقيتها مع النبي صلى الله عليه وسلم
ليتحملوا عنه الدين ويتفقهون فاذا رجع النافرون اليهم اخبروهم بما سمعوا وعلموه
وفي هذا ايجاب التفقه وانه على الكفاية دون الاعيان ويدل عليه ايضا قوله
تعالى فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فدخل فيه هذا من لا يعلم الكتاب والسنن
الثالثة فلولا نفر قال الاخفش فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة الطائفة في اللغة
الجماعة وقد تقع على اقل من ذلك حتى تبلغ الرجلين والواحد على معنى نفس طائفة
وقد تقدم ان المراد بقوله تعالى ان نعف عن طائفة منكم رجل واحد ولا شك ان المراد
هنا جماعة لوجهين احدهما عقلا والآخر لغة اما العقل فلان العلم لا يتحصل بواحد
في الغالب واما اللغة فقوله ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم فجاء بضمير الجماعة قال
ابن العربي والقاضي ابو بكر والشيخ ابو الحسن قبله يرون ان الطائفة هاهنا واحد ويعتضدون به على
وجوب العمل بخبر الواحد وهو صحيح لا من جهة ان الطائفة تنطلق على الواحد ولكن من

جهة ان خبر الشخص الواحد والاشخاص خبر واحد وان مقابله وهو التواتر لا ينحصر
قلت ان ما يستدل به على ان الواحد يقال له طائفة قوله تعالى وان طائفتان من
المومنين اقتتلوا يعني نفسين وان كان الجماعة فان اقل الجماعة اثنان في احد القولين
للعلما الرابعة قوله تعالى ليتفقهوا في الدين الضمير في ليتفقهوا ولينذروا للمومنين مع
النبي صلى الله عليه وسلم قاله قتادة ومجاهد وقال الحسن هو للفرقة النافرة واختاره
الطبري ومعنى ليتفقهوا في الدين اي يتبصروا ويتيقنوا بما يريهم الله من الظهور على
المشركين ونصرة الدين ولينذروا قومهم من الكفار اذا رجعوا اليهم من الجهاد فيخبروهم
بنصر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين وانه لا يدان لهم بقتالهم وقتال
النبي صلى الله عليه وسلم فينزل بهم ما نزل باصحابهم من الكفار قلت قول مجاهد
وقتادة ابين اي ليتفقه الطائفة المتاخرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النفور
في السرايا وهذا يقتضي الحث على طلب العلم والندب اليه دون الوجوب والالزام
اذ ليس ذلك في قوة الكلام وانما لزم طلب العلم بادلة قال ابو بكر بن العربي الخامسة
طلب العلم ينقسم قسمين فرض على الاعيان كالصلوة والزكاة والصيام قلت وفي هذا
المعنى ما الحديث المروي ان طلب العلم فريضة روى عبد القدوس بن حبيب ابو سعيد
الوحاظي عن حماد بن ابي حماد بن ابي سليمان عن ابرهيم النخعي سمعت انس بن مالك
يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلب العلم فريضة على كل مسلم
قال ابرهيم لم اسمع من انس بن مالك الا هذا الحديث وفرض على الكفاية كتحصيل
الحقوق واقامة الحدود والفصل بين الخصوم ونحوه اذ لا يصلح ان يتعلمه جميع
الناس فتضيع احوالهم واحوال سواهم وينقص او يبطل معايشهم فتعين بين
الحالين ان يقوم به البعض من غير تعيين وذلك حسب ما يسره الله لعباده تعالى
وقسمه بينهم من رحمته وحكمته بسابق قدرته وكلمته السادسة طلب العلم فضيلة
عظيمة ومرتبة شريفة لا يوازيها عمل روى الترمذي من حديث ابي الدردا قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يلتمس فيه علما
سلك الله به طريقا من طرق الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها الطالب العلم
بما يصنع وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيتان في الما وان
فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب وان العلما
ورثة الانبيا وان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما ورثوا العلم فمن اخذه

يحطوا وروى الدارمي ابو محمد في مسنده قال نا ابي المغيرة نا الاوزاعي عن
الحسن قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجلين كانا في بني اسرائيل
احدهما كان عالما يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير والاخر يصوم النهار
ويقوم الليل ايهما افضل قال رسول الله عليه وسلم فضل هذا العالم الذي يصلي
المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير على العابد الذي يصوم النهار ويقوم الليل
كفضلي على ادناكم اسنده ابو عمر في كتاب العلم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على امتي وقال ابن عباس افضل الجهاد
من بنى مسجدا يعلم فيه القران والفقه والسنة رواه شريك عن ليث بن ابي سليم عن
يحيى بن ابي كثير عن علي ما هو لكم من الجهاد باني مسجد ايقرى فيه القران وتعلم
فيه الفقه وقال الربيع سمعت الشافعي يقول طلب العلم اوجب من الصلوة النافلة
السابعة روى عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال طايفة
من امتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة قال يزيد بن هرون ان لم يكونوا
اصحاب الحديث فلا ادري منهم قلت وهذا قول عبد الرزاق في تاويل الاية
انهم اصحاب الحديث ذكره القرطبي وسمعت شيخنا الاستاذ المقرى النحوي المحدث
ابا جعفر احمد بن محمد القيسي القرطبي المعروف بابي حجة رحمه الله يقول تاويل قوله
عليه السلام لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة انهم العلماء قال
وذلك ان الغرب لفظ مشترك يطلق على الدلو الكبير وعلى مغرب الشمس ويطلق
على فيضة من الدمع فمعنى لا يزال اهل الغرب اي لا يزال اهل الغرب اهل فيض
الدموع من خشية الله عن علم به وباحكامه ظاهرين الحديث قال الله تعالى انما
يخشى الله من عباده العلماء قلت وهذا التاويل يعضده قوله عليه السلام في صحيح
مسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ولا يزال عصابة من المسلمين يقاتلون على
الحق ظاهرين من ناواهم الى يوم القيمة وظاهر هذا المساق ان اوله مرتبط باخره
والله اعلم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
فيه مسئلة واحدة وهو انه سبحانه وتعالى عرفهم كيف الجهاد وان الابتدا بالاقرب
فالاقرب من العدو ولهذا بدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرب فلما فرغ قصد
الروم وكانوا بالشام وقال الحسن نزلت قبل ان يومر النبي صلى الله عليه وسلم
بقتال المشركين فهي من التدريج الذي كان في الاسلام وقال ابن زيد بهذه الاية

وقد تدولها العرب فلما فرغ منهم بولت فی الروم وغيرهم قاتلوا الذين لا يومنون بالله
وقد روی عن ابن عمران المراد بذلک الديلم وروی عنه انه سيل عمن بدا بالروم
او بالديلم فقال بالروم وقال الحسن هو فی الديلم والترک والروم وقال قتاده
الايه علی العموم وفی قتال الاقرب فالاقرب والادنی فالادنی قلت قول قتاده هو
الظاهر من هذه الايه واختار ابن العربی ان يبدا بالروم قبل الديلم علی ما قاله
ابن عمر لثلاثه اوجه احدها انهم اهل الكتاب والحجه عليهم اكثر وكذا الثانی انهم
الينا اقرب اعنی اهل المدينه الثالث ان بلاد الانبيا فی بلادهم اكثر ما سيفادها
منهم اوجب والله اعلم وليجدوا فيكم غلظه ای شده وقوه وحميه وروی الفضل عن
الاعمش وعاصم غلظه بفتح الغين واسكان اللام قال الفرا لغه اهل الحجاز وفی اسد
بكسر الغين ولغه بنی تميم بضم الغين قوله تعالی واذا ما انزلت سوره سوره
فمنهم من يقول ماصله والمراد المنافقون ايكم زادته هذه ايمانا قد تقدم القول
فی زياده الايمان ونقصانه فی سوره ال عمران وتقدم معنی السوره فی مقدمه
الكتاب فلا معنی للاعاده وكتب الحسن الی عمر ابن عبد العزيز ان الايمان سننا
وفرايض من استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكمل الايمان قال عمر بن عبد العزيز
فان اعش فسابينها لكم وان امت فما انا علی صحبتكم بحريص ذكره البخاری وقال
ابن المبارک لم اجد بدا من ان قول بزياده الايمان والا رددت القران قوله
تعالی واما الذين فی قلوبهم مرض ای شک وريب ونفاق وقد تقدم فزادتهم رجسا
ای كفرا الی كفرهم وشكا الی شكهم وقال مقاتل اثما الی اثمهم والمعنی متقارب ∴
قوله تعالی اولا يرون انهم قرا العامه بالياخبر عن المنافقين وقرا حمزه
ويعقوب بالتاخبرا عنهم وخطا للمومنين وقرا الاعمش اولم يروا وقرا طلحه بن مصرف
اولا يری وهی قراه ابن مسعود خطا بالرسول صلی الله عليه وسلم قال ويفتنون
قال الطبری يختبرون قال مجاهد بالقحط والشده وقال عطيه بالامراض والاوجاع
وهی زوايد الموت وقال قتاده والحسن بالغزو والجهاد مع النبی صلی الله عليه وسلم
ويرون ما وعد الله من النصر ثم لا يتوبون لذلک ولا هم يذكرون قوله تعالی
واذا ما انزلت سوره نظر بعضهم الی بعض ماصله والمراد المنافقون ای اذا حضروا
الرسول وهم يتلوا قرانا انزل عليه فيه فضيحتهم او فضيحه احد منهم فيجعل بعض الی
بعض نظر الراعب علی جهه التقرير يقول هل يراكم من احد اذا تكلمتم بهذا فيقله

الى محمد وذلك جهل منهم بنبوته وان الله يطلعه على ما يشاء من غيبه وقيل
ان نظر في هذه الاية بمعنى انبا وحكى الطبرى عن بعضهم انه قال نظر في هذه
الاية موضع قال قوله تعالى ثم انصرفوا عن طريق الاهتدا وذلك انهم حين ما بين
لهم كشف اسرارهم والاعلام بمغيبات امورهم يقع لهم لا محالة توقف وتعجب
ونظر فلو اهتدوا لكان ذلك الوقت مظنة لاهتدائهم فهم اذا يصممون على الكفر
ويرتكبون فيه كانهم انصرفوا على تلك الحال التى كانت مظنة النظر الصحيح
والاهتدا ولم يسمعوا قراة النبى صلى الله عليه وسلم سماع من يتدبره وينظر في
اياته ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون افلا يتدبرون القران
ام على قلوب اقفالها قوله تعالى صرف الله قلوبهم فيه ثلاث مسائل الاولى
قوله تعالى صرف الله قلوبهم دعا عليهم اى قولوا لهم هذا ويجوز ان يكون خبر عن
صرفها عن الخير مجازا و لهم على فعلهم وهى كلمة يدعى بها كقولهم قاتله الله والثاني
قوله بانهم صنعوا الصرف الثانية قال ابن عباس يكره ان يقول انصرفنا من الصلوة
لان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ولكن قولوا قضينا الصلوة اسنده الطبرى
عنه قال ابن العربى وهذا فيه نظر واظنه بصحيح فان نظام الكلام ان يقال
لا يقل احد انصرفنا من الصلوة فان قوما قيل فيهم انصرفوا صرف الله قلوبهم
اخبرنا محمد بن عبد الملك القيسي الواعظ انا ابو الفضل الجوهرى سماعا منه يقول
كنا في جنازة فقال المنذر بها انصرفوا رحمكم الله فقال لا يقل احد انصرفوا فان
الله تعالى قال في قوم ذمهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ولكن قولوا انقلبوا
رحمكم الله فان الله تعالى قال في قوم مدحهم فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم
سوء الثالثة اخبر الله تعالى في هذه الاية بانه صارف القلوب ومصرفها وقالبها
ومقلبها ردا على القدرية في اعتقادهم ان قلوب الخلق بايديهم وجوارحهم
بحكمهم يتصرفون بمشيئتهم ويحكمون بارادتهم واختيارهم ولذلك قال مالك فيما
رواه عنه اشهب ما ابين هذا في الرد على القدرية لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة
في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم وقوله عز وجل لنوح عليه السلام انه لن يؤمن
من قومك الا من قد امن فهذا لا يكون ابدا ولا يرجع ولا يزول قوله تعالى
لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخر السورة هذه الايتان في قول ابى اقرب القران
عهدا بالسما وفي قول سعيد بن جبير اخر ما نزل من القران واتقوا يوما ترجعون

فه الى الله على ما تقدم فيحتمل ان يكون قول ابى اقرب القران بالسما عهدا بعد
قوله واتقوا يوما والله اعلم والخطاب للعمد فى قول الجمهور وهذا على جهة تعديد
النعمه عليهم فى ذلك اذ جا بلسانهم وبما يفهمونه وشرفوا به على الانام وقال
الزجاج هى مخاطبة لجميع العالم والمعنى لقد جاءكم رسول من البشر والاول اصوب
قال ابن عباس ما من قبيلة من العرب الا ولدت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانه قال يا معشر العرب لقد جاكم رسول من بنى اسمعيل والقول الثانى اوكد
للحجة اى هو بشر مثلكم لتفهموا عنه وتاتموا به قوله تعالى من انفسكم يقتضى مدحا لنسب
النبى صلى الله عليه وسلم وانه من صميم العرب وخالصها وفى صحيح مسلم عن واثلة
ابن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى من كنانه
من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانه واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفا
نى من بنى هاشم وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال انى من نكاح ولست من
سفاح معناه ان نسبه صلى الله عليه وسلم الى ادم عليه وسلم لم يكن النسل فيه الا
من نكاح ولم يكن فيه زنا وقرا عبد الله بن قسيط المكى من انفسكم بفتح الفا من
النفاسه ورويت عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن فاطمه رضى الله عنها اى جاكم
رسول من اشرفكم وافضلكم من قولك شى نفيس اذا كان مرغوبا فيه وقيل من
انفسكم اى اكثركم طاعه قوله تعالى عزيز عليه ما عنتم اى يعز عليه
مشقتكم والعنت المشقة من قولهم اكمه عنون اذا كانت شاقه مهلكه وقال ابن
الانبارى اصل العنت التشديد اذا قالت العرب فلان يتعنت فلانا ويعنته
فمراده يشدد عليه ويلزمها يصعب عليه اداوه وقد تقدم فى البقرة وما فى
عنتم مصدرية وهى ابتدا وعزيز خبر مقدم ويجوز ان يكون ما عنتم فاعلا
بعزيز وعزيز صفه للرسول وهو اصوب وكذا حريص عليكم وكذا روف رحيم
رفع على الصفه قال الفرا ولو قرى عزيزا عليه ما عنتم حريصا روفا رحيما نصبا
على الحال جاز قال ابو جعفر النحاس واحسن ما قيل فى معناه مما يوافق كلام
العرب ما حدثنا احمد بن محمد الازدى قال حدثنا عبد الله بن محمد الخزاعى قال
سمعت عمرو بن على يقول سمعت عبد الله بن داود الخريبى يقول فى قوله عز وجل
لقد جاكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم قال ان تدخلوا النار حريص عليكم
ان تدخلوا الجنه وقيل حريص عليكم وقال الفرا شحيح بان تدخلوا النار والحرص

على النبي الشحيح عليه ان يضع ويتلف بالمومنين روف رحيم الروف المبالغ من الرافة والشفقة
وقد تقدم في البقرة معنى روف رحيم مستوفى وقال الحسين بن الفضل لم يجمع الله لاحد
من الانبيا اسمين من اسمايه الا للنبي صلى الله عليه وسلم فانه قال بالمومنين روف رحيم
وقال ان الله بالناس لروف رحيم وقال عبد العزيز بن يحيى نظم الاية لقد جاكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم من انفسكم عزيز حريص بالمومنين روف رحيم عزيز عليه ما عنتم لا يهمه
الا شانكم وهو القايم بالشفاعة لكم فلا تهتموا بما عنتم ما اقمتم على سنته فانه لا يرضيه
الا دخولكم الجنة قوله تعالى فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو اي ان
اعرض الكفار يا محمد بعد هذه النعم التي من الله بها فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت
اي اعتمدت واليه فوضت جميع اموري وهو رب العرش العظيم لانه اعظم المخلوقات
فدخل فيه ما دونه اذا ذكر. وقرا العامة بخفض العظيم نعتا للعرش وقرى بالرفع صفة للرب
رويت عن ابن كثير وهي قراة ابن محيصن وفي كتاب ابي الدردا انه قال من قال اذا اصبح
واذا امسى حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه
الله ما همه صادقا كان بها او كاذبا وفي نوادر الاصول عن بريدة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قال عشر كلمات عند دبر كل صلاة غداة وجد الله عندهن مجزيا
مكفيا خمس للدنيا وخمس للاخرة حسبي الله لديني حسبي الله لما اهمني حسبي الله لمن بغى
علي حسبي الله لمن حسدني حسبي الله لمن كادني بسو حسبي الله عند الموت حسبي الله
عند المسايلة في القبر حسبي الله عند الميزان حسبي الله عند الصراط حسبي الله لا اله
الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وحكى النقاش عن ابي بن كعب انه قال
اقرب القران عهدا بالله تعالى هاتان الايتان لقد جاكم رسول من انفسكم الى اخر
السورة وقد بيناه وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس انه قال اخر ما نزل من القران
لقد جاكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم هذه الاية ذكرها الماوردي وقد ذكرنا
عن ابن خلاد على ما ذكرنا وقال يحيى بن جعدة كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
لا يثبت اية في المصحف حتى يشهد عليها رجلان فجا رجل من الانصار بالايتين من اخر سورة
براة لقد جاكم رسول من انفسكم فقال عمر والله لا اسالك عليه بينة كذلك كان النبي صلى الله عليه
وسلم فاثبتهما قال علماونا الرجل خزيمة بن ثابت وانما اثبتها عمر رضي الله عنه بشهادته
وحده لقيام الدليل على صحتها في صفة النبي صلى الله عليه وسلم فهي قرينة تغني عن طلب شاهد
اخر بخلاف اية الاحزاب رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فان تلك ثبتت بشهادة

مطلب آخر ما نزل

زيد وحزيمة لسماعهما اياها من النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم هذا المعنى في مقدمة
الكتاب والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله سورة يونس مكية في قول
الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس الا ثلاث آيات من قوله تعالى فان كنت
في شك الى آخرهن وقال مقاتل الا آيتين وهي قوله فان كنت في شك نزلت بالمدينة
وقال الكلبي مكية الا قوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به نزلت بالمدينة في
اليهود وقالت فرقة نزلت من اولها نحو من اربعين آية وباقيها بالمدينة والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم الر قال النحاس قرئ على ابي جعفر احمد بن شعيب بن علي
بن حسن بن حرب قال اخبرنا علي بن الحسين عن ابيه عن يزيد ان عكرمة حدثه عن
ابن عباس الر وحم ونون الرحمن معرفة فحدث به الاعمش فقال عندك اشباه
هذا ولا تخبرني به وعن ابن عباس ايضا قال معنى الر انا الله ارى قال النحاس ورأيت
ابا اسحق يميل الى هذا القول لان سيبويه قد حكى مثله عن العرب وانشد:
بالخير خيرات وان شرا فا ولا اريد الشر الا ان تا وقال الحسن وعكرمة الر قسم
وقال سعيد بن قتادة الر اسم السورة قال وكذلك كل هجا في القرآن وقرئ بالامالة
لئلا تشبه ما ولا من الحروف قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم قال
مجاهد وقتادة اراد التوراة والانجيل والكتب المتقدمة فان تلك اشارة الى غائب
مؤنث وقيل تلك بمعنى هذه تلك آيات الكتاب الحكيم ومنه قول الاعشى:
تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب اي هذه خيلي والمراد القرآن
وهو اولى بالصواب لانه لم يجر للكتب المتقدمة ذكر ولان الحكيم من نعت القرآن دليله
قوله تعالى الر كتاب احكمت آياته وقد تقدم هذا المعنى في سورة البقرة والحكيم المحكم
بالحلال والحرام والحدود والاحكام قاله ابو عبيدة وغيره وقيل الحكيم بمعنى الحاكم
اي انه حاكم بالحلال والحرام وحاكم بين الناس بالحق فعيل بمعنى فاعل دليله قوله تعالى
وانزل معه الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقيل الحكيم بمعنى المحكوم فيه اي حكم الله
فيه بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وحكم فيه بالنهي عن الفحشاء والمنكر وبالجنة لمن
اطاعه وبالنار لمن عصاه فهو فعيل بمعنى المفعول قاله الحسن وغيره وقال مقاتل
الحكيم بمعنى المحكم من الباطل لا كذب فيه ولا اختلاف فعيل بمعنى مفعل كقول الاعشى

بذكر قصيدة التي قالها   وعزيته باتي الملوك حكمة قد قلتها الثقال من ذا قالها

قوله تعالى اكان للناس عجبا استفهام معناه التقريع والتوبيخ وعجبا خبر كان واسمها ان اوحينا وهو في موضع رفع اي كان ايحاؤنا عجبا للناس وفي قراءة عبد الله عجب على انه اسم كان والخبر ان اوحينا الى رجل منهم وقرئ رجل باسكان الجيم وسبب النزول فيما روي عن ابن عباس ان الكفار قالوا لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ان الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا وقالوا ما وجد الله يرسله الا يتيم ابي طالب فنزلت اكان للناس عجبا يعني اهل مكة وقيل انما تعجبوا من ذكر البعث قوله تعالى ان انذر الناس في موضع نصب باسقاط الخافض اي بان انذر الناس وكذا ان لهم قدم صدق وقد تقدم معنى النذارة والبشارة وغير ذلك من الفاظ الآية واختلف في معنى قدم صدق فقال ابن عباس قدم صدق منزل صدق دليله قوله تعالى وقل رب ادخلني مدخل صدق وعنه ايضا اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم وعنه ايضا قدم صدق سبق السعادة في الذكر الاول وقال مجاهد والزجاج درجة عالية قال ذو الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس انها   مع الحسب العالي طمت على البحر

قتادة سلف صدق الربيع ثواب صدق عطاء مقام صدق يمان ايمان صدق وقيل دعوة الملائكة وقيل ولد صالح قدموه الماوردي ان يوافق صدق الطاعة الجزاء وقال الحسن وقتادة ايضا هو محمد صلى الله عليه وسلم فانه شفيع مطاع يتقدمهم كما قال انا فرطكم على الحوض وقد سئل صلى الله عليه وسلم فقال هي شفاعتي توسلون بي الى ربكم وقال الترمذي الحكيم قدمه صلى الله عليه وسلم في المقام المحمود وعن الحسن ايضا مصيبتهم في النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد العزيز بن يحيى قدم صدق قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وقال مقاتل اعمالا قدموها واختاره الطبري قال الوضاح

صل لذي العرش واتخذ قدما   ينجيك يوم العثار والزلل

وقيل هو تقديم الله هذه الامة في الحشر من القبر وفي ادخال الجنة كما قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضي لهم بالجنة قبل الخلائق وحقيقته انه كناية عن السعي في العمل الصالح فكني عنه بالقدم كما يكنى عن الانعام باليد وعن الثناء باللسان وانشد حسان

لنا القدم العليا اليك وخلفنا   لاولنا في طاعة الله تابع

يريد السابقة باخلاص الطاعة والله اعلم وقال ابو عبيدة والكسائي كل سابق

من خير او شر فهو عند عند العرب قدم تعال لفلان قدم في الاسلام وله عندي
قدم صدق وقدم شر وقدم خير وهو مونث وقد يذكر يقال قدم حسن و
قدم صالح وقال ابن الاعرابي المتقدم عند العرب قال العجاج زل بنوا العوام
عن ال الحكيم وتركوا الملك لملك ذي قدم وفي الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم
لي خمسة اسما انا محمد واحمد وانا الماحي الذي يمحوا الله بي الكفر وانا الحاشر الذي
يحشر الناس على قدمي وانا العاقب يريد اخر الانبيا كما قال تعالى وخاتم النبيين
قوله تعالى قال الكافرون ان هذا لسحر مبين قال ابن محيصن وابن كثير
والكوفيون عاصم وحمزة والكسائي وخلف والاعمش لساحر نعتا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وقرا الباقون لسحر نعتا للقران وقد تقدم معنى السحر في
البقرة قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
ثم استوى على العرش تقدم في الاعراف يدبر الامر قال مجاهد يقضيه ويقدره وحده
ابن عباس لا يشركه في تدبيره وخلقه احد وقيل يبعث بالامر وقيل ينزل به
وقيل يأمر به وقيل يُمضيه والمعنى متقارب فجبريل للوحي وميكائيل للقطر و
اسرافيل للصور وعزرائيل للقبض وحقيقته تنزيل الامور في مراتبها على احكام
عواقبها واستقامتها من الدين والامر اسم لجنس الامور ما من شفيع في موضع رفع
والمعنى ما شفيع الا من بعد اذنه وقد تقدم في البقرة معنى الشفاعة فلا يشفع
احد نبي ولا غيره الا باذنه سبحانه وهذا رد على الكفار في قولهم فيما عبدوه
من دون الله هؤلاء شفعاؤنا عند الله فاعلم الله سبحانه ان احدا لا يشفع لاحد
الا باذنه فكيف بشفاعة اصنام لا تعقل قوله تعالى ذلكم الله ربكم فاعبدوه اي
ذلكم الذي يفعل هذه الاشيا من خلق السموات والارض هو ربكم لا رب لكم غيره
فاعبدوه اي وحدوه واخلصوا له العبادة افلا تذكرون اي مخلوقاته فتستدلوا
بها عليه قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا رفع بالابتدا جميعا نصب على الحال
ومعنى الرجوع الى الله الرجوع الى جزائه وعد الله حقا مصدران اي وعد الله ذلك
وعد الله ذلك وعدا وحققه حقا صدقا لا خلف فيه وقرا ابرهيم ابن ابي عبلة
وعد الله حق على الاستيناف قوله تعالى انه يبدا الخلق ثم يعيده اي
من التراب مجاهد ينشئه ثم يميته ثم يحييه للبعث او ينشئه من الماء ثم يعيده من
حال الى حال وقرا يزيد بن القعقاع انه يبدا الخلق تكون ان في موضع نصب

اى وعدكم انه يبدا الخلق ويجوز ان يكون التقدير لانه يبدا الخلق كما يقال لبيك
ان الحمد والنعمة لك والكسر اجود واجاز الفراء ان يكون ان فى موضع رفع فيكون
اسما قال احمد بن يحيى يكون التقدير حقا ابداؤه الخلق قوله تعالى ليجزى
الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اى بالعدل والذين كفروا لهم شراب من
حميم اى ماء حار قد انتهى حره والحميم مثله يقال حممت الماء احمه فهو حميم اى محموم
فعيل بمعنى مفعول وكل مسخن عند العرب فهو حميم وعذاب اليم اى موجع يخلص
وجعه الى قلوبهم بما كانوا يكفرون اى بكفرهم وكان معظم قريش يعترفون بان الله
خالقهم فاحتج عليهم بهذا فقال من قدر على الابتداء قدر على الاعادة
بعد الافناء او بعد تفريق الاجزاء قوله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء
مفعولان اى مضيئة ولم يؤنث لانه مصدر اى ذات ضياء والقمر نورا عطف اى
منيرا او ذا نور فالضياء ما يضئ الاشياء والنور ما يبين فيخفى لانه من النار من
من اصل واحد والضياء جمع ضوء كالسياط والحياض جمع سوط وحوض وقرا قنبل
عن ابن كثير ضئاء بهمز الياء ولا وجه له لان ياءه كانت واوا مفتوحة وهى عين الفعل
اصلها ضواء فقلبت وجعلت ياء كما جعلت فى الصيام والقيام قال المهدوى ومن
قرا ضئاء بالهمز فهو مقلوب قدمت الهمزة التى بعد الالف فصارت قبل الالف فصار
ضئايا ثم قلبت الياء همزة لوقوعها بعد الف زائدة وكذلك ان قدرت ان الياء حين
تأخرت رجعت الى الواو التى انقلبت عنها فانها تقلب همزة ايضا فوزنه فلاء مقلوب
الى فعال ويقال ان الشمس والقمر وجوههما لاهل السموات السبع وظهورهما لاهل
الارضين السبع قوله تعالى وقدره منازل اى وقدر له منازل ثم قيل المعنى
وقدرهما فوحد ايجازا واختصارا كما قال واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها
كما قال نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف
وقيل ان الاخبار عن القمر وحده اذ به تحصى الشهور التى عليها العمل فى المعاملات
ونحوها كما تقدم فى سورة البقرة وفى سورة يس والقمر قدرناه منازل اى على
الشهر على عدد الشهور وهو ثمانية وعشرون منزلا ويومان للنقصان والمحاق
وهناك يأتى بيانه قوله تعالى لتعلموا عدد السنين والحساب قال ابن
عباس لو جعل شمسين شمسا بالنهار وشمسا بالليل ليس فيهما ظلمة ولا ليل لم
نعلم عدد السنين وحساب الشهور وواحد السنين سنة ومن العرب من

يقول سنوات في الجمع ومنهم من يقول سنهات والتصغير سنية وسنيهة
قوله تعالى ما خلق الله ذلك الا بالحق اي ما اراد الله عز وجل بخلق ذلك
الا الحكمة والصواب واظهار الصنعة وحكمته ودلالة على قدرته وعلمه وليجزي
الذين امنوا وليجزى كل نفس بما كسبت فهذا هو الحق قوله تعالى يفصل
الايات لقوم يعلمون يفصل الايات تبينها المستدل به على قدرته تعالى
لاختصاص الليل بظلامه والنهار بضيائه من غير استحقاق لهما ولا ايجاب فيكون
هذا لهم دليلا على ان ذلك بارادة مريد وقرا ابن كثير وابو عمرو وحفص
ويعقوب يفصل بالياء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله من قبله ما خلق الله
ذلك الا بالحق وبعده وما خلق الله السموات والارض فيكون متصاله وقرا
ابن السميقع يفصل بضم الياء وفتح الصاد على الفعل المجهول والايات رفعا
الباقون نفصل بالنون على التعظيم قوله تعالى ان في اختلاف الليل و
النهار وما خلق الله في السموات والارض لايات تقدم في البقرة وغيرها
معناه والحمد لله وقد قيل ان سبب نزولها ان اهل مكة سالوا اية فردهم
الى تامل مصنوعاته والنظر فيها قاله ابن عباس لقوم يتقون اي الشرك فاما
من اشرك ولم يستدل فليست الاية له اية قوله تعالى ان الذين
لا يرجون لقانا يرجون يخافون ومنه قول الشاعر اذا لسعته النحل لم يرج
لسعها وحالفها في بيت نوب عوامل وقيل يرجون يطمعون ومنه قول الاخر
شعر اترجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا
فالرجا يكون بمعنى الخوف والطمع اي لا يخافون عقابا ولا يرجون ثوابا و
جعل لقانا العذاب والثواب لقاء الله تفخيما لهما وقيل يجرى اللقا على ظاهره
وهو الرؤية اي لا يطمعون في رؤيتنا وقال بعض العلما لا يقع الرجا بمعنى الخوف
والطمع اي لا يخافون عقابا ولا يرجون ثوابا وجعل لقانا العذاب والثواب
لقاء الله تفخيما لهما وقيل يجرى اللقا على ظاهره وهو الرؤية اي لا يطمعون
في رؤيتنا وقال بعض العلما لا يقع الرجا بمعنى الخوف الا مع الجحد كقوله تعالى
ما لكم لا ترجون لله وقارا وقال بعضهم بل يقع بمعناه في كل موضع دل على
المعنى قوله تعالى ورضوا بالحيوة الدنيا اي رضوا بها عوضا من الاخرة
فعملوا لها واطمانوا بها اي فرحوا وسكنوا اليها واصله اطمان طامن طمانينة

نعدمت ميمه وزيدت نون والف واصل وذكر الغزنوى والذين هم عن آياتنا
عن ادلتنا غافلون لا يعتبرون ولا يفكرون اولئك ماويهم اى مثواهم
ومقامهم النار بما كانوا يكسبون اى من الكفر والتكذيب قوله تعالى
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اى صدقوا يهديهم ربهم بايمانهم الى مكان
تجرى من تحتها الانهار قال ابو روق يهديهم ربهم بايمانهم الى الجنة وقال
عطية يهديهم يثيبهم ويجزيهم وقال مجاهد يهديهم ربهم بالنور على الصراط
الى الجنة يجعل لهم نورا يمشون به ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ما يقوى
هذا انه قال يلقى المومن عمله فى احسن صورة فيونسه ويهديه ويلقى الكافر
عمله فى اقبح صورة فيوحشه ويضله هذا معنى الحديث وقال ابن جريج يجعل عملهم
هاديا لهم الحسن يهديهم يرحمهم قوله تعالى تجرى من تحتهم الانهار قيل فى
الكلام واو محذوفة اى وتجرى من تحتهم اى من تحت بساتينهم وقيل من تحت
اسرتهم وهذا احسن فى النزهة والفرحة قوله تعالى دعواهم سبحانك
اللهم وتحيتهم سلام دعواهم دعاؤهم والدعوى مصدر دعا يدعوا كالشكوى
مصدر شكا اى دعاؤهم فى الجنة ان يقولوا سبحانك اللهم وقيل اذا ارادوا
ان يسئلوا شيئا اخرجوا السوال بلفظ التسبيح ويختمون بالحمد وقيل نداؤهم الخدم
ليأتوهم بما شاؤا ثم سبحوا وقيل ان الدعاء هنا بمعنى التمنى قال الله تعالى ولهم فيها
ما يدعون اى يتمنون والله اعلم قوله تعالى وتحيتهم فيها سلام اى تحية
الله لهم او تحية الملك او تحية بعضهم لبعض سلام وقد مضى فى النساء معنى التحية
مستوفى والحمد لله قوله تعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فيه
اربع مسائل الاولى قيل ان اهل الجنة اذا مر بهم الطير واشتهوه قالوا سبحانك اللهم
فياتيهم الملك بما اشتهوا فاذا اكلوا حمدوا الله تعالى فسوالهم بلفظ التسبيح والختم
بلفظ الحمد ولم يحك ابو عبيد الا تخفيف ان ورفع ما بعدها قال وانما نراهم اختاروا
هذا وفرقوا بينها وبين قوله عز وجل ان لعنة الله ان غضب الله لانهم ارادوا
الحكاية حين يقال الحمد لله النحاس مذهب الخليل وسيبويه ان ان هذه مخففة من
الثقيلة والمعنى انه الحمد لله قال محمد بن يزيد ويجوز ان الحمد فيعملها خفيفة عملها
ثقيلة والرفع اقيس قال النحاس وحكى ابو حاتم ان بلال بن ابى بردة قرأ وآخر
دعواهم ان الحمد لله رب العالمين قلت وهى قراءة ابن محيصن حكاه الغزنوى

لانه یحکی علیهم الثنا سه التسبیح والحمد والتهلیل قد یسمی دعا روی مسلم والبخاری عن ابن عباس ان رسول الله صلی الله علیه وسلم کان یقول عند الکرب لا اله الا الله العظیم الحلیم لا اله الا الله رب العرش العظیم لا اله الا الله رب السموات ورب الارض والعرش الکریم قال الطبری کان السلف یدعون بهذا الدعا ویسمونه دعا الکرب وقال ابن عیینه وقد سئل عن هذا فقال اما علمت ان الله تعالی یقول اذا اذا شغل عبدی ثناوه عن مسئلتی الا اعطیه افضل ما عندی اعطی السائلین والذی یقطع النزاع وان هذا یسمی دعا وان لم یکن فیه من معنی الدعا شی وانما هو تعظیم لله تعالی وثنا علیه ما رواه النسای عن سعد بن ابی وقاص قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم دعوه ذی النون اذ دعا بها فی بطن الحوت لا اله الا انت سبحانک انی کنت من الظالمین فانه لن یدعو بها مسلم فی شی الا استجیب له الثالثه من السنه لمن بدا بالاکل ان یسمی عند اکله وشربه ویحمد عند فراغه اقتدا باهل الجنه وفی صحیح مسلم عن انس بن مالک قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ان الله لیرضی عن العبد یاکل الاکله فیحمده علیها او یشرب الشربه فیحمده علیها یستحب للداعی ان یقول فی اخر دعائه کما قال اهل الجنه واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمین وحسن ان یقرا اخر والصافات فانها جمعت تنزیه الباری تعالی عن نسب الیه والتسلیم علی المرسلین والختم بالحمد لله رب العالمین قوله تعالی ولو یعجل الله للناس الشر استعجالهم قیل معناه ولو یعجل الله للناس العقوبه کما یستعجلون الثواب والخیر لماتوا لانهم خلقوا فی الدنیا ضعیفا ولیس هم کذا یوم القیمه لانهم یوم القیمه یخلقون للبقا وقیل المعنی لو فعل الله مع الناس فی اجابته الی المکروه مثل ما یریدون فعله معهم فی اجابته الی الخیر لاهلکهم وهو معنی لقضی الیهم وقیل انه خاص بالکافر ای ولو یعجل الله للکافر العذاب علی کفره کما عجل له خیر الدنیا من المال والولد لعجل له قضا اجله لیتعجل عذاب الاخره قال ابن اسحق مقاتل هو قول النضر بن الحرث اللهم ان کان هذا هو الحق من عندک فامطر علینا حجاره من السما فلو عجل لهم هکذا لهلکوا وقال مجاهد نزلت فی الرجل یدعو علی نفسه او ماله او ولده اذا غضب اللهم اهلکه اللهم لا تبارک له فیه والعنه او نحو هذا فلو استجیب کما استجیب الخیر لقضی الیهم اجلهم فالایه نزلت ذامه لخلق ذمیم هو فی بعض الناس یدعون

فى الخير ويريدون تعجيل الاجابة ثم تجدهم احبا بالسوال الخلق على الدعا فى
الشر فلو عجل لهم لهلكوا الثالثة واصلف لا اجابة هذا الدعا روى عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال انى سالت الله عز وجل ان لا يستجيب دعا حبيب
على حبيبه قال شهر بن حوشب قرات فى بعض الكتب ان الله تعالى يقول للملائكة
الموكلين بالعبد لا تكتبوا على عبدى فى حال ضجره شيا لطفا من الله تعالى عليه
قال بعضهم وقد استجاب ذلك الدعا واحتج بحديث جابر الذى رواه مسلم فى
صحيحه اخر الكتاب قال جابر سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بطن
بواط وهو يطلب المجدى بن عمرو الجهنى وكان الناضح يعتقبه منا الخمسة والستة
والسبعة فدارت عقبة رجل من الانصار على ناضح له فاناخه فركبه ثم بعثه فتلدن
عليه بعض التلدن فقال له شا لعنك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
هذا اللاعن بعيره قال انا يا رسول الله قال انزل عنه فلا تصحبنا بملعون فلا تدعوا
على انفسكم ولا تدعوا على اولادكم ولا تدعوا على اموالكم لا توافقوا من الله ساعة
يسال فيها عطا فيستجيب لكم فى غير مسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى
سفر فلعن رجل ناقته فقال اين الذى لعن ناقته فقال الرجل انا هذا يا رسول الله
فقال اخرها عنك فقد اجبت فيها ذكره الحليمى فى منهاج الدين فى سا يروى بالسين
والشين وهو زجر للبعير بمعنى سر الثالثة قوله تعالى ولو يعجل الله قال العلما
التعجيل من الله والاستعجال من الانسان وقال ابو على هما من الله وفى الكلام حذف
اى ولو يعجل الله للناس الشر تعجيلا مثل استعجالهم بالخير ثم حذف تعجيلا واقام
صفته مقامه ثم حذف صفته واقام المضاف اليه مقامه هذا مذهب الخليل وسيبويه
وعلى قول الاخفش والفرا كاستعجالهم ثم حذف الكاف ونصب قال الفرا كما تقول
ضربت ضربك اى كضربك وقرا ابن عامر لقضى اليهم اجلهم وهى قراءة حسنة
لانه متصل بقوله ولو يعجل الله للناس الشر قوله تعالى فنذر الذين لا
يرجون لقاءنا اى لا نعجل لهم الشر فربما يتوب منهم تايب او يخرج من اصلابهم
مومن فى طغيانهم يعمهون اى يتحيرون والطغيان العلو والارتفاع وقد تقدم
فى البقرة وقد قيل ان المراد بهذه الاية اهل مكة وانها نزلت حين قالوا اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم
على ما تقدم والله اعلم قوله واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه قيل المراد

بالانسان هنا الكافر قيل هو ابو حذيفة بن المغيرة والمشرك تصيبه البأساء و
الشدة والجهد دعانا بالحسنى اي على حسبه مضطجعا او قاعدا او قائما وانما اراد
جميع حالاته لان الانسان لا يعدوا هذه الحالات الثلاث قال بعضهم انما بدا
بالمضطجع لانه بالضر اشد في غالب الامر فهو يدعوا اكثر واجتهاده اشد ثم القاعد ثم
القايم فلما كشفنا عنه ضره مر اى استمر على كفره ولم يشكره ولم يتعظ قلت
وهذه كثير من المخلطين الموحدين اذا اصابته العافية مر على ما كان عليه من المعاصي
فالاية تعم للكافر وغيره كان لم يدعنا قال الاخفش هي ان الثقيلة خففت والمعنى
كانه واشد كان من لم يكن له نسب يحب ومن تعمر يعش عيش ضر
كذلك زين اى كما زين لها الدعاء عند البلاء والاعراض عند الرخاء زين المسرفين
اى المشركين اعمالهم من الكفر والمعاصي وهذا التزيين يجوز ان يكون من الله
ويجوز ان يكون من الشيطان واضلاله دعاءه الى الكفر قوله تعالى
ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا يعني الامم الماضية من قبل اهل
مكة والبراهين النيرات وما كانوا ليومنوا اى اهلكناهم لعلمنا بانهم لا
يومنون نخوف كفار قريش عذاب الامم الماضية اى نحن قادرون على اهلاك
هولاء بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم ولكن نمهلهم لعلمنا بان فيهم من
يومن او يخرج من اصلابهم من يومن وهذه الاية ترد على اهل الضلال القائلين
خلق الهدى والايمان وقيل معنى ما كانوا ليومنوا اى جازاهم على كفرهم
بان طبع على كفرهم بان طبع على قلوبهم ويدل على هذا انه قال كذلك نجزي
القوم المجرمين قوله تعالى ثم جعلناكم خلائف في الارض مفعولان
والخلائف جمع خليفة وقد تقدم اخر الانعام اى جعلناكم سكانا في الارض
من بعدهم اى من بعد القرون المهلكة لننظر نصب بلام كي وقد تقدم نظايره
وامثاله اى ليقع منكم ما تستحقون به الثواب والعقاب ولم تزل يعلمه غيبا
وقيل يعاملكم معاملة المختبر اظهارا للعدل وقيل النظر راجع الى الرسل
اى لتنظر رسلنا واولياؤنا كيف اعمالنا وكيف نصب بقوله تعملون لان الاستفهام
له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى واذا تتلى عليهم تتلى تقرا وبينات
نصب على اى واضحات لا لبس فيها ولا اشكال قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني

ومن السنة حديث ابی هريرة وفيه انا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء الحديث
وحديث انس قصة ام حرام يدل على جواز فی الغزو وقد مضى هذا المعنى فی
البقرة مستوفی والحمد لله وتقدم فی الاعراف حكم راكب البحر فی حال ارتجاجه و
غليانه هل حكمه حكم الصحيح او المريض المحجور عليه فتأمله هناك قوله تعالى
لئن انجيتنا من هذه اى من هذه الشدائد والاهوال وقال الكلبى من هذه الريح
لنكونن من الشاكرين اى من العاملين بطاعتك على نعمة الخلاص قوله
تعالى فلما انجاهم اذا هم يبغون فی الارض بغير الحق اى يعملون فی الارض بالفساد
وبالمعاصی والبغی الفساد والشرك من بغی الجرح فسد واصله الطلب اى يطلبون
الاستعلاء بالفساد بغير الحق اى بالتكذيب ومنه بغت المرأة طلبت غير زوجها
قوله تعالى يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم اى وباله عائد عليكم وتم
الكلام ثم ابتدأ فقال متاع الحيوة الدنيا اى هو متاع الحيوة الدنيا ولا بقاء له قال
النحاس بغيكم رفع بالابتداء وخبره متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم مفعول معنى
فعل البغی ويجوز ان يكون خبره على انفسكم ويضمر مبتدأ اى ذلك متاع الحيوة الدنيا
اى هو متاع الحيوة الدنيا وبين المعنيين حرف لطيف اذا رفعت متاعا على انه
خبر بغيكم فالمعنى انما بغی بعضكم على بعض مثل فسلموا على انفسكم وكذلك لقد جاءكم
رسول من انفسكم واذا كان الخبر على انفسكم فالمعنى انما فسادكم راجع عليكم مثل
وان اسأتم فلها وروی عن سفيان بن عيينة انه قال اراد ان البغی متاع الحيوة
الدنيا اى عقوبته تعجل لصاحبه فی الدنيا كما يقال البغی مصرعة وقرأ ابن ابی اسحق
متاعا بالنصب على انه مصدر اى اتتمتعون متاعا او مصدر بمعنى
المفعول على الحال اى ممتعين او هو نصب على الظرف اى متاع الحيوة الدنيا
ومتعلق الظرف والحال معنى الفعل فی البغی وعلى انفسكم مفعول ذلك المعنى قوله
تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء معنى الاية التشبيه والتمثيل
على صفة الحيوة الدنيا فی فنائها وزوالها وقلة خطرها والملاذ بها بماء اى
اى مثل ماء فالكاف فی موضع رفع وسياتی لهذا التشبيه مزيد بيان فی الكهف
ان شاء الله تعالى انزلناه من السماء نعت لماء فاختلط روی عن نافع انه وقف على
فاختلط اى فاختلط الماء بالارض ثم ابتدأ نبات الارض اى بالماء نبات الارض
فاخرجت الوانا من النبات فنبات على هذا ابتداء وعلى مذهب من لم يقف

علی فاختلط مرفوع باختلط ای اختلط النبات بالمطر ای شرب منه فهذا و
حسن واحضر والاختلاط تداخل الشی بعضه فی بعض قوله تعالی مما یاکل
الناس من الحبوب والثمار والبقول والانعام من الکلا والتبن حتی اذا اخذت
الارض زخرفها ای حسنها وزینتها والزخرف کمال حسن الشی ومنه قیل للذهب زخرف
وازینت ای بالحبوب والثمار والازهار والاصل تزینت ادغمت التاء فی الزای
وجی بالالف الوصل لان الحرف المدغم مقام حرفین الاول منهما ساکن والساکن
لا یمکن الابتداء به وقرا ابن مسعود وابی بن کعب وتزینت علی الاصل وقرا
الحسن والاعرج وابو العالیه وازینت ای اتت بالزینه علیها ای الغله والزرع
وجا بالفعل علی اصله ولو اعله لقال وازانت وقال عوف ابن ابی جمیله الاعرابی
وازانت والاصل فیه تزانت ووزنه تفاعلت ثم ادغم وقرا الشعبی وقتاده
وازینت مثل افعلت وقرا ابو عثمان النهدی وازینت مثل افعلت وروی عنه
ازیانت بالهمز ثلاث مرات قوله تعالی وظن اهلها انهم قادرون علیها
یعنی اهلها قادرون علیها حصادها والانتفاع بها اخبر عن الارض والمعنی النبات
اذ کان مفهوما وهو منها وقیل رد الی الغله وقیل الی الزینه اتاها امرنا ای عذابنا
بهلاکها لیلا او نهارا فجعلناها حصیدا مفعولا ای محصودة مقطوعة لا شی فیها
وقال حصیدا ولم یونث لانه فعیل بمعنی مفعول قال ابو عبید الحصید المستاصل
کان لم تغن بالامس ای لم تکن عامرة من غنی اذا اقام فیه وعمره والمغانی فی اللغة
المنازل التی یعمرها الناس وقال قتاده کان لم تنعم قال لبید ؛
وعنیت سبتا قبل مجری داحس لو کان للنفس اللجوج خلود وقرا ابو العالیه تغن
بالتاء لتانیث الارض وقرا قتاده یغن بالیاء یذهب به الی الزخرف یعنی فکما یهلک
هذا الزرع هکذا کذلک الدنیا نفصل الایات لقوم ای نبینها لقوم یتفکرون
فی ایات الله قوله تعالی والله یدعوا الی دار السلام لما ذکر وصف
هذه الایة الدار وهی دار الدنیا وصف الاخرة فقال ان الله لا یدعوکم الی جمع
الدنیا بل یدعوکم الی الطاعة لتصیروا الی دار السلام ای الجنة قال قتاده
والحسن السلام هو الله تعالی وداره الجنة قال لان من دخلها سلم من الافات و
من اسمائه سبحانه السلم وقد بیناه فی الکتاب الاسنی فی شرح اسماء الله الحسنی
ویاتی فی سورة الحشر ان شاء الله تعالی وقیل المعنی والله یدعوا الی دار السلامه

والله لا يعلم لنفسه شركاء في السموات ولا في الارض انه لا شريك له فلذلك لا
يعلمه وقطع قول اشركوا به بما لا يعلم في الارض ثم نزه نفسه وقد نزهها عن الشرك
فقال سبحانه عما يشركون اى هو اعظم من ان يكون له شريك وقيل المعنى اى
يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فيكذبون
وقيل نبئونا لكم ان تنبئونه بما لا يعلم سبحانه وتعالى عما يشركون وقرا حمزه
والكسائى تشركون بالتاء وهو اختيار ابي عبيد الباقون بالياء قوله
تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا قد تقدم معناه في البقرة فلا
معنى للاعاده وقال الزجاج هم العرب كانوا على الشرك وقيل كل مولود يولد
على الفطرة فاختلفوا عند البلوغ ولولا كلمة سبقت من ربك اسارع الى العصاة
والعذر اى لولا ما سبق في حكمه انه لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه بالثواب
والعقاب دون يوم القيمه لقضى بينهم في الدنيا فادخل المؤمنين الجنة باعمالهم
والكافرين النار بكفرهم ولكنه سبق من الله الاجل مع علمه بصنيعهم فجعل موعدهم
القيمه قاله الحسن وقال ابو روق لقضى بينهم لاقام عليهم الساعه وقيل لفرغ
من هلاكهم وقال الكلبي الكلمة ان الله اخر هذه الامه فلا يهلكهم بالعذاب في الدنيا
الى يوم القيمه فلولا هذا التاخير لقضى بينهم بنزول العذاب او باقامة الساعه
والايه تسليه للنبي صلى الله عليه وسلم في تاخير العذاب عمن كفر به وقيل الكلمه
السابقة انه لا ياخذ احدا الا بحجة وهو ارسال الرسل كما قال وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا وقيل الكلمه قوله سبقت رحمتي غضبي ولولا ذلك لما اخر العصاة
الى التوبه وقرا عيسى لقضى بالفتح قوله تعالى ويقولون لولا انزل عليه
ايه من ربه يريد اهل مكه اى هلا نزل عليه اى معجزة غير هذا المعجز فيجعل
لنا الجبال ذهبا ويكون له بيت من زخرف ويحيى لنا من مات من ابائنا و
قال الضحاك عصا كعصى موسى فقل انما الغيب لله اى قل يا محمد ان نزول
الايه غيب فانتظروا اى تربصوا انى معكم من المنتظرين لنزولها وقيل انتظروا
قضاء الله بيننا باظهار الحق على الباطل قوله تعالى واذا اذقنا
الناس يريد كفار مكه رحمه بعد ضراء مستهم قيل رخاء بعد شدة وخصب بعد
جدب اذا لهم مكر في اياتنا اى استهزاء وتكذيب وجواب اذا اذقنا اذا لهم
على قول الخليل وسيبويه قل الله اسرع مكرا اى اشد وخبر مكرا على البيان اى

اعجل عقوبة على جزا مكرهم اى ان ما يأتيهم من العذاب اسرع فى هلاكهم مما اتوه
من المكر ان رسلنا يكتبون ما يمكرون يعنى بالرسل الحفظة وقرا العامة تمكرون
بالتا خطابا وقرا يعقوب فى رواية هرون العتكى يمكرون باليا كقوله اذا لهم
مكر فى اياتنا قيل قال ابو سفيان قحطنا بدعائك فلم نؤمنوا فهذا مكرهم
قوله تعالى هو الذى يسيركم فى البر والبحر فى البر على الدواب وفى البحر
على الفلك وقال الكلبى يحفظكم فى السير والاية تتضمن تعديد النعم فيما هى
الحال سبيله من ركوب الناس الدواب والبحر وقد مضى الكلام فى ركوب
البحر فى البقرة ويسيركم قراه ابن كثير وعامر ينشركم بالنون والشين اى
ينشركم ويبثكم والفلك يقع على الواحد والجمع ويذكر ويؤنث وقد تقدم القول
فيه وقوله وجرين بهم خروج من الخطاب الى الغيبة وهو فى القران واشعار العرب
كثير قال النابغة   يا دارمية بالعلياء فالسند اقوت وطال عليها سالف الابد
قال الانبارى وجائز فى اللغة ان يرجع من خطاب الغيبة الى لفظ المواجهة
بالخطاب قال الله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء
وكان سعيكم مشكورا فابدل الكاف من الها قوله تعالى بريح طيبة
تقدم الكلام فيها فى البقرة جاءتها ريح عاصف الضمير فى جاءتها للسفينة وقيل
للريح الطيبة والعاصفة الشديدة يقال عصفت الريح واعصفت فهى عاصف
ومعصف ومعصفة اى شديدة قال الشاعر ::
حتى اذا اعصفت ريح مزعزعة فيها قطار ورعد صوته زجل   وقال عاصف
بالتذكير لان لفظ الريح مذكر وهى العاصف ايضا والطيبة غير عاصفة ولا
بطيئة والموج ما ارتفع من الما وظنوا اى ايقنوا انهم احيط بهم اى احاط
بهم البلا يقال لمن وقع فى بلية قد احيط به كان البلا احاط به واصل هذا
ان العدو اذا احاط بموضع فقد هلك اهله دعوا الله مخلصين له الدين اى
دعوه وحده وتركوا ما كانوا يعبدون وفى هذا دليل على ان الخلق جبلوا
على الرجوع الى الله تعالى فى الشداد وان المضطر يجاب دعاؤه وان كان
كافرا لانقطاع الاسباب ورجوعه الى الواحد رب الارباب على ما ياتى بيانه
فى النمل ان شا الله تعالى وقال بعض المفسرين انهم قالوا فى دعائهم اهيا شراهيا
اى ياحى ياقيوم وهى لغة العجم   مسئلة هذه الاية تدل على ركوب البحر مطلقا

ومن السنة حديث ابي هريرة وفيه انا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء الحديث
وحديث انس قصة ام حرام يدل على جوازه في الغزو وقد مضى هذا المعنى في
البقرة مستوفى والحمد لله وتقدم في الاعراف حكم راكب البحر في حال ارتجاجه و
غليانه هل حكمه حكم الصحيح او المريض المحجور عليه فتامله هناك قوله تعالى
لئن انجيتنا من هذه اي من هذه الشدائد والاهوال وقال الكلبي من هذه الريح
لنكونن من الشاكرين اي من العاملين بطاعتك على نعمة الخلاص قوله
تعالى فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق اي يعملون في الارض بالفساد
وبالمعاصي والبغي الفساد والشرك من بغى الجرح فسد واصله الطلب اي يطلبون
الاستعلاء بالفساد بغير الحق اي بالتكذيب ومنه بغت المراة طلبت غير زوجها
قوله تعالى يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم اي وباله عائد عليكم وتم
الكلام ثم ابتدا فقال متاع الحيوة الدنيا اي هو متاع الحيوة الدنيا ولا بقاء له قال
النحاس بغيكم رفع بالابتداء وخبره متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم مفعول معنى
فعل البغي ويجوز ان يكون خبره على انفسكم وتضمر مبتدا اي ذلك متاع الحيوة الدنيا
اي هو متاع الحيوة الدنيا وبين المعنيين حرف لطيف اذا رفعت متاعا على انه
خبر بغيكم فالمعنى انما بغي بعضكم على بعض مثل فسلموا على انفسكم وكذلك لقد جاءكم
رسول من انفسكم واذا كان الخبر على انفسكم فالمعنى انما فسادكم راجع عليكم مثل
وان اسأتم فلها وروي عن سفيان بن عيينة انه قال اراد ان البغي متاع الحيوة
الدنيا اي عقوبته معجلة لصاحبه في الدنيا كما يقال البغي مصرعة وقرا ابن ابي اسحق
متاعا بالنصب على انه مصدر اي او بنزع الخافض اي لمتاع او مصدر بمعنى
المفعول على الحال اي متمتعين او هو نصب على الظرف اي متاع الحيوة الدنيا
ومعنى الظرف والجار معنى الفعل في البغي وعلى انفسكم مفعول ذلك الفعل قوله
تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء معنى الاية التشبيه والتمثيل
على صفة الحيوة الدنيا في فنائها وزوالها وقلة خطرها والملاذ بها كماء واي
اي مثل ماء فالكاف في موضع رفع وسياتي لهذا التشبيه مزيد بيان في الكهف
ان شاء الله تعالى انزلناه من السماء نعت لماء فاختلط روي عن نافع انه وقف على
فاختلط اي فاختلط الماء بالارض ثم ابتدا نبات الارض اي فنما نبات الارض
فاخرجت الوانا من النبات فنبات على هذا ابتدا وعلى مذهب من لم يقف

على فاختلط مرفوع باختلاط اى اختلط النبات بالمطر اى شرب منه فنبت وحسن واخضر والاختلاط تداخل الشئ بعضه فى بعض قوله تعالى مما ياكل الناس من الحبوب والثمار والبقول والانعام من الكلا والتبن حتى اذا اخذت الارض زخرفها اى حسنها وزينتها والزخرف كمال حسن الشئ ومنه قيل للذهب زخرف وازينت اى بالحبوب والثمار والازهار والاصل تزينت ادغمت التاء فى الزاى وجئ بالالف الوصل لان الحرف المدغم مقام حرفين الاول منهما ساكن والساكن لا يمكن الابتداء به وقرا ابن مسعود وابى بن كعب وتزينت على الاصل وقرا الحسن والاعرج وابو العالية وازينت اى اتت بالزينة عليها اى الغلة والزرع وجاء بالفعل على اصله ولو اعله لقال وازانت وقال عوف ابن ابى جميلة الاعرابى وازاينت والاصل فيه تزاينت ووزنه تفاعلت ثم ادغم وقرا الشعبى وقتادة وازينت مثل افعلت وقرا ابو عثمان النهدى وازيانت مثل افعالت وروى عنه ازيانت بالهمزة ثلاث قراات قوله تعالى وظن اهلها انهم قادرون عليها اى ظن اهلها قادرون عليها حصادها والانتفاع بها اخبر عن الارض والمعنى النبات اذ كان مفهوما وهو منها وقيل رده الى الغلة وقيل الى الزينة اتاها امرنا اى عذابنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا مقطوعا اى محصورة مقطوعة لا شئ فيها وقال حصيدا ولم يونث لانه فعيل بمعنى مفعول قال ابو عبيد الحصيد المستاصل كان لم تغن بالامس كان لم تكن عامرة من غنى اذا اقام فيه وعمره والمعانى فى اللغة المنازل التى يعمرها الناس وقال قتادة كان لم تنعم قال لبيد

وغنيت سبتا قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود وقرا ابو العالية كان لم تتغن بالتاء يعنى الارض وقرا قتادة يعنى الزخرف يعنى وكذلك هذا المدح هكذا كذلك الدنيا نفصل الايات لقوم اى نبينها لقوم يتفكرون فى ايات الله قوله تعالى والله يدعوا الى دار السلام لما ذكر وصف هذه الدار وهى دار الدنيا وصف الاخرة فقال ان الله لا يدعوكم الى جمع الدنيا بل يدعوكم الى الطاعة لتصيروا الى دار السلام اى الجنة قال قتادة والحسن السلام هو الله تعالى وداره الجنة قال لان من دخلها سلم من الافات ومن اسمائه سبحانه السلام وقد بيناه فى الكتاب الاسنى فى شرح اسماء الله الحسنى ويأتى فى سورة الحشر ان شاء الله تعالى وقيل المعنى والله يدعوا الى دار السلامة

والسلام والسلامه بمعنى كالرضاع والرضاعة قال الزجاج قال
يحيى بالسلامه ام بكر وهل لك بعد قومك من سلام وقيل اراد والله يدعوا الى
دار التحية لان اهلها ينالون من الله التحية والسلام وكذلك من الملائكة قال الحسن
ان السلام لا ينقطع عن اهل الجنة وهي تحيتهم كما قال تحيتهم فيها سلام وقال يحيى
بن معاذ يا ابن آدم دعاك الله الى دار السلام فانظر من اين تجيبه فان اجبته
من دنياك دخلتها وان اجبته من قبرك منعتها وقال ابن عباس الجنات
سبع دار الجلال ودار السلام وجنة عدن وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة الفردوس
وجنة النعيم قوله تعالى ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم عم بالدعوة
اظهارا للحجة وخص بالهداية استغناء عن خلقه والصراط المستقيم قيل كتاب الله
رواه علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الصراط المستقيم كتاب الله وقيل الاسلام رواه النواس بن سمعان عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل الحق قاله قتادة ومجاهد وقيل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصاحباه من بعده ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وروى جابر بن عبد الله قال خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال رأيت في المنام كان جبريل عند راسي
وميكائيل عند رجلي فقال احدهما لصاحبه اضرب له مثلا فقال اسمع سمعت اذنك
واعقل عقل قلبك انما مثلك ومثل امتك كمثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم جعل
فيها مادبة ثم بعث رسولا يدعوا الناس الى طعامه فمنهم من اجاب الرسول ومنهم من
تركه والله الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وانت يا محمد الرسول فمن اجابك دخل
في الاسلام ومن دخل في الاسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة اكل ما فيها ثم تلا قتادة
ومجاهد والله يدعوا الى دار السلام وهذه الاية بينة الحجة في الرد على القدرية لانهم
قالوا هدى الله الخلق كلهم الى صراط مستقيم والله قال ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم
فرد وا على الله نصوص القران قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة
روي من حديث انس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيادة قال للذين احسنوا
العمل في الدنيا الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله الكريم وهو قول ابي بكر الصديق
وعلي بن ابي طالب في رواية وحذيفة وعبادة بن الصامت وكعب بن عجرة وابي موسى
وصهيب وابن عباس في رواية وهو قول جماعة من التابعين وهو الصحيح في الباب
روى مسلم عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة

قال الله تعالى تريدون شيا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة
وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيا احب اليهم من النظر الى ربهم
عز وجل وفي رواية ثم تلا للذين احسنوا الحسنى وزيادة وخرجه النسائي ايضا
عن صهيب قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية للذين احسنوا الحسنى
وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم
عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا الم يبيض الله وجوهنا ويثقل موازيننا و
يجرنا قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيا احب اليهم
من النظر ولا اقر لاعينهم خرجه ابن المبارك في رقائقه عن ابي موسى الاشعري
موقوفا وقد كتبناه التذكرة وذكرنا هناك معنى فيكشف الحجاب والحمد لله وخرج الترمذي
الحكيم ابو عبد الله حدثنا ابن حجر حدثنا الوليد بن مسلم عن زهير عن ابي العالية عن
ابي بن كعب قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزيادتين في كتاب
الله للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الرحمن وقوله وارسلناه
الى مائة الف او يزيدون قال عشرون الفا وقيل ان الزيادة ان يضاعف الحسنة عشر
حسنات الى اكثر من ذلك روي عن ابن عباس وروي عن علي بن ابي طالب الزيادة
غرفة من لؤلؤة واحدة لها اربعة الاف باب وقال مجاهد الحسنى حسنة مثل حسنة و
الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم الحسنى جنة
والزيادة ما اعطاهم في الدنيا من فضله لا يحاسبهم به يوم القيامة وقال عبد الرحمن بن
سابط الحسنى البشرى والزيادة النظر الى الله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
وقال زيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتمطرهم من كل النوادر التي لم
يروها وتقول يا اهل الجنة ما تريدون ان امطركم اياه وقيل الزيادة انه ما يمر عليهم
مقام يوم من ايام الدنيا الا حتى يطيف بمنزل احدهم سبعون الف ملك مع كل ملك
هدايا من عند الله ليست مع صاحبه ما رأوا مثل تلك الهدايا قط فسبحان من يتناهى
مقدوراته وقيل احسنوا معاملة الناس والحسنى شفاعتهم والزيادة باذن الله
تعالى فيها وقوله قوله ـــ تعالى ولا يرهق قيل معناه يلحق ومنه قيل غلام
مراهق اذا لحق بالرجال وقيل يعلو وقيل يغشى والمعنى متقارب قتر غبار ولا
ذلة قيل كما يلحق اهل النار اي لا يلحقهم غبار في محشرهم الى الله تعالى ولا تغشاهم
ذلة وانشد ابو عبيدة للفرزدق   متوج برداه يتبعه موج ترى فوقه الرايات والقترا

ولا بعد عشر في كل اللهو فان لم يظهر من اللاعب بها كبيرة وكانت محاسنه اكثر من
مساويه قبلت شهادته عندهم قال ابن العربي قال الشافعي ان الشطرنج يخالف
النرد لان فيه احداد الفهم واستعمال القريحة والنرد قمار غرر لا يعلم ما يخرج لكالا
ستقسام بالازلام التاسعة قال علماونا النرد قطع مملوه من حب البس
ومن عظم الفيل وكذا هو الشطرنج اذ هو اخوه غذي بلبانه والنرد هو الذي
يعرف بالطبل ويعرف بالكعاب ويعرف في الجاهلية ايضا بالارن ويعرف بالنرد
شير وفي صحيح مسلم عن سليمن بن بريدة عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من لعب بالنردشير فكانما غمس يده في لحم خنزير ودمه قال علماونا ومعنى
هذا اي هو كمن غمس يده في لحم خنزير يهيه لان ياكله وهذا الفعل من الخنزير
حرام لا يجوز بعينه قوله صلى الله عليه وسلم من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله
ورواه مالك وغيره من حديث ابي موسى الاشعري وهو حديث صحيح وهو
يحرم اللعب بالنرد جملة واحدة وكذلك الشطرنج لم يستثن وقتا من وقت ولا حالا
من حال واخبر ان فاعل ذلك عاص لله ورسوله الا انه يحتمل ان يكون المراد باللعب
بالنرد المنهي عنه ان يكون على وجه القمار لما روي من اخبار اللعب بالشطرنج عن
عن التابعين على غير قمار وحمل ذلك على العموم قمارا وغير قمار اولى واجود ان
شا الله تعالى قال ابو عبد الله الحليمي في كتاب منهاج الدين وما جا في الشطرنج
حديث يروى فيه كما نروي في النرد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
لعب بالشطرنج فقد عصى الله ورسوله وعن علي رضي الله عنه انه مر على مجالس
من بني تميم وهم يلعبون بالشطرنج فوقف عليهم فقال اما والله لغير هذا خلقتم
اما والله لولا ان تكون سنة لضربت به وجوهكم وعنه رضي الله عنه انه مر بقوم
يلعبون الشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون لان يمس احدكم
جمرا حتى يطفا خير له من ان يمسها وسئل ابن عمر عن الشطرنج فقال هي شر من
النرد وقال ابو موسى الاشعري لا يلعب بالشطرنج الا خاطي وسئل ابو جعفر
عن الشطرنج فقال دعونا من هذه المجوسية وفي حديث طويل عن النبي صلى الله
عليه وسلم وان من لعب بالنرد والشطرنج والجوز والكعاب مقته الله تعالى
ومن جلس الى من يلعب بالشطرنج والنرد فنظر اليهم محيت عنه حسناته كلها
وصار ممن مقته الله وهذه الاثار كلها تدل على تحريم اللعب بها بلا قمار

مطلب في بيان الشطرنج

والله اعلم قال ابن العربي في قبسه وقد جوزه الشافعي وانتهى حال بعضهم الى ان يقول هو مندوب اليه حتى اتخذوه في المدرسه فاذا اعيا الطالب من القراه لعب به المسجد واسند والى قوم من الصحابه والتابعين انهم لعبوا بها وما كان ذلك قط والله ما مستها يد تقي ويقولون انها تشحذ الذهن والعيان يكذبهم ما تحير فيها قط رجل له ذهن سمعت الامام ابا الفضل المقدسي يقول بالمسجد الاقصى في المناظره انها تعلم الحرب فقال له الطرطوسي بل تفسد تدبير الحرب يقول شاه اياك الملك نح عن طريقي فاستضحك الحاضرين وتارة شدد فيها مالك وحرمها وقال فيها فما بعد الحق الا الضلال وتارة استهان بالقليل والاهون والقول الاول اصح والله اعلم فان قال قايل روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سئل عن الشطرنج فقال ان امراه كان لها ابن وكان ملكا فاصيب في حرب دون اصحابه فقالت كيف يكون هذا ادنه عيانا فعمل لها الشطرنج فلما رات انه سليت بذلك ووصفوا الشطرنج لعمر فقال لا باس بما كان من آلة الحرب فقيل لا حجه فيه لانه لم يقل لا باس بالشطرنج وانما قال لا باس بما كان من آله الحرب وانما قال هذا لانه نبه عليه ان اللعب بالشطرنج مما يستعان به على معرفه اسباب الحرب فلما قيل له ذلك ولم يحط به علمه قال لا باس بما كان آله للحرب ان كان كما تقولون فلا باس به وكذلك من روى عنه من الصحابه انه لم ينه عنه فان ذلك محمول منه على انه ظن ان ذلك ليس يلهى به وانما يراد به التسبب الى علم القتال والمضاربه فيه او على ان الخبر المسند لم يبلغهم قال الحليمي واذا صح الخبر فلا حجه لاحد معه وانما الحجه فيه على الكافه الثامنه ذكر ابن وهب باسناده ان عبد الله بن عمر مر بغلمان يلعبون بالكجه وهي حفر فيها حصى يلعبون بها قال فسدها ابن عمر ونهاهم وذكر الهروي في باب الكاف مع الجيم في حرف ابن عباس في لعب كل شي قمار حتى في لعب الصبيان بالكجه قال ابن الاعرابي هو ان ياخذ الصبي خرقه فيدورها كانها كره ثم يتقامرون بها وكج اذا لعب بالكجه قوله تعالى يصرفون اى كيف يصرفون عقولكم الى عباده ما لا يرزق ولا يحيي ولا يميت قوله تعالى كذلك حقت كلمة ربك اى حكمه وقضاؤه وعلمه السابق على الذين فسقوا اى خرجوا عن الطاعة وكذبوا وكفروا انهم لا يومنون اى لا يصدقون وفي هذا ادل دليل على القدريه

المراد بسياق هذا ومن لم يعترف يستقر عليه ان هذه السموات والارض لا بد لها من خالق ولا يمارى فى هذا عاقل وهذا قريب من مرتبة الضروره من السما اى بالمطر والارض بالنبات ام من يملك السمع والابصار اى من جعلها وخلقها لكم ومن يخرج الحى من الميت اى النبات من الارض والانسان من النطفه والسنبله من الحبه والطير من البيضه والمومن من الكافر ومن يدبر الامر اى تقديره وتعضيه فسيقولون الله لانهم كانوا يعتقدون ان الخالق هو الله او فسيقولون الله اى فكروا وانصفوا قل لهم يا محمد افلا تتقون اى لا تخافون عقابه ونقمته فى الدنيا والاخره فذلكم الله ربكم الحق فيه ثمان مسايل الاولى قوله تعالى فذلكم الله ربكم الحق اى هذا الذى يفعل هذه الاشيا هو ربكم لا ما اشركتم معه فماذا بعد الحق ذ اصله اى ما بعد عباده الاله الحق اذا تركت عبادته الا الضلال وقال بعض المتقدمين ظاهر هذه الايه تدل على ما بعد الله هو الضلال لان اولها فذلكم الله ربكم الحق واخرها فماذا بعد الحق الا الضلال فهذا فى الايمان والكفر ليس فى الاعمال وقال بعضهم ان الكفر تغطيه الحق وكلما كان غير الحق جرى هذا المجرى فالحرام ضلال والمباح هدى فان الله هو المبيح والمحرم والصحيح الاول لان قبل قل من يرزقكم من السما والارض ثم قال فذلكم الله ربكم الحق اى هذا الذى رزقكم وهذا كله فعله هو ربكم الحق اى الذى يحق له الالوهيه ويستوجب العباده واذا كان لذلك فشريك غير ضلال وغير حق الثانيه قال علماؤنا حكمت هذه الايه بانه ليس بين الحق والباطل منزله فى هذه المسئله التى هى توحيد الله تعالى ولذلك هو الامر فى نظايرها وهى مسايل الاصول التى الحق فيها فى طرف واحد لان الكلام فيها انما هو فى تعديد وجود ذات كيف هى وذلك بخلاف مسايل الفروع التى قال الله فيها لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله عليه السلام الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات والكلام فى الفروع انما هو فى احكام طاريه على وجود ذات متقرره لا يختلف فيها وانما يختلف فى الاحكام المتعلقه بها الثالثه ثبت عن عايشه رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قام الى الصلوة من جوف الليل قال اللهم لك الحمد الحديث وفيه انت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاوك الحق والجنه حق والساعه حق والصور حق ومحمد حق الحديث فقوله انت الحق اى الواجب الوجود واصله من حق الشى اى ثبت ووجب وهذا الوصف لله تعالى بالحقيقه اذ وجوده لنفسه

لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم وما عداه مما يقال عليه هذا الاسم مسبوق بعدم و
يجوز عليه لحاق العدم ووجوده لا من نفسه وباعتبار هذا المعنى كان اصدق كلمة
قالها الشاعر كلمة لبيد الا كل شي ما خلا الله باطل والیه الاشارة بقوله
تعالى كل شي هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون الرابعة مقابلة الحق عرف
لغة وشرعا كما في هذه الاية وكذلك ايضا مقابلة الحق بالباطل عرف لغة وشرعا
قال الله تعالى ذلك بان الله هو الحق وان ما تدعون من دونه الباطل والضلال
حقيقته الذهاب عن الحق اخذ من ضلال الطريق وهو العدول عن سمته قال
ابو عرفة الضلال عند العرب سلوك غير سبيل القصد قال ضل عن الطريق و
اضل عن الشي اذا اضاعه وخص في الشرع بالعبادة في العدول عن السداد في
الاعتقاد دون الاعمال ومن غريب امره انه يعبر به عن العدم عن المعرفة
بالحق سبحانه اذا قابله غفلة ولم يقترن بعدمه جهل او شك وعليه حمل العلما قوله
تعالى ووجدك ضالا فهدى اي غافلا في احد التاويلات يحققه قوله تعالى ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان الخامسة روى عبد الله بن عبد الحكم واشهب عن مالك
في قوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال قال اللعب بالشطرنج والنرد من الضلال
وروى يونس عن ابن وهب انه سئل عن الرجل يلعب في بيته مع امراته باربع
عشرة فقال مالك ما يعجبني وليس من شان المؤمنين لقول الله فماذا بعد الحق الا الضلال
وروى يونس عن اشهب قال سيل يعني مالكا عن اللعب بالشطرنج قال لا خير فيه
وليس بشي وهو من الباطل واللعب كله من الباطل وانه لينبغي لذي العقل وان
نهاه اللحية والشيب الباطل وقال الزهري لما سيل عن الشطرنج هي من الباطل
ولا احبها السادسة اختلف العلما في جواز اللعب بالشطرنج وغيره اذا لم يكن على
وجه القمار فتحصيل مذهب مالك وجمهور الفقها في الشطرنج ان لم تقامر بها ولعب
مع اهله في بيته مستترا به في الشهر مرة او العام لا يطلع عليه ولا يعلم به انه معفو
عنه غير محرم عليه ولا مكروه له وانه ان تخلع به واشتهر فيه سقطت مروته وعدالته
وردت شهادته واما الشافعي فلا يسقط في مذهب اصحابه شهادة اللاعب
بالنرد والشطرنج اذا كان عدلا في جميع احواله ولم يظهر معه سفه ولا ريبة
ولا كبيرة الا ان يلعب به قمارا فان لعب قمارا وكان بذلك معروفا سقطت عدالته
وسفه نفسه لاكله المال بالباطل وقال ابو حنيفة يكره اللعب بالشطرنج والنرد

ولا بعد عشرة وكل اللهو فان لم يظهر من اللاعب بها كبيرة وكانت محاسنه اكثر من
مساويه قبلت شهادته عندهم قال ابن العربي فالشافعية ان الشطرنج يخالف
النرد لان فيه اكداد الفهم واستعمال القريحة والنرد قمار غرر لا يعلم ما يخرج لكالا
ستقسام بالازلام السابعة قال علماؤنا النرد قطع مملوة من خشب البقس
ومن عظم الفيل وكذا هو الشطرنج اذ هو اخوه غذي بلبانه والنرد هو الذي
يعرف بالطبل ويعرف بالكعاف ويعرف في الجاهلية ايضا بالارن ويعرف بالنرد
شير وفي صحيح مسلم عن سليمان بن بريدة عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من لعب بالنردشير فكانما غمس يده في لحم خنزير ودمه قال علماؤنا ومعنى
هذا اي هو كمن غمس يده في لحم خنزير يهيئه لان ياكله وهذا الفعل من الخنزير
حرام لا يجوز يبينه قوله صلى الله عليه وسلم من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله
ورواه مالك وغيره من حديث ابي موسى الاشعري وهو حديث صحيح وهو
يحرم اللعب بالنرد جملة واحدة وكذلك الشطرنج لم يستثن وقتا دون وقت ولا حالا
من حال واخبر ان فاعل ذلك عاصي الله ورسوله الا انه يحتمل ان يكون المراد باللعب
بالنرد المنهي عنه ان يكون على وجه القمار لما روي من اجازة اللعب بالشطرنج عن
عن التابعين على غير قمار وحمل ذلك على العموم قمارا وغير قمار اولى واحوط ان
شا الله تعالى قال ابن عبد الله الحليمي في كتاب منهاج الدين وما جا في الشطرنج
حديث يروى فيه كما نروي في النرد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
لعب بالشطرنج فقد عصى الله ورسوله وعن علي رضي الله عنه انه مر على مجالس
من بني تيم وهم يلعبون بالشطرنج فوقف عليهم فقال اما والله لغير هذا خلقتم
اما والله لولا ان تكون سنة لضربت به وجوهكم وعنه رضي الله عنه انه مر بقوم
يلعبون الشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون لان يمس احدكم
جمرا حتى يطفا خير له من ان يمسها وسئل ابن عمر عن الشطرنج فقال هي شر من
النرد وقال ابو موسى الاشعري لا يلعب بالشطرنج الا خاطئ وسئل ابو جعفر
عن الشطرنج فقال دعونا من هذه المجوسية وفي حديث طويل عن النبي صلى الله
عليه وسلم وان من لعب بالنرد والشطرنج والجوز والكعاب مقته الله تعالى
ومن جلس الى من يلعب بالشطرنج والنرد لينظر اليهم محيت عنه حسناته كلها
وصار ممن مقته الله وهذه الآثار كلها تدل على تحريم اللعب بها بلا قمار

مطلب في بيان الشطرنج

والله اعلم قال ابن العربي في قبسه وقد جوزه الشافعي وانتهى حال بعضهم الى ان تقول هو مندوب اليه حتى اتخذوه في المدرسه فاذا اعيا الطالب من القراه لعب به المسجد واسند والى قوم من الصحابه والتابعين انهم لعبوا بها وما كان ذلك قط والله ما مستها يد تقي ويقولون انها تسحد الذهن والعيان نكد بهم ما يتحير فيها قط رجل له ذهن سمعت الامام ابا الفضل المقدسي يقول بالمسجد الاقصى في المناظره انها تعلم الحروب فقال له الطرطوسي بل تفسد تدبير الحروب يقول شاه ابك الملك لحد عن طريق فاستضحك الحاضرين وتارة شدد فيها مالك وحرمها وقال فيها فما بعد الحق الا الضلال وتارة استهان بالقليل والاهون والقول الاول اصح والله اعلم فان قال قايل روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سئل عن الشطرنج فقال ان امراه كان لها ابن وكان ملكا فاصيب في حرب دون اصحابه فقالت كيف تكون هذا اذ نبه عيانا فعمل لها الشطرنج فلما راته تسلت بذلك ووصفوا الشطرنج لعمر فقال لا باس بما كان من الة الحرب فقيل لا حجة فيه لانه لم يقل لا باس بالشطرنج وانما قال لا باس بما كان من الة الحرب واما قال هذا لانه نبه عليه ان اللعب بالشطرنج مما يستعان به على معرفه اسباب الحرب فلما قيل له ذلك ولم يحط به علمه قال لا باس بما كان من الة الحرب ان كان كما تقولون فلا باس به وكذلك من روى عنه من الصحابه انه لم ينه عنه فان ذلك محمول منه على انه ظن ان ذلك ليس يلهى به وانما يراد به التسبب الى علم القتال والمضاربه فيه او على ان الخبر المسند لم يبلغهم قال الحليمي واذا صح الخبر فلا حجة لاحد معه وانما الحجة فيه على الكافة الثامنه ذكر ابن وهب باسناده ان عبد الله بن عمر مر بغلمان يلعبون بالكجه وهي حفر فيها حصى يلعبون بها قال فسدها ابن عمر ونهاهم ونهى الهروي في باب الكاف مع الجيم في حرف ابن عباس في لعب كل شي قمار حتى في لعب الصبيان بالكجه قال ابن الاعرابي هو ان ياخذ الصبي خرقه فيدورها كانها كره ثم يتقامرون بها ويح اذا لعب بالكجه قوله تعالى يصرفون اى كيف يصرفون عقولكم الى عباده ما لا يرزق ولا يحيي ولا يميت قوله تعالى كذلك حقت كلمه ربك اى حكمه وقضاوه وعلمه السابق على الذين فسقوا اى خرجوا عن الطاعة وكذبوا وكفروا انهم لا يومنون اى لا يصدقون وفي هذا ادل دليل على القدريه

وقرا نافع وابن عامر هنا وفي اخرها كذلك حقت كلمات ربك وفي سورة
غافر بالجمع في الثلاث الباقون بالافراد وان في موضع نصب اي بانهم او لانهم
قال الزجاج ويجوز ان يكون في موضع رفع على البدل من كلمات قال الفرا ويجوز
انهم بالكسر على الاستيناف قوله تعالى قل هل من شركائكم اي الهتكم
ومعبوداتكم من يبدا الخلق ثم يعيده اي قل لهم يا محمد ذلك على جهة التوبيخ و
التقرير فان اجابوك والا فقل الله يبدا الخلق ثم يعيده وليس غيره يفعل ذلك
فانى تؤفكون اي فكيف تقلبون وتصرفون عن الحق الى الباطل قوله
تعالى قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق يقال هدى للطريق والى الطريق
بمعنى واحد وقد تقدم اي هل من شركائكم من يرشد الى دين الاسلام
فاذا قالوا لا بد منه فقل لهم الله يهدي الى الحق ثم قال لهم موبخا افمن يهدي
اي يرشد الى الحق وهو الله سبحانه احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى
يريد الاصنام التي لا تهدي احدا ولا تمشي الا ان تحمل ولا تنتقل من مكانها
الا ان تنقل قال الشاعر للفتى عقل يعيش به حيث يهدي ساقه قدمه
وقيل المراد الرؤسا والمضلون الذين لا يرشدون انفسهم الى هدى الا ان
يرشدوا وفي يهدي قرات ست الاولى قرا اهل المدينة الا ورشا يهدي
بفتح اليا واسكان الها وتشديد الدال فجمعوا بين ساكنين
كما فعلوا في قوله لا تعدوا وفي قوله يخصمون قال النحاس والجمع بين ساكنين
لا يقدر احد ان ينطق به قال محمد بن يزيد ولا بد لمن رام مثل هذا ان
يحرك حركة خفيفة الى الكسر وسيبويه يسمي هذا اختلاسا للحركة الثانية وقرا
ابو عمرو وقالون في رواية بين الفتح والاسكان على مذهبه في الاخفاء
والاختلاس الثالثة قرا ابن عامر وابن كثير وورش وابن محيصن يهدي
بفتح اليا والها وتشديد الدال قال النحاس هذه القراءة بينة في العربية
والاصل فيها يهتدي ادغمت التاء في الدال وقلبت حركتها على الها الرابعة
قرا حفص ويعقوب والاعمش عن ابي بكر مثل قراءة ابن كثير الا انهم كسروا
الها قالوا لان الجزم اذا اضطر الى حركته حرك الى الكسر قال يعقوب هي
لغة سفلى مضر الخامسة قرا ابو بكر عن عاصم يهدي بكسر اليا والها وتشديد
الدال كل ذلك لاتباع الكسر الكسر كما تقدم في البقرة ويخطف وهي لغة من قرا

يسمعن ولن تمسنا النار ونحوه وسلوبه لا يحز يهدى وتحيى يهدى ويهدى
واهدى قال لان الكسرة في اليا تثقل السادسة قرأحمزة والكساى وخلف و
يحيى بن وثاب والاعمش يهدى بفتح الياء واسكان الهاء وكسف الدال من
هدى يهدى قال النحاس وهذه القراه لها وجهان في العربيه وان كانت بعيده
واحد الوجهين ان الكساى والفرا قالا يهدى بمعنى يهدى قال ابو العباس
لا يعرف هذا ولكن التقدير ام من لا يهدى غيره تم الكلام ثم قال الا ان يهدى
استانف من الاول اى لكنه يحتاج ان يهدى فهو استثناء منقطع كما تقول
فلان لا يسمع غيره الا ان يسمع اى لكنه يحتاج ان يسمع قال ابو اسحق فما لكم كلام
تام والمعنى فاى شئ لكم في عباده الاوثان ثم قيل لهم كيف تحكمون اى لانفسكم
وتقضون بهذا الباطل الصراح تعبدون الهه لا تغنى عن انفسها شيا الا ان
تفعل بها والله يفعل ما يشا فتتركون عبادته فموضع كيف نصب بتحكمون ،،
قوله تعالى وما يتبع اكثرهم الا ظنا يريد الروسا منهم اى ما يتبعون الا
حدسا وتخريصا في انها الهة وانها يشفع ولا حجة معهم واما اتباعهم فيتبعونهم
تقليدا وان الظن لا يغنى من الحق شيا اى من عذاب فالحق هو الله وقيل الحق
هنا اليقين اى ليس الظن كاليقين وفي هذه الايه دليل على انه لا يكتفى
بالظن في العقايد ان الله عليم بما يفعلون من الكفر والتكذيب خرج مخرج
التهديد قوله تعالى وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله ان
مع يفترى مصدر والمعنى وما كان هذا القران افترا كما تقول فلان يحب ان
يركب ويحب الركوب قاله الكساى وقال الفرا المعنى لهذا القران ان يفترى كقوله
وما كان لنبى ان يغل وما كان المومنون لينفروا كافه وقيل ان بمعنى اللام
تقديره وما كان هذا القران من عند غير الله ثم ينسبه الى الله لاعجازه لوصفه
ومعانيه وتاليفه ولكن تصديق الذى بين يديه قال الكساى والفرا ومحمد بن
سعدان التقدير ولكن كان تصديق ويجوز عندهم الرفع بمعنى ولكن هو تصديق
الذى بين يديه اى من التوريه والانجيل وغيرهما من الكتب فانها قد بشرت
به فجا مصدقا لها في تلك البشاره وفي الدعا الى التوحيد والايمان بالقيامه وقيل
المعنى ولكن تصديق النبى الذى بين يدى القران وهو محمد عليه السلام لانهم
شاهدوه قبل ان يسمعوا منه القران وتفصيل بالنصب والرفع على الوجهين ،،

المذكورين في تصديق والتفصيل التبيين اي تبين ما في كتب الله المتقدمه
والكتاب اسم الجنس وقيل اراد بتفصيل الكتاب ما بين في القران من الاحكام
لاريب فيه انها عائد القران اي لاشك فيه اي في نزوله من قبل الله تعالى
قوله تعالى ام يقولون افتراه فام ها هنا في موضع الف الاستفهام لانها
اتصلت بما قبلها هي ام المنقطعه التي تقدر بمعنى بل والهمزه كقوله تعالى الم تنزيل
الكتاب لاريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه اي بل وقال ابو عبيده
ام بمعنى الواو مجاز ويقولون افتراه وقيل الميم صله والتقدير ايقولون افتراه
اي اختلق محمد القران من قبل نفسه فهو استفهام معناه التقريع قل فاتوا
بسوره مثله معنى الكلام الاحتجاج بان الايه الاولى دلت على كون القران
من عند الله لانه مصدق الذي بين يديه من الكتب وموافق لها من غير ان
يتعلم محمد عليه السلام عن احد وهذه الايه الزام ان ياتوا بسوره مثله
ان كان مفترى وقد مضى القول في اعجاز القران وانه معجز في مقدمه الكتاب
والحمد لله قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اي كذبوا بالقران
وهم جاهلون بمعناه وتفسيره وعليهم ان يعلموا ذلك بالسوال فهذا يدل على
انه يجب ان ينظر في التاويل ولما ياتهم تاويله اي ولم ياتهم حقيقه عاقبه التكذيب
من نزول العذاب بهم او كذبوا بما في القران من ذكر البعث والجنه والنار و
لما ياتهم تاويله اي حقيقه ما وعدوا في الكتاب قاله الضحاك وقيل للحسين بن
الفضل هل تجد في القران من جهل شيا عاداه قال نعم في موضعين بل كذبوا بما لم
يحيطوا بعلمه وقوله واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم كذلك
كذب الذين من قبلهم يريد الامم الخاليه اي كذا كانت سبيلهم والكاف
في موضع نصب فانظر كيف كان عاقبه الظالمين اي اخذهم بالهلاك والعذاب
قوله تعالى ومنهم من يومن به قيل المراد اهل مكه ومنهم من لا يومن به
في المستقبل وان طال تكذيبه لعلمه تعالى السابق فيهم انهم من اهل السعاده
ومن رفع بالابتدا والخبر في المجرور وكذا ومنهم من لا يومن به والمعنى ومنهم
من يصبر على كفره حتى يموت كابي طالب وابي لهب وغيرهما وقيل المراد اهل
الكتاب وقيل عام في جميع الكفار وهو الصحيح وقيل ان الضمير في به يرجع الى
محمد صلى الله عليه وسلم فاعلم الله سبحانه انه انما اخر العقوبه لان منهم

من سيو من وربك اعلم بالمفسدين اى من يصير على كفره وهذا تهديد لهم
قوله تعالى فان كذبوك فقل لى عملى رفع بالابتدا والمعنى لى ثواب عملى فى
التبليغ والانذار والطاعة لله تعالى ولكم عملكم اى جزاؤه من الشرك انتم بريئون
مما اعمل وانا برئ مما تعملون مثله اى لا يؤخذ احد بذنب احد وهذه الايه
منسوخه باية السيف فى قول مجاهد والكلبى ومقاتل وابن زيد قوله تعالى
ومنهم من يستمعون اليك يريد بظواهرهم وقلوبهم لا يعى شيا مما تقوله من
الحق ويتلوه من القران ولهذا قال افانت تسمع الصم اى لا تسمع فظاهره الاستفهام
ومعناه النفى وجعلهم كالصم للختم على قلوبهم والطبع عليها اى لا يقدر على هدايه
من اصمه الله تعالى على سماع الهدى وكذا المعنى فى افانت تهدى العمى اخبر تعالى
ان احدا لا يؤمن الا بتوفيقه وهدايته وهذا وان وما كان مثله ترد على
القدريه قولهم كما تقدم فى غير موضع وقال يسمعون على معنى من وينظر على
اللفظ والمراد تسلية النبى صلى الله عليه وسلم اى كما لا تقدر ان توفق هولا
للايمان وقد حكم الله عليهم ان لا يؤمنوا ومعنى ينظر اليك اى يديم النظر كما قال
ينظرون اليك تدور اعينهم كالذى يغشى عليه من الموت قيل انها نزلت فى
المستهزئين والله اعلم قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس سيا لما ذكر اهل
الشقا ذكر انه لم يظلمهم وان تقدير الشقا عليهم وسلب سمع القلوب ونصرع ليس
ظلما منه لانه يتصرف فى ملكه بما شا وهو فى جميع افعاله عادل ولكن الناس انفسهم
يظلمون بالكفر والمعصيه ومخالفة امر خالقهم وقرحمزه والكساى ولكن مخففا الناس
رفعا قال النحاس زعم جماعة من النحويين منهم الفرا ان العرب اذ قالت ولكن
بالواو واثرت التشديد واذا حذفوا الواو اثروا التخفيف واعتل فى ذلك فقال
لانها اذا كانت بغير واو واشبهت بل فخففوها لتكون ما بعدها كما بعد بل وكان
وصيروت حرفا واحدا واسد ولكن من حسبها لنعبد فما بالاسم
لانها ان قوله تعالى ويوم نحشرهم كان لم يلبثوا بمعنى كانهم فخفف
اى كانهم لم يلبثوا فى قبورهم الا ساعة من النهار قدر ساعه يعنى انهم
استقصروا طول مقامهم فى القبور لهول ما يرون من البعث والنشور دليله
قولهم لبثنا يوما او بعض يوم وقيل انما قصرت مدة لبثهم فى الدنيا من هول
ما استقبلوا لا مدة كونهم فى القبر ابن عباس راوا ان طول اعمارهم فى مقابله

الجلود كساعة يتعارفون بينهم فى موضع نصب على الحال من الها والميم فى
يحشرهم ويجوز ان يكون منقطعا كانه قال وهم يتعارفون قال الكلبى يعرف بعضهم
بعضا كمعرفتهم فى الدنيا اذا خرجوا من قبورهم وهذا التعارف تعارف توبيخ
وافتضاح يقول بعضهم لبعض انت اضللتنى واغويتنى وحملتنى على الكفر و
ليس تعارف شفقة ورافة وعطفة ثم ينقطع المعرفة اذا عاينوا اهوال القيمة كما
قال ولا يسئل حميم حميما وقيل يبقى تعارف التوبيخ وهو الصحيح كقوله تعالى ولو ترى
اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول الى قوله وجعلنا الاغلال
فى اعناق الذين كفروا وقوله كلما دخلت امة لعنت اختها الاية وقوله ربنا انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيل فاما قوله ولا يسئل حميم حميما فاذا نفخ فى الصور
فلا انساب بينهم معناه لا يسئله سؤال رحمة ولا شفقة والله اعلم وقيل القيمة
مواطن وقيل معنى يتعارفون اى يتساءلون كم لبثتم كما قال واقبل بعضهم على
بعض يتساءلون وهذا حسن وقال الضحاك ذلك تعارف تعاطف المؤمنين و
الكافر لا انساب بينهم والاول اظهر والله اعلم قوله تعالى خسر الذين
كذبوا بلقاء الله اى بالعرض على الله ثم قيل يجوز ان يكون هذا اخبارا من الله عز
وجل بعد ان دل على البعث والنشور اى خسروا ثواب الجنة وقيل خسروا فى حال
لقاء الله لان الخسران انما هو فى تلك الحالة وهى الحالة التى لا يرجى فيها اقالة ولا ينفع توبة
قال النحاس ويجوز ان يكون المعنى يتعارفون بينهم يقولون هذا وما كانوا مهتدين
يريد فى علم الله قوله تعالى واما نرينك بعض الذى نعدهم اى من
اظهار دينك فى حياتك وقال المفسرون كان البعض الذى وعدهم قتل من
قتل واسر من اسر او نتوفينك عطف على نرينك او نتوفينك قبل ذلك فالينا مرجعهم
جواب اذا والمقصود ان لم ننتقم منهم عاجلا ننتقم منهم اجلا ثم الله شهيد اى
اى شاهد لا يحتاج الى شاهد على ما يفعلون من محاربتك وتكذيبك ولو قيل ثم الله
شهيد بمعنى هناك قوله تعالى ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم
فيكون المعنى ولكل امة رسول شاهد عليهم فاذا جاء رسولهم يوم القيمة قضى بينهم
مثل فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وقال ابن عباس ينكر الكفار غدا مجى
الرسل اليهم فيوتى بالرسول فيقول قد ابلغتهم الرسالة فحينئذ يقضى عليهم بالعذاب
دليله قوله ويكون الرسول عليكم شهيدا او يجوز ان يكون المعنى انهم لا يعذبون

فى الدنيا حتى يرسل اليهم فمن امن فاز ونجا ومن لم يومن هلك وعذب دليل قوله
تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والقسط العدل وهم لا يظلمون اى لا
يعذبون بغير ذنب ولا يواخذون واستعجالهم العذاب اى متى العقاب ومتى النقمه
التى تعد يا محمد وقيل هو عام فى كل رسولها قوله تعالى قل لا املك لنفسى
ضرا ولا نفعا لما استعجلوا النبى صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال الله قل لهم يا محمد لا
املك لنفسى ضرا ولا نفعا اى ليس ذلك لى ولا لغيرى الا ما شاء الله ان املكه واقدر
عليه فكيف اقدر ان املك ما استعجلتم فلا تستعجلوا لكل امة اجل اى لهلاكهم
وعذابهم وقت معلوم فى علمه سبحانه اذا جاء اجلهم اى وقت انقضاء اجلهم
فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اى لا يمكنهم ان يستاخروا باقين ساعة
فى الدنيا ولا يتقدمون فيوخرون قوله تعالى قل ارايتم ان اتاكم عذابه
بياتا او نهارا ظرفان وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد وسفيه لا رايتم فى استعجالهم
العذاب اى ان اتاكم العذاب فما نفعكم فيه ولا ينفعكم الايمان حينئذ ماذا
يستعجلون منه المجرمون استفهام معناه التهويل والتعظيم اى ما اعظم ما يستعجلون
كما يقال لمن يطلب امرا يستوخم عاقبته ماذا تجنى على نفسك والضمير فى منه قيل
يعود على العذاب وقيل على الله تعالى قال النحاس ان جعلت الهاء فى منه يعود على
العذاب كان لك فى ماذا تقديران احدهما ان يكون ما فى موضع رفع بالابتداء
وذا بمعنى الذى وهو خبر ما والعايد محذوف وان جعلت الهاء فى منه يعود
على اسم الله تعالى جعلت ما وذا شيا واحدا وكانت فى موضع نصب بيستعجل
والمعنى اى شى يستعجل منه المجرمون من الله عز وجل قوله تعالى ثم اذا ما وقع
امنتم به الان فى الكلام حذف والتقدير أتؤمنون ان ينزل بكم العذاب ثم
يقال لكم اذا حل الان امنتم به قيل هو من قول الملائكة استهزاء بهم وقيل هو
من قول الله تعالى ودخلت الف الاستفهام على ثم والمعنى التقرير والتوبيخ و
ليدل على معنى الجملة الثانية بعد الاول وقيل ان ثم ها هنا بمعنى ثم بفتح الثاء
فيكون ظرفا والمعنى اهنالك وهو مذهب الطبرى وحينئذ لا يكون فيه معنى
الاستفهام والان قيل اصله فعل مبنى مثل حان الالف واللام للعهد والاشارة
الى الوقت وهو حد الزمانين وقد كنتم به اى بالعذاب تستعجلون قوله تعالى
ثم قيل للذين ظلموا اى تقول لهم خزنة جهنم ذوقوا عذاب الخلد اى الذى لم ينقطع

هل تجزون الا بما كنتم تكسبون اي جزاء كفركم قوله تعالى ويستنبئونك
اى يستخبرونك يا محمد عن كون العذاب وقيام الساعة احق ابتداء هو سد مسد
الخبر هذا قول سيبويه ويجوز ان يكون هو مبتدأ واحق خبره قل اى كلمة تحقيق
والجواب وتاكيد بمعنى نعم وربى قسم انه لحق جوابه اى كائن لا شك فيه وما انتم بمعجزين
اى فائتين عن عذابه ومجازاته قوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت اى اشركت
وكفرت ما فى الارض اى ملكا لافتدت به اي من عذاب الله نعم ولا تقبل منها كما
قال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو
افتدى به وقد تقدم قوله تعالى واسروا الندامة اى اخفوها يعنى رؤساهم
اى اخفوا ندامتهم عن اتباعهم لما رأوا العذاب وهذا قبل الاحراق بالنار فاذا
وقعوا فى النار الهتهم النار عن التصنع بدليل قولهم ربنا غلبت علينا شقوتنا
بين انهم لا يكتمون الله داءهم وقيل اسروا اظهروا والكلمة من الاضداد ويدل
عليه ان الاخرة ليست دار تجلد وتصبر وقيل وجدوا الم الحسرة فى قلوبهم
لان الندامة لا يمكن اظهارها قال كثير فاسررت الندامة يوم نادى برد
حال عاصرة المنادى وذكر المبرد فيه وجها ثالثا انه بدت بالندامة اسرة
وجوههم وهى تكاسر الجبهة واحدها سرار والندامة الحسرة لوقوع شئ او فوت
شئ واصلها اللزوم ومنه النديم لانه يلازم المجالس وفلان نادم سادم والسدم
اللهج بالشئ وندم وسدم بالشئ اى اهتم به قال الجوهرى السدم بالتحريك الندم
والحزن وقد سدم بالكسر ورجل نادم سادم وندمان سدمان ويقال هو
اتباع وماله هم ولا سدم الا ذلك وقيل الندم مقلوب الدمن اللزوم ومنه
فلان يدمن الخمر والدمن ما اجتمع فى الدار وتلبد من الابوال والابعار سمى
به للزومه والدمنة الحقد اللازم للصدر والجمع دمن وقد دمنت قلوبهم
بالكسر يقال دمنت على فلان اى ضغنت وقضى بينهم بالقسط اى بين الرؤساء
والسفلة بالعدل وهم لا يظلمون قوله تعالى الا ان لله ما فى السموات والارض
الا ان وعد الله حق له ملك السموات والارض فلا مانع يمنعه من انفاذ ما وعد
ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك قوله تعالى هو يحيى ويميت واليه ترجعون بين المعنى
وقد تقدم قوله تعالى يا ايها الناس يعنى قريشا قد جاءتكم موعظة من ربكم
يعنى القرآن فيه مواعظ وحكم وشفاء لما فى الصدور اى من الشك والنفاق والخلاف

والسقاق وهدى اى مرشد الى من اتبعه ورحمة اى نعمة للمؤمنين خصهم لانهم المنتفعون بالايمان والكل صفات والعطف لتاكيد المدح قال
الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم قوله تعالى
قل بفضل الله وبرحمته قال ابو سعيد الخدرى وابن عباس رضى الله عنهما فضل الله القران ورحمته الاسلام وعنهما ايضا فضل الله القران ورحمته ان جعلكم من اهله وعن الحسن والضحاك ومجاهد فضل الله الايمان ورحمته القران على العكس من القول الاول وقيل غير هذا فبذلك فليفرحوا اشارة الى الفضل والرحمة والعرب تاتى بذلك للواحد والاثنين والجمع وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قرا فبذلك فلتفرحوا بالتاء وهى قراءة يزيد بن القعقاع ويعقوب وغيرهما وفى الحديث لتاخذوا مصافكم والفرح لذة فى القلب بادراك المحبوب وقد ذم الفرح فى مواضع كقوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وقوله انه لفرح فخور ولكنه مطلق فاذا قيد الفرح لم يكن ذما كقوله فرحين بما اتاهم الله من فضله وههنا قال تبارك وتعالى فبذلك فليفرحوا اى بالقران والاسلام فليفرحوا فقد قال هارون فى حرف خلاف ابى فبذلك فافرحوا قال النحاس سبيل الامر ان يكون باللام ليكون معه حرف جازم كما ان مع النهى حرفا الا انهم يحذفون من الامر للمخاطب استغناء بمخاطبته وربما جاوا به على الاصل منه فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون يعنى فى الدنيا وقراءة العامة بالياء فى الفعلين وروى عن ابن عامر انه قرا فليفرحوا بالياء تجمعون بالتاء خطابا للكافرين وروى عن الحسن انه قرا بالتاء فى الاول يجمعون بالياء على العكس وروى ابان عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من هداه الله للاسلام وعلمه القران ثم شكا الفاقة كتب الله الفقر بين عينيه الى يوم يلقاه ثم تلا قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قوله تعالى
قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى قل ارايتم يخاطب كفار قريش ما انزل الله من رزق ما فى موضع نصب بارايتم وقال الزجاج فى موضع نصب بانزل وانزل بمعنى خلق كما قال وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد فيه باس شديد فيجوز ان يعبر عن الخلق بالانزال لان الذى فى الارض من الرزق انما هو بما ينزل

من السما، من المطر فجعلتم منه حراما وحلالا قال مجاهد هو ما حكموا به من تحريم
البحيرة والسايبه والوصيله والحام وقال الضحاك هو قول الله تعالى وجعلوا لله
مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا قل الله اذن لكم اى فى التحليل والتحريم
ام على الله ام بمعنى بل تفترون هو قولهم ان الله امرنا بها الثانيه استدل بهذه
الايه من نفى القياس وهذا بعيد فان القياس دليل الله تعالى فهو خروج
عن هذا الغرض ورجوع الى غيره قوله تعالى وما ظن الذين يفترون
على الله الكذب يوم القيمه يوم منصوب على الظرف او بالظن نحو ما ظنك زيدا
والمعنى يحسبون ان الله لا يواخذهم به ان الله لذو فضل على الناس اى
فى التاخير والامهال وقيل اراد اهل مكه حين جعلهم فى حرم امن ولكن
اكثرهم يعنى الكفار لا يشكرون لا يوحدون قوله تعالى وما يكون
فى شان ما للجحد اى لست فى شان يعنى من عبادة او غيرها الا والرب مطلع
عليهما والشان الخطب والامر وجمعه شوون قال الاخفش تقول العرب ما
لبست شانه اى ما عملت عمله وما تتلوا منه من قران قال الفرا والزجاج
الها فى منه تعود على الشان اى تحدث شانا فتتلى من اجله القران نعلم
كيف حكمه او ينزل فيه قران فيتلى وقال الطبرى منه اى من كتاب الله تعالى من
قران اعاد تفخيما كقوله تعالى النبى اولى بالمومنين انى انا الله ولا تعملون من
عمل يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم والامة وقوله وما تكون فى شان
خطاب له والمراد هو وامته وقد يخاطب الرسول والامة والمراد هو و
اتباعه وقيل المراد كفار قريش الا كنا عليكم شهودا اى نعلمه ونطلع ما تكون
من نجوى ثلثه الا هو رابعهم اذ تفيضون فيه اى تاخذون فيه والها عايد
على العمل يقال افاض فلان فى الحديث والعمل اذا اندفع فيه قال الراعى
فافضن بعد كظومهن بجرة من ذى الابارق اذ رعين حقيلا ابن عباس
تفيضون فيه تفعلونه الاخفش تتكلمون ابن زيد تخوضون ابن كيسان
تنشرون القول وقال الضحاك الها عايد على القران المعنى اذ تشيعون
فى القران الكذب وما يعزب عن ربك قال ابن عباس تغيب وقال ابو روق
تبعد وقال ابن كيسان تذهب وقرا الكسائى تعزب بكسر الزاى حيث وقع
وضم الباقون وهما لغتان فصيحتان نحو يعرش من مثقال من صلة اى وما

عن ربك مثقال ذرة اى عمله حر اصغر و قد تقدم فى النسا ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر عطف على موضع المثقال لان من زايدة للتاكيد قال الزجاج و يجوز الرفع
على الابتدا وخبره الا فى كتاب مبين يعنى اللوح المحفوظ مع علم الله تعالى به
وقال الرجاجى لا بمعنى واو النسق اى وهو فى كتاب مبين كقوله انى لا يخاف لدى
المرسلون الا من ظلم اى ومن ظلم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين
ظلموا اى والذين ظلموا فالا بمعنى واو النسق واسم هو بعده كقوله و قولوا حطة
اى هى حطة و قوله ولا تقولوا ثلثة و نظير ما نحن فيه وما تسقط من ورقة الا
يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين اى وهو
فى كتاب مبين قوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون لفقد الدنيا وقيل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اى من تولاه الله و
تولى حفظه و حياطته و رضى عنه فلا يخاف يوم القيمة ولا يحزن قال الله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون اى عن جهنم مبعدون
اى عن جهنم مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون
لا يحزنهم الفزع الاكبر وروى سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه و سلم
سئل عن اولياء الله فقال الذين يذكر الله برؤيتهم و قال عمر بن الخطاب فى هذه
الاية سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم
بانبيا ولا شهدا يغبطهم الانبيا والشهدا يوم القيمة لمكانهم من الله تعالى قيل
يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله
على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطون بها فوالله ان وجوههم لنور وانهم
على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال على بن ابى طالب رضى الله
عنه اولياء الله قوم صفر الوجوه من السهر عمش العيون من العبر خمص البطون
من الجوع يبس الشفاه من الذوى وقيل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى ذريتهم
لان الله يتولاهم ولا هم يحزنون على دنياهم لتعويض الله اياهم فى اولاهم و
اخراهم لانه وليهم ومولاهم قوله تعالى الذين امنوا وكانوا يتقون
هذه صفة اولياء الله تعالى فيكون الذين فى موضع نصب على البدل من اسم ان وهو
اولياء وان شئت على اعنى وقيل هو ابتدا وخبره لهم البشرى فى الحيوة الدنيا

وفى الآخرة وقيل فيكون مقطوعا عما قبله اى يتقون الشرك والمعاصى قوله
تعالى لهم البشرى فى الحيوة الدنيا عن ابى الدردا قال سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عنها فقال ما سئلنى عنها غيرك منذ انزلت هى الرويا الصالحة يراها المسلم او
ترى له خرجه الترمذى فى جامعه وقال الزهرى وقتاده وعطاهى البشارة التى
تبشرها الملئكه المومن فى الدنيا عند الموت وعن محمد بن كعب القرظى قال اذا
استنفعت نفس العبد المومن جاءه ملك فقال السلام عليك ولى الله الله يقرا عليك
السلام ثم نزع بهذه الآية الذين توفاهم الملئكة طيبين يقولون سلام عليكم
ذكره ابن المبارك وقال قتادة والضحاك هو ان يعلم اين هو من قبل ان يموت
وقال الحسن هى ما يبشرهم الله تعالى فى كتابه من جنته وكريم ثوابه لقوله تعالى
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقوله وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات
ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار وقوله وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون
ولهذا قال لا تبديل لكلمات الله لكلمات الله اى لا خلف لمواعده وذلك لان موا
عيده بكلماته فى الآخرة قيل بالجنة اذا خرجوا من قبورهم وقيل اذا خرجت الروح
بشرت رضوان الله وذكر ابو اسحق الثعلبى سمعت ابا بكر محمد بن عبد الله الجوزقى يقول
رايت ابا عبد الله الحافظ فى المنام راكبا برذونا عليه طيلسان وعمامة فسلمت عليه
وقلت له اهلا بك انا لا نزال نذكرك ونذكر محاسنك فقال ونحن لا نزال نذكرك
ونذكر محاسنك قال الله تعالى لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة الثنا الحسن
واشار بيده لا تبديل لكلمات الله اى لا خلف لوعده وقيل اى لا تبديل لاخباره
اى لا ينسخها شى ولا يكون الا كما قال ذلك هو الفوز العظيم اى ما يصير اليه اولياه
فهم الفوز العظيم قوله تعالى ولا يحزنك قولهم تم الكلام اى لا يحزنك افتراؤهم
وتكذيبهم لك ثم ابتدا فقال ان العزة لله جميعا اى القوة الكاملة والغلبة الشاملة
والقدرة التامة لله وحده فهو ناصرك ومعينك ومانعك جميعا نصب على الحال
ولا تعارض هذا قوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فان كل عزة بالله فهى كلها لله
قال الله سبحانه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو السميع العليم السميع لاقوالهم
واصواتهم العليم باعمالهم وافعالهم وجميع حركاتهم قوله تعالى الا ان لله من فى
السموات ومن فى الارض اى يحكم بما يريد ويفعل ما يشا سبحانه قوله تعالى
وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا ما للنفى اى لا يتبعون شركا على الحقيقة بل

يظنون انها تشفع او تنفع وقيل ما استفهام اى اى شىء يتبع الذين يدعون من دون الله شركا تقبيحا لفعلهم ثم اجاب فقال ان يتبعون الا الظن وانهم الا يخرصون اى يحدسون ويكذبون وقد تقدم قوله تعالى ــــ هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه بين ان الواجب عباده من يقدر على شئ لتسكنوا فيه اى مع ازواجكم واولادكم لتزول التعب والكلال بكم والسكون الهدوء عن اضطراب قوله تعالى والنهار مبصرا اى مضيئا لتهتدوا به فى حوائجكم والمبصر الذى يبصر والنهار يبصر فيه وقال مبصرا تجوزا وتوسعا على عادة العرب فى قولهم ليل قائم ونهار صائم قال جرير لقد لمتنا يا ام غيلان فى السرى ونمت وما ليل المطى بنائم وقال قطرب يقال اظلم الليل اى صار ذا ظلمة واضاء النهار وابصر اى صار ذا ضياء وبصر قوله تعالى ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون اى علامات ودلالات لقوم يسمعون اى سماع اعتبار قوله تعالى قالوا اتخذ الله ولدا يعنى الكفار وقد تقدم سبحانه نزه نفسه عن الصاحبة والاولاد وعن الشركاء والانداد ثم اخبر بغناه المطلق وان له ما فى السموات والارض ملكا وخلقا وعبدا ان كل من فى السموات والارض الا آت الرحمن عبدا ان عندكم من سلطان بهذا اى ما عندكم لحجة بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون من اثبات الولد له والولد يقتضى المشابهة والمجانسة والله تعالى لا يجانس شيئا ولا يشبهه شئ قوله تعالى قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون اى لا يفوزون ولا يأمنون وتم الكلام متاع قليل اى ذلك متاع او هو متاع فى الدنيا قاله الكسائى وقال الاخفش لهم متاع فى الدنيا قال ابو اسحق ويجوز النصب فى غير القرآن على معنى يتمتعون متاعا ثم الينا مرجعهم اى رجوعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد اى الغليظ بما كانوا يكفرون اى بكفرهم قوله تعالى واتل عليهم نبأ نوح امره عليه السلام ان يذكرهم اقاصيص المتقدمين ويخوفهم العذاب الاليم على كفرهم وحذفت الواو من اتل لانه امر اى اقرأ عليهم خبر نوح اذ قال لقومه اذ فى موضع نصب يا قوم ان كان كبر عليكم اى عظم وثقل عليكم مقامى المقام بفتح الميم الموضع الذى يقوم فيه والمقام بالضم الاقامة ولم يقرأ به فيما علمت اى ان طال عليكم لبثى فيكم وتذكيرى اياكم وتخويفى لكم بآيات الله وعزمتم على قتلى وطردى فعلى الله توكلت اى اعتمدت وهذا هو جواب الشرط ولم يزل عليه السلام متوكلا على

الله تعالى فى كل حال ولكن بين انه متوكل فى هذا على الخصوص لتعرف قومه ان
الله تعالى يكفيه امرهم اى ان لم ينصرونى فانى اتوكل على من ينصرنى قوله تعالى
فاجمعوا امركم وشركاءكم قرا الايمة اجمعوا بقطع الالف شركاءكم بالنصب و قرا
عاصم الجحدرى فاجمعوا بوصل الالف وفتح الميم من جمع يجمع شركاءكم بالنصب
وقرا الحسن وابن ابى اسحق ويعقوب فاجمعوا بقطع الالف شركاؤكم بالرفع فاما
القراه الاولى من اجمع على الشى اذا عزم عليه وقال الاكثر الفرا اجمع الشى اعده
وقال المورج اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه وانشد

يا ليت شعرى والمنا لا ينفع ... هل اغدون يوما وامرى مجمع

قال النحاس
وفى نصب الشركا على هذه القراه ثلثة اوجه قال الكسائى والفرا هو بمعنى وادعوا
شركاكم لنصرتكم وهو منصوب عندهما على اضمار هذا الفعل وقال محمد بن يزيد
هو معطوف على المعنى كما قال

يا ليت زوجك فى الوغا ... متقلدا سيفا ورمحا

والرمح لا يتقلد الا انه محمول كالسيف وقال ابو اسحق الزجاج المعنى مع شركاكم
على تناصركم كما يقال التقى الما والخشبة والقراه الثانية من الجمع اعتبارا بقوله
تعالى فجمع كيده ثم اتى قال ابو معاذ ويجوز ان يكون بمعنى جمع واجمع واحد وشركاكم
على هذه القراه عطف على امركم او على معنى فاجمعوا امركم واجمعوا شركاكم
وان شئت بمعنى مع قال ابو جعفر النحاس وسمعت ابا اسحق يجيز قام زيد وعمرو
او القراه الثالثة على ان تعطف الشركا على المضمر المرفوع فى اجمعوا وحسن
ذلك لان الكلام قد طال قال النحاس وغيره وهذه القراه تبعد لانه لو كان
مرفوعا لوجب ان يكتب بالواو ولم ير فى المصاحف فى قوله وشركاكم و
ايضا فان شركاهم الاصنام والاصنام لا تصنع شيا ولا فعل لها حتى تجمع
قال المهدوى ويجوز ان يرتفع بالابتدا والخبر محذوف اى وشركاكم ليجمعوا
امرهم ونسب ذلك الى الشركاء وهى لا تسمع ولا تبصر ولا تميز على جهة التوبيخ
لمن عبدها قوله تعالى ثم لا يكن امركم عليكم غمة اسم يكن وخبرها
غمة وغم سوا ومعناه التغطية من قولهم غم الهلال اذا استتر اى ليكن امركم
ظاهرا منكشفا تتمكنون فيه مما شئتم لكن حفى امره فلا تقدر على ما تريد قال
طرفة

لعمرى ما امرى علىّ بغمة ... نهارى ولا ليلى علىّ بسرمد

الزجاج غمة اذا
غم والغم كالكرب والكربة وقيل ان الغمة ضيق الامر الذى يوجب الغم

فلا يسرّ صاحبه لامره مقصد ومفرج به مانعمه وفي الصحاح والغمة الكربة قال
العجاج بل لو شهدت الناس اذ تكموا الغمة لو لم تفرج غموا تعالى امر غمة اي
مبهم اي ملتبس قال تعالى ثم لا يكن امركم عليكم غمة قال ابو عبيدة مجازها ظلمة و
ضيق والغمة ايضا هو الحي وغنة قال غيره واصل هذا كله مشتق من الغمامة
قوله تعالى ثم اقضوا الي ولا تنظرون اقضوا الف وصل من قضى قال الكسائي
والاخفش هو مثل وقضينا اليه ذلك الامر اي انهيناه اليه وابلغناه اليه وعن
ابن عباس رضي الله عنه ثم اقضوا الي ولا تنظرون قال امضوا ولا تؤخرون
قال النحاس هذا قول فصيح صحيح في اللغة ومنه قضى الميت اي مضى واعلمهم بهذا
انهم لا يصلون اليه وهذا من دلايل النبوات وحكى الفرا عن بعض القرا ثم افضوا
الي بالفا وقطع الالف اي توجهوا يقال افضت الخلافة الى فلان وافضى الي
الوجه وهذا اخبار من الله تعالى عن نبيه نوح عليه السلام انه كان بنصر الله
واثقا ومن كيدهم غير خائف علما منه بانهم والهتهم لا ينفعون ولا يضرون
وتعزية لنبيه صلى الله عليه وسلم وتقوية لقلبه قوله تعالى فان توليتم
اي فان فان اعرضتم عما جئتكم به فليس ذلك لاني سألتكم اجرا فيثقل عليكم
مكافاتي ان اجري الا على الله في تبليغ رسالته وامرت ان اكون من المسلمين
الموحدين لله تعالى فتح اهل المدينة وابو عمرو وعامر وحفص يا اجري حيث
وقع واسكن الباقون قوله تعالى فكذبوه يعني نوحا فنجيناه ومن
معه اي من المؤمنين في الفلك اي السفينة وسياتي ذكرها وجعلناهم خلائف
اي سكان الارض وخلفا ممن غرق فانظر كيف كان عاقبة المنذرين يعني الحرام
الذين انذرهم الرسل فلم يومنوا قوله تعالى ثم بعثنا اي من بعد نوح
رسلا الى قومهم كهود وصالح وابرهيم ولوط وشعيب وغيرهم فجاؤهم
بالبينات اي بالمعجزات فما كانوا ليومنوا بما كذبوا به من قبل يوم النذر فانه
كان فيهم من كذب تقليبه وان قال الجمع على قال النحاس ومن احسن ما قيل
في هذا انه لقوم باعيانهم مثل انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون كذلك نطبع
اي نختم على قلوب المعتدين اي المتجاوزين الحد في الكفر والتكذيب فلا يؤمنوا
من ذلك نطبع وهذا يرد على القدرية قولهم كما تقدم قوله تعالى ثم بعثنا
من بعدهم اي من بعد الرسل والامم موسى وهرون الى فرعون وملائه اي اشراف

قومه بآياتنا يريد الآيات التسع وقد تقدم ذكرها فاستكبروا اى عن الحق
وكانوا قوما مجرمين اى مشركين قوله تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا يريد
فرعون وملاءه قالوا ان هذا السحر مبين حملوا المعجزات على السحر قال لهم موسى
اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا قيل فى الكلام حذف والمعنى اتقولون للحق
هذا سحر فاتقولون انكارا وقولهم محذوف اى هذا سحر ثم استانف انكارا
آخر فقال اسحر هذا فحذف قولهم الاول اكتفا بالثانى من قوله منكرًا على
فرعون وملايه وقال الاخفش هو من قولهم ودخلت الالف حكايه لقولهم
لانهم قالوا اسحر هذا فقيل لهم اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا وروى عن الحسن
ولا يفلح الساحرون اى لا يفلح من اتى به قوله تعالى قالوا اجئتنا لتلفتنا
اى تصرفنا وتلوينا يقال لفته يلفته لفتا اذا لواه وصرفه قال تلوت نحو الحى
حتى داسنى فرحف من الاصغا لتنا واخدعا ومن هذا البيت انما هو عدل
عن الجهد التى نحن بده عما وجدنا عليه ابانا يريد من عباده الاصنام و
تكون لكما الكبريا فى الارض اى العظمه والملك والسلطان فى الارض يريد
ارض مصر فقال للملك الكبريا لانه اعظم ما يطلب فى الدنيا وما نحن لكما بمؤمنين
وقرا ابن مسعود والحسن وغيرهما ويكون باليا لانه تانيث غير حقيقى وقد
فصل بينهما وحكى سيبويه حضر القاضى امراتان قوله تعالى وقال
فرعون ائتونى بكل ساحر عليم انما قال لما راى العصا واليد البيضا واعتقد انهما
سحر وقرا حمزه والكسائى وابن وثاب والاعمش سحار وقد تقدم فى الاعراف
القول فيهما قوله تعالى فلما جا السحره قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون
اى اطرحوا على الارض ما معكم من حبالكم وعصيكم وقد تقدم فى الاعراف القول
فى هذا مستوفى قوله تعالى فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر
على التوبيخ والتقصير لما جاءوا به من السحر وقراه ابى عمرو السحر على الاستفهام
على اضمار مبتدا والتقدير اهو السحر ويجوز ان يكون مبتدا والخبر محذوف
التقدير السحر جئتم به ولا يكون ما على قراه من استفهم بمعنى الذى اذ لا خبر لها
وقرا الباقون السحر على الخبر ودليل هذه القراه قراه ابن مسعود ما جئتم
به سحر وقراه ابى ما اتيتم به سحر فما بمعنى الذى وجئتم به الصله وموضع ما رفع
بالابتدا والسحر خبر الابتدا ولا يكون ما اذا جعلتها بمعنى الذى نصبا لان

الصلة لا تعمل في الموصول واجاز الفرا نصب السحر بجئتم ويكون ما للشرط و
جئتم في موضع جزم والفا محذوفة التقدير فان الله سيبطله ويجوز ان ينصب
السحر على المصدر اي ما جئتم به سحرا ثم دخلت الالف واللام زائدتين فلا يحتاج
على هذا التقدير الى حذف الفاء واختار هذا القول النحاس وقال حذف
الفاء في المجازاة لا يجيزه كثير من النحويين الا في ضرورة الشعر كما قال
مَنْ يَفْعَلِ الحَسَنَاتِ اللهُ يَشْكُرُهَا بل ربما دفع بعضهم انه لا يجوز البتة
وسمعت علي بن سليمان يقول حدثني محمد بن يزيد قال حدثني المازني قال
سمعت الاصمعي يقول غير النحويين هذا البيت وانما الرواية من يفعل الخير فالرحمن
يشكره وسمعت علي بن سليمان يقول حذف الفا في المجازاة جايز قال والدليل
على ذلك وما اصابكم من مصيبة بما كسبت ايديكم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم قراتان معروفتان مشهورتان ان الله لا يصلح عمل المفسدين يعني السحر
قال ابن عباس من اخذ مضجعه من الليل ثم تلى هذه الاية ما جئتم به السحر ان
الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين لم يضره كيد ساحر ولا يكتب على مسحور
الا دفع الله عنه السحر قوله تعالى ويحق الله الحق بكلماته اي يبينه ويوضحه
بكلماته اي بكلامه وحججه وبراهينه وقيل بعداته بالنصر ولو كره المجرمون من آل
فرعون قوله تعالى فما آمن لموسى الا ذرية من قومه الهاء عايدة على موسى
قال مجاهد اي لم يؤمن منهم احد وانما آمن اولاد من اهل موسى الذين من بني
اسرائيل لطول الزمان هلك الابا فامنوا وهذا اختيار الطبري والذرية
اعقاب الانسان وقد يكثر وقيل اراد بالذرية مؤمني بني اسرائيل قال ابن عباس
كانوا ستماية الف وذلك ان يعقوب عليه السلام دخل مصر في اثنين و
سبعين انسانا فتوالدوا بمصر حتى بلغوا ستماية الف وقال ابن عباس ايضا
معنى من قومه من قوم فرعون منهم من مؤمن آل فرعون وخازن فرعون
وامراته وماشطة ابنته وامراة خازنه وقيل هم اقوام آباؤهم من القبط
وامهاتهم من بني اسرائيل فسموا ذرية كما سموا اولاد الفرس الذين توالدوا
باليمن وبلاد العرب الابناء لان امهاتهم من غير جنس ابائهم قاله الفرا وعلى
هذا فالكناية في قومه ترجع الى موسى للقرابة من جهة الامهات وآل فرعون اذا
كانوا من القبط قوله تعالى على خوف من فرعون لانه كان مسلطا عليهم

وما ... ابنته

عاسا وملايهم ولم يقل وملايه وعنه سته اجوبه احدها ان فرعون
لما كان جبارا اخبر عنه بفعل الجمع الثاني ان فرعون لما ذكر علم ان معه
غيره فعاد الضمير عليه وعليهم وهذا احد قول الفرا الثالث ان يكون الجماعه
سميت بفرعون مثل ثمود الرابع ان يكون التقدير على خوف من ال فرعون ،،
فيكون من باب حذف المضاف مثل واسئل القريه وهو القول الثاني للفرا و
هذا الجواب على مذهب الخليل وسيبويه خطا لا يجوز عندهما قامت هند و
انت تريد غلامها الخامس مذهب الاخفش سعيد ان يكون الضمير يعود على
الذريه او ملا الذريه وهو اختيار الطبري السادس يكون الضمير يعود على
قومه قال النحاس وهذا الجواب كان ابلغها ان يفتنهم وحد يفتنهم على الاخبار
عن فرعون اي يصرفهم عن دينهم بالعقوبات وهو في موضع خفض على
انه بدل اشتمال ويجوز ان يكون في موضع نصب بخوف ولم ينصرف فرعون
لانه اسم اعجمي وهو معرفه وان فرعون لعال في الارض اي عال متكبر وانه
لمن المسرفين اي المجاوزين الحد في الكفر لانه كان عبدا فادعى الربوبيه
قوله تعالى وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله اي صدقتم بالله
فعليه توكلوا اي اعتمدوا ان كنتم مسلمين كرر الشرط تاكيدا وبين ان كمال الايمان
بتفويض الامر الى الله تعالى فقالوا على الله توكلنا اي اسلمنا امورنا اليه ورضينا
بقضايه وقدره وانتهينا الى امره ربنا لا تجعلنا فتنه للقوم الظالمين اي لا
تنصرهم علينا فيكون ذلك فتنه لنا عن الدين او لا تمتحنا بان يعذبونا على
ايديهم وقال مجاهد المعنى لا تهلكنا بايدي اعدائنا ولا تعذبنا بعذاب من
عندك فيقول اعداونا لو كانوا على حق لما سلطنا عليهم فيفتنوا وقال ابو مجلز
وابو الضحى لا يظهرهم علينا فيروا انهم خير منا فيزدادوا طغيانا قوله
تعالى ونجنا اي خلصنا من القوم الكافرين اي من فرعون وقومه لانهم كانوا
ياخذونهم بالاعمال الشاقه ❊ قوله تعالى واوحينا الى موسى واخيه ان
تبوا لقومكما بمصر بيوتا فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى واوحينا الى موسى
واخيه ان تبوا لقومكما اي اتخذا لقومكما بمصر بيوتا يقال بوات زيدا مكانا وبوات
لزيد مكانا والمبوا المنزل الملزوم ومنه بواه الله منزلا اي الزمه اياه واسكنه
ومنه الحديث من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار قال الراجز

يمن بنو عدنان ليس منك بنو المجد سنا والملك   ومصر في هذه الاية هي الاسكندرية
في قول مجاهد وقال الضحاك انه البلد المسمى مصر ومصر ما بين البحر الى اسوان و
الاسكندرية من ارض مصر الثالثة قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة قال اكثر المفسرين
كان بنو اسرائيل لا يصلون الا في مساجدهم وكنائسهم وكانت ظاهرة فلما ارسل
موسى امر فرعون بمساجد بني اسرائيل فخربت كلها ومنعوا من الصلوة فاوحى الله تعالى
الى موسى وهرون ان اتخذا وتخيرا لبني اسرائيل بيوتا بمصر اي مساجد ولم يرد المنازل
المسكونة هذا قول ابراهيم وابن زيد والربيع وابي مالك وابن عباس وغيرهم وروى
عن ابن عباس وسعيد بن جبير ان المعنى واجعلوا بيوتكم تقابل بعضها بعضا والقول
الاول اصح اي جعلوها مساجدكم الى القبلة قيل بيت المقدس وهي قبلة اليهود الى اليوم
قاله ابن بحر وقيل الكعبة عن ابن عباس قال وكانت الكعبة قبلة موسى ومن معه
وهذا يدل على ان القبلة في الصلوة كانت شرعا لموسى عليه السلام ولم تخل الصلوة
عن شرط الطهارة وستر العورة واستقبال القبلة فان ذلك ابلغ في التكليف واوفر
للعبادة وقيل المراد صلوا في بيوتكم سرا لتامنوا وذلك حين اخافهم فرعون فا مروا
بالصبر واتخاذ المساجد في البيوت والاقدام على الصلوة والدعا الى ان ينجز الله
وعده وهو المراد بقوله وقال موسى استعينوا بالله واصبروا الاية وكان من دينهم
انهم لا يصلون الا في البيع والكنايس ما داموا على امن فاذا خافوا فقد اذن لهم
ان يصلوا في بيوتهم قاله ابن العربي والاول اظهر القولين لان الثاني دعوى
الثالثة قوله دعوى صحيح فان في الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم جعلت لنا الارض
مسجدا وطهورا وهذا مما خص به دون الانبيا صلوات الله عليهم فنحن بحمد الله
نصلي في المساجد حتى الركوع قبل الجمعة وبعدها وقبل الصلوات المفروضات وبعدها
وبعدها اذا النوافل يحصل فيها الريا والفرايض لا يحصل فيها ذلك وكلما خلص العمل
من الريا كان افضل وازلفت عند الله سبحانه وتعالى روى مسلم عن عبد الله
بن شقيق قال سالت عايشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تطوعه
قالت كان يصلي في بيتي قبل الظهر اربعا ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي
ركعتين وكان يصلي بالناس المغرب ثم يدخل فيصلي ركعتين ثم يصلي بالناس
العشاء ويدخل بيتي فيصلي ركعتين الحديث وعن ابن عمر قال صليت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل الظهر سجدتين وبعدها سجدتين وبعد المغرب سجدتين

فاما المغرب والعشا والجمعه فصلت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بيته وروى ابو
داود عن كعب بن عجرة ان النبي صلى الله عليه وسلم اتا مسجد بني عبد الاشهل
فصلى فيه المغرب فلما قضوا صلاتهم راهم يسبحون بعدها فقال هذه صلوة
البيوت الثالثه اختلف العلما من هذا الباب في قيام رمضان هل ايقاعه
في البيت افضل او في المسجد فذهب مالك الى انه في البيت افضل لمن قوي عليه
وبه قال ابو يوسف وبعض اصحاب الشافعي وذهب عبد الحكم واحمد وبعض اصحاب
الشافعي ان حضورها في الجماعه افضل وقال الليث لو قام الناس في بيوتهم
لم يقم احد في المسجد لا ينبغي ان يخرجوا اليه والحجة لمالك ومن قال بقوله صلى الله
عليه وسلم في حديث زيد بن ثابت فعليكم بالصلوة في بيوتكم فان خير الصلوة المرء
في بيته الا المكتوبه خرجه البخاري احتج المخالف بان النبي صلى الله عليه وسلم
قد صلاها في الجماعه في المسجد ثم اخبر بالمانع الذي منع على الدوام على ذلك
وهو خشيه ان يفرض عليهم فلذلك قال لهم فعليكم بالصلوة في بيوتكم ثم ان
الصحابه كانوا يصلونها في المسجد اوزاعا متفرقين الى ان جمعهم عمر على قاري
واحد فاستقر الامر على ذلك ثبت سنه الرابعه فاذا نزلنا على انه كان
ابيح لهم ان يصلوا في بيوتهم وخافوا على انفسهم فيستدل به على ان المعذور
بالخوف وغيره يجوز له ترك الجمعه والجماعه والعذر الذي يبيح له ذلك المرض
الحابس او خوف زيادته او خوف جور السلطان في مال او بدن دون القضا
عليه بحق والمطر الوابل مع الوحل عذر ان لم ينقطع ومن له ولي حميم قد حضرته
الوفاه ولم يكن عنده من يمرضه وقد فعل ذلك ابن عمر الخامسه قوله تعالى و
بشر المومنين قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم هو الظاهر اي بشر بني اسرائيل بان الله
سيظهرهم على عدوهم قوله تعالى وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون
وملاه اتيت اي اعطيت زينة اي مال الدنيا وكان لهم من فسطاط مصر الى
ارض الحبشة جبال فيها معادن الذهب والفضه والزبرجد والياقوت قوله
تعالى ربنا ليضلوا عن سبيلك اختلف في هذه اللام واصح ما قيل فيها وهو قول الخليل
وسيبويه انها لام العاقبة والصير ورة وفي الخبر ان لله تعالى ملكا ينادي
كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب اي لما كان عاقبة امرهم الى الضلال صار
كانه اعطاهم ليضلوا وقيل هي لام اي اعطيتهم لكي يضلوا ويبطروا ويتكبروا
التعليل

وقيل هي لام اجل اى اعطيتهم لاجل اعراضهم عنك فلم يخافوا ان تعرض عنهم
وزعم قوم ان المعنى اعطيتهم ذلك لئلا يضلوا فحذفت لا كما قال عز وجل يبين الله
لكم ان تضلوا والمعنى ان لا تضلوا قال النحاس ظاهر هذا الجواب حسن الا ان
العرب لا تحذف لا الا مع ان فمن صاحب هذا الجواب يقول عز وجل ان تضلوا
وقيل اللام للدعاء اى ابتليهم بالضلال عن سبيلك لان بعده واطمس واشدد
وقيل الفعل بمعنى المصدر اى اضلالهم كقوله تعالى ليعرضوا عنهم وقرا الكوفيون
ليضلوا بضم اليا من الاضلال وفتحها الباقون قوله تعالى ربنا اطمس
على اموالهم اى عاقبهم على كفرهم باهلاكهم اموالهم قال الزجاج طمس الشي اذهابه
عن صورته قال ابن عباس ومحمد بن اصبع صارت اموالهم ودراهمهم حجارة
منقوشة كهيئتها صحاحا واثلاثا وانصافا ولم يبق لهم معدن الا طمس الله عليه
فلم ينتفع به احد بعد وقال قتادة بلغنا ان اموالهم وزروعهم صارت حجارة
وقال مجاهد وعطية اهلكها حتى لا يرى يقال عين مطموس وطمس الموضع
اذا عفا ودرس وقال ابن زيد صارت دنانيرهم ودراهمهم وفرشهم وكل
شي لهم حجارة محمد بن كعب وكان الرجل منهم يكون مع اهله في فراشه وقد صارا حجرين
قال وسالني عمر بن عبد العزيز فذكرت ذلك له فدعا بخريطة اصيبت بمصر فاخرج
منها الفواكه والدراهم والدنانير وانها الحجارة قال السدي وكانت احدى
الايات التسع واشدد على قلوبهم قال ابن عباس اى امنعهم الايمان وقيل
قسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان والمعنى واحد فلا يومنوا قيل هو
عطف على قوله ليضلوا اى اتيتهم النعم ليضلوا ولا يومنوا قاله المبرد والزجاج
وعلى هذا فلا يكون فيه من معنى الدعا شي وقوله ربنا اطمس واشدد كلام معترض
وقال الفرا والكسائي وابو عبيدة هو دعا فهو في موضع جزم عندهم اى اللهم
فلا يومنوا او فلا تومنوا ومنه قول الاعشى فلا ينبسط ما بين عينيك
ما ترى ولا تلقني الا وانفك راغم اى لا انبسط ومن قال ليضلوا دعا
ابتلهم بالضلال قال عطف عليه فلا يومنوا وقيل هو في موضع نصب لانه جواب الامر
اى واشدد على قلوبهم فلا يومنوا وهذا قول الاخفش والفرا ايضا وانشد
الفرا يا ناق سيري عنقا فسيحا الى سليمان فنستريحا
فعلى هذا حذفت النون لانه منصوب حتى يروا العذاب الاليم قال ابن عباس

هو الغرق وقد استشكل بعض الناس هذه الآية فقال كيف دعا عليهم وحكم
الرسل استدعا ايمان قومهم والجواب انه لا يجوز ان يدعو نبي على قومه الا باذن
من الله واعلام انه ليس فيهم من يؤمن ولا يخرج من اصلابهم من يؤمن دليله
قوله لنوح عليه السلام انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن وعند ذلك قال
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا والله اعلم قوله تعالى قال
قد اجيبت دعوتكما قال ابو العالية دعا موسى وامن هرون فسمي هرون امن على
الدعا داعيا والتامين على الدعا ان يقول امين فقولك امين دعا اي يارب
استجب لي وقيل دعا هرون مع موسى ايضا وقال اهل المعاني ربما خاطبت
العرب الواحد بخطاب الاثنين قال الشاعر فقلت لصاحبي لا تعجلانا
وهذا على ان امين ليس بدعا وان هرون لم يدع قال النحاس سمعت علي بن
سليمان يقول الدليل على ان الدعا لهما قول موسى عليه السلام ربنا ولم يقل رب
وقرا علي والسلمي دعواتكما بالجمع وقرا ابن السميقع اجبت دعوتكما خبرا عن الله
تعالى ونصب دعوة بعده وتقدم القول في امين في اخر الفاتحة مستوفى وهو
مما خص به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وموسى وهرون عليهما السلام روى
انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى امتي ثلاثا
لم يعط احدا قبلهم السلام وهي تحية اهل الجنة وصفوف الملائكة وامين الا ما
كان من موسى وهرون ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقد تقدم في
الفاتحة قوله تعالى فاستقيما قال الفرا وغيره امرا بالاستقامة على
امرهما والثبات عليه من دعا فرعون وقومه الى الايمان الى ان ياتيهما تاويل
الاجابة قال محمد بن علي وابن جريج مكث فرعون وقومه بعد هذه الاجابة اربعين
سنة ثم اهلكوا وقيل استقيما اي على الدعا والاستقامة السكينة فيه ولا يكون
تلك السكينة الا بالرضى الحسن بجميع ما بدا من الغيب ولا تتبعان بتشديد النون
في موضع جزم على النهي والنون للتوكيد وحركت لالتقا الساكنين واختير لها الكسر
لانها اشبهت نون الاثنين وقرا ابن ذكوان بتخفيف النون على النفي وقيل هو
حال من استقيما اي استقيما غير متبعين والمعنى لا تسلكا طريق من لا يعلم
حقيقة وعدي ووعيدي قوله تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر تقدم القول
فيه في البقرة في قوله واذ فرقنا بكم البحر وقرا الحسن وجوزنا وهما لغتان

فاتبعهم فرعون يقال تبع واتبع بمعنى واحد اذا لحقه واتبع بالتشديد اذا سار خلفه
وقال الاصمعى يقال اتبعه بقطع الالف اذا لحقه وادركه واتبعه بوصل الالف اذا اتبع
اثره ادركه او لم يدركه وكذلك قال ابو زيد وقراه قتادة فاتبعهم بوصل الالف
فى الاثر اتبعه واقتدى به واتبعه بقطع الالف خيرا او شرا هذا قول ابى عمرو
وقد قيل هما بمعنى واحد فخرج موسى ببنى اسرائيل وهم ستمائة الف وعشرون الفا
وتبعه فرعون مصبحا فى الف الف وستمائة الف وقد تقدم بغيا نصب على الحال
وعدوا معطوف عليه اى فى حال بغى واعتداء وظلم يقال عدا يعدو واعدو ومثل
غزا يغزوا وقرا الحسن وعدوا بضم العين وتشديد الواو مثل علا يعلوا و
قال المفسرون بغيا طلبا للاستعلاء بغير حق فى القول وعدوا فى الفعل فهما
نصب على المفعول له حتى اذا ادركه الغرق اى ناله ووصله قال قال امنت اى
صدقت انه اى بانه حذف الخافض تعدى الفعل فنصب وقرى بالكسر اى صرت
مؤمنا ثم استانف وزعم ابو حاتم ان القول محذوف اى امنت فقلت انه
والايمان لا ينفع حينئذ والتوبة مقبولة قبل رؤية الباس واما بعدها وبعد
المخالطة فلا تقبل حسب ما تقدم فى النساء بيانه ويقال ان فرعون هاب
دخول البحر وكان على حصان ادهم ولم يكن فى خيل فرعون فرس انثى فجاءه
جبريل على فرس وديق اى شهى فى صورة هامان وقال له تقدم ثم خاض البحر
فتبعها حصان فرعون وميكائيل يسوقهم لا يشذ منهم احد فلما صار اخرهم
فى البحر وهم اولهم ان يخرج انطبق البحر عليهم والجم فرعون الغرق فقال امنت
انه لا اله الا الذى امنت به بنوا اسرائيل فدس جبريل فى فمه حال البحر روى الترمذى عن ابن عباس ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال لما اغرق الله فرعون قال امنت انه لا اله الا الذى
امنت به بنوا اسرائيل قال جبريل يا محمد فلو رايتنى وانا اخذ من حال البحر فادسه
فى فيه الاسود الذى يكون فى ارضه ذكره اهل اللغة وعن ابن عباس عن النبى
صلى الله عليه وسلم ذكر ان جبريل يدس فى فم فرعون الطين خشية ان
يقول لا اله الا الله فيرحمه الله او خشية ان يرحمه الله قال حديث حسن غريب
صحيح وقال عون بن عبد الله بلغنى ان جبريل قال للنبى صلى الله عليه وسلم ما
ولد ابليس ابغض الى من فرعون وانه لما ادركه الغرق قال امنت الاية خشيت
ان يقولها فيرحم فاخذت تربة او طينة فحشوتها فى فيه وقيل انما فعل هذا به

عقوبه له على عظيم ما كان يأتي وقال كيف الاخبار امسك الله نيل مصر عن الجري
في زمانه فقالت له القبط ان كنت لنا ربًا فاجر لنا الما فركب وامر بجنوده قائدا
وجعلوا يقفون على درجاتهم وقعد حيث لا يرونه ونزل عن دابته ولبس ثيابًا له اخرى و
سجد وتضرع لله تعالى فاجرى الله له الما فاتاه جبريل وهو وحده في هيئة مستفت
وقال ما يقول الامير في رجل له عبد قد نشا في نعمته رحمه الله لا سيد له غيره فكفر
نعمه وجحد حقه وادعى السياده دونه فكتب فرعون يقول ابو العباس الوليد بن
مصعب بن الريان جزاوه يغرق في البحر فاخذه جبريل ومر فلما ادركه الغرق
ناوله جبريل عليه السلام خطه وقد مضى هذا في البقره وعن عبد الله بن عمرو بن
العاص وابن عباس مسندًا كان هذا في يوم عاشورا على ما تقدم بيانه في البقره ايضا
فلا معنى للاعاده قوله ـــــــ تعالى الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين
قيل هو من قول الله تعالى وقيل هو من قول جبريل قيل هو من ميكائيل صلوات الله
عليهما او غيرهما من الملئكه له صلوات الله عليهم وقيل هو من قول فرعون في
نفسه ولم يكن ثم قول باللسان بل وقع ذلك في قلبه فقال في نفسه ما قال حيث لم
ينفعه الندامه ونظيره انما نطعمكم لوجه الله اثنى عليهم الرب بما في ضميرهم لا انهم
قالوا ذلك بلفظهم والكلام الحقيقي كلام قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك اي
نلقيك على نجوه من الارض وذلك ان بني اسرايل لم يصدقوا ان فرعون غرق
وقالوا هو اعظم شانا من ذلك فالقاه الله على نجوه الارض اي مكان مرتفع
من البحر حتى شاهدوه قال اوس بن حجر يصف مطر ∴ فمن بنجوته
كمن بمحوته والمستكن كمن يمشي بقرواح ∴ وقال اليزيدي وابن السميفع
ننحيك بالحاء المهمله وحكاها علقمه عن ابن مسعود اي يكون على ناحيه من
الارض قال ابن جريج فرمى به على ساحل البحر حتى راه بنو اسرايل وكان
قصيرًا احمر كانه ثور وحكى علقمه عن عبد الله انه قرا بندائك من النداء قال
ابو بكر الانباري ليس بمخالف لمصحفنا لان سبيله ان يكتب بيا وكاف بعد الدال
لان الالف يسقط من ندائك في ترتيب خط المصحف كما تسقط من
الظلمات والسموات فاذا وقع بها الحذف استوى بدنك وندائك على ان
هذه القراه مرغوب عنها لشذوذها وخلافها ما عليه عامة المسلمين
والقراه سنه ياخذها اخر عن اول وفي معناها نقص عن تاويل

وانما ادلس فيها لا دروع ذكر الذى سابعت الاريان بنى اسرايل اختلفوا فى غرق
فرعون وسالوا الله تعالى ان يريهم اياه غريقا فالقوه عن نجوه من الارض „
بدنه وهو درعه التى كانت يلبسها فى الحروب قال ابن عباس ومحمد بن
كعب القرظى وكانت درعه من لولو منظوم وقيل من ذهب وكان يعرب
بها وقيل من حديد قاله ابو صخر والدرع القصير وانشد ابو عبيده الاعشى
وبيضا كالنهى موضونة لها قونس فوق جيب البدن وانشد ايضا لعمرو بن معدى
كرب ∴ ومضى نساوهم بكل مفاصه جدلاء سابغه وبالابدان ∴
وقال لعدى بن مالك يرى الابدان فيها مستعاب على الابطال واليلب الحصنا
اراد بالابدان الدروع واليلب الدروع اليمانيه كانت تتخذ من الجلود تخرز
بعضها الى بعض وهو اسم جنس الواحد يلبه قال عمرو بن كلثوم ∴ علينا البيض
واليلب اليمانى واسياف يقمن وينحنينا ∴ وقيل ببدنك بجسدك لا روح
فيه قاله مجاهد قال الاخفش واما قول من قال يدرعك فليس بشى قال ابو
بكر لانهم لما تضرعوا الى الله يسلونه مشاهدة فرعون غريقا ابرزه الله
لهم فراوه جسدا لا روح فيه فلما راته بنو اسرايل قالوا نعم يا موسى هذا
فرعون وقد غرق فخرج الشك من قلوبهم وابتلع البحر فرعون كما كان
فعلى هذا ننجيك ببدنك احتمل معنيين احدهما نلقيك على نجوه من الارض
والثانى نظهر جسدك الذى لا روح فيه والقراه الشاذه بندائك ترجع
معناها الى قراه الجماعه لان النداء يفسر تفسيرين احدهما نلقيك نصاحك
كله التوبه وقولك بعد ان اغلق بابها ومضى وقت قبولها امنت انه لا اله
الذى امنت بنو اسرايل وانا من المسلمين على موضع ربيع فاليوم نعرفك عن
غامض البحر بندائك لما قلت انا ربكم الاعلى وكانت تحيته بالبدن معاقبه
من رب العالمين له على ما فرط من كفره الذى منه نداوه وبالذى افترى فيه
وبهت وادعى القدره والامر الذى يعلم انه كاذب فيه وعاجز عنه وغير واجب
مستحق له قال ابو بكر الانبارى وقرانا يتضمن ما فى القراه الشاذه من
المعانى ويزيد عليها قوله تعالى لتكون لمن خلفك ايه اى لبنى اسرايل
ولمن بقى من قوم فرعون ممن لم يدركه الغرق ولم ينته اليه هذا الخبر
وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون اى معرضون عن تامل ايا تنا

والبكفر فيها وقرى لمن خلفك بفتح اللام اى لمن بقى بعدك يخلفك فى ارضك قرا علي بن ابي طالب لمن خلقك اى يكون الله لخالقك قوله تعالى ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق اى منزل صدق محمود مختار يعني مصر وقيل الاردن وفلسطين وقال الضحاك هي مصر والشام ورزقناهم من الطيبات اى من الثمار وغيرها وقال ابن عباس يعني قريظة والنضير واهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم وينتظرون خروجه ثم لما خرج حسدوه ولهذا قال فما اختلفوا اى في امر محمد صلى الله عليه وسلم حتى جاءهم العلم اى القران ومحمد صلى الله عليه وسلم والعلم بمعنى المعلوم لانهم كانوا يعلمونه قبل خروجه قاله ابن جريج والطبراني ان ربك يقضي بينهم اى يحكم بينهم ويفصل يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا فيثيب التائب ويعاقب العاصي قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره اى لست في شك ولكن غيرك شك قال ابو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد سمعت الامامين ثعلبا والمبرد يقولان معنى فان كنت في شك اى قل يا محمد للكافر فان كنت في شك فسل الذين يقرون الكتاب اى يا عابد الوثن ان كنت في شك من القران فسال من اسلم من اليهود يعني عبد الله بن سلام وامثاله لان عبدة الاوثان كانوا يقرون لليهود انهم اعلم منهم من اجل انهم اهل الكتاب فدعاهم الرسول الى ان سالوا من يقرون بانهم اعلم منهم هل بعث الله برسول من بعد موسى وقال القتبي هذا خطاب لمن كان لا يقطع بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وبتصديقه بل كان في شك وقيل المراد بالخطاب النبي صلى الله عليه وسلم لا غيره والمعنى لو كنت ممن يلحقك الشك فيما اخبرناك به فسالت اهل الكتاب لازالوا عنك الشك ضيق الصدر اى ان ضاق صدرك بكفرهم فاصبر وسل الذين يقرون الكتاب من قبلك عما ادى قومهم وكيف عاقبة امرهم والشك في اللغة اصله الضيق يقال شك الثوب اذا ضمه بخلال حتى يصير كالوعاء وكذلك السفرة بمد علائقها حتى تنقبض فالشك يقبض الصدر ويضمه حتى يضيق وقال الحسين بن الفضل الفاء مع حروف الشرط لا توجب الفعل ولا تثبته والدليل عليه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما نزلت هذه الاية والله لا اشك ثم استانف الكلام فقال لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اى الشاكين المرتابين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين

والخطاب في هذا بين لا يتن للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ۞ قوله تعالى
ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون تقدم القول فيه في هذه السورة وقال قتادة
اي الذين حق عليهم غضب الله وسخطه بمعصيتهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية آيات كلا على
المعنى اي ولو جاءتهم الآيات حتى يروا العذاب الاليم فحينئذ يؤمنون ولا ينفعهم ۞
قوله فلولا كانت قال الاخفش والكسائي فهلا وفي مصحف ابي وابن مسعود
فهلا واصل لولا في الكلام التحضيض او الدلالة على منع امر لوجوب امر غيره ومفهوم
معنى الآية نفي الايمان اهل القرى ثم استثنى قوم يونس فهو بحسب اللفظ استثناء منقطع
بحسب المعنى متصل لان تقديره ما من اهل قرية الا قوم يونس والنصب في قوم هو الوجه
وكذلك ادخله سيبويه في باب ما لا يكون الا منصوبا قال النحاس الا قوم يونس نصب
لانه استثناء ليس من الاول اي لكن قوم يونس هذا قول الكسائي والاخفش والفراء ويجوز
الا قوم بالرفع ومن احسن ما قيل في الرفع ما قاله ابو اسحق الزجاج قال يكون المعنى غير
قوم يونس فلما جاء بالا اعرب الاسم الذي بعدها باعراب غير كما قال

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ

وروي في قصة قوم يونس عن جماعة من المفسرين ان قوم يونس بنينوى من ارض
الموصل وكانوا يعبدون الاصنام فارسل الله اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى
الاسلام وترك ما هم عليه فابوا فقيل لهم اقام يدعوهم تسع سنين فيئس من ايمانهم
فقيل له اخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث ففعل وقالوا هو رجل لا يكذب فارقبوه
فان اقام معكم وبين اظهركم فلا عليكم وان ارتحل عنكم فهو نزول العذاب لا شك فلما
كان الليل تزود يونس وخرج عنهم فاصبحوا فلم يجدوه فتابوا ودعوا الله ولبسوا المسوح
وفرقوا بين الامهات والاولاد من الناس والبهائم وردوا المظالم في تلك الحالة
قال ابن مسعود وكان الرجل ياتي الحجر وقد وضع عليه اساس بنيانه فيقتلعه فيرده
والعذاب فيما روي عن ابن عباس على ثلثي ميل وروي على ميل وعن ابن عباس انهم
غشيتهم ظلة فيها حمرة فلم يزل يدنو حتى وجدوا حرها بين اكتافهم وقال ابن
جبير غشيهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فلما صحت توبتهم دفع الله العذاب
عنهم قال الطبري خص قوم يونس من بين الامم بان تيب عليهم بعد معاينة
العذاب وذكر ذلك عن جماعة من المفسرين وقال الزجاج انه لم يقع بهم
العذاب وانما راوا العلامة التي تدل على العذاب ولو راوا عين العذاب لما نفعهم

الايمان قلت قول الزجاج حسن فان المعاني التي لا تنفع التوبة معها هي التلبس
بالعذاب كقصة فرعون ولهذا جاء بقصة قوم يونس على اثر قصة فرعون لانه آمن
حين راى العذاب فلم ينفعه ذلك وقوم يونس تابوا قبل ذلك ويعضد هذا قوله
عليه السلام ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر والغرغرة الحشرجة وذلك
حال التلبس بالموت واما قبل الموت فلا والله اعلم وقد روى معنى ما قلناه عن
ابن مسعود وان يونس لما وعدهم بالعذاب الى ثلاثة ايام خرج عنهم فاصبحوا
فلم يجدوه فتابوا وفرقوا بين الامهات والاولاد وهذا يدل على توبتهم قبل رؤية
علامة العذاب وسياتي مسندا مستوفى في سورة والصافات ان شاء الله تعالى و
يكون معنى كشفنا عنهم عذاب الخزي اي العذاب الذي وعدهم يونس انه ينزل بهم
لا انهم راوه ولا عاينوه وعلى هذا لا اشكال ولا تعارض ولا خصوص والله اعلم
وبالجملة وكان اهل نينوى في سابق العلم من السعداء وروى عن علي رضي الله عنه
انه قال ان الحذر لا يرد القدر وان الدعاء ليرد القدر وذلك ان الله تعالى يقول
الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا قال علي ابن
ابي طالب رضي الله عنه وذلك يوم عاشوراء قوله تعالى ومتعناهم الى
حين قيل الى اجلهم قال السدي وقيل الى ان يصيروا الى الجنة او النار قاله ابن عباس
قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض اي لاضطرهم اليه كلهم لمن
جميعا عند سيبويه نصب على الحال الاخفش جاء بقوله جميعا بعد كل تاكيدا كقوله
لا تتخذوا الهين اثنين قوله تعالى أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين
قال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على ايمان جميع الناس فاخبره
الله تعالى انه لا يؤمن الا من سبقت له السعادة في الذكر الاول ولا يضل الا من سبقت
له الشقوة في الذكر الاول وقيل المراد بالناس هنا ابو طالب عن ابن عباس ايضا
قوله تعالى وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ما نفي اي ما ينبغي اي ما
ينبغي ان تؤمن نفس الا بقضائه وقدره ومشيئته وارادته ويجعل الرجس وقرا الحسن
وابو بكر والمفضل ونجعل بالنون على التعظيم والرجس العذاب بضم الراء وكسرها لغتان
على الذين لا يعقلون امر الله عز وجل ونهيه قوله تعالى قل انظروا
ماذا في السموات والارض امر للكفار بالاعتبار والنظر في المصنوعات الدالة على
الصانع والقادر على الكمال وقد تقدم القول في هذا المعنى في غير موضع مستوفى

وما تغني ما نفي اي ولن تغني وقيل استفهامية التقدير اي شيء تغني الآيات والنذر
اي الدلالات اي الرسل جمع نذير وهو الرسول عن قوم لا يؤمنون عمن سبق
له في علم الله انه لا يؤمن قوله تعالى فهل ينتظرون الا مثل ايام الايام
هنا بمعنى الوقايع يقال فلان عالم بايام العرب اي بوقايعهم قال قتادة يعني وقايع
الله في قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم والعرب يسمي العذاب اياما والنعم اياما كقوله
تعالى وذكرهم بايام الله وكل ما مضى لك من خير او شر فهو ايام وا نتظروا اي تربصوا
وهو تهديد ووعيد من الله تعالى اني معكم من المنتظرين اي المتربصين لموعد ربي
قوله تعالى ثم ننجي رسلنا اي من سنتنا اذا انزلنا بقوم عذابا اخرجنا من
بينهم الرسول والمؤمنين وثم معناه ثم اعلموا انا ننجي رسلنا كذلك حقا علينا لانا اخبرونا
خلف في خبرنا وقرا يعقوب ثم ننجي مخففا وقرا الكسائي وحفص ويعقوب ننجي المؤمنين
مخففا وشدد الباقون وهما لغتان فصيحتان انجى ينجي انجاء ونجى ينجي تنجية بمعنى واحد
قوله تعالى قل يا ايها الناس يريد كفار مكة ان كنتم في شك من ديني اي في ريب
من دين الاسلام الذي ادعوكم اليه فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله من
الاوثان التي لا تعقل ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم اي يميتكم ويقبض ارواحكم
وامرت ان اكون من المؤمنين اي المصدقين بآيات الله ربكم قوله تعالى ان عطف
على ان اكون اي قيل لي كن من المؤمنين واقم وجهك قال ابن عباس عملك وقيل
نفسك اي استقم باقبالك على ما امرت به من الدين حنيفا اي قيما به مائلا عن كل
دين قال حمزة بن عبد المطلب حمدت الله حين هدى فؤادي من الاشراك للدين
الحنيف وقد مضى في الانعام استقامة والحمد لله ولا تكونن من المشركين
اي وقيل لي لا تشرك والمراد غيره وكذلك قوله ولا تدع اي لا تعبد من دون الله ما لا
ينفعك ولا يضرك ان عصيته فان فعلت اي عبدت غير الله فانك اذا من الظالمين
اي الواضعين العبادة في غير موضعها قوله تعالى وان يمسسك الله بضر
اي يصيبك به فلا كاشف له اي لا دافع له الا هو وان يردك بخير اي يصبك
برخاء ونعمة فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور لذنوب
عباده وخطاياهم الرحيم باوليائه في الآخرة قوله تعالى قل يا ايها الناس
قد جاءكم الحق اي من وقيل الرسول صلى الله عليه وسلم من ربكم فمن اهتدى اي صدق
محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن بما جاء به فانما يهتدي لنفسه اي لخلاص نفسه

ومن ضل اى ترک الرسول صلى الله عليه وسلم واتبع الاصنام والاوثان فانما يضل عليها اى وبال ذلک على نفسه وما انا عليكم بوكيل اى حفيظ احفظ اعمالكم فانما انا رسول قال ابن عباس نسخها اية السيف قوله تعالى واتبع ما يوحى اليک من ربک واصبر قيل نسخ اية القتال وقيل ليس منسوخا ومعناه اصبر على الطاعة وعن المعصية وقال ابن عباس لما نزلت جمع النبى صلى الله عليه وسلم الانصار ولم يجمع معهم غيرهم فقال انكم ستجدون بعدى اثرة فاصبروا حتى تلقون على الحوض وعن انس بمثل ذلک وقال انس فلم يصبروا فامرهم بالصبر كما امره الله تعالى وفى ذلک يقول عبد الرحمن بن حسان الا ابلغ معوية بن حرب امير مؤمنين

نا كلامى فانا صابرون ومنظروكم الى يوم التغابن والخصام

حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ابدا وخبر لانه جل وعز لا يحكم الا بالحق

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة هود عليه السلام مكية فى قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا اية وهى قوله اقم الصلوة طرفى النهار وزلفا من الليل واسند ابو محمد الدارمى فى مسنده عن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرءوا سورة هود يوم الجمعة وروى الترمذى عن ابن عباس قال قال ابو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت قال هذا حديث حسن غريب وقد روى شى من هذا مرسلا وخرجه الترمذى الحكيم ابو عبد الله فى نوادر الاصول حدثنا سفين وكيع وقال بنا محمد بن بشر عن على بن ابى صالح عن ابى اسحق عن ابى جحيفة قال قالوا يا رسول الله نراک قد شبت قال شيبتنى هود واخواتها قال ابو عبد الله فالفزع يورث الشيب وذلک ان الفزع يذهل النفس فنشف رطوبة الجسد وتحت كل شعرة منبع ومنه معرق معاد السيف الفزع رطوبته فيبس الشعر وابيض كما ترى الزرع اخضر سقياه فاذا ذهب سقياه يبس فابيض وانما يبيض شعر الشيخ لذهاب رطوبته ويبس جلده فالنفس تذهل بوعيد الله تعالى واهوال ما جاء به الخبر عن الله تعالى فيذهل وينشف ويوهن ذلک الوعيد والهول الذى جاء به فمنه يشيب وقال تبارک وتعالى يوما يجعل الولدان شيبا فانما شابوا من الفزع واما سورة هود فلما ذكر الامم وما حل بهم من عاجل باس الله تعالى فاهل اليقين اذا تلوها تراءى على قلوبهم من ملكه

وسلطانه وبطشه بالعلس باعدايه فلو ماتوا من الفزع لحق لهم ولكن الله تبارك
وتعالى اسمه يلطف لهم فى تلك الاحايين حتى تقروا كلامه واما اخواتها مما تشبهها
من السور من الحاقة وسال سائل واذا الشمس كورت والقارعة ففى تلاوة هذه
السور ما ينكشف لقلوب العارفين سلطانه وبطشه فتذهل النفوس وتشيب منه الرؤس
قلت وقد قيل ان الذى شيب النبى صلى الله عليه وسلم من سورة هود
قوله فاستقم كما امرت على ما ياتى بيانه ان شاء الله تعالى وقال يزيد بن ابان رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامى فقرات عليه سورة هود فلما ختمتها قال
يا يزيد هذه القراءة فاين البكاء قال علماؤنا وقال جعفر النحاس تقول هذه هود فاعلم
بغير تنوين على انه اسم السورة لانك لو سميت امراة بزيد لم تصرف هذا قول الخليل
وسيبويه وعيسى بن عمر تقول هذه هود بالتنوين صرفت على قول الجميع فقلت
هذه هود وانت تريد هذه سورة هود قال سيبويه والدليل على هذا انك تقول
هذا انك تقول هذه الرحمن فلولا انك تريد هذه سورة الرحمن ما قلت هذه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الر تقدم القول فيه كتاب يعنى هذا كتاب احكمت اياته
فى موضع رفع نعت الكتاب واحسن ما قيل فى معنى احكمت اياته قول قتادة اى جعلت
محكمة كلها لا خلل فيها ولا باطل والاحكام منع القول من الفساد اى نظمت نظما
محكما لا يلحقها تناقض ولا خلل وقال ابن عباس اى لم ينسخها كتاب بخلاف التوراة
والانجيل فعلى هذا فالمعنى احكم بعض اياته بان جعل ناسخا غير منسوخ وقد تقدم اسم
الجنس على النوع فقال اكلت طعام زيد اى بعض طعامه وقال الحسن وابو العالية
احكمت اياته بالامر والنهى ثم فصلت بالوعد والوعيد والثواب والعذاب وقال
قتادة احكمها الله تعالى من الباطل ثم فصلها بالحلال والحرام مجاهد احكمت جملة
ثم بينت بذكر ابيه وقيل جمعت فى اللوح المحفوظ ثم فصلت فى التنزيل وقيل فصلت
انزلت نجما نجما لتتدبروا وقرا عكرمة فصلت مخففا اى حكمت بالحق من لدن اى من
عند حكيم اى محكم وقرا عكرمة فصلت مخففا للامور خبير بكل كائن وغير كائن
قوله تعالى الا تعبدوا الا الله قال الكسائى والفراء اى بان احكمت بان لا تعبدوا
الا الله وقال الزجاج لئلا اى احكمت ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله قيل امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان تقول للناس ان لا تعبدوا الا الله اننى لكم منه نذير اى من الله

نذير اى مخوف من عذابه وسطوته لمن عصاه وبشير بالرضوان والجنة لمن اطاعه و
قيل هو من قول الله جل وعز اولا واخرا الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير اى الله
نذيركم من عبادة غيره كما قال ويحذركم الله نفسه قوله تعالى وان استغفروا
ربكم عطف على الاول ثم توبوا اليه الاستغفار هو التوبة والتوبة هي الاستغفار وقيل استغفروا
من سالف ذنوبكم وتوبوا اليه من المستانف متى وقع منكم قال بعض الصلحاء الاستغفار
بلا اقامة توبة الكذابين وقد تقدم هذا في ال عمران مستوفى وفي البقرة عند قوله
ولا تتخذوا ايات الله هزوا وقيل انما قدم ذكر الاستغفار لان المغفرة هي الغرض
المطلوب والتوبة هي السبب اليها فالمغفرة هي اولى في المطلوب واحد في السبب
ويحتمل ان يكون المعنى استغفروه من الصغاير وتوبوا اليه من الكباير يمتعكم متاعا
حسنا هذه ثمرة الاستغفار والتوبة اى يمتعكم بالمنافع من سعة الرزق ورغد العيش و
لا يستاصلكم بالعذاب كما فعل بمن اهلك قبلكم وقيل يمتعكم يعمركم واصل الامتاع الاطالة
ومنه امتاع الله بك ومتع وقال سهل بن عبد الله المتاع الحسن ترك الخلق والاقبال
على الحق وقيل هو القناعة بالموجود وترك الحزن على المفقود الى اجل مسمى قيل
هو الموت وقيل القيمة وقيل دخول الجنة والمتاع الحسن على هذا وقاية كل مكروه
وامن مخوف مما يكون في القبر وغيره من اهوال القيامة وكربها والاول اظهر لقوله
في هذه السورة ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا و
يزدكم قوة الى قوتكم وهذا ينقطع بالموت وهو الاجل المسمى والله اعلم قال مقاتل
فابوا فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتلوا بالقحط سبعين سنة حتى اكلوا
العظام والمحرقة والجيف والكلاب ويوت كل ذى فضل فضله اى يوتى كل ذى عمل من الاعمال
الصالحة جزاء عمله وقيل ويوت كل من فضلت حسناته على سياته فضله اى الجنة وهي
فضل الله فالكناية في قوله فضله ترجع الى الله تعالى وقال مجاهد هو ما يحتسبه الانسان من
كلام يقوله بلسانه او عمل يعمله بيده ورجله او ما تطوع به من ماله فهو فضل الله يوتيه
ذلك اذا امن ولا يتقبل منه ان كان كافرا فان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم
كبير اى يوم القيمة وهو كبير لما فيه من الاهوال وقيل اليوم الكبير يوم بدر وغيره وتولوا
يجوز ان يكون ماضيا ويكون المعنى فان تولوا فقل لهم اني اخاف عليكم ويجوز ان يكون
مستقبلا حذفت منه احدى التائين والمعنى قل لهم ان تتولوا فاني اخاف عليكم
قوله تعالى الى الله مرجعكم اى بعد الموت وهو على كل شي قدير من ثواب وعقاب

قوله تعالى الا انهم تثنون صدورهم ليستخفوا منه اخبر تعالى عن معاداة المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ويظنون انه يخفى على الله احوالهم يثنون صدورهم يطوونها على عداوة المسلمين ففيها الحذاف قال ابن عباس يخفون ما في صدورهم من الشحنا والعداوة ويظهرون خلافه نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنطق يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطق له بقلبه على ما يسوء وقال مجاهد يثنون صدورهم شكا وامترا و قال الحسن يثنونها على ما فيها من الكفر وقيل نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر بالنبي صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطاطا راسه وغطا وجهه كي لا يراه النبي صلى الله عليه وسلم فيدعوه الى الاسلام حكى معناه عن عبد الله بن شداد فالهاء في منه تعود على النبي صلى الله عليه وسلم وقيل قال للمنافقين اذا اغلقنا ابوابنا واستغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم لمن يعلم بنا فنزلت الاية وقيل ان قوما من المنافقين يشنكون يستر ايديهم ولا يكشفونها تحت السما فبين الله تعالى ان التنسك ما اشتملت قلوبهم عليه من معتقد واظهروه من قول وعمل روى ابن جريج عن محمد بن عباد بن جعفر قال سمعت ابن عباس يقول الا انهم يثنون صدورهم يعنيون يعدلوا ودني وزن سطوا استخفوا قال كانوا لا يجامعون النسا ولا يأتون الغائط وهم معصون الى السما فنزلت هذه الايه وروى غير محمد عن عباد عن ابن عباس الا انهم يثنون صدورهم كالاول وهو بفعول ويعني يثنون والقرائتين الاخيرتين متقاربتين لانها لا تثنى حتى يثنونها وقيل بعضهم كان ينحني على بعض ليسانه في الطعن على المسلمين وبلغ جهلهم ان توهموا ان ذلك يخفى على الله تعالى ليستخفوا اي ليسادروا عنه اي عن محمد او عن الله تعالى الا حين يستغشون ثيابهم ان يغطون روسهم بثيابهم قال قتاده اخفى ما يكون العبد اذا احنى ظهره واستغشى ثيابه واضمر في نفسه همته قوله تعالى وما من دابه في الارض الا على الله رزقها على بمعنى من اي من الله رزقها يدل عليه قول مجاهد كل ما جا من رزق فمن الله وقيل على الله فضلا لا وجوبا وقيل وعدا منه حقا وتقدم بيان هذا في النسا وانه سبحانه وتعالى لا يجب عليه شي ورزقها رفع بالابتدا وعند الكوفيين بالصفه وظاهر الايه العموم ومعناها الخصوص لان كثيرا من الدواب هلك قبل ان

يرزق وقيل هي غايه وكل دابه لم ترزق رزقا تعيش به فقد رزقت روحها ووجه
النظم بما قبله انه سبحانه اخبر برزق الجميع وانه لا يغفل تربيته فكيف تخفى عليه
احوالكم يا معشر الكفار وهو يرزقكم والدابه كل حيوان يدب والرزق حقيقته ما
يتغذا به الحي ويكون فيه بقاء روحه ونماء جسده ولا يجوز ان يكون بمعنى الملك لان
البهائم ترزق وليس يصح وصفها بانها مالكه لعلفها وهكذا الاطفال ترزق اللبن
ولا يقال ان اللبن الذي في الثدي ملك للطفل وقال تعالى وفي السماء رزقكم وليس
في السما ملك ولان الرزق لو كان ملكا لكان اذا اكل الانسان من ملك غيره ان
يكون قد اكل رزق غيره وذلك محال لان العبد لا ياكل الا رزق نفسه وقد تقدم
في البقره هذا المعنى والحمد لله وقيل لبعضهم من اين تاكل فقال الذي خلق الرحا
ياتيها بالطحين والذي شدق الاشداق باتيها بالارزاق وقيل لابي اسد من
اين تاكل فقال سبحان الله والله اكبر يرزق الكلب ولا يرزق ابا اسد وقيل
لحاتم الاصم من اين تاكل فقال من عند الله فقال ينزل لك دنانير ودراهم من
السما فقال كان ما له الا السما، يا هذا الارض له والسما له فان لم ياتي رزقي من
السما ساقه لي من الارض وانشد وكيف اخاف الفقر والله رازقي ورازق
هذا الخلق في العسر واليسر تكفل بالارزاق للخلق كلهم وللضب في البيد
او للحوت في البحر وذكر الطبري الحكيم في نوادر الاصول في اسناده عن
عن زيد بن اسلم ان الاشعريين ابا موسى وابا مالك وابا عامر في نفر منهم لما
هاجروا وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقد ارملوا من
الزاد فارسلوا رجلا منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يساله فلما انتهى
باب رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعه يقرا هذه الايه وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين فقال الرجل
ما الاشعريون باهون الدواب على الله فرجع ولم يدخل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لاصحابه ابشروا اتاكم الغوث ولا يظنون الا انه كلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوعده فبينما هم كذلك اذا ناهم رجلان يحملان قصعة
بينهما مملوا خبزا ولحما فاكلوا منها ما شاوا ثم قال بعضهم لبعض لو انا رددنا هذا
الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا قد قضينا منه حاجتنا ثم انهم
اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما راينا طعاما اكثر ولا

الطيب من الذي ارسلت به فقال ما ارسلت اليكم طعاما فاخبروه انهم ارسلوا صاحبهم
فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه ما صنع وما قال لهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك شي رزقكموه الله تعالى قوله تعالى ويعلم مستقرها
ومستودعها اي من الارض حيث تاوي اليه ومستودعها اي الذي تموت فيه فتدفن
قاله مقسم عن ابن عباس وقال الربيع بن انس مستقرها ايام حياتها ومستودعها
حين تموت وحين تبعث وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مستقرها في الرحم و
مستودعها في الصلب وقيل يعلم مستقرها في الجنة والنار ومستودعها في القبر
يدل عليه قوله تعالى في اهل الجنة واهل النار حسنت مستقرا ومقاما وساءت مستقرا
ومقاما كل في كتاب مبين اي في اللوح المحفوظ قوله تعالى وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام تقدم في الاعراف بيانه والحمد لله وكان
عرشه على الماء بين انه خلق العرش والماء قبل خلق الارض والسماء قال كعب خلق الله
ياقوتة خضراء فنظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد من مخافة الله تعالى فلذلك يرتعد
الماء الى الآن وان كان ساكنا ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على
الماء وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل
عن قوله عز وجل وكان عرشه على الماء قيل على اي شي كان الماء قال على متن
الريح وروى البخاري رضي الله عنه عن عمران بن حصين قال كنت عند النبي صلى
الله عليه وسلم اذ جاء قوم من بني تميم فقالوا اقبلوا البشرى يا بني تميم فقالوا
بشرتنا فاعطنا فدخل ناس من اهل اليمن فقالوا اقبلوا البشرى يا اهل اليمن
اذ لم يقبلها بنو تميم فقلنا قبلنا اذ جئنا لنتفقه في الدين ولنسالك عن اول
هذا الامر ما كان قال كان الله عز وجل ولم يكن شي قبله وكان عرشه على الماء
ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر كل شي ثم اتاني رجل فقال يا عمران
ادرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت اطلبها فاذا السراب يقطع دونها وايم
الله لوددت انها قد ذهبت ولم اقم ليبلوكم ايكم احسن عملا اي خلق ذلك
ليبتلي عباده بالاعتبار والاستدلال على كمال قدرته على البعث وقال قتادة
معنى ايكم احسن عملا ايكم اتم عقلا وقال الحسن وسفيان الثوري ايكم ازهد
في الدنيا وذكر ان عيسى عليه السلام مر برجل نائم فقال يا نائم قم فتعبد
فقال يا روح الله قد تعبدت قال وما تعبدت قال تركت الدنيا لاهلها قال

ثم فقد صفت العابد بن الضحاك ايكم اكثر شكرا معاني ايكم اتقى لله ابن عباس ايكم اعمل بطاعة الله وروى عن ابن عمران النبي صلى الله عليه وسلم تلى ايكم احسن عملا قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فجمع الاقاويل كلها وياتي في سورة الكهف هذا ايضا ان شاء الله تعالى وقد تقدم معنى الاستوا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت اي دللت يا محمد على البعث من بعد الموت وذكرت ذلك للمشركين ليقالوا هذا سحر وكسرت ان لانها بعد القول مبتداه وحكى سيبويه الفتح ليقولن الذين كفروا فتحت اللام لانها فعل متقدم لا ضمير فيه ويعني ليقولن لان فيه معنى او سحر اي غرور باطل لبطلان السحر عندهم وقراه حمزة و الكسائي ان هذا الا ساحر مبين كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدوده اللام في لئن لام القسم والجواب ليقولن ومعنى الى امة الى اجل معدود وحين معلوم فلامة هنا المدة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين واصل الامة الجماعة فعبر عن الحين والسبق بالامة لان الامة تكون فيها وقيل هو على حذف المضاف والمعنى الى مجيء امة ليس فيها من يومن فيستحقون الهلاك او الى انقراض امة فلا يبقى بعد انقراضها من يومن والامة اسم مشترك يقال على ثمانية اوجه فالامة تكون الجماعة كقوله تعالى وجد عليه امة من الناس والامة ايضا اتباع الانبيا عليهم السلام والامة الرجل الجامع للخير الذي يقتدى به كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا والامة الدين والملة كقوله تعالى ولئن اخرنا عليهم العذاب الى امة معدودة وكذلك قوله تعالى واذكر بعد امة والامة القامة وهي طول الانسان يقال من ذلك فلان حسن الامة اي القامة والامة الرجل المنفرد بدينه وحده لا يشركه فيه احد قال النبي صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده والامة الام يقال هذه امة زيد يعني ام زيد ليقولن ما يحبسه يعني العذاب وقالوا هذا اما تكذيبا للعذاب لتاخره عنهم او استعجالا و استهزا اي ما الذي يحبسه عنا الا يوم ياتيهم ليس مصروفا قيل المشركين لئلا وقيل جبريل المستهزين على ما ياتي وحاق بهم اي نزل واحاط ما كانوا به يستهزون اي جزا ما كانوا يستهزون والمضاف محذوف قوله تعالى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة الانسان اسم سابغ للجنس في جميع الكفار ويقال

ان الانسان هنا الوليد بن المغيرة وفيه نزلت وقيل في عبد الله بن امية المخزومي
رحمة اي نعمة ثم نزعناها منه اي سلبناها اياه انه ليؤوس كفور اي آيس من
الرحمة كفور للنعم جاحد لها قال ابن الاعرابي النحاس ليوس من يئس وحكى سيبويه
يئس ييئس على فعل يفعل ونظيره حسب يحسب ونعم ينعم ويبس ييبس وبعضهم
يقول يئس ييأس لا يعرف في كلام العرب الا هذه الاربعة الاحرف من السالم
جاءت على فعل يفعل وفي واحد منها اختلاف وحكوا يبس ويوس على
التكثير يجوز للمبالغة قوله تعالى ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته
اي صحة ورجاء وسعة في الرزق بعد ضراء مسته اي بعد ضر وفقر وشدة ليقولن
ذهب السيئات عني اي الخطايا التي يسوء صاحبها من الضر والفقر انه لفرح فخور
اي يفرح ويفخر بما ناله من السعة وينسى شكر الله تعالى يقال رجل فاجر اذا افتخر
وفخور للمبالغة قال يعقوب القاري وقرأ بعض اهل المدينة لفرح بضم الراء كما يقال
رجل فطن وحذر ويدس ويجوز في كلتا اللغتين الاسكان لثقل الضمة والكسرة
قوله تعالى الا الذين صبروا يعني المؤمنين مدحهم بالصبر على الشدائد
وهو في موضع نصب قال الاخفش هو استثناء ليس من الاول اي لكن الذين امنوا
وعملوا الصالحات في حال النعمة والمحنة ولئن اذقناه وقال الفراء هو استثناء من
لئن اذقناه اي من الانسان فان الانسان بمعنى الناس والناس يشمل الكافر
والمؤمن فهو استثناء متصل وهو حسن اولئك لهم مغفرة ابتداء وخبروا
معطوف كبير صفة قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اي فلعلك
لعظم ما تراه منهم من الكفر والتكذيب تتوهم انهم يزيلونك عن بعض ما انت
عليه وقيل انهم لما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك هو ان يدع سب الهتهم
كما سألوك فنزلت هذه الاية فالكلام معناه الاستفهام اي هل انت تارك ما فيه
سب الهتهم كما سالوك وتاكد عليه الامر في الابلاغ كقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل
اليك من ربك وقيل معنى الكلام النفي مع استبعاد اي لا يكون منك ذلك بل تبلغهم
كما انزل اليك وذلك ان مشركي مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لو اتيتنا بكتاب
ليس فيه سب الهتنا لاتبعناك فهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يدع سب الهتهم
فنزل قوله تعالى وضائق به صدرك عطف على تارك وصدرك مرفوع به والهاء في به
تعود على ما او على بعض او على التبليغ او التكذيب وقال وضائق به ولم يقل ضيق

لسا كن باركا الذي قبله ولان الضايق عارض والضيق الزم منه ان يقولوا في موضع نصب
اي كراهية ان يقولوا او لئلا يقولوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا
او من يقولوا لولا اي هلا انزل عليه كنز او جاءه ملك يصدقه قاله عبد الله بن ابي
امية بن المغيرة المخزومي فقال الله يا محمد انما انت نذير انما عليك ان تنذر
هم لا بان تاتيهم ما يقترحونه من الايات والله على كل شي وكيل اي حافظ وشهيد
قوله تعالى ام يقولون افتراه ام بمعنى بل وقد تقدم في يونس اي قد
ازاح علتهم واشكالهم في نبوتك بهذا القران وحجتهم به بان قالوا افتريته
فلياتوا بمثله مفترى بزعمهم وادعوا من استطعتم من دون الله اي من الكهنة والاعوان
قوله تعالى لم يستجيبوا لكم اي في المعارضة ولم يتهيا لهم فقد قامت عليهم الحجة
اذ هم اللسن البلغا واصحاب الالسن الفصحى فاعلموا انما انزل بعلم الله واعلموا
صدق محمد صلى الله عليه وسلم واعلموا انه لا اله الا هو فهل انتم مسلمون استفهام معناه
الامر وقد تقدم القول في معنى هذه الاية وان القران معجز في مقدمة الكتاب والحمد لله
وقال قل فاتوا وبعده فان لم يستجيبوا لكم ولم يقل لك فقيل هو على تحويل المخاطب
من الافراد الى الجمع تعظيما وتفخيما وقد يخاطب الرئيس بما يخاطب به الجماعة وقيل
الضمير في لكم وفي فاعلموا للمشركين والمعنى فان لم يستجيبوا لكم من تدعونه الى المعاونة
فلا تتهيا لكم المعارضة فاعلموا انما انزل بعلم الله وقيل الضمير في لكم للنبي صلى الله
عليه وسلم وللمومنين وفي فاعلموا للمشركين قوله تعالى من كان يريد
الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون فيه ثلاث
مسائل الاولى قوله تعالى من كان يريد كان زايدة ولهذا جزم بالجواب فقال نوف
اليهم قاله الفرا وقال الزجاج من كان في موضع جزم بالشرط وجوابه نوف اليهم
اي من يكن يريد والاول في اللفظ ماض والثاني مستقبل كما قال زهير ومن هاب اسباب
المنايا ينلنه ولو رام اسباب السما بسلم واختلف العلما في تاويل هذه الاية فقيل
نزلت في الكفار قاله الضحاك واختاره النحاس بدليل الاية التي بعدها اولئك الذين
ليس لهم في الاخرة الا النار اي من اتى منهم بصلة رحم او صدقة نكافيه بها في الدنيا
بصحة الجسم وكثرة الرزق ولكن لا حسنة له في الاخرة وقد تقدم هذا المعنى مستوفيا
وقيل المراد بالاية المومنون في الدنيا اي من اراد بعمله ثواب الدنيا عجل له الثواب
ولم ينقص شيا في الدنيا وله في الاخرة العذاب لانه جرد قصده الى الدنيا وهذا

كما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات فالعبد انما يعطى على وجه قصده
وبحكم ضميره وهذا امر متفق عليه فى الامم بين اهل كل ملة وقيل هو لا اهل الريا
وفى الخبر انه تقال لاهل الريا صمتم وصليتم وتصدقتم وجاهدتم ليقال ذلك
ثم قال ان هولا اول من تسعر بهم النار رواه ابو هريرة ثم بكا بكاءً شديدًا وقال
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا
وزينتها وقرا الايتين خرجه مسلم فى صحيحه بمعناه والترمذى ايضا وقيل الاية
عامة فى كل من نوى بعمله غير الله تعالى كان معه اصل ايمان او لم يكن قاله
مجاهد وميمون بن مهران واليه وهب معونة رحمهم الله قال ميمون بن
مهران ليس احد يعمل حسنة الا وفى ثوابها فان كان مسلما مخلصا وفى فى
الاخرة وان كان كافرا وفى فى الدنيا وقيل من كان يريد بغزو امع النبى
صلى الله عليه وسلم وفيها اى وفى اجر الغزاة ولم ينقص منها وهذا خصوص
والصحيح العموم الثانية قال بعض العلما معنى هذه الاية قوله عليه السلام انما
الاعمال بالنيات وتدل على هذا على ان من صام فى رمضان لا عن رمضان
لا يقع عن رمضان ويدل على من توضى للتبرد والتنظف لا يقع قربة عن جهة
الصلاة وهكذا كل ما كان فى معناه الثالثة ذهب اكثر العلماء الى ان هذه
الاية مطلقة وكذلك الاية التى فى الشورى من كان يريد حرث الاخرة نزد له
فى حرثه ومن كان يريد الدنيا نؤته منها قيدها وفسرها التى فى سبحان من
كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الى قوله محظورا فاخبر سبحانه
ان العبد ينوى ويريد والله سبحانه يحكم ما يريد وروى الضحاك عن انس
فى قوله من كان يريد الحيوة الدنيا انها منسوخة بقوله من كان يريد العاجلة
والصحيح ما ذكرناه وانه من باب الاطلاق والتقييد ومثله قوله سبحانه
واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فهذا
ظاهره خبر عن اجابة كل داع دايما عن كل حال وليس كذلك لقوله تعالى فيكشف
ما تدعون اليه ان شاء والنسخ فى الاخبار لا يجوز لاستحالة تبدل الواجبات
العقلية ولاستحالة الكذب على الله تعالى فاما الاخبار عن الاحكام الشرعية
فيجوز نسخها على خلاف فيه على ما هو مذكور فى الاصول ويأتى فى النحل بيانه
ان شاء الله تعالى قوله تعالى اولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار

اشارة الى التخليد والمؤمن لا يخلد في النار لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهو محمول على ما لو كانت موافاة هذا المرائي على
الكفر وقيل المعنى ليس لهم الا النار في ايام معلومة ثم يخرج اما بالشفاعة واما بالقبضة
والاية تقتضي الوعيد بسلب الايمان وفي الحديث المعاصي بريد الكفر وخاصة الرياء
اذ هو شرك على ما تقدم بيانه في النساء ويأتي في آخر الكهف وباطل ما كانوا
يعملون ابتدا وخبر قال ابو حاتم وحذف الها قال النحاس هذا لا يحتاج الى
حذف لانه بمعنى المصدر اي وباطل عمله وفي حرف ابي عبد الله وباطلا
ما كانوا يعملون تكون ما زايدة اي وكانوا يعملون باطلا قوله ـــــ افمن
كان على بينة من ربه ابتدا والخبر محذوف اي افمن كان على بينة من ربه اي في
اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه في الفضل ما يتبين به لغيره كمن يريد الحيوة
الدنيا وزينتها عن على بن الحسين والحسن بن ابي الحسن وكذا قال ابن زيد ان
الذي على بينة من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويتلوه شاهد من الله وهو
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بقوله افمن كان على بينة من ربه النبي
صلى الله عليه وسلم والكلام راجع الى قوله وضايق به صدرك اي افمن كان
بيان من الله ومعجزة كالقران ومعه شاهد كجبريل او على ما ياتي وقد بشرت
به الكتب السالفة يضيق صدره بالابلاغ وهو يعلم ان الله لا يسلمه والها في ربه تعود
عليه وقوله ويتلوه شاهد منه وروى عن عكرمة وابن عباس ان جبريل انه
جبريل وهو قول مجاهد والنخعي والها في منه لله عز وجل اي يتلوه البيان والبرهان
شاهد من الله عز وجل وقال مجاهد الشاهد ملك من الله عز وجل يحفظه ويسدده
وقال الحسن البصري وقتادة الشاهد لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال محمد بن علي بن الحنفية قلت لابي انت الشاهد فقال وددت ان اكون
هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو علي بن ابي طالب وروى
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال ما من رجل من قريش الا وقد انزلت
فيه الاية والايتان فقال له رجل اي شيء نزل فيك فقال علي ويتلوه شاهد
منه وقيل الشاهد صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه ومخايله لان من
كان له فضل وعقل فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم علم انه رسول الله
فالها على هذا يرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى قول ابن زيد وغيره و

قيل الشاهد القران وفى نظمه وبلاغته والمعانى الكثيرة منه فى اللفظ الواحد قاله الحسين
بن الفضل فالهاء فى منه القران وقال الفرا قال بعضهم ويتلوه شاهد منه الانجيل
وان كان قبله فهو يتلوه القران فى التصديق والهاء فى منه الله عز وجل وقيل البينة
معرفة الله تعالى التى اشرقت بها القلوب والشاهد الذى يتلوه العقل الذى ركب
فى دماغه واشرق صدره بنوره ومن قبله اى قبل الانجيل كتاب موسى رفع بالابتداء
قال ابو اسحاق الزجاج المعنى ويتلوه من قبله كتاب موسى لان النبى صلى الله عليه وسلم
موصوف فى كتاب موسى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل وحكى ابو حاتم
عن بعضهم انه قرا ومن قبله كتاب موسى بالنصب وحكاه المهدوى عن الكلبى يكون
يكون معطوفا على الهاء فى يتلوه والمعنى ويتلوه كتاب موسى جبريل عليهما السلام
وكذلك قال ابن عباس المعنى ومن قبله تلى جبريل كتاب موسى على موسى فتحرر ما
ذكره ابن عباس ايضا من هذا القول ان يرفع كتاب موسى على ان يكون المعنى
ومن قبله كتاب موسى كذلك اى تلاه جبريل على موسى كما تلى القران على محمد صلى
الله عليه وسلم اماما نصب على الحال ورحمة معطوف اولئك يومنون به اشارة
الى بنى اسرائيل ان يومنوا بما فى التورات من البشارة بك وانما كفر بك هولاء المتاخرون
فهم الذين موعدهم النار حكاه القشيرى والهاء فى به يجوز ان تكون للقران
ويجوز ان يكون للنبى صلى الله عليه وسلم ومن يكفر به اى بالقران او بالنبى
صلى الله عليه وسلم من الاحزاب يعنى من الملل كلها عن قتادة وكذا قال
سعيد بن جبير الاحزاب اهل الاديان كلها لانهم يتحازبون وقيل قريش وحلفاؤهم
فالنار موعده اى هو من اهل النار وانشد حسان ::
اوردتموها حياض الموت ضاحية والنار موعدها والموت لاقيها ::
وفى صحيح مسلم من حديث ابى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى
بيده لا يسمع بى احد من هذه الامة يهودى ولا نصرانى ولم يومن بالذى ارسلت
به الا كان من اصحاب النار فلا تك فى مرية اى فى شك منه اى من القران
الحق من ربك اى القران من الله قاله قتادة وقال الكلبى المعنى فلا يك فى
مرية اى فى ان الكافر فى النار وفى انه الحق من ربك اى القول الحق الكائن
اى الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد جميع المكلفين قوله تعالى ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا اى لا احد اظلم منهم لانفسهم لانهم افتروا على الله

كذبا واضافوا كلامه الى غيره وزعموا ان له شريكا وولدا وقالوا للاصنام
هؤلاء شفعاؤنا عند الله اولئك يعرضون على ربهم اى يحاسبهم على اعمالهم
ويقول الاشهاد يعنى الملائكة الحفظة عن مجاهد وغيره وقال سفين سالت الاعمش
عن الاشهاد فقال هم الملائكة الضحاك هم الانبيا والمرسلون ذكره دليله قوله تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقيل الملائكة والانبيا
والعلماء الذين بلغوا الرسالات وقال قتادة اعنى الخلائق اجمع وفى صحيح مسلم
من حديث صفوان بن محرز عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم وفيه قال واما
الكافر والمنافق فينادى بهم يوم القيمة على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على
ربهم الا لعنة الله على الظالمين اى بعده وسخطه وابعاده من رحمته على الذين
وضعوا العبادة فى غير موضعها قوله تعالى الذين يصدون يجوز ان
يكون الذين حدون فى موضع خفض نعتا للظالمين ويجوز ان يكون فى موضع رفع
اى هم الذين وقيل ابتدا خطاب من الله تعالى اى الذين يصدون انفسهم وغيرهم
عن الايمان والطاعة ويبغونها عوجا اى يعدلون بالناس عنها الى المعاصى و
الشرك وهم بالاخرة هم كافرون اعاد لفظهم تاكيدا قوله تعالى اولئك
لم يكونوا معجزين فى الارض اى فائتين من عذاب الله قال ابن عباس لم يعجزونى
امر الارض فيخسف بهم وما كان لهم من دون الله من اوليا يعنى انصار ومن
زايده وقيل ما بمعنى الذى تقديره اولئك لم يكونوا معجزين لا هم ولا الذين
كانوا لهم من اوليا وهو قول ابن عباس يضاعف لهم العذاب اى على قدر كفرهم
ومعاصيهم ما كانوا يستطيعون السمع ما فى موضع نصب على ان يكون المعنى
بما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ولا يستعملون ذلك فى استماع
الحق وابصاره تقول حزيته ما فعل وبما فعل فيحذفون الباء مرة ويثبتونها اخرى
وانشد سيبويه امرتك الخير فافعل ما امرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب
ويجوز ان يكون ما ظرفا والمعنى يضاعف لهم ابدا اى وقت استطاعتهم السمع
والبصر والله سبحانه يجعلهم فى جهنم مستطيعى ذلك ابدا ويجوز ان يكون ما نافية
لا موضع لها اذ الكلام قد تم قبلها والوقف على العذاب كاف والمعنى ما كانوا
يستطيعون السمع فان الله اضلهم فى اللوح المحفوظ وقال الزجاج لبغضهم النبى
صلى الله عليه وسلم وعداوتهم لا يستطيعون ان يسمعوا منهم ولا يفقهوا عنهم

قال النحاس هذا معروف فى كلام العرب يقال فلان لا يستطيع ان ينظر الى فلان
اذا كان ثقيلا عليه قوله تعالى اولئك الذين خسروا انفسهم ابتدا و
خبر وضل عنهم ما كانوا يفترون اى ضاع عنهم افتراهم وتلف قوله تعالى
لا جرم انهم للعلما فيها اقوال فقال الخليل وسيبويه لا جرم بمعنى حق فلا وجرم عند
هما كلمة واحدة وان عندهما فى موضع رفع وهذا قول الفرا ومحمد بن يزيد حكاه النحاس
المهدوى وعن الخليل ايضا ان معناها لا بد ولا محالة وهو قول الفرا ايضا ذكره
الثعلبى وقال الزجاج لا ههنا نفى ورد لقولهم ان الاصنام تنفعهم كان المعنى لا
ينفعهم ذلك وجرم بمعنى كسب اى كسب ذلك الفعل لهم الخسران وفاعل كسب مضمر
وان منصوبة بجرم كما قال كسب حقاوك زيدا غضبه عليك وقال الشاعر
٭ نصبنا راسه فى راس جذع بما جرمت يده وما اعتدينا اى بما كسبت
وقال الكساى معنى لا جرم لا صد ولا منع عن انهم وقيل المعنى لا قطع قاطع فحذف
الفاعل حين كثر استعاله والجزم القطع وقد جرم النخل واجترمه اى جرمه
فهو جارم وقوم جُرُم وجرام وهذا زمن الجرام وجرمت صوف الشاة اى
جززته وقد جرمت منه اذا اخذت منه مثل جلمت قال النحاس وزعم الكساى
ان فيها اربع لغات لا جرم ولا عن ذا جرم ولا ان ذا جرم وقال وناس من فزاره
يقولون لا جر انهم بغير ميم وحكى الفرا فيه لغة اخرى قال بنو عامر
يقولون لا ذا جرم وناس من العرب يقولون لا جرم بغير الحكم قوله تعالى
ان الذين امنوا الذين اسم ان امنوا صلة اى صدقوا وعملوا الصالحات واخبتوا
الى ربهم عطف على الصلة قال ابن عباس اخبتوا انابوا مجاهد اطاعوا قتاده
خشعوا وخضعوا مقاتل اخلصوا الحسن الاخبات الخشوع للمخافة الثابتة
فى القلب واصل الاخبات الاستوا من الخبت وهو الارض المستوية الواسعة
والاخبات الخشوع والاطمان او الانابة الى الله تعالى المستمر ذلك على استوا
الى ربهم قال الفرا الى ربهم ولربهم واحد وقد يكون المعنى وجهوا اخباتهم الى
ربهم اولئك خبر ان قوله تعالى مثل الفريقين ابتدا وخبر كالاعمى
وما بعده قال الاخفش اى كمثل الاعمى النحاس التقدير مثل فريق الكافر كالاصم
ومثل فريق المومن كالسميع والبصير ولهذا قال هل يستويان فردا الى الفريقين
وهما اثنان روى معناه عن قتادة وغيره قال الضحاك الاعمى والاصم مثل للكافر

والسميع والبصير مثل للمومن وقيل المعنى هل يستوى الاعمى والبصير وهو يستوى الاصم والسميع مثلا منصوب على التفسير فلا تذكرون فى الموصفين وينظرون
قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه ذكر سبحانه قصص الانبيا عليهم السلام للنبى صلى الله عليه وسلم تنبيها له على ملازمة الصبر على اذى الكفار الى ان يكفيه الله امرهم انى اى فقال انى لانى فى الارسال معنى وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائى بفتح الهمزة اى ارسلناه بانى لكم نذير مبين ولم يقل انه لانه رجع عن الغيبة الى خطاب نوح لقومه كما قال وكتبنا له فى الالواح من كل شى ثم قال فخذها بقوة قوله تعالى الا تعبدوا الا الله اى اتركوا الاصنام فلا تعبدوها واطيعوا الله وحده ومن قرا انى لكم بالكسر جعله معترضا فى الكلام ومعنا ارسلناه بان لا تعبدوا انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم قوله تعالى فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى فقال الملاء قال ابو اسحق الزجاج الملاء الروسا الذين هم مليون بما يقولون وقد تقدم هذا فى البقرة وغيرها ما نراك الا بشرا مثلنا اى ادميا مثلنا نصب على الحال ومثلنا مضاف الى معرفة وهو نكرة يقدر فيه التنوين كما قال ياربّ مثلك فى النساء غريرة
الثانية قوله تعالى وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اراذل جمع ارذل وارذل جمع رذل مثل كلب واكلب واكالب وقيل الاراذل جمع رذل كاساود الاسود من الحيات والرذل النذل اراد والا تبعك اخساونا وسقطتنا وسفلتنا قال الزجاج نسبوهم الى الحياكة ولم يعلموا ان الصناعات لا اثر لها فى الديانة قال النحاس الاراذلهم الفقرا وهم الذين لا حسب لهم والخسيسوا الصناعات وفى الحديث انهم كانوا حاكة وحجامين وكان هذا جهلا منهم لانهم عابوا نبى الله صلى الله عليه وسلم بما لا عيب فيه لان الانبيا صلوات الله عليهم وسلامه انما عليهم ان ياتوا بالبراهين والايات وليس عليهم تغيير الصور والهيات وهو مرسلون الى الناس جميعا فاذا اسلم منهم الدنى لم يلحقهم من ذلك نقصان لان عليهم ان يقبلوا اسلام كل من اسلم منهم قلت الاراذل هنا هم الفقرا والضعفا كما قال هرقل لابى سفين اشرف الناس اتبعوه ام ضعفاؤهم فقال هم اتباع الرسل قال علماونا وانما كان ذلك لاستيلاء الرياسة على الاشراف وصعوبة الانفكاك عنها والانفة من الانقياد الى الغير والفقر خلى عن تلك الموانع فهو سريع الى الاجابة والانقياد وهذا غالب احوال اهل الدنيا الثالثة اختلف العلما

فی تعیین السفلة علی اقوال فذکر ابن المبارک عن سفین ان السفلة هم الذین یتغلون
ویاتون ابواب القضاة والسلاطین یطلبون الشهادات وقال ثعلب عن ابن الاعرابی
السفلة الذی یاکل الدنیا بدینه قیل لمن سفلة السفلة فقال الذین اذا اجتمعوا غلبوا واذا
تفرقوا لم یعرفوا وقیل لمالک بن انس من السفلة فقال الذی یسب الصحابة وروی عن ابن
عباس الارذلون الحاکة والحجامون یحیی بن اکثم الدباغ والکناس اذا کان من غیر العرب
الرابعة اذا قالت المراة لزوجها یا سفلة فقال ان کنت منهم فانت طالق فحکی النقاس
ان رجلا جاء الی الترمذی فقال ان امراتی قالت لی یا سفلة فقلت ان کنت سفلة فانت
طالق قال الترمذی ما صناعتک قال سفاط والله سفلة والله قلت وعلی ما ذکره
ابن المبارک عن سفین لا تطلق وکذلک علی قول مالک وابن الاعرابی لا یلزمه شیء
قوله تعالی بادی الرای ای ظاهر الرای وباطنهم علی خلاف ذلک یقال بدا یبدوا
اذا ظهر کما قال فالیوم حین بدوت للنظار ویقال للبریة بادیة لظهورها وبدا لی
ان افعل کذا ای ظهر لی رای غیر الاول وقال الازهری معناه فیما یبدوا للناظر الرای
ویجوز ان یکون بادی الرای من بدا یبدا وحذف الهمز وحقق ابو عمرو الهمزة فقرا
بادی الرای اول الرای ای اتبعوا حین ابتدوا ینظرون ولو تاملوا النظر والفکر
لم یتبعوک ولم یختلف المعنی ههنا بالهمز وترک الهمز والنصب علی حذف فی کما قال عز وجل
واختار موسی قومه سبعین ومانری لکم علینا من فضل ای فی اتباعه وهذا حجة منهم لنبوة
بل نظنکم کاذبین الخطاب لنوح ومن آمن به قوله تعالی قال یا قوم ارایتم
ان کنت علی بینة من ربی ای علی یقین قاله ابو عمران الجرنی وقیل علی معجزة وقد تقدم
فی الانعام هذا المعنی واتانی رحمة من عنده ای نبوة ورسالة عن ابن عباس وهی رحمة
علی الخلق وقیل الهدایة الی الله بالبرهان وقیل الایمان والاسلام فعمیت علیکم ای الرسالة
والهدایة فلم تفهموها یقال عمیت عن کذا وعمی علی کذا ای لم افهمه والمعنی فعمیت الرحمة
فقیل هو مقلوب لان الرحمة لا تعمی وانما یعمی عنها فهو کقولک ادخلت القلنسوة فی راسی
ودخل الخف فی رجلی وقراه الاعمش وحمزة والکسائی فعمیت بضم العین وتشدید المیم
علی ما لم یسم فاعله ای فعماها الله علیکم وکذا فی قراءة ابی فعماها الماوردی ان
انلزمکموها فیه شهادة ان لا اله الا الله وقیل الهاء ترجع الی الرحمة وقیل الی البینة ای انلزمکم
قبولها واوجبها علیکم وهو استفهام بمعنی الانکار ای لا یمکننی ان اضطرکم الی المعرفة بها
وانما قصد نوح علیه السلام بهذا القول ان یرد علیهم وحکی الکسائی والفراء انلزمکموها

باسكان الميم الاولى تخفيفا وقد جاز مثل هذا سيبويه وانشد

فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل

قال النحاس ويجوز على قول يونس انلزمكموها تجرى الضمير مجرى المظهر كما تقول انلزمكم ذلك وانتم لها كارهون اى لا يصلح اى لا يصح قولكم لها مع الكراهة عليها قال قتادة والله لو استطاع نبى الله نوح عليه السلام لالزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك قوله تعالى ويا قوم لا اسالكم عليه اى على التبليغ والدعاء الى الله والايمان به مالا اى اجرا فيثقل عليكم ان اجرى الا على الله اى ثوابى فى تبليغ الرسالة وما انا بطارد الذين امنوا سالوه ان يطرد الاراذل الذين امنوا به كما سالت قريش النبى صلى الله عليه وسلم ان يطرد الموالى والفقراء حسب ما تقدم فى الانعام بيانه فاجابهم بقوله وما انا بطارد الذين امنوا انهم ملاقوا ربهم يحتمل ان يكون قاله على وجه الاعظام لهم بلقاء الله عز وجل ويحتمل ان يكون قاله على وجه الاختصام اى لو فعلت ذلك لخاصمونى عند الله تعالى فيجازيهم على ايمانهم ويجازى من طردهم

قوله تعالى ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم قال الفراء اى يمنعنى من عذابه ان طردتهم لاجل ايمانهم افلا تذكرون ادغمت التاء فى الذال ويجوز حذفها فتقول تذكرون قوله تعالى ولا اقول لكم عندى خزائن الله اخبر بتواضعه وتذلله لله عز وجل وانه لا يدعى ما ليس له من خزائن الله وهى انعامه على ما يشاء من عباده وانه لا يعلم الغيب لان الغيب لا يعلمه الا الله عز وجل ولا اقول انى ملك اى لا اقول ان منزلتى عند الناس منزلة الملائكة وقد قالت العلماء الفائدة فى الكلام الدلالة على ان الملائكة افضل من الانبياء لدوامهم على الطاعة واتصال عباداتهم الى يوم القيمة صلوات عليهم وقد تقدم هذا المعنى فى البقرة ولا اقول للذين تزدرى اعينكم اى تستثقل وتحتقر اعينكم والاصل تزدريهم حذفت الهاء والميم لطول الاسم والدال مبدلة من تاء لان الاصل فى تزدرى تزترى والتاء تبدل بعد الزاى دالا لان الزاى مجهورة من مخرجها والتاء مهموسة فابدلت من التاء حرف مجهور من مخرجها ويقال ازريت عليه اذا عبت وزريت عليه اذا حقرته وانشد الفراء

يباعده الصديق وتزدريه حليلته وينهره الصغير

لن يؤتيهم الله خيرا اى ليس لاحتقاركم لهم يبطل اجورهم او ينقص ثوابهم الله اعلم بما فى انفسهم فيجازيهم عليه ويؤاخذهم به انى اذا لمن الظالمين اى ان قلت هذا الذى تقدم ذكره واذا ملغاة لانها متوسطة قوله تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا اى خاصمتنا فاكثرت خصومتنا وبالغت فيها والجدال

فى كلام العرب المبالغة فى الخصومة مشتق من الجدل وهو شدة الفتل ويقال للصقر
ايضا اجدل لشدته فى الطير وقد تقدم هذا فى الانعام باشبع من هذا وقرا ابن عباس
فاكثرت جدلنا ذكره النحاس والجدال فى الدين محمود ولهذا جادل نوح والانبيا
قومهم حتى يظهر الحق فمن قبله انجح وافلح ومن رده خاب وخسر واما الجدال لغير الحق
حتى يظهر الباطل فى صورة الحق فمذموم وصاحبه فى الدارين ملوم فاتنا بما تعدنا اى من
العذاب ان كنت من الصادقين فى قولك قوله تعالى قال انما ياتيكم به الله
ان شا اى ان اراد اهلاككم عذبكم وما انتم بمعجزين اى بفائتين وقيل بغالبين
بكثرتكم لانهم اعجبوا بذلك كانوا ملؤوا الارض سهلا وجبلا على ما ياتى قوله
تعالى ولا ينفعكم نصحى اى ابلاغى واجتهادى فى ايمانكم ان اردت ان انصح لكم اى لانكم
لا تقبلون نصحا وقد تقدم فى براءة معنى النصح لغة ان كان الله يريد ان يغويكم اى
يضلكم وهذا مما يدل على بطلان مذهب المعتزلة والقدرية ومن وافقهما اذ زعموا
ان الله تعالى لا يريد ان يعصى العاصى ويكفر الكافر ولا يغوى الغاوى وانه يفعل ذلك
ولا يريد ذلك فرد الله عليهم بقوله ان كان الله يريد ان يغويكم وقد مضى هذا المعنى
فى الفاتحة وغيرها وقد اكذبوا شيخهم اللعين ابليس على ما بيناه فى الاعراف فى اغواء
الله تعالى اياه حيث قال فبما اغويتنى ولا محيص لهم عن قول نوح عليه السلام ان
كان الله يريد ان يغويكم واضاف اغواءهم الى الله سبحانه اذ هو الهادى المضل سبحانه
عما يقول الجاحدون والظالمون علوا كبيرا وقيل ان يغويكم ان يهلككم لان الاضلال
يفضى الى الهلاك الطبرى يغويكم يهلككم بعذابه حكى عن طى اصبح فلان غاويا اى مريضا
واغويته اهلكته ومنه فسوف يلقون غيا هو ربكم واليه ترجعون فاله الاغواء واليه
الهداية واليه ترجعون تهديد ووعيد قوله تعالى ام يقولون افتراه يعنى
النبى صلى الله عليه وسلم افترى افتعل اى اختلق القران من قبل نفسه وما اخبر به
عن نوح وقومه قاله مقاتل وقال ابن عباس هو من محاورة نوح لقومه وهو
اظهر لانه ليس قبله ولا بعده الا ذكر نوح وقومه فالخطاب منهم ولهم قل ان افتريته
اى اختلقته وافتعلته يعنى الوحى والرسالة فعلى اجرامى اى عقاب اجرامى وان كنت
محقا فيما اقوله فعليكم عقاب تكذيبى والاجرام مصدر اجرم وهو اقتراف السيئة
وقيل المعنى اى جزاء جرمى وكسبى وجرم واجرم بمعنى عن النحاس وغيره وقال زهير
عشيرة نهضر جرم بما جرمت يدى وجنى لسانى ومن قرا اجرامى بفتح الهمزة

ذهب الى انه جمع جرم ذكره النحاس ايضا وانا برئ مما تجرمون اى من الكفر والتكذيب
قوله تعالى واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن انه في موضع
رفع بالابتداء على انه اسم ما لم يسم فاعله ويجوز ان يكون في موضع نصب ويكون التقدير
بانه وان في موضع نصب سوى من ومعنى الكلام الاياس من ايمانهم واستدامة كفرهم
تحقيقا لنزول الوعيد بهم قال الضحاك فدعا عليهم لما اخبر بهذا فقال رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا الايتين وقيل ان رجلا من قوم نوح حمل ابنه على
كتفه فلما راى الصبى نوحا قال لابيه اعطنى حجرا فاعطاه حجرا فرمى به نوحا عليه السلام
فادماه فاوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس
اى فلا تغتم بهلاكهم حتى يكون بائسا اى حزينا والبؤس الحزن ومنه قول
الشاعر   وكم من خليل او حميم رزئته   فلم ابتئس والرزء فيه جليل
يقال ابتأس الرجل اذا بلغه شى يكرهه والابتئاس حزن في استكانة قوله
تعالى واصنع الفلك باعيننا ووحينا اى اعمل السفينة لتركبها انت ومن آمن معك
باعيننا اى بمرأى منا وحيث نراك وقال الربيع بن انس بحفظنا اياك حفظ من يراك
وقال ابن عباس بحراستنا والمعنى واحد فعبر عن الرؤية بالاعين لان الرؤية
تكون بها ويكون جمع الاعين للعظمة لا للتكثير كما قال فنعم القادرون فنعم الماهدون
وانا لموسعون وقد يرجع معنى الاعين في الاية وغيرها الى معنى عين كما قال ولتصنع
على عينى وذلك كله عبارة عن الادراك والاحاطة وهو سبحانه منزه عن الحواس
والتشبيه والتكييف لا رب غيره وقيل المعنى باعيننا اى باعين ملائكتنا الذين
جعلناهم عيونا على حفظك ومعونتك فيكون الجمع على هذا للتكثير على بابه وقيل
باعيننا بعلمنا قاله مقاتل وقال الضحاك وسفيان باعيننا بامرنا وقيل بوحينا و
قيل بمعونتنا لك على صنعها ووحينا اى على ما اوحينا اليك من صنعها ولا تخاطبنى
في الذين ظلموا اى لا تطلب امهالهم فانى مغرقهم قوله تعالى ويصنع
الفلك اى وطفق يصنع الفلك قال زيد بن اسلم مكث نوح عليه السلام مائة سنة
يغرس الشجر ويبسها ومائة سنة يعملها وروى ابن سيرين عن مالك قال بلغنى
ان قوم نوح ملؤا الارض حتى ملؤا السهل والجبل فما يستطيع هؤلاء ان ينزلوا الى
هؤلاء وهؤلاء ان يصعدوا الى هؤلاء فلبث نوح يغرس الشجر مائة عام لعمل
السفينة ثم جمعها ويبسها مائة عام وقومه يسخرون وذلك لما راوه يصنع من ذلك

حتى كان من قضا الله فيهم ما كان وروى عن عمرو بن الحرث قال عمل نوح سفينة بقاع
دمشق وقطع خشبها من جبل لبنان وقال القاضي ابو بكر بن العربي لما اسعر الله
سبحانه من في الاصلاب والارحام من المؤمنين اوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن
من قومك الا من قد آمن فاصنع الفلك قال يارب ما انا بنجار قال بلى فان
ذلك بعيني فاخذ القدوم فجعله بيده وجعلت يده لا تخطي فجعلوا يمرون ويقولون
هذا الذي يزعم انه نبي صار نجارا فعملها اربعين سنه وحكى الثعلبي وابو نصر القشيري
عن ابن عباس قال اتخذ نوح عليه السلام السفينة في سنتين زاد الثعلبي وذلك انه
لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان اصنعها كجوجو الطاير وقال كعب بناها
في ثلاثين سنه والله اعلم المهدوي وجا في الخبر ان الملايكة كانوا يعلموه كيف يصنع
واختلفوا في طولها وعرضها فعن ابن عباس كان طولها ثلاث ماه ذراع وعرضها
خمسون وسمكها ثلثون ذراعا وكانت من خشب الساج وكذا قال الكلبي وقتاده
وعكرمه كان طولها ثلثماه ذراع والزراع الى المنكب قال سلمان الفارسي وقال
الحسن البصري ان طول السفينة الف ذراع ومايتا ذراع وعرضها ستمايه ذراع
وحكاه الثعلبي في كتاب العرايس روى علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن
ابن عباس قال قال الحواريون لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة
يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب
قال اتدرون ما هذا قال الله ورسوله اعلم قال هذا قبر سام بن نوح قال
فضرب الكثيب بعصاه وقال قم باذن الله فاذا هو قايم ينفض التراب من راسه
وقد شاب له عيسى اهكذا هلكت قال لا قال بل مت وانا شاب ولكني ظننت انها
الساعه فمن ثم شبت قال فاخبرنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع
ومايتي ذراع وعرضها ستماه ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقه فيها الدواب
والوحش وطبقه فيها الانس وطبقه فيها الطير وذكر باقي الخبر على ما ياتي ذكره
انشا الله تعالى وقال الكلبي فيما حكاه النقاش ودخل الما فيها اربع وكان لها
ثلاث ابواب باب فيه السباع والطير وباب فيه الوحش وباب فيه الرجال
والنسا ابن عباس جعلها ثلثة بطون البطن الاول للوحش والسباع والدواب
والاوسط للطعام والشراب وركب هو في البطن الاعلى وحمل معه جسد ادم
عليه السلام معترضا بين الرجال والنسا ثم دفنه بعد ببيت المقدس وكان

فاذا امسوا غلب سوادهن ببياضهن واذا اصبحوا غلب بياضهن بسوادهن

على قدر الساعات قوله تعالى وهي تجري بهم في موج كالجبال الموج جمع

موجة وهي ما ارتفع من جملة الماء الكثير عند اشتداد الريح الكاف للتشبيه وهي في موضع

خفض نعت للموج وجاء في التفسير ان الماء جاوز كل شئ بخمسة عشر ذراعا ونادى نوح

ابنه بحذف الواو من ابنه في اللفظ وانشد له رجل كانه صوت حاد فاما ونادى نوح ابنه

وكان فقراة شاذة وهي مروية عن على بن ابي طالب رضي الله عنه وعروة بن الزبير

وزعم ابوحاتم انها على انه يريد ابنهاه حذف الالف كما تقول وانته فحذف الواو قال

النحاس وهذا الذي قاله ابوحاتم لا يجوز على مذهب سيبويه لان الالف خفيفة لا يجوز

حذفها والواو ثقيلة يجوز حذفها وكان في معزل اى من دين الله وقيل عن السفينة

وقيل ان نوحا لم يعلم ان ابنه كان كافرا وانه ظن انه مؤمن ولذلك قال له ولا تكن

مع الكافرين وسيأتي وكان هذا النداء من قبل ان يستيقن القوم الغرق وقيل

رؤية الناس بل كان اول ما فار التنور وظهرت العلامة لنوح وقرا عاصم يا بني

اركب بفتح الياء والباقون بكسرها واصل يا بني ان تكون بثلاث يآت يا

التصغير ويا الاضافة ويا الفعل فادغمت يا التصغير في لام الفعل وكسر لام الفعل

في اهل ما الاضافة وحذفت يا الاضافة لوقوعها موقع التنوين اولسكونها وسكون

الراء في هذا الموضع هذا اصل قراءة من كسر اليا وهو ايضا اصل قراءة من فتح لانه

قلب يا الاضافة الفا لخفة الالف ثم حذف الالف لسكونها عوضا من حذف يحذف

اوسكونها وسكون الراء في هذا الموضع قال النحاس اما قراءة عاصم فمشكلة قال ابو

حاتم يريد يا بنياه ثم يحذف قال النحاس ورايت على بن سليمان يذهب لان هذا

لا يجوز لان الالف حينئذ خفيفة قال ابو جعفر النحاس ما علمت ان احدا من النحويين جوز

الكلام في هذا الا ابا اسحق فانه زعم ان الفتح من جهتين والكسر من جهتين فالفتح

على انه يبدل من اليا الفا قال الله عز وجل اخبارا يا ويلتا وقال الشاعر

فيا عجبا من رحلها المتحمل فيريد يا بنياه ثم حذف الالف لالتقاء الساكنين

كما تقول جاءني عبدالله في التثنية والجهة يحذف الالف لان النداء موضع حذف والكسر

على ان يحذف اليا للنداء والجهة الاخرى على ان يحذفها لالتقاء الساكنين قوله

تعالى ساوى الى جبل اى ارجع وانضم الى جبل يعصمني اى يمنعني من الماء فلا اغرق قال

لا عاصم اليوم من امر الله اى لا مانع فانه يوم حق فيه العذاب على الكفار وانتصب عاصم

على التبرية وبجوز لا عاصم اليوم يكون لا بمعنى ليس لا من رحم في موضع نصب استثناء
ليس من الاول اي بكن من رحمه الله فهو يعصمه قاله الزجاج وبجوز ان يكون في موضع
رفع على ان عاصما بمعنى معصوم مثل ماء دافق اي مدفوق فالاستثنا على هذا متصل
قال الشاعر   بطي العمام رخيم الكلام امسى فوادي به فاتنا اي مفتونا
وقال اخر   ودع المكارم لا تنهض لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي
اي المطعوم المكسو قال النحاس ومن احسن ما قيل فيه ان تكون من في موضع رفع بمعنى
لا يعصم اليوم من امر الله الا الراحم اي الا الله وهذا اختيار الطبري ويحسن هذا لانك
لم تجعل عاصما بمعنى معصوم فتخرجه من بابه ولا الا بمعنى لكن وحال بينهما يعني بين
نوح وابنه فكان من المغرقين قيل انه كان راكبا على فرس قد بطر بنفسه واعجب
بها فلما راى الماء جاء قال يا ابه فار التنور فقال له ابوه يا بني اركب معنا فما استتم
المراجعة حتى جاءته موجة عظيمة فالتقمته هو وفرسه وحيل بينه وبين نوح وقيل انه
اتخذ لنفسه بيتا من زجاج يتحصن فيه من الما فلما فار التنور دخل فيه واقفله عليه
من داخل فلم يزل يبول ويتغوط حتى غرق بذلك وقيل ان الجبل الذي آوى اليه
طور زيتا قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي هذا
مجاز لانها موات وقيل جعل فيها ما تميز به والذي قال انه مجاز قال لو فتش كلام
العرب والعجم ما وجد فيه مثل هذه الاية على حسن نظمها وبلاغة وصفها واشتمال
المعاني فيها وفي الاثر ان الله تعالى لا يخلي الارض من مطر في عام او عامين وانه
ما نزل من السماء ماء قط الا بحفظ ملك موكل به الا ما كان من ماء الطوفان فانه
خرج منه ما لا يحفظ الملك الموكل به وذلك قوله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية
فجرت بهم السفينة الى تناهي الامر فامر الله تعالى الماء المنهمر من السماء بالامساك
وامر الارض بالابتلاع يقال بلع الماء يبلعه مثل منع يمنع وبلع يبلع مثل حمل يحمل
لغتان حكاهما الكسائي والفراء والبالوعة الموضع الذي يشرب الماء قال ابن العربي
التقى الماء ان على امر قد قدر ما كان في الارض وما نزل من السما فامر الله تعالى
ما نزل من السما بالاقلاع فلم تمتص الارض منه قطرة وامر الارض بابتلاع ما خرج منها
فقط وذلك قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وقيل ميز الله بين
الماءين فما كان من ماء الارض امرها فبلعته وصار ماء السماء بحارا قوله تعالى
وغيض الماء اي نقص يقال غاض الشيء وغضته انا كما يقال نقص بنفسه ونقصته غيري

وغيض بضم الغين وقضى الامر اى احكم وفرغ منه يعنى اهلك قوم نوح على تمام
واحكام ويقال ان الله تعالى اعقم ارحام نسائهم قبل الغرق باربعين سنة ولم
يكن فيمن هلك صغير والصحيح انه اهلك الولدان بالطوفان كما هلكت الطير والسباع
ولم يكن الغرق عقوبة للصبيان والبهايم والطيور بل ماتوا باجالهم وحكى انه لما
كثر الماء فى الارض خشيت ام صبى عليه وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت حتى بلغت
ثلثيه فلما بلغها الماء استوت على الجبل فلما بلغ الماء قبتها رفعت يديها بابنها حتى ذهب
بها الماء فلو رحم الله منهم احدا لرحم الصبى قوله تعالى واستوت على الجودى
الجودى جبل بقرب الموصل استوت عليه فى العاشر من المحرم يوم عاشورا فصامه
نوح وامر جميع من معه من الناس والوحش والدواب والطير وغيرها فصاموه
شكرا لله تعالى وقد تقدم هذا المعنى وقيل كان ذلك يوم الجمعه وروى ان الله تعالى
اوحى الى الجبال ان السفينه ترسى على احدها فتطاولت وبقى الجودى لم يتطاول
تواضعا لله تعالى فاستوت السفينه عليه وبقيت عليه اعوادها وفى الحديث ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال لقد بقى منها شى ادركه اوايل هذه الامة وقال مجاهد تشامخت
الجبال وتطاولت لئلا ينالها الغرق فعلاها الماء خمسة عشر ذراعا وتطامن
الجودى وتواضع لامر الله تعالى فلم يغرق ورست السفينه عليه وقد قيل ان الجودى
اسم لكل جبل ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل   سبحانه ثم سبحانا نعود له
وقبلنا سبح الجودى والجمد   ويقال ان الجودى من جبال الجنة فلهذا استوت
عليه ويقال اكرم الله تعالى ثلثة جبال بثلثة نفر الجودى بنوح وطور سينا بموسى واحد بمحمد صلى الله
عليهم وسلم وعلى جميع النبيين   مسئلة لما تواضع الجودى وخشع عز ولما
ارتفع غيره واستعلا ذل وهذه سنة الله تعالى فى خلقه يرفع من يخشع ويضع من
يرفع ولقد احسن القايل   واذا تذللت الرقاب تخضعا منا اليك فعزها
فى ذلها وفى صحيح البخارى ومسلم عن انس بن مالك قال كانت ناقة النبى صلى الله عليه
وسلم تسمى العضبا وكانت لا تسبق فجا اعرابى على قعود له فسبقها فاشتد ذلك على
المسلمين وقالوا سبقت العضبا فقال رسول الله صلى الله عليه والسلم حق على الله
ان لا يرتفع شى من الدنيا الا وضعه وخرج مسلم عن ابى هريره عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد
لله الا رفعه الله وقال صلى الله عليه وسلم ان الله اوحى الى ان تواضعوا حتى لا يبغى

احد على احد ولا يفخر احد على احد خرجه البخاری مسئله نذكر منها من قصة
نوح مع قومه وبعض ذكر السفينة ذكر الحافظ ابن عساكر فی التاريخ له عن الحسن
ان نوحا اوّل رسولٍ بعثه الله الى الارض فذلک قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحًا الى قومه
فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما وكان كثرت فيهم المعاصی وكثرت فيهم الجبابرة
وعتوا عتوًّا كبيرا وكان نوح يدعوهم ليلا ونهارًا سرًّا وعلانية وكان صبورًا حليما
ولم يلق احد من الانبياء اشد مما لقى نوح فكانوا يدخلون عليه فيخنقونه حتى يترک
وقيذًا ويضربونه فی المجالس ويطردونه وكان لا يدع على ما يصنع به ان يدعوهم
ويقول يا رب اغفر لقومی فانهم لا يعلمون وكان لا يزيدهم ذلک الا فرارًا منه حتى
ان يتكلّم الرجل منهم فيلف رأسه بثوبه ويجعل اصبعه فی اذنه لكيلا يسمع شيئًا من كلامه
فذلک قوله جعلوا اصابعهم فی اذانهم واستغشوا ثيابهم وقال مجاهد وعبيد بن
عمير كانوا يضربونه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال رب اغفر لقومی فانهم
لا يعلمون وقال ابن عباس ان نوحا كان يضرب ثم يلف فی لبد فيلقى فی بيته
يرون انه قد مات ثم يخرج فيدعوهم حتى اذا يئس من ايمان قومه جاء رجل
ومعه ابنه وهو يتوكأ على عصًا فقال يا بنی انظر هذا الشيخ لا يغرنک قال يا ابه امكنی
من العصا ثم قال ضعنی فی الارض فوضعه فمشى اليه فضربه ضربه فشجّه شجّة موضعة
فی رأسه وسالت الدّما قال نوح رب قد ترى ما يفعل بی عبادك فان يک لک
فی عبادک حيزة فاهدهم وان يک غير ذلک فصبرنی الى ان تحكم وانت خير
الحاكمين فاوحى الله اليه وآيسه من ايمان قومه واخبره انه لم يبق فی اصلاب الرجال
ولا فی ارحام النساء مؤمن قال يا نوح لن نؤمن من قومک الا من قد آمن من قبل
فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ای لا تحزن عليهم واصنع الفلك باعيننا ووحينا
قال يا رب واين الخشب قال اغرس الساج عشرين سنة
وكفّ عن الدعاء وكفّوا عن الاستهزاء وكانوا يسخرون منه فلما ادرک الشجر امره
ربه فقطعها وجففها فقال يا رب كيف اتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث
صور رأسه كرأس الديک وجوجوه كجوجو الطاير وذنبه كذنب الفيل واجعلها
مطبقة واجعل لها ابوابا فی جنبها وشدها بدسر يعنی مسامير الحديد وبعث
الله عز وجل نوحا عليه السلام فعلّمه صنعة السفينة وجعلت بين لا يخطى قال
ابن عباس كانت دار نوح عليه السلام دمشق وانشا السفينة من خشب لبنان

فاذا امسى غلب سواد هذه بياض هذه واذا اصبح اغلب بياض هذه بسواد هذه
على قدر الساعات قوله تعالى وهى تجرى بهم فى موج كالجبال الموج جمع
موجة وهى ما ارتفع من جملة الماء الكثير عند اشتداد الريح الكاف للتشبيه وهى فى موضع
خفض نعت للموج وجاء فى التفسير ان الماء جاوز كل شى بخمسة عشر ذراعا ونادى نوح
ابنه بحذف الواو من ابنه فى اللفظ وانشد له زجل كانه صوت حاد واما ونادى نوح ابنه
وكان فقراءة شاذة وهى مروية عن على بن ابى طالب رضى الله عنه وعروة بن الزبير
وزعم ابو حاتم انها تجوز على انه يريد ابنها فحذف الالف كما تقول وانه فتحذف الواو وقال
النحاس وهذا الذى قاله ابو حاتم لا يجوز على مذهب سيبويه لان الالف خفيفة لا يجوز
حذفها والواو ثقيلة يجوز حذفها وكان فى معزل اى من دين الله وقيل عن السفينة
وقيل ان نوحا لم يعلم ان ابنه كان كافرا وانه ظن انه مؤمن ولذلك قال له ولا تكن
مع الكافرين وسيأتى وكان هذا النداء من قبل ان يستيقن القوم الغرق وقبل
رؤية الناس بل كان اول ما فار التنور وظهرت العلامة لنوح وقرا عاصم يا بنى
اركب بفتح الياء والباقون بكسرها واصل يا بنى ان تكون بثلاث ياآت يا
التصغير ويا الاضافة ويا الفعل فادغمت يا التصغير فى لام الفعل وكسر لام الفعل
فى اجل يا الاضافة وحذفت يا الاضافة لوقوعها موقع التنوين او لسكونها وسكون
الراء فى هذا الموضع هذا اصل قراءة من كسر اليا وهو ايضا اصل قراءة من فتح لانه
قلب يا الاضافة الفا لخفة الالف ثم حذف الالف لسكونها عوضا من حرف يحذف
او سكونها وسكون الراء فى هذا الموضع قال النحاس اما قراءة عاصم فمشكلة قال ابو
حاتم يريد يا بنياه ثم يحذف قال النحاس ورأيت على بن سليمان يذهب الى ان هذا
لا يجوز لان الالف خفيفة قال ابو جعفر النحاس ما علمت ان احدا من النحويين جوز
الكلام فى هذا الا ابا اسحق فانه زعم ان الفتح من جهتين والكسر من جهتين فالفتح
على انه يبدل من اليا الفا قال الله عز وجل اخبارا يا ويلتا وقال الشاعر
فيا عجبا من رحلها المتحمل فيريد يا بنيا ثم حذف الالف لالتقاء الساكنين
كما تقول جاءنى عبد الله فى التثنية والجهة الاخرى ان النداء موضع حذف والكسر
على ان يحذف اليا للنداء والجهة الاخرى على ان يحذفها لالتقاء الساكنين قوله
تعالى سآوى الى جبل اى ارجع وانضم الى جبل يعصمنى اى يمنعنى من الماء فلا اغرق قال
لا عاصم اليوم من امر الله اى لا مانع فانه يوم حق فيه العذاب على الكفار واستثنى عاصم

على التبرية ويجوز لا عاصم اليوم يكون لا بمعنى ليس لا من رحم في موضع نصب استثناء
ليس من الاول اي لكن من رحمه الله فهو يعصمه قاله الزجاج ويجوز ان يكون في موضع
رفع على ان عاصما بمعنى معصوم مثل ماء دافق اي مدفوق فالاستثناء على هذا متصل
قال الشاعر   بطئ القيام رخيم الكلام امسى فؤادي به فاتنا اي مفتونا
وقال آخر   ودع المكارم لا تنهض لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي
اي المطعوم المكسو قال النحاس ومن احسن ما قيل فيه ان تكون من في موضع رفع بمعنى
لا يعصم اليوم من امر الله الا الراحم اي الا الله وهذا اختيار الطبري ويحسن هذا انك
لم تجعل عاصما بمعنى معصوم فتخرجه من بابه ولا الا بمعنى لكن وحال بينهما يعني بين
نوح وابنه فكان من المغرقين قيل انه كان راكبا على فرس قد بطر بنفسه واعجب
بها فلما راى الماء جاء قال يا ابه فار التنور فقال له ابوه يا بني اركب معنا فما استتم
المراجعة حتى جاءت موجة عظيمة فالتقمته هو وفرسه وحيل بينه وبين نوح وقيل انه
اتخذ لنفسه بيتا من زجاج يتحصن فيه من الماء فلما فار التنور دخل فيه واقفله عليه
من داخل فلم يزل يتغوط حتى غرق بذلك وقيل ان الجبل الذي آوى اليه
طور زيتا قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي هذا
مجاز لانها موات وقيل جعل فيها ما تميز به والذي قال انه مجاز قال لو فتش كلام
العرب والعجم ما وجد فيه مثل هذه الآية على حسن نظمها وبلاغة رصفها واشتمال
المعاني فيها وفي الاثر ان الله تعالى لا يخلي الارض من مطر في عام او عامين وانه
ما نزل من السماء ماء قط الا بحفظ ملك موكل به الا ما كان من ماء الطوفان فانه
خرج منه ما لا يحفظه الملك الموكل به وذلك قوله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية
فجرت بهم السفينة الى منتهى الامر فامر الله تعالى الماء المنهمر من السماء بالامساك
وامر الارض بالابتلاع ويقال بلع الماء يبلعه مثل منع يمنع وبلع يبلع مثل حمد يحمد
لغتان حكاهما الكسائي والفراء والبالوعة الموضع الذي يشرب الماء قال ابن العربي
التقى الماءان على امر قد قدر ما كان في الارض وما نزل من السماء فامر الله تعالى
ما نزل من السماء بالاقلاع فلم تمتص الارض منه قطرة وامر الارض بابتلاع ما خرج منها
فقط وذلك قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وقيل ميز الله بين
الماءين فما كان من ماء الارض امرها فبلعته وصار ماء السماء بحارا قوله تعالى
وغيض الماء اي نقص يقال غاض الشيء وغضته انا كما يقال نقص بنفسه ونقصه غيره

ويجوز غيض بضم الغين وقضي الامر اي احكم وفرغ منه يعني اهلك قوم نوح على تمام
واحكام ويقال ان الله تعالى اعقم ارحام نسائهم قبل الغرق باربعين سنة ولم
يكن فيمن هلك صغير والصحيح انه اهلك الولدان بالطوفان كما هلكت الطير والسباع
ولم يكن الغرق عقوبة للصبيان والبهائم والطيور بل ماتوا باجالهم وحكي انه لما
كثر الماء في الارض خشيت ام صبي عليه وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت حتى بلغت
ثلثيه فلما بلغها الماء استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعت يديها بابنها حتى ذهب
بها الماء فلو رحم الله منهم احدا لرحم الصبي قوله تعالى واستوت على الجودي
الجودي جبل بقرب الموصل استوت عليه في العاشر من المحرم يوم عاشوراء فصام
نوح وامر جميع من معه من الناس والوحش والدواب والطير وغيرها فصاموه
شكرا لله تعالى وقد تقدم هذا المعنى وقيل كان ذلك يوم الجمعة وروي ان الله تعالى
اوحى الى الجبال ان السفينة ترسي على احد منها فتطاولت وبقي الجودي لم يتطاول
تواضعا لله تعالى فاستوت السفينة عليه وبقيت عليه اعوادها وفي الحديث ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لقد بقي منها شيء ادركه اوائل هذه الامة وقال مجاهد تشامخت
الجبال وتطاولت لئلا ينالها الغرق فعلا الماء فوقها خمسة عشر ذراعا وتطامن
الجودي وتواضع لامر الله تعالى فلم يغرق ورست السفينة عليه وقد قيل ان الجودي
اسم لكل جبل ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل سبحانه ثم سبحانا نعود له
وقبلنا سبح الجودي والجمد ويقال ان الجودي من جبال الجنة فلهذا استوت
عليه ويقال اكرم الله ثلاثة نفر الجودي بنوح وطور سينا بموسى وحراء بمحمد صلى الله
عليهم وسلم وعلى جميع النبيين مسئلة لما تواضع الجودي وخشع عز ولما
ارتفع غيره واستعلا ذل وهذه سنة الله تعالى في خلقه يرفع من تخشع ويضع من
ترفع ولقد احسن القائل واذا تذللت الرقاب تخضعا منا اليك فعزها
في ذلها وفي صحيح البخاري ومسلم عن انس بن مالك قال كانت ناقة النبي صلى الله عليه
وسلم تسمى العضباء وكانت لا تسبق فجاء اعرابي على قعود له فسبقها فاشتد ذلك على
المسلمين وقالوا سبقت العضباء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق على الله
ان لا يرتفع شيء من الدنيا الا وضعه وخرج مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد
لله الا رفعه الله وقال صلى الله عليه وسلم ان الله اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يبغي

احد على احد ولا يفخر احد على احد خرجه البخاري مسئله نذكر منها من قصة
نوح مع قومه وبعض ذكر السفينة ذكر الحافظ ابن عساكر في التاريخ له عن الحسن
ان نوحا اول رسول بعثه الله الى الارض فذلك قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما وكان كثرت فيهم المعاصي وكثرت فيهم الجبابرة
وعتوا عتوا كبيرا وكان نوح يدعوهم ليلا ونهارا سرا وعلانية وكان صبورا حليما
ولم يلق احد من الانبياء اشد مما لقي نوح فكانوا يدخلون عليه فيخنقونه حتى يترك
وقيذا ويضربونه في المجالس ويطردونه وكان لا يدع على ما يصنع به ان يدعوهم
ويقول يا رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وكان لا يزيدهم ذلك الا فرارا منه حتى
يتكلم الرجل منهم فيلف رأسه بثوبه ويجعل اصبعه في اذنه لكيلا يسمع شيئا من كلامه
فذلك قوله جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم وقال مجاهد وعبيد بن
عمير كانوا يضربونه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال رب اغفر لقومي فانهم
لا يعلمون وقال ابن عباس ان نوحا كان يضرب ثم يلف في لبد فيلقى في بيته
يرون انه قد مات ثم يخرج فيدعوهم حتى اذا يئس من ايمان قومه جاء رجل
ومعه ابنه وهو يتوكأ على عصا فقال يا بني انظر هذا الشيخ لا يغرنك قال يا ابه امكني
من العصا ثم قال ضعني في الارض فوضعه فمشى اليه فضربه ضربة فشجه شجة موضحة
في رأسه وسالت الدما قال نوح رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان يك لك
في عبادك خير فاهدهم وان يك غير ذلك فصبرني الى ان تحكم وانت خير
الحاكمين فاوحى الله اليه وآيسه من ايمان قومه واخبره انه لم يبق في اصلاب الرجال
ولا في ارحام النسا مؤمن قال يا نوح لن يؤمن من قومك الا من قد آمن من قبل
فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اي لا تحزن عليهم واصنع الفلك باعيننا ووحينا
قال يا رب واين الخشب قال اغرس الساج قال فغرس الساج عشرين سنة
وكف عن الدعاء وكفوا عن الاستهزاء وكانوا يسخرون منه فلما ادرك الشجر امره
ربه فقطعها وجففها فقال يا رب كيف اتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث
صور رأسه كرأس الديك وجؤجؤه كجؤجؤ الطاير وذنبه كذنب الفيل واجعلها
مطبقة واجعل لها ابوابا في جنبها وشدها بدسر يعني مسامير الحديد وبعث
الله عز وجل نوحا عليه السلام فعلمه صنعة السفينة وجعلت يده لا تخطي قال
ابن عباس كانت دار نوح عليه السلام دمشق وانشا السفينة من خشب لبنان

بين زمزم وبين الركن والمقام فلما كملت حمل فيها السباع والدواب وحمل الوحش
والطير في الباب الثاني واطبق عليها وحمل اولاد آدم اربعين رجلاً واربعين امرأة
في الباب الاعلى لصنوها ان لا يطأها الدواب قال الزهري ان الله عز وجل
بعث ريحا تحمل اليه من كل زوجين اثنين من السباع والطير والوحش والبهائم
وقال جعفر بن محمد بعث الله جبريل عليه السلام فحشرهم فجعل يضرب بيديه على الوحش
فتقع بيده اليمين على الذكر واليسرى على الانثى فيدخله السفينة وقال استصعب
على نوح الماعز ان يدخل السفينة فدفعها في ذنبها فمن ثم انكسر ذنبها فصار
معقوفا وبدا حياها ومضت النعجة فدخلت فمسح على ذنبها فستر حياها قال اسحق
اخبرنا رجل من اهل العلم ان نوحا حمل اهل السفينة وحمل فيها من كل زوجين اثنين
وحمل فيها من الهدهد زوجين فماتت الهدهدة في السفينة قبل ان تظهر الارض فحملها
الهدهد فطار بها الدنيا ليصيب لها مكانا فلم يجد طينا ولا ترابا فرحمه ربه فحفر
لها في قفاه قبرا فدفنها فيه فلذلك الريش الثاني في قفا الهدهد موضع القبر فلذلك
ما اقفية الهداهد وقال صلى الله عليه وسلم كان حمل نوح معه في السفينة من
من جميع الشجر فكانت العجوة من الجنة مع نوح في السفينة وذكر صاحب كتاب العروس
وغيره ان نوحا عليه السلام لما اراد ان يبعث من يأتيه بخبر الارض قال الدجاج
انا فاخذه وختم على جناحه وقال لها انت مختومة بخاتمي ابدا تنتفع به امتي فبعث
الغراب فاصاب جيفة فوقع عليها فاحتبس فلعنه ولذلك يقتل في الحرم ودعى عليه
بالخوف فلذلك لا يألف البيوت وبعث الحمامة فلم تجد قرارا فوقعت على شجر
بارض سبا فحملت ورقة زيتونة ورجعت الى نوح فعلم انها لم تتمكن من الارض
ثم بعث بعد ذلك فطارت حتى وقعت بوادي الحرم فاذا الما قد نضب بمواضع
الكعبة وكانت طينتها حمرا فاختضبت رجلاها ثم جاءت الى نوح عليه السلام فقالت
بشراي منك ان تهب لي الطوق في عنقي والخضاب في رجلي واسكن الحرم فمسح
يده على عنقها وطوقها ووهب لها الحمرة في رجليها ودعى لها ولذريتها بالبركة
وذكر الثعلبي انه بعث بعد الغراب الدرج وكان من جنس الدجاج وقال اياك
ان تعتذر فاصاب الخضرة والفرجة فلم يرجع واخذ اولاده عنده رهنا
الى يوم القيمة قوله تعالى ونادى نوح ربه اي دعا فقال رب ان ابني من اهلي
الى قوله من الجاهلين فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى ونادى نوح ربه اي

دعاه فقال رب ان ابنی من اهلی الذین وعدتهم ان ننجیهم من الغرق ففی الکلام
حذف الکلام حذف وان وعدک الحق ای الصدق وقال علماؤنا انما سال نوح ربه
ابنه لقوله واهلک ونزل قوله الا من سبق علیه القول فلما کان عنده من اهله
قال رب ان ابنی من اهلی یدل علی ذلک قوله ولا تکن مع الکافرین ای لا تکن ممن
لست منه لانه کان عنده مؤمنا فی ظنه ولم یکن نوح یقول لربه ان ابنی من اهلی الا
وذلک عنده کذلک اذ محال ان یسال الکفار ثم یسال انجاء بعضهم وکان ابنه
یسر الکفر ویظهر الایمان فاخبر الله تعالی نوحا بما هو منفرد به من علم الغیوب ای
علمت من حال ابنک ما لم تعلمه انت قال الحسن کان منافقا ولذلک استحل نوح ان ینادیه
وعنه ایضا کان ابن امراته دلیله قراءة علی رضی الله عنه ونادی نوح ابنها وانت
احکم الحاکمین ابتداء وخبر ای حکمت علی قوم نوح بالغرق الثانیة قوله تعالی قال یا
نوح انه لیس من اهلک الذین وعدتهم انجیهم قاله سعید بن جبیر وقال الجمهور
لیس من اهل دینک ولا ولایتک فهو علی حذف مضاف وهذا یدل علی ان حکم
الاتفاق فی الدین اقوی من النسب انه عمل غیر صالح قرا ابن عباس
وعروة وعکرمة ویعقوب والکسائی انه عمل غیر صالح ای من الکفر والتکذیب
واختاره ابو عبید وقرا الباقون عمل ای ان ابنک ذو عمل غیر صالح فحذف
المضاف قاله الزجاج وغیره قال ترتع ما رتعت حتی اذا ذکرت
فانما هی اقبال وادبار ای ذات اقبال وادبار وهذا القول الذی
قبله یرجع الی معنی واحد ویجوز ان یکون الهاء للسؤال ای ان سالک ایای
ان انجیه عمل غیر صالح قاله قتادة وقال الحسن معنی غیر صالح انه ولد علی فراشه
ولم یکن ابنه وکان لغیر رشدة وقاله ایضا مجاهد قال قتادة سالت الحسن عنه
فقال والله ما کان ابنه قلت ان الله اخبر عن نوح انه قال ان ابنی من اهلی
فقال لم یقل منی وهذه اشارة الی انه کان ابن امراته من زوج آخر فقلت له
ان الله حکی عنه انه قال ان ابنی ونادی نوح ربه ولا یختلف اهل الکتابین
انه ابنه وقال الحسن ومن یاخذ دینه عن اهل الکتاب انهم یکذبون وقرا فی
وقال ابن جریج ناداه وهو یحسب انه ابنه وکان ولد علی فراشه وکانت امراته خانته
فیه ولهذا قال فخانتاهما قال ابن عباس ما بغت امراة نبی قط وانه ابنه لصلبه
ولذلک قال الضحاک وعکرمة وسعید بن جبیر ومیمون بن مهران وغیرهم وانه کان ابنه

نتاها

لصلبه وقال سعيد بن جبير يقول نوح ان ابني من اهلي كان من اهله فسبحان الله طويلا لا اله الا الله
يحدث الله محمدا صلى الله عليه وسلم انه ابنه ويقول انه ليس ابنه نعم كان ابنه ولكن كان
مخالفا في النية والعمل والدين لهذا قال الله تعالى انه ليس من اهلك وهذا هو الصحيح في
الباب ان شاء الله تعالى لجلالة من قال به وان قوله انه ليس من اهلك مما يتقى عنه انه ابنه و
قوله فخانتاهما يعني في الدين لا في الفراش وذلك ان هذه كانت تخبر الناس انه مجنون و
ذلك انها قالت له اما ينصرك ربك فقال لها نعم فقالت فمتى قال اذا فار التنور فخرجت
تقول لقومها يا قوم والله انه لمجنون يزعم انه لا ينصره ربه الا ان يفور التنور فهذه
فهذه خيانتها الاخرى انها كانت تدل على الاضياف على ما ياتي والله اعلم وقيل الولد
يسمى عملا كما يسمى كسبا كما في الخبر اولادكم من اكسابكم ذكره القشيري الثالثة في هذه
الاية تسلية للخلق في فساد ابنائهم وان كانوا صالحين وروي ان ابن مالك بن انس نزل
من فوق ومعه حمام قد غطاه فعلم مالك انه قد فهمه الناس فقال مالك الادب ادب الله
لا ادب الاباء والامهات والخير خير الله لا خير الاباء والامهات وفيها ايضا دليل
على ان الابن من الاهل لغة وشرعا ومن اهل البيت فمن وصى لاهله دخل ابنه ومن
تضمنه منزله وهو في عياله وقال تعالى في اية اخرى ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون
ونجيناه واهله من الكرب العظيم فسمى جميع من ضمه منزله من اهله الرابعة ودلت
الاية على قول الحسن ومجاهد وغيرهما ان الولد للفراش ولذلك قال نوح ما قال اخذا
بظاهر الفراش وقد روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار انه سمع عبيد بن
عمير يقول نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قضى بالولد للفراش من اجل نوح
عليه السلام ذكره ابو عمر في كتاب التمهيد وفي الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال الولد للفراش وللعاهر الحجر يريد الخيبة وقيل الرجم بالحجارة وقرا عروة بن
الزبير ونادى نوح ابنها يريد ابن امراته وهي تفسير القراءة المتقدمة عنه وعن علي رضي الله عنه
وهي حجة للحسن ومجاهد الا انها قراءة شاذة فلا يترك المتفق عليها لها والله اعلم
الخامسة قوله تعالى اني اعظك ان تكون من الجاهلين اي انهاك عن هذا السؤال واحذرك
لئلا تكون او كراهة ان تكون من الجاهلين اي الاثمين ومنه قوله تعالى يعظكم الله ان
تعودوا لمثله ابدا اي يحذركم وينهاكم وقيل المعنى ارفعك ان تكون من الجاهلين قال
ابن العربي وهذه زيادة من الله وموعظة يرفع بها نوحا عن مقام الجاهلين ويعليه
بها الى مقام العلماء والعارفين فقال نوح رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي

به علم الآية وهذه توبة الانبياء عليهم السلام فشكر الله تذلله وتواضعه فقال يا نوح
بسلام منا قوله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك اي قالت
الملائكة او قال الله له اهبط من السفينة الى الارض او من الجبل الى الارض فقد ابتلعت الما
وجفت بسلام منا اي بسلامة وامن وقيل بتحية وبركات عليك اي نعم ثابتة مشتق
من نزول الجمل وهو ثبوته واقامته ومنه البركة لثبوت الما فيها وقال ابن عباس نوح
آدم الاصغر فجميع الخلق الان من نسله ولم تكن معه في السفينة من الرجال والنسا الا من
كان من ذريته على قول قتادة وغيره حسب ما تقدم وفي التنزيل وجعلنا ذريته هم الباقين
وعلى امم ممن معك قيل دخل في هذا كل مؤمن الى يوم القيمة ودخل في قوله وامم سنمتعهم
ثم يمسهم منا عذاب اليم كل كافر الى يوم القيمة روى ذلك عن محمد بن كعب والتقدير
على هذا وعلى ذرية امم ممن معك وذرية امم سنمتعهم وقيل من للتبعيض وقيل
تكون لبيان الجنس وامم سنمتعهم ارتفع وامم على معنى ويكون امم قال الاخفش سعيد
كما تقول كلمت زيدا وعمرو جالس واجاز الفرا في غير القرا واما تقديره ونمتع امما
واعيدت على معنى امم لانه معطوف على الكاف من عليك وعلى ضمير المجرور ولا يعطف
على ضمير المجرور الا باعادة الجار على قول سيبويه وغيره وقد تقدم في النسا بيان
هذا مستوفى في قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام بالخفض والباء في قوله
بسلام متعلقة بمحذوف لانها في موضع الحال اي اهبط مسلما عليك ومنا في موضع
جر متعلق بمحذوف لانه نعت للبركات وعلى امم متعلق بما تعلق به عليك لانه اعيد
من اجل المعطوف على الكاف وفي قوله ممن معك متعلق بمحذوف لانه في موضع جر
نعت للامم ومن معك متعلق بفعل محذوف لانه صلة لمن اي لمن استقر معك او من
معك او ركب معك قوله تعالى تلك من انباء الغيب اي تلك الانباء وفي
موضع اخر اي ذلك النبا والقصص من انباء الغيب ما غاب عنك نوحيها اليك اي
اي لتقف عليها ما كنت تعلمها انت ولا قومك اي كانوا غير عارفين بامر الطوفان
والمجوس الان ينكرونه وقيل اراد جهلهم بقصة ابن نوح وان سمعوا امر الطوفان
على الجملة فاصبر اي اصبر يا محمد على القيام بامر الله تعالى وتبليغ رسالته وما تلقى
من اذى العرب الكفار كما صبر نوح على اذى قومه قوله تعالى والى عاد
اخاهم هودا اي وارسلنا فهو معطوف على وارسلنا نوحا وقيل له اخوهم
لانه منهم وكانت القبيلة تجمعهم كما تقول يا اخا تميم وقيل انما قيل له اخوهم لانه

من بنی آدم کانهم من بنی ادم وقد تقدم هذا فی الاعراف وکانوا عبدة الاوثان و
قیل هم عاد ارم عاد الاولی وعاد الاخری فهؤلاء لهم الاولی واما الاخری فهم
شداد ولقمان المذکوران فی قوله ارم ذات العماد اهم رجل ثم استمر علی قوم انتسبوا
الیه قال یا قوم اعبدوا الله ما لکم من اله غیره بالخفض علی اللفظ وغیره بالرفع علی الموضع
وغیره بالنصب علی الاستثناء ان انتم الا مفترون ای ما انتم فی اتخاذکم الهة غیره
الا کاذبون علیه جل وعز قوله تعالی یا قوم لا اسئلکم علیه اجرا ان اجری الا
علی الذی فطرنی قد تقدم معناه والفطر ابتداء الخلق افلا تعقلون ما جری علی قوم
نوح لما کذبوا الرسل قوله تعالی ویا قوم استغفروا ربکم ثم توبوا الیه تقدم اول
السورة یرسل السماء جزم لانه جواب وفیه معنی المجازاة علیکم مدرارا نصب علی الحال و
فیه معنی التکثیر ای یرسل السماء بالمطر متتابعا یتلو بعضه بعضا والعرب تحذف
الهاء فی مفعال علی النسب واکثر ما یاتی فی مفعال من افعل وقد جاء هاهنا من فعل لانه
من درت السماء تدر وتدر فهی مدرار وکان قوم هود اعنی عادا اهل بساتین وزروع
وعمارة وکانت مساکنهم الرمال التی بین الشام والیمن کما تقدم فی الاعراف ویزدکم
عطف علی یرسل قوله تعالی ویزدکم قوة الی قوتکم قال مجاهد شدة الی شدتکم
الضحاک خصبا الی خصبکم علی بن عیسی عزا الی عزکم عکرمة ولدا الی ولد وقیل ان الله
حبس عنهم المطر ثلاث سنین واعقم الارحام ثلاث سنة فلم یولد لهم ولد فقال
لهم هود ان امنتم احیا الله بلادکم ورزقکم المال والولد فتلک القوة وقال الزجاج
المعنی یزدکم قوة الی النعم ولا تتولوا مجرمین ای لا تعرضوا عما ادعوکم الیه وتقیموا
علی الکفر قوله تعالی قالوا یا هود ما جئتنا ببینة ای حجة واضحة وما نحن
بتارکی الهتنا عن قولک وما نحن لک بمؤمنین اصرارا منهم علی الکفر قوله تعالی
ان نقول الا اعتراک بعض ای اصابک بعض الهتنا ای اصنامنا بسوء ای بجنون
لسبک ایاها عن ابن عباس وغیره یقال عراه الامر واعتراه واعتره اذا الم به
ومنه واطعموا القانع والمعتر قال انی اشهد الله ای علی نفسی واشهدوا ای واشهدکم
لانهم کانوا اهل شهادة ولکنه نهایة للتقدیر ای لتعرفوا انی بریء من عبادة الاصنام
التی تعبدونها فکیدونی جمیعا ای انتم واوثانکم فی عداوتی وضری ثم لا تنظرون
ای لا تؤخرون وهذا القول مع کثرة الاعدا یدل علی کمال الثقة بنصر الله تعالی
وهو من اعلام النبوة ان یکون الرسول وحده یقول لقومه فکیدونی جمیعا وکذلک

قال النبي صلى الله عليه وسلم فاجمعوا امركم وشركاوكم الاية قوله تعالى اني توكلت
على الله ربي اي رضيت بحكمه ووثقت بنصره ما من دابة اي نفس تدب على الارض
وهو في موضع رفع بالابتدا الا هو اخذ بناصيتها اي يصرفها كيف شا ويمنعها ماشا
اي فلا يصلون الى ضرري وكل ما فيه روح يقال له دابة ودابه والها للمبالغة وقال
الفرا مالكها والقادر عليها وقال القتبي قاهرها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته
وقال الضحاك يحييها ثم يميتها والمعنى متقارب والناصيه قصاص الشعر في مقدم الراس
ونصوت الرجل انصوه نصوا اي مددت ناصيته قال ابن جريج انما خص الناصيه
لان العرب تستعمل ذلك اذا وصفت انسانا بالذلة والخضوع فيقولون ما ناصيه فلان
الا بيد فلان اي انه مطيع له يصرفه كيف شا وكانوا اذا اسروا اسيرا وارادوا
اطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته ليعرفوا بذلك فخرى عليهم فخاطبهم بما يعرفون في
كلامهم وقال الترمذي الحكيم قوله تعالى ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ووجه هذا ان
الله تعالى قدر مقادير اعمال العباد ثم نظر اليها ثم خلق خلقه ومذ نفذ نضره في
جميع ما هم فيه عاملون من قبل ان يخلقهم فلما خلقهم وضع نور تلك النظره في نواصيهم
فذلك النور اخذ بنواصيهم يجريهم الى اعمالهم المقدوره عليهم يوم المقادير وخلق الله
المقادير قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنه رواه عبد الله ابن العاص
قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات
والارض بخمسين الف سنه ولهذا ما قويت الرسل وصاروا من اولي العزم لانهم لا
حظوا نور النواصي فايقنوا ان جميع خلقه منقادون بتلك الانوار الى ما تقدم نفع
فيهم من الاعمال ما وفرهم حظا من الملاحظه اقواهم في العزم ولذلك ما قوى هود
النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي
وربكم ما من دابه الا هو اخذ بناصيتها وانما سميت ناصيه لان الاعمال قد نصت
وبرزت من غيب الغيب فصارت منصوصه في المقادير وقد نفذ نظر الخالق في
جميع حركات الخلق مقدره ثم وضعت حركات كل من دب على الارض حيا في جبهته
بين عينيه سمي ذلك الموضع منه ناصيه لانها تنص حركات العباد بما قدر فالناصيه ماخوذه
بمنصوص الحركات التي نظر الله اليها قبل ان يخلقها ووصف ناصيه ابي جهل فقال كاذبه
خاطئه يخبر ان المنصوص فيها كان به فعلى سبيل ما تاوله يستحيل ان يكون الناصيه
منسوبه الى الكذب والخطا والله اعلم قوله ان ربي على صراط مستقيم

الصراط في اللغة المنهاج الواضح والمعنى ان الله جل ثناؤه وان كان يقدر على كل
شيء فانه لا ياخذهم الا بالحق وقيل معناه لا خلل في تدبيره ولا تفاوت في خلقه
سبحانه وتعالى قوله تعالى فان تولوا في موضع جزم فلذلك حذفت
منه النون والاصل تتولوا فحذفت التاء لاجتماع تاءين فقد ابلغتكم ما ارسلت به
اليكم بمعنى قد بينت لكم ويستخلف ربي قوما غيركم اي يهلككم ويخلق من هو اطوع
له منكم يوحدونه ويعبدونه ويستخلف مقطوع مما قبله فلذلك ارتفع او معطوف
على ما يجب فيما بعد الفاء من قوله فقد ابلغتكم وروى حفص عن عاصم ويستخلف بالجزم
حملا على موضع الفاء وما بعدها مثل ونذرهم في طغيانهم يعمهون قوله تعالى
ولا تضرونه شيئا اي بتوليكم واعراضكم ان ربي على كل شيء حفيظ اي لكل شيء فهو
يحفظني من ان تنالوني بسوء قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا
اي عذابنا بهلاك عاد نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا لان احدا لا
ينجو الا برحمة الله عز وجل وان كانت له اعمال صالحة وفي صحيح مسلم والبخاري و
غيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم لن ينجي احدا منكم عمله قالوا ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وقيل معنى برحمة منا بان بينا لهم الهدى
الذي هو رحمة وكانوا اربعة الاف وقيل ثلاثة الاف ونجيناهم من عذاب غليظ
اي عذاب يوم القيامة وقيل هو الريح العقيم كما ذكر الله في الذاريات وغيرها وسياتي
قال القشيري ابو نصر والعذاب الذي يتوعد به النبي امته اذا حضر ينجي الله النبي و
المؤمنين والمؤمنات معه نعم لا يبعد ان يبتلي الله نبيا وقومه فيعمهم ببلاء فيكون
ذلك عقوبة للكافرين وتمحيصا للمؤمنين اذا لم يكن مما توعدهم به النبي قوله
تعالى وتلك عاد جحدوا بايات ربهم ابتداء وخبر وحكى الكسائي ان من العرب من لا
يصرف عادا فيجعله اسما للقبيلة جحدوا بايات ربهم اي كذبوا بالمعجزات وانكروها
وعصوا رسله يعني هودا وحده لانه لم يرسل اليهم من الرسل سواه ونظيره قوله
تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات يعني النبي صلى الله عليه وسلم وحده لانه لم يكن في
عصره رسول سواه وانما جمع ها هنا لان من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل
وقيل عصوا هودا والرسل قبله وكانوا بحيث لو ارسل اليهم الف رسول لجحدوا الكل
واتبعوا امر كل جبار عنيد اي اتبع سقاطهم رؤساءهم والجبار المتكبر والعنيد الطاغي
الذي لا يقبل الحق ولا يطيع له قال ابو عبيدة العنيد والعنود والعاند والمعاند

المعارض بالجذاف ومنه قيل للعرق الذى سيجر بالدم عاند قال الراجز
انى كبير لا اطيق العندا قوله تعالى واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة اى الحقوها
ويوم القيمة اى واتبعوا يوم القيمة مثل ذلك والتمام على قوله ويوم القيمة الا ان عادا كفروا
ربهم قال الفرا اى كفروا نعمة ربهم قال ويقال كفرته وكفرت به مثل شكرته وشكرت له
الا بعدا لعاد قوم هود اى لا زالوا مبعدين عن رحمة الله والبعد الهلاك والبعد التباعد
من الخير فقال بعُد يبعد بعدا اذا هلك قال لا يبعدن قومى الذين هم سم
العداه وافه الجزر وقال النابغه لا تبعدن ان المنية منهل وكل امرئ يوما به
الحال زايل قوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا فيه خمس مسائل الاولى قوله
تعالى والى ثمود اى ارسلنا الى ثمود اخاهم اى فى النسب صالحا وقرا يحيى بن وثاب والى
ثمود بالتنوين فى كل القران وكذا روى عن الحسن واختلف ساير القرا فيه فصرفوه
فى موضع ولم يصرفوه فى موضع وزعم ابو عبيدة انه لولا مخالفة السواد لكان الوجه
ترك الصرف اذ كان الاغلب عليه التانيث قال النحاس الذى قاله ابو عبيدة رحمه الله
من ان الغالب عليه التانيث كلام مردود لان ثمودا يقال له حى ويقال له قبيلة
وليس الغالب عليه القبيلة بل الامر على ضد ما قال عند سيبويه والاجود عند
سيبويه فيما لم يقل فيه بنو فلان الصرف نحو قريش وثقيف وما اشبهها وكذلك
ثمود والعلة فى ذلك انه لما كان التذكير الاصل وكان يقع له مذكر ومونث
كان الاصل اخف واولى والتانيث جيد بالغ حسن وانشد سيبويه فى التانيث
غلب المسامیح الوليد سماحة وكفى قريش المعضلات وسادها الثانية قوله تعالى
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره تقدم هو انشاكم من ابتدا خلقكم من الارض
وذلك ان ادم خلق من الارض على ما تقدم فى البقرة والانعام وهم منه وقيل انشاكم
فى الارض ولا يجوز ادغام الهاء من غيره فى الهاء من هو الا على لغة من حذف الواو فى
الادراج واستعمركم فيها جعلكم عمارها وسكانها قال مجاهد معنى استعمركم اعمركم
من قولهم اعمر فلان فلانا داره فهى له عمرى وقال قتادة اسكنكم فيها وعلى هذين القولين
يكون استفعل بمعنى افعل مثل استجاب بمعنى اجاب وقال الضحاك اطال اعماركم وكانت
اعمارهم من ثلثماية الى الف ابن عباس اعاشكم فيها زيد بن اسلم امركم بعمارة ما
تحتاجون اليه فيها من بنا مساكن وغرس اشجار وقيل المعنى الهمكم عمارتها من الحرث والغرس
وحفر الانهار وغيرها الثالثة قال ابن العربى قال بعض علما الشافعية الاستعمار طلب

العمارة

والطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب قال القاضي ابو بكر ما في كلمة استفعل في لسان
العرب على معان منها استفعل بمعنى طلب الفعل كقوله استحليته اي طلبت منه حلاوتها
وبمعنى اعتقد كقولهم استسهلت هذا الامر اي اعتقدته سهلا اي وجدته سهلا و
استعظمته اي اعتقدته عظيما او وجدته ومنها استفعلت بمعنى اصبت كقوله استجدته
اي اصبته جيدا ومنها بمعنى فعل كقوله قر في المكان واستقر قالوا وقوله يستهزؤن
ويسخرون ومنه قوله تعالى واستعمركم فيها خلقكم لعمارتها الا على استجدته و
استسهلته اي اصبته جيدا وسهلا وهذا يستحيل في الخالق يرجع الى انه خلق لانه الفاعل
وقد يعبر عن الشيء بفايدته مجازا ولا يصح ان يقال انه طلب من الله تعالى لعمارتها
فان هذا اللفظ لا يجوز في حقه اما انه يصح ان يقال استدعى عمارتها فاجاب بلفظ
استفعل وهو استدعا الفعل بالقول ممن هو دونه اذا كان امرا وطلب للفعل
اذا كان من الادنى الى الاعلى قلت لم يذكر استفعل بمعنى افعل مثل قوله استوقر
بمعنى اوقر وقد ذكرناها وهي الرابعة ويكون فيه دليل على الاسكان والعمرى وقد
مضى القول في البقرة في السكنى والرقبى واما العمرى فاختلف العلما فيها على ثلثة اقوال
احدها انها تملك لمنافع الرقبة حياة المعمر مدة عمره فان لم يذكر عقبا فمات المعمر رجعت
الى الذي اعطاها ولورثته هذا قول القسم بن محمد ويزيد بن قسيط والليث بن سعد
وهو مشهور من مذهب مالك واحد قولي الشافعي وقد تقدم في البقرة حجة هذا القول
الثاني انها تمليك الرقبة ومنافعها وهي هبة مقبولة وهو قول ابي حنيفة والشافعي و
اصحابهما والثوري بن حي واحمد بن حنبل وابن شبرمة وابي عبيد قالوا من اعمر رجلا
شيا حياته فهو له حياته وبعد وفاته لورثته لانه قد ملك رقبتها وشرط المعطي الحيا
والعمرى باطل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال العمرى جايزة العمرى لمن وهبت الثالث
ان قال عمرى ولم يذكر العقب كان كالقول الاول وان قال ولعقبك وكان كالقول
الثاني وبه قال الزهري وابو ثور وابو سلمة بن عبد الرحمن وابن ابي ذويب وقد
روي عن مالك وهو ظاهر قوله في الموطا والمعروف عنه واصحابه انها ترجع الى المعمر
اذا انقرض عقب العمران كان المعمر حيا والا فالى من كان حيا من ورثته واولى
الناس بميراثه فلا يملك المعمر بلفظ العمرى عند مالك واصحابه رقبة شي من الاشيا
وانما تملك بلفظ العمرى المنفعة دون الرقبة وقد قال مالك ايضا في الحبس ايضا
اذا الحبس على رجل وعقبه انه لا يرجع اليه وان حبس على رجل بعينه حياته

اليه ولذلكما لعمرى قياسا وهو ظاهر الموطا وفى صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما رجل اعمر عمرى له ولعقبه فقال اعطيتكها و
عقبك ما بقى منهم احد فانه لمن اعطيها وعقبه وانها لا ترجع الى صاحبها من اجل انه اعطى
عطاء وقعت فيه المواريث وعنه قال ان العمرى التى اجازها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان تقول هى لك ولعقبك فاما اذا قال هى لك ما عشت فانها ترجع الى صاحبها قال
معمر وبذلك كان الزهرى يفتى قلت معنى القران يجرى مع اهل القول الثانى لان
الله تعالى واستعمركم فيها بمعنى عمركم فاعمر الرجل الصالح فيها مدة حياته بالعمل الصالح
وبعد موته بالذكر الجميل والثنا الحسن وبالعكس الرجل الفاجر فالدنيا ظرف لها حياة
وموتا وقد يقال ان الثنا الحسن يجرى مجرى العقب وفى التنزيل واجعل لى لسان
صدق فى الاخرين اى ثناء حسنا وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال وجعلنا
ذريته هم الباقين وقال وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم
لنفسه مبين الكامنه قوله تعالى فاستغفروه اى اسالوه المغفرة من عبادة الاصنام
ثم توبوا اليه اى ارجعوا الى عبادته ان ربى قريب مجيب اى قريب الاجابه لمن دعاه
وقد مضى فى البقره عند قوله فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعان القول فيه قوله
قوله تعالى قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اى كنا نرجو ان تكون
فينا سيدا قبل هذا اى قبل دعوتك النبوة وقيل كان صالح يعيب الهتهم ويسبها
وكانوا يرجون رجوعه الى دينهم فلما دعا الى الله تعالى قالوا انقطع رجاؤنا منك
اتنهانا استفهام معناه الانكار ان نعبد اى عن ان نعبد ما يعبد اباؤنا فان فى
محل نصب باسقاط حرف الجر واننا لفى شك وفى سورة ابراهيم واننا والاصل واننا
فاستثقل ثلث نونات فاسقط الثالث مما تدعونا الخطاب لنوح عليه السلام وفى سورة
ابراهيم تدعوننا لان الخطاب للرسل اليه مريب من اربته فانا اربيه اذا فعلت به
فلا يوجب له به الريبة قال الهذلى كنت اذا اتوته عن غيب يشتم عطفى
وشم ثوبى كاما اربته يريب قوله تعالى يا قوم ارايتم ان كنت على
بينة من ربى واتانى منه رحمة تقدم معناه فى قول نوح فمن ينصرنى من الله ان
عصيته استفهام معناه النفى اى لا ينصرنى منه ان عصيته احد فما تزيدوننى غير
تخسير اى تضليل وابعاد من الخير قاله الفرا والتخسير لهم لا له صلى الله عليه
وسلم كانه قال غير تخسير لكم لا لى وقيل المعنى فما تزيدوننى باحتجاجكم بدين اباءكم

غير بصير بخيار لكم عن ابن عباس قوله تعالى ويا قوم هذه ناقة الله
لكم آية ابتدا وخبر لكم آية نصب على الحال والعامل معنى الاشارة او التنبيه في هذه
وانما قيل ناقة الله لانه اخرجها لهم من جبل على ما طلبوا على انهم يومنون وقيل اخرجها
من صخرة صما منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاتبة فلما خرجت الناقة على ما طلبوا
قال لهم صالح هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكل في ارض الله امر واجرا به وحذفت
النون من ذروها لانه امر ولا يقال وذر ولا واذر الا شاذا وللنحويين فيه قولان
قال سيبويه استغنوا عنه بترك وقال غيره لما كانت الواو ثقيلة وكان في الكلام فعل
بمعناه لا واو فيه الغوه قال ابو اسحق الزجاج ويجوز رفع تاكل على الحال والاستيناف ولا
تمسوها جزم بالنهي بسوء فيأخذكم جواب النهي عذاب قريب اي قريب من عقرها
قوله تعالى فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فيه مسئلتان الاولى قوله
تعالى فعقروها انما عقرها بعضهم واضيف الى الكل لانه كان برضى الباقين و
قد تقدم الكلام في عقرها في الاعراف ويأتي ايضا في الشعر فقال تمتعوا في داركم
اي قال لهم صالح تمتعوا اي بنعم الله عز وجل قبل العذاب في داركم اي في بلدكم
ولو اراد المنزل لقال في دوركم وقيل ليتمتع كل واحد منكم في داره ومسكنه كقوله
يخرجكم طفلا اي يخرج كل واحد طفلا وعبر عن التمتع بالحياة لان الميت لا يتمتع ولا يتلذذ
بشيء فعقرت يوم الاربعا فاقاموا الخميس والجمعة والسبت واتاهم العذاب يوم الاحد
وانما اقاموا ثلاثة ايام لان الفصيل رغا ثلاثا على ما تقدم في الاعراف فاصفرت الوانهم
في اليوم الاول ثم احمرت في الثاني ثم اسودت في اليوم الثالث وهلكوا في الرابع وقد
تقدم في الاعراف الثانية استدل علماؤنا بارجاء الله العذاب عن قوم صالح
ثلثة ايام على ان المسافر اذا لم يجمع على اقامة اربع ليال قصر لان الثلاثة الايام خارجة
عن حكم الاقامة وقد تقدم في النسا ما للعلما في هذا قوله تعالى ذلك وعد غير
مكذوب اي غير كذوب او غير مكذوب فيه قوله تعالى فلما جاء امرنا اي عذابنا
نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا تقدم ومن خزي يومئذ ولا يجوز زيادة من مع الا
وحتى لا غير وقرا نافع والكسائي يومئذ بالنصب الباقون بالكسر على اضافة يوم الى اذ وقال
ابو حاتم حدثنا ابو زيد عن ابي عمرو انه قرا ومن خزي يومئذ ادغم اليا في اليا واضاف
وكسر الميم في يومئذ قال النحاس الذي يرويه النحويون مثل سيبويه ومن قاربه عن ابي
عمرو في مثل هذا الاخفا فاما الادغام فلا يجوز لانه تكتفي بساكنان ولا يجوز كسر الزاي

قوله تعالى واخذ الذين ظلموا الصيحة اى في اليوم الرابع صيح بهم فماتوا لا ء
الصيحة والصياح واحد قيل صيحة جبريل وقيل صيحة من السما فيها صوت كل صاعقة و
صوت كل شى في الارض فتقطعت قلوبهم وماتوا وقال هنا واخذ الذين ظلموا الصيحة
وقال في الاعراف فاخذتهم الرجفة وقد تقدم بيانه هناك وفي التفسير انهم لما ايقنوا بالعذاب
قال بعضهم لبعض ما مقامكم ان ياتيكم الامر بغتة قالوا فما نصنع فاخذوا سيوفهم ورماحهم
وعددهم وكانوا فيما يقال اثنى عشر الف قبيلة في كل قبيلة اثنى عشر الف مقاتل فوقفوا
على الطرق والفجاج زعموا يلاقون العذاب فاوحى الله الى الملك الموكل بالشمس ان تعذبهم
بحرها فادناها من رؤسهم فاشتوت ايديهم وتدلت السنتهم على صدورهم من
العطش ومات كل ما كان معهم من البهايم وجعل الما تغور من تلك العيون من علبانه
حتى يبلغ السما لا يسقط على شى الا اهلكه من شدة حرة فما زالوا كذلك فاوحى الله تعالى الى ملك
الموت ان تقبض ارواحهم تعذيبا لهم الى ان غربت الشمس فصيح بهم فاهلكوا في ديارهم
جاثمين اى ساقطين على وجوههم قد لصقوا بالتراب كالطير اذا احتثمت الا ان
ثمود اكفروا ربهم الا بعدا لثمود تقدم قوله تعالى ولقد جات رسلنا ابراهيم
بالبشرى هذه قصة لوط عليه السلام وابراهيم ببلاد فلسطين فلما انزل الله الملائكة على
قوم لوط مروا بابرهيم ونزلوا عنده وكان كل من نزل عنده يحسن قراه وكانوا بروا
ببشارة ابرهيم فظنهم اضيافا وهم جبريل وميكايل واسرافيل عليهم السلام قال
ابن عباس الضحاك كانوا تسعة السدى احد عشر ملكا على صورة الغلمان الحسان الوجوه
ووضاءة وجمال بارع بالبشرى قيل بالولد وقيل باهلاك قوم لوط وقيل بشروه بانهم
رسل الله عز وجل وانه لا خوف عليهم قالوا سلاما نصبه بوقوع الفعل عليه كما
نقول قالوا خيرا وهذا اختيار الطبرى واما قوله سيقولون ثلاثة فالثلاثة اسم
غير قول مقول لو رفعا جميعا او نصبا جميعا قالوا سلاما قال سلام جاز في العربية
وقيل انتصب على المصدر وقيل قالوا سلاما اى فاتحوه بصواب من القول كما
نقول اذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اى صوابا فسلاما معنى قولهم لا لفظه
قال معناه ابن العربى واختاره الا ترى ان الله تعالى لما اراد ذكر اللفظ قاله
بعينه فقال مخبرا عن الملايكة سلام عليكم طبتم وقيل دعوا له والمعنى سلمت سلاما
قال سلام في رفعه وجهان احدهما على اضمار مبتدا اى هو سلام وامرى سلام والاخرى
بمعنى سلام عليكم اذ جعل بمعنى التحية فاضمر الخبر وجاز سلام على على التنكير اكثر استعماله

فحذف الالف واللام كما حذفت من لاهم من قولك اللهم وقرى سلم قال الفرا السلام والسلم بمعنى مثل الحلال والحرام قوله تعالى فما لبث ان جا بعجل حنيذ فيه اربع عشرة مسئلة الاولى قوله تعالى فما لبث ان جا ان بمعنى حتى قاله كبرا النحويين حكاه ابن العربي التقدير فما لبث حتى جا وقيل ان ان في موضع نصب لسقوط حرف الجر والتقدير فما لبث عن ان جا اى ما ابطا عن مجيه بعجل فلما حذف حرف الجر بقى ان في محل النصب وفي لبث ضمير اسم ابرهيم باقيه قاله سيبويه وقال الفرا فما لبث مجيه فان في موضع رفع ولا ضمير في لبث وما نافية و يصح ان تكون بمعنى الذى و في لبث ضمير ابرهيم ان جا خبر ما اى بالذى لبث ابرهيم هو مجيه بعجل وحنيذ مشوى وقيل هو المشوى بحر الحجارة من غير ان تمسه النار يقال حنذت الشاة احنذها حنذا اى شويتها وجعلت فوقها حجارة محماة لتنضجها فهى حنيذ وحنذت الفرس احنذه حنذا وهو ان تحضره شوطا او شوطين ثم تظاهر عليه الجلال في الشمس ليعرق فهو محنوذ وحنيذ فان لم يعرق قيل كبا وحنذ موضع قريب من المدينة وقيل الحنيذ السميط ابن عباس وغيره حنيذ نضج وحنيذ بمعنى محنوذ وانما جا بعجل لان البقر اكثر اموا له الثانية في هذه الاية من ادب الضيف ان يعجل قراه فيقدم الموجود الميسر في الحال ثم يتبعه بغيره ان كان له جده ولا يتكلف ما يضر به والضيافة من مكارم الاخلاق و من اداب الاسلام ومن خلق النبيين والصالحين وابرهيم اول من اضاف على ما تقدم في البقرة وليست بواجبة عند عامة اهل العلم لقوله صلى الله عليه وسلم الضيافة ثلاثة ايام وجايزته يوم وليلة فما كان وراء ذلك فهو صدقة والجايزة العطية والصلة التى اصلها الندب وقال صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه واكرام الجار ليس بواجب اجماعا فالضيافة مثله والله اعلم وذهب الليث الى وجوبها متمسكا بقوله صلى الله عليه وسلم ليلة الضيف حق الى غير ذلك من الاحاديث وفيما اشرنا اليه كفاية والله اعلم وهو الموفق للهداية قال ابن العربى وقال قوم ان وجوب الضيافة كان في صدر الاسلام ثم نسخ وهذا ضعيف فان الوجوب لم يثبت والناسخ لم يرد وذكر حديث ابى سعيد الخدرى خرجه الايمة وفيه فاستضافوهم فابوا ان يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحى الحديث وقال هذا ظاهر في ان الضيافة لو كانت حقا للام النبى صلى الله عليه وسلم القوم الذين ابوا ولبين لهم ذلك الثالثة اختلف العلما من المخاطب بهذا فذهب الشافعى ومحمد بن عبد الحكم الى ان المخاطب بها اهل الحضر والبادية وقال مالك ليس على اهل الحضر ضيافة

قال سحنون انما الضيافة على اهل القرى واما الحضر فالفندق ينزل فيه المسافر و
احتجوا بحديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الضيافة على اهل الوبر
وهذا حديث لا يصح وابرهيم بن احمد عبد الرزاق متروك الحديث منسوب الى الكذب
وهذا مما انفرد به ونسب الى وضعه قال ابو عمر بن عبد البر وقال ابن العربي الضيافة
حقيقة فرض على الكفاية ومن الناس من قال انها واجبة في القرى حيث لا طعام ولا ما
بخلاف الحواضر فانها مشحونة بالمياه والاقوات ولا شك ان الضيف كريم والضيافة
كرامة فان كان غريبا فهي فريضة الرابعة قال ابن العربي قال بعض علمائنا كانت ضيافة
ابراهيم قليلة فشكر الحبيب من الحبيب وهذا حكم بالظن في موضع القطع وبالقياس في
موضع النقل من اين علم انه قليل بل قد نقل المفسرون ان الملائكة كانوا جبريل وميكائيل
واسرافيل صلى الله عليهم وعجل لثلاثة عظيم فما هذا التفسير لكتاب الله بالراي هذا بامانة
الله هذا التفسير المذموم فاجتنبوه فقد علمتموه الخامسة السنة اذا قدم للضيف
الطعام ان يبادر المقدم اليه بالاكل فان كرامة الضيف تعجيل التقديم وكرامة صاحب المنزل المبادرة
بالقبول فلما قبضوا ايديهم نكرهم ابراهيم لانهم خرجوا عن العادة وخالفوا السنة
وخاف ان يكون وراهم مكر يقصدونه يروى انهم كانوا ينكتون بقداح كانت
في ايديهم الى اللحم ولا تصل ايديهم الى اللحم فلما راى ذلك منهم نكرهم واوجس منهم
خيفة اي اضمر وقيل احس والوجوس الدخول قال الشاعر جاء البريد
بقرطاس يخب به فاوجس القلب من قرطاسه جزعا خيفة خوفا اي فزعا
وكانوا اذا راوا الضيف لا ياكل ظنوا انه شر فقالت الملائكة لا تخف انا ارسلنا
الى قوم لوط السادسة من اداب الطعام ان لصاحب الضيف ان ينظر في ضيفه
هل ياكل ام لا وذلك ينبغي ان يكون بتلفت ومسارقة لا بتحديد النظر وروى
ان اعرابيا اكل مع سليمان بن عبد الملك فراى سليمان في لقمة الاعرابي شعرة فقال
له ازل الشعرة عن لقمتك فقال له اتنظر الى نظر من يرى الشعرة في لقمتي والله لا اكلت
معك قلت وقد ذكر ان هذه الحكاية انما كانت مع هشام بن عبد الملك لا مع سليمان
وان الاعرابي خرج من عنده وهو يقول وللموت خير من زيارة باخل يلا
حظ اطراف الاكيل على عمد السابعة قوله تعالى فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم
تقول نكرتك وانكرتك واستنكرتك اذا وجدته على غير ما عهدته
قال الشاعر وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا

نجمع بين اللغتين وقال اكرت لما تراه بعينك الثامنة وامراته قائمة ابتدا و خبر
اى قايمة تحت ترى الملائكة قيل كانت من وراء الستر وقيل كانت تخدم الملائكة وهو جالس
وقال محمد بن اسحق قائمة تصلى وفى قراة عبدالله بن مسعود وامراته قايمة وهو قاعد
التاسعة قوله فضحكت قال مجاهد وعكرمة حاضت وكانت ايسة تحقيقا للبشارة
وانشد على ذلك اللغويون واني لآتي العرس عند طهورها واهجرها يوما اذا تك ضاحكا
وقال آخر وضحك الارانب فوق الصفا كمثل دم الجوف يوم اللقا والعرب تقول
ضحكت الارنب اذا حاضت وروى عن ابن عباس وعكرمة اخذ من قولهم ضحكت الكافورة
وهى قشرة الطلعة اذا انشقت وقد انكر بعض اللغويين ان يكون فى كلام العرب
ضحكت بمعنى حاضت وقال الجمهور هو الضحك المعروف واختلفوا فيه فقيل ضحك التعجب
قال ابو ذؤيب فجاء بمزج لم ير الناس مثله هو الضحك الا انه عمل النحل
وقال مقاتل من خوف ابراهيم ورعدته من ثلاثة نفر وابرهيم فى حشمه وخدمه و
كان ابراهيم يقوم وحده بمائة رجل قال وليس الضحك الحيض فى اللغة بمستقيم وانكر
ابو عبيد والفرا ذلك قال الفرا لم اسمعه من ثقة انما هو كناية وروى ان الملائكة
مسحت العجل فقام من موضعه فلحق بامه فضحكت سارة عن ذلك فبشرناها باسحق
ويقال كان ابرهيم عليه السلام اذا اراد ان يكرم اضافه اقام سارة تخدمهم فلذلك
قوله تعالى وامراته قايمة اى قايمة فى خدمتهم وقيل قائمة لبرء ابرهيم فضحكت لقولهم
لا تخف سرورا بالامن وقال الفرا فيه تقديم وتاخير المعنى فبشرناها باسحق فضحكت
اى ضحكت سرورا بالولد وقد هرمت والله اعلم اى ذلك كان قال النحاس فيه اقوال
احسنها انهم لما لم ياكلوا انكرهم وخافهم فلما قالوا لا تخف وخبروه بانهم رسل الله
فرح بذلك فضحكت امراته سرورا بفرحه وقيل انها كانت قالت له احسب ان هولاء
القوم سينزل بهم عذاب فضم لوطا اليك فلما جات الرسل بما قالت سرت به
فضحكت قال النحاس هذا ان صح اسناده فهو حسن والضحك انكشاف الاسنان
ويجوز ان يكون الضحك اشراق الوجه يقول رايت فلانا ضاحكا اى مشرقا
واتيت على روضة تضحك اى مشرقة وفى الحديث ان الله سبحانه يبعث السحاب فيضحك احسن
الضحك فجعل انجلاءه عن البرق ضحكا وهذا كلام مستعار وروى عن رجل من
قرا مكة يقال له محمد بن زياد الاعرابى فضحكت بفتح الحا قال المهدوى وفتح الحا
من ضحكت غير معروف وضحك يضحك ضحكا وضحكا وضحكا وضحكا اربع لغات والضحكة

المراة الواحدة ومنه قول كبير علىف لضحكته رقاب المال قال الجوهري روى مسلم
عن سهل ابن سعد قال دعى ابو سعد الساعدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في
عرسه وكانت امراته يومئذ خادمهم وهو العروس قال سهل يدرون ماسقت رسول
الله صلى الله عليه وسلم انقعت له تمرات من الليل في تور فلما اكل سقته اياه واخرجه
البخاري وترجم له باب قيام المراه على الرجال في العرس وخدمتهم بالنفس قال علماونا
فيه جواز خدمة العروس زوجها واصحابه في عرسها وفيه لا باس ان يعرض الرجل اهله
على صالح اخوانه ويستخدمهن لهم ويحتمل ان يكون هذا قبل نزول الحجاب والله اعلم
الحادية عشرة ذكر الطبري ان ابرهيم عليه السلام لما قدم العجل قالوا لا ناكل طعاما
الا بثمن فقال لهم ثمنه ان يذكروا الله في اوله ويحمدوه في اخره فقال جبريل لاصحابه
حق ان يتخذه الله هذا خليلا قال علماونا ولم يعلموا الان الملائكة لا تاكل وقد كان
من الجائز كما يسر الله للملائكة ان يسلكوا في صفة الادمي جسدا وهيئة ان ييسر لهم
اكل الطعام الا انه في قول العلماء ارسلهم في صفة الادمي وتكلف ابرهيم الضيافة
الثانية عشرة يدل هذا على ان التسمية في اول الطعام والحمد في اخره مشروع في الامم
قبلنا وقد جاء في الاسرائيليات ان ابرهيم عليه السلام كان لا ياكل وحده فاذا
حضر طعامه ارسل من ياكل معه فلقي يوما رجلا فلما جلس معه على الطعام قال له
ابراهيم سم الله تعالى قال الرجل لا ادري ما الله قال له فاخرج عن طعامي فلما خرج
نزل اليه جبريل فقال له يقول الله انه يرزقه على كفره مدة عمره وانت بخلت عليه
بلقمة فخرج ابرهيم فزعا يجر رداه وقال له ارجع فقال لا ارجع حتى تخبرني لم تردني
لغير معنى فاخبره الامر فقال هذا رب كريم امنت ودخل وسمى الله تعالى واكل مومنا
الثالثة عشرة قوله تعالى فبشرناها باسحق لما ولد لابرهيم اسمعيل بن هاجر تمنت
سارة ان يكون لها ابن وايست لكبر سنها فبشرت بولد يكون نبيا ويلد نبيا فكان
هذا بشارة لها بان ترى ولد ولدها الرابعة عشرة قوله تعالى ومن وراء اسحق
يعقوب قرا حمزة وعبد الله بن عامر يعقوب بالنصب وقرا الباقون بالرفع على معنى
ويحدث لها من وراء اسحق يعقوب ويجوز ان يرفع بالابتداء ويكون في موضع الحال
اي بشروها باسحق مقابلا له يعقوب والنصب على معنى ووهبنا له من وراء اسحاق يعقوب
واجاز الكسائي والاخفش وابو حاتم ان يكون يعقوب في موضع جر على معنى وبشرناها
من وراء اسحق بيعقوب قال الفراء ولا يجوز الخفض الا باعادة الحرف الخافض قال سيبويه

ولو قلت مررت بزيد اول من امس وليس عمرو كان قبيحًا خبيثًا لانك لو قلت فرقت
بين المجرور وما يشاركه وهو الواو كما تفرق بين الجار والمجرور قوله
تعالى قالت يا ويلتا الد وانا عجوز وهذا بعلى شيخا فيه مسئلتان الاولى يا ويلتا
قال الزجاج اصلها يا ويلتي فابدل من الياء الفا لانها اخف من الياء والكسرة ولم ترد
الدعا على نفسها بالويل ولكنها كلمة تخف على افواه النسا اذا طرا عليهن ما يعجبن
منه وعجبت من ولادتها كون بعلها شيخا لخروجه عن العادة وما خرج عن العادة
مستغرب مستنكر والد استفهام معناه التعجب وانا عجوز اى شيخة وقد عجزت تعجز عجزا
وعجزت تعجز ان اطعنت فى السن وقد يقال عجوزة ايضا وعجزت المراة بكسر الجيم
عظمت عجيزتها عجزا وعجزا بضم العين وفتحها قال مجاهد كانت بنت تسع وستين
سنة قال ابو اسحق كانت بنت تسعين وقيل غير هذا الثانية قوله تعالى وهذا
بعلى اى زوجى شيخا نصب على الحال والعامل فيه التنبيه او الاشارة وهذا بعلى ابتدا
وخبر الابتدا للاخفش وفى قراة ابن مسعود وابى وهذا بعلى شيخ كما تقول زيد قايم
فزيد بدل من هذا وزيد خبر الابتدا ويجوز ان يكون هذا ابتداء وزيد قايم
خبرين وحكى سيبويه هذا حلو وحامض وقيل كان ابرهيم ابن مائة وعشرين
سنة وقيل ابن مائة فكان يزيد عليها فى قول مجاهد سنة وقيل انها عرضت بقولها
وهذا بعلى شيخا عن ترك غشيانه لها وسارة هذه امراة ابراهيم بن هرون بن ناحور
بن شاروع بن ارعوا بن فالغ وهى بنت عم ابرهيم ان هذا لشى عجيب اى الذى
بشرتمونى به لشى عجيب قوله تعالى قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله
وبركاته عليكم اهل البيت فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى قالوا اتعجبين من
امر الله لما قالت انا عجوز وهذا بعلى شيخا وتعجبت انكرت الملائكة عليها تعجبها من
امر الله اى من قضائه وقدره اى لا عجب من ان يرزقكما الله الولد وهو اسحق
وبهذه الاية استدل كثير من العلما ان الذبيح اسمعيل وانه اسن من اسحق بانها بشرت
بان اسحق يعيش حتى يولد له يعقوب وسياتى الكلام فى هذا وبيانه فى والصافات
انشا الله تعالى الثانية قوله تعالى رحمة الله وبركاته مبتدا والخبر عليكم وحكى
سيبويه عليكم بكسر الكاف لمجاورتها الياء وقيل هو خبر ودعاء وكونه
اخبارا اشرف لان دخول الملائكة يقتضى حصول الرحمة والبركة لهم والمعنى او
صل الله اللهم رحمته وبركاته اهل البيت وكونه دعاء انما يقتضى انه امر يترجى

ولم يحصل بعد ونصب اهل البيت على الاختصاص وهذا مذهب سيبويه وقيل على النداء الثالثة هذه الاية تعطى ان زوجة الرجل من اهل البيت فدل على ان ازواج الانبياء من اهل البيت فعائشة رضى الله عنها وغيرها من جملة اهل البيت للنبى صلى الله عليه وسلم ممن قال الله فيهم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وسياتى الرابعة ودلت الاية ايضا على منتهى السلام وبركاته كما اخبر الله عن صالح عباده وصالحى عباده رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت البركة النمو والزيادة ومن تلك البركات ان جميع الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين كانوا فى ولد ابرهيم وسارة وروى مالك عن وهب بن كيسان عن ابى نعيم عن محمد بن عمرو بن عطا قال كنت جالسا عند عبد الله بن عباس فدخل عليه رجل من اهل اليمن فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئا بعد ذلك فقال ابن عباس وهو يومئذ قد ذهب بصره من هذا فقالوا اليمانى الذى يغشاك فعرفوه اياه فقال ان السلام انتهى الى البركة وروى عن على رضى الله عنه انه قال دخلت المسجد فاذا انا بالنبى صلى الله عليه وسلم فى عصبة من اصحابه فقلت السلام عليكم فقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ثلاثون لى وعشرون لك قال ودخلت الثانية فقلنا السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثلثون لى وعشرون لك فدخلت الثالثة فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك السلام ثلثون لى وثلاثون لك انا وانت فى السلام سواء انه حميد اى محمود مجيد ماجد وقد بيناها فى الاسماء قوله تعالى فلما ذهب عن ابرهيم الروع اى الخوف يقال ارتاع من كذا اى خاف قال النابغة

فارتاع من صوت كلاب فبات له طوع الشوامت من خوف ومن صرد

وجاءته البشرى باسحق ويعقوب وقال قتادة بشروه بانهم انما اتوا بالعذاب الى قوم لوط وانه لا يخاف يجادلنا اى يجادل رسلنا واضاف الى نفسه لانهم نزلوا بامره وهذه المجادلة رواها حميد بن هلال بن جندب عن حذيفة و ذلك انهم لما قالوا له انا مهلكوا اهل هذه القرية قال لهم ارايتم ان كان فيها خمسون من المسلمين اتهلكونهم قالوا لا قال فاربعون قالوا لا فثلاثون قالوا لا قال فعشرون قالوا لا قال فان كان فيهم عشرة او خمسة شك حميد قالوا لا وقال قتادة نحوا منه فقال يعنى ابرهيم قوم ليس منهم عشرة من المسلمين لا خير فيهم وقيل

ان ابرهيم قال ابرهيم ان كان فيهم رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا وقال ابرهيم عند ذلك
ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين قال
عبد الرحمن بن سمرة كانوا اربعة ماية الف ابن جريج وكان في قرى قوم لوط اربعة الاف
الف ومذهب الاخفش والكسائى ان يجادلنا في موضع جادلنا قال النحاس لما كان
جواب لما يجب ان يكون بالماضى جعل المستقبل مكانه كما ان الشرط يجب ان يكون
بالمستقبل فجعل الماضى مكانه وفيه جواب اخر ان يكون يجادلنا في موضع الحال اى اقبل
يجادلنا وهذا قول الفراء ان ابراهيم لحليم اواه منيب قد فى براءة معنى الاواه حليم
والمنيب الراجع يقال اناب اذا رجع وابراهيم صلى الله عليه وسلم كان راجعا الى
الله في اموره كلها وقيل الاواه المتاوه اسفا على ما قد فات قوم لوط من الايمان
قوله تعالى يا ابرهيم اعرض عن هذا اى دع عنك الجدال في قوم لوط انه قد
جاء امر ربك اى عذابه لهم وانهم اتيهم نازل بهم عذاب غير مردود اى غير مصروف
عنهم ولا مدفوع قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم لما خرجت
الملائكة من عند ابرهيم وكان بين ابرهيم وقرية لوط اربع فراسخ فبصرت بنا لوط
وهما يستقبلان الملائكة ورايا هيئة حسنة فقالتا ما شانكم ومن اين اقبلتم قالوا
من موضع كذا نريد هذه القرية قالتا فان اهلها اصحاب الفواحش فقالوا ابها من
يضيفنا قالتا نعم هذا الشيخ واشارتا الى لوط عليه السلام فلما راى لوط هيئتهم خاف
لوط عليهم يسئ بهم ساء مجيئهم يقال ساء فهو لازم وساءه يسوءه فهو متعد ايضا
وان شئت ضممت السين لان اصلها الضم والاصل سوئ بهم من السوء قلبت حركة
الواو على السين فانقلبت يا وان خففت الهمزة القيت حركتها على اليا فقلت سئ بهم
مخففا ولغة شاذة بالتشديد وضاق بهم ذرعا اى ضاق صدره لمجيئهم وكرهه وقيل
ضاق وسعه وطاقته واصله ان يذرع البعير بيديه في سيره ذرعا على قدر سعة خطوه
خطوه فاذا حمل على اكثر من طاقته ضاق عن ذلك وضعف ومد عنقه فضيق الذرع
عبارة عن ضيق الوسع وقيل هو من ذرعه القى اذا غلبه اى ضاق عن حبسه المكروه
في نفسه وانما ضاق ذرعه بهم لما راى من جمالهم وما يعلم من فسق قومه وقال هذا
يوم عصيب اى شديد في الشر وقال الشاعر وان لم ترض يكونوا ايل يكن لك
يوم بالعراق عصيب وقال اخر يوم عصيب يعصب الابطال عصب القوى السلم
الطوال ويقال عصبت وهو عصبصب على التكثير اى مكروه مجتمع الشر وقد عصب

اى عصبه بالشر عصابه ومنه قيل عصبه وعصابه اى مجتمعوا الكلمه اى مجتمعون فى الغنم
وعصبه الرجل المجتمعون معه فى النسب وتعصبت لفلان صرت لعصبته ورجل
معصوب اى مجتمع الخلق قوله تعالى وجاءه قومه يهرعون اليه فى موضع
الحال يهرعون اى يسرعون قال الكسائى والفراء وغيرهما من اهل اللغه لا يكون الاهراع
الا اسراعا مع رعده يقال اهرع الرجل اهراعا اى اسرع فى رعده من قوة او غضب
او حمى وهو مهرع قال مهلهل فجاءوا يهرعون وهم اسارى تقودهم على رغم
الانوف وقال آخر بمعجلات نحوه مهارع وهذا مثل ولع فلان بالامر وارعد
وزها فلان ونحو ولا يستعمل الا على الوجه وقيل اهراع اهرعه حرصه وعلى هذا يهرعون
اى يستحثون عليه ومن قال بالاول لم يسمع الا اهرع الرجل اى اسرع على اسم ما لم يسم
فاعله قال ابو العوسطه هرع الانسان هرعا واهرع سيق واستعجل وقال الهروى
يقال هرع الرجل واهرع اى استحث قال ابن عباس وقتادة والسدى يهرعون
يهرولون الضحاك يسعون ابن عيينه كانهم يدفعون وقال شمر بن عطيه هو
هو مشى بين الهروله والجرى وقال الحسن مشى بين مشيين والمعنى وكان سبب
اسراعهم ان امراه لوط الكافرة لما رات الاضياف وهيئتهم خرجت حتى اتت مجالس
قومها فقالت لهم ان لوطا قد اضاف الليله فتيه ما رئى مثلهم جمالا وكذا وكذا فحينئذ
جاءوا يسرعون اليه ويذكر ان الرسل لما وصلوا الى بلد لوط وجدوا لوطا فى حرث
له وقيل وجدوا ابنته تستقى ماء فى نهر سدوم فسالوها الدلاله على من يضيفهم
فرات هيئتهم فخافت عليهم من قوم لوط وقالت لهم مكانكم وذهبت الى ابيها فاخبرته
فخرج اليهم فقالوا نريد ان تضيفنا الليل فقال لهم اما سمعتم بعمل هولاء فقالوا وما
عملهم فقال اشهد بالله انهم لاشر قوم فى الارض وقد كان الله عز وجل قال لا تعذبوهم
حتى يشهد عليهم اربع شهادات فلما قال لوط هذه المقاله قال جبريل لاصحابه هذه
واحده وتردد القول بينهم حتى كرر لوط الشهاده اربع مرات ثم دخل بهم المدينه
قوله تعالى ومن قبل كانوا يعملون السيئات اى ومن قبل مجىء الرسل
وقيل من قبل لوط كانوا يعملون السيئات اى كانت عادتهم اتيان الرجال فلما جاءوا
الى لوط وقصدوا اضيافه قام اليهم لوط مدافعا وقال هولاءِ بناتى ابتدا وخبر
وقد اختلف فى قوله هولاء بناتى فقيل كان له ثلاث بنات من صلبه ها وزعورا
فقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقيل ندبهم فى الحاله

زيد

الى انكاح وكانت سنتهم جواز نكاح الكافر المومنة وقد كان هذا فى اول الاسلام
جايزا ثم نسخ تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنتا من عتبة بن ابى لهب
واخرى من ابى العاص بن الربيع قبل الوحى وكانا كافرين وقالت فرقة منهم مجاهد
وسعيد بن جبير اشار بقوله بناتى الى النساء جملة اذ نبى القوم اب لهم ويقوى هذا
ان فى قراءة ابن مسعود النبى اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب
لهم وقالت طايفة انما كان الكلام مدافعة ولم يرد امضاوه روى هذا القول عن
ابى عبيدة كما يقال لمن ينهى عن اكل مال الغير براحل من هذا وقال عكرمة لم يعرض
عليهم بناته ولا بنات امته وانما قال لهم هذا لينصرفوا قوله تعالى هن
اطهر لكم مبتدا وخبر اى ازوجكموهن فهو اطهر مما تريدون اى احل والتطهر التنزه
عما لا يحل وقال ابن عباس كان رؤساهم خطبوا بناته فلم يجبهم واراد ذلك
ان يقى اضيافه بناته وليس الف اطهر للتفضيل حتى يتوهم ان فى نكاح النساطهارة
بل هو كقولك الله اكبر واعلى واجل وان لم يكن تفضيلا وهذا جايز سايغ فى كلام
العرب ولم يكابر الله تعالى احد حتى يكون الله اكبر منه وقد قال ابو سفيان بن حرب
يوم احد اعل هبل اعل هبل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر قل الله اعلى واجل
وهبل قط لم يكن عاليا ولا جليلا وقرا العامة برفع الراء وقرا الحسن وعيسى بن عمر
هن اطهر بالنصب على الحال وهن عماد ولا يجيز الخليل وسيبويه والاخفش ان
يكون هن هاهنا عمادا انما يتم الكلام الا بما بعدها نحو كان زيد هو اخاك ليدل
بها على ان الاخ ليس بنعت قال الزجاج ويدل بها على ان كان يحتاج الى خبر وقال
غيره يدل بها على ان الخبر معرفة او ما قاربها قوله تعالى فاتقوا الله
ولا تخزونى فى ضيفى اى لا تهينونى ولا تذلونى ومنه قول حسان
فاخزاك ربى يا عتيب بن مالك ولقاك قبل الموت احدى الصواعق ،،
مددت يمينا للنبى تعمدا ودميت فاه قطعت بالبوارق ،، ويجوز
ان يكون من الخزاية وهو الحيا والخجل قال ذو الرمة ،، خزاية ادركته بعد
جولته من جانب الحبل مخلوطا بها الغضب ،، وقال اخر من البيض لا تخزى اذا
الصعق بها من طيبها او زايل الحى اجيدها ،، وضيف يقع للاثنين والجمع على
لفظ الواحد لانه فى الاصل مصدر قال الشاعر ،، لا تعدمى الدهر شفار الجازر
للضيف والضيف احق زاير ويجوز فيه التثنية والجمع والاول اكثر كقولك رجال

صوتم وفظ ودُوُر وخزى الرجل حزايه اى استحى مثل ذل وهان وخزى اذا افتضح يخزى فيهما جميعا ثم ركبهم بقوله اليس منهم رجل رشيد اى شديد يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وقيل رشيد اى ذو رشد او بمعنى راشد او مرشد اى صالح او مصلح ابن عباس مومن ابو مالك ناه على المنكر وقيل الرشيد بمعنى الرشد والرشد والرشاد الهدى والاستقامه ويجوز ان يكون بمعنى الرشد كالحكيم بمعنى الحكم قوله تعالى قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق روى ان قوم لوط خطبوا بناته فردهم وكانت سنتهم ان من رد فى خطبته امراة لم تحل له ابدا فذلك قوله لقد علمت مالنا فى بناتك من حق وبعد ان لا تكون هذه الخاصه فوجه الكلام انه ليس لنا الى بناتك تعلق ولاهم قصدنا ولكنه بعاده نطلب ذلك وانك لتعلم مانريد اشاده الى الاضياف قوله تعالى قال لو ان لى بكم قوة لما راى استمرارهم فى غيهم وضعف عنهم ولم يقدر على دفعهم بمعنى لو وجدعونا على ردهم فقال على جهة التفجع والاستكانه لو ان لى بكم قوة اى انصارا وعونا وقال ابن عباس اراد الولد وان فى موضع رفع بفعل مضمر تقديره لو اتفق او وقع وهذا يطرد فى ان التابعه للو وجواب لو محذوف اى اردت اهل الفساد وحلت بينهم وبين ما يريدون او اوى الى ركن شديد اى الجا وانضم وقرى او آوى بالنصب عطفا على قوة كانه قال لو ان لى بكم قوة او اوى الى ركن شديد اى وان اوى فهو منصوب باضمار ان ومراد لوط بالركن الشديد العشيره والمنعه بالكثره وبلغ به قبيح فعلهم اى قوله هذا مع علمه بما عند الله تعالى فيروى ان الملائكه عليهم السلام وجدت عليه حين قال هذه الكلمات وقالوا ان ركنك لشديد وفى البخارى عن ابى هريره ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ويرحم الله لوطا لقد كان ياوى الى ركن شديد الحديث وقد تقدم فى البقره وخرجه الترمذى وزاد ما بعث الله بعده نبيا الا فى ثروه من قومه قال محمد بن عمرو والثروه الكثره والمنعه حديث حسن ويروى ان لوطا عليه السلام لما غلبه قومه وهموا بكسر الباب وهو يمسكه قالت له الرسل تنح عن الباب فتنحى وانفتح الباب فضربهم جبريل بجناحه فطمس اعينهم وعموا وانصرفوا على اعقابهم يقولون النجاه قال الله تعالى ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم وقال ابن عباس واهل التفسير اغلق لوط بابه والملائكه معه فى الباب وهو يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الجدار فلما رات الملائكه ما لقى من الجهد والكرب والنصب بسببهم قالوا يالوط ان ركنك

لشديد وانه اتيهم عذاب غير مردود وانا رسل ربك فافتح الباب ودعنا واياهم
ففتح الباب فضربهم جبريل بجناحه على ما تقدم وقيل اخذ جبريل قبضة من تراب
واذراها في وجوههم فاوصل الله الى عين من بعد وقرب من ذلك التراب فطمس
اعينهم فلم يعرفوا الطريق ولم يهتدوا الى بيوتهم وجعلوا يقولون النجاه النجا
فان في بيت لوط قوما هم اسحر من على وجه الارض وقد سحروا فاعلموا ابصارنا و
جعلوا يقولون يا لوط كما انت حتى نصبح فسترى فتوعدوه قوله تعالى
قالوا يا لوط انا رسل ربك لما رات الملائكة حزنه واضطرابه ومدافعته عرفوه
بانفسهم فلما علم انهم رسل مكن قومه من الدخول فامر جبريل عليه السلام يده على اعينهم
فعموا وعلى ايديهم فجفت لن يصلوا اليك اى بمكروه فاسر باهلك بوصل الالف
وقطعها لغتان فصيحتان قال الله تعالى والليل اذا يسرى وقال سبحان الذي اسرى
وقال النابغة فجمع بين اللغتين اسرت عليهم من الجوزاء سارية ترجي الشمال عليه دايم
البرد وقال اخر حي النضيرة ربة الخدر اسرت عليه ولم تكن تسرى
وقد قيل فاسر بالقطع اذا سار من اول الليل وسرى اذا سار من اخره ولا يقال في
الاسار . وقال لبيد اذا المرء اسرى ليلة ظن انه قضى عملا والمرء ما
عاش عامل وقال عبد الله بن رواحة عند الصباح يحمد القوم السرى وما تنجلي
عنهم غيابات الكرى بقطع من الليل وقيل بظلمة من الليل وقيل بعد هدء من
الليل وقيل هو ربع من الليل وكلها متقاربة وقيل انه نصف من الليل ماخوذ
من قطعه نصفين ومنه قول الشاعر ونائحة تنوح بقطع ليل على رجل بقارعة
الصعيد فان قيل ان السرى لا يكون الا بالليل فما معنى بقطع من الليل فالجواب
انه لو لم يقل بقطع من الليل جاز ان يكون اوله ولا يلتفت منكم احد اى لا ينظر وراءه
منكم احد بما يخلفه من مال او متاع الا امراتك بالنصب وهي القراءة البينة الواضحة المعنى
فاسر باهلك الا امراتك وكذا في قراءة ابن مسعود فاسر باهلك الا امراتك فهو استثنا
من الاهل وعلى هذا لم يخرج بها معه وقد قال عز وجل كانت من الغابرين اى من الباقين
وقرا ابو عمرو وابن كثير الا امراتك بالرفع على البدل من وانكر هذه القراءة جماعة منهم
ابو عبيد وقال لا يصح ذلك الا برفع يلتفت ويكون نعتا لان المعنى يصير ان ابدلت
وجزمت ان المراة ابيح لها الالتفات وليس كذلك المعنى قال النحاس وهذا الحمل من
ابي عبيد وغيره على مثل ابي عمرو مع جلالته ومحله من العربية لا يجب ان يكون

والدفع على البدل له معنى صحيح والتاويل له على ما حكى ابن الوليد عن محمد بن
يزيد ان يقول الرجل لحاجته لا يخرج فلان بلفظ النهى لفلان ومعناه للمخاطب
اى لا تدعه يخرج ومثله قولك لا يقم احد الا زيد يكون معناه انههم عن القيام
الا زيدا وكذا النهى للوط ولفظه لغيره كانه قال انههم لا يلتفت منهم احد الا امراتك
ويجوز ان يكون استثناء من النفى عن الالتفات لانه كلام تام اى لا يلتفت منكم احدا
الا امراتك فانها تلتفت وتهلك وان لوطا خرج بها ونهى من معه ممن اسرى بهم
ان لا يلتفت فلم يلتفت منهم احد سوى زوجته فانها لما سمعت هدة العذاب التفتت
وقالت واقوماه فادركها حجر فقتلها ما اصابهم اى من العذاب والكناية فى انه
يرجع الى الامر والشان اى فان الامر والشان والقصة مصيبها ما اصابهم ان موعدهم
الصبح لما قالت الملائكة انا مهلكوا اهل هذه القرية قال لعظ الان استعجلهم بالعذاب
الغيظه على قومه فقالوا اليس الصبح بقريب وقرا عيسى بن عمر اليس الصبح بقريب
بضم اليا وهى لغة ويحتمل ان يكون جعل الصبح ميقاتا لهلاكهم لان النفوس فيه اودع
والناس فيه وقال بعض اهل التفسير ان لوطا خرج بابنتيه ليس معه غيرهما عند طلوع
الفجر وان الملائكة قالت له ان الله قد وكل بهذه القرية ملائكة معهم صوت رعد و
خطف برق وصواعق عظيمة وقد ذكرنا لهم ان لوطا سيخرج فلا تؤذوه وامارته
ان لا يلتفت ولا تلتفت ابنتاه فلا يهولنك ما ترى فخرج لوط وطوى الله له الارض
فى وقته حتى نجا ووصل الى ابرهيم عليهما السلام قوله تعالى فلما جا امرنا اى
عذابنا جعلنا عاليها سافلها وذلك ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت قرى
قوم لوط وهى خمس سدوم وهى القرية العظما وعاروما وزاد وما وصعود قم
فرفعها من تخوم الارض حتى ادناها من السما بما فيها حتى سمع اهل السما نهيق حمرهم
وصياح ديكتهم لم تنكفى لهم جرة ولم ينكسر لهم انا ثم نكسوا على روسهم واتبعوا الحجارة
مقاتل هلكت اربعة وبحت صعو وقيل غير هذا والله اعلم قوله تعالى وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل دليل على ان من فعل فعلهم حكمه الرجم وقد تقدم فى الاعراف
وفى التفسير امطرنا فى العذاب ومطرنا فى الرحمة واما كلام العرب فيقال مطرت السما
وامطرت حكاه الهروى واختلف فى السجيل فقال البخارى السجيل الكبير الشديد
واستشهد بقول ضربا تواصى به الابطال سجينا النحاس ورد عليه هذا القول عبد الله بن
مسلم وقال هذا سجين وذال سجين فكيف ليستشهد به قال النحاس وهذا الرد

لا يلزم لان ابا عبيده ذهب الى انه اللام تبدل من النون لقرب احداهما من
الاخرى و قول ابى عبيد يرده من جهه اخرى وهى انه لو كان على قوله كان حجارة
سجيلا لانه لا يقال حجارة من شديد لان شديدا نعت وحكى ابو عبيده عن الفرا
انه قد يقال الحجارة الارحا سجيل وحكى عنه محمد بن الجهم ان سجيلا طين يطبخ
حتى يصير بمنزلة الارحا وقالت طائفة منهم ابن عباس وسعيد بن جبير وابن
اسحق ان سجيلا لفظه غير عربيه اصلها سج وجيل ويقال سنك وكيل فالكاف
موضع الجيم وهما بالفارسيه حجر وطين عربتهما العرب فجعلتهما اسما واحدا
وقيل هو من لغه العرب وقال قتاده وعكرمه السجيل الطين بدليل قوله تعالى
لنرسل عليهم حجارة من طين وقال الحسن كان اصل الحجارة طينا فشددت و
السجيل عند العرب كل شديد صلب وقال الضحاك يعنى الاجر وقال ابن زيد
طين طبخ حتى كان كالاجر وعنه ان سجيلا اسم السما الدنيا ذكره المهدوى وحكاه
الثعلبى عن ابى العاليه وقال ابن عطيه وهذا ضعيف يرده وصفه بمنضود وعن عكرمة
انه بحر معلق فى الهوا بين السما والارض منه نزلت الحجارة وقيل هى من جبال
فى السما وهى التى اشار الله تعالى اليها بقوله و ننزل من جبال فيها من برد وقيل
هو فعيل من اسجلته اى ارسلته فكانها مرسله عليهم وقيل هو من اسجلته اذا
اعطيته فكانه عذاب اعطوه قال من يساجلنى يساجل ماجدا يملا
الدلو الى عقد الكرب وقال اهل المعانى السجيل والسجين الشديد
من الحجر وقال ابن مقبل ورجله يضربون البيض صاحيه ضربا تواصى به الابطال
سجينا منضود قال ابن عباس متتابع وقال قتاده بعضها فوق بعض وقال
الربيع نضد بعضه على بعض حتى صار جسدا واحدا وقال عكرمه مصفوف وقال بعضهم
مرصوص والمعنى متقارب يقال نضدت المتاع واللبن اذا جعلت بعضه على بعض
فهو منضود ونضيد ونضد قال ورفعته الى السجفين فالنضد وقال ابو بكر الهذلى
هو مما اعده الله تعالى لاعدائه الظلمه مسومه اى معلمه من السما وهى العلامه اى كان عليها
امثال الخواتيم وقيل مكتوب على كل حجر اسم من رمى به وكانت لا تشاكل حجارة
الارض وقال الفرا زعموا انها كانت مخططه بحمرة وسواد فى بياض فذاك تسويمها
وقال كعب كانت معلمه ببياض وحمرة قال الشاعر
غلام رماه الله بالحسن يافعا له سيميا لا تشق على البصر ومسومه من نعت

على السجيل

حجارة ومنضود من نعت سجيل وفي قوله عند ربك دليل على انها ليست من حجارة
الارض قاله الحسن وما هي من الظالمين ببعيد يعني قوم لوط اي لم تكن تخطيهم وقال
مجاهد يرهب قريشا المعنى ما الحجارة من ظالمي قومك يا محمد ببعيد وقال قتادة
وعكرمة يعني ظالمي هذه الامة والله ما اجار الله منها ظالما بعد وروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون في اخر الزمان امتي يكتفي رجالهم بالرجال ونساؤهم
بالنسا فان كان كذلك فارتقبوا عذاب قوم لوط ان يرسل الله عليهم حجارة من سجيل
ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي من الظالمين ببعيد وفي رواية عنه
عليه السلام لا تذهب الليالي والايام حتى تستحل هذه الامة ادبار الرجال كما
استحلوا ادبار النسا فتصيب طوايف من هذه الامة حجارة من ربك وقيل المعنى
ما هذه القرى من الظالمين ببعيد وهي بين الشام والمدينة وجا ببعيد مذكر على
معنى بمكان بعيد وفي الحجارة التي امطرت قولان احدهما انها امطرت على المدن حين
رفعها الله جبريل عليه السلام الثاني انها امطرت على من لم يكن في المدن من
اهلها وكان خارجا عنها قوله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا اي
فارسلنا الى مدين ومدين هم قوم شعيب وفي تسميتهم بذلك قولان احدهما
انهم بنوا مدين بن ابرهيم وقيل مدين والمراد بنو مدين كما يقال مضر و
المراد بنو مضر الثاني انه اسم مدينة بينهم فنسبوا اليها قال النحاس لا تنصرف
مدين لانها اسم مدينة وقد تقدم هذا المعنى في الاعراف وزيادة قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره تقدم ولا تنقصوا المكيال والميزان كانوا مع كفرهم اهل بخس
وتطفيف كان اذا جاهم البايع بالطعام اخذوا بكيل زايد واسرفوا بغاية ما يقدرون
وظلموا وان جاهم مشتر للطعام باعوه بكيل ناقص وبخسوا بغاية ما يقدرون
فامروا بالايمان الا لا عن الشرك وبالوفا نهيا عن التطفيف اني اريكم بخير
اي في سعة من الرزق وكثرة من النعم وقال الحسن كان سعرهم رخيصا واني
اخاف عليكم عذاب يوم محيط وصف اليوم بالاحاطة اليوم بالاحاطة واراد
وصف ذلك اليوم بالاحاطة بهم فان يوم العذاب اذا احاط بهم فقد احاط العذاب
بهم فهو كقولك يوم شديد اي شديد حره واختلف في ذلك العذاب فقيل هو عذاب
النار في الاخرة وقيل عذاب الاستيصال في الدنيا وقيل غلا السعر وروى عن ابن
عباس وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ما اظهر قوم البخس في المكيال

مطلب شريف

والميزان الاعلاهم بالبخس والغلا وقد تقدم قوله تعالى ويا قوم اوفوا
المكيال والميزان بالقسط امر بالايفا بعد ان نهى عن التطفيف تاكيدا والايفاء
الاتمام بالقسط اى بالعدل والحق والمقصود ان يصل كل ذى نصيب الى نصيبه و
ليس يريد ايفا المكيل والموزون لانه لم يقل اوفوا بالمكيال وبالميزان بل اراد
ان لا ينقصوا حجم المكيال عن المقصود وكذا الصنجات ولا تبخسوا الناس اشياءهم
اى لا تنقصوهم مما استحقوه شيا ولا تعثوا فى الارض مفسدين بين ان الخيانة
فى المكيال والميزان مبالغة فى الارض بالفساد وقد مضى فى الاعراف زيادة لهذا
والحمد لله قوله تعالى بقيت الله خير لكم اى ما يبقيه الله لكم بعد ايفا
الحقوق اكثر بركة واحمد عاقبة مما تبقونه انتم لانفسكم من فضل التطفيف بالتجبر
والظلم قال معناه الطبرى وغيره وقال مجاهد بقيت الله خير لكم يريد طاعته
وقال الربيع وصية الله وقال الفرا مراقبة الله ابن زيد رحمت الله قتادة والحسن
حظكم من ربكم خير لكم وقال ابن عباس رزق الله خير لكم ان كنتم مؤمنين شرط
هذا لانهم انما يعرفون صحة هذا اذا كانوا مؤمنين وقيل يحتمل انهم كانوا
يعترفون بان الله خالقهم فخاطبهم بهذا وقال وما انا عليكم بحفيظ اى رقيب ارقبكم
عند كيلكم ووزنكم اى لا يمكننى شهود كل معاملة تصدر منكم قوله تعالى
قالوا يا شعيب اصلواتك وقرى اصلاتك من غير جمع تامرك ان نترك ما يعبد
اباونا ان فى موضع نصب وقال الكسائى موضعها خفض على اضمار البا وروى
ان شعيبا عليه السلام كان يكثر الصلوة مواظبا للعبادة فرضها ونفلها و
يقول الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فلما امرهم ونهاهم عيروه بما راوه يستمر
عليه من كثرة الصلوة واستهزوا به فقالوا ما اخبر الله عنهم وقيل ان الصلوة
هنا بمعنى القراءة قال سفين عن الاعمش اى قراءتك تامرك ودل بهذا على انهم كانوا
كفارا وقال الحسن لم يبعث الله نبيا الا فرض عليه الصلوة والزكوة او ان نفعل
فى اموالنا ما نشا زعم الفرا ان التقدير وتنهانا ان نفعل فى اموالنا ما نشا وقرا
السلمى والضحاك بن قيس بالتا فى الفعلين او ان تفعل فى اموالنا ما تشا اذا ترا
ضينا فيما بيننا بالبخس فلم تمنعنا منه انك لانت الحليم الرشيد يعنون عند نفسك
بزعمك ومثله فى صفة ابى جهل ذق انك انت العزيز الكريم اى عند نفسك بزعمك
وقيل قالوه على وجه الاستهزا والسخرية قاله قتادة ومنه قولهم للحبشى ابو البيضا

ولذا بيض ابو الجوب ومنه قوله خزنة جهنم لايرجل ذق انك انت العزيز الكريم و
قال سفين بن عتيبه العرب تصف الشى بضده للتطير والتفاول كما قيل للدفيغ
سليم وللفلاة مفازة وقيل هو تعريض اراد وابه السب واحسن من هذا كله
ويدل عليه ما قبله على صحته اى انك الحليم الرشيد حقا فكيف تامرنا ان نترك ما
نعبد اباونا ويدل عليه اصلوتك تامرك ان نترك ما نعبد اباونا انكروا لما
راوا من كثرة صلاته وعبادته وانه حليم رشيد بان يكون يامرهم بترك ما نعبد
اباوهم وبعده ايضا ما يدل عليه قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى و
رزقنى منه رزقا حسنا افلا انهاكم عن الضلال فهذا كله يدل على انهم قالوه على
وجه الحقيقة وانه اعتقادهم فيه ويشبه هذا المعنى قول اليهود من بنى قريضة للنبى صلى
عليه وسلم حين قال لهم يا اخوة القردة والخنازير فقالوا يا محمد ما علمناك جهولا
مسئله قال اهل التفسير كان مما نهاهم عنه وعذبوا لاجله قطع الدنانير والدراهم
كانوا يقرضون من اطراف الصحاح ليفضل لهم القراضة وكانوا يتعاملون على
الصحاح عددًا وعلى المقروضة وزنا وكانوا يبخسون فى الوزن وقال ابن وهب
قال مالك كانوا يكسرون الدنانير والدراهم وكذلك قال جماعة من المفسرين المتقدمين
كسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وغيرهما وكسرها ذنب عظيم وفى كتاب ابى داود
عن علقمة بن عبد الله عن ابيه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
نكسر سكة المسلمين الجايزة بينهم الا بابين فانها اذا كانت صحاحا قام معناها
وظهرت فايدتها واذا كسرت صارت وبطلت منها الفايدة فاضر ذلك بالناس
ولذلك حرم وقد قيل فى تاويل قوله تعالى تسعة رهط يفسدون فى الارض
ولا يصلحون انهم كانوا يكسرون الدراهم قاله زيد بن اسلم قال ابو عمر بن
عبد البر زعموا انه لم يكن بالمدينة اعلم بتاويل القران من زيد بن اسلم
بعد محمد بن كعب القرظى مسئله قال اصبغ قال عبد الرحمن بن القسم بن خالد
بن جناد مولى زيد بن الحرث العتقى من كسرها لم تقبل شهادته وان اعتذر
بالجهالة لم يعذر وليس هذا موضع عذر قال ابن العربى لم تقبل شهادته لانه اتى
كبيرة والكباير تسقط العدالة دون الصغاير واما قوله لا تقبل عذره بالجهالة فى هذا
فلانه امر بين لا يخفى على احد وانما تقبل العذر اذا ظهر الصدق فيه او خفى وجه الصدق
فيه وكان الله اعلم به من العبد كما قال مالك مسئله اذا كان هذا معصيه وفسادًا

ترد به الشهادة فانه يعاقب من فعله ومر ابن المسيب برجل قد جلد فقال ما هذا فقال
رجل يقطع الدنانير والدراهم قال ابن المسيب هذا من الفساد في الارض ولم ينكر جلده
ونحوه عن سفين وقال ابو عبد الرحمن التجيبي كنت قاعدا عند عمر بن عبد العزيز وهو
اذ ذاك امير المدينة فاتي برجل يقطع الدنانير وقد شهد عليه فضربه وحلقه و
امر به فطيف به وامره ان يقول هذا جزاء من يقطع الدنانير ثم امر ان يرد اليه
فقال انه لم يمنعني ان اقطع يده الا اني لم اكن تقدمت في ذلك قبل اليوم وقد
تقدمت في ذلك فمن شاء فليقطع قال ابو بكر بن العربي اما ادبه بالسوط فلا كلام
فيه واما حلقه فقد فعله عمر وقد كنت ايام الحكم بين الناس اضرب واحلق وانما
كنت افعل ذلك بمن يرى شعره عونا له على المعصية وطريقا الى التجمل به في الفساد و
هذا هو الواجب في كل طريق للمعصية ان يقطع اذا كان غير مؤثر في البدن واما
قطع يده فانما اخذ ذلك عمر من فصل السرقة وذلك ان قرض الدراهم غير كسرها
فان الكسر افساد الوصف والقرض تنقيص القدر فهو اخذ المال على جهة الاختفا
فان قيل اليس الحرز اصلا في القطع قلنا يحتمل ان يكون عمر يرها للفصل بين الخلق
دينارا او درهما حرزا لها وحرز كل شيء على قدر حاله ولقد انفذ ذلك ابن الزبير
وقطع يد رجل في قطع الدنانير والدراهم وقد قال علماونا المالكية ان الدنانير
والدراهم خواتيم الله عليها اسمه ولو قطع على قول اهل التاويل من كسر خاتما لله كان
اهلا لذلك او من كسر خاتم سلطان عليه اسمه ادب وخاتم الله تقضى به الحوائج
فلا يستويان في العقوبة قال ابن العربي واري ان يقطع من قرضها دون من كسرها
وقد كنت افعل ذلك ايام توليتي الحكم الا اني كنت محفوفا بالجهال فلم اجب بسبب المقال
للحسدة الضلال فمن قدر عليه يوما من اهل الحق فليفعله احتسابا لله تعالى قوله
تعالى قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي تقدم ورزقني رزقا اي واسعا حلالا
وكان شعيب عليه السلام كثير المال قاله ابن عباس وغيره وقيل اراد به الهدى والتوفيق
والعلم والمعرفة وفي الكلام حذف وهو ما ذكرناه اي افلا انهاكم عن الضلال وقيل المعنى
ان كنت على بينة من ربي اتبع الضلال وقيل المعنى ان كنت على بينة من ربي اتامرونني
بالعصيان في البخس والتطفيف وقد اغناني الله تعالى وما اريد ان اخالفكم في موضع
نصب باريد اي ما انهاكم عنه اي ليس انهاكم عن شيء وارتكبه كما لا اترك ما امرتكم ان
اريد الا الاصلاح ما استطعت اي ما اريد الا فعل الصلاح اي ان تصلحوا دنياكم بالعدل

واخبركم بالعبادة وقال ما استطعت لان الاستطاعة من شروط الفعل دون الارادة
وما مصدرية اى ان اريد الا الاصلاح جهدى واستطاعتى وما توفيقى الا بالله
اى رشدى والتوفيق الرشد الا بالله عليه توكلت اى اعتمدت واليه انيب
اى ارجع فيما ينزل بى من جميع النوائب وقيل اليه ارجع فى الآخرة وقيل ان الانابة
الدعاء ومعناه وله ادعوا قوله تعالى ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى قرا الجحدرى
بن وثاب لا يجرمنكم شقاقى فى موضع نصب اى لا يحملنكم معاداتى على ترك الايمان
فيصيبكم مثل ما اصاب الكفار قبلكم قال الحسن وقتادة وقيل لا يكسبكم شقاقى اصابة
العذاب كما اصاب من كان قبلكم قاله الزجاج وقد تقدم معنى يجرمنكم فى المائدة والشقاق
فى البقرة وهو هنا بمعنى العداوة قاله السدى ومنه قول الاخطل ٥٠ الا من مبلغ
عنى رسولا فكيف وجدتم طعم الشقاق وقال الحسن وقتادة فراقى وما قوم لوط
منكم ببعيد اى بمكان بعيد فلذلك وجدا البعد قال السدى اى وردهم فى
دوركم قوله تعالى ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه تقدم ان ربى
رحيم ودود اسمان من اسمائه سبحانه وتعالى وقد بيناهما فى شرح الاسما قال الجوهرى
وددت الرجل اوده ودًا اى احببته والودود المحب والود والود والمودة
روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب
قوله تعالى قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرًا مما تقول اى ما نفهم لانك تحملنا
على امور غائبة من البعث والنشور تعظنا بما لا عهد لك لنا بمثله وقيل قالوا
ذلك اعراضا عن سماعه واحتقارا لكلامه تقال فقه تفقه اذا فهم فقها وفقها
وحكى الكسائى فقها وفقه فقها اذا صار فقيها وانا لنراك فينا ضعيفا قيل انه
كان مصابا ببصره قاله سعيد بن جبير وقتادة وقيل كان ضعيف البصر قاله الثورى
وحكى عنه النحاس مثل قول سعيد بن جبير وقتادة قال النحاس وحكى اهل اللغة
ان جبير يقول للاعمى ضعيف اى قد ضعف بذهاب بصره كما يقال له مكفوف
اى قد كف عن النظر بذهاب بصره الحسن معناه مهين وقيل المعنى ضعيف البدن
حكاه على بن عيسى وقال السدى وحيدا ليس لك جندا واعوانا تقدر بها على
مخالفتنا وقيل قليل المعرفة بمصالح الدنيا وسياسة اهلها وضعيفا بالنصب
على الحال ولولا رهطك رفع بالابتدا ورهط الرجل عشيرته الذى يستند اليهم
ويتقوى بهم ومنه الراهط لجحر اليربوع لانه يتوثق به ويخبا فيه ولده ومعنى

لرجمناك لقتلناك بالرجم وكانوا اذا قتلوا انسانا رجموه بالحجارة وكان رهطه
من اهل ملتهم وقيل معنى لرجمناك لقتلناك لشتمناك ومنه قول الجعدي ،،
تراجمنا بمرّ القول حتى نصير كاننا فرسا رهان   والرجم ايضا اللعن ومنه الشيطان
الرجيم وما انت علينا بعزيز اى ما انت علينا بغالب ولا قاهر ولا ممتنع قوله
تعالى قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واعظم واجل وهو يملككم واتخذتموه
وراءكم ظهريا اى اتخذتم ما جئتكم به من امر الله ظهريا اى جعلتموه وراء ظهوركم و
امتنعتم من قتلي مخافة قومي تقال جعلت امره بظهره اى قصرت فيه وقد مضى في البقرة
ان ربي بما تعملون اى من الكفر والمعصية محيط اى عليم وقيل حفيظ قوله تعالى
ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون تهديد ووعيد وقد تقدم في
الانعام من ياتيه عذاب يخزيه اي يهلكه ومن موضع نصب مثل يعلم المفسد من المصلح
ومن هو كاذب عطف عليها وقيل اى وسوف تعلمون من هو كاذب منا وقيل في
محل رفع تقديره ويخزى من كاذب فيعلم كذبه ويذوق وبال امره وزعم الفرا
انهم انما جاؤا بهو في ومن هو كاذب لانهم لا يقولون من قايم انما يقولون من قام
ومن يقوم ومن القايم فزاد وهو ليكون جملة تقوم مقام فعل ويفعل قال النحاس و
يدل على خلاف هذا قوله تع   من رسول الى الثريا باني ضقت ذرعا بهجرها والكتاب
وارتقبوا اني معكم رقيب اى انتظروا العذاب والسخط واني منتظر النصر والرحمة
قوله تعالى ولما جاء امرنا قيل صاح بهم جبريل صيحة فخرجت ارواحهم من
اجسادهم نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة
اى صيحة جبريل وانث الفعل على لفظ الصيحة وقال في قوم صالح واخذ الذين ظلموا
الصيحة فذكر على معنى الصياح قال ابن عباس ما اهلك الله امتين بعذاب واحد
الا قوم صالح وقوم شعيب اهلكهم الله بالصيحة غير ان قوم صالح اخذتهم الصيحة من
تحتهم وقوم شعيب اخذتهم الصيحة من فوقهم فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم
يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود تقدم معناه وحكى الكسائي ان ابا
عبد الرحمن السلمي قرا كما بعدت ثمود بضم العين قال النحاس المعروف في اللغة
انما يقال بعد يبعد بعدا وبعدا اذا هلك وقال المهدوي من ضم العين من بعدت
فهي لغة تستعمل في الخير والشر ومصدرها البعد وبعدت تستعمل في الشر خاصة
فيقال بعد يبعد بعدا فالبعد قراءة الجماعة بمعنى اللعنة وقد يجتمع معنى اللفظين لتقاربهما

فى المعنى فيكون ما جاء بمصدره على غير لفظه لتقارب المعانى قوله تعالى
ولقد ارسلنا موسى بين انه اتبع السبل الذى لاقامه الحجه وادواحه كله علمه باياتنا
اى بالتورات وقيل بالمعجزات وسلطان مبين اى بحجه بينه وهى العصا وقد مضى
فى آل عمران معنى السلطان واشتقاقه فلا معنى للاعاده الى فرعون وملايه فاتبعوا
امر فرعون وملايه اى شانه وحاله حتى اتخذوه الها وخالفوا امر الله وما امر فرعون
برشيد اى سديد يودى الى صواب وقيل برشد اى بمرشد الى خير قوله تعالى
يقدم قومه يوم القيمه اى بمعنى يتقدمهم الى النار اذ هو رئيسهم يقال قدمهم يقدمهم
قدما وقدوما اذا تقدمهم فاوردهم النار اى ادخلهم فيها ذكر بلفظ الماضى والمعنى
فيوردهم النار وما تحقق وجوده فكانه كاين ولهذا يعبر عن المستقبل بالماضى و
بئس الورد المورود اى بئس المدخل والمدخول ولم يقل بئست لان الكلام يرجع
الى الورد وهو كما تقول نعم المنزل دارك ونعمت المنزل دارك والورد الماء الذى
يورد منه وهو بمعنى المفعول قوله تعالى واتبعوا فى هذه لعنة اى فى الدنيا
ويوم القيمه اى لعنة الله يوم القيمه بئس الرفد المرفود وحكى الكسائى وابو عبيده
رفدته ارفده رفدا اى اعنته واعطيته واسم العطيه الرفد اى بئس العطا والاعانه
والرفد وارفد ايضا القدح الضخم قال الجوهرى والتقدير بئس الرفد المرفود
وذكر الماوردى الرفد بفتح الرا القدح والرفد بكسر الرا ما فى القدح الرفد من الشراب
حكى ذلك عن الاصمعى فكانه ذم بذلك ما يسقونه فى النار وقيل ان الرفد الزياده
اى بئس ما يرفدون به بعد الغرق النار قاله الكلبى قوله تعالى ذلك
من انبا القرى نقصه عليك ذلك رفع على اضمار مبتدا اى الامر ذلك وان شئت
بالابتدا والمعنى ذلك النبا المتقدم من انبا القرى نقصه عليك منها قايم وحصيد قال
قتاده القايم ما كان خاويا والحصيد على عروشه والحصيد ما لا اثر له وقيل
القايم العامر والحصيد الخراب قاله ابن عباس وقال مجاهد قايم خاويه على عروشها
وحصيد مستاصل يعنى محصود كالزرع اذا حصد وقال الشاعر والناس فى قسم
المنيه بينهم كالزرع منها قايم وحصيد وقال اخر انما نحن مثل خامه زرع
متى يان يات محتصده قال الاخفش سعيد حصيد اى محصود وجمعه حصدى و
حصاد مثل مرضى ومراض قال يكون فيمن يعقل حصدى مثل قتيل وقتلى وما ظلمناهم
اصل الظلم فى اللغه وضع الشى فى غير موضعه وقد تقدم فى البقره مستوفى ولكن ظلموا

انفسهم بالكفر والمعاصي وحكى سيبويه انه يقال ظلم اياه فما اغنت اى دفعت عنهم
الهتهم التي يدعون من دون الله من شي في الكلام حذف اى التي كانوا يعبدون
لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب اى تخسير قاله مجاهد وقتاده وقال
لبيد فلقد بليت وكل صاحب جدة لبلى يعود وذاكم التتبيب التبابات الهلاك
والخسران وفيه اضمار اى ما زادوهم عبادة الاصنام فحذف المضاف اى كانت
عبادتهم اياها قد خسرتهم ثواب الاخرة قوله تعالى وكذلك اخذ ربك
اذا اخذ القرى اى كما اخذ هذه القرى التي كانت لنوح وعاد وثمود ياخذ جميع
القرى الظالمة وقرا الجحدري وطلحة اخذ القرى قال المهدوي من قرا وكذلك
اخذ ربك اذا اخذ فهو اخبار عما جرت به العادة في اهلاك من تقدم من الامم و
المعنى وكذلك اخذ ربك من اخذه من الامم المهلكة اذا اخذهم وقراءة الجماعة
على انه مصدر والمعنى وكيف اخذ ربك من اراد هلاكه متى اخذه فاذا لما مضى
اى حين اخذ القرى واذا للمستقبل وهي ظالمة واهلها ظالمون فحذف المضاف
مثل واسال القرية ان اخذه اليم شديد اى عقوبته لاهل الشرك موجعة غليظة
وفي صحيح مسلم والترمذي من حديث ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الله تعالى يملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا وكذلك اخذ ربك اذا
اخذ القرى وهي ظالمة قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب قوله
تعالى ان في ذلك لاية اى لعبرة وموعظة لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم ابتدا و
خبر مجموع من بعثه له الناس مالم يسم فاعله ولهذا لم يقل مجموعون فان قدرت
ارتفاع الناس بالابتدا والخبر مجموع له فانما لم يقل مجموعون على هذا التقدير لان له
تقوم مقام الفاعل والجمع الحشر اى يحشرون لذلك اليوم وذلك يوم مشهود اى يشهد
البر والفاجر ويشهده اهل السما وقد ذكرنا هذين الاسمين مع غيرهما من اسماء
القيمة في كتاب التذكرة وبيناهما والحمد لله قوله تعالى وما نوخره
اى ما نوخر ذلك اليوم الا لاجل معدود اى لاجل سبق به قضاونا وهو معدود
عندنا يوم ياتي وقرى يوم يات لان اليا تحذف اذا كان قبلها كسرة تقول
لا ادر ذكره القشيري قال النحاس قراه اهل المدينة وابي عمرو والكسائي باثبات
اليا في الادراج وحذفها في الوقف وروى ان أبيًا وابن مسعود قرا يوم
ياتي باليا في الوقف والوصل قال ابو جعفر النحاس الوجه في هذا ان لا يوقف

عليه وان يوصل باليا لان جماعه من النحويين قالوا لا يحذف اليا ولا يجزم
الشي بغير جازم فاما الوقف بغير يا ففيه قول الكسائي قال لان الفعل السالم
يوقف عليه كالمجزوم فيحذف اليا كما حذف الضمه واما قراه حمزه فقد احتج
عبيد بحذف اليا في الوصل والوقف بحجتين احداهما انه زعم انه راه في الامام
الذي يقال له انه مصحف عثمان رضي الله عنه بغير ياء والحجه الاخرى انه حكى انها
لغه هذيل يقول ما اد ر قال النحاس مصحف عثمان رحمه الله يتي يرده عليه اكثر
العلما قال ملك بن انس رضي الله عنه سالت عن مصحف عثمان رضي الله عنه فقيل
لي ذهب واما حجته بقولهم ما اد ر فلا حجه فيه لان هذا الحذف قد حكاه النحويون
القدما وذكروا علته وانه لا يقاس عليه وانشد الفرا في حذف اليا كفاك
كف ما يليق درهما جودا واخرى تعط بالسيف الدما اي يعطي وقد حكى سيبويه
والخليل ان العرب تقول لا ادر فيحذف اليا ويجتزي بالكسره الا انهم يزعمون
ان ذلك لكثره الاستعمال قال الزجاج والاجود في النحو اثبات اليا قال والذي اراه
اتباع المصحف واجماع القرا لان القران سنه وقد جا مثله في كلام العرب لا
تكلم نفس الا باذنه الاصل ان لا تتكلم حذفت احدى التاين تخفيفا وفيه اضمار
لان اي لا تتكلم فيه نفس الا بالمادون فيه من حسن الكلام لانهم يلجون الى ترك القبيح
وقيل المعنى لا تكلم بحجه ولا شفاعه الا باذنه وقيل ان لهم في الموقف وقتا يمنعون
فيه من الكلام الا باذنه وهذه الايه اكثر ما يسال عنها اهل الالحاد في الدين فيقولون
لم قال لا تكلم نفس الا باذنه وهذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون
وقال في موضع من ذكر القيمه واقبل بعضهم على بعض يتلاومون وقال يوم ياتي
كل نفس تجادل عن نفسها وقال وقفوهم انهم مسولون فيومئذ لا يسال عن
ذنبه انس ولا جان والجواب ما ذكرناه وانهم لا ينطقون بحجه لهم وانما يتكلمون
بالاقرار بذنوبهم ولوم بعضهم بعضا وطرح بعضهم الذنوب على بعض فاما
التكلم والنطق بحجه لهم فلا وهذا كما تقول للذي يخاطبك كثيرا وخطابه فارغ
عن الحجه ما تكلمت بشي ما نطقت بشي وسمي من يتكلم بلا حجه فيه لغير متكلم وقال
قوم ذلك اليوم طويل وله مواطن ومواقف في بعضها يمنعون من الكلام
وفي بعضها يطلقوا لهم الكلام وهذا يدل على انه لا تتكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي
وسعيد اي من الانفس او من الناس وقد ذكرهم في قوله يوم مجموع له الناس

الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك الكلمة ان الله عز وجل حكم ان يوخرهم
الى يوم القيمة لما علم فى ذلك الصلاح ولولا ذلك لقضى بينهم اجلهم بان يثاب المومن
ويعاقب الكافر قيل المراد بين المختلفين فى كتاب موسى بانهم كانوا بين مصدق
به ومكذب وقيل بين هولا المختلفين قيل يا محمد بتعجيل العقاب ولكن سبق الحكم
بتاخير العقاب عن هذه الامة الى يوم القيمة وانهم لفى شك منه مريب ان حملت على
قوم موسى اى لفى شك من كتاب موسى فهم فى شك من القران قوله تعالى وان
كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم اى ان كلا من الامم التى وعدناهم يرون جزا اعمالهم وكذلك
قولك يا محمد واختلف القرا فى قراه وان كلا بالتخفيف على انها ان الخفيفة من الثقيلة
بمله وقد ذكر هذا الخليل وسيبويه قال سيبويه حدثنا من نثق به انه سمع العرب
تقول ان زيدا المنطلق وانشد قول الشاعر كان طبيه تعطوا الى وارق السلم
اراد كان طبيه فخفف ونصب ما بعدها والبصريون يجوزون تخفيف ان المشددة مع اعمالها
وانكر ذلك الكسائى وقال ما ادرى على اى شى قرى وان كلا وزعم الفرا ان نصب
كلا فى قراة من خفف لقوله ليوفينهم كلا وانكر ذلك جميع النحويون وقالوا هذا من
كثير الغلط لا يجوز عند احد زيد لاضربنه وشدد الباقون ان ونصبوا بها كلا على
اصلها وقرا عاصم وحمزة وابن عامر لما بالتشديد وخففها الباقون على معنى وان
كلا ليوفينهم جعلوا ما صلة وقيل دخلت لتفصل بين اللامين اللتين تتلقيان
القسم وكلاهما مفتوح ففصل بينهما بما وقال الزجاج لام لما لام ان وما زايدة
موكدة تقول ان زيدا لينطلق فان تقتضى ان تدخل على غيرها واسمها لام كقولك
ان الله لغفور رحيم وقوله ان فى ذلك لذكرى وان اللام فى ليوفينهم هى التى تتلقى
بها القسم وتدخل على الفعل وتلزمها النون الشديدة والخفيفة وما زايدة موكدة وقال
الفرا ما بمعنى من كقوله وان منكم لمن ليبطئن اى ان كلا لمن يوفينهم واللام فى ليوفينهم
للقسم وهنا يرجع معناه الى قول الزجاج غير ان ما عند الزجاج زايدة وعند الفرا
اسم بمعنى من وقيل ليست بزايدة بل هى اسم داخل عليها بلام التوكيد وهى خبر ان
وليوفينهم جواب القسم التقدير وان كلا خلق ليوفينهم ربك اعمالهم وقيل ما بمعنى من
قوله فانكحوا ما طاب لكم من النسا اى من وهذا كله هو قول الفرا بعينه واما من
شدد لما وقرا وان كلا لما بالتشديد فيهما وهو حمزة ومن وافقه فقيل انه لحن حكى
عن محمد بن زيد ان هذا لا يجوز ولا يقال ان زيدا الا لضربته ولا لما ضربته وقال

الكسائى الله اعلم بهذه القراة ولا اعلم لها وجها وقال ايضا هو وابو على الفارسى التشديد
فيهما مشكل قال النحاس وغيره وللنحويين فى ذلك اقوال الاول ان اصلها لمن ما
فقلبت النون ميما واجتمعت ثلاث ميمات فحذفت الوسطى فصارت لما وما على هذا
القول بمعنى من تقديره وان كلا لمن الذين كقولهم وانى لما اصدر الامر وجهه
اذا هى بالسبيل مصادره وزيف الزجاج هذا القول وقال من اسم على حرفين فلا
يجوز حذفه والثانى ان الاصل فى لمن ما حذفت الميم المكسورة لاجتماع الميمات والتقدير
وان كلا لمن خلق ليوفينهم وقيل لما اصدركم وجاءت بغير تنوين حملاً للوصل على
على الوقف فهى على هذا كقوله وتاكلون التراث اكلاً لما اى جامعا للمال الماكول فا
لتقدير على هذا وان كلاً ليوفينهم ربك اعمالهم توفية لما اى جامعة لاعمالهم جميعا
فهو كقولك قياما لاقومن وقد قرا الزهرى لما بالتشديد والتنوين على هذا المعنى
الثالث ان لما بمعنى الا حكى اهل اللغة سالتك بالله لما فعلت بمعنى الا فعلت ومثله
قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ اى الا عليها فمعنى الاية ما كل واحد منهم
الا ليوفينهم قال القشيرى وزيف الزجاج هذا القول بانه لا نفى كقوله وان كل لما
حتى تقدر الا ولا يقال ذهب الناس لما زيد الرابع قال ابو عثمان المازنى الاصل
وان كلا لما بتخفيف لما ثم ثقلت كقولهم لقد خشيت ان ارى جدبا فى عامنا ذا بعد ما
حصبا وقال ابو اسحق الزجاج هذا خطا انما يخفف المثقل ولا يثقل المخفف الخامس
قال ابو عبيده القاسم بن سلام يجوز ان يكون التشديد من قولهم لممت الشى الممه لما
اذا جمعته ثم بنى منه فعلى كما قرا ثم ارسلنا رسلنا تترى بغير تنوين وبتنوين فالالف
على هذا للتانيث وتمال على هذا القول لاصحاب الامالة قال ابو اسحق القول الذى
لا يجوز غيره عندى ان ان تكون مخففة من الثقيلة تكون بمعنى ما مثل ان كل نفس لما
عليها حافظ فكذا ايضا تشدد على اصلها وتكون بمعنى ما ولما بمعنى الا حكى ذلك الخليل
وسيبويه وجميع البصريين وان لما تستعمل بمعنى الا قلت هذا القول الذى ارتضاه
الزجاج حكاه عنه النحاس وغيره وقد تقدم مثله وتضعيف الزجاج له الا ان ذلك
القول مافيه نافيه وهنا مخففة من الثقيلة فافترقا وبقيت قراتان قال ابو حاتم وفى
حرف ابى وان كلا الا ليوفينهم وروى الاعمش وان كلا لما بتخفيف ان ورفع كل وتشديد
لما قال النحاس وهذه القراات مخالفة للسواد وتكون فيها ان بمعنى ما لا غير وتكون
على التفسير لانه لا يجوز ان يقرا بما خالف السواد الا على هذه الجهه انما يعلمون بغير تشديد

قوله تعالى فاستقم كما امرت الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره وقيل
له والمراد امته قاله السدي وقيل استقم اطلب الاقامة على الدين من الله تعالى و
اساله ذلك فيكون السين سين السوال كما تقول استغفر الله اطلب الغفران والاستقامة
والاستمرار في جهة واحدة من غير اخذ في جهة اليمين والشمال اي فاستقم على امتثال
امر الله تعالى وفي صحيح مسلم عن سفين بن عبد الله الثقفي قال قلت يرسول الله
قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم وروى
الدارمي ابو محمد في مسنده عن عثمان بن حاضر الازدي قال دخلت على ابن عباس
فقلت اوصني فقال نعم عليك بتقوى الله والاستقامة اتبع ولا تبتدع ومن تاب معك
اي استقم انت وهم يريد اصحابك الذين تابوا من الشرك ومن بعدك ممن اتبعك من
امته قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية هي اشد ولا
اشق من هذه الاية عليه وكذلك قال لاصحابه حين قالوا له لقد اسرع اليك الشيب
فقال شيبتني هود واخواتها وقد تقدم في اول السورة وروى عن عبد الرحمن
السلمي قال سمعت ابا علي السنوي يقول رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت
يرسول الله روى عنك انك قلت شيبتني هود قال نعم فقلت ما الذي شيبك منها
قصص الانبيا وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت ولا تطغوا نهى
عن الطغيان والطغيان مجاوزة الحد ومنه انا لما طغى الما حملناكم وقيل اي لا
تتجبروا على احد قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فيه ثلاث
مسايل الاولى قوله تعالى ولا تركنوا الركون حقيقته الاستناد والاعتماد والسكون
الى الشي والرضى به قال قتادة معناه لا تودوهم ولا تطيعوهم ابن جريج لا
تميلوا اليهم ابو العالية لا ترضوا اعمالهم وكله متقارب وقال ابن زيد الركون
هنا الادهان وذلك ان لا تنكر عليهم كفرهم الثانية قرا الجمهور تركنوا بفتح الكاف
قال ابو عمرو هي لغة اهل الحجاز وقرا طلحة بن مصرف وقتادة وغيرهما تركنوا
بضم الكاف قال الفرا هي لغة تميم وقيس وجوز قوم ركن يركن مثل منع يمنع الثالثة
قوله تعالى الى الذين ظلموا قيل اهل الشرك وقيل هي عامة فيهم وفي العصاة على نحو
قوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا الاية وقد تقدم وهذا هو الصحيح
في معنى الاية وانها دالة على هجران اهل الكفر والمعاصي من اهل البدع وغيرهم
فان صحبتهم كفر او معصية اذ الصحبة لا تكون الا عن مودة وقد قال حكيم

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن مقتد فان كانت
الصحبة عن ضرورة وتقية فقد مضى القول فيها في آل عمران والمائدة وصحبة الظالم
على التقية مستثناه من النهي بحال الاضطرار والله اعلم قوله تعالى واقم
الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فيه ست مسايل
الاولى قوله تعالى واقم الصلوة طرفي النهار لم يختلف احد من العلما اهل التاويل في ان
الصلوة في هذه الاية يراد بها الصلوات المفروضة وخصها بالذكر لانها ثانية الايمان
واليها يفزع في النوايب وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا احزنه امر فزع
الى الصلوة وقال شيوخ الصوفية ان المراد بهذه الاية استغراق الاوقات بالعباده
فرضا ونفلا قال ابن العربي وهذا ضعيف فان الامر لا يتناول الا واجبا لا نفلا
فان الاوراد معلومة واوقات النوافل المرغب فيها محصورة الثانية قوله تعالى
طرفي النهار قال مجاهد الطرف الاول صلاة الصبح والطرف الثاني صلوة الظهر
والعصر واختاره ابن عطيه وقيل الطرفان الصبح والمغرب قاله ابن عباس
والحسن وعن الحسن ايضا الطرف الثاني العصر وحده وقاله قتاده والضحاك وقيل
الطرفان الظهر والعصر والزلف المغرب والعشا كان هذا القايل راعى جهر
القراه وحكى الماوردي الطرف الاول صلوة الصبح بالاتفاق قلت وهذا
الاتفاق ينقضه القول الذي قبله ورجح الطبري ان الطرف الصبح والمغرب وانه الظاهر
قال ابن عطيه ورد عليه بان المغرب لا يدخل فيه لانه من صلاة الليل قال
ابن العربي والعجب من الطبري الذي يرى ان طرفي النهار الصبح والمغرب وهما طرفا
الليل فقلب القوس ركوه وحاد عن البرجاس علوه قال الطبري والدليل
عليه اجماع الجميع على ان احد الطرفين الصبح فدل على ان الطرف الاخر المغرب
ولم يجمع معه على ذلك احد قلت هذا تحامل من ابن العربي في الرد وانه لم يجمع
معه على ذلك وقد ذكرنا عن مجاهد ان الطرف الاول صلوة الصبح وقد وقع
الاتفاق الا من شذ بان من اكل او جامع بعد طلوع الفجر متعمدا ان يومه ذلك
يوم فطر وعليه القضا والكفارة وما ذاك الا وما بعد طلوع الفجر من النهار فدل
على صحة ما قاله الطبري في الصبح وبقي عليه المغرب والعشا فيه ما تقدم والله اعلم
قوله تعالى وزلفا من الليل اي في زلف من الليل والزلف الساعات القريبة
بعضها من بعض ومنه سميت المزدلفة لانها منزل بعد عرفه بقرب مكه وقرا ابن

الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك الكلمة ان الله عز وجل حكم ان يوخرهم
الى يوم القيمة لما علم في ذلك الصلاح ولولا ذلك لقضي بينهم اجلهم بان يثاب المومن
ويعاقب الكافر وقيل المراد بين المختلفين في كتاب موسى بانهم كانوا بين مصدق
به ومكذب وقيل بين هولا المختلفين قبل يا محمد بتعجيل العقاب ولكن سبق الحكم
بتاخير العقاب عن هذه الامة الى يوم القيمة وانهم لفي شك منه مريب ان حملت على
قوم موسى اي لفي شك من كتاب موسى فهم في شك من القران قوله تعالى وان
كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم اي ان كلا من الامم التي عددناهم يرون جزا اعمالهم وكذلك
قومك يا محمد واختلف القرا في قراة وان كلا بالتخفيف علما انها ان المخففة من الثقيلة
بعملها وقد ذكر هذا الخليل وسيبويه قال سيبويه حدثنا من نثق به انه سمع العرب
تقول ان زيدا لمنطلق وانشد قول الشاعر كان طبيه تعطوا الى وارق السلم
اراد كان طبية فخفف ونصب ما بعدها والبصريون يجوزون تخفيف ان المشددة مع اعمالها
وانكر ذلك الكسائي وقال ما ادري على اي شي قرى وان كلا وزعم الفرا انه نصب
كلا في قراة من خفف بقوله ليوفينهم كلا وانكر ذلك جميع النحويون وقالوا هذا من
كثير الغلط لا يجوز عند احد زيدا لاضربنه وشدد الباقون ان ونصبوا بها كلا على
اصلها وقرا عاصم وحمزة وابن عامر لما بالتشديد وخففها الباقون على معنى وان
كلا ليوفينهم جعلوا ما صلة وقيل دخلت لتفصل بين اللامين اللتين يتلقيان
القسم وكلاهما مفتوح ففصل بينهما بما وقال الزجاج لام لما لام ان وما زايدة
موكدة تقول ان زيدا لمنطلق فان تقتضي ان تدخل على خبرها او اسمها لام كقولك
ان الله لغفور رحيم وقوله ان في ذلك لذكرى وان اللام في ليوفينهم هي التي يتلقى
بها القسم وتدخل على الفعل وتلزمها النون الشديدة والمخففة وما زايدة موكدة وقال
الفرا ما بمعنى من كقوله وان منكم لمن ليبطئن اي ان كلا لمن ليوفينهم واللام في ليوفينهم
للقسم وهذا يرجع معناه الى قول الزجاج غير ان ما عند الزجاج زايدة وعند الفرا
اسم بمعنى من وقيل ليست بزايدة بل هي اسم داخل عليها لام التوكيد وهي خبر ان
وليوفينهم جواب القسم التقدير وان كلا خلق ليوفينهم ربك اعمالهم وقيل ما بمعنى من
قوله فانكحوا ما طاب لكم من النسا اي من وهذا كله هو قول الفرا بعينه واما من
شدد لما وقرا وان كلا لما بالتشديد فيهما وهو حمزة ومن وافقه فقيل انه لحن حكي
عن محمد بن زيد ان هذا لا يجوز ولا يقال ان زيدا الا لاضربنه ولا لما ضربته وقال

الكسائي الله اعلم بهذه القراءة ولا اعلم لها وجها وقال ايضا هو وابو علي الفارسي التشديد
فيهما مشكل قال النحاس وغيره وللنحويين في ذلك اقوال الاول ان اصلها لمن ما
فقلبت النون ميما واجتمعت ثلاث ميمات فحذفت الوسطى فصارت لما وما على هذا
القول بمعنى من تقديره وان كلا لمن الذين كقولهم واني لما اصدر الامر وجهه
اذا هي بالسبيل مصادره وزيف الزجاج هذا القول وقال من اسم على حرفين فلا
يجوز حذفه والثاني ان الاصل في لمن ما حذفت الميم المكسورة لاجتماع الميمات والتقدير
وان كلا لمن خلق ليوفينهم وقيل لما اصدركم وجاءت بغير تنوين حملا للوصل على
على الوقف فهي على هذا كقوله وتأكلون التراث اكلا لما اي جامعا للمال المأكول فالتقدير
على هذا وان كلا ليوفينهم ربك اعمالهم توفية لما اي جامعة لاعمالهم جميعا
فهو كقولك قياما لاقومن وقد قرأ الزهري لما بالتشديد والتنوين على هذا المعنى
الثالث ان لما بمعنى الا حكى اهل اللغة سألتك بالله لما فعلت بمعنى الا فعلت ومثله
قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ اي الا عليها فمعنى الآية ما كل واحد منهم
الا ليوفينهم قال القشيري وزيف الزجاج هذا القول بانه لا نفي كقوله وان كل لما
معنى لقد الا ولا يقال ذهب الناس لما زيد الرابع قال ابو عثمان المازني الاصل
وان كلا لما بتخفيف لما ثم ثقلت كقولهم لقد خشيت ان ارى جدبا في عامنا ذا بعد ما
خصبا وقال ابو اسحق الزجاج هذا خطأ انما يخفف المثقل ولا يثقل المخفف الخامس
قال ابو عبيدة القاسم بن سلام يجوز ان يكون التشديد من قولهم لممت الشيء المه لما
اذا جمعته ثم بني منه فعلى كما قرأ ثم ارسلنا رسلنا تترى بغير تنوين وبتنوين فالالف
على هذا للتأنيث وتمال على هذا القول لاصحاب الامالة قال ابو اسحق القول الذي
لا يجوز غيره عندي ان ان تكون مخففة من الثقيلة وتكون بمعنى ما مثل ان كل نفس لما
عليها حافظ وكذا ايضا شدد على اصلها وتكون بمعنى ما ولما بمعنى الا حكى ذلك الخليل
وسيبويه وجميع البصريين وان لما تستعمل بمعنى الا قلت هذا القول الذي ارتضاه
الزجاج حكاه عنه النحاس وغيره وقد تقدم مثله وتضعيف الزجاج له الا ان ذلك
القول ما فيه نافية وهنا مخففة من الثقيلة فافترقا وبقيت قراءتان قال ابو حاتم وفي
حرف ابي وان كل الا ليوفينهم وروي عن الاعمش وان كل الا بتخفيف ان ورفع كل وتشديد
لما قال النحاس وهذه القراءات مخالفة للسواد وتكون فيها ان بمعنى ما لا غير وتكون
على التفسير لانه لا يجوز ان يقرأ بما خالف السواد الا على هذه الجهة انه بما يعلون خبير تشديد

قوله تعالى فاستقم كما امرت الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره وقيل
له والمراد امته قاله السدي وقيل استقم اطلب الاقامة على الدين من الله تعالى و
اساله ذلك فتكون السين سين السؤال كما تقول استغفر الله اطلب الغفران والاستقا
والاستمرار في جهة واحدة من غير اخذ في جهة اليمين والشمال اي فاستقم على امتثال
امر الله تعالى وفي صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله
قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم وروى
الدارمي ابو محمد في مسنده عن عثمان بن حاضر الازدي قال دخلت على ابن عباس
فقلت اوصني فقال نعم عليك بتقوى الله والاستقامة اتبع ولا تبتدع ومن تاب معك
اي استقم انت وهم يريد اصحابك الذين تابوا من الشرك ومن بعدك ممن اتبعك من
امتك قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي اشد ولا
اشق من هذه الآية عليه ولذلك قال لاصحابه حين قالوا له لقد اسرع اليك الشيب
فقال شيبتني هود واخواتها وقد تقدم في اول السورة وروي عن عبد الرحمن
السلمي قال سمعت ابا علي الشنوي يقول رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت
يا رسول الله روي عنك انك قلت شيبتني هود قال نعم فقلت ما الذي شيبك منها
قصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت ولا تطغوا نهى
عن الطغيان والطغيان مجاوزة الحد ومنه انا لما طغى الماء وقيل اي لا
تتجبروا على احد قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فيه ثلاث
مسائل الاولى قوله تعالى ولا تركنوا الركون حقيقة الاستناد والاعتماد والسكون
الى الشيء والرضى به قال قتادة معناه لا تودوهم ولا تطيعوهم ابن جريج لا
تميلوا اليهم ابو العالية لا ترضوا اعمالهم وكله متقارب وقال ابن زيد الركون
هنا الادهان وذلك ان لا تنكر عليهم كفرهم الثانية قرا الجمهور تركنوا بفتح الكاف
قال ابو عمرو هي لغة اهل الحجاز وقرا طلحة بن مصرف وقتادة وغيرهما تركنوا
بضم الكاف قال الفراء وهي لغة تميم وقيس وجوز قوم ركن يركن مثل منع يمنع الثالثة
قوله تعالى الى الذين ظلموا قيل اهل الشرك وقيل عامة فيهم وفي العصاة على نحو
قوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا الآية وقد تقدم وهذا هو الصحيح
في معنى الآية وانها دالة على هجران اهل الكفر والمعاصي من اهل البدع وغيرهم
فان صحبتهم كفرا ومعصية اذ الصحبة لا تكون الا عن مودة وقد قال حكيم

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي فان كانت
الصحبة عن ضرورة وتقية فقد مضى القول فيها في آل عمران والمائدة وصحبة الظالم
على التقية مستثناة من النهي بحال الاضطرار والله اعلم قوله تعالى وأقم
الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فيه ست مسائل
الاولى قوله تعالى واقم الصلوة طرفي النهار لم يختلف احد من اهل التاويل في ان
الصلوة في هذه الاية يراد بها الصلوات المفروضة وخصها بالذكر لانها ثانية الايمان
واليها يفزع في النوائب وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع
الى الصلوة وقال شيوخ الصوفية ان المراد بهذه الاية استغراق الاوقات بالعبادة
فرضا ونفلا قال ابن العربي وهذا ضعيف فان الامر لم يتناول الا واجبا لا نفلا
فان الاوراد معلومة واوقات النوافل المرغب فيها محصورة الثانية قوله تعالى
طرفي النهار قال مجاهد الطرف الاول صلاة الصبح والطرف الثاني صلوة الظهر
والعصر واختاره ابن عطية وقيل الطرفان الصبح والمغرب قاله ابن عباس
والحسن وعن الحسن ايضا الطرف الثاني العصر وحده وقاله قتادة والضحاك وقيل
الطرفان الظهر والعصر والزلف المغرب والعشا كان هذا القائل راعى جهر
القراءة وحكى الماوردي في الطرف الاول صلوة الصبح الاتفاق قلت وهذا
الاتفاق ينقضه القول الذي قبله ورجح الطبري ان الطرفين الصبح والمغرب وانه الظاهر
قال ابن عطية ورد عليه بان المغرب لا يدخل فيه لانه من صلاة الليل قال
ابن العربي والعجب من الطبري الذي يرى ان طرفي النهار الصبح والمغرب وهما طرفا
الليل فقلب القوس ركوة وحاد عن البرجاس غلوة قال الطبري والدليل
عليه اجماع الجميع على ان احد الطرفين الصبح فدل على ان الطرف الاخر المغرب
ولم يجمع معه على ذلك احد قلت هذا تحامل من ابن العربي في الرد وانه لم يجمع
معه على ذلك وقد ذكرنا عن مجاهد ان الطرف الاول صلوة الصبح وقد وقع
الاتفاق الا من شذ بان من اكل او جامع بعد طلوع الفجر متعمدا ان يومه
يوم فطر وعليه القضا والكفارة وما ذاك الا وما بعد طلوع الفجر من النهار فدل
على صحة ما قاله الطبري في الصبح وبقي عليه المغرب والعشا فيه ما تقدم والله اعلم
الثالثة قوله تعالى وزلفا من الليل اي في زلف من الليل والزلف الساعات القريبة
بعضها من بعض ومنه سميت المزدلفة لانها منزل بعد عرفة بقرب مكة وقرا ابن

ابن القعقاع وابن ابی اسحق وغیرهما وزلفا بضم اللام جمع زلف لانه قد نطق تزليف
ويجوزان يكون واحده زلفه كسره و بسر فی لغه من ضم السين وقرا ابن محيصن
وزلفا من الليل باسكان اللام الواحده زلفه جمع الاجناس التی هی استحاص كدر
وذروبرع وبر وقرا مجاهد وابن محيصن ايضا زلفا مثل فعلى وقربى والباقون
وزلفا بفتح اللام كغرفه وعرف وقال ابن العربی الزلف الساعات واحدها زلفه
وقال قوم الزلفه اوساعه من الليل بعد مغيب الشمس فعلى هذا يكون المراد
بزلف الليل صلوه العتمه قاله ابن عباس وقال الحسن المغرب والعشا وقيل المغرب
والعشا والصبح وقد تقدم وقال الاخفش يعنی صلاة الليل ولم يعين الرابعه
قوله تعالی ان الحسنات يذهبن السيات ذهب جمهور المتاولين من الصحابه والتابعين
الی ان الحسنات هنا هی الصلوات الخمس وقال مجاهد الحسنات قول الرجل سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال ابن عطيه وهذا على جهه المثال فی
الحسنات والذی يظهر ان اللفظ عام فی جميع الحسنات خاص فی السيات لقوله
صلى الله عليه وسلم ما اجتنبت الكباير قلت سبب النزول يعضد قول الجمهور
نزلت فی رجل من الانصار قيل هو ابو اليسر بن عمرو وقيل اسمه عباد خلا بامراه
فقبلها وتلذذ بها بما دون الفرج روى الترمذی عن عبد الله قال جا رجل الی النبی
صلى الله عليه وسلم فقال انی عالجت امراه فی اقصى المدينه وانی اصبت منها ما
دون الفرج ان امسها وانا هذا فاقض فی ما شيت فقال له عمر لو سترك الله لسترت
على نفسك فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا فانطلق الرجل فاتبعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فدعاه فتلا عليه اقم الصلاة طرفی النهار وزلفا
من الليل ان الحسنات يذهبن السيات ذلك ذكرى للذاكرين الی آخر الايه فقال
رجل من القوم هذا له خاصه فقال بل للناس كافه قال الترمذی حديث حسن
غريب صحيح وخرج ايضا عن ابن مسعود ان رجلا اصاب من امراه قبله حرام فاتی النبی
صلى الله عليه وسلم فساله عن ذلك وكفارتها فنزلت اقم الصلوه طرفی النهار و
زلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيات فقال الرجل الی هذه يا رسول الله
فقال لك ولمن عمل بها من امتی قال هذا حديث حسن صحيح وروى عن ابی اليسر قال
اتتنی امراه تبتاع تمرا فقلت ان فی البيت تمرا اطيب من هذا فدخلت معی فی البيت
فاهويت اليها فتقبلتها فاتيت ابا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب

فاتيت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر
فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال اخلفت غازيا في
سبيل الله في اهله بمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن اسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه
من اهل النار قال فاطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اوحى اليه الله اقم
الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيات ذلك ذكرى للذاكرين
قال ابو اليسر فاتيته فقراها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اصحابه يا رسول الله الهذا خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة قال ابو
عيسى هذا حديث حسن غريب وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وقد روى ان النبي
صلى الله عليه وسلم اعرض عنه واقيمت صلوة العصر فلما فرغ منها نزل جبريل عليه السلام
بالاية فدعاه فقال له اشهدت معنا الصلوة قال نعم قال اذهب فانها كفارة لما فعلت
وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تلى عليه هذه الاية قال له قم فصلى اربع ركعات
والله اعلم وخرج الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث ابن عباس عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم ار شيا احسن طلبا ولا اسرع ادراكا
من حسنة حديثة كذنب قديم ان الحسنات يذهبن السيات ذلك ذكرى للذاكرين
الخامسة دلت الاية مع هذه الاحاديث على ان القبلة حرام واللمس الحرام لا يجب به الحد
وقد استدل به على ان لا حد ولا ادب على الرجل والمراة وان وجدا في ثوب واحد
وهو اختيار ابن المنذر لانه ذكر في اختلاف العلما في هذه المسئلة ذكر هذا الحديث مشيرا
الى انه لا يجب عليهما شي وسياتي ما للعلما في هذا في النور ان شا الله تعالى السادسة ذكر الله
سبحانه وتعالى في كتابه الصلوة بركوعها وسجودها وقيامها وقراتها واسمائها فقال
اقم الصلوة لدلوك الشمس الاية وقال اقم الصلوة طرفي النهار الاية وقال فسبحان
الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين
تظهرون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وقال واركعوا واسجدوا
وقال وقوموا لله قانتين وقال واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا على ما تقدم
وقال ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها اي بقراتك وهذا كله مجمل اجمله في كتابه
واحال على نبيه عليه السلام وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم فبين
صلى الله عليه وسلم مواقيت الصلوة وعدد الركعات والسجدات وصفة جميع الصلوات
فرضها وسننها وما لا يصح الا به من الفرايض وما يستحب فيها من السنن والفضايل

وقال فی صحیح البخاری صلوا کما رأیتمونی اصلی ونقل ذلک عن الکافة علی ما هو معلوم
ولم یمت صلی الله علیه وسلم حتی یتبین ما بالناس الحاجة الیه فکمل الدین واوضح السبیل
قال الله تعالی الیوم اکملت لکم دینکم واتممت علیکم نعمتی ورضیت لکم الاسلام دینا
قوله تعالی ذلک ذکری للذاکرین ای القران موعظة وتوبة لمن اتعظ وتذکر
وخص الذاکرین بالذکر لانهم المنتفعون به والذکر مصدر جا بالف التانیث قوله
تعالی واصبر ای علی الصلاة کقوله تعالی وامر اهلک بالصلوة واصطبر علیها وقیل المعنی
واصطبر یا محمد علی ما تلقی من الاذی فان الله لا یضیع اجر المحسنین قال یعنی المصلین
قوله تعالی فلولا کان ای فهلا من القرون کان من القرون من قبلکم ای
من الامم التی قبلکم اولوا بقیة ای اصحاب طاعة ودین وعقل وبصر ینهون عن الفساد
فی الارض قیل اعطاهم الله من العقل واراهم من الآیات وهذا توبیخ للکفار وقیل لولا
هنا للنفی ای ما کان من قبلکم کقوله تعالی فلولا کانت قریة امنت ای ما کانت
الا قلیلا استثنا منقطع ای لکن قلیلا ممن انجینا منهم نهوا عن الفساد فی الارض
قیل هم قوم یونس لقوله الا قوم یونس وقیل هم اتباع الانبیا واهل الحق واتبع
الذین ظلموا ای اشرکوا وعصوا ما اترفوا فیه ای من الاشتغال بالمال واللذات
وایثار ذلک علی الاخرة وکانوا مجرمین قوله تعالی وما کان ربک
لیهلک القری بظلم ای اهلک القری بشرک واهلها مصلحون ای فیما بینهم فی تعاطی
الحقوق ای لم یکن لیهلکهم بالکفر وحده حتی ینضاف الیه الفساد کقوم شعیب
ببخس المکیال وقوم لوط باللواط دل هذا علی ان المعاصی اقرب الی عذاب الاستیصال
فی الدنیا من الشرک وان عذاب الشرک فی الاخرة اصعب وفی صحیح الترمذی من
حدیث ابی بکر الصدیق رضی الله عنه قال سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول
ان الناس اذا راوا الظالم فلم یأخذوا علی یدیه اوشک ان یعمهم بعذاب من عنده
وقد تقدم وقیل المعنی وما کان ربک لیهلک القری بظلم واهلها مصلحون بانه یکون
ذلک ظلما لهم ونقصا من حقهم ای ما اهلک قوما الا بعد اعذار وانذار وقال الزجاج
یجوز ان یکون المعنی وما کان ربک لیهلک احدا وهو یظلمه وان کان علی نهایة الصلاح
لان تصرفه فی ملکه دلیل قوله تعالی ان الله لا یظلم مثقال ذرة ان الله لا یظلم الناس
شیأ وقیل المعنی وما کان الله لیهلکهم بذنوبهم وهم مصلحون ای مخلصون فی الایمان
فیما فالظلم المعاصی علی هذا قوله تعالی ولو شا ربک لجعل الناس امة

واحد قال سعيد بن جبير على ملة الاسلام وحدها وقال الضحاك اهل دين واحد اهل
ضلالة او اهل هدى ولا يزالون مختلفين اى على اديان شتى قال مجاهد وقتادة الا من
رحم ربك استثناء منقطع اى لكن من رحم ربك بالايمان والهدى فانه لم يختلف وقيل
مختلفين فى الرزق فهذا غنى وهذا فقير الا من رحم ربك بالقناعة قال الحسن ولذلك
خلقهم قال الحسن ومقاتل وعطا ويمان الاشارة للاختلاف اى وللاختلاف خلقهم
وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وللرحمة خلقهم وانما قال ولذلك خلقهم
ولم تقل ولتلك والرحمة مونثة لانه مصدر وايضا فان تانيث الرحمة غير حقيقى فحملت
على معنى الفضل وقيل الاشارة بذلك للاختلاف والرحمة وقد يشار بذلك الى شيئين
متضادين لقوله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ولم تقل بين تينك وقال والذين
اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال ولا تجهر بصلاتك
ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وكذلك قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
وهذا احسن الاقوال ان شا الله تعالى لانه يعم ولم يذكر خلقهم والى هذا اشار مالك
رحمه الله فيما روى عنه اشهب قال اشهب سالت مالكا عن هذه الايه قال خلقهم ليكون
فريق فى الجنة وفريق فى السعير اى خلق اهل الاختلاف للاختلاف واهل الرحمة وروى
عن ابن عباس ايضا قال خلقهم فريقين فريقا يرحمه وفريقا لا يرحمه قال المهدوى
وفى الكلام على هذا التقدير تقديم وتاخير للمعنى ولا يزالون مختلفين الا من رحم
ربك وتمت كلمة ربك لاملئن جهنم من الجنة والناس اجمعين ولذلك خلقهم وقال هو
متعلق لقوله ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود والمعنى ولشهود ذلك
اليوم خلقهم وقيل هو متعلق بقوله فمنهم شقى وسعيد اى للسعادة والشقا خلقهم
قوله تعالى وتمت كلمة ربك معنى تمت ثبت ذلك كما اخبر وقدر فى ازله
وتمام الكلمة امتناعها عن قبول التغيير والتبديل لاملئن جهنم من الجنة والناس
اجمعين من لبيان الجنس اى من جنس الجنة وجنس الناس اجمعين تاكيد وكما اخبر انه
يملا ناره كذلك اخبر على لسان نبيه عليه السلام انه يملا جنته بقوله ولكل واحدة منكما
ملؤها خرجه البخارى من حديث ابى هريرة وقد تقدم قوله تعالى وكلا نقص
كلا نصب بنقص معناه وكل الذى نحتاج اليه من انبا الرسل نقص عليك وقال
الاخفش كلا مقدمة كقوله كلا ضربت القوم عليك من انباء الرسل اى من اخبارهم
وسيرهم على اذى قومهم ما نثبت به فوادك اى على ادا الرسالة والصبر على

جزء من خمسين جزءًا من النبوة ومن حديث انس من ستة وعشرين وعن عبادة بن
الصامت من اربعة واربعين من النبوة والصحيح منها حديث الستة واربعين ويتلوه
في الصحة حديث السبعين ولم يخرج مسلم في صحيحه غير هذين الحديثين واما سايرها
فمن حديث الشيوخ قال ابن بطال وقال ابن عبد الله المازري والاكثر والاصح عند
اهل الحديث من ستة واربعين قال الطبري والصواب ان يقال ان عامة هذه
الاحاديث او اكثرها صحاح ولكل حديث منها مخرج فاما قوله انها جزء من سبعين
جزءًا من النبوة فان ذلك قول عام في كل رويا صالحة صادقة ولكل مسلم راها
في منامه على اي احواله كان واما قوله انها من اربعين او من ستة واربعين فانه
يريد بذلك من كان صاحبها بالحال التي ذكر عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه
كان بها فمن كان من اهل اسباغ الوضوء في المبشرات والصبر في الله على المكروهات
وانتظار الصلوة بعد الصلوة فرؤياه صالحة ان شاء الله تعالى جزء من اربعين جزءًا
من النبوة ومن كانت حاله في ذاته بين ذلك فرؤياه الصادقة بين الجزءين
ما بعد الاربعين الى الستين لا تنقص عن السبعين وتزيد على الاربعين والى هذا
المعنى اشار ابو عمر ابن عبد البر فقال اختلاف الاثار في هذا الباب في عدد اجزاء
الرويا ليس ذلك عندي اختلاف تضاد وتدافع والله اعلم لانه يحتمل ان تكون الرويا
الصالحة من بعض من يراها على حسب ما تكون من صدق الحديث واداء الامانة
والدين المتين وحسن اليقين فعلى قدر اختلاف الناس في ما وصفنا تكون الرويا
منهم على الاجزاء المختلفة العدد فمن حصلت له نيته في عبادته ويقينه وصدق حديثه
كانت روياه اصدق والى النبوة اقرب كما ان الانبيا يتفاضلون قال الله تعالى ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض قلت فهذا التاويل يجمع شتات الاحاديث و
هو اولى من تفسير بعضها دون بعض وطرحه وذكر ابو سعيد الاسفاقسي عن
بعض اهل الحديث قال معنى قوله جزء من ستة واربعين جزءًا من النبوة فان الله
تعالى اوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة ثلاثا وعشرين عاما فيما رواه عكرمة
وعمرو بن دينار عن ابن عباس فاذا نسبنا ستة اشهر من ثلاثة وعشرين عاما
وجدنا ذلك جزءا من ستة واربعين جزءًا والى هذا القول اشار المازري في كتابه
المعلم واختاره الغزنوي في تفسيره من سورة يونس من عند قوله تعالى لهم البشرى
وهو فاسد من وجهين احدهما ما رواه ابو سلمة عن ابن عباس وعايشة فان

مدة الوحى كانت عشرين سنة وان النبى صلى الله عليه وسلم بعث على راس اربعين
فاقام بمكة عشر سنين وهو قول عروة والشعبى وابن شهاب والحسن وعطا الخراسانى
وسعيد بن المسيب على اختلاف عنه وهى رواية ربيعة وابى غالب عن انس واذا ثبت
هذا الخلاف بطل ذلك التاويل وقيل الثانى ان سائر الاحاديث فى الاجزاء المختلفة
تبقى بغير معنى الثالثة انما كانت الرويا جزءا من النبوة لان فيها ما يعجز ويمتنع كالطيران
وقلب الاعيان والاطلاع على شى من علم الغيب كما قال عليه السلام انه لم يبق من
من مبشرات النبوة الا الرويا الصادقة فى النوم الحديث وعلى الجملة فان الرويا
الصادقة من الله وانها من النبوة قال صلى الله عليه وسلم الرويا من الله والحلم من
الشيطان وان التصديق بها حق وبها التاويل الحسن وربما اعنى بعضها عن التاويل
وفيها من بديع الله ولطفه ما يزيد المومن فى ايمانه ولا اختلاف فى هذا بين اهل
الدين والحق المراو الاثر ولا ينكر الرويا الا اهل الالحاد وشرذمة من المعتزلة
الرابعة ان قيل اذا كانت الرويا الصادقة من النبوة فكيف يكون الكافر والكاذب
والمخلط هلا لها وقد وقعت من بعض الكفار وغيرهم ممن لا يرضى دينه منامات
صحيحة صادقة كمنامات رويا الملك الذى راى سبع بقرات ومنام الفتيين فى السجن
ورويا بخت الذى فسرها دانيال فى ذهاب ملكه ورويا كسرى فى ظهور النبى صلى
الله عليه وسلم ومنام عاتكة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امره وهى كافرة وقد
ترجم البخارى فى باب رويا اهل السجن فالجواب ان الكافر والفاسق والكاذب
وان صدقت روياهم فى بعض الاوقات لا تكون من الوحى ولا من النبوة اذ ليس
كل من صدق فى حديث عن غيب يكون خبره ذلك نبوة وقد تقدم فى الانعام ان
الكاهن وغيره قد يخبر بكلمة الحق لكن ذلك على الندور والقلة فكذلك روياهولاء قال
المهلب انما ترجم البخارى رضى الله عنه بهذا الجواب ان تكون رويا اهل الشرك
رويا صادقة كما كانت رويا النبيين صادقة الا انه لا يجوز ان تضاف الى النبوة
اضافة رويا المومن اذ ليس كل ما يصح له تاويل من الرويا حقيقة يكون جزءا من
النبوة الخامسة الرويا المضافة الى الله تعالى هى التى حصلت من الاضغاث والاوهام
وكان تاويلها موافقا لما فى اللوح المحفوظ والتى هى من خبر الاضغاث هى الحلم
وهى المضافة الى الشيطان وانما سميت ضغثا لان فيها اشياء متضادة قال معناه
المهلب وقد قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرويا اقساما تغنى عن كل قايل

روى عوف بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرويا ثلاثة منها اهاويل
الشيطان ليحزن ابن آدم ومنها ما يهتم به من تقظه فيراه في منامه ومنها جزء من
ستة واربعين جزءا من النبوة قال قلت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نعم سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم السادسة قوله تعالى قال يا بني لا تقصص
رؤياك على اخوتك الآية الرويا مصدر راى في المنام روى على وزن فعلى كالسقيا
والبشرى والعه للتانيث ولذلك لم ينصرف وقد اختلف العلما في حقيقة الرويا فقال
هي ادراك في اجزا لم يحلها آفة كالنوم المستغرق وغيره ولهذا اكثر ما تكون الرويا
في اخر الليل لقلة غلبة النوم فيخلق الله للرائي علما ناشئا ويخلق له الذي يراه على
ما يراه ليصح الادراك قال ابن العربي ولا ترى في المنام الا ما يصح ادراكه ولذلك لا ترى
في المنام شخصا قائما قاعدا بحال وانما ترى الجائزات المتعادات وقيل ان لله ملكا
يعرض له المرئيات على المحل المدرك على النائم فيمثل له صورا محسوسة فتارة تكون
الصور امثلة موافقة لما يقع في الوجود وتارة لمعان معقولة غير محسوسة وفي الحالتين
تكون مبشرة ومنذرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم وغيره رايت
سوداء ثائرة الراس تخرج من المدينة على سبعة فاولتها الحمى ورايت سيفي قد انقطع
وبقرا تنحر فاولتها رجل من اهل بيتي يقتل والبقر نفر من اصحابي يقتلون ورايت
ان قد ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة ورايت في يدي سوارين
فاولتهما كذابين يخرجان بعدي الى غير ذلك مما ضرب له الامثال ومنها ما يظهر
معناه اولا فاولا ومنها ما لا يظهر الا بعد الفكر وقد راى النائم في زمن يوسف
عليه السلام بقرا فاولها يوسف السنين وراى احد عشر كوكبا والشمس والقمر فاولها
باخوته وابويه الرابعة ان قيل ان يوسف عليه السلام كان صغيرا وقت روياه
والصغير لا حكم لفعله فكيف يكون له رويا لها حكم حتى يقول ابوه لا تقصص روياك
على اخوتك والجواب ان الرويا ادراك حقيقة على ما قدمناه فيكون من الصغير
كما يكون منه الادراك الحقيقي في اليقظة واذا اخبر عما راى فلا اعتراض روى ان
يوسف عليه السلام كان ابن اثنى عشر سنة الثامنة هذه الآية اصل في ان لا تقص
الرويا على غير شفيق ولا ناصح ولا على من لا يحسن التاويل روى ابو رزين
العقيلي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الرويا جزء من اربعين جزءا من النبوة
والرويا معلقة برجل طائر ما لم يحدث بها صاحبها فاذا حدث بها وقعت فلا تحدثوا

بها الا عاقلا او محبا او ناصحا خرجه الترمذى وقال فيه حديث حسن صحيح وابو رزين
اسمه لقيط بن عامر وقيل لمالك ايعبر الرويا كل احد فقال ابا النبوة يلعب وقال مالك
لا يعبر الرويا الا من يحسنها وان راى خيرا اخبر به وان راى مكروها فليقل خيرا او
ليصمت قيل فهل يعبرها على الخير وهى عنده على المكروه لقول من قال انها على ما اولت
عليه ثم قال الرويا جزء من النبوة فلا تتلاعب بالنبوة التاسعه وفى هذه الايه دليل على
ان مباحا ان يحذر المسلم اخاه المسلم ممن يخافه عليه ولا يكون داخلا فى معنى الغيبه
لان يعقوب قد حذر يوسف ان لا يقص روياه على اخوته فيكيدوا له كيدا وفيها
ايضا ما يدل على جواز ترك اظهار النعمه عند من تخشى غائلته حسدا وكيدا وقال
النبى صلى الله عليه وسلم استعينوا على حوايجكم بالكتمان فان كل ذى نعمه محسود عليها
وفيها ايضا دليل واضح على معرفه يعقوب عليه السلام بتاويل الرويا فانه علم من
تاويلها انه سيظهر عليهم ولم يبال بذلك من نفسه فان الرجل يود ان يكون ولده
خيرا منه ومن الناس والاخ لا يود ذلك لاخيه ويدل ايضا على ان يعقوب كان
احس من بنيه حسد يوسف وبغضهم فنهاه عن قص الرويا عليهم خوف ان تغل صدورهم
فيعملوا الحيله فى هلاكه ومن هنا من فعلهم بيوسف عليه السلام يدل على انهم كانوا غير
انبيا فى ذلك الوقت ووقع فى كتاب الطبرى عن ابن زيد انهم كانوا انبيا وهذا يرده
القطع بعصمه الانبيا عن الحسد الدنياوى وعن عقوق الابا وتعريض مومن للهلاك
والتوافر فى قتله ولا التفات لقول من قال انهم كانوا انبيا ولا يستحيل فى العقل زلة
نبى الا ان هذه الزلة قد اجتمعت انواعا من الكباير وقد اجمع المسلمون على عصمتهم منها
وانما اختلفوا فى الصغاير على ما تقدم ويا تى العاشره روى البخارى عن ابى هريره
رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لم يبق من النبوة الا
المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرويا الصالحه وهذا الحديث بظاهره يدل على ان
الرويا بشرى على الاطلاق وليس كذلك فان الرويا الصادقه تكون منذره من قبل الله
تعالى ولا تسوء رائيها وانما يريها الله تعالى المومن رفقا به ورحمة ليستعد لنزول البلا
قبل وقوعه فان ادرك تاويلها بنفسه والا سال عنها من له اهليه لذلك وقد راى الشافعى
وهو بمصر لاحمد بن حنبل رضى الله عنهما رويا فدل على محنته فكتب اليه بذلك ليستعد
لذلك وقد تقدم فى سوره يونس تفسير قوله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا انها الرويا
الصالحه وهذا وحديث البخارى مخرجه على الاغلب والله اعلم الحادى عشر روى البخارى

عن ابی سلمه قال لقد کنا نری الرویا فتمرضنی حتی سمعت اباقتاده یقول وانا کنت لاری
الرویا فتمرضنی حتی سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول الرویا الحسنه من الله
تعالی فاذا رای احدکم ما یحب فلا یحدث به الا من یحب واذا رای ما یکره فلیتعوذ
بالله من الشیطان ومن شرها ولیتفل ثلاثا ولا یحدث بها احدا فانها لن تضره قال
علماؤنا یجعل الله الاستعاذه منها فیها یرفع اذاها الا تری قول قتاده ان کنت لاری
الرویا وهی اثقل علی من الجبل فلما سمعت بهذا الحدیث کنت لا اعدها شیا وزاد مسلم
من حدیث جابر عن رسول الله صلی الله علیه وسلم قال اذا رای احدکم الرویا یکرهها
فلیبصق عن یساره ثلاثا ولیتعوذ بالله من الشیطان ثلاثا ولیتحول عن جنبه
الذی کان علیه وفی حدیث ابی هریره عن النبی صلی الله علیه وسلم فاذا رای احدکم
ما یکره فلیتفل ولیصلی علی النبی صلی الله علیه وسلم قال علماؤنا وهذا کله لیس بمعارض
وانما هذا الامر بالتحول والصلوه زیاده فعلی الرای ان یفعل الجمیع والقیام الی
الصلوه یشمل الجمیع لانه اذا اصلی تضمن فعله الصلوه جمیع الامور لانه اذا قام الی
الصلوه تحول عن جنبه واف امام تمضمض وبصق واذا قام الی الصلوه تعوذ ودعا
ویفزع الی الله تعالی فی ان یکفیه شرها فی حال هی اقرب الاحوال الی الاجابه وذلک
فی السحر من اللیل قوله تعالی وکذلک یجتبیک ربک الکاف فی موضع نصب
لانها نعت لمصدر محذوف وکذلک الکاف فی قوله کما اتمها علی ابویک وما کافه وقیل
کذلک ای کما ان اکرمک بالرویا وکذلک یجتبیک ویحسن الیک فتحقیق الرویا مقابل
بالسجود لک الحسن بالنبوه والاجتبا اختیار معالی الامور للمجتبین واصله من جبیت
الشی اذا حصلته ومنه جبیت الما فی الحوض قاله النحاس وهذا ثنا من الله تعالی علی
یوسف علیه السلام وتعدید فیما عدده علیه من النعم التی اتاه الله التمکین فی الارض
وتعلیم تاویل الاحادیث فاجمعوا ان ذلک فی تاویل الرویا قال عبد الله بن شداد بن
الهاد کان تفسیر رویا یوسف علیه السلام بعد اربعین سنه وذلک منتهی الرویا وعنی
بالاحادیث ما یراه الناس فی المنام وهو معجزه له فانه لا یلحقه خطا وکان یوسف علیه
السلام اعلم الناس بتاویلها وکان نبینا صلی الله علیه وسلم نحو ذلک وکان الصدیق
اعبر الناس لها وحصل لابن سیرین فیها التقدم العظیم والطبع والاحسان ونحوها وقرب
منه کان سعید بن المسیب فیما ذکروا وقد قیل فی تاویل قوله ویعلمک من تاویل الاحادیث
ای احادیث الامم والکتب ودلایل التوحید فهو اشاره الی النبوه فهو المقصود بقوله

ويتم نعمته عليك اى بالنبوة وقيل باخراج اخوتك اليك وقيل بانجائك من كل مكروه
كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم بالخلة والنجاة من النار واسحق بالنبوة وقيل
من الذبح قاله عكرمة واعلمه الله تعالى بقوله وعلى ال يعقوب انه سيعطى بنى يعقوب
كلهم النبوة قاله جماعة من المفسرين انه عليهم بما يعطيك حكيم بما فعله بك قوله
تعالى لقد كان فى يوسف واخوته ايات للسائلين يعنى من سال عن حديثهم وقرا
اهل مكة اية على التوحيد واختار ابو عبيد ايات على الجمع قال لانها خير كثير قال
النحاس وآية هاهنا قراءة حسنة اى لقد كان للذين سالوا عن خبر يوسف اية فيما
خبروا به لانهم سالوا النبى صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فقالوا اخبرنا عن رجل من
الانبيا كان بالشام خرج ابنه الى مصر فبكى عليه حتى عمى ولم يكن بمكة احد من اهل الكتاب
ولا من يعرف خبر الانبيا وانما وجه اليهود اليهم من اهل المدينة سالوا عن هذا فانزل
الله تعالى سورة يوسف عليه السلام جملة واحدة وكل ما فى التوراة من خبر وزيادة
فكان ذلك اية للنبى صلى الله عليه وسلم بمنزلة احيا عيسى بن مريم عليه السلام
الميت اية موعظة وقيل عبرة وروى انها فى بعض المصاحف عبرة وقيل بصيرة
وقيل عجيب بقول فلان اية فى العلم والحسن اى عجب قال الثعلبى فى تفسيره لما بلغت
الرويا اخوة يوسف حسدوه وقال ابن زيد كانوا انبيا وقالوا ما نرضى ان يسجد له
اخوته حتى يسجد له ابوه فنعوه بالعداوة وقد تقدم رد هذا القول قال الله تعالى لقد
كان فى يوسف واخوته ايات واسماهم روبيل وقيل هو اكبرهم وشمعون و
لاوى ويهودا وريالون ويسخر وامهم بنت ليان وهى بنت خال يعقوب فولدت
له من سرتين اربعة نفردان ونفتال وجاد واسر ثم توفيت ليان فتزوج
يعقوب اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فكان بنو يعقوب اثنا عشر
رجلا قال السهيلى وام يعقوب اسمها رفقا وراحيل ماتت من نفاس بيامين
وليان بن ناهد بن ازر هو خال يعقوب وقيل فى اسم الامتين ليا وتليا كانت
احداهما لراحيل والاخرى لاختها ليا وكانتا قد وهبتها ليعقوب وكان يعقوب
قد جمع بينهما ولم يحل لاحد بعده لقوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد
سلف وقد تقدم الرد على ما قاله ابن زيد والحمد لله قوله تعالى اذ قالوا
ليوسف رفع بالابتدا واللام للتاكيد وهى التى يتلقى بها القسم اى والله ليوسف و
اخوه عطف عليه احب الى ابينا منا خبره ولا يثنى ولا يجمع لانه بمعنى الفعل وانما قالوا

هذا الاخبر المنام بلغهم فيوامر واى كيف ونحن عصبة اى جماعه وكانوا عشره والعصبه
مابين الواحد الى العشره وقيل الى الخمسة عشر وقيل مابين الاربعين الا العشره و
لا واحد لها من لفظه كالنفر والرهط ان ابانا لفى ضلال مبين لم يريدوا اضلال الدين
اذ لو ارادوه لكانوا كفارا بل اراد والفى ذهاب عن وجه التدبير فى ايثار ابنين
على عشره مع استوايهم فى الانتساب اليه وقيل لفى خطا بين بايثاره يوسف واخاه
علينا قوله تعالى اقتلوا يوسف فى الكلام حذف اى قال قايل منهم اقتلوا
ليكون احسم لمادة الامر او اطرحوه ارضا اى فى ارض فاسقط الخافض وانتصب
الارض وانشد سيبويه فما حذف منه فى لدن نهز الكف يعسل متنه فيه كما
عسل الطريق الثعلب وقال النحاس الا انه فى الا يحسن كثيرا لانه يتعدى الى مفعولين
احدهما بحرف الجر فاذا حذف الحرف تعدى الفعل اليه والقايل هو شمعون قاله وهب
بن منبه وقال كعب دان وقال مقاتل روبيل والله اعلم والمعنى ارضا بعيد
عن ابيه فلا بد من هذا الاضمار لانه كان عند ابيه فى ارض فكل جرم لانه جواب
الامر ومعناه يخلص ويصفوا لكم وجه ابيكم فيقبل عليكم بكليته وتكونوا من بعده
اى من بعد الذنب وقيل من بعد يوسف قوما صالحين اى تايبين اى تحدثوا توبه
بعد ذلك يقبلها الله منكم وفى هذا دليل على ان توبه القاتل مقبوله لان الله
تعالى لم ينكر هذا القول منهم وقيل صالحين اى يصلح شانكم عند ابيكم من غير لمرع
ولا تفضيل قوله تعالى قال قايل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه فى غيابه
الجب يلتقطه بعض السيارة فيه ثلاث عشره مسئله الاولى قوله تعالى قال قايل منهم
القايل يهودا وهو اكبر ولد يعقوب قاله ابن عباس وقيل روبيل وهو ابن خالته
وهو الذى قال فلن ابرح الارض حتى ياذن لى ابى وقيل شمعون والقوه فى غيابات
الجب الجب قراه اهل مكه واهل البصره واهل الكوفه فى غيابه الجب وقراه اهل المدينه
فى غيابات الجب واختار ابو عبيده التوحيد لانه على موضع واحد والقوه فيه وانكر
الجمع لهذا قال النحاس وهذا تضيق فى اللغه وغيابات على الجمع يجوز حكى سيبويه
سير عشيات واصيلانات يريد عشيه واصيلا فجعل كل واحد منهما عشيه واصيلا
فكذا جعل كل موضع مما تغيب عنيا وغيابه وغيابات كما قال الشاعر
الا فالبثا شهرين او نصف ثالث الى ذاكما قد غيبتني غيابيا قال المهدوى والغيابه
شبه لحف او طاق فى البير فوق الما تغيب الشى عن العيون وقال ابن عزيز كل شى غيب

عنك شافهو غيابه قلت ومنه قيل للعقر غيابه قال الشاعر ؛
فان انا يومًا غيبتني غيابتي فسيروا اوا سيري في العشيرة والاهل والجب
الركية التي لا تطوطوىت فهو بئر قال الاعشى لان كنت في جب ثمانين قامة ورقيت
اسباب السما بسلم وسميت جبا لانها كانت قطعت في الارض قطعا وجمع الجب جب
وجباب واجباب وجمع بين الغيابة والجب لانه اراد القوه في موضع مظلم من الجب حتى
لا يلحقه نظر الناظرين قيل هو بيت المقدس وقيل هو بالاردن قاله وهب بن منبه
مقاتل وهو على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب الثالثه قوله تعالى يلتقطه بعض السياره
جزم على جواب الامر وقرا مجاهد وابو رجا والحسين وقتادة تلتقطه بالتا وهو
محمول على المعنى لان بعض السياره سياره وحكى سيبويه وسقطت بعض اصابعه
وانشد وبشرق بالقول الذي قد اذعته كما شرقت صدر القناه من الدم
غيره ارى مر السنين اخذن مني كما اخذ السرار من الهلال ولم يقل
يسرق ولا احد والسيارة الجمع الذي يسيرون في الطريق للسفر وانما قال هذا
القايل حتى لا يحتاجون الى حمله الى موضع بعيد ويحصل المقصود فان من التقطه
من السياره يحمل الى موضع بعيد وكان هذا وجها في التدبير حتى لا يحتاجوا الى
الى الحركة بانفسهم فربما لا يأذن لهم ابوهم وربما يقطع على قصدهم الثالثه وفي
هذا ما يدل على ان اخوه يوسف ما كانوا انبيا اولا ولا اخرًا لان الانبيا لا يريدون
في قتل مسلم بل كانوا اسلمين فارتكبوا معصيه ثم تابوا وقيل كانوا انبيا ولا
يستحيل في العقل زله نبي فكانت هذه زله منهم وهذه يرده بان الانبيا معصومون
من الكباير على ما قدمناه وقيل ما كانوا في ذلك الوقت انبيا ثم ساهم الله و
هذا اشبه والله اعلم الرابعه قال ابن وهب قال ملك طرح يوسف في الجب
وهو غلام وكذلك روى ابن القسم يعني انه كان صغيرًا والدليل عليه قوله تعالى
لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ولا يلتقط الا
الصغير وقوله اني اخاف ان ياكله الذيب وكل ذلك يختص بالصغا وقولهم ارسله
معنا غدا نرتع ونلعب وانا له لحافظون الخامسه الالتقاط تناول الشي
من الطريق ومنه اللقيط واللقطة ونحن نذكر من احكامها ما دلت عليه الايه
والسنه وما قال في ذلك اهل العلم واللغه قال ابن عرفه الالتقاط وجود
الشي على غير طلب ومنه قوله تعالى يلتقطه بعض السيارة اي يجده من غير ان

عن أبي سلمة قال لقد كنا نرى الرؤيا فتمرضنا حتى سمعت أبا قتادة يقول وأنا كنت لأرى
الرؤيا فتمرضني حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الحسنة من الله
تعالى فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب وإذا رأى ما يكره فليتعوذ
بالله من الشيطان ومن شرها وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها أحدا فإنها لن تضره قال
علماؤنا فجعل الله الاستعاذة منها مما يرفع أذاها ألا ترى قول أبي قتادة إن كنت لأرى
الرؤيا هي أثقل علي من الجبل فلما سمعت بهذا الحديث كنت لا أعدها شيئا وزاد مسلم
من حديث جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها
فليبصق عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه
الذي كان عليه وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فإذا رأى أحدكم
ما يكره فليتفل وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم قال علماؤنا وهذا كله ليس بمعارض
وإنما هذا الأمر بالتحول والصلاة زيادة فعلى الرائي أن يفعل الجميع والقيام إلى
الصلاة يشمل الجميع لأنه إذا صلى تضمن فعل الصلاة جميع الأمور لأنه إذا قام إلى
الصلاة تحول عن جنبه وإذا قام تمضمض وبصق وإذا قام إلى الصلاة تعوذ ودعا
ويفزع إلى الله تعالى في أن يكفيه شرها في حال هي أقرب الأحوال إلى الإجابة وذلك
في السحر من الليل قوله ـــــ تعالى وكذلك يجتبيك ربك الكاف في موضع نصب
لأنها نعت لمصدر محذوف وكذلك الكاف في قوله كما أتمها على أبويك وما كافة وقيل
كذلك أي كما أكرمك بالرؤيا وكذلك يجتبيك ويحسن إليك بتحقيق الرؤيا مقابل
بالسجود لك الحسن بالنبوة والاجتباء اختيار معالي الأمور للمجتبى وأصله من جبيت
الشيء إذا حصلته ومنه جبيت الماء في الحوض قاله النحاس وهذا ثناء من الله تعالى على
يوسف عليه السلام وتعديد فيما عدده عليه من النعم التي آتاه الله من التمكين في الأرض
وتعليم تأويل الأحاديث فأجمعوا أن ذلك في تأويل الرؤيا قال عبد الله بن شداد بن
الهاد كان تفسير رؤيا يوسف عليه السلام بعد أربعين سنة وذلك منتهى الرؤيا وعنى
بالأحاديث ما يراه الناس في المنام وهو معجزة له فإنه لم يلحقه فيها خطأ وكان يوسف عليه
السلام أعلم الناس بتأويلها وكان نبينا صلى الله عليه وسلم نحو ذلك وكان الصديق
أعبر الناس لها وحصل لابن سيرين فيها التقدم العظيم والطبع والإحسان ونحوها وقريب
منه كان سعيد بن المسيب فيما ذكروا وقد قيل في تأويل قوله ويعلمك من تأويل الأحاديث
أي أحاديث الأمم والكتب ودلائل التوحيد فهو إشارة إلى النبوة فهو المقصود بقوله

ويتم نعمته عليك اي بالنبوة وقيل باخراج اخوتك اليك وقيل بانجائك من كل مكروه
كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم بالخلة والنجاة من النار واسحق بالنبوة وقيل
من الذبح قاله عكرمة واعلمه الله تعالى بقوله وعلى ال يعقوب انه سيعطي بني يعقوب
كلهم النبوة قاله جماعة من المفسرين ان ربك عليم بما يعطيك حكيم بما فعله بك قوله
تعالى لقد كان في يوسف واخوته ايات للسائلين يعني من سال عن حديثهم وقرا
اهل مكة اية على التوحيد واختار ابو عبيد ايات على الجمع قال لانها عبر كثيرة قال
النحاس واية هاهنا قراءة حسنة اي لقد كان للذين سالوا عن خبر يوسف اية فيما
خبروا به لانهم سالوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فقالوا اخبرنا عن رجل من
الانبياء كان بالشام اخرج ابنه الى مصر فبكى عليه حتى عمي ولم يكن بمكة احد من اهل الكتاب
ولا من يعرف خبر الانبياء وانما وجه اليهود اليهم من اهل المدينة يسالونه عن هذا فانزل
الله تعالى سورة يوسف عليه السلام جملة واحدة وفيها كل ما في التوراة من خبر وزيادة
فكان ذلك اية للنبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة احياء عيسى بن مريم عليه السلام
الميت اية موعظة وقيل عبرة وروي انها في بعض المصاحف عبرة وقيل بصيرة
وقيل عجب تقول فلان اية في العلم والحسن اي عجب قال الثعلبي في تفسيره لما بلغت
الرويا اخوة يوسف حسدوه وقال ابن زيد كانوا انبياء وقالوا ما نرضى ان تسجد له
اخوته حتى سجد له ابوه فنسبوه بالعداوة وقد تقدم رد هذا القول قال الله تعالى لقد
كان في يوسف واخوته ايات واسماؤهم روبيل وقيل هو اكبرهم وشمعون و
لاوي ويهوذا وربالون ويشجر وامهم بنت ليان وهي بنت خال يعقوب وولد
له من سريتين اربعة نفر دان ونفتالي وجاد واشر ثم توفيت ليان فتزوج
يعقوب اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فكان بنو يعقوب اثنا عشر
رجلا قال السهيلي وام يعقوب اسمها رفقا وراحيل ماتت من نفاس بنيامين
ولبان بن ناهر بن ازر هو خال يعقوب وقيل في اسم الامتين ليا وبليا كانت
احداهما لراحيل والاخرى لاختها ليا وكانتا قد وهبتاهما ليعقوب وكان يعقوب
قد جمع بينهما ولم يحل لاحد بعده لقوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد
سلف وقد تقدم الرد على ما قاله ابن زيد والحمد لله قوله تعالى اذ قالوا
ليوسف رفع بالابتداء واللام للتاكيد وهي التي يتلقى بها القسم اي والله ليوسف و
اخوه عطف عليه احب الى ابينا منا خبره ولا يثنى ولا يجمع لانه بمعنى الفعل وانما قالوا

هذا الاخير المنام بلغهم فتوامروا في كيده وقالوا ونحن عصبة اي جماعة وكانوا عشرة والعصبة
ما بين الواحد الى العشرة وقيل الى الخمسة عشر وقيل ما بين الاربعين الى العشرة و
لا واحد لها من لفظها كالنفر والرهط ان ابانا لفي ضلال مبين لم يريدوا ضلال الدين
اذ لو ارادوه لكانوا كفارا بل ارادوا لفي ذهاب عن وجه التدبير في ايثار اثنين
على عشرة مع استوائهم في الانتساب اليه وقيل لفي خطا بين بايثاره يوسف واخاه
علينا قوله تعالى اقتلوا يوسف في الكلام حذف اي فقال قايل منهم اقتلوا
ليكون احسم لمادة الامر او اطرحوه ارضا اي في ارض فاسقط الخافض وانتصب
الارض وانشد سيبويه فيما حذف منه في لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما
عسل الطريق الثعلب وقال النحاس الا انه في اطرحوه حسن كثيرا لانه يتعدى الى مفعولين
احدهما بحرف الجر فاذا حذف الحرف تعدى الفعل اليه والقايل هو شمعون قاله وهب
بن منبه وقال كعب دان وقال مقاتل روبيل والله اعلم والمعنى ارضا بعيدة
عن ابيه فلا بد من هذا الاضمار لانه كان عند ابيه في ارض يخل لكم وجه ابيكم جزم لانه جواب
الامر ومعناه يخلص ويصفو لكم وجه ابيكم فيقبل عليكم بكليته وتكونوا من بعده
اي من بعد الذنب وقيل من بعد يوسف قوما صالحين اي تايبين اي تحدثوا توبة
بعد ذلك فيقبلها الله منكم وفي هذا دليل على ان توبة القاتل مقبولة لان الله
تعالى لم ينكر هذا القول منهم وقيل صالحين اي يصلح شانكم عند ابيكم من غير اثرة
ولا تفضيل قوله تعالى قال قايل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابة
الجب يلتقطه بعض السيارة فيه ثلاث عشرة مسالة الاولى قوله تعالى قال قايل منهم
القايل يهوذا وهو اكبر ولد يعقوب قاله ابن عباس وقيل روبيل وهو ابن خالته
وهو الذي قال فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي وقيل شمعون والقوه في غيابات
الجب قراه اهل مكة واهل البصرة واهل الكوفة في غيابة الجب وقرا اهل المدينة
في غيابات الجب واختار ابو عبيد التوحيد لانه على موضع واحد القوه فيه وانكر
الجمع لهذا قال النحاس وهذا تضييق في اللغة وغيابات على الجمع يجوز حكى سيبويه
سير عليه عشيانات واصيلانات يريد عشية واصيلا فجعل كل واحد منهما عشية واصيلا
فكذا جعل كل موضع مما يغيب غيابة وغيابات كما قال الشاعر
الا فالبثا شهرين او نصف ثالث الى ذاكما قد غيبتني غيابيا قال الهروي والغيابة
شبه لجف او طاق في البير فويق الما يغيب الشي عن العيون وقال ابن عزيز كل شي غيب

عنك شيء فهو غيابة قلت ومنه قيل للقبر غيابة قال الشاعر
فان انا يوماً غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والاهل والجب
الركية التي لم تطو فاذا طويت فهي بئر قال الاعشى لئن كنت في جب ثمانين قامة ورقيت
اسباب السماء بسلم وسميت جباً لانها قطعت في الارض قطعاً وجمع الجب جبب
وجباب واجباب وجمع بين الغيابة والجب لانه اراد القوه في موضع مظلم من الجب حتى
لا يلحقه نظر الناظرين قيل هو بئر بيت المقدس وقيل هو بالاردن قاله وهب بن منبه
مقاتل وهو على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب الثانية قوله تعالى يلتقطه بعض السيارة
جزم على جواب الامر وقرا مجاهد وابو رجا والحسن وقتادة تلتقطه بالتا وهو
محمول على المعنى لان بعض السيارة سيارة وحكى سيبويه سقطت بعض اصابعه
وانشد وتشرق بالقول الذي قد اذعته كما شرقت صدر القناة من الدم
غيره ارى مر السنين اخذن مني كما اخذ السرار من الهلال ولم يقل
شرقت ولا اخذت والسيارة الجمع الذي يسيرون في الطريق للسفر وانما قال هذا
القائل حتى لا يحتاجوا الى حمله الى موضع بعيد ويحصل المقصود فان من التقطه
من السيارة يحمله الى موضع بعيد وكان هذا وجها في التدبير حتى لا يحتاجوا الى
الحركة بانفسهم فربما لا ياذن لهم ابوهم وربما يطلع على قصدهم الثالثة وفي
هذا ما يدل على ان اخوة يوسف ما كانوا انبيا لا اولاً ولا اخراً لان الانبيا لا يدبرون
في قتل مسلم بل كانوا مسلمين فارتكبوا معصية ثم تابوا وقيل كانوا انبيا ولا
يستحيل في العقل زلة نبي فكانت هذه زلة منهم وهذا يرده ان الانبيا معصومون
من الكبائر على ما قدمناه وقيل ما كانوا في ذلك الوقت انبيا ثم نباهم الله و
هذا اشبه والله اعلم الرابعة قال ابن وهب قال مالك طرح يوسف في الجب
وهو غلام وكذلك روى ابن القسم عنه يعني انه كان صغيراً والدليل عليه قوله تعالى
لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ولا يلتقط الا
الصغير وقوله اني اخاف ان ياكله الذيب وذلك يختص بالصغار وقولهم ارسله
معنا غداً يرتع ويلعب وانا له لحافظون الخامسة الالتقاط تناول الشي
من الطريق ومنه اللقيط واللقطة ونحن نذكر من احكامها ما دلت عليه الاية
والسنة وما قال في ذلك اهل العلم واللغة قال ابن عرفة الالتقاط وجود
الشي على غير طلب ومنه قوله تعالى يلتقطه بعض السيارة اي يجده من غير ان

يحتسب وقد اختلف العلما في اللقط فقيل اصله الحريه لغلبه الاحرار على العبيد
وروى عن الحسن بن علي انه قضى بان اللقيط حر وتلا وشروه بثمن بخس دراهم
معدوده والى هذا ذهب اشهب صاحب مالك وهو قول عمر بن الخطاب وكذلك يروي
عن علي وجماعه وقال ابرهيم النخعي انه ان نوى رقه فهو مملوك وان احتسبه فهو
حر وقال مالك في موطاه الامر عندنا في المنبوذ انه حر وان ولاه لجميع المسلمين
هم يرثونه احد بالولا وقال ابو حنيفه واصحابه واكثر الكوفيين للقيط يوالي
من شا ومن والاه فهو يرثه ويعقل عنه عند ابي حنيفه رضي الله عنه له ان ينتقل
بولايه حيث شا مالم يعقل عنه الذي والاه فان عقل عنه جنايه لم يكن له ان
ينتقل عنه بولايه ابدا وذكر ابو بكر بن ابي شيبه عن علي رضي الله عنه المنبوذ حر
فان احب ان يوالي الذي التقطه والاه واحب ان يوالي غيره والاه ونحوه عن
عطا وهو قول ابن شهاب وطايفه من اهل المدينه وهو حر قال ابن العربي انما كان
اصل اللقط الحريه لغلبه الاحرار على العبيد فقضى بالغالب كما حكم بانه مسلم اخذا
بالغالب وان كان من قريه فيها نصارى ومسلمون قال ابن القسم قال يحكم بالاغلب
فان وجد عليه زي اليهود فهو يهودي وان وجد عليه زي النصارى فهو نصراني
والا فهو مسلم الا ان يكون اكثر اهل القريه على غير الاسلام وقال غيره لو لم
يكن الا مسلم واحد قضى للقيط بالاسلام لتغليب حكم الاسلام الذي يعلو ولا
يعلى عليه وهو مقتضى قول اشهب وقال اشهب هو مسلم ابدا لاني اجعله مسلما
على كل حال واختلف الفقها في المنبوذ تشهد البينه عبد فقالت طايفه من اهل
المدينه لا يقبل قولها في ذلك والى هذا ذهب اشهب لقول عمر هو حر ومن قضى
بحريته لا يقبل البينه في انه عبد وقال ابن القسم يقبل البينه في ذلك وهو قول
الشافعي السادسه قال ملك في اللقيط اذا انفق عليه الملتقط ثم اقام رجل البينه
انه ابنه فان الملتقط يرجع الى الاب ان كان طرحه متعمدا وان لم يكن طرحه لكنه ظل
منه فلا شي على الاب والمنفق متطوع بالنفقه وقال ابو حنيفه اذا انفق عليه اللقيط
فهو متطوع الا ان يامره الحاكم وقال الاوزاعي كل من انفق على من لا تجب عليه
نفقته رجع بما انفق وقال الشافعي ان لم يكن للقيط مال وجب نفقته في بيت
المال فان لم يكن بيت مال ففيه قولان احدهما يستقرض له في ذمته والثاني
تقسط على المسلمين من غير عوض السابعه واما اللقط والضوال فقد اختلف

العلما في حكمها فقالت طايفة من اهل العلم اللقطة والضوال سوا في المعنى والحكم
فيهما سوا والى هذا ذهب ابو جعفر الطحاوي واكثر قول ابي عبيد القاسم بن سلام
ان الضالة لا يكون الا في الحيوان واللقطة في غير الحيوان وهذا غلط واضح
بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث المسلمين ان امكم ضلت قلادتها فاطلق على
القلادة الثامنة اجمع العلما ان اللقطة ما لم يكن تافهة يسيرا وما لا تافها فانها
تعرف حولا كاملا واجمعوا ان صاحبها ان جا فهو احق بها من ملتقطها اذا اثبت
له انه صاحبها واجمعوا ان ملتقطها ان اكلها بعد الحول واراد صاحبها تضمينه
فان ذلك له وان تصدق بها فصاحبها مخير بين التضمين وبين ان ينزل على
اجرها فاي ذلك يختر كان ذلك له باجماع ان ضالة الغنم المخوف عليها له اكلها
التاسعة واختلف في الافضل من اخذها او تركها فمن ذلك ان في الحديث دليلا
على اباحة التقاط اللقط واخذ الضالة ما لم يكن ابلا وقال في الشاة لك او لا
خيك او للذئب يحض على اخذها ولم يقل في شي دعوه حتى يضيع او ياتيه ربه
ولو كان ترك اللقطة افضل لامر به النبي صلى الله عليه وسلم كما قال في ضالة
الابل والله اعلم وجملة مذهب مالك انه في سعة ان شا اخذها وان شا تركها
هذا قول اسماعيل بن اسحق رحمه الله وقال المزني عن الشافعي لا احب لاحد ترك
اللقطة ان وجدها اذا كان امينا عليها وسوا قليل اللقطة وكثيرها العاشرة
روى الايمة مالك وغيره عن زيد بن خالد الجهني قال جا رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم فساله عن اللقطة فقال اعرف عفاصها ووكاها ثم عرفها سنة فان
جا صاحبها والا فشانك بها قال فضالة الغنم يا رسول الله قال لك او لاخيك
او للذئب قال فضالة الابل قال مالك ولها دعها فان معها سقاوها وحذا[وها]
ترد الما وتاكل الشجر حتى يلقاها ربها وفي حديث ابي قال احفظ عددها
ووعاها ووكاها فان جا صاحبها والا فاستمتع بها ففي هذا الحديث زيادة
العدد خرجه مسلم وغيره واجمع العلما ان عفاص اللقطة ووكاها من احدى
علاماتها وادلها عليها فاذا اتى صاحب اللقطة بجميع اوصافها دفعت اليه قال
ابن القاسم يجبر على دفعها فان جا مستحق يستحقها ببينة انها كانت له لم يضمن
الملتقط شيا وهل يحلف مع الاوصاف او لا قولان الاول لاشهب والثاني لابن
القاسم ولا يلزمه بينة عند مالك واصحابه واحمد بن حنبل وغيرهم وقال ابو حنيفة

والشافعي لا يدفعه له الا اذا اقام بينة انها له وهذا خلاف نص الحديث ولو كانت
البينة شرطا في الدفع لما كان لذكر العفاص والوكا والعدد معنى فانه
يستحقها بالبينة على كل حال ولما جاز سكوت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فانه تاخير البيان عن وقت الحاجة والله اعلم الحادية عشرة نص الحديث
على الابل والغنم وبين حكمها وسكت عما عداهما من الحيوان وقد اختلف علماونا
في البقر هل يلحق بالابل او بالغنم قولان وكذلك اختلف ايمتنا في التقاط الخيل و
البغال والحمير وظاهر قول ابن القاسم انها تلتقط وقال اشهب وابن كنانة لا
تلتقط وقول ابن القسم اصح لقوله صلى الله عليه وسلم احفظ على اخيك المومن
ضالته الثانية عشرة واختلف العلما في النفقة على الضوال فقال مالك فيما ذكر
عنه ابن القسم ان انفق الملتقط على الدواب والابل وغيرها فله ان يرجع
على صاحبها بالنفقة سوا انفق عليها بامر السلطان وغير امره وله ان يحبس
بالنفقة ما انفق عليه ويكون احق به كالرهن وقال الشافعي اذا انفق على
الضوال من اخذها فهو متطوع حكاه عنه الربيع وقال المزني عنه اذا امره الحاكم
بالنفقة كانت دينا وما ادعى قبلت منه اذا كان مثله قصدا وقال ابو حنيفة اذا
انفق على اللقطة والابق بغير امر القاضي فهو متطوع وان انفق بغير امر القاضي
فذلك دين على صاحبها اذا جا وله ان يحبسها اذا حضر صاحبها والنفقة عليها
ثلثة ايام ونحوها حتى يامر القاضي ببيع الشاة وما اشبهها ويقضي النفقة
الثالثة عشرة ليس في قوله صلى الله عليه وسلم في اللقطة بعد التعريف فاستمتع
بها او شانك بها او فهي لك او فاستنفقها او ثم كلها او هو مال الله يوتيه من يشا
على ما ياتي في صحيح مسلم وغيره ما يدل على ان التمليك وسقوط الضمان عن
الملتقط اذا جاء ربها قال في حديث زيد بن خالد الجهني عن النبي صلى الله عليه
وسلم ثم عرفها سنة فان لم تعرف فاستنفقها ولتكن وديعة عندك فان جا صاحبها
يوما من الدهر فادها اليه في رواية ثم كلها فان جا صاحبها فادها اليه خرجه
البخاري ومسلم واجمع العلما على ان صاحبها متى جا فهو احق بها الا ان ما ذهب
اليه داود بان الملتقط يملك اللقطة بعد التعريف لتلك الظواهر ولا التفات
لقوله لمخالفة الناس ولقوله عليه السلام فادها اليه قوله تعالى قالوا
يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف قيل للحسن الحسد المومن قال ما انساك بني

يعقوب ولهذا قيل الاب جلاب والاخ سلاب فعند ذلك اجمعوا على
التفريق بينه وبين ولده بضرب من الاحتيال وقالوا ليعقوب يا ابانا ما لك
لا تامنا على يوسف وقيل لما تفاوضوا وافترقوا على راى المتكلم الثانى عادوا
الى يعقوب عليه السلام وقالوا هذا القول وفيه دليل على انهم سالوه قبل
ذلك ان يخرج معهم يوسف فابى على ما ياتى وقرا يزيد بن القعقاع وفيه
دليل على انهم سالوه قبل ذلك ان يخرج معهم يوسف فابى على ما ياتى وقرا يزيد
بن القعقاع وعمرو بن عبيد والزهرى مالك لا تامنا بلا ادغام بغير اشمام
وهو القياس لان سبيل ما يدغم ان يكون ساكنا وقرا طلحة بن مصرف مالك
لا تامننا بنونين ظاهرتين على الاصل وقرا يحيى بن وثاب وابو رزين و
روى عن الاعمش لا تيمنا بكسر التا وهى لغة تميم يقولون انت تضرب وقد
تقدم وقرا سائر الناس بالادغام والاشمام ليدل على حال الحرف قبل ادغامه
وانا له لناصحون اى فى حفظه حتى نرده اليك قال مقاتل فى الكلام تقديم وتاخير
وذلك ان اخوة يوسف قالوا لابيهم ارسله معنا غدا الاية فحينئذ قال ابوهم
انى ليحزننى ان تذهبوا به فقالوا حينئذ جوابا لقوله مالك لا تامنا على يوسف
الا به ارسله معنا غدا الى الصحرا يرتع ويلعب غدا ظرف والاصل عند سيبويه
غدو وكذا بكرة يرتع ونلعب بالنون واسكان العين وقراه اهل المدينة باليا
وكسر العين القراة الاولى من قول العرب رتع الانسان والبعير اذا اكلا كيف
شا والمعنى نتسع فى الخصب وكل مخصب راتع قال فارعى فزارة لا هناك
المربع آخر ترتع ما غفلت حتى اذا ادكرت فانما هى اقبال وادبار
وقال الاخر اكفرا بعد رد الموت عنى وبعد عطايك المائة الرتاعا
اى الراتعة لكثرة المرعى وروى معمر عن قتادة نرتع نسعى قال النحاس اخذ من
قوله انا ذهبنا نستبق فى العدو الى غاية بعينها وكذا نرتع باسكان العين
الا انه ليوسف وحده عليه السلام ويرتع بكسر العين من رعى الغنم ليتدرب
بذلك ويترجل فمرة يرتع ومرة يلعب لصغره قال القتبى نرتع نتحارس و
نتحافظ ويرعى بعضنا بعضا من قولك رعاك الله اى حفظك ونلعب اى
من اللعب وقيل لابى عمرو بن العلا كيف قالوا ونلعب وهم انبيا فقال

لم يكونوا يومئذ انبيا وقيل اراد باللعب المباح من الانبساط لا اللعب المحظور الذى هو ضد الحق ولذلك لم ينكر يعقوب قولهم ونلعب ومنه قوله عليه السلام فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وقرا مجاهد وقتادة نلعب على معنى نرتع مطيته فحذف المفعول ونلعب بالرفع على الاستيناف والمعنى وهو ممن يلعب و وانا له لحافظون من كل ما تخاف عليه ثم تحتمل انهم كانوا يخرجون ركبانا ويحتمل انهم كانوا رجالة وقد نقل انهم حملوا يوسف على اكتافهم مادام يعقوب يراهم ثم لما غابوا عن عينه طرحوه ليعدوا معهم اضرارا به قوله تعالى قال انى ليحزننى ان تذهبوا به فى موضع رفع الى ذهابكم به اضجر عن حزنه لغيبته واخاف ان ياكله الذيب وذلك انه راى فى منامه ان الذيب شد على يوسف فلذلك خافه عليه قال الكلبى وقيل انه راى فى منامه كانه على ذروة جبل وكان يوسف فى بطن الوادى فاذا عشرة من الذياب قد احتوشته يريدون اكله فدراعنه واحدتم انشقت الارض فتوارى فيها يوسف ثلثة ايام وكان العشرة الاخوة لما بالوا على قتله والذى دافع عنه اخوه الاكبر يهوذا وتوارى به فى الارض هو مقامه فى الارض ثلثة ايام وقيل انما قال ذلك لخوفه عليه وانه اراد هم بالذيب و خوفه انما كان من قبلهم فكنى عنهم بالذيب مسايرة لهم قال ابن عباس فساهم ذيابا وقيل ما خافهم ما ارسله معهم وانما خاف الذيب لانه اغلب ما يخاف فى الصحارى والذيب ماخوذ من تذايب الريح اذا جاءت من كل وجه كذا قاله احمد بن يحيى والذيب يجى من كل وجه وروى ورش عن نافع الذيب بغير همز اذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها كسرة فخففها وصارت ياء وانتم عنه غافلون اى مشغولون بالرعى قوله تعالى قالوا لئن اكله الذيب ونحن عصبة اى جماعة نرى الذيب عنه لا نرده عنه انا اذا لخاسرون فى حفظنا اغنامنا اى اذا كنا لا نقدر على دفع الذيب عن اخينا فنحن اعجز ان لا ندفعه عن اغنامنا وقيل لخاسرون لجاهلون بحقه وقيل لعاجزون قوله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه ان فى موضع نصب اى على ان يجعلوه فى غيابة الجب قيل فى القصة ان يعقوب عليه السلام لما ارسله معهم اخذ عليهم ميثاقا غليظا ليحفظنه وسلمه الى روبيل وقال يا روبيل

انه صغير وتعلم يا بني شفقتي عليه فان جاع فاطعمه وان عطش فاسقه وان عيا
فاحمله ثم عجل برده الي قال فاخذوا يحملونه على اكتافهم لا يضعه احد الا رفعه
اخر ويعقوب يشيعهم ميلا ثم رجع فلما انقطع بصر ابيهم عنهم رماه الذي كان
يحمله الى الارض حتى كاد تنكسر فالتجا الى اخر فوجد عند كل واحد اشد مما
عند الاخر من الغيظ والعسف فاستغاث بروبيل وقال انت اكبر اخوتي
والخليفة من بعد والدي علي واقرب الاخوة الي فارحمني وارحم ضعفي فلطمه
لطمة شديدة وقال لا قرابة بيني وبينك فادع الاحد عشر كوكبا فلينجيك
منا فعلم ان حقدهم من اجل روياه فتعلق باخيه يهوذا وقال يا اخي ارحم
ضعفي وعجزي وحداثة سني وارحم قلب ابيك يعقوب فما اسرع ما نسيتم
وصيته ونقضتم عهده فرق عليه قلب يهوذا وقال والله لا يصلون اليك ابدا
ما دمت حيا قال يا اخوته ان قتل النفس التي حرم الله من اعظم الخطايا فردوا
هذا الصبي الى ابيه لا يحدث والده بشي مما جرى ابدا فقال اخوته والله ما تريد
الا ان تكون لك المكانة عند يعقوب والله ان لم تدعه لقتلناك معه قال
فان ابيتم الا ذلك فههنا هذا الجب الوحش القعر الذي هو ماوى الحيات
والهوام فالقوه فيه فان اصيب بشي من ذلك فهو المراد وقد استرحتم من دمه
وان انفلت على يدي سيارة يذهبون به الى ارض فهو المراد فاجمعوا اراءهم
على ذلك فهو قول الله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب
عظمت فتنتهم وقيل جواب لما قولهم قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وقيل
التقدير فلما ذهبوا به من عند ابيهم واجمعوا ان يجعلوه في غيابات الجب
جعلوه فيها هذا على مذهب البصريين واما على مذهب الكوفيين فالجواب
اوحينا والواو مقحمة والواو عندهم تزاد مع لما وحتى قال الله حتى اذا جاوها
وفتحت ابوابها اي فتحت وقوله حتى جا امرنا وفار التنور فاد قال امرء
القيس   فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى   اي انتحى ومنه قوله تعالى فلما اسلما
وتله للجبين وناديناه وقولوا اوحينا اليه دليل على نبوته في ذلك الوقت
قال الحسن ومجاهد والضحاك وقتادة اعطاه الله النبوة وفي الجب على حجر
مرتفع عن الما وقال الكلبي القي في الجب وهو ابن ثمان عشرة سنة فما كان

صغيرًا ومن قال كان صغيرا فلا يبعد في العقل ان ينبا الصغير ويوحى اليه
وقيل كان وحي الهام كقوله تعالى واوحى ربك الى النحل وقيل كان مناما
والاول اظهر والله اعلم وان جبريل جاء بالوحي قوله ـــ تعالى
لتنبئنهم بامرهم هذا فيه وجهان احدهما انه اوحى اليه ان يتلقاهم ويوبخهم
على ما صنعوا فعلى هذا يكون الوحي بعد القائه في الجب تقوية لقلبه وبشر
بالسلامة الثاني انه اوحى اليه بالذي يصنعون به فعلى هذا يكون الوحي قبل
القائه في الجب ابدا واله وهم لا يشعرون انك يوسف وذلك ان الله تعالى
امره ولما قضى اليه الامر بمصر ان لا يخبر اباه واخوته بمكانه وقيل يوحي الله
تعالى بالنبوة قاله ابن عباس ومجاهد وقيل الهاما ليعقوب اوحى الله تعالى
الله بما فعلوه بيوسف وانه سيخبرهم بامره وهم لا يشعرون بما اوحى اليه
والله اعلم ومما ذكر من قصته اذا القي في الجب ذكره السدي وغيره ان
اخوته لما جعلوا يدلونه في البير تعلق بشفة البير فضربوا يديه ونزعوا
قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصي اتوارى به في هذا الجب فان مت
فهو كفني وان عشت اوارى به عورتي فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد
عشر كوكبا فليؤنسك ونكسك فقال اني لم ار شيا فدلوه في البير حتى
اذا بلغ نصفها القوه فارادوا ان يسقط فيموت وكان في البير ما فسقط
فيه ثم اوى الى الصخرة فقام عليها وقيل ان شمعون الذي قطع الحبل اراد ان
يتفتت على الصخرة وكان جبريل تحت ساق العرش فاوحى الله اليه ان ادرك
عبدي قال جبريل فاسرعت وهبطت حتى عارضت بين الرمي والوقوع فاقعدته
على الصخرة سالما وكان ذلك الجب ماوى الهوام فقام على الصخرة وجعل يبكي
فنادوه فظن انها رحمة عليه ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه بالصخرة
فمنع يهودا وكان يهودا ياتيه بالطعام فلما عريانا نزل جبريل اليه وكان
ابرهيم حين القي في النار عريانا اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه
اياه وكان وكان عند ابراهيم ثم ورثه اسحق ثم ورثه يعقوب فلما شب
يوسف جعل ذلك القميص في تعويذ وجعله في عنقه وكان لا يفارقه فلما القي
في الجب عريانا اخرج جبريل ذلك القميص فالبسه اياه قال وهب فلما قام على الصخرة
قال يا اخوتاه ان لكل ميت وصية فاسمعوا وصيتي قالوا وما هي قال اذا اجمعتم

فانس بعضكم ببعض فاذكروني ووحشتي واذا اكلتم فاذكروا جوعي واذا شربتم
فاذكروا عطشي واذا رايتم غريبا فاذكروا غربتي واذا رايتم شابا فاذكروا
اشيابي فقال له جبريل يا يوسف كف عن هذا واشتغل بالدعا فان الدعا
عند الله بمكان ثم علمه فقال قل اللهم يا مونس كل غريب ويا صاحب كل
وحيد ويا ملجا كل خايف ويا كاشف كل كربه ويا عالم كل نجوى ويا منتهى
كل شكوى يا حاضر كل ملا يا حي يا قيوم اسئلك ان تقذف رجاوك في قلبي
حتى لا يكون لي هم ولا شغل غيرك وان تجعل لي من امري فرجا ومخرجا انك
على كل شي قدير فقالت الملائكه الهنا نسمع صوتا ودعا الصوت صوت
صبي والدعا دعا نبي وقال الضحاك نزل جبريل عليه السلام على يوسف عليه
السلام وهو في الجب فقال له الا اعلمك كلمات اذا انت قلتهن عجل الله
عز وجل لك النجاه من هذا الجب فقال نعم فقال له قل يا صانع كل مصنوع
ويا جابر كل كسير ويا شاهد كل نجوى ويا حاضر كل ملا ويا مفرج كل
كربه ويا صاحب كل غريب ويا مونس كل وحيد ائتني بالفرج والرجا و
اقذف رجاوك في قلبي حتى لا ارجو احدا سواك فردها يوسف في ليلته
مرارا فاخرجه الله في صبيحه يومه ذلك من الجب قوله تعالى
وجاوا اباهم عشا يبكون فيه مسلتان الاولى قوله تعالى وجاوا اباهم
عشا يبكون اي ليلا وهو ظرف يكون في موضع الحال وانما جاوا عشا
ليكونوا اقدر على الاعتذار في الظلمه وكذا قيل لا تطلب الحاجه بالليل فان
الحيا في العينين ولا يعتذر بالنهار من ذنب فيتلجلج في الاعتذار فروى
ان يعقوب عليه السلام لما سمع بكاهم قال ما بكم اجرى في الغنم شي قالوا لا
قال فاين يوسف قالوا ذهبنا نستبق فاكله الذيب فبكى وصاح وقال
اين قميصه على ما ياتي بيانه ان شا الله تعالى وقال السدي وابن حبان انه
لما قالوا اكله الذيب خر مغشيا عليه فافاضوا عليه الما فلم يتحرك ونادوه
فلم يجب قال وهب ولقد وضع يهودا يده على مخارج نفس يعقوب فلم يحس
بنفس ولا تحرك له عرق فقال لهم يهودا ويل لنا من ديان يوم الدين ضيعنا
اخانا وقتلنا ابانا فلم يفق يعقوب الا ببرد السحر فافاق وراسه في حجر
روبيل فقال له يا روبيل الم اهنك على ولدي الم اعهد اليك عهدا فقال

مطلب في دعاء يوسف عليه السلام

يا ابه كف عنى بكفاك اخبرك نكف يعقوب بكاه فقال انا ذهبنا نستبق و
تركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذيب الثانية قال علماؤنا هذه الاية دليل
على ان بكا المرء لا يدل على صدق مقاله لاحتمال ان يكون تصنعا ومن الخلق
من يقدر على ذلك ومنهم من لم يقدر وقد قيل ان الدمع المصنوع لا يخفى
كما قال حكيم اذا اشتبكت دموع فى خدود تبين من بكا ممن تباكا
قوله تعالى قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق فيه سبع مسائل الاولى
قوله تعالى نستبق نفتعل من المسابقة وقيل اى ننتضل وكذا فى قراءة عبد الله
انا ذهبنا ننتضل وهو نوع من المسابقة قاله الزجاج وقال الازهرى النضال
فى السهام والرهان فى الخيل والمسابقة تجمعهما قال القشيرى ابو نصر نستبق
اى فى الرمى او على الفرس او على الاقدام والغرض من المسابقة على الاقدام
تدريب النفس على العدو ولانه الالة فى قتال العدو ودفع الذيب عن الاغنام
وقال السدى وابن حبان نستبق نشتد جريا لنرى اينا اسبق قال ابن
العربى المسابقة شرعة وخصلة بديعة وعون على الحرب وقد فعله النبى صلى الله
عليه وسلم بنفسه وبخيله وسابق عائشة على قدميه فسبقها فلما كبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته فقال لها هذه بتلك قلت وسابق سلمة
بن الاكوع رجلا لما رجعوا من ذى قرد الى المدينة فسبق سلمة خرجه مسلم
الثانية روى ملك عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سابق الى مسجد بنى زريق قال عبد الله بن عمر كان ممن سابق بها وهذا
الحديث مع صحته فى هذا الباب تضمن ثلاثة شروط فلا تجوز المسابقة بدونها
وهى ان المسابقة لا بد ان يكون معلومة الثانى ان يكون الخيل متساوية الاحوال
الثالث لا يسبق المضمر مع غير المضمر فى امد وغاية واحدة والخيل التى يجب
ان تضمر ويسابق عليها وتقام هذه السنة فيها هى الخيل المعدة لجهاد العدو
لا لقتال المسلمين فى الفتن الثالثة واما المسابقة بالنصال والابل فروى
مسلم عن عبد الله ابن عمر قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا
منزلا فمنا من يصلح خباءه ومنا من ينتضل وذكر الحديث وخرج النساى عن ابى
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا سبق الا فى نصل او خف او
حافر وثبت ذكر النصل من حديث ابن ابى ذيب عن نافع عن ابيه عن

ابی هریره ذکره النسای وبه یقول فقها الحجاز والعراق وروی البخاری عن انس
قال کان للنبی صلی الله علیه وسلم ناقه تسمی العضبا لا تسبق قال حمید او لا
تکاد تسبق فجا اعرابی علی قعود فسبقها فشق ذلک علی المسلمین حتی عرفه
فقال حق علی الله ان لا یرتفع شی من الدنیا الا وضعه الرابعه اجمع العلما
ان السبق لا یجوز علی وجه الرهان الا فی الخف والحافر والنعل قال الشافعی
ماعدا هذه الثلثه فالسبق فیها قمار وقد زاد ابو البختری القاضی فی حدیث
الخف والحافر والنعل او جناح وهی لفظه وضعها الرشید فترک العلما حدیثه
لذلک ولغیره من موضوعاته ولا یکتب العلما حدیثه بحال وقد روی عن ملک
انه قال لا سبق الا فی الخیل والرمی لانه قوه علی اهل الحرب قال وسبق
الخیل الینا احب من سبق الرمی وظاهر الحدیث سوی بین السبق علی
النجب والسبق علی الخیل وقد منع بعض العلما الرهان فی کل شی الا فی
الخیل لانها التی کانت عاده العرب المراهنه علیها وروی عن عطا المراهنه
فی کل شی جایز تاول علیه لان حمله علی العموم فی کل شی یودی الی اجازه
القمار وهو محرم بالاتفاق الخامسه لا یجوز السبق فی الخیل والابل الا فی غایه
معلومه وامد معلوم کما ذکرنا وکذلک الرمی لا یجوز السبق فیه الا بغایه معلومه
ورشق معلوم ونوع من الاصابه مشترط خسقا او اصابه لغیر شرط والاسباق
ثلثه سبق یعطیه الوالی او الرجل غیر الوالی من ماله متطوعا فیجعل للسابق
شیا معلوما فمن سبق اخذه وسبق یخرجه احد المتسابقین احرز سبقه واحد
سبق صاحبه ولا شی للمحلل فیه ولا شی علیه وان سبق الثانی منهما الثالث
کان کمن لم یسبق واحد منهما وقال ابو علی بن خیران من اصحاب الشافعی
وحکم الفرس المحلل ان یکون مجهولا جریه وسمی محللا لانه یحلل السبق للمتسابقین
اولهما اتفق العلما علی انه ان لم یکن بینهما محلل واشترط کل واحد من المتسابقین
انه ان سبق اخذ سبقه وسبق صاحبه انه قمار لا یجوز وفی سنن ابی داود عن
ابی هریره عن النبی صلی الله علیه وسلم قال من ادخل فرسا بین فرسین
وهو لا یامن ان سبق فلیس بقمار ومن ادخله وقد امن ان یسبق فهو قمار
وفی الموطا عن سعید بن المسیب قال لیس برهان الخیل باس اذا دخل فیها
محلل فان سبق احد السبقین وان سبق لم یکن علیه شی وبهذا قال الشافعی

وجهور اهل العلم واختلف فی ذلک قول مالک فقال مرة یجب المحلل فی الخیل
ولا یاخذ فیه بقول سعید ثم قال لا یجوز الا بالمحلل وهو الاجود من قولیه
السادسة ولا یحمل علی الخیل والابل فی المسابقة الا محتلم ولو رکبها اربابها
کان اولی وقد روی عن عمر بن الخطاب رضی الله عنه انه قال لا ترکب الخیل
فی السباق الا اربابها قال الشافعی واقل السبق ان یسبق بالهادی او بعضها
او بالکفل او بعضه والسبق بین الرماه علی هذا النحو عنده وقول محمد
بن الحسن فی هذا الباب نحو قال الشافعی السابعة روی عن النبی صلی الله علیه
وسلم انه سابق ابا بکر وعمر رضی الله عنهما فسبق رسول الله صلی الله علیه وسلم
وصلی ابو بکر وثلث عمر ومعنی وصلی ابو بکر یعنی ان راس فرسه کان عند صلوی
فرس رسول الله صلی الله علیه وسلم والصلوان موضع العجز قوله تعالی
وترکنا یوسف عند متاعنا ای عند ثیابنا واقمشتنا حارسًا لها فاکله الذیب
وذلک انهم لما سمعوا اباهم یقول یقول واخاف ان یاکله الذیب اخذوا ذلک
من فیه فتحرموا به کانه کان اظهر المخاوف علیه وما انت بمومن لنا ای مصدق
ولو کنا صادقین ای وان کنا قاله المبرد وابن ابی اسحق صادقین فی قولنا
ولم یصدق هم یعقوب لما ظهر له من قوة التهمة وکثرت الادلة علی
خلاف ما قالوه علی ما یاتی بیانه وقیل ولو کنا صادقین ای ولو کنا عندک
من اهل الثقة والصدق ما صدقتنا ولا تهمتنا فی هذه القضیة لشدة محبتک
فی یوسف قال معناه الزجاج والطبری وغیرها قوله تعالی
وجاوا علی قمیصه بدم کذب فیه ثلاث مسایل الاولی قوله تعالی وجاوا علی
قمیصه بدم کذب قال مجاهد کان دم سخلة وقال قتادة کان دم ظبیة ای
جاوا علی قمیصه بدم مکذوب فیه ووصف الدم بالمصدر فصار تقدیره بدم
ذی کذب مثل واسال القریة والفاعل والمفعول قد یسمیان بالمصدر
فیقال هذا ضرب الامیر ای مضروبه وما سلب ای مسلوب وماء غور ای
غایر ورجل عدل ای عادل وقرا الحسن وعایشة بدم کدب بالدال غیر المعجمة
ای بدم طری یقال للدم الطری الکدب وحکی انه المتغیر قاله الشعبی والکدب
ایضا البیاض الذی یخرج فی اظفار الاحداث فیجوز ان یکون شبه الدم
فی القمیص بالبیاض الذی یخرج من الظفر من جهة اختلاف اللونین الثانیة

قال علماونا رحمه الله عليهم لما ارادوا ان يجعلوا الدم علامة على صدقهم قرن
الله بهذه العلامة علامة تعارضها وهي سلامة القميص من التشبيب اذ لا يمكن
افتراس الذئب ليوسف وهو لابس القميص فيسلم القميص من التخريق ولما
تامل يعقوب عليه السلام القميص لم يجد فيه خرقا ولا اثرا استدل بذلك على
كذبهم وقال لهم متى كان هذا الذيب حليما ياكل يوسفا ولا يخرق القميص
قال ابن عباس وغيره روى اسرائيل عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن
عباس قال كان الدم دم سخلة وروى سفين عن عكرمة عن ابن عباس
قال لما نظر اليهم قال كذبتم لو اكله الذيب لخرق القميص وحكى الماوردى
ان في القميص ثلاث آيات حين جاوا عليه بدم كذب وحين قد قميصه
من دبر وحين القى على وجه ابيه فارتد بصيرا قلت وهذا مردود فان
القميص الذى جاوا عليه الدم غير القميص الذى قد وهو الذى اتى به
فارتد بصيرا على ما ياتى بيانه اخر السورة ان شا الله تعالى وروى انهم قالوا
له بل اللصوص قتلوه فاختلف قولهم فاتهمهم فقال لهم يعقوب تزعمون الذئب
اكله ولو اكله لشق قميصه قبل ان يفضى الى جلده وما ارى بالقميص من شق
وتزعمون ان اللصوص قتلوه ولو قتلوه لاخذوا قميصه هل يريدون الا ثيابه
فقالوا عند ذلك وما انت بمومن لنا ولو كنا صادقين عن الحسن وغيره
اى لو كنا موصوفين بالصدق لاتهمتنا الثالثة استدل الفقها في اعمال
الامارات في مسايل الفقه كالقسامة وغيرها واجمعوا على ان يعقوب عليه
السلام استدل على كذبهم بصحة القميص وهكذا يجب على الناظر ان يلحظ الامارات
والعلامات اذا تعارضت فما ترجح منها قضى بجانب الترجيح وهو قوة التهمة
ولا خلاف في الحكم بها قاله ابن العربى قوله تعالى قال بل سولت
لكم انفسكم امرا فصبر جميل فيه ثلاث مسايل الاولى روى ان يعقوب عليه
السلام لما قالوا له اكله الذيب قال لهم لم يترك الذيب له عضوا فتاتوني به
استانس به ولم يترك ثوبا اشم فيه رايحته قالوا ابلى هذا قميصه ملطوخ بدمه
فذلك قوله جاوا على قميصه بدم كذب فبكا يعقوب عند ذلك وقال لبنيه اروني
قميصه فاروه فقال والله الذى لا اله الا هو ما رايت كاليوم ذيبا احلم منه
اكل ابنى واختلسه من قميصه ولم يمزقه عليه وعلم ان الامر ليس كما قالوا

وان الذيب لم يأكله فاعرض عنهم كالمغضب باكيا حزينا وقال يا معشر ولدي
دلوني على ولدي فان كان حيا رددته وان كان ميتا كفنته ودفنته فقيل
قالوا حينئذ الم تروا الى ابينا كيف يكذبنا في مقالتنا فقالوا نخرجه من
الجب ونقطعه عضوا عضوا ونأتي ابانا باحد اعضائه فيصدقنا في مقالتنا ويقطع
اياسه فقال يهودا والله لئن فعلتم لاكونن لكم عدوا ما بقيت لكم ولاخبرت
اباكم بسوء صنيعكم قالوا فاذ امتنعنا نصطاد ذيبا قال فاصطادوا ذيبا
ولطخوه بالدم واوثقوه بالحبال ثم جاؤا به يعقوب وقالوا ابانا ان هذا
الذيب الذي يحل باغنامنا ويفترسها ولعله الذي افجعنا في اخينا لا شك
وهذا دمه عليه فقال يعقوب اطلقوه فاطلقوه وتبصبص الذيب فاقبل يدنوا
منه ويعقوب يقول له ادن ادن حتى الصق خده بخده فقال له يعقوب ايها الذيب
لم افجعتني في ولدي واورثتني حزنا طويلا ثم قال اللهم انطقه فانطقه الله
تعالى فقال والذي اصطفاك نبيا ما اكلت لحمه ولا مزقت جلده ولا نتفت
شعرة من شعره والله ما لي بولدك عهد وانما انا ذيب غريب اقبلت من نواحي
مصر في طلب اخ لي فقد فلا ادري احي هو ام ميت فاصطادوني ولدك و
اوثقوني وان لحوم الانبياء حرمت علينا وعلى جميع الوحوش فاطلقه يعقوب
وقال والله لقد اتيتموني بالحجة على انفسكم هذا ذيب غريب خرج يتبع ذمام اخيه
وانتم قد ضيعتم اخاكم وقد علمت ان الذيب برئ مما جئتم به بل سولت لكم
امرا اي زينت لكم انفسكم امرا غير ما يصفون وتذكرون ثم قال توطية لنفسه
فصبر جميل التلاوة قال الزجاج فشاني او والذي اعتقده صبر جميل وقال
قطرب اي فصبري صبر جميل اولى بي فهو مبتدأ وخبره محذوف ويروى ان
النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الصبر الجميل فقال هو الذي لا شكوى معه
وسياتي له مزيد بيان آخر السورة انشاء الله تعالى قال ابو حاتم قرأ عيسى بن
عمر فيما زعم سهل بن يوسف فصبرا جميلا قال وكذا قرأ الاشهب العقيلي قال وكذا
في مصحف انس وابي صالح قال المبرد فصبر جميل بالرفع اولى من النصب لان
المعنى قال رب عبد صبر جميل قال وانما النصب على المصدر اي فلاصبرن
صبرا جميلا قال شكى اليّ جملي طول السرى صبرا جميلا فكلانا مبتلى
والصبر الجميل هو الذي لا جزع معه ولا شكوى وقيل معناه لا اعاشركم على كآبة

ان خير من استاجرت القوى الامين وابو بكر حين استخلف عمر قال ابن العربى
عجبا للمفسرين فى اتفاقهم على جلب هذا الخبر والفراسه هى علم غيب على ماياتى
بيانه فى سورة الحجر وليس كذلك فيما يعلوه فان الصديق انما ولى عمر بالتجربه
فى الاعمال والمواظبه على الصحبه وطولها والاطلاع على مايشاهده من العلم
والمنه وليس ذلك من طريق الفراسه واما بنت شعيب البينة معها على ما ياتى
بيانه فى القصص واما امرا العزيز فيمكن ان يحمل فراسه لانه لم يكن معه علامه
ظاهره والله اعلم قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض الكاف فى
موضع نصب اى وكما انقذناه من اخوته ومن الجب فكذلك مكنا له اى عطفنا قلب
الملك الذى اشتراه حتى مكن من الامر والنهى فى البلد التى الملك مستولى عليها و
لنعلمه من تاويل الاحاديث وقيل المعنى مكناه لنوحى اليه بكلام منا ونعلمه من
تاويل ~~الاحاديث~~ وتفسيره وتاويل الرويا وتم الكلام والله غالب على امره
الها راجعه اى لا يغلب الله شى بل هو الغالب على امر نفسه فيما يريد ان يقول له
كن فيكون وقيل يرجع الى يوسف الى الله غالب على امر يوسف وتدبيره ويحوطه
لا يكله الى غيره حتى لا يصل كيد كايد اليه ولكن اكثر الناس لا يعلمون اى لا يطلعون
على غيبته وقيل المراد بالاكثر الجميع لان احد لا يعلم الغيب وقيل هو يجرى على
ظاهره اذ قد يطلع من يريد على بعض غيبه وقيل المعنى ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان الله غالب على امره وهم المشركون ومن لا يومن بالقدر وقالت الحكما فى هذه
الايه والله غالب على امره حيث امره يعقوب ان لا يقص روياه على اخوته فغلب
الله حتى قص ثم اراد اخوته قتله فغلب امر الله حتى صار ملكا وسجدا بين يديه
ثم اراد الاخوه ان يخلوالهم وجه ابيهم فغلبا امر الله حتى صاق عليهم قلب ابيهم
وافتكره بعد سبعين سنه او ثمانين سنه فقال يا اسفا على يوسف ثم تدبروا
ان يكونوا من بعده قوما صالحين اى تائبين فغلب امر الله حتى نسوا الذنب
واصروا عليه حتى اقروا بين يدى يوسف فى اخر الامر بعد سبعين سنه وقالوا
لابيهم انا كنا خاطئين ثم ارادوا ان يخدعوا اباهم بالبكا والقميص فغلب
امر الله فلم ينخدع وقال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل ثم احتالوا ان
تزول محبته من قلب ابيه فغلب امر الله فازدادت المحبه والشوق فى قلبه ثم
دبرت امراه العزيز انها ان ابتدرته بالكلام غلبت فغلب امر الله حتى قال

العزيز استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين ثم دبر يوسف ان يتخلص من
السجن بذكر الساقي فغلب امر الله فنسي الساقي ولبث يوسف في السجن بضع سنين
قوله تعالى ولما بلغ اشده اشده عند سيبويه جمع واحده شدة وقال
الكسائي واحده شد كما قال الشاعر عهدي به شد النهار كانما خضب
البنان وراسه بالعظلم وزعم ابو عبيدة انه لا واحد له في لفظه عند العرب
ومعناه استكمال القوة ثم يكون النقصان بعد وقال مجاهد وقتادة الاشد ثلاث
وثلاثون سنة وقال ربيعة وزيد بن اسلم ومالك بن انس الاشد
بلوغ الحلم وقد مضى ما للعلماء في هذا في النساء والانعام مستوفى اتيناه حكما وعلما
قيل جعلناه المستولي على الحكم وكان يحكم في سلطان الملك اي واتيناه علما بالحكم
وقال مجاهد العقل والفهم والنبوة وقيل الحكم النبوة والعلم علم الدين وقيل علم
الرويا ومن قال اوتي النبوة صبيا قال لما بلغ اشده زدناه فهما وعلما وكذلك
نجزي المحسنين يعني المؤمنين وقيل الصابرين على النوايب كما صبر يوسف قاله
الضحاك وقال الطبري وهذا وان كان مخرجه ظاهرا على كل محسن فالمراد به محمد
صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى كما فعلت هذا يوسف بعد ان قاسى ما قاسى
ثم اعطيته ما اعطيته كذلك انجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة
وامكن لك في الارض قوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه
وهي امراة العزيز طلبت منه ان يواقعها واصل المراودة الارادة والطلب برفق
ولين والرود والرياده طلب الكلام وقيل هي من رويه يقال فلان يمشي رويدا
اي برفق فالمراوده الرفق في الطلب يقال في الرجل راودها عن نفسه وفي
المراة راودته عن نفسه والرود التاني يقال اروادني امهلني وغلقت الابواب
غلق للكثير ولا يقال غلق الباب واغلق يقع لكثير والقليل كما قال الفرزدق
في ابي عمرو بن العلاء ما زلت اغلق ابوابا وافتحها حتى اتيت ابا عمرو بن عمار
يقال انها كانت سبعة ابواب غلقتها ثم دعته الى نفسها وقالت هيت لك اي هلم
واقبل وتعال ولا مصدر له ولا تصريف قال النحاس فيها سبع قراءات فمن اجل
ما فيها واصحه اسنادا ما رواه الاعمش عن ابي وايل قال سمعت عبد الله بن
مسعود يقرا هيت لك قال فقلت ان قوما يقرؤونها هئت لك قال انما اقرا كما
علمت قال ابو جعفر وبعضهم يقول عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا

تبعد ذلك لان قوله انما اقرا كما علمت يدل على انه مرفوع وهذه القراة لفتح الها
والتا هي الصحيحه من قراه ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمه
وبها قرا ابو عمرو بن العلا وعاصم والاعمش وحمزه والكساى قال عبد الله ابن
مسعود لا تقطعوا فى القران فانما هو مثل قول احدكم هلم وتعال وقرا ابن ابى
اسحق النحوى وقالت هيت لك بفتح الها وكسر التا وقول ابو عبد الرحمن السلمى
دانى كسر هيت لك بفتح الها وضم التا قال ليس قومى بالا بعدين اذا ما
قال داع من العشيره هيت فهذه ثلاث قرات الها فيهن مفتوحه وقرا ابو
جعفر وشيبه ونافع وقالت هيت لك بكسر الها وفتح التا وقرا يحيى بن وثاب
وقالت هيت لك بكسر الها وبعدها يا ساكنه والتا مضمومه وروى عن على بن
ابى طالب رضى الله عنه وابن عباس ومجاهد وعكرمه وقالت هيت بكسر الها وبعدها
ضمه ساكنه والتا مضمومه وعن ابن عامر واهل الشام وقالت هيت بكسر الها
وبالهمز وبفتح التا قال ابو جعفر هيت لك بفتح التا لالتقا الساكنين لانه صوت
نحو مه يجب ان لا يعرف والفتح خفيف لان قبل التا يا مثل اين وكيف ومن كسر التا
فانما يكسرها لان الاصل الكسر لان الساكن اذا حرك حرك الى الكسر ومن ضم
فلان فيه معنى الغايه اى قالت دعاى لك فلما حذفت الاضافه بنى على الضم
مثل حيث وبعد وقراه اهل المدينه فيها قولان احدهما ان يكون الفتح لالتقا الساكنين
كما مر والاخر ان يكون فعلا من هاى يهى مثل جا يجى فيكون المعنى قد هيت اى
حسنت هيئتك ويقول لك من كلام آخر كما يقول لك اعنى ومن همز وضم التا فهو
فعل بمعنى تهيات لك وقراه من قرا هئت لك وانكر ابو عمرو هذه القراه قال
ابو عبيده معمر بن المثنى سيل ابو عمرو عن قراه من قرا بكسر الها وضم التا مهموز
قال ابو عمرو باطل جعلها من تهيات اذهب فاستعرض العرب حتى تنتهى الى
اليمن هل تعرف احدا يقول هذا وقال الكساى ايضا لم تحك هيت عن العرب
قال عكرمه هيت لك اى تهيات لك وتزينت وتحسنت وهى قراه غير مرضيه
لانها غير مرضيه لانها لم تسمع فى العربيه قال النحاس وهى جيده عند البصريين
لانه يقال هاء الرجل يهاء وهيىء هياه فيها لى مثل جاء يجى وهيت مثل جئت
وكسر الها فى هيت لغة لقوم يوثرون كسر الها على فتحها قال الزجاج اجود القراه
هيت بكسر الها والتا قال طرفه ليس قومى بالا بعدين اذا ما قال داع من العشيره هيتا

قال الشاعر فی علی بن ابی طالب رضی الله عنه ابلغ امیر المومنین اخا العراق اذا اتینا
ان العراق واهله سلم الیک فهیتاً هیتا

قال ابن عباس والحسن هیت کلمه بالسریانیه تدعوه الی نفسها وقال الکسائی معناها
بالقبطیه هلم لک قال ابو عبید کان الکسائی یقول هی لغه حوران وقعت الی اهل الحجاز
معناه تعال قال ابو عبیده فسالت شیخا عالما من حوران فذکر انها لغتهم وبه
قال عکرمه وقال مجاهد وغیره هی لغه عربیه تدعوه بها الی نفسها وهی کلمه حث
واقبال علی الاشیا قال الجوهری تعال هوت به وهیت به اذا صاح به ودعاه
قال قد رابنی ان الکری اسکتا لو کان معنا بها لهینا ای صاح وقال اخر
یحدو بها کل فتی هیات قوله تعالی قال معاذ الله ای اعوذ بالله ای
استجیر بالله مما دعوتنی الیه وهو مصدر ای ادعوا بالله معاذا فیحذف الفعل
وینصب المصدر بالفعل بزید وعمران کمر وروی یعمرانه ربی یعنی زوجها ای
هو سیدی اکرمنی فلا اخونه قاله مجاهد وابن اسحق والسدی وقال الزجاج
ای ان الله ربی تولانی بلطفه فلا ارکب ما حرمه انه لا یفلح الظالمون وفی الخبر
انها قالت له یا یوسف ما احسن صورة وجهک قال فی الرحم صورنی ربی فقالت
یا یوسف ما احسن شعرک قال هو اول شی یبلی منی فی قبری قالت یا یوسف ما
احسن عینیک قال بهما انظر الی ربی قالت یا یوسف ارفع بصرک فانظر فی وجهی قال
اخاف العمی فی اخرتی قالت یا یوسف ادنو منک وتباعد منی قال ارید بذلک القرب
من ربی قالت یا یوسف القیطون فادخل قال القیطون لا یسترنی من ربی
قالت یا یوسف فراش الحریر قد فرشته قم فاقض حاجتی قال اذاً یذهب من الجنة
نصیبی الی غیر ذلک من کلامها وهو یراجعها الی ان هم بها وقد ذکر بعضهم
ما زال النسا یملن الی یوسف میل شهوه حتی نباه الله فالقی علیه هیبه
النبوه فشغلت هیبته کل من راه عن حسنه واختلف العلما فی همه ولا اختلاف
ان همها کان المعصیه واما یوسف فهم بها لولا ان رای برهان ربه ولکن لما
رای البرهان ما هم وبهذا الوجوب العصمه للانبیا قال الله تعالی کذلک لنصرف
عنه السو والفحشا انه من عبادنا المخلصین فاذاً فی الکلام تقدیم وتاخیر
ای لولا ان رای برهان ربه هم بها قال ابو حاتم حیث اقرا غریب القران علی
ابی عبیده فلما اتیت علی قوله ولقد همت به وهم بها الایه قال ابو عبیده هذا

على التقديم والتاخير كانه اراد ولقد همت به ولولا ان راى برهان
ربه هم بها وقال محمد بن يحيى اى همت زليخا بالمعصيه كانت مصرة وهم
يوسف ولم يواقع ماهم به فبين الهمين فرق ذكر هذين القولين الهروى
فى كتابه قال حميد هممت بهم من بثينة لو بدا شفيت غليات الهوى من فواديا
اخر هممت ولم افعل وكدت وليتنى تركت على عثمان تبكى حلايله فهذا كله
حديث نفس حزم وقيل هم بها تمنى زوجتها وقيل هم بها اى بضربها ودفعها
عن نفسه والبرهان كفه عن الضرب اذ لو ضربها لاوهم انه قصدها بالحرام
فامتنعت فضربها وقيل ان هم يوسف كان معصيه وانه جلس منها مجلس
الرجل من امراته والى هذا القول ذهب معظم المفسرين وعامتهم
فيما ذكر القشيرى ابو نصر بن الانبارى والنحاس والماوردى وغيرهم قال
ابن عباس حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن وعنه استلقت على قفاها
وقعد بين رجليها ينزع ثيابه وقال سعيد ابن جبير اطلق تكة سراويله وقال
مجاهد حل السراويل حتى بلغ الاليتين وجلس منها مجلس الرجل من امراته قال
ابن عباس ولما قال ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب قال جبريل ولا حين هممت بها يا يوسف
فقال عند ذلك وما ابرى نفسى قالوا والانفكاك فى مثل هذه الحالة دال على
الخلاص واعظم للثواب ملك وهذا كان سبب ثنا الله تعالى على ذى الكفل
حسب ما ياتى بيانه فى ص ان شاء الله تعالى وجواب لو على هذا محذوف اى
لولا ان راى برهان ربه لامضى ماهم به ومثله كلا لو تعلمون علم اليقين
وجوابه لم تنافسوا قال ابن عطيه روى هذا القول عن ابن عباس وجماعه
من السلف وقالوا الحكمه فى ذلك ان يكون مثلا للمذنبين ليروا ان توبتهم
ترجع الى عفو الله كما رجعت ممن هو خير منهم ولم يوبقه القرب من الذنب
وهذا كله على ان يوسف بلغ فيما روت هذه الفرقه الى ان جلس بين رجلى
زليخا واخذ فى حل ثيابه وتكته ونحو ذلك وهى قد استلقت له حكاه الطبرى وقال
ابو عبيد القاسم بن سلام وابن عباس ومن دونه لا يختلفون فى انه
هم بها وهم اعلم بالله وبتاويل كتابه واشد تعظيما للانبيا من ان يتكلموا فيهم
بغير علم وقال الحسن ان الله عز وجل لم يذكر معاصى الانبيا ليعيرهم ولكنه ذكرها
لئلا ييسوا من التوبه الغزنوى مع ان لزلة الانبيا حكما زياده الوجل وشدة

الحيا بالخجل والتخلي عن عجب العمل والتلذذ بنعمة العفو بعد الامل وكونهم ايمة رجا اهل
الزلل قال القشيري ابو نصر وقال قوم جرى من يوسف هم وكان ذلك الهم
حركة طبع من غير تصميم العقد على الفعل وما كان من هذا القبيل لا يواخذ به
العبد لتقلب المرء وهو صايم شرب الماء البارد والطعام اللذيذ فاذا لم ياكل ولم
ولم يشرب ولم يصمم عزم على الاكل والشرب لا يوخذ بما هجس في النفس و
البرهان صرفه عن هذا الهم حتى لا يصير عزما مصمما قلت هذا قول حسن و
ممن قال به الحسن قال ابن عطيه الذي اقول به في هذه الاية ان كون يوسف
في هذه النازلة لم يصح كونه نبيا ولا تظاهرت به رواية واذا كان ذلك فهو
مومن قد اوتي حكما وعلما ويجوز عليه الهم الذي هو ارادة الشي دون مواقعته و
ان يستصحب الخاطر الردي على ما في ذلك من الخطيئة وان فرضناه نبيا في ذلك
الوقت فلا يجوز عليه عندي الا الهم الذي هو الخاطر ولا يصح عليه شي مما ذكر
من حل تكة ونحوه لان العصمة مع النبوة وما روي من انه قيل له تكون في ديوان
الانبيا وتفعل فعل السفها فانما معناه العدة بالنبوة وبما بعد قلت ما
ذكره من التفصيل صحيح لكن قوله تعالى واوحينا اليه يدل على انه كان نبيا ما ذكرناه
وهو قول جماعة من العلما واذا كان نبيا فلم يبق الا ان الهم الذي هم به
ما خطر في النفس ولا يثبت في الصدر وهو الذي رفع الله فيه المواخذة عن الخلق
اذ لا قدرة للمكلف على دفعه ويكون قوله وما ابري نفسي ان كان من قول
يوسف اي من هذا الهم او يكون منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس
لما زكي به قبل وبري وقد اخبر الله تعالى عن حال يوسف من حين بلوغه فقال
ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما على ما تقدم بيانه وخبر الله تعالى صدق ووصفه
صحيح وكلامه حق فقد عمل يوسف بما علمه الله من تحريم الزنا ومقدماته وخيانة
السيد والجار والاجنبي في اهله فما تعرض لامراة العزيز ولا اجاب الى المراودة بل
ادبر عنها وفر منها حكمة خص بها وعملا بمقتضى ما علمه الله وفي صحيح مسلم عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملايكة رب ذاك عبد يريد
ان يعمل سيئة وهو ابصر به قال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها
فاكتبوها له حسنة انما تركها من جراي وقال عليه السلام مخبرا عن ربه اذا هم
عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فاذا كان ما يهم به العبد من السيئة يكتب له

بتركها حسنة فلا ذنب وفي الصحيح ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تكلم
او تعمل به وقد تقدم قال ابن العربي كان بمدينة السلام امام من ائمة الصوفية
راى امام يعرف بابن عطا تكلم يوما على يوسف واخباره حتى ذكر تبرئته بما نسب
اليه من مكروه فقام رجل من اخر مجلسه وهو مشحون بالخليقة من كل طائفة فقال
يا شيخ يا سيدنا فاذن يوسف هم وما تم قال نعم لان العناية من ثم فانظر الى
غباوة العالم والمتعلم وانظر الى فطنة العامي في سواله وجواب العالم في اختصاره
واستيفائه ولذلك قال علماء الصوفية ان فائدة قوله ولما بلغ اشده اتيناه حكما
وعلما انما اعطاه ذلك ابان غلبة الشهوة ليكون له سببا للعصمة قلت واذا
تقررت عصمته وبراءته بثناء الله تعالى عليه فلا يصح ما قال مصعب ابن عثمان ان
سليمان بن يسار كان من احسن الناس وجها فاستامته امراة نفسه فامتنع
عليها وذكرها فقالت ان لم تفعل لاشهرنك فخرج وتركها فراى في منامه يوسف
الصديق عليه السلام جالسا فقال انت يوسف فقال انا يوسف الذي هممت
وانت سليمان الذي لم تهم فان هذا يقتضي ان تكون درجة الولاية ارفع من درجة
النبوة وهو محال ولو قدرنا يوسف غير نبي فدرجته الولاية فيكون محفوظا كهو
ولو غلقت على سليمان الابواب وروجع في المقال والخطاب والكلام والجواب مع
طول الصحبة لخيف عليه الفتنة وعظم المحنة والله اعلم قوله تعالى لولا
ان راى برهان ربه اي في موضع رفع اي لولا روية برهان ربه والجواب محذوف
لعلم السامع اي لكان ما كان وهذا البرهان غير مذكور في القران فروى عن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان زليخا قامت الى صنم مكلل بالدر والياقوت
في زاوية البيت فسترته بثوب فقال ما تصنعين قالت استحي من الهي هذا ان
تراني على هذه الصورة فقال يوسف انا اولى ان استحي من الله تعالى وهذا
احسن ما قيل فيه لان فيه اقامة الدليل وقيل راى مكتوبا في سقف البيت ولا
تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا وعن ابن عباس بدت كف
مكتوب عليها وان عليكم لحافظين وقال قوم تذكر عهد الله وميثاقه وقيل
نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبيا وتعمل عمل السفها وقيل راى صورة
يعقوب على الجدار عاضا على انملته يتوعده فسكن وخرجت شهوته من انامله
قاله مجاهد والضحاك والحسن وابو صالح وسعيد بن جبير روى الاعمش عن مجاهد

قال هل سراوله متمثل له يعقوب فقال له يا يوسف فولى هاربا وروى سفين
عن ابي حصين عن سعيد بن جبير قال مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت
شهوته من انامله كذلك ليصرف عنه السوء والفحشاء الكاف من كذلك يجوز ان
يكون وقعا تاما خبر ابتدا محذوف التقدير البراهين كذلك ويكون نعتا لمصدر
محذوف اي اريناه البراهين رويه كذلك والسوالشهوة والفحشا المباشرة
وقيل السوالثنا القبيح والفحشا الزنا وقيل السوء خيانة صاحبه والفحشا ركوب
الفاحشة وقيل السوء عقوبة الملك العزيز وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر المخلصين
بكسر اللام وتاويلها الذين اخلصوا طاعة الله وقرا الباقون بفتح اللام وتاويلها
الذين اخلصهم لرسالته وقد كان يوسف عليه السلام بها تين الصفتين لانه كان
مخلصا في طاعة الله تعالى مستخلصا لرسالة الله تعالى قوله تعالى
واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى و
استبقا الباب قال العلما وهذا من اختصار القران المعجز الذي يجتمع فيه المعاني و
ذلك انه لما راى برهان ربه هرب منها فتعاديا هي ترده الى نفسها وهو
يهرب عنها فادركته قبل ان يخرج فقدت قميصه من دبر اي من خلفه قبضت
في اعلا قميصه فتخرق القميص عند طوقه ونزل التخريق الى اسفل القميص و
الاستباق طلب السبق الى الشي ومنه السباق والقد القطع واكثر ما استعمل
فيما كان طولا النابغة تقد السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح بار الحباب
واللفظ بالطا يستعمل فيما كان عرضا وقال المفضل بن حرب قرات في
مصحف فلما راى قميصه عط من دبر اي شق وال يعقوب العط الشق في الجلد
الصحيح والثوب الصحيح وحذفت الالف من استبقا في اللفظ لسكونها وسكون
اللام بعدها كما قال جاني عبد الله في التثنيه ومن العرب من يقول جاني عبد الله
ما ثبات الالف بغير همز ويجمع بين ساكنين لان الثاني مدغم والاول حرف
مد ولين ومنهم من يقول عبد الله باثبات الالف والهمز كما نزل في الوقف
الثانيه في الايه دليل على القياس والاعتبار والعمل العرف والعاده وهذا امر
تفرد به المالكيه في كتبهم وذلك ان القميص اذا اخذ من خلف تمزق من تلك
الجهة واذا اخذ من قدام تمزق من تلك الجهة هذا في الاغلب قوله
تعالى والفيا سيدها لدا الباب اي وجدا العزيز عند الباب وعني بالسيد الزوج

قطع يده وقال عكرمه ايدیهن اكمامهن وفيه بعد وقيل انا ملهن اى ما وجدن الما فى القطع والجزع اشغل قلوبهن يوسف والتقطيع يشير الى الكثرة فيمكن ان يرجع الى الكثرة الى ان كل واحدة جرحت يدها فى مواضع ويمكن ان يرجع الى العدد هن
قوله تعالى وقلن حاش لله اى معاذ الله روى الاصمعى عن نافع انه قرا كما قرا ابى عمرو بن العلا وقلن حاشا لله باثبات الالف وهو الالف من حذفها جعل اللام فى لله عوضا منها وفيها اربع لغات تقال حاشاك وحاشالك وحاش لك وحشالك ويقال حاشى زيد وحاشى زيدا قال النحاس وسمعت على بن سليمان يقول سمعت على بن زيد يقول النصب اولى لانه قد صح انها فعل لقولهم حاش لزيد والحرف لا يحذف منه وقال النابغه ولا احاشى من الاقوام من احد
وقال بعضهم حاش حرف واحاشى فعل ويدل على كون حاشى فعلا وقوع حرف الجر بعدها وحكى ابو زيد عن اعرابى اللهم اغفرلى ولمن يسمع حاشى الشيطان وابا الاصبع فنصب بها وقرا الحسن وقلن حاش لله باسكان الشين وعنه ايضا حاش الا له ابن مسعود وابى حاش الله بغير لام ومنه قول الشاعر
حاشا ابى ثروان به ضنا عن الملاه والشتم قال الزجاج واصل الكلمة من الحاشيه والحشا بمعنى الناحيه تقول كنت فى حشا فلان اى فى ناحيته فقولك حاشى لزيد اى تنحى زيد من هذا وتباعد منه والاستثنا اخراج وتنحيه عن جملة المذكورين وقال ابو على هو فاعل من الحاشى اى حاشا يوسف وصار فى حاشيه وناحيه مما قرف به او من ان يكون بشرا فحاشى وحاش فى الاستثنا حرف جر عند سيبويه وعلى ما قال المبرد وابو على فعل قوله تعالى ما هذا بشرا
قال الخليل وسيبويه ما بمنزله ليس يقول ليس زيد قايما وما هذا بشرا وما هن امهاتهم وقال الكوفيون لما حذفت الباء نصبت وشرح هذا انه قال احمد بن يحيى انك اذا قلت ما زيد بمنطلق فوضع البا موضع نصب وهكذا ساير حروف الخفض فلما حذفت البا نصبت لتدل على محلها قال وهذا قول الفرا قال ولم تعمل ما شيا فالزمهم البصريون ان تقول زيدا القمر لان المعنى كالقمر فرد احمد بن يحيى بان قال البا ادخل فى حروف الخفض من الكاف لان الكاف تكون اسما قال النحاس لا يصح الا قول البصريين وهذا القول يتناقض لان الفرا اجاز نصا ما بمنطلق زيد وانشد اما والله ان لو كنت حرا وما بالحر انت ولا العتيق

ومنع نصًا النصب ولا يعلم بين النحويين اختلافا انه جاير ما فيك براغب زيد
وما اليك بقاصد عمرو ثم يحذفون البا و يرفعون وحكى البصريون والكوفيون
ما زيد بمنطلق بالرفع وحكى البصريون انها لغة تميم وانشدوا ::
اسما يجعلون الى زيدا وما تيم لدى حسب بذيد ::   قال ابو اسحق وهذا
غلط كتاب الله عز وجل ولغة رسول الله صلى الله عليه وسلم اقوى واولى قلت
وفي مصحف حفص رضي الله عنها ما هذا بشر ذكره الغزنوي قال القشيري ابو
نصر وذكرت النسوة ان يوسف احسن من صورة البشر بل هو في صورة ملك وقال
الله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم والجمع بين الاثنين ان قولهن
حاش لله تنزيه ليوسف عما رمته به امرأة العزيز من المراودة اي بعد يوسف
عن هذا وقولهن لله اي لخوفه اي براه الله من هذا اي قد نجا يوسف من ذلك
فليس هذا من الصورة في شي والمعنى انه في التنزيه عن المعاصي كالملايكة و
على هذا فلا تناقض وقيل المراد تنزيهه عن مشابهة البشر في الصورة لفرط جماله
وقوله تاكيدًا لهذا المعنى فعلى هذا قالت النسوة في ذلك ظنا منهن ان صورة الملك
احسن وما بلغهن لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم فانه من كتابنا وقد ظن
بعض الضعفة ان هذا القول لو كان ظنا باطلا منهن لوجب على الله تعالى وليس
كل ما يخبر به الرب سبحانه من كفر الكافرين وكذب الكاذبين يجب علينا
ان نكون به الرد عليه وايضا اهل العرف قد يقولون في القبيح كانه شيطان
وفي الحسن كانه ملك اي لم نر مثله لان الناس لا يرون الملايكة فهو
بناء على ظن في ان صورة الملك احسن او على الاخبار بطهارة اخلاقه وبعده عن
التهم ان هذا الا ملك اي ما هذا الا ملك وقال الشاعر ::
فلست لانسي ولكن لملك تنزل من جو السما يصوّر   وروي عن الحسن ما هذا
بشري البا والشين اي ما هذا عبدا مشترى اي ما ينبغي لمثل هذا ان يباع فوضع
المصدر موضع اسم المفعول كما قال احل لكم صيد البحر اي مصيده وشبهه كثير ويجوز
ان يكون المعنى ما هذا بثمن اي مثله يثمن ولا يقوم فيراد بالشرى على هذا الثمن
المشترى كقولك ما هذا بالف اذا نفيت قول القايل هذا بالف فالبا على هذا
متعلقة بمحذوف هو الخبر كانه قال ما هذا مقدرا بشرى وقراءة العامة اشبه لان
بعده ان هذا الا ملك كريم مبالغة في تفضيله في جنس الملايكة تعظيما لشانه

ولان مثل بشرى يكتب فى المصحف باليا قوله تعالى قالت فذلكن الذى لمتننى فيه لما رات افتتانهن بيوسف اظهرت عذر نفسها بقولها لمتننى فيه اى فى حبه وذلك بمعنى وهو اختيار الطبرى وقيل اى بها الحب وذلك على بابه والمعنى ذلك الحب الذى لمتننى فيه اى حب هذا هو ذلك الحب واللوم الوصف بالقبيح ثم اقرت وذلك ولقد راودته عن نفسه فاستعصم اى امتنع وسميت العصمة عصمة لانها تمنع من ارتكاب المعصية وقيل فاستعصم اى استعصا لما والمعنى واحد ولين لم يفعل ما امره ليسجنن عاودته المراوده بحضور منهن وهتكت جلباب الحيا ووعددت بالسجن ان لم يفعل وانما فعلت هذا حين لم تخش لوما ولا مقالا خلاف اول امرها اذا كان ذلك بينه وبينها وقرا بنون مخففة للتاكيد ونون التاكيد تخفف وتثقل والوقف على قوله ليسجنن بالنون لانها مثقلة وعلى ليكونا بالالف لانها خففة وهى مخففة وهى تشبه نون الاعراب فى قول رايت رجلا وزيدا وعمروا ومنه قوله لنسفعا بالناصية ونحوها الوقف عليها بالالف كقول الاعشى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا اراد فاعبدن فلما وقف عليه كان الوقف بالالف قوله تعالى قال رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه اى دخول السجن فحذف المضاف قاله الزجاج والنحاس احب الى اى اسهل على واهون من الوقوع فى المعصية لان دخول السجن مما يجب على التحقيق وحكى ان يوسف عليه السلام لما قال السجن احب الى اوحى الله اليه يا يوسف انت حبست نفسك حيث قلت السجن احب الى ولو قلت العافية احب الى لعوفيت وحكى ابو حاتم ان عثمان بن عفان رضى الله عنه انه قرا السجن بفتح السين وحكى ان ذلك قراه ابن ابى اسحق وعبد الرحمن الاعرج ويعقوب وهو مصدر سجنه سجنا والا تصرف عنى كيدهن اى كيد النسوة اللاتى راينه فانهن امرته بمطاوعة امراة العزيز وقلن له هى مظلومة وقد ظلمتها وقيل طلبت كل واحدة ان تخلوا به للنصيحة فى امراة العزيز والقصد بذلك ان يعذ لنه فى حقها ويامرنه بمساعدتها فلعله يجيب فصارت كل واحدة تخلوا به على حدة فيقول له يا يوسف اقض لى حاجتى فانا خير لك من سيدتك تدعوه كل واحدة لنفسها وتراوده فقال يا رب كانت واحدة فصرن جماعة وقيل كيد امراة العزيز فيما دعت اليه من الفاحشة وكنى عنها بخطاب الجمع اما لتعظيم شانها فى الخطاب واما ليعدل عن التصريح

الى التعريض والكيد الاحتيال والاجتهاد ولهذا سميت الحرب كيدا لاحتيال الناس
فيها قال عمرو بن لجا   تراءب كي يكيدك ام بشر وكيد بالتبرج ما يكيد
اصب اليهن جواب الشرط اي امل اليهن من صبا يصبوا اذا مال واشتاق صبوه
قال   الى هند صبا قلبي وهند مثلها تصبي   اي ان لم يلطف لي في اجتناب
المعصيه وقعت فيها واكن من الجاهلين اي ممن يركب الاثم ويستحق الذم وممن
يعمل عمل الجهال ودل هذا على ان احدا لا يمتنع من معصيه الله الا بعون الله
ودل ايضا على قبح الجهل والذم لصاحبه قوله تعالى فاستجاب له ربه
لما قال والا تصرف عني تعرض للدعا وكانه قال اللهم اصرف عني كيدهن
فاستجاب دعاه ولطف به وعصمه عن الوقوع في الزنا كيدهن قيل لانهن جمع
قد راودنه عن نفسه وقيل يعني كيد النسا وقيل يعني كيد امراه العزيز على
ما ذكر في الايه قبل والعموم اولى قوله تعالى ثم بدا لهم من بعد
ما راوا الايات ليسجننه حتى حين فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى ثم بدا لهم من
بعد ما راوا الايات اي ظهر للعزيز ومشورته من بعد ان راوا الايات علامات براءه
يوسف من قد القميص من دبر وشهاده الشاهد وحز الايدي وصبرهن لقا يوسف
ان يسجنوه كتمانا للقصه لئلا تشيع في العامه وللحيلوله بينه وبينها وقيل هي البركات
التي كانت سعه عليهم ما دام يوسف فيهم والاول اصح قال مقاتل عن مجاهد عن
ابن عباس في قوله ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات قال القميص من الايات وشهاده
الشاهد من الايات واعظام النسا اياه من الايات وقيل الجاها الخجل من
الناس والوجل من الناس الى ان رضيت بالحجاب مكان جوف الذهاب لتشتفي
اذا منعت من نظره قال   وما صبابه مشتاق الى امل من اللقا كمشتاق بلا امل
او كادت رجا ان يمل حبسه فيبذل نفسه   الثانيه قوله تعالى ليسجننه في موضع
الفاعل اي ظهر لهم ان يسجنوه هذا قول سيبويه قال المبرد وهذا غلط لا يكون
الفاعل جمله ولكن الفاعل ما دل عليه بدا وهو المصدر اي
بدا لهم بدا فحذف لان الفاعل يدل عليه كما قال الشاعر
وحق لمن ابو موسى ابوه يوفقه الذي نصب الجبالا   اي وحق الحق فحذف وقيل
المعنى ثم بدا لهم راي لم يكونوا يعرفونه وحذف هذا لان في الكلام دليلا عليه
وحذف ايضا القول اي قالوا ليسجننه واللام جواب اليمين مضمر قاله

القرا وهو فعل مذكر لافعل موث ولو كان فعل موث لكان لسحنانه ويدل
على هذا قوله لهم ولم يقل لهن فكانه اخبر عن النسوه واعوانهن فغلب المذكر
قاله ابو علي وقال السدي كان سبب حبس يوسف ان امراة العزيز شكت انه
شهرها ونشر خبرها فالضمير في هذا في لهم للملك الثالثه قوله حتى حين اي
الى مدة غير معلومه قاله كثير من المفسرين وقال ابن عباس الى انقطاع ماشاع
في المدينه وقال سعيد بن جبير سته اشهر وحكى الكيا انه عني ثلثه عشر سنه عكرمه
سبع الكلبي خمس سنين وقد مضى في البقره القول في الحين وما يرتبط به من
الاحكام قال وهب اقام اثني عشره سنه وحتى بمعنى الى كقوله تعالى حتى مطلع
الفجر وجعل الله الحبس تطهيرا ليوسف من همه بالمراه وكان العزيز وان عرف
براه يوسف اطاع المراه في سجن يوسف قال ابن عباس عثر يوسف ثلاث
عثرات حين هم بها فسجن وحين قال للفتى اذكرني عند ربك فلبث في السجن
بضع سنين وحين قال لاخوته انكم لسارقون فقالوا ان يسرق فقد سرق
فقد سرق اخ له من قبل الرابعه اكره يوسف عليه السلام على الفاحشه بالسجن
واقام خمسه اعوام وما رضي بذلك لعظم منزلته وشرف قدره ولو اكره رجل
على الزنا بالسجن ما جاز له اجماعا فان اكره بالضرب فقد اختلف فيه العلما
والصحيح انه اذا كان قادرا فانه يسقط عنه اثم الزنا وحده وقد قال بعض
علمائنا انه لا يسقط عنه الحد وهو ضعيف فان الله لا يجمع على عبده العذابين
ولا يصرفه بين بلائين وانه من اعظم الحرج في الدين وما جعل عليكم في
الدين من حرج وسياتي بيان هذا في النحل ان شا الله تعالى وصبر يوسف
واستعاذ به من الكيد فاستجاب له على ما تقدم قوله تعالى ودخل
معه السجن فتيان تثنيه فتى وهو من ذوات اليا وقولهم الفتوه شاذه قال
وهب وغيره حمل يوسف الى السجن مقيدا على حمار وطيف به هذا جزا من
عصى سيدته وهو يقول هذا ايسر من مقطعات النيران وسرابيل القطران
وشرب الحميم واكل الزقوم فلما انتهى يوسف الى السجن وجد فيه قوما قد انقطع
رجاهم واشتد بلاوهم فجعل يقول لهم اصبروا وابشروا توجروا فقالوا
له يا فتى ما احسن حديثك قد نورك لنا في جوارك من انت يا فتى قال انا
يوسف بن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم وقال

ابن عباس لما قالت المراه لزوجها ان هذا العبد العبرانى قد فضحنى وانا ارید
ان تسجنه فسجنه فى السجن وکا یعزى الحزین ویعود فیه المریض ویداوى
فیه الجریح ویصلى اللیل کله ویبکى حتى یبکى معه جدار البیوت وسقفها وظهر به
السجن واستانس به اهل السجن فکان اذا خرج الرجل من السجن رجع حتى
یجلس مع یوسف واحبه صاحب السجن فوسع علیه فیه ثم قال یا یوسف لقد احببتک
حبا لم احب شیا حبک قال اعوذ بالله من حبک قال ولم ذلک قال احبنى ابى ففعل
بى اخوتى ما فعلوا واحبتنى سیدتى فنزل بى ما ترى وکان فى حبسه حتى غضب
الملک على خبازه وصاحب شرابه وذلک ان الملک عمر فیهم فملوه فدسوا الى خبازه
وصاحب شرابه ان یسماه جمیعا فاجاب الخباز وابى صاحب الشراب فانطلق
صاحب الشراب فاخبر الملک بذلک فامره الملک بحبسهما فاستانسا بیوسف
فذلک قوله تعالى ودخل معه السجن فتیان وقد قیل ان الخباز وضع السم
فى الطعام فلما حضر الطعام قال الساقى ایها الملک لا تاکل فان الطعام مسموم فقال
الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملک للساقى اشرب فشرب فلم یضره
وقال للخباز کل فابى فجرب الطعام على حیوان فنفق مکانه فحبسهما وبقیا
فى السجن تلک المدة مع یوسف واسم الساقى منجا والاخر مختلف ذکره الثعلبى
عن کعب وقال النقاش اسم احدهما شرهم والاخر سرهم الاول بالشین المعجمه
والاخر بالسین المهمله وقال الطبرى الذى راى انه یعصر خمرا هو نبو قال السهیلى
وذکر اسم الاخر ولم اقیده وقال فتیان لانهما کانا عبدین والعبد یسمى فتى صغیرا
کان او کبیرا ذکره الماوردى قال القشیرى ولعل الفتى کان اسما للعبد فى عرفهم
ولهذا قال تراود فتاها عن نفسه ویحتمل ان یکون الفتى اسما للخادم وان لم
یکن مملوکا ویمکن ان یکون حبسهما مع حبس یوسف او قبله او بعده غیر انهما
دخلا معه البیت الذى کان فیه قال احدهما انى ارانى اعصر خمرا اى عنبا کان
یوسف قال لاهل السجن انى اعبر الاحلام فقال احد الفتیین لصاحبه تعال حتى
نجرب هذا الغلام العبرانى فسالاه من غیر ان یکونا رایا شیا قاله ابن مسعود
وحکى الطبرانى انهما سالاه عن علمه فقال انى اعبر الرویا فسالاه عن رویاهما
قال ابن عباس ومجاهد کانت رویا صدق راياها وسالاه عنها ولذلک صدق
تاویلها وفى الصحیح عن ابى هریره عن النبى صلى الله علیه وسلم قال اصدقکم رویا

اصدقكم حديثا وقيل انها كانت رويا كذب سالاه عنها تجريبا وهذا قول ابن مسعود
والسدي وقيل ان المصلوب منهما كان كاذبا والاخر كان صادقا قال ابو مجلز
روى الترمذي عن ابن عباس قال من تحلم كاذبا كلف يوم القيمة ان يعقد بين
شعيرتين قال ابو عيسى هذا حديث صحيح وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من كذب في حلمه كلف يوم القيمة عقد شعيرة قال حديث حسن قال ابن عباس
لما رادويا هما اصبحا مكروبين فقال لهما يوسف مالي اراكما مكروبين قالا يا
سيدنا انا راينا ما كرهنا قال فقصا علي فقصاه عليه قالا نبئنا بتاويل ما راينا
وهذا يدل على انها كانت رويا منام انا نراك من المحسنين فاحسانه ما كان
يعود المرضى ويداوي ويعزي الحزانا قال الضحاك كان اذا مرض الرجل من
اهل السجن قام به واذا ضاق وسع له واذا احتاج جمع له وسال له وقيل من
المحسنين اي العالمين الذين احسنوا العلم قال الفرا وقال ابن اسحق من المحسنين
لنا ان فسرته كما تقول افعل كذا فانت محسن قال فما رايتما قال الخباز رايت
كاني احمرت في ثلاثة تنانير وجعلته في ثلاث سلال فوضعته على راسي فجا
الطير فاكل منه وقال الاخر رايت كاني اخذت ثلاث عناقيد من عنب ابيض
فعصرتهن في ثلاث اواني ثم صفيته فسقيت الملك لعادتي فيما مضى فذلك
اني اراني اعصر خمرا اي عنبا بلغة عمان قال الضحاك وقرا ابن مسعود اني اراني
اعصر عنبا وقال الاصمعي اخبرني المعتمر بن سليمان انه لقي اعرابيا ومعه عنبا
فقال ما معك قال خمر وقيل معنى اعصر خمرا اي عنب خمر بحذف المضاف
ويقال خمر وخمر وخمور مثل تمر وتمر وتمور قال لهما يوسف عليه السلام
لا ياتيكما طعام يرزقانه يعني لا يجيئكما غدا طعام من منزلكما الا نباتكما بتا
لتعلما اي اعلم تاويل رويا كما فقالا افعل فقال لهما يجيئكما كذا وكذا وكان
ما قال وكان هذا من علم الغيب خص به يوسف وبين ان الله تعالى خصه
بهذا العلم لانه ترك ملة قوم لا يومنون بالله يعني دين الملك ومعنى الكلام عندي
العلم بتاويل مناسكما والعلم بما يا سكما من طعامكما والعالم بدين الله فاسمعوا
اولا ما يتعلق بالدين ليهتدوا وهذا يعبر لهما حتى دعاهما الى الاسلام فقال
يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما يعبدون
من دونه الاية كلها على ما ياتي وقيل ان احدهما مقتول فدعاهما الى الاسلام

ويله

ليسعدوا وقيل ان يوسف كره ان يعبر لهما ماسالاه لما علمه من المكروه على
احدهما فاعرض عن سوالهما واخذ فى غيره فقال لا ياتيكما طعام يرزقانه
فى اليوم الا نبأتكما بتفسيره فى اليقظة قاله السدى وقالا هذا من فعل العرافين
والكهنة فقال لهما يوسف ما انا بكاهن وانما ذلك العلم مما علمنيه ربى انى لا
اخبركما به تكهنا وتنجما بل هو بوحى من الله عز وجل وقال ابن جريج كان الملك
اذا اراد قتل انسان صنع له طعاما معروفا فارسل به اليه فالمعنى لا ياتيكما طعام
ترزقانه فى اليقظة فعلى هذا ترزقانه ان يجرى عليكما من جهة الملك او غيره
ويحتمل يرزقكما الله قال كان يخبرهما بما غاب كعيسى عليه السلام وقيل انما دعاهما
بذلك الى الاسلام وجعل المعجزة التى يستدلان بها اخبارهما بالغيوب قوله
تعالى واتبعت ملة ابرهيم واسحق ويعقوب لانهم انبياء على الحق ما كان ينبغى لنا ان
نشرك بالله من شئ من للتاكيد كقوله ما جاءنى من احد وقوله تعالى من فضل الله
علينا اشارة الى عصمته من الزنا وعلى الناس اى على المومنين الذين عصمهم
الله عن الشرك وقيل ذلك من فضل الله علينا اى جعلنا انبياء وعلى الناس اذ
جعلنا الرسل اليهم ولكن اكثر الناس لا يشكرون على نعمه بالتوحيد والايمان
يا صاحبى السجن اى يا ساكنى السجن وذكر الصحبة لطول مقامهما فيه كقولك
اصحاب الجنة واصحاب النار ارباب متفرقون اى فى الصغر والكبر والتوسط
او متفرقون فى العدد خير ام الله الواحد القهار وقيل الخطاب لهما ولاهل
وكان بين ايديهم اصنام يعبدونها من دون الله فقال ذلك الزاما
للحجة اى الهة شتى لا يضر ولا ينفع خير ام الله الواحد القهار الذى قهر كل
شئ نظيره الله خيرا ما يشركون وقيل اشار بالتفرق الى انه لو تعدد الاله لتفرقوا
فى الارادة ولعلى بعضهم على بعض وبين انها اذا تفرقت لم تكن الهة
ما تعبدون من دونه الا اسماء بين عجز الاصنام وضعفها فقال ما يعبدون من دونه
اى من دون الله الا ذوات اسماء لا معانى لها سميتموها من تلقاء انفسكم وقيل عنى
بالاسماء المسميات اى ما يعبدون الا اصناما ليس لها من الالهية شئ الا الاسم
لانها جمادات وقال ما يعبدون وقد ابتدأ الخطاب للاثنين لانه قصد جميع من
هو على مثل حالهما من الشرك الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم فحذف المفعول الثانى
للدلالة والمعنى سميتموها الهة من عند انفسكم ما انزل الله ذلك فى كتاب قال

سعيد بن جبير من سلطان اى من حجة ان الحكم الا لله الذى هو خالق الكل
امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم اى القويم ولكن اكثر الناس
لا يعلمون   يا صاحبى السجن اما احدكما فيسقى ربه خمرا فيه مسئلتان
قوله تعالى اما احدكما فيسقى ربه خمرا اى قال للساقى انك ترد على عملك الذى
كنت عليه من سقى الملك بعد ثلاثة ايام وقال للاخر واما انت فتدعى الى
ثلاثة ايام فتصلب فتاكل الطير من راسك قال والله ما رايت شيا قال رايت
او لم تر قضى الامر الذى فيه تستفتيان وحكى اهل اللغة ان سقى واسقى لغتان
بمعنى واحد كما قال الشاعر   سقى قومى بنى مجد واسقى نميرا والقبايل من هلال
قال النحاس الذى عليه اكثر اهل اللغة ان معنى سقاه ناوله فشرب او صب الما
فى حلقه ومعنى اسقاه جعل له سقيا قال الله تعالى واسقيناكم ماء فراتا
الثانية قال علماونا ان قيل من كذب فى رؤياه ففسرها العابر له لم يلزمه
حكمها قلت لا يلزمه وانما كان ذلك فى يوسف لانه نبى وتعبير النبى حكم
وقد قال انه يكون كذا فاوجد الله تعالى ما اخبر كما قال تحقيقا لنبوته فان قيل
فقد روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال جاء رجل الى عمر بن الخطاب
رضى الله عنه قال انى رايت كانى اعشبت ثم اجدبت ثم اعشبت ثم اجدبت
فقال له عمر انت رجل تؤمن ثم تكفر ثم تؤمن ثم تكفر تموت كافرا فقال الرجل ما
رايت شيا فقال عمر قد قضى لك ما قضى لصاحب يوسف قلنا ليست لاحد بعد
عمر لان عمر كان محدثا وكان اذا ظن ظنا واذا تكلم به وقع على ما ورد فى اخباره
وهى كثيرة منها انه دخل عليه رجل فقال له اظنك كاهنا فكان كما ظن اخرجه
البخارى ومنها انه سال رجلا عن اسمه فقال له فيه اسما النار كلها فقال له
ادرك اهلك فقد احترقوا فكان كما قال اخرجه الموطا وسياتى لهذا مزيد
بيان فى سورة الحجر ان شا الله تعالى قوله تعالى وقال الذى ظن انه
ناج منهما اذكرنى عند ربك فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى وقال للذى
ظن انه ناج ظن هنا بمعنى اليقين فى قول اكثر المفسرين وفسره قتادة على
الظن الذى هو خلاف اليقين قال انما ظن يوسف نجاته لان العابر يظن ظنا
وربك يخلق ما يشاء والاول اصح واشبه بحال الانبياء وانما قال للفتيين فى
تعبير الرويا كان عن وحى وانما يكون ظنا فى حكم الناس واما فى حق الانبيا

فاحكمهم حتى كيف ما وقع النساء قوله اذكرنى عند ربك اى سيدك وذلك
معروف فى اللغة ان يقال للسيد رب قال الاعشى ربى كريم لا يكدر نعمة
اذا تنوشد بالمهارق انشدا اى اذكر ما رايته وما انا عليه من عبارة
الرؤيا للملك واخبره انى مظلوم محبوس بلا ذنب وفى صحيح مسلم وغيره عن
ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسق ربك اطعم ربك و
ضئ ربك ولتقل سيدى مولاى وليقل فتاى فتاتى غلامى وفى القران اذكرنى
عند ربك الى ربك انه ربى احسن مثواى اى صاحبى يعنى العزيز ويقال لكل من
قام باصلاح شئ واتمامه قد ربه يربه فهو رب له قال العلماء قوله عليه السلام
لا يقولن وليقل من باب الارشاد الى اطلاق اسم الاولى لا ان اطلاق ذلك
الاسم محرم لانه قد جاء عنه عليه السلام ان تلد الامة ربها اى مالكها وسيدها
وهذا موافق للقران فى اطلاق ذلك اللفظ فكان محل النهى فى هذا الباب ان
لا تتخذ هذه الاسماء عادة فيترك الاولى والاحسن وقد قيل ان قول الرجل عبدى
وامتى يجمع معنيين احدهما ان العبودية بالحقيقة انما هى لله تعالى ففى قول الواحد
من الناس لمملوكه عبدى وامتى تعظيم عليه واضافة له الى نفسه لما اضافه
الله تعالى الى نفسه وذلك غير جائز والثانى ان المملوك يدخله من ذلك شئ
فى استصغاره بتلك التسمية فيحمله ذلك على سوء الطاعة وقال ابن شعبان فى
الزاهى لا يقل السيد عبدى وامتى ولا يقل المملوك ربى ولا ربتى وهذا محمول على
ما ذكرناه وقيل انما قال صلى الله عليه وسلم لا يقل العبد ربى وليقل سيدى
لان الرب من اسماء الله تعالى المستعملة بالاتفاق واختلف فى السيد هل هو من
اسماء الله تعالى ام لا فاذا قلنا ليس من اسماء الله فالفرق واضح اذ لا التباس
ولا اشكال واذا قلنا انه من اسمائه فليس فى الشهرة والاستعمال كلفظ الرب
فيحصل الفرق وقال ابن العربى يحتمل ان يكون ذلك جائزا فى شرع يوسف عليه
السلام قوله تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه الضمير فى انساه
فيه قولان احدهما انه عائد الى يوسف اى انساه الشيطان ذكر الله عز وجل وذلك
انه لما قال يوسف لساقى الملك حين علم انه سينجو ويعود الى حالته الاولى مع
الملك اذكرنى عند ربك نسى فى ذلك الوقت ان يشكو الى الله ويستغيث به وجنح
الى الاعتصام بمخلوق فعوقب قال عبد العزيز بن عمير الكندى دخل جبريل

عليه السلام على يوسف النبي عليه السلام في السجن فعرفه يوسف فقال يا اخا المنذرين
مالي اراك بين الخاطئين فقال جبريل عليه السلام يا طاهر الطاهرين يقرا السلام رب
العالمين ويقول ما استحيت اذ استغثت بالادميين وعزتي لالبثنك في السجن
بضع سنين فقال يا جبريل اهو عني راض قال نعم قال لا ابالي الساعة وروى ان
جبريل عليه السلام جاءه يعاتبه عن الله تعالى في ذلك وطول سجنه وقال له يا يوسف من
خلصك من القتل من ايدي اخوتك قال الله قال فمن اخرجك من الجب قال الله قال
فمن عصمك من الفاحشة قال الله قال فمن صرف عنك كيد النسا قال الله قال فكيف وثقت
بمخلوق وتركت ربك فلم تساله قال يا رب كلمة زلت مني اسلك باله ابرهيم واسحق
والشيخ يعقوب عليهم السلام الا رحمتني قال له جبريل فان عقوبتك ان تلبث
في السجن بضع سنين وروى ابو سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قال اذكرني عند ربك ما لبث في
السجن بضع سنين وقال ابن عباس عوقب يوسف بطول السجن بضع سنين وقال ابن
عباس عوقب يوسف بطول السجن بضع سنين لما قال للذي نجا منهما اذكرني عند
ربك ولو ذكر يوسف ربه لخلصه وروى اسمعيل بن ابراهيم عن يونس عن الحسن قال
قال نبي الله صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف يعني قوله اذكرني عند ربك ما لبث
في السجن ما لبث قال ثم بكى الحسن ويقول نحن ينزل بنا الامر فنشكوا الى الناس
وقيل ان الها تعود على الناجي فهو الناسي اي انسى الشيطان الساقي ان يذكر يوسف
لربه اي لسيده وفيه حذف اي انساه الشيطان ذكره لربه وقد رجح بعض العلما
هذا القول فقالوا لو ان الشيطان انسى يوسف ذكر الله لما استحق العقاب باللبث
في السجن اذ الناسي غير مواخذ واجاب اهل القول الاول بان النسيان قد يكون بمعنى
الترك فلما ترك ذكر الله ودعاه الشيطان الى ذلك عوقب رد عليهم اهل القول الثاني
بقوله تعالى وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة فدل على ان الناسي الساقي لا
يوسف مع قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فكيف يصح ان يضاف
نسيانه الى الشيطان وليس له على الانبيا سلطنة قيل ان النسيان فلا عصمة للانبيا
عنه الا في وجه واحد وهو الخبر عن الله تعالى فيما يبلغونه فانهم معصومون فيه واذا
وقع منهم النسيان حيث يجوز وقوعه فانه ينسب الى الشيطان اطلاقا وذلك انما
يكون فيما اخبر الله عنهم ولا يجوز لنا نحن ذلك فيهم قال صلى الله عليه وسلم نسي

والنفوس والعقول والانساب والاموال فكل مايضمن تحصيل شى من هذه
الامور فهو مصلحة وكل ما يفوت شيا منها فهو مفسدة ودفعه مصلحة ولا خلاف
ان مقصود الشرايع ارشاد الناس الى مصالحهم الدنيوية لتحصيل لهم التمكن
فى معرفة الله تعالى وعبادته الموصلين الى السعادة الاخروية ومراعاة ذلك
فضل من الله عز وجل ورحمة بها عباده من غير وجوب عليه ولا استحقاق هذا
مذهب كافة المحققين من اهل السنة اجمعين وبسطه فى اصول الفقه قوله
تعالى ثم ياتى من بعد سبع شداد فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى سبع شداد يعنى
السنين المجدبات ياكلن مجاز والمعنى ياكل اهلهن ما قدمتم لهن اى ما ادخرتم
لاجلهن ونحوه قول القايل نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى
لك لازم والنهار لا يسهو والليل لا ينام وانما تسمى فى النهار وتنام فى الليل
وحكى زيد ابن اسلم عن ابيه ان يوسف كان يضع طعاما اثنين فيقربه الى رجل
فيأكل نصفه حتى اذا كان يوما قربه له فاكله كله فقال يوسف هذا اول يوم من السبع
الشداد الثانية قوله تعالى الا قليلا نصب على الاستثنا مما تحصنون اى مما
تحبسون لتزرعوا لان فى استبقا البذر تحصين الاقوات وقال قتادة تحصنون
تدخرون والمعنى واحد وهو يدل على جواز احتكار الطعام الى وقت الحاجة وهذه
الاية اصل فى صحة رويا الكافر وانها تخرج على حسب ما راى لا سيما اذا تعلقت
لمومن فكيف اذا كانت اية لنبى ومعجزة لرسول وتصديقا لمصطفى للتبليغ وحجة
للواسطة بين الله جل جلاله وعباده قوله تعالى ثم ياتى من بعد ذلك عام
هذا خبر من يوسف عليه السلام عما لم يكن فى رويا الملك ولكنه من علم الغيب الذى
اتاه الله قال قتادة زاده الله علم سنة لم يسالوه عنها اظهارا لفضله واعلاما
بمكانه من العلم وبمعرفته فيه يغاث الناس من الاغاثة او الغوث غوث الرجل
قال واغوثاه والاسم الغوث واستغاثنى فلان فاغثته والاسم الغياث صارت
الواو يا لكسرة ما قبلها والغيث المطر وقد غاث الغيث الارض اى اصابها و
اغاث الله البلاد يغيثها غيثا وغيثت الارض تغاث غيثا فهى ارض مغيثة
ومغيوثة فمعنى يغاث الناس يمطرون وفيه يعصرون قال ابن عباس يعصرون
الاعناب والدهن ذكره البخارى وروى حجاج عن ابن جريج قال يعصرون
العنب خمرا والسمسم دهنا والزيتون زيتا وقيل اراد حلب الالبان

اكثرها ويدل على ذلك كثرة النبات وقال يعصرون اى ينجون وهو من العصر
وهى المنجاه قاله ابو عبيده والعصر بالتحريك الملجاء والمنجاه وكذلك العصره
قال زيد صاديا يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود
والمنجود الفزع واعتصرت بفلان وتعصرت اى التجات اليه وقال ابو الغوث ،،
يعصرون يستغلون وهو من عصر العنب واعتصرت ماله استخرجته عن يده
وقرا عيسى يعصرون بضم التا وفتح الصاد ومعناه يمطرون من قوله وانزلنا
من المعصرات ماء ثجاجا وكذلك المعنى بضم التا وكسر الصاد فيمن قرا كذلك
قوله تعالى وقــــــــــــال تعالى وقال الملك ائتونى به اى فذهب الرسول فاخبر
الملك فقال ائتونى به فلما جاءه الرسول اى امره بالخروج فقال ارجع الى ربك
فسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن فابى ان يخرج الى ان يصح براءته للملك
فيما قذف به وانه حبس بلا جُرْم وروى الترمذى عن ابى هريرة قال قال
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إنّ الكريمَ بنَ الكريمِ بنِ الكريمِ يوسفُ بنُ
يعقوبَ بنِ ابراهيم ولو لبثتُ فى السجن ما لبثَ ثم جاءنى الرسول اجبت ثم قرا
فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطّعن ايديهن
قال ورحمة الله على لوط لقد كان يأوى الى ركن شديد فما بعث الله بعده نبيًّا
الا فى ذروةٍ من قومه وروى البخارى عن ابى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان ياوى الى ركن شديد ولو لبثت فى
السجن ما لبث الداعى ونحن احق بالشك من ابراهيم اذ قال له اولم يؤمن
قال بلى ولكن ليطمئن قلبى وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يرحم الله
اخى يوسف لقد كان صابرا حليما ولو لبثت فى السجن لبثه اجبت الداعى ولم
التمس العذر من طريق عبد الرحمان بن القاسم صاحب مالك فى كتاب التفسير
من صحيح البخارى وليس لابن القسم فى الديوان غيره وفى رواية الطبرى يرحم
الله يوسف لو كنت انا المحبوس ثم ارسل الىّ لخرجت سريعا ان كان حليما ذا اناه
وقال صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله
يغفر له حين سئل عن البقرات لو كنت مكانه لما صبرتهم حتى اشترط ان
يخرجونى لقد عجبت منه حين اتاه الرسول لو كنت مكانه لما اخبرتهم
قال ابن عطيه كان هذا الفعل من يوسف عليه السلام اناة وصبرا

بنْ اسحٰق صح

لعبد لان المعنى لم تر شيا له تاويل انما هى اضغاث احلام اى اخلاط وواحد الاضغاث
ضغث يقال لكل مختلط من بقل وحشيش او غيرها ضغث قال الشاعر
كضغث حلم غر منه حالمه وماتحن بتاويل الاحلام بعالمين قال الزجاج المعنى
بتاويل الاحلام المختلطه نفوا عن انفسهم على التاويل وقيل نفوا عن انفسهم
على التعبير والاضغاث على هذا الجماعات من الرويا التى منها صحيحه ومنها باطله ولهذا
قال الساقى انا انبئكم بتاويله فعلم ان القوم عجزوا عن التاويل لا انهم ادعوا ان لا
تاويل لها وقيل انهم لم يقصدوا التفسير وانما ارادوا محوها عن صدر الملك حتى
لا يشتغل بالـ وعلى هذا ايضا بعندهم علم والاحلام جمع حلم والحلم بالضم ما يراه
النايم تقول منه حلم بالفتح واحتلم وتقول حلمت بكذا وحلمته قال
فحلمتها وبنو رفيدة دونها لا يبعدن خيالها المحلوم واصل الاناه ومنه
الحلم ضد الطيش وقيل لما يرى فى النوم حلم لان النوم حالة اناه وسكون ودعه الثانيه فى الايه
دليل على بطلان قول من يقول ان الرويا على اول ما يعبر لان القوم قالوا اضغاث
احلام ولم يقع كذلك فان يوسف فسرها على سنى الجدب والخصب وفيها دليل
على فساد الرويا على رجل طاير فاذا عبرت وقعت قوله تعالى الذى
نجا منهما ساقى وادكر بعد امه اى بعد حين عن ابن عباس وغيره ومنه الى امه
معدوده واصله الجمله من الحين وقال درستويه والامه لا يكون الحين الا
على حذف مضاف واقامه المضاف اليه مقامه كانه قال والله اعلم وادكر بعد
حين او بعد زمن امه وما اشبه ذلك والامه الجماعه الكثيره من الناس قال
الاخفش هو فى اللفظ واحد وفى المعنى جمع وكل جنس من الحيوان امه وفى الحديث
لولا ان الكلاب امه من الامم لامرت بقتلها قوله تعالى وادكر اى يذكر
حاجه يوسف وهو قوله اذكرنى عند ربك وقرا ابن عباس فيما روى عثمان عن
قتاده عن عكرمه عنه وادكر بعد امه النحاس والمعروف من قراه ابن عباس
وعكرمه والضحاك وادكر بعد امه بفتح الهمزه وتخفيف الميم اى بعد نسيان
قال الشاعر امهت وكنت لا انسى حديثا كذلك الدهر يودى بالعقول
وعن عروه عن شبل الضبعى بعد امه بفتح الالف واسكان الميم وها خالصه وهو
مثل الامه وهما لغتان ومعناهما النسيان ويقال امه يامه امها اذا نسى فعلى هذا
وادكر بعد امه ذكره النحاس ورجل امه وراه ذاهب العقل قال الجوهرى

واما في حديث الزهري رامه بمعنى اقر واعترف فهي لغة غير مشهورة وقال
الاشهب العقيلي بعد امه اي بعد نعمه بعد ان نعم الله عليه بالنجاه ثم قال
نسي الفتى يوسف لقضا الله في بقايه في السجن مدة وقيل ما نسي ولكنه خاف ان يذكر
الملك الذنب الذي بسببه حبس هو والخباز فقوله وادكر اي ذكر واخبر قال النحاس
الاصل في ادكر اذتكر والدال قريب المخرج من التا ولم يجز ادغامها لان الدال
مجهورة والتا مهموسه فلو ادغموا ذهب الجهر فابدلوا من التا حرفا مجهورا وهو
الدال وكان اولى من الطا لان الطا مطبقه فصار اذدكر فادغموا الدال في
الدال لرخاوة الدال ولينها ثم قال انا انبئكم بتاويله اي انا اخبركم وقرا
الحسن انا انبئكم بتاويله وقال كيف ينبئهم العلج قال النحاس ومعنى انبئكم صحيح
حسن اي انا اخبركم اذا سالت فارسلون خاطب الملك ولكن بلفظ التعظيم او
خاطب الملك واهل مجلسه يوسف ندا مفرد وكذا الصديق اي الكثير الصدق
افتنا اي فارسلوه فجا الى يوسف فقال ايها الصديق وساله عن رويا الملك لعلي
ارجع الى الناس لعلهم اي الى الملك لعلهم يعلمون مكانك من الفضل والعلم فتخرج
ويحتمل ان يريد الناس الملك وحده تعظيما له قوله تعالى تزرعون سبع
سنين فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى قال تزرعون لما اعلمه الرويا جعل يفسرها
له فقال السبع من البقرات السمان والسنبلات الخضر سبع سنين مخصبات
واما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين جدبات فذلك
قوله قال تزرعون دابون كعادتكم في الزراعه سبع وقيل هو حال اي دائبين
وقيل صفة لسبع سنين اي دائبه وحكى ابو حاتم عن يعقوب دأبا بتحريك الهمزة
وكذا روى حفص عن وهما لغتان وفيه قولان الى حاتم انه من دئب قال النحاس
ولا يعرف اهل اللغه الا داب والقول الاخر انه حرك لان فيه حرفا من حروف
الحلق قاله قال وكذلك كل حرف فتح اوله وسكن ثانيه فتثقيله جايز اذا كان ثانيه
همزة او ها او عينا او غينا او حا او خا فما حصدتم فذروه في سنبله قيل لئلا
يتسوس وليكون ابقى وهكذا الامر في ديار مصر الا قليلا مما تاكلون اي استخرجوا
ما تحتاجون اليه بقدر الحاجه وهذا القول منه امر والاول خبر ويحتمل ان
يكون الاول ايضا امرا وان كان الاظهر منه الخبر فيكون معنى تزرعون
الثانيه هذه الايه اصل في القول بالمصالح الشرعيه التي هي حفظ الاديان ،،

والنفوس والعقول والانساب والاموال فكل ما يضمن تحصيل شي من هذه
الامور فهو مصلحة وكل ما يفوت شيا منها فهو مفسدة ودفعه مصلحة ولا خلاف
ان مقصود الشرايع ارشاد الناس الى مصالحهم الدنيوية ليحصل لهم التمكن
في معرفة الله تعالى وعبادته الموصلتين الى السعادة الاخروية ومراعاة ذلك
فضل من الله عز وجل ورحمة بها عباده من غير وجوب عليه ولا استحقاق هذا
مذهب كافة المحققين من اهل السنة اجمعين وبسط في اصول الفقه قوله
تعالى ثم ياتي من بعد سبع شداد فيه مسلتان الاولى قوله تعالى سبع شداد يعني
السنين المجدبات ياكلن مجاز والمعنى ياكل اهلهن ما قدمتم لهن اي ما ادخرتم
لاجلهن ونحوه قول القايل نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى
لك لازم والنهار لا يسهو والليل لا ينام وانما يسهى في النهار وينام في الليل
وحكى زيد ابن اسلم عن ابيه ان يوسف كان يصنع طعام اثنين فيقربه الى رجل
فياكل نصفه حتى اذا كان يوما قربه له فاكله كله فقال يوسف هذا اول يوم من السبع
الشداد الثانية قوله تعالى الا قليلا نصب على الاستثنا مما تحصنون اي مما
تحبسون لتزرعوا لان في استبقا البذر تحصين الاقوات وقال قتادة تحصنون
تدخرون والمعنى واحد وهو يدل على جواز احتكار الطعام الى وقت الحاجة وهذه
الاية اصل في صحة رويا الكافر وانها تخرج على حسب ما راى لا سيما اذا تعلقت
لمومن فكيف اذا كانت اية لنبي ومعجزة لرسول وتصديقا لمصطفى للتبليغ وحجة
للواسطة بين الله جل جلاله وعباده قوله تعالى ثم ياتي من بعد ذلك عام
هذا خبر من يوسف عليه السلام عما لم يكن في رويا الملك ولكنه من علم الغيب الذي
اتاه الله قال قتادة زاده الله علم سنة لم يسالوه عنها اظهارا لفضله واعلاما
بمكانه من العلم وبمعرفته فيه يغاث الناس من الاغاثة او الغوث غوث الرجل
قال واغوثاه والاسم الغوث واستغاثني فلان فاغثته والاسم الغياث صارت
الواو يا لكسرة ما قبلها والغيث المطر وقد غاث الغيث الارض اي اصابها و
اغاث الله البلاد يغيثها غيثا وغيثت الارض تغاث غيثا فهي ارض مغيثة
ومغيوثة فمعنى يغاث الناس يمطرون وفيه يعصرون قال ابن عباس يعصرون
الاعناب والدهن ذكره البخاري وروى حجاج عن ابن جريج قال يعصرون
العنب خمرا والسمسم دهنا والزيتون زيتا وقيل اراد حلب الالبان

اكثر بها ويدل على ذلك كثرة النبات وقال يعصرون اى ينجون وهو من العصرة
وهى المنجاة قال ابو عبيدة والعصر بالتحريك الملجاء والمنجاة وكذلك العصرة
قال زبيد صاديا يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود
والمنجود الفزع واعتصرت بفلان وتعصرت اى التجأت اليه وقال ابو الغوث
يعصرون يستغلون وهو من عصر العنب واعتصرت ماله استخرجته من يده
وقرا عيسى يعصرون بضم التاء وفتح الصاد ومعناه يمطرون من قوله وانزلنا
من المعصرات ماء ثجاجا وكذلك المعنى بضم التاء وكسر الصاد فيمن قرا كذلك
قوله تعالى ـــــ تعالى وقال الملك ائتونى به اى فذهب الرسول فاخبر
الملك فقال ائتونى به فلما جاءه الرسول اى امره بالخروج فقال ارجع الى ربك
فسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن فابى ان يخرج الى ان يصح براءته للملك
مما قذف به وانه حبس بلا جرم وروى الترمذى عن ابى هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انّ الكريمَ بنَ الكريمِ بنِ الكريمِ يوسفُ بنُ
يعقوبَ بنِ ابراهيمَ ولو لبثتُ فى السجن ما لبثَ ماجائى الرسول اجبت ثم قرا
فلمّا جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطّعن ايديهن
قال ورحمة الله على لوط لقد كان يأوى الى ركن شديد فما بعث الله بعده نبيًّا
الا فى ذروة من قومه وروى البخارى عن ابى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان ياوى الى ركن شديد ولو لبثت فى
السجن ما لبث الداعى ونحن احق بالشك من ابراهيم اذ قال له اولم تومن
قال بلى ولكن ليطمئن قلبى وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يرحم الله
اخى يوسف لقد كان صابرا حليما ولو لبثت فى السجن لبثه اجبت الداعى ولم
التمس العذر من طريق عبد الرحمان بن القاسم صاحب مالك فى كتاب التفسير
من صحيح البخارى وليس لابن القسم فى الديوان غيره وفى رواية الطبرى يرحم
الله يوسف لو كنت انا المحبوس ثم ارسل الى لخرجت سريعا ان كان حليما ذا اناة
وقال صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله
يغفر له حين سئل عن البقرات لو كنت مكانه لما اخبرتهم حتى اشترط ان
يخرجونى لقد عجبت منه حين اتاه الرسول لو كنت مكانه لما اخبرتهم
قال ابن عطية كان هذا الفعل من يوسف عليه السلام اناة وصبرا

وطلبا لبراه الساحه وذلك انه حتى ان يخرج و سالبه من الملك مرتبه و
تسكى عن امرد سه صيتها فبراه الناس بتلك العين فيتولوا هذا الذى راود
امراته فاراد يوسف عليه السلام ان يبين براته و لحقق منزلته
من العفه والخير وحينئذ يخرج الاحطا والمنزله فلهذا قال للرسول
ارجع الى ربك وقل له ما بال النسوه ومقصد يوسف عليه السلام
انما كان وقل له تستفتى عن دينى وتنظر فى امرى هل سجنت لحق او
نظلم وتكف عن امراه العزيز حسن عشره ورعايه لدمام الملك العزيز
له فان قيل كيف مدح النبى صلى الله عليه وسلم يوسف بالصبر
والاناه وترك المبادرة الى الخروج ثم هو يذهب بنفسه عن حاله
قد مدح بها غيره فالوجه فى ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم
انما اخذ لنفسه وجها اخر من الراى ايضا من الجوده يقول لو كنت انا
لبادرت بالخروج ثم حاولت بيان عذرى بعد ذلك وذلك ان
هذه القصص والنوازل هى معرضه لتقتدى الناس بها الى يوم
القيمه فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم حمل الناس على الاحزم
من الامور وذلك ان ترك الحزم فى مثل هذه النازله التارك
فرصه الخروج من مثل ذلك السجن ربما يفتح له البقاء فى سجنه و
انصرفت نفس مخرجه عنه وان كان يوسف عليه السلام امن
من ذلك بعلمه من الله فغيره من الناس لا يامن ذلك فالحاله التى
ذهب النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه اليها حاله حزم وما
فعله يوسف صبر عظيم وجلد قوله تعالى فسئله ما بال
النسوة فذكر النساء جملة ليدخل فيها امراة العزيز مدخل العموم بالتلويح
لا يقع عليها تصريح وذلك حسن عشره وادب وفى الكلام
محذوف اى فسئله ان يتعرض ما بال النسوة قال ابن عباس فارسل
الملك الى النسوة والى امراة العزيز وكان قدمات العزيز فدعا
هن فقال ما خطبكن الى ما شانكن اذ راودتن يوسف عن نفسه
وذلك ان كل واحده منهن كلمت يوسف فى حق نفسها على ما
تقدم واراد قول كل واحده منكن فدظلمت امراة العزيز و

الوجه وعبوس الجبين بل اعاشركم على ماكنت عليه معكم وفي هذا ما يدل على
انه عفى عن مواخذتهم وعن حبيب بن ابي ثابت ان يعقوب كان قد سقط حاجباه
على عينيه وكان يرفعهما بخرقة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان
فاوحى الله اليه اتشكوني يا يعقوب قال يا رب خطيئة اخطيتها فاغفرلي والله
المستعان ابتدا وخبر على ما يصفون اي على احتمال ما تصفون من الكذب
التاكيد قال ابن ابي رفاعة ينبغي لاهل الراي ان يتهموا راهم عند ظن يعقوب
عليه السلام وهو نبي حين قال لهم بنوه انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف
عند متاعنا فاكله الذيب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل فاصاب
هنا ثم قالوا له ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين
قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر فلم يصب قوله تعالى وجاءت
سيارة اي رفقة مارة يسيرون من الشام الى مصر فاخطوا الطريق وهاموا حتى نزلوا قريبا
من الجب وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران انما هو للرعاة والمجتاز وكان ماؤه ملحا
فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا واردهم فذكر على المعنى ولو قال فارسلت
واردها لكان على اللفظ مثل وجاءت والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم وكان
اسمه فيما ذكر المفسرون مالك بن ذعر من العرب العاربة فادلى دلوه اي ارسله تقال
ادلى يدلو اي جذب واخرج وكذلك ادلى اذا ارسل فلما ثقل ردوه الى الياء لانها
اخف من الواو وقال الكوفيون وقال الخليل وسيبويه لما جاوز ثلثة احرف رجع
الى الياء بالمستقبل وجمع دلو في اقل العدد ادل فاذا كثرت قلت دلي ودلي فقلبت
الواو يا الا ان الجمع بابه التغيير وليفرق بين الواحد والجمع ودلاء ايضا فتعلق
يوسف بالحبل فلما خرج اذا غلام كالقمر ليلة البدر احسن ما يكون من الغلمان قال
صلى الله عليه وسلم في حديث الاسرا في صحيح مسلم فاذا انا بيوسف اذا هو قد اعطي
شطر الحسن وقال كعب الاحبار كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم
العين مستوي الخلق ابيض اللون غليظ الساعدين والعضدين خميص البطن
صغير السرة اذا تبسم رايت النور من ضواحكه واذا تكلم رايت في كلامه شعاع الشمس
من ثناياه لا يستطيع احد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه
آدم عليه السلام يوم خلقه الله ونفخ فيه من روحه قبل ان يصيب المعصية وقيل انه
ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد اعطيت سدس الحسن فلما

راه مالك بن دعر قال يا بشراى هذا غلام هذه قراءة اهل المدينة واهل البصرة
الا ابن اسحق فانه قرا يا بشرى هذا غلام فقلبت الالف ياء لان هذه الياء يكسر
ما قبلها فلما لم يجز كسر الالف كان قلبها عوضا وقرا اهل الكوفة يا بشرا غير مضاف
وفي معناه قولان احدهما اسم الغلام والثاني يا ايها البشرى هذا حينك واوانك
قال قتادة والسدي لما ادلى المدلي دلوه تعلق بها يوسف فقال يا بشراى هذا غلام
قال قتادة بشر اصحابه بانه وجد عبدا وقال السدي نادى رجلا اسمه بشرى
قال النحاس قول قتادة اولى لانه لم يات في القران تسمية احد الا يسيرا وانما ياتي
بالكناية كما قال عز وجل ويوم يعض الظالم على يديه وهو عقبة بن ابي معيط و
بعده يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا وهو امية بن خلف قال النحاس والمعنى في نداء البشرى
التبشير لمن حضر وهو اوكد من قولك تبشرت كما تقول يا عجباه اي يا عجب هذا من
ايامك ومن اياتك فاحضر فهذا وقته وكذا قال السهيلي وقيل هو كما تقول واسروراه
وان البشرى البشرى مصدر من الاستبشار وهذا اصح لانه لو كان اسما علما لم يكن
مضافا الى ضمير المتكلم وعلى هذا يكون بشراي في موضع نصب لانه نداء مضاف ومعنى
النداء هاهنا التنبيه اي انتبهوا لفرحتي وسروري وعلى قول السدي يكون في موضع
رفع كما تقول يا زيد هذا غلام ويجوز ان يكون محله نصبا كقولك يا رجلا يا رجلا
وقوله يا حسرة على العباد ولكنه لم ينون بشرا لانه لم ينصرف واسروه بضاعة
الهاء كناية عن يوسف عليه السلام فاما الواو فكناية عن اخوته وقيل عن التجار
الذين اشتروه وقيل عن الوارد واصحابه بضاعة نصب على الحال قال مجاهد
هذا سر مالك بن دعر واصحابه من التجار الذين معهم في الرفقة وقالوا لهم
هو بضاعة استبضعناها بعض اهل الشام او اهل هذا الماء الى مصر وانما
قالوا هذا خيفة الشركة وقال ابن عباس اسره اخوة يوسف بضاعة لما استخرج
من الجب وذلك انهم جاؤا فقالوا بئس ما صنعتم هذا عبد لنا قد ابق وقالوا
ليوسف بالعبرانية اما ان تقر لنا بالعبودية فنبيعك من هؤلاء واما ان
ناخذك فنقتلك فقال انا اقر لكم بالعبودية فاقر لهم بالعبودية فباعوه منهم
وقيل ان يهوذا وصى اخاه يوسف بلسانهم ان اعترف لاخوتك بالعبودية
فاني اخشى ان لم تفعل قتلوك فلعل الله سبحانه ان يجعل لك مخرجا وتنجو من القتل
وكتم يوسف شانه مخافة ان يقتله اخوته فقال مالك بن دعر والله ما هذه سمة العبيد

قالوا هو تولى في حجرنا وتخلق باخلاقنا وتادب بادابنا فقال ما تقول يا غلام
تربيت في حجورهم وتخلقت باخلاقهم فقال مالك ان تعتبوه مني اشتريته منكم
فباعوه منه فذلك قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم وفيه ست
مسائل الاولى قوله تعالى وشروه تقال شريت بمعنى اشتريت وشريت بمعنى بعت
قال الشاعر وشريت بردا ليتني كنت من بعد برد كنت هامه اى بعت وقال
اخر فلما شراها فاضت العين عبرة وفي الصدر احزان من اللوم خامر بثمن
بخس اى نقص وهو هنا مصدر وضع موضع الاسم اى باعوه بثمن مبخوس
اى منقوص ولم يكن قصد اخوته ما يستفيدونه من ثمنه وانما كان قصدهم
ما يستفيدونه من خلو وجه ابيهم عنه وقيل ان يهودا راى من بعيد ان يوسف
اخرج من الجب فاخبر اخوته فجاوا وباعوه من الوارد وقيل لا بل عادوا بعد
ثلاث الى البير يعرفون الخبر فراوا اثر السياره فاتبعوهم وقالوا هذا
عبدنا ابق منا فباعوه وقال قتاده بخس ظلم وقال الضحاك ومقاتل والسدى
وعطا بخس حرام قال ابن العربي ولا وجه له وانما الاشارة فيه الى انه لم
يستوف ثمنه بالقيمة لان كل اخوته ان كانوا باعوه فلم يكن قصدهم ما يستفيدونه
من ثمنه وانما كان قصدهم ما يستفيدونه من خلو وجه ابيهم عنه ان كان
الذين باعوه الوارده فانهم اخفوه مقتطعا وقالوا لاصحابهم ارسل معنا بضاعه
فراوا انهم لم يعطوا عنه ثمنا وانما اخذوا فيه ذبح كله قلت قوله وانما الاشاره
الى انه لم يستوف ثمنه بالقيمه يدل على انهم لو اخذوا بالقيمه وافيه كامله كان
ذلك جايزا وليس كذلك فدل على صحه ما قاله السدى وغيره لانهم اوقعوا البيع
على نفس لا يجوز بيعها فلذلك كان لا يحل لهم ثمنه وقال عكرمه والشعبي قليل
وقال ابن عباس زيف وعن ابن عباس وابن مسعود باعوه بعشرين درهم
اخذ كل واحد من اخوته درهمين وكانوا عشره وقاله قتاده والسدى وقال
ابو العاليه ومقاتل اثنين وعشرين درهما وكانوا احد عشر اخذ كل واحد درهمين
وقاله مجاهد وقال عكرمه اربعين درهما وما روى عن الصحابه اولى وبخس نعت
من دراهم على البدل من الثمن والتفسير له ويقال دراهم على انه جمع درهم
وقد يكون اسما للجمع عند سيبويه ويكون ايضا عنده على انه مد الكسره فصارت
ياء وليس هذا مثل مد المقصور لان مد المقصور لا يجوز عند البصريين في شعر

ولا عنزع وانشد النحويون تنفي يداه الحصى من كل هاجرة نفي الدراهم الصاريف
تعدود نعت وهذا يدل على ان الاثمان كانت تجرى عندهم عددا لا وزنا بوشه
وقيل هو عبارة عن قلة الثمن لانها دراهم لم تبلغ ان توزن لقلتها وذلك انهم
كانوا لا يوزنون ماكان دون الاوقية وهي الاربعون درهما الثالثة قال القاضي
ابن العربي واصل التقدير الوزن قال صلى الله عليه وسلم لا تبيعوا الذهب
بالذهب ولا الفضة بالفضة الا وزنا بوزن من زاد او استزاد فقد اربى والوزنه
لا فايدة فيها الا المقدار فاما عينها فلا منفعة فيه ولكن جرى فيها العدد تخفيفا
عن الخلق لكثرة المعاملة فتشق الوزن حتى لو ضرب مثاقيل او دراهم لجاز بيع
بعضها ببعض عددا اذا لم يكن فيها نقصان ولا رجحان فان نقصت عاد الامر الى
الوزن ولاجل ذلك كان كسرها وقرضها من الفساد في الارض حسب ما تقدم
الثالثة واختلف العلما في الدراهم والدنانير هل تتعين ام لا واختلفت الرواية
في ذلك عن ملك فذهب اشهب الى ان ذلك لا تتعين وهو الظاهر من قول مالك
وبه قال ابو حنيفة وذهب ابن القسم الى انها تتعين وحكى عن الكرخي فيه خلاف
قال الشافعي وفايدة الخلاف انا اذا قلنا لا تتعين فاذا قال بعتك هذه الدنانير
بهذه الدراهم تعلقت الدنانير بذمة صاحبها والدراهم بذمة صاحبها ولو
تعينت ثم تلفت لم يتعلق بذمتهما شي وبطل العقد كبيع الاعيان من العروض
وغيرها الرابعة روى عن الحسين بن علي رضي الله عنهما انه قضى في اللقيط انه حر
وقرا واسروه بضاعة وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وقد مضى القول الخامسة قوله تعالى و
كانوا فيه من الزاهدين قيل المراد اخوته وقيل السيارة وقيل الواردة وعلى
اى تقدير فلم يكن عندهم غبيطا لا عند الاخوة لان القصد زواله عن ابيه لا ماله
ولا عند السيارة لقول الاخوة انه عبد ابق منا والزهد قلة الرغبة ولا عند الواردة
لانهم خافوا اشتراك اصحابهم معهم وراوا ان القليل من ثمنه في الانفراد اولى
السادسة في هذه الاية دليل واضح على جواز شرا الشي الخطير بالثمن اليسير و
يكون البيع لازما ولهذا قال ملك لو باع درة ذات خطر عظيم بدرهم ثم قال لم اعلم
انها درة وحسبتها مخشلبة لزمه البيع ولم يلتفت الى قوله وقيل وكانوا فيه من
الزاهدين لم يعلموا منزلته عند الله وحكى سيبويه والكسائي زهدت وزهدت
بكسر الهاء وفتحها قوله تعالى وقال الذي اشتراه من مصر لامراته اكرمي

مثواه وقيل الاشتراء هنا بمعنى الاستبدال اذ لم يكن ملك عقد مثل اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى وقيل انهم ظنوه في ظاهر الحال اشتروا فجرى هذا
اللفظ على ظاهر الظن قال الضحاك هذا الذي اشتراه ملك مصر ولقبه العزيز
السهيلي واسمه قطفير وقال ابن اسحق اطفير بن رويحب اشتراه لامرأته راعيل
ذكره الماوردي وقيل كان اسمها زليخا وكان الله تعالى القى محبة يوسف في قلب العزيز
فاوصى به اهله ذكره القشيري وقد ذكر القولين في اسمها الثعلبي وغيره وقال
ابن عباس اشتراه قطفير وزير ملك مصر وهو الريان بن الوليد وقيل الوليد
بن الريان وهو رجل من العمالقة وقيل هو فرعون موسى لقول موسى ولقد جاءكم
يوسف من قبل بالبينات وانه عاش اربعمائة سنة وقيل فرعون موسى من اولاد
فرعون يوسف على ما ياتي في غافر بيانه وكان هذا العزيز الذي اشترى يوسف
على خزاين الملك واشترى يوسف من مالك بن دعر بعشرين دينارا وزاده
حلة ونعلين وقيل اشتراه من اهل الرفقة وقيل ترايدوا في ثمنه فبلغ اضعاف
وزنه مسكا وعنبرا وحريرا وورقا وذهبا ولالى وجواهر لا يعلم قيمتها الا الله تعالى
فابتاعه قطفير من ملك مصر بهذا الثمن قاله وهب بن منبه وقال وهب ايضا وغيره
ولما اشترى مالك بن دعر يوسف من اخوته كتب بينه وبينهم كتابا هذا ما اشترى
مالك بن دعر من بني يعقوب وهم فلان وفلان مملوكا لهم بعشرين درهما وقد
شرطوا له انه ابق وانه لا ينقلب به الا مقيدا مسلسلا واعطاهم على هذا عهدا
قال فودعهم يوسف عند ذلك وجعل يقول حفظكم الله وان ضيعتموني نصركم الله
وان خذلتموني رحمكم الله وان لم ترحموني قالوا فالقت الاغنام ما في بطونها دما
عبيطا من شدة هذا التوديع وحملوه على قتب بغير غطاء ولا وطاء مقيدا مكبلا
مسلسلا فمر على مقبرة آل كنعان فراى قبر امه وقد كان وكل به اسود يحرسه فغفل
الاسود فالقى يوسف نفسه على قبر امه وجعل يتمرغ ويعتنق القبر ويضطرب ويقول
يا اماه ارفعي راسك ترى ولدك مقيدا مكبلا مسلسلا فرقوا بيني وبين والدي
فاسال الله ان يجمع بيننا في مستقر رحمته انه ارحم الراحمين فتفقده الاسود على
البعير فلم يره فقفا اثره فاذا هو ببياض على قبر امه فتامله فاذا هو اياه فركضه
برجله في التراب ومرغه وضربه ضربا وجيعا فقال له لا تفعل والله ما هربت
ولا ابقت وانما مررت بقبر امي فاحببت ان اودعها وان ارجع الى ما يكرهون

قيل شغفها غلبها وقيل دخل حبه في شغافها عن مجاهد وغيره وروى عمرو بن
دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال دخل تحت شغافها وقال الحسن
الشغف باطن القلب السدي وعبيده شغاف القلب غلافه وهي جلدة عليه
وقيل هو وسط القلب والمعنى في هذه الاقوال متقارب والمعنى وصل
حبه الى شغافها فغلب عليه قال النابغة

وقد حال هم دون ذلك داخل دخول الشغاف يبتغيه الاصابع

وقد قيل ان الشغاف دآ وانشد الاصمعي للراجز يتبعها وهي له شغاف
وقرا جعفر بن محمد وابن محيصن والحسن شعفها بالعين غير المعجمة قال ابن
الاعرابي معناه احرق حبه قلبها قال وعلى الاول العمل قال الجوهري وشعفه
الحب احرق قلبه وقال ابن زيد امرضه وقد شعف بكذا فهو مشعوف وقرا
الحسن قد شعفها قال قد بطنها قال ابن عباس معناه عند اكثر اهل اللغة
قد ذهب بها كل مذهب لان شعاف الجبال اعاليها وقد شعف بذلك شعفا
باسكان اى اولع به الا ان ابا عبيده انشد بيت امرء القيس

لتقتلني وقد شعفت فؤادها كما شغف المهنوءة الرجل الطالي

قال تشبهت لوعة الحب وحواه بذلك وروى عن الشعبي انه قال الشغف بالغين
المعجمة حب والشعف بالعين غير المعجمة جنون قال النحاس وحكى قد شغفها بكسر
الغين ولا يعرف في كلام العرب الا شغفها بفتح الغين وكذا شعفها اي تركها
مشعوفة وقال سعيد بن ابي عروبة عن الحسن الشغف حجاب القلب والشعاف
سويدآء القلب فلو وصل الحب الى الشغاف لماتت قال الحسن ويقال ان الشغاف
الجلدة اللاصقة بالكبد التي لا ترى وهي الجلدة البيضا فلصق حبه بقلبها فلصوق
الجلدة بالكبد قوله تعالى انا لنراها في ضلال مبين اي في هذا الفعل
وقال ابن عثمان المهدي عن سلمان الفارسي قال ان امراه العزيز استوهبت
زوجها يوسف فوهب لها وقال ما تصنعين به قالت اتخذه ولدا قوله
تعالى فلما سمعت بمكرهن اى بغيبتهن اياها واحتيالهن في ذمها فقيل انها اطلعتهن
واستكتمتهن فافشين سرها فسمي ذلك مكرا وقوله ارسلت اليهن تدعوهن
الى وليمة لتوقعهن فيما وقعت فيه فقال مجاهد عن ابن عباس ان امراه العزيز
قالت لزوجها اني اريد ان اتخذ طعاما فادعوا هؤلاء النسوة فقال لها افعلي

فاتخذت طعاماً ثم اخذت لهن البيوت وارسلت اليهن ان يحضرن طعامها
ولا يتخلف منكن امراة سميت قال وهب بن منبه انهن كن اربعين امراة فجئن
على كره منهن وقد قال فيهن امية بن الصلت حتى اذا جئنها فسوا ومهدت
لهن انضادا وكيا ما ويروى انماطا قال وهب فجئن واخذن مجالسهن
واعتدت لهن متكيا اى هيات لهن مجالس يتكين عليها قال ابن جبير
فى كل مجلس جام فيه عسل واترج وسكين حاده وقرا مجاهد وسعيد بن
جبير متكا مخففا غير مهموز والمتكا هو الاترج بلغة القبط وكذلك فسره
مجاهد وروى سفين عن منصور عن مجاهد قال المتكا مثقلا الطعام والمتكا
مخففا الاترج وقال الشاعر نشرب الاثم بالصواع جهاراً ونرى المتكا بيننا مستعاراً
وقد تقول ازد شنوه الاترجه المتكه قال الجوهرى المتكا ما تبقيه واصل
المتك الزماورد والمتكا من النسا التى لم تحفظ قال الفراحدثنى شيخ من
من ثقات اهل البصره ان المتكا مخففا الزماورد وقال بعضهم انه
الاترج حكاه الاخفش بن زيدا ترجا وعسلا يوكل به قال الشاعر
فظللنا بنعمة واتكانا وشربنا الحلال من قلله اى اكلنا النحاس قوله
تعالى اعتدت من العتاد وهو كل ما جعلته عدة لشى متكا اصح ما قيل فيه
ما رواه على بن ابى طلحه عن ابن عباس قال مجلسا واما قول جماعة
من اهل انه الطعام فيجوز على تقدير طعام متكا مثل وسل القرية
ودل على هذا الحذف واتت كل واحدة منهن سكينا لان حضور النساء
معهن سكاكين انما هو لطعام يقطع بالسكاكين كذا قاله فى كتاب اعراب
القران وقال فى كتاب معانى القران وروى عن معمر عن قتاده قال المتكا
الطعام وقيل المتكا كل ما اتكى عليه لطعام او شراب او حديث هذا هو المعروف
عند اهل اللغة الا ان الروايات قد صحت بذلك وحكى القتبى انه يقال اتكانا
عند فلان اى اكلنا والاصل فى متكا موتكا ومثله متزن ومتعد لانه من وزنت
وعدت ووكات ويقال تكا يتكا تكا واتت كل واحدة منهن سكينا
مفعولان وحكى الكسائى والفراان السكين تذكر وتونث وانشد الفرا
وحث فى السنام سعر تسلبن مو نقة النصاب وقال الجوهرى
والغالب عليه التذكير قال نرى ناصحاً فيما بدا فاذا خلا فذلك سكين على الحلق حاذق

عن عكرمه قال كان رجلا ذا لحيه وقال سفين عن جابر عن ابن ابی مليكه عن
ابن عباس انه قال كان من حاصيه الملک وقال عكرمه لم يكن بصبي ولكن
كان رجلا حكيما وروی سفين عن منصور عن مجاهد قال كان رجلا قال
ابو منصور النحاس والاشبه بالمعنى والله اعلم ان يكون رجلا عاقلا حكيما شاوره
الملک فكلمه بهذه الدلاله ولو كان طفلا لكانت شهادة ليوسف صلى الله عليه
وسلم يغنی ان ياتی بدليل من العاده فان كلام الطفل ايه معجزه وكانت اوضح
من الاستدلال بالعاده وليس هذا يخالف الحديث تكلم اربعه وهم صغار
منهم صاحب يوسف يكون بالمعنى صغيرا ليس بشيخ وفی هذا دليل آخر
وهو ان ابن عباس روی الحديث عن النبی صلى الله عليه وسلم وقد
تواترت الروايه عنه ان صاحب يوسف ليس بصبي قلت قد روی عن ابن
عباس وابی هريره وابن جريج وهلال بن يساف والضحاک انه كان صبيا
فی المهد الا انه لو كان صبيا تكلم لكان الدليل نفس كلامه دون ان يحتاج
الى الاستدلال بالقميص وكان يكون ذلک خرق عاده ونوع معجزه والله
اعلم وسياتی من تكلم فی المهد من الصبيان فی سورة البروج ان شاء الله تعالى
الثالثه اذا ثبت لنا على ان الشاهد طفل صغير فلا يكون فيه دلاله على العمل
بالامارات كما ذكرناه واذا كان رجلا فيصح ان يكون حجه بالحكم بالعلامه
فی اللقطه وكثير من المواضع حتى قال مالک فی اللصوص اذا وجدت معهم امتعه
فجا قوم فادعوها وليست لهم بينه ان السلطان يتلوم لهم فی ذلک فان
لم يات غيرهم دفعها اليهم وقال محمد فی متاع البيت اذا اختلفت فيه
المراه والرجل ان ما كان للرجل فهو للرجل وما كان للنسا فهو للمراة
وما كان للرجل والمراة فهو للرجل وكان شريح واياس بن معويه يعملان
على العلامات فی الحكومات واصل ذلک هذه الايه والله اعلم قوله
تعالى ان كان قميصه قد من قبل كان من موضع جزم بالشرط وفيه من النحو ما يشكل
لان حرف الشرط يرد الماضی الى المستقبل وليس هذا فی كان فقال المبرد محمد بن
يزيد هذا لقوه كان وانه يعبر بها عن جميع الافعال وقال الزجاج المعنى ان يكون
ای ان يعلم والعلم يقع وكذا الكون لانه يودی عن العلم قد من قبل فخبر عن
كانه الفعل الماضی قال زهير

وكان طوى كشحا على مستكنه فلا هوا بداها ولم يتقدم

وقرا يحيى بن يعمر بن ابى اسحق من قبل بضم القاف والبا واللام وكذا دبر
قال الزجاج بجعلهما غايتين كقبل وبعد كانه قال من قبله ومن دبره فلما
حذف المضاف اليه وهو مراد صار المضاف غاية لنفسه بعد ان كان
المضاف اليه غاية له ويجوز من قبل ومن دبر بفتح الرا واللام تشبيها
بما لا ينصرف لانه معرفة ومزال عن بابه وروى محبوب عن ابى عمرو من قبل
ومن دبر مخففان مجروران قوله تعالى فلما راى قميصه قد
من دبر قال انه من كيدكن قيل قال لها ذلك العزيز عند قولها ما جزا
من اراد باهلك سوءا وقيل قاله لها الشاهد والكيد المكر والحيلة وقد
تقدم فى الانفال ان كيدكن عظيم لعظم فتنتهن واحتيالهن فى التخلص من
ورطتهن وقال مقاتل عن يحيى بن ابى كثير عن ابى هريرة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان كيد النسا اعظم من كيد الشيطان لان الله تعالى يقول
ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال ان كيدكن عظيم قوله تعالى
يوسف اعرض عن هذا القايل هو الشاهد ويوسف ندا مفرد اى يا يوسف
فحذف اعرض عن هذا اى لا يذكره لاحد واكتمه ثم اقبل عليها فقال وانت
فاستغفرى لذنبك تقول استغفرى زوجك من ذنبك لا يعاقبك انك كنت
من الخاطئين ولم يقل من الخاطيات لانه قصد الاخبار عن المذكر والمؤنث
من الناس الخاطئين او من القوم الخاطئين مثل انها كانت من قوم كافرين
وكانت من القانتين وقيل ان القايل ليوسف اعرض ولها استغفرى زوجها
الملك وفيه قولان احدهما لم يكن غيورا فلذلك كان ساكنا وعدم الغيرة فى
كثير من اهل مصر موجود الثانى ان الله سلبه الغيرة وكان فيه لطف بيوسف
حتى كفى بادرته وحلم عنها قوله تعالى وقال نسوة فى المدينة امراة العزيز
ويقال نسوة بضم النون وهى قراءة الاعمش والمفضل السلمى والجمع الكثير نساء
ويجوز وقالت نسوة وقال نسوة مثل قالت الاعراب وقال الاعراب وذلك ان
القصة انتشرت فى اهل مصر فتحدث النسا قيل امراة ساقى العزيز وامراة خبازه
وامراة صاحب دوابه وامراة صاحب سجنه وقيل الحاجب عن ابن عباس وغيره
تراود فتاها عن نفسه الفتى فى كلام العرب الشاب والمراة فتاة قد شغفها حبا

قيل شغفها غلبها وقيل دخل حبه في شغافها عن مجاهد وغيره وروى عمرو بن
دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال دخل تحت شغافها وقال الحسن
الشغف باطن القلب السدى وعيره شغاف القلب غلافه وهي جلدة عليه
وقيل هو وسط القلب والمعنى في هذه الاقوال متقارب والمعنى وصل
حبه الى شغافها فغلب عليه قال النابغة ∴
وقد حال هم دون ذلك داخل دخول الشغاف يبتغيه الاصابع
وقد قيل ان الشغاف دآ وانشد الاصمعي للراجز يتبعها وهي لـ شغاف
وقرا جعفر بن محمد وابن محيصن والحسن شعفها بالعين غير المعجمة قال ابن
الاعرابي معناه احرق حبه قلبها قال وعلى الاول العمل قال الجوهري وشعفه
الحب احرق قلبه وقال ابو زيد امرضه وقد شعف بكذا فهو مشعوف وقرا
الحسن قد شعفها قال قد بطنها قال ابن عباس معناه عند اكثر اهل اللغة
قد ذهب بها كل مذهب لان شغاف الجبال اعاليها وقد شغف بذلك شغفا
باسكان اى اولع به الا ان ابا عبيدة انشد بيت امرء القيس ∴
لتقتلني وقد شعفت فؤادها كما شعف المهنوءة الرجل الطالي ∴
قال فشبهت لوعة الحب وجواه بذلك وروى عن الشعبي انه قال الشغف بالغين
المعجمة حب والشعف بالعين غير المعجمة جنون قال النحاس وحكى قد شغفها بكسر
الغين ولا يعرف في كلام العرب الا شغفها بفتح الغين وكذا شعفها اي بتركها
مشعوفة وقال سعيد بن ابي عروبة عن الحسن الشعف حجاب القلب والشغاف
سويدآ القلب فلو وصل الحب الى الشغاف لماتت قال الحسن ويقال ان الشغاف
الجلدة اللاصقة بالكبد التي لا ترى وهي الجلدة البيضا فلصق حبه بقلبها فلصوق
الجلدة بالكبد قوله تعالى انا لنراها في ضلال مبين اي في هذا الفعل
وقال ابن عثمان المهدى عن سليمان الفارسي قال ان امراة العزيز استوهبت
زوجها يوسف فوهب لها وقال ما تصنعين به قالت اتخذه ولدا قوله
تعالى فلما سمعت بمكرهن اى بغيبتهن اياها واحتيالهن في ذمها فقيل انها اطلعتهن
واستكتمتهن فافشين سرها فسمي ذلك مكرا وقوله ارسلت اليهن تدعوهن
الى وليمة لو قعهن فيما وقعت فيه فقال مجاهد عن ابن عباس ان امراة العزيز
قالت لزوجها اني اريد ان اتخذ طعاما فادعوا هولاء النسوة فقال لها افعلي

فاتخذت طعاماً ثم اتخذت لهن البيوت وارسلت اليهن ان يحضرن طعامها
ولا يتخلف منكن امراة سميت قال وهب بن منبه انهن كن اربعين امراة تجني
على كرم منهن وقد قال فيهن امية بن الصلت حتى اذا جئتها فسوا ومهدت
لهن انضادا وكبابا وترى انماطا قال وهب فجئن واخذن مجالسهن
واعتدت لهن متكئا اى هيات لهن مجالس يتكئن عليها قال ابن جبير
فى كل مجلس جام فيه عسل واترج وسكين حاده وقرا مجاهد وسعيد بن
جبير متكا مخففا غير مهموز والمتكا هو الاترج بلغة القبط وكذلك فسره
مجاهد وروى سفين عن منصور عن مجاهد قال المتكا مثقلا الطعام والمتكا
مخففا الاترج وقال الشاعر نشرب الاثم بالصواع جهاراً ونرى المتكا بيننا مستعاراً
وقد تقول ازد شنوءة الاترجة المتكة قال الجوهرى المتكا ما تبقيه الخاتنة واصل
المتكا الزماورد والمتكا من النسا التى لم تخفض قال الفراء حدثنى شيخ من
ثقات اهل البصرة ان المتكا مخففا الزماورد وقال بعضهم انه
الاترج حكاه الاخفش بن زيد اترجا وعسلا يوكل به قال الشاعر
فظللنا بنعمة واتكانا وشربنا الحلال من قلله اى اكلنا النحاس قوله
تعالى اعتدت من العتاد وهو كل ما جعلته عدة لشىء متكا اصح ما قيل فيه
ما رواه على بن ابى طلحة عن ابن عباس قال مجلسا واما قول جماعة
من اهل انه الطعام فيجوز على تقدير طعام متكا مثل واسئل القرية
ودل على هذا الحذف واتت كل واحدة منهن سكينا لان حضور النساء
معهن سكاكين انما هو لطعام يقطع بالسكاكين كذا قاله فى كتاب اعراب
القران وقال فى كتاب معانى القران وروى عن معمر عن قتادة قال المتكا
الطعام وقيل المتكا كل ما اتكى عليه لطعام او شراب او حديث هذا هو المعروف
عند اهل اللغة الا ان الروايات قد صحت بذلك وحكى القتبى انه يقال اتكانا
عند فلان اى اكلنا والاصل فى متكا موتكا ومثله متزن ومتعد لانه من وزنت
وعدت ووكات ويقال اتكا يتكى اتكا واتت كل واحدة منهن سكينا
مفعولان وحكى الكسائى والفراء ان السكين تذكر وتونث وانشد الفرا
وحث فى السنام سعر تستبن مولقه النصاب
والغالب عليه التذكير قال وقال الجوهرى
نرى ناصحاً فيما بدا فاذا خلا فذلك سكين على الحلق حاذق

الاصمعي لا يعرف في السكين الا التذكير قوله تعالى وقالت اخرج عليهن
بضم التاء لالتقاء الساكنين الكسرة ثقل اذا كان بعدها ضمة وكسر التاء على الاصل
قيل انها قالت لهن لا تقطعن ولا تاكلن حتى اعلمكن ثم قالت لخادمها اذا قلت
لك ادعو الي ايلا فادعوا الي يوسف وايل صنم كانوا يعبدونه وكان يوسف
عليه السلام يعمل في الطين وقد شد مئزره وحسر عن ذراعيه فقالت للخادم
ادعوا الي ايلا اي ادع لي الرب قال فخرجن النسوة وقلن كيف لحي فصعدت الخادم
فدعت يوسف فلما الخدر قالت لهن اقطعن ما معكن فلما راينه اكبرنه وقطعن
ايديهن بالمدى حتى بلغت السكين الى العظم قال وهب ابن منبه سعيد بن جبير
لم يخرج عليهن حتى زينته فخرج عليهن فجاء فدهشن وتحيرون لحسن وجهه و
زينته فجعلن تقطعن ايديهن وتحسبن انها تقطعن الاترج واختلف في معنى
اكبرنه فروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس اعظمنه وهبنه وعنه ايضا امنين
وامذين من الدهش قال الشاعر اذا ما رأين الفحل من فوق قارة صهلن و
البرين المني المدفقا وقال ابن سمعان عن عدة من اصحابه انهم قالوا امذين
عشقا وهب بن منبه عشقنه حتى مات منهن عشرة في ذلك المجلس دهشا
وحيرة ووجدا بيوسف وقيل معناه حضن من الدهش قاله قتادة ومقاتل والسدي
قال الشاعر ياتي النساء على اطهارهن ولا ياتي النساء اذا اكبرن اكبارا
وانكر ذلك ابو عبيد وغيره وقال ليس ذلك في كلام العرب ولكنه يجوز ان يكون
حضن من شدة اعظامهن له وقد تفزع المراة فتسقط ولدها او تحيض وقال
الزجاج يقال اكبره ولا يقال حضنه فليس الاكبار بمعنى الحيض اجاب الازهري فقال
يجوز اكبرت بمعنى حاضت لان المراة اذا حاضت في الابتداء خرجت من حد الصغر
الى الكبر قال والهاء في اكبرنه يجوز ان يكون هاء الوقف لا هاء الكناية وهذا مزيف
لان هذا الوقف تسقط في الوصل وامثل منه قول ابن الانباري ان الهاء كناية
عن مصدر الفعل اي اكبرن اكبارا بمعنى حضن حيضا وعلى قول ابن عباس الاول
الاول يعود الهاء الى يوسف اي عظمن يوسف واجللنه قوله تعالى
وقطعن ايديهن قال مجاهد قطعها حتى القينها وقيل حززنها روى ابن ابي نجيح
عن مجاهد قال حزا بالسكين النحاس يريد مجاهدا انه ليس قطعا تبين منه اليد انما
خدش وحز وذلك معروف في اللغة ان يقال اذا خدش الانسان يد صاحبه

ولكن ذلك مراودة منهن قلن حاش لله اي معاذ الله ما علمنا عليه من سوء من زنا قالت
امرأة العزيز الآن حصحص الحق لما رأت اقرارهن ببراءة يوسف وخافت ان يشهدن عليها ان
انكرت اقرت هي ايضا وكان ذلك لطفا من الله بيوسف وحصحص الحق اي تبين وظهر واصله
حصص فقيل حصحص كما قال كبكبوا اي كبوا وكفكف في كفف قاله الزجاج وغيره واصل الحص استئصال الشيء
يقال حص شعره اذا استأصله جزا قال ابو قيس ابن الاسلت قد حصت البيضة رأسي فما اطعم نوما غير
تهجاع ومنه سنة حصاء اي جرداء لا خير فيها قال جرير يأوي اليكم بلا من ولا جحد من ساقه السنة
الحصاء والذيب كأنه اراد ان يقول والضبع وهي السنة المجدبة فوضع الذئب موضعه لاجل القافية
فمعنى حصحص الحق اي انقطع عن الباطل بظهوره وثباته قال الا مبلغ عني خداشا فانه
كذوب اذا ما حصحص الحق ظالم وقيل هو مشتق من الحصة فالمعنى بانت حصة الحق من حصة الباطل وقال مجاهد
وقتادة اصله مأخوذ من قولهم حص شعره اذا استأصل قطعه ومنه الحصة من الارض اذا قطعت
منها والحصحص بالكسر التراب والحجارة ذكره الجوهري انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وهو
القول منها واذ لم يبق شك منه اظهارا لبيوتها وتحقيقا لصدق يوسف وكرامته لان الاقرار على النفس
اقوى من الشهادة عليه فجمع الله تعالى ليوسف في اظهار صدقه الشهادة والاقرار حتى لا يخالج
نفس ظن ولا يخالطها شك وشددت النون في خطبكن وراودتن لانها بمنزلة الميم والواو
في المذكر قوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب اختلف فيمن قاله فقيل هو من قول امرأة العزيز وهو
متصل بقولها الآن حصحص الحق اي اقررت بالصدق ليعلم اني لم اخنه بالكذب عليه ولم اذكره بسوء
وهو غائب بل صدقت وحدت عن الخيانة ثم قالت وما ابرئ نفسي بل انا راودته وعلى هذا
هي كانت مقرة بالصانع ولهذا قالت ان ربي غفور رحيم وقيل هو من قول يوسف اي قال يوسف
ذلك الامر الذي فعلته من رد الرسول ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب قاله الحسن وقتادة وغيرهما
ومعنى بالغيب وهو غائب وانما قال يوسف ذلك بحضرة الملك وقال ليعلم على الغائب توقيرا
للملك وقيل اذ عاد اليه الرسول وهو في السجن بعد قال ابن عباس جاء الرسول الى يوسف عليه الصلاة والسلام

بالجر وجبريل معه يحدثه وقال يوسف ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي
كيد الخائنين اي لم اخن سيدي بالغيب فقال جبريل عليه السلام يا يوسف ولا حين حللت الازار
وجلست مجلس الرجل من المراة فقال يوسف وما ابرئ نفسي الآية قال السدي انما قالت له
امراة العزيز ولا حين حللت سراويلك يا يوسف فقال يوسف وما ابرئ نفسي وقيل ذلك ليعلم
من قول العزيز اي ذلك ليعلم يوسف اني لم اخنه بالغيب واني اغفل عن مجازاته على امانته ان الله
لا يهدي كيد الخائنين معناه ان الله لا يهدي الخائنين بكيدهم قوله تعالى وما ابرئ نفسي قيل
من قول المراة وقال القشيري والظاهر ان قوله ذلك ليعلم وقوله وما ابرئ نفسي من قول يوسف
قلت اذا احتمل ان يكون من قول المراة فالقول به اولى حتى يبرئ يوسف من حل الازار والسراويل
واذا قدرناه من قول يوسف فيكون مما خطر بقلبه على ما قدمناه من القول المختار في قوله وهم بها
قال ابو بكر بن الانباري من الناس من يقول ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب الى قوله ان ربي غفور
رحيم من كلام امراة العزيز لانه يقول لما ارادته عن نفسه وانه لمن الصادقين وهذا مذهب الذين
ينفون الهم عن يوسف فمن بنى على قولهم قال من قوله قالت امراة العزيز الى قوله ان ربي غفور رحيم كلام
متصل بعضه ببعض ولا يكون فيه وقف تام على حقيقته ولسنا نختار هذا القول ولا نذهب اليه وقال الحسن لما قال
يوسف ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب كره نبي الله ان يكون قد زكى نفسه فقال وما ابرئ نفسي لان تزكية النفس
مذمومة قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقد بيناه في النساء وقيل هو من قول العزيز اي وما ابرئ نفسي من سوء الظن
بيوسف ان النفس لامارة بالسوء اي مشتهية له الا ما رحم ربي في موضع نصب بالاستثناء وما بمعنى من اي الا
من رحم فعصمه وما بمعنى من كثير قال الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم وهو استثناء منقطع لانه استثناء
المرحوم بالعصمة من النفس الامارة بالسوء وفي الخبر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انه قال ما تقولون في صاحب لكم ان انتم اكرمتموه واطعمتموه وكسوتموه
افضى بكم الى شر غاية وان اهنتموه واعريتموه واجعتموه افضى بكم الى خير غاية قالوا يا رسول الله هذا

فيه شيء مما يعنى حسن

يهد البشر صاحب في الارض قال فو الذي نفسي بيده انما انفوسكم التي
بين جنوبكم **قوله تعالى** وقال الملك ايتوني به استخلصه
لنفسي لما ثبت للملك برانه مما نسب اليه وتحقق في القصه امانته
وفهم ايضا صبره وجلده عظمت منزلته عنده وتيقن حسن جلاله
قال ايتوني به استخلصه لنفسي فانظر الى قول الملك اولا حين تحقق
علمه ايتوني به فقط فلما فعل يوسف ما فعل قال ثانيا ايتوني به استخلصه
لنفسي روي عن وهب بن منبه قال لما دعي يوسف وقف بالباب فقال
حسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره ثم دخل فلما نظر
اليه الملك نزل عن سريره فخر له ساجدا ثم اقعده الملك معه
على سريره فقال انك اليوم لدينا مكين امين قال له يوسف اجعلني
على خزاين الارض اني حفيظ عليم بوجوه تصرفاتها وقيل حافظ للحساب
عليم بالالسن وفي الخبر يرحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزاين
الارض لاستعمله من ساعته ولكن اخر ذلك سنه وقيل انما
تأخر تمليكه الى سنه لانه لم يقل ان شا الله وقد قيل في القصه ان
يوسف عليه السلام لما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك
من خيره واعوذ بك من شره وشر غيره ثم سلم على الملك بالعربيه
فقال ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعا له بالعبرانيه فقال
ما هذا اللسان قال لسان آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب وكان الملك
يتكلم بسبعين لسانا فكلما كلم يوسف بلسان اجابه يوسف بذلك اللسا
ن فاعجب الملك امره وكان يوسف اذ ذاك ابن ثلاثين سنه ثم اجلسه
على سريره وقال احب ان اسمع منك رؤياي قال يوسف نعم ايها
الملك رايت سبع بقرات سمان شهبا غرا حسانا كشف لك
عنهن النيل فطلعن عليك من شاطيه تشخب اخلافها لبنا فبينا

انت تنظر اليهن وتتعجب من حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا
يبسه فخرج من حماه ووحله سبع بقرات عجاف شعث غبر مقلصات
البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف لهن انياب واضراس واكف
كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسهن
افتراس السبع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن
وتمششن مخهن فبينا انت تنظر وتتعجب كيف غلبهن وهن مهازيل
ثم لم يظهر منهن سمن ولا زياده بعد اكلهن اذا بسبع سنابل خضر
طريات ناعمات ممتليات حبا وما والى جانبهن سبع يابسات
ليس فيهن ما ولا خضره في منبت واحد عروقهن في الثرا والما
فبينا انت تقول في نفسك اي شي هذا هاؤلا خضر مثمرات
وهاؤلا سود يابسات والمنبت واحد واصولهن في الما اذ
هبت ريح فذرت الاوراق من اليابسات السود على الخضر
المثمرات فاشتعلت فيهن النار واحرقتهن فصرن سودا مغبرات
فانتبهت مذعورا ايها الملك قال الملك والله ما شان هذه
الرويا وان كانت عجبا باعجب مما سمعت منك فما ترى في روياي
ايها الصديق فقال يوسف ارى ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا
في هذه السنين الخصبه فانك لو زرعت على حجر ومدر لنبت
واظهر الله فيه النما والبركه ثم ترفع الزرع بقصبه وسنبله وتبني
له المخازن العظيمه فيكون القصب والسنبل علفا للدواب
وحبه للناس وتامر الناس فيرفعون من طعامهم الى اهرائك
الخمس فيكفيك من الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها
وياتيك الخلق من النواحي يمتارون منك ويجتمع عندك من
الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لي بتدبير

هذه

بهذه الامور ولو جمعت اهل مصر جميعا ما اطاقوا ولم يكونوا فيه
امنا فقال يوسف عند ذلك اجعلني على خزائن الارض اى على
خزائن ارضك وهي جمع خزانه ودخلت الالف واللام عوضا
من الاضافه كقول النابغة
لهم شيمه لم يعطها الله غيرهم من الجود والاحلام غير كوادب

قوله تعالى استخلصه لنفسي جزم لانه جواب الامر وهذا
يدل على ان قوله ذلك ليعلم خبري في السجن ويحتمل انه خبري
عند الملك ثم قال في مجلس اخر اسوني به تاكيدا استخلصه لنفسي
اى اجعله خالصا لنفسي يفوض اليه امر مملكتي فذهبوا فجاوا
به ودل على هذا فلما كلمه اى كلم الملك يوسف وساله عن
الرويا فاجاب يوسف فقال الملك انك اليوم لدينا مكين

قوله تعالى امين اى متمكن نافذ القول امين لا تخاف غدرا
قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فيه اربع مسايل

الاولى قوله تعالى قال اجعلني على خزائن الارض قال سعيد بن
منصور سمعت مالك بن انس يقول مصر خزانة الارض اما سمعت
الى قوله اجعلني على خزائن الارض اى على حفظها فحذف المضاف
اني حفيظ لما وليت عليم بامره وفي التفسير اني حاسب كاتب
وانه اول من كتب في القراطيس وقيل حفيظ لتقدير الاقوات
عليم بسني المجاعات قال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني
على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن اخر ذلك عنه سنه
قال ابن عباس لما انصرمت السنه من يوم سال الاماره دعاه
الملك فتوجه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا

بالدر والياقوت وضرب عليه من استبرق وكان طول السرير ثلاثون
ذراعا وعرضه عشرة اذرع عليه ثلاثون فراشا وستون مرفقة ثم
امره ان يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر
وجهه في صفا لون وجهه فجلس على السرير ودانت له الملوك ودخل
الملك بيته مع نسائه وفوض اليه امر مصر وعزل قطفير عما كان
عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن زيد وكان لفرعون ملك
مصر خزائن كثيرة غير الطعام فسلم سلطانه كله اليه وهلك
قطفير تلك الليالي فزوج الملك يوسف راعيل امراة العزيز
فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما كنت تريدين فقالت
ايها الصديق لا تلمني فاني كنت امراة حسناء ناعمة كما ترى وكان
صاحبي لا ياتي النساء وكنت كما جعلك الله من الحسن فغلبتني
نفسي فاصابها يوسف عذرا فولدت له رجلين افراثيم
ابن يوسف ومنشا بن يوسف : وقال وهب بن منبه انما
كان تزوجه زليخا امراة العزيز بين دخلتي الاخوة وذلك
ان زليخا مات زوجها ويوسف في السجن وذهب مالها وعميت
بكاء على يوسف فتكففت الناس فمنهم من يرحمها ومنهم من لا يرحمها
وكان يوسف يركب في كل اسبوع في موكب زهاء مائة الف
من عظماء قومه فقيل لها لو تعرضت له لعله كان يشغفك
بشيء ثم قيل لها لا تفعلي فربما ذكر بعض ما كان منك من المراودة
والسجن فيسيء اليك فقالت انا اعلم بخلق حبيبي منكم ثم تركته
حتى اذا ركب في موكبه قامت فنادت باعلا صوتها سبحان
من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم
فقال يوسف ما هذه فاتوا بها فقالت انا التي كنت اخدمك

فصارت ثم

على

على صدور ندمي واحل جمتك بيدي و نزيت في بيتي واكرمت
متواك لكن فرط ما فرط من جهلي وعتوي فذقت وبال امري
مذهب مالي وتضعضع ركني وطال ذلي وعمي بصري وبعد ما كنت
مغبوط اهل مصر صرت من حوبهم اكثف الناس فمنهم من رحمني
ومنهم من لا رحمني وهذا جزاء المفسدين فبكى يوسف بكاء شديدا
ثم قال لها هل بقيت تجدين مما كان في نفسك من حبك لي شيئا
فقالت والله لنظره في وجهك احب الي من الدنيا بحذافيرها
لكن يا ولي ضع سوطك هنا وليها فوضعته على صدرها فوجد
للسوط في يده اضطرابا وارتعاشا من خفقان قلبها فبكى
ثم مضى الى منزله فارسل اليها رسولا ان كنت ايما تزوجنا وان
كنت ذا بعل اغنيناك فقالت للرسول اعوذ بالله من ان يستهزئ
بي الملك لم يردني ايام شبابي وغناي ومالي وعزي افيريدني
اليوم وانا عجوز عميا فقيره فاعلمه الرسول مقالتها فلما كان
في الاسبوع الثاني تعرضت له فقال لها الم يبلغك الرسول
قالت قد اخبرتك ان نظره واحده الى وجهك هي احب الي
من الدنيا وما عليها فامر بها فاصلح من شانها وهيئت ثم زفت اليه
فقام يوسف يصلي ويدعو الله وقامت وراه فسال الله تعالى
ان يعيد اليها شبابها وجمالها وبصرها فرد الله عليها شبابها
وجمالها وبصرها حتى عادت احسن ما كانت يوم راودته اكراما
ليوسف عليه السلام لما عف عن محارم الله فاصابها فاذا هي
عذرا فقالت يا نبي الله ان زوجي كان عنينا لا ياتي النسا وكنت
انت من الحسن والجمال بما لا يوصف قال فعاشا في خفض
وعيش في كل يوم يجدد الله لهما خيرا وولد سلمه (؟) ولدين افرايم

مّا

ومنشا وفيما روى ان الله القى في قلب يوسف من محبتها اضعاف ما كان
في قلبها فقال لها ما شانك لا تحبيني كما كنت في اول مرة فقالت لما
ذقت محبة الله تعالى شغلني ذلك عن كل شي **الثانية** قال
بعض اهل العلم هذه الاية مايبيح للرجل الفاجر والسلطان الكافر
بشرط ان يعلم انه يفوض اليه في فصل لا يعارض فيه فيصلح منه
ما شا واما ان كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهواته وفجوره فلا
يجوز ذلك وقال قوم ان كان ليوسف خاصة وهذا اليوم غير جائز
والاول اولى اذا كان على الشرط الذي ذكرنا والله اعلم قال الماوردي
فان كان المولي ظالما فقد اختلف الناس في جواز الولاية من قبله
على قولين احدهما جوازها اذا عمل بالحق فيما يقلده لان يوسف ولي
من قبل فرعون ولان الاعتبار في حقه بفعله لا بفعل غيره الثاني
انه لا يجوز ذلك لما فيه من تولي الظالمين بالمعونة لهم وتزكيتهم
بتنفيذ اعمالهم فاجاب من ذهب الى هذا المذهب عن ولاية
يوسف من قبل فرعون بجوابين احدهما ان فرعون يوسف
كان صالحا وانما الطاغي فرعون موسى الثاني انه نظر في املاكه دون
اعماله فزال عنه التبعة فيه قال الماوردي والاصح من اطلاق هذين
القولين ان يفصل ما يتولاه من جهة الظالم على ثلاثة اقسام احدها
ما يجوز لاهله فعله من غير اجتهاد في تنفيذه كالصدقات والزكوات
فيجوز توليه من جهة الظالم لان النص على مستحقه قد اغنى عن
الاجتهاد فيه وجواز تفرد اربابه به قد اغنى عن التقليد والقسم
الثاني ما لا يجوز ان يتفردوا به ويلزم الاجتهاد في مصرفه كاموال
الفي فلا يجوز توليه من جهة الظالم لانه يتصرف بغير حق ويجتهد
فيما لا يستحق والقسم الثالث ما يجوز ان يتولاه اهله وللاجتهاد

فيه

له مدخل كالقضايا والاحكام تعقد التقليد بحلول فان كان النظر متعددا
يحلل بين متراضيين ويتوسط بين متخبورين جاز وان كان الزام احدهما لم يجز
الثالثه ودلت الايه ايضا على جواز ان يخطب الانسان عملا يكون
له اهلا فان قيل فقد روى مسلم عن عبد الرحمن بن سمره قال قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسئل الامارة فانك ان اعطيتها عن
مسله وكلت اليها وان اعطيتها عن غير مسله اعنت عليها وعن ابي برده
قال قال ابو موسى اقبلت الى النبي صلى الله عليه وسلم معي رجلان من الاشعريين
احدهما عن يميني والاخر عن يساري فكلاهما سال العمل والنبي صلى الله
عليه وسلم يستاك فقال ما تقول يا ابا موسى او يا عبد الله بن
قيس قال قلت والذي بعثك بالحق ما اطلعاني على ما في انفسهما
وما شعرت انهما يطلبان العمل قال وكاني انظر الى سواكه تحت
شفته وقد قلصت فقال اني او لا نستعمل على عملنا من اراده ولو كره
الحديث خرجه مسلم ايضا وغيره فالجواب ان يوسف عليه السلام
انما طلب الولايه لانه علم انه لا احد يقوم مقامه في العدل والاصلاح
وتوصيل الفقرا الى حقوقهم فراى ان ذلك فرضا متعينا عليه فانه
لم يكن هناك غيره وهكذا الحكم اليوم لو علم الانسان من نفسه انه يقوم
بالحق في القضا او الحسبه ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه
لتعين ذلك عليه ووجب ان يتولاها ويسئل ذلك ويخبر بصفاته التي
يستحقها به من العلم والكفايه وغير ذلك كما قال يوسف عليه السلام
فاما لو كان هناك من يقوم بها ويصلح لها وعلم بذلك فالاولى ان لا
يطلب لقوله عليه السلام لعبد الرحمن لا تسئل الاماره وايضا فان في
سوالها والحرص عليها مع العلم بكثرة افاتها وصعوبة التخلص منها دليل
على انه يطلبها لنفسه ولاغراضه ومن كان هكذا يوشك ان يغلب عليه

نفسه فيهلك وهذا معنى قوله عليه السلام وكل اليها ومن بابها العلم فانها
وتخوفه من التقصير في حقوقها فزجها ثم ان ابتلى بها فيرجى له التخلص
منها وهو معنى قوله اعين عليها **الثاني** انه لم يقل اني حسيب كريم وان
كان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف
ابن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم ولا قال اني جميل مليح انما قال اني
حفيظ عليم فسالها بالحفظ والعلم لا بالنسب والجمال **الثالث**
انما قال ذلك عند من لا يعرفه فاراد تعريف نفسه وصار ذلك مستثنى
من قوله تعالى فلا تزكوا انفسكم **الرابع** انه راى ذلك فرضا متعينا عليه
لانه لم يكن هنالك غيره وهو الاظهر والله اعلم **الرابعه** ودلت
الايه ايضا على انه يجوز للانسان ان يصف نفسه بما فيه من علم وفضل
قال الماوردي وليس هذا على الاطلاق في عموم الصفات ولكنه مخصوص
فيما اقترن بوصله او تعلق بظاهر من مكسب وممنوع منه فيما سواه
لما فيه من تزكيه ومرااه ولو ميزه الفاضل عنه لكان اليق
بفضله فان يوسف دعته الضروره اليه لما سبق من حاله ولما
يرجوا من الظفر باهله **قوله تعالى** وكذلك مكنا ليوسف
في الارض يتبوا منها حيث يشا اي ومثل ذلك الانعام الذي انعمنا
عليه في تقريبه الى قلب الملك وانجايه من السجن مكناله في الارض
مكنا اي اقدرناه على ما يريد وقال الكيا الطبري قوله تعالى وكذلك
مكنا ليوسف في الارض دليل على اجازه الحيله في التوصل الى المباح وما
فيه الغبطه والصلاح واستخراج الحقوق ومثله قوله تعالى وخذ
بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وحديث ابي سعيد الخدري
في عامل خيبر والذي اداه من التمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما قاله وهذا مردود على ما ياتي يقال مكناه ومكناله

وقال الله تعالى مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم قال الطبري استخلف
الاكبر الوليد بن الريان يوسف على عمل اطفير وعزله قال مجاهد
واسلم على يديه قال ابن عباس ملك بعد سنة ونصف وروى
مقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو ان يوسف قال اني حفيظ
عليم ان شاء الله لملك في وقته ذلك ثم مات اطفير فزوجه الملك
بزوجة اطفير راعيل فدخل بها يوسف فوجدها عذرا فولدت
له ولدين افراثيم ومنشا ابني يوسف ومن زعم انها زليخا قال لم
يتزوجها يوسف وانه لما راته في موكبه بكت ثم قالت الحمد لله الذي
جعل الملوك عبيدا بالمعصية والحمد لله الذي جعل العبيد بالطا
ملوكا فضمها اليه فكانت من عياله حتى ماتت عنده ولم يتزوجها
ذكره الماوردي وهو خلاف ما تقدم عن وهب ذكره الثعلبي والله
اعلم ولما فوض الملك امر مصر الى يوسف تلطف بالناس وجعل
يدعوهم الى الاسلام حتى امنوا به واقام فيهم العدل فاحبه الرجال
والنسا قال وهب والسدي وابن عباس وغيرهم ثم دخلت السنون
المخصبة فامر يوسف باصلاح المزارع وامرهم ان يتوسعوا في الزرا
فلما ادركت الغلة امر بها فجمعت ثم بنى لها الاهرا فجمعت في تلك
السنة غلة ضاقت عنها المخازن لكثرتها ثم جمع غلة كل سنة
كذلك حتى اذا انقضت السبع المخصبة وجاءت السنون المجدبة
نزل جبريل وقال يا اهل مصر جوعوا فان الله سلط عليكم الجوع
سبع سنين قال بعض اهل الحكمة للجوع والقحط علامتان احداهما ان
النفس تحب الطعام اكثر من العادة وتسرع اليها الجوع خلاف ما
كانت عليه قبل ذلك وتاخذ من الطعام فوق الكفاية والثانية ان
يفقد الطعام فلا يوجد راسا ويعز الى الغاية فاجتمعت هاتان

ح اطفير

عه

عة

العلامات في عهد يوسف فانتبه الرجال والنسا والصبيان
ينادون الجوع الجوع وياكلون ولا يشبعون وانتبه الملك ينادي الجوع
الجوع قال فدعا له يوسف فابراه الله من ذلك ثم اصبح فنادى يوسف
في ارض مصر كلها معاشر الناس لا يزرع احد زرعا فيضيع البذر
ولا يطلع وجات تلك السنون بهول عظيم لا يوصف قال ابن
عباس لما كان ابتدا القحط بينا الملك في جوف الليل اصابه الجوع
في نصف الليل فهتف الملك يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف
هذا اوان القحط فلما دخلت اول سنة من سني القحط هلك فيها
كل شي اعدوه في السنين المخصبة فجعل اهل مصر يبتاعون الطعام
من يوسف فباعهم اول سنة بالنقود حتى لم يبق بمصر دينار ولا
درهم الا قبضه وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم
يبق في ايدي الناس منها شي وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب
حتى احتوى عليها اجمع وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والاماء
حتى احتوى على الكل وباعهم في السنة الخامسة بالعقار والضياع حتى
ملكها كلها وباعهم في السنة السادسة بنسائهم واولادهم فاسترقهم
جميعا وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا
عبد الا صار عبدا له فقال الناس والله ما راينا ملكا اجل ولا
اعظم من هذا فقال يوسف لملك مصر كيف رايت صنع ربي فيما
خولني والآن كل هذا لك فما ترى فيه فقال فوضت الامر اليك
فافعل ما شئت وانما نحن لك تبع وما انا بالذي يستنكف عن
عبادتك وطاعتك ولا انا الا من بعض مماليكك وخول من خولك
فقال يوسف فاني لم اعتقهم من الجوع ولا استعبدهم ولا اجيرهم من
البلا لاكون عليهم بلا واني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر

في اخرهم ورددت عليهم اموالهم واملاكهم ورددت عليك ملكك
بشرط ان تشتري سنتي وروي ان يوسف عليه السلام كان لا يشبع
من طعام في ملك السنين فقيل له اتجوع وبيدك خزاين الارض فقال
اني اخاف ان شبعت ان انسي الجايع وامر يوسف طباخ الملك ان
يجعل غداه نصف النهار حتى يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسي الجا بعين
فمن ثم جعل الملوك غداهم نصف النهار **قوله تعالى** نصيب
برحمتنا من نشا اي باحساننا والرحمه النعمه والاحسان ولا نضيع
اجر المحسنين اي ثوابهم قال ابن عباس ووهب يعني الصابرين لصبره
في الجب وفي الرق وفي السجن وصبره عن محارم الله عما دعته اليه
المراه وقال الماوردي واختلف فيما اوتيه يوسف من هذه الحال
على قولين احدهما انه ثواب من الله تعالى على ما ابتلاه الثاني انه انعم
عليه بذلك تفضلا منه وثوابه باق على حاله في الاخره **قوله تعالى**
ولاجر الاخره خير اي ما نعطيه في الاخره خير واكبر مما اعطيناه في
الدنيا لان اجر الاخره دايم واجر الدنيا منقطع وظاهر الايه العموم
في كل مومن متق وانشدوا ::

اما لك في رسول الله يوسف اسوة لمثلك محبوسا على الظلم والافك
اقام جميل الصبر في الحبس برهة فآل به الصبر الجميل الى الملك

وكتب بعضهم الي صديق له ::

وراء مضيق الخوف متسع الامن واول مفروح به اخر الحزن
فلا تيس فالله ملك يوسفا خزاينه بعد الخلاص من السجن

وانشد بعضهم

اذا الحادثات بلغن النهى وكادت تذوب لهن المهج
وحل البلا وقل العزا فعند التناهي يكون الفرج

والشعر في هذا المعنى كثير **قوله تعالى** وجا اخوه يوسف

اي جاوا الى مصر لما اصابهم القحط ليمتاروا وهذا من احصاء
القران المعجز قال ابن عباس وغيره لما اصاب الناس القحط
والشده ونزل ذلك بارض كنعان بعث يعقوب عليه السلام
ولده للميره وذاع امر يوسف في الافاق للينه وقربه ورحمته
ورافته وعدله وسيرته وكان يوسف عليه السلام حين نزلت
الشده بالناس يجلس للناس عند البيع بنفسه فيعطيهم من
الطعام على عدة رووسهم لكل راس وسقا فجا اخوة يوسف
فدخلوا عليه فعرفهم يوسف وهم له منكرون لانهم خلفوه صبيا
ولم يتوهموا انه بعد العبودية يبلغ الى تلك الحال من المملكه
مع طول المده وهي اربعون سنه وقيل انكروه لانهم اعتقدوا انه
ملك كافر وقيل راوه لابس حرير وفي عنقه طوق ذهب وعلى
راسه تاج وقد تزيا بزي فرعون مصر ويوسف راهم على ما كان
عهدهم في الملبس والحليه ويحتمل انهم راوه وراء ستر فلم يعرفوه
وقيل انكروه لامر خارق امتحانا امتحن الله به يعقوب **قوله
تعالى** ولما جهزهم بجهازهم يقال جهزت القوم تجهيزا اي تكلفت
جهازهم للسفر وجهاز العروس ما يحتاج اليه عند الاهدا الى
الزوج وجوز بعض الكوفيين الجهاز بكسر الجيم والجهاز في هذه الايه
الطعام الذي امتاروه من عنده قال السدي وكان مع اخوة يوسف
احد عشر بعيرا وهم عشره فقالوا ليوسف ان لنا اخا تخلف عنا
وبعيره معنا فسالهم لم تخلف فقالوا لمحبة ابيه اياه وذكروا له
انه كان له اخ اكبر منه فخرج الى البرية فهلك فقال لهم اردت
ان ارى اخاكم هذا الذي ذكرتم لاعلم وجه محبة ابيكم اياه واعلم صدقكم
وروي انهم تركوا عنده شمعون رهينه حتى ياتوا باخيه بنيامين

بيان كنعان

وقال ابن عباس قال يوسف للترجمان قل لهم لغتكم مخالفة للغتنا
وزيكم مخالف لزينا فلعلكم جواسيس فقالوا والله ما نحن بجواسيس
بل نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق قال فكم عددكم قالوا كنا اثني عشر
فذهب اخ لنا الى البرية فهلك قال فاين الآخر قالوا عند ابينا قال
فمن يعلم صدقكم قالوا لا يعرفنا هاهنا احد وقد عرفناك انسابنا فبأي
شيء تسكن نفسك الينا فقال يوسف فأتوني بأخ لكم من ابيكم ان كنتم
صادقين فانا ارضى بذلك الا ترون اني اوفي الكيل اي اتمه ولا ابخسه
وازيدكم حمل بعير لاخيكم فان لم تأتوني به توعدهم بان لا يبيعهم الطعام
ان لم يأتوا به **قوله تعالى** الا ترون اني اوفي الكيل يحتمل وجهين
احدهما انه رخص لهم في السعر فصار زيادة في الكيل الثاني انه كال لهم
بمكيال واف وانا خير المنزلين فيه وجهان احدهما يعني خير المضيفين لانه
احسن ضيافتهم قاله مجاهد الثاني وهو محتمل اي خير من نزلتم عليه من
المأمونين وهو على التأويل الاول مأخوذ من النزل وهو الطعام وعلى
الثاني من المنزل وهو الدار **قوله تعالى** فان لم تأتوني به فلا كيل لكم
عندي اي فلا ابيعكم شيئا فيما بعد لانه قد وفاهم كيلهم في هذه الحال
ولا تقربون اي انزلكم عندي منزلة القريب ولم يرد انه يبعدوا منه
ولا يعودوا اليه لانه على العود حثهم قاله السدي وطلب منهم رهينة حتى
يرجعوا فارتهن شمعون عنده قال الكلبي انما اختار شمعون منهم لانه كان
يوم الجب اجملهم قولا واحسنهم رأيا و يقربون في موضع جزم بالنهي
فلذلك حذف منه النون وحذف الياء لانها رأس آية ولو كان خبرا
لكان يقربون بفتح النون **قوله تعالى** قالوا سنراود عنه اباه
اي سنطلبه منه ونسأله ان يرسله معنا وانا لفاعلون اي لضامنون
المجيء به ومحتالون في ذلك **مسألة** ان قيل كيف استجاز يوسف ادخال

الحزن على ابيه لطلب اخيه قيل له عن هذا اربعة اجوبة احدها
يجوز ان يكون الله عز وجل امره بذلك ابتلاء ليعقوب ليعظم له
الثواب فاتبع امره فيه الثاني يجوز ان يكون اراد بذلك ان
ينبه يعقوب على حال يوسف الثالث ليتضاعف المسرة ليعقوب
برجوع ولديه عليه الرابع ليقدم سرور اخيه بالاجتماع معه
قبل اخوته لميل كان منه اليه والاول اظهر والله اعلم **قوله
تعالى** وقال لفتيته هذه قراءة اهل المدينة وابي عمرو وعاصم
وهي اختيار ابي حاتم النحاس وغيرهما وقرا سائر الكوفيين لفتيانه
وهو اختيار ابي عبيد قال وهو في مصحف عبد الله كذلك
قال الثعلبي وهما لغتان جيدتان مثل الصبيان والصبية قال
النحاس لفتيانه يخالف السواد الاعظم لانه في السواد لا الف
فيه ولا نون ولا يترك السواد المجتمع عليه لهذا الاسناد المنقطع
وايضا فان فتيه اشبه من فتيان لان فتية عند العرب لاقل
العدد والقليل بان يجعلوا البضاعة في الرحال اشبه وكان
هولاء الفتية يسوون جهازهم ولهذا امكنهم جعل بضاعتهم في
رحالهم ويجوز ان يكونوا احرارا وكانوا اعوانا له وبضاعتهم اثمان
ما اشتروه من الطعام وقيل كانت دراهم ودنانير وقال ابن
عباس النعال والادم ومتاع المسافر يسمى رحلا قال ابن الانباري
يقال للوعاء رحل وللبيت رحل وقال لعلهم يعرفونها يجوز ان لا
يسلم في الطريق وقيل انما فعل ذلك ليرجعوا اذا وجدوا ذلك لعلمه انهم
لا يقبلون الطعام الا بثمن وقيل ليستعينوا بذلك على الرجوع لشراء
الطعام وقيل استقبح ان ياخذ من ابيه واخوته ثمن الطعام وقيل
ليروا فضله ويرغبوا في الرجوع اليه **قوله تعالى** فلما رجعوا الى

ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل لانه قال لهم فان لم تاتوني به فلا كيل لكم
عندي ولا تقربون واخبروه بما كان من امرهم واكرامهم اياه وان
شمعون مرتهن حتى يعلم صدق قولهم فارسل معنا اخانا نكتل والاصل
نكتال فحذفت الضمة من اللام للجزم وحذفت الالف لالتقا الساكنين
وقرا اهل الحرمين وابي عمرو وعاصم نكتل بالنون وقرا سائر الكوفيين
يكتل بالياء والاولى اختيار ابي عبيد ليكونوا كلهم داخلين فيما يكتال
وزعم انه اذا كان بالياء كان للاخ وحده قال النحاس هذا لا يلزم لانه
لا يخلو الكلام من احد جهتين ان يكون المعنى فارسل اخانا يكتل معنا
فيكون للجميع او يكون التقدير على غير التقديم والتاخير فيكون في الكلام
دليل على الجميع لقوله فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي وانا له لحافظون
من ان يناله سوء **قوله تعالى** قال هل امنكم عليه اي قد فرطتم
في يوسف فكيف امنكم على اخيه فالله خير حفظا نصب على البيان وهذه
قراءة اهل المدينة وابي عمرو وعاصم وقرا سائر الكوفيين حافظا على الحال
وقال الزجاج على البيان وفي هذا دليل على انه اجابهم الى ارساله معهم ومعنى
الاية حفظ الله له خير من حفظكم اياه قال كعب الاحبار لما قال
يعقوب فالله خير حفظا قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاردن عليك
ابنيك كليهما بعدما توكلت علي **قوله تعالى** ولما فتحوا متاعهم
الاية ليس فيها معنى يشكل ما نبغي استفهام في موضع نصب والمعنى
اي شيء نطلب وراء هذا اوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن ارادوا بذلك
ان يطيبوا انفس ابيهم وقيل هي نافية اي لا نبغي منك دراهم ولا بضاعة
بل يكفينا بضاعتنا هذه التي ردت الينا وروي عن علقمة ردت بكسر الرا
لان الاصل رددت فلما ادغم قلبت حركة الدال على الرا وقوله ونمير
اهلنا اي نجلب لهم الطعام قال الشاعر

بعثتك مائرا فمكثت حولا متى يأتي غياثك من تغيث
وقرأ السلمي بضم النون اي نعينهم على الميرة ونزداد كيل بعير اي حمل
بعير لبنيامين **قوله تعالى** قال لن ارسله معكم حتى تؤتون
فيه مسئلتان **الاولى** حتى تؤتون اي تعطوني موثقا من الله اي عهدا
يوثق به قال السدي حلفوا بالله ليردونه اليه ولا يسلمونه واللام
في لتأتنني لام القسم الا ان يحاط بكم قال مجاهد اي الا ان تهلكوا
او تموتوا وقال قتادة الا ان تغلبوا عليه قال الزجاج وهو في
موضع نصب فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل اي
حافظ للحلف وقيل حفيظ للعهد قائم بالتدبير والعدل
الثانية هذه الآية اصل في جواز الحمالة بالعين والوثيقة
بالنفس وقد اختلف العلماء في ذلك فقال مالك وجميع اصحابه
واكثر العلماء هي جائزة اذا كان المتحمل به مالا وقد ضعف الشافعي
الحمالة في المال بالوجه وله قول كقول مالك وقال عثمان
البتي اذا تكفل بنفس في قصاص او جراح فانه ان لم يجئ به لزمه
الدية وارش الجراح وكانت له في مال الجاني اذ لا قصاص على
الكفيل فهذه ثلاثة اقوال في الحمالة بالوجه والصواب
تفرقة مالك في ذلك انها تكون في المال لا تكون في حد او تعزير
على ما يأتي بيانه **قوله تعالى** وقال يا بني لا تدخلوا
من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة فيه سبع مسائل
الاولى لما عزموا على الخروج خشي عليهم العين فأمرهم ان لا يدخلوا
مصر من باب واحد وكانت مصر لها سبعة ابواب وانما خاف
عليهم العين لكونهم احد عشر رجلا لرجل واحد وكانوا اهل جمال
وكمال وبسطة قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم

ن

احكام الحمالة

الثانية

صبر وحسن عزآء وجرعة غيظ تجرعها العبد بحلم وعفو وقال ابن جريج
عن مجاهد في قوله تعالى فصبر جميل اي لا اشكوا ذلك الى احد وروى
مقاتل بن سليمان عن عطاء بن ابي رباح عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من بث لم يصبر وقد تقدم في البقرة ان الصبر عند اول الصدمة
وثواب من ذكر مصيبة واسترجع وان تقادم عهدها وقال جويبر عن
الضحاك عن ابن عباس قال ان يعقوب اعطي على يوسف اجر مائة شهيد
وكذلك من احتسب من هذه الامة في مصيبته فله مثل اجر يعقوب

قوله تعالى عسى الله ان ياتيني بهم جميعا لانه كان عنده ان يوسف
صلى الله عليه وسلم لم يمت وانما غاب عنه خبره لان يوسف حمل وهو
عبد لا يملك لنفسه شيا ثم اشتراه الملك فكان في داره لا يظهر
للناس ثم حبس فلما تمكن احتال في ان يعلم ابوه خبره ولم توجه رسول
لانه كره من اخوته ان يعرفوا ذلك فلا يدعوا رسول يصل اليه وقال
بهم لانهم ثلاثة يوسف واخوه والمتخلف من اجل اخيه وهو القائل
فلن ابرح الارض انه هو العليم بحالي الحكيم فيما يقضي

قوله تعالى وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف فيه ثلاث مسائل **الاولى**
قوله تعالى وتولى عنهم اي اعرض عنهم وذلك ان يعقوب لما بلغه خبر
بنيامين تتام حزنه وبلغ جهده وجدد الله له مصيبته في يوسف
فقال يا اسفى على يوسف ونسي ابنه بنيامين فلم يذكره عن ابن عباس
وقال سعيد بن جبير لم يكن عند يعقوب ما في كتابنا من الاسترجاع ولو
كان عنده لما قال يا اسفا على يوسف قال الحسن وقتادة المعنى يا حزناه
وقال مجاهد والضحاك يا جزعاه قال كثير فيا اسفا للقلب كيف انصرافه وللنفس لما سليت فتسلت
والاسف شدة الحزن على ما فات والندم على معنى يا اسف فانه
من اوقاتك وقال الزجاج الاصل يا اسفي فابدل من اليا الف لخفة

الغمة وابيضت عيناه من الحزن وقيل لم يبصر بهما ست سنين وانه عمي
قاله مقاتل وقيل قد تبيض العين ويبقى شي من الروية والله اعلم بحال يعقوب
وانما ابيضت عيناه من البكا ولكن سبب البكا الحزن فلهذا قال
من الحزن وقيل ان يعقوب كان يصلي ويوسف نايما معترضا بين يديه
فغط في نومه فالتفت يعقوب اليه ثم غط ثانية فالتفت اليه سرورا
به وتغطيطه فاوحى الله تعالى الى ملايكته انظروا الى صفيي وابن خليلي
قايما في مناجاتي يلتفت الى غيري وعزتي لانزعن الحدقتين اللتين التفت
بهما ولافرقن بينه وبين من التفت اليه ثمانين سنة ليعلم العاملون انه
من قام بين يدي يجب عليه مراقبة نظري **الثانية** هذا يدل على ان
الالتفات في الصلاة وان لم يبطل جلب العقوبة عليها والنقص فيها وقد
روى البخاري عن عايشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد
وسياتي ما للعلما في هذا في اول سورة المومنون مع عباد ان شا الله تعالى
الثالثة قال النحاس فان سال قوم عن معنى شدة حزن يعقوب عليه
السلام فللعلما في هذا ثلثة اجوبة منها ان يعقوب عليه السلام لما علم ان
يوسف عليه السلام حي خاف على دينه فاشتد حزنه لذلك وقيل انما
حزن لانه سلمه اليهم صغيرا فندم على ذلك والجواب الثالث وهو ابينها
وهو ان الحزن ليس بمحظور وانما المحظور الزلة وشق الثياب والكلام بما لا
ينبغي وقال النبي صلى الله عليه وسلم تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط
الرب وقد بين الله جل وعز ذلك بقوله فهو كظيم اي مكظوم مملو من الحزن
ممسك عليه لا يبثه ومنه كظم الغيظ وهو اخفاوه فالمكظوم المسدود
عليه طريق حزنه قال الله تعالى اذ نادى وهو مكظوم اي مملو كربا
ويجوز ان يكون المكظوم بمعنى الكاظم

وهو المشتمل

وهو المشتمل على حزنه وعن ابن عباس الكظيم مغموم قال الشاعر،
فاراك كاظم اصاب شانين فاني اليوم مطلق لساني
وقال ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال ذهبت عيناه من الحزن
فهو الكظيم قال هو كمد يقول نعلم ان يوسف حي ولا يدري اين هو فهو
كمد من ذلك قال الجوهري الكمد الحزن المكتوم يقول منه كمد الرجل
فهو كمد وكميد النحاس يقال فلان كظيم وكاظم اي حزين لا يشكو احزنه
قال الشاعر: فحضضت قومي واحتسبت قتالهم والقوم من خوف المنايا كظّم
قوله تعالى قالوا تالله اي قال له ولده تالله تفتؤا تذكر يوسف قال
الكسائي فتات وفتيت افعل ذلك اي ما زلت وزعم الفرا ان لا مضمرة اي
لا تفتا وانشد: فقلت يمين الله ابرح قاعدًا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي
اي لا ابرح قال النحاس والذي قال حسن صحيح وزعم الخليل وسيبويه
ان لا تضمر في القسم لانه ليس فيه اشكال ولو كان كموجبا لكان باللام
والنون وانما قالوا له ذلك لانهم علموا باليقين انه مداوم على ذلك
يقال ما زال يفعل كذا وما فتئ وفتا فهو لغتان ولا يستعملان الا مع
الجحد كما قال الشاعر: فما فتيت حتى كان غبارها سرادق يوم ذي رياح ترفع
اي ما برحت يفتو نبرح وقال ابن عباس ومجاهد دنفا من المرض
وهو ما دون الموت قال الشاعر: سرى همي فامرضني وقدما زادني مرضا
كذاك الحب قبل اليوم مما يورث الحرضا: وقال قتادة هرما الهالك
بالبادائرا: محمد بن اسحق فاسد الاعقل لك: الفرا الحارض الفاسد
الجسم والعقل وكذا الحرضا بن زيد الحرض الذي قد رد الى ارذل العمر
الربيع: الربيع بن انس يابس الجلد على العظم المورج ذا بيا من الهم:
وقال الاخفش ذاهبا: ابن الانباري هالكا وكلها متقاربة واصل
الحرض الفساد في الجسم والعقل من الحزن او العشق او الهرم عن ابي عبيدة

وغيره وقال العرجي انى امرؤ لج بي حب فاحرضني حتى بليت وحتى شفني السقم
قال النحاس يقال حرض حرضا وحرض حروضا وحرضه اذا بلي وسقم
ورجل حارض وحرض الا ان حرضا لا يثنى ولا يجمع ومثله قمن وخرى
لا يثنيان ولا يجمعان الثعلبي ومن العرب من يقول حارض للمذكر
والمونثه حارضه فاذا وصف بهذا اللفظ ثنى وجمع وانث ويقال
حرض يحرض حراضه فهو حريض وحرض ويقال رجل محرض وينشد

طلبته الخيل يوما كاملا ولو القته لاضحى محرضا :

وقال امرئ القيس :

اري المرء ذا الاذواد يصبح محرضا كاحراض بكر في الديار مريض

قال النحاس وحكى اهل اللغه احرضه الهم اذا اسقمه ورجل حارض اي
احمق وقرا انس حرضا بضم اى وسكون الراء اي مثل عود الاشنان وقرا
الحسن حرضا بضم الحا والرا قال الجوهري الحرض والحرض الاشنان او
تكون منها للكبار اي المسنين وهو قول الجميع وغرضهم منع يعقوب
من البكا والحزن شفقة عليه وان كانوا السبب في ذلك **قوله**
تعالى قال انما اشكوا بثي وحزني الى الله حقيقه البث في اللغه ما يرد على الانسان
من الاشيا المهلكه التي لا يتهيا له ان يخفيها وهو من بثثته
اي فرقته فسميت المصيبه بثا مجازا قال ذو الرمة :

وقفت على ربع لميه ناقتي فما زلت ابكي عنده واخاطبه
واسقيه حتى كاد مما ابثه تكلمني احجاره وملاعبه

وقال ابن عباس بثي همي الحسن حاجتي وقيل اشد الحزن وحقيقته
ما ذكرناه وحزني الى الله معطوف عليه اعاده بغير لفظه واعلم
من الله ما لا تعلمون اي اعلم ان رويا يوسف صادقة واني ساسجد
له قال ابن عباس يقول اي اعلم من احسان الله الي ما يوجب حسن

طمعه وقيل قال يعقوب لملك الموت هل قبضت روح يوسف قال
لا فاكدهذا رجاه وقال السدي اعلم ان يوسف حي وذلك انه لما اخبروه
ولده بسيرة الملك وعدله ولطفه وقوله احست نفس يعقوب انه
ولده فطمع وقال لعله يوسف وقال لا يكون في الارض صديق الا نبي
وقيل اعلم من اجابة دعا المضطرين ما لا تعلمون **قوله تعالى**
يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه هذا يدل على انه تيقن حياته
اما بالرويا واما بالطاف الله الذي كما في اول القصة واما باخبار ملك
الموت اياه بانه لم يقبض روحه وهو اظهر والتحسس طلب الشي بالحواس
فهو تفعلوا من الحس اي اذهبوا الى هذا الذي طلب منكم اخاكم واحتال
عليكم في اخذه فسلوا عنه وعن مذهبه ويروي ان ملك الموت قال
له اطلبه من هاهنا واشار الى ناحية مصر وقيل ان يعقوب تنبه على
يوسف برد البضاعة واحتباس اخيه واظهار الكرامة فلذلك وجههم
الى جهة مصر دون غيرها ولا تيأسوا من روح الله اي لا تقنطوا من فرج
الله قاله ابن زيد يريد ان المومن يرجوا فرج الله والكافر يقنط في الشدة
وقال قتادة والضحاك من رحمة الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون دليل على ان القنوط من الكباير وهو اليأس وسياتي في الزمر
بيانه ان شا الله تعالى **قوله تعالى** فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز
اي الممتنع مسنا واهلنا الضر هذه المرة الثالثة من عودهم الى مصر وفي
الكلام حذف اي فخرجوا الى مصر فلما دخلوا على يوسف قالوا مسنا اي اصابنا
واهلنا الضر اي الجوع والحاجة وفي هذا دليل على جواز الشكوى عند
الضر اي الجوع بل واجب عليه اذا خاف على نفسه الضر من الفقر وغيره
ان يبدي حالته الى من يرجوا منه النفع كما وجب عليه ان يشكو ما به من
الالم الى الطبيب ليعالجه ولا يكون ذلك قدحا في التوكل وهذا ما لم

بكن التشكي على سبيل التسخط والصبر والتجلد في النوايب احسن
والتعفف عن المسله افضل واحسن الكلام في الشكوى سوال
المولى زوال البلوى وذلك قول يعقوب انما اشكوا بثي وحزني الى
الله واعلم من الله ما لا تعلمون اي من جميل صنعه وغريب لطفه وعايدته
على عباده فاما الشكوى الى غير مشتك فهو السفه الا ان يكون على وجه
البث والتسلي كما قال ابن دريد :.

لا تحسبن يا دهر اني ضارع لنكبة تعرقني عرق المدى
مارست من لو هوت الافلاك من جوانب الجو عليه ما شكى
لكنها نفثة مصدور اذا جاش لغام من نواحيها غمى

قوله تعالى وجينا ببضاعة مزجاة البضاعة القطعة من المال يقصد
بها شرا شي يقول ابضعت الشي واستبضعته اي جعلته بضاعة
وفي المثل كمستبضع التمر الى هجر **قوله تعالى** مزجاة صفه
لبضاعه والارجا السوق بدفع ومنه قوله تعالى الم تر ان الله يزجي
سحابا والمعنى انها بضاعة تدفع ولا يقبلها كل احد قال ثعلب
البضاعة المزجاة الناقصة غير التامه واختلف في تعيينها هنا فقيل
كانت قديدا وحبيسا ذكره الواقدي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل خلق
الغرائر والحبال روي عن ابن عباس وقيل متاع الاعراب صوف وسمن قاله عبد
الله بن الحرث وقيل الحبة الخضرا والصنوبر قاله ابو صالح وقيل دراهم
لا تنفق في الطعام وتنفق فيما بين الناس قيل لواحدها منا بحساب جياد
تنفق في الطعام وقيل دراهم رديه قاله ابن عباس ايضا وقيل ليس عليها صورة
يوسف كما قال الضحاك النعال والادم وعنه كانت سويقا منخلا والله اعلم

وكانت دراهم مصر عليها صورة يوسف صح

قوله تعالى فاوف لنا الكيل وتصدق علينا فيه اربع مسايل
الاولى قوله تعالى فاوف لنا الكيل يريدون كما تبيع

بالعدا هم اجياد لا يعضنا لمكان دراهمنا هذا قول اكثر المفسرين وقال
ابن جريج فاوف لنا الكيل يريدون الكيل الذي كان قد كاله لاخيهم وتصدق
علينا اي تفضل علينا بما بين سعر الجيد والرديه قاله سعيد بن جبير
والسدي والحسن لان الصدقة تحرم على الانبيا وقيل المعنى تصدق
علينا بالزيادة على حقنا قاله سفيان بن عيينه قال مجاهد ولم تحرم الصدقه
الا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج المعنى تصدق علينا
برد اخينا الى ابيه وقال ابن شجره تصدق علينا تجوز عنا واستشهد
بقول الشاعر:. تصدق علينا يا بن عفان واحتسب وامر علينا الاشعري لياليا
ان الله يجزي المتصدقين يعني في الاخره يقال هذا معارض الكلام لانه لم يكن
عندهم انه على دينهم ولذلك لم يقولوا ان الله يجزيك بصدقتك فقالوا لفظا
يوهمه انهم ارادوه وهم يصح له اخراجه بالتاويل قاله النقاش وفي الحديث
ان من المعاريض مندوحة عن الكذب **الثانيه** استدل مالك وغيره
من العلماء على ان اجره الكيال على البايع قال ابن القاسم وابن نافع قال مالك
قالوا ليوسف فاوف لنا الكيل وكان يوسف هو الذي يكيل وكذلك الوزان
والعداد وغيرهم لان الرجل اذا باع عده معلومه من طعامه واوجب العقد
عليه وجب عليه ان يبرزها و يميز حق المشتري من حقه الا ان يبيع منه معينا
صبره او ما لا حق توفيه فيه فخلى ما بينه وبينه فما جرى على المبيع فهو من
المبتاع وليس كذلك ما فيه حق توفيه من كيل او وزن الا ترى انه لا يستحق
البايع الثمن الا بعد التوفيه وان تلف فهو منه قبل التوفيه **الثالثه**
واما اجره النقد فعلى البايع ايضا لان المبتاع الدافع لدراهمه يقول انها
طيبه فانت الذي تدعي الرداه فانظر لنفسك وايضا فان النفع يقع له
فصار الاجر عليه وكذلك لا يجب على الذي يجب عليه القصاص لانه لا يجب
عليه ان يقطع يد نفسه ولا ان يمكن من ذلك طايعا الا ترى ان فرضا عليه

ان يفدي يده وصالح عليه اذا طلب المقتص ذلك منه فاجبر القطاع على المقتص وقال الشافعي في المشهور عنه انها على المقتص منه كالبايع
الرابعة يكره للرجل ان يقول اللهم تصدق علي لان الصدقة انما يكون ممن يبتغي الثواب والله تعالى متفضل بالثواب وبجميع النعم لا رب غيره وسمع الحسن رجلا يقول اللهم تصدق علي فقال الحسن يا هذا ان الله لا يتصدق انما يتصدق من يبتغي الثواب قل اللهم اعطني وتفضل علي **قوله تعالى**
قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه استفهام بمعنى التذكير والتوبيخ وهو الذي قال الرب لتنبئنهم بامرهم الايه اذ انتم جاهلون دليل على انهم كانوا صغارا في وقت اخذهم ليوسف غير انبيا لانه لا يوصف بالجهل الا من كانت هذه صفته ويدل على انه حسنت حالهم الان اي فعلتم ذلك اذ انتم صغار جهال قال معناه ابن عباس والحسن ويكون قولهم وان كنا لخاطئين على هذا لانهم كبروا ولم يخبروا اباهم بما فعلوا حيا وخوفا منه وقيل جاهلون بما يؤول اليه العاقبة والله اعلم **قوله تعالى**
قالوا انك لانت يوسف لما دخلوا عليه فقالوا مسنا واهلنا الضر فخضعوا له وتواضعوا رق عليهم وعرفهم بنفسه فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف فتنبهوا فقالوا انك لانت يوسف قاله ابن اسحق وقيل ان يوسف تبسم فشبهوه بيوسف واستفهموا قال ابن عباس لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف الايه ثم تبسم يوسف وكان اذا تبسم كان ثناياه اللؤلؤ المنظوم فشبهوه بيوسف وعن ابن عباس ايضا ان اخوته لم يعرفوه حتى وضع التاج عنه وكان في قرنه علامة وكان ليعقوب مثلها شبه الشامة فلما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف رفع التاج عنه فعرفوه فقالوا انك لانت يوسف وقال ابن عباس كتب يعقوب اليه يطلب رد ابنه وفي الكتاب من يعقوب

صفي

صفي الله ابن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا
اهل بيت وبلاء ومحن ابتلى الله جدي ابرهيم بنمرود وناره ثم ابتلى ابي
اسحق بالذبح ثم ابتلاني بولد لي كان احب اولادي الي حتى كف بصري
من البكا واني لم اسرق ولم الد سارقا والسلام فلما قرا يوسف الكتاب
ارتعدت مفاصله واقشعر جلده وارخى عينيه بالبكا وعيل صبره
فباح بالسر وقرا ابن كثير انك على الخبر ويجوز ان يكون هذه القراءة استفهاما
لقولك وتلك نعمة قال انا يوسف اي انا المظلوم المراد قتله ولم يقل
انا هو تعظيم للقصة قد من الله علينا اي بالنجاة والملك انه من يتق
ويصبر اي يتق الله ويصبر على المصائب وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر
المحسنين اي الصابرين في بلايه القائمين بطاعته وقرا ابن كثير انه من
يتقي باثبات اليا والقراءة به جائزة على ان يجعل من بمعنى الذي ويدخل يتقي
في الصلة فتثبت اليا لا غير وترفع ويصبر وقد يجوز ان يجزم ويصبر على
ان يجعل يتقي في موضع جزم ومن للشرط وتثبت اليا ويجعل علامة الجزم
حذف الضمة التي كانت في اليا على الاصل كما قال ::

ثم نادي اذا دخلت دمشقا يا زيد بن خالد بن يزيد
وقال اخر
الم ياتيك والانباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد

وقراءة الجماعة ظاهرة والهاء انه كناية عن الحديث والجملة الخبر **قوله تعالى**
قالوا تالله لقد اثرك الله علينا الاصل همزتان خففت الثانية ولا يجوز تحقيقها
واسم الفاعل موثر والمصدر ايثار ويقال اثرت التراب اثاره فانا مثير وهو
ايضا على افعل ثم اعل والاصل اثير فنقلت حركة اليا على الثا فانقلبت اليا
الفا ثم حذفت لالتقا الساكنين واثرت الحديث على فعلت فانا اثر والمعنى
لقد فضلك الله علينا واختارك بالعلم والحلم والحكم والعقل والملك وان
كنا لخاطئين اي مذنبين من خطي يخطا اذا اتى الخطيئة وفي ضمن هذا سوال

العفو وقيل لابن عباس كيف قالوا انا كنا خاطئين وقد تعمدوا لذلك قال
وان تعمدوا ذلك وما تعمدوا حتى اخطؤوا الحق ولذلك كل من اتى ذنبا تخطى
المنهاج الذي عليه من الحق حتى يقع في الشبهة والمعصية **قوله تعالى**
قال لا تثريب عليكم اليوم اي قال يوسف وكان حليما موفقا لا تثريب
عليكم اليوم وتم الكلام ومعنى اليوم الوقت والتثريب التعيير والتوبيخ
اي لا تعيير ولا توبيخ ولا لوم عليكم اليوم قاله سفيان الثوري وغيره ومنه
قوله عليه السلام اذا زنت امة احدكم فليجلدها الحد ولا تثريب عليها
اي لا تعيرها وقال بشر

فعفوت عنهم عفو غير مثرب وتركتهم لعقاب يوم سرمد

وقال الاصمعي ثربت عليه وعربت عليه بمعنى اذا قبحت عليه فعله
وقال الزجاج المعنى لا افساد لما بيني وبينكم من الحرمة وحق الاخوة
ولكم عندي العفو والصفح واصل التثريب الافساد وهي لغة اهل
الحجاز وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتي
الباب يوم فتح مكة وقد لاذ الناس بالبيت فقال الحمد لله الذي صدق
وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال ماذا تظنون يا
معشر قريش قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت قال وانا
اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم فقال عمر رضي الله عنه
ففضت عرقا من الحياء من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
اني كنت قلت لهم حين دخلنا مكة اليوم ننتقم منكم ونفعل فلما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال استحييت من قولي يغفر الله
لكم فعل مستقبل فيه معنى الدعاء سال الله ان يستر عليهم ويرحمهم
واجاز الاخفش الوقف على عليكم والاول هو المستعمل فان في الوقف
على عليكم والابتداء اليوم يغفر الله لكم جزم بالمغفرة في اليوم وذلك

لا يكون

لا يكون الا عن وحي وهذا ابين وقال عطا الخراساني طلب الحوائج من الشباب اسهل منه من الشيوخ الم تر الى قول يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقال يعقوب عليه السلام سوف استغفر لكم ربي

قوله تعالى اذهبوا بقميصي هذا: هذا نعت للقميص والقميص مذكر فاما قول الشاعر تدعوا هوازن والقميص مفاضة فوق النطاق تشد بالازرار فتقديره درع مفاضة قاله النحاس وقال ابن السدي عن ابيه عن مجاهد قال لهم يوسف اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا قال كان يوسف اعلم بالله من ان يعلم ان قميصه يرد على يعقوب بصره ولكن ذلك قميص ابراهيم الذي البسه الله في النار من حرير الجنة وكان كساه اسحق وكان اسحق يعقوب وكان يعقوب ادرج ذلك القميص في قصبة من فضة وعلقه في عنق يوسف لما كان يخاف عليه من العين فاخبره جبريل عليه السلام ان ارسل قميصك فان فيه ريح الجنة وريح الجنة لا يقع على سقيم ولا مبتلى الا عوفي وقال الحسن لولا ان الله تعالى اعلم يوسف بذلك لم يعلم انه يرجع اليه بصره وكان الذي حمل قميصه يهودا قال ليوسف انا الذي حملت اليه قميصك بدم كذب فاحزنته وانا الذي احملت اليه الان لاسره وليعود اليه بصره فحمله حكاه السدي واتوني باهلكم اجمعين لتتخذوا مصر دارا قال مسروق وكانوا ثلاثة وتسعين بين رجال وامراة وقد قيل ان القميص الذي بعثه هو القميص الذي قد من دبر ليعلم يعقوب انه عصم من الزنا والقول الاول اصح وقد روي مرفوعا من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره القشيري والله اعلم **قوله تعالى** ولما فصلت العير اي خرجت منطلقة من مصر الى الشام يقال فصل فصولا وفصلته فصلا فهو لازم ومتعد قال ابوهم اي قال لمن حضر من قرابته ممن لم يخرج الى مصر وهم ولد ولده اني لاجد ريح يوسف وقد يحتمل ان يكون خرج بعضهم

فقال لمن معه انى لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون قال ابن عباس
هاجت ريح فحملت ريح قميص يوسف اليه وبينهما مسيرة ثمان ليال
وقال الحسن مسيرة عشر ليال وعنه ايضا مسيرة شهر وقال مالك
ابن انس رحمه الله انما اوصل ريحه من اوصل عرش بلقيس قبل ان يرتد
الى سليمان عليه السلام طرفه وقال مجاهد هبت ريح فصفقت القميص
فراحت روايح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة
فعلم انه ليس في الدنيا من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فعند
ذلك قال انى لاجد اى اشم فهو وجود بحاسة الشم لولا ان تفندون قال
ابن عباس ومجاهد لولا ان تسفهون ومنه قول النابغة::

الا سليمان اذ قال المليك له قم في البرية فاحددها عن الفند

اي عن السفه وقال سعيد بن جبير والضحاك لولا ان تكذبون والفند الكذب
وقد افند افنادا كذب ومنه قول الشاعر:

هل في افتخار الكريم من اود ام هل لقول الصدوق من فند

اى من كذب وقيل لولا ان تهجنون قاله ابو عمرو والتفنيد التقبيح قال الشاعر

يا صاحبي دعا لومي وتفنيدي فليس ما فات من امري بمردود

وقال ابن الاعرابي لولا ان تفندون لولا ان تضعفون رايي وقاله ابن
اسحق والفند ضعف الراى من كبر وقول رابع تضللوني قاله ابو عبيدة
وقال الاخفش تلوموني والتفنيد اللوم وتضعيف الراي وقال الحسن
وقتادة ومجاهد ايضا تهرمون وكله متقارب المعنى وهو راجع الى التعجيز
وتضعيف الراي [illegible] فنده تفنيدا اذا عجزه كما قال: اهلكتني باللوم والتفنيد
وقال ايضا [illegible] بالخطا والفند الخطا من الكلام والراي كما قال النابغة

الا سليمان اذ قال الاله له قم في البرية فاحددها عن الفند

واصله الفساد [illegible] التعقل اى امنعها عن الفساد ومن ذلك قيل اللوم تفنيد

قال الشاعر: يا عاذلي دع الملام واقصد الحال الهوى واطلبا التعنيفا
وقال افعلا ما بدا لكما فان الدهر اذا افسد. ومنه قول ابن مقبل:
دع الدهر يفعل ما اراد فانه اذا كلف الافناد بالناس افند
قوله تعالى قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم اي لفي ذهاب عن طريق الصواب
وقال ابن عباس وابن زيد لفي خطائك الماضي من حب يوسف لا تنساه وقال
سعيد بن جبير لفي جنونك القديم قال الحسن وهذا عقوق وقال قتادة
وسفيان لفي محبتك القديمة وقيل انما قالوا هذا لان يوسف عندهم كان
قد مات وقيل ان الذي قال له ذلك من بقي معه من ولده ولم يكن عندهم
الخبر وقيل قال له ذلك من كان معه من اهله وقرابته وقيل بنو بنيه
وكانوا صغارا فالله اعلم **قوله تعالى** فلما ان جاء البشير القاه على وجهه
اي على عينيه فارتد بصيرا اي رجع بصيرا والبشير هو شمعون وقيل يهوذا قال
انا ذهبت بالقميص اليوم كما ذهبت به ملطخا بالدم قاله ابن عباس وعن
السدي انه قال لاخوته قد علمتم اني ذهبت اليه بقميص الترحة فدعوني
اذهب اليه بقميص الفرحة وقال يحيى بن يمان عن سفيان لما جاء البشير
الى يعقوب قال له على اي دين تركت يوسف قال على الاسلام قال
الآن تمت النعمة وقال الحسن لما ورد البشير الى يعقوب لم يجد عنده
شيئا يثيبه به فقال والله ما اصبت عندنا شيئا وما خبزنا شيئا منذ سبع
ليال ولكن هون الله عليك سكرات الموت **قلت** وهذا الدعاء
اعظم ما يكون من الجوائز وافضل العطايا والذخائر ودلت هذه الآية
على جواز البذل والهبات عند البشائر وفي الباب حديث كعب بن مالك
الطويل وفيه فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت ثوبي فكسوتهما اياه
ببشارته وذكر الحديث وقد تقدم بكماله في قصة الثلاثة الذين خلفوا وكسوة
كعب ثوبيه للبشير مع كونه ليس له غيرهما دليل على جواز مثل ذلك اذا ارتجى

حصول ما يستبشر به وهو دليل على جواز اظهار الفرح بعد زوال الغم والترح ومن هذا الباب جواز حذاق الصبيان والطعام الطعام فيها وقد نحر عمر بعد حفظه سورة البقرة جزورا والله اعلم **قوله تعالى** قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون ذكرهم قوله انما اشكوا بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون **قوله تعالى** قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين في الكلام حذف التقدير ولما رجعوا من مصر قالوا يا ابانا وهذا يدل على ان الذي قال له تالله انك لفي ضلالك القديم بنو بنيه او غيرهم من قرابته واهله لا ولده فانهم كانوا غيبا وكان يكون ذلك زيادة في العقوق والله اعلم وانما سالوه المغفرة لانهم اذ خلوا عليه من الم الحزن ما لا يسقط المأثم عنهم الا تحلله **قلت** وهذا الحكم ثابت فيمن آذى مسلما في نفسه او ماله او غير ذلك ظالما له فانه يجب عليه ان يتحلل منه ويخبره بالمظلمة وقدرها وهل ينفعه التحلل المطلق ام لا فيه خلاف والصحيح انه لا ينفع فانه لو اخبره بمظلمة لها قدر وبال ربما لم تطب نفس المظلوم في التحلل منها والله اعلم. وفي صحيح البخاري وغيره عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له مظلمة لاخيه من عرضه او شي فليتحلله منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيآت صاحبه فحمل عليه قال المهلب فقوله صلى الله عليه وسلم اخذ منه بقدر مظلمته يجب ان يكون المظلمة معلومة القدر مشارا اليها مبينة والله اعلم **قوله تعالى** قال سوف استغفر لكم ربي قال ابن عباس اخر دعاءه الى السحر وقال المثنى بن الصباح عن طاوس قال سحر ليلة الجمعة ووافق ذلك ليلة عاشورا وفي دعا الحفظ من كتاب الترمذي عن

ابن عباس انه قال بينما نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاءه علي بن ابي
طالب رضي الله عنه فقال بابي انت وامي تفلت هذا القرآن من صدري
فما اجدني اقدر عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا اعلمك
كلمات ينفعك الله بهن وينفع بهن من علمته ويثبت ما تعلمت في صدرك
قال اجل يا رسول الله فعلمني قال اذا كان ليلة الجمعة فان استطعت ان
تقوم في ثلث الليل الاخر فانها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب
وقد قال اخي يعقوب لبنيه سوف استغفر لكم ربي يقول حتى تاتي ليلة
الجمعة وذكر الحديث وقال ايوب بن ابي تميمة السختياني عن سعيد بن جبير
قال سوف استغفر لكم ربي في الليالي البيض في الثلاث عشرة والاربع
عشرة والخمس عشرة فان الدعاء فيه مستجاب وعن عامر الشعبي قال سوف
استغفر لكم ربي اي اسال يوسف ان عفا عنكم استغفرت لكم ربي اي اسال
يوسف ان عفا عنكم استغفرت لكم ربي وذكر سنيد بن داود قال نا
هشيم قال نا عبد الرحمن بن اسحق عن محارب بن دثار عن عمه قال كنت
اتي المسجد في السحر فامر بدار ابن مسعود فاسمعه يقول اللهم امرتني فاطعت
ودعوتني فاجبت وهذا سحر فاغفر لي فلقيت ابن مسعود فقلت كلمات
اسمعك تقولهن في السحر فقال ان يعقوب اخر بنيه الى السحر بقوله سوف
استغفر لكم **قوله تعالى** فلما دخلوا على يوسف اي قصرا كان له هناك
اوى اليه ابويه قيل ان يوسف بعث مع العير مائتي راحلة وجهازا وسال
يعقوب ان ياتيه باهله وولده جميعا فلما دخلوا عليه اوى اليه ابويه اي
ضم ويعني بابويه اباه وخالته امه قد ماتت في ولادة اخيه بنيامين وقيل
احيى الله له امه تحقيقا للرؤيا حتى سجدت له قاله الحسن وقد تقدم في البقرة
ان الله تعالى احيى لنبيه عليه السلام اباه وامه فامنا به **قوله تعالى**
ادخلوا مصر ان شاء الله امنين قال ابن جريج اي سوف استغفر لكم ربي

قال

ان شا الله وهذا من تقديم القران وتاخيره قال النحاس يذهب ابن جريج
الى انهم قد دخلوا مصر فكيف يقول ادخلوا مصر ان شا الله وقيل انما
قال ان شا الله تبركا وجزما امنين من القحط ومن فرعون وكانوا لا
يدخلون الا بجوازه قوله تعالى ورفع ابويه على العرش قال قتاده
يريد السرير وقد تقدمت محامله وقد اخبر بالعرش عن الملك والملك
نفسه ومنه قول النابغة الذبياني

عروش تفانوا بعد عزوامه وقد تقدم :: قوله تعالى

وخروا له سجدا فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى وخروا له سجدا
الهاء في خروا له قيل انها تعود على الله تعالى المعنى وخروا شكرا لله
سجدا روي عن الحسن قال النقاش وهذا خطا والهاء راجعة الى يوسف
لقوله تعالى في اول السوره رايتهم لي ساجدين وكان تحيتهم ان يسجد
الوضيع للشريف والصغير للكبير سجد يعقوب وخالته واخوته
ليوسف عليه السلام فاقشعر جلده وقال هذا تاويل رياي من
قبل وكان بين رويا يوسف وبين تاويلها اثنان وعشرون سنه وقال
سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد اربعون سنه قال عبد الله بن
شداد وذلك اخر ما تبطي الرويا وقال قتاده خمس وثلثون سنه
وقال السدي وسعيد بن جبير وعكرمه ست وثلثون سنه وقال الحسن
وجسر بن فرقد وفضيل بن عياض ثمانون سنه وقاله وهب بن
منبه قال وهب القي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشره سنه
وغاب عن ابيه ثمانين سنه وعاش بعد ان التقى بابيه ثلاثا وعشرين
سنه ومات وهو ابن مايه وعشرين وفي التوراه مايه وستة وعشرين
سنه وولد ليوسف من امراه العزيز افرايم ومنشا ورحمه امراه
ايوب وبين يوسف وموسى اربع مايه سنه وقيل ان يعقوب

في يعقوب يوسف عشرين سنه ثم توفي صلى الله عليه وسلم وقيل اقام عنده
ثماني عشره سنه وقال بعض المحدثين بضعا واربعين سنه وكان
بين يعقوب ويوسف بلاء ثلاثين سنه حتى جمعهم الله وقال ابن اسحق
ثمانيه عشر فالله اعلم **الثانيه** قال سعيد بن جبير عن قتاده عن
الحسن في قوله وخروا له سجدا قال لم يكن سجودا ولكنه سنه كانت
فيهم يومئون برؤوسهم ايما كذلك كانت تحيتهم وقال الثوري والضحاك وغيرهما
كان سجودا كالسجود المعهود عندنا وهو كان تحيتهم وقيل كان انحنا كالركوع
ولم يكن خرورا على الارض وهكذا كان سلامهم بالتكفي والانحنا وقد نسخ
الله ذلك كله في شرعنا وجعل الكلام بدلا عن الانحنا واجمع المفسرون
ان ذلك السجود على اي وجه كان انما كان ذلك تحيه لا عباده قال قتاده
هذه كانت تحيه الملوك عندهم واعطى الله هذه الامه السلام تحيه اهل
الجنه **قلت** هذا الانحنا والتكفي الذي نسخ عنا قد صار عاده بالديار
المصريه وعند العجم وكذلك قيام بعضهم الى بعض حتى ان احدهم اذا لم يقم
له وجد في نفسه انه لا يوبه به وانه لا قدر له وكذلك اذا التقوا انحنى
بعضهم لبعض عاده مستمره ووراثه مستقره لا سيما عند التقا الامرا
والروسا نكبوا عن السنن واعرضوا عن السنن روى انس بن ملك قال
قلنا يا رسول الله اينحني بعضنا الى بعض اذا التقينا قال لا قلنا ايعتنق
بعضنا بعضا قال لا قلنا ايصافح بعضنا بعضا قال نعم خرجه ابو عمر في
التمهيد فان قيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم او خيركم
يعني سعد بن عباده قلنا ذلك مخصوص بسعد لما تقتضيه الحال المعينه
وقد قيل انما كان قيامهم لينزلوه عن الحمار وايضا فانه يجوز للرجل الكبير اذا لم
يوثر ذلك في نفسه فان اثر فيه واعجب به ورأى لنفسه حظا لم يجز عونه
على ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم من سره ان يتمثل له الناس قياما فليتبوا

مقعده من النار وجا عن اصحابه رضوان الله عليهم انه لم يكن وجه اكرم
عليهم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كانوا يقومون له اذا
راوه لما يعرفون من كراهيته لذلك **الثالثه** فان قيل ما تقول
في الاشاره بالاصبع قيل له ذلك جائز اذا بعد ليعين له به وقت السلام
فان كان دانيا فلا وقد قيل بالمنع في القرب والبعد لما جا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من تشبه بغيرنا فليس منا وقال لا
تسلموا تسليم اليهود والنصارى فان تسليم اليهود بالاكف وتسليم النصارى
بالاشاره واذا سلم فانه لا ينحني ولا ان يقبل مع السلام يده لان الانحنا
على معنى التواضع لا ينبغي الا لله واما تقبيل اليد فانه من فعل الاعاجم
ولا يتبعون على افعالهم التي احدثوها تعظيما منهم لكبرائهم قال النبي
صلى الله عليه وسلم لا تقوموا عند راسي كما تقوم الاعاجم عند رووس
اكاسرتها فهذا مثله ولا باس بالمصافحه فقد صافح النبي صلى الله عليه
وسلم جعفر بن ابي طالب حين قدم من الحبشه وامر بها وندب اليها
وقال تصافحوا يذهب الغل وروى غالب التمار عن الشعبي ان اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اذا التقوا تصافحوا واذا قدموا من سفر
تعانقوا **الرابعه** فان قيل فقد كره مالك المصافحه قلنا روى
ابن وهب عن مالك انه كره المصافحه والمعانقه وذهب الى هذا سحنون
وغيره من اصحابنا وقد روي عن مالك خلاف ذلك من جواز المصافحه
وهو الذي يدل عليه معنى ما في الموطا وعلى جواز المصافحه لانه لم يرها
امرا عاديا في الدين ولا سمعوا لاهل السلام ولو كان سنه لا ستوى معه
قلت وقد جا في المصافحه حديث يدل على الترغيب فيها والدوب عليها
والمحافظه وهو ما رواه البراء بن عازب قال لقيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخذ بيدي فقلت يا رسول الله ان كنت لاحسب ان المصافحه للاعاجم

فقال عن اخوته بالمصافحة منهم يا من مسلمين يلتقيان فياخذ احدهما بيد صاحبه
موده بينهما ونصيحه الا القيت ذنوبهما بينهما **قوله تعالى** وقد احسن
بي اذ اخرجني من السجن ولم يقل من الجب استعمالا للكرم لئلا يذكر اخوته
صنيعهم بعد عفوه عنهم بقوله لا تثريب عليكم **قلت** وهذا هو الاصل
عند مشايخ الصوفيه ذكر الجفا في وقت الصفا جفا وهو قول صحيح دل عليه
الكتاب وقيل لان دخوله السجن كان باختياره بقوله رب السجن احب الي مما
يدعونني اليه وكان في الجب بما اراده الله تعالى له وقيل لانه كان في السجن مع
اللصوص والعصاه وفي الجب مع الله تعالى وايضا فان المنه في النجاه من
السجن كانت اكبر لانه دخله بسبب امرهم به وايضا دخله باختياره
اذ قال رب السجن احب الي وكان الكرب فيه اكثر وقال فيه اذكرني عند
ربك فعوقب فيه وجاء بكم من البدو وروي ان مسكن يعقوب كان بارض
كنعان وكانوا اهل مواشي وبريه وقيل كان يتحول الى باديه وسكنها وان
الله لم يبعث نبيا من اهل البادية وقيل كان خرج الى بدا وهو موضع واياه
عنى جميل بقوله : وانت الذي حببت شغبا الى بدا الي واوطاني بلاد سواهما
وليعقوب بهذا الموضع مسجد تحت جبل يقال بدا القوم بدوا اذا اتوا بدا
كما يقال غار واغار اي اتى الغور والمعنى وجاء بكم من مكان بدا ذكره القشيري
وحكاه الماوردي عن الضحاك عن ابن عباس من بعد ان نزغ الشيطان بيني
وبين اخوتي اي بايقاع الحسد قاله ابن عباس وقيل افسد ما بيني وبين اخوتي
احال ذنبهم على الشيطان تكرما منه ان ربي لطيف لما يشا اي رفيق بعباده
وقال الخطابي اللطيف هو البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون
ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون كقوله الله لطيف بعباده يرزق
من يشا وقيل اللطيف العالم بدقائق الامور والمراد هنا الاكرام والرفق قال
قتاده لطف ليوسف باخراجه من السجن وجاه باهله من البدو ونزع عن

يعقوب

قلبه نزغ الشيطان وروي ان يعقوب لما قدم وولده وشارف ارض مصر
وبلغ ذلك يوسف استاذن فرعون واسمه الريان ان ياذن له ان يلقى
ابيه يعقوب واخبره بقدومه فاذن له وامر الملا من اصحابه بالركوب
معه فخرج يوسف والملك معه في اربعة الاف من الامرا مع كل امير ما الله
الله اعلم بهم وركب اهل مصر معهم يتلقون يعقوب وكان يعقوب يمشي
متكيا على يد يهوذا فنظر يعقوب الى الخيل والناس والعساكر فقال يا
يهوذا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد
منهما من صاحبه فذهب يوسف يبدوه بالسلام فمنع من ذلك وكان
يعقوب احق بذلك منه وافضل فابتدا يعقوب بالسلام فقال السلام
عليك يا مذهب الاحزان وبكا وبكا معه يوسف فبكا يعقوب فرحا
وبكى يوسف لما راى بابيه من الحزن قال ابن عباس فالبكا اربعة
بكا من الخوف وبكا من الجزع وبكا من الفرح وبكا ريا ثم قال يعقوب
الحمد لله الذي اقر عيني بعد الهموم والاحزان فدخل مصر في اثنين
وثمانين من اهل بيته فلم يخرجوا من مصر حتى بلغوا وقطعوا البحر مع
موسى عليه السلام في ستمايه الف وبضعا الف رواه عكرمه عن
ابن عباس وحكى ابن مسعود انهم دخلوا مصر وهم ثلاثه وتسعون
انسانا بين رجل وامراه وخرجوا مع موسى وهم ستمايه وسبعون الفا
وقال الربيع بن خثيم دخلوها وهم اثنان وسبعون بضعا القاعدا
وخرجوا مع موسى وهم ستمايه الف وقال وهب بن منبه دخل يعقوب
وولده مصر وهم تسعون انسانا ما بين رجل وامراه وصغير وخرجوا
منها مع موسى فرارا من فرعون وهم ستمايه الف وخمسمايه وبضع
وسبعون رجلا مقاتلين سوى الذريه والهرما والزمنى وكانت الذريه
الف الف ومايتا الف سوى المقاتله قال اهل التواريخ اقام يعقوب

بمصر له بها وعشرين سنه في اعط حال ونعمه ومات بمصر واوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده حتى يدفنه عند ابيه اسحق بالشام ففعل ثم انصرف الى مصر قال سعيد بن جبير نقل يعقوب صلى الله عليه وسلم في تابوت من ساج الى بيت المقدس ووافق ذلك يوم مات عيصوا فدفنا في قبر واحد فمن ثم تنقل اليهود موتاهم الى بيت المقدس من فعل ذلك منهم وولد يعقوب وعيصوا في بطن واحد ودفنا في قبر واحد وكان عمرهما جميعا مايه وسبع واربعين سنه **قوله تعالى** رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث الايه قال قتاده لم يتمن الموت احد نبي ولا غيره الا يوسف عليه السلام حين تكاملت عليه النعم وجمع له الشمل اشتاق الى لقاء ربه فقال رب قد اتيتني من الملك فاشتاق الى لقاء ربه عز وجل وقيل ان يوسف عليه السلام لم يتمن الموت وانما تمنى الموافاه على الاسلام اي اذا جا اجلي توفني مسلما وهذا قول الجمهور وقال سهل بن عبد الله التستري لا يتمنى الموت الا ثلثة رجل جاهل بما بعد الموت او رجل يفر من اقدار الله تعالى عليه او مشتاق محب للقاء الله عز وجل وثبت في الصحيح عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به فان كان لا بد متمنيا فليقل اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي رواه مسلم وفيه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتمنى احدكم الموت ولا يدع به من قبل ان ياتيه اذا مات احدكم انقطع عمله وانه لا يزيد المومن عمره الا خيرا واذا ثبت هذا فكيف يقال ان يوسف عليه السلام تمنى الموت والخروج من الدنيا وقطع العمل هذا بعيد الا ان يقال ان ذلك كان جايزا في شرعه اما انه يجوز تمني الموت والدعا به عند ظهور الفتن وغلبتها وخوف ذهاب الدين على ما بيناه في كتاب التذكرة ومن من قوله من الملك للتبعيض وكذلك قوله وعلمتني من

تاويل الاحاديث لان ملك مصر ما كان كل الملك وعلم التعبير ما كان كل
العلوم وقيل من للجنس كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقيل للتاكيد
اي ايتيتني الملك وعلمتني تاويل الاحاديث **قوله تعالى** فاطر السموات
والارض نصب على النعت للندا وهو رب لانه ندا مضاف والتقدير يا رب
ويجوز ان يكون ندا ثانيا والفاطر الخالق فهو سبحانه فاطر الموجودات اي
خالقها ومبديها ومنشيها ومخترعها على الاطلاق من غير شي ولا مثال
سبق وقد تقدم هذا المعنى في البقرة مستوفى عند قوله بديع السموات
والارض وزياده بيانا في الكتاب الاسنا في شرح اسما الله الحسنى انت
وليي اي ناصري ومتولي اموري في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني
بالصالحين يريد اباءه الثلاثة ابراهيم واسحق ويعقوب فتوفاه الله
طاهرا طيبا صلى الله عليه وسلم بمصر ودفن في النيل في صندوق من
رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب ان يدفن في محلتهم
لما يرجون من بركته واجتمعوا على ذلك حتى هموا بالقتال فراوا ان يدفنوه
في النيل من حيث مفرق الما بمصر فيمر عليه الما ثم يتفرق في جميع مصر
فيكونوا فيه شرعا ففعلوا فلما خرج موسى ببني اسرايل اخرجه من
النيل ونقل تابوته بعد اربع مايه سنه الى بيت المقدس فدفنه مع
ابايه لدعوته والحقني بالصالحين وكان عمره مايه عام وسبعة اعوام
وعن الحسن قال القي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشره سنه وكان
في العبوديه والسجن والملك ثمانين سنة ثم جمع له شمله فعاش بعد ذلك
ثلثا وعشرين سنه وكان له من الولد افرايم ومنشا ورحمه زوجه
ايوب في قول ابن لهيعه قال الزهري وولد لافرايم بن يوسف
نون بن افرايم وولد لنون يوشع فهو يوشع بن نون وهو فتى موسى الذي
كان معه صاحب امره ونباه الله في زمن موسى عليه السلام فكان

بعده

بعده نبيا وهو الذي افتتح اريحا وقتل من كان بها من الجبابره واستوقفت له
الشمس حسب ما تقدم بيانه في المائده وولد لمنشا بن يوسف موسى بن
منشا قبل موسى بن عمران واهل التوراه يزعمون انه الذي طلب العالم ليتعلم
منه حتى ادركه والعالم هو الذي خرق السفينه وقتل الغلام وبنا الجدار
وموسى بن منشا معه حتى بلغ معه حيث بلغ وكان ابن عباس ينكر ذلك
والحق الذي قاله ابن عباس وكذلك في القران ثم كان بين يوسف وموسى
امم وقرون وكان فيما بينهما شعيب صلوات الله عليهم اجمعين **قوله تعالى**
ذلك من انباء الغيب ابتدا وخبر نوحيه اليك خبر ثان اي
الذي من انباء الغيب نوحيه اليك يعني هذا الذي قصصنا عليك
يا محمد من امر يوسف من اخبار الغيب نوحيه اليك اي نعلمك بوحي
هذا اليك وما كنت لديهم اي مع اخوة يوسف اذ اجمعوا امرهم في القا
يوسف في الجب وهم يمكرون اي بيوسف في القائهم في الجب وقيل بمكرهم
بيعقوب حين جاوه بالقميص ملطخا بالدم اي ما شاهدت تلك الاحوال
ولكن الله اطلعك عليها **قوله تعالى** وما اكثر الناس ولو حرصت
بمومنين ظن ان العرب لما سالته عن هذه القصه واخبرهم يومنون
فلم يومنوا فنزلت الايه تسليه للنبي صلى الله عليه وسلم اي ليس تقدر على هدايه
من اردت هدايته يقال حرص يحرص مثل ضرب يضرب وفي لغه ضعيفه
حرص يحرص مثل حمد يحمد والحرص طلب الشي باختيار **قوله تعالى**
وما تسلهم عليه من اجر من صله اي ما تسلهم جعلا ان هو اي ما هو يعني
القران والوحي الا ذكر اي عظه وتذكرة للعالمين **قوله تعالى**
وكاين من ايه في السموات والارض قال الخليل وسيبويه هي اي دخلت عليها
كاف التشبيه فصارا بمعنى كم وقد مضى في ال عمران فيها مستوفى ومضى القول
في ايه السموات والارض في البقره وقيل الايات اثار عقوبات الامم السالفه

اي هم غافلون معرضون عن تاملها وقرا عكرمه وعمرو بن فايد والارض
رفعا ابتدا وخبره يمرون عليها وقرا السدي والارض نصبا باضمار فعل
والوقف على هذا من القراتين على السماوات وقرا ابن مسعود يمشون
عليها **قوله تعالى** وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون نزلت في
قوم اقروا بان الله خالقهم وخالق الاشيا كلها وهم يعبدون الاوثان
قاله الحسن ومجاهد وعامر الشعبي واكثر المفسرين وقال عكرمه هو قوله
ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله ثم يصفونه بغير صفته ويجعلون له
اندادا وعن الحسن ايضا انهم اهل الكتاب معهم شرك وايمان امنوا بالله
وكفروا بمحمد فلا يصح ايمانهم حكاه ابن الانباري وقال ابن عباس نزلت
في تلبيه مشركي العرب لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه
وما ملك وعنه ايضا انهم النصارى وعنه ايضا انهم المشبهه امنوا
مجملا واشركوا مفصلا وقيل نزلت في المنافقين المعنى وما يومن اكثرهم
بالله اي باللسان الا وهو كافر بقلبه ذكره الماوردي عن الحسن ايضا وقال
عطا هذا في الدعا وذلك ان الكفار ينسون ربهم في الرخا فاذا اصابهم
البلا اخلصوا في الدعا بيانه وظنوا انهم احيط بهم الايه وقوله واذا
مس الانسان الضر دعانا لجنبه الايه وفي ايه اخرى واذا مسه الشر
فذو دعا عريض وقيل معناها انهم يدعون الله ينجيهم من الهلكه فاذا
انجاهم قال قايلهم لولا فلان ما نجونا ولولا الكلب لدخل علينا اللص
ونحو هذا فيجعلون نعمة الله منسوبه الى فلان ووقايته منسوبه
الى الكلب **قلت** وقد يقع في هذا القول والذي قبله كثير من
عوام المسلمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقيل نزلت
هذه الايه في قصه الدخان وذلك ان اهل مكه لما غشيهم الدخان
في سني القحط قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون فذلك

ايمانهم

وزن قوله انكم عائدون
اعانهم وشركهم عودهم الى الكفر بعد كشف العذاب بيانه قوله انكم عائدون
والعود لا يكون الا بعد ابتداء فيكون معنى الا وهم مشركون اي الا وهم
عابدون للشرك والله اعلم **قوله تعالى** افامنوا ان تاتيهم غاشية من
عذاب الله قال ابن عباس مجللة وقال مجاهد عذاب تغشاهم نظيره
يوم تغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال قتادة وقيعه
تقع بهم وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع او تاتيهم الساعة
يعني القيمة بغتة نصب على الحال واصله المصدر وقال المبرد جا
عن العرب حال بعد نكره وهو قولهم وقع امر بغتة وفجاءة قال النحاس
ومعنى بغتة اصابة من حيث لم يتوقع وهم لا يشعرون وهو توكيد قوله
بغتة قال ابن عباس تصيح الصيحة بالناس وهم على اسواقهم ومواضعهم
كما قال تاخذهم وهم يخصمون **قوله تعالى** قل هذه سبيلي ابتدا
وخبر اي قل يا محمد هذه طريقتي وسنتي ومنهاجي قاله ابن زيد وقال
الربيع دعوتي مقاتل ديني والمعنى واحد اي الذي انا عليه وادعوا اليه
يودي الى الجنة على بصيرة اي على يقين وحق ومنه فلان مستبصر بهذا
انا توكيد ومن اتبعني عطف على المضمر وسبحان الله اي قل يا محمد وسبحان
الله وما انا من المشركين الذين يتخذون من دون الله اندادا **قوله
تعالى** وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى هذا
رد على القائلين لولا انزل عليه ملك اي ارسلنا رجالا ليس فيهم امراة
ولا جني ولا ملك وهذا ايرد ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان في النسا اربع نبيات حوا واسيه وام موسى ومريم وقد تقدم في
ال عمران شي من هذا من اهل القرى يريد المداين ولم يبعث الله نبيا
من اهل البادية لغلبة الجفا والقسوة على البدو ولان اهل الامصار
اعقل واحلم وافضل واعلم قال الحسن لم يبعث الله نبيا من اهل البادية

قط ولا من النساء ولا من الجن وقال قتادة من اهل القرى اى من اهل الامصار
لانه اعلم واحلم وقال العلما من شرط الرسول ان يكون رجلا ادميا مدنيا
وانما قالوا ادميا تحرزا من قوله يعوذون برجال من الجن والله اعلم **قوله
تعالى** افلم يسيروا في الارض فينظروا الى مصارع الامم المكذبة
لانبيائهم فيعتبروا ولدار الاخرة خير ابتدا وخبره وزعم الفرا ان
الدار هي الاخرة واضيف الشي الى نفسه لاختلاف اللفظ كيوم الخميس
وبارحة الاولى قال الشاعر

ولو اقوت عليك ديار عبس عرفت الذل عرفان اليقين

اى عرفانا ويقينا واحتج الكسائي بقولهم صلاة الاولى واحتج الاخفش بمسجد
الجامع قال النحاس اضافة الشي الى نفسه محال لانه انما يضاف الشي الى
غيره ليتعرف به والاجود الصلاة الاولى ومن قال صلاة الاولى فمعناه
عند صلاة الفريضة الاولى وانما سميت الاولى لانها اول ما صلى حين
فرضت الصلاة واول ما اظهر فلذلك قيل لها ايضا الظهر والتقدير
ولدار الحال الاخرة خير وهو قول البصريين والمراد بهذه الدار الجنة
اى هي خير للمتقين وقرى وللدار الاخرة وقرا نافع وعاصم ويعقوب
وغيرهم افلا تعقلون بالتا على الخطاب الباقون بالياء على الخبر **قوله
تعالى** حتى اذا استيئس الرسل تقدم القراءة فيه ومعناه وظنوا
انهم قد كذبوا وهذه الاية فيها تنزيه الانبيا وعصمتهم عما لا يليق بهم
وهذا الباب عظيم وخطره جسيم ينبغي الوقوف عليه لئلا يزل الانسان
فيكون في سواء الجحيم المعنى وما ارسلنا قبلك يا محمد الا رجالا ثم لم نعاقب
امهم بالعقاب حتى اذا استيئس الرسل اى يئسوا من ايمان قومهم وظنوا انهم
قد كذبوا بالتشديد اى ايقنوا ان قومهم كذبوهم وقيل المعنى حسبوا ان من
امن بهم من قومهم كذبوهم لا ان القوم كذبوا ولكن الانبيا ظنوا وحسبوا

انهم

انهم قد كذبوا اي خافوا ان يدخل قلوب اتباعهم شك فيكونوا وظنوا على بابه
في هذا التاويل وقرا ابن عباس وابن مسعود وابو عبد الرحمن السلمي وابو
جعفر بن القعقاع والحسن وقتاده وابو رجا العطاردي وعاصم وحمزه
والكسائي ويحيى بن وثاب والاعمش وخلف كذبوا بالتخفيف اي ظن القوم ان
الرسل كذبوهم فيما اخبروهم به من العذاب ولم يصدقوا وقيل المعنى ظن الامم
ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا به من نصرهم وفي روايه عن ابن عباس
ظن الرسل ان الله اخلف ما وعدهم وقيل لم تصح هذه الروايه لانه لا
يظن بالرسل هذا الظن ومن ظن هذا الظن لا يستحق النصر فكيف قال
جاءهم نصرنا قال القشيري ابو نصر ولا يبعد ان صحت الروايه ان المراد
خطر بقلوب الرسل هذا من غير ان يحققوه في نفوسهم وفي الخبر ان
الله تعالى تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم ينطق به لسان او تعمل
به ويجوز ان يقال قربوا من ذلك الظن لقولك بلغت المنزل اي
قربت منه وذكر الثعلبي والنحاس عن ابن عباس قال كانوا بشرا فضعفوا
من طول البلا ونسوا وظنوا انهم اخلفوا ثم تلا حتى يقول الرسول
والذين امنوا معه متى نصر الله وقال الترمذي الحكيم وجهه عندنا ان
الرسل كانت خافت بعدما وعد الله النصر لا من تهمه لوعد الله ولكن
لتهمه النفوس ان يكون قد احدثت حدثا ينقض ذلك الشرط والعهد
الذي عهد اليهم وكانت اذا طالت المده دخلهم الاياس والظنون من
هذا الوجه وقال المهدوي عن ابن عباس ظنت الرسل انهم قد اخلفوا
على ما يلحق البشر واستشهد بقول ابراهيم عليه السلام رب ارني
كيف تحيي الموتى الايه والقراءه الاولى اولى وقرا مجاهد وحميد كذبوا
بفتح الكاف والذال مخففا على معنى وظن قوم الرسل ان الرسل قد
كذبوا لما راوا من تفضل الله عز وجل في تاخير العذاب ويجوز ان يكون

ان يكون المعنى وايقن الرسل ان قومهم قد كذبوا على الله بكفرهم جا الرسل نصرنا
وفي البخاري عن عروه عن عايشه قالت له وهو يسلها قول الله عز وجل
حتى اذا استيأس الرسل قال قلت اكذبوا ام كذبوا قالت عايشه كذبوا
قلت فقد استيقنوا ان قومهم كذبوهم فما هو بالظن قالت اجل لعمري
لقد استيقنوا بذلك فقلت لها وظنوا انهم قد كذبوا قالت هم اتباع الرسل
ممن كذبهم من قومهم وظنت الرسل ان اتباعهم قد كذبوهم جاهم نصرنا عند
ذلك وفي قوله تعالى جاهم نصرنا قولان احدهما جا الرسل نصر الله قاله
مجاهد الثاني جا قومهم عذاب الله قاله ابن عباس فنجي من نشا قيل الانبيا
ومن امن معهم وروى عن عاصم فنجي من نشا بنون واحده مفتوحه البا
ومن في موضع رفع اسم ما لم يسم فاعله واختار ابو عبيد هذه القراه
لانها في مصحف عثمان وساير مصاحف البلدان بنون واحده وقراه
ابن محيصن فنجا فعل ماض ومن في موضع رفع لانه الفاعل وعلى قراه
الباقين نصبا على المفعول ولا يرد باسنا اي عذابنا عن القوم المجرمين
اي الكافرين المشركين **قوله تعالى** لقد كان في قصصهم اي في
قصه يوسف وابيه واخوته او في قصص الامم عبره اي فكره وتذكره
وعظه لاولى الالباب اي العقول وقال محمد بن اسحق عن الزهري عن
محمد بن ابرهيم بن الحارث التيمي ان يعقوب عاش ماية سنه وسبعه
واربعين سنه وتوفي اخوه عيصو معه في يوم واحد وقبرا في قبر واحد
فذلك قوله لقد كان في قصصهم عبره لاولى الالباب الى اخر السوره
ما كان حديثا يفترى اي ما كان القران حديثا يفترى او ما كانت القصه
حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه اي ولكن كان تصديق ويجوز الرفع
بمعنى ولكن هو تصديق الذي بين يديه اي ما كان قبله من التوراه والانجيل
وساير كتب الله تعالى وهذا تاويل من زعم انه القران وتفصيل كل شي

مما

مما يحتاج العباد اليه من الحلال والحرام والشرايع والاحكام وهدى
ورحمة لقوم يومنون **سورة الرعد مكية**
في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر ومدنية في قول الكلبي ومقاتل
وقال ابن عباس وقتادة مدنية الا ايتين منها نزلتا بمكة وهو قوله عز وجل
ولو ان قرانا سيرت به الجبال :: بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى المر تلك ايات الكتاب تقدم القول فيه والذي
انزل اليك يعني وهذا القران الذي انزل اليك من ربك الحق لا كما يقول
المشركون انك تاتي به من تلقاء نفسك فاعتصم به واعمل بما فيه قال مقاتل
نزلت حين قال المشركون ان محمدا ياتي بالقران من تلقاء نفسه والذي
في الموضع رفع عطفا على ايات او على الابتدا والحق خبره ويجوز ان يكون
موضعه خفضا على تقدير وايات الذي انزل اليك وارتفاع الحق على
هذا على اضمار مبتدا تقديره ذلك الحق لقوله تعالى وهم يعلمون الحق
يعني ذلك الحق يعني ذلك الحق قال الفرا وان شئت جعلت الذي
خفضا نعتا للكتاب وان كانت فيه الواو كما يقال اتانا هذا الكتاب على
ابي حفص والفاروق ومنه قول الشاعر
الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
يريد الى الملك القرم ابن الهمام ليث الكتيبة ولكن اكثر الناس لا يومنون
قوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها الاية لما بين
تعالى ان القران حق بين ان من انزله قادر على الكمال فانظروا
في مصنوعاته لتعرفوا كمال قدرته وقد تقدم هذا المعنى وفي قوله
بغير عمد ترونها قولان احدهما انها مرفوعة بغير عمد قاله قتادة واياس
ابن معاوية وغيرهما الثاني لها عمد ولكنا لا نراه قال ابن عباس لها عمد
على قاف ويمكن ان يقال على هذا القول العمد قدرته التي يمسك بها

السماوات والارض وهي غير مرئية لنا ذكره الزجاج وقال ابن عباس
ايضا هي توحيد المومن اعمدت السما به حين كادت تنفطر من كفر
الكافر ذكره الغزنوي والعمد جمع عمود قال النابغة

وخيس الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد

ثم استوى على العرش تقدم الكلام فيه وسخر الشمس والقمر اي ذللهما لمنافع
خلقه ومصالح عباده وكل مخلوق مذلل للخالق كل يجري لاجل مسمى اي
الى وقت معلوم وهو فنا الدنيا وقيام الساعة التي عندها تكور الشمس
ويخسف القمر وتنكدر النجوم وتنتثر الكواكب وقال ابن عباس اراد
بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلهما التي ينتهيان اليها لا يجاوزانها وقيل
معنى الاجل المسمى ان القمر يقطع فلكه في شهر والشمس في سنة يدبر
الامر اي يصرفه على ما يريد يفصل الايات اي يبينها اي من قدر على
هذه الاشيا يقدر على الاعاده ولهذا قال لعلكم بلقاء ربكم توقنون

قوله تعالى وهو الذي مد الارض لما بين ايات السماوات بين
ايات الارض اي بسط الارض طولا وعرضا وجعل فيها رواسي اي
جبالا ثوابت واحدها راسية لان الارض ترسو بها اي تثبت والارسا
الثبوت قال عنترة :

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع

احبها والذي ارسى قواعده حبا اذا ظهرت اياته بطنا

وقال ابن عباس وعطا اول جبل وضع على الارض ابو قبيس :
مسئلة في هذه الايه رد على من زعم ان الارض كالكرة ورد على
زعم ان الارض تهوي ابوابها عليها وزعم ابن الراوندي ان تحت الارض
جسما صعادا كالريح الصعادة وهي منحدرة فاعتدل الهاوي والصعادي
في الجرم والقوه فتوافقا وزعم اخرون ان الارض مركبة من جسمين

احدهما

احدهما منحدر والاخر مصعد فاعتدلا فلذلك وقفت والذي عليه
المسلمون واهل الكتاب القول بوقوف الارض وسكونها ومدها وان
حركتها انما يكون في العادة بزلزلة تصيبها والله اعلم **قوله تعالى**
وانهارا اي مياها جارية في الارض فيها منافع الخلق ومن كل الثمرات جعل
فيها زوجين اثنين يعني صنفين قال ابو عبيدة الزوج واحد ويكون
اثنين الفرا يعني بالزوجين ها هنا الذكر والانثى وهذا خلاف النص
وقيل معنى زوجين نوعين كالحلو والحامض والرطب واليابس والابيض
والاسود والصغير والكبير ان في ذلك لايات اي دلالات وعلامات
لقوم يتفكرون **قوله تعالى** وفي الارض قطع متجاورات قيل
في الكلام حذف المعنى وفي الارض قطع متجاورات وغير متجاورات
كما قال سرابيل تقيكم الحر والمعنى تقيكم البرد ثم حذف لعلم السامع
والمتجاورات المدن وما كان عامرا وغير متجاورات الصحاري وما كان
غير عامر **الثانية** قوله تعالى متجاورات اي قرى متدانيات ترابها
واحد وماؤها واحد وفيها زروع وجنات ثم تتفاوت في الثمار والتمر
فيكون البعض حلوا والبعض حامضا والغصن الواحد من الشجر قد
يختلف الثمر فيه من الصغر والكبر واللون والطعم وان انبسط الشمس
والقمر على الجميع على نسق واحد وفي هذا ادل دليل على وحدانيته وعظم
صمديته والارشاد لمن ضل عن معرفته فانه نبه بقوله سبحانه بقوله
يسقى بماء واحد على ان ذلك كله ليس الا بمشيئته وارادته وانه مقدور
بقدرته وهذا ادل دليل على بطلان القول بالطبع اذ لو كان ذلك بالماء
والتراب والفاعل له الطبيعة لما وقع الاختلاف وقيل وجه الاحتجاج
انه اثبت التفاوت بين البقاع فمن تربة عذبة ومن تربة سبخة مع
تجاورها وهذا ايضا من دلالات كمال قدرته جل وتعالى عما يقول

الثالثة

ذهبت الكفرة لعنهم الله الى الظالمون والجاحدون علوا كبيرا
ان كل حادث يحدث بنفسه لا من صانع وادعوا ذلك في الثمار الخارجة
من الاشجار وقد اقروا بحدوثها وانكروا محدثها وانكروا الاعراض
وقالت فرقة بحدوث الثمار لا من صانع واثبتوا للاعراض فاعلا والدليل
على ان الحادث لا بد له من محدث انه تحدث في وقت ويحدث ما هو
من جنسه في وقت اخر فلو كان حدوثه في وقته لاختصاصه به لوجب
ان يحدث في وقته كل ما هو من جنسه واذا بطل اختصاصه بوقته صح
ان اختصاصه به لاجل مخصص خصه به لولا تخصيصه اياه به لم يكن
حدوثه في وقته اولى من حدوثه قبل ذلك او بعده واستيفا هذا في
علم الكلام **الرابعة** قوله تعالى وجنات من اعناب قرا الحسن
وجنات بكسر التاء على تقدير وجعل فيها جنات فهو محمول على قوله
جعل فيها رواسي ويجوز ان يكون مجروره على الحمل على كل التقدير ومن
كل الثمرات ومن جنات الباقون جنات بالرفع على تقدير وبينهما جنات
وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان بالرفع ابن كثير وابو عمرو وحفص
عطفا على الجنات او على تقدير وفي الارض زرع ونخيل وخفضها الباقون
نسقا على الاعناب فيكون الزرع والنخيل من الجنات ويجوز ان يكون
معطوفا على كل حسب ما تقدم في جنات وقرا مجاهد والسلمي وغيرهما
صنوان بضم الصاد الباقون بالكسر وهما لغتان وهما جمع صنو وهي
النخلات او النخلتان يجمعهن اصل واحد وتتشعب منه روس
فتصير نخلا وغيرها قنوان واحدها قنو روى ابو اسحق عن البراء قال
الصنوان المجتمع وغير الصنوان المتفرق النحاس وكذلك هو في اللغة
يقال للنخلة اذا كانت فيها نخلة اخرى او اكثر صنوان والصنو المثل
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه ولا فرق بينهما بين

التثنيه والجمع الا بالاعراب فيعرب نون الجمع وتكسر نون التثنيه قال الشاعر

العلم والحلم خلتا كرم للمرء زين اذا هما اجتمعا
صنوان لا يستتم حسنهما الا بجمع لذا وذاك معا

قوله تعالى تسقى بماء واحد كصالحي بني ادم وخبيثهم ابوهم واحد قاله البخاري وقرا عاصم وابن عامر يسقى بالياء اي يسقى ذلك كله وقرا الباقون بالتاء لقوله جنات واختاره ابو حاتم وابو عبيدة قاله ابو عبيدة قال ابو عمرو والتانيث احسن لقوله ونفضل بعضها على بعض ولم يقل بعضه وقرا حمزة والكسائي وغيرهما ويفضل بالياء ردا على قوله يدبر ويفصل ويغشي الباقون بالنون على معنى ونحن نفضل وروى جابر بن عبد الله قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعلي رضي الله عنه الناس من شجر شتى وانا وانت من شجرة واحدة ثم قرا النبي صلى الله عليه وسلم وفي الارض قطع متجاورات حتى بلغ قوله تسقى بماء واحد والاكل الثمر قال ابن عباس يعني الحلو والحامض والفارسي والدقل وروي مرفوعا من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى ونفضل بعضها على بعض في الاكل قال الفارسي والدقل والحلو والحامض ذكره الثعلبي وقال الحسن المراد بهذه الاية المثل ضربه الله تعالى لبني ادم اصلهم واحد وهم مختلفون في الخير والشر والايمان والكفر كاختلاف الثمار التي تسقى بماء واحد ومنه قول الشاعر:

الناس كالنبت ونبت الارض الوان منها شجر الصندل والكافور والبان
ومنها شجر ينضح طول الدهر قطران

ان في ذلك لايات لقوم يعقلون اي لعلامات لمن كان له قلب يفهم عن الله تعالى **قوله تعالى** وان تعجب فعجب قولهم اي ان تعجب يا محمد من تكذيبهم لك بعد ما كنت عندهم الصادق الامين فاعجب منه تكذيبهم بالبعث والله تعالى لا يتعجب ولا يجوز عليه التعجب لانه تغير النفس بما تخفى اسبابه وانما

ذكر ذلك لتتعجب منه نبيه والمومنون وقيل المعنى اي عجبت يا محمد من
انكارهم الاعاده مع اقرارهم بان خالق السموات والارض والنشاه الخلقه
من الارض الواحده فقولهم عجيب يتعجب منه الخلق لان الاعاده في معنى
الابتدا وقيل الايه في منكري الصانع اي ان تعجب من انكارهم الصانع مع
الادله الواضحه بان المتغير لا بد له من مغير فهو محل التعجب ونظم الايه
يدل على الاول والثاني بقوله ابدا كنا ترابا اي انبعث اذا كنا ترابا اينا
لفي خلق جديد وقرى انا والاغلال جمع غل وهو طوق تشد به اليد الى
العنق اي يغلون يوم القيمه بدليل قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم
الى قوله ثم في النار يسجرون وقيل الاغلال اعمالهم السيه التي هي لازمه
لهم قوله تعالى ويستعجلونك بالسيه اي لفرط انكارهم وتكذيبهم
يطلبون العذاب قبل وهو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السما قال قتادة طلبوا العقوبه قبل العافيه
وقد حكم سبحانه بتاخير العقوبه عن هذه الامه الى يوم القيمة
وقيل قبل الحسنه اي قبل الايمان الذي يرجى به الامان والحسنات
والمثلات العقوبات الواحده مثله وروى عن الاعمش انه قرا المثلات
بضم الميم والثا وهذا جمع مثله وروى عنه انه قرا المثلات بضم الميم
واسكان الثا وهذا ايضا جمع مثله ويجوز المثلات تبدل من
الضمة فتحه لثقلها وقيل بل في الفتحه عوضا من الها وروى عن الاعمش
انه قرا المثلات بفتح الميم واسكان الثا فهذا جمع مثله ثم حذف
الضمه لثقلها ذكر جميعه النحاس رحمه الله وعلى قراه الجماعه واحده مثله
نحو صدقه وصدقات وتميم تضم الثا والميم جميعا وواحدها على
لغتهم مثلة بضم الميم وجزم الثا مثل غرفه وغرفات والفعل منه
مثلت به امثل مثلا بفتح الميم وسكون الثا وان ثبت له وا معغره

اي لذو تجاوز عن المشركين اذا امنوا وعن المذنبين اذا تابوا وقال
ابن عباس ارجى اية في القران قوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب اذا اصروا على الكفر وروى حماد
ابن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال لما نزلت وان ربك
لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هنا احدًا
عيش ولولا عقابه ووعيده وعذابه لاتكل كل احد **قوله تعالى**
ويقول الذين كفروا لولا اي هلا انزل عليه اية من ربه لما اقترحوا
الايات وطلبوها قال الله تعالى لنبيه انما انت منذر اي معلم ولكل
قوم اي نبي يدعوهم الى الله وقيل الهادي الداعي عليك الانذار والله
هادي كل قوم ان اراد هدايتهم **قوله تعالى** الله يعلم ما تحمل
كل انثى الى قوله المتعال فيه تسع مسايل **الاولى** قوله ما
تحمل كل انثى اي من ذكر وانثى صبيح وقبيح وصالح وطالح وقد تقدم في
سورة الانعام ان الله سبحانه منفرد بعلم الغيب وحده لا شريك
له وذكرنا هناك حديث البخاري عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال مفاتيح الغيب خمس الحديث وفيه ولا يعلم ما تغيض الارحام الا الله
واختلف العلما في تاويل قوله وما تغيض الارحام وما تزداد فقال قتادة
المعنى ما تسقط قبل التسعة الاشهر وما تزداد فوق التسعة وكذلك قال
ابن عباس وقال مجاهد اذا حاضت المراة في حملها كان ذلك نقصانا
في ولدها فان زادت على التسعة كان تمامًا لما نقص وعنه الغيض
ما تنقصه الارحام من الدم والزيادة ما تزداده منه وقيل الغيض
والزيادة يرجعان الى الولد كنقصان اصبع او غيرها او زيادة اصبع
او غيرها وقيل الغيض انقطاع دم الحيض وما تزداد بدم النفاس بعد

لى

الوضع **الثانية** في هذه الايه دليل على ان الحامل تحيض
وهو مذهب مالك والشافعي في احد قوليه وقال عطا والشعبي
وغيرهما لا تحيض وبه قال ابو حنيفه ودليلنا الايه قال
ابن عباس في ثا وفيها انه حيض الحبالى ولذلك روي عن عكرمه ومجاهد
وهو قول عائشه وانها كانت تفتي النسا الحوامل اذا حضن ان
يتركن الصلاه والصحابه اذ ذاك متوافرون ولم ينكر احد منهم عليها
فصار ذلك كالاجماع قاله ابن القصار وذكر ان رجلين تنازعا
ولدا فترافعا الى عمر رضي الله عنه فعرضه على القافه فالحقه القافه
بهما فعلاه عمر بالدره وسال نسوه من قريش فقال انظرن ما
شان هذا الولد فقلن ان الاول خلا بها وخلاها فحاضت على
الحمل فظنت ان عدتها انقضت فدخل بها الثاني فانتعش الولد
بما الثاني فقال عمر الله اكبر والحقه بالاول ولم يقل ان الحامل
لا تحيض ولا قال ذلك احد من الصحابه فدل انه اجماع والله
اعلم احتج المخالف بان قال لو كان الحامل تحيض وكان ما تراه
من الدم حيضا لما صح استبرا الامة بالحيض وهذا اجماع وروي
عن مالك في كتاب محمد ما يقتضي انه ليس بحيض **الثالثه**
في هذه الايه دليل على ان الحامل قد تضع حملها لاقل من تسعه
اشهر واكثر واجمع العلما على ان اقل الحمل سته اشهر وروي
ان عبد الملك بن مروان ولد لسته اشهر **الرابعه**
وهذه السته الاشهر هي بالاهله كسائر اشهر الشريعه ولذلك
قد روي في المذهب عن بعض اصحاب مالك واظنه في كتاب ابن حارث
انه ان نقص من الاشهر السته ثلاثه ايام فان الولد يلحق لعله نقص
الشهور وزيادتها حكاه ابن عطيه **الخامسه** واختلف

العلى في اكثر الحمل فروى ابن جريج عن جميلة بنت سعد عن عائشة
قالت لا يكون الحمل اكثر من سنتين قدر ما يتحول ظل المغزل ذكره
الدارقطني وقال جميلة بنت سعد اخت عبيد بن سعد وعن الليث
ابن سعد ان اكثره ثلاث سنين وعن الشافعي اربع سنين وروى عن
مالك في احدى روايتيه والمشهور عنه خمس سنين وروي عنه لا حد
له ولو زاد على العشرة الاعوام وهي الرواية الثالثة عنه وعن الزهري
ست او سبع قال ابو عمر ومن الصحابة من يجعل الى سبع والشافعي مدة
الغاية فيه اربع سنين والكوفيون يقولون سنتان لا غير ومحمد بن
عبد الحكم يقول سنة لا اكثر وداود يقول تسعة اشهر لا يكون
عنده حمل اكثر منها قال ابو عمر وهذه مسألة لا اصل لها الا الاجتهاد
والرد الى ما عرف من امر النساء وبالله التوفيق **قلت** روى الدارقطني
عن الوليد بن مسلم قال قلت لمالك بن انس اني حدثت عن عائشة انها
قالت لا تزيد المرأة في حملها على سنتين قدر ظل المغزل فقال
سبحان الله من يقول هذا هذه جارتنا امرأة محمد بن عجلان امرأة
صدق وزوجها رجل صدق حملت ثلاثة ابطن في اثنتي عشرة
سنة تحمل كل بطن اربع سنين وذكره عن المبارك بن مجاهد قال
مشهور عندنا كانت امرأة محمد بن عجلان تحمل وتضع في اربع سنين
وكانت تسمى حاملة الفيل وروي ايضا قال بينما مالك بن
دينار يوما جالس اذ جاءه رجل فقال يا ابا يحيى ادع لامرأة
حبلى منذ اربع سنين قد اصبحت في كرب شديد فغضب مالك
واطبق المصحف ثم قال ما يرى هؤلاء القوم الا انا انبياء ثم
قرأ ثم دعا ثم قال اللهم هذه المرأة ان كان في بطنها ريح فاخرجه
عنها الساعة وان كان في بطنها جارية فابدلها بها غلاما فانك

يمحوا ما يشا ويثبت وعنده ام الكتاب ثم رفع ملك يده ورفع الناس
ايديهم وجا الرسول الى الرجل يقال ادرك امراتك فذهب الرجل
فحط ملك يده حتى يطلع الرجل من باب المسجد على رقبته غلام جعد
قطط ابن اربع سنين قد استوت اسنانه ما قطعت سراره وروى ايضا
ان رجلا جا الى عمر بن الخطاب فقال يا امير المومنين اني غبت عن امراتي
سنتين فجيت وهي حبلى فشاور عمر الناس في رجمها فقال معاذ بن جبل
يا امير المومنين ان كان لك عليها سبيل فليس لك على ما في بطنها سبيل
فاتركها حتى تضع فتركها فولدت غلاما قد خرجت ثنيتاه فعرف
الرجل الشبه فقال ابني ورب الكعبة فقال عمر عجزت النسا ان
يلدن مثل معاذ لولا معاذ لهلك عمر وقال الضحاك وضعتني امي وقد
حملت بي في بطنها سنتين فولدتني وقد خرجت سني ويذكر عن مالك
انه حمل به في بطن امه سنتين وقيل ثلاث سنين ويقال ان محمد بن
عجلان مكث في بطن امه ثلاث سنين فماتت امه وهو مضطرب
اضطرابا شديدا فشق بطنها واخرج وقد نبتت اسنانه وقال حماد
ابن سلمة انما سمي هرم بن حيان هرما لانه بقي في بطن امه اربع سنين
وذكر الغزنوي ان الضحاك ولد لسنتين وقد طلعت سنه فسمي
ضحاكا عباد بن العوام ولدت لنا جارية لنا لاربع سنين غلاما شعره
الى منكبيه فمر به طير فقال كش **السادسة** قال ابن خواز منداد
اقل الحيض واكثره واقل الحمل واكثره ماخوذ من طريق الاجتهاد لان
علم ذلك استاثر الله به فلا يجوز ان يحكم في شي منه الا بقدر ما
اظهره لنا ووجد ظاهرا في النسا نادرا او معتادا ولما وجدنا
امراة قد حملت اربع سنين وخمس سنين حكمنا بذلك والنفاس والحيض
لما لم نجد فيه امرا مستقرا رجعنا فيه الى الاكثر ما يوجد في النادر

والنفاس مع

منهن **السابعة** قال ابن العربي نقل بعض المتساهلين عن المالكيين ان اكثر الحمل تسعة اشهر وهذا ما لم ننطق به قط الا هالكي وهم الطبايعون الذين يزعمون ان مدبر الحمل في الرحم الكواكب السبعة تاخذه شهرا شهرا ويكون الشهر الرابع منها الشمس ولذلك يتحرك ويضطرب واذا تكامل التداول في السبعة الاشهر بين الكواكب السبعة عاد في الشهر الثامن الي زحل فيلقيه ببرده فيا ليتني مكنت من مناظرتهم او مقابلتهم ما بال المرجع بعد تمام الدور الي زحل دون غيره الله اخبركم بهذا ام علي الله تفترون واذا جاز ان يعود الي شي منها لم لا يجوز ان يعود التدبير الي ثلاث او اربع او يعود الي جميعها مرتين او ثلث ما هذا التحكم بالظنون الباطلة علي الامور الباطنة **الثامنة** قوله تعالي وكل شي عنده بمقدار يعني من الزيادة والنقصان ويقال بمقدار قدر خروج الولد من بطن امه وقدر مكثه في بطنها الي خروجه وقال قتادة في الرزق والاجل والمقدار القدر وعموم الاية يتناول كل ذلك والله اعلم **التاسعة** هذه الاية يمدح الله سبحانه بها انه عالم الغيب والشهادة اي هو العالم بما غاب عن الخلق وبما شهدوه فالغيب مصدر بمعني الغايب والشهادة مصدر بمعني الشاهد فنبه سبحانه علي انفراده بعلم الغيب والاحاطة بالباطن الذي يخفي علي الخلق فلا يجوز ان يشاركه في ذلك احد فاما اهل الطب الذين يستدلون بالامارات والعلامات فان قطعوا بذلك فهو كفر وان قالوا انها تجربة تركوا وما هم عليه ولم يقدح ذلك في الممدوح فان العادة يجوز انكسارها والعلم لا يجوز تبدله والكبير الذي كل شي دونه المتعال عما يقوله المشركون المستعلي علي كل شي بقدرته وقهره وقد ذكرناهما

في شرح الاسماء مستوفي والحمد لله **قوله تعالى** سوآء منكم من اسر القول ومن جهر به اسرار القول ما حدث به المرء نفسه والجهر ما حدث به غيره والمراد بذلك ان الله سبحانه يعلم ما اسره الانسان من خير وشر كما يعلم ما جهر به من خير وشر ومنكم يحتمل ان يكون وصفا لسوا التقدير سر من اسر وجهر من جهر سوا منكم ويجوز ان يتعلق بسوا على معنى يستوي منكم كقولك مررت بزيد ويجوز ان يكون على تقدير سر من اسر منكم وجهر من جهر منكم سوا ويجوز ان يكون التقدير ذوا سوا في منكم من اسر القول ومن جهر به كما تقول عدل زيد وعمرو اي ذوا عدل وقيل سوآء اي مستو فلا يحتاج الى تقدير حذف مضاف ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار اي يستوي في علم الله السر والجهر والظاهر في الطرقات والمستخفي في الظلمات وقال الاخفش وقطرب المستخفي بالليل الظاهر ومنه خفيت الشيء واخفيته اي اظهرته واختفيت الشيء اي استخرجته وقيل للنباش المختفي وقال امرء القيس خفاهن من انفاقهن كانما خفاهن ودق من عشي مجلب والسارب المتواري اي الداخل سربا ومنه قولهم انسرب الوحش اذا دخل كناسه وقال ابن عباس مستخف مستتر وسارب ظاهر مجاهد مستخف بالمعاصي وسارب ظاهر وقيل معنى سارب ذاهب قال الكسائي سرب يسرب سربا وسروبا اذا ذهب وقال الشاعر: وكل اناس قاربوا قيد فحلهم ونحن خلعنا قيده فهو سارب اي ذاهب وقال ابو رجا السارب الذاهب على وجهه في الارض قال الشاعر اني سربت وكنت غير سروب :. وقال القتيبي سارب بالنهار اي منصرف في حوائجه بسرعة من قولهم انسرب الماء وحكى الاصمعي خل سربه اي طريقه **قوله تعالى** له معقبات اي لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار

فاذا صعدت ملائكة الليل اعقبتها ملائكة النهار وقال معقبات والملائكة
ذكران لانه جمع معقبة يقال ملك معقب وملائكة معقبة ثم معقبات
جمع الجمع وقرأ بعضهم له معاقيب من بين يديه ومن خلفه ومعاقيب جمع
معقب وقيل للملائكة معقبة على لفظ الملائكة وقيل انث لكثرة ذلك
منهم نحو نسابة وعلامة وراوية قاله الجوهري وغيره التعقيب العود
بعد البدء قال الله تعالى ولى مدبرا ولم يعقب اى لم يرجع وفى الحديث
معقبات لا يخيب قائلهن او فاعلهن يذكر التسبيح والتحميد والتكبير قال
ابو الهيثم سمين معقبات لانهن عادت مرة بعد مرة فكل من عمل عملا ثم
عاد اليه فقد عقب والمعقبات من الابل اللواتي يقمن عند اعجاز الابل
المعتركات على الحوض فاذا انصرفت ناقة دخلت مكانها اخرى وقوله
من بين يديه اي من بين يدى المستخفي بالليل والسارب بالنهار يحفظونه
من امر الله اختلف في هذا الحفظ فقيل يحتمل ان يكون توكيل الملائكة
بهم يحفظهم من الوحوش والهوام والاشيا المضرة لطفا منه به فاذا
جا القدر خلوا بينه وبينه قاله ابن عباس وعلي بن ابي طالب رضي
الله عنهما قال ابو مجلز جا رجل من مراد الى علي فقال احترس فان
ناسا من مراد يريدون قتلك فقال ان مع كل رجل ملكين يحفظانه
ما لم يقدر فاذا جا القدر خليا بينه وبين قدر الله وان الاجل حصن
حصينة وعلى هذا يحفظونه من امر الله اى بامر الله وباذنه فمن بمعنى
البا وحروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض وقيل من بمعنى عن
اى يحفظونه عن امر الله وهذا اقرب من الاول اى حفظهم عن امر
الله لا من عند انفسهم وهذا قول الحسن يقول كسوته عن عرى
ومن عرى ومنه قوله عز وجل اطعمهم من جوع اى عن جوع وقيل يحفظونه
من ملائكة العذاب حتى لا تحل به عقوبة لان الله لا يغير ما بقوم من

النعمه والعافيه حتى يغيروا اما بانفسهم بالاصرار على الكفر فاذا اصروا حان
الاجل المضروب نزلت بهم النقمه وتزول عنهم الحفظه المعقبات وقيل
يحفظونه من الجن قال كعب لولا ان الله وكل بكم ملايكه يذبون عنكم في
مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفكم فاذا الجن وملايكة العذاب
من امر الله وخصهم بان قال من امر الله لانهم غير معاينين كما قال
قل الروح من امر ربي اى ليس مما تشاهدونه انتم وقال الفرا في الكلام
تقديم وتاخير تقديره له معقبات من امر الله من بين يديه ومن خلفه
يحفظونه وهو مروي عن مجاهد وابن جريج والنخعي وعلى ان ملايكة العذاب
والجن من امر الله لا تقديم فيه ولا تاخير وقال ابن جريج ان المعنى يحفظون
عليه عمله فحذف المضاف وقال قتاده يكتبون اقواله وافعاله ويجوز
اذا كانت المعقبات الملايكه ان تكون الهاء في له لله عز وجل كما ذكرنا
ويجوز ان تكون للمستخفي فهذا قول وقيل معقبات من بين يديه ومن
خلفه يعني به النبي صلى الله عليه وسلم اى ان الملايكه يحفظه من اعدايه
وقد جرى ذكر الرسول في قوله لولا انزل عليه ايه من ربه انما انت منذر
اى سوا منكم من اسر القول ومن جهر به في انه لا يضر النبي صلى الله عليه
وسلم بل لله معقبات يحفظونه عليه السلام ويجوز ان يرجع هذا الى
جميع الرسل لانه قد قال ولكل قوم هاد اى يحفظون الهادي من بين
يديه ومن خلفه وقول رابع ان المراد بالايه السلاطين والامرا
الذين لهم قوم من بين ايديهم ومن خلفهم يحفظونهم فاذا جا امر الله لم
يغنوا عنهم من الله شيا قال ابن عباس وعكرمه وكذلك قال الضحاك
هو السلطان المحترس من امر الله المشرك وقد قيل ان في الكلام على هذا
التاويل نفي محذوف تقديره لا يحفظونه من امر الله تعالى ذكره الماوردي
قال المهدوي ومن جعل المعقبات الحرس فالمعنى يحفظونه من امر الله

على ظنه

على طنه وزعمه ونيل سواء من اسر القول ومن جهر به فله حراس
واعوان يتعاقبون عليه يحملونه على المعاصي ويحفظونه من ان يسمع
لنه وعظ قال القشيري وهذا لا يمنع الرب من الامهال الى ان
يحق العذاب وهو اذا غير هذا العاصي ما بنفسه بطول الاصرار
يصير ذلك سببا للعقوبة وكانه الذي يحل العقوبة بنفسه فقوله
يحفظونه من امر الله اى من امتثال امر الله وقال عبد الرحمن بن زيد
المعقبات ما يتعاقب من امر الله اي من امتثال امر الله وقال عبد
الرحمن بن زيد المعقبات ما تتعاقب من امر الله تعالى وقضايه في عباده
قال الماوردي ومن قال بهذا القول ففي تاويل قوله يحفظونه من امر الله
وجهان احدهما يحفظونه من الموت ما لم يات اجل قاله الضحاك
الثاني يحفظونه من الجن والهوام المؤذي ما لم يات قدر قاله ابو امامه
وكعب الاحبار فاذا جاء القدر خلوا عنه والصحيح ان المعقبات الملائكة
وبه قال الحسن ومجاهد وقتاده وابن جريج وروي عن ابن عباس
واختاره النحاس واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم يتعاقبون فيكم
ملائكة بالليل وملائكة بالنهار الحديث رواه الايمه وروى ابن
عيينه عن عمرو بن عباس انه قرا معقبات من بين يديه ورقباء من
خلفه من امر الله يحفظونه فهذا قد بين المعنى وقال كنانة العدوي
دخل عثمان على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن العبد
كم معه من ملك قال ملك عن يمينك يكتب الحسنات واخر عن
الشمال يكتب السيات والذي على اليمين امين على الذي على الشمال فاذا
عملت حسنه اثبت عشرا واذا عملت سيه قال الذي على الشمال
للذي على اليمين اكتب قال لا لعله يستغفر الله او يتوب فاذا قال
ثلثا قال نعم اكتب اراحنا الله منه فبيس القرين هو ما اقل مراقبته

لله تعالى واقل حياه منا تقول الله تعالى لها تلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد وملكان من بين يديك ومن خلفك تقول الله تعالى له معقبات
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وملك قابض على ناصيتك
فاذا تواضعت لله عز وجل رفعك واذا تجبرت على الله قصمك وما
كان على شفتيك وليس يحفظان عليك الا الصلاه على محمد واله وملك
قايم على فيك لا يدع ان يدخل الحيه في فيك وملكان على عينيك فهولا
عشره املاك على كل ادمي تنزل ملايكه الليل على ملايكه النهار
لان ملايكه الليل ليسوا ملايكه النهار فهولا عشرون ملكا على كل
ادمي وابليس مع ابن ادم بالنهار وولده بالليل ذكره الثعلبي وقال
الحسن المعقبات اربع املاك يجتمعون عند صلاه الفجر واختيار الطبري
ان المعقبات المواكب بين يدي الامرا وخلفهم والهاني او لهن على ما
وقال العلما رضوان الله عليهم ان الله سبحانه جعل اوامره على وجهين
احدهما قضي حلوله ووقوعه بصاحبه فذلك لا يدفعه احد ولا
يغيره والاخر قضي عينه ولم يقض حلوله ووقوعه بل قضي صرفه
بالتوبه والدعا والصدقه والحفظ **قوله تعالى** ان الله لا
يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم اخبر الله تعالى في هذه الايه
انه لا يغير ما بقوم حتى يقع منهم تغيير اما منهم واما من الناظر لهم او
ممن هو منهم بسبب كما غير الله بالمنهزمين يوم احد بسبب تغيير
الرماه بانفسهم الى غير هذا من امثلة الشريعه فليس معنى الايه
انه ليس ينزل باحد عقوبه الا بان يتقدم منه ذنب بل قد تنزل
المصايب بذنوب الغير كما قال صلى الله عليه وسلم وقد سيل انهلك
وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث والله اعلم **قوله تعالى**
واذا اراد الله بقوم سوا اي هلاكا وعذابا فلا مرد له وقيل اذا اراد

بهم بلاً من امراض واسقام فلا مرد لبلايه وقيل اذا اراد الله بقوم
سواً اعمى ابصارهم حتى يختاروا ما فيه البلا ويعملوه فيمشون
الى هلاكهم باقدامهم حتى يبحث احدهم عن حتفه بكفه ويسعى
بقدمه الى اراقة دمه وما لهم من دونه من وال اى ملجا وهو
معنى قول السدى وقيل من ناصر يمنعهم من عذابه وقال الشاعر
ما فى السما سوى الرحمن من وال ولا وال وولى لها در وقدير
قوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشى السحاب
الثقال اى بالمطر والسحاب جمع والواحدة سحابة وسحب وسحايب
فى الجمع ايضا ويسبح الرعد بحمده والملايكة من خيفته ويرسل
الصواعق قد مضى فى البقرة القول فى الرعد والبرق والصواعق
فلا معنى للاعادة والمراد بالاية بان كمال قدرته وان تاخير العقوبة
ليس عن عجز اى البرق فى السما خوفا للمسافر فانه يخاف اذاه لما
ناله من المطر والهول والصواعق قال الله اذى من مطر وطمعا
للحاضر ان يكون عقيبه مطر وخصب قال معناه قتادة ومجاهد وغيرهما
وقال الحسن خوفا من صواعق البرق البرق طمعا فى غيثه المزيل للقحط
وينشى السحاب الثقال قال مجاهد اى بالما ويسبح الرعد بحمده من قال
ان الرعد صوت السحاب فيجوز ان يسبح الرعد بتقدير خلق الحياة فيه
ودليل صحة هذا القول قوله والملايكة من خيفته فلو كان الرعد
ملكا لدخل فى جملة الملايكة ومن قال انه ملك قال معنى من
خيفته من خيفة الله قاله الطبرى وغيره قال ابن عباس ان الملايكة
خايفون من الله ليس كخوف ابن ادم لا يعرف واحدهم من على يمينه ومن
على يساره لا يشغلهم عن عبادة الله طعام ولا شراب وعنه قال الرعد
ملك يسوق السحاب وان بخار الما لفى نقرة ابهامه وانه موكل بالسحاب

يصرفه حيث يومر وانه يسبح الله فاذا سبح الرعد لم يبق ملك في
السماء الا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل القطر وعنه ايضا
كان اذا سمع صوت الرعد قال سبحان الذي سبحت له وروى
مالك عن عامر بن عبد الله عن ابيه انه كان اذا سمع صوت الرعد قال
سبحان من سبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثم يقول ان
وعيد لاهل الارض شديد وقيل انه ملك جالس على كرسي بين
السما والارض وعن يمينه سبعون الف ملك وعن يساره مثل ذلك
فاذا اقبل على يمينه وسبح سبح الجميع من خوف الله واذا اقبل على يساره
وسبح سبح الجميع من خوف الله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء
ذكر الماوردي عن ابن عباس وعلي بن ابي طالب ومجاهد نزلت في يهودي
قال للنبي صلى الله عليه وسلم اخبرني عن اي شي ربك امن لؤلؤ ام من ياقوت
فجاءت صاعقة فاحرقته وقيل نزلت في بعض كفار العرب قال الحسن
كان رجل من طواغيت العرب بعث النبي صلى الله عليه وسلم نفرا
يدعونه الى الله ورسوله والايمان فقال لهم اخبروني عن رب محمد
ما هو ام من فضة ام من حديد ام من نحاس فاستعظم القوم مقالته
فقال اجيب محمدا الى رب لا اعرفه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم
مرارا وهو يقول مثل هذا بينا النفر ينازعونه ويدعونه اذ
ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت وابرقت ورمت بصاعقة
فاحرقت الكافر وهم جلوس فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم
بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا احترق صاحبكم
قالوا من اين علمتم قالوا اوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل
الصواعق فيصيب بها من يشا ذكره الثعلبي عن الحسن والقشيري
بمعناه عن انس وسيأتي وقيل نزلت الاية في اربد بن ربيعة اخي

لبيد

لبيد بن ربيعة وفي عامر بن الطفيل قال ابن عباس اقبل عامر بن الطفيل
واربد بن ربيعة العامريين يريدان النبي صلى الله عليه وسلم وهو في
المسجد جالس في نفر من اصحابه فدخلا المسجد فاستشرف الناس لجمال
عامر وكان اعور وكان من اجمل الناس فقال رجل من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم هذا يا رسول الله عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال
دعه فان يرد الله به خيرًا يهده الى الاسلام فاقبل حتى قام عليه فقال
يا محمد ما لي ان اسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال
اتجعل لي الامر من بعدك قال ليس ذاك الي انما ذلك الى الله يجعله
حيث يشاء قال افتجعلني على الوبر وانت على المدر قال لا قال فما
تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليها في سبيل الله
قال اوليس لي اعنة الخيل اليوم قم معي اكلمك فقام معه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر اومأ الى اربد اذا رايتني اكلمه
فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يخاصم النبي صلى الله عليه
وسلم ويراجعه فاخترط اربد من سيفه شبرا ثم حبسه الله فلم يقدر
على سله ويبست يده على سيفه وارسل الله عليه صاعقة في
يوم صائف صاح فاحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت
ربك على اربد حتى قتلته والله لاملانها عليك خيلًا جُرْدًا وفتيانا
مُرْدًا فقال عليه السلام يمنعك الله من ذلك وابنا قيلة يعني الاوس
والخزرج فنزل عامر ببيت امرأة سلولية واصبح وهو يقول
والله لئن اصحر لي محمد وصاحبه يريد ملك الموت لانفذنهما
برمحي فارسل الله ملكا فلطمه بجناحه فاداره في التراب وخرجت
على ركبته غدة عظيمة في الوقت فعاد الى بيت السلولية وهو
يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم ركب فرسه

حتى مات على طهره ورثا لبيد بن ربيعه اخاه اربد فقال ❊

عيني هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في كبد
اخشى على اربد الحتوف ولا ارهب نوء السماك والاسد
فجعني الرعد والصواعق بالفارس يوم الكريهه النجد
ان الرزيه لا رزيه مثلها فقدان كل اخ كضوء الكوكب
يا اربد الخير الكريم جدوده افردتني امشي بقرن اعضب

وقيل مات

واسلم لبيد بعد ذلك رضي الله عنه **مسأله** روى ابان عن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تاخذ الصاعقه ذاكر
الله عز وجل وقال ابو هريره كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
سمع صوت الرعد يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكه
من خيفته وقال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان
من يسبح الرعد بحمده والملائكه من خيفته وهو على كل شئ قدير فان
اصابته صاعقة فعلي ديته وذكر الخطيب من حديث سليمان
ابن علي عن عبد الله بن عباس عن ابيه عن جده قال كنا مع عمر في
سفر فاصابنا رعد وبرق فقال لنا كعب من قال حين يسمع الرعد
سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكه من خيفته ثلاثا عوفي مما
يكون في ذلك الرعد ففعلنا فعوفينا ثم لقيت عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فاذا برده قد اصابت انفه فاثرت به فقلت يا
امير المومنين ما هذا قال برده اصابت انفي فاثرت فقلت
ان كعبا حين سمع الرعد قال لنا من قال حين يسمع الرعد سبحان
من يسبح الرعد بحمده والملائكه من خيفته ثلاثا عوفي مما يكون
في ذلك الرعد فقلنا فعوفينا فقال عمر افلا قلتم لنا حتى نقولها
وقد تقدم هذا المعنى في البقره **قوله تعالى** وهم يجادلون في

مطلب في تسبيح الرعد والبرق

الله

جدل

الله تعالى اليهودي حين سأل عن الله تعالى من أي شيء هو قاله مجاهد
وابن جريج جدالا أريد فيما هم به من قتل النبي صلى الله عليه وسلم ويجوز
أن يكون وهم يجادلون في الله حالا ويجوز أن يكون منقطعا وروى
أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى عظيم من المشركين
يدعوه إلى الله عز وجل فقال لرسوله أخبرني عن إلهك هذا أهو
من فضة أم من ذهب أم من نحاس فاستعظم ذلك فرجع إليه
فأعلمه فقال ارجع إليه فادعه فرجع إليه وقد أصابته صاعقة
وعاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نزل وهم يجادلون في الله
وهو شديد المحال قال ابن الأعرابي المحال المكر والمكر من الله
عز وجل التدبير بالحق النحاس المكر من الله تعالى إيصال المكروه
إلى من يستحقه من حيث لا يشعر ؛ وروى ابن اليزيدي عن أبي زيد
وهو شديد المحال أي النقم وقال الأزهري المحال أي القوة والشدة
والمحل الشدة الميم أصلية وما حلت فلانا محالا أي قاويته أينا أشد
وقال أبو عبيدة المحال العقوبة والمكروه وقال ابن عرفة المحال
الجدال يقال ما حل عن أمره أي جادل وقال القتبي شديد الكيد
وأصله من الحيلة جعل ميمه كميم المكان وأصله من الكون ثم يقال
تمكنت وقال الأزهري غلط ابن قتيبة أن الميم فيه زائدة بل هي أصلية
وإذا رأيت الحرف على مثال فعال أوله ميم مكسورة فهي أصلية مثل
مهاد ومراس وغير ذلك من الحروف ومفعل إذا كان من بنات الثلاثة
فإنه يجيء بإظهار الواو مثل مزود ومحول ومحور وغيرها من الحروف
وقال غيره وقرأ الأعرج وهو شديد المحال بفتح الميم وجاء تفسيره على
هذه القراءة عن ابن عباس أنه الحول ذكر هذا كله أبو عبيد الهروي إلا
ما ذكرناه أولا عن ابن الأعرابي وأما قيل الصبي به والساعين معناها وهي ثمانية

اولها شديد العداوه قاله ابن عباس وثانيها شديد الحول قاله
ابن عباس ايضا وثالثها شديد الاخذ قاله علي بن ابي طالب ورابعها شديد
الحقد قاله ابن عباس وخامسها شديد القوه قاله مجاهد وسادسها
شديد الغضب قاله وهب بن منبه وسابعها شديد الهلاك بالمحل
وهو القحط قاله الحسن ايضا وثامنها شديد الحيله قاله قتاده وقال
ابو عبيده معمر المحال والمماحله المماكره والمغالبه وانشد للاعشى

فرع نبع يهتز في غصن المجـ ... ـد غزير الندى عظيم المحال

وقال اخر

وليس بين اقوام فكل اعد له الشقارب والمحالا

وقال عبد المطلب

لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك

قوله تعالى له دعوة الحق اي لله دعوة الصدق وقال ابن عباس
وقتاده وغيرهما لا اله الا الله وقال الحسن ان الله هو الحق فدعاؤه
دعوة الحق قاله بعض المتاخرين وقيل دعوة الحق دعاؤه عند الخوف
فانه لا يدعا فيه الا اياه كما قال ضل من تدعون الا اياه قال الماوردي
وهو اشبه بسياق الايه لانه قال والذين يدعون من دونه يعني الاصنام
والاوثان لا يستجيبون لهم بشيء اي لا يجيبون لهم دعا ولا يسمعون لهم
نداء الا كباسط كفيه الى الما ليبلغ فاه وما هو ببالغه ضرب الله
عز وجل الماء مثلا لاياسهم من الاجابه لدعائهم لان العرب تضرب
لمن سعى فيما لا يدركه مثلا بالقابض الماء باليد قال

فاصبحت مما كان بيني وبينها من الود مثل القابض الماء باليد

وفي معنى هذا المثل ثلاثة اوجه احدها ان الذي يدعو الها من دون الله
كالظمان الذي يدعو الماء الى فيه بلسانه ويشير اليه بيده فلا ياتيه ابدا
لان الماء لا يستجيب وما الماء ببالغ اليه قاله مجاهد الثاني انه كالظمان

عمر اليه شديد المحال
جمعا فرع نبع

باب باياسهم

[illegible]

الدرر

الذي يرى خياله في الماء وقد بسط كفيه فيه ليبلغ فاه وماهو ببالغه
لكذب ظنه وفساد وهمه قاله ابن عباس الثالث انه كباسط كفيه
الى الماء ليقبض عليه من بعد يريد تناوله فلا يقدر عليه فلا يحصل
في كفه شي منه وزعم الفراء ان المراد بالماء هاهنا البير لانها معدن
للماء ثم مد يده الى البير بغير رشاء وشاهده قول الشاعر

فان الماء ماء ابي وجدي وبيري ذو حفرت وذو طويت

قال علي رضي الله عنه هو كالعطشان على شفة البير فلا يبلغ قعر
البير ولا الماء يرتفع اليه ومعنى الا كباسط كفيه الى الماء فالمصدر
مضاف الى الباسط ثم حذف المضاف وفاعل المصدر مراد في
المعنى وهو الماء والمعنى كالاجابة باسط كفيه الى الماء الماء واللام في قوله
ليبلغ فاه متعلقة بالبسط وقوله وماهو ببالغه كناية عن الماء اي
وما الماء ببالغ فاه ويجوز ان يكون هو كناية عن الفم اي ما الفم ببالغ الماء
وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي يضل عنهم ذلك الدعاء فلا يجدون
منه شيئا كما قال اين كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وقال
ابن عباس اي اصوات الكافرين محجوبة عن الله فلا يسمع دعاءهم **قوله
تعالى** ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها قال الحسن
وقتادة وغيرهما المومن يسجد طوعا والكافر يسجد كرها بالسيف وعن
قتادة ايضا يسجد الكافر كارها حين لا ينفعه الايمان وقال الزجاج
سجود الكافر كرها ما فيه من الخضوع واثر الصنعة وقال ابن زيد
طوعا من دخل في الاسلام رغبة وكرها من دخل فيه رهبة بالسيف
وقيل طوعا من طالت مدة اسلامه فالف السجود وكرها من يكره نفسه
لله تعالى فالاية في المومنين وعلى هذا يكون يعني والارض وبعض من في
الارض قال القشيري وفي الاية مسلكان احدهما انها عامة والمراد

ن وان المثل

الا كاستجابة باسط

المصافح

بها التخصيص فالمومن يسجد طوعا وبعض الكفار يسجدون اكراها وخوفا
كالمنافقين فالاية محمولة على هاولاء ذكره الفرا وقيل على هذا القول
الاية في المومنين منهم من يسجد طوعا لا يثقل عليه السجود ومنهم من يثقل
عليه لان التزام التكليف مشقة ولكنهم يتحملون المشقة اخلاصا
وايمانا الى ان يالفوا الحق ويمرنوا عليه والمسلك الثاني وهو الصحيح
اجرا الاية على التعميم وعلى هذا طريقان احدهما ان المومن يسجد طوعا
واما الكافر فمامور بالسجود مواخذ به والثاني ولعله احق ان المومن
يسجد طوعا عبادة وكل مخلوق من المومن والكافر يسجد من حيث
انه مخلوق موسوم مكون اي يكون الرب اياه وشق ما يتقا به فسجود
كل مخلوق سجود دلالة وحاجة الى الصانع وهذا كقوله وان من شي
الا يسبح بحمده وهو تسبيح دلالة لا تسبيح عبادة وظلالهم بالغدو
والاصال اي ظلال الخلق ساجدة لله تعالى بالغدو والاصال لانها
تبين في هذين الوقتين وتميل من ناحية الى ناحية وذلك تصريف الله
اياها على ما يشا وهو كقوله تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من شي
تتفيوا ظلاله عن اليمين والشمايل سجدا لله وهم داخرون قاله ابن
عباس وغيره وقال مجاهد ظل المومن يسجد طوعا وهو طايع وظل
الكافر يسجد طوعا وهو طايع وظل الكافر يسجد طوعا وهو كاره وقال
ابن الانباري يجعل للظلال عقول تسجد بها وتخشع بها كما جعل
للجبال افهام حتى خاطبت وخوطبت وقال القشيري وفي هذا
نظر لان الجبل عين فيمكن ان يكون له عقل بشرط تقدير الحياة واما
الظلال فاثار واعراض ولا يتصور تقدير الحياة لها والسجود بمعنى
الميل فسجود الظلال ميلها من جانب الى جانب يقال سجدت النخلة
اي مالت والاصال جمع اصل والاصل جمع اصيل وهو ما بين

العصر الى الغروب ثم اصايل جمع جمع الجمع قال ابو ذويب
لعمري لانت البيت اكرم اهله واقعد في افيائه بالاصائل
وظلالهم يجوز ان يكون معطوفا على من ويجوز ان يكون ارتفع بالابتداء والخبر
محذوف التقدير وظلالهم تسجد بالغدو والاصال والغدو يجوز ان يكون
مصدرا ويجوز ان يكون جمع غداة يقوي كونه جمعا مقابلة الجمع الذي
هو الاصال به **قوله تعالى** قل من رب السماوات والارض
امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يقول للمشركين قل من رب السماوات
والارض ثم امره ان يقول لهم هو الله الزاما للحجة ان لم يقولوا ذلك
وجهلوا من هو قل افاتخذتم من دونه اولياء هذا يدل على اعترافهم بان
الله هو الخالق والا لم يكونوا مقرين بان الله هو الخالق لم يكن للاحتجاج بقوله
قل افاتخذتم من دونه اولياء معنى دليله قوله ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله اي فاذا اعترفتم فلم تعبدون غيره وذلك الغير
لا ينفع ولا يبصر وهو الزام صحيح ثم ضرب لهم مثلا فقال هل يستوي
الاعمى والبصير فكذلك لا يستوي المومن الذي يبصر الحق
والمشرك الذي لا يبصر الحق وقيل الاعمى مثل لما عبدوه من دون
الله والبصير مثل لله تعالى ام هل تستوي الظلمات والنور اي الشرك
والايمان وقرا ابن محيصن وابو بكر والاعمش وحمزة والكسائي يستوي
بالياء لتقدم الفعل ولان تانيث الظلمات ليس بحقيقي الباقون بالتاء
واختاره ابو عبيد قال لانه لم يحل بين المونث والفعل حائل والظلمات
والنور مثل الايمان والكفر ونحن لا نقف على كيفية ذلك ام جعلوا لله
شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم هذا من تمام الاحتجاج اي خلق
غير الله مثل خلقه فتشابه الخلق عليهم فلا يدرون خلق الله من خلق الهتهم
قل الله خالق كل شيء اي قل لهم يا محمد الله خالق كل شيء فيلزم لذلك ان يعبده

كل شي والايه رد على المشركين والقدريه الذين زعموا انهم خلقوا كخلق
الله وهو الواحد قبل كل شي القهار الغالب لكل شي الذي يغلب في مراده
كل مريد قال القشيري ابو نصر ولا يبعد ان يكون الايه وارده فيمن لا
يعترف بالصانع اي سلهم عن خلق السموات والارض فانه يسهل تقرير
الحجه فيه عليهم ويقرب الامر من الضروره فان عجز الجماد وعجز كل
مخلوق عن خلق السموات والارض معلوم واذا تقرر هذا وبان ان
الصانع هو الله فكيف يجوز اعتقاد الشريك له وبين في اثنا الكلام
انه لو كان للعالم صانعان لاشتبه الخلق ولم يتميز فعل هذا عن فعل
ذلك فيم يعلم ان الفعل من اثنين انزل من
السما ما فسالت اوديه بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ضرب
مثلين للحق والباطل يشبه الكفر بالزبد الذي يعلو الما فانه
يضمحل ويعلق بجنبات الاوديه وتدفعه الرياح فكذلك الكفر يمحو
اماره ومثل الحق بالجواهر التي تذاب ليتخذ منها ما ينفع الناس يعلوها
الزبد والخبث فما ينفع الناس يبقى واما الخبث فيذهب فكذلك
يذهب الكفر ويضمحل على ما نبينه قال مجاهد فسالت اوديه
بقدرها قال بقدر ملئها وقال ابن جريج بقدر صغرها وكبرها
وقرا الاشهب العقيلي والحسن بقدرها بسكون الدال والمعنى
واحد وقيل معناها بما قدر لها والاوديه جمع الوادي وسمي واديا
لخروجه وسيلانه فالوادي على هذا اسم للما السايل وقال ابو علي فسالت
اوديه توسع اي سال ماوها فحذف قال ومعنى بقدرها بقدر
مياهها لان الاوديه ما سالت بقدر انفسها فاحتمل السيل زبدا
رابيا اي طالعا عاليا مرتفعا فوق الما وتم الكلام قاله مجاهد ثم قال
ومما توقدون عليه في النار وهو المثل الثاني ابتغا حليه اي حليه الذهب

والفضه او متاع زبدٌ مثله قال مجاهد المتاع الحديد والنحاس
والرصاص وقوله زبد مثله اى يعلو هذه الاشيا زبد كما يعلو السيل
وانما احتمل السيل الزبد لان الما خالطه تراب الارض فصار ذلك
زبدا كذلك ما توقد عليه في النار من الجوهر ومن الذهب والفضه
انما تنبت من الارض في المعادن فقد خالطه التراب فانما توقد عليه ليذوب
فيزايله تراب الارض وقوله فاما الزبد فيذهب جفا قال مجاهد
جمودا وقال ابو عبيده قال ابو عمرو بن العلا اجفات القدر اذا
غلت حتى ينصبّ زبدها واذا جمد في اسفلها والجفا ما اجفاه الوادي
اى رمى به وحكى ابو عبيده انه سمع رؤبة يقرا جفالا قال ابو عبيده
يقال اجفلت القدر اذا قذفت بزبدها واجفلت الريح السحاب
اذا قطعته واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض قال مجاهد هو
الما الخالص الصافي وقيل الما وما خلص من الذهب والفضه والحديد
والنحاس والرصاص وهذان المثلان ضربهما الله للحق في ثباته وللباطل
في اضمحلاله فالباطل وان علا في بعض الاحوال فانه يضمحل كاضمحلال
الزبد والخبث وقيل المراد مثل ضربه الله للقران وما يدخل منه
القلوب فشبه القران بالمطر لعموم خيره وبقا نفعه وشبه القلوب
بالاوديه يدخل فيها من القران مثل ما يدخل في الاوديه بحسب سعتها
وضيقها قال ابن عباس انزل من السما ما قال قرانا فسالت اوديه
بقدرها قال الاوديه قلوب العباد قال صاحب سوق العروس
ان صح هذا التفسير فالمعنى فيه ان الله سبحانه مثل القران بالما ومثل القلوب
بالاوديه ومثل المحكم بالصافي ومثل المتشابه بالزبد وقيل الزبد
مخايل الشك وغوايل الشرك ترتفع من حيث ما فيها فتضطرب
من سلطانها كما ان ما السيل يجري صافيا فيرفع ما يجد في الوادي

مانيا واما حليه الذهب والفضه فمثل الاحوال السنيه والاخلاق
الزكيه التي بها جمال الرجال وقوام صالح الاعمال كان من الذهب
والفضه زينه النسا وبها قيمه الاشيا وقرا حميد وابن محيصن ويحيى
والاعمش وحمزه والكساى وحفص يوقدون بالياء واختاره ابو عبيد
لقوله ينفع الناس فاخبر ولا مخاطبه هاهنا الباقون بالتا كقوله في
اول الكلام قل افاتخذتم من دونه اوليا الايه وقوله في النار متعلق
بمحذوف وهو في موضع الحال وذو الحال الها التي في عليه التقدير
ومما توقدون عليه ثابتا في النار او كاينا وفي قوله في النار ضمير مرفوع
يعود الى الها التي هي اسم ذي الحال ولا يستقيم ان يتعلق في النار
بيوقدون من حيث لا يستقيم اوقدت عليه في النار لان الموقد
عليه يكون في النار فيصير قوله في النار غير مفيد وقوله ابتغا حليه
مفعول له زبد مثله ابتدا وخبر اي زبد مثل زبد السيل وقيل
ان خبر زبد قوله في النار الكساى زبد ابتدا ومثله نعت له والخبر
في الجمله التي قبله وهو مما توقدون كذلك يضرب الله الامثال اي كما
بين لكم هذه الامثال فكذلك يضربها بينات ثم تم الكلام ثم قال
للذين استجابوا لربهم اي اجابوا استجاب بمعنى اجاب قال
فلم يستجبه عند ذاك مجيب ∴ وقد تقدم اي اجاب الى ما دعاه
الله من التوحيد والنبوات الحسنى الجنه لانها في نهايه الحسن
وقيل من الحسنى النصر في الدنيا والنعيم المقيم غدا والذين لم يستجيبوا
اي لم يجيبوا الى الايمان به لو ان لهم ما في الارض اي من الاموال ومثله
معه ملكا لهم لافتدوا به من عذاب يوم القيمه نظيره في ال عمران
ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم مل الارض ذهبا ولو افتدى

به حسب ما تقدم من شانه هناك اولئك لهم سوء الحساب اى لا يقبل لهم حسنة ولا يتجاوز لهم عن سيئة وقال فرقد السبخي قال لي ابراهيم النخعي يا فرقد اتدري ما سوء الحساب قلت لا قال هو ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يفقد منه شيء وماواهم اى مسكنهم ومقامهم جهنم وبئس المهاد اى الفراش الذي مهدوا لانفسهم **قوله تعالى** افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر وروي انها نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وابي جهل لعنه الله والمراد بالعمى عمى القلب **قوله تعالى** الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق فيه مسئلتان **الاولى** قوله تعالى الذين يوفون الاية هذا من صفة ذوي الالباب اى انما يتذكر اولوا الالباب الموفون بعهد الميثاق والعهد اسم للجنس اى بجميع عهود الله وهي اوامره ونواهيه التي وصى بها عبده ويدخل في هذه الالفاظ التزام جميع الفروض وتجنب جميع المعاصي وقوله ولا ينقضون الميثاق يحتمل ان يريد به جنس المواثيق اى اذا عقدوا في طاعة الله عهدا لم ينقضوه قال قتادة تقدم الله الى عباده في نقض الميثاق ونهى عنه في بضع وعشرين اية ويحتمل ان يشير الى ميثاق بعينه وهو الذي اخذه الله على عباده حين اخرجهم من صلب ابيهم آدم وقال القفال هو ما ركب في عقولهم من دلائل التوحيد والنبوات **الثانية** روى ابو داود وغيره عن عوف بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة او ثمانية او تسعة فقال الا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا حديث عهد ببيعة فقلنا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتصلوا

الصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا وأسرّ كلمة خفية قال
لا تسألوا الناس شيئا قال فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط
سوطه فما يسأل أحدا أن يناوله قال ابن العربي من أعظم
المواثيق في الذكر أن لا يسأل سواه فقد كان أبو حمزة الخراساني
من كبار العباد سمع أن ناسا بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن لا يسألوا أحدا شيئا الحديث فقال أبو حمزة رب إن هؤلاء
عاهدوا نبيك إذ رأوه وأنا أعاهدك أن لا أسأل أحدا شيئا
قال فخرج حاجا من الشام يريد مكة فبينما هو يمشي في الطريق
من الليل إذ بقي عن أصحابه لعذر ثم اتبعهم فبينما هو يمشي إليهم
إذ سقط في بير على حاشية الطريق فلما حصل في قعره قال
أستغيث لعل أحدا يسمعني ثم قال إن الذي عاهدته يراني ويسمعني
والله لا تكلمت بحرف للبشر ثم لم يلبث إلا يسيرا إذ مر بذلك
البير نفر فلما رأوه على حاشية الطريق قالوا إنه لينبغي سد هذا
البير ثم قطعوا خشبا ونصبوها على فم البير وغطوها بالتراب
فلما رأى ذلك أبو حمزة قال هذه مهلكة ثم أراد أن يستغيث
بهم ثم قال والله لا أخرج منها أبدا ثم رجع إلى نفسه فقال أليس
قد عاهدت من يراك فسكت وتوكل ثم استند في قعر البير
مفكرا في أمره فإذا بالتراب يقع عليه والخشب يرفع وسمع
في أثناء ذلك من يقول هات يدك قال فأعطيته يدي فأقلني
في مرة واحدة إلى فم البير فخرجت فلم أر أحدا فسمعت هاتفا
يقول كيف رأيت ثمرة التوكل وأنشد ::

شعر

نهاني حيائي منك أن أكشف الهوى * وأغنيتني بالعلم منك عن الكشف
تلطفت في أمري فأبديت شاهدي * إلى غائبي واللطف يدرك باللطف

ثم رأيت لي بالعلم حتى كأنما • يخبرني بالغيب أنك في كفي
أراني وبي من هيبتي لك وحشة • فتؤنسني باللطف منك وبالعطف
وتحيي محبًا أنت في الحب حتفه • وذا عجب كيف الحياة مع الحتف

قال ابن العربي هذا رجل عاهد الله فوجد الوفاء على التمام والكمال
فاقتدوا به إن شاء الله تهتدوا وقال أبو الفرج الجوزي سكوت هذا
الرجل في مثل هذا المقام على التوكل بزعمه إعانة على نفسه وذلك
لا يحل ولو فهم معنى التوكل لعلم أنه لا ينافي استغاثته في تلك
الحال كما لم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوكل بإخفائه به
الخروج من مكة واستئجاره دليلا واستكتامه ذلك الأمر
واستتاره في الغار وقوله لسراقة أخف عنا فالتوكل الممدوح
لا ينال بفعل محظور وسكوت هذا الواقع في البير محظور عليه
وبيان ذلك أن الله تعالى قد خلق للآدمي آلة يدفع بها عنه الضرر
وآلة يجلب بها النفع فإذا عطلها مدعيا التوكل كان ذلك جهلا
بالتوكل وردا للحكمة التواضع لأن التوكل إنما هو اعتماد القلب
على الله تعالى وليس من ضرورته قطع الأسباب ولو أن إنسانا
جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار قاله سفيان الثوري وغيره لأنه قد
دل على طريق السلامة فإذا تقاعد عنها أعان على نفسه قال أبو
الفرج ولا التفات إلى قول أبي حمزة فجاء أسد فأخرجني فإنه إن صح ذلك
فقد يقع مثله اتفاقا وقد يكون لطفا من الله تعالى للعبد الجاهل ولا
ينكر أن يكون الله تعالى لطف به إنما ينكر فعله الذي هو كسبه وهو
إعانته على نفسه التي هي وديعة لله تعالى عنده وقد أمره بحفظها

قوله تعالى والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ظاهر في
صلة الأرحام وهو قول قتادة وأكثر المفسرين وهو مع ذلك يتناول

جميع الطاعات ويخشون ربهم قيل في قطع الرحم وقيل في جميع المعاصي
ويخافون سوء الحساب الاستقصاء فيه والمناقشة ومن نوقش الحساب
عذب وقال ابن عباس وسعيد بن جبير معنى يصلون ما امر الله به
الايمان بجميع الكتب والرسل كلهم اعني هو صلة محمد صلى الله عليه
ويحتمل ايضا ان يصلوا الايمان بالعمل ويخشون ربهم فيما امرهم
بوصله ويخافون سوء الحساب في تركه والقول الاول اشمل لكل
هذه الاقوال كما ذكرنا وما فيه توفيقنا والله اعلم **قوله تعالى**
والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم قيل الذين ههنا نعت لان صبروا ماض
فلا يعطف على يوفون وقيل هو من وصف من تقدم ويجوز الوصف
تارة بلفظ الماضي وتارة بلفظ المستقبل لان المعنى من يفعل كذا
فله كذا ولما كان الذي يتضمن الشرطية والماضي في الشرط كالمستقبل
جاز ذلك ولهذا قال الذين يوفون ثم قال والذين صبروا ثم عطف
عليه فقال ويدرؤن بالحسنة السيئة قال ابن زيد صبروا على
طاعة الله وصبروا عن معصية الله وقال عطاء صبروا على الرزايا
والمصائب والحوادث والنوائب وقال ابو عمران الجوني صبروا على
دينهم ابتغاء وجه الله واقاموا الصلاة ادوها بفرضها وخشوعها
في مواقيتها وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يعني الزكاة المفروضة
عن ابن عباس وقد مضى القول في هذا في البقرة وغيرها ويدرؤن
بالحسنة السيئة اي يدفعون بالعمل الصالح السيئ من الاعمال قاله
عباس وابن
ابن زيد يدفعون الشر بالخير سعيد بن جبير يدفعون المنكر بالمعروف
الضحاك يدفعون الفحش بالسلام جويبر يدفعون الظلم بالعفو ابن
شجرة يدفعون الذنب بالتوبة القتبي يدفعون سفه الجاهل بالحلم
فالسفه السيئة والحلم الحسنة وقيل اذا هموا بسيئة رجعوا

عنها

عنها واستغفروا وقيل يدفعون الشرك بشهادة ان لا اله الا الله فهذه تسعة اقوال معناها كلها متقارب والاول يشتمل لها بالعموم ونظيره ان الحسنات يذهبن السيئات ومنه قوله عليه السلام لمعاذ واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن **قوله تعالى** اولئك لهم عقبى الدار اي عاقبة الاخرة وهي الجنة بدل النار والدار غدا داران الجنة للمطيع والنار للعاصي فلما ذكر وصف المطيعين فدارهم الجنة لا محالة وقيل عنى بالدار دار الدنيا اي لهم جزاء ما عملوا من الطاعات في دار الدنيا **قوله تعالى** جنات عدن يدخلونها اي لهم جنات عدن فجنات عدن بدل من عقبى ويجوز ان يكون تفسيرا لعقبى الدار اي لهم دخول جنات عدن لان عقبى الدار حدث وجنات عدن عين والحدث انما يفسر بحدث مثله فالمصدر المحذوف مضاف الى المفعول ويجوز ان يكون جنات على خبر ابتدا محذوف وجنات عدن وسط الجنة وقصبتها وسقفها عرش الرحمن قاله القشيري ابو نصر عبد الرحيم وفي صحيح البخاري اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلا الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تتفجر انهار الجنة فيحتمل ان يكون جنات عدن كذلك ان صح ذلك خبر وقال عبد الله بن عمرو ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج فيه خمسة الاف باب على كل باب خمسة الاف حبرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وعدن مأخوذ من عدن بالمكان اذا اقام فيه على ما يأتي بيانه في سورة الكهف ان شاء الله ⁘ ومن صلح من آبائهم يجوز ان يكون معطوفا على اولئك المعنى ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم لهم عقبى الدار ويجوز ان يكون

معطوفا على الضمير المرفوع في يدخلونها وحسن العطف لما حال الضمير
المنصوب بينهما ويجوز ان يكون المعنى يدخلونها ويدخلها من صلح من
اباءهم اي من كان صالحا لا يدخلونها بالانساب ويجوز ان يكون
موضع من نصبا على تقدير يدخلونها مع من صلح من اباءهم اي وان لم
يعمل مثل اعمالهم يلحقه الله بهم كرامة لهم وقال ابن عباس
هذا الصلاح الايمان بالله والرسول ولو كان لهم مع الايمان طاعات
اخرى لدخلوها بطاعتهم لا على وجه التبعية قال القشيري
وفي هذا نظر لانه لا بد من الايمان فالقول في اشتراط العمل
الصالح كالقول في اشتراط الايمان فالاظهر ان هذا الصلاح في
جملة الاعمال والمعنى ان النعمة غدا اتم عليهم بان جعلهم مجتمعين
مع قراباتهم في الجنة وان دخلها كل انسان بعمل نفسه بل برحمة
الله تعالى **قوله تعالى** والملائكة يدخلون عليهم من كل
باب اي بالتحف والهدايا من الله تكرمة لهم سلام عليكم اي يقولون
سلام عليكم فاضمر القول اي قد سلمتم من الافات وقيل هو دعا
لهم بدوام السلامة وان كانوا سالمين اي سلمكم الله فهو خبر معناه
الدعا ويتضمن الاعتراف بالعبودية بما صبرتم اي بصبركم فما مع الفعل
بمعنى المصدر والباء في بما متعلقة بمعنى سلام عليكم ويجوز ان يتعلق
بمحذوف اي هذه الكرامة بصبركم اي على امر الله ونهيه قاله سعيد بن
جبير وقيل على الفقر في الدنيا قاله ابو عمران الجوني وقيل على الجهاد في
سبيل الله كما روي عن عبد الله بن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم هل
تدرون من يدخل الجنة من خلق الله قالوا الله ورسوله اعلم قال المجاهدون
الذين تسد بهم الثغور وتتقى بهم المكاره فيموت احدهم وحاجته في
نفسه لا يستطيع لها قضاء فتاتيهم الملائكة فيدخلون عليهم من كل
باب

امر

باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ولذلك ابو بكر وعمر وعثمان
وذكر البيهقي عن ابي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ياتي الشهدا
فاذا اتى فرضة الشعب يقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
ثم كان ابو بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم يفعله وكان عمر بعد ابي بكر يفعله
وكان عثمان بعد عمر يفعل ذلك وقال الحسن البصري بما صبرتم عن
فضول الدنيا وقيل بما صبرتم على ملازمة الطاعة ومفارقة المعصية قال
معناه الفضيل بن عياض ابن زيد بما صبرتم عما تحبونه اذا فقدتموه
ويحتمل سابعا بما صبرتم عن اتباع الشهوات وعن عبد الله بن سلام وعلي بن
الحسين رضي الله عنهم انه قال اذا كان يوم القيمة نادى مناد ليقم اهل الصبر
فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا الى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون
الى اين فيقولون الى الجنة قالوا قبل الحساب قالوا نعم فيقولون من انتم فيقولون
نحن اهل الصبر قالوا وما كان صبركم قالوا صبرنا انفسنا على طاعة الله وصبرناها
عن معاصي الله وصبرناها على البلا والمحن في الدنيا قال علي بن الحسين فيقول لهم
الملائكة ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين وقال ابن سلام لهم الملائكة سلام
عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار التي كنتم فيها عملتم فيها ما اعقبكم هذا الذي
انتم فيه فالعقبى على هذا اسم والدار هي الدنيا وقال ابو عمران الجوني فنعم عقبى
الدار الجنة عن النار وعنه فنعم عقبى الدار الجنة عن الدنيا قوله
تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه لما ذكر الموفين بعهده
والواصلين لامره وذكر ما لهم ذكر عكسهم نقض الميثاق ترك امره وقيل
اهمال عقولهم فلا يتدبرون بها ليعرفوا الله تعالى ويقطعون ما امر الله به
ان يوصل اي من الارحام والايمان بجميع الانبيا ويفسدون في الارض اي
بالكفر وارتكاب المعاصي اولئك لهم اللعنة اي الطرد والابعاد من الرحمة
ولهم سوء الدار اي سوء المنقلب وهو جهنم وقال سعد بن ابي وقاص والله

اي نعم عقبى الدار

الله يبسط الرزق لمن **قوله تعالى** الذي لا اله الا هو اليهم الحرور به
يشا ويقدر لما ذكر عاقبة المومن وعاقبة المشرك بين ان الله الذي يبسط
الرزق ويقدر في الدنيا لانها دار امتحان فبسط الرزق على الكافر لا يدل
على كرامته والعسر على بعض المومنين لا يدل على اهانتهم ويقدر اي يضيق
ومنه ومن قدر عليه رزقه اي ضيق ومنه ومن قدر عليه رزقه اي ضيق
وقيل يقدر يعطي بقدر الكفاية وفرحوا بالحياة الدنيا يعني مشركي مكة فرحوا
بالدنيا ولم يعرفوا اعصرها وجهلوا ما عند الله وهو معطوف على ويفسدون في
الارض وفي الاية تقديم وتاخير التقدير الذين ينقضون عهد الله من بعد
ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض وفرحوا بالحياة
الدنيا وما الحياة الدنيا في الاخرة اي في جنبها الا متاع من الامتعة كالقصعة
والسكرجة وقال مجاهد شي قليل ذاهب من متع النهار اذا ارتفع فلا بد
له من زوال ابن عباس زاد كزاد الراعي وقيل متاع الحياة الدنيا ما يستمتع
به منها وقيل ما يتزود منها الى الاخرة من التقوى والعمل الصالح اولئك
لهم اللعنة ولهم سوء الدار ثم ابتدا الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر اي يوسع
ويضيق **قوله تعالى** ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه
بين في مواضع ان اقتراح الايات على الرسل جهل بعد ان راوا اية واحدة
تدل على الصدق والقايل عبد الله بن ابي امية واصحابه حين طالبوا النبي
صلى الله عليه وسلم بالايات قل ان الله يضل من يشا اي كما اضلكم بعد ما
انزل من الايات وحرمكم الاستدلال بها يضلكم عند نزول غيرها
ويهدي اليه من اناب اي رجع والهاء في اليه للحق او للاسلام او لله عز وجل
على تقدير ويهدي الى دينه وطاعته من رجع اليه بقلبه وقيل هي للنبي
صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** الذين امنوا الذين في موضع نصب
لانه مفعول اي يهدي الله الذين امنوا وقيل بدل من قوله من اناب

فهو

فهو في محل نصب ايضا وتطمئن قلوبهم بذكر الله اي تسكن وتستانس بتوحيد
الله فتطمئن حال اي وهم تطمئن قلوبهم على الدوام بذكر الله بالسنتهم قاله
قتاده مقاتل بوعده وقال مجاهد بالقران وقال سفيان بن عيينه
بامره ابن عباس بالحلف باسمه او تطمئن بذكر فضله وانعامه كما توجل
بذكر عدله وانتقامه وقضائه وقيل بذكر الله اي يذكرون الله ويتاملون
اياته فيعرفون كمال قدرته على بصيره الا بذكر الله تطمئن القلوب اي قلوب
المؤمنين قال ابن عباس هذا في الحلف فاذا حلف خصمه بالله سكن قلبه وقيل
بذكر الله اي بطاعة الله وقيل بثواب الله وقيل بوعد الله وقال مجاهد هم
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** الذين امنوا وعملوا الصالحات
طوبى لهم ابتدا وخبر وقيل معناه لهم طوبى فطوبى رفع بالابتدا ويجوز ان
موضعه نصبا على تقدير جعل لهم طوبى ويعطف عليه وحسن ماب على
الوجهين المذكورين من رفع او نصب وذكر عبد الرزاق انا معمر عن يحيى
ابن ابي كثير عن عمرو بن يزيد البكالي عن عتبه بن عبد السلمي قال جا
اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم يسال عن الجنه وذكر الحوض فقال فيها
فاكهه قال نعم شجره تدعى طوبى قال يا رسول الله اي شجر ارضنا تشبه قال
لا تشبه شي من شجر ارضك اتيت الشام هناك شجره تدعى الجوزه
تنبت على ساق ويفترش اعلاها قال يا رسول الله فما عظم اصلها قال لو
ارتحلت جذعه من ابل اهلك ما احطت باصلها حتى تنكسر ترقوتها
هرما وذكر الحديث وقد كتبناه بكماله في ابواب الجنه من كتاب التذكره
والحمد لله ؞ وذكر ابن المبارك قال انا معمر عن الاشعث بن عبد الله عن شهر بن
حوشب عن ابي هريره قال في الجنه شجره يقال لها طوبى يقول الله تعالى لها
تفتقي لعبدي عما شا فتفتق له عن فرس بسرجه ولجامه وهيئته كما شا
وتفتق عن الراحله برحلها وزمامها وهيئتها كما شا وعن النجايب والثياب

وذكر ابن وهب من حديث شهر بن حوشب عن ابي امامه الباهلي قال
طوبى شجره في الجنه ليس منها دار الا فيها غصن منها ولا طير حسن
الا هو فيها ولا ثمره الا هي فيها وقد قيل ان اصلها في قصر النبي صلى
الله عليه وسلم في الجنه ثم تنقسم فروعها على منازل اهل الجنه كما انتشر
منه العلم والايمان على جميع اهل الدنيا وقال ابن عباس طوبى لهم
فرح لهم وقره عين وعنه ايضا ان طوبى اسم الجنه بالحبشيه وقاله
سعيد بن جبير الربيع بن انس هو البستان بلغه الهند قال القشيري
ان صح هذا فهو وفاق بين اللغتين وقال قتاده طوبى لهم حسنى لهم
عكرمه نعمى لهم ابراهيم النخعي خير لهم وعنه ايضا كرامة من الله لهم
الضحاك غبطه لهم النحاس وهذه الاقوال متقاربه لان طوبى
فعلى من الطيب اي العيش الطيب لهم وهذه الاشيا ترجع الى الشي
الطيب وقال الزجاج طوبى فعلى من الطيب وهي الحاله المستطابه لهم
طيبى فصارت اليا واوا لسكونها وضم ما قبلها كما قالوا موسر وموقن
قلت والصحيح انها شجره للحديث المرفوع الذي ذكرناه وهو صحيح
على ما ذكره السهيلي ذكره ابو عمر في التمهيد ومنه نقلناه وذكره ايضا
الثعلبي في تفسيره وذكر ايضا المهدوي والقشيري عن معاويه بن قره عن
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طوبى شجره في الجنه غرسها الله بيده
ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور
الجنه ومن اراد زياده على هذه الاخبار فليطالع الثعلبي وقال ابن
عباس طوبى شجره في الجنه اصلها في دار علي وفي دار كل مومن منها غصن
وقال ابو جعفر محمد بن علي سيل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى طوبى
وحسن ماب قال شجره اصلها في داري وفروعها في الجنه فقيل له يا رسول
الله سيلت عنها فقلت اصلها في داري وفروعها في الجنه ثم سيلت عنها

فقلت

فقلت اصلها في دار علي وفروعها في الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان داري ودار علي غدا في الجنة واحدة في مكان واحد وعنه صلى الله عليه
وسلم هي شجرة اصلها في داري وما من دار من دوركم الا تدلى فيها غصن منها
وحسن مآب اي المرجع اذا رجع وقيل تقدير الكلام الذين آمنوا وتطمئن
قلوبهم بذكر الله وعملوا الصالحات طوبى لهم **قوله تعالى** كذلك ارسلناك
في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك كما ارسلنا الانبياء من قبلك
قاله الحسن وقيل شبه الانعام على من ارسل اليه محمدا عليه السلام بالانعام
على من ارسل اليه الانبياء قبله لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك يعني القرآن
وهم يكفرون بالرحمن قال مقاتل وابن جريج نزلت في صلح الحديبية حين
ارادوا ان يكتبوا كتاب الصلح فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب
بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو والمشركون ما نعرف الرحمن
الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا
كان اهل الجاهلية يكتبون فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب هذا
ما صالح عليه محمد رسول الله فقال مشركو قريش لئن كنت رسول
الله ثم قاتلناك وصددناك لقد ظلمناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه
محمد بن عبد الله فقال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم دعنا نقاتلهم فقال
لا ولكن اكتب ما يريدون فنزلت وقال ابن عباس نزلت في كفار قريش
حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فنزلت
قل لهم يا محمد الذي انكرتم هو ربي لا اله الا هو ولا معبود سواه هو واحد
بذاته وان اختلفت اسماء صفاته عليه توكلت واعتمدت ووثقت واليه
متاب اي مرجعي غدا واليوم ايضا رضى بقضائه وتسليما لامره وقيل
سمع ابو جهل رسول الله يدعو في الحجر ويقول يا الله يا رحمن فقال كان ينهانا
عن عبادة الالهة وهو يدعو الهين فنزلت هذه الآية ونزل قل ادعوا الله

او ادعوا الرحمن **قوله تعالى** ولو ان قرانا سيرت به الجبال هذا
متصل بقوله لولا انزل عليه اية من ربه وذلك ان نفرا من مشركي
مكة فيهم ابو جهل وعبد الله بن ابي المخزوميان جلسوا خلف الكعبة ثم ارسلوا
الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتاهم فقال له عبد الله ان سرك ان نتبعك
فسير لنا جبال مكة بالقران فاذهبها عنا حتى تنفسح فانها ارض ضيقة
واجعل لنا فيها عيونا وانهارا حتى نغرس ونزرع فلست كما زعمت باهون
على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسبح معه وسخر لنا الريح فنركبها الى
الشام نقضي عليها ميرتنا وحوائجنا ثم نرجع من يومنا فقد كان سليمان
سخرت له الريح كما زعمت فلست باهون على ربك من سليمان بن داود
واحيي لنا قصيا جدك او من شئت انت من موتانا نسأله احق ما تقول
ام باطل فان عيسى كان يحيي الموتى ولست باهون على الله منه فانزل الله
تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال الاية قال معناه الزبير بن العوام
ومجاهد وقتادة والضحاك والجواب محذوف تقديره لكان هذا
القران لكن حذف ايجازا لما في ظاهر الكلام من الدلالة عليه كما قال امرؤ القيس

فلو انها نفس تموت جميعة ولكنها نفس تساقط انفسا : يعني لهان

علي وهذا معنى قول قتادة قال لو فعل هذا قران قبل قرانكم لفعله قرانكم
وقيل الجواب متقدم وفي الكلام تقديم وتاخير اي وهم يكفرون بالرحمن لو
انزلنا القران وفعلنا بهم ما اقترحوا الفراء يجوز ان يكون الجواب لو فعل
لهم هذا لكفروا بالرحمن الزجاج ولو ان قرانا الى قوله الموتى لما امنوا والجواب
المضمر هنا ما اظهر في قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الى قوله ما كانوا
ليؤمنوا الا ان يشاء الله : بل لله الامر جميعا اي هو المالك لجميع الامور
الفاعل لما يشاء منها فليس ما تلتمسونه مما يكون بالقران انما يكون بامر
الله **قوله تعالى** افلم ييأس الذين امنوا قال الفراء قال الكلبي ييأس

بمعنى

بمعنى يعلم لغة النخع وحكاه القشيري عن ابن عباس وقاله الجوهري
في الصحاح وقيل هي لغة هوازن أي أفلم يعلم عن ابن عباس ومجاهد
والحسن وقال أبو عبيدة أي أفلم يعلموا ويتبينوا وأنشد في ذلك أبو عبيد لمالك بن عوف النصري

أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

ييسرونني من الميسر وقد تقدم في البقرة ويروى يأسرونني من الأسر وقال رباح بن عدي

ألم ييأس الأقوام أني أنا ابنه وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا

أي ألم يعلم والمعنى على هذا أفلم يعلم الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس
جميعا من غير أن يشاهدوا الآيات وقيل هو من اليأس المعروف والمعنى
أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الكفار لعلمهم أن الله تعالى لو أراد هدايتهم
لهداهم لأن المؤمنين تمنوا نزول الآيات طمعا في إيمان الكفار وقرأ علي
وابن عباس أفلم يتبين الذين آمنوا من البيان قال القشيري وقيل لابن عباس
المكتوب أفلم ييأس قال أظن الكاتب كتبها وهو ناعس أي زاد بعض
الحروف حتى صار ييأس قال أبو بكر الأنباري روى عكرمة عن ابن عباس أنه
قرأ أفلم يتبين الذين آمنوا وبها احتج من زعم أنه الصواب في التلاوة وهو باطل
عن ابن عباس لأن مجاهدا وسعيد بن جبير حكيا الحرف عن ابن عباس على
ما هو في المصحف بقراءة أبي عمرو وروايته عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن
عباس ثم إن معناه أفلم يتبين فإن كان مراد الله [تحت] اللفظة التي خالفوا بها الإجماع
فقراءتنا تقع عليها وتأتي بها وتليها وإن أراد الله المعنى الآخر الذي اليأس فيه ليس
من طريق العلم فقد سقط مما أورد وأما سقوطه فبطل القرآن ويلزم أصحابه
البهتان أن لو يشاء الله أن مخففة من الثقيلة أي أنه لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا وهو رد على القدرية وغيرهم **قوله تعالى** ولا يزال
الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أي داهية تفجؤهم بكفرهم وعتوهم
يقال قرعه أمر إذا أصابه والجمع قوارع والأصل في القرع الضرب

قال : اتى بلادي وما جمعت من نشب قرع القوافي افواه الاباريق
اى لا يزال الكافرون تصيبهم داهية مهلكة من صاعقة كما اصاب
اربد او من قتل او اسر او جدب او غير ذلك من العذاب والبلا كما نزل
بالمستهزئين وهم روسا المشركين وقال عكرمة عن ابن عباس القارعة
النكبة وقال ابن عباس ايضا وعكرمة القارعة الطلايع والسرايا
التى كان يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم او تحل اى القارعة
قريبا من دارهم قاله قتادة والحسن وقال ابن عباس او تحل انت قريبا
من دارهم وقيل نزلت الاية بالمدينة اى لا تزال تصيبهم القوارع
فتنزل بساحتهم او بالقرب منهم كقرى المدينة ومكة حتى ياتى
وعد الله فتح مكة قاله مجاهد وقتادة وقيل نزلت بمكة اى تصيبهم
القوارع او تخرج عنهم الى المدينة يا محمد فتحل قريبا من دارهم وتحل
بهم محاصرا لهم وهذه المحاصرة لاهل الطائف ولقلاع خيبرا و
ياتى وعد الله بالاذن لك فى قتالهم وقهرهم وقال الحسن وعد الله يوم
القيمة **قوله تعالى** ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين
كفروا تقدم معنى الاستهزا فى البقرة والاملا فى ال عمران اى سخر بهم
وازرى عليهم وامهلت الكافرين مدة ليومن من كان فى علمى انه يومن منهم
فلما حق القضا اخذتهم بالعقوبة فكيف كان عقاب اى فكيف رايت
ما صنعت بهم فكذلك اصنع بمشركى قومك **قوله تعالى** افمن
هو قائم على كل نفس بما كسبت ليس هذا القيام القيام الذى هو ضد
القعود بل هو بمعنى التولى لامور الخلق كما يقال قام فلان بشغل كذا
فالله قائم على كل نفس بما كسبت اى يقدرها على الكسب ويخلقها
ويرزقها ويحفظها ويجازيها على عملها فالمعنى انه حافظ لا يغفل والجواب
محذوف والمعنى افمن هو حافظ لا يغفل كمن يغفل وقيل افمن هو قائم

اى

اى عالم قاله الاخفش قال الشاعر
فلولا رجال من قريش اعزة سرقتم ثياب البيت والله قائم
اى عالم والله عالم بكسب كل نفس وقيل المراد بذلك الملائكة الموكلون ببني ادم
عن الضحاك وجعلوا حال اى وقد جعلوا او عطف على استهزى اى استهزوا
وجعلوا اى سموا لله شركا يعنى اصناما جعلوها الهة قل سموهم اى قل لهم
يا محمد سموهم اى بينوا اسماهم على جهة التهديد اى انما يسمون اللات
والعزى ومناة وهبل ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض ام استفهام توبيخ
اى اتنبئونه على التوبيخ عطف على استفهام متقدم في المعنى لان قوله
سموهم معناه الهم اسما الخالقين ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض وقيل المعنى
قل لهم اتنبئون الله بباطن لا يعلمه ام بظاهر يعلمه فان قالوا بباطن لا يعلمه
احالوا وان قالوا بظاهر يعلمه فقل لهم سموهم فاذا سموهم اللات والعزى
فقل ان الله لا يعلم لنفسه شريكا وقيل ام تنبئونه عطف على قوله افمن
هو قائم اى افمن هو قائم ام تنبئون الله بما لا يعلم ام انتم تدعون لله شركا والله
لا يعلم لنفسه شركا افتنبئونه بشريك له في الارض وهو لا يعلمه وانما
خص الارض بنفي الشريك عنها وان لم يكن له شريك في غير الارض لانهم
ادعوا له شركا في الارض ومعنى ام بظاهر من القول اى ام بظاهر من
القول عن مجاهد وقيل ام بظاهر من القول الذي انزله الله على انبيائه
وقال قتادة معناه بباطل من القول ومنه قول الشاعر
أعيرتنا البانها ولحومها وذلك عار يا ابن ريطة ظاهر
اى باطل وقال الضحاك بكذب من القول ويحتمل خامسا ان يكون الظاهر
من القول حجة يظهرونها بقولهم ويكون معنى الكلام اتخبرونه بذلك
مشاهدين ام تقولونه محتجين بل زين للذين كفروا مكرهم اى دع هذا
بل زين لهم مكرهم استدراك على هذا الوجه اى ليس لله شريك لكن زين

كفروا مكرهم وقرا ابن عباس ومجاهد بل زين للذين كفروا مكرهم مسمى الفاعل
وعلى قراه الجماعه فالذي زين للكافرين مكرهم الله تعالى وقيل الشيطان ويجوز
ان يسمي الكفر مكرا لان مكرهم بالرسول كان كفرا وصدوا عن السبيل
اى صدهم الله تعالى وهي قراه حمزه والكسائي والباقون بالفتح اى صدوا
غيرهم واختاره ابو حاتم اعتبارا بقوله ويصدون عن سبيل الله وقوله
هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام وقراه الضم ايضا حسنه في زين
وصد لانه معلوم ان الله فاعل ذلك في مذهب اهل السنه ففيه اثبات
القدر وهو اختيار ابى عبيد وقرا يحيى برواية وعلقمة وصدوا بكسر
الصاد وكذلك هذه بضاعتنا ردت الينا بكسر الراء وهي ايضا على
ما لم يسم فاعله واصلها صددوا ورددت فلما ادغمت الدال الاولى
في الثانيه نقلت حركتها الى ما قبلها فانكسر ومن يضلل الله بخذلانه
فما له من هاد اي موفق وفي هذا اثبات قراه الكوفيين ومن تابعهم لقوله
ومن يضلل الله فكذلك قوله وصدوا ومعظم القرا يقفون على الدال
من غير اليا وكذلك وال وواق لانك تقول في الرجل هذا قاض ووال
وهاد فتحذف اليا لسكونها والتقائها مع التنوين وقرى فما له من هادي
ووالي وواقي باليا وهو على لغه من يقول هذا داعي ووالي وواقي باليا
لان حذف اليا في حالة الوصل لالتقائها مع التنوين وقد امنا هذا في
الوقف فردت اليا فصار هادي ووالي وواقي وقال الخليل في نداء قاض يا قاضي
باثبات اليا اذ لا تنوين مع النداء كما لا تنوين في نحو الداعي والمتعالي **قوله
تعالى** لهم عذاب في الحياه الدنيا اى للمشركين الصادين بالقتل والسبي
والاسار وغير ذلك من الاسقام والمصايب ولعذاب الاخره اشق
اى اشد من قولك شق علي كذا يشق وما لهم من الله من واق اى مانع يمنعهم
من عذاب ولا دافع ومن زائده **قوله تعالى** مثل الجنة التي وعد

المثقون اختلف النحاة في رفع مثل فقال سيبويه ارتفع بالابتدا والخبر
محذوف والتقدير وفما يتلى عليكم مثل الجنة وقال الخليل رفع بالابتدا
وخبره تجري من تحتها الانهار اي صفة الجنة التي وعد المتقون تجري
من تحتها الانهار كقولك قولي يقوم زيد فقولي مبتدا ويقوم زيد خبره
والمثل بمعنى الصفة موجود قال الله تعالى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم
في الانجيل وقال ولله المثل الاعلى اي الصفة العليا وانكر ابو علي
وقال لم يسمع مثل بمعنى صفة انما معناه الشبه الا تراه يجري مجراه
في مواضعه ومتصرفاته كقولهم مررت برجل مثلك كما تقول
مررت برجل شبهك قال ويفسد ايضا من جهة المعنى لان مثلا
اذا كان بمعناه صفة كان تقدير الكلام صفة الجنة التي فيها انهار وذلك
غير مستقيم لان الانهار في الجنة نفسها لا صفتها وقال الزجاج مثل
الله عز وجل لنا ما غاب عنا بما نراه والمعنى مثل الجنة جنة تجري من
تحتها الانهار وانكره ابو علي فقال لا يخلو المثل على قوله ان يكون
الصفة او الشبه وفي كلا الوجهين لا يصح ما قاله لانه اذا كان بمعنى
الصفة لا يصح لانك اذا قلت صفة الجنة جنة فجعلت جنة خبر الم
يستقم ذلك لان الجنة لا تكون الصفة وكذلك ايضا شبه الجنة لا
الا ترى ان الشبه عبارة عن المماثلة التي بين المتماثلين وهو حدث
والجنة غير حدث فلا يكون الاول الثاني وقال الفرا المثل مقحم
للتاكيد والمعنى الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار والعرب
تفعل ذلك كثيرا بالمثل والمثل كقوله ليس كمثله شي اي ليس هو شي
وقيل التقدير صفة الجنة التي وعد المتقون صفة جنة تجري من تحتها
الانهار وقيل معناه شبه الجنة التي وعد المتقون في الحسن والنعمة
والخلود كشبه النار في العذاب والشدة والخلود قاله مقاتل اكلها

دايم لا ينقطع وفي الخبر اذا اخذت ثمرة عادت مكانها اخرى وقد سناه في التذكرة وظلها اي وظلها كذلك لا يحذف اي ثمرها لا ينقطع وظلها لا يزول وهذا رد على الجهمية في زعمهم ان نعيم الجنة يفنى تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار اي عاقبة امر المكذبين وآخرتهم النار يدخلونها ::

قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب اي بعض من اوتي الكتاب يفرح بالقران كابن سلام وسلمان والذين جاوا من الحبشة فاللفظ عام والمراد الخصوص وقال قتادة هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يفرحون بنور القران وقاله مجاهد وابن زيد وعن مجاهد ايضا انهم مومنوا اهل الكتاب وقيل هم جماعة اهل الكتاب من اليهود والنصارى يفرحون بنزول القران لتصديقه كتبهم وقال اكثر العلما كان ذكر الرحمن في القران قليلا في اول ما انزل فلما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه ساهم قلة ذكر الرحمن في القران مع كثرة ذكره في التوراة فسالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى فقالت قريش ما بال محمد يدعوا الى اله واحد فاصبح اليوم يدعوا الهين الله والرحمن والله ما نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة فنزلت وهم بذكر الرحمن هم كافرون وهم يكفرون بالرحمن ففرح مومنوا اهل الكتاب بذكر الرحمن فانزل الله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني مشركي مكة ومن لم يومن من اليهود والنصارى والمجوس وقيل هم العرب المتحزبون على النبي صلى الله عليه وسلم ومن اعداء المسلمين من ينكر بعض ما في القران لان فيهم من كان يعترف ببعض الانبيا وفيهم من كان يعترف بان الله خالق السموات والارض قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به قراءة الجماعة بالنصب عطفا على اعبد وقرا ابو خليد بالرفع على الاستيناف اي افرده بالعبادة

وحده لا شريك له وانا برا عن المشركين ومن قال المسيح ابن الله وعزير
ابن الله ومن اعتقد التشبيه كاليهود اليه ادعوا الى عبادته ادعوا
الناس واليه ماب اى ارجع في اموري كلها **قوله تعالى**
وكذلك انزلناه حكما عربيا اى وكما انزلنا عليك القران فانكره بعض
الاحزاب كذلك انزلناه حكما عربيا وانما وصفه بذلك لانه انزله
على محمد صلى الله عليه وسلم وهو عربي فكذب الاحزاب بهذا الحكم ايضا
وقيل نظم الاية وكما انزلنا الكتب على الرسل بلغاتهم لذلك انزلنا
اليك القران حكما عربيا اى بلسان العرب ويريد بالحكم العربي القران
كله لانه يفصل بين الحق والباطل ويحكم ولئن اتبعت اهواءهم اى اهوى
المشركين في عبادة ما دون الله وفي التوجه الى غير الكعبة بعد ما
جاءك من العلم ما لك من الله من ولي اى ناصر ينصرك ولا واق يمنعك
من عذابه والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد الامة **قوله**
تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية
فيه مسئلتان **الاولى** قيل ان اليهود عابوا على النبي صلى الله عليه وسلم
الازواج وعيرته بذلك وقالوا ما نرى لهذا الرجل همة الا النسا والنكاح
ولو كان نبيا لشغله امر النبوة عن النسا فانزل الله هذه الاية وذكرهم
امر داود وسليمان فقال ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا
وذرية اى جعلناهم بشرا يقضون ما احل من شهوات الدنيا وانما التخصيص
في الوحي **الثانية** هذه الاية تدل على الترغيب في النكاح والحض
عليه وتنهى عن التبتل وهو ترك النكاح وهذه سنة المرسلين كما نصت
عليه هذه الاية والسنة واردة بمعناها قال صلى الله عليه وسلم تزوجوا
فاني مكاثر بكم الامم الحديث وقد تقدم في ال عمران وقال من تزوج فقد
استكمل نصف الدين فليتق الله في النصف الثاني ومعنى ذلك ان النكاح

تعف عن الزنا والعفاف احدى الخصلتين التي ضمن رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليهما الجنه فقال من وقاه الله شر اثنتين ولج الجنه ما
بين لحييه وما بين رجليه خرجه الموطا وغيره ∴ وفي صحيح البخاري
عن انس قال جا ثلاثه رهط الى بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
يسلون عن عباده النبي صلى الله عليه وسلم فلما اخبروا كانهم تقالوها
فقالوا واين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر فقال احدهم اما انا فاني اصلي الليل ابدا وقال
الاخر انا اصوم الدهر فلا افطر وقال الاخر انا اعتزل النسا فلا
اتزوج فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال انتم الذين قلتم
كذا وكذا اما والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له لكني اصوم وافطر واصلي
وارقد واتزوج النسا فمن رغب عن سنتي فليس مني خرجه مسلم
بمعناه وهذا ابين وفي صحيح مسلم عن سعد بن ابي وقاص قال اراد عثمن
ان يتبتل فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم ولو اجاز ذلك لاختصينا وقد تقدم
في ال عمران الحض على طلب الولد والرد على من جهل ذلك ويروى عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال اني لاتزوج المراه وما لي فيها من حاجه
واطاها وما اشتهيها قيل له وما يحملك على ذلك يا امير المومنين قال
حبي ان يخرج الله مني من يكاثر به النبي صلى الله عليه وسلم النبيين يوم القيمه
واني سمعته يقول عليكم بالابكار فانهن اعذب افواها واحسن اخلاقا
وانتق ارحاما واني مكاثر بكم الامم يوم القيمه يعني بقوله انتق ارحاما
اقبل للولد ويقال للمراه الكثيره الولد ناتق لانها ترمي بالاولاد رميا
وخرج ابو داود عن معقل بن يسار قال جا رجل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اني اصبت امراه ذات حسب وجمال وانها لا تلد
افاتزوجها قال لا ثم اتاه الثانيه فنهاه ثم اتاه الثالثه فقال تزوجوا الودود

له

الولود فاني مكاثر بكم الامم صححه ابو محمد عبد الحق وحسبك **قوله تعالى**
وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله عاد الكلام الى ما اقترحوا من
الايات مما تقدم ذكره في هذه السورة فانزل الله ذلك فيهم وظاهر الكلام
حظر ومعناه النفي لانه لا يحظر على احد ما لا يقدر عليه . لكل اجل كتاب
اي لكل امر قضاه الله كتاب عند الله قاله الحسن وقيل فيه تقديم وتاخير
المعنى لكل اجل كتاب اجل قاله الفرا والضحاك اي لكل امر كتبه الله
اجل موجل ووقت معلوم نظيره لكل نبا مستقر بين ان المراد ليس على
اقتراح الامم في نزول العذاب بل لكل اجل كتاب مكتوب وامر مقدر
لا تقف عليه الملائكة وذكر الترمذي الحكيم في نوادر الاصول عن
شهر بن حوشب عن ابي هريرة قال لما ارتقى موسى صلوات الله عليه وسلام
طور سينا راى الجبار في اصبعه خاتما فقال يا موسى ما هذا وهو اعلم
به قال شي من حلي الرجال قال فهل عليه شي من اسمائي مكتوب
او كلامي قال لا قال فاكتب عليه لكل اجل كتاب **قوله تعالى**
يمحو الله ما يشا ويثبت اي يمحو من ذلك الكتاب ما يشا ان يوقعه
باهله وياتي به ويثبت ما يشا اي يوخره الى وقته يقال محوت الكتاب
محوا اي اذهبت اثره ويثبت اي يثبته كقوله تعالى والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات اي والذاكرات الله وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويثبت
بالتخفيف وشدد الباقون وهي قراءة ابن عباس واختيار ابي حاتم وابي
عبيد لكثرة من قرا بها لقوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
وقال ابن عمر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يمحو الله ما يشا
ويثبت الا الشقا الخلق والخلق والاجل والرزق والسعادة والشقاوة
وعنه هما كتابان سوى ام الكتاب يمحو منهما ما يشا ويثبت وعنده ام
الكتاب الذي لا يتغير منه شي قال القشيري وقيل السعادة والشقاوة

والخلق والخلق والرزق لا تتغير فالاية فيما عدا هذه الاشيا وفي هذا
القول نوع تحكم **قلت** مثل هذا لا يدرك بالراي والاجتهاد وانما
يوخذ توقيفا فان صح فالقول به يجب ويوقف عنده والا فتكون الاية
عامة في جميع الاشيا وهو الاظهر والله اعلم. وهذا يروى معناه عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول
اللهم ان كنت كتبتني في اهل السعاده فاثبتني فيها وان كنت كتبتني في اهل
الشقاء والذنب فامحني واثبتني في اهل السعاده والمغفره فانك تمحو ما
تشا وتثبت وعندك ام الكتاب وقال ابن مسعود اللهم ان كنت كتبتني
في السعدا فاثبتني فيهم وان كنت كتبتني في الاشقيا فامحني من الاشقيا
واكتبني في السعدا فانك تمحو ما تشا وتثبت وعندك ام الكتاب
وكان ابو وايل يكثر ان يدعو اللهم ان كنت كتبتنا اشقيا فامح واكتبنا
سعدا وان كنت كتبتنا سعدا فانك تمحو ما تشا وتثبت وعندك
ام الكتاب وقال كعب لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما لولا اية في كتاب
الله لانباتك بما هو كاين الى يوم القيمه يمحو الله ما يشا ويثبت وعنده
ام الكتاب وقال مالك بن دينار في المراه التي دعا لها اللهم ان كان في
بطنها جاريه فابدلها غلاما فانك تمحو ما تشا وتثبت الحديث
وقد تقدم وفي الصحيحين عن ابي هريره سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
من سره ان يبسط له في رزقه وينسا له في اثره فليصل رحمه ومثله
عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يكون
لمعطله سوال وفيه تاويلان احدهما معنوي وهو ما يبقى بعده من الثنا
الجميل والذكر الحسن والاجر المتكرر فكانه لم يمت والاخر يوخر
اجله المكتوب في اللوح المحفوظ والذي في علم الله ثابت لا تبدل له
كما قال يمحو الله ما يشا ويثبت وعنده ام الكتاب وقيل لابن عباس

٢١٦٠ ١

لما روى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من احب
ان يمد الله في عمره واجله ويبسط له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه
كيف يزاد في العمر والاجل تعالى قال الله عز وجل هو الذي خلقكم من طين
ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده فالاجل الاول اجل العبد من حين ولادته
الى حين موته والاجل الثاني يعني المسمى عنده من حين وفاته الى يوم
يلقاه في البرزخ لا يعلمه الا الله فاذا اتقى العبد ربه ووصل رحمه زاده
الله في اجل عمره الاول من اجل البرزخ ما شا واذا عصى وقطع رحمه
نقصه الله من اجل عمره في الدنيا ما شا فيزيده في اجل البرزخ فاذا انحتم
الاجل في علم السابق امتنع الزياده والنقصان لقوله تعالى فاذا جا اجلهم
لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فتوافق الخبر والايه وهذه زياده
في نفس العمر وذات الاجل على ظاهر اللفظ في اختيار حبر الامه والله اعلم
وقال مجاهد يحكم الله امر السنه في رمضان فيمحو ما يشا ويثبت ما يشا
الا الحياه والموت والشقا والسعاده وقد مضى القول فيه وقال الضحاك
يمحو الله ما يشا من ديوان الحفظه ما ليس فيه ثواب ولا عقاب ويثبت
ما فيه ثواب وعقاب وروى معناه ابو صالح عن ابن عباس وقال الكلبي
يمحو من الرزق ويزيد فيه ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم سيل الكلبي
عن هذه الايه فقال يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه
كل شي ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قولك اكلت وشربت ودخلت
وخرجت ونحوه وهو صادق ويثبت ما فيه الثواب والعقاب وقال
قتاده وابن زيد وسعيد بن جبير يمحو الله ما يشا من الشرايع والفرايض
فينسخه ويبدله ويثبت ما يشا فلا ينسخه وجملة الناسخ والمنسوخ
عنده في ام الكتاب ونحوه ذكر النحاس والمهدوي عن ابن عباس قال
النحاس وحدثنا بكر بن سهل قال نا ابو صالح عن معاويه بن صالح عن علي بن ابي طلحه

عن ابن عباس يمحو الله ما يشا يقول يبدل الله من القران ما يشا فينسخه
ويثبت ما يشا فلا يبدله وعنده ام الكتاب يقول جملة ذلك عنده في
ام الكتاب الناسخ والمنسوخ وقال سعيد بن جبير ايضا يغفر ما يشا
من ذنوب عباده ويترك ما يشا فلا يغفره وقال عكرمه يمحو ما يشا
يعني بالتوبه جميع الذنوب ويثبت بدل الذنوب حسنات الا من
تاب وامن وعمل عملا صالحا الايه وعنه ايضا يمحو الابا ويثبت الابنا
وعنه ايضا ينسي الحفظه من الذنوب ولا ينسي وقال الحسن يمحو الله ما
يشا من جا اجله ويثبت من لم يات اجله وقال السدي يمحو الله ما
يشا يعني القمر ويثبت يعني الشمس بيانه قوله فمحونا ايه الليل وجعلنا
ايه النهار مبصره وقال الربيع بن انس هذا في الارواح حاله النوم يقبضها
عند النوم اذا اراد موته فجاه امسكه ومن اراد بقاه اثبته ورده
الي صاحبه بيانه قوله تعالي الله يتوفي الانفس حين موتها الايه وقال
علي بن ابي طالب يمحو الله ما يشا من القرون كقوله الم يروا كم اهلكنا
قبلهم من القرون ويثبت ما يشا منها لقوله ثم انشانا من بعدهم قرنا
اخرين فيمحو قرنا ويثبت قرنا وقيل هو الرجل يعمل الزمن الطويل
بطاعه الله ثم يعمل بمعصيه الله فيموت علي ضلاله فهذا الذي يمحو الله
والذي يثبت الرجل يعمل بمعصيه الله الزمان الطويل ثم يتوب فيمحوه
الله من ديوان السيات ويثبته في ديوان الحسنات ذكره الثعلبي والماوردي
عن ابن عباس وقيل يمحو الله ما يشا يعني الدنيا ويثبت الاخره وقال
قيس بن عباد في اليوم العاشر من رجب هو اليوم الذي يمحو الله فيه ما
يشا ويثبت ما يشا وقد تقدم عن مجاهد ان ذلك يكون في رمضان وقال
ابن عباس ان لله لوحا محفوظا مسيره خمس مايه عام من دره بيضا
لها دفتان من ياقوته حمرا لله في كل يوم ثلاث مايه وستون نظره

يثبت

يثبت ما يشا ويمحوا ما يشا ... وروى ابو الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله سبحانه يفتح الذكر في ثلاث ساعات يبقين من الليل
فينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحوا ما يشا ويثبت
ما يشا والعقيده انه لا تبديل لقضا الله وهذا المحو والاثبا
مما سبق به القضا وقد تقدم ان من القضا ما يكون واقعا محتوما
وهو الثابت ومنه ما يكون مصروفا باسباب وهو المحو والله اعلم
الغزنوي وعندي ان ما في اللوح خرج عن الغيب لاحاطه بعض
الملايكه فيحتمل التبديل لان احاطه الخلق بجميع علم الله محال وما
في علمه من تقدير الاشيا لا يبدل وعنده ام الكتاب اي اصل ما
كتب من الاجال وغيرها وقيل ام الكتاب اللوح المحفوظ الذي
لا يبدل ولا يغير وقد قيل انه يجري فيه التبديل وقيل انما يجري في
الجزا الاخره وسيل ابن عباس عن ام الكتاب فقال علم الله ما هو
خالق وما خلقه عاملون فقال لعلمه كن كتابا ولا تبديل في علم
الله وعنه انه الذكر دليله قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من
بعد الذكر وهذا يرجع معناه الى الاول وهو معنى قول كعب
قال كعب الاحبار ام الكتاب علم الله تعالى بما خلق وما هو
خالق **قوله تعالى** وان ما نرينك بعض الذي نعدهم ما
زايده والتقدير وان نرينك بعض الذي نعدهم اي من العذاب
لقوله لهم عذاب في الحياه الدنيا وقوله ولا يزال الذين كفروا
تصيبهم بما صنعوا قارعه اي ان اريناك بعض ما وعدناهم او
نتوفينك فليس عليك الا البلاغ اي التبليغ وعلينا الحساب اي
الجزا والعقوبه **قوله تعالى** اولم يروا يعني اهل مكه انا ناتي
الارض اي نقصدها ننقصها من اطرافها اختلف فيه فقال

ابن عباس ومجاهد نقصها من اطرافها موت علمايها وصلحايها
قال القشيري وعلى هذا فالاطراف الاشراف وقد قال ابن
الاعرابي الطرف والطرف الرجل الكريم ولكن هذا القول
بعيد لان مقصود الاية انا اريناهم النقصان في امرهم ليعلموا
ان تاخير العقاب عليهم ليس عن عجز الا ان يحمل قول ابن عباس
على موت احبار اليهود والنصارى وقال مجاهد ايضا وقتاده
والحسن هو ما يغلب عليه المسلمون مما في ايدي المشركين وروي
ذلك عن ابن عباس وعنه ايضا هو خراب الارض حتى يكون
العمران في ناحية منها وعن مجاهد نقصانها خرابها وموت اهلها
وذكر وكيع بن الجراح عن طلحه بن عمرو عن عطا بن ابي رباح في قول
الله تعالى اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها قال
ذهاب فقهايها وخيار اهلها قال ابو عمر بن عبد البر قول عطا
في تاويل الاية حسن جدا تلقاه اهل العلم بالقبول **قلت**
وحكاه المهدوي عن مجاهد وابن عمر وهذا في القول الاول
بعينه روى سفيان عن منصور عن مجاهد ننقصها من اطرافها قال
الموت موت الفقها والعلما ومعروف في اللغه ان الطرف
الكريم من كل شي وهذا خلاف ما ارتضاه ابو نصر عبد الرحيم
ابن عبد الكريم من قول ابن عباس وقال عكرمه والشعبي هو
النقصان وقبض الانفس قال احدهما ولو كانت الارض تنقص
لضاق عليك حشك وقال الاخر لضاق عليك حش تتبرز فيه
وقيل المراد به هلاك من هلك من الامم قبل قريش وهلاك
ارضهم بعدهم والمعنى اولم ير قريش هلاك من قبلهم وخراب
ارضهم بعدهم افلا يخافون ان يحل بهم مثل ذلك روي ذلك ايضا عن

عن ابن

ابن عباس ومجاهد وابن جريج وعن ابن عباس ايضا انه نقص
بركات الارض وثمارها واهلها وقيل نقصها بجور اهلها **قلت**
وهذا اصح معنى فان الجور والظلم يخرب البلاد بقتل اهلها وانجلائهم
عنها وترتفع من الارض البركة والله اعلم **قوله تعالى** والله يحكم
لا معقب لحكمه اي ليس يتعقب حكمه احد بنقص ولا تغيير وهو
سريع الحساب اي الانتقام من الكافرين سريع الثواب للمؤمن وقيل
لا يحتاج في حسابه الى روية قلب ولا عقد بنان حسب ما تقدم في
البقرة بيانه **قوله تعالى** وقد مكر الذين من قبلهم اي من
قبل مشركي مكة مكروا بالرسل وكادوا لهم وكفروا بهم فلله
المكر جميعا اي هو مخلوق له مكر الماكرين لا يضر الا باذنه
وقيل لله خير المكر اي يجازيهم به يعلم ما تكسب كل نفس من
خير وشر فيجازي عليه وسيعلم الكافر كذا قراءة نافع وابن
كثير وابو عمرو والباقون الكفار على الجمع وقيل عني به ابو جهل
لمن عقبى الدار اي عاقبة دار الدنيا ثوابا وعقابا او لمن الثواب
والعقاب في الدار الاخرة وهذا تهديد ووعيد **قوله
تعالى** ويقول الذين كفروا لست مرسلا قال قتادة هم
مشركوا العرب اي لست بنبي ولا رسول وانما انت
متقول اي لما لم ياتهم بما اقترحوا انكروا ذلك قل كفى اي قل لهم
يا محمد كفى بالله اي كفى بالله شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بصدقي ومن
عنده علم الكتاب وهذا احتجاج على مشركي العرب لانهم كانوا
يرجعون الى اهل الكتاب من امن منهم في التفاسير وقيل كانت
شهادتهم قاطعة لقول الخصوم وهم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله
ابن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري والنجاشي واصحابه قاله قتادة

دارم

وسعيد بن جبير وروى الترمذي عن ابن اخي عبد الله بن سلام قال
لما اريد عثمان جا عبد الله بن سلام فقال له عثمن ما جا بك قال
جيت في نصرتك قال اخرج الى الناس فاطردهم عني فانك خارج
خير لي من داخل قال فخرج عبد الله بن سلام الى الناس فقال ايها
الناس انه كان اسمي في الجاهليه فلان فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبد الله ونزلت في ايات من كتاب الله نزلت في وشهد شاهد
من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم
الظالمين ونزلت في قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده
علم الكتاب وذكر الحديث وقد كتبناه بكماله في كتاب التذكره وقال
فيه ابو عيسى هذا حديث حسن غريب وكان اسمه في الجاهليه
حصين فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وقال ابو بشر قلت
لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب قال هو عبد الله بن سلام
قلت وكيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السوره مكيه وابن سلام
ما اسلم الا بالمدينه ذكره الثعلبي وقال القشيري وقال ابن جبير
السوره مكيه وابن سلام اسلم بالمدينه بعد هذه السوره فلا يجوز
ان يحمل هذه الايه على ابن سلام فمن عنده علم الكتاب جبريل وهو
قول ابن عباس وقال الحسن ومجاهد والضحاك هو الله تعالى
وكانوا يقرون ومن عنده علم الكتاب وينكرون على من يقول هو عبد
الله بن سلام وسلمان لانهم يرون ان السوره مكيه وهاولاء اسلموا
بالمدينه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا ومن عنده وان
كان في الروايه ضعف روى ذلك سليمان بن ارقم عن الزهري
عن سالم عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى محبوب
عن اسمعيل بن محمد اليماني انه قرا كذلك ومن عنده بكسر الميم

والعصر

والعين والدال علم الكتاب بضم العين ورفع الكتاب وقال عبد الله
ابن عمر قلت لابي جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي
الله عنهم زعموا ان الذي عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام فقال
انما ذلك علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكذلك قال محمد بن الحنفية
وقيل جميع المومنين والله اعلم قال القاضي ابو بكر بن العربي اما من
قال انه علي فعول على احد وجهين اما لانه عنده اعلم المومنين
وليس كذلك بل ابو بكر وعمر وعثمان اعلم منه او لقول النبي صلى الله
عليه وسلم انا مدينة العلم وعلي بابها وهو حديث باطل النبي صلى الله
عليه وسلم مدينة علم واصحابه ابوابها فمنهم الباب المنفسح ومنهم المتو
على قدر منازلهم في العلوم واما من قال انهم جميع المومنين فصدق
لان كل مومن يعلم الكتاب ويدرك وجه اعجازه ويشهد للنبي صلى
الله عليه وسلم بصدقه **قلت** فالكتاب على هذا هو القران واما
من قال انه عبد الله بن سلام فعول على حديث الترمذي وليس
يمتنع ان ينزل في عبد الله شيا ويتنا ول جميع المومنين لفظا ويعضده
من النظام ان قوله تعالى ويقول الذين كفروا يعني قريشا والذين عندهم
علم الكتاب هم المومنون من اليهود والنصارى الذين هم الى
معرفة السورة والكتاب اقرب من عبدة الاوثان قال النحاس
وقول من قال هو عبد الله بن سلام وغيره يحتمل ايضا لان البراهين
اذا صحت وعرفها من قرا الكتب التي انزلت قبل القران كان امرا موكدا
والله اعلم بحقيقة ذلك

سورة ابراهيم عليه السلام مكية

كلها في قول الحسن وعكرمة وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا ايتين
منها مدنية وقيل ايات نزلت في الذين حاربوا الله ورسوله وهي قوله تعالى

الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرًا الى قوله فان مصيركم الى النار ؛

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** الر

كتاب انزلناه اليك تقدم معناه لتخرج الناس اى بالكتاب وهو القران

اى بدعائك اليك من الظلمات الى النور اى من ظلمات الكفر والضلالة

والجهل الى نور الايمان والعلم وهذا على التمثيل لان الكفر بمنزلة

الظلمة والايمان بمنزلة النور وقيل من البدعة الى السنة

ومن الشك الى اليقين والمعنى متقارب باذن ربهم اى بتوفيقه اياهم

ولطفه بهم والبا في باذن ربهم متعلقة بلتخرج واضيف الفعل الى النبي

صلى الله عليه وسلم لانه الداعي والمنذر الهادي الى صراط العزيز الحميد

هو كقولك خرجت الى زيد العاقل الفاضل من غير واو لانهما

شي واحد والله هو العزيز اى الذي لا مثل له ولا شبيه وقيل العزيز

الذي لا يغلبه غالب وقيل العزيز المنيع في ملكه وسلطانه الحميد

اى المحمود بكل لسان والممجد في كل مكان على كل حال وروى مقسم

عن ابن عباس قال كان قوم امنوا بعيسى وقوم كفروا بعيسى فلما بعث

فنزلت هذه الاية ذكره الماوردي **قوله تعالى** الله الذي له

ما في السموات وما في الارض اى ملكا وعبيدا واختراعا وخلقا وقرا

نافع وابن عامر وغيرهما الله بالرفع على الابتدا الذي خبره وقيل الذي

صفة والخبر مضمر اى الله الذي له ما في السموات وما في الارض

قادر على كل شي الباقون بالخفض نعتا للعزيز الحميد فقدم الحميد

على المنعوت لقولك مررت بالظريف زيد وقيل على البدل من

الحميد وليس صفة لان اسم الله صار كالعلم فلا يوصف كما لا

يوصف بزيد وعمرو بل يجوز ان يوصف به من حيث المعنى لان

معناه انه المنفرد بقدرة الايجاد وقال ابو عمرو الخفض على التقديم

والتاخير

والتاخير مجازه الى صراط الله العزيز الذي له ما في السموات وما
في الارض وكان يعقوب اذا وقف على الحميد رفع واذا وصل خفض
على النعت قال ابن الانباري من خفض وقف على وما في الارض
قوله تعالى وويل للكافرين من عذاب شديد تقدم معنى
الويل في البقرة وقال الزجاج هي كلمة تقال للعذاب والهلكة
من عذاب شديد اي في جهنم الذين يستحبون الحياة الدنيا اي يختارونها
على الاخرة والكافرون يفعلون ذلك فالذين في موضع خفض صفة
لهم وقيل في موضع رفع خبرا ابتدا مضمرا اي هم الذين وقيل الذين يستحبون
مبتدا وخبره اولئك وكل من اثر الدنيا وزهرتها واستحب البقا
في نعيمها على النعيم في الاخرة وصد عن سبيل الله اي صرف الناس
عنه وهو دين الله الذي جاءت به الرسل في قول ابن عباس وغيره
فهو داخل في هذه الاية وقد قال صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما
اخاف على امتي الايمة المضلون وهو حديث صحيح وما اكثر ما هم
في هذه الازمان والله المستعان وقيل يستحبون اي يلتمسون
الدنيا من غير وجهها لان نعمة الله لا تلتمس الا بطاعته دون معصيته
ويبغونها عوجا اي يطلبون لها زيغا وميلا لموافقة اهوائهم وقضا
حاجاتهم واغراضهم والسبيل يذكر ويؤنث والعوج بكسر العين
في الدين والامر والارض وفي كل ما لم يكن قايما وبفتح العين في كل ما
كان قايما كالحايط والرمح ونحوه وقد تقدم في ال عمران وغيرها
اولئك في ضلال بعيد اي ذهاب عن الحق بعيد عنه **قوله
تعالى** وما ارسلنا من رسول اي قبلك الا بلسان قومه
اي بلغتهم ليبينوا لهم امر دينهم ووحد اللسان وان اضافه
الى القوم لان المراد اللغة فهي اسم جنس يقع على القليل والكثير

ولا حجة للعجم وغيرهم في هذه الاية لان كل من ترجم له ما جاء به النبي صلى الله
عليه وسلم ترجمة يفهمها لزمته الحجة وقد قال الله عز وجل وما ارسلناك
الا كافة للناس بشيرًا ونذيرا وقال صلى الله عليه وسلم ارسل كل نبي الى
امته بلسانها وارسلني الله الى كل احمر واسود من خلقه وقال صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني
ثم لم يومن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار خرجه مسلم وقد
تقدم فيضل الله من يشا ويهدي من يشا رد على القدرية في نفوذ المشية
وهو مستانف وليس بمعطوف على ليبين لان الارسال انما وقع للتبيين
لا للاضلال ويجوز النصب في يضل لان الارسال صار سببا للاضلال
فيكون كقوله ليكون لهم عدوًا وحزنا وانما صار الارسال سبب الاضلال
لانهم كفروا به لما جاءهم فصار كانه سبب لكفرهم وهو العزيز الحكيم
تقدم **قوله تعالى** ولقد ارسلنا موسى باياتنا اي بحجتنا وبراهيننا
اي بالمعجزات الدالة على صدقه قال مجاهد هي التسع الايات ان اخرج
قومك من الظلمات الى النور نظيره قوله تعالى لنبينا عليه السلام
اول السورة لتخرج الناس من الظلمات الى النور وقيل ان هنا بمعنى
اي كقوله تعالى وانطلق الملا منهم ان امشوا اي امشوا **قوله تعالى**
وذكرهم بايام الله اي قل لهم قولا يتذكرون به ايام الله تعالى قال ابن
عباس ومجاهد وقتادة بنعم الله عليهم وقاله ابي بن كعب ورواه مرفوعا
اي بما انعم الله عليهم من النجاة من فرعون ومن التيه الى ساير النعم وقد تسمى
النعم الايام ومنه قول عمرو بن كلثوم ؛ وايام لنا غر طوال ؛
وعن ابن عباس ايضا ومقاتل بوقايع الله في الامم السالفة يقال فلان
عالم بايام العرب اي بوقايعها قال ابن زيد يعني الايام التي انتقم فيها
من الامم الخالية وكذلك روى ابن وهب عن مالك قال بلاوه

قال

قال الطبري وعظهم بما سلف في الايام الماضيه لهم اي بما كان في ايام الله من النعمه والمحنه وقد كانوا عبيدا مستذلين فالمعنى بذكر الايام عنه لانها كانت معلومة عندهم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي ابن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا موسى عليه السلام في قومه يذكرهم بايام الله وايام الله بلاوه ونعماوه وذكر حديث الخضر ودل هذا على جواز الوعظ المرقق للقلوب المقوي لليقين الخالي من كل بدعه والمنزه عن كل ضلاله وشبهه ان في ذلك اي في التذكير بايام الله لايات اي دلالات لكل صبار اي كثير الصبر على طاعه الله وعن معاصيه شكور لنعم الله وقال قتاده هو العبد اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر ثم تلا هذه الايه ان في ذلك لايات لكل صبار شكور ونحوه عن الشعبي موقوفا وتوارى الحسن عن الحجاج سبع سنين فلما بلغه موته قال اللهم قد امته فامت سنته وسجد شكرا وقرا ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وانما خص بالايات كل صبار شكور لانه يعتبر بها ولا يغفل عنها كما قال تعالى انما انت منذر من يخشاها وان كان منذرا للجميع **قوله تعالى** واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمه الله عليكم اذ انجاكم الى قوله عظيم تقدم في البقره مستوفى والحمد لله **قوله تعالى** واذ تاذن ربكم قيل هو من قول موسى لقومه وقيل هو من قول الله واذكر يا محمد اذ قال ربك كذا وتاذن واذن بمعنى اعلم مثل اوعد وتوعد روى معنى ذلك عن الحسن وغيره ومنه الاذان لانه اعلام قال الشاعر:

فلم تشعر بضوء الصبح حتى سمعنا في مجالسنا الاذينا

وكان ابن مسعود يقرا واذ قال ربكم والمعنى واحد لئن شكرتم لازيدنكم اي وحدتم واطعتم لازيدنكم مما يجب الشكر عليه وهي نعمي وقال

الربيع لئن شكرتم انعامي لازيدنكم من فضلي الحسن لئن شكرتم نعمتي لازيدنكم من طاعتي ابن عباس لئن حدتم والطعتم لازيدنكم في الثواب والمعنى متقاربة في هذه الاقوال والاية نص في ان الشكر سبب المزيد وقد تقدم في البقره ما للعلماء في معنى الشكر وسئل بعض الصلحاء عن الشكر لله تعالى ان لا يتقوى بنعمه على معاصيه وحكى عن داود عليه السلام انه قال رب كيف اشكرك وشكري لك نعمة مجددة منك علي قال يا داود الان شكرتني وقلت فحقيقه الشكر على هذا الاعتراف بالنعمه للمنعم وان لا يصرفها في غير طاعته وانشد الهادي وهو ياكل

انا لك رزقه لتقوم فيه بطاعته وتشكر بعض حقه
فلم تشكر لنعمته ولكن قويت على معاصيه برزقه

نعص باللقمه وحنقته العبره وقال جعفر الصادق اذا سمعت النعمه نعمة الشكر فتاهبت للمزيد ولئن كفرتم ان عذابي لشديد كفرتم اي جحدتم حقي وقيل نعمي وعد بالعذاب على الكفر كما وعد بالزياده على الشكر وحذفت الفا التي هي جواب الشرط من ان للشهره

قوله تعالى وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني اي لمحقه بذلك النقص بل هو الغني الحميد اي المحمود **قوله تعالى** الم ياتكم نبوا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود النبا الخبر والجمع الانبا قال الم ياتك والانبا تنمي ثم قيل هو من قول موسى وقيل من قول الله اي واذكر يا محمد اذ قال ربك كذا وقيل هو ابتدا خطاب من الله تعالى وخبر نوح وعاد وثمود مشهور قصه الله في كتابه وقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله اي لا يحصي عددهم ولا يعرف نسبهم الا الله والنسابون وان نسبوا الى ادم فلا يدعون احصا جميع الامم وانما ينسبون البعض ويمسكون عن نسب البعض وقد روي

قوم م

عن

عن النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع النسابين ينسبون الى معد بن عدنان ثم
زاد واقال كذب النسابون ان الله يقول لا يعلمهم الا الله وروي
عن عروة بن الزبير انه قال ما وجدنا احداً يعرف ما بين عدنان واسماعيل
وقال ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلثون اباً لا يعرفون وكان ابن
مسعود يقول حين يقرا لا يعلمهم الا الله كذب النسابون جاتهم
رسلهم بالبينات اي بالحجج والدلالات فردوا ايديهم في افواههم اي
جعل اولئك القوم ايدي انفسهم في افواههم ليعضوها غيظاً مما جاء
به الرسل اذ كان فيه تسفيه احلامهم وشتم اصنامهم قاله ابن مسعود
ومثله قال عبد الرحمن بن زيد وقرا عضوا عليكم الانامل من الغيظ
وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بايديهم الى افواههم
وقال ابو صالح كانوا اذا قال لهم نبيهم انا رسول الله اليكم اشاروا باصابعهم
الى افواههم ان اسكت تكذيباً له ورداً لقوله وهذه الاقوال الثلاثة
متقاربة المعنى والضميران للكفار والقول الاول اصحها اسناداً قال
ابو عبيد نا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن ابي اسحق عن ابي الاحوص
عن عبد الله في قوله تعالى فردوا ايديهم في افواههم قال عضوا عليها غيظاً قال
الشاعر: لو ان سلمى ابصرت تخددي ودقة في عظم ساقي ويدي
وبعد اهلي وجفا عودي عضت من الوجد باطراف اليد
وقد مضى هذا المعنى في آل عمران مجوداً والحمد لله :: وقال مجاهد وقتادة
ردوا على الرسل قولهم وكذبوهم بافواههم فالضمير الاول للرسل والثاني
للكفار وقال الحسن وغيره جعلوا ايديهم في افواه الرسل رداً
لقولهم فالضمير الاول على هذا للكفار والثاني للرسل وقيل معناه اوموا
الى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل اخذوا ايدي الرسل ووضعوها على افواه
الرسل ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم وقيل رد الرسل ايدي القوم في

افواههم وقيل ان الايدي هنا النعم اي ردوا نعم الرسل بافواههم اي بالنطق
بالتكذيب ومجي الرسل بالشرائع نعم والمعنى كذبوا بافواههم ما جاءت
به الرسل وفي بمعنى الباء تقول جلست في البيت وبالبيت وحروف الصفات
يقام بعضها مقام بعض وقال ابو عبيدة هو ضرب مثل اي لم يؤمنوا
ولم يجيبوا والعرب تقول للرجل اذا امسك عن الجواب وسكت قد رد
يده في فيه وقاله الاخفش ايضا وقال القتيبي لم نسمع احدا من العرب يقول
رد يده في فيه اذا ترك ما امر به وانما المعنى عضوا على الايدي حنقا
وغيظا كقول الشاعر:

يردون في فيه عشر الحسود حتى يعض على الاكفاء

يعني انهم يغيظون الحسود حتى يعض على اصابعه وكفيه وقال اخر:

قد افنى انامله ازمه فاضحى يعض علي الوظيفا

وقالوا يعني الامم للرسل انا كفرنا بما ارسلتم به اي بالارسال على زعمكم
لا انهم اقروا انهم ارسلوا وانا لفي شك اي في ريب ومرية مما تدعوننا
اليه اي من التوحيد مريب اي موجب للريبة تقول اربته اذا فعلت
امرا اوجب ريبة وشكا اي نظن انكم تطلبون الملك والدنيا **قوله
تعالى** قالت رسلهم افي الله شك استفهام معناه الانكار اي لا شك
في الله اي في توحيده قاله قتادة وقيل في طاعته ويحتمل وجها ثالثا اي
قدرة الله شك لانهم متفقون عليها ومختلفون فيما عداها يدل عليه قوله
فاطر السموات والارض اي خالقها ومخترعها ومنشئها وموجدها
بعد العدم لينبه على قدرته فلا تجوز العبادة الا له يدعوكم اي الى
طاعته بالرسل والكتب ليغفر لكم من ذنوبكم قال ابو عبيد من زائدة
وقال سيبويه هي للتبعيض ويجوز ان يذكر البعض والمراد منه الجميع
وقيل من للبدل وليست بزائدة ولا مبعضة اي لتكون المغفرة

بدلا من الذنوب ويوخركم الى اجل مسمى يعني الموت فلا يعذبكم في الدنيا
قالوا ان انتم اي ما انتم الا بشر مثلنا في الهيئة والصوره تاكلون مما ناكل
وتشربون مما نشرب ولستم ملايكة تريدون ان تصدونا عما كان
يعبد اباونا من الاصنام والاوثان فاتونا بسلطان مبين اي حجة ظاهرة
وكان هذا محالا منهم فان الرسل ما دعوا الا ومعهم المعجزات **قوله تعالى**
قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم اي في الصوره والهيئه كما قلتم ولكن
الله يمن على من يشاء من عباده اي يتفضل عليه بالنبوه وقيل بالتوفيق
والحكمه والمعرفه والهدايه وقال سهل بن عبد الله بتلاوة القران وفهم
ما فيه **قلت** وهذا قول حسن وقد خرج الطبري من حديث
ابن عمر قال قلت لابي ذر يا عم اوصني قال سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما سالتني فقال ما من يوم ولا ليله ولا ساعه الا ولله فيه صدقه
يمن بها على من يشا من عباده وما من الله تعالى على عباده بمثل ان يلهمهم
ذكره وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان اي بحجه وايه الا باذن الله اي بمشيته
وليس ذلك في قدرتنا اي لا نستطيع ان ناتي بحجه كما تطلبون الا بامره
وقدرته فلفظه لفظ الخبر ومعناه النفي لانه لا يحظر على احد ما لا يقدر
عليه وعلى الله فليتوكل المومنون تقدم معناه **قوله تعالى**
وما لنا الا نتوكل على الله ما استفهام في موضع رفع بالابتدا ولنا الخبر وما
بعدها في موضع الحال التقدير اي شي لنا في ترك التوكل على الله وقد هدانا
سبلنا اي الطريق الذي يوصل الى رحمته وينجي من سخطه ونقمته ولنصبرن
لام قسم مجازه والله لنصبرن على ما اذيتمونا به اي من الاهانه والضرب
والتكذيب والقتل ثقة بالله ان يكفينا ويثبتنا وعلى الله فليتوكل المتوكلون
قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا اللام لام
قسم اي والله لنخرجنكم او لتعودن اي حتى تعودوا او الا ان تعودوا قاله الطبري

وغيره قال ابن العربي وهو غير مفتقر الى هذا التقدير فان او على بابها في
التخيير خير الكفار الرسل بين ان يعودوا في ملتهم او يخرجوهم من
ارضهم وهذه سنة الله تعالى في رسله وعباده الا ترى الى قوله تعالى وان كادوا
ليستفزونك من الارض ليخرجوك واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا
سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا وقد تقدم هذا المعنى في الاعراف
وغيرها في ملتنا اي ان دينا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم
الارض من بعدهم **قوله تعالى** ذلك لمن خاف مقامي اي مقامه بين
يدي يوم القيمة فاضيف المصدر الى الفاعل والمقام مصدر كالقيام يقال
قام قياما ومقاما واضاف ذلك اليه لاختصاصه به والمقام بفتح الميم
مكان الاقامة وبالضم فعل الاقامة وقيل ذلك لمن خاف مقامي اي قيامي
عليه ومراقبتي له قال الله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال
الاخفش ذلك لمن خاف مقامي اي عذابي وخاف وعيد اي القران
وزواجره وقيل انه العذاب والوعيد الاسم من الوعد **قوله تعالى**
واستفتحوا اي واستنصروا اي اذن للرسل في الاستفتاح على قومهم
والدعا بهلاكهم قاله ابن عباس وغيره وقد مضى في البقرة ومنه الحديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفتح بصعاليك المهاجرين اي يستنصر
وقال ابن زيد استفتحت الامم بالدعا كما قالت قريش اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا الاية وروي عن ابن عباس
وقيل قال الرسول انهم كذبوني فافتح بيني وبينهم فتحا وقالت الامم
ان كان هولاء صادقين فعذبنا عن ابن عباس ايضا نظيره
ايتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ايتنا بما تعدنا ان كنت من
المرسلين وخاب كل جبار عنيد الجبار المتكبر الذي لا يرى لاحد عليه حقا هكذا
هو عند اهل اللغة ذكره النحاس والعنيد المعاند للحق والمجانب له عن ابن عباس

وعيره يقال عند عن قومه اي تباعد عنهم وقيل هو من العند وهو
الناحيه وعاند فلان اي اخذ في ناحيه معرضا قال الشاعر:
اذا نزلت فاجعلاني وسطا اني كبير لا اطيق العندا .
وقال الهروي قوله تعالى جبار عنيد اي جاير عن القصد وهو العنود
والعنيد والعاند وفي حديث ابن عباس وسيل عن المستحاضه فقال انه
عرق عاند قال ابو عبيد هو الذي عند وبغى كالانسان يعاند فهذا العرق
في كثره ما يخرج منه بمنزلته وقال شمر العاند الذي لا يرقا وقال عمر يذكر
سيرته واضم العنود وقال الليث العنود من الابل التي لا تخالطها انما هو
في ناحيه ابدا اراد من هم بالخلاف او بمفارقته الجماعه عطفت به اليها
وقال مقاتل العنيد المتكبر وقال ابن كيسان هو الشامخ بانفه وقيل
العنود والعنيد الذي يتكبر على الرسل ويذهب عن طريق الحق فلا
يسلكها تقول العرب شر الابل العنود الذي يخرج عن الطريق
وقيل المريد العاصي وقال قتاده العنيد الذي ابى ان يقول لا اله الا
الله **قلت** فالجبار العنيد في الايه بمعنى واحد وان كان اللفظ
مختلفا وكل متباعد عن الحق جبار وعنيد اي متكبر وقيل ان المراد به
في الايه ابو جهل ذكره المهدوي وحكى الماوردي في كتاب ادب الدين
والدنيا ان الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاءل يوما في المصحف
فخرج له قوله عز وجل واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزق المصحف
وانشا يقول :: اتوعد كل جبار عنيد فها انا ذاك جبار عنيد
اذا ما جيت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد
فلم يلبث الا ايام حتى قتل اشنع قتله وصلب راسه على قصره ثم على سور بلده
قوله تعالى من وراءه جهنم اي من وراء ذلك الكافر جهنم
اي من وراء ذلك الكافر جهنم اي من بعد هلاكه ووراء بمعنى بعد قال النابغه

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
اي بعد الله جل جلاله ولذلك قوله تعالى ومن ورائه عذاب غليظ اي من
بعده وقوله تعالى ويكفرون بما وراءه اي بما سواه قاله الفراء وقال
ابو عبيد بما بعده وقيل من ورائه اي من امامه ومنه قول الشاعر

وقال الآخر
وقال لبيد

ومن ورائك يوم انت بالغه لا حاضر معجز عنه ولا باد
اترجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا
اليس ورائي ان بلغت منيتي لزوم العصا تحني عليها الاصابع
يريد امامي وفي التنزيل وكان وراءهم ملك اي امامهم والى هذا ذهب
ابو عبيده وابو علي قطرب وغيرهما وقال الاخفش هو كما تقول هذا الامر
من ورائك اي سوف يأتيك وانا من وراء فلان اي في طلبه وساصل اليه
وقال النحاس في قوله من ورائه جهنم اي من امامه وليس من الاضداد
ولكنه من توارى اي استتر وقال الازهري ان وراء يكون بمعنى خلف
وامام فهو من الاضداد وقاله ابو عبيده ايضا واشتقاقه من توارى
خلف وامام فهو من الاضداد وقاله ابو عبيده ايضا واشتقاقه من
توارى واستتر فجهنم توارى ولا تظهر فصارت من وراء لانها لا ترى حكاه
ابن الانباري وهو حسن **قوله تعالى** ويسقى من ماء صديد
اي من ماء مثل الصديد كما يقال للرجل الشجاع اسد اي مثل الاسد فهو
تمثيل وتشبيه وقيل هو ما يسيل من اجسام اهل النار من القيح والدم
وقال محمد بن كعب القرظي والربيع بن انس هو غسالة اهل النار وذلك
ما يسيل من فروج الزناة والزواني وقيل من ماء كراهيه تصد عنه
فيكون الصديد ماخوذا من الصد وذكر ابن المبارك انا صفوان بن
عمرو عن عبيد الله بن بسر عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيكرهه

فاذا دنى منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه واذا شربه قطع امعاه
حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاهم ويقول
الله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بيس الشراب
خرجه الترمذي وقال حديث غريب وعبيد الله بن بسر الذي روى عنه
صفوان بن عمرو وحدث ابي امية لعله ان يكون اخا عبد الله بن بسر
يتجرعه اي يبتلعه يقال جرع الما واجترعه وتجرعه بمعنى وساغ
الشراب في الحلق يسوغ سوغا اذا كان سلسا سهلا واساغه الله
اساغه ويكاد صلة اي يسيغه بعد ابطاء قال الله تعالى وما كادوا
يفعلون اي يفعلوا بعد ابطاء ولهذا قال يصهر به ما في بطونهم فهذا
يدل على الاساغة وقال ابن عباس لا يجيزه ولا يمره ويأتيه الموت
من كل مكان قال ابن عباس اي يأتيه اسباب الموت من كل مكان عن
يمينه وشماله ومن فوقه وتحته ومن قدامه وخلفه لقوله لهم من فوقهم
ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال ابراهيم التيمي يأتيه من كل مكان من
جسده حتى من اطراف شعره للالام التي في كل موضع من جسده وقال
الضحاك انه ليأتيه الموت من كل مكان حتى ابهام رجليه وقال
الاخفش يعني البلايا التي تصيب الكافر في النار سماها موتا وهي من
اعظم الموت وقيل انه لا يبقى الا وكل به نوع من العذاب لو مات سبعين
مرة لكان اهون عليه من نوع منها في فرد لحظة اما حية تنهشه او عقرب
تلسعه او نار تسفعه او قيد برجليه او غل في عنقه او سلسلة يقرن
بها او تابوت يكون فيه او زقوم او حميم او غير ذلك من العذاب وقال
محمد بن كعب اذا دعا الكافر في جهنم بالشراب فراه مات موتات فاذا
دنا منه مات موتات فاذا شرب منه مات وتاب فذلك قوله
ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت قال الضحاك لا يموت فيستريح

ناحية

وقال ابن جريج تعلق نفسه في حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع
من مكانها من جوفه فتنفعه الحياة ونظيره قوله لا يموت فيها ولا يحيى
وقيل علق الله في جسده الالام كل واحد منها الم الموت وقيل وما
هو بميت لتطاول شدائد الموت به وامتداد سكراته عليه ليكون
ذلك زيادة في عذابه قلت ويظهر من هذا انه يموت وليس كذلك
لقوله تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ولذلك
وردت السنة فاحوال الكافر احوال من اشتدت عليه سكرات الموت
دائما والله اعلم ومن ورايه اي من امامه عذاب غليظ اي شديد متاصل
الالام من غير فتور ومنه قوله وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وقوة
وقال فضيل بن عياض في قول الله تعالى ومن ورايه عذاب غليظ
قال الاخفش الانفاس **قوله تعالى** مثل الذين كفروا بربهم
اعمالهم كرماد اختلف النحويون في رفع مثل فقال سيبويه ارتفع
بالابتدا والخبر مضمر التقدير وفيما يتلى عليكم او يقص مثل الذين
كفروا بربهم ثم ابتدا فقال اعمالهم كرماد اي كمثل الرماد اشتدت
به الريح وقال الزجاج اي مثل الذين كفروا فيما يتلى عليكم اعمالهم كرماد
وهو عند الفرا على الغا المثل التقدير الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد
وعنه ايضا انه على حذف مضاف التقدير مثل اعمال الذين كفروا
بربهم ذكر الاول عنه المهدوي والثاني القشيري والثعلبي ويجوز ان
يكون مبتدا كما تقول صفة فلان اسمر فمثل بمعنى صفة ويجوز في
الكلام جر اعمالهم على بدل الاشتمال من الذين واتصل هذا بقوله
وخاب كل جبار عنيد والمعنى اعمالهم محبطة غير مقبولة والرماد
ما بقي بعد احتراق الشي فضرب الله هذه الاية مثلا لاعمال
الكفار في انه يمحقها كما يمحق الريح الشديدة الرماد في يوم عاصف

والعصف شدة الريح وانما كان ذلك لانهم اشركوا فيها غير الله تعالى
وفي وصف اليوم بالعصوف ثلثة اقاويل احدها ان العصوف وان
كان للريح فان اليوم قد يوصف به لان الريح يكون فيه فجاز ان يقال
يوم عاصف كما يقال يوم حار ويوم بارد والبرد والحر فيهما والثاني
ان يريد في يوم عاصف الريح لانها ذكرت في اول الكلمة كما قال الشاعر
اذا جاء يوم مظلم الشمس كاسف . يريد كاسف الشمس فحذفه لانه
قد مر ذكره ذكرهما الهروي والثالث انه من نعت الريح غير انه لما جاء
بعد اليوم اتبع اعرابه كما قيل جحر ضب خرب ذكره الثعلبي والماوردي
وقرا ابن ابي اسحق وابراهيم بن ابي بكير في يوم عاصف بالاضافة على تقدير
في يوم ذي عاصف او على تقدير في يوم عاصف الريح لا يقدرون يعني الكفار
على شيء مما كسبوا يريد في الاخرة اي من ثواب ما عملوا من البر في الدنيا
لاحباطه بالكفر ذلك هو الضلال البعيد اي الخسران الكبير وانما جعله
كبيرا لبعد الفوات استدراكه بالموت **قوله تعالى** الم تر
ان الله خلق السموات والارض بالحق الرؤية هنا رؤية القلب لان المعنى
الم ينته علمك اليه وقرا حمزة والكسائي خالق السموات والارض ومعنى
بالحق ليستدل بها على قدرته ان يشا يذهبكم ايها الناس اي هو قادر
على الافنا كما قدر على ايجاد الاشيا فلا تعصوه فانكم ان عصيتموه يذهبكم
ويات بخلق جديد افضل واطوع منكم اذ لو كانوا مثل الاولين فلا فايدة
في الابدال وما ذلك على الله بعزيز اي ممتنع متعذر **قوله تعالى**
وبرزوا لله جميعا اي برزوا من قبورهم يعني يوم القيمة والبروز الظهور
والبراز المكان الواسع لظهوره ومنه امراة برزة اي تظهر للناس
فمعنى برزوا ظهروا من قبورهم وجا بلفظ الماضي ومعناه الاستقبال
واصل هذا قوله وخاب كل جبار عنيد اي وخابوا لما استفتحوا اي هلكوا

ثم بعثوا للحساب فبرزوا لله جميعا لا يسترهم عنه ساتر لله لاجل امر الله
اياهم بالبروز فقال الضعفاء يعني الاتباع للذين استكبروا وهم
القادة انا كنا لكم تبعا يجوز ان يكون تبع مصدرا والتقدير ذوي تبع ويجوز
ان يكون جمع تابع مثل حارس وحرس وخادم وخدم وراصد ورصد
وباقر وبقر فهل انتم مغنون اي دافعون عنا من عذاب الله من شي اي
شيا ومن صلة يقال اغنى عنه اذا دفع عنه الاذى واغناه اذا اوصل
اليه النفع قالوا لو هدانا الله لهديناكم اي لو هدانا الله الى الايمان لهديناكم
اليه وقيل لو هدانا الله الى طريق الجنة لهديناكم اليها وقيل لو نجانا الله من
العذاب لنجيناكم منه سواء علينا هذا ابتدا خبره اجزعنا اي سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا ما لنا من محيص اي من مهرب وملجا ويجوز ان يكون محيص بمعنى
المصدر ومعنى الاسم يقال حاص فلان عن كذا اي فر وزاغ يحيص حيصا
وحيوصا وحيصانا والمعنى ما لنا وجه نتباعد به عن النار وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول اهل النار اذا اشتد بهم العذاب
تعالوا نصبر فيصبرون خمس مائة عام فلما راوا ان ذلك لا ينفعهم قالوا
هلم فلنجزع فيجزعون ويضجون خمس مائة عام فلما راوا ان ذلك لا ينفعهم
قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال محمد بن كعب
القرظي ذكر لنا ان اهل النار يقول بعضهم لبعض يا هؤلاء انه قد نزل
لكم من البلاء والعذاب ما قد ترون فهلم فلنصبر فلعل الصبر ينفعنا
كما صبر اهل الطاعة على طاعة الله فنفعهم الصبر اذ صبروا فاجمعوا
رايهم على الصبر فصبروا فطال صبرهم ثم جزعوا فنادوا سواء علينا
اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص اي منجا فقام ابليس عند ذلك
فقال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم
من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما

انا

انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي يقول بمغن عنكم شيئا وما انتم بمصرخي اي
لكفرت بما اشركتمون من قبل الحديث بطوله وقد ذكرناه في كتاب
التذكره بكماله **قوله تعالى** وقال الشيطان لما قضي الامر قال
الحسن يقف ابليس يوم القيمه خطيبا في جهنم على منبر من نار يسمعه
الخلائق جميعا ومعنى لما قضي الامر اي حصل اهل الجنه في الجنه واهل
النار في النار على ما ياتي بيانه في سوره مريم عليها السلام ان الله وعدكم
وعد الحق يعني البعث والجنه والنار وثواب المطيع وعقاب العاصي
فصدقكم وعده ووعدتكم ان لا بعث ولا جنه ولا نار ولا ثواب ولا
عقاب فاخلفتكم وروى ابن المبارك من حديث عقبه بن عامر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة قال يقول عيسى
ادلكم على النبي الامي فياتوني فياذن الله لي ان اقوم فيثور مجلسي من اطيب
ريح شمها احد حتى اتي ربي فيشفعني ويجعل لي نورا من شعر راسي الى
ظفر قدمي ثم يقول الكافر قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع
لنا فيقولون ما هو غير ابليس هو الذي اضلنا فياتونه فيقولون قد وجد
المؤمنون من يشفع لهم فقم انت فاشفع لنا فانك اضللتنا فيقوم فيثور
من مجلسه انتن ريح شمه احد ثم يعظم لجهنم ويقول عند ذلك وقال
الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم
الايه ووعد الحق هو اضافة الشي الى نعته كقولهم مسجد الجامع اي
وعدكم الوعد الحق قال الفرا وقال البصريون وعدكم وعد اليوم الحق
اي وعدكم وعد الحق فصدقكم فحذف المصدر لدلاله الحال وما كان لي عليكم
من سلطان اي من حجه وبيان اي ما اظهرت لكم حجه على ما وعدتكم
وزينته لكم في الدنيا الا ان دعوتكم فاستجبتم لي اي اغويتكم فتابعتموني
وقيل لم اقهركم على ما دعوتكم اليه الا ان دعوتكم هو استثنا منقطع اي

لكن دعوتكم بالوسواس فاستجبتم لي باختياركم فلا تلوموني ولوموا انفسكم
وقيل ما كان لي عليكم من سلطان اي على قلوبكم وموضع ايمانكم لكن
دعوتكم فاستجبتم لي قلت وهذا على انه خطب العاصي المومن
والكافر الجاحد وفيه نظر لقوله اذ قضي الامر فانه يدل على انه
خطب الكافر دون العاصين الموحدين والله اعلم فلا تلوموني ولوموا
انفسكم اذا جئتموني من غير حجة ما انا بمصرخكم اي بمغيثكم وما انتم
بمصرخي اي بمغيثي والصارخ والمستصرخ هو الذي يطلب النصرة
والمغاثة والمصرخ هو المغيث قال جندل بن سلامه ::

كنا اذا ما اتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنابيب
ولا تجزعوا اني لكم غير مصرخ وليس لكم عندي غناء ولا نصر

يقال صرخ فلان اي استغاث يصرخ صرخا وصراخا وصرخه
واصطرخ بمعنى صرخ والتصرخ تكلف الصراخ والمصرخ المغيث
والمستصرخ المستغيث تقول منه استصرخني فاصرخته والصريخ
صوت الصارخ وهو المغيث والمستغيث وهو من الاضداد قاله
الجوهري وقراه العامه بمصرخي بفتح اليا وقرا الاعمش وحمزة
بمصرخي بكسر اليا والاصل فيه بمصرخيني فذهبت النون للاضافة
وادغمت يا الجماعه في يا الاضافه فمن نصب فلاجل التضعيف
ولان يا الاضافه اذا سكن ما قبلها تعين فيها الفتح مثل هواي
وعصاي فان تحرك ما قبلها جاز الفتح والاسكان مثل غلامي وغلامي
ومن كسر فلالتقا الساكنين حركت الى الكسر لان اليا اخت
الكسره وقال الفرا قراه وهم منه وقل من سلم منهم عن خطا وقال
الزجاج هذه قراه رديه ولا وجه لها الا وجه ضعيف وقال
قطرب هذه لغه بني يربوع يزيدون على يا الاضافه يا القشيري

وقال الشيباني ...

سوانذى

والذي يعني عن هذا انما ثبت بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز ان يقال فيه خطا او قبح او ردي بل هو في القران فصيح وفيه ما هو افصح اي كفرت بما اشركتموني من قبل اي كفرت باشراككم اياي مع الله تعالى في الطاعة فما بمعنى المصدر وقال ابن جرير كفرت اليوم بما كنتم تدعونه في الدنيا من الشرك لله تعالى قتاده اي عصيت الله قبلكم كفرت بطاعتكم اياي في الدنيا ان الظالمين لهم عذاب اليم وفي هذه الايات رد على القدرية والمعتزلة والامامية ومن كان على طريقتهم انظر الى قول المسوعين لو هدانا الله لهديناكم وقول ابليس ان الله وعدكم وعد الحق كيف اعترفوا بالحق في صفات الله وهم في دركات النار كما قال في موضع اخر ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا وفي موضع اخر كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الى قوله فاعترفوا بذنبهم واعترافهم في دركات لظى نزاعة للشوى ليس ينفع وانما ينفع الاعتراف صاحبه في الدنيا قال الله عز وجل واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم وعسى من الله واجبة **قوله تعالى** وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات اي في جنات لان دخلت لا يتعدى كما لا يتعدى نقيضه وهو خرجت ولا يقاس عليه قاله المهدوي ولما اخبر تعالى بحال اهل النار اخبر بحال اهل الجنة ايضا وقراءة الجماعة ادخل على انه فعل مبني للمفعول وقرا الحسن وادخل على الاستقبال والاستيناف باذن ربهم اي بامره وقيل بمشيئته وتيسيره وقال باذن ربهم ولم يقل باذني تعظيما وتفخيما تحيتهم فيها سلام تقدم في يونس والحمد لله **قوله تعالى** الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة فيه مسئلتان **الاولى**

قوله تعالى الم تر كيف ضرب الله مثلا لما ذكر تعالى مثل اعمال الكفار
وانها كرماد اشتدت به الريح ذكر مثل اقوال المومنين وغيرها
ثم فسر ذلك المثل فقال كلمة طيبة الثمرة فحذف لدلالة
الكلام عليه قال ابن عباس الكلمة الطيبة لا اله الا الله والشجرة
الطيبة المومن وقال مجاهد وابن جريج الكلمة الطيبة الايمان
عطية العوفي والربيع بن انس هي المومن نفسه وقال مجاهد
ايضا وعكرمة الشجرة النخلة فيجوز ان يكون المعنى اصل الكلمة
في قلب المومن وهو الايمان مشبهه بالنخلة في المنبت وشبه
ارتفاع عمله في السما بارتفاع فروع النخلة وثواب الله تعالى له بالثمر
وروى من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان مثل
الايمان كمثل شجرة ثابتة الايمان عروقها والصلاة اصلها والزكاة
فرعها والصيام اغصانها والتاذي في الله نباتها وحسن الخلق ورقها
والكف عن محارم الله ثمرتها ويجوز ان يكون المعنى اصل النخلة ثابت
في الارض اي عروقها تشرب من الارض وتسقيها السما من فوقها فهي
زاكية نامية وخرج الترمذي من حديث انس بن ملك قال اتي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة
كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن
ربها هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق
الارض ما لها من قرار قال هي الحنظلة وروى عن انس قوله وهو اصح
وخرج الدارقطني عن ابن عمر قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتدرون ما هي فوقع في نفسي انها النخلة قال السهيلي ولا
يصح فيها ما روى عن علي بن ابي طالب انها جوزة الهند لما صح عن

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها
وهي مثل المؤمن خبروني ما هي ثم قال هي النخلة خرجه ملك في الموطا
من روايه ابن القسم وغيره الا يحيى فانه اسقطه من روايته وخرجه
اهل الصحيح وزاد فيه الحارث بن ابي اسامه زياده تساوي رحلة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال وهي النخلة لا يسقط لها انملة وكذلك
المؤمن لا يسقط له دعوة تبين معنى الحديث والمماثلة قلت
وذكر الغزنوي عنه عليه السلام مثل المؤمن كالنخلة ان صاحبته نفعك
وان جالسته نفعك وان شاورته نفعك كالنخلة كل شي منها ينتفع
به وقال كلوا من عمتكم يعني النخلة خلقت من فضلة طينة ادم عليه
السلام ولذلك انها اذا راسها يبس وبقلبها تحيى وتثمرها باستزاج الذكر
والانثى وقد قيل انها لما كانت اشبه الاشجار بالانسان شبهت به
وذلك ان كل شجرة اذا قطع راسها تشعبت من الغصون من جوانبها والنخلة
اذا قطع راسها يبست وذهبت اصلا ولانها تشبه الانسان وساير
الحيوان في الالتقاح لانها لا تحمل حتى تلقح قال النبي صلى الله عليه وسلم
خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة واللقاح الابار وسياتي في
سورة الحجر بيانه ولانها من فضلة طينة ادم تعالى ان الله عز وجل
لما صور ادم من الطين فضلت قطعة طين فصورها بيده وغرسها
في جنة عدن قال النبي صلى الله عليه وسلم اكرموا عمتكم قالوا ومن
عمتنا يا رسول الله قال النخلة تؤتي اكلها كل حين قال الربيع كل حين
غدوة وعشية كذلك يصعد عمل المؤمن اول النهار واخره وقاله
ابن عباس وعنه في قوله تؤتي اكلها كل حين قال هو شجرة جوزة الهند
لا يتعطل من ثمره تحمل في كل شهر شبه عمل المؤمن لله عز وجل في كل
وقت بالنخلة التي تؤتي اكلها في اوقات مختلفة وقال الضحاك كل ساعة

من ليل او نهار نشا او صيفا او في جميع الاوقات كذلك المومن لا يخلو
من الخير في الاوقات كلها قال النحاس وهذه الاقوال متقاربه غير
متناقضه لان الحين عند جميع اهل اللغه الا من شذ منهم بمعنى الوقت يقع
لقليل الزمان وكثيره وانشد الاصمعي

تبادرها الراقون من سوء سمها تطلقه حينا وحينا تراجع

فهذا يبين لك ان الحين بمعنى الوقت فالايمان ثابت في قلب المومن
وعمله وقوله وتسبيحه عال مرتفع في السما ارتفاع فروع النخله وما
يكسب من بركه الايمان وثوابه كما ينال من ثمره النخله في اوقات
السنه كلها من الرطب والبسر والبلح والزهو والتمر والطلع وفي
روايه عن ابن عباس ان الشجره الطيبه شجره في الجنه تثمر في كل
وقت ومثلا مفعول بضرب وكلمه بدل منه والكاف من قوله كشجره
في موضع نصب على الحال من كلمه التقدير كلمه طيبه مشبهه بشجره
طيبه الثانيه قوله تعالى تؤتي اكلها كل حين لما كانت الاشجار تؤتي
اكلها كل سنه مره كان في ذلك بيان حلم الحين ولهذا قلنا ان من
حلف لا يكلم فلانا حينا او لا يفعل كذا حينا ان الحين سنه وقد ورد
الحين في موضع اخر يراد به اكثر من ذلك لقوله تعالى هل اتى على
الانسان حين من الدهر قيل في التفسير اربعون عاما وعن عكرمه ان
رجلا قال ان فعلت كذا وكذا الى حين فغلامه حر فاتى عمر بن عبد العزيز
يساله فسالني عنها فقلت ان من الحين حينا لا يدرك لقوله تعالى
وان ادري لعله فتنه لكم ومتاع الى حين فارى ان يمسك ما بين
صرام النخله الى حملها فكانه اعجبه وهو قول ابي حنيفه في الحين
انه سنه اشهر انبا لعكرمه وغيره وقد مضى ما للعلما في الحين
في البقره مستوفي والحمد لله ويضرب الله الامثال اي الاشباه للناس
لعلهم

لعلهم يتذكرون ويعتبرون وقد تقدم **قوله تعالى** ومثل كلمة خبيثة
كشجرة خبيثة الكلمة الخبيثة كلمة الكفر ومثل الكافر نفسه والشجرة
الخبيثة شجرة الحنظل كما في حديث انس وموقوف ابن عباس ومجاهد
وغيرهما وعن ابن عباس ايضا انها شجرة لم تخلق على الارض وقيل هي
شجرة الثوم عن ابن عباس ايضا وقيل الكماة او الطحلبة وقيل الكشوث
وهي شجرة لا ورق لها ولا عروق في الارض قال الشاعر:

وهي كشوث فلا اصل ولا ثمر :. اجتثت من فوق الارض اي اقتلعت
من اصلها قاله ابن عباس ومنه قول لقيط:

هو الجلاء الذي يجتث اصلكم فمن راى مثل ذا آت ومن سمعا

وقال المورج اخذت جثتها وهي نفسها والجثة شخص الانسان قاعدا
وقائما وجثه قلعه واجتثه اقتلعه من فوق الارض اي ليس لها
اصل راسخ يشرب بعروقه من الارض ما لها من قرار اي من اصل في
الارض وقيل من ثبات فكذلك الكافر لا حجة له ولا ثبات ولا خير
فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح وروى معاوية بن صالح
عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله وضرب الله مثلا كلمة طيبة
قال لا اله الا الله كشجرة طيبة قال المؤمن اصلها ثابت لا اله الا الله
ثابتة في قلب المؤمن ومثل كلمة خبيثة قال الشرك كشجرة خبيثة
قال المشرك اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار اي ليس للمشرك
اصل يعمل عليه وقيل يرجع المثل الى الدعاء الى الايمان والدعاء الى الشرك
لان الكلمة يفهم منها القول والدعاء الى الشيء **قوله تعالى** يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت قال ابن عباس هو لا اله الا الله وروى
النسائي عن البراء بن عازب قال قال يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
في الحياة الدنيا وفي الاخرة قال نزلت في عذاب القبر يقال من ربك

وقف

ليقول ربي الله وديني دين محمد صلى الله عليه وسلم فذلك قوله يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت في الحياه الدنيا وفي الاخره **قلت**
وقد جا هكذا موقوفا في بعض طرق مسلم عن البرا قوله والصحيح فيه الرفع
كما في صحيح مسلم وكتاب النساي وابي داود وابن ماجه وغيرهم
عن البرا عن النبي صلى الله عليه وسلم : وذكر البخاري ثنا جعفر بن عمر
قال ثنا شعبه عن علقمه بن مرثد عن سعد بن عبيده عن البرا بن
عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اقعد المومن في قبره
اتي ثم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت
الله الذين امنوا بالقول الثابت الايه وقد بينا هذا الباب في كتاب
التذكره وبينا هناك من يفتن في قبره ويسل فمن اراد الوقوف عليه
تامله هناك وقال سهل بن عمار رايت يزيد بن هارون في المنام بعد
موته فقلت له ما فعل الله بك قال انه اتاني في قبري ملكان فظان
غليظان فقالا ما دينك ومن ربك ومن نبيك فاخذت بلحيتي البيضا
وقلت المثلي يقال وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنه فذهبا وقالا
اكتبت عن جرير بن عثمان قلت نعم فقالا انه كان يبغض عليا رضي ابغضه
الله وقيل معنى يثبت الله يديمهم الله على القول الثابت ومنه قول
عبد الله بن رواحه شعرا:

يثبت الله ما اتاك من حسن تثبيت موسى ونصرا كالذي نصرا

وقيل يثبتهم في الدارين جزا لهم على القول الثابت وقال القفال
وجماعه في الحياه الدنيا اي في القبر لان الموتى في الدنيا الى ان يبعثوا
وفي الاخره اي عند الحساب وحكاه الماوردي عن البرا قال المراد
بالحياه الدنيا المسايله في القبر وبالاخره المسايله في القيمه : ويضل
الله الظالمين اي عن حجتهم في قبورهم كما ضلوا في الدنيا بكفرهم فلا

يلقنهم

يلقنهم كلمة الحق فاذا سيلوا في قبورهم قالوا لا ندري فيقال لا دريت
ولا دريت وبعد ذلك يضرب بالمقامع على ما ثبت في الاخبار وقد
ذكرنا ذلك في كتاب التذكرة وقيل يثبتهم حتى يزدادوا ضلالا في
الدنيا ويفعل الله ما يشا من عذاب قوم واضلال قوم وقيل ان
سبب نزول هذه الاية ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لما
وصف مسايلة منكر ونكير وما يكون من جواب الميت قال عمر
يا رسول الله ايكون معي عقلي قال نعم قال كفيت اذا فانزل الله
عز وجل هذه الاية **قوله تعالى** الم تر الى الذين بدلوا نعمة
الله كفرا اي جعلوا بدل نعمة الله عليهم الكفر في تكذيبهم محمدا
صلى الله عليه وسلم حين بعثه الله منهم وفيهم فكفروا به والمراد مشركوا
قريش وان الاية نزلت فيهم عن ابن عباس وعلي وغيرهما وقيل نزلت
في المشركين الذين قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقال ابو الطفيل
سمعت عليا رضي الله عنه يقول هم قريش الذين نحروا يوم بدر وقيل نزلت
في الافجرين من قريش بني مخزوم وبني امية فاما بنو امية فمتعوا حتى
حين واما بنو مخزوم فاهلكوا يوم بدر قاله علي بن ابي طالب وعمر بن
الخطاب رضي الله عنهما وقول رابع انهم متنصرة العرب جبلة بن الايهم
واصحابه حين لطم فجعل له عمر القصاص بمثلها فلم يرض وانف فارتد
متنصرا ولحق بالروم في جماعة من قومه عن ابن عباس وقتادة ولما
صار الى بلد الروم ندم وقال:

تنصرت للاشراف من عار لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
فيا ليتني ارعى المخاض ببلدة ... ولم انكر القول الذي قاله عمر

وقال الحسن انها عامة في جميع المشركين واحلوا قومهم اي انزلوهم
قال ابن عباس هم قادة المشركين يوم بدر احلوا قومهم اي الذين اتبعوهم

دار البوار فقيل جهنم قاله ابن زيد وقيل يوم بدر قاله علي رضي الله عنه ومجاهد والبوار الهلاك ومنه قول الشاعر

فلم ار مثلهم ابطال حرب غداه الحرب اذا خيف البوار

جهنم يصلونها بين ان دار البوار جهنم كما قال ابن زيد وعلى هذا لا يجوز الوقف على دار البوار لان جهنم منصوبه على الترجمه عن دار البوار فلو رفعها رافع باضمار على معنى هي جهنم او بما عاد من الضمير في يصلونها يحسن الوقف على دار البوار وبيس القرار اي المستقر **قوله تعالى** وجعلوا لله اندادا اي اصناما عبدوها وقد تقدم في البقره ليضلوا عن سبيله اي عن دينه وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح اليا وكذلك في الحج ليضل عن سبيل الله ومثله لقمان والزمر وضمها الباقون على معنى ليضلوا الناس عن سبيله واما من فتح فعلى معنى انهم يضلون عن سبيل الله على اللزوم اي عاقبتهم الى الاضلال والضلال فهذه لام العاقبه قل تمتعوا وعيد لهم وهو اشاره الى تقليل ما هم فيه من ملاذ الدنيا اذ هو منقطع فان مصيركم الى النار اي مردكم ومرجعكم الى عذاب جهنم **قوله تعالى** قل لعبادي الذين امنوا اي من اهل مكه بدلوا نعمه الله بالكفر قل لمن امن وحقق عبوديته ان يقيموا الصلاه يعني الصلوات الخمس اي قل لهم اقيموا والامر معه شرط مقدر يقول اطع الله يدخلك الجنه اي ان اطعته يدخلك الجنه هذا قول الفرا وقال الزجاج يقيموا مجزوم بمعنى اللام اي ليقيموا فاسقطت اللام لان الامر دل على الغايب بقل قال ويحتمل ان يقال يقيموا جواب امر محذوف اي قل لهم اقيموا الصلاه يقيموا الصلاه وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانيه يعني الزكاه عن ابن عباس وغيره وقال الجمهور السر ما

حتى

خفي والعلانية ما ظهر وقال القاسم بن يحيى ان السر التطوع والعلانية الفرض وقد مضى هذا المعنى في البقرة مجوّداً عند قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هي من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال تقدم في البقرة ايضاً وخلال جمع خلة كقلال وقلة قال قلت في معنى الخلال ولا قال

قوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض اي ابدعهما واخترعهما على غير مثالٍ سبق وانزل من السماء اي من السحاب ماءً فاخرج به من الثمرات اي من الشجر ثمراتٍ رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره تقدّم معناه في البقرة وسخر لكم الانهار يعني البحار العذبة لتشربوا منها وتسقوا وتزرعوا والبحار المالحة لاختلاف المنافع من الجهات وسخر لكم الشمس والقمر دائبين اي في اصلاح ما يصلحانه من النبات وغيره والدووب مرور الشي في العمل على عادةٍ جارية وقيل دائبين في السير امتثالاً لامر الله والمعنى تجريان الى يوم القيمة لا يفتران روى معناه عن ابن عباس وسخر لكم الليل والنهار اي لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار كما قال ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وآتاكم من كل ما سالتموه اي اعطاكم من كل مسؤول سالتموه شيئاً فحذف عن الاخفش وقيل المعنى وآتاكم من كل ما سالتموه ومن كل ما لم تسالوه فحذف فلم تسأله شمساً ولا قمراً ولا كثيراً من نعمه التي ابتدانا بها وهذا كما قال سرابيل تقيكم الحر على ما ياتي وقيل من زائدة اي اتاكم كل ما سالتموه وقرا ابن عباس والضحاك وغيرهما وآتاكم من كلٍّ بالتنوين ما سالتموه وقد رويت هذه القراءة عن الحسن الضحاك وقتادة هي على النفي اي من كل لم تسالوه كالشمس والقمر وغيرهما وقيل من كل شي ما سالتموه وان تعدوا نعمة الله اي نعم الله لا تحصوها اي لا تطيقوا عدّها ولا تقوموا بحصرها لكثرتها كالسمع والبصر وتقويم الصور

الى غير ذلك من العافية والرزق نعم لا تحصى وهذه النعم من الله فلم
تبدلوا نعمة الله بالكفر وهلا استعنتم بها على الطاعة ان الانسان
لظلوم كفار الانسان لفظ جنس واراد به الخصوص قال ابن عباس
اراد ابا جهل وقيل جميع الكفار قوله تعالى واذ قال ابراهيم
رب اجعل هذا البلد امنا يعني مكة وقد مضى في البقرة قوله واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام اي اجعلني جانبا من عبادتها واراد بقوله وبني
بنيه من صلبه وكانوا ثمانية فما عبد احد منهم صنما وقيل هو دعا لمن
اراد الله ان يدعو له وقرا الجحدري وعيسى واجنبني بقطع الالف
والمعنى واحد يقال جنبته ذلك الامر واجنبته وجنبته اياه فتجانبه
واجتنبه اي تركه وكان ابراهيم التيمي يقول في قصصه من يامن من البلاء
بعد الخليل حين يقول واجنبني وبني ان نعبد الاصنام كما عبدها
ابي وقومي قوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس لما
كانت سببا للاضلال اضاف الفعل اليهن مجازا فان الاصنام
جمادات لا تفعل فمن تبعني اي في التوحيد فانه مني اي من اهل ديني
ومن عصاني اي اصر على الشرك فانك غفور رحيم قيل قال هذا قبل
ان يعرفه الله ان الله لا يغفر ان يشرك به وقيل غفور لمن تاب من
معصيته قبل الموت وقال مقاتل بن حيان ومن عصاني فيما دون
الشرك قوله تعالى ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي
زرع عند بيتك المحرم الى قوله تشكرون فيه ست مسائل الاولى
روى البخاري عن ابن عباس اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام
اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها
اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق
زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما

هنالك ووضع عندها جرابا فيه تمر وسقا فيه ما ثم قفا ابراهيم
منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا
الوادي الذي ليس فيه انس ولا شي فقالت له ذلك مرارا وجعل
لا يلتفت فقالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم
رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنيه حيث لا يراه احد
استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات ورفع يديه فقال
رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت
ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الما حتى اذا نفد ما في السقا
عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط
فانطلقت كراهيه ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في
الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي رفعت طرف درعها
ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروه
فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع
مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي الناس
بينهما فلما اشرفت على المروه سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها
ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث
فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر
الما فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الما في سقاها
وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
يرحم الله ام اسمعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الما لكانت
زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك
لا تخافي الضيعه فان هاهنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وابوه وان
الله لا يضيع اهله وذكر الحديث بطوله **مسله** لا يجوز لاحد

ان يعلق بهذا في طرح ولده وعياله بارض مضيعه اتكالا على العزيز الرحيم
واقتدا بفعل ابراهيم الخليل كما فعله علماء الصوفيه في حقيقه التوكل
فان ابراهيم فعل ذلك بامر الله تعالى لقولها في الحديث الله امرك بهذا
قال نعم ، وقد روي ان ساره لما غارت لها هاجر بعد ان ولدت اسمعيل
خرج بها ابراهيم عليه السلام الى مكه فروي انه ركب البراق هو وهاجر
والطفل لجا في يوم واحد من الشام الى بطن مكه وترك ابنه وامته
هنالك وركب منصرفا من يومه وكان ذلك كله بوحي من الله تعالى
فلما ولى دعا بما تضمن هذه الايه **الثانيه** لما اراد الله تاسيس
الحال وتمهيد المقام وخط الموضع للبيت المكرم والبلد المحرم ارسل
الملك فبحث عن الما واقامه مقام الغذاء ، وفي الصحيح ان ابا ذر رضي
الله عنه اجتزا به ثلاثين من يوم وليله قال ابو ذر ما كان لي طعام
الا ما زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما اجد على كبدي سخفه
جوع وذكر الحديث وروى الدارقطني عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زمزم لما شرب له ان شربته تستشفي
به شفاك الله وان شربته لتشبعك اشبعك الله به وان شربته لقطع
ظماك قطعه وهي هزمه جبريل وسقيا الله اسمعيل وروى ايضا عن
عكرمه قال كان ابن عباس اذا شرب من زمزم قال اللهم اني اسالك
علما نافعا ورزقا واسعا وشفا من كل دا قال ابن العربي
وهذا موجود فيه الى يوم القيمه لمن صحت نيته وسلمت طويته
لشربه صح
ولم يكن به مكذبا ولا يشربه مجربا فان الله مع المتوكلين وهو يفضح المجربين
وقال ابو عبد الله محمد بن علي الترمذي وحدثني ابي رحمه الله قال
دخلت الطواف في ليله ظلما فاخذني من البول ما شغلني
فجعلت اعتصر حتى اذاني وخفت ان خرجت من المسجد ان

الطابعض بتلك الاقدار وذلك ايام الحاج فذكرت هذا الحديث فدخلت
زمزم فتضلعت منه فذهب عني الصداع وروي عن عبد الله بن
عمرو ان في زمزم عينا من الجنة من قبل الركن **الثالثة** قوله
تعالى من ذريتي من في قوله تعالى من ذريتي للتبعيض اي اسكنت بعض
ذريتي قوله تعالى عند بيتك المحرم يدل على ان البيت كان قديما
على ما روي قبل الطوفان وقد مضى هذا المعنى في سورة البقرة
واضاف البيت اليه لانه لا يملكه غيره ووصفه بانه محرم لانه
يحرم فيه ما يستباح في غيره من جماع واستحلال وقيل محرما اي
على الجبابرة وان تنتهك حرمته ويستخف بحقه قاله قتادة وغيره
وقد مضى القول في هذا في المائدة **الرابعة** قوله تعالى
ربنا ليقيموا الصلاة خصها من جملة الدين لفضلها فيه ومكانها منه
وهي عهد الله عند العباد قال النبي صلى الله عليه وسلم خمس صلوات
كتبهن الله على العباد الحديث واللام في ليقيموا الصلاة لام كي هذا
هو الظاهر فيها وتكون متعلقة باسكنت ويصح ان تكون لام امر
كانه رغب الى الله ان يوفقهم لاقامة الصلاة **الخامسة**
تضمنت هذه الاية ان الصلاة بمكة افضل من الصلاة بغيرها لان
معنى ربنا ليقيموا الصلاة اي اسكنتهم عند بيتك المحرم ليقيموا الصلاة
فيه وقد اختلف العلماء هل الصلاة بمكة افضل او في مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم فذهب عامة اهل الاثر الى ان الصلاة في المسجد
الحرام افضل من الصلاة في مسجد الرسول بمائة صلاة واحتجوا
بحديث عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد
الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام افضل من صلاة في

مسجدي هذا امامه صلاه قال الامام الحافظ ابو عمر اسند هذا
الحديث حبيب المعلم عن عطا بن ابي رباح عن عبد الله بن الزبير
وجوده ولم يخلط في لفظه ولا في معناه وكان ثقه قال ابن ابي
خيثمه سمعت يحيى بن معين يقول حبيب المعلم ثقه وذكر عبد
الله بن احمد قال سمعت ابي يقول حبيب المعلم ثقه ما اصح
حديثه وسيل ابو زرعه الرازي عن حبيب المعلم فقال بصري
ثقه **قلت** وقد اخرج حديث حبيب المعلم هذا عن
عطا بن ابي رباح عن عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم
الحافظ ابو حاتم محمد بن حبان التميمي البستي في المسند الصحيح له
فالحديث صحيح وهو الحجه عند التنازع والاختلاف والحمد لله
قال ابو عمر وقد روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل
حديث ابن الزبير رواه موسى الجهني عن نافع عن ابن عمر وموسى
الجهني كوفي اثنى عليه القطان واحمد ويحيى وجماعتهم وروى
عنه شعبه والثوري ويحيى بن سعيد وروى حكيم بن سيف
نا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم عن عطا بن ابي رباح عن جابر بن
عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاه في مسجدي
هذا افضل من الف صلاه فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاه
في المسجد الحرام افضل من مايه الف فيما سواه وحكيم بن سيف
هذا شيخ من اهل الرقه قد روى عنه ابو زرعه الرازي واخذ
عنه ابن وضاح وهو عندهم شيخ صدوق لا باس به فان كان
حفظ فهما حديثان والا فالقول قول حبيب المعلم وروى
محمد بن وضاح نا يوسف بن عدي عن عمر بن عبيد عن عبد الملك
عن عطا عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة في غيره الا المسجد الحرام
فان الصلاة فيه افضل قال ابو عمر وهذا كله نص في موضع الخلاف
قاطع له عند من الهم رشده ولم يمل به عصبية وذكر ابن ابي
حبيب عن مطرف وعن اصبغ عن ابن وهب انهما كانا يذهبان
الى تفضيل الصلاة في المسجد الحرام على الصلاة في مسجد النبي صلى
الله عليه وسلم على ما في هذا الباب وقد اتفق مالك وسائر العلماء
على ان صلاة العيدين يبرز لهما في كل بلد الا بمكة فانها تصلى في
المسجد الحرام وكان عمر وعلي وابن مسعود وابو الدرداء وجابر
يفضلون مكة ومسجدها وهم اولى بالتقليد ممن بعدهم والى هذا
ذهب الشافعي وهو قول عطاء والمكيين والكوفيين وروى مثله عن
مالك ذكره ابن وهب في جامعه عن مالك ان ادم عليه السلام لما
اهبط الى الارض قال يا رب هذه احب اليك ان يعبد فيها قال
بل مكة والمشهور عنه وعن اهل المدينة تفضيل المدينة واختلف
اهل البصرة والبغداديون في ذلك فطائفة تقول مكة وطائفة
تقول المدينة **السادسة** قوله تعالى فاجعل افئدة من الناس
تهوي اليهم الافئدة جمع فؤاد وهي القلوب وقد يعبر عن القلب بالفؤاد
كما قال الشاعر: وان فؤادا قادني بصبابة اليك على طول الهوى لصبور
وقيل جمع وفد والاصل اوفدة فقدمت الفاء وقلبت الواو ياء كانه
الافئدة جمع وافد فكانه قال واجعل وفودا من الناس تهوي اليهم
اي تنزع يقال هوى نحوه اذا مال وهوت الناقة تهوي هويا فهي
هاوية اذا عدت عدوا شديدا كانها في هوي بئر وقوله تهوي
اليهم ماخوذ منه قال ابن عباس ومجاهد لو قال افئدة الناس لازدحمت
عليه فارس والروم والترك والهند واليهود والنصارى والمجوس

ولكن قال من الناس منهم المسلمون وبقوله تهوى اليهم اى يحن اليهم ويحن
الى زيارة البيت وقرا مجاهد تهوى اليهم اى تهواهم وتحبهم وارزقهم
من الثمرات لعلهم يشكرون فاستجاب الله دعاءه وانبت له بالطائف
سائر الاشجار وما يجلب اليهم من الامصار وفي صحيح البخاري عن ابن
عباس الحديث الطويل وقد ذكرنا بعضه فجاء ابراهيم بعدما تزوج
اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسال امرأته عنه فقالت
خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن
في ضيق وشدة فشكت اليه قال فاذا جاء زوجك اقرئي
عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كانه انس
شيئا فقال هل جاءكم من احد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا
عنك فاخبرته وسألني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة
قال فهل اوصاك بشيء قالت امرني ان اقرأ عليك السلام ويقول
غير عتبة بابك قال ذاك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي
باهلك وطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله
ثم اتاهم بعد فلم يجده ودخل على امرأته فسألها عنه فقالت
خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت
نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل قال ما طعامكم قالت
اللحم قال فما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء
قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان
لهم دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه
وذكر الحديث وقال ابن عباس فقوله ابراهيم واجعل افئدة من الناس
تهوى اليهم سوال ان يجعل الله الناس تهوى الى السكنى بمكة فيصير
بيتا محرما وكل ذلك كان والحمد لله واول من سكنه جرهم ففي

البخاري بعد قوله ان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من
الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وشماله وكانت
كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم فاقبلن من طريق كدا فنزلوا
باسفل الوادي ومايته ما فارسلوا جريا او جريين فاذاهم بالما فاخبروهم
بالما فاقبلوا فقالوا ام اسمعيل عند الما فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل
عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الما قالوا نعم قال ابن عباس قال
النبي صلى الله عليه وسلم دلك ام اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا
وارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها اهل ابيات
منهم وشب الغلام وماتت ام اسمعيل فجا ابراهيم بعدما تزوج
اسمعيل يطالع تركته الحديث **قوله تعالى** ربنا انك تعلم
ما نخفي وما نعلن اي ليس يخفى عليك شي من احوالنا وقال
ابن عباس ومقاتل تعلم جميع ما اخفيه وما اعلنه من الوجد
باسمعيل وامه حيث اسكنتهما بواد غير ذي زرع وما يخفى على
الله من شي في الارض ولا في السما قيل هو من قول ابراهيم وقيل
هو من قول الله تعالى لما قال ابراهيم ربنا انك تعلم ما نخفي
وما نعلن وما يخفى على الله من شي الحمد لله الذي وهب لي على
الكبر اي على الكبر في سن ابراهيم قال ابن عباس ولد له اسمعيل
وهو ابن سبع وسبعين سنة واسحق وهو ابن مايه واثني عشرة سنة وقال
سعيد بن جبير بشر ابراهيم باسحق بعد عشرة ومايه ~~واثني عشرة~~
سنة ان ربي لسميع الدعا **قوله تعالى** رب اجعلني
مقيم الصلاة اي من الكثير يثبت على الاسلام والتزام احكامه
ومن ذريتي اي واجعل من ذريتي من يقيمها ربنا وتقبل دعاي
اي عبادتي كما قال وقال ربكم ادعوني استجب لكم وقال عليه السلام

الذبائح العباده وقد تقدم في البقره ربنا اغفرلي ولوالدي وللمومنين
قيل استغفر ابراهيم لوالديه قبل ان يتبين عنده انهما عدوان لله قال
القشيري ولا يبعد ان تكون امه مسلمه لان الله ذكر عذره في استغفاره
لابيه دون امه **قلت** وعلى هذا تدل قراه سعيد بن جبير رب
اغفرلي ولوالدي يعني اباه وقيل استغفر لهما طمعا في ايمانهما وقيل
استغفر لهما بشرط ان يسلما وقيل اراد ادم وحوا وقد روي ان العبد
اذا قال اللهم اغفرلي ولوالدي وكان ابواه قد ماتا كافرين انصرفت
المغفره الى ادم وحوا لانهما والدا الخلق اجمع وقيل انه اراد ولديه
اسمعيل واسحق وكان ابراهيم النخعي يقرا ولولدي يعني ابنيه وكذلك
قرا يحيى بن يعمر ذكره الماوردي والنحاس وللمومنين قال ابن عباس
من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المومنون كلهم وهو اظهر يوم يقوم
الحساب اي يوم يقوم الناس للحساب

قوله تعالى

ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون هذا تسليه للنبي صلى الله عليه
وسلم بعد ان اعجبه من افعال المشركين ومخالفتهم دين ابراهيم
اي اصبر كما صبر ابراهيم واعلم المشركين ان تاخير العذاب ليس للرضى
بافعالهم بل سنه الله امهال العصاه مده قال ميمون بن مهران
هذا وعيد للظالم وتعزية للمظلوم انما يوخرهم يعني مشركي مكه
يمهلهم ويوخر عذابهم وقراه العامه يوخرهم بالياء واختاره ابو
عبيد وابو حاتم لقوله ولا تحسبن الله وقرا الحسن والسلمي وروي
عن ابي عمرو ايضا نوخرهم بالنون للتعظيم ليوم تشخص فيه الابصار
اي لا تغمض من هول ما تراه في ذلك اليوم قاله الفرا يقال
شخص الرجل بصره وشخص البصر نفسه اي سما وطمح من هول
ما يرى قال ابن عباس تشخص ابصار الخلائق يومئذ الى الهوا

لشده

لشده الحيرة فلا يرتضون مهطعين اي مسرعين قاله الحسن وقتاده
وسعيد بن جبير ماخوذ من اهطع يهطع اهطاعا اذا اسرع ومنه
قوله تعالى مهطعين الى الداعي اي مسرعين وقال الشاعر

بدجلة داهم ولقد اراهم بدجلة مهطعين الى السماع

وقيل المهطع الذي ينظر في ذل وخشوع اي ناظرين من غير ان
يطرفوا قاله ابن عباس وقال مجاهد والضحاك مهطعين اي
مديمي النظر للحاسر والمعروف في اللغة ان يقال اهطع اذا اسرع
قال ابو عبيد وقد يكون الوجهان جميعا الاسراع مع ادامة النظر
وقال ابن زيد المهطع الذي لا يرفع راسه مقنعي رووسهم اي رافعي رووسهم
ينظرون في ذل واقناع الراس رفعه قاله ابن عباس ومجاهد قال ابن
عرفه والقتيبي وغيرهما المقنع الذي يرفع راسه ويقبل ببصره على ما بين يديه
ومنه الاقناع في الصلاة واقنع صوته اذا رفعه وقال الحسن وجوه
الناس يوميذ الى السما لا ينظر احد الى احد وقيل ناكسي رووسهم قال المهدوي
ويقال اقنع اذا رفع راسه واقنع اذا طاطا راسه ذله وخضوعا والايه
محتمله للوجهين وقاله المبرد والقول الاول اعرف في اللغه قال
الراجز: انغض نحوي راسه واقنعا كانما ابصر شيا اطمعا: وقال الشماخ

ياكرن العضاة مقنعات نواجذهن كالحدا الوقيع

يعني رووس مرفوعات اليها لتتناولهن ومنه قيل مقنعه لارتفاعها ومنه قنع
الرجل اذا رضي اي رفع راسه عن السوال وقنع اذا سال اي اتى ما يتقنع
منه عن النحاس وفم مقنع اي معطوفه اسنانه الى داخل على مفنع
بالتشديد اي عليه بصنه قاله الجوهري لا يرتد اليهم طرفهم اي
لا ترجع اليهم ابصارهم من شده النظر فهي شاخصه النظر يقال
طرف الرجل يطرف طرفا اذا اطبق جفنه على الاخر فسمى النظر

طرفا لانه به يكون والطرف العين قال عنتره ::

واغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي ماواها

واقصر طرفي دون جميل كرامه لجملو للطرف الذي انا ماصره

وافيدتهم هوا اي لا يعني شيا من شده الحرف ابن عباس خاليه من كل خير السدي خرجت قلوبهم من صدورهم فتشبث في حلوقهم وقال مجاهد ومره وابن زيد خاويه خربه مخترقه ليس فيها خير ولا عقل كقولك في البيت الذي ليس فيه شي انما هو هوا قاله ابن عباس والهوا في اللغه المجوف الخالي ومنه قول حسان ::

الا ابلغ ابا سفيان عني فانت مجوف نخب هوا

رجل نخب لا فوا اد له وقال زهير يصف ناقته ::

كان الرحل منها فوق صعل من الظلمان جوجوه هوا

اي خال وفي التنزيل واصبح فواد ام موسى فارغا اي من كل شي الا هم موسى وقيل في الكلام اضمار اي ذات هوا وخلا **قوله تعالى** وانذر الناس قال ابن عباس اراد اهل مكه يوم ياتيهم العذاب وهو يوم القيمه اي خوفهم ذلك اليوم وانما خصه يوم العذاب وان كان يوم الثواب لان الكلام خرج مخرج التهديد للعاصي فيقول الذين ظلموا اي في ذلك اليوم ربنا اخرنا اي امهلنا الى اجل قريب سالوا الرجوع الى الدنيا حين ظهر الحق في الاخره نجب دعوتك اي الى الايمان ونتبع الرسل فيجابوا اولم تكونوا اقسمتم من قبل يعني في دار الدنيا ما لكم من زوال قال مجاهد هو قسم قريش انهم لا يبعثون ابن جريج هو ما حكاه عنهم في قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت اي لا يبعثون ولا يحشرون وهذا قول مجاهد الثاني ما لكم من زوال اي من العذاب وذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي قال لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله

تعالى

صعل صغير الراس الظلمان ذكر النعام جوجوه صدره

تعالى في اربعه فاذا كان في الخامسه لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا
امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل
فيجيبهم الله ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تومنوا فالحكم
لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون
فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقا يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا
عذاب الخلد بما كنتم تعملون ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب
دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم
من زوال فيقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله
تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاكم النذير فذوقوا فما للظالمين
من نصير ويقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فيجيبهم
الله تعالى اخسوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا اخرجه
ابن المبارك في رقايقه باطول من هذا وقد كسناه في كتاب التذكره
وزاد في الجواب وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم
كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وقد مكروا مكرهم وعند
الله مكرهم لتزول منه الجبال قال هذه الثالثه وذكر الحديث
وزاد بعد قوله اخسوا فيها ولا تكلمون فانقطع عند ذلك الدعا والرجا
واقبل بعضهم على بعض ينبح بعضهم في وجه بعض واطبقت عليهم قال
فحدثني الازهر بن ابي الازهر انه ذكر له ان ذلك قوله هذا يوم لا
ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون **قوله تعالى** وسكنتم اي
بلاد ثمود ونحوها فهلا اعتبرتم بمساكنهم بعد ما تبين لكم ما فعلنا بهم
وبعد ان ضربنا لكم الامثال في القران وقرا ابو عبد الرحمن السلمي
ونبين لكم بالنون والجزم على انه مستقبل ومعناه الماضي والمناسب
قوله كيف فعلنا بهم وقراه الجماعه وتبين وهي مثلها في المعنى لان

ذلك لا يتبين لهم الا بتبيين الله اياهم وقد مكروا مكرهم اي بالشرك بالله
وتكذيب الرسل والمعانده عن ابن عباس وغيره وعند الله مكرهم
اي جزا مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ان بمعنى ما اي
ما كان مكرهم لتزول منه الجبال لضعفه ووهنه وان بمعنى ما
في القران في خمسة مواضع احدها هذا الثاني فان كنت في شك
مما انزلنا اليك الثالث لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان
كنا اي ما كنا الرابع قل ان كان للرحمن ولد الخامس ولقد مكناهم فيما ان
مكناكم فيه وقراه الجماعه وان كان بالنون وقرا علي وابن مسعود وابي
وان كاد بالدال والعامه على كسر اللام في لتزول على انها لام الجحود
وفتح اللام الثانيه نصبا وقرا ابن محيصن وابن جريج والكسائي لتزول
بفتح اللام الاولى على انها لام الابتدا ورفع الثانيه وان مخففه
من الثقيله ومعنى هذه القراه استعظام مكرهم اي ولقد عظم
مكرهم حتى كادت الجبال تزول منه قال الطبري الاختيار القراه
الاولى لانها لو كانت زالت لم تكن ثابته قال ابو بكر الانباري ولا
حجه على مصحف المسلمين في الحديث الذي حدثناه احمد بن الحسين نا
عثمان بن ابي شيبه نا وكيع بن الجراح عن اسرائيل عن ابي اسحق عن عبد
الرحمن بن دانيل قال سمعت علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول
ان جبارا من الجبابره قال لا انتهي حتى اعلم من في السماوات فعمد
الى فراخ نسور فامر ان يطعم اللحم حتى اذا اشتدت وعضلت واستعلجت
امر بان يتخذ تابوت يسع فيه رجلين وان يجعل فيه عصا في راسها
لحم شديد حمرته وان يستوثق من ارجل النسور بالاوتار وتشد
الى قوائم التابوت ثم جلس هو وصاحب له في التابوت واثار النسور
فلما رات اللحم طلبته فجعلت ترفع التابوت حتى بلغت به ما شا

عمرو

الله

الله فقال الجبار لصاحبه افتح الباب فانظر ماذا ترى فنظر فقال
ارى الجبال كانها ذباب فقال اغلق الباب ثم صعدت بالتابوت
ما شاء الله ان يصعد فقال الجبار لصاحبه افتح الباب فانظر ما ترى
فقال ما ارى الا السما وما نزداد منها الا بعدا فقال نكس العصا
فنكسها فانقضت النسور فلما وقع التابوت على الارض سمعت له
هدة كادت الجبال تزول عن مراتبها قال فسمعت عليا رضي الله عنه
يقرا وان كان مكرهم لتزول بفتح اللام الاولى من لتزول وضم الثانية
وقد ذكر الثعلبي هذا الخبر بمعناه وان الجبار هو النمرود الذي حاج
ابراهيم في ربه وقال عكرمة كان معه في التابوت غلام امرد وقد
حمل القوس والنبل فرمى بهما فعادا اليه ملطخين بالدم وقال كفيت نفسك
اله السماء وقال عكرمة تلطخ بدم سمكة من السماء قذفت نفسها اليه
من بحر في الهوا معلق وقيل طاير من الطير اصابه السهم ثم امر نمرود
صاحبه ان يصوب العصا وان ينكس اللحم فهبطت النسور بالتابوت
فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور ففزعت وظنت انه
قد حدث من السما وان الساعة قد قامت فذلك قوله وان كان
مكرهم لتزول منه الجبال قال القشيري وهذا جائز بتقدير خلق
الحياة في الجبال وذكر الماوردي عن ابن عباس ان النمرود بن
كنعان بنى الصرح في قرية الرس من سواد الكوفة وجعل طوله
خمسة الاف ذراع وخمسين ذراعا وعرضه ثلاثة الاف ذراع
وخمسة وعشرين وصعد منه مع النسور فلما علم انه لا سبيل له الى
السماء اتخذه حصنا وجمع فيه اهله وولده ليتحصن فيه فاتى الله بنيانه
من القواعد فتداعى الصرح عليهم فهلكوا جميعا فهذا معنى وقد مكروا
مكرهم وفي الجبال التي عني زوالها بمكرهم وجهان احدها جبال

الارض الثاني الاسلام والقران لانه لثبوته ورسوخه كالجبال
وقال القشيري وعند الله مكرهم اي هو عالم بذلك فيجازيهم او عند
الله جزا مكرهم فحذف المضاف وان كان مكرهم لتزول منه الجبال
بكسر اللام اي ما كان مكرهم مكرا يكون له اثر وخطر عند الله تعالى
فالجبال مثل لامر النبي صلى الله عليه وسلم وقيل اي وان كان مكرهم في
تقديرهم لتزول منه الجبال ويؤثر في ابطال الاسلام وقرى
لتزول بفتح اللام الاولى وضم الثانية اي كان مكرا عظيما تزول
منه الجبال ولكن الله حفظ رسوله صلى الله عليه وسلم وهو لقوله تعالى
وقد مكروا مكرا كبارا والجبال لا تزول ولكن العبارة عن تعظيم الشي
هكذا تكون **قوله تعالى** فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله اسم
الله تعالى ومخلف مفعولا تحسب ورسله مفعول وعده وهو على الاتساع
والمعنى مخلف رسله وعده قال الشاعر

ترى الثور فيها مدخل الظل راسه وسائره باد الى الشمس اجمع

قال القتبي هو من المقدم الذي يوضحه التاخير والموخر الذي يوضحه التقدم
وسوا في ذلك مخلف وعده رسله ومخلف رسله وعده ان الله عزيز ذو
انتقام اي من اعدائه ومن اسمائه المنتقم وقد بيناه في الكتاب الاسنى في
شرح اسما الله الحسنى **قوله تعالى** يوم تبدل الارض غير
الارض اي اذكر يوم تبدل الارض وغير نعت لمحذوف التقدير
ارضا غير الارض ويحتمل ان يكون المراد ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل
الارض فيكون متعلقا بما قبله وقيل هو صفة لقوله يوم يقوم الحساب
واختلف في كيفية تبديل الارض فقال كثير من الناس ان تبديل الارض
عبارة عن تغير صفاتها وتسوية اكامها ونسف جبالها ومد ارضها
ورواه ابن مسعود رضي الله عنه خرجه ابن ماجه في سننه وذكره ان

رسله مع

المبارك

المبارك من حديث شهر بن حوشب قال حدثني ابن عباس قال اذا كان يوم
القيمة مدت الارض مد الاديم وزيد في سعتها كذا وكذا وذكر الحديث
وروي مرفوعا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض
غير الارض فيبسطها ويمدها مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا
ولا امتا ثم يزجر الله الخلق زجرة فاذا هم في الساهرة في مثل مواضعهم
من الاولى ظهرها وبطنها ذكره الغزنوي وتبديل السماء بتكوير شمسها
وقمرها وتناثر نجومها قاله ابن عباس وقيل اختلاف احوالها فمرة
كالمهل ومرة كالدهان حكاه ابن الانباري وقد ذكرنا هذا الباب
مبينا في كتاب التذكرة وذكرنا ما للعلماء في ذلك وان الصحيح ازالة
عين هذه الارض حسب ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم روى
مسلم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت قائما
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من احبار اليهود فقال
السلام عليك يا محمد وذكر الحديث وفيه فقال اليهودي اين يكون
الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هم في الظلمة دون الجسر معلا وذكر الحديث وخرج
عن عائشة رضي الله عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات فاين يكون الناس
يومئذ قال على الصراط خرجه ابن ماجه باسناد مسلم سوا وخرجه
الترمذي عن عائشة وانها هي السائلة قال هذا حديث حسن
صحيح فهذه الاحاديث تنص على ان السماوات والارض تبدل
وتزال ويخلق الله ارضا اخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر
وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضاء عفراء كقرصة النقي

تكوير
دوريكر

ليس فيها علم لاحد وقال جابر سالت ابا جعفر محمد بن علي عن قول الله
عز وجل يوم تبدل الارض غير الارض قال تبدل خبزة ياكل منها
الخلق يوم القيمة ثم قرا وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام
وقال ابن مسعود انها تبدل بارض غيرها بيضا وقال علي رضي الله
عنه تبدل الارض يومئذ من فضة والسما من ذهب وهذا تبديل
وحسبك وبرزوا لله الواحد القهار اي من قبورهم وقد تقدم
قوله تعالى وترى المجرمين وهم المشركون يومئذ اي يوم القيمة
مقرنين اي مشدودين في الاصفاد وهي الاغلال والقيود واحدها
صَفَد وصِفاد وتقال صفدته صفدًا اي قيّدته والاسم الصفد
فاذا اردت التكثير قلت صفّدته تصفيدًا قال عمرو بن كلثوم فابوا

فابوا بالنهاب وبالسبايا وابنا بالملوك مصفدينا

اي مقيدينا وقال حسان

من بين مأسور يشد صفاده صقر اذا لاقى الكريهة حامي

اي غله واصفدته اصفادًا اعطيته وقيل صفدته واصفدته
جائزان في القيد والاعطا جميعا قال النابغة

ولم اعرض ابيت اللعن بالصَّفَد فالصفد العطا لانه يقيد

ويعبد قال ابو الطيب

وقيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا

قيل يقرن كل كافر مع شيطان في غل بيانه قوله احشروا الذين ظلموا
وازواجهم يعني قرناهم من الشياطين وقيل انهم الكفار يجمعون في الاصفاد
كما اجتمعوا في الدنيا على المعاصي سرابيلهم من قطران اي قمصهم عن ابن دريد
وغيره واحدها سربال والفعل تسربلت وسربلت غيري قال
كعب بن مالك

تلقاكم عصب حول النبي لهم من نسج داود في الهيجا سرابيل

من قطران يعني قطران الابل التي تهنا به ماله الحسن وذلك المبلغ لاشتعال
النار فيهم وفي الصحيح ان النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيمة وعليها
سربال من قطران ودرع من جرب وروي عن جماعة انهم قالوا هو النحاس
وقرا عيسى بن عمر قطران بفتح القاف وتسكين الطاء وفيه قراة ثالثة
كسر القاف وجزم الطاء ومنه قول ابي النجم،،

حتى كان العرق المسوحا يلبسه القطران والمسوحا

وقراة رابعة من قطر آن رويت عن ابن عباس وابي هريرة وعكرمة
وسعيد بن جبير ويعقوب والقطر النحاس والصفر المذاب ومنه قوله تعالى
وبين حميم آن، وتغشى وجوههم النار اي يضرب وجوههم النار فتشعلها
ليجزي الله كل نفس ما كسبت اي ما كسبت ان الله سريع الحساب تقدم،،

قوله تعالى هذا بلاغ للناس اي هذا الذي انزلنا اليك بلاغ
اي تبليغ وعظة ولينذروا به اي ليخوفوا عقاب الله عز وجل وقرئ ولينذروا بفتح اليا
والذال وهي لغة يقال نذرت بالشيء انذر اذا علمت به فاستعددت له
ولم يستعملوا منه مصدرا كما لم يستعملوا من عسى وليس وكانهم استغنوا بان
والفعل كقولك سرني ان نذرت بالشيء وليعلموا انما هو اله واحد اي
وليعلموا وحدانية الله بما اقام من الحجج والبراهين وليذكر اولوا الالباب
اي وليتعظ اصحاب العقول وهذه اللامات في ولينذروا وليعلموا وليذكر
متعلقة بمحذوف التقدير ولذلك انزلناه وروى يمان بن رباب ان هذه
الاية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وسئل بعضهم هل لكتاب الله عنوان
فقال نعم قيل واين هو قال قوله تعالى هذا بلاغ للناس ولينذروا به الى اخرها

تم تفسير سورة ابراهيم والحمد لله،

سورة الحجر وهي مكية باتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين تقدم معناه والكتاب
قيل فيه انه اسم الجنس الكتب المتقدمة من التوراة والانجيل ثم قرنها بالكتاب
المبين وقيل الكتاب هو القرآن جمع له بين الاسمين قوله تعالى
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين رب لا تدخل على الفعل فاذا لحقته
ما هيأته للدخول على الفعل تقول ربما قام زيد وربما تقوم زيد ويجوز
ان تكون ما نكرة بمعنى شيء ويود صفة له اي رب شيء يود الكافر وقرأ
نافع وعاصم ربما مخففة الباء الباقون مشددة وهما لغتان قال ابو
حاتم اهل الحجاز يخففون ربما قال الشاعر:

ربما ضربة بسيف صقيل بين بصرى وطعنة نجلاء

وتميم وقيس وربيعة يثقلونها وحكي فيها ربما وربما وربتما وربتما بتخفيف
الباء وتشديدها ايضا واصلها ان تستعمل في القليل وقد تستعمل
في الكثير اي يود الكفار في اوقات كثيرة لو كانوا مسلمين قاله الكوفيون
ومنه قول الشاعر

الا ربما اهدت لك العين نظرة قصاراك منها انها عنك لا تجدي

وقال بعضهم هي للتقليل في هذا الموضع لانهم قالوا ذلك في بعض المواطن
لا في كلها لشغلهم بالعذاب والله اعلم وقال ربما يود وهي انما تكون
لما وقع لانه لصدق الوعد كانه عيان قد كان وخرج الطبراني ابو القاسم
من حديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ناسا من امتي يدخلون النار بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله ان يكونوا
ثم يعيرهم اهل الشرك فيقولون ما نرى ما كنتم تخالفونا فيه من تصديقكم
وايمانكم نفعكم فلا يبقى موحد الا اخرجه الله من النار ثم قرأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال الحسن
اذا رأى المشركون المسلمين وقد دخلوا الجنة وماواهم في النار

تمنوا

تمنوا انهم كانوا مسلمين وقال الضحاك هذا التمني انما هو عند المعاينه في الدنيا حين تبين لهم الهدى من الضلاله وقيل في القيمه اذا راو كرامه للمومنين وذل الكافرين قوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين

الاولى قوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا تهديد لهم ويلههم الامل اي يشغلهم عن الطاعه يقال الهاه عن كذا اي شغله ولهى هو عن الشي يلهى فسوف يعلمون اذا راو القيامه وذاقوا وبال ما صنعوا وهذه الايه منسوخه بالسيف

هذا في الامل الذي لا يصاحبه ...

الثانيه اربعه من الشقا جمود العين وقسا القلب وطول الامل والحرص على الدنيا فطول الامل دا عضال ومرض مزمن ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه واشتد علاجه ولم يفارقه دا ولا نجع فيه دوا بل اعيا الاطبا وييئس من برئه الحكما والعلما وحقيقه الامل الحرص على الدنيا والانكباب عليها والحب لها والاعراض عن الاخره يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نجا اول هذه الامه باليقين والزهد ويهلك اخرها بالبخل والامل ويروى عن ابي الدردا رضي الله عنه انه قام على درج مسجد دمشق فقال يا اهل دمشق الا تسمعون من اخ لكم ناصح ان من كان قبلكم كانوا يجمعون كثيرا ويبنون مشيدا ويأملون بعيدا فاصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا واملهم غرورا هذه عاد قد ملات البلاد اهلا ومالا وخيلا ورجالا فمن يشتري مني اليوم تركتهم بدرهمين وانشد وا:

يا ذا المومل اما لا وان بعدت سنه ويزعم ان يقضي باقصاها
اني يفوز بما يرجوه ويلك وما اصبحت في ثقه من نيل ادناها

عند

وقال الحسن ما اطال عبد الامل الا اسا العمل وصدق رضي الله عنه

فالامل يكسل عن العمل ويورث التراخي والتواني ويعقب التشاغل والتقاعس ويخلد الى الارض ويميل الى الهوى وهذا امر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج الى بيان ولا يطلب صاحبه ببرهان كما ان قصر الامل يبعث على العمل ويحيل على المبادره ويحث على المسابقه **قوله تعالى** وما اهلكنا من قريه الا ولها كتاب معلوم اى اجل موقت كتب لهم في اللوح المحفوظ ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون من صلة كقولك ما جاني من احد اى لا تتجاوز اجلها فتزيد عليه ولا تتقدم قبله ونظيره قوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعه ولا يستقدمون **قوله تعالى** وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر يعنى القران انك لمجنون قاله كفار قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم على جهة الاستهزا ثم طلبوا منه اتيان الملايكه دلاله على صدقه ولوما تحضيض على الفعل كلولا وهلا وقال الفرا الميم في لوما بدل من اللام في لولا ومثله استولى على الشى واستوى عليه ومثله خالمته وخاللته فهو خلى وخلمى اى صديقى وعلى هذا يجوز لوما بمعنى الخبر تقول لوما زيد لضرب عمرو قال الكسايى لولا ولوما سوا في الخبر والاستفهام قال ابن مقبل لوما الحيا ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عورى يريد لولا الحيا وحكى النحاس لوما ولولا وهلا واحد وانشد اهل اللغه على ذلك: تعدون عقر النيب افضل مجدكم بنى ضوطرى لولا الكمى المقنعا اى هلا تعدون الكمى المقنعا **قوله تعالى** ما ننزل الملايكه الا بالحق قرا حفص وحمزه والكسايى ما ننزل الملايكه واختاره ابو عبيد وقرا ابو بكر والمفضل ما تنزل الملايكه الباقون تنزل

الملايكه

الملايكه وتقديره ما تتنزل تا بن فحذفت احداهما تخفيفا وقد
شدد ذلك البزي واختاره ابو حاتم اعتبارا بقوله تنزل
الملايكه والروح ومعنى الا بالحق الا بالقران وقيل بالرسالة عن
مجاهد وقال الحسن الا بالعذاب ان لم يومنوا وما كانوا اذا
منظرين اي لو تنزلت الملايكه باهلاكهم ما امهلوا ولا ابلت لهم
توبه وقيل المعنى لو تنزلت الملايكه تشهد لك فكفروا بعد
ذلك لم ينظروا واصل اذا اذان ومعناه حينيذ فضم اليها
واستثقلوا الهمزه فحذفوها **قوله تعالى** انا نحن
نزلنا الذكر يعني القران وانا له لحافظون من ان يزاد فيه
او ينقص منه قال قتاده وثابت البناني حفظه الله من ان تزيد
فيه الشياطين باطلا وتنقص منه حقا فتولى سبحانه حفظه فلم
يزل محفوظا وقال في غيره بما استحفظوا فوكل حفظه اليهم
فبدلوا وغيروا وقيل وانا له لحافظون اي لمحمد من ان يتقول
علينا او نتقول عليه او وانا له لحافظون من ان يكادا ويقتل
نظيره والله يعصمك من الناس ونحن يجوز ان يكون موضعه رفعا
بالابتدا ونزلنا الخبر والجمله خبران ويجوز ان يكون نحن تاكيدا لا
ان في موضع نصب ولا يكون فاصله لان الذي بعدها ليس بمعرفه
وانما هو جمله والجمله تكون نعوتا للنكرات فحكمها حكم النكرات
قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين المعنى
ولقد ارسلنا من قبلك رسلا فحذف والشيع جمع شيعه وهي
الامه اي في امهم قاله ابن عباس وقتاده والحسن في فرقهم والشيعه
الفرقه والطايفه من الناس المتالفه المتفقه الكلمه فكان
الشيع الفرق ومنه قوله تعالى او يلبسكم شيعا اي فرقا واصله

الا
سم

ماخوذ من التشباع ولما الحطب الصغار توقد به الكبار كما تقدم في الانعام وقال الكلبي ان الشيع هنا الفرق **قوله تعالى** وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي كما تفعل بك هؤلاء المشركون فكذلك فعل بمن قبلك من الرسل **قوله تعالى** كذلك نسلكه اي الضلال والكفر والاستهزاء والشرك في قلوب المجرمين من قومك عن الحسن وقتاده وغيرهما اي كما سلكناه في قلوب من تقدم من شيع الاولين كذلك نسلكه في قلوب مشركي قومك حتى لا يومنوا بك كما لم يومن من قبلهم برسلهم وروى ابن جريج عن مجاهد قال نسلك التكذيب والسلك ادخال الشي في الشي كادخال الخيط في المخيط قال سلكه يسلكه سلكا وسلوكا واسلكه اسلاكا وسلك الطريق سلوكا وسلكا واسلكه دخله وقال عدي بن زيد وقد سلكوك في يوم عصيب ∴ والسلك بالكسر الخيط وفي الاية رد على القدريه والمعتزله نسلك القران في قلوبهم فيكذبون به وقول الحسن ومجاهد وقتاده هو القول الذي عليه اكثر اهل التفسير وهو الزم حجه على المعتزله وعن الحسن ايضا نسلك الذكر الزاما للحجه ذكره الغزنوي وقد خلت سنة الاولين اي مضت سنة الله باهلاك الكفار فما اقرب هولاء من الهلاك وقيل خلت سنة الاولين بمثل ما فعل بها هولاء من التكذيب والكفر فهم يقتدون باولئك **قوله تعالى** ولو فتحنا عليهم بابا من السما فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون يقال ظل يفعل كذا اي يفعله بالنهار والمصدر الظلول اي

لو اجيبوا الى ما اقترحوا من الايات لاصروا على الكفر وتعللوا
بالخيالات كما قالوا للقران المعجز انه سحر يعرجون من عرج يعرج
اي صعد والمعارج المصاعد اي لو صعدوا الى السما وشاهدوا الملكوت
والملائكة لاصروا على الكفر عن الحسن وغيره الضمير في عليهم للمشركين
وفي فظلوا للملائكة تذهب وتجي اي لو كشف لهم ولا حتى يعاينوا ابوابا
في السما تصعد فيها الملائكة وتنزل لقالوا راينا بابصارنا الا خدعة له
عن ابن عباس وقتادة ومعنى سكرت سدت بالسحر قاله ابن عباس والضحاك
وقال الحسن سحرت الكلبي اغشيت ابصارنا وعنه ايضا عميت قتاده
اخذت وقال المورج دير بنا من الدوار اي صارت ابصارنا سكرى جويبر
خدعت وقال ابو عمرو بن العلا سكرت غشيت وغطيت ومنه قول الشاعر

وطلعت شمس عليها مغفر وجعلت عين الحزور تسكر

وقال مجاهد سكرت حبست ومنه قول اوس بن حجر:

فصرت على ليلة ساهره فليست بطلق ولا ساكره

قلت وهذه اقوال متقاربة يجمعها قولك منعت قال ابن عزيز سكرت
ابصارنا سدت ابصارنا من قولك سكرت النهر اذا سددته وقال
هو من سكر الشراب كان العين يلحقها ما يلحق الشارب اذا سكر وقرا
ابن كثير سكرت بالتخفيف والباقون بالتشديد قال ابن الاعرابي سكرت
ملئت وسكرت ملئت قال المهدوي والتخفيف والتشديد في
سكرت ظاهران التشديد للتكثير والتخفيف يودي عن معناه والمعروف
ان سكر لا يتعدى قال ابو علي يجوز ان يكون سمع متعديا في البصر ومن
قرا سكرت فانه شبه ما عرض لابصارهم بحال السكران كانها جرت
مجرى السكران لعدم تحصيله وقد قيل انه بالتخفيف سكر الشراب
بالتشديد ماخوذ من سكرت الما وقيل سكرت مخففا سحرت وبالتشديد

اخذت ذكرهما الماوردي وقال النحاس والمعروف من قراه مجاهد
والحسن سكرت بالتخفيف قال الحسن اى سحرت وحكى ابو عبيد عن ابي
عبيده انه تعالى سكرت ابصارهم اذا غشيها سمادير حتى لا يبصروا وقال
الفرا من قرا سكرت اخذه من سكور الريح قال النحاس وهذه
الاقوال متقاربه والاصل فيها ما قال ابو عمرو بن العلاء رحمه الله
قال هو من السكر في الشراب وهذا قول حسن اى غشيهم ما غطى
ابصارهم كما غشي السكران ما غطى عقله وسكور الريح سكونها وفتورها
فهو يرجع الى معنى التخيير **قوله تعالى** ولقد جعلنا في السما
بروجا لما ذكر كفر الكافرين وعجز اصنامهم ذكر كمال قدرته
ليستدل بها على وحدانيته والبروج القصور والمنازل قال ابن
عباس اى جعلنا في السما بروج الشمس والقمر اى منازلهما واسما هذه
البروج الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبله والميزان
والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت والعرب تعد المعرفه
بمواقع النجوم وابوابها من اجل العلوم ويستدلون بها على الطرقات
والاوقات والخصب والجدب وقالوا الفلك اثنى عشر برجا كل
برج ميلان ونصف للقمر واصل البروج الظهور ومنه تبرج المراه
باظهار زينتها وقد تقدم هذا المعنى في النسا وقال الحسن وقتاده
البروج النجوم وسميت بذلك لظهورها وارتفاعها وقيل الكواكب
العظام قاله ابو صالح يعني السبعه السياره وقال قوم بروجا
اى قصورا وبيوتا فيها الحرس خلقها الله في السما والله اعلم وزيناها
يعني السما كما قال في سوره الملك ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح
اى للمعتبرين والمتفكرين **قوله تعالى** وحفظناها من كل
شيطان رجيم اى مرجوم والرجم الرمي بالحجاره وقيل الرجم اللعن

التخيير

والطرد وقد تقدم وقال الكسائي كل رجيم في القران فهو بمعنى
الشتم وزعم الكلبي ان السماوات كلها لم تحفظ من الشياطين
الى زمن عيسى فلما بعث الله تعالى عيسى حفظ منها ثلاث سماوات
الى مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فحفظ جميعها بعد بعثه
وحرست منهم بالشهب وقاله ابن عباس رضي الله عنه قال ابن
عباس وقد كانت الشياطين لا يحجبون عن السما وكانوا يدخلونها ويلقون
اخبارها على الكهنة فيزيدون عليها تسعا فيحدثون بها اهل الارض
الكلمة حق والتسع باطل فاذا راو شيا مما قالوه صدقوهم فيما جاو
به فلما ولد عيسى بن مريم عليهما السلام منعوا من ثلاث سماوات
فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السماوات كلها فما منهم من احد
يريد استراق السمع الا رمي بشهاب على ما ياتي قوله تعالى الا من استرق
السمع اي لكن من استرق السمع اي الخطفة اليسيرة فهو استثنا
منقطع وقيل هو متصل اي الا ممن استرق السمع اي حفظنا السما من
الشياطين ان تسمع شيا من الوحي وغيره الا من استرق السمع فانا لم
نحفظها منه ان تسمع الخبر من اخبار السما سوى الوحي فاما الوحي فلا
تسمع منه شيا لقوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون واذا استمع الشياطين
الى شي ليس بوحي فانهم يقذفونه الى الكهنة في اسرع من طرف العين
ثم تتبعهم الشهب فتقتلهم او تخبلهم ذكره الحسن وابن عباس **قوله
تعالى** فاتبعه شهاب مبين اتبعه ادركه ولحقه شهاب كوكب
مضي وكذلك شهاب ثاقب وقوله بشهاب قبس بشعلة نار في راس
عود قاله ابن عزيز وقال ذو الرمة

كانه كوكب في اثر عفرية مسوم في سواد الليل منقضب

وسمي الكوكب شهابا لبريقه يشبه النار وقيل شهاب شعلة من نار

سن لاهل الارض يحرقهم ولا تعود اذا احرقت كما اذا احرقت النار
ولم تعد بخلاف الكواكب فانه اذا احرق عاد الى مكانه قال ابن عباس
تصعد الشياطين افواجا تسترق السمع فينفرد المارد منها فيعلو
فيرمى بالشهاب فيصيب جبهته او انفه او ما شا الله فيلتهب فياتي
اصحابه وهو يلتهب فيقول انه كان من الامر كذا وكذا فيذهب اولئك
الى اخوانهم من الكهنة فيزيدون عليها تسعا فيحدثون بها اهل الارض
الكلمة حق والتسع باطل فاذا راوا شيا مما قالوا قد كان صدقوهم بكل
ما جاوا به من كذبهم وسياتي هذا المعنى مرفوعا في سورة سبا ان
شا الله تعالى واختلف في الشهاب هل يقتل ام لا فقال ابن عباس
الشهاب يخرج ويحرق ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطايفة يقتل
فعلى هذا القول في قتلهم بالشهاب قبل القا السمع الى الجن قولان
احدهما انهم يقتلون قبل القائهم ما استرقوه من السمع الى غيرهم
فعلى هذا لا تصل اخبار السما الى غير الانبيا ولذلك انقطعت
الكهانة والثاني انهم يقتلون بعد القائهم ما استرقوه من السمع الى غيرهم
من الجن ولذلك ما يعودون الى استراقه ولو لم يصل لانقطع الاستراق
وانقطع الاحتراق ذكره الماوردي قلت والقول الاول اصح
على ما ياتي بيانه في والصافات واختلف هل كان رمي بالشهب
قبل المبعث فقال الاكثرون نعم وقيل لا وانما ذلك بعد المبعث
وسياتي بيان هذه المسلة في سورة الجن ان شا الله والصافات ايضا
قال الزجاج والرمي بالشهب من ايات النبي صلى الله عليه وسلم مما حدث
بعد مولده لان الشعرا القدم لم يذكروه في اشعارهم ولم يشبهوا
الشي السريع به كما شبهوا بالبرق وبالسيل ولا يبعد ان يقال انقضاض
الكواكب كان في قديم الازمان ولكنه لم يكن رجوما للشياطين

يصادر حوما حين ولد النبي صلى الله عليه وسلم وقال العلماء نحن نرى
انقضاض الكواكب فيجوز ان يكون ذلك كما نرى ثم يصير نارا اذا ادرك
الشيطان ويجوز ان يقال يرمون بشعلة من نار من الهوا فيخيل الينا انه
نجم يسري والشهاب في اللغة النار الساطعة وذكر ابو داود عن عامر
الشعبي قال لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجمت الشياطين بنجوم لم
تكن يرجم بها قبل فاتوا عبد ياليل بن عمرو الثقفي فقال ان الناس قد
فزعوا وقد اعتقوا رقيقهم وسيبوا انعامهم لما راوا في النجوم فقال
لهم وكان رجلا اعمى لا تعجلوا وانظروا فان كانت النجوم التي تعرف
فهو عند فنا الناس وان كانت لا تعرف فهو من حدث فنظروا
فاذا هي نجوم لا تعرف فقالوا هذا من حدث فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبي
صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** والارض مددناها هذا من نعمه
ايضا ومما يدل على كمال قدرته قال ابن عباس بسطناها على وجه
الماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها اي بسطها وقال والارض فرشناها
فنعم الماهدون وهو رد على من زعم انها كالكرة وقد تقدم والقينا فيها
رواسي اي جبالا ثابتة لئلا تتحرك باهلها وانبتنا فيها من كل شي موزون
اي مقدر معلوم قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وانما قال موزون لان
الوزن يعرف به مقدار الشي قال الشاعر

قد كنت قبل لقائكم ذا مرة عندي لكل مخاصم ميزانه

وقال قتادة موزون يعني مقسوم وقال مجاهد موزون معدود ويقال
هذا كلام موزون اي منظوم غير منتثر فعلى هذا اي انبتنا في الارض
ما يوزن من الجواهر والحيوانات والمعادن وقد قال الله تعالى في الحيوان
وانبتها نباتا حسنا والمقصود من الانبات الانشا والايجاد وقيل
انبتنا فيها اي في الجبال من كل شي موزون من الذهب والفضة والنحاس

والرصاص والقزدير حتى الزرنيخ والكحل وكل ذلك يوزن وزنا روي معناه عن الحسن وابن زيد وقيل انبتنا في الارض الثمار مما يكال ويوزن وزنا روي معناه عن الحسن وابن زيد وقيل انبتنا في الارض الثمار مما يكال ويوزن وقيل انه ما يوزن فيه الاثمان لانه اجل قدرا واعم نفعا مما لا ثمن له وجعلنا فيها معايش يعني المطاعم والمشارب التي يعيشون بها واحدتها معيشة بسكون اليا ومنه قول جرير ٭

تكلفني معيشة ال زيد ومن لي بالمرقق والصناب

والاصل معيشة على مفعلة بتحريك اليا وقد تقدم في الاعراف وقيل الملابس قاله الحسن وقيل انها التصرف في اسباب الرزق مدة الحياة قال الماوردي وهو الظاهر ومن لستم له برازقين يريد الدواب والانعام قاله مجاهد وعنه ايضا العبيد والاولاد الذين قال الله فيهم نحن نرزقهم واياكم ولفظ من يجوز ان يتناول العبيد والدواب اذا اجتمعوا لانه اذا اجتمع من يعقل وما لا يعقل غلب من يعقل اي وجعلنا لكم فيها معايش وعبيدا واماء ودواب واولادا نرزقهم ولا ترزقونهم فمن على هذا التاويل في موضع نصب قال معناه مجاهد وغيره وقيل اراد به الوحش قال سعيد قرا علينا منصور ومن لستم له برازقين قال الوحش فمن على هذا لمن لا يعقل مثل ومنهم من يمشي على بطنه الايه وهي في محل خفض عطفا على الكاف والميم في قوله لكم وفيه قبح عند البصريين فانه لا يجوز عندهم عطف الظاهر على المضمر الا باعادة حرف الجر مثل مررت به وبزيد الا في الشعر كما قال

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والايام من عجب

وقد مضى هذا المعنى في البقرة وسورة النسا **قوله تعالى**

وان من

وان من شي الا عندنا خزاينه اي وان من شي من ارزاق الخلق ومنافعهم
الا عندنا خزاينه يعني المطر المنزل من السما لان به نبات كل شي
قال الحسن المطر خزاين كل شي وقيل الخزاين المفاتيح اي في السما
مفاتيح الارزاق قاله الكلبي والمعنى واحد وما ننزله الا بقدر
معلوم اي ولكن لا ننزله الا على حسب مشيتنا وعلى حسب حاجه
الخلق اليه كما قال تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن
ينزل بقدر ما يشا وروي عن ابن مسعود والحكم بن عتيبه وغيرهما
انه ليس عام اكثر مطرا من عام ولكن الله يقسمه كيف شا فيمطر قوم ويحرم
اخرون وربما كان المطر في البحار والقفار والخزاين جمع الخزانه وهو
الموضع الذي يستر فيه الانسان ماله والخزانه ايضا مصدر خزن يخزن
وما كان في خزانه الانسان كان معدا له وكذلك ما يقدر عليه الرب
فكانه معد عنده قاله القشيري وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده
انه قال في العرش تمثال جميع كل شي خلقه الله في البر والبحر وهو تاويل
قوله وان من شي الا عندنا خزاينه والانزال بمعنى الانشا والايجاد
كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانيه ازواج وقوله وانزلنا الحديد
فيه باس شديد وقيل الانزال بمعنى الاعطا وسماه انزالا لان
احكام الله انما تنزل من السما **قوله تعالى** وارسلنا الرياح
لواقح فيه خمس مسايل **الاولى** قوله تعالى وارسلنا الرياح قرا
العامه الرياح بالجمع وقرا حمزه بالتوحيد لان معنى الريح الجمع ايضا
وان كان لفظها لفظ الواحد كما يقال جات الريح من كل جانب
كما يقال ارض سباسب وثوب اخلاق ولذلك تفعل العرب
في كل شي اتسع ولنا وجه قراه العامه فلان الله نعتها بلواقح
وهي جمع ومعنى لواقح حوامل لانها تحمل الما والتراب والسحاب

مطلب

والخير والنفع قال الازهري وجعل الرياح لاقح لانها تحمل السحاب اي تقله
وتصرفه ثم تمريه فتستدره اي تنزله قال الله تعالى حتى اذا اقلت سحابا
ثقالا اي حملت وناقة لاقح ونوق لواقح اذا حملت الاجنة في
بطونها وقيل لواقح بمعنى ملقحة وهو الاصل ولكنها لا تلقح الا وهي في
نفسها لاقح كأن الرياح لقحت بخير وقيل ذوات لقح وكل ذلك صحيح
ان منها ما يلقح الشجر كقولهم عيشة راضية اي فيها رضى وليل نائم
اي فيه نوم ومنها ما ياتي بالسحاب يقال لقحت الناقة بالكسر لقحا
ولقاحا بالفتح فهي لاقح والقحها الفحل اي القى اليها الماء فحملته
فالرياح كالفحل للسحاب قال الجوهري ورياح لواقح ولا يقال
ملاقح وهو من النوادر وحكى المهدوي عن ابي عبيدة لواقح بمعنى
ملاقح ذهب الى انه جمع ملقحة وملقح ثم حذفت زوائده
وقيل هو جمع لاقحة ولاقح على معنى ذات اللقاح على النسب ويجوز
ان يكون معنى لاقح حامل والعرب تقول للجنوب لاقح وحامل
وللشمال حائل وعقيم وقال عبيد بن عمير يرسل الله المبشرة
فتقم الارض قما ثم يرسل المثيرة فتثير السحاب ثم يرسل المؤلفة
فتؤلفه ثم يبعث اللواقح فتلقح الشجر وقيل الريح الملاقح التي
تحمل الندى ثم تمجه في السحاب فاذا اجتمع فيه صار مطرا
وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الريح الجنوب من الجنة وهي الريح اللواقح التي ذكرها الله في كتابه
وفيها منافع للناس وروي عنه عليه السلام انه قال ما هبت جنوب
الا انبع الله بها عينا غدقة وقال ابو بكر بن عياش لا تقطر
قطرة من السحاب الا بعد ان تعمل الرياح الاربع فيها فالصبا
تهيجه والدبور تلقحه والجنوب تدره والشمال تفرقه:

كانه الرذاذ

الثانية روى ابن وهب وابن القاسم واشهب وابن عبد الحكم
عن ملك واللفظ لاشهب قال ملك قال الله تعالى وارسلنا
الرياح لواقح فلقاح القمح عندي ان يحبب ويسنبل ولا ادري
ما ييبس في اكمامه ولكن يحبب حتى يكون لو يبس حينيذ لم يكن فسادا
لاخير فيه ولقاح الشجر كلها ان تثمر ثم يسقط منها ما يسقط ويثبت ما
ثبت وليس ذلك بان تورد قال ابن العربي انما عول ملك في هذا
التفسير على تشبيه لقاح الشجر بلقاح الحمل وان الولد اذا عقد وخلق
ونفخ فيه الروح كان بمنزلة تحبب الثمرة وتسنبله لانه سمي باسم تشترك
فيه كل حاملة وهو اللقاح وعليه جا الحديث نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن بيع الحب حتى يشتد قال ابن عبد البر الابار عند اهل العلم في
النخل التلقيح وهو ان يوخذ شي من طلع النخل الذكر فيدخل بين ظهراني
طلع الاناث ومعنى ذلك في ساير الثمار ظهور الثمرة من التين وغيره
حتى تكون الثمرة مرية منظورا اليها والمعتبر عند ملك واصحابه فيما
يذكر من الثمار التذكير وفيما لا يذكر ان يثبت من نواره ما يثبت ويسقط
ما يسقط وحد ذلك في الزرع ظهوره من الارض قاله ملك وقد روى عنه
ان اباره ان يحبب ولم يختلف العلما ان الحايط اذا انشق طلع اناثه فاخر
اباره وقد ابر غيره ممن حاله مثل حاله ان حكمه حكم ما ابر لانه قد جا
عليه وقت الابار وثمرته ظاهرة بعد تغيبها في الجف فان ابر بعض
الحايط كان ما لم يوبر تبعا له كما ان الحايط اذا بدا صلاحه كان ساير الحايط
تبعا لذلك الصلاح في جواز بيعه **الثالثة** روى الايمة كلهم عن ابن
عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ابتاع نخلا بعد ان تؤبر
فثمرها للذي باعها الا ان يشترط المبتاع ومن ابتاع عبدا فماله للذي
باعه الا ان يشترطه المبتاع قال علماونا انما لم يدخل الثمر المؤبر مع الاصول

في البيع الا بالشرط لانه عين موجوده محاط بها امن سقوطها غالبا علاف
التي لم تو برادلبس سقوطها ماموناً فلم يحقق لها وجود فلم يجز للبائع اشتراطها
ولا استثناوها لانها كالجنين هذا هو المشهور من مذهب ملك وقيل
يجوز استثناوها وهو قول الشافعي **الرابعة** لو اشترى النخل
وعلى الثمر للبائع جاز للمشتري الاصل شراء الثمرة قبل طيبها على طيبها على
مشهور قول ملك ويرى لها حكم التبعيه وان افردت بالعقد وعنه
في روايه لا يجوز وبذلك قال الشافعي وابو حنيفه والثوري واهل الظاهر
وفقها الحديث وهو الاظهر من احاديث النهي عن بيع الثمر قبل بدو صلاحها
الخامسة ومما يتعلق بهذا الباب النهي عن بيع الملاقح والملاقح
الفحول من الابل الواحد ملقح والملاقح ايضا الاناث التي في بطونها اولادها
الواحده ملقحه بفتح القاف والملاقيح ما في بطون النوق من الاجنه
الواحده ملقوحه من قولهم لقحت كالمحموم من حم والمجنون من جُن وفي هذا
جا النهي وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن المجر وهو بيع ما في
بطون الاناث ونهى عن المضامين والملاقيح قال ابو عبيد المضامين ما
في البطون وهي الاجنه والملاقيح ما في اصلاب الفحول وهو قول سعيد بن
المسيب وغيره وقيل بالعكس ان المضامين ما في ظهور الجمال والملاقيح
ما في بطون الاناث وهو قول ابن حبيب وغيره واي الامرين كان
فعلما المسلمين مجمعون على ان ذلك لا يجوز وذكر المزني عن ابن
هشام شاهداً بان الملاقيح ما في البطون لبعض الاعراب

اصلاب

منيتي ملاقحاً في الابطن تنتج ما تلقح بعد ازمن
وذكر الجوهري على ذلك شاهداً قول
الراجز انا وجدنا طرد الهوامل خيراً من التانان والمسائل
وعده العام وعام قابل ملقوحه في بطن ناب حامل
قوله تعالى وانزلنا من السما اي من السحاب وكل ما علاك فاظلك يسمى سما وقيل من جهة السما ماء

اي مطرا

اى مطرا لما سقيناكموه اى جعلنا ذلك المطر لسقياكم ولشرب مواشيكم
وارضيكم وقيل سقى واسقى بمعنى وقيل بالفرق وقد تقدم وما انتم له بخازنين
اى ليست خزائنه عندكم اى نحن الخازنون لهذا الماء ننزله اذا شئنا
ونمسكه اذا شئنا ومثله وانزلنا من السماء ماء فاسكناه فى الارض
وانا على ذهاب به لقادرون وقال سفيان لستم بمانعين المطر **قوله
تعالى** وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون اى الارض ومن عليها
ولا يبقى شى سوانا نظيره وانا نحن نرث الارض ومن عليها والناس يحول
ملك كل شي لله تعالى ولكن ملك عباده املاكا فاذا ماتوا انقطعت
الدعاوى وكان الله وارثا من هذا الوجه وقيل الاحيا فى هذه الايه
احيا النطف فى الارحام فاما البعث فقد ذكره بعد هذا فى قوله وان
ربك هو يحشرهم **قوله تعالى** ولقد علمنا المستقدمين منكم
ولقد علمنا المستاخرين فيه ثلاث مسايل **الاولى** قوله تعالى
ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين فيه ثمان تاويلات
الاول المستقدمين فى الخلق الى اليوم والمستاخرين الذين لم يخلقوا
بعد قاله قتاده وعكرمه وغيرهما الثانى المستقدمين الاموات والمستاخرين
الاحيا قاله ابن عباس والضحاك الثالث المستقدمين من تقدم امه
محمد صلى الله عليه وسلم والمستاخرين امه محمد صلى الله عليه وسلم قاله مجاهد
الرابع المستقدمين فى الطاعه والخير والمستاخرين فى المعصيه والشر
قاله الحسن وقتاده ايضا الخامس المستقدمين فى صفوف الحرب والمستاخرين
فيها قاله سعيد بن المسيب السادس المستقدمين من قتل فى الجهاد والمستاخرين
من لم يقتل قاله القرطبى السابع المستقدمين اول الخلق والمستاخرين اخر
الخلق قاله الشعبى الثامن المستقدمين فى صفوف الصلاه والمستاخرين
فيها بسبب النسا وكل هذا معلوم لله تعالى فانه عالم بكل موجود ومعدوم

وعالم من خلق وما هو خالقه الى يوم القيمه الا ان القول الثاني هو سبب
نزول الايه لما رواه النسائي والترمذي عن ابي الجوزاء عن ابن عباس
قال كانت امراه تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنا من
احسن الناس وكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الاول لا يراها
ويتاخر بعضهم حتى يكون في الصف الموخر فاذا ركع نظر من تحت ابطه
فانزل الله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين
وروي عن ابي الجوزاء لم يذكر عن ابن عباس وهو اصح **الثانيه** هذا
يدل على فضل اول الوقت في الصلاه وعلى فضل الصف الاول قال النبي
صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في النداء والصف الاول ثم لم يجدوا
الا ان يستهموا عليه لاستهموا فاذا جا الرجل عند الزوال فنزل في
الصف الاول مجاور الامام حاز ثلاث مراتب في الفضل اول
الوقت والصف الاول ومجاوره الامام فان جا عند الزوال
فنزل في الصف الاخير او فيما نزل عن الصف الاول فقد حاز فضل
اول الوقت وفاته فضل الصف الاول والمجاوره فان جا وقت
الزوال ونزل في الصف الاول فقد حاز المراتب الثلاث فان جا
بعد الزوال ونزل في الصف الاول فقد فاته فضيله اول الوقت
وحاز فضيله الصف الاول ومجاوره الامام وهكذا ومجاوره الامام
لا يكون لكل احد وانما هي كما قال صلى الله عليه وسلم ليليني منكم اولوا
الاحلام والنهى الحديث فما يلي الامام ينبغي ان يكون لمن كانت هذه
صفته فان نزلها غيره اخر له ويتقدم هو الى الموضع لانه حقه
بامر صاحب الشرع كالمحراب هو موضع الامام تقدم او تاخر
قاله ابن العربي قلت وعليه يحمل قول عمر رضي الله عنه تاخر يا فلان
تقدم يا فلان ثم يتقدم فيكبر وقد روي عن كعب ان الرجل من هذه

الامه

الامة ليخر ساجداً فيغفر لمن خلفه وكان كعب يتوخى الصف المؤخر
من المسجد رجاء ذلك ويذكر انه وجده كذلك في التوراة ذكره الترمذي
الحكيم في نوادر الاصول وسياتي في سورة والصافات زيادة بيان
لهذا الباب ان شاء الله تعالى **الثالثة** وكما تدل هذه الاية على فضل
الصف الاول في الصلاة فكذلك تدل على فضل الصف الاول في القتال
فان القيام في نحر العدو وبيع العبد نفسه من الله تعالى لا يوازيه عمل
فالتقدم اليه افضل ولا خلاف فيه ولا خفاء فيه ولم يكن احد يتقدم في
الحرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان اشجع الناس
قال البراء كنا والله اذا احمر البأس نتقي به وان الشجاع منا الذي يحاذي
به يعني النبي صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** وان ربك هو يحشرهم
اي للحساب والجزاء انه حكيم عليم تقدم **قوله تعالى** ولقد خلقنا
الانسان يعني ادم عليه السلام من صلصال اي من طين يابس عن ابن عباس
وغيره والصلصال الطين الحر خلط بالرمل فصار يتصلصل اذا جف
فاذا طبخ بالنار فهو الفخار عن ابي عبيدة وهو قول اكثر المفسرين وانشد اهل اللغة
كعدو المصلصل الجوال :. وقال مجاهد هو الطين المنتن واختاره
الكسائي قال وهو من قول العرب صل اللحم واصل اذا انتن مطبوخا
كان او نيا يصل صلولا قال الحطيئة ::

ذاك فتى يبذل ذا قدره لا يفسد اللحم لديه الصلول

وطين صلال وصليل ومصلال اي يصوت اذا نقرته كما يصوت الحديد
وكان اول ترابا اي متفرق الاجزاء ثم بل فصار طينا ثم ترك حتى انتن فصار
حمأ مسنونا اي متغيرا ثم يبس فصار صلصالا على قول الجمهور وقد
مضى في البقرة بيان هذا والحمأ الطين الاسود وكذلك الحمأة بالتسكين
تقول منه حمئت البير حمأ بالتسكين اذا نزعت حمأتها وحمئت البير

حمأ بالتحريك كثرت حمأتها واحمأتها احماءً القيت فيها الحمأة عن ابن السكيت وقال ابو عبيدة الحمأة بسكون الميم مثل الكمأة والجميع حمأ مثل ثمرة وثمر والحمأ المصدر مثل الهلع والجزع ثم سمي به والمسنون المتغير قال ابن عباس هو التراب المبتل المنتن فجعل صلصالا كالفخار ومثله قول مجاهد وقتادة قالا المنتن المتغير من قولهم قد اسن الماء اذا تغير ومنه لم يتسنه وماء غير اسن ومنه قول ابي قيس بن الاسلت :

سقت صداي رضابا غير ذي اسن كالمسك فت على ماء العناقيد

وقال الفرا هو المتغير واصله من قولهم سننت الحجر على الحجر اذا حككته به وما يخرج من الحجرين يقال له السنانة والسنين ومنه المسن قال الشاعر :

ثم خاصرتها الى القبة الحمراء تمشي في مرمر مسنون

اي محكوك مملس حكي ان يزيد بن معاوية قال لابيه الا ترى عبد الرحمن ابن حسان يشبب بابنتك فقال معاوية وما قال فقال قال

هي زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون

فقال معاوية صدق فقال يزيد :

واذا ما نسبتها لم تجدها في سناء من المكارم دون

فقال صدق فقال اين قوله : ثم خاصرتها البيت فقال معاوية كذب وقال ابو عبيدة المسنون المصبوب وهو من قول العرب سننت الماء وغيره على الوجه اذا صببته والسن الصب وروى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال المسنون الرطب وهذا بمعنى المصبوب لانه لا يكون مصبوبا الا وهو رطب : النحاس وهذا قول حسن لانه يقال سننت الشيء اي صببته قال ابو عمرو بن العلاء ومنه الاثر

المروي

المروي عن عمر انه كان يسن الما على وجهه ولا يشنه والشن بالشين المعجمة الصب المتفرق وبالسين المهملة صبه من غير تفريق وقال سيبويه المسنون المصور اخذ من سنة الوجه وهو صورته قال ذو الرمة :

تريك سنة وجه غير مقرفة ملسا ليس بها خال ولا ندب

وقال الاخفش المسنون المنصوب القائم من قولهم وجه مسنون اذا كان فيه طول وقد قيل ان الصلصال التراب المدقوق حكاه المهدوي ومن قال ان الصلصال هو المنتن فاصله صلال فابدل من احدى اللامين الصاد ومن حما متعلق بمحذوف لانه صفة لصلصال اي صلصال كائن من حما والمسنون صفة لحما **قوله تعالى** والجان خلقناه من قبل اي من قبل خلق ادم قال الحسن يعني ابليس خلقه الله تعالى قبل ادم عليه السلام وسمي جانا لتواريه عن الاعين وفي صحيح مسلم من حديث ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله ادم عليه السلام في الجنة تركه ما شاء الله ان يتركه فجعل ابليس يطيف به ينظر ما هو فلما راه اجوف عرف انه خلق خلقا لا يتمالك من نار السموم قال ابن مسعود نار السموم التي خلق الله منها الجان جزء من سبعين جزءا من نار جهنم وقال ابن عباس السموم الريح الحارة التي تقتل وعنه انها نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار تكون بين السماء والحجاب فاذا احدث الله امرا اخترقت الحجاب فهوت الصاعقة الى ما امرت فالهدة التي تسمعون خرق ذلك الحجاب وقال الحسن نار السموم نار دونها حجاب والذي تسمعون من انعطاط السحاب صوتها وعن ابن عباس ايضا قال كان ابليس من حي من احياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة قال وخلقت الجن الذين ذكروا في القران من مارج من نار **قلت** هذا فيه نظر فانه يحتاج الى سند يقطع العذر اذ مثله لا يقال من جهة الراي وقد خرج مسلم من

حدث عروه عن عايشه قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلقت الملايكه من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق
ادم بما وصف لكم فقوله خلقت الملايكه من نور يقتضي العموم
والله اعلم قال الجوهري مارج من نار نار لا دخان لها خلق منها
الجان والسموم الريح الحاره تونث يقال منه سم يومنا فهو
يوم مسموم والجمع سمايم قال ابو عبيده السموم بالنهار وقد تكون
بالليل والحرور بالليل وقد يكون بالنهار القشيري وسميت الريح
الحاره سموما لدخولها بلطفها مسام البدن **قوله تعالى**
واذ قال ربك للملايكه تقدم في البقره اني خالق بشرا من طين
فاذا سويته اي سويت خلقه وصورته ونفخت فيه من روحي
النفخ اجرا الريح في الشي والروح جسم لطيف اجرى الله العاده
بان يخلق الحياه في البدن مع ذلك الجسم وحقيقته اضافه
خلق الى خالق فالروح خلق من خلقه اضافه الى نفسه تشريف
وتكريما لقوله ارضي وسمايي وبيتي وناقة الله وشهر الله ومثله وروح
منه وقد تقدم في النسا مبينا وذكرنا في كتاب التذكرة الاحاديث
الوارده التي تدل على ان الروح جسم لطيف وان النفس والروح اسمان
لمسمى واحد وسياتي ذلك ان شا الله ومن قال ان الروح هو الحياه
قال اراد فاذا ركبت فيه الحياة فقعوا له ساجدين اي خروا له
ساجدين وهو سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة ولله ان يفضل
من يريد ففضل الانبيا على الملايكه وقد تقدم في البقره هذا
المعنى وقال القفال كانوا افضل من ادم وامتحنهم بالسجود له تعريضا
لهم للثواب الجزيل وهو مذهب المعتزله وقيل امروا بالسجود لله عند
ادم وكان ادم قبلة لهم **قوله تعالى** فسجد الملايكه كلهم

اجمعون

الاولى لا شك ان ابليس كان من اجمعون الا ابليس فانه مسلمان
ماموزا بالسجود لقوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك وانما منعه من
ذلك الاستكبار والاستعظام كما تقدم في البقرة بيانه ثم قيل كان
من الملائكة فهو استثنا من الجنس وقال قوم لم يكن من الملائكة
فهو استثنا منقطع وتد مضى في البقرة هذا كله مستوفى والحمد لله
وقال ابن عباس الجان ابو الجن وليسوا شياطين والشياطين ولد
ابليس لا يموتون الا مع ابليس والجن يموتون ومنهم المومن ومنهم
الكافر فادم ابو الانس والجان ابو الجن وابليس ابو الشياطين
ذكره الماوردي والذي تقدم في البقرة خلاف هذا فتامله هناك

الثانية الاستثنا من الجنس وغير الجنس صحيح عند الشافعي
حتى لو قال لفلان علي دينار الا ثوبا او عشرة اثواب الا قفيز حنطه
وما جانس ذلك كان مقبولا وسقط عنه من المبلغ قيمة الثوب
والحنطه ويستوي في ذلك المكيلات والموزونات والمقدرات وقال
مالك وابو حنيفه رضي الله عنهما استثنا المكيل من الموزون والموزون
من المكيل جايز حتى لو استثنى الدراهم من الحنطه والحنطه من الدراهم
لقبل فاما اذا استثنى المقومات من المكيلات او الموزونات
والمكيلات من المقومات مثل ان يقول علي عشرة دنانير الا ثوبا
او عشرة اثواب الا دينارا لا يصح الاستثنا ويلزم المقر جميع
المبلغ وقال محمد بن الحسن الاستثنا من غير الجنس لا يصح ويلزم
المقر جملة ما اقر به والدليل لقول الشافعي ان لفظ الاستثنا
يستعمل في الجنس وغير الجنس قال الله تعالى لا يسمعون فيها لغوا
ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما فاستثنى السلام من جملة اللغو
ومثله فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس وابليس ليس من جملة

الملايكة قال الله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه وقال الشاعر
وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير ولا العيس فاستثنى اليعافير
وهي ذكور الظبا والعيس وهي الجمال البيض من الانس **قوله تعالى**
قال يا ابليس ما لك اي ما المانع لك ان لا يكون مع الساجدين اي ان
لا يكون قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون
بين تكبره وحسده وانه خير منه اذ هو من نار والنار تاكل الطين كما
تقدم في الاعراف بيانه قال فاخرج منها اي من السماوات او من جنة
عدن او من جملة الملايكة فانك رجيم اي مرجوم بالشهب وقيل ملعون
مشتوم وقد تقدم هذا كله مستوفى في البقرة والاعراف وان عليك
اللعنة اي لعنتي كما في سورة ص **قوله تعالى** قال رب فانظرني
الى يوم يبعثون هذا السوال من ابليس لم يكن عن ثقة منه بمنزلته
عند الله تعالى وانه اهل ان يجاب له دعا ولكن سال تاخير عذابه
زيادة في بلايه كفعل الايس من السلامة واراد بسواله الانظار الى يوم
يبعثون ان لا يموت لان يوم البعث لا موت فيه ولا بعده قال الله تعالى
فانك من المنظرين يعني الموجلين الى يوم الوقت المعلوم قال ابن عباس
اراد به النفخة الاولى حين تموت الخلايق وقيل الوقت المعلوم الذي
استاثر الله بعلمه ويجهله ابليس فيموت ابليس ثم يبعث قال الله تعالى
كل من عليها فان وفي كلام الله تعالى له قولان احدهما كلمة على لسان
رسول كلمة تغليظا في الوعيد لا على وجه التكرمة والتقريب
قوله تعالى قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض تقدم معنى الاغوا
والزيغ في الاعراف وتزيينه هنا يكون بوجهين اما بفعل المعاصي
واما بشغلهم بزينة الدنيا عن فعل الطاعة
ومعنى لاغوينهم اجمعين اي لاضلنهم لاغوينهم اجمعين

اي لاضلنهم عن طريق الهدى وروى ابن لهيعة عبد الله عن دراج ابي
السمح عن ابي الهيثم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ابليس قال يارب وعزتك وجلالك لا ازال اغوي
بني ادم ما دامت ارواحهم في اجسامهم فقال الرب وعزتي وجلالي
لا ازال اغفر لهم ما استغفروني **قوله تعالى** الا عبادك
منهم المخلصين قرا اهل المدينة واهل الكوفة بفتح اللام اي الذين
استخلصتهم واخلصتهم وقرا الباقون بكسر اللام اي الذين اخلصوا
لك العبادة من فساد او رياء حكى ابو ثمامة ان الحواريين سالوا عيسى
عليه السلام عن المخلص لله قال الذي يعمل ولا يحب ان يحمده الناس
قوله تعالى قال هذا صراط علي مستقيم قال عمر بن الخطاب
معناه هذا صراط يستقيم بصاحبه حتى يهجم به على الجنة الحسن على
بمعنى الي مجاهد والكسائي هذا على الوعيد والتهديد كقولك
لمن تهدده طريقك علي ومصيرك الي وكقوله ان ربك لبالمرصاد
فكان معنى الكلام هذا طريق مرجعه الي فاجازي كلا بعمله يعني
طريق العبودية وقيل المعنى علي ان ادل على الصراط المستقيم بالبيان
والبرهان وقيل بالتوفيق والهداية وقرا ابن سيرين وقتادة والحسن
وقيس بن عباد وابو رجا وحميد ويعقوب هذا صراط علي مستقيم
برفع وتنوينه ومعناه رفيع مستقيم اي رفيع في الدين والحق وقيل
رفيع ان ينال مستقيم ان يمال **قوله تعالى** ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان فيه مسلتان **الاولى قوله تعالى** ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان قال العلما يعني على قلوبهم وقال ابن عيينة
اي في ان يلقيهم في ذنب يمنعهم عفوي وضيقه عليهم وهاولاء هم الذين
هداهم الله واجتباهم واختارهم واصطفاهم **قلت** لعل قايلا يقول

قد اخبر الله عن صفه ادم وحوا عليهما السلام بقوله فازلهما
الشيطان وعن جمله من اصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله
انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا فالجواب ما ذكرناه وهو انه
ليس له سلطان على قلوبهم ولا موضع ايمانهم ولا يلقيهم في ذنب
يوول الى عدم العفو بل الى ذنب يزيله التوبه ويمحوه الاوبه ولم يكن
خروج ادم عقوبه لما تناوله على ما تقدم في البقره بيانه واما
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقد مضى القول عنهم في ال عمران
ثم ان قوله سبحانه ليس لك عليهم سلطان يحتمل ان يكون خاصا
فيمن حفظه الله ويحتمل ان يكون في اكثر الاوقات والاحوال
وقد يكون في تسلطه تفريج كربه وازاله غمه كما فعل ببلال
اذ اتاه يهديه كما يهدا الصبي حتى نام ونام النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه فلم يستيقظوا حتى طلعت الشمس وفزعوا وقالوا ما كفاره
ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
ليس في النوم تفريط ففرج عنهم الا من اتبعك من الغاوين اي
الضالين المشركين اي سلطانه على هولاء دليله انما سلطانه
على الذين يتولونه والذين هم به مشركون الثانيه في هذه
الايه والتي قبلها دليل على جواز استثنا القليل من الكثير
والكثير من القليل مثل ان يقول عشره الا درهما ويقول
عشره الا تسعه وقال احمد بن حنبل لا يجوز ان يستثني الا
قدر النصف فما دونه فاما استثنا الاكثر من الجمله فلا يصح
دليلنا الايتان فان فيهما استثنا الغاوين من العباد والعباد
من الغاوين وذلك يدل على ان استثنا الاقل من الجمله واستثنا
الاكثر من الجمله جائز قوله تعالى وان جهنم لموعدهم

اجمعين

اجمعين يعني ابليس ومن اتبعه لها سبعة ابواب اي المباني طبق
فوق طبق لكل طبقة جزء مقسوم اي خط معلوم وذكر ابن المبارك
قال انا ابراهيم ابو هارون الغنوي قال سمعت حطان بن عبد الله
الرقاشي يقول سمعت عليا رضي الله عنه يقول هل تدرون كيف
ابواب جهنم قلنا هي مثل ابوابنا هذه قال لا هي هكذا بعضها
فوق بعض زاد الثعلبي ووضع احدى يديه على الاخرى وان
الله وضع الجنان على الارض والنيران بعضها فوق بعض فاسفلها
جهنم وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها لظى
وفوقها السعير وفوقها الهاوية كل باب اشد حرا من الذي
يليه سبعين مرة **قلت** كذا وقع هذا التفسير والذي عليه
الاكثر من العلما ان جهنم اعلى الدركات وهي مخصصة بالعصاة
من امة محمد صلى الله عليه وسلم وهي التي تخلى من اهلها فتصفق
الرياح ابوابها ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم
ثم الهاوية قال الضحاك في الدرك الاعلى المحمديون وفي
الثاني النصارى وفي الثالث اليهود وفي الرابع الصابيون وفي الخامس
المجوس وفي السادس مشركوا العرب وفي السابع المنافقون وال
فرعون ومن كفر من اهل المايدة قال الله تعالى ان المنافقين في
الدرك الاسفل وقد تقدم في النساء وقال ادخلوا ال فرعون
اشد العذاب وقال فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا
اعذبه احدا من العالمين وقسم معاذ بن جبل رضي الله عنه العلما
السو من هذه الامة تقسيما على تلك الابواب ذكرناه في كتاب
التذكرة وروى الترمذي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لجهنم سبعة ابواب باب منها لمن سل سيفه

على امتي قال حديث غريب وقال ابي بن كعب لجهنم سبعه ابواب
باب منها للحروريه وقال وهب بن منبه بين كل بابين مسيره سبعين
سنه كل باب اشد حرا من الذي فوقه بسبعين ضعفا وقد ذكرنا
هذا كله في كتاب التذكره وروي سالم الطويل عن ابي سفيان عن
انس بن ملك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى لها سبعه
ابواب لكل باب منهم جزو مقسوم جزو اشركوا بالله وجزو شكوا
في الله وجزو غفلوا عن الله وجزو اثروا شهواتهم على الله وجزو شفوا
غيظهم بغضب الله وجزو صيروا رغبتهم بحظهم عن الله وجزو عتوا
عن الله ذكره الحليمي ابو عبد الله الحسن بن الحسن في كتاب منهاج
الدين له وقال فان كان ثابتا فالمشركون بالله هم الثنويه والوثنيه
والشاكون هم الذين لا يدرون ان لهم الها ولا اله لهم او يشكون
في شريعته انها من عنده ام لا والغافلون عن الله هم الذين يجحدونه
اصلا ولا يثبتونه وهم الدهريه والموثرون شهواتهم على الله هم
المنهمكون في المعاصي لتكذيبهم رسل الله وامره ونهيه والشافون
غيظهم بالله هم القاتلون انبيا الله وسائر الداعين اليه المعذبون
من ينصح لهم او يذهب غير مذهبهم والمصيرون رغبتهم بحظهم من الله
هم المنكرون بالبعث والحساب فهم يعبدون ما يرغبون ان
لهم جميع حظهم من الله تعالى والعاتون عن الله الذين لا يبالون
بان يكون ما هم فيه حقا او باطلا فلا يتفكرون ولا يعتبرون ولا
يستدلون والله اعلم بما اراد رسوله صلى الله عليه وسلم ان ثبت
الحديث ويروى ان سلمان الفارسي رضي الله عنه لما سمع هذه الايه
وان جهنم لموعدهم اجمعين فر ثلاثه ايام من الخوف لا يعقل فجي به
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله فقال له يا رسول الله

انزلت هذه الايه وان جهنم لموعدهم اجمعين فوالذي بعثك
بالحق لقد قطعت قلبي فانزل الله تعالى ان المتقين في جنات
وعيون وقال بلال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في مسجد المدينه
وحده فمرت به امراة اعرابيه فصلت خلفه ولم يعلم بها فقرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الايه لها سبعة ابواب لكل
باب منهم جزء مقسوم فخرت الاعرابيه مغشيه عليها وسمع النبي صلى
الله عليه وسلم وجبتها فانصرف ودعا بما فصب على وجهها حتى
افاقت وجلست فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا هذه مالك فقالت
اهذا شي من كتاب الله تعالى او تقوله من تلقاء نفسك فقال
يا اعرابيه بل هو من كتاب الله المنزل فقالت كل عضو من اعضاي
يعذب على كل باب منها قال لها اعرابيه بل لكل باب منهم جزء مقسوم
يعذب اهل كل باب على قدر اعمالهم فقالت والله اني امراه مسكينه
مالي مال وما لي الا سبعة اعبد اشهدك يا رسول الله ان كل
عبد منهم عن كل باب من ابواب جهنم حر لوجه الله فاتاه جبريل فقال
يا رسول الله بشر الاعرابيه ان الله قد حرم عليها ابواب جهنم كلها وفتح
لها ابواب الجنه **قوله تعالى** ان المتقين في جنات وعيون
اي الذين اتقوا الفواحش والشرك في جنات اي بساتين وعيون
هي الانهار الاربع ما وخمر ولبن وعسل واما العيون المذكوره في
سوره الانسان الكافور والزنجبيل والسلسبيل وفي المطففين
التسنيم فيأتي ذكرها واهلها ان شا الله تعالى وضم العين من عيون
على الاصل والكسر مراعاه للياء وقرى بها ادخلوها بسلام امنين
قراه العامه ادخلوها بوصل الالف وضم الخاء من دخل يدخل على الامر تقديره
قيل ادخلوها وقرا الحسن وابو العاليه ورويس عن يعقوب ادخلوها

ل

ادخلوها بسلام امنين

بضم التنوين ووصل الالف وكسر الخاء على الفعل المجهول من ادخل
اى ادخلهم الله اياها ومذهبهم كسر التنوين في مثل برحمة ادخلوا
الجنة وشبهه الا انهم ها هنا القوا حركة الهمزة على التنوين اذ
هي الف قطع ولكن فيه انتقال من كسر الى ضم ثم ان من ضم الى
كسر فيثقل على اللسان بسلام اى بسلامة من كل داء وآفة
وقيل بتحية من الله لهم امنين اى من الموت والعذاب والعزل
والزوال **قوله تعالى** ونزعنا ما في صدورهم من غل قال ابن
عباس اول ما يدخل اهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان فيشربون
من احدى العينين فيذهب الله ما في قلوبهم من غل ثم يدخلون
العين الاخرى فيغتسلون فيها فتشرق الوانهم وتصفو وجوههم
وتجرى عليهم نضرة النعيم ونحوه عن علي رضي الله عنه وقال علي بن
الحسين نزلت في ابي بكر وعمر وعلي والصحابة يعني ما كان بينهم في
الجاهلية من الغل والقول الاول اظهر يدل عليه سياق
الآية وقال علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وطلحة والزبير
من هؤلاء والغل الحقد والعداوة يقال منه غل يغل
ويقال من الغلول وهو السرقة من المغنم غل يغل ويقال
من الخيانة اغل يغل كما قال

جزى الله عنا حمزة ابنة نوفل جزاء مغل بالامانة كاذب

وقد مضى هذا في آل عمران اخوانا على سرر متقابلين اى لا ينظر
بعضهم الى قفا بعض تواصلا وتحاببا عن مجاهد وغيره وقيل
الاسرة تدور كيف ما شاؤوا فلا يرى احد قفا احد وقيل
متقابلين قد اقبلت عليهم الازواج واقبلوا عليهن بالود وسرر
جمع سرير مثل جديد وجدد وقيل هو من السرور فكأنه مكان

رفيع ممهد للسرور والاول اظهر قال ابن عباس على سرر مكللة بالياقوت والزبرجد والدرا لسرير ما بين صنعا الى الجابية وما بين عدن الى ايلة واخوانا نصب على الحال من المتقين او من المضمر في ادخلوها او من المضمر في امنين او يكون حالا مقدره من الهاء والميم في صدورهم لا يمسهم فيها نصب اى اعيا وتعب وما هم منها بمخرجين دليل على ان نعيم الجنة دايم لا يزول وان اهلها فيها باقون اكلها دايم ان هذا لرزقنا ما له من نفاد **قوله تعالى** نبى عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم هذه الاية وزان قوله عليه السلام لو يعلم المومن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته احد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته احد اخرجه مسلم من حديث ابى هريرة وقد تقدم في الفاتحة وهكذا ينبغى للانسان ان يذكر نفسه وغيره فيخوف ويرجى ويكون الخوف في الصحة اغلب عليه منه في المرض وجاء في الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج على اصحابه وهم يضحكون فقال اتضحكون وبين ايديكم الجنة والنار فشق ذلك عليهم فنزلت الاية ذكره المهدوى والماوردى ولفظ الثعلبى عن ابن عمر قال اطلع علينا النبى صلى الله عليه وسلم من الباب الذى يدخل منه بنو شيبة ونحن نضحك فقال ما لكم تضحكون لا اراكم تضحكون ثم ادبر حتى اذا كان عند الحجر رجع القهقرى فقال انى لما خرجت جاءنى جبريل فقال يا محمد لم تقنط عبادى من رحمتى نبى عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم فالقنوط اياس والرجا اهمال وخير الامور اوساطها **قوله تعالى** ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه ضيف ابراهيم الملايكة الذين

بشروه بالولد وبهلاك قوم لوط وقد تقدم وكان ابراهيم عليه
السلام يكنى ابا الضيفان وكان لقصره اربعة ابواب لكيلا
يفوته احد وسمى الضيف ضيفا لاضافته اليك ونزوله
عليك وقد مضى من حكم الضيف في هود ما يكفي والحمد لله ::
اذ دخلوا عليه جمع الخبر لان الضيف اسم يصلح للواحد
والجمع والتثنية والمذكر والمؤنث كالمصدر ضافه مال
اليه واضافه اماله ومنه الحديث حين تضيف الشمس
للغروب يضيفونه السهم والاو ضافه المجوبة فقالوا سلاما
اي سلموا سلاما :: قال انا منكم وجلون اي فزعون خائفون
وانما قال هذا بعد ان قرب العجل وراهم لا ياكلون على ما
تقدم في هود وقيل انكر السلام ولم يكن في بلاده رسم السلام
قالوا لا توجل اي قالت الملائكة لا تخف انا نبشرك بغلام
عليم اي حليم قاله مقاتل وقال الجمهور عالم وهو اسحق قال
ابشرتموني على ان مسني الكبر ان مصدرية اي على مس الكبر
اياي وزوجتي وقد تقدم في هود وابراهيم حيث يقول فبم
تبشرون استفهام تعجب وقيل استفهام حقيقي وقرا الحسن
توجل بضم التاء والاعمش بشرتموني بغير الف ونافع وشيبة
تبشرون بكسر النون والتخفيف مثل اتحاجوني وقد تقدم تعليله
وقرا ابن كثير وابن محيصن تبشرون بكسر النون مشدده تقديره
تبشرونني فادغمت النون في النون الباقون تبشرون بنصب النون
بغير اضافة **قوله تعالى** قالوا بشرناك بالحق اي بما لا
خلف فيه وان الولد لا بد منه فلا تكن من القانطين اي
من الايسين من الولد وكان قد ايس من الولد لفرط الكبر وقراه

١٣٠١

كان عشر

العامه من القانطين بالالف وقرا الاعمش ويحيى بن وثاب من القنطين بلا الف وروى عن ابي عمرو وهو مقصور من القانطين ويجوز ان يكون من لغه من قال قنط يقنط مثل حذر يحذر وفتح النون وكسرها من يقنط لغتان قرى بهما وحكى فيه يقنط بالضم ولم يات فيه قنط يقنط ممن فتح النون في الماضي والمستقبل فانه جمع بين اللغتين فاخذ في الماضي بلغه من قال قنط يقنط وفي المستقبل بلغه من قال قنط يقنط وفي المستقبل بلغه من قال قنط يقنط ذكره المهدوي **قوله تعالى** قال ومن يقنط من رحمه ربه الا الضالون اي المكذبون الذاهبون عن طريق الصواب يعني انه استبعد الولد للكبر السن لا انه قنط من رحمه الله تعالى **قوله تعالى** قال فما خطبكم ايها المرسلون فيه مسئلتان **الاولى** لما علم انهم ملائكه اذ اخبروه بامر خارق للعادة وهو بشراهم بالولد قال فما خطبكم والخطب الامر الخطير اي فما امركم وشانكم وما الذي جئتم به قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين اي مشركين ضالين وفي الكلام اضمار اي ارسلنا الى قوم مجرمين لنهلكهم الا آل لوط اتباعه واهل دينه انا لمنجوهم قرا حمزة منجا واختاره ابو عبيد وابو حاتم والتنجيه والانجا التخليص الا امراته استثنى من ال لوط امراته وكانت كافرة فالتحقت بالمجرمين في الهلاك وقد تقدمت قصه قوم لوط في الاعراف وسورة هود بما فيه كفاية قدرنا انها لمن الغابرين اي قضينا وكتبنا انها لمن الباقين في العذاب والغابر الباقي قال

لا تكسع بافبارها انك لا تدري من الناتج

الاغبار بقايا اللبن وقرا ابو بكر والمفضل قدرنا بالتخفيف هنا وفي النمل وشدد الباقون الهروي يقال قدر وقدر بمعنى **الثانيه** لا خلاف بين اهل اللسان وغيرهم ان الاستثنا من النفي اثبات ومن

الاثبات نفي فاذا قال الرجل له علي عشرة دراهم الا اربعة الا درهما
ثبت الاقرار بسبعة لان الدرهم مستثنى من الاربعة وهو مثبت لانه
مستثنى من منفي وكانت الاربعة منفية لانها مستثناة من موجب
وهي العشرة فعاد الدرهم الى الستة فصارت سبعة وكذلك لو قال
علي خمسة دراهم الا درهما الا ثلثه كانت عليه اربعة دراهم وثلث
وكذلك اذا قال لفلان علي عشرة الا تسعة الا ثمانية الا سبعة
كان الاستثناء الثاني راجعا الى ما قبله والثالث الى الثاني فيكون
عليه درهمان لان العشرة اثبات والثمانية اثبات فيكون مجموعهما ثمانية
عشر والتسعة نفي والسبعة نفي فيكون مجموعهما ستة عشر فيسقط
من ثمانية عشر ستة عشر ويبقى درهمان وهو القدر الواجب بالاقرار لا غير
فقوله سبحانه انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين الا
امراته فاستثنى ال لوط من القوم المجرمين ثم قال الا امراته فاستثناها
من ال لوط فرجعت في التاويل الى القوم المجرمين كما قلنا وهكذا الحكم
في الطلاق لو قال لزوجته انت طالق ثلثا الا اثنتين الا واحدة طلقت ثنتين
لان الواحدة رجعت الى الباقي المستثنى منه اولا وهي الثلاث وهكذا كل ما جاء من
هذا فتفهمه **قوله تعالى** فلما جاء ال لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون
اي لا اعرفكم وقيل كانوا شبابا ورأى جمالا فخاف عليهم من قومه فهذا
هو الانكار قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي يشكون انه نازل بهم وهو
العذاب واتيناك بالحق اي بالصدق وقيل بالعذاب وانا لصادقون
اي في هلاكهم فاسر باهلك بقطع من الليل تقدم في هود واتبع ادبارهم
اي كن من ورائهم لئلا يتخلف منهم احد فيناله العذاب ولا يلتفت منكم
احد نهوا عن الالتفات ليجدوا في السير ويتباعدوا عن القرية
قبل ان يفجاهم الصبح وقيل المعنى لا يتخلف وامضوا حيث تؤمرون

قال ابن عباس

قال ابن عباس يعني الشام مقاتل يعني صعوقريه من قرى لوط وقد تقدم
وقيل انه مضى الى ارض الخليل لمكان يقال له اليقين وانما سمي اليقين
لان ابراهيم لما خرجت الرسل شيعهم فقال لجبريل من اين يخسف
بهم قال من هنا وحد له حدا وذهب جبريل فلما جا لوط جلس عند
ابراهيم وارتقبا ذلك العذاب فلما اهتزت الارض قال ابراهيم
~~وارتقبا ذلك~~ ايقنت بالله فسمي اليقين **قوله تعالى** وقضينا اليه
اى اوحينا الى لوط ان دابر هاولاء مقطوع مصبحين نظيره فقطع دابر
القوم الذين ظلموا مصبحين اى عند طلوع الصبح وقد تقدم وجا اهل
المدينه اى اهل مدينة لوط يستبشرون باضياف لوط طمعا منهم
في ركوب الفاحشة قال ان هاولاء ضيفي اى اضيافي فلا تفضحون اى
تخجلون واتقوا الله ولا تخزون يجوز ان يكون من الخزي وهو الذل والهوان
ويجوز ان يكون من الخزاية وهو الحيا والخجل وقد تقدم في هود: قالوا
اولم ننهك عن العالمين اي عن ان تضيف احدا لانا نريد منهم الفاحشه
وكانوا يقصدون بفعلهم الغربا عن الحسن وقد تقدم في الاعراف وقيل
اولم ننهك عن ان تكلمنا في احد من الناس اذا قصدناه بالفاحشة قال
هاولاء بناتي ان كنتم فاعلين اي فتزوجوهن ولا تركبوا الحرام وقد تقدم بيان
هذا في هود **قوله تعالى** لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فيه ثلاث
مسايل **الاولى** قال القاضي ابو بكر بن العربي قال المفسرون باجمعهم
اقسم الله تعالى هاهنا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم تشريفا له ان قومه من
قريش في سكرتهم يعمهون وفي حيرتهم يترددون **قلت** وهكذا قال القاضي
عياض اجمع اهل التفسير في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة
محمد صلى الله عليه وسلم واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة
الاستعمال ومعناه وبقايك يا محمد وقيل وحياتك وهذا نهاية التعظيم

وغايه البر والتشريف قال ابو الجوزا ما اقسم الله بحياه احد غير محمد
صلى الله عليه وسلم لانه اكرم البريه عنده قال ابن العربي ما الذي
يمتنع ان يقسم الله سبحانه وتعالى بحياه لوط ويبلغ به من التشريف
ما شا وكل ما يعطيه تعالى للوط من فضل يوتى ضعفيه من شرف
لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم على الله منه اولا تراه سبحانه اعطى ابراهيم
الخلة وموسى التكليم واعطى ذلك لمحمد فاذا اقسم بحياه لوط فحياه محمد
عليه السلام ارفع ولا يخرج من الكلام الى كلام لم يجر له ذكر لغير ضروره
قلت ما قاله حسن فانه كان يكون قسمه سبحانه بحياه محمد صلى الله عليه
وسلم كلاما معترضا في قصه لوط قال القشيري ابو نصر عبد الرحيم بن عبد
الكريم في تفسيره ويحتمل ان يقال يرجع ذلك الى قوم لوط اى كانوا في سكرتهم
يعمهون وقيل لما وعظ لوط قومه وقال هولا بناتي قالت الملايكه يا لوط
لعمرك انهم لفي سكرتهم ولا يدرون ما يحل بهم صباحا فان قيل فقد اقسم الله
تعالى بالتين والزيتون وطور سينين فما في هذا فيله ما من شي اقسم به
الا وذلك دلاله على فضله على ما يدخل في عداده فكذلك نبينا صلى الله
عليه وسلم يجب ان يكون افضل ممن هو في عداده والعمر والعمر بضم
العين وفتحها لغتان ومعناهما واحد الا انه لا يستعمل في القسم الا
بالفتح لكثره الاستعمال وتقول عمرك الله اي اسل الله تعمرك
ولعمرك رفع بالابتدا وخبره محذوف المعنى لعمرك مما اقسم به
الثانيه كره كثير من العلما ان يقول الانسان لعمري لان معناه
وحياتي قال ابراهيم النخعي يكره للرجل ان يقول لعمري لانه حلف
بحياه نفسه وذلك من كلام ضعفه الرجال ونحو هذا قال مالك
ان المستضعفين من الرجال والموثثين يقسمون بحياتك وعيشك
وليس من كلام اهل الذكران وان كان الله اقسم به في هذه القصه

سبحانه

لذلك بيان لشرف المنزله والرفعه لمكانه فلا يحمل عليه سواه ولا يستعمل
في غيره وقال ابن حبيب ينبغي ان يصرف لعمرك في الكلام لهذه الايه
وقال قتاده هو من كلام العرب قال ابن العربي وبه اقول لكن الشرع
قد قطعه في الاستعمال ورد القسم اليه **قلت** القسم بلعمرك ونحوه
في اشعار العرب وفصيح كلامها كثير قال النابغه

لعمري وما عمري علي بهين لقد نطقت بطلا علي الاقارع

لعمرك ان الموت ما اخطا الفتى لكالطول المرخى وثنياه باليد

ايها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

اذا رضيت علي بنو قشير لعمر الله اعجبني رضاها

وقال بعض اهل المعاني لا يجوز هذا لانه لا يقال لله عمر وانما هو تعالى
ازلي ذكره الزهراوي **الثالثه** قد مضى الكلام فيما يحلف به وما
لا يجوز الحلف به في المائده وذكرنا هناك قول احمد بن حنبل فيمن اقسم
بالنبي صلى الله عليه وسلم لزمته الكفاره قال ابن خويزمنداد من جوز الحلف
بغير الله تعالى مما يجوز تعظيمه بحق من الحقوق فليس يقول انها يمين تتعلق
بها كفاره الا انه من قصد الكذب كان ملوما لانه في الباطن مستخف
بما وجب عليه تعظيمه قالوا وقوله تعالى لعمرك اي وحياتك واذا اقسم
الله تعالى بحياة نبيه فانما اراد بيان التصريح لنا انه يجوز لنا ان نحلف بحياته
وعلى مذهب مالك معنى قوله لعمرك والتين والزيتون والطور وكتاب
مسطور والنجم اذا هوى والشمس وضحاها لا اقسم بهذا البلد وانت
حل بهذا البلد ووالد وما ولد كل هذا معناه وخالق التين والزيتون
وبرب الكتاب المسطور وبرب البلد الذي حللت به وخالق عيشك
وحياتك وحق محمد فاليمين والقسم حاصل به سبحانه لا بالمخلوق قال ابن
خويزمنداد ومن جوز اليمين بغير الله تعالى تاول قوله صلى الله عليه وسلم

لا تحلفوا بآبائكم وقال انما نهى عن الحلف بالآباء الكفار الا ترى انه قال
لما حلفوا بآبائهم لا الجعل عند الله اكثر من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية
وملاك حمل الحديث على ظاهره قال ابن خواز منداد واستدل
ايضا من جوز ذلك بان ايمان المسلمين جرت منذ عهد النبي صلى الله
عليه وسلم الى يومنا هذا ان يحلفوا بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى
ان اهل المدينة الى يومنا هذا اذا جاءهم احدهم صاحبه قال له
احلف لي بحق ما حواه هذا القبر وبحق ساكن هذا القبر يعني
النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك بالحرم والمشاعر العظام والركن
والمقام والمحراب وما يتلى فيه **قوله تعالى** فاخذتهم
الصيحة مشرقين نصب على الحال اي وقت شروق الشمس يقال
اشرقت الشمس اي اضاءت وشرقت اذا طلعت وقيل هما لغتان
بمعنى واشرق القوم اي دخلوا في وقت شروق الشمس مثل اصبحوا
وامسوا وهو المراد في الآية وقيل اراد شروق الفجر وقيل اول
العذاب كان عند الصبح وامتد الى شروق الشمس وكان تمام الهلاك
عند ذلك والله اعلم والصيحة العذاب وتقدم ذكر سجيل **قوله**
تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين فيه مسئلتان **الاولى**
قوله تعالى للمتوسمين روى الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من
حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله ثم قرا ان في ذلك لآيات
للمتوسمين قال هذا حديث غريب وقال مقاتل وابن زيد للمتوسمين
للمتفكرين الضحاك للناظرين قال الشاعر

اوكلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا الي عريفهم يتوسم

وقال قتادة للمعتبرين قال زهير

وفيهن

الصيحة

وفيهن ملهى للصديق ومنظر انيق لعين الناظر المتوسم
وقال ابو عبيده للمتبصرين والمعنى متقارب ، وروى الترمذي الحكيم
من حديث ثابت عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لله عز وجل عباداً يعرفون الناس بالتوسم قال العلماء
التوسم تفعل من الوسم وهي العلامة التي يستدل بها على مطلوب
غيرها يقال توسمت فيه الخير اذا رايت ميسم ذلك فيه ومنه
قول عبد الله بن رواحه للنبي صلى الله عليه وسلم شعر
اني توسمت فيك الخير اعرفه والله يعلم اني ثابت البصر
اخر: توسمته لما رايت مهابة عليه وقلت المرء من ال هاشم
واتسم الرجل اذا جعل لنفسه علامة يعرف بها وتوسم الرجل طلب كلا
الوسمي واستشد: واصبحن كالدوم النواعم غدوة على وجهة من ظاعن متوسم
وقال ثعلب الواسم الناظر اليك من قرنك الى قدمك واصل التوسم
التثبت والتفكر ماخوذ من الوسم وهو التاثير بحديده في جلد البعير
او غيره وذلك يكون بجودة القريحة وحدة الخاطر وصفاء الذكر زاد
غيره وتفريغ القلب من حشو الدنيا وتطهيره من ادناس المعاصي
وكدوره الاخلاق وفضول الدنيا: روى نهشل عن ابن عباس للمتوسمين
قال لاهل الصلاح والخير وزعمت الصوفيه انها كرامه وقيل بل هي
استدلال بالعلامات ومن العلامات ما يبدو ظاهرا لكل احد
وباول نظر ومنها ما يخفى فلا يبدو لكل احد ولا تدرك ببادي النظر
قال الحسن المتوسمون هم الذين يتوسمون الامور فيعلمون ان الذي
اهلك قوم لوط قادر على ان يهلك الكفار فهذا من الدلائل الظاهره
ومثله قول ابن عباس ما سالني احد عن شي الا عرفت افقيه هو او غير
فقيه وروي عن الشافعي ومحمد بن الحسن انهما كانا بفناء الكعبه ورجل على

باب المسجد فقال لاحدهما اراه نجارا وقال الاخر بل حداد اذا فتبادر
من حضر الى الرجل فسأله فقال كنت نجارا وانا اليوم حداد وروي
عن جندب بن عبد الله البجلي انه اتى على رجل يقرأ القرآن فوقف
فقال من سمّع سمّع الله به ومن رايا رايا الله به فقلنا له كانك
عرضت بهذا الرجل فقال اللهم ان هذا يقرأ عليك القرآن اليوم
ويخرج غدا حروريا فكان رأس الحرورية واسمه مرداس وروي
عن الحسن البصري انه دخل عليه عمرو بن عبيد فقال هذا سيد
فتيان البصرة ان لم يحدث فكان من امره من القدر ما كان حتى هجره
عامة اخوانه وقال لايوب هذا سيد فتيان اهل البصرة ولم
يستثن وروي عن اياس انه قال لداود الاودي وهو يماريه
انك لا تموت حتى تكوى في راسك وكان كذلك وروي ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه دخل عليه قوم من مذحج فيهم الاشتر فصعد
فيه النظر وصوبه وقال ايهم هذا قالوا مالك بن الحرث فقال
ماله قاتله الله اني لارى للمسلمين منه يوما عصيبا فكان منه في الفتنه
ما كان وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ان انس بن مالك
دخل وكان قد مر بالسوق فنظر الى امراة فلما نظر اليه قال عثمان
يدخل احدكم علي وفي عينيه اثر الزنا فقال له انس او حيا بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن برهان وفراسة وصدق ومثله
كثير عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم اجمعين الثانية
قال القاضي ابو بكر بن العربي اذا ثبت ان التوسم والتفرس من
مدارك المعاني فان ذلك لا يترتب عليه حكم ولا يؤخذ به موسوم
ولا متفرس وقد كان قاضي القضاة الشاشي المالكي ببغداد ايام كوني
بالشام يحكم بالفراسة في الاحكام جريا على طريق اياس بن معاوية

لداماص

عليه

ايان كان قاضيا وكان شيخنا فخر الاسلام ابو بكر الشاشي صنف جزءا
في الرد عليه كتبه لي بخطه واعطانيه وذلك صحيح فان مدارك
الاحكام معلومة شرعا مدركة قطعا وليست الفراسة منها
قوله تعالى وانهما يعني قرى قوم لوط لبسبيل مقيم اي على
طريق قومك يا محمد الى الشام ان في ذلك لاية للمومنين اي لعبرة
للمصدقين وان كان اصحاب الايكة لظالمين يريد قوم شعيب كانوا
اصحاب غياض ورياض وشجر مثمر والايكة الغيضة وهي جماع الشجر
والجمع الايك وروي ان شجرهم كان دوما وهو المقل قال النابغة

تجلو بقادمتي حمامة ايكة بردا اسف لثاته بالاثمد

وقيل الايكة اسم القرية وقيل اسم البلدة وقال ابو عبيدة الايكة
وليكة مدينتهم بمنزلة بكة من مكة وتقدم خبر شعيب وقومه وانهما لبامام
مبين اي بطريق واضح في نفسه ومدينة قوم لوط وبقعة اصحاب الايكة
يعتبر بهما من يمر عليهما **قوله تعالى** ولقد كذب اصحاب الحجر
المرسلين الحجر يطلق على معان منها حجر الكعبة ومنها الحرم قال
الله تعالى وحجرا محجورا اي حراما محرما والحجر العقل قال الله تعالى
لذي حجر والحجر حجر القميص والفتح افصح والحجر الفرس الانثى والحجر
ديار ثمود وهو المراد هنا اي المدينة قاله الزهري قتادة وهي ما بين
مكة وتبوك وهو الوادي الذي فيه ثمود : الطبري هي ارض بين الحجاز
والشام وهم قوم صالح وقال المرسلين وهو صالح وحده ولكن من
كذب نبيا فقد كذب الانبيا لانهم على دين واحد في الاصول فلا يجوز
التفريق بينهم وقيل كذبوا صالحا ومن تقدمه من النبيين ايضا والله اعلم
روى البخاري عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة
تبوك امرهم ان لا يشربوا من بيرها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجنا واستقينا

فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهريقوا الماء وان يطرحوا
ذلك العجين وفي الصحيح عن ابن عمر ان الناس نزلوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الحجر في ارض ثمود فاستقوا من ابارها وعجنوا
به العجين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهريقوا ما استقوا
ويعلفوا الابل العجين وامرهم ان يستقوا من البير التي تردها الناقة
وروى ايضا عن ابن عمر قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الحجر فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا مساكن
الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصابهم
ثم زجر فاسرع **قلت** ففي هذه الاية التي بين الشارع حكمها واوضح
امرها ثمان مسايل استنبطها العلما واختلف في بعضها الفقها
فاولها كراهة دخول تلك المواضع وعليها حمل بعض العلما دخول
مقابر الكفار فان دخل الانسان شيا من تلك المواضع والمقابر فعلى
الصفة التي ارشد اليها النبي صلى الله عليه وسلم من الاعتبار والخوف
والاسراع وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا ارض بابل فانها
ملعونة **مسالة** امر النبي صلى الله عليه وسلم بهرق ما استقوا
من بير ثمود والقا ما عجن وخبز به لاجل انه ماء سخط فلم يجز الانتفاع
به فرارا من سخط الله وقال اعلفوه الابل قلت وهكذا حكم الماء
النجس وما يعجن به وثانيها قال مالك ان ما لا يجوز استعماله من
الطعام والشراب يجوز ان تعلفه الابل والبهائم اذ لا تكليف عليها
ولذلك قال في العسل النجس انه يعلفه النحل وثالثها امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعلف ما عجن بهذا الماء الابل ولم يامر بطرحه
كما امر في لحوم الحمر الانسية يوم خيبر فدل على ان لحم الحمر اشد في
التحريم واغلظ في التنجيس وقد امر صلى الله عليه وسلم بكسب الحجام

ان

الناصح

ان يعلف النواضح والرقيق ولم يكن ذلك للتحريم ولا تجليس قال الشافعي
ولو كان حراما لم يأمره ان يطعمه رقيقه لانه متعبد فيه كما تعبد في
نفسه وراتبها في امره صلى الله عليه وسلم بعلف الابل العجين دليل
على جواز حمل الرجل النجاسه الى كلابه ليأكلوها حلالا لمن منع ذلك
من اصحابنا وقال يطلق الكلاب عليها ولا يحملها اليهم وخامسها
امره صلى الله عليه وسلم ان يستقوا من بئر الناقه دليل على التبرك
باثار الانبيا والصالحين وان تقادمت اعصارهم وخفيت اثارهم
كما ان في الاول دليلا على بغض اهل الفساد وذم ديارهم واثارهم هذا
وان كان التحقيق ان الجمادات غير مواخذات لكن المقرون بالمحبوب
محبوب والمقرون بالمكروه المبغوض مبغوض كما قال كثيرة

وكما قال الاخر

احب لحبها السودان حتى احب لحبها سود الكلاب
امر على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما تلك الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وسادسها منع بعض العلما الصلاه بهذا الموضع وقال لا يجوز الصلاه
فيها لانها دار سخط وبقعه غضب قال ابن العربي فصارت هذه البقعه
مستثناه من قوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا فلا
يجوز التيمم بترابها ولا الوضو من مائها ولا الصلاه فيها وقد روى الترمذي
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يصلى في سبع مواطن
المزبله والمجزره والمقبره وقارعه الطريق وفي الحمام وفي معاطن
الابل وفوق بيت الله الحرام وفي الباب عن ابي مرثد وجابر وانس حديث
ابن عمر اسناده ليس بذاك القوي وقد تكلم في زيد بن جبيره من قبل
حفظه وقد زاد علماونا الدار المغصوبه والكنيسه والبيعه والبيت
الذي فيه تماثيل والارض المغصوبه او موضعا يستقبل فيه نايما

او وجه رجل او جدار اعليه نجاسه قال ابن العربي ومن هذه المواضع ما منع لحق الغير ومنه ما منع لحق الله تعالى ومنه ما منع لاجل النجاسه المحققه او لغلبتها فما منع لاجل النجاسه ان فرش فيه ثوب طاهر كالحمام والمقبره فيها او اليها فان ذلك جائز في المدونه وذكر ابو مصعب عنه الكراهه وفرق علماؤنا بين المقبره الجديده والقديمه لاجل النجاسه وبين مقبره المسلمين والمشركين لانها دار عذاب وبقعه سخط كالحجر وقال مالك في المجموعه لا تصلي في اعطان الابل وان فرش ثوبا كانه راى لها علتين الاستتار بها ونفارها فيفسد على المصلي صلاته فان كانت واحده فلا باس كما كان صلى الله عليه وسلم يفعل في الحديث الصحيح وقال مالك لا تصلي على بساط فيه تماثيل الامن ضروره وذكره ابن القاسم الصلاه الى القبله فيها تماثيل وفي الدار المغصوبه فان فعل اجزا وذكر بعضهم عن مالك ان الصلاه في الدار المغصوبه لا تجزي قال ابن العربي وذلك عندي بخلاف الارض فان الدار لا تدخل الا باذن وان كانت ملكا فان المسجد به فيها قائمه لا يبطلها الملك **قلت** الصحيح ان شا الله الذي يدل عليه النظر والخبر ان الصلاه بكل موضع طاهر جائزه صحيحه وما روي من قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا وادبه شيطان وقد رواه معمر عن الزهري فقال واخرجوا عن الموضع الذي اصابتكم فيه الغفله وقوله على نهاى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اصلي بارض بابل فانها ملعونه وقوله عليه السلام حين مر بالحجر من ثمود لا تدخلوا على هولا المعذبين الا ان تكونوا باكين ونهيه عن الصلاه في معاطن الابل الى غير ذلك مما في هذا الباب فانه مرد ودالى الاصول المجتمع عليها والدلايل الى غير ذلك مما في هذا الباب فانه مردود الى الاصول المجتمع عليها

والدليل الصحيح يحملها قال الامام الحافظ ابو عمر المختار عندنا في هذا
الباب ان ذلك الوادي وغيره من بقاع الارض جائز ان يصلى فيها
كلها ما لم يكن فيها نجاسة متيقنة تمنع من ذلك ولا معنى لاعتلال من
اعتل بان موضع النوم عن الصلاة موضع شيطان وموضع ملعون
لا يجب ان تقام فيه الصلاة وكل ما روي في هذا الباب من النهي عن
الصلاة في المقبرة وبارض بابل واعطان الابل وغير ذلك مما في هذا المعنى
كل ذلك عندنا منسوخ ومدفوع لعموم قوله صلى الله عليه وسلم جعلت
لي الارض كلها مسجدا وطهورا وقوله صلى الله عليه وسلم مخبرا ان ذلك
من فضائله ومما خص به وفضائله عند اهل العلم لا يجوز عليها النسخ ولا
التبديل ولا النقص قال صلى الله عليه وسلم اوتيت خمسا وقد روي ستا وقد
روي ثلثا واربعا وهي تنتهي الى ازيد من سبع قال فيهن لم يؤتهن احد قبلي
بعثت الى الاحمر والاسود ونصرت بالرعب وجعلت امتي خير الامم
واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واوتيت الشفاعة
وبعثت بجوامع الكلم وبينا انا نائم اتيت بمفاتيح الارض فوضعت في يدي
واعطيت الكوثر وختم بي النبيون رواها جماعة من الصحابة وبعضهم
يذكر بعضها ويذكر بعضهم ما لم يذكره غيره وهي صحاح كلها وجائز على فضائله
الزيادة وغير جائز فيها النقصان الا ترى انه كان عبدا قبل ان يكون
نبيا ثم كان نبيا قبل ان يكون رسولا وكذلك روي عنه وقال ما ادري
ما يفعل بي ولا بكم ثم نزلت ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر وسمع رجلا يقول له يا خير البرية فقال ذاك ابراهيم وقال
لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وقال السيد يوسف بن
يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ثم قال بعد ذلك كله انا سيد ولد ادم
ولا فخر ففضائله صلى الله عليه وسلم لم تزل تزداد الى ان قبضه الله

ثم هاهنا قلنا انه لا يجوز عليها النسخ ولا الاستثنا ولا النقصان
وجايز فيها الزياده وبقوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا
وطهورا اجزنا الصلاه في المقبره والحمام وفي كل موضع من الارض
اذا كان طاهرا من الانجاس وقال صلى الله عليه وسلم لابي ذر حيث
ما ادركتك الصلاة فصل فان الارض كلها مسجدا ذكره البخاري
ولم يخص موضعا من موضع واما من احتج بحديث ابن وهب قال
اخبرني يحيى بن ايوب عن زيد بن جبيره عن داود بن حصين عن نافع عن
ابن عمر حديث الترمذي الذي ذكرناه فهو حديث انفرد به زيد بن
جبيره وانكروه عليه ولا نعرف هذا الحديث مسندا الا برواية يحيى
ابن ايوب عن زيد بن جبيره وقد كتب الليث بن سعد الى عبد الله بن
نافع مولى ابن عمر يسله عن هذا الحديث فكتب اليه عبد الله بن نافع لا
اعلم من حدث بهذا عن نافع الا قد قال عليه الباطل ذكره الحلواني
وعن سعيد بن ابي مريم عن الليث وليس فيه تخصيص مقبره المشركين
من غيرها وقد روي عن علي بن ابي طالب قال نهاني حبي صلى الله عليه وسلم
ان اصلي في المقبره ونهاني ان اصلي في ارض بابل فانها ملعونه واسناده
ضعيف مجتمع على ضعفه وابو صالح الذي رواه عن علي هو سعيد بن
عبد الرحمن الغفاري بصري ليس بمشهور ولا يصح له سماع عن علي ومن
دونه مجهولون لا يعرفون قال ابو عمر وفي الباب عن علي من قوله غير
مرفوع حديث حسن الاسناد رواه الفضل بن دكين قال نا المغيره
ابن ابي الحر الكندي قال حدثني ابو العنبس حجر بن عنبس قال خرجنا مع
علي الى الحروريه فلما جاوزنا سورايا وقع بارض بابل قلنا يا امير المومنين
امسيت الصلاه الصلاه فابى ان يكلم احدا قالوا يا امير المومنين قد
امسيت قال بلى ولكن لا اصلي في ارض خسف الله بها والمغيره بن

ابي

ابي الجرلوني ثقة قاله يحيى بن معين وغيره وحجر بن عنبس من كبار اصحاب
علي وروى الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الارض كلها مسجد الا المقبرة والحمام قال الترمذي
رواه سفيان الثوري عن عمرو بن يحيى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
مرسل وكانه اثبت واصح قال ابو عمر تسقط الاحتجاج به عند من لا
يرى المرسل حجة ولو ثبت كان الوجه ما ذكرنا ولسنا نقول كما قال بعض
المنتحلين لمذهب المدنيين ان المقبرة في هذا الحديث وغيره اريد بها
مقبرة المشركين خاصة فانه قال المقبرة والحمام بالالف واللام فغير
جائز ان يرد ذلك الى مقبرة دون مقبرة او حمام دون حمام بغير توقيف
عليه فهو قول لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا خبر صحيح ولا مدخل
له في القياس ولا في المعقول ولا دل عليه فحوى الخطاب ولا خرج عليه
الخبر ولا يخلو تخصيص من خص مقبرة المشركين من احد وجهين اما ان يكون
من اجل اختلاف الكفار اليها باقدامهم فلا معنى لخصوص المقبرة بالذكر
لان كل موضع هم فيه باجسامهم واقدامهم فهو كذلك وقد جل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يتكلم بما لا معنى له او يكون من اجل انها بقعة سخط
فلو كان كذلك ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبني مسجده في
مقبرة المشركين وينبشها ويسويها ويبني عليها ولو جاز لقائل ان يخص
من المقابر مقبرة للصلاة فيها لكانت مقبرة المشركين اولى بالخصوص
والاستثناء من اجل هذا الحديث وكل من كره الصلاة في المقبرة لم
يخص مقبرة من مقبرة لان الالف واللام اشارة الى الجنس لا الى معهود
ولو كان بين مقبرة المسلمين والمشركين فرق لبينه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يهمله لانه بعث مبينا ولو ساغ لجاهل ان يقول كذا لجاز لاخر
ان يقول حمام كذا لان في الحديث المقبرة والحمام وكذلك قوله المزبلة

والمجزرة عندنا جايز ان يقال بين له كذا ولا مجزره كذا ولا طريق كذا لان
التحكم في دين الله عندنا جايز واجمع العلما على ان التيمم على مقبرة المشركين
اذا كان الموضع طيبا طاهرا نظيفا جايز وكذلك اجمعوا على ان من
صلى في كنيسة او بيعة على موضع طاهر ان صلاته ماضية جايزة
وقد تقدم هذا في سوره براة ومعلوم ان الكنيسة اقرب الى ان تكون
بقعه سخط من المقبره لانها بقعه يعصى الله ويكفر به فيها وليس
كذلك المقبره وقد وردت السنه باتخاذ البيع والكنايس مساجد
روى النساي عن طلق بن علي قال خرجنا وفدا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فبايعناه وصلينا معه واخبرناه ان بارضنا بيعه لنا وذكر الحديث
وفيه فاذا اتيتم ارضكم فاكسروا بيعتكم واتخذوها مسجدا وذكر ابو داود
عن عثمان بن ابي العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم امره ان يجعل مسجد
الطايف حيث كانت طواغيتهم وقد تقدم في براه احسبك لمسجد
النبي صلى الله عليه وسلم الذي اسس على التقوى مبنيا في مقبره المشركين
وهو حجة على كل من كره الصلاة فيها وممن كره الصلاة في المقبرة سوا
كانت لمسلمين او مشركين الثوري وابو حنيفة والاوزاعي والشافعي
واصحابهم وعند الثوري لا يعيد وعند الشافعي اجزاه اذا صلى في
المقبره في موضع ليس فيه نجاسة للاحاديث المعلومة في ذلك
ولحديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوا
في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا ولحديث ابي مرثد الغنوي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لا تصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها
وهذان حديثان ثابتان من جهة الاسناد ولا حجة فيهما لانهما
محتملان للتاويل ولا يجب ان يمتنع من الصلاة في كل موضع طاهر
الا بدليل لا يحتمل تاويلا ولم يفرق احد من فقها المسلمين بين مقبرة

المسلمين والمشركين الا ما حكيناه من حطل القول الذي لا يشتغل بمثله ولا وجه له في نظر ولا في صحيح اثر ؛ وثامنها الحايط يلقى فيه التبن والعذرة ليلزم فلا يصلى فيه حتى يسقى ثلاث مرات لما رواه الدارقطني عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحايط تلقى فيه العذرة والتبن قال له اذا سقي ثلاث مرات فصل فيه وخرجه ايضا من حديث نافع عن ابن عمر انه سئل عن هذه الحيطان التي تلقى فيها العذرات وهذا الزبل ايصلى فيها فقال اذا سقيت ثلاث مرات فصل فيها رفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم اختلفا في الاسناد والله اعلم قوله تعالى واتيناهم اياتنا اي باياتنا كقوله اتنا غدانا اي بغدائنا والمراد الناقة وكان فيها ايات جمة خروجها من الصخرة ودنو نتاجها عند خروجها وعظمها حتى لم تشبهها ناقة وكثرة لبنها حتى تكفيهم جميعا ويحتمل انه كان لصالح ايات اخر سوى الناقة كالبير وغيره فكانوا عنها معرضين اي لم يعتبروا قوله تعالى وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين النحت في كلام العرب البري والنجر نحته ينحته بالكسر نحتا اي براه والنحاتة البراية والمنحت ما ينحت به وفي التنزيل اتعبدون ما تنحتون اي تنجرون وتصنعون فكانوا يتخذون من الجبال بيوتا لانفسهم لشدة قوتهم امنين من ان تسقط عليهم او تخرب وقيل امنين من الموت وقيل من العذاب فاخذتهم الصيحة مصبحين اي في وقت الصبح وهو نصب على الحال وقد تقدم ذكر الصيحة في هود والاعراف فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من الاموال والحصون في الجبال ولا ما اعطوه من القوة قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي للزوال والفنا وقيل اي لا جازي المحسن والمسيء كما قال ولله

ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين
احسنوا بالحسنى وان الساعة لاتيه اي لكاينه فيجزي كل بعمله فاصفح
الصفح الجميل مثل واهجرهم هجرا جميلا اي تجاوز عنهم يا محمد واعف
عفوا حسنا ثم نسخ بالسيف قال قتاده نسخه قوله فاقتلوهم
حيث ثقفتموهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم لقد جيتكم
بالذبح وبعثت بالحصاد ولم ابعث بالزراعه قاله عكرمه ومجاهد
وقيل ليس بمنسوخ وانه امر بالصفح في حق نفسه فيما بينه وبينهم
والصفح الاعراض عن الحسن وغيره ان ربك هو الخلاق اي المقدر
للخلق والاخلاق العليم باهل الوفاق والنفاق **قوله تعالى**
ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم اختلف العلما في
السبع المثاني فقيل الفاتحه قاله علي بن ابي طالب وابو هريره والربيع
ابن انس وابو العاليه والحسن وغيرهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من وجوه ثابته من حديث ابي بن كعب وابي سعيد بن المعلى وقد تقدم
في تفسير الفاتحه وخرج الترمذي من حديث ابي هريره قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله ام القران وام الكتاب والسبع
المثاني قال هذا حديث حسن صحيح وهذا نص وقد تقدم في الفاتحه
وقال الشاعر: نشدتكم بمنزل القران ام الكتاب السبع من مثاني
وقال ابن عباس هي السبع الطوال البقره وال عمران والنسا والمايده
والانعام والاعراف والانفال والتوبه معا اذ ليس بينهما
تسميه روى النسايي ثنا علي بن حجر انا شريك عن ابي اسحق عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس في قوله عز وجل سبعا من المثاني قال السبع
الطول وسميت مثاني لان العبر والاحكام والحدود ثنيت
فيها وانكر قوم هذا وقالوا انزلت هذه الايه بمكه ولم ينزل من

لا نهايه

الطول شي اد داك واجيب بان الله تعالى انزل القران الى السماء الدنيا
ثم انزله منها نجوما في انزله وكانما اتاه محمدا صلى الله عليه وسلم وان لم
ينزل عليه بعد وممن قال انها السبع الطوال عبد الله بن مسعود وعبد
الله بن عمر وسعيد بن جبير ومجاهد وقال جرير جزى الله الفرزدق حين يمسي مضيعا
للمفصل والمثاني وقيل المثاني القران كله قال الله تعالى كتابا متشابها
مثاني هذا قول الضحاك وطاوس وابي مالك وقاله ابن عباس وقيل
له مثاني لان الانبيا والقصص ثنيت فيه وقالت صفيه بنت عبد
المطلب ترثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعر:

فقد كان نورا ساطعا يهتدى به يخص بتنزيل المثاني المعظم

اي القران وقيل المراد بالسبع المثاني اقسام القران من الامر والنهي
والتبشير والانذار وضرب الامثال وتعديد نعم وانبا قرون
قاله زياد بن ابي مريم والصحيح الاول لانه نص وقد قدمنا في الفاتحه انه
ليس في تسميتها بالمثاني ما يمنع تسميه غيرها بذلك الا انه اذا ورد
عن النبي صلى الله عليه وسلم وثبت عنه نص في شي لا يحتمل التاويل كان
الوقوف عنده. **قوله تعالى** والقران العظيم فيه اضمار تقديره
وهو ان الفاتحه القران العظيم لاشتمالها على ما يتعلق باصول الاسلام
وقد تقدم في الفاتحه وقيل الواو مقحمه التقدير ولقد اتيناك سبعا
من المثاني القران العظيم ومنه قول الشاعر:

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبه في المزدحم

وقد تقدم عند قوله حافظوا على الصلوات والصلاه الوسطى:
قوله تعالى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم
فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم بالقران العظيم عما في ايدي الناس فانه ليس منا من لم يتغن بالقران

اي ليس منا من راى انه ليس يغني بما عنده من القران حتى يطمح بصره
الى زخارف الدنيا وعنده معارف المولى تعالى انه وافى سبع
قوافل من بصرى واذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد
فيها البز والطيب والجوهر وامتعة البحر فقال المسلمون لو
كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل فانزل
الله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم اي هي
خير لكم من القوافل السبع فلا تمدوا اعينكم اليها والى هذا اشار
ابن عيينة واورد قوله عليه السلام ليس منا من لم يتغن بالقران
اي من لم يستغن به وقد تقدم هذا المعنى في اول الكتاب وقيل
ازواجا منهم اي امثالا في النعم اي الاغنيا بعضهم امثال بعض في
المعنى فهم ازواج **الاشارة** هذه الاية تقتضي الزجر عن
التشوف الى متاع الدنيا على الدوام واقبال العبد على عبادة
مولاه ومثله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة
الحياة الدنيا لنفتنهم فيه الاية وليس كذلك فانه قد روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب
والنسا وجعلت قرة عيني في الصلاة وكان عليه الصلاة والسلام
مثنيا على النسا جبلة الادمية وتشوف الخلقة الانسانية ويحافظ
على الطيب ولا تقر له عين الا في الصلاة لدى مناجاة المولى ويرى
ان مناجاته احرى من ذلك واولى ولم يكن في دين محمد عليه السلام
الرهبانية والاقبال على الاعمال الصالحة بالكلية كما كان
في دين عيسى وانما شرع الله سبحانه حنيفية سمحة خالصة عن
الحرج خفيفة على الادمي ياخذ من الادمية بشهواتها ويرجع الى
الله بقلب سليم وراى القرا والمحصلون من الفضلا [illegible]

عن

عن اللذات والخلوص لرب الارض والسموات اليوم اولى لما غلب
على الدنيا من الحرام واضطر العبد فى المعاش الى محالطته وما فى
من تحرم مصافعته فكانت القراءة افضل والقرار عن الدنيا اضرب
للعبد واعدل قال صلى الله عليه وسلم ياتى على الناس زمان يكون
خير مال المسلم غنما يتتبع بها سعف الجبال ومواقع القطر يفر
بدينه من الفتن **قوله تعالى** ولا تحزن عليهم اى ولا تحزن
على المشركين ان لم يومنوا وقيل المعنى لا تحزن على ما منعوا به فى الدنيا
فلك فى الاخرة افضل منه وقيل لا تحزن عليهم ان صاروا الى العذاب
فهم اهل العذاب واخفض جناحك للمومنين اى الن جانبك لمن آمن
بك وتواضع لهم واصله ان الطاير اذا ضم فرخه الى نفسه بسط جناحه
ثم قبضه على الفرخ فجعل ذلك وصفا لتقريب الانسان اتباعه ويقال
فلان خافض الجناح اى وقور ساكن والجناحان من ابن آدم جانباه و
واضمم يدك الى جناحك وجناح الطاير يده وقال الشاعر
وحسبك فتية لزعيم قوم يمد على اخى سقم جناحا اى تواضعا ولينا
قوله تعالى وقل انى انا النذير المبين كما انزلنا على المقتسمين
فى الكلام حذف اى انا النذير المبين عذابا كما فحذف المفعول اذ كان
الانذار يدل عليه كما قال فى موضع آخر انذرتكم صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود وقيل الكاف زايدة اى انذركم ما انزلنا بالمقتسمين كقوله تعالى
ليس كمثله شىء وقيل اى انذركم مثل ما انزلنا بالمقتسمين وقيل المعنى كما
انزلنا على المقتسمين اى من العذاب وكفيناك المستهزئين فاصدع
بما تومر واعرض عن المشركين الذين بغوا فانا كفيناك اولئك
الرؤسا الذين كنت تلقى منهم ما تلقى واختلف فى المقتسمين على اقوال
سبعة الاول قال مقاتل والفراء هم ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن

المغيرة ايام الموسم فاقتسموا اعقاب مكة وانقابها وفجاجها يقولون لمن سلكها
لا تغتروا بهذا الخارج منا لدعوى النبوة فانه مجنون وربما قالوا ساحر وربما
قالوا شاعر وربما قالوا كاهن وسموا المقتسمين لانهم اقتسموا هذه الطرق
فاماتهم الله شر ميتة وكانوا نصبوا الوليد بن المغيرة حكما على باب المسجد
فاذا سألوه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صدق اولئك الثاني قال قتادة
هم قوم من كفار قريش اقتسموا كتاب الله فجعلوا بعضه شعرا وبعضه
سحرا وبعضه كهانة وبعضه اساطير الاولين قال ابن عباس هم اهل الكتاب
آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه وكذلك قال عكرمة هم اهل الكتاب وسموا
مقتسمين لانهم كانوا مستهزئين فيقول بعضهم هذه السورة لي وهذه
لك وهو القول الرابع الخامس قال قتادة قسموا كتابهم ففرقوه وبددوه
وحرفوه السادس قال زيد بن اسلم المراد قوم صالح تقاسموا على قتله فسموا
مقتسمين كما قال تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه واهله السابع قال الاخفش
هم قوم اقتسموا ايمانا تحالفوا عليها وقيل انهم العاص بن وائل وعتبة
وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام وابو البختري بن هشام والنضر
ابن الحارث وامية بن خلف ومنبه بن الحجاج ذكره الماوردي

قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين هو
صفة المقتسمين وقيل هو مبتدأ وخبره لنسألنهم وواحد
العضين عضة من عضيت الشيء تعضية اي فرقته وكل
فرقة عضة وقال بعضهم كانت في الاصل عضوة فنقصت الواو
ولذلك جمعت عضين كما قالوا عزين في جمع عزة والاصل
عزوة وكذلك ثبة وثبين ويرجع المعنى الى ما ذكرناه في
المقتسمين قال ابن عباس آمنوا ببعض وكفروا ببعض وقيل فرقوا
اقاويلهم فيه فجعلوه كذبا وسحرا وكهانة وشعرا عضوته اي فرقته

قال الشاعر

قال الشاعر هو روبه وليس دين الله بالمعضي اي بالمعزو ويقال بعضا نه
الهاء واصله عضهه لان العضه والعضين في لغة قريش السحر وهم
يقولون للساحر عاضه وللساحره عاضهه قال الشاعر

اعوذ بربي من النافثات في عقد العاضه المعضه ::

وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهه وفسر
الساحره والمستسحرة والمعنى اكثروا البهت على القران ونوعوا
الكذب فيه فقالوا سحروا اساطير الاولين وانه مفترى الى غير ذلك
ونظير عضة في النقصان شفة والاصل شفهه كما قالوا سنة
والاصل سنهه فنقصوا الهاء الاصليه واثبتوا الهاء العلامه وهي
للتانيث وقيل هو من العضه وهي النميمه والعضيهه البهتان وهو
ان يعضه الانسان ويقول فيه ما ليس فيه يقال عضهه عضها رماه
بالبهتان وقد اعضهت اي جئت بالبهتان قال الكسائي العضه الكذب
والبهتان وجمعها عضون مثل عزه وعزون قال الله تعالى الذين جعلوا
القران عضين ويقال عضوه اي امنوا بما احبوا منه وكفروا بالباقي
فاحبط كفرهم ايمانهم وكان الفرا يذهب الى انه ماخوذ من العضاه وهي
شجر يؤذي ويخرج كالشوك **قوله تعالى** فوربك لنسالنهم اجمعين
اي لنسالن هولا الذين جرى ذكرهم عما عملوا في الدنيا وفي البخاري وقال
عده من اهل العلم في قوله فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون عن لا اله الا
الله قلت وهذا قد روي مرفوعا روى الترمذي الحكيم قال نا الجارود بن معاذ
قال نا الفضل بن موسى عن شريك عن ليث عن بشير بن نهيك عن انس بن
ملك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله فوربك لنسالنهم اجمعين
عما كانوا يعملون قال عن لا اله الا الله قال ابو عبد الله معناه عندنا عن
صدق لا اله الا الله ووفائها وذلك ان الله تعالى ذكر في تنزيله العمل

قال عما كانوا يعملون ولم يقل عما كانوا يقولون وان كان قد يجوز ان يكون
القول ايضا عملا باللسان فانما المعنى عن لا اله الا الله اى عن الوفا بها
والصدق لمقالها كما قال الحسن البصرى ليس الايمان بالتحلي ولا الدين
بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال ولهذا انما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة
قيل يا رسول الله وما اخلاصها قال ان تحجزه عن محارم الله رواه زيد بن
ارقم وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عهد
الي ان لا ياتيني احد من امتي بلا اله الا الله لا يخلط بها شيا الا وجبت له
الجنة قالوا يا رسول الله وما الذي يخلط بلا اله الا الله قال حرصا على
الدنيا وجمعا لها ومنعا لها يقولون قول الانبيا ويعملون عمل الجبابر
وروى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اله الا
الله تمنع العباد من سخط الله ما لم يوثروا صفقة دنياهم على دينهم
فاذا اثروا صفقة دنياهم على دينهم ثم قالوا لا اله الا الله ردت
عليهم وقال الله كذبتم اسانيدهما في نوادر الاصول قلت
والاية بعمومها تدل على سوال الجميع ومحاسبتهم كافرهم ومومنهم
الا من دخل الجنة بغير حساب على ما بيناه في كتاب التذكرة فان
قيل وهل يسال الكافر ويحاسب قلنا فيه خلاف ذكرناه في التذكرة
والذي يظهر سواله للاية وقوله وقفوهم انهم مسولون وقوله ان الينا
ايابهم ثم ان علينا حسابهم فان قيل فقد قال تعالى ولا يسال عن ذنوبهم
المجرمون وقال فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وقال ولا يكلمهم
الله وقال انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قلنا القيامة مواطن يسال في
بعضها ولا يسال في بعضها وقال ابن عباس لا يسالهم سوال استخبار
واستعلام هل عملتم كذا وكذا لان الله عالم بكل شي ولكن يسالهم سوال

تقريع

تقريع وتوبيخ يقول لم عضيتم القرآن وما حجتكم فيه واعتمد قطرب هذا
القول وقيل لنسألنهم اجمعين يعني المؤمنين المكلفين بيانه قوله تعالى
ثم لتسألن يومئذ عن النعيم والقول بالعموم اولى كما ذكرنا والله اعلم
قوله تعالى فاصدع بما تؤمر اي بالذي تؤمر به اي
بلغ رسالة الله جميع الخلق لتقوم حجته عليهم فقد امر الله بذلك والصدع
الشق وتصدع القوم اي تفرقوا ومنه يومئذ يصدعون اي
يتفرقون وصدعته فانصدع اي انشق واصل الصدع الفرق والشق قال
ابو ذويب يصف الحمار واتنه :

وكانهن ربابة وكانه يسر يفيض على القداح ويصدع

اي يفرق ويشق بقوله اصدع بما تؤمر قال الفرا اراد فاصدع بالامر اي
اظهر دينك فما مع الفعل على هذا بمنزلة المصدر وقال ابن الاعرابي
معنى اصدع بما تؤمر اي اقصد وقيل فاصدع بما تؤمر اي فرق جمعهم وكلمتهم
بان تدعوهم الى التوحيد فانهم يتفرقون بان يجيب البعض فيرجع الصدع
على هذا الى صدع جماعة الكفار **قوله تعالى** واعرض عن
المشركين اي عن الاهتمام باستهزائهم وعن المبالاة بقولهم فقد برأك
الله مما يقولون وقال ابن عباس هو منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين
وقال عبد الله بن عبيد ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزل
قوله تعالى فاصدع بما تؤمر فخرج هو واصحابه وقال مجاهد اراد بالجهر
بالقرآن في الصلاة واعرض عن المشركين لا تبال بهم وقال ابن اسحق لما تمادوا
في الشر واكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبال بهم وقال ابن
اسحق لما تمادوا في الشر واكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء
انزل الله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين
الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون والمعنى اصدع بما تؤمر ولا تخف

عنه الله فان الله كافيك من اذاك كما كفاك المستهزئين وكانوا خمسة من
روسا اهل مكه وهم الوليد بن المغيره وهو راسهم والعاص بن وايل والاسود
ابن المطلب بن الحارث بن زمعه والاسود بن عبد يغوث والحارث
ابن الطلاطله اهلكهم الله جميعا قبل يوم بدر في يوم واحد لاستهزائهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب هلاكهم فيما ذكر ابن اسحق
ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام
وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر به الاسود بن المطلب فرمى في
وجهه بورقة خضراء فعمي ووجعت عينه فجعل يضرب راسه
الجدار ومر به الاسود بن عبد يغوث فاشار الى بطنه فاستسقى
بطنه فمات منه حبنا ومر به الوليد بن المغيره فاشار الى اثر
خرج باسفل كعب رجله وكان اصابه قبل ذلك بسنين وهو يجر سبله
وذلك انه مر برجل من خزاعه يريش نبلا له فتعلق سهم من نبله بازاره
فخدش في رجله ذلك الخدش وليس بشي فانتقض به فقتله ومر به العاص
ابن وايل فاشار الى اخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطايف فربض به
على شبرقه فدخلت في اخمص رجله شوكه فقتلته ومر به الحارث بن
الطلاطله فاشار الى راسه فامتخض قيحا فقتله وقد ذكر في سبب موتهم
احداث قريب من هذا وقيل انهم المراد بقوله تعالى فخر عليهم السقف
من فوقهم فشبه ما اصابهم في موتهم بالسقف الواقع عليهم على ما ياتي
قوله تعالى الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون
هذا صفة المستهزئين وقيل هو ابتدا وخبره فسوف تعلمون **قوله
تعالى** ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون اي بما تسمعه من
تكذيبك ورد قولك وتناله ويناله اصحابك من اعدايك **قوله
تعالى** فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين فيه مسلتان **الاولى**

قال حبن بالكسر حبنا وحبن المفعول عظم بطنه بالماء الاصفر فهو احبن والمراة حبنا كذا في الصحاح

اي قيل ان الصدر محل القلب ج

قوله تعالى

قوله تعالى فسبح بحمد ربك اي فافزع الى الصلاه فهي غايه التسبيح ونهايه التقديس
وذلك تفسير لقوله وكن من الساجدين ولا خفا ان غايه القرب في الصلاه
حال السجود كما قال عليه السلام اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
فاخلصوا الدعا ولذلك خص السجود بالذكر **الثانيه** قال ابن العربي
ظن بعض الناس ان المراد بالامر هنا السجود نفسه فراى هذا الموضع محل
سجود في القران وقد شاهدت الامام بمحراب زكريا من البيت المقدس
طهره الله تعالى يسجد في هذا الموضع وسجدت معه فيها ولم يره جماهير
العلما **قلت** قد ذكر ابو بكر النقاش ان هاهنا سجده عند ابي حذيفه
ويمان بن رباب وراى انها واجبه **قوله تعالى** واعبد ربك حتى
ياتيك اليقين فيه مسله واحده وهو ان اليقين الموت امره بعبادته اذ قصر
عبادتهم في خدمته وان ذلك يجب عليه فان قيل فما فايده قوله حتى ياتيك اليقين
وكان قوله واعبد ربك كافيا في الامر بالعباده قيل له الفايده في هذا انه
لو قال واعبد ربك مطلقا ثم عبده مره واحده كان مطيعا واذا قال
حتى ياتيك اليقين كان معناه لا تفارق هذا حتى تموت فان قيل كيف قال
سبحانه واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ولم يقل ابدا فالجواب ان
اليقين ابلغ من قوله ابدا لاحتمال لفظ الابد اللحظه الواحده ولجميع الابد
وقد تقدم هذا المعنى والمراد استمرار العباده مده حياته كما قال العبد
الصالح واوصاني بالصلاه والزكاه ما دمت حيا ويتركب على هذا ان
الرجل اذا قال لامراته انت طالق ابدا وقال نويت يوما او شهرا كانت
له الرجعه ولو قال طلقتها حياتها لم يراجعها والدليل على ان اليقين الموت
حديث ام العلا الانصاريه وكانت من المبايعات وفيه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما عثمان اعني عثمان بن مظعون فقد جاه اليقين واني
لارجو له الخير والله لا ادري وانا رسول الله ما يفعل به وذكر الحديث

انفرد باخراجه البخاري رحمه الله وكان عمر بن عبد العزيز يقول ما رايت
يقينا اشبه بالشك من يقين الناس بالموت ثم لا يستعدون له يعني كانهم
فيه شاكون . وقد قيل ان اليقين هنا الحق الذي لا ريب فيه من نصرك
على اعدائك قاله ابن بحر والاول اصح وهو قول مجاهد وقتادة والحسن
والله اعلم . وقد روى جابر بن نفير عن ابي مسلم الخولاني انه سمعه يقول
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اوحي الي ان اجمع المال واكون من التاجرين
ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى
ياتيك اليقين

سورة النحل وهي مكية كلها

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وتسمى سورة النعم بسبب ما عدد
الله فيها من نعمه على عباده وقيل هي مكية غير قوله تعالى وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الاية نزلت بالمدينة في شان التمثيل بحمزة
وقتلى احد وغير قوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وغير قوله ثم ان
ربك للذين هاجروا الاية واما الذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا
فمكي في شان هجرة الحبشة وقال ابن عباس هي مكية الا ثلث ايات
منها نزلن بالمدينة بعد قتل حمزة وهي قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا
قليلا الى قوله باحسن ما كانوا يعملون .

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اتى امر
الله فلا تستعجلوه قيل اتى بمعنى ياتي فهو كقولك ان اكرمتني اكرمتك
وقد تقدم ان اخبار الله تعالى في الماضي والمستقبل سواء لانه آت لا محالة
كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار وامر الله عقابه لما اقام على الشرك
وتكذيب رسوله قاله الحسن وابن جريج الضحاك انه ما جاء به القرآن
من فرائضه واحكامه وفيه بعد لانه لم ينقل ان احدا من الصحابة
استعجل فرائض الله من قبل ان تفرض عليهم واما مستعجلو العذاب

والعقاب

والعقاب فذلك منقول عن كثير من الكفار قريش وغيرهم حتى قال النضر
ان اي رب اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فاستعجل
العذاب قلت قد يستدل الضحاك بقول عمر رضي الله عنه وافقت
ربي في ثلث في مقام ابراهيم وفي الحجاب وفي اسارى بدر خرجه مسلم والبخاري
وقد تقدم في سورة البقرة وقال الزجاج هو ما وعدهم به من المجازات
على كفرهم وهو كقوله حتى اذا جاء امرنا وفار التنور وقيل هو يوم القيمة
او ما يدل على قربها من اشراطها قال ابن عباس لما نزلت اقتربت
الساعة وانشق القمر قال الكفار ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت
فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون فامسكوا وانتظروا فلم يروا شيئا قالوا
ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم الاية فاشفقوا وانتظروا اقتراب
الساعة فامتدت الايام قالوا ما نرى شيئا فنزلت اتى امر الله فوثب رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وخافوا فنزلت فلا تستعجلوه فاطمانوا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين واشار باصبعه
السبابة والتي تليها يقول ان كادت لتسبقني فسبقتها وقال ابن عباس
كان بعث النبي صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة وان جبريل لما مر
باهل السماوات مبعوثا الى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا الله اكبر قد قامت
الساعة **قوله تعالى** سبحانه وتعالى عما يشركون اي تنزيها
له عما يصفونه به من انه لا يقدر على قيام الساعة وذلك انهم يقولون
لا يقدر احد على بعث الاموات فوصفوه بالعجز الذي لا يوصف به
الا المخلوق وذلك شرك وقيل عما يشركون اي عن اشراكهم وقيل بمعنى
اي عن اشراكهم وقيل ما بمعنى الذي اي ارتفع عن الذين اشركوا به
قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره قرا المفضل
عن عاصم تنزل الملائكة والاصل تتنزل فالفعل مسند الى الملائكة

ما

وقرا الجعفي عن ابي بكر عن عاصم تنزل الملائكة بالنون مسمى
الفاعل الياقون ينزل بالياء مسمى الفاعل والضمير فيه لاسم
الله عز وجل وروى عن قتادة ينزل الملائكة بالنون والتخفيف
وقرا الاعمش تنزل بفتح التاء وكسر الزاي من التنزل الملائكة
رفعا مثل تنزل الملائكة بالروح اي بالوحي وهو النبوة قاله ابن
عباس نظيره يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده وقال الربيع
ابن انس بكلام الله وهو القران وقيل هو بيان الحق الذي يجب
اتباعه وقيل ارواح الخلق قاله مجاهد لا ينزل ملك الا ومعه
روح وكذا روي عن ابن عباس ان الروح خلق من خلق الله عز وجل
كصور ابن ادم لا ينزل من السما ملك الا ومعه واحد منهم وقيل
بالرحمة قاله الحسن وقتادة وقيل بالهداية لانها تحيي بها
القلوب كما تحيي بالروح الابدان وهو معنى قول الزجاج قال
الزجاج الروح ما كان فيه من امر الله حياة بالارشاد الى امره
وقال ابو عبيدة الروح هنا جبريل والبا في قوله بالروح بمعنى
مع كقولك خرج بثيابه اي مع ثيابه من امره اي بامره على
من يشا من عباده اي على الذين اختارهم الله للنبوة وهذا رد
لقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ان
انذروا انه لا اله الا انا فاتقون تحذير من عبادة الاوثان
وكذلك جا الانذار لان اصله التحذير مما يخاف منه ودل على
ذلك قوله فاتقون وان في موضع نصب بنزع الخافض اي بان
انذروا اهل الكفر بانه لا اله الا الله فان في محل نصب بسقوط
الخافض او بوقوع الانذار عليه **قوله تعالى** خلق السموات
والارض بالحق اي للزوال والفنا وقيل بالحق اي للدلالة على قدرته

دان

وان له ان يتعبد العباد بالطاعه وان يحيي الخلق بعد الموت تعالى عما
يشركون اي من هذه الاصنام التي لا تقدر على خلق شيء **قوله تعالى**
خلق الانسان من نطفه لما ذكر الدليل على توحيده ذكر بعده الانسان
وما كد نه وتعدي طوره والانسان اسم الجنس وروي ان المراد به ابي
ابن خلف حا الى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم فقال اترى يحيي الله هذا
بعدما رم وفي هذا انما نزل اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفه
فاذا هو خصيم مبين اي خلق الانسان من ما يخرج من بين الصلب والترايب
فنقله اطوارا الى ان ولد ونشا بحيث يخاصم في الامور فمعنى الكلام
التعجب من الانسان وضرب لنا مثلا ونسي خلقه وقوله فاذا هو
خصيم اي مخاصم كالنسيب بمعنى المناسب اي يخاصم الله عز وجل في قدرته
ومبين اي ظاهر الخصومه وقيل مبين بين الخصومة بالباطل
والمبين هو المفصح عما في ضميره بمنطقه **قوله تعالى** والانعام
خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون فيه ثلاث مسايل :.

الاولى قوله تعالى والانعام خلقها لكم لما ذكر الانسان ذكر ما من
به عليه والانعام الابل والبقر والغنم واكثر ما يقال نعم وانعام للابل
ويقال للمجموع ولا يقال للغنم مفرده قال حسان :.

عفت ذات الاصابع فالجواء الى عذرا منزلها خلاء :.
ديار من بني الحسحاس قفر تعفيها الروامس والسماء :
وكانت لا يزال بها انيس خلال مروجها نعم وشاء :

فالنعم هنا الابل خاصه وقال الجوهري والنعم واحد الانعام وهي
المال الراعيه واكثر ما يقع هذا الاسم على الابل قال الفرا هو ذكر
لا يونث يقولون هذه نعم وارد ويجمع على نعمان مثل حمل وحملان والانعام
تذكر وتونث قال الله تعالى مما في بطونه وفي موضع اخر مما في بطونها

وانتصب والانعام عطفا على الانسان او بفعل مقدر وهو اوضح **الثانية**
قوله تعالى دفء الدفء السخانة وهو ما استدفي به من اصوافها واوبارها
واشعارها ملابس ولحف وقطف وروي عن ابن عباس دفها نسلها
والله اعلم قال الجوهري في الصحاح الدفء نتاج الابل والبانها وما ينتفع
به منها قال الله تعالى لكم فيها دفء وفي الحديث لنا من دفئهم ما سلموا
بالميثاق والدفء ايضا السخونة تقول منه دفي الرجل دفاوة مثل كره
كراهة وكذلك دفي دفا مثل ظمي ظما والاسم الدفء بالكسر وهو
الشي الذي يدفيك والجمع الادفا تقول ما عليه دف لانه اسم ولا
تقول ما عليك دفاة لانه مصدر وتقول اقعد في دف هذا
الحايط اي كنه ورجل دفي على فعل اذا لبس ما يدفيه وكذلك رجل
دفان وامراة دفاي وقد ادفاه الثوب وتدفا هو بالثوب واستدفا
به وهو افتعل اي لبس ما يدفيه ودفوت ليلتنا ويوم دفي على فعيل
وليلة دفية وكذلك الثوب والبيت والمدفية الابل الكثيرة لان بعضها
يدفي بعضا بانفاسها وقد تشدد والمدفاة الابل الكثيرة الاوبار والشحوم
عن الاصمعي وانشد للشماخ

وكيف يضيع صاحب مدفآت على اثباجهن من الصقيع

قوله تعالى ومنافع قال ابن عباس المنافع نسل كل دابة مجاهد
الركوب والحمل والالبان واللحوم والسمن ومنها تاكلون افرد منفعة
الاكل بالذكر لانها معظم المنافع وقيل المعنى من لحومها تاكلون عند
الذبح **الثالثة** دلت هذه الاية على لباس الصوف وقد لبسه
رسول الله صلى الله عليه وسلم والانبيا قبله كموسى وغيره وفي حديث المغيرة
فغسل وجهه وعليه جبة من صوف شامية ضيقة الكمين الحديث
خرجه مسلم وغيره قال ابن العربي وهو شعار المتقين ولباس الصالحين

وادفاته

وشاره الصحابه والتابعين واخيار الزهاد والعارفين وهو يلبس لينا
وخشنا وجيدا ومقاربا ورديا واليه ينسب جماعه من الناس
الصوفيه لانه لباسهم في الغالب والها للمبالغه وقد انشد بعض اشياخنا رحمهم الله تعالى
بالبيت المقدس طهره الله تشاجر الناس في الصوفي واختلفوا فيه وظنوه مشتقا
ولست انحل هذا الاسم غير فتى صافى فصوفي حتى سمي الصوفي ؞

قوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون الجمال
ما يتجمل به ويتزين والجمال الحسن وقد جمل الرجل بالضم جمالا فهو
جميل والمراه جميله وجملا ايضا عن الكسائي وانشد

فهي جملا كبدر طالع بذت الخلق جميعا بالجمال ؞ وقول ابي ذويب
جمالك ايها القلب القريح ؞ يريد الزم تجملك وحياك ولا
تجزع جزعا قبيحا قال علماونا فالجمال يكون في الصوره وتركيب الخلقه
ويكون في الاخلاق الباطنه ويكون في الافعال فاما جمال الخلقه
فهو امر يدركه البصر ويلقيه الى القلب متلايما فتتعلق بها النفس
من غير معرفه بوجه ذلك ولا نسبته لاحد من البشر واما جمال
الاخلاق فكونها على الصفات المحموده من العلم والحكمه والعدل
والعفه وكظم الغيظ واراده الخير لكل احد واما جمال الافعال
فهو وجودها ملايمه لمصالح الخلق وقاضيه بجلب المنافع فيهم وصرف
الشر عنهم وجمال الانعام والدواب من جمال الخلقه وهو مرئي
بالابصار موافق للبصاير ومن جمالها كثرتها وقول الناس اذا راوها
هذه نعم فلان قاله السدي ولانها اذا راحت توفر حسنها وعظم
شانها وتعلقت القلوب بها لانها اذ ذاك اعظم ما تكون اسنمه وضروعا
قاله قتاده ولهذا المعنى قدم الرواح على السراح وان كان بعده لتكامل
درها ولسرور النفس بها اذ ذاك والله اعلم وروى اشهب عن مالك

قال يقول الله عز وجل ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وذلك في المواشي حين يروح الى المرعى ويسرح عليه والرواح رجوعها بالعشي من المرعى والسراح بالغداة تقول سرحت الابل اسرحها سرحًا وسروحًا اذا غدوت بها الى المرعى فخليتها وسرحت هي المتعدي واللازم واحد والله اعلم: قوله تعالى وتحمل اثقالكم الى بلدٍ لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى وتحمل اثقالكم الاثقال اثقال الناس من متاع وطعام وغيره وهو ما يُثقِلُ الانسانَ حملُه وقيل المراد ابدانهم يدلُ على ذالك قوله تعالى واخرجت الارضُ اثقالها والبلدُ مكةُ في قول عكرمة وقيل هو محمولٌ على العموم في كل بلدٍ مسلكةً على الظهر وشقُ الانفسِ مَشقتها وغاية جهدِها وقراة العامة بكسر الشين قال الجوهري والشق المشقة ومنه قوله تعالى لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وهذا قد يفتح حكاه ابو عبيدة قال المهدوي وكسر الشين وفتحها في شق متقاربان وهما بمعنى المشقة وهو من الشق في العصا ونحوها لانه ينال منها كالمشقة من الانسان وقال الثعلبي وقرا ابو جعفر بشَق الانفس وهما لغتان مثل بَرق وبِرق وجَص وجِص ورِطل ورَطل وينشد قول الشاعر بكسر الشين وفتحها

ودي ابلٍ تيعضي ويحسبُها له اخي نَصَبٍ من شقِها ودووب

ويجوز ان يكون بمعنى المصدر من شققت عليه اشق شقًا والشق ايضا بالكسر النصف يقال اخذت شق الشاه وقد يكون المراد من الاية هذا المعنى اى لم تكونوا بالغيه الا بنقص من القوه وذهاب شق منها اي لم تكونوا تبلغوه الا بنصف

قوى الفسلم وذهاب النصف الاخر والشق ايضا الناحيه من
الجبل وفي حديث ام زرع وجدني في اهل غنيمة بشق قال ابو عبيد
هو اسم موضع والشق ايضا الشقيق يقال هو اخي وشق نفسي
وشق اسم كاهن من كهان العرب والشق ايضا الجانب ومنه قول امرء القيس
اذا ما بكى من خلفها انحرفت له بشق وشق عندنا لم يحول
الثانية من الله سبحانه بالانعام عموما وخص الابل
فهو مشترك
هنا بالذكر في حمل الاثقال على ساير الانعام فان الغنم للسرح
والذبح والبقر للحرث والابل للحمل في صحيح مسلم عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يسوق
بقرة قد حمل عليها التفتت اليه البقرة فقالت اني لم اخلق
لهذا ولكني انما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله تعجبا
وفزعا البقرة تكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني
اومن به وابو بكر وعمر قال هذا الحديث على ان البقر لا يحمل
عليها ولا تركب وانما هي للحرث وللاكل والنسل والرسل
الثالثة في هذه الاية دليل على جواز السفر بالدواب وحمل
الاثقال عليها ولكن على قدر ما تحمله من غير اسراف في الحمل
مع الرفق في السفر وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بالرفق
بها والاراحة لها ومراعاة التفقد لعلفها وسقيها روى
مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا سافرتم في الخصب فاعطوا الابل حظها من الارض واذا
سافرتم في السنة فبادروا بها بنقيها رواه مالك في الموطا عن
ابي عبيد عن خالد بن معدان قوله وروى معاوية بن قرة قال
كان لابي الدردا جمل يقال له دمون فكان يقول يا دمون لا تخاصمني
عند ربي فالدواب عجم لا تقدر ان تحتال لنفسها ما تحتاج اليه ولا
تقدر ان تفصح بحوائجها فمن ارتفق بمرافقها ثم ضيعها من حوائجها
فقد ضيع الشكر وتعرض للخصومة بين يدي الله عز وجل وروى
مطر بن محمد قال ثنا ابو داود قال ثنا بن خالد قال ثنا المسيب بن
ادم قال رايت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب جمالا وقال تحمل
على بعيرك ما لا يطيق قوله تعالى والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى
والخيل بالنصب معطوف اي وخلق الخيل وقرا ابن ابي عبلة والخيل
والبغال والحمير بالرفع فيها كلها وسميت الخيل خيلا لاختيالها
في المشية وواحد الخيل خايل كضاين واحد ضان وقيل لا
واحد له وقد تقدم هذا في ال عمران وذكرنا الاحاديث هناك
ولما افرد سبحانه الخيل والبغال والحمير بالذكر دل على انها
لم تدخل تحت لفظ الانعام وقيل دخلت ولكن افردها
بالذكر لما يتعلق بها من الركوب فانه يكثر في الخيل والبغال
والحمير الثانية قال العلما ملكنا الله تعالى الدواب
والانعام

والانعام وذللها لنا واباح لنا تسخيرها والانتفاع بها رحمة
منه تعالى لنا وما ملكه الانسان وجاز له تسخيره من
الحيوان فكراؤه له جايز باجماع اهل العلم لا اختلاف بينهم
في ذلك وحكم كرا الرواحل والدواب مذكور في كتب الفقه
الثالثة قال ابن القاسم وابن وهب وقال مالك قال الله تعالى
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة فجعلها للركوب
والزينة ولم يجعلها للاكل ونحوه عن اشهب ولهذا قال اصحابنا
لا يجوز اكل لحوم الخيل والبغال والحمير لان الله تعالى لما نص
على الركوب والزينة دل على ان ما عداه بخلافه وقال في الانعام
ومنها تاكلون مع ما امتن الله منها من الدفء والمنافع فاباح
لنا اكلها بالذكاة المشروعة فيها وبهذه الاية احتج ابن
عباس والحكم بن عتيبة قال الحكم لحوم الخيل حرام في كتاب
الله وقرا هذه الاية والتي قبلها وقال هذه للاكل وهذه
للركوب وسيل ابن عباس عن لحوم الخيل فكرهها وتلا هذه
الاية فقال هذه للركوب وقرا الاية التي قبلها والانعام
خلقها لكم ثم قال هذه للاكل وبه قال مالك وابو حنيفة
واصحابهما والاوزاعي ومجاهد وابو عبيد وغيرهم واحتجوا
بما خرجه ابو داود والنسائي والدارقطني وغيرهم عن
صالح بن يحيى بن المقدام بن معدي كرب عن ابيه عن جده

عن خالد بن الوليد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى
يوم خيبر عن اكل لحوم الخيل والبغال والحمير وكل
ذي ناب من السباع او مخلب من الطير لفظ الدارقطني وعند
النسائي ايضا عن خالد بن الوليد انه سمع النبي صلى الله عليه
وسلم يقول لا يحل اكل لحوم الخيل والبغال والحمير وقال
الجمهور من الفقها والمحدثين هي مباحة وروي عن ابي
حنيفة حل الثلاث روايات عنه الروايتين في تحريم المذهب
على مذهب الشافعي قلت الصحيح الذي يدل عليه النظر
والخبر جواز اكل لحوم الخيل وان الاية والحديث لا حجة فيهما لازمة
اما الاية فلا دليل فيها على تحريم الخيل اذ لو دلت عليه
لدلت على تحريم لحوم الحمر والسورة مكية واي حاجة كانت
الى تجديد تحريم الحمر عام خيبر وقد ثبت في الاخبار تحليل
الخيل على ما ياتي وايضا لما ذكر تعالى الانعام ذكر الاغلب
من منافعها واهم ما فيها وهو حمل الاثقال والاكل ولم
يذكر الركوب ولا الحرث بها ولا غير ذلك مصرحا به
وقد تركب وتحرث بها قال الله تعالى الذي جعل لكم
الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون وقال في الخيل لتركبوها
وزينة فذكر ايضا اغلب منافعها والمقصود منها
ولم يذكر حمل الاثقال عليها وقد تحمل كما هو مشاهد

فلذلك

فلذلك لم يذكر الاكل وقد بينه نبيه عليه السلام الذي جعل اليه
بيان ما انزل عليه على ما ياتي ولا يلزم من كونها خلقت للركوب
ان لا تؤكل البقر لانها خلقت للحرث وقد اجمع المسلمون على
جواز اكلها فكذلك الخيل بالسنة الثابتة فيها روى مسلم من حديث
جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم
الحمر الاهلية واذن في لحوم الخيل وقال النساي عن جابر اطعمنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لحوم الخيل ونهانا
عن لحوم الحمر وفي رواية عن جابر قال كنا ناكل لحوم الخيل
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قيل الرواية عن
جابر بانهم اكلوها في خيبر حكاية حال وقضية في عين
فيحتمل ان يكونوا ذبحوا لضرورة ولا يحتج بقضايا الاحوال
قلنا الرواية عن جابر واخباره بانهم كانوا ياكلون لحوم الخيل
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيل ذلك الاحتمال
ولئن سلمناه جاز فمعنا حديث اسما قالت نحرنا فرسا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة فاكلناه
رواه مسلم وكل تاويل من غير ترجيح في مقابلة النص فانما
هو دعوى لا يلتفت اليه ولا يعرج عليه وقد روى الدارقطني
زيادة حسنة ترفع كل تاويل في حديث اسما قالت اسما كان
لنا فرس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يموت

فذبحناها فاكلناها فذبحها انما كان لخوف الموت عليها لا لغير
ذلك من الاحوال وبالله التوفيق فان قيل حيوان مردد وان الحوافر
فلا يوكل كالحمار قلنا هذا قياس الشبه وقد اختلف ارباب الاصول
في القول به ولين سلمناه فهو منتقض بالخنزير فانه ذو ظلف
وقد باين ذوات الاظلاف وعلى ان القياس اذا كان في مقابلة
النص فهو فاسد الوضع لا التفات اليه قال الطبري وفي اجماعهم
على جواز ركوب ما ذكر للاكل دليل على جواز اكل ما ذكر للركوب
الرابعة واما البغال فانها تلحق بالحمير ان قلنا ان الخيل لا توكل
فانها تكون متولدة من عينين لا يوكلان وان قلنا ان الخيل توكل
فانها عين متولدة من ماكول وغير ماكول فغلب التحريم على
ما يلزم في الاصول وكذلك ذبح المولود بين كافرين احدهما من
اهل الذكاة والاخر ليس من اهلها لا يكون ذكاة ولا تحل به
الذبيحة وقد مضى في الانعام الكلام في تحريم الحمير فلا معنى
للاعادة وقد علل تحريم اكل الحمار بانه ابدى جوهره الخبث
حيث نزا على ذكر وتلوط فسمي رجسا الخامسة في الاية
دليل على ان الخيل لا زكاة فيها لان الله سبحانه من علينا بما اباحنا
منها وكرمنا به من منافعها فغير جايز ان تلزم فيها كلفة الا
بدليل وقد روى مالك عن عبد الله بن دينار عن سليمان بن
يسار وعن عراك بن مالك عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ليس

قال ليس على المسلم في عبده ولا في فرسه صدقة وروى ابو
داود عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس في
الخيل والرقيق زكاة الا ان زكاة الفطر في الرقيق وبه قال
مالك والشافعي والاوزاعي والليث وابو يوسف ومحمد
وقال ابو حنيفة ان كانت اناثا كلها او ذكورا واناثا ففي
كل فرس دينار اذا كانت سايمة وان شا قومها فاخرج
عن كل مايتي درهم خمسة دراهم واحتج باثر عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال في الخيل السايمه في كل فرس دينار
وبقوله صلى الله عليه وسلم الخيل ثلاثة الحديث وفيه ولم
ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها والجواب عن الاول انه
حديث لم يروه الا غورك السعدي عن جعفر بن محمد عن
ابيه عن جابر قال الدارقطني تفرد به غورك عن جعفر
وهو ضعيف جدا ومن دونه ضعفا واما الحديث فالحق
المذكور فيه هو الخروج عليها اذا وقع النفير وتعين بها
لقتال العدو اذا تعين ذلك عليه ويحمل المنقطعين عليها اذا
احتاجوا الى ذلك وهذا واجب عليه اذا تعين ذلك كما يتعين
عليه ان يطعمهم عند الضروره فهذه حقوق الله في رقابها
قيل قد روى لا ينسى حق الله فيها ولا فرق بين قوله حق الله
فيها او في رقابها وظهورها فان المعنى يرجع الى شي واحد

فان قيل هذا هو الحق الذي في ظهورها فاين الحق الذي في رقابها

لان الحق يتعلق بجملتها وقد قال جماعة من العلما ان الحق هنا حسن
ملكتها وتعهد شبعها والاحسان اليها وركوبها غير مشقوق
عليها كما جا في الحديث لا تتخذوا ظهورها كراسي وانما خص
رقابها بالذكر لان الرقاب والاعناق تستعار كثيرا في
مواضع الحقوق اللازمة والفروض الواجبة ومنه قوله
تعالى فتحرير رقبة مومنة وكثر عندهم استعمال ذلك
واستعارته حتى جعلوه في الرباع والاموال الا ترى قول كثير
غمر الردا اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال
وايضا فان الحيوان الذي تجب فيه الزكاة له نصاب من جنسه
ولما خرجت الخيل من ذلك علمنا سقوط الزكاة فيها وايضا
فايجابه الزكاة في اناثها منفردة دون الذكور في نفي الصدقة
بانه حيوان مقتنى لنسله لا لدره فلا تجب الزكاة في ذكوره
فلم تجب في اناثه كالبغال والحمير وقد روي عنه انه لا زكاة في اناثها
وان انفردت كذكورها منفردة وهذا الذي عليه الجمهور قال
ابن عبد البر الخبر في صدقة الخيل عن عمر صحيح من حديث الزهري
وغيره وقد روي من حديث مالك رواه عنه جويرية عن الزهري
ان السايب بن يزيد قال لقد رايت ابي يقوم الخيل ثم يدفع
صدقتها الى عمر وهذا حجة لابي حنيفة وشيخه حماد بن ابي
سليمان لا اعلم احدا من فقهاء الامصار اوجب الزكاة في الخيل
غيرهما

ثنا قصر به ونبي ... الا ما ... على ... الكثير ... مقيدا

غيرهما تفرد به جويرية عن مالك وهو ثقة السادسة
قوله تعالى وزينة منصوب باضمار فعل المعنى وجعلها زينة
وقيل هي مفعول من اجله والزينة ما يتزين به وهذا الجمال والتزين
وان كان من متاع الدنيا فقد اذن الله سبحانه لعباده فيه قال النبي
صلى الله عليه وسلم الابل عز لاهلها والغنم بركة والخيل في نواصيها
الخير خرجه البرقاني وابن ماجة في السنن وقد تقدم في الانعام
وانما جمع النبي صلى الله عليه وسلم العز في الابل لان فيها اللباس
والاكل واللبن والحمل والغزو وان نقصها الكر والفر وجعل
البركة في الغنم لما فيها من اللباس والطعام والشراب وكثرة
الاولاد فانها تلد في العام ثلث مرات الى ما يتبعها من السكينة
وتحمل صاحبها عليه من خفض الجناح ولين الجانب بخلاف الفدادين
اهل الابل وقرن النبي صلى الله عليه وسلم الخير بنواصي الخيل بقية الدهر
لما فيها من الغنيمة المستفادة للكسب والمعاش وما يوصل اليه
من قهر الاعدا وغلب الكفار واعلا كلمة الله تعالى قوله تعالى
ويخلق ما لا تعلمون قال الجمهور من الخلق وقيل من انواع الحشرات
والهوام في اسافل الارض والبر والبحر مما لم يره البشر ولم يسمعوا
به وقيل ويخلق ما لا تعلمون مما اعد الله في الجنة لاهلها وفي النار
لاهلها مما لم تره عين ولم تسمع به اذن ولا خطر على قلب بشر
وقال قتادة والسدي هو خلق السوس في الثياب والدود

في الفواكه ابن عباس عين تحت العرش حكاه الماوردي الثعلبي
وقال ابن عباس عن يمين العرش نهر من النور مثل السموات
السبع والارضين السبع والبحار السبع سبعين مرة يدخله
جبريل كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى
جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخرج الله من كل ريشة
سبعين الف قطره ويخرج من كل قطره سبعة الاف ملك
يدخل كل يوم منهم سبعون الف ملك الى البيت المعمور وفي الكعبة
سبعون الفا لا يعودون اليه الى يوم القيامة وقول خامس
وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انها ارض بيضا
مسيرة الشمس ثلاثين يوما مشحونة خلقا لا يعلمون ان
الله لا يعصى في الارض قالوا يا رسول الله من ولد ادم قال
لا يعلمون ان الله خلق ادم قالوا يا رسول الله فاين ابليس منهم
قال لا يعلمون ان الله خلق ابليس ثم تلى ويخلق ما لا تعلمون ذكره
الماوردي قلت ومن هذا المعنى ما ذكره البيهقي عن الشعبي
قال ان لله عبادا من وراء الاندلس كما بيننا وبين الاندلس
ما يرون ان الله عصاه مخلوق رضراضهم الدر والياقوت وجبالهم
الذهب والفضة لا يحترثون ولا يزرعون ولا يعملون عملا لهم
شجر على ابوابهم لها ثمر هي طعامهم وشجر لها اوراق عراض هي
لباسهم ذكره في بدء الخلق من كتاب الاسما والصفات وخرج
من حديث

من حديث موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله
الانصاري انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي
ان احدث عن ملك من ملايكة الله من حملة العرش ما بين شحمة
اذنه الى عاتقه مسيرة سبع مايه عام قوله تعالى وعلى
الله قصد السبيل اي على الله بيان قصد السبيل فحذف المضاف
وهو البيان والسبيل الاسلام اي على الله بيانه بالرسل والحجج
والبراهين وقصد السبيل استقامة الطريق يقال طريق
قاصد اي يودي الى المطلوب ومنها جاير اي ومن السبيل جاير
اي عادل عن الحق فلا يهتدي ومنه قول امر القيس
ومن الطريقة جاير وهدى قصد السبيل ومنه ذو دخل
وقال طرفة عدولية او من سفين ابن يامن يجور بها الملاح طورا ويهتدي
العدوليه سفينة منسوبة الى عدولى قرية بالبحرين والعدولي
الملاح قاله في الصحاح وفي التنزيل وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل وقد تقدم وقيل المعنى ومنها
جاير عن سبيل الحق اي عادل عنه فلا يهتدي اليه وفيهم
قولان احدهما انهم اهل الاهواء المختلفة قاله ابن عباس الثاني
ملل الكفر من اليهودية والمجوسية والنصرانية وفي مصحف
عبد الله ومنكم جاير وكذا قرا علي ومنكم بالكاف وقيل المعنى
وعنها جاير اي عن السبيل فمن بمعنى عن وقال ابن عباس

اي من اراد ان يهديه سهل له طريق الايمان ومن اراد ان يضله
ثقل عليه الايمان وفروعه وقيل معنى قصد السبيل مسيركم
ورجوعكم والسبيل واحده بمعنى الجمع ولذلك انث الكناية
فقال ومنها والسبيل مونثة في لغة اهل الحجاز قوله تعالى
هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه
تسيمون الشراب ما يشرب والشجر معروف اي ينبت
من الامطار اشجار وعروش ونبات وتسيمون ترعون
ابلكم يقال سامت السايمه تسوم سوما اي رعت فهي سايمه
والسوام والسايم بمعنى هو المال الراعي وجمع السايم والسايمه
سوايم واسمتها اي اخرجتها الى المرعى فانا مسيم وهي
مسامة وهسايمة قال اولى لك ابن مسيمة الاجمال واصل
السوم الابعاد في المرعى وقال الزجاج اخذ من السومة
وهي العلامة اى انها تؤثر في الارض علامات برعيها او
لانها تعلم للارسال في المرعى قلت والخيل المسومه تكون
المرعيه وتكون المعلمه وقوله مسومين قال الاخفش يكون
معلمين ويكون مرسلين من قولك سوم فيها الخيل اى ارسلها
ومنه السايمه وانما جا بالبا والنون لان الخيل سومت
وعليها ركبانها قوله تعالى ينبت لكم به الزرع والزيتون
والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات قرا ابو بكر عن عاصم ننبت
بالنون

قوله تعالى والوحش الهمة اي اجعلها ... انها مر ... لو ... [illegible]

بالنون على التعظيم العامة بالياء على معنى ينبت الله لكم
يقال نبتت الارض وانبتت بمعنى ونبت البقل وانبت بمعنى
وانشد الفراء رايت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا بها حتى
اي نبت وانبته الله فهو منبوت على غير قياس وانبت
الغلام نبتت عانته ونبت الشجر غرسته يقال نبت اجلك
بين عينيك ونبت الصبي تنبيتا ربيته والمنبت موضع
النبات يقال ما احسن نابتة بني فلان اي ما نبت عليه
اموالهم واولادهم ونبتت لهم نابتة اذا نشأ لهم نشو
صغار وان بني فلان لنابتة شر والنوابت من الاحداث
الاغمار والنبيت حي من اليمن واليبنوت شجر كله عن
الجوهري والزيتون جمع زيتونه ويقال للشجرة نفسها
زيتونه وللثمرة زيتونه وقد مضى في سورة الانعام
حكم زكاة هذه الثمار فلا معنى للاعادة ان في ذلك الانزال
والانبات لاية اي دلالة لقوم يتفكرون **قوله تعالى**
وسخر لكم الليل والنهار اي للسكون والاعمال كما قال ومن
رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اي مذللات لمعرفة
الاوقات ونضج الثمار والزروع والاهتدا بالنجوم في
الظلمات وقرا ابن عباس وابن عامر واهل الشام والشمس

(في الهامش: الفعل والاربعة ... اجود)

والقمر والنجوم مسخرات بالرفع على الابتدا والخبر والباقون
بالنصب عطفا على ما قبله وقرا حفص عن عاصم برفع والنجوم
مسخرات بامره خاصة بنصب الشمس والقمر عطفا على
الليل والنهار ورفع والنجوم على الابتدا مسخرات خبره
وقري والشمس والقمر والنجوم بالنصب وهو خبر ابتداء
محذوف اي هي مسخرات وهي في قراة من نصبها حال موكدة
لقوله وهو الحق مصدقا ان في ذلك لايات لقوم يعقلون
اي عن الله ما نبههم عليه ووفقهم له قوله تعالى وما ذرا لكم
في الارض مختلفا الوانه فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى
وما ذرا اي وسخر ما ذرا في الارض لكم ذرا اي خلق ذراء
الله الخلق يذروهم ذرا خلقهم فهو ذارى ومنه الذرية
وهي نسل الثقلين الا ان العرب تركت همزها والجمع الذراري
يقال انمي الله ذراك وذروك اي ذريتك واصل الذرو والذر
التفريق عن جميع وفي الحديث ذرء النار اي انهم خلقوا
لها الثانية ما ذراه الله سبحانه منه مسخر مذلل
كالدواب والانعام والاشجار وغيرها ومنه غير ذلك
والدليل عليه ما رواه مالك في الموطا عن كعب الاحبار قال
لولا كلمات اقولهن لجعلتني يهود حمارا فقيل له وماهن فقال
اعوذ بوجه الله العظيم الذي ليس اعظم منه وبكلمات الله

التامات

التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وباسما الله الحسني
كلها ما علمت منها وما لم اعلم من شر ما خلق وبرا وذرا
وفيه عن يحيى بن سعيد انه قال اسري برسول الله صلى
الله عليه وسلم فراي عفريتا من الجن يطلبه بشعلة
من نار الحديث وفيه ومن شر ما ذرا في الارض وقد ذكرناه
وما في معناه في غير هذا الموضع الثالثة قوله تعالى
مختلفا الوانه مختلفا نصب على الحال والوانه هيأته
ومناظره يعني الدواب والشجر وغيرها ان في ذلك
اي في اختلاف الوانها لاية اي لعبرة لقوم يذكرون
اي يتعظون ويعلمون ان في تسخير هذه المكونات
لعلامات على وحدانية الله وانه لا يقدر على ذلك احد
غيره قوله تعالى وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه
لحما طريا الى قوله تشكرون فيه تسع مسايل الاولى
قوله تعالى وهو الذي سخر البحر تسخير البحر هو تمكين
البشر من التصرف فيه وتذليله بالركوب والارفا وغيره
وهذه نعمة من نعم الله علينا فلو شا سلطه علينا
واغرقنا وقد مضى الكلام في البحر وفي صيده وسماه
هنا لحما واللحوم عند مالك ثلاثة اجناس فلحم ذوات
الاربع جنس ولحم ذات الريش جنس ولحم ذوات

الما جنس فلا يجوز بيع الجنس من جنسه متفاضلا
ويجوز بيع لحم البقر والوحش بلحم الطير والسمك
يجوز متفاضلا وقال ابو حنيفة اللحوم كلها اصناف
مختلفه كاصولها فلحم البقر صنف ولحم الغنم صنف
ولحم الابل صنف ولذلك الوحش مختلف وكذلك
الطير ولذلك السمك وهو احد قولي الشافعي والقول
الاخر ان الكل من النعم والصيد والطير والسمك جنس
واحد لا يجوز التفاضل فيه والقول الاول هو المشهور
من مذهبه عند اصحابه ودليلنا هو ان الله تعالي فرق
بين اسما الانعام في حياتها فقال ثمانية ازواج من
الضان اثنين ومن المعز اثنين ثم قال ومن الابل
اثنين ومن البقر اثنين فلما اراد الجمع الى اللحم قال
احلت لكم بهيمة الانعام فجمعتها باللحم واحد لتقارب
منافعها كتقارب لحم الضان والمعز وقال في موضع
اخر ولحم طير مما يشتهون وهذا جمع طاير الذي هو
الواحد لقوله تعالى ولا طاير يطير بجناحيه فجمع
لحم الطير كله باسم واحد وقال هنا الخاطر يا فجمع
اصناف السمك بذكر لحم واحد وكان صغاره ككباره
في الجمع بينهما وقد روي عن ابن عمر انه سيل عن لحم
المعز

بلغ

٣٢٦

المعز بلحم الكباش اثنين بواحد فقال لا ولا مخالف له فصار
كالاجماع والله اعلم ولا حجة للمخالف في نهيه صلى الله
عليه وسلم عن بيع الطعام الا مثلا بمثل فان الطعام
في الاطلاق يتناول الحنطة وغيرها من المأكولات
ولا يتناول اللحم الا ترى ان القائل اذا قال اكلت
اليوم طعاما لم يسبق الفهم منه الى اكل اللحم وايضا
فانه معارض بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اختلف
الجنسان فبيعوا كيف شئتم وهذان جنسان وايضا
فقد اتفقنا على جواز اللبن بلحم الطير متفاضلا
العلة فيه انه بيع طعام لا زكاة فيه ببيع لحم
ليس فيه الزكاة كذلك بيع السمك بلحم الطير متفاضلا
النائبة واما الجراد فالمشهور عندنا جواز بيع
بعضه ببعض متفاضلا وذكر عن سحنون انه منع
من ذلك واليه مال بعض المتاخرين ورآه مما يدخر
الثالثة اختلف العلما فيمن حلف ان لا ياكل لحما فقال
ابن القاسم يحنث بكل نوع من هذه الانواع الاربعة
وقال اشهب في المجموعة لا يحنث الا باكل لحوم
الانعام دون الوحش وغيره مراعاة للعرف والعادة
وتقديما لها على اطلاق اللفظ اللغوي وهو احسن

الرابعة قوله تعالى وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
يعني به اللولو والمرجان لقوله تعالى يخرج منهما اللولو
والمرجان واخراج الحلية انما هي فيما عرف من الملح فقط
ويقال ان في الزمرد بحريا وقد خطى الهدلي في قوله في
وصف الدرة : فجا بها من درة لطمية على وجهها
ما الفرات يدوم : فجعلها من الماء الحلو فالحلية حق وهي
نحلة الله تعالى لادم وولده خلق ادم وتوج وسوج وكلل
باكليل الجنة وختم بالخاتم الذي ورثه عنه سليمان
بن داود صلوات الله عليهما وكان يقال له خاتم العز فيما
روي الخامسة امتن الله سبحانه على الرجال
والنساء امتنانا عاما بما يخرج من البحر فلا يحرم
عليهم شي منه وانما حرم الله تعالى على الرجال الذهب
والحرير روى الصحيح عن عمر بن الخطاب قال قال
رسول الله عليه وسلم لا تلبسوا الحرير فانه من
لبسه في الدنيا لم يلبسه في الاخره وسياتي في
سورة الحج الكلام فيه ان شا الله وروى البخاري
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ
خاتما من ذهب وجعل فصه مما يلي باطن كفه
ونقش فيه محمد رسول الله فاتخذ الناس مثله
فلما

فلما راهم قد اتخذوها رمي به وقال لا ألبسه ابدا ثم اتخذ
خاتما من فضه فاتخذ الناس خواتم الفضه قال ابن عمر
فلبس الخاتم بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر
ثم عثمان حتى وقع من عثمان في بير اريس قال ابو داود
لم يختلف الناس على عثمان حتى سقط الخاتم من يده واجمع
العلما على جواز التختم بالورق على الجمله للرجال قال
الخطابي وكره للنسا التختم بالفضة لانه من زي الرجال
فان لم يجدن ذهبا فلتصفرنه بزعفران او شبهه وجمهور
العلما من السلف والخلف على تحريم اتخاذ الرجال خاتم الذهب
الا ماوردي عن ابي بكر بن عبد الرحمن وخباب وهو خلاف
شاذ وكل منهما لم يبلغهما النهي والنسخ والله اعلم واما
ما رواه انس بن مالك انه راى في يد رسول الله صلى الله عليه
وسلم خاتما من ورق يوما واحدا ثم ان الناس اصطنعوا
الخواتم من ورق ولبسوها فطرح رسول الله صلى الله عليه
وسلم خاتمه وطرح الناس خواتمهم اخرجه الصحيحان
واللفظ للبخاري فهو عند العلماء وهم من ابن شهاب
لان الذي نبذ رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هو خاتم
الذهب رواه عبد العزيز بن صهيب وثابت وقتادة عن
انس فوجب القضا بالجماعه على الواحد اذا خالفها مع ما

[margin: وهو خلاف ما رواه ابن شهاب عن انس صح]

فوجب بيان

يشهد الجماعه من حديث ابن عمر السادسه اذا
ثبت جواز التختم للرجال بخاتم الفضة والتحلي به فقد
كره ابن سيرين وغيره من العلما نقشه وان يكون فيه
ذكر الله واجاز نقشه جماعة من العلما ثم اذا نقش
عليه اسم الله او كلمة حكمة او كلمات من القران وجعله
في شماله فهل يدخل به الخلا او يستنجي بشماله خففه
سعيد بن المسيب ومالك قيل لمالك ان كان في الخاتم
ذكر الله ويلبسه في الشمال ايستنجي به قال ارجوا ان
يكون خفيفا وروي عنه الكراهة وهو الاولى وعلى
المنع من ذلك اكثر اصحابه وقد روى همام عن ابن جريج
عن الزهري عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا دخل الخلا وضع خاتمه قال ابو داود
هذا حديث منكر وانما يعرف عن ابن جريج عن زياد
بن سعد عن الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم اتخذ خاتما من ورق ثم القاه قال ابو داود
لم يحدث بهذا الا همام السابعة روى البخاري عن
انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ
خاتما من فضة ونقش فيه محمد رسول الله وقال اني
اتخذت خاتما ونقشت فيه محمد رسول الله فلا ينقش

بيان ايستنجي

احد

احد على نقشه قال علماونا فهذا دليل على جواز نقش اسم
صاحب الخاتم على خاتمه قال مالك ومن شان الخلفاء
والقضاة نقش اسمايهم على خواتمهم ونهيه عليه السلام
ان لا ينقش احد على نقش خاتمه من اجل ان ذلك اسمه
وصفته برسالة الله له الى خلقه وروى اهل الشام
انه لا يجوز اتخاذ الخاتم لغير ذي سلطان ورووا في
ذلك حديثا عن ابي ريحانة وهو حديث لا حجة فيه
لضعفه وقوله عليه السلام لا ينقش احد على نقشه
يرده ويدل على جواز اتخاذ الخاتم لجميع الناس اذ لم
ينقش على نقش خاتمه وكان نقش خاتم الزهري محمد
يسل الله العافيه وكان نقش خاتم ملك حسبي الله ونعم
الوكيل وذكر الترمذي الحكيم في نوادر الاصول ان
نقش خاتم موسى عليه السلام لكل اجل كتاب وقد مضى
في الرعد وبلغ عمر بن عبد العزيز ان ابنه اشترى خاتما
بالف درهم فكتب اليه انه بلغني انك اشتريت خاتما بالف
درهم فبعه واطعم منه الف جايع واشتر خاتما
من حديد بدرهم واكتب عليه رحم الله امراء عرف
قدر نفسه الثامنة من حلف ان لا يلبس حليا
فلبس لولوا لم يحنث وبه قال ابو حنيفة قال

ابن خواز منداد لان هذا وان كان الاسم اللغوي يتناوله
فلم يقصده باليمين والايمان تخص بالعرف الا ترى
انه لو حلف ان لا ينام على فراش فنام على الارض لم يحنث
ولذلك لا يستضي بسراج فجلس في الشمس لا يحنث وان
كان الله تعالى قد سمى الارض فراشا والشمس سراجا
وقال الشافعي وابو يوسف ومحمد من حلف ان لا يلبس
حليا ولبس اللولو انه يحنث لقوله تعالى وتستخرجوا
منه حلية تلبسونها والذي يخرج منه اللولو والمرجان
التاسعة قوله تعالى وترى الفلك مواخر فيه قد
تقدم ذكر الفلك وركوب البحر في البقره وغيرها وقوله
مواخر قال ابن عباس جواري تجري سعيد بن جبير
معترضة الحسن مواقر قتادة والضحاك اي تذهب
وتجي مقبلة ومدبره بريح واحده وقيل مواخر ملججة
في داخل البحر واصل المخر شق الماء عن يمين وشمال
مخرت السفينه تمخر وتمخر مخرا ومخورا اذا جرت
تشق الماء مع صوت ومنه قوله تعالى وترى الفلك
مواخر فيه يعني جواري قال الجوهري ومخر السابح
اذا شق الما بصدره ومخر الارض شقها للزراعة
ومخرها بالماء اذا حبس الما فيها حتى تصير اريضة
اي خليقة

اي خليقة بجودة نبات الزرع وقال الطبري المخر
في اللغة صوت هبوب الريح ولم يقيد بلون في ماء
وقال ان من ذلك قول واصل مولى ابي عيينة اذا
اراد احدكم البول فليمخر الريح اي لينظر في صوتها
في الاجسام من اين تهب فيجتنب استقبالها لئلا ترد
عليه بوله ولتبتغوا من فضله اي ولتركبوه للتجارة
وطلب الربح ولعلكم تشكرون تقدم جميع هذا في
البقرة والحمد لله قوله تعالى والقى في الارض
رواسي اي جبالا ثابتة رسا يرسو اذا ثبت
واقام قال فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو
اذا نفس الجبان تطلع ان تميد بكم اي لئلا تميد
عند الكوفيين وكراهية ان تميد على قول البصريين
والميد الاضطراب يمينا وشمالا ماد الشي يميد
ميدا تحرك ومادت الاغصان تمايلت وماد
الرجل تبختر قال وهب بن منبه خلق الله الارض
فجعلت تميد وتمور فقالت الملايكة ان هذه غير
مقرة احدا على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال
ولم تدر الملايكة مم خلقت الجبال وقال علي بن ابي
طالب رضي الله عنه لما خلق الله الارض قمصت وقالت

وقالت اي رب اتجعل على من يعمل بالمعاصي والخطايا
ويلقي على الجيف والنتن فارساها الله تعالى فيها من الجبال
ما تروون وما لا تروون وروى الترمذي في اخر كتاب
التفسير حدثنا محمد بن بشار نا يزيد بن هارون
انا العوام بن حوشب عن سليمان بن ابي سليمان عن انس
بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الارض
جعلت تميد فخلق الجبال فعاد بها عليها فاستقرت
فعجبت الملايكة من شدة الجبال فقالوا يا رب هل
في خلقك شي اشد من الجبال قال نعم الحديد فقالوا
يا رب فهل من خلقك شي اشد من الحديد قال نعم النار
فقالوا يا رب فهل من خلقك شي اشد من النار فقال
نعم الريح قالوا يا رب فهل من خلقك شي اشد من الريح قال
نعم ابن ادم تصدق فتصدق بيمينه يخفيها عن
شماله قال ابو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا
الا من هذا الوجه قلت وفي هذه الاية ادل دليل
على استعمال الاسباب وقد كان قادرا على سكونها
دون الجبال وقد تقدم هذا المعنى وانهارا اي وجعل
فيها انهارا والقى فيها انهارا وسبلا اي طرقا ومسالك
لعلكم

لعلكم تهتدون اي الي حيث تقصدون من البلاد فلا
يضلون ولا يتحيرون قوله تعالى وعلامات وبالنجم
هم يهتدون فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى
وعلامات قال ابن عباس العلامات معالم الطرق
بالنهار اي جعل للطرق علامات تقع الاهتدا بها وبالنجم
هم يهتدون يعني بالليل والنجم يراد به النجوم وقرا
ابن وثاب وبالنُّجْم الحسن بضم النون والجيم جميعا
ومراده النجوم فقصره كما قال الشاعر
ان الفقير بيننا قاض حكم أن يرد الما اذا غاب النجم
ولذلك القول لمن قرا النُّجْم الا انه اسكن استخفافا
ويجوز ان يكون النجم جمع نجم كسقف وسقف
واختلف في النجوم فقال الفرا الجدي والفرقدان
وقيل الثريا قال الشاعر
حتى اذا ما استقل النجم في غلس وغودر البقل ملوي ومحصود
اي منه ملوي ومنه محصود وذلك عند طلوع الثريا
يكون وقال الكلبي العلامات الجبال وقال مجاهد
هي النجوم لان من النجوم ما يهتدى بها ومنها ما يكون
علامة لا يهتدى بها وقاله قتاده والنخعي وقيل
وقيل تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدا وقال

وبالنجم هم يهتدون وعلى الاول اي وجعل لكم علامات
ونجوما تهتدون بها ومن العلامات الرياح يهتدى
بها وفي المراد بالاهتدا قولان احدهما [illegible] في الاسفار
وهذا قول الجمهور الثاني في القبلة وقال ابن عباس
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى
وبالنجم هم يهتدون قال هو الجدي يا ابن عباس عليه
قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم ذكره الماوردي
الثالثة قال ابن العربي اما جميع النجوم فلا يهتدي
بها الا العارف بمطالعها ومغاربها والفرق بين الجنوبي
والشمالي هنا وذلك قليل في الاخرين واما الثريا فلا
يهتدي بها الا من يهتدي بجميع النجوم وانما الهدي
لكل احد بالجدي والفرقدين لانها من النجوم المنحصرة
المطالع الظاهرة السمت الثابتة في المكان فانها تدور
على القطب الثابت دورانا محضا فهي ابدا هدى الخلق
في البر اذا عميت الطرق وفي البحر عند مجرى السفن
وفي القبلة اذا جهل السمت وذلك على الجملة بان تجعل
القطب على ظهر منكبك الايمن فما استقبلت فهو
سمت الجهة قلت وسال ابن عباس رسول الله
صلى الله

صلى الله عليه وسلم عن النجم فقال هو الجدي عليه قبلتكم
وبه تهتدون في بركم وبحركم وذلك ان اخر الجدي بنات
نعش الصغرى والقطب الذي تستوي عليه القبلة بينها
الثالثة قال علماونا وحكم استقبال القبلة على وجهين
احدهما ان يراها ويعاينها فيلزمه استقبالها واصابتها
وقصد جهتها بجميع بدنه والاخر ان تكون الكعبة بحيث
لا يراها فيلزمه التوجه نحوها وتلقاها بالدلايل وهي
الشمس والقمر والنجوم والرياح وكل ما يمكن به معرفة
جهتها ومن غابت عنه وصلى مجتهدا مستدلا ثم انكشف
له بعد الفراغ من صلاته انه صلى الى غير القبلة اعاد ان كان
في وقتها وليس ذلك بواجب عليه لانه قد ادى فرضه
على ما امر به وقد مضى هذا المعنى في البقرة مستوفى
والحمد لله قوله تعالى افمن يخلق هو الله تعالى كمن
لا يخلق يريد الاصنام افلا تذكرون اخبر عن الاوثان
التي لا تخلق ولا تضر ولا تنفع كما يخبر عن من يعقل على ما
تستعمله العرب في ذلك فانهم كانوا يعبدونها فذكرت
بلفظ من كقوله الهم ارجل وقيل لاقتران الضمير في
الذكر بالخالق قال الفرا هو كقول العرب اشتبه على الراكب
وجمله فلا ادري من ذا ومن ذا وان كان احدهما غير انسان

قال المهدوي ويُسئل بمن عن الباري ولا يُسئل عنه بما لان
ما انما يسئل بها عن الاجناس والله تعالى ليس بذي جنس
ولذلك اجاب موسى عليه السلام حين قال له فمن ربكما
يا موسى ولم يجب حين قال وما رب العالمين لان الجواب من
واضرب عن جواب ما حين كان السوال فاسدا ومعنى الاية
من كان قادرا على خلق الاشيا المتقدمة الذكر كان بالعبادة
احق ممن هو مخلوق لا يضر ولا ينفع هذا خلق الله فاروني
ماذا خلق الذين من دونه اروني ماذا خلقوا من الارض
قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تقدم في
ابراهيم ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما
تعلنون اي ما تبطنونه وما تظهرونه وقد تقدم
هذا مستوفى قوله تعالى والذين تدعون من دون
الله قراة العامة تدعون بالتاء لان ما قبله خطاب
وروى ابو بكر عن عاصم وعبيد عن حفص يدعون بالياء
وهي قراة يعقوب فاما قوله ما تسرون وما تعلنون
فكلهم بالتاء على الخطاب الا ما روى هبيره عن حفص
عن عاصم انه قرا بالياء لا يخلقون شيا اي لا يقدرون
على خلق شي وهم يخلقون اموات غير احياء اي هم
اموات يعني الاصنام لا ارواح فيها ولا تسمع ولا تبصر
اي هي

اي هي جمادات فكيف تعبدونها وانتم افضل منها بالحياة
وما يشعرون يعني الاصنام ايان يبعثون وقرا السلمي
إيان بكسر الهمزة وهما لغتان وموضعه نصب بيبعثون
وهي في معنى الاستفهام المعنى لا يدرون متى يبعثون
وعبر عنها كما عبر عن الادميين لانهم زعموا انها
تعقل وتعلم وتشفع لهم عند الله فجرى خطابهم
على ذلك وقد قيل ان الله يبعث الاصنام يوم القيامة
ولها ارواح فتتبرا من عبادتهم وهي في الدنيا جماد
لا تعلم متى تبعث قال ابن عباس تبعث الاصنام
وتركب فيها الروح ومعها شياطينها فيتبرون
من عبدتهم ثم يومر بالشياطين والمشركين الى
النار وقيل ان الاصنام تطرح في النار مع عبدتها
يوم القيامه دليله انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم وقيل تم الكلام عند قوله لا يخلقون
شيا وهم يخلقون ثم ابتدا فوصف المشركين بانهم
اموات وهذا الموت موت كفر وما يشعرون
ايان يبعثون اي وما يدري الكفار متى يبعثون
اي وقت البعث لانهم لا يومنون بالبعث حتى
يستعدوا للقا الله وقيل اي وما يدريهم متى الساعة

ولعلها تكون قريبا قوله تعالى الهكم اله واحد لما
بين استحالة الاشراك بالله تعالى بين ان المعبود واحد
لا رب غيره ولا معبود سواه فالذين لا يومنون بالاخرة
قلوبهم منكرة اي لا تقبل الوعظ ولا ينجع فيها الذكر
وهذا رد على القدرية وهم مستكبرون اي متكبرون
متعظمون عن قبول الحق وقد تقدم في البقرة معنى
الاستكبار لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
اي من القول والعمل فيجازيهم قال الخليل لا جرم كلمة
تحقيق ولا تكون الا جوابا يقال فعلوا ذلك فيقال
لا جرم سيندمون اي حقا ان لهم النار وقد مضى القول
في هذا في هود مستوفى انه لا يحب المستكبرين اي
لا يثيبهم ولا يثني عليهم وعن الحسن بن علي انه مر بمساكين
قد قدموا كسرا لهم وهم ياكلون فقالوا الغدا يا ابا
عبد الله فنزل وجلس معهم وقال انه لا يحب المستكبرين
ثم اكل فلما فرغوا قال قد اجبتكم فاجيبوني فقاموا
معه الى منزله فاطعمهم وسقاهم واعطاهم وانصرفوا
قال العلما وكل ذنب يمكن التستر به الا التكبر فانه
فسق يلزمه الاعلان وهو اصل العصيان كله وفي
الحديث الصحيح ان المتكبرين يحشرون امثال الذر
يوم القيامة

(في الهامش: او خفاؤه)

يوم القيامة نظوهم الناس باقدامهم لتلبرهم اوكما
قال صلى الله عليه وسلم يصغر لهم اجسامهم في المحشر
حين يضرهم صغرها وتعظم لهم في النار حين يضرهم
عظمها قوله تعالى واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم
يعني واذا قيل لمن تقدم ذكره ممن لا يومن بالاخرة وقلوبهم
منكرة بالبعث ماذا انزل ربكم قيل القايل النضر بن الحارث
وان الاية فيه نزلت وكان خرج الى الحيرة فاشترى احاديث
كليلة ودمنة فكان يقرا على قريش ويقول ما يقرا محمد
على اصحابه الا اساطير الاولين اي ليس هو من تنزيل
ربنا وقيل المقتسمون هم القايلون لهم اخبارا فاجابوا
بقولهم اساطير الاولين فاقروا بانزال شي هو اساطير
والاساطير الاباطيل والترهات وقد تقدم في الانفال
والقول فيماذا انزل ربكم كالقول فيماذا ينفقون وقوله
اساطير الاولين خبر ابتدا محذوف والتقدير الذي
انزله اساطير الاولين قوله تعالى ليحملوا اوزارهم
قيل هي لام كي وهي متعلقة بما قبلها وقيل لام العاقبة لقوله
ليكون لهم عدوا وحزنا اي قولهم في القران والنبي اداهم
الى ان حملوا اوزارهم اي ذنوبهم كاملة لم يتركوا منها
شيئا النكبة اصابتهم في الدنيا بكفرهم وقيل هي لام الامر

والمعنى التهدد ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم قال
مجاهد يحملون وزر من اضلوه ولا ينقص من اثم المضل
شي وفي الخبر ايما داع دعا الى ضلالة فاتبع فان عليه
مثل اوزار من اتبعه من غير ان ينقص من اوزارهم شي
وايما داع دعا الى هدى فاتبع فله مثل اجورهم من غير
ان ينقص من اجورهم شي خرجه مسلم بمعناه ومن للجنس
لا للتبعيض فدعاة الضلالة عليهم مثل اوزار من اتبعهم وقوله
بغير علم اي يضلون الخلق جهلا منهم بما يلزمهم من الاثام
اذ لو علموا لما اضلوا الا سا ما يزرون اي بيس الوزر
الذي يحملوه ونظير هذه الاية وليحملن اثقالهم واثقالا
مع اثقالهم وقد تقدم في اخر الانعام بيان قوله ولا تزر
وازرة وزر اخرى قوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم
اي سبقهم بالكفر اقوام مع الرسل المتقدمين فكانت المعاقبة
الجميلة للرسل فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف
من فوقهم قال ابن عباس وزيد بن اسلم وغيرهما انه النمرود
بن كنعان وقومه ارادوا صعود السما واقتال اهله فبنوا
الصرح ليصعدوا منه بعد ان صنع بالنسور ما صنع
فخر كما تقدم بيانه في اخر سورة ابراهيم ومعنى فاتى الله
بنيانهم اي اتى امره البنيان اما زلزلة او ريح فخربته

قال ابن عباس

وقف

قال ابن عباس ووهب كان طول الصرح في السماء خمسة الاف
ذراع وعرضه ثلاثة الاف وقال كعب ومقاتل كان طوله
فرسخين فهبت ريح فالقته راسه في البحر وخر عليهم
الباقي ولما سقط الصرح تبلبلت السن الناس من الفزع
يومئذ فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا فلذلك سمي بابل
وما كان لسان قبل ذلك الا السريانية وقد تقدم هذا
المعنى في البقرة وقرا ابن هرمز وابن محيصن السُقُف
بضم السين والقاف جميعا وضم مجاهد السين واسكن
القاف تخفيفا كما تقدم في وبالنجم في الوجهين والاشبه
ان يكون جمع سقف والقواعد اصول البنا واذا اختلت
القواعد سقط البنا وقوله من فوقهم قال ابن الاعرابي
وكد ليعلمك انهم كانوا حالين تحته والعرب تقول خرَّ
علينا سقف ووقع علينا حايط اذا كان يملكه وان لم
يكن وقع عليه فجا بقوله من فوقهم ليخرج هذا الشك
الذي في كلام العرب فقال من فوقهم اي عليهم وقع
وكانوا تحته فهلكوا وما افلتوا وقيل ان المراد بالسقف
السما اي ان العذاب اتاهم من السماء التي هي فوقهم قاله
ابن عباس وقيل ان قوله فاتى الله بنيانهم من القواعد

تمثيل والمعنى اهلكهم فكانوا بمنزلة من سقط عليه بنيانه
وقيل المعنى احبط الله اعمالهم فكانوا بمنزلة من سقط بنيانه
من فوقه وعلى هذا اختلف في الذين خر عليهم السقف فقال
ابن عباس وابن زيد ما تقدم وقيل انه بخت نصر واصحابه
قاله بعض المفسرين وقيل المراد المقتسمون الذين ذكرهم
الله في سورة الحجر قاله الكلبي وعلى هذا التاويل يخرج وجه
التمثيل والله اعلم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
اي من حيث ظنوا انهم في امان وقال ابن عباس يعني البعوضة
التي اهلك الله بها نمرود قوله تعالى ثم يوم القيامة
يخزيهم اي يفضحهم بالعذاب ويذلهم به ويهينهم ويقول
اين شركاي اي بزعمكم وفي دعواكم اي الالهة التي عبدتم
دوني وهو سؤال توبيخ الذين كنتم تشاقون فيهم اي
تعادون انبيائي بسببها فليدفعوا عنكم هذا العذاب وقرا
ابن كثير شركاي بياء مفتوحة من غير همز والباقون
بالهمز نافع تشاقون بكسر النون على الاضافة اي تعادونني
فيهم وفتحها الباقون قال الذين اوتوا العلم قال ابن عباس اي
الملايكة وقيل المومنون ان الخزي اليوم اي الهوان والذل
يوم القيامة والسوء اي العذاب على الكافرين قوله تعالى
الذين تتوفاهم الملايكة ظالمي انفسهم هذا من صفة الكافرين

وظالمي

وظالمي انفسهم نصب على الحال اي وهم ظالمون انفسهم اذا وردوها
موارد الهلاك فالقوا السلم اي الاستسلام اي اقروا لله
بالربوبية وانقادوا عند الموت وقالوا ما كنا نعمل من سوء
اي شرك فقالت لهم الملايكه بلى قد كنتم تعملون الاسوا ان
الله عليم بما كنتم تعملون وقال عكرمه نزلت هذه الاية
بالمدينة في قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا فاخرجتهم
قريش الى بدر كرها فقتلوا بها فقال الذين توفاهم
الملايكه بقبض ارواحهم ظالمي انفسهم في مقامهم بمكة وتركهم
الهجرة فالقوا السلم يعني في خروجهم معهم وفيه ثلاثة اوجه
احدها انه الصلح قاله الاخفش الثاني الاستسلام
قاله قطرب الثالث الخضوع قاله مقاتل ما كنا نعمل
من سوء من كفر بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون يعني
ان اعمالكم اعمال الكفار وقيل ان بعض المسلمين لما راوا
قلة المومنين رجعوا الى المشركين فنزلت فيهم وعلى القول
الاول فلا يخرج كافر ولا منافق من الدنيا حتى ينقاد
ويستسلم ويخضع ويذل ولا ينفعهم حينيذ توبة
ولا ايمان كما قال فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا
وقد تقدم هذا المعنى وتقدم في الانفال ان الكفار
يتوفون بالضرب والهوان وكذلك في الانعام وقد

ذكرناه في كتاب التذكرة **قوله تعالى** فادخلوا ابواب جهنم اي يقال لهم ذلك عند الموت وقيل هو بشارة لهم بعذاب القبر اذ هو باب من ابواب جهنم للكافر وقيل لا تصل اهل الدركة الثانية اليها مثلا الا بدخول الدركة الاولى ثم الثانية ثم الثالثة هكذا وقيل لكل دركة باب منفرد فالبعض يدخلون من باب والبعض من باب اخر فالله اعلم خالدين فيها اي ما كثين فلبيس مثوى اي مقام المتكبرين الذين تكبروا عن الايمان وعن عبادة الله تعالى وقد بينهم بقوله الحق انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون **قوله تعالى** وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي قالوا انزل خيرا وتم الكلام وماذا على هذا اسما واحدا وكان يرد الرجل من العرب مكة في ايام الموسم فيسئل المشركين عن محمد عليه السلام فيقولون ساحر او شاعر او كاهن ومجنون ويسئل المومنين فيقولون انزل الله عليه الخير والهدى والمراد القران وقيل ان هذا يقال لاهل الايمان يوم القيامة قال الثعلبي فان قيل لم ارتفع الجواب في قوله اساطير الاولين وانتصب في قوله خيرا فالجواب ان المشركين لم يومنوا بالتنزيل فكانهم قالوا الذي يقوله محمد هو اساطير الاولين والمومنون امنوا بالنزول فقالوا

بلغ

فقالوا انزل خيرا وهذا مفهوم معناه من الاعراب والحمد لله

قوله تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنه

قيل هو من كلام الله عز وجل وقيل هو من جملة كلام الذين
اتقوا والحسنة هنا الجنة اي من اطاع الله فله الجنة غدا
وقيل للذين احسنوا اليوم حسنة في الدنيا من النصر
والفتح والغنيمة ولدار الاخرة خير اي ما ينالون في الاخره
من ثواب الجنة خير واعظم من دار الدنيا لفنائها وبقاء
الاخرة ولنعم دار المتقين فيه وجهان قال الحسن المعني
ولنعم دار المتقين الدنيا لانهم نالوا بالعمل فيها
ثواب الاخره ودخول الجنة وقيل المعني ولنعم دار
المتقين الاخرة وهذا قول الجمهور وعلى هذا
يكون جنات عدن بدلا من الدار فلذلك ارتفع وقيل
ارتفع على تقدير هي جنات فهي مبينة لقوله
دار المتقين او تكون مرفوعة بالابتداء التقدير
جنات عدن نعم دار المتقين يدخلونها في موضع
الصفة اي مدخولة وقيل جنات رفع بالابتداء
وخبره يدخلونها وعليه تخرج قول الحسن والله اعلم
تجري من تحتها الانهار تقدم معناه في البقره لهم
فيها ما يشاوون اي مما تمنوه وارادوه كذلك يجزي

الله المتقين اي مثل هذا الجزا يجزي المتقين الذين تتوفاهم
الملايكة طيبين قرا الاعمش وحمزه يتوفاهم الملايكة
في الموضعين باليا واختاره ابو عبيد لما روي عن ابن
مسعود انه قال ان قريشا زعموا ان الملايكة اناثا
فذكروا هم انتم الباقون بالتاء لان المراد به الجماعة
من الملايكة وطيبين فيه ستة اقوال الاول طيبين
طاهرين من الشرك الثاني صالحين الثالثة زاكية
افعالهم واقوالهم الرابع طيبين الانفس ثقة بما
يلقونه من ثواب الله تعالي الخامس طيبة نفوسهم
بالرجوع الى الله السادس طيبين ان تكون وفاتهم
طيبة سهلة لا صعوبة فيها ولا الم بخلاف ما تقبض
به روح الكافر والمخلط والله اعلم يقولون سلام
عليكم يحتمل وجهين احدهما ان يكون السلام انذارا
لهم بالوفاة الثاني ان يكون تبشيرا لهم بالجنة لان السلام
امان وذكر ابن المبارك قال انا حيوة قال اخبرني
ابو صخر عن محمد بن كعب القرظي قال اذا استنقعت نفس
العبد المومن جاه ملك فقال السلام عليك ولي الله
الله يقرا عليك السلام ثم نزع بهذه الاية الذين تتوفاهم
الملايكة طيبين يقولون سلام عليكم قال ابن مسعود
اذا جا

اذا جاملك الموت يقبض روح المومن قال ربك يقريك
السلام وقال مجاهد ان المومن ليبشر بصلاح ولده
من بعده لتقر عينه وقد اتينا على هذا في كتاب
التذكره وذكرنا هنالك الاخبار الوارده في هذا المعنى
والحمد لله وقوله ادخلوا الجنة يحتمل وجهين
احدهما ان يكون معناه ابشروا بدخول الجنة الثاني
ان يقولوا ذلك لهم في الاخرة بما كنتم تعملون يعني في
الدنيا من الصالحات **قوله تعالى** هل ينظرون الا
ان تاتيهم الملايكة هذا راجع الى الكفار اي ما ينتظرون
الا ان تاتيهم الملايكه لقبض ارواحهم وهم ظالمون
لانفسهم وقرا الاعمش وابن وثاب وحمزة والكساي
وخلف ياتيهم الملايكة بالياء الباقون بالتاء على ما
تقدم او ياتي امر ربك بالعذاب من القتل كيوم بدر
او الزلزلة والخسف في الدنيا وقيل المراد يوم القيامه
والقوم لم ينتظروا هذه الاشيا لانهم ما امنوا
بها ولكن امتناعهم عن الايمان اوجب عليهم العذاب
فاضيف ذلك اليهم اي عاقبتهم العذاب كذلك فعل الذين
من قبلهم اي اصروا على الكفر فاتاهم امر الله فهلكوا
وما ظلمهم الله بتعذيبهم واهلاكهم ولكن ظلموا

انفسهم بالشرك قوله تعالى فاصابهم سيات ما عملوا
قبل فيه نقديم وتاخير التقدير كذلك فعل الذين من
قبلهم فاصابهم سيات ما عملوا وما ظلمهم الله ولكن ظلموا
انفسهم فاصابهم عقوبات كفرهم وجزا الخبيث
من اعمالهم وحاق بهم اي احاط بهم ودار ما كانوا به
يستهزون اي عقاب استهزايهم قوله تعالى
وقال الذين اشركوا لو شا الله ما عبدنا من دونه من
شي اي بينا ومن صلة قال الزجاج قالوه استهزاءً
ولو قالوه عن اعتقاد لكانوا مومنين وقد مضى هذا
في سورة الانعام مبينا معنىً واعرابا فلا معنى للاعادة
كذلك فعل الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب والاستهزاء
فعل من كان قبلهم بالرسل فاهلكوا فهل على الرسل
الا البلاغ المبين اي ليس عليهم الا التبليغ واما الهداية
فهي الى الله تعالى قوله تعالى ولقد بعثنا في
كل امة رسولا ان اعبدوا الله اي بان اعبدوا الله
ووحدوه واجتنبوا الطاغوت اي اتركوا كل معبود
دون الله كالشيطان والكاهن والصنم وكل من دعا
الى الضلال فمنهم من هدى الله اي ارشده الى دينه
وعبادته

وعبادته ومنهم من حقت عليه الضلالة اي بالقضا السابق
عليه حتى مات على كفره وهذا رد على القدرية لانهم زعموا
ان الله هدى الناس كلهم ووفقهم للهدى والله تعالى
يقول فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة
وقد تقدم هذا في غير موضع فسيروا في الارض اي
فسيروا معتبرين في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين اي كيف صار اخر امرهم الى الخراب والعذاب
والهلاك قوله تعالى ان تحرص على هداهم اي ان
تطلب يا محمد بجهدك هداهم فان الله لا يهدي من يضل
اي لا يرشد من اضله اي من سبق له من الله الضلالة
لم يهده وهذه قراءة ابن مسعود واهل الكوفة فيهدي
فعل مستقبل وماضيه هدى ومن في موضع نصب
بيهدي ويجوز ان يكون هدى يهدي بمعنى اهتدى
يهتدي رواه ابو عبيد عن الفراء كما قال كما قرئ امن
لا يهدي الا ان يهدى بمعنى يهتدي قال ابو عبيد ولا
نعلم احدا روى هذا غير الفراء وليس بمتهم فيما يحكيه
النحاس حكى لي عن محمد بن يزيد كان معنى لا يهدي من
يضل من علم ذلك منه وسبق ذلك له عنده قال
ولا يكون يهدي بمعنى يهتدي الا ان يكون يهدي

او يهدّي وعلى قول الفرا يهدي بمعنى يهتدي فيكون
من في موضع رفع والعايد الى من الها المحذوفة من الصله
والعايد الى اسم ان الضمير المستكن في يضل وقرا الباقون
لا يُهدى بضم اليا وفتح الدال واختاره ابو عبيد
وابو حاتم على معنى من اضله الله لم يهده هادٍ دليله
قوله من يضلل الله فلا هادي له ومن في موضع رفع
على انه اسم ما لم يسم فاعله وهي بمعنى الذي والعايد
عليها من صلتها المحذوفة والعايد على اسم ان من فان
الله الضمير المستكن في يضل وما لهم من ناصرين تقدم
معناه قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم

قوله

هذا تعجيب من صنعهم اذا اقسموا بالله وبالغوا في
تغليظ اليمين بان الله لا يبعث من يموت ووجه
التعجيب انهم يظهرون تعظيم الله فيقسمون به ثم يعجزونه
عن بعث الاموات وقال ابو العالية كان لرجل من المسلمين
على مشرك دين فتقاضاه وكان في بعض كلامه والذي
ارجوه بعد الموت انه لكذا فاقسم المشرك بالله لا يبعث
الله من يموت فنزلت الاية وقال قتادة ذكر لنا
ان ابن عباس قال له رجل يا ابن عباس ان ناسا يزعمون
ان عليا مبعوث بعد الموت قبل الساعة ويتأولون

هذه الاية

هذه الاية فقال ابن عباس كذبوا وليك انما هذه الاية
عامة للناس لو كان علي مبعوثا قبل يوم القيامة
ما نكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه بلى هذا رد عليهم
اي بلى ليبعثنهم وعدا عليه حقا مصدر موكد لان قوله
يبعثهم يدل على الوعد اي وعد البعث وعدا حقا ولكن
اكثر الناس لا يعلمون انهم مبعوثون وفي البخاري عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى كذبني
ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه
اياي فقوله لن يعيدني كما بداني واما شتمه اياي فقوله
اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد لم نلد ولم نولد ولم يكن
لي كفوا احد وقد تقدم ويأتي **قوله تعالى ليبين لهم**
اي ليظهر لهم الذي يختلفون فيه اي من امر البعث وليعلم
الذين كفروا بالبعث واقسموا عليه انهم كاذبين وقيل
المعنى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ليبين لهم الذي يختلفون
فيه والذي اختلف فيه المشركون والمسلمون امور منها
البعث ومنها عبادة الاصنام ومنها اقرار قوم بان محمدا
حق ولكن منعهم من اتباعه التقليد كابي طالب **قوله**
تعالى انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
اعلمهم سهولة الخلق عليه اي اذا اردنا ان نبعث من يموت

فلا تعب علينا ولا نصب في احيايهم ولا في غير ذلك مما نحدثه
لانا انما نقول له كن فيكون قراه ابن عامر والكساي فيكون
نصبا عطفا على ان نقول وقال الزجاج يجوز ان يكون نصبا
على جواب كن الباقون بالرفع على معني فهو يكون وقد مضي
القول فيه في البقرة مستوفي وقال ابن الانباري اوقع
لفظ الشي على المعلوم عند الله قبل الخلق لانه بمنزلة ما وجد
وشوهد وفي الاية دليل على ان القران غير مخلوق لانه لو
كان قوله كن مخلوقا لاحتاج الي قول ثان والثاني الي ثالث
وتسلسل وكان محالا وفيها دليل على ان الله سبحانه مريد
لجميع الحوادث كلها خيرها وشرها نفعها وضرها والدليل
على ذلك ان من يري في سلطانه ما يكرهه ولا يريده فلاحد
شيين اما لكونه جاهلا لا يدري واما لكونه مغلوبا لا
يطيق ولا يجوز ذلك في وصفه سبحانه وقد قام الدليل على
انه خالق لاكساب العباد ويستحيل ان يكون فاعلا لشي وهو
غير مريد له لان اكثر افعالنا تحصل على خلاف قصودنا
وارادتنا فلو لم يكن الحق سبحانه مريدا لها لكانت تلك
الافعال تحصل من غير قصد وهذا قول الطبايع وقد اجمع
الموحدون على خلافه وفساده **قوله تعالى** والذين
هاجروا في الله من بعد ما ظلموا قد تقدم في النسا معني
الهجره

الهجرة وهي ترك الاوطان والاهل والقرابة في الله او في دين
الله وترك السيات وقيل في بمعنى اللام اي لله من بعد ما
ظلموا اي عذبوا في الله نزلت في صهيب وبلال وخباب وعمار
عذبهم اهل مكة حتى قالوا لهم ما ارادوا فلما خلوهم هاجروا
الى المدينة قاله الكلبي وقيل نزلت في ابي جندل بن سهيل
وقال قتادة المراد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ظلمهم المشركون
بمكة واخرجوهم حتى لحق طايفة منهم بالحبشة ثم بواهم
الله تعالى دار الهجرة وجعل لهم انصارا من المومنين والاية
تعم الجميع لنبوينهم في الدنيا حسنة في الحسنة ستة
اقوال الاول نزول المدينة قاله ابن عباس والحسن والشعبي
وقتادة الثاني الرزق الحسن قاله مجاهد الثالث النصر
على عدوهم قاله الضحاك الرابع انه لسان صدق حكاه
ابن جريج الخامس ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار
لهم فيها من الولايات السادس ما بقي لهم في الدنيا من الثناء
وما صار فيها لاولادهم من الشرف وكل ذلك اجمع لهم
بفضل الله والحمد لله ولاجر الاخرة اكبر اي ولاجر دار
الاخرة اكبر اي اكثر من ان يعلمه احد قبل ان يشاهده
واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا لو كانوا يعلمون اي
لو كان هولاء الظالمون يعلمون ذلك وقيل هو راجع الى المومنين

اي لو راوا ثواب الاخرة وعاينوه لعلموا انه اكثر من حسنة
الدنيا وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا دفع الي
المهاجرين العطا قال هذا ما وعدكم الله في الدنيا وما ذخر
لكم في الاخرة اكثر ثم تلي عليهم هذه الاية قوله تعالى الذين
صبروا وعلي ربهم يتوكلون قيل الذين بدل من الذين الاول
وقيل من الضمير في لنبوينهم وقيل هم الذين صبروا على دينهم
وعلي ربهم يتوكلون في كل امورهم وقال بعض اهل التحقيق خيار
الخلق من اذا نابه امر صبر واذا عجز عن امر توكل قال الله
تعالى الذين صبروا وعلي ربهم يتوكلون قوله تعالى وما
ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحي اليهم قراة العامة يوحي
بالياء وفتح الحاء وقرا حفص عن عاصم نوحي اليهم بنون
العظمة وكسر الحا نزلت في مشركي مكة حيث انكروا
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله اعظم من ان يكون
رسوله بشرا فهلا بعث الينا ملكا فرد الله عليهم بقوله
وما ارسلنا من قبلك الي الامم الماضية يا محمد الا رجالا
ادميين فاسلوا اهل الذكر قال سفيان يعني مومني اهل
الكتاب ان كنتم لا تعلمون يخبرونكم ان جميع الانبياء كانوا
بشرا وقيل المعني فاسلوا اهل الكتاب فانهم لم يومنوا فهم معترفون
بان الرسل كانوا من البشر روي معناه عن ابن عباس ومجاهد
وقال

وقال ابن عباس اهل الذكر اهل القران وقيل اهل العلم والمعنى
متقارب بالبينات والزبر قيل بالبينات متعلق بارسلنا وفي
الكلام تقديم وتاخير اي وما ارسلنا من قبلك بالبينات
والزبر الا رجالا اي غير رجال فالا بمعنى غير لقوله الهة
الا الله وهذا قول الكلبي يوحي اليهم وقيل في الكلام حذف دل
عليه ارسلنا اي ارسلناهم بالبينات والزبر ولا يتعلق
بالبينات بارسلنا الاول على هذا القول لان ما قبل الا لا يعمل
فيما بعدها وانما يتعلق بارسلنا المقدرة اي ارسلناهم
بالبينات وقيل مفعول بتعلمون والباء زايدة او نصب
باضمار اعني كما قال الاعشى

وليس مجيرا ان اتى الحي خايف ولا قايلا الا هو المتعيبا

اي اعني المتعيب والبينات الحجج والبراهين والزبر الكتب
وقد تقدم في آل عمران وانزلنا اليك الذكر يعني القران
لتبين للناس ما نزل اليهم في هذا الكتاب من الاحكام والوعد
والوعيد بقولك وفعلك فالرسول صلى الله عليه وسلم
مبين عن الله عز وجل مراده مما اجمله في كتابه من احكام
الصلاة والزكاة وغير ذلك مما لم يفصله وقد تقدم
هذا المعنى مستوفى في مقدمة الكتاب والحمد لله
ولعلهم يتفكرون فيتعظون قوله تعالى افامن

الذين مكروا السيات اي بالسيات وهذا وعيد للمشركين الذين
احتالوا في ابطال الاسلام ان يخسف الله بهم الارض قال ابن عباس
كما خسف بقارون يقال خسف المكان يخسف خسوفا ذهب
في الارض وخسف الله به الارض خسوفا اي غاب به فيها
ومنه قوله فخسفنا به وبداره الارض وخسف هو في الارض
وخسف به والاستفهام بمعنى الانكار اي يجب ان لا يامنوا
عقوبة تلحقهم كما لحقت المكذبين او ياتيهم العذاب من حيث
لا يشعرون كما فعل بقوم لوط وغيرهم وقيل يريد يوم
بدر فانهم اهلكوا ذلك اليوم ولم يكن شي منه في حسابهم
او ياخذهم في تقلبهم اي في اسفارهم وتصرفهم قاله قتادة
فما هم بمعجزين اي سابقين الله ولا فايتيه وقيل في تقلبهم
على فرشهم اينما كانوا وقال الضحاك بالليل والنهار او ياخذهم
على تخوف قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما اي على تنقص في
اموالهم ومواشيهم وزروعهم وكذا قال ابن الاعرابي اي
على تنقص من الاموال والانفس والثمرات حتى اهلكهم كلهم
وقال الضحاك هو من الخوف المعنى ياخذ طايفة ويدع طايفة
فتخاف الباقية ان ينزل بها ما نزل بصاحبتها وقال الحسن
على تخوف ان ياخذ القرية فتخاف القرية الاخرى وهذا
هو معنى القول الذي قبله بعينه وهما راجعان الى معنى
الاول

الاول وان التخوف التنقص تخوفه تنقصه وتخوفه الدهر
وتخوّنه بالفا والنون بمعنى يقال تخونني فلان حقي اذا
تنقصك قال ذو الرومة ؛؛
لا بل هو الشوق من دار تخوّنها مرّاً سحاب ومرّاً بارح ترب
وقال لبيد تخوّنها نزولي وارتحالي ؛ اي تنقص لحمها
وشحمها وقال الهيثم بن عدي التخوف بالفا التنقص لغة
لازد شنوءة وانشد ؛ تخوّف عدوهم مالي واهدى سلاسل
في الحلوق لها صليل ؛؛ وقال سعيد بن المسيّب بينا عمر بن
الخطاب على المنبر قال يا ايها الناس ما تقولون في قول الله عز وجل
او ياخذهم على تخوّف فسكت الناس فقال شيخ من بني
هذيل هي لغتنا يا امير المومنين التخوف التنقص فخرج رجل
فقال يا فلان ما فعل دينك قال تخوّفته اي تنقصته
فرجع فاخبر عمر فقال عمر اتعرف العرب ذلك في اشعارهم
قال نعم قال شاعرنا ابو كبير الهذلي يصف ناقته ؛؛
تخوّف السير منها تامكا قردا كما تخوّف عود النبعة السفن
وقد قيل:
نقص السير سنامها بعد تمكه واكتنازه تخوّف الرحل
منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن القدوم
فقال عمر يا ايها الناس عليكم بديوانكم شعر الجاهلية فان فيه
تفسير كتابكم ومعاني كلامكم ؛ تمك السنام يتمك تمكا
اي طال وارتفع فهو تامك والسفن والمسفن ما يجرز به

الخشب وقال الليث بن سعد على تخوف على عجل وقيل على تقريع
بما قدموه من ذنوبهم وهذا مروي عن ابن عباس ايضا وقال قتادة
على تخوف ان يعاقب او يتجاوز فان ربكم لرؤف رحيم اي لا
يعاجل بل يمهل قوله تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من شيء
تتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمايل سجدا لله وهم داخرون
قرا حمزة والكساي وخلف ويحيى والاعمش تروا بالتاء على
ان الخطاب لجميع الناس الباقون بالياء خبرا عن الذين يمكرون
السيات وهو الاختيار من شيء يعني من جسم قايم له ظل
من شجرة او جبل قاله ابن عباس وان كانت الاشيا كلها سميعة
مطيعة لله تعالى تتفيؤا ظلاله قراة ابو عمرو ويعقوب
وغيرهما بالتاء لتانيث الظلال الباقون بالياء واختاره
ابو عبيد اي يميل من جانب الى جانب ويكون اول النهار
على حال ويتقلص ثم يعود في اخر النهار على حالة اخرى
فدورانها وميلانها من موضع الى موضع سجودها ومنه
قيل للظل بالعشي فيء لانه فا من المغرب الى المشرق اي رجع
والفيء الرجوع ومنه حتى تفيء الى امر الله روي معنى هذا
القول عن الضحاك وقتادة وغيرهما وقد مضى هذا المعنى
في سورة الرعد وقال الزجاج يعني سجود الجسم وسجوده
انقياده وما يرى فيه من اثر الصنعة وهذا عام في كل جسم
ومعنى

ومعنى وهم داخرون اي خاضعون صاغرون والدخور الصغار
والذل يقال دخر الرجل بالفتح فهو داخر وادخره الله وقال
ذو الرمة ؛؛ ولم يبق الا داخر في مخيس ومنجحر في غير ارضك في جحر
كذا نسبه الماوردي لذي الرمة ونسبه الجوهري للفرزدق
وقال المخيس اسم سجن كان بالعراق اي موضع التذلل وقال
اما تراني كيسا مكيسا بنيت بعد نافع مخيسا ؛؛ ووحد اليمين
في قوله عن اليمين وجمع الشمايل لان معنى اليمين وان كان واحدا
الجمع ولو قال عن الايمان والشمايل واليمين والشمايل او اليمين
والشمال او الايمان والشمال لجاز لان المعنى للكثرة وايضا من
شان العرب اذا اجتمعت علامتان في شي واحد ان تجمع
احداهما وتفرد الاخرى كقوله ختم الله على قلوبهم وعلى
سمعهم وكقوله ويخرجهم من الظلمات الى النور ولو قال
على اسماعهم والى الانوار لجاز ويجوز ان يكون رد اليمين
على لفظ ما والشمايل على معناها ومثل هذا في الكلام كثير قال الشاعر
الواردون وتيم في ذرى سبا قد عض اعناقهم جلد الجواميس
ولم يقل جلود وقيل وحد اليمين لان الشمس اذا طلعت
وانت متوجه الى القبلة انبسط الظل عن اليمين ثم في حال
تميل الى جهة الشمال ثم حالات فسماها شمايل قوله تعالى
ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة اي من

كل ما يدب على الارض والملايكة يعني الملايكة الذين في الارض
وانما افردهم بالذكر لاختصاصهم بشرف المنزلة فميزهم من
صفة الدبيب بالذكر وان دخلوا فيها لقوله فيهما فاكهة ونخل
ورمان وقيل لخروجهم من جملة ما يدب لما جعل الله لهم من الاجنحة
فلم يدخلوا في الجملة فلذلك ذكروا وقيل اراد ولله يسجد ما
في السموات من الملايكة والشمس والقمر والنجوم والرياح
والسحاب وما في الارض من دابة وتسجد ملايكة الارض وهم
لا يستكبرون عن عبادة ربهم وهذا رد على قريش حيث زعموا
ان الملايكة بنات الله ومعنى يخافون ربهم من فوقهم اي
عقاب ربهم وعذابه لان العذاب المهلك انما ينزل من السماء
وقيل المعنى يخافون قدرة ربهم التي هي فوق قدرتهم ففي
الكلام حذف وقيل معنى يخافون ربهم من فوقهم يعني الملايكة
يخافون ربهم وهي من فوق ما في الارض من دابة ومع ذلك
يخافون فلان يخاف من دونهم اولى دليل هذا القول قوله
ويفعلون ما يومرون يعني الملايكة قوله تعالى وقال
الله لا تتخذوا الهين اثنين قيل المعنى لا تتخذوا اثنين الهين
وقيل جا قوله اثنين توكيدا ولما كان الاله الحق لا
يتعدد وان كل من يتعدد فليس باله اقتصر على ذكر الاثنين
لانه قصد نفي التعديد انما هو اله واحد يعني ذاته

المقدسه

المقدسة وقد قام الدليل العقلي والشرعي على وحدانيته
حسب ما تقدم في البقرة بيانه وذكرناه في اسمه
الواحد في شرح الاسما والحمد لله فاياي فارهبون اي
خافون وقد تقدم في البقرة قوله تعالى وله ما في السموات
والارض وله الدين واصبا الدين الطاعة والاخلاص وواصبا
معناه دايما قاله الفرا حكاه الجوهري وصب الشي يصب
وصوبا اي دام ووصب الرجل على الامر اذا واظب عليه
والمعنى طاعة الله واجبة ابدا وممن قال واصبا دايما
الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك ومنه قوله تعالى
ولهم عذاب واصب اي دايم وقال الدولي
لا ابتغي الحمد القليل بقاوه بذم يكون الدهر اجمع واصبا
وقيل الوصب التعب والاعيا اي تجب طاعة الله وان
تعب العبد فيها ومنه قول الشاعر
لا يمسك الساق من اين ولا وصب ولا يعض على شرسوفه الصفر
انشده الغزنوي والثعلبي وغيرهما لا ابتغي الحمد القليل
بقاوه يوما بذم الدهر اجمع واصبا وقال ابن عباس
واصبا واجبا الفرا والكلبي خالصا افغير الله تتقون
اي لا ينبغي ان تتقوا غير الله فغير نصب بتتقون قوله
تعالى وما بكم من نعمة فمن الله قال الفرا ما بمعنى الجزا

والبا في بكم متعلقة بفعل مضمر تقديره وما يكن بكم من نعمة
اي صحة جسم وسعة رزق ولذة فمن الله وقيل المعنى وما
بكم من نعمة فمن الله هي ثم اذا مسكم الضر اي السقم والبلا
والقحط فاليه تجأرون اي تضجون بالدعاء جأر يجأر جؤورا
والجؤار مثل الخوار يقال جأر الثور يجأر اي صاح وقرأ
بعضهم عجلا جسدا له جؤار حكاه الاخفش وجأر الرجل
الى الله اي تضرع بالدعاء وقال الاعشى يصف بقرة
فطافت ثلثا بين يوم وليلة وكان النكير ان تطيف وتجأرا
ثم اذا كشف الضر عنكم اي البلا والسقم اذا فريق منكم
بربهم يشركون بعد ازالة البلا وبعد الجؤار فمعنى
الكلام التعجب من الاشراك بعد النجاة من الهلاك وهذا
المعنى مكرر في القران وقد تقدم في الانعام ويونس
وياتي في سبحان وغيرها وقال الزجاج هذا خاص
بمن كفر ليكفروا بما اتيناهم اي ليجحدوا نعمة الله
التي انعم بها عليهم من كشف الضر والبلا اي اشركوا
ليجحدوا فاللام لام كي وقيل لام العاقبة وقيل
ليكفروا بما اتيناهم اي ليجعلوا النعمة سببا للكفر
وكل هذا فعل خبيث كما قال
والكفر مخبثة لنفس المنعم فتمتعوا امر تهديد

وقرأ

وقرا عبد الله قل تمتعوا فسوف تعلمون اي عاقبة
امركم قوله تعالى ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما
رزقناهم ذكر نوعا آخر من جهالتهم وانهم يجعلون لما
لا يعلمون انه يضر وينفع وهي الاصنام شيا
من اموالهم يتقربون به اليه قاله مجاهد وقتادة
وغيرهما فيعلمون على هذا للمشركين وقيل هي للاوثان
وجرا بالواو والنون مجرى من يعقل فهو رد على ما
ومفعول تعلم محذوف والتقدير ويجعل هولاء في
الكفار للاصنام التي لا تعلم شيا نصيبا وقد مضى في
الانعام تفسير هذا المعنى في قوله فقالوا هذا لله
بزعمهم وهذا لشركائنا ثم رجع من الخبر الى الخطاب
فقال تالله لتسالن وهذا سوال توبيخ عما كنتم تفترون
اي تختلقونه من الكذب على الله انه امركم بهذا قوله
تعالى ويجعلون لله البنات نزلت في خزاعة
وكنانة فانهم زعموا ان الملايكة بنات الله فكانوا
يقولون الحقوا البنات بالبنات سبحانه نزه نفسه
وعظمها عما نسبوه اليه من اتخاذ الاولاد ولهم
ما يشتهون اي يجعلون لانفسهم البنين ويانفون

من البنات وموضع ما رفع بالابتدا والخبر لهم وتم الكلام
عند قوله سبحانه واجاز الفرا كونها نصبا على تقدير
ويجعلون لهم ما يشتهون وانكره الزجاج وقال العرب
تستعمل في مثل هذا ويجعلون لانفسهم **قوله تعالى**
واذا بشر احدهم بالانثى اي اذا اخبر احدهم بولادة
بنت ظل وجهه مسودا اي متغيرا وليس يريد السواد
الذي هو ضد البياض وانما هو كناية عن غمه بالبنت
والعرب تقول لكل من لقي مكروها قد اسود وجهه
غما وحزنا قاله الزجاج وحكى الماوردي ان المراد
سواد اللون قال وهو قول الجمهور وهو كظيم
اي ممتلئ من الغم وقال ابن عباس حزين وقال الاخفش
هو الذي يكظم غيظه فلا يظهره وقيل انه المغموم
الذي يطبق فاه فلا يتكلم من الغم ماخوذ من الكظامة
وهو شد فم القربة قاله علي بن عيسى وقد تقدم هذا
المعنى في سورة يوسف **قوله تعالى** يتوارى
من القوم اي يختفي ويتغيب من سوء ما بشر به
اي من سوء الحزن والعار والحيا الذي يلحقه بسبب
البنت ايمسكه ذكر الكناية لانه مردود على ما
على هون اي هوان وكذا قراء عيسى الثقفي على هوان
والهون الهوان

بلغ

والهون الهوان بلغة قريش قاله اليزيدي وحكاه ابو عبيد عن
الكساي وقال الفرا هو القليل بلغة تميم وقال الكساي هو البلا
والمشقة وقالت الخنساء تهين النفوس وهون النفوس يوم
الكريهة ابقى لها * وقرا الاعمش ايمسكه عن سوء ذكره
النحاس قال وقرا الجحدري ام يدسها في التراب يرده على قوله
بالانثى ويلزمه ان يقرا ايمسكها وقيل يرجع الهوان الى البنت اي
ايمسكها وهي مهانة عنده وقيل يرجع الى المولود له اي
ايمسكه على رغم انفه ام يدسه في التراب وهو ما كانوا
يفعلونه من دفن البنت حية قال قتادة كان مضر وخزاعة
يدفنون البنات احيا واشدهم في هذا تميم زعموا خوف
القهر عليهم وطمع غير الاكفا فيهن وكان صعصعة بن ناجية
عم الفرزدق اذا احس بشيء من ذلك وجه الى والد البنت
ابلا يستحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر
وعمي الذي منع الوايدات واحيى الوئيد فلم يوئد * وقيل
دسها اخفاؤها عن الناس حتى لا يعرف كالمدسوس في التراب
لاخفايه عن الابصار وهذا محتمل مسئلة ثبت في صحيح مسلم
عن عايشة رضي الله عنها قالت جاتني امراة ومعها ابنتان لها
فسالتني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فاعطيتها اياها
فاخذتها فقسمتها بين ابنتيها ولم تاكل منها شيا ثم قامت

مطلب في ثواب البنات وغيرهن

فخرجت وابنتاها فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم
فخبرته حديثها فقال النبي صلى الله عليه وسلم من
ابتلي من البنات بشيء فاحسن اليهن كن له سترا من
النار ففي هذا الحديث ما يدل على ان البنات بلية
ثم اخبر ان في الصبر عليهن والاحسان اليهن ما يقي
من النار وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت جاءتني
مسكينة تحمل ابنتين لها فاطعمتها ثلاث تمرات
فاعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت الى
فيها تمرة لتاكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت
التمرة التي كانت تريد ان تاكلها فاعجبني شانها
فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان الله عز وجل قد اوجب لها بها الجنة واعتقها
بها من النار وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من عال جاريتين حتى يبلغا جا يوم القيامة
انا وهو وضم اصابعه خرجها ايضا مسلم رحمه الله
وخرج ابو نعيم الحافظ من حديث الاعمش عن ابي
وايل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كانت له بنت فادبها وعلمها فاحسن تعليمها
واسبغ عليها من نعم الله التي اسبغ عليه كانت له سترا

اوحجابا

او مجانا من النار وخطب الى عقيل بن علفمة ابنة الجربا
فقال انى وان سيق الى المهر الف وعبدان وخود عشر
احب اصهارى الى القبر وقال عبد الله بن طاهر
لكل ابى بنت يراعى شؤونها ثلاثة اصهار اذا حمد الصهر
فبعل يراعيها وخدر يكنها وقبر يواريها وخيرهم القبر
الاسا ما يحكمون اى فى اضافة البنات الى خالقهم واضافة
البنين اليهم نظيره الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة
ضيزى اى جايرة واستانى قوله تعالى للذين لا
يؤمنون بالاخرة اى لهولاء الواصفين لله البنات
مثل السوء اى صفة السوء من الجهل والكفر وقيل
هو وصفهم الله تعالى بالصاحبة والولد وقيل اى
العذاب والنار ولله المثل الاعلى اى الوصف الاعلا
من الاخلاص والتوحيد قاله قتادة وقيل اى الصفة
العليا بانه خالق رازق قادر ومجازى وقال
ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلا شهادة ان
لا اله الا الله وقيل ليس كمثله شي وقيل المثل الاعلا
لقوله الله نور السموات والارض مثل نوره فان
قيل كيف اضاف المثل هنا الى نفسه وقد قال فلا تضربوا
لله الامثال فالجواب ان قوله فلا تضربوا لله الامثال

اي لا امثال التي توجب الاشباه والنقايص اي لا تضربوا
لله مثلا يقتضي نقصا وتشبيها بالخلق والمثل الاعلى
وصفه بما لا شبيه له ولا نظير جل وتعالى عما يقوله
الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وهو العزيز الحكيم
تقدم معناه قوله تعالى ولو يواخذ الله الناس
بظلمهم اي بكفرهم وافترايهم وعاجلهم ما ترك عليها
اي على الارض فهو كناية عن غير مذكور لكن دل عليه
قوله من دابة فان الدابة لا تدب الا على الارض والمعني
المراد من دابة كافرة فهو خاص وقيل المعنى انه لو
اهلك الاباء بكفرهم لم تكن الابنا وقيل المراد بالاية العموم
اي ولو واخذ الله الخلق بما كسبوا ما ترك على ظهر
هذه الارض من دابة من نبي ولا غيره وهذا قول
الحسن وقال ابن مسعود وقرا هذه الاية لو اخذ
الله الخلايق بذنوب المذنبين لاصاب العذاب جميع
الخلق حتى الجعلان في جحرها ولامسك الامطار من السما
والنبات عن الارض فمات الدواب ولكن الله ياخذ
بالعفو والفضل كما قال ويعفو عن كثير فاذا جا
اجلهم اي اجل موتهم ومنتهى اعمارهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون وقد تقدم فان قيل فكيف يعم
بالهلاك

بالهلاك مع ان فيهم مومنا ليس بظالم قيل يجعل هلاك الظالم
انتقاما وجزا وهلاك المومن معوضا بثواب الاخره وفي صحيح
مسلم عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا اراد الله بقوم عذابا اصاب العذاب
من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم وعن ام سلمة وسيلت
عن الجيش الذي يخسف به وكان ذلك في ايام ابن الزبير فقالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ بالبيت عايذ
فيبعث اليه بعث فاذا كانوا ببيدا من الارض يخسف
بهم فقلت يا رسول الله وكيف بمن كان كارها قال يخسف
به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته وقد اتينا
على هذا المعنى مجودا في كتاب التذكره وتقدم في المايده
واخر الانعام ما فيه كفاية والحمد لله وقيل فاذا جا
اجلهم اي فاذا جات القيامه والله اعلم **قوله تعالى**
ويجعلون لله ما يكرهون اي من البنات ونصف السنتهم
اي وتقول السنتهم الكذب ان لهم الحسني قال مجاهد هو
قولهم ان لهم البنين ولله البنات الكذب مفعول تصف
وان في محل نصب بدل من الكذب لانه بيان له وقيل
الحسني الجزا الحسن قاله الزجاج وقرا ابن عباس وابو
العاليه ومجاهد وابن محيصن الكذب برفع الكاف

والذال والباء نعتا للالسنة وكذا ولا تقولوا لما تصف
السنتكم الكذب والكذب جمع كذوب مثل رسول ورسل
وصبور وصبر وشكور وشكر لا رد لقولهم وتم الكلام اي
ليس كما يزعمون جرم ان لهم النار اي حقا ان لهم النار وقد
تقدم مستوفى وانهم مفرطون اي متروكون منسيون
في النار قاله ابن الاعرابي وابو عبيدة والكسائي والفرا
وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وقال ابن عباس وسعيد
بن جبير ايضا مبعدون قتادة والحسن معجلون الي
النار مقدمون اليها والفارط الذي يتقدم الي الماء ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض اي متقدمكم
وقال القطامي فاستعجلونا وكانوا من صحابتنا كما تعجل فراط لوراد
والفراط المتقدمون في طلب الما والوراد المتاخرون وقرا
نافع في رواية ورش مفرطون بكسر الراء وتخفيفها وهي
قراة عبد الله بن مسعود وابن عباس ومعناه مسرفون
في الذنوب والمعصية اي افرطوا فيها يقال افرط فلان على
فلان اذا اربى عليه وقال له اكثر مما قال من الشر وقرا
ابو جعفر القاري مفرطون بكسر الراء وتشديدها اي
مضيعون امر الله فهو من التفريط في الواجب قوله
تعالى تالله لقد ارسلنا الي امم من قبلك فزين لهم الشيطان
اعمالهم

اعمالهم اي اعمالهم الخبيثة هذا تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم
بان من تقدمه من الانبيا قد كفر بهم قومهم فهو وليهم اليوم
اي ناصرهم في الدنيا على زعمهم ولهم عذاب اليم في الاخرة وقيل
فهو وليهم اي قرينهم في النار اليوم يعني يوم القيامة واطلق
عليه اسم اليوم لشهرته وقد يقال لهم يوم القيامة هذا
وليكم فاستنصروا به لينجيكم من العذاب على جهة التوبيخ
لهم قوله تعالي وما انزلنا عليك الكتاب اي القران الا
لتبين لهم الذي اختلفوا فيه من الدين والاحكام فتقوم
الحجة عليهم ببيانك وعطف هدى ورحمة على موضع قوله
لتبين لان محله نصب ومجاز الكلام وما انزلنا عليك الكتاب
الا تبيانا للناس وهدى اي رشدا ورحمة للمومنين قوله
تعالي والله انزل من السما اي السحاب ما فاحيي به الارض
بعد موتها عاد الكلام الي تعديد النعم وبيان كمال القدرة
اي في ذلك لاية اي دلالة على البعث وعلى وحدانيته اذ
علموا ان معبودهم لا يستطيع شيا فتكون هذه الدلالة
لقوم يسمعون عن الله تعالي بالقلوب لا بالاذان فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور قوله تعالي
وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث
ودم لبنا خالصا سايغا للشاربين قتيبة عشر مسايل

الاولى قوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة قد تقدم القول في الانعام
وهي هنا الاصناف الاربعة الابل والبقر والضان والمعز لعبرة
اي دلالة على قدرة الله ووحدانيته وعظمته والعبرة
اصلها تمثيل الشي بالشي لتعرف حقيقته من طريق المشاكلة
ومنه فاعتبروا وقال ابو بكر الوراق العبرة في الانعام
تسخيرها لاربابها وطاعتها وتمردك على ربك وخلافك له
في كل شي ومن اعظم العبر بري يحمل من نبا الثانية قوله
تعالى نسقيكم قراة اهل المدينة وابن عامر وعاصم في رواية
ابي بكر بفتح النون من سقى يسقي وقرا الباقون وحفص عن
عاصم بضم النون من اسقى يسقي وهي قراة الكوفيين واهل
مكة قيل هما لغتان وقال لبيد
سقى قومي بني مجد واسقى نميرا والقبايل من هلال
وقيل يقال لما كان من يدك الى فيه سقيته فاذا جعلت
له شربا او عرضته لان يشرب بفيه او يزرعه قلت
اسقيته قاله ابن عزيز وقد تقدم وقرات فرقة تسقيكم
بالتاء وهي ضعيفة يعني الانعام وقري بالياء اي يسقيكم
الله عز وجل والقرا على القرا تين المتقدمتين ففتح النون
لغة قريش وضمها لغة حمير الثالثة قوله تعالى
مما في بطونه اختلف الناس في الضمير من قوله في بطونه
على ماذا

على ماذا يعود قيل هو عايد الى ما قبله وهو جمع المونث
قال سيبويه العرب تخبر عن الانعام بخبر الواحد قال
ابن العربي وما اراه عول عليه الا من هذه الاية
وهذا لا يشبه منصبه ولا يليق بادراكه وقيل لما
كان لفظ الجمع وهو اسم الجنس يذكر ويونث
فيقال هو الانعام وهي الانعام جاز عود الضمير
بالتذكير وقاله الزجاج وقال الكساي معناه مما
في بطون ما ذكرناه فهو عايد على المذكور وقد قال
الله تعالى ان هذه تذكرة فمن شا ذكره وقال الشاعر
مثل الفراخ نتفت حواصله ؛؛ ومثله كثير وقال
الكساي ايضا مما في بطونه اي مما في بطون بعضه
اذ الذكور لا البان لها وهذا الذي عول عليه
ابو عبيده وقال الفرا الانعام والنعم واحد
والنعم يذكر ولهذا تقول العرب هذه نعم وارد
فرجع الضمير الى لفظ النعم الذي هو بمعنى الانعام
قال ابن العربي انما يرجع التذكير الى معنى الجمع
والتانيث الى معنى الجماعة فذكره هنا باعتبار لفظ
الجمع وانثه في سورة المومنين باعتبار لفظ الجماعة
فقال نسقيكم مما في بطونها وبهذا التاويل ينتظم المعنى

اسنطا ما حسنا والتانيث باعتبار لفظ الجماعة والتذكير
باعتبار لفظ الجمع الثر من رمل بين بن ومنها فلسطين
الرابعة استنبط بعض العلما الجلة وهو القاضي
اسماعيل من عود هذا الضمير ان لبن الفحل يفيد التحريم
وقال انما جي به مذكرا لانه راجع الي ذكر النعم لان اللبن
للذكر محسوب ولذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم
بان لبن الفحل يحرم حين انكرته عايشة رضي الله عنها
في حديث افلح اخي ابي القعيس فللمراه السقي وللرجل
اللقاح فجرى الاشتراك فيه بينهما وقد مضى القول
في تحريم لبن الفحل في النساء والحمد لله الخامسة
قوله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا بين الفرث
والدم والفرث الزبل الذي ينزل الي الكرش فاذا اخرج
منه لم يسم فرثا يقال افرثت الكرش اذا اخرجت
ما فيها والمعنى ان الطعام يكون منه ما في الكرش ويكون
منه الدم ثم يخلص اللبن من الدم فاعلم الله سبحانه
ان هذا اللبن يخرج من بين ذلك وبين الدم في العروق
وقال ابن عباس ان الدابة تاكل العلف فاذا استقر
في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا
واعلاه دما والكبد مسلط على هذه الاصناف فتقسم
الدم

الدم ونجريه في العروق ونجري اللبن في الضرع ويبقى
الفرث كما هو في الكرش حكمة بالغة فما تغني النذر
خالصا يريد من حمرة الدم وقذارة الفرث وقد جمعها
وعا واحد وقال ابن بحر خالصا بياضه قال النابغة
بخالصة الاردان خضر المناكب اي بيض الاكمام
وهذه قدرة لا تنبغي الا للقايم على كل شي بالمصلحة
السادسة قال النقاش في هذا دليل على ان المني
ليس بنجس وقاله ايضا غيره واحتج بان قال كما
يخرج اللبن من بين الفرث والدم سايغا خالصا
كذلك يجوز ان يخرج المني على مخرج البول طاهرا
قال ابن العربي ان هذا الجهل عظيم واخذ شنيع
اللبن جا الخبر عنه مجي النعمة والمنة الصادرة عن
القدرة ليكون عبرة فاقتضى ذلك كله وصف الخلوص
واللذة وليس المني من هذه الحالة حتى يكون ملحقا به
او مقيسا عليه قلت قد يعارض هذا بان يقال
واي منة اعظم وارفع من خروج المني الذي يكون
عنه الانسان المكرم وقد قال تعالى يخرج من
الصلب والترايب وقال والله جعل لكم من
انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة

وهذا غاية في الامتنان فان قيل انه يتنجس بخروجه في مجرى
البول قلنا هو ما اردناه فالنجاسة عارضة واصله طاهر
وقد قيل ان مخرجه غير مخرج البول وخاصة المراة فان
مدخل الذكر منها ومخرج البول غير مخرج البول على ما قاله
العلما وقد تقدم في البقرة فان قيل اصله دم فهو نجس قلنا
ينتقض بالمسك فان اصله دم وهو طاهر وممن قال بطهارته
الشافعي واحمد واسحق وابو ثور وغيرهم لحديث عايشة
قالت كنت افركه من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يابسا بظفري قال الشافعي فان لم يفرك فلا باس به
وكان سعد بن ابي وقاص يفرك المني من ثوبه وقال ابن عباس
هو كالنخامة امطه عنك باذخرة وامسحه بخرقة فان
قيل فقد ثبت عن عايشة انها قالت كنت اغسل المني
من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرج الى الصلاة
في ذلك الثوب وانا انظر الى اثر الغسل فيه قلنا يحتمل ان
تكون غسلته استقذارا كالاشياء التي تزال من الثوب
لا لنجاسة ويكون هذا جمعا بين الاحاديث والله اعلم
وقال مالك واصحابه والاوزاعي هو نجس قال مالك غسل
الاحتلام من الثوب امر واجب مجتمع عليه عندنا وهو
قول الكوفيين وروي عن عمر بن الخطاب وابن مسعود
وجابر بن سمرة

وجابر بن سمرة انهم غسلوه من ثيابهم واختلف فيه
عن ابن عمر وعايشة وعلى هذين القولين في نجاسة
المني وطهارته التابعون السابعة في هذه دليل على الاية
جواز الانتفاع بالالبان من الشرب وغيره فاما لبن الميتة
فلا يجوز الانتفاع به لانه مايع طاهر حصل في وعاء نجس
وذلك ان ضرع الميتة نجس واللبن طاهر فاذا حلب صار
ماخوذا من وعاء نجس فاما لبن المراة الميتة فاختلف
اصحابنا فيه فمن قال ان الانسان طاهر حيا وميتا فهو
طاهر ومن قال نجس بالموت فهو نجس وعلى القولين جميعا
ينشر الحرمة لان الصبي قد يغتذي به كما يغتذي من
الحية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرضاع
ما انبت اللحم وانشز العظم ولم يخص وقد مضى في النسا
الثامنة قوله تعالى سايغا اي لذيذا هينا لا يغص به من
شربه يقال ساغ الشراب يسوغ سوغا اي سهل مدخله
في الحلق واساغه شاربه وسغته انا اسوغه واسيغه
يتعدى ولا يتعدى والاجود اسغته اساغة يقال
اسغ لي غصتي اي امهلني ولا تعجلني وقال تعالى يتجرعه
ولا يكاد يسيغه والسواغ بكسر السين ما اسغت به غصتك
يقال الما سواغ الغصص ومنه قول الكميت ..

فكانت سواغا ان جبرت لغصته ؛ وروي ان اللبن لم
يشرق به احد قط وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم
التاسعة في هذه الاية دليل على استعمال الحلاوة والاطعمة
اللذيذة وتناولها ولا يقال ان ذلك يناقض الزهد او يباعده
لكن اذا كان من وجهه ومن غير سرف ولا اكثار وقد تقدم
هذا المعنى في المايدة وغيرها وفي الصحيح عن انس قال لقد
سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدحي هذا الشراب
كله العسل والنبيذ واللبن والما وقد كره بعض القرا اكل
الفالوذج واللين من الطعام واباحه عامة العلما وروي
عن الحسن انه كان على مايدة ومعه مالك بن دينار فاتي
بفالوذج فامتنع عن اكله فقال له الحسن كل فان عليك في
الماء البارد اكثر من هذا العاشرة روى ابو داود وغيره
عن ابن عباس قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبن فشرب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اكل احدكم طعاما
فليقل اللهم بارك لنا فيه واطعمنا خيرا منه واذا سقي لبنا
فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فانه ليس شي يجزي من
الطعام والشراب الا اللبن قال علماونا وكيف لا يكون ذلك وهو
اول ما يغتذي به الانسان وتنمي به الجثث والابدان فهو
قوت خلي عن المفاسد به قوام الاجساد وقد جعله الله
تعالى

كل

تعالي علامة لجبريل على هداية هذه الامة التي هي خير الامم
امة يقال في الصحيح فجاني جبريل باناء من خمر واناء من
لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة اما انك لو
اخذت الخمر غوت امتك ثم ان في الدعا بالزيادة منه علامة
الخصب وظهور الخيرات وكثرة البركات فهو مبارك كله
قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه
سكرا ورزقا حسنا فيه مسلتان الاولى قوله تعالى
ومن ثمرات النخيل قال الطبري التقدير ومن ثمرات النخيل
والاعناب ما تتخذون فحذف ما ودل على حذفه قوله منه
وقيل المحذوف شي والامر قريب وقيل معنى منه اي
من المذكور فلا يكون في الكلام حذف وهو اولي ويجوز
ان يكون قوله ومن ثمرات عطفا على الانعام اي ولكم من
ثمرات النخيل والاعناب عبرة ويجوز ان يكون عطفا على
مما اي ونسقيكم ايضا مشروبات من ثمرات الثانية
قوله تعالي سكرا السكر ما يسكر هذا هو المشهور في اللغة
قال ابن عباس نزلت هذه الاية قبل تحريم الخمر واراد بالسكر
الخمر وبالرزق الحسن جميع ما يوكل ويشرب حلالا من هاتين
الشجرتين وقال بهذا القول ابن جبير والنخعي والشعبي
وابو ثور وقد قيل ان السكر الخل بلغة الحبشة والرزق

الحسن الطعام وقيل السكر العصير الحلو الحلال وسمي سكرا
لانه قد يصير مسكرا اذا بقي فاذا بلغ الاسكار حرم قال
ابن العربي اشد هذه الاقوال قول ابن عباس ويخرج
ذلك على احد معنيين اما ان يكون ذلك قبل تحريم الخمر واما
ان يكون المعني انعم الله عليكم بثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه ما حرم الله عليكم اعتداء منكم وما احل لكم
اتفاقا اوقصدا الي منفعة انفسكم والصحيح ان ذلك كان
قبل تحريم الخمر فتكون منسوخة فان هذه الايه مكية باتفاق
من العلما وتحريم الخمر مدني قلت فعلي ان السكر الخل
او العصير الحلو لا نسخ وتكون الاية محكمة وهو حسن
قال ابن عباس الحبشة يسمون الخل السكر الا ان الجمهور
علي ان السكر الخمر منهم ابن مسعود وابن عمر وابو رزين والحسن
ومجاهد وابن ابي ليلى والكلبي وغيرهم ممن تقدم ذكرهم كلهم
قالوا السكر ما حرمه الله من ثمرتيهما ولذا قال اهل اللغه
السكر اسم للخمر وما يسكر وانشدوا
بئس الصحاة وبئس الشرب شربهم اذا جرى فيهم المزا والسكر
والرزق الحسن ما احله من ثمرتيهما وقيل ان قوله تتخذون
منه سكرا خبر معناه الاستفهام بمعني الانكار اي
تتخذون منه سكرا وتدعون رزقا حسنا الخل والزبيب
والتمر

والتمر كقوله فهم الخالدون اي افهم الخالدون والله اعلم وقال
ابو عبيده السكر الطعم يقال هذا سكر لك اي طعم وانشد
جعلت عيب الاكرمين سكرا اي جعلت ذمهم طعما وهذا
اختيار الطبري ان السكر ما يطعم من الطعام وحل شربه
من ثمار النخل والاعناب وهو الرزق الحسن فاللفظ مختلف
والمعنى واحد مثل انما اشكو بثي وحزني الى الله وهذا حسن
ولا نسخ الا ان الزجاج قال قول ابي عبيده هذا لا يعرف
واهل التفسير على خلافه ولا حجة له في البيت الذي انشده
لان معناه عند غيره انه يصف انها تتخمر بعيوب الناس
وقال الحنفيون المراد بقوله سكرا ما لا يسكر من الانبذه
والدليل عليه ان الله سبحانه امتن على عباده بما خلق لهم
من ذلك ولا يقع الامتنان الا بمحلل لا بمحرم فيكون ذلك
دليلا على جواز شرب ما دون المسكر من النبيذ فاذا انتهى الى
السكر لم يجز وعضدوا هذا من السنة بما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال حرم الله الخمر بعينها والسكر
من غيرها وبما رواه عبد الملك بن نافع عن ابن عمر قال رايت
رجلا جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عند الركن
ودفع اليه القدح فرفعه الى فيه فوجده شديدا
فرده على صاحبه فقال له رجل من القوم يا رسول الله

شرب النبيذ في اليوم الثاني والثالث

احرام هو فقال علي بالرحل فاتي به فاخذ منه القدح ثم
دعا بماء فصبه فيه ثم رفعه الى فيه فقطب ثم دعا بماء
ايضا فصبه فيه ثم قال اذا اغتلمت عليكم هذه الاوعية
فاكسروا متونها بالماء وروي انه عليه السلام كان ينبذ
له فيشربه ذلك اليوم فاذا كان من اليوم الثاني او الثالث
سقاه الخادم اذا تغير ولو كان حراما ما سقاه اياه
قال الطحاوي وقد روى ابو عون الثقفي عن عبد الله بن
شداد عن ابن عباس قال حرمت الخمر بعينها القليل
منها والكثير والسكر من كل شراب خرجه الدارقطني
ايضا ففي هذا الحديث وما كان مثله ان غير الخمر لم
يحرم عينه كما حرمت الخمر بعينها قالوا والخمر شراب
العنب لا خلاف فيها ومن حجتهم ايضا ما رواه شريك
بن عبد الله ثنا ابو اسحق الهمداني عن عمرو بن ميمون قال
قال عمر بن الخطاب انا ناكل لحوم هذه الابل وليس يقطعه
في بطوننا الا النبيذ قال شريك ورايت الثوري يشرب
النبيذ في بيت حبر اهل زمانه مالك بن مغول والجواب
اما قولهم ان الله سبحانه امتن على عباده ولا يكون
امتنانه الا بما حل فصحيح بيد انه يحتمل ان يكون
ذلك قبل تحريم الخمر كما بيناه فيكون منسوخا كما قدمناه
قال ابن العربي

قال ابن العربي ان قيل كيف ينسخ هذا وهو خبر والخبر لا
يدخله النسخ قلنا هذا كلام من لم يتحقق الشريعة وقد بينا
ان الخبر اذا كان عن الوجود الحقيقي او عن اعطاء ثواب
فضلا من الله فهو الذي لا يدخله النسخ فاما اذا تضمن
الخبر حكما شرعيا فالاحكام تتبدل وتنسخ جاءت بخبر
او امر ولا يرجع النسخ الى نفس اللفظ وانما يرجع الى ما
تضمنه فاذا فهمتم هذا خرجتم عن الصنف الغبي الذي
اخبر الله عن الكفار فيه بقوله واذا بدلنا اية مكان
اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم
لا يعلمون المعنى انهم جهلوا ان الرب يامر بما يشاء ويكلف
ما يشاء ويرفع من ذلك بعد ما يشاء ويثبت ما يشاء وعنده
ام الكتاب قلت هذا تشنيع شنيع حتى يلحق فيه
العلماء الاخيار في قصور الفهم بالكفار والمسألة
اصولية وهي ان الاخبار عن الاحكام الشرعية
هل يجوز نسخها ام لا اختلف في ذلك والصحيح جوازه
لهذه الاية وما كان مثلها ولان الخبر عن مشروعية
حكم ما يتضمن طلب ذلك المشروع وذلك الطلب هو الحكم
الشرعي الذي يستدل على نسخه والله اعلم واما ما
ذكروا من الاحاديث فالاول والثاني ضعيفان لانه

مطلب الاحاديث الواردة في المسكرات

عليه السلام قد روي عنه بالنقل الثابت انه قال كل شراب
اسكر فهو حرام وقال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام وقال
ما اسكر كثيره فقليله حرام قال النساي فهولاء اهل الثبت
والعدالة مشهورون بصحة النقل وعبد الملك لا يقوم مقام
واحد منهم ولو عاضده من اشكاله جماعة وبالله التوفيق
واما الثالث وان كان صحيحا فانه ما كان يسقيه للخادم على
انه مسكر وانما كان يسقيه لانه متغير الرايحة وكان صلى
الله عليه وسلم يكره ان يوجد منه الرايحة فلذلك لم يشربه
ولذلك تحيل عليه ازواجه في عسل زينب بان قيل له انا نجد
منك ريح مغافير يعني ريحا منكرة فلم يشربه بعد وسياتي
في التحريم واما حديث ابن عباس فقد روي عنه خلاف
ذلك من رواية عطا وطاوس ومجاهد انه قال ما اسكر
كثيره فقليله حرام ورواه عنه قيس بن دينار وكذلك
فتياه في المسكر قاله الدارقطني والحديث الاول رواه عنه
عبد الله بن شداد وقد خالفه الجماعة فسقط القول به مع ما
ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم واما ما روي عن عمر من قوله
ليس يقطعه في بطوننا الا النبيذ فانه يريد غير المسكر
بدليل ما ذكرنا وقد روي النساي عن عتبة بن فرقد قال
كان النبيذ الذي يشربه عمر بن الخطاب قد خلل قال

الذي ورد في قصة العسل انها حفصة لا زينب ... صح

النساى

قال النساي ومما يدل على صحة هذا حديث السايب قال
الحرث بن مسكين قراة عليه وانا اسمع عن ابن القاسم حدثني
مالك عن ابن شهاب عن السايب بن يزيد انه اخبره ان عمر
بن الخطاب خرج عليهم فقال اني وجدت من فلان ريح شراب
فزعم انه شرب الطلا وانا سايل عما شرب فان كان مسكرا
جلدته فجلده عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحد تاما وقد
قال في خطبته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما بعد ايها الناس فانه نزل في تحريم الخمر وهي من خمسة من
العنب والعسل والتمر والحنطة والشعير والخمر ما
خامر العقل وقد تقدم في المايدة فان قيل فقد احل
شربه ابراهيم النخعي وابو جعفر الطحاوي وكان امام اهل
زمانه وكان سفيان الثوري يشربه قلنا ذكر النساي في
كتابه ان اول من احل المسكر من الانبذة ابراهيم النخعي وهذه
زلة من عالم وقد حذرنا من زلة العالم ولا حجة في قول احد
مع السنة وذكر النساي ايضا عن ابن المبارك قال ما وجدت
الرخصة في المسكر عن احد صحيحا الا عن ابراهيم قال ابو
اسامة ما رايت رجلا اطلب للعلم من عبد الله بن المبارك
الشامات ومصر واليمن والحجاز واما الطحاوي وسفيان
لو صح ذلك عنهما لم نحتج بهما على من خالفهم من الايمة

مطلب الخمر والمسكرات

في تحريم المسكر مع ما ثبت من السنة على ان الطحاوي قد ذكر في
كتابه الكبير في الاختلاف خلاف ذلك قال ابو عمر بن عبد البر
في كتاب التمهيد له قال ابو جعفر الطحاوي اتفقت الامة
على ان عصير العنب اذا اشتد وغلا وقذف بالزبد فهو
خمر ومستحله كافر واختلفوا في نقيع التمر اذا غلا
واسكر قال فهذا يدلك على ان حديث يحيى بن ابي كثير
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الخمر
من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة غير معمول به عندهم
لانهم لو قبلوا الحديث لاكفروا مستحل نقيع التمر فثبت
انه لم يدخل في الخمر المحرمة غير عصير العنب الذي
قد اشتد وبلغ ان يسكر قال ثم لا يخلو من ان يكون
التحريم معلقا بها فقط غير مقيس عليها غيرها او يجب
القياس عليها فوجدناهم جميعا قد قاسوا عليها نقيع
التمر اذا غلا واسكر كثيره وكذلك نقيع الزبيب قال
فوجب قياسا على ذلك ان يحرم كل ما اسكر من الاشربة
قال وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل مسكر
حرام واستغني عن سنده لقبول الجميع له وانما الخلاف
بينهم في تاويله فقال بعضهم اراد به جنس ما يسكر وقال
بعضهم اراد به ما يبلغ السكر عنده كما لا يسمى قاتلا الا

مع

مع وجود القتل قلت فهذا يدل على انه محرم عند
الطحاوي لقوله فوجب قياسا على ذلك ان يحرم كل ما اسكر
من الاشربة وقد روى الدارقطني في سننه عن عايشة
رضي الله عنها قالت ان الله لم يحرم الخمر لاسمها وانما
حرمها لعاقبتها فكل شراب تكون عاقبته كعاقبة الخمر
فهو حرام كتحريم الخمر قال ابن المنذر وجا اهل الكوفة
باخبار معلولة واذا اختلف الناس في الشي وجب رد
ذلك الى كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وما روي
عن بعض التابعين انه شرب الشراب الذي يسكر كثيره
فللقوم ذنوب يستغفرون الله منها وليس يخلو ذلك من
احد معنيين اما مخطي اخطا في التاويل على حديث سمعه
او رجل اتى ذنبا لعله ان يكثر الاستغفار لله تعالى
والنبي صلى الله عليه وسلم حجة الله على الاولين والاخرين
من هذه الامة وقد قيل في تاويل الاية انها انما ذكرت
للاعتبار اي من قدر على خلق هذه الاشيا قادر على البعث
وهذا الاعتبار لا يختلف بان كانت الخمر حراما او حلالا
فاتخاذ السكر لا يدل على التحريم وهو كما قال تعالى قل
فيهما اثم كبير ومنافع للناس والله اعلم قوله تعالى
واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا فيه

ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى واوحى ربك قد مضى القول في
الوحي وانه قد يكون بمعنى الالهام وهو ما يخلقه الله تعالى
في القلب ابتدا من غير سبب ظاهر وهو من قوله ونفس
وما سواها فالهمها فجورها وتقواها ومن ذلك البهايم
وما يخلق الله سبحانه فيها من درك منافعها واجتناب مضارها
وتدبير معاشها وقد اخبر عز وجل بذلك عن الموات فقال
تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها قال ابراهيم الحربي لله عز
وجل في الموات قدرة لم يدر ما هي لم ياتها رسول من
عند الله ولكن الله تبارك وتعالى عرفها ذلك اي الهمها ولا
خلاف بين المتاولين ان الوحي هنا بمعنى الالهام وقرا يحيى
بن وثاب الى النحل بفتح الحاء وسمي نحلا لان الله عز وجل نحله
العسل الذي يخرج منه قاله الزجاج الجوهري والنحل والنحلة
الدبر يقع على الذكر والانثى حتى يقال يعسوب والنحل يونث
في لغة الحجاز وكل جمع ليس بينه وبين واحده الا الهاء
وروي من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الذباب كلها في النار يجعلها عذابا لاهل النار الا النحل
ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وروي عن ابن عباس
قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النملة والنحلة
والهدهد والصرد خرجه ابو داود ايضا وسيا تي في النمل

ان شا الله تعالى

ان شا الله تعالى الثانية قوله تعالى ان اتخذي من الجبال
بيوتا ومن الشجر هذا اذا لم يكن لها مالك ومما يعرشون جعل
الله تعالى بيوت النحل في هذه الثلاثة الانواع اما في الجبال
وكواها واما في متجوف الاشجار واما فيما يعرش بن ادم من
الاجباح والخلايا والحيطان وغيرها وعرش معناه هنا هيا
واكثر ما يستعمل فيما يكون من اتقان الاغصان والخشب وترتيب
ظلالها ومنه العريش الذي صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم بدر ومن هذا هي لفظة العرش يقال عرش يعرش ويعرش
بكسر الراء وضمها وقرئ بهما قرا ابن عامر بالضم وسايرهم بالكسر
واختلف في ذلك عن عاصم الثالثة قال ابن العربي ومن عجيب
ما خلق الله في النحل ان الهمها لاتخاذ بيوتها مسدسة فبذلك
اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة وذلك ان الاشكال من
الثلاث الى العشر اذا جمع كل واحد منها الى امثاله لم يتصل
وجاءت بينها فروج الا الشكل المسدس فانه اذا جمع الى امثاله
اتصل كانه كالقطعة الواحدة قوله تعالى ثم كلي من كل
الثمرات وذلك انها انما تاكل النوار من الاشجار فاسلكي سبل
ربك ذللا اي طرق ربك والسبل الطرق واضافها اليه لانه خالقها
اي ادخلي طرق ربك لطلب الرزق في الجبال وخلال الشجر
ذللا جمع ذلول وهو المنقاد اي مطيعة مسخرة فذللا حال من

النحل اي تنقاد وتذهب حيث شا صاحبها لانها تتبع اصحابها حيث ذهبوا قاله ابن زيد وقيل المراد بقوله ذللا السبل يقول مذللة طرقها سهلة للسلوك عليها واختاره واختاره الطبري وذللا حال من السبل واليعسوب سيد النحل اذا وقف وقفت واذا سار سارت قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفا للناس فيه تسع مسايل

الاولى قوله تعالى يخرج من بطونها شراب رجع الخطاب الى الخبر على جهة تعديد النعمة والتنبيه على العبرة فقال يخرج من بطونها شراب يعني العسل وجمهور الناس على ان العسل يخرج من افواه النحل وورد عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال في تحقيره الدنيا اشرف لباس ابن ادم فيها لعاب دودة واشرف شرابه رجيع نحلة فظاهر هذا انه من غير الفم وبالجملة فانه يخرج ولا يدري من فمها او اسفلها ولكن لا يتم صلاحه الا بحمي انفاسها وقد صنع ارسطاطاليس بيتا من زجاج لينظر الى كيفية ما تصنع فابت ان تعمل حتى لطخت باطن الزجاج بالطين ذكره الغزنوي وقال من بطونها لان استحالة الاطعمة لا تكون الا في البطن

الثانية قوله تعالى مختلف الوانه يريد انواعه من الاحمر والابيض والاصفر والجامد والسايل

والام

والام واحدة والاولاد مختلفون دليل علي ان القدرة نوعته
بحسب تنويع الغذا كما يختلف طعمه بحسب اختلاف المراعي
ومن هذا المعني قول زينب للنبي صلي الله عليه وسلم جرست
نحلة العرفط حين شبهت رايحته برايحة المغافير الثالثة
قوله تعالي فيه شفا للناس الضمير للعسل قاله الجمهور اي
في العسل شفا للناس وروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد
والضحاك والفرا وابن كيسان الضمير للقران اي في القران
شفا النحاس وهذا قول حسن اي فيما قصصنا عليكم من الايات
والبراهين شفا للناس وقيل العسل فيه شفا وهذا القول
بين ايضا لان اكثر الاشربه والمعجونات التي يتعالج بها اصلها من
العسل قال القاضي ابو بكر بن العربي من قال انه القران بعيد ما
اراه يصح عنهم ولو صح نقلا لم يصح عقلا فان مساق الكلام كله
للعسل ليس للقران فيه ذكر قال ابن عطيه وذهب قوم
من اهل الجهالة الي ان هذه الاية يراد بها اهل البيت وبنو هاشم
وانهم النحل وان الشراب القران والحكمه وقد ذكر هذا بعضهم
في مجلس المنصور جعفر العباسي فقال له رجل ممن حضر جعل
الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فاضحك
الحاضرين وبهت الاخر وظهرت سخافة قوله الرابعة
اختلف العلما في قوله تعالي فيه شفا للناس هل هو علي عمومه

ام لا فقالت طايفة هو على العموم في كل حال ولكل احد فروي عن
ابن عمر انه كان لا يشكو اقرحة ولا شيا الا جعل عليه عسلا حتى
الدمل اذا خرج عليه طلى عليه عسلا وحكى النقاش عن ابي وجرة
انه كان يكتحل بالعسل ويستمشي بالعسل ويتداوي بالعسل وروي
ان عوف بن مالك الاشجعي مرض فقيل له الا نعالجك فقال ايتوني
بماء فان الله تعالى يقول ونزلنا من السما ما مباركا وايتوني بعسل فان الله تعالى يقول فيه شفا للناس وايتوني بزيت فان
الله تعالى يقول من شجرة مباركة فجاوه بذلك كله فخلطه جميعا
ثم شربه فبرا ومنهم من قال انه على العموم اذا خلط بالخل وطبخ
فياتي شرابا ينتفع به في كل حالة من كل دا وقالت طايفة ان
ذلك على الخصوص ولا يقتضي العموم في كل علة وفي كل انسان
بل انه خبر عن انه يشفي كما يشفي غيره من الادوية في بعض
وعلى حال ففايدة الاية اخبار منبه في انه دوا لما اكثر الشفا
به وصار خليطا ومعينا للادوية في الاشربة والمعاجين
وليس هذا باول لفظ خصص فالقران مملو منه ولغة العرب
ياتي فيها العام كثيرا بمعنى الخاص والخاص بمعنى العام ومما يدل
على انه ليس على العموم ان شفا نكرة في سياق الاثبات ولا
عموم فيها باتفاق اهل اللسان ومحققي اهل الاصول لكن قد
حملته طايفة من اهل الصدق والعزم على العموم وكانوا
يستشفون بالعسل من كل الاوجاع والامراض وكانوا
يشفون

دور رصاص

يشفون من عللهم ببركة القران وبصحة التصديق والايقان
ابن العربي ومن ضعفت نيته وغلبته على الدين عادته اخذه
مفهوما على قول الاطبا والكل من حكم الفعال لما يشا ∴
العسل
الخامسة ان قال قايل قد راينا من ينفعه ومن يضره فكيف
يكون شفا للناس قيل له الما حياة كل شي وقد راينا من
يقتله الما اذا اخذه على ما يضاده من علة في البدن
وقد راينا شفا العسل في اكثر هذه الاشربة قال معناه
الزجاج وقد اتفق الاطبا عن بكرة ابيهم على مدح عموم
منفعة السكنجبين في كل مرض واصله العسل وكذلك
ساير المعجونات على ان النبي صلى الله عليه وسلم قد حسم
دا الاشكال وازاح وجه الاحتمال حين امر الذي يشتكي
بطنه بشرب العسل فلما اخبره اخوه بانه لم يزده الا
استطلاقا امره بعود الشراب له فبرا وقال صدق
الله وكذب بطن اخيك السادسة اعترض بعض
زنادقة الاطبا على هذا الحديث فقال قد اجمعت
الاطبا على ان العسل يسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال
فالجواب ان ذلك القول حق في نفسه لمن حصل له التصديق
بنبيه عليه السلام فيستعمله على الوجه الذي عينه
وفي المحل الذي امره بعقد نية وحسن طوية فانه يرى

منفعته ويدرك بركته كما قد اتفق لصاحب هذا العسل
وغيره كما تقدم واما ما حكي من الاجماع فدليل على جهله
بالنقل حيث لم يقيد واطلق قال الامام ابو عبد الله المازري
ينبغي ان يعلم ان الاسهال يعرض من ضروب كثيرة منها
الاسهال الحادث عن التخم والهيضات ثم الاطبا مجمعون
في مثل هذا على ان علاجه بان تترك الطبيعة وفعلها وان
احتاجت الى معين على الاسهال اعينت ما دامت
القوة باقية فاما حبسها فضرر فاذا وضح هذا قلنا
فيمكن ان يكون ذلك الرجل اصابه الاسهال عن امتلاء وهيضة
فامره النبي صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده فزاده
الى ان فنيت المادة فوقف الاسهال فوافقه شرب العسل
فاذا خرج هذا عن صناعة الطب اذن ذلك بجهل المعترض
بتلك الصناعة قال ولسنا نستظهر على قول نبينا بان
يصدقه الاطبا بل لو كذبوه لكذبناهم وكفرناهم وصدقناه
صلى الله عليه وسلم فان اوجدونا بالمشاهدة صحة ما قالوه
فنفتقر حينئذ الى تاويل كلام رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتخريجه على ما يصح اذ قامت الدلالة على انه
لا يكذب السابعة في قوله تعالى فيه شفا للناس
دليل على جواز التعالج بشرب الدوا وغير ذلك خلافا
لمن كرهه

لمن كره ذلك من جلة العلما وهو يرد على الصوفية الذين يزعمون
ان الولاية لا تتم الا اذا رضي بجميع ما نزل به من البلا ولا يجوز
له مداواته ولا معنى لمن انكر ذلك روى الصحيح عن جابر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لكل داء دوا فاذا
اصيب دوا الدا برا باذن الله وروى ابو داود والترمذي
عن اسامة بن شريك قال قالت الاعراب يا رسول الله الا
نتداوى قال نعم يا عباد الله تداووا فان الله لم يضع دا
الا وضع له شفا او دوا الا دا واحدا قالوا يا رسول الله
وما هو قال الهرم لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن
صحيح وروى عن ابي خزامة عن ابيه قال سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ارايت رقى نسترقيها
ودوا نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله
شيا قال هي من قدر الله قال حديث حسن ولا يعرف
لابي خزامة غير هذا الحديث وقال صلى الله عليه وسلم ان
كان في شي من ادويتكم خير ففي شرطة محجم او شربة
من عسل او لذعة وما احب ان اكتوي خرجه الصحيح
والاحاديث في هذا الباب اكثر من ان تحصى وعلى اباحة
التداوي والاسترقا جمهور العلما روي ان ابن عمر
اكتوى من اللقوة ورقي من العقرب وعن ابن سيرين

ان ابن عمر كان يسقي ولده الترياق وقال مالك لا باس بذلك وقد
احتج من كره ذلك بما رواه ابو هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخلت امة بقضها وقضيضها الجنة كانوا
لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون
قالوا فالواجب على المومن ان يترك ذلك اعتصاما بالله
وتوكلا عليه وثقة به وانقطاعا اليه فان الله تعالى قد علم
ايام المرض وايام الصحة فلو حرص الخلق على تقليل ذلك او
زيادته ما قدروا قال الله سبحانه ما اصاب من مصيبة في
الارض ولا في انفسكم من قبل ان نبراها وممن ذهب الى هذا
جماعة من اهل الفضل والاثر وهو قول ابن مسعود
وابي الدردا رضوان الله عليهما دخل عثمان بن عفان على ابن
مسعود في مرضه الذي قبض فيه فقال له عثمان ما تشتكي
قال ذنوبي قال فما تشتهي قال رحمة ربي قال الا ادعوا لك
طبيبا قال الطبيب امرضني وذكر الحديث وسياتي بكماله
في فصل الواقعة ان شا الله تعالى وذكر وكيع قال نا ابو
هلال عن معاوية بن قرة قال مرض ابو الدردا فعادوه
وقالوا الا ندعو لك طبيبا قال الطبيب اضجعني والى هذا ذهب
الربيع بن خثيم وكره سعيد بن جبير الرقا وكان
الحسن يكره شرب الادوية كلها الا اللبن والعسل واجاب

الاولون

الاولون عن الحديث بانه لاحجة فيه لانه يحتمل ان يكون
قصد الى نوع من الكي يكرهونه لمن يتداوى لكي النبي صلى الله
عليه وسلم ابيا يوم الاحزاب على الكحلة لما رمي وقال الشفا
في ثلثة كما تقدم ويحتمل ان يكون قصد الى الرقا بما ليس
في كتاب الله وقد قال سبحانه وننزل من القران ما هو شفا
على ما ياتي بيانه ورخص لاصحابه وامرهم بالرقية على ما ياتي
الثامنة ذهب مالك وجماعة اصحابه الى ان لا زكاة
في العسل وان كان مطعوما مقتاتا واختلف فيه قول
الشافعي والذي قطع به في قوله الجديد انه لا زكاة فيه
وقال ابو حنيفة بوجوب زكاة العسل في قليله وكثيره
لان النصاب عنده فيه ليس بشرط وقال محمد بن الحسن
لا شي فيه حتى يبلغ خمسة افراق والفرق ستة
وثلاثون رطلا من ارطال العراق وقال ابو يوسف في
كل عشرة ازقاق زق متمسكا بما رواه الترمذي عن
ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في العسل
في كل عشرة ازق زق قال ابو عيسى في اسناده مقال
ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب كبير
شي والعمل على هذا عند اكثر اهل العلم وبه يقول احمد واسحق
وقال بعض اهل العلم ليس في العسل شي التاسعة قوله تعالى

ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون اي يعتبرون ومن العبره
في النحل بانصاف النظر والطاف الفكر في عجيب امرها
فيشهد اليقين بان ملهمها الصنعة اللطيفة مع البنية
الضعيفة وحذقها باحتيالها في تقرار احوالها هو الله
سبحانه كما قال فاوحى ربك الى النحل الاية ثم انها تاكل
الحامض والمر والمالح والحشايش المضارة فيجعله تعالى
عسلا حلوا وشفا وفي هذا دليل على قدرته قوله تعالى
والله خلقكم ثم يتوفاكم تبين معناه ومنكم من يرد الى ارذل
العمر يعني ارذاه واوضعه وقيل الذي تنقص قوته
وعقله وبصيره الى الخرف ونحوه وقال ابن عباس يعني
الى اسفل العمر يصير كالصبي الذي لا عقل له والمعنى
متقارب وفي صحيح البخاري عن انس بن مالك قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ يقول اللهم
اني اعوذ بك من الكسل واعوذ بك من الهرم واعوذ بك من
البخل وفي حديث سعد بن ابي وقاص واعوذ بك ان
ارد الى ارذل العمر الحديث خرجه البخاري لكي لا يعلم
بعد علم شيئا اي يرجع الى حالة الطفولية فلا يعلم ما
كان يعلم قبل من الامور لفرط الكبر وقد قيل ان هذا
لا يكون للمومن لان المومن لا ينزع عنه علمه وقيل المعنى
لكيلا

لكيلا يعلم بعد علم شيا فعبر عن العمل بالعلم لافتقاره اليه
لان تاثير الكبر في عمله ابلغ من تاثيره في علمه والمعنى
المقصود الاحتجاج على منكري البعث اي الذي رده
الى هذه الحال قادر على ان يميته ثم يحييه **قوله**
تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق اي جعل
منكم غنيا وفقيرا وحرا وعبدا فما الذين فضلوا اي لا
يرد المولى على ما ملكت يمينه مما رزق شيا حتى يستوي
المملوك والمالك في المال وهذا مثل ضربه الله لعبدة الاصنام
اي اذا لم يكن عبيدكم معكم سوا فكيف تجعلون عبيدي معي
سوا فلما لم يشركهم عبيدهم في اموالهم لم يجز لهم ان
يشاركوا الله تعالى في عبادة غيره من الاوثان
والانصاب وغيرهما مما عبد كالملايكه والانبيا وهم
عبيده وخلقه حكى معناه الطبري وقاله ابن عباس
ومجاهد وقتاده وغيرهم وعن ابن عباس ايضا انها نزلت
في نصارى نجران حين قالوا عيسى ابن الله فقال الله لهم
فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم اي لا
يرد المولى على ما ملكت يمينه مما رزق حتى يكون المولى
والعبد في المال شرعا سوا فكيف ترضون لي ما لا ترضون
لانفسكم فتجعلون لي ولدا من عبادي ونظيرها ضرب لكم

مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركا فيما رزقناكم
على ما ياتي ودل هذا على ان العبد لا يملك على ما ياتي ايضا
قوله تعالى والله جعل لكم من انفسكم ازواجا جعل بمعنى
خلق وقد تقدم من انفسكم ازواجا يعني ادم خلق منه
حوا وقيل المعنى جعل من انفسكم اي من جنسكم ونوعكم
وعلى خلقكم كما قال لقد جاكم رسول من انفسكم اي من الادميين
وفي هذا رد على العرب التي كانت تعتقد انها كانت تزوج
الجن وتباضعها حتى روي ان عمرو بن هند تزوج منهم
غولا وكان يخبوها عن البرق لئلا تراه فتنفر فلما كان
في بعض الليالي لمح البرق وعاينته السعلاة فقالت
عمرا وتعرت فلم يرها ابدا وهذا من اكاذيبها وان كان
جايزا في حكم الله وحكمته فهو رد على الفلاسفة الذين
ينكرون وجود الجن ويحيلون طعامهم :: ازواجا زوج
الرجل هي ثانيته فانه فرد فاذا انضافت اليه كانا
زوجين وانما جعلت الاضافة اليه دونها لانه اصلها
في الوجود كما تقدم قوله تعالى وجعل لكم من ازواجكم
بنين وحفدة فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى
والله جعل لكم من ازواجكم بنين ظاهر في تعديد النعمة
في الابناء ووجود الابنا يكون منهما معا ولكنه لما كان
خلق المولود

خلقكم (marginal note)

خلق المولود فيها وانفصاله عنها أضيف اليها ولذلك تبعها
في الرق والحرية وصار مثلها في المالية قال ابن العربي سمعت
امام الحنابلة بمدينة السلام ابا الوفا علي بن عقيل يقول
انما تبع الولد الام في المالية وصار بحكمها في الرق والحرية
لانه انفصل عن الاب نطفة لا قيمة له ولا مالية فيه ولا
منفعة وانما اكتسب ما اكتسب بها ومنها فلاجل ذلك
تبعها كما لو اكل رجل تمرا في ارض رجل وسقطت منه
نواة في الارض من يد الاكل فصارت نخلة فانها ملك
صاحب الارض دون الاكل باجماع من الامة لانها انفصلت
عن الاكل ولا قيمة لها الثانية قوله تعالى وحفدة روى
ابن القاسم عن مالك قال وسالته عن قوله تعالى بنين
وحفدة قال الحفدة الخدم والاعوان في رايي وروي
عن ابن عباس في قوله تعالى وحفدة قال هم الاعوان
من اعانك فقد حفدك قيل له فهل تعرف العرب ذلك
قال نعم وتقوله او ما سمعت قول الشاعر
حفد الولائد حولهن واسلمت باكفهن ازمة الاجمال
اي اسرعن الخدمة والولايد الخدم الواحدة وليدة قال الاعشى
كلفت مجهولها نوقا يمانية اذا الحداة على اكسائها حفدوا
وقال ابن عرفة الحفدة عند العرب الاعوان فكل من

عملا عملا اطاع فيه وسارع فهو حافد قال ومنه قولهم اليك
نسعى ونحفد والحفدان السرعة قال ابو عبيد الحفد العمل
والخدمة وقال الخليل بن احمد الحفدة عند العرب الخدم وقاله
مجاهد وقال الازهري قيل الحفدة اولاد الاولاد وروي عن
ابن عباس وقيل الاختان قاله ابن مسعود وعلقمة وابو
الضحى وسعيد بن جبير وابراهيم ومنه قول الشاعر

فلو ان نفسي طاوعتني لاصبحت لها حفد مما يعد كثير
ولكنها نفس علي ابية عيوف لاصهار اللئام قذور

وروى زر عن عبد الله قال الحفدة الاصهار وقاله ابراهيم
والمعنى متقارب قال الاصمعي الختن من كان من قبل المراة
مثل ابيها واخيها وما اشبههما والاصهار منهما جميعا
يقال اصهر فلان الى بني فلان وصاهر وقول عبد الله هم
الاختان يحتمل المعنيين جميعا يجوز ان يكون اراد ابا
المراه وما اشبهه من اقربائها ويجوز ان يكون اراد وجعل
لكم من ازواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيكون لكم بسببهن
اختان وقال عكرمة الحفدة من نفع الرجل من ولده
واصله من حفد يحفد بفتح العين في الماضي وكسرها في
المستقبل اذا اسرع في سيره كما قال كثير حفد الولايد بينهن
البيت ويقال حفدت واحفدت لغتان اذا خدمت

ويقال

ويقال حافد وحفد مثل خادم وخدم وحافد وحفدة مثل
كافر وكفرة قال المهدوي ومن جعل الحفدة الخدم جعله
منقطعا مما قبله ينوي به التقديم كأنه قال جعل لكم
حفدة وجعل لكم من أزواجكم بنين قلت ما قاله الأزهري
أن الحفدة أولاد الأولاد هو ظاهر القرآن بل نصه
ألا ترى أنه قال وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة
فجعل الحفدة والبنين منهن وقال ابن العربي الأظهر
عندي في قوله بنين وحفدة أن البنين أولاد الرجل
لصلبه والحفدة أولاد ولده وليس في قوة اللفظ أكثر
من هذا ويكون تقدير الآية على هذا وجعل لكم من
أزواجكم بنين ومن البنين حفدة وقال معناه الحسن
الثالثة إذا فرعنا على قول مجاهد وابن عباس ومالك
وعلماء اللغة في قولهم أن الحفدة الخدم والأعوان فقد
خرجت خدمة الولد والزوجة من القرآن بأبدع بيان
قاله ابن العربي وروى البخاري وغيره عن سهل بن سعد
أن أبا أسيد الساعدي دعا النبي صلى الله عليه وسلم
لعرسه فكانت امرأته خادمهم الحديث وقد تقدم
في سورة هود وفي الحديث الصحيح عن عائشة قالت
أنا فتلت قلائد بدن النبي صلى الله عليه وسلم بيدي الحديث

ولهذا قال علماؤنا عليها ان تفرش الفراش وتطبخ القدر وتقم
الدار بحسب حالها وعادة مثلها قال الله تعالى وجعل منها
زوجها ليسكن اليها فكانه جمع لنا فيها السكن والاستمتاع
وضربا من الخدمة بحسب جري العادة **الرابعة** ويخدم
الرجل امراته فيما خف من الخدمة ويعينها لما روته عايشة زوجته
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكون في مهنة اهله فاذا سمع
الاذان خرج وهذا قول مالك ويعينها وفي اخلاق النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان يخصف النعل ويقم البيت ويخيط ملح
الثوب وقالت عايشة وقد قيل لها ما كان يعمل رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بيته قالت كان بشرا من البشر يفلي
ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه **الخامسة** وينفق
على خادم واحدة وقيل على اكثر على قدر الثروة والمنزلة
وهذا امر داير على العرف الذي هو اصل من اصول الشريعة
فان نسا الاعراب وسكان البوادي يخدمن ازواجهن
في استعذاب الما وسياسة الدواب ونسا الحواضر يخدم
المقل منهم زوجته فيما خف ويعينها واما اهل الثروة
فيخدمن ازواجهن ويترفهن معهم اذا كان لهم منصب ذلك
فان كان امرا مشكلا شرطت عليه الزوجة ذلك فيشهد
انه قد عرف انها ممن لا تخدم نفسها فالتزم اخدامها
فينفذ ذلك

فيتفقد ذلك وتنقطع الدعوي فيه قوله تعالى ورزقكم
من الطيبات اي من الثمار والحبوب والحيوان افبالباطل يعني
الاصنام قاله ابن عباس يومنون قراة الجمهور بالياء وقرا
ابو عبد الرحمن بالتاء وبنعمت الله اي بالاسلام هم يكفرون قوله
تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات يعني
المطر والارض يعني النبات شيا قال الاخفش هو بدل من الرزق
وقال الفرا هو منصوب بايقاع الرزق عليه اي يعبدون ما لا
يملك ان يرزقهم شيا ولا يستطيعون اي لا يقدرون على شي
يعني الاصنام فلا تضربوا لله الامثال اي لا تشبهوا به هذه الجمادات
لانه واحد قادر لا مثل له وقد تقدم قوله تعالى ضرب الله مثلا
نبه تعالى على ضلالة المشركين وهو منتظم بما قبله من ذكر
نعم الله عليهم وعدم مثل ذلك من الهتهم ضرب الله مثلا اي
بين شبها ثم ذكر ذلك فقال عبدا مملوكا اي كما لا يستوي عندكم
عبد مملوك لا يقدر من امره على شي ورجل حر قد رزق رزقا
حسنا فلذلك انا وهذه الاصنام فالذي هو مثال في هذه الاية
هو عبد بهذه الصفة مملوك لا يقدر على شي من المال ولا من امر
نفسه وانما هو مسخر بارادة سيده ولا يلزم من الاية
ان العبيد كلهم بهذه الصفة فان النكرة في الاثبات لا تقتضي
الشمول عند اهل اللسان كما تقدم وانما تفيد واحدا فاذا

كانت بعد امر او نهي او مضافة الى مصدر كانت للعموم الشيوعي
كقوله اعتق رجلا ولا تهن رجلا والمصدر كاعتاق رقبة
فاي رجل اعتق فقد خرج عن عهدة الخطاب ويصح منه الاستثنا
وقال قتادة هذا المثل للمومن والكافر يذهب قتادة الى
ان معنى ومن رزقناه منا رزقا حسنا المومن والاول
عليه الجمهور من اهل التاويل قال الاصم المراد بالعبد
المملوك الذي ربما يكون اشد من مولاه اسرا وانضر وجها
وهو لسيده ذليل لا يقدر الا على ما اذن له فيه فقال الله
تعالى ضربا للمثال اي فاذا كان هذا شانكم وشان عبيدكم
فكيف جعلتم احجارا مواتا شركا لله تعالى في خلقه وعبادته
وهي لا تعقل ولا تسمع الثانية فهم المسلمون من هذه
الاية وما قبلها نقصان رتبة العبد عن الحر في الملك
وانه لا يملك شيا وان ملك قال اهل العراق الرق ينافي
الملك فلا يملك شيا البتة بحال وهو قول الشافعي
في الجديد وبه قال الحسن وابن سيرين ومنهم من قال
يملك الا انه ناقص الملك لان لسيده ان ينتزعه منه
اي وقت شا وهو قول مالك ومن اتبعه وبه قال
الشافعي في القديم وهو قول اهل الظاهر ولهذا
قال اصحابنا

ان العبد المملوك هو الكافر لانه بالعبودية ليس له فعل لا يتمتع به يوم الحساب ... والاول

قال اصحابنا لا يجب عليه عبادة الاموال من زكاة وكفارات
ولا من عبادات الابدان ما يقطعه عن خدمة سيده
كالحج والجهاد وغير ذلك وفايدة هذه المسله ان سيده
لو ملكه جارية جاز له ان يطاها بملك اليمين ولو
ملكه اربعين من الغنم وحال عليها الحول لم يجب على السيد
زكاتها لانها ملك غيره ولا على العبد لان ملكه غير مستقر
والعراقي يقول لا يجوز له ان يطا الجاريه والزكاة في
النصاب واجبة على السيد كما كانت ودلايل هذه المسله
للفريقين في كتب الخلاف وادل دليل لنا قوله تعالى
الله الذي خلقكم ثم رزقكم فسوى بين الحر والعبد في
الرزق والخلق وقال عليه السلام من اعتق عبدا
وله مال فاضاف المال اليه وكان ابن عمر يرى عبده
يتسرى في ماله فلا يعيب ذلك عليه وروي عن ابن
عباس ان عبدا له طلق امراته طلقتين فامره ان
يرتجعها بملك اليمين فهذا دليل على انه يملك ما بيده
ويفعل فيه ما يفعل المالك في ملكه ما لم ينتزعه سيده
والله اعلم الثالثه وقد استدل بعض العلما بهذه
الايه على ان طلاق العبد بيد سيده وعلى ان بيع
الامه طلاقها معولا على قوله تعالى لا يقدر على

شي قال فظاهره يقتضي انه لا يقدر على شي اصلاً لا على الملك ولا على غيره فهو على عمومه الا ان يدل دليل على خلافه وفيما ذكرناه عن ابن عمر وابن عباس ما يدل على التخصيص والله اعلم الرابعة قال ابو منصور في عقيدته الرزق ما وقع الاغتذا به وهذه الاية ترد هذا التخصيص وكذلك قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وانفقوا مما رزقناكم وغير ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم جعل رزقي تحت ظل رمحي وقوله ارزاق امتي في سنابك خيلها واسنة رماحها فالغنيمة كلها رزق وكل ما صح به الانتفاع فهو رزق وهو مراتب اعلاها ما يغذي وقد حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه الانتفاع في قوله يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت ولبست فابليت وتصدقت فامضيت وفي معنى اللباس يدخل الركوب وغير ذلك وفي السنة المحدثين السماع رزق يعنون سماع الحديث وهو صحيح الخامسة قوله تعالى ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو المومن يطيع الله في نفسه وماله والكافر ما لم ينفق في الطاعة صار كالعبد الذي لا يملك شيا هل يستوون اي لا يستوون ولم يقل يستويان لمكان من لانه اسم مبهم

يصلح

يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمونث وقيل
ان عبدا مملوكا ومن رزقناه اريد بهما الشيوع في الجنس
الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون اي هو المستحق للحمد دون
ما يعبدون من دونه اذ لا نعمة للاصنام عليهم من يد ولا
معروف فتحمد عليه انما الحمد الكامل لله لانه المنعم الخالق
بل اكثرهم اي اكثر المشركين لا يعلمون ان الحمد لي وجميع
النعمة مني وذكر الاكثر وهو يريد الجميع فهو خاص
اريد به التعميم وقيل اي بل اكثر الخلق لا يعلمون وذلك
ان اكثرهم المشركون قوله تعالى وضرب الله مثلا
رجلين احدهما ابكم هذا مثل اخر ضربه الله تعالى
لنفسه وللوثن فالابكم الذي لا يقدر على شي هو
الوثن والذي يامر بالعدل هو الله تعالى قاله قتادة
وغيره وقال ابن عباس الابكم كان لعثمان رضي الله عنه عبد
وكان يعرض عليه الاسلام فيابى ويامر بالعدل عثمان
وعنه ايضا انه مثل لابي بكر الصديق ومولى له كافر
وقيل الابكم ابو جهل والذي يامر بالعدل عمار بن ياسر
العنسي وعنس بالنون حي من مذحج وكان حليفا لبني
مخزوم رهط ابي جهل وكان ابو جهل يعذبه على الاسلام
ويعذب امه سمية وكانت مولاة لابي جهل وقال لها

ذات يوم انما امنت بمحمد لانك تحبينه لجماله ثم طعنها بالرمح في قبلها
فماتت فهي اول شهيد مات في الاسلام رحمها الله من كتاب النقاش
وغيره وسياتي هذا في اية الاكراه مبينا ان شا الله تعالى وقال عطا
الابكم ابي بن خلف كان لا ينطق بخير وهو كل على مولاه اي قومه
لانه كان يوذيهم ويوذي عثمان بن مظعون وقال مقاتل نزلت
في هاشم بن عمرو بن الحارث كان كافرا قليل الخير يعادي النبي صلى
الله عليه وسلم وقيل ان الابكم الكافر والذي يامر بالعدل المومن
جملة بجملة روي عن ابن عباس وهو حسن لانه يعم والابكم
الذي لا نطق له وقيل الذي لا يعقل وقيل الذي لا يسمع ولا يبصر
وفي التفسير ان الابكم هاهنا الوثن بين انه لا قدرة له ولا امر
وان غيره ينقله وينحته فهو كل عليه والله الامر بالعدل
الغالب على كل شي وقيل معنى وهو كل على مولاه اي ثقل على
وليه وقرابته ووبال على صاحبه وابن عمه وقد يسمى اليتيم
كلا لثقله على من يكفله ومنه قول الشاعر
اكول لمال الكل قبل شبابه اذا كان عظم الكل غير شديد
والكل ايضا الذي لا ولد له ولا والد والكل العيال والجمع الكلول
يقال منه كل السكين يكل كلا اي غلظت شفرته فلم تقطع
اينما يوجهه لا يات بخير لانه لا يعرف ولا يفهم ما يقال له
ولا يفهم عنه وقرا يحيى بن وثاب اينما يوجه على الفعل المجهول

وروى

وروي عن ابن مسعود وعن ابن مسعود ايضا توجه على
الخطاب هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم اي
هل يستوي هذا الابكم ومن يامر بالعدل على الصراط المستقيم
قوله تعالى ولله غيب السموات والارض تقدم معناه
وهذا متصل بقوله ان الله يعلم وانتم لا تعلمون اي شرع
التحليل والتحريم انما يحسن ممن يحيط بالعواقب والمصالح
وانتم ايها المشركون لا تحيطون بها فلم تتحكمون وما امر
الساعة الا كلمح البصر وتجازون فيها باعمالكم والساعة
هي الوقت التي تقوم فيه القيامة سميت ساعة لانها
تفجا الناس في ساعة فيموت الخلق بصيحة واللمح النظر
بسرعة يقال لمحه لمحا ولمحانا ووجه التاويل ان
الساعة لما كانت اتية ولابد جعلت من القرب كلمح البصر
وقال الزجاج لم يرد ان الساعة تاتي في لمح البصر وانما وصف
سرعة القدرة على الاتيان بها اي يقول للشي كن فيكون
وقيل انما مثل بلمح البصر لانه يلمح السما مع ما هي من البعد
من الارض وقيل هو تمثيل للقرب كما يقول القايل ما السنة
الا لحظة وشبهه وقيل المعنى هو عند الله كذلك لا عند
المخلوقين دليله قوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا
او هو اقرب ليس او للشك بل للتمثيل بايهما اراد الممثل

وقيل دخلت لشك المخاطب وقيل او بمنزلة بل ان الله على كل
شي قدير تقدم قوله تعالى والله اخرجكم من بطون
امهاتكم لا تعلمون شيا ذكر ان من نعمه ان اخرجكم من
بطون امهاتكم اطفالا لا علم لكم بشي وفيه ثلثة اقاويل احدها
لا تعلمون شيا مما اخذ عليكم من الميثاق في اصلاب ابايكم
الثاني لا تعلمون شيا مما قضى عليكم من السعادة والشقا
الثالث لا تعلمون شيا من منافعكم وتم الكلام ثم ابتدا فقال
وجعل لكم السمع والابصار والافيدة اي التي تعلمون بها وتدركون
لان الله جعل ذلك للعباد قبل اخراجهم من البطون وانما
اعطاهم ذلك بعد ما اخرجهم اي وجعل لكم السمع لتسمعوا به
الامر والنهي والابصار لتبصروا بها اثار صنعه والافيدة
لتصلوا بها الى معرفته والافيدة جمع الفواد نحو غراب
واغربة وقد قيل في ضمن قوله وجعل لكم السمع اثبات
النطق لان من لم يسمع لم يتكلم واذا وجدت حاسة السمع
وجد النطق وقرا الاعمش وابن وثاب وحمزة امهاتكم هنا
وفي النور والزمر والنجم بكسر الهمزة والميم واما الكسايي
فكسر الهمزة وفتح الميم وانما كان هذا للاتباع الباقون
بضم الهمزة وفتح الميم على الاصل واصل الامهات امات
فزيدت الها تاكيدا كما زادوها في اهرقت الما وقد تقدم هذا

المعنى

المعنى في الفاتحه لعلكم تشكرون فيه تاويلان احدهما
تشكرون نعمه الثاني تبصرون آيات صنعته لان ابصارها
يودي الى الشكر قوله تعالى الم يروا الى الطير مسخرات
في جو السما ما يمسكهن الا الله قرا يحيى وثاب والاعمش
وابن عامر وحمزه ويعقوب تروا بالتا على الخطاب واختاره
ابو عبيد والباقون باليا على الخبر مسخرات مذللات لامر
الله تعالى قاله الكلبي وقيل مسخرات مذللات لما يفعل في
جو السماء الجو ما بين السما والارض واضاف الجو الى
السما لارتفاعه عن الارض وفي قوله مسخرات دليل
على مسخر سخرها ومدبر مكنها من التصرف ما يمسكهن
الا الله في حال القبض والبسط والاصطفاف بين لهم
كيف يعتبرون بها على وحدانيته ان في ذلك لايات
اي علامات وعبرا ودلالات لقوم يومنون بالله
وبما جات به رسله قوله تعالى والله جعل لكم من
بيوتكم سكنا الى قوله الى حين فيه عشر مسايل الاولى
قوله تعالى جعل لكم معناه صير وكل ما علاك فاظلك
فهو سقف وسما وكل ما اقلك فهو ارض وكل ما سترك
من جهاتك الاربع فهو جدار فاذا انتظمت واتصلت
فهو بيت وهذه الايه فيها تعديد نعمة الله تعالى على

على الناس

الناس في البيوت فذكرا ولا بيوت المدن وهي التي للاقامة
الطويلة وقوله سكنا اي تسكنون فيها وتهدا جوارحكم
من الحركة وقد تتحرك فيه وتسكن في غيره الا ان القول
خرج على الغالب وعدّ هذا في جملة النعم فانه لو شاء
خلق العبد مضطربا ابدا كالافلاك لكان ذلك كما خلق
واراد ولو خلقه ساكنا كالارض لكان كما خلق واراد
ولكنه اوجده خلقا يتصرف للوجهين ويختلف حاله
بين الحالتين ورددّه كيف واين والسكن مصدر يوصف
به الواحد والجمع ثم ذكر تعالى بيوت النقلة والرحلة
وهي الثانية فقال وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا
تستخفونها اي من الانطاع والادم بيوتا يعني الخيام
والقباب تخف عليكم حملها في الاسفار يوم ظعنكم الظعن
سير البادية في الانتجاع والتحول من موضع الى موضع
ومنه قول عنترة : ظعن الذين فراقهم اتوقع وجرى بينهم
الغراب الابقع : والظعن الهودج ايضا قال :
الا هل هاجك الاظعان اذ بانوا واذ جادت بوشك البين غربان
وقرئ باسكان العين وفتحها كالشعر والشعر وقيل يحتمل
ان يعم منه بيوت الادم وبيوت الشعر وبيوت الصوف
لان هذه من الجلود لكونها ثابتة فيها نحى الى ذلك ابن سلام

وهو

وهو احتمال حسن ويكون قوله ومن اصوافها ابتدا كلام كانه
قال جعل اثاثا يريد الملابس والوطا وغير ذلك قال الشاعر
اهاجتك الظعاين يوم بانوا بذي الزي الجميل من الاثاث ويحتمل
ان يريد بقوله من جلود الانعام بيوت الادم فقط كما قدمناه
اولا ويكون قوله من اصوافها عطفا على قوله من جلود الانعام
اي جعل بيوتا ايضا قال ابن العربي وهذا امر انتشر في تلك
الديار وعزبت عنه بلادنا فلا تضرب الاخبية عندنا الا
من الكتان والصوف وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم قبة
من ادم وناهيك من ادم الطايف غلا واعلا في الصفة
وحسنا في البشرة ولم يعد ذلك صلى الله عليه وسلم ترفا ولا
راه سرفا لانه مما امتن الله سبحانه به من نعمته واذن
فيه من متاعه وظهرت وجوه منفعته في الاكتنان
والاستظلال الذي لا يقدر على الخروج منه جنس الانسان
ومن غريب ما جرى اني زرت بعض المتزهدين من الغافلين
مع بعض المحدثين فدخلنا عليه في خبا كتان فعرض عليه
صاحبي المحدث ان يحمله الى منزله ضيفا وقال ان هذا موضع
يكثر فيه الحر والبيت ارفق بك واطيب لنفسي فيك فقال
هذا الخبا لنا كثير وكان في صنيعنا من الحقير فقلت ليس كما
زعمت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رييس الزهاد

قبة من ادم طايفي يسافر معها ويستظل بها فبهت
ورايته على منزله من الغي فتركته مع صاحبي وخرجت عنه
الرابعة قوله تعالى ومن اصوافها واوبارها واشعارها
اذن الله سبحانه بالانتفاع بصوف الغنم ووبر الابل وشعر
المعز كما اذن في الاعظم وهو ذبحها واكل لحومها ولم يذكر
القطن والكتان لانه لم يكن في بلاد العرب المخاطبين به وانما
عدد عليهم ما انعم به عليهم وخوطبوا فيما عرفوا بما فهموا
وما قام مقام هذه وناب منابها فيدخل في الاستعمال والنعمة
مدخلها وهذا كقوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها
من برد فخاطبهم بالبرد لانهم كانوا يعرفون نزوله لكثرة عندهم
وسكت عن ذكر الثلج لانه لم يكن في بلادهم وهو مثله في الصفة
والمنفعة وقد ذكرهما النبي صلى الله عليه وسلم معا في التطهير
فقال اللهم اغسلني بماء وثلج وبرد قال ابن عباس الثلج شي
ابيض ينزل من السما وما رايته قط وقيل ان ترك ذكر القطن
والكتان انما كان اعراضا عن السرف اذ ملبس عباد الله
الصالحين انما هو الصوف وهذا فيه نظر فانه سبحانه يقول
يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا حسب ما تقدم بيانه في
الاعراف وقال هنا وجعل لكم سرابيل فاشار الى القطن والكتان
في لفظة السرابيل والله اعلم واثاثا قال الخليل متاعا منضما

بعضه

بعضه الى بعض من اثا اذا كثر قال
وفرع يزين المتن اسود فاحم اثيث كقنو النخلة المتعثكل
ابن عباس اثاثا ثيابا وقد تقدم وتضمنت هذه الاية جواز
الانتفاع بالاصواف والاشعار على كل حال ولذلك قال اصحابنا
صوف الميتة وشعرها طاهر يجوز الانتفاع به على كل حال
ويغسل مخافة ان يكون علق به وسخ وكذلك روت ام سلمه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا باس بمسك الميتة
اذا دبغ وبشعرها وصوفها اذا غسل ولانه مما لا يحله الموت
وسوا كان شعر ما يوكل لحمه او لا كشعر ابن ادم والخنزير
فانه طاهر كله وبه قال ابو حنيفة ولكنه زاد علينا فقال
القرن والسن والعظم مثل الشعر قال لان هذه الاشيا
كلها لا روح فيها فلا تنجس بموت الحيوان وقال الحسن البصري
والليث بن سعد والاوزاعي ان الشعور كلها نجسة ولكنها
تطهر بالغسل وعن الشافعي ثلاث روايات الاولى طاهرة
لا تنجس بالموت الثانية تنجس الثالثة الفرق بين شعر ابن
ادم وغيره فشعر ابن ادم طاهر وما عداه نجس ودليلنا
عموم قوله تعالى ومن اصوافها الاية فمن علينا بان جعل
لنا الانتفاع بها ولم يخص شعر الميتة من المذكاة فهو
عموم الا ان يمنع منه دليل وايضا فان الاصل كونها طاهرة

قبل الموت بالاجماع فمن زعم انه انتقل الى نجاسة فعليه الدليل
فان قيل قوله حرمت عليكم الميتة وذلك عبارة عن الجملة قلنا
نخصه بما ذكرنا فانه منصوص عليه في ذكر الصوف ولبس
في ما تم ذكره صريحا فكان دليلنا اولى والله اعلم وقد عول الشيخ
الامام ابو اسحق امام الشافعية ببغداد على ان الشعر جزء
متصل بالحيوان خلقة فهو ينمي بنمائه وينجس بموته كساير
الاجزا واجيب بان النما ليس بدليل على الحياة لان النبات ينمي
وليس بحي واذا عولوا على النما المتصل بما على الحيوان عولنا
نحن على الابانة التي تدل على عدم الاحساس الذي
يدل على عدم الحياة واما ما ذكره الحنفيون في العظم
والسن والقرن انه مثل الشعر فالمشهور عندنا
ان ذلك نجس كاللحم وقال ابن وهب مثل قول ابي حنيفة
ولنا قول ثالث هل تلحق اطراف القرون والاظلاف
باصولها او بالشعر قولان وكذلك الشعري من
الريش حكمه حكم الشعر والعظمي منه حكمه حكمه
ودليلنا قوله صلى الله عليه وسلم لا تنتفعوا من الميتة
بشي وهذا عام فيها وفي كل جزء منها الا ما قام دليله
ومن الدليل القاطع على ذلك قوله تعالى قال من يحيي العظام
وهي رميم وقال تعالى وانظر الى العظام كيف ننشزها وقال
تعالى

تعالى فكسونا العظام لحما وقال ايذا كنا عظاما نخره فالاصل
هي العظام والروح والحياة فيها كما في اللحم والجلد وفي حديث
عبد الله بن عليم لا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب فان
قيل قد ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في
شاة ميمونة الا انتفعتم بجلدها فقالوا يا رسول الله انها
ميتة فقال انما حرم اكلها والعظم لا يوكل قلنا العظم يوكل
وخاصة عظم الجمل الرضيع والجدي والطير وعظم الكبير يشوى
ويوكل وما ذكرناه قبل يدل على وجود الحياة فيه وما كان
طاهرا بالحياة ويستباح بالذكاة ينجس بالموت والله اعلم
الخامسة قوله تعالى من جلود الانعام عام في جلد الحي
والميت فيجوز الانتفاع بجلود الميتة وان لم تدبغ وبه
قال ابن شهاب الزهري والليث بن سعد قال الطحاوي لم نجد
عن واحد من الفقهاء جواز بيع جلد الميتة قبل الدباغ الا عن
الليث قال ابو عمر يعني من الفقهاء ايمة الفتوى بالامصار
بعد التابعين واما ابن شهاب فذلك عنه صحيح وهو قول
اباه جمهور اهل العلم وقد روي عنهما خلاف هذا القول
والاول اشهر السادسة اختلف العلما في جلد الميتة
اذا دبغ هل يطهر ام لا فذكر ابن عبد الحكم عن مالك ما يشبه
مذهب ابن شهاب في ذلك وذكره ابن خويز منداد في كتابه

عن ابن عبد الحكم ايضا قال ابن خواز منداذ وهو قول الزهري
والليث قال والظاهر من مذهب مالك ما ذكره ابن عبد الحكم
وهو ان الدباغ لا يطهر جلد الميتة ولكن يبيح الانتفاع به
في الاشياء اليابسة ولا يصلي عليه ولا يوكل فيه وفي المدونة
لابن القاسم من اغتصب جلد ميتة غير مدبوغ فاتلفه كان
عليه قيمته وحكى ان ذلك قول مالك وذكر ابو الفرج ان مالكا
قال من اغتصب لرجل جلد ميتة غير مدبوغ فلا شي عليه
قال اسماعيل الا ان يكون لمجوسي وروي ابن وهب وابن عبد الحكم
عن مالك جواز بيعه وهذا في جلد كل ميتة الا الخنزير وحده
لان الذكاة لا تعمل فيه فالدباغ اولى قال ابو عمر وكل جلد
ذكي فجايز استعماله للوضوء وغيره وكان مالك يكره الوضوء
في اناء جلد الميتة بعد الدباغ على اختلاف من
قوله ومرة قال انه لم يكرهه الا في خاصة نفسه ويكره
الصلاة عليه وبيعه وتابعه على ذلك جماعة من اصحابه
واما اكثر المدنيين فعلى اباحة ذلك واجازته لقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم ايما اهاب دبغ فقد طهر وعلى
هذا اكثر اهل الحجاز والعراق من اهل الفقه والحديث وهو
اختيار ابن وهب السابعة ذهب الامام احمد بن حنبل
رضي الله عنه الى انه لا يجوز الانتفاع بجلود الميتة
في شي

في شي وان دبغت لانها كلحم الميته والاخبار بالانتفاع بعد
الدباغ يرد قوله واحتج بحديث عبد الله بن عكيم رواه
ابو داود قال قرئ علينا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بارض جهينه وانا غلام شاب الا تستمتعوا من الميتة
باهاب ولا عصب وفي رواية قبل موته بشهر رواه القاسم
بن مخيمره عن عبد الله بن عكيم قال حدثنا مشيخة لنا ان النبي
صلى الله عليه وسلم كتب اليهم قال داود بن علي سالت يحيى
بن معين عن هذا الحديث فضعفه وقال ليس بشي انما يقول
حدثني الاشياخ قال ابو عمر ولو كان ثابتا لاحتمل ان لا
يكون مخالفا للاحاديث المرويه عن ابن عباس وعايشه
وسلمة بن المحبق وغيرهم لانه جايز ان يكون معنى حديث
ابن عكيم ان لا تنتفعوا من الميته باهاب قبل الدباغ واذا
احتمل ان لا يكون مخالفا فليس لنا ان نجعله مخالفا وعلينا
ان نستعمل الخبرين ما امكن وحديث عبد الله بن عكيم ان لا
تنتفعوا من الميته باهاب وان كان قبل موت النبي صلى الله
عليه وسلم بشهر كما جا في الخبر فممكن ان تكون قصة
ميمونة وسماع ابن عباس منه ايما اهاب دبغ فقد طهر
قبل موته بجمعة او دون جمعة والله اعلم الثامنه
المشهور عندنا ان جلد الخنزير لا يدخل في الحديث ولا يتناوله

العموم وكذلك الكلب عند الشافعي وعند الاوزاعي وابي ثور
لا يطهر بالدباغ الا جلد ما يوكل لحمه وروي معن بن عيسى عن
مالك انه سيل عن جلد الخنزير اذا دبغ فكرهه قال ابن وضاح
وسمعت سحنونا يقول لا باس به وكذلك قال محمد بن عبد
الحكم وداود بن علي واصحابه لقوله عليه السلام ايما مسك
دبغ فقد طهر قال ابو عمر يحتمل ان يكون اراد بهذا القول
عموم الجلود المعهودة الانتفاع بها واما الخنزير فلم يدخل
في المعنى لانه غير معهود الانتفاع بجلده اذ لا تعمل فيه الذكاة
ودليل اخر وهو ما قاله النضر بن شميل ان الاهاب جلد
البقر والغنم والابل وما عداه فانما يقال له جلد لا اهاب
قلت وجلد الكلب وما لا يوكل لحمه ايضا غير معهود الانتفاع
به فلا يطهر وقد قال صلى الله عليه وسلم اكل كل ذي ناب من
السباع حرام وليست الذكاة فيها ذكاة كما انها ليست
في الخنزير روى النساي عن المقدام بن معدي كرب قال نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرير والذهب ومياثر
النمور **التاسعة** اختلف الفقها في الدباغ الذي تطهر به
جلود الميتة ما هو فقال اصحاب مالك وهو المشهور من
مذهبه كل شي دبغ الجلد من ملح او قرظ او شب او غير
ذلك فقد جاز الانتفاع به وكذلك قال ابو حنيفة
واصحابه

واصحابه وهو قول داود وللشافعي في هذه المسئله قولان
احدهما هذا والاخر انه لا يطهره الا الشب والقرظ لانه
الدباغ المعهود على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعليه خرج
الخطاب والله اعلم روى النساي عن ميمونة زوج النبي صلى
الله عليه وسلم انه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم رجال
من قريش يجرون شاة لهم مثل الحصان فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم يطهرها الما والقرظ الغا نشره
قوله تعالى اثاثا الاثاث متاع البيت واحدها اثاثه هذا
قول ابي زيد الانصاري وقال الاموي الاثاث متاع البيت
وجمعه اثة واثث وقال غيرها الاثاث جميع انواع المال
ولا واحد له من لفظه وقال الخليل اصله من الكثرة
واجتماع بعض المتاع الى بعض حتى يكثر ومنه شعر اثيث
اي كثير واث شعر فلان ياث اثا اذا كثر والتف قال امر القيس
وفرع يغشي المتن اسود فاحم اثيث كقنو النخلة المتعثكل
وقيل الاثاث ما يلبس ويفترش وقد تاثلت اذا اتخذت
اثاثا وعن ابن عباس رضي الله عنه اثاثا مالا وقد تقدم
القول في الحين وهو هنا وقت غير معين بحسب كل انسان
اما بموته واما بفقد تلك الاشيا التي هي اثاث ومن هذه اللفظة
قول الشاعر اهاجتك الظعاين يوم بانوا بذي الزي الجميل من الاثاث

قوله تعالى والله جعل لكم مما خلق ظلالا الى قوله تسلمون
فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى ظلالا الظلال كل ما يستظل
به من البيوت والشجر وقوله مما خلق يعم جميع الاشخاص
المظلة الثانية قوله تعالى اكنانا الاكنان جمع كن وهو
الحافظ من المطر والريح وغير ذلك وهي هنا الغيران في الجبال
جعلها الله عدة للخلق ياوون اليها ويتحصنون بها ويعتزلون
عن الخلق فيها وفي الصحيح انه عليه السلام كان في اول امره
يتعبد بغار حرا ومكث فيه الليالي الحديث وفي صحيح البخاري
قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا هاربا
من قومه فارا بدينه مع صاحبه ابي بكر حتى لحقا بغار في
جبل ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما فيه عبد الله
بلغ
بن ابي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر
فيصبح مع قريش كبايت فلا يسمع امرا يكادان به الا
وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما
عامر بن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما
حين يذهب ساعة من العشا فيبيتان في رسل وهو لبن
منحتهما حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك
في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث وذكر الحديث انفرد باخراجه
البخاري الثالثة قوله تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر
يعني القمص

يعني القمص واحدها سربال وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع
التي تقي الناس في الحرب ومنه قول كعب بن زهير ∴
شم العرانين ابطال لبوسهم من نسج داود في الهيجا سرابيل
الرابعة ان قال قايل كيف قال جعل لكم من الجبال اكنانا
ولم يذكر السهل وقال تقيكم الحر ولم يذكر البرد فالجواب
ان القوم كانوا اصحاب جبال ولم يكونوا اصحاب سهل
وكانوا اهل حر ولم يكونوا اهل برد فذكر لهم نعمة التي
تختص بهم كما خصهم بذكر الصوف وغيره ولم يذكر القطن
والكتان ولا الثلج كما تقدم فانه لم يكن ببلادهم قال معناه
عطا الخراساني وغيره وايضا فذكر احدهما يدل على الاخر
ومنه قول الشاعر ∴ وما ادري اذا يممت ارضا اريد الخير
ايهما يليني ∴ الخير الذي انا ابتغيه ام الشر الذي هو يبتغيني
الخامسة قال العلما في قوله تعالى وسرابيل تقيكم باسكم
دليل على اتخاذ العباد عدة الجهاد ليستعينوا بها على قتال
الاعدا وقد لبسها النبي صلى الله عليه وسلم تقاة الجراحة
وان كان يطلب الشهادة وليس على العبد ان يطلبها
بان يستسلم للحتوف وللطعن بالسنان والضرب بالسيوف
ولكنه يلبس لامة حربه لتكون له قوة على قتال عدوه ويقاتل
لتكون كلمة الله هي العليا ويفعل الله بعد ما يشا قوله تعالى

كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون قرا ابن محيصن وحميد تتم
بتاين نعمته رفعا على انها الفاعل الباقون يتم بضم اليا على
ان الله تعالى يتمها وتسلمون قراءة ابن عباس وعكرمة تسلمون
بفتح التا واللام اي تسلمون من الجراح واسناده ضعيف
رواه عباد بن العوام عن حنظلة عن شهر عن ابن عباس
الباقون بضم التا ومعناه تستسلمون وتنقادون الى
معرفة الله وطاعته شكرا على نعمه قال ابو عبيد والاختيار
قراءة العامة لان ما انعم الله به علينا من الاسلام افضل
مما انعم به من السلامة من الجراح قوله تعالى فان تولوا
اي اعرضوا عن النظر والاستدلال والايمان فانما عليك
البلاغ اي ليس عليك الا التبليغ واما الهداية فالينا ٥
قوله تعالى يعرفون نعمة الله قال السدي يعني محمدا صلى
الله عليه وسلم اي يعرفون نبوته ثم ينكرونها ويكذبونه
وقال مجاهد يريد ما عدد الله عليهم في هذه السورة من النعم
اي يعرفون انها من عند الله وينكرونها بقولهم انهم ورثوا
ذلك عن ابائهم وبمثله قال قتادة وقال عون بن عبد الله
هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان ما اصبت كذا
وهو يعرف ان النفع والضر من عند الله وقال الكلبي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرفهم بهذه النعم عرفوها هو
كلها
وقالوا

وقالوا هي كلها نعم من الله عند ولكنها بشفاعة الهتنا وقيل يعرفون
نعمة الله بتقلبهم فيها وينكرونها بترك الشكر عليها ويحتمل
سادسًا يعرفونها في الشدة وينكرونها في الرخا ويحتمل
سابعًا يعرفونها بأقوالهم وينكرونها بأفعالهم ويحتمل ثامنًا
اي يعرفونها بقلوبهم ويجحدونها بالسنتهم واكثرهم
الكافرون يعني جميعهم حسب ما تقدم نحو قوله تعالى
ويوم نبعث من كل امة شهيدا نظيره فكيف اذا جينا
من كل امة بشهيد وقد تقدم ثم لا يوذن للذين كفروا
اي في الاعتذار والكلام لقوله ولا يوذن لهم فيعتذرون
وذلك حين تطبق عليهم جهنم كما تقدم في اول الحجر وياتي
ولا هم يستعتبون يعني يسترضون اي لا يكلفون ان
يرضوا ربهم لان الاخرة ليست بدار تكليف ولا يتركون
الى رجوع الدنيا فيتوبون واصل الكلمة من العتب وهي
الموجدة يقال عتب عليه يعتب اذا وجد عليه فاذا
فاوضه ما عتب عليه فيه قيل عاتبه فاذا رجع الى
مسرتك فقد اعتب والاسم العتبى وهو رجوع المعتوب
عليه الى ما يرضي العاتب قاله الهروي وقال النابغة
فان كنت مظلوما فعبدا ظلمته وان تك ذا عتبى فمثلك يعتب
قوله تعالى واذا راى الذين ظلموا اي اشركوا العذاب اي

عذاب جهنم بالدخول فيها فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون أي لا
يمهلون اذ لا توبة ثم قوله تعالى واذا راى الذين اشركوا
شركاهم اي اصنامهم واوثانهم التي عبدوها وذلك ان الله
تعالى يبعث معبوديهم فيتبعونهم حتى يردوهم النار
وفي صحيح مسلم من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من
كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر
ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت الحديث خرجه
من حديث انس والترمذي من حديث ابي هريره وفيه
فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير
تصاويره ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون
وذكر الحديث قالوا ربنا هولاء شركاونا الذين كنا ندعوا
من دونك اي الذين جعلناهم لك شركا فالقوا اليهم القول
اي نطقت بتكذيب من عبدها بانها لم تكن الهة ولا
امرتهم بعبادتها فينطق الله الاصنام حتى تظهر عند ذلك
فضيحة الكفار وقيل المراد بذلك الملايكة الذين عبدوهم
والقوا الى الله يوميذ السلم يعني المشركين اي استسلموا
لعذابه وخضعوا لعزه وقيل استسلم العابد والمعبود
وانقادوا لحكمه فيهم وضل عنهم ما كانوا يفترون اي زال
عنهم ما زين لهم الشيطان وما كانوا يوملون من شفاعة

الهتهم

الفهم قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم
عذابا فوق العذاب قال ابن مسعود عقارب انيابها كالنخل
الطوال وحيات مثل اعناق الابل وافاعي كانها البخاتي تضربهم
فتلك الزيادة وقيل المعنى يخرجون من النار الى الزمهرير
فيبادرون من شدة برده الى النار وقيل المعنى زدنا
القادة عذابا فوق السفلة فاحد العذابين على كفرهم
والعذاب الاخر على صدهم بما كانوا يفسدون في الدنيا
من الكفر والمعصية قوله تعالى ويوم نبعث في كل امة
شهيدا عليهم من انفسهم وهم الانبيا شهدا على اممهم يوم
القيامة بانهم قد بلغوهم الرسالة ودعوهم الى الايمان
وفي كل زمان شهيد وان لم يكن نبيا وفيهم قولان احدهما
انهم ايمة الهدى الذين هم خلفا الانبيا الثاني انهم العلما
الذين حفظ الله بهم شرايع انبيايه قلت فعلى هذا لم
تكن فترة الا وفيها من يوحد الله كقس بن ساعدة
وزيد بن عمرو بن نفيل الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم
يبعث امة وحده وسطيح وورقة بن نوفل الذي قال
فيه النبي صلى الله عليه وسلم رايته ينغمس في انهار الجنة
فهولاء ومن كان مثلهم حجة على اهل زمانهم وشهيد عليهم
والله اعلم وقوله وجينا بك شهيدا تقدم في البقرة والنساء

قوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي نظيرها ما فرطنا
في الكتاب من شي وقد تقدم فلينظر هناك وقال مجاهد تبيانا
للحلال والحرام قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان
الى قوله تذكرون فيه ست مسايل الاولى روي عن
عثمان بن مظعون انه قال لما نزلت هذه الاية قراتها على علي
بن ابي طالب فتعجب فقال يا ال غالب اتبعوه تفلحوا فوالله ان الله
ارسله ليامر بمكارم الاخلاق وفي حديث ان ابا طالب لما
قيل له ان ابن اخيك زعم ان الله انزل عليه ان الله يامر بالعدل
والاحسان الاية قال اتبعوا ابن اخي فوالله انه لا يامر الا
بمحاسن الاخلاق وقال عكرمة قرا النبي صلى الله عليه وسلم
على الوليد بن المغيرة ان الله يامر بالعدل والاحسان الى اخرها
فقال يا ابن اخي اعد فاعاد عليه فقال والله ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اصله لمورق واعلاه لمثمر وما
هو بقول بشر وذكر الغزنوي ان عثمان بن مظعون هو القاري
قال عثمان ما اسلمت ابتدا الا حيا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى نزلت هذه الاية وانا عنده فاستقر الايمان
في قلبي فقراتها على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن اخي اعد
فاعدت فقال والله ان له لحلاوة وذكر تمام الخبر وقال
ابن مسعود هذه اجمع اية في القران لخير يمتثل وشر
يجتنب

يجتنب وحكى النقاش قال يقال زكاة العدل الاحسان وزكاة
القدرة العفو وزكاة الغنى المعروف وزكاة الجاه كتب الرجل
الى اخوانه الثانية اختلف العلما في تاويل العدل والاحسان
فقال ابن عباس العدل لا اله الا الله والاحسان ادا الفرايض
وقيل العدل الفرض والاحسان النافلة وقال سفيان بن
عيينة العدل هاهنا استوا السريرة والاحسان ان
تكون السريرة افضل من العلانية : علي بن ابي طالب العدل
الانصاف والاحسان التفضل قال ابن عطية العدل هو
كل مفروض من عقايد وشرايع في اداء الامانات وترك
الظلم والانصاف واعطا الحق والاحسان هو فعل كل
مندوب اليه فمن الاشيا ما هو كله مندوب اليه ومنها
ما هو فرض الا ان حدا الاجزا منه داخل في العدل والتكميل
الزايد على الاجزا داخل في الاحسان واما قول ابن عباس
ففيه نظر لان ادا الفرايض هي الاسلام حسب ما فسره
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث سوال جبريل
وذلك هو العدل وانما الاحسان التكميلات والمندوب
اليه حسب ما يقتضيه تفسير النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث سوال جبريل عليه السلام بقوله ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فان صح هذا عن ابن عباس

فانما اراد الفرايض مكملة وقال ابن العربي العدل بين العبد
وبين ربه ايثار حقه تعالى على حظ نفسه وتقديم رضاه
على هواه والاجتناب للزواجر والامتثال للاوامر واما
العدل بينه وبين نفسه فمنعها مما فيه هلاكها قال الله
تعالى ونهى النفس عن الهوى وعزوف الاطماع عن الاتباع
ولزوم القناعة في كل حال ومعنى واما العدل بينه وبين
الخلق فبذل النصيحة وترك الخيانة فيما قل وكثر والانصاف
من نفسك لهم بكل وجه ولا تكون منك اساءة الى احد بقول
ولا فعل لا في سر ولا علن والصبر على ما يصيبك منهم من
البلوى واقل ذلك الانصاف وترك الاذى قلت هذا
التفصيل في العدل حسن وعدل واما الاحسان فقد قال
علماونا الاحسان مصدر احسن يحسن احسانا ويقال
على معنيين احدهما متعد بنفسه كقولك احسنت كذا
اي حسنته وكملته وهو منقول بالهمزة من حسن الشي
وثانيهما متعد بحرف جر كقولك احسنت الى فلان اي اوصلت
اليه ما ينتفع به قلت وهو في هذه الاية مراد بالمعنيين معا
فانه تعالى يحب من خلقه احسان بعضهم الى بعض حتى لن
الطاير في سجنك والسنور في دارك لا ينبغي ان تقصر بعهده
باحسانك وهو تعالى غني عن احسانهم ومنه الاحسان
والنعم

والنعم والمنن وهو في حديث جبريل بالمعنى الاول لا الثاني
فان المعنى راجع الى اتقان العبادة ومراعاتها باداتها المصححة
والمكملة ومراقبة الحق فيها واستحضار عظمته وجلاله
حالة الشروع وحالة الاستمرار وهو المراد بقوله أن تعبد
الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وارباب القلوب
في هذه المراقبة على حالين احدهما غالب عليه مشاهدة
الحق فكانه يراه ولعل النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى
هذه الحالة بقوله وجعلت قرة عيني في الصلاة وثانيهما
لا ينتهي الى هذا لكن يغلب عليه ان الحق سبحانه مطلع
عليه ومشاهد له واليه الاشارة بقوله تعالى الذي
يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين وقوله إلا
كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه الثالثة قوله
تعالى وايتاء ذي القربى اي القرابة يقول يعطيهم المال
كما قال وآت ذا القربى حقه يعني صلته وهذا من باب
عطف المندوب على الواجب وبه استدرك الشافعي
في ايجاب ايتاء المكاتب على ما ياتي بيانه وانما خص
ذا القربى لان حقوقهم اوكد وصلتهم اوجب لتاكيد
حق الرحم التي اشتق الله اسمها من اسمه وجعل صلتها
من صلته فقال في الصحيح اما ترضين ان اصل من وصلك

وافطع من قطعك ولا سيما اذا كانوا فقرا الرابعة
قوله تعالى وينهى عن الفحشا والمنكر والبغي الفحشا
الفحش وهو كل قبيح من قول او فعل ابن عباس
هو الزنا والمنكر ما انكره الشرع بالنهي عنه وهو
يعم جميع المعاصي والرذايل والدنيات على اختلاف
انواعها وقيل هو الشرك والبغي هو الكبر والظلم
والحقد والتعدي وحقيقته تجاوز الحد وهو
داخل تحت المنكر لانه تعالى خصه بالذكر اهتماما
به لشدة ضرره وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم لا ذنب اسرع عقوبة من بغي وقال عليه السلام
الباغي مصروع وقد وعد الله من بغي عليه بالنصر
وفي بعض الكتب المنزلة لو بغى جبل على جبل لجعل
الباغي منهما دكا الخامسة ترجم الامام ابو عبد الله
محمد بن اسماعيل البخاري في صحيحه فقال باب قول
الله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء
ذي القربى وينهى عن الفحشا والمنكر والبغي يعظكم
لعلكم تذكرون وقوله انما بغيكم على انفسكم
ثم بغي عليه لينصرنه الله وترك اثارة الشر
على مسلم او كافر ثم ذكر حديث عايشة في سحر
لبيد

لبيد بن الاعصم النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن بطال
فتاول رضي الله عنه من هذه الاية ان ترك اثارة
الشر على مسلم او كافر كما دل عليه حديث عايشة
حيث قال عليه السلام اما الله فقد شفاني واما
انا فاكره ان اثير على الناس شرا ووجه ذلك والله اعلم
انه تاول في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان
الندب بالاحسان الى المسيء وترك معاقبته على اساءته
فان قيل كيف يصح هذا التاويل في ايات البغي قيل
وجه ذلك والله اعلم انه لما اعلم الله عباده بان ضرر
البغي ينصرف على الباغي بقوله انما بغيكم على انفسكم
وضمن تعالى نصرة من بغي عليه كان الاولى بمن
بغي عليه شكر الله على ما ضمن نصرته ومقابلة
ذلك بالعفو عمن بغى عليه وكذلك فعل النبي صلى
الله عليه وسلم باليهودي الذي سحره وقد كان له
الانتقام منه بقوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به ولكن اثر الصفح اخذا بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك
لمن عزم الامور السادسة تضمنت هذه الاية
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد تقدم القول فيهما
روي ان جماعة رفعت عاملها الى ابي جعفر المنصور

العباسي فحاجها العامل وغلبها بانهم لم يثبتوا عليه كبير ظلم
ولا جورة في شي فقام فتى من القوم فقال يا امير المومنين
ان الله يامر بالعدل والاحسان وانه عدل ولم يحسن قال
فعجب ابو جعفر من اصابته وعزل العامل قوله تعالى
واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد
توكيدها فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى واوفوا
بعهد الله لفظ عام لجميع ما يعقد باللسان ويلتزمه
الانسان من بيع او صلة او موافقة في امر موافق للديانة
وهذه الاية مضمن قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان
لان المعني فيها افعلوا كذا وانتهوا عن كذا فعطف على ذلك
التقدير وقد قيل انها نزلت في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم
على الاسلام وقيل نزلت في التزام الحلف الذي كان في
الجاهلية وجا الاسلام بالوفا به قاله قتاده ومجاهد
وابن زيد والعموم يتناول كل ذلك كما بيناه روى الصحيح
عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا حلف في الاسلام وايما حلف كان في الجاهلية لم يزده
الاسلام الا شده يعني في نصرة الحق والقيام به والمواساه
والمواساه وهذا كنحو حلف الفضول الذي ذكره ابن اسحق
قال اجتمعت قبايل من قريش في دار عبد الله بن جدعان

لشرفه

لشرفه ونسبه فتعاقدوا وتعاهدوا على ان لا يجدوا
بمكة مظلوما من اهلها او غيرهم الا قاموا معه حتى ترد
عليه مظلمته فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول
اي حلف الفضائل والفضول هنا جمع فضل للكثرة
كفلس وفلوس روى ابن اسحق عن ابن شهاب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد شهدت في دار
عبد الله بن جدعان حلفا ما احب ان لي به حمر النعم
ولو ادعى ولو دعي به في الاسلام لاجبت وقال ابن
اسحق تحامل الوليد بن عتبة على حسين بن علي
في مال له لسلطان الوليد فانه كان اميرا على المدينة
فقال له حسين بن علي احلف بالله لتنصفني من حقي
او لاخذن سيفي ثم لاقومن معه حتى ينتصف من
حقه او نموت جميعا وبلغت المسور بن مخرمه
فقال مثل ذلك وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله
التيمي فقال مثل ذلك فلما بلغ ذلك الوليد انصفه
قال العلما فهذا الحلف الذي كان في الجاهلية هو الذي
شدة الاسلام وخصه النبي عليه الصلاة والسلام
من عموم قوله لا حلف في الاسلام والحكمة في ذلك
ان الشرع جا بالانتصار من الظالم واخذ الحق منه

في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون بحلف الفضول [illegible] ابن الزبير [illegible]
[illegible] لمن دعا [illegible]

وايصاله الي المظلوم واوجب ذلك باصل الشرع بعينه ايجابا
عاما علي من قدر من المكلفين وجعل لهم السبيل علي الظالمين
فقال تعالي انما السبيل علي الذين يظلمون الناس ويبغون
في الارض بغير الحق اوليك لهم عذاب اليم وفي الصحيح انصر
اخاك ظالما او مظلوما قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوما
فكيف ننصره ظالما قال تاخذ علي يديه في رواية تمنعه
من الظلم فان ذلك نصره وقد تقدم قوله عليه السلام ان الناس
اذا راوا الظالم ولم ياخذوا علي يديه اوشك ان يعمهم الله
بعقاب من عنده الثانية قوله تعالي ولا تنقضوا الايمان
بعد توكيدها يقول بعد تشديدها وتغليظها يقال
توكيد وتاكيد ووكد واكد وهما لغتان وقد جعلتم الله
عليكم كفيلا يعني شهيدا ويقال حافظا ويقال ضامنا
وانما قال بعد توكيدها فرقا بين اليمين الموكده بالعزم
وبين لغو اليمين وقال ابن وهب وابن القاسم عن مالك
التوكيد هو حلف الانسان في الشي الواحد مرارا يردد
فيه الايمان ثلثا او اكثر من ذلك كقوله والله لا انقصه
من كذا فكفارة ذلك واحده مثل كفارة اليمين وقال
يحيي بن سعيد هي العهود والعهد يمين ولكن الفرق بينهما
ان العهد لا يكفر قال النبي صلي الله عليه وسلم ينصب لكل

غادر لواء

غادر لواء يوم القيامة عند استه بقدر غدرته يقال
هذه غدرة فلان واما اليمين بالله فقد شرع الله سبحانه
فيها الكفارة بخصلة واحدة وجعل ما انعقدت عليه
اليمين وقال ابن عمر التوكيد هو ان يحلف مرتين فان حلف
واحدة فلا كفارة فيه وقد تقدم في المايده الثالثة قوله تعالى
وقد جعلتم الله عليكم كفيلا قوله تعالى ولا تكونوا
كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا النقض والنكث واحد
والاسم النكث والنقض والجمع الانكاث فشبهت هذه
الاية الذي يحلف ويعاهد ويبرم عقده ثم ينقضه بالمراه
تنقض غزلها وتفتله محكما ثم تحله ويروى ان امراة حمقا
كانت بمكة تسمى ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن
تيم بن مره كانت تفعل ذلك فبها وقع التشبيه قاله
الفرا وحكاه عبد الله بن كثير والسدي ولم يسميا
المراه وقال مجاهد وقتاده ذلك ضرب مثلا لا على امراه
معينة وانكاثا نصب على الحال والدخل الدغل والخديعة
والغش قال ابو عبيدة كل امر لم يكن صحيحا فهو دخل
ان تكون امة هي اربى من امة قال المفسرون نزلت هذه
الاية في العرب الذين كانت القبيلة منهم اذا حالفت اخرى
ثم جات احداهما قبيلة كبيرة قوية فداخلتها غدرت الاولى

٢٤٦

ونقضت عهدها ورجعت الى هذه الكبرى قاله مجاهد
فقال الله تعالى لا تنقضوا العهود من اجل ان طايفة اكبر
من طايفة اخرى او اكثر اموالا فتنقضون ايمانكم اذا
رايتم الكثرة والسعة في الدنيا لاعدايكم المشركين
والمقصود النهي عن العود الى الكفر بسبب كثرة الكفار
وكثرة اموالهم وقال الفرا المعنى لا تغدروا بقوم لقلتهم
وكثرتكم او لقلتكم وكثرتهم وقد عززتموهم بالايمان
ان هي اي اكثر من ربا الشي يربو اذا كثر والضمير في به
يحتمل ان يعود على الوفا الذي امر الله به ويحتمل ان
يعود على ربا اي ان الله تعالى ابتلى عباده بالتحاسد
وطلب بعضهم الظهور على بعض واختبرهم بذلك ليرى
من يجاهد نفسه فيخالفها ممن يتبعها ويعمل بمقتضى هواها
وهو معنى قوله انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة
ما كنتم فيه تختلفون من البعث وغيره قوله تعالى
ولو شا الله لجعلكم امة واحدة اي على ملة واحدة ولكن
يضل من يشا بالخذلان لانه اباهم عدلا منه فيهم ويهدي من
يشا بتوفيقه اياهم فضلا منه عليهم ولا يسال عما يفعل
بل تسالون انتم والاية ترد على اهل القدر كما تقدم واللام
في وليبينن ولتسالن مع النون المشددة يدلان على قسم
مضمر

مضمر اي والله ليبينن لكم ولتسئلن قوله تعالى ولا تتخذوا
ايمانكم دخلا بينكم كرر ذلك تاكيدا فتزل قدم بعد توكيدها
مبالغة في النهي عنه لعظم موقعه في الدين وتردده في
معاشرات الناس اي لا تعقدوا الايمان بالانطوا على
الخديعة والفساد فتزل قدم بعد ثبوتها اي عن الايمان
بعد المعرفة بالله وهذه استعارة للمستقيم الحال يقع
في شر عظيم ويسقط فيه لان القدم اذا زلت نقلت
الانسان من حال خير الى حال شر ومن هذا المعنى قول كثير
فلما توافينا ثبت وزلت والعرب تقول لكل مبتلى
بعد عافية او ساقط في ورطة زلت قدمه كقول الشاعر
سيمنع منك السبق ان كنت سابقا وتقتل ان زلت بك القدمان
ويقال لمن اخطا في شي زل فيه ثم توعد تعالى بعد بعذاب
في الدنيا وعذاب عظيم في الاخرة وهذا الوعيد انما هو فيمن
نقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان من عاهده
ثم نقض عهده خرج عن الايمان ولهذا قال وتذوقوا
السو بما صددتم عن سبيل الله اي بصدكم وذوق
السو في الدنيا هو ما حل بهم من المكروه قوله تعالى
ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا نهي عن الرشا واخذ
الاموال على نقض العهد اي لا تنقضوا عهودكم لعرض قليل

من الدنيا وانما كان قليلا وان كثر لانه مما يزول فهو على التحقيق
قليل وهو المراد بقوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق
فبين الفرق بين حال الدنيا وحال الاخرى بان هذه تنفد
وتحول وما عند الله من مواهب فضله ونعيم جنته ثابت
لا يزول لمن وفى وثبت وقد احسن من قال
المال ينفد حله وحرامه يوما وتبقى في غد اثامه
ليس التقي بمن تطهر باهله حتى يطيب طعامه وشرابه اخر
هب الدنيا تساق اليك عفوا اليس مصير ذاك الى انتقال
وما دنياك الا مثل فيء اظلك ثم اذن بالزوال قوله تعالى
ولنجزين الذين صبروا اي على الاسلام والطاعات وعن
المعاصي اجرهم باحسن ما كانوا يعملون اي من الطاعات
وجعلها احسن لان ما عداها من الحسن مباح والجزا انما
يكون على الطاعة من حيث الوعد من الله وقرا عاصم
وابن كثير ولنجزين بالنون على التعظيم الباقون بالياء
وقيل ان هذه الاية ولا تشتروا الى هنا نزلت في امرء القيس
بن عباس الكندي وخصمه ابن اشوع اختصما في ارض فاراد
امرء القيس ان يحلف فلما سمع هذه الاية نكل واقر له بحقه
والله اعلم قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو
مومن فلنحيينه حياة طيبة شرط وجواب وفي الحياة الطيبة
خمسة اقوال

بالعهد وثبت على العهد

خمسة اقوال الاول انه الرزق الحلال قاله ابن عباس وسعيد
بن جبير وعطا والضحاك الثاني القناعة قاله الحسن البصري
وزيد بن وهب ووهب بن منبه ورواه الحكم عن عكرمه
عن ابن عباس وهو قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه الثالث
توفيقه الى الطاعات فانها تودي به الى رضوان الله قال معناه
الضحاك وقال ايضا من عمل صالحا وهو مومن في فاقة وميسرة
فحياته طيبه ومن اعرض عن ذكر الله ولم يومن بربه ولا عمل
صالحا فمعيشته ضنك لا خير فيها وقال مجاهد وقتادة
وابن زيد هي الجنه وقاله الحسن وقال لا تطيب الحياة لاحد
الا في الجنة وقيل هي السعاده روي عن ابن عباس ايضا
وقال ابو بكر الوراق هي حلاوة الطاعه وقال سهل بن عبد الله
التستري هي ان ينزع عن العبد تدبيره الى الحق وقال جعفر
الصادق هي المعرفة بالله وصدق المقام بين يدي الله وقيل
الاستغنا عن الخلق والافتقار الى الحق وقيل الرضا بالقضا
ولنجزينهم اجرهم اي في الاخره باحسن ما كانوا يعملون
وقال فلنحيينه ثم قال ولنجزينهم لان من يصلح للواحد والجمع
فاعاد مرة على اللفظ ومرة على المعنى وقد تقدم وقال ابو
صالح جلس ناس من اهل التوراه وناس من اهل الانجيل
وناس من اهل الاوثان فقال هاولاء نحن افضل وقال هاولاء

ويريد بها عبده

نحن افضل فنزلت قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ
بالله فيه مسلة واحده وهي ان هذه الاية متصله بقوله
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي فاذا اخذت في قراته فاستعذ
بالله من ان يعترض لك الشيطان فيصدك عن تدبره والعمل
بما فيه وليس يريد استعذ بعد القراه بل هو كقولك اذا
اكلت فقل بسم الله اي اذا اردت ان تاكل وقد روى جبير
بن مطعم عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين افتتح الصلاة قال اللهم اني اعوذ بك من الشيطان من
همزه ونفثه وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يتعوذ في صلاته قبل القراه قال الكيا
الطبري ونقل عن بعض السلف التعوذ بعد القراة مطلقا
احتجاجا بقوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم ولا شك ان ظاهر ذلك يقتضي ان
تكون الاستعاذه بعد القراه لقوله تعالى فاذا قضيتم
الصلاه فاذكروا الله قياما وقعودا الا ان غيره
يحتمل مثل قوله تعالى واذا قلتم فاعدلوا واذا
سالتموهن متاعا فاسلوهن من وراء حجاب وليس
المراد به ان تسلها من وراء حجاب بعد سوال متقدم ومثله
قول القايل اذا قلت فاصدق واذا احرمت فاغتسل
يعني قبل الاحرام

بلغ

٣/١٦

يعني قبل الاحرام والمعنى في جميع ذلك اذا اردت ذلك فكذلك
الاستعاذة وقد تقدم هذا المعنى وتقدم القول في الاستعاذة
مستوفي قوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين امنوا
اي بالاغواء والكفر اي ليس لك قدرة على ان تحملهم على ذنب
لا يغفر قاله سفيان وقال مجاهد لا حجة له على ما يدعوهم
اليه من المعاصي وقيل انه ليس له عليهم سلطان لان الله
تعالى صرف سلطانه عليهم حين قال عدو الله ابليس لعنه الله
لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال الله تعالى
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين
قلت قد بينا ان هذا عام يدخله التخصيص وقد اغوا
ادم وحوا عليهما السلام بسلطانه وقد شوش على الفضلا
اوقاتهم بقوله من خلق ربك حسب ما تقدم في اخر الاعراف
بيانه انما سلطانه على الذين يتولونه اي يطيعونه يقال
توليته اي اطعته وتوليت عنه اعرضت عنه والذين هم
به مشركون اي بالله قاله مجاهد والضحاك وقيل يرجع به
الى الشيطان قاله الربيع بن انس والقتبي والمعنى والذين هم
من اجله مشركون يقال كفرت بهذه الكلمة اي من اجلها
وصار فلان بك عالما اي من اجلك اي والذي تولى الشيطان
مشركون بالله قوله تعالى واذا بدلنا اية مكان اية

قيل المعنى بدلنا شريعة متقدمة بشريعة مستانفة قال ابن
بحر مجاهد اي رفعنا اية وجعلنا موضعها غيرها وقال الجمهور
نسخنا اية باية اشد منها عليهم والنسخ والتبديل رفع الشي مع
وضع غيره مكانه وقد تقدم الكلام في النسخ في البقرة مستوفى
قالوا يريد كفار قريش انما انت مفتر اي كاذب مختلق وذلك
لما راوا من تبدل الحكم فقال الله بل اكثرهم لا يعلمون ان الله
شرع الاحكام وتبديل البعض بالبعض قوله قل نزله روح
القدس يعني جبريل نزل بالقران كله ناسخه ومنسوخه
وروي باسناد صحيح عن عامر الشعبي قال وكل اسرافيل
بمحمد عليهما السلام ثلاث سنين فكان ياتيه بالكلمة والكلمه
ثم نزل عليه جبريل بالقران وفي صحيح مسلم ايضا انه نزل
عليه بسورة الحمد ملك لم ينزل الى الارض قط كما تقدم في
الفاتحة بيانه من ربك اي من كلام ربك ليثبت الذين امنوا
اي بما فيه من الحجج والايات وهدى اي وهو هدى وبشرى
للمسلمين قوله تعالى ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه
بشر اختلف في اسم هذا الذي قالوا انما يعلمه فقيل
هو غلام الفاكه بن المغيره واسمه جبر كان نصرانيا فاسلم
وكانوا اذا سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم ما مضى وما هو
ات مع انه امي لم يقرا قالوا انما يعلمه جبر وهو اعجمي فقال

الله تعالى

فقال الله تعالى لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي
مبين اي كيف يعلمه جبر وهو اعجمي هذا الكلام الذي لا يستطيع
الانس والجن ان يعارضوا منه سورة واحده فما فوقها وذكر
النقاش ان مولى جبر كان يضربه ويقول انت تعلم محمدا فيقول
لا والله بل هو يعلمني ويهديني وقال ابن اسحق كان النبي صلى الله
عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما كان يجلس عند المروه الى غلام
نصراني يقال له جبر عبد بني الحضرمي وكان يقرا الكتب فقال
المشركون والله ما يعلم محمدا ما ياتي به الا جبر النصراني وقال
عكرمة اسمه يعيش عبد لبني الحضرمي كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يلقنه القران ذكره الماوردي وذكر الثعلبي
عن عكرمة وقتادة انه غلام لبني المغيره اسمه يعيش وكان
يقرا الكتب الاعجمية فقالت قريش انما يعلمه بشر فنزلت
المهدوي عن عكرمة هو غلام لبني عامر بن لوي واسمه
يعيش وقال عبد الله بن مسلم الحضرمي كان لنا غلامان
نصرانيان من اهل عين التمر اسم احدهما يسار واسم الاخر
جبر كذا ذكر الماوردي والقشيري والثعلبي الا ان الثعلبي
قال يقال لاحدهما نبت ويكنى ابا فكيهه والاخر جبر وكانا
صيقلين يعملان السيوف وكانا يقران كتابا لهم الثعلبي يقران
التوراة والانجيل الماوردي والمهدوي التوراه وكان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يمر بهما ويسمع قراتهما وكان المشركون
يقولون يتعلم منهما فانزل الله هذه الاية والذين هم وقيل عنوا
سلمان الفارسي رضي الله عنه قاله الضحاك وقيل نصرانيا بمكة
اسمه بلعام وكان غلاما يقرا التوراة قاله ابن عباس وكان
المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يدخل
عليه ويخرج من عنده فقالوا انما يعلمه بلعام وقال القتبي
كان بمكة رجل نصراني يقال له ابو ميسرة يتكلم بالرومية
فربما قعد اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الكفار
انما يتعلم محمد عليه السلام منه فنزلت وفي رواية انه
عداس غلام عقبة بن ربيعة وقيل عابس غلام حويطب
بن عبد العزى ويسار ابو فكيهة مولى ابن الحضرمي وكانا
قد اسلما والله اعلم قلت والكل محتمل فان النبي صلى الله عليه وسلم
ربما جلس اليهم في اوقات مختلفة ليعلمهم مما علمه الله
وكان ذلك بمكة وقال النحاس وهذه الاقوال ليست
بمتناقضة لانه يجوز ان يكونوا اومؤوا الى هولاء جميعا
وزعموا انهم يعلمونه قلت واما ما ذكره الضحاك انه سلمان
ففيه بعد لان سلمان انما اتى النبي صلى الله عليه وسلم
بالمدينة وهذه الاية مكية ؛؛ لسان الذي يلحدون اليه
اعجمي الالحاد الميل يقال لحد والحد اي مال عن القصد
وقد تقدم

وقد تقدم في الاعراف وقرا حمزة يلحدون بفتح اليا والحا
اي لسان الذي يميلون اليه ويشيرون اعجمي و العجمة
الاخفا وضد البيان ورجل اعجم وامراة عجما اي لا يفصح
ومنه عجم الذنب لاستتاره والعجما البهيمة لانها لا
توضح عن نفسها واعجمت الكتاب اي ازلت عجمته
والعرب تسمي كل من لا يعرف لغتهم ولا يتكلم بكلامهم
اعجميا وقال الفرا الاعجم الذي في لسانه عجمة وان
كان من العرب والاعجمي هو العجمي الذي اصله من العجم
وقال الاعجمي والعجمي المنسوب الى العجم وان كان فصيحا
واراد باللسان القران لان العرب تقول للقصيدة
والبيت لسان قال الشاعر
لسان الشر يهديها الينا وخنت وما حسبتك ان تخونا
يعني باللسان القصيدة وهذا لسان عربي مبين اي افصح
ما يكون من العربية قوله تعالى ان الذين لا يومنون بايات
الله اي هاولاء المشركون الذين لا يومنون بالقران
لا يهديهم الله واولئك هم الكاذبون قوله تعالى
انما يفتري الكذب الذين لا يومنون بايات الله هذا جواب
وصفهم النبي عليه السلام بالافترا واولئك هم الكاذبون
هذا مبالغة في وصفهم بالكذب اي كل كذب قليل بالنسبة

بلغ عرضا علم

الى كذبهم ويقال كذب فلان ولا يقال انه كاذب لان الفعل
قد يكون لازما فاما النعت فيكون لازما وقد لا يكون لازما
ولهذا يقال عصى ادم ربه فغوى ولا يقال انه عاص غاو
فاذا قيل كذب فلان فهو كاذب كان مبالغه في الوصف
بالكذب قاله القشيري **قوله تعالى** من كفر بالله من
بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمين بالايمان فيه عشرون
مسيلة الاولى قوله تعالى من كفر بالله هذا متصل بقوله
تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها لان معناه لا ترتدوا
عن بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم اى من بعد ايمانه
وارتد فعليه غضب الله قال الكلبي نزلت في عبد الله
بن ابي سرح ومقيس بن ضبابه وعبد الله بن انس بن
خطل وقيس بن الوليد بن المغيرة كفروا بعد ايمانهم
ثم قال الا من اكره وقال الزجاج من كفر بالله من بعد ايمانه
الكذب
بدل من يفترى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد
ايمانه لانه راى الكلام الى اخر الاستثنا غير تام فعلقه
بما قبله وقال الاخفش من ابتدا وخبره محذوف اكتفى منه
بخبر من الثانيه كقولك من ياتنا من يحسن نكرمه :. الثانيه
قوله تعالى الا من اكره هذه الايه نزلت في عمار بن ياسر
في قول اهل التفسير لانه قارب بعض ما ندبوه اليه قال ابن
عباس

عباس اخذه المشركون واخذوا اباه وامه سمية وصهيبا
وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم وربطت سمية بين
بعيرين ووجئ قبلها بحربة وقيل لها انك اسلمت من اجل
الرجال فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما اول قتيلين
في الاسلام واما عمار فاعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها
فشكى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف تجد قلبك قال مطمئن بالايمان
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان عادوا فعد
وروى منصور بن المعتمر عن مجاهد قال اول شهيدة
في الاسلام ام عمار قتلها ابو جهل واول شهيد من الرجال
مهجع مولى عمر وروى منصور ايضا عن مجاهد
قال اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر وبلال وخباب وصهيب
وعمار وسمية ام عمار فاما رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمنعه ابو طالب واما ابو بكر فمنعه قومه
واخذوا الآخرين فالبسوهم ادراع الحديد ثم صهروهم
في الشمس حتى بلغ منهم الجهد كل مبلغ من حر الحديد والشمس
فلما كان من العشي اتاهم ابو جهل ومعه حربة فجعل
يسبهم ويوبخهم واتى سمية فجعل يسبها ويرفث

مطلب اول الشهدا من الرجال والنسا

فمها

ثم طعن فرجها حتى خرجت الحربة من فمها فقتلها
رضي الله عنها قال وقال الاخرون ما سالوا الا بلالا
فانه هانت عليه نفسه في الله فجعلوا يعذبونه
ويقولون له ارجع عن دينك وهو يقول احد احد
حتى ملوه ثم كتفوه وجعلوا في عنقه حبلا من ليف
ودفعوه الى صبيانهم يلعبون به بين اخشبي مكة حتى
ملوه وتركوه قال فقال عمار كلنا تكلم بالذي قالوا
لولا ان الله تداركنا غير بلال فانه هانت عليه نفسه
في الله فهان على قومه حتى ملوه وتركوه والصحيح
ان ابا بكر اشترى بلالا فاعتقه وروى ابن ابي نجيح
عن مجاهد ان ناسا من اهل مكة امنوا فكتب اليهم بعض
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بالمدينة ان هاجروا فانا
لا نراكم منا حتى تهاجروا الينا فخرجوا يريدون المدينة
حتى ادركتهم قريش بالطريق ففتنوهم فكفروا مكرهين
ففيهم نزلت هذه الاية ذكر الروايتين عن مجاهد اسماعيل
بن اسحق وروى الترمذي عن عايشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما خير عمار بين امرين الا اختار ارشدهما
هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث الحسن بن
صالح : الثالثة لما سمح الله عز وجل بالكفر به وهو اصل

الشر بعد

الشريعة عند الاكراه ولم يواخذ به حمل العلما عليه فروع
الشريعه كلها فاذا وقع الاكراه عليها لم يواخذ به ولم يترتب
عليه حكم وبه جا الاثر المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم
رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه الحديث
والخبر وان لم يصح سنده فان معناه صحيح باتفاق من العلما
قاله القاضي ابو بكر بن العربي وذكر ابو محمد عبد الحق ان اسناده
صحيح قال وقد ذكره ابو بكر الاصيلي في الفوايد وابن المنذر
في كتاب الاقناع الثالثة اجمع العلما على ان من اكره على
الكفر حتى خشي على نفسه القتل انه لا اثم عليه ان كفر
وقلبه مطمين بالايمان ولا تبين منه زوجته ولا يحكم
عليه بحكم الكفر هذا قول مالك والكوفيين والشافعي
غير محمد بن الحسن فانه قال اذا اظهر الشرك كان مرتدا
في الظاهر وفيما بينه وبين الله على الاسلام وتبين منه
امراته ولا يصلى عليه ان مات ولا يرث اباه ان مات مسلما
وهذا قول يرده الكتاب والسنة قال الله تعالى الا من اكره
الاية وقال الا ان تتقوا منهم تقاة وقال الذين توفاهم ظالمي
انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض الاية
وقال تعالى الا المستضعفين من الرجال والنسا والولدان
الاية فعذر الله المستضعفين الذين لا يمتنعون من ترك

ما امر الله به والكره لا يكون الا مستضعفا غير ممتنع من فعل
ما امر به قال البخاري الرابعة ذهبت طايفة من العلما الى ان
الرخصة انما جات في القول واما في الفعل فلا رخصة فيه
مثل ان يكرهوه على السجود لغير الله او الصلاة لغير القبله
او قتل مسلم او ضربه او اكل ماله او الزنا او شرب الخمر واكل
الربا يروى هذا عن الحسن البصري وهو قول الاوزاعي والشافعي
وسحنون من علماينا وقال محمد بن الحسن اذا قيل للاسير اسجد
لهذا الصنم والا قتلتك فقال ان كان الصنم مقابل القبلة
فليسجد ويكون نيته الله تعالى وان كان لغير القبله
فلا يسجد وان قتلوه والصحيح انه يسجد وان كان لغير
القبله وما احراه بالسجود حينيذ ففي الصحيح عن ابن
عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو
مقبل من مكة الى المدينة على راحلته حيث كان وجهه
قال وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله في رواية
ويوتر عليها غير انه لا يصلي عليها المكتوبه فاذا كان هذا
مباح في السفر في حالة الامن لتعب النزول عن الدابة
للتنفل فكيف بهذا واحتج من قصر الرخصة على القول
بقول ابن مسعود ما من كلام يدرا عني سوطين من ذي
سلطان الا كنت متكلما به فقصر الرخصة على القول
ولم يذكر

ولم يذكر الفعل وهذا لاحجة فيه لانه يحتمل ان جعل الكلام
مثالا وهو يريد ان الفعل في حكمه وقالت طايفة الاكراه
في الفعل والقول سوا اذا اسر الايمان روي ذلك عن عمر
بن الخطاب ومكحول وهو قول مالك وطايفة من اهل العراق
روى ابن القاسم عن مالك انه من اكره على شرب الخمر او ترك الصلاه
او الافطار في رمضان ان الاثم عنه مرفوع الخامسة
اجمع العلما على من اكره على قتل غيره انه لا يجوز له الاقدام
على قتله ولا انتهاك حرمته بجلد او غيره ويصبر على البلا
الذي نزل به ولا يحل له ان يفدي نفسه بغيره ويسل الله
العافيه في الدنيا والاخره واختلف في الزنا فقال مطرف
واصبغ وابن الماجشون لا يفعل احد ذلك وان قتل لم يفعله وابن عبد الحكم
فان فعله فهو اثم ويلزمه الحد وبه قال ابو ثور والحسن
قال ابن العربي الصحيح انه يجوز الاقدام على الزنا ولا حد عليه
خلافا لمن الزمه ذلك لانه راى انه شهوه خلقيه لا يتصور
الاكراه عليها وغفل عن السبب في باعث الشهوه وهو
الالجا الى ذلك وهو الذي اسقط حكمه وانما يجب الحد على شهوه
بعث عليها سبب اختياري فقاس الشي على ضده فلم
يحل بصواب من عنده وقال ابن خواز منداد في احكامه
اختلف اصحابنا متى اكره الرجل على الزنا فقال بعضهم

عليه الحد لانه انما يفعل ذلك باختياره وقال بعضهم لا حد
عليه وقال ابن خواز منداد وهو الصحيح وقال ابو
حنيفة ان اكرهه غير السلطان حد وان اكرهه السلطان
فالقياس ان يحد ولكن استحسن ان لا يحد وخالفه صاحباه
فقالا لا حد عليه في الوجهين ولم يراعوا الانتشار
وقالوا متى علم انه يتخلص من القتل بفعل الزنا جاز ان
ينتشر قال ابن المنذر لا حد عليه ولا فرق بين السلطان
في ذلك وغير السلطان المسادسة اختلف العلما في
طلاق المكره وعتاقه فقال الشافعي واصحابه لا يلزمه
شي وذكر ابن وهب عن عمر وعلي وابن عباس انهم كانوا
لا يرون طلاقه شيا وذكره ابن المنذر عن ابن الزبير وابن
عمر وابن عباس وعطا وطاوس والحسن وشريح
والقاسم وسالم ومالك والاوزاعي واحمد واسحق
وابي ثور واجازت طايفة طلاقه روي ذلك عن الشعبي
والنخعي وابي قلابة والزهري وقتادة وهو قول
الكوفيين قال ابو حنيفة طلاق المكره يلزم لانه لم
يعدم فيه اكثر من الرضى وليس وجوده شرط في
الطلاق كالهازل وهذا قياس باطل فان الهازل قاصد
الى ايقاع الطلاق راض به والمكره غير راض ولا نية له
في الطلاق

في الطلاق وقد قال عليه السلام انما الاعمال بالنيات وفي
البخاري وقال ابن عباس فيمن يكرهه اللصوص فيطلق
ليس بشي وبه قال ابن عمر وابن الزبير والشعبي والحسن قال الشعبي
ان اكرهه السلطان فهو طلاق وفسره ابن عيينة فقال ان
اللص يقدم على قتله والسلطان لا يقتله السابعة واما
بيع المكره والمضغوط فله حالتان الاولى ان يبيع ماله في
حق وجب عليه فذلك ماض سايغ لا رجوع فيه عند الفقها
لانه يلزمه اداء الحق الى ربه من غير المبيع فلما لم يفعل ذلك
كان بيعه اختيارا منه فلزمه واما بيع المكره ظلما او قهرا
فذلك بيع لا يجوز عليه وهو اولى بمتاعه ياخذه بلا ثمن
ويتبع المشتري بالثمن ذلك الظالم فان فات المتاع رجع بثمنه
او بقيمته بالاكثر من ذلك على الظالم اذا كان المشتري غير
عالم بظلمه قال مطرف ومن كان من المشترين يعلم حال المكره
فانه ضامن لما ابتاع من رقيقه وعروضه كالغاصب وكل
ما احدث المبتاع في ذلك من عتق او تدبير او تحبيس فلا
يلزم المكره وله اخذ متاعه قال سحنون اجمع اصحابنا
واهل العراق على ان بيع المكره على الظلم والجور لا يجوز وقال
الابهري انه اجماع الثامنة واما نكاح المكره فقال سحنون
اجمع اصحابنا على ابطال نكاح المكره والمكرهة وقالوا لا يجوز

3 أ

المقام عليه لانه لم ينعقد قال محمد بن سحنون واجاز اهل
العراق نكاح المكره وقالوا لو اكره على ان ينكح امراة بعشرة
الاف درهم وصداق مثلها الف درهم ان النكاح جايز وتلزمه
الالف ويبطل الفضل قال محمد فكما ابطلوا الزايد على الالف
فكذلك يلزمهم ابطال النكاح بالاكراه وقولهم خلاف السنه
الثابته في حديث خنسا بنت خذام الانصاريه ولامره
صلى الله عليه وسلم بالاستيمار في ابضاعهن وقد تقدم
فلا معنى لقولهم التاسعة فان وطيها المكره على النكاح
غير مكرهة على الوطء والرضا بالنكاح لزمه النكاح غدا
على المسمى من الصداق ودري عنه الحد وان قال وطيتها
على غير رضى مني بالنكاح فعليه الحد والصداق المسمى
لانه مدع لابطال الصداق المسمى ويحد المراة ان اقدمت
وهي عالمة انه مكره على النكاح واما المكرهة على النكاح
وعلى الوط فلا حد عليها ولها الصداق ويحد الواطي ان علمه
قاله سحنون العاشره اذا استكرهت المراة على الزنا
فلا حد عليها لقوله الا من اكره وقوله عليه السلام ان الله
تجاوز عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه ولقول
الله تعالى فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يريد الفتيات
وبهذا المعنى حكم عمر في الوليدة التي استكرهها العبد فلم يحدها
والعلما

والعلما متفقون على انه لا حد على امراة مستكرهة وقال
مالك اذا وجدت المراة حاملا وليس لها زوج فقالت استكرهت
فلا يقبل ذلك منها وعليها الحد الا ان تكون لها بينه او جات تدمي
على انها او نيت او ما اشبه ذلك واحتج بحديث عمر بن الخطاب
انه قال الرجم في كتاب الله حق على من زنا اذا احصن من
الرجال والنسا اذا قامت البينة او كان الحبل او الاعتراف
قال ابن المنذر وبالقول الاول اقول الحادية عشره واختلفوا
في وجوب الصداق للمستكرهه فقال عطا والزهري لها
صداق مثلها وهو قول مالك والشافعي واحمد واسحق وابي
ثور وقال الثوري اذا اقيم الحد على الذي زنا بها بطل
الصداق وروي ذلك عن الشعبي وبه قال اصحاب الراي
قال ابن المنذر القول الاول صحيح الثانية عشره اذا
اكره الانسان على اسلام اهله لما لا يحل اسلمها ولم يقتل
نفسه دونها ولا احتمل اذية في تخليصها والاصل في ذلك
ما اخرجه البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هاجر ابراهيم عليه السلام بسارة ودخل
بها قرية فيها ملك من الملوك او جبار من الجبابرة فارسل
اليه ان ارسل بها الي فارسل بها فقامت تتوضا وتصلي
فقالت اللهم ان كنت امنت بك وبرسولك فلا تسلط

علي الكافر فغط حتى ركض برجله :: ودل هذا الحديث ايضا
علي ان سارة لم يكن عليها ملامة وكذلك لا يكون علي المستكره
ملامة ولا حد فيما هو اكبر من الخلوة والله اعلم الثالثة
عشره واما يمين المكره فغير لازمة عند مالك والشافعي
وابي ثور واكثر العلما قال ابن الماجشون وسوا احلف فيما
هو طاعة الله او فيما هو معصية اذا اكره علي اليمين وقاله
اصبغ وقال مطرف ان اكره علي اليمين فيما هو لله معصية
او ليس في فعله طاعة ولا معصيه فاليمين فيه ساقطه
وان اكره علي اليمين فيما هو طاعه مثل ان ياخذ الوالي رجلا
فاسقا فيكرهه ان يحلف بالطلاق لا يشرب خمرا او لا يفسق
او لا يغش في عمله او الوالد يحلف ولده تاديبا له فان اليمين
تلزم وان كان المكره قد اخطا فيما تكلف من ذلك وقال به ابن
حبيب وقال ابو حنيفة ومن اتبعه من الكوفيين انه ان حلف
ان لا يفعل ففعل حنث قالوا لان المكره له ان يوري في يمينه
فلما لم يور ولا ذهبت نيته الي خلاف ما اكره عليه فقد
قصد الي اليمين احتج الاولون بان قالوا اذا اكره عليها
فنيته مخالفة لقوله لانه كاره لما حلف عليه الرابعة عشره
قال ابن العربي ومن غريب الامر ان علمانا اختلفوا في الاكراه
علي الحنث هل يقع به ام لا وهذه مسئلة عراقيه سرت لنا منهم
لا كانت

لا كانت هذه ولا كانوا واي فرق يا معشر اصحابنا بين الاكراه
على اليمين في انها لا تلزم وبين الحنث في انه لا يقع فاتقوا الله
وراجعوا بصايركم ولا تغتروا بهذه الروايه فانها وصمة
في الدرايه الخامسة عشرة اذا اكره الرجل على ان يحلف
والا اخذ له مال كاصحاب المكس وظلمة السعاة واهل الاعتدا
فقال مالك لا تقية في ذلك وانما يدرا المرء بيمينه عن بدنه
لا ماله وقال ابن الماجشون لا يحنث وان درا عن ماله ولم يخف
على بدنه وقال ابن القاسم بقول مطرف ورواه عن مالك وقاله
ابن عبد الحكم واصبغ قلت قول ابن الماجشون صحيح لان
المدافعة عن المال كالمدافعة عن النفس وهو قول الحسن وقتادة
وسياتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دماكم واموالكم
واعراضكم عليكم حرام وقال كل المسلم على المسلم حرام دمه
وماله وعرضه وروى ابو هريرة قال جا رجل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ارايت ان جا رجل
يريد اخذ مالي قال فلا تعطه مالك قال ارايت ان قاتلني قال
قاتله قال ارايت ان قتلني قال فانت شهيد قال ارايت ان قتلته
قال هو في النار خرجه مسلم وقد مضى الكلام فيه وقال مطرف
وابن الماجشون وان بدر الحالف بيمينه الوالي الظالم قبل
ان يسالها ليذب بها عما خاف عليه من ماله وبدنه فحلف له

فانها تلزمه وقاله ابن عبد الحكم واصبغ وقال ايضاً ابن الماجشون
فيمن اخذه ظالم فحلف له بالطلاق البتة من غير ان يحلفه
وتركه وهو كاذب وانما حلف خوفاً من ضربه وقتله واخذ
ماله فان كان انما تبرع باليمين غلبة خوف ورجا النجاة من
ظلمه فقد دخل في الاكراه ولا شي عليه وان لم يخف على رجا
النجاه فهو حانث السادسه عشره قال المحققون
من العلما اذا تلفظ المكره بالكفر فلا يجوز له ان يجريه على
لسانه الا مجرى المعاريض فان المعاريض مندوحة عن الكذب
ومتى لم يكن كذلك كان كافراً لان المعاريض لا سلطان للاكراه
عليها مثاله ان يقال له اكفر بالله فيقول باللاهي فيزيد اليا
وكذا اذا قيل له اكفر بالنبي فيقول هو كافر بالنبي مشددا
وهو المكان المرتفع من الارض ويطلق على ما يعمل من الخوص
شبه المايده فيقصد احدهما بقلبه ويبرا من الكفر واثمه
فان قيل له اكفر بالنبي مهموزا فيقول هو كافر بالنبيء يريد
بالمخبر اي مخبر كان كطليحة ومسيلمة الكذاب او يريد به
النبي الذي قال فيه الشاعر ؛؛ فاصبح رتما دقاق الحصى
مكان النبي من الكاثب ؛؛ السابعه عشره اجمع العلما
على ان من اكره على الكفر فاختار القتل انه اعظم اجرا عند
الله ممن اختار الرخصه واختلفوا فيمن اكره على غير القتل
من فعل

الا كان علي الكفر
او كل الخنزير وغيره

من فعل ما لا يحل له فقال اصحاب مالك الاخذ بالشده في ذلك
واختيار القتل والضرب افضل عند الله من الاخذ بالرخصه
ذكره ابن حبيب وسحنون وذكر ابن سحنون عن اهل العراق
انه اذا تهدد بقتل او قطع او ضرب يخاف منه التلف فله ان
يفعل ما اكره عليه من شرب خمر او اكل خنزير فان لم يفعل
حتى قتل خفنا ان يكون اثما لانه كالمضطر وروى خباب
ابن الارت شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد
بردة له في ظل الكعبه فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا
فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض
فيجعل فيه فيجا بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين
ويمشط في امشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده
ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب
من صنعا الى حضر موت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه
ولكنكم تستعجلون فوصفه عليه السلام هذا عن الامم
السالفه على جهة المدح لهم والصبر على المكروه في ذات
الله وانهم لم يكفروا في الظاهر وتبطنوا الايمان ليدفعوا
العذاب عن انفسهم وهذه حجة من اثر القتل والضرب
والهوان على الرخصه والمقام بدار الجنان وسياتي لهذا
مزيد بيان في سورة الاخدود ان شا الله تعالى وذكر

ابو بكر محمد بن محمد بن الفرج البغدادي قال نا شريح بن يونس
عن اسماعيل بن ابراهيم عن يونس بن عبيد عن الحسن
ان عيونا لمسيلمة اخذوا رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم فذهبوا بهما الى مسيلمة فقال لاحدهما اتشهد ان محمدا
رسول الله قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال نعم فخلى سبيله
وقال للاخر اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال وتشهد
اني رسول الله قال انا اصم لا اسمع قال تشهد ان محمدا رسول الله
قال نعم قال وتشهد اني رسول الله قال انا اصم لا اسمع فقدمه
وضرب عنقه فجاء هذا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هلكت
قال وما اهلكك فذكر الحديث قال اما صاحبك فاخذ
بالثقة واما انت فاخذت بالرخصة على ما انت عليه الساعة
قال اشهد انك رسول الله قال انت على ما انت عليه الرخصة
فيمن حلفه سلطان ظالم او على ان يدله على رجل او مال رجل
فقال الحسن اذا خاف عليه وعلى ماله فليحلف ولا يكفر يمينه
وهو قول قتادة اذا حلف على نفسه او مال نفسه وقد تقدم
ما للعلماء في هذا وذكر موسى بن معاوية ان ابا سعيد بن
اشرس صاحب مالك استحلفه السلطان بتونس على رجل
اراد السلطان قتله انه ما اواه ولا يعلم له موضعا
قال فحلف له ابن اشرس وابن اشرس يومئذ قد علم موضعه

واواه فحلفه

واواه فحلفه بالطلاق ثلثا فحلف له ابن اشرس ثم قال لامراته
اعتزلي فاعتزلت ثم ركب ابن اشرس حتى قدم على البهلول بن
راشد العبرواني فاخبره بالخبر فقال له البهلول قال مالك
انك حانث فقال ابن اشرس وانا سمعت مالكا يقول ذلك وانما
اردت الرخصه او كلام هذا معناه فقال له البهلول ابن راشد
قال الحسن البصري انه لاحنث عليك قال فرجع ابن اشرس
الى زوجته واخذ بقول الحسن وذكر عبد الملك بن حبيب
قال حدثني معبد عن المسيب بن شريك عن ابي شيبة قال
سالت انس بن مالك عن الرجل يوخذ بالرجل هل ترى ان
يحلف ليقيه بيمينه فقال نعم ولان احلف سبعين يمينا
واحنث احب الي ان ادل على مسلم وقال ادريس بن يحيى
كان الوليد بن عبد الملك يامر جواسيس يتجسسون الخلق
ياتونه بالاخبار قال فجلس رجل منهم في حلقة رجا بن حيوة
فسمع بعضهم يقع في الوليد فرفع ذلك اليه فقال يا رجا
اذكر بالسوء في مجلسك فلم تغير فقال ما كان ذلك يا امير
المومنين فقال له الوليد قل الله الذي لا اله الا هو قال الله
الذي لا اله الا هو فامر الوليد بالجاسوس فضربه سبعين
سوطا فكان يلقى رجا فيقول يا رجا بك يستسقى المطر
وسبعون سوطا في ظهري فيقول رجا سبعون سوطا

في ظهرك خير لك من ان يقتل رجل مسلم الثامنة عشرة
واختلف العلما في حد الاكراه فروي عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه انه قال ليس الرجل امن على نفسه اذا اخفته او ضربته او وثقته
وقال ابن مسعود ما كلام يدرا عني سوطين الا كنت متكلما
به وقال الحسن التقية جايزة للمومن الى يوم القيامة الا
ان الله تبارك وتعالى ليس يجعل في القتل تقية وقال النخعي
القيد اكراه والسجن اكراه والوعيد اكراه وهذا قول
مالك الا انه قال والوعيد المخوف اكراه وان لم يقع اذا
تحقق ظلم ذلك المتعدي وانفاذه لما يتوعد به وليس عند
مالك واصحابه في الضرب والسجن توقيت انما هو ما كان
يولم من الضرب وما كان من سجن يدخل منه الضيق
على المكره واكراه السلطان وغيره عند مالك اكراه وتناقض
الكوفيون فلم يجعلوا السجن والقيد اكراها على شرب الخمر
واكل الميتة لانه لا يخاف منهما التلف وجعلوهما اكراها
في اقراره لفلان عندي الف درهم قال ابن سحنون وفي اجماعهم
على ان الالم والوجع الشديد اكراه ما يدل على ان الاكراه
يكون من غير تلف نفس وذهب مالك الى ان من اكره على
يمين بوعيد او سجن او ضرب انه يحلف ولا حنث عليه
وهو قول الشافعي وابي ثور واكثر العلما التاسعة عشرة
ومن هذا

ومن هذا الباب ما ثبت ان المعاريض لمندوحة عن الكذب
وروى الاعمش عن ابراهيم النخعي انه قال لا باس اذا بلغ الرجل
عنك شي ان تقول والله ان الله يعلم ما قلت فيك من ذلك من
شي قال عبد الملك بن حبيب معناه ان الله يعلم ان الذي قلت
وهو في ظاهره انتفا من القول ولا حنث على من قال ذلك
في يمينه ولا كذب عليه في كلامه وقال النخعي كان لهم كلام
من المعاني الايمان يدرؤن به عن انفسهم لا يرون ذلك من
الكذب ولا يخشون فيه الحنث قال عبد الملك وكانوا يسمون
ذلك المعاريض من الكلام اذا كان ذلك في غير مكر ولا خديعة
في حق وقال الاعمش كان ابراهيم النخعي اذا اتاه احد
يكره الخروج اليه جلس في مسجد بيته وقال لجاريته
قولي له هو والله في المسجد وروى مغيرة عن ابراهيم انه
كان يجيز للرجل من البعث اذا عرضوا على اميرهم ان
يقول والله ما اهتدي الا ما سددلي غيري ولا اركب
الا ما حملني غيري هذا ونحو هذا من الكلام قال عبد الملك
يعني بقوله غيري الله تعالى هو مسدده وهو يحمله
فلم يكونوا يرون على الرجل في هذا حنثا في يمينه ولا
كذبا في كلامه وكانوا يكرهون ان يقال هذا في خديعة
وظلم وجحدان حق فمن اجترا وقال اثم في خديعته

بلغ
١ ابراهيم

ولم تجب عليه كفارة في يمينه الموفية عشرين قوله
تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا اي وسعه لقبول الكفر
لا يقدر احد على ذلك الا الله فهو يرد على القدرية وصدرا
نصب على المفعول فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم
وهو عذاب جهنم ذلك اي ذلك الغضب بانهم استحبوا الحياة
الدنيا اي اختاروها على الاخرة وان الله ان في موضع خفض
عطفا على بانهم لا يهدي القوم الكافرين ثم وصفهم فقال اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم اي عن فهم المواعظ وسمعهم
عن كلام الله وابصارهم عن النظر في الايات واولئك هم الغافلون
عما يراد بهم لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون تقدم
قوله تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا
ثم جاهدوا وصبروا هذا كله في عمار والمعنى وصبروا على
الجهاد ذكره النحاس وقال قتادة نزلت في قوم خرجوا
مهاجرين الى المدينة بعد ان فتنهم المشركون وعذبوهم
وقد تقدم ذكرهم في هذه السورة وقيل نزلت في ابن ابي
سرح وكان قد ارتد ولحق بالمشركين فامر النبي صلى الله عليه
وسلم بقتله يوم فتح مكة فاستجار بعثمان فاجاره النبي
صلى الله عليه ذكره النساي عن عكرمة عن ابن عباس
قال في سورة النحل من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره

الى قوله

الى قوله لهم عذاب عظيم فنسخ واستثنى من ذلك فقال ثم ان
ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا
ان ربك من بعدها لغفور رحيم وهو عبد الله بن سعد بن
ابي سرح الذي كان على مصر كان يكتب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فازله الشيطان فلحق بالكفار فامر به ان يقتل
يوم الفتح فاستجار له عثمان بن عفان فاجاره رسول الله
صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** يوم تاتي كل نفس تجادل
عن نفسها اي ان الله غفور رحيم في ذلك او ذكرهم يوم
تاتي كل نفس تجادل اي تخاصم وتحاج عن نفسها جاء في الخبر
ان كل احد يقول يوم القيامة نفسي نفسي من شدة هول يوم
القيامة سوى محمد عليه السلام فانه يسئل في امته وفي
حديث عمر انه قال لكعب الاحبار يا كعب خوفنا هيجنا
حدثنا نبهنا فقال كعب يا امير المومنين والذي نفسي بيده
لو وافيت يوم القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك
تارات ولا يهمك الا نفسك وان لجهنم زفرة لا يبقى ملك
مقرب ولا نبي منتخب الا وقع جاثيا على ركبتيه حتى ان
ابراهيم الخليل ليدلي بالخلة فيقول رب انا خليلك ابراهيم
لا اسالك اليوم الا نفسي قال يا كعب اين تجد ذلك في كتاب الله
قال قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل

مطلب مخاصمة الروح مع الجسد يوم القيمة

نفس ما عملت وهم لا يظلمون وقال ابن عباس في هذه الاية ما
تزال الخصومة بالناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد
فتقول الروح رب الروح منك انت خلقته لم تكن لي يد ابطش
بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها ولا اذن اسمع بها ولا
عقل اعقل به حتى جيت فدخلت في هذا الجسد فضعف عليه
انواع العذاب ونجني فيقول الجسد رب انت خلقتني بيدك
فكنت كالخشبة ليس لي يد ابطش بها ولا قدم اسعى بها ولا
بصر ابصر به ولا سمع اسمع به فجا هذا كشعاع النور فيه
نطق لساني وبه ابصرت عيناي وبه مشت رجلي وبه سمعت
اذني فضعف عليه انواع العذاب ونجني منه قال فيضرب الله
لهما مثلا اعمى ومقعدا دخلا بستانا فيه ثمار فالاعمى لا يبصر
الثمرة والمقعد لا ينالها فنادى المقعد الاعمى ايتني فاحملني
اكل واطعمك فدنا منه فحمله فاصابوا من الثمرة فعلى من يكون
العذاب قالا عليهما قال عليكما جميعا العذاب ذكره الثعلبي قوله
تعالى وضرب الله مثلا قرية هذا متصل بذكر المشركين
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على مشركي قريش
وقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني
يوسف فابتلوا بالقحط حتى اكلوا العظام ووجه اليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما ففرق فيهم كانت امنة

لا يهاج

لا يهاج اهلها يانيها رزقها رغدا من كل مكان من البر والبحر
نظيره يجبى اليه ثمرات كل شيء الاية فكفرت بانعم الله الانعم
جمع النعمة كالاشد جمع الشدة وقيل جمع نعمى مثل بوسى
وابوس وهذا الكفران تكذيب محمد عليه السلام فاذاقها
الله اي اذاق اهلها لباس الجوع والخوف سماه لباسا لانه يظهر
عليهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال ما هو كاللباس
بما كانوا يصنعون اي من الكفر والمعاصي وقرا حفص بن
غياث ونصر بن عاصم وابن ابي اسحق والحسن وابو عمرو فيما
روي عنه عبد الوارث وعبيد وعباس والخوف نصب
بايقاع اذاقها عليه عطفا على لباس اي اذاقها الله لباس
الجوع واذاقها الخوف وهو بعث النبي صلى الله عليه وسلم
سراياه التي كانت تطيف بهم واصل الذوق بالفم ثم يستعار
فيوضع الابتلا وضرب مكة مثلا لغيرها من البلاد اي
انها مع جوار بيت الله وعمارة مسجده لما كفر اهلها اصابهم
القحط فكيف بغيرها من القرى وقد قيل انها المدينة امنت
برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كفرت بانعم الله لقتل عثمان
بن عفان وما حدث بها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الفتن وهذا قول عايشة وحفصة زوجي النبي صلى
الله عليه وسلم وقيل انه مثل مضروب باي قرية كانت

على هذه الصفة من سائر القرى قوله تعالى ولقد جاءهم رسول
منهم فكذبوه هذا يدل على انها مكة وهو قول ابن عباس ومجاهد
وقتادة فاخذهم العذاب وهو الجوع الذي وقع بمكة وقيل
الشدائد والجوع منها قوله تعالى فكلوا مما رزقكم الله
اي كلوا يا معشر المسلمين من الغنائم وقيل الخطاب للمشركين
لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث اليهم بطعام رقة عليهم
وذلك انهم لما ابتلوا بالجوع سبع سنين وقطع العرب عنهم
الميرة بامر النبي صلى الله عليه وسلم اكلوا العظام المحرقة
والجيفة والكلاب المنتنة والجلود والعلهز وهو الوبر
يعالج بالدم ثم ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين جهدوا وقالوا هذا عذاب الرجال فما بال
النساء والصبيان وقال له ابو سفيان يا محمد انك جئت بامر
بصلة الرحم والعفو وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم
فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واذن للناس بحمل
الطعام اليهم وهم بعد مشركون قوله تعالى ولا تقولوا
لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام فيه مسئلتان
الاولى قوله تعالى لما تصف ما هنا مصدرية اي لوصف
وقيل اللام لام سبب واجل اي لا تقولوا لاجل وصفكم
الكذب بنزع الخافض اي لما تصف السنتكم من الكذب
وقرى الكذب

وقرئ الكذب بضم الكاف والذال والباء نعتا للالسنة وقد
تقدم وقرا الحسن هنا خاصة الكذب بفتح الكاف وخفض
الذال والباء نعتا لما التقدير ولا تقولوا لوصف السنتكم الكذب
وقيل على البدل من ما اي ولا تقولوا للكذب الذي تصفه
السنتكم هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب
الاية خطاب للكفار الذين حرموا البحاير والسوايب واحلوا
ما في بطون الانعام وان كان ميتة فقوله هذا حلال اشارة
الى ميتة بطون الانعام وكل ما احلوه وقوله هذا حرام
اشارة الى البحاير والسوايب وكل ما حرموه ان الذين
يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل اي ما هم
فيه من نعيم الدنيا يزول عن قريب وقال الزجاج
اي متاعهم متاع قليل ثم يردون الى عذاب اليم التاسعة
اسند الدارمي ابو محمد في مسنده انا هارون عن حفص عن
الاعمش قال ما سمعت ابراهيم قط يقول حلال ولا حرام
ولكن كان يقول كانوا يكرهون وكانوا يستحبون وقال
ابن وهب قال مالك لم يكن من فتيا الناس ان يقولوا هذا
حلال وهذا حرام ولكن يقولوا اياكم كذا وكذا ولم اكن
لاصنع هذا ومعنى هذا ان التحليل والتحريم انما هو
لله عز وجل وليس لاحد ان يقول او يصرح بهذا

في عين من الاعيان الا ان يكون المباري يخبر بذلك عنه وما يودي
اليه الاجتهاد في انه حرام يقول اني اكره ولذلك كان مالك
يفعل اقتدا بمن تقدم من اهل الفتوى فان قيل فقد قال
فيمن قال لزوجته انت علي حرام انها حرام وتكون ثلاثا
فالجواب ان مالكا لما سمع علي بن ابي طالب يقول انها حرام
اقتدي به وقد يقوى الدليل على التحريم عند المجتهد فلا
باس عند ذلك ان يقول ذلك كما يقول ان الربا حرام في غير
الاعيان الستة وكثير ما يطلق مالك رحمه الله فذلك حرام
لا يصلح في الاموال الربوية وفيما يخالف المصالح وخرج
عن طريق المقاصد لقوة الادلة في ذلك **قوله تعالى**
وعلى الذين هادوا بين ان الانعام والحرث حلال لهذه الامة
فاما اليهود فحرمت عليهم منها اشيا حرمنا ما قصصنا
عليك من قبل اي في سورة الانعام وما ظلمناهم اي بتحريم
ما حرمنا عليهم ولكن ظلموا انفسهم فحرمنا عليهم تلك الاشيا
عقوبة لهم كما تقدم في النسا **قوله تعالى** ثم ان ربك للذين
عملوا السوء اي الشرك قاله ابن عباس وقد تقدم في النساء
قوله تعالى ان ابراهيم كان امة لله حنيفا دعا عليه
السلام مشركي العرب الى ملة ابراهيم اذ كان اباهم وباني
البيت الذي به عزهم والامة الرجل الجامع للخير وقد تقدم
محامله

جانبا

محايله وقال ابن وهب وابن القاسم عن مالك قال بلغني ان عبد الله
بن مسعود قال يرحم الله معاذا كان امة قانتا فقيل له يا ابا
عبد الرحمن انما ذكر الله عز وجل بهذا ابراهيم عليه السلام فقال
ابن مسعود ان الامة الذي يعلم الناس الخير وان القانت هو
المطيع وقد تقدم القنوت في البقره وحنيفا في الانعام قوله
تعالى شاكرا لانعمه الانعم جمع نعمة وقد تقدم اجتباه
اي اختاره وهداه الى صراط مستقيم واتيناه في الدنيا
حسنة قيل الولد الطيب وقيل الثنا الحسن وقيل النبوه
وقيل الصلاه مقرونة بالصلاه على محمد عليهما السلام في
التشهد وقيل انه ليس اهل دين الا وهم يتلونه وقيل بقا
ضيافته وزيارة قبره وكل ذلك اعطاه الله وزاده
صلى الله عليه وسلم وانه في الاخرة لمن الصالحين من بمعنى
مع اي مع الصالحين لانه كان في الدنيا ايضا مع الصالحين
وقد تقدم هذا في البقره قوله تعالى ثم اوحينا اليك
ان اتبع ملة ابراهيم قال ابن عمر امر باتباعه في مناسك
الحج كما علم ابراهيم جبريل عليهما السلام وقال الطبري
امر باتباعه في التبري من الاوثان والتزين بالاسلام
وقيل امر باتباعه في جميع ملته الا ما امر بتركه
قاله بعض اصحاب الشافعي على ما حكاه الماوردي والصحيح

الاتباع في عقايد الشرع دون الفروع لقوله تعالى لكل
جعلنا منكم شرعة ومنهاجا مسله في هذه الاية دليل
على جواز اتباع الافضل المفضول لما تقدم الى الصواب
والعمل به ولا درك على الفاضل في ذلك فان النبي صلى الله عليه
وسلم افضل الانبيا عليهم السلام وقد امر بالاقتدا بهم فقال
فبهداهم اقتده وقال هنا ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم
قوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه
اي لم يكن في شرع ابراهيم ولا من ذريته بل كان سمحا لا تغليظ
فيه وكان السبت تغليظا على اليهود في رفض الاعمال
وترك التبسط في المعاش بسببه اختلافهم فيه ثم جا عيسى
عليه السلام بيوم الجمعة فقال تفرغوا للعبادة في كل
سبعة ايام يوما واحدا فقالوا لا تريد ان يكون عيدهم
عيدنا فاختاروا الاحد وقد اختلف العلما في كيفية ما وقع
لهم من الاختلاف فقالت طايفة ان موسى عليه السلام
امرهم بيوم الجمعة وعينه لهم واخبرهم بفضيلته على
غيره فناظروه ان السبت افضل فقال الله له دعهم
وما اختاروا لانفسهم وقيل ان الله تعالى لم يعينه لهم
وانما امرهم بتعظيم يوم في الجمعة فاختلف اجتهادهم
في تعيينه فعينت اليهود السبت لان الله تعالى فرغ
فيه

فيه من الخلق وعينت النصاري يوم الاحد لان الله
تعالي بدا فيه الخلق فاليوم كل ما اداه اليه اجتهاده
وعين الله لهذه الامه يوم الجمعه من غير ان يكلهم الي
اجتهادهم فضلا منه ونعمه فكانت خير الامم امه
روي الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم نحن الاخرون الاولون يوم القيامه
ونحن اول من يدخل الجنة بيد انهم اوتوا الكتاب من
قبلنا واوتيناه من بعدهم فاختلفوا فيه فهدانا الله
لما اختلفوا فيه من الحق فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه
هدانا الله قال يوم الجمعه فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد
غدا للنصاري فقوله فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه
يقوي قول من قال انه لم يعين لهم فانه لو عين لهم وعاندوا
لما قيل اختلفوا وانما كان ينبغي ان يقال فخالفوا فيه
وعاندوا ومما يقويه ايضا قوله عليه السلام اضل الله
عن الجمعه من كان قبلنا وهذا نص في المعني وقد جا في
بعض طرقه فهذا يومهم الذي فرض الله عليهم اختلفوا
فيه وهو حجة للقول الاول وقد روي ان الله كتب
الجمعة علي من قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله له
فالناس لنا فيه تبع فقوله تعالي علي الذين اختلفوا فيه

يريد في يوم الجمعة كما بيناه اختلفوا على نبيهم موسى وعيسى
ووجه الاتصال بما قبله ان النبي صلى الله عليه وسلم امر
باتباع الحق وحذر الله الامة من الاختلاف عليه فيشدد
عليهم كما شدد على اليهود. قوله تعالى ادع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فيه مسئلة واحدة
هذه الاية نزلت بمكة في وقت الامر بمهادنة قريش
وامره ان يدعو الى دين الله وشرعه بتلطف ولين
دون مخاشنة وتعنيف وهكذا ينبغي ان يوعظ
المسلمون الى يوم القيامة فهي محكمة في جهة العصاة
من الموحدين ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين
وقد قيل ان من امكنت معه هذه الاحوال من
الكفار ورجي ايمانه بها دون قتال فهي محكمة
والله اعلم قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا
بمثل ما عوقبتم به فيه اربع مسائل الاولى اطبق
جمهور اهل التفسير ان هذه الاية مدنية نزلت
نزلت في شان التمثيل بحمزة في يوم احد ووقع ذلك
في صحيح البخاري في كتاب السير وذهب النحاس الى انها
مكية والمعنى متصل بما قبلها من المكي اتصالا حسنا
لانها تتدرج الرتب من الذي يدعى ويوعظ الى الذي
يجادل

يجادل الى الذي يجازي على فعله ولكن ما روى الجمهور اثبت
روى الدارقطني عن ابن عباس قال لما انصرف المشركون
عن قتلى احد انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فراى منظرا ساءه راى حمزة قد شق بطنه واصطلم
انفه وجدعت اذناه فقال لولا ان يحزن النسا او
تكون سنة بعدي لتركته حتى يبعثه الله من بطون
السباع والطير لامثلن مكانه بسبعين رجلا ثم دعا
ببردة وغطا بها وجهه فخرجت رجلاه فغطى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه وجعل على
رجليه من الاذخر ثم قدمه فكبر عليه عشرا ثم
جعل يجا بالرجل فيوضع وحمزة مكانه حتى صلى عليه
سبعين صلاة وكان القتلى سبعين فلما دفنوا وفرغ
منهم نزلت هذه الاية ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة الى قوله واصبر وما صبرك
الا بالله فصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يمثل باحد خرجه اسماعيل من حديث ابي هريرة
وحديث ابن عباس اكمل وحكى الطبري عن فرقة انها
قالت انما نزلت هذه الاية فيمن اصيب بظلامة
ان لا ينال من ظالمه اذا تمكن الا مثل ظلامته لا يتعداه

وقف

الى غيره وحكاه الماوردي عن ابن سيرين ومجاهد الثانية
واختلف اهل العلم فيمن ظلمه رجل في اخذ مال ثم ائتمن الظالم
المظلوم على مال هل يجوز له خيانته في القدر الذي
ظلمه فقالت فرقة له ذلك منهم ابن سيرين وابراهيم النخعي
وسفيان ومجاهد واحتجت بهذه الاية وعموم لفظها
وقال مالك وفرقة معه لا يجوز له ذلك واحتجوا بقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك
ولا تخن من خانك رواه الدارقطني وقد تقدم هذا في
البقرة مستوفى والحمد لله ووقع في مسند ابن اسحاق ان
هذا الحديث انما ورد في رجل زنا بامراة اخر
ثم تمكن الاخر من زوجة الثاني بان تركها عنده
وسافر فاستشار ذلك الرجل رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الامر فقال له اد الامانة الى من ائتمنك
ولا تخن من خانك وعلى هذا يتقوى قول مالك في امر
المال لان الخيانة لاحقة في ذلك وهي رذيلة لا انفكاك
عنها فينبغي ان يتجنبها لنفسه فان تمكن من الانتصاف
من مال لم يأتمنه عليه فيشبه ان ذلك جائز وكان الله
حكم له كما لو تمكن الاخذ بالحكم من الحاكم وقد قيل ان هذه
الاية منسوخة نسختها واصبر وما صبرك الا بالله

الثالثة

الثالثة في هذه الاية دليل على جواز التماثل في القصاص
فمن قتل بحديدة قتل بها ومن قتل بحجر قتل به ولا يتعدى
قدر الواجب وقد تقدم هذا المعنى في البقرة مستوفى
والحمد لله الرابعة سمى الله تعالى الاذايات في هذه الاية
عقوبة والعقوبة حقيقة انما هي الثانية وانما فعل ذلك
ليستوي اللفظان وتتناسب ايجاحة القول وهذا بعكس
قوله ومكروا ومكر الله وقوله الله يستهزئ بهم فان الثاني
هنا هو المجاز والاول هو الحقيقة قاله ابن عطية قوله تعالى
واصبر وما صبرك الا بالله فيه مسئلة واحده قال ابن زيد
هي منسوخة بالقتال وجمهور الناس على انها محكمة اي
اصبر بالعفو عن المعاقبة بمثل ما عاقبوا من المثلة ولا تحزن
عليهم اي على قتلى احد فانهم صاروا الى رحمة الله ولا تك في
ضيق ضيق جمع ضيقة قال الشاعر كشف الضيقة
عنا وفسح وقراءة الجمهور بفتح الضاد وقرا ابن كثير
بكسر الضاد وروييت عن نافع وهو غلط ممن رواه قال
بعض اللغويين الكسر والفتح في الضاد لغتان في المصدر
قال الاخفش الضيق والضيق مصدر ضاق يضيق والمعنى
لا يضيق صدرك من كفرهم وقال الفرا الضيق ما ضاق
عنه صدرك والضيق ما يكون في الذي يتسع ويضيق

مثل الدار والثوب وقال ابن السكيت هما سوا يقال في صدره
ضيق وضيق القتبي ضيق ضيق مخفف ضيق اي لا تكن في امر
ضيق مخفف مثل هين وهين قال ابن عرفة يقال ضاق
الرجل اذا بخل واضاق اذا افتقر وقوله مع الذين اتقوا اي
الفواحش والكبائر بالنصر والمعونة والفضل والبر وتقدم
معنى الاحسان وقيل لهرم بن حيان عند موته اوصنا فقال
اوصيكم بايات الله واخر سورة النحل ادع الى سبيل ربك
الى اخرها

٩٧

[illegible]

المجلد الثامن تفسير القرطبي

یا کبیکج

ك: 99

من كتب الفقير السيد فيض الله مفتي السلطنة العثمانية عفي عنه

تفسير جامع احكام القرآن للشيخ الامام ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن فرج الانصاري الخزرجي القرطبي المالكي المتوفى سنة ثمان وستين وستمائة رحمه الله تعالى

تفسير سورة الاسرا هذه
السورة مكية الا ثلاث ايات قوله عز وجل وان كادوا
ليستفزونك نزلت حين جا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفد ثقيف وحين قالت اليهود ليست هذه بارض الانبيا
وقوله عز وجل وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني
مخرج صدق وقوله عز وجل ان ربك احاط بالناس الاية
وقال مقاتل وقوله عز وجل ان الذين اوتوا العلم من قبله الاية
وقال ابن مسعود في بني اسرايل والكهف انهن من العتاق
الاول وهن من تلادي يريد من قديم كسبه قوله تعالى
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الى قوله البصير فيه ثمان
مسايل الاولى قوله تعالى سبحان اسم موضوع
موضع المصدر وهو غير متمكن لانه يجري بوجوه الاعراب
ولا يدخل

ولا يدخل عليه الالف واللام ولم يجر منه فعل ولم ينصرف
لان في اخره زايدين تقول سبحت تسبيحا وسبحانا مثل
كفرت اليمين تكفيرا وكفرانا ومعناه التنزيه والبراة لله
من كل نقص فهو ذكر عظيم لله تعالى لا يصلح لغيره فاما قول الشاعر
اقول لما جاني فخره سبحان من علقمة الفاخر ؛ فانما ذكره
على طريق النادر وقد روى طلحة بن عبد الله الفياض احد
العشرة انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما معنى سبحان الله
فقال تنزيه الله من كل سوء والعامل فيه على مذهب سيبويه
الفعل الذي من معناه لا من لفظه اذ لم يجر من لفظه فعل وذلك
مثل قعد القرفصا واشتمل الصما فالتقدير عنده انزه الله تنزيها
فوقع سبحان الله مكان قولك تنزيها الثانية قوله تعالى اسرى
اسرى فيه لغتان سرى واسرى كسقى واسقى كما تقدم قال
اسرت عليه من الجوزا سارية تزجي الشمال عليه جامد البرد وقال اخ
حي النضير وربة الخدر اسرت الي ولم تكن تسري فجمع
بين اللغتين في البيتين والاسرا سير الليل يقال سريت
مسرى وسرى واسريت اسراء قال الشاعر ؛
وليلة ذات ندى سريت ولم يلتني من سراها ليت
وقيل اسرى سار من اول الليل وسرى سار من اخره والاول
اعرف الثالثة قوله تعالى بعبده قال العلما لو كان للنبي صلى

الله عليه وسلم اسم اشرف منه لسماه به في تلك الحالة العلية
وفي معناه انشدوا يا قوم قلبي عند زهراء يعرفه السامع والراء
لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسماءن وقد تقدم قال
القشيري رحمه الله لما رفعه الله الى حضرته السنيه وارقاه فوق
الكواكب العلويه الزمه اسم العبوديه تواضعا للامه ⁖
الرابعة ثبت الاسرا في جميع مصنفات الحديث وروي
عن الصحابه في كل اقطار الاسلام فهو من المتواتر بهذا الوجه
وذكر النقاش ممن رواه عشرين صاحبا روى الصحيح عن انس
بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق
وهو دابة ابيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند
منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس قال فربطته
بالحلقة التي يربط بها الانبيا قال ثم دخلت المسجد فصليت
فيه ركعتين ثم خرجت فجاني جبريل باناء من خمر واناء
من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطره قال ثم
عرج بنا الى السماء وذكر الحديث ومما ليس في الصحيحين
ما خرجه الاجري والسمرقندي قال الاجري عن ابي
سعيد الخدري في قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله قال
ابو سعيد حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليله
اسري به

مطلب في المعراج

اسري به قال النبي صلى الله عليه وسلم اتيت بدابة هي اشبه
الدواب بالبغل له اذنان يخطر فان وهو البراق الذي كان
الانبيا تركبه قبل فركبته فانطلق تقع يداه عند منتهى
بصره فسمعت نداء عن يميني يا محمد على رسلك حتى
اسالك فمضيت ولم اعرج عليه ثم سمعت نداء عن يساري
يا محمد على رسلك فمضيت ولم اعرج عليه ثم استقبلتني
امراة عليها من كل زينة الدنيا رافعة يديها تقول
على رسلك حتى اسالك فمضيت ولم اعرج ثم اتيت بيت
المقدس الاقصى فنزلت عن الدابة فاوثقته في الحلقة التي
كانت الانبيا توثق بها ثم دخلت المسجد وصليت فيه
فقال لي جبريل عليه السلام ما سمعت يا محمد فقلت سمعت
نداء عن يميني يا محمد على رسلك حتى اسالك فمضيت ولم اعرج
فقال ذلك داعي اليهود لو وقفت لتهودت امتك قال ثم
سمعت نداء عن يساري على رسلك حتى اسالك فمضيت ولم
اعرج فقال ذلك داعي النصارى انك لو وقفت لتنصرت امتك
قلت ثم استقبلتني امراة عليها من كل زينة الدنيا رافعة
يديها تقول على رسلك فمضيت ولم اعرج عليها فقال
تلك الدنيا لو وقفت لاخترت الدنيا على الاخرة قال ثم
اتيت باناءين احدهما فيه لبن والاخر فيه خمر فقيل لي خذ

فاشرب ايهما شيت فاخذت اللبن فشربته فقال لي جبريل
اصبت الفطره ولو انك اخذت الخمر غوت امتك ثم جاء
بالمعراج الذي تعرج فيه ارواح بني ادم فاذا احسن ما رايت
الم تروا الى الميت كيف يحد بصره اليه فعرج بنا حتى انتهينا
باب السما الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل
قالوا ومن معك قال محمد قال وقد ارسل اليه قال نعم ففتحوا
لي وسلموا علي واذا ملك يحرس السما يقال له اسماعيل معه
سبعون الف ملك مع كل ملك مايه الف قال وما يعلم جنود
ربك الا هو وذكر الحديث الى ان قال ثم مضينا الى السماء
الخامسه فاذا انا بهارون بن عمران المحب في قومه
وحوله تبع كثير من امته فوصفه النبي صلى الله عليه وسلم
وقال طويل اللحيه تكاد لحيته تضرب في سرته ثم مضينا
الى السماء السادسه فاذا انا بموسى فسلم علي ورحب بي
فوصفه النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل كثير الشعر
لو كان عليه قميصان خرج شعره منهما الحديث وروى
البزار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بفرس فحمل
عليه كل خطوه منه اقصى بصره وذكر الحديث وقد جا
في صفة البراق من حديث ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينا انا نايم في الحجر اذا اناني آت
فحركني

فحركني برجله فاتبعت الشخص فاذا هو جبريل عليه السلام
قايم علي باب المسجد معه دابة دون البغل وفوق الحمار وجهها
وجه انسان وخفها خف حافر وذنبها ذنب ثور وعرفها
عرف الفرس فلما ادناها من جبريل عليه السلام نفرت
ونفشت عرفها فمسحها جبريل عليه السلام وقال يا برقة
لا تنفري من محمد فوالله ما ركبك ملك مقرب ولا نبي مرسل
افضل من محمد صلى الله عليه وسلم ولا اكرم على الله منه
قالت قد علمت انه لذلك وانه صاحب الشفاعة واني
احب ان اكون في شفاعته فقلت انت في شفاعتي ان
شا الله الحديث وذكر ابو سعيد عبد الملك بن محمد
النيسابوري عن ابي سعيد الخدري قال لما مر النبي صلى
الله عليه وسلم بادريس في السماء الرابعة قال مرحبا
بالاخ الصالح والنبي الصالح الذي وعدنا ان نراه فلم
نره الا الليلة قال فاذا فيها مريم بنت عمران لها سبعون
قصرا من لولو ولام موسى بن عمران سبعون قصرا
من مرجانة حمرا مكللة باللولو ابوابها واسرتها
من عرق واحد فلما عرج المعراج الي السماء الخامسة وتسبيح
اهلها سبحان من جمع بين الثلج والنار من قالها مرة واحدة
كان له مثل ثوابهم فاستفتح الباب جبريل عليه السلام

ففتح له فاذا هو بكهل لم ير كهل قط اجمل منه عظيم العينين
تضرب لحيته قريبا من سرته كاد ان تكون شمطة وحوله
قوم جلوس يقص عليهم فقلت يا جبريل من هذا قال هارون
المحبب في قومه وذكر الحديث فهذه نبذة مختصرة من
احاديث الاسرا خارجة عن الصحيحين ذكرها ابو الربيع
سليمان بن سبع بكمالها في كتاب شفا الصدور له ولا خلاف
بين اهل العلم وجماعة اهل السير ان الصلاة انما فرضت على
النبي صلى الله عليه وسلم بمكة في حين الاسرا حين عرج
به الى السما واختلفوا في تاريخ الاسرا وهيئة الصلاة وهل
كان اسرا بروحه او جسده فهذه ثلاث مسايل تتعلق
بالاية وهي مما ينبغي الوقوف عليها والبحث عنها وهي اهم
من سرد تلك الاحاديث وانا اذكر ما وقفت عليه
فيها من اقاويل العلما واختلاف الفقها بعون الله فاما
المسلة الاولى وهو هل كان اسرا بروحه او جسده
اختلف في ذلك السلف والخلف فذهبت طايفة الى
انه اسرا بالروح ولم يفارق شخصه مضجعه وانها
كانت رويا راى فيها الحقايق ورويا الانبيا حق ذهب
الى هذا معاوية وعايشة وحكي عن الحسن وابن اسحق
وقالت طايفة كان الاسرا بالجسد يقظة الى بيت المقدس
والى السماء

والى السماء بالروح واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل المسجد الاقصى عليه
الاسرا قالوا ولو كان الاسرا بجسده الى زايد على المسجد الاقصى
لذكره فانه كان يكون ابلغ في المدح وذهب معظم السلف والمسلمين
الى انه كان اسرا بالجسد وفي اليقظة وانه ركب البراق بمكة
ووصل الى بيت المقدس وصلى فيه ثم اسرى بجسده وعلى
هذا تدل الاخبار التي اشرنا اليها والاية وليس في الاسراء
بجسده وحال يقظته استحاله ولا يعدل عن الظاهر
والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة ولو كان مناما
لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما
طغى يدل على ذلك ولو كان مناما لما كانت فيه اية ولا
معجزة ولما قالت له ام هاني لا تحدث الناس فيكذبونك
ولا فضل ابو بكر بالتصديق ولا امكن قريش التشنيع
والتكذيب وقد كذبه قريش فيما اخبر به حتى ارتد اقوام
كانوا امنوا فلو كان بالرويا لم يستنكر وقد قال له المشركون
ان كنت صادقا فاخبرنا عن عيرنا اين لقيتها قال بمكان كذا
وكذا مررت عليها ففزع فلان فقيل له ما رايت يا فلان
قال ما رايت شيئا غير ان الابل قد نفرت قالوا فاخبرنا
متى ياتينا العير قال ياتيكم يوم كذا قالوا اية ساعة قال

ما ادري طلوع الشمس من هاهنا اسرع ام طلوع العير من
هاهنا قال رجل ذلك اليوم هذه الشمس قد طلعت وقال رجل
هذه عيركم قد طلعت واستخبروا النبي صلى الله عليه وسلم
عن صفة بيت المقدس فوصفه لهم ولم يكن راه قبل ذلك
روي الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد رايتني في الحجر وقريش تسلني عن مسراي فسالتني
عن اشيا من بيت المقدس لم اثبتها فكربت كربا ما كربت
مثله قط قال فرفعه الله لي انظر اليه ما يسلوني عن شي
الا انبانهم به الحديث وقد اعترض قول عايشة ومعاوية
انما اسري بنفس رسول الله صلى الله عليه وسلم بانها كانت
صغيرة لم تشاهد ولا حدثت عن النبي صلى الله عليه وسلم
واما معاوية فكان كافرا في ذلك الوقت غير مشاهد للحال
ولم يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن اراد الزيادة
على ما ذكرنا فليقف على كتاب الشفا للقاضي عياض يجد من
ذلك الشفا وقد احتج لعايشة بقوله تعالى وما جعلنا
الرويا التي اريناك الا فتنة للناس فسماها رويا وهذا
يرده قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا لا يقال
في النوم اسري وايضا فقد يقال لروية العين رويا على
ما ياتي بيانه في هذه السورة وفي نصوص الاخبار الثابتة
دلالة

دلالة واضحة على ان الاسرا كان بالبدن واذا ورد الخبر بشي
هو مجوز في العقل في قدرة الله تعالى فلا طريق الى الانكار
لا سيما في زمن خرق العوايد وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم
معارج فلا يبعد ان يكون البعض بالرويا وعليه يحمل قوله
عليه السلام في الصحيح بينا انا عند البيت بين النايم واليقظان
الحديث ويحتمل ان يرد من الاسرا الى يوم والله اعلم المسلة
الثانية في تاريخ الاسرا وقد اختلف العلما في ذلك ايضا
واختلف في ذلك عن ابن شهاب فروى عنه موسى بن عقبة
انه اسري به الى بيت المقدس قبل خروجه الى المدينة بسنة
وروى عنه يونس عن عروة عن عايشة قال توفيت خديجة
قبل ان تفرض الصلاه قال ابن شهاب وذلك بعد مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم بسبعة اعوام وروى عنه الوقاصي قال
اسري به بعد مبعثه بخمس سنين قال ابن شهاب وفرض
الصيام بالمدينة قبل بدر وفرضت الزكاه والحج بالمدينة
وحرمت الخمر بعد احد وقال ابن اسحق اسري به من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس وقد فشا الاسلام بمكة
وفي القبايل وروى عنه يونس بن بكير قال صلت خديجة مع
النبي صلى الله عليه وسلم وسيأتي قال ابو عمر هذا يدلك على
ان الاسرا كان قبل الهجره باعوام لان خديجة توفيت قبل

الهجرة بخمس سنين وقيل بثلاث وقيل باربع وقول ابن اسحق
مخالف لقول ابن شهاب على ان ابن شهاب قد اختلف عنه كما تقدم
وقال الحربي اسري به ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل
الهجرة بسنة وقال ابو بكر محمد بن علي بن القاسم الذهبي
في تاريخه اسري به من مكة الى بيت المقدس وعرج به الى السماء
لبعد مبعثه بثمانية عشر شهرا قال ابو عمر لا اعلم احدا
من اهل السير قال ما حكاه الذهبي ولم يسند قوله الى احد
ممن يضاف اليه هذا العلم منهم ولا رفعه الى من يحتج به عليهم
المسلة الثالثة واما فرض الصلاة وهيئتها حين فرضت
فلا خلاف بين اهل العلم وجماعة اهل السير ان الصلاة انما فرضت
بمكة ليلة الاسرا حين عرج به الى السماء وذلك منصوص في الصحيح
وغيره وانما ... اختلفوا في هيئتها حين فرضت فروي
عن عايشة انها فرضت ركعتين ركعتين ثم زيد في صلاة
الحضر فاكملت اربعا واقرت صلاة السفر على ركعتين وبذلك
قال الشعبي وميمون بن مهران ومحمد بن اسحق قال الشعبي الا
المغرب قال يونس بن بكير وقال ابن اسحق ثم ان جبريل اتى النبي
صلى الله عليه وسلم حين فرضت عليه الصلاة يعني في الاسرا
فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت عين ماء مزن فتوضا
جبريل ومحمد ينظر عليهما السلام فوضا وجهه واستنشق
ومضمض ومسح براسه واذنيه ورجليه الى الكعبين ونضح

فرجه

فرجه ثم قام يصلي ركعتين باربع سجدات فرجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد اقر الله عينه وطابت نفسه وجاءه ما يحب
من امر الله تعالى فاخذ بيد خديجة ثم اتى بها العين فتوضا
كما توضا جبريل ثم ركع ركعتين واربع سجدات هو وخديجة
ثم كان هو وخديجة يصليان سوا وروي عن ابن عباس انها
فرضت في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وكذلك قال نافع
بن جبير والحسن بن ابي الحسن البصري وهو قول ابن جريج
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يوافق ذلك ولم يختلفوا
في ان جبريل عليه السلام هبط صبيحة ليلة الاسرا عند
الزوال فعلم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة ومواقيتها
وروى يونس بن بكير عن سالم مولى ابي المهاجر قال سمعت
ميمون بن مهران يقول كان اول الصلاة مثنى ثم صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعا فصارت سنة واقرت
الصلاة للمسافر وهي تمام قال ابو عمر وهذا اسناد لا يحتج
بمثله وقوله فصارت سنة قول منكر وكذلك وكذلك
استثنا الشعبي المغرب وحدها ولم يذكر الصبح قول لا معنى
له وقد اجمع المسلمون ان فرض الصلاة في الحضر اربع الا المغرب
والصبح ولا يعرفون غير ذلك عملا ونقلا مستفيضا ولا
يضرهم الاختلاف فيما كان اصل فرضها السابعة

قد مضى الكلام في الاذان في المايدة والحمد لله ومضى في ال عمران
ان اول مسجد وضع في الارض المسجد الحرام ثم المسجد الاقصى وان
بينهما اربعين عاما من حديث ابي ذر وبنا سليمان عليه السلام
المسجد الاقصى ودعاوه له من حديث عبد الله بن عمرو ووجه
الجمع في ذلك فتامله هناك فلا معنى للاعادة وتذكر هنا قوله صلى
الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد الى المسجد
الحرام والى مسجدي هذا والى مسجد ايليا او بيت المقدس خرجه
مالك من حديث ابي هريرة وفيه ما يدل على فضل هذه المساجد
الثلاثة على ساير المساجد ولهذا قال العلما من نذر صلاة في
مسجد لا يصل اليه الا برحلة وراحلة فلا يفعل ويصلي في
مسجده الا في الثلاثة المساجد المذكورة فانه من نذر صلاة
فيها خرج اليها وقد قال مالك وجماعة من اهل العلم فيمن نذر
رباطا في ثغر يسده فانه يلزمه الوفا حيث كان الرباط
لانه طاعة لله عز وجل وقد زاد ابو البختري في هذا الخبر
مسجد الجند ولا يصح وهو موضوع وقد تقدم في مقدمة
الكتاب الثامنة قوله تعالى الى المسجد الاقصى سمي الاقصى
لبعد ما بينه وبين المسجد وكان ابعد مسجد عن اهل مكة
في الارض يعظم بالزيارة ثم قال الذي باركنا حوله قيل
بالثمار وبمجاري الانهار وقيل بمن دفن حوله من الانبيا
والصالحين

مطلب في مدح الشام

والصالحين وبهذا جعله مقدسا وروي معاذ بن جبل عن النبي
صلي الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالي يا شام انت صفوتي
من بلادي وانا سائق اليك صفوتي من عبادي لنريه من اياتنا
هذا من باب تلوين الخطاب والايات التي اراه الله من العجايب
التي اخبر بها الناس واسراوه من مكة الي المسجد الاقصي في ليلة
وهو مسيره شهر وعروجه الي السما ووصفه الانبيا واحدا
واحدا حسب ما ثبت في صحيح مسلم وغيره انه هو
السميع البصير تقدم قوله تعالي واتينا موسي الكتاب
اي كرمنا محمدا صلي الله عليه وسلم بالمعراج واكرمنا موسي
بالكتاب وهو التوراه وجعلنا اي ذلك الكتاب وقيل موسي
وقيل معني الكلام سبحان الذي اسري بعبده ليلا واتي موسي
الكتاب فخرج من الغيبة الي الاخبار عن نفسه جل وعز
وقيل ان معني سبحان الذي اسري بعبده ليلا معناه اسرينا
يدل عليه ما بعده من قوله لنريه من اياتنا فحمل واتينا موسي
الكتاب علي المعني ان لا يتخذوا قرا ابو عمرو يتخذوا بالياء
الباقون بالتا فيكون من باب تلوين الخطاب وكيلا اي
شريكا عن مجاهد وقيل كفيلا باموره حكاه الفرا
وقيل ربا يتوكلون عليه في امورهم قاله الكلبي وقال الفرا
كافيا والتقدير عهدنا اليه في الكتاب ان لا يتخذوا

من دوني وكيلا وقيل التقدير لئلا تتخذوا والوكيل من توكل اليه
الامر قوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح اي يا ذرية من
حملنا على الندا قاله مجاهد رواه عنه ابن ابي نجيح والمراد
بالذرية كل من احتج بالقران وهم جميع من على الارض ذكره
المهدوي وقال الماوردي يعني موسى وقومه من بني اسرايل
والمعنى يا ذرية من حملنا مع نوح لا تشركوا وذكر نوحا ليذكرهم
نعمة الانجا من الغرق على ابايهم وروى سفيان عن حميد عن
مجاهد انه قرا ذرية بفتح الذال وتشديد الراء والبا وروى
هذه القراة عامر بن الواحد عن زيد بن ثابت وروى عن
زيد بن ثابت ايضا ذرية بكسر الذال وتشديد الرا والبا
ثم بين ان نوحا كان عبدا شكورا يشكر الله على نعمه ولا
يرى الخير الا من عنده قال قتادة كان اذا لبس ثوبا قال بسم الله
واذا نزعه قال الحمد لله كذا روى عنه معمر عن منصور عن
ابراهيم قال شكره اذا اكل ... قال بسم الله
فاذا فرغ من الاكل قال الحمد لله وقال سلمان الفارسي لانه كان
يحمد الله على طعامه وقال عمران بن سليم انما سمي نوحا عبدا
شكورا لانه كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شا
لاجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شا
لاظماني واذا اكتسا قال الحمد لله الذي كساني ولو شا
لاعراني

وروى معمر

مطلب في شكر نوح عم

لاعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شا لاحفاني
واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني الاذا ولو شا لحبسه
فيّ ومقصود الاية انكم من ذرية نوح وقد كان عبداً شكورا
فانتم احق بالاقتدا به دون ابايكم الجهال وقيل المعنى ان موسى
كان عبداً شكوراً اذ جعله الله من ذرية نوح وقيل يجوز ان
يكون مفعولاً ثانياً ليتخذوا ويكون قوله وكيلاً يراد به الجمع
فيسوغ ذلك في القراتين جميعاً ان يكون ذرية بدلاً من قوله
وكيلاً لانه بمعنى الجمع وكانه قال لا يتخذوا ذرية من حملنا
مع نوح ويجوز نصبها باضمار اعني وامدح والعرب قد
تنصب على المدح والذم ويجوز رفعها على البدل من المضمر
في يتخذوا في قراة من قرا بالبا ولا يحسن ذلك لمن قرا بالتا
لان المخاطب لا يبدل منه الغايب ويجوز جرها على البدل
من بني اسرايل في الوجهين فاما ان من قوله ان لا يتخذوا
فهي على قراة من قرا بالبا في موضع نصب بحرف الجار
التقدير هديناهم ليلا يتخذوا ويصلح على قراة التا ان
تكون زايدة والقول مضمر كما تقدم ويصلح ان تكون مفسرة
بمعنى اي لا موضع لها من الاعراب وتكون لا للنهي فيكون
خروجاً من الخبر الى النهي قوله تعالى وقضينا الى بني
اسرايل في الكتاب وقرا سعيد بن جبير وابو العالية

في الكتب على لفظ الجمع وقد يرد لفظ الواحد ويكون معناه الجمع
فتكون القراتان بمعنى واحد ومعنى قضينا اعلمنا واخبرنا
قاله ابن عباس وقال قتادة حكمنا واصل القضا الاحكام للشي
والفراغ منه وقيل قضينا اوحينا ولذلك قال الى بني اسرايل
وعلى قول قتادة يكون الى بمعنى على اي قضينا عليهم وحكمنا
وقاله ابن عباس ايضا والمعنى بالكتاب اللوح المحفوظ لتفسدن
وقرا ابن عباس لتفسدن وعيسى الثقفي لتفسدن والمعنى
في القرائتين قريب لانهم اذا افسدوا افسدوا والمراد بالفساد
مخالفة احكام التوراة في الارض يريد ارض الشام وبيت
المقدس وما والاها مرتين ولتعلن اللام في لتفسدن ولتعلن
لام قسم مضمر كما تقدم علوا كبيرا اراد التكبر والبغي
والطغيان والاستطالة والغلبة والعدوان **قوله تعالى**
فاذا جا وعد اولاهما اي اولى المرتين من فسادهم بعثنا عليكم
عبادا لنا اولي باس شديد هم اهل بابل وكان عليهم بخت نصر
في المرة الاولى حين كذبوا ارميا وجرحوه وحبسوه قاله
ابن عباس وغيره وقال قتادة ارسل عليهم جالوت فقتلهم
فهو وقومه اولو باس شديد وقال مجاهد جاهم جندا
من فارس يتجسسون اخبارهم ومعهم بخت نصر فوعى
حديثهم من بين اصحابه ثم رجعوا الى فارس ولم يكن قتال

وهذا

وهذا في المرة الاولى فكان منهم جوسٌ خلال الديار لا قتل ذكره
القشيري ابو نصر وذكر المهدوي عن مجاهد ان الله جاءهم بخت نصر
فهزمه بنو اسرائيل ثم جاءهم ثانية فقتلهم ودمرهم تدميرا
رواه ابن ابي نجيح عن مجاهد ذكره النحاس وقال محمد بن اسحق
في خبر فيه طول ان المهزوم سنحاريب ملك بابل جاء ومعه
ستمائة الف فارس فنزل حول بيت المقدس فهزمه الله
تعالى واماتَ جميعهم الا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه
وبعث ملك بني اسرائيل واسمه صديقة في طلب سنحاريب فاخذ
مع الخمسة احدهم بخت نصر فطرح في رقابهم الجوامع وطاف
بهم سبعين يوما حول المقدس وايليا ويرزقهم كل يوم خبزتين
من شعير لكل رجل منهم ثم اطلقهم فرجعوا الى بابل ثم مات سنحاريب
بعد سبع سنين واستخلف بخت نصر وعظمت الاحداث في
بني اسرائيل واستحلوا المحارم وقتلوا نبيهم شعيا فجاءهم بخت نصر
ودخل هو وجنوده بيت المقدس وقتل بني اسرائيل حتى افناهم
وقال ابن عباس وابن مسعود اول الفساد قتل زكريا وقال
ابن اسحاق فسادهم في المرة الاولى قتل شعيا نبي الله في الشجرة
وذلك انه لما مات صديقة ملكهم مرج امرهم وتنافسوا على
الملك وقتل بعضهم بعضا وهم لا يسمعون من نبيهم فقال الله تعالى
له قم في قومك اوح على لسانك فلما فرغ مما اوحى الله اليه عدوا

راية تحت كل راية مائة الف

عليه ليقتلوه فهرب فانفلقت له شجره فدخل فيها وادركه
الشيطان فاخذ هدبةً من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار
في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها وذكر
ابن اسحق ان بعض العلما اخبره ان زكريا مات موتا ولم يقتل وانما
المقتول شعيا وقال سعيد بن جبير في قوله ثم بعثنا عليكم عبادا
لنا اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار وهو سنحاريب من
اهل نينوى الموصل ملك بابل وهذا خلاف ما قال ابن اسحق فالله
اعلم وقيل انهم العمالقه وكانوا كفارا قاله الحسن ومعنى جاسوا
عاثوا وقتلوا وكذلك جاسوا وهاسوا وداسوا قاله ابن جرير
وهو قول القتبي وقرا ابن عباس حاسوا بالحاء المهمله قال ابو
زيد الجوس والحوس والعوس والهوس الطوف بالليل وقال
الجوهري الجوس مصدر قولك جاسوا خلال الديار اي تخللوها
يطلبوا ما فيها كما تجوس الرجل الاخبار اي تطلبها وكذلك
الاجتياس والجوسان بالتحريك الطوفان بالليل وهو قول ابي
عبيده وقال الطبري طافوا بين الديار يطلبونهم ويقتلونهم
ذاهبين وجايين فجمع بين قولي اهل اللغة قال ابن عباس مشوا
وترددوا بين الدور والمساكن وقال الفرا قتلوكم بين بيوتكم
وانشد لحسان ⁘ ومنا الذي لاقى بسيف محمد فجاس به الاعداء ⁘
عرض العساكر ⁘ وقال قطرب نزلوا قال فجساد يارهم عنوة
واباسيادتهم

وانبا بسادتهم موتقينا ؛ وكان وعدا مفعولا اي قضا كاينا
لاخلف فيه قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم اي الدولة
والرجعة وذلك لما تبتم واطعتم ثم قيل ذلك بقتل داود
جالوت وبقتل غيره على الخلاف فيمن قتلهم وامددناكم
باموال وبنين حتى عاد امركم كما كان وجعلناكم اكثر نفيرا
اي اكثر عددا ورجالا من عدوكم والنفير من ينفر مع
الرجل من عشيرته يقال نفير ونافر مثل قدير وقادر ويجوز
ان يكون النفير جمعا جمع نفر كالكليب والمعيز والعبيد
قال الشاعر فاكرم بقحطان من والد وحمير اكرم بقوم نفيرا
والمعنى انهم صاروا بعد هذه الوقعة الاولى اكثر انضماما واصلح
اخوالا جزا من الله تعالى لهم على عودهم الى الطاعة
قوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم اي نفع
احسانكم عايد اليكم وان اسأتم فلها اي فعليها على نحو سلام
لك اي سلام عليك قال فخر صريعا لليدين وللفم اي على
اليدين وعلى الفم وقال الطبري اللام بمعنى الى يعني وان
اساتم فاليها اي فاليها ترجع الاساة لقوله تعالى بان
ربك اوحى لها اي اليها وقيل فلها الجزا والعقاب وقال الحسين
بن الفضل فلها رب يغفر الاساة ثم يحتمل ان يكون هذا
خطابا لبني اسرايل في اول الامر اي اسأتم فحل بكم القتل

والسبي والتخريب ثم احسنتم فعاد اليكم الملك والعلو وانتظام
الحال ويحتمل انه خوطب بهذا بنو اسرائيل في زمن محمد
صلى الله عليه وسلم اي عرفتم استحقاق اسلافكم العقوبة
على العصيان فارتقبوا مثله او يكون خطابا لمشركي قريش
على هذا الوجه فاذا جاء وعد الآخرة من افسادكم وذلك
انهم قتلوا في المرة الثانية يحيى بن زكريا عليهما السلام
قتله ملك من بني اسرائيل يقال له لاخت قاله القتبي وقال
الطبري اسمه هيردوس ذكره في التاريخ حمله على قتله
امراة اسمها ازبيل وقال السدي كان ملك بني اسرائيل
يلزم يحيى بن زكريا ويستشيره في الامور فاستشاره
الملك ان يتزوج بنت امراة له فنهاه عنها وقال انها لا تحل
لك فحقدت امها على يحيى ثم البست ابنتها ثيابا رقاقا
حمرا وطيبتها وارسلتها الى الملك وهو على شرابه وامرتها
ان تتعرض له وان ارادها ابت حتى يعطيها ما تسأله فاذا
اجاب سألت ان يؤتى براس يحيى بن زكريا في طشت من ذهب
ففعلت ذلك حتى اتى براس يحيى بن زكريا والراس يتكلم حتى
وضع بين يديه وهو يقول لا تحل لك لا تحل لك فلما اصبح
اذا دمه يغلي فالقى عليه التراب فغلى فوقه فلم يزل يلقي
عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يغلي ذكره
الثعلبي

مطلب سبب قتل يحيى ابن زكريا

فحقدت اي حسدت

من از آن حسن روز افزون که یوسف داشت دانستم که عشق از پرده عصمت برون آرد زلیخا را

الثعلبي وغيره وذكر ابن عساكر في تاريخه عن الحسين بن علي
قال كان ملك من هذه الملوك مات وترك امرأته وابنته فورث
ملكه اخوه فاراد ان يتزوج امراة اخيه فاستشار يحيى
بن زكريا في ذلك وكانت الملوك في ذلك الزمان يعملون بامر
الانبياء فقال له لا تتزوجها فانها بغي فعرفت المراة انه قد
ذكرها وصرفه عنها فقالت من اين هذا حتى بلغها انه من
قبل يحيى فقالت ليقتلن يحيى او ليخرجن من ملكه فعمدت
الى ابنتها وصنعتها ثم قالت اذهبي الى عمك عند الملأ فانه
اذا راك سيدعوك ويجلسك في حجره ويقول سليني ما
شئت فانك ان تسليني شيئا الا اعطيتك فاذا قال لك
ذلك فقولي لا اسأل الا راس يحيى قال وكانت الملوك اذا
تكلم احدهم بشئ على رؤس الملاء ثم لم يمض له نزع من
ملكه ففعلت ذلك فجعل ياتيه الموت من قتله يحيى وجعل
ياتيه الموت من خروجه من ملكه فاختار ملكه فقتله
قال فساخت بامها الأرض قال ابن جدعان فحدثت بهذا
الحديث ابن المسيب فقال افما اخبرك كيف كان قتل زكريا
قلت لا قال ان زكريا حيث قتل ابنه انطلق هاربا منهم
واتبعوه حتى اتى على شجرة ذات ساق فدعته اليها
فانطوت عليه وبقيت من ثوبه هدبة يكفها الرياح

فانطلقوا الى الشجرة فلم يجدوا اثره بعدها ويصروا ابتلك الهدبه
فدعوا بالمنشار فقطعوا الشجره فقطعوه منها قلت ووقع
في التاريخ الكبير للطبري فحدثني ابو السايب قال يا ابو معاويه
عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث
عيسى بن مريم يحيى بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون
الناس قال كان فيما نهوهم عنه نكاح ابنة الاخ قال وكان لملكهم
ابنة اخ تعجبه وذكر الخبر بمعناه وعن ابن عباس قال بعث يحيى
ابن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس فكان فيما
يعلمونهم ينهونهم عن نكاح بنت الاخت وكان لملكهم بنت
اخت تعجبه وكان يريدان يتزوجها وكان لها كل يوم حاجة
تقضيها فلما بلغ ذلك امها انهم نهوا عن نكاح بنت الاخت
قالت لها اذا دخلت على الملك فقال الك حاجة فقولي له حاجتي
ان تذبح يحيى بن زكريا فقال سليني سوى هذا قالت ما اسألك
الا هذا فلما ابت عليه دعا بطشت ودعا به فذبحه فندرت
قطرة من دمه على وجه الارض فلم تزل تغلي حتى بعث الله
عليهم بخت نصر فالقى في نفسه ان يقتل على ذلك الدم منهم
حتى يسكن فقتل عليه منهم سبعين الفا في رواية خمسة وسبعين
الفا قال سعيد بن المسيب هي دية كل نبي وعن ابن عباس
قال اوحى الله عز وجل الى محمد صلى الله عليه وسلم اني قتلت بيحيى
بن زكريا

ابن زكريا سبعين الفا واني قاتل بابن ابنتك سبعين الفا وسبعين
الفا وعن سمير بن عطية قال قتل على الصخرة التي في بيت
المقدس سبعون نبيا منهم يحيى بن زكريا وعن زيد بن واقد
قال رايت راس يحيى عليه السلام حيث ارادوا بناء
مسجد دمشق اخرج من تحت ركن من اركان القبة التي
تلي المحراب مما يلي المشرق فكانت البشرة والشعر على
حاله لم يتغير وعن قرة بن خالد قال ما بكت السما على احد
الا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي وحمرتها بكاوها
وعن سفيان بن عيينه قال اوحش ما يكون ابن ادم
في ثلاثة مواطن يوم ولد فيخرج الى دار هم وليلة يبيت
مع الموتى فيجاور جيرانا لم ير مثلهم ويوم يبعث
فيشهد مشهدا لم ير مثله قال الله تعالى ليحيى في هذه
الثلثة مواطن وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت
ويوم يبعث حيا كله من التاريخ المذكور واختلف
فيمن كان المبعوث عليهم في المرة الاخرة فقيل بخت نصر
وقاله القشيري ابو نصر لم يذكر غيره قال السهيلي
وهذا لا يصح لان قتل يحيى كان بعد رفع عيسى وبخت
نصر كان قبل عيسى بن مريم عليهما السلام بزمان
طويل وقيل الاسكندر وبين الاسكندر وعيسى

مطلب
قتل شعيا

نحو من ثلثماية سنه ولكنه ان الذي بالمرة الاخرى حين
قتلوا شعيا بعد كان بخت نصر اذ ذاك حيا فهو الذى
قتلهم وخرب بيت المقدس واتبعهم الى مصر واخرجهم
منها وقال الثعلبي ومن روى ان بخت نصر هو الذى
غزا بنى اسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا فغلط عند
اهل السير والاخبار لانهم مجمعون ان بخت نصر
انما غزا بني اسرائيل عند قتلهم شعيا وفي عهد ارميا
قالوا ومن عهد ارميا وتخريب بخت نصر بيت المقدس
الى مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام اربع مايه سنه
واحدى وستون سنه وذلك انهم يعدون من عهد
تخريب بيت المقدس الى عمرانه في عهد كوشك سبعين
سنة ثم من عهد عمرانه الى ظهور الاسكندر على
بيت المقدس ثمانية وثمانين سنه ثم من بعد
مملكه الاسكندر الى مولد يحيى ثلثمايه وثلاث
وستين سنه قلت ذكر جميعه الطبري في
التاريخ رحمه الله قال الثعلبي والصحيح من ذلك
ما ذكره محمد بن اسحق قال لما رفع الله عيسى من
بين اظهرهم وقتلوا يحيى وبعض الناس يقول
لما قتلوا زكريا بعث الله اليهم ملكا من ملوك بابل
يقال له

مطلب
قتل يحيى وقتلهم زكريا

مطلب
ظهور جردوش
بالشام

يقال له جردوش فسار اليهم باهل بابل وظهر عليهم بالشام
ثم قال لرئيس جنوده كنت حلفت بالهي لئن اظهرني الله
على بيت المقدس لاقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط
عسكري وامره ان يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم فدخل الرئيس
بيت المقدس فوجد فيها دما يغلي فسالهم فقالوا دم قربان
قربناه فلم يتقبل منا منذ ثمانين سنة قال ما صدقتموني
فذبح على ذلك الدم سبع مائة وسبعين رجلا من رؤسائهم
فلم يهدا فامر بسبعة الاف من بنيهم وازواجهم فذبحهم
على الدم فلم يبرد فقال يا بني اسرائيل اصدقوني من قبل ان
لا اترك منكم نافخ نار من انثى ولا ذكر الا قتلته فلما راوا
الجهد قالوا ان هذا دم نبي منا كان ينهانا عن امور كثيرة
من سخط الله فقتلناه فهذا دمه كان اسمه يحيى بن زكريا ما
عصى الله قط طرفة عين ولا هم بمعصية فقال الان صدقتموني
وخر ساجدا ثم قال لمثل هذا ينتقم منكم وامر بغلق الابواب
وقال اخرجوا من كان هاهنا من جيش جردوش وخلا في
بني اسرائيل وقال يا نبي الله يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك
ما قد اصاب قومك من اجلك فاهدا باذن الله قبل ان لا
ابقي منهم احدا فهدا دم يحيى بن زكريا باذن الله ورفع
عنهم القتل وقال رب اني امنت بما امن به بنو اسرائيل

وصدقت به فاوحي الله الي راس من روس الانبيا ان هذا الرييس
مومن صدوق ثم قال ان عدو الله خردوش امرني ان اقتل منكم
حتي تسيل دماكم وسط عسكره واني لا اعصيه فامرهم
فحفروا اخندقا وامر باموالهم من الابل والخيل والبغال
والحمير والبقر والغنم فذبحوها حتي سال الدم الي العسكر
وامر بالقتلي الذين كانوا قتلوا قبل ذلك فطرحوا علي ما قتل
من مواشيهم ثم انصرف عنهم الي بابل وقد كاد ان يفني بني
اسرايل قلت قد ورد في هذا الباب حديث مرفوع
فيه طول من حديث حذيفة وقد كتبناه في كتاب التذكرة
مقطعا في ابواب في اخبار المهدي نذكر منها هنا ما يبين
معني الاية ويفسرها حتي لا يحتاج معه الي بيان قال حذيفة
قلت يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عند الله عظيما
جسيم الخطر عظيم القدر فقال رسول الله صلي الله عليه
وسلم هو من اجل البيوت ابتناه الله لسليمان بن داود
عليهما السلام من ذهب وفضة ودر وياقوت وزمرد
وذلك ان سليمان بن داود لما بناه سخر له الجن فاتوه
بالذهب والفضة من المعادن واتوه بالجواهر والياقوت
والزمرد وسخر الله تعالي له الجن حتي بنوه من هذه الاصناف
قال حذيفة فقلت يا رسول الله وكيف اخذت هذه الاشيا
من بيت

من بيت المقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرايل
لما عصوا وقتلوا الانبيا سلط الله عليهم بخت نصر وهو من
المجوس وكان ملكه سبع ماية سنه وهو قوله فاذا جا وعد
اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا خلال
الديار وكان وعدا مفعولا فدخلوا بيت المقدس وقتلوا
الرجال وسبوا النسا والاطفال واخذوا الاموال وجميع
ما كان في البيت المقدس من هذه الاصناف فاحملوها على
سبعين الفا وماية الف عجلة حتى اودعوها ارض بابل
فاقاموا يستخدمون بني اسرايل ويستملكونهم بالخزي والعقاب
والنكال ماية عام ثم ان الله عز وجل رحمهم فاوحى الى ملك
من ملوك فارس ان يسير الى المجوس في ارض بابل وان يستنقذ
من في ايديهم من بني اسرايل من ايدي المجوس واستنقذ ذلك
الحلي الذي كان من البيت المقدس ورده الله اليه كما كان
اول مرة وقال لهم يا بني اسرايل ان عدتم الى المعاصي عدنا
عليكم بالسبي والقتل وهو قوله عسى ربكم ان يرحمكم وان
عدتم عدنا فلما رجعت بنو اسرايل الى البيت المقدس عادوا
الى المعاصي فسلط الله عليهم ملك الروم قيصر وهو قوله
فاذا جا وعد الاخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد
كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا فغزاهم في البر

والبحر فسباهم وقتلهم واخذ اموالهم ونساهم واخذ جميع حلي
بيت المقدس واحتمله علي سبعين الفا ومائة الف عجلة حتي
اودعه في كنيسة الذهب فهو فيها الان حتي ياخذه المهدي
ويرده الي بيت المقدس وهو الف سفينة وسبع مائة سفينة
يرمي بها علي يافي حتي تنقل الي بيت المقدس وبها يجمع الله
الاولين والاخرين وذكر الحديث قوله تعالى فاذا جا وعد
الاخرة اي من المرتين وجواب اذا محذوف تقديره بعثناهم
دل عليه بعثنا الاول ليسوءوا وجوهكم اي بالسبي والقتل
فيظهر اثر الحزن في وجوهكم وليسوءوا متعلق بمحذوف
اي بعثنا عبادا ليفعلوا بكم ما يسوء وجوهكم قيل المراد
بالوجوه ليدلوهم وقرا الكسائي لنسوء بنون وفتح الهمزة
فعل مخبر عن نفسه معظم اعتبارا بقوله وقضينا وبعثنا
ورددنا ووجوه عن علي وتصديقها قراة ابي لنسوءن بالنون
وحرف التاكيد وقرا ابو بكر والاعمش وابن وثاب
وحمزة وابن عامر ليسوء بالياء علي التوحيد وفتح الهمزة
ولها وجهان احدهما ليسوء الله وجوهكم والثاني ليسوء
الوعد وجوهكم وقرا الباقون ليسوءوا بالياء وضم
الهمزة علي الجمع اي ليسوء العباد الذين هم اولو باس
شديد وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة
وليتبروا

وليتبروا اي يدمروا ويهلكوا قال قطرب يهدموا قال الشاعر
فما الناس الا عاملان فعامل يتبر ما يبني واخر رافع
ما علو عليه اي علوا عليه من بلادكم تتبيرا قوله تعالى
عسى ربكم ان يرحمكم وهذا مما اخبروا به في كتابهم
وعسى من الله واجبه ان يرحمكم بعد انتقامه منكم
ولذلك كان فكثر عددهم وجعل منهم الملوك وان عدتم
عدنا قال قتاده فعادوا فبعث الله عليهم محمدا صلى
الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية بالصغار وروي
عن ابن عباس وهذا خلاف ما تقدم في الحديث وغيره
وقال القشيري وقد حل العقاب ببني اسرايل مرتين
على ايدي الكفار ومرة على ايدي المسلمين وهذا حين
عادوا فعاد الله عليهم وعلى هذا يصح قول قتاده
وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي محبسا وسجنا
من الحصر وهو الحبس قال الجوهري يقال حصره
يحصره حصرا ضيق عليه واحاط به والحصير الضيق
البخيل والحصير البارية والحصير الجنب قال الاصمعي
هو ما بين العرق الذي يظهر في جنب البعير والفرس
معترضا فما فوقه الى منقطع الجنب والحصير
الملك لانه محجوب قال لبيد

وقفا فم غلب الرقاب كانهم جن لذي باب الحصير قيام
ويروى ومقامه غلب الرقاب على ان يكون غلب
بدلا من مقامة كانه قال ورب غلب الرقاب وروى عن ابي
عبيدة لذي طرف الحصير قيام اي عند طرف البساط
للنعمان بن المنذر والحصير المحبس قال الله تعالى
وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا قال القشيري ويقال
للذي يفرش حصير لحصر بعضه على بعض بالنسج وقال
الحسن اي فراشا ومهادا ذهب الى الحصير التي يفرش
لان العرب تسمي البساط الصغير حصيرا قال الثعلبي
وهو وجه حسن قوله تعالى ان هذا القران يهدي
للتي هي اقوم لما ذكر المعراج ذكر ما قضى الى بني اسرائيل
وكان ذلك دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ثم بين ان الكتاب الذي انزله الله عليه سبب اهتدا
ومعنى التي هي اقوم اي للطريقة التي هي اشد واعدل
واصوب فالتي نعت لموصوف محذوف اي الطريقة
التي هي اقوم وقال الزجاج للحال التي هي اقوم الحالات
وهي توحيد الله والايمان برسله وقاله الكلبي
والفرا قوله تعالى ويبشر المومنين الذين يعملون
الصالحات يقدم انهم اي بان لهم اجرا كبيرا اي الجنة
وان الذين

وان الذين لا يومنون بالاخرة اي ويبشرهم بان لاعدا بهم
العقاب والقران بمعظمه وعد ووعيد وقرا حمزة
والكساي ويبشر مخففا بفتح اليا وضم الشين وقد ذكر
قوله تعالى ويدع الانسان بالشر دعاه بالخير قال
ابن عباس وغيره هو دعا الرجل على نفسه وولده عند
الضجر بما لا يحب ان يستجاب له اللهم اهلكه ونحوه دعاه
بالخير اي كدعايه ربه ان يهب له العافيه فلو استجاب الله دعاه
على نفسه بالشر هلك لاكن بفضله لا يستجيب له في ذلك
نظيره ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وقد تقدم
وقيل نزلت في النضر بن الحارث كان يدعوا ويقول اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة او ايتنا
بعذاب اليم وقيل هو ان يدعو في طلب المحظور كدعايه
في طلب المباح قال الشاعر وهو ابن جامع

اطوف بالبيت فيمن يطوف وارفع من ميزري المسبل
واسجد في الليل حتى الصباح واتلو من المحكم المنزل
عسى فارج الهم عن يوسف يسخر لي ربة المنزل

وحذفت الواو من ويدع الانسان في اللفظ والخط ولم
تحذف في المعنى لان موضعها رفع فحذفت لاستقبالها
اللام الساكنه كقوله تعالى الزبانية ويمح الله الباطل

سندع

وسوف يوت الله المومنين وينادي المناد فما تغن النذر
وكان الانسان عجولا اي طبعه العجلة بسؤال الشر كما يعجل
بسؤال الخير وقيل اشار الي ادم حين نهض قبل ان تتركب
فيه الروح علي الكمال قال سلمان اول ما خلق الله من ادم
راسه فجعل ينظر وهو تخلق جسده فلما كان عند العصر
بقيت رجلاه لم ينفخ فيهما الروح فقال يا رب عجل قبل الليل
فذلك قوله وكان الانسان عجولا وقال ابن عباس لما انتهت
النفخة الي سرته نظر الي جسده فذهب لينهض فلم يقدر
فذلك قوله وكان الانسان عجولا وقال ابن مسعود لما
دخل الروح في عينيه نظر الي ثمار الجنة فلما دخل في جوفه
اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح رجليه عجلان الي
ثمار الجنة فذلك حين يقول خلق الانسان من عجل ذكره البيهقي
وفي صحيح مسلم عن انس بن مالك ان رسول الله عليه وسلم
قال لما صور الله تعالي ادم في الجنة تركه ما شا الله ان
يتركه فجعل ابليس يطيف به فينظر ما هو فلما راه اجوف
عرف انه خلق خلقا لا يتمالك وقد تقدم وقيل سلم عليه السلام
اسيرا الي سودة فبات يان فسالته فقال النبي لشدة
القد والاسر فارخت من كتافه فلما نامت هرب فاخبرت
النبي صلي الله عليه وسلم فقال قطع الله يديك فلما اصبحت
كانت

كانت تتوقع الافة فقال عليه السلام اني سالت الله ان يجعل
دعاي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما
يغضب البشر ونزلت الاية ذكره القشيري ابو نصر رحمه الله
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما
يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه
فايما مومن اذيته او سببته او جلدته فاجعله له كفارة
وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وفي الباب عن عايشه
وجابر وقيل معنى وكان الانسان عجولا اي يوثر العاجل
وان قل على الاجل وان جل قوله تعالى وجعلنا الليل
والنهار ايتين اي علامتين على وحدانيتنا ووجودنا وكمال
علمنا وقدرتنا والاية فيهما اقبال كل واحد منهما من حيث
لا يعلم وادباره الى حيث لا يعلم ونقصان احدهما بزيادة
الاخر وبالعكس اية ايضا وكذلك ضو النهار وظلمة الليل
وقد مضى هذا فمحونا اية الليل ولم يقل فمحونا الليل فلما
اضاف الاية الى الليل والنهار دل على ان الايتين المذكورتين
لهما لا هما ومحونا معناه طمسنا · وفي الخبر ان الله امر
جبريل عليه السلام فامر جناحه على وجه القمر فطمس
عنه الضو وكان كالشمس في النور والسواد الذي يرى

مطلب الشمس والقمر ومحو نوره

في القمر من اثار المحو قال ابن عباس جعل الله الشمس سبعين جزءًا
فمحا من نور القمر تسعة وستين جزوًا والقمر على جزءٍ
واحد وعنه ايضا خلق الله شمسين من نور عرشه فجعل
ما سبق في علمه ان يكون شمسا مثل الدنيا على قدرها ما
بين مشارقها الى مغاربها وجعل القمر دون الشمس فارسل
جبريل فأمرّ جناحه على وجهه ثلاث مرات وهو يومئذ
شمس فطمس ضوءه وابقى نوره فالسواد الذي ترونه
في القمر اثر المحو ولو تركه شمسا لم يعرف الليل من النهار
ذكر عنه الاول الثعلبي والثاني المهدوي وسياتي مرفوعا
وقال علي رضي الله عنه وقتادة يريد بالمحو السواد التي
في القمر ليكون ضوء القمر اقل من ضوء الشمس فيتميز
به الليل من النهار وجعلنا اية النهار مبصرة اي جعلنا
شمسه مضية للابصار قال ابو عمرو بن العلا اي يبصر
بها اللسان وهو من قول العرب ابصر النهار اذا اضا
وصار بحالة يبصر بها وقيل هو كقولهم خبيث مخبث
اذا كان اصحابه خبثا ورجل مضعف اذا كانت دوابه
ضعافا فلذلك النهار مبصرا اذا كان اهله بصرا لتبتغوا
فضلا من ربكم يريد التصرف في المعاش ولم يذكر السكون
في الليل اكتفا بما ذكر في النهار وقد قال في موضع اخر

وهو الذي

وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ولتعلموا
عدد السنين والحساب اي لو لم يفعل ذلك لما عرف الليل من
النهار ولا كان يعرف الحساب والعدد وكل شي فصلناه تفصيلا
اي من احكام التكليف وهو كقوله تبيانا لكل شي ما فرطنا
في الكتاب من شي وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لما ابرم الله خلقه فلم يبق من خلقه غير ادم خلق
شمسا من نور عرشه وقمرا فكانا جميعا شمسين
فاما ما كان في سابق علم الله ان يدعها شمسا فخلقها
مثل الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها واما ما كان في علم
الله ان يخلقها قمرا فخلقها دون الشمس في العظم ولكن
انما يرى صغرها من شدة ارتفاع السما وبعدها من الارض
فلو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من
النهار ولا كان الاجير يدري الى متى يعمل ولا الصايم الى
متى يصوم ولا المراه كيف تعتد ولا تدري اوقات الصلوات
والحج ولا محل الديون ولا حين يبذرون ويزرعون
ولا متى يسكنون للراحه لابدانهم فكان الله نظر الى عباده
وهو ارحم بهم من انفسهم فارسل جبريل فامر جناحه
على وجه القمر ثلاث مرات وهو يومئذ شمس فطمس
عنه الضو وبقي فيه النور فذلك قوله وجعلنا الليل

والنهار ايتين لاية قوله تعالى وكل انسان الزمناه طايره في عنقه
قال الزجاج ذكر العنق عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة للعنق
وقال ابن عباس طايره عمله وما قدر عليه من خير وشر وهو
ملازمه اينما كان وقال مقاتل والكلبي خيره وشره معه
لا يفارقه حتى يحاسب به وقال مجاهد عمله ورزقه وعنه
ما من مولود يولد الا وفي عنقه ورقة فيها مكتوب شقي او
سعيد وقال الحسن الزمناه طايره اي سعادته وشقاوته
وما كتب له من خير وشر وما طار له من التقدير اي
صار له عند القسمة في الازل وقيل اراد به التكليف اي
قلدناه التزام الشرع وهو بحيث لو اراد ان يفعل ما امر
به وينزجر عما زجر به امكنه ذلك ونخرج له يوم القيامة
كتابا يلقاه منشورا يعني كتاب طايره الذي في عنقه
وقرا الحسن وابو رجا ومجاهد طيره بغير الف ومنه
ما روي في الخبر اللهم لا خير الا خيرك ولا طير الا طيرك
ولا رب غيرك وقرا ابن عباس والحسن ومجاهد وابن
محيصن وابو جعفر ويعقوب ويخرج بفتح اليا
وضم الرا على معنى ويخرج له الطاير كتابا فكتابا
منصوب على الحال ويحتمل ان يكون المعنى ويخرج الطاير
فيصير كتابا وقرا يحيى بن وثاب ويخرج بضم اليا
ولكسر الرا

وكسر الرا وروي عن مجاهد اي يخرج الله وقرا شيبة
ومحمد بن السميفع وروي ايضا عن ابي جعفر ويخرج
بضم اليا وفتح الرا على الفعل المجهول ومعناه
ويخرج له الطاير كتابا الباقون ونخرج بنون
مضمومة وكسر الرا اي ونحن نخرج واختار ابو
عمرو في هذه القراة بقوله الزمناه وقرا ابو جعفر
والحسن وابن عامر يلقاه بضم اليا وفتح اللام وتشديد
القاف بمعني يوتاه الباقون باليا خفيفة اي يراه بفتح
منشورا وقال منشورا تعجيلا بالبشري بالحسنة
والتوبيخ بالسية وقال ابو السوار العدوي وقرا
هذه الاية وكل انسان الزمناه طايره في عنقه قال
هما نشرتان وطية اما ما حييت يا ابن ادم فصحيفتك المنشوره
فامل فيها ما شيت فاذا امت طويت حتي اذا بعثت نشرت
اقرا كتابك قال الحسن يقرا الانسان كتابه اميا كان او غير
امي كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا اي محاسبا وقال بعض
الصلحا هذا كتاب لسانك قلمه وريقك مداده واعضاوك
قرطاسه انت كنت المملي علي حفظتك ما زيد فيه ولا نقص
منه ومتي ومتي انكرت منه شيا يكون فيه الشاهد منك عليك
قوله تعالي من اهتدي فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما

عليها اي انما كل احد يحاسب عن نفسه لا عن غيره فمن اهتدى
فثواب اهتدايه له ومن ضل فعقاب لغوه عليه ولا تزر وازرة
وزر اخرى تقدم في الانعام وقال ابن عباس نزلت في
الوليد بن المغيرة قال لاهل مكه اتبعوني واكفروا بمحمد
وعلى اوزاركم فنزلت هذه الاية اي ان الوليد لا يحمل اثامكم
وانما اثم كل واحد عليه يقال وزر يزر وزرا ووزرة اي
اثم والوزر الثقل المثقل والجمع اوزار ومنه يحملون اوزارهم
على ظهورهم اي اثقال ذنوبهم وقد وزر اذا حمل فهو وازر
ومنه وزير السلطان الذي يحمل ثقل دولته والها في قوله
كناية عن النفس اي لا تؤخذ نفس اثمه باثم اخرى حتى ان
الوالدة تلقى ولدها يوم القيامه فتقول يا بني الم يكن حجري
لك وطا الم يكن ثديي لك سقا الم يكن بطني لك وعا فيقول بلى
يا امه فتقول يا بني فان ذنوبي اثقلتني فاحمل عني منها ذنبا واحدا
فيقول اليك عني يا امه فاني بذنبي عنك اليوم مشغول **مسئلة**
نزعت عايشة رضي الله عنها بهذه الاية في الرد على ابن
عمر حين قال ان الميت ليعذب ببكا اهله قال علماونا وانما
حملها على ذلك انه لم تسمعه وانه معارض للاية ولا وجه
لانكارها فان الرواة لهذا المعنى كثير كعمر وابنه والمغيرة
بن شعبه وقيلة بنت مخرمة وهم جازمون بالرواية

فلا وجه

فلا وجه لتخطيتهم ولا معارضة بين الاية والحديث فان
الحديث نحمله على ما اذا كان النوح من وصية الميت وسنته
كما كانت الجاهلية تفعله حتى قال طرفة
اذا مت فانعيني بما انا اهله وشقي علي الجيب يا ابنة معبد
وقال الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر
والى هذا نحا البخاري وقد ذهب جماعة من اهل العلم منهم
داود الى اعتقاد ظاهر الحديث وانه انما يعذب بنوحهم
لانه اهمل نهيهم عنه قبل موته وتاديبهم بذلك فيعذب بتفريطه في
ذلك وبترك ما امره الله من قوله قوا انفسكم واهليكم نارا لا
بذنب غيره والله اعلم قوله تعالى وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا اي لم نترك الخلق سدى بل ارسلنا الرسل وفي
هذا دليل على ان الاحكام لا تثبت الا بالشرع خلافا
للمعتزلة القائلين بان العقل يقبح ويحسن ويبيح ويحظر
وقد تقدم في البقرة القول فيه والجمهور على ان هذا
في حكم الدنيا اي ان الله لا يهلك امة بعذاب الا بعد
الرسالة اليهم والانذار وقالت فرقة هذا عام في الدنيا
والاخرة لقوله تعالى كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها
الم ياتكم نذير قالوا بلى قال ابن عطية والذي يعطيه النظر
ان بعثة ادم عليه السلام بالتوحيد وبث المعتقدات

في تيه مع نصب الادلة الدالة على الصانع مع سلامة الفطر
توجب على كل احد من العالم الايمان واتباع شريعة الله
ثم تجدد ذلك في زمن نوح عليه السلام بعد غرق الكفار
وهذه الاية ايضا يعطي احتمال لفاظها نحو هذا في الذين لم
تصلهم رسالة وهم اهل الفترات الذين قد قدر وجودهم
بعض اهل العلم واما ما روي من ان الله تعالى يبعث اليهم
يوم القيامة والى المجانين والاطفال فحديث لم يصح
ولا يقتضي ما تعطيه الشريعة من ان الاخرة ليست
دار تكليف قال المهدوي وروي عن ابي هريرة ان الله عز
وجل يبعث يوم القيامه رسولا الى اهل الفترة والابكم
والاخرس والاصم فيطيعه منهم من كان يريد ان يطيعه
في الدنيا وتلا الاية رواه معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن
ابي هريره ذكره النحاس قلت هذا موقوف وسياتي
مرفوعا في اخر سورة طه ان شا الله تعالى ولا يصح وقد
استدل قوم في ان اهل الجزاير اذا سمعوا بالاسلام وامنوا
فلا تكليف عليهم فيما مضى وهذا صحيح ومن لم تبلغه الدعوه
فهو غير مستحق للعذاب من جهة العقل والله اعلم
قوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها
فحق عليها القول فدمرناها تدميرا فيه ثلاث مسايل
الاولى

الاولى اخبر تعالى في الاية التي قبل انه لم يهلك القرى قبل
ابتعاث الرسل لا لانه يقبح منه ذلك ان فعل ولكنه وعد
منه ولا خلف في وعده فاذا اراد اهلاك قرية مع تحقيق
وعده على ما قاله تعالى امر مترفيها بالفسق والظلم فيها
فحق عليها القول بالتدمير يعلمك ان من هلك فانما هلك بارادته
فهو الذي يسبب الاسباب ويسوقها الى غاياتها ليحق القول
السابق من الله تعالى الثانية قوله تعالى أمرنا قرا ابو عثمان
النهدي أمّرنا بتشديد الميم جعلناهم امرا مسلطين
وقاله ابن عزيز وتامر عليهم تسلط وقرا الحسن ايضا وقتادة
وابو حيوة الشامي ويعقوب وخارجة عن نافع وحماد بن
سلمة عن ابن كثير وعلي وابن عباس باختلاف عنهما آمرنا بالمد
والتخفيف اي اكثرنا جبابرتها وأمراها قاله الكسائي
وقال ابو عبيدة آمرته بالمد وامرته لغتان بمعنى كثرته
ومنه الحديث خير المال مهرة مامورة او سكة مابورة
اي كثيرة النتاج والنسل وكذا قال ابن عزيز امرنا وآمرنا
بمعنى واحد اي اكثرنا وعن الحسن ايضا ويحيى بن يعمر امرنا
بالقصر وكسر الميم على فعلنا ورويت عن ابن عباس قال
قتادة والحسن المعنى اكثرنا وحكى نحوه ابو زيد وابو عبيد
وانكره الكسائي وقال لا يقال من الكثرة الا آمرنا فانه قال

واصلها واثرنا فخفف حكاه المهدوى وفي الصحاح وقال ابو الحسن
امر ماله بالكسر اي كثر وامر القوم اي كثروا قال الشاعر
امرون لا يرثون سهم القعدد ؞ وامر الله ماله بالمد
الثعلبي ويقال للشي الكثير امر والفعل منه امر القوم
يامرون امرا اذا كثروا قال ابن مسعود كنا نقول في الجاهلية
للحي اذا كثروا امر امر بني فلان قال لبيد ؞
كل بني حره مصيرهم قل وان اكثرت من العدد ؞ ان يغبطوا
يهبطوا وان امروا يوما يصيروا للهلاك والفند ؞ قلت
وفي حديث هرقل الحديث الصحيح لقد امر امر ابن ابي كبشة
انه ليخافه ملك بني الاصفر اي كثر وكله غير متعد ولذلك
انكره الكساي والله اعلم قال المهدوي ومن قراء امر
فهي لغة ووجهه تعدية امر انه شبهه بعمر من حيث
كانت الكثرة اقرب شي الى العمارة فعدي كما عدي عمر الباقون
امرنا من الامر اي امرناهم بالطاعة اعذارا وانذارا
وتخويفا ووعيدا ففسقوا اي فخرجوا عن الطاعه
عاصين لنا فحق عليها القول فوجب عليها الوعيد عن ابن
عباس وقيل امرنا جعلناهم امرا لان العرب تقول
امير غير مامور اي غير مؤتمر وقيل معناه بعثنا
مستكبريها قال هارون وهي قراة ابي بعثنا اكابر مجرميها
ففسقوا

بلغ

نفسقوا ذكره الماوردي وحكى النحاس وقال هارون في قراءة
ابي واذا اردنا ان نهلك قرية بعثنا فيها اكابر مجرميها فمكروا
فيها فحق عليها القول ويجوز ان يكون امرنا بمعنى اكثرنا
ومنه خير المال مهرة مامورة على ما تقدم وقال قوم
مامورة اتباع لمابورة كالغدايا والعشايا وكقوله
ارجعن مازورات غير ماجورات وعلى هذا لا يقال
امرهم الله بمعنى كثرهم بل يقال امره وامّره
واختار ابو عبيد وابو حاتم قراءة العامة قال
ابو عبيد وانما اخترنا امرنا لان المعاني الثلاثة
تجتمع فيها من الامر والامارة والكثرة والمترف المنعم
وخصوا بالامر لان غيرهم تبع لهم الثالثة قوله
فدمرناها اي استاصلناها بالهلاك تدميرا ذكر
المصدر للمبالغة في العذاب الواقع بهم وفي الصحيح
من حديث زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله
عليه وسلم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما فزعا محمرا وجهه يقول لا اله الا الله ويل
للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج
وماجوج مثل هذه وحلق باصبعه الابهام والتي
تليها قالت فقلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون

قال نعم اذا كثر الخبث وقد تقدم الكلام في هذا الباب
وان المعاصي اذا ظهرت ولم تغير كانت سببا لهلاك
الجميع والله اعلم قوله تعالى وكم اهلكنا من القرون
من بعد نوح اى كم من قوم كفروا حل بهم البوار
نحو كفار مكة وقد تقدم القول في القران في اول
سورة الانعام والحمد لله وكفى بربك بذنوب عباده
خبيرا بصيرا خبيرا عليما بهم بصيرا يبصر اعمالهم
وقد تقدم قوله تعالى من كان يريد العاجلة يعنى
الدنيا والمراد الدار العاجلة فعبر بالنعت عن المنعوت
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد اى لم نعطه منها الا ما
نشاء ثم نواخذه بعمله وعاقبته دخول النار
مذموما مدحورا اى مطرودا مبعدا من رحمة الله
وهذه صفة المنافقين الفاسقين والمرائين المداجين
يلبسون الاسلام والطاعة لينالوا عاجل الدنيا
من الغنائم او غيرها فلا يقبل ذلك العمل منهم في الاخرة
ولا يعطون في الدنيا الا ما قسم لهم وقد تقدم في هود
ان هذه الاية تقيد تلك الايات المطلقة فتامله ومن
اراد الاخرة اى الدار الاخرة وسعى لها سعيها
اى عمل لها عملها من الطاعات وهو مومن لان الطاعات
لا تقبل

لا تقبل الا من مومن فاوليك كان سعيهم مشكورًا اي مقبولًا
غير مردود وقيل مضاعفًا اي تضاعف لهم الحسنات الى
عشر والى سبعين والى سبع مائة ضعف والى اضعاف كثيرة
كما روي عن ابي هريرة وقد قيل اسمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان الله ليجزي على الحسنة الواحدة
الف الف حسنة فقال سمعته يقول ان الله ليجزي على
الحسنة الواحدة الفي الف حسنة قوله تعالى كلا نمد
هولاء وهولاء من عطاء ربك اعلم انه يرزق المومنين والكفار
وما كان عطاء ربك محظورًا اي محبوسًا ممنوعًا من حظر يحظر
حظرًا وحظارًا ثم قال تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على
بعض في الرزق والعمل فمن مقل ومكثر وللاخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلا اي للمومنين فالكافر وان وسع عليه في الدنيا
مرة وقتر على المومن مرة فالاخرة لا تقسم الا مرة واحده
باعمالهم فمن فاته شي منها لم يستدركه فيها وقوله لا تجعل
مع الله الهًا اخر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
امته وقيل الخطاب للانسان فتقعد اى تبقى مذمومًا
مخذولًا لا ناصر لك ولا وليا قوله تعالى وقضى ربك
الا تعبدوا الا اياه الى قوله كما ربياني صغيرا فيه
ستة عشرة مسلة الاولى قضى اي امر والزم واوجب

قال ابن عباس والحسن وقتاده وليس هذا قضا حكم بل هو
قضا امر وفي مصحف ابن مسعود ووصى وهي قراة اصحابه
وقراة ابن عباس ايضا وعلي وغيرهما وكذلك عند ابي بن كعب
قال ابن عباس انما هو ووصى فالتصقت احدى الواوين فقريت
وقضى ربك اذ لو كان علي على القضا ما عصى الله احد
وقال الضحاك تصحفت علي قوم وصى بقضى حين اختلطت
الواو بالصاد وقت كتب المصحف وذكر ابو حاتم عن
ابن عباس مثل قول الضحاك وقال عن ميمون بن مهران انه
قال ان على قول ابن عباس لنورا قال الله تعالى شرع لكم من
الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ثم ابى ابو حاتم
ان يكون ابن عباس قال ذلك وقال لو قلنا هذا لطعن الزنادقه
في مصحفنا ثم قال علماونا المتكلمون وغيرهم القضا يستعمل
في اللغة على وجوه فالقضا بمعنى الامر كقوله تعالى وقضى
ربك الا تعبدوا الا اياه معناه امر والقضا بمعنى الخلق كقوله
كقوله فقضاهن سبع سموات يعني خلقهن والقضى بمعنى الحكم
كقوله تعالى فاقض ما انت قاض يعني احكم ما انت تحكم
والقضا بمعنى الفراغ كقوله قضي الامر الذي فيه تستفتيان
اي فرغ منه ومنه قوله تعالى فاذا قضيتم مناسككم
فاذا قضيت الصلاة والقضا بمعنى الارادة كقوله تعالى

اذا قضى

ربك

بيان في معنى القضاء ولغة

اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون والقضا بمعنى العهد
كقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر
فاذا كان القضا يحتمل هذه المعاني فلا يجوز اطلاق القول
بان المعاصي بقضا الله لانه ان اريد به الامر فلا خلاف
انه لا يجوز ذلك لان الله سبحانه لم يامر بها فانه لا يامر بالفحشاء
وقال زكريا بن سلام جا رجل الى الحسن فقال انه طلق
امراته ثلثا فقال انك قد عصيت ربك وبانت منك
فقال الرجل قضى الله ذلك علي فقال الحسن وكان فصيحا
ما قضى الله ذلك اي ما امر به وقرا هذه الاية وقضى ربك
الا تعبدوا الا اياه الثانية امر الله سبحانه بعبادته
وتوحيده وجعل بر الوالدين مقرونا بذلك كما قرن
شكرهما بشكره فقال وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه
وبالوالدين احسانا وقال ان اشكر لي ولوالديك الي
المصير وفي صحيح البخاري عن عبد الله قال سالت النبي
صلى الله عليه وسلم اي العمل احب الى الله عز وجل قال
الصلاة على وقتها قال ثم اي قال ثم بر الوالدين قال
ثم اي قال الجهاد في سبيل الله فاخبر صلى الله عليه وسلم
ان بر الوالدين افضل الاعمال بعد الصلاة التي هي اعظم
دعايم الاسلام ورتب ذلك بثم التي تعطي الترتيب والمهلة

الثالثة من البر بهما والاحسان اليهما ان لا يتعرض لسبهما
ولا يعقهما فان ذلك من الكباير بلا خلاف وبذلك وردت السنة
الثابتة ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان من الكباير شتم الرجل والديه
قالوا يا رسول الله وهل يشتم والديه قال نعم يسب الرجل
ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه الرابعة
عقوق الوالدين مخالفتهما في اغراضهما الجايزة لهما كما ان
برهما موافقتهما على اغراضهما وعلى هذا اذا امرا او
احدهما ولدهما بامر وجبت طاعتهما فيه اذا لم يكن
ذلك الامر معصية وان كان ذلك المامور به من قبيل
المباح في اصله وكذلك اذا كان من قبيل المندوب وقد
ذهب بعض الناس الى ان امرهما بالمباح يصيره في حق
الولد مندوبا اليه وامرهما بالمندوب يزيده تاكيدا
في ترتيبه الخامسة روى الترمذي عن ابن عمر قال كانت
تحتي امراة احبها وكان ابي يكرهها فامرني ان اطلقها فابيت
فذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عبد الله بن عمر
طلق امراتك قال هذا حديث حسن صحيح السادسة
روى الصحيح عن ابي هريرة قال جا رجل الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال من احق الناس بحسن صحابتي قال امك
قال ثم من

قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم أُمك فهذا الحديث
يدل على ان محبة الام والشفقة عليها ينبغي ان تكون ثلثة
امثال محبة الاب لذكر النبي صلى الله عليه وسلم الام
ثلث مرات وذكر الاب في الرابعة فقط واذا توُمل هذا
المعنى شهد له العيان وذلك ان صعوبة الحمل وصعوبة
الوضع وصعوبة الرضاع والتربية تنفرد بها الام دون
الاب فهذه ثلث منازل يخلوا منها الاب وروي عن مالك
ان رجلاً قال له ان ابي في بلد السودان وقد كتب الي ان
اقدم عليه وامي تمنعني من ذلك فقال له اطع اباك ولا
تعص امك فدل قول مالك هذا ان برهما عنده متساوٍ وقد
سيل الليث عن هذه المسلة فامره بطاعة الام وزعم
ان لها ثلثي البر وحديث ابي هريرة يدل على ان لها ثلثة ارباع
البر وهي الحجة على من خالف وقد زعم المحاسبي في كتاب
الرعاية له انه لا خلاف بين العلماء ان للام ثلثة ارباع البر
وللاب الربع على مقتضى حديث ابي هريرة والله اعلم السابعة
لا يختص بر الوالدين بان يكونا مسلمين بل ان كانا كافرين
يبرهما ويحسن اليهما اذا كان لهما عهد قال الله تعالى لا ينهاكم
الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم
ان تبروهم وفي صحيح البخاري عن اسما قالت قدمت امي وهي مشركة

قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم ابوك

في عهد قريش ومدتهم اذ عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم
مع ابيها فاستفتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ان امي
قدمت وهي راغبة افاصلها قال نعم صلي امك وروي ايضا
عن اسما قالت اتتني امي راغبة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
فسالت النبي صلى الله عليه وسلم اصلها قال نعم قال ابن عيينه
فانزل الله عز وجل لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين
الاول معلق والثاني مسند الثامنة من الاحسان اليهما
والبر بهما اذا لم يتعين الجهاد ان لا يجاهد الا باذنهما روى
الصحيحان عن عبد الله بن عمرو قال جا رجل الى النبي صلى
الله عليه وسلم يستاذنه في الجهاد فقال احي والداك قال نعم
قال ففيهما فجاهد لفظ مسلم في غير الصحيح قال نعم تركتهما
يبكيان قال اذهب فاضحكهما كما ابكيتهما وفي خبر اخر قال
نومك مع ابويك على فراشهما يضاحكانك ويلاعبانك افضل
لك من الجهاد معي ذكره ابن حوار منداد ولفظ البخاري في
كتاب بر الوالدين نا ابو نعيم نا سفيان عن عطا بن السايب
عن ابيه عن عبد الله بن عمرو قال جا رجل الى النبي صلى
الله عليه وسلم يبايعه على الهجرة وترك ابويه يبكيان
فقال ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما قال ابن المنذر في هذا
الحديث النهي عن الخروج بغير اذن الابوين ما لم يقع النفير

فاذا

فاذا وقع وجب الخروج على الجميع وذلك بين في حديث ابي
قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيش الامرا فذكر قصة زيد بن حارثة
وجعفر بن ابي طالب وابن رواحة وان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى بعد ذلك
ان الصلاة جامعة فاجتمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس اخرجوا
فامدوا اخوانكم ولا يتخلفن احد فخرج الناس مشاة وركبانا في حر شديد
فدل قوله اخرجوا فامدوا اخوانكم ان العذر في التخلف عن الجهاد انما هو ما لم
يقع النفير مع قوله عليه السلم واذا استنفرتم فانفروا **قلت**
ففي هذه الاحاديث دليل على ان المفروضات والمندوبات متى اجتمعت قدم الاهم منها
وقد استوفى هذا المعنى المحاسبي في كتاب الرعاية **التاسعة** واختلفوا
في الوالدين المشركين هل يخرج باذنهما اذا كان الجهاد من فروض الكفاية فكان الثوري
يقول لا يغزو الا باذنهما وقال الشافعي له ان يغزو بغير اذنهما قال
ابن المنذر والاجداد ابا والجدات امهات فلا يغزو المرء الا باذنهم ولا اعلم دلالة
توجب ذلك لغيرهم من الاخوة وساير القرابات وكان طاوس يرى السعي على الاخوات افضل
من الجهاد في سبيل الله **العاشرة** من تمام برهما صلة اهل ودهما ففي الصحيح
عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من ابر البر صلة الرجل
اهل ود ابيه بعد ان يولي وروى ابو اسيد وكان بدريا قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
جالسا فجاءه رجل من الانصار فقال يا رسول الله هل بقي من بر والدي من بعد موتهما شي
ابرهما به قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما بعدهما واكرام صديقهما
وصلة الرحم التي لا رحم لك الا من قبلهما فهذا الذي بقي عليك وكان صلى الله عليه وسلم

يهدي لصدائق خديجة برّا بها ووفاء لها وهي زوجته فما ظنك بالوالدين
الحادية عشرة قوله تعالى اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما خص
حالة الكبر لانها الحالة من مراعاة احوالهما اكثر مما الزمه من قبل لانهما في
هذه الحالة قد صارا كلا عليه فيحتاجان ان يلي منهما ما كان يحتاج
في صغره ان يليا منه في كبره فلذلك خص هذه الحالة بالذكر وايضا
فطول المكث للمرء يوجب الاستثقال للمرء عادة ويحصل الملل ويكثر الضجر
فيظهر غضبه على ابويه وتنتفخ لهما اوداجه ويستطيل عليهما بدالة
البنوة وقلة الديانة واقل المكروه ما يظهره بتنفسه المتردد من الضجر
وقد امر ان يقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة وهو السالم عن كل عيب
فقال ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما روى مسلم عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انفه رغم انفه رغم انفه
قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر احدهما او كلاهما ثم لم يدخل
الجنة وقال البخاري في كتاب بر الوالدين حدثنا مسدد نا بشر بن المفضل
نا عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد المقبري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي رغم انف رجل ادرك ابويه
عند الكبر او احدهما فلم يدخلاه الجنة ورغم انف رجل دخل عليه رمضان
ثم انسلخ قبل ان يغفر له حدثنا ابن ابي اويس حدثني اخي عن سليمن بن بلال
عن محمد بن هلال عن سعد بن اسحق بن كعب بن عجرة السالمي عن ابيه
رضي الله عنه قال ان كعب بن عجرة رضي الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه

لكونها حال
الى حاجة من البر لتغير الحال عليهما
بالضعف والكبر وانزل في بعض الحال

صلى الله عليه وسلم احضروا المنبر فلما خرج فرقي المنبر فرقي
اول درجه منه قال امين ثم رقي في الثانية فقال امين ثم
لما رقي الثالثة قال امين فلما فرغ ونزل عن المنبر قلنا يا رسول
الله لقد سمعنا منك اليوم شيا ما كنا نسمعه منك قال وسمعتمو
قلنا نعم قال ان جبريل عليه السلام اعترض قال بعد من ادرك
رمضان فلم يغفر له فقلت امين فلما رقيت الثانية قال بعد من
ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت امين فلما رقيت الثالثه
قال بعد من ادرك عنده ابواه الكبر او احدهما فلم يدخلاه
الجنة قلت امين حدثنا ابو نعيم نا سلمه بن وردان سمعت انسا
رضي الله عنه يقول ارتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على المنبر فرقي درجة فقال امين ثم ارتقى درجة فقال
امين ثم ارتقى الدرجة الثالثه فقال امين ثم استوى وجلس
فقال اصحابه يا رسول الله على ما امنت قال اتاني جبريل
عليه السلام فقال رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل عليك
فقلت امين ورغم انف من ادرك ابويه او احدهما فلم يدخل
الجنة فقلت امين الحديث فالسعيد الذي يبادر اغتنام
فرصة برهما لئلا يفوته بموتهما فيندم على ذلك والشقي
من عقهما لاسيما من بلغه الامر ببرهما الثانية عشرة
قوله تعالى فلا تقل لهما اف اي لا تقل لهما ما يكون فيه اذى

تبرم وعن ابي رجا العطاردي قال الاف الكلام القذع الردي
الخني وقال مجاهد معناه اذا رايت منهما في حال الشيخ الغايط
والبول الذي راياه منك في الصغر فلا تقذرهما وتقول اف
والايه اعم من هذا والاف والتف وسخ الاظفار ويقال لكل ما
يضجر ويستثقل اف له قال الازهري والتف ايضا الشي الحقير
وقري اف منون مخفوض كما تخفض الاصوات وتنون
تقول صه ومه وفيه عشر لغات اف واف واف وافا
واف واف وافه واف لك بكسر الهمزه واف بضم الهمزه
وتسكين الفا وافا مخففة الفا وفي الحديث فالقى طرف
ثوبه على انفه ثم قال اف اف قال ابو بكر معناه الاستقذار
لما شم وقال بعضهم معنى اف الاحتقار والاستقلال
اخذ من الانف وهو القليل وقال القتبي اصله نفخك الشي
يسقط عليك من رماد او تراب وغير ذلك وللمكان
تريد اماطه شي لتقعد فيه فقيلت هذه الكلمة
لكل مستثقل وقال ابو عمرو بن العلا الاف وسخ بين
الاظفار والتف قلامتها وقال الزجاج معنى اف النتن وقال
الاصمعي الاف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار فكثر
استعماله حتى ذكر في كل ما يتاذى به وروي من حديث
علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم لو علم الله من العقوق شيئا اردى من اف لذكره
فليعمل البار ما شا ان يعمل فلن يدخل النار وليعمل العاق ما شا
ان يعمل فلن يدخل الجنة قال علماونا وانما صارت قول اف للابوين
اردا شي لانه رفضهما رفض كفر النعمة وجحد التربية
ورد الوصية التي اوصاه في التنزيل واف كلمة مقولة
لكل شي مرفوض ولذلك قال ابراهيم لقومه اف لكم ولما تعبدون
من دون الله اي رفض لكم ولهذه الاصنام معكم **الثالثة عشرة**
قوله تعالى ولا تنهرهما النهر الزجر والغلظة وقل لهما قولا
كريما اي لينا لطيفا مثل يا ابتاه ويا اماه من غير ان يسميهما
او يكنيهما قاله عطا وقال ابن الهداج التجيبي قلت لسعيد
بن المسيب كل ما في القران من بر الوالدين قد عرفته الا قوله
وقل لهما قولا كريما قال ابن المسيب قول العبد المذنب للسيد
الفظ الغليظ **الرابعة عشرة** قوله تعالى واخفض لهما
جناح الذل من الرحمة هذه الاستعارة في الشفقة والرحمة
بهما والتذلل لهما تذلل الرعية للامير والعبيد للسادة
كما اشار اليه سعيد بن المسيب وضرب خفض الجناح
ونصبه مثلا لجناح الطاير حين ينصب جناحه لولده
والذل هو اللين وقراة الجمهور بضم الذال من ذل يذل ذلا
وذلة ومذلة فهو ذال وذليل وقرا سعيد بن جبير وابن

عباس وعروه بن الزبير الذل بكسر الذال وروبت عن عاصم
من قولهم دابة ذلول بينة الذل والذل في الدواب المنقاد
السهل دون الصعب وينبغي بحكم هذه الايه ان الانسان
يجعل نفسه مع ابويه في خير ذله في اقواله وسكناته ونظره
ولا يحد اليهما بصره فان تلك هي نظرة الغاضب الخامسة
عشرة الخطاب في هذه الايه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
به امته اذ لم يكن له عليه السلام في ذلك الوقت ابوان ولم
يذكر الذل في قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من
المؤمنين وذكره هنا بحسب عظم الحق وتاكيده ومن في
قوله من الرحمة لبيان الجنس اي ان هذا الخفض يكون من
الرحمة المستكنة في النفس لا بان يكون ذلك استعمالا ويصح
ان يكون لانتها الغاية ثم امر تعالى عباده بالترحم على
ابايهم والدعا لهم وان يرحمهما كما رحماك وترفق بهما كما
رفقا بك اذ وليا الصغير جاهلا محتاجا فاثرا لك على
انفسهما واسهر ليلهما وجاعا واشبعاك وتعريا وكساك
فلا تجزيهما الا ان يبلغا من الكبر الحد الذي كنت فيه
من الصغر فتلي منهما ما ولياه منك ويكون لهما حينيذ فضل
التقدم قال صلى الله عليه وسلم لا يجزي ولد والدا الا ان
يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وسياتي في سورة مريم
الكلام

الكلام على هذا الحديث السادسه عشرة قوله تعالى
كما ربياني خص التربية بالذكر ليتذكر العبد شفقة الابوين
وتعبهما في التربيه فيزيده ذلك اشفاقا لهما وحنانا عليهما
وهذا كله في الابوين المومنين وقد نهى القران عن الاستغفار
للمشركين الاموات ولو كانوا اولي قربى كما تقدم وذكر
عن ابن عباس وقتادة ان هذا كله منسوخ بقوله ما كان
للنبي والذين امنوا الى قوله اصحاب الجحيم فاذا كان والدا
المسلم ذميين استعمل معهما ما امره الله به ها هنا الا
الترحم لهما بعد موتهما على الكفر لان هذا وحده نسخ بالاية
المذكورة وقيل ليس هذا موضع نسخ فهو دعا بالرحمة
الدنيوية للابوين المشركين ما داما حيين كما تقدم او
يكون عموم هذه الاية خص بتلك لا رحمة الاخره لاسيما
وقد قيل ان قوله وقل رب ارحمهما نزلت في سعد بن ابي
وقاص فانه اسلم فالقت امه نفسها في الرمضا متجردة
فذكر ذلك لسعد فقال لتمت فنزلت الاية وقيل الاية
خاصة في الدعا للابوين المسلمين والصواب ان ذلك عموم
كما ذكرنا وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم من
امسى مرضيا لوالديه واصبح امسى واصبح وله بابان
مفتوحان من الجنة وان واحدا فواحدا ومن امسى

واصبح مسخطا لوالديه امسى واصبح وله بابان مفتوحان
الى النار وان واحدا فواحدا فقال رجل يا رسول الله وان ظلماه
قال وان ظلماه وان ظلماه وان ظلماه وقد روينا بالاسناد المتصل عن
جابر بن عبد الله قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ان ابي اخذ مالي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
للرجل فاتني بابيك فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى
الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى يقريك السلام
ويقول لك اذا جاك الشيخ فسله عن شي قاله في نفسه ما
سمعته اذناه فلما جاه الشيخ قال له النبي صلى الله عليه وسلم
ما بال ابنك يشكوك اتريد ان تاخذ ماله فقال سله يا
رسول الله هل انفقه الا على احدى عماته وخالاته وعلى
نفسي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ايه دعنا
من هذا اخبرني عن شي قلته في نفسك ما سمعته اذناك
فقال الشيخ والله يا رسول الله ما زال الله يزيدنا بك يقينا
لقد قلت في نفسي شيا ما سمعته اذناي قال قل وانا
اسمع قال قلت

غذوتك مولودا وصنتك يافعا تعل بما اجني عليك وتنهل
اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت لسقمك الا ساهرا اتململ
كاني انا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني فعيني تهمل
تخاف

وان ظلماه (margin)

تخاف الردى نفسي عليك وانها لتعلم ان الموت وقت موجل
فلما بلغت السن والغاية التي اليها مدى ما كنت فيك اومل
جعلت جزاي غلظة وفظاظة كانك انت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق ابوتي فعلت كما الجار المصاقب يفعل
فاوليتني حق الجوار ولم تكن علي بمال دون مالك تبخل
قال فحينيذ اخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه
وقال انت ومالك لابيك قال الطبراني اللخمي لا يروى يعني
هذا الحديث عن ابن المنكدر بهذا التمام والشعر الا بهذا
الاسناد تفرد به عبيد الله بن خلصة والله اعلم قوله
تعالى ربكم اعلم بما في نفوسكم اي من اعتقاد الرحمة
بهما والحنو عليهما او من غير ذلك من العقوق ومن جعل
ظاهر برهما ريا وقال ابن جبير يريد البادرة التي تبدر
كالفلتة والزلة تكون من الرجل الى ابويه الى احدهما
لا يريد بذلك باسا قال الله تعالى ان تكونوا صالحين اي
صادقين في نية البر بالوالدين فان الله يغفر البادرة
وقوله فانه كان للاوابين غفورا وعد بالغفران مع
شرط الصلاح والاوبة بعدا لاوبه الى طاعة الله قال
سعيد بن المسيب هو العبد يتوب ثم يذنب ثم يتوب
ثم يذنب وقال ابن عباس الاواب الحفيظ الذي اذا ذكر

خطاياه استغفر منها وقال عبيد بن عمير هم الذين يذكرون
ذنوبهم في الخلا ثم يستغفرون الله وهذه الاقوال متقاربه
وقال عون العقيلي الاوابون هم الذين يصلون صلاة الضحا
وفي الصحيح صلاة الاوابين حين ترمض الفصال وحقيقة
اللفظه انه من اب يوب اذا رجع قوله تعالى وات
ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل فيه ثلاث مسايل
الاولى قوله تعالى وات ذا القربى حقه اي كما راعيت حق
الوالدين فصل الرحم ثم تصدق على المسكين وابن السبيل وقال
علي بن الحسين في قوله تعالي وات ذا القربى حقه هم قرابة
النبي صلى الله عليه وسلم باعطايهم حقوقهم من بيت المال
اي من سهم ذوي القربى من الغزو والغنيمة ويكون خطابا
للولاة او من قام مقامهم والحق في هذه الاية ما يتعين من
صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة
بكل وجه الثانية قوله تعالي ولا تبذر تبذيرا اي لا تسرف
في الانفاق في غير حق قال الشافعي والتبذير انفاق المال
في غير حقه ولا تبذير في عمل الخير وهذا قول الجمهور وقال
اشهب عن مالك التبذير هو اخذ المال من حقه ووضعه
في غير حقه وهو الاسراف وهو حرام لقوله تعالي ان المبذرين
كانوا اخوان الشياطين وقوله اخوان يعني انهم في حكمهم اذ

المبذر

المبذر ساع في فساد كالشياطين او انهم يفعلون ما تسوله
له انفسهم او انهم يقرنون بهم غدا في النار ثلاثة اقوال
والاخوان هنا جمع اخ من غير النسب ومنه قوله تعالى
انما المومنون اخوة وقوله وكان الشيطان لربه كفورا
اي احذروا متابعته والتشبه به في الفساد والشيطان
اسم الجنس وقرا الضحاك اخوان الشيطان على الانفراد ولذلك
ثبت في مصحف انس بن مالك الثالثة من انفق ماله في الشهوات
زايدا على قدر الحاجات وعرضه بذلك للنفاد فهو مبذر
ومن انفق ربح ماله في شهواته وحفظ الاصل او الرقبه
فليس بمبذر ومن انفق درهما في حرام فهو مبذر ويحجر
عليه في نفقة درهم في الحرام ولا يحجر عليه ان بذله في الشهوات
الا اذا خيف عليه النفاد قوله تعالى واما تعرضن عنهم
ابتغا رحمة من ربك ترجوها فيه ثلاث مسايل الاولى وهي
انه سبحانه خص نبيه بقوله واما تعرضن عنهم ابتغا رحمة
من ربك وهو تاديب عجيب وقول لطيف بديع اي لا تعرض
عنهم اعراض مستهين عن ظهر الغني والقدرة فتحرمهم وانما
يجوز ان تعرض عنهم عند عجز يعرض وعايق يعوق وانت
عند ذلك ترجو من الله فتح باب الخير لتوصل به الى مواساة
السايل فان قعد بك الحال فقل لهم قولا ميسورا الثانية

في سبب نزولها قال ابن زيد نزلت الاية في قوم كانوا يسالون
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيابى ان يعطيهم لانه كان يعلم
منهم نفقة المال في فساد فكان نعرض عنهم رغبة في الاجر
في منعهم لئلا يعينهم على فسادهم وقال عطا الخراساني في قوله
تعالى واما تعرضن عنهم ابتغا رحمة من ربك ترجوها قال ليس
هذا في ذكر الوالدين جا ناس من مزينة الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يستحملونه فقال ما اجد ما احملكم ولا عندي ما احملكم
فتولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا فانزل واما تعرضن
عنهم ابتغا رحمة من ربك ترجوها والرحمة الفي الثالثة
قوله تعالى فقل لهم قولا ميسورا امره بالدعا لهم اي يسر فقرهم
عليهم بدعايك لهم وقيل ادع لهم دعا يتضمن الفتح لهم والاصلاح
وقيل المعنى واما تعرضن عنهم اي ان اعرضت يا محمد عن اعطايهم
لضيق يد فقل لهم قولا ميسورا اي احسن القول وابسط
العذر وادع لهم بسعة الرزق وقل اذا وجدت فعلت
والزمت فان ذلك يعمل في مسرة نفسه عمل المواساة وكان
عليه السلام اذا سيل وليس عنده ما يعطي سكت انتظارا
لرزق ياتي من الله لكراهة الرد فنزلت هذه الاية فكان
اذا سيل ولم يكن عنده ما يعطي قال يرزقنا الله واياكم
من فضله فالرحمة على هذا التاويل الرزق المنتظر وهذا قول
ابن عباس

ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضمير في عنهم عايد على من تقدم
ذكره من الآباء والقرابة والمساكين وابنا السبيل وقولا ميسورا
اي ليناطيبا مفعول بمعنى الفاعل من لفظ اليسر كالميمون اي
وعدا جميلا على مابيناه ولقد احسن من قال
ان لا يكن ورق يوما اجود بها للسايلين فاني لين العود
لا يعدم السايلون الخير من خلقي اما نوالي واما حسن مردودي
تقول يسرت لك كذا اذا اعددته قوله تعالى ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك الى قوله محسورا فيه اربع مسايل
الاولى قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة هذا مجاز عبر
به عن البخيل الذي لا يقدر من قلبه على اخراج شي من ماله
فضرب له مثل الغل الذي يمنع من التصرف باليد وفي صحيح
البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال ضرب رسول الله صلى
الله عليه وسلم مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما
جبتان من حديد قد اضطرت ايديهما الى ثديهما وتراقيهما
فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى
تغشى اناملة وتعفو اثره وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت
واخذت كل حلقة بمكانها قال ابو هريرة فانا رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول باصبعه هكذا في جبته
فلو رايته يوسعها ولا تتوسع الثانية قوله تعالى

ولا تبسطها كل البسط ضرب ببسط اليد مثلا لذهاب المال
فان قبض الكف يحبس ما فيها وبسطها يذهب ما فيها
وهذا كله خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته
وكثيرا ما جاء في القران فان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان
سيدهم وواسطتهم الى ربهم عبر به عنهم على عادة العرب
في ذلك وايضا فانه عليه السلام لم يكن يدخر شيا لغد
وكان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه من الجوع وكان
كثير من الصحابة ينفقون في سبيل الله جميع اموالهم
فلم يعنفهم النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليهم لصحة يقينهم
وشدة بصايرهم وانما نهى الله تعالى عن الافراط في
الانفاق واخراج ما حوته يده من المال من خيف عليه
الحسرة على ما خرج من يده فاما من وثق بموعود الله
وجزيل ثوابه فيما انفقه فغير مراد بالاية والله
اعلم وقيل ان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في
خاصة نفسه علمه فيه كيفية الانفاق وامره
بالاقتصاد قال جابر وابن مسعود جا غلام الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان امي تسالك كذا وكذا
فقال ما عندنا اليوم شي قال فيقول لك اكسني قميصك
فخلع قميصه فدفعه اليه وجلس في البيت عريانا

وفي رواية

وفي رواية جابر فاذن بلال للصلاة وانتظر رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخرج واستغلت القلوب فدخل بعضهم فاذا
هو عار فنزلت هذه الاية وكل هذا في انفاق الخير واما
انفاق الفساد فقليله وكثيره حرام كما تقدم الثالثة
نهت هذه الاية عن استغراغ الوجد فيما نظر اولا
من سوال المومنين لئلا يبقى من ياتي بعد ذلك لا شي له او لئلا
يضيع المنفق عياله ونحوه ومن كلام الحكمة ما رايت قط
سرفا الا ومعه حق مضيع وهذه من ايات فقه الحال
ولا يتبين حكمها الا باعتبار شخص من الناس
الرابعة قوله تعالى فتقعد ملوما محسورا قال
ابن عرفة يقول لا تسرف ولا تتلف مالك فتبقى محسورا
منقطعا عن النفقة والتصرف كما يكون البعير
الحسير وهو الذي ذهبت قوته فلا انبعاث به ومنه
قوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسيا وهو حسير
وفيه بعد اي كليل منقطع وقال قتادة اي نادما
على ما سلف منك فجعله من الحسرة وفيه بعد لان
الفاعل من الحسرة حسير وحسران ولا يقال
محسور والملوم الذي يلام على اتلاف ماله
او يلومه من لا يعطيه قوله تعالى ولا تقتلوا

اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم فيه مسئلتان الاولى قد مضى الكلام في هذه الاية في الانعام والحمد لله والاملاق الفقر وعدم الملك املق الرجل لم يبق له الا الملقات وهي الحجارة العظام الملس قال الهذلي يصف صايدا :.

أتيح لها اقيدر ذو حشيف اذا سامت على الملقات ساما

الواحدة ملقة والاقيدر تصغير الاقدر وهو الرجل القصير والحشيف من الثياب الخلق وسامت مرت وقال شمر

املق لازم ومتعد املق اذا افتقر واملق الدهر ما بيده قال اوس واملق ما عندي خطوب تنبل الثانية قوله تعالى خطا خطا قراة الجمهور بكسر الخا وسكون الطا وبالهمز والقصر وقرا ابن عامر خَطَأ بفتح الخا والطا والهمزة مقصورة وهي قراة ابي جعفر يزيد وهاتان قراتان ماخوذتان من خطي اذا اتى الذنب على عمد قال ابن عرفة يقال خطي في دينه خطا اذا اثم فيه واخطا اذا سلك سبيل خطا عامدا او غير عامد قال ويقال خطي في معنى اخطا وقال الازهري يقال خطي يخطا خطا اذا تعمد الخطا مثل اثم ياثم اثما واخطا اذا لم يتعمد اخطا وخطا قال الشاعر دعيني انما خطاي وصوبي علي وانما اهلكت مالي والخطا الاسم يقوم مقام الاخطا وهو الصواب وفيه

لغتان

وفيه لغتان القصر وهو الجيد والمد وهو قليل وروي عن ابن
عباس خطا بفتح الخا وسكون الطا وهمزة وقرا ابن كثير بكسر
الخا وفتح الطا ومد الهمزة قال النحاس ولا اعرف لهذه القراة
وجها ولذلك جعلها ابو حاتم غلطا قال ابو علي هي مصدر من
خاطا يخاطي وان كنا لا نجد خاطا ولكن وجدنا تخاطا وهو
مضارع خاطا فدلنا عليه ومنه قول الشاعر
تخاطات النبل احشاه واخر يومي فلم اعجل وقول الاخر
تخاطاه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الما راسب
الجوهري تخاطاه اي اخطاه وقال اوفى بن مطر المازني
الا ابلغا خلتي جابرا بان خليلك لم يقتل تخطات النبل احشاه
واخر يومي فلم اعجل وقرا الحسن خطا بفتح الخا والطا
والمد في الهمزة قال ابو حاتم لا نعرف هذا في اللغة وهي غلط
غير جايز وقال ابو الفتح الخطا من اخطات بمنزلة العطا
من اعطيت هو اسم بمعنى المصدر وعن الحسن ايضا خطى
بفتح الخا والطا منونة من غير همز قوله تعالى ولا تقربوا
الزنا انه كان فاحشة وسا سبيلا فيه مسلة واحدة
قال العلما قوله تعالى لا تقربوا ابلغ من ان يقول لا تزنوا
فان معناه لا تدنوا من الزنا والزنا يمد ويقصر لغتان
قال الشاعر كانت فريضة ما تقول كما كان الزنا فريضة الرجم

وسبيلاً نصب على التمييز المعنى وسا سبيله سبيلا
اي لانه يودي الى النار والزنا من الكباير ولا خلاف فيه وفي
قبحه لاسيما بحليلة الجار وينشا عنه استخدام ولد الغير
واتخاذه ابنا وغير ذلك من الميراث وفساد الانساب باختلاط
المياه وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بامراة
مجح على باب فسطاط فقال لعله يريد ان يلم بها فقالوا
نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان
العنه لعنا يدخل معه قبره كيف يورثه وهو لا يحل له
كيف يستخدمه وهو لا يحل له قوله تعالى ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق الاية قد مضى الكلام فيه في
الانعام قوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه
سلطانا فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى ومن قتل
مظلوما اي بغير سبب يوجب القتل فقد جعلنا لوليه
اي لمستحق دمه قال ابن خواز منداد الولي يجب ان يكون
ذكرا لانه افرده بالولاية بلفظ التذكير وذكر اسماعيل
بن اسحق في قوله تعالى فقد جعلنا لوليه ما يدل على خروج
المراة عن مطلق لفظ الولي فلا جرم ليس للنساء حق
في القصاص لذلك ولا اثر لعفوها وليس لها الاستيفا
وقال المخالف ان المراد ها هنا بالولي الوارث وقد قال
تعالى

تعالي والمومنون والمومنات بعضهم اوليا بعض وقال
والذين امنوا ولم يهاجروا وقال واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض في كتاب الله فاقتضى ذلك اثبات القود
لساير الورثه واما ماذكروه من ان الولي في ظاهره
على التذكير وهو واحد كان ماكان بمعنى الجنس
يستوي المذكر والمونث فيه وتتمته في كتب الخلاف
سلطانا اي تسليطا اي ان شا قتل وان شا عفا
وان شا اخذ الدية قاله ابن عباس والضحاك واشهب
والشافعي وقال ابن وهب قال مالك السلطان امر
الله ابن عباس الحجة وقيل السلطان طلبه حتى يدفع
اليه قال ابن العربي هذه الاقوال متقاربه واوضحها
قول مالك انه امر الله ثم ان امر الله لم يقع نصا
فاختلف العلما فيه فقال ابن القاسم عن مالك وابو
حنيفة القتل خاصة وقال اشهب الخيرة كما
ذكرنا انفا وبه قال الشافعي وقد مضى في سورة
البقرة هذا المعنى الثانية قوله تعالى فلا يسرف
في القتل فيه ثلاثة اقوال لا يقتل غير قاتله قاله الحسن
والضحاك ومجاهد وسعيد بن جبير الثاني لا يقتل بدل
وليه اثنين كما كانت العرب تفعله الثالث لا يمثل

السلطان

بالقاتل قاله طلق بن حبيب وكله مراد لانه اسراف
منهي عنه وقد مضى في البقرة القول في هذا مستوفى
وقرا الجمهور يسرف بالياء يريد الولي وقرا ابن عامر وحمزة
والكسائي تسرف بالتاء من فوق وهي قراة حذيفة وروى
العلا بن عبد الكريم عن مجاهد قال هو القاتل الاول والمعنى
عندنا فلا تسرف ايها القاتل وقال الطبري هو على معنى الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والايمة من بعده اي لا تقتلوا غير
القاتل وفي حرف ابي فلا تسرفوا في القتل

الثالثة

قوله تعالى انه كان منصورا اي معانا يعني الولي فان قيل
وكم من ولي مخذول لا يصل الى حقه قلنا المعونة تكون
بظهور الحجة تارة وباستيفايها اخرى وبمجموعها ثالثة
فايها كان فهو نصر من الله سبحانه وروى ابن كثير عن مجاهد
قال ان المقتول كان منصورا النحاس ومعنى قوله ان الله
نصره بوليه وروى انه في قراة ابي ولا تسرفوا في القتل
ان ولي المقتول كان منصورا قال النحاس الابين بالياء ويكون
للولي لانه انما يقال لا تسرف ان كان له ان يقتل فهذا للولي
وقد يجوز بالياء ويكون للولي ايضا الا انه يحتاج فيه الى تحويل
المخاطبة قال الضحاك هذا اول ما نزل من القران في شان
القتل وهي مكية قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي
هي احسن

هي احسن حتى يبلغ اشده قد مضى في الانعام الكلام فيه في
غير موضع قال الزجاج كل ما امر الله به ونهى عنه فهو من
العهد ان العهد كان مسولا عنه تحذف لقوله ويفعلون
ما يومرون به وقيل ان العهد يسل تبكيتا للناقضه
فيقال لم نقضت كما تسل الموودة تبكيتا لوايدها
قوله تعالى واوفوا الكيل اذا كلتم فيه ايضا مسلتان
الاولى قوله تعالى واوفوا الكيل اذا كلتم تقدم الكلام
فيه ايضا في الانعام وتقتضي هذه الاية ان الكيل على البايع
وقد مضى في سورة يوسف فلا معنى للاعادة والقسطاس
بضم القاف وكسرها الميزان بلغة الروم قاله ابن عزيز وقال
الزجاج القسطاس الميزان صغيرا كان او كبيرا وقال مجاهد
القسطاس العدل وكان يقول هي لغة رومية وكان الناس
قيل لهم زنوا بمعدلة في وزنكم وقرا ابن كثير وابو عمرو
ونافع وابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر القسطاس
بضم القاف وحمزة والكساي وحفص عن عاصم القسطاس
بكسر القاف وهما لغتان الثانية قوله تعالى ذلك خير
واحسن تاويلا اي وفا الكيل واقامة الوزن خير عند
الله وابرك واحسن تاويلا اي عاقبة قال الحسن ذكر لنا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقدر رجل على

حتى يبلغ اشده فيه مسلتان الاولى قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده

حرام ثم بدعد ليس له به الا مخافة الله تعالى لا ابد له الله
في عاجل الدنيا قبل الاخرة ما هو خير له من ذلك قوله
تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم الى قوله مسولا فيه ست
مسايل الاولى قوله تعالى ولا تقف اي تتبع ما لا تعلم ولا
يعنيك قال قتادة لا تقل رايت وانت لم تر وسمعت
وانت لم تسمع وعلمت وانت لم تعلم وقاله ابن عباس
قال مجاهد لا تذم احدا بما ليس لك به علم وقاله ابن عباس
ايضا وقال محمد بن الحنفية في شهادة الزور وقال القتبي
المعنى لا تتبع الحدس والظنون وكلها متقاربة واصل القفو
البهت والقذف بالباطل ومنه قوله عليه السلام نحن
بنو النضر بن كنانه لا نقفو امنا ولا ننتفي من ابينا اي لا
نسب امنا وقال الكميت
فلا ارمي البري بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا
يقال قفوته اقفوه وقفته اقوفه وقفيته اذا اتبعت
اثره ومنه القافة لتتبعهم الاثار وقافية كل شي اخره
ومنه قافية الشعر لانها تقف البيت ومنه اسم
النبي صلى الله عليه وسلم المقفى لانه جا اخر الانبيا
ومنه القايف وهو الذي يتبع اثر الشبه يقال قاف
القايف يقوف اذا فعل ذلك وتقول تقفوت الاثر بتقديم
الفا

القاف على القاف ابن عطية ويشبه ان يكون هذا من تلعب العرب
في بعض الالفاظ كما قالوا رعمل في لعمري وحكى الطبري عن
فرقة انها قالت قفا وقاف مثل عثا وعاث وذهب منذر
بن سعيد الى ان قفا وقاف مثل جبذ وجذب وبالجملة فهذه
الاية تنهى عن قول الزور والقذف وما اشبه ذلك من الاقوال
الكاذبة والرديه وقرا بعض الناس فيما حكى الكساي تقف
بضم القاف وسكون الفاء وقرا الجراح والفواد بفتح الفاء
وهي لغة لبعض الناس وانكرها ابو حاتم وغيره الثانية
قال ابن خواز منداد تضمنت هذه الاية الحكم بالقافة
لانه لما قال ولا تقف ما ليس لك به علم دل على جواز ما لنا
به علم فكل ما علمه الانسان او غلب على ظنه جاز ان
يحكم به وبهذا احتججنا على اثبات القرعة والخرص لانه
ضرب من غلبة الظن وقد يسمى علما اتساعا فالقايف
يلحق الولد بابيه من طريق الشبه بينهما كما يلحق الفقيه
الفرع بالاصل من طريق الشبه وفي الصحيح عن عايشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل علي مسرورا
تبرق اسارير وجهه فقال الم تري ان مجززا نظر الى
زيد بن حارثه واسامة بن زيد عليهما قطيفة قد غطيا
رووسهما وبدت اقدامهما فقال ان بعض هذه الاقدام

لمن بعض وفي حديث يونس بن يزيد وكان مجزز قايفا
الثالثة قال الامام ابو عبد الله المازري كانت الجاهلية
تقدح في نسب اسامة لكونه اسود شديد السواد وكان
زيد ابوه ابيض في القطن هكذا ذكره ابو داود
عن احمد بن صالح قال القاضي عياض وقال غير احمد كان زيد
ازهر اللون وكان اسامة شديد الادمة وزيد بن حارثة
عربي صريح من كلب اصابه سبا حسب ما ياتي في سورة
الاحزاب ان شا الله تعالى الرابعة استدل جمهور العلما
على الرجوع الى القافة عند التنازع في الولد بسرور النبي
صلى الله عليه وسلم بقول هذا القايف وما كان عليه السلام
بالذي يسر بالباطل ولا يعجبه ولم ياخذ بذلك ابو حنيفة
واسحق والثوري واصحابهم متمسكين بالغاء النبي صلى الله عليه
وسلم الشبه في حديث اللعان على ما ياتي في سورة النور
ان شا الله تعالى واختلف الاخذون باقوال القافة هل
يوخذ بذلك في اولاد الحراير والاما على قولين فالاول
قول الشافعي ومالك في رواية ابن وهب عنه ومشهور
مذهبه قصره على ولد الامة والصحيح ما رواه ابن وهب
عنه وقاله الشافعي لان الحديث الذي هو الاصل في الباب
انما وقع في الحراير فان اسامة واباه حرين فكيف يلغى
السبب

او خصص باولاد الاما

السبب الذي خرج عليه دليل الحكم وهو الباعث عليه هذا ما
لا يجوز عند الاصوليين وكذلك اختلف هاولاء هل يكتفي بقول
واحد من القافه او لا بد من اثنين لانها شهاده وبالاول
قال ابن القاسم وهو ظاهر الخبر بل نصه وبالثاني قال مالك
والشافعي السادسة قوله تعالى ان السمع والبصر
والفواد كل اولئك كان عنه مسئولا اي يسئل كل واحد
منهم عن ما اكتسب فالفواد يسئل عن ما افتكر فيه واعتقده
والسمع والبصر عما راى من ذلك او سمع وقيل المعنى ان الله
تعالى يسئل الانسان عما حواه سمعه وبصره وفواده
ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم
مسول عن رعيته فالانسان راع على جوارحه فكانه
قال كل هذه كان الانسان مسولا فهو على حذف مضاف
والمعنى الاول ابلغ في الحجة فانه يقع تكذيبه من جوارحه
وتلك غاية الخزي كما قال تعالى اليوم نختم على افواههم
وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون وقوله
شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون
وعبر عن السمع والبصر والفواد باولئك لانها حواس
لها ادراك وجعلها في هذه الايه مسوله فهي حالة من يعقل
فلذلك عبر عنها باولئك وقال سيبويه رحمه الله في قوله تعالى

رايتهم لي ساجدين انما قال رايتهم في نجوم لانه لما وصفها
بالسجود وهو من فعل من يعقل عبر عنها بكناية من
يعقل وقد تقدم وحكى الزجاج ان العرب تعبر عما
يعقل وعما لا يعقل باوليك وانشد هو والطبري
ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اوليك الايام
وهذا امر يوقف عنده واما البيت فالرواية فيه الاقوام
والله اعلم قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا الى قوله
مكروها فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى ولا تمش
في الارض مرحا هذا نهي عن الخيلا وامر بالتواضع والمرح
شدة الفرح وقيل التكبر في المشي وقيل هو البطر والاشر
وقيل هو النشاط وهذه الاقوال متقاربة ولكنها منقسمة
قسمين احدهما مذموم والاخر محمود فالبطر والتكبر
والخيلا وتجاوز الانسان قدره مذموم والفرح والنشاط
محمود وقد وصف الله نفسه باحدهما ففي الحديث الصحيح
لله افرح بتوبة العبد من رجل الحديث والكسل مذموم
شرعا والنشاط ضده وقد يكون التكبر وما في معناه
محمودا وذلك على اعداء الله والظلمة اسند ابو حاتم
محمد بن حبان عن ابن جابر بن عتيك عن ابيه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من الغيرة ما يبغض الله ومنها
ما يحب الله

ما يحب الله ومن الخيلا ما يحب الله ومنها ما يبغض الله فاما
الغيره التي يحب الله الغيرة في الدين والغيره التي يبغض الله
الغيره في غير دينه والخيلا التي يحب الله اختيال الرجل
بنفسه عند القتال وعند الصدقه والاختيال التي
يبغض الله الخيلا في الباطل واخرجه ابو داود في مصنفه
وغيره وانشدوا :: ولا تمش فوق الارض الا تواضعا
فكم تحتها قوم هم منك ارفع :: وان كنت في عز وحرز
ومنعة فكم مات من قوم هم منك امنع :: الثانيه
اقبال الانسان على الصيد ونحوه تنزها دون حاجة
الى ذلك داخل هذه الايه وفيه تعذيب الحيوان واجراوه
لغير معنى واما الرجل يستريح في اليوم النادر والساعه
من يومه يجم فيها نفسه عن التفرج والراحة ليستعين
بذلك على شغل من البر لقراة علم او صلاة فليس بداخل
في هذه الاية قوله تعالى مرحا قراة الجمهور بفتح الرا
وقراة فرقة فيما حكى يعقوب بكسر الرا على بنا اسم
الفاعل والاول ابلغ فان قولك جا زيد ركضا ابلغ من قولك
جا زيد راكضا فكذلك قولك مرحا الثالثة قوله تعالى
انك لن تخرق الارض يعني لن تتولج باطنها فتعلم ما فيها ولن
تبلغ الجبال طولا اي لن تساوي الجبال بطولك ولا بطولك

ويقال خرق الثوب اي شقه وخرق الارض قطعها والخرق
الواسع من الارض اي لن تخرق الارض بكبرك ومشيك عليها
ولن تبلغ الجبال طولا بعظمتك اي فقدرتك لا تبلغ هذا المبلغ
بل انت عبد ذليل محاط بك من تحتك ومن فوقك والمحاط
محصور ضعيف فلا يليق بك التكبر والمراد بخرق الارض هنا
نقبها لا قطعها بالمسافة والله اعلم وقال الازهري معناه
لن تقطعها النجاس وهذا بين كانه ماخوذ من الخرق وهو
الصحرا الواسعة ويقال فلان اخرق من فلان اي اكثر سفرا
وعزة وامنة يروي ان سبا دوخ الارض باجناده شرقا
وغربا وسهلا وجبلا وقتل سادة وسبا وبه سمي سبا
ودان له الخلق فلما راى ذلك انفرد عن اصحابه ثلاثة ايام
ثم خرج اليهم فقال اني لما نلت ما لم ينل احد رايت الابتدا
بشكر هذه النعم فلم ار اوقع في ذلك من السجود للشمس اذا
اشرقت فسجدوا لها وكان ذلك اول عبادة الشمس فهذه
عاقبة الخيلا والتكبر والمرح نعوذ بالله من ذلك المرابعة
قوله تعالى كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها ذلك اشارة
الى جملة ما تقدم ذكره مما امر به ونهى عنه وذلك يصلح
للواحد والجمع والمونث والمذكر وقرا عاصم وابن عامر
وحمزة والكساي ومسروق سيئه على اضافة سي الى
الضمير

قد رتل بيان

الضمير ولذلك قال مكروها نصب على خبر كان والسيء هو
المكروه وهو الذي لا يرضاه الله ولا يامر به وقد ذكر الله
سبحانه في هذه الآي من قوله وقضى ربك الى قوله كان
سيئه مامورات بها ومنهيات عنها فلا يخبر عن الجميع بانه
سيئه فيدخل المامور به في المنهي عنه واختار هذه القراه
ابو عبيد لان في قراءة ابي كل ذلك كان سياته فهذه لا تكون
الا للاضافة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو سيئةً بالتنوين
اي كل ما نهى الله عنه سيئة وعلى هذا انقطع الكلام عند
قوله واحسن تاويلا ثم قال ولا تقف ولا تمش ثم قال كل
ذلك كان سيئة بالتنوين وقيل ان قوله ولا تقتلوا اولادكم
الى هذه الايه كان سيئة لا حسنة فيه فجعلوا كلا محيطا
بالنهي عنه دون غيره وقوله مكروها ليس نعتا للسيئه بل هو
بدل منه والتقدير كان سيئة وكان مكروها وقد قيل ان مكروها
خبر ثان لكان حمل على لفظه كل وسيئة محمول على المعنى في
جميع هذه الاسيا المذكوره قبل وقال بعضهم هو نعت لسيئة
لانه لما كان تانيثها غير حقيقي جاز ان توصف بمذكر
وضعف ابو علي الفارسي هذا وقال ان المونث اذا ذكر فانما
ينبغي ان يكون ما بعده مذكرا وانما التساهل ان يتقدم
الفعل المسند الى المونث وهو في صيغه ما يسند الى

المذكر الا ترى قول الشاعر فلا مزنه ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها
مستقبح عندهم ولو قال قايل ابقل الرضا لم يكن قبيحا قال ابو علي
ولكن يجوز في قوله مكروها ان يكون بدلا من سيئة ويجوز ان
يكون حالا من الضمير الذي في عند ربك ويكون عند ربك
في موضع الصفه لسيئة **الخامسة** استدل العلما بهذه الاية
على ذم الرقص وتعاطيه قال الامام ابو الوفا بن عقيل قد
نص القران على النهي عن الرقص فقال ولا تمش في الارض
مرحا وذم المختال والرقص اشد المرح والبطر اولسنا
الذين قسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما في الاضطراب والسكر
فما بالنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور
والمزمار والطبل لاجتماعهما فما اقبح من ذي لحية وكيف اذا
كان شيبه ترقص وتصفق على ايقاع الالحان والقضبان
وخصوصا ان كانت اصوات نسوان ومردان وهل يحسن
لمن بين يديه الموت والسوال والحشر والصراط ثم هو الى
احدى الدارين يشمس بالرقص شمس البهايم ويصفق تصفيق
النسوه والله لقد رايت مسايخ في عمري ما بان لهم سن
من التبسم فضلا عن ضحك مع ادمان مخالطتي لهم وقال
ابو الفرج الجوزي ولقد حدثني بعض المسايخ عن الغزالي
انه قال الرقص حماقة بين الكتفين لا تزول الا باللعب وسياتي
لهذا

لهذا الباب مزيد بيان في الكهف وغيرها ان شا الله قوله تعالى
ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة الاشارة بذلك الى هذه الاداب
والقصص والاحكام التي تضمنها هذه الايات المتقدمة التي
نزل بها جبريل اي هذه من الافعال المحكمة فالافعال الفاصله
ثم عطف قوله ولا تجعل على ما تقدم من النواهي والخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد كل من سمع الاية من البشر والمدحور
المهان المبعد المقصى وقد تقدم يقال في الدعا اللهم ادحر عنا
الشيطان اي ابعده قوله تعالى افاصفاكم ربكم بالبنين
هذا يرد على من قال من العرب الملائكة بنات الله وكان لهم بنات
ايضا مع البنين ولكنه اراد افاخلص لكم البنين دونه وجعل
البنات مشتركة بينكم وبينه انكم لتقولون قولا عظيما اي في
الاثم عند الله قوله تعالى ولقد صرفنا اي بينا وقيل
كررنا في هذا القران مثل واصلح لي في ذريتي اي واصلح لي
ذريتي والتصريف صرف الشي من جهة الى جهة والمراد
بهذا التصريف البيان والتكرير وقيل المغايرة اي غايرنا
بين المواعظ ليذكروا او يعتبروا او يتعظوا وقراة العامة
صرفنا بالتشديد على التكثير حيث وقع وقرا الحسن
بالتخفيف وقوله في هذا القران يعني الامثال والعبر والحكم
والمواعظ والاحكام والاعلام قال الثعلبي سمعت ابا القاسم

التي تقتضيها حكمة الله في عباده وخلقها لهم من محاسن الاخلاق والحكمة ... قيل زايدة والمصدر ...

الحبيبي يقول لحضرة الشيخ الامام ابي الطيب لقوله تعالى صرفنا
معنيان احدهما لم يجعله نوعًا واحدًا بل وعدًا ووعيدًا ومحكمًا
ومتشابهًا وامرًا ونهيًا وناسخًا ومنسوخًا واخبارًا وامثالًا
مثل تصريف الرياح من صبا ودبور وجنوب وشمال وتصريف
الافعال من الماضي والمستقبل والامر والنهي والفعل والفاعل
والمفعول ونحوها والثاني انه لم ينزله مرة واحدة بل نجومًا
نحو قوله وقرانا فرقناه ومعناه اكثرنا صرف جبريل اليه ليذكروا
قراة الحبي والاعمش وحمزة والكساي ليذكروا مخففا وكذلك
في الفرقان ولقد صرفناه بينهم ليذكروا والباقون بالتشديد
واختاره ابو عبيد لان معناه ليتذكروا ونظير الاول ولقد
وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون والثاني واذكروا ما فيه
وما يزيدهم اي التصريف والتذكير الا نفورًا اي تباعدًا
عن الحق وغفلة عن النظر والاعتبار وذلك لانهم اعتقدوا
في القران انه حيلة وسحر وكهانة وشعر **قوله تعالى**
قل لو كان معه الهة هذا متصل بقوله ولا تجعل مع الله
الها اخر وهو رد على عباد الاصنام كما يقولون قرا ابن
كثير وحفص يقولون باليا الباقون تقولون بالتا على
الخطاب اذًا لابتغوا يعني الالهة الى ذي العرش سبيلا قال
ابن عباس لطلبوا مع الله منازعة وقتالا كما تفعل ملوك الدنيا
بعضهم ببعض

بلغ

بعضهم ببعض وقال سعيد بن جبير المعنى اذا طلبوا طريقا الى
الوصول اليه ليزيلوا ملكه لانهم شركاوه وقال قتاده المعنى
اذا لابتغت الالهه القربه الى ذي العرش سبيلا والتمست
الزلفة عنده لانهم دونه والقوم اعتقدوا ان الاصنام تقربهم
الى الله زلفى فاذا اعتقدوا في الاصنام انها محتاجه الى الله
فقد بطل انها الهه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا نزه
سبحانه نفسه وقدسه ومجده عما لا يليق به والتسبيح التنزيه
وقد تقدم قوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن
فيهن اعاد على السموات والارض ضمير من يعقل لما اسند اليها
فعل العاقل وهو التسبيح وقوله ومن فيهن يريد الملايكه والانس
والجن ثم عم بعد ذلك الاشيا كلها في قوله وان من شي الا يسبح
بحمده واختلف في هذه العموم هل هو مخصص ام لا فقالت
فرقة ليس مخصوصا والمراد به تسبيح الدلاله وكل محدث
يشهد على نفسه بان الله خالق قادر وقالت طايفة هذا
التسبيح حقيقه وكل شي على العموم يسبح تسبيحا لا يسمعه
البشر ولا يفقهه ولو كان ما قاله الاولون من انه اثر الصنعه
والدلاله لكان امرا مفهوما والايه تنطق بان هذا التسبيح لا
يفقه واجيبوا بان المراد بقوله لا يفقهون الكفار الذين
يعرضون عن الاعتبار فلا يفقهون حكمة الله تعالى في الاشيا

وقالت فرقة قوله من شي عموم ومعناه الخصوص في كل حي
ونام ولبس ذلك في الجمادات ومن هذا قول عكرمه الشجره
تسبح والاصطوان لا يسبح وقال يزيد الرقاشي للحسن وهما
في طعام وقد قدم الخوان يا ابا سعيد فقال قد كان يسبح مرة
يريد بان الشجره في زمن ثمرها واعتدائها كانت تسبح واما
الان فقد صار خوانا مدهونا قلت ويستدل لهذا القول
من السنه بما ثبت عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
مر على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما
احدهما فكان يمشي بالنميمة واما الاخر فكان لا يستتر من
بوله قال فدعا بعسيب رطب فشقه باثنين ثم غرس على
هذا واحدا وعلى هذا واحدا ثم قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا
فقوله عليه السلام ما لم ييبسا اشارة الى انهما ما داما
رطبين يسبحان واذا يبسا صارا جمادا والله اعلم وفي مسند
ابي داود الطيالسي فوضع على احدهما نصفا وعلى الاخر نصفا
وقال انه يهون عليهما ما دام فيهما من بلولتهما شي قال علماؤنا
ويستفاد من هذا غرس الاشجار وقراة القران على القبور
واذا خفف عنهم بالاشجار فكيف بقراة الرجل المومن القران
وقد بينا هذا المعنى في كتاب التذكره بيانا شافيا وانه يصل
الى الميت ثواب ما يهدا له والحمد لله على ذلك وعلى التاويل الثاني
لا يحتاج

ثم ينسخ هذا القول ان

لا يحتاج الي ذلك فان كل شي من الجماد وغيره يسبح قلت ويستدل
لهذا التاويل وهذا القول من الكتاب بقوله سبحانه واذكر عبدنا
داود ذا الايد انه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي
والاشراق وقوله وان منها لما يهبط من خشية الله علي قول
مجاهد وقوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وذكر
ابن المبارك في رقايقه اخبرنا مسعر عن عبد الله بن واصل
عن عوف بن عبد الله قال قال عبد الله بن مسعود ان الجبل ليقول
للجبل يا فلان هل مر بك اليوم ذاكر لله فان قال نعم سر به ثم قرا
عبد الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الايه قال افتراهن يسمعن
الزور ولا يسمعن الخير وفيه عن انس بن مالك قال ما من
صباح ولا رواح الا تنادي بقاع الارض بعضها بعضا يا
جارة هل مر بك اليوم عبد صلي لله او ذكر الله عليك فمن
قايلة لا وقايلة نعم فاذا قالت نعم رات لها بذلك فضلا
عليها وقال صلي الله عليه وسلم لا يسمع صوت المودن جن ولا
انس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شي الا شهد له يوم
القيامه رواه ابن ماجه في سننه ومالك في موطاية من
حديث ابي سعيد الخدري وخرج البخاري عن عبد الله
قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل في غير هذه
الرواية عن ابن مسعود كنا ناكل مع رسول الله صلي الله عليه وسلم

الطعام ونحن نسمع تسبيحه وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة
كان يسلم علي قبل ان ابعث اني لاعرفه الان قيل انه الحجر الاسود
والله اعلم والاخبار في هذا المعنى كثيرة قد اتينا على جملة
منها في اللمع اللولويه في شرح العشر بينات النبويه للفازاري
رحمه الله وخبر الجذع ايضا في هذا الباب مشهور خرجه
البخاري في مواضع من كتابه واذا ثبت ذلك في جماد واحد
جاز في جميع الجمادات ولا استحالة في شي من ذلك فكل شي
يسبح للعموم وكذا قال النخعي وغيره هو عام فيما فيه
روح وفيما لا روح فيه حتى صرير الباب واحتجوا بالاخبار
التي ذكرنا وقيل تسبيح الجمادات انها تدعوا الناظر اليها الى
ان يقول سبحان الله لعدم الادراك منها وقال الشاعر
تلقى بتسبيحة من حيث ما انصرفت ويستقر حشا الراي شر عاد
اي يقول من راها سبحان خالقها فالصحيح ان الكل يسبح للاخبار
للاخبار الدالة على ذلك ولو كان هذا التسبيح تسبيح دلالة
فاي تخصيص لداود وانما ذلك تسبيح المقال بخلق الحياة
والانطاق بالتسبيح كما ذكرنا وقد نصت السنة على ما دل
عليه ظاهر القران من تسبيح كل شي فالقول به اولى والله اعلم
وقرا الحسن وابو عمرو ويعقوب وحفص وحمزة والكساي

وخلف

وخلف تفقهون بالتا، لتانيث الفاعل الباقون باليا واختاره
ابو عبيد قال للحايل بين الفعل والتانيث انه كان حليما عن
ذنوب عباده في الدنيا غفورا للمومنين في الاخرة قوله
تعالي واذا قرات القران جعلنا بينك يا محمد وبين الذين لا يومنون
بالاخرة حجابا مستورا عن اسما بنت ابي بكر قالت لما نزلت سورة
تبت يدا ابي لهب اقبلت العورا ام جميل بنت حرب ولها ولولة
وفي يدها فهر وهي تقول مذمما ابينا ودينه قلينا وفي يدها
فهر والنبي صلي الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه ابو بكر
فلما راها ابو بكر قال يا رسول الله لقد اقبلت وانا اخاف ان
تراك قال رسول الله صلي الله عليه وسلم انها لن تراني وقرا
قرانا فاعتصم به كما قال وقرا واذا قرات القران جعلنا بينك
وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا مستورا فوقفت علي
ابي بكر ولم تر رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر
اخبرت ان صاحبك هجاني فقال لا ورب هذا البيت ما هجاك قال
فولت وهي تقول قد علمت قريش اني ابنة سيدها وقال سعيد
بن جبير لما نزلت تبت يدا ابي لهب وتب جات امراة ابي
لهب الي النبي صلي الله عليه وسلم ومعه ابو بكر فقال ابو بكر لو
تنحيت عنها لئلا تسمعك ما يوذيك فانها امراة بذية فقال
النبي صلي الله عليه وسلم انه سيحال بيني وبينها فلم تره

فقالت لابي بكر يا ابا بكر هجانا صاحبك فقال والله ما ينطق
بالشعر ولا يقوله فقالت وانك لمصدقه واندفعت راجعه
فقال ابو بكر يا رسول الله اما راتك قال لا ما زال ملك بيني وبينها
يسترني حتى ذهبت وقال كعب في هذه الاية كان النبي صلى
الله عليه وسلم يستتر من المشركين بثلاث ايات الاية التي
في الكهف انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم
وقرا الاية والتي في النحل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم
الاية والاية التي في الشريعة افرايت من اتخذ الهه هواه
الاية فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قراهن يستتر من
المشركين قال كعب فحدثت بهن رجلا من اهل الشام فاتى
ارض الروم فاقام بها زمانا ثم خرج هاربا فخرجوا في طلبه
فقراهن فصاروا يكونون معه على طريقه ولا يبصرونه
قال الكلبي وهذا الذي يروونه عن كعب فحدثت به رجلا
من اهل الري فاسر بالديلم فمكث فيهم زمانا ثم خرج هاربا
فخرجوا في طلبه فقراهن حتى جعلت ثيابهم لتلمس ثيابه
فما يبصرونه قلت ويزاد في هذه الاي اول سورة يس
الى قوله فهم لا يبصرون فان في السيرة في هجرة النبي صلى الله
عليه وسلم ومقام علي رضي الله عنه في فراشه قال وخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ حفنة من تراب في يده
واخذ الله

سواء والتي

واخذ الله علي ابصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب
علي رووسهم وهو يتلو هذه الايات من يس يس والقران الحكيم
انك لمن المرسلين علي صراط مستقيم الي قوله وجعلنا من بين
ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون
حتي فرغ رسول الله صلي الله عليه وسلم من هاولاء الايات
ولم يبق منهم رجل الا وقد وضع علي راسه ترابا ثم انصرف
الي حيث اراد ان يذهب قلت ولقد اتفق لي ببلادنا
الاندلس بحصن منثور من اعمال قرطبة مثل هذا وذلك اني
هربت امام العدو وانحزت الي ناحية عنهم فلم البث ان
خرج في طلبي فارسان وانا في فضاء من الارض قاعد ليس
يسترني عنهما شيء وانا اقرا باول سورة يس وغير ذلك
من القران فعبرا علي ثم رجعا من حيث جاءا واحدهما
يقول للاخر هذا ديبله يعنون شيطانا وعمي الله ابصارهما
فلم يروني والحمد لله كثيرا علي ذلك وقيل الحجاب المستور طبع
الله علي قلوبهم حتي لا يفقهوه ولا يدركوا ما فيه من الحكمة
قاله قتادة وقال الحسن اي انهم لاعراضهم عن قراتك
وتغافلهم عنك كمن بينك وبينه حجاب في عدم رويتك
حتي كان علي قلوبهم اغطية وقيل نزلت في قوم كانوا
يوذون رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا قرا القران

وهم ابو جهل وابو سفيان والنضر بن الحارث وام جميل امراة
ابي لهب وحويطب فحجب الله رسوله صلى الله عليه وسلم عن
ابصارهم عند قراة القران وكانوا يمرون به ولا يرونه قاله
الزجاج وغيره وهو معنى القول الاول بعينه وهو الاظهر في
الاية والله اعلم وقوله مستورا فيه قولان احدهما ان الحجاب
مستور عنكم لا ترونه الثاني ان الحجاب ساتر عنكم ما وراه
ويكون مستورا بمعنى ساترا قوله تعالى وجعلنا على
قلوبهم اكنة هي جمع كنان وهو ما ستر الشي وقد تقدم في
الانعام ان يفقهوه اي لئلا يفقهوه او كراهية ان يفقهوه
اي ان يفهموا ما فيه من الاوامر والنواهي والحكم والمعاني
وهذا رد على القدرية وفي اذانهم وقرا اي صمما وثقلا وفي
الكلام اضمار اي ان يسمعوه واذا ذكرت ربك في القران وحده
اي قلت لا اله الا الله وانت تتلوا القران وقال ابو الجوزا اوس
بن عبد الله ليس شي اطرد للشيطان من القلب من قول لا اله الا
الله ثم تلا واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم
نفورا وقال علي بن الحسين هو قوله بسم الله الرحمن الرحيم وقد
تقدم هذا في البسملة ولوا على ادبارهم نفورا قيل يعني بذلك
المشركين وقيل الشياطين ونفورا جمع نافر مثل شهود جمع
شاهد وقعود جمع قاعد فهو منصوب على الحال ويجوز
ان يكون

ان يكون مصدرا على غير المصدر اذ كان قوله ولوا على ادبارهم
بمعنى نفروا فيكون معناه نفروا نفورا قوله تعالى نحن
اعلم بما يستمعون به قيل الباء زايدة في قوله به اي يستمعونه
وكانوا يستمعون من النبي صلى الله عليه وسلم القران ثم
ينفرون فيقولون هو ساحر ومسحور مما اخبر الله تعالى
به عنهم قاله قتادة وغيره واذ هم نجوى اي متناجون في
امرك قال قتادة وكانت نجواهم قولهم انه مجنون وانه
ساحر وانه ياتي باساطير الاولين وغير ذلك وقيل نزلت
حين دعا عقبة اشراف قريش الى طعام صنعه لهم فدخل
عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقرا عليهم القران ودعاهم
الى الله فتناجوا يقولون ساحر ومجنون وقيل امر النبي
صلى الله عليه وسلم عليا ان يتخذ طعاما ويدعوا اليه اشراف
قريش من المشركين ففعل ذلك ودخل عليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقرا عليهم القران ودعاهم الى التوحيد وقال
قولوا لا اله الا الله لتطيعكم العرب وتدين لكم العجم فابوا
وكانوا يستمعون من النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون بينهم
متناجين هو ساحر وهو مسحور فنزلت الاية وقال الزجاج
النجوى اسم للمصدر اي واذ هم ذو نجوى اي سرار
اذ يقول الظالمون ابو جهل والوليد بن المغيرة وامثالهما

ان تتبعون الا رجلا مسحورًا اي مطبوبًا قد خبله السحر فاختلط
عليه امره يقولوا ذلك لينفروا عنه الناس وقال مجاهد
مسحورًا اي مخدوعًا مثل قوله فاني تسحرون اي من اين
تخدعون وقال ابو عبيدة مسحورًا معناه ان له سحرًا اي
رئة فهو لا يستغني عن الطعام والشراب فهو مثلكم وليس
بملك وتقول العرب للجبان قد انتفخ سحره ولكل من اكل
من آدمي وغيره او شرب مسحور ومسحر قال لبيد
فان تسئلينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر وقال امرء
القيس ارانا موضعين لامر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب
اي نغذي ونعلل وفي الحديث عن عايشة رضي الله عنها انها
قالت من هذه التي تساميني من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وقد
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري
قوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال عجبه من صنعهم
كيف يقولون تارة ساحر وتارة مجنون وتارة شاعر
فضلوا فلا يستطيعون سبيلا اي حيلة في صد الناس
عنك وقيل ضلوا عن الحق فلا يجدون سبيلا اي الى الهدى
وقيل مخرجًا التناقض كلامهم في قولهم مجنون ساحر شاعر
قوله تعالى وقالوا ايذا كنا عظامًا ورفاتًا اي قالوا وهم
يتناجون لما سمعوا القران وسمعوا امر البعث لو لم يكن مسحورًا
مخدوعًا

مخدوعا لما قال هذا قال ابن عباس الرفات الغبار مجاهد التراب
والرفات ما تكسر وبلي من كل شي كالفتات والحطام والرضاض
عن ابي عبيدة والكساي والفرا والاخفش تقول منه رفت
الشي رفتا اي حطم فهو مرفوت ابنا لمبعوثون خلقا جديدا
ابنا استفهام والمراد به الجحد والانكار وخلقا نصب لانه
مصدر اي بعثا جديدا وكان هذا غاية الانكار منهم **قوله**
تعالى قل كونوا حجارة او حديدا في الشدة والقوة قال الطبري
اي تعجبتم من ان يشاء الله لكم عظاما ولحما فكونوا انتم حجارة او حديدا
ان قدرتم وقال علي بن عيسى معناه انكم لو كنتم حجارة او حديدا
لم تفوتوا الله عز وجل اذا اراد كم الا انه خرج مخرج الامر
لانه ابلغ في الالزام وقيل معناه لو كنتم حجارة او حديدا لاعادكم
كما بداكم ولاماتكم ثم احياكم وقال مجاهد المعنى كونوا ما شيتم
فستعادون النحاس وهذا قول حسن لانهم لا يستطيعون
ان يكونوا حجارة وانما المعنى انهم قد اقروا بخالقهم وانكروا
البعث فقيل لهم استشعروا ان تكونوا ما شيتم فلو كنتم
حجارة او حديدا لبعثتم كما خلقتم اول مرة او خلقا مما يكبر
في صدوركم قال مجاهد يعني السموات والارض والجبال
لعظمها في النفوس وهو معنى قول قتادة يقول كونوا
ما شيتم فان الله يميتكم ثم يبعثكم وقال ابن عباس وابن عمر

وعبد الله بن عمرو بن العاصي وابن جبير ومجاهد ايضا وعكرمة وابو
صالح والضحاك يعني الموت لانه ليس شي اكبر في نفس ابن ادم منه
قال امية بن ابي الصلت : وللموت خلق في النفوس فظيع :.
يقول انكم لو خلقتم من حجارة او حديد او كنتم الموت لاميتنكم
ولابعثنكم لان القدرة التي بها انشاكم بها نعيدكم وهو معنى قوله
فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وفي الحديث
انه يوتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش املح فيذبح بين الجنة
والنار وقيل اراد به البعث لانه كان اكبر في صدورهم قاله
الكلبي فطركم خلقكم وانشاكم فسينغضون اليك روسهم اي
يحركون روسهم استهزا يقال نغض راسه ينغض نغضا ونغوضا
اي تحرك وانغض راسه اي حركه كالمتعجب من الشي ومنه قوله
تعالى فسينغضون اليك روسهم قال الراجز : انغض نحوي راسه
واقنعا :. ويقال ايضا نغض فلان راسه اي حركه يتعدى ولا
يتعدى حكاه الاخفش ويقال نغضت سنه اي تحركت
وانقلعت قال الراجز : ونغضت من هرم اسنانها
وقال اخر لما راتني انغضت لي الراسا وقال اخر :
لاما في المقراة ان لم تنهض بمسد فوق المحال النغض
المحال والمحالة البكرة العظيمة التي يستقى بها الابل ويقولون
متى هو اي البعث والاعادة وهذا الوعد قل عسى ان يكون قريبا

اي هو

اي هو قريب لان عسي واجب نظيره وما يدريك لعل الساعة
تكون قريبا ولعل الساعة قريب وكل ما هو ات فهو قريب قوله
تعالي يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده الدعا النداء الي المحشر بكلام
تسمعه الخلايق يدعوهم الله تعالي فيه بالخروج وقيل بالصيحه
اي يسمعونها فتكون داعية لهم الي الاجتماع في ارض القيامه قال
صلي الله عليه وسلم انكم تدعون يوم القيامه باسمايكم واسما ابايكم
فاحسنوا اسماكم فتستجيبون بحمده اي باستحقاقه الحمد علي الاحيا
وقال ابو سهل اي والحمد لله كما قال اني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست
ولا من غدره اتقنع وقيل حامدين لله تعالي بالسنتكم قال سعيد
بن جبير يخرج الكفار من قبورهم وهم يقولون سبحانك وبحمدك
ولكن لا ينفعهم اعتراف ذلك اليوم وقال ابن عباس وسفيان
بحمده بامره اي تقرون بانه خالقكم وقال قتاده بمعرفته
وطاعته وقيل المعني بدعايه اياكم قال علماونا وهو الصحيح
فان النفخ في الصور انما هو سبب لخروج اهل القبور
وبالحقيقه انما خروج الخلق بدعوة الحق قال الله تعالي يوم
يدعوكم فتستجيبون بحمده وقال في اخره وقضي بينهم بالحق
وقيل الحمد لله رب العالمين وتظنون ان لبثتم الا قليلا يعني
بين النفختين وذلك اربعون عاما فينامون فذلك قوله تعالي
من بعثنا من مرقدنا فيكون خاصا للكفار وقال مجاهد

للكافرين هجعة قبل يوم القيامة يجدون فيها طعم النوم فاذا
صيح باهل القبور قاموا مذعورين وقال قتاده المعنى ان الدنيا
تحاقرت في اعينهم وقلّت حين راوا يوم القيامة الحسن وتظنون
ان لبثتم الا قليلا في الدنيا لطول لبثكم في الاخرة قوله تعالى
وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن تقدم اعرابه والاية
نزلت في عمر بن الخطاب وذلك ان رجلا من العرب شتمه وسبه
عمر وهم بقتله فكادت تثير فتنة فانزل الله تعالى فيه وقل
لعبادي يقولوا التي هي احسن ذكره الثعلبي والماوردي وابن
عطية والواحدي وقيل نزلت لما قال المسلمون ايذن لنا
يا رسول الله في قتالهم فقد طال ايذاوهم ايانا فقال لم اومر
بعد بالقتال فانزل الله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن
قاله الكلبي وقيل المعنى قل لعبادي الذين اعترفوا باني خالقهم
وهم يعبدون الاصنام يقولوا التي هي احسن من كلمة
التوحيد والاقرار بالنبوه وقيل المعنى وقل لعبادي المومنين
اذا جادلوا الكفار في التوحيد ان يقولوا الكلمة التي هي
احسن كما قال ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا
الله عدوا بغير علم وقال الحسن هو ان تقول للكافر اذا
تشطط هداك الله يرحمك الله وهذا قبل ان امروا بالجهاد
وقيل المعنى قل لهم يامروا بما امر الله به وينهوا عما نهي عنه
وعلى هذا

وعلي هذا تكون الاية عامة في المومن والكافر اي قل للجميع والله
اعلم وقالت طايفة امر الله تعالي في هذه الاية المومنين فيما بينهم
خاصة بحسن الادب وإلانة القول وخفض الجناح واطراح
نزغات الشيطان وقد قال صلي الله عليه وسلم وكونوا عباد الله
اخوانا وهذا احسن وتكون الاية محكمة قوله تعالي ان
الشيطان ينزغ بينهم اي بالفساد والقاء العداوة والإغواء
وقد تقدم في اخر الاعراف ويوسف يقال نزغ بيننا
اي افسد قاله اليزيدي وقال غيره النزغ الاغرا ان
الشيطان كان للانسان عدوا مبينا اي شديد العداوة
وقد تقدم في البقرة وفي الخبر ان قوما جلسوا يذكرون
الله فجا الشيطان ليقطع مجلسهم فمنعته الملايكة فجا
الي قوم جلوس قريبا منهم لا يذكرون الله فحرش بينهم
فتخاصموا وتواثبوا فقال هاولاء الذاكرون قوموا بنا
نصلح بين اخواننا فقاموا وقطعوا مجلسهم وفرح بذلك
او ان يشا يعذبكم هذا خطاب للمشركين والمعنى ان يشا
يوفقكم للاسلام فيرحمكم او يميتكم على الشرك فيعذبكم
قاله ابن جريج واعلم بمعني عليم نحو قولهم الله اكبر بمعنى
كبير وقيل الخطاب للمومنين اي ان يشا يرحمكم بان
يحفظكم من كفار مكه او ان يشا يعذبكم بتسليطهم عليكم

قاله الكلبي وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ما وكلناك في منعهم
من الكفر ولا جعلنا اليك ايمانهم وقيل ما جعلناك كفيلا لهم
توخذ بهم قاله الكلبي وقال الشاعر

ذكرت ابا اروى فبت كانني برد الامور الماضيات وكيل

اي كفيل قوله تعالى وربك اعلم بمن في السموات والارض
اعاد بعد ان قال ربكم اعلم بكم ليبين انه خالقهم وانه جعلهم
مختلفين في اخلاقهم وصورهم واحوالهم ومالهم الا بعلم
من خلق وكذا النبيين فضل بعضهم على بعض عن علم منه
بحالهم وقد مضى القول في هذا في البقره واتينا داود زبورا
الزبور كتاب ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرايض ولا حدود
وانما هو دعا وتحميد وتمجيد اي كما اتينا داود الزبور
فلا تنكروا ان يوتي محمد القران وهو في محاجة اليهود
قوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لما ابتليت
قريش بالقحط وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انزل الله هذه الاية اي ادعوا الذين تعبدون من دون الله
وزعمتم انها الهة وقال الحسن يعني الملايكة وعيسى وعزيرا
ابن مسعود يعني الجن فلا يملكون كشف الضر اي القحط
سبع سنين على قول مقاتل ولا تحويلا من الفقر الى الغنى
ومن السقم الى الصحه قوله تعالى اوليك الذين يدعون

اوليك

اوليك مبتدا الذين صفة اوليك وضمير الصله محذوف اي
يدعونهم يعني اوليك المدعون و يبتغون خبرا و يكون حالا
والذين يدعون خبراي يدعون اليه عبادة او عبادة الى
عبادته وقرا ابن مسعود يدعون بالتا على الخطاب الباقون
بالبا على الخبر ولا اخلاف في يبتغون انه باليا وفي صحيح مسلم
من كتاب التفسير عن عبد الله بن مسعود في قوله عز وجل
اوليك الذين يبتغون الى ربهم الوسيله قال نفر من الجن اسلموا
وكانوا يعبدون فبقي الذين كانوا يعبدون على عبادتهم
وقد اسلم النفر من الجن في روايه قال نزلت في نفر من
العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم الجنيون والذين
كانوا يعبدونهم لا يشعرون فنزلت اوليك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة وعنه ايضا انهم الملايكة
كانت تعبدهم قبايل من العرب ذكره الماوردي
وقال ابن عباس ومجاهد هم عزير وعيسى و يبتغون
يطلبون من الله الزلفة والقربة و يتضرعون الى الله
في طلب الجنة وهي الوسيلة اعلمهم الله تعالى ان المعبودين
يبتغون القربة الى ربهم والها والميم في ربهم تعود
على العابدين او على المعبودين او عليهم جميعا واما
يدعون فعلى العابدين ويبتغون على المعبودين ايهم اقرب

ابتدا وخبر ويجوز ان يكون ايهم اقرب بدلا من الضمير في
يبتغون والمعنى يبتغي ايهم اقرب الوسيلة الى الله ويرجون
رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا اي
مخوفا لا امان لاحد منه فينبغي ان يحذر رحمته ويخاف منه
وقال سهل بن عبد الله الرجا والخوف زمامان على الانسان
فاذا استويا استقامت احواله وان رجح احدهما بطل
الاخر قوله تعالى وان من قرية الا نحن مهلكوها اي
مخربوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا
قال مقاتل اما الصالحة فبالموت واما الطالحة فبالعذاب
وقال ابن مسعود اذا ظهر الزنا في قرية اذن الله في هلاكهم
فقيل المعنى وان من قرية ظالمة يقوي ذلك قوله وما كنا
مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اي فليتق المشركون فانه
ما من قرية كافرة الا سيحل بها العذاب كان ذلك في الكتاب
اي في اللوح المحفوظ مسطورا اي مكتوبا والسطر الخط والكتابة
وهو في الاصل مصدر والسطر بالتحريك مثله قال جرير
من شا بايعته مالي وخلعته ما تكمل التيم في ديوانهم سطرا
الخلعة بضم الخا خيار المال والسطر جمع اسطار مثل
سبب واسباب ثم يجمع على اساطير وجمع السطر اسطر
وسطور مثل فلس وفلوس والكتاب هنا يراد به اللوح
المحفوظ

مطلب اهلاك اهل القرية بسبب الزنا والكذب والربا

٥٥

المحفوظ قوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب
بها الاولون في الكلام حذف والتقدير وما منعنا ان نرسل
بالايات التي اقترحوها الا ان يكذبوا بها فيهلكوا كما فعل
بمن كان قبلهم قال معناه قتاده وابن جريج وغيرهما فاخر
الله العذاب عن كفار قريش لعلمه ان فيهم من يومن وفيهم
من يولد مومنا وقد تقدم في الانعام وغيرها انهم طلبوا
ان يحول الله لهم الصفا ذهبا وتنحى الجبال عنهم فنزل جبريل
وقال ان شيت كان ما سال قومك ولكنهم ان لم يومنوا
لم يمهلوا وان شيت استانيت بهم فقال لا بل استان
بهم وان الاولى في محل نصب بوقوع المنع عليه وان الثانية
في محل رفع والباء في بالايات زايده ومجاز الكلام وما منعنا
ارسال الايات الا تكذيب الاولين والله تعالى لا يكون
ممنوعا عن شي فالمعنى المبالغة في انه لا يفعل فكانه قد
منع عنه ثم بين ما فعل بمن سال الايات فلم يومن بها فقال
واتينا ثمود الناقة مبصرة اي اية دالة مضيية نيرة
على صدق صالح وعلى قدرة الله تعالى وقد تقدم ذلك
فظلموا بها اي ظلموا بتكذيبها وقيل جحدوا بها وكفروا انها
من عند الله فاستاصلهم الله بالعذاب وما نرسل بالايات
الا تخويفا فيه خمسة اقوال الاول العبر والمعجزات

التي جعلها الله على ايدي الرسل من دلايل الانذار تخويفا للمكذبين
الثاني انها ايات الانتقام تخويفا من المعاصي الثالث انها تقلب
الاحوال من صغر الي شباب ثم الي تكهل ثم الي مشيب لتعتبر
بتقلب احوالك فتخاف عاقبة امرك وهذا قول احمد بن حنبل
رضي الله عنه الرابع القران الخامس الموت الذريع قاله الحسن
قوله تعالي واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس قال ابن عباس
الناس هنا اهل مكه واحاطته بهم اهلاكه اياهم اي ان الله   بلغ
سيهلكهم وذكره بلفظ الماضي لتحقق كونه وعلى هذا الاهلاك
الموعود ما جرى يوم بدر ويوم الفتح وقيل معنى احاط بالناس
اي احاطت قدرته بهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من
مشيئته قاله مجاهد وابن ابي نجيح وقال الكلبي المعنى احاط
علمه بالناس وقيل المراد عصمته من الناس ان يقتلوه حتى
يبلغ رسالة ربه اي وما ارسلناك عليهم حفيظا بل عليك
التبليغ فبلغ بجدك فانا نعصمك منهم ونحفظك فلا تهبهم وامض
لما امرك به من تبليغ الرسالة فقدرتنا محيطة بالكل قال
معناه الحسن وعروة وقتادة وغيرهم قوله تعالي وما
جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس لما بين ان انزال ايات
القران تتضمن التخويف ضم اليه ذكر اية الاسرا وهي
المذكورة في صدر السورة وفي البخاري والترمذي عن ابن عباس
في قوله تعالي

في قوله تعالى وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس
هي رويا عين اريها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به الى
بيت المقدس قال والشجرة الملعونة في القران هي شجرة الزقوم
قال ابو عيسى هذا حديث صحيح وبقول ابن عباس قالت عايشة
ومعاوية والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك
وابن ابي نجيح وابن زيد وكانت الفتنة ارتداد قوم كانوا اسلموا
حين اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم انه اسري به وقيل كانت
رويا نوم وهذه الاية تقضي بفساده وذلك ان رويا المنام
لا فتنة فيها وما كان احد لينكرها وعن ابن عباس قال الرويا
التي في هذه الاية هي رويا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يدخل
مكة في سنة الحديبية فرد فافتتن المسلمون لذلك فنزلت
الاية فلما كان العام المقبل دخلها وانزل الله تعالى لقد صدق
الله رسوله الرويا بالحق وفي هذا التاويل ضعف لان
السورة مكية وتلك الرويا كانت بالمدينة وقال في رواية
ثالثة انه عليه السلام راى في المنام بني مروان ينزون على
منبره نزو القردة فساءه ذلك فقيل انما هي الدنيا اعطوها
فسري عنه وما كان له بمكة منبر ولكنه يجوز ان يرى
بمكة رويا المنبر بالمدينة وهذا التاويل الثالث قاله ايضا
سهل بن سعد رضي الله عنه قال سهل انما هذه الرويا هي

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى بني امية ينزون على
منبره نزو القردة فاغتم لذلك وما استجمع ضاحكا من
يومئذ حتى مات صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية مخبرة
ان ذلك من ملكهم وصعودهم يجعلها الله فتنة للناس وامتحانا
وقرا الحسن بن علي في خطبته في شان بيعته لمعاويه وان
ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال ابن عطية وفي هذا
التاويل نظر ولا يدخل في هذه الرويا عثمان ولا عمر بن
عبد العزيز ولا معاويه قوله تعالى والشجرة الملعونة
في القران فيه تقديم وتاخير اي ما جعلنا الرويا التي
اريناك والشجرة الملعونة في القران الا فتنة للناس وفتنتها
انهم لما خوفوا بها قال ابو جهل استهزاء هذا محمد يتوعدكم
بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انها تنبت الشجر والنار تاكل الشجر
وما نعرف الزقوم الا التمر والزبد ثم امر ابو جهل جارية فاحضرت
تمرا وزبدا وقال لاصحابه تزقموا وقيل ان القايل ما نعلم الزقوم
الا الزبد والتمر ابن الزبعرى حيث قال كثر الله من الزقوم
في داركم فانه التمر بالزبد في لغة اليمن وجايز ان يقول
كلاهما ذلك فافتتن ايضا لهذه المقالة بعض الضعفا فاخبر الله
تعالى نبيه عليه السلام انه انما جعل الاسرا وذكر شجرة الزقوم
فتنة واختبارا ليكفر من سبق عليه الكفر ويصدق من
سبق له

سبق له الايمان كما روي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قيل له
صبيحة الاسرا ان صاحبك يزعم انه جا البارحة من بيت
المقدس فقال ان كان قال ذلك فلقد صدق فقيل له انصدقه
قبل ان تسمع منه فقال اين تعفو لكم انا اصدقه بخبر السما فكيف
لا اصدقه بخبر بيت المقدس والسما ابعد منها بكثير قلت
ذكر هذا الخبر ابن اسحق ونصه قال كان من الحديث فيما بلغني
عن مسراه صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن مسعود وابي
سعيد الخدري وعايشة ومعاوية بن ابي سفيان والحسن بن
ابي الحسن وابن شهاب الزهري وقتادة وغيرهم من اهل العلم
وام هاني بنت ابي طالب ما اجتمع في هذا الحديث كل يحدث
عنه بعض ما ذكر من امره حين اسري به صلى الله عليه وسلم
وكان في مسراه وما ذكر منه بلا وتمحيص وامر من امر الله
عز وجل في قدرته وسلطانه فيه عبرة لاولي الالباب وهدى
ورحمة وثبات لمن امن وصدق وكان من امر الله تعالى على يقين
فاسري به صلى الله عليه وسلم كيف شا وكما شا ليريه من اياته
ما اراد حتى عاين ما عاين من امره وسلطانه العظيم وقدرته
التي يصنع بها ما يريد وكان عبد الله بن مسعود فيما بلغني عنه
يقول اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق وهو الدابة
التي كانت تحمل عليها الانبيا قبله تضع حافرها في منتهى طرفها

فحمل عليها ثم خرج به صاحبه يري الايات فيما بين السما والارض
حتى انتهى الى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى في
نفر من الانبيا قد جمعوا له فصلى بهم ثم أُتي بثلاثة انية انا فيه
لبن وانا فيه خمر وانا فيه ما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسمعت قايلا يقول حين عُرِضتْ علي ان اخذ الما فغرق وغرقت
امته وان اخذ الخمر فغوي وغوت امته وان اخذ اللبن
فهدي وهديت امته قال فاخذت انا اللبن فشربت فقال
لي جبريل هديت وهديت امتك يا محمد قال ابن اسحق وحُدِّثتُ
عن الحسن انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا
نايم في الحجر جاني جبريل عليه السلام فهمزني بقدمه فجلست
فلم ار شيا ثم عدت لمضجعي فجاني الثانية فهمزني بقدمه فجلست
فاخذ بعضدي فقمت معه فخرج الى باب المسجد فاذا دابة
ابيض بين البغل والحمار في فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه
يضع حافره في منتهى طرفه فحملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني
ولا افوته قال ابن اسحق وحُدِّثتُ عن قتادة انه قال حُدِّثتُ
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما دنوت منه لاركبه
شمس فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال الا تستحيي
يا براق مما تصنع فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد اكرم عليه
منه قال فاستحيى حتى ارفض عرقا ثم قر حتى ركبته قال الحسن
في حديثه

مطلب في بيان البراق والمسرى الى بيت المقدس

في حديثه فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى معه حتى
انتهى الى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى في
نفر من الانبيا فامّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم
ثم اتي باناين في احدهما خمر وفي الآخر لبن قال فاخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم إناء اللبن فشرب منه وترك اناء الخمر قال
فقال له جبريل هديت وهديت امتك وحرّمت عليكم
الخمر ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة
فلما اصبح غدا على قريش فاخبرهم الخبر فقال اكثر الناس
هذا والله الامر البيّن والله ان العير لتطرد شهرًا من مكة
الى الشام مدبرة شهرا ومقبلة شهرًا فيذهب ذلك محمد
في ليلة واحدة ويرجع الى مكة قال فارتد كثير ممن كان اسلم
وذهب الناس الى ابي بكر فقالوا هل لك يا ابا بكر في صاحبك يزعم
انه قد جا هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع الى مكة
فقال ابو بكر الصدّيق رضي الله عنه انكم تكذبون عليه فقالوا بلى
ها هو ذا في المسجد يحدث به الناس فقال ابو بكر والله لئن كان
قاله لقد صدق فما يعجبكم من ذلك فوالله انه ليخبرني ان الخبر
لياتيه من السما الى الارض في ساعة من ليل او نهار فاصدقه
فهذا ابعد مما تعجبون منه ثم اقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا نبي الله احدثت هاولاء انك جيت بيت

للفطرة بيانه

المقدس هذه الليلة قال نعم قال يا نبي الله فصفه لي فاني قد جيته
فقال الحسن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع لي حتى نظرت
اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابي بكر ويقول
ابو بكر رضي الله عنه صدقت اشهد انك رسول الله كلما وصف
له منه شيا قال صدقت اشهد انك رسول الله قال حتى اذا انتهي
قال رسول الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه وانت يا ابا بكر
الصديق فيومئذ سماه الصديق قال الحسن وانزل الله تعالي
فيمن ارتد عن الاسلام لذلك وما جعلنا الرويا التي اريناك الا
فتنة للناس والشجرة الملعونة في القران ونخوفهم فما يزيدهم
الا طغيانا كبيرا فهذا حديث الحسن عن مسري رسول الله
صلى الله عليه وما دخل فيه من حديث قتادة وذكر باقي
الاسرا عن من تقدم في السيرة وقال ابن عباس هذه الشجرة
بنو امية وان النبي صلى الله عليه وسلم نفى الحكم وهذا قول
ضعيف محدث والسورة مكيه فيبعد هذا التاويل الا ان
تكون هذه الايه مدينه ولم يثبت ذلك وقد قالت عايشة
لمروان لعن الله اباك وانت في صلبه فانت قطط من لعنه الله
ثم قال والشجرة الملعونة في القران ولم يجر في القران لعن
هذه الشجرة ولكن الله لعن الكفار وهم اكلوها فالمعنى والشجرة
الملعونة في القران اكلوها ويمكن ان يجري هذا على قول العرب
لكل

لكل طعام مكروه ضار ملعون وقال ابن عباس الشجرة
الملعونة هي هذه الشجرة التي تلتوي على الشجر فتقتلها يعني
الكشوث ونخوفهم اي بالزقوم فما يزيدهم التخويف الا الكفر
قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم تقدم ذكر كون
الشيطان عدوا الانسان فانجر الكلام الى ذكر ادم والمعنى
اذكر بتمادي هاولاء المشركين وعتوهم على ربهم قصة ابليس
حين عصى ربه وابى السجود وقال ما قال وهو ما اخبر الله تعالى
في قوله فسجدوا الا ابليس قال ااسجد لمن خلقت طينا اي من طين
وهذا استفهام انكار وقد تقدم القول في خلق ادم في البقرة
والانعام مستوفي قال ارايتك اي قال ابليس والكاف توكيد
للمخاطبة هذا الذي كرمت علي اي فضلته علي وراى جوهر النار
خيرا من جوهر الطين ولم يعرف ان الجواهر متماثلة وقد
تقدم هذا في الاعراف وهذا نصب بارايت الذي نعته والاكرام
اسم جامع لكل ما يحمد وفي الكلام حذف تقديره اخبرني عن
هذا الذي فضلته علي لم فضلته وقد خلقتني من نار وخلقته
من طين فحذف لعلم السامع وقيل لا حاجة الى تقدير الحذف
اي اترى هذا الذي كرمته لافعلن به كذا وكذا ومعنى لاحتنكن
في قول ابن عباس لاستولين عليهم وقاله الفرا مجاهد لاحتوينهم
ابن زيد لاضلنهم والمعنى متقارب اي لاستاصلن ذريته

بالاغوا والاضلال ولاحتناكهم وروي عن العرب احتنك الجراد
الزرع اذا ذهب به كله وقيل معناه لاسوقنهم حيث شيت
واقودنهم حيث اردت من قولهم حنكت الفرس احنكه واحنكه
حنكا اذا جعلت في فيه الرسن وكذلك احتنكته والقول
الاول قريب من هذا لانه انما ياتي على الزرع بالحنك وقال الشاعر
اشكوا اليك سنة قد اجحفت جهدا الى جهد بنا واضعفت
واحتنكت اموالنا واجتلفت :. الا قليلا يعني المعصومين وهم
الذين ذكرهم الله في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
وانما قال ابليس ذلك ظنا كما قال الله تعالى ولقد صدق عليهم
ابليس ظنه او علم من طبع البشر تركيب الشهوة فيهم او بني
على قول الملايكة اتجعل فيها من يفسد فيها وقال الحسن ظن
ذلك لانه وسوس الى ادم عليه السلام فلم نجد له عزما
قوله تعالى قال اذهب فمن تبعك منهم هذا امر اهانة
اي اجهد جهدك فقد انظرناك فمن تبعك اي اطاعك من ذرية
ادم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا اي وافرا عن مجاهد
وغيره وهو نصب على المصدر يقال وفرته افره وفرا
ووفر المال بنفسه يفر وفورا فهو وافر فهو لازم ومتعد
قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك فيه
ست مسايل الاولى قوله تعالى واستفزز اي استزل
واستخف

واستخف واصله القطع ومنه تقزز الثوب اذا انقطع والمعنى
استزله بقطعك اياه عن الحق واستفزز امر تعجيز اي
انت لا تقدر على اضلال احد وليس لك على احد سلطان
فافعل ما شيت الثانية قوله تعالى بصوتك وصوته كل داع
يدعوا الى معصية الله عن ابن عباس مجاهد الغنا والمزامير
واللهو الضحاك صوت المزمار وكان ادم عليه السلام اسكن
اولاد هابيل على الجبل وولد قابيل اسفله وفيهم بنات حسان
فزمر اللعين فلم يتمالكوا ان انحدروا فزنوا ذكره الغزنوي
وقيل بصوتك بوسوستك الثالثة قوله تعالى واجلب عليهم
بخيلك ورجلك اصل الاجلاب السوق بجلبة من السايق يقال
اجلب اجلابا والجلب والجلبة الاصوات تقول منه جلبوا بالتشديد
وجلب الشي يجلبه ويجلبه جلبا وجلبا وجلبت الشي وجلبت
الشي الى نفسي واجتلبته بمعنى واجلب على العدو اجلابا اي
جمع عليهم فالمعنى اجمع عليهم كلما تقدر عليه من مكايدك وقال
اكثر المفسرين يريد كل راكب وماش في معصية الله وقال
ابن عباس ومجاهد وقتادة ان له خيلا ورجلا من الجن والانس
فما كان من راكب وماش يقاتل في معصية الله فهو من خيل
ابليس ورجالته وروى سعيد بن جبير ومجاهد عن ابن
عباس قال كل خيل سارت في معصية الله وكل رجل مشت

في معصية الله وكل ما اصيب من حرام وكل ولد غية فهو
للشيطان والرجل جمع راجل مثل صحب وصاحب وقرا
حفص ورجلك بكسر الجيم وهما لغتان يقال رجل ورجل بمعني
راجل وقرا عكرمة وقتادة ورجالك علي الجمع الرابعة
وشاركهم في الاموال والاولاد اي اجعل لنفسك شركة في
ذلك فشركته في الاموال انفاقها في معصية الله قاله الحسن وقيل
هي التي اصابوها من غير حلها قاله مجاهد ابن عباس ما كانوا يحرمونه
من البحيره والسايبه والوصيله والحام وقاله قتادة الضحاك
ما كانوا ينحرونه لالهتهم والاولاد قيل هم اولاد الزنا قاله
مجاهد والضحاك وعبد الله بن عباس وعنه ايضا هو ما قتلوا
من اولادهم واتوا فيهم من الجرايم وعنه ايضا هو تسميتهم
عبد الحارث وعبد العزي وعبد اللات وعبد الشمس ونحوه
وقيل انه صبغة اولادهم في الكفر حتي هودوهم ونصروهم
كصنيع النصاري باولادهم بالغمس في الماء الذي لهم قاله
قتادة وقول خامس روي عن مجاهد قال اذا جامع الرجل
ولم يسم انطوي الجان علي احليله فجامع معه فذلك قوله
تعالي لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وسياتي وروي من
حديث عايشة قالت قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
ان فيكم مغربين قلت يا رسول الله وما المغربون قال الذي
يشرك

يشرك فيهم الجن رواه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول قال
الهروي سموا مغربين لانه دخل فيهم عرق غريب قال الترمذي
الحكيم فللجن مساماة بابن ادم في الامور والاختلاط فمنهم
من يتزوج فيهم وكانت بلقيس ملكة سبا احد ابويها من الجن
وسياتي بيانه ان شاء الله الخامسة قوله تعالى وعدهم اي
منهم الاماني الكاذبة وانه لا قيامة ولا حساب وانه ان كان
حساب وجنة ونار فانتم اولي بالجنة من غيركم يقويه قوله
يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اي باطلا وقيل
وعدهم اي عدهم النصرة علي من ارادهم بسوء وهذا الامر
للشيطان تهدد ووعيد له وقيل استخفاف به وبمن اتبعه
السادسة في الاية ما يدل علي تحريم المزامير والغنا واللهو
لقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم
علي قول مجاهد وما كان من صوت الشيطان او فعله وما
يستحسنه فواجب التنزه عنه وروي نافع عن ابن عمر انه
سمع صوت زمارة فوضع اصبعيه في اذنيه وعدل راحلته
عن الطريق وهو يقول يا نافع اتسمع فاقول نعم فمضى حتى
قلت لا فوضع يديه واعاد راحلته الى الطريق وقال رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع زمارة راع فصنع مثلها
قال علماونا اذا كان هذا فعلهم في حق صوت لا يخرج عن الاعتدال
فكيف بغنا اهل هذا الزمان وزمورهم وسياتي لهذا بيان

ان عبادي ليس لك عليهم سلطان

في سورة لقمان ان شا الله تعالى قوله تعالى قال ابن عباس هم
المومنون وقد تقدم الكلام فيه وكفى بربك وكيلا اي عاصما من القبول
من ابليس وحافظا من كيده وسو مكره قوله تعالى ربكم
الذي يزجي لكم الفلك في البحر الازجا السوق ومنه قوله تعالى
الم تر ان الله يزجي سحابا وقال الشاعر
يا ايها الراكب المزجي مطيته سايل بني اسد ماهذه الصوت وازجا
الفلك سوقه بالريح اللينه والفلك هنا جمع وقد تقدم والبحر
الما الكثير عذبا كان او ... وقد غلب هذا الاسم على المشهور
وهذه الاية توقيف على الآء الله وفضله عند عباده اي ربكم
الذي انعم عليكم بكذا وكذا فلا تشركوا به شيا لتبتغوا من فضله
اي في التجارات وقد تقدم انه كان بكم رحيما قوله تعالى واذا
مسكم الضر في البحر الضر لفظ يعم خوف الغرق والامساك عن
الجري واهوال حالاته اضطرابه وتموجه ضل معناه تلف وفقد
وهي عبارة تحقير لمن يدعا الها من دون الله والمعنى في هذه الايه
ان الكفار انما يعتقدون في اصنامهم انها شافعه وان لها فضلا
وكل واحد منهم بالفطره يعلم علما لا يقدر على مدافعته ان الاصنام
لا فعل لها في الشدايد العظام فوقفهم الله من ذلك على حاله البحر
حيث تنقطع الحيل فلما نجاكم الى البر اعرضتم اي عن الاخلاص
وكان الانسان كفورا الانسان هنا الكافر وقيل في طبع الانسان
كفور النعم

ملجا

كفورًا للنعم الا من عصمه الله فالانسان لفظ الجنس قوله
تعالى افامنتم ان يخسف بكم جانب البر بين انه قادر على
هلاكهم في البر وان سلموا من البحر والخسف ان تنهار الارض
بالشي يقال بير خسيف اذا انهدم اصلها وعين خاسفة اي
غارت حدقتها في الراس وعين من الما خاسفه اي غار ماوها
وخسفت الشمس اي غابت عن الارض وقال ابو عمرو والخسيف
البير التي تحفر في حجارة فلا ينقطع ماوها كثرة والجمع خسف
وجانب البير ناحية الارض وسماه جانبا لانه يصير بعد
الخسف جانبا وايضا فان البحر جانب والبر جانب وقيل
انهم كانوا على ساحل البحر وساحله جانب البر وكانوا
فيه امنين من اهوال البحر فحذرهم ما امنوه من البر كما
حذرهم ما خافوه من البحر او يرسل عليكم حاصبا يعني
ريحا شديدة وهي التي ترمي بالحصبا وهي الحصا الصغار
قاله ابو عبيدة والقتبي وقال قتادة يعني حجارة من السماء
تحصبهم كما فعل بقوم لوط ويقال للسحابة التي ترمي بالبرد
حاصب وللريح التي تحمل التراب والحصبا حاصب وحصبه وحصبة
ايضا قال لبيد: جرت عليها ان خوت من اهلها اذيالها كل عصوف حصبة
وقال الفرزدق: مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور
ثم لا تجدوا لكم وكيلا اي حافظا ونصيرا يمنعكم من باس الله

قوله تعالى ام امنتم ان تعيدكم فيه تارة اخرى يعني في البحر
فترسل عليكم قاصفا من الريح القاصف الريح الشديدة التي
تكسر بشدة من قصف الشي يقصفه اي كسره بشدة
والقصف الكسر يقال قصفت الريح السفينة وريح قاصف شديدة
ورعد قاصف شديد الصوت يقال قصف الرعد وغيره
قصيفا والقصيف هشيم الشجر والتقصف التكسر والقصف
ايضا اللهو واللعب يقال انها مولده فتغرقكم بما كفرتم اي
بكفركم وقرا ابن كثير وابو عمرو نخسف بكم او نرسل عليكم
ان نعيدكم فنرسل عليكم فنغرقكم بالنون في الخمسة على التعظيم
ولقوله علينا الباقون بالياء لقوله في الاية قبل اياه وقرا
ابو جعفر وشيبة ورويس ومجاهد فتغرقكم بالتاء نعتا
للريح وعن الحسن وقتادة فيغرقكم بياء مع التشديد في الراء
وقرا ابو جعفر الرياح هنا وفي كل القران وقيل ان القاصف
المهلكة في البر والعاصف المغرقة في البحر حكاه الماوردي
وقوله ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا قال مجاهد ثارا النحاس
وهو من الثار وكذلك يقال لكل من طلب بثار او غيره تبيع
وتابع ومنه فاتباع بالمعروف اي مطالبة قوله تعالى
ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من
الطيبات فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى ولقد كرمنا
بني ادم

بني ادم الاية لما ذكر من الترهيب ما ذكر بين النعمة عليهم ايضا
كرمنا تضعيف كرم اي جعلنا لهم كرما اي شرفا وفضلا وهذا
هو كرم نفي النقصان لا كرم المال وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم
على هذه الهيئة في امتداد القامة وحسن الصورة وحملهم
في البر والبحر مما لا يصح لحيوان سوى بني ادم ان يكون يتحمل
بارادته وقصده وتدبيره وتخصيصهم بما خصهم به من
المطاعم والمشارب والملابس وهذا لا يتسع فيه حيوان
اتساع بني ادم لانهم يكسبون المال خاصة دون الحيوان
ويلبسون الثياب وياكلون المركبات من الاطعمة وغاية كل
حيوان ياكل لحما نيا او طعاما غير مركب وحكى الطبري عن
جماعة ان التفضيل هو ان ياكل بيده وساير الحيوان بالفم
وروي عن ابن عباس ذكره المهدوي والنحاس وهو قول الكلبي
ومقاتل ذكره الماوردي وقال الضحاك كرمهم بالنطق والتمييز
عطا كرمهم بتعديل القامة وامتدادها يمان بحسن الصورة
محمد بن كعب بان جعل محمدا صلى الله عليه وسلم منهم وقيل اكرم
الرجال باللحا والنسا بالذوايب وقال محمد بن جرير الطبري
بتسليطهم على ساير الخلق وتسخير ساير الخلق لهم وقيل
بالكلام والخط وقيل بالفهم والتمييز والصحيح الذي يعول
عليه ان التفضيل انما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف

وبه يعرف الله ونفهم كلامه ويوصل الى نعيمه وتصديق
رسله الا انه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل
وانزلت الكتب فمثال الشرع الشمس ومثال العقل العين
فاذا انفتحت وكانت سليمة رات الشمس وادركت تفاصيل
الاشيا وما تقدم من الاقوال بعضه اقوى من بعض وقد
جعل الله في بعض الحيوان خصالا يفضل بها ابن ادم ايضا
وذلك كجري الفرس وسمعه وابصاره وقوة الفيل وشجاعة
الاسد وكرم الديك وانما التكريم والتفضيل بالعقل كما
بيناه والله اعلم الثانية قالت فرقة هذه الاية تقضي
بفضل الملايكة على الانس من حيث انهم المستثنون في
قوله تعالى ولا الملايكة المقربون وهذا غير لازم من الاية
بل التفضيل فيها بين الانس والجن فان هذه الاية انما عدد
الله فيها على بني ادم ما خصهم به من ساير الحيوان والجن
هو الكثير المفضول والملائكة هم الخارجون عن الكثير المفضول
ولم تتعرض الاية لذكرهم بل يحتمل ان الملايكة افضل ويحتمل
العكس ويحتمل التساوي وعلى الجملة فالكلام لا ينتهي في هذه
المسئلة الى القطع وقد تحاشى قوم من الكلام في هذا كما
تحاشوا من الكلام في تفضيل بعض الانبيا على بعض اذ في
الخبر لا تخايروا بين الانبيا ولا تفضلوني على يونس بن متى
وهذا ليس

وهذا ليس بشي لوجود النص في القران في التفضيل بين الانبياء
وقد بيناه في البقرة ومضى فيها الكلام في تفضيل الملايكة والمومن
الثالثة قوله تعالى ورزقناهم من الطيبات يعني لذيذ المطاعم
والمشارب قال مقاتل السمن والعسل والزبد والتمر والحلوى
وجعل رزق غيرهم مالا يخفى عليكم من التبن والعظام وغيرها
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا اي على البهايم والدواب
والوحش والطير بالغلبة والاستيلا والثواب والجزا والحفظ
والتمييز واصابة الفراسة الرابعة هذه الايه ترد ماروى
عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أذيبوا انفسكم طيب الطعام فانما قوي الشيطان ان تجري في
العروق منها وبه يستدل كثير من الصوفية في ترك اكل
الطيبات ولا اصل له لان القران يرده والسنة الثابتة بخلافه
على ما تقرر في غير موضع وقد حكى ابو حامد الطوسي قال كان
سهل يقتات ورق النبق مدة واكل دقاق ورق التين ثلاث
سنين وذكر ابراهيم بن البنا قال صحبت ذا النون من اخميم
الى الاسكندرية فلما كان وقت افطاره اخرجت قرصا
وملحا كان معي وقلت هلم فقال لي ملحك مدقوق قلت نعم قال
لست تفلح فنظرت الى مزوده واذا فيه قليل سويق شعير
يستف منه وقال ابو يزيد ما اكلت شيا مما ياكله بنو ادم

اربعين سنة قال علماونا وهذا مما لا يجوز حمل النفس عليه لان
الله تعالى اكرم الادمي بالحنطه وجعل قشورها للبهايم فلا ينبغي
مزاحمة الدواب في اكل التبن واما سويق الشعير فانه يورث
القولنج واذا اقتصر الانسان على خبز الشعير والملح الجريش
فانه ينحرف مزاجه لان خبز الشعير بارد مجفف والملح يابس
قابض يضر الدماغ والبصر واذا مالت النفس الى ما يصلحها
فمنعت فقد قومت حلمة الباري سبحانه بردها ثم يوثر
ذلك في البدن فكان هذا الفعل مخالفا للشرع والعقل ومعلوم
ان البدن مطية الادمي ومتى لم يرفق بالمطية لم يبلغ وروي
عن ابراهيم بن ادهم انه اشترى زبدا وعسلا وخبز حواري
فقيل له هذا كله فقال اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا اعدمنا
صبرنا صبر الرجال وكان الثوري ياكل اللحم والعنب والفالوذج
ثم يقوم الى الصلاة ومثل هذا عن السلف كثير وقد تقدم منه
ما يكفي في المايده والاعراف وغيرها والاول غلو في الدين
ان صح عنهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها فقوله تعالى
يوم ندعوا كل اناس بامامهم روى الترمذي عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس
بامامهم قال يدعى احدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه
ستون ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على راسه تاج من لؤلؤ
يتلالا

قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم

جسمه ستون ذراعا

يتلألأ فينطلق الى اصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم ايتنا
بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم ويقول ابشروا لكل رجل منكم
مثل هذا قال واما الكافر فيسود وجهه ويمد في جسمه
ستون ذراعا على صورة ادم ويلبس تاجا فيراه اصحابه فيقولون
نعوذ بالله من شر هذا اللهم لا تاتنا بهذا قال فياتيهم
فيقولون اللهم اخزه فيقول أبعدكم الله فان لكل رجل
منكم مثل هذا قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب
ونظير هذا قوله تعالى وترى كل امة جاثية كل امة تدعى
الى كتابها اليوم تجزون والكتاب تسمى اماما لانه يرجع
اليه في تعرف اعمالهم وقال ابن عباس والحسن وقتادة
والضحاك بامامهم اي بكتابهم اي بكتاب كل انسان منهم
الذي فيه عمله دليله فمن اوتي كتابه بيمينه وقال ابن زيد
بالكتاب المنزل عليهم اي يدعى كل انسان بكتابه الذي
كان يتلوه فيدعى اهل التورية بالتورية واهل القران بالقران
فيقال يا اهل القران ماذا عملتم هل امتثلتم اوامره هل اجتنبتم
نواهيه وهكذا وقال مجاهد بامامهم بنبيهم والامام
من يؤتم به فيقال هاتوا متبعي ابرهيم هاتوا متبعي موسى
هاتوا متبعي الشيطان هاتوا متبعي الاصنام فيقوم اهل
الحق فيأخذون كتابهم بايمانهم ويقوم اهل الباطل

فيأخذون كتابهم بشمالهم وقاله قتادة وقال علي رضي
الله عنه بامام عصرهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم فقال كل يدعى بامام
زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم فيقول هاتوا متبعي ابرهيم
هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي عيسى هاتوا متبعي الشيطان
هاتوا متبعي رؤساء الضلالة امام هدى امام ضلالة وقال
بلغ
الحسن وابو العالية بامامهم اي باعمالهم وقاله ابن عباس فيقال
اين الراضون بالمقلد واين الصابرون عن المحذور وقيل
بمذاهبهم فيدعون بما كانوا يأتمون به في الدنيا يا حنفي
يا شافعي يا معتزلي يا قدري ونحوه فيتبعونه في خير او شر
او على حق او باطل وهذا معنى قول ابي عبيدة وقد تقدم
وقال ابو هريرة يدعى اهل الصدقة من باب الصدقة
واهل الجهاد من باب الجهاد الحديث بطوله ابو سهل
يقال ابن فلان المصلي والصوام وعليه الزفاف
والنمام وقال محمد بن كعب بامامهم بامهاتهم وامام جمع
ام قالت الحكماء وفي ذلك ثلثة اوجه من الحكمة احدها
لاجل عيسى والثاني اظهار لشرف الحسن والحسين والثالث
لئلا تفتضح اولاد الزنا قلت وفي هذا نظر فان في الحديث
الصحيح عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا جمع الله

اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر
لواء يوم القيامه فيقال هذه غدرة فلان بن فلان خرجه مسلم
والبخاري فقوله هذه غدرة فلان بن فلان دليل على ان الناس
يدعون في الاخرة باسمايهم واسما ابايهم والله اعلم قوله
تعالى فمن اوتي كتابه بيمينه هذا يقوي قول من قال
بامامهم بكتابهم ويقويه ايضا قوله تعالى وكل شي احصيناه
في امام مبين فاوليك يقرون كتابهم ولا يظلمون فتيلا الفتيلة
التي في شق النواه وقد مضى في النسا قوله تعالى ومن كان
في هذه اعمى اي في الدنيا عن الاعتبار وابصار الحق فهو في
الاخرة اي في امر الاخرة اعمى وقال عكرمة جا نفر من اهل
اليمن الى ابن عباس فسالوه عن هذه الاية فقالوا اقروا ما قبلها
ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر الى تفضيلا قال ابن عباس
من كان في هذه النعم والايات التي راى اعمى فهو عن الاخرة
التي لم يعاين اعمى واضل سبيلا وقيل المعنى من عمي عن النعم
التي انعم الله بها عليه في الدنيا فهو عن نعم الاخرة اعمى
وقيل المعنى من كان في الدنيا التي امهل فيها وفسح له ووعد
بقبول التوبه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا
وقيل من كان في الدنيا اعمى عن حجج الله يبعثه الله يوم القيامة
اعمى كما قال ونحشره يوم القيامه اعمى الايات وقال ونحشرهم

وقال الحسن من كان في هذه الدنيا كافرا ضالا فهو في الاخرة اعمى
التي لا توبة فيها

يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ما واهم جهنم وقيل
المعنى في قوله فهو في الاخرة اعمي في جميع الاقوال اشد عما
لانه من عمي القلب ولا يقال مثله في عمي العين قال الخليل وسيبويه
لانه خلقه بمنزلة اليد والرجل فلم تقل ما اعماه كما لا يقال ما ايداه
الاخفش لم يقل فيه ذلك لانه على اكثر من ثلثة احرف واصله
اعمي وقد اجاز بعض النحويين ما اعماه وما اعشاه لان فعله
عمي وعشي وقال الفرا حدثني بشام شيخ بصري انه سمع
العرب تقول ما اسود شعره قال الشاعر
ما في المعالي لكم ظل ولا ثمر وفي المخازي لكم اشباح اشباح
اما الملوك فانت اليوم الامهم لوما وانت ابيضهم سربال طباخ
وامال ابو بكر وحمزه والكسائي وخلف الحرفين اعمي واعمي وفتح الباقون
وامال ابو عمرو الاول وفتح الثاني واضل سبيلا يعني انه لا
نجد طريقا الى الهداية قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك عن
الذي اوحينا اليك قال سعيد بن جبير كان النبي صلى الله عليه وسلم
يستلم الحجر الاسود في طوافه فمنعته قريش وقالوا لا
ندعك تستلم حتى تلم بالهتنا فحدث نفسه وقال ما على ان الم
بها بعد ان يدعوني استلم الحجر والله يعلم اني لها كاره فابى الله
تعالي ذلك وانزل الله هذه الاية قاله مجاهد وقتادة وقال
ابن عباس في رواية عطا نزلت في وفد ثقيف اتوا النبي صلى

الله عليه وسلم

الله عليه وسلم فسالوه شططا وقالوا متعنا بالهتنا سنه
حتي ناخذ ما يهدى لها فاذا اخذناه كسرناها واسلمنا وحرم
وادينا كما حرمت مكة حتي تعرف العرب فضلنا عليهم فهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك فنزلت هذه
الايه وقيل هو قول اكابر قريش للنبي صلى الله عليه وسلم
اطرد عنا هولاء السقاط والمداني حتي نجلس معك ونسمع
منك فهم بذلك حتي نهي عنه وقال قتادة ذكر لنا ان قريشا
خلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة الى الصبح
يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه فقالوا انك
تاتي بشي لا ياتي به احد من الناس وانت سيدنا يا
سيدنا وما زالوا به حتي كاد يقاربهم في بعض ما يريدون
ثم عصمه الله من ذلك وانزل الله تعالى هذه الايه ومعني
ليفتنونك اي يزيلونك يقال فتنت الرجل عن رايه
وازلته عما كان عليه قاله الهروي وقيل يصرفونك والمعني
واحد عن الذي اوحينا اليك اي حكم القران لان في اعطايهم
ما سالوه مخالفة لحكم القران لتفتري علينا غيره اي
لتختلق علينا غير ما اوحينا اليك وهو قول ثقيف وحرم
وادينا كما حرمت مكة شجرها وطيرها ووحشها فان
سالتك العرب لم خصصتهم فقل الله امرني بذلك حتى يكون

عذراً لك وإذا لاتخذوك خليلاً أي لو فعلت ما أراد والاتخذوك
خليلاً أي والوك وصافوك مأخوذ من الخلة بفتح الخاء وهي الفقر
لحاجته إليهم قوله تعالى ولولا أن ثبتناك أي على الحق وعصمناك
من موافقتهم لقد كدت تركن إليهم أي تميل شيئاً قليلاً أي ركوناً قليلاً
قال قتادة لما نزلت هذه قال عليه السلام اللهم لا تكلني إلى نفسي
طرفة عين وقيل ظاهر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وباطنه
إخبار عن ثقيف والمعنى وإن كادوا ليركنونك أي كادوا
يخبرون عنك بأنك ملت إلى قولهم فنسب فعلهم إليه مجازاً
واتساعاً كما تقول للرجل كدت تقتل نفسك أي كاد الناس
يقتلونك بسبب ما فعلت ذكره المهدوي وقيل ما كان منه
هم بالركون إليهم بل المعنى ولولا فضل الله عليك لكان منك
ميل إلى موافقتهم ولكن تم فضل الله عليك فلم تفعل ذكره القشيري
وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوماً
ولكن هذا تعريف للأمة لئلا يركن أحد منهم إلى المشركين في شيء
من أحكام الله تعالى وشرائعه وقوله إذاً لأذقناك ضعف
الحياة وضعف الممات في الآخرة قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما
وهذا غاية الوعيد وكلما كانت الدرجة كان العذاب عند
المخالفة أعظم قال الله تعالى يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة
مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وضعف الشيء مثله مرتين

وقد يكون

وقد يكون الضعف النصيب كقوله عز وجل لكل ضعف اي نصيب
وقد تقدم في الاعراف قوله تعالى وان كادوا ليستفزونك من
الارض ليخرجوك منها هذه الاية قيل انها مدنية حسب ما تقدم
في اول السوره قال ابن عباس حسدت اليهود مقام النبي صلى الله
عليه وسلم بالمدينه فقالوا ان الانبيا انما بعثوا بالشام فان
كنت نبيا فالحق بها فانك ان خرجت اليها صدقناك وامنا بك
فوقع ذلك في قلبه لما يحب من اسلامهم فرحل من المدينة على مرحلة
وانزل الله هذه الايه وقال عبد الرحمن بن غنم غزا رسول الله
صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك لا يريد الا الشام فلما نزل تبوك
نزل وان كادوا ليستفزونك من الارض بعد ما ختمت السوره
وامر بالرجوع وقيل انها مكيه قال مجاهد وقتادة نزلت في همّ
اهل مكة باخراجه ولو اخرجوه لما امهلوا ولكن الله امره
بالهجرة فخرج وهذا اصح لان السوره مكيه ولان ما قبلها خبر
عن اهل مكه فلم يجر لليهود ذكر وقوله من الارض يريد ارض
مكه كقوله فلن ابرح الارض اي ارض مصر دليله وكاين من
قرية هي اشد من قريتك التي اخرجتك يعني مكة معناه هم
اهلها باخراجه فلهذا اضاف اليهم وقال اخرجتك وقيل
هم الكفار كلهم ان يستخفوه من ارض العرب بتظاهرهم
عليه فمنعه الله ولو اخرجوه من ارض العرب لم يمهلوا

وهو معنى قوله واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا وقرا عطا بن ابي رباح
لا يلبّثون اليا مشدده خلفك نافع وابن كثير وابو بكر وابو عمرو
ومعناه بعدك وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكساي خلافك
واختاره ابو حاتم اعتبارا بقوله فرح المخلفون بمقعدهم خلاف
رسول الله ومعناه ايضا بعدك قال الشاعر

عفت الديار خلافها فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا

وقيل خلفك بمعنى بعدك وخلافك بمعنى مخالفتك ذكره ابن الانباري
الا قليلا فيه وجهان احدهما ان المدة التي لبثوها بعده ما بين
اخراجهم له الى قتلهم يوم بدر وهذا قول من ذكر انهم قريش
الثاني ما بين ذلك وقتل بني قريظه وجلا بني النضير وهذا قول
من ذكر انهم اليهود قوله تعالى سنة من قد ارسلنا قبلك
من رسلنا اي يعذبون كسنة من قد ارسلنا فهو نصب
باضمار يعذبون فلما سقط الخافض عمل الفعل قاله الفرا وقيل
انتصب على معنى سننّا سنة من قد ارسلنا وقيل هو منصوب
على تقدير حذف الكاف التقدير لا يلبثون خلفك الا قليلا
كسنة من قد ارسلنا فعلى هذا لا يوقف على قليلا
ويوقف على الاول والثاني قبلك من رسلنا وقف حسن
ولا تجد لسنتنا تحويلا اي لا خلف في وعدها قوله تعالى
اقم الصلاه لدلوك الشمس الى غسق الليل وقران الفجر ان قران
الفجر كان مشهودا فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى

اقم الصلاه

اقم الصلاة لدلوك الشمس لما ذكر مكايد المشركين امر نبيه عليه
السلام بالصبر والمحافظه على الصلاه وفيها طلب النصر على
الاعدا ومثله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح
بحمد ربك وكن من الساجدين وتقدم القول في معنى اقامه
الصلاة في اول البقرة وهذه الاية باجماع من المفسرين
اشارة الى الصلوات المفروضة واختلف العلما في الدلوك
على قولين احدهما انه زوال الشمس عن كبد السماء قاله
عمر وابنه وابو هريرة وابن عباس وطايفة سواهم من
علما التابعين وغيرهم الثاني ان الدلوك هو الغروب قاله
على وابن مسعود وابي بن كعب وروي عن ابن عباس قال
الماوردي من جعل الدلوك اسما لغروبها فلان الانسان يدلك
عينيه لتبينها حاله المغيب ومن جعله اسما لزوالها فلانه
يدلك عينيه لشدة شعاعها وقال ابو عبيد دلوكها غروبها
ودلكت براح يعني الشمس اي غابت وانشد قطرب
هذا مقام قدمي رباح ذبب حتى دلكت براح ؛ براح
بفتح البا على وزن حذام وقطام ورقاش اسم من اسما الشمس
ورواه الفرا بكسر البا وهو جمع راحة وهي الكف اي غابت
وهو ينظر اليها وقد جعل كفه على حاجبه ومنه قول العجاج
والشمس قد كادت تكون دنفا ادفعها بالراح كي تزحلفا :

بناحيه

قال ابن الاعرابي الزحلوفة مكان منحدر ملس لانهم يتزحلفون
فيه قال والزحلفة كالدحرجة والدفع يقال زحلفته فتزحلف
ويقال دلكت الشمس اذا غابت قال ذو الرمه ::
مصابيح ليست باللواتي تقودها نجوم ولا بالافلات الدوالك
قال ابن عطيه الدلوك هو الميل في اللغة فاول الدلوك هو الزوال
واخره هو الغروب ومن وقت الزوال الى الغروب يسمى دلوكا
لانها في حالة ميل فذكر الله تعالى الصلوات التي تكون في حالة
الدلوك وعنده فيدخل في ذلك الظهر والعصر والمغرب ويصح
ان يكون المغرب داخلة في غسق الليل وقد ذهب قوم الى ان
صلاة الظهر يتمادى وقتها من الزوال الى الغروب لان الله سبحانه
علق وجوبها على الدلوك وهذا دلوك كله قاله الاوزاعي
وابو حنيفه على تفصيل واشار اليه مالك والشافعي
في حال الضروره الثانية قوله تعالى الى غسق الليل روى
مالك عن ابن عباس قال دلوك الشمس ميلها وغسق الليل اجتماع
الليل وظلمته وقال ابو عبيدة الغسق سواد الليل قال
قيس بن الرقيات ان هذا الليل قد غسقا واشتكيت الهم والارقا ::
وقد قيل غسق الليل مغيب الشفق وقيل اقبال ظلمته قال زهير
ظلت تجود يداها وهي لاهية حتى اذا جنح الاظلام والغسق
يقال غسق الليل غسوقا والغسق اسم بفتح السين واصل الكلمه
من السيلان

من السيلان يقال غسقت العين اذا سالت تغسق وغسق
الجرح غسقانا اي سال منه ما اصفر واغسق المؤذن اي اخر
المغرب الى غسق الليل وحكى الفرا غسق الليل واغسق وظلم
واظلم ودجى وادجى وعبس واعبس وغبش واغبش وكان
الربيع بن خثيم يقول لمؤذنه في يوم غيم اغسق اغسق
يقول اخر المغرب حتى يغسق الليل وهو اظلامه الثالثه
اختلف العلما في اخر وقت المغرب فقيل وقتها وقتا واحدا
لا وقت لها الا حين تجب الشمس وذلك بين في امامة جبريل
فانه صلاها باليومين لوقت واحد وذلك غروب الشمس
وهو الظاهر من مذهب مالك عند اصحابه وهو احد قولي الشافعي
في المشهور عنه ايضا وبه قال الثوري وقال مالك في الموطا فاذا
غاب الشفق فقد خرجت من وقت المغرب ودخل وقت العشا
وبهذا قال ابو حنيفه واصحابه والحسن بن حي واحمد واسحق
وابو ثور وداود ودلان وقت المغرب الى الشفق غسق كله
ولحديث ابي موسى وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بالسايل
المغرب في اليوم الثاني فاخر حتى كان عند سقوط الشفق
خرجه مسلم قالوا وهذا اولى من اخبار امامه جبريل لانه ناسخ
لما قبله وزعم ابن العربي ان هذا القول هو المشهور من مذهب
مالك وقوله في موطيه الذي اقراه طول عمره واملاه في حياته

والنكته في هذا ان الاحكام المعلقه بالاسما هل تتعلق باوايلها
او باخرها او يرتبط الحكم بجميعها والاقوى في النظر ان يرتبط
الحكم باوايلها لئلا يكون ذكرها لغوا فاذا ارتبط باوايلها جرى
بعد ذلك النظر في تعلقه بالكل الى الاخر قلت القول بالتوسعه
ارجح وقد خرج الامام الحافظ ابو محمد عبد الغني بن سعيد
من حديث الاجلح بن عبد الله العبدي عن ابي الزبير عن
جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكه قريبا
من غروب الشمس فلم يصل المغرب حتى اتى سرف وذلك تسعة
اميال واما القول بالنسخ فليس بالبين وان كان التاريخ معلوما
فان الجمع ممكن قال علماونا تحمل احاديث جبريل على الافضلية
في وقت المغرب ولذلك اتفقت الامة فيها على تعجيلها والمبادرة
اليها في حين غروب الشمس قال ابن خواز منداد ولا نعلم احدا من
المسلمين تاخر باقامة المغرب في مسجد جماعة عن وقت الجواز
فيرتفع التعارض ويصح الجمع وهو اولى من الترجيح باتفاق
الاصوليين لان فيه اعمال كل واحد من الدليلين والقول
بالنسخ او الترجيح فيه اسقاط احدهما والله اعلم الرابعة
قوله تعالى وقران الفجر انتصب قران من وجهين احدهما
ان يكون معطوفا على الصلاة المعنى واقم قران الفجر اي
صلاة الصبح قاله الفرا وقال اهل البصرة انتصب على
الاغراء

الاغرا اي فعليك بقران الفجر قاله الزجاج وعبر عنها بالقراة
خاصة دون غيرها من الصلوات لان القران هو عظمها اذ
قرانها طويله مجهور بها حسب ما هو مشهور مسطور
عن الزجاج ايضا قلت وقد استقر عمل المدينه على استحباب
اطالة القراة في الصبح قدرا لا يضر بمن خلفه بقراتها بطول
المفصل ويليها في ذلك الظهر والجمعه وتخفيف القراة في المغرب
وتوسيطها في العصر والعشا وقد قيل في العصر انها تخفف
كالمغرب واما ما ورد في صحيح مسلم وغيره من الاطاله فيما
استقر فيه التقصير او من التقصير فيما استقرت فيه
الاطاله كقراته في الفجر بالمعوذتين كما رواه النساي وكقرات
الاعراف والمرسلات والطور في المغرب فمتروك بالعمل
ولانكاره على معاذ التطويل حين ام قومه في العشا فافتتح
سورة البقره خرجه الصحيح وبامره الايمه بالتخفيف
فقال ايها الناس ان منكم منفرين فايكم ام الناس فليخفف
فان فيهم الصغير والكبير والمريض والسقيم والضعيف
وذا الحاجة وقال فاذا صلى احدكم وحده فليطول ما شا
كله مسطور في صحيح الحديث الخامسه قوله تعالى
وقران الفجر دليل على انه لا صلاه الا بقراه لانه سمى الصلاه
قرانا وقد اختلف العلما في القراة في الصلاه فذهب جمهورهم

الى وجوب قراة ام القران للامام والفذ في كل ركعة وهو مشهور
قول مالك وعنه ايضا انها واجبه في جل الصلاه وهو قول اسحق
وعنه ايضا تجب في ركعة واحده قاله المغيرة وسحنون وعنه
ان القراه لا تجب في شي من الصلاة وهو اشذ الروايات عنه
وحكي عن مالك ايضا انها تجب في نصف الصلاه واليه ذهب
الاوزاعي وعن الاوزاعي ايضا وايوب انها تجب على الامام
والفذ والماموم على كل حال وهو احد قولي الشافعي وقد
مضي في الفاتحه مستوفي **السادسة** قوله تعالى كان
مشهودا روي الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا قال
تشهده ملايكة الليل وملايكة النهار هذا حديث حسن
صحيح ورواه علي بن مسهر عن الاعمش عن ابي صلح عن
ابي هريرة وابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى
البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل
صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجه وتجتمع
ملايكة الليل وملايكة النهار في صلاة الصبح يقول ابو هريرة
اقروا ان شيتم وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا ولهذا
المعنى يبكر بهذه الصلاه فمن لم يبكر لم تشهد صلاته الا
احد الفيقين من الملايكة ولهذا المعنى ايضا قال مالك والشافعي
التغليس

ان ح

٦٩

التغليس والاسفار فان فاته ذلك فالاسفار اولى من التغليس
وهذا مخالف لما كان عليه السلام يفعله من المداومة على التغليس
وايضا فان فيه تفويت شهود ملايكة الليل والله اعلم السابعة
استدل بعض العلما بقوله صلى الله عليه وسلم تشهده ملايكه
الليل وملايكه النهار على ان صلاة الصبح ليست من صلاة الليل
ولا من صلاة النهار قلت وعلى هذا فلا تكون صلاة العصر ايضا
لا من صلاة الليل ولا من صلاه النهار فان في الصحيح عن النبي
الفصيح عليه السلام فيما رواه ابو هريرة يتعاقبون فيكم ملايكه
بالليل وملايكة بالنهار فيجتمعون في صلاة العصر وصلاة
الفجر الحديث ومعلوم ان صلاة العصر من النهار فكذلك
تكون صلاة الفجر من الليل وليس كذلك وانما هي من النهار
كالعصر بدليل الصيام والايمان وهذا واضح قوله تعالى
ومن الليل فتهجد به فيه ثمان مسايل الاولى قوله تعالى
ومن الليل من للتبعيض والفا في فتهجد ناسقة على مضمر
اي قم فتهجد به اي بالقران والتهجد من الهجود وهو
من الاضداد يقال هجد نام وهجد سهر على الضد قال الشاعر
الا زارت واهل منى هجود وليت خيالها بمنى يعود اخر
الا طرقتنا والرفاق هجود فباتت بعلات النوال تجود
يعني نياما وهجد يعني مستيقظ وتهجد بمعنى وهجدته

التغليس وقال ابو حنيفة الافضل الجمع بين التغليس والاسفار وقال الافضل الصبح بلغ

اي نمته وهجدته اي ايقظته والمتهجد المتيقظ بعد رقده فصار
اسما للصلاة لانه ينتبه لها فالتهجد القيام الى الصلاة من النوم
قال معناه الاسود وعلقمة وعبد الرحمن بن الاسود وغيرهم
وروي اسماعيل بن اسحق القاضي من حديث الحجاج بن عمر صاحب
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايحسب احدكم اذا قام من الليل
كله انه قد تهجد انما التهجد الصلاة بعد رقدة ثم الصلاة بعد
رقدة كذلك كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
الهجود النوم يقال تهجد الرجل اذا سهر والقى الهجود وهو
النوم ويسمى من قام الى الصلاة متهجدا لان المتهجد هو الذي
يلقي الهجود الذي هو النوم عن نفسه وهذا الفعل جار مجرى
تحوب وتحرج وتاثم وتحنث وتقذر وتنجس اذا القى ذلك
عن نفسه ومثله قوله تعالى فظلتم تفكهون معناه تندمون
اي تطرحون الفكاهة عن انفسكم وهي انبساط النفوس
وسرورها يقال رجل فكه اذا كان كثير السرور والضحك
والمعنى في الاية ووقتا من الليل اسهر به في صلاة وقراة
الثانية قوله تعالى نافلة لك اي كرامة لك قاله مقاتل
واختلف العلما في تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر
دون امته فقيل كانت صلاة الليل فريضة عليه بقوله
نافلة لك اي فريضة زايدة على الفريضة الموظفة على الامة

ثم الصلاة بعد رقدة

قلت

قلت وفي هذا التاويل بعد لوجهين احدهما تسمية الفرض
بالنفل وذلك مجاز لا حقيقة الثاني قوله صلى الله عليه وسلم
خمس صلوات فرضهن الله على العباد وقوله تعالى هي خمس
وهي خمسون لا يبدل القول لدي وهذا نص فكيف يقال
افترض عليه صلاة زايدة على الخمس هذا ما لا يصح فان كان
قد روي عنه عليه السلام ثلث علي فريضه ولامتي تطوع
قيام الليل والوتر والسواك وقيل كانت صلاة الليل تطوعا
منه وكانت في الابتدا واجبة على الكل ثم نسخ الوجوب
فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة كما قالت عايشة على
ما ياتي مبينا في سورة المزمل ان شا الله تعالى وعلى هذا
يكون الامر بالتنفل على جهة الندب ويكون الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم لانه مغفور له فهو اذا تطوع
بما ليس بواجب عليه كان ذلك زيادة في الدرجات
وغيره من الامه تطوعهم كفارات وتدارك لخلل يقع في
الفرض قال معناه مجاهد وغيره وقيل عطية لان العبد
لا ينال من السعادة عطا افضل من التوفيق في العباده
الثالثة قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
اختلف في المقام المحمود على اربعة اقوال الاول وهو
اصحها الشفاعة للناس يوم القيامة قاله حذيفة بن اليمان

مطلب الشفاعة

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر قال ان الناس يصيرون يوم القيامة
جثى كل امة تتبع نبيها تقول يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة
الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه المقام المحمود
وفي صحيح مسلم عن انس قال حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم
قال اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم الى بعض فياتون
ادم فيقولون له اشفع لنا ربك فيقول لست لها ولكن عليكم
بابراهيم فانه خليل الله فياتون ابراهيم فيقول لست لها ولكن
عليكم بموسى فانه كليم الله فيوتى موسى فيقول لست لها ولكن
عليكم بعيسى فانه روح الله فيوتى عيسى فيقول لست لها ولكن
عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم فاوتى فاقول انا لها وذكر الحديث
وروى الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
سئل عنها قال هي الشفاعة قال هذا حديث حسن صحيح
الرابعة اذا ثبت ان المقام المحمود هو امر الشفاعة الذي
يتدافعه الانبيا عليهم السلام حتى ينتهي الامر الى نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم فيشفع هذه الشفاعة لاهل الموقف ليعجل
حسابهم ويراحوا من هول موقفهم وهي الخاصة به صلى الله
عليه وسلم ولاجل ذلك قال انا سيد ولد ادم ولا فخر قال
النقاش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات

العامه

٧١

العامه وشفاعة في السبق الى الجنه وشفاعة في اهل الكبابر

ابن عطية والمشهور انهما شفاعتان فقط العامه وشفاعة في

اخراج المذنبين من النار وهذه الشفاعة الثانية لا يندافعها

الانبيا بل يشفعون ثم يشفع العلما وقال القاضي ابو الفضل عياض

شفاعات نبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة خمس شفاعة

العامه والثانية في ادخال قوم الجنة دون حساب الثالثة

في قوم من موحدي امته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع فيهم

نبينا عليه السلام ومن شا الله ان يشفع ويدخلون الجنة وهذه

الشفاعة هي التي انكرتها المبتدعة الخوارج والمعتزله فمنعتها

على اصولهم الفاسده وهي الاستحقاق العقلي المبني على التحسين

والتقبيح فيمن دخل النار من المذنبين فيخرجون بشفاعة نبينا

عليه السلام وغيره من الانبيا والملايكه واخوانهم المومنين

الخامسة في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها وترفيعها وهذه

لا تنكرها المعتزله ولا تنكر شفاعة الحشر الاول الخامسة

قال القاضي عياض وعرف بالنقل المستفيض سوال السلف الصالح

لشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ورغبتهم فيها وعلى هذا لا

يلتفت لقول من قال انه يكره ان يسال الله ان يرزقك شفاعة

النبي صلى الله عليه وسلم لانها لا تكون الا للمذنبين فانها قد تكون

كما قدمنا لتخفيف الحساب وزيادة الدرجات ثم كل عاقل معترف

بالتقصير محتاج الي العفو عن معتقدٍ بعمله مشفق ان يكون من الهالكين
ويلزم هذا القايل ان لا يدعوا بالمغفرة والرحمة لانها لاصحاب
الذنوب ايضا وهذا كله خلاف ما عرف من دعا السلف والخلف
روي البخاري عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من قال حين يسمع الندا اللهم رب هذه الدعوة التامه والصلاة
القايمه ات محمدًا الوسيله والفضيله وابعثه مقامًا محمودًا الذي
وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامه القول الثاني ان المقام
المحمود اعطاؤُ لوا الحمد يوم القيامه قلت وهذا القول لا
تنافر بينه وبين الاول فانه يكون بيده لوا الحمد ويشفع روي
الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لوا
الحمد ولا فخر وما من نبي يومبذٍ ادم فمن سواه الا تحت لواي
الحديث القول الثالث ما حكاه الطبري عن فرقةٍ منها مجاهد
انها قالت المقام المحمود هو ان يجلس الله محمدًا عليه السلام معه
علي كرسيه وروت في ذلك حديثًا وعضد الطبري جواز ذلك
بشطط من القول وهو لا يخرج الا علي تلطف في المعنى وفيه
بعد ولا ينكر مع ذلك ان يروي والعلم يتاوله وذكر النقاش
عن ابي داود السجستاني انه قال من انكر هذا الحديث فهو
عندنا متهم ما زال اهل العلم يتحدثون بهذا من انكر جوازه
علي تاويله.

صلى الله عليه وسلم

علي تاويله قال ابو عمر ومجاهد وان كان احد الايمة بتاويل
القران فان له قولين مهجورين عند اهل العلم احدهما هذا والثاني
في تاويل قوله وجوه يوميذ ناضره الي ربها ناظره قال تنتظر
الثواب ليس من النظر قلت ذكر هذا في باب ابن شهاب في
حديث التنزيل وروي عن مجاهد ايضا في هذه الايه قال
يجلسه علي العرش وهذا تاويل غير مستحيل لان الله تعالي
كان قبل خلقه الاشيا كلها والعرش قايما بذاته ثم خلق
الاشيا من غير حاجة اليها بل اظهارا لقدرته وحكمته
وليعرف وجوده وتوحيده وكمال قدرته وعلمه بكل
افعاله المحكمه وخلق لنفسه عرشا استوي عليه كما شا
او كان العرش مكانا قبل هو الان علي الصفة التي كان عليها
من قبل ان يخلق المكان والزمان فعلي هذا القول سوا في
الجواز اقعد محمد علي العرش او علي الارض لان استوا الله
تعالي علي العرش ليس بمعني الانتقال والزوال وتحويل
الاحوال من القيام والقعود والحال التي تشغل العرش بل
هو مستو علي عرشه كما اخبر عن نفسه بلا كيف وليس
اقعاده محمدا علي العرش موجبا له صفة الربوبيه او مخرجا
له عن صفة العبودية بل هو رفع لمحله وتشريف له علي خلقه
واما قوله في الاخبار معه فهو بمنزلة قوله ان الذين عند ربك

وورب ابن لي عندك بيتا في الجنه وان الله لمع المحسنين ونحو ذلك
كل ذلك عايد الي الرتبه والمنزله والحظوه والدرجه الرفيعه
لا الي المكان الرابع اخراجه من النار بشفاعته من يخرج قاله
جابر بن عبد الله ذكره مسلم وقد ذكرناه في كتاب التذكره

السادسه اختلف العلما في كون القيام بالليل سببا للمقام
المحمود علي قولين احدهما ان الباري تعالي يجعل ما يشا من
فعله سببا لفضله من غير معرفه بوجه الحكمه فيه او بمعرفه
وجه الحكمه الثاني ان قيام الليل فيه الخلوه مع الباري والمناجاه
دون الناس فاعطي الخلوه به ومناجاته في القيامه وهو المقام
المحمود ويتفاضل فيه الخلق بحسب درجاتهم فاجلهم
فيه درجه محمد صلي الله عليه وسلم فانه يعطي ما لا يعطي احد يشفع
ولا يشفع احد وعسي من الله عز وجل واجبه ومقاما نصب
علي الظرف اي في مقام او الي مقام وذكر الطبري عن ابي هريره
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام
الذي اشفع فيه لامتي فالمقام الموضع الذي يقوم فيه الانسان
للامور الجليله كالمقامات بين يدي الملوك قوله تعالي
وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق قيل
المعني امتني اماتة صدق وابعثني يوم القيامه مبعث صدق
ليتصل بقوله عسي ان يبعثك ربك مقاما محمودا كانه لما

وعده ذلك

بلغ

وعده ذلك امره ان يدعو لينجز له الوعد وقيل ادخلني في المامور
واخرجني من المنهي وقيل علمه ما يدعوا به في صلاته وغيرها من
اخراجه من بين المشركين وادخاله موضع الامن فاخرجه
من مكة وصيره الي المدينة وهذا المعني رواه الترمذي عن
ابن عباس قال كان النبي صلي الله عليه وسلم بمكة ثم امر بالهجرة
فنزلت وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال هذا حديث حسن صحيح
وقال الضحاك هو خروجه من مكة ودخوله مكة يوم الفتح امنا
ابو سهل حين رجع من تبوك وقد قال المنافقون ليخرجن
الاعز منها الاذل يعني ادخال عز واخراج نصر الي مكه وقيل
المعني ادخلني في الامر الذي اكرمتني به من النبوة مدخل صدق
واخرجني منه مخرج صدق اذا امتني قال معناه مجاهد
والمدخل والمخرج بضم الميم بمعني الادخال والاخراج كقوله
انزلني منزلا مباركا اي انزالا لا اري فيه ما اكره وهي قراة العامة
وقرا الحسن وابو العاليه ونصر ابن عاصم مدخل ومخرج بفتح
الميمين بمعني الدخول والخروج فالاول رباعي وهذا ثلاثي
وقال ابن عباس ادخلني القبر مدخل صدق عند الموت واخرجني
مخرج صدق عند البعث وقيل ادخلني حيث ما ادخلتني
بالصدق واخرجني بالصدق اي لا تجعلني ممن يدخل بوجه

ويخرج بوجه فان ذا الوجهين لا يكون وجيها عندك وقيل الاية عامة
في كل ما يتناول من الامور ويحاول من الاسفار والاعمال وينتظر
من تصرف المقادير في الموت والحياه فهي دعا ومعناه رب اصلح
وردي لي وردي في كل الامور وصدري وقوله واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا قال الشعبي وعكرمة اي حجة ثابتة وذهب الحسن الي
انه العز والنصر واظهار دينه علي الدين كله قال فوعده الله
لينزعن ملك فارس والروم وغيرها فيجعله له قوله تعالي
وقل جا الحق وزهق الباطل فيه ثلاث مسايل الاولي روي البخاري
والترمذي عن ابن مسعود قال دخل النبي صلي الله عليه وسلم
مكة عام الفتح وحول الكعبه ثلاث ماية وستون نصبا فجعل
النبي صلي الله عليه وسلم يطعنها بمخصرة في يده وربما قال بعود
ويقول جا الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وما يبدي
الباطل وما يعيد لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح
وكذا في حديث مسلم نصبا وفي رواية صنما قال علماونا اذا كانت
بهذه العدد لانهم كانوا يعظمون في كل يوم صنما ويخصون اعظمها
بيومين وقوله فجعل يطعنها بعود في يده يقال انها كانت مثبتة
بالرصاص وانه كلما طعن منها صنما في وجهه خر لقفاه او في
قفاه خر لوجهه وكان يقول جا الحق وزهق الباطل ان الباطل
كان زهوقا حكاه ابو عمر والقاضي عياض وقال القشيري

فما بقي

مطلب في كسر المزامير والطنابير وآلة الطرب وغيره وبيع الاصنام

فما بقي منها صنم الا خر لوجهه ثم امر بها فكسرت الثانية في
هذه الاية دليل على كسر نصب المشركين وجميع الاوثان اذا
غلب عليهم ويدخل بالمعنى كسر آلة الباطل كله وما لا يصلح الا
لمعصية الله كالطنابير والعيدان والمزامير التي لا معنى لها
الا اللهو بها عن ذكر الله قال ابن المنذر وفي معنى الاصنام الصور
المتخذه من المدر والخشب وشبهها وكل ما يتخذه الناس مما
لا منفعة فيه الا اللهو المنهي عنه ولا يجوز بيع شيء منه الا
الاصنام التي تكون من الذهب والفضه والحديد والرصاص
اذا غيرت عن ما هي عليه وصارت نقرا او قطعا فيجوز بيعها
والشرا بها قال المهلب وما كسر من آلات الباطل وكان في حبسها
بعد كسرها منفعة فصاحبها اولى بها مكسورة الا ان يرى الامام
حرقها بالنار على معنى التشديد والعقوبة في المال وقد تقدم حرق
ابن عمر وقد هم النبي صلى الله عليه وسلم بتحريق دور من تخلف عن
صلاة الجماعة وهذا اصل في العقوبة في المال مع قوله عليه السلام
في الناقة التي لعنتها صاحبتها دعوها فانها ملعونة فازال ملكها
عنها تاديبا لصاحبتها وعقوبة لها فيما دعت عليه بما دعت
به وقد اراق عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبنا شيب بماء على
صاحبه الثالثة ما ذكرنا من تفسير الاية ينظر الى قوله
صلى الله عليه وسلم والله لينزلن عيسى بن مريم حكما عادلا

مطلب في احراق دار من تخلف عن الجماعة وغيره لعنة والناقة الخ

فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن
القلاص فلا يسعى عليها الحديث خرجه الصحيحان ومن هذا الباب
هتك النبي صلى الله عليه وسلم الستر الذي فيه الصور وذلك
ايضا دليل على افساد الصور والات الملاهي كما ذكرنا وهذا
كله يحظر المنع من اتخاذها ويوجب التغيير على صاحبها
ان اصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم احيوا
ما خلقتم وحسبك وسياتي هذا المعنى في النمل ان شا الله تعالى
قوله تعالى وقل جا الحق اي الاسلام وقيل القران قاله مجاهد
وقيل الجهاد وزهق الباطل قيل الشرك وقيل الشيطان قاله
مجاهد والصواب تعميم اللفظ بالغاية الممكنة فيكون التفسير
جا الشرع بجميع ما انطوى فيه وزهق الباطل بطل الباطل
ومن هذا زهوق النفس وهو بطلانها يقال زهقت نفسه
تزهق زهوقا وازهقتها ان الباطل كان زهوقا اي لا بقا له
والحق الذي يثبت قوله تعالى وننزل من القران ما هو
شفا ورحمة للمومنين فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى
وننزل قرا الجمهور بالنون وقرا مجاهد وينزل بالياء خفيفة
ورواها المروزي عن حفص ومن لابتدا الغاية ويصح ان يكون
لبيان الجنس كانه قال وننزل ما فيه شفا من القران وفي الخبر
من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله وانكر بعض المتاولين
ان تكون

ان يكون من للتبعيض لانه تحفظ من ان يلزمه ان بعضه لا شفا
فيه ابن عطية وليس يلزمه هذا بل يصح ان يكون للتبعيض
بحسب ان انزاله انما هو مبعض فكانه قال وننزل من القران
شيا شفا ما فيه كله شفا الثانية اختلف العلما في كونه
شفا على قولين احدهما انه شفا للقلوب بزوال الجهل عنها
وازالة الريب والكشف غطا القلب من مرض الجهل لفهم
المعجزات والامور الدالة على الله تعالى الثاني شفا من
الامراض الظاهرة بالرقا والتعوذ ونحوه وقد روى الايمة
واللفظ للدارقطني عن ابي سعيد الخدري قال بعثنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سرية ثلاثين راكبا قال فنزلنا
على قوم من العرب فسالناهم ان يضيفونا فابوا قال فلدغ
سيد الحي فاتونا فقالوا فيكم احد يرقي من العقرب في رواية
ابن قتة ان الملك يموت قال قلت انا نعم ولكن لا افعل حتى
تعطونا فقالوا فانا نعطيكم ثلاثين شاة قال فقرات عليه
الحمد لله رب العالمين سبع مرات فبرا في رواية سليمان
بن قتة عن ابي سعيد فافاق وبرا فبعث الينا بالنزل
وبعث الينا بالشاء فاكلنا الطعام انا واصحابي وابوا ان
ياكلوا من الغنم حتى اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبرته الخبر فقال وما يدريك انها رقية قلت يا رسول الله

شي القي روعي قال كلوا واطعمونا من الغنم خرجه في كتاب السنن
وخرج في كتاب المزاح من حديث السري بن يحيي قال حدثني
المعتمر بن سليمان عن ليث بن ابي سليم عن الحسن عن ابي
امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينفع باذن
الله تعالى من البرص والجنون والجذام والبطن والسل
والحمى والنفس ان تكتب بزعفران او بمشق يعني المغرا
اعوذ بكلمات الله التامه واسمايه كلها عامه من شر السامه
والغامه ومن شر العين اللامه ومن شر حاسد اذا حسد
ومن ابي فروه وما ولد كذا قال ولم يقل من شر ابي فتره
وقال ثلاثه وثلاثون من الملايكه اتوا ربهم عز وجل فقالوا
وصب بارضنا فقال خذوا تربة من ارضكم فامسحوا نواصيكم
او قال يوصبكم رقية محمد صلى الله عليه وسلم لا افلح من كتمها
ابدا او اخذ عليها صفدا ثم تكتب فاتحة الكتاب واربع ايات
من اول البقره والاية التي فيها تصريف الرياح واية
الكرسي والايتين التي من بعدها وخواتيم سوره البقره
من موضع لله ما في السموات وما في الارض الى اخرها واول
اية من المايده واول ايه من الانعام واول ايه من الاعراف
والاية التي في الاعراف ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض حتى يختم الاية والاية التي في يونس من موضع قال
موسى ما جيتم

وعشرا من اول ال عمران وعشرا من اخرها واول النسا

موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين
والاية التي في طه والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما
صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى وعشرا
من اول الصافات وقل هو الله احد والمعوذتين يكتب في
اناء نظيف ثم يغسل ثلاث مرات بما نظيف ثم يحسو منه
الوجع ثلاث حسوات ثم يتوضى منه كوضوءه للصلاة ويتوضا
قبله وضوءه للصلاة حتى يكون على طهر قبل ان يتوضا به ثم
يصب على راسه وصدره وظهره ولا يستنجي به ثم يصلي ركعتين
ثم يستشفي الله تعالى يفعل ذلك ثلاثة ايام قدر ما يكتب في
كل يوم كتابا في رواية ومن شر ابي قترة وما ولد وقال
فامسحوا بوصيكم ولم يشك وروي البخاري عن عايشة ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات
فيه بالمعوذات فلما ثقل كنت انفث عنه بهن وامسح بيد
نفسه لبركتها فسالت الزهري كيف ينفث قال كان ينفث
على يديه ثم يمسح بهما وجهه وروي مالك عن ابن شهاب
عن عروة عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا اشتكى قرا على نفسه المعوذتين وتفل او نفث
قال ابو بكر الانباري قال اللغويون تفسير نفث نفخ نفخا
ليس معه ريق ومعنى تفل نفخ نفخا معه ريق قال الشاعر

مطلب في النفث والتفل بعد قراءة في المرض وغيره

ذو الرمة

فان ببرا فلن انفث عليه وان يفقد فحق له الفقود وقال

ومن جوف ما عرمض الحول فوقه متى يحس منه مايح القوم يتفل

اراد ينفخ بريق وسياتي ما للعلما في النفث في سورة الفلق

ان شا الله تعالى الثالثة رواه ابن مسعود ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم كان يكره الرقا الا بالمعوذات قال الطبري وهذا

حديث لا يجوز الاحتجاج بمثله في الدين اذ في نقلته من لا

يعرف ولو كان صحيحا لكان اما غلطا واما منسوخا لقوله

عليه السلام في الفاتحه وما ادراك انها رقيه واذا جاز الرقا

بالمعوذتين وهما سورتان من القران كانت الرقيه بساير

القران مثلهما في الجواز اذ كله قران وروي عنه عليه السلام

انه قال شفا امتي في ثلاث اية من كتاب الله او لعقة من عسل

او شرطة من محجم وقال رجا الغنوي ومن لم يستشف بالقران

فلا شفاه الله الرابعه واختلف العلما في النشره وهي ان يكتب

شيا من اسما الله او من القران ثم يغسله بالماء ثم يمسح

به المريض او يسقيه فاجازها سعيد بن المسيب قيل له

الرجل يوخذ عن امراته ايحل عنه وينشر قال لا باس به

وما ينفع لم ينه عنه ولم ير مجاهد ان تكتب ايات من القران

ثم يغسل ثم يسقاه صاحب الفزع وكانت عايشة تقرا بالمعوذتين

في اناء ثم تامر ان يصب على المريض وقال المازري ابو عبد الله

النشره

النشره امر معروف عند اهل التعزيم وسميت بذلك لانها
تنشر عن صاحبها اي تحل ومنعها الحسن وابراهيم النخعي قال
النخعي اخاف ان يصيبه بلا وكانه ذهب الي انه ما يجي به القران
فهو الي ان يعقب بلا اقرب منه الي ان يفيد شفا وقال الحسن
سالت انسا فقال ذكروا عن النبي صلي الله عليه وسلم انها
من الشيطان وقد روي ابو داود من حديث جابر بن
عبد الله قال سيل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن النشره
فقال هي من عمل الشيطان قال ابن عبد البر وهذه اثار
لينة ولها وجوه محتمله وقد قيل ان هذا محمول علي ما اذا
كانت خارجة عما في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام
وعن المداواة المعروفه والنشره من جنس الطب فهي غساله
شي له فضل فهو كوضوء رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال
صلي الله عليه وسلم لا باس بالرقي ما لم يكن فيه شرك ومن استطاع
منكم ان ينفع اخاه فليفعل قلت قد ذكرنا النص في النشره
مرفوعا وان ذلك لا يكون الا من كتاب الله فليعتمد عليه ::
الخامسه قال مالك لا باس بتعليق الكتب التي فيها اسما الله
عز وجل علي اعناق المرضي علي وجه التبرك بها اذا لم يرد
معلقها بتعليقها مدافعة العين وهذا معناه قبل ان ينزل
به شي من العين وعلي هذا القول جماعة اهل العلم لا يجوز

مطلب في بيان النشرة ومن الصبيان وتعليق الاشياء في العنق وغيرها

عندهم ان يعلق علي الصحيح من البهايم او بني ادم شي من العلايق
خوف نزول العين وكل ما يعلق بعد نزول البلا من اسما الله
عز وجل وكتابه رجا الفرج والبر من الله عز وجل فهو كالرقي
المباح الذي وردت السنه باباحته من العين وغيرها وقد
روي عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
اذا فزع احدكم في نومه فليقل اعوذ بكلمات الله التامة
من غضبه وسو عقابه وشر الشياطين وان يحضرون
فكان عبد الله يعلمها ولده من ادرك منهم ومن لم يدرك
كتبها وعلقها عليه فان قيل فقد روي ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم قال من علق شيا وكل اليه وراي ابن مسعود
علي ام ولده تميمتين مربوطة فجبدها جبدا شديدا فقطعها
وقال ان ال ابن مسعود لاغنيا عن الشرك ثم قال ان التمايم
والرقي والتولة من الشرك قيل ما التولة قال ما تحببت به
لزوجها وروي عن عقبة بن عامر الجهني قال سمعت رسول
الله صلي الله عليه وسلم يقول من علق تميمة فلا اتم الله له
ومن علق ودعة فلا ودع الله له قلنا قال الخليل بن احمد التميمة
قلادة فيها عوذ والودعة خرز وقال ابو عمر التميمة في
كلام العرب القلادة ومعناه عند اهل العلم ما علق في الاعناق
من القلايد تخشية العين ان تنزل ولا ينزل قبل ان ينزل

فلا اتم الله

فلا اتم الله عليه صحته وعافيته ومن تعلق ودعة وهي مثلها
في المعني فلا ودع الله له اي فلا بارك الله له ما هو فيه من العافيه
والله اعلم وهذا كله تحذير مما كان اهل الجاهليه يصنعونه
من تعليق التمايم والقلايد ويظنون انها تقيهم وتصرف
البلا عنهم وذلك لا يصرفه الا الله عز وجل وهو المعافي والمبتلي
لا شريك له فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ما
كانوا يصنعون من ذلك في جاهليتهم وعن عايشة قالت ما
تعلق بعد نزول البلا فليس من التمايم وقد كره بعض اهل العلم
تعليق التميمه على كل حال قبل نزول البلا وبعده والقول
الاول اصح في الاثر والنظر ان شا الله وما روي عن ابن مسعود
يجوز ان يريد بما كره تعليقه غير القران اشيا ماخوذة
عن العرافين والكهان اذ الاستشفا بالقران معلقا وغير
معلق لا يكون شركا وقوله عليه السلام من علق شيا وكل
اليه فمن علق القران ينبغي ان يتولاه الله ولا يكله الي غيره
لانه تعالي هو المرغوب اليه والمتوكل عليه في الاستشفا بالقران
وسيل ابن المسيب عن التعويذ ايعلق قال اذا كان في
قصبة او رقعة يجوز فلا باس به وهذا على ان المكتوب قران
وعن الضحاك انه لم يكن يري باسا ان يعلق الرجل الشي من
كتاب الله اذا وضعه عند الجماع وعند الغايط ورخص ابو

جعفر محمد بن علي في التعويذ يعلق على الصبيان وكان ابن
سيرين لا يرى باسا بالشي من القران يعلقه الانسان السا
دسه قوله تعالى ورحمة للمومنين تفريج الكروب وتطهير
العيوب وتكفير الذنوب مع ما تفضل به تعالى من الثواب
في تلاوته كما روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حرفا من كتاب الله
فله به حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف
الف حرف ولام حرف وميم حرف قال هذا حديث حسن صحيح
غريب وقد تقدم ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم
قال قتادة ما جالس احد القران الا قام عنه بزيادة او
نقصان ثم قرا وننزل من القران ما هو شفا الاية ونظير
هذه الاية قوله قل هو للذين امنوا هدى وشفا والذين لا
يومنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى وقيل شفا في الفرايض
والاحكام لما فيه من البيان قوله تعالى واذا انعمنا على
الانسان اعرض ونا بجانبه اي هولاء الذين يزيدهم القران
خسارا صفتهم الاعراض عن تدبر ايات الله والكفران لنعمه
وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة ومعنى ناى بجانبه اي تكبر
وتباعد وناء مقلوب منه والمعنى بعد عن القيام لحقوق
الله عز وجل يقال ناي الشي اي بعد وناية وناء عنه
بمعنى

مطلب في فوايد تلاوة القران

بمعنى اي بعدت وا نابته فاناي اي ابعدته فبعد وتنا وابتاعد وا
والمتاني الموضع البعيد قال النابغه
فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتاي عنك واسع
وقرا ابن عامر في رواية ابن ذكوان ناء مثل باع الهمزه موخره
وهو علي طريقه القلب من ناي كما يقال راا وراي وقيل هو
من النوء وهو النهوض والقيام وقد يقال ايضا للوقوع والجلوس
نوء وهو من الاضداد وقرئ وناءي بفتح النون وكسر الهمزه
والعامه ناي في وزن راي واذا مسه الشر كان يووسا
اي اذا ناله شده من فقر او سقم او بوس ييس وقنط
لانه لا يثق بفضل الله قوله تعالى قل كل يعمل علي شاكلته
قال ابن عباس ناحيته وقاله الضحاك مجاهد طبيعته وعنه
حدته ابن زيد علي دينه الحسن وقتاده نيته مقاتل خلقته
الفرا علي طريقته ومذهبه الذي جبل عليه وقيل قل كل يعمل
علي ما هو اشكل عنده واولي بالصواب في اعتقاده وقيل
هو ماخوذ من الشكل يقال لست علي شكلي ولا شاكلتي
قال الشاعر: كل امرئ يشبهه فعله ما يفعل المرء فهو اهله:
فالشكل هو المثل والنظير والضرب كقوله تعالى واخر
من شكله ازواج والشكل بكسر الشين الهيئه يقال جاريه
حسنة الشكل و هذه الاقوال كلها متقاربه والمعني ان كل

احد يعمل على ما يشاكل اصله واخلاقه التي الفها وهذا ذم
للكافر ومدح للمومن والاية والتي قبلها نزلتا في الوليد
بن المغيره ذكره المهدوي فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا
اي بالمومن والكافر وما سيحصل من كل واحد منهم وقيل
اهدى سبيلا اي اسرع قبولا وقيل احسن دينا وحكي
ان الصحابة رضوان الله عليهم تذاكروا القران فقال ابو بكر
الصديق رضي الله عنه قرات القران من اوله الى اخره فلم
ار فيه اية ارجا واحسن من قوله تبارك وتعالى قل كل
يعمل على شاكلته فانه لا يشاكل بالعبد الا العصيان ولا
يشاكل بالرب الا الغفران وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قرات القران من اوله الى اخره فلم ار اية ارجا واحسن من
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله
العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
ذي الطول قدم غفران الذنوب على قبول التوبه وفي هذا
اشارة للمومنين وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه قرات
جميع القران من اوله الى اخره فلم ار اية احسن وارجى من
قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وقال علي بن
ابي طالب رضي الله عنه قرات القران من اوله الى اخره فلم ار
اية احسن وارجى من قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا

على انفسهم

على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا
انه هو الغفور الرحيم قلت وقرات القران من اوله الى اخره
فلم ار اية احسن وارجى من قوله تعالى الذين امنوا ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون قوله
تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي روى
البخاري ومسلم والترمذي عن عبد الله قال بينا انا مع
النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متكي على عسيب
اذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال ما
رابكم اليه وقال بعضهم لا يستقبلكم بشي تكرهونه فقالوا سلوه فسالوه
عن الروح فامسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه شيا
فعلمت انه يوحى اليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال
ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من
العلم الا قليلا لفظ البخاري وفي مسلم فاسكت النبي صلى الله
عليه وسلم وفيه وما اوتوا وقد اختلف الناس في الروح
المسول عنه اي روح هو فقيل هو جبريل قاله قتادة
قال وكان ابن عباس [illegible] يكتمه وقيل هو عيسى وقيل
القران على ما ياتي بيانه في اخر الشورى وقال علي بن
ابي طالب هو ملك من الملايكه له سبعون الف وجه في كل
وجه سبعون الف لسان في كل لسان سبعون الف لغة

يسبح الله تعالي بكل تلك اللغات يخلق الله من كل تسبيحة ملكا
يطير مع الملايكة الي يوم القيامة ذكره الطبري قال ابن عطية
وما اظن القول يصح عن علي قلت اسند البيهقي انا ابو
زكريا بن ابي اسحق انا ابو الحسن الطرايفي نا عثمان بن سعيد ثنا
عبد الله بن صالح عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله
ويسالونك عن الروح يقول الروح ملك وباسناده عن معاوية
بن صالح حدثني ابو هران يزيد بن سمرة عن من حدثه عن علي
بن ابي طالب انه قال في قوله تعالي ويسلونك عن الروح
قال هو ملك من الملايكة له سبعون الف وجه الحديث بلفظه
ومعناه وروي عطا عن ابن عباس قال الروح ملك له احد
عشر الف جناح والف وجه يسبح الله الي يوم القيامه
ذكره النحاس وعنه جند من جنود الله لهم ايد وارجل
ياكلون الطعام ذكره الغزنوي وقال الخطابي وقال بعضهم
هو ملك من الملايكة بصفة وصفوها من عظم الخلقة وذهب
اكثر اهل التاويل الي انهم سالوه عن الروح الذي تكون به
حياة الجسد وقال اهل النظر منهم انما سالوه عن كيفية
الروح ومسلكه في بدن الانسان وكيف امتزاجه بالجسم
واتصال الحياة به وهذا شي لا يعلمه الا الله عز وجل وقال ابو
صالح الروح خلق كخلق بني ادم وليسوا ببني ادم لهم ايدي
وارجل

عن معاوية بن صالح

وارحل والصحيح الابهام لقوله قل الروح من امر ربي دليل
علي خلق الروح اي هو امر عظيم وشان كبير من امر الله تعالي
مبهما له وتاركا تفصيله ليعرف الانسان علي القطع عجزه عن
علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها واذا كان الانسان في
معرفة نفسه هكذا كان بعجزه عن ادراك حقيقة الحق اولي
قوله تعالي وما اوتيتم الا قليلا اختلف فيمن خوطب بذلك
فقالت فرقة السايلون فقط وقال قوم المراد اليهود بجملتهم
وعلي هذا هي قراة ابن مسعود وما اوتوا ورواها عن النبي صلي
الله عليه وسلم وقالت فرقة المراد العالم كله وهو الصحيح وعليه
قراة الجمهور وما اوتيتم وقد قالت اليهود للنبي صلي الله عليه
وسلم كيف لم نوت من العلم الا قليلا وقد اوتينا التوراة وهي
الحكمة ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فعارضهم رسول الله
صلي الله عليه وسلم بعلم الله تعالي فغلبوا وقد نص رسول الله صلي
الله عليه وسلم بقوله في بعض الاحاديث كلا يعني ان المراد
بما اوتيتم جميع العالم وذلك ان يهود قالت له نحن عنيت
ام قومك فقال كلا وفي هذا المعنى نزلت ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام حكي ذلك الطبري رحمه الله وقد قيل ان السايلين
عن الروح هم قريش قالت لهم اليهود سلوه عن اصحاب الكهف
وعن ذي القرنين وعن الروح فان اخبركم عن اثنين وامسك

عن واحده فهو نبي فاخبرهم بخبر اصحاب الكهف وخبر ذي
القرنين علي ما ياتي وقال في الروح قل الروح من امر ربي اي
من الامر الذي لا يعلمه الا الله ذكره المهدوي وغيره من
المفسرين عن ابن عباس قوله تعالي ولين شينا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك يعني القران اي كما قدرنا علي انزاله نقدر
علي اذهابه حتي ينساه الخلق ويتصل هذا بقوله وما اوتيتم
من العلم الا قليلا اي ولو شيت ان اذهب بذلك القليل
لقدرت عليه ثم لا تجد لك به علينا وكيلا اي ناصرا يرده
عليك الا رحمة من ربك يعني لاكن لا نشا ذلك رحمة من ربك
فهو استثنا ليس من الاول وقيل الا ان يرحمك ربك فلا يذهب
به ان فضله كان عليك كبيرا اذ جعلك سيد ولد ادم واعطاك
المقام المحمود وهذا الكتاب العزيز وقال عبد الله بن مسعود
اول ما تفقدون من دينكم الامانة واخر ما تفقدون الصلاة
وان هذا القران كانه قد نزع منكم تصبحون يوما وما فيكم
منه شي فقال رجل كيف يكون ذلك يا ابا عبد الرحمن وقد ثبتناه
في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابنانا ويعلمه ابناونا
ابناهم الي يوم القيامة قال يسري به في ليلة فيذهب بما
في المصاحف وما في القلوب فيصبح الناس كالبهايم ثم قرا
عبد الله ولين شينا لنذهبن بالذي اوحينا اليك الاية خرجه
ابو بكر

ابو بكر بن ابي شيبة بمعناه قال انا ابو الاحوص عن عبد العزيز
بن رفيع عن شداد بن معقل قال قال عبد الله يعني ابن مسعود
ان هذا القران الذي بين اظهركم يوشك ان ينتزع منكم قال
قلت كيف ينتزع منا وقد اثبته الله في قلوبنا واثبتناه في
مصاحفنا قال يسرى عليه في ليلة واحدة فينتزع ما في القلوب
ويذهب ما في المصاحف ويصبح الناس منه فقرا ثم قرا ولين
شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك وهذا اسناد صحيح وعن ابن
عمر لا تقوم الساعة حتى يرجع القران من حيث نزل له دوي
كدوي النحل فيقول الله ما لك فيقول يا رب منك خرجت واليك
اعود اتلى ولا يعمل بي اتلى ولا يعمل بي قلت قد جا معنى هذا مرفوعا
من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي وحذيفة قال حذيفة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرس الاسلام كما يدرس وشي
الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاه ولا نسك ولا صدقه
ويسرى على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى منه في الارض اية ويبقى
طوايف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون ادركنا اباءنا
على هذه الكلمة لا اله الا الله وهم لا يدرون ما صلاه ولا صيام ولا
نسك ولا صدقه فاعرض عنه حذيفة ثم رددها ثلثا كل ذلك
يعرض عنه حذيفة ثم اقبل عليه حذيفة فقال يا صلة تنجيهم
من النار ثلثا اخرجه ابن ماجة في السنن وقال عبد الله

قال له صلة ما تغني عنهم لا اله الا الله وهم لا يدرون
ما صلاه ولا صيام ولا نسك ولا صدقة

بن عمر خرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو معصوب الراس من وجع
فضحك فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ما هذه
الكتب التي تكتبون اكتاب غير كتاب الله يوشك ان يغضب الله
لكتابه فلا يدع ورقا ولا قلبا الا اخذ منه قالوا يا رسول الله فكيف
بالمومنين والمومنات يومئذ قال من اراد الله به خيرا ابقى في
قلبه لا اله الا الله ذكره الثعلبي والغزنوي وغيرهما في التفسير
قوله تعالى قل لئن اجتمعت الجن والانس على ان ياتوا بمثل هذا
القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي عونا
ونصيرا مثل ما يتعاون الشعرا على بيت شعر فيقيمونه
نزلت حين قال الكفار لو نشاء لقلنا مثل هذا فاكذبهم الله
تعالى وقد مضى القول في اعجاز القران في اول الكتاب والحمد لله
ولا ياتون ولا ياتون جواب القسم في لئن وقد يجزم على ارادة
الشرط قال الشاعر لئن كان ما حدثته اليوم صادقا اقم في نهار
القيظ للشمس باديا قوله تعالى ولقد صرفنا للناس في هذا
القران من كل مثل اي وجهنا القول فيه بكل مثل يجب به
الاعتبار من الايات والعبر والترغيب والترهيب والاوامر
والنواهي واقاصيص الاولين والجنة والنار والقيامة فابى
اكثر الناس الا كفورا يريد اهل مكة بين لهم الحق وفتح لهم
وامهلهم حتى تبين لهم فابوا الا الكفر وقت تبين الحق لهم فابوا
الا الكفر

الا الكفر وقت تبين الحق قال المهدوي ولا حجة للقدري
في قولهم لا يقال ابى الا لمن ابى فعل ما هو قادر عليه لان
الكافر وان كان غير قادر على الايمان فحكم الله عليه بالاعراض
عنه وطبعه على قلبه فقد كان قادرا وقت الفسحة والمهلة
على طلب الحق وتمييزه من الباطل قوله تعالى وقالوا لن
نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الاية نزلت في روسا
قريش مثل عتبة وشيبة ابني ربيعة وابي سفيان والنضر
بن الحارث وابي جهل وعبد الله بن ابي امية وامية بن خلف
وابي البختري والوليد بن المغيرة وغيرهم وذلك انهم لما
عجزوا عن معارضة القران ولم يرضوا به معجزة اجتمعوا
فيما ذكر ابن اسحق وغيره بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة
ثم قال بعضهم لبعض ابعثوا الي محمد فكلموه وخاصموه حتى
تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا لك
ليكلموك فاتاهم فجاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يظن ان قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بدو وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم
حتى جلس اليهم فقالوا له يا محمد انا قد بعثنا اليك لنكلمك
وانا والله ما نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت
على قومك لقد شتمت الابا وعبت الدين وشتمت الالهة

وسفهت الاحلام وفرقت الجماعه فما بقي امر قبيح الا قد
جيته فيما بيننا وبينك او كما قالوا له فان كنت انما جيت بهذا
الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا
مالا وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا
وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي ياتيك
رئيا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا
فربما كان ذلك بذلنا اموالنا في طلب الطب لك حتى نبريك منه
او نعذر فيك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما
تقولون ما جيت بما جيتكم به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم
ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا وامرني
ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم
فان تقبلوا مني ما جيتكم به فهو حظكم في الدنيا والاخره وان
تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم او كما قال
صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا شيا
عرضناه عليك فانك قد علمت انه ليس من الناس احد اضيق
بلدا ولا اقل ما ولا اشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك
بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا
وليبسط لنا بلادنا وليخرق لنا فيها انهارا كانهار الشام
وليبعث لنا من مضى من ابانا وليكن فيمن يبعث لنا قصي
بن كلاب

بن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسلهم عما تقول احق هو ام باطل
فان صدقوك وصنعت ما سالناك صدقناك وعرفنا به منزلتك
من الله وانه بعثك رسولا كما تقول فقال لهم صلوات الله عليه
وسلامه ما بهذا بعثت اليكم انما جيتكم من الله تعالى بما بعثني
به وقد بلغتكم ما ارسلت به اليكم فان تقبلوه فهو حظكم في
الدنيا والاخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني
وبينكم قالوا فاذ لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك سل ربك ان يبعث
معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك واسله فليجعل
لنا جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك به عما نراك
تبتغي فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى
نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انا بفاعل وما انا بالذي
يسال ربه هذا وما بعثت بهذا اليكم ولكن الله بعثني بشيرا
ونذيرا او كما قال فان تقبلوا مني ما جيتكم به فهو حظكم في الدنيا
والاخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم
قالوا فاسقط السما علينا كسفا كما زعمت ان ربك ان يشا فعل
فانا لن نومن لك الا ان تفعل قال فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذلك الى الله عز وجل ان يشا ان يفعله بكم فعل قالوا يا
محمد فما علم ربك انا سنجلس معك ونسالك عما سالناك عنه

ونطلب منك ما نطلب فيتقدم اليك فيعلمك بما تراجعنا به
ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا اذا لم نقبل منك ما جيتنا به
انه قد بلغنا انك انما يعلمك هذا رجل من اليمامه يقال له الرحمن
وانا والله لا نومن بالرحمن ابدا فقد اعذرنا اليك يا محمد وانا والله
لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك او تهلكنا وقال قايلهم نحن
نعبد الملايكة وهم بنات الله وقال قايلهم لن نومن لك حتى تاتي بالله
والملايكة قبيلا فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قام عنهم وقام معه عبد الله بن ابي امية بن المغيرة بن عبد الله
بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته فهو لعاتكة بنت عبد المطلب فقال
له يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سالوك
لانفسهم امورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك
ويتبعوك فلم تفعل ثم سالوك ان تاخذ لنفسك ما يعرفون به
فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ثم سالوك ان تعجل لهم
بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل او كما قال له فوالله لا
اومن بك ابدا حتى تتخذ الى السما سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى
تاتيها ثم تاتي بصك معه اربعة من الملايكة يشهدون لك انك
كما تقول وايم الله لو فعلت ذلك ما ظننت اني اصدقك ثم
انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى اهله حزينا اسيفا لما فاته فيما كان

يطمع به

يطمع به من قومه حين دعوه ولما راى من مباعدتهم اياه كله
لفظ ابن اسحق وذكر الواحدي عن عكرمة عن ابن عباس فانزل
الله تعالى وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الايات
ينبوعا يعني العيون عن مجاهد وهي يفعول من نبع ينبع وقرا
عاصم وحمزة والكساي تفجر لنا مخففة واختاره ابو حاتم لان
الينبوع واحد ولم يختلفوا في تفجر الانهار انه مشدد قال
ابو عبيد والاولى مثلها قال ابو حاتم ليست مثلها لان الاول
بعدها ينبوع وهو واحد والثانية بعدها الانهار وهي
جمع والتشديد يدل على التكثير اجيب بان ينبوعا وان كان
واحدا فالمراد به الجمع كما قال مجاهد الينبوع عين الما والجمع
الينابيع وقرا قتاده او تكون لك جنة خلالها اي وسطها
او تسقط السما على اسناد الفعل الى السما كسفا قطعا عن ابن
عباس وغيره والكسف والكسف بفتح السين جمع كسفة
وهي قراة نافع وابن عامر وعاصم الباقون كسفا باسكان
السين قال الاخفش من قرا كسفا من السماء جعله واحدا
ومن قرا كسفا جعله جمعا قال المهدوي ومن اسكن السين
جاز ان يكون جمع كسفة وجاز ان يكون مصدرا من كسفت
الشي اذا غطيته فكانهم قالوا اسقطها طبقا علينا وقال
الجوهري الكسفة القطعة من الشي يقال اعطني كسفة

[margin:] وقرا مجاهد او تسقط السما مرفوعا

من ثوبك والجمع كِسَف وكِسْف ويقال الكسف والكسفة واحد
او تاتي بالله والملايكة قبيلا اي معاينة عن قتادة وابن جريج
وقال الضحاك وابن عباس كفيلا مقاتل شهيدا مجاهد هو جمع
القبيلة اي باصناف الملايكة قبيلة قبيلة وقيل ضمنا يضمنون
لنا اتيانك به او يكون لك بيت من زخرف اي من ذهب عن ابن
عباس وغيره واصله الزينة والمزخرف المزين وزخارف الماء
طرايقه وقال مجاهد كنت لا ادري ما الزخرف حتى رايته في قراة
ابن مسعود بيت من ذهب اي نحن لا نتقاد لك مع هذا الفقر
الذي نرى او ترقى في السما اي تصعد يقال رقيت في السلم
ارقى رقيا اذا صعدت وارتقيت مثله ولن نومن لرقيك
اي من اجل رقيك وهو مصدر نحو مضى يمضي مضيا وهوى
يهوي هويا كذلك رقي يرقى رقيا حتى تنزل علينا كتابا نقروه
اي كتابا من الله الى كل رجل منا كما قال تعالى بل يريد كل امرء
منهم ان يوتي صحفا منشرة قل سبحان ربي وقرا اهل مكة والشام
قال سبحان ربي يعني النبي صلى الله عليه وسلم اي قال ذلك تنزيها
لله عن ان يعجز عن شي وعن ان يعترض عليه في فعل وقيل
هذا كله تعجب عن فرط كفرهم واقتراحاتهم الياقوت قل
على الامر اي قل لهم يا محمد هل كنت اي ما انا الا بشرا رسولا
اتبع ما يوحى الي من ربي ويفعل الله ما يشا من هذه الاشيا
التي

التي ليست في قدرة البشر فهل سمعتم احداً من البشر اتي
بهذه الايات وقال بعض الملحدين ليس هذا جواباً مقنع وغلطوا
لانه اجابهم فقال انما انا بشر لا اقدر على شي مما سالتموني
وليس لي ان اتخير على ربي ولم تكن الرسل قبلي ياتون امتهم
بكل ما يريدونه ويبغونه وسبيلي كسبيلهم كانوا يقتصرون
على ما اتاهم الله من اياته الدالة على صحة نبوتهم فاذا اقاموا
عليهم الحجة لم يجب لقومهم ان يقترحوا غيرها ولو وجب على
الله ان ياتيهم بكل ما يقترحونه من الايات لوجب عليه ان ياتيهم
بمن يختارونه من الرسل ولوجب لكل انسان ان يقول لا
اومن حتى اوتى باية خلاف ما طلب غيري وهذا يؤول الى ان
يكون التدبير الى الناس وانما التدبير الى الله تعالى قوله تعالى وما منع الناس
ان يومنوا اذ جاءهم الهدى يعني الرسل والكتب من عند الله
بالدعا اليه الا ان قالوا جهلاً منهم ابعث الله بشراً رسولاً اي
الله اجل من ان يكون رسوله من البشر فبين الله فرط عنادهم
لانهم قالوا انت مثلنا فلا يلزمنا الانقياد وغفلوا عن المعجزة
وان الاولى في محل نصب باسقاط حرف الخفض وان الثانية
في محل رفع بمنع اي وما منع الناس من ان يومنوا اذ جاءهم الهدى
الا قولهم ابعث الله قوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة
يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اعلم الله تعالى

أن الملك انما يرسل الى الملائكة لانه لو أرسل ملكًا الى الادميين لم يقدروا
ان يروه على الهيئة التي خلقوا عليها وانما أقدر الانبياء على ذلك
وخلق فيهم ما يقدرون به ليكون ذلك آية لهم ومعجزة وقد تقدم في
الانعام نظير هذه الاية وهو قوله وقالوا لولا أنزل عليه ملك
ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا وتقدم الكلام فيه قوله تعالى قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم يروى أن كفار قريش قالوا حين سمعوا
قوله هل كنت الا بشرا رسولا فمن يشهد لك أنك رسول فنزل
قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا
قوله تعالى ومن يهدي الله فهو المهتدي اي لو هداهم
الله لاهتدوا ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه اي
لا يهديهم احد ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم فيه
وجهان احدهما أن ذلك عبارة عن الاسراع بهم الى جهنم من قول
العرب قدمر القوم على وجوههم اذا اسرعوا الثاني انهم
يسحبون يوم القيامة على وجوههم الى جهنم كما يفعل في
الدنيا بمن يبالغ في هوانه وتعذيبه وهذا هو الصحيح
لحديث انس ان رجلا قال يا رسول الله الذين يحشرون
على وجوههم ايحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أليس الذي امشاه على الرجلين قادرا على
ان يمشيه

ان يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة حين بلغه
بلى وعزة ربنا اخرجه البخاري ومسلم وحسبك عميا وبكما
وصما قال ابن عباس والحسن اي عميا عما يسرهم بكما عن التكلم
بحجة صما عما ينفعهم وعلى هذا القول حواسهم باقية على ما كانت
عليه وقيل انهم يحشرون على الصفة التي وصفهم الله بها ليكون
ذلك زيادة في عذابهم ثم يخلق ذلك لهم في النار فابصروا لقوله
تعالى وراى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها وتكلموا لقوله
تعالى دعوا هنالك ثبورا وسمعوا لقوله تعالى سمعوا لها
تغيظا وزفيرا وقال مقاتل بن سليمان اذا قيل لهم اخسئوا
فيها ولا تكلمون صاروا عميا لا يبصرون صما لا يسمعون بكما
لا يفقهون وقيل عموا حين دخلوا النار لشدة سوادها
وانقطع كلامهم حين قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون وذهب
الزفير والشهيق بسمعهم فلم يسمعوا معه شيئا ماواهم جهنم
اي مستقرهم ومقامهم كلما خبت اي سكنت عن الضحاك وغيره
مجاهد طفئت يقال خبت النار تخبوا خبوا اي طفئت واخبيتها
انا زدناهم سعيرا اي نارا تتلهب وسكون التهابها من غير نقصان
في الامهم ولا تخفيف عنهم من عذابهم وقيل اذا اراد ان تخبوا
كقوله واذا قرات القران فهوله تعالى ذلك جزاوهم بانهم
كفروا باياتنا اي ذلك العذاب جزاء كفرهم قالوا ابذا كنا

عظاما ورفاتا اي ترابا ابنا لمبعوثون خلقا جديدا فانكروا
البعث فاجابهم الله تعالى فقال اولم يروا ان الله الذي خلق
السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا
ريب فيه قادر على ان يخلق مثلهم والاجل امده بقائهم في
الدنيا ثم موتهم وذلك مما لا شك فيه اذ هو مشاهد وقيل
هو جواب قولهم او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا
وقيل هو يوم القيامة فابى الظالمون الا كفورا اي المشركون
الا جحودا بذلك الاجل وبايات الله وقيل ذلك الاجل هو وقت
البعث ولا ينبغي ان يشك فيه قوله تعالى قل لو انتم تملكون
خزاين رحمة ربي اي خزاين الارزاق وقيل خزاين النعم وهذا
اعم اذا لامسكتم خشية الانفاق من البخل وهو جواب
قولهم لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا حتى نتوسع
في المعيشة اي لو توسعتم لبخلتم ايضا وقيل المعنى لو ملك احد
المخلوقين خزاين الله لما جاد بها كجود الله تعالى لامرين احدهما
انه لا بد ان يمسك منها لنفقته وما يعود منفعته الثاني
انه يخاف الفقر ويخشى العدم والله تعالى يتعالى في وجوده
عن هاتين الحالتين والانفاق في هذه الاية بمعنى الفقر قاله
ابن عباس وقتادة وحكى اهل اللغة انفق واصرم واعدم
واقتر اذا قل ماله وكان الانسان قتورا اي بخيلا مضيقا
يقال قتر

يقال قتر على عياله يقتر ويقتر قترا وقتورا اي ضيق عليهم
في النفقة وكذلك التقتير والاقتار ثلاث لغات واختلف في
هذه الاية على قولين احدهما انها نزلت في المشركين خاصة
قاله الحسن الثاني انها عامة وهو قول الجمهور ذكره الماوردي
قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات اختلف
في هذه الايات فقيل هي بمعنى ايات الكتاب كما روى الترمذي
والنسائي عن صفوان بن عسال المرادي ان يهوديين قال
احدهما لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبي نسله فقال لا تقل
له نبي فانه ان سمعنا كان له اربعة اعين فاتيا النبي صلى الله عليه
وسلم فسالاه عن قول الله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات
بينات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشركوا بالله
شيئا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببريء الى سلطان
فيقتله ولا تاكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا
من الزحف شك شعبة وعليكم اليهود خاصة ان لا تعتدوا
في السبت فقبلا يديه ورجليه وقالا نشهد انك نبي قال
فما يمنعكما ان تسلما قالا ان داود دعا الله ان لا يزال في
ذريته نبي وانا نخاف ان اسلمنا ان تقتلنا اليهود قال ابو
عيسى هذا حديث حسن صحيح وقد مضى في البقره وقيل

الايات بمعنى المعجزات والدلالات قال ابن عباس والضحاك الايات التسع العصا واليد واللسان والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات وقال الحسن والشعبي الخمس المذكورة في الاعراف يعنيان الطوفان وما عطف عليه واليد والعصا والسنين والنقص من الثمرات واحده وجعل التاسعه تلقف العصى ما يافكون وعن مالك كذلك الا انه يجعل مكان السنين والنقص من الثمرات البحر والجبل وقال محمد بن كعب هي الخمس التي في الاعراف والبحر والعصا والحجر والطمس على اموالهم وقد تقدم هذه الايات مستوفي في الحمد لله فاسل بني اسرايل اذ جاهم اي سلهم يا محمد اذ جاهم موسى بهذه الايات حسب ما تقدم بيانه في يونس وهذا سوال استفهام ليعرف اليهود صحة ما يقول محمد عليه السلام فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا اي ساحرا بغرايب افعالك قاله الفرا وابو عبيدة فوضع المفعول موضع الفاعل كما تقول هذا مشوم وميمون اي شايم ويامن وقيل مخدوعا وقيل مغلوبا قاله مقاتل وقيل غير هذا وقد تقدم وعن ابن عباس وابو نهيك انهما قرا فسال بني اسرايل على الخبر اي سال موسى فرعون ان يخلي بني اسرايل ويطلق سبيلهم ويرسلهم معه **قوله تعالى** قال لقد علمت ما انزل هاولاء يعني الايات التسع وانزل بمعنى

اوجد

بلغ [illegible] الايات يحمل السنين والنقص [illegible]

اوحد الارب السموات والارض بصابر ايد لالات يستدل بها على
قدرته ووحدانيته وقراة العامه علمت بفتح التا خطابا لفرعون
وقرا الكساي بضم التا وهي قراة علي رضي الله عنه وقال والله ما
علم عدو الله ولكن موسى هو الذي علم فبلغت ابن عباس فقال
انها لقد علمت واحتج بقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا وتنسب فرعون الى العناد وقال ابو عبيد
والماخوذ به عندنا فتح التا وهو الاصح للمعنى الذي احتج به ابن
عباس ولان موسى لا يحتج بقوله علمت انا وهو الرسول الداعي
ولو كان مع هذا كله تصح به القراة عن علي لكانت حجة ولكن لا
تثبت عنه انما هي عن كلثوم المرادي وهو مجهول لا يعرف ولا
نعلم احدا قرا بها غير الكساي وقيل انما اضاف موسى الى
الى فرعون العلم بهذه المعجزات لان فرعون قد علم مقدار
ما يتهيا للسحره فعله وان مثل ما فعل موسى لا يتهيا لساحر
وانه لا يقدر على فعله الا من يفعل الاجسام ويملك السموات
والارض وقال مجاهد دخل موسى على فرعون في يوم
شات وعليه قطيفه له فالقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان
فراى فرعون جانبي البيت بين فقميها ففزع واحدث في
قطيفته واني لاظنك يا فرعون مثبورا الظن هنا بمعنى
التحقيق والثبور الهلاك والخسران ايضا قال الكميت

الفقم اللحي الاعلى وجمعها
بين فقميه اي بين لحييه ح

وران قضاعة في الايام راي مثبور وثابر اي محسور وخاسر
يعني في انتسابها الى اليمين وقيل ملعونا رواه المنهال عن سعيد
بن جبير عن ابن عباس وقاله ابان وانشد ابن ثعلب
يا قومنا لا تروموا حربنا سفها ان السفاه وان البغي مثبور اي
ملعون وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس مثبورا ناقص
العقل ونظر المامون رجلا فقال له يا مثبور فسئل عنه قال
قال الرشيد قال المنصور لرجل مثبور فسالته فقال حدثني ميمون
ميمون بن مهران فذكره وقال قتادة هالكا وعنه ايضا والحسن
ومجاهد مهلكا والثبور الهلاك يقال ثبر الله العدو ثبورا
اهلكه وقيل ممنوعا من الخير حكى اهل اللغة ما ثبرك عن كذا
اي ما منعك منه وثبره الله يثبره ثبرة وبثبره لغتان قال ابن الزبعرى
اذا جاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور الضحاك
مثبورا مسحورا رد عليه مثل ما قال له باختلاف اللفظ وقال
ابن زيد مثبورا مخبولا لا عقل له قوله تعالى فاراد ان يستفزهم
من الارض اراد فرعون ان يخرج موسى وبني اسرايل من ارض
مصر اما بالقتل او بالابعاد فاهلكه الله وقلنا من بعده اي
من بعد اغراقه لبني اسرايل اسكنوا الارض اي ارض الشام
ومصر فاذا جا وعد الاخرة اي القيامة جينا بكم لفيفا
اي من قبوركم مختلطين من كل موضع قد اختلط المومن
بالكافر

بالكافر لا يتعارفون ولا يتجار احد منكم الي قبيله وحيه وقال
ابن عباس وقتادة جيئنا بكم جميعا من جهات شتى والمعنى واحد
قال الجوهري واللفيف ما اجتمع من الناس من قبائل شتى يقال جا
القوم بلفهم ولفيفهم اي واخلاطهم وقوله تعالي جينا بكم لفيفا
اي مجتمعين مختلطين وطعام لفيف اذا كان مخلوطا من جنسين
فصاعدا وفلان لفيف فلان اي صديقه قال الاصمعي اللفيف
جمع وليس له واحد وهو مثل الجميع والمعنى انهم يخرجون وقت
الحشر من القبور كالجراد المنتشر مختلطين لا يتعارفون وقال
الكلبي فاذا جا وعد الاخرة يعني مجي عيسى من السما قوله تعالي
وبالحق انزلناه وبالحق نزل هذا متصل بما سبق من ذكر المعجزات
والقران والكناية ترجع الي القران ووجه التكرير في قوله
وبالحق نزل يجوز ان يكون معنى الاول وحينا انزاله بالحق
ومعنى الثاني ونزل وفيه الحق لقوله خرج بثيابه اي وعليه
ثيابه وقيل الباقي وبالحق الاول بمعنى مع اي مع الحق كقولك
ركب الامير بسيفه اي مع سيفه وبالحق نزل اي بمحمد اي نزل
عليه كما تقول نزلت بزيد وقيل يجوز ان يكون المعنى وبالحق
قدرنا ان ينزل وكذلك نزل قوله تعالي وقرانا فرقناه
لتقراه على الناس على مكث مذهب سيبويه ان قرانا منصوب
بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرا جمهور الناس فرقناه

بتخفيف الراء ومعناه بيناه واوضحناه وفرقنا فيه بين الحق والباطل
قاله الحسن وقال ابن عباس فصلناه وقراء ابن عباس وعلي وابن
مسعود وابي بن كعب وقتاده وابو رجاء والشعبي فرقناه
بالتشديد اي انزلناه شيا بعد شي لاجملة واحدة الا ان في قراة
ابن مسعود وابي فرقناه عليك واختلف في كم نزل القران من
المدة فقيل في خمس وعشرين سنة ابن عباس في ثلاث وعشرين
انس في عشرين وهذا بحسب الخلاف في سن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا خلاف انه نزل الى السماء الدنيا جملة واحدة وقد
مضى هذا في البقرة على مكث اي تطاول في المدة شيا بعد شي
ويتنا سق هذا القران على قراة ابن مسعود اي انزلناه اية
اية وسورة سورة واما على القول الاول فيكون على مكث اي
على ترسل في التلاوة وترتيل قاله مجاهد وابن عباس وابن
جريج فيعطي القاري للقراة حقها من ترتيلها وتحسينها
وتطييبها بالصوت الحسن ما امكن من غير تلحين ولا تطريب
المودي الى تغيير لفظ القران بزيادة او نقصان فان ذلك
حرام على ما تقدم اول الكتاب واجمع القرا على ضم الميم من
مكث الا ابن محيصن فانه قرا مكث بفتح الميم ويقال مكث
ومكث ومكث ثلاث لغات قال مالك على مكث على تثبت
وترسل قوله تعالى ونزلناه تنزيلا مبالغة وتاكيد

بالمصدر

بالمصدر للمعنى المتقدم اي انزلناه نجما بعد نجم ولو اخذوا
بجميع الفرايض في وقت واحد لنفروا قوله تعالى قل امنوا
به او لا تومنوا يعني القران وهذا من الله عز وجل على وجه التبكيت
لهم والتهديد لا على وجه التخيير ان الذين اوتوا العلم من قبله
اي من قبل نزول القران وخروج النبي صلى الله عليه وسلم
وهم مومنوا اهل الكتاب في قول ابن جريج وغيره قال ابن
جريج معنى اذا يتلى عليهم كتابهم وقيل القران يخرون للاذقان
سجدا وقيل هم قوم من ولد اسماعيل تمسكوا بدينهم الى ان
بعث الله النبي عليه السلام منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقه
بن نوفل وعلى هذا ليس يريد اوتوا الكتاب بل يريد اوتوا علم
الدين وقال الحسن الذين اوتوا العلم امة محمد صلى الله عليه وسلم
وقال مجاهد انهم ناس من اليهود وهو اظهر لقوله من قبله
اذا يتلى عليهم يعني القران في قول مجاهد كانوا اذا سمعوا
ما انزل الله تعالى من القران سجدوا وقالوا سبحان ربنا ان
كان وعد ربنا لمفعولا وقيل كانوا اذا تلوا كتابهم وما انزل عليهم
من القران خشعوا وسجدوا وسبحوا وقالوا هذا هو المذكور
في التوراة وهذه صفته ووعد الله به واقع لا محالة وجنحوا
الى الاسلام فنزلت الاية فيهم وقالت فرقة المراد بالذين اوتوا
العلم من قبله محمد صلى الله عليه وسلم والضمير في قبله

عايد على القران حسب الضمير في به في قوله قل امنوا به وقيل
الضمير ان لمحمد صلى الله عليه وسلم واستانف ذكر القران في
قوله اذا يتلى عليهم **قوله تعالى** ويقولون سبحان ربنا دليل
على جواز التسبيح في السجود وفي صحيح مسلم وغيره عن
عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان
يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم
اغفر لي **قوله تعالى** ويخرون للاذقان يبكون فيه اربع
مسايل الاولى قوله تعالى ويخرون للاذقان يبكون هذه
مبالغة في صفتهم ومدح لهم وحق لكل من توسم بالعلم وحصل
منه شيا ان يجري الى هذه المرتبة فيخشع عند استماع
القران ويتواضع ويذل وفي مسند الدارمي ابي محمد عن
التميمي قال من اوتي من العلم مالم يبكه لخليق ان لا يكون اوتي
علما لان الله تعالى نعت العلما ثم تلا هذه الاية ذكره الطبري
ايضا والاذقان جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين وقال الحسن
الاذقان عبارة عن اللحاي يضعونها على الارض في حال السجود
وهو غاية التواضع واللام بمعنى على تقول سقط لفيه اي
على فيه وقال ابن عباس ويخرون للاذقان سجدا اي للوجوه
وانما خص الاذقان بالذكر لان الذقن اقرب شي من وجه الانسان
قال ابن خواز منداد ولا يجوز السجود على الذقن لان الذقن

هاهنا

هاهنا عبارة عن الوجه وقد يعبر بالشي عن ما جاوره وببعضه
عن جميعه فيقال خر لوجهه ساجدا وان كان لم يسجد على خده
ولا عينيه الا ترى الى قوله فخر صريعا لليدين وللفم فانما اراد
خر صريعا على وجهه ويديه الثانية قوله تعالى يبكون دليل
على جواز البكا في الصلاة من خوف الله تعالى او على معصيته
في دين الله وان ذلك لا يقطعها ولا يضرها ذكر ابن المبارك عن حماد
بن سلمه عن ثابت البناني عن مطرف بن عبد الله بن الشخير
عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه
ازيز كازيز المرجل من البكا وفي كتاب ابي داود وفي صدره
ازيز كازيز الرحا من البكا الثالثة واختلف الفقها في الانين
فقال مالك الانين لا يقطع الصلاة للمريض واكرهه للصحيح وبه
قال الثوري وروى ابن عبد الحكم عن مالك التنحنح والانين
والنفخ لا يقطع الصلاة وقال ابن القاسم يقطع وقال
الشافعي ان كان له حروف تسمع وتفهم يقطع الصلاة وقال
ابو حنيفة ان كان من خوف الله لم يقطع وان كان من وجع قطع
وروي عن ابي يوسف ان صلاته في ذلك كله تامة لانه لا يخلوا
مريض ولا ضعيف من انين الرابعة قوله تعالى ويزيدهم
خشوعا تقدم القول في الخشوع في البقرة ويأتي قوله تعالى
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى

سبب نزول هذه الاية ان المشركين سمعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدعوا يا الله يا رحمن فقالوا كان محمد يامرنا بدعاء
اله واحد وهو يدعوا الهين قاله ابن عباس وقال مكحول تهجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال في دعائه يا رحمان
يا رحيم فسمعه رجل من المشركين وكان باليمامة رجل يسمى
الرحمن فقال ذلك السامع ما بال محمد يدعوا رحمان اليمامة
فنزلت الاية مبينة انهما اسمان لمسمى واحد فان دعوتموه
بالله فهو ذاك وان دعوتموه بالرحمن فهو ذاك وقيل كانوا
يكتبون في صدر الكتب باسمك اللهم فنزلت انه من سليمان
وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتب رسول الله صلى الله عليه
وسلم بسم الله الرحمن الرحيم فقال المشركون هذا الرحيم
نعرفه فما الرحمن فنزلت الاية وقيل ان اليهود قالت ما لنا
لا نسمع في القران اسما هو في التوراة كثير يعنون الرحمن فنزلت
الاية وقرا طلحة بن مصرف ايا من تدعوا فله الاسما الحسنى
اي التي تقتضي افضل الاوصاف واشرف المعاني وحسن
الاسما انما يتوجه بتحسين الشرع لاطلاقها والنص عليها
وانضاف الى ذلك انها تقتضي معاني حسانا شريفة وهي
بتوقيف لا يصح وضع اسم لله بنظر الا بتوقيف من القران
او الحديث او الاجماع حسب ما بيناه في الكتاب الاسنى في شرح
اسما الله الحسنى

اسما الله الحسنى قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت
بها فيه مسلتان الاولى اختلف في سبب نزولها على خمسة
اقوال الاول ما روى ابن عباس في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك
ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم
متوار بمكة فكان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقران فاذا
فاذا سمع ذلك المشركون سبوا القران ومن انزله ومن جا به
فقال الله ولا تجهر بصلاتك فيسمع المشركون قراتك ولا
تخافت بها عن اصحابك اسمعهم القران ولا تجهر ذلك الجهر
وابتغ بين ذلك سبيلا قال يقول بين الجهر والمخافتة
خرجه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم واللفظ لمسلم
والمخافتة خفض الصوت والسكوت يقال للميت اذا برد
خفت قال الشاعر لم يبق الا نفس خافت ومقلة انسانها باهت
الثاني ما رواه مسلم ايضا عن عايشة في قوله عز وجل ولا
تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت انزل هذا في الدعا الثالث
قال ابن سيرين كان الاعراب يجهرون بتشهدهم فنزلت الاية
في ذلك قلت وعلى هذا فتكون الاية متضمنة لاخفا التشهد
وقد قال ابن مسعود من السنة ان تخفى التشهد ذكره ابن المنذر
الرابع ما روي عن ابن سيرين ايضا ان ابا بكر رضي الله عنه كان
يسر قراته وكان عمر يجهر بها فقيل لهما في ذلك فقال ابو بكر

انما أناجي ربي وهو يعلم حاجتي اليه وقال عمر انا أطرد الشيطان
واوقظ الوسنان فلما نزلت هذه الاية قيل لابي بكر أرفع
قليلا وقيل لعمر اخفض انت قليلا ذكره الطبري وغيره
الخامس ما روي عن ابن عباس ايضا ان معناها ولا تجهر
بصلاة النهار ولا تخافت بصلاة الليل ذكره يحيى بن سلام
والزهراوي فتضمنت احكام الجهر والاسرار بالقراءة
في النوافل والفرايض فاما النوافل فالمصلي مخير في الجهر
والسر في الليل والنهار وكذلك روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه كان يفعل الامرين جميعا واما الفرايض فحكمها
في القراءة معلوم ليلا ونهارا وقول سادس قال الحسن
يقول الله لا ترائي بصلاتك تحسنها في العلانية ولا تسيها
في السر وقال ابن عباس لا تصلي مرائيا للناس ولا تدعها
مخافة الناس الثانية عبر تعالى بالصلاة هنا عن القراءة
كما عبر بالقراءة عن الصلاة في قوله وقران الفجر لان كل
واحد مرتبط بالاخر لان الصلاة تشتمل على قراءة
وركوع وسجود فهي من جملة اجزايها فعبر بالجزء عن الجملة
وبالجملة عن الجزء على عادة العرب في المجاز وهو كثير
ومنه الحديث الصحيح قسمت الصلاة بيني وبين عبدي
اي قراءة الفاتحة على ما تقدم قوله تعالى وقل الحمد لله

الذي

الذي لم يتخذ ولدا هذه الاية زادة على اليهود والنصارى
والعرب في قولهم عزير وعيسى والملائكة ذرية الله
سبحانه تعالى عن اقوالهم ولم يكن له شريك في الملك لانه واحد
لا شريك له في ملكه ولا في عبادته ولم يكن له ولي من الذل قال
مجاهد المعنى لم يحالف احدا ولا ابتغى نصر احد اي لم يكن له ناصر
يجيره من الذل فيكون مدافعا وقال الكلبي لم يكن له ولي من
اليهود والنصارى لانهم اذل الناس ردا لقولهم نحن ابناء الله
واحباؤه وقال الحسين بن الفضل ولم يكن له ولي من الذل
يعني لم يذل فيحتاج الى ولي ولا ناصر لعزته وكبريائه
وكبره تكبيرا اي عظمه عظمة تامة ويقال ابلغ لفظة للعرب
في التعظيم والاجلال الله اكبر اي صفه بانه اكبر من كل شيء قال الشاعر
رايت الله اكبر كل شيء محاولة واكثره جنودا وكان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا دخل في الصلاة قال الله اكبر وقد تقدم
اول الكتاب وقال عمر بن الخطاب قول العبد الله اكبر خير من
الدنيا وما فيها وهذه الاية هي خاتمة التوراة روى مطرف
عن عبد الله بن كعب قال افتتحت التوراة بفاتحة سورة الانعام
وختمت بخاتمة هذه السورة وفي الخبر انها اية العز رواه
معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا افصح الغلام

من بني عبد المطلب علمه وقل الحمد لله الاية وقال عبد الحميد بن
واصل سمعت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا وقل الحمد
لله الاية كتب له من الاجر مثل الارض والجبال لان الله تعالى يقول
فيمن زعم ان له ولدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا وجا في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم امر
رجلا شكى اليه بالدين بان يقرا قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن الى اخر السورة ثم يقول توكلت على الحي الذي لا يموت
ثلاث مرات ۞ سورة الكهف وهي مكية في قول
جميع المفسرين وروي عن فرقة ان اول السورة نزل بالمدينة
الى قوله جرزا والاول اصح وروي في فضلها من حديث انس
انه من قراءها اعطي نورا بين السماء والارض ووقي بها فتنة
القبر وقال اسحق بن عبد الله بن ابي فروة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الا ادلكم على سورة شيعها سبعون
الف ملك ملا عظمها ما بين السما والارض لقاريها مثل ذلك قالوا
بلى يا رسول الله قال سورة اصحاب الكهف من قراها يوم الجمعه
غفر له الى يوم الجمعة الاخرى وزيادة ثلثة ايام واعطي
نورا يبلغ السما ووقي فتنة الدجال ذكره الثعلبي والمهدوي
ايضا بمعناه وفي مسند الدارمي عن ابي سعيد الخدري قال
من قرا سورة الكهف ليلة الجمعه اضا له من النور فيما
بينه

بينه وبين العقيق وفي صحيح مسلم عن ابي الدردا ان نبي الله
صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر ايات من اول سورة
الكهف عصم من الدجال وفي رواية من اخر الكهف وفي
مسلم ايضا من حديث النواس بن سمعان فمن ادركه يعني الدجال
فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف وذكر الثعلبي قال سمرة بن جندب
قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا عشر ايات من سورة الكهف
حفظا لم تضره فتنة الدجال ومن قرا السورة كلها دخل الجنة
قوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل
له عوجا فيما ذكر ابن اسحق ان قريشا بعثوا النضر بن الحارث
وعقبة بن ابي معيط الى احبار يهود وقالوا لهما سلاهم عن محمد
وصفا لهم صفته واخبراهم بقوله فانهم اهل الكتاب الاول
وعندهم علم ليس عندنا من علم الانبيا فخرجا حتى قدما المدينة
فسالا احبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا
لهم امره واخبراهم ببعض قوله وقالا لهم انكم اهل التوراة
وقد جيناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا فقالت لهما احبار يهود
سلوه عن ثلث نامركم بهن فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل
وان لم يفعل فالرجل متقول فتروا فيه رايكم سلوه عن فتية
ذهبوا في الدهر الاول ما كان امرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب
وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان

مطلب سورة الكهف

بنباه وسلوه عن الروح ما هي فاذا اخبركم بذلك فاتبعوه فانه
نبي وان لم يفعل فهو رجل متقول فاصنعوا في امره ما بدا لكم
فاقبل النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط حتى قدما مكة
على قريش فقالا يا معشر قريش قد جيناكم بفصل ما بينكم وبين
محمد صلى الله عليه وسلم قد امرنا احبار يهود ان نسله عن
اشيا امرونا بها فان اخبركم عنها فهو نبي وان لم يفعل فالرجل
متقول فروا فيه رايكم فجاوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا محمد اخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الاول قد كانت
لهم قصة عجب وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الارض
ومغاربها واخبرنا عن الروح ما هي قال فقال لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخبركم بما سالتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا
عنه فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون خمس عشرة
ليلة لا يحدث الله اليه في ذلك وحيا ولا ياتيه جبريل حتى ارجف
اهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة قد
اصبحنا منها لا يخبرنا منها بشي مما سالناه عنه وحتى احزن رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به
اهل مكة ثم جاه جبريل من عند الله عز وجل بسورة اصحاب
الكهف فيها معاتبته اياه على حزنه عليهم وخبر ما سالوه
عنه من امر الفتية والرجل الطواف والروح قال ابن اسحق

فذكر لي

فذُكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل لقد احتبست
عني يا جبريل حتى سُؤتُ ظنًا فقال له جبريل وما نتنزل الا بامر
ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا
فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نبوة رسوله صلى الله
عليه وسلم لما انكروا عليه من ذلك فقال الحمد لله الذي انزل على
عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
انك رسول مني اي تحقيق لما سالوا عنه من نبوتك ولم يجعل له
عوجا قيما اي معتدلا لا اختلاف فيه لينذر باسا شديدا من
لدنه عاجل عقوبته في الدنيا وعذابا اليما في الاخرة اي من عند
ربك الذي بعثك رسولا ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا اي دار الخلد لا يموتون فيها
الذين صدقوك بما جيت به مما كذبك به غيرهم وعملوا بما امرتهم
به من الاعمال وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا يعني قريشا في قولهم
انا نعبد الملايكة وهي بنات الله ما لهم به من علم ولا لآبايهم الذين
اعظموا فراقهم وعيب دينهم كبرت كلمة تخرج من افواههم
اي لقولهم ان الملايكة بنات الله ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع
نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا لحزنه عليهم
حين فاته ما كان يرجو منهم اي لا تفعل قال ابن هشام باخع نفسك
اي مهلك نفسك فيما حدثني ابو عبيدة قال ذو الرمه

الا ايها الباخع الوجد نفسه لشي نحته عن يديه المقادر .. وجمعها
باخعون وبخعه وهذا البيت في قصيدة له وتقول العرب
قد بخعت له نصحي ونفسي اي جهدت له .. انا جعلنا ما على الارض زينة
لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قال ابن اسحق اي ايهم اتبع لامري
واعمل بطاعتي وانا الجاعلون ما عليها صعيدا جرزا اي الارض وان
ما عليها لفان وزايل وان المرجع الي فاجزي كلا بعمله فلا تاس
ولا يحزنك ما ترى وتسمع فيها قال ابن هشام الصعيد وجه
الارض وجمعه صعد قال ذو الرمة يصف ظبيا صغيرا ..
كانه بالضحى ترمي الصعيد به دبابة في عظام الراس خرطوم ..
وهذا البيت في قصيدة له .. والصعيد ايضا الطريق وقد جا
في الحديث اياكم والقعود على الصعدات يريد الطرق والجرز
الارض التي لا تنبت شيا وجمعها اجراز ويقال سنة جرز
وسنون اجراز وهي التي لا يكون فيها مطر ويكون فيها جدوبة
ويبس وشدة قال ذو الرمة يصف ابلا .. ..
طوى النحز والاجراز ما في بطونها فما بقيت الا الضلوع الجراشع
قال ابن اسحق ثم استقبل قصة الخبر فيما سالوه عنه من شان
الفتية فقال ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من
اياتنا عجبا اي قد كان من اياتي فيما وضعت على العباد من حججي
ما هو اعجب من ذلك قال ابن هشام والرقيم والكتاب الذي رقم
بخبرهم

بخبرهم وجمعه رقم قال العجاج ۞ ومستقر المصحف المرقم ۞
وهذا البيت في ارجوزة له قال ابن اسحق ثم قال اذ اوى الفتية
الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا
رشدا فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم
لنعلم اى الحزبين احصى لما لبثوا امدا ثم قال الحق نقص عليك نباهم
بالحق اى بصدق الخبر انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى
وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض
لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اى لم يشركوا بي
كما اشركتم بي ما ليس لكم به قال ابن هشام والشطط الغلو
ومجاوزة الحق قال اعشى بني قيس بن ثعلبة
لا تنتهون ولا ينهى ذوي شطط ۞ كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل
وهذا البيت في قصيدة له قال ابن اسحق هؤلاء قومنا اتخذوا
من دونه الهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين قال ابن اسحاق
اى بحجة بالغة فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم
وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته
ويهيئ لكم من امركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن
كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة
منه قال ابن هشام تزاور تميل وهو من الزور وقال ابو الزحف
الكلبي يصف بلدا ۞ جاب المندى عن هوانا ازور ۞ ينضي المطايا
خمسه العشنزر ۞

وهذان البيتان في ارجوزة له وتقرضهم ذات الشمال تجاوزهم
وتتركهم عن شمالها قال ذو الرمة ::
الى ظعن يقرضن اقواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس
وهذا البيت في قصيدة له والفجوة السعة وجمعها الفجا قال الشاعر
البست قومك مخزاة ومنقصة حتى أبيحوا وخلوا فجوة الدار
ذلك من ايات الله اي في الحجة على من عرف ذلك من امورهم من اهل
الكتاب ممن امر هؤلا بمسئلتك عنهم في صدق نبوتك بتحقيق
الخبر عنهم من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا
مرشدا وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات
الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال ابن هشام
الوصيد الباب قال العبسي واسمه عبيد بن وهب :: بارض فلاة
لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر وهذا البيت
في ابيات له والوصيد ايضا الفنا وجمعه وصائد ووصد
ووصدان لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا الى قوله الذين غلبوا
على امرهم اهل السلطان والملك منهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون
يعني احبار اليهود الذين امروهم بالمسئلة عنهم ثلاثة رابعهم
كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون
سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل
فلا تمار فيهم اي لا تكابرهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم

منهم احدا

منهم احدًا فانهم لا علم لهم بهم ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدًا الا
ان يشا الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسي ان يهدين ربي لاقرب
من هذا رشدًا اي لا تقولن لشي يسالوك عنه كما قلت في هذا اني مخبركم
غدًا واستثن مشية الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسي ان
يهدين ربي لخبر ما سالتموني عنه رشدًا فانك لا تدري ما انا
صانع في ذلك ولبثوا في كهفهم ثلثماية سنين وازدادوا تسعًا
اي سيقولون ذلك قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض
ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدًا
اي لم يخف عليه شي مما سالوك عنه قلت هذا ما وقع في السيرة
من خبر اصحاب الكهف ذكرناه علي نسقه وجا في خبر ذي القرنين
ثم نعود الي اول السورة فنقول قد تقدم معني الحمد لله وزعم
الاخفش والكساي والفرا وابو عبيد وجمهور المتاولين
ان في اول هذه السورة تقديمًا وتاخيرًا وان المعني الحمد لله الذي
انزل علي عبده الكتاب قيمًا ولم يجعل له عوجًا وقيمًا نصب علي الحال
وقال قتادة الكلام علي سياقه من غير تقديم ولا تاخير ومعناه
ولم يجعل له عوجًا ولكن جعلناه قيمًا وقول الضحاك فيه حسن
وان المعني مستقيم اي مستقيم الحكمة لا خطا فيه ولا فساد ولا
تناقض وقيل قيمًا علي الكتب السابقة يصدقها وقيل قيمًا بالحجج
ابدًا عوجًا مفعول به والعِوج بكسر العين في الدين والراي

والامر والطريق وبفتحها في الاجسام كالخشب والجدار وقد
تقدم وليس في القران عوج اي عيب اي ليس متناقضا مختلفا
كما قال تعالي ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
وقيل اي لم يجعله مخلوقا كما روي عن ابن عباس في قوله تعالي
قرانا عربيا غير ذي عوج قال قيم غير مخلوق وقال مقاتل عوجا
اختلافا قال الشاعر ادوم بودي للصديق تكرما ولا خير فيمن كان في
الود اعوجا. لينذر باسا شديدا اي لينذر محمد او القران وفيه
اضمار اي لينذر الكافرين عقاب الله وهذا العذاب الشديد قد
يكون في الدنيا وقد يكون في الاخرة من لدنه اي من عنده وقرا
ابو بكر عن عاصم من لدنه باسكان الدال واشمامها الضم وكسر النون
والها موصولة بيا الباقون لدنه بضم الدال واسكان النون وضم
الها قال الجوهري وفي لدن ثلث لغات لدن ولدي ولد وقال
من لد لحييه الى منخوره قوله تعالي ويبشر المومنين الذين يعملون
الصالحات ان لهم اي بان لهم اجرا حسنا وهي الجنة ماكثين دايمين
فيه ابدا لا الي غاية وان حملت التبشير علي البيان لم تحتج الي البا
في بان والاجر الحسن الثواب العظيم الذي يودي الى الجنة قوله تعالي
وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا وهم اليهود قالوا عزير ابن الله
والنصاري قالوا المسيح ابن الله وقريش قالت الملايكة بنات
الله فالانذار في اول السورة عام وهذا خاص فيمن قال ان لله ولد

ما لهم به

بلغ ... [illegible]

ما لهم به من علم من صلة اي ما لهم بذلك القول علم لانهم مقلدة
قالوه بغير دليل ولا لآبائهم اي اسلافهم كبرت كلمة كلمة
نصب على البيان اي كبرت تلك الكلمة كلمة وقرأ الحسن ومجاهد
ويحيى بن يعمر وابن ابي اسحق كلمة بالرفع اي عظمت كلمة
يعني قولهم اتخذ الله ولدا وعلى هذه القراءة فلا حاجة الى اضمار
يقال كبر الشيء اذا عظم وكبر الرجل اذا اسن تخرج من افواههم
في موضع الصفة ان يقولون الا كذبا اي ما يقولون الا كذبا
قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم باخع اي مهلك
وقاتل وقد تقدم آثارهم جمع اثر ويقال اثر والمعنى على اثر
توليهم واعراضهم عنك ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اي القرآن
اسفا اي حزنا وغضبا على كفرهم وانتصب على التفسير
قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها فيه مسئلتان
الاولى قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض ما وزينة مفعولان
والزينة كل ما على وجه الارض فهو عموم لانه دال على على
باريه وقال ابن جبير عن ابن عباس ان الزينة الخلفاء والامراء
وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى
انا جعلنا ما على الارض زينة لها قال العلماء زينة الارض وقالت فرقة
اراد النعم والملابس والثمار والخضرة والمياه ونحو هذا مما فيه
زينة ولم يدخل فيه الجبال الصم وكل ما لا زينة فيه كالحيات والعقارب

والقول بالعموم اولى وان كل ما على الارض فيه زينة من جهة خلقه
وصنعه واحكامه والاية تبسط فى التسلية اى لا تهتم يا محمد
للدنيا واهلها فانا انما جعلنا ذلك امتحانا واختبارا لاهلها
فمنهم من يتدبر ويومن ومنهم من يكفر ثم يوم القيامه بين
ايديهم فلا يعظمن عليك كفرهم فانا نجازيهم الثانية معنى
هذه الاية ينظر الى قول النبى صلى الله عليه وسلم ان الدنيا خضرة
حلوة والله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون وقوله صلى الله
عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة
الدنيا قال وما زهرة الدنيا قال بركات الارض خرجهما مسلم
وغيره من حديث ابى سعيد الخدرى والمعنى ان الدنيا مستطابة
فى ذوقها معجبة فى منظرها كالثمر المستحلى المعجب المراى فابتلى
الله بها عباده لينظر ايهم احسن عملا اى من ازهد فيها وانزل
لها ولا سبيل للعباد الى معصية ما زينه الله الا بعونه على ذلك
ولهذا كان عمر يقول فيما ذكر البخارى اللهم انا لا نستطيع الا ان
نفرح بما زينته لنا اللهم انى اسالك ان انفقه فى حقه فدعا الله
ان يعينه على انفاقه فى حقه وهذا معنى قوله عليه السلام
فمن اخذه بطيب نفس بورك له فيه ومن اخذه باشراف نفس
كان كالذى ياكل ولا يشبع وهكذا هو المكثر من الدنيا لا يقنع بما
يحصل له منها بل همته جمعها وذلك لعدم الفهم عن الله عز وجل
ورسوله

ورسوله فان الفتنة معها حاصلة وعدم السلامة غالبة وقد
افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه قال ابن عطية
كان ابي رضي الله عنه يقول في قوله احسن عملا احسن العمل
اخذ بحق وانفاق في حق مع الايمان واداء الفرايض واجتناب
المحارم والاكثار من المندوب اليه قلت هذا قول حسن
وجيز في الفاظه بليغ في معناه وقد جمعه النبي صلى الله عليه
وسلم في لفظ واحد وهو قوله لسفيان بن عبد الله الثقفي
لما قال يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسأل عنه احدا
بعدك في رواية غيرك قال قل امنت بالله ثم استقم خرجه
مسلم وقال سفيان الثوري احسن عملا ازهدهم فيها ولذلك
قال قال ابو عصام العسقلاني احسن عملا اترك لها وقد
اختلفت عبارات العلما في الزهد فقال قوم قصر الامل وليس
باكل الخشن ولبس العبا قاله سفيان الثوري قال علماونا
وصدق رضي الله عنه فان من قصر امله لم يتانق في المطعومات
ولا يتفنن في الملبوسات واخذ من الدنيا ما تيسر واجتزأ
منها بما يبلغ وقال قوم بغض المحمدة وحب الثنا وهو قول
الاوزاعي ومن ذهب اليه وقال قوم ترك الدنيا كلها هو الزهد
احب تركها ام كره وهو قول فضيل وعن بشر بن الحارث قال
حب لقا الناس والزهد في الدنيا الزهد في لقاء الناس وعن

الفضيل ايضا علامة الزهد في الدنيا الزهد في الناس وقال قوم
لا يكون زاهدا حتى يكون ترك الدنيا احب اليه من اخذها قاله
ابراهيم بن ادهم وقال قوم الزهد ان تزهد في الدنيا بقلبك
قاله ابن المبارك وقالت فرقة الزهد حب الموت والقول
الاول يعم هذه الاقوال بالمعنى فهو اولى قوله تعالى وانا
لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تقدم بيانه وقال ابو سهل
ترابا لا نبات به كانه قطع نباته والجرز القطع ومنه سيف
جراز قال الراجز: قد جرفتهن السنون الاجراز والارض
الجرز الذي لا نبات فيها ولا شي من عمارة وغيرها كانه قطع
وازيل يعني يوم القيامة فان الارض تكون مستوية لا مستتر
فيها النجاس والجرز في اللغة الارض التي لا نبات فيها قال الكسائي
يقال جرزت الارض تجرز وجرزها القوم يجرزونها اذا
اكلوا كل ما جاء فيها من النبات والزرع فهي مجروزة وجرز قوله
تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا
عجبا مذهب سيبويه ان ام اذا جاءت دون ان يتقدمها
الف استفهام انها بمعنى بل والف الاستفهام وهي المنقطعة
وقيل ام عطف على معنى الاستفهام في لعلك او بمعنى الف الاستفهام
على الانكار قال الطبري هو تقرير للنبي صلى الله عليه وسلم على
حسابه ان اصحاب الكهف كانوا عجبا بمعنى انكار ذلك عليه
اي لا

اي لا يعظم ذلك بحسب ما عظمه عليك السايلون من الكفره فان
ساير ايات الله اعظم من قصتهم واشنع هذا قول ابن عباس ومجاهد
وقتادة وابن اسحق والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان
المشركين سالوه عن فتية فقدوا وعن ذي القرنين وعن الروح
وابطا الوحي على ما تقدم فلما نزل قال الله لنبيه عليه السلام
احسبت يا محمد ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اي
ليسوا باعجب من اياتنا بل في اياتنا ما هو اعجب من خبرهم
الكلبي خلق السموات والارض اعجب من خبرهم الضحاك ما
اطلعتك عليه من الغيب اعجب الجنيد شانك في الاسراء
اعجب الماوردي معنى الكلام النفي اي ما حسبت لولا اخبارنا
ابو سهل استفهام تقرير اي احسبت ذلك فانهم عجب
والكهف النقب المتسع في الجبل وما لم يتسع منها فهو غار
وحكى النقاش عن انس بن مالك انه قال الكهف الجبل وهذا
غير مشهور في اللغة واختلف الناس في الرقيم فقال ابن عباس
كل شي في القران اعلمه الا اربعة غسلين وحنان والاواه
والرقيم وسيل مرة عن الرقيم فقال زعم كعب انها قرية
خرجوا منها وقال مجاهد الرقيم واد وقال السدي الرقيم الصخرة
التي كانت على الكهف وقال ابن زيد الرقيم كتاب غم الله علينا
امره ولم يشرح لنا قصته وقالت فرقة الرقيم كتاب في لوح

من رصاص كتب فيه القوم الكفار الذين فر الفتية منهم قصتهم
وجعلوها تاريخا لهم ذكروا وقت فقدهم وكم كانوا وبني من كانوا
ولذا قال الفرا قال الرقيم لوح من رصاص كتب فيه اسماؤهم
وانسابهم ودينهم وممن هربوا قال ابن عطية ويظهر من هذه
الروايات انهم كانوا قوما مورخين للحوادث وذلك من
نبل المملكة وهو امر مفيد وهذه الاقوال ماخوذة من الرقم
ومنه كتاب مرقوم ومنه الارقم لتخطيطه ومنه رقمة الوادي
اي مكان جري الماء وانعطافه وما روي عن ابن عباس ليس
بمتناقض لان القول الاول انما سمعه من كعب والقول الثاني
يجوز ان يكون عرف الرقيم بعده وروي عنه سعيد بن جبير
قال ذكر ابن عباس اصحاب الكهف فقال ان الفتية فقدوا
فطلبهم اهلوهم فلم يجدوهم فرفع ذلك الى الملك فقال ليكونن
لهم نبأ واحضر لوحا من رصاص فكتب فيه اسماءهم وجعله
في خزانته فذلك اللوح هو الرقيم وقيل ان مؤمنين كانا
في بيت الملك فكتبا شان الفتية واسماءهم وانسابهم في لوح من
رصاص ثم جعلاه في تابوت من نحاس وجعلاه في البنيان
فالله اعلم وعن ابن عباس ايضا الرقيم كتاب مرقوم عندهم
فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى وقال النقاش عن
قتادة الرقيم دراهمهم وقال انس بن مالك والشعبي الرقيم

كلبهم

وقال ابن عباس لوح من رصاص

كان صح

كلبهم وقال عكرمة الرقيم الدواة وقيل الرقيم اللوح من
الذهب تحت الجدار الذي اقامه الخضر وقيل الرقيم اصحاب
الغار الذي انطبق عليهم فذكر كل واحد منهم اصلح عمله قلت
وفي هذا خبر معروف اخرجه الصحيحان واليه نحا البخاري
وقال قوم اخبر الله عن اصحاب الكهف ولم تخبر عن اصحاب الرقيم
بشي وقال الضحاك الرقيم بلدة بالروم فيها غار فيه احد
وعشرون نفسا كانهم نيام على هيئة اصحاب الكهف فعلى هذا
هم فتية اخرون جرى لهم ما جرى لاصحاب الكهف والله اعلم
وقيل الرقيم واد دون فلسطين فيه الكهف ماخوذ من رقمة
الوادي وهي موضع الما يقال عليك بالرقمة ودع الصفة
ذكره الغزنوي قال ابن عطيه وبالشام على ما سمعت من
ناس كثير فيه موتى يزعم مجاوروه انهم اصحاب الكهف
وعليهم مسجد وبنا يسمى الرقيم ومعهم كلب رمة وبالاندلس
في جهة غرناطه بقرب قرية تسمى لوشة كهف فيه موتى ومعهم
كلب رمة واكثرهم قد تجرد واكثرهم قد تجرد لحمه وبعضهم متماسك
وقد مضت القرون السالفه ولم نجد من علم شانهم اثارة
ويزعم ناس انهم اصحاب الكهف دخلت اليهم ورايتهم سنة
اربع وخمس مايه وهم بهذه الحاله وعليهم مسجد وقريب منهم
بنا رومي يسمي الرقيم كانه قصر مخلق قد بقي بعض جدرانه

وهو في فلاة من الارض خربة وباعلى غرناطة مما يلي القبلة اثار
مدينة قديمة رومية يقال لها مدينة دقيوس وجدنا في
اثارها غرايب في قبور ونحوها قلت ماذكر من رويتهم
بالاندلس فانما هم غيرهم لان الله تعالى يقول في حق اصحاب الكهف
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولمليت منهم رعبا وقد قال
ابن عباس لمعاوية لما اراد رويتهم قد منع الله من هو
خير لك عن ذلك وسياتي في اخر القصة وقال مجاهد في قوله
كانوا من اياتنا عجبا قال هم عجب كذا روى ابن جريج عنه يذهب
الى انه ليس بانكار على النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون عنده
انهم عجب وروى ابن ابي نجيح عنه قال يقول ليس باعجب اياتنا
قوله تعالى اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا اتنا
من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا فيه ثلاث مسايل
الاولى قوله تعالى اذ اوى الفتية روي انهم قوم من ابنا اشراف
مدينة دقيوس الملك الكافر ويقال فيه دقليوس ويقال
فيه دقنيوس وروي انهم كانوا مطوقين مسورين ذي
ذوايب وهم من الروم واتبعوا دين عيسى وقيل كانوا قبل
عيسى والله اعلم وقال ابن عباس ان ملكا من الملوك يقال له
دقيانوس ظهر على مدينة من مداين الروم يقال لها افسوس
وقيل هي طرسوس وكان بعد زمن عيسى عليه السلام فامر
بعبادة الاصنام

بلغ

فامر بعبادة الاصنام فدعا اهلها الى عبادة الاصنام وكان بها سبعة
احداث يعبدون الله سرا فرفع خبرهم الى الملك وخافوه فهربوا
ليلا ومروا براع معه كلب فتبعهم فأووا الى الكهف فتبعهم الملك
الى فم الغار فوجد اثر دخولهم ولم يجد اثر خروجهم فدخلوا
فاعمى الله ابصارهم فلم يروا شيئا فقال الملك سدوا عليهم باب
الغار حتى يموتوا فيه جوعا وعطشا وروى مجاهد عن ابن عباس
ايضا ان هولاء الفتية كانوا في دين ملك يعبد الاصنام ويذبح لها
ويكفر بالله وقد تابعه على ذلك اهل المدينة فوقع للفتية علم
من بعض الحواريين حسب ما ذكر النقاش او من مومني الامم
قبلهم فامنوا بالله وراوا ببصايرهم قبيح فعل الناس فاخذوا
نفوسهم بالتزام الدين وعبادة الله فرفع امرهم الى الملك وقيل
له انهم قد فارقوا دينك واستخفوا الهتك وكفروا بها فاستحضرهم
الملك في مجلسه وامرهم باتباع دينه والذبح لالهته وتوعدهم
على فراق ذلك بالقتل فقالوا له فيما روي ربنا رب السموات والارض
الى قوله واذا اعتزلتموهم وروي انهم قالوا نحو هذا الكلام وليس
به فقال لهم الملك انكم شبان اغمار لا عقول لكم وانا لا اعجل بكم
بل استاني فاذهبوا الى منازلكم ودبروا ارايكم وارجعوا الى امري
وضرب لهم في ذلك اجلا ثم انه سافر خلال الاجل فتشاور الفتية
في الهروب باديانهم فقال لهم احدهم اني اعرف كهفا في جبل كذا

كان لي يدخل فيه غنمه فلنذهب فنختفي فيه حتى يفتح الله لنا فخرجوا
فيما روي يلعبون بالصولجان والكرة وهم يدحرجونها الى نحو طريقهم
لئلا يشعر الناس بهم وروي انهم كانوا متفقين فحضر عيد فخرجوا
اليه فركبوا في جملة الناس ثم اخذوا باللعب بالصولجان حتى
خلصوا بذلك وروي وهب بن منبه ان اول امرهم انما كان حواريا
لعيسى بن مريم جا الى مدينة اصحاب الكهف يريد دخولها فاجر
نفسه من صاحب الحمام وكان يعمل فيه فراى صاحب الحمام في اعماله
بركة عظيمة فالقى اليه بكل امره وعرف ذلك الرجل فتيان من اهل
المدينة فعرفهم الله تعالى فامنوا به واتبعوه على دينه واشتهرت
خلطتهم به فاتى يوما الى ذلك الحمام ولد الملك بامراة اراد الخلوة بها
فنهاه ذلك الحواري فانتهى ثم جا مرة اخرى فنهاه فشتمه وامضى
عزمه في دخول الحمام مع البغي فدخل فماتا فيه جميعا فاتهم ذلك
الحواري واصحابه بقتلهما ففروا جميعا حتى دخلوا الكهف وقيل
في خروجهم غير هذا واما الكلب فروي انه كان كلب صيد لهم وروي
انهم وجدوا في طريقهم راعيا له كلب فاتبعهم الراعي على رايهم
وذهب الكلب معهم قاله ابن عباس واسم الكلب حمران وقيل
قطمير واما اسما اهل الكهف فاعجمية والسند في معرفتها
واه والذي ذكر الطبري هي هذه مكسلمينا وهو اكبرهم
والمتكلم عنهم ومحسيميلمينا وتمليخا وهو الذي مضى بالورق
الى المدينة

الى المدينة عند بعثتهم من رقدتهم ومرطوس وكشوطونس وديموس
وبطونس قال مقاتل وكان الكلب لمكسيلمينا وكان اسمهم
وصاحب غنم الثانية هذه الاية صريحة في الفرار بالدين وهجرة
الاهل والبنين والقرابات والاصدقا والاوطان والاموال
خوف الفتنة وما يلقاه الانسان من المحنه وقد خرج النبي
صلى الله عليه وسلم فارا بدينه ولذلك اصحابه في الغار حسب
ما قدمناه في سورة النحل وقد نص الله على ذلك في براه وقد
تقدم فهجروا اوطانهم وتركوا ارضهم وديارهم واهاليهم واولادهم
وقراباتهم واخوانهم رجا السلامه بالدين والنجاة من فتنة
الكافرين فسكنى الجبال ودخول الغيران والعزله عن الخلق
والانفراد بالخالق وجواز الفرار من الظالم هي سنة الانبيا
صلوات الله عليهم والاوليا وقد فضل رسول الله صلى الله عليه
وسلم العزله وفضلها جماعة من العلما لاسيما عند ظهور الفتن
وفساد الناس وقد نص الله عليها في كتابه فقال فاووا الى الكهف
قال العلما الاعتزال عن الناس يكون مرة في الجبال والشعاب ومرة
في السواحل والرباط ومرة في البيوت وقد جا في الخبر اذا
كانت الفتنه فاخف مكانك وكف لسانك ولم تخص موضعا
من موضع وقد جعلت طايفة من العلما العزله اعتزال الشر
واهله بقلبك وعملك وان كنت بين اظهرهم وقال ابن المبارك

في تفسير العزله ان تكون مع القوم فاذا خاضوا في ذكر الله فخض
معهم وان خاضوا في غير ذلك فاسكت وروي البغوي عن ابن
عمر عن النبي صلي الله عليه وسلم قال المومن الذي يخالط الناس
ويصبر علي اذاهم وروي عن النبي صلي الله عليه وسلم قال نعم
صوامع المومنين بيوتهم من مراسيل الحسن وغيره وقال عقبه
بن عامر لرسول الله صلي الله عليه وسلم ما النجاة يا رسول الله
فقال يا عقبة امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك علي
خطيئتك وقال صلي الله عليه وسلم ياتي علي الناس زمان يكون
خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر
يفر بدينه من الفتن خرجه البخاري وذكر علي بن معبد عن
الحسن بن واقد قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا
كانت سنة ثمانين ومائة فقد حلت لامتي الغربة والعزلة
والترهب في رؤس الجبال وذكر ايضا علي بن معبد عن عبد الله
بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن يرفعه الي رسول
الله صلي الله عليه وسلم قال ياتي علي الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه
الا من فر بدينه من شاهق الي شاهق وحجر الي حجر فاذا
كان ذلك لم تنل المعيشة الا بمعصية الله فاذا كان ذلك حلت
العزبة قالوا يا رسول الله كيف تحل العزبة وانت تامرنا بالتزوج
قال اذا كان ذلك كان هلاك الرجل علي يدي زوجته فان لم تكن له زوجة
كان هلاكه

العنم

كان هلاكه على يدي ولده فان لم يكن له ولد كان هلاكه على يدي القرابات
والجيران قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق المعيشة
ويكلفونه ما لا يطيق فعند ذلك يورد نفسه الموارد التي يهلك
فيها قلت احوال الناس في هذا الباب تختلف فرب رجل تكون
له قوة على سكنى الكهوف والغيران في الجبال وهي ارفع الاحوال
لانها الحالة التي اختارها الله لنبيه في بداية امره ونص عليها
في كتابه مخبرا عن الفتية فقال واذ اعتزلتموهم وما يعبدون
الا الله فاووا الى الكهف ورب رجل تكون العزلة له في بيته اخف
عليه واسهل وقد اعتزل رجال من اهل بدر فلزموا بيوتهم
بعد قتل عثمان فلم يخرجوا الا الى قبورهم ورب رجل متوسط
بينهما فيكون له من القوة ما يصبر بها على مخالطة الناس واذاهم
فهو معهم في الظاهر ومخالف لهم في الباطن وذكر ابن المبارك
نا وهيب بن الورد قال جاء رجل الى وهب بن منبه فقال
ان الناس وقعوا فيما فيه وقعوا وقد حدثت نفسي ان لا اخالطهم
فقال لا تفعل انه لا بد لك من الناس ولا بد لهم منك ولك اليهم حوائج
ولهم اليك حوائج ولكن كن فيهم اصم سميعا اعمى بصيرا سكوتا
نطوقا وقد قيل ان كل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في
معنى الجبال والشعاب مثل الاعتكاف في المساجد ولزوم
السواحل للرباط والذكر ولزوم البيوت فرارا عن شرور

الناس وانما جات الاحاديث بذكر الشعاب والجبال والزاع
الغنم والله اعلم لان ذلك هو الاغلب في المواضع التي يعتزل فيها
فكل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معناه كما ذكرنا
والله الموفق وبه العصمة وروى عقبة بن عامر قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يعجب ربك من راعي غنم في راس
شظية الجبل يوذن بالصلاة ويصلي فيقول الله عز وجل انظروا
الى عبدي يوذن ويقيم الصلاة يخاف مني قد غفرت لعبدي
وادخلته الجنة خرجه النساي الثالثة قوله تعالى وهيئ لنا من
امرنا رشدا لما فروا ممن يطلبهم اشتغلوا بالدعا ولجوا الى الله فقالوا ربنا
اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا توفيقا للرشاد وقال
ابن عباس مخرجا من الغار في سلامة وقيل صوابا ومن هذا المعنى
انه عليه السلام كان اذا احزنه امر فزع الى الصلاة قوله تعالى
فضربنا على اذانهم الاية عبارة عن القاء الله تعالى النوم عليهم
وهذه من فصيحات القران التي اقرت العرب بالقصور عن الاتيان
بمثله قال الزجاج اي منعناهم ان يسمعوا لان النايم اذا سمع
انتبه وقال ابن عباس ضربنا على اذانهم بالنوم اي سددنا اذانهم
عن نفوذ الاصوات اليها وقيل المعنى فضربنا على اذانهم فاستجبنا
دعاهم وصرفنا عنهم شر قومهم وانمناهم والمعنى كله متقارب
وقال قطرب هذا كقول العرب ضرب الامير على يد الرعية
اذا منعهم

اذا منعهم الفساد وضرب السيد على يد عبده المأذون له في التجارة
اذا منعه من التصرف قال الاسود بن يعفر وكان ضريرا
ومن الحوادث لا ابالك انني ضربت على الارض بالاسداد واما تخصيص
الآذان بالذكر فلانها الجارحة التي منها عظم فساد النوم وقلما
ينقطع نوم نائم الا من جهة اذنه ولا يستحكم نوم الا مع تعطل
السمع ومن ذكر الاذن في النوم قوله صلى الله عليه وسلم ذاك
رجل بال الشيطان في اذنه خرجه الصحيح اشار عليه السلام الى
رجل طويل النوم لا يقوم الليل وعددا نعت للسنين اي معدوده
والقصد به العبارة عن التكثير لان القليل لا يحتاج الى عدد
لانه قد عرف والعد المصدر والعدد اسم المعدود كالنفض
والخبط وقال ابو عبيده عددا نصب على المصدر ثم قال قوم
بين الله عدد تلك السنين من بعد فقال ولبثوا في كهفهم ثلثماية
سنين وازدادوا تسعا قوله تعالى ثم بعثناهم اي من نومهم
ويقال لمن احيي او اقيم من نومه مبعوث لانه كان ممنوعا
من الانبعاث والتصرف قوله تعالى لنعلم اي الحزبين احصى لنعلم
عبارة عن خروج ذلك الشيء الى الوجود ومشاهدته وهذا
على نحو كلام العرب اي لنعلم ذلك موجودا والا فقد كان الله
تعالى علم اي الحزبين احصى الامد وقرا الزهري ليعلم بالياء
والحزبان الفريقان والظاهر من الاية ان الحزب الواحد هم الفتية

اذ ظنوا لبثهم قليلا والحزب الثاني اهل المدينة الذين بعث الفتية على
عهدهم حين كان عندهم التاريخ بامر الفتية وهذا قول الجمهور من
المفسرين وقالت فرقة هما حزبان من المومنين وقيل غير ذلك مما
لا يرتبط بالفاظ الاية واحصى فعل ماض وامدا نصب على المفعول
به قاله ابو علي وقال الفرا نصب على التمييز وقال الزجاج نصب
على الظرف اي اي الحزبين احصى للبثهم في الامد والامد الغاية
وقال مجاهد امدا معناه عددا وهذا تفسير بالمعنى على جهة
التقريب وقال الطبري امدا منصوب بلبثوا ابن عطية وهذا
غير متجه واما من قال انه نصب على التفسير فيلحقه من الاختلال
ان افعل لا يكون من فعل رباعي الا في الشاذ واحصى فعل رباعي
وقد يحتج له بان يقال ان افعل في الرباعي قد كثر كقولك ما اعطاه
للمال واتاه للخير وقال في صفة حوضه عليه السلام ماوه ابيض
من اللبن وقال عمر بن الخطاب فهو لما سواها اضيع قوله تعالى
نحن نقص عليك نباهم بالحق لما اقتضى قوله تعالى لنعلم اي الحزبين
احصى اختلافا وقع في امد الفتية عقب بالخبر عن انه عز وجل يعلم
من امرهم بالحق الذي وقع وقوله تعالى انهم فتية اي شباب واحداث
حكم لهم بالفتوة حين امنوا بلا واسطة لذلك قال اهل اللسان
راس الفتوة الايمان وقال الجنيد الفتوة بذل الندى وكف الاذى
وترك الشكوى وقيل الفتوة اجتناب المحارم واستعمال المكارم

وقيل

وقيل غير هذا وهذا القول حسن جدًا لانه يعم بالمعنى جميع ما قيل في الفتوة
قوله تعالى وزدناهم هدى اي يسرناهم للعمل الصالح من الانقطاع
الى الله عز وجل ومباعدة الناس والزهد في الدنيا وهذه زيادات على
الايمان وقال السدي زادهم هدى بكلب الراعي حين طردوه ورجموه
مخافة ان ينبح عليهم وينبه بهم فرفع الكلب يديه كالداعي فانطقه
الله تعالى فقال يا قوم لم تطردونني لم ترجمونني فوالله لقد عرفت الله
قبل ان تعرفوه باربعين سنة فزادهم الله بذلك هدى **قوله تعالى**
وربطنا على قلوبهم عبارة عن شدة عزم وقوة صبر اعطاها
الله لهم حتى قالوا بين يدي الكفار ربنا رب السموات والارض لن ندعو
من دونه الها لقد قلنا اذا شططا ولما كان الفزع وخور النفس
يشبه بالتناسب الانحلال حسن في شدة النفس وقوة
التصميم ان يشبه الربط ومنه يقال فلان رابط الجاش اذا
كان لا تفرق نفسه عند الفزع والحرب وغيرها ومنه الربط
على قلب ام موسى وقوله تعالى وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام
وقد تقدم **قوله تعالى** اذ قاموا فقالوا فيه مسئلتان الاولى
قوله تعالى اذ قاموا فقالوا يحتمل ثلاثة معان احدها ان يكون
هذا وصف مقامهم بين يدي الملك الكافر كما تقدم وهو مقام يحتاج
الى الربط على القلب حيث خالفوا دينه ورفضوا في ذات الله هيبته
والمعنى الثاني فيما قيل انهم اولاد عظما تلك المدينة فخرجوا واجتمعوا

ورأ تلك المدينة من غير ميعاد فقال اسنهم اني اجد في نفسي ان ربي رب
السموات والارض فقالوا ونحن كذلك نجد في انفسنا فقاموا جميعًا
وقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا
شططا اي لين دعونا الها غيره فقد اذا جورا ومحالا والمعنى الثالث
ان يعبر بالقيام عن انبعاثهم بالعزم الى الهروب الى الله ومنابذة
الناس كما تقول قام فلان الى امر كذا اذا عزم عليه بغاية الجد
الثانية قال ابن عطية تعلقت الصوفية في القيام والقول بقوله
تعالى اذ قاموا فقالوا قلت وهذا تعلق غير صحيح هاولاء قاموا
فذكروا الله على هدايته وشكروا لما اولاهم من نعمه ونعمته ثم هاموا
على وجوههم منقطعين الى ربهم وخايفين من قومهم وهذه سنة الله
في الرسل والانبيا والفضلاء الاوليا اين هذا من ضرب الارض بالاقدام
والرقص بالاكمام وخاصة في هذه الازمان عند سماع الاصوات الحسان
من المرد والنسوان هيهات بينهما والله ما بين الارض والسما ثم هذا
حرام عند جماعة العلما على ما ياتي بيانه في سورة لقمان ان شا الله
وقد تقدم في سبحان عند قوله ولا تمش في الارض مرحًا ما فيه كفاية
وقد قال الامام ابو بكر الطرطوشي وسيل عن مذهب الصوفيه
فقال واما الرقص والتواجد فاول من احدثه اصحاب السامري
لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون
فهو دين الكفار وعباد العجل على ما ياتي في قوله تعالى هاولاء قومنا

اتخذوا من دونه

قلنا

بلغ

اتخذوا من دونه آلهة اي قال بعضهم لبعض هاولاء قومنا اي اهل
عصرنا وبلدنا عبدوا الاصنام تقليدا من غير حجة لولا اي هلا
يأتون عليهم بسلطان بين اي بحجة على عبادتهم الصنم وقيل
عليهم راجع الى الالهة اي هلا اقاموا بينة على الاصنام في كونها
الهة فقولهم لولا تخصيص بمعنى التعجيز واذا لم يمكنهم ذلك لم
يجب ان يلتفت الى دعواهم قوله تعالى واذ اعتزلتموهم
قيل هو من قول الله لهم اي واذا اعتزلتموهم فاووا الى الكهف وقيل
هو من قول رئيسهم تمليخا فيما ذكر ابن عطيه وقال الغزنوي
رئيسهم مكسلمينا قال لهم ذلك اي اذ اعتزلتموهم واعتزلتم
ما يعبدون ثم استثنى وقال الا الله اي انكم لم تتركوا عبادته
فهو استثنا منقطع قال ابن عطيه وهذا على تقدير ان الذين
فر اهل الكهف منهم لا يعرفون الله ولا علم لهم به وانما يعتقدون
الاصنام في الوهيتهم فقط وان فرضنا انهم يعرفون الله
كما كانت العرب تفعل لكنهم يشركون اصنامهم معه في
العبادة فالاستثنا متصل لان الاعتزال وقع في كل ما يعبد
الكفار الا في جهة الله وفي مصحف عبد الله بن مسعود وما
يعبدون من دون الله قال قتاده هذا تفسيرها قلت
ويدل على هذا ما ذكره ابو نعيم الحافظ عن عطا الخراساني في
قوله تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله قال كان

فتية من قوم يعبدون الله ويعبدون معه الهة فاعتزلت الفتية
عبادة تلك الالهة ولم تعتزل عبادة الله ابن عطية فعلى ما قال
قتادة تكون الا بمنزلة غير وما من قوله وما يعبدون الا
الله في موضع نصب عطفا على الضمير في قوله اعتزلتموهم ومضمن
هذه الاية ان بعضهم قال لبعض اذا فارقنا الكفار وانفردنا
بالله تعالى فلنجعل الكهف ماوى ونتكل على الله فانه سيبسط
لنا رحمته وينشرها علينا ويهيئ لنا من امرنا مرفقا وهذا
كله دعا بحسب الدنيا وعلى ثقة كانوا من الله في امر اخرتهم
وقال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنه كان اصحاب
الكهف صيا فلة واسم الكهف حيوم مرفقا قرى بكسر الميم
وفتحها وهو ما يرتفق به وكذلك مرفق الانسان ومرفقه ومنهم
من يجعل المرفق بفتح الميم الموضع كالمسجد وهما بعد لغتان قوله
تعالى وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين
اي ترى ايها المخاطب الشمس عند طلوعها تميل عن كهفهم
والمعنى انك لو رايتهم لرايتهم كذا لا ان المخاطب راهم على التحقيق
وتزاور تتنحى وتميل من الازورار والزور الميل والازور
في العين المايل النظر الى ناحيته ويستعمل في غير العين كما قال
ابن ابي ربيعة ،، وجنبي خيفة القوم ازور ،، ومن اللفظة قول عنتره
فازور من وقع القنا بلبانه ،، وفي حديث غزوة موتة انه

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم راى في سرير جعفر وعبد الله
بن رواحه ازورارا عن سرير جعفر وزيد بن حارثه وقراء
اهل الحرمين وابو عمرو تزاور بادغام التا في الزاي والاصل
تتزاور وقرا عاصم وحمزه والكساي تزاور مخففة الزاي
وقرا ابن عامر تزور مثل تحمر وحكى الفرا تزوار مثل تحمار وكلها
بمعنى واحد واذا غربت تقرضهم قرا الجمهور بالتا على معنى تتركهم
قاله مجاهد وقال قتادة تدعهم النحاس وهذا معروف في اللغة
حكى البصريون انه يقال قرضه يقرضه اذا تركه والمعنى انهم كانوا
لا تصيبهم شمس البتة كرامة لهم وهو قول ابن عباس يعني ان الشمس
اذا طلعت مالت عن كهفهم ذات اليمين اي يمين الكهف واذا
غربت تمر بهم ذات الشمال اي شمال الكهف فلا تصيبهم لا في ابتداء
النهار ولا في اخر النهار وكان كهفهم مستقبل بنات نعش في
ارض الروم فكانت الشمس تميل عنهم طالعة وغاربة وجارية
لا تبلغهم لتوذيهم بحرها وتغير الوانهم وتبلي ثيابهم وقد قيل انه
كان لكهفهم حاجب من جهة الجنوب وحاجب من جهة الدبور
وهم في زاويته وذهب الزجاج الى ان فعل الشمس كان اية
من الله دون ان يكون باب الكهف الى جهة توجب ذلك وقرات
فرقة يقرضهم بالياء من القرض وهو القطع اي يقتطعهم الكهف
بظله من ضوء الشمس وقد قيل واذا غربت تقرضهم اي

يصيبهم بيسير منها ماخوذ من قراضة الذهب والفضة اي تعطيهم
الشمس اليسير من شعاعها وقالوا كان في مسّها لهم بالعشي اصلاح
لاجسادهم وعلى الجملة فالاية في ذلك ان الله تعالى اواهم الى
الكهف هذه صفته لا الى كهف اخر يتاذون فيه بانبساط الشمس
عليهم في معظم النهار وعلى هذا فيمكن ان يكون صرف الشمس عنهم
باظلال غمام او سبب اخر والمقصود بيان حفظهم عن تطرق البلا
وتغير الابدان والالوان اليهم والتاذي بحر او برد وهم في فجوة منه
اي من الكهف والفجوة المتسع وجمعها فجوات وفجا مثل ركوة
وركاء وركوات وقال الشاعر

ونحن ملانا كل واد وفجوة رجالا وخيلا غير ميل ولا عزل

اي كانوا بحيث يصيبهم الهوا ذلك من ايات الله لطفه بهم وهذا
يقوي قول الزجاج وقال اهل التفسير كانت اعينهم مفتوحة
وهم نايمون فلذلك كان الرائي يحسبهم ايقاظا وقيل تحسبهم
ايقاظا لكثرة تقلبهم كالمستيقظ في مضجعه وايقاظا جمع يقظ
ويقظان وهو المنتبه وهم رقود كقوله هم قوم ركوع وسجود
وقعود فوصف الجمع بالمصدر ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال
قال ابن عباس لئلا تاكل الارض لحومهم قال ابو هريرة كان لهم في
كل عام تقليبتان وقيل في كل سنة مره وقال مجاهد في كل
سبع سنين مره وقالت فرقة انما قلبوا في التسع الاواخر

واما

واما في الثلاثمايه فلا وظاهر كلام المفسرين ان التغليب كان من فعل الله
ويجوز ان يكون من ملك بامر الله فيضاف الي الله وقوله وكلبهم باسط
ذراعيه بالوصيد فيه اربع مسايل الاولي قوله تعالي وكلبهم
قال عمرو بن دينار انما اخذ علي العقرب ان لا تضر احدا في ليله ولا
في نهاره صلي علي نوح وان فيما اخذ علي الكلب ان لا يضر من حمل عليه
وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد اكثر المفسرين علي انه كلب حقيقه
وكان لصيد احدهم او لزرعه او غنمه علي ما قال مقاتل واختلف
في لونه اختلافا كثيرا ذكره الثعلبي تحصيله اي لون ذكرت اصبت
حتي قيل لون الحجر وقيل لون السما واختلف ايضا في اسمه فعن علي
ريان ابن عباس قطمير الاوزاعي تبر عبد الله بن سلام بسيط
كعب صهيا وهب نقيا وقيل قطيفير ذكره الثعلبي وكان
اقتنا الكلب جايزا في وقتهم كما هو عندنا اليوم جايز في شرعنا
وقال ابن عباس هربوا ليلا وكانوا سبعة فمروا براع معه
كلب فاتبعهم علي دينهم وقال كعب مروا بكلب فنبح لهم فطردوه
فعاد فطردوه مرارا فقام الكلب علي رجليه ورفع يديه الي
السما كهيئة الداعي فنطق فقال لا تخافوا مني انا احب احبا الله
الثانية روي الصحيح عن ابن عمر عن النبي صلي الله عليه وسلم
قال من اقتني كلبا الا كلب صيد او ماشية نقص من اجره
كل يوم قيراطان وروي الصحيح ايضا عن ابي هريرة قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اتخذ كلبا الا كلب صيد او
ماشية نقص من اجره كل يوم قيراط وروى الصحيح ايضا
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتخذ
كلبا الا كلب ماشية او صيد او زرع انتقص من اجره كل يوم
قيراط قال الزهري وذكر لابن عمر قول ابي هريرة فقال يرحم
الله ابا هريرة كان صاحب زرع فقد دلت السنة الثانية
على اقتنا الكلاب للصيد والزرع والماشية وجعل النقص في
اجر من اقتناها على غير ذلك من المنفعة اما لترويع الكلب
المسلمين وتشويشه عليهم بنباحه او لمنع دخول الملائكة
البيت او لنجاسته على ما يراه الشافعي او لاقتحام النهي
عن اتخاذ ما لا منفعة فيه والله اعلم وقال في احدى الروايتين
قيراطان وفي الاخرى قيراط وذلك يحتمل ان يكون في نوعين
من الكلاب احدهما اشد اذى من الاخر كالاسود الذي امر عليه
السلام بقتله ولم يدخله في الاستثنا حين نهى عن قتلها كما هو
منصوص في حديث جابر اخرجه الصحيح وقال عليكم
بالاسود البهيم ذي النقطتين فانه شيطان ويحتمل ان يكون
ذلك لاختلاف المواضع فتكون ممسكة بالمدينة مثلا او بمكة
ينقص قيراطان وبغيرها قيراط والله اعلم الثالثة كلب
الماشية المباح اتخاذه عند مالك هو الذي يسرح معها لا الذي
يحفظها.

او صيد او زرع

يحفظها في الدار من السراق وكلب الزرع هو الذي يحفظها من
الوحوش بالليل او بالنهار لا من السراق وقد اجاز غير مالك
اتخاذها للسراق الماشيه والزرع وقد تقدم في المايده من
احكام الكلاب ما فيه كفاية والحمد لله الرابعة قال ابن عطيه
وحدثني ابي رضي الله عنه قال سمعت ابا الفضل الجوهري في جامع
مصر يقول على منبر وعظه سنة تسع وستين واربع مائة
ان من احب اهل الخير نال من بركتهم كلب احب اهل فضل وصحبهم
فذكره الله في محكم تنزيله قلت اذا كان بعض الكلاب قد
نال هذه الدرجه العليا بصحبته ومخالطته الصلحا والاوليا
حتى اخبر الله بذلك في كتابه جل وتعالى فما ظنك بالمؤمنين
الموحدين المخالطين للاوليا والصالحين بل في هذا تسلية وانس
للمؤمنين المقصرين عن درجات الكمال المحبين للنبي صلى الله عليه
وسلم واله خير ال روى الصحيح عن انس بن مالك قال بينا
انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم خارجان من المسجد فلقينا
رجل عند سدة المسجد فقال يا رسول الله متى الساعة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعددت لها قال فكان الرجل
استكان ثم قال يا رسول الله ما اعددت لها كثير صلاة ولا صيام
ولا صدقه ولكني احب الله ورسوله قال فانت مع من احببت
في رواية قال انس فانا احب الله ورسوله وابا بكر وعمر فارجوا

فما فرحنا بعد الاسلام فرحا اشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم فانك مع من احببت

ان اكون معهم وان لم اعمل باعمالهم قلت وهذا الذي تمسك به انس
يشمل من المسلمين كل ذي نفس فلذلك تعلقت اطماعنا بذلك
وان كنا مقصرين ورجونا رحمة الرحمن وان كنا غير مستاهلين
كلب احب قوما فذكره الله معهم فكيف بنا وعندنا عقد الايمان
وكلمة الاسلام وحب النبي عليه السلام ولقد كرمنا بني ادم
وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على
كثير ممن خلقنا تفضيلا وقالت فرقة لم يكن كلبا حقيقة
وانما كان احدهم وكان قد قعد عند باب الغار طليعة لهم
قال ابن عطية فسمي باسم الحيوان الملازم لذلك الموضع كما سمي
النجم التابع للجوزاء كلبا لانه منها كالكلب من الانسان
ويقال له كلب الجبار اما ان هذا القول يضعفه ذكر بسط
الذراعين فانها في العرف من صفة الكلب حقيقة ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم ولا يبسط احدكم ذراعيه انبساط
الكلب وقد حكى ابو عمر المطرز في كتاب اليواقيت انه قرئ وكالبهم
باسط ذراعيه فيحتمل ان يريد بالكالي هذا الرجل على ما روي
اذ بسط الذراعين واللصوق بالارض مع رفع الوجه للتطلع
هي هيئة الريبة المستخفي بنفسه ويحتمل ان يريد بالكالي
الكلب وقرا جعفر بن محمد الصادق وكالبهم يعني صاحب الكلب
قوله تعالى باسط ذراعيه اعمل اسم الفاعل وهو بمعنى
المضي

الصلاة نور

المضي لانها حكاية حال ولم يقصد الاخبار عن فعل الكلب والذراع
من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى ثم قيل بسط ذراعيه
لطول المده وقيل نام الكلب وكان ذلك من الايات وقيل نام مفتوح
العين والوصيد الفنا قاله ابن عباس ومجاهد وابن جبير اي فنا الكهف
الكهف والجمع وصايد ووصيد وقيل الباب وقاله ابن عباس ايضا وانشد
بارض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر
وقد تقدم وقال عطا عتبة الباب والباب الموصد هو المغلق
وقد اوصدت الباب واصدته اي اغلقته والوصيد النبات
المتقارب الاصول فهو مشترك قوله تعالى لو اطلعت عليهم
قرا الجمهور بكسر الواو والاعمش ويحيى بن وثاب بضمها
لوليت منهم فرارا اي لو اشرفت عليهم لهربت ولمليت منهم رعبا
اي لما حفهم الله به من الرعب واكتنفهم من الهيبه وقيل لوحشة
مكانهم فكانهم اواهم الله الى هذا المكان الوحشي في الظاهر لينفر
الناس عنهم وقيل كان الناس محجوبين عنهم بالرعب لا يجسر
احد منهم على الدنو اليهم وقيل الفرار منهم لطول شعورهم واظفارهم
ذكره المهدوي والنحاس والزجاج والقشيري قال القشيري
وهذا بعيد لانهم لما استيقظوا قال بعضهم لبعض لبثنا يوما
او بعض يوم ودل هذا على ان شعورهم واظفارهم كانت
بحالها الا ان يقال انما قالوا ذلك قبل ان ينظروا الى اظفارهم

وشعورهم قال ابن عطيه والصحيح في امرهم ان الله عز وجل
حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها لتكون لهم ولغيرهم فيهم اية فلم
يبل لهم ثوب ولم تغير صفة ولم ينكر الناهض الى المدينة
الا معالم الارض والبنا ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت
عليه اهم وقرا نافع وابن كثير وابن عباس واهل مكة والمدينه
لمليت بتشديد اللام على تضعيف المبالغة اي مليت ثم مليت
وقرا الباقون لمليت بالتخفيف والتخفيف اشهر في اللغة وقد
جا التثقيل في قول المخبل السعدي
واذ فتك النعمان بالناس محرما فملي من كعب بن عوف سلاسلة
وقرا الجمهور رعبا باسكان العين وقرا بضمها ابو جعفر قال ابو
حاتم هما لغتان وقرا انصب على الحال ورعبا مفعول لان
او تمييز قوله تعالى وكذلك بعثناهم ليتسالوا بينهم
البعث التحريك عن سكون والمعني كما ضربنا على اذانهم وزدناهم
هدى وقلبناهم بعثناهم ايضا اي ايقظناهم من نومهم على
ما كانوا عليه من هيئاتهم في ثيابهم واحوالهم قال الشاعر
وفتيان قد بعثت بسحره فقاموا جميعا بين عاث ونشوان
اي ايقظت واللام في قوله ليتسالوا لام الصير ورة وهي
لام العاقبه كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا فبعثهم لم يكن
لاجل تسالهم قوله تعالى قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
وذلك انهم

او بعض يوم وذلك انهم دخلوه غدوة وبعثهم الله في اخر النهار
فقال رئيسهم يمليخا او مكسلمينا الله اعلم بالمدة قوله تعالى
فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فيه سبع مسايل الاولى
قال ابن عباس كانت ورقهم كاخفاف الربع ذكره النحاس
وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم
بورقكم بكسر الراء وقرا ابو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم بورقكم
بسكون الراء حذفوا الكسرة لثقلها وهما لغتان وقرا الزجاج
بورقكم بكسر الواو وسكون الراء ويروى انهم انتبهوا جياعا
وان المبعوث هو تمليخا كان اصغرهم فيما ذكر الغزنوي والمدينة
افسوس ويقال هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية افسوس
فلما جا الاسلام سموه طرسوس وقال ابن عباس كان معهم
دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم الثانية قوله
تعالى فلينظر ايها ازكى طعاما قال ابن عباس احل ذبيحة لان
اهل بلدهم كانوا يذبحون على اسم الصنم وكان فيهم قوم يخفون ايمانهم
ابن عباس كان عامتهم مجوسا وقيل ازكى طعاما اي اكثر بركة
قيل انهم امروه ان يشتري ما يظن انه طعام اثنين او ثلاثة لئلا
يطلع عليهم ثم اذا طبخ كفى جماعة ولهذا قيل ذلك الطعام الارز
وقيل كان زبيبا وقيل تمرا فالله اعلم وقيل ازكى اطيب وقيل
ارخص فليأتكم برزق منه اي بقوت وليتلطف اي في دخول

المدينة وشراء الطعام ولا يشعرن بكم احدا اي لا يخبرن وقيل
ان ظهر عليه فلا يوقعن اخوانه فيما وقع فيه انهم ان يظهروا عليكم
يرجموكم قال الزجاج معناه بالحجارة وهو اخبث القتل وقيل
يرموكم بالسب والشتم والاول اصح لانه كان عازما على قتلهم كما
تقدم في قصصهم والرجم فيما سلف هي كانت على ما ذكر قبله
مخالفة دين الناس اذ هي اشفا الجملة اهل ذلك الدين من حيث انهم
يشتركون فيها الثالثة في هذه البعثة بالورق دليل على الوكالة
وصحتها وقد وكل علي بن ابي طالب اخاه عقيلا عند عثمان رضي
الله عنهما ولا خلاف فيها في الجملة والوكالة معروفة في الجاهلية
والاسلام الا ترى الى عبد الرحمن بن عوف كيف وكل امية بن
خلف باهله وحاشيته بمكة اي يحفظهم وامية مشرك والتزم
عبد الرحمن لامية من حفظ حاشيته بالمدينة مثل ذلك
مجازاة لصنعه روى البخاري عن عبد الرحمن بن عوف كاتبت
امية بن خلف كتابا بان يحفظني في صاغيتي بمكة واحفظه
في صاغيته بالمدينة فلما ذكرت الرحمن قال لا اعرف الرحمن كاتبني باسمك الذي
كان في الجاهلية فكاتبته عبد عمرو وذكر الحديث قال الاصمعي
صاغية الرجل الذين يميلون اليه ويأتونه وهو ماخوذ من
صغا يصغو ويصغى اذا مال وكل مايل الى الشي او معه فقد
صغا اليه واصغى من كتاب الافعال الرابعة الوكالة عقد
نيابة

عبد عمرو

نيابة لان الله سبحانه اذن فيه للحاجة اليه وقيام المصلحة في ذلك اذ
ليس كل احد يقدر على تناول اموره الا بمعونة او يترفه فيستنيب
من يريحه وقد استدل علماونا على صحتها بايات من الكتاب منها هذه
وقوله تعالى والعاملين عليها وقوله اذهبوا بقميصي هذا واما من السنة
فاحاديث كثيرة منها حديث عروة البارقي وقد تقدم في اخر الانعام
وروى جابر بن عبد الله قال اردت الخروج الى خيبر فاتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت له اني اردت الخروج الى خيبر فقال ايت
وكيلي فخذ منه خمسة عشر وسقا فان ابتغى منك اية فضع يدك
على ترقوته خرجه ابو داود والاحاديث في هذا كثيرة وفي
اجماع الامة على جوازها كفاية الخامسة الوكالة جايزة في كل
حق تجوز النيابة فيه فلو وكل الغاصب لم يجز وكان هو الوكيل
لان كل محرم فعله لا تجوز النيابة فيه السادسة في هذه
الاية نكتة بديعة وهي ان الوكالة انما كانت مع التقية خوف ان
يشعر بهم احد لما كانوا عليه من الخوف على انفسهم وجواز توكيل
ذوي العذر متفق عليه فاما من لا عذر له فالجمهور على جوازها
وقال ابو حنيفة وسحنون لا تجوز قال ابن العربي وكان سحنون
تلقفه من اسد بن الفرات فحكم به ايام قضايه ولعله كان
فعل ذلك باهل الظلم والجبروت انصافا منهم واذلالا لهم وهو الحق
فان الوكالة معونة ولا تكون لاهل الباطل قلت هذا حسن

فاما اهل الدين والفضل فلهم ان يوكلوا وان كانوا حاضرين اصحا والدليل
على صحة جواز الوكالة للشاهد الصحيح ما خرجه الصحيحان وغيرهما
عن ابي هريرة قال كان للنبي صلى الله عليه وسلم سن من الابل فجا يتقاضاه
فقال اعطوه فطلبوا له سنه فلم يجدوا الا سنا فوقها فقال اعطوه
فقال اوفيتني اوفى الله لك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خيركم
احسنكم قضا لفظ البخاري فدل هذا الحديث مع صحته على جواز
توكيل الحاضر الصحيح البدن فان النبي صلى الله عليه وسلم امر اصحابه
ان يعطوا عنه السن التي كانت عليه وذلك توكيل منه لهم على ذلك
ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم مريضا ولا مسافرا وهذا يرد قول
ابي حنيفه وسحنون في قولهما انه لا يجوز توكيل الحاضر الصحيح
البدن الا برضى خصمه وهذا الحديث خلاف قولهما السابعة
قال ابن خواز منداد تضمنت هذه الاية جواز الشركه لان الورق
كان لجميعهم وتضمنت جواز الوكاله لانهم بعثوا من وكلوه
بالشرا وتضمنت جواز اكل الرفقا وخلطهم طعامهم معا وان
كان بعضهم اكثر اكلا من الاخر ومثله قوله تعالى وان تخالطوهم
فاخوانكم حسب ما تقدم بيانه في البقره ولهذا قال اصحابنا
في المسكين يتصدق عليه فيخلطه بطعام لغني ثم ياكل معه
ان ذلك جايز وقد قالوا في المضارب يخلط طعامه بطعام غيره
ثم ياكل معه ان ذلك جايز وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكل من

وكل من اشتري له اضحية قال ابن العربي ليس في الاية دليل علي
ذلك لانه يحتمل ان يكون كل واحد منهم قد اعطاه منفردا فلا يكون
فيه اشتراك ولا معول في هذه المسئلة الا علي حديثين احدهما
ان ابن عمر مر بقوم ياكلون تمرا فقال نهي النبي صلي الله عليه وسلم
عن الاقران الا ان يستاذن الرجل اخاه الثاني حديث
ابي عبيدة في جيش الخبط وهذا دون الاول في الظهور لانه يحتمل
ان يكون ابو عبيده يعطيهم كفافا من ذلك القوت ولا يجمعهم عليه
قلت ومما يدل علي خلاف هذا من الكتاب قوله تعالي وان تخالطوهم
فاخوانكم وقوله ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا
علي ما ياتي ان شاء الله قوله تعالي وكذلك اعثرنا عليهم اي
اطلعنا عليهم واظهرناهم واعثر تعدية عثر بالهمزة واصل
العثار في القدم ليعلموا ان وعد الله حق يعني الامة المسلمة الذين
بعث اهل الكهف علي عهدهم وذلك ان دقينوس مات ومضت
قرون وملك اهل تلك الدار رجل صالح فاختلف اهل بلده في الحشر
وبعث الاجساد من القبور فشك في ذلك بعض الناس
واستبعدوه وقالوا انما تحشر الارواح والجسد تاكله
الارض وقال بعضهم تبعث الروح والجسد جميعا فكبر ذلك
علي الملك وبقي حيران لا يدري كيف يتبين امره لهم حتي لبس
المسوح وقعد علي الرماد وتضرع الي الله تعالي في حجة وبيان

فاعثر الله علي اهل الكهف فيقال انهم لما بعثوا احدهم بورقهم
الي المدينة ليأتيهم برزق منها استنكر شخصه واستنكرت
ورقه لبعد العهد فحمل الي الملك وكان صالحا قد امن وامن من معه
فلما نظر اليه قال لعل هذا من الفتية الذين خرجوا علي عهد دقيانوس
الملك فقد كنت ادعوا الله ان يريَنيهم وسال الفتي فاخبره فسُرّ
الملك بذلك وقال لعل الله قد بعث لكم اية فلنسر الي الكهف معه
فركب مع اهل المدينة اليهم فلما دنوا الي الكهف قال يمليخا انا ادخل
عليهم لئلا يرعبوا فدخل عليهم واعلمهم بالامر وان الامة امة
الاسلام فروي انهم سُرّوا بذلك وخرجوا الي الملك وعظموه
وعظمهم ثم رجعوا الي كهفهم واكثر الروايات علي انهم ماتوا
حين حدثهم يمليخا مِيتة الحق علي ما ياتي ورجع من كان شك في
بعث الاجساد الي اليقين فهذا معني اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد
الله حق اي ليعلم الملك ورعيته ان القيامة حق والبعث حق
اذ يتنازعون بينهم امرهم وانما يتنازعونه لو ابتدلك الواحد علي
خبرهم وهابوا الدخول عليهم فقال الملك ابنوا عليهم بنيانا فقال
الذين هم علي دين الفتية اتخذوا عليهم مسجدا وروي ان طايفة
كافرة قالت نبني بيعة او مصنعا فمانعهم المسلمون وقالوا لنتخذن
عليهم مسجدا وروي ان بعض القوم ذهب الي طمس الكهف عليهم
وتركهم فيه مغيبين وروي عن عبيد بن عمير ان الله اعمي علي
الناس

الناس حينيذ اثرهم وحجبهم عنهم فذلك دعا الي بناء البنيان لمكون
معلما لهم وقيل ان الملك اراد ان يدفنهم في صندوق من ذهب فاتاه
ات منهم في المنام فقال اردت ان تجعلنا في صندوق من ذهب فلا
تفعل فانا من التراب خلقنا واليه نعود فدعنا وتنشا هنا مسايل
ممنوعة وجايزة فاتخاذ المساجد علي القبور والصلاة فيها والبناء
عليها الي غير ذلك مما تضمنته السنة من النهي عنه ممنوع لا يجوز
لما روي ابو داود والترمذي عن ابن عباس قال لعن رسول الله صلي
الله عليه وسلم زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج
قال الترمذي وفي الباب عن ابي هريرة وعايشة حديث ابن عباس
حديث حسن وروي الصحيحان عن عايشة وام حبيبة وام سلمة
ذكرنا كنيسة راياها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله صلي
الله عليه وسلم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان اوليك اذا
كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا علي قبره مسجدا وصوروا فيه
تلك الصور اوليك شرار الخلق عند الله يوم القيامة لفظ مسلم
قال علماونا وهذا يحرم علي المسلمين ان يتخذ قبور الانبيا والعلما
مساجد وروي الايمة عن ابي مرثد الغنوي قال سمعت رسول
الله صلي الله عليه وسلم يقول لا تصلوا الي القبور ولا تجلسوا
عليها لفظ مسلم اي لا تتخذوها قبلة فتصلوا عليها او اليها
كما فعل اليهود والنصاري فيودي الي عبادة من فيها كما كان

ووهو

السبب في عبادة الاصنام فحذر النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل
ذلك وسد الذرايع المودية الي ذلك فقال اشتد غضب الله علي
قوم اتخذوا قبور انبيايهم وصالحيهم مساجد وروي الصحيحان
عن عايشة وعبد الله بن عباس قالا لما نزل برسول الله صلى الله عليه
وسلم طفق يطرح خميصة له علي وجهه فقال وهو كذلك لعنة
الله علي اليهود والنصاري اتخذوا قبور انبيايهم مساجد
يحذر ما صنعوا وروي مسلم عن جابر قال نهي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يجصص القبر وان يقعد عليه وان يبني عليه
وخرجه ابو داود والترمذي ايضا عن جابر قال نهي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان تجصص القبور وان تكتب عليها وان
يبني عليها وان توطا قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وروي
الصحيح عن ابي الهياج الاسدي قال قال لي علي بن ابي طالب الا
ابعثك علي ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادع
تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته في رواية ولا
صورة الا طمستها واخرجه ابو داود والترمذي قال علماونا
ظاهره منع تسنيم القبور ورفعها وان تكون لاطية لاصقة
وقد قال به بعض اهل العلم وذهب الجمهور الي ان هذا الارتفاع
المامور بازالته هو ما زاد علي التسنيم ويبقي للقبر ما يعرف
به ويحترم وذلك صفة قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم علي

ما رواه

وفيما صحح علماونا رضي الله عنهم ذكر مالك في الموطا وفي ابي داود ... اليهود و

ما رواه الدارقطني من حديث ابن عباس واما تعلية البنا الكثير
على نحو ما كانت الجاهلية تفعله تفخيما وتعظيما فذلك يهدم
ويزال فان فيه استعمال زينة الدنيا في اول منازل الاخره والتشبه
بمن كان يعظم القبور ويعبدها وباعتبار هذه المعاني وظاهر
النهي ينبغي ان يقال هو حرام والتسنيم في القبر ان تعاعد قدر شبر
ماخوذ من سنام البعير ويرش عليه بالماء لىلا ينتشر بالريح
وقال الشافعي لا باس ان يطين القبر وقال ابو حنيفة لا يجصص
القبر ولا يطين ولا يرفع عليه بنا فيسقط ولا باس بوضع
الاحجار لتكون علامة لما رواه ابو بكر الاثرم قال نا مسدد
نا نوح بن دراج عن ابان بن تغلب عن جعفر بن محمد قال كانت
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تزور قبر حمزة بن
عبد المطلب كل جمعه وعلمته بصخرة ذكره ابو عمر واما الجايزة
فالدفن في التابوت وهو جايز لا سيما في الارض الرخوه وروي
ان دانيال صلوات الله عليه كان في تابوت من حجر وان
يوسف عليه السلام اوصى بان يتخذ له تابوت من زجاج
ويلقى في ركية مخافة ان يعبد وبقي كذلك الى زمان موسى صلوات
الله عليهم اجمعين فدلته عجوز فرفعه ووضعه في حظيرة
اسحق عليه السلام وفي الصحيح عن سعيد بن ابي وقاص انه
قال في مرضه الذي هلك فيه الحدوا لي لحدا وانصبوا علي

الكبير نصبا كما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم اللحد هو ان
يشق في الارض ثم يحفر قبرا آخر في جانب الشق من جانب القبله
ان كانت الارض صلبه يدخل فيه الميت ويسد عليه باللبن
وهو افضل عندنا من الشق لانه الذي اختاره الله لرسوله
عليه السلام وبه قال ابو حنيفه قال السنة اللحد وقال الشافعي
الشق ويكره الاجر في اللحد وقال الشافعي لا باس به لانه نوع
من الحجر وكرهه ابو حنيفه واصحابه لان الاجر لاحكام البنا
والقبر وما فيه للبلى فلا يليق به الاحكام وعلى هذا يسوي بين
الحجر والآجر قالوا وتستحب اللبن والقصب لما روي انه وضع
على قبر النبي صلى الله عليه وسلم حزمة من قصب وحكي
عن الشيخ الامام ابي بكر محمد بن الفضل الحنفي رحمه الله انه جوز
اتخاذ التابوت في بلادهم لرخاوة الارض وقالوا ان اتخذ تابوت
من حديد لا باس به لكن ينبغي ان يفرش فيه التراب ويطين
الطبقة العليا مما يلي الميت ويجعل اللبن الخفيف على يمين الميت
ويساره ليصير بمنزلة اللحد قلت ومن هذا المعنى جعل القطيفة
في قبر النبي صلى الله عليه وسلم فان المدينة سبخة قال شقران انا
والله طرحت القطيفة تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في القبر قال ابو عيسى الترمذي حديث شقران حديث حسن
صحيح غريب قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم
الضمير

الضمير في سيقولون يراد به اهل التوراة ومعاصري محمد صلى الله
عليه وسلم وذلك انهم اختلفوا في عدد اهل الكهف هذا الاختلاف
المنصوص وقيل المراد به النصارى فان قوما منهم حضروا النبي
صلى الله عليه وسلم من نجران فجرى ذكر اصحاب الكهف فقالت
اليعقوبية كانوا ثلثة رابعهم كلبهم وقالت النسطورية كانوا
خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة ثامنهم
كلبهم وقيل هو اخبار عن اليهود الذين امروا المشركين بمسئلة
النبي صلى الله عليه وسلم عن اصحاب الكهف والواو في قولهم وثامنهم
كلبهم طريق النحويين انها واو عطف دخلت في اخر اخبار عن
عددهم لينفصل امرهم وتدل على ان هذا نهاية ما قيل ولو سقطت
لصح الكلام وقالت فرقة منها ابن خالويه هي واو الثمانية وحكى
الثعلبي عن ابي بكر بن عياش ان قريشا كانت تقول في عددها
ستة سبعة وثمانية فتدخل الواو في الثمانية وحكى نحوه
القفال يقال ان قوما قالوا العدد ينتهي عند العرب الى سبعة
فاذا احتيج الى الزيادة عليها استونف خبر اخر بادخال الواو
كقوله التايبون العابدون ثم قال والناهون عن المنكر والحافظو
يدل عليه انه لما ذكر ابواب جهنم حتى اذا جاوها فتحت ابوابها
ولما ذكر الجنة قال وفتحت بالواو وقال خيرا منكن مسلمات ثم
قال وابكارا فالسبعة نهاية العدد عندهم كالعشرة الان عندنا

قال القشيري ابو نصر ومثل هذا الكلام تحكم ومن اين السبعه نهايه
عندهم ثم هو منقوض بقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك
القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ولم يذكر الثامن
بالواو وقال قوم ممن صار الى ان عددهم انما ذكر الواو في قوله
سبعة وثامنهم لينبه على ان هذا العدد هو الحق وانه مباين
للاعداد الاخر التي قال فيها اهل الكتاب ولهذا قال تعالى في الجملتين
المتقدمتين رجما بالغيب ولم يذكره في الجمله الثالثه ولم يقدح
فيها بشي فكانه قال لنبيه هم سبعة وثامنهم كلبهم والرجم
القول بالظن يقال لكل ما يخرص رجم به ومرجوم ومرجم كما قال
وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم
قلت قد ذكر الماوردي والغزنوي وقال ابن جريج ومحمد بن اسحق
كانوا ثمانية وجعلا قوله تعالى وثامنهم كلبهم اي صاحب كلبهم
وهذا مما يقوي طريق النحويين في الواو وانها كما قالوا وقال
القشيري لم يذكر الواو في قوله رابعهم سادسهم ولو كان بالعكس
لكان جايزا فطلب الحكمه والعلة في مثل هذه الواو تكلف بعيد
وهو كقوله في موضع اخر وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم
وفي موضع اخر الا لها منذرون ذكرى قوله تعالى قل
ربي اعلم بعدتهم امر الله تعالى نبيه عليه السلام في هذه
الايه ان يرد علم عدتهم اليه عز وجل ثم اخبر ان عالم ذلك
من البشر

الاثم

يلح

من البشر قليل والمراد به قوم من اهل الكتاب في قول عطا وكان
ابن عباس يقول انا من ذلك القليل وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم
ثم ذكر السبعة باسمايهم والكلب اسمه قطمير كلب انمر فوق
القلطي ودون الكردي وقال محمد بن سعيد بن المسيب هو كلب
صيني والصحيح انه زبيري وقال ما بقي بنيسابور محدث الا
كتب عني هذا الحديث الا من لم يقدر له قال ابو عمرو
الحيري يعني قوله تعالى فلا تمار فيهم الا مرا ظاهرا اي لا
تجادل في اصحاب الكهف الا بما اوحيناه اليك وهو رد علم عدتهم
الى الله تعالى وقيل معنى المرا الظاهر ان يقول الحبس كما يقولون
ونحو هذا ولا يحتج على امر مقدر في ذلك وفي هذا دليل على ان
الله لم يبين لاحد عددهم فلهذا قال الا مرا ظاهرا اي ذاهبا كما قال
وتلك شكاة ظاهر عنك عارها ولم يبح له في هذه الاية ان
يماري ولكن قوله الا مرا استعارة من حيث يماريه اهل
الكتاب سميت مراجعته لهم مرا ثم قيد بانه ظاهر ففارق
المرا الحقيقي المذموم والضمير في قوله فيهم عايد على اهل
الكهف وفي قوله منهم عايد على اهل الكتاب المعارضين وقوله
فلا تمار فيهم يعني في عدتهم وحذفت العدة لدلالة ظاهر
القول عليها قوله تعالى ولا تستفت فيهم منهم احدا
روي انه عليه السلام سال نصارى نجران عنهم فنهي عن السوال

وفي هذا دليل على منع المسلمين من مراجعة اهل الكتاب في شي
من العلم قوله تعالى ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان
يشا الله فيه مسئلتان الاولى قال العلما عاتب الله تعالى نبيه عليه
السلام على قوله للكفار حين سالوه عن الروح والفتية وذي القرنين
غدا اخبركم بجواب اسولتكم ولم يستثن في ذلك فاحتبس الوحي عنه
خمسة عشر يوما حتى شق ذلك عليه وارجف الكفار به فنزلت
عليه هذه السورة مفرجة وامر في هذه الاية ان لا يقول في امر
من الامور اني افعل غدا كذا وكذا الا وان يعلق ذلك بمشية الله عز وجل
حتى لا يكون محققا لحكم الخبر فانه اذا قال لافعلن ذلك ولم يفعل
كان كاذبا واذا قال لافعلن ذلك ان شا الله خرج عن ان يكون
محققا للمخبر عنه واللام في قوله لشي بمنزلة في او كانه قال
لاجل شي الثانية قال ابن عطية وتكلم الناس في هذه الاية في
الاستثنا في اليمين والاية ليست في الايمان وانما هي في سنة
الاستثنا في غير اليمين وقوله الا ان يشا الله في الكلام حذف
يقتضيه الظاهر ويحسنه الايجاز تقديره الا ان تقول الا
ان يشا الله او الا ان تقول ان شا الله فالمعنى الا ان تذكر مشية
الله فليس الا ان يشا الله من القول الذي نهي عنه قلت ما
اختاره ابن عطية وارتضاه هو قول الكساي والفرا والاخفش
وقال البصريون المعنى الا بمشية الله فاذا قال الانسان اني

افعل

افعل هذا ان شا الله فمعناه بمشية الله قال ابن عطية وقالت فرقة الا ان يشا الله استثنا من قوله ولا تقولن قال ع وهذا قول حكاه الطبري ورد عليه وهو من الفساد بحيث كان الواجب ان لا يحكي وقد تقدم القول في الاستثنا في اليمين وحكمه في المايده قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت فيه مسلة واحده وهو الامر بالذكر بعد النسيان واختلف في الذكر المامور به فقيل هو قوله وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا قال محمد الكوفي في المفسر انها بالفاظها مما امران يقولها كل من لم يستثن وانها كفارة لنسيان الاستثنا وقال الجمهور هو دعا ماموربه دون هذا التخصيص وقيل هو قوله ان شا الله الذي كان نسيه عند يمينه حكي عن ابن عباس انه ان نسي الاستثنا ثم ذكر ولو بعد سنه لم يحنث ان كان حالفا وهو قول مجاهد وحكى اسماعيل بن اسحق ذلك عن ابي العاليه في قوله واذكر ربك اذا نسيت قال يستثني اذا ذكر الحسن ما دام في مجلس الذكر ابن عباس سنتين ذكره الغزنوي قال فيحمل على تدارك التبرك بالاستثنا للتخلص عن الاثم فاما الاستثنا المعتبر حكما فلا يصح الا متصلا السدي اي كل صلاة نسيتها اذا ذكرها وقيل استثني باسمه لئلا تنسى وقيل اذكره متى نسيته وقيل اذا نسيت شيا فاذكره يذكركه وقيل اذكره اذا نسيت غيره

الغير

او نسيت نفسك فذلك حقيقة الذكر وهذه الاية مخاطبة للنبي صلى
الله عليه وسلم وهي استفتاح كلام على الاصح وليست من الاستثنا
في اليمين بشي وهي بعد تعم جميع امته لانه حكم يتردد في الناس
لكثرة وقوعه والله الموفق قوله تعالى ولبثوا في كهفهم
الاية هذا خبر من الله تعالى عن مدة لبثهم وفي قراة ابن مسعود
وقالوا لبثوا قال الطبري ان بني اسرايل اختلفوا فيما مضى لهم من
المدة بعد الاعثار عليهم الى مدة النبي صلى الله عليه وسلم فقال
بعضهم انهم لبثوا ثلثماية سنة وتسع سنين فاخبر الله تعالى نبيه
ان هذه المدة في كونهم نياما وان ما بعد ذلك مجهول للبشر فامر
الله ان يرد علم ذلك اليه قال ابن عطية فقوله على هذا لبثوا
الاول يريد في يوم الكهف ولبثوا الثاني يريد بعد الاعثار الى
مدة محمد صلى الله عليه وسلم او الى وقت عدمهم بالبلا مجاهد
الى وقت نزول القران الضحاك الى ان ماتوا وقال بعضهم انه لما
قال وازدادوا تسعا لم يدر الناس اهي ساعات ام ايام ام جمع
ام شهور ام اعوام واختلف بنو اسرايل بحسب ذلك فامر
الله برد العلم اليه في التسع فهي على هذا مبهمة وظاهر كلام العرب
المفهوم منه انها اعوام والظاهر من امرهم انهم قاموا ودخلوا
الكهف بعد عيسى بيسير وقد بقيت من الحواريين بقية وقيل
غير هذا على ما ياتي قال القشيري لا يفهم من التسع تسع ليال

وتسع

وتسع ساعات لم تسنوذكر السنين كما تقول عندي مايه درهم
وخمسة والمفهوم منه خمسة دراهم وقال ابو علي وازدادوا
اي ازدادوا لبث تسع فحذف وقال الضحاك لما انزلت
ولبثوا في كهفهم ثلاث مايه قالوا سنين ام شهور ام اياما
فانزل الله جل وعز سنين وحكا النقاش ما معناه انهم لبثوا
ثلاث مايه سنه شمسيه بحساب الامم فلما كان الاخبار
هنا للنبي العربي ذكرت التسع اذ المفهوم عنده من
السنين القمريه فهذه الزياده ما بين الحسابين ونحوه ذكر
الغزنوي اي باختلاف سني الشمس لانه يتفاوت في كل
ثلاث وثلاثين وثلث سنة سنة فيكون في ثلاث مايه
تسع سنين وقرا الجمهور ثلاث مايةٍ سنين بالتنوين مايه ونصب
سنين على التقديم والتاخير اي سنين ثلاث مايه فقدم
الصفه على الموصوف فتكون سنين على هذا بدلا او عطف
بيان وقيل على التفسير والتمييز وسنين في موضع سنه
وقرا حمزه والكسائي باضافه مايه الى سنين وترك التنوين كانهم
جعلوا سنين بمنزله سنه اذ المعني بهما واحد قال ابو علي
هذه الاعداد التي تضاف في المشهور الى الاحاد نحو

ثلثمايه رجل وثوب فلا تضاف الي الجموع وفي مصحف عبد الله ثلثمايه سنة
وقرا الضحاك ثلثمايه سنون بالواو وقرا ابو عمرو بخلاف تسعا بفتح
التا وقرا الجمهور بكسرها وقال الفرا والكساي وابو عبيدة التقدير
ولبثوا في كهفهم سنين ثلثمايه قوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا
قيل بعد موتهم الي نزول القران فيهم علي قول مجاهد او الي ان ماتوا
علي قول الضحاك او الي وقت تغيرهم بالبلي علي ما تقدم وقيل بما لبثوا
في الكهف وهي المدة التي ذكرها الله تعالى عن اليهود ان ذكروا زيادة
ونقصانا اي لا يعلم علم ذلك الا الله ومن علمه ذلك له غيب السموات
والارض قوله تعالى ابصر به واسمع اي ابصره واسمعه قال قتادة
لا احد ابصر من الله ولا اسمع وهذه عبارات عن الادراك ويحتمل
ان يكون المعنى ابصر به اي بوحيه وارشاده هداك وحججك والحق
من الامور واسمع به العالم فيكونان امرين لا علي وجه التعجب وقيل
المعنى اسمعهم وابصرهم ما قال الله فيهم ما لهم من دونه من ولي
اي لم يكن لاصحاب الكهف ولي يتولى حفظهم دون الله ويحتمل ان
يعود الضمير في لهم علي معاصري محمد صلى الله عليه وسلم من الكفار
والمعنى ما لهولاء المختلفين في مدة لبثهم ولي دون الله يتولى
تدبير امرهم فكيف يكونون اعلم منه او كيف يتعلمون من غير
اعلامه اياهم قوله تعالى ولا يشرك في حكمه احدا قرئ
بالياء ورفع الكاف علي معنى الخبر عن الله تعالى وقرا ابن عامر
والحسن

والحسن وابو رجا وقتادة والجحدري ولا تشرك بالتا من فوق
واسكان الكاف على جهة النهي صلى الله عليه وسلم ويكون قوله ولا
تشرك عطفا على قوله ابصر واسمع وقرا مجاهد يشرك بالياء من تحت
والجزم قال يعقوب لا اعرف وجهه مسلة اختلف في اصحاب
الكهف هل ماتوا وفنوا او هم نيام واجسادهم محفوظة فروى
عن ابن عباس انه مر بالشام في بعض غزواته مع ناس على موضع
الكهف وجبله فمشى الناس معه اليه فوجدوا عظاما فقالوا
هذه عظام اصحاب الكهف فقال لهم ابن عباس اوليك قوم فنوا وعدموا
منذ مدة طويلة فسمعه راهب فقال ما كنت احسب ان احدا
من العرب يعرف هذا فقيل له هذا ابن عم نبينا صلى الله عليه وسلم
وروت فرقة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليحجن عيسى بن مريم
ومعه اصحاب الكهف فانهم لم يحجوا بعد ذكره ابن عطية قلت
ومكتوب في التوراة والانجيل ان عيسى بن مريم عبد الله ورسوله
وانه يمر بالروحا حاجا او معتمرا او يجمع الله له ذلك فيجعل الله
حواريه اصحاب الكهف والرقيم فيمرون حجاجا فانهم لم يحجوا
ولم يموتوا وقد ذكرنا هذا الخبر بكماله في كتاب التذكرة فعلى هذا
هم نيام ولم يموتوا الى يوم القيامة بل يموتون قبل الساعة
قوله تعالى واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته
قيل هو من تمام قصة اصحاب الكهف اي اتبع القران فلا مبدل

لكلمات الله ولا خلف فيما اخبر به من قصة اصحاب الكهف وقال الطبري
لا مغير لما اوعد بكلماته اهل معاصيه والمخالفين لكتابه ولن تجد انت
من دونه ان لم تتبع القران وخالفته ملتحدا اي ملجا وقيل موئلا
واصله الميل ومن لجات اليه فقد ملت اليه قال القشيري ابو نصر عبد
الرحيم وهذا اخر قصة اصحاب الكهف ولما غزا معاويه غزوة
المضيق نحو الروم وكان معه ابن عباس فانتهى الى الكهف الذي فيه
اصحاب الكهف فقال معاويه لو كشف لنا عن هولاء فننظر اليهم
فقال ابن عباس قد منع الله من هو خير منك عن ذلك فقال لو
اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال لا انتهي حتى اعلم علمهم
وبعث قوما لذلك فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فاخرجتهم
ذكره الثعلبي ايضا وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم سال الله ان
يريه اياهم فقال انك لن تراهم في دار الدنيا ولكن ابعث اليهم
اربعة من خيار اصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم الى الايمان
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل كيف ابعثهم فقال ابسط كساك
واجلس على طرف من اطرافه ابا بكر وعلى الطرف الاخر عمر وعلى
الثالث عثمان وعلى الرابع علي بن ابي طالب ثم ادع الريح الرخا
المسخره لسليمان فان الله تعالى يامرها ان تطيعك ففعل فحملتهم
الريح الى باب الكهف فقلعوا منه حجرا فحمل الكلب عليهم فلما راهم
حرك راسه وبصبص بذنبه واوما اليهم براسه ان ادخلوا

فدخلوا الكهف

فدخلوا الكهف فقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد
الله على الفتية ارواحهم فقاموا باجمعهم وقالوا وعليكم السلام ورحمة
الله وبركاته فقالوا لهم يا معشر الفتية ان النبي محمد بن عبد الله صلى الله
عليه وسلم يقرا عليكم السلام فقالوا وعلى محمد رسول الله السلام ما
دامت السموات والارض وعليكم بما بلغتم وقبلوا دينه واسلموا ثم
قالوا اقروا محمدا رسول الله منا السلام واخذوا مضاجعهم وصاروا الى
رقدتهم الى اخر الزمان عند خروج المهدي فقال ان المهدي يسلم عليهم فيحييهم
الله ثم يرجعون الى رقدتهم فلا يقومون حتى يوم الساعة فاخبر جبريل رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما كان منهم ثم ردتهم الريح فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم لا تفرق بيني وبين اصحابي واصهاري واغفر لمن احبني واحب اهل بيتي وخاصتي
واصحابي وقيل اصحاب الكهف دخلوا الكهف قبل المسيح واخبر الله المسيح
بخبرهم ثم بعثوا في الفترة التي بين عيسى والنبي صلى الله عليه وسلم وقيل كانوا قبل
موسى ذكرهم في التوراة ولهذا سالت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
دخلوا الكهف بعد المسيح والله اعلم اي ذلك كان قوله
تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي هذا مثل قوله ولا
تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في سورة الانعام وقد مضى الكلام فيه
وقال سلمان الفارسي جاءت المؤلفة قلوبهم الى النبي صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن
والاقرع بن حابس فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هولا

وارواح جبابهم يعنون سلمان واباذر وغيرهما من المسلمين وكانت عليهم جباب الصوف
ولم يكن عليهم غيرها جلسنا اليك وحادثناك واخذنا عنك فانزل الله عز وجل
واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا واصبر نفسك
مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه حتى بلغ انا اعتدنا للظالمين نارا
يتهددهم بالنار فقام النبي صلى الله عليه وسلم يلتمسهم حتى اصابهم في مؤخر المسجد يذكرون
الله فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر مع رجال من امتي معكم المحيا ومعكم
الممات يريدون وجهه اي طاعته وقرا نصر بن عاصم ومالك بن دينار وابو عبد الرحمن
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وجميعها في السواد بالواو ولا يكاد العرب
يقول الغدوة لانها معرفة وروي عن الحسن ولا تعد عينيك عنهم اي لا تجاوز عينيك
الى غيرهم من ابناء الدنيا طلبا لزينتها حكاه اليزيدي وقيل لا تحتقرهم عيناك كما يقال فلان
تنبو عنه العين اي مستحقرا تريد زينة الحياة الدنيا اي تتزين بمجالسة هولاء الرؤسا
الذين اقترحوا ابعاد الفقراء من مجلسك ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم ان يفعل ذلك
ولكن الله نهاه عن ان يفعله وليس هذا باكثر من قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وان كان
الله اعاذه من الشرك وتريد فعل مضارع في موضع الحال اي لا تعد عيناك مريدا كقول
امرئ القيس   فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا
وزعم بعضهم ان حق الكلام لا تعد عينيك عنهم لان تعد متعد بنفسه قيل له والذي وردت
به التلاوة رفع العين يؤول الى معنى النصب فيها اذا كان لا تعد عيناك عنهم
بمنزلة لا تنصرف عيناك عنهم ومعنى لا تنصرف عيناك عنهم لا تصرف عينيك عنهم فالفعل مسند
الى العينين وهو في الحقيقة موجه الى النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى فلا تعجبك اموالهم
فاسند الاعجاب الى الاموال والمعنى لا تعجب يا محمد اموالهم ويزيدك وضوحا قول

الزجاج ان المعنى لا تصرف بصرك عنهم الى غيرهم من ذوى الهيئات والزينة قوله
تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا روى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس
في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا قال نزلت في امية بن خلف الجمحي وذلك
انه دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى امر كرهه من تجرد الفقراء عنه وتقريب صناديد
اهل مكة فانزل الله ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني من ختمنا على قلبه
عن التوحيد واتبع هواه يعني الشرك وكان امره فرطا فقيل هو التفريط
الذي هو التقصير وتقديم العجز بترك الايمان وقيل من الافراط ومجاوزة الحد وكان
القوم قالوا نحن اشراف مضر ان اسلمنا اسلم الناس وكان هذا من التكبر والافراط
في القول وقيل فرطا اي قدما في الشر من قولهم فرط منه امر اي سبق وقيل معنى
اغفلنا قلبه وجدناه غافلا كما تقول لقيت فلانا فاحمدته اي وجدته محمودا
وقال عمرو بن معدي كرب لبني الحارث بن كعب والله لقد سالناكم فما ابخلناكم وقاتلناكم
فما اجبناكم وهاجيناكم فما افحمناكم اي ما وجدناكم بخلا ولا مفحمين وقيل نزلت
ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا في عيينة بن حصن الفزاري ذكره عبد الرزاق وحكاه
النحاس عن سفيان الثوري والله اعلم قوله تعالى وقل الحق من ربكم
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الحق رفع على خبر ابتداء مضمر اي قل هو الحق وقيل هو رفع
على الابتداء وخبره في قوله من ربكم ومعنى الآية قل يا محمد لهؤلاء الذين اغفلنا قلوبهم عن
ذكرنا ايها الناس من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال
يهدي من يشاء فيؤمن ويضل من يشاء فيكفر ليس الي من ذلك شيء فالله يؤتي الحق من يشاء وان كان
ضعيفا ويحرمه من يشاء وان كان قويا غنيا ولست بطارد المؤمنين لهواكم فان شئتم فآمنوا
وان شئتم فاكفروا وليس هذا بترخيص وتخيير بين الايمان والكفر وانما هو وعيد وتهديد اي
ان كفرتم فقد اعد لكم النار وان آمنتم فلكم الجنة قوله تعالى

انا اعتدنا للظالمين اي الجاحدين الجاحدين نارا احاط بهم سرادقها قال الجوهري
السرادق واحد السرادقات التي تمد فوق صحن الدار وكل بيت من كرسف فهو
سرادق قال روبة يا حكم بن المنذر بن الجارود سرادق المجد عليك ممدود
يقال بيت مسردق وقال سلامة بن جندل يذكر ابرويز وقتله النعمان بن المنذر تحت
ارجل الفيلة هو المدخل النعمان بيتا سماؤه صدور الفيول بعد بيت مسردق
وقال ابن الاعرابي سرادقها سورها وعن ابن عباس حائط من نار وقال الكلبي عنق
يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة القتبي السرادق الحجرة التي تكون حول
الفسطاط وقاله ابن عزيز وقيل هو دخان يحيط بالكفار يوم القيامة وهو الذي ذكره
الله في سورة المرسلات حيث يقول انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب وقوله وظل من
يحموم قاله قتادة وقيل انه البحر المحيط بالدنيا وروى يعلى بن امية قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم البحر هو جهنم ثم تلا نارا احاط بهم سرادقها ثم قال والله لا
ادخلها ابدا ما دمت حيا ولا يصيبني منها قطرة ذكره الماوردي وخرج ابن المبارك
من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسرادق النار اربع جدر
كثف كل جدار مسيرة اربعين سنة وخرجه ابو عيسى الترمذي وقال حديث صحيح غريب
قلت وهذا يدل على ان السرادق ما يعلو الكفار من دخان او نار وجدره
ما وصف قوله سبحانه تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل قال ابن
عباس المهل ماء غليظ مثل دردي الزيت مجاهد القيح والدم الضحاك ماء اسود وان
جهنم لسوداء وماؤها اسود وشجرها سود واهلها سود وقال ابو عبيدة
هو كل ما اذيب من جواهر الارض من حديد ورصاص ونحاس وقزدير فتموج بالغليان
فذلك المهل ونحوه عن ابن مسعود وقال سعيد بن جبير هو الذي قد انتهى حره

وقال المهل ضرب من القطران تعالى يطلى به البعير ويهول وقيل هو السم والمعنى في
هذه الأقوال متقارب وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كالمهل قال
كعكر الزيت فإذا قرب إلى وجهه سقطت فروة وجهه قال أبو عيسى قال أبو عيسى
هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد ورشدين قد تكلم فيه من قبل حفظه
وخرج عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال
يقرب إليه فيتكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا
شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم
يقول وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا
قال حديث غريب قلت ـــــــ وهذا يدل على صحة تلك الأقوال وأنها
مرادة والله أعلم وقد نص عليها أهل اللغة في الصحاح المهل النحاس المذاب
ابن الأعرابي المهل المذاب من الرصاص وقال أبو عمرو المهل دردي الزيت
والمهل أيضا القيح والصديد وفي حديث أبي بكر ادفنوني في ثوبي هذين
فإنهما للمهل والتراب ومرتفقا قال معناه مجتمعا كأنه ذهب إلى معنى
المرافقة ابن عباس منزلا عطاء مقرا وقيل مهادا وقال القتبي مجلسا
والمعنى متقارب وأصله من المتكأ يقال منه ارتفقت أي اتكأت على المرفق
قال الشاعر قالت له وارتفقت ألا فتى يسوق بالقوم غزالات الضحى
ويقال ارتفق الرجل إذا نام على مرفقه لا يأتيه نوم قال أبو ذؤيب الهذلي
نام الخلي وبت الليل مرتفقا كأن عيني فيها الصاب مذبوح
الصاب عصارة شجر مر قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا
الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا لما ذكر ما أعد للكافرين من الهوان
ذكر أيضا ما للمؤمنين من الثواب وفي الكلام إضمار أي لا نضيع أجر من أحسن منهم
عملا فأما من أحسن عملا من غير المؤمنين فعمله محبط وعملا نصب على التمييز وإن

سبب بادعاء احسن عمله وقيل انا لا نضيع اجر من احسن عملا كلام معترض
والخبر قوله اولئك لهم جنات عدن وجنات عدن من الجنة اي وسطها وسائر
الجنان محدقة بها وذكر بلفظ الجمع لسعتها لان كل بقعة منها تصلح ان تكون
جنة وقيل العدن الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به وعدنت البلد
توطنته وعدنت الابل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه ومنه جنات عدن اي جنات
اقامة ومنه سمي المعدن بكسر الدال لان الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء ومركز
كل شيء معدنه والعادن الناقة المقيمة في المرعى وعدن بلد قاله الجوهري تجري من تحتهم
الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب وهو جمع سوار قال ابن جبير
على كل واحد منهم ثلاثة اسورة واحد من ذهب وواحد من ورق وواحد من لؤلؤ
قلت هذا منصوص في القرآن لقوله هنا من ذهب وقال في الحج وفاطر
من ذهب ولؤلؤا وفي الانسان فضة وقال ابو هريرة سمعت خليلي رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء خرجه مسلم وحكى الفراء يحلون
فيها بفتح الياء وسكون الحاء وفتح اللام خفيفة يقال حليت المراة تحلى فهي حالية اذا لبست
الحلي وحلي الشيء بعيني يحلى ذكره النحاس والسوار سوار المراة والجمع اسورة وجمع
الجمع اساورة وقرئ فلولا القي عليه اساورة من ذهب قاله الجوهري وقال ابن عزيز
اساور جمع اسورة واسورة جمع سوار وسوار وهو الذي يلبس في الذراع من ذهب فان كان
من فضة فهو قلب وجمعه قلبة فان كان من قرن او عاج فهي مسكة وجمعه مسك قال النحاس
وحكى قطرب في واحد الاساور اسوار وقطرب صاحب شذوذ قد تركه يعقوب وغيره فلم
يذكره قلت قد جاء في الصحاح وقال ابو عمرو بن العلاء واحدها اسوار وقال
المفسرون لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الاساور والتيجان جعل الله ذلك
لاهل الجنة قوله تعالى ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق

السندس

السندس الرقيق المحض واحدة سندسة قاله الكسائي والاستبرق ما ثخن منه
عن عكرمة أو هو الحرير قال الشاعر   تراهن يلبسن المشاعر مرة
واستبرق الديباج طورا لباسها   فالاستبرق الديباج ابن بحر المنسوج ح
بالذهب المغني قال ابن قتيبة الجوهري وتصغيرها ابيرق وقيل هو استفعل
من البرق والصحيح انه وفاق بين اللغتين اذ ليس في القرآن ما ليس من لغة العرب
على ما نعلم والله اعلم وخص الاخضر لانه الموافق للبصر لان البياض يبدد البصر
ويؤلم السواد يورث والخضرة بين البياض والسواد وذلك يجمع الشعاع روى
النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ جاء رجل فقال يا رسول الله اخبرنا عن ثياب الجنة أتخلق خلقا أو تنسج
نسجا فضحك بعض القوم فقال لهم مم تضحكون ان جاهلا سأل عالما فجلس يسيرا
او قليلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين السائل عن ثياب الجنة فقال
ها هو ذا انا يا رسول الله قال لا بل تشقق عنها ثمر الجنة قالها ثلاثا قال
ابو هريرة دار المؤمن درة مجوفة في وسطها شجرة تنبت الحلل ويأخذ باصبعه
او قال باصبعيه سبعين حلة منظمة باللؤلؤ والمرجان ذكره يحيى بن سلام في تفسيره
وابن المبارك في رقائقه وقد ذكرنا اسناده في كتاب التذكرة وذكر في الخبر
انه يكون على كل واحد منهم الحلة لها وجهان لكل وجه لون يتكلمان بصوت يستحسنه
سامعه يقول احد الوجهين للآخر انا اكرم على ولي الله منك انا الي جسده
وانت لا تلي ويقول الآخر انا اكرم على ولي الله منك انا ابصر وجهه وانت لا تبصر
قوله تعالى متكئين فيها على الارائك الارائك جمع اريكة وهي
السرر في الحجال وقيل الفرش في الحجال قال الزجاج ابن عباس هي الاسرة من ذهب وهي
مكللة بالدر والياقوت عليها الحجال الاريكة ما بين صنعاء الى ايلة وما بين عدن الى الجابية

وأصل متكئ موتكئ ولذلك اتكأ أصله اوتكأ وأصل التكأة وكأة ومنه
التوكؤ للتحامل على الشيء فقلبت الواو تاء وأدغمت ورجل تكأة كثير الاتكاء نعم الثواب
وحسنت مرتفقا يعني الجنات عكس وساءت مرتفقا وقد تقدم ولو كان بغير الحجاز
لكان اسم للخيمة وعلى هذا وحسنت مرتفقا وروى البراء بن عازب أن أعرابيا قام إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف على
ناقته العضباء فقال إني رجل مسلم فأخبرني عن هذه الآية إن الذين آمنوا وعملوا
الصالحات الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنت منهم ببعيد ولا هم ببعيد منك
هم هؤلاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فأعلم قومك أن هذه الآية نزلت فيهم ذكره
الماوردي وأسنده النحاس في كتاب معاني القرآن قال حدثنا أبو عبد الله أحمد بن علي
بن سهل قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا يحيى بن الضريس عن زهير بن معاوية عن أبي إسحق عن
البراء بن عازب قال قام أعرابي فذكره وأسنده السهيلي في كتاب الإعلام وقد رويناه
جميع ذلك بالإجازة والله أعلم قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين
هذا مثل لمن يتعزز بالدنيا ويستنكف عن مجالسة المؤمنين وهو متصل بقوله واصبر نفسك
واختلف في اسم هذين الرجلين وتعيينهما فقال الكلبي نزلت في أخوين من أهل مكة
مخزوميين أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو
بن مخزوم زوج أم سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم والآخر كافر وهو الأسود بن عبد الأسد
وهما الأخوان المذكوران في سورة والصافات في قوله قال قائل منهم إني كان لي قرين ورث
كل واحد منهما أربعة آلاف دينار فأنفق أحدهما ماله في سبيل الله وطلب من أخيه شيئا
فقال ما قال ذكره الثعلبي والقشيري وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأهل مكة
وقيل هو مثل لجميع من آمن بالله وجميع من كفر وقيل هو مثل لعيينة بن حصن وأصحابه مع
سلمان وصهيب وأصحابه شبههم الله برجلين من بني إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه

يهوذا في قول ابن عباس وقال مقاتل اسمه تمليخا والآخر كافر واسمه فرطوس
وهما الملكان وصفهما الله في سورة والصافات ولذا ذكر محمد بن الحسن المقرئ
قال اسم الخير منهما تمليخا والآخر فرطوس وانهما كانا شريكين اقتسما المال
فصار لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار فاشترى المؤمن منهما عبيدا بألف دينار
واعتقهم وبالألف الثانية ثيابا فكسى العراة وبالألف الثالثة طعاما فاطعم
الجوع وبنى ايضا مساجد وفعل خيرا واما الآخر فنكح بماله نساء ذوات يسار
واشترى دواب وبقرا فاستنتجها فنمت له نماء مفرطا واتجر بباقيها فربح حتى
فاق اهل زمانه غنى وادرك الاول الحاجة فاراد ان يستأجر نفسه في جنة يخدمها
فقال لو ذهبت لشريكي وصاحبي فسألته ان يستخدمني في بعض جناته رجوت
ذلك اصلح بي فجاءه فلم يكد يصل اليه من غلظ الحجاب فلما دخل عليه وعرفه وسأله
حاجته فقال له ألم اكن قاسمتك المال شطرين فما صنعت بمالك قال
اشتريت به من الله تعالى ما هو خير منه وابقى فقال أإنك لمن المصدقين ما اظن الساعة
قائمة وما اراك الا سفيها وما جزاؤك عندي على سفاهتك الا الحرمان
او ما ترى ما صنعت انا بمالي حتى آل الى ما تراه من الثروة وحسن الحال وذلك
اني كسبت وسفهت انت اخرج عني ثم كان من قصة هذا الغني ما ذكره الله في القرآن
من الاحاطة بثمره وذهابها اصلا بما ارسل عليها من السماء من الحسبان وقد ذكر
الثعلبي هذه القصة بلفظ آخر والمعنى متقارب قال عطاء كانا شريكين لهما ثمانية
آلاف دينار وقيل ورثاه من ابيهما وكانا اخوين فاقتسماها فاشترى احدهما ارضا
بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى ارضا بالف دينار واني
قد اشتريت منك ارضا في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه بنى دارا
بالف دينار فقال اني اشتريت منك دارا في الجنة بالف دينار فتصدق بالف دينار

ثم تزوج امراة وانفق عليها الف دينار واني اخطب اليك من نساء الجنة بالف دينار
فتصدق بالف دينار ثم اشترى خدما ومتاعا بالف دينار فقال اللهم ان فلانا
اشترى خدما ومتاعا بالف دينار واني اشتري منك خدما ومتاعا من الجنة بالف
دينار فتصدق بالف دينار ثم اصابته حاجة شديدة فقال لعل صاحبي ينالني معروفه
فاتاه فقال ما فعل مالك فاخبره قصته فقال وانك لمن المصدقين بهذا الحديث والله
لا اعطيك شيئا ثم قال له انت تعبد اله السماوات وانا لا اعبد الا صنما فقال صاحبه
والله لاعظنه فوعظه وذكره وخوفه فقال سر بنا نصطاد السمك فمن صاد اكثر
فهو على حق فقال له يا اخي ان الدنيا احقر عند الله من ان يجعلها ثوابا لمحسن او عقابا
لكافر فاكرهه على الخروج معه فابتلاهما الله فجعل الكافر يرمي شبكته ويسمي باسم صنمه
فتطلع متدفقة سمكا وجعل المؤمن يرمي شبكته ويسمي باسم الله فلا يطلع له فيها شيء فقال
له الكافر انا اكرم منك في الدنيا نصيبا ومنزلة ونفرا كذلك اكون افضل منك في
الاخرة ان كان ما تقول بزعمك حقا قال فضج الملك الموكل بهما فامر الله تعالى جبريل ان
ياخذه فيذهب به الى الجنان فيريه منازل المؤمن فيها فلما راى ما اعد الله له قال
وعزة ربي ما ضره ما ناله من الدنيا بعد ما يكون مصيره الى هذا واراه منازل الكافر
في جهنم فقال وعزة ربي لا ينفعه ما اصابه من الدنيا بعد ان يكون مصيره الى هذا ثم ان الله تعالى
توفى المؤمن واهلك الكافر بعذاب من عنده فلما استقر المؤمن في الجنة وراى ما اعد الله
له اقبل هو واصحابه يتساءلون فقال اني كان لي قرين يقول انك لمن المصدقين الاية فنادى
مناد يا اهل الجنة هل انتم مطلعون فاطلع الى جهنم فراه في سواء الجحيم فنزلت واضرب
لهم مثلا رجلين فبين الله حال الاخوين في الدنيا في هذه السورة وبين حالهما في الاخرة
في سورة والصافات في قوله فقال اني كان لي قرين يقول انك لمن المصدقين الى قوله
لمثل هذا فليعمل العاملون قال ابن عطية وذكر ابراهيم بن القاسم الكاتب في كتابه في
عجائب البلاد ان بحيرة تنيس كانت اجنة لاخوين فباع احدهما

نص

لصبر للاخر واسرع في طاعة الله حتى يعرف الاخر حرث بينهما المحاورة نحو قرية
للناس في لليل واياها عن بدو الاية وقد قيل ان هذا مثل ضربه الله لهذه الامة
وليس بخبر عن حال معينة ليزهدوا في الدنيا ويرغبوا في الاخرة وجعلها رجلا
واحدا اذ ذكر الماوردي وسياق الاية يدل على خلاف هذا والله اعلم ○
قوله تعالى وحففناهما بنخل اي اطفنا بهما من جوانبهما بنخل والحفاف
الجانب وجمعه احفة يقال حف القوم بفلان يحفون حفا اي اطافوا به ومنه حافين
من حول العرش وجعلنا بينهما زرعا اي جعلنا حول الاعناب النخل ووسط الاعناب
الزرع كلتا الجنتين اي كل واحدة من الجنتين اتت اكلها تاما ولذلك لم يقل
اتتا واختلف في لفظ كلتا فقيل هو مثنى وقال اهل البصرة هو
مفرد لان كلا وكلتا في توكيد الاثنين نظير كل في المجموع وهو اسم مفرد غير مثنى فاذا
ولي اسما ظاهرا كان في الرفع والنصب والخفض على حالة واحدة تقول رأيت كلا
الرجلين وجاءني كلا الرجلين ومررت بكلا الرجلين فاذا اتصل بمضمر قلبت الالف ياء تقول
عليهما وقال الفراء هو مثنى وهو ماخوذ من كل فخففت اللام وزيدت الالف للتثنية
وكذلك كلتا للمؤنث ولا يكونان الا مضافين ولا يتكلم بواحد ولو تكلم به لقيل كل
وكلت وكلان وكلتان واحتجوا بقول الشاعر في كلت رجليها سلامى واحدة
كلتاهما مقرونة بزائدة ○ اراد في احدى رجليها فافرد وهذا القول
ضعيف عند اهل البصرة لانه لو كان مثنى لوجب ان تكون الفه في النصب والجر
ياء مع الاسم الظاهر ولان معنى كلا مخالف لمعنى كل لان كلا للاحاطة وكلا يدل على
اسم مخصوص واما هذا الشاعر فانما حذف الالف للضرورة وقدر انها زائدة وما
يكون ضرورة لا يجوز ان يجعل حجة فثبت انه اسم مفرد كمعا الا انه وضع ليدل على
التثنية كما ان قولهم نحن اسم مفرد يدل على الاثنين فما فوقهما يدل على هذا قول جرير
كلا يومي امامة يوم صدق وان لم ياتها الا لماما ○

واخبر عن كلتا بسوم مفرد فافرد الخبر بقوله اتت ولو كان مثنى لقال اتتا ويوها
واختلف في الف كلتا فقال سيبويه الف كلتا للتانيث والتاء بدل من لام
الفعل وهي واو والاصل كلوا وانما ابدلت تاء لان في التاء علم التانيث والالف في
كلتا قد تصير ياء مع المضمر فتخرج عن علم التانيث فصار في ابدال الواو تاء تاكيدا
للتانيث وقال ابو عمرو الجرمي التاء ملحقة والالف لام الفعل وتقديرها عنده فعتل
ولو كان الامر على ما زعم لقالوا في النسب اليها كلتوي فلما قالوا كلوي واسقطوا التا
دل انهم اجروها مجرى التا التي في اخت اذا نسبت اليها اخوي ذكره الجوهري
قال ابو جعفر النحاس واجاز النحويون في غير القران الحمل على المعنى وان
تقول كلتا الجنتين اتتا اكلها والاكل بالضم الثمر من النخل والشجر وكل ما يؤكل
فهو اكل ومنه قوله تعالى اكلها دائم وقد تقدم ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص
قوله تعالى وفجرنا خلالهما نهرا اي اجرينا وشققنا وسط
الجنتين نهرا وكان له ثمر قرا ابو جعفر وشيبة وعاصم ويعقوب وابن ابي اسحق ثمر
بفتح الثاء والميم وكذلك قوله واحيط بثمره جمع ثمرة قال الجوهري الثمرة واحدة
الثمر والثمرات وجمع الثمر ثمار مثل جبل وجبال قال الفراء وجمع الثمار ثمر
مثل كتاب وكتب وجمع الثمر اثمار مثل اعناق وعنق والثمر ايضا المال المثمر يخفف
ويثقل وقرا ابو عمرو وكان له ثمر بضم الثاء واسكان الميم وفسره بانواع المال
والباقون بضمها في الحرفين قال ابن عباس ذهب وفضة واموال وقد مضى
في الانعام نحو هذا مبينا وذكر النحاس حدثنا احمد بن شعيب قال اخبرني عمران بن
بكار قال حدثنا ابن سمير بن العلا الزبيدي قال ثنا شعيب بن اسحق قال حدثنا هرون
قال حدثني ابان عن ثعلب عن الاعمش ان الحجاج قال لو سمعت احدا يقرا وكان له ثمر

لقطعت

لعلقت لساني فقلت للاعشى انا اخذ منك مالك الا ولا نعمة عين وكان يقرا
ثمر وباحل جمع الثمر قال النحاس فالتقدير على هذا القول انه جمع ثمرة
على ثمار ثم جمع ثمارا على ثمر وهو حسن في العربية الا ان القول الاول
اشبه والله اعلم لان قوله كلتا الجنتين آتت اكلها يدل على ان له ثمرا
قوله تعالى فقال لصاحبه وهو
يحاوره اي يراجعه في الكلام ويجاوبه والمحاورة المجاوبة والتحاور
التجاوب ويقال كلمته فما احار الي جوابا انا اكثر منك
مالا واعز نفرا النفر الرهط ما دون العشرة واراد ههنا
الاتباع والخدم والولد حسب ما تقدم بيانه قوله
تعالى ودخل جنته قيل اخذ بيد اخيه المؤمن يطيف به فيها
ويريه اياها وهو ظالم لنفسه اي بكفره وهو جملة في موضع الحال
ومن ادخل نفسه النار بكفره فهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا
انكر فناء الدنيا وما اظن الساعة قائمة اي لا احسب البعث كائنا ولئن
رددت الى ربي اي وان كان بعث فكما اعطاني هذه النعم في الدنيا فسيعطيني
افضل منه لكرامتي عليه وهو معنى قوله لاجدن خيرا منها منقلبا وانما قال ذلك
لما دعاه اخوه الى الايمان بالحشر والنشر وفي مصاحف مكة والمدينة والشام
منهما وفي مصاحف اهل البصرة والكوفة منها على التوحيد والتثنية اولى
لان الضمير اقرب الى الجنتين قوله تعالى قال له صاحبه يهوذا او
تمليخا على الخلاف في اسمه اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم

سواك رجلا وعلى وسل له ان اعرف من هذه الاسما التي لا يشركها
احد يدعون الاعادة وسواك اي جعلك معتدل الخلق والقامة صحيح الاعضا
ذكر الاخفش لكنا هو الله ربي قرا ابو عبد الرحمن السلمي وابو العالية وروي عن الكسائي
لكن هو الله ربي لكن انا هو الله ربي فاضمر اسمها فيها وقرا الباقون لكنا باثبات الالف
قال الكسائي فيه تقديم وتاخير تقديره لكن الله هو ربي انا فحذفت الهمزة من انا طلبا
للخفة لكثرة استعمالها وادغمت احدى النونين في الاخرى وحذفت الف انا في الوصل
واثبتت في الوقف وقال النحاس مذهب الكسائي والفرا والمازني ان الاصل
لكن انا فالقيت حركة الهمزة على نون لكن وحذفت الهمزة وادغمت النون في النون
فالوقف عليها لكنا وهي الف انا لبيان الحركة قال ابو عبيد الاصل لكن انا
فحذفت الالف فالتقت نونان فجاء بالتشديد وانشد الكسائي لهنك من عبسية
لوسيمة على هنوات كاذب من يقولها ن اراد لله انك لوسيمة فاسقط
احد اللامين من لله وحذف الالف من انك وقال اخر فجاء على الاصل
وترمينني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن اياك لا اقلي اي لكن انا قال
ابو حاتم ورووا عن عاصم لكنا هو الله ربي وزعم ان هذا لحن يعني اثبات
الالف في الادراج قال الزجاج اثبات الالف في لكنا هو الله
ربي في الادراج جيد لانه قد حذفت الالف في انا فجاء بها عوضا
قال وفي قراءة ابي لكن انا هو الله ربي وقرا ابن عامر والمسيبي عن نافع

وورش

وورش عن يعقوب لكنا في حال الوصل والوقف معا باثبات الالف قال الشاعر
انا سيف العشيرة فاعرفوني حميدا قد تذريت السناما، وقال الاعشى
فكيف انا وانتحالي القوافي بعد المشيب كفا ذاك عارا، ولا خلاف
في اثباتها في الوقف هو الله ربي هو ضمير القصة والشان والامر
لقوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وقوله قل هو الله احد ولا
اشرك بربي احدا دل مفهومه على ان الاخ الاخر كان مشركا بالله يعبد
غيره ويحتمل انه اراد لا ارى الغنى والفقر الا منه واعلم انه لو اراد
ان يسلب صاحب الايساد نباه قدر عليه وهو الذي اتاني الفقر
ويحتمل انه اراد جحودك البعث مصير الى ان الله تبارك وتعالى
لا يقدر [illegible] فهو تعجيز الرب سبحانه وتعالى ومن عجزه سبحانه
شبهه بخلقه وهو اشراك قوله تعالى ولولا اذ دخلت جنتك
قلت ما شا الله لا قوة الا بالله فيه مسلتان الاولى قوله تعالى
ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شا الله لا قوة الا بالله اي بالقلب
وهو توبيخ ووصية من المومن للكافر ورد عليه اذ قال ما اظن ان
تبيد هذه ابدا وما في موضع رفع تقديره هذه الجنة هي ما شا
الله اي الامر مشية الله تعالى وقيل الجواب مضمر اي ما شا الله
كان وما لا يشا لا يكون لا قوة الا بالله اي ما اجتمع لك من المال
فهو بقدرة الله تعالى وقوته لا بقدرتك وقوتك ولو شا
لنزع البركة عنه فلم تجتمع الثانية قال اشهب قال مالك ينبغي

مطلب
في بيان دخول البيت
والخروج وما يقرأ عند
دخوله وخروجه

لكل من دخل منزله ان يقول هذا وقال ابن وهب قال لي حفص
بن ميسرة رايت على باب وهب بن منبه مكتوبا ما شا الله لا قوة
الا بالله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي هريرة
الا ادلك على كلمة من كنوز الجنه او قال كنز من كنوز الجنه قلت
بلي يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا بالله اذا قالها العبد
قال الله عز وجل اسلم عبدي واستسلم اخرجه مسلم في
صحيحه من حديث ابي موسي رضه فقال يا ابا موسي او يا
عبد الله بن قيس الا ادلك على كلمة من كنز الجنه في رواية على
كنز من كنوز الجنه قلت ما هي يا رسول الله قال لا حول ولا قوه
الا بالله وعنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
ادلك على كلمة من كنوز الجنه قلت بلي فقال لا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم وروي انه من دخل منزله او خرج منه
فقال بسم الله ما شا الله لا قوة الا بالله تنافرت عنه الشياطين
من بين يديه وانزل الله عليه البركات وقالت عايشة
اذا خرج الرجل من منزله فقال بسم الله قال الملك هديت
واذا قال ما شا الله قال الملك كفيت واذا قال لا قوة الا بالله
قال الملك وقيت خرجه الترمذي من حديث انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال يعني اذا خرج
من بيته بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله

يقال له

يقال له كفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان هذا حديث غريب
لا نعرفه الا من هذا الوجه خرجه ابو داود ايضا وزاد فقال
له هديت وكفيت ووقيت واخرجه ابن ماجة من حديث ابي
هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا خرج الرجل من باب بيته
او باب داره كان معه ملكان موكلان به فاذا قال بسم الله قالا
هديت فاذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قالا وقيت فاذا قال
توكلت على الله قالا كفيت قال فيلقاه قريناه فيقولان ماذا
تريدان من رجل قد هدي ووقي وكفي وقال الحاكم بن عبد الله
في علوم الحديث سيل محمد بن اسحق بن خزيمة عن قول النبي
صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت هذه يعني الجنة
يدخلني الضعفا من الضعيف قال الذي يبري نفسه من الحول
والقوة يعني في اليوم عشرين مرة او خمسين مره وقال انس بن
مالك قال النبي صلى الله عليه وسلم من راى شيا فاعجبه فقال
ما شا الله لا قوة الا بالله لم يضره عين وقد قال قوم ما من
احد قال ما شا الله كان فاصابه شي الا رضي به وروى انه من قال
اربعا امن من اربع من قال هذه امن من مضرة العين ومن قال حسبنا
الله ونعم الوكيل امن من كيد الشيطان ومن قال وافوض امري
الى الله امن من مكر الناس ومن قال لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين امن من الغم **قوله تعالى** ان ترني انا اقل منك مالا

وولدا ان شرط ترن مجزوم به والجواب فعسي ربي وانا فاصله
لا موضع لها من الاعراب ويجوز ان تكون في موضع نصب توكيدا
للنون واليا وقرا عيسي بن عمر ان ترني انا اقل منك بالرفع بجعل
انا مبتدا واقل خبره والجملة في موضع المفعول الثاني والمفعول
الاول النون واليا الا ان اليا حذفت لان الكسره تدل عليها واثباتها
جيد بالغ وهو الاصل لانها الاسم على الحقيقة وفعسي بمعنى لعل
اي فلعل ربي ان يوتيني خيرا من جنتك اي في الاخره وقيل في الدنيا
ويرسل عليها اي على جنتك حسبانا اي مرامي من السما واحدها
حسبانة قاله الاخفش والقتبي وابو عبيد وقال ابن الاعرابي
الحسبانة السحابة والحسبانة الوساده والحسبانه الصاعقه
وقال الجوهري والحسبان بالضم العذاب وقال ابو زياد الكلابي
اصاب الارض حسبان اي جراد والحسبان ايضا الحساب قال الله
تعالي الشمس والقمر بحسبان وقد فسر الحسبان هنا بهذا
قال الزجاج الحسبان من الحساب اي يرسل عليها عذاب الحساب
وهو حساب ما اكتسبت يداك فهو من باب حذف المضاف والحسبان
ايضا سهام قصار يرمي بها في طلق واحد وكان من رمي الاكاسره
والمرامي من السما عذاب فتصبح صعيدا زلقا يعني ارضا بيضا
لا ينبت فيها نبات ولا يثبت عليها قدم وهي اضر ارض بعد
ان كانت جنة انفع ارض فزلقا تاكيد لوصف الصعيد اي
تزل

نزل عنها الاقدام لملاستها يقال مكان زلق بالتحريك اي دحض
وهو في الاصل مصدر قولك زلقت رجله تزلق زلقا وازلقها
غيره والزلق ايضا عجز الدابه قال رؤبه: كانها حقبا بلقا الزلق
والمزلقة والمزلقة الموضع الذي لا يثبت عليه قدم وكذلك
الزلاقة والزلق ايضا الحلق زلق راسه يزلقه زلقا حلقه
قاله الجوهري والزلق المحلوق كالنقص والنقص وليس المراد
انها تصير مزلقه بل المراد به انه لا يبقى فيها نبات كالراس اذا
حلق لا يبقى عليه شعر قاله القشيري او يصبح ماوها غورا
اي غايرا ذاهبا فتكون لعدم ارض للماء بعد ان كان واجدا ارض
للماء والغور مصدر وضع موضع الاسم كما يقال رجل صوم وفطر
وعدل ورضي وفصل وزور ونساء نوح ويستوي فيه المذكر
والمونث والتثنية والجمع قال عمرو بن كلثوم:
تظل جيادنا نوحا عليه مقلدة اعنتها صفونا: اخر:
هريقي من دموعهما سجاما ضباع وجاوبي نوحا قياما: اي
نايحات وقيل او يصبح ماوها ذا غور بحذف المضاف مثل واسال
القرية ذكره النحاس وقال الكساي مياه غور وقد غار الماء
يغور غورا وغوورا اي سفل في الارض ويجوز الهمز لانضمام
الواو وغارت عينه تغور غورا وغوورا دخلت في الراس
وغارت تغار لغة فيه وقال اغارت عينه ام لم تغارا: وغارت

الشمس تغور غيارا اي غربت قال ابو ذويب:
هل الدهر الا ليلة ونهارها والا طلوع الشمس ثم غيارها. فلن
تستطيع له طلبا اي لن تستطيع رد الما الغاير ولا تقدر عليه
بحيله وقيل فلن تستطيع طلب غيره بدلا منه والي هذا الحد
انتهت مناظرة اخيه وانذاره قوله تعالي واحيط بثمره
اسم ما لم يسم فاعله مضمر وهو المصدر ويجوز ان يكون المخفوض
في موضع رفع ومعني احيط بثمره اي اهلك ماله كله وهذا اول
ما حقق الله تعالي به انذار اخيه فاصبح يقلب كفيه اي فاصبح
الكافر يضرب احدي يديه علي الاخري ندما لان هذا يصدر من
النادم وقيل يقلب ملكه فلا يري فيه عوض ما انفق وهذا لان
الملك قد يعبر عنه باليد من قولهم في يده مال اي في ملكه مال ودل
قوله فاصبح علي ان هذا الاهلاك جري بالليل كقوله فطاف
عليها طايف من ربك وهم نايمون فاصبحت كالصريم ويقال
انفقت في هذه الدار كذي وانفقت عليها وهي خاوية علي عروشها
اي خالية قد سقط بعضها علي بعض ماخوذ من خوي النجوم
تخوي خيا امحلت وذلك اذا سقطت ولم تمطر في نوها واخوت
مثله وخوت الدار خوا ممدود اقوت ولذلك اذا سقطت
ومنه قوله تعالي فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ويقال ساقطه
كما يقال فهي خاوية علي عروشها اي ساقطه علي سقوفها تجمع عليه

بين

بين هلاك الثمر والاصل وهذا من اعظم الجوايح مقابلة على تغيبه
ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا اي يا ليتني عرفت نعم الله علي
وعرفت انها كانت بقدرة الله ولم اكفر به وهذا ندم منه
حين لا ينفعه الندم قوله تعالى ولم تكن له فية ينصرونه
من دون الله فية اسم تكن وله الخبر ينصرونه في موضع الصفة
اي فية ناصرة ويجوز ان يكون ينصرونه الخبر والوجه الاول
عند سيبويه اولى لانه قد تقدم له وابو العباس يخالفه ويحتج
بقول الله جل وعز ولم يكن له كفوا احد وقد اجاز سيبويه الاخر
وينصرونه على معنى فية لان معناها اقوام ولو كان على اللفظ
لقال ولم تكن له فية تنصره اي فرقة جماعة يلتجي اليهم وما
كان منتصرا اي ممتنعا قاله قتادة وقيل مستردا بدل ما ذهب
منه وقد تقدم اشتقاق الفية في ال عمران والهاء عوض من الياء
التي نقصت من وسطه اصله فيء مثل فيع لانه من فاء وجمع على
فيوت وفيات مثل شيات ولدات وهبات اي لم تكن له عشيرة
يمنعونه من عذاب الله وضل عنه من افتخر بهم من الخدم والولد
قوله تعالى هنالك الولاية لله الحق اختلف في العامل في قوله
هنالك اي ما نصر ولا انتصر هنالك اي لما اصابه من العذاب
وقيل تم الكلام عند قوله منتصرا والعامل في قوله هنالك
اي في القيامة وقرا ابو عمرو والكساي الحق بالرفع نعتا للولاية

وقرا اهل المدينة وحمزه الحق بالخفض نعتا لله جل وعز والتقدير لله
ذي الحق قال الزجاج ويجوز الحق بالنصب على المصدر والتوكيد كما تقول
هذا لك حقا وقرا الاعمش وحمزه والكسائي الولاية بكسر الواو
الباقون بفتحها وهما بمعنى واحد كالرضاعة والرضاعه وقيل
الولاية بالفتح من الموالاة كقوله الله ولي الذين امنوا ذلك بان الله
مولى الذين امنوا وبالكسر يعني السلطان والقدره والاماره كقوله
والامر يومئذ لله اي له الملك والحكم يومئذ اي لا يرد امره الى
احد والملك في كل وقت لله ولكن تزول الدعاوي والتوهمات
يوم القيامه وقال ابو عبيد انها بفتح الواو للخالق وبكسرها
للمخلوق هو خير ثوابا اي الله خير ثوابا في الدنيا والاخره
لمن امن به وليس ثم غير يرجا منه ولكنه اراد في ظن الجهال اي هو
خير من يرجى وخير عقبا قرا عاصم والاعمش وحمزه ويحيى
عقبا ساكنة القاف الباقون بضمها وهما بمعنى واحد اي هو
خير عاقبة لمن رجاه وامن به يقال هذا عاقبة امر فلان وعقباه
وعقبه وعقبه اي اخره قوله تعالى واضرب لهم مثل الحياة
الدنيا اي صف لهولاء المتكبرين الذين سالوك طرد فقرا المومنين
مثل الحياة الدنيا اي شبهها كماء انزلناه من السماء فاختلط به اي
بالماء نبات الارض حتى استوى وقيل المعنى ان النبات اختلط بعضه
ببعض حين نزل عليه الماء لان النبات انما يختلط ويكثر بالمطر

فقد تقدم

وقد تقدم لهذا المعنى في يونس مبينا وقالت الحكما انما شبه الله
الدنيا بالماء لان الما لا يستقر في موضع كذلك الدنيا لا تبقى على
واحد ولان الما لا يستقيم على حالة واحدة كذلك الدنيا ولان الما
لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفنى ولان الما لا يقدر احد ان يدخله
ولا يبتل كذلك الدنيا لا يسلم احد دخلها من فتنتها وافتها ولان
الما اذا كان بقدر كان نافعا مبقيا واذا جاوز المقدار كان ضارا
مهلكا وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر وفي حديث
النبي صلى الله عليه وسلم قال له رجل يا رسول الله اني اريد ان
اكون من الفايزين قال ذر الدنيا وخذ منها كالما الراكد فان القليل
منها يكفي والكثير منها يطغي وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم
قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه فاصبح اي النبات
هشيما اي منكسرا من اليبس متفتتا يعني بانقطاع الماء عنه
فحذف ذلك اختصارا لدلالة الكلام عليه والهشم كسر الشي من اليابس
والهشيم من النبات اليابس المتكسر والشجرة البالية باخذها
الحاطب كيف يشا ومنه قولهم ما فلان الا هشيمة بكرم اذا كان
سمحا ورجل هشيم ضعيف البدن وتهشم عليه فلان اذا
تعطف واهتشم ما في ضرع الناقة اذا احتلبه ويقال هشم الثريد ومنه
ومنه سمي هاشم بن عبد مناف واسمه عمرو وفيه يقول عبد الله
عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

وكان سبب ذلك ان قريشا اصابتهم سنوات ذهبن بالاموال فخرج
هاشم الى الشام فامر بخبز كثير فخبز له فحمله في الغرايز على الابل
حتى وافا مكة فهشم ذلك الخبز يعني كسره وثرده ونحر تلك
الابل ثم امر الطهاة فطبخوا ثم كفا القدور على الجفان فاشبع
اهل مكة فكان ذلك اول الحيا بعد السنة التي اصابتهم فسمي بذلك
هاشما. تذروه الرياح اي تفرقه قاله ابو عبيدة وابن قتيبة.
تنسفه ابن كيسان تذهب به وحكى ابن عباس تديره والمعنى
متقارب وقرا طلحة بن مصرف تذريه الريح قال الكساي وفي
قراة عبد الله تذريه يقال ذرته الريح تذروه ذروا وذريا
واذرته تذريه اذراً اذا طارت به وحكى الفرا اذريت الرجل
عن فرسه اي قلبته وانشد سيبويه والفرا:
فقلت له صوب ولا تجهدنه فيذرك من اخرى القطاة فتزلق
قوله تعالى وكان الله على كل شي مقتدرا من الانشاء والافناء
والاحيا سبحانه وتعالى قوله تعالى المال والبنون زينة
الحياة الدنيا ويجوز زينتا وهو خبر الابتدا في التثنية والافراد
وانما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا لان في المال جمالا
ونفعا وفي البنين قوة ودفعا فصارا زينة الحياة الدنيا لكن
معه قرينة الصفة للمال والبنين لان المعنى المال والبنون زينة
هذه الحياة المحتقرة فلا تتبعوها نفوسكم وهو رد على عيينة

ص

١٢٥

بن حصن وامثاله لما افتخروا بالغنا والشرف فاخبر تعالى
انما كان من زينة الحياة الدنيا فهو غرور يمر ولا يبقى كالهشيم
حين ذرته الريح انما يبقى ما كان من زاد القبر وعدد الاخرة
وكان يقال لا تعقد قلبك مع المال لانه فيء ذاهب ولا مع النساء
لانها اليوم معك وغدا مع غيرك ولا مع السلطان لانه اليوم
لك وغدا لغيرك ويكفي في هذا قول الله تعالى انما اموالكم واولادكم
فتنة وقال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم
قوله تعالى والباقيات الصالحات اي ما ياتي به سلمان وصهيب
وفقرا المسلمين من الطاعات خير عند ربك ثوابا اي افضل
وخير املا اي افضل املا من ذي المال والبنين دون عمل صالح
وليس في زينة الدنيا خير ولكنه خرج مخرج قوله اصحاب
الجنة يومئذ خير مستقرا وقيل خير في التحقيق مما يظنه
الجهال انه خير في ظنهم واختلف العلما في الباقيات الصالحات
فقال ابن عباس وابن جبير وابو ميسرة عمرو بن شرحبيل
هي الصلوات الخمس وعن ابن عباس ايضا انها كل عمل صالح
من قول او فعل يبقى للاخرة وقاله ابن زيد ورجحه الطبري
وهو الصحيح ان شا الله لان كل ما بقي ثوابه جاز ان يقال له
هذا وقال علي رضي الله عنه الحرث حرثان فحرث الدنيا المال
والبنون وحرث الاخرة الباقيات الصالحات وقد يجمعهن الله

لاقوام وقال الجمهور هي الكلمات الماثور فضلها سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
خرجه مالك في موطائه عن عمارة بن صياد عن سعيد بن المسيب
انه سمعه يقول في الباقيات الصالحات انها قول العبد الله اكبر
وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله
اسنده النساي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اكثروا من الباقيات الصالحات قيل وما هي يا
رسول الله قال الملة قيل يا رسول الله وما هي قال التكبير
والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله صححه
ابو محمد عبد الحق رحمه الله وروي عن قتادة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخذ غصنا فطرحه حتى سقط ورقه وقال
ان المسلم اذا قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
تحاتت خطاياه كما تحات هذا خذهن اليك ابا الدردا قبل
ان يحال بينك وبينهن فانهن من كنوز الجنة وصفا بالكلام وهن
الباقيات الصالحات ذكره الثعلبي وخرجه ابن ماجة بمعناه
من حديث ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليك بسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فانهن
يعني يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها واخرجه الترمذي
من حديث الاعمش عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مر بشجرة

بلغ ...

١٢٦

مرّ بشجرة يابسة الورقة فضربها بعصاه فتناثر الورق
فقال ان الحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله والله اكبر
لتساقط من ذنوب العبد كما تساقط ورق هذه الشجرة قال
هذا حديث غريب ولا يعرف للاعمش سماعا من انس الا
انه قد راه ونظر اليه وخرج الترمذي ايضا عن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيت ابراهيم عليه السلام ليلة اسري
بي فقال يا محمد اقرا امتك مني السلام واخبرهم ان الجنة طيبة التربة
عذبة الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر قال حديث حسن غريب خرجه الماوردي بمعناه
وفيه فقلت وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة الا بالله
وخرج ابن ماجة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مر به وهو يغرس غرسا فقال يا ابا هريرة ما الذي تغرس قال
غراسا قال الا ادلك على غراس خير من هذا سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر تغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة وقد
قيل ان الباقيات الصالحات هي النيات والهمات لان بها تقبل
الاعمال وترفع قاله الحسن عبيد بن عمير هن البنات يدل عليه
اوايل الاية قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا ثم
قال والباقيات الصالحات يعني البنات الصالحات هن عند الله
لابائهن خير ثوابا وخير املا في الاخرة لمن احسن اليهن يدل عليه

ما رونه عايشة قالت دخلت على امراة مسكينة الحديث وقد
ذكرناه في سورة النحل في قوله يتوارى من القوم الاية وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقد رايت رجلا من امتي امر
به الى النار فتعلق به بناته وجعلن يصرخن ويقلن رب انه كان
يحسن الينا في الدنيا فرحمه الله بهن وقال قتادة في قوله تعالى
فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما قال ابدلهما
منه ابنة فتزوجها نبي فولدت له اثني عشر غلاما كلهم انبيا
قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة قال بعض
النحويين التقدير والباقيات الصالحات خير عند ربك يوم نسير
الجبال اي نزيلها من اماكنها من على وجه الارض ونسيرها كما نسير
السحاب كما قال في اية اخرى وهي تمر مر السحاب ثم تكسر فتعود
الى الارض كما قال وبست الجبال بسا فكانت هبا منبثا وقرا
ابن كثير والحسن وابو عمرو وابن عامر ويوم تسير بتاء
مضمومة وفتح الياء والجبال رفعا على الفعل المجهول وقرا ابن
محيصن ومجاهد ويوم يسير الجبال بفتح التاء مخففا من
سار الجبال رفعا دليل قراءة ابي عمرو واذا الجبال سيرت
ودليل قراءة ابن محيصن وتسير الجبال سيرا واختار ابو
عبيد القراءة الاولى نسير بالنون لقوله وحشرناهم ومعنى
بارزة

بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها من جبل ولا شجر ولا
بنيان اي قد اجتثت ثمارها وقلعت جبالها وهدم بنيانها
فهي بارزة ظاهرة وعلى هذا القول اهل التفسير وقيل وترى
الارض بارزة اي برز ما فيها من الكنوز والاموات كما قال
والقت ما فيها وتخلت وقال واخرجت الارض اثقالها وهذا
قول عطا وحشرناهم اي الى الموقف فلم نغادر منهم احدا
اي لم نترك يقال غادرت كذا اي تركته قال عنتره
غادرته متعفرا اوصاله والقوم بين مجرح ومجدل اي
تركته والمغادرة الترك ومنه الغدر لانه ترك الوفا قالوا
وانما سمي الغدير من الماء لان الماء ذهب وتركه ومنه غداير
المراة لانها تجعلها خلفها يقول حشرنا برهم وفاجرهم
جنهم وانسهم قوله تعالى وعرضوا على ربك صفا صفا
نصب على الحال قال مقاتل يعرضون صفا بعد صف كالصفوف
في الصلاة كل امة وزمره صفا لا انهم صف واحد وقيل جميعا
لقوله ثم ايتوا صفا اي جميعا وقيل قياما وخرج الحافظ ابو
القاسم عبد الرحمن بن منده في كتاب التوحيد عن معاذ بن
جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى
ينادي يوم القيامة بصوت رفيع غير قطيع يا عبادي انا الله
لا اله الا انا ارحم الراحمين واحكم الحاكمين واسرع الحاسبين

يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون احضروا حجتكم ويسروا
جوابا فانكم مسولون محاسبون يا ملايكتي اقيموا عبادي صفوفا
على اطراف انامل اقدامهم للحساب قلت هذا الحديث غاية في
البيان في تفسير الاية ولم يذكره كثير من المفسرين وقد كتبناه
في كتاب التذكرة ومنه نقلناه والحمد لله لقد جيتمونا كما
خلقناكم اول مرة اي يقال لهم لقد جيتمونا حفاة عراة لا مال
معكم ولا ولدا وقيل فرادا دليله قوله ولقد جيتمونا فرادى
كما خلقناكم اول مرة وقد تقدم وقال الزجاج اي بعثناكم كما
خلقناكم بل زعمتم هذا خطاب لمنكري البعث اي زعمتم في
الدنيا ان لن تبعثوا وان لن نجعل لكم موعدا للبعث وفي صحيح
مسلم عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يا
رسول الله الرجال والنسا ينظر بعضهم الى بعض قال يا عايشة
الامر اشد من ان ينظر بعضهم الى بعض غرلا اي غير مختونين
وقد تقدم في الانعام بيانه قوله تعالى ووضع الكتاب الكتاب
اسم جنس وفيه وجهان احدهما انها كتب الاعمال في ايدي العباد
قاله مقاتل الثاني انه وضع الحساب قاله الكلبي فعبر عن
الحساب بالكتاب لانهم يحاسبون على اعمالهم المكتوبة والقول
الاول اظهر ذكره ابن المبارك قال انا الحكم او ابو الحكم شك نعيم
عن اسماعيل

عن اسماعيل بن عبد الرحمن عن رجل من بني اسد قال قال عمر لكعب
ويحك يا كعب حدثنا من حديث الاخرة قال نعم يا امير المومنين
اذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ فلم يبق احد من
الخلايق الا وهو ينظر الى عمله قال ثم يوتى بالصحف التي فيها
اعمال العباد فتنتثر حول العرش وذلك قوله تعالى ووضع الكتاب
فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا
الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال الاسدي
الصغيرة ما دون الشرك والكبيرة الشرك الا احصاها قال
كعب ثم يدعى المومن فيعطى كتابه بيمينه فينظر فيه فاذا
حسناته باديات للناس وهو يقرا سيئاته لكي لا يقول كانت
لي حسنات فلم تذكر فاحب الله ان يريه عمله حتى اذا استنقص
ما في الكتاب وجد في اخر ذلك كله انه مغفور وانك من اهل
الجنة فعند ذلك يقبل الى اصحابه ثم يقول هاوم اقروا كتابيه
اني ظننت اني ملاق حسابيه ثم يدعى الكافر فيعطى كتابه بشماله
ثم يلف فيجعل من وراء ظهره ويلوى عنقه فذلك قوله واما من
اوتي كتابه وراء ظهره فينظر في كتابه فسيئاته باديات للناس
وينظر في حسناته لكي لا يقول افاثاب على السيئات وكان الفضيل
بن عياض اذا قرا هذه الاية يقول يا ويلتاه ضجوا الى الله من
الصغاير قبل الكباير قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة

الضحك يعني ما كان من ذلك في معصية الله عز وجل ذكره
الثعلبي وحكى الماوردي عن ابن عباس ان الصغيرة الضحك قلت
فيحتمل ان تكون صغيرة اذا لم يكن في معصية فان الضحك من
المعصية رضي بها والرضى بالمعصية معصية وعلى هذا تكون
كبيرة فيكون وجه الجمع هذا والله اعلم او يحمل الضحك فيما ذكر
الماوردي على التبسم وقد قال تعالى فتبسم ضاحكا من قولها
قال سعيد بن جبير ان الصغاير اللمم كالمسيس والقبل والكبيرة
المواقعة والزنا وقد مضى في النسا بيان هذا قال قتادة اشتكى
القوم الاحصا وما اشتكى احد ظلما فاياكم ومحقرات الذنوب
فانها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه وقد مضى ومعنى احصاها
عدها واحاط بها واضيف الاحصا الى الكتاب توسعا ووجدوا
ما عملوا حاضرا اي وجدوا احصا ما عملوا حاضرا وقيل وجدوا
جزا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا اي لا ياخذ احدا بجرم
احد ولا ياخذه بما لم يعمله قاله الضحاك وقيل لا ينقص طايعا
من ثوابه ولا يزيد عاصيا في عقابه قوله تعالى واذ قلنا
للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق
عن امر ربه تقدم في البقرة هذا مستوفى قال ابو جعفر النحاس
وفي هذه الاية سوال يقال ما معنى ففسق عن امر ربه ففي هذا
قولان احدهما وهو مذهب الخليل وسيبويه ان المعنى اتاه
الفسق

الفسق لما امر فعصى فكان سبب الفسق امر ربه كما تقول
اطعمته عن جوع والقول الاخر وهو مذهب محمد بن قطرب ان
المعنى فسق عن رد امر ربه افتتخذونه وذريته اوليا من دوني
وقف عز وجل الكفرة على جهة التوبيخ بقوله افتتخذونه يا بني
ادم وذريته اوليا وهم لكم عدو اي اعدا فهو اسم جنس بيس
للظالمين بدلا اي بيس عبادة الشيطان بدلا عن عبادة الله
او بيس ابليس بدلا عن الله واختلف هل لابليس زوجة فقلت
اذ لك عرس لم اشهده ثم ذكرت قوله افتتخذونه وذريته فعلمت
انه لا يكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وقال مجاهد ان ابليس
ادخل فرجه في فرج نفسه فباض خمس بيضات فهذا اصل
ذريته وقيل ان الله خلق له في فخذه اليمنى ذكرا وفي اليسرى
فرجا فهو ينكح هذه بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات يخرج
من كل بيضة سبعون شيطانا وشيطانة فهو يخرج وهو
يطير واعظمهم عند ابيهم منزلة اعظمهم في بني ادم فتنة وقال
قوم ليس له اولاد ولا ذرية وذريته اعوانه من الشياطين
قال القشيري ابو نصر والجملة ان الله تعالى اخبر ان لابليس
اتباعا وذرية وانهم يوسوسون الى بني ادم وهم اعداوهم
ولا يثبت عندنا كيفية في كيفية التوالد منهم وحدوث الذرية
عن ابليس فيتوقف الامر فيه على نقل صحيح قلت الذي ثبت

فقال الشعبي سالني رجل
[illegible] هل لابليس [illegible]

مطلب في اول من يدخل السوق واخر من يخرج عنه وغيره

في هذا الباب من الصحيح ما ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين عن
الامام ابي بكر البرقاني انه خرج في كتابه مسندا عن ابي محمد
عبد الغني بن سعيد الحافظ من رواية عاصم عن ابي عثمان عن سلمان
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن اول من يدخل السوق
ولا اخر من يخرج منها فيها باض الشيطان وفرخ وهذا يدل على
ان للشيطان ذرية من صلبه والله اعلم قال ابن عطية وقوله
وذريته ظاهر اللفظ يقتضي الموسوسين من الشياطين الذين
يأتون بالمنكر ويحملون على الباطل وذكر الطبري وغيره ان مجاهد
قال ذرية ابليس الشياطين وكان يعدهم زلنبور صاحب الاسواق
يضع رايته في كل سوق بين السماء والارض يجعل تلك الراية على
حانوت اول من يفتح واخر من يغلق وثبر صاحب المصائب
يامر بضرب الوجوه وشق الجيوب والدعا بالويل والحرب والاعور
صاحب ابواب الربا ومسوط صاحب الاخبار ياتي بها فيلقيها
في افواه الناس ولا يجدون لها اصلا وداسم الذي اذا دخل
الرجل بيته فلم يسلم ولم يذكر اسم الله بصره من المتاع ما لم
يرفع وما لا يحسن موضعه واذا اكل ولم يذكر اسم الله اكل
معه قال الاعمش واني ربما دخلت البيت فلم اذكر الله
ولم اسلم فرايت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم
ثم اذكر فاقول داسم داسم اعوذ بالله منه زاد الثعلبي
وغيره عن مجاهد

وغيره عن مجاهد والابيض وهو الذي يوسوس للانبيا وصخر
وهو الذي اختلس خاتم سليمان والولهان وهو صاحب الطهاره
يوسوس فيها والاقيس وهو صاحب الصلاه يوسوس فيها
ومره وهو صاحب المزامير وبه يكني والهفاف يكون بالصحاري
يضل الناس ويتيههم ومنهم الغيلان وحكى ابو مطيع مكحول
بن الفضل النسفي في كتاب اللولو بان عن مجاهد ان الهفاف
هو صاحب الشراب ولقوس صاحب التحريش والاعور صاحب
ابواب السلطان قال وقال الداراني ان لابليس شيطانا يقال له
المتقاضي يتقاضى ابن ادم فيخبر بعمل كان عمله في السر منذ
عشرين سنه فيتحدث به في العلانيه قال ابن عطيه هذا وما جانسه
مما لم يات به سند صحيح وقد طول النقاش في هذا المعنى
وجلب حكايات تبعد عن الصحة ولم يمر بي في هذا صحيح
الا ما في كتاب مسلم من ان للصلاة شيطانا يسمى خنزب
وذكر الترمذي ان للوضوء شيطانا يسمى الولهان قلت
اما ما ذكر من التعيين في الاسم فصحيح واما ان له اتباعا
واعوانا وجنودا فمقطوع به وقد ذكرنا الحديث الصحيح
في ان له اولادا من صلبه كما قال مجاهد وغيره وفي صحيح
مسلم عن عبد الله بن مسعود قال ان الشيطان ليتمثل
في صورة الرجل فياتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب

فيتفرقون فيقول الرجل منهم سمعت رجلاً اعرف وجهه
ولا ادري ما اسمه يحدث وفي مسند البزار عن سلمان الفارسي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونن ان استطعت
اول من يدخل السوق ولا اخر من يخرج منها فانها معركة
الشيطان وبها ينصب رايته وفي مسند احمد بن حنبل قال
انا عبد الله بن المبارك قال نا سفيان عن عطا بن السايب
عن ابي عبد الرحمن السلمي عن ابي موسى الاشعري قال اذا
اصبح ابليس بث جنوده فيقول من اضل مسلماً البسته
التاج قال فيقول له القايل لم ازل بفلان حتى طلق زوجته
قال يوشك ان يتزوج ويقول اخر لم ازل بفلان حتى عق قال
يوشك ان يبر قال ويقول القايل لم ازل بفلان حتى شرب قال
انت قال ويقول لم ازل بفلان حتى زنا قال انت قال ويقول
لم ازل بفلان حتى قتل قال انت انت وفي صحيح مسلم عن جابر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه
على الما ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة
يجي احدهم فيقول فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت
شيا قال ويجي احدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين
اهله قال فيدنيه او قال فيلتزمه ويقول نعم انت
وقد تقدم وسمعت شيخنا الامام ابا محمد عبد المعطي
بثغر الاسكندرية

بثغر الاسكندرية يقول ان شيطانا يقال له البيضاوي يتمثل
للفقرا المواصلين في الصيام فاذا استحكم منهم الجوع واضر
بادمغتهم يكشف لهم عن ضياء ونور حتي يملا عليهم البيوت
فيظنون انهم قد وصلوا وان ذلك من الله وليس كما ظنوا
قوله تعالي ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا
خلق انفسهم قيل الضمير عايد علي ابليس وذريته اي لم
اشاورهم في خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم
بل خلقتهم علي ما اردت وقيل ما اشهدت ابليس وذريته
خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم اي انفس المشركين
فكيف اتخذوهم اوليا من دوني وقيل الكناية في قوله ما اشهدتهم
ترجع الي المشركين والي الناس بالجملة فتتضمن الاية الرد
علي طوايف من المنجمين واهل الطبايع والمتحكمين من الاطبا
وسواهم وكل من يتخرص في هذه الاشيا قال ابن عطية
وسمعت ابي رضي الله عنه يقول سمعت الفقيه ابا عبد الله
محمد بن معاذ المهدوي بالمهدية يقول سمعت عبد الحق
الصقلي يقول هذا القول ويتاول هذا التاويل في هذه
الاية وانها رادة علي هذه الطوايف وذكر هذا بعض الاصوليين
قال ابن عطية واقول ان الغرض المقصود اولا بالاية هم
ابليس وذريته وبهذا الوجه يتجه الرد علي الطوايف المذكوره

وعلى الكهان والعرب والمعظمين للجن حين يقولون اعوذ بعزيز
هذا الوادي اذ الجميع من هذه الفرق متعلقين بابليس وذريته
وهم اضلوا الجميع فهم المراد الاول بالمضلين وتندرج هذه
الطوايف في معناهم قال الثعلبي وقال بعض اهل العلم ما اشهدتهم
خلق السموات ردا على المنجمين ان قالوا الافلاك تحدث في الارض
وفي بعضها في بعض وقوله والارض ردا على اصحاب
الهندسة حيث قالوا ان الارض كرية والافلاك تجري تحتها
والناس ملصقون عليها وتحتها وقوله ولا خلق انفسهم ردا على
الطبايعيين حيث زعموا ان الطبايع هي الفاعلة في النفوس
وقرا ابو جعفر ما اشهدناهم بالنون والالف على التعظيم والباقون
بالتاء بدليل قوله وما كنت متخذ يعني ما استعنت على خلق
السموات والارض ولا شاورتهم وما كنت متخذ المضلين يعني
الشياطين وقيل الكفار عضدا اي اعوانا يقال اعتضدت
بفلان اذا استعنت به وتقويت والاصل فيه عضد اليد ثم
يوضع موضع العون لان اليد قوامها العضد يقال عضده وعاضده
على كذا اذا اعانه واعزه ومنه قوله سنشد عضدك باخيك
اي سنعينك باخيك ولفظ العضد على جهة المثل والله سبحانه
لا يحتاج الى عون احد وخص المضلين بالذكر لزيادة الذم والتوبيخ
وقرا ابو جعفر الجحدري وما كنت بفتح التاء اي وما كنت يا محمد
متخذ

متخذ المضلين عضدا وفي عضد ثمانية اوجه عَضُدًا بفتح العين
وضم الضاد وهي قراة الجمهور وهي افصحها وعضْدا بفتح العين
واسكان الضاد وهي لغة بني تميم وعُضُدا بضم العين والضاد
وهي قراة ابي عمرو والحسن وعُضْدًا بضم العين واسكان الضاد
وهي قراة عكرمة وعِضَدا بكسر العين وفتح الضاد وهي قراة
الضحاك وعَضَدا بفتح العين والضاد وهي قراة عيسى بن عمر
وحكى هارون القاري عَضِدًا واللغة الثامنة عَضْدٌ على لغة من قال
كتْف وفخذ قوله تعالى ويوم يقول نادوا شركاي الذين زعمتم
اي اذكروا يوم يقول الله نادوا شركاي اي ادعوا الذين
اشركتموهم بي فليمنعوكم من عذابي وانما يقول ذلك لعبدة
الاوثان وقرا حمزة ويحيى وعيسى بن عمر نقول بنون الباقون
باليا لقوله شركاي ولم يقل شركاينا فدعوهم اي فعلوا ذلك
فلم يستجيبوا لهم اي لم يجيبوهم الى نصرهم ولم يدفعوا عنهم شيا
وجعلنا بينهم موبقا قال انس بن مالك هو وادٍ في جهنم من قيح
ودم وقال ابن عباس اي جعلنا بين المومنين والكفار حاجزا
وقيل بين الاوثان وعبدتها نحو قوله فزيلنا بينهم قال ابن
الاعرابي كل شي حاجز بين شيين فهو موبق وذكر ابن وهب
عن مجاهد في قوله موبقا قال وادٍ في جهنم يقال له موبق
وكذلك قال نوف البكالي الا انه قال يحجز بينهم وبين المومنين

عكرمة هو نهر في جهنم يسيل نارا على حافتيه حيات مثل
البغال الدهم فاذا ثارت اليهم لتاخذهم استغاثوا منها بالاقتحام
في النار وروي يزيد بن درهم عن انس بن مالك قال موبقا واد من
قيح ودم في جهنم وقال عطا والضحاك مهلكا في جهنم ومنه يقال
اوبقته ذنوبه ايباقا وقال ابو عبيدة موعدا للهلاك الجوهري
وبق يبق وبوقا هلك والموبق مثل الموعد مفعل من وعد يعد
ومنه قوله تعالى وجعلنا بينهم موبقا وفيه لغة اخرى وبق
يوبق وبقا وفيه لغة ثالثة وبق يبق بالكسر فيهما واوبقه
اي اهلكه وقال زهير " ومن يشتري حسن الثنا بماله يصن عرضه
عن كل شنعا موبق :: قال الفرا جعل تواصلهم في الدنيا مهلكا
لهم في الاخرة قوله تعالى وراى المجرمون النار راى اصله
راي قلبت اليا الفا لانفتاحها وانفتاح ما قبلها ولهذا زعم
الكوفيون ان راى يكتب باليا وتابعهم على هذا القول بعض البصريين
فاما البصريون الحذاق منهم محمد بن يزيد فانهم يكتبونه بالالف
قال النحاس سمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد
يقول لا يجوز ان يكتب مضى ورمى وكل ما كان من ذوات اليا
الا بالالف ولا فرق بين ذوات اليا وبين ذوات الواو في الخط
كما انه لا فرق بينهما في اللفظ ولو وجب ان يكتب ذوات اليا باليا
لوجب ان يكتب ذوات الواو بالواو وهم مع هذا يناقضون

فيكتبون

فيكتبون رمى بالياء ورماه بالالف فان كانت العلة انه من ذوات
اليا وجب ان يكتبوا رماه بالياء ثم يكتبون ضحى جمع ضحوه وكسي
جمع كسوة وكسوة وهما من ذوات الواو بالياء وهذا ما لا يحصل
ولا يثبت على اصل فظنوا انهم مواقعوها ظنوا هنا بمعنى اليقين
والعلم كما قال فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج اي ايقنوا وقد تقدم
قال ابن عباس ايقنوا انهم مواقعوها وقيل راوها من مكان
بعيد فتوهموا انهم مواقعوها وظنوا انها تاخذهم في الحال وفي
الخبر ان الكافر ليرى جهنم ويظن انها مواقعته من مسيرة اربعين
سنة والمواقعة ملابسة الشي بشدة وظنوا انهم ملاقوها
اي مجتمعون فيها واللقو الجمع ولم يجدوا عنها مصرفا اي
مهربا لاحاطتها بهم من كل جانب وقال القتبي معدلا ينصرفون
اليه وقيل ملجا يلجؤن اليه والمعني واحد وقيل ولم تجد الاصنام
مصرفا للنار عن المشركين قوله تعالى ولقد صرفنا في
هذا القران للناس من كل مثل يحتمل وجهين احدهما ما ذكره
لهم من العبر والقرون الخالية الثاني ما اوضحه لهم من دلايل الربوبية
وقد تقدم في سبحان فهو على الوجه الاول زجرا وعلى الثاني
بيانا وكان الانسان اكثر شي جدلا اي جدالا ومجادلة والمراد
به النضر بن الحرث وجداله في القران وقيل الاية في ابي
بن خلف وقال الزجاج اي الكافر قوله ويجادل الذين كفروا

بالباطل وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوتى بالرجل يوم
القيامة من الكفار فيقول الله له ما صنعت فيما ارسلته اليك
فيقول رب امنت بك وصدقت برسلك وعملت بكتابك فيقول الله
له هذه صحيفتك ليس فيها شي من ذلك فيقول يا رب اني لا اقبل ما
في هذه الصحيفة فيقال له هذه الملايكة الحفظة يشهدون
عليك فيقول ولا اقبلهم يا رب وكيف اقبلهم ولا هم من عندي ولا
من جهتي فيقول الله تعالى هذا اللوح المحفوظ ام الكتاب قد
شهد بذلك فيقال يا رب الم تجرني من الظلم قال بلى قال يا رب لا اقبل
الا شاهدا علي من نفسي فيقول الله تعالى الان نبعث عليك شاهدا
من نفسك فيتفكر من ذا الذي يشهد فيختم على فيه ثم تنطق
جوارحه بالشرك ثم تخلى بينه وبين الكلام فيدخل النار وان
بعضه ليلعن بعضا يقول لاعضايه لعنكن الله فعنكن كنت
اناضل فتقول اعضاوه لعنك الله افتعلم ان الله تعالى يكتم حديثا
فذلك قوله تعالى وكان الانسان اكثر شي جدلا اخرجه مسلم
بمعناه من حديث انس ايضا وفي صحيح مسلم عن علي ان النبي
صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة فقال الا تصلون فقلت يا
رسول الله انما انفسنا بيد الله فاذا شا ان يبعثنا بعثنا
فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت له ذلك
ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول وكان الانسان
اكثر

[Margin note:] ... الحديث ... والله اعلم

الكثر شي جدلا قوله تعالى وما منع الناس ان يومنوا اذ
جاهم الهدى اي القران والاسلام ومحمد عليه السلام الا ان
تاتيهم سنة الاولين اي سنتنا في اهلاكهم اي ما منعهم عن
الايمان الا حلمي عليهم بذلك ولو حلمت عليهم بالايمان امنوا وسنة
الاولين عادة الاولين في عذاب الاستيصال وقيل المعنى وما
منع الناس ان يومنوا الا طلب ان تاتيهم سنة الاولين فحذف
وسنة الاولين معاينة العذاب فطلب المشركون ذلك وقالوا
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية او ياتيهم العذاب قبلا نصب
على الحال ومعناه عيانا قاله ابن عباس وقال الكلبي هو السيف
يوم بدر وقال مقاتل فجاة وقرا ابو جعفر وعاصم والاعمش
وحمزه ويحيى والكساي قبلا بضمين اراد وا به اصناف العذاب
كانه جمع قبيل نحو سبيل وسبل النحاس ومذهب الفرا ان قبلا
جمع قبيل اي متفرقا يتلو بعضه بعضا ويجوز عنده ان
يكون المعنى عيانا وقال الاعرج وكانت قراته قبلا معناه جميعا
وقال ابو عمرو وكانت قراته قبلا ومعناه عيانا قوله
تعالى وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين اي
بالجنة لمن امن ومنذرين اي يخوفون بالعذاب من كفر وقد
تقدم ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق قيل
نزلت في المقتسمين كانوا يجادلون في الرسول فيقولون

ساحر ومجنون وشاعر وكاهن كما تقدم ومعنى ليدحضوا
يزيلوا ويبطلوا واصل الدحض الزلق يقال دحضت رجله
اي زلقت تدحض دحضا ودحضت الشمس عن كبد السماء
زالت ودحضت حجته دحوضا بطلت وادحضها الله
والادحاض الازلاق وفي وصف الصراط ويضرب الجسر على
جهنم وتحل الشفاعة فيقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول
الله وما الجسر قال دحض مزلة اي تزلق فيه القدم قال طرفة
ابا منذر رمت الوفا فهبته وحدت كما حاد البعير عن الدحض
واتخذوا اياتي يعني القران وما انذروا من الوعيد هزوا وما
بمعنى المصدر اي والانذار وقيل بمعنى الذي اي اتخذوا
القران والذي انذروا به من الوعيد هزوا اي لعبا وباطلا
وقد تقدم في البقرة بيانه وقيل هو قول ابي جهل في الزبد
والتمر هذا هو الزقوم وقيل هو قولهم في القران انه سحر
واضغاث احلام واساطير الاولين وقالوا للرسول هل هذا
الا بشر مثلكم وقالوا لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم وماذا اراد الله بهذا مثلا قوله تعالى ومن اظلم
ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها اي لا احد اظلم لنفسه ممن
وعظ بايات ربه فتنها ونبهها واعرض عن قبولها ونسي ما
قدمت يداه اي ترك كفره ومعاصيه فلم يتب منها فالنسيان
هنا بمعنى

هنا بمعنى الترك وقيل المعنى نسي ما قدم لنفسه وحصل من
العذاب والمعنى متقارب على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم
وقرا بسبب كفرهم اي نحن منعنا الايمان من ان يدخل قلوبهم
واسماعهم وان تدعهم الى الهدى اي الى الايمان فلن يهتدوا اذا
ابدا نزلت في قوم معينين وهو يرد على القدرية قولهم وقد
تقدم معنى هذه الاية في سبحان وغيرها قوله تعالى وربك
الغفور اي للذنوب وهذا يختص به اهل الايمان دون الكفر بدليل
قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ذو الرحمة فيه اربع تاويلات
احدها ذو العفو الثاني ذو الثواب وهو على هذين الوجهين
مختص باهل الايمان دون الكفر الثالث ذو النعمة الرابع ذو
الهدى وهو على هذين الوجهين يعم اهل الايمان والكفر لانه
ينعم في الدنيا على الكافر كانعامه على المومن وقد اوضح هداه
للكافر كما اوضحه للمومن وان اهتدى به المومن دون الكافر
ومعنى قوله بما كسبوا اي من الكفر والمعاصي لعجل لهم العذاب
ولكنه يمهل بل لهم موعد اي اجل مقدر يوخرون اليه نظيره
لكل نبا مستقر لكل اجل كتاب اي اذا حل لم يتاخر عنهم اما
في الدنيا واما في الاخرة لن يجدوا من دونه موئلا اي ملجا
قاله ابن عباس وابن زيد وحكاه الجوهري في الصحاح وقد
وأل يئل وألا ووؤولا على فعول اي لجا وواءل منه على فاعل

اي طلب النجاه وقال مجاهد محرزا قتاده ولجا ابو عبيده منجي
وقيل محيصا والمعني واحد والعرب تقول لا وألت نفسه اي
لا نجت ومنه قول الشاعر لا وألت نفسك خليتها للعامريين
ولم تكلم وقال الاعشي وقد اخالس رب البيت غفلته وقد
تحاذر مني ثم ما يئل اي ما ينجو قوله تعالي وتلك القري
اهلكناهم تلك في موضع رفع بالابتداء القري نعت او بدل
واهلكناهم في موضع الخبر محمول علي المعني لان المعني اهل القري
ويجوز ان يكون تلك في موضع نصب علي من قال زيدا ضربته
اي وتلك القري التي قصصنا عليك نباهم نحو قري عاد وثمود
ومدين وقوم لوط اهلكناهم لما ظلموا وكفروا وجعلنا لمهلكهم
موعدا اي وقتا معلوما لم تعده ومهلك من اهلكوا وقرا عاصم
مهلكا بفتح الميم واللام وهو مصدر هلك واجاز الكسائي
والفرا لمهلكهم بكسر اللام وفتح الميم النحاس وهو احب الي
لانه من هلك الزجاج مهلك اسم للزمان والتقدير لوقت مهلكهم
كما يقال اتت الناقة علي مضربها قوله تعالي واذ قال موسي
لفتاه لا ابرح حتي ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا فيه اربع
مسايل الاولي قوله تعالي واذ قال موسي لفتاه لا ابرح
الجمهور من العلما واهل التاريخ انه موسي بن عمران المذكور
في القران ليس فيه موسي غيره وقالت فرقه منها نوف البكالي

انه ليس

انه ليس ابن عمران وانما هو موسى بن منشى بن يوسف بن يعقوب
وكان نبيا قبل موسى بن عمران وقد رد هذا القول ابن عباس
في صحيح البخاري وغيره وقتادة هو يوشع بن نون وقد مضى
ذكره في المايده واخر يوسف ومن قال هو ابن منشى فليس الفتى
يوشع بن نون لا ابرح اي لا ازال اسير قال الشاعر
وابرح ما ادام الله قومي بحمد الله منتطقا مجيدا وقيل لا ابرح
لا افارقك حتى ابلغ مجمع البحرين اي ملتقاهما قال قتادة هو
بحر فارس والروم وقاله مجاهد قال ابن عطية وهو ذراع
يخرج من البحر من شمال الى جنوب في ارض فارس من وراء
اذربيجان فالركن الذي لاجتماع البحرين مما يلي بر الشام
هو مجمع البحرين على هذا القول وقيل هما بحر الاردن
وبحر القلزم وقيل مجمع البحرين عند طنجة قاله محمد بن
كعب وروي عن ابي بن كعب انه بافريقية وقال السدي
هو الكر والرس بارمانية وقال بعض اهل العلم هو بحر
الاندلس من البحر المحيط حكاه النقاش وهذا مما يذكر
لشبه وقالت فرقة انما هما موسى والخضر وهذا قول
ضعيف وحكي عن ابن عباس ولا يصح فان الامر بين من
الاحاديث انه انما رسم له بحر ما وسبب هذه القصه
ما خرجه الصحيحان عن ابي بن كعب انه سمع رسول الله

المحيط صح

صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى قام خطيبا في بني اسرايل
فسيل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم
اليه فاوحى الله اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى
يا رب فكيف لي به قال تاخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيث
ما فقدت الحوت فهو ثم وذكر الحديث واللفظ للبخاري وقال ابن
عباس لما ظهر موسى وقومه على ارض مصر فلما استقرت بهم الدار
امره الله ان ذكرهم بايام الله فخطب قومه فذكرهم ما اراهم
الله من الخير والنعمة اذ نجاهم من ال فرعون واهلك عدوهم
واستخلفهم في الارض ثم قال وكلم الله نبيكم تكليما واصطفاه
لنفسه والقى علي محبة منه واتاكم من كل ما سالتموه فجعلكم
افضل اهل الارض ورزقكم العز بعد الذل والغنا بعد الفقر
والتوراة بعد ان كنتم جهالا فقال له رجل من بني اسرايل
عرفنا الذي تقول فهل على وجه الارض احد اعلم منك يا نبي الله
قال لا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم اليه فبعث الله جبريل
ان يا موسى وما يدريك اين علمي بلى ان لي عبدا بمجمع البحرين
اعلم منك وذكر الحديث قال علماونا قوله في الحديث هو اعلم منك
اي باحكام ووقايع مفصلة وحكم نوازل معينة لا مطلقا
بدليل قول الخضر لموسى انك على علم علمكه الله لا اعلمه انا
وانا على علم علمنيه لا تعلمه انت وعلى هذا فيصدق على كل
واحد منهما

واحد منهما ولا بجملة الاخر فلما سمع موسى هذا تشوفت نفسه
الفاضلة وهمته العالية لتحصيل علم ما لم يعلم وللقا من قيل
فيه انه اعلم فعزم فسأل سؤال الذليل بكيف السبيل فامر
بالارتحال على كل حال وقيل له احمل معك حوتا مالحا في مكيل
وهو الزنبيل فحيث يحيى وتفقده فثم السبيل فانطلق مع
فتاه لما واتاه مجتهدا طالبا قايلا لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين
او امضي حقبا بضم الحاء والقاف وهو الدهر والجمع احقاب
وقد تسكن قافه فيقال حقب وهو ثمانون سنة ويقال اكثر
من ذلك والجمع حقاب والحقبة بكسر الحاء واحدة الحقب
وهي السنون الثانية في هذا من الفقه رحلة العالم في طلب
الازدياد من العلم والاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب
واغتنام لقاء الفضلا والعلما وان تعددت اقطارهم وذلك
كان في داب السلف الصالح وبسبب ذلك وصل المرتحلون
الى الحظ الراجح وحصلوا على السعي الناجح فرسخت لهم في
العلوم اقدام وصح لهم من الذكر والاجر افضل الاقسام
قال البخاري ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر الى عبد الله
بن انيس في حديث الثالثة قوله تعالى واذ قال موسى
لفتاه للعلما فيه ثلثة اقوال احدها انه كان معه يخدمه
والفتى في كلام العرب الشاب ولما كان الخدمة اكثر ما

يكون فتيانا قيل للخادم فتى على جهة حسن الادب وندبت
الشريعة الى ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم
عبدي ولا امتي وليقل فتاي فهذا ندب الى التواضع وقد تقدم
هذا في يوسف والفتى في الاية هو الخادم وهو يوشع بن نون
بن افراثيم بن يوسف عليه السلام يقال هو ابن اخت موسى عليه
السلام وقيل انما سمي فتى موسى لانه لزمه ليتعلم منه وان
كان حرا وهذا معنى الاول وقيل انما سماه فتى لانه قام مقام
الفتى وهو العبد قال الله تعالى وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم
في رحالهم وقال تراود فتاها عن نفسه قال ابن العربي وظاهر
القران يقتضي انه عبد وفي الحديث انه كان يوشع بن نون
وفي التفسير انه ابن اخته وهذا كله مما لا يقطع به فالتوقف
فيه اسلم الرابعة قوله تعالى او امضي حقبا قال عبد الله
بن عمرو والحقب ثمانون سنة مجاهد سبعون خريفا
قتادة زمان النحاس الذي يعرفه اهل اللغة ان الحقب
والحقبة زمان من الدهر مبهم غير محدود وجمعه احقاب
قوله تعالى فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله
في البحر سربا الضمير في قوله بينهما للبحرين قاله مجاهد والسرب
المسلك قاله مجاهد وقال قتادة جمد الماء فصار كالسرب
وجمهور المفسرين ان الحوت بقي موضع سلوكه فارغا
وان موسى

وان موسى مشى عليه متبعا للحوت حتى افضى به الطريق الى جزيرة
في البحر وفيها وجد الخضر وظاهر الروايات والكتاب انه انما
وجد الخضر في صفة البحر وقوله نسيا حوتهما وانما كان
النسيان من الفتى وحده فقيل المعنى نسي ان يعلم موسى بما
راى من حاله فنسب النسيان اليهما للصحبة كقوله تعالى يخرج
منهما اللولو والمرجان وانما يخرج من الملح وقوله يا معشر الجن
والانس الم ياتكم رسل منكم وانما الرسل من الانس لا من الجن
وفي البخاري فقال لفتاه لا اكلفك الا ان تخبرني بحيث يفارقك
الحوت قال ما كلفت كثيرا فذلك قوله عز وجل واذ قال موسى
لفتاه يوشع بن نون ليس عن سعيد قال فبينا هو في ظل
صخرة في مكان ثريان اذ تضرب الحوت وموسى نايم فقال
فتاه لا اوقظه حتى اذا استيقظ نسي ان يخبره وتضرب الحوت
حتى دخل البحر فامسك الله عنه جرية البحر حتى كان اثره
في حجر قال لي عمرو هكذا كان اثره في حجر وحلق بين
ابهاميه واللتين تليانهما وفي رواية وامسك الله عن الحوت
جرية الما فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه
ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا
كان من الغد قال موسى لفتاه اتنا غدانا لقد لقينا من
سفرنا هذا نصبا ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان

الذي امر الله به فقال له فتاه ارايت اذ اوينا الي الصخرة فاني
نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وقيل
ان النسيان منهما لقوله تعالي نسيا فنسب النسيان اليهما
وذلك ان بدو حمل الحوت كان من موسي لانه الذي امر به
فلما مضيا كان فتاه هو الحامل له حتي اويا الي الصخرة نزلا
فلما جاوزا بقي الحوت هناك منسيا اي متروكا فلما سال موسي
الغدا نسب الفتا النسيان الي نفسه عند المخاطبه وانما
ذكر الله نسيا انهما عند بلوغ مجمع البحرين وهو الصخره فقد
كان موسي شريكا في النسيان ~~الي نفسه عند المخاطبه وانما~~
~~ذكر الله نسيا انهما عند بلوغ مجمع البحرين~~ لان النسيان
التاخير من ذلك قولهم في الدعا انسانا الله في اجلك فلما مضيا
من الصخره اخرا حوتهما عن حمله فلم يحمل واحد منهما
فجاز ان ينسب اليهما لانهما مضيا وتركا الحوت فقوله تعالي
اتنا غدانا فيه مسلة واحده وهو اتخاذ الزاد في
الاسفار وهو رد علي الصوفية الجهلة الاغمار الذين
يقتحمون المهامه والقفار زعما منهم ان ذلك هو التوكل
علي الواحد القهار هذا موسي نبي الله وكليمه من اهل
الارض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه وتوكله علي رب
العباد وفي صحيح البخاري ان ناسا من اهل اليمن كانوا
البخاري

يحجون

بيان انسا

نقب

يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فاذا قدموا سالوا
الناس فانزل الله تعالى وتزودوا وقد مضى هذا في البقرة واختلف
في زاد موسى ما كان فقال ابن عباس كان حوتا مملوحا في زنبيل
وكانا يصيبان منه غدا وعشا فلما انتهيا الى الصخرة على ساحل
البحر وضع فتاه المكتل فاصاب الحوت جري البحر فتحرك الحوت
في المكتل فقلب المكتل وانسرب الحوت ونسي الفتى ان يذكر
قصة الحوت لموسى وقيل انما كان الحوت دليلا على موضع
الخضر لقوله في الحديث احمل معك حوتا في مكتل فحيث
تفقد الحوت فهو ثم وعلى هذا فيكون تزودا شيئا اخر غير
الحوت وهذا ذكره شيخنا الامام ابو العباس واختاره قال
ابن عطية قال ابي رضي الله عنه سمعت ابا الفضل الجوهري
يقول في وعظه مشى موسى الى المناجاه فبقي اربعين يوما
لم يحتج الى طعام ولما مشى الى بشر لحقه الجوع في بعض يوم
وقوله نصبا اي تعبا والنصب التعب والمشقه وقيل عنا
به هنا الجوع وفي هذا دليل على جواز الاخبار بما يجده
الانسان من الالم والامراض وان ذلك لا يقدح في الرضى
ولا في التسليم للقضا لكن اذا لم يصدر ذلك عن ضجر
ولا سخط وقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره
ان مع الفعل بتاويل المصدر وهو منصوب بدل اشتمال

من الضمير في انسانيه وهو بدل الطاهر من المضمر اي وما انساني
ذكره الا الشيطان وفي مصحف عبد الله وما انسانيه ان اذكره الا
الشيطان وهذا انما ذكره يوشع في معرض الاعتذار لقول موسى
لا اكلفك الا ان تخبرني بحيث يفارقك الحوت فقال ما كلفت
كثيرا فاعتذر بذلك القول **قوله تعالى** واتخذ سبيله في البحر
عجبا يحتمل ان يكون من قول يوشع لموسى اي اتخذ الحوت سبيله
عجبا للناس ويحتمل ان يكون قوله واتخذ سبيله في البحر تمام الخبر
ثم استانف التعجب فقال من قبل نفسه عجبا لهذا الامر وموضع
العجب ان يكون حوت قد مات فاكل شقه الايسر ثم حيي بعد
ذلك قال ابو شجاع في كتاب الطبري رايته اتيت به فاذا هو
شقه حوت وعين واحده وشق اخر ليس فيه شي قال
ابن عطيه وانا رايته والشق الذي ليس فيه شي عليه قشرة
رقيقه ليست تحته شوكة ويحتمل ان يكون قوله واتخذ
سبيله اخبار من الله تعالى وذلك على وجهين اما ان يخبر
عن موسى انه اتخذ سبيل الحوت من البحر عجبا اي تعجب منه
واما ان يخبر عن الحوت انه اتخذ سبيله عجبا للناس ومن
غريب ما روي في البخاري عن ابن عباس من قصص هذه الايه
ان الحوت انما حيي لانه مسه ما عين هناك تدعى عين الحياه
ما مست قط شيا الا حيي وفي التفسير ان العلامة كانت
ان يحيى الحوت

بلغ

ان تحيي الحوت فقيل لما نزل موسي بعد ما اجهده السفر علي صخرة الي جنبها ما الحياة اصاب الحوت شي من ذلك الما فحيي
وقال الترمذي في حديثه قال سفيان بن عمر ناس ان تلك الصخرة عندها عين الحياة ولا يصيب ماؤها ميتا الا عاش قال فكان الحوت قد اكل منه فلما قطر عليه الما عاش وذكر
صاحب كتاب العروس ان موسي عليه السلام توضا من عين الحياة فقطر من لحيته علي الحوت قطرة والله اعلم **قوله تعالي**
ذلك ما كنا نبغي اي قال موسي لفتاه امر الحوت وفقده هو الذي كنا نطلب فان الرجل الذي جيناله ثم فرجعا يقصان اثارهما
لئلا يخطيا طريقهما في البخاري فوجدا خضرا علي كبد البحر مسجي بثوبه قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت راسه
فسلم عليه فكشف عن وجهه وقال هل بارضك من سلام من انت قال موسي قال موسي بني اسرايل قال نعم قال فما شانك
قال جيت لتعلمني مما علمت رشدا الحديث وقال الثعلبي في كتاب العرايس ان موسي وفتاه وجدا الخضر وهو نايم
علي طنفسة خضرا علي وجه الماء وهو متشح بثوب اخضر فسلم عليه موسي فقال اني بارضنا السلام ثم رفع راسه
واستوي جالسا وقال وعليك السلام يا نبي بني اسرايل فقال له موسي وما ادراك بي ومن اخبرك اني نبي بني اسرايل

علم طرطوسمح ...

قال الذي ادراكني وذلك علي ثم قال يا موسى لقد كان لك في بني
اسرايل شغل قال موسى ان ربي ارسلني اليك لا تبعك واعلم
من علمك ثم جلسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها
من الماء وذكر الحديث علي ما ياتي قوله تعالى فوجدا عبدا من
عبادنا العبد هو الخضر عليه السلام في قول الجمهور بمقتضى
الاحاديث الثابتة وخالف من لا يعتد بقوله فقال ليس صاحب
موسى بالخضر بل هو عالم اخر وحكى ايضا هذا القول القشيري
قال وقال قوم هو عبد صالح والصحيح انه كان الخضر بذلك
ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد سمي الخضر
لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وروى الترمذي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر لانه جلس
علي فروة بيضا فاهتزت تحته خضرا هذا حديث صحيح غريب
الفروة هنا وجه الارض قاله الخطابي وغيره والخضر نبي عند
الجمهور وقيل هو عبد صالح غير نبي والاية تشهد بنبوته
لانه بواطن افعاله هل كانت الا بوحي وايضا فان الانسان لا
يتعلم ولا يتبع الا من فوقه وليس يجوز ان يكون فوق النبي
من ليس بنبي وقيل كان ملكا امر الله تعالى موسى ان ياخذ
عنه مما حمله من علم الباطن والاول الصحيح والله اعلم
قوله تعالى اتيناه رحمة من عندنا الرحمة في هذه الاية
النبوة

النبوه وقيل النعمة وعلمناه من لدنا علما اي علم الغيب ابن عطيه
كان علم الخضر معرفة بواطن قد اوحيت اليه لا تعطي ظواهر
الاحكام افعاله بحسبها وكان علم موسى علم الاحكام والفتيا بظاهر
اقوال الناس وافعالهم قوله تعالى قال له موسى هل اتبعك
على ان تعلمني مما علمت رشدا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى قال له تعالى
موسى هل اتبعك هذا سوال الملاطف المخاطب المستنزل المبالغ
في حسن الادب المعنى هل يتفق لك ويخف عليك وهذا كما في الحديث
هل تستطيع ان تريني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتوضا وعلى بعض التاويلات يجي كذلك قوله تعالى هل يستطيع
ربك ان ينزل علينا مايدة من السماء حسب ما تقدم بيانه في
المايدة الثانية في هذه الاية دليل على ان المتعلم تبع للعالم
وان تفاوتت المراتب ولا تظن ان تعلم موسى من الخضر ما يدل
على ان الخضر كان افضل منه فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول
والفضل لمن فضله الله فالخضر ان كان وليا فموسى افضل منه
لانه نبي والنبي افضل من الولي وان كان نبيا فموسى فضله
بالرسالة والله اعلم ورشدا مفعول ثان بتعلمني قال له
الخضر انك لن تستطيع معي صبرا اي انك يا موسى لا تطيق ان
تصبر على ما تراه من علمي لان الظواهر التي هي علمك لا تعطيه
وكيف تصبر على ما تراه خطا ولم تخبر بوجه الحكمة فيه ولا

طريق الصواب وهو معنى قوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا
والانبيا لا يقرون على منكر ولا يجوز لهم التقرير اي لا يسعك السكوت
جريا على عادتك وحكمك وانتصب خبرا على التمييز المنقول عن
الفاعل وقيل على المصدر الملاقي في المعنى لان قوله لم تحط معناه
تخبره خبرا خبرا واليه اشار مجاهد والخبير بالامور هو
العالم بخفاياها وما يختبر منها قوله تعالى ستجدني ان
شا الله صابرا اي ساصبر بمشية الله ولا اعصي لك امرا اي
قد الزمت طاعتك واختلف في الاستثنا هل يشمل قوله ولا
اعصي لك امرا فقيل يشمله كقوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
وقيل استثنى في الصبر فصبر وما استثنى في قوله ولا اعصي
فاعترض وسال قال علماونا انما كان ذلك منه لان الصبر امر
مستقبل ولا يدري كيف يكون حاله فيه ونفي المعصية معزوم
عليه حاصل في الحال فالاستثنا فيه ينافي العزم عليه ويمكن
ان يفرق بينهما بان الصبر ليس مكتسبا لنا بخلاف فعل
المعصية وتركها فان ذلك كله مكتسب لنا والله اعلم قوله
تعالى فان اتبعتني فلا تسالني عن شي حتى احدث لك منه ذكرا
اي حتى اكون انا الذي افسره لك وهذا من الخضر تاديب وارشاد
لما يقتضي دوام الصحبة فلو صبر وداب لراى العجب لكنه
الترم الاعتراض فتعين الفراق والاعراض قوله تعالى

فانطلقا

تفسير

١٥٢

ع ر / ابن عطية عرب
السفينة لا الا الاصل
يخرق الخضر لا بعد
عينها ٥

فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينه خرقها فيه مسئلتان الاولى
في صحيح البخاري ومسلم فانطلقا يمشيان على ساحل البحر
فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه
بغير نول فلما ركبا في السفينة لم يفجا الا والخضر قد قلع
لوحًا من الواح السفينه بالقدوم فقال له موسى قوم
حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها
لقد جيت شيا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا
قال لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا
قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الاولى من
موسى نسيانا قال وجا عصفور فوقع على حرف السفينة
فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم
الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر قال علماونا
حرف السفينه طرفها وحرف كل شي طرفه وهو اعلاه
المحدد والعلم هنا بمعنى المعلوم كما قال ولا يحيطون بشيء
من علمه اي من معلوماته وهذا من الخضر تمثيل اي معلوماتي
ومعلوماتك في علم الله لا اثر لها كما ان ما اخذ هذا العصفور
من هذا البحر لا اثر له بالنسبة الى ماء البحر وانما مثل له
ذلك بالبحر لانه اكثر ما نشاهده مما بين ايدينا واطلاق
لفظ النقص هنا تجوز قصد به التمثيل والتفهيم اذ لا

نقص في علم الله ولا نهاية لمعلوماته وقد اوضح هذا المعنى
البخاري فقال والله ما علمي وما علمك في جنب علم الله الا كما
اخذ هذا الطاير بمنقاره من البحر وفي التفسير عن ابي العاليه
لم ير الخضر حين خرق السفينه غير موسى وكان عبدا لا
تراه الاعين من اراد الله ان يريه ولو اراه القوم لمنعوه
من خرق السفينه وقيل خرج اهل السفينة الى جزيره
وتخلف الخضر فخرق السفينه وقال ابن عباس لما خرق
الخضر السفينه تنحى موسى ناحية وقال في نفسه ما
كنت لاصنع بمصاحبة هذا الرجل كنت في بني اسرايل
اتلوا كتاب الله عليهم غدوة وعشيه فيطيعوني قال له
الخضر يا موسى اتريد ان احدثك بما حدثت به نفسك قال
نعم قال كذا وكذا قال صدقت ذكره الثعلبي في كتاب العرايس
الثانية في خرق السفينه دليل على ان المولى ان ينقص مال
اليتيم اذا راه صلاحا مثل ان يخاف على ربعه ظالما فيخرب
بعضه وقال ابو يوسف يجوز للمولى ان يصانع السلطان
ببعض مال اليتيم عن البعض وقرا حمزة والكساي ليغرق
باليا اهلها بالرفع فاعل يغرق فاللام على قراة الجماعة في
ليغرق لام المال مثل ليكون لهم عدوا وحزنا وعلى قراة
حمزة لام كي ولم يقل لتغرقني لان الذي غلب عليه في الحال

اخبرك

فرط الشفقه

فرط الشفقة عليهم ومراعاة حقهم وامرا معناه عجبا قاله
القتبي وقيل منكرا قاله مجاهد وقال ابو عبيدة الامر الداهية
العظيمة وانشد قد لقي الاقران مني نكرا داهية دهيا اذا امرا
وقال الاخفش يقال امر امره يا مر اذا اشتد والاسم الامر
قوله تعالى لا تواخذني بما نسيت في معناه قولان احدهما
يروي عن ابن عباس قال هذا من معاريض الكلام والاخر انه
نسي فاعتذر وفيه ما يدل على ان النسيان لا يقتضي المواخذه
وانه لا يدخل تحت التكليف ولا يتعلق به حكم طلاق ولا غيره
وقد تقدم ولو نسي في الثانية لاعتذر قوله تعالى فانطلقا
حتى اذا لقيا غلاما فقتله في البخاري قال يعلى قال سعيد وجد
غلمانا يلعبون فاخذ غلاما كافرا فاضجعه ثم ذبحه بالسكين
قال اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لم تعمل بالخبث وفي
الصحيحين وصحيح الترمذي ثم خرجا من السفينة فبينما
هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع
الغلمان فاخذ الخضر راسه بيده فاقتلعه بيده فقتله
فقال له موسى اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جيت
شيا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال
وهذه اشد من الاولى قال ان سالتك عن شي بعدها
فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا لفظ البخاري وفي

التفسير ان الخضر مر بغلمان يلعبون فاخذ بيد غلام لبس فيهم
اضو منه واخذ حجرا فضرب به راسه حتى دمغه فقتله قال
ابو العاليه لم يره الا موسى ولو راوه لحالوا بينه وبين الغلام
قلت ولا اختلاف بين هذه الاحوال الثلاثه فانه يحتمل ان
يكون دمغه اولا بالحجر ثم اضجعه فذبحه ثم اقتلع راسه والله
اعلم بما كان من ذلك وحسبك بما في الصحيح وقرا الجمهور
زاكيه بالف وقرا الكوفيون وابن عامر زكية بغير الف وتشديد
اليا وقيل المعنى واحد قاله الكساى وقال ثعلب الزكية ابلغ
وقال ابو عمرو الزاكيه التى لم تذنب قط والزكيه التي اذنبت
ثم تابت قوله تعالى غلاما اختلف العلما في الغلام هل
كان بالغا ام لا فقال الكلبي كان بالغا يقطع الطريق بين قريتين
وابوه من عظما احدى القريتين وامه من عظما القرية الاخرى
فاخذه الخضر فصرعه ونزع راسه من جسده قال الكلبي
واسم الغلام شمعون وقال الضحاك حشنود وقال وهب
اسم ابيه سلاس واسم امه رحمى وحكى السهيلي ان اسم
ابيه كان بريا واسم امه سهوى وقال الجمهور وقال الجمهور
لم يكن بالغا ولذلك قال موسى زاكية لم تذنب وهو الذى
يقتضيه لفظ الغلام فان الغلام في الرجال يقال على من لم
يبلغ وتقابله الجارية في النسا وكان الخضر قتله لما علم

من سره

من سره وانه طبع كافرا كما في صحيح الحديث وانه لو ادرك ابويه
لارهقهما كفرا وقتل الصغير غير مستحيل اذا اذن الله في ذلك
قال الله تعالى الفعال لما يريد القادر على ما يشا وفي كتاب العرايس
ان موسى لما قال للخضر اقتلت نفسا زاكية الاية غضب الخضر
واقتلع كتف الصبي الايسر وقشر اللحم عنه واذا في عظم كتفه
مكتوب كافر لا يومن بالله ابدا وقد احتج اهل القول الاول بان
العرب تبقي على الشاب اسم الغلام ومنه قول ليلى الاخيلية
شفاها من الداء العضال الذي بها غلام اذا هز القناة شفاها
وقال صفوان لحسان تلق ذباب السيف عني فانني غلام اذا
هوجيت لست بشاعر وفي الخبر ان هذا الغلام كان يفسد
في الارض ويقسم لابويه انه ما فعل فيقسمان على قسمه ويحميانه
ممن يطلبه قالوا وقوله بغير نفس يقتضي انه لو كان عن قتل
نفس لم يكن به باس وهذا يدل على كبر الغلام والا فلو كان
لم يحتلم لم يجب قتله بنفس وانما جاز قتله لانه كان بالغا
عاصيا قال ابن عباس كان شابا يقطع الطريق وذهب ابن
جبير الى انه بلغ سن التكليف لقراة ابي وابن عباس واما
الغلام فكان كافرا وكان ابواه مومنين والكفر والايمان
من صفات المكلفين ولا يطلق على غير مكلف الا لحكم التبعية
لابويه وابوا الغلام كانا مومنين بالنص فلا يصدق عليه اسم

الكافر الا بالبلوغ فتعين ان يصار اليه والغلام من الاغتلام وهو
شدة الشبق قوله تعالى نكرا اختلف الناس ايما ابلغ امرا
او قوله نكرا فقالت فرقة هذا قتل بين وهناك مترقب فنكرا
ابلغ وقالت فرقة هذا قتل واحد وذاك قتل جماعة فامرا ابلغ
قال ابن عطيه وعندي انهما لمعنيين وقوله امرا افظع واهول
من حيث هو متوقع عظيم ونكرا بين في الفساد لان مكروهه
قد وقع وهذا بين قوله ان سالتك عن شي بعدها فلا تصاحبني
شرط وهو لازم والمسلمون عند شروطهم واحق الشروط
ان يوفي بما التزمه الانبيا وقوله قد بلغت من لدني عذرا
يدل على قيام الاعذار بالمرة الواحدة مطلقا وقيام الحجة
من المرة الثانية بالقطع قاله ابن العربي ابن عطيه ويشبه
ان تكون هذه القصة ايضا اصلا للاجال في الاحكام التي
هي ثلاثة وايام التلوم ثلاثة فتامله قوله تعالى فلا تصاحبني
كذا قرا الجمهور اي تتابعني وقرا الاعرج تصحبني بفتح التا
والبا وتشديد النون وقري تصحبني اي تتبعني وقراءة
يعقوب تُصحبني بضم التاء وكسر الحا ورواها سهل عن
ابي عمرو قال الكسائي معناه فلا تتركني اصحبك وقد بلغت
من لدني عذرا اي بلغت مبلغا تعذر به في ترك مصاحبتي
وقرا الجمهور من لدني بضم الدال الا ان نافعا وعاصما خففا
النون

النون فهي لدن اتصلت بها يا المتكلم التي في غلامي وفرسي
وكسر ما قبل اليا كما كسر في هذه وقرا ابو بكر عن عاصم بفتح
اللام وسكون الدال وتخفيف النون وروي عن عاصم لدني بضم
اللام وسكون الدال قال ابن مجاهد وهي غلط قال ابو علي هذا
التغليظ يشبه ان يكون من جهة الرواية فاما على قياس
العربية فهي صحيحة وقرا الجمهور عذرا وقرا عيسى بضم
الذال وحكى الداني ان ابيا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
عذري بكسر الرا ويا بعدها مسئلة اسند الطبري قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لاحد بدا بنفسه
قال يوما رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر على صاحبه
لراى العجب ولكنه قال فلا تصاحبني قد بلغت من لدني
عذرا والذي في صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى لولا انه عجل لراى
العجب قال وكان اذا ذكر احدا من الانبيا بدا بنفسه رحمة
الله علينا وعلى اخي كذا وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يرحم الله موسى لوددنا انه صبر حتى يقص علينا من امرهما
الذمامة بالذال المعجمة المفتوحة وهو بمعنى المذمة بفتح
الذال وكسرها وهي الرقة والعار من ترك الحرمة يقال اخذتني
منه مذمة ومذمة وذمامة فكانه استحيى من تكرار

لدني ... ولكنه اخذته ذمامة من صاحبه فلو صبر لراى العجب

مخالفته وما صدر عنه من تغليظ الانكار فقوله تعالى فانطلقا حتى
اذا اتيا اهل قرية الى قوله صبرا فيه ثلاث عشرة مسلة الاولى
قوله تعالى حتى اذا اتيا اهل قرية في صحيح مسلم عن ابي بن كعب
عن النبي صلى الله عليه وسلم لئام فطافا في المجالس فاستطعما
اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يقول
مايل قال الخضر بيده فاقامه قال له موسى قوم اتيناهم فلم
يضيفونا ولم يطعمونا لو شيت لتخذت عليه اجرا قال هذا
فراق بيني وبينك سانبيك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى لوددت
انه كان صبر حتى يقص علينا من اخبارهما الثانية واختلف
العلما في القرية فقيل هي ايلة قاله قتادة وكذلك قال محمد بن
سيرين وهي ابخل قرية وابعدها من السماء وقيل انطاكية
وقيل بجزيرة الاندلس روي ذلك عن ابي هريرة وغيره ويذكر
انها الجزيرة الخضرا وقالت فرقة هي ابو حوران وهي بناحية
اذربيجان وحكى السهيلي وقالوا فيها انها برقة الثعلبي هي
قرية من قرى الروم يقال لها ناصره واليها تنسب النصارى
وهذا كله بحسب الخلاف في اي ناحية من الارض كانت قصة
موسى والله اعلم بحقيقة ذلك الثالثة كان موسى عليه السلام
حين سقى لبنت شعيب احوج منه الى حين اتى القرية
مع الخضر

الذي قيل وروى القشيري
[illegible] الابلة ع

مع الخضر ولم يسأل قوتا بل سقي ابتداه وفي القرية سالا
القوت وفي ذلك للعلما انفصالات كثيرة منها ان موسى كان في
حديث مدين منفردا وفي قصة الخضر متبعا لغيره قلت
وعلى هذا المعنى يتمشى قوله في اول الاية لفتاه اتنا غدانا لقد
لقينا من سفرنا هذا نصبا فاصابه الجوع مراعاة لصاحبه
يوشع والله اعلم وقيل لما كان هذا سفر تاديب وكل
الى تكلف المشقة وكان ذلك سفر هجرة فوكل الى العون
والنصرة بالقوة الرابعة في هذه الاية دليل على سوال
القوت وان من جاع وجب عليه ان يطلب ما يرد جوعه
خلافا لجهال المتصوفة والاستطعام سوال الطعام
والمراد به هنا سوال الضيافة بدليل قوله فابوا ان
يضيفوهما فاستحق اهل القرية لذلك ان يذموا وينسبوا
الى اللوم والبخل كما وصفهم بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم
قال قتادة في هذه الاية شر القرى التي لا يضيف ولا
يعرف لابن السبيل حقه ويظهر من ذلك الضيافة كانت
عليهم واجبة وان الخضر وموسى انما سالا ما يجب لهما
من الضيافة وهذا هو الاليق بحال الانبيا ومنصب الفضلا
والاوليا وقد تقدم القول في الضيافة في هود والحمد لله
ويعفو الله عن الحريري حيث استخف في هذه الاية

ولحن واي تخطئ من القول وزل ما يستدل بها علي الكذبة
والالحاح فيها فان ذلك ابين به عيب علي فاعله ولا منقصة عليه
فقال فان رددت فاني الرد منقصة عليك قد رد موسي قبل
والخضر، وهذا لعب بالدين وانسلال عن احترام النبيين
وهي سنسنة ادبية وهفوة سخافة ويرحم الله السلف
الصالح فلقد بالغوا في وصية كل ذي عقل راجح فقالوا
مهما كنت لاعبا بشي فاياك ان تلعب بدينك الخامسة قوله
تعالى جدارا الجدار والجدر بمعنى وفي الخبر حتى يبلغ الما
الجدر ومكان جدير اي بني حواليه جدار واصله الرفع
واجدرت الشجرة طلعت ومنه الجدري السادسة
قوله تعالى يريد ان ينقض اي قرب ان يسقط وهذا
مجاز وتوسع وقد فسره في الحديث بقوله مايل فكان
فيه دليل علي وجود المجاز في القران وهو مذهب الجمهور
وجميع الافعال التي حقها ان تكون للحي الناطق متى
اسندت الي جماد او بهيمة فانما هي استعارة اي لو كان
مكانهما انسانا لكان متمثلا لذلك الفعل وهذا في كلام
العرب واشعارها كثير فمن ذلك قول الاعشي
اتنتهون ولا ينهي ذوي شطط كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل
يريد الرمح صدر ابي براء ويرغب عن دماء بني عقيل وقال اخر
ومن ذلك قول الاخر [illegible]

وقال اخر ان دهرا يلف شملي بسلمى لزمان يهم بالاحسان
وقال اخر في مهمه فلقت به هاماتنا فلق الفوس اذ اردن
اي ثبوتا في الارض من قولهم نصل السيف اذا ثبت في الرمية
فشبه وقع السيوف على روسهم بوقع الفوس في الارض
فان الفاس يقع فيها لا يكاد يخرج وقال حسان بن ثابت
لو ان اللوم ينسب كان عبدا قبيح الوجه اعور من ثقيف
وقال عنترة فازور من وقع القنا بلبانه وشكى الي بعبرة وتحمحم
وقد فسر هذا المعني بقوله لو كان يدري ما المحاورة اشتكى
وهذا في هذا المعني كثير جدا ومنه قول الناس داري تنظر
الي دار فلان وفي الحديث اشتكت النار الي ربها وذهب
قوم الي منع المجاز في القران منهم ابو اسحق الاسفرايني
وابو بكر داود الاصبهاني وغيرهما وان كلام الله جل وعز
وكلام رسوله حمله على الحقيقة اولى بذي الدين والفضل
لانه يقص الحق كما اخبر في كتابه ومما احتجوا به ان قالوا لو خاطبنا
الله بالمجاز لزم وصفه بانه متجوز ايضا فان العدول
عن الحقيقة الي المجاز يقتضي العجز عن الحقيقة وهو على الله
محال قال الله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم
وقال تعالى وتقول هل من مزيد وقال تعالى اذا راتهم من
مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقال تعالى تدعوا

من ادبر وتولى واشتكت النار الى ربها واحتجت النار والجنة
وما كان مثله حقيقه وان خالقها انطق الذي انطق كل شي وفي صحيح
مسلم من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فيختم على
فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله
وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي سخط الله
عليه هذا في الاخره واما في الدنيا ففي الترمذي عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لا تقوم الساعه حتى تكلم السباع الانس وحتى يكلم الرجل
عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره فخذه بما احدث اهله
من بعده وفي الباب عن ابي هريرة وهذا حديث حسن صحيح
غريب السابعة قوله تعالى فاقامه قيل هدمه ثم قعد
يبنيه فقال موسى للخضر لو شيت لتخذت عليه اجرا لانه
فعل يستحق اجرا وذكر ابو بكر الانباري عن ابن عباس عن
ابي بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قرا فوجدا فيها
جدارا يريد ان ينقض فهدمه ثم قعد يبنيه قال ابو بكر وهذا
الحديث ان صح سنده فهو جار من الرسول عليه السلام
مجرى التفسير للقران وان بعض الناقلين ادخل قرا في موضع
فسر لا ان ذلك قران نقص من مصحف عثمان على ما قاله بعض
الطاعنين وقال سعيد بن جبير مسحه بيده واقامه فقام
وهذا

وهذا القول هو الصحيح وهو الاشبه بافعال الانبيا عليهم
السلام بل والاوليا وفي بعض الاخبار ان سمك ذلك الحايط
كان ثلاثين ذراعا بذراع ذلك القرن وطوله علي وجه الارض
خمس مائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا فاقامه الخضر
اي سواه بيده فاستقام قاله الثعلبي في كتاب العرايس
فقال موسي للخضر لو شيت لتخذت عليه اجرا اي طعاما
ناكله ففي هذا دليل علي كرامات الاوليا ولذلك ما وصف
من احوال الخضر في هذا الباب كلها امور خارقة للعادة
هذا اذا نزلنا علي انه ولي لا نبي وقوله وما فعلته عن
امري يدل علي نبوته وانه يوحي اليه بالتكليف والاحكام
كما اوحي الي الانبيا غير انه ليس برسول والله اعلم الثامنة
واجب علي الانسان ان لا يتعرض للجلوس تحت جدار مايل
يخاف سقوطه بل يسرع في المشي اذا كان مارا عليه لان
في حديث النبي صلي الله عليه وسلم اذا مر احدكم بطربال
مايل فليسرع المشي قال ابو عبيد القاسم بن سلام كان
ابو عبيدة يقول الطربال شبيه بالمنظر من مناظر
العجم كهيئة الصومعة والبنا المرتفع قال جرير
الوي بها شذب العروق مشذب فكانما وكنت علي طربال
يقال منه وكن يكن اذا جلس وفي الصحاح الطربال القطعة

وطرابلس

العاليه من الجدار والصخره العظيمه المشرفه من الجبل والطرابلس
الشام صوامعها و يقال طريق بوله اذا مده الي فوق التاسعه
كرامات الاوليا ثابته على ما دلت عليها الاخبار الثابته والايات
المتواتره ولا ينكرها الا مبتدع جاحد او فاسق حايد
فالايات ما اخبر الله عز وجل في حق مريم من ظهور الفواكه
الشتويه في الصيف والصيفيه في الشتا كما تقدم وما ظهر
علي يدها حيث امرت النخله وكانت يابسه فاثمرت وهي
ليست بنبيه على الخلاف ويدل عليها ما ظهر على يد الخضر
من خرق السفينه وقتل الغلام واقامة الجدار قال بعض
العلما ولا يجوز ان يقال كان نبيا لان اثبات النبوه لا يجوز
باخبار الاحاد لا سيما وقد روي من طريق التواتر من
غير ان يحتمل تاويلا باجماع الامه قوله عليه السلام لا
نبي بعدي وقال تعالى وخاتم النبيين والخضر ودانيال
جميعا باقيين مع هذه الكرامه فوجب ان يكونا غير نبيين
لاوجب ان يكون بعد نبينا عليه السلام نبيا الا ما قامت
الدلاله في حديث عيسى انه ينزل بعده قلت الجمهور ان
الخضر كان نبيا على ما تقدم وليس بعد نبينا نبي يخبر اي
يدعي النبوه بعده ابدا والله اعلم العاشره واختلف
الناس هل يجوز ان يعلم الولي انه ولي ام لا على قولين احدهما

لا يجوز

لانها لم تثبت نبوتهما

لا يجوز وانما يظهر على يديه يجب ان يلاحظه بعين خوف المكر
لانه لا يامن ان يكون مكرا واستدراجا له وقد حكي عن السري
انه كان يقول لو ان رجلا دخل بستانا فكلمه من راس كل شجرة
طير بلسان فصيح السلام عليك يا ولي الله فلو لم يخف ان يكون
ذلك مكرا لكان ممكورا به ولانه لو علم انه ولي لزال عنه الخوف
وحصل له الامن ومن شرط الولي ان يستديم الخوف الى ان
تتنزل عليه الملايكه كما قال جل وعز تتنزل عليهم الملايكة الا
تخافوا ولا تحزنوا ولان الولي من كان مختوما له بالسعادة
والعواقب مستورة ولا يدري احد ما يختم له به ولهذا
قال عليه السلام انما الاعمال بخواتيمها القول الثاني انه
يجوز للولي ان يعلم انه ولي الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم
يجوز ان يعلم انه ولي ولا خلاف انه يجوز لغيره ان يعرفه انه
ولي الله فجاز له ان يعلم ذلك وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم
من حال العشرة من اصحابه انهم من اهل الجنه ثم لم يكن في ذلك
زوال خوفهم بل كانوا اكثر تعظيما لله سبحانه واشد خوفا
وهيبة واذا جاز للعشرة ذلك ولم يخرجهم عن الخوف فكذلك
غيرهم وكان الشبلي يقول انا امان هذا الجانب فلما مات ودفن
عبر الديلم دجلة ذلك اليوم واستولوا على بغداد ويقول
الناس مصيبتان موت الشبلي وعبور الديلم ولا يقال انه

بالخواتيم

يحتمل ان يكون ذلك استدراجا لانه لو جاز ذلك لجاز ان لا يعرف
النبي انه نبي وولي الله لجواز ان يكون ذلك استدراجا فلما لم
يجز ذلك لان فيه ابطال المعجزات لم يجز هذا لان فيه ابطال الكرامات
وما ظهر من ظهور الكرامات علي يدي بلعام وانسلاخه عن الدين
بعدها بقوله فانسلخ منها فليس في الاية انه كان وليا ثم
انسلخت عنه الولاية وما نقل انه اظهر علي يده ما يجري مجري
الكرامات هو اخبار احاد لا توجب العلم والله اعلم والفرق
بين المعجزة والكرامة ان الكرامات من شرطها الاستتار والمعجزة
من شرطها الاظهار وقيل الكرامة ما تظهر من غير دعوي
والمعجزة ما يظهر عند دعوي الانبيا فيطالبون بالبرهان
فيظهر اثر ذلك وقد تقدم في مقدمة الكتاب شرايط المعجزة
والحمد لله وحده لا شريك له واما الاحاديث الوارده في الدلالة
علي ثبوت الكرامات فمن ذلك ما خرجه البخاري من حديث
ابي هريره قال بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم عشرة
رهط سرية عينا وامر عليهم عاصم بن ثابت الانصاري جد
عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم فانطلقوا حتي اذا كانوا
بالهداة وهو بين عسفان ومكة ذكروا الحي من هذيل يقال
لهم بنو لحيان فنفروا اليهم قريبا من ماتي راجل كلهم رامي
فاقتصوا اثارهم حتي وجدوا ماكلهم تمرا تزودوه من
المدينة

بلغ

لامه

قردد

المدينة فقالوا هذا ثمر يثرب فاقتصوا اثارهم فلما راهم
عاصم واصحابه تحرزوا الى فدفد واحاط بهم القوم فقالوا لهم
انزلوا فاعطونا بايديكم ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم
احدا فقال عاصم بن ثابت امير السرية اما انا فوالله لا انزل
اليوم في ذمة كافر اللهم اخبر عنا نبيك فرموهم بالنبل
فقتلوا عاصما في سبعة فنزل اليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق
منهم خبيب الانصاري وابن دثنة ورجل اخر فلما استمكنوا
منهم اطلقوا اوتار قسيهم فاوثقوهم فقال الرجل الثالث
هذا اول الغدر والله لا اصحبكم ان لي في هاولاء لاسوة يريد
القتلى فجرروه وعالجوه على ان يصحبهم فقتلوه فانطلقوا
بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر فابتاع
خبيبا بنو الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وكان
خبيب هو قتل الحرث بن عامر يوم بدر فلبث خبيب عندهم
اسيرا فاخبرني عبيد الله بن عياض ان بنت الحرث اخبرته
انهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحد بها فاعارته
فاخذ ابنا لي وانا غافلة حتى اتاه قالت فوجدته مجلسه
على فخذه والموسى بيده قالت ففزعت فزعة عرفها خبيب
في وجهي فقال اتخشى ان اقتله ما كنت لافعل ذلك قالت
والله ما رايت اسيرا قط خيرا من خبيب والله لقد وجدته

يوما يأكل من قطف عنب في يده وانه لموثق بالحديد وما
بمكة من ثمر وكانت تقول انه لرزق رزقه الله خبيبا
فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب دعوني
اركع ركعتين فتركوه فركع ركعتين ثم قال لولا ان تظنوا ان
ما بي جزع اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم احدا
وقال ولست ما ابالي حين اقتل مسلما على اي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشا يبارك على اوصال شلو ممزع
فقتله بنو الحرث وكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرئ
مسلم قتل صبرا فاستجاب الله لعاصم يوم اصيب فاخبر
النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه خبرهم وما اصيبوا وبعث
ناس من كفار قريش الى عاصم حين حدثوا انه قتل ليوتوا
بشي منه يعرف وكان قد قتل رجلا من عظمايهم يوم بدر
فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم
فلم يقدروا على ان يقطعوا من لحمه شيا وقال ابن اسحق
في هذه القصه وقد كانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت
ارادوا راسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن الشهيد
وقد كانت نذرت حين اصيب ابناها باحد لين قدرت على
راسه لتشربن في قحفه الخمر فمنعتهم الدبر فلما حالت
بينهم وبينه قالوا دعوه حتى يمسي فيذهب عنه فنا

فبعث

معا دعوني لزدت صح

[illegible] اي من اعصابه

فبعث الله الوادي فاحتمل عاصما فذهب وقد كان عاصم
اعطى الله عهدا ان لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك ابدا في
حياته فمنعه الله بعد وفاته مما امتنع منه في حياته
وعن عمرو بن امية الضمري وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعثه عينا وحده فقال جيت الى خشبة
خبيب فرقيت فيها وانا اتخوف العيون فاطلقته فوقع
بالارض ثم اقتحمت فانتبذت قليلا ثم التفت فكانما
ابتلعته الارض وفي رواية اخرى زيادة فلم يذكر
لخبيب رمة حتى الساعة ذكره البيهقي الحادية عشره
ولا ينكر ان يكون للولي مال وضيعه يصون بها وجهه
وعياله وحسبك بالصحابة واموالهم مع ولايتهم وفضلهم
وهم الحجة على غيرهم وفي صحيح مسلم عن ابي هريره عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل بفلاة من الارض فسمع
صوتا في سحابة اسقي حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فافرغ
ماه في حره فاذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت
ذلك الما كله فتتبع الما فاذا رجل قايم في حديقته يحول
الما بمسحاته فقال يا عبد الله ما اسمك قال فلان للاسم الذي
سمع في السحابة فقال له يا عبد الله لم سالتني عن اسمي
قال اني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماوه يقول

اسقي حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها قال اما إذ قلت
هذا فاني انظر الي ما تخرج منها فاتصدق بثلثه واكل
انا وعيالي ثلثا وارد فيها ثلثه في روايه واجعل ثلثه في
المساكين والسايلين وابن السبيل قلت وهذا الحديث
لاينا قضه قوله عليه السلام لا تتخذوا الضيعة فترغبوا
الي الدنيا خرجه الترمذي من حديث ابن مسعود وقال
فيه حديث حسن فانه محمول علي من اتخذها مستكثرا
ومتنعما ومتمتعا بزهرة الدنيا واما من اتخذها معاشا
يصون بها دينه وعياله فاتخاذها بهذه النيه من
افضل الاعمال وهي من افضل الاموال قال صلي الله عليه
وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقد اكثر الناس
في كرامات الاوليا وما ذكرناه فيه كفاية والله الموفق
للهداية الثانية عشره قوله تعالي لتخذت عليه اجرا
دليل علي صحة جواز الاجاره وهي سنة الانبيا والاوليا
علي ما ياتي بيانها في سورة القصص ان شا الله وقرا
الجمهور لاتخذت وابو عمرو لتخذت وهي قراه ابن
مسعود والحسن وقتادة وهما لغتان بمعني واحد
من الاخذ مثل قولك تبع واتبع وتقي واتقي وادغم
بعض القرا الذال في التا ولم يدغمها بعضهم وفي حديث
ابي بن كعب

ابي بن كعب لو شيت لاو نيت اجرا وهذه صدرت من
موسي سوالا علي جهة العرض لا الاعتراض فعند ذلك
قال له الخضر هذا فراق بيني وبينك لحكم ما شرطت علي
نفسك وتكرير بيني وبينك وعدوله عن بيننا لمعنى التاكيد
قاله سيبويه كما يقال اخزى الله الكاذب مني ومنك اي
منا وقال ابن عباس كان قول موسي في السفينة والغلام لله
وكان قوله في الجدار لنفسه لطلب شي من الدنيا فكان سبب
الفراق وقال وهب بن منبه كان ذلك الجدار جدارا طوله
في السماء مائة ذراع **الثالثة عشره** سانبيك بتاويل
ما لم تستطع عليه صبرا تاويل الشي ماله اي اخبرك لم
فعلت وقيل في تفسير هذه الايات التي وقعت لموسي مع الخضر
انها حجة علي موسي وعجبا له وذلك انه لما انكر امر خرق السفينة
نودي يا موسي اين كان تدبيرك هذا وانت في التابوت مطروحا
في اليم فلما انكر امر الغلام قيل له اين انكارك هذا من وكزك
للقبطي وقضائك عليه فلما انكر اقامة الجدار نودي اين
هذا من رفعك حجر البير لبنات شعيب دون اجر **قوله**
تعالي اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر استدل
بهذا من قال ان المسكين احسن حالا من الفقير وقد مضى هذا
المعنى مستوفي في براه وقيل انهم كانوا تجارا ولكن من حيث

هم مسافرون على قلب في لجة بحر وبحال ضعف عن
مدافعة عطب عبر عنهم بمساكين اذ هم في حالة يشفق
عليهم بسببها وهذا كما تقول لرجل غني وقع في وهلة او
خطب مسكين وقال كعب وغيره كانت لعشرة اخوة من
المساكين ورثوها عن ابيهم خمسة زمنى وخمسة يعملون
في البحر وقيل كانوا سبعة بكل واحد منهم زمانة ليست بالاخر
وقد ذكر النقاش اسماهم فاما العمال منهم فاحدهم كان
مجزوما والثاني اعور والثالث اعرج والرابع ادر
والخامس محموما لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو اصغرهم
والخمسة الذين لا يطيقون العمل اعمى واصم واخرس ومقعد
ومجنون وكان البحر الذي يعملون فيه بين فارس والروم
ذكره الثعلبي وقرات فرقة لمسّاكين بتشديد السين واختلف
في ذلك فقيل هم ملاحوا السفينة وذلك ان المساك هو الذي
يمسك رجل السفينة وكل الخدمة يصلح لامساكه فسمي الجميع
مساكين وقالت فرقة اراد بالمسّاكين دبغة المسوك وهي
الجلود واحدها مسك والاظهر قراءة مساكين بالتخفيف
جمع مسكين وان معناها ان السفينة لقوم ضعفاء ينبغي ان
يشفق لهم قوله تعالى فاردت ان اعيبها اي اجعلها ذات
عيب يقال عبت الشي فعاب اذا صار ذا عيب فهو معيب
وعايب

وعايب وقوله وكان وراهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا
قرا ابن عباس وابن جبير صحيحه وقرا ايضا ابن عباس
وعثمان بن عفان صالحه وورااها بمعنى خلف فقال بعض
المفسرين انه كان خلفهم وكان رجوعهم عليه والاكثر على
ان معنى وراهنا امام يعضده قراة ابن عباس وابن جبير
وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا قال ابن عطية
وراهم هو عندي على بابه وذلك ان هذه الالفاظ انما تجي
مراعا بها الزمان وذلك ان الحادث المقدم الوجود هو
الامام والذي ياتي بعد هو الورا وهو ما خلف وذلك
خلاف ما يظهر ببادي الراي وتامل هذه الالفاظ في
مواضعها حيث وردت نجدها تطرد فهذه الاية معناها
ان هولاء وعملهم وسعيهم ياتي بعده في الزمان غصب هذا
الملك ومن قرا امامهم اراد في المكان اي كانهم يسيرون
الى بلده وقول النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة امامك يريد
في المكان والا فكونهم في ذلك الوقت كان امام الصلاة في
الزمان وتامل هذه المقاله فانها مرنجه من شعب هذه
الالفاظ ووقع لقتادة في كتاب الطبري وكان وراهم ملك
قال قتادة امامهم الا تراه يقول من وراهم جهنم وهي
بين ايديهم وهذا القول غير مستقيم وهذه هي العجمة

التي كان الحسن بن ابي الحسن يضح منها قاله الزجاج قلت وما
اختاره هذا الامام قد سبقه اليه في ذلك ابن عرفة قال
الهروي قال ابن عرفة يقول القايل كيف قال ومن وراية
وهي امامه فزعم ابو عبيد وابو قطرب ان هذا من الاضداد
وان ورا في معنى قدام وهذا غير محصل لان امام ضد وراء
وانما يصلح هذا في الاماكن والاوقات كقول الرجل اذا
وعد وعدا في رجب لرمضان ثم قال من وراىك شعبان
لجاز وان كان امامه لانه مخلفه الي وقت وعده واشار
الي هذا القول ايضا القشيري وقال انما يقال هذا في
الاوقات ولا يقال للرجل امامك انه وراك قال الفرا وجوزه
غيره والقوم ما كانوا عالمين بخبر الملك فاخبر الله الخضر
حتى عيب السفينة ذكره الزجاج وقال الماوردي اختلف
اهل العربية في استعمال ورا موضع امام علي ثلثة اقوال
احدها يجوز استعمالها بكل حال وفي كل مكان وهو
من الاضداد قال الله تعالي ومن ورايهم جهنم اي من امامهم
وقدامهم وقال الشاعر
ايرجوا بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة وراىيا
يعني امامي والثاني ان ورا تستعمل في موضع امام في
المواقيت والازمان لان الازمان قد تجوزها فتصير
وراه

علي

وراه ولا يجوز في غيره والثالث انه يجوز في الاجسام التي
لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد ورا الاخر ولا يجوز في
غيرهما وهذا قول علي بن عيسى واختلف في اسم هذا الملك
فقيل هدد بن بدد وقيل الجلندي وقال السهيلي وذكر
البخاري الملك الاخذ لكل سفينة غصبا فقال هو حيسور اسم
وهكذا قيدناه في الجامع من رواية ابي زيد المروزي وفي
غير هذه الرواية حيسور بالحاء وعندي في حاشية
الكتاب رواية ثالثة وهي حسنون وكان ياخذ كل سفينة
جيدة غصبا فلذلك عابها الخضر وخرقها ففي هذا من الفقه
العمل بالمصالح اذا تحقق وجهها وجواز اصلاح كل المال
بفساد بعضه وقد تقدم في صحيح مسلم وجه الحكمة بخرق
السفينة وذلك قوله فاذا الذي يسخرها وجدها منخرقة
فتجاوزها فاصلحوها بخشبة الحديث ويحصل من هذا
الحض علي الصبر في الشدايد فكم في ضمن ذلك المكروه من الفوايد
وهذا معني قوله وعسي ان تكرهوا شيا وهو خير لكم
قوله تعالي واما الغلام فكان ابواه مومنين جا في
صحيح الحديث انه طبع يوم طبع كافرا وهذا يوبد ظاهره
انه غير بالغ ويحتمل ان يكون خبرا عنه مع كونه بالغا
وقد تقدم هذا المعني قوله تعالي فخشينا فيد هو من

كلام الخضر وهو الذي يشهد له سياق الكلام وهو قول كثير
من المفسرين اي خفنا ان يرهقهما طغيانا وكفرا وكان الله
قد اباح له الاجتهاد في قتل النفوس علي هذه الجهه وقيل هو
من كلام الله تعالى وعنه عبر الخضر قال الطبري معناه فعلمنا
وكذا قال ابن عباس اي فعلمنا وهذا كما كني عن العلم بالخوف
في قوله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله وحكي ان ابيا قرا
فعلم ربك وقيل الخشية بمعني الكراهه يقال فرقت بينهما
خشية ان يقتتلا اي كراهية ذلك قال ابن عطية والاظهر
عندي في توجيه هذا التاويل وان كان اللفظ يدافعه
انها استعارة اي علي ظن المخلوقين والمخاطبين لو علموا حاله
لوقع منهم خشية الرهق للابوين وقرا ابن مسعود فخاف
ربك وهذا بين في الاستعارة وهذا نظير ما يقع في القران
في جهة الله تعالي من لعل وعسي وان جميع ما في هذا كله
من ترج وتوقع وخوف وخشية فما هو بحسبكم ايها
المخاطبون ويرهقهما يجشمهما ويكلفهما والمعنى ان يلقيهما
حبه في اتباعه فيضلا ويتدينا بدينه قوله تعالي
فاردنا ان يبدلهما قرا الجمهور بفتح البا وشد الدال
وقرا عاصم بسكون البا وتخفيف الدال اي ان يرزقهما
الله ولدا خيرا منه زكاة اي دينا وصلاحا يقال بدل
وابدل

وابدل مثل مهل وامهل ونزل وانزل واقرب رحما قرا ابن
عباس رحما بالضم قال الشاعر وكيف تظلم جاريه ومنها
اللين والرحم الباقون يسكونها ومنه قول روايه بن العجاج
يا منزل الرحم على ادريسا ومنزل اللعن على ابليسا واختلف
على ابي عمرو ورحمى معطوف على زكاة اي رحمة يقال رحمة
رحمة ورحمى والفه للتانيث ومذكره رحم وقيل ان
الرحمى هنا بمعنى الرحم قراها ابن عباس واوصل رحما اي
رحما وقرا ايضا ازكى منه وعن ابن جريج انهما بدلا جاريه
قال الكلبي فتزوجها نبي من الانبيا فولدت له نبيا فهدى
الله على يديه امة من الامم قتادة ولدت اثنى عشر نبيا
وعن ابن جريج ايضا ان ام الغلام يوم قتل كانت حاملا
بغلام مسلم وكان المقتول كافرا وعن ابن عباس فولدت
جارية ولدت نبيا وفي رواية ابدلهما الله به جارية ولدت
سبعين نبيا وقاله جعفر بن محمد عن ابيه قال علماونا
وهذا بعيد ولا يعرف كثرة الانبيا الا في بني اسرايل وهذه
المراة لم تكن فيهم ويستفاد من هذه الاية تهوين المصايب
بفقد الاولاد وان كانوا قطعا من الاكباد ومن سلم
للقضا اسفرت عاقبته عن اليد البيضا قال قتادة
لقد فرح به ابواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل

ولو بقي كان فيه هلاكهما فالواجب علي كل امرئ الرضا بقضا الله
فان قضا الله للمومن فيما يكره خير له في قضايه له فيما يحب
قوله تعالى واما الجدار فكان لغلامين هاذان الغلامان
صغيران بقرينة وصفهما باليتم واسمهما اصرم واصيرم
وقد قال عليه السلام لا يتم بعد بلوغ هذا الظاهر وقد يحتمل
ان يبقي عليهما اسم اليتم بعد البلوغ ان كانا يتيمين علي معني
الشفقة عليهما وقد تقدم ان اليتم في الناس من قبل فقد
الاب وفي غيرهم من الحيوان من قبل فقد الام ودل قوله
في المدينة علي ان القرية تسمي مدينه ومنه الحديث
امرت بقرية تاكل القري وفي حديث الهجره لمن انت
فقال الرجل من اهل المدينة يعني مكة قوله تعالى
وكان تحته كنز لهما اختلف الناس في الكنز فقال عكرمة
وقتادة كان مالا جسيما وهو الظاهر من اسم الكنز
اذ هو في اللغة المال المجموع وقد مضي القول فيه وقال
ابن عباس كان علما في صحف مدفونه وعنه ايضا قال
كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم
عجبت لمن يومن بالقدر كيف يحزن عجبت لمن يومن
بالرزق كيف يتعب عجبت لمن امن بالموت كيف يفرح
عجبت لمن يومن بالحساب كيف يغفل عجبت لمن يعرف الدنيا
وتقلبها

ونقلبها باهلها كيف يطمين اليها لا اله الا الله محمد رسول الله
وروي نحوه عن عكرمة وعمر مولى غفرة ورواه عثمان
بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وكان
ابوهما صالحا ظاهر اللفظ والسابق انه والدهما دنية
وقيل هو الاب السابع قاله جعفر بن محمد وقيل العاشر فحفظا
فيه وان لم يذكرا بصلاح وكان يسمى كاشحا قاله مقاتل واسم
امهما دنيا ذكره النقاش ففيه ما يدل على ان الله يحفظ
الصالح في سبعة من دونه وعلى هذا يدل قوله تعالى ان وليي
الله الذي نزل الكتاب قوله تعالى وما فعلته عن امري
يقتضي ان الخضر نبي وقد تقدم الخلاف في ذلك ذلك تاويل
اي تفسير ما لم تستطع عليه صبرا اقرات فرقة تستطع
قال ابو حاتم كذا نقرا في خط المصحف وهنا خمس مسايل
الاولى ان قال قايل لم يسمع لفتى موسى بذكر في اول الاية ولا
في اخرها قيل له اختلف في ذلك فقال عكرمة لابن عباس
لم يسمع لفتى موسى بذكر وقد كان معه فقال شرب الفتا
من الماء فخلد واخذه العالم وطبق عليه سفينة ثم
ارسله في البحر وانها لتموج به الى يوم القيامة وذلك
الله لم يكن له ان يشرب منه فشرب منه قال القشيري
وهذا ان ثبت فليس الفتا يوشع بن نون فان يوشع

بن نون قد عمر بعد موسى وكان خليفته والاظهر ان موسى
صرف فتاه لما لقي الخضر وقال شيخنا الامام ابو العباس
ويحتمل ان يكون اكتفى بذكر المتبوع على التابع والله
اعلم الثانية ان قال قايل كيف اضاف الخضر قصة استخراج
كنز الغلامين لله تعالى وقال في خرق السفينة فاردت ان
اعيبها فاضاف العيب الى نفسه قيل له انما اسند الاراده
في الجدار الى الله تعالى لانها في امر مستانف في الزمن طويل
غيب من الغيوب يحسن افراد هذا الموضع بذكر الله تعالى
وان كان الخضر قد اراد ذلك الذي اعلمه الله انه يريده وقيل لما
كان ذلك خيرا كله اضافه الى الله تعالى واضاف عيب السفينه
الى نفسه رعاية للادب لانها لفظة عيب فتادب بان لم يسند
الاراده فيها الا الى نفسه كما تادب ابراهيم عليه السلام في
قوله واذا مرضت فهو يشفين فاسند الفعل قبل وبعد
الى الله تعالى واسند المرض الى نفسه اذ هو معنى نقص
ومصيبة فلا يضاف اليه سبحانه من الالفاظ الا ما يستحسن
منها دون ما يستقبح وهذا كما قال تعالى بيدك الخير
واقتصر عليه ولم ينسب الشر اليه وان كان بيده الخير
والشر والنفع والضر اذ هو على كل شي قدير وبكل
شي خبير ولا اعتراض بما حكاه عليه السلام عن ربه
عز وجل

١٦٧

عز وجل انه يقول يوم القيامة يا ابن ادم مرضت فلم تعدني
واستطعمتك فلم تطعمني واستسقيتك فلم تسقني فان
ذلك تنزل في الخطاب ولطف في العتاب مقتضاه التعريف
بفضل ذي الجلال وبمقدار ثواب هذه الاعمال وقد
تقدم هذا المعنى ولله تعالى ان يطلق على نفسه ما شا
ولا نطلق نحن الا ما اذن لنا فيه من الاوصاف الجميلة
والافعال الشريفة جل وتعالى عن النقايص والافات
علوا كبيرا وقال في الغلام فاردنا فدل انه اضاف الفعل الى
نفسه والتبديل الى الله والاسند كمال الخلق والفعل وقد
مضى الكلام فيه في الانعام والحمد لله الثالثة قال سبحا
الامام ابو العباس ذهب قوم من زنادقة الباطنية
الى سلوك طريق يلزم منه هدم الاحكام الشرعية فقالوا
هذه الاحكام الشرعية العامة انما يحكم بها على الاغبيا والعامة
واما الاوليا واهل الخصوص فلا يحتاجون الى تلك النصوص
بل انما يراد منهم ما يقع في قلوبهم ويحكم عليهم بما يغلب
عليهم من خواطرهم قالوا وذلك لصفا قلوبهم عن الاكدار
وخلوها عن الاغيار فتتجلى لهم العلوم الالهية والحقايق
الربانية فيقفون على اسرار الكاينات ويعلمون احكام الجزيات
فيستغنون بها عن احكام الشرايع الكليات كما اتفق للخضر

فانه استغني بما تجلي له من العلوم عما كان عند موسي من
تلك الفهوم وقد جا فيما ينقلون ان استفت قلبك وان افتاك
المفتون قال شيخنا رضي الله عنه وهذا القول زندقة وكفر
يقتل قايله ولا يستتاب لانه انكار ما علم من الشرايع فان
الله تعالي قد اجري سنته وانفذ حكمته بان احكامه لا تعلم
الا بواسطة رسله السفرا بينه وبين خلقه وهم المبلغون
عنه رسالاته وكلامه المبينون شرايعه واحكامه اختارهم
لذلك وخصهم بما هنالك كما قال تعالي الله يصطفي من الملايكة
ومن الناس وقال الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقال تعالي
كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين الايه الي غير
ذلك من الاي وعلي الجمله فقد حصل العلم القطعي واليقين
الضروري واجماع السلف والخلف علي ان لا طريق لمعرفة
احكام الله التي هي راجعه الي امره ونهيه ولا يعرف شي
منها الا من جهة الرسل فمن قال ان هناك طريقا اخر
يعرف بها امره ونهيه غير الرسل بحيث يستغني عن الرسل
فهو كافر يقتل ولا يستتاب ولا يحتاج معه الي سوال
ولا جواب ثم هو قول باثبات انبيا بعد نبينا عليه السلام
الذي قد جعله الله خاتم انبيايه ورسله فلا نبي بعده ولا
رسول وبيان ذلك ان من قال ياخذ عن قلبه وان ما وقع
فيه

فيه هو حكم الله وانه يعمل بمقتضاه وانه لا يحتاج مع ذلك
الى كتاب ولا سنة فقد اثبت لنفسه خاصة النبوة فان
هذا نحو مما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح
القدس نفث في روعي الحديث الرابعة ذهب الجمهور من
الناس الى ان الخضر مات صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة
انه حي لانه شرب من عين الحياة وانه باق في الارض وانه يحج
البيت قال ابن عطية وقد اطنب النقاش في هذا المعنى
وذكر في كتابه اشيا كثيرة عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وغيره وكلها لا تقوم على ساق ولو كان الخضر عليه السلام
حيا يحج لكان له في ملة الاسلام ظهور والله العليم بتفاصيل
الاشيا لا رب غيره ومما يقضي بموت الخضر الان قوله صلى
الله عليه وسلم ارايتكم ليلتكم هذه فانه لا يبقى ممن هو اليوم
على ظهر الارض احد قلت الى هذا ذهب البخاري واختاره
القاضي ابو بكر بن العربي والصحيح القول الثاني وانه حي
على ما نذكره وهذا الحديث خرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله
بن عمر قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة
صلاة العشا في اخر حياته فلما سلم قام فقال ارايتكم ليلتكم
هذه فان على راس ماية منها لا يبقى ممن هو على ظهر الارض
احد قال ابن عمر فوهل الناس في مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم

على ... الخضر

فيما يتحدثون من هذه الاحاديث عن مائة سنة وانما قال :
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبقى ممن هو على ظهر الارض احد
يريد بذلك ان ينخرم ذلك القرن ورواه ايضا من حديث
جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
قبل ان يموت بشهر تسلوني عن الساعة وانما علمها عند الله
واقسم بالله ما على الارض نفس منفوسة اليوم ياتي عليها مائة
سنة وفي اخرى ما من نفس منفوسة اليوم ياتي عليها مائة
سنه وهي حية يومئذ وفسرها عبد الرحمن صاحب
السقاية قال نقص العمر وعن ابي سعيد نحو هذا الحديث
قال علماونا وحاصل ما تضمنه هذا الحديث انه عليه السلام
اخبر قبل موته بشهر ان كل من كان من بني آدم موجودا
في ذلك لا يزيد عمره على مائة سنه لقوله ما من نفس منفوسة
وهذا اللفظ لا يتناول الملايكه ولا الجن اذ لم يصح منهم انهم
كذلك ولا الحيوان غير العاقل لقوله ممن هو على ظهر الارض
احد وهذا انما يقال باصل وضعه على من يعقل فتعين
ان المراد بنو ادم وقد بين ابن عمر هذا المعنى فقال يريد
بذلك ان ينخرم ذلك القرن ولا حجة لمن استدل به على
بطلان قول من يقول ان الخضر حي لعموم قوله ما من نفس
منفوسة لان العموم وان كان موكدا لاستغراق فليس
نصا فيه

تضافيه بل هو قابل للتخصيص وكما لم يتناول عيسى عليه السلام
فانه لم يمت ولم يقتل فهو حي بنص القران ومعناه ولا
يتناول الدجال مع انه حي بدليل حديث الجساسة فكذلك
لم يتناول الخضر عليه السلام وليس مشاهدا للناس عليه م
ولا ممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم حالة مخاطبة بعضهم
بعضا فمثل هذا العموم لا يتناوله وقد قيل ان اصحاب
الكهف احيا ويحجون مع عيسى عليه السلام كما تقدم وكذلك
فتى موسى في قول ابن عباس كما ذكرنا وقد ذكر ابو اسحق
الثعلبي في كتاب العرايس له والخضر على جميع الاقوال نبي
معمر محجوب عن الابصار وروى محمد بن المتوكل عن ضمرة
عن عبد الله بن سوار قال الخضر من ولد فارس والياس
من بني اسرايل يلتقيان كل عام في الموسم وعن عمرو بن
دينار قال ان الخضر والياس لا يزالان يحييان في الارض
ما دام القران في الارض فاذا رفع ماتا وقد ذكر شيخنا
الامام ابو محمد عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي اللخمي
في شرح الرسالة له للقشيري حكايات كثيرة عن جماعة
من الصالحين والصالحات بانهم راوا الخضر ولقوه يفيد
مجموعها غلبة الظن بحياته مع ما ذكره النقاش والثعلبي
وغيرها وقد جا في صحيح مسلم ان الدجال ينتهي الى بعض السباخ

التي تلي المدينة فيخرج اليه يومئذ رجل هو خير الناس او
من خير الناس الحديث وفي اخره قال ابو اسحق يقال ان هذا
الرجل هو الخضر وذكر ابن ابي الدنيا في كتاب الهواتف بسند
يرفعه الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه لقي الخضر وعلمه
هذا الدعا ذكر فيه ثوابا عظيما ومغفرة ورحمة لمن قاله
في اثر كل صلاة وهو يا من لا يشغله سمع عن سمع ويا من
لا تغلطه المسايل ويا من لا يتبرم من الحاح الملحين اذقني
برد عفوك وحلاوة مغفرتك وذكر ايضا عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في هذا الدعا بعينه نحوا مما ذكر عن علي بن
ابي طالب في سماعه من الخضر وذكر ايضا اجتماع الياس
الى عهد النبي صلى الله عليه وسلم جاز بقا الخضر وقد ذكر
انهما يجتمعان عند البيت في كل حول وانهما يقولان عند
افتراقهما ما شا الله ما شا الله لا يصرف السو الا الله ما
شا الله ما شا الله ما يكون من نعمة فمن الله ما شا الله
ما شا الله توكلت على الله حسبنا الله ونعم الوكيل
واما خبر الياس فياتي في والصافات ان شا الله وذكر
ابو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد عن علي رحمة الله
قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وسجي بثوب هتف
هاتف من ناحية البيت يسمعون صوته ولا يرون شخصه
السلام عليكم

لعله النبي صلى الله عليه وسلم واذا جاز بقا الياس

بلغ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته السلام عليكم اهل البيت كل نفس
ذايقة الموت الاية ان في الله خلفا من كل هالك وعوضا من
كل تالف وعزا من كل مصيبة فبالله فثقوا واياه فارجوا
فان المصاب من حرم الثواب فكانوا يرون انه الخضر عليه السلام
يعني اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والالف واللام في قوله على
الارض للعهد لا للجنس وهي ارض العرب بدليل تصرفهم فيها
واليها غالبا دون ارض ياجوج وماجوج واقاصي جزر الهند
والسند مما لا يقرع السمع اسمه ولا يعلم علمه ولا جواب عن
الدجال قال السهيلي واختلف في اسم الخضر اختلافا متباينا
فعن ابن منبه انه قال ايليا بن ملكان بن فالغ بن شالخ بن
ارفخشد بن سام بن نوح وقيل هو ابن عاميل بن سما فحين
بن اريا بن علقما بن عيصة بن اسحق وان اباه كان ملكا وان
امه كانت بنت فارس واسمها الها وانها ولدته في مغارة
وانه وجد هنالك وشاة ترضعه في كل يوم من غنم رجل من
القرية فاخذه الرجل فرباه فلما شب وطلب الملك ابوه
كاتبا وجمع اهل المعرفة والنبالة ليكتب الصحف التي انزلت
على ابراهيم وشيث كان فيمن اقدم عليه من الكتاب ابنه الخضر
وهو لا يعرفه فلما استحسن خطه ومعرفته وبحث عن
جلية امره عرف انه ابنه فضمه لنفسه وولاه امر الناس

مطلب ١٤ اسم الخضر عم

حياة الخضر

ثم ان الخضر فر من الملك لاسباب يطول ذكرها الي ان وجد عين الحياة
فشرب منه فهو حي الي ان يخرج الدجال وانه الرجل الذي
يقتله الدجال ويقطعه ثم يحييه الله تعالي وقيل لم يدرك
زمن النبي صلي الله عليه وسلم وهذا لا يصح وقال البخاري وطايفة
من اهل الحديث منهم شيخنا ابو بكر بن العربي رحمه الله انه مات
قبل انقضا المايه من قوله عليه السلام الي راس مايه عام
لا يبقي علي هذه الارض ممن هو عليها يعني من كان حيا حين قال
هذه المقالة قلت قد ذكرنا هذا الحديث والكلام عليه وبينا
حياة الخضر الي الان فالله اعلم الخامسة قيل ان الخضر لما
ذهب يفارق موسي قال له موسي اوصني قال كن بساما ولا
تكن ضحاكا ودع اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تعب
علي الخطايين خطاياهم وابك علي خطيتك يا ابن عمران
قوله تعالي ويسالونك عن ذي القرنين قل ساتلوا
عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض واتيناه من كل شي سببا
قال ابن اسحاق وكان من خبر ذي القرنين انه اوتي ما لم يوت
غيره فمدت له الاسباب حتي انتهي من البلاد الي مشارق
الارض ومغاربها لا يطا ارضا الا سلط علي اهلها حتي
انتهي من المشرق والمغرب الي ما ليس وراه شي من الخلق
قال ابن اسحق حدثني من يسوق الاحاديث عن الاعاجم
فيما

فيما تواترثوا من علمه ان ذا القرنين كان رجلا من اهل مصر
اسمه مرزبا بن مردبه اليوناني من ولد يونان بن يافث بن
نوح قال ابن هشام واسمه الاسكندر وهو الذي بني
الاسكندريه فنسبت اليه قال ابن اسحق وقد حدثني ثور
بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعي وكان رجلا قد ادرك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن ذي القرنين فقال ملك
مسح الارض من تحتها بالاسباب وقال خالد سمع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه رجلا يقول يا ذا القرنين فقال عمر اللهم غفرا
اما رضيتم ان تسموا بالانبيا حتى تسميتم بالملايكه قال ابن
اسحق فالله اعلم اي ذلك كان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ام لا الحق ما قال قلت وقد روي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه مثل قول عمر سمع رجلا يدعو اخر يا ذا القرنين
فقال علي اما كفاكم ان تسميتم باسما الانبيا حتى تسميتم باسماء
الملايكه وعنه انه عبد ملك بكسر اللام صالح نصح الله
فايده وقيل هو نبي مبعوث فتح الله على يديه الارض وذكر
الدارقطني في كتاب الاخبار ان ملكا يقال له زيا قيل
كان ينزل على ذي القرنين وذلك الملك هو الذي يطوي الارض
يوم القيامه وينقضها فتقع اقدام الخلايق كلهم بالساهره
فيما ذكر بعض اهل العلم قال السهيلي وهذا مشاكل بتوكيله

بذي القرنين الذي قطع الارض مشارقها ومغاربها كما ان
قصة خالد بن سنان في تسخير النار له مشاكلة لحال الملك
الموكل به وهو مالك صلى الله عليه وعلى جميع الملايكة اجمعين
ذكر ابن ابي خيثمة في كتاب البدء له خالد بن سنان العبسي
وذكر نبوته وذكر انه وكل به من الملايكة مالك خازن النار
وكان من اعلام نبوته ان نارا يقال لها نار الحدثان كانت تخرج
على الناس من مغارة فتاكل الناس ولا يستطيعون ردها
فردها خالد بن سنان فلم تخرج بعد واختلف في اسم
ذي القرنين وفي السبب الذي سمي به بذلك اختلافا كثيرا
فاما اسمه فقيل هو الاسكندر الملك اليوناني المقدوني
وقد تشدد قاله فيقال المقدوني وقيل اسمه هرمس ويقال
هرديس وقال ابن هشام هو الصعب بن ذي يزن الحميري
من ولد وائل بن حمير وقد تقدم قول ابن اسحق وقال وهب
بن منبه هو رومي وذكر الطبري حديثا عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان ذا القرنين شاب من الروم وهو حديث
واهي السند قاله ابن عطية قال السهيلي والظاهر من
علم الاخبار انهما اثنان احدهما كان على عهد ابراهيم عليه
السلام ويقال انه الذي قضى لابراهيم عليه السلام حين
تحاكموا اليه في بير السبع بالشام والاخر انه كان
قريبا

قريبا من عهد عيسى عليه السلام وقد قيل انه افريدون
الذي قتل بنوارسف بن ايدراسف الملك الطاغي على عهد
ابراهيم عليه السلام او قبله بزمان واما الاختلاف في السبب
الذي سمي به فقيل انه كان ذا ضفيرتين من شعر فسمي بهما
ذكره المهدوي وغيره والضفاير قرون الشعر ومنه قول الشاعر
فلثمت فاها اخذا بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرج
وقيل انه راي في اول ملكه كانه قابضا على قرني الشمس
فقص ذلك ففسر انه سيغلب ما ذرت عليه الشمس فسمي
بذلك ذا القرنين وقيل انما سمي بذلك لانه بلغ المغرب والمشرق
فكانه حاز قرني الدنيا وقالت طايفة انه لما بلغ مطلع الشمس
كشف بالروية قرونها فسمي بذلك او قرني الشيطان بها
وقال وهب بن منبه كان له قرنان تحت عمامته وسال
ابن الكوا عليا رضي الله عنه عن ذي القرنين انبيا كان ام
ملكا فقال لا ذا ولا ذا كان عبدا صالحا دعا قومه الى الله
فشجوه على قرنه ثم دعاهم فشجوه على قرنه الاخر فسمي
ذا القرنين واختلفوا ايضا في وقت زمانه فقال قوم
كان بعد موسى وقال قوم كان في الفترة بعد عيسى وقيل
كان في وقت ابراهيم واسماعيل وكان الخضر صاحب لوايه
الاعظم وقد ذكرناه في البقره وبالجملة فان الله تعالى

مكنه وملكه ودانت له الملوك فروي ان جميع ملوك الدنيا
كلها اربعه مومنان وكافران فالمومنان سليمان بن داود
والاسكندر والكافران نمرود وبخت نصر وسيملكها
من هذه الامه خامس لقوله تعالى ليظهره على الدين كله وهو
المهدي وقد قيل انما سمي ذي القرنين لانه كان كريم الطرفين
من اهل بيت شريف من قبل ابيه وامه وقيل لانه انقرض
في وقته قرنان من الناس وهو حي وقيل لانه كان اذا قاتل
قاتل بيديه وركابيه جميعا وقيل لانه اعطي علم الظاهر
والباطن وقيل لانه دخل الظلمة والنور وقيل لانه ملك فارس
والروم لقوله تعالى انا مكناله في الارض قال علي رضي الله عنه
سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له في النور
فكان الليل والنهار عليه سوا وفي حديث عقبة بن عامر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجال من اهل الكتاب سالوه
عن ذي القرنين فقال ان اول امره انه كان غلاما من الروم
فاعطي ملكا فسار حتى اتى ارض مصر فابتنى بها مدينة يقال
لها الاسكندريه فلما فرغ اتاه ملك فعرج به فقال انظر ما
تحتك فقال ارى مدينتي وحدها لا ارى غيرها فقال له الملك
ملك الارض كلها وهذا السواد الذي ترى محيطا بها هو البحر
وانما اراد الله ان يريك الارض وقد جعل لك سلطانا فيها

فسر

تسر في الارض فعلم الجاهل وثبت العالم الحديث قوله تعالى
واتيناه من كل شي سببا قال ابن عباس من كل شي علما يتسبب
به الي ما يريد وقال الحسن بلاغا الى حيث اراد وقيل من كل
شي تحتاج اليه الخلق وقيل من كل شي يستعين به الملوك
من فتح المداين وقهر الاعدا واصل السبب الحبل فاستعير لكل
ما يتوصل به الي شي فاتبع سببا قرا ابن عامر وعاصم وحمزة
والكساى فأتبع سببا مقطوعة الالف وقرا اهل المدينة
وابو عمرو فاتّبع يوصلها اي اتبع سببا من الاسباب التي اوتيها
قال الاخفش تبعته واتبعته بمعنى مثل ردفته واردفته
ومنه قوله تعالى الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب
ومنه الاتباع في الكلام مثل حسن بسن وقبيح شقيح
قال النحاس واختار ابو عبيد قراة اهل الكوفة قال لانها
من السير وحكى هو والاصمعي انه يقال تبعته واتبعته اذا
سار ولم يلحقه واتبعه اذا لحقه قال ابو عبيد ومثله
فاتبعوهم مشرقين قال النحاس وهذا من التفريق وان
كان الاصمعي قد حكاه لا يقبل الا بعلة او دليل وقوله
جل وعز فاتبعوهم ليس في الحديث انهم لحقوهم وانما
الحديث لما خرج موسى صلى الله عليه وسلم من البحر
وحصل فرعون واصحابه انطبق عليهم البحر والحق في هذا

ان تبع واتبع اخثان بمعنى واحد وهو بمعنى السير وقد
تجوز ان يكون معه لحاق وان لا يكون حتى اذا بلغ مغرب الشمس
وجدها تغرب في عين حمئة قرا ابن عامر وعاصم وحمزة
والكساى حامية اي حارة الباقون حمئة اي كثيرة الحماه
وهي الطينة السودا تقول حمات البير حما بالتسكين اذا نزعت
حماتها وحميت البير حما بالتحريك كثرت حماتها ويجوز ان
يكون حامية من الحماة فخففت الهمزة وقلبت يا وقد يجمع
بين القراتين فيقال كانت حارة وذات حماة وقال عبد الله
بن عمر نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى الشمس حين غربت
فقال نار الله الحامية في نار الله الحامية لولا ما يزعها من
امر الله لاحرقت ما على الارض وقال ابن عباس اقرانيها
ابي كما اقراه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عين حمئة
وقال معاوية هي حامية فقال عبد الله بن عمرو بن العاص وانا
مع امير المومنين فجعلوا كعبا بينهم حكما وقالوا يا كعب كيف
تجدها في التوراة فقال اجدها تغرب في عين سودا فوافق
ابن عباس وقال الشاعر وهو تبع اليماني
قد كان ذو القرنين قبلي مسلما ملكا تدين له الملوك وتسجد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي اسباب امر من حكيم مرشد
فراى مغار الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثاط حرمد
الخلب

الخلب الطين والنأط الحما والخرمد الاسود ؛ وقال القفال قال
بعض العلما ليس المراد انه انتهى الى الشمس غربا وشرقا حتى وصل
الى جرمها ومسها لانها تدور مع السما حول الارض من غير ان
تلتصق بالارض وهي اعظم من ان تدخل في عين من عيون الارض
بل هي اكبر من الارض اضعافا مضاعفه بل المراد انه انتهى الى
اخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق فوجدها
في راي العين تغرب في عين حمية كما انا نشاهدها في الارض
الملسا كانها تدخل في الارض ولهذا قال وجدها تطلع على قوم
لم نجعل لهم من دونها ولم يرد انها تطلع عليهم بان تماسهم
وتلاصقهم بل اراد انهم اول من تطلع عليه وقال القتبي ويجوز
ان تكون الشمس تغيب وراها او معها او عندها فيقام حرف
الصفه مقام صاحبه والله اعلم ووجد عندها قوما
اي عند العين او عند نهاية العين وهم اهل جابرس ويقال
لها بالسريانية جرجيسا يسكنها قوم من نسل ثمود بقيتهم
الذين امنوا بصالح ذكره السهيلي وقال وهب بن منبه
كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجايزهم ليس
لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر فلما بلغ كان عبدا
صالحا قال الله تعالى يا ذا القرنين اني باعثك الى امم الارض
وهم امم مختلفة السنتهم وهم امم جميع الارض وهم

اصناف امتان بينهما طول الارض كلها وامتان بينهما عرض الارض
كله وامم في وسط الارض منهم الجن والانس وياجوج وماجوج
فاما اللتان بينهما عرض الارض فامة في قطر الارض الايمن
تحت مهب الجنوب يقال لها هاويل وامة في قطر الارض
الايسر يقال لها ناويل واما اللتان بينهما طول الارض فامة
عند مطلع الشمس يقال لها منسك وامة عند مغرب الشمس
يقال لها ناسك فقال ذو القرنين الهي لقد ندبتني لامر عظيم
لا يقدر قدره الا انت فاخبرني عن هذه الامم باي قوة
اكاثرهم وباي صبر اقاسيهم وباي لسان اناطقهم وكيف
لي بان افقه لغتهم وليس عندي قوة فقال الله تعالى ساظفرك
بما حملتك اشرح لك صدرك فتسمع كل شي واثبت لك فهمك
فتفقه كل شي والبسك الهيبة فلا يروعك شي واسخر
لك النور والظلمة فيكونان جندا من جنودك يهديك
النور من امامك وتحفظك الظلمة من ورائك فلما قيل
له ذلك سار بمن اتبعه فانطلق الى الامة التي عند مغرب
الشمس لانها كانت اقرب الامم منه وهي ناسك فوجد جموعا
لا يحصيها الا الله تعالى وقوة وباسا لا يطيقه الا الله
والسنة مختلفة واهوآ متشتتة فكاثرهم بالظلمة فضرب
حولهم ثلاث عساكر من جند الظلمة قدر ما احاط بهم فحبس
في كل مكان

في كل مكان حتى جمعتهم في مكان واحد ثم دخل عليهم بالنور فدعاهم الى
الله تعالى والى عبادته فمنهم من امن به ومنهم من صد عنه فادخل
على الذين تولوا الظلمة فغشيتهم من كل مكان فتحيروا وماجوا
واشفقوا ان يهلكوا فعجوا الى الله بصوت واحد انا امنا فكشفها
عنهم واخذهم عنوة فدخلوا في دعوته فجند من اهل امما
عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم
وتحرسه من خلفه والنور امامهم يقوده ويدله وهو يسير
في ناحية الارض اليمنى يريد الامة التي في قطر الارض الايمن
وهي هاويل وسخر الله له يده وقلبه وعقله ونظره ولا
يخطي اذا عمل عملا فاذا اتوا مخاضة او بحرا بنى سفنا من
الواح صغار امثال النعال فنظمها في ساعة ثم حمل فيها
جميع من معه من تلك الامم فاذا قطع الانهار والبحار
فتقها ودفع الى كل رجل لوحا فلا يكترث لحمله فانتهى الى هاويل
وفعل بهم كفعله بناسك فامنوا ففرغ منهم واخذ جيوشهم
وانطلق في ناحية الارض الاخرى حتى انتهى الى منسك عند
مطلع الشمس فعمل فيها وجند منها جنودا كفعله في الاول
ثم كر مقبلا حتى اخذ ناحية الارض اليسرى يريد تاويل
وهي الامة التي تقابل هاويل بينهما عرض الارض ففعل فيها
كفعله فيما قبلها ثم عطف الى الامم التي في وسط الارض

العزم قد حمل على اهل الامم والنور امامهم والظلمة خلفهم و[illegible] وغشيتهم من ورائهم

من الجن والانس ويا جوج وماجوج فلما كان في بعض الطريق
مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له امة صالحة من الانس
يا ذا القرنين ان بين هاذين الجبلين خلقا من خلق الله كثير ليس
فيهم مشابهة الا الانس وهم اشباه البهايم ياكلون العشب
ويفترسون الدواب والوحش كما تفترسها السباع وياكلون
دواب الارض كلها من الحيات والعقارب والوزغ وكل ذي
روح مما خلق الله في الارض وليس لله خلق ينمي نماهم في
العام الواحد فان طالت المده فسيملون الارض ويجلون
اهلها منها فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا
وذكر الحديث وسياتي من صفة ياجوج وماجوج والترك
اذ هم نوع منه ما فيه كفاية **قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين**
قال القشيري ابو نصر ان كان نبيا فهو وحي وان لم يكن نبيا
فهو الهام اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال ابرهيم
بن السري خيره بين هاذين كما خير محمدا صلى الله عليه وسلم
فقال فان جاوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم ونحوه وقال ابو اسحاق
ابو اسحق الزجاج المعنى ان الله تعالى خيره بين هاذين الحكمين
قال النحاس ورد علي بن سليمان عليه قوله لانه لم يصح ان
ذا القرنين نبي فيخاطب بهذا فكيف يقول لربه جل وعز
ثم يرد الى ربه وكيف يقول فسوف نعذبه فيخاطب بالنون

قال والتقدير

قال والتقدير قلنا يا محمد قالوا يا ذا القرنين قال ابو جعفر
النحاس هذا الذي قاله ابو الحسن لا يلزم منه شي اما قوله قلنا
يا ذا القرنين فيجوز ان يكون الله عز وجل خاطبه على لسان
نبي في وقته ويجوز ان يقول قال له هذا كما قال لنبيه اما منا
بعد واما فدا واما اشكال فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه
فيعذبه فان تقديره ان الله عز وجل لما خيره بين القتل في قوله
اما ان تعذب وبين الاستيفا في قوله واما ان تتخذ فيهم حسنا
قال اولئك القوم اما من ظلم اي اقام على الكفر منكم فسوف نعذبه
اي بالقتل ثم يرد الى ربه اي يوم القيامه فيعذبه عذابا
نكرا اي شديدا في جهنم واما من امن اي تاب من الكفر
وعمل صالحا قال احمد بن يحيى ان في موضع نصب في اما ان
تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال ولو رفعت كان
صوابا بمعنى فاما هو كما قال فسبرا فاما حاجة تقضيانها
واما مقيل صالح وصديق فله جزا الحسنى قراة اهل المدينه
وابي عمرو وعاصم فله جزا بالرفع على الابتدا او بالاستقرار
الحسنى في موضع خفض بالاضافة ويحذف التنوين للاضافة
اي له جزا الحسنى عند الله في الاخره وهي الجنة فاضاف الجزا
الى الجنة كقوله حق اليقين ولدار الاخرة قال الفرا ويحتمل
ان يريد بالحسنى الاعمال الصالحه ويمكن ان يكون هذا الجزا من

ذي القرنين اي اعطيه وانفضل عليه ويجوز ان يحذف التنوين
لالتقا الساكنين ويكون الحسني في موضع رفع علي البدل عند البصريين
وعلي الترجمة عند الكوفيين وعلي هذا قراه ابن ابي اسحق فله جزا
الحسني الا انه لم يحذف التنوين وهو اجود وقرا سائر الكوفيين
فله جزاً الحسني منصوبا منونا اي فله الحسني جزاً قال الفرا جزاً
منصوبا علي التمييز وقيل علي المصدر وقال الزجاج هو مصدر
في موضع الحال اي مجزيا بها جزاً وقرا ابن عباس ومسروق
فله جزاَ الحسني منصوبا غير منون وهي عند ابي حاتم علي حذف
التنوين لالتقاء الساكنين مثل فله جزا الحسني في احد الوجهين
في الرفع النحاس وهذا عند غير غيره خطا لانه ليس موضع
حذف تنوين لالتقاء الساكنين ويكون تقديره فله الثواب
جزا الحسني قوله تعالي ثم اتبع سببا تقدم ان اتبع واتبع
معناه اي سلك طريقا ومنازل حتي اذا بلغ مطلع الشمس وقرا
مجاهد وابن محيصن مطلع بفتح اللام يقال طلعت الشمس
والكوكب طلوعا ومطلعا والمطلع والمطلع ايضا موضع
طلوعها قاله الجوهري والمعني انه انتهي الي موضع قوم لم يكن
بينهم وبين مطلع الشمس احد من الناس والشمس تطلع وراء
ذلك مسافة بعيدة فهذا معني قوله تعالي وجدها تطلع
علي قوم وقد اختلف فيهم فعن وهب ما تقدم وانها امة يقال
لها منسك

لها منسك وهي مقابلة ناسك وقاله مقاتل وقال قتادة يقال
لهم الزمخ وقال الكلبي هم تارس وهاويل ومنسك عراة حفاة
عماة عن الحق يتسافدون مثل الكلاب ومنها رجون تهارج
الحمر وقيل هم اهل جابلق امم وهم منسك وتاقيل وتارس
وهم مجاورون ياجوج وماجوج واهل جابرس وجابلق
امنوا بالنبي عليه السلام مر بهم ليلة الاسرا فدعاهم فاجابوه
ودعا الامم الاخرين فلم يجيبوه ذكره السهيلي وقال اختصرت
هذا كله من حديث طويل رواه مقاتل بن حيان عن عكرمة عن
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه الطبري مسندا
الى مقاتل يرفعه والله اعلم قوله تعالى لم نجعل لهم من
دونها سترا اي حجابا يستترون منها عند طلوعها قال
قتاده لم يكن بينهم وبين الشمس ستر كانوا في مكان لا يستقر
عليهم بنا وهم يكونون في اسراب لهم حتى اذا زالت الشمس
عنهم رجعوا الى معايشهم وحروثهم يعني لا يستترون منها
بكهف جبل ولا بيت يكنهم منها وقال امية وجدت رجالا
بسمرقند يحدثون الناس فقال بعضهم خرجت حتى
جاوزت الصين فقيل لي ان بينك وبينهم مسيرة يوم
وليلة فاستاجرت رجلا يريهم حتى صبحتهم فوجدت
احدهم يفترش اذنه ويلتحف بالاخرى وكان صاحبي

نحسن كلامهم فبيننا بهم فقالوا فيم جيتم قلنا جينا ننظر كيف
تطلع الشمس فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي
علي ثم افقت وهم يمسحوني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء
اذا هي على الماء كهيئة الزيت واذا طرفها كهيئة الفسطاط
فلما ارتفعت ادخلوني سربا لهم فلما ارتفع النهار وزالت
الشمس عن روسهم خرجوا يصطادون السمك فيطرحونه
في الشمس فينضج وقال ابن جريج جاهم جيش مرة فقال لهم
اهلها لا تطلع الشمس وانتم بها فقالوا لما نبرح حتى تطلع الشمس
ثم قالوا ما هذه العظام قالوا هذه والله العظام جيش طلعت
عليهم الشمس ها هنا فماتوا قال فولوا هاربين في الارض
وقال الحسن كانت ارضهم لا جبل فيها ولا شجر وكانت لا تحمل
البنا فاذا طلعت عليهم الشمس نهروا في الما فاذا ارتفعت عنهم
خرجوا فيتراعون كما تتراعى البهايم قلت وهذه الاقوال
تدل على ان لا مدينة هناك والله اعلم وربما يكون منهم من
يدخل في النهر ومنهم من يدخل في السرب فلا تناقض بين
قول الحسن وقتادة قوله تعالى ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ
بين السدين وهما جبلان من قبل ارمينيه واذربيجان روى
عطا الخراساني عن ابن عباس بين السدين الجبلين ارمينيه
واذربيجان وجد من دونهما من وراهما قوما لا يكادون
يفقهون

يفقهون قولا وقرا حمزة والكسائي يفقهون بضم اليا وكسر
القاف من افقه اذا ابان اي لا يفقهون غيرهم كلاما الباقون
بفتح اليا والقاف اي يعلمون والقراتان صحيحتان فلا هم يفقهون
من غيرهم ولا يفقهون عنهم قوله تعالى قالوا ياذا القرنين اي
قالت له امة من الانس صالحة ان ياجوج وماجوج مفسدون في
الارض قال الاخفش من همز ياجوج فجعل الالف من الاصل يقول
ياجوج يفعول وماجوج مفعول كانه من اجيج النار قال
ومن لا يهمز ويجعل الالفين زائدتين يقول ياجوج من يجج
وماجوج من مجج وهما غير مصروفين قال روبة
لو ان ياجوج وماجوج معا وعاد عاد واستجاشوا تبعا ذكره
الجوهري وقيل انما لم ينصرفا لانهما اسمان اعجميان مثل طالوت
وجالوت غير مشتقين علتاه في منع الصرف العجمة والتعريف
والتانيث وقال ابو علي يجوز ان يكونا عربيين فمن همز ياجوج
فهو على وزن يفعول مثل يربوع من قولك اجت النار اي
ضويت ومنه الاجيج ومنه ملح اجاج ومن لم يهمز امكن
ان يكون خفف الهمزة فقلبها الفا مثل راس واما ماجوج
فهو مفعول من اج والكلمتان من اصل واحد في الاشتقاق
ومن لم يهمز فيجوز ان يكون خفف الهمزة ويجوز ان يكون
فاعولا من مج وترك الصرف فيهما للتانيث والتعريف كانه

علتاه في منع الصرف التعريف والتانيث
وقال روبة ... عاد ... ١٢

اسم للقبيلة واختلف في افسادهم فقال سعيد بن عبد العزيز
افسادهم لكل بني ادم وقالت فرقة افسادهم انما كان متوقعا
اي سيفسدون فطلبوا وجه التحرز منهم وقالت فرقة افسادهم
هو الظلم والغشم والقتل وساير وجوه الافساد المعلوم من
البشر والله اعلم وقد وردت اخبار بصفتهم وخروجهم وانهم
من ولد يافث روي ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ولد لنوح سام وحام ويافث فولد سام العرب وفارس
والروم والخير فيهم وولد يافث ياجوج وماجوج والترك
والسقالبه ولا خير فيهم وولد حام القبط والبربر والسودان
وقال كعب الاحبار احتلم ادم عليه السلام فاختلط ماوه
بالتراب فاسف فخلقوا من ذلك الماء فهم متصلون بنا من جهة
الاب لا من جهة الام وهذا فيه نظر لان الانبيا صلوات
الله عليهم لا يحتلمون وانما هم من ولد يافث كذلك قال
مقاتل وغيره وروي ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لا يموت رجل منهم حتى يولد لصلبه الف
رجل يعني ياجوج وماجوج وقال ابو سعيد هم خمس
وعشرون قبيله من وراء ياجوج وماجوج لا يموت
الرجل من هولاء ومن ياجوج وماجوج حتى يخرج من
صلبه الف رجل ذكره القشيري وقال عبد الله بن مسعود
سالت

سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن ياجوج وماجوج فقال
ياجوج وماجوج امتان كل امة اربع ماية الف كل امة لا
يعلم عددها الا الله لا يموت الرجل منهم حتى يولد له الف ذكر
من صلبه كلهم قد حمل السلاح قيل يا رسول الله صفهم لنا
قال هم ثلاثة اصناف صنف منهم امثال الارز شجر بالشام
طول الشجرة عشرون وماية ذراع وصنف عرضه وطوله
سوا نحوا من الذراع وصنف يفرش اذنه ويلتحف بالاخرى
لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا اكلوه ياكلون
من مات منهم مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون
انهار المشرق وبحيرة طبرية فيمنعهم الله من مكة والمدينة
وبيت المقدس وقال علي رضي الله عنه وصنف منهم في
طول شبر لهم مخالب وانياب السباع وتداعي الحمام وتسافد
البهايم وعوا الذيب وشعور تقيهم الحر والبرد واذان
عظام احداها وبره يشتون فيها والاخرى جلده يصيفون
فيها يحفرون السد حتى كادوا ينقبون فيعيده الله كما
كان حتى يقولوا ننقبه غدا ان شا الله فينقبون ويخرجون
ويتحصن الناس بالحصون فيرمون الى السماء فيرد السهم
ملطخا بالدم ثم يهلكهم الله بالنغف في رقابهم ذكره
الغزنوي وقال عن النبي صلى الله عليه وسلم ياجوج امة

لها اربع مايةِ امير وكذا ماجوج لا يموت احدهم حتى ينظر الى
الف فارس من ولده قلت قد جا مرفوعًا من حديث ابي هريرة
خرجه ابن ماجة في السنن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ياجوج وماجوج يحفران كل يوم حتى اذا كادوا يرون
شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدًا
فيعيده الله اشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله
ان يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا يروان شعاع
الشمس قال ارجعوا فستحفرونه ان شا الله فاستثنوا
فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون
على الناس فينشفون الما وتتحصن الناس منهم في حصونهم
فيرمون سهامهم الى السما فيرجع عليها الدم الذي اجفظ
فيقولون قهرنا اهل الارض وعلونا اهل السما فيبعث الله
نغفًا في اقفايهم فيقتلهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر
شكرًا من لحومهم قال الجوهري شكرت الناقة تشكر شكرًا
فهي شكرة واشتكر الضرع امتلا لبنًا وقال وهب بن منبه
رآهم ذو القرنين وطول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع
منا لهم مخالب في مواضع الاظفار واضراس وانياب
كالسباع واحناك كاحناك الابل وهم هلب عليهم من الشعر
ما يواريهم

بلغ

ما بوارثهم ولكل واحد اذنان عظيمتان يلتحف احداهما ويفترش
الاخري وكل واحد منهم قد عرف اجله لا يموت حتي يخرج من
صلبه الف رجل ان كان ذكرا ومن رحمها الف انثي ان كانت انثي
وقال السدي والضحاك الترك شرذمة من ياجوج وماجوج
خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت في هذا
الجانب قال السدي بني السد علي احدي وعشرين قبيله
وبقيت منهم قبيلة واحدة دون السد فهم الترك وقاله قتاده
قلت واذا كان هذا فقد نعت النبي صلي الله عليه وسلم الترك
كما نعت ياجوج وماجوج فقال صلي الله عليه وسلم لا تقوم
الساعة حتي يقاتل المسلمون الترك قوم وجوههم كالمجان
المطرقه يلبسون الشعر ويمشون في الشعر في روايه
وينتعلون الشعر خرجه مسلم وابو داود وغيرهما ولما
علم صلي الله عليه وسلم عددهم وكثرتهم وحدة شوكتهم
قال صلي الله عليه وسلم اتركوا الترك ما تركوكم وقد خرج منهم
في هذا الوقت امم لا يحصيهم الا الله ولا يردهم عن المسلمين
الا الله حتي كانهم ياجوج وماجوج او مقدمتهم وروي ابو
داود عن ابي بكرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال
ينزل ناس من امتي بغايط يسمونه بالبصره عند نهر يقال
له دجله يكون عليه جسر يكثر اهلها وتكون من امصار

المهاجرين قال ابن يحيى قال ابو معمر وتكون من امصار المسلمين
فاذا كان في اخر الزمان جا بنو قنطورا عراض الوجوه
صغار الاعين حتى ينزلوا على شط النهر فيتفرق اهلها ثلاث
فرق فرقة ياخذون اذناب البقر والبرية وهلكوا وفرقة
ياخذون لانفسهم وكفروا وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم
يقاتلونهم وهم الشهدا الغايط المطمين من الارض والبصره
الحجارة الرخوه وبها سميت البصره وبنو قنطورا هم الترك
يقال ان قنطورا اسم جاريه كانت لابراهيم صلوات الله عليه
ولدت له اولادا جا من نسلهم الترك قوله تعالى فهل نجعل
لك خرجا على ان فيه مسلتان الاولى قوله تعالى فهل نجعل لك
استفهام على جهة حسن الادب خرجا اى جعلا وقرى خراجا
والخرج اخص من الخراج يقال اد خرج راسك وخراج مدينتك
وقال الازهري الخراج يقع على الضريبه ويقع على مال الفيء
ويقع على الجزية وعلى الغلة والخراج اسم لما يخرج من الفرايض في
الاموال والخرج المصدر وقوله تعالى على ان تجعل بيننا وبينهم
سدا اى ردما والردم ما جعل بعضه على بعض حتى يتصل
وثوب مردم اى مرقع قاله الهروى يقال ردمت الثلمه
اردمها بالكسر ردما اى سددتها والردم ايضا الاسم وهو
السد وقيل الردم ابلغ من السد اذ السد كل ما سد به
والردم

والردم وضع الشي على الشي من حجارة او تراب او نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع ومنه ردم ثوبه اذا رقعه برقاع متكاثفة بعضها فوق بعض ومنه قول عنترة ،، هل غادر الشعرا من متردم اي من قول يركب بعضه على بعض وقري سدا بالفتح في السين فقال الخليل وسيبويه الضم هو الاسم والفتح المصدر وقال الكساي الفتح والضم لغتان بمعنى واحد وقال عكرمة وابو عمرو بن العلا وابو عبيدة ما كان من صنع البشر فهو بالفتح ويلزم اهل هذه المقالة ان يقروا سدا بالفتح وقبله بين السدين بالضم وهي قراة حمزة والكساي وقال ابو حاتم عن ابن عباس وعكرمة عكس ما قال ابو عبيدة وقال ابن ابي اسحق ما راته عيناك فهو سد بالضم وما لا يري فهو سد بالفتح الثانية في هذه الاية دليل على اتخاذ السجون وحبس اهل الفساد فيها ومنعهم من التصرف لما يريدونه ولا يتركوا وما هم عليه بل يوجعون ضربا ويحبسونه او يكفلون ويطلقون كما فعل عمر رضي الله عنه قوله تعالى قال ما مكني فيه ربي خير فيه مسلتان الاولى قوله تعالى قال ما مكني المعنى قال لهم ذو القرنين ما بسطه الله لي من القدرة والملك خير من خرجكم واموالكم ولكن اعينوني بقوة اي بقوة الابدان اي برجال وعمل

منكم بالايدي والالة التي بها ابني الردم وهو السد وهذا
من تاييد الله تعالى لذي القرنين في هذه المحاوره فان القوم
لو جمعوا له خراجا لم يعنه احد ولو كلوه الى البنيان ومعونته
بانفسهم اجمل به واسرع في انقضا مدة العمل وربما اربي ما
ذكروه له على الخرج وقرا ابن كثير وحده ما مكنني بنونين وقرا
الباقون ما مكني التانية في هذه الاية دليل على ان الملك فرض
عليه ان يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم وسد فرجهم
واصلاح ثغورهم من اموالهم التي تفي عليهم وحقوقهم التي
تجمعها خزانتهم تحت يده ونظيره حتى لو اكلتها الحقوق وانفذتها
المون لكان عليهم جبر ذلك من اموالهم وعليه حسن النظر لهم وذلك
ثلاثة شروط الاول ان لا يستاثر بشي عليهم الثاني ان يبدا
باهل الحاجة فيغنيهم الثالث ان يسوي في العطا بينهم على قدر
منازلهم فاذا فنيت بعد هذا وبقيت صفرا فاطلعت الحوادث
امرا بذلوا انفسهم قبل اموالهم فان لم يغن ذلك فاموالهم توخذ
منهم على تقدير وتصرف بتدبير فهذا ذو القرنين لما عرضوا
عليه المال في ان يكف عنهم ما يحذرونه من عادية ياجوج
وماجوج قال لست احتاج اليه وانما احتاج اليكم فاعينوني
بقوة اي اخدموا بانفسكم معي فان الاموال عندي والرجال
عندكم وراى ان الاموال لا تغني دونهم وانهم ان اخذوها اجرة
نقص ذلك

نقص ذلك مما يحتاج اليه فيعود بالاجر عليهم وكان التطوع
بخدمة الابدان اولى وضبط الامر انه لا يحل مال احد الا
لضرورة تعرض فيوخذ ذلك المال جهرا لا سرا او ينفق بالعدل
لا بالاستيثار وبراى الجماعة بالاستبداد بالامر والله الموفق
للصواب قوله تعالى اتوني زبر الحديد اي اعطوني زبر
الحديد وناولونيها امرهم بنقل الالة وهذا كله انما هو استدعا
العطية التي بغير معنى الهبة وانما هو استدعا المناولة
واعمال الابدان وزبر الحديد واصل الكلمة الاجتماع ومنه
زبرة الاسد لما اجتمع من الشعر على كاهله وزبرة الكتاب
اي كتبته وجمعت حروفه وقرا ابو بكر والمفضل ردما
ايتوني من الاتيان الذي هو المجي جيئوني بزبر الحديد
فلما سقط الخافض انتصب الفعل على نحو قول الشاعر امرتك
الخير حذف الجار فنصب الفعل وقرا الجمهور زبر بفتح البا
وقرا الحسن بضمها وكل ذلك جمع زبرة وهي القطعة العظيمة
منه قوله تعالى حتى اذا ساوى بين الصدفين يعني البنا فحذف
لقوة الكلام عليه بين الصدفين قال ابو عبيدة هما جانبا
الجبل وسميا بذلك لتصادفهما اي لتلاقيهما وقاله الزهري
وابن عباس كانه يعرض عن الاخر من الصدوف قال الشاعر
كلا الصدفين ينفذه سناها توقد مثل مصباح الظلام

ويقال للبنا المرتفع صدف تشبيها بجانب الجبل وفي الحديث
كان اذا مر بصدف مايل اسرع المشي قال ابو عبيد الصدف
والهدف كل بناء عظيم مرتفع ابن عطية الصدفان الجبلان
المتناوحان ولا يقال للواحد صدف وانما يقال صدفان للاثنين
لان احدهما يصادف الاخر وقرا نافع وحمزة والكساي الصدفين
بفتح الصاد وشدها وفتح الدال وهي قراة عمر بن الخطاب
وعمر بن عبد العزيز وهي اختيار ابي عبيد لانها اشهر
اللغات وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو الصُدُفين
بضم الصاد والدال وقرا عاصم في رواية ابي بكر
الصُدْفين بضم الصاد وسكون الدال نحو الجُرُف والجُرْف فهو
تخفيف وقرا ابن الماجشون بفتح الصاد وضم الدال
وقرا قتادة بين الصَدْفين بفتح الصاد وسكون الدال وكل
ذلك بمعنى واحد وهما الجبلان المتناوحان فقوله تعالى
قال انفخوا الى اخر الاية اي على زبر الحديد بالاثار وذلك
انه كان يامر بوضع طاقة من الزبر والحجارة ثم يوقد
عليها الحطب والفحم بالمنافخ حتى تحمي والحديد اذا اوقد عليه
صار كالنار فذلك قوله تعالى حتى اذا جعله نارا ثم يوتى بالنحاس
المذاب او بالرصاص والحديد بحسب الخلاف في القطر فيفرغه
على ملك الطاقة المعدة فاذا التام واشتد والصق البعض
بالبعض

١٨٢

بالبعض استانف وصف طائفة اخرى الى ان استوى العمل فصار
جبلا صلدا قال قتادة هو كالبرد المحبر طريقة سودا
وطريقة حمرا ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاءه رجل فقال يا رسول الله اني رايت سد ياجوج وماجوج
قال كيف رايته قال رايته كالبرد المحبر طريقه صفرا وطريقه
حمرا وطريقه سودا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد رايته ومعنى حتى اذا جعله نارا اي كالنار ومعنى
اتوني افرغ عليه قطرا اي اعطوني قطرا افرغ عليه
على التقديم والتاخير ومن قرا ايتوني فالمعنى فقالوا
افرغ عليه نحاسا والقطر عند اكثر المفسرين النحاس
المذاب واصله من القطر لانه اذا اذيب قطر كما يقطر
الما وقالت فرقة منهم ابن الانباري الرصاص المذاب وهو
مشتق من قطر يقطر ومنه واسلنا له عين القطر قوله
تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه اي ما استطاع ياجوج
وماجوج ان يعلوه ويصعدوا فيه لانه املس مستو
مع الجبل والجبل عال لا يرام وارتفاع السد مايتا ذراع
وخمسون ذراعا وروي في طوله ما بين طرفي الجبلين
مايه فرسخ وفي عرضه خمسون فرسخا قاله وهب بن
منبه وما استطاعوا له نقبا لبعد عرضه وقوته

الحمد لله اي ما العرقه

وروي الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وعقد وهيب
بيده تسعين في رواية وحلق باصبعه الابهام والتي
تليها وذكر يحيى بن سلام عن سعيد بن ابي عروبة عن
قتادة عن ابي رافع عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ياجوج وماجوج يحفرون السد كل يوم
حتى اذا كانوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم
ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله كاشد ما كان
حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله ان يبعثهم على الناس
حفروا حتى اذا كانوا يرون شعاع الشمس قال الذي
عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شا الله فيغدون اليه
وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه فيخرجون على الناس
الحديث وقد تقدم قوله تعالى فما اسطاعوا بتخفيف
الطاء على قراءة الجمهور قيل هي لغة بمعنى استطاعوا
وقيل بل استطاعوا بعينه لكثر في كلام العرب حتى حذف
بعضهم منه التا فقالوا اسطاعوا وحذف بعضهم منه
الطاء فقال استاع يستيع بمعنى استطاع يستطيع
وهي لغة مشهورة وقرا حمزة وحده فما اسطّاعوا
بتشديد الطا كانه اراد استطاعوا وادغم التا في الطاء
تشددها

فشددها وهي قراة ضعيفة الوجه قال ابو علي هي غير جايزة
وقرا الاعمش فما استطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا
بالتاء في الموضعين قوله تعالى قال هذا رحمة من ربي القايل
ذو القرنين واشار بهذا الى الردم والقوة عليه والانتفاع
به في دفع ضرر ياجوج وماجوج وقرا ابن ابي عبلة هذه
رحمة قوله تعالى فاذا جاء وعد ربي اي يوم القيامة
وقيل وقت خروجهم جعله دكا اي مستويا بالارض
ومنه قوله اذا دكت الارض دكا قال ابن عرفة اي جعلت
مستوية لا اكمة فيها ومنه قوله تعالى جعله دكا قال اليزيدي
اي مستويا يقال ناقة دكا اذا ذهب سنامها وقال القتبي
اي جعله مدكوكا ملصقا بالارض وقال الكلبي قطعا متكسرا
قال :: هل غير غار دك غارا فانهدم :: وقال الازهري
يقال دككته اي دققته ومن قرا دكا اراد جعل الجبل
الجبل ارضا دكا وهي الرابية التي لا تبلغ ان تكون جبلا
وجمعها دكاوات قرا عاصم وحمزة والكساي دكا بالمد
على التشبيه بالناقة الدكاء وهي التي لا سنام لها وفي
الكلام حذف تقديره جعله مثل دكا ولا بد من تقدير
هذا الحذف لان السد مذكر فلا يوصف بدكا ومن قرا
دكا فهو مصدر دك يدك اذا هدم ورض ويحتمل ان يكون

جعل بمعنى خلق وينصب دكا على الحال وكذلك النصب ايضا
في قراة من منّ يحتمل الوجهين قوله تعالى وتركنا بعضهم
يومئذ يموج في بعض الضمير في تركنا الله تعالى اي تركنا
الجن والانس يوم القيامه يموج بعضهم في بعض وقيل
تركنا ياجوج وماجوج يومئذ اي وقت كمال السد يموج
بعضهم في بعض واستعارة الموج لهم عبارة عن الحيره وتردد
بعضهم في بعض كالمولهين من همّ وخوف فشبههم بموج البحر
الذي يضطرب بعضه في بعض وقيل تركنا ياجوج وماجوج
يوم افتتاح السد يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم
قلت فهذه ثلثة اقوال اظهرها اوسطها وابعدها اخرها
وحسن الاول لانه تقدم ذكر القيامة في تاويل قوله فاذا
جا وعد ربي والله اعلم قوله تعالى ونفخ في الصور
تقدم في الانعام فجمعناهم جمعا يعني الانس والجن في عرصات
القيامة وعرضنا جهنم اي ابرزناها لهم يومئذ عرضا
الذين كانت اعينهم في مواضع خفض نعت للكافرين في غطاء
عن ذكري اي هم بمنزلة من عينه مغطاة فلا ينظر الى
دلايل الله جل وعز وكانوا لا يستطيعون سمعا اي لا
يطيقون ان يسمعوا كلام الله فهم بمنزلة من صم قوله تعالى
افحسب الذين كفروا اي ظن وقراء علي وعكرمه ومجاهد
وابن محيصن

١٨٥

افحسب باسكان السين وضم البآء اي كفاهم ان يتخذوا عبادي
يعني عيسى والملايكه وعزيرا من دوني اوليآء ولا اعاقبهم
ففي الكلام حذف وقال الزجاج المعنى افحسبوا ان ينفعهم
ذلك انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قوله تعالى قل
هل ننبيكم بالاخسرين اعمالا الى قوله وزنا فيه مسلتان
الاولى قوله تعالى قل هل ننبيكم بالاخسرين اعمالا الاية
فيه دلالة على ان من الناس من يعمل العمل وهو يظن انه
محسن وقد حبط سعيه والذي يوجب احباط السعي
اما فساد الاعتقاد او المراياة والمراد هنا الكفر روى
البخاري عن مصعب قال سالت ابي قل هل ننبيكم بالاخسرين
اعمالا هم الحرورية قال لا هم اليهود والنصارى اما اليهود
فكذبوا محمدا واما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا لا طعام
فيها ولا شراب والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد
ميثاقه وكان سعد يسميهم الفاسقين والاية معناها
التوبيخ اي قل لهولاء الكفرة الذين عبدوا غيري يخيب
سعيهم واما لهم غدا فهم الاخسرون اعمالا وهم الذين ضل
سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
في عبادة من سواي قال ابن عباس يريد كفار اهل مكة
وقال علي هم الخوارج اهل حروراء وقال مرة هم الرهبان

دلالات

اصحاب الصوامع وروي ان ابن الكوا ساله عن الاخسرين اعمالا فقال
له انت واصحابك قال ابن عطية ويضعف هذا كله قوله تعالى
بعد ذلك اوليك الذين كفروا بايات ربهم ولقايه وليس من هذه
الطوايف من يكفر بلقاء الله والبعث والنشر وانما هذه صفة
مشركي عبدة الاوثان وعلي وسعد رضي الله عنهما ذكرا اقواما
اخذوا بحظهم من صدر الاية واعمالا نصب على التمييز وحبطت
قراة الجمهور بكسر البا وقرا ابن عباس حبطت بفتحها
الثانية قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قراة الجمهور
نقيم بنون العظمة وقرا مجاهد بياء الغايب يريد فلا يقيم
الله عز وجل وقرا عبيد بن عمير ولا يقوم ويلزمه ان يقرا
وزن وكذلك قراءة مجاهد يقوم لهم يوم القيامة وزن
قال عبيد بن عمير يوتى يوم القيامة بالرجل العظيم الطويل
الاكول الشروب فلا يزن عند الله جناح بعوضة قلت
هذا لا يقال مثله من جهة الراي وقد ثبت معناه مرفوعا
في صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم
القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة واقروا ان شيتم
فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا والمعنى انه لا ثواب لهم واعمالهم
مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن في موازين القيامة
ومن لا

ومن لا حسنة له فهو في النار وقال ابو سعيد الخدري يوتي
باعمال كالجبال تهامة فلا تزن شيا وقيل تحتمل ان يريد المجاز
والاستعارة كانه قال فلا قدر لهم عندنا يوميذ والله اعلم
وفي هذا الحديث من الفقه ذم السمن لمن تكلفه لما في ذلك
من تكلف المطاعم والاشتغال بها عن المكارم بل يدل على
تحريم كثرة الاكل الزايد على قدر الكفاية المبتغي به الترفه
والسمن وقد قال صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى
الله الحبر السمين ومن حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال خيركم قرني ثم الذين يلونهم قال عمران فلا
ادري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلثا ثم ان من بعدكم
قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يوتمنون
وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن وهذا ذم وسبب
ذلك ان السمن المكتسب انما هو من كثرة الاكل والشره
والدعة والراحه والامن والاسترسال مع النفس على
شهواتها فهو عبد نفسه لا عبد ربه ومن كان هذا حاله
وقع لا محالة في الحرام وكل لحم تولد عن سحت فالنار اولى
به وقد ذم الله تبارك وتعالى الكفار بكثرة الاكل فقال
والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام والنار
مثوى لهم فاذا كان المومن يتشبه بهم ويتنعم بتنعمهم

في كل احواله وازمانه فاين حقيقة الايمان والقيام بوظايف
الاسلام ومن كثر اكله وشربه كثر نهمه وحرصه وزاد
بالليل كسله ونومه فكان نهاره هايما وليله نايما وقد مضى
في الاعراف هذا المعنى وتقدم فيها ذكر الميزان وان له كفتان توزن
فيهما صحايف الاعمال فلا معنى للاعادة وقال صلى الله عليه وسلم
حين ضحكوا من حمش ساق ابن مسعود وهو يصعد النخلة اتضحكون
من ساق توزن بعدل اهل الارض فدل هذا ان الاشخاص توزن
ذكره الغزنوي قوله تعالى ذلك جزاوهم ذلك اشارة الى
ترك الوزن وهو في موضع رفع بالابتدا جزاوهم خبره
وجهنم بدل من المبتدا الذي هو ذلك وما في قوله بما كفروا
مصدرية والهزو الاستخفاف والسخرية وقد تقدم قوله
تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات
الفردوس نزلا قال قتادة الفردوس ربوة الجنة واوسطها
واعلاها وافضلها وارفعها وقال ابو امامة الباهلي الفردوس
سرة الجنة وقال كعب ليس في الجنان جنة اعلا من جنة
الفردوس فيها الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر وفي
صحيح البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من امن بالله ورسوله واقام الصلاة وصام رمضان
كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله او جلس
في ارضه

في ارضه التي ولد فيها قالوا يا رسول الله افلا نبشر الناس
قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل
الله ما بين الدرجتين كما بين السما والارض فاذا سالتم الله
فاسلوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلي الجنة وفوقه
عرش الرحمن ومنه تتفجر انهار الجنة وقال مجاهد الفردوس
البستان بالرومية الفرا هو عربي والفردوس حديقة
في الجنة وفردوس اسم روضة دون اليمامة والجمع فراديس
قال امية بن ابي الصلت الثقفي:
كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة فيها الفراديس والفومان والبصل
والفراديس موضع بالشام وكرم مفردس اي معرش
خالدين فيها اي ذا يمين لا يبغون عنها حولا اي لا يطلبون
تحولا عنها الي غيرها والحول بمعني التحويل قاله ابو علي وقال
الزجاج حال من مكانه حولا كما يقال عظم عظما قال
ويجوز ان يكون من الحيلة اي لا يحتالون منزلا غيرها
وقال الجوهري التحول من موضع الي موضع والاسم الحول
ومنه قوله تعالي خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قوله
تعالي قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل
ان تنفد كلمات ربي نفد الشي اذا فرغ وتم وقد تقدم
ولو جئنا بمثله مددا اي زيادة علي البحر عددا او

ورثاو في مصحف ابي مدادا وكذلك قراها مجاهد وابن محيصن
وحميد وانتصب مددا على التمييز او الحال وقال ابن عباس
قالت اليهود لما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما اوتيتم من
العلم الا قليلا قالوا وكيف وقد اوتينا التوراة ومن اوتي التوراه
فقد اوتي خيرا كثيرا فنزلت قل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي الاية وقيل قالت اليهود انك اوتيت الحكمه ومن اوتي الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا ثم زعمت انه لا علم لك بالروح فقال
الله قل وان اوتيت القران واوتيتم التوراه فهي بالنسبة
الى كلمات الله قليلة قال ابن عباس كلمات ربي اي مواعظ
ربي وقيل عني بالكلمات الكلام القديم الذي لا غاية له ولا
منتهى وهو وان كان واحدا فيجوز ان يعبر عنه بلفظ الجمع
لما فيه من فوايد الكلمات ولانه ينوب منابها فجازت العباره
عنها بصيغة الجمع تفخيما وقال الاعشي
وحية نقي اللون صاف يزينه مع الجيد لبات لها ومعاصم
فعبر باللبات عن اللبه وفي التنزيل نحن اولياوكم انا نحن
نزلنا الذكر وانا لنحن نحيي ونميت وكذلك ان ابراهيم كان
امة لانه ناب مناب امة وقيل اي ما نفدت العبارات
والدلالات التي تدل على مفهومات معاني كلامه سبحانه
وقال السدي اي ان كان البحر مدادا لنفد قبل ان تنفد
صفات

صفات الجنة التي هي دار الثواب وقال عكرمة لنفد البحر قبل
ان ينفد ثواب من قال لا اله الا الله ونظيره هذه الاية ولو ان
ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر
ما نفدت كلمات الله وقرا حمزة والكسائي من قبل ان ينفد باليا
لتقدم الفعل قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحي الي
اي لا اعلم الا ما يعلمني الله وعلم الله لا يحصى وانما امرت بان
ابلغكم بانه لا اله الا الله فمن كان يرجوا لقاء ربه اي يرجوا
رويته وثوابه ويخشى عقابه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه احدا قال ابن عباس نزلت في جندب بن زهير
العامري قال يا رسول الله اني اعمل العمل لله واريد به وجه
الله الا انه اذا اطلع عليه سرني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب ولا يقبل ما شورك فيه
فنزلت وقال طاووس قال رجل يا رسول الله اني احب الجهاد
في سبيل الله واحب ان يرى مكاني فنزلت وقال مجاهد
جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني اتصدق واصل
الرحم ولا اصنع ذلك الا لله فيذكر ذلك مني واحمد عليه
فيسرني ذلك واعجب به فسكت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يقل شيا فانزل الله تعالى فمن كان يرجو
لقا ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا

قلت والاكل مراد والاية تعم ذلك وغيرها من الاعمال وقد تقدم
في هود حديث ابي هريرة الصحيح في الثلاثة الذين يقضى عليهم
اول الناس وتقدم في سورة النسا الكلام على الريا وذكرنا من
الاخبار هنالك ما فيها كفاية وقال الماوردي وقال جميع اهل
التاويل معنى قوله ولا يشرك بعبادة ربه احدا ان لا يراي
بعمله احدا وروى الترمذي الحكيم رحمه الله في نوادر الاصول
قال حدثنا ابي رحمه الله قال نا مكي بن ابراهيم قال نا عبد
الواحد بن زيد عن عبادة بن نسي قال اتيت شداد بن اوس
في مصلاه وهو يبكي فقلت ما الذي ابكاك يا ابا عبد الرحمن
قال حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما اذ رايت بوجهه امرا ساني فقلت يا رسول
الله ما الذي اري بوجهك قال امرا اتخوفه على امتي من
بعدي قلت وما هو قال الشرك والشهوة الخفية قلت
يا رسول الله وتشرك امتك من بعدك قال يا شداد اما انهم
لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكنهم يراون
باعمالهم قلت يا رسول الله والريا شرك هو قال نعم قلت
فما الشهوة الخفية قال يصبح احدهم صايما فتعرض له شهوات
الدنيا فيفطر قال عبد الواحد فلقيت الحسن فقلت يا ابا
سعيد اخبرني عن الريا اشرك هو قال نعم اما تقرا

فمن كان

فمن كان يرجوا لقاربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه
احدا وروي اسماعيل بن اسحق قال حدثنا محمد بن ابي بكر قال نا
المعتمر بن سليمان عن ليث عن شهر بن حوشب قال كان
عبادة بن الصامت وشداد بن اوس جالسين فقالا انا
نتخوف على هذه الامة من الشرك والشهوة الخفية فاما
الشهوة الخفية من قبل النسا وقالا سمعنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من صلى صلاة يراي بها فقد اشرك
ومن صام صياما يراي فقد اشرك ثم تلا فمن كان يرجوا
لقاربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
قلت وقد جا تفسير الشهوة الخفية بخلاف هذا وقد ذكرناه
في النسا وقال سهل بن عبد الله وسئل الحسن عن الاخلاص
والريا فقال من الاخلاص ان تحب ان تكتم حسناتك فان اظهر
الله عليك حسناتك تقول هذا من فضلك واحسانك وليس
هو من فعلي ولا صنيعي وتذكر قوله والذين يوتون ما اتوا
الاية يوتون الاخلاص وهم يخافون ان لا يقبل منهم واما
الريا فطلب حظ النفس من عملها في الدنيا قيل له كيف يكون
هذا قال من طلب بعمل بينه وبين الله سوى وجه الله والدار
الاخرة فهو ريا وقال علماونا وقد يفضي الريا بصاحبه الى
استهزاء الناس به كما حكي ان طاهر بن الحسين قال لابي عبد الله

ولا يحدث نفسه بشيء (?)

المروزي منذ كم صرت الى العراق يا ابا عبد الله قال دخلت العراق
منذ عشرين سنة وانا منذ ثلاثين سنة صايم فقال يا ابا عبد
الله سالناك عن مسلة فاجبتنا عن مسلتين وحكى الاصمعي
ان اعرابيا صلى فاطال والى جانبه قوم فقالوا ما احسن صلاتك
فقال وانا مع ذلك صايم اين هذا من قول الاشعث بن قيس وقد
صلى فخفف فقيل له انك خففت فقال انه لم يخالطها ريا فخلص
من تنقصهم بنفي الريا عن نفسه والتصنع من صلاته وقد تقدم
في المسارروا الريا من قول لقمان وانه لثمار العمل وروى الترمذي
الحكيم حدثنا ابي رحمه الله قال انبانا الحماني قال انبانا جرير
عن ليث عن شيخ عن معقل بن يسار قال قال ابو بكر وشهد
به على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم الشرك قال هو فيكم اخفى من دبيب النمل
وسادلك على شي اذا فعلته اذهب عنك صغار الشرك وكباره
تقول اللهم اني اعوذ بك ان اشرك بك وانا اعلم واستغفرك
لما لا اعلم تقولها ثلاث مرات وقال عمرو بن قيس الكندي سمعت
معاوية تلا هذه الاية على المنبر فمن كان يرجو لقاء ربه
فقال انها لاخر اية نزلت من السما وقال عمر قال النبي صلى
الله عليه وسلم اوحي الي انه من قرا فمن كان يرجو لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا رفع له نور ما بين عدن ابين الى مكة

حشوها الملايكة

بلغ

وحشوها الملايكة يصلون عليه ويستغفرون له وقال معاذ بن
جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا اول سورة الكهف
واخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها
كانت له نورا من الارض الى السماء وعن ابن عباس انه قال له رجل
اني اضمر ان اقوم ساعة من الليل فيغلبني النوم فقال اذا اردت
ان تقوم اية ساعة شيت من الليل فاقرا اذا اخذت مضجعك
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات
ربي الى اخرها فان الله يوقظك متى شيت من الليل ذكر هذه
الفضايل الثعلبي رحمه الله وفي مسند الدارمي ابي محمد
اخبرنا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن عبدة عن زر بن حبيش
قال من قرا اخر سورة الكهف لساعة يريد تقوم من الليل
قامها قال عبدة فجربناه فوجدناه كذلك قال ابن العربي
كان شيخنا الطرطوشي الاكبر يقول لا يذهب لكم الازمان
في مصاوله الاقران ومواصلة الاخوان وقد ختم سبحانه
البيان بقوله فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا
ولا يشرك بعبادة ربه احدا

سورة مريم
عليها السلام

وهي مكية باجماع وهي تسعون وثمان
ايات ولما كانت وقعة بدر وقتل الله فيها صناديد الكفار
قال كفار قريش ان ثاركم بارض الحبشة فاهدوا الى النجاشي

سورة مريم

وابعثوا اليه رجلين من ذوي رايكم لعله يعطيكم من عنده
من قريش فتقتلونهم بمن قتل منكم ببدر فبعث كفار قريش
عمرو بن العاصي وعبد الله بن ابي ربيعه وسمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ببعثهما فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمرو بن امية الضمري وكتب معه الي النجاشي فقدم على النجاشي
فقرا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا جعفر بن
ابي طالب والمهاجرين وارسل الي الرهبان والقسيسين فجمعهم
ثم امر جعفر ان يقرا عليهم القران فقرا سورة مريم كهيعص
وقاموا تفيض اعينهم من الدمع فهم الذين انزل الله فيهم
ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى
وقرا الى الشاهدين ذكره ابو داود وفي السيرة فقال
النجاشي هل معك مما جا به عن الله شي قال جعفر نعم
فقال له النجاشي فاقراه علي فقرا كهيعص قال فبكى والله
النجاشي حتى اخضل لحيته وبكت اساقفتهم حتى اخضلوا
لحاهم حين سمعوا ما يتلى عليهم فقال النجاشي ان هذا والذي
جا به موسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فوالله
لا اسلمهم اليكما ابدا وذكر تمام الخبر **قوله تعالى**
كهيعص تقدم الكلام في اوايل السور وقال ابن عباس
في كهيعص ان الكاف من كاف والها من هاد واليا من حكيم
والعين

والعين من عليم والصاد من صادق ذكره ابن عزيز القشيري
عن ابن عباس معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق
ايديهم عالم بهم صادق في وعده وذكره الثعلبي عن الكلبي
والسدي ومجاهد والضحاك وقال الكلبي ايضا الكاف من
كريم وكبير وكاف والها من هاد واليا من رحيم والعين من
عليم وعظيم والصاد من صادق والمعنى واحد وعن ابن
عباس ايضا هو اسم من اسما الله تعالى وعن علي رضي الله عنه
هو اسم الله عز وجل وكان يقول يا كهيعص اغفر لي ذكره
الغزنوي السدي هو اسم الله الاعظم الذي اذا سيل به
اعطي واذا دعي به اجاب قتادة هو اسم من اسماء القران
ذكره عبد الرزاق عن معمر عنه وقيل هو اسم للسورة
وهو اختيار القشيري في اوايل الحروف وعلى هذا
قيل تمام الكلام عند قوله كهيعص كانه اعلام باسم
السورة كما تقول كتاب كذا او باب كذا ثم تشرع في
المقصود وقرا ابو جعفر هذه الحروف منقطعة ووصلها
الباقون وامال ابو عمرو الها وفتح اليا وابن عامر وحمزة
على العكس وامالهما جميعا الكساي وابو بكر وخلف
وقراهما بين اللفظين اهل المدينة نافع وغيره وفتحهما الباقون
وعن خارجة ان الحسن كان يضم كاف وحكى غيره انه كان

يضم ها وحكى اسماعيل بن اسحق ان الحسن كان يضم يا قال ابو حاتم
لا يجوز ضم الكاف ولا الها ولا اليا قال النحاس قراءة اهل
المدينة من احسن ما في هذا والامالة جايزة في ها وفي يا واما
قراءة الحسن فقد اشكلت على جماعة حتى قالوا لا يجوز منهم
ابو حاتم والقول فيها ما بينه هارون القاري قال كان الحسن
يشم الرفع فمعنى هذا انه يومي كما حكى سيبويه ان من العرب
من يقول الصلاه والزكاه يومي الى الواو ولهذا كتبتا في المصحف
بالواو واظهر الدال من هجا ص نافع وابن كثير وعاصم ويعقوب
وهو اختيار ابي عبيد وادغمها الباقون قوله تعالى ذكر
رحمت ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا فيه ثلاث مسايل
الاولى قوله تعالى ذكر رحمة ربك في رفع ذكر ثلاثة اقوال
قال الفرا هو مرفوع بكهيعص قال الزجاج هذا محال لان
كهيعص ليس هو مما انبانا الله عز وجل به عن زكريا وقد خبر
الله تعالى عنه وعن ما بشر به وليس كهيعص من قصته
وقال الاخفش التقدير فيما يقص عليكم ذكر رحمة ربك والقول
الثالث ان المعنى هذا الذي يتلوه عليكم ذكر رحمة ربك رفع
باضمار اي هذا ذكر رحمة ربك اي هذا المتلو من القران ذكر
رحمة ربك وقرى ذكر على الامر ورحمة بالهاء تكتب ويوقف
عليها وكذلك كل ما كان مثلها لا اختلاف فيها بين النحويين واعتلوا
في ذلك

١٩٢

في ذلك ان هذه الها لتانيث الاسما فرقا بينها وبين الافعال الثانية
قوله تعالى عبده قال الاخفش هو منصوب برحمة زكريا بدل
منه كما تقول هذا ذكر ضرب زيد عمرا فعمرا منصوب بالضرب
كما ان عبده منصوب بالرحمه وقيل هو على التقديم والتاخير
معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمه فعبده منصوب بالذكر
ذكره الزجاج والفرا وقرا بعضهم عبده زكريا بالرفع وهي قراة
ابي العاليه وقرا يحيى بن يعمر ذكر بالنصب على معنى هذا القران
ذكر رحمة ربك عبده زكريا تقدمت اللغات والقراة في
زكريا في ال عمران الثالثة قوله تعالى اذ نادى ربه ندا خفيا
مثل قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد تقدم والندا
الدعا والرغبه اي ناجى ربه بذلك في محرابه دليله قوله
فنادته الملائكه وهو قايم يصلي في المحراب فبين انه استجاب
له في صلاته كما نادى في الصلاة واختلف في اخفايه هذا الندا
فقيل اخفاه من قومه لئلا يلام على مسلة الولد عند كبر السن
ولانه امر دنيوي فان اجيب فيه لم يطلع عليه الا الله
وقيل لما كانت الاعمال الخفيه افضل وابعد من الريا اخفاه
وقيل خفيا سرا من قومه في جوف الليل والكل محتمل والاول
اظهر والله اعلم وقد تقدم ان المستحب من الدعا الاخفا في سوره
الاعراف وهذه الايه نص في ذلك لانه سبحانه اثنى بذلك على
زكريا وروى اسماعيل قال نا مسدد قال نا يحيى بن سعيد

عن اسامة بن زيد عن محمد بن عبد الرحمن وهو ابن ابي كبشة
عن سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي وهذا عام وقال يونس
بن عبيد وكان الحسن يرى ان يدعو الامام في القنوت ويومن
من خلفه من غير رفع صوت ثم تلا يونس اذ نادى ربه نداء خفيا
قال ابن العربي وقد اسر مالك القنوت وجهر به الشافعي والجهر به
افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو به جهرا ۞
قوله تعالى قال رب اني وهن العظم مني فيه مسئلتان
الاولى قوله تعالى رب اني وهن قرئ وهن بالحركات الثلاث
اي ضعف يقال وهن يهن ووهن يوهن وانما ذكر العظم
لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن
تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا
وهن كان ما وراءه اوهن ووحده لان الواحد هو
الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذي
هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد
اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى اخر وهو
انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها الثالثة قوله
تعالى واشتعل الرأس شيبا ادغم السين في الشين
ابو عمرو وهذا من احسن الاستعارة ۞

الاستعارة في كلام العرب والاشتعال انتشار شعاع النار
شبه به انتشار الشيب في الراس يقول شخت وضعفت
واضاف الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الراس
ولم يضف الراس اكتفا بعلم المخاطب انه راس زكريا
عليه السلام وشيبا في نصبه وجهان احدهما انه مصدر
لان معنى اشتعل شاب وهذا قول الاخفش الزجاج هو
منصوب على التمييز النحاس قول الاخفش اولى لانه مشتق
من فعل فالمصدر اولى به والشيب مخالطة الشعر الابيض
الاسود الثالثة قال العلما يستحب للمرء ان يذكر في دعايه
نعم الله تعالى عليه وما يليق بالخضوع لان قوله وهن العظم
مني اظهار للخضوع وقوله ولم اكن بدعايك رب شقيا
اظهار لعادات تفضله في اجابة ادعيته اي لم اكن بدعاي
اياك شقيا اي لم تكن تخيب دعاي اذ دعوتك اي انك
عودتني الاجابة فيما مضى يقال شقي بكذا اي تعب فيه
ولم يحصل مقصوده وعن بعضهم ان محتاجا ساله وقال
انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل
بنا الينا وقضى حاجته قوله تعالى واني خفت
الموالي من وراي الآية فيه سبع مسايل
الاولى قوله تعالى واني خفت قرا عثمان بن عفان ومحمد

بن علي وعلي بن الحسين ويحيى بن يعمر رضي الله عنهم خَفَّت بفتح
الخا وتشديد الفا وكسر التا وسكون اليا من الموالي لانه في
موضع رفع بخفت والموالي الاقارب وبنو العم والعصبة
الذين يلونه في النسب والعرب تسمي بني العم الموالي قال الشاعر
مهلا بني عمنا مهلا موالينا لا تنشروا بيننا ما كان مدفونا
قال ابن عباس ومجاهد وقتادة خاف ان يرثوا ماله وان ترثه
الكلالة فاشفق ان يرثه الولد وقالت طايفة انما كان
مواليه مهملين للدين فخاف بموته ان يضيع الدين فطلب
وليا يقوم بالدين بعده حكى هذا القول الزجاج وعليه
فلم يسل من يرث ماله اذ الانبيا لا يورث وهذا هو الصحيح
من القولين في تاويل الاية وانه عليه السلام اراد وراثة
العلم والنبوة لا وراثة المال لما ثبت عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال انا معشر الانبيا لا نورث ما تركنا صدقة
وفي كتاب ابي داود ان العلما ورثة الانبيا وان الانبيا
لم يورثوا دينارا ولا درهما ورثوا العلم وسياتي لهذا
مزيد بيان عند قوله يرثني الثانية هذا الحديث
يدخل في التفسير المسند لقوله تعالى وورث سليمان
داود وعبارة عن قول زكريا فهب لي من لدنك وليا يرثني
ويرث من ال يعقوب وتخصيص للعموم في ذلك وان
سليمان

وضم الكاف ونصب اليا من الموالي لانه في موضع نصب بخفت

سليمان لم يرث من داوود مالا خلفه داود بعده وانما ورث
منه الحكمه والعلم وكذلك ورث يحيى من ال يعقوب هكذا
قال اهل العلم بتاويل القران ما عدى الروافض والا ما روي
عن الحسن انه قال يرثني مالا ويرث من ال يعقوب النبوه
والحكمه وكل قول يخالف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو مدفوع مهجور قاله ابو عمر قال ابو عطيه والاكثر
من المفسرين على ان زكريا انما اراد وراثة المال ويحتمل
قول النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبيا لا نورث
ان لا يريد به العموم بل على انه غالب امرهم فتامله والاظهر
الاليق بزكريا عليه السلام ان يريد وراثة العلم والدين
فتكون الوراثه مستعارة الا ترى انه لما طلب وليا ولم
تخصص ولدا بلغه الله امله على اكمل الوجوه وقال ابو صالح
وغيره وقوله من ال يعقوب يريد العلم والنبوة **الثالثة**
قوله تعالى من ورآي قرا ابن كثير بالمد والهمز وفتح اليآء
وعنه انه قرا ايضا مقصورا مفتوح اليا مثل عصاي
الباقون بالهمز والمد وسكون اليا والقرا على قراءة
خففت مثل نبتا لا ما ذكرنا عن عثمان وهي قراءة شاذه
بعيدة جدا حتى زعم بعض العلما انها لا تجوز قال
كيف تقول خففت الموالي من بعدي اي من بعد موتي

وهو حكي النحاس والتاويل لها ان لا يعني بقوله من وراي من بعد
موتي ولكن من وراي في ذلك الوقت وهذا ايضا بعيد يحتاج
الي دليل انهم خفوا في ذلك الوقت وقلوا وقد اخبر الله عز وجل
بما يدل علي الكثرة حين قالوا ايهم يكفل مريم ابن عطيه من
وراي من بعدي في الزمن فهو الورا علي ما تقدم في الكهف
الرابعة قوله تعالي وكانت امراتي عاقرا امراته هي اشياع
بنت فاقود قاله الطبري وحنه هي ام مريم حسب ما تقدم
في ال عمران بيانه وقال القتبي امراة زكريا هي اشياع بنت
عمران فعلي هذا القول لا يكون يحيي ابن خالة عيسي عليهما السلام
علي الحقيقة وعلي القول الاخر يكون ابن خالة امه وفي حديث
الاسرا فلقيت فلقيت ابني الخالة يحيي وعيسي شاهدا للقول
الاول والله اعلم والعاقر التي لا تلد لكبر سنها وقد مضي في
ال عمران بيانه والعاقر من النسا ايضا التي لا تلد من غير
كبر ومنه قوله تعالي ويجعل من يشا عقيما وكذلك العاقر
من الرجال ومنه قول عامر ابن الطفيل لبيس الفتي ان
كنت اعور عاقرا جبانا فما عذري لدي كل محضر الخامسة
قوله تعالي فهب لي من لدنك وليا سوال ودعا ولم يصرح
بولد لما علم من حاله وبعده عنه بسبب المراة قال
قتادة جري له هذا الامر وهو ابن بضع وسبعين سنة

ابن قتيبة حنة بنت فاقود

مقاتل

مقاتل خمس وتسعون سنه وهو ابن سنه فقد كان فقد
كان غلب على ظنه انه لا يولد له لكبره ولذلك قال وقد بلغت
من الكبر عتيا وقالت طايفة بل طلب الولد ثم طلب ان تكون
الاجابه في ان يعيش حتى يرثه تحفظا من ان تقع الاجابه
في الولد لكن تخترم ولا يتحصل منه الغرض السادسة
قال العلما دعا زكريا عليه السلام في الولد انما كان لاظهار دينه
واحيا نبوته ومضاعفة لاجره لا للدنيا وكان ربه قد
عوده الاستجابه ولذلك قال ولم اكن بدعايك رب شقيا
اي بدعاي اياك وهذه وسيلة حسنه ان يتشفع اليه
بنعمه ويستدر فضله بفضله يروي ان حاتم الجود لقيه
رجل فساله فقال له حاتم من انت فقال انا الذي احسنت
اليه عام اول فقال مرحبا بمن تشفع الينا بنا فان قيل كيف
اقدم زكريا على مسلة ما تخرق العاده دون اذن فالجواب
ان ذلك جايز في زمان الانبيا وفي القران ما يكشف عن
هذا المعنى فانه تعالى قال كلما دخل عليها زكريا المحراب
وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند
الله فلما راى خارق العاده استحكم طمعه في اجابة
دعوته فقال تعالى هنالك دعا زكريا ربه الاية
السابعة ان قال قايل هذه الاية تدل على جواز الدعا

بالولد والله سبحانه قد حذرنا من افات الاموال والاولاد ونبه
علي المفاسد الناشية من ذلك فقال انما اموالكم واولادكم
فتنة وقال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم
فالجواب ان الدعا بالولد معلوم من الكتاب والسنة حسب
ما تقدم في ال عمران بيانه ثم ان زكريا عليه السلام تحرز
فقال ذرية طيبة وقال واجعله رب رضيا والولد اذا
كان بهذه الصفة نفع ابويه في الدنيا والاخره وخرج
من حد العداوة والفتنة الى حد المسرة والنعمة وقد
دعا النبي صلى الله عليه وسلم لانس خادمه فقال اللهم
اكثر ماله وولده وبارك له فيه فدعا له بالبركة تحرزا مما
يودي اليه الاكثار من الهلكة وهكذا فليتضرع العبد
الى مولاه في هداية ولده ونجاته اولاه واخراه اقتداء
بالانبياء والفضلا والاولياء وقد تقدم في ال عمران والحمد لله
قوله تعالى يرثني ويرث من ال يعقوب واجعله رب
رضيا فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى يرثني قرا اهل
الحرمين والحسن وعاصم وحمزه يرثني ويرث بالرفع فيهما
وقرا يحيى بن يعمر وابو عمرو ويحيى بن وثاب والاعمش
والكساي بالجزم فيهما وليس هما جواب هب على مذهب
سيبويه انما تقديره ان تهبه يرثني ويرث والاول
اصوب

اصوب في المعنى لانه طلب وارثا موصوفا اي هب لي من لدنك
الولي الذي هذه حاله وصفته لان الاوليا منهم من لا يرث فقال
هب لي الذي يكون وارثي قاله ابو عبيد ورد قراة الجزم قال
لان معناه ان وهبت ورث وكيف يخبر الله عز وجل بهذا وهو
اعلم به النحاس وهذه حجة متنقضة لان الجواب للامر عند
النحويين فيه معنى الشرط والمجازاة بقول اطع الله يدخلك
الجنة اي ان تطعه يدخلك الجنة الثانية قال النحاس فاما
معنى يرثني ويرث من ال يعقوب فللعلماء فيه ثلثة اجوبة
قيل هي وراثة نبوة وقيل هي وراثة حكمة وقيل هي وراثة مال
فاما قولهم وراثة نبوة فمحال لان النبوة لا تورث ولو كانت
تورث لقال قايل الناس ينتسبون الى نوح عليه السلام وهو
نبي مرسل ووراثة العلم والحكمة مذهب حسن وفي الحديث
العلما ورثة الانبيا واما وراثة المال فلا يمتنع وان كان قوم قد
انكروه لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركنا صدقة
فهذا لا حجة فيه لان الواحد يخبر عن نفسه باخبار الجمع وقد
تؤول هذا بمعنى لا نورث الذي تركنا صدقة لان النبي صلى
الله عليه وسلم لم يخلف شيا يورث عنه وانما كان الذي اباحه
الله عز وجل اباه في حياته بقوله تبارك اسمه واعلموا
انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول لان معنى لله

لسبيل الله ومن سبيل الله ما يكون في مصلحة الرسول صلى
الله عليه وسلم ما دام حيا فان قيل ففي بعض الروايات انا
معشر الانبيا لا نورث ما تركنا صدقة ففيه التاويلان جميعا
ان يكون ما بمعنى الذي والاخر لا نورث من كانت هذه حالته
وقال ابو عمرو واختلف العلما في تاويل قوله عليه السلام لا نورث
ما تركنا صدقة والاخر ان نبينا عليه السلام لم يورث لان الله
تعالى خصه بان جعل ماله كله صدقة زيادة في فضيلته
كما خص في النكاح باشيا اباحها له وحرمها على غيره وهذا
القول قاله بعض اهل البصرة منهم ابن علية وساير علما المسلمين
على القول الاول الثالثة قوله تعالى من ال يعقوب قيل
هو يعقوب اسرايل الله وكان زكريا متزوجا باخت مريم
بنت عمران يرجع نسبها الى يعقوب لانها من ولد سليمان
بن داود من ولد يهودا بن يعقوب وزكريا من ولد هارون
وموسى من ولد لاوي بن يعقوب وكانت النبوة في سبط
يعقوب بن اسحق وقيل المعنى بيعقوب ها هنا يعقوب
بن ماثان اخو عمران بن ماثان ابي مريم اخوان من نسل
سليمان بن داود عليهما السلام لان يعقوب وعمران ابنا ماثان
وبنو ماثان روسا بنو اسرايل قاله مقاتل وغيره وقال
الكلبي وكان يعقوب اخواله وهو يعقوب بن ماثان وكان

فيهم الملك

فيهم الملك وكان زكريا من ولد هارون بن عمران اخي موسي
وروي قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله زكريا
ما كان عليه من ورثته ولم ينصرف يعقوب لانه اعجمي
الرابعة قوله تعالى واجعله رب رضيا اي مرضيا في اخلاقه
وافعاله وقيل راضيا بقضايك وقدرك وقيل رجلا صالحا
ترضى عنه وقال ابو صالح نبيا قوله تعالى يا زكريا في
الكلام حذف اي فاستجاب الله دعاه فقال يا زكريا انا نبشرك
بغلام اسمه يحيى فتضمنت هذه البشرى ثلثة اشيا احدها
اجابة دعايه وهي كرامه الثاني اعطاوه الولد وهو قوة
الثالث ان يفرد بتسميته وقد تقدم معنى تسميته بيحيى
في ال عمران وقال مقاتل سماه يحيى لانه حيي بين اب شيخ
وام عجوز وهذا فيه نظر لما تقدم من ان امراته كانت عقيما
لا تلد والله اعلم قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا
اي لم تسم به احدا قبل يحيى بهذا الاسم قاله ابن عباس
وقتادة وابن اسلم والسدي ومن عليه تعالى بان لم
يكل تسميته الى الابوين وقال مجاهد وغيره سميا
معناه مثلا ونظيرا وهو مثل قوله تعالى هل تعلم له
سميا وهذا كله من المساماة والسمو وهذا فيه
بعد لانه لم يفضل على ابراهيم وموسى اللهم الا ان يفضل

كلمتان دعا له ونبيا

في حاص كالسود د والحصر حسب ما تقدم بيانه في ال عمران
وقال ابن عباس ايضا معناه لم تلد العواقر مثله ولدا
وقيل ان الله اشترط الفعل لانه اراد ان يخلق بعده
افضل منه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذه الايه دليل
وشاهد على ان الاسامي الشنع جدير بالاثره واياها كانت
العرب تنحي في التسمية لكونها انبه وانزه عن النبز حتى قال القايل
شنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض بالهدب وقال
روبة للنسابة البكري وقد ساله عن نسبه انا ابن العجاج
فقال قصرت وعرفت قوله تعالى قال رب انى يكون
لي غلام ليس على معنى الانكار لما اخبر الله به بل على سبيل
التعجب من قدرة الله ان يخرج ولدا من امراة عاقر وشيخ
كبير وقيل غير هذا بما تقدم في ال عمران بيانه وقد بلغت
من الكبر عتيا يعني النهاية في الكبر واليبس والجفاف ومثله
العسي قال الاصمعي عسا الشي يعسو عسوا وعسا ممدود
اي يبس وصلب وعسا الشيخ يعسو عسيا ولى وكبر
مثل عتا يقال عتا الشيخ يعتو عتيا وعتيا كبر والاصل
عتو لانه من ذوات الواو فابدلوا من الواو يا لانها
اختها وهي احف والايات على اليا ات ومن قال عتيا كره
الضمه مع الكسرة واليا وقال الشاعر

انما

انما يعذر الوليد ولا يعذر من كان في الزمان عتيا. وقرا
ابن عباس عسيا وهو كذلك في مصحف ابي وقرا يحيى بن وثاب
وحمزة والكسائي وحفص عِتيا بكسر العين وكذلك جثيا
وصليا حيث كان ووضم حفص بكيا خاصة وكذلك الباقون
في الجميع وهما لغتان وقيل عتيا قسيا يقال ملك عات اذا كان قاسي
القلب قوله تعالى قال كذلك قال ربك هو علي هين اي قال
له الملك كذلك قال ربك والكاف في موضع رفع اي الامر كذلك
اي كما قيل لك هو علي هين قال الفرا اي خلقه علي هين وقد
خلقتك من قبل اي من قبل يحيى وهذه قراة اهل المدينة والبصرة
وعاصم وقرا سائر الكوفيين وقد خلقناك بنون والف
بالجمع على التعظيم والقراة الاولى اشبه بالسواد ولم
تك شيا اي كما خلقك الله بعد العدم ولم تك شيا موجودا
فهو القادر على خلق يحيى وايجاده قوله تعالى قال رب
اجعل لي اية طلب اية على حملها بعد بشارة الملايكة اياه
وبعد قول الله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيا زيادة
طمانينة اي تمم النعمة بان تجعل لي اية وتكون تلك الاية
زيادة نعمة وكرامة وقيل طلب اية تدله على ان البشرى
منه بيحيى لا من الشيطان لان ابليس اوهمه ذلك قاله الضحاك
وهو معنى قول السدي وهذا فيه نظر لاخبار الله تعالى

بان الملايكه ناداه حسب ما تقدم في ال عمران قال ايتك الا
تكلم الناس ثلاث ليال سويا تقدم في ال عمران بيانه فلا معنى
للاعادة قوله تعالى فخرج على قومه من المحراب فاوحى
اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى
فخرج على قومه من المحراب اي اشرف عليهم من المصلى والمحراب
ارفع المواضع واشرف المجالس وكانوا يتخذون المحارب
فيما ارتفع من الارض دليله محراب داود على ما ياتي واختلف
الناس في اشتقاقه فقالت فرقة هو ماخوذ من الحرب
كان ملازمه يحارب الشيطان والشهوات وقالت فرقة
هو ماخوذ من الحرب بفتح الرا كان ملازمه يلقى منه حربا
وتعبا ونصبا الثانية هذه الاية تدل على ان ارتفاع
امامهم على المامومين كان مشروعا عندهم في صلاتهم وقد
اختلف في هذه المسله فقها الامصار فاجاز ذلك الامام
احمد بن حنبل وغيره متمسكا بقصة المنبر ومنع مالك
ذلك في الارتفاع الكثير دون اليسير وعلل اصحابه بخوف
الكبر على الامام قلت وهذا فيه نظر واحسن منه ما رواه
ابو داود عن همام ان حذيفة ام الناس بالمداين على دكان
فاخذ ابو مسعود بقميصه فجذبه فلما فرغ من صلاته
قال الم تعلم انهم كانوا ينهون عن هذا او ينهى عن ذلك قال

بلى قد

بلي قد ذكرت حين مددتني وروي ايضا عن عدي بن ثابت الانصاري
قال حدثني رجل انه كان مع عمار بن ياسر بالمداين فاقيمت الصلاه
فتقدم عمار بن ياسر وقام على دكان يصلي والناس اسفل منه
فتقدم حذيفة واخذ على يديه فاتبعه عمار حتى انزله
حذيفه فلما فرغ عمار من صلاته قال له حذيفة الم تسمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ام الرجل القوم فلا يقوم
يقم في مكان ارفع من مقامهم او نحو ذلك فقال عمار
لذلك اتبعتك حين اخذت على يدي قلت فهذا ثلثة من
الصحابة قد اجروا بالنهي عن ذلك فلم يحتج احد منهم على صاحبه
بحديث المنبر فدل على انه منسوخ ومما يدل على نسخه
ان فيه عملا زايدا في الصلاة وهو النزول والصعود
فنسخ كما نسخ الكلام والسلام وهذا اول ما اعتذر به
اصحابنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما من الكبر
لان كثيرا من الايمة يوجد الكبر عندهم ومنهم من علله
بان ارتفاع المنبر كان يسيرا فالله اعلم الثالثة قوله
تعالي فاوحي اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا قال الكلبي وقتادة
وابن منبه اوحي اليهم اشار القتبي اومي مجاهد كتب
على الارض عكرمة في كتاب والوحي في كلام العرب الكتابه
ومنه قول ذي الرمة :: سوي الاربع الدهم اللواتي

كانها بقية وحي في بطون الصحايف وقال عنتره
كوحي صحايف من عهد كسرى فاهداها لاعجم طمطمي وبكره
وعشيا طرفان وزعم الفرا ان العشي يونث ويجوز تذكيره
اذا ابهمت قال وقد يكون العشي جمع عشيه الرابعة
قد تقدم الحكم في الاشارة في ال عمران واختلف علماونا
فيمن حلف ان لا يكلم انسانا فكتب اليه كتابا وارسل اليه
رسولا فقال مالك انه يحنث الا ان ينوي مشافهته
ثم رجع فقال لا ينوي في الكتاب ويحنث الا ان يرجع الكتاب
قبل وصوله قال ابن القاسم اذا قرا كتابه حنث وكذلك
لو قرا الحالف كتاب المحلوف عليه وقال اشهب لا يحنث اذا
قراه الحالف وهذا بين لانه لم يكلمه ولا ابتداه بكلام الا ان
يريد ان لا يعلم معنى كلامه فانه يحنث وعليه يخرج قول
ابن القاسم فان حلف ليكلمنه لم يبر الا بمشافهته
وقال ابن الماجشون وان حلف لئن علم كذا ليعلمنه او
ليخبرنه فكتب اليه او ارسل اليه رسولا بر ولو علماه
جميعا لم يبر حتى يعلمه لان علمهما مختلف الخامسة
واتفق مالك والشافعي والكوفيون ان الاخرس
اذا كتب الطلاق بيده لزمه قال الكوفيون الا ان
يكون رجل اصمت اياما فكتب لم يجز من ذلك شي
قال الطحاوي

كوحي

خط

قال الطحاوي الخرس مخالف للصمم العارض كما ان العجز عن الجماع
للعارض بالمرض ونحوه يوما او نحوه مخالف للعجز المانوس منه
الجماع نحو الجنون في باب خيار المراة في المعرفة قوله تعالى
يا يحيى خذ الكتاب بقوة في الكلام حذف المعنى فولد له ولد
وقال الله تعالى للمولود يا يحيى وهذا اختصار ما يدل الكلام
عليه والكتاب التوراة بلا خلاف بقوة اي بجد واجتهاد قاله
مجاهد وقيل العلم به والحفظ له والعمل به وهو الالتزام لاوامره
والكف عن نواهيه قاله زيد بن اسلم وقد تقدم في البقرة قوله
تعالى واتيناه الحكم صبيا قيل الاحكام والمعرفة بها روى
معمر ان الصبيان قالوا ليحيى اذهب بنا نلعب فقال ما للعب
خلقت فانزل الله تعالى واتيناه الحكم صبيا قال قتادة
كان ابن سنتين او ثلث وقال مقاتل كان ابن ثلاث سنين
وصبيا نصب على الحال وقال ابن عباس من قرا القران
قبل ان يحتلم فهو ممن اوتي الحكمة صبيا وروي في تفسير
هذه الاية من طريق عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال كل بني ادم ياتي يوم القيامة وله
ذنب الا ما كان من يحيى بن زكريا وقال قتادة ان يحيى
عليه السلام لم يعص الله قط بصغيرة ولا بكبيرة ولا
هم بامراة وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان

للدمع في خديه مجاري ثابتة وقد مضى الكلام في معنى قوله وسيدا
وحصورا في آل عمران قوله تعالى وحنانا من لدنا
حنانا عطف على الحكم وروي عن ابن عباس انه قال والله ما
ادري ما الحنان وقال جمهور المفسرين الحنان الرحمة
والشفقة والمحبة وهو فعل من افعال النفس النحاس وفي
معنى الحنان عن ابن عباس قولان احدهما قال تعطف الله جل
وعز عليه بالرحمة والقول الاخر ما اعطيه من رحمة الناس
حتى يخلصهم من الكفر والشر واصله من حنين الناقة على
ولدها ويقال حنانك وحنانيك قيل هما لغتان بمعنى واحد
وقيل حنانيك تثنية الحنان قال ابو عبيد والعرب تقول
حنانك يا رب وحنانيك يا رب بمعنى واحد تريد رحمتك قال
امرؤ القيس ويمنحها بنو شمجى بن جرم معيزهم حنانك ذا الحنان
وقال طرفة ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون
من بعض الزمخشري وحنانا رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا
وشفقة انشد سيبويه وقالت
حنان ما اتى بك ها هنا اذو نسب ام انت بالحي عارف
قال ابن الاعرابي الحنان من صفة الله عز وجل مشددا الرحيم
والحنان مخفف العطف والرحمة والحنان الرزق والبركة
ابن عطية والحنان ايضا في كلام العرب ما عظم من الامور
في ذات الله

في ذات الله ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل في حديث بلال والله لين قتلتم هذا العبد لاتخذن قبره حنانا وذكر هذا الخبر الهروي فقال وفي حديث بلال ومر عليه ورقة بن نوفل وهو يعذب فقال والله لين قتلتموه لاتخذنه حنانا اي لاتمسحن به وقال الازهري معناه لاتعطفن عليه ولاترحمن عليه لانه من اهل الجنة قلت فالحنان العطف ولذا قال مجاهد وحنانا اي تعطفا منا عليه او منه على الخلق قال الحطيه
تحن على هداك المليك فان لكل مقام مقالا
عكرمة محبة وحنة الرجل امراته لتوادهما قال الشاعر
فقالت حنان ما اتى بك هاهنا اذو نسب ام انت بالحي عارف
قوله تعالى وزكاة الزكاة التطهير والبركة والتنمية في وجوه الخير والبر اي جعلناه مباركا للناس يهديهم وقيل المعنى زكيناه بحسن الثنا عليه كما تزكي الشهود انسانا وقيل زكاة صدقة به على ابويه قاله ابن قتيبة وكان تقيا اي مطيعا لله ولهذا لم يعمل خطيئة ولم يلم بها قوله تعالى وبرا بوالديه البر بمعنى البار وهو الكثير البر وجبارا متكبرا وهذا وصف ليحيى عليه السلام بلين الجانب وخفض الجناح قوله تعالى وسلام عليه قال الطبري وغيره معناه امان ابن عطية والاظهر عندي انها التحية المتعارفة فهي اشرف

وانه من الامان لان الامان متحصل له بنفي العصيان عنه وهي اقل
درجاته وانما الشرف في ان سلم الله عليه وحياه في المواطن
التي الانسان فيها في غاية الضعف والحاجه وقلة الحيلة والفقر
الى الله وعظيم الهول قلت هذا قول حسن وقد ذكرنا معناه
عن سفيان بن عيينة في سورة سبحان عند قتل يحيى وذكر
الطبري عن الحسن ان عيسى ويحيى التقيا وهما ابنا الخالة فقال
يحيى لعيسى ادع الله لي فانت خير مني فقال له عيسى بل انت ادع
لي فانت خير مني سلم الله عليك وانا سلمت على نفسي
فانتزع بعض العلما من هذه الاية في التسليم فضل عيسى بان قال
ادلاله في التسليم على نفسه ومكانته من الله التي اقتضت
ذلك حين قرر وحكى في محكم التنزيل اعظم في المنزلة من ان
يسلم عليه قال ابن عطية ولكل وجه قوله تعالى واذكر
في الكتاب مريم القصة الى اخرها هذه ابتدا قصة ليست
من الاولى والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم اي عرفهم قصتها
ليعرفوا كمال قدرتنا اذ انتبذت اي تنحت وتباعدت
والنبذ الطرح والرمي قال الله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم
ومن اهلها اي ممن كان معها واذ بدل من مريم بدل الاشتمال
لان الاحيان مشتملة على ما فيها والانتباذ الاعتزال
والانفراد واختلف الناس لم انتبذت فقال السدي
انتبذت

انتبذت لتطهر من حيض وقال غيره لتعبد الله وهذا احسن
وذلك ان مريم عليها السلام كانت وقفا علي سدانة المتعبد
وخدمته والعباده فيه فتنحت من الناس لذلك ودخلت
في المسجد الي جانب المحراب في شرقيه لتخلو للعبادة فدخل
عليها جبريل عليه السلام فقوله مكانا شرقيا اي مكانا
من جانب الشرق والشرق بسكون الرا المكان الذي تشرق
فيه الشمس والشرق بفتح الرا الشمس وانما خص المكان
بالشرق لانهم كانوا يعظمون جهة المشرق ومن حيث
تطلع الانوار وكانت الجهات الشرقيه من كل شي افضل من
سواها حكاه الطبري وحكي عن ابن عباس انه قال اني لاعلم
الناس لم اتخذ النصاري المشرق قبلة لقول الله عز وجل
اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذوا ميلاد عيسي
عليه السلام قبلة وقالوا لو كان شي من الارض خيرا من
المشرق لوضعت مريم عيسي فيه واختلف الناس في نبوة
مريم فقيل كانت نبيه بهذا الارسال والمحاوره للملك كما
رئي جبريل عليه السلام في صفة دحيه الكلبي حين سواله
عن الايمان والاسلام والاول اظهر وقد مضي الكلام في هذا
المعني موعبا في ال عمران والحمد لله قوله تعالي فارسلنا
اليها روحنا قيل هو روح عيسي عليه السلام لان الله تعالي

وقيل لم تكن نبية وانما كلمها مثالا بشر ورويتها الملك ...

خلق الارواح قبل الاجساد فركب الروح في جسد عيسى
الذي خلقه في بطنها وقيل هو جبريل واضيف الروح الى الله
تخصيصًا وكرامةً والظاهر انه جبريل لقوله فتمثل لها
اي تمثل الملك لها بشرًا تفسير او حال سويا اي مستوي
الخلقة لانها لم تكن لتطيق ان تنظر جبريل في صورته ولما
رات رجلا احسن الصورة في صورة البشر قد خرق عليها
الحجاب ظنت انه يريدها بسوء فقالت اني اعوذ بالرحمن
منك ان كنت تقيا اي ممن يتقي الله البكالي فنكص جبريل
عليه السلام فزعا من ذكر الرحمن تبارك وتعالى الثعلبي
كان رجلا صالحا فتعوذت منه تعجبا وقيل تقي فعيل بمعنى
مفعول اي كنت ممن يتقى منه في البخاري قال ابو وايل
علمت مريم ان التقي ذو نهيه حين قالت ان كنت تقيا
وقيل تقي اسم فاجر معروف في ذلك الوقت قاله وهب بن
منبه حكاه مكي وغيره ابن عطيه وهو ضعيف ذاهب
مع التخرص فقال لها جبريل عليه السلام انما انا رسول
ربك لاهب لك جعل الهبة من قبله لما كان الاعلام بها
من قبله وقرا ورش عن نافع ليهب على معنى ارسلني الله
ليهب لك وقيل معنى لاهب بالهمز محمول على المعنى اي
قال ارسلته لاهب لك ويحتمل ليهب بلا همز ان يكون

بمعنى

بمعنى المهموز ثم خففت الهمزه فلما سمعت مريم ذلك من قوله
استفهمت عن طريقه فقالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني
بشر اي بنكاح ولم اك بغيا اي زانيه وذكرت هذا تاكيدا
لان قولها لم يمسسني بشر يشمل الحلال والحرام وقيل ما استبعدت
من قدرة الله تعالى شيا ولكن ارادت كيف يكون هذا الولد من
قبل زوج في المستقبل ام يخلقه الله ابتدا روي ان جبريل
عليه السلام حين قاولها هذه المقالة نفخ في جيب درعها
وكمها قاله ابن جريج ابن عباس اخذ جبريل عليه السلام ردن
قميصها باصبعه فنفخ فيه فحملت من ساعتها بعيسى قال
الطبري وزعمت النصارى ان مريم حملت بعيسى ولها ثلاث
عشرة سنه وان عيسى عاش الى ان رفع اثنين وثلاثين سنه
واياما وان مريم بقيت بعده ست سنين وكان جميع عمرها
نيفا وخمسين سنه وقوله ولنجعله متعلق بمحذوف اي
ونخلقه لنجعله اية دلالة على قدرتنا عجيبة ورحمة
لمن امن به وكان امرا مقضيا مقدورا في اللوح مسطورا
قوله تعالى فانتبذت به مكانا قصيا اي تنحت بالحمل
الى مكان بعيد قال ابن عباس الى اقصى الوادي وهو وادي
بيت لحم بينه وبين ايليا اربعة اميال وانما بعدت
فرارا من تعيير قومها اياها بالولادة من غير زوج قال

قال ابن عباس ما هو الا ان حملت فوضعت في الحال وهذا هو الظاهر
لان الله تعالى ذكر الانتباذ عقيب الحمل وقيل غير هذا على ما ياتي
قوله تعالى فاجاها المخاض الى جذع النخلة اجاها بمعنى اضطرها
وهو تعديه جا بالهمز يقال جاه واجاه الى موضع كذا كما يقال
ذهب به واذهبه وقرا شبل وروييت عن عاصم فاجاها من
المفاجاه وفي مصحف ابي فلما اجاها المخاض وقال زهير
وجار سار معتمدا اليكم اجاته المخافة والرجا وقرا الجمهور
المخاض بفتح الميم وابن كثير فيما روي عنه بكسرها وهو الطلق
وشدة الولادة واوجاعها مخضت المراة تمخض مخاضا
ومخاضا وناقة ماخض اي دنا ولادها الى جذع النخلة
كانها طلبت شيا تستند اليه وتتعلق به كما تتعلق الحامل
لشدة وجع الطلق والجذع ساق النخلة اليابسة في الصحرا
الذي لا سعف عليه ولا غصن ولهذا لم يقل الى النخلة قالت
يا ليتني مت قبل هذا تمنت مريم عليها السلام الموت من جهة
الدين لوجهين احدهما انها خافت ان يظن بها الشر في دينها
وتعير فيفتنها ذلك الثاني ليلا يقع قوم بسببها في البهتان
والنسبة الى الزنا وذلك مهلك وعلى هذا يكون تمني الموت الحدث
جايزا وقد مضى هذا المعنى مبينا في سورة يوسف عليه السلام
والحمد لله قلت وسمعت ان مريم عليها السلام سمعت نداء
من يقول

من يقول اخرج يا من يعبد من دون الله فخرجت للملك وقالت
ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا النسي في كلام العرب
الشي الحقير الذي شانه ان ينسى ولا يتالم لفقده كالوتد والحبل
للمسافر ونحوه وحكى عن العرب انهم اذا ارادوا الرحيل عن
منزل قالوا احفظوا انساكم الانسا جمع نسي وهو الشي الحقير
يغفل فينسى ومنه قول الكميت

اتجعلنا جسر الكلب قضاعة ولست بنسي في معد ولا دحل

وقال الفرا النسي ما تلقيه المراة من خرق اعتلالها تقول
مريم نسيا منسيا اي حيضة ملقاة وقري نسيا بفتح
النون وهما لغتان مثل الحجر والحجر والوتر والوتر وقرا محمد
بن كعب القرظي بالهمز نسيا بكسر النون وقرا نوف
البكالي نسأ بفتح النون من نسا الله في اجله اي اخره
وحكاها ابو الفتح والداني عن محمد بن كعب وقرا بكر بن
حبيب نسا بشد السين وفتح النون دون همز وقد
حكى الطبري في قصصها انها لما حملت بعيسى حملت ايضا
اختها بيحيى فجاتها اختها زايره فقالت يا مريم اشعرت
اني حملت فقالت لها مريم اشعرت انت اني حملت فقالت
لها واني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك وذلك انه روي
انها احست جنينها يخر براسه الى ناحية بطن مريم

قال السدي فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله وذكر ايضا من
قصصها انها خرجت فارة مع رجل من بني اسرايل يقال له
يوسف النجار كان يخدم معها المسجد وطول في ذلك قال الكلبي
قيل ليوسف وكانت سميت له انها حملت من الزنا فالان يقتلها
الملك فهرب بها فهم في الطريق بقتلها فاتاه جبريل عليه
السلام وقال انه من روح القدس قال ابن عطيه وهذا كله
ضعيف وهذه القصه تقتضي انها حملت واستمرت حاملا
علي عرف البشر وتظاهرت الروايات بانها ولدته لثمانية
اشهر قاله عكرمة ولذلك قيل لا يعيش ابن ثمانية اشهر
حفظا لخاصة عيسى وقيل ولدته لسبعة وقيل لستة وما
ذكرناه عن ابن عباس اصح واظهر والله اعلم قوله تعالى
فناداها من تحتها قري بفتح الميم وكسرها قال ابن عباس المراد
بمن جبريل ولم يتكلم عيسى حتى اتت به قومها وقاله علقمه
والضحاك وقتاده ففي هذا اية لها وامارة ان هذا من الامور
الخارقة للعادة التي لله فيها مراد عظيم وقوله ان لا تحزني
تفسير النداء وان مفسره بمعنى اي المعنى فلا تحزني
بولادتك قد جعل ربك تحتك سريا يعني عيسى والسري
من الرجال العظيم الخصال السيد قال الحسن كان والله سريا
من الرجال ويقال سري فلان على فلان اي تكرم وفلان
سري

سري من قوم سراه وقال الجمهور اشار بها الى الجدول الذي
كان قريب جذع النخلة قال ابن عباس كان ذلك نهرا قد
انقطع ماؤه فاجراه الله لمريم والنهر يسمى سريا لان
الما يسري فيه قال الشاعر
سلم ترى الدالي منه ازورا اذا يعج في السري هرهرا وقال لبيد
فتوسطا عرض السري وصدعا مسجورة متجاورا قلامها
وقيل ناداها عيسى وكان ذلك معجزة واية وتسكينا لقلبها
والاول اظهر وقرا ابن عباس فناداها ملك من تحتها
قالوا وكان جبريل في بقعة من الارض اخفض من البقعة
التي كانت هي عليها قوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة
فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى وهزي امرها بهز
الجذع اليابس لترى اية اخرى في احيا موات الجذع
والبا في قوله بجذع زايده موكده كما يقال خذ بالزمام
واعط بيدك وقال الله تعالى فليمدد بسبب الى السما
اي فليمدد سببا وقيل المعنى وهزي اليك رطبا على
جذع النخلة وتساقط اي تتساقط فادغم التا في
السين وقرا حمزة تساقط مخففا فحذف التي ادغمها
غيره وقرا عاصم في رواية حفص تساقط بضم التا
مخففا وكسر القاف وقري تتساقط باظهار التايين

ويساقط بالبا وادغام التا وتُسيقط وتَسقط ويسقط
وتسقط التا للنخلة والبا للجذع فهذه تسع قراآت ذكرها
الزمخشري رحمه الله رطبًا نصب بالهزاي اذا هززت الجذع
هززت بهزه رطبا جنيا وعلى الجمله فرطبا يختلف نصبه
بحسب معاني القراآت فمرة تستند الفعل الى الجذع
ومرة الى الهز ومرة الى النخلة وجنيا معناه قد طابت
وصلحت للاجتناء وهو من جنيت الثمره ويروي عن
ابن مسعود ولا يصح انه قرا تساقط عليك رطبا جنيا
برنيا فقال لم يذو قال وتفسيره لم يجف ولم ييبس
ولم يبعد بذي مجتناه وهذا هو الصحيح قال الفرا الجني
والمجني واحد يذهب الى انهما بمنزلة القتيل والمقتول
والجريح والمجروح وقال غير الفرا الجني المقطوع من
نخلة والماخوذ من مكان نشابه وانشدوا ؛؛
وطيب ثمار في رياض اريضة واغصان اشجار
جناها على قرب ؛؛ يريد بالجنا ما يجنى منها اي يقطع
ويوخذ قال ابن عباس كان جذعا نخرًا فلما هززت نظرت
الى اعلى الجذع فاذا السعف قد طلع ثم نظرت الى الطلع
قد خرج من بين السعف ثم اخضر فصار بلحا ثم احمر
فصار زهوا ثم رطبا كل ذلك في طرفة عين فجعل الرطب
يقع بين

يقع بين يديها لا ينشدخ منه شي الثانية استدل
بعض الناس بهذه الاية على ان الرزق وان كان محتوما
فان الله تعالى قد وكل ابن ادم الى سعي ما فيه لانه امر مريم
بهز الجذع لترى اية وكانت الاية تكون بان لا تهز الثالثة
الامر بتكليف الكسب في الرزق سنة الله في عباده وان
ذلك لا يقدح في التوكل خلافا لما تقوله الجهال المتزهدة
وقد تقدم هذا المعنى والخلاف فيه وقد كانت قبل ذلك
ياتيها رزقها من غير تكسب كما قال كلما دخل عليها زكريا
المحراب وجد عندها رزقا الاية فلما ولدت امرت قال
علماونا لما كان قلبها فارغا فرغ الله جارحتها عن النصب
فلما ولدت عيسى وتعلق قلبها بحبه واشتغل سرها بحديثه
وامره وكلها الى كسبها وردها الى العادة بالتعلق بالاسباب
في عباده حكى الطبري عن ابن زيد ان عيسى قال لها لا تحزني
فقالت وكيف لا احزن وانت معي لا ذات زوج ولا مملوكة
اي شي عذري عند الناس يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا
منسيا فقال لها عيسى انا اكفيك الكلام الرابعة قال
الربيع بن خثيم ما للنفساء عندي خير من الرطب لهذه
الاية ولو علم الله شيا هو افضل من الرطب للنفساء
لاطعمه مريم ولذلك قالوا التمر للنفساء عادة من

ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقيل اذا عسر ولادها
لم يكن لها خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل ذكره
الزمخشري وقال ابن وهب قال مالك قال الله تعالى رطبا
جنيا الجني من التمر ما طاب من غير تنقش ولا افساد
والتنقش ان ينقش من اسفل البسرة حتى ترطب وهذا
مكروه يعني مالك ان هذا تعجيل الشي قبل وقته فلا ينبغي
لاحد ان يفعله وان فعله فاعل ما كان ذلك بجوز ا
لبيعه ولا حكما لطيبه وقد مضى هذا في الانعام والحمد لله
وعن طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع اي جعلنا
لك في السري والرطب فايدتين احداهما للاكل والشرب
والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو قوله
تعالى فكلي واشربي وقري عينا قوله تعالى فكلي
واشربي وقري عينا اي فكلي من الجني واشربي من السري
وقري عينا برؤية الولد النبي وقري بفتح القاف قراة
الجمهور وحكى الطبري قراة وقري بكسر القاف وهي لغة
نجد يقال قر عينا يقر ويقر بضم القاف وكسرها واقر
الله عينه فقرت وهو ماخوذ من القر والقرة
وهما البرد ودمعة السرور باردة ودمعة الحزن
حارة وضعف فرقة هذا وقالت الدمع كله حار فمعنى
اقر الله

اقر الله عينه اي سكن الله عينه بالنظر الى من تحبه
حتى تقر وتسكن وفلان قرة عيني اي نفسي تسكن بقربه
وقال الشيباني وقري عينا معناه نامي خضها على الاكل
والشرب والنوم قال ابو عمرو اقر الله عينه اي انام عينه
واذهب سهره وعينا نصب على التمييز كقولك طب
نفسا والفعل في الحقيقة انما هو للعين فنقل ذلك الى
ذي العين وينصب الذي كان فاعلا في الحقيقة على التفسير
ومثله طيب نفسا وتفقان شحما وتصببت عرقا ومثله
كثير قوله تعالى فاما ترين من البشر احدا فقولي فيه
ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى فاما ترين ترايين
فحذفت الهمزة كما حذفت من ترى ونقلت فتحتها
الى الراء فصار ترين ثم قلبت اليا الاولى الفا لتحركها
وانفتاح ما قبلها فاجتمع ساكنان الالف المنقلبه عن
اليا ويا التانيث فحذفت الالف لالتقاء الساكنين
فصار ترين ثم حذفت النون علامة للجزم لان ان حرف
شرط وما صلة فبقي تري ثم دخله نون التوكيد وهي
متقلبة فكسر يا التانيث لالتقاء الساكنين لان النون
المثقله بمنزلة نونين الاولى ساكنه فصار ترين
وهذا على النحو قول ابن دريد اما ترى راسي حاكى لونه

وقول الافوه ،، اما ترى راسي ازرى به الشيب ، وانما
دخلت النون هنا بتوطية ما كما توطى لدخولها ايضا لام
القسم وقرا طلحة وابو جعفر وشيبة ترين بسكون
اليا وفتح النون خفيفة قال ابو الفتح وهي شاذة الثانية
قوله تعالى فقولي هذا جواب الشرط وفيه اضمار اي
فسالك عن ولدك فقولي اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا
قاله ابن عباس وانس بن مالك وفي قراة ابي فقولي اني نذرت
للرحمن صوما صمتا وروي عن انس وعنه ايضا وصمتا بواو
واختلاف اللفظين يدل على ان الحرف ذكر تفسيرا لا قرانا
فاذا اتت معه واو فمكن ان يكون غير الصوم والذي
تتابعت به الاخبار عن اهل الحديث ورواة اللغة ان
الصوم هو الصمت لان الصوم امساك والصمت امساك
عن الكلام وقيل هو الصوم المعروف وكان يلزمهم الصمت
يوم الصوم الا بالاشارة وعلى هذا تخرج قراة انس وصمتا
بواو وان الصمت كان عندهم في الصوم ملتزما بالنذر
كما ان من نذر منا المشي الى البيت اقتضى ذلك الاحرام بالحج
او العمرة ومعنى هذه الاية ان الله تعالى امرها على لسان
جبريل او ابنها على الخلاف المتقدم بان تمسك عن مخاطبة
البشر وتحيل على ابنها في ذلك ليرتفع عنها خجلها
وتبين الاية

٢٠٨

وتبين الاية فيقوم عذرها وظاهر الاية انها ابيح لها ان
تقول هذه الالفاظ التي في الاية وهو قول الجمهور وقالت
فرقة معنى قولي بالاشارة لا بالكلام الزمخشري وفيه
ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه
لم تجد مسافها الثالثة من التزم بالنذر ان لا يكلم احدا
من الادميين فيحتمل ان يقال انه قربة فيلزم بالنذر ويحتمل
ان لا يجوز ذلك في شرعنا لما فيه من التضييق وتعذيب
كنذر القيام في الشمس ونحوه وعلى هذا كان نذر
الصمت في تلك الشريعة لا في شريعتنا وقد امر ابن مسعود
من فعل ذلك بالنطق بالكلام وهذا هو الصحيح لحديث ابي
اسرائيل خرجه البخاري عن ابن عباس وقال ابن زيد
والسدي كانت سنة الصيام عندهم الامساك عن الاكل
والكلام قلت ومن سنتنا نحن في الصيام الامساك القبيح
قال صلى الله عليه وسلم اذا كان احدكم صايما فلا يرفث ولا
يجهل فان امرؤ قاتله فليقل اني صايم وقال عليه السلام
من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع
طعامه وشرابه قوله تعالى فاتت به قومها تحمله
روي ان مريم لما اطمانت بما رات من الايات وعلمت
ان الله سيبين عذرها اتت به تحمله من المكان القصي

عين الصواب

الذي كانت انتبذت فيه قال ابن عباس خرجت من عندهم
حين تشرق الشمس وجاتهم عند الظهر ومعها صبي تحمله
وكان الحمل والولادة في ثلث ساعات من النهار وقال الكلبي
ولدت حيث لم يشعر بها قومها ومكثت اربعين يوما
للنفاس ثم اتت قومها فلما راوها مع الصبي حزنوا وكانوا
اهل بيت صالحين فقالوا منكرين لقد جيت شيا فريا اي
جيت بامر عظيم كالاتي بالشي يفتريه قال مجاهد فريا عظيما
وقال سعيد بن مسعدة اي مختلقا مفتعلا يقال فريت
وافريت بمعنى واحد والولد من الزنا كالشي المفترى قال
الله تعالى ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن
اي بولد تقصد الحانه بالزوج ولبس منه يقال فلان
يفري الفرى اي يعمل العمل البالغ وقال ابو عبيده الفري
العجيب النادر وقاله الاخفش قال فريا عجيبا والفري
القطع كانه مما يخرق العادة او يقطع القول بكونه عجيبا
نادرا وقال قطرب الفري الجديد من الاسقيه اي جيت
بامر بديع جديد لم تسبقي اليه وقرا ابو حيوة شيا
فريا بسكون الرا وقال السدي ووهب لما اتت به
قومها تحمله تسامع بذلك بنو اسرايل فاجتمع رجالهم
ونساوهم فمدت امراه يدها اليها لتضربها فاجف الله
شطرها

سطرها فحملت كذلك وقال اخرما اراها الا زنت . فاخرسه
الله فحاماها الناس من ان يضربوها او يقولوا لها كلمة
تؤذيها وجعلوا يخفضون اليها القول ويلينون فقالوا يا
مريم لقد جيت شيا فريا اي عظيما قال الراجز:
قد اطعمتني دقلا حوليا مسوسا مدودا حجريا: قد كنت
تفرين به الفريا: اي تعظمينه قوله تعالى يا اخت
هرون اختلف الناس في معنى هذه الاخوة ومن هارون
قيل هو هارون اخو موسى والمراد من كنا نظنها مثل
هارون في العبادة باتي مثل هذا وقيل على هذا كانت مريم
من ولد هارون اخي موسى فنسبت اليه بالاخوة لانها
من ولده كما يقال للتميمي يا اخا تميم وللعربي يا اخا العرب
وقيل كان لها اخ من ابيها اسمه هارون لان هذا الاسم
كان كثيرا في بني اسرايل تبركا باسم هارون اخي موسى وكان
امثل رجل في بني اسرايل قاله الكلبي وقيل هارون هذا رجل
صالح في ذلك الزمان تبع جنازته يوم مات اربعون الفا
كلهم اسمه هارون وقال قتاده كان في ذلك الزمان في
بني اسرايل عابد منقطع الى الله عز وجل يسمى هارون
فنسبوها الى اخوته من حيث كانت على طريقته قيل
اذ كانت موقوفة على خدمة البيع اي يا هذه المراة

الصالحة ما كنت اهلا لذلك وقال كعب الاحبار بحضرة عايشة
ام المومنين ان مريم ليست باخت لهارون اخي موسى
فقالت له عايشة كذبت فقال لها يا ام المومنين ان كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قاله فهو اصدق وخبر والا فاني اجد
بينهما من المدة ستماية سنة قال فسكتت وفي صحيح مسلم
عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت نجران سالوني فقالوا
انكم تقرون يا اخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما
قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سالته عن ذلك
فقال انهم كانوا يسمون بانبيايهم والصالحين قبلهم وقد جا
بلغ
في بعض طرقه من غير الصحيح ان النصارى قالوا له ان صاحبك
يزعم ان مريم هي اخت هارون وبينهما في المدة ستماية سنة
قال المغيرة فلم ادر ما اقول وذكر الحديث والمعنى انه اسم
وافق اسما. ويستفاد من هذا جواز التسمية باسماء الانبيا
والله اعلم قلت فقد دل الحديث الصحيح انه كان بين عيسى
وموسى وهارون زمان مديد. الزمخشري كان بينهما وبينه
الف سنة او اكثر فلا يتخيل ان مريم كانت اخت موسى
وهارون وان صح فكما قال السدي لانها كانت من نسله
وهذا كما تقول لرجل من قبيلة يا اخا فلانة ومنه قول النبي
صلى الله عليه وسلم ان اخا صداء اذن ومن اذن فهو يقيم
وهذا هو القول

وهذا هو القول الاول ابن عطية وقالت فرقة بل كان في ذلك
الزمان رجل فاجر اسمه هارون فنسبوها اليه على جهة
التعيير والتوبيخ ذكره الطبري ولم يسم قايله قلت ذكر
الغزنوي عن سعيد بن جبير انه كان فاسقا مثلا في الفجور
فنسبت اليه والمعنى ما كان ابوك ولا امك اهلا لهذه الفعلة
فكيف جيت انت بها وهذا من التعريض الذي يقوم مقام
التصريح وذلك يوجب عندنا الحد وسياتي في سورة النور
القول فيه ان شا الله وهذا القول الاخر يرده الحديث
الصحيح وهو نص صريح فلا كلام لاحد معه ولا غبار
عليه والحمد لله وقرا عمر بن لجا التيمي ما كان اباك امر سوء
قوله تعالى فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في
المهد صبيا قال ابو عبد الله الاية فيه خمس مسايل
الاولى قوله تعالى فاشارت اليه الاية التزمت مريم
عليها السلام ما امرت به من ترك الكلام ولم يرد في هذه
الاية انها نطقت باني نذرت للرحمن صوما وانما ورد
بانها اشارت فيقوى بهذا قول من قال ان امرها بقولي
انما اريد به الاشارة ويروى انهم لما اشارت الى الطفل
قالوا استخفافها بنا اشد علينا من زناها ثم قالوا لها
على جهة التقرير كيف نكلم من كان في المهد صبيا وانما

هي في معنى هو وقال ابو عبيدة كان هنا لغو كما قال وجيران
لنا كانوا كرام ؛ وقيل هي بمعنى الوجود والحدوث كقوله وان
كان ذو عسرة وقد تقدم وقال ابن الانباري لا يجوز ان يقال زايده
وقد نصبت صبيا ولا ان يقال كان بمعنى حدث لانه لو كان
بمعنى الحدوث والوقوع لاستغنى فيه عن الخبر تقول كان الحر
وتكتفي به فالصحيح ان من في معنى الجزا وكان بمعنى يكون والتقدير
من يكن في المهد صبيا فكيف نكلمه كما تقول كيف اعطي من كان لا
يقبل عطيتي اي من يكن لا يقبل والماضي قد يذكر بمعنى المستقبل
في الجزا كقوله تعالى تبارك الذي ان شا جعل لك خيرا من ذلك
جنات اي ان يشا يجعل وتقول من كان الي منه احسان كان
مني اليه مثله اي من يكن منه الي احسان يكن مني اليه مثله
والمهد قيل كان سريرا كالمهد وقيل المهد هاهنا حجر الام
وقيل المعنى كيف نكلم من سبيله ان ينوم في المهد لصغره
فلما سمع عيسى كلامهم قال لهم من مرقده اني عبد الله وهي الثانية
فقيل كان عيسى يرضع فلما سمع كلامهم ترك الرضاع واقبل
عليهم بوجهه واتكا على يساره واشار اليهم بسبابته اليمنى
وقال اني عبد الله فكان اول ما نطق به الاعتراف بعبوديته
لله وربوبيته ردا على من غلا من بعد في شانه والكتاب
الانجيل قيل اتاه في تلك الحالة الكتاب وفهمه وعلمه واتاه

النبوه

النبوة كما علم ادم الاسما وكان يصوم ويصلي وهذا في غاية
الضعف على ما نبينه في المسلة بعد هذا وقيل اي حلم
لي بانباء الكتاب والنبوة في الازل وان لم يكن الكتاب
منزلاً في الحال وهذا اصح وجعلني مباركاً اي ذا بركات
ومنافع في الدين والدعا اليه ومعلماله القشيري وجعلني
امراً بالمعروف وانهي عن المنكر وارشد الضال وانصر
المظلوم واغيث الملهوف واوصاني بالصلاة والزكاة
اي لاودبهما اذا ادركني التكليف وامكني اداوها على
القول الاخير الصحيح ما دمت حيا ما في موضع نصب
على الظرف اي دوام حياتي قوله تعالى وبرا بوالدتي
قال ابن عباس لما قال وبرا بوالدتي ولم يقل بوالدي علم انه
شي من جهة الله تعالى ولم يجعلني جباراً اي متعظما متكبرا
يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذي لا يرى لاحد
عليه حقا شقيا اي خايبا من الخير ابن عباس عاقاوقيل
عاصيا لربه وقيل لم يجعلني تاركا لامره فاشقى كما شقي
ابليس لما ترك امره الثالثة قال مالك بن انس رضي الله عنه
في هذه الاية ما اشدها على اهل القدر اخبر عيسى عليه
السلام بما قضي من امره وبما هو كاين الى ان يموت وقد
روي في قصص هذه الاية عن ابن زيد وغيره انهم لما سمعوا

كلام عيسى اذ عنوا وقالوا ان هذا الامر عظيم وروي ان
عيسى عليه السلام انما تكلم في طفوليته بهذه الاية ثم
عاد الى حالة الاطفال حتى مشى على عادة البشر الى ان بلغ
مبلغ الصبيان فكان نطقه اظهار براءة لا انه كان ممن
يعقل في تلك الحاله وهو كما ينطق الله الجوارح يوم القيامة
ولم ينقل انه دام نطقه ولا انه كان يصلي وهو ابن يوم
او شهر ولو كان يدوم نطقه وتسبيحه ووعظه وصلاته
في صغره من وقت الولادة مثله مما لا ينكتم وهذا كله مما
يدل على فساد القول الاول ويصرح بجهالة قايله ويدل
ايضا على انه تكلم في المهد خلافا لليهود والنصارى والدليل
على ذلك اجماع الفرق على انها لم تحد وانما صح براتها من
الزنا بكلامه في المهد ودلت هذه الاية على ان الصلاة
والزكاة وبر الوالدين كان واجبا على الامم السالفة والقرون
الماضيه فهو مما ثبت حكمه ولم ينسخ في شريعة امره
وكان عيسى عليه السلام في غاية التواضع ياكل الشجر
ويلبس الشعر ويجلس على التراب وياوي حيث جنه
الليل لا مسكن له صلى الله عليه وسلم الرابعة الاشارة
بمنزلة الكلام وتفهم ما يفهم القول كيف لا وقد اخبر الله
تعالى عن مريم فقال فاشارت اليه وفهم منها القوم

مقصودها

مقصودها وغرضها فقالوا كيف تكلم وقد مضى هذا في العمران
مستوفي الخامسة قال الكوفيون لا يصح قذف الاخرس
ولا لعانه وروي مثله عن الشعبي وبه قال الاوزاعي واحمد
واسحق وانما يصح القذف عندهم بصريح الزنا دون معناه
وهذا لا يصح من الاخرس ضرورة فلم يكن قاذفًا ولا يتميز
بالاشارة الزنا من الوطء الحلال والشبهة قالوا واللعان
عندنا شهادات وشهادة الاخرس لا تقبل بالاجماع قال
ابن القصار قولهم ان القذف لا يصح الا بالتصريح فهو
باطل بساير الالسنة ماعدا العربية فلذلك اشارة
الاخرس وما ذكره من الاجماع في شهادة الاخرس فغلط
وقد نص مالك ان شهادته مقبولة اذا فهمت اشارته وانها
تقوم مقام اللفظ بالشهادة واما مع القدرة فلا تقع منه
الا باللفظ قال ابن المنذر والمخالفون يلزمون الاخرس
الطلاق والبيوع وساير الاحكام فينبغي ان يكون
القذف مثل ذلك قال المهلب وقد تكون الاشارة
في كثير من ابواب الفقه اقوى من الكلام مثل قوله عليه السلام
بعثت انا والساعة كهاتين فعرف قرب ما بينهما بمقدار
زيادة الوسطى على السبابة وفي اجماع العقول على ان العيان
اقوى من الخبر دليل على ان الاشارة قد تكون في بعض المواضع

اقوى من الكلام والسلام على اي السلامه على من الله قال الزجاج
ذكر السلام قبل هذا بغير الف ولام محسن في الثانيه ذكر الالف
واللام وقوله يوم ولدت يعني في الدنيا وقيل من همز الشيطان
كما تقدم في ال عمران ويوم اموت يعني في القبر ويوم ابعث
حيا في الاخره لان له احوالا ثلثا في الدنيا حيا وفي القبر
ميتا وفي الاخره مبعوثا فسلم في احواله كلها وهو معنى
قول الكلبي ثم انقطع كلامه في المهد حتى بلغ مبلغ الغلمان
وقال قتاده ذكر لنا ان عيسى عليه السلام راته امراة
يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص في ساير اياته فقالت
طوبى للبطن الذي حملك والثدي الذي ارضعت به فقال
لها عيسى طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه وعمل به
قوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم اي ذلك الذي ذكرناه عيسى
بن مريم فلذلك اعتقدوه لا كما تقول اليهود انه لغير رشده
وانه ابن يوسف النجار ولا كما قالت النصارى انه اله وابن
اله قول الحق قال الكسائي قول الحق نعت لعيسى اي ذلك
عيسى بن مريم وسمي قول الله ~~من الله~~ كما سمي كلمه الله والحق
هو الله عز وجل وقال ابو حاتم المعنى هو قول الحق وقيل
التقدير هذا الكلام قول الحق قال ابن عباس يريد هذا
كلام عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم قول الحق ليس بباطل
واضيف

واضيف القول الى الحق كما قال وعد الصدق الذي كانوا يوعدون
اي الوعد الصدق وقال ولدار الاخره اى وللدار الاخرة وقرا
عاصم وعبد الله بن عامر قول الحق بالنصب على الحال اى اقول
قولا حقا والعامل معنى الاشارة في ذلك الزجاج هو مصدر
اي اقول قول الحق لان ما قبله يدل عليه وقيل مدح وقيل
اغرا وقرا عبد الله قال الحق وعن الحسن قول الحق بضم القاف
وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال والقول في
معنى واحد كالرهب والرهب والرهب الذي من نعت
عيسى فيه يمترون اى تشكون اى ذلك عيسى بن مريم
الذي فيه تمترون قال اجتمع بنو اسرائيل فاخرجوا منهم
اربعة نفر اخرج كل قوم عالمهم فامتروا في عيسى
حين رفع فقال احدهم هو الله هبط الى الارض فاحيا
من احيا وامات من امات ثم صعد الى السما وهم اليعقوبيه
قال فقال الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل
فيه قال هو ابن الله وهم النسطوريه قال فقال الاثنان
كذبت ثم قال الاثنان للاخر قل فيه فقال هو ثالث
ثلاثة الله اله وهو اله وامه اله وهم الاسرائيليه ملوك
النصارى قال الرابع كذبت بل هو عبد الله ورسوله
وروحه وكلمته وهم المسلمون فكانت لكل رجل منهم

قول الحق الذي فيه يمترون قال
قال اخبرنا معمر عن قتادة في قوله ذلك عيسى بن مريم
اليهود والنصارى فيه يمترون ويختلفون ذلك عيسى ابن مريم

اتباع علي ما قال فاقتتلوا فظهروا علي المسلمين فذلك قوله عز وجل
ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس قال قتادة وهم
الذين قال الله فاختلف الاحزاب من بينهم اختلفوا فيه فصاروا
احزابا فهذا معني قوله الذي فيه تمترون بالتاء معجمه من
فوق وهي قراة عبد الرحمن السلمي وغيره قال ابن عباس
فمرت بمريم ابن عمها ومعها ابنها الي مصر فكانوا فيه اثنتي
عشرة سنة حتي مات الملك الذي كانوا يخافونه ذكره
الماوردي قلت ووقع في تاريخ مصر فيما رايت وجا
في الانجيل الطاهر ان السيد المسيح لما ولد في بيت لحم
كان هيرودس في ذلك الوقت ملكا وان الله تعالي اوحي
الي يوسف في الحلم وقال له قم خذ الصبي وامه واذهب
الي مصر وكن هناك حتي اقول لك فان هيرودس مزمع ان
يطلب الصبي ليهلكه فقام من نومه وامتثل امر ربه
واخذ السيد المسيح ومريم امه وجا الي مصر وفي حال مجيه
الي مصر نزل ببير البلسان التي بظاهر القاهره وغسلت
ثيابه علي ذلك الحجر فالبلسان لا يطلع ولا ينبت الا في ذلك
الارض ومنه يخرج الدهن الذي يخالط الزيت الذي تعمد
به النصاري ولذلك كانت قارورة واحده في ايام المصريين
لها مقدار عظيم ويقع في نفوس ملوك النصاري مثل ملك
القسطنطينيه

القسطنطينيه ملك صقلية ملك الحبشه ملك النوبه ملك
الافرنجيه وغيرهم من الملوك عند ما يهاديهم به ملوك مصر
موقعًا جليلًا جدًا وتكون احب اليهم من كل هدية لها قدر وفي
تلك السفره وصل السيد المسيح الى مدينة الاشمونين وقسقام
المعروفه الان بالحرقه ولذلك تعظمها النصارى الى الان وتحضر
اليها في عيد الفصح من كل مكان لانها نهاية ما وصل اليها من
ارض مصر ومنها عاد الى الشام والله اعلم قوله تعالى
ما كان لله اي ما ينبغي له ولا يجوز ان يتخذ من ولد من صلة
للكلام اي ان يتخذ ولدا فان في موضع رفع اسم كان من
صفته اتخاذ الولد ان ثم نزه نفسه تعالى عن مقالتهم
فقال سبحانه ان يكون له ولد اذا قضى امرا فانما يقول له
كن فيكون تقدم في البقره مستوفى وان الله ربي وربكم
قرا اهل المدينه وابن كثير وابو عمرو بفتح ان واهل الكوفه
ان بكسر الهمزه على انه مستانف يدل عليه قراءة ابي كن فيكون
ان الله بغير واو على العطف على قال اني عبد الله وفي الفتح
اقوال فمذهب الخليل وسيبويه بان المعنى ولان الله
ربي وربكم وكذا وان المساجد لله فان في موضع نصب
عندهما واجاز الفرا ان يكون في موضع خفض على حذف
اللام واجاز ان يكون ايضا في موضع خفض بمعنى واوصاني

بالصلاة والزكاة وبان الله ربي وربكم واجاز الكسائي ان يكون
في موضع رفع بمعني والامر ان الله ربي وربكم وفيها قول
خامس حكي ابو عبيد ان ابا عمرو بن العلا قاله وهو ان يكون
المعني وقضي ان الله ربي وربكم فهي معطوفه علي قوله امرا
من قوله اذا قضي امرا والمعني اذا قضي امرا وقضي ان الله ولا
يبتدا بان علي هذا التقدير ولا علي التقدير الثالث ويجوز
الابتدا بها علي الاوجه الباقيه فاعبدوه هذا صراط مستقيم
اي دين قويم لا اعوجاج فيه قوله تعالي فاختلف الاحزاب
من بينهم من زايده اي اختلف الاحزاب بينهم وقال قتادة
اي ما بينهم فاختلف الفرق من اهل الكتاب في امر عيسي فاليهود
بالقدح والسحر والنصاري قالت النسطوريه منهم هو
ابن الله والملكانيه ثالث ثلاثه واليعقوبيه قالت هو الله
فافرطت النصاري وغلت وفرطت اليهود وقصرت وقد
تقدم هذا في النسا وقال ابن عباس المراد بالاحزاب الذين
تحزبوا علي النبي صلي الله عليه وسلم وكذبوه من المشركين
فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اي من شهود يوم
القيامه والمشهد بمعني المصدر والشهود الحضور
ويجوز ان يكون الحضور لهم ويضاف الي الظرف لوقوعه
فيه كما يقال ويل لفلان من قتال يوم كذا اي من حضوره
ذلك اليوم

ذلك اليوم وقيل المشهد بمعنى الموضع الذي يشهده الخلايق
كالمحشر للموضع الذي يحشر اليه الخلق وقيل فويل للذين
كفروا من حضورهم المشهد العظيم الذي اجتمعوا فيه
للتشاور فاجمعوا على الكفر بالله وقولهم ان الله ثالث ثلاثه
قوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا قال ابو العباس
العرب تقول هذا في موضع التعجب فتقول اسمع بزيد وابصر
تريد ما اسمعه وابصره قال فمعناه انه عجب نبيه منهم
قال الكلبي لا احد اسمع منهم يوم القيامه ولا ابصر حين يقول
الله لعيسى انت قلت للناس اتخذوني الايه وقيل السمع
بمعنى الطاعه اي ما اطوعهم لله ذلك اليوم لكن الظالمون
اليوم يعني في الدنيا في ضلال مبين واي ضلال ابين من ان
يعتقد المرء في شخص مثله حملته الارحام واكل وشرب
واحدث واحتاج انه اله ومن هذا وصفه فهو اصم اعمي
ولكنه سيبصر ويسمع في الاخرة اذا راي العذاب ولكن
لا ينفعه ذلك قال معناه قتاده وغيره قوله تعالى
وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر روي عن عبد الله
بن مسعود انه قال ما من احد يدخل النار الا وله بيت في
الجنه فيتحسر عليه وقيل تقع الحسره اذا اعطي كتابه
بشماله اذ قضي الامر اي فرغ من الحساب وادخل اهل

الجنة الجنة واهل النار النار وفي صحيح مسلم من حديث ابي
سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل
اهل الجنة الجنة واهل النار النار جيء بالموت يوم القيامة كانه
كبش املح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا اهل الجنة هل تعرفون
هذا فيشرئبون وينظرون فيقولون نعم هذا الموت قال
ثم يقال يا اهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون
فيقولون نعم هذا الموت فيومر به فيذبح ثم يقال يا اهل الجنة
خلود فلا موت فيها ويا اهل النار خلود فلا موت فيها ثم قرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي
الامر وهم في غفلة وهم لا يومنون خرجه البخاري بمعناه
عن ابن عمر وابن ماجة من حديث ابي هريرة والترمذي عن
ابي سعيد يرفعه وقال فيه حديث حسن صحيح وقد ذكرنا
ذلك في كتاب التذكرة وبينا هناك ان الكفار مخلدون بهذه
الاحاديث والاي ردا على من قال ان صفة الغضب ينقطع
وان ابليس ومن اتبعه من الكفرة كفرعون وهامان واشباههما
يدخلون الجنة قوله تعالى انا نحن نرث الارض اي نميت
سكانها فنرثها والينا يرجعون يوم القيامة فيجازي
كلا بعمله وقد تقدم هذا في الحجر وغيره قوله تعالى
واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا المعنى واذكر
في الكتاب

عن النبي [illegible] هذا الحديث منقول في الفصوص
[illegible]

في الكتاب الذي انزل عليك وهو القران قصة ابراهيم وخبره قد
تقدم معنى الصديق في النسا واشتقاق الصدق في البقره
فلا معنى للاعاده ومعنى الاية اقرا عليهم يا محمد في القران
امر ابراهيم فقد عرفوا انهم من ولده فانه كان حنيفا مسلما
وما كان يتخذ الانداد فهاولاء لم يتخذون الانداد وهو كما
قال ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه قوله
تعالى اذ قال لابيه وهو ازر وقد تقدم يا ابت تقدم
القول فيه في يوسف لم تعبد اي لاي شي تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر ولا يغني عنك شيا يريد الاصنام يا ابت اني قد
جاني من العلم اي من اليقين والمعرفه بالله وما يكون بعد
الموت وان من عبد غير الله عذب فاتبعني الى ما ادعوك
اليه اهدك صراطا سويا اي ارشدك الى دين مستقيم فيه
النجاة يا ابت لا تعبد الشيطان اي لا تطعه فيما يامرك به
من الكفر من اطاع شيا في معصية فقد عبده ان الشيطان
كان للرحمن عصيا كان صلة زايده وقيل بمعنى صار وقيل
بمعنى الحال اي هو للرحمن وعصيا وعاص بمعنى واحد
قاله الكساي يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن
اي ان مت على ما انت عليه ويكون اخاف بمعنى اعلم ويجوز
ان يكون اخاف على بابها فيكون المعنى اني اخاف ان تموت على

كفرك فتمسك العذاب فتكون للشيطان وليا اي قرينا في النار
قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم اي اترغب عنها الي غيرها
لين لم تنته لارجمنك قال الحسن يعني بالحجارة الضحاك بالقول
اي لاشتمنك ابن عباس لاضربنك وقيل لاظهرن امرك واهجرني
مليا قال ابن عباس اي اعتزلني سالم العرض لا يصيبك مني
معرة واختاره الطبري فقوله مليا علي هذا حال من ابراهيم
وقال الحسن ومجاهد مليا دهرا طويلا ومنه قول مهلهل
فتصدعت صم الجبال لموته وبكت عليه المرملات مليا
قال الكسايي يقال هجرته مليا وملوة وملاوة فهو علي هذا
القول ظرف وهو بمعنى الملاوة من الزمان وهو الطويل منه
قوله تعالى قال سلام عليك لم يعارضه ابراهيم عليه
السلام بسوء الرد لانه لم يومر بقتاله علي كفره والجمهور
علي ان المراد بسلامة المسالمة التي هي المتاركة لا التحية
قال الطبري معناه امنة مني لك وعلي هذا لا يبدا الكافر
بالسلام وقال النقاش حليم خاطب سفيها كما قال واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال بعضهم في معنى تسليمه
تحية مفارق وجوز تحية الكافر وان يبدا بها قيل
لابن عيينه هل يجوز السلام علي الكافر قال الله تعالى لا
ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين وقال تعالى قد
كانت لكم

وملوة وملوة وملاوة وملاوة

قد
كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم وقال ابراهيم لابيه سلام
عليك قلت الاظهر من الاية ما قاله سفيان بن عيينه
وفي الباب حديثان صحيحان روى ابو هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا تبدوا اليهود والنصارى بالسلام
واذا لقيتم احدهم في الطريق فاضطروه الى ضيقه خرجه
مسلم وفي الصحيحين عن اسامه بن زيد ان النبي صلى الله
عليه وسلم ركب حمارا عليه اكاف تحته قطيفه فدكية
واردف وراه اسامه بن زيد وهو يعود سعد بن معاذ
في بني الحارث بن الخزرج وذلك قبل وقعه بدر حتى مر
في مجلس فيه اخلاط من المسلمين والمشركين عبده الاوثان
واليهود وفيهم عبد الله بن ابي سلول وفي المجلس عبد الله
بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابه خمر عبد الله
بن ابي انفه بردايه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم عليهم النبي
صلى الله عليه وسلم الحديث فالاول يفيد ترك السلام
عليهم ابتدا لان ذلك اكرام والكافر ليس اهله والحديث
الثاني يجوز ذلك قال الطبري ولا يعارض ما رواه اسامه
بحديث ابي هريرة فانه ليس في احدهما خلاف للاخر
وذلك ان حديث ابي هريرة مخرجه العموم وخبر
اسامة يبين ان معناه الخصوص وقال النخعي اذا كانت

لك حاجة الى يهودي او نصراني فابداه بالسلام فبان بهذا ان
حديث ابي هريرة لا تبدوهم بالسلام اذا كان لغير سبب
يدعوكم الى ان تبدوهم من قضاء ذمام او حاجة تعرض لكم
قبلهم او حق صحبة او جوار او سفر قال الطبري قد روي
عن السلف انهم كانوا يسلمون على اهل الكتاب وفعله ابن مسعود
بدهقان صحبه في طريقه قال علقمة فقلت له يا ابا عبد
الرحمن اليس يكره ان تبدوا بالسلام قال نعم ولكن حق الصحبة
وكان ابو امامه اذا انصرف الى بيته لا يمر بمسلم ولا نصراني
ولا صغير ولا كبير الا سلم عليه فقيل له في ذلك فقال امرنا
ان نفشو السلام وسيل الاوزاعي عن مسلم مر بكافر فسلم
عليه فقال ان سلمت فقد سلم الصالحون قبلك وان تركت
فقد ترك الصالحون قبلك وروي عن الحسن البصري انه قال
اذا مررت بمجلس فيه مسلمون وكفار فسلم عليهم قلت
وقد يحتج اهل المقاله الاولى بان السلام الذي معناه التحية
انما خص الله هذه الامه لحديث انس بن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى امتي ثلثا لم تعط احدا
قبلهم السلام وهي تحية اهل الجنة ذكره الترمذي الحكيم وقد
مضى في الفاتحه بسنده ومضى الكلام في معنى قوله
سأستغفر لك ربي وارتفع السلام بالابتدا وجاز ذلك
مع نكرته

مع نكرته لانه نكره مخصصه فقربت المعرفه قوله تعالي
انه كان بي حفيا الحفي المبالغ في البر والالطاف يقال حفي به
وتحفي اذا بره وقال الكساي يقال حفي بي حفاوه وحفوه
وقال الفرا انه كان بي حفيا اي عالما لطيفا يجيبني اذا
دعوته قوله تعالي واعتزلكم العزله المفارقه وقد تقدم
في الكهف بيانها وقوله عسي ان لا اكون بدعاء ربي شقيا قيل
قيل اراد بهذا الدعا ان يهب الله له اهلا وولدا يتقوي بهم
حتي لا يستوحش بالاعتزال عن قومه ولهذا قال فلما اعتزلهم
وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب اي
انسنا وحشته بولد عن ابن عباس وغيره وقيل عسي يدل
علي ان العبد لا يقطع بانه يبقي علي المعرفه ام لا في المستقبل
وقيل دعا لابيه بالهدايه فعسي شك لانه كان لا يدري هل
يستجاب له فيه ام لا والاول اظهر وقوله وجعلنا لهم لسان
صدق عليا اي اثنينا عليهم ثنا حسنا لان جميع الملل تحسن
الثنا عليهم واللسان يذكر ويونث وقد تقدم قوله
تعالي واذكر في الكتاب موسي اي واقرا عليهم من القران
قصة موسي انه كان مخلصا اي في عبادته غير مراي
وقرا اهل الكوفة بفتح اللام اي اخلصناه فجعلناه
مختارا وناديناه اي كلمناه ليلة الجمعه من جانب الطور

الايمن اي يمين موسى وكانت الشجرة في جانب الشجره عن
يمين موسى حين اقبل من مدين الى مصر قاله الطبري وغيره
فان الجبال لا يمين لها ولا شمال وقربناه نجيا نصب على الحال
اي كلمناه من غير وحي وقيل ادنيناه بتقريب المنزله
حتى كلمناه وذكر وكيع وقبيصه عن سفيان عن عطا بن
السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله عز وجل
وقربناه نجيا قال ادني حتى سمع صريف الاقلام ووهبنا
له من رحمتنا اخاه هارون نبيا وذلك حين سال فقال
واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي قوله تعالى واذكر
في الكتاب اسماعيل فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى اسماعيل
اختلف فيه فقيل هو اسماعيل بن حزقيل بعثه الله الى
قومه فسلخوا جلدة راسه فخيره الله تعالى فيما شا
من عذابهم فاستعفاه ورضي بثوابه وفوض امرهم اليه
في عفوه وعقوبته والجمهور انه اسماعيل الذبيح ابو العرب
بن ابراهيم وقد قيل ان الذبيح اسحق والاول اظهر على ما تقدم
وياتي في والصافات ان شا الله وخصه الله بصدق
الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبيا تشريفا له
واكراما كالتلقيب بنحو الحليم والاواه والصديق ولانه
المشهور المتواصف من خصاله الثانية صدق الوعد
محمود

محمود وهو من خلق النبيين والمرسلين وضده وهو الخلف
مذموم وذلك من اخلاق الفاسقين والمنافقين على ما تقدم
بيانه في براه وقد اثنى الله على نبيه اسماعيل فوصفه بصدق
الوعد واختلف في ذلك فقيل انه وعد من نفسه بالصبر
على الذبح وقيل وعد رجلا ان يلقاه في موضع فجا اسماعيل
وانتظر الرجل يومه وليلته فلما كان في اليوم الاخر
جا فقال له ما زلت هاهنا في انتظارك منذ امس وقيل
انتظره ثلاثة ايام وقد فعل مثله نبينا صلى الله عليه وسلم
قبل بعثه ذكره النقاش وخرجه الترمذي وغيره
عن عبد الله بن ابي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم
ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه
بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجيت فاذا
هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا هاهنا
انتظرك منذ ثلاث لفظ ابي داود وقال يزيد الرقاشي
انتظره اسماعيل اثني وعشرين يوما ذكره الماوردي
وفي كتاب ابن سلام انه انتظره سنة وذكره الزمخشري
عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان
فانتظره سنة وذكره القشيري قال فلم يبرح من
مكانه سنة حتى اتاه جبريل فقال ان الفاجر الذي

يسالك ان تقعد له حتى يعود هو ابليس فلا تقعد ولا كرامه
له وهذا بعيد لا يصح وقد قيل ان اسماعيل لم يعد شيا الا
وفي به وهذا قول صحيح وهو الذي يقتضيه ظاهر الايه والله
اعلم **الثالثة** من هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم العدة دين
وفي الاثر واي المومن واجب اي في اخلاق المومنين وانما
قلنا ان ذلك ليس بواجب فرضا لاجماع العلما على ما حكاه ابو
عمر ان من وعد بمال ما كان ليضرب به مع الغرما فلذلك
قلنا ايجاب الوفا به حسن مع المروه ولا يقضي والعرب تمتدح
بالوفا وتذم بالخلف والغدر وكذلك ساير الامم ولقد احسن
القايل متى ما يقل حر لصاحب حاجة نعم يقضها والحر للواي ضامن
ولا خلاف ان الوفا يستحق به صاحبه الحمد والشكر وعلى
الخلف الذم وقد اثنى الله على من صدق وعده ووفا بنذره
وكفى بهذا مدحا وثنا وبما خالفه ذما **الرابعة** قال
مالك اذا سال الرجل الرجل ان يهب له الهبه فيقول له
نعم ثم يبدو له ان لا يفعل فما ارى يلزمه قال مالك ولو
كان ذلك في قضا دين فساله ان يقضيه عنه فقال نعم
وثم رجال يشهدون عليه فما احراه ان يلزمه اذا شهد
عليه اثنان وقال ابو حنيفة واصحابه والاوزاعي
والشافعي وساير الفقها ان العدة لا يلزم منها شي
لانها منافع

لانها منافع لم يقبضها في العاريه لانها طاريه وفي غير العاريه هي
اشخاص واعيان موهوبة لم تقبض فلصاحبها الرجوع فيها وفي
البخاري واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وقضي
اشوع بالوعد وذكر ذلك عن سمرة بن جندب قال البخاري
ورايت اسحق بن ابراهيم يحتج بحديث بن اشوع الخامسه
وكان رسولا نبيا قيل ارسل اسماعيل الي جرهم وكل الانبيا كانوا
اذا وعدوا صدقوا وخص اسماعيل بالذكر تشريفا له والله اعلم
السادسه وكان يامر اهله قال الحسن يعني امته وفي حرف ابن
مسعود وكان يامر اهله جرهم وولده بالصلاة والزكاة والزكاة
وكان عند ربه مرضيا اي رضيا زاكيا صالحا قال الكسائي والفرا
من قال مرضي بناه على رضيت قالا واهل الحجاز يقولون مرضو
وقال الكسائي والفرا من العرب من يقول رضوان ورضيان ورضوان
على مرضو ورضيان على مرضي ولا يجز البصريون الا رضوان
وربوان قال ابو جعفر النحاس سمعت ابا اسحق الزجاج يقول
يخطيون في الخط فيكتبونه باليا ثم يخطيون فيما هو اشد من هذا
فيقولون ربيان ولا يجوز الا ربوان ورضوان قال الله تعالى
وما اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس قوله تعالى واذكر
في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ادريس عليه السلام اول
من خط بالقلم واول من خاط الثياب ولبس المخيط واول من نظر

في علم النجوم والحساب وسيرها وسمي ادريس لكثرة درسه
كتاب الله تعالى وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعلا
من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان
متصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس اعجمي
وليس من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا اسرايل
باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة
كثرت منه امثال هذه الهنات ونجوز ان يكون معنى ادريس
في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس
قال الثعلبي والغزنوي وغيرهما وهو جد نوح وهو خطا وقد تقدم
في الاعراف بيانه وكذا وقع في السيرة ان نوحا عليه السلام بن لامك
بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس النبي فيما يزعمون والله اعلم
وكان اول بني ادم اعطي النبوة وخط بالقلم بن يرد بن مهليل
بن قينن بن يانش بن شيث بن ادم صلى الله عليه وسلم فالله اعلم
قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا قال انس بن مالك وابو
سعيد الخدري وغيرهما يعني السما الرابعه وروي ذلك عن النبي صلى
الله عليه وسلم وقاله كعب الاحبار وقال ابن عباس والضحاك
يعني السما السادسه ذكره المهدوي قلت ووقع في البخاري
من حديث شريك بن عبد الله بن ابي نمر قال سمعت انس
بن مالك يقول قال ليلة اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم
من مسجد

٢٢١

من مسجد الكعبه الحديث وفيه كل سماء فيها انبيا قد سماهم منهم ادريس
في الثانيه وهو وهم والصحيح انه في السماء الرابعه كذلك رواه
ثابت البناني عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح
روى مالك بن صعصعة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لما عرج
بي الى السما اتيت على ادريس في السماء الرابعه خرجه مسلم ايضا
وكان سبب رفعه على ما قال ابن عباس وكعب وغيرهما انه
سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يارب
انا مشيت يوما فكيف بمن يحملها خمسماية عام في يوم واحد
اللهم خفف عنه من ثقلها يعني الملك الموكل بفلك الشمس يقول
ادريس اللهم خفف عنه من ثقلها واحمل عنه من حرها
فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس والظل ما لا يعرف فقال
يارب خلقتني لحمل الشمس فما الذي قضيت فيه فقال الله
تعالى اما ان عبدي ادريس سالني ان اخفف عنك حملها
وحرها فاجبته قال يارب اجمع بيني وبينه واجعل بيني
وبينه خله فاذن الله له حتى اتى ادريس وكان ادريس
يساله فقال اخبرت انك اكرم الملايكة وامكنهم عند ملك
الموت فاشفع لي اليه ليوخر اجلي فازداد شكرا وعبادة
فقال الملك لا يوخر الله نفسا اذا جا اجلها فقال الملك قد
علمت ذلك ولكنه اطيب لنفسي قال نعم ثم حمله ملك الشمس

على جناحه فرفعه الى السما ووضعه عند مطلع الشمس
ثم قال لملك الموت لي صديق من بني ادم يشفع بي اليك لتوخر
اجله قال ليس ذلك الي ولكن ان احببت علمه اعلمته متى
يموت قال نعم ثم نظر في ديوانه فقال انك لتسلني عن
انسان ما اراه يموت ابدا قال وكيف قال لا اجده يموت
الا عند مطلع الشمس قال فاني اتيتك وتركته هناك قال
انطلق فما اراك الا وقد مات فوالله ما بقي من اجل ادريس
شي فرجع الملك فوجده ميتا وقال السدي انه نام ذات
يوم فاشتد عليه حر الشمس فقام وهو منها في كرب فقال
اللهم خفف عن ملك الشمس واعنه فانه يمارس نارا
حاميه فاصبح ملك الشمس وقد نصب له كرسي من نور
وعنده سبعون الف ملك عن يمينه ومثلها عن يساره
يخدمونه ويتولون عمله من تحت حكمه فقال ملك الشمس
يارب من اين لي هذا قال دعا لك رجل من بني ادم يقال له ادريس
ثم ذكر نحو حديث كعب قال فقال له ملك الشمس اتريد
حاجة قال نعم وددت لو اني رايت الجنة قال فرفعه
على جناحه ثم طار به فبينما هو في السماء الرابعة التقي
ملك الموت ينظر في السماء يمينا وشمالا فسلم عليه ملك الشمس
وقال يا ادريس هذا ملك الموت فسلم عليه فقال ملك الموت
سبحان الله

سبحان الله ولاي معني رفعته ها هنا قال رفعته لاربه الجنه قال
فان الله امرني ان اقبض روح ادريس في السما الرابعه فقلت يارب
واين ادريس من السما الرابعه ثم نزلت فاذا هو معك فقبض روحه
ورفعها الي الجنه ودفنت الملايكه جثته في السما الرابعه فذلك
قوله ورفعناه مكانا عليا وقال وهب بن منبه كان يرفع لادريس
كل يوم من العباده مثل ما يرفع لاهل الارض في زمانه فعجب منه
الملايكه واشتاق اليه ملك الموت فاستاذن ربه في زيارته
فاذن له فاتاه في صوره ادمي وكان ادريس يصوم النهار
فلما كان وقت افطاره دعاه الي طعامه فابي ان ياكل ففعل
به ذلك ثلاث ليال فانكره ادريس وقال له من انت قال انا
ملك الموت استاذنت ربي ان اصحبك فاذن لي فقال ان لي اليك
حاجه قال وما هي قال ان تقبض روحي فاذن الله له ان اقبض روحه
ورده الله اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفايده
في قبض روحك قال لاذوق كرب الموت فاكون له اشد استعدادا
ثم قال له ادريس بعد حين ان لي اليك حاجة اخري قال وما هي
قال ان ترفعني الي السما فانظر الي الجنة والنار فاذن له في رفعه
الي السماوات فراي النار فصعق فلما افاق قال اريني الجنه فادخله
الجنه ثم قال له ملك الموت فاخرج لتعود الي مقرك فتعلق بشجره
وقال لا اخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال مالك لا تخرج

فقال لا ان الله تعالى قال كل نفس ذايقة الموت وقد ذقته وقال
وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال وما هم منها بمخرجين
فلست اخرج فقال الله تعالى لملك الموت باذني دخل الجنة وبامري
يخرج فهو حي هنالك فذلك قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا
قال النحاس قول ادريس وما هم منها بمخرجين يجوز ان يكون الله
اعلم هذا ادريس ثم نزل القران به قال وهب بن منبه فادريس
تارة يرفع في الجنة وتارة يعبد الله مع الملايكة في السما قوله
تعالى اوليك الذين انعم الله عليهم من النبيين فيه ثلاث مسايل
الاولى قوله تعالى اوليك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية
ادم يريد ادريس وحده وممن حملنا مع نوح يريد ابراهيم وحده
ومن ذرية ابراهيم يريد اسماعيل واسحق ويعقوب ومن ذرية
اسرايل موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى فكان لادريس
ونوح شرف القرب من ادم ولابراهيم شرف القرب من نوح
ولاسماعيل واسحق ويعقوب شرف القرب من ابراهيم وممن
هدينا اي الى الاسلام واجتبينا بالايمان اذا تتلى عليهم ايات
الرحمن وقرا شبل بن عباد المكي يتلى بالتذكير لان التانيث
غير حقيقي مع وجود الفاصل خروا سجدا وبكيا وصفهم بالخشوع
لله والبكا وقد مضى في سبحان يقال بكا يبكي بكا وبكى وبكيا
الا ان الخليل قال اذا قصرت البكا فهو مثل الحزن اي ليس معه
صوت

صوت كما قال الشاعر: بكت عيني وحق لها بكاها وما يغني البكا
ولا العويل. وسجدا نصب على الحال وبكيا عطف عليه الثانية
في هذه الاية دلالة على ان لايات الرحمن تاثيرا في القلوب قال الحسن
اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا في الصلاة وقال الاصم
المراد بايات الرحمن كتبه المتضمنه لتوحيده وحججه
وانهم كانوا يسجدون ويبكون عند تلاوتها ويبكون عند ذكرها
والمروي عن ابن عباس ان المراد به القران خاصة وانهم كانوا
يسجدون ويبكون عند تلاوته قال الكيا وفي هذا دلالة من
قوله على ان القران هو الذي كان يتلى على جميع الانبيا ولو
كان كذلك لما كان الرسول عليه السلام مختصا بانزاله عليه
الثالثة احتج ابو بكر الرازي بهذه الاية على وجوب سجود
القران على المستمع والقاري قال الكيا وهذا بعيد فان هذا
الوصف شامل لكل ايات الله تعالى وضم الى السجود البكا
وابان به عن طريقة الانبيا عليهم السلام في تعظيمهم الله تعالى
واياته وليس فيه دلالة على وجوب ذلك عند اية مخصوصة
الرابعة قال العلما ينبغي لمن قرا سجدة ان يدعو فيها بما يليق
باياتها فان قرا سورة السجدة الم تنزيل قال اللهم اجعلني من
الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين
عن امرك وان قرا سجدة سبحان قال اللهم من الباكين اليك الخاشعين لك

وانظر اهذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين
الساجدين لكا الباكين عند تلاوة اياتك قوله تعالى فخلف من
بعدهم خلف فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى فخلف من بعدهم
خلف قال ابو عبيد حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال
ذلك عند قيام الساعة وذهاب صالحي هذه الامة امة محمد صلى
الله عليه وسلم ينزو بعضهم على بعض في الازقة زنا وتقدم
القول في خلف في الاعراف الثانية قوله تعالى اضاعوا الصلاة
وقرا عبد الله والحسن الصلوات على الجمع وهو ذم ونص في
ان اضاعة الصلاة من الكباير التي توبق صاحبها ولا خلاف
في ذلك وقد قال عمر ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع واختلفوا
فيمن المراد بهذه الاية فقال مجاهد النصارى خلفوا بعد
اليهود وقال محمد بن كعب القرظي ومجاهد ايضا وعطاهم قوم
من امة محمد صلى الله عليه وسلم في اخر الزمان اي يكون في هذه
الامة من هذه صفته لا انهم المراد بهذه الاية واختلفوا
ايضا في معنى اضاعتها فقال القرظي هي اضاعة كفر وجحد
بها وقال القاسم بن مخيمرة وعبد الله بن مسعود هي
اضاعة اوقاتها وعدم القيام بحقوقها وهو الصحيح
وانها اذا صليت مخلا بها لا تصح ولا تجزي لقوله صلى
الله عليه وسلم للرجل الذي صلى وجا فسلم عليه ارجع فصل
فانك لم

فانك لم تصل ثلاث مرات خرجه مسلم وقال حذيفه لرجل
راه يصلي فطفف منذ كم تصلي هذه الصلاه قال منذ اربعين عاما
قال ما صليت ولو مت وانت تصلي هذه مت على غير فطره
محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الرجل ليخف الصلاة ويتم
ويحسن خرجه البخاري واللفظ للنساي وفي الترمذي
عن ابي مسعود الانصاري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تجزي صلاة لا يقيم الرجل فيها يعني صلبه
في الركوع والسجود قال حديث حسن صحيح والعمل على
هذا عند اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن
بعدهم يرون ان يقيم الرجل صلبه في الركوع والسجود
وقال الشافعي واحمد واسحق من لم يقم صلبه في الركوع
والسجود فصلاته فاسده وقال صلى الله عليه وسلم
تلك صلاة المنافقين يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت
بين قرني الشيطان قام فنقرها اربعا لا يذكر الله
فيها الا قليلا وهذا ذم لمن يفعل ذلك وقال قروة بن
خالد بن سنان استبطا اصحاب الضحاك مرة امرا في
صلاة العصر حتى كادت الشمس تغرب فقرا الضحاك
هذه الاية ثم قال والله لان ادعها احب الي من ان اضيعها
وجملة القول في هذا الباب ان من لم يحافظ على اوقات

الصلوات لم يحافظ على الصلوات كما ان من لم يحافظ
عليها فقد ضيعها ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع
كما ان من حفظ عليها حفظ دينه ولا دين لمن لا صلاة
له وقال الحسن عطلوا المساجد واشتغلوا بالصنايع
والاسباب واتبعوا الشهوات اى اللذات والمعاصى
الثالثة روى الترمذى وابو داود عن انس بن
حكيم الضبى انه اتى المدينة فلقى ابا هريرة فقال له
يا فتى الا احدثك حديثا لعل الله ان ينفعك به قلت بلى قال
ان اول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من اعمالهم الصلاة
فيقول ربنا تبارك وتعالى للملايكة وهو اعلم انظروا فى
صلاة عبدى اتمها ام نقصها فان كانت تامة كتبت له
تامة وان كان انتقص منها شيا قال انظروا هل لعبدى
من تطوع فان كان له تطوع قال اكملوا لعبدى فريضته
من تطوعه ثم توخذ الاعمال على ذلك قال يونس واحسبه
عن النبي صلى الله عليه وسلم لفظ ابي داود وقال حدثنا
موسى بن اسماعيل حدثنا حماد عن داود بن ابي هند عن زرارة
بن اوفى عن تميم الدارى عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا
المعنى قال ثم الزكاة مثل ذلك ثم توخذ الاعمال على حسب
ذلك واخرجه النساى عن همام عن الحسن عن حريث
بن قبيصة

فليس بحافظ

ومن لم يحافظ عليها ضيع

بن قبيصه عن ابي هريره قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان اول ما يحاسب به العبد بصلاته فان صلحت فقد افلح
وانجح وان فسدت فقد خاب وخسر قال همام لا ادري هذا
من كلام قتادة او من الرواية فان انتقص من فريضته شي قال
انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل به ما نقص من الفريضه ثم
يكون ساير عمله نحو ذلك خالفه ابو العوام فرواه عن قتاده
عن الحسن عن ابي رافع عن ابي هريره ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فان وجدت
تامة كتبت تامة وان كان انتقص منها شي قال انظروا هل تجدوا
له من تطوع يكمل له ما ضيع من فريضته من تطوعه ثم ساير
الاعمال تجري على حسب ذلك قال النساي انا اسحق بن ابراهيم
انا النضر بن سليمان انا حماد بن سلمة عن الازرق بن قيس عن
يحيى بن يعمر عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اول ما يحاسب به العبد صلاته فان اكملها والا قال الله عز وجل
انظروا لعبدي من تطوع فان وجد له تطوع قال اكملوا به الفريضة
قال ابو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد اما اكمال الفريضه من التطوع
فانما يكون والله اعلم فيمن سهى عن فريضة فلم يات بها ولم يحسن
ركوعها ولم يدر قدر ذلك واما من تركها او نسي ثم ذكرها
فلم يات بها عامدا واشتغل بالتطوع عن اداء فرضه وهو ذاكر له

فلا تكمل له فريضة من تطوعه والله اعلم وقد روي من حديث
الشاميين في هذا الباب حديث منكر برواية محمد بن حمير عن عمرو
بن قيس السكوني عن عبد الله بن قرط عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من صلى صلاة لم يكمل فيها ركوعه وسجوده زيد فيها من تسبيحاته
حتى تتم قال ابو عمر وهذا لم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم
الا من هذا الوجه وليس بالقوي وان كان صح كان معناه انه
خرج من صلاة كان قد اتمها عند نفسه وليست في الحكم بتامة
والله اعلم قلت فينبغي للانسان ان يحسن فرضه ونفله حتى
يكون له نفل يجده زايدًا على فرضه يقربه من ربه كما قال
سبحانه وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث
فاما اذا كان نفل يكمل به الفرض فحكمه في المعنى حكم الفرض
ومن لا يحسن ان يصلي الفرض فاحرى واولى ان لا يحسن النفل
لا جرم تنفل الناس في اشد ما يكون من النقصان والخلل
لخفته عندهم وتهاونهم به حتى كانه غير معتد به ولعمر
الله لقد يشاهد في الوجود من يشار اليه ويظن به العلم
تنفله كذلك بل فرضه اذ ينقره نقر الديك لعدم معرفته
بالحديث فكيف بالجهال الذين لا يعلمون وقد قال العلما ولا
يجزي ركوع ولا سجود ولا وقوف بعد الركوع ولا جلوس
بين السجدتين حتى يعتدل راكعًا وواقفًا وساجدًا وجالسًا
وهذا هو

٢٢٦

وهذا هو الصحيح في الاثر وعليه جمهور العلما واهل النظر
وهذه الرواية رواية ابن وهب وابي مصعب عن مالك
وقد مضي هذا في البقرة واذا كان هذا فكيف يكمل بذلك النفل
ما نقص من هذا الفرض علي سبيل السهو او الجهل بل كل ذلك
غير صحيح ولا مقبول لانه وقع علي غير المطلوب والله اعلم
الرابعة قوله تعالي واتبعوا الشهوات وعن علي رضي الله
عنه في قوله واتبعوا الشهوات هو من بني الشديد وركب
المنظور ولبس المشهور قلت الشهوات عبارة عما يوافق
الانسان ويشتهيه ويلايمه ولا يتقيه وفي الصحيح حفت
الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وما ذكره علي
رضي الله عنه جزء من هذا قوله تعالي فسوف يلقون
غيا قال ابن زيد شرا او ضلالا او خيبة قال
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم علي الغي لايما
وقال عبد الله بن مسعود هو واد في جهنم والتقدير عند
اهل اللغة فسوف يلقون جزا الغي كما قال جل ذكره ومن
يفعل ذلك يلق اثاما والاظهر ان الغي اسم للوادي سمي به لان
الغاوين يصيرون اليه وقال كعب يظهر في اخر الزمان
ناس بايديهم سياط كاذناب البقر ثم قرا الاية فسوف يلقون
غيا اي هلاكا وضلالا في جهنم وعنه غي واد في جهنم ابعدها

فعرا واشدها حرا فيه بير يسمى البهيم كلما حبت جهنم فتح الله
تلك البير فتسعر بها جهنم وقال ابن عباس غي واد في جهنم
وان اودية جهنم لتستعيذ من حره واعد ذلك الوادي للزاني
المصر على الزنا والشارب الخمر المدمن عليه ولاكل الربا الذي
لا ينزع منه ولاهل العقوق ولشاهد الزور ولامراة ادخلت
على زوجها ولدا ليس منه قوله تعالى الا من تاب اي من
تضييع الصلاة واتباع الشهوات فرجع الى طاعة ربه وامن
به وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة قرا ابو جعفر وشيبة
وابن كثير وابن محيصن وابو عمرو ويعقوب وابو بكر يدخلون
وفتح اليا الباقون ولا يظلمون شيا اي لا ينقص من اعمالهم
الصالحة شيا الا انهم تكتب لهم بكل حسنة عشر الى
سبع ماية جنات عدن بدلا من الجنة فانتصب قال
ابو اسحق الزجاج ويجوز جنات عدن على الابتداء
قال ابو حاتم ولولا الخط لكان جنة عدن لان قبله
يدخلون الجنة التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي من
عبده وحفظ عهده بالغيب وقيل امنوا بالجنة ولم يروها
انه كان وعده ماتيا مفعول من الاتيان وكل ما
وصل اليك فقد وصلت اليه تقول اتت على ستون سنة
واتيت على ستين سنة ووصل الي من فلان خير ووصلت
منه الى خير

٢٤٧

مأتيا

منه الى خير وقال القتبي اتيا بمعنى آت فهو مفعول بمعنى
فاعل وماتيا مهموز لانه من اتى ياتي ومن خفف الهمزة
جعلها الفا وقال الطبري الوعد هاهنا الموعود وهو
الجنه اي ياتيها اولياوه **قوله تعالى** لا يسمعون فيها
لغوا اي في الجنة واللغو معناه الباطل من الكلام والفحش
منه والفضول وما لا ينتفع به ومنه الحديث اذا
قلت لصاحبك يوم الجمعه انصت والامام يخطب فقد
لغوت ويروى لغيت وهي لغة ابي هريره وقال الشاعر
ورب اسراب حجيج كظم عن اللغا ورفث التكلم
قال ابن عباس اللغو كل ما لم يكن فيه ذكر الله تعالى
اي كلامهم في الجنة حمد الله وتسبيحه الا سلاما اي لكن
يسمعون سلاما فهو من الاستثنا المنقطع يعني سلام
بعضهم على بعض وسلام الملك عليهم قاله مقاتل وغيره
والسلام اسم جامع للخير والمعنى انهم لا يسمعون فيها
الا ما يحبون **قوله تعالى** ولهم رزقهم فيها بكره
وعشيا اي لهم ما يشتهون من المطاعم والمشارب
بكرة وعشيا اي في قدر هذين الوقتين اذ لا بكره
ثم ولا عشيا لقوله تعالى غدوها شهر ورواحها
شهر اي قدر شهر قال معناه ابن عباس وابن جريج

وغيرهما وقيل عبر منهم اعتدال احوال اهل الجنة . كان اهنا النعمة
عند العرب التمكن من المطعم والمشرب بكرة وعشيا قال يحيى
بن ابي كثير وقتادة كانت العرب في زمانها من وجد غداء
وعشاء معا فذلك هو الناعم فنزلت وقيل اي رزقهم فيها
غير منقطع كما قال لا مقطوعة ولا ممنوعة وهو كما تقول
انا اصبح وامسي في ذكرك اي ذكري لك دايم ويحتمل ان تكون
البكرة قبل تشاغلهم بلذاتهم والعشي بعد فراغهم من لذاتهم لانه
يتخللها فترات انتقال من حال الى حال وهذا يرجع الى القول
الاول وروي الزبير بن بكار عن اسماعيل بن ابي اويس قال
قال مالك بن انس طعام المومنين في اليوم مرتين وتلي قول الله عز
وجل ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ثم قال وعوض الله المومنين
في الصيام السحور بدلا من الغدا ليقووا به على عبادة ربهم
وقيل انما ذكر ذلك لان صفة الغدا وهيئته غير صفة العشا
وهيئته وهذا لا يعرفه الا الملوك وكذلك في الجنة رزق الغدا
غير رزق العشا تتلون عليهم النعم ليزدادوا تنعما وغبطة
وخرج الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث ابان عن
الحسن وابي قلابة قالا قال رجل يا رسول الله هل في الجنة من
ليل قال وما هيجك على هذا قال سمعت الله يذكر في الكتاب ولهم
رزقهم فيها بكرة وعشيا فقلت الليل بين البكرة والعشي فقال
رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك ليل انما هو ضوء ونور
يرد الغدو على الرواح والرواح على الغدو ويأتيهم طرف الهدايا
من الله تعالى لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلون فيها في الدنيا
وتسلم عليهم الملائكة وهذا في غاية البيان لمعنى الآية وقد ذكرناه
في كتاب التذكرة وقال العلماء ليس في الجنة ليل ولا نهار وانما
هم في نور ابدا وانما يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب واغلاق
الابواب ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الابواب
ذكره ابو الفرج الجوزي والمهدوي وغيرهما **قوله تعالى**
تلك الجنة اي هذه الجنة التي وصفنا احوال اهلها نورث بالتخفيف
وقرا يعقوب نورّث بفتح الواو وشد الرا والاختيار التخفيف
لقوله ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا من كان تقيا
قال ابن عباس اي من اتقاني وعمل بطاعتي وقيل هو على التقديم
والتاخير تقديره نورث من كان تقيا من عبادنا **قوله**
تعالى وما نتنزل الا بامر ربك روى الترمذي عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما منعك ان
تزورنا قال فنزلت هذه الاية وما نتنزل الا بامر ربك
الى اخر الاية قال هذا حديث حسن غريب ورواه البخاري
نا خلاد بن يحيى نا عمر بن ذر سمعت ابي يحدث عن سعيد
بن جبير عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل

ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل الا
بامر ربك الاية قال كان هذا الجواب لمحمد صلي الله عليه وسلم
وقال مجاهد ابطا الملك علي رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم
اتاه فقال ما الذي ابطاك قال كيف ناتيكم وانتم لا تقصون
اظفاركم ولا تاخذون من شواربكم ولا تنقون رواجركم ولا
تستاكون قال مجاهد فنزلت الاية في هذا وقال مجاهد ايضا
وقتادة وعكرمة والضحاك ومقاتل والكلبي احتبس جبريل
عن النبي صلي الله عليه وسلم حين ساله قومه عن قصة اصحاب
الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيبهم ورجا ان
ياتيه جبريل بجواب ما سالوا عنه قال عكرمة فابطا عليه
اربعين يوما وقال مجاهد اثني عشرة ليلة وقيل خمسة
عشر وقيل ثلاثة ايام فقال النبي صلي الله عليه وسلم ابطات
علي حتي ساء ظني واشتقت اليك فقال جبريل اني كنت اشوق
ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا احتبست احتبست
فنزلت وما نتنزل الاية وانزل والضحي والليل اذا سجي ما
ودعك ربك وما قلي ذكره الثعلبي والواحدي والقشيري
وغيرهم وقيل هو اخبار عن اهل الجنة انهم يقولون عند
دخولها وما نتنزل هذا الجنان الا بامر ربك وعلي هذا تكون
الاية متصلة بما قبل وعلي ما ذكرنا من الاقوال قبل تكون
غير متصلة

غير متصلة بما قبلها والقران سور ثم السور تشتمل على جمل
وقد تنفصل جملة عن جمله وما نتنزل اى قال الله قل يا جبريل
وما نتنزل الا بامر ربك وهذا يحتمل وجهين احدهما انه اذا
امرنا نزلنا عليك الثاني اذا امرك ربك نزلنا عليك فيكون الامر
على الوجه الاول متوجها الى النزول وعلى الوجه الثاني متوجها
الى التنزيل قوله تعالى له اى لله ما بين ايدينا اى علم ما
بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك قال ابن عباس وابن جريج
ما مضى امامنا من امر الدنيا وما يكون بعدنا من امرها وامر
الاخره وما بين ذلك البرزخ ما بين النفختين وبينهما اربعون
سنة الاخفش ما بين ايدينا ما كان قبل ان نخلق وما خلفنا
ما يكون بعد ان نموت وما بين ذلك ما يكون منذ خلقنا الى
ان نموت وقيل ما بين ايدينا من الثواب والعقاب وامور
الاخره وما خلفنا ما مضى من اعمالنا في الدنيا وما بين
ذلك اى ما يكون من هذا الوقت الى يوم القيامه ويحتمل خامسا
ما بين ايدينا السما وما خلفنا الارض وما بين ذلك ما بين
السما والارض وقال ابن عباس في روايه له ما بين ايدينا
يريد الدنيا الى الارض وما خلفنا يريد السموات وهذا على
عكس ما قبله وما بين ذلك يريد الهوا ذكر الاول الماوردي
والثاني القشيري والزمخشري وقيل ما مضى من اعمارنا

وما عبر منها والحال التي نحن فيها ولم يقل ما بين ذلك لان المراد ما
بين ما ذكرنا وما كان ربك نسيا اي ناسيا اذا شا ان يرسل
اليك ارسل وقيل المعني لم ينسك وان تاخر عنك الوحي وقيل
المعني انه عالم بجميع الاشيا متقدمها ومتاخرها ولا ينسى شيا
منها قوله تعالى رب السموات والارض اي ربهما وخالقهما
وخالق ما بينهما ومالكهما ومالك ما بينهما فكما اليه تدبير الازمان
كذلك اليه تدبير الاعيان فاعبده اي وحده لذلك وفي
هذا دلالة فاعبده اي وحده لذلك وفي هذا دلالة على ان
اكتساب الخلق مفعولة لله تعالى كما يقوله اهل الحق وهو
القول الحق لان الرب في هذا الموضع لا يمكن حمله على معني
من معانيه الا على المالك واذا ثبت انه مالك ما بين السموات
والارض دخل في ذلك اكتساب الخلق ووجب عبادته
لما ثبت انه المالك على الاطلاق وحقيقة العبادة الطاعة
بغاية الخضوع ولا يستحقها احد سوى المالك المعبود واصطبر
لعبادته اي لطاعته ولا تحزن لتاخر الوحي عنك بل اشتغل
بما امرت به واصل اصطبر اصتبر فثقل الجمع بين التاء والصاد
لاختلافهما فابدل من التاء طا كما تقول من الصوم اصطام
هل تعلم له سميا قال ابن عباس يريد هل تعلم له ولدا او
نظيرا او مثلا او شبيها يستحق مثل اسمه الذي هو الرحمن
وقاله مجاهد

وقاله مجاهد ماخوذ من المساماة وروي اسرايل عن سماك عن
عكرمة عن ابن عباس قال هل تعلم احدا سمي الرحمن قال النحاس وهذا
اجل اسناد علمته روي في هذا الحرف وهو قول صحيح لا يقال
الرحمن الا الله قلت قد مضى هذا مبينا في البسمله والحمد لله
روى ابن ابي نجيح عن مجاهد هل تعلم له سميا قال مثلا ابن المسيب
عدلا قتادة والكلبي هل تعلم احدا يسمي الله غير الله او يقال
له الله الا هو وهل بمعني لا اي لا تعلم قوله تعالى ويقول
الانسان اذا ما مت لسوف اخرج حيا الانسان هنا ابي بن
خلف وجد عظاما بالية ففتها بيده وقال زعم محمد انا
نبعث بعد الموت قاله الكلبي ذكره الواحدي والثعلبي والقشيري
وقال المهدوي نزلت في الوليد بن المغيرة واصحابه وهو قول
ابن عباس واللام في لسوف اخرج حيا للتاكيد كانه قيل
له اذا ما مت لسوف نبعث حيا فقال منكرا فجا اللام
في الجواب كما كانت في القول الاول ولو كان مبتديا لم
تدخل اللام لانها للتاكيد والايجاب وهو منكر للبعث وقرا
ابن ذكوان اذا ما مت على الخبر والباقون بالاستفهام
على اصولهم في الهمز وقرا الحسن وابو حيوة لسوف
اخرج حيا قاله استهزا لانهم لا يصدقون بالبعث
والانسان هاهنا الكافر قوله تعالى او لا يذكر الانسان

[illegible] ابو [illegible] اصح [illegible]

اي ولا يذكر هذا القايل انا خلقناه من قبل اي من قبل سواله
وقوله هذا القول ولم يك شيا فالاعادة مثل الابتدا فلم يناقض
وقرا اهل الكوفه الا عاصما واهل مكة وابو عمرو وابو جعفر
او لا يذكر وقرا شيبة ونافع وعاصم او لا يذكر بالتخفيف
والاختيار التشديد واصله يتذكر لقوله انما يتذكر اولوا
الالباب واخواتها وفي حرف ابي ولا يتذكر وهذه القراه
علي التفسير لانها مخالفه لخط المصحف ومعني يذكر يتفكر
ومعني يذكر يتنبه ويعلم قاله النحاس **قوله تعالي** فوربك
لنحشرنهم اقسم بنفسه بعد اقامة الحجة بانه يحشرهم من
قبورهم الي المعاد كما يحشر المومنين والشياطين اي ولنحشرن
الشياطين قرناهم قيل يحشر كل كافر مع شيطان في سلسله
كما قال احشروا الذين ظلموا وازواجهم الزمخشري والواو
في والشياطين يجوز ان تكون للعطف وبمعني مع وهي بمعني
مع اوقع والمعني انهم يحشرون مع قرنايهم من الشياطين الذين
اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة فان قلت
هذا اذا اريد بالانسان الكفرة خاصة فان اريد الاناسي
علي العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين قلت اذا
حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفره مقرونين
بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفره
فان قلت

فان قلت هلا عزل السعدا عن الاشقيا في الحشر كما عزلوا
عنهم في الجزاء قلت لم يفرق بينهم في المحشر واحضروا حيث
تجاثوا حول جهنم واوردوا معهم النار ليشاهد السعدا
الاحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة
وسرورا الى سرور ويشمتوا باعداء الله واعدايهم فتزداد
مساتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة اوليا الله وشماتتهم
بهم فان قلت ما معنى احضارهم جثيا قلت اما اذا فسر
الانسان بالخصوص فالمعنى انهم يعتلون من المحشر الى شاطي
جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على
ركبهم غير مشاة على اقدامهم وذلك ان اهل الموقف وصفوا
بالجثو قال الله تعالى وترى كل امة جاثية كل امة على الحالة
المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي اهلها
على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق واطلاق الحبا
خلاف الطمانينة ولما يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون
معها القيام على ارجلهم فيحبون على ركبهم حبوا وان فسر
بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون عند موافاة شاطي جهنم على ان
جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع
التواقف للحساب قبل التوصل الى الثواب والعقاب ويقال
ان معنى لنحضرنهم حول جهنم جثيا على ركبهم عن مجاهد وقتاده

اي انهم لشدة ما هم فيه لا يقدرون على القيام وحول جهنم يجوز
ان يكونوا داخلها كما تقول جلس القوم حول البيت اي داخله
مطيفين به فقوله حول جهنم على هذا يجوز ان يكون بعد الدخول
ويجوز ان يكون قبل الدخول وجثيا جمع جاث يقال جثا على
ركبتيه يجثو ويجثي جثوا وجثيا على فعول فيهما واجثاه
غيره وقوم جثي ايضا مثل جلس جلوسا وقوم جلوس وجثي
ايضا بكسر الجيم لما بعدها من الكسر وقال ابن عباس جثيا
جماعات وقال مقاتل جمعا جمعا وهو على هذا التاويل جمع
جثوة وجثوة وجثوه ثلاث لغات وهي الحجاره المجموعه
والتراب المجموع فاهل الخمر على حدة واهل الزنا على حدة وهكذا
قال طرفة ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح منضد
وقال الحسن والضحاك جاثية على الركب وهو على هذا التاويل
جمع جاث على ما تقدم وذلك لضيق المكان اي لا يمكنهم ان يجلسوا
جلوسا تاما وقيل جثيا على ركبهم للتخاصم كقوله ثم انكم يوم
القيامة عند ربكم تختصمون وقال الكميت
هم تركوا سراتهم جثيا وهم دون السراه مقرنينا
قوله تعالى ثم لننزعن من كل شيعة اي لنستخرجن
من كل امة واهل دين ايهم اشد على الرحمن عتيا النحاس
وهذه اية مشكلة في الاعراب لان القرا كلهم يقرون ايهم
بالرفع

بالرفع الا هارون القاري الاعور فان سيبويه حكى عنه ثم
لننزعن من كل شيعة ايهم بالنصب اوقع على ايهم لننزعن قال
ابو اسحق في رفع ايهم ثلاثة اقوال قال الخليل بن احمد حكاه
عند سيبويه انه مرفوع على الحكاية والمعنى ثم لننزعن
من كل شيعة الذي يقال من اجل عتوه ايهم اشد على الرحمن
وانشد الخليل ولقد ابيت من الفتاة بمنزل فابيت لا حرج ولا محروم
اي فابيت بمنزلة الذي يقال له هو لا حرج ولا محروم قال
ابو جعفر النحاس ورايت ابا اسحق يختار هذا القول ويستحسنه
قال لانه معنى قول اهل التفسير وزعم ان معنى ثم لننزعن من
كل شيعة ثم لننزعن من كل فرقة الاعتى فالاعتى كانه يبتدأ
بالتعذيب باشدهم عتيا ثم الذي يليه وهذا نص كلام ابي اسحق
في معنى الاية وقال يونس لننزعن بمنزلة الافعال التي تلغى ورفع
ايهم على الابتدا المهدوي والفعل الذي هو لننزعن عند يونس
معلق قال ابو علي معنى ذلك انه يعمل في موضع ايهم اشد لا انه
ملغى ولا يعلق عند الخليل وسيبويه مثل لننزعن انما يعلق
بافعال الشك وشبهها مالم يتحقق وقوعه وقال سيبويه ايهم
مبني على الضم لانها خالفت اخواتها في الحذف لانك لو قلت رايت
الذي افضل ومن افضل كان قبيحا حتى تقول من هو افضل والحذف
في ايهم جايز قال ابو جعفر وما علمت احدا من النحويين الا وقد

خطا سيبويه في هذا وسمعت ابا اسحق يقول ما تبين لي ان
سيبويه غلط في كتابه الا في موضعين هذا احدهما قال وقد
علمنا سيبويه انه اعرب ايا وهي مفرده لانها تضاف فكيف
يبنيها وهي مضافه ولم يذكر ابو اسحق فيما علمت الا هذه الثلاثة
الاقوال ابو علي انما وجب البنا على مذهب سيبويه لانه حذف
منه ما يتعرف به وهو الضمير مع افتقار اليه كما حذف من قبل
ومن بعد ما يتعرفان به مع افتقار المضاف الى المضاف اليه
لان الصلة تبين الموصول وتوضحه كما ان المضاف يبين المضاف
اليه ويخصصه قال ابو جعفر وفيه اربعة اقوال سوى هذه
الثلاثه التي ذكرها ابو اسحق قال الكسائي لننزعن واقعة على
المعنى كما تقول لبست من الثياب واكلت من الطعام ولم يقع
لننزعن على ايهم فينصبها زاد المهدوي وانما الفعل عنده واقع
على موضع من كل شيعة وقوله ايهم اشد جملة مستانفه
مرتفعه بالابتدا ولا يرى سيبويه زيادة من في الواجب
وقال الفرا المعنى ثم لننزعن بالندا ومعنى لننزعن لننادين
المهدوي ونادى فعل يعلق اذا كان بعده جمله كظننت
فتعمل في المعنى ولا تعمل في اللفظ قال ابو جعفر وحكى ابو بكر
بن شقير ان بعض الكوفيين يقول في ايهم معنى الشرط والمجازاه
ولذلك لم يعمل فيها ما قبلها والمعنى ثم لننزعن من كل فرقة ان
تشايعوا

تشايعوا اولم يتشايعوا كما تقول ضربت القوم ايهم غضب والمعنى
ان غضبوا اولم يغضبوا قال ابو جعفر فهذه ستة اقوال
وسمعت علي بن سليمان يحكي عن محمد بن يزيد قال ايهم متعلق
بشيعة فهو مرفوع بالابتدا والمعنى ثم لننزعن من الذين
تشايعوا ايهم اي من الذين تعاونوا فنظروا ايهم اشد على
الرحمن عتيا وهذا قول حسن وقد حكى الكساي ان التشايع
التعاون وعتيا نصب على البيان **قوله تعالى** ثم لنحن اعلم
بالذين هم اولى بها صليا اي احق بدخول النار يقال صلي يصلى صليا
نحو مضى الشي يمضي مضيا اذا ذهب وهوى يهوي هويا وقال
الجوهري ويقال صليت الرجل نارا اذا ادخلته النار وجعلته
يصلاها فان القيته فيها القا كانك تريد الاحراق قلت اصليته
بالالف وصليته تصلية وقرى ويصلى سعيرا ومن خفف
فهو من قولهم صلي فلان النار بالكسر يصلى صليا احترق قال
الله تعالى هم اولى بها صليا قال العجاج
والله لولا النار ان نصلاها ويقال ايضا صلي بالامر اذا
قاسى حره وشدته قال الطهوي فلا تصلى بمصطلي بسالتهم وان هم
صلوا بالحرب حينا بعد حين واصطليت بالنار وتصليت
بها قال ابو زبيد وقد تصليت حر حربهم كما تصلى المقرور من قرس
وفلان لا يصطلى بناره اذا كان شجاعا لا يطاق **قوله تعالى**

وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فيه خمس مسايل الاولى
قوله تعالى وان منكم هذا قسم والواو يتضمنه ويفسره حديث
النبي صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد
فتمسه النار الا تحلة القسم قال الزهري كانه يريد هذه الاية
وان منكم الا واردها ذكره ابو داود الطيالسي فقوله الا تحلة القسم
يخرج في التفسير المسند لان القسم المذكور في هذا الحديث
معناه عند اهل العلم قوله تعالى وان منكم الا واردها وقد قيل
ان المراد بالقسم قوله تعالى والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون
لصادق وان الدين لواقع والاول اشهر والمعنى متقارب الثانية
واختلف الناس في الورود فقيل الورود الدخول روى عن جابر
بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود
الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المومنين بردا
وسلاما كما كانت على ابراهيم ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين
فيها جثيا اسنده ابو عمر في كتاب التمهيد وهو قول ابن عباس
وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم وروى يونس عن الحسن
انه كان يقرا وان منكم الا واردها الورود الدخول على التفسير
للورود فغلط فيه بعض الرواة فالحقه بالقران وفي مسند
الدارمي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرد الناس النار ثم يصدرون منها باعمالهم فاولهم كلمح البرق ثم
كالريح

كالريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب في رحله ثم كشد الرجل في
مشيته وروي عن ابن عباس انه قال في هذه المسئلة لنافع
الازرق الخارجي اما انا وانت فلا بد ان نردها فاما انا فينجيني
الله منها واما انت فما اظنه ينجيك لتكذيبك وقد اشفق كثير
من العلما من تحقق الورود والجهل بالصدر وقد بيناه في التذكرة
وقالت فرقة الورود الممر على الصراط روي عن ابن عباس وابن
مسعود وكعب الاحبار والسدي ورواه السدي عن ابن
مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم وقاله الحسن ايضا قال ليس
الورود الدخول انما هو كما تقول وردت البصره ولم ادخلها
قال فالورود ان يمروا على الصراط قال ابو بكر الانباري وقد
بنى على مذهب الحسن قوم من اهل اللغة واحتجوا بقول الله
تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون
قالوا فلا يدخل النار من ضمن الله ان يبعده منها وكان
هولاء يقرون ثم بفتح الثا ننجي الذين اتقوا واحتج عليهم
الاخرون اهل المقالة الاولى بان معنى قوله اولئك عنها
مبعدون عن العذاب فيها والاحراق بها قالوا فمن دخلها
وهو لا يشعر بها ولا يحس منها وجعا ولا الما فهو مبعد منها
في الحقيقة ويستدلوا بقوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا بضم الثا
فثم تدل على نجا بعد الدخول قلت وفي صحيح مسلم ثم يضرب

الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فيقولون اللهم سلم سلم فقيل يا
رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب
وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون
كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب
فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم الحديث
وبه احتج من قال ان الجواز على الصراط هو الورود الذي تضمنته
هذه الاية لا الدخول فيها وقالت فرقة بل هو ورود اشراف
واطلاع وقرب وذلك انهم يحضرون موضع الحساب وهو
بقرب جهنم فيرونها وينظرون اليها في حالة الحساب ثم ينجي
الذين اتقوا مما نظروا اليه ويصار بهم الى الجنة ونذر الظالمين
اي يؤمر بهم الى النار قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين اي اشرف
عليه لا انه دخله وقال زهير ؛؛
فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم ؛؛
وروت حفصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل
النار احد من اهل بدر والحديبية قالت فقلت يا رسول الله
واين قول الله وان منكم الا واردها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمه ثم ننجي الذين اتقوا خرجه مسلم من حديث
ام مبشر قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند
حفصة الحديث ورجح الزجاج هذا القول بقوله تعالى
ان الذين

حسكة

ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اوليك عنها مبعدون وقال
مجاهد ورود المومنين هو الحمى الذي نصيب المومن في دار
الدنيا وهي حظ المومن من النار فلا يردها روى ابو هريره
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد مريضا من وعك به فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم ابشر فان الله تبارك وتعالى
يقول هي ناري اسلطها على عبدي المومن لتكون حظه من
النار اسنده ابو عمر قال حدثنا عبد الوارث بن سفيان
قال نا قاسم بن اصبغ قال نا محمد بن اسماعيل الصايغ
قال نا ابو اسامه قال نا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر
عن اسماعيل بن عبد الله الاشعري عن ابي هريره ان النبي
صلى الله عليه وسلم عاد مريضا فذكره وفي الحديث
وفي الحديث الحمى حظ المومن من النار وقالت فرقة الورود
النظر اليها في القبر فينجي منها الفايز ويصلاها من قدر
عليه دخولها ثم تخرج منها بالشفاعه او بغيرها من رحمة الله
واحتجوا بحديث بن عمر اذا مات احدكم عرض عليه مقعده
بالغداة والعشي الحديث وروى وكيع عن شعبه عن
عبد الله بن السايب عن رجل عن ابن عباس انه قال في
قول الله عز وجل وان منكم قال هذا خطاب للكفار
وروي عنه انه كان يقرا وان منهم ردا على الايات التي قبلها

قبلها في الكفار قوله فو ربك لنحشرنهم و... لنحن اعلم بالذي اولى بها صليا وان منهم وكذلك قرا عكرمة وجماعة بغير واو وعليها فلا شغب في هذه القراة وقالت فرقة المراد بمنكم الكفره والمعنى قل لهم يا محمد وهذا التاويل ايضا سهل التناول والكاف في منكم راجعة الي الها في لنحشرنهم فلا ينكر رجوع الكاف الى الهاء فقد عرفت ذلك في قوله عز وجل وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزا معناه كان لهم فرجعت الكاف الى الها وقال الاكثر المخاطب العالم كله ولا بد من ورود الجميع وعليه نشا الخلاف في الورود وقد بينا اقوال العلما فيه وظاهر الورود الدخول لقوله عليه السلام فتمسه النار لان المسيس حقيقته في اللغة المماسة الا انها تكون بردا وسلاما على المومنين وينجون منها سالمين قال خالد بن معدان اذا دخل اهل الجنة الجنة قالوا الم يقل ربنا انا نرد النار فيقال قد وردتموها فالفيتموها رمادا قلت وهذا القول يجمع شتات الاقوال فان من وردها ولم توذه بلهبها وحرها فقد ابعد عنها ونجي منها نجانا الله منها بفضله وكرمه وجعلنا ممن وردها فدخلها سالما وخرج منها غانما

فان قيل

فان قيل فهل يدخل الانبيا النار قلنا لا نطلق هذا ولكن
نقول ان الخلق جميعا يردونها كما دل عليه حديث
جابر اول الباب فالعصاة يدخلونها بجرايمهم والاوليا
والسعدا لشفاعتهم فبين الدخولين بون وقال ابن الانباري
محتجا بمصحف عثمان وقراءة العامة جاير في اللغة
ان ترجع من مخاطبة الغايب الى لفظ المواجهة بالخطاب
كما قال وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزا
فابدل الكاف من الهاء وقد تقدم هذا المعنى في يونس
الثالثة الاستثنا في قوله عليه السلام الا تحلة
القسم يحتمل ان يكون استثنا منقطعا لكن تحلة القسم
وهذا معروف في كلام العرب والمعنى ان لا تمسه النار اصلا
وتم الكلام هنا ثم ابتدا الا تحلة القسم اي لكن تحلة
القسم لا بد منها في قوله تعالى وان منكم الا واردها
وهو الجواز على الصراط او الرؤية او الدخول دخول
سلامة فلا يكون في ذلك شي من مسيس لقوله عليه
السلام لا يموت لاحدكم ثلاثة من الولد فيحتسبهم
الا كانوا له جنة من النار والجنة الوقاية والستر
ومن وقي النار وستر عنها فلن تمسه اصلا ولو مسته
ما كان موقى الرابعة هذا الحديث يفسر الاول

لان فيه ذكر الخشية ولذلك جعله ملك باثره مفسرا له ويفيد
هذا الحديث الثاني ايضا ما رواه البخاري عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث
كان له حجابا من النار او دخل الجنة فقوله عليه السلام لم
يبلغوا الحنث ومعناه عند اهل العلم لم يبلغوا الحلم ولم يبلغوا
ان يلزمهم حنث دليل على ان اطفال المسلمين في الجنة والله اعلم
لان الرحمة اذا نزلت باباهم استحال ان يرحموا من اجل من ليس
بمرحوم وهذا اجماع من العلما في ان اطفال المسلمين في الجنة
ولم يخالف في ذلك الا فرقة شذت من المجبرة فجعلتهم في المشية
وهو قول مهجور مردود باجماع الجماعة الذين لا يجوز مخالفتهم
ولا يجوز على مثلهم الغلط الى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من اخبار الاحاد الثقات العدول وان قوله صلى الله عليه وسلم
الشقي من شقي في بطن امه وان الملك ينزل فيكتب اجله ورزقه
الحديث مخصوص وان من مات من اطفال المسلمين قبل الاكتساب
فهو ممن سعد في بطن امه ولم يشق بدليل الاحاديث والاجماع
وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعايشة يا عايشة ان الله خلق
الجنة وخلق لها اهلا وهم في اصلاب اباهم وخلق النار وخلق
لها اهلا وهم في اصلاب اباهم ساقط ضعيف مردود بالاجماع
والاثار وطلحة ابن يحيى الذي يرويه ضعيف لا يحتج به وهذا الحديث

مما

مما انفرد به فلا يعرج عليه وقد روى شعبة عن معاوية بن
قرة بن اياس المزني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا
من الانصار مات له ابن صغير فوجد عليه فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما يسرك ان لا تاتي بابا من ابواب الجنة
الا وجدته يستفتح لك فقالوا يا رسول الله الهُ خاصةً
ام للمسلمين عامة قال بل للمسلمين عامةً قال ابو عمر هذا
حديث ثابت صحيح بمعنى ما ذكرناه مع اجماع الجمهور
وهو يعارض حديث يحيى ويرفعه قال ابو عمر والوجه
عندي في هذا الحديث وما اشبهه من الاثار انها لمن
حافظ على اداء فرايضه واجتنب الكباير وصبر
واحتسب في مصيبته فان الخطاب لم يتوجه في ذلك
العصر الا الى قوم الاغلب من امرهم ما وصفنا وهم
الصحابة رضي الله عنهم اجمعين وذكر النقاس عن بعضهم
انه قال نسخ قوله وان منكم الا واردها قوله ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى وهذا ضعيف وهذا ليس موضع
نسخ وقد بينا انه اذا لم تمسه فقد ابعد عنها
وفي الخبر تقول النار للمومن يوم القيامة جز يا مومن
فقد اطفا نورك لهبي الخامسة قوله تعالى كان على
ربك حتما مقضيا اي الحتم ايجاب القضا اي كان ذلك

حثيا مقضيا اي قضاه الله عليكم وقال ابن مسعود اي قسما
واجبا قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا اي نخلصهم ونذر
الظالمين فيها جثيا وهذا مما يدل على ان الورود الدخول
لانه لم يقل وندخل الظالمين وقد مضى هذا مستوفى والمذهب
ان صاحب الكبيرة وان دخلها فانه يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو
وقالت المرجية لا يدخل وقالت الوعيدية يخلد وقد مضى
بيان هذا في غير موضع وقرا عاصم الجحدري ومعاوية بن
قرة ثم ننجي مخففه من انجى وهي قراه حميد ويعقوب والكسائي
وثقل الباقون وقرا ابن ابي ليلى ثمه بفتح الثاء التي هنا لك
وثم ظرف الا انه مبني لانه غير محصل فبني كما بني ذا والهاء
يجوز ان تكون لبيان الحركة فتحذف في الوصل ويجوز ان
تكون لتانيث البقعة فتثبت في الوصل تا قوله تعالى واذا
تتلى عليهم اياتنا بينات اي على الكفار الذين سبق ذكرهم في
قوله ايذا ما مت لسوف اخرج حيا وقال فيهم ونذر الظالمين
فيها جثيا اي هولا اذا قرئ عليهم القران تعززوا بالدنيا
وقالوا فما بالنا ان كنا على باطل اكثر اموالا واعز نفرا وغرضهم
ادخال الشبهه على المستضعفين وايهامهم ان من كثر ماله
دل ذلك على انه المحق في دينه وكانهم لم يروا في الكفار فقيرا
ولا في المسلمين غنيا ولم يعلموا ان الله نحى اولياه عن الاغترار
بالدنيا

مطلب

بالدنيا وفرط الميل اليها وبينات معناه مرتلات الالفاظ ملخصة المعاني مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات فقد تبعها البيان بالمحكمات او تبيين الرسول صلى الله عليه وسلم قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدي بها فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين والوجه ان تكون حالا مؤكدة لقوله تعالى وهو الحق مصدقا لان ايات الله لا تكون الا واضحة وحججا قال الذين كفروا يريد مشركي قريش النضر بن الحارث واصحابه للذين امنوا يعني فقراء اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون خير ثيابهم فقالوا للمؤمنين اي الفريقين خير مقاما قرا ابن كثير وابن محيصن وحميد وشبل بن عباد مقاما بضم الميم وهو موضع الاقامة ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الاقامة الباقون مقاما بالفتح اي منزلا ومسكنا وقيل المقام الموضع الذي يقام فيه بالامور الجليلة اي الفريقين اكثر جاها وانصارا واحسن نديا اي مجلسا عن ابن عباس وعنه ايضا المنظر وهو المجلس في اللغة وهو النادي ومنه دار الندوة لان المشركين كانوا يتشاورون فيها في امورهم وناداه

جالسه في النادي وقال انادي به ال الوليد وجعفرا
والندي على فعيل مجلس القوم ومتحدثهم وكذلك الندوه والنادي
والمنتدى فان تفرق القوم فليس بندي قاله الجوهري قوله
تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن اي من امة وجماعة هم
احسن اثاثا اي متاعا كثيرا قال
وفرع يزين المتن اسود فاحم اثيث كقنو النخلة المتعثكل
والاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي
ما لبس منها وانشد الحسن بن على الطوسي
تقادم العهد من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا
وقال ابن عباس هيئة مقال ثيابا ورئيا اي منظرا حسنا
وفيه خمس قرات قراه اهل المدينة وريا بغير همز وقراه
اهل الكوفة ورئيا بالهمز وحكى يعقوب ان طلحة قرا وريا
بياء واحدة مخففة وروي سفيان عن الاعمش عن ابي
ظبيان عن ابن عباس هم احسن اثاثا وزيا بالزاي فهذه
اربع قرات قال ابو اسحق ويجوز هم احسن اثاثا وريئا بياء
بعدها همزة النحاس وقراه اهل المدينة في هذا حسنة
وفيها تقديران احدهما ان يكون من رايت ثم خفف الهمزه
فابدل منها ياء وادغمت الياء في الياء وكان هذا حسنا لتتفق
روس الايات لانها غير مهموزات وعلى هذا قال ابن عباس
الري

الرئي المنظر فالمعنى هم احسن اثاثا ولباسا والوجه الثاني
ان جلودهم مرتوية من النعمة فلا يجوز الهمز على هذا
وفي رواية ورش عن نافع وابن ذكوان عن ابن عامر وريا
بالهمز يكون على الوجه الاول وهي قراءة اهل الكوفة وابي عمرو
من رايت على الاصل وقراءة طلحة بن مصرف وريا بياء
واحدة مخففة احسبها غلطا وقد زعم بعض النحويين
انه كان اصلها الهمز فقلبت الهمزة ياء ثم حذفت احدى الياءين
المهدوي ويجوز ان يكون ريا فقلبت فصارت ريا ثم
نقلت حركة الهمزة على الياء وحذفت وقد قرا بعضهم
وريا على القلب وهي القراءة الخامسة وحكى سيبويه
راء بمعنى رائي الجوهري من همزه جعله من المنظر من
رايت وهو ما راته العين من حال حسنة وكسوة
ظاهرة وانشد ابو عبيدة لمحمد بن نمير الثقفي
اشاقتك الظعاين يوم بانوا بذي الري الجميل من الاثاث
ومن لم يهمز اما ان يكون على تخفيف الهمزة او يكون
من رويت الوانهم وجلودهم ريا اي امتلات وحسنت
واما قراءة ابن عباس وابي بن كعب وسعيد بن جبير
والاعصم المكي ويزيد البزيدي وزيا بالزاي فهو الهيئة
والحسن ويجوز ان يكون من زويت اي جمعت فيكون

اصلها زويا قلبت الواو يا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
زويت لي الارض اي جمعت فلم يغن ذلك عنهم شيئا من عذاب
الله فليعش هؤلاء ما شاؤا فمصيرهم الى الموت والعذاب
وان عمروا او العذاب العاجل ياخذهم الله به قوله تعالى
قل من كان في الضلالة اي في الكفر فليمدد له الرحمن مدا
اي فليدعه في طغيان جهله وكفره فلفظه لفظ الامر
ومعناه الخبر اي من كان في الضلالة مده الرحمن مدا حتى
يطول اغتراره فيكون ذلك اشد لعقابه نظيره انما
نملي لهم ليزدادوا اثما وقوله ونذرهم في طغيانهم يعمهون
ومثله كثير اي فليعش ما شاء وليوسع لنفسه في العمر
فمصيره الى الموت والعذاب وهذا غاية في التهديد
والوعيد وقيل هذا دعا امر به النبي صلى الله عليه وسلم
تقول من سرق مالي فليقطع الله يده فهو دعا على السارق
وهو جواب الشرط وعلى هذا فليس قوله فليمدد خبرا قوله
تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون قال راوا والان لفظ من يصلح
للواحد والجمع واذا مع الماضي بمعنى المستقبل اي حتى يروا
ما يوعدون والعذاب هنا يكون اما بنصر المومنين عليهم
فيعذبونهم بالسيف والاسر واما ان تقوم الساعة
فيصيروا الى النار فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا

بلغ

اي تنكشف

اي تنكشف حينئذ الحقايق وهذا رد لقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا قوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى اي ويثبت الله المومنين على الهدى ويزيدهم في النصرة وينزل من الايات ما يكون سبب زيادة اليقين مجازاة لهم وقيل يزيدهم هدى بتصديقهم بالناسخ والمنسوخ الذي كفر به غيرهم قال معناه الكلبي ومقاتل وتحتمل ثالثا اي ويزيد الله الذين اهتدوا الى الطاعة هدى الى الجنة والمعنى متقارب وقد تقدم القول في معنى زيادة الايمان والهدى في ال عمران . وغيرها والباقيات الصالحات تقدم في الكهف القول فيها خير عند ربك ثوابا اي جزا وخير مردا اي في الاخرة مما افتخر به الكفار في الدنيا والمراد مصدر كالرد اي وخير ردا على عاملها بالثواب يقال هذا رد عليك اي انفع لك وقيل خير مردا اي مرجعا وكل احد يرد الى عمله الذي عمله قوله تعالى افرايت الذي كفر باياتنا روى الايمة واللفظ لمسلم عن خباب قال كان لي على العاص بن وايل دين فاتيته اتقاضاه فقال لي لن اقضيك حتى تكفر بمحمد قال فقلت له لن اكفر به حتى تموت ثم تبعث قال واني لمبعوث من بعد الموت فسوف اقضيك اذا رجعت الى مال وولد قال وكيع كذا قال الاعمش فنزلت هذه الايه افرايت

١٥١

الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً الى قوله ويأتينا فردا
في رواية قال كنت قيناً في الجاهلية فعملت للعاص بن وائل
عملاً فاتيته اتقاضاه خرجه البخاري ايضا وقال الكلبي
ومقاتل كان خباب قينا فصاغ للعاص حليا ثم تقاضاه
اجرته فقال العاص ما عندي اليوم ما اقضيك قال خباب
لست بمفارقك حتى تقضيني فقال العاص يا خباب ما لك
ما كنت هكذا وان كنت لحسن الطلب فقال خباب ذلك اني
كنت على دينك فاما اليوم فانا على دين الاسلام مفارق لدينك
قال اولستم تزعمون ان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا
قال خباب بلى قال فاخرني حتى اقضيك في الجنة استهزاءً فوالله
لئن كان ما تقول حقا اني لاقضيك فيها فوالله لا تكون انت يا خباب
واصحابك اولى بها مني فانزل الله تعالى افرايت الذي كفر بآياتنا
يعني العاص الايات اطلع الغيب قال ابن عباس انظر في اللوح
المحفوظ وقال مجاهد اعلم الغيب حتى يعلم ما في الجنة هو ام لا
ام اتخذ عند الرحمن عهدا قال قتادة والثوري اي عملا صالحا
وقيل هو التوحيد وقيل هو من الوعد وقال الكلبي عاهد الله
انه يدخله الجنة كلا ردا عليه اي لم يكن ذلك لم يطلع الغيب
ولم يطلع عند الله عهدا وتم الكلام عند قوله كلا وقال الحسن
ان الايات نزلت في الوليد بن المغيرة والاول اصح لانه مدون
في الصحاح

في الصحاح وقرا حمزة والكساي وولدا بضم الواو والباقون
بفتحها واختلف في الضم والفتح على وجهين احدهما انهما لغتان
معناهما واحد يقال ولد وولد كما يقال عدم وعدم وقال
وقال الحارث بن حلزة : ولقد رايت معاشرا قد ثمروا مالا وولدا
وقال اخر : فليت فلانا كان في بطن امه وليت فلانا كان ولد حمار
الثاني ان قيسا تجعل الولد بالضم جمعا والولد بالفتح واحدا
قال الماوردي وفي قوله تعالى لاوتين مالا وولدا وجهان
احدهما انه اراد في الجنة استهزاء بما وعد الله تعالى على طاعته
وعبادته قاله الكلبي الثاني انه اراد في الدنيا وهو قول الجمهور.
وفيه وجهان محتملان احدهما ان اقمت على دين ابائي وعبادة
الهتي لاوتين مالا وولدا الثاني ولو كنت على باطل لما اوتيت
مالا وولدا **قلت** قول الكلبي اشبه بظاهر الاحاديث
بل نصها يدل على ذلك قال مسروق سمعت خباب بن
الارت يقول جيت العاص بن وايل السهمي اتقاضاه
حقا لي عنده فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا
حتى تموت ثم تبعث قال واني لميت ثم مبعوث فقلت نعم
فقال ان لي هناك مالا وولدا فاقضيك فنزلت افرايت
الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا الاية قال الترمذي
هذا حديث حسن صحيح **قوله تعالى** اطلع الغيب

الفه الف استفهام لمجي ام بعدها ومعناه التوبيخ واصله
ااطلع فحذفت الالف الثانيه لانها الف وصل فهلا اتوا
بمدة بعد الالف فقالوا آاطلع كما قالوا آلله خير الذكرين
حرم قيل له كان الاصل في هذا آلله الذكرين فابدلوا من
الالف الثانية مدة ليفرقوا بين الاستفهام والخبر وذلك
انهم لو قالوا الله خير بلا مد لالتبس الاستفهام بالخبر ولم يحتاجوا
الى هذه المدة في قوله اطلع لان الف الاستفهام مفتوحه
والف الخبر مكسوره وذلك انك تقول في الاستفهام اطلع
افترى اصطفى استغفرت بفتح الالف وتقول في الخبر اطلع
افترى اصطفى استغفرت لهم بالكسر فجعلوا الفرق بالفتح
والكسر ولم يحتاجوا الى فرق اخر قوله تعالى كلا ليس
في النصف الاول ذكر كلا وانما جا ذكره في النصف الثاني
وهو يكون بمعنيين احدهما بمعنى حقا والثاني بمعنى لا
فاذا كانت بمعنى حقا جاز الوقف على ما قبله ثم يبتدي
كلا اي حقا واذا كانت بمعنى لا كان الوقف على كلا جايز كما
كان في هذه الاية لان المعنى ليس الامر كذا ويجوز ان
تقف على قوله عهدا وتبتدي كلا اي حقا سنكتب ما
يقول وكذلك قول الله تعالى لعلي اعمل صالحا فيما تركت
كلا لا يجوز الوقف على كلا وعلى تركت وقوله ولهم على
ذنب

ذنب فاخاف ان يقتلون قال كلا الوقف على كلا لان
المعني ليس الامر كما ظننوا فاذهبا وليس للجحود في هذا
المعني موضع وقال الفرا كلا بمنزلة سوف لانها صلة وهي
حرف ورد فكانها نعم ولا في الاكتفا قال وان جعلتها
صلة لما بعدها لم تقف عليها كقولك كلا ورب الكعبة لا
تقف على كلا لانها بمنزلة اي ورب الكعبة قال الله تعالى
كلا والقمر فالوقف على كلا قبيح لانها صلة لليمين وكان
ابو جعفر محمد بن سعدان يقول في كلا مثل قول الفرا
وقال الاخفش معنى كلا الردع والزجر وقال ابو بكر بن
الانباري وسمعت ابا العباس يقول لا يوقف على كلا في
جميع القران لانها جواب والفايدة تقع فيما بعدها والقول
الاول هو قول اهل التفسير قوله تعالى سنكتب ما
يقول اي سنحفظ عليه قوله فنجازيه به في الاخرة ونمد
له من العذاب مدا اي نزيده عذابا فوق عذاب ونرثه
ما يقول اي نسلبه ما اعطيناه في الدنيا من مال وولد
وقال ابن عباس وغيره اي نرثه المال والولد بعد اهلاكنا
اياه وقيل نحرمه ما تمناه في الاخرة من مال وولد ونجعله
لغيره من المسلمين ويأتينا فردا اي منفردا لا مال له
ولا ولد ولا عشيرة تنصره قوله تعالى واتخذوا

من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا يعني مشركي قريش وعزا
معناه اعوانا ومنعة يعني اولادا والعز المطر الجود
ايضا قاله الهروي وظاهر الكلام ان عزا راجع الى
الالهه التي عبدوا من دون الله ووُحِّد لانه بمعنى المصدر
اي لينالوا بها العز ويمتنعون بها من عذاب الله فقال
الله تعالى كلا اي ليس الامر كما ظنوا وتوهموا
بل يكفرون بعبادتهم اي ينكرون انهم عبدوا الاصنام
او يجحد الالهه عبادة المشركين لها كما قال تبرانا
اليك ما كانوا ايانا يعبدون وذلك لان الاصنام
جمادات لا تعلم العباده ويكونون عليهم ضدا
اي اعوانا في خصومتهم

خصوا منهم وتكون بهم عز مجاهد الضحاك يكونون
لهم اعدا ابن زيد يكونون عليهم بلا فتحشر آلهتهم
وتركب لهم عقول فتنطق وتقول يارب عذب
هولاء الذين عبدونا من دونك وكلا هنا يحتمل
ان تكون بمعنى لا ويحتمل ان تكون بمعنى حقا اي حقا
سيكفرون بعبادتهم وقرا ابو نهيك كلا بالتنوين
وروي عنه مع ذلك بضم الكاف وفتحها قال المهدوي
كلا ردع وزجر وتنبيه ورد لكلام متقدم وقد
تقع لتحقيق ما بعدها والتنبيه عليه كقوله كلا ان
الانسان ليطغى فلا يوقف عليها على هذا ويوقف
عليها في المعنى الاول فان صلح فيها المعنيان جميعا
جاز الوقف عليها والابتدا بها فمن نون كلا من
قوله سيكفرون بعبادتهم مع فتح الكاف فهو مصدر
كل ونصبه بفعل مضمر والمعنى كل هذا الراي
والاعتقاد كلا يعني اتخاذهم الالهة ليكونوا لهم
عزا فيوقف على هذا على عزا وعلى كلا وكذلك
في قراة الجماعة لانها تصلح للرد لما قبلها والتحقيق
لما بعدها ومن روى ضم الكاف مع التنوين فهو
منصوب ايضا بفعل مضمر كانه قال سيكفرون

كلا سيكفرون بعبادتهم يعني الالهة قلت فتحصل
في كلا اربعة معاني التحقيق وهي ان تكون بمعنى حقا
والنفي والتنبيه وصلة للقسم ولا يوقف منها الا على
الاول قال الكسائي لا تنفي فحسب وكلا تنفي شيئا
وتثبت شيئا فاذا قيل اكلت تمرا قلت كلا اكلت
عسلا لا تمرا ففي هذه الكلمة نفي ما قبلها وتحقق
ما بعدها والضد يكون واحدا ويكون جمعا كالعدو
والرسول وقيل وقع الضد موقع المصدر اي
ويكونون عليهم عونا فلهذا لم يجمع وهذا في مقابلة
قوله ليكونوا لهم عزا والعز مصدر فكذلك ما وقع
في مقابلته ثم قيل الاية في عبدة الاصنام واجرى
الاصنام مجرى من يعقل جريا على توهم الكفرة
وقيل فيمن عبد المسيح او الجن او الملايكة او الشياطين
فالله اعلم قوله تعالى الم تر انا ارسلنا الشياطين
على الكافرين اي سلطناهم عليهم بالاغوا وذلك حين
قال لابليس واستفزز من استطعت منهم بصوتك
وقيل ارسلنا اي خلينا يقال ارسلت البعير اي خليته
اي خلينا الشياطين واياهم ولم نعصمهم من القول
منهم الزجاج قيضنا، تؤزهم ازا قال ابن عباس
تزعجهم

تزعجهم ازعاجا من الطاعة الي المعصيه وعنه تغريهم
اغرآ بالشر امض امض في هذا الامر حتي توقعهم في
النار حكي الاول الثعلبي والثاني الماوردي والمعني واحد
الضحاك تغويهم اغوآ مجاهد تشليهم اشلا واصله
الحركة والغليان ومنه الخبر المروي ان النبي صلي الله
عليه وسلم قام الي الصلاة ولجوفه ازيز كازيز المرجل
من البكا وابتزت القدر ابتزازا اشتد غليانها والازّ
التهيج والاغرا قال الله تعالي الم تر انا ارسلنا الشياطين
علي الكافرين تؤزهم ازا اي تغريهم علي المعاصي والازّ
الاختلاط وقد ازرت الشي ازره ازا اذا ضممت بعضه
الي بعض قاله الجوهري قوله تعالى فلا تعجل عليهم اي
تطلب العذاب لهم انما نعد لهم عدا قال الكلبي اجالهم
يعني الايام والليالي والشهور والسنين الي انتها اجل
العذاب وقال الضحاك الانفاس ابن عباس اي نعد
انفاسهم في الدنيا كما نعد سنيهم وقيل الخطوات وقيل
اللحظات وقيل الساعات وقال قطرب نعد اعمالهم
عدا وقيل لا تعجل عليهم فانما نوخرهم ليزدادوا اثما
وروي ان المامون قرا هذه السورة فمر بهذه الاية
وعنده جماعة من الفقها فاشار براسه الي ابن السماك

ان يعظه فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها
مدد فما اسرع ما تنفد وقيل في هذا المعنى ن

حياتك انفاس تعد فكلما مضى نفس منك انتقصت بها جزوا
يميتك ما يحييك في كل ليلة وتحدو كحاد ما يريد به الهزا

ويقال ان انفاس ابن آدم بين اليوم والليلة اربعة وعشرون
الف نفس اثنا عشر الفا في اليوم واثنا عشر الف بالليل
والله اعلم فهي تعد وتحصى احصا ولها عدد معلوم
وليس لها مدد فما اسرع ما ينفد قوله تعالى
يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا في الكلام حذف
اي الى جنة الرحمن ودار كرامته كقوله اني ذاهب الى ربي
وكما في الخبر من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته
الى الله ورسوله والوفد اسم الوافدين كما يقال صوم
وفطر وزور فهو جمع الوافد مثل راكب وركب وصاحب
وصحب وهو من وفد يفد وفودا ووفدا ووفادة اذا
خرج الى ملك في فتح او امر خطر الجوهري يقال وفد فلان
على الامير اي ورد رسولا فهو وافد والجمع وفد مثل
صاحب وصحب وجمع الوفد اوفاد ووفود والاسم الوفاده
واوفدته انا الى الامير اي ارسلته وفي التفسير وفدا
اي ركبانا على نجايب طاعتهم وهذا لان الوافد في الغالب يكون
راكبا

مطلب

راكبا والوفد الركبان ووحد لانه مصدر ابن جريج وفدا
على النجايب وقال عمرو بن قيس الملاىي ان المومن اذا خرج
من قبره استقبله عمله احسن صورة واطيب ريحا
فيقول هل تعرفني فيقول لا الا ان الله قد طيب ريحك وحسن
فيقول كذلك كنت في الدنيا انا عملك الصالح طال ما ركبتك
في الدنيا اركبني اليوم وتلا يوم نحشر المتقين الى الرحمن
وفدا وان الكافر يستقبله عمله اقبح شي صورة وانتنه
ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا الا ان الله قد قبح صورتك
ونتن ريحك فيقول كذلك كنت في الدنيا انا عملك السي طال
ما ركبتني في الدنيا وانا اليوم اركبك وتلى وهم يحملون اوزارهم
على ظهورهم ولا يصح من قبل اسناده قاله ابن العربي في
سراج المريدين وذكر هذا الخبر في تفسيره ابو نصر عبد
الرحيم بن عبد الكريم القشيري عن ابن عباس من كان يحب
ركوب الخيل وفد الى الله على خيل لا تروث ولا تبول لجمها
من الياقوت الاحمر ومن الزبرجد الاخضر ومن الدر الابيض
وسروجها السندس والاستبرق ومن كان يحب ركوب
السفن فعلى سفن من زبرجد وياقوت قد امنوا الغرق
وامنوا الاهوال وقال ايضا عن علي ولما نزلت الاية قال علي
رضي الله عنه يا رسول الله اني قد رايت الملوك ووفودهم

فلم ار وفداً الا ركباناً فما وفد الله فقال عليه السلام اما انهم
لا يحشرون على اقدامهم ولا يساقون سوقاً ولكنهم يوتون بنوق
من نوق الجنة لم ينظر الخلايق الى مثلها رحالها الذهب وزمامها
الزبرجد فيركبونها حتى يقرعوا باب الجنة ولفظ الثعلبي
في هذا الخبر عن علي ابن وقال علي لما نزلت هذه الاية قلت
يا رسول الله اني رايت الملوك ووفودهم فلم ار وفداً الا ركبانا
فما وفد الله قال يا علي اذا كان المنصرف من بين يدي الله تلقت
الملايكة المومنين بنوق بيض رحالها وازمتها الذهب على كل مركب
خلة لا يساويها الدنيا فيلبس كل مومن حلة ثم تسير بهم مراكبهم
فتهوي بهم النوق حتى تنتهي بهم الى الجنة فتتلقاهم الملايكة
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين قلت وهذا الخبر ينص
على انهم لا يركبون ولا يلبسون الا من الموقف واما اذا خرجوا
من القبور فمشاة حفاة عراة الى الموقف بدليل حديث
ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة
فقال يا ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلاً الحديث
خرجه البخاري ومسلم وسياتي بكماله في سورة المومنين
ان شا الله وتقدم في ال عمران من حديث عبد الله بن انيس
بمعناه والحمد لله ولا يبعد ان تحصل الحالتان للسعدا فيكون
حديث ابن عباس مخصوصا والله اعلم وقال ابو هريرة
وفدا

٢٩٦

وفدا على الابل ابن عباس ركبانا يوتون بنوق من الجنة عليها
رحايل من الذهب وسروجها وازمتها من الزبرجد
فيحشرون عليها وقال علي ما يحشرون والله على ارجلهم ولكن
على نوق رحالها من ذهب ونجب سروجها يواقيت
ان همّوا بها سارت وان همّوها طارت وقيل يفدون
على ما يحبون من ابل او خيل او سفن على ما تقدم عن ابن
عباس والله اعلم وقيل انما قال وفدا لان من شان الوفود
عند العرب ان يقدموا بالبشارات وينتظرون الجوايز
فالمتقون ينتظرون العطا والثواب ونسوق المجرمين
الى جهنم وردا السوق الحث على السير ووردا عطاشا
قاله ابن عباس وابو هريرة والحسن والاخفش الفرا وابن
الاعرابي حفاة مشاة وقيل افرادا وقال الازهري اي مشاة
عطاشا كالابل ترد الماء فيقال جاور د بني فلان القشيري
وقوله وردا يدل على العطش لان الما انما يورد في الغالب
للعطش وفي التفسير مشاة عطاشا تنقطع اعناقهم
من العطش واذا كان سوق المجرمين الى النار يحشر المتقين
الى الجنة وقيل وردا اي للورود كقولك جيتك اكراما لك
اي لاكرامك اي نسوقهم لورود النار قلت ولا تناقض
بين هذه الاقوال فيساقون عطاشا حفاة مشاة

افرادًا قال ابن عرفة الورد القوم يردون الما فسمي للعطاش
وردًا لطلبهم وردًا الما كما تقول صوم اي صيام وقوم
زور اي زوار فهو اسم علي لفظ المصدر واحدهم وارد
والورد ايضا الجماعه التي ترد الما من طير وابل والورد
الما الذي يورد وهذا من باب الايما بالشي الي الشي والورد
الجز يقال قرات وردي والورد يوم الحمي اذا اخذت
صاحبها لوقت فهو لفظ مشترك وقال الشاعر يصف قليبا
يطمو اذا الورد عليه البكا :: اي الوراد الذين يردون
الما قوله تعالي لا يملكون الشفاعة اي هولا الكفار
لا يملكون الشفاعة لاحد الا من اتخذ عند الرحمن عهدا
وهم المسلمون فيملكون الشفاعة فهو استثنا الشي
من غير جنسه اي لكن من اتخذ عهدا يشفع فمن في
موضع نصب علي هذا وقيل هو في موضع رفع علي البدل
من الواو في يملكون اي لا يملك احد عند الله الشفاعه
الا من اتخذ عند الرحمن عهدا فانه يملك وعلي هذا
يكون الاستثنا متصلا والمجرمين في قوله ونسوق المجرمين
يعم الكفره والعصاة ثم اخبر انهم لا يملكون الشفاعه
الا العصاه المومنون فانهم يملكونها بان يشفع فيهم
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا ازال اشفع
حتي

حتى اقول يا رب شفعني فيمن قال لا اله الا الله فيقول
يا محمد انها ليست لك ولكنها لي خرجه مسلم بمعناه وقد
تقدم وتظاهرت الاخبار بان اهل الفضل والعلم والصلاح
يشفعون فيشفعون وعلى القول الاول يكون الكلام
متصلا بقوله واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا
فلا تقبل غدا شفاعة عبدة الاوثان لاحد ولا شفاعة
الاصنام لاحد ولا يملكون شفاعة احد لهم اي لا تنفعهم
شفاعة كما قال فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقيل
اي نحشر المتقين والمجرمين فلا يملك احد شفاعة الا
من اتخذ عند الرحمن عهدا اي اذا اذن له الرب في الشفاعة
كما قال من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وهذا العهد
هو الذي قال ام اتخذ عند الرحمن عهدا وهو لفظ جامع
للايمان وجميع الاعمال الصالحة التي يحصل بها صاحبها
في حيز من يشفع وقال ابن عباس العهد لا اله الا الله
وقال مقاتل وابن عباس ايضا لا يشفع الا من شهد
ان لا اله الا الله وتبرا من الحول والقوة لله ولا يرجوا
الا الله وقال ابن مسعود سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول لاصحابه ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح
ومساء عند الله عهدا قيل يا رسول الله وما ذاك

مطلب

قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك في هذه الحياة
اني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان
محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تباعدني
من الخير وتقربني من الشر واني لا اثق الا برحمتك
فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيامة انك
لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع الله عليها
طابعا ووضعها تحت العرش فاذا كان يوم القيامة
نادى مناد اين الذين لهم عند الله عهد فيقوم
فيدخل الجنة قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا يعني اليهود والنصارى ومن زعم ان الملايكة بنات
الله وقرا الحبي والاعمش وحمزة والكساى وخلف
ولدا بضم الواو واسكان اللام في اربعة مواضع من
هذه السورة قوله لاوتين مالا وولدا وقد تقدم
وقوله ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ
ولدا وفي سورة نوح ماله وولده ووافقهم في نوح
خاصة ابن كثير ومجاهد وحميد وابو عمرو ويعقوب
الباقون في الكل بالفتح في الواو واللام وهما لغتان مثل
العرب والعرب والعجم والعجم قال

ولقد

ولقد رايت معاشرا قد ثمروا مالا وولدا: اخر

فليت عباضا كان في بطن امه وليت عباضا كان ولد حمار وولد

وقال النابغه: مهلا فداء لك الاقوام كلهم وما اثمر من مال ومن ولد

ففتح وقيس يجعلون الولد بالضم جمعا والولد بالفتح

واحدا قال الجوهري الولد قد يكون واحدا وجمعا وكذلك

الولد بالضم ومن امثال بني اسد ولدك من دمي عقبيك

وقد يكون الولد جمع الولد مثل اسد واسد والولد بالكسر

لغة في الولد: النحاس وفرق ابو عبيد بينهما فزعم ان الولد

يكون الاهل والولد جميعا قال ابو جعفر وهذا قول مردود

لا يعرفه احد من اهل اللغة ولا يكون الولد والولد الا ولد

الرجل وولد ولده الا ان ولدا اكثر في كلام العرب قال

مهلا فداء لك الاقوام كلهم وما اثمر من مال ومن ولد

قال ابو جعفر وسمعت محمد بن الوليد يقول يجوز ان يكون

ولد جمع ولد وولد بمعنى واحد كما يقال عجم وعجم وعرب

وعرب كما تقدم قوله تعالى لقد جئتم شيئا إدا اي

منكرا عظيما عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما قال الجوهري

الإد والإدة الداهية والإمر الفظيع ومنه قوله

تعالى لقد جئتم شيئا إدا وكذلك الآد مثال فاعل

وجمع الإدة إدد وادت فلانا داهية تؤده ادا

بالفتح والاد ايضا الغوه قال الراجز
نضوت عني نشرة واذا من بعد ما كنت صملا جلدا انتهى
كلامه وقرا ابو عبد الرحمن السلمي ادا بفتح الهمزة النحاس
يقال اد يود اذا اتى بداه والاسم الاد والاد اذا جابشي عظيم
منكر وقال الراجز لقد لقي الاقران مني نكرا داهية دهيا
ادا امرا عن غير النحاس الثعلبي وفيه ثلاث لغات
اد بالكسر وهي قراة العامه واد بالفتح وهي قراة
السلمي واد مثل ماد وهي لغه لبعض العرب رويت
عن ابن عباس وابي العاليه وكانها ماخوذة من
الثقل اده الحمل يوده اودا واذا اثقله قوله
تعالى تكاد السموات قراه العامه هنا وفي الشورى
بالتاء وقراة نافع ويحيى والكسائي يكاد بالياء لتقدم
الفعل يتفطرن اي يتشققن وقراة نافع وابن كثير
وحفص وغيرهم بتا بعد اليا وشد الطاء من التفطر هنا
وفي الشورى وقراها ينفطرن من الانفطار وكذا
قراها ابو عمرو وابو بكر والمفضل في السورتين وهو
اختيار ابي عبيد لقوله تعالى اذا السما انفطرت
وقوله السما منفطر به وقوله وتنشق الارض اي
تتصدع وتخر الجبال هدا قال ابن عباس هدما اي
تسقط

هذا

وحمزة وابن عامر وفي السورتين

تسقط بصوت شديد وفي الحديث اللهم اني اعوذ
بك من الهد والهده قال شمر قال احمد بن غياث المروزي
الهده الخسوف والهد الهدم وقال الليث هو الهدم الشديد
كحايط يهد مرة يقال هدني الامر وهد ركني اي
كسرني وبلغ مني قاله الهروي الجوهري هد البنا
يهده هدا كسره وضعضعه وهدته المصيبة اي
اوهنت ركنه وانهد الجبل اي انكسر الاصمعي والهد
الرجل الضعيف يقول الرجل للرجل اذا اوعده اني
لغير هد اي غير ضعيف وقال ابن الاعرابي الهد من
الرجال الجواد الكريم واما الجبان الضعيف فهو الهد
بالكسر وانشد ليسوا بهدين في الحروب اذا تعقد فوق
الحراقف النطق والهده صوت وقع الحايط ونحوه
تقول منه هد يهد بالكسر هديدا والهاد صوت
يسمعه اهل الساحل يانيهم من قبل البحر له دوي في
الارض وربما كان منه الزلزلة ودويه هديده النحاس
هدا مصدر لان معنى تخر تهد وقال غيره حال اي
مهدودة ان دعوا للرحمن ولذا ان في موضع نصب
عند الفرا بمعنى لان دعوا ومن ان دعوا فموضع ان
نصب بسقوط الخافض وزعم الفرا ان الكسائي قال

هي في موضع خفض بنقض بر الخافض ذكره ابن المبارك انا
مسعر عن عبد الله بن واصل عن عون بن عبد الله قال قال
عبد الله بن مسعود ان الجبل يقول للجبل يا فلان هل مر
بك اليوم ذاكر لله فان قال نعم سر به ثم قرأ عبد الله
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الآية قال افتراهن يسمعن الزور
ولا يسمعن الخير قال وحدثني عوف عن غالب بن عجرد
قال حدثني رجل من اهل الشام في مسجد منى قال ان الله
لما خلق الارض وخلق ما فيها من الشجر لم تك في الارض
شجرة يأتيها بنو ادم الا اصابوا منها منفعة وكان لهم
منها منفعة فلم تزل الارض والشجر كذلك حتى تكلم فجرة
بني ادم بتلك الكلمة العظيمة قولهم اتخذ الله ولدا فلما قالوها
اقشعرت الارض وشاك الشجر وقال ابن عباس اقشعرت
الجبال وما فيها من الاشجار والبحار وما فيها من الحيتان
فصار من ذلك الشوك في الحيتان وفي الاشجار الشوك
وقال ابن عباس ايضا وكعب فزعت السموات والارض
والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت ان تزول
وغضبت الملائكة واقشعرت جهنم وشاك الشجر
واكفهرت الارض وجدبت حين قالوا اتخذ الله ولدا
وقال محمد بن كعب لقد كاد اعداء الله ان يقيموا علينا الساعة
لقوله

لقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا
للرحمن ولدا قال ابن العربي وصدق جاءوا بقول عظيم سودوا به الفضاء والقذر
ولولا ان البارى تبارك وتعالى لا يضعه كفر الكافر ولا يرفعه ايمان المؤمن
ولا يزيد هذا في ملكه لما جرى شيء من هذا على الالسنة ولكنه القدوس الحكيم
العليم لم يبال بعد ذلك بما يقوله المبطلون قوله تعالى وما
ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا
نفى عن نفسه سبحانه الولد لان الولد يقتضي الجنسية والحدوث على ما بيناه في البقرة
اي لا يليق به ذلك ولا يوصف به ولا يجوز في وصفه سبحانه لانه لا يكون ولد الا
من والد يكون له والد واصل والله سبحانه يتعالى عن ذلك ويتقدس قال
في راس خلقاء من عنقاء مشرفة ما ينبغي دونها سهل ولا جبل
ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا اي كل من في السموات والارض الا وهو
ياتي يوم القيامة مقرا له بالعبودية خاضعا ذليلا كما قال وكل اتوه داخرين اي
صاغرين اذلاء اي الخلق كلهم عبيده فكيف يكون واحد منهم ولدا له تعالى عما
يقوله الظالمون والجاحدون علوا كبيرا واتى بالياء في الخط والاصل التنوين
فحذف استخفافا واضيف الثانية في هذه الاية دليل على انه لا
يجوز ان يكون الولد مملوكا للوالد خلافا لمن قال يشتريه فيملكه ولا يعتق عليه الا اذا
اعتقه وقد ابان الله تعالى المنافاة بين الاولاد والملك فاذا ملك الوالد ولده
بنوع من التصرفات عتق عليه ووجه الدليل من هذه الاية ان الله تعالى جعل الولدية
والعبدية في طرفي تقابل فنفى احدهما واثبت الاخر ولو اجتمعا لما كان في هذا

القول فإنه يمنع الاحتجاج بها في الحديث لا يجزي ولد والدا إلا أن يجده مملوكا
فيشتريه فيعتقه خرجه مسلم فإذا لم يملك الأب ابنه مع مرتبته عليه فالابن بعدم
ملك الأب أولى لقصوره عنه الثالثة ذهب إسحق بن راهويه
في تأويل قوله صلى الله عليه وسلم من أعتق شركا له في عبد أن المراد ذكور العبيد
دون إناثهم فلا يحمل على من أعتق شركا في أنثى فهو على حاله وذهب الجمهور من
السلف ومن بعدهم فإنهم لم يفرقوا بين الذكر والأنثى لأن اللفظ يراد به الجنس كما قال تعالى
إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا فإنه قد يتناول الذكر والأنثى من العبيد
قطعا وتمسك إسحق بأنه قد حكي عنه في الثوب الرابعة
روى البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبني
ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما
بدأني وليس أول الخلق بأهون من إعادته وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا
وأنا الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وقد تقدم في النحل عرض وإعادة
في هذا الموضع حسن جدا قوله تعالى لقد أحصاهم أي علم عددهم
عدا تأكيدا فلا يخفى عليه أحد منهم قوله ودا قد تقدم في أسمائه تعالى المحصي
في الأسنى من حيث أي هو من جمع الرزاق واسقا وهذا الفعل يدل عليه وقال
الأستاذ أبو إسحق الإسفرايني ومنها المحصي ويختص بأنه لا يشغله الكثرة عن العلم
مثل ضوء النور واشتداد الريح وتساقط الأوراق فيعلم عند ذلك أجزاء الحركات
في كل ورقة وكيف لا يعلم وهو الذي يخلق وقد قال ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ووقع
في تفسير ابن عباس حتى لقد أحصاهم وعدهم عدا يريد أولياءه بالعبودية ويشهدوا له

بالربوبية قوله تعالى وكلهم آتيه يوم القيمة فردا
اي واحدا لا ناصر له ولا مال معه لينفعه كما قال يوم لا ينفع مال ولا بنون
الا من اتى الله بقلب سليم فلا ينفعه الا ما قدم من عمل وقال وكلهم آتيه على
العاطل وعلى الغني الا نوم قال القشيري وفيه اشارة الى انهم لا
يرضون باستعباد اولادهم والكل عبيده فكيف يرضون له ما لا يرضون لانفسهم
بالبنات ويقولون الملائكة بنات الله وقال فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله
وما كان لله فهو يصل الى شركائهم قوله تعالى ان الذين امنوا
اي صدقوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي حبا في قلوب عباد ٥
كما رواه الترمذي من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب
الله عبدا نادى جبريل اني قد احببت فلانا فاحبه قال فينادي في
السماء ان الله يحب ~~فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء~~ ثم ينزل له المحبة في الارض فذلك
قول الله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا واذا
ابغض الله عبدا نادى جبريل اني قد ابغضت فلانا فينادي في السماء ثم ينزل له
البغضاء في الارض قال هذا حديث حسن صحيح واخرج البخاري ومسلم بمعناه ومالك في
الموطا وفي نوادر الاصول وحدثنا ابو بكر بن سابق الاموي قال ثنا ابو مالك
الجنبي عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعطي المؤمن [illegible] والملاحة والمحبة في صدور الصالحين والملائكة المقربين
ثم تلا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا واجلهم
من لم يعمل في علي جر الله وروى البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم

قوله

لعلي بن ابي طالب يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في قلوب المؤمنين مودة
فنزلت ذكره الثعلبي وقال ابن عباس نزلت في عبد الرحمن بن عوف جعل الله له في
قلوب العباد المودة لا يلقاه مؤمن الا وقره ولا مشرك ولا منافق الا عظمه
وكان هرم بن حيان يقول ما اقبل احد بقلبه على الله الا اقبل الله بقلوب اهل
الايمان اليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم وقيل يجعل لهم مودة في قلوب المؤمنين
والملائكة يوم القيمة قلت اذا كان محبوبا في الدنيا فهو كذلك
في الاخرة فان الله لا يحب الا مؤمنا تقيا ولا يرضى الا خالصا نقيا جعلنا الله منهم

مطلب

وروى مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا احب عبدا
دعا جبريل عليه السلام فقال اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله
يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء قال ثم يوضع له القبول في الارض واذا ابغض
عبدا دعا جبريل عليه السلام فيقول اني ابغض فلانا فابغضه قال فيبغضه جبريل
ثم ينادي في اهل السماء ان الله يبغض فلانا فابغضوه قال فيبغضونه ثم يوضع له
البغضاء في الارض قوله تعالى فانما يسرناه بلسانك يعني
القرآن اي يسرناه بلسانك العربي وجعلناه سهلا على من تدبره وتامله وقيل انزلناه
عليك بلسان العرب ليسهل عليهم فهمه لتبشر به المتقين اي المؤمنين وتنذر به
قوما لدا اللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة ومنه قوله تعالى الد الخصام وقال
الشاعر ابيت نجيا للهموم كانني اخاصم اقواما ذوي جدل لدا
وقال ابو عبيدة الالد الذي لا يقبل الحق ويدعي الباطل الحسن اللد الصم وقال
الربيع صم اذان القلوب مجاهد فجارا الضحاك مجادلين بالباطل ابن عباس شدادا

في الخصومة وقيل الظالم الذي لا يستقيم والمعنى واحد وخصوا بالانذار لان الذي لا عناد عنده يسهل انقياده قوله تعالى

وكم اهلكنا قبلهم من قرن اي من امة وجماعة من الناس نحو اهل مكة هل تحس منهم من احد في موضع نصب اي هل ترى منهم احدا او تجد او تسمع لهم ركزا اي صوتا عن ابن عباس وغيره اي قد ماتوا وحصلوا على اعمالهم وقيل حسا قاله ابن زيد وقيل الركز ما لا يفهم من صوت او حركة قاله اليزيدي وابو عبيدة كالركز الخفي وانشد ابو عبيدة بيت لبيد

وتوجست ركز الانيس فراعها عن ظهر غيب والانيس سقامها

وقيل الصوت الخفي ومنه ركز الرمح غيب طرفه في الارض وقال طرفة

وصادقتا سمع التوجس للسرى لركز خفي او لصوت مندد

وقال ذو الرمة يصف ثورا تسمع الى صوت صائد وكلاب

اذا توجس ركزا مقفر ندس بنبأة الصوت ما في سمعه كذب

اي ما في استماعه كذب اي هو صادق الاستماع والندس الحاذق يقال ندس وندس كما يقال حذر وحذر ويقظ ويقظ والنبأة الصوت الخفي وكذلك الركز والركاز المال المدفون

سلوة في الذي بعده سورة طه

الناسخ من تفسير القرطبي

٩٨

الجزء الحادي عشر من تفسير القرطبي

التاسع من تفسير القرطبي

يا كبيكج

الجزء التاسع من كتاب جامع
احكام القرآن والمبين لما تضمن
من السنة واي الفرقان تأليف
الشيخ الامام العالم العلامة المحدث ابي عبد الله محمد
بن احمد بن ابي بكر بن فرج الانصاري الخزرجي
القرطبي رحمه الله تعالى ونفع المسلمين

من كتب العبد مفتي السلطنة العلية العثمانية
السيد فيض الله ابن الشيخ محمد
عفي عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم الاهيم بخير

سورة طه مكية في قول الجميع نزلت قبل اسلام
عمر رضي الله عنه روى الدارقطني في سننه عن انس بن مالك
قال خرج عمر متقلدا بالسيف فقيل له ان ختنك واختك
قد صبوا فاتاهما عمر وعندهما رجل من المهاجرين يقال له
خباب وكانوا يقرون طه فقال اعطوني الكتاب الذي
عندكم فاقروه وكان عمر رضي الله عنه يقرا الكتب
فقالت له اخته انك رجس ولا يمسه الا المطهرون
فقم فاغتسل وتوضا فقام عمر فتوضا ثم اخذ الكتاب
فقرا طه وذكره ابن اسحاق مطولا وان عمر خرج
متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقتله فلقيه نعيم بن عبد الله فقال اين تريد يا عمر
قال اريد محمدا هذا الصابي الذي فرق امر قريش
وسفه احلامها وعاب دينها وسب الهتها فاقتله فقال
له نعيم والله لقد غرتك نفسك يا عمر اترى بني عبد مناف
تاركيك تمشي على الارض وقد قتلت محمدا افلا ترجع
الى اهلك فتقيم امرهم قال واي اهل بيتي قال ختنك
وابن عمك سعيد بن زيد واختك فاطمة بنت الخطاب
فقد والله اسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما

قال

وفيه

قال فرجع عمر عايدا الي اخته وختنه وعندهما خباب
ابن الارت معه صحيفة فيها طه يقريهما اياها فلما سمعوا
حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم او في بعض البيت
واخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها
وقد سمع عمر حين دنا الي البيت قراة خباب عليهما فلما
دخل قال ما هذه الهينمة التي سمعت قالا له ما سمعت شيا
قال بلي والله لقد اخبرت انكما تابعتما محمدا علي دينه
وبطش بختنه سعد بن زيد فقامت اليه اخته فاطمة
بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما
فعل ذلك قالت له اخته وختنه نعم قد اسلمنا وامنا
بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك ولما راي عمر ما باخته
من الدم ندم علي ما صنع فارعوي وقال لاخته اعطيني
هذه الصحيفة التي سمعتكم تقروون انفا انظر ما هذا
الذي جا به محمد وكان عمر كاتبا فلما قال ذلك قالت له
اخته انا نخشاك عليها قال لها لا تخافي وحلف لها بالهته
ليردنها اذا قراها فلما قال ذلك طمعت في اسلامه فقالت
له يا اخي انك نجس علي شركك وانه لا يمسها الا المطهرون
فقام عمر فاغتسل فاعطته الصحيفة وفيها طه فقراها
فلما قرا منها صحيفة قال ما احسن هذا الكلام واكرمه

فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال له يا عمر والله اني لارجوا
ان يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فاني سمعته امس
وهو يقول اللهم ايد الاسلام بابي الحكم بن هشام او بعمر بن
الخطاب فالله الله يا عمر فقال له عند ذلك فدلني يا خباب
على محمد حتى آتيه فاسلم وذكر الحديث **مسلة** اسند
الدارمي ابو محمد في مسنده عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى قرا طه
ويس قبل ان يخلق السماوات والارض بالفي عام فلما سمعت
الملايكة القران قالت طوبى لامة ينزل هذا عليهم
وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تتكلم بهذا
قال ابن فورك معنى قوله ان الله تعالى قرا طه ويس اي
تبارك صح
اظهر واسمع وافهم كلامه من اراد من خلقه من الملايكة
في ذلك الوقت والعرب تقول قرات الشي اذا تتبعته
وتقول ما قرات هذه الناقة في رحمها سلا قط اي
ما ظهر فيها ولد فعلى هذا يكون الكلام سايغا وقراته
اسماعه وافهامه بعبارات يخلقها وكتابة يحدثها وهي
معنى قولنا قرانا كلام الله ومعنى قوله فاقرءوا ما تيسر
منه ومن اصحابنا من قال معنى قوله قرا اي تكلم به
وذلك مجاز كقولهم ذقت هذا الامر ذواقا بمعنى
اختبرته

اخبرته ومنه قوله فاذاقها الله تعالى لباس الجوع والخوف
اي ابلاهم الله به فسمى ذلك ذوقا والخوف لا يذاق على الحقيقة
لان الذوق في الحقيقة بالفم دون غيره من الجوارح
قال ابن فورك وما قلناه اولا اصح ان ناويل هذا الخبر
لان كلام الله تعالى ازلي قديم سابق لجملة الحوادث
وانما اسمع وافهم من اراد من خلقه على ما اراد في الاوقات
والازمنة لان عين كلامه يتعلق وجوده بمدة وزمان
قوله تعالى طه اختلف العلماء في معناه فقال الصديق
رضي الله عنه هو من الاسرار ذكره الغزنوي بن عباس
معناه يا رجل ذكره البيهقي وقيل انها لغة معروفة
في عكل وقيل في عكل قال الكلبي لو قلت في عك يا رجل
لرجل يا رجل لم يجب حتى تقول طه وانشد الطبري
دعوت بطه في القتال فلم يجب فخفت عليه ان يكون موائلا
ويروي مزايلا وقال عبد الله بن عمرو يا حبيبي بلغة
عك ذكره الغزنوي وقال قطرب هو بلغة طي وانشد
لزيد بن المهلهل ان السفاهة طه من شمائلكم لا بارك
الله في القوم الملاعين وكذلك قال الحسن معنى طه
يا رجل وقاله عكرمة وقال هو بالسريانية كذلك
ذكره المهدوي وحكاه الماوردي عن ابن عباس

هنفت معا

ايضا ومجاهد وحكي الطبري انه بالنبطية يا رجل وهذا
قول السدي وسعيد بن جبير وابن عباس ايضا قال
ان السفاهة طه من خلا يتكلم لاقدس الله ارواح الملاعين
وقال عكرمة ايضا هو كقولك يا رجل بلسان الحبشة ذكره
الثعلبي والصحيح انها وان وجدت في لغة اخرى فانها
من لغة العرب كما ذكرنا وانها لغة يمنية في عك وطي
وعكل ايضا وقيل هو اسم من اسما الله تعالي وقسم اقسم
به وهذا ايضا مروي عن ابن عباس وقيل هو اسم للنبي
عليه الصلوة والسلام سماه الله كما سماه محمدا وروي عن النبي صلي
الله عليه وسلم انه قال لي عند ربي عشرة اسما فذكر
ان منها طه ويس وقيل هو اسم للسورة ومفتاح لها
وقيل انه اختصار من كلام خص الله تعالي رسوله بعلمه
وقيل انها حروف مقطعة يدل كل حرف منها علي معني
واختلف في ذلك فقيل الطا شجرة طوبي والها النار الهاوية
والعرب تعبر عن الشي كله ببعضه كانه اقسم بالجنة والنار
وقال سعيد بن جبير الطا افتتاح اسمه طاهر وطيب
والها افتتاح اسمه هادي وقيل طا يا طامع الشفاعة
للامة ها يا هادي الخلق الي الملة وقيل الطا من الطهارة
والها من الهداية كانه يقول لنبيه صلي الله عليه وسلم
يا طاهرا

يا طاهرا من الذنوب يا هادي الخلق الى علام الغيوب وقيل
الطا طبول الغزاة والها هيبتهم في قلوب الكافرين
بيانه قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب
وقوله وقذف في قلوبهم الرعب وقيل الطا طرب اهل الجنة
والها هوان اهل النار في النار وقول سادس ان معنى
طه طوبى لمن اهتدى قاله محمد بن علي بن الحنفية وقول
سابع ان معنى طه طا الارض وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يتحمل من مشقة الصلاة حتى كادت
قدماه تتورم ويحتاج الى الترويح حكاه ابن الانباري
وذكر القاضي عياض في الشفا عن الربيع بن انس قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع
الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني طا الارض يا محمد
ما انزلنا عليك القران لتشقى الزمخشري وعن الحسن
طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر بان يطا
الارض بقدميه معا وان الاصل طا فقلبت همزته
ها او قلبت في يطا فيمن قال لا هناك المرتع ثم بني عليه
الامر والها للسكت وقال مجاهد كان النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه يربطون الحبال في صدورهم في الصلاة

بالليل من طول القيام ثم نسخ ذلك الفرض فنزلت هذه الاية
وقال الكلبي لما انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بمكة
اجتهد في العبادة واشتدت عبادته فجعل يصلي الليل
كله زمانا حتى نزلت هذه الاية فامره الله ان يخفف
عن نفسه فيصلي وينام فنسخت هذه الاية قيام الليل
فكان بعد هذه الاية يصلي وينام وقال مقاتل والضحاك
لما نزل القران على النبي صلى الله عليه وسلم قام هو واصحابه
فصلوا فقال كفار قريش ما انزل الله تعالى هذا
القران على محمد الا ليشقى فانزل الله تعالى طه يقول
يا رجل ما انزلنا عليك القران لتشقى اي لتتعب على ما
ياتي وعلى هذا القول ان طه طاء الارض بلون الها والالف
ضمير الارض اي طاء الارض برجليك في صلاتك وخففت
الهمزة فصارت الفا ساكنة وقرات طايفة طه واصله
طا بمعنى طاء الارض فحذفت الهمزة وادخلت ها
السكت وقال زر بن حبيش قرا رجل على عبد الله بن
مسعود طه فقال له يا ابا عبد الرحمن اليس قد امر ان يطا
الارض برجله او بقدميه فقال طه كذلك اقرانيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم واما امال ابو عمرو وابن ابي اسحاق
الها وفتحا الطا واما لهما جميعا ابو بكر وحمزة والكسائي
والاعمش وقراهما ابو جعفر وشيبة ونافع بين
اللفظين

اللفظين

واختاره ابو عبيد الباقون بالتفخيم قال الثعلبي وهي كلها
لغات صحيحة فصيحة النحاس ووجه للامالة عند اكثر
اهل العربية لعلتين احداهما انه ليس هاهنا يا ولا كسرة
فتكون الامالة والعلة الاخرى ان الطا من الحروف الموانع
للامالة فهاتان علتان بينتان فقوله تعالى ما انزلنا
عليك القرآن وقرئ ما نزل عليك القرآن لتشقى قال
النحاس بعض النحويين يقول هذه لام النفي وبعضهم
يقول لام الجحود قال ابو جعفر وسمعت ابا الحسن بن
كيسان انها لام الخفض والمعنى ما انزلنا عليك القرآن
للشقا والشقا يمد ويقصر وهو من ذوات الواو
واصل الشقا في اللغة العنا والتعب اي ما انزلناه عليك
لتتعب قال ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو
الجهالة في الشقاوة ينعم فمعنى لتشقا لتتعب بفرط
تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يومنوا لقوله
تعالى فلعلك باخع نفسك اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر
ولم يكتب عليك ان يومنوا لا محالة بعد ان لم تفرط في
اداء الرسالة والموعظة الحسنة وروى ان ابا جهل
بن هشام والنضر بن الحارث قالا للنبي صلى الله عليه وسلم
انك تشقى لانك تركت دين آبائك فاريد رد ذلك

بان دين الاسلام وهذا القران هو السلم الى نيل كل فوز
والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة
بعينها وعلى الاقوال المتقدمة انه عليه السلام صلى
بالليل حتى اسمغرت قدماه فقال له جبريل ابق على
نفسك فان لها عليك حقا اى ما انزلناه عليك لتنهك نفسك
بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت الا
بالحنيفية السمحة **قوله تعالى الا تذكرة لمن يخشى**
قال ابو اسحق الزجاج هو بدل من تشقى اى ما انزلناه
الا تذكرة النحاس وهذا وجه بعيد وانكره ابو علي
من اجل ان التذكرة ليست بشقاء وانما هو منصوب
على المصدر اى انزلناه لتذكر به تذكرة اى على المفعول
من اجله اى ما انزلنا عليك القران لتشقى به ما انزلناه
الا للتذكرة وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتاخير
مجازه ما انزلنا عليك القران الا تذكرة لمن يخشى ولئلا
تشقى تنزيلا مصدر اى نزلناه تنزيلا وقيل بدل
من قوله تذكرة وقرا ابو حيوة الشامي تنزيل بالرفع
على معنى هذا تنزيل ممن خلق الارض والسموات العلى
اى العالية الرفيعة وهي جمع العليا كقوله كبرى وصغرى
وكبر وصغر اخبر عن عظمته وجبروته وجلاله
ثم قال

ثم قال الرحمن على العرش استوى ويجوز النصب على المدح
قال ابو اسحق ويجوز الخفض على البدل من من وقال سعيد
بن مسعدة الرفع بمعنى هو الرحمن النحاس يجوز الرفع
بالابتدا والخبر له ما في السموات فلا يوقف على استوى
وعلى البدل من المضمر في خلق فيجوز الوقف على استوى
وكذا اذا كان خبر ابتدا محذوف ولا يوقف
على العلا وقد تقدم القول في معنى الاستوا في الاعراف
والذي ذهب اليه الشيخ ابو الحسن وغيره انه مستو
على عرشه بغير حد ولا تكييف كما يكون استوا المخلوقين
وقال ابن عباس يريد خلق ما كان وما هو كاين الى يوم
القيامة وبعد القيامة له ما في السموات وما في الارض
وما بينهما وما تحت الثرى يريد ما تحت الصخرة التى لا
يعلم ما تحتها الا الله وقال محمد بن كعب يعني الارض السابعة
ابن عباس الارض على نون والنون على البحر وان طرفي
النون راسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر
على صخرة خضرا خضرة السما منها وهي التى قال الله تعالى
فيها فتكن في صخرة او في السموات او في الارض والصخرة على
قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت الثرى الا
الله عز وجل وقال وهب بن منبه على وجه الارض

سبعة البحور والارضون سبع بين كل ارضين بحر والبحر
الاسفل مطبق على شفير جهنم ولولا عظمه وكثر
صبه مائه وبرده لاحرقت جهنم كل من عليها قال
وجهنم على متن الريح ومتن الريح على حجاب من الظلمه
لا يعلم غلظه الا الله عز وجل وذلك الحجاب على الثرى
والى الثرى انتهى علم الخلايق قوله تعالى وان تجهر
بالقول فانه يعلم السر واخفى قال ابن عباس السر ما حدث
به الانسان غيره في خفا واخفى منه ما اضمر في نفسه
مالم يحدث به غيره وعنه ايضا السر حديث نفسك
اليوم واخفى من السر ما ستحدث به نفسك مما
لم يكن وهو كاين انت تعلم ما تسر به نفسك اليوم
ولا تعلم ما تسر به غدا والله يعلم ما اسررت اليوم
وما تسر غدا والمعنى الله يعلم السر واخفى من السر
وقال ابن عباس ايضا السر ما اسر ابن ادم في نفسه
واخفى ما خفي على ابن ادم مما هو فاعله وهو لا يعلمه
فالله يعلم ذلك كله وعلمه فيما مضى من ذلك وما يستقبل
علم واحد وجميع الخلايق في علمه كنفس واحده
وقال قتاده وغيره السر ما اضمره الانسان
في نفسه واخفى منه مالم يكن ولا اضمره احد
وقال

وقال ابن زيد السر سر الخلايق واخفي منه سره عز وجل
وانكر ذلك الطبري وقال ان الذي هو اخفي ما ليس في سر
الانسان وسيكون في نفسه كما قال ابن عباس الله لا اله
الا هو له الاسما الحسني الله رفع بالابتدا او علي اضمار
مبتدا او علي البدل من الضمير في يعلم وحد نفسه
سبحانه وذلك ان رسول الله صلي الله عليه وسلم دعا
المشركين الي عبادة الله وحده لا شريك له فكبر ذلك
عليهم فلما سمعه ابو جهل يذكر الرحمن قال للوليد بن
المغيرة محمد ينهانا ان ندعو مع الله تعالي الها اخر وهو
يدعو الرحمن فانزل الله تعالي الرحمن علي العرش استوي
وانزل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله
الاسما الحسني وهو واحد واسماوه كثيرة ثم قال الله
لا اله الا هو له الاسما الحسني وقد تقدم التنبيه
عليها في سورة الاعراف قوله تعالي وهل اتاك
حديث موسي قال اهل المعاني هو استفهام اثبات
وايجاب معناه اليس قد اتاك وقيل معناه وقد اتاك
قاله ابن عباس وقال الكلبي لم يكن اتاه حديثه بعد
ثم اخبره به اذ راى نارا فقال لاهله امكثوا اني انست
نارا لعلي اتيكم منها بقبس او اجد علي النار هدي

قال ابن عباس وغيره هذا حين مضى الاجل وسار باهله
وهو مقبل من مدين يريد مصر وكان قد اخطأ الطريق
وكان موسى رجلا غيورا يصحب الناس بالليل ويفارقهم
بالنهار غيرة منه لئلا يروا امراته فاخطأ الرفقة لما سبق
في علم الله وكانت ليلة مظلمة وقال مقاتل وكانت ليلة الجمعة
في الشتاء وهب بن منبه استاذن موسى شعيبا في الرجوع
الى والدته فاذن له فخرج باهله وغنمه وولد له في الطريق
غلام في ليلة شاتية باردة مثلجة وقد حاد عن الطريق
وتفرقت ماشيته فقدح موسى النار فلم تور المقدحة
شيئا اذ بصر بنار من بعيد على يسار الطريق فقال لاهله
امكثوا اي اقيموا بمكانكم اني انست نارا اي ابصرت قال
ابن عباس فلما توجه نحو النار فاذا النار في شجرة عناب
فوقف متعجبا من حسن ضوء ذلك النار وشدة خضرة
تلك الشجرة فلا شدة حر النار تغير حسن خضرة الشجرة
ولا كثرة ماء الشجرة ولا نعمة الخضرة تغير حسن ضوء النار
وذكر المهدوي فرأى النار فيما روي وهي في شجرة من
العليق فقصدها فتاخرت عنه فرجع واوجس في
نفسه خيفة ثم دنت منه وكلمه الله عز وجل من
الشجرة الماوردي كانت عند موسى نارا وكانت عند

الله

الله نورا وقرا حمزة لاهله امكثوا بضم الهاء وكذا في
القصص قال النحاس وهذا على لغة من قال مررت بهو يا رجل
فجا به على الاصل وهو جايز الا ان حمزة خالف اصله في
هاذين الموضعين خاصة وقال امكثوا ولم يقل اقيموا لان
الاقامة تقتضي الدوام والمكث ليس كذلك وانست
ابصرت قاله ابن الاعرابي ومنه قوله فان انستم منهم
رشدا اي علمتم وانست الصوت سمعته والقبس
شعلة من نار وكذا المقباس يقال قبست منه نارا اقبس
قبسا فاقبسني اي اعطاني منه قبسا وكذلك اقتبست منه
نارا واقتبست منه علما ايضا اي استفدته قال اليزيدي
اقبست الرجل علما وقبسته نارا فان كنت طلبتها له قلت
اقبسته وقال الكسائي اقبسته نارا وعلما سوا قال
وقبسته ايضا فيهما هدى اي هاديا قوله تعالى
فلما اتاها يعني النار نودي اي من الشجرة كما في سورة
القصص اي من جهتها وناحيتها على ما ياتي يا موسى اني
انا ربك قوله تعالى فاخلع نعليك انك بالواد المقدس
طوى فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى فاخلع نعليك
روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كان على موسى يوم كلمه ربه كسا صوف وجبة صوف

عليه

وكمة صوف وسراويل صوف وكانت نعلاه من جلد حمار
ميت قال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث حميد
الاعرج منكر الحديث وحميد بن قيس الاعرج المكي صاحب
مجاهد ثقة والكمة القلنسوة الصغيرة وقراءة العامة
إني بالكسر أي نودي فقيل له يا موسى إني واختاره ابو
عبيد وقرا ابو عمرو وابن كثير وابن محيصن وحميد
أني بالفتح الالف باعمال الندا واختلف العلما في السبب الذي
من اجله أمر بخلع النعلين والخلع النزع والنعل ما جعلته
وقاية لقدميك من الارض فقيل امر بطرح النعلين لانهما
نجسة اذ هي من جلد غير ذكي قاله كعب وعكرمة وقتادة
وقيل امر بذلك لينال بركة الوادي المقدس وتمس قدماه
تربة الوادي قاله علي بن ابي طالب والحسن وابن جريج
وقيل أمر بخلع النعلين للخشوع والتواضع عند مناجاة
الله عز وجل وقيل أعظاما لذلك الموضع كما ان الحرم
لا يدخل بنعلين اعظاما قال سعيد بن جبير قيل له
طا الارض حافيا كما تدخل الكعبة حافيا والعرف
عند الملوك ان تخلع النعال ويبلغ الانسان الى غاية
التواضع فكان موسى عليه السلام امر [illegible] هذا
الوجه ولا نبالي كانت نعلاه من ميتة او غيرها
وقد

وقد كان مالك لا يرى لنفسه ركوب دابة بالمدينة برا
بتربتها المحتوية على الاعظم الشريفة والجثة الكريمة
ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم لبشير بن الخصاصية
وهو يمشي بين القبور بنعليه اذا كنت في مثل هذا المكان
فاخلع نعليك قال فخلعتهما وقول خامس ان ذلك عبارة
عن تفريغ قلبه من امر الاهل والولد وقد يعبر عن الاهل
بالنعل وكذلك هو في التعبير من راى انه لابس نعلين
فانه يتزوج وقيل لان الله بسط له بساط النور
والهدى ولا ينبغي ان يطا على بساط رب العالمين بنعله
وقد يحتمل ان يكون موسى امر بخلع نعليه وكان ذلك اول
فرض عليه كما كان اول ما قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قم
فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر والله
اعلم بالمراد من ذلك الثانية في الخبر ان موسى عليه السلام
خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي وقال ابو الاحوص
زار عبد الله ابا موسى في داره فاقيمت الصلاة فقال ابو
موسى لعبد الله تقدم فقال له عبد الله تقدم انت في
دارك فتقدم ونزع نعليه فقال عبد الله ابالواد المقدس
انت [illegible] مسلم عن سعيد بن يزيد قال قلت لانس
اكان [illegible] عليه وسلم يصلي في نعليه قال نعم ورواه

النسائي عن عبد الله بن السايب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلى يوم الفتح فوضع نعليه عن يساره وروى ابو داود
من حديث ابي سعيد الخدري قال بينما رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلي باصحابه اذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره
فلما راى ذلك القوم خلعوا نعالهم فلما قضى رسول الله صلى
الله عليه وسلم صلاته فقال ما حملكم على القايكم نعالكم
قالوا رايناك القيت نعليك فالقينا نعالنا فقال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل اتاني فاخبرني ان فيهما
قذرا وقال اذا جا احدكم المسجد فلينظر فان راى في
نعليه قذرا او اذى فليمسحه وليصل فيهما صححه ابو
محمد عبد الحق وهو يجمع بين الحديثين قبله ويرفع بينهما
التعارض ولم يختلف العلما في جواز الصلاة في النعال
اذا كانت طاهرة من ذكي حتى لقد قال بعض العلما ان
الصلاة فيها افضل وهو معنى قوله تعالى خذوا زينتكم
عند كل مسجد على ما تقدم وقال ابراهيم النخعي في الذين
يخلعون نعالهم لوددت ان محتاجا جا فاخذها الثالثة
فان خلعتهما فاخلعهما بين رجليك فان ابا هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى احدكم فليخلع
نعليه بين رجليه وقال ابو هريرة للمقبري اخلعهما
بين رجليك

بلغ

بين رجليك ولا توذ بهما مسلما وما رواه عبد الله بن السايب
انه عليه السلام خلعهما عن يساره فانه كان اماما فان كنت
اماما او وحدك فافعل ذلك ان احببت فان كنت ماموما
في الصف فلا توذ بهما من على يسارك ولا تضعهما بين
قدميك فتشغلاك ولكن قدام قدميك وروي عن جبير
بن مطعم انه قال وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة
الرابعة فان تحقق فيها نجاسة مجمع على تنجيسها
كالدم والعذرة من بول بني آدم لم يطهرها الا الغسل
بالماء عند مالك والشافعي واكثر العلما وان كانت
النجاسة مختلفا فيها كبول الدواب وارواثها الرطبة
فهل يطهرها المسح بالتراب من النعل والخف او لا قولان
عندنا واطلق الاجزا بمسح ذلك بالتراب من غير تفصيل
الاوزاعي وابو ثور وقال ابو حنيفة يزيله اذا يبس
الحك والفرك ولا يزيل رطبه الا الغسل ما عدا البول
فلا يجزي عنده فيه الا الغسل وقال الشافعي لا يطهر
شي من ذلك كله الا الما والصحيح قول من قال بان المسح
يطهره من الخف والنعل لحديث ابي سعيد فاما لو
كانت النعل والخف من جلد ميتة فان كان غير مدبوغ
فهو نجس باتفاق ما عدا ما ذهب اليه الزهري

فتشغلاك
بيان

والليث على ما تقدم بيانه في سورة النحل ومضى في سورة
براءة القول في ازالة النجاسة والحمد لله الخامسة قوله
تعالى انك بالواد المقدس طوى المقدس المطهر والقدس
الطهارة والارض المقدسة اي المطهرة وسميت بذلك
لان الله اخرج منها الكافرين وعمرها بالمومنين وقد جعل
الله تعالى لبعض الاماكن زيادة فضل على بعض كما قد جعل
لبعض الازمان زيادة فضل على بعض ولبعض الحيوان كذلك
ولله ان يفضل ما شا وعلى هذا فلا اعتبار بكونه مقدسا باخراج
المشركين واسكان المومنين فقد شاركه في ذلك غيره وطوى
اسم الوادي عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وقال الضحاك
هو واد عميق مستدير مثل الطوي وقرا عكرمة طوى
الباقون طوى قال الجوهري وطوى اسم موضع بالشام
تكسر طاوه وتضم يصرف ولا يصرف فمن صرفه
جعله اسم وادي ومكان وجعله نكره ومن لم يصرفه
جعله بلدة وبقعة وجعله معرفة وقال بعضهم طوى
مثل طوى وهو الشي المثنى وقالوا في قوله المقدس طوى
طوى مرتين اي قدس وقال الحسن ثنيت فيه البركة
والتقديس مرتين وذكر المهدوي عن ابن عباس انه قيل له
طوى لان موسى طواه بالليل اذ هرب فارتفع الى اعلى الوادي

فهو مصدر عمل فيه ما ليس من لفظه فكانه قال
انك بالوادي المقدس الذى طويته طوي اي تجاوزته فطويته
بسيرك الحسن معناه انه قدس مرتين فهو مصدر من طويته طوي
ايضًا قوله تعالى وانا اخترتك اي اصطفيتك للرسالة
وقراءة اهل المدينه وابو عمرو وعاصم والكسائي وانا اخترتك
وقراءة حمزة وانا اخترناك والمعنى واحد الا ان وانا اخترتك
هاهنا اولى من جهتين احداهما انها اشبه بالخط والثانية
انها اولى بنسق الكلام لقوله جل وعز يا موسى انى انا ربك وعلى
هذا النسق جرت المخاطبه قاله النحاس قوله تعالى
فاستمع لما يوحى فيه مساله واحدة قال ابن عطيه حدثنى
ابى رحمه الله قال سمعت ابا الفضل الجوهرى رحمه الله يقول
لما قيل لموسى صلوات الله عليه استمع لما يوحى وقف على حجر
ووضع يمينه على شماله والقى ذقنه على صدره ووقف يستمع وكان
كل لباسه صوفا قلت وحسن الاستماع كما يجب قد مدح الله
عليه فقال الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك
الذين هداهم الله وذم على خلاف هذا الوصف فقال نحن
اعلم بما يستمعون به الايه فمدح المنصت لاستماع كلامه مع حضور
العقل وامر عباده بذلك ادبا لهم فقال واذا قرئ القران
فاستمعوا له وانصتوا وقال هاهنا فاستمع لما يوحى لان بذلك

ينال الفهم عن الله تعالى روي عن وهب بن منبه انه قال
من ادب الاستماع سكون الجوارح وغض البصر والاصغا
بالسمع وحضور العقل والعزم على العمل وذلك هو الاستماع
كما يحب الله تعالى وهو ان يكف العبد جوارحه ولا يشغلها
فيشتغل قلبه عما يسمع ويغض طرفه فلا يلهو قلبه بما
يرى ويحضر عقله فلا يحدث نفسه بشي سوى ما يستمع
اليه ويعزم على ان يفهم فيعمل بما يفهم وقال سفيان بن عيينه
اول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر فاذا
استمع العبد الى كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام
بنية صادقة على ما يحب الله افهمه كما يحب وجعل له
في قلبه نورا قوله تعالى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني
واقم الصلاة لذكري فيه تسع مسايل الاولى اختلف
في تاويل قوله لذكري فقيل يحتمل ان يريد لتذكرني فيها لتذكرني
فيها او يريد لاذكرك بالمدح في عليين بها فالمصدر على هذا
يحتمل الاضافة الى الفاعل والى المفعول وقيل المعنى اي
حافظ بعد التوحيد على الصلاة وهذا تنبيه على عظم
قدر الصلاة اذ هي تضرع الى الله وقيام بين يديه وعلى
هذا فالصلاة هي الذكر وقد سمى الله الصلاة ذكرا في قوله
فاسعوا الى ذكر الله وقيل المراد اذا نسيت فتذكرت
فصلي

فصلى كما في الخبر فليصلها اذا ذكرها اي لا تسقط الصلاة
بالنسيان الثانية روى مالك وغيره ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا
ذكرها فان الله عز وجل يقول واقم الصلاة لذكري وروى
ابو محمد عبد الغني بن سعيد من حديث بن ابي الحجاج
وهو حجاج الاول الذي روى عنه يزيد بن زريع قال حدثنا
قتادة عن انس بن مالك قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الرجل يرقد عن الصلاة ويغفل عنها قال كفارتها ان
يصليها اذا ذكرها تابعه ابراهيم بن طهمان عن حجاج ولذا
يروي همام بن يحيى عن قتادة وروى الدارقطني عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نسي صلاة فوقتها اذا ذكرها
فقوله فليصلها اذا ذكرها دليل على وجوب القضا على
النايم والغافل كثرت الصلوات او قلت وهو مذهب عامة
العلما وقد حكي خلاف شاذ لا يعتد به لانه يخالف النص
الحديث عن بعض الناس فيما زاد على خمس صلوات انه لا
يلزمه قضا قلت امر تعالى باقامة الصلاة ونص
على اوقاتها معينة فقال اقم الصلاة لدلوك الشمس الاية
وغيرها من الاي ومن اقام بالليل ما امر باقامته بالنهار
او بالعلس لم يكن فعله مطابقا لما امر به ولا ثواب له على

فعله وهو عاص وعلى هذا الحد كان لا يجب عليه قضا ما فات
وقته ولولا قوله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة او نسيها
فليصلها اذا ذكرها لم ينتفع احد بصلاة وقعت في غير وقتها
وبهذا الاعتبار كانت قضا لا ادا لان القضا بامر متجدد
وليس بالامر الاول المسالة الثالثة فاما من ترك الصلاة متعمدا
فالجمهور ايضا على وجوب القضا عليه وان كان عاصيا الا
داود ووافقه ابو عبد الرحمن الاشعري الشافعي حكاه
عنه ابن القصار والفرق بين المتعمد والناسي والنايم حط
الماثم فالمتعمد ماثوم وجميعهم قاضون والحجة للجمهور قوله
تعالى اقيموا الصلاة ولم يفرق بين ان يكون في وقتها او بعده
وهذا امر يقتضي الوجوب وايضا فقد ثبت الامر بقضا
الناسي والنايم مع انهما غير ماثومين فالعابد اولى وايضا قوله
من نام عن صلاة او نسيها والنسيان الترك قال الله تعالى نسوا
الله فنسيهم ونسوا الله فانساهم انفسهم سوا كان مع ذهول
او لم يكن لان الله تعالى لا ينسى وانما معناه تركهم وقال ما
ننسخ من اية او ننساها اي نتركها وكذلك الذكر يكون بعد
نسيان وبعد غيره قال الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته
في نفسي وهو تعالى لا ينسى فيكون ذكره بعد نسيان وانما
معناه علمت فكذلك يكون معنى قوله اذا ذكرها اي علمها
وايضا فان الذنوب التي للادميين اذا كانت متعلقة بوقت
ثم جاز

ثم جاز الوقت لم يسقط قضاوها بعد وجوبها وهي
مما يسقطها الابرا كان في ديون الله ان لا يصح فيها الابرا
اولى ان لا يسقط قضاوها الا باذن منه وايضا فقد اتفقنا
انه لو ترك يوما من رمضان متعمدا بغير عذر لوجب قضاوه
فلذلك الصلاه فان قيل فقد روي عن مالك من ترك الصلاه
متعمدا لا يقضي ابدا فالاشارة الى ان ما مضى لا يكون او يكون يعود
كلاما خرج على التغليظ كما روي عن ابن مسعود وعلي ان
من افطر في رمضان عامدا لم يكفره صيام الدهر وان
صامه ومع هذا فلا بد من توقية التكليف حقه باقامة
القضا مقام الادا واتباعه بالتوبه ويفعل الله بعد ذلك
ما يشا وقد روي ابو المطوس عن ابيه عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من افطر يوما من رمضان
متعمدا لم يجزه صيام الدهر وان صامه وهذا الخبر ان
لو صح كان معناه التغليظ وهو حديث ضعيف خرجه
ابو داود وقد جات الكفاره باسانيد صحاح وفي بعضها
قضا اليوم والحمد لله الرابعة قوله عليه السلام من
نام عن صلاة او نسيها الحديث يخص عموم قوله عليه
السلام رفع القلم عن ثلاثة عن النايم حتى يستيقظ والمراد
بالرفع هنا رفع الماثم لا رفع الفرض عنه وليس هذا من

من باب قوله وعن الصبي حتى يحتلم وان كان ذلك جا في اثر واحد
فقف على هذا الاصل الخامسة اختلف العلما من هذا
المعنى فيمن ذكر صلاة فايتة وهو في اخر وقت صلاة او
ذكر صلاة [illegible] وهو في اخر صلاة فجملة مذهب مالك ان
من ذكر صلاة وقد حضر وقت صلاة اخرى بدا بالتي نسي
اذا كان خمس صلوات فادنى وان فات وقت هذه وان
كان اكثر من ذلك بدا بالتي حضر وقتها وعلى نحو هذا مذهب
ابي حنيفة والثوري والليث الا ان ابا حنيفة واصحابه
قالوا الترتيب عندنا واجب في اليوم والليلة اذا
كان في الوقت سعة للفايتة ولصلاة الوقت فان خشي
فوات الوقت بدا بها فان زاد على صلاة يوم وليلة لم يجب
الترتيب عندهم وقد روي عن الثوري وجوب الترتيب
ولم يفرق بين القليل والكثير وهو تحصيل مذهب
الشافعي قال الشافعي الاختيار ان يبدا بالفايتة مالم
يخف فوات هذه فان لم يفعل وبدا بصلاة الوقت اجزاه
وذكر الاثرم ان الترتيب عند احمد واجب في صلاة
ستين سنة والاكثر وقال لا ينبغي لاحد ان يصلي صلاة
وهو ذاكر لما قبلها لانها تفسد عليه وروى الدارقطني
عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا نسي احدكم صلاة وهو في صلاة مكتوبة
فليبدا

فليبدا بالتي هو فيها فاذا فرغ منها صلى التي نسي عمر بن ابي عمر
مجهول قلت وهذا الموضع كان حجة للشافعي في البداية
بصلاة الوقت وانما الصحيح ما رواه الصحيح عن جابر بن عبد الله
ان عمر بن الخطاب يوم الخندق جعل يسب كفار قريش وقال
يا رسول الله والله ما كدت ان اصلي العصر حتى كادت تلك تغرب
الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ان صليتها
فنزلنا الى بطحان فتوضا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوضانا
فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بعد ما غربت
الشمس ثم صلى بعدها المغرب وهذا نص في البداية
بالفايتة قبل الحاضرة لاسيما والمغرب وقتها واحد مضيق
غير ممتد في المشهور عندنا وعند الشافعي كما تقدم
وقد روى الترمذي عن ابي عبيدة بن عبد الله بن مسعود
عن ابيه ان المشركين شغلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اربع صلوات يوم الخندق حتى ذهب من الليل ما
شا الله فامر بلالا فاذن ثم اقام فصلى الظهر ثم اقام
فصلى العصر ثم اقام فصلى المغرب ثم اقام فصلى العشا
وبهذا استدل العلما على ان من فاتته صلوات قضاها
مرتبة كما فاتته اذا ذكرها في وقت واحد واختلفوا
اذا ذكر فايتة في ضيق وقت حاضرة على ثلثة اقوال

يبدا بالفايته وان خرج وقت الحاضره وبه قال مالك والليث
والزهري وغيرهم كما قدمناه الثاني يبدا بالحاضرة وبه قال
الحسن والشافعي وفقها اصحاب الحديث والمحاسبي وابن وهب
من اصحابنا الثالث يتخير فيقدم ايتهما شا وبه قال اشهب
وجه الاول يكثر الصلوات ولا خلاف انه يبدا بالحاضرة
مع الكثيرة قاله القاضي عياض واختلفوا في مقدار اليسير
فعن مالك الخمس فدون وقد قيل الاربع فدون لحديث جابر
ولم يختلف المذهب ان الست كثير السادسه واما
من ذكر صلاة وهو في صلاة فان كان ورا الامام فكل من
قال بوجوب الترتيب ومن لم يقل به يقول يتمادى مع
الامام حتى تكمل صلاته والاصل في هذا ما رواه مالك
والدارقطني عن ابن عمر قال اذا نسي احدكم صلاة فلم يذكرها
الا وهو مع الامام فليصل مع الامام فاذا فرغ من صلاته
فليصل التي نسي ثم ليعد صلاته التي صلى مع الامام لفظ
الدارقطني وقال قال موسى وراه بن هارون ابو ابراهيم
الترجماني قال حدثنا سعيد ورفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم
ووهم في رفعه فان كان قد رجع عن رفعه فقد وفق
للصواب ثم اختلفوا فقال ابو حنيفة واحمد بن حنبل
يصلي التي ذكر ثم يصلي التي صلى مع الامام الا ان يكون
بينهما

بينهما اكثر من خمس صلوات على ما قدمنا ذكره عن الكوفيين
وهو مذهب جماعة من اصحاب مالك المدنيين وذكر
الخرقي عن احمد بن حنبل انه قال من ذكر صلاة وهو في
اخرى انه يتمها وقضى المذكورة واعاد التي كان فيها اذا كان
الوقت متسعا فان خشي خروج الوقت وهو فيها اعتقد
ان لا يعيدها وقد اجزته ويقضي التي عليه وقال مالك من
ذكر صلاة وهو في صلاة قد صلى منها ركعتين سلم من
ركعته فان كان اماما انهدمت عليه وعلى من خلفه
وبطلت هذا الظاهر من مذهب مالك وليس عند اهل النظر
من اصحابه كذلك لان قوله فيمن ذكر صلاة في صلاة قد صلى
منها ركعة انه يضيف اليها اخرى ويسلم ولو ذكرها في صلاة
قد صلى منها ثلاث ركعات اضاف اليها رابعة وسلم وصارت
نافلة غير فاسدة ولو انهدمت عليه كما ذكر وبطلت
لم يؤمر ان يضيف اليها اخرى كما لو احدث بعد ركعة
لم يضف اليها اخرى السابعة روى مسلم عن ابي
قتادة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر
حديث الميضاة بطوله وقال فيه ثم قال اما لكم في اسوة
ثم قال اما انه ليس في النوم تفريط انما التفريط على
من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الاخرى فمن

فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها فاذا كان الغد فليصلها عند
وقتها واخرجه الدارقطني هكذا بلفظ مسلم سوا وظاهره
يقتضي اعادة المقضية مرتين عند ذكرها وحضور مثلها
من الوقت الاتي ويعتضد هذا الظاهر ما خرجه ابو داود
من حديث عمران بن حصين وذكر القصة وقال في اخرها فمن
ادرك منكم الصلاة من غد صالحا فليقض معها مثلها قلت وهذا ليس
على ظاهره ولا تعاد غير مرة واحدة لما رواه الدارقطني عن
عمران بن حصين قال سرينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزاة او قال في سرية فلما كان السحر عرسنا فما استيقظنا
حتى ايقظنا حر الشمس فجعل الرجل منا يثب فزعا دهشا
فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا فارتحلنا
ثم سرنا حتى ارتفعت الشمس فقضى القوم حوائجهم ثم
امر بلالا فاذن فصلينا ركعتين ثم امره فاقام فصلينا
الغداة فقلنا يا نبي الله الا نقضيها لوقتها من الغد فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم اينهاكم الله عن الربا ويقبله
منكم وقال الخطابي لا اعلم احدا قال بهذا وجوبا ويشبه
ان يكون الامر به استحبابا ليحرز فضيلة الوقت في القضا
والصحيح ترك العمل لقوله اينهاكم الله عن الربا وياخذه
منكم ولان الطرق الصحاح من حديث عمران بن حصين
ليس

ليس فيها من تلك الزيادة شي الا ما ذكر في حديث ابي قتادة
وهو محتمل كما بيناه قلت ذكر الكيا الطبري في احكام
القران له ان من السلف من خالف قوله عليه السلام
من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك فقال
يصبر الى مثل وقته فيصلي فاذا فات الصبح يصلي من
الغد وهذا قول بعيد شاذ قوله تعالى ان الساعة
اتية اكاد اخفيها لتجزي اية مشكلة فروي عن سعيد بن
جبير انه قرا اكاد اخفيها بفتح الهمزة قال ومعناه اظهرها
لتجزي اي الاظهار للجزا رواه ابو عبيد عن الكسائي عن
محمد بن سهيل عن ورقاء بن اياس عن سعيد بن جبير قال
النحاس وليس لهذه الرواية طريق غير هذا قلت وكذا
ذكره ابو بكر الانباري في كتاب الرد حدثني ابي نا
محمد بن الجهم نا الفرا نا الكسائي ح وحدثنا عبد الله
بن ناجية نا يوسف نا يحيى الحماني نا محمد بن سهل قال
النحاس واجود من هذا الاسناد ما رواه يحيى القطان
عن الثوري عن عطا بن السايب عن سعيد بن جبير
انه قرا اخفيها بضم الهمزة قلت قلنا قراه ابن جبير
اخفيها بفتح الالف بالاسناد المذكور فقال ابو بكر الانباري
قال الفرا معناه اظهرها من خفيت الشي اذا اظهرته

أخفيه وانشد الفرا لامري القيس

فان تدفنوا الدا لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد اراد لا نظهره وقد قال بعض اللغويين يجوز ان يكون أخفيها بضم الالف معناه اظهرها لانه يقال خفيت الشي واخفيته اذا اظهرته فاخفيته من حروف الاضداد يقع على الستر والاظهار وقال ابو عبيدة خفيت واخفيت بمعنى واخذ النحاس وهذا حسن وقد حكاه عن ابي الخطاب وهو رييس من رؤسا اللغة لا يشك في صدقه وقد روي عنه سيبويه وانشد ان تكتموا الدا لا نخفه البيت كذا رواه ابو عبيدة عن ابي الخطاب بضم النون وقال امرو القيس ايضا

خفاهن من انفاقهن كانما خفاهن ودق من عشي مجلب

اي اظهرهن ويروي من سحاب موكب بدل من عشي مجلب قال ابو بكر الانباري وتفسير للاية ان الساعة اتية اكاد ينقطع الكلام على اكاد وبعده مضمر اكاد اتي بها والابتدا اخفيها لتجزى كل نفس قال ضابي البرجمي

هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلايله

اراد وكدت افعل فاضمر مع كدت فعلا كالفعل المضمر معه في القران قلت هذا الذي اختاره النحاس وزيف القول الذي قبله فقال يقال خفي الشي يخفيه اذا اظهره

وقد حكي

وقد حكي انه يقال اخفاه ايضا اذا ستره وليس بالمعروف
قال وقد رايت علي بن سليمان لما اشكل عليه معني اخفيها
عدل الي هذا القول وقال معناه كمعني أخفيها قال النحاس
ليس المعني علي اظهرها ولا سيما واخفيها قراة شاذه فكيف
ترد القراة الصحيحة الشايعة الي الشاذه ومعني المضمر
اولي ويكون التقدير ان الساعة اتيه اكاد اتي بها ودل
اتية علي اتي بها ثم قال اخفيها علي الابتدا وهذا معني صحيح
لان الله عز وجل قد اخفي الساعة التي هي القيامة والساعة
التي يموت فيها الانسان ليكون الانسان يعمل والامر عنه
مبهم ولا يوخر التوبة قلت وعلي هذا القول تكون اللام
في لتجزي متعلقة باخفيها وقال ابو علي هذا من باب السلب
وليس من الاضداد ومعني اخفيها ازيل عنها خفاها وهو
سترها كخفا القربة واذا زال عنها سترها ظهرت والاخفية
الاكسية والواحد خفا بكسر الخاء ومن هذا قولهم اشكيته
اي ازلت شكواه واعديته اي قبلت استعداه ولم
احوجه الي اعادته وحكي ابو حاتم عن الاخفش ان كاد
زايدة موكده قال ومثله اذا اخرج يده لم يكد يراها
لان الظلمات التي ذكرها الله تعالي بعضها يحول بين الناظر
والمنظور اليه وروي معناه عن ابن جبير والتقدير

ان الساعة اتية اخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى وقال الشاعر
سريع الى الهيجا شاكل سلاحه فما ان يكاد قرنه يتنفس
اراد فما يتنفس وقال اخر
وان لا الوم النفس فيما اصابني وان لا اكاد بالذي نلت انجح
معناه وان لا انجح بالذي نلت فاكاد توكيد للكلام وقيل
المعنى اكاد اخفيها اي اقارب ذلك لانك اذا قلت كاد زيد يقوم
جاز ان يكون قام وان يكون لم يقم ودل على انه قد اخفاها
بدلالة غير هذه على هذا الجواب قال اللغويون كدت افعل
معناه عند العرب قاربت الفعل ولم افعل وما كدت
افعل معناه فعلت بعد ابطاء وشاهده قول الله عزت
عظمته فذبحوها وما كادوا يفعلون معناه وفعلوا بعد
ابطاء لتعذر وجدان البقرة عليهم وقد يكون ما كدت افعل
بمعنى ما فعلت ولا قاربت اذا اكد الكلام باكاد وقيل
معنى اكاد اخفيها اريد اخفيها قال الانباري وشاهد
هذا قول الفصيح من الشعر اكادت وكدت وتلك خير ارادة
لو عاد من لهو الصبابة ما مضى معناه اردت واردت
وقال ابن عباس واكثر المفسرين فيما ذكر الثعلبي ان المعنى
اكاد اخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وفي بعض القراات
فكيف اظهرها لكم وهذا محمول على انه جا على ما جرت

به عادة

به عادة العرب في كلامها من ان احدهم اذا بالغ في كتمان الشي
قال كدت اخفيه من نفسي والله تعالى لا يخفى عليه شي قال
معناه قطرب وغيره وقال الشاعر
ايام تصحبني هند واخبرها ما اكتم النفس من حاجي واسراري
فكيف يخبرها بما يكتم نفسه ومن هذا الباب قوله صلى الله
عليه وسلم ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا
تعلم شماله ما تنفق يمينه الزمخشري وقيل معناه
اكاد اخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف
ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان
في مصحف ابي اكاد اخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف
اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها قلت قد قيل
ان معنى قول من قال اكاد اخفيها من نفسي اي ان اخفاها
كان من قبلي ومن عندي لا من قبل غيري وروي عن ابن
عباس ايضا اكاد اخفيها في نفسي رواه طلحه بن عمرو
عن عطا وروي علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال
لا اظهر عليها احدا وروي عن سعيد بن جبير قال قد
اخفاها وهذا على ان كاد زايد اي ان الساعة اتية
اخفيها والفايدة في اخفايها التخويف والتهويل
وقيل تعلق لتجزي بقوله تعالى واقم الصلاة فيكون

في الكلام تقديم وتاخير اي اقم الصلاة لذكري لتجزى كل نفس
بما تسعى اي بسعيها ان الساعة اتية اكاد اخفيها والله اعلم
وقيل هي متعلقة باتية اي ان الساعة اتية لتجزى فلا
يصدنك عنها اي لا يصرفنك عن الايمان بها والتصديق لها
من لا يومن بها واتبع هواه فتردى اي فتهلك وهو في موضع
نصب بجواب النهي قوله تعالى وما تلك بيمينك يا
موسى قال هي عصاي فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى
وما تلك بيمينك قيل كان هذا خطاب من الله تعالى لموسى
وحيا لانه قال فاستمع لما يوحى ولا بد للنبي في نفسه
من معجزة يعلم بها صحة نبوة نفسه فاراه في العصا
وفي نفسه ما اراه لذلك ويجوز ان يكون ما اراه في الشجرة
اية كافية له في نفسه ثم تكون اليد والعصا زيادة
توكيد وبرهانا يلقى به قومه واختلف في ما في قوله
وما تلك وقال الزجاج والفرا ايضا تلك بمعنى هذه
ولو قال ما ذلك الشي لجاز اي ما ذلك الشي ومقصود
السوال تقرير الامر حتى يقول موسى هي عصاي ليتثبت
الحجة عليه بعد ما اعترف والا فقد علم الله ما هي في الازل
قال ابن الجوهري وفي بعض الاثار ان الله تعالى عتب على
موسى اضافة العصا الى نفسه في ذلك الموطن فقيل له القها

اي ما التي بيمينك وقال الفراء [illegible]

لترى

لترى عنها العجب فتعلم انه لا يملك لك عليها ولا انتصاف اليك
وقرا ابن ابي اسحق عصيّ على لغة هذيل ومثله يا بشريّ ومحييّ
وقد تقدم وقرا الحسن عصاي بكسر اليا لالتقا الساكنين
وهو مثل قراءة حمزة وما انتم بمصرخيِ وعن ابن ابي اسحاق
سكون اليا الثانية في هذه الاية دليل على جواب المسوول
باكثر مما سيل لانه لما قال وما تلك بيمينك يا موسى ذكر معاني
اربعة وهي اضافة العصا اليه وكان حقه ان يقول عصى
والتوكا والهش والمارب المطلقة فذكر موسى من منافع
عصاه عظمها وجمهورها واجل سائر ذلك وفي الحديث
سيل النبي صلى الله عليه وسلم عن ماء البحر فقال هو الطهور
ماؤه الحل ميتته وسالته امراة عن الصغير حين رفعته
اليه فقالت الهذا حج قال نعم ولك اجر ومثله في الحديث
كثير الثالثة قوله تعالى اتوكا عليها اي اتحامل عليها
في المشي والوقوف ومنه الاتكا واهش بها واهش ايضا
ذكره النحاس وهي قراءة النخعي اي اخبط بها الورق
اي اضرب اغصان الشجر ليسقط ورقها فيسهل على غنمي
تناوله فتاكله قال الراجز
اهش بالعصا على اغنامي من ناعم الاراك والبشام
يقال هش على غنمه يهش بضم الها في المستقبل وهش

الى الرجل يهش بالفتح وكذلك هش للمعروف يهش وهششت
انا هو في حديث عمر هششت يوما فقبلت وانا صايم قال
شمر اي فرحت واشتهيت قال ويجوز هاش بمعنى هش
قال الراعي فكبر للرويا وهاش فواده وبشر نفسا كان قبل يلومها
اي طرب والاصل في الكلمة الرخاوة يقال رجل هش وجوز هش
وقراة عكرمة واهس بالسين غير معجمة قيل هما لغتان بمعنى واحد
وقيل معناهما مختلف فالهش بالاعجام خبط الشجر والهس
بغير اعجام زجر الغنم ذكره الماوردي وكذلك ذكر الزمخشري
وعن عكرمة واهس بالسين اي انحي عليها زاجرا لها والهس
زجر الغنم الرابعة قوله تعالى ولي فيها مارب اخرى
اي حوايج واحدها مأربة ومأربة ومأربة وقال اخرى
على صيغة الواحد لان مارب في معنى جماعة لكن المهيع
في توابع جمع ما لا يعقل الافراد والكناية عنه بذلك
فان ذلك يجري مجرا الواحد المونثة كقوله ولله الاسما
الحسنى وكقوله يا جبال اوبي معه وقد تقدم هذا
في الاعراف الخامسة تعرض قوم لمنافع تعديد
العصي منهم ابن عباس قال اذا انتهيت الى راس بير فقصر
الرشا وصلته بالعصا واذا اصابني حر الشمس غرزتها
في الارض والقيت عليها ما يظلني واذا خفت شيئا
من هوام الارض

بلغ

من هوام الارض فتلته بها واذا امشيت القيتها على عاتقي وعلقت
عليها القوس والكنانه والمخلاه واقاتل بها السباع عن الغنم
وروي عنه ميمون بن مهران قال امساك العصا سنة للانبيا
وعلامة للمومن وقال الحسن البصري فيها ست خصال
سنة الانبيا وزينة الصلحا وسلاح على الاعدا وعون
الضعفا وغم المنافقين وزيادة في الطاعات وقيل اذا
اذا كان مع المومن العصا يهرب منه الشيطان ويخشع
منه المنافق والفاجر وتلون قبلته اذا اصلى وقوة اذا
اعيي ولقي الحجاج اعرابيا فقال من اين اقبلت يا اعرابي
قال من البادية قال وما في يدك قال عصاي اركزها لصلاتي
واعدها لعداتي واسوق بها دابتي واقوي بها على سفري
واعتمد بها في مشيي ليتسع خطوي واثب بها النهر
وتومنني العثر والقي عليها كساي فتقيني الحر وتدفيني من
القر وتدني الي ما بعد مني وهي محمل سفرتي وعلاقة
اداوتي اعصي بها عند الضراب واقرع بها الابواب واتقي
بها عقور الطلاب وتنوب عن الرمح في الطعان وعن
السيف عند منازلة الاقران ورثتها عن ابي واورثها
بعدي ابني واهش بها على غنمي ولي فيها مارب اخرى كثيره
لا تحصى قلت منافع العصي كثيرة ولها مدخل في مواضع

مطلب في فوايد العصا

العصا لمن عصا

من الشريعة منها انها تتخذ قبلة في الصحرا وقد كان للنبي صلى الله
عليه وسلم عنزة تركز له فيصلي اليها وكان اذا خرج يوم العيد
امر بالحربة فتوضع بين يديه فيصلي اليها وذلك ثابت في
الصحيح والحربة والعنزة والنيزك والالة اسما لمسمى واحد
وكان له محجن وهو عصي معوجة الطرف يشير الى الحجر اذا لم
يستطع ان يقبله ثابت في الصحيح ايضا وفي الموطا عن السايب
بن يزيد انه قال امر عمر بن الخطاب ابي بن كعب وتميما الداري
ان يقوما للناس باحدي عشرة ركعة وكان القاري يقرا
بالمئين حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام وما كنا
ننصرف الا في فروع الفجر وفي الصحيحين انه عليه السلام
كان له مخصرة والاجماع منعقد على ان الخطيب يخطب
متوكا على سيف او عصي فالعصا ماخوذة من اصل كريم
ومعدن شريف ولا ينكرها الا جاهل وقد جمع الله لموسي
في عصاه من البراهين العظام والايات الجسام ما بامن به
السحرة المعاندون واتخذها سليمان لخطبته وموعظته وكان
ابن مسعود صاحب عصي النبي صلى الله عليه وسلم وعنزته
وكان يخطب بالقضيب وكفى بذلك فضلا على شرف حال
العصا وعلى ذلك الخلفا وكبرا الخطبا وعادة العرب العربا
الفصحا اللسن البلغا اخذ المخصرة والعصا والاعتماد عليها

عند

عند الكلام وفي المحافل والخطب وانكرت الشعوبيه على خطبا
العرب اخذ المخصرة والاشارة بها الى المعاني والشعوبيه
تبغض العرب وتفضل العجم قال مالك كان عطا بن السايب
يمسك المخصره يستعين بها قال مالك والرجل اذا كبر لم
يكن مثل الشاب يقوى بها عند قيامه قلت وفي مشيه كما قال بعضهم
قد كنت امشي على رجلين معتمدا فصرت امشي على اخرى من الخشب
قال مالك رحمه الله ورضي عنه وقد كان الناس اذا جاهم المطر
خرجوا بالعصي يتوكون عليها حتى لقد كان الشباب يحبسو
عصيهم وربما اخذ ربيعة العصا من بعض من يجلس اليه حتى
يقوم ومن منافع العصا ضرب الرجل نساه بها فيما يصلحهم
ويصلح به حاله وحالهم معه ومنه قوله عليه السلام واما
ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه في احد التاويلات وقد
روي عنه عليه السلام انه قال لرجل اوصاه لا ترفع
عصاك عن اهلك اخفهم في الله رواه عبادة بن الصامت
خرجه النساي ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم
علق سوطك حيث يراه اهلك وقد تقدم هذا في النسا
ومن فوايدها التنبيه عن الانتقال من هذه الدار كما قيل
لبعض الزهاد مالك تمشي على عصا ولست بكبير ولا مريض
قال اني اعلم اني مسافر وانها دار قلعة وان العصا من اله السفر

فاخبرني بعض الشعرا فقال ::

حملت العصا لا الضعف اوجب حملها علي ولا اني تحنيت من كبر
ولكنني الزمت نفسي حملها لأعلمها ان المقيم على سفر :: قوله
تعالى قال القها يا موسى لابنه لما اراد الله تعالى ان يدربه في تلقي
النبوة وتكاليفها امره بالقا العصا فالقاها موسى فقلب
الله اوصافها واعراضها وكانت عصى ذات شعبتين فصار
الشعبتان لها فما وصارت حية تسعى اي تنتقل وتمشي
وتلتقم الحجارة فلما راها موسى عليه السلام راى عبرة فولى
مدبرا ولم يعقب فقال الله له خذها ولا تخف وذلك انه اوجس
في نفسه خيفة اي لحقه ما يلحق البشر وروي ان موسى تناولها
بكمي جبته فنهي عن ذلك فاخذها بيده فصارت عصى كما
كانت اول مرة وهي سيرتها الاولى وانما اظهر له هذه الاية
ليلا يفزع منها اذا القاها عند فرعون ويقال ان العصا
بعد ذلك كانت تماشيه وتحادثه ويعلق عليها احماله
وتضئ له الشعبتان بالليل كالشمع واذا اراد الاستقا
انقلبت الشعبتان كالدلو واذا اشتهى ثمرة ركزها في الارض
فاثمرت تلك الثمرة وقيل انها كانت من اس الجنة وقيل
اتاه جبريل بها وقيل ملك وقيل قال له شعيب خذ عصى
من ذلك البيت فوقعت بيده تلك العصا وكانت عصا

ادم

ادم هبط بها من الجنة فالله اعلم قوله تعالى فاذا هي حية
تسعى النحاس وتجوز حية بقال خرجت فاذا زيد جالس
وجالسا والوقف حية بالهاء والسعي المشي بسرعة وخفة
وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر
فلما راه يبتلع كل شي خافه ونفر منه وعن بعضهم انما خاف
منه لانه عرف ما لقي ادم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ
من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ
بلحيها ستعيدها سيرتها الاولى سمعت علي بن سليمان يقول
التقدير الى سيرتها مثل واختار موسى قومه قال ويجوز
ان يكون مصدرا لان المعنى سنعيدها سيرتها قوله
تعالى واضمم يدك الى جناحك يجوز في غير القران
ضم بفتح الميم وكسرها لالتقاء الساكنين والفتح اجود
لخفته والكسر على الاصل ويجوز الضم على الاتباع ويد
اصلها فعل يدي يدل على ذلك يدوت تصغيرها يدية والجناح
العضد قاله مجاهد وقال الى بمعنى تحت قطرب الى جناحك
الى جيبك ومنه قول الراجز : اضمه للصدر والجناح
وقيل الى جيبك فعبر عن الجيب بالجناح لانه مايل في محل الجناح
وقيل الى عندك وقال مقاتل الى بمعنى مع اي مع جناحك
تخرج بيضاء من غير سوء من غير برص نورا ساطعا

يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر واشد ضوءا عن ابن
عباس وغيره فخرجت نورا مخالفة للونه وبيضاء نصب على
الحال ولا ينصرف لان فيها الفي التانيث لا يزايلانها فكان لزومهما
علة ثانية فلم ينصرف في النكرة وخالفتا الهاء لان الهاء تفارق
الاسم ومن من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء
اية اخرى سوى العصا فاخرج يده من مدرعة له مصرية
لها شعاع مثل شعاع الشمس يغشي البصر واية منصوبة
على البدل من بيضاء قاله الاخفش النحاس وهو قول حسن
وقال الزجاج المعنى اتيناك اية اخرى او نوتيك لانه لما قال
تخرج بيضاء من غير سوء دل على انه قد اتاه اية اخرى
لنريك من اياتنا الكبرى يريد العظمى وكان حقه ان يقول
الكبيرة وانما قال الكبرى لوفاق رؤس الاي وقيل فيه اضمار
معناه لنريك من اياتنا الاية الكبرى دليله قول ابن عباس
يد موسى اكبر اياته قوله تعالى اذهب الى فرعون
انه طغى لما انسه بالعصا واليد واراه ما يدل على انه
رسول امره بالذهاب الى فرعون وان يدعوه وطغى
معناه عصى وتكبر وكفر وتجبر وجاوز الحد قال رب
اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني
يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي طلب الاعانة
لتبليغ

لتبليغ الرساله ويقال ان الله اعلمه بانه ربط على قلب
فرعون وانه لا يومن فقال موسى يارب فكيف تامرني ان
اتيه وقد ربطت على قلبه فاتاه ملك من خزان الريح فقال
ياموسى انطلق لما امرك الله فقال موسى عند ذلك رب اشرح
لي صدري اي وسعه ونوره بالايمان والنبوه ويسر لي
امري اي سهل علي ما امرتني به من تبليغ الرساله الى
فرعون واحلل عقده من لساني يعني العجمه التي كانت فيه
من جمرة النار التي القاها في فيه وهو طفل قال ابن عباس
كانت في لسانه رته وذلك انه كان في حجر فرعون ذات
يوم وهو طفل فلطمه لطمه واخذ بلحيته فنتفها فقال
فرعون لاسيته هذا عدوي فهات الذباحين فقالت اسيه
على رسلك فانه صبي لا يعرف بين الاشيا ثم اتت بطستين
فجعلت في احداهما جمرا وفي الاخر جوهرا فاخذ جبريل بيد
موسى فوضعها على النار حتى رفع جمرة ووضعها على لسانه
فكانت تلك الرته وروي ان يده احترقت وان فرعون
اجتهد في علاجها فلم تبرا ولما دعاه قال الى اي رب
تدعوني قال الى الذي ابرا يدي وقد عجزت عنها وعن
بعضهم انما لم تبرا يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعه
واحده فتنعقد بينهما حرمة المواكله ثم اختلف هل زالت

تلك الرثة فقيل زالت بدليل قوله قد اوتيت سولك يا موسى
وقيل لم تزل كلها بدليل قوله حكاية عن فرعون ولا يكاد يبين
ولانه لم يقل احلل كل لساني فدل على انه بقي في لسانه شي من
الاستمساك وقيل زالت بالكلية بدليل قوله اوتيت سولك
وانما قال فرعون ولا يكاد يبين لانه عرف منه تلك العقدة
في التربية وما ثبت عنده ان الافة زالت قلت وهذا
فيه نظر لانه لو كان ذلك لما قال فرعون ولا يكاد يبين حين
كلمه موسى بلسان ذلق فصيح والله اعلم وقيل ان تلك العقدة
حدثت بلسانه عند مناجاة ربه حتى لا يكلم غيره الا
باذنه يفقهوا قولي اي يعلموا ما اقوله لهم ويفهموه والفقه
في كلام العرب الفهم قال اعرابي لعيسى بن عمر شهدت عليك
بالفقه تقول منه فقه الرجل بالكسر وفلان لا يفقه ولا
ينفقه وافقهتك الشي ثم خص به علم الشريعة والعالم
به فقيه وقد فقه بالضم فقاهة وفقهه الله وتفقه
اذا تعاطى ذلك وفاقهته اذا باحثته في العلم قاله الجوهري
والوزير الموازر كالاكيل للمواكل لانه يحمل على السلطان
وزره اي ثقله وفي كتاب النسائي عن القاسم بن محمد
سمعت عمتي تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ولي منكم عملا فاراد الله به خيرا جعل الله له وزيرا صالحا
ان نسي

ينفقه

ان نسي ذكره وان ذكر اعانه ومن هذا المعنى قوله عليه السلام
ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا وله بطانتان
بطانة تامره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تامره
بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه (تعالى) رواه البخاري
فسال موسى الله تعالى ان يجعل له وزيرا لانه لم يرد ان
يكون مقصورا على الوزارة حتى لا يكون شريكا له في النبوة
ولولا ذلك لجاز ان يستوزره من غير مسالة وعين فقال
هارون وانتصب على البدل من قوله وزيرا او يكون منصوبا
باجعل على التقديم والتاخير والتقدير واجعل لي هارون
اخي وزيرا وكان هارون اكبر من موسى بسنة وقيل بثلاث
اشدد به ازري اي ظهري وازره قواه ومنه قوله تعالى
فازره فاستغلظ وقال ابو طالب
اليس ابونا هاشم شد ازره واوصى بنيه بالطعان وبالضرب
وقيل الازر العون اي يكون عونا يستقيم به امري قال الشاعر
شددت به ازري وايقنت انه اخو الفقر من ضاقت عليه مذاهبه
وكان هارون اكثر لحما من موسى واتم طولا وابيض جسما
وافصح لسانا ومات قبل موسى بثلاث سنين وكان في جبهة
هارون شامة وعلى ارنبة انف موسى شامة وعلى طرف
لسانه شامة ولم تكن على احد قبله ولا تكون على احد بعده

الازر الظهر من موضع الحقوين ومعناه تقوى به نفسي والازر
القوة ح

وقيل انها سبب العقلة في لسانه فالله اعلم واشركه في امري اي
في النبوة وتبليغ الرسالة قال المفسرون وكان هارون يومئذ
بمصر فامر الله موسى ان ياتي هو وهارون واوحى الى هارون
وهو بمصر ان يلتقي موسى فتلقاه الى مرحلة واخبره بما اوحي
اليه فقال له موسى ان الله امرني ان اتي فرعون فسالت ربي
ان يجعلك معي رسولا وقرا العامة اخي اشدد به بوصل الالف
واشركه بفتح الهمزة على الدعا اي اشدد يارب ازري
واشركه معي في امري وقرا ابن عامر ويحيى بن الحارث وابو
حيوة والحسن وعبد الله بن ابي اسحق اشدد بقطع الالف
واشركه بضم الالف اي انا افعل ذلك اشدد انا به ازري
واشركه انا يارب في امري قال النحاس جعلوا الفعلين
في موضع جزم جوابا لقوله اجعل لي وزيرا وهذه القراة
شاذة بعيدة لان جواب مثل هذا انما يخرج بمعنى الشرط
والمجازاة فيكون المعنى ان تجعل لي وزيرا من اهلي اشدد به
ازري واشركه في امري وامره النبوة والرسالة وليس
هذا اليه صلى الله عليه وسلم فيخبر به انما سال الله عز وجل
ان يشركه معه في النبوة وفتح اليا من اخي ابن كثير وابو
عمرو كي نسبحك كثيرا قيل معنى نسبحك نصلي لك ويحتمل
ان يكون التسبيح باللسان اي ننزهك عما لا يليق بجلالك
وكثيرا

وكثيرا نعت لمصدر محذوف ويجوز ان يكون نعتا للوقت
والادغام حسن وكذا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا
قال الخطابي البصير المبصر والبصير العالم بخفيات الامور
فالمعنى اي عالما بنا ومدركا لنا في صغرنا فاحسنت الينا
فاحسن الينا كذلك يا رب قوله تعالى قال قد اوتيت
سولك يا موسي لما ساله شرح الصدر وتيسير الامر الى
ما ذكر اجاب بقوله وانا م طلبته ومرغوبه والسول
الطلبه فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز
كلي بمعنى ماكول وقوله تعالى ولقد مننا عليك مرة اخرى
اي قبل هذه وهو حفظه سبحانه له من شر الاعدا
في الابتدا وذلك حين الذبح والله اعلم والمن الاحسان
والافضال وقوله اذ اوحينا الى امك ما يوحى قيل اوحينا
الهمنا وقيل اوحي اليها في النوم وقال ابن عباس اوحي اليها
كما اوحي الى النبيين ان اقذفيه في التابوت قال مقاتل
مومن ال فرعون هو الذي صنع التابوت ونجره وكان
اسمه حزبيل وكان التابوت من جميز فاقذفيه في اليم
اي اطرحيه في البحر نهر النيل فليلقه قال الفرا فاقذفيه
في اليم امر وفيه معنى المجازاة اي اقذفيه يلقه اليم وكذا
قوله اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ياخذه عدو لي

وعدو له يعني فرعون فاتخذت تابوتا وجعلت فيه قطعا
ووضعت فيه موسى وقيرت راسه وخصاصه يعني
شقوقه ثم القته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في
دار فرعون فساقه الله في ذلك النهر الى دار فرعون وروي
انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه
وجصصته وقيرته ثم القته في اليم وكان يشرع منه
الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على راس
بركة مع اسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح
فاذا صبي اصبح الناس فاحبه عدو الله حبا شديدا
لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر القران يدل على ان البحر
القاه بساحله وهو شاطبه فراى فرعون التابوت
بالساحل فامر باخذه ويحتمل ان يكون القاه اليم بموضع
من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه النهر فوهة
الى حيث البركه والله اعلم وقيل وجدته ابنة فرعون
وكان بها برص فلما فتحت التابوت شفيت وروي
انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا
عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت اسية فرات في
جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا صبي نوره
بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فاحبوه وكانت

لفرعون

لفرعون بنت برصا وقالت له الاطبا لا تبرا الا من قبل البحر
يوجد فيه شبه انسان دواوها ريقه فلطخت البرصا برصها
بريقه فبرات وقيل لما نظرت الي وجهه برات والله اعلم
وقيل وجدته جوار لامراه فرعون فلما نظر اليه فرعون فراى
صبيا من اصبح الناس وجها فاحبه فرعون فذلك قوله
تعالي والقيت عليك محبة مني قال ابن عباس احبه الله
وحببه الي خلقه وقال عطيه جعل عليه مسحة من جمال
لا يكاد يصبر عنه من راه وقال قتادة كانت في عيني
موسي ملاحة ما راه احدا الا احبه وعشقه وقال عكرمة
المعني جعلت فيك حسنا وملاحة فلا يراك احد الا احبك
وقال الطبري المعني والقيت عليك رحمتي وقال ابن زيد
جعلت من راك احبك حتي احبك فرعون فسلمت من شره
واحبتك اسيه بنت مزاحم فتبنت بك ولتصنع علي عيني
قال ابن عباس يريد ان ذلك بعيني حيث جعلت في التابوت
وحيث القي التابوت في البحر وحيث التقطك جواري امراه
فرعون فارادوا ان يفتحوا التابوت لينظرن ما فيه فقالت
منهن واحده لا تفتحنه حتي تاتين به سيدتكن فهو احظي لكن
عندها واجدر بان لا يتهمكن انكن وجدتن فيه شيئا
فاخذتموه لانفسكن وكانت امراه فرعون لا تشرب من الماء

الا ما استقينه اوليك الجواري فذهبوا بالتابوت اليها مغلقا
فلما فتحته فاخذته فدخلت به علي فرعون فقالت له قرة
عين لي ولك قال لها فرعون اما لك فنعم واما لي فلا فبلغنا ان
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لو ان فرعون قال نعم هو
قرة عين لي ولك لامن فصدق فقالت هبه لي ولا تقتله
فوهبه لها وقيل ولتصنع علي عيني اي تربي وتغذي علي
مراي مني قاله قتاده قال النحاس وذلك معروف في اللغة
يقال صنعت الفرس وصنعته اذا احسنت القيام
عليه والمعنى ولتصنع علي عيني فعلت ذلك وقيل اللام متعلقه
بما بعدها من قوله اذ تمشي اختك على التقديم والتاخير
فاذ ظرف لتصنع وقيل الواو في ولتصنع زايده وقرا
ابن القعقاع ولتصنع باسكان اللام علي الامر وظاهره
للمخاطب والمامور غايب وقرا ابو نهيك ولتصنع بفتح
التاء والمعنى ولتكون حركتك وتصرفك بمشيتي وعلي
عين مني ذكره المهدوي اذ تمشي اختك العامل في اذ تمشي
القيت او تصنع ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا
واخت اسمها مريم فتقول هل ادلكم علي من يكفله وذلك
انها خرجت متعرفة خبره وكان موسى لما وهبه فرعون
لامراته طلبت له المراضع وكان لا ياخذ من احد حتى اقبلت

اخته

فاخذته ووضعته في حجرها وناولته ثديها فمصه وفرح
به فقالوا لها تقيمين عندنا فقالت انه لا لبن لي ولكن ادلكم
على من يكفله وهم له ناصحون قال ومن هي قالت امي فقالوا
الها لبن قالت لبن اخي هارون وكان هارون اكبر من موسى بسنة
وقيل بثلاث وقيل باربع وذلك ان فرعون رحم بني اسرائيل
ورفع عنهم القتل اربع سنين فولد هارون فيها قاله ابن
عباس فجاءت الام فقبل ثديها فذلك قوله تعالى فرجعناك
الى امك كي تقر عينها ولا تحزن وروى عبد الحميد عن ابن
عامر كي تقر بكسر القاف قال الجوهري وقررت به عينا
وقررت به عينا قرة وقرورا فيهما ورجل قرير العين
وقد قرت عينه تقر وتقر نقيض سخنت واقر الله عينه
اي اعطاه حتى تقر فلا تطمح الى من هو فوقه ويقال حتى
تبرد ولا تسخن فللسرور دمعة باردة وللحزن دمعة
حارة وقد تقدم في مريم ولا تحزن اي على فقدك وقتلت
نفسا قال ابن عباس قتل قبطيا كافرا قال كعب وكان
اذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة في صحيح مسلم وكان قتله
خطأ على ما يأتي فنجيناك من الغم اي امناك من الخوف والقتل
والحبس وفتناك فتونا اي اختبرناك اختبارا حتى صلحت
للرسالة وقال قتادة بلوناك بلاء مجاهد اخلصناك

اخلاصا وقال ابن عباس اختبرناك بالشيا قبل الرسالة اولها
حملته امه في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم
القاوه في اليم ثم منعه من الرضاع الا من ثدي امه ثم جره
بلحية فرعون ثم تناوله الجمره بدل الدره فدرا ذلك عنه
قتل فرعون ثم قتله القبطي وخروجه خايفا يترقب ثم
رعاية الغنم ليتدرب بها على رعاية الخلق فيقال انه ند
له من الغنم جدي فاتبعه اكثر النهار واتعبه ثم اخذه
فقبله وضمه الى صدره وقال له اتعبتني واتعبت نفسك
ولم يغضب عليه قال وهب بن منبه ولهذا اتخذه الله
كليما وقد مضى في النسا قوله تعالى فلبثت سنين
في اهل مدين يريد عشر سنين اتم الاجلين وقال وهب
لبث عند شعيب ثمانية وعشرين سنة منها عشر مهر
امراته صفورا بنت شعيب وثمانية عشر اقامة
عنده حتى ولد له عنده وقوله جيت على قدر ياموسى
قال ابن عباس وقتادة وعبد الرحمن بن كيسان يريد موافقا
للنبوه والرساله لان الانبيا لا يبعثون الا ابنا اربعين سنه
وقال مجاهد ومقاتل على قدر على وعد وقال محمد بن كعب
ثم جيت على القدر الذي قدرت لك انك تجي فيه والمعنى
واحد اي جيت في الوقت الذي اردنا ارسالك فيه وقال الشاعر
نال الخلافه

نال الخلافة او كانت له قدرا كما اتى ربه موسى على قدر

قوله تعالى واصطنعتك لنفسي قال ابن عباس اي اصطفيتك
لوحيي ورسالتي وقيل اصطنعتك خلقتك ماخوذ من الصنعة
وقيل قويتك وعلمتك لتبلغ عبادي امري قوله تعالى اذهب
انت واخوك باياتي قال ابن عباس يريد التسع ايات التي
انزلت عليه ولا تنيا قال ابن عباس يضعفا اي في امر الرسالة
وقاله قتادة وقيل تفترا قال الشاعر

فما ونى محمد مذ ان غفر له الاله ما مضى وما غبر

والونى الضعف والفتور والكلال والاعيا وقال امرؤ القيس

مسح اذا ما السابحات على الونى اثرن غبارا بالكديد المركل

يقال ونيت في الامر اني ونا وونيا اي ضعفت فانا وان
وناقة وانية واونيتها انا اضعفتها واضعفتها وفلان لا يني
كذا اي لا يزال وبه فسر ابان معنى لا يني واستشهد بقول طرفة

كان القدور الراسيات امامهم قباب بنوها لا تني ابدا تغلي

وعن ابن عباس ايضا لا تبطيا وفي قراءة ابن مسعود ولا
تهنا في ذكري وتحميدي وتمجيدي وتبليغ رسالتي قوله
تعالى اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا فيه
اربع مسايل الاولى قوله تعالى اذهبا امر في اول
الاية اذهب انت واخوك باياتي وقال هنا اذهبا فقيل

امر الله تعالى موسى وهارون في هذه الاية بالنفوذ الى دعوة
فرعون وخاطب اولا موسى وحده تشريفا له ثم كرر للتاكيد
وقيل بين بهذا انه لا يكفي ذهاب احدهما وقيل الاول امر بالذهاب
الى كل الناس و... الثاني بالذهاب الى فرعون الثانية في قوله
تعالى فقولا له قولا لينا دليل على جواز الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وان ذلك يكون باللين من القول لمن معه القوة وضمنت
له العصمة الا ترى انه قال فقولا له قولا لينا وقال لا تخافا انني
معكما اسمع وارى فكيف بنا فنحن اولى بذلك وحينئذ
يحصل الامر والناهي على مرغوبه ويظفر بمطلوبه وهذا
واضح الثالثة واختلف الناس في معنى قوله لينا فقالت
فرقة منهم الكلبي وعكرمة معناه كنياه وقاله ابن عباس
ومجاهد والسدي ثم قيل كنيته ابو العباس وقيل ابو
الوليد وقيل ابو مرة فعلى هذا القول تكنية الكافر جائزة
اذا كان وجيها ذا شرف وطمع باسلامه وقد يجوز ذلك
وان لم يطمع باسلامه لان الطمع ليس بحقيقة يوجب عملا
وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه
ولم يقل وان طمعتم في اسلامه ومن الاكرام دعاوه بالكنية
وقد قال صلى الله عليه وسلم لصفوان بن امية انزل ابا وهب
فكناه وقال لسعد الم تسمع ما قال ابو حباب يعني عبد الله
بن ابي

وجيها

مطلب في القول اللين

بن ابي وروي في الاسرايليات ان موسي عليه السلام قام
علي باب فرعون سنة لا يجد رسولا يبلغ كلاما حتي خرج
فجري له ما قص الله علينا من ذلك وكان ذلك تسلية لمن جا
بعده من المومنين في سيرتهم مع الظالمين وربك اعلم بالمهتدين
وقيل قال له موسي تومن بما جيت به وتعبد رب العالمين علي
ان لك شبابا لا تهرم الي الموت وملكا لا ينزع منك الي الموت
وبينا في احلك اربع مائة سنه فاذا مت دخلت الجنه فهذا
القول اللين وقال ابن مسعود القول اللين قوله تعالي فقل هل
لك الي ان تزكي واهديك الي ربك فتخشي وقد قيل ان القول اللين
قول موسي يا فرعون انا رسول رب العالمين فسماه بهذا الاسم
لانه كان احب اليه مما قيل له كما يسمي عندنا الملك ونحوه قلت
القول اللين هو القول الذي لا خشونة فيه يقال لان الشي يلين
لينا وشي لين ولين لينا فاذا كان موسي امر بان يقول لفرعون
قولا لينا فمن دونه احري بان يقتدي بذلك في خطابه
وامره بالمعروف في كلامه وقد قال تعالي وقولوا للناس حسنا
علي ما تقدم في البقرة بيانه الرابعة قوله تعالي لعله
يتذكر او يخشي معناه علي رجايكما وطمعكما فالتوقع فيها
انما هو راجع الي جهة البشر قاله كبرا النحويين سيبويه
وغيره وقد تقدم في اول البقرة قال الزجاج لعل لفظة طمع

بلغ مقابلة

ويرجى فخاطبهم بما يعقلون وقيل لعل هاهنا بمعنى الاستفهام
والمعنى فانظر هل يتذكر وقيل هي بمعنى كي وقيل هو اخبار
من الله تعالى عن قول هارون لموسى لعله يتذكر او يخشى قاله
الحسن وقيل ان لعل وعسى في جميع القران لما قد وقع وقد
تذكر فرعون حين ادركه الغرق وخشى فقال امنت انه لا
اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل وانا من المسلمين ولكن لم ينفعه
ذلك قاله ابو بكر الوراق وغيره وقال يحيى بن معاذ في هذه
الاية هذا رفقك بمن يقول انا الاله فكيف رفقك بمن يقول
انت الا له وقد قيل ان فرعون ركن الى قول موسى لما دعاه
وشاور امراته فامنت واشارت عليه بالايمان فشاور
هامان فقال لا تفعل بعد ان كنت مالكا تصير مملوكا وبعد
ان كنت ربا تصير مربوبا وقال له انا اردك شابا فخضب
لحيته بالسواد فهو اول من خضب قوله تعالى
قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال الضحاك يفرط
يعجل قال ويطغى يعتدي النحاس التقدير نخاف ان يفرط علينا
منه امر اي يبدر قال الفرا فرط منه امر قال وافرط اسرف
قال وفرط ترك وقراة الجمهور يفرط بفتح اليا وضم الرا
ومعناه يعجل ويبادر بعقوبتنا يقال فرط مني امر اي بدر
ومنه الفارط في الما الذي يتقدم القوم الى الما اي يعذبنا
عذاب الفارط

عذاب الفارط في الذنب وهو المتقدم فيه قاله المبرد وقرات
فرقة منهم ابن محيصن يفرط بفتح اليا والرا ومعناها
ان يحمله حامل على التسرع اليهما وقرات طايفة يفرط بضم
اليا وكسر الرا وبها قرا ابن عباس ومجاهد وعكرمة وابن
محيصن ايضا ومعناه يشتط في اذيتنا قال الراجز
قد افرط العلج علينا وعجل قوله تعالى قال لا تخافا
انني معكما اسمع وارى فيه مسلتان الاولى قال العلما لما لحقهما
ما يلحق البشر من الخوف على انفسهما عرفهما سبحانه ان فرعون
لا يصل اليهما ولا قومه وهذه الاية ترد على من قال انه لا
يخاف والخوف من الاعدا سنة الله في انبيايه واوليايه
مع معرفتهم به وثقتهم ولقد احسن البصري رحمه الله حين
قال للمخبر عن عامر بن عبد الله انه نزل مع اصحابه في طريق
الشام على ماء فحال الاسد بينهم وبين الما فجا عامر الى
الما فاخذ منه حاجته فقيل له قد خاطرت بنفسك فقال
لان تختلف الاسنة في جوفي احب الي من ان يعلم الله اني
اخاف شيا سواه قد خاف من كان خيرا من عامر موسى
صلى الله عليه وسلم حين قال له ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك
فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خايفا يترقب قال
رب نجني من القوم الظالمين وقال فاصبح في المدينة خايفا

مطلب شريف

الرجل

يترقب وقال حين القى السحرة حبالهم وعصيهم فاوجس
في نفسه خيفة موسي قلنا لا تخف انك انت الاعلى قلت وقد
حفر النبي صلى الله عليه وسلم الخندق حول المدينة تحصينا
للمسلمين واموالهم مع كونه من التوكل والثقة بربه بمحل
لم يبلغه احد ثم كان من اصحابه ما لا يجهله احد من تحولهم
عن منازلهم مرة الي الحبشة ومرة الي المدينة تخوفا على انفسهم
من مشركي مكة وهربا بدينهم ان يفتنوهم عنه بتعذيبهم وقد
قالت اسما بنت عميس لعمر لما قال لها سبقناكم للهجرة
فنحن احق برسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت يا عمر
كلا والله كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جايعكم
ويعظ جاهلكم وكنا في دار او ارض البعدا البغضا في الحبشة
وذلك في الله وفي رسوله وايم الله لا اطعم طعاما ولا اشرب
شرابا حتى اذكر ما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن كنا نوذي ونخاف الحديث بطوله خرجه مسلم قال
العلما فالمخبر عن نفسه بخلاف ما طبع الله نفوس بني ادم
كاذب وقد طبعهم على الهرب مما يضرها ويولمها ويتلفها
قالوا ولا ضار اضر من سبع عاد في فلاة من الارض على من
لا الة معه يدفعه بها عن نفسه من سيف او رمح او
نبل او قوس وما اشبه ذلك الثانية قوله تعالى
انني معكما

انني معكما يريد بالنصر والمعونه والقدره علي فرعون
وهذا كما يقول الامير مع فلان اذا اردت انه حميه وقوله
اسمع واري عبارة عن الادراك الذي لا تخفي معه خافيه
تبارك الله احسن الخالقين قوله تعالي فأتياه فقولا
انا رسولا ربك في الكلام حذف والمعني فاتياه فقالا له ذلك
فارسل معنا بني اسرايل اي خل عنهم ولا تعذبهم اي بالسخره
والتعب في العمل وكانت بنو اسرايل عند فرعون في عذاب
شديد يذبح ابناهم ويستخدم نساهم ويكلفهم من العمل
في الطين واللبن وبنا المداين ما لا يطيقونه قد جيناك باية
من ربك قال ابن عباس يريد العصا واليد وقيل ان فرعون قال
له وما هي فادخل يده في جيب قميصه ثم اخرجها بيضا
لها شعاع مثل شعاع الشمس فعجب منها ولم يره العصا
الا يوم الزينة والسلام علي من اتبع الهدي سلم من سخط الله
جل وعز وعذابه قال وليس بتحية قال والدليل علي ذلك انه
ليس بابتداء لقاء ولا خطاب الفرا السلام علي من اتبع
الهدي ولمن اتبع الهدي سوا انا قد اوحي الينا ان العذاب
يعني الهلاك والدمار في الدنيا والخلود في جهنم في الاخره
علي من كذب انبيا الله وتولي اعرض عن الايمان وقال ابن عباس
هذه ارجي اية للموحدين لانهم لم يكذبوا ولم يتولوا قوله تعالى

قال فمن ربكما يا موسى ذكر فرعون موسى دون هارون لرؤس الاي
وقيل خصصه بالذكر لانه صاحب الرسالة والكلام والاثر
وقيل انهما جميعا بلغا الرسالة وان كان ساكتا لانه في وقت
الكلام انما يتكلم واحد فاذا انقطع وازره الاخر وايده
فصار لنا في هذا النباء فايدة علم ان الاثنين اذا قلدا امرا فقام
به احدهما والاخر شخصه هناك موجود مستغني عنه في وقت
دون وقت انهما اديا الامر الذي قلدا وقاما به واستوجبا
الثواب لان الله تعالي قال اذهبا الي فرعون وقال اذهب
انت واخوك وقال فقولا له فامرهما جميعا بالذهاب وبالقول
ثم اعلمنا في وقت الخطاب يقول له فمن ربكما انه كان حاضرا
مع موسي قال موسي ربنا الذي اعطي كل شي خلقه اي انه
يعرف بصفاته وليس له اسم علم حتي يقال فلان بل هو
خالق العالم وهو الذي خص كل مخلوق بهية وصورة
ولو كان الخطاب معهما لقالا قالا ربنا وخلقه اول مفعولي
اعطي اي اعطي خليقته كل شي يحتاجون اليه ويرتفقون
به او ثانيهما اي اعطي كل شي صورته وشكله الذي يطابق
المنفعة المنوطة به علي قول الضحاك علي ما ياتي ثم هدي
قال ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي اعطي كل شي
زوجة من جنسه ثم هداه الي منكحه ومطعمه ومشربه
ومسكنه

ومسكنه وعن ابن عباس ثم هداه الى الألفة والاجتماع والمناكحه
وقال الحسن وقتاده اعطي كل شي صلاحه وهداه لما يصلحه
وقال مجاهد اعطي كل شي صورته لم يجعل خلق الانسان في خلق
البهايم ولا خلق البهايم في خلق الانسان ولكن خلق كل شي
فقدره تقديرا وقال الشاعر

وله في كل شي خلقة وكذاك الله ما شا فعل يعني بالخليقة

وهو قول عطيه ومقاتل وقال الضحاك اعطي كل شي خلقه من
المنفعه المنوطة به المطابقة له يعني اليد للبطش والرجل
للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع وقيل اعطي
كل شي ما الهمه من علم او صناعه وقال الفرا خلق الرجل للمراه
ولكل ذكر ما يوافقه من الاناث ثم هدي الذكر للانثي فالتقدير
على هذا اعطي كل شي مثل خلقه قلت وهذا معنى قول
ابن عباس والايه بعمومها تتناول جميع الاقوال وروي
زايده عن الاعمش انه قرا الذي اعطي كل شي خلقه بفتح
اللام وهي قراه ابن ابي اسحق ورواها نصير عن الكساي
وغيره اي اعطي بني ادم كل شي خلقه مما يحتاجون اليه
فالقراتان متفقتان في المعني قوله تعالي قال فما بال
القرون قال علمها عند ربي في كتاب فيه اربع مسايل الاولي
قوله تعالي فما بال البال الحال اي ما حالها وما شانها فاعلمه

الاولي

ان علمها عند الله تعالى اي ان هذا من علم الغيب الذي سالت عنه
وهو مما استاثر الله تعالى به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك
لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب وعلم احوال القرون
مكتوبة عند الله في اللوح المحفوظ وقيل المعنى فما بال القرون
الاولى لم يقروا بذلك اي فما بالهم ذهبوا وقد عبدوا غير ربك
وقيل انما ساله عن اعمال القرون الاولى فاعلمه انها محصاة
عند الله عز وجل ومحفوظة عنده في كتاب اي هي مكتوبة
فسيجازيهم غدا بها وعليها وعنى بالكتاب اللوح المحفوظ
وقيل هو كتاب مع بعض الملايكة الثانية هذه الاية
ونظايرها مما تقدم وياتي يدل على تدوين العلوم وكتبها
ليلا تنسى فان الحفظ قد يعتريه الافات من الغلط والنسيان
وقد لا يحفظ الانسان ما يسمع فيقيده ليلا يذهب عنه
وروينا بالاسناد المتصل عن قتادة انه قيل له انكتب
ما نسمع منك قال وما يمنعك ان تكتب وقد اخبرك اللطيف
الخبير انه يكتب فقال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي
ولا ينسى وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتاب
على نفسه فهو موضوع عنده ان رحمتي تغلب غضبي
واسند الخطيب ابو بكر عن ابي هريرة قال كان رجل من
الانصار

الانصار يجلس الى النبي صلى الله عليه وسلم يستمع منه الحديث
ويعجبه ولا يحفظه فشكى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله اني اسمع منك الحديث يعجبني ولا
احفظه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استعن
بيمينك واوما الى الخط وهذا نص على جواز كتب العلم
وتدوينه جمهور الصحابة والتابعين وقد امر صلى الله عليه
وسلم بكتب الخطبة التي خطب بها في الحج لابي شاه
رجل من اليمن لما ساله كتبها اخرجه مسلم وروى عمرو
بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال قيدوا العلم بالكتاب وقال معاوية بن قرة من لم
يكتب العلم لم تعد علمه علما وقد ذهب قوم الى المنع من
الكتب فروى ابو نضرة قال قيل لابي سعيد انكتب حديثكم
هذا قال لم تجعلونه قرانا ولكن احفظوا كما حفظنا وممن
كان لا يكتب الشعبي ويونس بن عبيد وخالد الحذاء قال
خالد ما كتبت شيا قط الا حديثا واحدا فلما حفظته
محوته وابن عون والزهري وقد كان بعضهم يكتب
فاذا حفظ محاه منهم محمد بن سيرين وعاصم بن ضمرة
وقال هشام بن حسان ما كتبت حديثا قط الا حديث
الاعماق فلما حفظته محوته قلت وقد ذكرنا عن خالد

الحذا مثل هذا وحديث الاعماق خرجه مسلم في اخر الكتاب لا
تقوم الساعة حتى ننزل الروم بالاعماق او بدابق الحديث
ذكره في كتاب الفتن وكان بعضهم يحفظ ثم يلتب ما يحفظ
منهم الاعمش وعبد الله بن ادريس وهشيم وغيرهم وهذا
احتياط على الحفظ والكتابة اولى على الجملة وبه وردت
الاي والاحاديث وهو مروي عن عمر وعلي وجابر
وانس ومن يليهم من كبرا التابعين كالحسن وعطا
وطاووس وعروة بن الزبير ومن بعدهم من اهل العلم قال
الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شي وقال ولقد
كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون
وقال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة الاية وقال وكل شي
فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر قال وعلمها عند
ربي في كتاب الى غير هذا من الاي وايضا فان العلم لا ينضبط
الا بالكتاب ثم بالمقابلة والمدارسة والتعهد والتحفظ
والمذاكرة والسوال والفحص عن الناقلين والتفقه بما نقلوا
وانما كره الكتاب من كره من الصدر الاول لقرب العهد
وتقارب الاسناد ولئلا يعتمده الكاتب فيهمله
او يرغب عن حفظه والعمل به فاما والوقت متباعد
والاسناد غير متقارب والطرق مختلفة والنقلة
متشابهون

متيننا بهون واقة النسيان معترضة والوهم غير مأمون
فان تقييد العلم بالكتاب اولى واشفى والدليل على وجوبه
اقوى فان احتج محتج بحديث ابى سعيد عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا تكتبوا عني غير القران ومن كتب عني غير القران
فليمحه خرجه مسلم فالجواب ان ذلك كان متقدما فهو
منسوخ بامره بالكتابة واباحتها لابي شاه وغيره وايضا
كان ذلك لئلا يختلط بالقران ما ليس منه وكذا ما روى عن ابي
سعيد ايضا حرصنا ان ياذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم
في الكتابة فابى ان كان محفوظا فهو قبل الهجرة وحين كان
لا يؤمن الاشتغال به عن القران **الثالثة** قال ابو بكر
الخطيب ينبغي ان يكتب الحديث بالسواد ثم بالحبر خاصة
دون المداد لان السواد اصبغ الالوان والحبر ابقاها
على مر الدهور وهو آلة ذوي العلم وعدة اهل المعرفة
ذكر عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني ابي قال رآني الشافعي
وانا في مجلسه وعلى قميصي حبر وانا اخفيه فقال
لم تخفيه وتستره ان الحبر على الثوب من المروءة لان
صورته في الابصار سواد وفي البصائر بياض وقال
خالد بن يزيد الحبر في ثوب صاحب الحديث مثل الخلوق
في ثوب العروس واخذ هذا المعنى ابو عبد الله البلوي فقال

مداد المحابر طيب الرجال وطيب النسا من الزعفران
فهذا يليق باثواب ذا وهذا يليق بثوب الحصان
وذكر الماوردي ان عبيد الله بن سليمان فيما حكي راي علي
بعض ثيابه اثر صفره فاخذ من مداد الدواه فطلابه ثم
قال المداد ابنا احسن من الزعفران وانشد
انها الزعفران عطر العذاري ومداد الدوي عطر الرجال
الرابعة قوله تعالي لا يضل ربي ولا ينسي اختلف في
معناه علي اقوال خمسه الاول انه ابتدا كلام تنزيه لله
تعالي عنهما اي عن الصفتين وقد كان الكلام تم في قوله
كتاب وكذا قال الزجاج وان معني لا يضل لا يهلك من قوله ايذا
ضللنا في الارض ولا ينسي شيا نزهه عن الهلاك والنسيان
القول الثاني لا يضل لا يخطي قاله ابن عباس اي لا يخطي في التدبير
فمن انظره فلحكمه انظره ومن عاجله فلحكمه عاجله القول
الثالث لا يضل لا يغيب قال ابن الاعرابي اصل الضلال الغيبوبه
يقال اضل الناسي اذا غاب عنه حفظ الشي قال ومعني لا يضل
ربي ولا ينسي اي لا يغيب عنه شي ولا يغيب عن شي القول الرابع
قاله الزجاج ايضا وقال النحاس وهو اشبهها بالمعني اخبر الله
عز وجل انه لا يحتاج الي كتاب والمعني لا يضل عنه علم شي
من الاشيا ولا معرفتها ولا ينسي ما علمه منها قلت وهذا
القول

القول راجع الى معنى قول ابن الاعرابي وقول خامس ان
لا يضل ربي ولا ينسى في موضع الصفة لكتاب اى الكتاب
غير ضال عن الله جل وعز اى غير ذاهب عنه ولا ينسى
اي غير ناسٍ له فهما نعتان لكتاب وعلى هذا يكون الكلام
متصلا ولا يوقف على كتاب تقول العرب ضلني الشي اذا لم
اجده واضللته انا اذا تركته في موضع فلم تجده فيه وقرا
الحسن وقتاده وعيسى بن عمر وابن محيصن وعاصم الجحدري
وابن كثير فيما روي شبل عنه لا يُضل بضم اليا على معنى لا يضيعه
ربي ولا ينساه قال ابن عرفه الضلاله عند العرب سلوك سبيل
غير القصد يقال ضل عن الطريق واضل الشي اذا اضاعه ومنه
قرا من قرا لا يُضل ربي اى لا يضيع هذا مذهب العرب قوله
تعالى الذي جعل لكم الارض مهادا الذي في موضع رفع
نعت لربي اي لا يضل ربي الذي جعل ويجوز ان يكون خبر
ابتدا مضمر اي هو الذي ويجوز ان يكون منصوبا باضمار
اعني وقرا الكوفيون مهدا هنا وفي الزخرف بفتح الميم
واسكان الها الباقون مهادا واختاره ابو عبيد وابو
حاتم لاتفاقهم على قراة الم نجعل الارض مهادا النحاس
والجميع اولى لان مهدا مصدر وليس هذا موضع مصدر
الا على حذف اى ذات مهد المهد وي ... ومن قرا

مهداً جاز ان يكون مصدراً كالفرش اي مهد لكم الارض مهداً وجاز
ان يكون على تقدير حذف مضاف اي ذات مهد ومن قرا مهاداً
جاز ان يكون مفرداً كالفراش وجاز ان يكون جمع مهد استعمل
استعمال الاسما فكسر ومعنى مهاداً اي فراشا وقراراً
تستقرون عليها وسلك لكم فيها سبلا اي طرقا نظيره
والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا
وقال الذي جعل لكم الارض مهاداً وجعل لكم فيها سبلا لعلكم
تهتدون وانزل من السما ما تقدم معناه وهذا اخر كلام
موسى ثم قال الله تعالى فاخرجنا وقيل ذلك من كلام موسى
والمعنى فاخرجنا به اي بالحرث والمعالجه لان الما المنزل سبب
خروج النبات ومعنى ازواجا ضروبا واشباها اي اصنافا
من النبات المختلفة الازواج والالوان وقال الاخفش التقدير
ازواجا شتى من نبات قال وقد يكون النبات شتى فشتى يجوز
ان يكون نعتا للازواج ويجوز ان يكون نعتا للنبات وشتى
ماخوذ من شت الشي اي تفرق يقال امر شتيت اي متفرق
وشت الامر شتا وشتاتا تفرق واشتت مثله وكذلك
التشتت وشتته تشتيتا فرقه واشتت بي قومي اي فرقوا
امري والشتيت المتفرق قال روبة يصف ابلا ؛
جاءت معا واطرقت شتيتا وهي تثير الساطع السختيتا ؛؛
وثغر

وتغر شتت اي مفلج وقوم شتي واشيا شتي وتقول جاءوا
اشتاتا اي متفرقين واحدهم شت قاله الجوهري
قوله تعالي كلوا وارعوا انعامكم امر اباحة وارعوا من
رعت الماشية الكلا ورعاها صاحبها رعاية اي اسامها
وسرحها لازم ومتعد ان في ذلك لايات لاولي النهي اي
العقول الواحده نهية قال لهم ذلك لانهم الذي ينتهي الي
رايهم وقيل لانهم ينهون النفس عن القبايح وهذا كله من موسي
احتجاج علي فرعون في اثبات الصانع جوابا لقوله فمن ربكما
ياموسي و بين انه انما يستدل علي الصانع اليوم بافعاله
قوله تعالي منها خلقناكم يعني ادم عليه السلام لانه خلق
من الارض قاله ابو اسحاق الزجاج وغيره وقيل كل نطفه مخلوقة
من التراب علي هذا يدل ظاهر القران وروي ابو هريرة قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم ما من مولود الا وقد ذر عليه
من تراب حفرته اخرجه ابو نعيم الحافظ في باب ابن سيرين
وقال هذا حديث غريب من حديث عون لم نكتبه الا من حديث
ابي عاصم النبيل وهو احد الثقات الاعلام من اهل البصرة
وقد مضي هذا المعني مبينا في سورة الانعام عن ابن مسعود
وقال عطا الخراساني اذا وقعت النطفة في الرحم انطلق
الملك الموكل بالرحم فاخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه

قبدره على النطفة فيخلق الله النسمة من النطفة ومن التراب
فذلك قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم
تارة اخرى وفي حديث البرا عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان العبد المومن اذا اخرجت روحه صعدت به الملايكه
فلا يمرون بها على ملاء من الملايكة الا قالوا ما هذه الروح
الطيبه فيقولون فلان بن فلان باحسن اسمايه الذين كانوا
يسمونه بها في الدنيا فيستفتحون لها فيفتح فيشيعه
من كل سما مقربوها الى السماء التي تليها حتى ينتهي بها الى
السما السابعه فيقول الله عز وجل اكتبوا العبدي كتابا
في عليين واعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها اعيدهم
ومنها اخرجهم تارة اخرى فتعاد روحه في جسده
وذكر الحديث وقد ذكرناه بكماله في كتاب التذكره وروى
من حديث علي رضي الله عنه ذكره الثعلبي ومعنى وفيها
اي نعيدكم اي بعد الموت ومنها نخرجكم للبعث والحساب
تارة اخرى يرجع هذا الى قوله منها خلقناكم لا الى نعيدكم
وهو كقوله اشتريت ناقة ودارا وناقه اخرى فالمعنى
من الارض اخرجناكم ونخرجكم بعد الموت من الارض تاره
اخرى قوله تعالى ولقد اريناه اياتنا كلها اي المعجزات
الداله على نبوة موسى وقيل حجج الله الداله على توحيده
فكذب وابى

فكذب وابى اى لم يومن وهذا يدل على انه كفر عناداً لانه
راى الايات عيانا لا خبرا نظيره وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا **قوله تعالى** قال اجيتنا لتخرجنا
من ارضنا بسحرك يا موسى لما راى الايات التى اتى بها موسى
قال انها سحر والمعنى جيت لتوهم الناس انك جيت باية
توجب اتباعك والايمان بك حتى تغلب علينا وعلى ارضنا
فلناتينك بسحر مثله اى لنعارضك بمثل ما جيت به
لتبين للناس انما اتيت به ليس من عند الله فاجعل بيننا
وبينك موعداً هو مصدر اى وعداً وقيل الموعد اسم
لمكان الوعد كما قال وان جهنم لموعدهم اجمعين فالموعد
هاهنا مكان وقيل الموعد اسم لزمان الوعد لقوله ان موعدهم
الصبح فالمعنى اجعل لنا يوما معلوما او مكانا معروفا قال
القشيرى والاظهر انه مصدر ولهذا قال لا نخلفه اى لا
نخلف ذلك الوعد والاخلاف ان يعد شيا ولا ينجزه وقال
الجوهرى والميعاد المواعدة والوقت والموضع وكذلك
الموعد وقرا ابو جعفر بن القعقاع وشيبة والاعرج
لا نخلفْه بالجزم جوابا لقوله اجعل ومن رفع فهو نعت
لموعد والتقدير موعداً غير مخلف مكانا سوى قرا عامر
وعاصم وحمزه سوى بضم السين والباقون بكسرها

وهما لغتان مثل عدا وعُدا وطِوى وطُوى واختاره ابو
عبيد وابو حاتم كسر السين لانها اللغة العالية الفصيحة
وقال النحاس والكسر اعرف واشهر وكلهم نوّن الواو
وقد روي عن الحسن واختلف عنه ضم السين بغير تنوين
واختلف في معناه فقيل سوى هذا المكان قاله الكلبي
وقيل مكانا مستويا تتبين للناس ما بيننا فيه قاله ابن
زيد ابن عباس نصفا مجاهد منصفا وعنه ايضا وقتادة
عدلا بيننا وبينك وقال النحاس واهل التفسير على ان معنى
سوى نصف وعدل وهو قول حسن قال سيبويه سوى
وسُوى اى عدل يعني عدلا بين المكانين فيه النصفة واصله
من قولك جلس في سواء الدار بالمد اي في وسطها ووسط
كل شيء اعدله وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك
جعلناكم امة وسطا اي عدلا وقال زهير
ارونا خطة لا ضيم فيها يسوى بيننا فيها السواء وقال
ابو عبيد والقتبي وسطا بين الفريقين وانشد ابو عبيد
لموسى بن جابر الحنفي وان ابانا كان حل ببلدة سوى
بين قيس قيس عيلان والفزر والفزر سعد
ابن زيد مناة وقال الاخفش سوى اذا كان يعني غير
او بمعنى العدل يكون فيه ثلاث لغات ان ضممت السين
او كسرت

بلغ

او كسرت قصرت فيهما جميعا وان فتحت مددت تقول مكانا
سوي وسوي وسوا اي عدل ووسط فيما بين الفريقين
قال موسي بن جابر وجدنا ابانا كان حل ببلدة البيت
وقيل مكانا سوي اي قصدا وانشد صاحب هذا القول
لو تمنت حبيبتي ما عدتني او تمنيت ما عدوت سواها
وتقول مررت برجل سواك وسواك اي غيرك وهما في
هذا الامر سوا وان شيت سوا ان وهم سوا للجميع
وهوا سوا وهم سواسية مثل ثمانية علي غير قياس
وانتصب مكانا علي المفعول الثاني لجعل ولا يجيز انتصابه
بالموعد علي انه مفعول او ظرف له لان الموعد قد وصف
والاسما التي تعمل عمل الافعال اذا وصفت او صغرت لم
ينبغ ان تعمل لخروجها عن شبه الفعل ولم يحسن حمله
علي انه ظرف وقع موقع المفعول الثاني لان الموعد اذا
وقع بعده ظرف لم تجزه العرب مجرى المصادر مع الظروف
لكنهم يتسعون فيه كقوله تعالى ان موعدهم الصبح وموعدكم
يوم الزينه واختلف في يوم الزينه فقيل هو يوم عيد
كان لهم يتزينون ويجتمعون فيه قاله قتاده
والسدي وغيرهما قال ابن عباس وسعيد بن جبير
كان يوم عاشورا قال سعيد بن المسيب يوم سوق

كان عندهم يتزينون فيها وقاله قتاده ايضا وقال الضحاك
يوم السبت وقيل يوم النيروز ذكره الثعلبي وقيل يوم
يكسر فيه الخليج وذلك انهم يخرجون فيه يتفرجون
ويتنزهون وعند ذلك تامن الديار المصرية من قبل
النيل وقرا الحسن والاعمش وعيسى الثقفي والسلمي وهبيرة
عن حفص يوم الزينة بالنصب وروي عن ابي عمرو
اي في يوم الزينة انجاز موعدنا الباقون بالرفع على انه
خبر الابتدا وان يحشر الناس ضحى اي وجمع الناس فان
في موضع رفع على قراة من قرا بالرفع وعطف وان يحشر
يقوي قراة الرفع لان ان لا تكون ظرفا وان كان المصدر
الصريح يكون ظرفا كمقدم الحاج لان من قال اتيك مقدم
الحاج لم يقل اتيك ان يقدم الحاج النحاس واولى من هذا
ان يكون في موضع خفض عطفا على الزينه والضحى
مونثة تصغرها العرب بغير ها لئلا يشتبه تصغيرها
تصغير ضحوه قاله النحاس وقال الجوهري ضحوه النهار
بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى وهي حين تشرق
الشمس مقصورة تونث وتذكر فمن انث ذهب
الى انها جمع ضحوه ومن ذكر ذهب الى انه اسم على فعل
مثل صرد ونغر وهو ظرف غير متمكن مثل سحر
تقول

نقول لقيته ضحي وضحي اذا اردت به ضحي يوم لم تونه
ثم بعده الضحي ممدود مذكر وهو عند ارتفاع النهار
الاعلي وخص الضحي لانه اول النهار فلو امتد الامر فيما
بينهم كان في النهار متسع وروي عن ابن مسعود
والجحدري وغيرهما وان يحشر الناس ضحي بمعني وان يحشر علي
الله الناس ونحوه وعن بعض القرا وان نحشر الناس
والمعني وان نحشر انت يا فرعون الناس وعن الجحدري
ايضا وان تحشر بالتون انما واعدهم ذلك اليوم ليكون
علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق
الباطل علي روس الاشهاد وفي المجمع الغاص لتقوي رغبة
من رغب في الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر
المحدث بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر ويشيع في
جميع اهل الوبر والمدر قوله تعالي فتولي فرعون فجمع
كيده اي جنده وسحره والمراد جمع السحرة قال
ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر منهم
حبال وعصي وقيل كانوا اربع مايه وقيل كانوا اثني عشر
الفا وقيل اربعة عشر الفا وقال ابن المنكدر كانوا ثمانين
الفا وقيل كانوا مجتمعين علي رييس يقال له شمعون
وقيل كان اسمه يوحنا معه اثنا عشر نقيبا مع كل

نقيب عشرون عريفا مع كل عريف الف ساحر وقيل كانوا
ثلثماية الف ساحر من الفيوم وثلاث ماية الف ساحر من
الصعيد وثلاث ماية الف ساحر من الريف فصاروا
تسع ماية الف وكان راسهم اعمى ثم اتى اي اتى الميعاد
قال لهم موسى اي قال لفرعون والسحره ويلكم دعا عليهم بالويل
وهو بمعنى المصدر وقال ابو اسحق الزجاج هو منصوب
بمعنى الزمهم الله ويلا قال ويجوز ان يكون هذا كقوله
يا ويلنا من بعثنا لا تفتروا على الله كذبا اي لا تختلقوا
عليه الكذب ولا تشركوا به ولا تقولوا للمعجزات انها
سحر فيسحتكم بعذاب اي يستاصلكم بالاهلاك يقال
فيه سحت واسحت بمعنى واصله من استقصاء الشعر
وقرا الكوفيون فيسحتكم من اسحت الباقون فيسحتكم
من سحت وهذه لغة اهل الحجاز وبني تميم وانتصب
على جواب النهي وقال الفرزدق
وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف
الزمخشري وهذا بيت لا تزال الركب تصطك في
تسوية اعرابه وقد خاب من افترى اي خسر وهلك
وخاب من الرحمة والثواب من ادعى على الله ما لم ياذن
فيه فقوله تعالى فتنازعوا امرهم بينهم اي تشاوروا

بلغ

يريد السحر

لغفار لمن تاب اي من الشرك وعمل صالحا صلى وصام ثم اهتدى
مات على ذلك قوله تعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى اي ما
حملك على ان سبقتهم قيل عني بالقوم جميع بني اسرائيل وعلى هذا
قيل استخلف هارون على بني اسرائيل وخرج معه بسبعين رجلا
للميقات بقوله هم اولاء على اثري ليس يريد انهم
يسيرون خلفه متوجهين اليه بل اراد انهم بالقرب
مني ينتظرون عودي اليهم وقيل لا بل كان امر هارون بان
يتبع في بني اسرائيل اثره ويلحقوا به وقال قوم اراد بالقوم
السبعين الذين اختارهم وكان موسى لما قرب من الطور
سبقهم شوقا الى سماع كلام الله وقيل لما وفد الى طور سينا
بالوعد اشتاق الى ربه وطالت عليه المسافة من شدة
الشوق الى الله تعالى فضاق به الامر حتى شق قميصه
ثم لم يصبر حتى خلفهم ومضى وحده فلما وقف في مقامه
قال الله تبارك وتعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى فبقي
صلى الله عليه وسلم متحيرا عن الجواب لهذه الكلمة لما
استقبله من صدق الشوق فاعرض عن الجواب وكنى
عنه بقوله هم اولاء على اثري وانما ساله عن السبب
الذي اعجله بقوله ما فاخبر عن مجيئهم بالاثر ثم قال
وعجلت اليك رب لترضى فكنى عن ذكر الشوق وصرفه

الى ابتغا الرضى ذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله
وعجلت اليك رب لترضى قال شوقا وكانت عايشة رضى الله
عنها اذا اوت الى فراشها تقول هاتوا المجيد فيوتى بالمصحف
فتاخذه في صدرها وتنام معه تتسلى بذلك رواه سفيان
عن مسعر عن عايشة وكان عليه السلام اذا امطرت السما
خلع ثيابه وتجرد حتى يصيبه المطر ويقول انه حديث
عهد بربه فهذا من الرسول صلى الله عليه وسلم وممن
بعده من قبل الشوق ولذلك قال تبارك اسمه فيما يروى
عنه طال شوق الابرار الى لقايي وانا الى لقايهم اشوق
وقال ابن عباس كان الله عالما ولكن قال وما اعجلك عن قومك
رحمة لموسى واكراما له بهذا القول وتسكينا لقلبه ورقة
عليه فقال مجيبا لربه هم اولاي على اثري قال ابو حاتم
قال عيسى بنو تميم يقولون هم اولاء مقصورة مرسلة
واهل الحجاز يقولون اولاء ممدودة وحكى الفرا هم اولاي
على اثري وزعم ابو اسحق الزجاج ان هذا لا وجه له قال
النحاس وهو كما قال لان هذا ليس مما يضاف فيكون مثل
هداى ولا يخلو من احدى جهتين اما ان يكون اسما
مبهما فاضافته محال واما ان يكون بمعنى الذين فلا يضاف
ايضا لان ما بعده من تمامه وهو معرفة وقرا ابن ابي
اسحاق

اسحق ونصر وروليس عن يعقوب على اِثْري بكسر الهمزة واسكان
الثاء وهو بمعنى اثر لغتان وعجلت اليك رب لترضى اى عجلت
الى الموضع الذى امرتنى بالمصير اليه لترضى عنى يقال رجل عجل
وعَجِلٌ وعجول وعجلان بيّن العجلة والعجلة خلاف البطء
قوله تعالى فانا قد فتنّا قومك من بعدك اى اختبرناهم
وامتحناهم بان يستدلوا على الله عز وجل واضلهم السامرى
اى دعاهم الى الضلالة اذ هو سببها وقيل فتناهم القيناهم
فى الفتنة اى زينا لهم عبادة العجل ولهذا قال موسى ان هى
الا فتنتك قال ابن عباس كان السامرى من قوم يعبدون
البقر فوقع بارض مصر فدخل فى دين بنى اسرايل بظاهره
وفى قلبه ما فيه من عبادة البقر وقيل كان رجلا من القبط
وكان جارا لموسى امن به وخرج معه وقيل كان عظيما
من عظماء بنى اسرايل من قبيلة تعرف بالسامرة وهم معروفون
بالشام قال سعيد بن جبير كان من اهل كرمان قوله
تعالى فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا حال وقد مضى
فى الاعراف بيانه مستوفى قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا
حسنا وعدهم جل وعز الجنة اذا اقاموا على طاعته ووعدهم
انه يسمعهم كلامه فى التوراة على لسان موسى ليعملوا
بما فيها فيستحقوا ثواب عملهم وقيل وعدهم النصر والظفر

وقيل وعده قوله واني لغفار لمن تاب وامن الاية افطال عليكم
العهد اي افنسيتم كما قيل والشي قد ينسى لطول العهد ام
اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم يحل اي يجب وينزل
والغضب العقوبة والنقمة والمعنى ام اردتم ان تفعلوا
فعلا يكون سبب حلول غضب الله بكم لان احدا لا يطلب
غضب الرب بل يرتكب ما يكون سببا للغضب فاخلفتم
موعدي لانهم وعدوه ان يقيموا على طاعة الله عز وجل
الى ان يرجع اليهم من الطور وقيل وعدهم على اثره للميقات
فتوقفوا قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بفتح الميم وهي قراة
نافع وعاصم وعيسى بن عمر قال مجاهد والسدي ومعناه
بطاقتنا ان ان يدلم نملك انفسنا اي كنا مضطرين وقرا
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بملكنا بكسر الميم واختاره
ابو عبيد وابو حاتم لانها اللغة العالية وهو مصدر
ملكت الشي املكه ملكا والمصدر مضاف الى الفاعل والمفعول
محذوف كانه قال بملكنا بضم الميم والمعنى بسلطاننا اي لم
يكن لنا ملك فنخلف موعدك ثم قيل قوله قالوا عام
يراد به الخاص اي قال الذين ثبتوا على طاعة الله الى ان
يرجع اليهم من الطور ما اخلفنا موعدك بملكنا وكانوا
اثني عشر الفا وكان جميع بني اسرايل ست مايه الف

ولكنا حملنا اوزارا

[margin:] العمل بالشي حكمه ... مار اعين ان من حمل وقرب وحمل والجميع ...

ولكنا حُمِّلنا بضم الحاء وتشديد الميم مكسورة قراءة
نافع وابن كثير وابن عامر وحفص ورويس الباقون بفتح
الحرفين خفيفة واختاره ابو عبيد وابو حاتم لانهم
حملوا حلي القوم معهم وما حملوه كرها اوزارا اي اثقالا
من زينة القوم اي من حليهم وكانوا استعاروه حين
الخروج مع موسى عليه السلام واوهموهم انهم يجتمعون
في عيد لهم او وليمة وقيل هو ما اخذوه من آل فرعون
لما قذفهم البحر الى الساحل وسميت اوزارا بسبب انها
كانت آثاما اي لم يحل لهم الغنائم وايضا فالاوزار
هي الاثقال في اللغة فقذفناها اي ثقل علينا حمل ما
كان معنا من الحلي فقذفناه في النار ليذوب اي طرحناه
فيها وقيل طرحناه الى السامري لترجع فترى فيها رايك
قال قتادة ان السامري قال لهم حين استبطا القوم
موسى انما احتبس عليكم من اجل ما عندكم من الحلي فجمعوه
ودفعوه الى السامري فرمى به في النار وصاغ لهم
منه عجلا ثم القى عليه قبضة من اثر فرس الرسول
وهو جبريل عليه السلام وقال معمر الفرس الذي كان
عليه جبريل هو الحياة فلما القى القبضة عليه صار عجلا
جسدا له خوار والخوار صوت البقر وقال ابن عباس

احدها او كلهم

لما انسبكت الحلي في النار جا السامري وقال لهارون يا
نبي الله القي ما في يدي وهو يظن انه كبعض ما جا به غيره
من الحلي فقذف التراب فيه وقال كن عجلا جسدا له خوار
فكان كما قال للبلاء والفتنة فخار خورة واحدة لم يتبعها
مثلها وقيل خواره وصوته كان بالريح لانه كان عمل فيه
خروقا فاذا دخلت الريح في جوفه خار ولم تكن فيه
حياة وهذا قول مجاهد وعلى القول الاول كان عجلا
من لحم ودم وهو قول الحسن وقتادة والسدي
وروى حماد عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال مر هارون بالسامري وهو يصنع العجل فقال
ما هذا فقال ينفع ولا يضر فقال اللهم اعطه ما سالك
على ما في نفسه فقال اللهم اني اسالك ان يخور فكان اذا
خار سجدوا وكان الخوار من اجل دعوة هارون قال
ابن عباس خار كما يخور الحي من العجول وروى ان
موسى قال يا رب هذا السامري اخرج لهم عجلا جسدا
له خوار من حليهم فمن جعل الجسد والخوار قال الله
تعالى انا قال موسى صلى الله عليه وسلم وعزتك وجلالك
وارتفاعك وعلوك وسلطانك ما اضلهم غيرك قال
صدقت يا حكيم الحكما وقد تقدم هذا كله في سورة
الاعراف

الاعراف فقالوا هذا الهكم واله موسى اي قال السامري ومن
تابعه وكانوا ميالين الى التشبيه اذ قالوا اجعل لنا الها كما لهم
آلهة هذا الهكم واله موسى فنسي اي فضل موسى يطلب فلم يعلم
مكانه واخطا الطريق الى ربه وقيل معناه فتركه موسى
هنا وخرج يطلبه اي ترك موسى الهه هنا وروى اسرايل
عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال اي فنسي موسى ان يذكر
لكم انه الهه وقيل الخطاب خبرا عن السامري اي ترك السامري
ما امره به موسى من الايمان فضل قاله ابن الاعرابي فقال الله
تعالى محتجا عليهم افلا يرون اي يعتبرون ويتفكرون في
انه لا يرجع اليهم قولا اي لا يكلمهم وقيل لا يعود الى الخوار
والصوت ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكيف يكون الها
والذي يعبده موسى صلى الله عليه وسلم يضر وينفع ويثيب
ويعطي ويمنع وان لا يرجع تقديره انه لا يرجع فلذلك
ارتفع الفعل فخففت ان وحذف الضمير وهو الاختيار
في الرواية والعلم والظن قال في فتية من سيوف الهند
قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل وقد يجوز مع
التشديد قال فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي ولكن
زنجيا عظيم المشافر اي ولكنك قوله تعالى ولقد
قال لهم هارون من قبل اي من قبل ان ياتي موسى ويرجع

اليهم يا قوم انما فتنتم به اي ابتليتم واضللتم به اي بالعجل
وان ربكم الرحمن لا العجل فاتبعوني في عبادته واطيعوا امري
لا امر السامري او فاتبعوني في مسيري الى موسى ودعوا
العجل فعصوه وقالوا لن نبرح عليه عاكفين اي لن نزال
مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع الينا موسى فننظر هل
يعبده كما عبدناه فتوهموا ان موسى يعبد العجل فاعتزلهم
هارون في اثني عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى
وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل قال
للسبعين معه هذا صوت الفتنة فلما راى هارون اخذ شعر
راسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وقال يا هارون ما
منعك اذ رأيتهم ضلوا اي اخطؤا الطريق وكفروا الا
تتبعني لا زائدة اي ان تتبع امري ووصيتي وقيل ما منعك
من اللحوق بي لما فتنوا افعصيت امري بريد ان مقامك
بينهم وقد عبدوا غير الله تعالى عصيان منك لي قاله
ابن عباس وقيل معناه هلا فارقتهم فتكون مفارقتك
اياهم تقريعا لهم وزجرا ومعنى افعصيت امري قيل ان امره
ما حكاه الله تعالى عنه وقال موسى لاخيه هارون اخلفني
في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلما اقام معهم
ولم يبالغ في منعهم والانكار عليهم نسبه الى عصيانه
ومخالفته

وقيل ما منعك اي لو كنت بينهم لقاتلتهم على كفرهم
من اتباعي في الانكار عليهم وقيل معناه هلا قاتلتهم اذ قد علمت

٥٦

ومخالفة امره مسئلة وهذا كله اصل في الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وتغييره ومفارقة اهله وان المقيم بينهم
لاسيما اذا كان راضيا حكمه كحكمهم وقد مضى هذا المعنى
في ال عمران والنسا والمايده والانعام والاعراف والانفال
وسيل الامام ابو بكر الطرطوسي رحمه الله ما يقول سيدنا
الفقيه في مذهب الصوفية واعلم حرس الله مدته انه اجتمع
جماعة من رجال فيكثروا من ذكر الله تعالى وذكر محمد صلى الله
عليه وسلم ثم انهم يوقعون بالقضيب على شي من الاديم ويقوم
بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه ويحضرون
شيا ياكلونه هل الحضور معهم جايز ام لا افتونا يرحمكم
الله وهذا القول يذكرونه

يا شيخ كف عن الذنوب قبل التفرق والزلل واعمل لنفسك
صالحا مادام ينفعك العمل اما الشباب فقد مضى ومشيب
راسك قد نزل وفي مثل هذا وجوه الجواب يرحمك الله
مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام
الا كتاب الله وسنة رسوله واما الرقص والتواجد
فاول من احدثه اصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا
له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون فهو دين
الكفار وعباد العجل واما القضيب فاول من اتخذه

الزنادقة ليشتغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى وانما كان
مجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه كانما على روسهم
الطير من الوقار فينبغي للسلطان ونوابه ان يمنعهم من الحضور
في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يومن بالله واليوم الاخر
ان يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك وابي حنيفة
والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم من ايمة المسلمين وبالله
التوفيق قوله تعالى قال يا بنوم لا تاخذ بلحيتي ولا براسي بلغ
ابن عباس اخذ شعره بيمينه ولحيته بيساره لان الغيرة
في الله ملكته اي لا تفعل هذا ليتوهموا انه منك استخفاف
او عقوبة وقد قيل ان موسى عليه السلام انما فعل هذا
على غير استخفاف ولا عقوبة كما ياخذ الانسان بلحية نفسه
وقد مضى هذا في الاعراف مستوفى والله جل وعز اعلم بما المعنى
اراد نبيه عليه السلام اني خشيت ان تقول فرقت بين
بني اسرائيل اي خشيت ان اخرج واتركهم وقد امرتني
ان اخرج معهم فلو خرجت لاتبعني قوم ويتخلف عند
العجل قوم وربما ادى الامر الى سفك الدما وخشيت
ان زجرتهم ان يقع قتال فتلومني على ذلك وهذا جواب
هارون لموسى عن قوله افعصيت امري وفي الاعراف ان القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني وقد تقدم ومعنى ولم
ولم ترقب

٥٥

ولم ترقب قولي لم تعمل بوصيتي في حفظهم لانك امرتني ان
اكون معهم قاله مقاتل وقال ابو عبيدة لم تنتظر عهدي
وقد وبي فتركه موسى ثم اقبل على السامري فقال ما خطبك
اي امرك وشانك وما الذي حملك على ما صنعت قال قتادة
كان السامري عظيما في بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة
ولكن عدو الله نافق بعد ما قطع البحر مع موسى فلما مرت
بنوا اسرائيل بالعمالقة وهم يعكفون على اصنام لهم قالوا
يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة فاغتنمها السامري
وعلم انهم يميلون الى عبادة العجل فقال السامري مجيبا
لموسى بصرت بما لم يبصروا به يعني رايت ما لم يروا رايت
جبرائيل على فرس الحياة فالقي في نفسي ان اقبض من اثره قبضة
فما القيته على شيء الا صار له روح ولحم ودم فلما سالوك
ان تجعل لهم الها زينت لي نفسي ذلك وقال علي رضي الله عنه
لما نزل جبرائيل ليصعد بموسى الى السماء ابصره السامري
من بين الناس فقبض قبضة من اثر الفرس وقيل قال
السامري رايت جبريل على الفرس وهي تلقي خطوتها
مد البصر فالقي في نفسي ان اقبض من اثرها فما القيته
على شيء الا صار له روح ودم وقيل راى جبريل يوم
نزل على رمكة وديق فتقدم خيل فرعون في ورود

البحر ويقال ان ام السامري جعلته حين وضعته في غار
خوفًا من ان يقتله فرعون فجاءه جبريل فجعل كف السامري
في فم السامري فرضع العسل و اللبن فاختلف اليه فعرفه
من حينيذ وقد تقدم هذا المعنى في الاعراف ويقال ان
السامري سمع كلام موسى عليه السلام حيث عمل تمثالين
من شمع احدهما ثور و الاخر فرس فالقاهما في النيل طلب
قبر يوسف وكان في تابوت من حجر في النيل فاتي به الثور
على قرنيه فتكلم السامري بذلك الكلام الذي سمعه من موسى
والقى القبضة في جوف العجل فخار وقرا حمزة والكسائي
والاعمش وخلف بما لم تبصروا بالتاء على الخطاب الباقون
بالياء على الخبر وقرا ابي بن كعب وابن مسعود والحسن
وقتادة فقبصت قبصة بصاد غير معجمة وروي عن
الحسن ضم القاف من قبصة والصاد غير معجمة الباقون
فقبضت قبضة بالضاد معجمة والفرق بينهما ان القبض
بجميع بجميع الكف والقبص باطراف الاصابع ونحوهما الخضم
والقضم والقبضة بضم القاف القدر المقبوض ذكره
المهدوي ولم يذكر الجوهري قبصة بضم القاف والصاد
غير معجمة وانما ذكر القبضة بضم القاف والضاد المعجمة
وهو ما قبضت عليه من شي يقال اعطاه قبضة من سويق
او تمر

او تمر اي كفا منه وربما جا بالفتح قال والقبص بكسر القاف
والصاد غير المعجمه العدد الكثير من الناس قال الكميت
لكم مسجدا الله المزوران والحصي لكم قبصه من بين اثرى واقترى
فنبذتها اي طرحتها في العجل وكذلك سولت لي نفسي اي زينته
قاله الاخفش وقال ابن زيد حدثتني نفسي والمعنى متقارب
قوله تعالى قال فاذهب اي قال له موسى فاذهب اي من بيننا
فان لك في الحياة ان تقول لا مساس اي لا امس ولا امس طول
الحياة فنفاه موسى عن قومه وامر بني اسرايل ان لا يخالطوه
ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبة له قال الشاعر
تميم كرهط السامري وقوله الا لا يريد السامري مساسا
قال الحسن جعل الله عقوبة السامري ان لا يماس الناس
ولا يماسوه عقوبة له ولمن كان منه الى يوم القيامة فكان
الله عز وجل شدد عليه المحنه بان جعله لا يماس احدا
ولا يمكن من ان يمسه احد وجعل ذلك عقوبة له في الدنيا
ويقال ابتلي بالوسواس واصل الوسواس من ذلك الوقت
وقال قتادة بقاياهم الى اليوم يقولون ذلك لا مساس
وان مس واحد من غيرهم احدا منهم حم كلاهما في الوقت
ويقال ان موسى هم بقتل السامري فقال الله تعالى له
لا تقتله فانه سخي ويقال ان السامري لما قال له موسى

فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لامساس خاف فهرب فجعل
يهيم في البرية مع السباع والوحش لا نجد احدا من الناس
يمسه حتى صار كالقايل لامساس لبعده عن الناس وبعد
الناس عنه كما قال الشاعر
حمال رايت بها قتنا عيسا حتى تقول الارد لامساسا
مسلة هذه الاية اصل في نفي اهل البدع والمعاصي وهجرانهم
وهجرانهم وان لا يخالطوا وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك بكعب بن مالك والثلاثة الذين خلفوا ومن التجا
الى الحرم وعليه قتل لا يقتل عند بعض الفقها ولكن لا
يعامل ولا يبايع ولا يشاري وهو ارهاق الى الخروج
ومن هذا القبيل التغريب في حد الزنا وقد تقدم جميع
هذا كل في موضعه فلا معنى لاعادته والحمد لله وقال
هارون القاري ولغة العرب لامساس بكسر السين
وفتح الميم وقد تكلم النحويون فيه فقال سيبويه هو
مبني على الكسر كما يقال اضرب الرجل وقال ابو اسحاق
لامساس نفي وكسرت السين لان الكسرة من علامة
التانيث تقول فعلت المراة قال النحاس وسمعت علي
بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد يقول اذا اعتل
الشي من ثلاث جهات وجب ان يبنى واذا اعتل من جهتين
وجب

وجب ان لا ينصرف لانه ليس بعد الصرف الا البنا ثم ساس
ودراك اعتدل من ثلاث جهات منها انه معدول ومنها انه
مونث وانه معرفه فلما وجب البنا فيه وكانت الالف
قبل السين ساكنة كسرت السين لالتقاء الساكنين كما تقول
اضرب الرجل ورايت ابا اسحق يذهب الى ان هذا القول
خطا والزم ابا العباس اذا سمى امراة بفرعون ان يبنيه
وهذا لا يقوله احد وقال الجوهري في الصحاح واما
قول العرب لا مساس مثال قطام فانما بني على الكسر لانه
معدول عن المصدر وهو المس وقرا ابو حيوة لا مساس
وان لك موعدا لن تخلفه يعني يوم القيامة والموعد مصدر
اي ان لك وعدا للعذاب وقرا ابن كثير وابو عمرو تخلفه
بكسر اللام وله معنيان احدهما ستاتيه ولن تجده مخلفا
كما تقول احمدته اي وجدته محمودا والثاني على التهديد
اي لا بد لك من ان تصير اليه الباقون بفتح اللام بمعنى
ان الله لن يخلفك اياه قوله تعالى وانظر الى الهك
الذي ظلت عليه عاكفا اي دمت واقمت عليه عاكفا
اي ملازما واصله ظللت قال
خلا ان العتاق من المطايا احسن به فهن اليه شوس
اي احسسن وكذلك قرا الاعمش بلامين على الاصل

وفي قراءة ابن مسعود ظِلت بكسر الظاء يقال ظللت افعل كذا
اذا فعلته نهارا وظَلت وظِلت فمن قال ظَلت حذف اللام الاولى
تخفيفا ومن قال ظِلت القى حركة اللام على الظاء لنحرقنه قراءة
العامة بضم النون وتشديد الراء من حرق يحرق وقرا الحسن
وغيره بضم النون وسكون الحاء وتخفيف الراء من احرقه
يحرقه وقرا علي وابن عباس وابو جعفر وابن محيصن واشهب
واشهب العقيلي لنحرقنه بفتح النون وضم الراء خفيفة
من حرقت الشي احرقه حرقا بردته وحككت بعضه
ببعض ومنه قولهم حرق نابه يحرقه ويحرقه اي سحقه
حتى سمع له صريف فمعنى هذه القراءة لنبردنه بالمبارد
ويقال للمبرد المحرق والقراءتان الاوليان معناهما
الحرق بالنار وقد يمكن جميع ذلك فيه قال السدي ذبح العجل
فسال منه كما يسيل من العجل اذا ذبح ثم برد عظامه
بالمبرد وحرقه وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ثم لنحرقنه
واللحم والدم اذا حرقا صارا رمادا فيمكن تذريته في
اليم فاما الذهب فلا يصير رمادا وقيل عرف موسى
ما صير به الذهب رمادا وكان ذلك من اياته ومعنى
لننسفنه لنطيرنه وقرا ابو رجا لننسفنه بضم السين
لغتان والنسف نفض الشي ليذهب به الريح وهو
التذريه

التدريه والمنسف ما ينسف به الطعام وهو شي منصوب
الصدر اعلاه مرتفع والنسافة ما يسقط منه يقال اعزل
النسافة وكل الخالص يقال اتانا فلان كان لحيته منسف
حكاه ابو نصر احمد بن حاتم والمنسفة آلة تقلع بها البنا
ونسفت البنا نسفا قلعته ونسف البعير الكلا ينسفه
بالكسر اذا اقتلعه باصله وانتسفت الشي اقتلعته عن
ابي زيد قوله تعالى انما الهكم الله الذي لا اله الا هو ولا العجل
وسع كل شي علما اي وسع علمه كل شي فنقل الفعل عن العلم
ونصب على التفسير وقرا مجاهد وقتاده وسّع كل شي
علما قوله تعالى كذلك الكاف في موضع نصب نعت
لمصدر محذوف اي كما قصصنا عليك خبر موسى كذلك
نقص عليك قصصا كذلك من اخبار ما قد سبق ليكون
تسلية لك وليدل على صدقك وقد اتيناك من لدنا
ذكرا يعني القران وسمي القران ذكرا لما فيه من الذكر كما
سمي الرسول ذكرا لان الذكر كان ينزل عليه وقيل اتيناك
من لدنا ذكرا اي شرفا كما قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك
اي شرف وتنويه باسمك قوله تعالى من اعرض
عنه اي القران فلم يومن به ولم يعمل بما فيه فانه يحمل
يوم القيامه وزرا اي اثما عظيما وحملا ثقيلا خالدين فيه

بلغ

يريد مقيمين فيه اي في جزائه وجزاؤه جهنم وساء لهم يوم القيامة
حملا يريد بئس الحمل حملوه يوم القيامة وقرا داود بن رفيع
فانه يحمل قوله تعالى يوم ينفخ في الصور قراة العامة ينفخ
بضم اليا على الفعل المجهول وقرا ابو عمرو وابن ابي اسحق ينفخ بنون
مسمى الفاعل واسند ابو عمرو بقوله ونحشر بنون وعن
ابن هرمز ينفخ بفتح اليا اي ينفخ اسرافيل ابو عياض في الصور
الباقون في الصور وقد تقدم هذا في الانعام مستوفى وفي
كتاب التذكرة وقرا طلحة بن مصرف ويحشر بضم اليا المجرمون
رفعا بخلاف المصحف والباقون ونحشر المجرمين اي المشركين
زرقا حال من المجرمين والزرق خلاف الكحل والعرب
تتشام بزرقة العيون وتذمه اي نشوه خلقتهم
بزرقة عيونهم وسواد وجوههم وقال الكلبي والفرا
زرقا اي عميا وقال الازهري عطاشا قد ازرقت اعينهم
من شدة العطش وقيل انه الطمع الكاذب اذا تعقبته
الخيبة يقال ابيضت عيني لطول انتظاري لكذا وقول
خامس ان المراد بالزرقة شخوص البصر من شدة الخوف
قال الشاعر لقد زرقت عيناك يا ابن مكعبر كما كل ضبي من اللوم ازرق
يقال رجل ازرق العين والمراة زرقا بينة الزرق والاسم
الزرقة وقد زرقت عينه بالكسر وازرقت عينه ازرقاقا
وازراقت عينه

٥٩

وازرقت عينه ازريقاقا وقال سعيد بن جبير قيل لابن عباس
في قوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وقال في موضع اخر
ونحشرهم يوم القيامة علي وجوههم عميا وبكما وصما
فقال ان ليوم القيامة حالات فحالة يكونون فيها زرقا
وحالة عميا يتخافتون بينهم اصل الخفت في اللغة السكوت
ثم قيل لمن خفض صوته خفته والمعني يتشاورون قاله
مجاهد اي يقول بعضهم لبعض في الموقف سرا ان لبثتم اي
ما لبثتم يعني في الدنيا وقيل في القبور الا عشرا يريد عشر
ليال وقيل اراد ما بين النفختين وهو اربعون سنة يرفع
العذاب في تلك المدة عن الكفار في قول ابن عباس
فيستقصرون تلك المده او مدة مقامهم في الدنيا لشدة
ما يرون من اهوال القيامة ويخيل الي امثلهم اي اعدلهم
قولا واعقلهم واعلمهم عند نفسه انهم ما لبثوا الا يوما
واحدا يعني لبثهم في الدنيا عن قتادة والتقدير الا مثل
يوم وقيل انهم من شدة المطلع نسوا ما كانوا فيه من نعيم
الدنيا حتي راوه كيوم وقيل اراد بيوم لبثهم ما بين النفختين
او لبثهم في القبور علي ما تقدم وعشرا ويوما منصوب
بلبثتم قوله تعالى ويسالونك عن الجبال اي عن حال الجبال
يوم القيامة فقل جاء هذا بفاء فكل سوال في القران

قل بغير فاء الا هذا لان المعنى ان سالوك عن الجبال فقل فتضمن
الكلام معنى الشرط وقد علم الله انهم يسلونه عنه فاجاب
قبل السوال وتلك اسولة تقدمت سالوا عنها النبي صلى الله
عليه وسلم فجا الجواب عقيب السوال فلذلك كان بغير فاء
وهذا سوال لم يسلوه عنه بعد فتفهمه ينسفها يطيرها
نسفا قال ابن الاعرابي وغيره يقلعها قلعا من اصولها
ثم يصيرها رملا يسيل سيلا ثم يصيرها كالصوف المنفوش
تطيرها الرياح هكذا وهكذا قال ولا يكون العهن من الصوف
الا المصبوغ ثم كالهبا المنثور فيذرها اي يذر مواضعها
قاعا صفصفا القاع الارض الملسا بلا نبات ولا اما قاله ابن
الاعرابي وقال الجوهري والقاع المستوي من الارض والجمع
اقوع واقواع وقيعان صارت الواو يا لكسرة ما قبلها
وقال الفرا القاع مستنقع الماء والصفصف القرعا الكلى
هو الذي لا نبات فيه وقيل المستوي من الارض كانه على صف
واحد في استوايه قاله مجاهد والمعنى واحد في القاع
والصفصف فالقاع الموضع المنكشف والصفصف المستوي
الاملس وانشد سيبويه

وكم دون بيتك من صفصف ودكداك رمل واعقارها

وقاعا نصب على الحال والصفصف ولا ترى في موضع
الصفة

الصفة فيها عوجا قال ابن الاعرابي العوج التعوج في الفجاج
والأمت النبك وقال ابو عمرو النباك وهي التلال الصغار
واحدها نبك اي هي ارض مستوية لا انخفاض فيها ولا
ارتفاع تقول امتلأ فما به امت وملأت القربة ملأ
لا امت فيه اي لا استرخا والامت في اللغة المكان
المرتفع وقال ابن عباس عوجا ميلا قال والامت الاثر
مثل الشراك وعنه ايضا عوجا واديا ولا امتا رابية
وعنه ايضا العوج والامت الارتفاع وقال قتادة
عوجا صدعا ولا امتا اي اكمة وقال يمان الامت
الشقوق في الارض وقيل الامت ان يغلظ مكان في
العصا او الحبل ويدق في مكان حكاه الصولي قلت
وهذه الاية تدخل في باب الرقا يرقى بها الثاليل
وهي التي تسمى عندنا بالبراريق واحدها بروقة تطلع
في الجسد وخاصة في اليد تاخذ ثلاثة اعواد من تبن
الشعير يكون في طرف كل عود عقدة تمر كل عقدة
على الثاليل وتقرا الاية مرة ثم تدفن الاعواد في مكان
ندي تعفن وتعفن الثاليل فلا يبقى لها اثر جربت ذلك
في نفسي وفي غيري فوجدته نافعا باذن الله والحمد لله
قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي يريد اسرافيل

التلال

عليه السلام اذا نفخ في الصور لا عوج له اي لا معدل له عنه
اي عن دعايه لا يزيغون ولا ينحرفون بل يسرعون اليه
ولا يحيدون عنه وعلى هذا اكثر العلماء وقيل لا عوج له اي
لدعايه وقيل يتبعون اتباعا لا عوج له فالمصدر مضمر
والمعنى يتبعون صوت الداعي للمحشر نظيره واستمع
يوم ينادي المنادي من مكان قريب الاية وسبانى
وخشعت الاصوات اي ذلت وسكنت عن ابن عباس
قال لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال
الخشع ،، وكل لسان ساكت هناك للهيبة للرحمن اي
من اجله فلا تسمع الا همسا الهمس الصوت الخفي قاله
مجاهد ابن عباس الحس الخفي الحسن وابن جريج هو صوت
وقع الاقدام بعضها على بعض الى المحشر ومنه قول الراجز
وهن يمشين بنا هميسا يعني صوت اخفاف الابل في سيرها
ويقال للاسد المهموس لانه يهمس في الظلمة اي يطا وطا
خفيا قال روبة يصف نفسه بالشدة ،،
ليث يدق الاسد المهموسا والاقهبين الفيل والجاموسا ،،
وهمس الطعام اي مضغه وفوه منضم قال الراجز ،،
لقد رايت عجبا مذ امسا عجايزا مثل السعالي خمسا ،،
ياكلن ما اصنع همسا همسا ،، وقيل الهمس تحريك الشفة
واللسان

واللسان وقرا ابي بن كعب فلا ينطقون الا همسا والمعنى
متقارب اي لا يسمع لهم نطق ولا كلام ولا صوت اقدام
وبناه من اصله الخفا لكن ما ينصرف ومنه الحروف
المهموسة وهي عشرة يجمعها قولك حثه شخص فسكت
وانما سمي الحرف مهموسا لانه اضعف الاعتماد في موضعه
حتى جرى معه النفس **قوله تعالى** يومئذ لا تنفع
الشفاعة الا من اذن له الرحمن من في موضع نصب على
الاستثنا الخارج من الاول اي لا تنفع الشفاعه احدا الا
شفاعة من اذن له الرحمن ورضي له قولا اي رضي قوله
في الشفاعة وقيل المعنى اي انما تنفع الشفاعة لمن اذن
له الرحمن في ان يشفع له وكان له قول يرضى قال ابن عباس
هو قول لا اله الا الله **قوله تعالى** يعلم ما بين ايديهم اي
من امر الساعة وما خلفهم من امر الدنيا قاله قتادة
وقيل يعلم ما يصيرون اليه من ثواب او عقاب وما خلفهم
ما خلفوه وراهم في الدنيا ثم قيل الاية عامة في جميع
الخلق وقيل المراد الذين يتبعون الداعي **قوله تعالى**
ولا يحيطون به علما الها في به لله تعالى اي احد لا يحيط
به علما اذ الاحاطة مشعرة بالحد ويتعالى الرب عن
التحديد وقيل تعود على العلم اي احد لا يحيط علما بما

السطير يعلمه الله وقال الضمير في ايديهم وخلفهم والحيطون تعود
على الملايكة اعلم الله من يعبدها انها لا تعلم ما بين ايديها وما
خلفها قوله تعالى وعنت الوجوه اي ذلت وخضعت
قاله ابن الاعرابي وغيره ومنه قيل للاسير عان قال امية بن
ابي الصلت مليك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد
وقال ايضا وعنا له وجهي وخلقي كله في الساجدين لوجهه مشكورا
قال الجوهري عنا يعنو اخضع وذل واعناه غيره ومنه قوله
تعالى وعنت الوجوه للحي القيوم ويقال ايضا عنا فيهم فلان
اسيرا اي اقام فيهم على اسارة واحتبس وعناه غيره تعنية
حبسه والعاني الاسير وقوم عناة ونسوة عوان وعنت
به امور نزلت وقال ابن عباس عنت ذلت وقال مجاهد
خشعت الماوردي والفرق بين الذل والخشوع وان تقارب
معناهما هو ان الذل ان يكون ذليل النفس والخشوع ان يتذلل
لذي طاعة وقال الكلبي عنت اي علمت عطية العوفي استسلمت
وقال طلق بن حبيب انه وضع الجبهة والانف على الارض
في السجود النحاس عنت الوجوه في معناه قولان احدهما
ان هذا في الاخرة وروى عكرمة عن ابن عباس وعنت الوجوه
للحي القيوم قال الركوع والسجود ومعنى عنت في اللغة
القهر والغلبة ومنه فتحت البلاد عنوة اي غلبة
قال الشاعر

قال الشاعر فما اخذوها عنوة عن مودة ولكن بضرب المشرفي استقالها
وقيل هو من العنا بمعنى التعب وكنى عن الناس بالوجوه لان آثار
الذل انما تتبين في الوجه للحي القيوم وفي القيوم ثلاث تاويلات
احدها انه القايم بتدبير الخلق الثاني انه القايم على كل نفس
بما كسبت الثالث انه الدايم الذي لا يزول ولا يبيد
وقد مضى في البقره هذا وقد خاب من حمل ظلما اي خسر
من حمل شركا **قوله تعالى** ومن يعمل من الصالحات
وهو مومن لان العمل لا يقبل من غير ايمان ومن في قوله
من الصالحات للتبعيض اي شيا من الصالحات وقيل للجنس
فلا يخاف قرا ابن كثير ومجاهد وابن محيصن تخف بالجزم
جوابا لقوله ومن يعمل الباقون يخاف رفعا على الخبر اي
فهو لا يخاف او فانه لا يخاف ظلما اي نقصا لثواب طاعته
ولا زيادة عليه في سياته ولا هضما بالانتقاص من حقه
والهضم النقص والكسر يقال هضمت ذلك من حقي اي
حططته وتركته وهذا يهضم الطعام اي ينقص ثقله
وامراة هضيم الكشح اي ضامرة البطن الماوردي والفرق
بين الظلم والهضم ان الظلم المنع من الحق كله والهضم المنع
من بعضه والهضم ظلم وان افترقا من وجه قال المتوكل الليثي
ان الاذلة واللبام لمعشر مولاهم المتهضم المظلوم قال

قال الجوهري ورجل هضيم ومهتضم اي مظلوم وتهضمه
اي ظلمه واهتضمه اذا ظلمه وكسر عليه حقه قوله تعالى
وكذلك اي كما بينا لك في هذه السورة من البيان فكذلك
جعلناه قرانا عربيا اي بلغة العرب وصرفنا فيه من الوعيد
اي بينا ما فيه من التخويف والتهديد والثواب والعقاب
لعلهم يتقون اي يخافون الله فيجتنبون معاصيه ويحذرون
عقابه او يحدث لهم ذكرا اي موعظة وقال قتادة حذرا
وورعا وقيل شرفا فالذكر هاهنا بمعنى الشرف كقوله وانه
لذكر لك ولقومك وقيل اي ليتذكروا العذاب الذي توعدوا
به وقرا الحسن او نحدث بالنون وروي عنه رفع الثاء
وجزمها قوله تعالى فتعالى الله الملك الحق لما عرف
العباد عظيم نعمه وانزال القران نزه نفسه عن الاولاد
والانداد فقال فتعالى الله اي جل الله الملك الحق اي ذو الحق
ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه علم نبيه كيف
يتلقى القران قال ابن عباس كان عليه السلام يبادر جبريل
فيقرا قبل ان يفرغ جبريل من الوحي حرصا على الحفظ
وشفقة على القران مخافة النسيان فنهاه الله عن ذلك
وانزل ولا تعجل بالقران وهذا كقوله لا تحرك به لسانك
لتعجل به على ما ياتي وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال
لا تتله

لا تتلقه قبل ان تتبينه وقيل ولا تعجل اي لا تسل انزاله
قبل ان يقضي اي يأتيك وحيه وقيل المعنى لا تلقه الى الناس
قبل ان يأتيك بيان تأويله وقال الحسن نزلت في رجل لطم
وجه امراته فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم تطلب القصاص
فجعل النبي صلى الله عليه وسلم لها القصاص فنزل الرجال
قوامون على النساء ولهذا قال وقل رب زدني علما اي فهما
لانه عليه السلام حكم بالقصاص وابى الله ذلك وقرا ابن
مسعود وغيره من قبل ان نقضي بالنون وكسر الضاد
وحيه بالنصب **قوله تعالى** ولقد عهدنا الى ادم
من قبل فنسي قرا الاعمش باختلاف عنه فنسي باسكان
اليا وله معنيان احدهما ترك اي ترك الامر والعهد وهذا
قول مجاهد واكثر المفسرين ومنه نسوا الله فنسيهم وقال
ابن عباس نسي هنا من السهو والنسيان وانما اخذ الانسان
من انه عهد اليه فنسي قال ابن زيد نسي ما عهد الله اليه
في ذلك ولو كان له عزم ما اطاع عدوه ابليس وعلى هذا القول
يحتمل ان يكون ادم عليه السلام في ذلك الوقت ماخوذا بالنسيان
وان كان النسيان عنا اليوم مرفوعا ومعنى من قبل اي من
قبل ان ياكل الشجرة لانه نهي عنها والمراد تسليه النبي
صلى الله عليه وسلم اي طاعة بني ادم الادم للشيطان امر قديم

اي لن نقض هاولاء العهد فان ادم ايضا عهدنا اليه فنسي حكاه
القشيري وكذلك الطبري اي وان يعرض يا محمد هاولاء الكفرة
عن اياتي ويخالفوا رسلي ويطيعوا ابليس فقدما فعل ذلك
ابوهم ادم قال ابن عطية وهذا التاويل ضعيف وذلك كون ادم
مثالا للكفار الجاحدين بالله ليس بشي وادم انما عصى بتاويل
ففي هذا غضاضة عليه صلى الله عليه وسلم واما الظاهر
في الاية اما ان يكون ابتدا قصص لا يتعلق بما قبله واما
ان يجعل تعلقه انه لما عهد الى محمد صلى الله عليه وسلم ان لا
يعجل بالقران مثل له بنبي قبله عهد اليه فنسي فعوقب
ليكون اشد في التحذير وابلغ في العهد الى محمد صلى الله
عليه وسلم والعهد هاهنا في معنى الوصية ونسي معناه
ترك ونسيان الذهول لا يمكن هنا لانه يتعلق بالناسي
عتاب والعزم المضي على المعتقد في اي شي كان وادم عليه
السلام قد كان يعتقد ان لا ياكل من الشجرة لكن لما وسوس
اليه ابليس لم يعزم على معتقده والشي الذي عهد الى ادم هو
ان لا ياكل من الشجره واعلم مع ذلك ان ابليس عدو له واختلف
في معنى قوله ولم نجد له عزما فقال ابن عباس وقتادة
لم نجد له صبرا عن اكل الشجرة ومواظبة على التزام
الامر قال النحاس وكذلك هو في اللغة يقال لفلان عزم
اي صبر

اي صبر وثبات على التحفظ من المعاصي حتى يسلم منها ومنه
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وعن ابن عباس ايضا
وعطية العوفي حفظا لما امر به اي لم يتحفظ مما نهيته
حتى نسي وذهب عن علم ذلك بترك الاستدلال وذلك
ان ابليس قال له ان اكلتها خلدت في الجنة يعني عين تلك الشجرة
فلم يطعه فدعاه الى نظير تلك الشجرة مما دخل في عموم النهي
وكان يجب ان يستدل عليه فلم يفعل وظن انها لم تدخل
في النهي فاكلها تاويلا ولا يكون ناسيا للشي من يعلم انه معصية
وقال ابن زيد عزما محافظة على امر الله وقال الضحاك عزيمة
امر ابن كيسان اصرارا ولا اضمارا للعود الى الذنب قال
قوم ادم لم يكن من اولي العزم من الرسل لان الله قال ولم
نجد له عزما وقال المعظم كل الرسل اولوا العزم وفي الخبر
ما من نبي الا وقد اخطا او هم بخطيئة ما خلا يحيى بن زكريا
فلو خرج ادم بسبب خطيئته من جملة اولي العزم لخرج
جميع الانبيا سوى يحيى وقد قال ابو امامة لو ان احلام
بني ادم جمعت منذ خلق الله الخلق الى يوم القيامة
ووضعت في كفة ميزان ووضع حلم ادم في كفة اخرى
لرجحهم وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما قوله
تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى

قال القشيري [illegible] الامر [illegible] او بالاكل ولم [illegible] ولهذا

مطلب في عدم كون ادم من اولي العزم

تقدم في البقرة مستوفى فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك
فلا يخرجنكما نهي ومجازه لا تقبلا منه فيكون ذلك سببا
لخروجكما من الجنة فتشقى يعني انت وزوجك لانهما في استواء
العلة واحد ولم يقل فتشقيا لان المعنى معروف وادم
عليه السلام هو المخاطب وهو المقصود وايضا لما كان
الكاد عليها والكاسب لها كان بالشقاء اختص وقيل الاخراج
واقع عليهما والشقاوة على ادم وحده وهو شقاوة البدن
الا ترى انه عقبه بقوله ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى
في الجنة وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى فاعلمه ان له في الجنة
هذا كله الكسوة والطعام والشراب والمسكن وانك ان
ضيعت الوصية واطعت العدو اخرجكما من الجنة
فشقيت تعبا ونصبا اي جعت وعريت وظمئت
واصابتك الشمس لانك ترد الى الارض اذا اخرجت من
الجنة وانما خصه بذكر الشقا ولم يقل فتشقيا ليعلمنا
ان نفقة المراة على الزوج فمن يومئذ جرت نفقة النسا
على الازواج فلما كانت نفقة حوا على ادم لذلك نفقات
بناتها على بني ادم بحق الزوجية واعلمنا في هذه الاية
ان النفقة التي تجب للمراة على زوجها هذه الاربعة
الطعام والشراب والكسوة والمسكن فاذا اعطاها

هذه

هذه الاربعه فقد خرج اليها من نفقتها فان تفضل بعد
ذلك فهو ماجور فاما هذه الاربعه فلا بد لها منها لان بها
اقامة المهجة قال الحسن المراد بقوله فتشقى شقا الدنيا لا
يرى ابن ادم الا ناصبا وقال الفرا هو ان ياكل من كد يديه
وقال سعيد بن جبير اهبط الى ادم ثور احمر فكان يحرث
عليه ويمسح العرق عن جبينه فهو شقاوه الذي قال الله تعالى
وقيل لما اهبط من الجنة كان من اول شقايه ان جبريل انزل
عليه حبات من الجنه فقال يا ادم فقال يا ادم ازرع هذا
فحرث وزرع ثم حصد ثم درس ثم نقى ثم طحن ثم عجن ثم
خبز ثم جلس لياكل بعد التعب فتدحرج رغيفه من
يده حتى صار اسفل الجبل وجرى وراه آدم حتى تعب
وقد عرق جبينه قال يا ادم فكذلك رزقك بالتعب والشقا
ورزق ولدك من بعدك في الدنيا **قوله تعالى** ان لك
الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظموا فيها ولا تضحى
فيه مسلتان الاولى قوله تعالى ان لك الا تجوع فيها اي
في الجنة ولا تعرى وانك لا تظموا فيها اي لا تعطش والظما
العطش ولا تضحى اي تبرز للشمس فتجد حرها اذ ليس
في الجنة شمس انما هو ظل ممدود كما بين طلوع الفجر الى
طلوع الشمس قال ابو العالية نهار الجنة هكذا واشار

الى ساعة المصلين صلاة الفجر قال ابو زيد ضحا الطريق
يضحو اضحوا اذا بدا لك وظهر وضحيت بالفتح مثله
والمستقبل اضحى في اللغتين جميعا قال عمر بن ابي ربيعة
رات رجلا ايما اذا الشمس عارضت ولها بالعشي فيخصر
وفي الحديث ان ابن عمر راى رجلا محرما قد استظل
فقال اضح لمن احرمت له هكذا يرويه المحدثون بفتح
الالف وكسر الحاء من ضحيت وقال الاصمعي انما هو اضح
لمن احرمت له بكسر الالف وفتح الحاء من ضحيت اضحى
لانه انما امره بالبروز للشمس ومنه قوله تعالى وانك
لا تظموا فيها ولا تضحى وانشد
ضحيت له كي استظل بظله اذا الظل اضحى في القيامة قالصا
وقرا ابو عمرو والكوفيون الا عاصما في رواية ابي بكر عنه
وانك بفتح الهمزة عطفا على ان لا تجوع ويجوز ان تكون
في موضع رفع عطفا على الموضع والمعنى ذلك انك لا تظمو
فيها الباقون بالكسر على الاستيناف وعلى العطف على ان لك
قوله تعالى فوسوس اليه الشيطان تقدم في الاعراف
قال يعني الشيطان يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد وملك
لا يبلى وهذا يدل على المشافهة وانه دخل الجنة في جوف
الحية على ما تقدم في البقرة بيانه وتقدم هناك تعيين الشجرة
وما

فصح

وما للعلما فيها فلا معنى لاعادتها فاكلا منها فبدت لهما سواتهما
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة تقدم في الاعراف مستوفى
وقال الفراء وطفقا في العربية اقبلا قال وقيل جعلا يلصقان
عليهما ورق التين قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى فيه
ست مسايل الاولى قوله تعالى وعصى تقدم في البقرة
القول في ذنوب الانبيا وقال بعض المتاخرين من علمايا والذي
ينبغي ان يقال ان الله تعالى قد اخبر بوقوع ذنوب من
بعضهم ونسبها اليهم وعاتبهم عليها واخبروا بذلك عن نفوسهم
وتنصلوا منها واستغفروا منها وتابوا وكل ذلك ورد في
مواضع كثيرة لا يقبل التاويل جملتها وان قبل ذلك احادها
فكل ذلك مما لا يزري بمناصبهم وانما تلك الامور التي وقعت
منهم على جهة الندور وعلى جهة الخطا والنسيان او تاويل
دعا الى ذلك فهي الى غيرهم حسنات وفي حقهم سيات
بالنسبة الى مناصبهم وعلو اقدارهم اذ قد يواخذ الوزير
بما يثاب عليه السايس فاشفقوا من ذلك في موقف القيامة
مع علمهم بالامن والامان والسلامة قال وهذا هو الحق
ولقد احسن الجنيد حيث قال حسنات الابرار سيات
المقربين فهم صلوات الله وسلامه عليهم وان كانوا قد شهدت
النصوص بوقوع ذنوب منهم فلم يخل ذلك بمناصبهم

ولا قلح في دينهم بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم
وزكاهم واختارهم واصطفاهم صلوات الله عليهم وسلامه
الثانية قال القاضي ابو بكر بن العربي لا يجوز لاحد منا
اليوم ان يخبر بذلك عن ادم الا اذا ذكرناه في اثنا قوله
تعالى عنه او قول نبيه فاما ان يبتدي ذلك من قبل نفسه
فليس بجايز لنا في ابانا الادنون الينا المماثلين لنا فكيف
في ابينا الاقدم الاعظم الاكرم النبي المقدم الذي عذره
الله سبحانه وتاب عليه وغفر له قلت واذا كان هذا
في المخلوق لا يجوز فالاخبار عن صفات الله تعالى كاليد
والرجل والاصبع والجنب والنزول الى غير ذلك اولى
بالمنع وانه لا يجوز الابتدا بشي من ذلك الا في اثناء قراة
كتابه او سنة نبيه رسوله ولهذا قال الامام مالك بن انس من
وصف شيا من ذات الله مثل قوله وقالت اليهود يد الله
مغلولة فاشار بيده الى عنقه قطعت يده وكذلك في
السمع والبصر يقطع ذلك منه لانه شبه الله تعالى بنفسه
الثالثة روى الايمة واللفظ للبخاري عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال احتج ادم وموسى فقال موسى يا
ادم انت ابونا خيبتنا واخرجتنا من الجنة فقال له ادم
يا موسى اصطفاك الله عز وجل بكلامه وخط لك بيده تلومني
على امر

على امر قدره الله علي قبل ان يخلقني باربعين سنة فحج ادم موسى
ثلثا قال المهلب قوله فحج ادم موسى اي غلبه بالحجة قال الليث
بن سعد وانما صحت الحجة في هذه القصه لادم على موسى عليهما
السلام من اجل ان الله تعالى قد غفر لادم خطيئته وتاب عليه
فلم يكن لموسى ان يعيره بخطيئة قد غفرها الله له ولذلك قال ادم
انت موسى الذي اتاك الله التوراة وفيها علم كل شي فوجدت فيها
ان الله قد قدر علي المعصيه وقدر علي التوبه منها واسقط
بذلك اللوم عني افتلومني انت والله لا يلومني وبمثل هذا
احتج ابن عمر على الذي قال له ان عثمان فر يوم احد فقال ابن
عمر ما على عثمان ذنب لان الله تعالى قد عفا عنه بقوله ولقد
عفا الله عنهم وقد قيل ان ادم عليه السلام اب وليس تعييره
من بره ان لو كان مما يعير به غيره فان الله تعالى يقول في
الابوين الكافرين وصاحبهما في الدنيا معروفا ولهذا ان ابراهيم
عليه السلام لما قال له ابوه وهو كافر لين لم تنته لارجمنك
واهجرني مليا قال سلام عليك فكيف باب هو نبي قد اجتباه
ربه وتاب عليه وهدى الرابعه واما من عمل الخطايا ولم
تاته المغفره فان العلما مجمعون على انه لا يجوز له ان يحتج
بمثل حجة ادم فيقول تلومني على ان قتلت او زنيت او
سرقت وقد قدر الله ذلك والامة مجمعة على جواز

حمد المحسن على احسانه ولوم المسي على اسانه وتعديد ذنوبه
عليه الخامسة قوله تعالى فغوي اى ففسد عليه عيشه
حكاه النقاش واختاره القشيري وسمعت شيخنا الاستاذ
المقرى ابا جعفر القرطبي يقول فغوي ففسد عيشه بنزوله
الى الدنيا والغي الفساد وهو تاويل حسن وهو اولى من تاويل
من يقول ان فغوي معناه ضل من الغي الذي هو ضد الرشد
وقيل معناه جهل موضع رشده اى جهل ان تلك الشجرة
هي التي نهي عنها والغي الجهل وعن بعضهم فغوي فبشم من كثرة
الاكل الزمخشري وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء
المكسورة ما قبلها الفا فيقول في فني وبقي فنا وبقا وهم
بنو طي تفسير خبيث السادسة قال القشيري ابو
نصر قال قوم يقال عصا ادم وغوي ولا يقال له عاص ولا
غاو كما ان من خاط مرة يقال له خاط ولا يقال له خياط
ما لم تتكرر منه الخياطة وقيل يجوز للسيد ان يطلق في
عبده عند معصيته ما لا يجوز لغيره ان يطلقه وهذا تكلف
وما اضيف من هذا الى الانبيا فاما ان تكون صغاير او
ترك الاولى او قبل النبوة قلت هذا حسن قال الامام
ابو بكر بن فورك رحمه الله كان هذا من ادم قبل النبوة
ودليل ذلك قوله ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
فذكر

فذكرانا لاجتبا والهدايه كانا بعد العصيان واذا كان
هذا قبل النبوة فجايز عليهم الذنوب وجها واحدا لان قبل النبوة
لا شرع علينا في تصديقهم فاذا بعثهم الله تعالى الى خلقه
وكانوا امامونين في الادا معصومين لم يضر ما قد سلف منهم
من الذنوب وهذا نفيس والله اعلم قوله تعالى قال اهبطا
منها جميعا خاطب ادم وابليس منها اي من الجنة وقد قال
لابليس اخرج منها مذءوما مدحورا فلعله اخرج من الجنة
الى موضع من السماء ثم اهبط الى الارض بعضكم لبعض عدو وتقدم
في البقرة اي انت عدو للحية ولابليس وهما عدوان لك وهذا
يدل على قوله اهبطا ابليس خطابا لادم وحوا لانهما ما كانا
متعادين وتضمن هبوط ان هبوطهما فاما ياتينكم مني هدى
اي رشدا وقولا حقا وقد تقدم في البقرة فمن اتبع هداي
يعني الرسل والكتب فلا يضل ولا يشقى قال ابن عباس ضمن
الله تعالى لمن قراء القران وعمل بما فيه هداه الله من الضلالة
ووقاه يوم القيامه سوء الحساب وتلا الاية ومن اعرض عن
ذكري اي ديني وتلاوة كتابي والعمل بما فيه وقيل انزلت من
الدلايل ويحتمل ان يكون الذكر على الرسول لانه كان منه الذكر
فان له معيشة ضنكا يستوي فيه الواحد والاثنان والمذكر
والمونث والجمع قال عنترة ،، ان المنية لو تمثل مثلت مثلي اذا
نزلوا بضنك المنزل ،،

اي لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة وتلا الاية
وعنه من قرأ القران واتبع ما فيه

وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى ذلك ان الله عز وجل جعل مع الدين
التسليم والقناعة والتوكل عليه وعلى قسمته فصاحبه
ينفق ما رزقه الله بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا
كما قال عز وجل فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين
مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من
الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق
فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعضهم لا يعرض احد عن
ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه وكان
في عيشه في ضنك وقال عكرمة ضنكا كسبا حراما الحسن
طعام الضريع والزقوم وقول رابع وهو الصحيح انه عذاب
القبر قاله ابو سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود ورواه
ابو هريرة مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكرناه
في كتاب التذكرة قال ابو هريرة يضيق على الكافر قبره حتى
تختلف فيه اضلاعه وهو المعيشة الضنك ونحشره يوم
القيامة اعمى قيل اعمى في حال وبصيرا في حال وقد تقدم
في اخر سبحان وقيل اعمى عن الحجة قاله مجاهد وقيل اعمى عن
جهات الخير لا يهتدي لشيء منها وقيل عن الحيلة في دفع
العذاب عن نفسه كالاعمى الذي لا حيلة له فيما لا يراه قال
رب لم حشرتني اعمى اي باي ذنب عاقبتني بالعمى وقد كنت
بصيرا

بصيرا اي في الدنيا وكانه يظن ان لا ذنب له وقال ابن عباس ومجاهد
اي لم حشرتني اعمى عن حجتي وقد كنت بصيرا اي عالما بحجتي
القشيري وهو بعيد اذ ما كان للكافر حجة في الدنيا قال
كذلك اتتك اياتنا اي قال الله له كذلك اتتك اياتنا اي دلالاتنا
علي وحدانيتنا وقدرتنا فنسيتها اي تركتها ولم تنظر فيها
واعرضت عنها وكذلك اليوم تنسي اي تترك في العذاب يريد
جهنم وكذلك نجزي من اسرف اي كما جزينا من اعرض عن
القران وعن النظر في المصنوعات والتفكر فيها وجاوز الحد
في المعصية ولم يؤمن بايات ربه اي لم يصدق بها ولعذاب
الآخرة اشد اي افظع من المعيشة الضنك وعذاب القبر
وابقى اي ادوم واثبت لانه لا ينقطع ولا ينقضي قوله
تعالى افلم يهد لهم يريد اهل مكة اي افلم يتبين لهم خبر من
اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم اذا سافروا
وخرجوا في التجارة طلب المعيشة فيرون بلاد الامم الماضية
والقرون الخالية خاوية اي افلا يخافون ان يحل بهم مثل ما
حل بالكفار قبلهم وقرا ابن عباس والسلمي وغيرهما نهد لهم
بالنون وهي ابين ويهدي بالياء مشكل لاجل الفاعل فقال
الكوفيون كم الفاعل النحاس وهذا خطاء لان كم استفهام
فلا يعمل فيها ما قبلها وقال الزجاج المعني اولم يهد لهم الامر

باهلاكنا من اهلكنا وحقيقة يهدي يدل على الهدي فالفاعل
الهدي تقديره افلم يهد الهدي لهم قال الزجاج كم في موضع نصب
باهلكنا **قوله تعالى** ولولا كلمة سبقت من ربك فيه
تقديم وتاخير اي ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى
لكان لزاما قاله قتادة واللزام الملازمة اي لكان العذاب لازما
لهم واضمر اسم كان قال الزجاج واجل مسمى عطف على
كلمة قتادة والمراد القيامة وقاله القتبي وقيل تاخيرهم
الى يوم بدر **قوله تعالى** فاصبر على ما يقولون امره
تعالى بالصبر على اقوالهم إنه ساحر انه كاهن انه كذاب
الى غير ذلك والمعنى لا تحتفل بهم فان لعذابهم وقتا مضروبا
لا يتقدم ولا يتاخر ثم قيل هذا منسوخ باية القتال وقيل
بل ليس منسوخا اذ لم يستاصل الكفر بعد اية القتال بقي
المعظم منهم **قوله تعالى** وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
قال الكثر المتاولين هذه إشارة الى الصلوات الخمس قبل طلوع
الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر ومن اناء
الليل العتمة واطراف النهار المغرب والظهر لان الظهر
في اخر طرف النهار الاول واول طرف النهار الآخر فهي في
طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس وهو وقت
المغرب وقيل النهار ينقسم قسمين فصلهما الزوال
ولكل

ولكل قسم طرفان فعند الزوال طرفان الاخر من القسم الاول
والاول من القسم الاخر فقال عن الطرفين اطرافا على نحو فقد
صغت قلوبكما واشار الى هذا النظر ابن فورك في المشكل
وقيل النهار للجنس فلكل يوم طرف وهي التي تجمع لانه
يعود في كل نهار وانا الليل ساعاته وواحد الاناء انا وإنا
وإني قالت فرقة المراد بالاية صلاة التطوع قاله الحسن
قوله تعالى لعلك ترضى بفتح التاء اي لعلك تثاب على هذه
الاعمال بما ترضى به وقرا الكساي وابو بكر عن عاصم ترضى بضم
التاء اي لعلك تعطى ما يرضيك **قوله تعالى** ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به قد تقدم معناه في الحجر وازواجا مفعول ثان
بمتعنا وزهرة نصب على الحال وقال الزجاج زهرة منصوبة
بمعنى متعنا لان معناه جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة او بفعل
مضمر وهو جعلنا اي جعلنا لهم زهرة الحياة الدنيا عن الزجاج
ايضا وقيل هي بدل من الهاء في به على الموضع كما تقول مررت
به اخاك واشار الفرا الى نصبه على الحال والعامل فيه متعنا
قال كما تقول مررت به المسكين وقدره متعناهم به زهرة
في الحياة الدنيا وزينة فيها فيجوز ان ينصب على المصدر مثل
صنع الله ووعد الله وفيه نظر والاحسن ان ينصب على الحال
ويحذف التنوين لسكونه وسكون اللام من الحياة كما قرئ

ولا الليل سابق النهار تنصب النهار بسابق على تقدير حذف
التنوين لسكونه وسكون اللام وتكون الحياة مخفوضة
على البدل من ما في قوله الى ما متعنا به فيكون التقدير ولا
تمدن عينيك الى الحياة الدنيا زهرة اي في حال زهرتها
ولا يحسن ان تكون زهرة بدلا من ما على الموضع في قوله الى ما
متعنا لان لنفتنهم يتعلق بمتعنا وزهرة الحياة الدنيا يعني
زينتها بالنبات والزهرة بالفتح في الزاي والها نور النبات
والزهرة بضم الزا وفتح الها النجم وبنو زهرة بسكون الها
قاله ابن عزيز وقرا عيسى بن عمر زهرة بفتح الها مثل نهر
ونهر ويقال سراج زاهر اي له بريق وزهر الاشجار
ما يروق من الوانها وفي الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم
ازهر اللون اي نير اللون يقال لكل شي مستنير زاهر وهو
احسن الالوان لنفتنهم فيه اي لنبتليهم وقيل لنجعل ذلك
فتنة لهم وضلالا ومعنى الاية لا تجعل يا محمد لزهرة الدنيا
وزنا فانه لا بقا لها ولا تمدن ابلغ من لا تنظرن لان الذي
يمد بصره انما يحمله على ذلك حرص مقترن والذي ينظر
قد لا يكون ذلك معه **مسئلة** قال بعض الناس سبب هذه
الاية ما رواه ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نزل ضيف برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلني

عليه السلام

عليه السلام الى رجل من اليهود وقال قل له يقول لك محمد نزل
بنا ضيف ولم يلف عندنا بعض الذي يصلحه فبعني كذا
وكذا من الدقيق او اسلفني الى هلال رجب فقال لا الا برهن
قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال
والله اني لامين في السماء امين في الارض ولو اسلفني او باعني
لاديت اليه اذهب بدرعي اليه ونزلت الاية تعزية له
عن الدنيا قال ابن عطية وهذا معترض ان يكون سببا لان السورة
مكية والقصة المذكورة مدنية في اخر عمر النبي صلى الله
عليه وسلم لانه مات ودرعه مرهونة عند يهودي
بهذه القصة التي ذكرت وانما الظاهر ان الاية متناسقة
مع ما قبلها وذلك ان الله تعالى وبخهم على ترك الاعتبار
بالامم السالفة ثم توعدهم بالعذاب الموجل ثم امر نبيه
بالاحتقار لشانهم والصبر على اقوالهم والاعراض عن اموالهم
وما في ايديهم من الدنيا اذ ذلك منصرم عنهم صاير الى خزي
قلت ولذلك ما روي عنه عليه السلام انه امر بابل بني المصطلق
وقد عبست بابوالها من السمن فتقنع بثوبه ثم مضى لقوله
عز وجل ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الاية
ثم سلاه فقال ورزق ربك خير وابقى اي ثواب الله على الصبر
وقلة المبالات بالدنيا اولى لانه يبقى والدنيا تفنى وقيل

يعني بهذا الرزق ما يفتح الله على المومنين من البلاد والغنايم

قوله تعالى وامر اهلك بالصلاة امره تعالى ان يامر اهله

بالصلاة ويمتثلها معهم ويصطبر عليها ويلازمها وهذا الخطاب

للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل في عمومه جميع امته

واهل بيته على التخصيص وكان عليه السلام بعد نزول

هذه الاية يذهب كل صباح الى بيت فاطمة وعلي رضوان الله

عليهما فيقول الصلاة ويروى ان عروة بن الزبير رضي الله

عنه كان اذا راى شيئا من اخبار السلاطين واحوالهم بادر

الى منزله فدخله وهو يقرا ولا تمدن عينيك الاية الى قوله

وابقى ثم ينادي بالصلاة الصلاة يرحكم الله ويصلي وكان

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوقظ اهل داره لصلاة

الليل ويصلي هو ويتمثل بالاية قوله تعالى لا نسالك رزقا

اي لا نسلك ان ترزق نفسك واياهم وكان عليه السلام

اذا نزل باهله ضيق امرهم بالصلاة وقد قال تعالى وما

خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق

وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق قوله تعالى

والعاقبة للتقوى اي الجنة لاهل التقوى يعني العاقبة

المحمودة وقد تكون لغير التقوى عاقبة لكنها مذمومة

فهي كالمعدومة قوله تعالى وقالوا لولا ياتينا باية من ربه

يريد

[margin: ولا يشتغل عن الصلاة بسبب رزق فنحن لا نطلب منك رزقا بل نحن نرزقك وايا...]

يريد كفار مكة اي لولا ياتينا محمد باية توجب العلم الضروري
او باية ظاهرة كالناقة والعصا او هلا ياتينا بالايات التي
نقترحها نحن كما اتى الانبيا من قبله قال الله تعالى اولم تاتهم
بينة ما في الصحف الاولى يريد التوراة والانجيل والكتب
المتقدمة وذلك اعظم اية اذا اخبر بما فيها وقرئ الصحف
بالتخفيف وقيل اولم تاتهم الاية الدالة على نبوته مما وجدوه
في الكتب المتقدمة من البشارة وقيل اولم ياتهم اهلاكنا
الامم الذين كفروا واقترحوا الايات فما يومنهم ان اتتهم
الايات ان يكون حالهم حال اوليك وقرا ابو جعفر وشيبة
ونافع وابو عمرو ويعقوب وابن ابي اسحق وحفص اولم
تاتهم بالتاء لتانيث البينة الباقون باليا لتقديم الفعل
ولان البينة هي البيان والبرهان فردوه الى المعنى واختاره
ابو عبيد وابو حاتم وحكى الكسائي اولم تاتهم بينة ما
في الصحف الاولى قال النحاس اذا نونت بينة ورفعت
جعلت ما بدلا منها واذا نصبتها فعلى الحال والمعنى اولم
ياتهم ما في الصحف الاولى مبينا قوله تعالى ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله اي من قبل بعثة محمد عليه السلام قوله
تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله اي من قبل بعثة محمد
عليه السلام ونزول القران لقالوا اي يوم القيامة

ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اي هلا ارسلت الينا رسولا
فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى وقرئ نُذَلّ ونُخزى
علي ما لم يسم فاعله روي ابو سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الهالك في الفترة والمعتوه
والمولود قال يقول الهالك في الفترة لم ياتني ولا رسول
ثم تلي ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا
ارسلت الينا رسولا الاية ويقول المعتوه رب لم تجعل لي
عقلا اعقل به خيرا ولا شرا ويقول المولود رب لم ادرك
العمل فترفع لهم نار فيقول لهم ردوها وادخلوها قال
فيردها او يدخلها من كان في علم الله سعيدا لو ادرك
العمل ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا لو ادرك العمل
قال فيقول الله تعالى اياي عصيتم فكيف رسلي لو اتتكم
ويروي موقوفا علي ابي سعيد قوله وفيه نظر وقد بيناه
في كتاب التذكرة وبه احتج من قال ان الاطفال وغيرهم
يمتحنون في الاخرة فنتبع نصب بجواب التخصيص اياتك
يريد ما جا به محمد صلى الله عليه وسلم من قبل ان نذل اي في
العذاب ونخزي في جهنم قاله ابن عباس وقيل من قبل ان نذل
في الدنيا بالعذاب ونخزي في الاخرة بعذابها قل كل متربص
اي قل لهم يا محمد كل متربص اي كل المومنين والكافرين
منتظر

منتظر دوائر الزمان ولمن يكون النصر فتربصوا فستعلمون
من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدي يريد الدين المستقيم
والهدي والمعني فستعلمون بالنصر من اهتدي الي دين الحق
وقيل فستعلمون يوم القيامة من اهتدي الي طريق الجنة
وفي هذا ضرب من الوعيد والتخويف والتهديد ختم به السورة
وقري فسوف تعلمون قال ابو رافع حفظته من رسول الله
صلي الله عليه وسلم ذكره الزمخشري ومن في موضع رفع
عند الزجاج وقال الفرا يجوز ان يكون في موضع نصب
مثل والله يعلم المفسد من المصلح قال ابو اسحق هذا خطا
لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ومن هاهنا استفهام
في موضع رفع بالابتدا والمعني فستعلمون اصحاب الصراط
السوي نحن ام انتم قال النحاس والفرا يذهب يذهب الي
ان معني من اصحاب الصراط السوي من لم يضل والي ان معني
ومن اهتدي من ضل ثم اهتدي وقرا يحيي بن يعمر وعاصم
الجحدري فسيعلمون من اصحاب الصراط السوي بتشديد
الواو بعدها الف التانيث علي فعلي بغير همز وتانيث
الصراط شاذ قليل قال الله تعالي اهدنا الصراط المستقيم
فجا مذكرا في هذا وفي غيره وقد رد هذا ابو حاتم قال ان
كان من السوء وجب ان يقال السوأي وان كان من السواء

وجب ان يقال للسيا بكسر السين والاصل السويا قال
الزمخشري وقرى السواء بمعنى الوسط والعدل اي المستوي
النحاس وجواز قراة يحيى بن يعمر والجحدري ان يكون
الاصل السواي والساكن ليس بحاجز حصين فكانه
قبل الهمزة ضمة فابدل منها واوا كما يبدل منها الفا اذا
انفتح ما قبلها

سورة الانبيا عليهم السلام

مكية في قول الجميع وهي ماية واثنتا عشرة اية ٥٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اقترب للناس حسابهم
قال عبد الله بن مسعود الكهف ومريم وطه والانبيا من
العتاق الاول وهن من تلادي يريد من قديم ما اكتسب وحفظ
من القران كالمال التلاد وروي ان رجلا من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم كان يبني جدارا فمر به اخر في يوم
نزول هذه السورة فقال للذي يبني الجدار ماذا انزل
اليوم من القران فقال الاخر نزلت اقترب للناس حسابهم
وهم في غفلة معرضون فنفض يده من البنيان وقال
والله لا بنيت ابدا وقد اقترب الحساب اقترب اي قرب
الوقت الذي يحاسبون فيه على اعمالهم للناس قال ابن عباس
المراد بالناس هنا المشركون بدليل قوله الا استمعوه
وهم يلعبون الى قوله افتاتون السحر وانتم تبصرون
وقيل

وقيل الناس عموم وان كان المشار اليه في ذلك الوقت كفار
قريش يدل على ذلك ما بعد من الايات ومن علم اقتراب
الساعة قصر امله وطابت نفسه بالتوبه ولم يركن الى
الدنيا فكان ما كان لم يكن اذا ذهب وكل ات قريب والموت
لا محاله ات وموت كل انسان قيام ساعته والقيامة ايضا
قريبة بالاضافة الى ما مضى من الزمان فما بقي من الدنيا
اقل مما مضى وقال الضحاك معنى اقترب للناس حسابهم اي
عذابهم يعني اهل مكة لانهم استبطوا ما وعدوا به من العذاب
تكذيبا وكان قتلهم يوم بدر النحاس ولا يجوز في الكلام اقترب
حسابهم للناس لئلا يتقدم مضمر على مظهر لا يجوز ان ينوى
به التاخير وهم في غفلة معرضون ابتدا وخبر ويجوز
النصب في غير القران على الحال وفيه وجهان احدهما وهم
في غفلة معرضون يعني بالدنيا عن الاخره الثاني عن التاهب
للحساب وعما جا به محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الواو عند
سيبويه بمعنى اذ وهي التي يسميها النحويون واو الحال
كما قال تعالى يغشى طايفة منكم وطايفة قد اهمتهم انفسهم
قوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث نعت
لذكر واجاز الكسايي والفرا محدثا بمعنى ما ياتيهم محدثا
نصب على الحال واجاز الفرا ايضا رفع محدث على النعت

للذكر لانك لو حذفت من رفعت ذكرا اي ما ياتيهم من ذكر
من ربهم محدث يريد في النزول في تلاوة جبريل على النبي
صلى الله عليه وسلم فانه كان ينزل سوره بعد سورة واية
بعد اية كما كان ينزله الله تعالى عليه في وقت بعد وقت
لا ان القران مخلوق وقيل الذكر ما يذكرهم به النبي صلى
الله عليه وسلم ويعظهم وقال من ربهم لان النبي صلى الله عليه
وسلم لا ينطق الا بالوحي فوعظ النبي صلى الله عليه وسلم
وتحذيرهم ذكر وهو محدث قال الله تعالى فذكر انما انت مذكر
ويقال فلان في مجلس الذكر وقيل الذكر الرسول نفسه قاله
الحسن بن الفضل بدليل ما في سياق الاية هل هذا الا
بشر مثلكم ولو اراد بالذكر القران لقال هل هذا الا اساطير
الاولين ودليل هذا التاويل قوله تعالى ويقولون انه لمجنون
وما هو الا ذكر للعالمين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقال قد
انزل الله اليكم ذكرا رسولا الا استمعوه يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم والقران من النبي صلى الله عليه وسلم او من امته وهم
يلعبون الواو واو الحال يدل عليه لاهية قلوبهم ومعنى
يلعبون اي يلهون وقيل يشتغلون فان حمل معناه على
اللهو احتمل ما يلهون به وجهين احدهما بلذاتهم الثاني
بسماع ما يتلى عليهم وان حمل تاويله على الشغل احتمل ما يتشاغلون

به وجهين

به وجهين احدهما بالدنيا لانها لعب كما قال تعالى انما الحياة
الدنيا لعب ولهو الثاني يتشاغلون بالقدح فيه والاعتراض
عليه قال الحسن كلما جدد لهم الذكر استمروا على الجهل وقيل
يستمعون القران مستهزئين قوله تعالى لاهية قلوبهم
اي ساهية قلوبهم معرضة عن ذكر الله متشاغلة عن التامل
والتفهم من قول العرب لهيت عن ذكر الشيء اذا تركته وسلوت
عنه الهى لهيا ولهيانا ولاهية نعت تقدم الاسم ومن
حق النعت ان يتبع المنعوت في جميع الاعراب فاذا
تقدم النعت الاسم انتصب كقوله خاشعا ابصارهم
ودانية عليهم ظلالها ولاهية قلوبهم قال الشاعر
لعزة موحشا طلل يلوح كانه خلل اراد طلل موحش
واجاز الكسائي والفرا لاهية قلوبهم بالرفع بمعنى قلوبهم
لاهيه واجاز غيرهما الرفع على ان يكون خبرا بعد خبر وعلى
اضمار مبتدا وقال الكسائي ويجوز ان يكون المعنى الا استمعوه
لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا اي تناجوا فيما
بينهم بالتكذيب ثم بين من هم فقال الذين ظلموا اي الذين
اشركوا فالذين ظلموا بدل من الواو في اسروا وهو عائد
على الناس المتقدم ذكرهم ولا يوقف على هذا القول على
النجوى قال المبرد هو كقولك ان الذين في الدار انطلقوا

بنو عبد الله فبنوا ابدل من الواو في انطلقوا وقيل هو رفع على الذم اي هم الذين ظلموا وقيل على حذف القول التقدير يقول الذين ظلموا وحذف القول مثل والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم واختار هذا القول النحاس قال والدليل على صحة هذا الجواب ان بعده هل هذا الا بشر مثلكم وقول رابع يكون منصوبا بمعنى اعني الذين ظلموا واجاز الفراء ان يكون خفضا بمعنى اقترب للناس الذين ظلموا حسابهم ولا يوقف على هذا الوجه على النجوى ويوقف على الوجوه المتقدمة الثلاثة قبله فهذه اربعة اقوال واجاز الاخفش الرفع على لغة من قال اكلوني البراغيث وهو حسن قال الله تعالى ثم عموا وصموا كثير منهم وقال الشاعر

بك نال النضال دون المساعي فاهتدين النبال للاغراض

وقال اخر ولكن ديافي ابوه وامه بحوران يعصرن السليط اقاربه

وقال الكسائي فيه تقديم وتاخير مجازه والذين ظلموا اسروا النجوى ابو عبيدة اسروا هنا من الاضداد فيحتمل ان يكونوا اخفوا كلامهم ويحتمل ان يكونوا اظهروه واعلنوه قوله تعالى هل هذا الا بشر مثلكم اي تناجوا بينهم وقالوا هل هذا الذكر الذي هو الرسول او هل هذا الذي يدعوكم الا بشر مثلكم لا يتميز عنكم بشي يا كل الطعام ويمشي في الاسواق

كما

كما تفعلون وما علموا ان الله عز وجل بين انه لا يجوز ان يرسل
اليهم الا بشرا ليتفهموا ويعلمهم افتاتون السحر اي ان الذي
جاءكم به محمد سحر فكيف تجيبون اليه وتتبعونه فاطلع الله
نبيه عليه السلام على ما تناجوا به والسحر في اللغة كل مموه
لا حقيقة له ولا صحة وانتم تبصرون قيل معناه وانتم تبصرون
انه انسان مثلكم مثل وانتم تعقلون لان العقل البصر بالاشيا
وقيل المعنى افتقبلون السحر وانتم تعلمون انه سحر وقيل المعنى
افتعدلون الى الباطل وانتم تعرفون الحق ومعنى الكلام التوبيخ
قوله تعالى قل ربي يعلم القول في السماء والارض اي لا يخفى
عليه شي مما يقال في السما والارض وفي مصاحف اهل الكوفة
قال ربي اي قال محمد ربي يعلم القول اي هو عالم بما تناجيتم
به وقيل ان القراة الاولى اولى لانهم اسروا هذا القول
فاظهر الله عز وجل عليه نبيه صلى الله عليه وسلم وامره
ان يقول لهم هذا قال النحاس والقراتان صحيحتان وهما
بمنزلة الايتين وفيهما من الفايدة ان النبي صلى الله عليه وسلم
امر وانه قال كما امر قوله تعالى بل قالوا اضغاث
احلام قال الزجاج اي قالوا الذي ياتي به اضغاث احلام وقال
غيره اي قالوا هو اخلاط كالاحلام المختلطة اي اهاويل
راها في المنام قال معناه مجاهد وقتادة ومنه قول الشاعر

وهو السميع العليم

كضغث حلم غر منه حامله ؛ وقال القتبي انها الرويا الكاذبة
ومنه قول الشاعر احاديث طسم او سراب بفدفد ترقرق
للساري واضغاث حالم ؛ وقال اليزيدي الاضغاث ما لم يكن له
تاويل وقد مضى هذا في يوسف فلما راوا ان الامر ليس كما قالوا
انتقلوا عن ذلك فقالوا بل افتراه ثم انتقلوا عن ذلك فقالوا
بل هو شاعر اي هم متحيرون لا يستقرون على شي قالوا
مرة سحر ومرة اضغاث احلام ومرة افتراه ومرة شاعر
وقيل اي قال فريق انه ساحر وفريق انه اضغاث احلام
وفريق انه افتراه وفريق انه شاعر والافترا الاختلاق وقد
تقدم فلياتنا باية كما ارسل الاولون اي كما ارسل موسى
بالعصا وغيرها من الايات ومثل ناقة صالح وكانوا عالمين
بان القران ليس بسحر ولا رويا ولكن قالوا ينبغي ان ياتي باية
نقترحها ولم يكن لهم الاقتراح بعد ما راوا اية واحدة وايضا
اذا لم يومنوا باية هي من جنس ما هم اعلم الناس به ولا مجال
للشبهة فيها فكيف يومنون باية غيرها ولو ابرا الاكمه
والابرص لقالوا هذا من باب الطب وليس ذلك من صناعتنا
وانما كان سوالهم تعنتا اذ كان الله اعطاهم من الايات
ما فيه كفاية وبين الله عز وجل (جل وعز) انهم كانوا يومنون لاعطاهم
ما سالوه لقوله جل وعز ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم

ولو

ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون قوله تعالى ما امنت
قبلهم من قرية قال ابن عباس يريد قوم صالح وقوم فرعون
اهلكناها يريد كان في علمنا هلاكها افهم يومنون يريد
يصدقون اي فما امنوا بالايات فاستوصلوا فلو رأى هاولا
ما اقترحوا لما امنوا لما سبق من القضا بانهم لا يومنون
ايضا وانما تاخر عقابهم لعلمنا بان في اصلابهم من يومن
ومن زايدة في قوله من قرية كقوله فما منكم من احد
عنه حاجزين قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا
يوحي اليهم هذا رد عليهم في قولهم هل هذا الا بشر مثلكم
وتانيس لنبيه عليه السلام اي لم نرسل قبلك الا رجالا
فسلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون يريد اهل التوراه
والانجيل الذين امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم قاله سفيان
وسماهم اهل الذكر لانهم كانوا يذكرون خبر الانبيا مما
لم تعرفه العرب وكانت كفار قريش يراجعون اهل
الكتاب في امر محمد عليه السلام وقال ابن زيد اراد
بالذكر القران اي فاسلوا المومنين العالمين من اهل القران
قال جابر الجعفي لما نزلت هذه الاية قال علي رضي الله عنه
نحن اهل الذكر وقد ثبت بالتواتر ان الرسل كانوا من البشر
فالمعنى لا تبدوا بالانكار وبقولكم ينبغي ان يكون الرسول

من الملايكة بل يا ناظرو المومنين ليبينوا لكم جواز ان يكون الرسول
من البشر والملك لا يسمى رجلا لان الرجل يقع على ما له ضد
من لفظه تقول رجل وامراة ورجل وصبي فقوله الا رجالا
اي من بني ادم وقرا حفص وحمزه والكساي نوحي اليهم
مسلة لم يختلف العلما ان العامة عليها تقليد علمايها وانهم
المراد بقول الله عز وجل فاسلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
واجمعوا على ان الاعمى لا بد له من تقليد غيره ممن يثق
بميزه بالقبله اذا اشكلت عليه فكذلك من لا علم له
ولا بصر بمعنى ما يدين به لا بد له من تقليد عالمه وكذلك
لم تختلف العلما ان العامة لا يجوز لها الفتيا لجهلها بالمعاني
التي منها يجوز التحليل والتحريم **قوله تعالى وما جعلناهم**
جسدا لا ياكلون الطعام الضمير في جعلناهم للانبياء اي
لم نجعل الرسل قبلك خارجين عن طباع البشر لا يحتاجون
الى طعام وشراب وما كانوا خالدين بل يموتون وهذا
جواب لقولهم ما هذا الا بشر مثلكم وقولهم مال هذا الرسول
ياكل الطعام وجسدا اسم جنس ولهذا لم يقل اجسادا
وقيل لم يقل اجسادا لانه اراد وما جعلنا كل واحد منهم
جسدا والجسد البدن تقول منه تجسد كما تقول من الجسم
تجسم والجسد ايضا الزعفران ونحوه من الصبغ وهو الدم

ايضا

ايضا قال النابغة، وما اريق على الانصاب من جسد وقال الكلبي
والجسد هو المجسد الذي فيه الروح ياكل ويشرب فعلى هذا
يقتضي هذا القول يكون ما لا ياكل ولا يشرب جسما وقال مجاهد
الجسد ما لا ياكل ولا يشرب فعلى مقتضى هذا القول يكون ما
ياكل ويشرب نفسا ذكره الماوردي قوله تعالى ثم
صدقناهم الوعد يعني الانبيا اي بانجايهم ونصرهم واهلاك
مكذبيهم ومن نشا اي الذين صدقوا الانبيا واهلكنا المسرفين
اي المشركين قوله تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا يعني القران
فيه ذكركم رفع بالابتدا والجملة في موضع نصب لانها نعت
لكتاب والمراد بالذكر هنا الشرف اي فيه شرفكم مثل وهذا
ذكر لك ولقومك ثم نبههم بالاستفهام الذي معناه التوقيف
فقال جل وعز افلا تعقلون وقيل فيه ذكركم اي ذكر امر دينكم
واحكام شرعكم وما تصيرون اليه من ثواب وعقاب افلا
تعقلون هذه الاشيا التي ذكرناها وقال مجاهد فيه ذكركم
اي حديثكم وقيل مكارم اخلاقكم ومحاسن اعمالكم وقال
سهل بن عبد الله العمل بما فيه حياتكم قلت وهذه الاقوال
بمعنى والاول يعمها اذ هي شرف كلها والكتاب شرف لنبينا عليه
السلام لانه معجزته وهو شرف لنا ان عملنا بما فيه دليله
قوله عليه السلام القران حجة لك او عليك قوله تعالى

وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة يريد مداين كانت باليمن وقال
اهل التفسير والاخبار انه اراد اهل حضور وكان بعث اليهم
نبيًّا اسمه شعيب بن ذي مهرم وقبر شعيب هذا باليمن بجبل
يقال له ضنن كثير الثلج وليس بشعيب صاحب مدين
لان قصة حضور قبل مدة عيسى عليه السلام وبعد
مئين من السنين من مدة سليمان عليه السلام وانهم
قتلوا نبيهم وقتل اصحاب الرس في ذلك التاريخ نبيًّا لهم اسمه
حنظلة بن صفوان وكانت حضور بارض الحجاز
من ناحية الشام فاوحى الله الى ارميا ان ائت بخت نصر
فاعلمه اني قد سلطته على ارض العرب واني منتقم بك منهم
واوحى الله الى ارميا ان احمل معد بن عدنان على البراق الى
ارض العراق كيلا تصيبه النقمة والبلاء معهم فاني
مخرج من صلبه نبيًّا في آخر الزمان اسمه محمد فحمل معدًّا
وهو ابن اثني عشرة سنة فكان مع بني اسرائيل الى ان
كبر وتزوج امرأة اسمها معانة ثم ان بخت نصر نهد
بالجيوش وكمن للعرب في مكان وهو اول من اتخذ
المكامن فيما ذكروا ثم شن الغارات على حضور فقتل
وسبى وخرب العامر ولم يترك لحضور اثرا ثم انصرف
راجعا الى السواد ؛ وكم في موضع نصب بقصمنا
والقصم الكسر

والقصم الكسر يقال قصمت ظهر فلان وانقصمت سنه وانقصمت
اذا انكسرت والمعني به ها هنا الاهلاك واما الفصم
بالفاء فهو الصدع في الشئ من غير بينونة قال الشاعر
كانه دملج من فضة نبه في ملعب من عذاري الحي مفصوم
ومنه الحديث ينفصم عنه وان جبينه لينفصد عرقا
وقوله كانت ظالمة اي كافرة يعني اهلها والظلم وضع الشئ
في غير موضعه وهم وضعوا الكفر موضع الايمان وانشانا
اي اوجدنا واحدثنا بعد اهلاكهم قوما آخرين فلما احسوا اي راوا
عذابنا يقال احسست فيه ضعفا وقال الاخفش احسوا خافوا
وتوقعوا اذا هم منها يركضون اي يهربون ويفرون والركض العدو
بشدة الوطئ والركض تحريك الرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك
وركضت الفرس برجلي استحثثته ليعدو ثم كثر حتى قيل ركضت
الفرس اذا عدا وليس بالاصل والصواب ركض الفرس على ما لم يسم
فاعله فهو مركوض لا تركضوا اي لا تعدوا وقيل ان الملائكة نادتهم
لما انهزموا استهزاء بهم وقالت لا تركضوا وارجعوا الى ما
اترفتم فيه اي الى نعمكم التي كانت سبب بطركم والمترف
المنعم يقال اترف على فلان اي وسع عليه في معاشه
وانما اترفهم الله عز وجل كما قال واترفناهم في الحياة الدنيا
لعلكم تسئلون اي تسالون شيئا من دنياكم قاله قتادة

وقيل المعنى لعلكم تسئلون عما نزل بكم من العقوبة فتخبرون به
وقيل المعنى لعلكم تسئلون ان تؤمنوا كما كنتم تسئلون ذلك
قبل نزول البأس بكم قيل لهم ذلك استهزاء وتقريعا وتوبيخا
قالوا يا ويلنا لما قالت لهم الملائكة لا تركضوا ونادت
بالثارات للانبياء ولم يروا شخصا يكلمهم عرفوا ان الله
هو الذي سلط عليهم عدوهم بقتلهم للنبي الذي بعث فيهم
فعند ذلك قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فاعترفوا بانهم ظلموا
حين لا ينفع الاعتراف فما زالت تلك دعواهم اي لم يزالوا
يقولون يا ويلنا انا كنا ظالمين حتى جعلناهم حصيدا اي
بالسيوف كما يحصد الزرع بالمنجل قاله مجاهد وقال
الحسن اي بالعذاب خامدين اي ميتين والخمود الهمود
كخمود النار اذا طفئت فشبه خمود الحياة بخمود النار
كما يقال لمن مات قد طفي تشبيها بانطفاء النار قوله تعالى
وما خلقنا السما والارض وما بينهما لاعبين اي عبثا وباطلا
بل للتنبيه على ان لها خالقا قادرا يجب امتثال امره وانه
يجازي المسيء والمحسن اي ما خلقنا السموات والارض
ليظلم بعض الناس بعضا ويكفر بعضهم ويخالف بعضهم
ما امر به ثم يموتوا ولا يجازوا ولا يومروا في الدنيا بحسن
ولا ينهوا عن قبيح وهذا اللعب المنفي عن الحكيم ضده الحكمة

[illegible]

قوله تعالى

قوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا لما اعتقد قوم ان
له ولدا قال لو اردنا ان نتخذ لهوا واللهو المراة بلغة اليمن
قاله قتادة وقال عقبة بن ابي جسرة وجاء طاوس وعطا
ومجاهد يسلونه عن قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا فقال اللهو
الزوجة وقاله الحسن وقال ابن عباس اللهو الولد وقاله الحسن
ايضا قال الجوهري وقد يكنى باللهو عن الجماع قلت ومنه قول امرئ القيس
الا زعمت بسباسة اليوم انني كبرت وان لا يحسن اللهو امثالي
وانما سمي الجماع لهوا لانه ملهي للقلب كما قال وفيهن ملهى
للصديق ومنظر . الجوهري وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ
لهوا قالوا امراة ويقال ولدا لاتخذناه من لدنا اي من عندنا
لا من عندكم قال ابن جريج من اهل السما لا من اهل الارض قيل اراد
الرد على من قال الاصنام بنات الله اي كيف يكون منحوتكم
ولدا لنا وقال ابن قتيبة الاية رد على النصارى ان كنا فاعلين
قال قتادة مثل ان انت الا نذير اي ما انت الا نذير وان بمعنى
الجحد وتم الكلام عند قوله لاتخذناه من لدنا وقيل انه على
معنى الشرط اي ان كنا فاعلين ذلك ولكن لسنا بفاعلين ذلك
لاستحالة ان يكون لنا ولد اذ لو كان ذلك لم نخلق جنة ولا
نارا ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا وقيل لو اردنا ان نتخذ
ولدا على طريق التبني لاتخذناه من عندنا من الملايكة ومال

وقتادة ومقاتل وابن جريج ان للنفي بمعنى ما كنا فاعلين

الى هذا قوم لان الارادة قد تتعلق بالتبني فاما اتخاذ الولد فهو
محال والارادة لا تتعلق بالمستحيل ذكره القشيري قوله
تعالى بل نقذف بالحق على الباطل القذف الرمي اي نرمي بالحق
على الباطل فيدمغه اي يقهره ويهلكه واصل الدمغ شج
الراس حتى تبلغ الدماغ ومنه الدامغه والحق هنا القران
والباطل الشيطان في قول مجاهد قال وكل ما في القران من
الباطل فهو الشيطان وقيل الباطل كذبهم ووصفهم الله
عز وجل بغير صفاته من الولد وغيره وقيل اراد بالحق الحجه
وبالباطل شبههم وقيل الحق المواعظ والباطل المعاصي والمعنى
متقارب والقران يتضمن الموعظه والحجه فاذا هو زاهق
اي هالك تالف قاله قتادة ولكم الويل اي العذاب في الاخره
بسبب وصفكم الرب بما لا يجوز وصفه وقال ابن عباس
الويل واد في جهنم وقد تقدم مما تصفون اي مما تكذبون
عن قتادة ومجاهد نظيره سيجزيهم وصفهم اي بكذبهم
وقيل مما تصفون الله به من المحال وهو اتخاذ الولد قوله
تعالى وله من في السموات والارض اي ملكا وخلقا فكيف يجوز
ان يشرك به ما هو عبده وخلقه ومن عنده يعني الملايكة
الذين ذكرتم انهم بنات الله لا يستكبرون اي لا ياتون عن
عبادته والتذلل له ولا يستحسرون اي يعيون قاله قتاده

ماخوذ

ماخوذ من الحسير وهو البعير المنقطع بالاعيا والتعب حسر
البعير يحسر حسورًا اعيا وكل واستحسر وتحسر مثله
وحسرته انا حسرًا يتعدي ولا يتعدي واحسرته ايضا
فهو حسير وقال ابن زيد لا يملون ابن عباس لا يستنكفون
وقال ابن زيد لا يكلون وقيل لا يفشلون ذكره ابن الاعرابي
والمعني واحد يسبحون الليل والنهار اي يصلون ويذكرون
الله وينزهونه دايما لا يفترون اي لا يضعفون ولا يسامون
يلهمون التسبيح والتقديس كما يلهمون النفس قال عبد الله
بن الحارث سالت كعبًا فقلت اما لهم شغل عن التسبيح اما
يشغلهم عنه شي فقال من هذا فقلت من بني عبد المطلب
فضمني اليه وقال يا ابن اخي هل يشغلك عن النفس شي ان
التسبيح لهم بمنزلة النفس وقد استدل بهذه الاية من
قال ان الملايكة افضل من بني ادم وقد تقدم قوله تعالي
ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون قال المفضل
مقصود هذا الاستفهام الجحد اي لم يتخذوا الهة تقدر
علي الاحيا وقيل ام بمعني هل اي هل اتخذ هولا المشركون
الهة من الارض يحيون الموتي ولا تكون ام هنا بمعني بل
لان ذلك يوجب لهم انشا الموتي الا ان تقدر ام مع الاستفهام

فتكون ام المنقطعه فيصح المعني قاله المبرد وقيل ام عطف
علي المعني اي افخلقنا السما والارض لعبا ام هذا الذي اضافوه
الينا من عندنا فيكون لهم موضع شبهه او هل ما اتخذوه
من الالهه في الارض يحيي الموتي فيكون موضع شبهه وقيل
لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون ثم عطف عليه
بالمعاتبه وعلي هذين التاويلين تكون ام متصلة وقرا الجمهور
ينشرون بضم الياء وكسر الشين من انشر الله الميت فنشر
اي احياه فحيي وقرا الحسن بفتح اليا اي يحيون ولا يموتون
قوله تعالي لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا اي لو كان
في السموات والارضين الهه غير الله معبودون لفسدتا
قال الكساي وسيبويه الا بمعنى غير فلما جعلت الا في موضع
غير اعرب الاسم الذي بعدها باعراب غير كما قال
وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان وحكى
سيبويه لو كان معنا رجل الا زيد لهلكنا وقال الفرا الا
هنا في موضع سوي والمعنى لو كان معهما الهة سوى الله
لفسد اهلها وقال غيره اي لو كان فيهما الهان لفسد التدبير
لان احدهما ان اراد شيا واراد الاخر ضده كان احدهما
عاجزا وقيل معنى لفسدتا اي خربتا وهلك من فيهما
بوقوع التنازع والاختلاف الواقع بين الشركا سبحان الله
عما يصفون

في اعراب الا

عما يصفون نزه نفسه وامر العباد ان ينزهوه عن ان يكون
له شريك او ولد قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
قاصمة للقدرية وغيرهم قال ابن جريج المعنى لا يسأله الخلق عن
قضايه في خلقه وهو يسئل الخلق عن عملهم لانهم عبيد بين
بهذا ان من يسئل غدا عن اعماله كالمسيح والملايكه لا يصلح
للالهية وقيل لا يواخذ على افعاله وهم يواخذون وروي
عن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له يا امير المومنين انحب ربنا
ان يعصى قال افيعصى ربنا قهرا قال ارايت ان منعني الهدى
ومنحني الردا احسن الي ام اسا قال ان منعك حقك فقد اسا
وان منعك فضله فهو فضله يوتيه من يشا ثم تلا لا يسئل
عما يفعل وهم يسئلون وعن ابن عباس قال لما بعث الله موسى
عليه السلام وكلمه وانزل عليه التوراة فقال اللهم انك
رب عظيم لو شيت ان تطاع لاطعت ولو شيت ان لا تعصى
ما عصيت وانت تحب ان تطاع وانت في ذلك تعصى فكيف
هذا يا رب فاوحى الله اليه اني لا اسئل عما افعل وهم يسئلون
قوله تعالى ام اتخذوا من دونه الهة اعاد التعجب في اتخاذ
الالهة من دون الله مبالغة في التوبيخ اي صفتهم كما تقدم
في الانشا والاحيا فتكون ام بمعنى هل على ما تقدم فليأتوا
بالبرهان على ذلك وقيل الاول احتجاج من حيث المعقول

لانه قال هم يبشرون ونحيون الموتي فيهات الثاني احتجاج
بالمفعول اي هاتوا برهانكم من هذه الجهه ففي اي كتاب نزل
هذا في القران ام في الكتب المنزله علي ساير الانبيا هذا ذكر
من معي باخلاص التوحيد في القران وذكر من قبلي في التوراة
والانجيل وما انزل الله من الكتب فانظروا هل في كتاب من هذه
الكتب ان الله امر باتخاد الهة سواه فالشرايع لم تختلف
فيما يتعلق بالتوحيد وانما اختلفت في الاوامر والنواهي
وقال قتادة الاشارة الي القران المعني هذا ذكر من معي
بما يلزمهم من الحلال والحرام وذكر من قبلي من الامم ممن
نجا بالايمان وهلك بالشرك وقيل ذكر من معي بما لهم من الثواب
علي الايمان والعقاب علي الكفر وذكر من قبلي من الامم السالفه
فيما يفعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الاخرة وقيل معني
الكلام الوعيد والتهديد اي افعلوا ما شيتم فعن قريب ينكشف
الغطا وحكي ابو حاتم ان يحيي بن يعمر وطلحة بن مصرف قرا
هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين وكسر الميم وزعم انه
لا وجه لهذا وقال ابو اسحق الزجاج في هذه القراة المعني
هذا ذكر مما انزل الي ومما هو معي وذكر من قبلي وقيل
ذكر كاين من قبلي اي جيت بما جات به الانبيا من قبلي
بل اكثرهم لا يعلمون الحق وقرا ابن محيصن والحسن الحق بالرفع
بمعني

بمعنى هو الحق او هذا الحق وعلى هذا يوقف على لا يعلمون
ولا يوقف عليه على قراة النصب فهم معرضون اى عن الحق
وهو القران فلا يتاملون حجة التوحيد **قوله تعالى**
وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه وقرا حفص
وحمزه والكساى نوحى اليه بالنون لقوله ارسلنا انه لا اله
الا انا فاعبدون اى قلنا للجميع لا اله الا الله فادلة العقل
شاهدة انه لا شريك له والنقل عن جميع الانبيا موجود
والدليل اما معقول واما منقول وقال قتاده لم يرسل
نبى الا بالتوحيد والشرايع تختلف فى التوراة والانجيل والقران
كل ذلك على الاخلاص والتوحيد **قوله تعالى** وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا سبحانه نزلت فى خزاعه حيث قالوا
الملايكة بنات الله وكانوا يعبدونهم طمعا فى شفاعتهم لهم
وروى معمر عن قتاده قال قالت اليهود قال معمر فى روايته
او طوايف من الناس خاتن الى الجن والملايكه من الجن فقال الله
جل وعز تنزيها له بل عباد اى بل هم عباد مكرمون اى ليس
كما زعم هاولاء الكفار ويجوز النصب عند الزجاج على معنى
بل اتخذ عبادا مكرمين واجازه الفرا على ان يرده على
ولدا اى بل لم يتخذهم ولدا بل اتخذناهم عبادا مكرمين والولد
هاهنا الجمع وقد يكون الواحد والجمع ولدا وقد يجوز ان يكون

لفظ الولد للجنس كما يقال لفلان مال لا يسبقونه بالقول اي
لا يقولون حتى يقول ولا يتكلمون الا بما يامرهم وهم بامره
يعملون اي بطاعته واوامره يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
اي يعلم ما عملوا وما هم عاملون قاله ابن عباس وعنه ايضا
ما بين ايديهم الاخره وما خلفهم الدنيا ذكر الاول الثعلبي
والثاني القشيري ولا يشفعون الا لمن ارتضى قال ابن عباس
هم اهل شهادة ان لا اله الا الله وقال مجاهد هم كل من رضي
الله عنه والملايكه يشفعون غدا في الاخره كما في صحيح مسلم
وغيره وفي الدنيا ايضا فانهم يستغفرون للمومنين ولمن في
الارض كما نص عليه التنزيل على ما ياتي وهم يعني الملايكه
من خشيته يعني من خوفه مشفقون اي خايفون لا يامنون
مكره فقوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه قال قتاده
والضحاك وغيرهما عني بهذه الايه ابليس حيث ادعى الشركة
ودعا الى عبادة نفسه وكان من الملايكه اني اله غيره وقيل
الاشارة الى جميع الملايكه اي فذلك القايل نجزيه جهنم
وهذا دليل على انهم وان اكرموا بالعصمة فهم متعبدون
وليسوا مضطرين الى العبادة كما ظنه بعض الجهال وقد
استدل ابن عباس بهذه الايه على ان محمدا صلى الله عليه وسلم
افضل اهل السما وقد تقدم في البقره كذلك نجزي الظالمين
اي كما

ولم يقل احد من الملايكه

اي كما جزيناهذا بالنار وكذلك نجزي الظالمين الواضعين
الالهه والعباده في غير موضعها قوله تعالى اولم ير
الذين كفروا قراة العامة اولم بالواو وقرا ابن كثير
وابن محيصن وحميد وشبل بن عباد الم بغير واو وكذلك
هو في مصحف مكة الم ويرى بمعنى يعلم الذين كفروا ان
السموات والارض كانتا رتقا قال الاخفش قال كانتا
لانهما صنفان كما تقول العرب هما لقاحان اسودان وكما
قال الله عز وجل ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
قال ابو اسحق كانتا لانه يعبر عن السموات بلفظ الواحد
سيما لان السموات كانت سما واحدا وكذلك الارضون
وقال رتقا ولم يقل رتقين لانه مصدر والمعنى كانتا ذواتي
رتق وقرا الحسن رتقا بفتح التاء قال عيسى بن عمر هو صواب
وهي لغة والرتق المشد ضد الفتق وقد رتقت الفتق
ارتقه فارتتق اي التام ومنه الرتقا للمنضمة الفرج
قال ابن عباس والحسن وعطا والضحاك وقتاده يعني انها
كانت شيا واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهواء وكذلك
قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض
ثم خلق ريحا توسطها ففتحها بها وجعل السموات سبعة
والارضين سبعا وقول ثاني قاله مجاهد والسدي

وابو صالح كانت السموات موتلفة طبقة واحده ففتقها
فجعلها سبع سموات وكذلك الارضين كانت مرتتقة طبقة
واحدة ففتقها فجعلها سبعا وحكاه القتبي في عيون الاخبار
له عن اسماعيل بن ابي خالد قال في قول الله عز وجل اولم ير
الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قال
كانت السما مخلوقة وحدها والارض مخلوقة وحدها ففتق
من هذه سبع سموات ومن هذه سبع ارضين خلق الارض
العليا فجعل سكانها الجن والانس وشق فيها الانهار
وانبت فيها الثمار وجعل فيها البحار وسماها رعا عرضها
مسيرة خمس مائة عام ثم خلق الثانية مثلها في العرض
والغلظ وجعل فيها اقواما افواههم كافواه الكلاب وايديهم
ايدي الناس واذانهم اذان البقر وشعورهم الغنم فاذا
كان عند اقتراب الساعة القتهم الارض الى ياجوج
وماجوج واسم تلك الارض الدكما ثم خلق الارض الثالثة
غلظها مسيرة خمس مائة عام ومنها هوا الى الارض الرابعة
خلق فيها ظلمه وعقارب لاهل النار مثل البغال السود
ولها اذناب مثل اذناب الخيل الطوال ياكل بعضها بعضا
فتسلط على بني ادم ثم خلق الله الخامسة في الغلظ والطول
والعرض فيها سلاسل واغلال وقيود لاهل النار ثم

خلق الله

تسعو ٦

ثم خلق الله الارض السادسه واسمها ماد فيها حجاره سود
بهم ومنها خلقت تربة ادم عليه السلام تبعث تلك الحجاره
يوم القيامة وكل حجر منها كالطود العظيم وهي من كبريت تعلق
في اعناق الكفار فتشعل حتى تحرق وجوههم وايديهم فذلك
قوله عز وجل وقودها الناس والحجارة ثم خلق الله الارض
السابعة واسمها عربية وفيها جهنم فيها بابان اسم الواحد
سجين واسم الاخر الفلق فاما سجين فهو مفتوح واليه
ينتهي كتاب الكفار وعليه تعرض اصحاب المايده وقوم فرعون
واما الفلق فهو مغلق لا يفتح الى يوم القيامة وقد مضى في البقره
انها سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمس مايه عام وسياتي
له في اخر الطلاق زيادة بيان ان شا الله تعالى وقول ثالث
قاله عكرمه وعطية وابن زيد وابن عباس ايضا فيما ذكر
المهدوي ان السموات كانت رتقا لا تنبت ففتق السما
بالمطر والارض بالنبات نظيره قوله جل وعز والسما ذات
الرجع والارض ذات الصدع واختار هذا القول الطبري لان
بعده وجعلنا من الما كل شي حي افلا يومنون **قلت**
وبه يقع الاعتبار مشاهدة ومعاينه ولذلك اخبر بذلك
في غير ما اية ليدل على كمال قدرته وعلى البعث والجزا
وقيل يهون عليهم اذا يغضبون سخط العداة وارغامها
ورتق الفتوق وفتق الرتوق ونقض الامور وابرامها

وفي قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي ثلاث تاويلات احدها انه
خلق كل شيء من الماء قاله قتادة الثاني حفظ حياة كل شيء
بالماء الثالث وجعلنا من ماء الصلب كل شيء حي قاله قطرب
وجعلنا بمعنى خلقنا وروى ابو حاتم البستي في المسند الصحيح
له من حديث ابي هريرة قال قلت يا رسول الله اذا رايتك
طابت نفسي وقرت عيني انبئني عن كل شيء قال كل شيء خلق من الماء
الحديث قال ابو حاتم قول ابي هريرة انبئني عن كل شيء اراد
به عن كل شيء خلق من الماء والدليل على صحة هذا جواب
المصطفا اياه حيث قال كل شيء خلق من الماء وان لم يكن مخلوقا
وهذا احتجاج اخر سوى ما تقدم من كون السموات والارض
رتقا وقيل الكل قد يذكر بمعنى البعض لقوله واوتيت من
كل شيء وقوله تدمر كل شيء والصحيح العموم لقوله عليه السلام
كل شيء خلق من الماء والله اعلم افلا يومنون اي افلا يصدقون
بما يشاهدون وان ذلك لم يكن بنفسه بل لمكون كونه
ومدبر اوجده ولا يجوز ان يكون ذلك المكون محدثا قوله
تعالى وجعلنا في الارض رواسي اي جبالا ثوابت ان
تميد بهم اي لئلا تميد بهم ولا تتحرك ليتم القرار عليها
قاله الكوفيون وقال البصريون المعنى كراهية ان تميد
والميد التحرك والدوران يقال ماد راسه اي دار وقد

مضى

وقد مضى في النحل مستوفى وجعلنا فيها فجاجا يعني في
الرواسي عن ابن عباس والفجاج المسالك والفج الطريق
الواسع بين الجبلين وقيل وجعلنا في الارض فجاجا اي
مسالك وهو اختيار الطبري لقوله لعلهم يهتدون اي
يهتدون الى السير في الارض سبلا تفسير الفجاج لان الفج
قد يكون طريقا نافذا مسلوكا وقيل ليهتدوا بالاعتبار بها
الى دينهم قوله تعالى وجعلنا السما سقفا محفوظا اي
محفوظا ان تقع وتسقط على الارض دليله قوله تعالى
ويمسك السما ان تقع على الارض الا باذنه وقيل محفوظا
بالنجوم من الشياطين قاله الفرا دليله قوله تعالى وحفظناها
من كل شيطان رجيم وقيل محفوظا من الهدم والنقض وعن
ان يبلغه احد بحيلة وقيل محفوظا فلا يحتاج الى عماد وقال
مجاهد مرفوعا وقيل محفوظا من الشرك والمعاصي وهم
يعني الكفار عن اياتها معرضون قال مجاهد يعني الشمس والقمر
واضاف الايات الى السما لانها مجعوله فيها وقد اضاف الايات
الى نفسه في مواضع لانه الفاعل لها بين ان المشركين
غفلوا عن النظر في السموات واياتها من ليلها ونهارها
وشمسها وقمرها وافلاكها ورياحها وسحابها وما فيها
من قدرة الله تعالى اذ لو نظروا واعتبروا لعلموا ان لها

صانعًا قادرًا واحدًا يستحيل ان يكون له شريك قوله تعالى
وهو الذي خلق الليل والنهار ذكرهم نعمة اخرى جعل لهم
الليل ليسكنوا فيه والنهار لينتصروا فيه لمعايشهم والشمس
والقمر اي وجعل الشمس اية النهار والقمر اية الليل لتعلم
الشهور والسنون والحساب كما تقدم في سبحان بيانه كل
يعني من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار
في فلك يسبحون اي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء
قال الله تعالى والسابحات سبحًا ويقال للفرس الذي يمد يده
في الجري سابح وفيه من النحو انه لم يقل يسبحن ولا تسبح
فمذهب سيبويه انه لما اخبر عنهن بفعل ما يعقل من
جعلهن في الطاعة بمنزلة من يعقل خبر عنهن بالواو والنون
ونحوه قال الفرا وقد تقدم هذا المعنى في يوسف وقال
الكساي انما قال يسبحون لانه راس اية كما قال تعالى نحن جميع
منتصر ولم يقل منتصرون وقيل الجري للفلك فنسب اليها
والصحيح ان السيارة تجري في الفلك وهي سبعة الفلك
دون السموات المطبقة التي هي مجال الملايكة واسباب
الملكوت فالقمر في الفلك الادنى ثم عطارد ثم زهره ثم الشمس
ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل والثامن فلك البروج والتاسع
الفلك الاعظم والفلك واحد افلاك النجوم قال ابو عمرو ويجوز
ان يجمع

ان الجمع على فعل مثل أسد وأسُد وخشب وخُشُب فاصل
الكلمة من الدوران ومنه فلكة المغزل لاستدارتها ومنه فلك
قيل تفلك ثدي المراة تفليكا وتفلك استدار وفي حديث ابن
مسعود تركت فرسي كانه يدور في فلك كانه لدورانه
شبهه بفلك السما الذي تدور عليه النجوم قال ابن زيد
الافلاك مجاري النجوم والشمس والقمر قال وهي بين السماء
والارض وقال قتادة الفلك استدارة في السماء تدور بالنجوم
مع ثبوت السماء وقال مجاهد الفلك كهيئة حديدة الرحا
وهو قطبها وقال الضحاك فلكها مجراها وسرعة مسيرها
وقيل الفلك موج مكفوف ومجري الشمس والقمر فيه والله
اعلم قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اي دوام
البقا في الدنيا نزلت حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون
وذلك ان المشركين كانوا ينفون نبوته ويقولون شاعر
نتربص به ريب المنون ولعله يموت كما مات شاعر بني
فلان فقال الله قد مات الانبيا من قبلك وتولى الله دينه
بالنصر والحياطة فهكذا نحفظ دينك وشرعك افاين
مت فهم الخالدون اي افهم مثل قول الشاعر
رفوني وقالوا يا خويلد لم ترع فقلت وانكرت الوجوه هم هم
اي اهم فهو استفهام انكار وقال الفرا جا بالفا ليدل

على الشرط لانه جواب قولهم سيموت ويجوز ان يكون حكى بها
لان التقدير فيها افهم الخالدون ان مت قال الفرا ويجوز حذف
الفاء واضمارها لان هم لا يتبين فيها الاعراب اي ان مت فهم
يموتون ايضا فلا شماتة في الاماته وقري مت ومت
بكسر الميم وضمها لغتان قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت
تقدم في ال عمران ونبلوكم بالشر والخير فتنة فتنه مصدر
على غير اللفظ اي نختبركم بالشدة والرخاء والحرام والحلال
لننظر كيف شكركم وصبركم والينا ترجعون اي للجزاء
بالاعمال قوله تعالى واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك
الا هزوا اي ما يتخذونك والهزؤ السخرية وقد تقدم وهم
المستهزؤن المتقدم الذكر في آخر سورة الحجر في قوله
انا كفيناك المستهزئين كانوا يعيبون من جحد الالهية اصنامهم
وهم جاحدون لالهية الرحمن وهذا غاية الجهل اهذا
الذي اي يقولون اهذا الذي فاضمر القول وهو جواب اذا
وقوله ان يتخذونك الا هزوا كلام معترض بين اذا وجوابه
يذكر الهتكم اي بالسوء والعيب ومنه قول عنترة
لا تذكري مهري وما اطعمته فيكون جلدك مثل جلد الاجرب
اي لا تعيبي مهري وهم بذكر الرحمن اي بالقران هم كافرون
هم الثانية توكيد لكفرهم اي هم الكافرون مبالغة في وصفهم
بالكفر

بالكفر قوله تعالى خلق الانسان من عجل اي ركب على
العجلة فخلق عجولا كما قال الله الذي خلقكم من ضعف اي خلق
الانسان ضعيفا ويقال خلق الانسان من الشر اي شريرا
اذا بالغت في وصفه به ويقال انما انت ذهاب ومجي
اي ذاهب جاي اي طبع الانسان العجله فيستعجل كثيرا
من الاشيا وان كانت تضره ثم قيل المراد بالانسان ادم
قال سعيد بن جبير والسدي لما دخل الروح في عيني
ادم عليه السلام نظر في ثمار الجنة فلما دخل جوفه اشتهي
الطعام فوثب من قبل ان تبلغ الروح رجليه عجلان الى
ثمار الجنة فذلك قوله خلق الانسان من عجل وقيل خلق
يوم الجمعة في اخر النهار فلما احيى الله راسه استعجل
وطلب تتميم نفخ الروح فيه قبل غروب الشمس قاله
الكلبي ومجاهد وغيرهما وقال ابو عبيدة وكثير من اهل
المعاني العجل الطين بلغة حمير وانشدوا ::
والنخل تنبت بين الماء والعجل وقيل المراد بالانسان الناس
كلهم وقيل المراد النضر بن الحارث بن علقمة بن كلده
بن عبد الدار في تفسير ابن عباس اي لا ينبغي لمن خلق من
الطين الحقير ان يستهزي بايات الله ورسله وقيل انه
من المقلوب اي خلق العجل من الانسان وهو مذهب ابي عبيده

النحاس وهذا القول لا ينبغي ان يجاب به في كتاب الله لان القلب
انما يقع في الشعر اضطرارا كما قال كما كان الزنا فريضة
الرجم ونظير هذه الاية وكان الانسان عجولا وقد مضى في
سبحان ساريكم اياتي فلا تستعجلون هذا يقوي القول الاول
وان طبع الانسان العجلة وانه خلق خلقا لا يتمالك كما
قاله عليه السلام حسب ما تقدم في سبحان والمراد
بالايات ما دل على صدق محمد عليه السلام من المعجزات
وما جعله له من العاقبة المحمودة وقيل ما طلبوه من
العذاب فارادوا الاستعجال وقالوا متى هذا الوعد وما
علموا ان لكل شي اجلا مضروبا نزلت في النضر بن الحارث
وقوله ان كان هذا هو الحق وقال الاخفش سعيد
معنى خلق الانسان من عجل اي قيل له كن فكان فمعنى
فلا تستعجلون على هذا القول انه من يقول للشي كن
فيكون لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الايات ويقولون
متى هذا الوعد اي الموعود كما يقال الله رجاونا اي
مرجونا وقيل معنى الوعد هنا الوعيد اي الذي يعدنا
من العذاب وقيل القيامة ان كنتم صادقين يا معشر
المومنين **قوله تعالى** لو يعلم الذين كفروا العلم هنا
بمعنى المعرفة فلا يقتضي مفعولا ثانيا مثل لا تعلمونهم
الله يعلمهم

الله يعلمهم وجواب لو محذوف اي لو علموا الوقت الذي لا
يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون
وعرفوه لما استعجلوا الوعيد وقال الزجاج اي لعلموا
صدق الوعد وقيل المعنى لو علموه لما اقاموا على الكفر
ولامنوا وقال الكسائي هو تنبيه على تحقيق وقوع
الساعة اي لو علموه علم يقين لعلموا ان الساعة اتية
ودل عليه بل تاتيهم بغتة اي فجاة يعني القيامة وقيل
العقوبة وقيل النار فلا يتمكنون من حيلة فتبهتهم
قال الجوهري بهته بهتا اخذه بغتة قال الله تعالى بل
تاتيهم بغتة فتبهتهم اي تحيرهم يقال بهته يبهته
اذا واجهه بشيء يحيره وقيل فتفجاهم فلا يستطيعون
ردها اي صرفها عن ظهورهم ولا هم ينظرون اي يمهلون
ويؤخرون لتوبة واعتذار **قوله تعالى** ولقد استهزئ
برسل من قبلك هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية
له يقول ان استهزا بك هولاء فقد استهزئ بمن قبلك
من الرسل فاصبر كما صبروا ثم وعده النصر فقال فحاق
اي احاط ودار بالذين كفروا وسخروا منهم وهزؤا بهم
ما كانوا به يستهزءون اي جزاء استهزائهم **قوله تعالى**
قل من يكلؤكم اي يحرسكم ويحفظكم والكلاءة الحراسة

وقال الفراء فتبهتهم

والحفظ كلاه الله كلاءة بالكسر اي حفظه وحرسه يقال
اذهب في كلاءة الله واكتلات منهم احترست قال الشاعر
هو ابن هرمة ،، ان سليمي والله يكلاوها ضنت بشي ما كان يرزوها
وقال اخر ،، انخت بعيري واكتلات بعينه ،، وحكى الكساي والفرا
قل من يكلوكم بفتح اللام واسكان الواو وحكيا من يكلاكم
على تخفيف الهمزه في الوجهين والمعروف تحقيق الهمزه
وهي قراة العامه وما يكلاكم فخطا من وجهين فيما ذكره
النحاس احدهما ان بدل الهمزه انما يكون في الشعر
والثاني انهما يقولان في الماضي كليته فينقلب المعنى لان
كليته اوجعت كليته ومن قال للرجل كلاك الله فقد دعا
عليه بان يصيبه الله بالوجع في كليته ثم قيل مخرج اللفظ
مخرج الاستفهام والمراد به النفي وتقديره قل لا حافظ
لكم بالليل اذا نمتم وبالنهار اذا قمتم وتصرفتم في اموركم
من الرحمن اي من عذابه وباسه كقوله تعالى فمن ينصرني
من الله اي من عذاب الله والخطاب لمن اعترف منهم بالصانع
اي اذا اقررتم بانه الخالق فهو قادر على احلال العذاب
الذي تستعجلونه بل هم عن ذكر ربهم اي عن القران وقيل
عن مواعظ ربهم وقيل عن معرفته معرضون لاهون غافلون
قوله تعالى ام لهم الهة المعنى الهم والميم صلة تمنعهم
من دوننا

من دوننا اي من عذابنا لا يستطيعون يعني الذين زعم هولاء
الكفار ينصرونهم لا يستطيعون نصر انفسهم فكيف ينصرون
عابديهم ولا هم منا يصحبون قال ابن عباس يمنعون وعنه
يجارون وهو اختيار الطبري تقول العرب انا لك جار
وصاحب من فلان اي مجير منه قال الشاعر
ينادي باعلا صوته متعوذا ليصحب منها والرماح دواني
وروى معمر عن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال ينصرون
اي يحفظون قتادة اي لا يصحبهم الله بخير ولا يجعل رحمته
صاحبا لهم قوله تعالى بل متعنا هولاء واباهم قال ابن
عباس يريد اهل مكة اي بسطنا لهم ولابايهم في نعيمها
فطال عليهم العمر في النعمة فظنوا انها لا تزول عنهم فاغتروا
واعرضوا عن تدبر حجج الله افلا يرون انا ناتي الارض
ننقصها من اطرافها اي بالظهور عليها لك يا محمد ارضا بعد
ارض وفتحها بلدا بعد بلد مما حول مكة قال معناه الحسن وغيره
وغيره وقيل بالقتل والسبي حكاه الكلبي والمعنى واحد وقد
مضى في الرعد الكلام في هذا مستوفى افهم الغالبون يعني
كفار مكة بعد ان نقصنا من اطرافهم بل انت تغلبهم وتظهر
عليهم قوله تعالى قل انما انذركم بالوحي اي اخوفكم واحذركم
بالقران ولا يسمع الصم الدعا اي من اصم الله قلبه وختم

على سمعه وجعل على بصره غشاوة عن فهم الايات وسماع
الحق وقرا ابو عبد الرحمن السلمي ومحمد بن السميفع ولا يسمع
بياء مضمومة وفتح الميم على ما لم يسم فاعله الصم رفعا
اي ان الله لا يسمعهم وقرا ابن عامر والسلمي ايضا وابو
حيوة ويحيى بن الحارث ولا تسمع بتا مضمومة وكسر
الميم الصم نصبا اي انك يا محمد ما تسمع الصم الدعا فالخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم ورد هذه القراة بعض اهل اللغة
وقال وكان يجب ان يقول ابدا ما ينذرهم قال النحاس
وذلك جايز لانه قد عرف المعنى قوله تعالى ولين مستهم
نفحة من عذاب ربك قال ابن عباس طرف قتادة عقوبة
ابن كيسان قليل وادني شي ماخوذ من نفح المسك قال
وعمرة من سر وان النسا تنفح بالمسك اذوابها ابن جريج
نصيب كما يقال نفح فلان لفلان من عطايه اذا اعطاه
نصيبا من المال قال الشاعر
لما اتيتكم ارجوا فضل نايلكم نفحتني نفحة طابت لها العرب
اي طابت لها النفس والنفحة في اللغة الدفعة اليسيره
فالمعنى ولين مسهم اقل شي من العذاب ليقولن يا ويلنا
انا كنا ظالمين اي متعدين فيعترفون حين لا ينفعهم
الاعتراف قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم
القيامه

القيامة فلا تظلم نفس شيئا الموازين جمع ميزان فقيل
انه يدل بظاهره على ان لكل مكلف ميزانا توزن به
اعماله فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة وقيل يجوز
ان يكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان
منها صنف من اعماله كما قال ملك تقوم الحادثات لعدله فلكل
حادثة لها ميزان ويمكن ان يكون ميزانا واحدا عبر عنه
بلفظ الجمع وخرج اللالكائي الحافظ ابو القاسم في سننه
عن انس رفعه ان ملكا موكل بالميزان فيوتى بابن ادم
فيوقف بين كفتي الميزان فان رجح نادى الملك بصوت
يسمع الخلايق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها
ابدا وان خف نادى الملك شقي فلان شقاوة لا يسعد
بعدها ابدا وخرج عن حذيفة قال صاحب الميزان يوم
القيامة جبريل عليه السلام وقيل للميزان كفتان
وخيوط ولسان والشاهين فالجمع يرجع اليهما وقال مجاهد
وقتادة والضحاك وذكر الميزان مثل وليس ثم ميزان
وانما هو العدل والذي وردت به الاخبار وعليه السواد
الاعظم القول الاول وقد مضى في الاعراف بيان هذا وفي
الكهف ايضا وذكرناه في كتاب التذكرة مستوفى والحمد لله
والقسط العدل اي ليس فيها بخس ولا ظلم كما يكون في وزن

الالكاني

الدنيا والقسط صفة الموازين ووحد لانه مصدر يقال ميزان
قسط وميزانان قسط وموازين قسط مثل رجال عدل
ورضي وقرات فرقة القصط بالصاد ليوم القيامة اي
لاهل يوم القيامة وقيل المعنى في يوم القيامة فلا تظلم نفس
شيا اي لا ينقص من احسان محسن ولا يزاد في اساة مسي
وان كان مثقال حبة من خردل قرا نافع وشيبة وابو
جعفر مثقال بالرفع هنا وفي لقمان على معنى ان وقع او
حضر فتكون كان تامة ولا تحتاج الى خبر الباقون مثقال
بالنصب على معنى وان كان العمل وذلك الشي مثقال ومثقال
الشي ميزانه من مثله اتينا بها مقصورة الالف قراة الجمهور
اي احضرناها وجينا بها للمجازاه عليها وبها اي بالحبة ولو
قال به اي بالمثقال لجاز وقيل مثقال الحبه ليس شيا غير
الحبة فلهذا قال اتينا بها وقرا مجاهد وعكرمة اتينا
بالمد على معنى جازينا بها يقال اتا يواتي مواتاه وكفى
بنا حاسبين اي مجازين على ما قدموه من خير وشر وقيل
حاسبين اذ لا احد اسرع حسابا منا والحساب العد
روى الترمذي عن عايشة ان رجلا قعد بين يدي النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي مملوكين يكذبونني
ويخونونني ويعصونني واشتمهم واضربهم فكيف انا
منهم

منهم قال يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك
اياهم فان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا
لا لك ولا عليك وان كان عقابك اياهم دون ذنوبهم كان
فضلا لك وان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم
منك الفضل قال فتنحى الرجل فجعل يبكي ويهتف فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما تقرا كتاب الله ونضع الموازين
القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا الاية فقال
الرجل والله يا رسول الله ما اجد لي ولهؤلاء شيئا خيرا
من مفارقتهم اشهدك انهم احرار كلهم قال حديث غريب
قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضيا
وحكي عن ابن عباس وعكرمة الفرقان ضيا بغير واو على
الحال في زعم الفرا ان حذف الواو لا يقال الواو في هذه الكلمة
زايدة لانا نقول الواو كانها تضمنت معنى غير كون الكواكب
زينة التقدير ان الكواكب لزينة السماء وحفظا من كل شيطان
كما قال في الاية الاخر ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوما للشياطين فتضمنت الكواكب على هذا
انها يهتدي بها وهو قوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا
بها وبالنجم هم يهتدون فشملت بهذه المعاني كلها الاهتداء
والزينة ورجوما للشياطين والله اعلم والمجي بها واحد

كما قال عز وجل انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب وحفظا
اي حفظا ورد عليه هذا القول الزجاج قال لان الواو تجي
لمعنى فلا تزاد قال في تفسير الفرقان التوراة لان فيها الفرق
بين الحلال والحرام قال وضيا مثل فيه هدى ونور وقال
ابن زيد الفرقان هنا هو النصر على الاعدا دليله قوله تعالى
وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يعني يوم بدر قال الثعلبي
وهذا القول اشبه بظاهر الاية لدخول الواو في الضيا
يكون معنى الاية ولقد اتينا موسى وهارون النصر والتوراة
التي هي الضيا والذكر للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب
اي غايبين لانهم لم يروا الله تعالى بل عرفوا بالنظر والاستدلال
ان لهم ربا قادرا يجازي على الاعمال فهم يخشونه في سرايرهم
وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس وهم من الساعة
اي من قيامها قبل التوبة مشفقون اي خايفون وجلون
وهذا ذكر مبارك انزلناه يعني القران افانتم له يا معشر
العرب منكرون وهو معجز لا تقدرون على الاتيان
بمثله واجاز الفرا وهذا ذكر مباركا انزلناه بمعنى انزلناه
مباركا قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده قال الفرا
اي اعطيناه هداه من قبل اي من قبل النبوة اي وفقناه
للنظر والاستدلال لما جن عليه الليل فراى النجم والشمس
والقمر

اي من قبل

والقمر وقيل من قبل موسى وهارون والرشد على هذا النبوة
وعلى الاول اكثر اهل التفسير كما قال ليحيى واتيناه الحكم صبيا
وقال القرظي رشده صلاحه وكنا به عالمين اي انه اهل
لايتاء الرشد وصالح للنبوة قوله تعالى اذ قال لابيه
قيل المعنى اي اذكر حين قال فيكون الكلام قد تم عند قوله
وكنا به عالمين وقيل المعنى وكنا به عالمين اذ قال فيكون الكلام
متصلا ولا يوقف على قوله عالمين لابيه وهو ازر وقومه
نمرود ومن اتبعه ما هذه التماثيل اي الاصنام والتمثال
اسم موضوع للشيء المصنوع مشبها لخلق من خلق الله تعالى
يقال مثلت الشيء بالشيء اي شبهته به واسم ذلك الممثل تمثال
التي انتم لها عاكفون اي مقيمون على عبادتها قالوا وجدنا
اباءنا لها عابدين اي نعبدها تقليدا لاسلافنا قال لقد كنتم
انتم واباؤكم في ضلال مبين اي في خسران بعبادتها اذ هي
جمادات لا تنفع ولا تضر ولا تعلم قالوا اجئتنا بالحق اي
اجادا انت محق فيما تقول ام انت من اللاعبين اي لاعب مازح
قال بل ربكم رب السموات اي لست بلاعب بل ربكم والقائم
بتدبيركم خالق السموات والارض الذي فطرهن اي خلقهن
وابدعهن وانا على ذلكم من الشاهدين اي على انه رب السموات
والارض والشاهد يبين الحكم ومنه شهد الله يبين الله فالمعنى

وانما بين بالدليل ما اقوله قوله تعالى وتالله لاكيدن اصنامكم
اخبر انه لم يكتف بالمحاجة باللسان بل كسر اصنامهم فعل
واثق بالله تعالى موطن نفسه على مقاساة المكروه في الرب
عن الدين والتا في تالله تختص في القسم باسم الله وحده
والواو تختص بكل مظهر والبا بكل مضمر ومظهر قال الشاعر
تالله يبقى على الايام ذو حيد بمشمخر به الظيان والاس
وقال ابن عباس اى وحرمة الله لاكيدن اصنامكم اى لامكرن
بها والكيد المكر كاده يكيده كيدا ومكيدة ولذلك المكايدة
وربما سمي الحرب كيدا يقال غزا فلان فلم يلق كيدا
وكل شي تعالجه فانت تكيده بعد ان تولوا مدبرين اى
منطلقين ذاهبين وكان لهم في كل سنة عيد يجتمعون فيه
فقالوا لابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا اعجبك ديننا
روى ذلك عن ابن مسعود على ما ياتي بيانه في والصافات
فقال ابراهيم في نفسه تالله لاكيدن اصنامكم قال مجاهد
وقتادة انما قال ذلك ابراهيم في سر من قومه ولم
يسمعه الا رجل واحد وهو الذي افشاه عليه والواحد
يخبر عنه بخبر الجمع اذا كان ما اخبر به عنه مما يرضى به
غيره ومثله يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل وقيل انما قاله بعد خروج القوم
ولم يبق

لمشمخر بان

ولم يبق الا الضعفا فهم الذين سمعوه وكان ابراهيم احتال
في التخلف عنهم بقوله اني سقيم اي ضعيف عن الحركة قوله
تعالى فجعلهم جذاذا اي فتاتا والجذ الكسر والقطع جذذت
الشي كسرته وقطعته والجذاذ والجذاذ ما كسر منه
والضم افصح من كسره قاله الجوهري الكساي ويقال
لحجارة الذهب جذاذ لانها تكسر وقرا الكساي والاعمش
وابن محيصن جذاذا بكسر الجيم اي كسرا وقطعا جمع جذيذ
وهو الهشيم مثل خفيف وخفاف وظريف وظراف وقال الشاعر
جذذ الاصنام في محرابها ذاك في الله العلي المقتدر
الباقون بالضم واختاره ابو عبيد وابو حاتم اي الحطام
والرفات فجذاذه وهذا هو الكيد الذي اقسم به ليفعلنه
بها وقال فجعلهم لان القوم اعتقدوا في اصنامهم الالهيه
وقرا ابن عباس وابو نهيك وابو السمال جذاذا بفتح
الجيم والفتح والكسر لغتان كالحصاد والحصاد ابو
حاتم الفتح والكسر والضم بمعنى حكاه قطرب الا كبيرا
لهم اي عظيم الالهة في الخلق فانه لم يكسره قال السدي
ومجاهد ترك الصنم الاكبر وعلق الفاس الذي كسر الاصنام
به في عنقه ليحتج به عليهم لعلهم اليه اي الي ابراهيم ودينه
يرجعون اذا قامت الحجه عليهم وقيل لعلهم اليه اي الي

الصنم الاكبر يرجعون في تكسرها قوله تعالى قالوا من فعل
هذا بالهتنا انه لمن الظالمين المعني لما رجعوا من عيدهم وراوا
ما احدث بالهتهم قالوا على جهة البحث والانكار من فعل
هذا بالهتنا انه لمن الظالمين وقيل من ليس استفهاما بل هو
ابتدا وخبره لمن الظالمين اي فاعل هذا ظالم والاول اصح
لقوله سمعنا فتى يذكرهم وهذا هو جواب من فعل هذا
والضمير في قالوا للقوم الضعفا الذين سمعوا ابراهيم
او الواحد على ما تقدم ومعني يذكرهم يعيبهم ويسبهم
فلعله الذي صنع هذا واختلف الناس في وجه رفع
ابراهيم فقال الزجاج يرتفع على معني يقال له هو ابراهيم
فيكون مبتدا وخبره محذوف والجملة محكية قال ويجوز
ان يكون رفعا على الندا وضمه بنا وقام له مقام ما لم يسم
فاعله وقيل رفعه على انه مفعول لم يسم فاعله على ان
يجعل ابراهيم غير دال على الشخص بل يجعل النطق به دالا
على بناء هذه اللفظة اي يقال له هذا القول وهذا اللفظ
وهذا كما تقول زيد وزن فعل او زيد ثلاثة احرف فلم
يدل بوجه على الشخص بل دللت بنطقك على نفس اللفظة
وعلى هذه الطريقة تقول قلت ابراهيم ويكون مفعولا
صحيحا انزلته منزلة قول وكلام فلا يتعذر بعد ذلك
ان

ان يبنى الفعل فيه للمفعول هذا اختيار ابن عطيه في رفعه
وقال الاستاد ابو الحجاج الاشبيلي الاعلم هو رفع على
الاهمال قال ابن عطية لما راي وجوه الرفع كانها لا
توضح المعنى الذي قصدوه ذهب الى رفعه بغير شي
كما قد يرفع التجرد والعرو عن العوامل الابتداء والفتى
الشاب والفتاة الشابه وقال ابن عباس ما ارسل الله نبيا
الا شابا ثم قرا سمعنا فتى يذكرهم قوله تعالى قالوا
فاتوا به على اعين الناس فيه مسلة واحده وهي انه لما بلغ
الخبر نمروذ واشراف قومه كرهوا ان ياخذوه بغير
بينة فقالوا ايتوا به ظاهرا بمراى من الناس حتى يروه
لعلهم يشهدون عليه بما قال ليكون ذلك حجة عليه وقيل
لعلهم يشهدون عقابه فلا يقدم احد على مثل ما اقدم
ولعل قوما يشهدون بانهم راوه يكسر الاصنام ولعلهم
يشهدون طعنه على الهتهم ليعلموا انه يستحق العقاب
قلت ففي هذا دليل على انه كان لا يوخذ احد بدعوى
احد فيما تقدم لقوله فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون
وهكذا الامر في شرعنا ولا خلاف فيه قوله تعالى قالوا
أانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم فيه اربع مسايل الاولى
لما لم يكن السماع عاما ولا ثبتت الشهاده استفهموه هل

بلغ

نفعل ام لا وفي الكلام حذف فجا ابراهيم حين اتي به فقالوا
ا انت فعلت هذا بالالهه فقال لهم ابراهيم علي جهة
الاحتجاج عليهم بل فعله كبيرهم هذا اي انه غار وغضب
من ان يعبد هو ويعبد الصغار معه ففعل هذا بها لذلك
ان كانوا ينطقون فاسلوهم فعلق فعل الكبير بنطق
الاخرين تنبيها لهم علي فساد اعتقادهم كانه قال
بل هو الفاعل ان نطق هولاء وفي الكلام تقديم علي هذا
التاويل في قوله فاسلوهم وقيل اراد بل فعله كبيرهم
ان كانوا ينطقون بين ان من لا يتكلم ولا يعلم لا يستحق
ان يعبد فكان قوله من المعاريض وفي المعاريض مندوحه
عن الكذب اي سلوهم ان نطقوا فانهم يصدقون وان لم
يكونوا ينطقون فليس هو الفاعل وفي ضمن هذا الكلام
اعتراف بانه الفاعل وهذا هو الصحيح لانه عدده علي
نفسه فدل انه خرج مخرج التعريض وذلك انهم كانوا
يعبدونهم ويتخذونهم الهة من دون الله كما قال ابراهيم
لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع الاية فقال ابراهيم
بل فعله كبيرهم هذا ليقولوا انهم لا ينطقون ولا ينفعون
ولا يضرون فيقول لهم فلم تعبدونهم فتقوم عليهم الحجه
منهم ولهذا يجوز عندا الامة فرض الباطل مع الخصوم
حتي

حتى يرجع الى الحق من ذات نفسه فانه اقرب في الحجة
واقطع للشبهة كما قال لقومه هذا ربي وهذه اختي واني
سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقرا ابن السميفع بل فعلّه
بتشديد اللام بمعنى فلعل الفاعل كبيرهم وقال الكسائي
الوقف عند قوله بل فعله اي فعله من فعله ثم يبتدي كبيرهم
هذا الزام بلفظ الخبر اي من اعتقد عبادتها يلزمه ان
يثبت لها فعلا والمعنى بل فعله كبيرهم فيما يلزمكم مسألة
روى البخاري ومسلم والترمذي عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم النبي في
شي قط الا في ثلاث قوله اني سقيم وقوله لسارة اختي
وقوله بل فعله كبيرهم لفظ الترمذي وقال هذا حديث
حسن صحيح ووقع في الاسراء في صحيح مسلم من حديث
ابي هريرة في قصة ابراهيم قال وذكر قوله في الكوكب هذا
ربي فعلى هذا تكون الكذبات اربعا الا ان الرسول عليه
السلام قد نفا تلك بقوله لم يكذب ابراهيم النبي قط
الا في ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله اني سقيم
وقوله بل فعله كبيرهم وواحدة في شان سارة الحديث
لفظ مسلم وانما لم يعد عليه قوله في الكوكب هذا ربي
كذبة وهي داخلة في الكذب لانه والله اعلم كان حين

قال ذلك في حال الطفولية ولبست حال تكليف او قاله لقومه
مستفهما لهم على جهة التوبيخ والانكار وحذفت همزة
الاستفهام او على طريق الاحتجاج على قومه تنبيها على
ان ما يتغير لا يصلح للربوبية وقد تقدمت هذه الوجوه
كلها في الانعام مبينة والحمد لله مسئلة قال القاضي ابو بكر
بن العربي في هذا الحديث نكتة عظمى تقصم الظهر وهي انه
عليه السلام قال لم يكذب ابراهيم الا في ثلث ثنتين
ما حل بها عن دين الله وهما قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم
ولم يعد هذه اختي في ذات الله تعالى وان كان قد دافع
بها مكروها ولكنه لما كان لابراهيم عليه السلام فيها حظ
من صيانة فراشه وحماية اهله لم يجعلها في ذات الله
وذلك لانه لا يجعل في جنب الله وذاته الا العمل الخالص
من شوايب الدنيا والمعاريض التي ترجع الى النفس
اذا خلصت للدين كانت لله سبحانه كما قال الا لله
الدين الخالص وهذا لو صدر منا لكان لله ولكن منزلة
ابراهيم اقتضت هذا والله اعلم مسئلة قال علماونا الكذب
هو الاخبار عن الشي بخلاف ما هو عليه والاظهر ان قول
ابراهيم فيما اخبر عنه عليه السلام كان من المعاريض
وان كانت معاريض وحسنات وحججا في الخلق ودلالات
لكنها

لكنها اثرت في الرتبه وحفضت عن مجيد المنزله واستحي
منها قايلها علي ما ورد في حديث الشفاعة فان الانبيا
يشفقون مما لا يشفق منه غيرهم اجلالا لله فان الذي
كان يليق بمرتبته في النبوة والخلة ان يصدع بالحق ويصرح
بالامر كيف ما كان ولكنه رخص له قبل الرخصة وكان ما
كان من العصمة ولهذا جا في حديث الشفاعة انما اتخذت
خليلا من ورا ورا بنصب وراينهما على البنا لخمسة عشر
وكما قالوا جاري بيت بيت ووقع في بعض نسخ مسلم
من ورا من ورا باعادة من وحينيذ لا يجوز البنا على
الفتح وانما بني كل واحد منهما على الضم لانه قطع عن
الاضافة ونوي المضاف كقبل وبعد وان لم ينو المضاف
اعرب ونون غير ان ورا لا ينصرف لان الفه للتانيث
لانهم قالوا في تصغيرها وريية قال الجوهري وهي شاذه
فعلى هذا يصح الفتح فيهما مع وجود من فيهما والمعنى اني كنت
خليلا متاخرا عن غيري ويستفاد من هذا ان الخلة
لم تصح بكمالها الا لمن صح له في ذلك اليوم المقام المحمود
كما تقدم وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
فرجعوا الي انفسهم اي رجع بعضهم الي بعض رجوع
المنقطع عن حجته المتفطن لصحة حجة خصمه فقالوا

انكم انتم الظالمون اي بعبادة من لا ينطق بلفظة ولا يملك
لنفسه لحظه وكيف ينفع عابديه ويدفع عنهم الباس من
لا يرد عن راسه الفاس قوله تعالى ثم نكسوا على روسهم
اي عادوا الى جهلهم وعبادتهم فقالوا لقد علمت ما هولاء
ينطقون فقال فاقطعا لما به يهدون ومفحما لهم فيما يقولون
افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف
لكم اي النتن لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون
وقيل ثم نكسوا على روسهم اي طاطوا روسهم خجلة
من ابراهيم وفيه نظر لانه لم يقل نكسوا روسهم بفتح
الكاف بل قال نكسوا على روسهم ردوا على ما كانوا عليه
في اول الامر وكذا قال ابن عباس قال ادركتهم الشقاوة فعادوا
الى كفرهم قوله تعالى قالوا حرقوه لما انقطعوا بالحجه
اخذتهم عزة بالاثم وانصرفوا الى طريق الغشم والغلبة
وقالوا حرقوه روي ان قايل هذه المقاله هو رجل من
الاكراد من اعراب فارس اي من باديتها قاله ابن عمر
ومجاهد وابن جريج ويقال اسمه هيزر فخسف الله به
الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقيل بل قاله
ملكهم نمرود وانصروا الهتكم بتحريق ابراهيم لانه
يسبها

يسبها ويعيبها وجا في الخبر ان نمرود بني صرحا طوله
ثمانون ذراعا وعرضه اربعون ذراعا قال ابن اسحاق
وجمعوا الحطب شهرا ثم اوقدوها واشتعلت واشتدت
حتى ان كان الطاير ليمر بجنباتها فيحترق من شدة وهجها
ثم قيدوا ابراهيم ووضعوه في المنجنيق مغلولا ويقال
ان ابليس صنع لهم المنجنيق يوميذ فضجت السموات والارض
ومن فيهن من الملايكة وجميع الخلق الا الثقلين ضجة واحدة
ربنا ابراهيم ليس في ارضك احد يعبدك غيره يحرق فيك
فاذن لنا في نصرته فقال الله تعالى ان استغاث بشي منكم
او دعاه فلينصره فقد اذنت له في ذلك وان لم يدع
غيري فانا اعلم به وانا وليه فلما ارادوا القاه في النار
اتاه خزان الماء وهو في الهوا فقالوا يا ابراهيم ان اردت
اخمدنا النار بالماء فقال لا حاجة لي اليكم فاتاه ملك الريح
فقال لو شيت طيرت النار فقال لا ثم رفع راسه الى
السما فقال اللهم انت الواحد في السما وانا الواحد في الارض
ليس احد يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل ع وروي
ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم
حين قيدوه ليلقوه في النار قال لا اله الا انت سبحانك
رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك قال ثم رموا

به في المنجنيق من مضرب شاسع فاستقبله جبريل فقال
يا ابراهيم الك حاجة فقال اما اليك فلا فقال جبريل
فاسل ربك قال حسبي من سوالي علمه بحالي فقال الله
تعالى يا نار كوني بردًا وسلامًا على ابراهيم قال بعض
العلما جعل الله فيها بردًا يدفع حرها وحرًا يدفع
بردها فصارت سلامًا عليه قال ابو العالية ولو لم
يقل بردًا وسلامًا لكان بردها اشد عليه من حرها
ولو لم يقل على ابراهيم لكان بردها باقيًا على الابد
وذكر بعض العلما ان الله تعالى انزل زربية من الجنة
فبسطها في الجحيم وانزل الله ملايكة جبريل وميكايل
وملك البرد وملك السلامة وقال علي وابن عباس
لو لم يتبع بردها سلامًا لمات ابراهيم من بردها
ولم يبق يوميذ نارًا الا طفيت ظنت انها لا تعني
قال السدي وامر الله كل عود من شجره ان ترجع
شجره ويطرح ثمرته وقال كعب وقتاده ولم
تحرق النار من ابراهيم الا وثاقه فاقام في النار
سبعة ايام لم يقدر احد ان يقرب من النار
ثم جاوا فاذا هو قايم يصلي وقال المنهال بن عمرو
قال ابراهيم ما كنت ايامًا قط انعم مني في الايام
التي كنت

بلغ

التي كنت فيها في النار وقال كعب وقتادة والزهري ولم
تبق يومئذٍ دابة الا اطفات عنه النار الا الوزغ فانها
كانت تنفخ عليه فلذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقتلها وسماها فويسقةً وقال شعيب الجبائي القي ابراهيم في
النار وهو ابن ست عشرةَ سنه وقال ابن جريج القي ابراهيم
عليه السلام في النار وهو ابن ست وعشرين سنة ذكر
الاول الثعلبي والثاني الماوردي فالله اعلم وقال الكلبي بردت
نيران الارض جميعاً فما انضجت كُراعاً فراه نمروذ من
الصرح وهو جالس على السرير يؤنسه ملك الظل
فقال نعم الرب ربك لاقربن له اربعة الاف بقرة وكف عنه
قوله تعالى واردوا به كيداً اي اراد نمروذ واصحابه
ان يمكروا به فجعلناهم الاخسرين اي في اعمالهم ورددنا
مكرهم عليهم بتسليط أضعف خلقنا قال ابن عباس سلط
الله عليهم اضعف خلقه البعوض فما برح نمروذ حتى
راى عظام اصحابه وخيله تلوح اكلت لحومهم وشربت
دماهم ووقعت واحدة في منخره فلم تزل تاكل الى
ان وصلت دماغه وكان اكرم الناس عليه الذي
يضرب راسهُ بمرزبةٍ من حديد فاقام بهذا نحوا من
اربع مايه سنةٍ **قوله تعالى** ونجيناه ولوطاً الى الارض

التي باركنا فيها للعالمين يريد نجينا ابراهيم ولوطا الى ارض الشام
وكانا بالعراق وكان لوط عليه السلام عمه قاله ابن عباس
وقيل لها مباركة لكثرة خصبها وثمارها وانهارها ولانها
معادن الانبيا والبركة ثبوت الخير ومنه برك البعير اذا
لزم مكانه فلم يبرح وقال ابن عباس الارض المباركة
مكة وقيل بيت المقدس لان منها بعث الله اكثر الانبيا
وهي ايضا كثيرة الخصب والنمو عذبة الما ومنها
يتفرق في الارض قال ابو العالية ليس ما عذب الا
يهبط من السما الى الصخرة التي ببيت المقدس ثم تتفرق
في الارض ونحوه عن كعب الاحبار وقيل الارض المباركة
مصر قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة
اي زيادة لانه دعا في اسحق وزيد يعقوب من غير دعا
وكان ذلك نافلة اي زيادة على ما سال اذ قال رب هب لي من
الصالحين ويقال لولد الولد نافلة لانه زيادة على الولد
وكلا جعلنا صالحين اي وكلا من ابراهيم واسحق ويعقوب
جعلناه صالحا عاملا بطاعة الله وجعلهم من الصالحين
انما يتحقق بخلق الصلاح والطاعة لهم وبخلق القدرة على الطاعة
ثم ما يكتسبه العبد فهو مخلوق لله تعالى قوله تعالى
وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا اي رؤسا يقتدى بهم
في الخيرات

[margin note: illegible]

في الخيرات واعمال الطاعات ومعنى بامرنا اي بما انزلنا عليهم من
الوحي والامر والنهي فكانه قال يهدون بكتابنا وقيل المعنى
يهدون الناس الى ديننا بامرنا اياهم بارشاد الخلق ودعايهم
الى التوحيد واوحينا اليهم فعل الخيرات اي ان يفعلوا الطاعات
الطاعات واقام الصلاة وايتا الزكاة وكانوا لنا عابدين
اي مطيعين قوله تعالى ولوطا اتيناه حكما وعلما
لوطا منصوب بفعل مضمر دل عليه الثاني اي واتينا
لوطا اتيناه وقيل اي واذكر لوطا والحكم النبوة والعلم
المعرفة بامر الدين وما يقع به الحكم بين الخصوم وقيل علما
فهما والمعنى واحد ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبايث
يريد سدوم ابن عباس وكانت سبع قرى قلب جبريل
عليه السلام ستة وابقى واحدة للوط وعياله وهي
زغر التي فيها التمر من كورة فلسطين الى حد السراة
ولها قرى كثيرة الى حد بحر بالحجاز وفي الخبايث التي
كانوا يعملونها قولان احدهما اللواط على ما تقدم والثاني
الضراط اي كانوا يتضارطون في ناديهم ومجالسهم
وقيل الضراط وحذف الحصى وسياتي انهم كانوا قوم
سوء فاسقين اي خارجين عن طاعة الله والفسوق
الخروج وقد تقدم وادخلناه في رحمتنا اي في النبوة

وقيل في الاسلام وقيل في الجنة وقيل عنا بالرحمة انجاه من
قومه انه من الصالحين قوله تعالى ونوحا اذ نادى
من قبل اي واذكر نوحا اذ نادى اي دعا من قبل اي من
قبل ابراهيم ولوط على قومه وهو قوله رب لا تذر على
الارض من الكافرين ديارا وقال لما كذبوه اني مغلوب فانتصر
فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم اي من
الغرق والكرب الغم الشديد واهله اي المومنين
منهم ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا قال ابو
عبيدة من بمعنى على وقيل المعنى فانتقمنا له من القوم
الذين كذبوا باياتنا فاغرقناهم اجمعين اي الصغير منهم
والكبير قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في
الحرث الى قوله وعلما فيه ست وعشرون مسلة
الاولى قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان اي واذكرهما
اذ يحكمان ولم يرد بقوله اذ يحكمان الاجتماع في الحكم وان
جمعهما في القول فان حكمين على حكم واحد لا يجوز وانما
حكم كل واحد منهما على انفراده وكان سليمان الفاهم لها
بفهم الله تعالى اياه في الحرث اختلف فيه على قولين
فقيل كان زرعا قاله قتادة وقيل كرما تنبت عناقيده
قاله ابن مسعود وشريح والحرث يقال فيهما وهو في

الزرع

الزرع أبعد من الاستعارة الثانية قوله تعالى اذ نفشت
فيه غنم القوم اي رعت فيه ليلا والنفش الرعي بالليل يقال
نفشت بالليل وهملت بالنهار اذا رعت بلا راع وانفشها
صاحبها وابل نفاش وفي حديث عبد الله بن عمرو الحبة
في الجنة كمثل كرش البعير يبيت نافشا اي راعيا حكاه
الهروي وقال ابن سيدة لا يقال الهمل في الغنم وانما هو
في الابل الثالثة قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين دليل
على أن اقل الجمع اثنان وقيل المراد الحاكمان والمحكوم عليه
فلذلك قال لحكمهم الرابعة قوله تعالى ففهمناها سليمان
اي فهمنا القضية والحكومة فكنى عنها اذ سبق ما يدل
عليها وفضل حكم سليمان حكم ابيه في انه احرز أن يبقى
ملك كل واحد منهما على متاعه وتبقى نفسه طيبة بذلك
وذلك ان داود عليه السلام راى ان يدفع الغنم الى صاحب
الحرث وقالت فرقة بل دفع الغنم الى صاحب الحرث والحرث
الى صاحب الغنم قال ابن عطية فيشبه على القول الواحد
أنه راى الغنم تقاوم الغلة التي افسدت وعلى القول
الثاني راها تقاوم الحرث والغلة فلما خرج الخصمان
على سليمان وكان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم
وكانوا يدخلون الى داود على باب اخر فقال بم قضى

بينكما نبي الله داود فقال اقضي بالغنم لصاحب الحرث فقال
لعل الحكم غير هذا انصرفا معي فاتاه اباه فقال يا نبي الله انك
حكمت بكذا وكذا واني رايت ما هو ارفق بالجميع قال
وما هو قال ينبغي ان تدفع الغنم الى صاحب الزرع فينتفع
بالبانها وسمونها واصوافها وتدفع الحرث الى صاحب
الغنم ليقوم عليه فاذا عاد الزرع الى حاله التي اصابته
الغنم عليه في السنة المقبلة رد كل واحد منهما ماله الى
صاحبه فقال داود وفقت يا بني لا يقطع الله فهمك
وقضى بما قضى به سليمان قال معناه ابن مسعود ومجاهد
وغيرهما قال الكلبي فقوم داود الغنم والكرم الذي افسدته
الغنم فكانت القيمتان سوا فدفع الغنم الى صاحب الكرم
وهكذا قال النحاس انما قضى بالغنم لصاحب الحرث لان ثمنها
كان قريبا منه واما في حكم سليمان فقد قيل كانت قيمة
ما نال من الغنم وقيمة ما افسدت الغنم سوا ايضا الخامسة
قوله تعالى وكلا اتينا حكما وعلما تاول قوم ان داود لم يخطي
في هذه النازله بل فيها اوتي الحكم والعلم وحملوا قوله ففهمناها
سليمان على انه فضيلة له على داود وفضيلته راجعة
الى داود والوالد يسره زيادة ولده عليه وقالت فرقة
بل لانه لم يصب العين المطلوبة في هذه النازله وانما

مه رحمه الله

مدحه الله بأن له حكما وعلما يرجع اليه في غير هذه
النازله وأما في هذه فاصاب سليمان واخطأ داود ولا
يمتنع وجود الغلط والخطاء من الانبيا لوجوده من
غيرهم لكن لا يقرون عليه وان اقر عليه غيرهم ولما هدم
الوليد كنيسة دمشق كتب اليه ملك الروم انك هدمت
الكنيسة التي راي ابوك تركها فان كنت مصيبا
فقد أخطا ابوك وان كان ابوك مصيبا فقد اخطات انت
فأجابه الوليد وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث وكنا
لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما
وقال قوم كان داود وسليمان عليهما السلام نبيين يقضيان
بما يوحى اليهما فحكم داود بوحي وحكم سليمان بوحي نسخ الله
به حكم داود وعلي هذا ففهمناها سليمان اي بطريق الوحي
الناسخ لما أوحي الي داود وامر سليمان ان يبلغ ذلك داود
ولهذا قال وكلا اتينا حكما وعلما هذا قول جماعة من
العلما ومنهم ابن فورك وقال الجمهور ان حكمهما كان باجتهاد
وهي المسادسه واختلف العلما في جواز الاجتهاد
علي الانبيا فمنعه قوم وجوزه المحققون لانه ليس
فيه استحالة عقلية لانه دليل شرعي فلا احالة ان يستدل
به الانبيا كما لو قال له الرب سبحانه اذا غلب علي ظنك كذا

فاقطع بان ما غلب على ظنك فهو حكمي فبلغه الامة فهذا
غير مستحيل في العقل فان قيل انما يكون دليلا اذا عدم
النص وهم لا يعدمونه قلنا اذا لم ينزل الملك فقد عدم
النص عندهم وصاروا في البحث كغيرهم من المجتهدين
عن معاني النصوص التي عندهم والفرق بينهم وبين غيرهم
من المجتهدين انهم معصومون عن الخطاء والغلط وعن
التقصير في اجتهادهم وغيرهم ليس كذلك هذا مذهب
الجمهور في ان جميع الانبيا صلوات الله عليهم معصومون
عن الخطاء والغلط في اجتهادهم وذهب ابو علي بن ابي هريرة
من اصحاب الشافعي الى ان نبينا صلى الله عليه وسلم مخصوص
منهم في جواز الخطا عليهم وفرق بينه وبين غيره من الانبيا
انه لم يكن بعده من يستدرك غلطه ولذلك عصمه الله
تعالى منه وقد بعث بعد غيره من الانبيا من يستدرك
غلطه وقد قيل انه على العموم في جميع الانبيا وان نبينا
وغيره من الانبيا صلوات الله عليهم في تجويز الخطاء عليهم
سواء الا انهم لا يقرون على امضايه فلم يعتبر فيه استدراك
من بعدهم من الانبيا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد سالته امراة من العدة فقال لها اعتدي حيث شئت
ثم قال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله وقال له رجل

ارايت

ارايت ان قتلت صابرا محتسبا الجرني عن الجنة شي فقال
لا ثم دعاه فقال الا الدين كذا اخبرني جبريل السابعه
قال الحسن لولا هذه الاية لرايت القضاة هلكوا ولكنه تعالى
اثنى على سليمان بصوابه وعذر داود باجتهاده وقد اختلف
الناس في المجتهدين في الفروع اذا اختلفوا فقالت فرقة
الحق في طرف واحد عند الله وقد نصب على ذلك ادلة
وحمل المجتهدين على البحث عنها والنظر فيها فمن صادف
العين المطلوبه في المسله فهو المصيب على الاطلاق وله
اجران اجر في الاجتهاد واجر في الاصابة ومن لم يصادفها
فهو مصيب في اجتهاده مخطي في انه لم يصب العين فله
اجر وهو غير معذور وهذا سليمان قد صادف العين المطلوبه
وهي التي فهم ورات فرقة ان العالم المخطي لا اثم عليه في
خطايه وان كان غير معذور وقالت فرقة الحق في طرف
واحد ولم ينصب الله تعالى عليه الادلة وكل الامر الى
نظر المجتهدين فمن اصابه اصاب ومن اخطا فهو معذور
ماجور ولم يتعبد باصابة العين بل تعبدنا بالاجتهاد
فقط وقال جمهور اهل السنة وهو المحفوظ عن مالك
واصحابه ان الحق في مسايل الفروع في الطرفين وكل مجتهد
مصيب والمطلوب انما هو الافضل في ظنه فكل مجتهد

فطنه

قد اداه نظره الي الافضل والدليل علي هذه المقالة ان الصحابة
فمن بعدهم قرر بعضهم خلاف بعض فلم ير احد منهم ان يقع
الاجماع علي قوله دون قول مخالفه ومنه رد مالك رحمه الله
للمنصور ابي جعفر عن حمل الناس علي الموطا قائلا فان عالم
في امر حلال فذلك هو الحق فيما يختص بذلك العالم عند الله
وبكل من اخذ بقوله وكذا في العكس قالوا وان كان سليمان
عليه السلام فهم القضية المثلي والتي هي ارجح فالاولي
ليست بخطاء ولكن علي هذا يحملون قوله عليه السلام اذا
اجتهد العالم فاخطا اي اخطا الافضل الثامنة روي
مسلم وغيره عن عمرو بن العاصي انه سمع رسول الله صلي
الله عليه وسلم قال اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله
اجران واذا حكم فاجتهد ثم اخطا فله اجر هكذا
لفظ الحديث في كتاب مسلم اذا حكم فاجتهد فبدا
بالحكم قبل الاجتهاد والامر بالعكس فان الاجتهاد مقدم
علي الحكم فلا يجوز الحكم قبل الاجتهاد بالاجماع وانما معني
هذا الحديث اذا اراد ان يحكم كما قال فاذا قرات القران
فاستعذ فعند ذلك يجتهد في النازلة ويفيد هذا صحة
ما قاله الاصوليون ان المجتهد يجب عليه ان يجدد
نظرا عند وقوع النازلة ولا يعتمد علي اجتهاده المتقدم
لامكان

١٦٤

لامكان ان يظهر له ثانيا خلاف ما ظهر له اولا اللهم
الا ان يكون ذاكرا لاركان اجتهاده مايلا اليه فلا يحتاج
الى استيناف نظر في امارة اخرى التاسعه انما
يكون الاجر للحاكم المخطي اذا كان عالما بالاجتهاد والسنن
والقياس وقضايا من مضى لان اجتهاده عباده ولا يوجر
على الخطا بل يوضع عنه الاثم فقط فاما من لم يكن محلا
للاجتهاد فهو متكلف لا يعذر بالخطا في الحكم بل يخاف
عليه اعظم الوزر يدل على ذلك حديثه الاخر رواه
ابو داود القضاة ثلاثه الحديث قال ابن المنذر انما
يوجر على اجتهاده في طلب الصواب لا على الخطا ومما يويد
هذا قوله تعالى ففهمناها سليمان الايه قال الحسن اثنى
على سليمان ولم يذم داود العاشره ذكر ابو التمام
المالكي ان مذهب مالك ان الحق في واحد من اقاويل
المجتهدين وليس ذلك في اقاويل المختلفين وبه قال اكثر
الفقها قال وحكى ابن القاسم انه سال مالكا عن اختلاف
الصحابه فقال مخطي ومصيب وليس الحق في جميع
اقاويلهم وهذا القول قيل هو المشهور عن مالك واليه
ذهب محمد بن الحسن واحتج من قال هذا بحديث عبد الله
بن عمرو قالوا وهو نص على ان في المجتهدين وفي الحاكمين

مخطيا ومصيبا قالوا والقول بان كل مجتهد مصيب يودي
الى كون الشي حلالا وحراما وواجبا ندبا واحتج اهل المقالة
الاولى بحديث ابن عمر قال نادى فينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم انصرف من الاحزاب الا لا يصلين احد العصر
الا في بني قريظة فتخوف ناس فوت الوقت فصلوا دون
بني قريظة وقال الاخرون لا نصلي الا حيث امرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وان فاتنا قال فما عنف واحدا من
الفريقين قالوا فلو كان احد الفريقين مخطيا لعينه النبي
صلى الله عليه وسلم ويمكن ان يقال لعله انما سكت عن
تعيين المخطين لانه غير اثم بل ماجور فاستغنى عن تعيينه
والله اعلم ومسلة الاجتهاد طويلة متشعبه وهذه النبذه
التي ذكرناها كافية في معنى الاية والله الموفق للهداية الحادية
عشر لا ويتعلق بالاية فصل اخر وهو رجوع الحاكم
بعد قضايه من اجتهاده الى اجتهاد اخر ارجح من الاول
فان داود عليه السلام فعل ذلك وقد اختلف في ذلك علماونا
رحمهم الله فقال عبد الملك ومطرف في الواضحه ذلك له
ما دام في ولايته فاما ان كانت ولاية اخرى فليس
له ذلك وهو بمنزلة غيره من القضاه وهذا هو ظاهر
قول مالك رحمه الله في المدونه وقال سحنون في رجوعه

من

من اجتهاد فيه قول الى غيره مما راه اصوب ليتبين له ذلك
وقال ابن عبد الحكم فلا ويستانف الحكم بما قوي عنده قال
سحنون الا ان يكون نسي الاقوى عنده في ذلك الوقت
ثم قوي عنده غيره بعد ذلك فلا سبيل الى نقض الاول
قاله سحنون في كتاب ابنه وقال اشهب في كتاب ابن المواز
ان كان رجوعه الى الاصوب في مال فله نقض الاول وان
كان في طلاق او نكاح او عتق فليس له نقضه قلت
رجوع القاضي عما حكم به اذا تبين له ان الحق في غيره ما
دام في ولايته اولى وهذا في رسالة عمر الى ابي موسى
رضي الله عنهما رواها الدارقطني وقد ذكرناها في الاعراف
ولم يفصل وهي الحجة لظاهر قول مالك ولم يختلف العلما
ان القاضي اذا قضى بجور او بخلاف اهل العلم فهو مردود
وان كان على وجه الاجتهاد فاما ان يتعقب قاض حكم
قاض اخر فلا يجوز ذلك له لان فيه مضرة عظمى من
جهة نقض الاحكام وتبديل الحلال بالحرام وعدم
ضبط قوانين الاسلام ولم يتعرض احد من الخلفا لنقض
ما راه الاخر وانما كان يحكم بما ظهر له الثانية عشره
قال بعض الناس ان داود لم يكن انفذ الحكم وظهر له ما قال
غيره وقال اخرون لم يكن حكما وانما كانت فتيا قلت

وهكذا تأول فيما رواه ابو هريرة عنه عليه السلام انه قال
بينما امرأتان معهما ابناهما جا الذيب فذهب بابن احداهما
فقالت هذه لصاحبتها انما ذهب بابنك انت وقالت
الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكمتا الى داود فقضى به
للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فاخبرتاه فقال
ايتوني بالسكين اشقه بينكما فقالت الصغرى لا يرحمك
الله هو ابنها فقضى به للصغرى قال ابو هريرة ان سمعت
بالسكين يومئذ ما كنا نقول الا المدية اخرجه مسلم فاما
القول بان ذلك من داود فتيا فهو ضعيف لانه كان النبي
وفتياه حكم واما قول الاخر فبعيد لانه تعالى قال اذ
يحكمان في الحرث فبين ان كل واحد منهما كان قد حكم وكذا
قوله في الحديث فقضى به للكبرى يدل على انفاذ القضاء
والاجازة ولقد ابعد من قال انه كان من شرع داود ان
يحكم به للكبرى من حيث هي كبرى لان الكبر والصغر
طرد محض عند الدعاوى كالطول والقصر والسواد
والبياض وذلك لا يوجب ترجيح احد المتداعين حتى
يحكم له او عليه لاجل ذلك وهذا مما يقطع به من فهم
ما جاءت به الشرايع والذي ينبغي ان يقال ان داود
عليه السلام انما قضى به للكبرى لسبب اقتضى عنده
ترجيح

ترجيح قولها ولم يذكر في الحديث تعيينه اذ لم تدع حاجة
اليه فيمكن ان الولد كان بيدها وعلم عجز الاخرى عن
اقامة البينه فقضى به لها ابقا لما كان على ما كان وهذا
التاويل احسن ما قيل في هذا الحديث وهو الذى يشهد
لهُ قاعدة الدعاوى الشرعية التي يبعد اختلاف الشرايع
فيها لا يقال فان كان داود قضى بسبب شرعي فكيف
ساغ لسليمان نقض حكمه فالجواب أن سليمان لم يتعرض
لحكم ابيه بالنقض وانما احتال حيله لطيفة ظهر له
بسببها صدق الصغرى وهي انه لما قال هات السكين
اشقه بينكما قالت الصغرى لا فظهر له من قرينة
الشفقة في الصغرى وعدم ذلك في الكبرى مع ما
عساه انضاف الى ذلك من القراين ما حصل له العلم
بصدقها فحكم لها ولعله كان ممن شرع له ان يحكم
بعلمه وقد ترجم النساي على هذا الحديث حكم الحاكم
بعلمه وترجم له ايضا السعة للحاكم ان يقول للشي الذي
لا يفعله افعل ليستبين الحق وترجم له ايضا نقض الحاكم
ما يحكم به غيره ممن هو مثله او اجل منهُ ولعل الكبرى
اعترفت بان الولد للصغرى عند ما رات من سليمان
الجزم والجد في ذلك فقضى بالولد للصغرى ويكون هذا

كما اذا حكم الحاكم باليمين فلما مضي ليحلف حضر من استخرج
من المنكر ما اوجب اقراره فانه يحكم عليه بذلك الاقرار
قبل اليمين و بعدها ولا يكون ذلك من باب نقض الحكم
الاول لكن من باب تبدل الاحكام بحسب تبدل الاسباب
والله اعلم وفي هذا الحديث من الفقه ان الانبيا سوغ لهم
الحكم بالاجتهاد وقد ذكرناه وفيه من الفقه استعمال الحكام
الحيل التي يستخرج بها الحقوق وذلك يكون عن قوة الذكا
والفطنة وممارسة احوال الخلق وقد يكون في اهل التقوى
فراسة دينية وتوسمات نورية وذلك فضل الله
يوتيه من يشا وفيه حجة لمن يقول ان الام تستلحق
وليس مشهور مذهب مالك وليس هذا موضع ذكره
وعلى الجملة فقضا سليمان في هذه القصة تضمنها مدحه تعالى
له بقوله ففهمناها سليمان الثالثة عشرة قد تقدم القول
في الحرث والحكم في هذه الواقعة في شرعنا ان على اصحاب الماشية
حفظها بالليل وعلى اصحاب الحوايط حفظ حيطانهم وزروعهم
بالنهار ثم الضمان في المثل بالمثليات وبالقيمة في ذوات القيم
والاصل في هذه المسلة في شرعنا ما حكم به محمد نبينا
صلى الله عليه وسلم في ناقة البرا بن عازب رواه مالك عن
ابن شهاب عن حرام بن سعد بن محيصة ان ناقة للبرا دخلت

حايط

حايط رجل فافسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان على اهل الحوايط حفظها بالليل وانما افسدت
المواشي بالليل ضامن على اهلها هكذا رواه جميع الرواه مرسلا
وكذلك رواه اصحاب ابن شهاب عن ابن شهاب الا ابن عيينه
فانه رواه عن الزهري عن سعيد وحرام بن سعد بن محيصه
ان ناقة فذكر مثله بمعناه ورواه ابن ابي ذيب عن ابن شهاب
انه بلغه ان ناقة البرا دخلت حايط قوم مثل حديث مالك
سوا الا انه لم يذكر حرام بن سعد بن محيصه ولا غيره
قال ابو عمر ولم يصنع ابن ابي ذيب شيا لانه افسد اسناده
ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن حرام بن محيصه
عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتابع عبد الرزاق
على ذلك وانكروا عليه قوله عن ابيه ورواه ابن جريج عن
ابن شهاب قال حدثني ابو امامة بن سهل بن حنيف ان
ناقة دخلت في حايط قوم فافسدت فجعل الحديث
لابن شهاب عن ابي امامة ولم يذكر ان الناقة كانت للبرا
وجايز ان يكون الحديث عند ابن شهاب عن ابن محيصه وعن
سعيد بن المسيب وعن ابي امامة والله اعلم فحدث به
عن من شا منهم على ما حضره وكلهم ثقات قال ابو عمر
وهذا الحديث وان كان مرسلا فهو حديث مشهور

ارسله الايمة وحدث به الثقات واستعمله فقها الحجاز
وتلقوه بالقبول وجرى في المدينة به العمل وحسبك
باستعمال اهل المدينة وساير اهل الحجاز لهذا الحديث الرابعة
عشرة ذهب مالك وجمهور الايمة الى القول لحديث البرا
وذهب ابو حنيفة واصحابه وجماعة من الكوفيين الى ان هذا
الحكم منسوخ وان البهايم اذا افسدت زرعا في ليل او نهار
انه لا يلزم صاحبها الشي وادخل فسادها في عموم قوله
صلى الله عليه وسلم جرح العجما جبار فقاس جميع افعالها
على جرحها ويقال انه ما تقدم ابا حنيفة احد بهذا القول
ولا حجة له ولا لمن اتبعه في حديث العجما وكونه ناسخا
لحديث البرا ومعارضا له فان النسخ شروطه معدومة
والتعارض انما يصح اذا لم يمكن استعمال احدهما الا بنفي الاخر
وحديث العجما جرحها جبار عموم متفق عليه ثم خص منه
الزرع والحوايط بحديث البرا لان النبي صلى الله عليه وسلم
لو جاء عنه في حديث واحد العجما جرحها جبار نهارا لا ليلا
وفي الزرع والحوايط والحرث لم يكن هذا مستحيلا من القول
فكيف يجوز ان يقال في هذا متعارض وانما هذا من باب العموم
والخصوص على ما هو مذكور في الاصول الخامسة عشرة
ان قيل ما الحكمة في تفريق الشارع بين الليل والنهار وقد
قال الليث

قال الليث بن سعد يضمن ارباب المواشي بالليل والنهار كل ما
افسدت ولا يضمن اكثر من قيمة الماشية قلنا الفرق
بينهما واضح وذلك ان اهل المواشي بهم ضرورة الى ارسال
مواشيهم لترعى بالنهار والاغلب عندهم ان من عنده زرع
يتعاهده بالنهار فيحفظه عمن اراده فجعل حفظ ذلك عمره
بالنهار على اهل الزرع لانه وقت التصرف في المعاش كما
قال سبحانه وجعلنا النهار معاشا فاذا جا الليل فقد جا
الوقت الذي يرجع كل شي الى موضعه وسكنه كما قال
تعالى من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه وقال وجعل
الليل سكنا ويرد اهل المواشي مواشيهم الى مواضعهم ليحفظوها
فاذا فرط صاحب الماشية في ردها الى منزله او فرط
في ضبطها وحبسها عن الانتشار بالليل حتى اتلفت شيا
فعليه ضمان ذلك فجرى الحكم على الاوفق الاسمح وكان ذلك
ارفق بالفريقين واسهل على الطايفتين واحفظ للمالين
وقد وضح الصبح لذي عينين ولكن لتسليم الحاسدين
واما قول الليث لا يضمن اكثر من قيمة الماشية فقد
قال ابو عمر لا اعلم من اين قال الليث بن سعد الا ان يجعله
قياسا على العبد الجاني لا يفتك باكثر من قيمته ولا يلزم
سيده في جنايته اكثر من قيمته وهذا ضعيف الوجه

كذا قال في التمهيد وقال في الاستذكار فخالف الحديث في
العجماء جرحها جبار وخالف ناقة البرا وقد تقدمه الى ذلك
طايفة من العلما منهم عطا قال ابن جريج قلت لعطا الحرث
تضمنه الماشية ليلاً او نهاراً قال يضمن صاحبها ويغرم
قلت كان عليه حظيرا ولم يكن قال نعم يغرم قلت ما يغرم
قال قيمة ما اكل حماره ودابته وماشيته وقال معمر عن
ابن شبرمه يقوم الزرع على حاله التي اصيب عليها دراهم
وروي عن عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز يضمن
رب الماشية ليلاً ونهاراً من طرق لا تصح السادسه
عشره قال مالك ويقوم الزرع الذي افسدت
المواشي بالليل على الرجا والخوف قال والحوايط التي تحرس
والتي لا تحرس والمحظر عليها وغير المحظر سوا يغرم
اهلها ما اصابت بالليل بالغا ما بلغ وان كان اكثر من قيمتها
قال واذا انفلتت دابة بالليل فوطيت على رجل نايم لم
يغرم صاحبها شيا وانما هذا في الحايط والزرع والحرث
ذكره عنه ابن عبد الحكم وقال ابن القاسم ما افسدت الماشيه
بالليل فهو في مال ربها وان كان اضعاف ثمنها لان الجناية
من قبله اذ لم يربطها وليست الماشية كالعبد
حكاه سحنون واصبغ وابو زيد عن ابن القاسم

السابعه عشره

بلغ

السابعة عشرة فلا يبتنا في المزرع ان ينبت اولا ينبت
كما يفعل في سن الصغير وقال عيسى عن ابن القاسم فيمته
لو حل بيعه وقال اشهب وابن نافع في المجموعة عنه
وان لم يبد صلاحه ابن العربي والاول اقوى لانها صفته
فيقوم كما يقوم كل متلف على صفته الثامنة عشرة
لو لم يقض للمفسد له بشي حتى نبت وانجبر فان كان فيه
قبل ذلك منفعة رعي او شي ضمن تلك المنفعة وان لم يكن
فيه منفعة فلا ضمان وقال اصبغ يضمن لان التلف قد تحقق
والجبر ليس من جهته فلا يعتد له به التاسعة عشرة
وقع في كتاب ابن سحنون ان الحديث انما جا في امثال المدينة
التي هي حيطان محدقة واما البلاد التي هي زروع متصلة
غير محظرة وبساتين كذلك فيضمن ارباب النعم ما افسدت
من ليل او نهار كانه ذهب الى ان ترك تثقيف الحيوان في
مثل هذه البلاد تعد لانها ولا بد تفسد وهذا جنوح
الى قول الليث الموفية عشرين قال اصبغ في
المدينة ليس لاهل المواشي ان يخرجوا مواشيهم
الى قرى الزرع بغير ذواد فركب العلما على هذا
ان البقعة لا تخلوا ان تكون بقعة زرع او بقعة
سرح فان كانت بقعة زرع فلا تدخلها ماشية الا ماشية

وتلك

البقعة
وبلا دين

مطلب في ضمان ارباب المواشي ما افسدت من الزرع والحرث

تحتاج وعلى اربابها حفظها وما افسدت فصاحبها
ضامن ليلا او نهارا وان كانت بقعة سرح فعلى صاحب
الذي حرثه فيها حفظه ولا شي على ارباب المواشي الحادية
والعشرون المواشي على قسمين ضواري وحريسة
وعليها قسمها مالك قال الضواري هي المعتادة للزرع والثمار
فقال مالك تغرب وتباع واما ما يستطاع الاحتراز منه
فلا يومر صاحبه باخراجه الثانية والعشرون قال
اصبغ النحل والحمام والاوز والدجاج كالماشية لا يمنع
صاحبها من اتخاذها وان اضرت وعلى اهل القرية حفظ
زروعهم قال ابن العربي وهذه رواية ضعيفة لا يلتفت
اليها من اراد ان يتخذ ما ينتفع به مما لا يضر بغيره مكن
منه واما انتفاعه بما يتخذه باضراره باحد فلا سبيل
اليه قال عليه السلام لا ضرر ولا ضرار وهذه الضواري
عن ابن القاسم في المدونة لا ضمان على اربابها الا بعد التقدم
ابن العربي وارى الضمان عليهم قبل التقدم اذا كانت ضواري
الثالثة والعشرون ذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة
عن الشعبي ان شاة وقعت في غزل حايك فاختصموا الى
شريح فقال الشعبي انظروه فانه سيسألهم ليلا وقعت
فيه او نهارا ففعل ثم قال ان كان بالليل ضمن وان كان
بالنهار

[illegible] قال مالك [illegible] وغيره قال ابن حبيب وان كره ذلك [illegible] الزرع تغرب وتباع

نفشت لیلا

بالنهار لم يضمن ثم قرا شريح اذ نفشت فيه غنم القوم قال
والنفش بالليل والهمل بالنهار قلت ومن هذا الباب قوله
صلى الله عليه وسلم العجماء جرحها جبار الحديث وقال ابن
شهاب والجبار الهدر والعجماء البهيمة قال علماؤنا ظاهر
قوله العجماء جرحها جبار انما انفردت البهيمة بالاتلاف
لم يكن فيه شي وهذا مجمع عليه فلو كان معها قايد او
سايق او راكب فحملها احدهم على شي فاتلفته لزمه حكم
المتلف فان كانت جناية مضمونة بالقصاص وكان
الحمل عمدا كان فيه القصاص ولا يختلف فيه لان الدابة كالآلة
وان كان عن غير قصد كانت فيه الدية على العاقلة وفي
الاموال الغرامة في مال الجاني الرابعة والعشرون
واختلفوا فيما اصابته برجلها او ذنبها فلم يضمن مالك
والليث والاوزاعي صاحبها وضمنه الشافعي وابن
ابي ليلى وابن شبرمة واختلفوا في الضارية فجمهورهم
انها كغيرها ومالك وبعض اصحابه يضمنونه الخامسة
والعشرون روى سفيان بن حسين عن الزهري عن
سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الرجل جبار قال الدارقطني لم يروه
غير سفيان بن حسين ولم يتابع عليه وخالفه الحفاظ

عن الزهري منهم مالك وابن عيينة ويونس ومعمر وابن جريج
والزبيدي وعقيل وليث بن سعد وغيرهم كلهم رووه
عن الزهري فقالوا العجما جبار والبير جبار ولم يذكروا
الرجل وهو الصواب وكذلك رواه ابو صالح السمان وعبد
الرحمن الاعرج ومحمد بن سيرين ومحمد بن زياد وغيرهم
عن ابي هريرة لم يذكروا والرجل جبار وهو المحفوظ عن
ابي هريرة السادسة والعشرون قوله والبير جبار
قد روي موضعه والنار جبار قال الدارقطني نا حمزة
بن القاسم الهاشمي نا حنبل بن اسحق قال سمعت ابا عبد الله
احمد بن حنبل يقول في حديث عبد الرزاق حديث ابي هريرة
والنار جبار ليس بشي لم يكن في الكتاب باطل ليس هو بصحيح
نا محمد بن مخلد نا ابو اسحق ابراهيم بن هاني قال سمعت
احمد بن حنبل يقول اهل اليمن يكتبون النار البير ويكتبون
البير يعني مثل ذلك وانما لقن عبد الرزاق النار جبار وقال
الرمادي قال عبد الرزاق قال معمر لا اراه الا وهما قال
ابو عمر روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث معمر
عن همام بن منبه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال النار جبار وقال يحيى بن معين اصله البير ولكن معمر
صحفه قال ابو عمر لم يات ابن معين على قوله هذا بدليل
وليس

وليس هذا اترد احاديث الثقات ذكر وكيع عن عبد العزيز
بن حصين عن يحيى بن يحيى الغساني قال احرق رجل بيتنا
في خراج له فخرجت شرره من نار حتى احرقت بيتنا
لجاره قال فكتبت فيه الى عمر بن عبد العزيز فكتب الي رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال العجما جبار واري ان النار جبار
وقد روي والسايمة جبار بدل العجما فهذا ما ورد في
الفاظ هذا الحديث ولكل معنى لفظ صحيح مذكور
في شرح الحديث وكتب الفقه **قوله تعالى** وسخرنا
مع داود الجبال يسبحن قال وهب وكان داود تمر بالجبال
مسبحا والجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل كان
داود اذا وجد فترة امر الجبال فسبحت حتى يشتاق
ولهذا قال وسخرنا اي جعلناها بحيث تطيعه اذا امرها
بالتسبيح وقيل ان سيرها معه تسبيحها والتسبيح
ماخوذ من السباحة دليله قوله تعالى يا جبال اوبي
معه وقال قتادة يسبحن يصلين معه اذا صلى والتسبيح
الصلاه وكل يحتمل وذلك فعل الله تعالى بها ذلك
لان الجبال لا تعقل فتسبيحها دلالة على تنزيه الله
تعالى عن صفات العاجزين والمحدثين **قوله تعالى**
وعلمناه صنعة لبوس لكم فيه ثلاث مسائل الاولى

قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم يعني اتخاذ الدروع
بالانة الحديد له واللبوس عند العرب السلاح كله درعا
كان او جوشنا او سيفا او رمحا قال الهذلي يصف رمحا
وعندي لبوس في اللباس كانه روق بجبهة ذي نعاج مجفل
واللبوس كلما يلبس وانشد ابن السكيت
البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما بوسها؛ واراد
الله تعالى هنا الدرع وهو بمعنى الملبوس نحو الركوب
والحلوب قال قتادة اول من صنع الدروع داود وانما كانت
صفائح فهو اول من سردها وحلقها **الثانية** قوله
تعالى ليحصنكم ليحرزكم من باسكم اي من حربكم وقيل
من السيف والسهم والرمح اي من الة باسكم بحذف
المضاف ابن عباس من سلاحكم الضحاك من حرب اعدائكم
والمعنى واحد وقرا الحسن وابو جعفر وابن عامر وحفص
وروح لتحصنكم بالتاء ردا على الصنعة وقيل على اللبوس
والمنعة التي هي الدروع وقرا شيبة وابو بكر والمفضل
ورويس وابن اسحق لنحصنكم بالنون لقوله وعلمناه
وقرا الباقون بالياء جعلوا الفعل للبوس او يكون
المعنى ليحصنكم الله فهل انتم شاكرون اي على تيسير
نعمة الدرع لكم وقيل هل انتم شاكرون بان تطيعوا رسولي

الثالثة

الثالثة هذه الاية اصل في اتخاذ الصنايع والاسباب
وهو قول اهل العقول والالباب لا قول الجهلة الاغبيا
القايلين بان ذلك انما شرع للضعفا فالسبب سنة الله
في خلقه فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة
ونسب من ذكرنا الى الضعف وعدم المنة وقد اخبر الله
عن نبيه داود عليه السلام انه كان يصنع الدروع وكان
ايضا يصنع الخوص وكان ياكل من عمل يده وكان ادم
حراثا ونوح نجارا ولقمان خياطا وطالوت دباغا وقيل
سقا فالصنعة يكف بها الانسان نفسه عن الناس ويدفع
بها عن نفسه الضر والباس وفي الحديث ان الله يحب المومن
المحترف الضعيف المتعفف ويبغض السايل الملحف وسياتي
لهذا مزيد بيان في سورة الفرقان وقد تقدم في غير ما اية
ما فيه كفاية والحمد لله قوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة
اي وسخرنا لسليمان الريح عاصفة اي شديدة الهبوب
يقال منه عصفت الريح اي اشتدت فهي ريح عاصف وعصوف
وفي لغة بني اسد اعصفت الريح فهي معصف ومعصفة
والعصف التبن فسمي به شدة الريح لانها تعصفه بشدة
تطيرها وقرا عبد الرحمن الاعرج والسلمي وابو بكر
ولسليمان الريح برفع الحاء على القطع مما قبله والمعنى

ولسليمان تسخير الريح ابتدا وخبر تجري بامره الى الارض التي
باركنا فيها يعني الشام يروي انها كانت تجري به وباصحابه
الى حيث اراد ثم ترده الى الشام وقال وهب كان سليمان
بن داود اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له
الجن والانس حتى يجلس علي سريره وكان امرا غزالا
يقعد عن الغزو فاذا اراد ان يغزو امر بخشب فمدت
ورفع عليها الناس والدواب واله الحرب ثم امر العاصف
فاقلت ذلك ثم امر الرخا فمرت به شهرا في رواحه
وشهرا في غدوه وهو معنى قوله تعالى تجري بامره
رخا حيث اصاب والرخا اللينة وكنا بكل شي عالمين
اي لكل شي علمنا عالمين بتدبيره قوله تعالى
ومن الشياطين من يغوصون له اي وسخرنا له من يغوصون
يريد تحت الما وقد غاص في الماء والهاجم على الشي
غايص والغواص الذي يغوص في البحر على اللولو وفعله
الغياصه ويعلون عملا دون ذلك اي سوى ذلك من
الغوص قال الفرا وقيل يراد بذلك المحاريب والتماثيل
وغير ذلك مما يسخرهم فيه وكنا لهم حافظين اي لاعمالهم
وقال الفرا حافظين لهم من ان يفسدوا اعمالهم ويهيجوا
احدا من بني ادم في زمان سليمان وقيل حافظين من
ان يهربوا

ان يهربوا ويمتنعوا وحفظناهم من ان يخرجوا عن
امره وقد قيل ان الحمام والنوره والطواحين والقوارير
والصابون من استخراج الشياطين قوله تعالى وايوب
اذ نادى ربه اني مسني الضر اي نالني في بدني ضر وفي
مالي واهلي قال ابن عباس سمي ايوب لانه اب الى الله
في كل حال وروي ان ايوب عليه السلام كان رجلا
من الروم ذا مال عظيم وكان برا تقيا رحيما بالمساكين
يكفل الارامل والايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل
شاكرا لانعم الله تعالى وانه دخل مع قومه على جبار
عظيم فخاطبوه في امر فجعل ايوب يلين له من اجل زرع
كان له فامتحنه الله بذهاب ماله واهله وبالضر في
جسمه حتى تناثر لحمه وتدود جسمه حتى اخرجه
اهل قريته الى خارج القرية وكانت امراته تخدمه
قال الحسن مكث بذلك تسع سنين وستة اشهر فلما
اراد ان يفرج عنه قال الله تعالى له اركض برجلك هذا
مغتسل بارد وشراب فيه شفاء وقد وهبت
لك اهلك وولدك ومثلهم معهم وسياتي في ص ما
للمفسرين في قصة ايوب من تسليط الشيطان عليه
والرد عليهم ان شاء الله واختلف في قول ايوب مسني الضر

على خمسة عشر قولا الاول انه وثب ليصلي فلم يقدر
على النهوض فقال مسني الضر اخبارا عن حاله لا شكوى
لبلائه رواه انس مرفوعا الثاني انه اقرار بالعجز
فلم يكن منافيا للصبر الثالث انه سبحانه اجراه على
لسانه ليكون حجة لاهل البلا بعده في الافصاح بما
ينزل بهم الرابع انه اجراه على لسانه الزاما له في
صفة الادمي في الضعف عن تحمل البلا الخامس انه
انقطع الوحي عنه اربعين يوما فخاف هجران ربه
فقال مسني الضر وهذا قول جعفر بن محمد السادس
ان تلامذته الذين كانوا يكتبون عنه لما افضت حاله
الى ما انتهت اليه محوا ما كتبوا وقالوا ما لهذا عند
الله قدر واشتكى الضر في ذهاب الوحي والدين من ايدي
الناس وهذا مما لا يصح سنده والله اعلم قاله ابن العربي
السابع ان دودة سقطت من لحمه فاخذها وردها
في موضعها فعقرته فصاح مسني الضر فقيل اعلينا تتصبر
قال ابن العربي وهذا بعيد جدا مع انه يفتقر الى نقل صحيح
ولا سبيل الى وجوده الثامن ان الدود كان يتناول
بدنه فصبر حتى تناولت دودة قلبه واخرى لسانه
فقال مسني الضر لاشتغاله عن ذكر الله قال ابن العربي

وما احسن هذا

وما احسن هذا لو كان له سند ولم تكن دعوى عريضة التاسع
انه اتهم عليه جهة اخذ البلا له هل هو تاديب او تعذيب
او تخصيص او تمحيص او ذخر او طهر فقال مسني الضر
اي ضمني الاشكال في جهة اخذ البلا قال ابن العربي وهذا
غلو لا يحتاج اليه العاشر انه قيل له سل الله العافية فقال
اقمت في النعيم سبعين سنه فاقيم في البلا سبعين سنه
وحينيذ اساله فقال مسني الضر قال ابن العربي وهذا
ممكن ولكنه لم يصح في اقامته مدة ولا في هذه القصه
الحادي عشر ان ضره قول ابليس لزوجه اسجدي لي فخاف
ذهاب الايمان عنها فتهلك ويبقى بغير كافل الثاني عشر لما
ظهر به البلا قال قومه قد اضر بنا كونه معنا وقذره
فليخرج عنا فاخرجته امراته الى ظاهر البلد وكانوا اذا
خرجوا راوه وتطيروا به وتشاءموا برويته فقالوا
ليبعد بحيث لا نراه فخرج الى بعد من القرية فكانت
امراته تقوم عليه وتحمل قوته اليه فقالوا انها تتناوله
وتخالطنا فيعود بسببه ضره الينا فارادوا قطعها
عنه فقال مسني الضر الثالث عشر قال عبد الله بن عبيد
بن عمير كان لايوب اخوان فاتياه فقاما من بعيد لا
يقدران يدنوا منه من نتن ريحه فقال احدهما للاخر

لو علم الله في ايوب خيرًا ما ابتلاه هذا البلا فلم يسمع
شيئًا اشد عليه من هذه الكلمة فعند ذلك قال مسني
الضر ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم ابت شبعان
قط وانا اعلم مكان جايع فصدقني فنادي منادٍ
من السماء ان صدق عبدي وهما يسمعان فخرا ساجدين
الرابع عشر ان معنى مسني الضر من شماتة الاعدا
ولهذا قيل له ما كان اشد عليك في بلايك قال
شماته الاعدا قال ابن العربي وهذا محتمل فان
الكليم قد ساله اخوه العافية من ذلك فقال
ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا
تشمت بي الاعدا الخامس عشر ان امراته كانت
ذات ذوايب فعقلت حين منعت ان تتصرف
لاحد بسببه ما تعود به عليه فقطعت ذوايبها
واشترت بها ممن يصلها قوتًا وجاءت به اليه
وكان يستعين بذوايبها في تصرفه وتنقله فلما
عدمها واراد الحركة في تنقله لم يقدر قال
مسني الضر وقيل انها لما اشترت القوت بذوايبها
جاءه ابليس في صفة رجل وقال له ان اهلك
بغت فاخذت وحلق شعرها فحلف ايوب
ان يجلدها

ان تجلدها فكانت المحنة على قلب المراه اشد من المحنة
على قلب ايوب قلت وقول سادس عشر ذكره
ابن المبارك انا يونس بن يزيد عن عقيل عن ابن
شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما
ايوب النبي وما اصابه من البلا الحديث وفيه
ان بعض اخوانه ممن صابره ولازمه قال يا نبي الله
لقد اعجبني امرك وذكرته الى اخيك وصاحبك انه
قد ابتلاك بذهاب الاهل والمال وفي جسدك
منذ ثمانية عشر سنه حتى بلغت ما ترى الا
يرحمك فيكشف عنك لقد اذنبت ذنبا ما اظن
احدا بلغه فقال ايوب عليه السلام ما ادري
ما تقولان غير ان ربي عز وجل يعلم اني كنت امر
على الرجلين يتزاعمان فكل يحلف بالله او على
النفر يتزاعمون فانقلب الى اهلي فاكفر عن ايمانهم
اراده ان لا ياثم احد ذكره ولا يذكره احدا
الا بحق فنادى اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين
وانما كان دعاوه عرضا عرض على الله تبارك
وتعالى فيه وذكر الحديث وقول سابع عشر
سمعته ولم اقف عليه ان دوده سقطت

من جسده فطلبها لبردها الى موضعها فلم نجدها
فقال مسني الضر لما فقد من اجر الم تلك الدوده
وكان اراد ان يبقى له الاجر موفرا الى وقت العافيه
وهذا احسن الا انه يحتاج الى سند قال العلما ولم
يكن قوله مسني الضر جزعا لان الله تعالى قال انا
وجدناه صابرا بل كان ذلك دعا منه والجزع في
الشكوى الى الخلق لا الى الله تعالى والدعا لا ينافي
الرضا قال الثعلبي وسمعت باسنادنا ابو القاسم
بن حبيب يقول حضرت مجلسا غاصا بالفقها
والادبا في دار السلطان فسئلت عن هذه الاية
بعد اجتماعهم على ان ايوب كان شكاية وقد قال
الله تعالى انا وجدناه صابرا فقلت ليس هذا شكاية
وانما كان دعا بيانه فاستجبنا له والاجابة تتعقب
الدعا لا الاشتكا فاستحسنوه وارتضوه
وسيل الجنيد عن هذه الاية فقال عرفه فاقة
السوال ليمن عليه بكرم النوال قوله تعالى
فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم
قال مجاهد وعكرمة قيل لايوب صلى الله عليه وسلم
قد اتيناك اهلك في الجنة فان شيت تركناهم لك
في الاخره

فسئلت بيانه
قوله

في الاخرة وان شيت اتيناكهم في الدنيا قال مجاهد فترككهم
الله عز وجل في الجنة واعطاه مثلهم في الدنيا قال النحاس
والاسناد عنهما بذلك صحيح قلت وحكاه المهدوي عن
ابن عباس وقال الضحاك قال عبد الله بن مسعود كان اهل
ايوب قد ماتوا الا امراته فاحياهم الله عز وجل في اقل
من طرف البصر واتاه مثلهم معهم وعن ابن عباس ايضا
كان بنوه قد ماتوا فاحيوا له وولد له مثلهم معهم وقاله
قتادة وكعب الاحبار والكلبي وغيرهم قال ابن مسعود
مات اولاده وهم سبعة من الذكور بنين وسبع بنات
قال الثعلبي هذا القول اشبه بظاهر الاية قلت لانهم
ماتوا ابتلا قبل اجالهم حسب ما تقدم بيانه في سورة
البقرة في قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وفي
قصة السبعين الذين اخذتهم الصعقة فماتوا ثم احيوا
وذلك انهم ماتوا قبل اجالهم كذلك هنا والله اعلم وعلى
قول مجاهد وعكرمة يكون المعنى واتيناه اهله في
الاخرة ومثلهم معهم في الدنيا وفي الخبر ان الله بعث
اليه جبريل عليه السلام حتى ركض برجله على الارض
ركضة فظهرت عين ماء حار واخذ بيده ونفضه نفضة
فتناثرت عنه الديدان وغاص في الماء غوصة فنبت لحمه

وعاد الى منزله ورد الله عليه اهله ومثلهم معهم وتنشأ سبحانه
على قدر قواعد داره فمطرت ثلاثة ايام بلياليها جرادا
من ذهب فقال له جبريل اشبعت قال ومن يشبع من
فضل الله فاوحى الله اليه قد اثنيت عليك بالصبر قبل وقوعك
في البلاء وبعده ولولا اني وضعت تحت كل شعرة منك
صبرا ما صبرت رحمة من عندنا اي فعلنا ذلك به رحمة
من عندنا وقيل ابتليناه ليعظم ثوابه غدا وذكرى للعابدين
اي وتذكيرا للعباد لانهم اذا ذكروا بلاء ايوب وصبره
عليه ومحنته له وهو افضل اهل زمانه وطنوا انفسهم على
الصبر على شدايد الدنيا نحو ما فعل ايوب فيكون هذا
تنبيها لهم على ادامة العبادة واحتمال الضرر واختلف
في مدة اقامته في البلاء فقال ابن عباس كانت مدة البلا
سبع سنين وسبعة اشهر وسبع ليال وهب ثلاثين سنة
الحسن سبع سنين وستة اشهر قلت واصح من هذا
والله اعلم ثماني عشرة سنة رواه ابن شهاب عن النبي صلى
الله عليه وسلم ذكره ابن المبارك وقد تقدم قوله
تعالى واسماعيل وادريس وهو خنوخ وقد تقدم
وذا الكفل اي واذكرهم وخرج الترمذي الحكيم في نوادر
الاصول وغيره من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كان

وسبعة ايام صح

قال كان في بني اسرائيل رجل يقال له ذو الكفل لا يتورع عن
ذنب عمله فاتبع امراة فاعطاها ستين دينارا فلما
قعد منها مقعد الرجل من امراته ارتعدت وبكت فقال
ما يبكيك قالت من هذا العمل والله ما عملته قط قال
اكرهتك قالت لا ولكن حملني عليه الحاجة قال اذهبي فهو لك
والله لا اعصي الله ابدا ثم مات من ليلته فوجدوا على
باب داره مكتوبا ان الله قد غفر لذي الكفل وخرجه
ابو عيسى الترمذي ايضا ولفظه عن ابن عمر قال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لم اسمعه الا مرة
او مرتين حتى عد سبع مرات ولكني سمعته اكثر من ذلك
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان ذوا
الكفل من بني اسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فاتته امراة
فاعطاها ستين دينارا على ان يطاها فلما قعد منها مقعد
الرجل من امراته ارعدت وبكت فقال وما يبكيك اكرهتك
قالت لا ولكنه عمل ما عملته قط وما حملني عليه الا الحاجه
فقال تفعلين انت هذا وما فعلته اذهبي فهي لك وقال
والله لا اعصي الله بعدها ابدا فمات من ليلته فاصبح مكتوبا
على بابه ان الله قد غفر للكفل قال حديث حسن وقيل ان
اليسع لما كبر قال لو استخلفت رجلا على الناس حتى

انظر كيف يعمل فقال من يتكفل لي بثلاث بصيام النهار
وقيام الليل وان لا يغضب ويقضي فقال رجل من ذرية
العيص انا فرده ثم قال مثلها من الغد فقال الرجل انا
فاستخلفه فوفي فاثنى الله عليه فسمي ذا الكفل لانه تكفل
بامر قاله ابو موسى ومجاهد وقتادة وقال عمر بن عبد الله
بن الحارث وقال ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان ذا الكفل لم يكن نبيا ولكنه كان عبدا صالحا فتكفل بعمل
رجل صالح عند موته وكان يصلي لله كل يوم مائة صلاة
فاحسن الله الثنا عليه وقال كعب كان في بني اسرايل ملك
كافر فمر ببلاده رجل صالح فقال والله ان خرجت من
هذه البلاد حتى اعرض على هذا الملك الاسلام فعرض عليه
قال ما جزاي قال الجنة ووصفها له قال من يتكفل لي
بذلك قال انا فاسلم الملك وتخلى عن المملكه واقبل على
طاعة ربه حتى مات فدفن فاصبحوا فوجدوا يده خارجة
من القبر وفيها رقعة خضرا مكتوب فيها بنور ابيض
ان الله قد غفر لي وادخلني الجنة ووفى بكفالة فلان فاسرع
الناس الى ذلك الرجل بان ياخذ عليهم الايمان ويتكفل
لهم بما تكفل به للملك ففعل ذلك فامنوا كلهم وسمي ذا الكفل
وقيل كان رجلا عفيفا يتكفل بشان كل انسان وقع في
بلاء

بلاء او نقمه او مطالبة ينجيه الله على يديه وقيل سمي ذا الكفل
لان الله تعالى تكفل له في سعيه وعمله يضعف عمل غيره
من الانبيا الذين كانوا في زمانه والجمهور على انه ليس بنبي
وقال الحسن هو نبي قبل الياس وقيل هو زكريا بكفالة مريم
كل من الصالحين اي على امر الله والقيام بطاعته واجتناب
معاصيه وادخلناهم في رحمتنا اي الجنة انهم من الصالحين
قوله تعالى وذا النون اي واذكر ذا النون وهو لقب
ليونس بن متى لابتلاع النون اياه والنون الحوت وفي
حديث عثمان رضي الله عنه انه راى صبيا مليحا فقال
دسموا نونته كيلا تصيبه العين روي ثعلب عن ابن
الاعرابي النونه النقبه التي تكون في ذقن الصبي الصغير
ومعنى دسموا سودوا اذ ذهب مغاضبا قال الحسن
والشعبي وسعيد بن جبير مغاضبا لربه عز وجل واختاره
الطبري والقتبي واستحسنه المهدوي وروي عن ابن
مسعود وقال النحاس وربما انكر هذا من لا يعرف اللغة
وهو قول صحيح والمعنى مغاضبا من اجل ربه كما تقول
غضبت لك اي من اجلك والمومن يغضب لله جل وعز
اذا عصي واكثر اهل اللغة يذهب الى ان قول النبي صلى
الله عليه وسلم لعايشة اشترطي لهم الولا من هذا

وبالغ القشيري في نصرة هذا القول وفي الخبر في وصف يونس
أنه كان ضيق الصدر فلما حمل أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ
الربع تحت الحمل الثقيل فمضى على وجهه مضي الابق الناد
وهذه المغاضبة كانت صغيرة ولم يغضب على الله ولكن
غضب لله اذ رفع العذاب عنهم وقال ابن مسعود ابق من
ربه اي من امر ربه حين امره بالعود اليهم بعد رفع العذاب
عنهم فانه كان يتوعد قومه بنزول العذاب في وقت معلوم
وخرج من عندهم في ذلك الوقت فاظلهم العذاب فتضرعوا
فرفع عنهم ولم يعلم يونس بتوبتهم فلذلك ذهب مغاضبا
وكان من حقه ألا يذهب الا باذن محدد وقال الحسن
أمره الله تعالى بالمسير الى قومه فسأل أن ينظر ليتأهب
فاعجله الله تعالى حتى سأل ان يأخذ نعلا يلبسها فلم ينظره
وقيل له الامر اعجل من ذلك وكان في خلقه ضيق فخرج
مغاضبا لربه فهذا قول وقول النحاس احسن ما قيل في
تاويله اي خرج مغاضبا من اجل ربه اى غضب على قومه
من اجل كفرهم بربه وقيل انه غاضب قومه حين طال
عليه امرهم وتعنتهم فذهب فارا بنفسه ولم يصبر على
اذاهم وقد كان الله امره بملازمتهم والدعاء فكان
ذنبه خروجه من بينهم من غير اذن من الله روي معناه
عن ابن عباس

عن ابن عباس والضحاك وان يونس كان شابا ولم يحمل اثقال
النبوة ولهذا قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب
الحوت وعن الضحاك ايضا خرج مغاضبا لقومه لان
قومه لما لم يقبلوا منه وهو رسول من الله عز وجل كفروا
بهذا فوجب ان يغاضبهم وعلى كل احد ان يغاضب من
عصى الله عز وجل وقالت فرقة منهم الاخفش انما خرج
مغاضبا للملك الذي كان على قومه قال ابن عباس اراد
شعيا النبي والملك الذي كان في وقته اسمه حزقيا ان
يبعثوا يونس الى ملك نينوى وكان غزا بني اسرائيل وسبى
الكثير منهم ليكلمه حتى يرسل معه بني اسرائيل وكان الانبيا
في ذلك الزمان يوحى اليهم والامر والسياسة الى ملك قد
اختاروه فيعمل على وحي ذلك النبي وكان اوحى الله الى
شعيا ان قل لحزقيل الملك ان يختار نبيا قويا امينا
من بني اسرائيل فيبعثه الى اهل نينوى فيامرهم بالتخلية
عن بني اسرائيل فاني ملق في قلوب ملوكهم وجبابرتهم
التخلية عنهم فقال يونس لشعيا هل امرك الله باخراجي
قال لا قال فهل سماني لك قال لا فههنا انبيا امنا اقويا
فالحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي والملك وقومه فاتى
بحر الروم فكان من قصته ما كان فابتلى ببطن الحوت

لتركه امر شعيا ولهذا قال تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم
والمليم من فعل ما يلام عليه وكان ما فعله إما صغيرة او
ترك الأولى وقيل خرج ولم يكن نبيا في ذلك الوقت ولكن
امره ملك من ملوك بني اسرائيل أن يأتي نينوى ليدعو اهلها
بامر شعيا فانف ان يكون ذهابه اليهم بامر احد غير الله
فخرج مغاضبا للملك فلما نجا من بطن الحوت بعثه الله
الى قومه فدعاهم وامنوا به قال القشيري والاظهر ان
هذه المغاضبة كانت بعد ان ارسله الله تعالى اياه وبعد
رفع العذاب عن القوم بعد ما اظلهم فانه كره رفع العذاب
عنهم قلت هذا احسن ما قيل فيه على ما يأتي بيانه في
والصافات ان شاء الله تعالى وقيل انه كان من اخلاق قومه
قتل من جربوا عليه الكذب فخشي ان يقتل فغضب وخرج
فارا على وجهه حتى ركب في سفينة فسكنت ولم تجر
فقال اهلها افيكم ابق فقال انا هو فكان من قصته ما
كان وابتلي ببطن الحوت تمحيصا من الصغيرة كما
قال في اهل احد حتى اذا فشلتم الى قوله وليمحص الله
الذين امنوا فمعاصي الانبياء مغفورة ولكن قد يجري
تمحيص ويتضمن ذلك زجرا عن المعاودة وقول
رابع انه لم يغاضب ربه ولا قومه ولا الملك وانه
من قولهم

من قولهم غضب اذا أنف وفاعل قد يكون من واحد
فالمعنى أنه لما وعد قومه بالعذاب وخرج عنهم تابوا
وكشف عنهم العذاب فلما رجع وعلم انهم لم يهلكوا انف
من ذلك فخرج انفا وينشد هذا البيت
واغضب ان تهجى تميم بدارم اي انف وهذا فيه نظر
فانه يقال لصاحب هذا القول ان تلك المغاضبة وإن
كانت من الانفة فالانفة لابد أن يخالطها الغضب
وان دق على من كان وانت تقول لم يغضب على ربه ولا
على قومه فذلك الغضب الذي يخالط الانفة على من كان
قوله تعالى فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات
قيل معناه استزله ابليس ووقع في ظنه امكان ان لا
يقدر الله عليه بمعاقبته وهذا قول مردود مرغوب
عنه لانه كفر روي عن سعيد بن جبير حكاه عنه المهدوي
والثعلبي عن الحسن وذكر الثعلبي وقال عطا وسعيد بن
جبير وكثير من العلما معناه فظن ان لن نضيق عليه قال
الحسن من قوله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي
يضيق وقوله ومن قدر عليه رزقه قلت وهذا الاشبه
بقول سعيد والحسن وقدر وقدر وقتر وقتر بمعنى
اي ضيق وهو ابن عباس فيما ذكره الماوردي والمهدوي قول صح

وقيل هو من القدر الذي هو القضا والحكم اي فظن ان لن نقضي
عليه العقوبة قاله قتادة ومجاهد والفرا ماخوذ من
القدر وهو الحكم دون القدرة والاستطاعه وروي عن
ابي العباس احمد بن يحيى انه قال في قول الله عز وجل فظن
ان لن نقدر عليه قال هو من التقدير ليس من القدرة
يقال منه قدر الله لك الخير يقدره قدرا بمعنى قدر الله
لك الخير وانشد ثعلب
فليست عشيات اللوى براجع لنا ابدا ما اورق السلم النضر
ولا عايد ذاك الزمان الذي مضى تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر
يعني ما تقدره وتقضي يقع وعلى هذين التاويلين العلما
وقرا عمر بن عبد العزيز فظن ان لن نقدر بضم النون
وتشديد الدال من التقدير وحكى هذه القراه الماوردي
عن ابن عباس وقرا عبيد بن عمير وقتاده والاعرج
ان لن يقدر بضم اليا مشددا على الفعل المجهول وقرا
يعقوب وعبد الله بن ابي اسحق والحسن وابن عباس يقدر
بيا مضمومة وفتح الدال مخففا على الفعل المجهول وعن
الحسن ايضا فظن ان لن يقدر عليه الباقون نقدر بفتح
النون وكسر الدال وكله بمعنى التقدير قلت وهذان
التاويلان تاولهما العلما في قول الرجل الذي لم يعمل خيرا
قط

والزهري

ايضا

قط لاهله اذا مات فحرقوه فوالله لين قدر الله على الحديث
فعلى التاويل الاول يكون تقديره والله لين ضيق الله على
وبالغ في محاسبتي وجزاي على ذنوبي ليكونن ذلك ثم امر
ان يحرق بافراط خوفه وعلى التاويل الثاني اي لين كان
سبق في قدر الله وقضايه ان يعذب كل ذي جرم على جرمه
ليعذبني الله على اجرامي وذنوبي عذابا لا يعذبه احدا
من العالمين غيري وحديث خرجه الايمه الموطا وغيره
والرجل كان مومنا موحدا وقد جا في بعض طرقه لم يعمل
خيرا قط الا التوحيد وقد قال حين قال الله له لم فعلت هذا
قال من خشيتك يارب والخشية لا تكون الا لمومن مصدق
قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما وقد قيل ان
معنى فظن ان لن نقدر عليه الاستفهام وتقديره افظن
فحذف الف الاستفهام ايجازا وهو قول سليمان بن المعتمر
وحكى القاضي منذر بن سعيد ان بعضهم قرا افظن بالالف

قوله تعالى فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين فيه مسلتان الاولى قوله تعالى
فنادى في الظلمات اختلف الناس في جمع الظلمات ما
المراد به فقالت فرقة منهم ابن عباس وقتاده ظلمة

الليل وظلمة البحر وظلمة الحوت وذكر ابن ابي الدنيا ثنا يوسف
بن موسى نا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن ابي اسحق
عن عمرو بن ميمون قال ثنا عبد الله بن مسعود في بيت
المال قال لما ابتلع الحوت يونس عليه السلام أهوى به الى
قرار الارض فسمع يونس تسبيح الحصا فنادى في الظلمات
ظلمات ثلاث بطن الحوت وظلمة الليل وظلمة البحر أن لا اله
الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فنبذناه بالعراء
وهو سقيم كهيئة الفرخ الممعوط الذي لا عليه ريش وقالت
فرقة منهم سالم بن ابي الجعد ظلمة البحر وظلمة حوت
التقم الحوت الاول ويصح ان يعبر بالظلمات عن جوف الحوت
الاول فقط كما قال في غيابات الجب وفي كل جهاته ظلمة
فجمعها سائغ وذكر الماوردي انه يحتمل ان يعبر بالظلمات
عن ظلمة الخطيئة وظلمة الشدة وظلمة الوحدة وروي
ان الله تعالى اوحى الى الحوت لا تؤذ منه شعرة فاني
جعلت بطنك سجنه ولم اجعله طعامك وروي ان يونس
عليه السلام سجد في جوف الحوت حين سمع تسبيح
الحيتان في قعر البحر وذكر ابن ابي الدنيا ثنا العباس
بن يزيد العبدي نا اسحق بن ادريس نا جعفر بن
سليمان عن عوف عن سعيد بن ابي الحسن قال لما التقم

الحوت

الحوت يونس ظن انه قد مات فطول رجليه فاذا هو لم
يمت فقام الى عادته يصلي فقال في دعايه واتخذت
لك مسجدا حيث لم يتخذه احد وقال ابو المعالي قوله صلى
الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى المعنى
فاني لم اكن وانا في سدرة المنتهى باقرب الى الله منه وهو في
قعر البحر في بطن الحوت وهذا يدل على ان الباري سبحانه
ليس في جهة وقد تقدم هذا المعنى في البقرة والاعراف
ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين يريد فيما
خالف فيه من ترك مداومة قومه والصبر عليهم وقيل
في الخروج من غير ان يوذن له ولم يكن ذلك من الله عقوبة
لان الانبيا لا يجوز ان يعاقبوا وانما كان ذلك تمحيصا
وقد يوذب من لا يستحق العقاب كالصبيان ذكره
الماوردي وقيل من الظالمين في دعاي على قومي بالعذاب
وقد دعا نوح على قومه فلم يواخذ وقال الواسطي
في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه
اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول ادم وحوا ربنا
ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما انفسهما
عن الموضع الذي انزلا فيه الثانية الثانية روى ابو
داود عن سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال دعاء ذي النون في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين لم يدع رجل مسلم في شي قط الا استجيب له وقد
قيل انه اسم الله الاعظم ورواه سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم
وفي الخبر في هذه الاية شرط الله لمن دعاه ان يجيبه كما
اجابه وينجيه كما انجاه وهو قوله وكذلك ننجي المومنين
وليس هاهنا صريح دعاء وانما هو مضمون قوله اني
كنت من الظالمين فاعترف بالظلم فكان تلويحا قوله تعالى
وكذلك ننجي المومنين اي نخلصهم من همهم بما سبق من عملهم
وذلك قوله فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه
الى يوم يبعثون وهذا حفظ من الله لعبده يونس
رعاية لحق تعبده وحفظا لذمام ما سلف له من طاعته
وقال الاسناد ابو اسحق صحب ذو النون الحوت اياما قلائل
فالى يوم القيامة يقال له ذو النون فما ظنك بعبد عبده
سبعين سنه يبطل هذا عنده لا يظن به ذلك من الغم
اي من بطن الحوت قوله تعالى ننجي المومنين قراه العامة
بنونين من انجى ينجي وقرا ابن عامر نجي بنون واحده
وجيم مشدده وتسكين اليا على الفعل الماضي واضمار
المصدر اي وكذلك نجي النجا المومنين كما تقول ضرب زيدا
بمعنى ضرب الضرب زيدا وانشد

ولو ولدت

واو ولدت وقبرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلابا
اراد لسب السب بذلك الجرو وسكنت باوه على لغة
من يقول بقي ورضي فلا يحرك اليا وقرا الحسن وذروا ما
بقي من الربا استثقالا لتحريك يا قبلها كسرة وانشد
خمر المشيب لمتي تخميرا وحدا بي الى القبور البعيرا
ليت شعري اذا القيامة قامت ودعي بالحساب ابن المصيرا
سكن اليا في دعي استثقالا لتحريكها وقبلها كسره وفاعل
حدى المشيب اي وحدى لي المشيب البعير ليت شعري
المصير ابن هو هذا تاويل الفراء وابي عبيد وثعلب في
تصويب هذه القراة وخطاها ابو حاتم والزجاج
وقالوا هو لحن لانه نصب اسم ما لم يسم فاعله وانما يقال
نجي المومنون كما يقال كرم الصالحون ولا يجوز ضرب زيدا
بمعنى ضرب الضرب زيدا لانه لا فايدة اذ كان ضرب يدل
على الضرب ولا يجوز ان يحتج بمثل ذلك البيت على كتاب
الله تعالى ولابي عبيد قول اخر وقاله القتبي وهو
انه ادغم النون في الجيم النحاس وهذا القول لا يجوز
عند احد من النحويين لبعد مخرج النون من مخرج الجيم
فلا تدغم فيها ولا يجوز من جا بالحسنة مجا بالحسنة قال
النحاس ولم اسمع في هذا احسن شي سمعته من علي بن

سليمان قال الاصل ننجي فحذف احدي النونين لاجتماعهما كما حذف
احدي التايين لاجتماعهما نحو قوله عز وجل ولا تفرقوا والاصل
تتفرقوا وقرا احمد بن السميفع وابو العالية وكذلك نجا
المومنين اي نجا الله المومنين وهي قراة حسنة قوله تعالي
وزكريا اذ نادي ربه اي واذكر زكريا وقد تقدم في ال
عمران ذكره رب لا تذرني فردا اي منفردا لا ولد لي وقد
تقدم وانت خير الوارثين اي خير من يبقي بعد من يموت
وانما قال خير الوارثين لما تقدم من قوله يرثني اي اعلم
انك لا تضيع دينك ولكن لا تقطع هذه الفضيلة التي هي
القيام بامر الدين عن عقبي كما تقدم في مريم بيانه
قوله تعالي فاستجبنا له اي اجبنا دعاه ووهبنا له
يحيي تقدم ذكره مستوفي واصلحنا له زوجه قال
قتاده وسعيد بن جبير واكثر المفسرين انها كانت
عاقرا فجعلت ولودا وقال ابن عباس وعطا كانت
سية الخلق طويلة اللسان فاصلحها الله فجعلها حسنة
الخلق قلت ويحتمل ان يكون جمعت المعنيين فجعلت
حسنة الخلق ولودا انهم يعني الانبيا المسمين في هذه
السورة كانوا يسارعون في الخيرات وقيل الكناية راجعة
الي زكريا وامراته ويحيي قوله تعالي ويدعوننا رغبا
ورهبا

بلغ

ورهبا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى ويدعوننا رغبا
ورهبا اي يفزعون الينا فيدعوننا في حال الرخا وحال
الشده وقيل المعنى يدعون وقت تعبدهم وهم بحال
رغبة ورجا ورهبة وخوف لان الرغبة والرهبة
متلازمان وقيل الرغب رفع بطون الاكف الى
السما والرهب رفع ظهورها قاله خصيف قال ابن
عطيه وتلخيص هذا ان عادة كل داع من البشر ان
يستعين بيديه فالرغب من حيث هو طلب يحسن
منه ان يوجه باطن الراح نحو المطلوب منه اذ هو
موضع اعطا او بها يتملك والرهب من حيث هو
دفع مضرة يحسن معه طرح ذلك والاشارة الى
ذهابه وتوقيه بنفض اليد ونحوه الثانيه روى
الترمذي عن عمر بن الخطاب قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا رفع يديه في الدعا لم يحطهما حتى يمسح
بهما وجهه وقد مضى في الاعراف الاختلاف في رفع الايدي
وذكرنا هذا الحديث وغيره هناك وعلى القول بالرفع
فقد اختلف الناس في صفته والى اين فكان بعضهم
يختار ان يبسط كفيه رافعهما حذو صدره وبطونهما
الى وجهه روي عن ابن عمر وابن عباس وكان علي يدعو

مطلب في هيئة الدعاء ورفع الايدي وبطونها او ظهورها الى وجهه

بباطن كفيه وعن انس مثله وهو ظاهر حديث الترمذي
وقوله صلى الله عليه وسلم اذا سالتم الله فاسلوه
ببطون اكفكم ولا تسلوه بظهورها وامسحوا بها
وجوهكم وروي عن ابن عمر وابن الزبير برفعهما الى
وجهه واحتجوا لحديث ابي سعيد الخدري قال
وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة فجعل
يدعوا وجعل ظهر كفيه مما يلي وجهه ورفعهما فوق
ثدييه واسفل من منكبيه وقيل حتى يحاذي بهما وجهه
وظهورها مما يلي وجهه قال ابو جعفر الطبري والصواب
ان يقال ان كل هذه الاثار المرويه عن النبي صلى الله عليه
وسلم متفقة غير مختلفة المعاني وجائز ان يكون
ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم لاختلاف احوال الدعا
كما قال ابن عباس اذا اشار احدكم باصبع واحدة فهو
الاخلاص واذا رفع يديه حذو صدره فهو الدعا واذا
رفعها حتى يجاوز بهما راسه وظاهرها مما يلي وجهه
فهو الابتهال قال الطبري وقد روي قتادة عن انس
قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يدعوا بظهر كفيه
وباطنهما ورغبا ورهبا منصوبان على المصدر اي
يرغبون رغبا ويرهبون رهبا او على المفعول
من اجله

من اجله اي للرغب والرهب او على الحال وقرا طلحة
بن مصرف ويدعونا بنون واحدة وقرا الاعمش
بضم الرا واسكان الغين والها مثل السقم والبخل والعدم
والضر لغتان وابن وثاب والاعمش ايضا رغبا ورهبا
بالفتح في الراء والتخفيف في الغين والها وهما لغتان مثل
نهر ونهر وصخر وصخر وروبت هذه القراه عن ابي
عمرو وكانوا لنا خاشعين اي متواضعين خاضعين
قوله تعالى والتي احصنت فرجها اي واذكر مريم
التي احصنت فرجها وانما ذكرها وليست من الانبيا
لتتميم ذكر عيسى ولهذا قال وجعلناها وابنها ايه للعالمين
لان معنى الكلام وجعلنا شانهما وامرهما وقصتهما اية
للعالمين وقال الزجاج ان الاية فيهما واحدة لانها ولدته
من غير فحل وعلى مذهب سيبويه التقدير وجعلناها
اية للعالمين وجعلنا ابنها اية للعالمين ثم حذف وعلى
مذهب الفرا وجعلناها اية للعالمين وابنها مثل قوله
جل ثناوه والله ورسوله احق ان يرضوه وقيل ان
من ايتها انها اول امراة قبلت في النذر في المتعبد
ومنها ان الله غذاها برزق من عنده لم يجره على يد عبد

من عبيده وقيل انها لم تلقم ثديا قط واحصنت معناه عفت فامتنعت من الفاحشه وقيل ان المراد بالفرج فرج القميص اي لم يتعلق بثوبها ريبة اي انها طاهره الاثواب وفروج القميص اربعة الكمان والاعلا والاسفل قال السهيلي فلا يذهبن وهمك في غير هذا فانه من لطيف الكنايه لان القران انزه معنى واوزن لفظا والطف اشارة واحسن عبارة من ان يريد ما يذهب اليه وهم الجاهل لا سيما والنفخ من روح القدس بامر القدس فاضيف القدس الى القدس ونزه المقدسة المطهره عن الظن الكاذب والحدس فنفخنا فيها من روحنا يعني امرنا جبريل حتى نفخ في درعها فاحدث بذلك النفخ المسيح في بطنها وقد مضى هذا في النسا ومريم فلا معنى لاعادة اية اي علامة واعجوبة للخلق وعلما لنبوة عيسى ودلالة على نفوذ قدرتنا فيما نشا قوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة لما ذكر الانبيا قال هاولاء كلهم مجتمعون على التوحيد فالامة هنا بمعنى الدين هو الاسلام قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما فاما المشركون فقد خالفوا الكل وانا ربكم اي الهكم وحدي فاعبدون اي افردوني بالعبادة

مطلب الدين

وتقطعوا

وقرا عيسى بن عمرو ابن ابى اسحق ان هذه امتكم هذه امة
واحدة ورواها حسين عن ابي عمرو الباقون امة واحدة
بالنصب على القطع لمجي النكرة بعد تمام الكلام قاله الفرا
الزجاج انتصب امة على الحال اي في حال اجتماعها
على الحق اي هذه امتكم ما دامت امة واحدة واجتمعتم
على التوحيد فاذا خالفتم وتفرقتم فليس من خالف الحق
من جملة اهل الدين الحق وهو كما تقول فلان صديقي
عفيفا فاذا خالف العفة لم يكن صديقي واما الرفع
فيجوز ان يكون على البدل من امتكم او على اضمار مبتدا
اي ان هذه امتكم هذه امة واحدة او يكون خبرا
بعد خبر ولو نصبت امتكم على البدل من هذه لجاز
وتكون امة واحدة خبر ان فقوله تعالى وتقطعوا
امرهم بينهم اي تفرقوا في الدين قاله الكلبي الاخفش
اختلفوا فيه والمراد المشركون ذمهم بمخالفة الحق
واتخاذهم الهة من دون الله قال الازهري اي تفرقوا
في امرهم فنصب امرهم بحذف في فالمتقطع على هذا
لازم وعلى الاول متعد والمراد جميع الخلق اي جعلوا
امرهم في اديانهم قطعا وتقسموه بينهم فمن موحد
ومن يهودي ومن نصراني ومن عابد ملك او صنم كل

ل ادام

الينا راجعون اي الى حكمنا فنجازيهم قوله تعالى فمن
يعمل من الصالحات وهو مومن من للتبعيض لا للتجنيس
اذ لا قدرة للمكلف ان ياتي بجميع الطاعات كلها فرضها ونفلها
فالمعنى من يعمل شيئا من الطاعات فرضا او نفلا وهو
موحد مسلم وقال ابن عباس مصدقا لمحمد صلى الله عليه
وسلم فلا كفران لسعيه اي لا جحود لعمله اي لا يضيع
جزاوه ولا يغطى والكفر ضد الايمان والكفر ايضا
جحود النعمه وهو ضد الشكر وقد كفره كفورا
وكفرانا وفي حرف ابن مسعود فلا كفر لسعيه وانا
له كاتبون لعمله حافظون نظيره اني لا اضيع عمل عامل
منكم من ذكر او انثى اي كل ذلك محفوظ ليجازي به
قوله تعالى وحرام على قرية اهلكناها انهم لا
يرجعون قراءة زيد بن ثابت واهل المدينة وحرام
وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم واهل الكوفة وحرم
ورويت عن علي وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم
وهما لغتان مثل حل وحلال وقد روي عن ابن عباس
وسعيد بن جبير وحرم بفتح الحاء والميم وكسر الرا
وعن ابن عباس ايضا وعكرمة وابي العاليه وحرم
بضم الراء وفتح الحا والميم وعن ابن عباس ايضا وحرم
وعنه ايضا

وعنه ايضا وحرم وحرم وعن عكرمة ايضا وحرم
وعن قتادة ومطر الوراق حرم تسع قراات وقراة
السلمي على قرية اهلكتها واختلف في لا في قوله
لا يرجعون فقيل هي صلة روي ذلك عن ابن عباس
واختاره ابو عبيد اي وحرام على قرية اهلكناها
ان يرجعوا بعد الهلاك وقيل ليست بصلة وانما هي
ثابتة ويكون الحرام بمعنى الواجب اي وجب على قرية
كما قالت الخنساء

وان حراما لا ارى الدهر باكيا على شجوه الا بكيت على صخر

تريد اخاها فلا ثابتة على هذا القول قال النحاس
والاية مشكلة ومن احسن ما قيل فيها واجله ما
رواه ابن عيينة وابن علية وهشيم وابن ادريس
ومحمد بن فضيل وسليمن بن حيان ومعلى عن داود بن
ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله جل وعز
وحرم على قرية اهلكناها قال وجب انهم لا يرجعون
قال لا يتوبون قال ابو جعفر واشتقاق هذا من اللغة
وشرحه ان معنى حرم الشي حظر ومنع منه كما ان معنى
احل ابيح ولم يمنع منه فاذا كان حرام وحرم بمعنى
واجب فمعناه انه قد ضيق الخروج منه ومنع فقد

دخل في باب المحظور لهذا فاما قول ابي عبيد ان لا زايده فقد
رده عليه جماعة لانها لا تزاد في مثل هذا الموضع ولا فيما
يقع فيه اشكال ولو كانت زايده لكان التاويل بعيدا
ايضا لانه ان اراد وحرام على قرية اهلكناها ان يرجعوا
الى الدنيا فهذا مالا فكرة فيه وان اراد التوبة فالتوبة لا
تحرم وقيل في الكلام اضمار اي وحرام على قرية حكمنا
باستيصالها او بالختم على قلوبها ان يتقبل منهم عمل انهم
لا يرجعون اي لا يتوبون قاله الزجاج وابو علي ولا
غير زايده وهذا هو قول ابن عباس قوله تعالى حتى
اذا فتحت ياجوج وماجوج تقدم القول فيهم وفي الكلام
حذف اي حتى اذا فتح سد ياجوج وماجوج مثل
واسال القرية وهم من كل حدب ينسلون قال ابن عباس
من كل شرف يقبلون اي لكثرتهم ينسلون من كل ناحية
والحدب ما ارتفع من الارض والجمع الحداب ماخوذ
من حدبة الظهر قال عنترة

فما رعشت يداي ولا ازدهاني تواترهم الي من الحداب

وقيل ينسلون يخرجون ومنه قول امرء القيس
فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي وقيل يسرعون ومنه
قال النابغة عسلان الذيب امسى

معنى

عسلان الذيب امسى قاربا برد الليل عليه فنسل
يقال عسل الذيب يعسل عسلا وعسلانا اذا اعنق
واسرع وفي الحديث لذب عليك العسل اي عليك بسرعة
المشي وقال الزجاج والنسلان مشية الذيب اذا اسرع
يقال نسل فلان في العدو ينسل وينسل بالكسر والضم
نسلا ونسولا ونسلانا اي اسرع ثم قيل في الذين ينسلون
من كل حدب انهم ياجوج وماجوج وهو الاظهر وهو
قول ابن مسعود وابن عباس وقيل جميع الخلق فانهم
يحشرون الى ارض الموقف وهم يسرعون من كل
صوب وقرئ في الشواذ وهم من كل جدث ينسلون
اخذا من قوله فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون
وحكى هذه القراة المهدوي عن ابن مسعود والثعلبي
عن مجاهد وابي الصهبا قوله تعالى واقترب الوعد
الحق يعني القيامة وقال الفرا والكساي وغيرهما
الواو زايده مقحمه والمعنى حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج
اقترب الوعد الحق فاقترب جواب اذا وانشد الفرا
فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى اي انتحى والواو زايده
ومنه قوله تعالى وتله للجبين وناديناه اي للجبين
ناديناه واختار الكساي ان يكون جواب اذا

فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا ويكون قوله واقترب
الوعد الحق معطوفا على الفعل الذي هو شرط وقال البصريون
الجواب محذوف والتقدير قالوا يا ويلنا وهو قول الزجاج
وهو قول حسن قال الله تعالى والذين اتخذوا من دونه
اوليا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى المعنى قالوا
ما نعبدهم وحذف القول كثير قوله تعالى فاذا هي
شاخصة هي ضمير للابصار والابصار المذكورة بعدها
تفسير لها كانه قال فاذا ابصار الذين كفروا شخصت
عند مجي الوعد قال الشاعر
لعمر ابيها لا تقول ظعينتي الا فرعنها مالك بن ابي كعب
فكنى عن الظعينة في ابيها ثم اظهرها وقال الفراء هي
عماد مثل فانها لا تعمى الابصار وقيل ان الكلام تم عند
قوله هي التقدير فاذا هي يعني القيامة بارزة
واقعة اي من قربها كانها اتية حاضرة ثم ابتدا
فقال شاخصة ابصار الذين كفروا على تقديم الخبر
على الابتدا اي ابصار الذين كفروا شاخصة من
هذا اليوم اي من هوله لا تكاد تطرف يقولون يا
ويلنا انا كنا ظالمين بمعصيتنا ووضعنا العبادة
في غير موضعها قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم

حصب جهنم انتم لها واردون لما نزلت شق على كفار قريش
وقالوا شتم الهتنا واتوا ابن الزبعرى واخبروه فقال لو
حضرته لرددت عليه قالوا وما كنت تقول قال كنت اقول
له هذا المسيح تعبده النصارى واليهود تعبد عزيرا
افهما من حصب جهنم فعجبت قريش من مقالته وراوا ان
محمدا قد خصم فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
اوليك عنها مبعدون وفيه نزل ولما ضرب ابن مريم مثلا
يعني ابن الزبعرى اذا قومك منه يصدون بكسر الصاد اي
يضجون وسياتي الثانية هذه الاية اصل في القول
بالعموم وان له صيغا مخصوصة خلافا لمن قال ليست له
صيغة موضوعة للدلالة عليه وهو باطل بما دلت عليه
هذه الاية وغيرها فهذا عبد الله بن الزبعرى قد فهم
ما في جاهليته جميع من عبد ووافقه على ذلك قريش
وهم العرب الفصحا واللسن البلغا ولو لم تكن للعموم لما
صح ان يستثنى منها وقد وجد ذلك فهي للعموم وهذا واضح
الثالثة قراءة العامة بالصاد المهملة اي انكم يا معشر الكفار
والاوثان التي تعبدونها من دون الله وقود جهنم قاله ابن
عباس وقال مجاهد وعكرمة وقتادة حطبها وقرا
علي بن ابي طالب وعايشة رضوان الله عليهما حطب جهنم

بالطاء وقرا ابن عباس حضب جهنم بالضاد المعجمه قال
الفرا يريد الحصب قال وذكر لنا ان الحضب وكل ما هيجت
به النار واوقدتها به فهو حضب ذكره الجوهري
والموقد محضب وقال ابو عبيدة في قوله تعالى حصب
جهنم كلما القيته في النار فقد حصبتها به ويظهر من هذه
الايه ان الناس من الكفار وما يعبدون من الاصنام حطب
لجهنم ونظيره قوله فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
وقيل ان المراد بالحجاره حجارة الكبريت على ما تقدم في البقرة
وان النار لا تكون على الاصنام عذابا ولا عقوبة لانها لم تذنب
ولكن تكون عذابا على من عبدها اول شي بالحسرة ثم تجمع
على النار فتكون نارها اشد من كل نار ثم تعذبون بها وقيل
تحمي فتلصق بهم زيادة في تعذيبهم وقيل انما جعلت في
النار تبكيتا لعبادتهم الرابعة قوله انتم لها واردون اي
فيها داخلون والخطاب للمشركين عبدة الاصنام اي
انتم واردوها مع الاصنام ويجوز ان يقال الخطاب للاصنام
وعبدتها لان الاصنام وان كانت جمادات فقد تخبر
عنها بكنايات الادميين وقال العلما ولا يدخل في هذا عيسى
ولا عزيرا ولا الملايكة صلوات الله عليهم لان ما لغير
الادميين ولو اراد ذلك لقال ومن وقال الزجاج ولان
المخاطبين

المخاطبين بهذه الاية مشركوا مكة دون غيرهم قوله تعالى
لو كان هؤلاء الهة ما وردوها اي لو كانت الاصنام الهة
لما ورد عابدوها النار وقيل ما وردوها العابدون والمعبودون
ولهذا قال وكل فيها خالدون قوله تعالى لهم فيها زفير
اي لهؤلاء الذين وردوا النار من الكفار والشياطين فاما الاصنام
فعلى الخلاف فيها هل يحييها الله ويعذبها حتى يكون لهم زفير
او لا قولان والزفير صوت نفس المغموم يخرج من القلب
وقد تقدم في هود وهم فيها لا يسمعون قيل في الكلام حذف
والمعنى وهم فيها لا يسمعون شيئا لانهم يحشرون صما كما قال
الله عز وجل ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما
وصما وفي سماع الاشياء روح وانس فمنع الله الكفار ذلك
في النار وقيل لا يسمعون ما يسرهم بل يسمعون صوت من يتولى
تعذيبهم من الزبانية وقيل اذا قيل لهم اخسئوا فيها ولا
تكلمون يصيرون حينئذ صما بكما قال ابن مسعود اذا بقي
من يخلد في النار في جهنم جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت
التوابيت في توابيت اخرى فيها مسامير من نار فلا
يسمعون شيئا ولا يرى احد منهم ان في النار من يعذب
غيره قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
اي الجنة اولئك عنها اي عن النار مبعدون فمعنى الكلام

الاستثنا ولهذا قال بعض اهل العلم ان ها هنا بمعنى الا وليس
في القران غيره وقال محمد بن حاطب سمعت علي بن ابي طالب
يقرا هذه الاية على المنبر ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فقال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان عثمان منهم قوله
تعالى لا يسمعون حسيسها اي حس النار وحركة لهبها
والحسيس والحس الحركه وروى ابن جريج عن عطا قال قال
ابو راشد الحروري لابن عباس لا يسمعون حسيسها
فقال ابن عباس امجنون انت فاين قوله تعالى وان منكم
الا واردها وقوله تعالى فاوردهم النار وقوله الى جهنم
وردا ولقد كان من دعا من مضى اللهم اخرجني من النار سالما
وادخلني الجنه فايزا وقال ابو عثمان النهدي على الصراط
حيات تلسع اهل النار فيقولون حس حس وقيل اذا
دخل اهل الجنه الجنه لم يسمعوا حس النار وقيل ذلك يسمعو
فالله اعلم وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون اي دايمون
وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وقال ولكم فيها ما
تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون قوله تعالى لا يحزنهم
الفزع الاكبر وقرا ابو جعفر وابن محيصن لا يحزنهم بضم
اليا وكسر الزاي الباقون بفتح اليا وضم الزاي قال اليزيدي
حزنه لغة قريش واحزنه لغة تميم وقد قرى بهما
والفزع

مطلب

والفزع الاكبر اهوال يوم القيامة والبعث عن ابن عباس
وقال الحسن هو وقت يومر بالعباد الى النار وقال ابن جريج
وسعيد بن جبير والضحاك هو اذا اطبقت النار على اهلها
وذبح الموت بين الجنة والنار وقال ذو النون المصري هو
القطيعة والفراق وعن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوم
القيامة في كثيب المسك الاذفر لا يحزنهم الفزع الاكبر
رجل ام قوما محتسبا وهم له راضون ورجل اذن
لقوم محتسبا ورجل ابتلي برق في الدنيا فلم يشغله عن
طاعة ربه وقال ابو سلمة بن عبد الرحمن مررت برجل
يضرب غلاما له فاشار الى الغلام فكلمت مولاه حتى
عفا عنه فلقيت ابا سعيد الخدري فاخبرته فقال يا
ابن اخي من اغاث مكروها اعتقه الله من النار يوم الفزع
الاكبر سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتلقاهم
الملائكة اي تستقبلهم الملائكة على ابواب الجنة يهنونهم
ويقولون لهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون وقيل
تستقبلهم الملائكة على ابواب الجنة عند خروجهم من
القبور عن ابن عباس هذا يومكم اي ويقولون لهم فحذف
الذي كنتم توعدون فيه الكرامة قوله تعالى يوم
نطوي السما قرا ابو جعفر بن القعقاع وشيبة بن

فصالح والاعرج والزهري تطوى بتاء مضمومه السما
رفعا على ما لم يسم فاعله مجاهد يطوى على معنى يطوى الله
السما الباقون نطوي بنون العظمه وانتصاب يوم على البدل
من الها المحذوف في الصله التقدير الذي كنتم توعدونه
يوم نطوي السما او يكون منصوبا بيعيد من قوله كما
بدانا اول خلق نعيده او بقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر
في اليوم الذي نطوي فيه السما او على اضمار واذكر واراد
بالسماء الجنس دليله والسموات مطويات بيمينه كطي
السجل للكتاب قال ابن عباس ومجاهد اي كطي الصحيفة
على ما فيها فاللام بمعنى على وعن ابن عباس ايضا اسم كاتب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بالقوي لان كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم معروفون ليس هذا منهم
ولا في اصحابه من اسمه السجل وقال ابن عباس ايضا وابن
عمر والسدي السجل ملك وهو الذي يطوي كتب بني
ادم اذا رفعت اليه ويقال بانه في السماء الثالثه ترفع
اليه اعمال العباد ترفعها اليه الحفظه الموكلون بالخلق
في كل خميس واثنين وكان من اعوانه فيما ذكروا هاروت
وماروت والسجل الصك وهو اسم مشتق من السجالة وهي
المكاتبه واصلها من السجل وهو الدلو تقول ساجلت
الرجل

اي لا
يحزنهم
صح

الرجل اذا نزعت دلوا ونزع دلوا ثم استعيرت
فسميت المكاتبه والمراجعه مساجلة وقد سجل
الحاكم تسجيلا وقال الفضل ابن العباس بن عتبه بن
ابي لهب من يساجلني يساجل ماجدا يملا الدلو الى
عقد الكرب ثم بني هذا الاسم على فعل مثل حمر وطمر
وبلي وقرا ابو زرعة بن عمرو بن جرير كطي السجل
بضم السين والجيم وتشديد اللام وقرا الاعمش وطلحه
كطي السجل بفتح السين واسكان الجيم وتخفيف اللام
قال النحاس والمعنى واحد ان شا الله والتمام عند
قوله للكتب والطي في هذه الايه يحتمل معنيين
احدهما الدرج الذي هو ضد النشر قال الله تعالى
والسموات مطويات بيمينه والثاني الاخفا
والتعميه والمحو لان الله يمحو ويطمس رسومها
ويكدر نجومها قال الله تعالى اذا الشمس كورت
واذا النجوم انكدرت الى واذا السما كشطت للكتاب
وتم الكلام وقراة الاعمش وحفص وحمزه والكسائي
ويحيى وخلف للكتب جمعا ثم استانف الكلام
فقال كما بدانا اول خلق نعيده اي نحشرهم
حفاة عراة غرلا كما بدوا في البطون وروي

النساى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال يحشر الناس يوم القيامة عراة عزلا أول الخلق
يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام ثم قرا اول
خلق نعيده خرجه مسلم ايضا عن ابن عباس قال
قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة
فقال يا ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة
عزلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين
الا وان اول الخلايق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام
وذكر الحديث وقد ذكرنا هذا الباب فى كتاب التذكرة
مستوفى وذكر سفيان الثورى عن سلمة بن كهيل
عن ابى الزعرا عن عبد الله بن مسعود قال يرسل الله
عز وجل ما من تحت العرش كمنى الرجال فتنبت منه
لحمانهم وجسمانهم كما تنبت الارض بالثرى وقرا كما
بدانا اول خلق نعيده وقال ابن عباس المعنى نهلك
كل شى ونفنيه كما كان اول مرة وعلى هذا فالكلام
متصل بقوله يوم نطوى السما اي نطويها فنعيدها
مرة اخرى بعد طيها وزوالها لقوله يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات والقول الاول اصح وهو نظير
قوله ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقوله
وعرضوا

وعرضوا على ربك صفا لقد جيتمونا كما خلقناكم اول مره
وعدا نصب على المصدر اى وعدنا وعدا علينا انجازه
والوفا به اى من البعث والاعاده ففى الكلام حذف ثم
اكد ذلك بقوله جل جلاله انا كنا فاعلين قال الزجاج
يعنى انا كنا فاعلين انا كنا قادرين على ما نشا وقيل انا
كنا فاعلين اى ما وعدناكم وهو كما قال وكان وعده مفعولا
وقيل كان للاخبار بما سبق من قضائه وقيل صلة
قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر
الزبور والكتاب واحد ولذلك جاز ان يقال للتوراة
والانجيل زبور زبرت اى كتبت وجمعه زبر قال
سعيد بن جبير الزبور التوراه والانجيل والقران
من بعد الذكر الذى فى السماء ان الارض ارض الجنه يرثها
عبادى الصالحون رواه سفيان عن الاعمش عن سعيد
بن جبير الشعبى الزبور زبور داود والذكر توراة موسى
عليه السلام مجاهد وابن زيد الزبور كتب الانبيا عليهم
السلام والذكر ام الكتاب الذى عند الله فى السماء وقال
ابن عباس الزبور الكتب التى انزلها الله تعالى من بعد
موسى على انبيائه والذكر التوراة المنزله على موسى وقرا
حمزة فى الزبور بضم الزاى جمع زبر ان الارض يرثها

عبادي الصالحون احسن ما قيل فيه انه يراد بها ارض الجنة
كما قال سعيد بن جبير لان الارض في الدنيا قد ورثها الصالحون
وغيرهم وهو قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما قال مجاهد وابو
العاليه ودليل هذا التاويل قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده واورثنا الارض وعن ابن عباس انها الارض
المقدسه وعنه ايضا انها ارض الامم الكافره ترثها امة
محمد صلى الله عليه وسلم بالفتوح وقيل ان المراد بذلك بنو
اسرايل بدليل قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها
واكثر المفسرين على ان المراد بالعباد الصالحين امة محمد صلى
الله عليه وسلم وقرا حمزه عبادي بتسكين اليا ان في
هذا اي فيما جرى ذكره في هذه السوره من الوعظ والتنبيه
وقيل اي في القران لبلاغا لقوم عابدين قال ابو هريره
وسفيان الثوري هم اهل الصلوات الخمس وقال ابن عباس
عابدين مطيعين والعابد المتذلل الخاضع قال القشيري
ولا يبعد ان يدخل فيه كل عاقل لانه من حيث الفطره
متذلل للخالق وهو بحيث لو تامل القران واستعمله
لاوصله ذلك الى الجنة وقال ابن عباس ايضا هم امة محمد
صلى الله عليه وسلم الذين يصلون الصلوات الخمس ويصومون
شهر رمضان

وهو قول ابن عباس

شهر رمضان وهذا هو القول الاول بعينه قوله تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال كان محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع الناس
فمن امن به وصدق به سعد ومن لم يومن به سلم مما لحق
الامم من الخسف والغرق وقال ابن زيد اراد بالعالمين المومنين
خاصة قوله تعالى قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد
فلا يجوز الاشراك به فهل انتم مسلمون اي منقادون لتوحيد
الله اي فاسلموا لقوله تعالى فهل انتم منتهون اي انتهوا قوله
تعالى فان تولوا اي ان اعرضوا عن الاسلام فقل اذنتكم
على سواء اي اعلمتكم على بيان انا واياكم حرب لا صلح بيننا
كقوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء
اي اعلمهم انك نقضت العهد نقضا استويت انت وهم
فليس لفريق عهد ملتزم في حق الفريق الاخر وقال
الزجاج المعنى اعلمتكم بما يوحى الي على استواء في العلم
به ولم اظهر لاحد شيئا كتمته عن غيره وان ادري
ان نافية بمعنى ما اي وما ادري اقريب ام بعيد ما
توعدون يعني اجل القيامة لا يدريه احد لا نبي مرسل
ولا ملك مقرب قاله ابن عباس وقيل اي اذنتكم بالحرب
ولكني لا ادري متى يوذن لي في محاربتكم قوله تعالى

انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون اى من الشرك
وهو المجازي عليه وان ادري لعله اي لعل الامهال فتنة
لكم اى اختبار ليرى كيف صنيعكم وهو اعلم ومتاع الى حين
قبل الى انقضا المده وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم راى
بنى امية في منامه يلون الناس فخرج الحكم من عنده فاخبر
بنى امية بذلك فقالوا له ارجع فسله متى يكون ذلك فانزل
الله تعالى وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون وان
ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين يقول لنبيه عليه السلام
قل لهم ذلك فقوله تعالى قل رب احكم بالحق ختم السوره
بان امر النبي صلى الله عليه وسلم بتوفيض الامر اليه وتوقع
الفرج من عنده اى احكم بيني وبين هولاء المكذبين وانصرني
عليهم روى سعيد عن قتاده قال كانت الانبيا تقول ربنا
افتح بيننا وبين قومنا بالحق فامر النبي صلى الله عليه وسلم
ان يقول رب احكم بالحق فكان اذا لقي العدو يقول وهو
يعلم انه على الحق وعدوه على الباطل رب احكم بالحق اي
اقض به وقال ابو عبيده الصفة هاهنا اقيمت مقام
الموصوف والتقدير رب احكم بحكمك الحق ورب في موضع
نصب لانه ندا مضاف وقرا ابو جعفر بن القعقاع وابن
محيصن قل ربُ احكم بالحق بضم البا قال النحاس وهذا لحن
عند النحو

عند النحويين لا يجوز عندهم رجل اقبل حتى تقول يا رجل اقبل
وما اشبهه وقرا الضحاك وطلحه ويعقوب قال ربي احكم بقطع الالف مفتوحة الكاف والميم مضمومة اي قال محمد ربي احكم
بالحق من كل حاكم وقرا الجحدري قل ربي احكم على معنى احكم
الامور بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون اي
تصفونه من الكفر والتكذيب وقرا المفضل والسلمي على
ما يصفون بالياء على الخبر الباقون بالتاء على الخطاب

تفسير سورة الحج وهي مكية سوى ثلاث ايات

قوله تعالى هذان خصمان الى تمام ثلاث ايات قاله ابن عباس
ومجاهد وعن ابن عباس ايضا انهن اربع ايات الى قوله عذاب
الحريق وقال الضحاك وابن عباس ايضا هي مدنية وقاله
قتادة الا اربع ايات وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا
نبي الى عذاب عقيم فهن مكيات وعد النقاش ما نزل بالمدينة
عشر ايات وقال الجمهور السورة مختلطة منها مكي ومنها
مدني وهذا هو الاصح لان الايات تقتضي ذلك لان يايها الناس
مكي ويايها الذين امنوا مدني الغزنوي وهي من اعاجيب
السور نزلت ليلا ونهارا سفرا وحضرا مكيا ومدنيا
سلميا وحربيا ناسخا ومنسوخا محكما ومتشابها مختلف
العدد قلت وجا في فضلها الترمذي وابو داود والدارقطني ما رواه

عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله فضلت سورة الحج
بان فيها سجدتين قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقراهما لفظ
الترمذي وقال هذا حديث حسن ليس اسناده بالقوي
واختلف اهل العلم في هذا فروي عن عمر ابن الخطاب وابن
عمر انهما قالا فضلت سورة الحج بان فيها سجدتين وبه يقول
ابن المبارك والشافعي واحمد واسحق وراى بعضهم ان فيها
سجدة واحدة وهو قول سفيان الثوري وروى الدارقطني
عن عبد الله بن ثعلبة قال رايت عمر بن الخطاب سجد في الحج
سجدتين قلت في الصبح قال في الصبح بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة
شي عظيم روى الترمذي عن عمران بن حصين ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما نزلت يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة
الساعة شي عظيم الى قوله ولكن عذاب الله شديد قال
انزلت عليه هذه الاية وهو في سفر فقال اتدرون اي
يوم ذاك قالوا الله ورسوله اعلم قال ذاك يوم يقول الله
لادم ابعث بعث النار قال يا رب وما بعث النار قال
تسع مائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة
فانشا المسلمون يبكون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قاربوا وسددوا فانه لم تكن نبوة قط الا كان بين يديها

جاهلية

جاهلية قال فيوخذ العدد من الجاهلية فان تمت والا كملت
من المنافقين وما مثلكم في الامم الا كمثل الرقمة في ذراع الدابة
او كالشامة في جنب البعير ثم قال اني لارجوا ان تكونوا
ربع اهل الجنة فكبروا ثم قال اني لارجوا ان تكونوا ثلث
اهل الجنة فكبروا لا ادري قال الثلثين ام لا قال هذا حديث
حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن الحسن عن عمران
بن حصين وفيه فيئس القوم حتى ما ابدوا بضاحكة فلما
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعملوا وابشروا
فوالذي نفسي بيده انكم لمع خليقتين ما كانتا مع شي الا
كثرتاه ياجوج وماجوج ومن مات من بني ادم وبني ابليس
قال فسري عن القوم بعض الذي يجدون فقال اعملوا
وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما انتم في الناس الا كالشامة
في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الدابة وقال هذا حديث
حسن صحيح وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله يا ادم فيقول لبيك
وسعديك والخير في يديك قال يقول اخرج بعث النار قال
قال من كل الف تسع مائة وتسعة وتسعين قال فذاك
حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى
الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد

قال فاشتد ذلك عليهم قالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل فقال
ابشروا فان من ياجوج وماجوج الفا ومنكم رجل وذكر
الحديث بنحو ما تقدم في حديث عمران بن حصين وذكر
ابو جعفر النحاس قال حدثنا احمد بن محمد بن نافع قال حدثنا
سلمة قال نا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن قتادة عن
انس بن مالك قال يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة
شيء عظيم الى ولكن عذاب الله شديد قال نزلت على النبي
صلى الله عليه وسلم وهو في مسير له فرفع بها صوته
حتى ثاب اليه اصحابه فقال اتدرون اي يوم هذا هذا
يوم يقول الله جل وعز لادم صلى الله عليه وسلم يا ادم
قم فابعث بعث اهل النار من كل الف تسع مائة وتسعة
وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة فكبر ذلك على المسلمين
فقال النبي صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا وابشروا
فوالذي نفسي بيده ما انتم في الناس الا كالشامة
في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الحمار وان معكم الخليقتين
ما كانتا في شيء الا كثرتاه ياجوج وماجوج ومن هلك
من كفرة الجن والانس قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا
ربكم المراد بهذا النداء المكلفون اي اخشوه في اوامره
ان تتركوها ونواهيه ان تقدموا عليها والاتقا الاحتراس
من المكروه

من المكروه وقد تقدم في اول البقره القول فيه مستوفي
فلا معني لاعادته والمعني احترسوا بطاعته عن عقوبته
قوله تعالى ان زلزلة الساعة شي عظيم الزلزله شدة
الحركه ومنه وزلزلوا حتى يقول الرسول واصل
الكلمه من زل عن الموضع اي زال عنه وتحرك وزلزل الله
قدمه اي حركها وهذه اللفظة تستعمل في تهويل الشي
وقيل هي الزلزله المعروفه التي هي احدى شرايط الساعه
التي تكون في الدنيا قبل يوم القيامة هذا قول الجمهور
وقد قيل ان هذه الزلزله تكون في النصف من شهر رمضان
ومن بعدها طلوع الشمس من مغربها فالله اعلم قوله
تعالى يوم ترونها الهاء في ترونها عايده عند الجمهور
الجمهور على الزلزله ويقوي هذا قوله تذهل كل
مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها والرضاع
والحمل انما هو في الدنيا وقالت فرقة الزلزله في يوم
القيامه واحتجوا بحديث عمران بن حصين الذي
ذكرناه وفيه اتدرون اي يوم ذاك الحديث وهو
الذي يقتضيه سياق مسلم في حديث ابي سعيد
قوله تذهل اي تشتغل قاله قطرب وانشد
بضرب يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

وقيل تنسى وقيل تلهو وقيل تسلوا والمعني متقارب عما
ارضعت قال المبرد ما بمعني المصدر اي تذهل عن الارضاع
قال وهذا يدل على ان هذه الزلزله في الدنيا اذ ليس بعد
البعث حمل وارضاع الا ان يقال من ماتت حاملا تبعث
حاملا فتضع حملها للهول ومن ماتت مرضعه بعثت كذلك
ويقال هذا كما قال تعالى يوما يجعل الولدان شيبا وقيل
تكون مع النفخة الاولي وقيل تكون مع قيام الساعة
حتى يتحرك الناس من قبورهم في النفخة الثانية ويحتمل
ان تكون الزلزله في الاية عبارة عن اهوال يوم القيامة
كما قال تعالى مستهم الباسا والضرا وزلزلوا وكما قال
عليه السلام اللهم اهزمهم وزلزلهم وفايدة ذكر هول
ذلك اليوم التحريض على التاهب له والاستعداد بالعمل
الصالح وتسمية الزلزله شيي اما لانها حاصله متيقن
وقوعها فيستسهل لذلك ان تسمى شيا وهي معدوم اذ
اليقين يشبه الموجودات واما على المال اي هي اذا
وقعت شي عظيم وكانه لم يطلق الاسم الان بل المعنى
انها اذا كانت فهي اذا شي عظيم ولذلك تذهل الراضع
وتسكر الناس اي من هولها وحما يدركهم الخوف والفزع
وماهم بسكارى يدل عليه قراة ابي زرعه هرم بن عمرو
بن جرير

٢٩٧

بن جرير بن عبد الله وترى الناس بضم التاء اي تظن
وتخيل اليك وقرا حمزه والكساي سكرى بغير الف الباقون
سكارى وهما لغتان لجمع سكران مثل كسلى وكسالى
والزلزله التحريك العنيف والذهول الغفله عن
الشي بطريان ما يشغل عنه من هم او وجع او غيره
قال ابن زيد المعنى تترك ولدها للكرب الذي نزل بها
قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم
قيل المراد النضر بن الحرث قال ان الله عز وجل غير قادر
على احيا من قد بلى وعاد ترابا ويتبع اي في قوله ذلك
كل شيطان مريد متمرد كتب عليه انه من تولاه
قال قتاده ومجاهد اي من تولى الشيطان فانه يضله
ويهديه الى عذاب السعير قوله تعالى يا ايها الناس
ان كنتم في ريب من البعث الى قوله مسمى فيه اثنتا
عشرة مسئلة الاولى قوله تعالى ان كنتم في ريب من البعث
هذا احتجاج على العالم بالبداة الاولى وقوله ان كنتم في
ريب متضمنة التوقيف وقرا الحسن بن ابي الحسن
البعث بفتح العين وهي لغة في البعث عند البصريين
وهي عند الكوفيين تخفيف بعث والمعنى يا ايها الناس
ان كنتم في شك من الاعاده فانا خلقناكم اي خلقنا

ابا كم الذي هو اصل البشر يعني ادم عليه السلام من تراب ثم
خلقنا ذريته من نطفة وهو المني سمي نطفة لقلته وهو
القليل من الماء وقد يقع على الكثير منه ومنه الحديث حتى
يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى جورا اراد بحر المشرق
وبحر المغرب والنطفة القطر نطف ينطف وينطف
وليلة نطوفة دايمة القطر ثم من علقة وهو الدم الجامد
والعلق الدم الغبيط اى الطري وقيل الشديد الحمرة
ثم من مضغة وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ ومنه الحديث
الا وان في الجسد مضغة وهذه الاطوار اربعة اشهر
قال ابن عباس وفي العشر بعد الاشهر الاربعة ينفخ فيه
الروح فذلك عدة المتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشرا
الثانية روى يحيى بن زكريا عن ابي زايدة نا داود عن
عامر عن علقمة عن ابن مسعود وعن ابن عمر ان النطفة
اذا استقرت في الرحم اخذها ملك بكفه قال يا رب ذكر او
ام انثى شقي ام سعيد ما الاجل والاثر باي ارض يموت
فيقال له انطلق الى ام الكتاب فانك تجد فيها قصة هذه
النطفة فينطلق فيجد قصتها في ام الكتاب فتخلق
فتاكل رزقها وتطا اثرها فاذا جا اجلها قبضت فدفنت
في المكان الذي قدر لها ثم قرأ عامر يا ايها الناس ان كنتم
في ريب

في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب وفي الصحيح عن
انس بن مالك ورفع الحديث قال ان الله قد وكل بالرحم ملكا فيقول
اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله
ان يقضي خلقا قال قال الملك اي رب ذكر او انثى شقي او
سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب كذلك في بطن امه
وفي الصحيح ايضا عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة
ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق
سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم يقول اي
رب اذكر ام انثى وذكر الحديث وفي الصحيح عن عبد الله بن
مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الصادق المصدوق ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه
اربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون
مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويومر
باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد الحديث
فهذا الحديث مفسر للاحاديث الاول فان فيه يجمع خلق
احدكم في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم اربعين يوما
علقة ثم يبعث الملك فينفخ فيه الروح فهذه اربعة اشهر
وفي العشر ينفخ الملك الروح وهذه عدة المتوفى كما

ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال [illegible]

قال ابن عباس وقوله ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه قد فسره
ابن مسعود سئل الاعمش ما يجمع في بطن امه فقال حدثنا
خيثمة قال قال عبد الله اذا وقعت النطفة في الرحم
فاراد الله ان يخلق منها بشرا صارت في بشرة المراة تحت
كل ظفر وشعر ثم تمكث اربعين يوما ثم تصير دما في
الرحم فذلك جمعها وهذا وقت كونها علقة الثالثة
نسبة الخلق والتصوير للملك نسبة مجازية لا حقيقية
وانما صدر عنه فعل ما في المضغة كان عنه التصوير
والتشكيل بقدرة الله وخلقه واختراعه الا تراه
سبحانه قد اضاف اليه الخلقة الحقيقية وقطع عنها نسب
جميع الخليقة فقال ولقد خلقناكم ثم صورناكم في قرار
مكين وقال يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا
خلقناكم من تراب ثم من نطفة وقال تعالى هو الذي خلقكم
فمنكم كافر ومنكم مومن ثم قال وصوركم فاحسن صوركم
وقال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقال خلق
الانسان من علق الى غير ذلك من الايات مع ما دلت عليه قاطعات
البراهين ان لا خالق لشيء من المخلوقات الا رب العالمين
وهكذا القول في قوله ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح
اي ان النفخ سبب خلق الله فيها الروح والحياة ولذلك القول
في ساير

١٤٩

في ساير الاسباب المعتادة فانه باحداث الله لا بغيره فتامل هذا الاصل وتمسك به فيه النجاة من مذاهب اهل الضلال وغيرهم **الرابعة** لم يختلف العلما ان نفخ الروح فيه يكون بعد مائة وعشرين يوما وذلك تمام اربعة اشهر ودخوله في الخامس كما بيناه بالاحاديث وعليه يعول فيما يحتاج اليه من الاحكام في الاستلحاق عند التنازع وفي وجوب النفقات على حمل المطلقات وذلك لتيقنه بحركة الجنين في الجوف وقد قيل انه الحكمة في عدة المراة من الوفاة باربعة اشهر وعشر وهذا الدخول في الخامس يحقق براة الرحم ببلوغ هذه المده اذا لم يظهر حمل الخامسه النطفه ليست بشي يقينا ولا يتعلق بها حكم اذا القتها المراه اذا لم تجتمع في الرحم فهي كما لو كانت في صلب الرجل فاذا طرحته علقة فقد تحققت ان النطفة قد استقرت واجتمعت واستحالت الى اول احوال ما يتحقق به انه ولد وعلى هذا فيكون وضع العلقة فما فوقها من المضغه وضع حمل تبرا به الرحم وتنقضي به العده ويثبت به لها حكم ام الولد وهذا مذهب مالك واصحابه وقال الشافعي لا اعتبار باسقاط العلقه وانما الاعتبار بظهور الصورة والتخطيط فان خفي التخطيط وكان لحما فقولان

الطبايع

بالنقل والتخريج والمنصوص انه تنقضي به العده ولاتكون
ام ولد قالوا لان العده تنقضي بالدم الجاري فبغيره اولى
السادسة قوله تعالى مخلقه وغير مخلقه قال الفرا
مخلقة تام الخلق وغير مخلقة السقط وقال ابن الاعرابي
مخلقة قد بدا خلقه وغير مخلقة لم يصور بعد ابن زيد
المخلقه التي خلق الله فيها الراس واليدين والرجلين وغير
مخلقة التي لم يخلق فيها شي قال ابن العربي اذا رجعنا الى
اصل الاشتقاق فان النطفة مخلقه والعلقة والمضغه
لان الكل خلق الله تعالى وان رجعنا الى التصوير الذي هو
منتهى الخلقه كما قال تعالى ثم انشاناه خلقا اخر فذلك ما
قال ابن زيد قلت التخليق من الخلق وفيه معنى الكثره
فما تتابع عليه الاطوار فقد خلق خلقا بعد خلق واذا
كان نطفة فهو مخلوق ولهذا قال تعالى ثم انشاناه
خلقا اخر والله اعلم وقد قيل ان قوله مخلقه وغير
مخلقه يرجع الى الولد بعينه لا الى السقط اي منهم
من يتم الرب سبحانه مضغته فيخلق له الاعضا اجمع
ومنهم من يكون خديجا ناقصا غير تام وقيل المخلقه
ان تلد المراه لتمام الوقت ابن عباس المخلقه ما كان
حيا وغير المخلقه السقط قال

اي غير

الى غير المخلقة البكا فابن الحزم وبحك والحيا
السابعة اجمع العلما على ان الامة لا تكون ام ولد بما
تسقطه من ولد تام الخلق وعند مالك والاوزاعي وغيرهما
بالمضغه كانت مخلقة او غير مخلقة قال مالك اذا علم انها
مضغة وقال الشافعي وابو حنيفة ان كان قد تبين له شي
من خلق بني ادم اصبع او عين او غير ذلك فهي به ام ولد
واجمعوا على ان المولود اذا استهل صارخا يصلى عليه
فان لم يستهل صارخا لم يصل عليه عند مالك وابي حنيفة
والشافعي وغيرهم وروي عن ابن عمر انه يصلى عليه
وقاله ابن المسيب وابن سيرين وغيرهما وروي عن
المغيره بن شعبه انه كان يامر بالصلاة على السقط
ويقول سموهم واغسلوهم وكفنوهم وحنطوهم فان
الله اكرم بالاسلام كبيركم وصغيركم ويتلو هذه الاية
انا خلقناكم من تراب الى وغير مخلقة قال ابن العربي
لعل المغيره بن شعبة اراد بالسقط ما تبين خلقه فهو
الذي يسمى وما لم يتبين خلقه فلا وجود له وقال بعض
السلف يصلى عليه متى نفخ فيه الروح وتمت له اربعة
اشهر روى ابو داود عن ابي هريره عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا استهل المولود ورث الاستهلال

رفع الصوت فكل مولود كان ذلك منه او حركه او عطاس
او تنفس فانه يورث لوجود ما فيه من دلالة الحياه والى
هذا ذهب سفيان الثوري والاوزاعي والشافعي قال الخطابي
واحسبه قول اصحاب الراي وقال مالك لا ميراث له وان تحرك
او عطس ما لم يستهل وروي عن محمد بن سيرين والشعبي
والزهري وقتاده الثامنه قال مالك ما طرحته المراه
من مضغة او علقة او ما يعلم انه ولد اذا ضرب بطنها ففيه
الغره وقال الشافعي لا شي فيه حتى يتبين من خلقه شي قال
مالك اذا سقط الجنين فلم يستهل صارخا ففيه الغره وسوا
تحرك او عطس فيه الغره ابدا حتى يستهل صارخا ففيه الديه
كامله وقال الشافعي وساير فقها الامصار اذا علمت حياته
بحركة او بعطاس او باستهلال او بغير ذلك مما تستيقن به
حياته ففيه الديه التاسعه ذكر القاضي اسماعيل ان
عدة المراه تنقضي بالسقط الموضوع واحتج عليه بانه
حمل وقال تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن
قال القاضي اسماعيل والدليل على ذلك انه يرث اباه فدل
على وجوده خلقا وكونه ولدا وحملا قال ابن العربي
ولا يرتبط به شي من هذه الاحكام الا ان يكون مخلقا
قلت ما ذكرناه من الاشتقاق وقوله عليه السلام ان
احدكم

ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه يدل على صحه ما قلناه وبان
مسقطة العلقه والمضغه يصدق على المراه اذا القته انها
كانت حاملا ووضعت ما استقر في رحمها فشملها قوله
تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ولانها وضعت
مبدا للولد عن نطفه متجسدًا كالمخطط وهذا بين ه
العاشره روى ابن ماجه ثنا ابو بكر بن ابي شيبه ثنا خالد
بن مخلد ثنا يزيد بن عبد الملك النوفلي عن يزيد بن رومان
عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسقط
اقدمه بين يدي احب الي من فارس اخلفه واخرجه الحاكم
في معرفة علوم الحديث له عن سهيل بن ابي صالح عن ابيه
عن ابي هريره فقال احب الي من الف فارس اخلفه وراى
الحاديه عشره لنبين لكم يريد كمال قدرتنا بتصريفنا
اطوار خلقكم ونقر في الارحام قرى بنصب نقر ونخرج
رواه ابو حاتم عن ابي زيد عن المفضل عن عاصم قال ابو
حاتم النصب على العطف وقال الزجاج نقر بالرفع
لا غير لانه ليس المعنى فعلنا ذلك لنقر في الارحام ما نشا
وانما خلقهم الله عز وجل ليدلهم على الرشد والصلاح
وقيل المعنى لنبين امر البعث فهو اعتراض بين الكلامين
وقراه هذه الفرقه بالرفع ونقر المعنى ونحن نقر وهذه

قراة الجمهور وقرى ويقر ويخرجكم بالبا والرفع على هذا سايغ وقرا ابن وثاب ما يِشا بكسر النون والاجل المسمى يختلف بحسب جنين جنين فمنهم من يسقط ومنهم من يكمل امره ويخرج حيا وقال ما نشا ولم يقل من نشا لانه يرجع الى الحمل اي نقر في الارحام ما نشا من الحمل ومن المضغة وهي جماد فكنى عنها بلفظ ما الثانية عشره قوله تعالى ثم نخرجكم طفلا اي اطفالا فهو اسم جنس وايضا فان العرب قد تسمي الجمع باسم الواحد قال الشاعر

يلحينني في حبها ويلمنني ان العواذل لسن لي بامير ولم

يقل امرا وقال المبرد هو اسم يستعمل مصدرا كالرضى والعدل فيقع على الواحد والجمع قال الله تعالى او الطفل الذين لم يظهروا وقال الطبري وهو نصب على التمييز كقوله تعالى فان طبن لكم عن شي منه نفسا وقيل المعنى ثم نخرج كل واحد منكم طفلا والطفل يطلق من وقت انفصال الولد الى البلوغ وولد كل وحشية ايضا طفل ويقال جارية طفل وجاريتان طفل وجواري طفل وغلام طفل وغلمان طفل ويقال ايضا طفل وطفلة وطفلتان واطفال ولا يقال طفلات واطفلت المراه صارت ذا طفل والمطفل الظبية معها طفلها وهي قريبة عهد بالنتاج وكذلك الناقة مطافل ومطافيل

والطفل

والطفل بالفتح في اللغة الناعم يقال جارية طفلة اي ناعمة وبنات
طفل وقد طفل الليل اذا اقبل ظلامه والطفل بالتحريك بعد
العصر اذا طفلت الشمس للغروب والطفل ايضا مطر
قال: لوهد جاده طفل الثريا، ثم لتبلغوا اشدكم
قيل ان ثم زائده كالواو في قوله حتى اذا جاوها وفتحت
ابوابها لان ثم من حروف النسق كالواو اشدكم كمال
عقولكم ونهاية قواكم وقد مضى في الانعام بيانه ومنكم
من يرد الى ارذل العمر اي اخسه وادونه وهو الهرم
والخرف حتى لا يعقل ولهذا قال لكي لا يعلم من بعد علم شيا
كما قال في سورة يس ومن نعمره ننكسه في الخلق وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يدعوا فيقول اللهم اني اعوذ بك من
البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل
العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر اخرجه
النساي عن سعد وقال كان يعلمهن بنيه كما يعلم المكتب
الغلمان وقد مضى في النحل هذا المعنى قوله تعالى وترى
الارض هامدة ذكر دلالة اخرى على البعث فقال في
الاول انا خلقناكم من تراب فخاطب جمعا وقال في الثاني
فترى الارض فخاطب واحدا فانفصل اللفظ عن اللفظ
ولكن المعنى متصل من حيث الاحتجاج على منكري البعث

هامدة يابسة لا تنبت شيئا قاله ابن جريج وقيل دارسة
والهمود الدروس قال الاعشى

قالت قتيلة ما لجسمك شاحبا وارى ثيابك باليات هُمَّدا

الهروي هامدة اي جافة ذات تراب وقال شمر يقال
همد شجر الارض اذا بلي وذهب وهمدت اصواتهم اذا
سكنت وهمود الارض ان لا يكون فيها حياة ولا نبت ولا
عود ولم يصبها مطر وفي الحديث حتى كاد يهمد من
الجوع اي يهلك يقال همد الثوب يهمد اذا بلي وهمدت
النار تهمد قوله تعالى فاذا انزلنا عليها الما اهتزت
وربت اي تحركت والاهتزاز شدة الحركة يقال هززت
الشي فاهتز اي حركته فتحرك وهز الحادي الابل هزيزا
فاهتزت هي اذا تحركت في سيرها بحدائه واهتز الكوكب
في انقضاضه وكوكب هاز فالارض تهتز بالنبات لان النبات
لا يخرج منها حتى يزيل بعضها من بعض ازالة خفية فسماه
اهتزازا وقيل اهتز نباتها فحذف المضاف قاله المبرد
واهتزازه شدة حركته قال الشاعر

تثنى اذا قامت وتهتز ان مشت كما اهتز غصن البان في ورق خضر

والاهتزاز في النبات اظهر منه في الارض وربت اي
ارتفعت وزادت وقيل انتفخت والمعنى واحد واصله
الزيادة

الزيادة ربا الشي يربو ربوا اي زاد ومنه الربا والربوة
وقرا يزيد بن القعقاع وخالد بن الياس وربات اي ارتفعت
حتى صارت بمنزلة الربية وهو الذي يحفظ القوم على شي
مشرف فهو رابي وربية على المبالغة قال امرؤ القيس
بعثنا ربيا قبل ذلك مخمصا كذيب الغضي يمشي الضرا ويتقي
وانبتت اي اخرجت من كل زوج اي لون بهيج اي حسن عن
قتادة اي يبهج من يراه والبهجة الحسن يقال رجل ذو بهجة
وقد بهج بالضم بهاجة وبهجة فهو بهيج وابهجني اعجبني
بحسنه ولما وصف الارض بالانبات دل على ان قوله اهتزت
وربت يرجع الى الارض لا الى النبات والله اعلم قوله تعالى
ذلك بان الله هو الحق لما ذكر افتقار الموجود اليه وتسخيرها
على وفق اقتداره واختياره في قوله يا ايها الناس ان كنتم
في ريب من البعث الى قوله بهيج قال بعد ذلك ذلك بان الله
هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شي قدير وان الساعة
اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور فنبه سبحانه
بهذا على ان كل ما سواه وان كان موجودا حقا فانه لا حقيقة
له من نفسه لانه مسخر مصرف والحق الحقيقي هو الموجود
المطلق الغني المطلق وان وجود كل ذي وجود عن وجوب
وجوده ولهذا قال في اخر السورة وان ما تدعون من دونه

الباطل والحق الموجود الثابت الذي لا يتغير ولا يزول
وهو الله تعالى وقيل ذو الحق على عباده وقيل الحق يعني كذا
في افعاله وقال الزجاج ذلك في موضع رفع اي الامر ما
وصف لكم وبين بان الله هو الحق اي لان الله هو الحق قال
ويجوز ان يكون ذلك نصبا اي فعل الله ذلك بانه هو الحق
وانه يحيي الموتى اي بانه وانه على كل شيء قدير اي وبانه
قادر على ما اراد وان الساعة اتية عطف على قوله ذلك
بان الله هو الحق من حيث اللفظ وليس عطفا في المعنى اذ لا يقال
فعل الله ما ذكر بان الساعة اتية بل لا بد من اضمار فعل يتضمنه
اي ولتعلموا ان الساعة اتية لا ريب فيها اي لا شك وان
الله يبعث من في القبور يريد للثواب والعقاب قوله تعالى

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير
اي نير بين الحجة نزلت في النضر بن الحارث وقيل في ابي
جهل بن هشام قال ابن عباس والمعظم على انها نزلت في
النضر بن الحارث كالاية الاولى فهما في فريق واحد والتكرير
للمبالغة في الذم كما تقول للرجل تذمه وتوبخه انت فعلت
هذا انت فعلت هذا ويجوز ان يكون تكرير لانه وصفه في
كل اية بزيادة فكانه قال ان النضر بن الحارث يجادل في الله
ويتبع كل شيطان مريد ومن غير هدى وكتاب منير ليضل عن

سبيل الله

سبيل الله وهو كقولك زيد يشتمني وزيد يضربني وهو تكرار مفيد قاله القشيري وقد قيل نزلت فيه بضع عشرة اية فالمراد بالاية الاولي انكاره البعث وبالثانية انكاره النبوه او ان القران منزل من جهة الله وقد قيل كان من قول النضر بن الحارث ان الملايكة بنات الله ٭ وهذا جدال في الله تعالي من في موضع رفع بالابتدا والخبر في قوله ومن الناس ثاني عطفه نصب علي الحال ويتاول علي معنيين احدهما روي عن ابن عباس انه قال هو النضر بن الحارث لوي عنقه مرحا وتعظما والمعنى الاخر وهو قول الفرا ان التقدير ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ثاني عطفه اي معرضا عن الذكر ذكره النحاس وقال مجاهد وقتادة لاويا عنقه كفرا ابن عباس معرضا عما يدعي اليه كفرا والمعني واحد وروي الاوزاعي عن مخلد بن حسين عن هشام بن حسان عن ابن عباس في قوله عز وجل ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله قال هو صاحب البدعه المبرد العطف ما انثنى من العنق وقال المفضل والعطف الجانب ومنه قولهم فلان ينظر في اعطافه اي في جوانبه وعطفا الرجل من لدن راسه الي وركيه وكذلك عطفا كل شي جانباه

ويقال تثنى فلان عني عطفه اذا اعرض عنك فالمعنى اي هو
معرض عن الحق في جداله ومول عن النظر في كلامه وهو
كقوله تعالى ولى مستكبرا كان لم يسمعها وقوله تعالى
لووا روسهم وقوله اعرض وناى بجانبه وقوله ذهب
الى اهله يتمطى ليضل عن سبيل الله اي عن طاعة الله وقري
ليَضل بفتح اليا واللام لام العاقبه اي يجادل فيضل
كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا اي فكان لهم كذلك
ونظيره اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا له في الدنيا
خزي اي هوان وذل بما يجري له من الذكر القبيح على
السنة المومنين الى يوم القيامه كما قال تعالى ولا تطع
كل حلاف مهين الايه وقوله تعالى تبت يدا ابي لهب وتب
وقيل الخزي هاهنا القتل فان النبي صلى الله عليه وسلم
قتل النضر بن الحارث يوم بدر صبرا كما تقدم في اخر الانفال
ونذيقه يوم القيامه عذاب الحريق اي نار جهنم ذلك
بما قدمت يداك اي يقال له في الاخره اذا دخل النار
ذلك العذاب بما قدمت يداك اي من المعاصي والكفر
وعبر باليد عن الجمله لان اليد التي تفعل وتبطش للجمله
وذلك بمعنى هذا كما تقدم في اول البقره **قوله تعالى**
ومن الناس من يعبد الله على حرف من في موضع رفع
بالابتدا

بلغ

بالابتدا والتمام انقلبت على وجهه في قراءة الجمهور حسن
وهذه الاية خبر عن المنافقين قال ابن عباس يريد شيبة
بن ربيعة كان قد اسلم قبل ان يظهر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما اوحي اليه ارتد شيبة بن ربيعة وقال ابو سعيد
الخدري اسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وتشام
بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال
ان الاسلام لا يقال فقال اني لم اصب في ديني هذا خيرا
ذهب بصري ومالي وولدي فقال يا يهودي ان الاسلام
يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والفضة
والذهب فانزل الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف
وروى اسرايل عن ابي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال ومن الناس من يعبد الله على حرف قال كان الرجل
يقدم المدينة فان ولدت امراته غلاما ونتجت خيله
قال هذا دين صالح فان لم تلد امراته ولم تنتج خيله قال
هذا دين سوء وقال المفسرون نزلت في اعراب كانوا
يقدمون على النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون فان نالوا
رخا اقاموا وان نالتهم شدة ارتدوا وقيل نزلت في النضر
بن الحارث وقال ابن زيد وغيره نزلت في المنافقين
ومعنى على حرف على شك قاله مجاهد وغيره وحقيقته
انه على ضعف في عبادته كضعف القايم على حرف

مضطرب فيه محرف كل شي طرفه وشفيره وحده ومنه
حرف الجبل وهو اعلاه المحدد وقيل على حرف اى على وجه
واحد وهو ان يعبده على السراء دون الضرا ولو عبد والله
على الشكر في السرا والصبر على الضرا لما عبد والله على
حرف وقيل على حرف على شرط وذلك ان شيبة بن ربيعة
قال للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يظهر امره ادع لي ربك
ان يرزقني مالا وابلا وخيلا وولدا حتى او من بك واعدل
الى دينك فدعا له فرزقه الله جل وعز ما تمنى ثم اراد
الله جل وعز فتنته واختباره وهو اعلم به فاخذ منه ما
كان رزقه بعد ان اسلم فارتد عن الاسلام فانزل الله تبارك
وتعالى فيه ومن الناس من يعبد الله على حرف يريد شرط
وقال الحسن هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه وبالجمله
فهذا الذي يعبد الله على حرف ليس داخلا بكليته وبين
هذا بقوله فان اصابه خير صحة جسم ورخا معيشة
رضي واقام على دينه وان اصابته فتنة خلاف ذلك مما
يختبر به انقلب على وجهه اى ارتد فرجع الى وجهه
الذي كان عليه من الكفر خسر الدنيا والاخرة ذلك هو
الخسران المبين قرا مجاهد وحميد بن قيس والاعرج والزهري
وابن ابي اسحاق وروي عن يعقوب خاسر الدنيا بالف
نصبا

نصبا على الحال وعليه فلا يوقف على وجهه وخسرانه الدنيا بان
لاحظ له في غنيمة ولا ثناء والاخرة بان لا ثواب له فيها قوله
تعالى يدعوا من دون الله اي هذا الذي يرجع الى الكفر يعبد
الصنم الذي لا ينفع ولا يضر ذلك هو الضلال البعيد قال الفرا
الطويل قوله تعالى يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه اي هذا
الذي انقلب على وجهه يعبد من ضره ادنى من نفعه اي في
الاخرة لانه بعبادته دخل النار ولم ير منه نفعا اصلا
ولكنه قال ضره اقرب من نفعه ترفيعا للكلام كقوله
وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقيل يعبدونهم يتوهم
انهم يشفعون لهم غدا كما قال تعالى ويعبدون من دون
الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هولاء شفعاونا عند
الله وقال تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال
الفرا والكساي والزجاج معنى الكلام القسم والتاخير
اي يدعوا والله لمن ضره اقرب من نفعه فاللام مقدمه
في غير موضعها ومن في موضع نصب بيدعوا واللام
جواب القسم وضره مبتدا واقرب خبره وضعف
النحاس تاخير اللام وقال وليس للام من التصرف ما
يوجب ان يكون فيها تقديم ولا تاخير قلت حق اللام
التقديم وقد تؤخر قال الشاعر

خالي الا انت ومن جير بن خالد بن نل العلا وبكوم الاخو الا اي الخالي
انت وقد تقدم النحاس وحكى لنا علي بن سليمان عن محمد بن يزيد قال
في الكلام حذف والمعنى يدعو لمن ضره اقرب من نفعه الاها
قال واحسب هذا القول غلطا على محمد بن يزيد لانه لا معنى
له لان ما بعد اللام مبتدأ فلا يجوز نصب الاه وما احسب
مذهب محمد بن يزيد الا قول الاخفش وهو احسن ما قيل في
الايه عندي والله اعلم قال يدعوا بمعنى يقول ومن مبتدا
وضره محذوف والتقدير يقول لمن ضره اقرب من نفعه
الاهه قلت وذكر هذا القول القشيري عن الزجاج والمهدوي
عن الاخفش وكمل اعرابه فقال يدعوا بمعنى يقول ومن
مبتدا وضره مبتدا ثان واقرب خبره والجمله صله من وخبر
من محذوف والتقدير يقول يدعوا لمن ضره اقرب من
نفعه الاهه ومثله قول عنترة
يدعون عنتر والرماح كانها اشطان بير في لبان الادهم
قال القشيري والكافر الذي يقول الصنم معبودي لا
يقول ضره اقرب من نفعه ولكن المعنى يقول الكافر
لمن ضره اقرب من نفعه في قول المسلمين معبودي والاهي
وهو كقوله تعالى يا ايها الساحر ادع لنا ربك اي يا ايها الساحر
عندا ولئك الذين يدعونك ساحرا وقال الزجاج يجوز
ان يكون

ان يكون يدعوا في موضع الحال وفيه هاء محذوفة اي ذلك هو
الضلال البعيد يدعوه او في حال دعايه اياه ففي يدعوا هاء
مضمرة ويوقف على هذا على يدعوه وقوله من ضره اقرب من
نفعه كلام مستانف مرفوع بالابتدا وخبره لبيس المولى
وهذا لان اللام لليمين والتوكيد فجعلها اول الكلام قال
الزجاج ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ويكون في محل
النصب بوقوع يدعوا عليه اي الذي هو الضلال البعيد يدعو
كما قال وما تلك بيمينك يا موسى اي ما الذي ثم قوله لمن
ضره كلام مبتدا ولبيس المولى خبر المبتدا وتقدير الاية
على هذا يدعوا الذي هو الضلال البعيد قدم المفعول وهو
الذي كما تقول زيدا يضرب واستحسنه ابو علي وزعم
الزجاج ان النحويين اغفلوا هذا القول وانشد
عدس ما لعباد عليك امارة نجوت وهذا تحملين طليق
اي والذي قال الزجاج ايضا والفرا يجوز ان يكون
يدعوا مكررة على ما قبلها على جهة تكثير هذا الفعل الذي
هو الدعا ولا تعدّيه اذ قد عدّيته اولا اي يدعوا من
دون الله ما لا ينفعه ولا يضره يدعوا مثل ضربت
زيدا ضربت ثم حذفت يدعو مع الاخرة اكتفا بالاولى قال
الفرا ويجوز لمن ضره بكسر اللام اي يدعوا الى من ضره

اقرب من نفعه قال الله عز وجل بان ربك اوحى لها اي اليها وقال
الفرا ايضا والقفال اللام صلة اي يدعوا من ضره اقرب من نفعه
اي يعبده ولذلك هو في قراة عبد الله بن مسعود لبئس المولى
في المناصر ولبئس العشير اي المعاشر والصاحب والخليل
مجاهد يعني الوثن قوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار لما ذكر حال
المشركين وحال المنافقين والشياطين ذكر حال المومنين
في الاخره ايضا ان الله يفعل ما يريد اي يثيب من يشا
ويعذب من يشا فللمومنين الجنة بحكم وعده الصدق وبفضله
وللكافرين بما سبق من عدله لا ان فعل الرب معلل بفعل
العبيد قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا
والاخره فليمدد بسبب الى السماء قال ابو جعفر النحاس
من احسن ما قيل فيها ان المعنى من كان يظن ان لن ينصر
الله محمدا صلى الله عليه وسلم وانه يتهيا له ان يقطع النصر بلغ
الذي اعز به فليمدد بسبب الى السماء فليطلب حيلة
يصل بها الى السما ثم ليقطع اي ثم ليقطع النصر ان تهيا
له فلينظر هل يذهبن كيده وحيلته ما يغيظه من
نصر النبي صلى الله عليه وسلم والفايده في الكلام انه اذا
لم يتهيا له الكيد والحيله بان يفعل مثل هذا لم يصل الى
قطع

نحن بنو جعدة اصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجوا بالفرج
اراد نرجوا الفرج وقال الاعشي ضمنت برزق عيالنا
ارماحنا .. اي برزق وقال اخر ..
الم يأتيك والانبا تنمي بما لاقت لبون بني زياد .. اي ما
لاقت والباء زايده وهو كثير وقال الفرا سمعت اعرابيا عن
وسالته عن شي فقال ارجوا بذاك اي ارجوا ذاك وقال الشاعر
يراد بهان ينبت الشيب صدره واسفله بالمرخ والشبهان
اي المرخ وهو قول الاخفش والمعني عنده ومن يرد
فيه الحادا بظلم وقال الكوفيون دخلت الباء لان المعني
بان يلحد والباء مع ان تدخل وتحذف ويجوز ان يكون
التقدير ومن يرد الناس فيه بالحاد وهذا الالحاد والظلم
يجمع جميع المعاصي من الكفر الي الصغاير فلعظم حرمة
المكان توعد الله تعالى على نية السية فيه ومن نوى
سية ولم يعملها لم يحاسب عليها الا في مكة هذا قول
ابن مسعود وجماعة من الصحابه وغيرهم وقد ذكرناه انفا
قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت الي قوله
والسجود فيه مسلتان الاولي قوله تعالى واذ بوانا
لابراهيم مكان البيت اى واذكر اذ بوانا يقال بوانه
منزلا وبوانا له كما يقال مكنتك ومكنت لك فاللام

في قوله لابراهيم صلة للتاكيد لقوله ردف لكم وهذا قول الفرا
وقيل بوانا لابراهيم مكان البيت اي ارينا اصله لبينيه
وكان قد درس بالطوفان وغيره فلما جات مدة ابراهيم
عليه السلام امره الله ببنيانه فجا الى موضعه وجعل
يطلب اثرا فبعث الله ريحا فكشفت عن اساس ادم
فرتب قواعده عليه حسب ما تقدم بيانه في البقره
وقيل بوانا نازله منزله فعل يتعدى باللام كنحو جعلناه
اي جعلنا لابراهيم مكان البيت مبوا وقال الشاعر
كم من اخ لي ماجد بوأته بيدي لحدا .. الثانيه ان لا تشرك
هي مخاطبه لابراهيم عليه السلام في قول الجمهور وقرا
عكرمه ان لا يشرك بالياء على نقل معنى القول الذي قيل
له قال ابو حاتم ولا بد من نصب الكاف على هذه القراه
بمعنى لان لا تشرك وقيل ان مخففه من الثقيله وقيل
مفسره وقيل زايده مثل فلما ان جا البشير وفي الايه
طعن على من اشرك من قطان البيت اي هذا كان الشرط
على ابيكم فمن بعده وانتم فلم تفوا بل اشركتم وقالت
فرقة الخطاب من قوله ان لا تشرك لمحمد صلى الله عليه وسلم
وامر بتطهير البيت والاذان بالحج والجمهور على ان ذلك
لابراهيم وهو الاصح وتطهير البيت عام في الكفر والبدع
وجميع

١٥٩

وجميع الانجاس والدما وقيل عني به التطهير عن الاوثان
كما قال تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وذلك ان
جرهما والعمالقه كانت لهم اصنام في محل البيت وحوله
قبل ان يبنيه ابراهيم وقيل المعنى نزهه عن ان يعبد فيه
صنم وهذا امر باظهار التوحيد فيه وقد مضى ما للعلما
في تنزيه المسجد الحرام وغيره وهذا امر باظهار التوحيد
فيه لقايه في براه والقايمون هم المصلون وذكر تعالى
من اركان الصلاة اعظمها وهو القيام والركوع والسجود
قوله تعالى واذن في الناس بالحج الى قوله عميق فيه سبع
مسايل الاولى قوله تعالى واذن في الناس بالحج قرا جمهور
الناس واذن بشد الذال وقرا الحسن بن ابي الحسن وابن
محيصن واذن بتخفيف الذال ومد الالف ابن عطيه وتصحف
هذا على ابن جني فانه حكى عنهما واذن على انه فعل ماض
واعرب عن ذلك بان جعله عطفا على بوانا والاذان الاعلام
وقد تقدم في براه الثانيه لما فرغ ابراهيم عليه السلام
من بنا البيت وقيل له اذن في الناس بالحج قال يارب وما
يبلغ صوتي قال اذن وعلي الابلاغ فصعد ابراهيم خليل الله
جبل ابي قبيس وصاح يايها الناس ان الله قد امركم بالحج هذا
البيت ليثيبكم به الجنه ويجيركم من عذاب النار فحجوا فاجابه

من كان في اصلاب الرجال وارحام النسا لبيك اللهم لبيك
فمن اجاب يوميذ حج علي قدر الاجابه ان اجاب مرة فمرة
وان اجاب مرتين فمرتين وجرت التلبية على ذلك قاله ابن
عباس وابن جبير وروي عن ابي الطفيل قال قال لي ابن عباس
اتدري ما كان اصل التلبيه قلت لا قال لما امر ابراهيم
عليه السلام ان يوذن في الناس بالحج خفضت الجبال
روسها ورفعت له القرى فنادي في الناس بالحج فاجابه
كل شي لبيك اللهم لبيك وقيل ان الخطاب لابراهيم تم عند
قوله والسجود خاطب الله عز وجل محمدا عليه السلام
فقال واذن في الناس بالحج اي اعلمهم ان عليهم الحج وقول
ثالث ان الخطاب من قوله ان لا تشرك مخاطبة للنبي صلى
الله عليه وسلم وهذا قول اهل النظر لان القران انزل
على النبي صلى الله عليه وسلم فكل ما فيه من المخاطبه فهي له
الا ان يدل دليل قاطع على غير ذلك وها هنا دليل اخر
يدل على ان المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان لا
تشرك بي بالتاء وهذا مخاطبة لمشاهد وابراهيم عليه
السلام غايب فالمعنى على هذا واذ بوانا لابراهيم مكان
البيت فجعلنا لك الدلايل على توحيد الله جل وعز وعلى
ان ابراهيم كان يعبد الله وحده وقرا جمهور الناس
بالحج

بالحج بفتح الحا وقرا ابن ابي اسحاق في كل القران بكسرها وقيل
ان نِدا ابراهيم من جملة ما امر به من شرايع الدين والله اعلم
الثالثة قوله تعالى ياتوك رجالا وعلى كل ضامر وعده
اجابة الناس الى حج البيت ما بين راجل وراكب وانما
قال ياتوك وان كانوا ياتون الكعبه لان المنادي ابراهيم
فمن اتى الكعبه حاجا فكانه اتى ابراهيم لانه اجاب نداه
وفيه تشريف ابراهيم ابن عطية رِجالا جمع راجل مثل
تاجر وتجار وصحاب واصحب وصاحب وقد يقال في
الجمع رُجّال بالتشديد مثل كافر وكفار وقرا ابن ابي اسحق
وعكرمه رُجالا بضم الرا وتخفيف الجيم وهو قليل في ابنيه
الجمع ورويت عن مجاهد وقرا مجاهد رُجالى على وزن
فُعالى فهو مثل كسالى قال النحاس في جمع راجل خمسة اوجه
رُجّال مثل رُكاب فهذا الذي روي عن عكرمة ورِجال
مثل قيام ورَجلة ورَجل ورجالة والذي روي عن مجاهد
رُجالا غير معروف والاشبه به ان يكون غير منون مثل
كسارى وسكارى ولو نوّن لكان على فعال وفعال في
الجمع قليل وقدم الرجال على الركبان في الذكر لزيادة
تعبهم في المشي وعلى كل ضامر يا تين لان معنى ضامر معنى
ضوامر قال الفرا ويجوز ياتي على اللفظ وايضا من البعير

المهزول الذي اتعبه السفر يقال ضمر يضمر ضمورا فوصفها
الله تعالى بالمال الذي انتهت عليه الى مكة وذكر سبب الضمور
فقال يأتين من كل فج عميق اي اثر فيها طول السفر ورد الضمير
الى الابل تكرمة لها لقصدها الحج مع اربابها كما قال والعاديات
ضبحا في خيل الجهاد تكرمة لها حين سعت في سبيل الله
الرابعة قال بعضهم انما قال رجالا لان الغالب خروج
الرجال الى الحج دون الاناث فقوله رجالا من قولك هذا
رجل وهذا فيه بعد لقوله وعلى كل ضامر يعني الركبان فدخل
فيه الرجال والنسا ولما قال تعالى رجالا وبداهم دل
على ان حج الراجل افضل من حج الراكب قال ابن عباس ما اسي
على شي فاتني الا ان لو حججت ماشيا فاني سمعت الله عز
وجل يقول يأتوك رجالا وقال ابن ابي نجيح حج ابراهيم واسماعيل
عليهما السلام ماشيين وقرا اصحاب ابن مسعود يأتون وهي
قراة ابن ابي عبلة والضحاك والضمير للناس الخامسة لا خلاف
في جواز الركوب والمشي واختلفوا في الافضل منهما فذهب
مالك والشافعي في اخرين الى ان الركوب افضل اقتدا بالنبي
صلى الله عليه وسلم ولكثرة النفقه ولتعظيم شعاير الحج
باهبة الركوب وذهب غيرهم الى ان المشي افضل لما فيه
من المشقه على النفس ولحديث ابي سعيد قال حج النبي
صلى الله

صلى الله عليه وسلم واصحابه مشاة من المدينة الى مكة وقال
اربطوا اوساطكم بازركم ومشيا خلط الهرولة خرجه
ابن ماجه في سننه ولا خلاف في ان الركوب في الوقوف
بعرفة افضل واختلفوا في الطواف والسعي والركوب
عند مالك في المناسك كلها افضل للاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم
السادسة استدل بعض العلما بسقوط ذكر البحر من
هذه الاية على ان فرض الحج بالبحر ساقط قال مالك في
الموازنة لا اسمع للبحر ذكرا وهذا تاسيس لا انه يلزم من
سقوط ذكره سقوط الفرض فيه وذلك ان مكة ليست
في ضفة بحر وبابها الناس في السفن ولا بد لمن ركب
البحر ان يصير في اتيان مكة اما راجلا واما على ضامر
فانما ذكرت حالتا الوصول واسقاط فرض الحج بمجرد
البحر ليس بالكثير ولا بالقوي فاما اذا اقترن به عدو
وخوف او هول شديد او مرض يلحق شخصا فمالك
والشافعي وجمهور الناس على سقوط الوجوب بهذه الاعذار
وانه ليس بسبيل يستطاع قال ابن عطية وذكر صاحب
الاستظهار في هذا المعنى كلاما ظاهره ان الوجوب لا
يسقط بشي من هذه الاعذار وهذا ضعيف قلت
واضعف من ضعيف وقد مضى في البقرة بيانه والفج

الطريق الواسعة والجمع فجاج وقد مضى في الانبيا والعميق
معناه البعيد وقراة الجماعة ياتين وقرا اصحاب عبد الله ياتون
وهذا للركبان وياتين للجمال كانه قال وعلى ابل ضامرة ياتين
من كل فج عميق اي بعيد ومنه بير عميقة اي بعيدة القعر
ومنه وقاتم الاعماق خاوي المخترق السابعة واختلفوا
في الواصل الى البيت هل يرفع يديه عند روبته ام لا فروي
ابو داود قال سيل جابر بن عبد الله عن الرجل يرى البيت
ويرفع يديه فقال ما كنا نري ان احدا يفعل هذا الا اليهود
وقد حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نكن نفعله
وروي ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ترفع
الايدي في سبع مواطن افتتاح الصلاة واستقبال البيت
والصفا والمروة والموقفين والجمرتين والى حديث ابن عباس
هذا ذهب الثوري وابن المبارك واحمد واسحق وضعفوا
حديث جابر لان مهاجر المكي راويه مجهول وكان
ابن عمر يرفع يديه عند روية البيت وعن ابن عباس مثله
قوله تعالى ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله الى
قوله بالبيت العتيق فيه ثلاث وعشرون مسلة الاولى
قوله تعالى ليشهدوا اي اذن بالحج ياتوك رجالا وركبانا
ليشهدوا اي ليحضروا والمشهود الحضور منافع لهم
اي المناسك

اي المناسك كعرفات والمشعر الحرام وقيل المغفره وقيل
التجاره وقيل هو عموم اي ليحضروا منافع لهم اي ما يرضي
الله تعالى من امر الدنيا والاخره قاله مجاهد وعطا واختاره
ابن العربي فانه يجمع ذلك كله من نسك وتجارة ومغفره
ومنفعة دنيا واخرى ولا خلاف في ان المراد بقوله
ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم التجاره الثانيه
ويذكروا اسم الله في ايام معلومات قد مضى في البقره الكلام
في الايام المعلومات والمعدودات والمراد بذكر اسم الله
ذكر التسميه عند الذبح والنحر مثل قولك بسم الله والله
اكبر اللهم منك ولك ومثل قولك عند الذبح ان صلاتي ونسكي
الايه وكان الكفار يذبحون على اسما اصنامهم فبين الرب
ان الواجب الذبح على اسم الله وقد مضى في الانعام
الثالثه واختلف العلما في وقت الذبح يوم النحر فقال
مالك بعد صلاة الامام وذبحه الا ان يوخر تاخيرا
يتعدى فيه فيسقط الاقتدا وراعى ابو حنيفة الفراغ
من الصلاه دون ذبح والشافعي دخول وقت الصلاه
ومقدار ما يوقع فيه مع الخطبتين فاعتبر الوقت دون الصلاه
هذه روايه المزني عنه وهو قول الطبري وذكر الربيع
في البويطي قال قال الشافعي ولا يذبح احد حتى يذبح الامام
الا ان يكون ممن لا يذبح فاذا صلى وفرغ من الخطبه حل الذبح

وهذا قول مالك وقال احمد اذا انصرف الامام فاذبح وهو قول
ابراهيم واصح هذه الاقوال قول مالك لحديث جابر بن
عبد الله قال صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر بالمدينة
فتقدم رجال فنحروا وظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم قد
نحر فامر النبي صلى الله عليه وسلم من كان نحر ان يعيد بنحر
اخر ولا ينحر واحتى ينحر النبي صلى الله عليه وسلم خرجه
مسلم والترمذي وقال وفي الباب عن جابر وجندب وانس
وعويمر بن اشقر وابن عمر وابي زيد الانصاري وهذا
حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند اهل العلم ان لا يضحي
بالمصر حتى يصلي الامام وقد احتج ابو حنيفة لحديث البرا
وفيه ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه واصاب سنة
المسلمين خرجه مسلم ايضا فعلق الذبح على الصلاة ولم يذكر
الذبح وحديث جابر يقيده وكذلك حديث البرا ايضا
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما نبدا به في يومنا
هذا ان نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد اصاب
سنتنا الحديث وقال ابو عمر بن عبد البر لا اعلم خلافا بين
العلما ان من ذبح قبل الصلاة وكان من اهل المصر انه غير
مضح لقوله عليه السلام من ذبح قبل الصلاة فتلك شاة لحم
الرابعة واما اهل البوادي ومن لا امام له فمشهور مذهب
مالك

١٦٢

مالك يجزي وقت ذبح الامام او اقرب الايمة اليه وقال ربيعة
وعطا فيمن لا امام له ان ذبح قبل طلوع الشمس لم يجزه ويجزيه
ان ذبح بعده وقال اهل الراي يجزيهم من بعد الفجر وهو قول
ابن المبارك ذكره عنه الترمذي وتمسكوا بقوله تعالى ويذكروا
اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فاضاف
النحر الى اليوم وهل اليوم من طلوع الفجر او من طلوع الشمس
قولان ولا خلاف انه لا يجزي ذبح الاضحيه قبل طلوع الفجر
من يوم النحر الخامسة واختلفوا كم ايام النحر فقال مالك
ثلاثه يوم النحر ويومان بعده وبه قال ابو حنيفة والثوري
واحمد بن حنبل وروي ذلك عن ابي هريره وانس بن مالك من
غير اختلاف عنهما وقال الشافعي اربعة يوم النحر وثلاثة بعده
وبه قال الاوزاعي وروي ذلك عن علي رضي الله عنه وابن عباس
وابن عمر وروي عنهم ايضا مثل قول مالك واحمد وقيل هو يوم
النحر خاصة وهو العاشر من ذي الحجه روي عن ابن سيرين
وعن سعيد بن جبير وجابر بن زيد انهما قالا النحر في الامصار
يوم واحد وفي منى ثلاثه ايام وعن الحسن البصري في ذلك
ثلاث روايات احدها كما قال مالك والثاني كما قال الشافعي
والثالثه الى اخر يوم من ذي الحجه فاذا اهل هلال المحرم فلا
اضحي قلت وهو قول سليمان بن يسار وابي سلمة بن عبد الرحمن

وروي احديثا مرسلا مرفوعا خرجه الدارقطني الضحايا الى هلال
ذي الحجه ولم يصح ودليلنا قوله تعالى في ايام معلومات الايه
وهذا جمع قلة لكن المتيقن منه الثلاثه وما بعد الثلاثه
غير متيقن فلا يعمل به قال ابو عمرو بن عبد البر اجمع العلما على
ان يوم النحر يوم اضحى واجمعوا ان لا اضحى بعد انسلاخ ذي
الحجه ولا يصح عندي في هذه الاقوال الا احدهما قول مالك
والكوفيين والاخر قول الشافعي والشاميين وهذان القولان
مرويان عن الصحابه فلا معنى للاشتغال بما خالفهما لان ما
خالفهما لا اصل له في السنة ولا في قول الصحابه وما خرج
عن هذين فمتروك لهما وقد روي عن قتاده قول سادس
وهو ان الاضحى يوم النحر وستة ايام بعده وهذا ايضا
خارج عن قول الصحابه فلا معنى له **السادسه** واختلفوا
في ليالي النحر هل تدخل مع الايام فيجوز فيها الذبح او لا فروي
عن مالك في المشهور انها لا تدخل فلا يجوز الذبح بالليل
وعليه جمهور اصحابه واصحاب الراى لقوله تعالى ويذكروا
اسم الله في ايام فذكر الايام وذكر الايام دليل على ان
الذبح في الليل لا يجوز وقال ابو حنيفه والشافعي واحمد
واسحاق وابو ثور الليالي داخلة في الايام ويجزي الذبح
فيها وروي عن مالك واشهب نحوه ولاشهب تفريق
بين

بين الهدي والضحيه فاجاز الهدي ليلا ولم يجز الضحيه ليلا
السابعه قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام الانعام
هنا الابل والبقر والغنم وبهيمة الانعام هي الانعام فهي
كقولك صلاة الاولى ومسجد الجامع الثامنة فكلوا
منها امر معناه الندب عند الجمهور ويستحب للرجل ان
ياكل من هديه واضحيته وان يتصدق بالاكثر مع تجويزهم
الصدقة بالكل واكل الكل وشذت طايفه فاوجبت الاكل
والاطعام بظاهر الامر ولقوله عليه السلام فكلوا
وادخروا وتصدقوا قال الكيا قوله تعالى فكلوا منها
واطعموا يدل على انه لا يجوز بيع جميعه ولا التصدق
بجميعه التاسعه دما الكفارات لا ياكل منها اصحابها
ومشهور مذهب مالك انه لا ياكل من ثلث جزا الصيد
ونذر المساكين وفدية الاذى وياكل مما سوى ذلك
اذا بلغ محله واجبا كان او تطوعا ووافقه على ذلك
جماعة من السلف وفقها الامصار العاشره فان اكل
مما منع منه فهل يغرم قدر ما اكل او يغرم هديا كاملا
قولان في مذهبنا وبالاول قال ابن الماجشون قال ابن
العربي وهو الحق لا شي عليه غيره ولذلك لو نذر هديا
للمساكين منه بعد ان بلغ محله لا يغرم الا ما اكل

وينحب

خلافا للمدونه لان النحر قد وقع والتعدي انما هو على اللحم فيغرم قدر ما تعدي فيه قوله تعالي وليوفوا نذورهم يدل على وجوب اخراج النذر وان كان دمًا او هديًا او عمرة ويدل ذلك على ان النذر لا يجوز ان ياكل منه وفا بالنذر وكذلك جزا الصيد وفديه الاذي لان المطلوب ان ياتي به كاملا من غير نقص لحم ولا غيره فان اكل من ذلك كان عليه هدي كاملا والله اعلم الحاديه عشره هل يغرم قيمة اللحم او يغرم طعامًا ففي كتاب محمد عن عبد الملك انه يغرم طعامًا والاول اصح لان الطعام انما هو في مقابله الهدي كله عند تعذره عبادة وليس حكم التعدي حكم العباده الثانيه عشره فان عطب من هذا الهدي المضمون الذي هو جزا الصيد وفديه الاذي ونذر المساكين شي قبل محله اكل منه صاحبه واطعم منه الاغنيا والفقرا ومن احب ولا يبيع من لحمه ولا جلده ولا من قلايده شيا قال اسماعيل بن اسحاق لان الهدي المضمون اذا عطب قبل ان يبلغ محله كان عليه بدله ولذلك جاز له ان ياكل منه صاحبه ويطعم واذا عطب الهدي التطوع قبل ان يبلغ محله لم يجز ان ياكل منه ولا يطعم لانه لما لم يكن عليه بدله خيف ان يفعله

ان يفعل ذلك بالهدي وينحر من غير ان يعطب فاحتبط على
الناس وبذلك مضى العمل وروى ابو داود عن ناجية الاسلمي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معه بهدي وقال
ان عطب منها شي فانحره ثم اصبغ نعله في دمه ثم خل
بينه وبين الناس وبهذا الحديث قال مالك والشافعي في
احد قوليه واحمد واسحق وابو ثور واصحاب الراي ومن
اتبعهم في الهدي التطوع لا ياكل منها سايقها شيا ويخل
بينها وبين الناس ياكلونها وفي صحيح مسلم ولا تاكل منها
انت ولا احد من اهل رفقتك وبظاهر هذا النهي قال
ابن عباس والشافعي في قوله الاخر واختاره ابن المنذر
فقالا لا ياكل منها سايقها ولا احد من اهل رفقته قال ابو
عمر قوله عليه السلام ولا تاكل منها ولا احد من اهل رفقتك
لا يوجد الا في حديث ابن عباس وليس ذلك في حديث
هشام بن عروه عن ابيه عن ناجيه وهو عندنا اصح من
حديث ابن عباس وعليه العمل عند الفقها ويدخل في قوله
عليه السلام خل بينها وبين الناس اهل رفقته وغيرهم
وقال الشافعي وابو ثور ما كان من الهدي اصله واجبا
فلا ياكل منه وما كان تطوعا ونسكا اكل منه واهدى
وادخر وتصدق والمتعه والقران عنده نسك

ونحوه مذهب الاوزاعي وقال ابو حنيفه واصحابه باكل
من هدي المتعه والتطوع ولا باكل مما سوي ذلك مما وجب
بحكم الاحرام وحكي عن مالك لا باكل من دم الفساد وعلى
قياس هذا لا باكل من دم الجبر لقول الشافعي والاوزاعي
تمسك مالك بان جزا الصيد جعله الله للمساكين بقوله تعالى
او كفارة طعام مساكين وقال في فدية الاذي ففدية
من صيام او صدقه او نسك وقال صلى الله عليه وسلم لكعب
بن عجره أطعم ستة مساكين مدين لكل مسكين او صم ثلثة
ايام او انسك بشاة ونذر المساكين مصرح به واما غير
ذلك من الهدايا فهو باق على اصل قوله والبدن جعلناها
لكم من شعاير الله الى قوله فكلوا منها وقد اكل النبي صلى
الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه من الهدي الذي جاء
به وشربا من مرقه وكان عليه السلام قارنا في اصح الاقوال
والروايات فكان هديه على هذا واجبا فما تعلق به ابو
حنيفه غير صحيح والله اعلم وانما اذن الله سبحانه في
الاكل من الهدي لاجل ان العرب كانت لا ترى ان تاكل
من نسكها فامر الله سبحانه نبيه عليه السلام بمخالفتهم
فلا جرم لذلك شرع وبلغ وكذلك فعل حين اهدى واحرم
صلى الله عليه وسلم الثالثه عشره فكلوا منها قال

بعض العلما

قال بعض العلما فقوله تعالى فكلوا منها ناسخ لفعلهم لانهم كانوا
يحرمون لحوم الضحايا على انفسهم ولا ياكلون منها كما قلناه
في الهدايا فنسخ الله ذلك بقوله فكلوا منها وبقول النبي
صلى الله عليه وسلم من ضحى فلياكل من اضحيته عليه السلام
اكل من ضحيته وهديه وقال الزهري من السنة ان ياكل
اولا من الكبد الرابعة عشره ذهب اكثر العلما الى انه
يستحب ان يتصدق بالثلث ويطعم الثلث وياكل هو
واهله الثلث وقال ابن القاسم عن مالك ليس عندنا في الضحايا
قسم معلوم موصوف قال مالك في حديثه وبلغني عن ابن
مسعود وليس عليه العمل روى الصحيح وابو داود
قال ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة ثم قال يا
ثوبان اصلح لحم هذه الشاة قال فما زلت اطعمه منها
حتى قدم المدينه وهذا نص في الغرض واختلف قول
الشافعي فمرة قال ياكل النصف ويتصدق بالنصف لقوله
تعالى فكلوا منها واطعموا البايس الفقير فذكر شخصين وقال
مرة ياكل ثلثا ويهدي ثلثا ويطعم ثلثا لقوله تعالى فكلوا
منها واطعموا القانع والمعتر فذكر ثلثه الخامسة عشره
المسافر يخاطب بالاضحيه كما يخاطب بها الحاضر
اذ الاصل عموم الخطاب بها وهو قول كافة العلما

الاصل

وخالف في ذلك ابو حنيفه والنخعي وروي عن علي والحديث
حجة عليهم واستثنى مالك من المسافر بن الحاج بمنى فلم ير عليه
اضحية وبه قال النخعي وروي ذلك عن الخليفتين ابي بكر وعمر
وجماعة من السلف لان الحاج انما هو مخاطب في الاصل
بالهدي فاذا اراد ان يضحي جعله هديا والناس غير الحاج
انما امروا بالاضحيه ليتشبهوا باهل منى فيحصل لهم حظ
من اجرهم السادسه عشره اختلف العلما في الادخار
على اربعة اقوال روي عن علي وابن عمر رضي الله عنهما من وجه
صحيح انه لا يدخر من الضحايا بعد ثلاث وروياه عن النبي
صلى الله عليه وسلم وسياتي وقالت جماعة ما روي من النهي
عن الادخار منسوخ فيدخر الى اي وقت احب وبه قال
ابو سعيد الخدري وبريدة الاسلمي وقالت فرقة
يجوز الاكل منها مطلقا وقالت طايفة ان كانت بالناس
حاجة اليها فلا يدخر لان النهي انما كان لعلة وهي قوله
عليه السلام انما نهيتكم من اجل الدافه التي دفت ولما
ارتفعت ارتفع المنع المتقدم لارتفاع موجبه لا لانه
منسوخ وتنشا هنا مسلة اصوليه وهي السابعه
عشره وهي الفرق بين رفع الحكم بالنسخ ورفعه لارتفاع
علته اعلم ان المرفوع بالنسخ لا يحكم به ابدا والمرفوع
لارتفاع

لارتفاع علته بعود الحلم لعود العلة فلو قدم على اهل
بلده ناس محتاجون في زمان الاضحي ولم يكن عند اهل ذلك
البلد سعة يسدون بها فاقتهم الا الضحايا لتعين عليهم
الا يدخروها فوق ثلاث كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم
الثامنة عشرة الاحاديث الواردة في هذا الباب بالمنع
والاباحة صحاح ثابتة وقد جا المنع والاباحة معا كما
هو منصوص في حديث عايشة وسلمة بن الاكوع
وابي سعيد الخدري رواها الصحيح وروى الصحيح عن
ابي عبيد مولى بن ازهر انه شهد العيد مع عمر بن الخطاب
قال ثم صليت العيد مع علي بن ابي طالب قال فصلى
لنا قبل الخطبة ثم خطب الناس فقال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد نهاكم ان تاكلوا لحوم نسككم
فوق ثلاث ليال فلا تاكلوها وروي عن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يوكل لحوم الاضاحي
بعد ثلاث وروى ابو داود عن نبيشة قال رسول الله عليه
وسلم انا كنا نهيناكم عن لحومها فوق ثلاث لكي تسعكم جا الله
بالسعة فكلوا وادخروا واتجروا الا وان هذه الايام ايام
اكل وشرب وذكر لله عز وجل قال ابو جعفر النحاس وهذا
القول احسن ما قيل في هذا حتى تتفق الاحاديث ولا تتضاد

ويكون قول امير المومنين علي بن ابي طالب وعثمان رحمه الله
محصور لان الناس كانوا في شدة محتاجين ففعل كما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمت الدافة والدليل
على هذا ما حدثنا ابراهيم بن سهل قال نا احمد قال نا
ليث قال حدثني الحارث بن يعقوب عن يزيد بن ابي
يزيد عن امراته انها سالت عايشة عن لحوم الاضاحي
فقالت قدم علينا علي بن ابي طالب من سفر فقدمنا
اليه منه فابى ان ياكل حتى يسال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فساله فقال كل من ذي الحجة الى ذي الحجة وقال
الشافعي من قال بالنهي عن الادخار ومن قال بالنهي والرخصة
سمعهما جميعا فعمل بمقتضاهما والله اعلم وسياتي في
سورة الكوثر الاختلاف في وجوب الاضحية وندبيتها
وانها ناسخة لكل ذبح تقدم ان شا الله تعالى الناسعة
عشرة قوله تعالى واطعموا البايس الفقير من
صفة البايس وهو الذي ناله البوس وشدة الفقر يقال
بيس يبس باسا اذا افتقر فهو بايس وقد يستعمل
فيمن نزلت به نازلة دهر وان لم يكن فقيرا ومنه قوله
عليه السلام لكن البايس سعد بن خولة ويقال رجل
بوس بيس اي شديد وقد بوس باسا اذا اشتد ومنه قوله تعالى
واخذنا الذين ظلموا

الفقير
صح

١٤٨

واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس اي شديد وكلما كان التصدق
بلحم الاضحية اكثر وكان الاجر اوفر وفي القدر الذي يجوز
اكله خلاف قد ذكرناه فقيل النصف لقوله فكلوا واطعموا
وقيل الثلثان لقوله الا فكلوا وادخروا واتجروا اي اطلبوا
الاجر بالاطعام واختلف في الاكل والاطعام فقيل واجبان
وقيل مستحبان وقيل بالفرق بين الاكل والاطعام فالاكل
مستحب والاطعام واجب وهو قول الشافعي **الموفيه**
عشرين قوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم اى ليقضوا بعد
نحر الضحايا والهدايا ما بقي عليهم من امر الحج كالحلق ورمي
الجمار وازالة شعث ونحوه قال ابن عرفة اي ليزيلوا
عنهم ادرانهم وقال الازهري التفث الاخذ من الشارب
وقص الاظفار ونتف الابط وحلق العانة هذا عند الخروج
من الاحرام وقال النضر بن شميل التفث في كلام العرب
اذهاب الشعث الازهري يقول التفث في كلام العرب
لا يعرف الا من قول ابن عباس واهل التفسير قال الحسن
هو ازالة قشف الاحرام وقيل التفث مناسك الحج كله
رواه ابن عمر وابن عباس قال ابن العربي لو صح عنهما
لكان حجة لشرف الصحبة والاحاطة باللغة قال وهذه
اللفظة غريبة لم نجد اهل العربية فيها شعرا ولا احاطوا

بها خبرا لكن تتبعت التفث لغة فرايت اباعبيدة معمر بن
المثنا قال انه قص الاظفار واخذ الشارب وكل ما يحرم على
المحرم الا النكاح قال ولم يجئ فيه شعر يحتج به وقال
صاحب العين التفث هو الرمي والحلق والتقصير والذبح
وقص الاظفار والشارب والابط وذكر الزجاج والفراء
نحوه ولا اراه اخذوه الا من قول العلماء وقال قطرب
تفث الرجل اذا كثر وسخه قال امية بن ابي الصلت :.
حفوا رؤسهم لم يحلقوا تفثا وينسلوا الهم قملا وصئبانا
وما اشار اليه قطرب هو الذي قاله ابن وهب عن مالك
وهو الصحيح في التفث وهذه صورة الفا التفث لغة
واما حقيقته الشرعية فاذا نحر الحاج او المعتمر هديه
وحلق رأسه ~~حلق راسه~~ وازال وسخه وتطهر
وتنقى ولبس فقد ازال تفثه ووفى نذره والنذر ما
لزم الانسان والتزمه قلت ما حكاه عن قطرب وذكر
من الشعر قد ذكره في تفسيره الماوردي وذكر
بيتا اخر فقال : قضوا تفثا ونحبا ثم ساروا الى نجد
وما انتظروا علينا :. وقال الثعلبي واصل التفث في اللغة
الوسخ تقول العرب للرجل تستقذره ما اتفثك اي
ما اوسخك واقذرك قال امية بن ابي الصلت :.

ساحين

وصبيانا
ساجين آباطهم لم يقذفوا تفثا وينزعوا عنهم قملا
الماوردي قيل لبعض الصلحاء ما المعنى في شعث المحرم
قال ليشهد الله منك الاعراض عن العناية بنفسك فيعلم
صدقك في بذلها لطاعته الحادية والعشرون
وليوفوا نذورهم امر بوفاء النذر مطلقا الا ما كان
معصية لقوله عليه السلام لا وفاء لنذر في معصية الله
وقوله من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصيه
فلا يعصه وليطوفوا بالبيت العتيق الطواف المذكور
في هذه الآية هو طواف الافاضة الذي هو من واجبات
الحج قال الطبري لا خلاف بين المتاولين في ذلك
الثانية والعشرون للحج ثلاثة اطواف طواف
القدوم وطواف الافاضة وطواف الوداع قال اسماعيل
بن اسحق طواف القدوم سنة وهو ساقط عن المراهق
وعن المكي وعن كل من يحرم بالحج من مكة قال والطواف
الواجب الذي لا يسقط بوجه من الوجوه وهو طواف
الافاضة الذي يكون بعد عرفة قال الله تعالى ثم ليقضوا
تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق قال فهذا
هو الطواف المفترض في كتاب الله عز وجل وهو الذي
يحل به الحاج من احرامه كله قال الحافظ ابو عمر ما ذكره

اسماعيل في طواف الافاضة هو قول مالك عند اهل المدينه
وهي رواية ابن وهب وابن نافع واشهب عنه وهو قول
جمهور اهل العلم من فقها اهل الحجاز والعراق وقد روي
ابن القاسم وابن عبد الحكم عن مالك ان طواف القدوم واجب
وقال ابن القاسم في غير موضع من المدونه ورواه ايضا عن
مالك الطواف الواجب طواف القادم مكه قال من نسي الطواف
في حين دخوله مكه او نسي شوطا منه او نسي السعي او
شوطا منه حتي رجع الي بلده ثم ذكر فان لم يكن اصاب
النسا رجع الي مكه حتي يطوف بالبيت ويركع ويسعى
بين الصفا والمروه ثم يهدي وان اصاب النسا رجع فطاف
وسعي ثم اعتمر واهدي كقوله فيمن نسي طواف الافاضه
سوا فعلي هذه الروايه الطوافان جميعا واجبان والسعي
ايضا واما طواف الصدر وهو المسمي بطواف الوداع
فروي ابن القاسم وغيره عن مالك فيمن طاف طواف
الافاضه علي غير وضو انه يرجع من بلده فيفيض الا
ان يكون تطوع بعد ذلك وهذا مما اجمع عليه مالك واصحابه
وانه يجزيه تطوعه عن الواجب المفترض عليه من طوافه
ولذلك اجمعوا ان من فعل في حجه شيا تطوع به من
فعل الحج وذلك الشي واجب في الحج فقد جاز وقته فان

تطوعه

ذلك
تطوعه تصير للواجب لا للتطوع بخلاف الصلاه فاذا
كان التطوع ينوب عن الفرض في الحج كان الطواف لدخول
مكه احرى ان ينوب عن طواف الافاضه الا ان اسماعيل
وغيره وهو مذهب ابن القاسم لا ينوب عندهم عن
طواف الافاضه الا ما كان من الطواف بعد رمي جمره
العقبه يوم النحر او بعده للوداع ورواية ابن عبد
الحكم عن مالك بخلاف ذلك لان فيها ان طواف الدخول مع
السعي ينوب عن طواف الافاضه لمن رجع الى بلده مع الهدي
ايضا عن طواف القدوم ومن قال هذا قال انما قيل لطواف
الدخول واجب والطواف الافاضه واجب لان بعضهما ينوب
عن بعض ولانه قد روي عن مالك انه يرجع من نسي احدهما
من بلده على ما ذكرنا ولان الله عز وجل لم يفترض على الحاج
الا طوافا واحدا بقوله واذن في الناس بالحج وقال في سياق
الايه وليطوفوا بالبيت العتيق والواو عندهم في هذه الايه
وغيرها لا توجب رتبة الا بتوقيف واسند الطبري
عن عمرو بن ابي سلمة قال سالت زهيرا عن قوله تعالى
وليطوفوا بالبيت العتيق فقال هو طواف الوداع وهذا
يدل على انه واجب وهو احد قولي الشافعي لانه عليه
السلام رخص للحايض ان تنفرد دون ان تطوفه ولا

ولم يطوف بطواف الافاضه مع السعي مع الهدي
والسعي وحده مع الهدي

برخص الا في الواجب الثالثه والعشرون اختلف
المتاولون في وجه صفة البيت بالعتيق فقال مجاهد والحسن
العتيق القديم يقال سيف عتيق وقد عتق اي قدم وهذا
قول يعضده النظر وفي الصحيح انه اول مسجد وضع في
الارض وقيل عتيقا لان الله اعتقه من ان يتسلط عليه
جبار بالهوان الى انقضا الزمان قال معناه ابن الزبير ومجاهد
وفي الترمذي عن عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما سمي البيت العتيق لانه لم يظهر
عليه جبار قال هذا حديث حسن غريب وقد روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم مرسل فان ذكر ذاكر الحجاج بن يوسف
ونصبه المنجنيق على الكعبه حتى كسرها قيل له انما اعتقها
عن كفار الجبابره لانهم اذا اتوا بانفسهم متمردين لحرمة
البيت غير معتقدين وقصدوا الكعبه بالسوء فعصمت
منهم ولم تنلها ايديهم كان ذلك دلالة على ان الله جل وعز
صرفهم عنها قسرا فاما المسلمون الذين اعتقدوا حرمتها
فانهم ان كفوا عنها لم يكن في ذلك من الدلالة على منزلتها
عند الله مثل ما يكون منها في كف الاعدا فقصر الله تعالى
هذه الطايفه على الكف بالنهي والوعيد ولم يتجاوزه الى الصرف
بالالجا والاضطرار وجعل الساعه موعدهم والساعه
ادهى

ادهى وامر وقالت طايفه سمي عتيقا لانه لم يملك موضعه
قط وقالت فرقة سمي عتيقا لان الله يعتق فيه رقاب المذنبين
من العذاب وقيل سمي عتيقا لانه اعتق من غرق الطوفان
قاله ابن جبير وقيل العتيق الكريم والعتق الكرم قال طرفة
يصف اذن الفرس
مؤللتان تعرف العتق فيهما كسامعتي مذعورة وسط ربرب
وعتق الرقيق الخروج من ذل الرق الى كرم الحرية ويحتمل ان يكون
العتيق صفة مدح تقتضي جودة الشي كما قال عمر حملت
على فرس عتيق الحديث والقول الاول اصح للنظر والحديث
الصحيح قال مجاهد خلق الله البيت قبل الارض بالفي عام
وسمي عتيقا والله اعلم قوله تعالى ذلك ومن يعظم
حرمات الله فهو خير له الى قوله سحيق فيه ثمان مسايل
الاولى قوله تعالى ذلك ذلك يحتمل ان يكون في موضع رفع
بتقدير فرضكم ذلك او الواجب ذلك ويحتمل ان يكون في موضع
نصب بتقدير امتثلوا ذلك ونحو هذه الاشارة البليغة قول زهير
هذا وليس كمن يعيى بخطته وسط الندا اذا ما قايل نطقا
والحرمات المقصوده هنا هي افعال الحج المشار اليها في قوله ثم ليقضوا
تفثهم وليوفوا نذورهم ويدخل في ذلك تعظيم المواضع قاله
ابن زيد وغيره ويجمع ذلك ان تقول الحرمات امتثال الامر

من فرايضه وسننه وقوله فهو خير له عند ربه اي التعظيم
خير له عند ربه من التهاون بشي منها وقيل ذلك التعظيم خير من
خيراته ينتفع به وليست للتفضيل وانما هي عدة بخير
الثانيه قوله تعالى واحلت لكم اي بهيمة الانعام ان تاكلوها
وهي الابل والبقر والغنم الا ما يتلى عليكم اي في الكتاب من
المحرمات وهي الميته والموقوده واخواتها ولهذا اتصال
بامر الحج فان في الحج الذبح فبين ما يحل ذبحه واكل لحمه وقيل الا ما
يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم الثالثه قوله تعالى
فاجتنبوا الرجس من الاوثان الرجس الشي القذر والوثن
التمثال من خشب اوحديد اوذهب اوفضه ونحوها وكانت
العرب تنصبها وتعبدها والنصارى تنصب الصليب وتعبده
وتعظمه فهو كالتمثال ايضا وقال عدي بن حاتم اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال الق
هذا الوثن عنك اي الصليب واصله من وثن الشي اي اقام
في مقامه وسمي الصنم وثنا لانه ينصب ويركز في مكان
فلا يبرح عنه يريد اجتنبوا عبادة الاوثان روي عن ابن
عباس وابن جريج وسماها رجسا لانها سبب الرجز
وهو العذاب وقيل وصفها بالرجس والرجس النجس
فهي نجسه حكما وليست النجاسه وصفا ذاتيا للاعيان
وانما هي

وانما هي وصف شرعي من احكام الايمان فلا تزال الا بالايمان
كما لا تجوز الطهارة الا بالماء **الرابعة** من في قوله من الاوثان
قيل انها لبيان الجنس فيقع نهيه عن رجس الاوثان فقط
ويبقى ساير الارجاس نهيها في غير هذا الموضع ويحتمل ان
يكون لابتدا الغاية فكانه نهاهم عن الرجس عاما ثم عين
لهم مبداه الذي منه يلحقهم اذ عبادة الوثن جامعة
لكل فساد ورجس ومن قال ان من للتبعيض قلب معنى
الاية وافسده **الخامسة** قوله تعالى واجتنبوا قول الزور
الزور الباطل والكذب وسمي زورا لانه اميل عن الحق
ومنه تزاور عن كهفهم ومدينة زوراء اي مايلة وكل ما
عدا الحق فهو كذب وباطل وزور وفي الخبر انه عليه السلام
قام خطيبا فقال عدلت شهادة الزور بالشرك بالله قالها
مرتين او ثلثا يعني انها قد جمعت مع عبادة الوثن في النهي
عنها **السادسة** هذه الاية تضمنت الوعيد على الشهادة
بالزور وان يعزره وينادي عليه ليعرف لئلا يغتر بشهادته
احد ويختلف الحكم في شهادته اذا تاب فان كان من اهل العدالة
المشهور بها المبرز فيها لم تقبل لانه لا سبيل الى علم حاله
في التوبة اذ لا يستطيع ان يفعل من القربات اكثر مما هو عليه

وينبغي للحاكم اذا عثر على الشاهد بالزور

وان كان دون ذلك فشمر في العبادة وزادت حاله في التقى قبل شهادته في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من اكبر الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور او قول الزور وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكيا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت السابعة حنفا لله معناه مستقيمين او مسلمين مايلين الى الحق ولفظة حنفا من الاضداد تقع على الاستقامة وتقع على الميل وحنفا نصب على الحال وقيل حنفا حجاجا وهذا تخصيص لا حجة معه الثامنة قوله تعالى ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء اي هو يوم القيامة بمنزلة من لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع عن نفسه عذابا فهو بمنزلة من خر من السما فهو لا يقدر ان يدفع عن نفسه ومعنى فتخطفه الطير اي تقطعه بمخالبها وقيل هذا عند خروج روحه وصعود الملايكة بها الى سماء الدنيا فلا يفتح لها فيرمى بها الى الارض كما في حديث البرا وقد ذكرناه في التذكره ‥ والسحيق البعيد ومنه قوله تعالى فسحقا لاصحاب السعير وقوله عليه السلام فسحقا فسحقا قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعاير الله الاية فيه تسع مسايل الاولى قوله تعالى

بلغ

ذلك

بالابتدا اي بيان

ذلك فيه ثلاثة اوجه قيل يكون في موضع رفع بالابتدا اي
ذلك امر الله ويجوز ان يكون في موضع رفع على خبر ابتدا
محذوف ويجوز ان يكون في موضع نصب اي اتبعوا ذلك
الثانية قوله تعالى ومن يعظم شعاير الله الشعاير جمع
شعيرة وهو كل شي لله تعالى فيه امر اشعر به واعلم ومنه
شعار القوم في الحرب اي علامتهم التي يتعارفون بها
ومنه اشعار البدنة وهو الطعن في جانبها الايمن حتى
يسيل الدم فيكون علامة فهي تسمى شعيرة بمعنى المشعورة
فشعاير الله اعلام دينه لاسيما ما يتعلق بالمناسك
وقال قوم المراد هنا تسمين البدن والاهتمام بامرها
والمغالاة بها قاله ابن عباس ومجاهد وجماعة وفيه
اشارة لطيفة وذلك ان اصل شرا البدن يجزي على
فعل ما لا بد منه فلا يدل على الاخلاص فاذا عظمها مع
حصول الاجزا بما دونه فلا يظهر له محمل الا تعظيم
الشرع وهو من تقوى القلوب والله اعلم الثالثة
الضمير في انها عايد على الفعلة التي يتضمنها الكلام
ولو قال فانه لجاز وقيل انها راجعة الى الشعاير اي
فان تعظيم الشعاير فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه
فرجعت الكناية الى الشعاير الرابعة قوله تعالى

فانها من تقوى القلوب فرى القلوب بالرفع على انها فاعله
بالمصدر الذي هو تقوى واضاف الى القلب لان حقيقه
التقوى في القلب ولهذا قال عليه السلام في صحيح الحديث
التقوى هاهنا واشار الى صدره الخامسه قوله تعالى
لكم فيها منافع يعني البدن من الركوب والدر والنسل
والصوف وغير ذلك اذا لم يبعثها ربها هديا فالمنافع
فيها ايضا ركوبها عند الحاجه وشرب لبنها بعد ري
فصيلها وفي الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم راى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقال
انها بدنه قال اركبها قال انها بدنه قال اركبها ويلك في
الثانيه او الثالثه وروي عن جابر بن عبد الله وسيل
عن ركوب الهدي فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول اركبها بالمعروف اذا الجيت اليها حتى تجد ظهرا
والاجل المسمى على هذا القول نحرها قاله عطا بن ابي
رباح السادسه ذهب بعض العلما الى وجوب
ركوب البدنه لقوله عليه السلام اركبها فممن
اخذ بظاهره احمد واسحق واهل الظاهر وروي
ابن نافع عن مالك لا باس بركوب البدنه ركوبا
غير فادح والمشهور انه لا يركبها الا ان اضطر اليها
لحديث جابر

فاذا نحرت فالاجل المسمى قال ابن عباس
فاذا صارت بدنا او هديا صح

لحديث جابر فانه مقيد والمقيد يقضى على المطلق وبنحو
ذلك قال الشافعي وابو حنيفة ثم اذا ركبها عند الحاجه
نزل قاله اسماعيل القاضي وهو الذي يدل عليه مذهب
مالك وهو خلاف ما ذكره ابن القاسم انه لا يلزمه النزول
وحجته اباحة النبي صلى الله عليه وسلم له الركوب فجاز له
استصحابه وقوله اذا الجيت اليها حتى تجد ظهرا يدل على
صحة ما قاله الشافعي وابو حنيفة وما حكاه اسماعيل
عن مذهب مالك وقد جاء صريحا ان النبي صلى الله عليه وسلم
راى رجلا يسوق بدنة وقد جهد فقال اركبها وقال
ابو حنيفه والشافعي ان نقصها الركوب المباح فعليه قيمة
ذلك ويتصدق به السابعه قوله تعالى ثم محلها الى
البيت العتيق يريد انها تنتهي الى البيت وهو الطواف
فقوله محلها ماخوذ من احلال المحرم والمعنى ان شعاير
الحج كلها من الوقوف بعرفه ورمي الجمار والسعي ينتهي
الى طواف الافاضة بالبيت العتيق فالبيت على هذا
التاويل مراد بنفسه قاله مالك في الموطا وقال
عطا تنتهي الى مكه وقال الشافعي الى الحرم وهذا بنا
على ان الشعاير هي البدن ولا وجه لتخصيص الشعاير
مع عمومها والغاء خصوصية ذكر البيت والله اعلم

قوله تعالى ولكل امة جعلنا منسكا الايه لما ذكر تعالى
الذبائح بين انه لم تخل منها امه والامه القوم المجتمعون
على مذهب واحد اي ولكل جماعة مومنة جعلنا منسكا
والمنسك المذبح واراقة الدم قاله مجاهد يقال نسك اذا ذبح
ينسك نسكا والذبيحة نسيكه وجمعها نسك ومنه قوله
او صدقة او نسك والنسك ايضا الطاعه وقال الازهري
في قوله تعالى ولكل امة جعلنا منسكا انه يدل على موضع
النحر في هذا الموضع اراد مكان نسك ويقال منسك
ومنسك لغتان وقرئ بهما الكوفيون الا عاصما بكسر السين
الباقون بفتحها وقال الفرا المنسك في كلام العرب المعتاد في
خير او شر وقيل مناسك الحج لترداد الناس اليها وقال
ابن عرفه في قوله ولكل امة جعلنا منسكا اي مذهبا من طاعة
الله يقال نسك نسك قومه اذا سلك مذهبهم وقيل
منسكا عيدا قاله الفرا وقيل حجا قاله قتاده والقول
الاول اظهر لقوله تعالى ليذكروا اسم الله على ما رزقهم
من بهيمة الانعام اي على ذبح ما رزقهم فامر تعالى عند
الذبح بذكره وان يكون الذبح له لانه رازق ذلك ثم
رجع اللفظ من الخبر عن الامم الى اخبار الحاضرين
بما معناه فالاله واحد لجميعكم فكذلك الامر في الذبيحة

قرا
الموضع
صح

انما

انما ينبغي ان يخلص له قوله تعالى فله اسلموا معناه لحقه
ولوجهه وانعامه امنوا واسلموا ويحتمل ان يريد الاستسلام
اي له اطيعوا وانقادوا قوله تعالى وبشر المخبتين المخبت
المتواضع الخاشع من المومنين والخبت ما انخفض من
الارض اي بشرهم بالثواب الجزيل قال عمرو بن اوس المخبتون
الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقال مجاهد فيما روي
عنه سفيان عن ابن ابي نجيح المخبتون المطمينون بامر الله
عز وجل قوله تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى وجلت اي خافت
وحذرت مخالفته فوصفهم بالخوف والوجل عند ذكره
وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم وكانهم بين يديه ووصفهم
بالصبر واقامة الصلاة وادامتها وروي ان هذه الاية
قوله وبشر المخبتين نزلت في ابي بكر وعمر وعلي رضوان الله
عليهم وقرا الجمهور الصلاة بالخفض على الاضافة وقرا
ابو عمرو الصلاة بالنصب على توهم النون وان حذفها
للتخفيف لطول الاسم وانشد سيبويه الحافظوا عورة
العشيرة بالنصب الثانية هذه الاية نظير قوله
تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون

وقوله تعالي الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الي ذكر الله هذه حالة العارفين بالله الخايفين
من سطوته وعقوبته لا كما تفعله جهال العوام والمبتدعة
الطغام من الزعيق والزبير ومن النهاق الذي يشبه نهاق
الحمير فيقال لمن تعاطي ذلك وزعم ان ذلك وجد وخشوع
انك لم تبلغ ان تساوي حال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا حال اصحابه في المعرفة بالله تعالي والخوف منه والتعظيم
لجلاله ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن
الله والبكا خوفا من الله ولذلك وصف الله تعالي احوال
اهل المعرفه عند سماع ذكره وتلاوة كتابه ومن لم يكن
لذلك فليس على هديهم ولا على طريقتهم قال الله تعالي واذا
سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع
مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين
فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم فمن كان مستننا فليستن
ومن تعاطي احوال المجانين والمجنون فهو من اخسهم حالا
والجنون فنون روي الصحيح عن انس بن مالك ان الناس
سالوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى احفوه في المسله فخرج
ذات يوم فصعد المنبر فقال سلوني لا تسلوني عن شي

الا بينته

١٧٦

الا بينته لكم ما دمت في مقامي هذا فلما سمع ذلك القوم
ارموا ورهبوا ان يكون بين امر قد حضر قال انس فجعلت
التفت يمينا وشمالا فاذا كل انسان لاف راسه في ثوبه
يبكي وذكر الحديث وقد مضي القول في هذه المسلة باشبع
من هذا في الانفال والحمد لله قوله تعالى والبدن جعلناها
لكم من شعاير الله فيها عشر مسايل الاولى قوله تعالى
والبدن وقرا ابن اسحق والبدن لغتان واحدتها بدنه
كما يقال ثمرة وثمر وخشبه وخشب وفي التنزيل
وكان له ثمر وقري ثمر لغتان وسميت بدنه لانها
تبدن والبدانه السمن وقيل ان هذا الاسم خاص بالابل
وقيل البدن جمع بدن بفتح البا والدال ويقال بدن
الرجل بضم الدال اذا سمن وبدن بتشديدها اذا
كبر واسن وفي الحديث اني قد بدنت اي كبرت واسننت
وروي بدنت وليس له معنى لانه خلاف صفته صلى
الله عليه وسلم ومعناه كثرة اللحم يقال بدن الرجل
يبدن بدنا وبدانة فهو بادن اي ضخم الثانية
اختلف العلما في البدن هل تطلق على غير الابل من البقر
ام لا فقال ابن مسعود وعطا والشافعي لا وقال مالك
وابو حنيفه نعم وفايده الخلاف فيمن نذر بدنة فلم

يجد البدنه او لم يقدر عليها وقدر علي البقره فهل تجزيه
ام لا فعلي مذهب الشافعي وعطا لا تجزيه كقوله عليه
السلام في الحديث الصحيح في يوم الجمعه من راح في
الساعة الاولي فكانما قرب بدنه ومن راح في الساعة
الثانيه فكانما قرب بقره الحديث فتفريقه عليه السلام
بين البدنه والبقره يدل علي ان البقر لا يقال عليها بدن
والله اعلم وايضا قوله تعالي فاذا وجبت جنوبها
يدل علي ذلك فان هذا الوصف خاص بالابل والبقر
تضجع وتذبح كالغنم علي ما ياتي ودليلنا ان البدنه ماخوذه
من البدانه وهو الضخامه والضخامه توجد فيهما جميعا
والله اعلم وايضا فان البقره في التقريب الي الله تعالي
باراقة الدم بمنزلة الابل حتي يجوز البقره في الضحايا
عن سبعه كالابل وهذا حجة لابي حنيفه حيث وافقه
الشافعي علي ذلك وليس ذلك في مذهبنا وحكي ابن شجره
انه يقال في الغنم بدنه وهو قول شاذ والبدن هي
الابل التي تهدي الي الكعبه والهدي عام في الابل والبقر والغنم
الثالثه قوله تعالي من شعاير الله نص في انها بعض
الشعاير وقوله لكم فيها خير يريد به المنافع التي تقدم
ذكرها والصواب عمومه في خير الدنيا والاخره الرابعه

قوله تعالي

وعطا لا تجزيه وفي مذهب مالك انه تجزيه والصحيح في مذهب الشافعي

قوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها صواف اي انحروها على
اسم الله وصواف اي قد صفت قوايمها والابل تنحر قياما
معقوله واصل هذا الوصف في الخيل يقال صفن الفرس
فهو صافن اذا قام على ثلاث قوايم وثنى سنبك الرابعه
والسنبك طرف الحافر والبعير اذا اراد واخره تعقل
احدي يديه فيقوم على ثلاث قوايم وقرا الحسن والاعرج
ومجاهد وزيد بن اسلم وابو موسى الاشعري صواف
اي خوالص لله عز وجل لا يشركون به في التسميه على
نحرها احدا وعن الحسن ايضا صواف بكسر الفا وتنوينها
مخففة وهي بمعنى التي قبلها لكن حذفت اليا تخفيفا على
غير قياس وصواف قراة الجمهور بفتح الفا وتشديدها
من صف يصف وواحد صواف صافه وواحد صوافي
صافيه وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وابو جعفر
محمد بن علي صوافن بالنون جمع صافنه ولا يكون واحدها
صافنا لان فاعلا لا تجمع على فواعل الا في حروف مختصه
لا يقاس عليها وهي فارس وفوارس وهالك فهو الك وخالف
وخوالف والصافنه هي التي قد رفعت احدى يديها
بالعقل لئلا تضطرب ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد
وقال عمرو بن كلثوم تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة اعنتها
صفونا

ويروى نظل جياده نوحا عليه مقلدة اعنتها صفونا
وقال اخر الف الصفون فما يزال كانه مما يقوم على الثلاث كسيرا
وقال ابو عمرو الجرمي الصافن عرق في مقدم الرجل فاذا
ضرب على الفرس رفع رجله وقال الاعشى
وكل كميت كجزع السحوق يرين الفنا اذا ما صفن
الخامسة قال ابن وهب اخبرني ابن ابي ذيب انه
سال ابن شهاب عن الصواف فقال تقيدها ثم تصفها
وقال لي مالك بن انس مثله وكافة العلما على استحباب
ذلك الا ابا حنيفة والثوري فانه اجاز ان تنحرها
باركة وقياما وشذ عطا فخالف واستحب نحرها
باركة والصحيح ما عليه الجمهور لقوله تعالى فاذا
وجبت جنوبها معناه سقطت بعد نحرها ومنه
وجبت الشمس وفي صحيح مسلم عن زياد بن جبير
ان ابن عمر اتى على رجل وهو ينحر بدنته باركة فقال
ابعثها قايمة مقيدة سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم
وروى ابو داود عن ابي الزبير عن جابر واخبرني
عبد الرحمن بن سابط ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
كانوا ينحرون البدنة معقولة اليسرى قايمة
على ما بقي من قوايمها السادسة قال مالك فان
ضعف انسان

ضعف انسان او نحوف ان تنقلب بدنته فلا ارى باسا ان
ينحرها معقوله والاختيار ان تنحر الابل قايمة غير معقوله
الا ان يتعذر ذلك فتعقل ولا تعرقب الا ان يخاف ان
تضعف عنها ولا يقوى عليها ونحرها باركة افضل من ان تعرقب
وكان ابن عمر ياخذ الحربة بيده في عنفوان ابده فينحرها
في صدرها ونحرها على سنامها فلما اسن كان ينحرها باركة
لضعفه ويمسك معه الحربة رجل اخر واخر بخطامها
السابعة وتضجع البقر والغنم ولا يجوز النحر قبل الفجر من
يوم النحر باجماع وكذلك الاضحية لا تجوز قبل الفجر فاذا
طلع الفجر حل النحر بمنى وليس عليهم انتظار نحر امامهم بخلاف
الاضحية في ساير البلاد والمنحر منى لكل حاج ومكة لكل مقيم
ولو نحر الحاج بمكة والمعتمر بمنى لم يخرج واحد منهما ان شا الله
الثامنة قوله تعالى فاذا وجبت جنوبها يقال وجبت
الشمس اذا سقطت ووجب الحايط اذا سقط قال
قيس بن الخطيم اطاعت بنو عوف اميرا نهاهم عن السلم حتى كان اول واجب
وقال اوس بن حجر الم تكسف الشمس ضو النهار والبدر للجبل الواجب
فقوله تعالى فاذا وجبت جنوبها يريد اذا سقطت على
جنوبها ميتة كنى عن الموت بالسقوط على الجنب كما كنى
عن النحر والذبح بقوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها والكنايات

في اكثر المواضع ابلغ من التصريح قال الشاعر
فتركته جزر السباع ينشنه ما بين قلة راسه والمعصم
وقال عنتره وضربت قرني كبشها فتجدلا اي سقط مقتولا
الى الجداله وهي الارض ومثله كثير والوجوب للجنب بعد النحر
علامة نزف الدم وخروج الروح منها وهو وقت الاكل لانه انما
يبتدي السلخ وقطع شي من الذبيحه بطبخ ولا ينسلخ حتى تبرد
لان ذلك من باب التعذيب ولهذا قال عمر رضي الله عنه لا تعجلوا
الانفس ان تزهق التاسعه قوله تعالى فكلوا منها امر
معناه الندب وكل العلما يستحب ان ياكل الانسان من هديه
وفيه اجر وامتثال اذ كان اهل الجاهليه لا ياكلون من هديهم
كما تقدم وقال ابو العباس بن شريح الاكل والاطعام مستحبان
وله الاقتصار على ايهما شا وقال الشافعي الاكل مستحب
والاطعام واجب فان اطعم جميعها اجزاه وان اكل جميعها
لم يجزه وهذا فيما كان تطوعا فاما واجبات الدما فلا يجوز
ان ياكل منها شيا حسب ما تقدم بيانه العاشره
قوله تعالى واطعموا القانع والمعتر قال مجاهد وابراهيم
والطبري قوله واطعموا امر اباحة والقانع السايل يقال
قنع قنوعا اذا سال بفتح النون في الماضي وكسرها في
المستقبل يقنع قناعة فهو قنع اذا تعفف واستغنى
ببلغته

اي من الاكل
...

في نسخه
اي ...

ببلغته ولم يسل مثال احد تجد قناعة وقنعا وقنعانا
قاله الخليل ومن الاول قول الشماخ ::
لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره اعف من القنوع :: وقال
ابن السكيت من العرب من ذكر القنوع بمعنى القناعه وهي الرضى
والتعفف وترك المسله وروي عن ابي رجا انه قرا
واطعموا القنع ومعنى هذا مخالف للاول يقال قنع الرجل
فهو قنع اذا رضي واما المعتر فهو الذي يطيف بك
يطلب ما عندك سايلا كان او ساكتا وقال محمد بن كعب
القرظي ومجاهد وابراهيم والكلبي والحسن بن ابي الحسن
المعتر المتعرض من غير سوال قال زهير ::
على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل
وقال مالك احسن ما سمعت ان القانع الفقير والمعتر
الزاير وروي عن الحسن انه قرا والمعتري ومعناه
كمعنى المعتر يقال اعتره واعتراه وعره وعراه
اذا تعرض لما عنده او طلبه ذكره النحاس قوله
تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماوها فيه خمس
مسايل الاولى قوله تعالى لن ينال الله لحومها قال
ابن عباس كان اهل الجاهلية يضرجون البيت بدماء
البدن فاراد المسلمون ان يفعلوا ذلك فنزلت الايه

والنيل لا يتعلق بالباري تعالى ولكنه عبر عنه تعبيرا
مجازيا عن القبول المعنى لن يصل اليه وقال ابن عباس
لن يصعد اليه ابن عيسى لن يقبل لحومها ولا دماؤها
ولكن يصل اليه التقوى منكم اي ما أريد به وجهه
فذلك الذي يقبله ويرفع اليه ويسمعه ويثيب عليه
ومنه الحديث انما الاعمال بالنيات والقراة لن ينال الله
وينال بالياء فيهما وعن يعقوب بالتاء فيهما نظرا الى اللحوم
الثانية قوله تعالى كذلك سخرها لكم منّ سبحانه علينا
بتذليلها وتمكيننا من تصريفها وهي اعظم منا ابدانا
واقوى منا اعضاء ذلك ليعلم العبد ان الامور ليست على
ما يظهر الى العبد من التدبير وانما هي بحسب ما يريدها
العزيز القدير فيغلب الصغير الكبير ليعلم الخلق ان الغالب
هو الله الواحد القهار فوق عباده الثالثة قوله تعالى
لتكبروا الله على ما هداكم ذكر سبحانه ذكر اسمه عليها في الاية
قبلها فقال فاذكروا اسم الله عليها وذكر هنا التكبير وكان
ابن عمر يجمع بينهما اذا نحر هديه فيقول بسم الله والله اكبر
وهذا من فقهه رضي الله عنه وفي الصحيح عن انس قال ضحى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين اقرنين
قال ورايته يذبحهما بيده ورايته واضعا قدمه على صفاحهما
وسمى

وسمى ولم وقد اختلف العلما في هذا فقال ابو ثور التسميه
متعينة كالتكبير في الصلاه و كافة العلما على استحباب ذلك
فلو قال ذكرا اخر فيه اسم من اسما الله تعالى واراد به التسمية
جاز وكذلك لو قال الله اكبر فقط او لا اله الا الله قاله
ابن حبيب فلو لم يرد التسمية لم يجز و لا نوكل قاله
الشافعي ومحمد بن الحسن وكره كافة العلما من اصحابنا
وغيرهم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند التسمية
في الذبح او ذكره وقالوا لا يذكر هنا الا الله وحده واختار
الشافعي الصلاه على النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح
الرابعة ذهب الجمهور الى ان قول المضحي اللهم تقبل
مني جايز وكره ذلك ابو حنيفه والحجة عليه ما رواه
الصحيح عن عايشة وفيه ثم قال بسم الله اللهم تقبل
من محمد وال محمد ومن امة محمد ثم ضحى به واستحب بعضهم
ان يقول ذلك بنص الايه ربنا تقبل منا انك انت السميع
العليم وكره مالك قولهم اللهم منك واليك وقال هذه بدعه
واجاز ذلك ابن حبيب من اصحابنا والحسن والحجة لهما
ما رواه ابو داود عن جابر بن عبد الله قال ذبح النبي صلى
الله عليه وسلم يوم الذبح كبشين اقرنين موجوءين
املحين فلما وجههما قال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات

والارض حنيفا وقرا الي قوله وانا اول المسلمين اللهم منك
واليك عن محمد وامته بسم الله والله اكبر ثم ذبح فلعل مالكا
لم يبلغه هذا الخبر او لم يصح عنده اوراي العمل بخالفه وعلى
هذا يدل قوله انه بدعة والله اعلم الخامسه
قوله تعالى وبشر المحسنين روي انها نزلت في الخلفا الاربعة
حسب ما تقدم في الاية التي قبلها فاما ظاهر اللفظ فمقتضي
العموم في كل محسن قوله تعالى ان الله يدفع عن
الذين امنوا الاية روي انها نزلت بسبب المومنين لما
كثروا بمكة واذاهم الكفار وهاجر من هاجر الى ارض الحبشه
اراد بعض مومني مكة ان يقتل من امكنه من الكفار ويغتال
ويغدر ويحتال فنزلت هذه الاية الي قوله كفور فوعد
فيها سبحانه بالمدافعه ونهي افصح نهي عن الخيانة والغدر
وقد مضي في الانفال التشديد في الغدر وانه ينصب
للغادر لوا عند استه بقدر غدرته يقال هذه غدرة
فلان وقيل المعني يدفع عن المومنين بان يديم توفيقهم حتى
يتمكن الايمان من قلوبهم فلا يقدر الكفار على امالتهم
عن دينهم وان جري اكراه فيعصمهم حتى لا يرتدوا
بقلوبهم وقيل يدفع عن المومنين باعلايهم بالحجة ثم قتل
كافر مومنا نادر وان فيدفع الله ذلك المومن بان

فبضه

قبضه الى رحمته وقرا نافع يدافع ولولا دفاع وقرا ابو
عمرو وابن كثير يدفع ولولا دفع وقرا عاصم وحمزه
والكسائي يدافع ولولا دفع ويدافع بمعنى يدفع مثل عاقبت
اللص وعافاه الله والمصدر دفعا وحكى الزهراوي ان
دفاعا مصدر دفع كحسبت حسابا **قوله تعالى**
اذن للذين يقاتلون قيل هذا بيان قوله ان الله يدفع
عن الذين الذين امنوا اي يدفع عنهم غوايل الكفار بان
يبيح لهم القتال وينصرهم وفيه اضمار اي اذن للذين
يصلحون للقتال في القتال فحذف لدلالة الكلام على المحذوف
وقال الضحاك استاذن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قتال الكفار اذ اذوهم بمكة فانزل الله ان الله لا
يحب كل خوان كفور فلما هاجر نزلت اذن للذين
يقاتلون بانهم ظلموا وهذا ناسخ لكل ما في القران من
اعراض وترك صفح وهي اول اية نزلت في القتال
قال ابن عباس وابن جبير نزلت عند هجرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المدينة وروى النسائي والترمذي
عن ابن عباس قال لما اخرج النبي صلى الله عليه وسلم
من مكة قال ابو بكر اخرجوا نبيهم ليهلكن فانزل الله
اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير

فقال ابو بكر لقد علمت انه سيكون فنال هذا حديث
حسن وقد روي غير واحد عن سفيان عن الاعمش
عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير مرسل وليس فيه عن
ابن عباس ح الثانية في هذه الاية دليل على ان الاباحة
من الشرع خلافا للمعتزله لان قوله أذن معناه ابيح
وهو لفظ موضوع في اللغة لاباحة كل ممنوع وقد تقدم
هذا المعنى في البقره وغير موضع وقرى أذن بفتح
الهمزه اي اذن الله يقاتلون بكسر التا اي يقاتلون
عدوهم وقرى يقاتلون بفتح التاء اي يقاتلهم المشركون
وهم المومنون ولهذا قال بانهم ظلموا اي اخرجوا من
ديارهم قوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق
فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى الذين اخرجوا هذا
احد ما ظلموا به وانما اخرجوا لقولهم ربنا الله وحده
قاله سيبويه وقال الفرا يجوز ان يكون في موضع خفض
تقديرها مردوده على الباء وهو قول ابي اسحاق الزجاج
والمعنى عنده الذين اخرجوا من ديارهم بلا حق الا ان
يقولوا ربنا الله اي اخرجوا بتوحيدهم اخرجهم اهل
الاوثان والذين اخرجوا في موضع خفض بدلا من
قوله للذين يقاتلون الثانية قال ابن العربي قال علماونا
كان

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم
يوذن له في الحرب ولم تحل له الدما انما يومر بالدعا الى
الله والصبر على الاذا والصفح عن الجاهل مدة من عشرة
اعوام لاقامة حجة الله تعالى عليهم ووفا بوعده الذي
امتن به بفضله في قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
فاستمر الناس في الطغيان وما استدلوا بواضح البرهان
وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه من المهاجرين
حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم عن بلادهم فمنهم من فر الى
ارض الحبشة ومنهم من خرج الى المدينه ومنهم من صبر على
الاذا فلما عتت قريش على الله تعالى وردوا امره وكذبوا
نبيه عليه السلام وعذبوا من امن به وعبده ووحده
وصدق نبيه عليه السلام واعتصم بدينه اذن الله
لرسوله في القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم
وانزل اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الى قوله الامور
الثالثة في هذه الاية دليل على ان نسبة الفعل الموجود
من الملجا المكره منسوب الى الذي الجاه واكرهه لان الله
تعالى نسب الاخراج الى الكفار لان الكلام في معنى تقرير
الذنب والزاميه وهذه الاية مثل قوله تعالى اذ اخرجه
الذين كفروا والكلام فيهما واحد وقد تقدم في براة والحمد لله

الرابعه ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اي لولا ما شرعه
الله للانبيا والمومنين من قتال الاعدا لاستولي اهل الشرك
وعطلوا ما بنته ارباب الديانات من مواضع العبادات
ولكنه دفع بان اوجب القتال ليتفرغ اهل الدين للعبادة
فالجهاد امر متقدم في الامم وبه صلحت الشرايع واجتمعت
المتعبدات فكانه قال اذن في القتال فليقاتل المومنون
ثم قوي هذا الامر في القتال بقوله ولولا دفع الله الناس
الاية اي لولا القتال والجهاد لتغلب علي الحق في كل
امة فمن استبشع من النصارى والصابين الجهاد
فهو مناقض لمذهبه اذ لولا القتال ما بقي الدين
الذي يذب عنه وايضا هذه المواضع التي اتخذت
قبل تحريفهم وتبديلهم وقبل نسخ تلك الملل بالاسلام
انما ذكرت لهذا المعنى اي لولا هذا الدفع لهدم في زمان
موسى الكنايس وفي زمن عيسى الصوامع وفي زمان محمد
صلى الله عليه وسلم المساجد لهدمت من هدم البنا
اي نقضته فانهدم قال ابن عطيه هذا اصوب ما قيل
في تاويل الاية وروي عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
انه قال ولولا دفع الله باصحاب محمد الكفار عن التابعين
فمن بعدهم وهذا وان كان فيه دفع قوم بقوم الا ان
معني

استبشع
استقبح

معنى القتال البغي كما تقدم وقال مجاهد لولا دفع الله ظلم
قوم بشهادة العدول وقالت فرقة ولولا دفع الله
ظلم الظلمة بعدل الولاة وقال ابو الدرداء لولا ان الله عز
وجل يدفع بمن في المساجد عمن ليس في المساجد وبمن
يغزو عمن لا يغزو لاتاهم العذاب وقالت فرقة ولولا
دفع الله العذاب بدعاء الفضلاء والاخيار الى غير ذلك من
التفصيل المفسد لمعنى الاية وذلك ان الاية ولا بد تقتضي
مدفوعا من الناس ومدفوعا عنه فتامله الخامسة
قال ابن خويز منداد تضمنت هذه الاية المنع من هدم
كنائس اهل الذمة وبيعهم وبيوت نيرانهم ولا يتركون
ان يحدثوا ما لم يكن ولا يزيدون في البنيان لا سعة
ولا ارتفاعا ولا ينبغي للمسلمين ان يدخلوها ولا يصلوا
فيها ومتى احدثوا زيادة وجب نقضها وينقض ما وجد
في بلاد الحرب من البيع والكنائس وانما لم ينقض ما في
بلاد الاسلام لاهل الذمة لانها جرت مجرى بيوتهم
واموالهم التي عاهدوا عليها في الصيانة ولا يجوز ان
يمكنوا من الزيادة لان في ذلك اظهار اسباب الكفر
وجايز ان ينقض المسجد ليعاد بنيانه وقد فعل ذلك
عثمان بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم السادسة

مطلب
منع هديم الكنائس
لاهل الذمة وبيعهم
وبيوت نيرانهم
ومنع صلوة المسلمين
فيها

قرئ لهدمت بتخفيف الدال وتشديدها صوامع جمع
صومعة وزنها فوعلة وهي بنا مرتفع حديد الاعلا يقال
صمع الثريدة اي رفع راسها وحدده ورجل اصمع القلب
اي حاد الفطنة والاصمع من الرجال الحديد القول وقيل
هو الصغير الاذن من الناس وغيرهم وكانت قبل الاسلام
مختصة برهبان النصارى وبعباد الصابين قاله قتاده
ثم استعمل في مدنة المسلمين والبيع جمع بيعة وهي كنيسة
النصارى وقال الطبري وقيل هي كنايس اليهود
ثم ادخل عن مجاهد ما لا يقتضي ذلك وصلوات قال
الزجاج والحسن هي كنايس اليهود وهي بالعبرانية صلوتا
وقال ابو عبيدة الصلوات بيوت تبنى للنصارى في
البراري يصلون فيها في اسفارهم تسمى صلوتا فعربت
فقيل صلوات وفي صلوات تسع قراآت ذكرها ابن عطية
صَلَوات صُلُوات صِلوات صُلُوات على وزن فعول
صُلوب بالباء بواحدة جمع صليب صُلوث بالثاء
المثلثة على وزن فعول صلواث بضم الصاد واللام
والف بعد الواو وصُلوثا بضم الصاد واللام وقصر الالف
بعد الثاء المثلثة صِلويثا بكسر الصاد والثاء المثلثة
وذكر النحاس ع روي عن عاصم الجحدري انه قرا وصَلَوَت م
ملح
وروى ع

١٨٤

وروي عنه انه قراء وصلوث وروي عن الضحاك انه قراء
وصلوث بالثاء معجمة بثلاث ولا ادري افتح الصاد
ام ضمها قلت فعلي هذا تجي ثنتا عشرة قراءة وقال
ابن عباس الصلوات الكنايس ابو العاليه الصلوات
مساجد الصابئين ابن زيد هي صلوات المسلمين تنقطع
اذا دخل عليهم العدو وتهدم المساجد فعلى هذا
استعير الهدم للصلوات من حيث تعطل او اراد موضع
صلوات فحذف المضاف وعلى قول ابن عباس والزجاج
وغيرهم يكون الهدم حقيقة وقال الحسن هدم الصلوات
تركها قطرب هي الصوامع الصغار ولم يسمع لها واحد
وذهب خصيف الى ان القصد بهذه الاسما تقسيم متعبدات
الامم فالصوامع للرهبان والبيع للنصاري والصلوات
لليهود والمساجد للمسلمين قال ابن عطيه والاظهر
انها قصد بها المبالغة في ذكر المتعبدات وهذه الاسماء
تشترك الامم في مسمياتها الا البيعة فانها مختصه
بالنصاري في لغة العرب ومعاني هذه الاسماء هي
في الامم التي لهم كتاب على قديم الدهر ولم يذكر في
هذه الاية المجوس ولا اهل الاشراك لان هاؤلاء ليس
لهم ما تجب حمايته ولا يوجد ذكر الله الا عند اهل

الشرايع وقال النحاس يذكر فيها اسم الله الذي يجب في
كلام العرب على حقيقة النظر ان يكون يذكر فيها اسم
الله عايد على المساجد لا على غيرها لان الضمير يليها
ويجوز ان يعود على صوامع وما بعدها ويكون المعنى
وقت شرايعهم واقامتهم الحق السابعة فان قيل لم
قدمت مسافة اهل الذمة ومصليا ثم على مساجد
المسلمين قيل لانها اقدم بنا وقيل لقربها من الهدم وقرب
المساجد من الذكر كما اخر السابق في قوله فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات الثامنة
قوله تعالى ولينصرن الله من ينصره اي من ينصر دينه
ونبيه ان الله لقوي اي قادر قال الخطابي القوي يكون
بمعنى القادر ومن قوي على شي فقد قدر عليه عزيز
اي جليل شريف قاله الزجاج وقيل الممتنع الذي
لا يرام وقد بيناها في الكتاب الاسنى في شرح اسما الله
الحسنى قوله تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا
الصلاة قال الزجاج الذين في موضع نصب ردا على
من يعني في قوله ولينصرن الله من ينصره وقال غيره
الذين في موضع خفض ردا على قوله اذن للذين
يقاتلون ويكون الذين ان مكناهم في الارض اربعة من

اصحاب

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمكن في الارض
غيرهم وقال ابن عباس المراد المهاجرون والانصار
والتابعون باحسان وقال قتاده هم اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم وقال عكرمه هم اهل الصلوات الخمس وقال الحسن
وابو العاليه هم هذه الامه اذا فتح الله عليهم اقاموا الصلاه
وقال ابن ابي نجيح يعني الولاه وقال الضحاك هو شرط شرطه
الله جل وعز على من اتاه الملك وهذا حسن قال سهل
بن عبد الله الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على
السلطان وعلى العلما الذين ياتونه وليس على الناس ان
يامروا السلطان لان ذلك لازم له واجب عليه ولا
يامروا العلما فان الحجه قد وجبت عليهم قوله تعالى
وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود
هذا تسليه للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزيه اي
كان قبلك انبيا كذبوا فصبروا الى ان اهلك الله المكذبين
فاقتد بهم واصبر وكذب موسى اي كذبه فرعون وقومه
فاما بنو اسرايل فما كذبوه فلهذا لم يعطفه على ما قبله
فيكون وقوم موسى فامليت للكافرين اي اخرت
عنهم العقوبه ثم اخذتهم بعقابهم فكيف كان نكير
استفهام بمعنى التقرير اي فانظر كيف كان تغييري

ما كانوا فيه من النعم بالعذاب والهلاك فكذلك
افعل بالمكذبين من قريش قال الجوهري النكير والانكار
تغيير المنكر والمنكر واحد المناكير قوله تعالى فكاين
من قرية اهلكتها اي اهلكنا اهلها وقد مضي في ال
عمران الكلام في كاين وهي ظالمة اي بالكفر وهي
خاوية علي عروشها وقال الاصمعي سالت نافع بن
ابي نعيم ايهمز البير والذيب فقال ان كانت العرب
تهمزها فاهمزها واكثر الرواه عن نافع بهمزهما
الا ورشا فان روايته عنه بغير همز فيهما والاصل الهمز
ومعني معطله متروكه قاله الضحاك وقيل خاليه من
اهلها لهلاكهم وقيل غابره الما وقيل معطله من دلائها
وارشيتها والمعني متقارب وقصر مشيد قال قتاده
والضحاك ومقاتل رفيع طويل قال عدي بن زيد
شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور
اي رفعه وقال سعيد بن جبير وعطا وعكرمه ومجاهد
مجصص من الشيد وهو الجص قال الراجز كنت
لا تحسبني وان امرا غمرا كحية الما بين الطين والشيد
وقال امرؤ القيس ولا اطما الا مشيدا بجندل وقال
ابن عباس مشيد اي حصين وقاله الكلبي وهو مفعل
بمعني مفعول كمبيع بمعني مبيوع وقال الجوهري والمشيد
المعمول

المعمول بالتشييد والشيد بالكسر كل شي طليت به الحايط
من جص او بلاط وبالفتح المصدر تقول شاده يشيده
شيدا جصصه والمشيد بالتشديد المطول وقال الكسائي
المشيد للواحد من قوله تعالى وقصر مشيد امثالها معطل
ويقال ان هذه البير والقصر بحضرموت معروفان فالقصر
مشرف على قلة جبل لا يرتقى اليه بحال والبير في سفحه لا
تقر الريح شيا سقط فيه الا اخرجته واصحاب القصور
ملوك الحضر واصحاب الابار ملوك البدو اي فاهلكنا هاولاء
وهاولاء وذكر الضحاك وغيره فيما ذكر الثعلبي وابو بكر
محمد بن الحسن المقري وغيرهما ان البير الرس وكانت بعدن
باليمن بحضرموت في بلد يقال له حضور نزل بها اربعة
الاف ممن امن بصالح ونجو من العذاب ومعهم صالح فمات
صالح فسمي المكان حضرموت لان صالحا لما حضره مات
فبنوا حضورا وقعدوا على هذه البير وامروا عليهم رجلا
يقال العلس بن جلاس بن سويد فيما ذكر الغزنوي
الثعلبي جلهس بن جلاس وكان حسن السيره فيهم عادلا
عليهم وجعلوا وزيره سنحاريب بن سواده فاقاموا دهرا
وتناسلوا حتى كثروا وكانت البير تسقي المدينة كلها
وباديتها وجميع ما فيها من الدواب والغنم والبقر
وغير ذلك لانها كانت لها بكرات كثيره منصوبة عليها

ورجال كثير موكلون بها وابازئها البنون من رخام وهي شبه
الحياض كثيرة تملا للناس واخر للدواب واخر للبقر واخر
للغنم والقوام يسقون عليها بالليل والنهار ينداولون ولم يكن
لهم ما غيرها وطال عمر الملك الذي امروه فلما جاه الموت
اطلي بدهن لتبقي صورته لا تتغير وكذلك كانوا يفعلون
اذا مات منهم الميت وكان ممن يكرم عليهم فلما مات شق ذلك
عليهم وراوا ان امرهم قد فسد وضجوا جميعا بالبكاء واغتنمها
الشيطان منهم فدخل في جثة الملك بعد موته بايام
كثيرة فكلمهم وقال اني لم امت ولكن تغيبت عنكم حتي
اري صنيعكم ففرحوا اشد الفرح وامر خاصته ان
يضربوا له حجابا بينه وبينهم ويكلمهم من ورايه كيلا
يعرف الموت في صورته فنصبوا صنما من وراء الحجاب
لا ياكل ولا يشرب واخبرهم انه لا يموت ابدا وانه اله
لهم وذلك كله يتكلم به الشيطان على لسانه فصدق كثير
منهم وارتاب بعضهم فكان المومن المكذب منهم اقل من المصدق
له فكلما تكلم ناصح لهم زجر وقهر فاصفقوا على عبادته
فبعث الله اليهم نبيا كان الوحي ينزل عليه في النوم
دون اليقظه كان اسمه حنظله بن صفوان فاعلمهم
ان الصورة صنم لا روح له وان الشيطان قد اضلهم
وان الله

وان الله لا يتمثل بالخلق فان الملك لا يجوز ان يكون شريكا
لله ووعظهم ونصحهم وحذرهم سطوة ربهم ونقمته
فاذوه وعادوه وهو يتعهدهم بالموعظه ولا يغبهم
بالنصيحه حتى قتلوه في السوق وطرحوه في بير فبعد
ذلك اصابتهم النقمه فباتوا شباعا رواء من الماء واصبحوا
والبير قد غار ماؤها وتعطل رشاؤها فصاحوا باجمعهم
وضج النساء والولدان وضجت البهايم عطشا حتى عمهم
الموت وشملهم المهالك وخلفهم في ارضهم السباع
وفي منازلهم الثعالب والضباع وتبدلت جناتهم واموالهم
بالسدر وشوك العضاة والقتاد فلا تسمع فيها الا عزيف
الجن وزئير الاسد نعوذ بالله من سطواته ومن الاصرار
على ما يوجب نقماته قال السهيلي واما القصر المشيد
فقصر بناه شداد بن عاد بن ارم لم يبن في الارض
مثله فيما ذكروا وزعموا وحاله ايضا كحال هذه البير
المذكوره في الجاشه بعد الانيس واقفاره بعد العمران
وان احدا لا يستطيع ان يدنو منه على اميال لما يسمع فيه
من عزيف الجن والاصوات المنكره بعد النعيم والعيش
الرغد وبها الملك وانتظام الاهل كالسلك فبادوا وما
عادوا فذكرهم الله تعالى في هذه الاية موعظة وعبرة

المهالك

وتذكرة وذكرى وتحذيرا من مغبة المعصية وسوء عاقبة
المخالفة نعوذ بالله من ذلك ونستجير به من سوء المال وقيل
ان الذي اهلكهم بخت نصر على ما تقدم في سورة الانبياء في
قوله وكم قصمنا من قرية فتعطلت بئرهم وخربت قصورهم
قوله تعالى افلم يسيروا في الارض يعني كفار مكة فيشاهدوا
هذه القرى فيتعظوا ويحذروا عقاب الله ان ينزل بهم كما
نزل بمن قبلهم فتكون لهم قلوب يعقلون بها اضاف العقل
الى القلب لانه محله كما ان السمع محله الاذن وقد قيل ان
العقل محله الدماغ وروي عن ابي حنيفة وما اراها عنه
صحيحة فانها لا تعمى الابصار قال الفراء الهاء عماد ويجوز ان
يقال فانه وهي قراءة عبد الله بن مسعود والمعنى واحد التذكير
على الخبر والتانيث على الابصار او القصة اي فان الابصار
لا تعمى او فان القصة لا تعمى الابصار اي ابصار العيون ثابتة
لهم ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اي عن درك الحق
والاعتبار وقال قتادة البصر الناظر جعل بلغة ومنفعة
والبصر النافع في القلب وقال مجاهد لكل عين اربع اعين
يعني لكل انسان اربع اعين عينان في راسه لدنياه وعينان
لقلبه في اخرته فان عميت عينا راسه وابصرت عينا
قلبه فلم يضره عماه شيئا وان ابصرت عينا راسه
وعميت

بلغ

وعميت عينا قلبه فلم ينفعه نظره شيا وقال قتاده وابن
جبير نزلت هذه في ابن ام مكتوم الاعمى قال ابن عباس
ومقاتل لما نزل ومن كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا
رسول الله فانا في الدنيا اعمى افاكون في الاخره اعمى فنزلت
فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور واي
من كان في هذه اعمى بقلبه عن الاسلام فهو في الاخره
في النار قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب نزلت في
النضر بن الحارث وهو قوله ايتنا بما تعدنا ان كنت من
الصادقين وقيل نزلت في ابي جهل بن هشام وهو قوله
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك ولن يخلف الله وعده
اي في انزال العذاب قال الزجاج استعجلوا العذاب فاعلمهم
الله انه لا يفوته شي وقد نزل بهم في الدنيا يوم بدر
قوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
قال ابن عباس ومجاهد يعني في الايام التي خلق الله فيها
السموات والارض عكرمه يعني من ايام الاخره اعلمهم
الله اذا استعجلوه بالعذاب في ايام قصيره انه ياتيهم
به في ايام طويله قال الفرا هذا وعيد لهم بامتداد عذابهم
في الاخره اي يوم من ايام عذابهم في الاخره الف سنة
من سني الدنيا فيها خوف وشده وكذلك يوم النعيم

فبا سنا وقرا ابن كثير وحمزه والكساي مما يعدون واختاره
ابو عبيد لقوله ويستعجلونك للباقون بالتا على الخطاب
واختاره ابو حاتم قوله تعالى وكاين من قرية امليت
اي امهلتها مع عتوها ثم اخذتهم اي بالعذاب والي المصير
قوله تعالى قل يا ايها الناس يعني اهل مكه انما انا لكم نذير
اي منذر مخوف وقد تقدم في البقره الانذار في اولها
مبين اي ابين لكم ما تحتاجون اليه من امر دينكم فالذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفره ورزق كريم يعني الجنه
والذين سعوا في اياتنا اي في ابطال اياتنا معاجزين
اي مغالبين مشاقين قاله ابن عباس الفرا معاندين وقال
عبد الله بن الزبير انما هي معجزين اي مثبطين عن الاسلام
وقال الاخفش معاجزين مسابقين الزجاج اي ظانين
انهم يعجزوننا لانهم ظنوا ان لا بعث وظنوا ان الله
لا يقدر عليهم وقاله قتاده وكذلك معنى قراه ابن كثير
وابي عمرو معجزين بلا الف مشددا ويجوز ان يكون
معناه انهم يعجزون المومنين في الايمان بالنبي عليه السلام
وبالايات قاله السدي وقيل اي ينسبون من اتبع محمدا
عليه السلام الي العجز كقولهم جهلته وفسقته اوليك
اصحاب الجحيم قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من

رسول

١٨٩

رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فيه
ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى تمنى اي قرا وتلا
القى الشيطان في امنيته اي قرائته وتلاوته وقد تقدم
في البقره قال ابن عطيه وجاء عن ابن عباس انه كان
يقرا وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث
ذكره مسلمة بن القاسم بن عبد الله رواه سفيان عن
عمرو بن دينار عن ابن عباس قال مسلمه فوجدنا المحدثين
معتصمين بالنبوه على قراة ابن عباس لانهم تكلموا بامور
عاليه من انباء الغيب خطرات ونطقوا بالحكمة
الباطنه فاصابوا فيما تكلموا وعصموا فيما نطقوا
كعمر بن الخطاب في قصة ساريه وما تكلم به من البراهين
العاليه قلت وقد ذكر هذا الخبر ابو بكر الانباري
في كتاب الرد له وقد حدثني ابي رحمه الله نا علي بن
حرب نا سفيان بن عيينة عن عمرو عن ابن عباس
انه قرا وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا
محدث قال ابو بكر فهذا حديث لا يوخذ به على ان ذلك
قران والمحدث هو الذي يوحى اليه في نومه لان
رويا الانبيا وحي الثانيه قال العلما هذه الايه مشكله
من جهتين احداهما ان قوما يرون ان الانبيا صلى الله عليهم

فيهم مرسلون وفيهم غير مرسلين وغيرهم يذهب الى انه
لا يجوز ان يقال نبي حتى يكون مرسلا والدليل على صحة
هذا قوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا
نبي فاوجب للنبي صلى الله عليه وسلم الرساله وان معنى
نبي انبا عن الله عز وجل ومعنى ومعنى انبا عن الله جل
وعز الارسال بعينه وقال الفرا الرسول الذي ارسل
الى الخلق بارسال جبريل عليه السلام اليه عيانا والنبي
الذي تكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبي
وليس كل نبي رسولا قال المهدوي وهذا هو الصحيح
ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وكذا ذكر القاضي
عياض في كتاب الشفا قال والصحيح والذي عليه الجما
الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا
واحتج بحديث ابي ذر وان الرسل من الانبيا ثلاثمايه
وثلثه عشر اولهم ادم واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم
والجهة الاخرى التي فيها الاشكال وهي الثالثه الاحاديث
المروية في نزول هذه الايه وليس منها شي يصح وكان
مما تموه به الكفار على عوامهم قولهم حق الانبيا ان
لا يعجزوا عن شي فلم لا ياتينا محمد بالعذاب وقد
بالغنا في عداوته وكانوا يقولون ايضا ينبغي ان لا

يجري

١٩٠

يجري عليهم سهو وغلط فبين الرب سبحانه انهم بشر
والاتي بالعذاب هو الله على ما يريد ويجوز على البشر
السهو والنسيان والغلط الى ان يحكم الله اياته وينسخ حيل
الشيطان روى الليث عن يونس عن الزهري عن ابي بكر
بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى فلما بلغ افرايتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى سها فقال فان شفاعتهم
ترتجى فلقيه المشركون والذين في قلوبهم مرض فسلموا
عليه وفرحوا فقال ان ذلك من الشيطان فانزل الله
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية قال النحاس
وهذا حديث منقطع وفيه هذا الامر العظيم وكذا حديث
قتادة وزاد فيه وانهن لهن الغرانيق العلى واقطع من
هذا ما ذكره الواقدي عن كثير بن زيد عن المطلب بن
عبد الله قال فسجد المشركون كلهم الا الوليد بن المغيرة
فانه اخذ ترابا من الارض فرفعه الى جبهته وسجد
عليه وكان شيخا كبيرا ويقال انه ابو احيحة سعيد بن
العاص حتى نزل جبريل عليه السلام فقرا عليه النبي
صلى الله عليه وسلم فقال له ما جئتك به فانزل الله لقد
كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال النحاس وهذا حديث

منكر منقطع ولا سيما من حديث الواقدي وفي البخاري
ان الذي اخذ قبضة من تراب ورفعها الى جبهته هو امية
بن خلف وسياتي تمام كلام النحاس على الحديث ان شا الله
اخر الباب قال ابن عطيه وهذا الحديث الذي فيه هي
الغرانقة العلى وقع في كتب التفسير ونحوها ولم يدخله
البخاري ولا مسلم ولا ذكره في علمي مصنف مشهور
بل يقتضي مذهب اهل الحديث ان الشيطان القى ولا
يعينون هذا السبب ولا غيره ولا خلاف ان القا
الشيطان انما هو لالفاظ مسموعة بها وقعت الفتنه
ثم اختلف الناس في صورة هذا الالقاء فالذي في التفاسير
وهو مشهور القول ان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم
بتلك الالفاظ على لسانه وحدثني ابي رضي الله عنه انه لقي
بالشرق من شيوخ العلما والمتكلمين من قال هذا لا يجوز على
النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم في التبليغ وانما
الامر ان الشيطان نطق بلفظ اسمعه الكفار عند قول
النبي صلى الله عليه وسلم افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى وقرب صوته من صوت
النبي صلى الله عليه وسلم حتى التبس الامر على المشركين
وقالوا محمد قراها وقد روي نحو هذا التاويل عن الامام

ابي

ابي المعالي وقيل الذي القي شيطان الانس لقوله عز وجل
والغوافيه قتادة هو ما تلاه ناعسا وقال القاضي عياض
في كتاب الشفا بعد ان ذكر الدليل على صدق النبي صلى الله
عليه وسلم وان الامة اجمعت فيما طريقه البلاغ انه
معصوم من الاخبار عن شي بخلاف ما هو عليه لا قصدا
ولا عمدا ولا سهوا او غلطا اعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام
على مشكل هذا الحديث ماخذين احدهما توهين اصله
والثاني على تسليمه اما الماخذ الاول فيكفيك ان هذا
حديث لم يخرجه احد من اهل الصحه ولا رواه بسند
سليم متصل ثقة وانما اولع به وبمثله المفسرون
المورخون المولعون بكل غريب المتلقفون من
الصحف كل صحيح وسقيم قال ابو بكر البزار هذا الحديث
لا نعلمه يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل
لا يجوز ذكره الا ما رواه شعبه عن ابي بشر عن سعيد
بن جبير عن ابن عباس فيما احسب الشك في الحديث ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة ولم يسنده
عن شعبه الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد
بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
فقد بين لك ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق يجوز

ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع
الشك فيه الذي ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة
معه واما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره
لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله والذي
منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا والنجم بمكة
فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس
هذا توهينه من طريق النقل واما الماخذ الثاني فهو مبني
على تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته
ولكن على كل حال فقد اجاب ايمة المسلمين عنه باجوبة
منها الغث والسمين والذي يظهر ويترجح في تاويله
على تسليمه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه
يرتل القران ترتيلا ويفصل الاي تفصيلا في قراته كما
رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات
ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي
صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار
فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها
ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على
ما انزلها الله وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم
في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه فيكون ما روي من

حزن

حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهه وسبب
هذه الفتنه وقد قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الاية قلت وهذا التاويل احسن ما
قيل في هذا وقد قال سليمان بن حرب ان في بمعنى عند
اي القى الشيطان في قلوب الكفار عند تلاوة النبي صلى
الله عليه وسلم كقوله عز وجل ولبثت فينا اي عندنا
وهذا هو معنى ما حكاه ابن عطية عن ابيه عن علما الشرق
واليه اشار القاضي ابو بكر بن العربي وقال قبله ان هذه
الاية نص في غرضنا دليل على صحة مذهبنا اصل
في براة النبي صلى الله عليه وسلم فيما ينسب اليه انه قاله
وذلك ان الله تعالى قال وما ارسلنا قبلك من رسول ولا
نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته اي في تلاوته
فاخبر تعالى ان من سنته في رسله وسيرته في انبيايه
اذا قالوا عن الله تعالى قولا زاد الشيطان فيه من قبل
نفسه كما يفعل سابر المعاصي تقول القيت في الدار
كذا والقيت في الكيس كذا فهذا نص في الشيطان
انه زاد في الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم لا ان النبي
صلى الله عليه وسلم تكلم به ثم ذكر معنى كلام عياض
الى ان قال وما هدي لهذا الا الطبري لجلالة قدره وصفا

فكره وسعة باعه في العلم وشدة ساعده في النظر وكانه
اشار الي هذا الغرض وصوب علي هذا المرمي وقرطس
بعد ما ذكر في ذلك روايات كثيره كلها باطل لا اصل لها
ولو شا ربك لما رواها احد ولا سطرها ولكنه فعال لما
يريد واما غيره من التاويلات مما حكاه قوم ان الشيطان
اكرهه حتى قال كذا فهو محال اذ ليس للشيطان قدره
علي سلب الانسان الاختيار قال الله تعالي مخبرا عنه
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لي ولو كان للشيطان هذه القدره لما بقي لاحد من
بني ادم قوة في طاعة ومن توهم ان للشيطان هذه القوة
فهو قول الثنويه والمجوس في ان الخير من الله والشر
من الشيطان ومن قال جري ذلك علي لسانه سهوا قال لا
يبعد انه كان سمع الكلمتين من المشركين وكانتا علي
حفظه فجري عند قراة السوره ما كان في حفظه سهوا
وعلي هذا تجوز السهو عليهم ولا يقرون عليه وانزل الله
هذه الايه تمهيدا لعذره وتسليه له لئلا يقال انه
رجع عن بعض قرائه وبين ان مثل هذا جري علي الانبيا
سهوا والسهو انما ينتفي عن الله تعالي وقد قال ابن عباس
ان شيطانا يقال له الابيض كان قد اتي رسول الله صلي الله

علم وسلم

بلغ
عليه وسلم في صورة جبريل عليه السلام والقي في قراة
النبي تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن ترتجى وهذا
التاويل وان كان اشبه مما قبله فالتاويل الاول عليه
المعول فلا يعدل عنه الى غيره لاختيار العلما المحققين
اياه وضعف الحديث مغن عن كل تاويل والحمد لله ومما
يدل على ضعفه ايضا وتوهينه الذي رووه لان الله
تعالى ذكر انهم كادوا ليفتنونك الايتين فانهما يردان الخبر
الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى
يفتري وانه لولا ان ثبته لكاد يركن اليهم فمضمون
هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفتري وثبته
حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في
اخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء
بمدح الهتهم وانه قال عليه السلام افتريت على الله
وقلت مالم يقل وهذا ضد مفهوم الاية وهي تضعف
الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله
تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طايفة منهم
ان يضلوك ومايضلون الا انفسهم ومايضرونك
من شي قال القشيري ولقد طالبته قريش وثقيف
اذ مر بالهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه بالايمان

بيانه
ومايضرونك

به ان فعل ذلك كما فعل ولا كان ليفعل قال ابن الانباري
ما قارب الرسول ولا ركن وقال الزجاج اي كادوا
دخلت ان واللام للتاكيد وقد قيل ان معنى تمنى حدث
لا تلي وروى عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في
قوله عز وجل الا اذا تمنى قال الا اذا حدث القى الشيطان
في امنيته قال في حديثه فينسخ الله ما يلقي الشيطان
قال فيبطل الله ما يلقي الشيطان قال النحاس وهذا احسن
ما قيل في الاية واعلاه واجله وقد قال احمد بن محمد بن
حنبل بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن ابي
طلحة لو رحل رجل فيها الى مصر قاصدا ما كان كثيرا
والمعنى عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حدث
نفسه القى الشيطان في حديثه على جهة الحيلة فيقول
لو سالت الله عز وجل ان يغنمك ليتسع المسلمون ويعلم
الله عز وجل ان الصلاح في غير ذلك فيبطل ما يلقي الشيطان
كما قال ابن عباس وحكى الكسائي والفرا جميعا تمنى اذا
حدث نفسه وهذا هو المعروف في اللغة وحكيا ايضا
تمنى اذا تلا روي عن ابن عباس ايضا وقاله مجاهد
والضحاك وغيرهما وقال الحسن بن مهدي ليس هذا التمني
من القران والوحي في شي وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم

ابو محمد

اذا

اذا صفرت يداه من المال ورأى ما باصحابه من سوء
الحال تمنى الدنيا بقلبه ووسوسة الشيطان وذكر
عن ابن عباس ان المعنى اذا حدث القى الشيطان في حديثه
وهو اختيار الطبري قلت قوله ليجعل ما يلقي الشيطان
فتنة الآية يرد حديث النفس وقد قال ابن عطية
لا خلاف ان القاء الشيطان انما هو لالفاظ مسموعة
بها وقعت الفتنة والله اعلم قال النحاس ولو صح الحديث
واتصل اسناده لكان المعنى فيه صحيحا ويكون معنى سها
اسقط ويكون تقديره افرايتم اللات والعزى وتم الكلام
ثم اسقط والغرانيق العلى يعني الملائكة فان شفاعتهم
يعود الضمير على الملائكة واما من روى فانهن الغرانيق
العلى ففي روايته اجوبة منها ان يكون القول محذوفا
كما تستعمل العرب في اشيا كثيرة ويجوز ان يكون بغير
حذف ويكون توبيخا لان قبله افرايتم ويكون هذا احتجاجا
عليهم فان كان في الصلاة فقد كان الكلام مباحا في
الصلاة وقد روي في هذه القصة انه كان مما يقرا افرايتم
اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى والغرانقة
العلى وان شفاعتهن لترتجى روى معناه عن مجاهد
وقال الحسن اراد بالغرانيق العلى الملائكة وبهذا فسر الكلبي

الغرانيق انها الملايكه وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان
والملايكه بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السوره
بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم
ورجا الشفاعة من الملايكه صحيح فلما تاوله المشركون
على ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبّس عليهم الشيطان بذلك
فنسخ الله ما القى الشيطان واحكم اياته ورجع تلاوة تلك
اللفظتين اللتين وجد الشيطان بها سبيلا للتلبيس
كما نسخ كثير من القران ورفعت تلاوته قال القشيري
وهذا وهذا غير سديد لقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان
اي يبطله وشفاعة الملايكه غير باطله والله عليم
عليم بما اوحى الى نبيه حكيم في خلقه قوله تعالى ليجعل
ما يلقي الشيطان فتنة اي ضلالة للذين في قلوبهم مرض
اي شرك ونفاق والقاسيه قلوبهم فلا تلين لامر الله
قال الثعلبي وفي الايه دليل على ان الانبيا يجوز عليهم
السهو والنسيان والغلط بوسواس الشيطان
او عند شغل القلب حتى يغلط ثم ينبه ويرجع الى
الصحيح وهو معنى قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان
ثم يحكم الله اياته ولكن انما يكون الغلط على حسب ما
يغلط احدنا فاما ما يضاف اليه من قولهم تلك الغرانيق

العلي

العلي فكذبت على النبي صلى الله عليه وسلم لان فيه تعظيم
الاصنام ولا يجوز ذلك على الانبيا كما لا يجوز ان يقرا
بعض القران ثم ينشد شعرا ويقول غلطت وظننته
قرانا وان الظالمين لفي شقاق بعيد اي الكافرين لفي خلاف
وعصيان ومشاقة لله ولرسوله وقد تقدم في البقرة
قوله تعالى وليعلم الذين اوتوا العلم اي من المومنين
وقيل اهل الكتاب انه اي ان الذي احكم من ايات القران
هو الحق من ربك فيومنوا به فتخبت له قلوبهم اي تخشع
وتسكن وقيل تخلص وان الله لهادي الذين امنوا اقرا
ابو حيوة وان الله لهادٍ الذين امنوا بالتنوين الى صراط
مستقيم اي يثبتهم على الهداية قوله تعالى ولا
يزال الذين كفروا في مرية منه يعني في شك من
القران قاله ابن جريج وغيره من الدين وهو الصراط
المستقيم وقيل مما القى الشيطان على لسان محمد صلى الله
عليه وسلم ويقولون ما باله ذكر الاصنام بخير ثم
ارتد عنها وقرا ابو عبد الرحمن السلمي في مرية بضم الميم
والكسر اعرف ذكره النحاس حتى تاتيهم الساعة
اي القيامة بغتة اي فجاة او ياتيهم عذاب يوم عقيم
قال الضحاك عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة

النحاس سمي يوم القيامة عقيماً لانه ليس يعقب بعده
يوماً مثله وهو معنى قول الضحاك والعقيم في اللغة عبارة
عن من لا يكون له ولد ولما كان الولد يكون بين الابوين وكانت
الايام تتوالى قبل وبعد جعل الاتباع فيها بالبعدية كهيئة
الولادة ولما لم يكن بعد ذلك اليوم يوم وصف بالعقيم
وقال ابن عباس ومجاهد وقتاده المراد عذاب يوم بدر
ومعنى عقيم لا مثل له في عظمه لان الملائكة قاتلت فيه
ابن جريج لانهم لم ينظروا فيه الى الليل بل قتلوا قبل المسا
فصار يوماً لا ليلة له وكذلك يكون معنى قول الضحاك
انه يوم القيامة لانه لا ليلة له وقيل لانه لم يكن فيه
رافة ولا رحمة وكان عقيماً من كل خير ومنه قوله تعالى
فارسلنا عليهم الريح العقيم اي التي لا خير فيها ولا تاتي
بمطر ولا رحمة قوله تعالى الملك يومئذ لله يحكم بينهم
يعني يوم القيامة هو لله وحده لا منازع له فيه ولا
مدفع والملك هو اتساع المقدور لمن له تدبير الامور ثم
بين حكمه فقال فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات
النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب
مهين قلت وقد يحتمل ان تكون الاشارة بيومئذ ليوم
بدر وقد حكم فيه باهلاك الكافر وسعادة المومن
وقد

وقد قال عليه السلام لعمر وما يدريك لعل الله اطلع على
اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم قوله تعالى
والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا الاية افرد
ذكر المهاجرين الذين ماتوا وقتلوا تفضيلا لهم وتشريفا
على ساير الموتى وسبب نزول هذه الاية انه لما مات بالمدينة
عثمان بن مظعون وابو سلمة بن عبد الاسد قال بعض الناس
من قتل في سبيل الله افضل ممن مات حتف انفه فنزلت
هذه الاية مسوية بينهم وان الله يرزق جميعهم رزقا
حسنا وظاهر الشريعة تدل ان المقتول افضل وقد
قال بعض اهل العلم ان المقتول في سبيل الله والميت في سبيل
الله شهيد ولكن للمقتول مزية ما اصابه في ذات الله وقال
بعضهم هما سوا واحتج بالاية وبقوله تعالى ومن يخرج
من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد
وقع اجره على الله وبحديث ام حرام فانها صرعت عن دابتها
فماتت ولم تقتل وقال لها النبي صلى الله عليه وسلم انت من
الاولين وبقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله
بن عتيك من خرج من بيته مجاهدا في سبيل الله فخر
عن دابته فمات او لدغته حية فمات او مات حتف انفه
فقد وقع اجره على الله ومن مات قعصا فقد استوجب المآب

وذكر ابن المبارك عن فضالة بن عبيد في حديث ذكر فيه رجلين
احدهما اصيب في غزاة بمنجنيق والاخر مات هناك فجلس
فضالة عند الميت فقيل له تركت الشهيد ولم تجلس عنده
فقال ما ابالي من اي حفرتيهما بعثت ثم تلا قوله تعالى
والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا الاية كلها
وقال سليمان بن عامر كان فضالة برودس اميرا على الارباع
فخرج بجنازة رجلين احدهما قتيل والاخر متوفي فرأى ميل
الناس مع جنازة القتيل الى حفرته فقال ارالكم ايها الناس
تميلون مع القتيل فوالذي نفسي بيده ما ابالي من اي حفرتيهما
بعثت اقروا قوله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا
او ماتوا هكذا ذكره الثعلبي في تفسيره وهو معنى ما ذكره
ابن المبارك واحتج من قال ان للمقتول زيادة فضل بما
ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل اي
الجهاد افضل قال من اهريق دمه وعقر جواده واذا
كان من اهريق دمه وعقر جواده افضل الشهدا علم انه
من لم يكن بتلك الصفة مفضول قرا ابن عامر واهل الشام
قتلوا بالتشديد على التكثير الباقون بالتخفيف ليدخلنهم
مدخلا يرضونه اي الجنان قراة اهل المدينة مدخلا
بفتح الميم اي دخولا وضمها الباقون وقد مضى في سبحان
وان الله

وان الله عليم حليم قال ابن عباس عليم بنياتهم حليم عن عقابهم

قوله تعالى ذلك ومن عاقب ذلك في موضع رفع اي ذلك الامر الذي قصصنا عليك قال مقاتل نزلت في قوم من مشركي مكة لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا ان اصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون ان لا يقاتلوهم في الشهر الحرام فابى المشركون الا القتال فحملوا عليهم فثبت المسلمون ونصرهم الله على المشركين وحصل في انفس المومنين من القتال في الشهر الحرام شيء فنزلت هذه وقيل نزلت في قوم من المشركين مثلوا بقوم من المسلمين قتلوهم يوم احد فعاقبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله فمعنى من عاقب بمثل ما عوقب به اي من جازى الظالم بمثل ما ظلمه فسمي جزا العقوبة عقوبة لاستوا الفعلين في الصورة فهو مثل وجزا سيئة سيئة مثلها ومثل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقد تقدم ثم بغي عليه اي بالكلام والازعاج من وطنه وذلك ان المشركين كذبوا نبيهم واذوا من امن به واخرجوه واخرجوهم من مكة وظاهروا على اخراجهم لينصرنه الله اي لينصرن

الله محمدا عليه السلام واصحابه فان الكفار بغوا عليهم
إن الله لعفو غفور اي عفا عن المومنين ذنوبهم وقتالهم
في الشهر الحرام وستر قوله تعالى ذلك بان الله يولج الليل
في النهار اي ذلك الذي قصصت عليك من نصر المظلوم
هو باني انا الذى اولج الليل في النهار فلا يقدر احد على
ما اقدر عليه اي من قدر على هذا قدر على ان ينصر عبده
وقد مضي في آل عمران ويولج النهار في الليل وان الله
سميع بصير يسمع الاقوال ويبصر الافعال فلا يعزب
عنه مثقال ذرة ولا دبيب نملة الا يعلمها ويسمعها
ويبصرها قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق ودينه الحق
وعبادته حق والمومنون يستحقون منه النصر بحكم
وعده الحق وان ما تدعون من دونه هو الباطل اي
الاصنام التي لا استحقاق لها في العبادة وقرأ نافع
وابن كثير وابن عامر وابو بكر وانما تدعون بالتاء على
الخطاب واختاره ابو حاتم الباقون بالياء على الخبر
هنا وفي لقمان واختاره ابو عبيد وان الله هو العلي اي
العالي على كل شي بقدرته والعالي عن الاشباه
والانداد المتقدس عما يقول الظالمون من الصفات
التي لا تليق بجلاله الكبير اي الموصوف بالعظمة والجلال
وكبر الشان

ملح

وكبر الشان وقيل الكبير ذو الكبريا والكبريا عبارة عن كمال الذات
اي له الوجود المطلق ابدا وازلا فهو الاول القديم والاخر الباقي
بعد فناء خلقه **قوله تعالى** الم تر ان الله انزل من السماء ما فتصبح
الارض مخضره دليل على كمال قدرته اي من قدر على هذا قدر على اعادة
الحياة بعد الموت كما قال فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت ومثله
كثير فتصبح ليس بجواب فيكون منصوبا وانما هو خبر عند الخليل
المعنى انتبه انزل الله من السماء ما فكان كذا وكذا كما قال
الم تسل الربع العوا فينطق وهل تخبرنك اليوم بيدا سملق
معناه قد سالته فنطق وقال الفرا الم تر خبر كما تقول في الكلام
اعلم ان الله جل وعز ينزل من السماء ما فتصبح الارض مخضره اي
ذات خضرة كما تقول مبقله ومسبعة اي ذات بقل وسباع وهو
عبارة عن استعجالها اثر نزول الما بالنبات واستمرارها كذلك
عادة قال ابن عطية وروي عن عكرمة انه قال هذا لا يكون الا
بمكه وتهامه ومعنى هذا انه اخذ قوله فتصبح مقصودا به
صباح ليله المطر وذهب الى ان ذلك الاخضرار يتاخر في
سائر البلاد وقد شاهدت هذا بسوس الاقصى نزل المطر
ليلا بعد قحط اصبحت تلك الارض الرملة التي تسفيها الرياح
قد اخضرت بنبات ضعيف رقيق ان الله لطيف خبير قال ابن
عباس خبير بما ينطوي عليه العبد من القنوط عند تاخر

[Margin:] ... ان الله ... تقدير ... فلم تصبح ... الاستفهام ... نفي ... اي اثبات ... الم يبق ... للنفي ...

المطر لطيف بارزاق عباده وقيل لطيف باستخراج النبات من
الارض خبير بحاجتهم وفاقتهم قوله تعالى له ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا وكل محتاج الى تدبيره واتقانه
وان الله لهو الغني الحميد فلا يحتاج الى شي وهو المحمود في كل حال
قوله تعالى الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض ذكر نعمة اخرى
فاخبر انه سخر لعباده ما يحتاجون اليه من الدواب والشجر
والانهار والفلك اي وسخر لكم الفلك في حال جريها وقرا عبد الرحمن
الاعرج والفلكُ رفعا على الابتدا وما بعده خبره الباقون
بالنصب نسقا على قوله ما في الارض ويمسك السما ان تقع
على الارض اي كراهية ان تقع وقال الكوفيون لئلا تقع وامساكه
لها خلق السكون فيها حالا بعد حال الا باذنه اي الا باذن الله
لها بالوقوع فتقع باذنه اي بارادته وتخليته ان الله بالناس
لروف رحيم اي في هذه الاشيا التي سخرها لهم قوله تعالى
وهو الذي احياكم اي بعد ان كنتم نطفا ثم يميتكم عند انقضا
اجالكم ثم يحييكم اي للحساب والثواب والعقاب ان الانسان
لكفور اي يجحود لما ظهر من الايات الداله على قدرته ووحدانيته
قال ابن عباس يريد الاسود بن عبد الاسد وابا جهل بن هشام
والعاص بن هشام وجماعة من المشركين وقيل انما قال ذلك
لان الغالب على الانسان كفر المنعم كما قال وقليل من عبادي الشكور

قوله تعالى

قوله تعالى لكل امة جعلنا منسكا اي شرعا هم ناسكوه اي
عاملون به فلا ينازعنك في الامر احد منهم فيما يشرع لامتك
فقد كانت الشرايع في كل عصر وروت فرقة ان هذه الايه
نزلت بسبب جدال الكفار في امر الذبايح وقولهم للمومنين
تاكلون ما ذبحتم ولا تاكلون ما ذبح الله من الميتة فكان ما
قتل الله احق ان تاكلوه مما قتلتم انتم بسكاكينكم فنزلت الايه
بسبب هذه المنازعه وقد مضى هذا في الانعام والحمد لله
وتقدم في هذه السوره ما للعلما في قوله تعالى منسكا وقوله
هم ناسكوه يعطي ان المنسك المصدر ولو كان الموضع لقال
هم ناسكون فيه وقال الزجاج فلا ينازعنك في الامر اي
فلا يجادلنك ودل على هذا فان جادلوك ويقال قد نازعوه
فكيف قال فلا ينازعنك فالجواب ان المعنى فلا تنازعهم انت
نزلت الايه قبل الامر بالقتال تقول لا يضاربنك فلان فلا
تضاربه انت فيجري هذا في باب المفاعلة ولا يقال لا يضربنك
زيد وانت تريد لا تضرب زيدا وقرا ابو مجلز فلا ينزعنك
في الامر اي لا يستخفنك ولا يغلبنك عن دينك وقراة الجماعة
من المنازعة ولفظ النهي في القرآنين للكفار والمراد النبي صلى
الله عليه وسلم وادع الى ربك اي الى توحيده ودينه والايمان
به انك لعلى هدى اي دين مستقيم اي قويم لا اعوجاج فيه

وقف

قوله تعالى وان جادلوك اي خاصموك يا محمد يريد مشركي مكة فقل الله اعلم بما تعملون يريد من تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس وقال مقاتل هذه الاية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا وهو في السما السابعه لما راى من ايات ربه الكبرى فاوحى اليه اليه وان جادلوك بالباطل فادفعهم بقولك الله اعلم بما تعملون من الكفر والتكذيب فامره الله بالاعراض عن مماراتهم صيانة له عن الاشتغال بتعنتهم ولا جواب لصاحب العناد الله يحكم بينكم يوم القيامة يريد بين النبي وقومه فيما كنتم فيه تختلفون يريد في خلافكم اياي فتعرفون حينيذ الحق من الباطل مسله في هذه الاية ادب حسن علمه الله عباده في الرد على من جادل تعنتا ومرا ان لا يجاب ولا يناظر ويدفع بهذا القول الذي علمه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان هذه الاية منسوخة بالسيف يعني السكوت عن مخالفة والاكتفا بقوله الله يحكم بينكم قوله تعالى الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض اي واذ قد علمت يا محمد هذا وايقنت واعلم انه يعلم ايضا ما انتم تختلفون فيه فهو يحكم بينكم وقد قيل انه استفهام تقرير للغير ان ذلك في كتاب اي كلما يجري في العالم فهو مكتوب عند الله في ام الكتاب ان ذلك على الله يسير اي ان الفصل بين المختلفين على

على الله يسير وقيل المعنى ان كتاب القلم الذي امره ان يكتب
ما هو كاين الى يوم القيامة على الله يسير قوله تعالى
ويعبدون يريد كفار قريش من دون الله ما لم ينزل به
سلطانا اي حجة وبرهانا وقد تقدم في ال عمران وما ليس
لهم به علم وما للظالمين من نصير قوله تعالى واذا تتلى
عليهم اياتنا بينات يعني القران تعرف في وجوه الذين كفروا
المنكر اي الغضب والعبوس يكادون يسطون اي يبطشون
والسطوة شدة البطش يقال سطا به يسطو اذا بطش
به كان ذلك بضرب او بشتم وسطا عليه بالذين يتلون عليهم
اياتنا وقال ابن عباس يسطون يبسطون اليهم ايديهم محمد بن
كعب اي يقعون بهم الضحاك اي ياخذونهم اخذا باليد والمعنى
واحد واصل السطو القهر والله ذو سطوات اي اخذات
شديدة قل افانبئكم بشر من ذلكم النار اي اكره من هذا
القران الذي تسمعونه هو النار فكانهم قالوا ما الذي هو
شر فقيل هو النار فيكون هذا وعيدا لهم على سطوتهم
بالذين يتلون القران ويجوز في النار الرفع والنصب
والخفض فالرفع على هو النار او هي النار والنصب بمعنى
اعني او على اضمار فعل مثل الثاني او يكون محمولا على المعنى
اي اعرفكم بشر من ذلكم النار والخفض على البدل وعدها

الله الذين كفروا في القيامة وبئس المصير اي المرجع الذي يصيرون
اليه وهو النار قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا
له هذا متصل بقوله ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به
سلطانا وانما قال ضرب مثل لان حجج الله تعالى عليهم بضرب
الامثال لهم اقرب الى افهامهم فان قيل فاين المثل المضروب ففيه
وجهان الاول قال الاخفش ليس ثم مثل وانما المعنى ضربوا
لي مثلا فاستمعوا قولهم يعني ان الكفار جعلوا لله مثلا
بعبادتهم غيره فكانه قال جعلوا لله شبيها في عبادتي
فاستمعوا خبر هذا التشبيه الثاني قول القتبي وان المعنى
يا ايها الناس مثل من عبد الهة لم تستطع ان تخلق ذبابا وان
سلبها الذباب شيئا لم تستطع ان تستنقذه منه وقال
النحاس المعنى ضرب الله عز وجل ما يعبد من دونه مثلا
قال وهذا من احسن ما قيل فيه اي بين الله لكم شبها ولمعبودكم
ان الذين تدعون من دون الله قراة العامة تدعون بالتاء
وقرا السلمي وابو العالية ويعقوب يدعون بالياء على الخبر
والمراد الاوثان الذين عبدوهم من دون الله وكانت حول
الكعبة وهي ثلثماية وستون صنما وقيل السادة الذين
صرفوهم عن طاعة الله تعالى وقيل الشياطين الذين حملوهم
على معصية الله والاول اصوب لن يخلقوا ذبابا اسم
واحد

واحد للذكر والانثى والجمع القليل اذبة والكثير ذبان
على مثل غراب واغربة وغربان وسمي به لكثرة حركته
الجوهري والذباب معروف الواحدة ذبابة ولا تقل ذبانة
والمذبة ما يذب به الذباب وذباب اسنان الابل حدها
وذباب السيف طرفه الذي يضرب به وذباب العين
انسانها والذبابة البقية من الدين وذبب النهار اذا لم
يبق منه الا بقية والتذبذب التحرك والذبذبة نوس
الشي المعلق في الهوى والذبذب الذكر لتردده وفي الحديث
من وقي شر ذبذبه وهذا ما لم يذكره اعني قوله وفي
الحديث وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه
الاستنقاذ والانقاذ التخليص قال ابن عباس كانوا
يطلون اصنامهم بالزعفران فتجف فياتي فيختلسه
وقال السدي كانوا يجعلون للاصنام طعاما فيقع
عليه الذباب فياكله ضعف الطالب والمطلوب قيل
الطالب الالهة والمطلوب الذباب وقيل بالعكس وقيل الطالب عابد
الصنم والمطلوب الصنم فالطالب يطلب الى هذا الصنم بالتقرب
اليه والصنم المطلوب اليه وقد قيل لا يسلبهم الذباب
شيا راجع الى المه قرض ابدانهم حتى يسلبهم الصبر لها
والوقار معها وخص الذباب لاربعة امور تخصه لمهانته

وضعفه ولاستقذاره وكثرته فاذا كان هذا الذي هو اضعف
الحيوان واحقره لا يقدر من عبدوه من دون الله علي خلق
مثله ودفع اذيته فكيف يجوز ان يكونوا الهة معبودين
وارباباً مطاعين وهذا من اقوى حجة واوضح برهان
قوله تعالى ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق
عظمته حيث جعلوا هذه الاصنام شركا له وقد مضى
في الانعام ان الله لقوي عزيز تقدم قوله تعالى الله يصطفي
من الملايكة رسلا ومن الناس ختم السورة بان الله اصطفى
محمداً لتبليغ الرسالة اي ليس بعثة محمد امراً بديعا وقيل
ان الوليد بن المغيره قال أأنزل عليه الذكر من بيننا فنزلت
الاية واخبر ان الاختيار اليه سبحانه ان الله سميع
لاقوال عباده بصير بمن يختاره من خلقه لرسالته يعلم
ما بين ايديهم يريد ما قدموا وما خلفهم يريد ما خلفوا
مثل قوله في يس انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا يريد
بين ايديهم وآثارهم يريد ما خلفوا والى الله ترجع الامور
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا تقدم
في اول السورة انها فضلت بسجدتين وهذه السجدة
الثانية لم يرها مالك وابو حنيفة من العزايم لانه قرن
الركوع بالسجود وان المراد بها الصلاة المفروضة وخص
الركوع

الركوع والسجود تشريفا للصلاة وقد مضى القول في الركوع
والسجود مبينا في البقرة والحمد لله قوله تعالى واعبدوا
ربكم اي امتثلوا امره وافعلوا الخير ندب فيما عدا الواجبات
التي صح وجوبها من غير هذا الموضع قوله تعالى وجاهدوا
في الله حق جهاده قيل عني به جهاد الكفار وقيل هو اشارة الى
امتثال جميع ما امر الله به والانتهاء عن كل ما نهى عنه اي جاهدوا
انفسكم في طاعة الله وردها عن الهوى وجاهدوا الشيطان
في رد وسوسته والظلمة في رد ظلمهم والكافر على كفرهم
قال ابن عطية وقال مقاتل هذه الاية منسوخة بقوله فاتقوا
الله ما استطعتم وكذا قال هبة الله ان قوله حق جهاده
وقوله في الاية الاخرى حق تقاته منسوخ بالتخفيف الى
الاستطاعة في هذه الاوامر ولا حاجة الى تقدير النسخ
فان هذا هو المراد من اول الحكم لان حق جهاده ما ارتفع عنه
الحرج وقد روى سعيد بن المسيب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير دينكم ايسره وقال ابو جعفر النحاس وهذا
مما لا يجوز ان يقع فيه نسخ لانه واجب على الانسان
كما روى حيوة بن شريح يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم
قال المجاهد من جاهد نفسه لله عز وجل وكما روى ابو
غالب عن ابي امامة ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم

اي الجهاد افضل عند الجمرة الاولى فلم يجبه ثم ساله عند جمرة
العقبه فقال صلى الله عليه وسلم اين السايل فقال انا ذا فقال
عليه السلام كلمة عدل عند سلطان جابر قوله تعالى
وما جعل عليكم في الدين من حرج فيه ثلاث مسايل الاولى
قوله تعالى من حرج اى من ضيق وقد تقدم في الانعام وهذه
الايه تدخل في كثير من الاحكام وهي مما خص الله بها هذه
الامه روى معمر عن قتادة قال اعطيت هذه الامه ثلثا
لم يعطها الا نبي كان يقال للنبي اذهب فلا حرج عليك
وقيل هذه الامه وما جعل عليكم في الدين من حرج والنبي
شهيد على امته وقيل لهذه الامه لتكونوا شهدا على الناس
ويقال للنبي سل تعطه وقيل لهذه الامه ادعوني استجب لكم
الثانيه واختلف العلما في هذا الحرج الذي رفعه الله فقال
عكرمه هو ما احل من النسا مثنى وثلاث ورباع وما ملكت
يمينك وقيل المراد قصر الصلاه والافطار للمسافر وصلاة
الايما لمن لا يقدر على غيره وحط الجهاد عن الاعمى والاعرج
والمريض والعديم الذي لا يجد ما ينفق في غزوه والغريم
ومن له والدان وحط الاصر الذي كان على بني اسرايل
وقد مضى تفصيل اكثر هذه الاشيا وروي عن ابن عباس
والحسن البصري ان هذا في تقديم الاهله وتاخيرها في
الفطر

الفطر والاضحا والصوم فاذا اخطات الجماعه هلال ذي الحجه
فوقفوا قبل عرفه بيوم او وقفوا يوم النحر اجزاهم على
خلاف فيه بيناه في كتاب المقتبس في شرح موطا مالك بن
انس وما ذكرناه هو الصحيح في الباب وكذلك الفطر والاضحي
لما رواه حماد بن زيد عن ايوب عن محمد بن المنكدر عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فطركم يوم
تفطرون واضحاكم يوم تضحون خرجه ابو داود والدارقطني
ولفظه ما ذكرناه والمعنى باجتهادكم من غير حرج يلحقكم وقد
روي الايمة انه عليه السلام سيل يوم النحر عن اشيا فما
سيل عن امر مما ينسى المرء او يجهل من تقديم الامور بعضها
قبل بعض واشباهها الا قال فيها افعل ولا حرج الثالثه
قال العلما رفع الحرج انما هو لمن استقام على منهاج الشرع
واما السلابة والسراق واصحاب الحدود فعليهم الحرج وهم
جاعلوه على انفسهم بمفارقتهم الدين وليس في الشرع اعظم
حرجا من الزام ثبوت رجل الاثنين في سبيل الله ومع صحة
اليقين وجودة العزام ليس بحرج قوله تعالى ملة ابيكم
قال الزجاج المعنى اتبعوا ملة ابيكم الفرا انتصب على تقدير
حذف الكاف كانه قال كملة وقيل المعنى وافعلوا الخير فعل
ابيكم فاقام الفعل مقام الملة وابراهيم هو ابو العرب قاطبة

وقيل الخطاب لجميع المسلمين وان لم يكن الكل من ولده لان حرمة
ابراهيم على المسلمين كحرمة الوالد على الولد هو سماكم
المسلمين من قبل قال ابن زيد والحسن هو راجع الى ابراهيم
والمعنى هو سماكم المسلمين من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا
اي في حكمه ان من اتبع محمدا فهو مسلم قال ابن زيد وهو معنى
قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك
قال النحاس وهذا القول مخالف لقول علما الاية روى علي بن
ابي طلحة عن ابن عباس قال سماكم الله عز وجل المسلمين من قبل
اي في الكتب المتقدمة وفي هذا القران قاله مجاهد وغيره
ليكون الرسول شهيدا عليكم اي بتبليغه اياكم وتكونوا شهدا
على الناس ان رسلهم قد بلغتهم كما تقدم في البقرة فاقيموا الصلاة
واتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير تقدم
مستوفى والحمد لله سورة المومنين مكية كلها
في قول الجميع بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قد افلح
المؤمنون الى قوله خالدون فيه تسع مسايل الاولى قوله تعالى
قد افلح المومنون روى البيهقي من حديث انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال لما خلق الله جنة عدن وغرس اشجارها بيده قال
لها تكلمي فقالت قد افلح المومنون وروى النساي عن عبد الله
بن السايب قال حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الفتح

الفتح يصلي في قبل الكعبة فخلع نعليه فوضعهما عن يساره
فافتتح سورة المومنين فلما جاء ذكر موسى او عيسى عليهما السلام
اخذته سعلة فركع خرجه مسلم بمعناه وفي الترمذي
عن عمر بن الخطاب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انزل
عليه الوحي سمع عند وجهه كدوي النحل وانزل عليه يوما
فمكثنا ساعة فسري عنه فاستقبل القبلة فرفع يديه وقال
اللهم زدنا ولا تنقصنا وارضنا وارض عنا ثم قال انزل علي
عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المومنون حتى ختم
عشر ايات صححه ابن العربي وقال النحاس معنى من اقامهن من
قام عليهن ولم يخالف ما فيهن كما تقول فلان يقوم بعمله ثم نزل
بعد هذه الايات فرض الوضو والحج فدخل معهن وقرا طلحه
بن مصرف قد أفلح المومنون بضم الالف على الفعل المجهول
اي ابقوا في الثواب والخير وقد مضى في اول البقره معنى الفلاح
لغة ومعنى والحمد لله الثانية قوله تعالى خاشعون روى
المعتمر عن خالد عن محمد بن سيرين قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
ينظر الى السما في الصلاه فانزل الله عز وجل هذه الاية الذين
هم في صلاتهم خاشعون فاقبلوا على صلاتهم ونظروا امامهم
وقد تقدم ما للعلما في حكم المصلي الى حيث ينظر في البقره ايضا
عند قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وتقدم ايضا معنى

الخشوع لغة ومعنى في البقرة ايضا عند قوله تعالى وانها لكبيرة الا
على الخاشعين والخشوع محله القلب فاذا خشع خشعت الجوارح
لخشوعه اذ هو ملكها حسب ما بيناه اول البقرة وكان الرجل
من العلماء اذا قام الى الصلاة وقام اليها يهاب الرحمن ان يمد بصره
الى شيء وان يحدث نفسه بشيء من الدنيا وقال عطاء هو ان لا يعبث
بشيء من جسده في الصلاة وابصر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا
يعبث في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه
وقال ابو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم الى
الصلاة فان الرحمة تواجهه فلا يحرك الحصا رواه الترمذي
وقال الشاعر الا في الصلاة الحمد والفضل اجمع لان بها الآراب لله تخضع
واول فرض من شريعة ديننا واخر ما يبقى اذا الدين يرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة وكان كعبد باب مولاه يقرع
وصار لرب العرش حين صلاته نجيا فيا طوباه لو كان يخشع
وروى ابو عمران الجوني قال قيل لعايشة ما كان خلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت اتقرؤن سورة المؤمنين قيل نعم
قالت اقرؤا فقرئ عليها قد افلح المؤمنون حتى بلغ لحافظون
وروى النسائي عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يلحظ في صلاته يمينا وشمالا ولا يلوي عنقه خلف ظهره
وقال كعب بن مالك في حديثه الطويل ثم اصلي قريبا منه

يعني

مطلب

يعني من النبي صلى الله عليه وسلم واسارقه بالنظر فاذا اقبلت
على صلاتي نظر الي واذا التفت نحوه اعرض عني الحديث ولم يامره
باعادة الثالثة اختلف في الخشوع هل هو من فرايض الصلاه الثالث
او فضايلها ومكملاتها على قولين والصحيح الاول ومحله القلب
وهو اول علم يرفع من الناس قاله عباده بن الصامت رواه
الترمذي من حديث جبير بن نفير عن ابي الدردا وقال هذا
حديث حسن غريب وقد خرجه النساي من حديث جبير بن
نفير ايضا عن عوف بن مالك الاشجعي من طريق صحيحه قال
ابو عيسى ومعاويه بن صالح ثقه عند اهل الحديث ولا
نعلم احدا تكلم فيه غير يحيى بن سعيد القطان قلت معاويه
ابن صالح ابو عمرو ويقال ابو عمر الحضرمي الحمصي قاضي الاندلس
سيل عنه ابو حاتم الرازي فقال صالح الحديث يكتب حديثه
ولا يحتج به واختلف فيه قول يحيى بن معين ووثقه عبد الرحمن
بن مهدي واحمد بن حنبل وابو زرعة الرازي واحتج به
مسلم في صحيحه وتقدم في البقره معنى اللغو والزكاه فلا
معنى للاعاده وقال الضحاك ان اللغو هنا الشرك وقال الحسن
المعاصي كلها فهذا قول جامع يدخل فيه قول من قال هو
الشرك وقول من قال هو الغنا كما روى مالك بن انس عن محمد
بن المنكدر على ما ياتي في لقمان بيانه ومعنى فاعلون اي موديون
وهي فصيحه وقد جات في كلام العرب قال اميه بن ابي الصلت

المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات

الرابعة قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الاية
قال ابن العربي من غريب القران ان هذه الايات العشر
عامة في الرجال والنسا كسائر الفاظ القران التي هي محتملة لهم
فانها عامة فيهم الا قوله والذين هم لفروجهم حافظون فانما
خاطب بها الرجال خاصة دون الزوجات بدليل قوله
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وانما عرف حفظ المراة فرجها
من ادلة اخر كايات الاحصان عموما وخصوصا وغير
ذلك من الادلة قلت وعلى هذا التاويل في الاية فلا يجل
لامراة ان يطاها من تملكه اجماعا من العلما لانها غير داخلة
في الاية ولكنها لو اعتقته بعد ملكها له جاز له ان يتزوجها
كما يجوز لغيره عند الجمهور وروي عن عبيد الله بن عبد الله
بن عتبة والشعبي والنخعي انها لو اعتقته حين ملكته كانا
على نكاحها قال ابو عمر ولا يقول هذا احد من فقهاء الامصار
لان تملكها عندهم يبطل النكاح بينهما وليس ذلك بطلاق وانما
هو فسخ للنكاح وانه لو اعتقته بعد ملكها له لم يراجعها
الا بنكاح جديد ولو كانت في عدة منه الخامسة
قال محمد بن عبد الحكم سمعت حرملة بن عبد العزيز قال سالت
مالكا عن الرجل يجلد عميرة فتلا هذه الاية والذين هم لفروجهم
حافظون الى قوله العادون وهذا لانهم يكنون عن الذكر

بعميرة

بعميره وفيه يقول الشاعر

اذا حللت بوادٍ لا انيس به فاجلد عميرة لا داءٌ ولا حرجُ

ويسميه اهل العراق الاستمنا وهو استفعال من المني واحمد
بن حنبل على ورعه يجوزه ويحتج بانه اخراج فضله من البدن
فجاز عند الحاجه اصله الفصد والحجامه وعامة العلما
على تحريمه وقال بعض العلما انه كالفاعل بنفسه وهي معصية
احدثها الشيطان واجراها بين الناس حتى صارت مسئلة
ويا ليتها لم تقل ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو
المروة يعرض عنها لدناتها فان قيل انها خير من نكاح الامة
قلنا نكاح الامة ولو كانت كافرة على مذهب بعض اهل العلم
خير من هذا وان كان قد قال به قايل ايضا ولكن الاستمنا ضعيف
في الدليل عار بالرجل الدني فكيف بالرجل الكبير السادسه
قوله تعالى الا على ازواجهم قال الفرا اي من ازواجهم
اللاتي احل الله لهم لا يجاوزونه وما ملكت ايمانهم في موضع
خفض معطوفة على ازواجهم وما مصدرية وهذا يقتضي
تحريم الزنا وما قلناه من الاستمنا ونكاح المتعه لان المتمتع
بها لا تجري مجرى الزوجات لا ترث ولا يورث ولا يلحق به
ولدها ولا تخرج من نكاحها بطلاق يستانف لها وانما
تخرج بانقضا المده التي عقدت عليها وصارت كالمستاجره

ابن العربي ان قلنا ان نكاح المتعه جايز فهي زوجه الي اجل ينطلق
عليها اسم الزوجيه وان قلنا بالحق الذي اجمعت عليه الامه من
تحريم نكاح المتعه لما كانت زوجه فلم تدخل في الاية قلت
وفايدة هذا الخلاف هل يجب الحد ولا يلحق الولد كالزنا الصريح
او يدفع الحد للشبهه ويلحق الولد قولان لاصحابنا وقد كان
للمتعه في التحليل والتحريم احوال فمن ذلك انها كانت مباحه
ثم حرمها رسول الله صلي الله عليه وسلم زمن خيبر ثم حللها
في غزاة الفتح ثم حرمها بعد قاله ابن خواز منداذ من اصحابنا
وغيره واليه اشار ابن العربي وقد مضي في النسا القول فيها
مستوفي والحمد السابعه قوله تعالي فمن ابتغي وراء ذلك
فاوليك هم العادون فسمي من نكح ما لا يحل عاديا واوجب عليه
الحد بعد وانه واللايط عاد قرانا ولغة بدليل قوله بل انتم
قوم عادون كما تقدم في الاعراف فوجب ان يقام الحد عليهم
وهذا ظاهر لا غبار عليه قلت فيه نظر ما لم يكن جاهلا او متاولا
وان كان الاجماع منعقدا علي ان قوله تعالي والذين هم لفروجهم
حافظون الا علي ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
خص به الرجال دون النسا فقد روي معمر عن قتاده قال
تسررت امراة غلامها فذكر ذلك لعمر فسالها ما حملك علي
ذلك قالت كنت اراه يحل لي بملك يميني كما تحل للرجل المراه
بملك

بملك اليمين فاستشار عمر في رجمها اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا تاولت كتاب الله على غير تاويله لا رجم عليها
فقال عمر لاجرم والله لا احلك الحر بعده ابدا عاقبها بذلك
ودرا الحد عنها وامر العبد ان لا يقربها وعن ابي بكر بن عبد الله
انه سمع اباه يقول انا حضرت عمر بن عبد العزيز جاته امراة
بغلام لها وضي فقالت اني استسررته فمنعني بنو عمي عن
ذلك وانما انا بمنزلة الرجل يكون له الوليدة فيطاها فانه
عني بني عمي فقال عمر اتزوجت قبله قالت نعم قال اما والله
لولا منزلتك من الجهالة لرجمتك بالحجارة ولكن اذهبوا به فبيعوه
الى من يخرج به الى غير بلدها ووراء بمعنى سوا وهو مفعول
بابتغى اي من طلب سوى الازواج والولايد المملوكة له وقال
الزجاج اي فمن ابتغى ما بعد ذلك فمفعول الابتغا محذوف
ووراء ظرف وذلك يشار به الى كل مذكور مونثا كان او
مذكرا فاولئك هم العادون اي المجاوزون الحد من عدا
اي جاوز الحد وجاوزه الثامنة قوله تعالى والذين هم
لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون
قرا الجمهور لاماناتهم بالجمع وابن كثير بالافراد والامانة
والعهد يجمع كل ما يحمله الانسان من امر دينه ودنياه
قولا وفعلا وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيد وغير ذلك

وغاية ذلك حفظه والقيام به والامانه اعم من العهد وكل عهد فهو
امانه فيما تقدم فيه قول او فعل او معتقد التاسعه قرا الجمهور
صلواتهم وحمزه والكساي صلاتهم بالافراد وهذا الافراد اسم
جنس فهو في معني الجمع والمحافظه علي الصلاه اقامتها والمبادره
بها اوايل اوقاتها واتمام ركوعها وسجودها وقد تقدم في البقره
مستوفي ثم قال اوليك هم الوارثون اي من عمل بما ذكر في هذه
الايات فهم الوارثون اي يرثون منازل اهل النار من الجنه
وفي الخبر عن ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم ان الله تعالي
جعل لكل انسان مسكنا في الجنة ومسكنا في النار فاما المومنون
فياخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار ويجعل الكفار في
منازلهم في النار خرجه ابن ماجة بمعناه عن ابي هريرة
ايضا قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما منكم من احد
الا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فاذا مات فدخل
النار ورث اهل الجنه منزله فذلك قوله تعالي اوليك هم الوارثون
اسناده صحيح ويحتمل ان يسمي الحصول علي الجنة وراثة
من حيث حصلوها دون غيرهم فهو اسم مستعار على
الوجهين والفردوس ربوه في الجنة واوسطها وافضلها
خرجه الترمذي من [illegible]يث الربيع بنت النضر ام
حارثه وقال حديث حسن صحيح وفي حديث مسلم فاذا سالتم الله
فاسلوه الفردوس

تترا بالتنوين على انه مصدر ادخل فيه التنوين على فتح الرا لقولك
حمدا وشكرا فالوقف على هذا الالف المعوضة من التنوين ويجوز ان على
يكون ملحقا بجعفر فيكون مثل ارطى وعلقى كما قال يسبتر في علقى
وفي مكون فاذا وقف على هذا الوجه جازت الامالة على ان ينوي
الوقف على الالف الملحقه وقرأ ورش بين اللفظين مثل سكرى
وغضبى وهو اسم جمع مثل شتى واسرى واصله وترا
من المواترة والتواتر فقلبت الواو تا مثل التقوى والتكلان
والتجاه ونحوها وقيل هو من الوتر وهو الفرد فالمعنى ارسلناهم
فردا فردا النحاس وعلى هذا يجوز تترا بكسر التا الاولى
وموضعها نصب على المصدر لان المعنى ثم ارسلنا واترنا ويجوز
ان يكون في موضع الحال اى متواترين ومعنى فاتبعنا بعضهم
بعضا اي بالهلاك وجعلناهم احاديث جمع احدوثه وهي ما يتحدث
به كاعاجيب جمع اعجوبه وهي ما يتعجب منه قال الاخفش
انما يقال هذا في الشر جعلناهم احاديث ولا يقال في
الخير كما يقال صار فلان حديثا اي عبرة ومثلا كما قال
في اية اخري فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق قلت وقد
يقال فلان حديث حسن اذا كان مقيدا بذكر ذلك ومنه قول ابن دريد
وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى قوله
تعالى ثم ارسلنا موسى واخاه الى آخر الآية تقدم ومعنى

عالين متكبرين قاهرين لغيرهم بالظلم كما قال تعالى ان فرعون علا
في الارض فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا الاية تقدم ايضا ومعنى
من المهلكين اي بالغرق في البحر قوله تعالى ولقد اتينا موسى
الكتاب يعني التوراه وخص موسى بالذكر لان التوراه نزلت
عليه في الطور وهارون خليفه في قومه ولو قال اتيناهما
جاز كما قال ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان قوله تعالى
وجعلنا ابن مريم وامه اية تقدم في الانبيا القول فيه واويناهما
الى ربوة ذات قرار ومعين الربوه المكان المرتفع وقد تقدم
في البقرة والمراد بها هنا في قول ابي هريرة فلسطين وعنه
ايضا الرملة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن
عباس وابن المسيب وابن سلام دمشق وقال كعب
وقتادة بيت المقدس قال كعب وهي اقرب الارض الى السماء
بثمانية عشر ميلا قال

مطلب البيت المقدس اقرب الارض الى السماء

قلت هيدا تحت رمس بربوة يعاد دني زنخ جنوب وشمال
وقال ابن زيد مصر وروى سالم الافطس عن سعيد بن جبير
واويناهما الى ربوة قال النشز من الارض ذات قرار اي
مستوية يستقر عليها وقيل ذات ثمار ولاجل الثمار
يستقر فيها الساكنون ومعين ما جار ظاهر للعيون
يقال معين ومعن كما يقال رغيف ورغف قاله علي بن
سليمان

سليمان وقال الزجاج هو الماء الجاري في العيون فالميم على هذا
زايدة كزيادتها في مبيع وكذلك الميم زايدة في قول من قال انه الماء الذي
يرى بالعين وقيل انه فعيل بمعنى مفعول قال علي بن سليمان يقال
معن الماء اذا جرى فهو معين وممعون ابن الاعرابي معن الماء
يمعن معونا اذا جرى وسهل وامعن ايضا وامعنته ومياه
معنان قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا
فيه ثلاث مسايل الاولى روي في الصحيح عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس ان الله طيب لا يقبل
الا طيبا وان الله [illegible] امر المومنين بما امر به المرسلين
فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون
عليم وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء
يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام
وغذي بالحرام فاني يستجاب لذلك الثانية قال بعض العلما
الخطاب في هذه الاية للنبي صلى الله عليه وسلم وانه اقامه مقام
الرسل كما قال الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود وقال
الزجاج هذه مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم ودل الجمع
على ان الرسل كلهم لذا امروا اي كلوا من الحلال وقال الطبري
الخطاب لعيسى روي انه كان ياكل من غزل امه والمشهور عنه

انه كان ياكل من بقل البرية ووجه خطابه لعيسى ما ذكرناه من
تقربره لمحمد صلى الله عليه وسلم تشريفا له وقيل ان هذه المقاله
خوطب بها كل نبي لان هذه طريقتهم التي ينبغي لهم ان يكونوا عليها
فيكون المعنى وقلنا يا ايها الرسل كلوا من الطيبات كما تقول التاجر
يا تجار ينبغي ان تجتنبوا الربا فانت تخاطبه بالمعنى وقد اقترن
بذلك ان هذه المقالة تصلح لجميع صنفه فلم يخاطبوا قط
مجتمعين صلوات الله عليهم اجمعين وانما خوطب كل واحد
في عصره قال الفرا هو كما تقول للرجل الواحد كفوا عنا اذاكم
الثالثه سوى الله تعالى بين النبيين والمومنين في الخطاب
بوجوب اكل الحلال وتجنب الحرام ثم شمل الكل في الوعيد
الذي تضمنه قوله تعالى اني بما تعملون عليم صلى الله على رسله
وانبيايه واذا كان هذا معهم فما ظن كل الناس بانفسهم وقد
مضى القول في الطيبات والرزق في غير موضع والحمد لله
وفي قوله عليه السلام يمد يديه دليل مشروعية مد اليدين
عند الدعا الى السما وقد مضى الخلاف في هذا والكلام فيه والحمد لله
وقوله عليه السلام فاني يستجاب لذلك على جهة الاستبعاد
اي انه ليس اهلا لاجابة دعايه لكن يجوز ان يستجيب الله
له تفضلا ولطفا وكرما قوله تعالى وان هذه امتكم امة
واحده فيه اربع مسايل الاولى قوله وان هذه امتكم امة

واحده

واحدةً المعنى هذا الذي تقدم ذكره وهو دينكم وملتكم
فالزموه والامة هنا الدين وقد تقدم محالّه ومنه قوله
تعالى انا وجدنا آباءنا على امةٍ اي على دين وقال النابغه
حلفت فلم اترك لنفسك ريبةً وهل يأثمن ذو امةٍ وهو طائع
الثانية قرئ وإن هذه بكسر ان على القطع وبفتحها وتشديد
النون قال الخليل هي في موضع نصب لما زال الخافض اي انا
عالم بان هذا دينكم الذي امرتكم ان تؤمنوا به وقال الفرا
ان متعلقة بفعل مضمر تقديره واعلموا ان هذه امتكم
وهي عند سيبويه متعلقة بقوله فاتقون والتقدير فاتقون
لان امتكم واحدة وهذا كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعو
مع الله احدا اي لان المساجد لله فلا تدعوا معه غيره وكقوله
لايلاف قريش اي فليعبدوا رب هذا البيت لايلاف قريش
الثالثة هذه الاية تقوي ان قوله تعالى يا ايها الرسل
انما هو مخاطبة لجميعهم وانه بتقدير حضورهم واذا
قدرت يا ايها الرسل مخاطبة لمحمد عليه السلام قلق اتصال
هذه واتصال قوله فتقطعوا أمّا ان قوله وانا ربكم فاتقون
وان كان قيل للانبيا فامهم داخلون فيه بالمعنى فيحسن بعد
ذلك اتصال فتقطعوا اي افترقوا يعني الامم اي جعلوا
دينهم اديانا بعد ما امروا بالاجتماع ثم ذكر تعالى ان

لان كلا منهم معجب برايه وضلالته وهذا غاية الضلال الرابعه
هذه الايه تنظر الي قوله صلي الله عليه وسلم الا ان من قبلكم
من اهل الكتاب افترقوا علي ثنتين وسبعين مله وان هذه الامه
ستفترق علي ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحده
في الجنه وهي الجماعه الحديث خرجه ابو داود ورواه الترمذي
وزاد قال ومن هي يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابي خرجه من
حديث عبد الله بن عمرو وهذا يبين ان الافتراق المحذر منه في الايه
والحديث انما هو في اصول الدين وقواعده لانه قد اطلق عليها
مللا واخبر ان التمسك بشي من تلك الملل موجب لدخول النار
ومثل هذا لا يقال في الفروع فانه لا يوجب تعديد الملل ولا
عذاب النار قال الله تعالي لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
قوله تعالي زبرا يعني كتبا وضعوها وضلالات الفوها
قال ابن زيد وقيل انهم فرقوا الكتب فاتبعت فرقة الصحف
وفرقة التوراه وفرقة الزبور وفرقة الانجيل ثم حرف
الكل وبدل قاله قتاده وقيل اخذ كل فريق منهم كتابا امن
به وكفر بما سواه وزبرا بضم البا قراة نافع جمع زبور والاعمش
وابو عمرو بخلاف عنه زبرا بفتح البا اي قطعا كقطع الحديد
لقوله تعالي اتوني زبر الحديد كل حزب اي فريق ومله
بما لديهم اي عندهم من الدين فرحون اي معجبون به وهذه
الايه

الاية منا لا العر بشر خاطب محمدا عليه السلام في شانهم متصلا
بقوله فذرهم في غمرتهم اي فذر هولاء الذين هم بمنزله من تقدم
ولا يضيق صدرك بتاخر العذاب عنهم فلكل شي وقت والغمرة
في اللغة ما يغمرك ويعلوك واصله الستر ومنه الغِمر الحقد
لانه يغطي القلب والغَمر الما الكثير لانه يغطي الارض وغمر
الردا الذي يشمل الناس بالعطاء قال
غمرُ الرداءِ اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال
والمراد هنا الحيرة والغفلة والضلالة ودخل فلان في غمار
الناس اي في زحمتهم وقوله حتى حين قال مجاهد حتى الموت
فهو تهديد لا توقيف كما يقال سياتي لك يوم قوله تعالى
ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين ما بمعنى الذي اي
ايحسبون يا محمد ان الذي نعطيهم في الدنيا من المال والاولاد
هو ثواب لهم انما هو استدراج واملا ليس اسراعا في
الخيرات وفي خبر ان ثلثة اقوال منها انه محذوف وقال الزجاج
المعني نسارع لهم به في الخيرات وحذفت به وقال هشام
الضرير قولا دقيقا انما هي الخيرات فصار المعنى نسارع
لهم فيه ثم اظهر فقال في الخيرات ولا حذف فيه على هذا
التقدير ومذهب الكسائي ان انما حرف واحد فلا
يحتاج الى تقدير حذف ويجوز الوقف على قوله وبنين ومن

قال

قال انما حروفان فلابد من ضمير يرجع من الخبر الى اسم ان ولم يتم
الوقف على بنين وقال السجستاني لا يحسن الوقف على و بنين
لان يحسبون يحتاج الى مفعولين فتمام المفعولين في الخيرات
قال ابن الانباري وهذا خطا لان ان كافية من اسم ان وخبرها
ولا يجوز ان يوتي بعد ان بمفعول ثاني وقرا ابو عبد الرحمن
السلمي وعبد الرحمن بن ابي بكرة يسارع بالياء على ان يكون فاعله
امدادنا وهذا يجوز على ان يكون على غير حذف اي يسارع لهم
الامداد ويجوز ان يكون فيه حذف ويكون المعنى يسارع الله لهم
وقري يسارع لهم في الخيرات وفيه ثلثة اوجه احدها على حذف
به ويجوز ان يكون يسارع الامداد ويجوز ان يكون لهم اسم
ما لم يسم فاعله ذكره النحاس قال المهدوي وقرا الحر النحوي
يسرع لهم في الخيرات وهو معنى قراة الجماعة قال الثعلبي
والصواب قراة العامة لقوله نمدهم بل لا يشعرون ان ذلك
فتنة لهم واستدراج قوله تعالى ان الذين هم من خشية ربهم
مشفقون لما فرغ ذكر الكفرة وتوعدهم عقب ذلك بذكر
المومنين المسارعين في الخيرات ووعدهم وذكر ذلك بابلغ صفاتهم
ومشفقون خايفون وجلون مما خوفهم الله تعالى والذين هم
بايات ربهم يومنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يوتون
ما اتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن يوتون الاخلاص ويخافون
ان لا

ان لا يقبل منهم وروى الترمذي عن عايشة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه
الاية والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة قالت عايشة اهم الذين
يشربون الخمر ويسرقون قال لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين
يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ان لا يقبل منهم
اوليك الذين يسارعون في الخيرات وقال الحسن لقد ادركت
اقواما كانوا من حسناتهم ان ترد عليهم اشفق منكم على سياتكم
ان تعذبوا عليها وقرات عايشة وابن عباس والنخعي والذين ياتون
ما اتوا مقصورا من الاتيان قال الفرا ولو صحت هذه القراة
عن عايشة لم تخالف قراة الجماعة لان الهمز من العرب من يلزم
فيه الالف في كل الحالات اذا كتب فيكتب سيل الرجل بالف
بعد السين ويستهزون بين الزاي والواو وشي وشي بالف
بعد اليا فغير مستنكر في مذهب هاولاء ان تكتب يوتون
بالف بعد اليا فيحتمل هذا اللفظ بالبنا على هذا الخط قراتين يوتون
ما اتوا وياتون ما اتوا وينفرد ما عليه الجماعة باحتمال تاويلين
احدهما والذين يعطون ما اعطوا من الزكاة والصدقة وقلوبهم
خايفة والاخر والذين يوتون الملايكة الذين يكتبون الاعمال
على العباد ما اتوا وقلوبهم وجلة فيحذف مفعول في هذا
الباب لوضوح معناه كما حذف في قوله جل وعز فيه

بغاث الناس وفيه يعصرون والمعنى يعصرون السمسم والعنب فاحتزل المفعول لوضوح تاويلهم ويكون الاصل في الحرف على هجاية الموجود في الامام باتون بالف مبدلة من الهمزة فكتب الالف واوا الناحي حروف المد واللين في الخفا حكاه ابن الانباري قال النحاس المعروف من قراة ابن عباس والذين يوتون ما اتوا وهي القراة المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عايشه رضي الله عنها ومعناها يعملون ما عملوا كما روي في الحديث والوجل نحو الاشفاق والخوف فالتقي والتايب خوفه امر العاقبة وما يطلع عليه بعد الموت وفي قوله انهم الى راجعون ربهم تنبيه على الخاتمه وفي صحيح البخاري وانما الاعمال بالخواتيم واما المخلط فينبغي له ان يكون تحت خوف من ان ينفذ عليه الوعيد بتخليطه وقال بعض اصحاب الخواطر وجل العارف من طاعته اكثر وجلا من وجله من مخالفته لان المخالفة تمحوها التوبة والطاعة تطلب بتصحيح الغرض انهم اي لانهم او من اجل انهم الى ربهم راجعون نحو قوله تعالى اوليك يسارعون في الخيرات اي في عمل الخيرات اي في الطاعات كي ينالوا بذلك اعلى العرفان والدرجات وقرى يسرعون في الخيرات اي يكونوا سراعا اليها ويسارعون على معنى يسابقون من سابقهم اليها فالمفعول محذوف قال الزجاج يسارعون

ابلغ

ابلغ من من يسرعون وهم لها سابقون احسن ما قيل فيه انهم
يسبقون الى اوقاتها ودل بهذا ان الصلاة في اول الوقت افضل
كما تقدم في البقره وكل من تقدم في شي فقد سابق اليه وكل من
تاخر عنه فقد سبقه وفاته واللام في لها على هذا القول بمعنى الى
كما قال بان ربك اوحى لها اي اوحى اليها وانشد سيبويه
تجانف عن جو اليمامة ناقتي وما قصدت من اهلها لسوائكا
وعن ابن عباس في معنى وهم لها سابقون سبقت لهم من
الله السعاده فلذلك سارعوا في الخيرات وقيل المعنى
وهم من اجل الخيرات سابقون قوله تعالى ولا نكلف
نفسا الا وسعها قد مضى في البقره وانه ناسخ لجميع ما
ورد في الشرع من تكليف ما لا يطاق ولدينا كتاب ينطق
بالحق اظهر ما قيل فيه وانه اراد كتاب احصا الاعمال الذي
ترفعه الملايكه واضافه الى نفسه لان الملايكه كتبت فيه
اعمال العباد بامره فهو ينطق بالحق وفي هذا تهديد وتانيس
من الحيف والظلم ولفظ النطق يجوز في الكتاب والمراد ان
النبيين ينطق بما فيه والله اعلم وقيل عنى اللوح المحفوظ وقد
اثبت فيه كل شي فهم لا يجاوزون ذلك وقيل الاشاره بقوله
ولدينا كتاب القران فالله اعلم وكل محتمل والاول اظهر قوله
تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا قال مجاهد اي في غطا

مطلب لفظ النطق

وغفله وعمايه من القران ويقال غمره الما اذا غطاه ونهر
غمر يغطي من دخله ورجل غمر يغمره اراء الناس وقيل غمره
لانها تغطي الوجه ومنه دخل في غمار الناس وخمارهم اي فيما
يغطيه من الجمع وقيل بل قلوبهم في غمرة اي حيرة وعمى
اي مما وصف من اعمال البر في الايات المتقدمة قاله قتادة
او من الكتاب الذي ينطق بالحق ولهم اعمال من دون ذلك هم
لها عاملون قال قتادة ومجاهد اي لهم خطايا لا بد ان
يعملوها من دون الحق وقال الحسن وابن زيد المعنى ولهم اعمال
ردية لم يعملوها من دون ما هم عليه لا بد ان يعملوها دون
اعمال المومنين فيدخلون بها النار لما سبق لهم من الشقوه
ويحتمل ثالثا انه ظلم الخلق مع الكفر بالخالق ذكره الماوردي
والمعنى متقارب حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب يعني بالسيف
يوم بدر قاله ابن عباس وقال الضحاك يعني بالجوع حين قال
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم
اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط والجوع
حتى اكلوا العظام والميتة والكلاب والجيف وهلك الاموال
والاولاد اذا هم يجارون اي يضجون ويستغيثون واصل
الجوار رفع الصوت بالتضرع كما يفعل الثور قال الاعشى يصف
بقرة فطافت ثلاثا بين يوم وليلة وكان النكير ان تطيف وتجار

قال

قال الجوهري الجوار مثل الخوار يقال جار الثور يجار اي صاح
وقرا بعضهم عجلا جسدا له جوار حكاه الاخفش وجار الرجل
الى الله تضرع بالدعا قتادة يصرخون بالتوبة فلا تقبل منهم قال
يراوح من صلوات المليك فطورا سجودا وطورا جوارا
وقال ابن جريج حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب هم الذين قتلوا
ببدر اذا هم يجارون هم الذين بمكة فجمع بين القولين المتقدمين
وهو حسن لا تجاروا اليوم انكم منا اي من عذابنا لا تنصرون
لا تمنعون ولا ينفعكم جزعكم وقال الحسن لا تنصرون بقبول
التوبة وقيل معنى هذا النهي الاخبار اي انكم ان تضرعتم لم ينفعكم
قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم
تنكصون الايات يريد بها القرآن تتلى عليكم اي تقرا قال الضحاك
قبل ان تعذبوا بالقتل وتنكصون ترجعون وراكم مجاهد
تستاخرون واصله ان يرجع القهقرى قال الشاعر
زعموا انهم على سبل الحق وانا نكص على الاعقاب وهو
هنا استعارة للاعراض عن الادبار عن الحق وقرا علي
بن ابي طالب رضي الله عنه على ادباركم بدل على اعقابكم
تنكصون بضم الكاف ومستكبرين حال والضمير في به
قال الجمهور هو عائد على الحرم او المسجد او البلد الذي
هو مكة وان لم يتقدم له ذكر لشهرته في الامر اي يقولون

اي يقولون نحن اهل الحرم فلا نخاف وقيل المعني انهم يعتقدون في
نفوسهم ان لهم بالمسجد والحرم اعظم الحقوق على الناس والمنازل
فيستكبرون لذلك وليس الاستكبار من الحق وقالت فرقة
الضمير عايد على القران من حيث ذكرت الايات والمعني تحدث
لكم سماع اياتي كبرا وطغيانا فلا تومنوا به قال ابن عطيه وهذا
قول جيد النحاس والقول الاول اولي والمعني انهم يفتخرون
بالحرم ويقولون نحن اهل حرم الله **قوله تعالى سامرا**
تهجرون فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى سامرا تهجرون
سامرا نصب على الحال ومعناه سمارا وهي الجماعه يتحدثون بالليل
ماخوذ من السمر وهو ظل القمر قال الثوري يقال لظل القمر
السمر ومنه السمرة في اللون ويقال له الفخت ومنه قيل
فاختة وقرا ابو رجا سمارا وهو جمع سامر كما قال
البيت نرى السمار والناس احوالي وفي حديث قيلة اذا
جاء زوجها من السامر يعني من القوم الذين يسمرون بالليل
فهو اسم مفرد بمعني الجمع كالحاضر وهم القوم النازلون
على الماء والباقر جمع البقر والجامل جمع الابل ذكورتها
واناثها ومنه قوله تعالى ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا
يقال قوم سمر وسمر وسامر ومعناه سهر الليل
ماخوذ من السمر وهو ما يقع على الاشجار من ضوء القمر
قال الجوهري

بلغ

زوجها

قال الجوهري والسامر ايضا السمار وهم القوم الذين يسمرون
كما يقال للحاج حجاج وقول الشاعر وسامر طال فيه
اللهو والسمر كانه سمي المكان الذي يجمع فيه للسمر
بذلك وقيل وحد سامرا وهو بمعنى السمار لانه
وضع موضع الوقت لقول الشاعر
من دونهم ان جئتهم سمرا عزف القيان ومجلس غمر
فقال سمرا لان معناه ان جئتهم ليلا وجدتهم وهم
يسمرون وابنا سمير الليل والنهار لانه يسمر فيهما
يقال لا افعله ما سمر ابنا سمير ابدا ويقال السمير الدهر
وابناه الليل والنهار ولا افعله سمير الليالي قال
الشنفرى هنالك لا ارجو حياة تسرني سمير الليالي مسبلا بالجرائر
والسمار بالفتح اللبن الرقيق وكانت العرب تجلس للسمر
تحدث وهذا اوجب معرفتها بالنجوم لانها تجلس في الصحرا
فترى الطوالع من الغوارب وكانت قريش تسمر حول
الكعبة مجالس في اباطيلها وكفرها فعابهم الله بذلك وتهجرون
قرئ بضم التا وكسر الجيم من الهجر اذا نطق بالفحش وبنصب
التا وضم الجيم من هجر المريض اذا هذى ومعناه يتكلمون
بهوس وسيء من القول في النبي عليه السلام وفي القران
عن ابن عباس قال انما كره السمر حين نزلت هذه الايه
وغيره الثانيه روى سعيد بن جبير عن ابن عباس مح

يسمرون في الليل ... والسمر ... كان ... فيها حديث ... ...

مستكبرين به سامرا تهجرون يعني ان الله تعالى ذم اقواما
يسمرون في غير طاعة الله تعالى اما في هذيان واما في اذاية
وكان الاعمش يقول اذا رايت الشيخ ولم يكتب الحديث
فاصفعه فانه من شيوخ القمر يعني يجمعون في ليالي
القمر يتحدثون بايام الخلفا والامرا ولا يحسن احدهم
يتوضا للصلاة الثالثة روى مسلم عن ابي برزة قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوخر العشا الى ثلث الليل
ويكره النوم قبلها قيلا لئلا يعرضها للفوات عن كل وقتها
او افضل وقتها ولهذا قال عمر فمن نام فلا نامت عينه
ثلثا وممن كره النوم قبلها عمر وابنه عبد الله وابن
عباس وغيرهم وهو مذهب مالك ورخص فيه بعضهم
منهم علي وابو موسى وغيرهم وهو مذهب الكوفيين وشرط
بعضهم ان يجعل معه من يوقظه للصلاة وروي عن
ابن عمر مثله واليه ذهب الطحاوي واما كراهة الحديث
بعدها فلان الصلاة قد كفرت خطاياه فينام على سلامة
وقد ختم الكاتب صحيفته بالعبادة فان هو سمر وتحدث
فيملوها بالهوس ويجعل خاتمتها اللغو والباطل وليس
هذا من فعل المومنين وايضا فان السمر في الحديث مظنة
غلبة النوم اخر الليل فينام عن قيام اخر الليل وربما
ينام

ينام عن صلاة الصبح وقد قيل انما يكره السمر بعدها لما روى
جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم
والسمر بعد هداة الرجل فان احدكم لا يدري ما يبث الله من
خلقه اغلقوا الباب واوكوا السقا وخمروا الاناء واطفوا
المصابيح وروي عن عمر انه كان يضرب الناس على الحديث
بعد العشا ويقول اسمرا اول الليل ونوما اخره ارحوا
كتابكم حتى انه روى عن ابن عمر انه قال من قرض بيت
شعر بعد العشا لم تقبل له صلاة حتى يصبح واسنده
شداد بن اوس الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان
الحكمة في كراهة الحديث بعدها انما هو لما ان الله تعالى
جعل الليل سكنا اي يسكن فيه فاذا تحدث الانسان فيه
فقد جعله كالنهار الذي هو متصرف المعاش فكانه قصد
الى مخالفة حكمة الله تعالى التي اجرى عليه وجوده فقال
وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار
نشورا الرابعة هذه الكراهة انما تختص بما لا يكون من
قبيل القرب والاذكار وتعليم العلم ومسامرة الاهل
بالعلم وبتعليم المصالح وما شابه ذلك فقد ورد عن النبي
صلى الله عليه وسلم وعن السلف ما يدل على جواز ذلك بل
على ندبيته وقد قال البخاري باب السمر في الفقه والخير

بعد العشا وذكر ان قرة بن خالد قال انتظرنا الحسن وراث علينا
حتى جا قربنا من وقت قيامه فجا فقال دعانا جيراننا هاولا
ثم قال انس انتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة
حتى كان شطر الليل فجا فصلى ثم خطبنا فقال ان الناس
قد صلوا وانكم لم تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة قال
الحسن فان القوم لا يزالون في خير ما انتظروا الخير قال
باب السمر مع الضيف والاهل وذكر حديث ابي بكر بن عبد
الرحمن ان اصحاب الصفة كانوا فقرا الحديث اخرجه مسلم
ايضا وقد جا في حراسة الثغور وحفظ العساكر بالليل من
الثواب الجزيل والاجر العظيم ما هو مشهور في الاخبار وقد
مضى من ذلك جملة في اخر ال عمران والحمد لله قوله تعالى افلم
يدبروا القول يعني القران وهو كقوله تعالى افلا يتدبرون
القران وسمي القران قولا لانهم خوطبوا به ام جاهم ما لم
يات اباهم الاولين فانكروه واعرضوا عنه وقيل ام بمعنى بل
اي بل جاهم ما لا عهد لهم لا بابهم به فلذلك انكروه وتركوا
التدبر له وقاله ابن عباس وقيل المعنى ام جاهم امان من
العذاب وهو شي لم يات اباهم الاولين فتركوا الامر قوله
تعالى ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون هذا تستعمله العرب
على معنى التوقيف والتقبيح فيقولون الخير احب اليك ام الشر
اي قد

اي قد اخبرت البشر فتخبنه وقد عرفوا رسولهم وانه من اهل
الصدق والامانه ففي اتباعه النجاة والخير لولا العنت قال
سفيان بلى قد عرفوه ولكنهم حسدوه **قوله تعالى** ام
يقولون به جنة اي ام يحتجون في ترك الايمان به بانه مجنون
فليس هو كهذا لزوال امارات الجنون عنه بل جاءهم بالحق
يعني القران والتوحيد الحق والدين الحق واكثرهم اي كلهم
للحق كارهون حسدا وبغيا وتقليدا **قوله تعالى** ولو
اتبع الحق الحق هنا الله سبحانه قاله الاكثرون منهم مجاهد وابن
جريج وابو صالح وغيرهم وتقديره في العربية ولو اتبع صاحب
الحق قاله النحاس وقد قيل هو مجاز اي لو وافق الحق اهواءهم
فجعل موافقته اتباعا مجازا اي لو كانوا يكفرون بالرسل
ويعصون الله جل وعز ثم لا يعاقبون ولا يجازون على ذلك
اما عجزا واما جهلا لفسدت السموات والارض وقيل المعنى
ولو كان الحق ما يقولون من اتخاذ الهة من دون الله جل وعز لتنافت
الالهة واراد بعضهم ما لا يريده بعض فاضطرب التدبير
وفسدت السموات والارض واذا فسدتا فسد من فيهما
وقيل لو اتبع الحق اهواءهم اي بما يهواه الناس ويشتهونه لبطل
نظام العالم لان شهوات الناس تختلف وتتضاد وسبيل الحق
ان يكون متبوعا وسبيل الناس الانقياد للحق وقيل الحق

نقران اي لو ترك القران بما يحبون لفسدت السموات والارض
ومن فيهن اشارة الي من يعقل من ملايكة السموات وانس الارض
وجنها الماوردي وقال الكلبي يعني وما بينهما من خلق وهي قراة
ابن مسعود لفسدت السموات والارض وما بينهما فيكون
علي تاويل الكلبي وقراة ابن مسعود محمولا علي فساد من يعقل
وما لا يعقل من حيوان وجماد وظاهر التنزيل في قراة الجمهور
يكون محمولا علي فساد ما يعقل من الحيوان لان ما لا يعقل تابع
لما يعقل في الصلاح والفساد فعلي هذا ما يكون من الفساد
يعود علي من في السموات من الملايكة بان جعلت اربابا وهي
مربوبه وعبدت وهي مستعبده وفساد الانس يكون علي
وجهين احدهما باتباع الهوى وذلك مهلك الثاني بعبادة غير
الله وذلك كفر واما فساد ما عدا ذلك فيكون علي وجه
التبع لانهم مدبرون بذوي العقول فعاد فساد المدبرين
علبهم قوله تعالى بل اتيناهم بذكرهم اي بما فيه شرفهم وعزهم
قاله السدي وسفيان وقال قتاده اي بما لهم فيه ذكر
ثوابهم وعقابهم ابن عباس اي ببيان الحق وذكر ما لهم به
حاجة من امر الدين فهم عن ذكرهم معرضون قوله تعالى
ام تسالهم خرجا اي اجرا علي ما جيتهم به قاله الحسن وغيره
فخراج ربك خير وقرا حمزة والكساي والاعمش ويحيي بن
وثاب

بلغ

ويحيى بن وثاب خراجا بالالف الباقون بغير الف وكلهم قرأ فخراج
بالف الا ابن عامر وابا حيوة فانهما قراه بغير الف والمعنى ام
تسئلهم رزقا فرزق ربك خير وهو خير الرازقين اي ليس
يقدر احد ان يرزق مثل رزقه ولا ينعم مثل انعامه وقيل
اي ما يوتيك الله من الاجر علي طاعتك له والدعاء اليه خير من
عرض الدنيا وقد عرضوا عليك اموالهم حتى تكون كاغنى رجل
من قريش فلم تجبهم الى ذلك قال معناه الحسن والخرج والخراج
واحد الا ان اختلاف الكلام احسن قاله الاخفش وقال ابو
حاتم الخرج الجعل والخراج العطا المبرد الخرج المصدر والخراج
الاسم وقال النضر بن شميل سالت ابا عمرو بن العلا عن الفرق
بين الخرج والخراج فقال الخراج ما لزمك والخرج ما تبرعت
وعنه ان الخرج من الرقاب والخراج من الارض ذكر الاول الثعلبي
والثاني الماوردي قوله تعالى وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم
اي الى دين قويم والصراط في اللغة الطريق فسمي الدين طريقا
لانه يودي الى الجنة فهو طريق اليها وان الذين لا يومنون
بالاخرة اي بالبعث عن الصراط لناكبون قيل هو مثل الاول
وقيل انهم عن طريق الجنة لعادلون حتى يصيروا الى النار
نكب عن الطريق ينكب نكوبا اذا عدل عنه ومال الى
غيره ومنه نكبت الريح اذا لم تستقم علي مجرى وشر الريح

النكبا قوله تعالى ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر
اي لو رددناهم الى الدنيا ولم ندخلهم النار وامتحناهم
للجوا في طغيانهم يعمهون قال الاعمش يترددون
وقال ابن جريج ولو رحمناهم يعني في الدنيا وكشفنا
ما بهم من ضر اي من قحط وجوع للجوا لتمادوا في
طغيانهم وضلالتهم وتجاوزهم الحد يعمهون يترددون
ويخبطون ولقد اخذناهم بالعذاب قال الضحاك بالجوع
وقيل بالامراض والحاجه والجوع وقيل بالقتل والجوع
فما استكانوا لربهم اي ما خضعوا وما يتضرعون
اي ما يخشعون لله جل وعز في الشدايد لتصيبهم
قال ابن عباس نزلت في قصة ثمامة بن اثال لما اسرته
السرية واسلم وخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيله
حال بين مكة وبين الميرة وقال والله لا ياتيكم من اليمامه
حبة حنطة حتى ياذن فيها رسول الله صلى الله عليه
وسلم واخذ الله قريشا بالقحط والجوع حتى اكلوا
الميتة والكلاب والعلهز قيل وما العلهز قال كانوا
ياخذون الصوف والوبر فيبلونه بالدم ثم يشوونه
وياكلونه فقال له ابو سفيان انشدك الله اليس تزعم
ان الله بعثك رحمة للعالمين قال بلى قال فوالله ما اراك
الا قتلت

الا قتلت الآبا بالسيف وقتلت الابنا بالجوع فنزلت قوله
ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر الى قوله يعمهون
قوله تعالى حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد
قال عكرمة هو باب من ابواب جهنم عليه من الخزنه اربع
مايه الف سود وجوههم كالحة انيابهم قد قلعت الرحمه
من قلوبهم اذا بلغوه فتحه الله عز وجل عليهم وقال ابن عباس
هو قتلهم بالسيف يوم بدر مجاهد هو القحط الذي اصابهم
حتى اكلوا العلهز من الجوع على ما تقدم وقيل فتح مكة اذا هم
فيه مبلسون اي يايسون متحيرون لا يدرون ما يصنعون
كالآيس من الفرج ومن كل خير وقد تقدم في الانعام قوله
تعالى وهو الذي انشا لكم السمع والابصار عرفهم كثرة
نعمه وكمال قدرته قليلا ما تشكرون اي ما تشكرون الا شكرا
قليلا وقيل اي لا تشكرون البتة قوله تعالى وهو الذي
ذراكم في الارض اي نشركم وبثكم وخلقكم واليه تحشرون
اي تجمعون للجزاء قوله تعالى وهو الذي يحيي ويميت
وله اختلاف الليل والنهار اي جعلهما مختلفين كقولك لك
الاجر والصله اي انك توجر وتوصل قاله الفرا وقيل
اختلافهما نقصان احدهما وزيادة الاخر وقيل اختلافهما
النور والظلمه وقيل تكررهما يوم بعد ليلة وليله بعد يوم

ويحتمل خامسًا اختلاف ما مضى فيهما من سعادة وشقاوضلال
وهدى أفلا تعقلون تمكنه قدرته وربوبيته ووحدانيته
وانه لا يجوز ان يكون له شريك من خلقه وانه قادر على البعث
ثم عيرهم بقوله واخبر عنهم انهم قالوا مثل ما قال الاولون قالوا
اذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمبعوثون هذا لا يكون
ولا يتصور لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل اي من قبل
مجي محمد صلى الله عليه وسلم فلم نر له حقيقة ان هذا اي
ما هذا الا اساطير الاولين اي اباطيلهم وترهاتهم وقد
تقدم هذا كله قال الله تعالى قل يا محمد لهم جوابا عما قالوه
لمن الارض ومن فيها ان كنتم ... بربوبيته لله ولا بد لهم من ذلك
قل افلا تذكرون اي افلا تتعظون وتعلمون ان من قدر
على خلق ذلك ابتداء فهو على احياء الموتى بعد موتهم اقدر
قادر قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون الله قل افلا تتقون يريد افلا تخافون حيث
تجعلون لي ما تكرهون زعمتم ان الملائكة بناتي وكرهتم
لانفسكم البنات قل من بيده ملكوت كل شي يريد السموات
وما فوقها وما بينهن والارضين وما تحتهن وما فيهن وما
لا يعلمه احد الا هو وقال مجاهد ملكوت كل شي خزائن كل شي
الضحاك ملك كل شي والملكوت من صفات المبالغة كالجبروت
والرهبوت

والرهبوت وقد مضي في الانعام وهو يجير ولا يجار عليه اي
يمنع ولا يمنع منه وقيل يجير يومن من شا ولا يجار عليه
اي لا يومن من اخافه ثم قيل هذا في الدنيا اي من اراد الله
خوفه واهلاكه لم يمنعه منه مانع ومن اراد نصره
وامنه لم يدفعه من نصره وامنه مانع وقيل هذا في الاخره
اي لا يمنعه من مستحق الثواب مانع ولا يدفعه عن
مستوجب العذاب دافع فاني تسحرون اي كيف تخدعون
وتصرفون عن طاعته وتوحيده او كيف تخيل اليكم ان
تشركوا به من لا يضر ولا ينفع والسحر هو التخيل وكل
هذا احتجاج على العرب المقرين بالصانع وقرا ابو عمرو
سيقولون الله في الموضعين الاخيرين وهي قراة اهل
العراق الباقون لله ولا خلاف في الاول انه لله لانه جواب
لقل لمن الارض ومن فيها فلما تقدمت اللام في لمن رجعت
في الجواب ولا خلاف انه مكتوب في جميع المصاحف بغير
الف واما من قرا سيقولون الله فلان السوال بغير لام
فجا الجواب على لفظه وجا في الاول لله لما كان السوال
باللام واما من قراه لله باللام في الاخيرين ولبس
في السوال لام فلان قل من رب السموات السبع ورب
العرش العظيم فكان الجواب لله حين قدرت اللام

في السوال وعلة الثالثه كعلة الثانية قال الشاعر
اذا قيل من رب المزالف والقري ورب الجياد الجرد قيل لخالد
اي لمن المزالف ودلت هذه الايات على جواز جدال
الكفار واقامة الحجة عليهم وقد تقدم في البقره وتنبهت
على ان من استبد بالخلق والاختراع والايجاد والابداع
هو المستحق للالوهية والعباده قوله تعالى
بل اتيناهم بالحق اي بالقول الصدق لا ما يقوله الكفار
من اثبات الشريك ونفي البعث وانهم لكاذبون
ان الملايكة بنات الله فقال تعالى ما اتخذ الله من
ولد من صلة وما كان معه من اله من زايده التقدير
ما اتخذ الله ولدا كما زعمتم ولا كان معه اله فيما
خلق وفي الكلام حذف والمعنى لو كانت معه الهة
لانفرد كل اله بخلقه ولعلى بعضهم على بعض اي ولتغالب
وطلب القوي الضعيف كالعادة بين الملوك فكان الضعيف
الضعيف المغلوب لا يستحق الالهيه وهذا الذي
يدل على نفي الشريك يدل على نفي الولد ايضا لان
الولد ينازع الاب في الملك منازعة الشريك سبحان الله
عما يصفون تنزيها له عن الولد والشريك عالم الغيب
والشهادة فتعالى عما يشركون تنزيه وتقديس
وقرا نافع

حاشية: الوزالف جمع مزلفة ... المزالف القرى التي بين البر والريف ... [illegible]

وقرا نافع وابو بكر وحمزه والكساى عالم بالرفع
على الاستينا فاى هو عالم الغيب والباقون بالجر على
الصفة لله وروى رويس عن يعقوب عالم اذا وصل
خفضا وعالم اذا ابتدا رفعا قوله تعالى قل رب
اما تريني ما يوعدون علمه ما يدعوا به اى قل رب
اى يا رب ان اريتني ما يوعدون من العذاب فلا تجعلني
في القوم الظالمين اى في نزول العذاب بهم بل اخرجني
منهم وقيل النداء معترض وما في اما زايده وقيل ان
اصل اما ان ما فان شرط وما شرط فجمع بين الشرطين
توكيدا والجواب فلا تجعلني في القوم الظالمين
اى اذا اردت بهم عقوبه فاخرجني منهم وكان عليه
السلام يعلم ان الله تعالى لا يجعله في القوم الظالمين
اذا نزل بهم العذاب ومع هذا امره الرب بهذا الدعا
والسوال ليعظم اجره وليكون في كل الاوقات ذاكرا
لربه قوله تعالى وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون
نبه على ان خلاف المعلوم مقدور وقد اراه الله ذلك
فيهم بالجوع والسيف ونجاه الله ومن امن به من ذلك
قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة امر
بالصفح ومكارم الاخلاق فما كان منها لهذه فهو

محكم باق في الامة ابدا وما فيها من معنى موادعة الكفار وترك
التعرض لهم والصفح عن امورهم فمنسوخ بالقتال نحن اعلم
بما يصفون اي من الشرك والتكذيب وهذا يقتضي انها
ابدا لموادعة والله اعلم قوله تعالى وقل رب اعوذ بك
بك من همزات الشياطين فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى
من همزات الهمزات جمع همزة ولمزه ونخسه دفعه قال الليث
الهمز كلام من وراء القفا واللمز مواجهته والشيطان يوسوس
فيهمس في وسواسه في صدر ابن ادم وهو قوله اعوذ
بك من همزات الشياطين اي نزغات الشياطين الشاغلة
عن ذكر الله وفي الحديث كان يتعوذ من همز الشيطان ولمزه
وهمسه قال ابو الهيثم اذا اسر الكلام واخفاه فذلك
الهمس في الكلام وسمي الاسد هموسا لانه يمشي بخفه
فلا يسمع صوت وطئه وقد تقدم في طه الثانية امر الله
تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بالتعوذ من الشيطان
في همزاته وهي سورات الغضب التي لا يملك الانسان فيها
نفسه وكانها هي التي كانت تصيب المومنين مع الكفار
فتقع المحادة فلذلك اتصلت بهذه الاية فالنزغات وسورات
الغضب الوارده من الشيطان هي المتعوذ منها في الاية
وقد تقدم في اخر الاعراف بيانه مستوفا وفي اول الكتاب

ايضا

والهمز في اللغة النخس والدفع يقال همزه ولمزه ونخسه ودفعه صح

ايضا وروى علي بن حرب بن محمد الطاي نا سفيان عن ايوب
عن محمد بن حبان ان خالدا كان يورق من الليل فذكر ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم فامره ان يتعوذ بكلمات الله التامه من
غضب الله وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين
وان يحضرون وفي كتاب ابي داود قال عمرو همزه الموتة وقال
ابن ماجة الموتة يعني الجنون والتعوذ ايضا من الجنون ولبد
وفي قراة ابي رب عايذا بك من همزات الشياطين وعايذا
بك ان يحضرون اي يكونوا معي في اموري فانهم اذا حضروا
الانسان كانوا معدين للهمز واذا لم يكن حضور فلا همز
وفي صحيح مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الشيطان يحضر احدكم عند كل شي
من شانه حتى يحضره عند طعامه فاذا سقطت من احدكم
اللقمة فليمط ما كان بها من اذى ثم ليا كلها ولا يدعها للشيطان
فاذا فرغ فليلعق اصابعه فانه لا يدري في اي طعامه البركه
قوله تعالى حتى اذا جا احدهم الموت قال رب ارجعون عاد
الكلام الى ذكر المشركين اي قالوا ايذا متنا الى قوله ان هذا الا
اساطير الاولين ثم احتج عليهم وذكرهم قدرته على كل شي
ثم قال هم مصرون على ذلك حتى اذا جا احدهم الموت تيقن
ضلالته وعاين الملايكة التي تقبض روحه كما قال تعالى

ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا والملايكه قال رب ارجعون تمني
الرجعة كي يعمل صالحا فيما ترك وقد يكون القول في النفس
قال الله جل وعز ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله فاما قوله
ارجعون وهو يخاطب ربه عز وجل ولم يقل ارجعني فقيل
جا على تعظيم الذكر للمخاطب وقيل استغاثوا بالله جل وعز
اولا فقال قايلهم رب ثم رجع الى مخاطبة الملايكه فقال
ارجعون اي ارجعون الى الدنيا قاله ابن جريج وقيل ان
معنى ارجعون على جهة التكرير اي ارجعني ارجعني وهكذا
قال المازني في قوله تعالى القيا في جهنم قال معناه الق الق
قال الضحاك المراد به اهل الشرك قلت ليس سوال الرجعه
مختصا بالكافر فقد يسلها المومن كما في اخر سورة المنافقين
على ما ياتي ودلت الاية على ان احدا لا يموت حتى يعرف
اضطرارا اهو من اولياء الله ام من اعداء الله ولولا ذلك لما
سال الرجعة فيعلموا ذلك قبل نزول الموت وذواقه لعلي
اعمل صالحا قال ابن عباس يريد اشهد ان لا اله الا الله فيما
تركت اي فيما ضيعت وتركت العمل به من الطاعات وقيل
فيما تركت من مالي فاتصدق ولعل تتضمن ترددا وهذا
الذي يسل الرجعة قد استيقن العذاب وهو يوطن نفسه
على العمل قطعا من غير تردد فالتردد يرجع اما الى رده
الى الدنيا

قد

الي الدنيا واما الي التوفيق اي اعمل صالحا ان وفقتني اذ لبس
علي قطع من وجود القدره او التوفيق لو رد الي الدنيا
كلا هذه كلمة ردا اذ ليس الامر علي ما يظنه من انه يجاب
الي الرجوع الي الدنيا بل هو كلام يطيح في ادراج الريح
وقيل لو اجيب الي ما يطلب لما وفا بما يقول كما قال
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل كلا انها كلمة هو قايلها
ترجع الي الله تعالي اي لا خلف في خبره وقد اخبر انه لن
يوخر نفسا اذا جا اجلها واخبر بان هذا الكافر لا يومن
وقيل انها كلمة هو قايلها عند الموت ولكن لا ينفع ومن ورايهم
برزخ اي ومن امامهم وبين ايديهم وقيل من خلفهم برزخ اي
ومن امامهم وبين ايديهم وقيل من خلفهم برزخ اي حاجز الي يوم يبعثون
بين الموت والبعث قاله الضحاك ومجاهد وابن زيد وعن
مجاهد ايضا ان البرزخ هو الحاجز بين الميت والرجوع
الي الدنيا وعن الضحاك هو ما بين الدنيا والاخرة ابن
عباس حجاب السدي اجل قتادة بقية الدنيا وقيل
الامهال الي يوم القيامة حكاه ابن عيسي الكلبي هو الاجل
ما بين النفختين وبينهما اربعون سنة وهذه الاقوال
متقاربة وكل حاجز بين شيين فهو برزخ قال الجوهري
البرزخ الحاجز بين الشيين والبرزخ ما بين الدنيا والاخرة

من وقت الموت الى البعث فمن مات فقد دخل في البرزخ وقال
رجل لحضرة الشعبي رحمه الله فلانا فقد صار من اهل الاخرة
ولكنه صار من اهل البرزخ وليس من الدنيا ولا من الاخرة
واضيف يوما الى يبعثون لانه ظرف زمان والمراد بالاضافة
المصدر **قوله تعالى** فاذا نفخ في الصور المراد بهذا النفخ
النفخة الثانية فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون قال
ابن عباس لا يفتخرون بالانساب في الاخرة كما يفتخرون بها
في الدنيا ولا يتساءلون فيها كما يتساءلون في الدنيا من قبيلة
انت ولا من اي نسب ولا يتعارفون لهول ما اذهلهم وعن
ابن عباس ان ذلك في النفخة الاولى حين يصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله فلا انساب بينهم يومئذ ولا
يتساءلون ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون وسال رجل ابن عباس عن هذه
الاية وقوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال لا
يتساءلون في النفخة الاولى لانه لا يبقى على الارض حي فلا
انساب ولا تساءل واما قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
فانهم اذا دخلوا الجنة تساءلوا وقال ابن مسعود انما عنى
في هذه الاية النفخة الثانية وقال ابو عمرو اذا ان دخلت
على ابن مسعود فوجدت اصحاب الخير الميمنة قد سبقوني
اليه

اليه فناديت باعلى صوتي يا عبد الله بن مسعود من اجل
أني رجل اعجمي اذ نيت هولاء واقصيتني فقال ادن فدنوت
حتى ما كان بيني وبينه جليس فسمعته يقول يوخذ بيد
العبد والامة يوم القيامة فينصب على رؤوس الاولين
والاخرين ثم ينادي مناد هذا فلان بن فلان من كان له حق
فلياتِ الى حقه فتفرح المراة ان يدور لها الحق على ابيها
او على زوجها او على اخيها او على ابنها ثم قرا ابن مسعود
فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فيقول الرب سبحانه
آت هولاء حقوقهم فيقول يا رب قد فنيت الدنيا فمن
اين اوتيهم فيقول الرب للملائكة خذوا من حسناته واعطوا
كل انسان بقدر طلبته فان كان وليا لله فضلت من حسناته
مثقال حبة من خردل فضاعفها الله حتى يدخله بها الجنة
ثم قرا ابن مسعود ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة
يضاعفها الاية وان كان شقيا قالت الملائكة رب فنيت
حسناته وبقي طالبون فيقول الله تعالى خذوا من اعمالهم فاضيفوها
الى سيئاته وصكوا له صكا الى جهنم قوله تعالى فمن ثقلت
موازينه الاية تقدم الكلام فيها قوله تعالى تلفح وجوههم
النار ويقال تنفح بمعناه ومنه ولئن مستهم نفحة الا أن
تلفح ابلغ باسا يقال لفحته النار والسموم بحرها احرقته

حقيقه

ولفحته بالسيف لفحة اذا ضربته به وهم فيها كالحون
قال ابن عباس عابسون وقال اهل اللغة الكلوح تكشر في
عبوس والكالح الذي قد تشمرت شفتاه وبدت اسنانه
قال الاعشى ولو المقدم لا مثل له سناعة المشدق عن الناب كلح
وقد كلح الرجل كلوحا وكلاحا وما اقبح كلحته يراد به
الفم وما حواليه ودهر كالح اي شديد وعن ابن عباس
ايضا وهم فيها كالحون يريد كالذي كلح وتقلصت شفتاه
وسال صديده وقال ابن مسعود الم تر الى الراس المنشيط
بالنار وقد بدت اسنانه وقلصت شفتاه وفي الترمذي
عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا
حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى
تضرب سرته قال هذا حديث حسن صحيح غريب
قوله تعالى قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا قراه اهل
المدينه وابي عمرو وعاصم شقوتنا وقرا الكوفيون الا
عاصما شقاوتنا وهذه القراه مرويه عن ابن مسعود والحسن
ويقال شقا وشقاا بالمد والقصر واحسن ما قيل في معناه
غلبت علينا لذاتنا واهواؤنا فسمى اللذات والاهوا شقوه
لانهما يوديان اليها كما قال عز وجل ان الذين ياكلون اموال
اليتامى

اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم انما ياكلون في بطونهم نارا لان ذلك يودي بهم الى النار وقيل ما سبق في علمك وكتب علينا في ام الكتاب من الشقاوة وقيل حسن الظن بالنفس وسوء الظن بالخلق وكنا قوما ضالين اي كنا في فعلنا ضالين عن الهدى وليس هذا اعتذارا منهم انما هو اقرار وبدل على ذلك قولهم ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون طلبوا الرجعة الى الدنيا كما طلبوها عند الموت فان عدنا الى الكفر فانا ظالمون لانفسنا بالعود اليه فيجابون بعد الف سنة اخسئوا فيها ولا تكلمون اي ابعدوا في جهنم كما يقال للكلب اخسا اي ابعد خسات الكلب خسا طردته وخسا الكلب بنفسه خسوا يتعدى ولا يتعدى وانخسا الكلب ايضا وذكر ابن المبارك قال حدثنا سعيد بن ابي عروبة عن قتادة يذكره عن ابي ايوب عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان اهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم اربعين عاما ثم يرد عليهم انكم ماكثون قال هانت والله دعوتهم على مالك ورب مالك قال ثم يدعون ربهم فيقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين قال ثم يرد عليهم اخسئوا فيها ولا تكلمون قال فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة وما هو الا الزفير والشهيق

علمنا ... [illegible]

في نار جهنم فتشبه اصواتهم بصوت الحمير اولها زفير واخرها
شهيق خرجه الترمذي مرفوعا بمعناه من حديث ابي
الدردا وقال قتادة صوت الكفار في النار كصوت الحمار
اوله زفير واخره شهيق وقال ابن عباس يصير لهم نباح
كنباح الكلاب وقال محمد بن كعب القرظي بلغني او ذكر لي
ان اهل النار استغاثوا بالخزنة الخبر بطوله ذكره ابن المبارك
وقد ذكرناه بكماله في التذكرة وفي اخره ثم مكث عنهم ماشا
الله ثم ناداهم الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون
قال فلما سمعوا صوته قالوا الان يرحمنا فقالوا عند ذلك
ربنا غلبت علينا شقوتنا اي الكتاب الذي كتب علينا وكنا
قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فقال
عند ذلك اخسئوا فيها ولا تكلمون فانقطع عند ذلك الدعا
والرجا واقبل بعضهم على بعض ينبح بعضهم في وجه بعض
واطبقت عليهم قوله تعالى انه كان فريق من عبادي يقولون
ربنا امنا الاية قال مجاهد هم بلال وخباب وصهيب وفلان
وفلان من ضعفا المسلمين كان ابو جهل واصحابه يهزءون بهم
فاتخذتموهم سخريا بالضم قراة نافع وحمزة والكسائي ههنا
وفي ص وكسر الباقون قال النحاس وفرق ابو عمرو بينهما
فجعل المكسورة من جهة التهزؤ والمضمومة من جهة السخرة
ولا يعرف

بلغ

ولا يعرف هذا التفريق عن الخليل ولا سيبويه ولا الكسائي
ولا الفرا قال الكسائي هما لغتان بمعنى واحد كما يقال عصي وعصي
ولجي ولجي وحكى الثعلبي عن الكسائي والفرا الفرق الذي
ذكره ابو عمرو وان الكسر بمعنى الاستهزا والسخرية بالقول
والضم بمعنى التسخير والاستعباد بالفعل وقال المبرد
انما يوجد التفريق بين المعاني عن العرب واما التاويل
فلا يكون والكسر في سخري في المعنيين جميعا لان الضمة
تستثقل في مثل هذا حتى انسوكم ذكري اي حتى اشتغلتم
بالاستهزاء بهم عن ذكري وكنتم منهم تضحكون استهزا بهم
واضاف الانسا الى المومنين لانهم كانوا سببا لاشتغالهم
عن ذكره وتعدي شوم استهزائهم بالمومنين الى استيلا
الكفر على قلوبهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم
وصبروا على طاعتي انهم هم الفايزون قرا حمزه والكسائي
بكسر الهمزه على ابتدا المدح من الله تعالى لهم وفتح الباقون
اي لانهم هم الفايزون ويجوز نصبه بوقوع الجزا عليه تقديره
اي جزيتهم الفوز بالجنه قلت وينظر الى معنى هذا قوله
تعالى في اخر المطففين فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون
الى اخر السوره على ما ياتي بيانه هنا ان شا الله ويستفاد
من هذا التحذير من السخرية والاستهزا بالضعفا والمساكين

والاحتقار لهم والازرا عليهم والاشتغال بهم فيما لا يعني
وان ذلك مبعد من الله جل وعز **قوله تعالى** قال كم لبثتم
في الارض قيل يعني في القبور وقيل هو سوال لهم عن مدة
حياتهم في الدنيا وهذا السوال للمشركين في عرصات
القيامة او في النار عدد سنين بفتح النون على انه جمع مسلم
ومن العرب من يخفضها وينونها قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم انساهم شدة العذاب مدة مكثهم في القبور وقيل لان
العذاب رفع عنهم بين النفختين فنسوا ما كانوا فيه من العذاب
من النفخة الاولى الى الثانية وذلك انه ليس من احد قتله
نبي او قتل نبيا او مات بحضرة نبي الا عذب من ساعة
يموت الى النفخة الاولى ثم يمسك عنه العذاب فيكون
كالماء حتى ينفخ الثانية وقيل استقصروا مدة لبثهم
في الدنيا وفي القبر وراوه يسيرا بالنسبة الى ما هم بصدده
فسل العادين اي سل الحساب الذين يعرفون ذلك فانا
قد نسيناه او فليسل الملايكة الذين كانوا معنا في الدنيا
الاول قول قتادة والثاني قول مجاهد وقرا ابن كثير
وحمزة والكسايي قل كم لبثتم في الارض على الامر ويحتمل
ثلاثة معان احدها قولوا كم لبثتم فاخرج الكلام مخرج
الامر الواحد والمراد الجماعة اذ كان المعنى مفهوما
الثاني

الثاني ان يكون امرا للملك ليسلهم يوم البعث عن قدر
مكثهم في الدنيا او اراد قل ايها الكافر كم لبثتم وهو الثالث
الباقون قال كم على الخبر اي قال الله لهم او قال الملائكة
لهم كم لبثتم وقرا حمزة والكسائي ايضا قل ان لبثتم الا قليلا
الباقون على الخبر على ما ذكر من التاويل في الاول اي ما
لبثتم في الارض الا قليلا وذلك ان مكثهم في القبور وان
طال كان متناهيا وقيل هو قليل بالنسبة الى مكثهم في
النار لانه لا نهاية له لو انكم كنتم تعلمون ذلك قوله تعالى
افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي مهملين كما خلقت البهائم
لا ثواب لها ولا عقاب عليها مثل قوله تعالى ايحسب الانسان
ان يترك سدى يريد كالبهايم مهملا لغير فايده قال الترمذي
الحكيم ابو عبد الله محمد بن علي ان الله تعالى خلق الخلق عبيدا
ليعبدوه فيثيبهم على العبادة ويعاقبهم على تركها
فان عبدوه فهم اليوم له عبيد احرار كرام من رق الدنيا
ملوك في دار السلام وان رفضوا العبودية فهم اليوم
عبيد اباق سقاط لئام وغدا اعداء في السجون بين اطباق
النيران وعبثا نصب على الحال عند سيبويه وقطرب
وقال ابو عبيدة هو نصب على المصدر او لانه مفعول له
وانكم الينا لا ترجعون فتجازون باعمالكم وقرا حمزة

والكسائي ترجعون بفتح التا وكسر الجيم من الرجوع قوله
تعالى فتعالى الله الملك الحق اي تنزه وتقدس الله الملك
الحق عن الاولاد والشركاء والانداد عن ان يخلق شيئا
عبثا او سفها لانه الحكيم لا اله الا هو رب العرش الكريم
ليس في القران غيرها وقرا ابن محيصن وروي عن ابن كثير
الكريم بالرفع نعتا لله قوله تعالى ومن يدع مع الله
الها اخر لا برهان له به اي لا حجة له عليه فانما حسابه
عند ربه اي هو يجازيه ويحاسبه انه الها ضمير الامر
والشان لا يفلح الكافرون وقرا الحسن وقتادة لا يفلح
بالفتح من كذب وجحد ما جيت به وكفر نعمتي ثم
امر نبيه عليه السلام بالاستغفار لتقتدي به الامة
وقيل امره بالاستغفار لامته واسند الثعلبي من
حديث ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن حنش بن
عبد الله الصنعاني عن عبد الله بن مسعود انه مر بمصاب
مبتلى فقرا في اذنه افحسبتم انما خلقناكم عبثا حتى
ختم السورة فبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ماذا قرات في اذنه فاخبره فقال والذي نفسي بيده
لو ان رجلا موقنا قراها على جبل لزال سورة
النور مدنية باجماع قوله تعالى سورة
انزلناها

سورة النور

مل

قوله تعالى سورة انزلناها الاية مقصود هذه السورة ذكر
احكام العفاف والستر وكتب عمر رضي الله عنه الى الكوفه
علموا نسائكم سورة النور وقالت عايشة رضي الله عنها
لا تنزلوا النسا الغرف ولا تعلموهن الكتابه وعلموهن
سورة النور والمغزل وفرضناها قرئ بتخفيف الراء اى
فرضنا عليكم وعلى من بعدكم ما فيها من الاحكام وبالتشديد
اي انزلنا فيها فرايض مختلفه وقال ابو عمرو وفرّضناها
بالتشديد اي قطّعناها في الانزال نجمًا نجمًا والفرض
القطع ومنه فرضة القوس وفرايض الميراث وفرض
النفقه وعنه ايضا فرضناها فصّلناها وبيناها وقيل هو
على التكثير لكثره ما فيها من الفرايض والسورة في اللغه
اسم للمنزلة الشريفه ولذلك سميت السوره من القران
سورة قال زهير الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
وقد مضى في مقدمة الكتاب القول فيها وقرئ سوره بالرفع
على انها مبتدا وخبرها انزلناها قاله ابو عبيده والاخفش
وقال الزجاج والفرا والمبرد سوره رفع لانها خبر الابتدا
لانها نكره ولا يبتدا بالنكره في كل موضع اى هذه سوره
ويحتمل ان يكون قوله سوره ابتدا وما بعدها صفه لها
اخرجتها عن حد النكرة المحضة فحسن الابتدا لذلك ويكون

روي الامام الواحدي عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور يعني النساء

حكاه النقاش ومكي

الخبر في قوله الزانية والزاني وقرئ سورةً بالنصب على تقدير
انزلنا سورةً انزلناها وقال الشاعر

والذيب اخشاه ان مررت به وحدي واخشى الرياح والمطرا

او تلون منصوبة باضمار فعل اي اتلوا سورة وقال الفراء هي
حال من الهاء والالف والحال من المكنى يجوز ان يتقدم عليه
قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
الى قوله المؤمنين فيه احدى وعشرون مسله **الاولى**
قوله تعالى الزانية والزاني كان الزنا في اللغة معروفا قبل الشرع
مثل اسم السرقة والقتل وهو اسم لوطء الرجل امراة في فرجها
من غير نكاح ولا شبهة نكاح بمطاوعتها وان شيت قلت
هو ادخال فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا فاذا كان
ذلك وجب الحد وقد مضى الكلام في حد الزنا وحقيقته وما
للعلما في ذلك وهذه الاية ناسخة لاية الحبس واية الاذى
اللتين في سورة النسا باتفاق **الثانية قوله تعالى**
مائة جلدة هذا حد الزاني الحر البالغ البكر وكذلك الزانية البكر
البالغة الحرة وثبت بالسنة تغريب عام على الخلاف في ذلك
واما المملوكات فالواجب خمسون جلدة لقوله فان اتين بفاحشة
فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وهذا في الامة ثم العبد
في معناها واما المحصن من الاحرار فعليه الرجم دون الجلد

وفي

وفي العلما من يقول تجلد مائة ثم يرجم وقد مضى هذا كله ممهدا
في النسا فاغنى عن اعادته والحمد لله **الثالثة** قرا جمهور الناس
الزانية والزاني بالرفع وقرا عيسى بن عمر الثقفي الزانية بالنصب
وهو اوجه عند سيبويه لانه عنده كقولك زيدا اضرب
ووجه الرفع عنده خبر ابتدا تقديره فيما يتلى عليكم الزانية
والزاني اجمع الناس على الرفع وان كان القياس عند سيبويه
النصب واما الفرا والمبرد والزجاج فان الرفع عندهم هو
الاوجه والخبر في قوله فاجلدوا لان المعنى الزانية والزاني
مجلودان بحكم الله وهو قول جيد وهو قول اكثر النحاة
وان شيت قدرت الخبر ينبغي ان تجلدا وقرا ابن مسعود
والزان بغير يا **الرابعة** ذكر الله سبحانه الذكر والانثى
والزاني كان يكفي منهما فقيل ذكرهما للتاييد كما قال تعالى
والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما ويحتمل ان يكون
ذكرهما هنا لئلا يظن ظان ان الرجل لما كان هو الواطي
والمراة محل ليست بواطية فلا يجب عليها حد فذكرها
رفعا لهذا الاشكال الذي اوقع جماعة من العلما منهم الشافعي
فقالوا لا كفارة على المراة في الوطء في رمضان لانه قال جامعت
اهلي في نهار رمضان فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كفر
فامره بالكفارة والمراة ليست بمجامعة ولا واطية **الخامسة**

قدمت الزانية في هذه الاية من حيث كان في ذلك الزمان زنا
النسا فاشي وكان لاما العرب وبغايا الوقت رايات وكن مجاهرات
بذلك وقيل لان الزنا في النسا اعز وهو لاجل الحبل اضر وقيل
لان الشهوه في المراة اكثر وعليها اغلب فصدر بها تغليظا
لتردع شهوتها وان كان قد ركب فيها حيا لكنها اذا زنت ذهب
الحيا كله وايضا فان العار بالنساء الحق اذ موضوعهن الحجبة
والصيانه فقدم ذكرهن تغليظا واهتماما السادسة
الالف واللام في قوله الزانيه والزاني للجنس وذلك يعطي انها
عامة في جميع الزناه ومن قال بالجلد مع الرجم قال السنه جات
بزيادة حكم فيقام مع الجلد وهو قول اسحق بن راهويه والحسن
بن ابي الحسن وفعله علي بن ابي طالب بشراحة وقد مضي في النسا
بيانه وقال الجمهور هي خاصة في البكرين واستدلوا على
انها غير عامه بخروج العبيد والاما منها السابعه نص
الله ما يجب على الزانيين اذا شهد بذلك عليهما على ما ياتي واجمع
العلما على القول به واختلفوا فيما يجب على الرجل يوجد مع
المراة في ثوب واحد فقال اسحاق بن راهويه يضرب كل واحد
منهما مائة وروي ذلك عن عمر وعلي وليس يثبت ذلك عنهما
وقال عطا وسفيان الثوري يودبان وبه قال مالك واحمد
على قدر مذاهبهم في الادب قال ابن المنذر والاكثر ممن رايناه

يري

يري على من وجد على هذه الحال الادب وقد مضى في هود اختيار
ما في هذه المسله والحمد لله الثامنه قوله تعالى فاجلدوا دخلت
الفا لانه موضع امر والامر مضارع للشرط وقال المبرد فيه
معنى الجزا اي ان زنا زان فافعلوا به كذا ولهذا دخلت الفا
وهكذا السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما التاسعة
لا خلاف ان المخاطب بهذا الامر الامام ومن ناب منابه
وزاد مالك والشافعي السادة في العبيد قال الشافعي في كل
جلد وقطع وقال مالك في الجلد دون القطع وقيل الخطاب للمسلمين
لان اقامة مراسم الدين واجبه على المسلمين ثم الامام ينوب
عنهم اذ لا يمكنهم الاجتماع على اقامة الحدود العاشره
اجمع العلما على ان الجلد بالسوط يجب والسوط الذي يجب
ان يجلد به يكون بسوط بين سوطين لا شديدا ولا لينا
روي مالك عن زيد بن اسلم ان رجلا اعترف على نفسه
بالزنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا له رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسوط فاتي بسوط مكسور فقال
فوق هذا فاتي بسوط جديد لم تقطع ثمرته فقال دون هذا
فاتي بسوط قد ركب به ولان فامر به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجلد الحديث قال ابو عمر هكذا روي هذا
الحديث مرسلا جميع رواة الموطا ولا اعلمه يستند

بهذا اللفظ من وجه من الوجوه وقد روى معمر عن يحيى بن
ابي كثير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله سوا وقد تقدم في
المايده ضرب عمر الجارود في الخمر بسوط نام يريد وسطا
الحاديه عشره اختلف العلما في تجريد المجلود في الزنا فقال
مالك وابو حنيفة وغيرهما يجرد ويترك على المراة ما يسترها
دون ما يقيها الضرب وقال الاوزاعي الامام مخير ان شا جرد
وان شا ترك وقال الشعبي والنخعي لا يجرد ولكن يترك عليه
قميص قال ابن مسعود لا يحل في هذه الامة تجريد ولا مد
وبه قال الثوري الثانيه عشره اختلف العلما في كيفية
ضرب الرجال والنسا فقال مالك الرجل والمراة في الحدود كلها
سوا لا يقام واحد منهما ولا يجزي عنده الا في الظهر واصحاب
الراي والشافعي يرون ان يجلد الرجل وهو واقف وهو قول علي
بن ابي طالب وقال الليث بن سعد وابو حنيفة والشافعي الضرب
في الحدود كلها وفي التعزير مجردا قايما غير ممدود الا حد
القذف فانه يضرب وعليه ثيابه وحكاه المهدوي في التحصيل
عن مالك وينزع عنه الحشو والفرو وقال الشافعي ان كان مده
صلاحا مد الثالثة عشره واختلفوا في المواضع التي تضرب
من الانسان في الحدود فقال مالك الحدود كلها لا تضرب الا في
الظهر وكذلك التعزير وقال الشافعي واصحابه يتقي الوجه والفرج
وتضرب

ونضرب سائر الاعضا وروي عن علي واشار ابن عمر بالضرب
الى رجل امة جلدها في الزنا قال ابن عطية والاجماع في تسليم
الوجه والعورة والمقاتل واختلفوا في ضرب الراس فقال
الجمهور يتقي الراس وقال ابو يوسف يضرب الراس وروي
عن عمر وابنه فقالا لا يضرب الراس وضرب عمر صبيغا في
راسه وكان تعزيرا لا حدا ومن حجة مالك ما ادرك عليه الناس
وقوله عليه السلام البينة والا حد في ظهرك وسياتي الرابعة
عشرة الضرب الذي يجب هو ان يكون مولما لا يجرح ولا يبضع
ولا يخرج الضارب يده من تحت ابطه وبه قال الجمهور وهو
قول علي وابن مسعود واتي عمر برجل في حد فاتي بسوط
بين سوطين وقال للضارب اضرب ولا يرى ابطك واعط
كل عضو حقه واتي رضي الله عنه بشارب فقال لابعثنك
الى رجل لا تاخذه فيك هوادة فبعثه الى مطيع بن الاسود
العدوي فقال اذا اصبحت الغد فاضربه الحد فجا عمر
وهو يضربه ضربا شديدا فقال فقلت للرجل كم ضربته
قال ستين قال اقص عنه بعشرين قال ابو عبيد اقص عنه
بعشرين يقول اجعل شدة هذا الضرب الذي ضربته
قصاصا بالعشرين التي بقيت ولا تضربه العشرين وفي
هذا الحديث من الفقه ان ضرب الشارب ضرب خفيف

وقد اختلف العلما في اشد الحدود ضربا وهي الخامسة عشره
فقال مالك واصحابه والليث بن سعد الضرب في الحدود كلها
سوا ضرب غير مبرح ضرب بين ضربين وهو قول الشافعي
وقال ابو حنيفة واصحابه التعزير اشد الضرب وضرب
الزنا اشد من الضرب في الخمر وضرب الشارب اشد من ضرب
القذف وقال الثوري ضرب الزنا اشد من ضرب القذف وضرب
القذف اشد من ضرب الخمر احتج مالك بورود التوقيف على
عدد الجلدات ولم يرد في شي منها تخفيف ولا تثقيل عمن
يجب التسليم له احتج ابو حنيفة بفعل عمر فانه ضرب
في التعزير ضربا اشد منه في الزنا احتج الثوري بان الزنا
لما كان اكثر عددا في الجلدات استحال ان يكون القذف ابلغ في
النكاية وكذلك الخمر لانه لم يثبت فيه الحد الا بالاجتهاد
وسبيل مسايل الاجتهاد لا تقوى قوة مسايل التوقيف
السادسة عشره الحد الذي اوجب الله في الزنا والخمر
والقذف وغير ذلك ينبغي ان يقام بين يدي الحكام ولا يقيمه
الا فضلا الناس وخيارهم يختارهم الامام لذلك وكذلك
كانت الصحابه تفعل كلما وقع لهم شي من ذلك رضي الله عنهم
وسبب ذلك انه قيام بقاعده شرعيه وقربة تعبديه
تجب المحافظة على فعلها وقدرها ومحلها وحالها بحيث لا
يتعدى شي من شروطها ولا احكامها فان دم المسلم وحرمته

عظيمة

عظيمه فيجب مراعاته بكل ما امكن روي الصحيح عن حصين بن المنذر
ابي ساسان قال شهدت عثمان بن عفان اتي بالوليد قد صلي
الصبح ركعتين ثم قال ازيدكم قال فشهد عليه رجلان احدهما
حمران انه شرب الخمر وشهد اخر انه راه يتقيا فقال عثمان
انه لم يتقيا حتي شربها فقال يا علي قم فاجلده فقال علي قم
يا حسن فاجلده فقال ول حارها من تولي قارها فكانه
وجد عليه فقال يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده فجلده وعلي
يعد الحديث وقد تقدم في المايده فانظر قول عثمان للامام علي
قم فاجلده السابعة عشرة نص الله تعالي علي عدد الجلد
في الزنا والقذف وثبت التوقيف في الخمر علي الحد في ذلك
كله قال ابن العربي وهذا لم يتتابع الناس في الشر ولا احلولت
لهم المعاصي حتي يتخذوها ضراوة ويعطفون عليها بالهواده
فلا يتناهوا عن منكر فعلوه فحينئذ تتعين الشده ويزاد
الجلد لاجل زيادة الذنب وقد اتي عمر بسكران في رمضان
فضربه مايه ثمانين حد الخمر وعشرين لهتك حرمة الشهر
فهكذا يجب ان تركب العقوبات علي تغليظ الجنايات وهتك
الحرمات وقد لعب رجل بصبي فضربه الوالي ثلاث مايه سوط
فلم يغير مالك حين بلغه فكيف لو راى زماننا هذا بهتك
الحرمات والاستهتار بالمعاصي والتظاهر بالمناكر وبيع

الحسين

الحدود واستيفا العبيد لها في منصب القضاة لمان كم او لم يجالس
احدا وحسبنا الله ونعم الوكيل قلت ولهذا المعنى والله اعلم
زيد في حد الخمر حتى انتهى الى ثمانين روى الدار قطني نا القاضي
الحسين بن اسماعيل نا يعقوب بن ابراهيم الدورقي نا صفوان
بن عيسى نا اسامة بن زيد عن الزهري قال اخبرني عبد الرحمن
بن ازهر قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين
وهو يتخلل الناس يسل عن منزل خالد بن الوليد فاتي بسكران
قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن عنده فضربوه
بما في ايديهم قال وحثا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه
التراب قال ثم اتي ابو بكر بسكران قال فتوخى الذي كان
من ضربهم يوميذ فضرب اربعين قال الزهري ثم اخبرني
حميد بن عبد الرحمن عن ابن وبره الكلبي قال ارسلني خالد بن
الوليد الى عمر قال فاتيته ومعه عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن
عوف وعلي وطلحة والزبير وهم معه متكيون في المسجد
فقلت ان خالد بن الوليد ارسلني اليك وهو يقرا عليك السلام
ويقول ان الناس قد انهمكوا في الخمر وتحاقروا العقوبة فيه
فقال عمر هم هاولا عندك فاسلهم فقال علي نراه اذا سكر هذى
واذا هذى افترى وعلى المفتري ثمانون قال فقال عمر ابلغ
صاحبك ما قال فجلد خالد ثمانين وعمر ثمانين قال
وكان

CXX

وكان عمر اذا اتي بالرجل الضعيف الذي كانت منه الزله ضربه
اربعين قال وجلد عثمان ايضا ثمانين واربعين ومن هذا المعنى
قوله صلى الله عليه وسلم لو تاخر الهلال لزدتكم كالمنكل لهم حين
ابوان ينتهوا في رواية لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع
المتعمقون تعمقهم وروي حامد بن يحيى عن سفيان عن مسعر
عن عطا بن ابي مروان ان عليا ضرب النجاشي في الخمر ماية جلده
ذكره ابو عمر ولم يذكر شيا الثامنة عشره قوله تعالى
ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله اي لا تمتنعوا عن اقامة الحدود
شفقة على المحدود ولا تخففوا الضرب من غير ايجاع
هذا قول جماعة اهل التفسير وقال الشعبي والنخعي وسعيد
بن جبير لا تاخذكم بهما رافة قالوا في الضرب والجلد وقال
ابو هريرة اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليله
ثم قرا هذه الاية والرافة ارق الرحمة وقري رافة بفتح العين
على وزن فعلة وقري رآفة على وزن فعالة ثلث لغات
وهي كلها مصادر اشهرها الاولى من روف اذا رق ورحم
ويقال رافة ورآفة مثل كابة وكآبة وقد رافت به
وروفت به والروف من صفات الله تعالى العطوف
الرحيم التاسعة عشره قوله تعالى في دين الله
اي في حكم الله كما قال تعالى ما كان لياخذ اخاه في

دين الملك اي في حكمه وقيل في دين الله اي في طاعة الله وشرعه
فيما امركم به من اقامة الحد ثم قررهم علي معني التثبيت والحض
بقوله ان كنتم تومنون بالله وهذا كما تقول للرجل تحضه ان كنت
رجلا فافعل كذا اي هذه افعال الرجال الموفيه عشرين
قوله تعالي وليشهد عذابهما طايفة من المومنين قيل لا يشهد
التعذيب الا من لا يستحق التاديب قال مجاهد رجل فما
فوقه الي الف وقال ابن زيد لابد من حضور اربعة قياسا
علي الشهادة علي الزنا وان هذا باب منه وهو قول مالك والليث
والشافعي وقال عكرمه وعطا لابد من اثنين وهذا مشهور
قول مالك فراها موضع شهاده وقال الزهري ثلثة لانه
اقل الجمع الحسن واحد فصاعدا وعنه عشرة الربيع مازاد
علي الثلاثه وحجة مجاهد قوله تعالي فلولا نفر من كل فرقه
منهم طايفه وقوله وان طايفتان ونزلت في تقاتل رجلين
فكذلك قوله تعالي وليشهد عذابهما طايفة من المومنين والواحد
يسمي طايفة الي الف وقاله ابن عباس وابراهيم وامر ابو
برزة الاسلمي بجارية له قد زنت وولدت فالقي عليها
ثوبا وامر ابنه ان يضربها خمسين ضربة غير مبرح ولا
خفيف لكن مولم ودعا جماعة ثم تلي وليشهد عذابهما طايفة
من المومنين الحادية والعشرون اختلف في المراد بحضور
الجماعة

للجماعة هل المقصد بها الاغلاظ على الزناة والتوبيخ بحضرة
الناس وان ذلك يردع المحدود ومن شهده وحضره بتعظ
به ويزدجر لاجله ويشيع حديثه فيعتبر به من بعده او
الدعا لهما بالتوبه والرحمه قولان للعلما الثانية والعشرون
روى حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الناس
اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلثا في الدنيا وثلثا في الاخره
فاما اللواتي في الدنيا فيذهب البها ويورث الفقر وينقص
العمر واما اللواتي في الاخرة فيوجب السخط وسو الحساب
والخلود في النار وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان اعمال امتي تعرض علي في كل جمعة مرتين فاشتد غضب
الله على الزنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة
النصف من شعبان اطلع الله على امتي فغفر لكل مومن
لا يشرك بالله شيا الا خمسة ساحرا او كاهنا او عاقا لوالديه
او مدمن خمر او مصرا على الزنا قوله تعالى الزاني لا ينكح
الا زانية او مشركة فيه سبع مسايل الاولى اختلف العلما في
معنى هذه الاية على ستة اوجه من التاويل الاول ان يكون
مقصد الاية تشنيع الزنا وتبشيع امره وانه محرم على المومنين
واتصال هذا المعنى بما قبل حسن بليغ ويريد بقوله لا ينكح اي
لا يطا فيكون النكاح بمعنى الجماع وردد القصه مبالغة

مطلب في ذم الزنا

واخذا من كلي الطرفين ثم زاد تقسيم المشركه والمشرك من حيث
الشرك اعم في المعاصي من الزنا فالمعنى الزاني لا يطا في وقت زناه
الا زانية من المسلمين او من هي احسن منها من المشركات وقد
روي عن ابن عباس واصحابه ان النكاح في هذه الاية الوطء
وانكر ذلك الزجاج وقال لا يعرف النكاح في كتاب الله الا بمعنى
التزويج وليس كما قال وفي القران حتى تنكح زوجا غيره وقد
بينه النبي صلى الله عليه وسلم انه بمعنى الوط وقد تقدم في البقره
وذكر الطبري ما ينحوا الى هذا التاويل عن سعيد بن جبير وابن
عباس وعكرمة ولكن غير مخلص ولا مكمل وحكاه الخطابي
عن ابن عباس وان معناه الوطء اي لا يكون زنا الا بزانيه ويفيد
انه زنا في الجهتين فهذا قول الثاني ما رواه ابو داود والترمذي
عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان مرثد بن ابي مرثد
كان يحمل الاساري بمكه وكان بمكة بغي يقال لها عناق وكانت
صديقته قال فجيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
انكح عناق قال فسكت عني فنزلت الزانية لا ينكحها الا زان
او مشرك فدعاني فقراها علي وقال لا تنكحها لفظ ابي داود وحديث
الترمذي اكمل قال الخطابي هذا خاص بهذه المراه اذ كانت
كافره فاما الزانية المسلمه فان العقد عليها لا ينفسخ الثالث
انها مخصوصة في رجل من المسلمين ايضا استاذن رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم في نكاح امراة يقال لها ام مهزول وكانت من
بقايا الزانيات وشرطت ان تنفق عليه فانزل الله هذه الايه
قاله عمرو بن العاصي ومجاهد الرابع انها نزلت في اهل الصفه
وكانوا قوما من المهاجرين ولم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا
عشاير فنزلوا صفة المسجد وكانوا اربع ماية رجل يلتمسون
الرزق بالنهار وياوون الى الصفة بالليل وكان بالمدينة بغايا
متعالنات بالفجور مخاصيب بالكسوة والطعام فهم اهل الصفة
ان يتزوجوهن فياوون الى مساكنهن وياكلون من طعامهن
وكسوتهن فنزلت هذه الاية صيانة لهم عن ذلك قاله ابن
ابي صالح الخامس ذكره الزجاج وغيره عن الحسن وذلك انه
قال المراد الزاني المحدود والزانية المحدودة قال وهذا حكم من
الله فلا يجوز لزان محدود ان يتزوج الا محدوده وقال ابراهيم
النخعي نحوه وفي مصنف ابي داود عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا ينكح الزاني المجلود الا مثله وروي
ان محدودا تزوج غير محدوده ففرق علي رضي الله عنه بينهما
قال ابن العربي وهذا معنى لا يصح نظرا كما لم يثبت نقلا وهل
يصح ان يوقف نكاح من حد من الرجال على نكاح من حد من
النسا فباي اثر يكون ذلك وعلى اي اصل يقاس من الشريعه
قلت وحكى هذا القول الكيا عن بعض اصحاب الشافعي المتاخرين

وان الزاني اذا تزوج غير زانية فرق بينهما لظاهر الاية
قال الكيا وان هو عمل بالظاهر فيلزمه عليه ان يجوز للزاني
التزوج بالمشركة ويجوز للزانية ان تزوج نفسها من
مشرك وهذا في غاية البعد وهو خروج عن الاسلام
بالكلية وربما قال هاولاء ان الاية منسوخة في المشرك
خاصة دون الزانية السادس انها منسوخة روى مالك عن
يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال الزاني لا ينكح الا زانية
او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك قال نسختها هذه الاية التي
بعدها وانكحوا الايامى منكم وقاله ابن عمر وقال دخلت
الزانية في ايامى المسلمين قال ابو جعفر النحاس وهذا القول
عليه اكثر العلما واهل الفتيا يقولون ان من زنا بامراة
فله ان يتزوجها ولغيره ان يتزوجها وهو قول ابن عمر
وسالم وجابر بن زيد وعطا وطاوس ومالك بن انس
وهو قول ابي حنيفة واصحابه وقال الشافعي القول فيها
كما قال سعيد بن المسيب ان شا الله هي منسوخة قال
ابن عطية وذكر الاشراك في الاية يضعف هذه المناحي
قال ابن العربي والذي عندي ان النكاح لا يخلو ان يراد به
الوطء كما قال ابن عباس او العقد فان اريد به الوطء فان
معناه لا يكون زنا الا بزانية وذلك عبارة عن ان الوطئين
من

من الرجل والمراه زنا من الجهتين ويكون نقل بر الايه وطي
الزانيه لا يقع الا من زان او مشرك وهذا يوثر عن ابن
عباس وهو معنى صحيح فان قيل فاذا زنا بالغ بصبيه
او عاقل بمجنونه او مستيقظ بنايمه فان ذلك من جهه
الرجل زنا فهذا زان ينكح غير زانيه فيخرج المراد عن بابه
الذي تقدم قلنا هو زنا من كل جهة الا ان احدهما سقط
فيه الحد والاخر ثبت فيه وان اريد به العقد كان معناهُ
ان متزوج الزانيه التي قد زنت ودخل بها ولم يستبرها
يكون بمنزلة الزاني الا انّه لا حدّ عليه لاختلاف العلما في
ذلك واما اذا عقد عليها ولم يدخل بها حتى يستبريها
فذلك جايز اجماعا وقيل ليس المراد في الايه ان الزاني
لا ينكح قط الا زانيه اذ قد يتصور ان يتزوج غير زانيه
ولكن المعنى ان من تزوج بزانية فهو زان وكانه قال
لا تنكح الزانيه الا زان فقلب الكلام وذلك انه لا ينكح زانية
الا وهو راضٍ بزناها وانما يرضى بذلك اذا كان هو ايضا
يزني الثانيه في هذه الايه دليل على ان التزوج بالزانية
صحيح واذا زنت زوجة الرجل لم يفسد النكاح واذا
زنا الزوج لم يفسد نكاحه مع زوجته وهذا على ان الايه
منسوخه وقيل انها محكمة وسياتي المسالة روى ان

رجلاً زنا بامراة في زمان ابي بكر رضي الله عنه فجلدهما مائة
جلدة ثم زوج احدهما من الاخر مكانه ونفاهما وسنه وروي مثل
ذلك عن عمر وبن مسعود وجابر وقال ابن عباس اوله سفاح
واخره نكاح ومثل ذلك مثل رجل سرق من حايط ثمره
ثم اتى صاحب البستان فاشترى منه ثمره فما سرق حرام
وما اشترى حلال وبهذا اخذ الشافعي وابو حنيفة وراوا
ان الما لا حرمة له وروي عن ابن مسعود انه قال اذا زنا
الرجل بالمراة ثم نكحها بعد ذلك فهما زانيان ابدا وبهذا اخذ
مالك فراى انه لا ينكحها حتى يستبريها من مايه الفاسد
لان النكاح له حرمه ومن حرمته ان لا يصب على ما
السفاح فيختلط الحرام بالحلال ويمتزج ما المهانه
بما العزه الرابعه قال ابن خواز منداد من كان معروفا
بالزنا او بغيره من الفسوق معلنا به فتزوج الى اهل بيت
ستر وغرهم من نفسه فلهم الخيار في البقا معه او فراقه
وذلك كعيب من العيوب واحتج بقوله عليه السلام لا ينكح
الزاني المجلود الا مثله قال ابن خواز منداد وانما ذكر
المجلود لاشتهاره بالفسق وهو الذي يجب ان يفرق
بينه وبين غيره فاما من لم يشتهر بالفسق فلا الخامسه
قال قوم من المتقدمين الايه محكمة غير منسوخه وعند
هاولاء

هولاء من زنا فسد النكاح بينه وبين زوجته واذا زنت
الزوجة فسد النكاح بينها وبين زوجها وقال قوم من
هولاء لا ينفسخ النكاح بذلك ولكن يومر الرجل بطلاقها
اذا زنت ولو امسكها اثم ولا يجوز التزوج بالزانية ولا
من الزاني بل لو ظهرت التوبة فحينئذ يجوز النكاح السادس
وحرم ذلك على المومنين اي نكاح اوليك البغايا حرمه الله
على امة محمد عليه السلام ومن اشهرهن عناق السابعة
حرم الله الزنا في كتابه فحيث ما زنا الرجل فعليه الحد وهذا
قول مالك والشافعي وابي ثور وقال اصحاب الراي في الرجل
المسلم اذا كان في دار الحرب بامان وزنا هنالك ثم خرج
لم يحل قال ابن المنذر دار الحرب ودار الاسلام واحد من زنا
فعليه الحد على ظاهر قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد
منهما مائة جلدة قوله تعالى والذين يرمون المحصنات
الى قوله غفور رحيم فيه ست وعشرون مسله
الاولى هذه الاية نزلت في القاذفين قال سعيد بن جبير
كان سببها ما قيل في عايشة ام المومنين رضي الله عنها
وقيل بل نزلت بسبب القذفة عاما لا في تلك النازلة
وقال ابن المنذر لم نجد في اخبار رسول الله صلى الله عليه
وسلم خبرا يدل تصريح القذف وظاهر كتاب الله مستغنى به

دالا على القذف الذي يوجب الحد واهل العلم على ذلك مجمعون
الثانية قوله تعالى والذين يرمون يريد يسبون واستعير
له اسم الرمي لانه اذاية بالقول كما قال النابغه وجرح
اللسان كجرح اليد ** وقال اخر **
رماني بامر كنت عنه ووالدي بريا ومن جال الطوي رماني **
ويسمى قذفا ومنه الحديث ان ابن امية قذف امراته
بشريك بن سحما اي رماها الثالثه ذكر الله في الايه
النسا من حيث هو اهم ورميهن بالفاحشة ابشع وانكى
للنفوس وقذف الرجال داخل في حكم الاية بالمعنى واجماع
الامة على ذلك وهذا نحو نصه على الخنزير ودخل شحمه
وغضاريفه ونحو ذلك بالمعنى وبالاجماع وحكى الزهراوي
ان المعنى والانفس المحصنات فهي تعم بلفظها الرجال
والنسا ويدل على ذلك قوله والمحصنات من النسا وقال
قوم اراد بالمحصنات الفروج كما قال تعالى والتي احصنت
فرجها فيدخل فيه فروج الرجال والنساء وقيل انما
ذكر المراة الاجنبية اذا قذفت ليعطف عليها قذف
الرجل زوجته والله اعلم وقرا الجمهور والمحصنات
بفتح الصاد وكسرها يحيى بن وثاب والمحصنات العفايف
في هذا الموضع وقد مضى في النسا ذكر الاحصان ومراتبه
والحمد لله

المسالة الثانية

المسالة الثالثة

بلغ

وانكى

المسئلة الرابعة

والحمد لله الرابعة للقذف شروط عند العلماء تسعة شرطان
في القاذف وهما العقل والبلوغ لانهما اصلا التكليف اذ التكليف
ساقط دونهما وشرطان في الشي المقذوف به وهو ان يقذف
بوطء يلزمه فيه الحد وهو الزنا او اللواط او ينفيه من ابيه
دون ساير المعاصي وخمسة في المقذوف وهي العقل والبلوغ
والاسلام والحرية والعفة عن الفاحشة التي رمي بها كان عفيفا
عن غيرها ام لا وانما شرطنا في المقذوف العقل والبلوغ كما
شرطناهما في القاذف وان لم يكونا من معاني الاحصان لاجل
ان الحد انما وضع للزجر عن الاذية بالمضرة الداخلة على المقذوف
ولا مضرة على من عدم العقل والبلوغ اذ لا يوصف الوطء فيهما
ولا منهما بانه زنا الخامسة اتفق العلما على انه اذا صرح بالزنا

المسئلة الخامسة

كان قذفا ورميا موجبا للحد فان عرض ولم يصرح فقال
مالك هو قذف وقال الشافعي وابو حنيفة لا يكون قذفا حتى
يقول اردت به القذف والدليل لما قاله مالك هو ان موضوع
الحد في القذف انما هو لازالة المعرة التي اوقعها القاذف بالمقذوف
فاذا حصلت المعرة بالتعريض وجب ان يكون قذفا كالصريح
والمعول على الفهم وقد قال تعالى مخبرا عن شعيب انك لانت الحليم
الرشيد اي السفيه الضال فعرضوا له بالسب بكلام ظاهره
المدح في احد التاويلين حسب ما تقدم في هود وقال تعالى

في ابي جهل ذق انك انت العزيز الكريم وقال حكاية عن مريم
يا اخت هارون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا فمدحوا
اباها ونفوا عن امها البغا اي الزنا وعرضوا لمريم بذلك ولذلك
قال تعالى وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وكفرهم معروف
والبهتان العظيم هو التعريض لها اي ما كان ابوك امرا سوء وما
كانت امك بغيا اي انت خلافهما وقد اتيت بهذا الولد وقال تعالى
قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين فهذا اللفظ قد فهم منه ان المراد به ان الكفار
على غير هدى وان الله ورسوله على الهدى ففهم من هذا التعريض
ما يفهم من صريحه وقد حبس عمر رضي الله عنه الحطية لما قال
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي
لانه شبهه بالنسا في انهن يطعمن ويسقين ويكسون
ولما سمع قول النجاشي قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس
حبة خردلة قال ليت ابن الخطاب كذلك وانما اراد الشاعر
ضعف القبيلة ومثله كثير السادسة الجمهور من العلما على
انه لا حد على من قذف رجلا من اهل الكتاب او امراة منهم وقال
الزهري وسعيد بن المسيب وابن ابي ليلى عليه الحد اذا كان
لها ولد من مسلم وفيه قول ثالث وهو انه اذا قذف النصرانية
تحت المسلم جلد الحد قال ابن المنذر وجل العلما مجمعون
وقايلون

وقايلون بالقول الاول ولم أدرك أحدا ولا القينة تخالف في ذلك

واذا قذف النصراني المسلم الحر فعليه ما على المسلم ثمانون جلدة لا اعلم في ذلك اختلافا السابعة والجمهور من العلما على ان العبد اذا قذف حرا الجلد اربعين لانه حد يتشطر بالرق كحد الزنا وروي عن ابن مسعود وعمر بن عبد العزيز وقبيصة بن ذؤيب تجلد ثمانين وجلد ابو بكر بن محمد عبدا قذف حرا ثمانين وبه قال الاوزاعي احتج الجمهور بقول الله تعالى فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وقال الاخرون فهمنا هناك ان حد الزنا لله تعالى وانه ربما كان اخف فيمن قلت نعم الله عليه وافحش فيمن عظمت نعم الله عليه واما حد القذف فحق للادمي وجب للجناية على عرض المقذوف والجناية لا تختلف بالرق والحرية وربما قالوا لو كان يختلف لذكر كما ذكر في الزنا قال ابن المنذر والذي عليه عوام علما الامصار القول الاول وبه اقول الثامنة

واجمع العلما على ان الحر لا يجلد للعبد اذا افترى عليه لتباين مرتبتيهما ولقوله عليه السلام من قذف مملوكه بالزنا اقام عليه الحد يوم القيامة الا ان يكون كما قال خرجه البخاري ومسلم وفي بعض طرقه من قذف عبده بزنا ثم لم يثبت اقيم عليه يوم القيامة الحد ثمانون ذكره الدارقطني قال العلما

وانما كان ذلك في الاخرة لارتفاع الملل واستووا الشريف والوضيع والحر والعبد ولم يكن لاحد فضل الا بالتقا ولما كان ذلك تكافا الناس في الحدود والحرمه واقتص من كل واحد لصاحبه الا ان يعفو المظلوم عن الظالم وانما لم يتكافوا في الدنيا لئلا تدخل الداخله على المالكين في مكافاتهم لهم فلا تصح لهم حرمة ولا فضل في منزلة وتبطل فايده التسخير حكمة من الحليم العليم لا اله الا هو التاسعه قال مالك والشافعي من قذف من يحسبه عبدا فاذا هو حر فعليه الحد وقاله الحسن البصري واختاره ابن المنذر قال مالك ومن قذف ام الولد حد وروي عن ابن عمر وهو قياس قول الشافعي وقال الحسن البصري لا حد عليه العاشره واختلف العلما فيمن قال لرجل يا من وطئ بين الفخذين فقال ابن القاسم عليه الحد لانه تعريض وقال اشهب لا حد عليه لانه نسبه الى فعل لا يعد زنا اجماعا الحادية عشرة اذا رمى صبية يمكن وطؤها قبل البلوغ بالزنا كان قذفا عند مالك وقال ابو حنيفة والشافعي وابو ثور ليس بقذف لانه ليس بزنا اذ لا حد عليها ويعزر قال ابن العربي والمسئلة محتمله مشكله لكن مالك طلب حماية عرض المقذوف وغيره راعى حماية ظهر القاذف وحماية عرض المقذوف اولى لان القاذف كشف ستره بطرف لسانه فلزمه الحد قال ابن المنذر وقال

احمد

احمد في الجاريه بنت تسع تجلد قاذفها وكذلك الصبي اذا بلغ عشرا
ضرب قاذفه قال اسحق اذا قذف غلاما يطا مثله فعليه
الحد والجاريه اذا جاوزت تسعا مثل ذلك قال ابن المنذر لا لحد
من قذف من لم يبلغ لان ذلك كذب ويعزر على الاذى قال ابو
عبيد في حديث علي عليه السلام ان امراة جاته فذكرت ان
زوجها باتي جاريتها فقال ان كنت صادقة جلدناك فقالت
ردوني الى اهلي غيري نغرة قال ابو عبيد في هذا الحديث من
الفقه ان على الرجل اذا واقع جارية امراته الحد وفيه ايضا
اذا قذفه بذلك قاذف كان على قاذفه الحد الا تسمع قوله وان كنت
كاذبة جلدناك ووجه هذا كله اذا لم يكن الفاعل جاهلا بما ياتي
وبما يقول فان كان جاهلا وادعى شبهه درى عنه الحد في ذلك
كله وفيه ايضا ان رجلا لو قذف رجلا بحضرة حاكم وليس المقذوف
بحاضر انه لا شي على القاذف حتى يجي فيطلب حده لانه لا يدري
لعله يصدقه الا ترى ان عليا رضي الله عنه لم يعرض لها وفيه
ان الحاكم اذا قذف عنده رجل ثم جا المقذوف فطلب حقه اخذه
الحاكم بالحد بسماعه الا تراه يقول وان كنت كاذبة جلدناك
وهذا لانه من حقوق الناس قلت اختلف هل هو من حقوق الله
او حقوق الادميين وسياتي قال ابو عبيد قال الاصمعي سالني
شعبة عن قوله غيري نغرة فقلت له هو ماخوذ من نغر

القدر وهو غليانها وفورها يقال منه تغرت تثغر اذا غلت فمعناه انها اراد نان جوفها يغلي من الغيظ والغيرة لما لم تجد عنده ما تريد قال ويقال منه رايت فلانا يتغر على فلان اي يغلي جوفه عليه غيظا الثانية عشرة من قذف زوجة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم حد حدين قاله مسروق قال ابن العربي والصحيح انه حد واحد لعموم قوله تعالى والذين يرمون المحصنات الاية ولا يقتضي شرفهن زيادة في حد من قذفهن لان شرف المنزلة لا يوثر في الحدود ولا نقصها يوثر في الحد بتنقيص والله اعلم وسياتي الكلام فيمن قذف عايشة رضي الله عنها هل يقتل ام لا الثالثة عشرة قوله تعالى ثم لم ياتوا باربعة شهدا الذي يفتقر الى اربعة شهدا دون ساير الحقوق هو الزنا رحمة بعباده وسترا لهم وقد تقدم في النسا الرابعة عشرة من شرط اداء الشهود الشهادة عند مالك ان يكون ذلك في مجلس واحد فان افترقت لم تكن شهادة وقال عبد الملك تقبل شهادتهم مجتمعين ومفترقين فراى مالك ان اجتماعهم تعبد وبه قال ابن الحسن وراى عبد الملك ان القصد اداء الشهادة واجتماعها وقد حصل وهو قول عثمان البتي وابي ثور واختاره ابن المنذر لقوله تعالى ثم لم ياتوا باربعة شهدا وقوله فان لم ياتوا بالشهداء ولم يذكر

يذكر مفترقين ولا مجتمعين الخامسة عشره فان
تمت الشهادة الا انهم لم يعدلوا فكان الحسن البصري
والشعبي يريان لا حد على الشهود ولا على المشهود وبه قال
احمد والنعمان ومحمد بن الحسن وقال مالك اذا شهد عليه اربعة
بالزنا فان كان احدهم مسخوطا عليه او عبدا جلدون جميعا
وقال سفيان الثوري واحمد واسحق في اربعة عميان يشهدون
على امراة بالزنا يضربون السادسة عشره فان رجع
احد الشهدا وقد رجم المشهود عليه في الزنا فقالت طايفة
يغرم ربع الديه ولا شي على الاخرين وكذلك قال قتادة
وحماد وعكرمه وابو هاشم ومالك واحمد واصحاب الراي وقال
الشافعي ان قال عمدت ليقتل فالاوليا بالخيار ان شاوا
قتلوا وان شاوا عفوا واخذوا ربع الديه وعليه الحد
وقال الحسن البصري يقتل وعلى الاخرين ثلاثة ارباع الديه
وقال ابن سيرين اذا قال اخطات واردت غيره فعليه الديه
كامله وان قال تعمدت قتل به وبه قال ابن شبرمه السابعة
عشره واختلف العلما في حد القذف هل هو من حقوق
الله او حقوق الادميين او فيه شابه منهما الاول قول
ابي حنيفة والثاني قول مالك والشافعي والثالث قاله
بعض المتاخرين وفايدة الخلاف انه ان كان حقا لله وبلغ

الامام اقامه وان لم يطلب ذلك المقذوف وتنفعت القاذف
التوبه فيما بينه وبين الله تعالى ويتشطر فيه الحد بالرق
كالزنا وان كان حقا للادمي فلا يقيمه الامام الا بمطالبة
المقذوف ويسقط بعفوه ولم تنفع القاذف التوبه
حتى يحلله المقذوف الثامنة عشره قوله تعالى
باربعة شهدا قرا الجمهور على اضافة الاربعة الى الشهدا
وقرا عبد الله بن مسلم بن يسار وابو زرعة بن عمرو بن
جرير باربعة بالتنوين شهدا وفيه اربعة اوجه يكون
في موضع جر على النعت لاربعة او بدلا ويجوز ان يكون
حالا من نكره او تمييزا وفي الحال والتمييز نظر اذ الحال من
نكره والتمييز مجموع وسيبويه يرى ان تنوين العدد
وترك اضافته انما يجوز في الشعر وقد حسن ابو الفتح
عثمان بن جني هذه القراه وحبب على قراه الجمهور
قال النحاس ويجوز ان يكون شهدا في موضع نصب بمعنى
ثم لم يحضروا اربعة شهدا التاسعة عشره حكم
شهادة الاربعة ان تكون على معاينة يرون ذلك كالمرود
في المكحلة على ما تقدم في النسا في نص الحديث وان تكون
في موطن واحد على قول مالك وان اضطرب واحد منهم
جلد الثلاثه كما فعل عمر في امر المغيره بن شعبة وذلك
انه شهد

انه شهد عليه بالزنا ابو بكرة نفيع بن الحارث واخوه نافع
قال الزهراوي عبد الله بن الحارث وزياد اخوهما لامٍ وهو
وهو مستلحق معاوية وشبل بن معبد البجلي فلما جاوا
لاداء الشهادة وتوقف زياد ولم يوديها جلد عمر الثلاثة
المذكورين الموفية عشرين قوله تعالى فاجلدوهم ثمانين جلدة
الجلد الضرب والمجالدة المضاربة في الجلود او بالجلود
ثم استعير الجلد لغيره ذلك من سيف او غيره ومنه قول
قيس بن الخطيم اجالدهم يوم الحديقة حاسرًا كان يدي بالسيف
ثمانين نصب على المصدر جلدة تمييز ولا تقبلوا لهم
شهادة ابدا هذا يقتضي مدة اعمارهم ثم حكم عليهم بانهم
فاسقون اي خارجون عن طاعة الله جل وعز الحادية
والعشرون قوله تعالى الا الذين تابوا في موضع نصب
على الاستثنا ويجوز ان يكون في موضع خفض على البدل
والمعنى ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا الا الذين تابوا واصلحوا
من بعد القذف فان الله غفور رحيم فتضمنت الاية ثلثة
احكام في القاذف جلده ورد شهادته ابدا وفسقه
فالاستثنا غير عامل في جلده باجماع الا ما روي عن الشعبي
على ما ياتي وعامل في فسقه باجماع واختلف الناس في عمله
في رد الشهادة فقال شريح القاضي وابراهيم النخعي والحسن

البصري وسفيان الثوري وابو حنيفة لا يعمل الاستثنا
في رد شهادته وانما يزول فسقه عند الله تعالى واما
شهادة القاذف لا تقبل البته ولو تاب واكذب نفسه
ولا بحال من الاحوال وقال الجمهور الاستثنا عامل في رد
الشهادة فاذا تاب القاذف قبلت شهادته وانما كان
ردها لعلة الفسق فاذا زال بالتوبة قبلت شهادته
مطلقًا قبل الحد وبعده وهو قول عامة الفقها ثم اختلفوا
في صورة توبته فمذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه
والشعبي وغيره ان توبته لا تكون الا بان يكذب نفسه
في ذلك القذف الذي حُد فيه وهكذا فعل عمر فانه قال للذين
شهدوا على المغيرة من اكذب نفسه اجزت شهادته
فيما استقبل ومن لم يفعل لم اجز شهادته فاكذب الشبل
بن معبد ونافع بن الحارث بن كلدة انفسهما وتابا وابى
ابو بكرة ان يفعل فكان لا تقبل شهادته وحكى هذا القول
النحاس عن اهل المدينة وقالت فرقة منها مالك رحمه الله وغيره
توبته ان يصلح وتحسن حاله وان لم يرجع عن قوله بتكذيب
وحسبه الندم على قذفه والاستغفار منه وترك العود
الى مثله وهو قول ابن جرير ويروى عن الشعبي انه قال
الاستثنا من الاحكام الثلثه اذا تاب وظهرت توبته
لم يحد

لم يحد وقبلت شهادته وزال عنه التفسيق لانه قد صار
ممن يرضى من الشهدا وقد قال الله تعالى واني لغفار لمن تاب
الاية الثانية والعشرون اختلف علماونا رحمهم الله متى
تسقط شهادة القاذف فقال ابن الماجشون بنفس قذفه
وقال ابن القاسم واشهب وسحنون لا تسقط حتى يجلد
فان منع من جلده مانع عفو او غيره لم ترد شهادته وقال
الشيخ ابو الحسن اللخمي شهادته في مدة الاجل موقوفة
ورجح القول بان التوبة انما تكون بالتكذيب في القذف
والا فاي رجوع لعدل ان قذف وحد وبقي على عدالته
الثالثة والعشرون واختلفوا ايضا على القول بجواز
شهادته بعد التوبة في اي شي تجوز فقال مالك رحمه الله
تجوز في كل شي مطلقا وكذلك كل من حد في شي من الاشيا
رواه ابن نافع وابن عبد الحكم عن مالك وهو قول ابن كنانة
وذكر الوقار عن مالك انه لا تقبل شهادته فيما حد فيه خاصة
وتقبل فيما سوى ذلك وهو قول مطرف وابن الماجشون
وروى العتبي عن اصبغ وسحنون مثله قال سحنون من
حد في شي من الاشيا فلا تجوز شهادته في مثل ما حد فيه
وقال مطرف وابن الماجشون من حد في قذف او زنا
فلا تجوز شهادته في شي من وجوه الزنا ولا في قذف

ولا لعان وان كان عدلا وروايه عن مالك واتفقوا على ولد
الزنا ان شهادته لا تجوز في الزنا الرابعة والعشرون
الاستثنا اذا تعقب جملا معطوفا عاد الى جميعها عند
مالك والشافعي واصحابهما وعند ابي حنيفة وجل اصحابه
يرجع الاستثنا الى اقرب مذكور وهو الفسق ولهذا
لا تقبل شهادته فان الاستثنا راجع الى الفسق خاصة
لا الى قبول الشهادة وسبب الخلاف في هذا الاصل سببان
احدهما هل هذه الجمل في حكم الجملة الواحدة للعطف الذي
فيها او لكل جملة حكم نفسها في الاستقلال وحرف العطف
محسن لا مشرك وهو الصحيح في عطف الجمل لجواز عطف
الجمل المختلفة بعضها على بعض على ما يعرف في النحو السبب
الثاني تشبيه الاستثنا بالشرط في عوده الى الجمل
المتقدمة فانه يعود الى جميعها عند الفقها او لا يشبه
به لانه من باب القياس في اللغة وهو فاسد على ما يعرف
في اصول الفقه والاصل ان كل ذلك محتمل ولا ترجيح
فتعين ما قاله القاضي من الوقف وبنا بدا الاشكال بانه
قد جا في كتاب الله جل وعز كلا الامرين فان اية المحاربة
فيها عود الضمير الى الجميع باتفاق واية قتل المومن
خطا فيها رد الاستثنا الى الاخيرة باتفاق واية القذف
محتمله

محتمله للوجهين فتعين الوقف من غير مين قال علماونا وهذا
نظر كلي اصولي ويترجح قول مالك والشافعي رحمهما الله
من جهة نظر الفقه الجزي بان يقال الاستثنا راجع الى
الفسق والتوبة جميعا الا ان يفرق بين ذلك بخبر يجب
التسليم له واجمعت الامة على ان التوبة تمحو الكفر
فيجب ان يكون ما دون ذلك اولى والله اعلم قال ابو عبيد
الاستثنا يرجع الى الجمل السابقة قال وليس من نسب
الى الزنا باعظم جرما من مرتكب الزنا ثم الزاني اذا تاب
قبلت شهادته لان التايب من الذنب كمن لا ذنب له
واذا قبل الله التوبة من العبد كان العباد بالقبول اولى
مع ان مثل هذا الاستثنا موجود في مواضع من القران
منها قوله انما جزا الذين يحاربون الله ورسوله الى قوله
الا الذين تابوا ولا شك ان هذا الاستثنا الى الجميع وقال
الزجاج وليس القاذف باشد جرما من الكافر فحقه اذا
تاب واصلح ان تقبل شهادته قال وقوله ابدا اي ما دام
قاذفا كما يقال لا تقبل شهادة الكافر ابدا فان معناه ما
دام كافرا وقال الشعبي للمخالف في هذه المسالة يقبل الله
توبته ولا تقبلون شهادته ثم ان كان الاستثنا يرجع
الى الجملة الاخيرة عند اقوام من الاصوليين فقوله

واذا قبل الله التوبة من الفعل
كان القبول اولى والله اعلم

فاوليك هم الفاسقون تعليل لا جمله مستقله بنفسها اي لا
تقبلوا شهادتهم لفسقهم فاذا زال الفسق فلم لا تقبل
شهادتهم ثم توبة القاذف الازابة لنفسه كما قال عمر
لقذفة المغيره بحضرة الصحابة من غير نكير مع اشاعة
القضية وشهرتها من البصرة الى الحجاز وغير ذلك من الاقطار
ولو كان تاويل الاية ما تاوله الكوفيون لم يجز ان يذهب
علم ذلك عن الصحابة ولقالوا لعمر لا تجوز قبول توبة القاذف
ابدا ولم يسعهم السكوت عن القضا بتحريف تاويل الكتاب
فسقط قولهم والله المستعان الخامسة والعشرون
قال القشيري ولا خلاف انه اذا لم يجلد القاذف بان مات
المقذوف قبل ان يطالب القاذف بالحد او لم يرفع الى السلطان
او عفى المقذوف فالشهادة مقبوله لان عند الخصم في المسلة
النهي عن قبول الشهادة معطوف على الجلد قال الله تعالى
فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وعند
هذا قال الشافعي هو قبل ان يحد شر منه حين حد لان
الحدود كفارات فكيف ترد شهادته في احسن حاليه دون
اخسها قلت هكذا قال ولا خلاف وقد تقدم عن ابن الماجشون
انه بنفس القذف ترد شهادته وهو قول الليث والاوزاعي
والشافعي ترد شهادته وان لم يحد لانه بالقذف يفسق
لانه

لانه من الكباير فلا تقبل شهادته حتى تصح برااته باقرار المقذوف
له بالزنا او بقيام البينة عليه السادسة والعشرون قوله
تعالى واصلحوا اي بعد اظهار التوبة وقيل واصلحوا العمل فان
الله غفور رحيم حيث تابوا وقبل توبتهم قوله تعالى
والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم
الى قوله تواب حكيم فيه ثلاثون مسله الاولى قوله تعالى
ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم بالرفع على البدل ويجوز
النصب على الاستثنا وعلى خبر يكن فشهادة احدهم اربع
شهادات بالرفع على الابتدا والخبر اي فشهادة احدهم
التي تزيل عنه حد القذف اربع شهادات وقرا
اهل المدينة وابو عمرو اربع بالنصب لان معنى فشهادة
ان يشهد احدهم اربع شهادات ولا خلاف في الثاني
انه منصوب بالشهادة والخامسة رفع بالابتدا والخبر
ان وصلتها ومعنى المخففة كمعنى المثقلة لان معناها
انه وقرا ابو عبد الرحمن وطلحة وعاصم في رواية حفص
والخامسة بالنصب بمعنى وتشهد الشهادة الخامسة
قوله لعنة الله عليه الثانية في سبب نزولها
وهو ما رواه ابو داود عن ابن عباس ان هلال بن امية
قذف امراته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحما

فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة او حد في ظهرك قال يا رسول
الله اذا راي احدنا رجلا على امراته يلتمس البينة فجعل النبي
يقول
صلى الله عليه وسلم البينة والا حد في ظهرك فقال هلال والذي
بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله في امري ما يبرئ ظهري
من الحد فنزلت والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهدا الا
انفسهم فقرا حتى بلغ من الصادقين الحديث بكماله وقيل لما نزلت
الاية المتقدمة في الذين يرمون المحصنات وتناول ظاهرها
الازواج وغيرهم قال سعد بن معاذ يا رسول الله ان وجدت
مع امراتي رجلا امهله حتى اتي باربعة والله لاضربنه بالسيف
غير مصفح عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعجبون
من غيرة سعد لانا اغير منه والله اغير مني وفي الفاظ سعد
روايات مختلفة هذا نحو معناها ثم جا من بعد ذلك هلال
بن امية الواقفي فرمى زوجته بشريك بن سحما البلوي على
ما ذكرنا وعزم النبي صلى الله عليه وسلم على ضربه حد القذف
فنزلت هذه الاية عند ذلك فجمعهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المسجد وتلاعنا فتلكات المراة عند الخامسة لما وعظت
وقيل انها موجبة ثم قالت لا افضح قومي ساير اليوم
فالتعنت وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وولدت
غلاما كانه جمل اورق على النعت المكروه ثم كان الغلام
بعد ذلك

بعد ذلك اميرا بمصر وهو لا يعرف لنفسه ابا وجا ايضا
عويمر العجلاني فرمى امراته ولاعن والمشهور ان نازلة هلال
كانت قبل وانها سبب الاية وقيل نازلة عويمر بن اشقر
كانت قبل وهو حديث صحيح مشهور خرجه الايمة قال
ابو عبد الله بن ابي صفره الصحيح ان القاذف لزوجه عويمر
وهلال بن امية خطا قال الطبري يستنكر قوله في الحديث
هلال بن امية وانما القاذف عويمر بن زيد بن الحرث العجلاني
كذلك كان يقول اهل الاخبار وقيل قرا النبي صلى الله عليه وسلم
على الناس في الخطبة يوم الجمعة والذين يرمون المحصنات فقال
عاصم بن عدي الانصاري جعلني الله فداك لو ان رجلا منا
وجد على بطن امراته رجلا فتكلم فاخبر بما جرى جلد
ثمانين وسماه المسلمون فاسقا فلا تقبل شهادته فكيف
لاحدنا عند ذلك باربعة شهود والى ان يلتمس اربعة
شهود فقد فرغ الرجل من حاجته فقال عليه السلام
كذلك انزلت يا عاصم بن عدي فخرج عاصم سامعا مطيعا
فاستقبله هلال بن امية يسترجع فقال ما وراك قال
شر وجدت شريك بن السحما على بطن امراتي خوله يزني
بها وخوله هذه بنت عاصم بن عدي كذا في هذا الطريق
ان الذي وجد مع امراته شريكا هو هلال بن امية

والصحيح خلافه حسب ما تقدم بيانه قال الكلبي والاظهر ان
الذي وجد مع امراته شريكا عويمر العجلاني لكثرة ما روى
ان النبي صلى الله عليه وسلم لاعن بين العجلاني وامراته واتفقوا
على ان هذا الزاني هو شريك بن عبده وامه السمحا وكان
عويمر وخوله بنت قيس وشريك بني عم عاصم وكانت
هذه القصه في شعبان سنة تسع من الهجرة منصرف رسول
الله صلى الله عليه وسلم من تبوك الى المدينه قاله الطبري؛
وروى الدارقطني عن عبد الله بن جعفر قال حضرت رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين لاعن بين عويمر العجلاني وامراته
مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك وانكر
حملها الذي في بطنها وقال هو ابن السمحا فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم هات امراتك فقد نزل القران فيكما
فلاعن بينهما بعد العصر عند المنبر على حمل في طريقه
الواقدي عن الضحاك بن عثمان عن عمران بن ابي انس قال
سمعت عبد الله بن جعفر يقول فذكره **الثالثه** قوله سبحانه
والذين يرمون ازواجهم عام في كل رمي سوا قال زنيت او
يا زانيه او رايتها تزني او هذا الولد ليس مني فان الايه
مشتمله عليه ويجب اللعان ان لم يات باربعة شهدا
وهذا قول جمهور العلما وعامة الفقها وجماعة اهل الحديث
وقد روي

وقد روي عن مالك مثل ذلك وكان مالك يقول لا يلاعن الا ان
يقول رايتك تزني او ينفي حملا او ولدا منها وقول ابي
الزناد ويحيى بن سعيد والبتي مثل قول مالك ان الملاعنه
لا تجب بالقذف وانما تجب بالرويه او نفي الحمل مع دعوى
الاستبرا هذا هو المشهور عن مالك وقاله ابن القاسم والصحيح
الاول لعموم قوله والذين يرمون ازواجهم قال ابن العربي
وظاهر القران يكفي لايجاب اللعان بمجرد القذف من غير
رويه فلتعولوا عليه لا سيما وفي الحديث الصحيح ارايت رجلا
وجد مع امراته رجلا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاذهب
فات بها ولم يكلفه ذكر الرويه واجمعوا ان الاعمى يلاعن
اذا قذف امراته ولو كانت الرويه من شرط اللعان ما لاعن
الاعمى قاله ابو عمر وقد ذكر ابن القصار عن مالك ان لعان الاعمى
لا يصح الا ان يقول لمست فرجه في فرجها والحجه لمالك
ومن اتبعه ما رواه ابو داود عن ابن عباس قال جا هلال
بن اميه وهو احد الثلاثه الذين تيب عليهم فجا من ارضه عشيا
فوجد عند اهله رجلا فراى بعينه وسمع باذنيه فلم يهجه
حتى اصبح ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا
رسول الله اني جيت اهلي عشيا فوجدت عندهم رجلا فرايت
بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم

مَا جَآءَ بِهِ واشتد عليه فنزلت والذين يرمون ازواجهم الاية
وذكر الحديث وهو نص على ان الملاعنة التي قضى فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما كانت في الروية فلا يجب ان يتعدى ذلك
ومن قذف امراته ولم يذكر روية حُدَّ لعموم قوله والذين
يرمون المحصنات الرابعة اذا نفى الحمل فانه يلتعن لانه
اقوى من الروية ولابد من ذكر عدم الوطء والاستبراء بعده
واختلف علماونا في الاستبراء فقال المغيره ومالك في احد
قوليهما يجزي في ذلك حيضه وقال مالك ايضا لا ينفيه الا
بثلاث حيض والصحيح الاول لان براة الرحم من الشغل تقع
بها كما في استبرا الامة وانما راعينا الثلاث حيض في العدد
لحكم اخر ياتي بيانه في الطلاق ان شا الله وحكى اللخمي عن
مالك انه قال مرة لا ينفى الولد بالاستبرا لان الحيض ياتي
على الحمل وقاله اشهب في كتاب ابن المواز وقاله المغيره
وقال لا ينفى الولد الا لخمس سنين لانه اكثر مدة الحمل على
ما تقدم الخامسة اللعان عندنا يكون في كل زوجين
حرين كانا او عبدين مومنين او كافرين فاسقين او عدلين
وبه قال الشافعي ولا لعان بين الرجل وامته ولا بينه وبين
ام ولده وقيل لا ينتفي ولد الامة عنه الا بيمين واحدة
بخلاف اللعان وقد قيل انه اذا نفى ولد ام الولد لاعن والاول
تحصيل المذهب

بلغ

تحصيل لمذهب مالك وهو الصواب وقال ابو حنيفة لا يصح
اللعان الا من زوجين حرين مسلمين وذلك لان اللعان عنده
شهادة وعندنا وعند الشافعي يمين فكل من صحت يمينه
صح قذفه ولعانه واتفقوا على انه لا بد ان يكونا مكلفين
وفي قوله صلى الله عليه وسلم وجد مع امرائه رجلا دليل على
ان الملاعنة تجب على كل زوجين لانه لم يخص رجلا من
رجل ولا امراة من امراة ونزلت اية اللعان على هذا الجواب
فقال والذين يرمون ازواجهم ولم يخص زوجا من زوج
والى هذا ذهب مالك واهل المدينة وهو قول الشافعي واحمد
واسحاق وابي عبيد وابي ثور وايضا فان اللعان يوجب
فسخ النكاح فاشبه الطلاق فكل من يجوز طلاقه يجوز
لعانه واللعان أيمان لا شهادات قال الله تعالى لشهادتنا
احق من شهادتهما اي أيماننا وقال تعالى اذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال تعالى اتخذوا ايمانهم
جنة وقال عليه السلام لولا الأيمان لكان لي ولها شان
واما ما احتج به الثوري وابو حنيفة فهي حجج لا تقوم
على ساق منها حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن
جده عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اربعة ليس بينهم لعان ليس بين الحر والامة لعان وليس

بين الحرة والعبد لعان وليس بين المسلم واليهودية لعان
وليس بين المسلم والنصرانية لعان اخرجه الدارقطني
من طرق ضعفها كلها وروي عن الاوزاعي وابن جريج وهما
امامان عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قوله ولم
يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم واحتجوا من جهة
النظر ان الازواج لما استثنوا من جملة الشهداء بقوله
ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم وجب ان لا يلاعن الا من تجوز
شهادته وايضا فلو كانت يمينا ما رددت والحكمة في
ترديدها قيامها في الاعداد مقام الشهود في الزنا قلنا هذا
يبطل بيمين القسامة فانها تكرر وليست بشهادة اجماعا
والحكمة في تكرارها التغليظ في الفروج والدماء قال ابن العربي
والفيصل في انها يمين لا شهادة ان الزوج يحلف لنفسه في اثبات
دعواها وتخليصه من العذاب وكيف يجوز لاحد ان يدعي
في الشريعة ان شاهدا يشهد لنفسه بما يوجب حكما
على غيره هذا بعيد في الاصل معدوم في النظر السادسة
اختلف العلما في ملاعنة الاخرس فقال مالك والشافعي
يلاعن لانه ممن يصح طلاقه وظهاره وايلاوه اذا فهم ذلك
عنه وقال ابو حنيفة لا يلاعن لانه ليس من اهل الشهادة
ولانه قد ينطق بلسانه فينكر اللعان فلا يمكنا اقامة الحد
عليه

عليه وقد تقدم هذا المعنى في سورة مريم عليها السلام
والدليل عليه والحمد لله السابعة قال ابن العربي راى
ابو حنيفة عموم الاية فقال ان الرجل اذا قذف زوجته
بالزنا قبل ان يتزوجها فانه يلاعن ونسي ان ذلك قد تضمنه
قوله والذين يرمون المحصنات وهذا رماها محصنة
غير زوجة وانما يكون اللعان في قذف يلحق فيه النسب
وهذا قذف فلا يلحق فيه نسب فلا يوجب لعانا كما لو
قذف اجنبية الثامنة اذا قذفها بعد الطلاق نظر
فان كان هنالك نسب يريد ان ينفيه او حمل يتبرا منه
لاعن والا لم يلاعن وقال عثمان البتي لا يلاعن بحال لانها ليست
بزوجة وهذا ينتقض عليه بالقذف قبل الزوجية كما ذكرناه
انفا بل هذا اولى لان النكاح قد تقدم وهو يريد الانتفا من
النسب وتبرئته من ولد يلحق به فلا بد من اللعان فاذا لم
يكن هناك حمل يرجى ولا نسب يخاف تعلقه لم يكن
للعان فائدة فلم يحكم فيه وكان قذفا مطلقا داخلا تحت عموم
قوله والذين يرمون المحصنات الاية فوجب عليه الحد
وبطل ما قال البتي لظهور فساده التاسعة لا ملاعنة
بين الرجل وزوجته بعد انقضا العدة الا في مسئلة واحدة
وهي ان يكون الرجل غايبا فتاتي امراته بولد في مغيبه

وقال ابو حنيفة لا يلاعن الا في الرجعي لانها ليست بزوجة

وهو لا يعلم فيطلقها فتنقضي عدتها ثم يقدم فينفيه فله
ان يلاعنها هاهنا بعد العده ولذلك لو قدم بعد وفاتها
ونفي الولد لاعن لنفسه وهي ميتة بعد مدة من العدة
وبرئتها لانها ماتت قبل وقوع الفرقة بينهما العاشرة
اذا انتفي من الحمل ووقع ذلك بشرطه لاعن قبل الوضع
وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة لا يلاعن الا بعد ان تضع
لانه يحتمل ان يكون ريحا او داء ودليلنا النص الصريح بان
النبي صلى الله عليه وسلم لاعن قبل الوضع وقال ان جاءت
به كذا فهو لابيه وان جاءت به كذا فهو لفلان فجاءت به على
النعت المكروه الحادية عشرة اذا قذف بالوطء في
الدبر لاعن وقال ابو حنيفة لا يلاعن وبناه على اصله في
ان اللواط لا يوجب الحد وهو فاسد لان الرمي به معرة
وقد دخل تحت عموم قوله والذين يرمون ازواجهم وقد
تقدم في الاعراف والمومنين انه يجب به الحد الثانية
عشرة قال ابن العربي من غريب امر هذا الرجل انه اذا
قذف زوجته وامها بالزنا انه ان حد للام سقط امر البنت
وان لاعن للبنت لم يسقط حد الام وهذا لا وجه له وما
رايت لهم شيا يحكى وهذا باطل جدا فانه خص عموم الاية
في البنت وهي زوجة بحد الام من غير اثر ولا اصل قاسه عليه
الثالثة عشرة

مطلب في بيان اللعان

الثالثه عشره اذا قذف زوجته ثم زنت قبل التعانه فلا حد ولا لعان وبهذا قال ابو حنيفة والشافعي واكثر اهل العلم وقال الثوري والمزني لا يسقط الحد عن القاذف وزني المقذوف بعد ان قذف لا يقدح في حصانته المتقدمه ولا يرفعها لان الاعتبار الحصانة والعفة في القذف في حال القذف لا بعده كما لو قذف مسلما فارتد المقذوف بعد القذف وقبل ان يحد القاذف لم يسقط الحد عنه وايضا فان الحدود كلها معتبرة بوقت الوجوب لا وقت الاقامه ودليلنا هو انه قد ظهر قبل استيفاء اللعان والحد معنى لو كان موجودا في الابتدا منع صحة اللعان ووجوب الحد فكذلك اذا طرى في الثاني كما اذا شهد شاهدان ظاهرها العداله فلم يحكم الحاكم بشهادتهما حتى ظهر فسقهما بان زنيا او شربا خمرا لم يجز للحاكم ان يحكم بشهادتهما تلك وايضا فان الحكم بالعفة والاحصان يوجد من طريق الظاهر لا من حيث القطع واليقين وقد قال عليه السلام ظهر المومن حمى فلا يحد القاذف الا بدليل قاطع وبالله التوفيق الرابعة عشره من قذف امراته وهي كبيرة لا تحمل تلاعنا هو لدفع الحد وهي لدرء العذاب فان كانت صغيرة لا تحمل لاعن هو لدفع الحد ولم تلاعن هي

لانها الوا قرت لم يكن مهاشي وقال ابن الماجشون لا حد على قاذف
من لم تبلغ قال اللخمي فعلى هذا لا لعان على زوج الصغيرة التي
لا تحمل الخامسة عشرة اذا شهد اربعة على امراه بالزنا احدهم
زوجها فان الزوج يلاعن ويحد الشهود الثلاثه وهو احد قولي
الشافعي والقول الثاني انهم لا يحدون وقال ابو حنيفة اذا
شهد الزوج والثلاثه ابتداء قبلت شهادتهم وحدت المراة
ودليلنا قوله تعالى والذين يرمون المحصنات الاية فاخبر
ان من قذف محصنا ولم يات باربعة شهدا حد والزوج رام
لزوجته فخرج عن ان يكون احد الشهود والله اعلم السادسه
عشره اذا ظهر بامراة حمل فترك ان ينفيه لم يكن له نفيه
بعد سكوته بعد العلم به رضى به كما لو اقر به ثم ينفيه فانه
لا يقبل منه والله اعلم السابعه عشره فان اخر ذلك الى
ان وضعت وقال رجوت ان يكون ريحا ينفش او تسقطه
فاستريح من القذف فهل لنفيه بعد وضعه مدة ما فاذا
تجاوزها لم يكن له ذلك فقد اختلف في ذلك فنحن نقول ان
لم يكن له عذر في سكوته حتى مضت ايام فهو راض به
ليس له نفيه وبهذا قال الشافعي وقال ايضا متى ما امكنه
نفيه على ما جرت به العاده من تمكنه من الحاكم فلم يفعل
لم يكن له نفيه من بعد ذلك وبهذا قال مالك انه ان ترك اليوم
واليومين

٢٥٦

مدة

واليومين لم يكن له نفيه وقال ابو حنيفه لا اعتبر وقال ابو
يوسف ومحمد يعتبر فيه اربعون يوما مدة النفاس قال ابن
القصار والدليل لقولنا هو ان نفي ولده محرم عليه واستلحاق
ولد ليس منه محرم عليه فلا بد ان يوسع عليه لكي ينظر فيه
ويفكر هل يجوز له نفيه او لا وانما جعلنا الحد ثلثة لانه
اول حد الكثره واخر حد القله وقد جعلت ثلثه ايام يختبر
بها حال المصراه فلذلك ينبغي ان يكون هنا واما ابو يوسف
ومحمد فليس اعتبارهم باولي من اعتبار مدة الولاده والرضاع
اذ لا شاهد لهم في الشريعة وقد ذكرنا الخمس شاهدا في
الشريعة من مدة المصراه الثامنه عشره قال ابن القصار
اذا قالت امراة لزوجها او لاجنبي يا زانية بالهاء ولذلك الاجنبي
للاجنبي فلست اعرف فيه نصا لاصحابنا ولكنه عندي يكون
قذفا وعلى قايله الحد وقد زاد حرفا وبه قال الشافعي ومحمد
بن الحسن وقال ابو حنيفة وابو يوسف لا يكون قذفا
واتفقوا انه اذا قال لامراة يا زان انه قذف والدليل
على انه يكون في الرجل قذفا هو ان الخطاب اذا فهم منه
معناه ثبت حكمه سواء كان بلفظ اعجمي او عربي الا ترى
انه اذا قال للمراة زنيت بفتح التاء كان قذفا لان معناه
يفهم منه ولابي حنيفة وابي يوسف انه لما جاز ان يخاطب

المونث بخطاب المذكر كقوله تعالي وقال نسوة صلح ان يكون
قوله يا ران للمونث فد قا ولما لم يجز ان يونث فعل المذكر
اذا تقدم عليه لم يكن لخطابه بالمونث حكم والله اعلم التاسعه
عشره يلاعن في النكاح الفاسد زوجته لانها صارت فراشا
ويلحق النسب فيه فجري اللعان عليه الموفيه عشرين
اختلفوا في الزوج اذا ابي من الالتعان فقال ابو حنيفة
لا حد عليه لان الله تعالي جعل علي الاجنبي الحد وعلى الزوج
اللعان فلما لم ينتقل اللعان الي الاجنبي لم ينتقل الحد الى
الزوج ويسجن ابدا حتى يلاعن لان الحد ود لا توخذ قياسا
وقال مالك والشافعي وجمهور الفقها ان لم يلتعن الزوج
حد لان اللعان له براة كالشهود للاجنبي فان لم يات الاجنبي
باربعة شهدا حد فلذلك الزوج ان لم يلتعن وفي حديث
العجلاني ما يدل على هذا لقوله ان سكت سكت على غيظ
وان قتلت قتلت وان نطقت جلدت الحاديه والعشرون
واختلفوا ايضا هل للزوج ان يلاعن مع شهوده فقال
مالك والشافعي يلاعن كان له شهود اولم يكن لان الشهود
ليس لهم عمل في غير درء الحد واما رفع الفراش ونفي
الولد فلا بد فيه من اللعان وقال ابو حنيفه واصحابه
انما جعل اللعان للزوج اذا لم يكن له شهود غير نفسه
لقوله

لقوله ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم الثانية والعشرون
البداية في اللعان بما بدا الله به وهو الزوج وفايدته
درء الحد عنه ونفي النسب منه لقوله عليه السلام البينة
والا حد في ظهرك ولو بدئ بالمراة قبله لم يجز لانه
عكس ما رتبه الله وقال ابو حنيفة يجزيه وهذا باطل
لانه خلاف القران وليس له اصل يرده اليه ولا معنى
يقوى به بل المعنى لنا لان المراة اذا ابدأت باللعان فتنفي ما
لم يثبت وهذا الاوجه له الثالثة والعشرون كيفية
اللعان ان يقول الحاكم للملاعن قل اشهد بالله لرايتها تزني
ورايت فرج الزاني في فرجها كالمرود في المكحلة وما
وطئتها بعد رؤيتي وان شئت قلت لقد زنت وما
وطئتها بعد زناها يردد ما شاء من هذين اللفظين اربع
مرات فان نكل عن هذه الايمان او عن شي منها حد واذا
نفى حملا قال اشهد بالله لقد استبرأتها وما وطئتها بعد
وما هذا الحمل مني ويشير اليه فيحلف بذلك اربع
مرات ويقول في كل يمين منها واني لمن الصادقين
في قولي هذا عليها ثم يقول في الخامسة علي لعنة الله
ان كنت من الكاذبين وان شاء قال ان كنت كاذبا
فيما ذكرت عنها فاذا قال ذلك سقط عنه الحد وانتفى

عنه الولد فاذا فرغ الرجل من التعانه قامت
المراة بعده فحلفت بالله اربعة ايمان تقول
فيها اشهد بالله انه لكاذب او انه من الكاذبين
فيما ادعاه علي وذكر عني وان كانت حاملا قالت
وان حملي هذا منه ثم تقول في الخامسة وعلي غضب
الله ان كان صادقا او ان كان من الصادقين فقوله
ذلك ومن اوجب اللعان بالقذف يقول في كل شهادة
من الاربع اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميت
به فلانه من الزنا ويقول في الخامسة علي لعنة الله
ان كنت كاذبا فيما رميتها به من الزنا وتقول هي اشهد
بالله انه لكاذب فيما رماني به من الزنا وتقول في الخامسة
علي غضب الله ان كان صادقا فيما رماني به من الزنا
وقال الشافعي يقول الملاعن اشهد بالله اني لمن
الصادقين فيما رميت به زوجتي فلانه بنت فلان
ويشير اليها ان كانت حاضرة يقول ذلك اربع مرات
ثم يقعده الامام ويذكره الله ويقول اني اخاف
ان لم تكن صدقت ان تبوء بلعنة الله فان راه يريد
ان يمضي على ذلك امر من يضع يده على فيه ويقول
ان قولك وعلي لعنة الله ان كنت من الكاذبين موجبا
فان ابا

فان ابي نركه يقول ذلك لعنه الله علي ان كنت من الكاذبين
فيما رميت به فلانه من الزنا واحتج بما رواه ابوداود
عن ابن عباس ان رسول الله صلي الله عليه وسلم امر رجلا
حين امر المتلاعنين ان يضع يده علي فيه عند الخامسه
يقول انها موجب الرابعة والعشرون اختلف العلما
في حكم من قذف امراته برجل سماه هل يحد له ام لا فقال مالك
عليه اللعان لزوجته وحد للمرمي وبه قال ابوحنيفه لانه
قاذف لمن لم تكن له ضرورة الي قذفه وقال الشافعي لا
حد عليه لان الله عز وجل لم يجعل علي من رمي زوجته
بالزنا الا حدا واحدا بقوله والذين يرمون ازواجهم ولم
يفرق بين من ذكر رجلا بعينه وبين من لم يذكره وقد رمي
العجلاني زوجته بشريك وكذلك هلال بن امية فلم يجد
واحد منهما قال ابن العربي وظاهر القران لنا لان الله وضع
الحد في قذف الاجنبي والزوجة مطلقين ثم خص حد
الزوجه بالخلاص باللعان وبقي الاجنبي علي مطلق الاية
وانما لم يحد العجلاني لشريك ولا هلال لانه يطلبه
وحد القذف لا يقيمه الامام الا بعد المطالبه اجماعا منا ومنه
الخامسة والعشرون اذا فرغ المتلاعنان من تلاعنهما
جميعا تفرقا وخرج كل واحد منهما علي باب من المسجد الجامع

غير الباب الذي يخرج منه صاحبه ولو خرجا من باب واحد
لم يضر ذلك لعانهما ولا خلاف في انه لا يكون اللعان الا في
مسجد جامع تجمع فيه الجمعة بحضرة السلطان او من
يقوم مقامه من الحكام وقد استحب جماعة من اهل العلم ان
يكون اللعان في الجامع بعد العصر وتلتعن النصرانية من زوجها
المسلم في الموضع الذي تعظمه من كنيستها بمثل ما تلتعن
به المسلمة السادسة والعشرون قال مالك واصحابه
وبتمام اللعان تقع الفرقة بين المتلاعنين فلا يجتمعان
ابدا ولا يتوارثان ولا تحل له مراجعتها ابدا لا قبل زوج
ولا بعده وهو قول الليث بن سعد وزفر بن الهذيل والاوزاعي
وقال ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد بن الحسن لا تقع الفرقة
بعد فراغهما من اللعان حتى يفرق الحاكم بينهما وهو قول الثوري
لقول ابن عمر فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المتلاعنين
فاضاف الفرقة اليه ولقوله عليه السلام لا سبيل لك عليها
وقال الشافعي اذا اكمل الزوج الشهادة والالتعان فقد
زال فراش امراته التعنت او لم تلتعن قال واما التعان المراة
فانما هو لدرء الحد عنها لا غير وليس لالتعانها في زوال
الفراش معنى ولما كان لعان الزوج ينفي الولد ويسقط
الحد رفع الفراش وكان عثمان البتي لا يرى التلاعن ينقص
شيئا

شيئا من عصمة الزوجين حتى يطلق وهذا قول لم يتقدمه
اليه احد من الصحابة على ان النبي قد استحب للملاعن ان
يطلق بعد اللعان ولم يستحسنه قبل ذلك فدل على ان اللعان
عنده قد احدث حكما وبقول عثمان قال جابر بن زيد فيما
ذكره الطبري وحكاه اللخمي عن محمد بن ابي صفره ومشهور
المذهب ان نفس تمام اللعان بينهما فرقه واحتج اهل
هذه المقاله بانه ليس في كتاب الله تعالى اذا لاعن او لاعنت
يجب وقوع الفرقه وبقول عويمر كذبت عليها ان امسكتها
فطلقها ثلثا قال ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عليه
ولم يقل له لم قلت هذا وانت لا تحتاج اليه لان باللعان
قد طلقت والحجة لمالك في المشهور ومن وافقه قوله عليه
السلام لا سبيل لك عليها وهذا اعلام منه ان تمام اللعان
رفع سبيله عليها وليس تفريقه بينهما باستيناف حكم
وانما كان تنفيذا لما اوجب الله بينهما من المباعدة وهو
معنى اللعان في اللغة السابعة والعشرون ذهب
الجمهور من العلماء ان المتلاعنين لا يتناكحان ابدا فان
اكذب نفسه جلد الحد ولحق به الولد ولم ترجع
اليه ابدا وعلى هذا السنة التي لا شك فيها ولا اختلاف
وذكر ابن المنذر عن عطا ان الملاعن اذا اكذب نفسه

بعد اللعان لم يحد وقال قد تفرقا بلعنة من الله وقال ابو
حنيفة ومحمد اذا اكذب نفسه جلد الحد ولحق به الولد
وكان خاطبا من الخطاب ان شا وهو قول سعيد بن المسيب
والحسن وسعيد بن جبير وعبد العزيز بن ابي سلمة
وقالوا يعود النكاح حلالا كما لحق به الولد لانه لا فرق
بين شي من ذلك وحجة الجماعة قوله عليه السلام لا سبيل
لك عليها ولم يقل الا ان تكذب نفسك وروى ابن اسحاق وجماعة
عن الزهري قال فمضت السنة انهما اذا تلاعنا فرق بينهما
فلا يجتمعان ابدا ورواه الدارقطني ورواه مرفوعا من
حديث سعيد بن جبير عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال المتلاعنان اذا تفرقا لا يجتمعان ابدا وروي
عن علي وعبد الله قالا مضت السنة لا يجتمع المتلاعنان
عن علي ابدا الثامنة والعشرون اللعان يفتقر الى
اربعة اشيا عدد الالفاظ وهو اربع شهادات على ما
تقدم والمكان وهو ان يقصد به اشرف البقاع بالبلدان
ان كان بمكة فعند الركن والمقام وان كان بالمدينة
فعند المنبر وان كان ببيت المقدس فعند الصخرة وان
كان في ساير البلدان ففي مساجدها وان كانا كافرين
بعث بهما الى الموضع الذي يعتقدان تعظيمه ان كانا
يهوديين

يهوديين فالكنيسة وان كانا مجوسيين ففي بيت النار وان
كانا لادين لهما مثل الوثنيين فانه يلاعن بينهما في مجلس حكمه
والوقت وذلك بعد صلاة العصر وجمع الناس وذلك
ان يكون هناك اربعة انفس فصاعدا فاللفظ وجمع الناس
مشروطان والزمان والمكان مستحبان الناسعة والعشرون
من قال ان الفراق لا يقع الا بتمام التعانهما فعليه لو مات
احدهما قبل تمامه ورثه الاخر وعلى قول الشافعي ان
مات احدهما قبل ان تلتعن المراة لم يتوارثا الموفية ثلاثين
قال ابن القصار تفريق اللعان عندنا ليس بفسخ وهو مذهب
المدونة ان اللعان حكم تفريقه حكم الطلاق ويعطى لغير
المدخول بها نصف الصداق وفي مختصر ابن الجلاب لا شي
لها وهذا على ان تفريق اللعان فسخ **قوله تعالى**
ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم الايات العشر فيه
ثمانية وعشرون مسلة الاولى قوله تعالى ان الذين
جاوا بالافك عصبة منكم عصبة خبر ان ويجوز نصبها
على الحال ويكون الخبر لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم
وسبب نزولها ما رواه الايمة من حديث الافك الطويل
في قصة عايشة رضوان الله عليها وهو خبر صحيح مشهور
اغنى اشتهاره عن ذكره وسياتي مختصرا واخرجه البخاري

تعليقا وحديثه اتم قال وقال اسامة عن هشام بن عروة
عن ابيه عن عايشة واخرجه ايضا عن محمد بن كثير عن اخيه
سليمان من حديث مسروق عن ام رومان ام عايشة
انها قالت لما رميت عايشة خرت مغشيا وعن موسى
بن اسماعيل من حديث ابي وايل قال حدثني مسروق بن الاجدع
قال حدثتني ام رومان وهي ام عايشة قالت بينا انا قاعدة
انا وعايشة اذ ولجت امراة من الانصار فقالت فعل الله
بفلان وفعل فقالت ام رومان وما ذلك قالت ابني فيمن
حدث الحديث قالت وما ذاك قالت كذا وكذا قالت عايشة
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وابو بكر قالت
نعم فخرت مغشيا عليها فما افاقت الا وعليها حمى بنافض
فطرحت عليها ثيابها فغطيتها فجا النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ما شان هذه قلت يا رسول الله اخذتها الحمى بنافض
قال فلعل في حديث تحدث به قالت نعم فقعدت عايشة
فقالت والله لين حلفت لا تصدقوني ولين قلت لا تعذروني
مثلي ومثلكم كيعقوب وبنيه فالله المستعان على ما تصفون
قالت فانصرف ولم يقل شيا فانزل الله عذرها قالت
بحمد الله لا بحمد احد ولا بحمدك قال ابو عبد الله الحميدي
كان بعض من لقينا من الحفاظ البغداديين يقول الارسال
في هذا

في هذا الحديث ابين واستدل على ذلك بان ام رومان توفيت
في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومسروق لم يشاهد
النبي صلى الله عليه وسلم بلا خلاف وللبخاري من حديث
عبيد الله بن عبد الله بن ابي مليكة وكانت اعلم بذلك من
غيرها لانه نزل فيها قال البخاري وقال معمر بن راشد عن
الزهري وكان حديث الافك في غزوة المريسيع قال ابن
اسحق وذلك سنة ست وقال موسى بن عقبة سنة اربع
واخرج البخاري من حديث معمر عن الزهري قال قال
لي الوليد بن عبد الملك ابلغك ان عليا كان فيمن قذف قال
قلت لا ولكن قد اخبرني رجلان من قومك ابو سلمة بن عبد
الرحمن وابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ان
عايشة قالت لهما كان علي مسلما في شانها واخرجه ابو بكر
الاسماعيلي في كتابه المخرج على الصحيح من وجه اخر
من حديث معمر عن الزهري وفيه قال كنت عند الوليد
بن عبد الملك فقال الذي تولى كبره منهم علي بن ابي طالب
فقلت لا حدثني سعيد بن المسيب وعروة وعلقمة
وعبد الله بن عبد الله بن عتبة كلهم يقول سمعت عايشة
تقول والذي تولى كبره عبد الله بن ابي واخرج البخاري
ايضا من حديث الزهري عن عروة عن عايشة والذي

تولى كبره منهم عبد الله بن ابي الثانية قوله تعالى بالافك
الافك الكذب والعصبة ثلاثة رجال قاله ابن عباس وعنه
ايضا من الثلاثة الى العشرة ابن عيينة اربعون رجلا مجاهد
من عشرة الى خمسة عشر واصلها في اللغة وكلام العرب
الجماعة الذين يتعصب بعضهم لبعض والخير حقيقته ما
زاد نفعه على ضره والشر ما زاد ضره على نفعه وان
خيرا لا شر فيه هو الجنة وشرا لا خير فيه هو جهنم
فاما البلا النازل على الاوليا فهو خير لان ضرره من الالم
قليل في الدنيا وخيره هو الثواب الكثير في الاخرى فنبه
الله تعالى عايشة واهلها وصفوان اذ الخطاب لهم
في قوله لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لرجحان
النفع والخير على جانب الشر الثالثة لما خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعايشة معه في غزوة بني المصطلق
وهي غزوة المريسيع وقفل ودنى من المدينة اذن ليلة
بالرحيل فقامت حين اذنوا بالرحيل فمشت حتى جاوزت
الجيش فلما فرغت من شانها اقبلت الى الرحل فلمست صدرها
فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته
فحبسها ابتغاوه فوجدته وانصرفت فلم تجد احدا
وكانت

وكانت شابة قليلة اللحم فرفع الرحال هودجها ولم
يشعروا بزوالها منه فلم تجد احدا اضطجعت في مكانها
رجاان تعتقد فيرجع اليها فنامت في الموضع ولم يوقظها
الا قول صفوان بن المعطل انا لله وانا اليه راجعون وذلك
انه كان تخلف ورا الجيش لحفظ الساقة وقيل انها استيقظت
لاسترجاعه ونزل عن ناقته وتنحى عنها حتى ركبت عايشة
واخذ يقودها حتى بلغ بها الجيش في نحر الظهيرة فوقع
اهل الافك في مقالتهم وكان الذي يجتمع اليه فيه ويستوشيه
ويشعله عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وهو الذي
راى صفوان اخذا بزمام ناقة عايشة فقال والله ما
نجت منه وما نجا منها وقال امراة نبيكم باتت مع رجل
وكان من قاليه حسان بن ثابت ومصطح بن اثاثه وحمنة
بنت جحش هذا اختصار الحديث وهو بكماله واتقانه
في البخاري ومسلم وهو في مسلم اكمل ولما بلغ صفوان قول
حسان في الافك جا فضربه بالسيف ضربة على راسه
وقال تلقّ ذباب السيف عني فانني غلام اذا هوجيت لست بشاعر
فاخذ جماعة حسان ولببوه وجاوا به الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم
جرح حسان واستوهبه اياه وهذا يدل ان حسان

ممن تولى الكبر على ما ياتي والله اعلم وكان صفوان هذا صاحب
ساقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواته لشجاعته
وكان من خيار الصحابه وقيل كان حصورًا لا ياتي النسا
ذكره ابن اسحاق من طريق عايشة وقيل كان له ابنان
يدل على ذلك حديثه المروي مع امراته وقول النبي صلى الله
عليه وسلم في ابنيه لهما اشبه به من الغراب بالغراب وقوله
في الحديث والله ما كشفت كنف انثى قط يريد بزنى وقتل
شهيدًا رضي الله عنه في غزوة ارمينية سنة تسع عشرة
في زمان عمر وقيل ببلاد الروم سنة ثمان وخمسين في زمان
معاوية **الرابعة** قوله تعالى لكل امرئ منهم ما اكتسب من
الاثم يعني ممن تكلم بالافك ولم يسم من اهل الافك الا حسان
ومسطح وحمنة وعبد الله وجهل الغير قاله عروة بن الزبير
وقد ساله عن ذلك عبد الملك بن مروان وقال الا انهم كانوا
عصبة كما قال الله وفي مصحف حفصة عصبة اربعة
الخامسة قوله تعالى والذي تولى كبره منهم وقرا حميد
الاعرج ويعقوب كبره بضم الكاف قال الفرا وهو وجه
جيد لان العرب تقول فلان تولى عظم كذا وكذا اي اكبره
روي عن عايشة انه حسان وانها قالت حين عمي لعل العذاب
العظيم الذي اوعده الله به ذهاب بصره رواه عنها مسروق
وروى عنها

وروي عنها انه عبد الله بن ابي وهو الصحيح وقاله ابن عباس
وحكي ابو عمر بن عبد البر ان عايشة برأت حسان من الفرية
وقالت انه لم يقل شيا وقد انكر حسان ان يكون قال شيا من
ذلك في قوله حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من
لحوم الغوافل، خليلة خير الناس دينا ومنصبا نبي الهدى
والمكرمات الفواضل، عقيلة حي من لوي بن غالب كرام
المساعي مجدها غير زايل، مهذبة قد طيب الله خيمها وطهرها
من كل شين وباطل، فان كنت ما بلغت عني قلته فلا رفعت
سوطي الي اناملي، فكيف وودي ما حييت ونصرتي لال
رسول الله زين المحافل، له رتب عال على الناس فضلها
تقاصر عنها سورة المتطاول ه وقد روي انه لما انشدها
حصان رزان قالت له لست كذلك تريد انك وقعت في
في الغوافل وهذا يعارض ويمكن الجمع بان يقال ان حسانا
لم يقل ذلك نصا وتصريحا ويكون عرض بذلك واوما اليه
فنسب ذلك اليه والله اعلم وقد اختلف الناس فيه هل
خاض في الافك ام لا وهل جلد الحد ام لا فالله اعلم اي ذلك كان
وهي المسئلة السادسة فروي محمد بن اسحق وغيره ان
النبي صلى الله عليه وسلم جلد في الافك رجلين وامراة
مسطحا وحسان وحمنة وذكره الترمذي وذكر القشيري

عن ابن عباس قال جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ابي
ثمانين جلده وله في الاخره عذاب النار قال القشيري ثبت
في الاخبار انه ضرب ابن ابي وضرب حسان وحمنه واما
مسطح فلم يثبت عنه قذف صريح ولكنه كان يسمع ويشيع من
غير تصريح **السابعه** قال الماوردي اختلفوا هل حد النبي
صلى الله عليه وسلم اصحاب الافك على قولين احدهما انه لم يحد
احدا من اصحاب الافك لان الحدود انما تقام باقرار او بينة
ولم يتعبده الله ان يقيمها باخباره عنها كما لم يتعبده بقتل
المنافقين وقد اخبر بكفرهم قلت وهذا فاسد مخالف لنص
القران فان الله عز وجل يقول والذين يرمون المحصنات
ثم لم ياتوا باربعة شهدا اي على صدق قولهم فاجلدوهم
ثمانين جلده والقول الثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم حد
اهل الافك عبد الله بن ابي ومسطح بن اثاثه وحسان بن ثابت
وحمنه بنت جحش وفي ذلك قال شاعر من المسلمين
لقد ذاق حسان الذي كان اهله وحمنة اذ قالوا هجيرا ومسطح
وابن سلول ذاق في الحد خزية كما خاض في افك من القول يفصح
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم وسخطة ذي العرش الكريم فابرحوا
واذوا رسول الله فيها فجللوا مخازي تبقى عمموها وفضحوا
فصبت عليهم محصدات كانها شابيب قطر من ذرى المزن تسفح

قلت المشهور

قلت المشهور من الاخبار والمعروف عند العلما ان الذين حُدّ
حسان ومسطح وحمنة ولم يسمع بحد لعبد الله بن ابي روى
ابو داود عن عايشة قالت لما نزل عذري قام النبي صلى
الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا القران فلما نزل من المنبر
امر بالرجلين والمراة فضربوا حدهم وسماهم حسان بن
ثابت ومسطح بن اثاثه وحمنة بنت جحش وفي كتاب
الطحاوي ثمانين قال علماؤنا وانما لم يحد عبد الله
ابن ابي لان الله تعالى قد اعد له في الاخرة عذابا عظيما فلو
حُدّ في الدنيا لكان ذلك نقصا من عذابه الاخروي وتخفيفا
عنه مع ان الله قد شهد ببراة عايشة وبكذب كل من رماها
فقد حصلت فايدة الحد اذ مقصوده اظهار كذب القاذف
وبراة المقذوف كما قال تعالى فاذ لم ياتوا بالشهدا فاوليك
عند الله هم الكاذبون وانما حُدّ هولاء المسلمون ليكفر عنهم
اثم ما صدر عنهم من القذف حتى لا تبقى عليهم تبعة من ذلك في
الاخرة وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحدود انها كفارة لمن
اقيمت عليه كما في حديث عبادة بن الصامت ويحتمل ان
يقال انما ترك حد ابن ابي استيلافا لقومه واحتراما لابنه
واطفا لثايرة الفتنه المتوقعة من ذلك وقد كان ظهر
مباديها من سعد بن عباده ومن قومه كما في صحيح مسلم
والله اعلم

الثامنة قوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المومنون والمومنات
بانفسهم خيرا الاية هذا عتاب من الله سبحانه للمومنين في ظنهم
حين قال اصحاب الافك ما قالوا قال ابن زيد ظن المومنون ان المومن
لا يفجر بامه قاله المهدوي ولولا بمعنى هلا وقيل المعنى انه كان
ينبغي ان يقيس فضلا المومنين والمومنات الامر على انفسهم
فان كان ذلك يبعد فيهم فذلك في عايشة وصفوان ابعد
وروي ان هذا النظر السديد وقع من ابي ايوب الانصاري
وامراته وذلك انه دخل عليها فقالت له يا ابا ايوب اسمعت
ما قيل فقال نعم وذلك الكذب اكنت انت يا ام ايوب تفعلين
ذلك قالت لا والله قال فعايشة والله افضل منك قالت ام ايوب
نعم فهذا الفعل ونحوه هو الذي عاتب الله على المومنين اذ
لم يفعله جميعهم التاسعة قوله تعالى بانفسهم قال النحاس
معنى بانفسهم باخوانهم فاوجب الله على المسلمين اذا سمعوا
رجلا يقذف احدا او يذكره بقبيح لا يعرفونه به ان ينكروا
عليه ويكذبوه وتواعد من ترك ذلك ومن نقله قلت ولاجل
هذا قال العلما ان الاية اصل في ان درجة الايمان التي حازها
الانسان ومنزلة الصلاح التي حلها المرء ولبسة العفاف
التي يستتر بها المسلم لا يزيلها عنه خبر محتمل وان شاع
اذا كان اصله فاسدا او مجهولا العاشرة قوله تعالى

لولا جاوا

لولا جاوا عليه باربعة شهدا هذا توبيخ لاهل الافك ولولا
بمعنى هلا اى هلا جاوا باربعة شهدا على ما زعموا من الافترا
وهذا رد على الحكم الاول واحالة على الاية السابقة في اية القذف
الحادية عشرة قوله تعالى فاذ لم ياتوا بالشهدا فاولئك
عند الله هم الكاذبون اى هم في حكم الله كاذبون وقد يعجز
الرجل عن اقامة البينة وهو صادق في قذفه ولكنه في
حكم الشرع وظاهر الامر كاذب لا في علم الله وهو سبحانه
انما رتب الحدود على حكمه الذى شرعه في الدنيا لا على مقتضى
علمه الذى يتعلق بالانسان على ما هو عليه فانما يبنى على
ذلك حكم الاخرة قلت ومما يقوى هذا المعنى ويعضده ما
خرجه البخاري عن عمر بن الخطاب انه قال ايها الناس ان
الوحي قد انقطع وانما ناخذكم الان بما ظهر لنا من اعمالكم
فمن اظهر لنا خيرا امناه وقربناه وليس لنا من سريرته
شي الله يحاسبه في سريرته ومن اظهر لنا سوا لم نامنه
ولم نصدقه وان قال ان سريرته حسنة واجمع العلما
ان احكام الدنيا على الظاهر وان السراير الى الله عز وجل
الثانية عشرة قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته
فضل رفع بالابتدا عند سيبويه والخبر محذوف لا تظهره
العرب وحذف جواب لولا لانه قد ذكر مثله بعد قال الله عز وجل

لولا

بسبب
ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم اي ما قلتم في عايشه عذاب
عظيم في الدنيا والاخره وهذا عتاب من الله بليغ ولكنه برحمته
ستر عليكم في الدنيا ويرحم في الاخره من اتاه تايبا والافاضه
الاخذ في الحديث وهو الذي وقع عليه العتاب يقال افاض
القوم في الحديث اي اخذوا فيه الثالثه عشرة قوله تعالى
اذ تلقونه بالسنتكم قراة محمد بن السميقع بضم التا وسكون
اللام وضم القاف من الالقاء وهذه قراة بينة وقراءة
ابي وابن مسعود اذ تتلقونه من التلقي بتاين وقراءة
جمهور السبعه بحذف التاء الواحد واظهار الذال دون
ادغام وهو ايضا من التلقي وقرا ابو عمرو وحمزة والكساي
بادغام الذال في التاء وقرا ابن كثير باظهار الذال وادغام
التا في التاء وهذه قراه قلقه لانها تقتضي اجتماع ساكنين وليست
كالادغام في قراه من قرا لا تناجوا ولا تنابزوا لان لدونه
الالف الساكنه وكونها حرف لين حسنت هنا لك ما لا يحسن
مع سكون الدال وقرا ابن يعمر وعايشة رضي الله عنها
وهم اعلم الناس بهذا الامر اذ تلقونه بفتح التاء وكسر اللام
وضم القاف ومعنى هذه القراة من قول العرب ولق الرجل
يلق ولقا اذا كذب واستمر عليه فجاوا بالمتعدي شاهدا
على غير المتعدي قال ابن عطية وعندي انه اراد اذ تلقون فيه
فحذف

فحذف حرف الجر فاتصل الضمير وقال الخليل وابو عمرو واصل
الولق الاسراع يقال جاءت الابل تلق اي تسرع قال
لما راوا جيشا عليهم قد طرق جاوا باسراب من الشام ولق
اخو ان الحصين زلق وزملق جاءت به عنس من الشام تلق
يقال رجل زلق وزملق مثال هدبد وزمالق وزملق بتشديد
الميم وهو الذي ينزل قبل ان يجامع قال الراجز
ان الحصين زلق وزملق والولق ايضا اخف الطعن وقد ولقه
بالسيف ولقات اي ضربات فهو مشترك الرابعة عشره
قوله تعالى وتقولون بافواهكم مبالغة والزام وتاكيد
والضمير في تحسبونه عايد على الحديث والخوض فيه
والاذاعة له وهينا اي شيئا يسيرا لا يلحقكم فيه اثم وهو
عند الله في الوزر عظيم وهذا مثل قوله عليه السلام في
حديث القبرين انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اي بالنسبة
اليكم الخامسة عشرة قوله تعالى لولا اذ سمعتموه الى
حليم عتاب لجميع المومنين اي كان ينبغي عليكم ان تنكروه ولا
يتعاطاه بعضكم من بعض على جهة الحكاية والنقل وان
تنزهوا الله عن ان يقع هذا من زوج نبيه عليه السلام
وان تحكموا على هذه المقالة بانها بهتان وحقيقة البهتان ان
تقول في الانسان ما ليس فيه والغيبة ان تقول في الانسان

ما يحسن فيه والغيبة ان تقول في الانسان ما فيه وهذا المعنى
قد جا في صحيح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم وعظهم
تعالى في العودة الى مثل هذه الحالة وان مفعول من اجله
بتقدير كراهية ان او نحوه السادسة عشرة قوله تعالى
يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا يعني في عايشة لان مثله لا
يكون الا نظير القول في القول عنه بعينه او فيمن كان في مرتبته
من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لما في ذلك من اذاية رسول الله
صلى الله عليه وسلم في عرضه واهله وذلك كفر من فاعله الثامنة
عشرة قال هشام بن عمار سمعت مالكا يقول من سب
ابا بكر وعمر ادب ومن سب عايشة قتل لان الله تعالى يقول
يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين فمن سب
عايشة فقد خالف القران ومن خالف القران قتل قال
ابن العربي قال اصحاب الشافعي من سب عايشة رضي الله عنها
ادب كما في ساير المومنين وليس قوله ان كنتم مومنين في
عايشة لكفر وانما هو كما قال عليه السلام لا يومن من لا
يامن جاره بوايقه ولو كان سلب الايمان في سب من سب
عايشة حقيقة لكان سلبه في قوله لا يزني الزاني حين
يزني وهو مومن حقيقة قلنا ليس كما زعمتم ان اهل الافك
رموا عايشة المطهرة بالفاحشة فبراها الله فكل من سبها

[illegible] السابعة عشرة [illegible]

بما

٤٦٦

مما براها الله منه مكذب لله ومن كذب الله فهو كافر فهذا طريق
قول مالك وهي سبيل الاية لاهل البصاير ولو ان رجلا سب عايشة
بغير ما براها الله منه لكان جزاؤه الكفر التاسعة عشره
قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة اي تفشوا
يقال شاع الشي شيوعا وشيعا وشيعانا وشيعوعة اي
ظهر وتفرق في الذين امنوا اي في المحصنين والمحصنات
والمراد بهذا اللفظ العام عايشة وصفوان والفاحشة
الفعل القبيح المفرط القبح وقيل الفاحشة في هذه الايه القول
السي لهم عذاب اليم في الدنيا اي الحد وفي الاخرة عذاب النار
اي للمنافقين فهو مخصوص وقد بينا ان الحد للمومنين كفاره
وقال الطبري معناه ان مات مصرا غير تايب والله يعلم اي
يعلم مقدار عظم هذا الذنب والمجازاة عليه ويعلم كل شي
وانتم لا تعلمون روي من حديث ابي الدرداء ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل شد عضد امري من الناس
في خصومة لا علم له بها فهو في سخط الله حتى ينزع عنها
وايما رجل حال بشفاعته دون حد من حدود الله
ان يقام فقد عاند الله حقا واقدم على سخطه وعليه
لعنة الله تتابع الى يوم القيامة وايما رجل اشاع على
رجل مسلم كلمة وهو منها بري ان يشينه بها في الدنيا

كان حقا على الله ان يرميه بها في النار ثم تلا مصداقه من كتاب الله
تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا الاية
الموفية عشرين قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا
خطوات الشيطان يعني مسالكه ومذاهبه المعنى لا تسلكوا الطريق
الذي يدعوكم اليها الشيطان وواحد الخطوات خطوه وهو
ما بين القدمين والخطوة بالفتح المصدر يقال خطوت خطوة
وجمعها خطوات وتخطى الينا فلان ومنه الحديث انه راي
رجلا يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة وقرا الجمهور خطوات
بضم الطا وسكنها عاصم والاعمش وقرا الجمهور ما زكى بتخفيف
الكاف اي ما اهتدي ولا اسلم ولا عرف رشدا وقيل ما زكى
اي ما صلح يقال زكى يزكو زكا اي صلح وشددها الحسن
وابو حيوة اي ان تزكيته لكم وتطهيره وهدايته انما هي
بفضله لا باعمالكم وقال الكساي يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا
خطوات الشيطان معترض وقوله ما زكى منكم من احد
ابدا جواب لقوله اولا وثانيا ولولا فضل الله الحادية والعشرون
قوله تعالى ولا ياتل اولو الفضل منكم والسعة الاية المشهور
من الروايات ان هذه الاية نزلت في قصة ابي بكر بن ابي قحافة
رضي الله عنه ومسطح بن اثاثة وذلك انه كان ابن بنت خالته
وكان من المهاجرين البدريين المساكين وهو مسطح بن اثاثة
بن عباد

بن عباد بن المطلب بن عبد مناف وقيل اسمه عوف ومصطح لقب
وكان ابو بكر ينفق عليه لمسكنته وقرابته فلما وقع امر الافك
وقال فيه مسطح ما قال حلف ابو بكر ان لا ينفق عليه ولا
ينفعه بنافعة ابدا فجا مسطح فاعتذر وقال انما كنت اغشى
مجلس حسان فاسمع ولا اقول فقال له ابو بكر لقد ضحكت
وشاركت فيما قيل ومر على يمينه فنزلت الاية وقال الضحاك
وابن عباس ان جماعة من المومنين قطعوا منافعهم عن كل من
قال في الافك وقالوا والله لا نصل من تكلم في شان عايشة فنزلت
الاية في جميعهم والاول اصح غير ان الاية تتناول الامة
الى يوم القيامة بان لا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف ان لا
ينفع من هذه صفته غابة الدهر روى الصحيح ان الله لما انزل
ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم عشر ايات قال ابو بكر وكان
ينفق على مسطح لقرابته وفقره والله لا انفق عليه شيا
ابدا بعد الذي قال لعايشة فانزل الله تعالى ولا ياتل اولو
الفضل منكم والسعة الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم
قال عبد الله بن المبارك ارجى اية في كتاب الله فقال ابو بكر
والله اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح النفقه
التي كان ينفق عليه وقال لا انزعها منه ابدا الثانية
والعشرون في هذه الاية دليل على ان القذف وان

كان كبيرًا لا يحبط الاعمال لان الله تعالى وصف مسطحًا بعد قوله
بالهجرة والايمان وكذلك ساير الكبابر ولا يحبط الاعمال غير
الشرك قال الله تعالى لين اشركت ليحبطن عملك الثالثة
والعشرون من حلف على شي لا يفعله فراي فعله اولى منه
اتاه ولغو عن يمينه او كفر عن يمينه واتاه كما تقدم في
المايده وراي الفقها ان من حلف ان لا يفعل سنة من السنن
او مندوبا وابد ذلك انها جرحة في شهادته ذكره الباجي
في المنتقى الرابعة والعشرون قوله تعالى ولا ياتل
معناه يحلف وزنها يفتعل من الاليه وهي اليمين ومنه قوله
تعالى للذين يولون من نسايهم وقد تقدم في البقره وقالت فرقة
معناه يقصر من قولك الموت في كذا اذا قصرت ومنه قوله
تعالى لا يالونكم خبالا الخامسة والعشرون قوله تعالى
الا تحبون ان يغفر الله لكم تمثيل وحجة اي كما تحبون عفو
الله عن ذنوبكم فكذلك اغفر والمن دونكم وينظر الى هذا
المعنى قوله عليه السلام من لا يرحم لا يرحم السادسة
والعشرون قال بعض العلماء هذه ارجا اية في كتاب الله تعالى
من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ وقيل
ارجي اية في كتاب الله عز وجل قوله تعالى وبشر المومنين
بان لهم من الله فضلا كبيرا وقد قال تعالى في اية اخرى
والذين

والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما
يشاون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير في هذه الاية
وبشر به المومنين في تلك ومن ايات الرجا قوله تعالى قل يا
عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وقوله
الله لطيف بعباده وقال بعضهم ارجى اية في كتاب الله تعالى
ولسوف يعطيك ربك فترضى وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يرضى ببقاء احد من امته في النار السابعة
والعشرون قوله تعالى ان يوتوا اي لا يوتوا فحذف لا
كقول القايل فقلت يمين الله ابرح قاعدا ذكره الزجاج
وعلى قول ابي عبيدة لا حاجة الى اضمار لا وليعفوا من عفا
الربع اي درس فهو محو الذنب حتى يعفو كما يعفو اثر الربع
قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات
فيه مسلتان الاولى قوله تعالى المحصنات تقدم في النسا
واجمع العلما على ان حكم المحصنين في القذف كحكم المحصنات
قياسا واستدلالا وقد بيناه اول السورة والحمد لله
واختلف فيمن المراد بهذه الاية فقال سعيد بن جبير هي
هي في رماة عايشة رضوان الله عليها خاصة وقال قوم
هي في عايشة وساير ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قاله
ابن عباس والضحاك وغيرها ولا تنفع التوبة ومن قذف

ما تقدم من الفضل الكبير

غيرهن من المحصنات فقد جعل الله له توبه لانه قال والذين
يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا الى قوله الا الذين
تابوا فجعل الله لهولاء توبة ولم يجعل لاوليك توبه قاله الضحاك
وقيل هذا الوعيد لمن اصر على القذف ولم يتب وقيل نزلت في
عايشه الا انه يراد بها كل من اتصف بهذه الصفه وقيل انه
عام لجميع الناس القذفة من ذكر وانثى ويكون التقدير ان
الذين يرمون الانفس المحصنات فدخل في هذا المذكر والمونث
واختاره النحاس وقيل نزلت في مشركي مكة لانهم يقولون
للمراة اذا هاجرت انما خرجت لتفجر الثانية لعنوا في الدنيا
والاخره قال العلما ان كان المراد بهذه الايه المومنون من القذفه
فالمراد باللعنة الابعاد وضرب الحد واستيحاش المومنين
منهم وهجرهم لهم وزوالهم عن رتبه العدالة والبعد عن
الثناء الحسن على السنة المومنين وعلى قول من قال هي خاصة
لعايشة تترتب في هذه الشدايد في جانب عبد الله بن ابي
واشباهه وعلى قول من قال نزلت في مشركي مكه فلا كلام
فانهم مبعدون ولهم في الاخرة عذاب عظيم ومن اسلم فالاسلام
يجب ما قبله وقال ابو جعفر النحاس من احسن ما قيل في
تاويل هذه الاية انه عام لجميع الناس القذفه من ذكر وانثى
ويكون التقدير ان الذين يرمون الانفس المحصنات فدخل
في هذا

الانفس بياض

في هذا المذكر والمونث وكذا في الذين يرمون الا انه غلب المذكر
على المونث **قوله تعالى** يوم تشهد عليهم السنتهم قراة
العامه بالتاء واختاره ابو حاتم وقرا الاعمش ويحيى وحمزة
والكساي وخلف يشهد باليا واختاره ابو عبيد لان الجار
والمجرور قد حال بين الاسم والفعل والمعنى يوم تشهد السنة
بعضهم على بعض بما كانوا يعملون من القذف والبهتان ,
وقيل تشهد عليهم السنتهم ذلك اليوم بما تكلموا به وايديهم وارجلهم
اي وتتكلم الجوارح بما عملوا في الدنيا **قوله تعالى** يوميذ
يوفيهم الله دينهم الحق اي حسابهم وجزاهم وقرا مجاهد يوميذ
يوفيهم الله دينهم الحق برفع الحق على انه نعت لله عز وجل
قال ابو عبيد ولولا كراهة خلاف الناس لكان الوجه الرفع
ليكون نعتا لله عز وجل وتكون موافقة لقراة ابي وذلك
ان جرير بن حازم قال رايت في مصحف ابي يوفيهم الله الحق
دينهم قال النحاس وهذا الكلام من ابي عبيد غير مرضي
لانه احتج بما هو مخالف للسواد الاعظم ولا حجة ايضا فيه
لانه لو صح هذا انه في مصحف ابي كذا جاز ان يكون القراة
يوميذ يوفيهم الله الحق دينهم يكون دينهم بدلا من الحق وعلى
قراة العامه دينهم الحق يكون الحق نعتا لدينهم والمعنى حسن
لان الله جل وعز ذكر المسيئين واعلم انه يجازيهم بالحق

كما قال جل وعز وهل نجازي الا الكفور لان مجازاة الله عز وجل
للكافر والمسي بالحق والعدل ومجازاته المحسن بالاحسان
والفضل ويعلمون ان الله هو الحق المبين اسمان من اسمايه سبحانه
وقد ذكرناها في غير موضع وخاصة في الكتاب الاسنى قوله تعالى
الخبيثات للخبيثين الاية قال ابن زيد المعنى الخبيثات من النسا
للخبيثين من الرجال وكذا الخبيثون للخبيثات وكذا الطيبات
للطيبين والطيبون للطيبات وقال مجاهد وابن جبير وعطا
واكثر المفسرين المعنى الكلمات الخبيثات من القول للخبيثين من
الرجال وكذا الخبيثون من الناس للخبيثات من القول وكذا
الكلمات الطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من
الناس للطيبات من القول قال النحاس في كتاب معاني القران
وهذا احسن ما قيل في هذه الاية ودل على صحة هذا القول
اوليك مبرءون مما يقولون اي عايشة وصفوان مما يقول الخبيثون
والخبيثات وقيل ان هذه الاية مبنية على قوله الزاني لا ينكح
الا زانية او مشركة الاية فالخبيثات الزواني والطيبات
العفايف وكذا الطيبون والطيبات واختار هذا القول
النحاس ايضا وهو معنى قول ابن زيد اوليك مبرءون مما يقولون
يعني به الجنس وقيل عايشة وصفوان فجمع كما قال فان كان له
اخوة والمراد اخوان قاله الفرا ومبرءون يعني منزهين مما
رموا به

رموا به قال بعض اهل التحقيق ان يوسف عليه السلام لما
رمي بالفاحشة براه الله علي لسان صبي في المهد وان مريم
لما رميت بالفاحشة براها الله علي لسان ابنها عيسي صلوات
الله عليه وان عايشة لما رميت بالفاحشة براها الله علي
بالقران فما رضي لها براة صبي ولا نبي حتي براها الله بكلامه
من القذف والبهتان وروي علي بن زيد بن جدعان عن
جدته عن عايشة رضي الله عنها انها قالت لقد اعطيت
تسعا ما اعطيتهن امراه لقد نزل جبريل عليه السلام
بصورتي في راحته حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري
ولقد توفي صلى الله عليه وسلم وان راسه لفي حجري ولقد
قبر في بيتي ولقد حفت الملايكة بيتي وان كان الوحي لينزل
عليه وهو في اهله فينفرقون عنه وان كان لينزل عليه وانا
معه في لحافه فما يبينني عن جسده واني لابنة خليفته
وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة
وعند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما يعني
قوله اولئك لهم مغفرة ورزق كريم وهو الجنة قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتي تستانسوا
وتسلموا علي اهلها فيه سبع عشرة مسله الاولي قوله تعالي

مطلب في تزوج النبي عليه السلام عايشة رضي الله عنها بكرا وغيرها ثيبة

يا ايها الذين امنوا الا تدخلوا بيوتا الا ما خصص الله سبحانه ابن ادم
الذي كرمه وفضله بالمنازل وسترهم فيها عن الابصار وملكهم
الاستمتاع بها على الانفراد وحجر على الخلق ان يطلعوا على ما
فيها من خارج او يلجوها من غير اذن اربابها ادبهم بما يرجع
الى الستر عليهم لئلا يطلع احد منهم على عورة وفي صحيح مسلم
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطلع في بيت
قوم بغير اذنهم حل لهم ان يفقؤا عينه وقد اختلف في تاويله
فقال بعض العلما ليس هذا على ظاهره فان فقا فعليه الضمان
والخبر منسوخ وكان قبل نزول قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا
ويحتمل ان يكون خرج على وجه الوعيد لا على وجه الحتم والخبر
اذا كان مخالفا لكتاب الله تعالى فلا يجوز العمل به وقد
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم بالكلام في الظاهر
وهو يريد شيا اخر كما جا في الخبر ان عباس بن مرداس
لما مدحه قال لبلال قم فاقطع لسانه وانما اراد بذلك
ان يدفع اليه شيا ولم يرد به القطع في الحقيقة ولذلك
هذا يحتمل ان يكون ذكر فقاء العين والمراد ان يعمل به
عملا حتى لا ينظر بعد ذلك في بيت غيره وقال بعضهم
لا ضمان عليه ولا قصاص وهو الصحيح ان شا الله لحديث
انس على ما ياتي الثانية سبب نزول هذه الاية ما رواه
الطبري

الطبري وغيره عن عدي بن ثابت ان امراة من الانصار قالت
يارسول الله اني اكون في بيتي على حال لا احب ان يراني عليها
احد لا والد ولا ولد فياتي الاب فيدخل علي وانه لا يزال يدخل
علي رجل من اهلي وانا على تلك الحال فكيف اصنع فنزلت الاية
فقال ابو بكر رضي الله عنه يارسول الله افرايت الخانات
والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن فانزل الله ليس
عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة الثالثة
مد الله سبحانه التحريم في دخول بيت ليس هو بيتك
الي غاية هي الاستيناس قال ابن وهب قال مالك الاستيناس
فيما نرى والله اعلم الاستيذان وكذلك في قراة ابي وابن عباس
وسعيد بن جبير حتى تستاذنوا وتسلموا على اهلها وقيل ان
معنى تستانسوا تستعلموا اي تستعلموا من في البيت قال مجاهد
بالتنحنح او باي وجه امكن ويتاني قدر ما يعلم انه قد
شعر به ويدخل اثر ذلك وقال معناه الطبري ومنه قوله
تعالى فان آنستم منهم رشدا اي علمتم وقال الشاعر
انست نباة وافزعها القناص عصرا وقد دنا الامساء
قلت وفي سنن ابن ماجه حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة
نا عبد الرحيم بن سليمان عن واصل بن السايب عن ابي
سورة عن ابي ايوب الانصاري قلنا يارسول الله هذا

السلام فما الاستيناس قال يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميده
ويتنحنح يوذن اهل البيت قلت وهذا نص في ان الاستيناس غير
الاستيذان كما قال مجاهد ومن وافقه الرابعه روي عن ابن
عباس وبعض الناس يقول عن سعيد بن جبير حتى تستانسوا
خطا او وهم من الكاتب انما هو حتى تستاذنوا وهذا غير
صحيح عن ابن عباس وغيره فاما مصاحف الاسلام كلها
قد ثبت فيها حتى تستانسوا وصح الاجماع فيها من لدن
مدة عثمان فهي التي لا يجوز خلافها واطلاق الخطا والوهم على
الكاتب في لفظ اجمع الصحابه عليه قول لا يصح عن ابن عباس
وقد قال جل وعز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد وقال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وقد روي عن ابن عباس ان في الكلام تقديما وتاخيرا والمعنى
حتى تسلموا على اهلها وتستانسوا حكاه ابو حاتم قال ابن عطيه
ومما ينفي هذا القول عن ابن عباس وغيره ان تستانسوا
متمكنة في المعنى بينة الوجه في كلام العرب وقد قال عمر
للنبي صلى الله عليه وسلم استانس يا رسول الله وعمر واقف
على باب الغرفة الحديث المشهور وذلك يقتضي انه طلب الانس
به صلى الله عليه وسلم فكيف يخطي ابن عباس اصحاب الرسول
في مثل هذا قلت قد ذكرنا من حديث ابي ايوب ان الاستيناس
انما يكون

انما يكون قبل السلام وتكون الاية على بابها لا تقديم فيها ولا تاخير
وانه اذا دخل سلم والله اعلم الخامسة السنة في الاستيذان
ثلث مرات لا احب ان يزيد احد عليها الا من علم انه لم يسمع
فلا ارى باسا ان يزيد اذا استيقن انه لم يسمع وصورة
الاستيذان ان يقول الرجل السلام عليكم أأدخل فان اذن
له دخل وان امره بالرجوع انصرف وان سكت عنه استاذن
ثلثا ثم ينصرف بعد الثلاثة وانما قلنا ان السنة في الاستيذان
ثلث مرات لا يزاد عليها لحديث ابي موسى الاشعري الذي استعمله
مع عمر بن الخطاب وشهد به لابي موسى ابو سعيد الخدري ثم
ابي بن كعب وهو حديث مشهور اخرجه الصحيح وهو نص
صريح فان فيه فقال يعني عمر ما منعك ان تاتينا فقلت اتيت
فسلمت على بابك ثلثا فلم يرد علي فرجعت وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذن احدكم ثلثا فلم يوذن
له فليرجع واما ما ذكرناه من صورة الاستيذان فلما رواه
ابو داود عن ربعي قال حدثنا رجل من بني عامر استاذن
على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت فقال الج فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرج الى هذا فعلمه
الاستيذان فقل له قل السلام عليكم أأدخل فسمعه الرجل
فقال السلام عليكم أأدخل فاذن له النبي صلى الله عليه وسلم

فدخل وذكره الطبري وقال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لامة له يقال لها روضة قولي لهذا يقول السلام عليكم اادخل
الحديث وروي ان ابن عمر اذته الرمضا يوما فاتى فسطاط
امراة من قريش فقال السلام عليكم اادخل فقالت المراة ادخل
بسلام فاعاد فاعادت فقال لها قولي ادخل فقالت ذلك
ادخل فتوقف لما قالت بسلام لاحتمال اللفظ ان يريد بسلامك
لا بشخصك السادسة قال علماونا رحمة الله عليهم
انما خص الاستيذان بثلاث لان الغالب من الكلام اذا
كرر ثلاثا وفهم سمع ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا تكلم بكلمة اعادها ثلثا حتى يفهم عنه واذا سلم على
قوم سلم عليهم ثلثا واذا كان الغالب هذا فاذا لم يوذن له
بعد ثلاث ظهر ان رب المنزل لا يريد الاذن او لعله يمنعه
من الجواب عنه عذر لا يمكنه قطعه فينبغي للمستاذن
ان ينصرف لان الزيادة على ذلك قد تقلق رب المنزل وربما
يضره الالحاح حتى ينقطع عما كان مشغولا به كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم لابي ايوب حين استاذن عليه
فخرج مستعجلا فقال لعلنا اعجلناك الحديث وروى عقيل
عن ابن شهاب قال انما سنت التسليمات الثلاث ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتى سعد بن عبادة فقال السلام عليكم
فلم

مطلب في طلب الاذن للدخول

مطلب في بيان تكرار الكلام ثلاثا عن النبي ع م وسلامه ثلاثا

٤٦٩

فلم يردوا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يردوا ثم قال
السلام عليكم فلم يردوا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما فقد سعد تسليمه عرف انه قد انصرف فخرج سعد في
اثره حتى ادركه فقال وعليك السلام يا رسول الله انما اردنا
ان نستكثر من تسليمك وقد والله سمعنا فانصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع سعد حتى دخل بيته قال ابن شهاب
فانما اخذ التسليم ثلثا من قبل ذلك ورواه الوليد بن مسلم
عن الاوزاعي قال سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن
عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة قال زارنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم في منزلنا فقال السلام عليكم ورحمة الله قال
فرد سعد ردًا خفيا قال قيس فقلت الا تاذن لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ذره يكثر علينا من السلام
الحديث اخرجه ابو داود وليس فيه قال ابن شهاب فانما
اخذ التسليم ثلثا من قبل ذلك قال ابو داود ورواه عمر
بن عبد الواحد وابن سماعة عن الاوزاعي مرسلا لم يذكرا
قيس بن سعد السابعة روى عن ابن عباس ان الاستيذان
تركت العمل به الناس قال علماؤنا رحمة الله عليهم وذلك لاتخاذ
الناس الابواب وقرعها والله اعلم روى ابو داود عن
عبد الله بن بشر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا اتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه
ولكن من ركنه الايمن او الايسر فيقول السلام عليكم
السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها يومئذ ستور
الثامنة فان كان الباب مردودا فله ان يقف
حيث شاء منه ويستاذن وان يشاء دق الباب
لما رواه ابو موسى الاشعري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان في حائط بالمدينة على قف البئر
مدلي رجليه في البير فدق الباب ابو بكر فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ايذن له وبشره بالجنة
هكذا رواه عبد الرحمن بن ابي الزناد وتابعه صالح
بن كيسان ثم يونس بن يزيد فرووه جميعا
عن ابي الزناد عن ابي سلمة عن عبد الرحمن بن نافع
عن ابي موسى وخالفهم محمد بن عمرو بن الليثي فرواه
عن ابي الزناد عن ابي سلمة عن نافع بن عبد الحارث
عن النبي صلى الله عليه وسلم كذلك واسناد الاول
اصح والله اعلم التاسعة وصفة الدق ان يكون
خفيفا بحيث يسمع ولا يعنف في ذلك فقد روى انس
بن مالك قال كانت ابواب النبي صلى الله عليه وسلم

تقرع

تفرع بالالفاظ فقد ذكره ابو بكر احمد بن علي بن ثابت
الخطيب في جامعه العاشره روى الصحيحان
وغيرهما عن جابر بن عبد الله قال استاذنت على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت انا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم انا انا كانه كره ذلك قال
علماؤنا انما كره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لان
قوله انا لا يحصل بها تعريف وانما الحكم في ذلك ان
يذكر اسمه كما فعل عمر بن الخطاب وابو موسى
لان في ذكر الاسم اسقاط كلفة السوال والجواب
ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه اتى النبي
صلى الله عليه وسلم وهو في مشربة له فقال السلام
عليك يا رسول الله السلام عليكم ايدخل عمر وفي
صحيح مسلم ان ابا موسى جاء الى عمر بن الخطاب فقال
السلام عليكم هذا ابو موسى السلام عليكم هذا الاشعري
الحديث الحادية عشره ذكر الخطيب في جامعه
عن علي بن عاصم الواسطي قال قدمت البصرة فاتيت
منزل شعبه فدققت عليه الباب فقال من هذا
قلت انا فقال يا هذا ما لي صديق يقال له انا ثم
خرج الي فقال حدثني محمد بن المنكدر عن جابر

بن عبد الله قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في
حاجة لي فضربت عليه الباب فقال من هذا
قلت انا فقال انا انا كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كره قولي هذا او قوله هذا وذكر عن عمر
بن شبة نا محمد بن سلام عن ابيه قال دققت
على عمرو بن عبيد الباب فقال لي من هذا قلت انا
فقال لا يعلم الغيب الا الله قال الخطيب سمعت علي
بن المحسن القاضي يحكي عن بعض الشيوخ انه كان
اذا دق بابه فقال من ذا فقال الذي على الباب انا
فقال الشيخ انا هم دق الثانية عشرة ثم لكل
قوم في الاستيذان عرفهم في العبارة كما رواه ابو بكر
الخطيب مسندا عن ابي عبد الملك مولى ام مسكين
بنت عاصم بن عمر بن الخطاب قال ارسلتني مولاتي
الى ابي هريرة فجاء معي فلما قام بالباب قال اندراي
قالت اندرون وذكر عن احمد بن صالح قال كان الدراوردي
من اهل اصبهان نزل المدينة فكان يقول للرجل اذا
اراد ان يدخل اندرون فلقبه اهل المدينة الدراوردي
الثالثة عشرة روى ابو داود عن كلدة بن حنبل
ان صفوان بن امية بعثه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلبن

فيه علم ان الله سبحانه [illegible]

كلدة بن الحنبل ان صفوان بن امية بعثه في الفتح بلبن وجداية وضغابيس [illegible]

بلبن وجداية وضغابيس والنبي صلى الله عليه وسلم باعلى مكة
فدخلت ولم اسلم فقال ارجع فقل السلام عليكم وذاك بعد ما
اسلم صفوان بن امية وروى ابو الزبير عن جابر ان نبي الله صلى
الله عليه وسلم قال من لم يبدأ بالسلام فلا تاذنوا له وذكر ابن
جريج اخبرني عطا قال سمعت ابا هريرة يقول اذا قال الرجل
ادخل ولم يسلم فقل لا حتى ياتي بالمفتاح فقلت السلام عليكم
قال نعم وروي ان حذيفة جاءه رجل فنظر الى ما في البيت فقال
السلام عليكم اادخل فقال حذيفة اما بعينك فقد دخلت واما
باستك فلم تدخل الرابعة عشرة ومما يدخل في هذا الباب
ما رواه ابو داود عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال رسول الرجل الى الرجل إذنه اي اذا ارسل اليه فقد اذن
له في الدخول يبينه قوله صلى الله عليه وسلم اذا دعي احدكم
فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن اخرجه ابو داود ايضا عن ابي
هريرة الخامسة عشرة فان وقعت العين على العين فالسلام
قد تعين ولا تعد رؤيتك اذنا لك في دخولك عليه فاذا قضيت
حق السلام لانك الوارد عليه تقول ادخل فان اذن لك والا
رجعت السادسة عشرة هذه الاحكام كلها انما هي في
بيت ليس لك فاما في بيتك الذي تسكنه فان كان فيه اهلك
فلا اذن عليها الا انك تسلم اذا دخلت قال قتادة اذا

دخلت بيتك سلم على اهلك فهم احق من سلمت عليهم فان كان
فيه معك امك واختك فقالوا تتنحنح واضرب حتى تنبههما
لدخولك لان الاهل لا حشمة بينك وبينها واما الام والاخت
فقد يكونا على حالة لا تحب ان تراهما فيها قال ابن القاسم قال
مالك ويستاذن الرجل على امه واخته اذا اراد ان يدخل
عليهما وقد روى عطا بن يسار ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه
وسلم استاذن على امي قال نعم قال اني اخدمها قال استاذن
عليها فعاوده ثلثا قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال
فاستاذن عليها ذكره الطبري السابعة عشرة
فان دخلت بيت نفسك وليس فيه احد فقال علماونا
يقول السلام علينا من ربنا التحيات الطيبات المباركات لله
السلام رواه ابن وهب عن النبي صلى الله عليه وسلم وسنده
ضعيف وقال قتادة اذا دخلت بيتا ليس فيه احد
فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانه يومر بذلك
قال وذكر لنا ان الملايكة ترد عليهم قال ابن العربي والصحيح
ترك السلام والاستيذان والله اعلم قلت قول قتادة حسن
قوله تعالى فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها فيه
اربع مسايل الاولى قوله تعالى فان لم تجدوا الضمير
في تجدوا للبيوت التي هي بيوت الغير وحكى الطبري عن
مجاهد

عن مجاهد انه قال معنى قوله فان لم تجدوا فيها احدا اى لم يكن
لكم فيها متاع وضعف الطبري هذا التاويل وكذلك هو في
غاية الضعف وكان مجاهدا راى ان البيوت غير المسكونه
انما تدخل دون اذن اذا كان للداخل فيها متاع البيت
وراى لفظة المتاع متاع البيت الذي هو البسط والثياب
وهذا كله ضعيف والصحيح ان هذه الاية مرتبطة بما
قبلها والاحاديث التقدير يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا
غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا فان اذن لكم فادخلوا
والا فارجعوا كما فعل عليه السلام مع سعد وابو موسى مع
عمر رضى الله عنهما فان لم تجدوا فيها احدا ياذن لكم فلا تدخلوها
حتى تجدوا اذنا واسند الطبري عن قتادة قال قال رجل
من المهاجرين لقد طلبت عمري كله هذه الاية فما ادركتها
ان استاذن على بعض اخواني فيقول لي ارجع فارجع
وانا مغتبط لقوله تعالى هو ازكى لكم الثانية سوا كان
هذا الباب مغلقا او مفتوحا لان الشرع قد اغلقه بالتحريم
للدخول حتى يفتحه الاذن من ربه بل يجب عليه ان ياتي الباب
ويحاول الاذن على صفة لا يطلع منه على البيت لا في اقباله
ولا في انقلابه فقد روى علماونا عن عمر بن الخطاب انه
قال من ملا عينيه من قاعة بيت فقد فسق وروي الصحيح

مطلب

عن سهل بن سعد ان رجلا اطلع من جحر في باب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرى
يرجل به راسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو
اعلم انك تنظر لطعنت به في عينك انما جعل الله الاذن من
اجل البصر وروى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لو ان رجلا اطلع عليك بغير اذن فحذفته بحصاة
ففقات عينه ما كان عليك من جناح الثالثة اذا ثبت
ان الاذن شرط في دخول المنزل فانه يجوز من الصغير
والكبير وقد كان انس بن مالك دون البلوغ يستاذن على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك الصحابة مع ابنائهم
وغلمانهم رضي الله عنهم وسياتي لهذا مزيد بيان في اخر
السورة ان شا الله تعالى الرابعة والله بما تعملون عليم
توعد لاهل التجسس على البيوت وطلب الدخول على غفلة
للمعاصي والنظر الى ما لا يحل ولغيرهم ممن يقع في محظور
قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة
فيها متاع لكم فيه مسئلتان الاولى روي ان بعض الناس
لما نزلت اية الاستيذان تعمق في الامر وكان لا ياتي موضعا
خربا ولا مسكونا الا سلم واستاذن فنزلت هذه الاية
اباح الله فيها رفع الاستيذان في كل بيت لا يسكنه احد
لان

لان العلة اي الاستيذان انما هي لاجل خوف الكشفة على الحرمات
فاذا زالت العله زال الحكم الثانية اختلف العلما في المراد
بهذه البيوت فقال محمد بن الحنفية وقتادة ومجاهد هي الفنادق
التي في طرق السابلة قال مجاهد لا يسكنها احد بل هي موقوفة
لياوي اليها كل ابن سبيل وفيها متاع لهم اي استمتاع وعن محمد
بن الحنفية ايضا ان المراد بها دور مكه ويبينه قول مالك
وهذا على القول بانها غير متملكة وان الناس شركا فيها وان
مكه اخذت عنوة وقال ابن زيد والشعبي هي حوانيت القيساريات
قال الشعبي لانهم جاوا ببيوعهم فجعلوها فيها وقالوا للناس هلم
وقال عطا المراد بها الخرب التي يدخلها الانسان للبول والغايط
ففي هذا ايضا متاع وقال جابر بن زيد ليس يعني بالمتاع الجهاز
ولكن ما سواه من الحاجه اما منزل ينزله قوم من ليل او نهار
او خربة يدخلها لقضا حاجة او دار ينظر اليها فهذا متاع
وكل منافع الدنيا متاع قال ابو جعفر النحاس وهذا شرح
حسن من قول امام من ايمة المسلمين وهو موافق للغة
والمتاع في كلام العرب المنفعه ومنه امتع الله بك ومنه
فمتعوهن قلت واختاره ايضا القاضي ابو بكر بن العربي
وقال اما من فسر المتاع بانه جميع الانتفاع فقد طبق المفصل
وجا بالفيصل وبين ان الداخل فيها انما هو لما له من الانتفاع

فالطالب يدخل في الخانكات وهي المدارس لطلب العلم والساكن يدخل
الخانات وهي الفنادق والزبون يدخل الدكان للابتياع
والحاقن يدخل الخلا للحاجه وكل يوتى على وجهه من بابه واما قول
ابن زيد والشعبي فقول وذلك ان بيوت القيسار بات
محظورة باموال الناس غير مباحه لكل من اراد دخولها
باجماع ولا يدخلها الا من اذن له ربها بل اربابها موكلون بدفع
الناس قوله تعالى قل للمومنين يغضوا من ابصارهم الى
قوله يصنعون فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى قل للمومنين
يغضوا من ابصارهم وصل تعالى بذكر الستر ما يتعلق به
من امر النظر يقال غض بصره يغضه غضا قال الشاعر
فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا وقال عنترة
واغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي ماواها
ولم يذكر تعالى ما يغض البصر عنه ويحفظ الفرج غير ان
ذلك معلوم بالعادة وان المراد منه المحرم دون المحلل
وفي البخاري وقال سعيد بن ابي الحسن للحسن ان نسا العجم
يكشفن صدورهن ورؤسهن قال اصرف بصرك يقول الله
تعالى قل للمومنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم
وقال قتادة عما لا يحل لهم وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن
ويحفظن فروجهن خاينة الاعين النظر الى ما نهي عنه
الثانيه

الثانية قوله تعالى من ابصارهم من زايدة لقوله فما منكم من احد
عنه حاجزين وقيل من التبعيض لان من النظر ما يباح وقيل الغض
النقصان يقال غض فلان من فلان اي وضع منه فالبصر اذا لم
يمكن من عمله فهو موضوع منه ومنقوص فمن مين صلة الغض
وليست للتبعيض ولا للزيادة الثالثة البصر هو الباب الاكبر
الى القلب واعمر طرق الحواس اليه وبحسب ذلك كثر السقوط
من جهته ووجب التحذير منه وغضه واجب عن جميع المحرمات
وكل ما يخشى الفتنة من اجله وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم
والجلوس على الطرقات فقالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا
بد نتحدث فيها فقال فاذا ابيتم الا المجلس فاعطوا الطريق
حقه قالوا وما حق الطريق يا رسول الله قال غض البصر وكف
الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر رواه
ابو سعيد الخدري خرجه البخاري ومسلم وقال صلى الله
عليه وسلم لعلي لا تتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى وليست
لك الثانية وروى الاوزاعي قال حدثني هارون بن رئاب
ان غزوان وابا موسى الاشعري كانا في بعض مغازيهم فكشفت
جارية فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت
فقال انك للحاظة الى ما يضرك ولا ينفعك فلقي ابا موسى
فساله فقال ظلمت عينك فاستغفر الله وتب ان لها

اول نظرة وعليها ما كان بعد ذلك قال الاوزاعي وكان عزوان هلك
نفسه فلم يضحك حتى مات رضي الله عنه وفي صحيح مسلم
عن جرير بن عبد الله قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن نظرة الفجاة فامرني ان اصرف بصري وهذا يقوي قول
من يقول ان من للتبعيض لان النظرة الاولى لا تملك فلا تدخل
تحت خطاب تكليف اذ وقوعها لا يتاتى ان يكون مقصودا
فلا تكون مكتسبة فلا يكون مكلفا بها فوجب التبعيض لذلك
ولم يقل ذلك في الفرج لانها تملك ولقد كره الشعبي ان يديم
الرجل النظر الى ابنته وامه واخته وزمانه خير من زماننا
هذا وحرام على الرجل ان ينظر الى ذات محرمة نظر شهوة
يرددها الثالثة قوله تعالى ويحفظوا فروجهم اي يستروها
عن ان يراها من لا يحل وقيل ويحفظوا فروجهم اي عن الزنا
لو قال من فروجهم لجاز والصحيح ان الجميع مراد واللفظ عام
روى بهز بن حكيم بن معاوية القشيري عن ابيه عن جده قال قلت
يا رسول الله عوراتنا ما ناتي منها وما نذر قال احفظ عورتك
الا من زوجتك او ما ملكت يمينك قال الرجل يكون مع الرجل
قال ان استطعت ان لا يراها فافعل قلت فالرجل يكون
خاليا قال الله احق ان يستحيى منه من الناس وقد ذكرت
عايشة رضي الله عنها رسول الله وحالها معه فقالت ما رايت
ذلك

ذلك منه ولا رأى ذلك مني الرابعة بهذه الاية حرم العلماء
نصا دخول الحمام بغير مئزر وقد روي عن ابن عمر انه قال
اطيب ما انفق الرجل درهما يعطيه الحمام في خلوة وصح عن
ابن عباس انه دخل الحمام وهو محرم بالجحفة فدخوله جائز
للرجال بالمآزر ولذلك النساء للضرورة لغسلهن من الحيض
او النفاس او مرض يلحقهن والاولى بهن والافضل لهن
غسلهن ان امكن ذلك في بيوتهن فقد روى احمد بن منيع
نا الحسن بن موسى نا ابن لهيعة نا زبان عن سهل بن معاذ
عن ابيه عن ام الدرداء انه سمعها تقول لقيني رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد خرجت من الحمام قال من اين يا ام الدردا
قالت من الحمام قال والذي نفسي بيده ما من امراة تضع ثيابها
في غير بيت احد من امهاتها الا وهي هاتكة كل ستر بينها وبين
الرحمن عز وجل وخرج ابو بكر البزار عن طاووس عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا بيتا يقال له الحمام
قالوا يا رسول الله ينقي الوسخ قال فاستتروا قال ابو محمد عبد الحق
هذا اصح اسناد حديث في هذا الباب على ان الناس يرسلونه
عن طاووس واما ما خرجه ابو داود في هذا من الحظر والاباحة
فلا يصح منه شي لضعف الاسانيد وكذلك ما خرجه الترمذي
قلنا اما دخول الحمام في هذه الازمان فحرام على اهل الفضل

والدين لغلبة الجهل على الناس واستنسها لهم اذا توسطوا الحمام
رمى مبازرهم حتى يرى الرجل البهي ذو الشيبة قايما منتصبا
وسط الحمام وخارجه باديا عن عورته ضاما ما بين فخذيه ولا
احد يغير عليه هذا امر الرجال فكيف بالنساء لاسيما بالديار
المصرية اذ حماماتهم خالية عن المطاهر التي هي عن اعين الناس
سواتر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم الخامسة قال
العلما فان استتر فليدخل بعشرة شروط الاول ان لا يدخل الا
بنية التداوي او بنية التطهر عن الرحضا الثاني ان يعتمد
اوقات الخلوة او قلة الناس الثالث ان يستر عورته بازار
صفيق الرابع ان يكون نظره الى الارض او يستقبل الحايط لئلا
يقع بصره على محظور الخامس ان يغير ما يرى من منكر
برفق يقول استتر سترك الله السادس ان دلكه احد لا
يمكنه من عورته من سرته الى ركبته الا امراته وجاريته
وقد اختلف في الفخذين هل هما عورة ام لا السابع ان يدخله
باجرة معلومة بشرط او بعادة الثامن ان يصب الماء
على قدر الحاجة التاسع ان لم يقدر على دخوله وحده اتفق
مع قوم يحفظون اديانهم على كرايه العاشر ان يتذكر به جهنم
فان لم يمكنه ذلك كله فليستتر وليجتهد في غض البصر ذكر
الترمذي ابو عبد الله في نوادر الاصول من حديث طاوس
عن ابن عباس

مطلب في شروط الحمام

عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا
بيتا يقال له الحمام قيل يا رسول الله انه يذهب الوسخ ويذكر
النار فقال ان كنتم لابد فاعلين فادخلوه مستترين وخرج
من حديث ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم البيت يدخله الرجل المسلم بيت الحمام وذلك انه اذا دخله
سال الله الجنة واستعاذ به من النار وبيس البيت يدخله
الرجل بيت العروس لانه يرغبه في الدنيا وينسيه الاخرة
قال ابو عبد الله فهذا لاهل الغفلة صير الله هذه الدنيا بما فيها
سببا للذكر لاهل الغفلة ليذكروا بها اخرتهم فاما اهل
اليقين فقد صارت الاخرة نصب اعينهم فلا بيت حمام يزعجه
ولا بيت عروس يستفزه لقد دقت الدنيا بما فيها من
الصنفين والضربين في جنب الاخرة حتى ان جميع نعيم الدنيا
في اعينهم كنثارة الطعام من مايدة عظيمة وجميع شدايد
الدنيا في اعينهم كعفلة عوقب بها مجرم او مسي قد كان
استوجب القتل والصلب من جميع عقوبات اهل الدنيا
السادسة قوله تعالى ذلك ازكى لهم اي غض البصر وحفظ
الفرج اطهر في الدين وابعد من دنس الاثام ان الله خبير
اي عالم بما يصنعون تهديد ووعيد قوله تعالى وقل
للمومنات يغضضن من ابصارهن الى قوله زينتهن فيه ثلاث

وعشرون مسله الاولى قوله تعالى قل للمومنات خص الله
سبحانه الاناث هنا بالخطاب على طريق التاكيد فان قوله قل
للمومنين يكفي لانه قول عام يتناول الذكر والانثى من المومنين
حسب كل خطاب عام في القران وظهر التضعيف في يغضضن
ولم يظهر في يغضوا لان لام الفعل من الثاني ساكنة ومن الاول
متحركة وهما في موضع جزم جوابا وبدا بالغض قبل الفرج
لان البصر رايد القلب كما ان الحمى رايد الموت واخذ هذا
المعنى بعض الشعرا فقال:
الم تر ان العين للقلب رايد فما يالف العينان فالقلب الف:
وفي الخبر النظر سهم من سهام ابليس مسموم فمن غض بصره
اورثه الله الحلاوة في قلبه وقال مجاهد اذا اقبلت المراه
جلس الشيطان على راسها فزينها لمن ينظر فاذا ادبرت
جلس على عجزها فزينها لمن ينظر وعن خالد بن ابي عمران
قال لا يتبعن النظرة النظرة فربما نظر العبد نظرة
ينغل منها قلبه كما ينغل الاديم فلا ينتفع به فامر الله
سبحانه المومنين والمومنات بغض الابصار عن ما لا يحل
فلا يحل للرجل ان ينظر الى المراة ولا المراة الى الرجل فان
علاقتها به كعلاقته بها وقصدها منه كقصده منها وفي
صحيح مسلم عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم يقول ان الله كتب على ابن ادم حظه من الزنا
ادرك ذلك لا محالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر الحديث
وقال الزهري في النظر الى التي لم تحض من النساء لا
يصلح النظر الى شي منهن ممن تشتهى النظر اليهن وان
كانت صغيره وكره عطا النظر الى الجواري التي يبعن
بمكة الا ان تريد ان يشتري وفي الصحيحين عنه عليه
السلام صرف وجه الفضل عن الخثعمية حين سالته
وطفق الفضل ينظر اليها وقال عليه السلام الغيره
من الايمان والمذا من النفاق المذا هو ان يجمع الرجل
بين النسا والرجال ثم يخليهم يماذي بعضهم بعضا
ماخوذ من المذي وقيل هو ارسال الرجال الى
النسا من قولهم مذيت الفرس اذا ارسلتها ترعى وكل
ذكر يمذي وكل انثى تقذي فلا يحل لامراه تومن
بالله واليوم الاخر ان تبدي زينتها الا لمن تحل له
او لمن هي محرمه عليه على التابيد فهو من ان يتحرك
طبعه اليها لوقوع الياس له منها الثانيه روى الترمذي
عن نبهان مولى ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لها ولميمونة وقد دخل عليهما ابن ام مكتوم احتجبا
فقالتا انه اعمى قال افعميا وان انتما الستما تبصرانه

فان قيل هذا الحديث لا يصح عند اهل الفضل لان راويه
عن ام سلمة نبهان مولاها وهو ممن لا يحتج بحديثه
وعلى تقدير صحته فان ذلك منه عليه السلام تغليظ
على ازواجه لحرمتهن كما غلظ عليهن امر الحجاب كما
اشار اليه ابو داود وغيره من الايمه ويبقى معنى
الحديث الصحيح الثابت وهو ان النبي صلى الله عليه
وسلم امر فاطمة بنت قيس ان تعتد في بيت ام
شريك ثم قال تلك المراة يغشاها اصحابي اعتدي
عند ابن ام مكتوم فانه رجل اعمى تضعين ثيابك ولا
يراك قلنا قد استدل بعض العلما بهذا الحديث
على ان المراة يجوز لها ان تطلع من الرجل ما لا يجوز
للرجل ان يطلع على المراة كالراس ومعلق القرط
واما العوره فلا فعلى هذا يكون مخصصا لعموم قوله
تعالى وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن ويكون
من للتبعيض كما هي في الاية قبلها قال ابن العربي انما
امرها بالانتقال من بيت ام شريك الى بيت ابن ام
مكتوم لان ذلك اولى بها من بقايها في بيت ام شريك
اذ كانت ام شريك مو سره بكثر الداخل اليها فيكثر
الراي لها وفي بيت ابن ام مكتوم لا يراها احد فكان
امساك

بلغ

فكان امساكُ بصرِها عنه اقربَ من ذلك واولى فرخص
لها في ذلك والله اعلم الثالثة امر الله سبحانه النسا بان لا
يبدين زينتهن للناظرين الا ما استثناه من الناظرين
في باقي الاية حذارًا من الافتتان ثم استثنى ما يظهر من
الزينة واختلف الناس في قدر ذلك فقال ابن مسعود
ظاهرُ الزينة هو الثياب وزاد ابن جبير الوجه وقال
سعيد بن جبير ايضًا وعطا والاوزاعي الوجه والكفان
والثياب وقال ابن عباس وقتادة والمسور بن مخرمة
ظاهر الزينة هو الكحل والسواك والخضاب الى نصف
الساق والقرطة والفتح ونحو هذا فمباح ان تبديه
المراة لكل من دخل عليها من الناس وذكر الطبري عن
قتادة في معنى نصف الذراع حديثا عن النبي صلى الله عليه
وسلم وذكر اخر عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر اذا عركت
ان تظهر الا وجهها ويديها الى ها هنا وقبض الى نصف
الذراع قال ابن عطية ويظهر لي بحكم الفاظ الاية ان
المراة مامورة بان لا تبدي وان تجتهد في الاخفا لكل
ما هو زينة ووقع الاستثنا فيما يظهر بحكم ضرورة
حركة فيما لا بد منه او صلاح شان ونحو ذلك كما ظهر

علي هذا الوجه مما تودي اليه الضروره في النسا فهو المعفو
عنه قلت هذا قول حسن الا انه لما كان الغالب من الوجه
والكفين ظهورهما عادة وعبادة وذلك في الصلاة والحج
فيصلح ان يكون الاستثنا راجعا اليهما يدل علي ذلك
ما رواه ابو داود عن عايشة ان اسما ابنة ابي بكر
دخلت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب
رقاق فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
يا اسما ان المراة اذا بلغت المحيض لم يصلح ان يري
منها الا هذا واشار الي وجهه وكفيه فهذا اقوي
في جانب الاحتياط ولمراعات فساد الناس فلا
تبدي المراة من زينتها الا ما ظهر من وجهها وكفيها
والله الموفق لا رب غيره وقد قال ابن خواز منداد من
علمائنا ان المراة اذا كانت جميلة وخيف من وجهها
وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك وان كانت عجوزا او
مقبحة جاز ان تكشف وجهها وكفيها الرابعة
الزينة علي قسمين خلقية ومكتسبة فالخلقية وجهها
فانه اصل الزينة وجمال الخلقة ومعنى الحيوانية لما فيه
من المنافع وطرق العلوم واما الزينة المكتسبة فهو
ما تحاوله المراة من تحسين خلقها كالثياب والحلي والكحل
والخضاب

والخطاب ومنه قوله تعالى خذوا زينتكم وقال الشاعر
يا خذن زينتهن احسن ما ترى واذا عطلن فهن خير عواطل
الخامسة من الزينة ظاهر وباطن فما ظهر فمباح ابداوه
لكل الناس من المحارم والاجانب وقد ذكرنا ما للعلما فيه
واما ما بطن فلا يحل ابداوه الالمن سماهم الله في هذه الاية
او حل محلهم واختلف في السوار فقالت عايشة هو من
الزينة الظاهرة لانها في اليدين وقال مجاهد هو من الزينة
الباطنه لانه خارج من الكفين وانما يكون في الذراع قال
ابن العربي واما الخضاب فهو من الزينة الباطنه اذا
كان في القدمين السادسه قوله تعالى وليضربن
بخمرهن على جيوبهن قرا الجمهور بسكون اللام التي هي
للامر وقرا ابو عمرو في رواية عباس بكسرها على الاصل
لان اصل لام الامر الكسر وحذفت الكسرة لثقلها وانما
تسكينها كتسكين عضد وفخذ ويضربن في موضع جزم
بالامر الا انه بني على حالة واحدة اتباعا للماضي عند
سيبويه وسبب هذه الاية ان النسا كن في ذلك
الزمان اذا غطين روسهن بالاخمرة وهي المقانع
سدلنها من وراء الظهر قال النقاش كما يصنع النبط

فيبقى النحر والعنق والاذنان لا ستر على ذلك فامر الله تعالى
بلي الخمار على الجيوب وهيئة ذلك ان تضرب المراة بخمارها
على جيبها لتستر صدرها روى البخاري عن عايشة انها
قالت رحم الله نسا المهاجرات الاول لما نزل وليضربن
بخمرهن على جيوبهن شققن ازرهن فاختمرن بها ودخلت
على عايشة حفصة بنت اخيها عبد الرحمن وقد اختمرت
بشي يشف عن عنقها وما هنالك فشقته عليها وقالت
انما يضرب بالكثيف الذي يستر السابعة الخمر جمع الخمار
وهو ما تغطي به راسها ومنه اختمرت المراة وتخمرت وهي
حسن الخمرة والجيوب جمع الجيب وهو موضع القطع
من الدرع والقميص وهو من الجوب وهو القطع ومشهور
القراة ضم الجيم من جيوبهن وقرا بعض الكوفيين بكسرها
بسبب اليا لقربها منها وكذلك في بيوت وشيوخ والنحويون
القدما لا يجيزون هذه القراه ويقولون بيت وبيوت
كفلس وفلوس وقال الزجاج يجوز ان يبدل من الضمه
كسره فاما ما روي عن حمزة من الجمع بين الضم والكسر
فمحال لا يقدر احد ان ينطق به الا على الايما الى ما لا يجوز
قال مقاتل على جيوبهن اي على صدورهن يعني على مواضع
جيوبهن الثامنة في هذه الاية دليل على ان الجيب انما

الثامنه

يكون

انما يكون في الثوب موضع الصدر ولذلك كانت الجيوب في
ثياب السلف رضوان الله عليهم على ما يصنعه النسا عندنا
بالاندلس واهل الديار المصرية من الرجال والصبيان وغيرهم
وقد ترجم البخاري رحمه الله باب جيب القميص من عند
الصدر وغيره وساق حديث ابي هريرة قال ضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل البخيل والمتصدق كمثل
رجلين عليهما جبتان من حديد قد اضطرت ايديهما وتراقيهما
الحديث وقد تقدم بكماله وفيه قال ابو هريرة فانا رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول باصبعيه هكذا في
جيبه فلو رايته يوسعها ولا توسع فهذا يبين لك ان
جيبه عليه السلام كان في صدره لانه لو كان في منكبيه
لم تكن يداه مضطرة الى ثدييه وتراقيه وهذا استدلال
حسن التاسعة قوله تعالى الا لبعولتهن البعل هو الزوج
والسيد في كلام العرب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث جبريل اذا ولدت الامة بعلها يعني سيدها اشارة
الى كثرة السراري بكثرة الفتوحات فياتي الاولاد من
الاما فتعتق كل ام بولدها وكانه سيدها الذي من
عليها بالعتق اذ كان العتق حاصلا لها من سببه
قاله ابن العربي قلت ومنه قوله عليه السلام في مارية

قال ابن التين الثندوتان العضلتان اللتان في اعلى الصدر عند نقرة النحر وهي المرمة التي يسميها ... حاشية

مطلب اذا ولدت الامة بعلها اي سيدها

اعتقها ولدها فنسب العتق اليه وهذا من احسن تاويلات
هذا الحديث والله اعلم مسئلة الزوج والسيد يرى الزينة
من المراة واكثر من الزينة اذ كل محل من بدنها حلال له
لذة ونظرا ولهذا المعنى بدا بالبعولة لان اطلاعهم يقع
على اعظم من هذا قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
العاشرة اختلف الناس في جواز نظر الرجل الى فرج
المراة على قولين احدها يجوز لانه اذا جاز له التلذذ
فالنظر اولى وقيل لا يجوز لقول عايشة رضي الله عنها
في ذكر حالها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايت
ذلك منه ولا راى ذلك مني والاول اصح وهذا محمول على
الادب قاله ابن العربي وقد قال اصبغ من علمائنا يجوز له
ان يلحسه بلسانه وقال ابن خواز منداد اما الزوج
والسيد فيجوز له ان ينظر الى ساير الجسد وظاهر الفرج
دون باطنه وكذلك المراة يجوز ان تنظر الى عورة زوجها
قلت وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال النظر الى
الفرج يورث الطمس اي العمى اي في الناظر وقيل
ان الولد بينهما يولد اعمى والله اعلم الحادية عشرة
لما ذكر تعالى الازواج وبدا بهم ثنى بذوي المحارم
وسوى

مطلب
في كشف الاب والاخ على
احوط من كشف ولد زوجها المراة

وسوي بينهم في ابداء الزينة ولكن تختلف مراتبهم بحسب
ما في نفوس البشر فلا مرية ان كشف الاب والاخ على
المراة احوط من كشف ولد زوجها وتختلف مراتب ما
يبد الهم فيبد للاب ما لا يجوز ابداوه لولد الزوج وقد
ذكر القاضي اسماعيل عن الحسن والحسين رضوان الله عليهما
انهما كانا لا يريان امهات المومنين وقال ابن عباس ان رويتهما
لهن تحل قال اسماعيل احسب ان الحسن والحسين ذهبا في
ذلك الى ان ابنا البعوله لم يذكرا في الاية التي في ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم وهي قوله لا جناح عليهن في ابايهن
وقال في سورة النور ولا يبدين زينتهن الا به فذهب
ابن عباس الى هذه الاية وذهب الحسن والحسين الى الاية
الاخرى الثانية عشرة قوله تعالى او ابناء بعولتهن يعني
يريد ذكور اولاد الازواج ويدخل فيه اولاد الاولاد
وان سفلوا من ذكران كانوا او اناث كبني البنين وبني
البنات وكذلك ابا البعوله والاجداد وان علوا من جهة
الذكران لابا الاباء واباء الامهات وكذلك اخوانهن وهم
من ولده الابا والامهات او احد الصنفين وكذلك بنو
الاخوة وبنو الاخوات وان سفلوا من ذكر كانوا او
اناث كبني بني الاخوان وبني بنات الاخوات وهذا

كله في معنى ما حرم من المناكح فان ذلك على المعاني في الولادات
وبها ولا محارم وقد تقدم في النساء والجمهور على ان العم
والخال كساير المحارم في جواز النظر لهما الى ما يجوز لهم وليس
الاية ذكر الرضاع وهو كالنسب على ما تقدم وعند الشعبي
وعكرمة ليس العم والخال من المحارم قال عكرمة لم يذكرها
في الايه لانهما تبعان لابنايهما الثالثة عشرة قوله تعالى
او نسايهن يعني المسلمات ويدخل في هذا الاما المومنات
ويخرج منه نسا المشركين من اهل الذمه وغيرهم ولا
يحل لامراة مومنة ان تكشف شيا من بدنها بين يدي
امراة مشركة الا ان تكون امة لها فذلك قوله او ما ملكت
ايمانهن وكان ابن جريج وعبادة بن نسي وهشام القاري
يكرهون ان تقبل النصرانية المسلمة او ترى عورتها
وينا ولون او نسايهن قال عبادة بن نسي وكتب عمر
رضي الله عنه الى ابي عبيدة بن الجراح انه بلغني ان نسا اهل
الذمة يدخلن الحمامات مع نسا المسلمين فامنع من ذلك
وحل دونه فانه لا يجوز ان ترى الذمية عورة المسلمة
قال فعند ذلك قام ابو عبيده وابتهل وقال ايما امراة
تدخل الحمام من غير عذر لا تريد الا ان تبيض وجهها
فسود الله وجهها يوم تبيض الوجوه وقال ابن عباس
لا يحل

لا يحل للمسلمة ان تراها يهودية او نصرانيه لئلا
تصفها لزوجها وفي هذه المسلمة خلاف للفقها فان كانت
الكافره امة لمسلمة جاز ان تنظر الي سيدتها واما
غيرها فلا لانقطاع الولاية بين اهل الاسلام واهل الكفر
ولما ذكرناه والله اعلم الرابعة عشرة قوله تعالي
او ما ملكت ايمانهن ظاهر الاية تشمل العبيد والاما
المسلمات والكتابيات وهو قول جماعة من اهل العلم
وهو الظاهر من مذهب عايشه وام سلمة رضي الله عنهما
وقال ابن عباس لا باس ان ينظر المملوك الي شعر مولاته
وقال اشهب سيل مالك اتلقي المراة خمارها بين يدي
الخصي فقال نعم اذا كان مملوكا لها او لغيرها واما الحره
فلا وان كان فحلا كبيرا وغدا تملكه لا هيبة له ولا منظر
فلينظر الي شعرها قال اشهب قال مالك ليس بواسع
ان تدخل جارية الولد او الزوجة علي الرجل المرحاض قال
الله تعالي او ما ملكت ايمانكم وقال اشهب عن مالك ينظر
الغلام الوغد الي شعر سيدته ولا احب لغلام الزوج
وقال سعيد بن المسيب لا تغرنكم هذه الايه او ما ملكت
ايمانهن انما عني بها الاما ولم يعن بها العبيد وكان الشعبي
يكره ان ينظر المملوك الي شعر مولاته وهو قول عطا ومجاهد

روي ابو داود عن انس ان رسول الله صلي الله عليه وسلم اتي
فاطمة بعبد قد وهبه لها قال وعلي فاطمة ثوب اذا غطت
راسها لم يبلغ الي رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ
الي راسها فلما راي النبي صلي الله عليه وسلم ما تلقي من ذلك
قال انه لا باس عليك انما هو ابوك وغلامك الخامسة
عشرة قوله تعالي او التابعين غير اولي الاربة من الرجال
اي غير اولي الحاجة والاربة الحاجة اربت الي كذا ارب
اربا والارب والاربة والماربة والارب الحاجة والجمع
مآرب اي حوائج ومنه قوله تعالي ولي فيها مآرب
اخري وقد تقدم وقال طرفة
اذا المرء قال الجهل والحوب والخنا تقدم يوما ثم ضاعت مآربه
واختلف الناس في قوله تعالي او التابعين غير اولي الاربة
فقيل هو الاحمق الذي لا حاجة به الي النسا وقيل الابله
وقيل الرجل يتبع القوم فياكل معهم ويرتفق بهم وهو
ضعيف لا يكترث للنساء ولا يشتهيهن وقيل العنين
وقيل الخصي وقيل المخنث وقيل الشيخ الكبير والصبي الذي
لم يدرك وهذا الاختلاف كله متقارب المعني ويجتمع
فيمن لا فهم له ولا همة ينتبه بها الي امر النسا وبهذه
الصفة كان هيت المخنث عند رسول الله صلي الله عليه وسلم

فلما سمع

فلما سمع منه ما سمع من وصف محاسن المراة بادية
ابنة غيلان امره بالاحتجاب منه اخرج حديثه
مسلم وابو داود ومالك في الموطا وغيرهم عن هشام
بن عروة عن عروة عن عايشة قال ابو عمر ذكر
عبد الملك بن حبيب كاتب مالك قال قلت لمالك ان
سفيان زاد في حديث ابنة غيلان ان مخنثا يقال
له هيت وليس في كتابك هيت فقال مالك صدق هو
كذلك وغربه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحمى
وهو موضع من ذي الحليفة ذات الشمال من مسجدها
قال حبيب وقلت لمالك وقال سفيان في الحديث
اذا قعدت تثنت واذا تكلمت تغنت قال مالك
صدق هو كذلك قال ابو عمر ما ذكره حبيب كاتب
مالك عن سفيان انه قاله في الحديث يعني حديث
هشام بن عروة ان مخنثا يدعى هيتا فغير معروف
عند احد من رواته عن هشام لا ابن عيينه ولا غيره
ولم يقل في نسق الحديث ان مخنثا يدعى هيتا وانما
ذكره عن ابن جريج بعد تمام الحديث وكذلك قوله
عن سفيان انه يقول في الحديث اذا قعدت تثنت
واذا تكلمت تغنت هذا ما لم يقله سفيان ولا غيره

في حديث هشام بن عروة وهذا اللفظ لا يوجد الا من
رواية الواقدي والعجب انه يحكيه عن سفيان ويحكي
عن مالك انه كذلك فصارت رواية عن مالك ولم يروه
عن مالك غير حبيب ولا ذكره عن سفيان غيره ايضا
والله اعلم وحبيب كاتب مالك متروك الحديث
ضعيف عند جميعهم لا يكتب حديثه ولا يلتفت
الى ما يجي به ذكر الواقدي والكلبي ان هيتا المخنث
قال لعبد الله بن ابي امية المخزومي وهو اخو ام سلمة
لابيها وامه عاتكة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له وهو في بيت اخته ام سلمة ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يسمع ان فتح الله عليكم الطائف
فعليك ببادية ابنة غيلان بن سلمة الثقفي فانها
تقبل باربع وتدبر بثمان مع ثغر كالاقحوان ان
جلست تثنت وان تكلمت تغنت بين رجليها كالاناء
المكفو وهي كما قال قيس بن الخطيم هيفا فرعا يستضا
تغترق الطرف وهي لاهية كانما شف وجهها نزف
بين شكول النسا خلقتها قصدا فلا جبلة ولا قضف
تنام عن كبر شانها فاذا قامت رويدا تكاد تنقصف
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لقد غلغلت النظر اليها
يا عدو الله

يا عدو الله ثم اجلاه عن المدينة الى الحمى قال فلما افتتحت
الطايف تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له منه
بريهة في قول الكلبي ولم يزل هيت بذلك المكان حتى
قبض النبي صلى الله عليه وسلم فلما ولي ابو بكر كلم فيه
فابى ان يرده فلما ولي عمر كلم فيه فابى ثم كلم فيه
عثمان بعد وقيل انه قد كبر وضعف واحتاج فاذن
له يدخل كل جمعه فيسئل ويرجع الى مكانه قال وكان
هيت مولى لعبد الله بن امية المخزومي وكان له طويس
ايضا فمن ثم قيل الخنث قال ابو عمر يقال بادية بالياء
وبادنة بالنون والصواب فيه عندهم باليا وهو
قول الاكثر ولذلك ذكره الزبير باليا السادسة
عشره وصف التابعين بغير لان التابعين غير
مقصودين باعيانهم فصار اللفظ كالنكره وغير
لا يتمحض نكرة فجاز ان يجري وصفا على المعرفه
وان شيت قلت هو بدل والقول فيها كالقول في
غير المغضوب عليهم وقرا عاصم وابن عامر غير بالنصب
فيكون استثنا اي يبدين زينتهن للتابعين الا ذا الاربة
منهم ويجوز ان يكون حالا اي والذين يتبعونهن
عاجزين عنهن قاله ابو حاتم وذو الحال ما في التابعين

من الذكر السابعة عشرة قوله تعالى او الطفل اسم
جنس بمعنى الجمع والدليل على ذلك نعته بالذين وفي مصحف
حفصة او الاطفال على الجمع ويقال طفل ما لم يراهق
الحلم ويظهروا معناه يطلعون بالوطء اي لم يكشفوا
عن عورات النساء للجماع لصغرهن وقبل لم يبلغوا ان يطيقوا
النسا يقال ظهرت على كذا اي علمته وظهرت على
كذا اي قهرته والجمهور على سكون الواو من عورات
لاستثقال الحركة على الواو وروي عن ابن عامر فتح
الواو مثل جفنة وجفنات وحكى الفرا انها لغة قيس
عورات الثامنة عشرة اختلف العلما في وجوب ستر
ما سوى الوجه والكفين منه على قولين احدهما لا يلزم
لانه لا تكليف عليه وهو الصحيح والاخر يلزم لانه قد
يشتهى وقد تشتهي هي ايضا فان راهق فحكمه حكم البالغ
في وجوب الستر ومثله الشيخ الذي سقطت شهوته
اختلف فيه ايضا على قولين كما في الصبي والصحيح بقا
الحرمة قاله ابن العربي التاسعة عشرة اجمع المسلمون
على ان السوئتين عورة من الرجل والمراة وان المراة
كلها عورة الا وجهها ويديها فانهم اختلفوا فيهما وقال
اكثر العلما في الرجل من سرته الى ركبته عورة لا يجوز
ان ترى

ان ترى وقد مضى في الاعراف القول في هذا مستوفى

الموفيه عشرين قال اصحاب الراي عورة المراة مع

عبدها من السرة الى الركبه ابن العربي وكانهم ظنوها رجلا

او ظنوه امراة والله تعالى قد حرم المراه على الاطلاق

بنظر او لذة ثم استثنى اللذة للازواج وملك اليمين ثم

استثنى الزينه لاثني عشر شخصا العبد منهم فما لنا ولذلك

هذا نظر فاسد واجتهاد عن السداد متباعد وقد تاول

بعض الناس قوله او ما ملكت ايمانهن على الاماء دون

العبيد منهم سعيد بن المسيب فكيف يحملون على العبيد

ثم يلحقون بالنساء هذا بعيد جدا قاله ابن العربي وقد

قيل ان التقدير او ما ملكت ايمانهن من غير اولي الاربه

او التابعين غير اولي الاربه حكاه المهدوي الحاديه

والعشرون قوله تعالى ولا يضربن بارجلهن الايه

اي لا تضرب المراة برجلها اذا مشت لتسمع صوت

خلخالها فاسماع صوت الزينه كابداء الزينه واشد

والغرض التستر اسند الطبري عن المعتمر عن ابيه

انه قال زعم حضرمي ان امراة اتخذت برتين من

فضه واتخذت جزعا فجعلت في ساقيها فمرت على

القوم فضربت برجلها الارض فوقع الخلخال على الجزع

فصوت فنزلت هذه الاية وسماع هذه الزينه اشد تحريكا
للشهوة من ابدايها قاله الزجاج الثانية والعشرون
من فعل ذلك منهن فرحا بحليهن فهو مكروه ومن فعل ذلك
منهن تبرجا وتعرضا للرجال فهو حرام مذموم وكذلك
من ضرب بنعله من الرجال ان فعل ذلك تعجبا حرم فان
العجب كبيرة وان فعل ذلك تبرجا لم يجز الثالثه والعشرون
قال مكي رحمه الله ليس في كتاب الله اية اكثر ضمايرا من
هذه جمعت خمسة وعشرين ضميرا للمومنات من
مخفوض ومرفوع قوله تعالى وتوبوا الى الله
جميعا ايه المومنون فيه مسلتان الاولى قوله تعالى
وتوبوا امر ولا خلاف بين الامة في وجوب التوبه وانها
فرض متعين وقد مضى الكلام فيها في النسا وغيرها
فلا معنى لاعادة ذلك والمعنى وتوبوا الى الله فانكم لا
تخلون من سهو وتقصير في اداء حقوق الله فلا تتركوا
التوبة في كل حال الثانية قرا الجمهور ايه بفتح الهاء
وقرا ابن عامر بضمها ووجهه ان تجعل الهاء من نفس
الكلمه فيكون اعراب المنادي فيها وضعف ابو علي
ذلك جدا وقال اخر الاسم ولو جاز ضم الهاء هاهنا
لاقترانها بالكلمة لجاز ضم الميم في اللهم لاقترانها
بالكلمه

هو الينا اشا ايه المومنون فيه مسلتان ... ابن كثير ...

٤٨٦

بالكلمة في كلام طويل والصحيح انه اذا ثبت عن النبي
صلى الله عليه وسلم قراة فليس الا اعتقاد الصحه في
اللغة فان القران هو الحجة وانشد الفرا
يا ايها القلب اللجوج النفس افق عن النبض الحسان اللعس
اللعس لون الشفه اذا كانت تضرب الى السواد قليلا وذلك
يستملح يقال شفة لعسا وفتية ونسوة لعس وبعضهم
يقف ايه وبعضهم يقف ايها بالالف لان علة حذفها
في الوصل انما هو سكونها وسكون اللام فاذا كان الوقف
ذهبت العله فرجعت الالف كما ترجع الى اذا وقفت
على محلي من قوله تعالى غير محلي الصيد وهذا الاختلاف
الذي ذكرناه لذلك هو يا ايه الساحر وايه الثقلان
قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فيه سبع مسايل
الاولى هذه المخاطبه تدخل في باب الستر والصلاح
اي زوجوا من لا زوج له منكم فانه طريق التعفف
والخطاب للاوليا وقيل للازواج والصحيح الاول اذ
لو اراد الازواج لقال وانكحوا بغير همز وكانت الالف
للوصل وفي هذا دليل على ان المراة ليس لها ان تنكح
نفسها بغير ولي وهو قول اكثر العلما وقال ابو حنيفه
اذا زوجت الثيب او البكر نفسها بغير ولي كفوا لها

جاز وقد مضى هذا في البقره مستوفى الثانية اختلف
العلما في هذا الامر على ثلثة اقوال فقال علماونا يختلف الحكم
في ذلك باختلاف حال المومن من خوف العنت ومن عدم صبره
ومن قوته على الصبر وزوال خشية العنت عنه واذا
خاف الهلاك في الدين والدنيا او فيهما فالنكاح حتم
وان لم يخش شيئا وكانت الحال مطلقه فقال الشافعي
النكاح مباح وقال مالك وابو حنيفه هو مستحب
تعلق الشافعي بانه قضا لذة فكان مباحا كالاكل
والشرب وتعلق علماونا بالحديث الصحيح من رغب
عن سنتي فليس مني الثالثه قوله تعالى الايامى منكم
اي الذين لا ازواج لهم من الرجال والنسا واحدهم ايم
قال ابو عمر ايامى مقلوب ايايم واتفق اهل اللغة
على ان الايم في الاصل هي المراة التي لا زوج لها بكرا كانت
او ثيبا حكى ذلك ابو عمرو والكسايي وغيرهما تقول
العرب تايمت المراة اذا اقامت لا تتزوج وفي حديث
النبي صلى الله عليه وسلم انا وامراة سفعا الخدين
تايمت على ولدها الصغار حتى يبلغوا او يغنيهم الله
من فضله كهاتين في الجنة وقال الشاعر
فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم

ويقال

ويقال ايم بين الايمة وقد امتهى وامت انا قال الشاعر
لقد استحي لامني كل صاحب رجا سليمى ان ايم كما امت
قال ابو عبيد يقال رجل ايم وامراة ايم واكثر ما يكون
في النسا وهو كالمستعار في الرجال وقال امية بن ابي الصلت
لله در بني علي ايم منهم وناكح وقال قوم هذه الاية
ناسخة لحكم قوله تعالي والزانية لا ينكحها الا زان او
مشرك وحرم ذلك علي المومنين وقد بيناه في اول
السورة والحمد لله الرابعة المقصود من قوله تعالي
وانكحوا الايامي منكم الحرائر والاحرار ثم بين حكم المماليك
فقال والصالحين من عبادكم وامائكم وقرا الحسن
والصالحين من عبيدكم وعبيد اسم للجمع قال الفرا
ويجوز وايمائكم بالنصب ترده علي الصالحين يعني
الذكور والاناث والصلاح والايمان وقيل المعني
ينبغي ان يكون الرغبة في تزويج الاماء والعبيد
اذا كانوا صالحين فيجوز تزويجهم ولكن لا ترغيب
فيه ولا استحباب كما قال فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا
ثم قد تجوز الكتابة وان لم يعلم في العبد خيرا ولكن الخطاب
ورد في الترغيب والاستحباب وانما تستحب كتابة
من فيه خير الخامسة اكثر العلما علي ان السيد ان

يكره العبد على النكاح و يغلقون عليهم الابواب تمسك
اصحاب الشافعي فقالوا العبد مكلف ولا يجبر على النكاح لان
التكليف يدل على ان العبد كامل من جهة الادميه وانما
تتعلق به المملوكية فيما كان حظا للسيد من ملك الرقبه
والمنفعه بخلاف الامه فان له حق المملوكيه في بضعها
ليستوفيه فاما بضع العبد فلا حق له فيه ولاجل ذلك
لا يباح السيده لعبدها هذه عمده اهل خراسان والعراق
وعمدتهم ايضا الطلاق فانه يملكه العبد بتملك عقده
ولعلمائنا النكته العظما في ان مالكيه العبد استغرقتها
مالكيه السيد ولذلك لا يتزوج الا باذنه باجماع
والنكاح وبابه انما هو من المصالح ومصلحة العبد موكوله
الى السيد هو يراها ويقيمها للعبد السادسه قوله
تعالى ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله رجع الكلام
الى الاحرار اي لا تمتنعوا عن التزويج بسبب فقر
الرجل والمراه ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله وهذا
وعد بالغني للمتزوجين طلب رضى الله عنه واعتصاما
من معاصيه وقال ابن مسعود التمسوا الغنى في
النكاح وتلى هذه الايه وقال عمر رضي الله عنه عجبي ممن
لا يطلب الغنى في النكاح وقد قال تعالى ان يكونوا فقرا
يغنهم الله من فضله

يغنيهم الله من فضله وروي هذا المعني عن ابن عباس ايضا
ومن حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ثلثة كلهم حق علي الله عونه المجاهد في سبيل الله
والناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الادا اخرجه
ابن ماجة في سننه فان قيل فقد نجد الناكح لا يستغني
قلنا لا يلزم ان يكون هذا علي الدوام بل لو كان في لحظة
واحدة لصدق الوعد وقد قيل يغنيه اي يغني النفس
وفي الصحيح ليس الغني عن كثرة العرض انما الغني غني النفس
وقد قيل ليس وعدا لا يقع فيه خلف بل المعني ان المال غاد
ورائح فارجوا الغني وقيل المعني يغنيهم الله من فضله ان
شا كقوله فيكشف ما تدعون اليه ان شا وقال تعالي
يبسط الرزق لمن يشا وقيل المعني ان يكونوا فقرا الي
النكاح يغنيهم الله بالحلال ليتعففوا عن الزنا **السابعة**
هذه الاية دليل علي تزويج الفقير ولا يقول كيف اتزوج
وليس لي مال فان رزقه علي الله وقد زوج النبي صلي
الله عليه وسلم المراة التي اتته تهب له نفسها لمن
ليس له الا ازار واحد وليس لها بعد ذلك فسخ النكاح
بالاعسار لانها دخلت عليه وانما يكون ذلك اذا
دخلت علي اليسار فخرج معسرا او طرا الاعسار

بعد ذلك لان الجوع لا صبر عليه قاله علماونا وقال النقاش
هذه الايه حجة على من قال ان القاضي يفرق بين الزوجين
اذا كان الزوج فقيرا لا يقدر على النفقه لان الله تعالى
قال يغنهم ولم يقل يفرق وهذا انتزاع ضعيف وليس
هذه الايه حكما فيمن عجز عن النفقه وانما هي وعد بالاغناء
لمن تزوج فقيرا فاما من تزوج موسرا واعسر بالنفقه
فانه يفرق بينهما قال الله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا
من سعته ونفحات الله ماموله في كل حال موجود بها
قوله تعالى وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا
حتى يغنيهم الله من فضله فيه اربع مسايل الاولى
قوله تعالى وليستعفف الخطاب لمن يملك امر نفسه
لا لمن زمامه بيد غيره فانه يقوده الى ما يراه كالمحجور
قولا واحدا والامة والعبد على احد قولي العلما الثانيه
وليستعفف وزنه استفعل ومعناه طلب ان يكون
عفيفا فامر الله تعالى بهذه الايه كل من تعذر عليه
النكاح ولا يجده باي وجه تعذر ان يستعفف ثم لما
كان اغلب الموانع على النكاح عدم المال وعد بالاغناء
من فضله فيرزقه ما يتزوج به او يجد امراة ترضى
باليسير من الصداق او تزول عنه شهوة النسا وروى

النساي

٢٨٩

النساي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلثة
كلهم حق على الله عز وجل عونه المجاهد في سبيل الله والناكح
الذي يريد العفاف والمكاتب الذي يريد الاداء
التاليه قوله تعالى لا يجدون نكاحا اي طول
نكاح فحذف المضاف وقيل النكاح ها هنا ما ينكح
به المراة من المهر والنفقه كاللحاف اسم لما يلتحف
به واللباس اسم لما يلبس فعلى هذا لا اخلاف في
الاية قاله جماعة من المفسرين وحملهم على هذا
قوله تعالى حتى يغنيهم الله من فضله فظنوا ان
المامور بالاستعفاف انما هو من عدم المال
الذي يتزوج به وفي هذا القول تخصيص المامورين
بالاستعفاف وذلك ضعيف بل الامر بالاستعفاف
متوجه لكل من تعذر عليه النكاح باي
وجه تعذر كما قدمناه والله اعلم الرابعه
من تاقت نفسه الى النكاح فان وجد الطول
فالمستحب ان يتزوج وان لم يجد الطول فعليه
بالاستعفاف ما امكن ولو بالصوم فان الصوم
له وجا كما في الخبر الصحيح ومن لم تتق نفسه الى
النكاح فالاولى له التخلي لعبادة الله تعالى وفي

الخير خيركم للخفيف الحاذ الذي لا اهل له ولا ولد وقد
تقدم جواز نكاح الاما عند عدم الطول للحرة في
النسا والحمد لله ولما لم يجعل الله بين العفة والنكاح
درجة دل على ان ما عداهما محرم ولا يدخل فيه ملك
اليمين لانه بنص اخر مباح وهو قوله او ما ملكت
ايمانكم فجاءت فيه زيادة ويبقى على التحريم الاستمنا رداً
على احمد وكذلك يخرج عنه نكاح المتعة بنسخه وقد
تقدم هذا في المومنين قوله تعالى والذين يبتغون
الكتاب من ما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا
فيه ست عشرة مسلة الاولى قوله تعالى والذين
يبتغون الكتاب الذين في موضع رفع وعند الخليل
وسيبويه في موضع نصب على اضمار فعل لان
بعده امرا ولما جرى ذكر العبيد والاما فيما
سبق وصل به ان العبد ان طلب الكتابة فالمستحب
كتابته فربما يقصد بالكتابة ان يستقل ويكتسب
ويتزوج اذا اراد فيكون اعف له قيل نزلت في غلام
لحويطب بن عبد العزى يقال له صبح ويقال صبيح
طلب من مولاه ان يكاتبه فابى فانزل الله هذه الاية
فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين
دينارا

بين

٢٩٠

دينارا فاداها وقيل لحقين في الحرب ذكره القشيري
وحكاه النقاش قال مكي هو صبيح القبطي غلام حاطب
بن ابي بلتعة وعلى الجملة فان الله تعالى امر المومنين
كافة ان يكاتب منهم كل من له مملوك وطلب المملوك
الكتابة وعلم سيده فيه خيرا الثانية الكتاب والمكاتبة
سوآ مفاعلة مما لا تكون لا بين اثنين لانها معاقدة
بين السيد وعبده يقال كاتب يكاتب كتابا ومكاتبة
كما يقال قاتل قتالا ومقاتلة فالكتاب في الاية مصدر
كالقتال والجلاد والرقاع وقيل الكتاب هاهنا هو
الكتاب المعروف الذي يكتب فيه الشي وذلك انهم كانوا
اذا كاتبوا العبد كتبوا عليه وعلى انفسهم بذلك
كتابا فالمعنى يطلبون العتق الذي يكتب به الكتاب
فيدفع اليهم الثالثة معنى المكاتبة في الشرع
هو ان يكاتب الرجل عبده على مال يوديه منجما عليه
فاذا اداه فهو حر ولها حالتان الاولى ان تطلبها
العبد وتجيبه السيد فهذا مطلق الاية وظاهرها
الثانية ان تطلبها العبد ويا باها السيد وفيها
قولان الاول لعكرمة وعطا ومسروق وعمرو
بن دينار والضحاك بن مزاحم وجماعة اهل الظاهر

وفعل ع

ان ذلك واجب على السيد وقال علما الامصار لا يجب
ذلك وتعلق من اوجبها بمطلق الامر وافعل بمطلقه
على الوجوب حتى ياتي الدليل بغيره وروي ذلك
عن عمر بن الخطاب وابن عباس واختاره الطبري
واحتج داوود ايضا بان سيرين ابا محمد بن سيرين
سال انس بن مالك الكتابة وهو مولاه فابى انس
فرفع عليه عمر الدرة وتلى فكاتبوهم فكاتبه انس
قال داود ما كان عمر ليرفع الدرة على انس فيما
له مباح ان لا يفعله وتمسك الجمهور بان الاجماع
منعقد على انه لو ساله ان يبيعه من غيره لم يلزمه
ذلك ولم يجبر عليه وان ضوعف له في الثمن
ولذلك لو قال له اعتقني او دبرني او زوجني
لم يلزمه ذلك باجماع فكذلك الكتابة لانها معاوضة
فلا تصح الا عن تراض وقولهم مطلق الامر يقتضي
صرفه عن الوجوب وتعليقه هنا بشرط علم الخير
فيه فعلق الوجوب على امر باطن وهو علم السيد
بالخير واذا قال العبد كاتبني وقال السيد لم اعلم
فيك خيرا وهو امر باطن فيرجع فيه اليه ويعول
عليه وهذا قوي في بابه الرابعة واختلف العلما
في قوله

[illegible]

٢٩٢

في قوله تعالى خيراً فقال ابن عباس وعطا المال مجاهد المال
والاداء الحسن والنخعي الدين والامانه وقال مالك سمعت
بعض اهل العلم يقولون هو القوة على الاكتساب والاداء
وعن الليث نحوه وهو قول الشافعي وقال عبيدة السلماني
اقامة الصلاة والخير قال الطحاوي وقول من قال انه المال
لا يصح عندنا لان العبد مال لمولاه فكيف يكون له مال
والمعنى عندنا ان علمتم فيهم الدين والصدق وعلمتم
انهم يعاملونكم على انهم متعبدون بالوفا لكم بما عليهم
من الكتابه والصدق في المعامله فكاتبوهم وقال ابو
عمر من لم يقل ان الخير هنا المال انكر ان يقال ان علمتم
فيهم مالا وانما يقال علمت فيه الخير والصلاح والامانه
ولا يقال علمت فيه المال وانما يقال علمت عنده المال
قلت وحديث بريرة يرد قول من قال ان الخير المال
على ما ياتي الخامسة اختلف العلما في كتابة من لا حرفة
له فكان ابن عمر يكره ان يكاتب عبده اذا لم تكن له
حرفه ويقول يامرني ان اكل اوساخ الناس ونحوه
عن سلمان الفارسي وروى حكيم بن حزام قال كتب
عمر بن الخطاب الى عمير بن سعد اما بعد فانه
من قبلك من المسلمين ان يكاتبوا ارقاهم على مسلة

الناس وكرهه الأوزاعي واحمد واسحق ورخص في ذلك
مالك وابو حنيفة والشافعي وروي عن علي رضي الله عنه
ان ابن التياح موذنه قال له اكاتب وليس لي مال قال
نعم ثم حض الناس على الصدقة علي فاعطوني مافضل
عن مكاتبتي فاتيت عليا فقال اجعلها في الرقاب وقد
روي عن مالك كراهة ذلك وان الامة التي لاحرفة لها
يكره كتابتها لما يودي اليه من فسادها والحجة في السنة
لا فيما خالفها روي الايمة عن عايشة قالت دخلت علي
بريرة فقالت ان اهلي كاتبوني على تسع اواق في تسع
سنين كل سنة اوقية فاعينيني الحديث فهذا دليل على ان
للسيد ان يكاتب عبده وهو لا شي معه الا ترى ان بريرة
جات عايشة تخبرها بانها كاتبت اهلها وسالتها ان
تعينها وذلك كان في اول كتابتها قبل ان تودي شيا
كذلك ذكر ابن شهاب عن عروة ان عايشة اخبرته ان بريرة
جات تستعينها في كتابتها ولم تكن قضت من كتابتها شيا
اخرجه البخاري وابو داود وفي هذا دليل على اجازة
كتابة الامة وهي غير ذات صنعة ولا حرفة ولا مال
ولم يسال النبي صلى الله عليه وسلم هل لها كسب او عمل
واصب او مال ولو كان هذا واجبا لسال عنه ليقع حكمه
عليه

عليه لانه بُعث مبينا معلما صلى الله عليه وسلم وفي هذا
الحديث ما يدل على ان من تاول في قوله تعالى ان علمتم
فيهم خيرا ان المال الخير ليس بالتاويل الجيد وان الخير
المذكور هو القوة على الاكتساب مع الامانة والله اعلم
السادسة الكتابة تكون بقليل المال وكثيره وتكون
على النجم لحديث بريرة وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء
والحمد لله فلو كاتبه على الف درهم ولم يذكر اجلا نجمت
عليه بقدر سعايته وان كره السيد قال الشافعي لا بد
فيها من اجل واقلها ثلثة انجم واختلفوا اذا وقعت على نجم
واحد فاكثر اهل العلم يجيزونها على نجم واحد وقال
الشافعي لا يجوز على نجم واحد ولا تجوز حالة البتة
وانما ذلك عتق على صفة كانه قال اذا اديت كذا
وكذا فانت حر وليست كتابة قال ابن العربي اختلف
العلماء والسلف في الكتابة اذا كانت حالة على قولين
واختلف قول علمائنا كاختلافهم والصحيح في النظر
ان الكتابة موجلة كما ورد بها الاثر في حديث بريرة
حين كاتبت اهلها على تسع اواق في كل عام اوقية
وكما فعلت الصحابة ولذلك سميت كتابة لانها تكتب
ويشهد عليها فقد استوسق الاسم والاثر وعضده

المعني فان المال ان جعله حالا وكان عند العبد شي فهو مال
مقاطعه وعقد مقاطعه لا عقد كتابه وقال ابن خواز منداد
اذا كاتبه علي مال معجل كان عتقا علي مال ولم تكن كتابه
واجاز غيره من اصحابنا الكتابه الحاله وسماها قطاعة
وهو القياس لان الاجل فيها انما هو فسحة للعبد في التكسب
الا تري انه لو جا بالمنجم عليه قبل محله اوجب علي
السيد ان ياخذه ويتعجل المكاتب عتقه وبجواز الكتابه
الحاله قال الكوفيون قلت لم يرد عن مالك نص في الكتابه
الحاله والاصحاب يقولون انها جايزه ويسمونها
قطاعة واما قول الشافعي انها لا تجوز علي اقل من ثلثة
انجم فليس بصحيح لانه لو كان صحيحا لجاز لغيره ان يقول
لا تجوز علي اقل من خمسة نجوم لانها اقل النجوم التي
كانت علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم في بريره
وعلم بها النبي صلي الله عليه وسلم وقضي فيها فكان بصواب
الحجه اولي روي البخاري عن عايشه ان بريره دخلت
عليها تستعينها في كتابتها وعليها خمسة اواق نجمت
عليها في خمس سنين الحديث كذا قال الليث عن يونس
عن ابن شهاب عن عروة عن عايشة قالت جات بريرة
فقالت اني كاتبت اهلي علي تسع اواق الحديث وظاهر
الروايتين

عن ابيه [illegible] عليها في خمس سنين وقال ابو اسامه عن هشام بن عروه
و عليها خمس اواق [illegible]

الروايتين تعارض عن ان حديث هشام اولى لاتصاله
وانقطاع حديث يونس لقول البخاري وقال الليث
حدثني يونس ولان هشاما اثبت في حديث ابيه
وجده من غيره والله اعلم السابعة المكاتب عبد
ما بقي عليه من مال الكتابة شي لقوله عليه السلام المكاتب
عبد ما بقي عليه من مكاتبته درهم اخرجه ابو داود
عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وروي عنه
ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما عبد كاتب
على مائة دينار فاداها الا عشرة دنانير فهو عبد
وهذا قول مالك والشافعي وابي حنيفة واصحابهم
والثوري واحمد واسحق وابي ثور وداود والطبري
وروي ذلك عن ابن عمر من وجوه عن زيد بن ثابت
وعايشة وام سلمة لم يختلف عنهم في ذلك رضي الله عنهم
وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وبه قال ابن المسيب
والقاسم وسالم وعطا قال مالك وكل من ادركنا
ببلدنا يقول ذلك وفيها قول اخر روي عن علي انه
اذا ادى الشطر فهو غريم وبه قال النخعي وروي
ذلك عن عمر رضي الله عنه والاسناد عنه بان
المكاتب عبد ما بقي عليه درهم خير من الاسناد

عنه بان المكاتب اذا ادى الشطر فلا رق عليه وعن
علي ايضا يعتق منه بقدر ما ادى وعنه ايضا
ان العتاقة تجري فيه باول نجم يؤديه وقال ابن مسعود
اذا ادى ثلث الكتابة فهو عتيق غريم وهو قول
شريح وعن ابن مسعود لو كانت الكتابة مايتي
دينار وقيمة العبد ماية دينار فادى العبد
المائة التي هي قيمته عتق وهو قول النخعي ايضا
وقول رابع اذا ادى الثلاثة الارباع وبقي
الربع فهو غريم ولا يعود عبدا قاله عطا
بن ابي رباح رواه ابن جريج عنه وحكي عن
بعض السلف انه بنفس عقد الكتابة حر
وهو غريم بالكتابة ولا يرجع الى الرق ابدا
وهذا القول يرده حديث بريرة لصحته عن
النبي صلى الله عليه وسلم وفيه دليل واضح
على ان المكاتب عبد ولولا ذلك ما بيعت
بريرة ولو كان فيها شي من العتق ما اجاز بيع
ذلك اذ من سنته المجمع عليها ان لا يباع الحر
ولذلك كتابة سلمان وجويرية فان النبي صلى
الله عليه وسلم حكم لجميعهم بالرق حتى ادوا
الكتابة

عتيق

الكتابه وهي حجة للجمهور في ان المكاتب عبد ما بقي
عليه شي وقد ناظر علي بن ابي طالب زيد بن ثابت في المكاتب
فقال لعلي اكنت راجمه لو زنا او مجيز اشهادته
لو شهد فقال علي لا فقال زيد هو عبد ما بقي عليه
شي وقد روى النساي عن ابن عباس وعلي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال المكاتب يعتق منه
بقدر ما ودى ويقام عليه الحد بقدر ما ودى ويرث
بقدر ما عتق منه واسناده صحيح وهو حجة لما
روي عن علي ويعتضد بما رواه ابو داود عن نبهان
مكاتب لام سلمة قال سمعت ام سلمة تقول
قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان
لاحداكن مكاتب وكان عنده ما يودي فلتحتجب
منه واخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
الا انه يحتمل ان يكون خطابا مع زوجاته اخذا
بالاحتياط والورع في حقهن كما قال لسوده احتجبي
منه مع انه حكم باخوتها له وبقوله لعايشه وحفصة
افعمياوان انتما الستما تبصرانه يعني ابن ام مكتوم
مع انه قال لفاطمة بنت قيس اعتدي عند ابن مكتوم
وقد تقدم هذا المعنى الثامنة اجمع العلما على ان

المكاتب اذا حل عليه نجم من نجومه او نجمان او نجومه
كلها فوقف السيد عن مطالبته وتركه بحاله ان الكتابة
لا تنفسخ ما داما على ذلك ثابتين التاسعة قال مالك
ليس للعبد ان يعجز نفسه اذا كان له مال ظاهر وان
لم يظهر له مال فذلك اليه وقال الاوزاعي لا يمكن من
تعجيز نفسه اذا كان قويا على الاداء وقال الشافعي له ان
يعجز نفسه علم ان له مالا وقوة على الكتابة او لم يعلم فاذا
قال قد عجزت وابطلت الكتابة فذلك اليه وقال مالك اذا
عجز المكاتب فكل ما قبضه منه سيده قبل العجز حل له
كان من كسبه او من صدقة عليه واما ما اعين به على
فكاك رقبته فلم يف ذلك بكتابته كان لكل من اعانه
الرجوع بما اعطى او تحلل منه المكاتب ولو اعانوه
صدقة لا على فكاك رقبته فذلك ان عجز حل لسيده
ولو تم به فكاكه وبقيت منه فضلة فان كان بمعنى
الفكاك ردها اليهم بالحصص ويحللونه منها هذا كله
مذهب مالك فيما ذكر ابن القاسم وقال اكثر اهل العلم ان ما
قبضه السيد منه من كتابته وما فضل بيده بعد عجزه
من صدقة او غيرها فهو لسيده يطيب له اخذ ذلك
كله هذا قول الشافعي وابي حنيفة واصحابهما واحمد بن
حنبل

مطلب حل ما قبض السيد من كتابة المكاتب وما فضل بيده بعد عجزه من صدقة وغيرها

حنبل ورواية عن شريح وقال الثوري يجعل السيد ما
اعطاه في الرقاب وهو قول مسروق والنخعي ورواية
عن شريح وقالت طايفة ما قبض منه السيد فهو له وما
فضل بعد العجز فهو له دون سيده وهذا قول بعض
من ذهب الى ان العبد يملك وقال اسحاق ما اعطي بحال
الكتابة رد على اربابه العاشرة حديث بريرة على
اختلاف طرقه والفاظه يتضمن ان بريرة وقع فيها
بيع بعد كتابة تقدمت واختلف الناس في بيع المكاتب
اذا رضي والى جواز بيعه للعتق اذا رضي المكاتب بالبيع
ولو لم يكن عاجزا ذهب ابن المنذر والداوذي وهو الذي
ارتضاه ابو عمر بن عبد البر وبه قال ابن شهاب وابو الزناد
وربيعة غير انهم قالوا لان رضاه بالبيع عجز منه
وقال مالك وابو حنيفة واصحابهما لا يجوز بيع
المكاتب ما دام مكاتبا حتى يعجز ولا يجوز بيع كتابته
بحال وهو قول الشافعي بمصر وكان بالعراق يقول
بيعه جايز واما بيع كتابته فغير جايزة واجاز
مالك بيع الكتابة فان اداها عتق والا كان رقيقا
لمشتري الكتابة ومنع من ذلك ابو حنيفة لانه
بيع غرر واختلف قول الشافعي في ذلك بالمنع

مطلب لا يجوز بيع المكاتب حتى يعجز

والاجارة وقالت طايفة يجوز بيع المكاتب على ان يمضي
في كتابته فان ادى عتق وكان ولاه للذي ابتاعه
ولو عجز فهو عبد له وبه قال النخعي وعطا والليث
واحمد وابو ثور وقال الاوزاعي لا يباع المكاتب
الا للعتق ويكره ان يباع قبل عجزه وهو قول احمد
واسحق قال ابو عمر في حديث بريرة اجازة بيع
المكاتب اذا رضي بالبيع ولم يكن عاجزا عن ادا النجم
قد حل عليه خلاف قول من زعم ان بيع المكاتب غير
جايز الا بالعجز لان بريرة لم تذكر انها عجزت عن اداء
نجم ولا اخبرت بان النجم قد حل عليها ولا قال لها النبي
صلى الله عليه وسلم اعاجزة انت ام هل حل عليك نجم
فلم تودِه ولو لم يجز بيع المكاتب والمكاتبة الا بالعجز
عن اداء ما قد حل لكان النبي صلى الله عليه وسلم قد
سالها اعاجزة هي ام لا وما كان ليأذن في شرايها
الا بعد علمه صلى الله عليه وسلم انها عاجزة ولو عن اداء
نجم واحد قد حل عليها وفي حديث الزهري انها لم تكن
قضت من كتابتها شيا ولا اعلم في هذا الباب حجة اصح
من حديث بريرة هذا ولم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم
شي يعارضه ولا في شي من الاخبار دليل على عجزها

استدل

استدل من منع من بيع المكاتب بامور منها ان قالوا ان
الكتابة المذكورة لم تكن انعقدت وان قولها كاتبت اهلي
معناه انها راودتهم عليها وقدروا مبلغها واجلها ولم
يعقدوها وظاهر الاحاديث خلاف هذا اذا تومل
مساقها وقيل ان بريرة عجزت عن الادا فاتفقت هي واهلها
على فسخ الكتابة وحينئذ صح البيع الا ان هذا انما يتمشى
على قول من يقول ان تعجيز المكاتب غير مفتقر الى حكم
حاكم اذا اتفق العبد والسيد عليه لان الحق لا يعدوهما
وهو المذهب المعروف وقال سحنون لا بد من السلطان
وهذا انما خاف ان يتواطيا على ترك حق الله ويدل على
صحة انها عجزت ما روي ان بريرة جات عايشة
تستعينها في كتابتها ولم تكن قضت من كتابتها شيا
فقالت لها عايشة ارجعي الى اهلك فان احبوا ان اقضي
عنك كتابتك فعلت وظاهر هذا ان جميع كتابتها
او بعضها استحق عليها لانه لا يقضي من الحقوق الا ما
وجبت المطالبة به والله اعلم هذا الثاني وبلا ان اشبه
مالهم وفيهما من المدخل ما بيناه وقال ابن المنذر ولا اعلم
حجة لمن قال ليس له بيع المكاتب الا ان يقول لعل بريرة
عجزت قال الشافعي واظهر معانيه ان لمالك المكاتب

بيعه الحادية عشرة المكاتب اذا ادى كتابته عتق
ولا يحتاج الى ابتداء عتق من السيد ولذلك ولده الذين
ولدوا فى كتابته من امته يعتقون بعتقه ويرقون برقه
لان ولد الانسان من امته بمثابته اعتبارا بالحر وكذلك
ولد المكاتبه فان كان لهما ولد قبل الكتابه لم يدخل فى الكتابة
الا بشرط الثانية عشره واتوهم من مال الله الذى
اتاكم هذا امر للسادة باعانتهم فى مال الكتابه اما بان
يعطوهم شيئا مما فى ايديهم اعنى ايدى السادة او يحطوا
عنهم شيئا من مال الكتابه قال مالك يوضع عن المكاتب
من اخر كتابته وقد وضع ابن عمر خمسة الاف من خمسة
وثلاثين الفا واستحسن على رضى الله عنه ان يكون ذلك ربع
الكتابه قال الزهراوى روى ذلك عن النبى صلى الله عليه
وسلم واستحسن ابن مسعود والحسن بن ابى الحسن
ثلثها وقال قتادة عشرها ابن جبير يسقط عنه شيئا
ولم يحده وهو قول الشافعى واستحسنه الثورى قال
الشافعى والشى اقل شى يقع عليه اسم شى ويجبر عليه السيد
ويحكم به الحاكم على الورثة ان مات السيد وراى مالك رحمه الله
هذا الامر على الندب ولم ير لقدر الوضيعه حدا احتج
الشافعى بمطلق الامر فى قوله واتوهم وراى ان عطف
الواجب

الواجب على الندب معلوم في القرآن ولسان العرب كما قال
تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى
وما كان مثله قال ابن العربي وذكره قبله اسماعيل
بن اسحق القاضي جعل الشافعي الايتاء واجبا والكتابة
غير واجبة فجعل الاصل غير واجب والفرع واجبا
وهذا لا نظير له فصارت دعوى محضة فان قيل يكون
ذلك كالنكاح لا يجب فاذا انعقد وجبت احكامه منها
المتعة قلنا عندنا لا تجب المتعة فلا معنى لايجاب الشافعي
وقد كاتب عثمان بن عفان عبده وحلف ان لا يحطه في
حديث طويل قلت وقد قال الحسن والنخعي وبريدة انما
الخطاب بقوله وآتوهم للناس اجمعين في ان يتصدقوا
على المكاتبين وان يعينوهم في فكاك رقابهم وقال زيد
بن اسلم انما الخطاب للولاة بان يعطوا المكاتبين من مال
الصدقة حظهم وهو الذي تضمنه قوله تعالى وفي
الرقاب وعلى هذين القولين فليس لسيد المكاتب ان
ان يضع شيئا عن مكاتبته ودليل هذا انه لو اراد حط
شيء من نجوم الكتابة لقال وضعوا عنهم لذا الثالثة عشرة
اذا قلنا ان المراد بالخطاب السادة فراي عمر بن الخطاب
ان يكون ذلك من اول نجومه مبادرة الى الخير خوفا ان لا

يدرك اخرها وراي مالك رحمه الله وغيره ان يكون الوضع من
اخر نجم وعلة ذلك انه اذا وضع من اول النجم ربما عجز العبد
فرجع هو وماله الى السيد فعادت اليه وضيعته وهي شبه
الصدقه وهذا قول عبد الله بن عمر وعلي وقال مجاهد يترك
له من كل نجم قال ابن العربي والاقوى عندي ان يكون في
اخرها لان الاسقاط ابدا انما يكون في اخر باب الديون
والمكاتب اذا بيع للعتق رضي منه بعد الكتابه وقبض
بايعه ثمنه لم يجب عليه ان يعطيه من ثمنه شيئا سواء
باعه للعتق او لغير عتق وليس ذلك كالسيد يؤدي اليه
مكاتبته فيوتيه منها او يضع عنه من اخرها نجما او ما
شاء على ما امر الله في كتابه لان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يامر موالي بريرة باعطائها مما قبضوا شيئا وان كانوا
قد باعوها للعتق **الرابعة عشرة** اختلفوا في صفة
عقد الكتابه فقال ابن خويز منداد صفتها ان يقول السيد
لعبده كاتبتك على كذا وكذا من المال في كذا كذا نجما اذا
اديته فانت حر او يقول له اد الي الفا في عشرة انجم
وانت حر فيقول العبد قد قبلت ونحو ذلك من الالفاظ
فمتى اداها عتق وكذلك لو قال العبد كاتبني فقال السيد
فعلت او قد كاتبتك قال ابن العربي وهذا لا يلزم لان
لفظ القران لا يقتضيه والحال يشهد له فان ذكره فحسن
وان تركه

298

وان تركه فهو معلوم لا يحتاج اليه ومسايل هذا الباب
وفروعه كثيرة وقد ذكرنا من اصوله جمله فيها لمن اقتصر
كفايه والله الموفق للهدايه **الخامسة عشرة** في ميراث
المكاتب واختلف العلما في ذلك على ثلثة اقوال فمذهب
مالك ان المكاتب اذا هلك وترك مالا اكثر مما بقي عليه من
كتابته وله ولد ولدوا في كتابته او كاتبت عليهم ورثوا
ما بقي من المال بعد قضا كتابته لان حكمهم كحكمه وعليهم
السعي فيما بقي من كتابته لو لم يخلف مالا ولا يعتقون
الا بعتقه ولو ادي عنهم ما رجع بذلك عليهم لانهم يعتقون
عليه فهم اولي بميراثه لانهم مساوون له في جميع حاله
والقول الثاني انه يودي عنه من ماله جميع كتابته وجعل
كانه قد مات حرا ويرثه جميع ولده وسوا في ذلك من
كان حرا قبل موته من ولده ومن كاتب عليهم او ولدوا
في كتابته لانهم قد استووا في الحرمة كلهم حين تادت
عنهم كتابتهم روي هذا القول عن علي وابن مسعود
ومن التابعين عن عطا والحسن وطاوس وابراهيم وبه
قال فقها الكوفة سفيان الثوري وابو حنيفة واصحابه
والحسن بن صالح بن حي واليه ذهب اسحاق والقول
الثالث ان المكاتب اذا مات قبل ان يودي جميع كتابته

لعله اراد محمدا وابا يوسف وزفر وداود الظاهري

فقد مات عبدا وكل ما يخلفه من المال فهو لسيده ولا يرثه احد من اولاده لا الاحرار ولا الذين معه في كتابته لانه لما مات قبل ان يودي جميع كتابته فقد مات عبدا وماله لسيده فلا يصح عتقه بعد موته لانه محال ان يعتق عبد بعد موته وعلى ولده الذين كاتب عليهم او ولدوا في كتابته ان يسعوا في باقي الكتابه وسقط عنهم منها قدر حصته فان ادوا عتقوا الا انهم كانوا فيها تبعا لابيهم وان لم يودوا ذلك رقوا هذا قول الشافعي وبه قال احمد بن حنبل وهو قول عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وعمر بن عبد العزيز والزهري وقتادة **قوله تعالى**

ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا روي عن جابر بن عبد الله وابن عباس ان هذه الاية نزلت في عبد الله بن ابي وكانت له جاريتان احداهما تسمى معاذة والاخرى مسيكة وكان يكرههما على الزنا ويضربهما عليه ابتغا الاجر وكسب الولد فشكتا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية فيه وفيمن فعل فعله من المنافقين ومعاذة هذه ام خولة التي جادلت النبي صلى الله عليه وسلم في زوجها وفي صحيح مسلم عن جابر ان جارية لعبد الله بن ابي يقال لها مسيكة واخرى يقال لها

يقال لها أميمة فكان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك الى النبي
صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تكرهوا فتياتكم
الى قوله ان الله غفور رحيم **قوله تعالى ان اردن تحصنا**
راجع الى الفتيات وذلك ان الفتاة اذا ارادت التحصن
فحينئذ يمكن ويتصور ان يكون السيد مكرها ويمكن
ان ينهى عن الاكراه واذا كانت الفتاة لا تريد التحصن
فلا يتصور ان يقال للسيد لا تكرهها لان الاكراه لا
يتصور فيها وهي مريدة للزنا فهذا امر في سادة
وفتيات حالهم هذه والى هذا المعنى اشار ابن العربي
فقال انما ذكر الله تعالى ارادة التحصن من المراة
لان ذلك هو الذي يصور الاكراه فاما اذا كانت هي
راغبة في الزنا لم يتصور اكراه فحصلوه وذهب
هذا النظر عن كثير من المفسرين فقال بعضهم **قوله**
ان اردن تحصنا راجع الى الايامى قال الزجاج والحسين
بن الفضل في الكلام تقديم وتاخير اي وانكحوا الايامى
والصالحين من عبادكم ان اردن تحصنا وقال بعضهم
هذا الشرط في قوله ان اردن ملغى ونحو ذلك مما
يضعف والله الموفق **قوله تعالى لتبتغوا عرض**
الحياة الدنيا اي الشيء الذي تكتسبه الامة بفرجها والولد

لبسر قصباع وقيل كان الزاني يفتدي ولده من
المزني بها بماية من الابل يدفعها الى سيدها قوله
تعالى ومن يكرههن اي يقهرهن فان الله من بعد
اكراههن غفور لهن رحيم بهن وقرا ابن مسعود
وجابر بن عبد الله وابن جبير لهن غفور بزيادة
لهن وقد مضى الكلام في الاكراه في النحل والحمد لله
ثم عدد تعالى على المومنين نعمته فيما انزل اليهم
من الايات المبينات وفيما ضرب لهم من امثال
الماضين من الامم ليقع التحفظ مما وقع اوليك
فيه قوله تعالى الله نور السموات والارض
الاية النور في كلام العرب الاضواء المدركة
بالبصر واستعمل مجازا فيما صح من المعاني ولاح
فيقال منه كلام له نور ومنه الكتاب المنير
ومنه قول الشاعر: نسب كان عليه من شمس
الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا
والناس يقولون فلان نور البلد وشمس العصر
وقمره قال: فانك شمس والملوك كواكب وقال الاخر
هلا خصصت من البلاد بمقصد قمر القبايل خالد بن يزيد
وقال اخر اذا سار عبد الله من مرو ليلة فقد سار فيها نورها
وجمالها فيجوز

فيجوز ان يقال الله تعالى نور من جهة المدح لانه
أوجد الاشيا ونور جميع الاشياء منه ابتداوها
وعنه صدورها وهو سبحانه ليس من الاضواء المدركة
جل وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقد قال هشام
الجوالقي وطايفة من المجسمة هو نور لا كالانوار
وجسم لا كالاجسام وهذا كله محال على الله تعالى عقلا
ونقلا على ما يعرف في موضعه من علم الكلام ثم ان
قولهم متناقض فان قولهم جسم او نور حكم عليه
بحقيقة ذلك وقولهم لا كالانوار ولا كالاجسام نفي
لما اثبتوه من الجسمية والنور وذلك متناقض وتحقيقه
في علم الكلام والذي اوقعهم في ذلك ظواهر اتبعوها منها
هذه الاية وقوله عليه السلام اذا قام من الليل يتهجد
اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض وقال عليه
السلام وقد سئل هل رايت ربك فقال رايت نورا
الى غير ذلك من الاحاديث واختلف العلما في تاويل
هذه الاية فقيل المعنى اي به وبقدرته انارت اضواوها
واستقامت امورها وقامت مصنوعاتها فالكلام على
التقريب للذهن كما يقال الملك نور اهل البلد اي به
قوام امرها وصلاح جملتها الجريان اموره على سنن

السداد فهو في الملك مجاز وهو في صفة الله حقيقة
محضة اذ هو الذي ابدع الموجودات وخلق العقل
نورا هاديا لان ظهور الموجود به حصل كما حصل
بالضوء ظهور المبصرات تبارك الله لا رب غيره
قال معناه مجاهد والازهري وغيرهما قال ابن
عرفة اي منور السموات والارض وكذا قال الضحاك
والقرطبي كما يقولون فلان غياثنا اي معيثنا وفلان
مزودي قال جرير
وانت لنا نور وغيث وعصمة وثبت لمن يرجوا بذلك وريق
اي ذو ورق وقال مجاهد مدبر الامور في السموات
والارض ابي ابن كعب والحسن وابو العاليه مزين
السموات بالشمس والقمر والنجوم ومزين الارض
بالانبيا والعلما والمومنين وقال ابن عباس وانس
المعنى الله هادي اهل السموات والارض والاول اعم للمعاني
واضح مع التامل قوله تعالى مثل نوره اي صفة
دلايله التي يقذفها في قلب المومن والدلايل تسمى نورا
وقد سمى الله تعالى كتابه نورا فقال وانزلنا اليكم
نورا مبينا وسمى نبيه نورا فقال قد جاكم من الله
نور وكتاب مبين وهذا لان الكتاب يهدي ويبين
وكذلك

ذو ورق

ولذلك الرسول ووجه الاضافة الى الله تعالى انه مثبت الدلالة
ومبينها وواضعها ويحتمل الاية بمعنى اخر ليس فيه مقابلة
جزء من المثال بجزء من الممثل به بل وقع التشبيه فيه جملة
بجملة وذلك ان يريد مثل نور الله الذي هو هداه واتقانه
صنعة كل مخلوق وبراهينه الساطعة على الجملة كهذه
الجملة من النور الذي تتخذونه انتم على هذه الصفة التي
هي ابلغ صفات النور الذي بين ايدي الناس فمثل نور الله
في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم ايها البشر والمشكاة الكوة
في الحائط غير النافذة قاله ابن جبير وجمهور المفسرين
وهي اجمع للضوء والمصباح فيها اكثر انارة منه في غيرها واصلها
الوعاء يجعل فيه الشيء والمشكاة وعاء من ادم كالدلو يبرد فيها
الماء وهو على وزن مفعلة كالمقراة والمصفاة قال الشاعر
كان عينيه مشكاتان في حجر قيضا اقتياضا باطراف المناقير
وقيل المشكاة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وقال
مجاهد هي القنديل وقال في زجاجة لانه جسم شفاف
المصباح فيه انور منه في غير الزجاج والمصباح
الفتيل بناره كانها كوكب دري اي في الانارة والضوء
وذلك يحتمل معنيين اما ان يريد انها بالمصباح كذلك
واما ان يريد انها في نفسها لصفائها وجودة جوهرها

كذلك وهذا التاويل ابلغ في التعاون على النور قال
الضحاك الكوكب الدري الزهرة قوله تعالى
توقد من شجرة اي من زيت شجرة فحذف المضاف
والمبارك لذا المثماة والزيتون من اعظم الثمار نما
والرمان كذلك والعيان يقتضي ذلك وقول ابي
طالب يرثي مسافر بن عمرو بن امية بن عبد شمس
ليت شعري بن ابي عمرو وليت يقولها المحزون
بورك الميت الغريب كما بورك نبع الرمان والزيتون
وقيل من بركتهما ان اغصانهما تورق من اسفلها الى
اعلاها وقال ابن عباس في الزيتونة منافع يسرج
بالزيت وهو ادام ودهان ودباغ ووقود يوقد
بحطبه وثقله وليس فيه شي الا وفيه منفعة حتى
الرماد يغسل به الابريسم وهي اول شجرة نبتت
في الدنيا واول شجرة نبتت بعد الطوفان ونبتت
في منازل الانبيا والارض المقدسة ودعا لها سبعون
نبيا بالبركة منهم ابراهيم ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم
فانه قال اللهم بارك في الزيت والزيتون قاله مرتين
قوله تعالى لا شرقية ولا غربية اختلف العلما
في قوله لا شرقية ولا غربية فقال ابن عباس
وعكرمة

ابي ح
مسافر ح

وعكرمة وقتادة وغيرهم الشرقية التي تصيبها الشمس
اذا شرقت ولا تصيبها اذا غربت لان لها سترا
والغربية عكسها اي انها شجرة في صحرا ومنكشف
من الارض لا يواريها عن الشمس شي وهو اجود
لزيتها فليست خالصة للشرق فتسمي شرقية ولا
للغرب فتسمي غربية بل هي شرقية غربية وقال
الطبري عن ابن عباس انها شجرة في دوحة قد احاطت
بها فهي غير منكشفة من جهة الشرق ولا من
جهة الغرب قاله ابن عطية وهذا قول لا يصح عن
ابن عباس لان الثمرة التي بهذه الصفة يفسد جناها
وذلك مشاهد في الوجود وقال الحسن ليست هذه
الشجرة من شجر الدنيا وانما هو مثل ضربه الله لنوره
ولو كانت في الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية
الثعلبي وقد افصح القران بانها من شجر الدنيا لانها
بدل من الشجرة فقال زيتونة وقال ابن زيد انها
من شجر الشام فان الشام لا شرقي ولا غربي وشجر
الشام هي افضل الشجر وهي الارض المباركة شرقية
نعت لزيتونة ولا ليست نحو لا بين النعت والمنعوت
ولا غربية عطف عليه قوله تعالى يكاد زيتها

يضي ولو لم تمسسه نار مبالغة في حسنه وصفايه
وجودته نور على نور اي اجتمع في المشكاة ضو
المصباح الى ضو الزجاجة والى ضوء الزيت فصار
لذلك نور على نور واعتقلت هذه الانوار في
المشكاة فصارت كانور ما يكون فكذلك براهين
الله واضحة وهي برهان بعد برهان وتنبيه بعد
تنبيه كارساله الرسل وانزاله الكتب ومواعظ
تتكرر فيها لمن له عقل معتبر ثم ذكر تعالى هداه
لنوره من يشا واسعد من عباده وذكر تفضله للعباد
في ضرب الامثال لتقع لهم العبره والنظر المودى
الى الايمان وقرا عبد الله بن عياش بن ابي ربيعة وابو
عبد الرحمن السلمي الله نوّر بفتح النون والواو المشدده
واختلف المتاولون في عود الضمير في نوره على
من يعود فقال كعب الاحبار وابن جبير هو عايد
على محمد صلى الله عليه وسلم اي مثل نور محمد قال
ابن الانباري الله نور السموات والارض وقف حسن
ثم يبتدي مثل نوره كمشكاة فيها مصباح على معنى
نور محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابي بن كعب وابن
جبير ايضا والضحاك هو عايد على المومنين وفي
قراة ابي مثل نور المومنين وروي ان في قراته
مثل

مثل نور المومن وروي ان فيها مثل نور من امن به وقال الحسن
هو عايد على القران والايمان قال مكي وعلى هذه الاقوال
يوقف على قوله والارض قال ابن عطية وهذه الاقوال
فيها عود الضمير على من لم يجز له ذكر وفيه مقابلة جز
من المثال بجزء من الممثل فعلى من قال الممثل به محمد صلى الله
عليه وسلم وهو قول كعب الحبر فرسول الله صلى الله
عليه وسلم هو المشكاة او صدره والمصباح هو النبوة
وما يتصل بها من عمله وهداه والزجاجة قلبه
والشجرة المباركة هي الوحي والملايكة رسل الله اليه
وسببه المتصل به والزيت هو الحجج والبراهين
والايات التي تضمنها الوحي ومن قال الممثل به المومن
وهو قول ابي فالمشكاة صدره والمصباح الايمان
والعلم والزجاجة قلبه وزيتها هو الحجج والحكمة التي
تضمنها قال ابي فهو على احسن الحال يمشي في الناس
كالرجل الحي يمشي في قبور الاموات ومن قال ان الممثل
به هو القران والايمان فتقدير الكلام مثل نوره الذي
هو الايمان في صدر المومن في قلبه كمشكاة اي
كهذه الجملة وهذا القول ليس في مقابلة التشبيه كالاولين
لان المشكاة ليست تقابل الايمان وقالت طايفة

الضمير في نوره عايد علي الله تعالي وهذا قول ابن عباس فيما
ذكر الثعلبي والماوردي والمهدوي وقد تقدم معناه ولا
يوقف علي هذا القول علي والارض قال المهدوي الها لله
عزوجل والتقدير الله هادي اهل السموات والارض مثل
هداه في قلوب المومنين كمشكاة روي ذلك عن ابن عباس
وكذلك قال زيد بن اسلم والحسن ان الها لله عزوجل وكان
ابي وابن مسعود يقرا بانها مثل نوره في قلب المومن
كمشكاة قال محمد بن علي الترمذي فاما غيرهما فلم يقراها
في التنزيل هكذا وقد وافقهما في التاويل ان ذلك نوره
في قلب المومن وتصديقه في اية اخري يقول افمن شرح
الله صدره للاسلام فهو علي نور من ربه واعتل الاولون
بان قالوا لا يجوز ان يكون الها لله عزوجل لان الله عزوجل
لا حد لنوره واما الكساي فيما روي عنه ابو عمر الدوري
الالف من مشكاة وكسر الكاف التي قبلها وقرا نصر بن عاصم
زجاجة بفتح الزاي والزجاجة كذلك وهي لغة وقراء
ابن عامر وحفص عن عاصم دري بضم الدال وتشديد اليا
ولهذه القراة وجهان اما ان ينسب الكوكب الي الدر
لبياضه وصفا به واما ان يكون اصله دري مهموز فعيل
من الدرء وهو الدفع وخففت الهمزة ويقال للنجوم العظام
التي

التي لا يعرف اسماوها الدراري بغير همز فلعلهم خففوا الهمزه
والاصل من الدرء الذي هو الدفع وقرا حمزة وابو بكر عن
عاصم درّي بالهمز والمد وهو فعّيل من الدرء بمعنى انها
تدفع بعضها بعضا وقرا الكساي وابو عمرو درّي بكسر
الدال والهمز من الدرء والدفع مثل السكّير والفسيق قال
سيبويه اي يدفع بعض ضوءه بعضا من لمعانه قال النحاس وضعف
ابو عبيد قراة ابي عمرو والكساي تضعيفا شديدا لانه تاولها
من درات اي دفعت اي كوكب يجري من الافق الى الافق واذا
كان التاويل على ما تاوله لم يكن في الكلام فايده ولا كان لهذا
الكوكب مزية على اكبر الكواكب الا ترى انه لا يقال جاني
انسان من بني ادم ولا ينبغي ان يتاول لمثل ابي عمرو
والكساي مع علمهما وجلالتهما هذا التاويل البعيد ولكن
التاويل لهما على ما روى عن محمد بن يزيد ان معناهما في
ذلك كوكب مندفع بالنور كما يقال اندرا الحريق اي اندفع
وهذا تاويل صحيح لهذه القراة وحكى سعيد بن مسعده
انه يقال درا الكوكب بضوءه اذا امتد ضوءه وعلا
وقال الجوهري في الصحاح ودرا علينا فلان يدرا دروا
اي اطلع مفاجاه ومنه كوكب درّي على فعّيل مثل سكّير
وخمّير لشدة توقده وتلالوه وقد درا الكوكب دروا

قال ابو عمرو بن العلا سالت رجلا من سعد بن بكر من اهل ذات
عرق فقلت هذا الكوكب الضخم ما تسمونه قال الدري وكان
من افصح الناس قال النحاس فاما قراة حمزه فاهل اللغة جميعا
قالوا هي لحن لا تجوز لانه ليس في كلام العرب اسم على فعيل
وقد اعترض ابو عبيد في هذا فاحتج لحمزه فقال ليس
هو فعيل وانما هو فعول مثل سبوح ابدل من الواو ياء
كما قالوا عتي قال ابو جعفر النحاس وهذا الاعتراض والاحتجاج
من اعظم الغلط واشده لان هذا لا يجوز البته ولو جاز ما
قال لقيل سبوح سبيح وهذا لا يقوله احد وليس عتي
من هذا والفرق بينهما واضح بين لانه ليس يخلو عتيا من
احدى جهتين اما ان يكون جمع عاتٍ فيكون البدل فيه
لازما لان الجمع باب تغيير والواو لا تكون طرفا في الاسما
وقبلها ضمة فلما كان مثل هذه ساكن وقبل الساكن ضمة
والساكن ليس بحاجز حصين ابدل من الضمة كسره فقلبت
الواو ياء وان كان عتي واحدا كان بالواو اولى وجاز
قلبها لانها طرف والواو في فعول ليست طرفا فلا يجوز
قلبها قال الجوهري قال ابو عبيد ان ضممت الدال قلت
دري يكون منسوبا الى الدر على فعلي ولم تهمزه لانه ليس
في كلام العرب فعيل ومن همزه من القرا فانما اراد فعول
مثل

مثل سبوح فاستثقل فرد بعضه الى الكسر وحكى الاخفش
عن بعضهم دري من درائه وهمزها وجعلها على فعيل مفتوحة
الاول قال وذلك من تلالوه قال الثعلبي وقرأ سعيد بن
المسيب وابو رجاء دري بفتح الدال مهموزا قال ابو
حاتم هذا خطا لانه ليس في الكلام فعيل فان صح عنهما
فهما حجة توقد قراء شيبة ونافع وايوب وسلام
وابن عامر واهل الشام وحفص يوقد بياء مضمومة
وتخفيف القاف وضم الدال وقرا الحسن والسلمي
وابو جعفر وابو عمرو بن العلا البصري توقد مفتوحة
الحروف كلها مشددة القاف واختارها ابو حاتم
وابو عبيد قال النحاس وهاتان القراتان متقاربتان
لانهما جميعا للمصباح وهو اشبه بهذا الوصف لانه
الذي ينير ويضيء وانما الزجاجة وعاء له وتوقد فعل
ماض من توقد يتوقد ويوقد فعل مستقبل من اوقد
يوقد وقرا نصر بن عاصم يوقد والاصل على قرائته تتوقد
حذف احدى التائين لان الاخرى تدل عليها وقرا الكوفيون
توقد بالتاء يعنون الزجاجة فهاتان القراتان على
تانيث الزجاجة من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية
ولا غربية تقدم القول فيه يكاد زيتها يضيء ولو لم

تمسسه نار نور على نور على نابت النار وزعم ابو
عبيد انه لا يعرف لا هذه القراءة وحكى ابو حاتم ان السدي
روى عن ابي مالك عن ابن عباس انه قرا ولو لم يمسسه نار
بالياء قال محمد بن يزيد التذكير على انه تانيث غير حقيقي
وكذا سبيل المونث عنده قال ابن عمر المشكاة جوف محمد
صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور
الذي جعله الله في قلبه يوقد من شجرة مباركة اي ان
اصله من ابراهيم وهو شجرته فاوقد الله في قلب محمد
عليه السلام النور كما جعله في قلب ابراهيم عليه السلام
وقال محمد بن كعب المشكاة ابراهيم والزجاجة
اسماعيل والمصباح محمد صلوات الله عليهم اجمعين
سماه الله مصباحا كما سماه سراجا فقال
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا توقد
من شجرة مباركة وهي ادم عليه السلام بورك
في نسله وكثر منه الانبيا والاوليا وقيل هي
ابراهيم سماه مباركا لان اكثر الانبيا كانوا من
صلبه لا شرقية ولا غربية اي لم يكن يهوديا
ولا نصرانيا وانما كان حنيفا مسلما وانما قال
ذلك لان اليهود تصلي قبل المغرب والنصارى
قبل

قبل المشرق بكاد زيتها يضي اي بكاد مجلس محمد
صلى الله عليه وسلم وظهر للناس قبل ان اوحي الله
اليه نور على نور نبي من نسل نبي وقال الضحاك شبه
عبد المطلب بالمشكاة وعبد الله بالزجاجه والنبي
صلى الله عليه وسلم بالمصباح وكان في قلبهما فورث
النبوه من ابراهيم من شجره اي شجره التقى والرضوان
وعشيره الهدى والايمان شجره اصلها نبوه وفرعها
وفرعها مروه واغصانها تنزيل وورقها تاويل
وخدمها جبريل وميكايل قال القاضي ابو بكر بن
العربي ومن غريب الامر ان بعض الفقها قال ان
هذا مثل ضربه الله تعالى لابراهيم ومحمد ولعبد
المطلب وابنه عبد الله فالمشكاة هي الكوه بلغة
الحبشه فشبه عبد المطلب بالمشكاة فيها القنديل
وهو الزجاجه وشبه عبد الله بالقنديل وهو
الزجاجه ومحمد كالمصباح يعني من اصلابهما وكانه
كوكب دري وهو المشتري توقد من شجره مباركه
يعني ارث النبوه من ابراهيم عليه السلام هو الشجره
المباركه يعني حنيفيه لا شرقيه ولا غربيه لا
يهوديه ولا نصرانيه يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه

نار يقول يكاد ابراهيم يتكلم بالوحي من قبل ان يوحى
اليه نور على نور ابراهيم ثم محمد صلى الله عليه وسلم
قال القاضي في هذا كله عدول عن الظاهر وليس
يمتنع في التمثيل ان تتوسع المرء فيه قلت وكذا كل
جميع الاقوال لعدم ارتباطه بالاية ما عدى
القول الاول وان هذا مثل ضربه الله لنوره
ولا يمكن ان تضرب لنوره المعظم مثلا تشبيها
لخلقه الا ببعض لان الخلق لقصورهم لا يفهمون
الا بانفسهم ولولا ذلك ما عرف الله الا الله وحده
قال ابن العربي قال ابن عباس هذا مثل نور الله
وهداه في قلب المومن كما يكاد الزيت الصافي يضي
قبل ان تمسه النار فان مسته النار زاد ضوءه
كذلك قلب المومن يكاد يعمل بالهدى قبل ان يأتيه
العلم فاذا جاءه العلم زاد هدى على هدى ونورا
على نور كقول ابراهيم من قبل ان تجيئه المعرفة هذا
ربي من قبل ان يخبره احد ان له ربا فلما اخبره الله انه
ربه زاد هدى فقال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين
ومن قال ان هذا مثل للقران في قلب المومن قال كما ان
هذا المصباح يستضا به ولا ينقص فكذلك القران

يهتدي

خلقه

يهتدي به ولا ينقص فالمصباح القران والزجاجة
قلب المومن والمشكاة لسانه وفمه والشجرة المباركه
شجرة الوحي يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار
تكاد حجج القران تتضح لو لم يقرا نور على نور يعني
ان القران نور من الله تعالى لخلقه مع ما اقام من
الدلايل والاعلام قبل نزول القران فازدادوا
بذلك نورا على نور ثم اخبر ان هذا النور المذكور
عزيز وانه لا يناله الا من اراد الله هداه فقال يهدي
الله لنوره من يشا ويضرب الله الامثال للناس اى
يبين الاشباه تقربا الى الافهام والله بكل شي عليم
اي بالمهدي والضال وروي عن ابن عباس ان اليهود
قالوا يا محمد كيف يخلص نور الله تعالى من دون
السما فضرب الله تعالى ذلك مثلا لنوره قوله
تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع الى قوله وايتا
الزكاة فيه تسع عشرة مسلة الاولى قوله تعالى
في بيوت اذن الله ان ترفع البا في بيوت تضم وتكسر
وقد تقدم واختلف في الفا من قوله في فقيل هي
متعلقة بمصباح وقيل بيسبح له فعلى هذا التاويل
يوقف على عليم قال ابن الانباري سمعت ابا العباس

يقول هو حال للمصباح والزجاجة والكوكب كأنه
قال وهي في بيوت وقال الترمذي الحكيم محمد بن علي
في بيوت منفصل كأنه يقول الله في بيوت اذن الله
أن ترفع وبذلك جاءت الاخبار انه من جلس في المسجد
فانما يجالس ربه وكذا ما جاء في الخبر فيما يحكى عن
التوراة ان المؤمن اذا مشى الى المسجد قال الله تبارك
اسمه عبدي زارني وعلي قراه ولن ارضى له قرى
دون الجنة قال ابن الانباري ان جعلت في متعلقة
بيسبح او رافعه للرجال حسن الوقف على قوله
والله بكل شي عليم وقال الرماني هي متعلقة بتوقد
وعليه فلا يوقف على عليم فان قيل فما الوجه اذا
كان البيوت متعلقه بتوقد في توقيد المصباح
والمشكاه وجميع البيوت ولا تكون مشكاه
واحده الا في بيت واحد قيل هذا من الخطاب
المتلون الذي يفتح بالتوحيد ويختم بالجميع لقوله
تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النسا ونحوه وقيل
رجع الى كل واحده من البيوت وقيل هو كقوله
تعالى وجعل القمر فيهن نورا وانما هو في واحده
منها واختلف الناس في البيوت هنا على خمسة اقوال
الاول

مطلب

بلغ

الاول انها المساجد المخصوصة لله تعالى بالعبادة وانها تضي
لاهل السما كما تضي النجوم لاهل الارض قاله ابن عباس ومجاهد
والحسن الثاني هي بيت المقدس عن الحسن ايضا الثالث
بيوت النبي صلى الله عليه وسلم عن مجاهد ايضا الرابع
هي البيوت كلها قاله عكرمة وقوله يسبح له فيها بالغدو
والاصال يقوي انها المساجد وقول خامس انها المساجد
الاربعة التي لم يبنها الا نبي الكعبة وبيت اريحا ومسجد
المدينة ومسجد قبا قاله ابن بريدة وقد تقدم ذلك في براة
قلت الاظهر القول الاول لما رواه انس بن مالك عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب الله عز وجل فليحبني
ومن احبني فليحب اصحابي ومن احب اصحابي فليحب القران
ومن احب القران فليحب المساجد فانها افنية الله ابنيته
اذن الله في رفعها وبارك فيها ميمونة ميمون اهلها
محفوظة محفوظ اهلها هم في صلاتهم والله عز وجل في
حوايجهم هم في مساجدهم والله من ورايهم قوله
تعالى اذن الله ان ترفع اذن معناه امر وقضى وحقيقة
الاذن العلم والتمكين دون حظر فان اقترن بذلك امر وانفاذ بذلك
كان اقوى وترفع قيل معناه تبنى وتعلى قاله مجاهد
وعكرمة ومنه قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد

من البيت وقال صلى الله عليه وسلم من بنى مسجدا من ماله بنى
الله له بيتا في الجنة وفي هذا المعنى احاديث كثيرة تحض
على بنيان المساجد وقال الحسن البصري وغيره معنى ترفع
تعظم وبرفع بنيانها وتطهر من الانجاس والاقذار ففي
الحديث ان المسجد لينزوي من النجاسة كما ينزوي الجلد من
النار وروى ابن ماجة في سننه عن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخرج اذى من
المسجد بنى الله له بيتا في الجنة وروي عن عايشة قالت امرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتخذ المساجد في الدور
وان تطهر وتطيب الثالثة اذا قلنا ان المراد بنيانها فهل
تزين وتنقش اختلف في ذلك فكرهه قوم واباحه
اخرون فروى حماد بن سلمة عن ايوب عن ابي قلابة عن
انس وقتادة عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد اخرجه
ابو داود وفي البخاري وقال انس يتباهون بها ثم لا يعمرونها
الا قليلا فقال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود
والنصارى وروى الترمذي الحكيم ابو عبد الله في نوادر
الاصول من حديث ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم
فالدبار

فالدبا ن عليكم احتج من اباح ذلك بان فيه تعظيم المساجد
والله تعالى امر بتعظيمها في قوله في بيوت اذن الله ان
ترفع يعني تعظم وروي عن عثمان انه بني مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم بالساج وحسنه قال ابو
حنيفة لا باس بنقش المساجد بما الذهب وروي
عن عمر بن عبد العزيز انه نقش مسجد النبي صلى
الله عليه وسلم وبالغ في عمارته وتزيينه وذلك
في زمان ولايته قبل خلافته ولم ينكر عليه احد
ذلك وذكر ان الوليد بن عبد الملك انفق في عمارة
مسجد دمشق وفي تزيينه مثل خراج الشام ثلث
مرات وروي ان سليمان بن داود عليهما السلام
بنى مسجد بيت المقدس وبالغ في تزيينه الرابعة
وثمانية صان عنه المساجد وتنزه عنه الروائح
الكريهة والاقوال السيئة وغير ذلك على ما نبينه
وذلك من تعظيمها وقد صح من حديث ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في غزوة
تبوك من اكل من هذه الشجرة يعني الثوم
فلا ياتين المساجد وفي حديث جابر بن عبد الله
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكل من هذه

ماء الذهب
التون صوبي
ديمكدر عند البعض

البقلة الثوم وقال مرة من اكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فان الملايكة تتاذي مما تتاذي منه بنو ادم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خطبته ثم انكم ايها الناس تاكلون من شجرتين لا اراهما الا خبيثتين هذا البصل والثوم لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد امر به فاخرج الى البقيع فمن اكلهما فليمتهما طبخا خرجها مسلم في صحيحه قال العلما واذا كانت العلة في اخراجه من المسجد انه يتاذى به ففي القياس ان كل من تاذى به جيرانه في المسجد بان يكون ذرب اللسان سفيها عليهم او كان ذا رايحة قبيحة لا تريمه لسوء صناعته او عاهة موذية كالجذام وشبهه وكل ما يتاذى به الناس كان لهم اخراجه ما كانت العلة موجودة فيه حتى تزول وكذلك يجتنب مجمع الناس حيث كان لصلاة او غيرها كمجالس العلم والولايم وما اشبهها من اكل الثوم وما في معناه مما له رايحة كريهة توذي الناس ولذلك جمع بين البصل والثوم والكراث واخبر ان ذلك مما يتاذى به قال ابو عمر بن عبد البر وقد شاهدت شيخنا ابا عمر احمد بن عبد الملك بن هاشم رحمه الله افتى في رجل شكاه جيرانه واتفقوا عليه انه يوذيهم في المسجد بلسانه

بلسانه ويده بنشر ورفيه فافتى باخراجه من المسجد
وابعاده عنه وان لا يشاهد معهم الصلاة اذ لا سبيل
مع جبونه واستطالته الى السلامة منه فذاكرته يوماً امره
وطالبته بالدليل فيما افتى به من ذلك وراجعته فيه
القول فاستند لحديث الثوم وقال هو عندي اكثر اذى
من اكل الثوم وصاحبه يمنع من شهود الجماعة في المسجد
قلت وفي الاثار المرسلة ان الرجل ليكذب الكذبة فيتباعد
عنه الملك من نتن ريحه فعلى هذا يخرج من عرف منه الكذب
والتقول بالباطل فان ذلك يؤذي الخامسة اكثر العلما
على ان المساجد كلها سوا لحديث ابن عمر وقال بعضهم
انما خرج النهي على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اجل جبريل ونزوله فيه ولقوله في حديث جابر
فلا يقربن مسجدنا والاول اصح لانه ذكر الصفة في الحكم
وهي المسجدية وذكر الصفة في الحكم تعليل وقد روى
الثعلبي باسناده عن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
ياتي الله يوم القيامة بمساجد الدنيا كانها نجايب بيض
قوايمها من العنبر واعناقها من الزعفران ورؤوسها من
المسك وازمتها من الزبرجد الاخضر وقوامها والمؤذنون
فيها يقودونها وايمتها يسوقونها وعمارها متعلقون بها

مطلب في صفة المساجد يوم القيمة وفيها الامام والمؤذن وجماعة

فتجوز عرصات القيامة كالبرق الخاطف فيقول اهل
الموقف هاولاء ملايكة مقربون وانبيا مرسلون
فينادي ما هاولاء بملايكة ولا انبيا ولكنهم اهل المساجد
والمحافظون على الصلوات من امة محمد صلى الله عليه
وسلم وفي التنزيل انما يعمر مساجد الله من امن
بالله وهذا عام في كل مسجد وقال النبي صلى الله عليه
وسلم اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له
بالايمان ان الله تعالى يقول انما يعمر مساجد الله
واليوم الاخر وقد تقدم السادسة وتصان
المساجد ايضا عن البيع والشرا وجميع الاشتغال
لقوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي دعا الى الجمل الاحمر
لا وجدت انما بنيت المساجد لما بنيت له اخرجه مسلم
من حديث سليمان بن بريدة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما صلى قام رجل فقال من دعا الى الجمل الاحمر فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا وجدت انما بنيت المساجد
لما بنيت له وهذا يدل على ان الاصل ان لا يعمل في المسجد
غير الصلوات والاذكار وقراة القران وكذا جا مفسرا
من حديث انس قال بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذ جا اعرابي فقام يبول في المسجد
فقال

فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مه مه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزرموه دعوه فتركوه
اي لا تقطعوا بوله
حتى بال ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال
له ان هذه المساجد لا تصلح لشي من هذا البول ولا القذر
انما هي لذكر الله والصلاة وقراة القران او كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال فامر رجلا من القوم فجا بدلو
من ما فشنه عليه خرجه مسلم وجما بداكهذا من الكتاب على
قوله الحق ويذكر فيها اسمه وقوله صلى الله عليه وسلم
لمعاويه بن الحكم السلمي ان هذه المساجد لا يصلح فيها شي
من كلام الناس انما هو التسبيح والتكبير وقراة القران
او كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله
خرجه مسلم في صحيحه وحسبك وسمع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه صوت رجل في المسجد فقال ما هذا الصوت
اتدري ابن انت وكان خلف بن ايوب جالسا في مسجده
فاتاه غلامه يسله عن شي فقام وخرج من المسجد
واجابه فقيل له في ذلك فقال ما تكلمت في المسجد بكلام
الدنيا منذ كذا وكذا فكرهت ان اتكلم اليوم السابعه
روى الترمذي من حديث عمر بن شعيب عن ابيه عن
جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن تناشد

مطلب عن الكلام في التشريع في المسجد

الاشعار في المسجد وعن البيع والشرا فيه وان يتحلق الناس يوم
الجمعة قبل الصلاة قال وفي الباب عن بريدة وجابر وانس
حديث عبد الله بن عمرو حديث حسن قال محمد بن اسماعيل
رايت محمدا واسحاق وذكر غيرهما يحتجون بحديث عمرو بن
شعيب وقد كره قوم من اهل العلم البيع والشرا في
المسجد وبه يقول احمد واسحق وروي ان عيسى بن مريم
عليهما السلام اتى على اقوام يتبايعون في المساجد فجعل
رداه مخراقا ثم جعل يسعى عليهم ضربا ويقول يا ابناء
الافاعي اتخذتم مساجد الله اسواقا هذا سوق الاخرة
قلت وقد كره بعض اصحابنا تعليم الصبيان في المساجد
وراى انه من باب البيع وهذا اذا كان باجرة فلو كان بغير
اجرة لمنع ايضا من وجه اخر وهو ان الصبيان لا يتحرزون
عن الاقذار والوسخ فيودي ذلك الى عدم تنظيف المساجد
وقد امر صلى الله عليه وسلم بتنظيفها وتطييبها فقال
جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وسل سيوفكم واقامة
حدودكم ورفع اصواتكم وخصوماتكم واجمروها في الجمع
واجعلوا على ابوابها المطاهر في اسناده العلاء بن كثير الدمشقي
مولى بني امية وهو ضعيف عندهم ذكره ابو احمد بن عدي
الجرجاني الحافظ وذكر ابو احمد ايضا من حديث علي

بن ابي طالب

بن ابي طالب قال صلينا العصر مع عثمان امير المومنين فراي
خياطا في ناحية المسجد فامر باخراجه فقيل له يا امير
المومنين انه يكنس المسجد ويغلق الابواب ويرش احيانا
فقال عثمان اني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول
جنبوا صناعكم من مساجدكم هذا حديث غير محفوظ في
اسناده محمد بن مجيب الثقفي وهو ذاهب الحديث قلت وما
ورد في هذا المعني وان كان طريقه لينا فهو صحيح معني
يدل علي صحته ما ذكرناه قبل قال الترمذي وقد روي عن
عن بعض اهل العلم من التابعين رخصة في البيع والشرا
في المسجد وقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم في غير حديث
رخصة في انشاد الشعر في المسجد قلت اما تناشد الاشعار
فاختلف في ذلك فمن مانع مطلقا ومن مجيز مطلقا والاولي
التفصيل وهو ان ينظر الي الشعر فان كان فيما يقتضي الثنا
علي الله جل وعزا او علي رسوله صلي الله عليه وسلم او الذب
عنهما كما كان شعر حسان او يتضمن الحظ علي الخير والوعظ
والزهد في الدنيا والتقلل منها فهو حسن في المساجد وغيرها
لقول القايل طرقي يا نفس كي اقصد فردا صمدا وذريني
لست ابغي غير ربي احدا فهو انيسي وجليسي ودعي الناس
فما ان تجدي من دونه ملتحدا ،، وما لم يكن كذلك لم يجز

لان الشعر في الغالب لا يخلوا عن الفواحش والكذب والتزين
بالباطل ولو سلم من ذلك فاقل ما فيه اللغو والهذر والمساجد
منزهه عن ذلك لقوله في بيوت اذن الله ان ترفع وقد يجوز
انشاده في المسجد كقول القايل كحل العذاب الفرد بضربه
الندي تغلي الندي في متنه وتحدرا وقول الاخر
اذا سقط السما بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا
فهذا النوع وان لم يكن فيه حمد ولا ثنا يجوز لانه خال
عن الفواحش والكذب وسياتي ذكر الاشعار الجايزه وغيرها
بما فيه كفاية في الشعر ان شا الله وقد روى الدارقطني
عن ابيه من حديث هشام بن عروه عن عايشة رضي الله عنها قالت
ذكر عند رسول الله الشعر فقال هو كلام حسنه حسن
وقبيحه قبيح وفي الباب عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابي
هريرة وابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره في السنن
قلت واصحاب الشافعي ياثرون هذا الكلام وانه لم يتكلم به
غيره وكلهم لم يقفوا على الاحاديث في ذلك والله اعلم
الثامنة واما رفع الصوت فان كان مما يقتضي مصلحة للرافع
صوته دعي عليه بنقيض قصده لحديث بريدة المتقدم
وحديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سمع رجلا ينشد ضالة فليقل لا ردها الله عليك فان
المساجد

عن الشافعي

المساجد لم تبن لهذا والى هذا ذهب مالك وجماعة حتى كرهوا
رفع الصوت في المسجد في العلم وغيره واجاز ابو حنيفة
واصحابه ومحمد بن مسلمه من اصحابنا رفع الصوت فيه في
المخصومة والعلم قالوا لانه لابد لهم من ذلك وهذا مخالف
لظاهر الحديث وقولهم لابد لهم من ذلك ممنوع بل لهم
بد من ذلك بوجهين احدهما بملازمة الوقار والحرمة وباحضار
ذلك بالبال والتحرز من نقيضه والثاني انه اذا لم يتمكن
من ذلك فليتخذ لذلك موضعا يخصه كما فعل عمر حيث
بنى رحبة تسمى البطيحا وقال من اراد ان يلغط او ينشد
شعرا يعني في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فليخرج
الى هذه الرحبة وهذا يدل على ان عمر كان يكره انشاد
الشعر في المسجد ولذلك بنى البطيحا خارجه **التاسعه**
واما النوم في المسجد لمن احتاج الى ذلك من رجل او امراة
كالغربا ومن لا بيت له فجايز لان فيه البخاري وقال ابو
قلابه عن انس قدم رهط من عكل على النبي صلى الله عليه وسلم
فكانوا في الصفه وقال عبد الرحمن بن ابي بكر كان اصحاب
الصفه فقرا وفي الصحيحين عن ابن عمر انه كان ينام
وهو شاب عزب لا اهل له في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
لفظ البخاري وترجم باب نوم المراه في المسجد وادخل

حديث عايشة في قصة السودا التي اتهمها اهلها بالوشاح
قالت عايشة فكان لها خبا في المسجد او حفش الحديث ويقال
كان مبيت عطا بن ابي رباح في المسجد اربعين سنة العاشرة
روي مسلم عن ابي حميد او عن ابي اسيد قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم اذا دخل احدكم المسجد فليقل اللهم افتح
لي ابواب رحمتك واذا خرج فليقل اللهم اني اسالك من فضلك
خرجه ابوداود كذلك الا انه زاد بعد قوله اذا دخل احدكم
المسجد فليسلم وليصل علي النبي صلي الله عليه وسلم ثم ليقل اللهم
افتح الحديث وروي ابن ماجة عن فاطمة بنت رسول الله
صلي الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلي الله عليه وسلم
اذا دخل المسجد قال بسم الله والسلام علي رسول الله اللهم
اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج قال
بسم الله والسلام علي رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك وفضلك وروي عن ابي هريرة ان
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اذا دخل احدكم المسجد
فليسلم علي النبي صلي الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي ابواب
رحمتك واذا خرج فليسلم علي النبي صلي الله عليه وسلم وليقل
اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم وخرج ابوداود عن حيوة
بن شريح قال لقيت عقبة بن مسلم فقلت له بلغني انك
حدثت

مطلب فيما يقول عند دخول المسجد وخروجه

حدثت عن عبد الله بن عمرو بن العاصي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه
الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم قال نعم قال
فاذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني ساير اليوم الحادية
عشرة روي مسلم عن ابي قتادة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين
قبل ان يجلس وعنه قال دخلت المسجد ورسول الله صلى الله
عليه وسلم جالس بين ظهراني الناس قال فجلست فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تركع ركعتين
قبل ان تجلس فقلت يا رسول الله رايتك جالسا والناس
جلوس قال فاذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع
ركعتين قال العلما فجعل صلى الله عليه وسلم للمسجد مزية
يتميز بها عن ساير البيوت وهو ان لا يجلس حتى يركع
وعامة العلما على ان الامر بالركوع على الندب والترغيب
وقد ذهب داود واصحابه الى ان ذلك على الوجوب وهذا
باطل ولو كان الامر على ما قالوه لحرم دخول المسجد
على المحدث الحدث الاصغر حتى يتوضا ولا قايل به فيما
اعلم فان قيل فقد روي ابراهيم بن يزيد عن الاوزاعي
عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة

عن ابي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] من اهل الكرم [illegible] ومن اهل الكرم يا رسول الله قال اهل الذكر في المساجد
تفسير سيوطي

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل احدكم المسجد
فلا يجلس حتى يركع ركعتين فاذا دخل احدكم بيته فلا يجلس
حتى يركع ركعتين فان الله جاعل من ركعتيه في بيته خيرا
وهذا يقتضي التسوية بين المسجد والبيت قيل له هذه
الزيادة في الركوع عند دخول البيت لا اصل لها قال ذلك
البخاري وانما يصح في هذا حديث ابي قتادة الذي تقدم
لمسلم وابراهيم هذا لا اعلم روى عنه الا سعد بن عبد الحميد
ولا اعلم له الا هذا الحديث الواحد قاله ابو محمد عبد الحق
الثانية عشرة روى سعيد بن زياد حدثني ابي عن ابيه
عن جده عن ابي هند رضي الله عنه قال حمل تميم يعني
الداري من الشام الى المدينة قناديل وزيتا ومقطا
فلما انتهى الى المدينة وافق ذلك ليلة الجمعة فامر غلاما
يقال له ابو البراد فقام فنشط المقط وعلق القناديل
وصب فيها الما والزيت وجعل فيها الفتل فلما غربت
الشمس امر ابا البراد فاسرجها وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا هو بها تزهر فقال
من فعل هذا قالوا تميم الداري يا رسول الله فقال
نورت الاسلام نور الله عليك في الدنيا والاخرة اما
انه لو كانت لي ابنة لزوجتكها قال نوفل بن الحارث
لي ابنة

٢١٥

لي ابنة يا رسول الله يا رسول الله تسمى المغيرة بن نوفل فافعل
فيها ما اردت فانكحه اياها زبان بفتح الزاي والبا وتشديدها
بنقطة واحده من تحتها ينفرد بالتسمي به سعيد وحده
فهو ابو عثمان سعيد بن زبان بن فايد بن زبان بن ابي هند
وابو هند هذا مولى بني بياضة حجام النبي صلى الله عليه وسلم
والمقط جمع المقاط وهو الحبل فكانه مقلوب القماط والله اعلم
وروى ابن ماجة عن ابي سعيد الخدري قال اول من سرج
في المساجد تميم الداري وروي عن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملايكة وحملة
العرش يصلون عليه ويستغفرون له ما دام ذلك الضو
فيه وان كنس غبار المساجد نقد الحور العين قال العلما
ويستحب تنوير البيت الذي يقرا فيه القران بتعليق
القناديل ونصب الشموع فيه ويزاد في شهر رمضان
في انوار المساجد **الثالثة عشرة** قوله تعالى يسبح
له فيها بالغدو والاصال رجال اختلف العلما في وصف
الله تعالى المسبحين فقيل هم المراقبون امر الله الطالبون
رضاه الطالبون الطالبون فضله الذين لا يشغلهم عن
الصلاة وذكر الله شي من امور الدنيا وقال كثير من
الصحابة نزلت هذه الاية في اهل الاسواق الذين اذا

مطلب في تسريج المساجد واول من سرج

مطلب

سمعوا الندا بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا وراى
سالم بن عبد الله اهل الاسواق وهم مقبلون الى الصلاة
فقال هاولاء الذين اراد الله بقوله لا تلهيهم تجارة ولا
بيع عن ذكر الله وروي ذلك عن ابن مسعود وقرا عبد الله
بن عامر وعاصم في رواية ابي بكر عنه والحسن يسبح له
بفتح الباء على ما لم يسم فاعله وكان نافع وابو عمرو
وحمزه يقرون يسبح بكسر الباء وكذلك روى ابو عمرو
عن عاصم فمن قرا يسبح بفتح الباء كان على معنيين احدهما
احدهما ان يرتفع رجال بفعل مضمر دل عليه الظاهر
المعنى يسبحه رجال فيوقف على هذا على الاصال وقد
ذكر سيبويه مثل هذا وانشد من الاطاحة وهي الاهلاك
ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوايح
المعنى يبكيه ضارع وعلى هذا القول ضرب زيد عمرو وعلى
معنى ضربه عمرو والوجه الاخر ان يرتفع رجال بالابتدا
والخبر في بيوت اى في بيوت اذن الله ان ترفع رجال
ويسبح له فيها حال من الضمير في ترفع كانه قال ان ترفع
له مسبحا له فيها ولا يوقف على الاصال على هذا التقدير
ومن قرا يسبح بكسر الباء لم يقف على الاصال لان يسبح
فعل للرجال والفعل مضطر الى فاعله ولا اضمار فيه
وقد نعلم

وقد تقدم القول في الغدو والاصال في اخر الاعراف
والحمد لله الرابعة عشرة قوله تعالى يسبح له فيها
قيل معناه يصلي وقال ابن عباس كل تسبيح في القران
صلاة ويدل عليه قوله بالغدو والاصال اي بالغداة
والعشي وقال اكثر المفسرين اراد الصلاة المفروضه
فالغدو صلاة الصبح والاصال صلاة الظهر والعصر
والعشاءين لان اسم الاصال يجمعها الخامسة عشرة
روى ابو داود عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من خرج من بيته متطهرا الى صلاة مكتوبة
فاجره كاجر الحاج المحرم وصلاة على اثر صلاة كتاب
في عليين وخرج عن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
بشر المشائين في الظلم الى المساجد بالنور التام يوم
القيامة وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد او راح اعد الله
له نزلا في الجنة كلما غدا او راح في غير الصحيح من الزيادة
كما ان احدكم لو زار من يحب زيارته لاجتهد في كرامته
ذكره الثعلبي وخرج مسلم من حديث ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطهر في بيته
ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرايض الله

ويحمل لا يفضي الى الابتياع ... تسبيح ... فاجره كاجر ...

كانت خطواته احداهما تحط خطيئة والاخرى ترفع درجه
وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل
في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه
بضعا وعشرين درجة وذلك ان احدكم اذا توضأ
فاحسن الوضوء ثم اتى المسجد لا ينهزه الا الصلاة لا يريد
الا الصلاه فلم يخط خطوة الا رفع له بها درجه وحط
عنه بها خطيه حتى يدخل المسجد فاذا دخل المسجد
~~الا الصلاه~~ كان في الصلاة ما كانت الصلاه هي تحبسه
والملايكه يصلون على احدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه
يقولون اللهم ارحمه اللهم اغفر له اللهم تب عليه ما لم يوذ
فيه ما لم يحدث فيه في روايه ما لم يحدث قال يفسو او
يضرط وقال حكيم بن زريق قيل لسعيد بن المسيب احضور
الجنازة احب اليك ام الجلوس في المسجد فقال من صلى على
جنازة فله قيراط ومن شهد دفنها فله قيراطان والجلوس
في المسجد احب الي لان الملايكة تقول اللهم اغفر له اللهم
ارحمه اللهم تب عليه وروى عن الحكم بن عمير صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كونوا في الدنيا اضيافا واتخذوا المساجد
بيوتا وعودوا قلوبكم الرقة واكثروا التفكر والبكاء
ولا تختلف

وعودوا

ولا تختلف بكم الاهوا تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا
تاكلون وتاملون ما لا تدركون وقال ابو الدردا لابنه
ليكن المسجد بيتك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان المساجد بيوت المتقين ومن كانت المساجد
بيته ضمن الله تعالى له بالروح والراحة والجواز على
الصراط وكتب ابو صادق الازدي الى شعيب بن الحبحاب
ان عليك بالمساجد فالزمها فانه بلغني انها كانت مجالس
الانبيا وقال ابو ادريس الخولاني المساجد مجالس
الكرام من الناس وقال مالك بن دينار بلغني ان الله تبارك
وتعالى يقول اني اهم بعذاب عبادي فانظر الى عمّار
المساجد وجلسا القرآن وولدان الاسلام فيسكن
غضبي وروي عنه عليه السلام انه قال سيكون في اخر
الزمان رجال ياتون المساجد فيقعدون فيها حلقا
حلقا ذكرهم الدنيا وحبها فلا تجالسوهم فليس لله بهم
حاجة وقال ابن المسيب من جلس في مسجد فانما
يجالس ربه فما حقه ان يقول الا خيرا وقد مضى من
تعظيم المساجد وحرمتها ما فيه كفاية وقد جمع بعض
العلما في ذلك خمس عشرة خصلة فقال من حرمة
المسجد ان يسلم وقت الدخول ان كان القوم جلوسا

فصل في حرمة المساجد

وان لم يكن في المسجد احد قال السلام علينا وعلي عباد الله الصالحين
وان يركع ركعتين قبل ان يجلس وان لا يشتري فيه ولا يبيع ولا
يسل فيه سهما ولا سيفا ولا يطلب فيه ضالة ولا يرفع فيه صوتا
بغير ذكر الله ولا يتكلم فيه باحاديث الدنيا ولا يتخطى رقاب
الناس ولا ينازع في المكان ولا يضيق علي احد في الصف
ولا يمر بين يدي مصل ولا يبصق ولا يتنخم ولا يفرقع
اصابعه او يعبث بشي من جسده وان ينزه عن النجاسات
والصبيان والمجانين واقامة الحدود وان يكثر ذكر الله
ولا يغفل عنه فاذا فعل هذه الخصال فقد ادي حق المسجد
وكان المسجد حرزا له وحصنا من الشيطان الرجيم وفي
الخبر ان مسجدا ارتفع باهله الي السماء يشكوهم الي الله
لما يتحدثون فيه من احاديث الدنيا وروي الدارقطني
عن عامر الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اقتراب الساعة ان يري الهلال قبلا فيقال لليلتين
وان تتخذ المساجد طرقا وان يظهر موت الفجاة هذا
يرويه عبد الكبير بن المعافى عن شريك عن العباس
بن ذريح عن الشعبي عن انس وغيره يرويه عن الشعبي
مرسلا والله اعلم وقال ابو حاتم عبد الكبير بن معافا
ثقة كان يعد من الابدال وفي البخاري عن ابي موسى
عن النبي صلعم

بلغ

٢١٨

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مرّ في شي من مساجدنا
او اسواقنا بنبل فلياخذ بنصالها لا يعقر بكفه مسلما
وخرج مسلم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها وعن ابي ذر عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي اعمال امتي حسنها
وسيئها فوجدت في محاسن اعمالها الاذي يماط عن الطريق
ووجدت في مساوي اعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن
وخرج ابو داود عن الفرج ابن فضالة عن ابي سعيد الحذري
قال رايت واثلة بن الاسقع في مسجد دمشق بصق على
الحصير ثم مسحه برجله فقيل له لم فعلت هذا قال لاني
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله فرج بن
فضالة ضعيف وايضا فلم يكن في مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم حصير والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما بصق على الارض ودلكه بنعله اليسرى وفعل
واثلة انما اراد هذا فحمل الحصير عليه السادسة عشرة
لما قال تعالى رجال وخصهم بالذكر دل على ان النسا لا
حظ لهن في المساجد اذ لا جمعة عليهن ولا جماعة وان صلاتهن
في بيوتهن افضل روى ابو داود عن عبد الله عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال صلاة المراة في بيتها افضل من صلاتها

في حجرتها وصلاتها في مخدعها افضل من صلاتها في بيتها:
السابعة عشرة قوله تعالى لا تلهيهم اي تشغلهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله خص التجارة بالذكر لانها اعظم ما يشتغل
بها الانسان عن الصلاة فان قيل فلم كرر ذكر البيع والتجارة
تشمله قيل له اراد بالتجارة الشرا لقوله ولا بيع نظيره
قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها قاله الواقدي
وقال الكلبي التجار هم الجلاب المسافرون والباعة هم المقيمون
عن ذكر الله اختلف في تاويله فقال عطا يعني حضور الصلاة
وقاله ابن عباس وقال المكتوبة وقيل عن الاذان ذكره يحيى
بن سلام وقيل عن ذكره باسمائه الحسنى اي يوحدونه ويمجدونه
والاية نزلت في اهل الاسواق قاله ابن عمر قال سالم:
جاز عبد الله بن عمر بالسوق وقد اغلقوا حوانيتهم
وقاموا ليصلوا في جماعة فقال فيهم نزلت رجال لا تلهيهم
تجارة الاية وقال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هم
الذين يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وقيل ان
رجلين كانا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم احدهما بياعا فاذا
سمع النداء بالصلاة فان كان الميزان بيده طرحه ولا يضعه
وضعا وان كان بالارض لم يرفعه وكان الاخر قينا يعمل
السيوف للتجارة فكان اذا كانت مطرقته على السندان
ابقاها

ابقاها موضوعة وان كان قد رفعها القاها من وراء ظهره اذا سمع الاذان فانزل الله هذا ثناء عليهما وعلى كل من اقتدى بهما. الثامنة عشرة قوله تعالى واقام الصلاة هذا يدل على ان المراد بقوله عن ذكر الله غير الصلاة لانه يكون تكرارا يقال اقام الصلاة إقامة والاصل إقوامة فقلبت حركة الواو على القاف فانقلبت الواو الفا وبعدها الف ساكنة فحذفت احداهما واثبتت الهاء لئلا تحذفها فتجحف فلما اضيفت قام المضاف مقام الهاء فجاز حذفها وان لم تضف لم يجز حذفها الا ترى انك تقول وعد عدة ووزن زنة فلا يجوز حذف الهاء لانك قد حذفت واوا لان الاصل وعد وعده ووزن وزنه فان اضفت حذفت الهاء وانشد الفراء

ان الخليط اجدوا البين وانجردوا واخلفوك عدا الامر الذي وعدوا

يريد عدة فحذف الهاء لما اضاف روي من حديث انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ياتي الله يوم القيامة بمساجد الدنيا كانها نجب الحديث وقد تقدم وعن علي رضي الله عنه انه قال ياتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه ولا من القران الا رسمه يعمرون مساجدهم وهي من ذكر الله خراب شر اهل ذلك الزمن علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود يعني انهم يعلمون ولا يعملون بواجبات ما علموا

مطلب فيمن اقتدى بهاتين الرجلين المذكورين

مطلب ... ...

التاسعة عشرة قوله تعالى وايتاء الزكاة قيل الزكاة
المفروضة قاله الحسن وقال ابن عباس الزكاة هنا طاعة الله
والاخلاص اذ ليس لكل مومن مال يخافون يوما يعني يوم القيامة
تتقلب فيه القلوب والابصار يعني من هوله وحذر الهلاك
والتقلب التحول والمراد قلوب الكفار وابصارهم فتقلب
القلوب انتزاعها من اماكنها الى الحناجر فلا هي ترجع الى
اماكنها ولا هي تخرج واما تقلب الابصار فالزرق بعد
الكحل والعمى بعد البصر وقيل تتقلب القلوب بين الطمع
في النجاة والخوف من الهلاك والابصار تنظر من اي
ناحية يعطون كتبهم والى اي ناحية يوخذ بهم وقيل
ان قلوب الشاكين تتحول عما كانت عليه من الشك وكذلك
ابصارهم لرويتهم اليقين وذلك مثل قوله تعالى فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فما كان يراه في الدنيا
غيا يراه رشدا الا ان ذلك لا ينفعهم في الاخرة وقيل تقلب
على جمر جهنم كقوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار
وتقلب افئدتهم وابصارهم في قول من جعل المعنى تقلبها
على لهب النار وقيل تقلب بان تلفحها النار مرة
وتنضجها مرة وقيل ان تقلب القلوب وجيفها وتقلب
الابصار النظر بها الى نواحي الاهوال ليجزيهم الله احسن
ما عملوا

ما عملوا فذكر الجزاء على الحسنات ولم يذكر الجزاء على السيئات
وإن كان يجازي عليهما لأمرين احدهما انه ترغيب فاقتصر
على ذكر الرغبة الثاني انه في صفة قوم لا تكون منهم الكبائر
فكانت صغائرهم مغفورة ويزيدهم من فضله يحتمل
وجهين احدهما ما يضاعفه من الحسنة بعشر امثالها
الثاني ما يتفضل به من غير جزاء والله يرزق من يشاء
بغير حساب اي من غير ان تحاسبه على ما اعطاه اذ لا
نهاية لعطائه وروي انه لما نزلت هذه الاية امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء مسجد قبا فحضر
عبد الله بن رواحة فقال يا رسول الله قد افلح من بنى
المساجد قال نعم يا ابن رواحة قال وصلى فيها قائما
وقاعدا قال نعم يا ابن رواحة قال ولم يبت لله الا
ساجدا قال نعم يا ابن رواحه كف عن السجع فما اعطي
عبد شيئا شر من طلاقة في لسانه ذكره الماوردي
فوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة
لما ضرب مثل المومن ضرب مثل الكافر قال مقاتل
نزلت في شيبة بن ربيعة بن عبد شمس كان يترهب
ملتمسا للدين فلما خرج صلى الله عليه وسلم ابو سهل في كفره
اهل الكتاب الضحاك في اعمال الخير للكافر كصلة الرحم

ونفع الحيوان والسراب ما يرى نصف النهار في اشتداد
الحر كالماء في المفاوز يلصق بالارض والآل الذي يكون
ضحى كالماء الا انه يرتفع عن الارض حتى يصير كانه بين الارض
والسما وسمي السراب سرابا لانه ينسرب اي يجري كالما
يقال سرب الفحل اي مضى وسار في الارض ويسمى الآل
ايضا ولا يكون الا في البرية والحر فيغتر به العطشان قال
الشاعر فلما كففنا الحرب كانت عهودهم كلمع سراب بالفلا متالق
وقال اخر فلما كففنا الحرب كانت عهودهم كلمع سراب بالفلا متالق
وقال امرء القيس الم انض المطي بكل خرق طويل الطول لماع السراب
والقيعة جمع القاع مثل جيرة وجار قال الهروي وقال
ابو عبيدة قيعة وقاع واحد حكاه النحاس والقاع ما
انبسط من الارض واتسع ولم يكن فيه نبت وفيه يكون
السراب واصل القاع الموضع المنخفض الذي يستقر فيه
الما وجمعه قيعان قال الجوهري والقاع المستوي من الارض
والجمع اقوع واقواع وقيعان صارت الواو يا لكسر ما قبلها
والقيعة مثل القاع وهو ايضا من الواو وبعضهم يقول هو
جمع يحسبه الظمآن العطشان ماء اي يحسب السراب
ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا فيما قدره ووجد ارضا
لا ماء فيها وهذا مثل ضربه الله للكفار يعولون على ثواب
اعمالهم

اعمالهم فاذا قدموا على الله وجدوا ثواب اعمالهم محيطة بالكفر
اي لم يجدوا شيئا كما لم يجد صاحب السراب الا ارضا لا ما فيها
فهو يهلك او يموت ووجد الله عنده اي وجد الله بالمرصاد
فوفاه حسابه اي جزا عمله قال امرو القيس

تولى مدبرا يهوي حثيثا   وايقن انه لاقى الحسابا ؛ وقيل لاقى مار

وجد وعد الله بالجزا على عمله وقيل وجد امر الله عند
حشره والمعنى متقارب ؛ المهدوي يجوز ان تكون
الالف مشبعة من فتحة العين ويجوز ان يكون مثل
رجل عزه وعزهاة للذي لا يقرب النسا ويجوز ان يكون
جمع قيعة ويكون على هذا بالتا في الوصل والوقف
وروي عن نافع وابي جعفر وشيبة الظمان بغير همز
والمشهور عنهم الهمز يقال ظما يظمو ظما فهو ظمان
وان خففت الهمزة قلت الظمان ؛ قوله والذين كفروا
ابتدا اعمالهم ابتدا ثان والكاف من كسراب الخبر
والجمله خبر عن الذين ويجوز ان تكون اعمالهم بدلا من
الذين كفروا اي واعمال الذين كفروا كسراب فحذف
المضاف فوله تعالى او كظلمات في بحر لجي ضرب تعالى
مثلا اخر للكفار اي اعمالهم كسراب بقيعة او كظلمات
قال الزجاج ان شئت مثل بالسراب وان شئت مثل

(في الهامش: وروى عنهم الهمز)

بهذه الظلمات فأو للاباحة حسب ما تقدم من القول في او
كصيب وقال الجرجاني الآية الاولى في ذكر اعمال الكفار والثانية
في ذكر كفرهم ونسق الكفر على اعمالهم لان الكفر ايضا من اعمالهم
وقد قال الله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الكفر
الى الايمان وقال ابو علي او كظلمات اي وكذي ظلمات ودل
على هذا المضاف قوله اذا اخرج يده فالكناية تعود الى
المضاف المحذوف قال القشيري فعند الزجاج التمثيل وقع
لاعمال الكفار وعند الجرجاني لكفر الكافر وعند ابي علي للكافر
وقال ابن عباس في رواية هذا مثل قلب الكافر في بحر لجي
قيل هو منسوب الى اللجة وهو الذي لا يدرك قعره
واللجة معظم الماء والجمع لجج والتج البحر اذا تلاطمت امواجه
ومنها روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ركب البحر
اذا التج فقد بريت منه الذمة والتج الامر اذا عظم واختلط
وقوله حسبته لجة اي ماله عمق ولججت السفينة اي
خاضت اللجة بضم اللام فاما اللجة بفتح اللام فاصوات
الناس تقول سمعت لجة الناس اي اصواتهم وضجتهم قال
ابو النجم في لجة امسك فلانا عن فل والتجت الاصوات
اي اختلطت وعظمت يغشاه موج اي يعلو ذلك البحر
اللجي موج من فوقه موج اي من فوق الموج موج ومن
فوق

فوق هذا الموج الثاني سحاب فيجتمع خوف الموج وخوف
الريح وخوف السحاب وقيل المعنى يغشاه موج من بعده
موج فيكون الموج يتبع بعضه بعضا حتى كان بعضه
فوق بعض وهو اخوف ما يكون اذا توالى موجه وتقارب
ومن فوق هذا الموج سحاب وهو اعظم للخوف من وجهين
احدهما انه قد غطى النجوم التي يهتدى بها الثاني الريح
التي تنشو مع السحاب والمطر الذي ينزل منه ظلمات
بعضها فوق بعض قرا ابن محيصن والبزي عن ابن كثير
سحابُ ظلماتٍ بالجر والتنوين الباقون بالرفع والتنوين
قال المهدوي من قرا من فوقه سحابُ ظلماتٍ بالاضافة
فلان السحاب يرتفع وقت هذه الظلمات فاضيف اليها
كما يقال سحابُ رحمةٍ اذا ارتفع في وقت المطر ومن
قرأ سحابٌ ظلماتٍ جر ظلمات على التاكيد لظلمات الاول
او البدل منها وسحابٌ ابتدأ ومن فوقه الخبر ومن قرأ
سحابٌ ظلماتٌ فظلمات خبر ابتداءٍ محذوف التقدير
هي ظلماتٌ او هذه ظلماتٌ صلةٌ للموج والوقف على قوله
من فوقه سحاب حسن ثم يبتدي ظلماتٌ بعضها
فوق بعض على معنى هي ظلمات بعضها فوق بعض وروي
عن اهل مكة انهم قرؤا ظلماتٍ على معنى او كظلماتٍ ظلماتٍ

قال ابن الانباري ومن قرا من فوقه موج غير تام لان قوله من فوقه سحاب

بعضها فوق بعض فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على السحاب
ثم قيل المراد بهذه الظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة
الليل وظلمة البحر فلا يبصر من كان في هذه الظلمات شيئا ولا
كوكبا وقيل المراد بالظلمات اعمال الكافر وبالبحر اللجي قلبه
وبالموج فوق الموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة
وبالسحاب الرين والختم والطبع على قلبه روي معناه عن
ابن عباس وغيره اي لا يبصر بقلبه نور الايمان كما ان صاحب
الظلمات في البحر اذا اخرج يده لم يكد يراها وقال ابي
بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلمات كلامه ظلمه
وعمله ظلمه ومدخله ظلمه ومخرجه ظلمه ومصيره يوم القيامة
الكفار الى الظلمات في النار وبئس المصير اذا اخرج يده يعني الناظر لم يكد
يراها اي من شدة الظلمات قال الزجاج وابو عبيدة المعنى
لم يرها ولم يكد وهو معنى قول الحسن ومعنى لم يكد لم يطمع
ان يراها وقال الفرا كاد صلة اي لم يرها كما تقول ما كدت
اعرفه وقال المبرد يعني لم يرها الا من بعد الجهد كما تقول
ما كدت اراك من الظلمه وقد راه بعد ياس وشده وقيل
معناه قرب من الروية ولم ير كما يقال كاد العروس يكون
اميرا وكاد النعام يطير وكاد المشعل يكون راكبا النحاس
واصح الاقوال في هذا ان المعنى لم يقارب رويتها فاذا لم
يقارب

مطلب في ظلمات الكفار

كاد المشعل يكون راكبا واما المعنى فلا معنى لم يرها والله اعلم

يقارب رويتها فلم يرها روية بعيدة ولا قريبة ومن
لم يجعل الله له نورا يهتدي به اظلمت عليه الامور
وقال ابن عباس اي من لم يجعل الله له دينا فماله من دين
ومن لم يجعل الله له نورا يمشي به يوم القيامة لم يهتد
الى الجنة لقوله تعالى ويجعل لكم نورا تمشون به وقال
الزجاج ذلك في الدنيا والمعني من لم يهده الله لم يهتد
وقال مقاتل بن سليمان نزلت في عتبة بن ربيعة كان يلتمس
الدين في الجاهلية ولبس المسوح ثم كفر في الاسلام الماوردي
في شيبة بن ربيعة وكان يترهب في الجاهلية ويلبس
الصوف ويطلب الدين فكفر في الاسلام قلت وكلاهما
مات كافرا فلا يبعد ان يكونا هما المراد بالاية وغيرهما
وقد قيل نزلت في عبد الله بن جحش وكان اسلم وهاجر
الى ارض الحبشة ثم تنصر بعد اسلامه وذكر الثعلبي وقال
انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلقني من نوره
وخلق ابا بكر من نوري وخلق عمر وعايشة من نور ابي بكر
وخلق المومنين من امتي من نور عمر وخلق المومنات من
امتي من نور عايشة فمن لم يحبني ويحب ابا بكر وعمر وعايشة
فماله من نور فنزلت ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور
قوله تعالى الم تر ان الله يسبح له من في السموات

ومن في الارض والطير صافات لما ذكر وضوح الآيات زاد في الحجة
والبينات وبين ان مصنوعاته تدل بتغييرها على ان لها صانعا
قادرا على الاكمال فله بعثة الرسل وقد بعثهم وايدهم بالمعجزات
واخبروا بالجنة والنار والخطاب في الم تعلم للنبي صلى الله عليه وسلم
ومعناه الم تعلم والمراد الكل ان الله يسبح له من في السموات
من الملايكة ومن في الارض من الجن والانس والطير صافات
قال مجاهد وغيره الصلاة للانسان والتسبيح لما سواه
من الخلق وقال سفيان للطير صلاة ليس فيها ركوع ولا سجود
وقيل ان ضربها باجنحتها صلاة وان اصواتها تسبيح
حكاه النقاش وقيل التسبيح هاهنا ما يرى في المخلوق
من اثر الصنعة ومعنى صافات مصطفات الاجنحة في الهواء
وقراة الجماعة والطير بالرفع عطفا على من وقال الزجاج
ويجوز والطير بمعنى مع الطير قال النحاس وسمعته يجيز
قمت وزيدا بمعنى مع زيد قال وهو اجود من الرفع
قال فان قلت قمت انا وزيد كان الاجود الرفع ويجوز
النصب كل قد علم صلاته وتسبيحه اي علم صلاة المصلي
وتسبيح المسبح ولهذا قال والله عليم بما يفعلون اي لا
يخفى عليه طاعتهم ولا تسبيحهم ومن هذه الجهة
يجوز نصب كل عند البصريين والكوفيين باضمار
فعل

فعل يفسره ما بعده وقيل المعنى قد علم كل مصل ومسبح
صلاة نفسه وتسبيحه **الذي كلف** وقرأ بعض
الناس كل قد عُلم صلاته وتسبيحه غير مسمى الفاعل
وذكر بعض النحويين أن بعضهم قرأ كل قد علم صلاته
وتسبيحه فيجوز أن يكون تقديره كل قد علمه الله
صلاته وتسبيحه ويجوز أن يكون المعنى كل قد علم غيره
صلاته وتسبيحه أي صلاة نفسه فيكون التعليم الذي
هو الإفهام والمراد الخصوص لأن من الناس من لم يعلم
ويجوز أن يكون المعنى كل قد استدل منه المستدل فعبر
عن الاستدلال بالتعليم قاله المهدوي والصلاة هنا
بمعنى التسبيح وكرر تأكيدا كقوله يعلم السر والنجوى
والصلاة قد تسمى تسبيحا قاله القشيري ولله ملك
السموات والأرض وإلى الله المصير تقدم في غير موضع
قوله تعالى ألم تر أن الله يزجي سحابا ذكر من حججه
شيئا آخر أي ألم تر بعيني قلبك يزجي سحابا أي يسوق
إلى حيث يشاء والريح تزجي السحاب والبقرة تزجي ولدها
أي تسوقه ومنه زجا الخراج يزجو زجاء ممدودا إذا
إذا تيسرت جبايته وقال النابغة:
إني أتيتك من أهلي ومن وطني أزجي حشاشة نفس ما بها رمق

وقال ايضا أسرت عليه من الجوزاء سارية تزجي الشمال عليه جامد البرد

ثم يولف بينه اي نجمعه عند انتشايه ليقوى ويتصل ويكثف والاصل في الثالث البف الهمز تقول تولف وقرى يولف بالواو تخفيفا والسحاب واحد في اللفظ ولكن معناه جمع ولهذا قال ينشي السحاب وبين لا يقع الا الاثنين فصاعدا فكيف جاز بينه والجواب ان بينه هاهنا لجماعة السحاب كما تقول الشجر قد جلست بينه لانه جمع وذكر الكناية على اللفظ قال معناه الفرا وجواب اخر وهو ان يكون السحاب واحدا فجاز ان يقال بينه لانه مشتمل على قطع كثيرة كما قال بين الدخول فحومل فاوقع بين على الدخول وهو واحد لاشتماله على مواضع وكما تقول مازلت ادور بين الكوفة لان الكوفة اماكن كثيرة قاله الزجاج وغيره وزعم الاصمعي ان هذا لا يجوز وكان يروي بين الدخول وحومل ثم نجعله ركاما اي مجتمعا يركب بعضه بعضا كقوله تعالى وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم والركم جمع الشي يقال منه ركم الشي يركمه ركما اذا جمعه والقي بعضه على بعض وارتكم الشي وتراكم اذا اجتمع والركمة الطين المجموع والركام الرمل المتراكم وكذلك السحاب

وما اشبهه

وما اشبهه ومن تكلم الطريق بفتح الكاف جاز نه فترى الودق
تخرج من خلاله في الودق قولان احدهما انه البرق قاله ابو
الاشهب العقيلي ومنه قول الشاعر
اثرن عجاجة وخرجن منها خروج الودق من خلل السحاب
الثاني انه المطر قاله الجمهور ومنه قول الشاعر
فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها وقال امرو القيس
فدمعها ودق وسح وديمة وسكب وتوكاف وتنهملان
يقال ودقت السحابة فهي وادقه وودق المطر يدق ودقا
اي قطر وودقت اليه دنوت منه وفي المثل ودق البعير
الي الما اي دنا منه يضرب لمن خضع للشي لحرصه عليه
والموضع مودق وودقت ودقا استانست به ويقال
لذات الحافر اذا ارادت الفحل ودقت تدق ودقا واودقت
واستودقت واتان ودوق وفرس ودوق وودبق ايضا
وبها وداق والوديقة شدة الحر وخلال جمع خلل مثل
الجبل والجبال وهي فرجه ومخارج القطر منه وقد تقدم
في البقرة ان كعبا قال ان السحاب غربال المطر لولا السحاب
حين ينزل الما من السما لافسد ما يقع عليه من الارض
وقرا ابن عباس والضحاك وابو العاليه من خلله علي
التوحيد وتقول كنت في خلال القوم اي وسطهم

وينزل من السماء من جبال فيها من برد قيل خلق الله في السماء
جبالا من برد فهو ينزل منها بردا او فيه اضمار اي ينزل
من جبال البرد بردا فالمفعول محذوف ونحو هذا قول الفرا
لان التقدير عنده من جبال برد فالجبال عنده هي البرد
وبرد في موضع خفض ويجب ان يكون على قوله المعنى
من جبال برد فيها بتنوين جبال وقيل ان الله تعالى
خلق في السماء جبالا فيها برد فيكون التقدير وينزل
من السما من جبال فيها برد ومن صلة وقيل المعنى وينزل من
السماء قدر جبال او مثل جبال من برد الى الارض فمن الاولى
للغاية لان ابتداء الانزال من السما والثانية للتبعيض لان
البرد من الجبال والثالثة لتبيين الجنس لان جنس تلك الجبال
من البرد وقال الاخفش ان من في الجبال وبرد زايده في
الموضعين والجبال والبرد في موضع نصب اي ينزل
من السماء بردا يكون كالجبال والله اعلم فيصيب به من يشا
ويصرفه عن من يشا فيكون اصابته نقمة وصرفه نعمة
وقد مضى في البقرة والرعد ان من قال حين يسمع الرعد
سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثلثا
عوفي مما يكون في ذلك الرعد يكاد سنا برقه اي ضوء
ذلك البرق الذي في السحاب يذهب بالابصار من شدة
بريقه

برقيه وضوءه قال الشماخ وما كادت اذا رفعت سناها
ليبصر ضوءها الا البصير وقال امرؤ القيس
يضي سناه او مصابيح راهب اهان السليط في الذبال المفتل
فالسنا مقصور ضوء البرق والسنا ايضا نبت يتداوى
به والسنا من الرفعه ممدود ولذلك قراة طلحة بن مطرف
سنا بالمد على المبالغة في شدة الضوء والصفا فاطلق
عليه اسم الشرف قال المبرد السنا مقصور وهو اللمع
فاذا كان من الشرف والحسب فهو ممدود واصلهما واحد
وهو الالماع وقرا طلحه بن مصرف سنا برقه قال احمد
بن يحيى وهو جمع برقه قال النحاس البرقه المقدار من
البرق والبرقه المرة الواحده وقرا الجحدري وابن
القعقاع يذهب بالابصار بضم اليا وكسر الها من
الاذهاب ويكون اليا في بالابصار صله زيادة الباقون
يذهب بالابصار بفتح اليا والها والبا للالصاق والبرق
دليل على تكاثف السحاب وتبشير بقوة المطر ومحذر
من نزول الصواعق يقلب الله الليل والنهار قيل
تقليبهما ان ياتي باحدهما بعد الاخر وقيل تقليبهما
نقصهما وزيادتهما وقيل هو تغيير النهار بظلمة
السحاب مرة وبضوء الشمس اخرى وكذا الليل مرة

يتغير بظلمة السحاب ومرة بضوء القمر قاله النقاش وقيل
باختلاف ما يقدر فيهما من خير وشر ونفع وضر ان في ذلك
اي في الذي ذكرناه من تقليب الليل والنهار واحوال المطر
والصيف والشتا لعبرة اي اعتبارا لاولي الابصار اي لاهل
البصاير من خلقي قوله تعالى والله خلق كل دابة من ما
قرا يحيى بن وثاب والاعمش وحمزة والكساي والله خالق
كل بالاضافة الباقون خلق على الفعل قيل ان المعنيين في القراتين
صحيحان اخبر الله عز وجل بخبرين ولا ينبغي ان يقال في هذا
احد القراتين اصح من الاخرى وقد قيل ان خلق لشي مخصوص
وانما يقال خالق على العموم كما قال عز وجل الخالق البارى
وفي الخصوص الحمد لله الذي خلق السموات والارض وكذا
هو الذي خلقكم من نفس واحدة فكذا يجب ان يكون الله
خلق كل دابة من ما والدابة كل ما دب على الارض من
الحيوان يقال دب يدب فهو داب والها للمبالغة
وقد تقدم في البقرة من ما لم يدخل في هذا الجن والملايكة
لانا لم نشاهدهم ولم يثبت انهم خلقوا من ما بل في الصحيح
ان الملايكة خلقوا من نور والجان من نار وقد تقدم وقال
المفسرون من ما اي من نطفة قال النقاش اراد امنية
الذكور وقال جمهور النظرة اراد ان خلقة كل حيوان

فيها ما

فيها ما كما خلق ادم من الماء والطين وعلى هذا يتخرج قول
النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ الذي سال في غزاة بدر ممن
انتما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن من ماء الحديث
وقال قوم لا يستثنى الجن والملايكه بل كل حيوان خلق
من الماء وخلق النار من الماء اذ اول ما خلق الله تعالى من العالم
الما ثم خلق منه كل شي فمنهم من يمشي على بطنه المشي على
البطن للحيات والحوت ونحوه من الدود وغيره وعلى
الرجلين للانسان والطير اذا مشي والاربع لساير الحيوان
وفي مصحف ابي ومنهم من يمشي على اكثر فعم بهذه الزيادة
جميع الحيوان كالسرطان والخشاش ولكنه قران لم
يثبته اجماع لكن قال النقاش انما اكتفى في القول بذكر
ما يمشي على اربع عن ذكر من يمشي على اكثر لان جميع
الحيوان انما اعتماده على اربع وهي قوام مشيه وكثره
الارجل في بعضه زياده في خلقته لا يحتاج ذلك
الحيوان في مشيه الى جميعها قال ابن عطية والظاهر
ان تلك الارجل الكثيره ليست باطلا بل هي محتاج
اليها في تنقل الحيوان وهي كلها تتحرك في تصرفه
وقال بعضهم ليس في الكتاب ما يمنع من المشي على اكثر
من اربع اذ لم يقل ليس منها من يمشي على اكثر من اربع

وقيل فيه اضمار اي ومنهم من يمشي على اكثر من اربع كما وقع
في مصحف ابي والله اعلم ودابة تشمل من يعقل وما لا يعقل
فغلب من يعقل لما اجتمع مع من لا يعقل لانه المخاطب والمتعبد
ولذلك قال فمنهم وقال من يمشي فاشار بالاختلاف الى ثبوت
الصانع اي لولا ان للجميع صانعا مختارا لما اختلفوا
بل كانوا من جنس واحد وهو كقوله تسقى بماء واحد
واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لايات
يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء مما يريد خلقه قدير لقد
انزلنا ايات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
تقدم بيانه في غير موضع قوله تعالى ويقولون امنا
بالله وبالرسول يعني المنافقين يقولون بالسنتهم امنا
بالله وبالرسول من غير يقين ولا اخلاص واطعنا اي
ويقولون وكذبوا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما
اولئك بالمومنين قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون فيه اربع مسايل الاولى
قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله قال الطبري وغيره
ان رجلا من المنافقين اسمه بشر كانت بينه وبين رجل
من اليهود خصومة في ارض فدعاه اليهودي الى التحاكم
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المنافق مبطلا

فابى من ذلك

بالغ

فابى من ذلك وقال ان محمدا يحيف علينا فليحاكم كعب بن الاشرف فنزلت
الاية فيه وقيل نزلت في المغيرة بن وابل من بني امية كان بينه
وبين علي بن ابي طالب رضوان الله عليه خصومة في ماء
وارض فامتنع المغيرة ان يحاكم عليا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال انه يبغضني فنزلت الاية ذكره الماوردي وقال
ليحكم ولم يقل ليحكما لان المعني الرسول صلى الله عليه وسلم
وانما بدا بذكر الله اعظاما لله واستفتاح كلام **الثانية** قوله تعالى
وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين اي طايعين منقادين لعلمهم
انه عليه السلام يحكم بالحق يقال اذعن فلان لحكم فلان يذعن
اذعانا وقال النقاش مذعنين خاضعين مجاهد مسرعين
الاخفش وابن الاعرابي مقرين افي قلوبهم مرض شك وريب
ام ارتابوا ام حدث لهم شك في نبوته وعدله ام يخافون
ان يحيف الله عليهم ورسوله اي يجور في الحكم والظلم واتى به
بلفظ الاستفهام لانه اشد في التوبيخ وابلغ في الذم لقول جرير في المدح
الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح بل
اوليك هم الظالمون اي المعاندون الكافرون لاعراضهم عن
حكم الله تعالى **الثالثة** القضا يكون للمسلمين اذا كان الحكم بين
المعاهد والمسلم ولا حق لاهل الذمة فيه واذا كان بين ذميين
فذلك اليهما فان جاءا قاضي الاسلام فان شا حكم وان شا اعرض كما

تقدم في المايده الرابعه هذه الايه دليل علي وجوب اجابه
الداعي الي الحاكم لان الله سبحانه ذم من دُعي الي رسوله ليحكم بينه
وبين خصمه باقبح الذم فقال افي قلوبهم مرض الايه قال ابن
خُواز منداد واجبٌ علي كل من دُعي الي مجلس الحاكم ان يجيب
مالم يعلم ان الحاكم فاسق او عداوه بين المدعي والمدعي عليه
واسند الزهراوي عن الحسن بن ابي الحسن ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم قال من دعاه خصمه الي حكمٍ من حكام المسلمين
فلم يجب فهو ظالم ولا حق له ذكره الماوردي ايضا قال
ابن العربي وهذا حديث باطل فاما قوله فهو ظالم فكلام
صحيح واما قوله فلا حق له فلا يصح ويحتمل ان يريد انه
علي غير الحق **قوله** تعالي انما كان قولَ المومنين اذا دعوا
الي الله ورسوله اي الي كتاب الله وحكم رسوله ان يقولوا
سمعنا واطعنا قال ابن عباس اخبر بطاعه المهاجرين والانصار
وان كان ذلك فيما يكرهون اي هذا قولهم وهاولا لو كانوا مومنين
لكانوا يقولون سمعنا واطعنا فالقول نصب علي خبر كان
واسمها في قوله ان يقولوا نحو وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا
اغفر لنا ذنوبنا وقيل انما كان قولُ المومنين وكان صلة
في الكلام كقوله كيف نكلم من كان في المهد صبيا وقرا ابن القعقاع
ليُحكم بينهم غير مسمي الفاعل علي بن ابي طالب انما كان قولُ
بالرفع

بالرفع قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فيما امر به وحكم
ويخش الله ويتقه باسكان القاف على نية الجزم قال الشاعر
ومن يتق فان الله معه ورزق الله مؤتاب وغادي وكسرها
الباقون لان جزمه بحذف اخره واسكن الها ابو عمرو وابو بكر
واختلس الكسرة يعقوب وقالون عن نافع والمسيبي عن
ابي عمرو وحفص واشبع كسرة الها الباقون فاولئك هم الفايزون
ذكر اسلم ان عمر بينما هو نايم في مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم واذا رجل من دهاقين الروم قائم على راسه وهو
يقول انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
فقال له عمر ما شانك قال اسلمت لله قال هل لهذا سبب
قال نعم اني قرأت التوراة والزبور والانجيل وكثيرا من
كتب الانبيا فسمعت اسيرا يقرا اية من القرآن جمع فيها
كل ما في الكتب المتقدمة فعلمت انه من عند الله فاسلمت
قال ما هذه الاية قال قوله تعالى ومن يطع الله في الفرايض
ورسوله في السنن ويخش الله فيما مضى من عمره ويتقه
فيما بقي من عمره فاولئك هم الفايزون والفايز من نجى من
النار وادخل الجنة فقال عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم
اوتيت جوامع الكلم قوله تعالى واقسموا بالله جهد
ايمانهم عاد الى ذكر المنافقين فانه لما بين كراهتهم لحكم

لئن امرتهم ليخرجن

النبي صلى الله عليه وسلم اتوه فقالوا والله لو امرتنا ان نخرج
من ديارنا ونسائنا واموالنا لخرجنا ولو امرتنا بالجهاد
لجاهدنا فنزلت هذه الاية اي واقسموا بالله انهم يخرجون
معك في المستانف ويطيعون جهد ايمانهم اي طاقة ما
قدروا ان يحلفوا وقال مقاتل من حلف بالله فقد اجهد
في اليمين وقد مضى في الانعام بيان هذا وجهد منصوب
على مذهب المصدر تقديره اقساما بليغا قل لا تقسموا
وتم الكلام طاعة معروفة اولى بكم من ايمانكم او ليكن منكم
طاعة معروفة وقول معروف باخلاص القلب ولا حاجة
الى اليمين وقال مجاهد المعنى قد عرفت طاعتكم وهي الكذب
والتكذيب اي المعروف منكم الكذب دون الاخلاص ان الله
خبير بما تعملون من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل قوله
تعالى قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول باخلاص الطاعه
وترك النفاق فان تولوا اي فان تتولوا فحذف احدى التائين
ودل على هذا ان بعده وعليكم ولم يقل وعليهم فانما عليه
ما حمل اي من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم اي من الطاعة
له عن ابن عباس وغيره وان تطيعوه تهتدوا فجعل
الاهتدا مقرونا بطاعته وما على الرسول الا البلاغ
اي التبليغ المبين قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم

وعملوا

اي جهد يمينهم في

وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الاية نزلت في ابي بكر
وعمر رضي الله عنهما قاله مالك وقيل ان سبب هذه الاية
ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شكا جهد مكافحة العدو
وما كانوا فيه من الخوف على انفسهم وانهم لا يضعون اسلحتهم
فنزلت الاية وقال ابو العالية مكث رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمكة عشر سنين بعد ما اوحي اليه خايفا هو واصحابه
يدعون الى الله سرا وجهرا ثم امر بالهجرة الى المدينة وكانوا
فيها خايفين يصبحون ويمسون في السلاح فقال رجل يا
رسول الله ما يأتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فقال
عليه السلام لن تلبثوا الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم
في الملاء العظيم محتبيا ليس عليه حديد ونزلت هذه الاية
واظهر الله نبيه على جزيرة العرب فوضعوا السلاح
وامنوا قال النحاس فكان في هذه الاية دلالة على نبوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم لان الله جل وعز انجز ذلك الوعد
قال الضحاك في كتاب النقاش هذه تتضمن خلافة ابي بكر
وعمر وعثمان وعلي لانهم اهل الايمان وعملوا الصالحات
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي
ثلثون والى هذا القول مال ابن العربي في احكامه
واختاره وقال قال علماونا هذه الاية دليل على خلافة الخلفا

الاربعه رضي الله عنهم وان الله استخلفهم ورضي امانتهم وكانوا
على الدين الذي ارتضى لهم لانهم لم يتقدمهم احد في الفضيله
الى يومنا هذا فاستقر الامر لهم وقاموا بسياسة المسلمين
وذبوا عن حوزة الدين فنفذ الوعد فيهم واذا لم يكن هذا
الوعد لهم نجز وفيهم نفذ وعليهم ورد ففيمن يكون اذن
وليس بعدهم مثلهم الى يومنا هذا ولا يكون فيما بعده رضي
الله عنهم وحكى هذا القول القشيري عن ابن عباس واحتجوا
بما رواه سفينه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة من
بعدي ثلاثون سنه ثم تكون ملكا قال سفينه امسك
خلافة ابي بكر سنتان وخلافة عمر عشر وخلافة عثمان
ثنتا عشرة سنه وخلافة علي ست وقال قوم هذا وعد
لجميع الامة في ملك الارض كلها تحت كلمة الاسلام كما قال عليه
الصلاة والسلام زويت لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها واختار هذا القول ابن
عطيه في تفسيره حيث قال والصحيح في الاية انها في
استخلاف الجمهور واستخلافهم هو ان يملكهم البلاد ويجعلهم
اهلها كالذي جرا في الشام والعراق وخراسان والمغرب
قال ابن العربي قلنا لهم هذا وعد عام في النبوة والخلافة

واقامة

واقامة الدعوة وعموم الشريعة فنفذ الوعد في كل احد بقدره
وعلى حاله حتى في المتقين والقضاة والايمة وليس للخلافة محل
تنفذ فيه الموعدة الكريمة الا من تقدم من الخلفا ثم ذكر ثم
ذكر قبل هذا اعتراضا وانفصالا معناه فان قيل هذا الامر
لا يصح الا في ابي بكر وحده فاما عمر وعثمان فقتلا غيلة
وعلي قد نوزع في الخلافة قلنا ليس في ضمن الامن السلامة
من الموت باي وجه كان واما علي فلم يكن نزاله في الحرب مذهبا
للامن وليس من شرط الامن رفع الحرب انما شرطه ملك
الانسان لنفسه باختياره لا كما كان اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم بمكة ثم قال في اخر كلامه وحقيقة الحال انهم كانوا
مقهورين فصاروا قاهرين وكانوا مطلوبين فصاروا
طالبين فهذا نهاية الامن والعز قلت هذه الحال لم يختص
بالخلفا الاربعة رضي الله عنهم حتى يخصوا بها من عموم
الاية بل شاركهم في ذلك جميع المهاجرين بل وغيرهم
الا ترى الى اغزاء قريش للمسلمين في احد وغيرها وخاصة
الخندق حتى اخبر تعالى عن جميعهم فقال اذ جاوكم من
فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب
الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المومنون
وزلزلوا زلزالا شديدا ثم ان الله رد الكافرين لم ينالوا

خيرًا وامن المومنين واورثهم ارضهم وديارهم وهو المراد
بقوله ليستخلفنهم في الارض وقوله كما استخلف الذين من قبلهم
يعني بني اسرايل اذا اهلك الجبابرة بمصر واورثهم ارضهم
وديارهم فقال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها وهكذا كان الصحابة مستضعفين
خايفين ثم ان الله تعالى امنهم ومكنهم وملكهم فصح ان الاية عامة
لامة محمد صلى الله عليه وسلم غير مخصوصة اذ التخصيص
لا يكون الا بخبر ممن يجب له التسليم ومن الاصل المعلوم
التمسك بالعموم وجا في معنى تبديل خوفهم بالامن ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال اصحابه ما ياتي علينا
يوم يامن فيه ونضع السلاح فقال عليه السلام لا تلبثون
الا قليلا حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم محتبيا ليس
عليه حديدة وقال صلى الله عليه وسلم والله ليتمن الله هذا
الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى حضرموت لا يخاف
الا الله والذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون خرجه مسلم
في صحيحه فكان كما اخبر صلى الله عليه وسلم فالاية معجزة
النبوة لانها اخبار عما سيكون فكان **قوله تعالى**
ليستخلفنهم في الارض فيه قولان احدهما يعني ارض مكة
لان المهاجرين سالوا الله تعالى ذلك فوعدوا كما وعدت بنو اسرايل

قال معناه

قال معناه النقاش الثاني بلاد العرب والعجم قال ابن العربي
وهو الصحيح لان ارض مكة محرمة على المهاجرين قال النبي صلى
الله عليه وسلم لكن البايس سعد بن خولة يرثي له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان مات بمكة وقال في الصحيح ايضا يمكث
المهاجر بمكة بعد قضا نسكه ثلثا واللام في ليستخلفنهم
جواب قسم مضمر لان الوعد قول مجازها قال الله للذين امنوا
وعملوا الصالحات والله ليستخلفنهم في الارض فيجعلهم ملوكها
وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرايل اهلك
الجبابرة بمصر والشام واورثهم ارضهم وديارهم وقراه
العامه كما استخلف بفتح التاء واللام لقوله وعد وقوله
ليستخلفنهم وقرا عيسى بن عمر وابو بكر والمفضل عن عاصم
استخلف بضم التاء وكسر اللام على الفعل المجهول وليمكنن
لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام كما قال تعالى ورضيت
لكم الاسلام دينا وقد تقدم وروى سليم بن عامر عن
المقداد بن الاسود قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ما على ظهر الارض بيت حجر ولا مدر
الا ادخله الله كلمة الاسلام بعز عزيز او ذل ذليل اما
يعزهم فيجعلهم من اهلها واما يذلهم فيدينون لها ذكره
الماوردي حجة لمن قال ان المراد بالارض بلاد العرب

والعجم وهو القول الثاني على ما تقدم انفا وليبدلنهم قرا ابن
محيصن وابن كثير ويعقوب وابو بكر بالتخفيف من
ابدل وهي قراة الحسن واختيار ابي حاتم الباقون بالتشديد
من بدل وهي اختيار ابي عبيد لانها اكثر ما في القران قال
الله تعالى لا تبديل لكلمات الله وقال تعالى واذا بدلنا اية
ونحوه وهما لغتان قال النحاس وحكى محمد بن الجهم عن الفراء
قال قرا عاصم والاعمش وليبدلنهم مشددة وهذا غلط
عن عاصم وقد ذكر بعده غلطا اشد منه وهو انه حكى
عن سائر الناس التخفيف قال النحاس وزعم احمد بن يحيى
ان بين التخفيف والتثقيل فرقا وانه يقال بدلته اي
غيرته وابدلته ازلته وجعلت غيره قال النحاس وهذا
القول صحيح كما تقول ابدل لي هذا الدرهم اي ازله
واعطني غيره وتقول قد بدلت بعدنا اي غيرت غير
انه قد يستعمل احدهما موضع الاخر والذي ذكره اكثر
وقد مضى هذا في سورة النساء والحمد لله وذكرنا في سورة
ابرهيم الدليل من السنة على ان بدل معناه ازالة العين
فتامله هناك وقرئ عسى ربنا ان يبدلنا مخففا ومثقلا
يعبدونني هو في موضع الحال اي في حال عبادتهم الله
بالاخلاص ويجوز ان يكون استينافا على طريق الثنا عليهم
لا يشركون

لا يشركون بي شيا فيه اربعة اقوال احدها لا يعبدون الها
غيري حكاه النقاش الثاني لا يراون بعبادتي احدا الثالث لا
يخافون غيري قاله ابن عباس الرابع لا يحبون غيري قاله
مجاهد ومن كفر بعد ذلك اي بهذه النعم والمراد كفران النعمه
لانه قال تعالي فاولئك هم الفاسقون والكافر بالله فاسق
بعد هذه الانعام وقبله قوله تعالي واقيموا الصلاة واتوا
الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون تقدم فاعاد الامر
بالعبادة تاكيدا قوله تعالي لا تحسبن الذين كفروا هذا
تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم ووعد بالنصر وقراة العامه
تحسبن بالتاء خطابا وقرا ابن عامر وحمزة وابو حيوة
يحسبن بالياء بمعني لا يحسبن الذين كفروا انفسهم معجزين الله
في الارض لان الحسبان يتعدي الي مفعولين وهذا قول الزجاج
وقال الفرا وابو علي يجوز ان يكون الفعل للنبي عليه السلام
اي لا يحسبن محمدا الذين كفروا معجزين فالذين مفعول اول
ومعجزين مفعول ثان وعلي القول الاول الذين كفروا فاعل
انفسهم مفعول اول وهو محذوف مراد معجزين مفعول
ثان قال النحاس وما علمت احدا من اهل العربية بصريا ولا
كوفيا الا وهو يخطي قراة حمزه فمنهم من يقول هي لحن لانه لم
يات الا بمفعول واحد ليحسبن وممن قال هذا ابو حاتم

وقال الفرا هو ضعيف واجازه علي ضعفه علي انه يحذف
المفعول الاول وقد بيناه قال النحاس وسمعت علي بن سليمان
يقول في هذه القراة يكون الذين كفروا في موضع نصب قال
ويكون المعني ولا يحسبن الكافر الذين كفروا معجزين في الارض
قلت وهذا موافق لما قاله الفرا وابو علي الا ان الفاعل هناك
النبي صلي الله عليه وسلم وفي هذا القول الكافر ومعجزين معناه
فايتين وقد تقدم وماواهم النار ولبيس المصير اي المرجع
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم
الي قوله حكيم فيه ثمان مسايل الاولي قال العلما هذه اية
خاصة والتي قبلها عامة لانه قال يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم حتي تستانسوا وتسلموا علي اهلها ثم خص
هنا فقال ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم فخص في هذه الاية
بعض المستاذنين ولذلك ايضا يتناول القول في الاولي جميع
الاوقات عموما وخص في هذه الاية بعض الاوقات فلا يدخل
فيها عبد ولا امة وغدا كان او ذا منظر الا بعد الاستيذان
قال مقاتل نزلت في اسما بنت مرثد دخل عليها غلام لها كبير
فاشتكت الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فنزلت عليه الاية
وقيل سبب نزولها دخول مدلج علي عمر وسيأتي الثانية
اختلف العلما في المراد بقوله تعالى ليستاذنكم علي ستة اقوال
الاول

الاول انها منسوخه قاله ابن المسيب وابن جبير الثاني انها
ندب غير واجبه قاله ابو قلابه قال انما امر وا بهذا نظرا لهم
الثالث عني بها النسا قاله عبد الرحمن السلمي وقال ابن عمر هي
في الرجال دون النسا وهو القول الرابع الخامس كان ذلك واجبا
اذ كانوا لا غلق لهم ولا ابواب ولو عاد الحال لعاد الوجوب
حكاه المهدوي عن ابن عباس السادس انها محكمة واجبه
ثابته على الرجال والنسا وهو قول اكثر اهل العلم منهم القاسم
وجابر بن زيد والشعبي واضعفها قول السلمي لان الذين
لا يكون في كلام العرب انما يكون للنسا اللاتي او اللواتي وقول
ابن عمر يستحسنه اهل النظر لان الذين للرجال في كلام العرب
وان كان يجوز ان يدخل معهم النسا فانما يقع ذلك بدليل والكلام
على ظاهره غير ان في اسناده ليث بن ابي سليم واما قول
ابن عباس فروى ابو داود عن عبيد الله بن ابي يزيد
سمع ابن عباس يقول ايه لم يومن بها اكثر الناس ايه
الاستيذان واني لآمر جاريتي هذه تستاذن علي قال
ابو داود وكذلك رواه عطا عن ابن عباس يامر به
وروى عكرمة ان نفرا من اهل العراق قالوا يا ابن عباس
كيف ترى في هذه الايه التي امرنا فيها بما امرنا ولا
يعمل بها قول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم

الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل
صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة
العشا ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن
طوافون عليكم قال ابو داود قرا القعنبي الى عليم حكيم قال ابن
عباس ان الله حليم رحيم بالمومنين يحب الستر وكان الناس
ليس لابوابهم ستور ولا حجال فربما دخل الخادم او الولد
او يتيمه والرجل على اهله فامرهم الله بالاستيذان في تلك
العورات فجاهم الله بالستور والخير فلم ار احدا يعمل بذلك
قلت هذا متن حسن وهو يرد قول سعيد وابن جبير فانه
ليس فيه دليل على نسخ الاية ولكن على انها كانت على حال ثم
زالت فان كان مثل تلك الحال فحكمها قايم كما كان بل حكمها
اليوم ثابت في كثير من مساكن المسلمين في البوادي والصحاري
ونحوها وروى وكيع عن سفيان عن موسى بن ابي عايشة
عن الشعبي يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم قال
ليست بمنسوخة قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله
جل وعز المستعان الثالثة قال بعض اهل العلم ان الاستيذان
ثلثا ماخوذ من قوله يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين
ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات قال يزيد
ثلث دفعات قال فورد القران في المماليك والصبيان

وسنة

وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجميع قال ابن عبد البر
ما قاله من هذا وان كان له وجه فانه غير معروف عن العلما في
تفسير الاية التي نزع بها والذي عليه جمهورهم في قوله
ثلث مرات اي في ثلاث اوقات ويدل على صحة هذا القول
ذكره فيها من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة
ومن بعد صلاة العشا الرابعة ادب الله عز وجل عباده
في هذه الاية بان يكون العبيد اذ لا بال لهم والاطفال الذين لم
يبلغوا الحلم الا انهم عقلوا معاني الكشفة ونحوها يستاذنون
على اهليهم في هذه الاوقات الثلاثة وهي الاوقات التي تقتضي
عادة الناس الانكشاف فيها وملازمة التعري فيما قبل الفجر
وقت انتها النوم ووقت الخروج من ثياب النوم ولبس النهار
ووقت القايلة وقت التجرد وهي الظهيرة لان النهار يظهر
فيها اذا علا واشتد حره وبعد صلاة العشا وقت التعري
للنوم فالتكشف غالب في هذه الاوقات يروى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من الانصار يقال له مدلج
الى عمر بن الخطاب ظهيرة ليدعوه فوجده نايما وقد اغلق
عليه الباب فدق الغلام الباب فناداه ودخل فاستيقظ
عمر وجلس فانكشف منه شي فقال عمر وددت ان الله نهى
ابنانا ونسانا وخدمنا عن الدخول علينا هذه الساعات

الا باذن ثم انطلق الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فوجد هذه
الاية قد انزلت فخر ساجدا شكرا لله تعالي وهي مكية
الخامسة قوله تعالي والذين لم يبلغوا الحلم منكم اي الذين لم
يحتلموا من احراركم قاله مجاهد وذكر اسماعيل بن اسحق كان
يقول ليستاذنكم الذين لم يبلغوا الحلم مما ملكت ايمانكم
علي التقديم والتاخير وان الاية في الاماء وقرا الجمهور بضم اللام
وسكنها الحسن بن ابي الحسن لثقل الضمه وكان ابو عمرو يستحسنها
وثلث مرات نصب علي الظرف لانهم لم يومروا بالاستيذان
ثلثا انما امروا بالاستيذان في ثلثة مواطن والظرفية
في ثلث بينة من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم
من الظهيرة ومن بعد صلاة العشا وقد مضي معناه ولا يجب
ان يستاذن ثلاث مرات في كل وقت ثلاث عورات لكم
قرا جمهور السبعة ثلاث عورات برفع ثلاث وقرا حمزه
والكساي وابو بكر عن عاصم ثلاث بالنصب علي البدل من
الظرف في قوله ثلاث مرات قال ابو حاتم النصب ضعيف
مردود وقال الفرا الرفع احب الي قال وانما اخترت الرفع
لان المعني هذه الخصال ثلث عورات والرفع عند الكساي
بالابتدا والخبر عنده ما بعده ولم يقل بالعايد وقال نصا
بالابتداء قال والعورات الساعات التي تكون فيها العورة الا
انه قرا

انه قراءة بالنصب والنصب فيه قولان احدهما انه مردود على قوله
ثلث مرات ولهذا استبعده الفرا وقال الزجاج المعنى
ليستاذنكم اوقات ثلث عورات فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه وعورات جمع عورة وبابه في الصحيح ان يجي على
فعلات بفتح العين كجفنة وجفنات ونحو ذلك وسكنوا
العين في المعتل كبيضة وبيضات لان فتحه داع الى اعلاله
فلم يفتح لذلك فاما قول الشاعر ابو بيضات رائح او متعبد
عجلان ذا زاد وغير مزود السادسة قوله تعالى ليس عليكم
ولا عليهم جناح بعدهن اي في الدخول من غير ان يستاذنوا
وان كنتم متبذلين طوافون بمعنى هم طوافون قال الفرا كقولك
في الكلام انما هم خدمكم وطوافون عليكم واجاز الفرا نصب
طوافين لانه نكره والمضمر في عليكم معرفه ولا يجيز البصريون
ان يكون حالا من المضمرين اللذين في عليكم وفي بعضكم لاختلاف
العاملين ولا يجوز مررت بزيد ونزلت على عمرو العاقلين
على النعت لهما ومعنى طوافون عليكم اي يطوفون عليكم
ويطوفون عليهم ومنه الحديث في الهرة انما هي من الطوافين
عليكم او الطوافات فمنع في الثلاث العورات من دخولهم علينا
لان حقيقة العورة كل شي لا مانع دونه ومنه قوله تعالى ان
بيوتنا عورة اي سهله للمدخل فبين العلة الموجبة للاذن وهي

الخلوة في حال العورة فتعين امتثاله وتعذر نسخه ثم رفع الجناح
بقوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم
على بعض اي يطوف بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الايات الكاف
في موضع نصب اي يبين الله لكم اياته الداله على متعبداته بيانا
مثل ما بين لكم هذه الاشيا والله عليم حكيم تقدم السابعه
قوله تعالى ومن بعد صلاة العشا يريد العتمه وفي صحيح مسلم
عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا تغلبنكم الاعراب على اسم صلاتكم الا انها العشا وهم
يعتمون بالابل وفي رواية فانها في كتاب الله العشا فانها
تعتم بحلاب الابل وفي البخاري عن ابي برزة كان النبي صلى الله
عليه وسلم يوخر العشا وقال انس اخر النبي صلى الله عليه وسلم
العشا وهذا يدل على العشا الاولى وفي الصحيح فصلاها
يعني العصر بين العشا بن المغرب والعشا وفي الموطا وغيره
ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لاتوهما ولو حبوا وفي مسلم
عن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
الصلوات نحوا من صلاتكم وكان يوخر العتمه بعد صلاتكم شيئا
وكان يخف الصلاة قال القاضي ابو بكر بن العربي وهذه اخبار
متعارضه لا يعلم منها الاول من الاخر بالتاريخ ونهيه عليه
السلام عن تسمية المغرب عشا وعن تسميه العشا عتمه

ثلث

قلت فلا مرد له من اقوال الصحابه فضلا عمن عداهم وقد كان ابن
عمر يقول من قال صلاة العتمة فقد اثم وقال ابن القاسم قال مالك
ومن بعد صلاة العشا فالله سماها صلاة العشا فاحب النبي
صلى الله عليه وسلم ان يسمي بما سماها الله به ويعلمها الانسان
اهله وولده ولا يقول عتمة الا عند خطاب من لا يفهم وقد قال
حسان وكانت لا يزال بها انيس خلال مروجها نعم وشا
فدع هذا ولكن من لطيف يورقني اذا ذهب العشا وقد قيل
ان هذا النهي عن اتباع الاعراب في تسميتهم العشا عتمه انما كان
لئلا يعدل بها عما سماها الله تعالى في كتابه اذ قال ومن بعد صلاة
العشا فكانه نهي ارشاد الى ما هو الاولى وليس على جهة التحريم
ولا على ان تسميتها العتمة لا تجوز الا ترى انه قد ثبت ان النبي
صلى الله عليه وسلم قد اطلق عليها ذلك وقد اباح تسميتها
بذلك ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وقيل انما نهي عن ذلك تنزيها
لهذه العبادة الشريفة الدينية عن ان يطلق عليها ما هو
اسم لفعلة دنيوية وهي الحلبة التي كانوا يحلبونها في ذلك
الوقت ويسمونها العتمة ويشهد لها قوله فانها تعتم بحلاب
الابل الثامنة روى ابن ماجة في سننه حدثنا عثمان بن ابي
شيبة ثنا اسماعيل بن عياش عن عمارة بن غزية عن انس بن
مالك عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول

من صلى في جماعة اربعين ليلة لا تفوته الركعة الاولى من صلاة
العشا كتب الله له بها عتقا من النار وفي صحيح مسلم عن عثمان
بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشا في جماعة
فكانما قام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة فكانما قام الليل كله
وروى الدارقطني في سننه عن سبيع او تبيع عن كعب قال من
توضا فاحسن الوضو وصلى العشا الاخرة وصلى بعدها اربع
ركعات فاتم ركوعهن وسجودهن ويعلم ما يقترى فيهن كن له
بمنزلة ليلة القدر قوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم
الاية قرا الحسن الحلم حذف الضمة لثقلها والمعنى ان الاطفال
امروا بالاستيذان في الاوقات الثلاث المذكوره وابيح لهم الامر
في غير ذلك كما ذكرنا ثم امر تعالى في هذه الاية ان يكونوا اذا
بلغوا الحلم على حكم الرجال في الاستيذان في كل وقت وهذا
بيان من الله جل وعز لاحكامه وايضاح حلاله وحرامه وقال
فليستاذنوا ولم يقل فليستاذنكم وقال في الاول ليستاذنكم
لان الاطفال غير مخاطبين ولا متعبدين وقال ابن جريج قلت
لعطا واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا قال واجب على
الناس ان يستاذنوا اذا احتلموا احرارا كانوا او عبيدا
وقال ابو اسحق الفزاري قلت للاوزاعي ما حد الطفل الذي
يستاذن قال اربع سنين قال لا يدخل على امراة حتى يستاذن
وقال الزهري

فصل صلوة الجماعة

الاية

بلغ

وقال الزهري اي يستاذن الرجل علي امه وفي هذا المعني نزلت
هذه الاية قوله تعالي والقواعد من النسا اللاتي لا
يرجون نكاحا الي قوله سميع عليم فيه خمس مسايل الاولي
قوله تعالي والقواعد من النسا واحدتها قاعد بلا هاء
ليدل حذفها علي انه قعود الكبر كما قالوا امراة حامل ليدل
بحذف الهاء انه حمل حبل قال الشاعر

فلو ان ما في بطنه بين نسوة حبلن وان كن القواعد عقرا

وقالوا في غير ذلك قاعدة في بيتها وحاملة علي ظهرها
بالهاء والقواعد ايضا اساس البيت واحده قاعده بالهاء
الثانية القواعد العجز اللواتي قعدن عن التصرف من
السن وقعدن عن الولد والمحيض هذا قول اكثر العلما قال
ربيعه هي التي اذا رايتها تستقذرها من الكبر وقال ابو
عبيدة اللاتي قعدن عن الولد وليس ذلك بمستقيم لان المراة
تقعد عن الولد وفيها مستمتع قاله المهدوي الثالثه قوله
تعالي فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات
بزينة انما خص القواعد بذلك لانصراف الانفس عنهن اذ
لا مذهب للرجال فيهن فابيح لهن ما لم يبح لغيرهن وازيل
عنهن كلفة التحفظ المتعب لهن الرابعه قرا ابن مسعود
وابي وابن عباس ان يضعن من ثيابهن بزيادة من قال

كبرها

ابن عباس وهو الجلباب وروي عن ابن مسعود ايضا من
جلابيبهن والعرب تقول امراه واضع للتي كبرت فوضعت
خمارها وقال قوم الكبيره التي ايست من النكاح لو بدا
شعرها فلا باس فعلي هذا يجوز لها وضع الخمار والصحيح
انها كالشابة في التستر الا ان الكبيره تضع الجلباب
الذي يكون فوق الدرع والخمار قاله ابن مسعود وابن
جبير وغيرهما الخامسة قوله تعالي غير متبرجات
بزينة اي غير مظهرات ولا متعرضات بالتزين لينظر
اليهن فان ذلك من اقبح الاشيا وابعده عن الحق والتبرج
التكشف والظهور للعيون ومنه بروج مشيده وبروج
السما والاسوار اي لا حايل دونها يسترها وقيل
لعايشة رضي الله عنها يا ام المومنين ما تقولين في الخضاب
والصباغ والتمايم والقرطين والخلخال وخاتم الذهب
ورقاق الثياب فقالت يا معشر النسا قصتكن
قصة امراه واحده احل الله لكن الزينة غير متبرجات
لمن لا يحل لكن ان يروا منكن محرما وقال عطا هذا في
بيوتهن فاذا خرجت فلا يجوز لها وضع الجلباب وعلي
هذا غير متبرجات غير خارجات من بيوتهن وعلي هذا
يلزم ان يقال اذا كانت في بيتها فلا بد لها من جلباب
فوق

فوق الذرع وهذا بعيد الا اذا دخل عليها اجنبي ثم ذكر تعالى
ان تحفظ الجميع منهن واستعففا فهن عن وضع الثياب والتزامهن
ما يلزم الشباب افضل لهن وخير وقرا ابن مسعود وان
يعففن بغير سين ثم قيل من التبرج ان تلبس المراة ثوبين
رقيقين يصفانها روي الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم صنفان من اهل النار لم ارهما قوم معهم
سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس ونسا كاسيات عاريات
مميلات مايلات روسهن كاسنمة البخت المايلة لا يدخلن
الجنه ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا
قال ابن العربي انما جعلهن كاسيات لان الثياب عليهن وانما
وصفهن بانهن عاريات لان الثوب اذا رق يصفهن ويبدين محاسنهن
وذلك حرام قلت هذا احد التاويلين للعلما في هذا المعنى
والثاني انهن كاسيات من الثياب عاريات من لباس التقوى
الذي قال الله تعالى فيه ولباس التقوى ذلك خير وانشدوا
اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى تقلب عريانا وان كان كاسيا
وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيا
وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينا انا نايم رايت الناس يعرضون علي
وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك ومر

عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا ماذا اولت ذلك يا رسول
الله قال الدين قمنا وبليه صلى الله عليه وسلم القميص بالدين ماخوذ
من قوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير والعرب تكني عن
الفضل والعفاف بالثياب كما قال شاعرهم ؛ ثياب بني عوف
طهارى نقية ؛؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم لعثمان ان الله سيلبسك
قميصا فان ارادوك ان تخلعه فلا تخلعه فعبر عن الخلافه
بالقميص وهي استعارة حسنه معروفة قلت هذا التاويل
اصح التاويلين وهو اللايق بهن في هذه الازمان وخاصة
الشباب فانهن يتزين ويخرجن متبرجات فهن كاسيات بالثياب
عارية من التقوى حقيقة ظاهرا وباطنا حيث تبدي
زينتها ولا تبالي بمن نظر اليها بل ذلك مقصودهن وذلك
مشاهد في الوجود منهن فلو كان عندهن شي من التقوى
لما فعلن ذلك ولم يعلم احد ما هنالك ومما يقوي هذا التاويل
ما ذكر من وصفهن في بقية الحديث في قوله روسهن كاسنمة
البخت والبخت ضرب من الابل عظام الاجسام عظام
الاسنمه شبه روسهن بها لما رفعن من ظفاير شعورهن
على اوساط روسهن وهذا مشاهد معلوم والناظر اليهن
ملوم قال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة اضر
على الرجال من النساء خرجه البخاري قوله تعالى ليس على

الاعمى

مسألة

الاعمى حرج الى قوله تعقلون فيه احدى عشره مسلة

الاولى قوله تعالى ليس على الاعمى حرج اختلف العلما في تاويل
هذه الاية على اقوال ثمانية اقربها هل هي منسوخه او ناسخه
او محكمه فهذه ثلثة اقوال الاول انها منسوخه من قوله تعالى
ولا على انفسكم الى اخر الاية قاله عبد الرحمن بن زيد قال
هذا شي قد انقطع كانوا في اول الاسلام ليس على
ابوابهم اغلاق فكانت الستور مرخاة فربما جاء
الرجل فدخل البيت وهو جايع وليس فيه احد فسوغ
الله عز وجل ان ياكل منه ثم صارت الاغلاق على البيوت
فلا يحل لاحد ان يفتحها فذهب هذا وانقطع قال صلى الله
عليه وسلم لا يحتلبن احد ماشية احد الا باذنه الحديث
خرجه الايمة الثاني انها ناسخة قاله جماعه روى
علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال لما انزل الله عز وجل يا ايها
الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل قال المسلمون
ان الله عز وجل قد نهانا ان ناكل اموالنا بيننا بالباطل
وان الطعام من افضل الاموال فلا يحل لاحد منا ان ياكل
عند احد فكف الناس عن ذلك فانزل الله عز وجل ليس على
الاعمى حرج الى او ما ملكتم مفاتحه قال هو الرجل يوكل
الرجل بضيعته قلت علي بن ابي طلحة هذا هو مولى بني هاشم

سكن الشام يكني ابا الحسن ويقال ابا محمد واسم ابيه ابي طلحة
سالم تكلم في تفسيره فقيل انه لم ير ابن عباس والله اعلم
الثالث انها محكمة قاله جماعة من اهل العلم ممن يقتدي
بقولهم منهم سعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله
بن عتبه بن مسعود روى الزهري عن عروة عن عايشة
قالت كان المسلمون يوعبون في النفير مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكانوا يدفعون مفاتحهم الى ضماهم
ويقولون ان احتجتم فكلوا فكانوا يقولون انما احلوه
لنا عن غير طيب نفس فانزل الله عز وجل ليس عليكم جناح
ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت اباكم الى اخر الاية قال النحاس
يوعبون اي يخرجون باجمعهم في المغازي يقال اوعب
بنو فلان لبني فلان اذا جاوهم باجمعهم وقال ابن
السكيت اوعب بنو فلان رحلا فلم يبق ببلدهم منهم
احد وجا الفرس بركض وعيب اي باقصى ما عنده
وفي الحديث وفي الانف اذا استوعب جدعه الدية
اذا لم يترك منه شي واستيعاب الشي استيصاله ويقال
بيت وعيب اذا كان واسعا يستوعب كل ما جعل فيه
والضمنا هم الزمني واحدهم ضمن مثل زمن قال النحاس
وهذا القول من اجل ما روي في الاية لما فيه عن الصحابة
والتابعين

والتابعين من التوقيف لان الاية نزلت في شي بعينه قال
ابن العربي وهذا كلام منتظم لاجل تخلفهم عنهم في الجهاد
وبقاء اموالهم بايديهم لكن قوله او ما ملكتم مفاتحه
قد اقتضاه فكان هذا القول بعيدا جدا لكن المختار
ان يقال ان الله رفع الحرج عن الاعمى فيما يتعلق بالتكليف
الذي يشترط فيه البصر وعن الاعرج فيما يشترط
في التكليف به من المشي وما يتعذر من الافعال مع
وجود العرج وعن المريض فيما يوثر المرض من اسقاطه
كالصوم وشروط الصلاة واركانها والجهاد ونحو
ذلك ثم قال بعد ذلك مبينا وليس عليكم حرج في
ان تاكلوا من بيوتكم فهذا معنى صحيح وتفسير مبين
مفيد يعضده الشرع والعقل ولا يحتاج في تفسير
الاية الى نقل قلت والى هذا اشار ابن عطية فقال
فظاهر الاية وامر الشريعة يدل ان الحرج عنهم مرفوع
في كل ما يضطرهم اليه العذر وتقتضي نيتهم فيه الاتيان
بالاكمل ويقتضي العذر ان يقع منهم الانقص فالحرج مرفوع
عنهم في هذا فاما ما قال الناس في هذا الحرج هنا وهي
الثانية فقال ابن زيد هو الحرج في الغزو اي لا حرج
عليهم في تاخرهم وقوله ولا على انفسكم الاية معنى

مقطوع من الاول وقالت فرقة الاية كلها في معنى المطاعم
قالت وكانت العرب ومن بالمدينة قبل المبعث تتجنب الاكل
مع اهل الاعذار فبعضهم كان يفعل ذلك تقذرا لجولان اليد
من الاعمى ولانبساط الجلسة من الاعرج ولرائحة المريض
وعلاته وهي اخلاق جاهلية وكبر فنزلت الاية مؤدبة
وبعضهم كان يفعل ذلك تحرجا من غبن اهل الاعذار اذهم
مقصرون عن درجة الاصحاء في الاكل لعدم الرؤية في الاعمى
وللعجز عن المزاحمة في الاعرج ولضعف المريض فنزلت الاية
في اباحة الاكل معهم وقال ابن عباس في كتاب الزهراوي ان
اهل الاعذار تحرجوا في الاكل مع الناس من اجل عذرهم فنزلت
الاية مبيحة لهم وقيل كان الرجل اذا ساق اهل العذر الى بيته
فلم تجد فيه شيا ذهب به الى بيوت قرابته فتحرج اهل
الاعذار من ذلك فنزلت الاية الثالثة قوله تعالى ولا
على انفسكم هذا ابتدا كلام اي ولا عليكم ايها الناس ولكن لما
اجتمع المخاطب وغير المخاطب غلب المخاطب لينتظم الكلام
وذكر بيوت القرابات وسقط منها بيوت الابنا فقال المفسرون
ذلك لانها داخلة في قوله في بيوتكم لان بيت ابن الرجل بيته
وفي الخبر انت ومالك لابيك ولانه ذكر الاقربا بعد ولم
يذكر الاولاد قال النحاس وعارض بعضهم هذا القول فقال
هذا

هذا الحكم على كتاب الله بل الاول في الظاهر ان لا يكون الابن
مخالفا لهولاء وليس الاحتجاج بما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انت ومالك لابيك يقوي لوها هذا الحديث
وانه لو صح لم تكن فيه حجه اذ قد يكون النبي صلى الله عليه
وسلم علم ان مال ذلك المخاطب لابيه وقد قيل ان معنى انت
لابيك ومالك مبتدا اي ومالك لك والقاطع لهذا التوارث بين
الاب والابن وقال الترمذي الحكيم ووجه قوله تعالى ولا
على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم كانه يقول مساكنكم التي فيها
اهاليكم واولادكم فيكون للاهل والولد هناك شي قد افادهم
هذا الرجل الذي له المسكن فليس عليه حرج ان ياكل معهم
من ذلك القوت او يكون للزوجة والولد هناك شي من ملكهم
فليس عليه في ذلك حرج الرابعة قوله تعالى او بيوت ابايكم
الى او بيوت خالاتكم قال بعض العلما هذا اذا اذنوا له في ذلك
وقال اخرون اذنوا له او لم ياذنوا فله ان ياكل لان القرابة التي
بينهم هي اذن منهم وذلك لان في تلك القرابة عطفا تسمح النفوس القلوب
منهم بذلك العطف ان ياكل هذا من شيهم ويسروا بذلك اذا
علموا ابن العربي اباح لنا الاكل من جهة النسب من غير
استيذان اذا كان الطعام مبذولا فان كان محوزا دونهم
لم يكن لهم اخذه ولا يجوز ان يجاوزوا الى الادخار ولا الى

ما ليس بمأكول وان كان غير محوز عنهم الا باذن منهم
الخامسة قوله تعالى او ما ملكتم مفاتحه يعني بها
اختزنتم وصار في قبضتكم وعظم ذلك ما ملكه الرجل في بيته
وتحت غلقه وذلك هو تاويل الضحاك ومجاهد وعند جمهور
المفسرين يدخل في الاية الوكلا والعبيد والاجرا قال ابن
عباس عني وكيل الرجل على ضيعته وخازنه على ماله فيجوز
له ان ياكل مما هو قيم عليه وذكر معمر عن قتادة عن عكرمة
قال اذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا باس ان يطعم الشي
اليسير ابن العربي للخازن ان ياكل مما يخزن اجماعا وهذا اذا لم
يكن له اجره فاما ان كانت له اجره على الخزن حرم الاكل
وقرا سعيد بن جبير ملكتم بضم الميم وكسر اللام وشدها
وقرا ايضا مفاتيحه بيا بين التا والحا جمع مفتاح وقد مضى
في الانعام وقرا قتادة مفتاحه على الافراد وقال ابن عباس
نزلت هذه الاية في الحرث بن عمرو خرج مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم غازيا وخلف مالك بن زيد على اهله فلما رجع
وجده مجهودا فساله عن حاله فقال تحرجت ان اكل من
طعامك بغير اذنك فانزل الله هذه الاية السادسة
قوله تعالى او صديقكم الصديق بمعنى الجمع وكذلك العدو
قال الله تعالى فانهم عدو لي وقال جرير

دعون الهوى

دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا باسهم اعداء وهن صديق
والصديق من يصدقك في مودته وتصدقه في مودتك ثم
قيل ان هذا منسوخ بقوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا
ان يوذن لكم وقوله تعالى فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها
الاية وقوله عليه السلام لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيبة
نفس منه وقد قيل هي محكمة وهو اصح ذكر محمد بن ثور
عن معمر قال دخلت بيت قتادة فابصرت فيه رطبا
فجعلت اكله فقال ما هذا فقلت ابصرت رطبا في بيتك
فاكلت قال احسنت قال الله او صديقكم وذكر عبد
الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله او صديقكم قال اذا
دخلت بيت صديقك من غير مؤامرته لم يكن بذلك
باسا وقال معمر قلت لقتادة الا اشرب من هذا
الحب قال انت لي صديق فما هذا الاستيذان وكان
صلى الله عليه وسلم يدخل حايط ابي طلحه المسمى بيرحا
ويشرب من ماء فيها طيب بغير اذنه على ما قاله علماونا
قالوا والما يتملك لاهله واذا جاز الشرب من ماء
الصديق بغير اذنه جاز الاكل من ثماره وثماره اذا
علم نفس صاحبه تطيب به لتفاهته ويسير مؤنته
او لما بينهما من المودة ومن هذا المعنى اطعام ام حزام له

صلى الله عليه وسلم اذ نام عندها الا ان لا اغلب اذ ما في البيت
من الطعام هو للرجل وان يد زوجته في ذلك عارية وهذا
كله ما لم يتخذ الاكل خبنة ولم يقصد بذلك وقاية ماله
وكان ما فيها يسيرا **السابعة** قرن الله عز وجل في هذه
الاية الصديق بالقرابة المحضة المؤكدة لان قرب المودة
لصيق قال ابن عباس في كتاب النقاش الصديق اوكد من القرابة
الا ترى استغاثة الجهنميين فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم قلت ولهذا لا تجوز عندنا شهادة الصديق لصديقه
كما لا تجوز شهادة القريب لقريبه وقد مضى بيان هذا
والعلة فيه في النسا وفي المثل ايهم احب اليك اخوك او صديقك
قال اخي اذا كان صديقي **الثامنة** قوله تعالى ليس عليكم
جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا قيل انها نزلت في بني
ليث بن بكر وهم حي من بني كنانة كان الرجل منهم لا ياكل
وحده ويمكث اياما جائعا حتى يجد من يواكله ومنه قول
بعض الشعراء اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له اكيلا فاني لست اكله وحدي
قال ابن عطية وكانت هذه السيرة موروثة عندهم عن ابراهيم
صلى الله عليه وسلم فانه كان لا ياكل وحده وكان بعض العرب
اذا كان له ضيف لا ياكل الا ان ياكل مع ضيفه فنزلت الاية
مبينة سنة الاكل ومذهبة كل ما خالفها من سيرة العرب
ومبيحة

وسبحة من اكل المنفرد ما كان عند العرب محرما يخبث به نحو لؤم الخلق
فافرطت في الزامد وان احضار الاكيل لحسن ولكن بان لا يحرم الانفراد
التاسعة قوله تعالى او اشتاتا جميعا نصب على الحال واشتاتا
جمع شتت والشت المصدر بمعنى التفرق يقال شت القوم اذا
تفرقوا وقد ترجم البخاري في صحيحه باب ليس على الاعمى حرج
ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج الاية والنهد والاجتماع
ومقصوده فيما قاله علماونا في هذا الباب اباحة الاكل جميعا
وان اختلفت احوالهم في الاكل فقد سوغ النبي صلى الله عليه
وسلم ذلك فصارت ذلك سنة في الجماعات التي تدعى الى الطعام
في النهد والولايم وفي الاملاق في السفر وما ملكت مفاتحه
بامانة او قرابة او صداقة فلك ان تاكل مع القريب او الصديق
ووحدك والنهد ما يجمعه الرفقا من مال او طعام على قدر
في النفقة ينفقونه بينهم وقد تناهدوا عن صاحب العين
وقال ابن دريد يقال من ذلك تناهد القوم الشي بينهم الهروي
وفي حديث الحسن اخرجوا نهدكم فانه اعظم للبركة واحسن
لاخلاقكم النهد ما تخرجه الرفقة عند المناهده وهو
استقسام النفقة بالسوية في السفر وغيره والعرب
تقول هات نهدك بكسر النون قال المهلب وطعام
النهد لم يوضع للاكلين على انهم ياكلون بالسوا وانما

يأكل كل واحد على قدر نهمته وقد يأكل الرجل أكثر من غيره
وقد قيل ان تركها أشبه بالورع وان كانت الرفقة تجتمع كل
يوم على طعام احدهم فهو احسن من النهد لانهم لا يتنهدون
الا ليصيب كل واحد منهم من ماله ثم لا يدري لعل احدهم يقصر
عن ماله ويأكل غيره أكثر من ماله واذا كانوا يوما عند هذا
ويوما عند هذا بلا شرط فانما يكونون اضيافا والضيف يأكل
بطيب نفس مما يقدم اليه وقال أيوب السختياني انما كان النهد
ان القوم كانوا يكونون في السفر فيسبق بعضهم الى المنزل فيذبح
ويهيئ الطعام ثم يأتيهم ثم يسبق ايضا الى المنزل فيفعل مثل ذلك
فقالوا ان هذا الذي تصنع كلنا نحب ان نصنع مثله فقالوا
نجعل بيننا شيئا لا يتفضل بعضنا على بعض فوضعوا النهد
بينهم وكان الصلحاء اذا تناهدوا تحرى افضلهم ان يزيد على
ما يخرجه اصحابه وان لم يرضوا بذلك منه اذا علموه فعله سرا
دونهم العاشرة قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا الآية اختلف
المتأولون في اي البيوت اراد فقال ابراهيم النخعي والحسن اراد
المساجد والمعنى سلموا على من فيها من ضيفكم فان لم يكن في المساجد
ان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وذكر عبد الرزاق
انا معمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس في قوله تعالى فاذا
دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم الآية قال اذا دخلت المسجد
فقل

فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقيل المراد بالبيوت البيوت المسكونة
اي فسلموا على انفسكم قاله جابر بن عبد الله وابن عباس ايضا وعطا بن
ابي رباح قالوا ويدخل في ذلك البيوت غير المسكونة ويسلم المرء
فيها على نفسه بان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قال
ابن العربي القول بالعموم في البيوت هو الصحيح ولا دليل على
التخصيص واطلق القول ليدخل تحت هذا العموم كل بيت كان
للغير او لنفسه فاذا دخل بيتا لغيره استاذن كما تقدم فاذا دخل
بيتا لنفسه سلم كما ورد في الخبر يقول السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين قاله ابن عمر وهذا اذا كان فارغا فان كان فيه اهله
وخدمه فليقل السلام عليكم وان كان مسجدا فليقل السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين وعليه حمل ابن عمر البيت الفارغ قال ابن العربي
الذي اختاره اذا كان البيت فارغا لا يلزم السلام فانه ان كان
المقصود الملايكة فالملايكة لا تفارق العبد بحال اما انه اذا
دخلت بيتك يستحب لك ذكر الله بان تقول ما شا الله لا قوة الا
بالله وقد تقدم في الكهف وقال القشيري في قوله اذا دخلتم بيوتا
فلا وجه ان يقال ان هذا عام في دخول كل بيت فان كان فيه ساكن
مسلم يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وان لم يكن فيه ساكن
يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وان كان في البيت من
ليس بمسلم قال السلام على من اتبع الهدى او السلام علينا وعلى

عباد الله الصالحين وذكر ابن خواز منداد قال كتب لي ابو العباس
الاصم قال نا محمد بن عبد الله الحكم قال نا ابن وهب قال انا جعفر بن
ميسرة عن زيد بن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
دخلتم بيوتا فسلموا على اهلها واذكروا اسم الله فان احدكم اذا سلم
حين يدخل بيته وذكر اسم الله تعالى على طعامه يقول الشيطان
لاصحابه لا مبيت لكم ها هنا ولا عشا واذا لم يسلم احدكم اذا دخل
ولم يذكر اسم الله على طعامه قال الشيطان لاصحابه ادركتم المبيت
والعشا قلت هذا الحديث ثبت معناه مرفوعا من حديث جابر
خرجه مسلم وفي كتاب ابي داود عن ابي مالك الاشجعي قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا ولج الرجل بيته فليقل اللهم اني اسلك
خير الولوج وخير المخرج بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى
الله ربنا توكلنا ثم ليسلم على اهله الحادية عشرة قوله تعالى
تحية مصدر لان قوله تسلموا معناه تحيوا ووصفها بالبركة لان
فيها الدعا واستجلاب مودة المسلم عليه ووصفها ايضا بالطيب لان
سامعها يستطيبها والكاف من قوله كذلك كاف تشبيه وذلك
اشارة الى هذه السنن اي كما بين لكم سنة دينكم في هذه الاشيا
يبين لكم ساير ما بكم حاجة اليه في دينكم قوله تعالى
انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه
على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه فيه مسلتان الاولى

قوله تعالى

قوله تعالى إنما المومنون انما في هذه الاية للحصر المعنى لا يتم
ولا يكمل ايمان من آمن بالله ورسوله الا بان يكون من الرسول سامعا
غير معنت في ان يكون الرسول يريد اكمال امر فيريد هو فساده بزواله
في وقت الجمع ونحو ذلك وبين تعالى في اول السورة انه انزل ايات
بينات وانما النزول على محمد صلى الله عليه وسلم فختم السورة بتاكيد
الامر في متابعته عليه السلام ليعلم ان اوامره كاوامر القران واختلف
في الامر الجامع ما هو فقيل المراد به ما للامام حاجة الى جمع الناس فيه
باراعة مصلحة من اقامة سنة في الدين او لترهيب عدو باجتماعهم
وللحروب قال الله تعالى وشاورهم في الامر فاذا كان امر يشملهم
نفعه وضره جمعهم للتشاور في ذلك والامام الذي يترقب
اذنه هو امام الامرة فلا يذهب احد لعذر الا باذنه فاذا
ذهب باذنه ارتفع عنه الظن السيء وقال مكحول والزهري
الجمعة من الامر الجامع وامام الصلاة ينبغي ان يستاذنه اذا قدمه
امام الامرة اذا كان يرى المستاذن قال ابن سيرين كانوا
يستاذنون الامام على المنبر فلما كثر ذلك قال زياد من جعل
يده على فيه فليخرج دون اذن وقد كان هذا بالمدينة حتى
ان سهيل بن ابي صالح رعف يوم الجمعة فاستاذن الامام
وظاهر الاية يقتضي ان يستاذن امير الامرة الذي هو
في مقعد النبوة فانه ربما كان له راي في جنس ذلك الرجل

لامر من امور الدين واما امام الصلاة فقط ذلك اليه لانه وكيل
على جزء من اجزاء الدين الذي هو في مقعد النبوة وروي ان هذه
الاية نزلت في حفر الخندق حين جاءت قريش وقايدها ابو
سفيان وغطفان وقايدها عيينة بن حصن فضرب النبي صلى
الله عليه وسلم الخندق على المدينة وذلك في شوال سنة خمس
من الهجرة فكان المنافقون يتسللون لواذا من العمل ويعتذرون
باعذار كاذبة ونحوه روى اشهب وابن عبد الحكم عن مالك
وكذلك قال محمد بن اسحق وقال مقاتل نزلت في عمر رضي الله

مطلب

عنه استاذن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك في
الرجعة فاذن له وقال انطلق فوالله ما انت بمنافق يريد
بذلك ان يسمع المنافقين وقال ابن عباس انما استاذن عمر
في العمرة فقال عليه السلام لما اذن له يا ابا حفص لا تنسنا
في صالح دعائك قلت والصحيح الاول لتناوله جميع الاقوال
واختار ابن العربي ما ذكره في نزول الاية عن مالك وابن اسحق
وان ذلك مخصوص في الحرب قال والذي يبين ذلك امران
احدهما قوله في الاية الاخرى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا
وذلك ان المنافقين كانوا يتلوذون ويخرجون عن الجماعة
ويتركون رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله جميعهم
بان لا يخرج احد منهم حتى ياذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبذلك

24

ولذلك بين ايمانه الثاني قوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه
واي اذن في المحدث والامام يخطب وليس للامام خيار
في منعه ولا في ابقايه وقد قال فاذن لمن شيت منهم فتبين بذلك
انه مخصوص في الحرب قلت القول بالعموم اولى وارفع واحسن
واعلى فاذن لمن شيت منهم فكان النبي صلى الله عليه وسلم بالخيار
ان شا ان ياذن وان شا منع وقال قتادة قوله فاذن لمن شيت
منهم منسوخة بقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم واستغفر
لهم الله اي لخروجهم عن الجماعة ان علمت لهم عذرا ان الله غفور
رحيم قوله تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم
بعضا يريد يصيح من بعيد يا ابا القاسم بل عظموه كما قال في
الحجرات ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية وقال
سعيد بن جبير ومجاهد المعنى قولوا يا رسول الله في رفق
ولين ولا تقولوا يا محمد بتجهم وقال قتادة ان يشرفوه ويفخموه
ابن عباس لا تتعرضوا لدعاء الرسول عليكم باسخاطه فان
دعوته موجبة قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا
التسلل والانسلال الخروج واللواذ من الملاوذة وهي ان
تستتر بشي مخافة من يراك فكان المنافقون يتسللون عن
صلاة الجمعة لواذا مصدر في معنى الحال اي متلاوذين اي يلوذ
بعضهم ببعض ينضم اليه استتارا من رسول الله صلى الله عليه وسلم

الجملة تعليل للمعفوة
الموعودة في ضمن
الامر بالاستغفار لهم
ابو السعود

لانه لم يكن علي المنافقين اثقل من يوم الجمعة وحضور الخطبة
حكاه النقاش وقد مضى القول فيه وقيل كانوا يتسللون في الجهاد
رجوعا عنه يلوذ بعضهم ببعض وقال الحسن لواذا فرارا من الجهاد
ومنه قول حسان وقريش تجول منكم لواذا لم تحافظ وخف منها الحلوم
وصحت واوها لتحركها في لاوذ يقال لاوذ يلاوذ ملاوذة ولواذا
ولاذ يلوذ لياذا انقلبت الواو يا لانكسار ما قبلها اتباعا للاذ
في الاعتلال فاذا كان مصدر فاعل لا يجوز ان يعل قوله تعالى
فليحذر الذين يخالفون عن امره بهذه الاية احتج الفقها على ان
الامر على الوجوب ووجهها ان الله تبارك وتعالى قد حذر من
مخالفة امره وتوعد بالعقاب عليها بقوله ان تصيبهم فتنة او يصيبهم
عذاب اليم فيحرم مخالفته فيجب امتثال امره والفتنة هنا
القتل قاله ابن عباس عطا الزلازل والاهوال جعفر بن محمد
سلطان جاير يسلط عليهم وقيل الطبع على القلوب بشوم مخالفة
الرسول والضمير في امره قيل هو عايد الى امر الله قاله يحيي
بن سلام وقيل الى امر رسوله عليه السلام قاله قتاده ومعنى
يخالفون عن امره اي يعرضون عنه وقال ابو عبيدة والاخفش
عن في هذا الموضع زايده وقال الخليل وسيبويه ليست بزايده
والمعنى يخالفون بعد امره كما قال لم تنتطق عن تفضل ومنه
قوله تعالى ففسق عن امر ربه اي بعد امر ربه وان في موضع
نصب

نصب بتحذر ولا يجوز عند اكثر النحويين حذر زيدا وهو في ان جايز لان
حروف الخفض تحذف معها قوله تعالى الا ان لله ما في السموات والارض خلقا
وملكا قد يعلم ما انتم عليه فهو يجازيكم به ويعلم هنا بمعنى علم ويوم يرجعون
اليه بعد ما كان في خطاب رجع في خبر وهذا يقال له خطاب التلوين
فينبئهم بما عملوا اي يخبرهم باعمالهم ويجازيهم بها والله بكل شي عليم من اعمالهم
واحوالهم ٥ ختمت السورة مما تضمنت من التفسير والحمد لله على التيسير

سورة الفرقان مكية كلها في قول الجمهور وقال ابن عباس وقتادة
الا ثلث ايات منها نزلت بالمدينة وهي والذين لا يدعون مع الله الها اخر الى قوله
وكان الله غفورا رحيما وقال الضحاك هي مدنية وفيها ايات مكية قوله
والذين لا يدعون مع الله الها اخر الايات ومقصود هذه السورة ذكر
موضع عظيم القران وذكر مطاعن الكفار في النبوة والرد على
مقالاتهم فمن جملتها قولهم ان القران افتراه محمد عليه السلام وانه
ليس من عند الله بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى تبارك
الذي نزل الفرقان على عبده الاية تبارك اختلف في معناه
فقال الفراء هي في العربية وتقدس واحد وهما للعظمة وقال الزجاج
تبارك تفاعل من البركة قال ومعنى البركة الكثرة من كل ذي خير وقيل
تبارك تعالى وقيل تعالى عطاؤه اي زاد وكثر وقيل المعنى دام وثبت
انعامه قال النحاس وهذا اولاها في اللغة والاشتقاق من
برك الشي اذا ثبت ومنه برك الجمل والطير على الماء اي دام وثبت

عن مجاهد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا رجالكم سورة المائدة وعلموا نساءكم سورة النور تفسير وجيز

مطلب في سورة الفرقان

فاما القول الاول فمحط لان التقديس انما هو من الطهارة وليس من
ذا في شي قال الثعلبي ويقال تبارك الله ولا يقال له متبارك ولا مبارك لانه
ينتهي في اسمايه وصفاته الى حيث ورد التوقيف وقال الطرماح
تباركت لا معطي لشي منعته وليس لما اعطيت يا رب مانع وقال اخر
تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر قلت قد ذكر بعض العلما في اسمايه
الحسنى المبارك وذكرناه ايضا في كتابنا فان كان وقع اتفاق على انه لا يقال
فيسلم للاجماع وان كان وقع فيه اختلاف فكثير من الاسما اختلف في
عده كالدهر وغيره وقد نبهنا على ذلك هنالك والحمد لله والفرقان
القران وقيل انه اسم لكل منزل كما قال ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان
وفي تسميته فرقانا وجهان احدهما لانه فرق بين الحق والباطل والمومن
والكافر الثاني لان فيه بيان ما شرع من حلال وحرام حكاه النقاش على
عبده يريد محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين نذيرا اسم يكون فيه
مضمر يعود على عبده لانه اولى لانه اقرب اليه ويجوز ان يكون يعود
على الفرقان وقرا عبد الله بن الزبير على عباده ويقال انذر اذا خوف وقد
تقدم في اول البقرة والنذير المحذر من الهلاك الجوهري والنذير المنذر
والنذير الانذار والمراد بالعالمين هنا الانس والجن لان النبي صلى الله عليه
وسلم قد كان رسولا اليهما ونذيرا لهما وانه خاتم الانبيا ولم يكن غيره
عام الرسالة الا نوح عليه السلام فانه عم برسالته جميع الانس بعد
الطوفان لانه بدا به الخلق قوله تعالى الذي له ملك السموات والارض

عظم

عظم تعالى نفسه ولم يتخذ ولدا نزه سبحانه نفسه عما قاله المشركون
من ان الملايكة اولاد الله تعالى يعني بنات الله سبحانه وتعالى وعما
قالت اليهود عزير ابن الله جل الله وعما قالت النصارى المسيح بن الله
تعالى الله عن ذلك ولم يكن له شريك في الملك كما قال عبدة الاوثان
وخلق كل شي لا كما قال المجوس والثنوية ان الشيطان او الظلمة يخلق
بعض الاشيا ولا كما يقول من قال للمخلوق قدرة الايجاد فالاية
رد عليها ولا فقدره تقديرا اي قدر كل شي مما خلق بحكمته
على ما اراد لا عن شهوة وغفلة بل جرت المقادير على ما خلق الله
الى يوم القيامة وبعد القيامة فهو الخالق المقدر فاياه فاعبدوا
قوله تعالى واتخذوا من دونه الهة ذكر ما صنع المشركون على
جهة التعجيب في اتخاذهم الالهة مع ما اظهر من الدلالة على
وحدانيته وقدرته لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لما اعتقد الكفار
فيها انها تضر وتنفع عبر عنها كما يعبر عما يعقل ولا يملكون لانفسهم
ضرا ولا نفعا اي لا دفع ضر وجلب نفع فحذف المضاف وقيل لا
يقدرون ان يضروا انفسهم او ينفعوها بشي ولا لمن يعبدهم لانها
جمادات ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا اي لا يميتون احدا
ولا يحيونه والنشور الاحيا بعد الموت ونشر الله الموتى فنشروا
وقال الاعشى حتى يقول الناس مما راوا يا عجبا للميت الناشر قوله
تعالى وقال الذين كفروا يعني مشركي قريش وقال ابن عباس القايل
منهم ذلك النضر بن الحارث وكذا كلما كان في القران فيه ذكر الاساطير

يعني الالهة

قال محمد بن اسحق وكان موذيا للنبي صلى الله عليه وسلم ان هذا يعني القران الا
افك افتراه اي كذب اختلقه واعانه عليه قوم اخرون يعني اليهود قاله مجاهد
وقال ابن عباس المراد بقوله قوم اخرون ابو فكيهة مولى الحضرمي وعداس
وجبر وكان هاولاء الثلثة من اهل الكتاب وقد مضى في النحل ذكرهم فقد
جاوا ظلما اي بظلمهم وقيل المعنى فقد اتوا ظلما وزورا وقالوا اساطير الاولين
قال الزجاج واحد الاساطير اسطوره مثل احدوثه واحاديث وقال
غيره اساطير جمع اسطار مثل اقوال واقاويل اكتتبها يعني محمد فهي تملى
عليه اي تلقى عليه وتقرا بكرة واصيلا حتى تحفظ وتملى اصله تملل فابدلت
اللام الاخيرة يا من التضعيف كقولهم تقضى البازي وشبهه قوله تعالى
قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض اي قل يا محمد انزل هذا القران
الذي يعلم السر فهو عالم الغيب فلا يحتاج الى معلم وذكر السر دون الجهر
لانه من علم السر فهو في الجهر اعلم ولو كان القران ماخوذا من اهل الكتاب
وغيرهم لما زاد عليها وقد جا بفنون تخرج عنها فليس ماخوذا منها وايضا
لو كان ماخوذا من هاولاء لتمكن المشركون منه ايضا كما تمكن محمد صلى
الله عليه وسلم فهلا عارضوه فبطل اعتراضهم من كل وجه انه كان غفورا
رحيما يريد غفورا لاوليايه رحيما بهم قوله تعالى وقالوا مال هذا الرسول
مال
ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فيه مسلتان الاولى قوله تعالى وقالوا
ذكر شيا اخر من مطاعنهم والضمير في قالوا لقريش وذلك انهم كان لهم
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس مشهور وقد تقدم في سبحان
ذكره ابن اسحق في السيرة وغيره اجتمعوا معه فقالوا يا محمد ان كنت
تحب الرياسة وليناك علينا وان كنت تحب المال جمعنا لك من اموالنا فلما
ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك رجعوا في باب الاحتجاج
معه

معه فقالوا ما لك وانت رسول الله تاكل الطعام وتقف بالاسواق فعيروه
باكل الطعام لانهم ارادوا ان يكون الرسول ملكا وعيروه بالمشي في الاسواق
حين راوا الاكاسرة والقياصرة والملوك الجبابرة يترفعون عن
الاسواق وكان عليه السلام يخالطهم في اسواقهم ويامرهم وينهاهم
فقالوا هذا يطلب ان يتملك علينا فما له يخالف سيرة الملوك فاجابهم
الله بقوله وانزل على نبيه وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق فلا تغتم ولا تحزن فانها
شكاة ظاهر عنك عارها الثانية دخول الاسواق مباح للتجارة
وطلب المعاش وكان عليه السلام يدخلها لحاجته ولتذكر الخلق
بامر الله ودعوته ويعرض نفسه فيها على القبايل لعل الله ان يرجع
بهم الى الحق وفي البخاري في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولا
سخاب في الاسواق وقد تقدم في الاعراف وذكر السوق مذكور
في غير ما حديث ذكره اهل الصحيح وتجارة الصحابة فيها معروفة
وخاصة المهاجرين كما قال ابو هريرة وان اخواننا من المهاجرين
كان يشغلهم الصفق بالاسواق خرجه البخاري وسياتي لهذه
المسلة زيادة بيان في هذه السورة ان شا الله تعالى قوله تعالى
لولا انزل عليه ملك اي هلا فيكون معه نذيرا جواب الاستفهام
او يلقى في موضع رفع والمعنى او هلا يلقى اليه كنز او هلا يكون له
جنة ياكل منها ياكل بالياء قرا المدنيون وابو عمرو وعاصم وقرا
ساير الكوفيين بالنون والقراتان حسنتان يوديان عن معنى
وان كانت القراة بالياء ابين ذكره النحاس وقال الظالمون ان
تتبعون الا رجلا مسحورا تقدم في سبحان والقايل عبد الله

من الزبرجد فيما ذكر الماوردي قوله تعالى انظر كيف ضربوا
لك الامثال اي ضربوا لك هذه الامثال ليتوصلوا الى تكذيبك
فضلوا عن سبيل الحق وعن بلوغ ما ارادوا فلا يستطيعون
سبيلا الى التصحيح ما قالوه فيك قوله تعالى تبارك الذي
ان شا جعل لك خيرا من ذلك ~~خيرا من ذلك~~ جنات شرط وجزا
ولم يدغم جعل لك لان الكلمتين منفصلتان ويجوز الادغام
لاجتماع المثلين ويجعل لك في موضع جزم عطفا على
موضع جعل ويجوز ان يكون في موضع رفع مقطوعا
من الاول ولذلك قرا اهل الشام ويروى عن عاصم ايضا
ويجعل لك بالرفع اي وسيجعل لك في الاخرة قصورا قال
مجاهد كانت قريش ترى من حجارة قصيرا كائنا ما كان
والقصر في اللغة الحبس وتسمى القصر قصرا لان من فيه مقصور
عن ان يوصل اليه وقيل العرب تسمى بيوت الطين القصر وما يتخذ
من الصوف والشعر البيت حكاه القشيري وروى عن
سفيان عن حبيب بن ابي ثابت عن خيثمة قال قيل للنبي
صلى الله عليه وسلم ان شئت ان نعطيك خزائن الدنيا
ومفاتحها ولم يعط ذلك من قبلك ولا يعطاه احد بعدك وليس
ذلك بناقصك في الاخرة شيا وان شئت جمعنا ذلك لك
في الاخرة فقال اجمع لي ذلك في الاخرة فانزل الله عز وجل
تبارك الذي جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار
ويجعل لك قصورا ويروى ان هذه الاية انزلها رضوان خازن
الجنان

البيت

تسمى

احد

الجنان الى النبي صلى الله عليه وسلم وفي الخبر ان رضوان لما نزل سلم على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم قال يا محمد رب العزة يقريك السلام وهذا
سفط فاذا سفط من نور يتلالا يقول لك ربك هذه مفاتيح
خزاين الدنيا مع انه لا ينقص مما لك في الاخرة مثل جناح بعوضة
فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كالمستشير له فضرب جبريل
بيده الارض يشير ان تواضع فقال يا رضوان لا حاجة لي
فيها الفقر احب الي وان اكون عبدا صابرا شكورا فقال رضوان
اصبت اصاب الله بك وذكر الحديث قوله تعالى بل كذبوا بالساعة
يريد يوم القيامة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا يريد جهنم
تتلظى عليهم اذا راتهم من مكان بعيد اي من مسيرة خمس ماية
عام سمعوا لها تغيظا وزفيرا قيل المعنى اذا راتهم جهنم سمعوا لها
صوت التغيظ عليهم وقيل المعنى اذا راتهم خزانها سمعوا لهم
تغيظا وزفيرا حرصا على عذابهم والاول اصح لما روي مرفوعا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كذب علي متعمدا فليتبوا بين
عيني جهنم مقعدا قيل يا رسول الله ولها عينان قال اما سمعتم
الله عز وجل يقول اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا
وزفيرا يخرج عنق من النار له عينان تبصران ولسان ينطق
فيقول وكلت بكل من جعل مع الله الها اخر فلهو ابصر بهم
من الطير بحب السمسم ذكره رزين في كتابه وصححه ابن العربي
في قبسه وقال اي تفصلهم عن الخلق في المعرفة كما يفصل الطاير
حب السمسم من التربة وخرجه الترمذي من حديث ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج عنق من النار يوم القيامة

[illegible]

له عينان يبصران واذنان يسمعان ولسان ينطق يقول اني وكلت بثلاث
بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وفي الباب
عن ابي سعيد قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح وقال
الكلبي سمعوا لها تغيظا كتغيظ بني آدم وصوتا كصوت الحمار وقيل
فيه تقديم وتاخير سمعوا لها زفيرا وعلموا لها تغيظا وقال قطرب
التغيظ لا يسمع ولكن يرى والمعنى راوا لها تغيظا وسمعوا لها
زفيرا كقول الشاعر ورايت زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا
اي وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها اي فيها اي سمعوا فيها تغيظا وزفيرا
للمعذبين كما قال تعالى لهم فيها زفير وشهيق وفي واللام يتقاربان
تقول افعل هذا في الله ولله قوله تعالى واذا القوا منها
مكانا ضيقا مقرنين قال قتادة ذكر لنا ان عبد الله كان يقول
ان جهنم لتضيق على الكافر كتضيق الزج على الرمح ذكره
ابن المبارك في رقائقه وكذا قاله ابن عباس ذكره الثعلبي
والقشيري عنه وحكاه الماوردي عن عبيد الله بن عمرو ومعنى
مقرنين مكتفين قاله ابو صالح وقيل مصفدين قد قرنت
ايديهم الى اعناقهم في الاغلال وقيل قرنوا مع الشياطين
اي قرن كل واحد منهم الى شيطانه قاله يحيى بن سلام وقد
مضى هذا في سورة ابراهيم وقال عمرو بن كلثوم
فابوا بالنهاب وبالسبايا وابنا الملوك مقرنينا

دعوا هنالك

دعوا هنالك ثبورا اى هلاكا قاله الضحاك ابن عباس ويلا وروى عن
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اول من يقوله ابليس
وذلك اول من يكسى حلة من النار فتوضع على حاجبيه ويسحبها
من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول واثبوراه وانتصب على المصدر
اى ثبرنا ثبورا قاله الزجاج وقال غيره هو مفعول قوله تعالى لا تدعوا اليوم
ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا فان هلاككم اكثر من ان تدعوا مرة واحدة
وقال ثبور الا انه مصدر يقع للقليل والكثير فلذلك لم يجمع وهو كقولك
ضربته ضربا كثيرا وقعد قعودا طويلا ونزلت الايات فى ابن خطل واصحابه
قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون ان قيل
كيف قال اذلك خير ولا خير فى النار فالجواب ان سيبويه حكى عن
العرب الشقا احب اليك ام السعادة وقد علم ان السعادة احب اليه
وقيل ليس هو من باب افعل منك وانما هو كقولك عنده خير قال النحاس
وهذا قول حسن كما قال فشركما لخيركما الفداء وقيل انما قال
ذلك لان الجنة والنار قد دخلتا فى باب المنازل فقال ذلك لتفاوت
ما بين المنزلتين وقيل هو مردود على قوله تبارك الذى ان شاء
جعل لكم خيرا من ذلك الاية وقيل هو مردود على قوله او يلقى اليه
كنز او تكون له جنة يأكل منها وقيل انما قال ذلك على معنى علمكم
واعتقادكم ايها الكفار وذلك انهم لما كانوا يعملون عمل اهل النار
صاروا كانهم يقولون ان فى النار خيرا قوله تعالى لهم فيها ما يشاؤن
اى من النعيم خالدين كان على ربك وعدا مسئولا قال الكلبى وعد الله المؤمنين
الجنة جزاء على اعمالهم فسألوه ذلك الوعد فقالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
وهو معنى قول ابن عباس وقيل ان الملائكة تسأل لهم الجنة دليله
قوله ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم الاية وهذا قول محمد
ابن كعب وقيل معنى وعدا مسئولا اى واجبا وان لم يسئل كالدين حكى عن العرب

لاعصنك الفا وقيل وعدا مسؤلا يعنى انه واجب لك فسله وقال زيد بن اسلم
سالوا الله الجنه فى الدنيا ودعوا اليه بالدعاء فاجابهم فى الاخرة الى ماسالوا
واعطاهم ما طلبوا وهذا يرجع الى القول الاول قوله تعالى ويوم يحشرهم
قراء ابن محيصن وحميد وابن كثير وحفص ويعقوب وابو عمرو فى رواية الدورى
يحشرهم بالياء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله فى اول الكلام كان على ربك وعد
اخره انتم اضللتم عبادى الباقون بالنون على التعظيم وما يعبدون من دون الله من
الملائكه والانس والجن والمسيح وعزير قاله مجاهد وابن جريج الضحاك وعكرمة للاصنام فيقول
قراءة العامة بالتاء وهو اختيار ابى عبيد وابى حاتم وقراء ابن عامر وابو حيوة بالنون
على التعظيم انتم اضللتم عبادى هولاء ام هم ضلوا السبيل وهذا استفهام
توبيخ للكفار قالوا سبحانك اى قال المعبودون من دون الله سبحانك اى نزهنا
لك مما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من اوليا فان قيل فان كان
الاصنام التى تعبد تحشر فكيف تنطق وهى جماد قيل له ينطقها
الله تعالى يوم القيمة كما ينطق الايدى والارجل وقراء الحسن وابو جعفر
ان نتخذ بالنون المضمومه وفتح الخاء على الفعل المجهول وقد تكلم فى هذه
القراءة النحويون فقال ابو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر لا يجوز نتخذ قال ابو عمرو
لو كانت نتخذ لحذفت من الثانيه فقلت ان نتخذ دونك اولياء
كذا قال ابو عبيد لا يجوز نتخذ لان الله تعالى ذكر من مرتين ولو كان كما قرا لقال
ان نتخذ دونك اولياء وقال من الثانيه صله قال النحاس ومثل ابى عمرو على جلالته
ومحله يستحسن ما قال لانه جاء وشرح ما قال انه يقال ما اتخذت
رجلا وليا فيجوز ان يقع هذا للواحد بعينه ثم يقال ما اتخذت من رجل وليا
فيكون نفيا عاما وقولك وليا تابع لما قبله فلا يجوز ان يدخل من لانه لا فائدة فى ذلك ولكن
متعتهم واباءهم اى فى الدنيا بالصحة والغنى وطول العمر بعد موت الرسل صلوات الله عليهم حتى نسوا الذكر
اى تركوا ذكرك فاشركوا بك بطرا وجهلا فعبدونا من غير ان امرناهم بذلك وفى الذكر قولان احدهما
القران المنزل على الرسل تركوا العمل به قاله ابن زيد الثانى الشكر على الاحسان اليهم والانعام عليهم

عليهم انهم كانوا قوما بورا اي هلكى قاله ابن عباس ماخوذ من البوار وهو الهلاك وقال
ابو الدرداء وهو اشرف على اهل حمص يا اهل حمص هلموا الى اخ لكم ناصح فلما اجتمعوا حوله قال
ما لكم لا تستحيون تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون ان من
كان قبلكم بنوا مشيدا وجمعوا عبيدا واملوا بعيدا فاصبح جمعهم بورا واملهم غرورا
ومساكنهم قبورا فقوله بورا اي هلكى وفي خبر اخر فاصبحت ديارهم بورا اي خالية لا شي
فيها وقال الحسن بورا الذي ليس فيه من الخير شي ماخوذ من بوار الارض وهو تعطيلها من الزرع فلا يكون
فيها خير وقال شهر بن حوشب البوار الفساد والكساد ماخوذ من قولهم بارت
السلعة اذا كسدت كساد الفاسد ومنه الحديث نعوذ بالله من بوار الايم وهو اسم مصدر
كالزور يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث قال ابن الزبعرى

يا رسول المليك ان لساني راتق ما فتقت إذ انا بور
اذ اباري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور

وقال بعضهم الواحد بائر والجمع
بور كما يقال عائذ وعوذ وهائد وهود وقيل بورا عميا عن الحق **قوله**
تعالى فقد كذبوكم بما تقولون اي يقول الله تعالى عند تبري المعبودين فقد كذبوكم بما تقولون اي
في قولكم انهم الهة فما تستطيعون يعني الالهة صرف العذاب عنكم ولا نصركم وقيل فما يستطيع
هولاء الكفار لما كذبهم المعبودون صرفا للعذاب ولا نصرا انفسهم وقال ابن زيد المعنى فقد كذبوكم
ايها المؤمنون هولاء الكفار بما جاء به محمد وعلى هذا فمعنى بما تقولون بما تقولون من الحق وقال ابو عبيد
المعنى فيما تقولون فما يستطيعون صرفكم عن الحق الذي هداكم الله اليه ولا نصر انفسهم
مما ينزل بهم من العذاب بتكذيبهم اياكم وقراءة العامة بما تقولون بالتاء على الخطاب وقد بيناه معناه
وحكى الفراء انه يقرا فقد كذبوكم مخففا بما يقولون وكذا قرا مجاهد والبزي بالياء ويكون معنى
يقولون بقولهم وقرا ابو حيوة فما يستطيعون بالتاء على الخطاب لمتخذي الشركاء
ومن قراها بالياء فالمعنى فما يستطيع الشركاء ومن يظلم منكم قال ابن عباس من يشرك منكم ثم
مات عليه نذقه اي في الاخرة عذابا كبيرا اي شديدا كقوله وعلوا كبيرا اي شديدا
قوله تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الآية الى قوله بصيرا فيه تسع مسائل
الاولى قوله تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين نزلت جوابا للمشركين حيث قالوا مال هذا
الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وقال ابن عباس لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالطعام قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام الآية حزن النبي صلى الله عليه وسلم لذلك
فنزلت تعزية له فقال جبريل عليه السلام عليك يا رسول الله ربك يقرئك السلام ويقول
لك وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق أي يبتغون
المعاش في الدنيا الثانية قوله تعالى إلا إنهم ليأكلون الطعام إذا دخلت اللام
لم تكن في إن إلا الكسر لأنها مستأنفة هذا قول جميع النحويين قال النحاس إلا أن علي بن سليمان
حكى لنا عن محمد بن يزيد أنه قال يجوز في إن هنا الفتح وإن كان بعدها اللام وأحسبه وهما قال
أبو إسحاق الزجاج وفي الكلام حذف والمعنى وما أرسلنا قبلك رسلا إلا إنهم ليأكلون الطعام ثم
حذف رسلا لأن قوله من المرسلين يدل عليه فالموصوف محذوف عند الزجاج ولا يجوز عنده حذف
الموصول وتبقية الصلة كما قال الفراء المحذوف من والمعنى إلا من إنهم ليأكلون الطعام وشبهه
بقوله وما منا إلا له مقام معلوم وقوله وإن منكم إلا واردها أي ما منكم إلا من هو واردها
وهذا قول الكسائي أيضا وقول العرب ما بعثت إليك من الناس إلا من إنه ليطيعك فقولك
إنه ليطيعك صلة من قال الزجاج هذا خطأ لأن من موصولة فلا يجوز حذفها وقال أهل
المعاني المعنى وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا قيل إنهم ليأكلون ودليله قوله تعالى ما يقال لك إلا ما
قد قيل للرسل من قبلك وقال ابن الأنباري يجوز أن تكون بعد إلا نية الاستئناف بإضمار واو أي
وإلا إنهم وذهب فرقة إلى أن قوله ليأكلون الطعام كناية عن الحدث قال الشيخ المؤلف رحمه الله
وهذا بليغ في معناه ومثله ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان
الطعام ويمشون في الأسواق قرأ الجمهور يمشون بفتح الياء وسكون الميم وتخفيف الشين وقرأ علي وابن عوف
وابن مسعود بضم الياء وفتح الميم وشد الشين المفتوحة بمعنى يدعون إلى المشي ويحملون عليه وقرأ أبو عبد الرحمن
السلمي بضم الياء وفتح الميم وضم الشين المشددة وهي بمعنى يمشون قال الشاعر أمشي بأعطان المياه
وأبتغي قلائص منها صعبة وركوب وقال ابن زهير [illegible] والمشي
بوادره الأراجيل بمعنى يمشي [illegible] هذه الآية أصل في تناول الأسباب وطلب
المعاش بالتجارة والصناعة وغير ذلك وسيأتي هذا المعنى في غير موضع لكنا نذكر هنا ذلك ما يكفي فنقول
قال لي بعض مشايخ هذا الزمان في كلام جرى إن الأنبياء عليهم السلام إنما بعثوا ليسنوا الأسباب

للضعفا

للضعفاء فعليه بمثاله هذا قول لا يصدر إلا عن الجهال الأغبياء أو الرعاع السفهاء أو
طاعن على الكتاب والسنة العلية وقد أخبر الله تعالى في كتابه عن أصفيائه رسله وأنبيائه بالأسباب
والاحتراف فقال وقوله الحق وعلمناه صنعة لبوس لكم وقال وما أرسلنا قبلك من المرسلين
إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق قال العلماء أي يتجرون ويحترفون وقال
صلى الله عليه وسلم جعل رزقي تحت ظل رمحي وقال كلوا مما غنمتم حلالا طيبا وكان الصحابة
رضي الله عنهم يتجرون ويحترفون وفي أموالهم يعملون ومن خالفهم من الكفار يقاتلون أتراهم
ضعفاء بل والله كانوا الأقوياء وبهم الخلف الصالح اقتدى وطريقهم في الهدى والاهتداء أكمل
إنما تناولوها لأنهم أئمة الاقتداء فتناولوها تأسيا بهم لا في حق الضعفاء فأما في حق أنفسهم فلا وسائر
ذلك أصحاب الصفة قال الشيخ رحمه الله لو كان ذلك لوجب عليهم وعلى الرسول صلى الله
عليه وسلم معهم البيان خاصة في القرآن وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم وقال إن الذين
يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى وأحداث البينات والهدى وأما أصحاب الصفة فإنهم كانوا أضياف
الإسلام عند ضيق الحال فكان عليه السلام إذا أتته صدقة خصهم بها وإذا أتته هدية أكلها معهم
وكانوا مع هذا يحتطبون ويسوقون الماء إلى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وصفهم البخاري وغيره
ثم لما فتح الله عليهم البلاد ومهد لهم المهاد تأمروا وبالأسباب أمروا ثم إن هذا القول يدل على
ضعف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأنهم أيدوا بالملائكة وسواهم فلو كانوا أقوياء ما احتاجوا
إلى تأييد الملائكة وغيرهم إذ ذاك من أسباب النصر بعون الله عز وجل وإطلاق يؤول إلى هذا بل القول
بالأسباب والتوسل بها سنة الله وسنة رسوله وهو الحق المبين والصراط المستقيم الذي انعقد عليه إجماع
المسلمين والإنكار يلون قول الحق وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة للإنسان مقصور على الضعفاء وجميع
الخطابات كذلك بل العزيز الحكيم خاطب موسى الكليم اضرب بعصاك البحر وقد كان قادرا على فلق البحر
دون ضرب عصا وكذلك مريم عليها السلام وهزي إليك بجذع النخلة وقد كان قادرا على سقوط
الرطب دون هز ولا تعب ومع هذا كله فلا ينكر أن يكون رجلا يلطف به ويغاث أو
تجاب دعوته أو يكرم بكرامة في خاص نفسه أو لأجل غيره ولا تهد لذلك القواعد الحكمية والأمور
الجلية هيهات هيهات لا تنال وقد قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون [illegible]
صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم وأن الرزق هنا المطر بإجماع أهل التأويل ولم
قوله تعالى وينزل لكم من السماء رزقا وقال ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد
يشاهد نزول السماء على الخلق أطباق الخبز وأجفان اللحم بل الأسباب أصل في وجود ذلك

وهو معنى قوله عليه السلام اطلبوا الرزق في خبايا الارض اي بالحرث والحفر والغرس وقد سمى
النبي ما يوكل الله فسمى المطر بركة لانه عنه يكون الرزق وذلك شهير في كلام العرب وقال عليه السلام
لان ياخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من ان يسال احدا اعطاه او منعه وهذا فيما يخرج
بعض نعم من الحشيش والحطب ولو قعد رجل بالحال منقطعا عن الناس لكان له بد من الخروج الى
ما يحتاجه الا الامام وظهور الاعلام حتى يتناول من ذلك ما يعيش به وهو معنى قوله عليه السلام لو انكم
كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فغدوها ورواحها سبب
فالعجب العجب ممن يدعي التجريد والتوكل على التحقيق ويقعد على ثنايا الطرق ويدع الطريق المستقيم
والمنهج الواضح القويم وفي البخاري عن ابن عباس قال كان اهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون
نحن المتوكلون فاذا قدموا سالوا الناس فانزل الله تعالى وتزودوا ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه رضوان الله عليهم انهم خرجوا الى اسفارهم بغير زاد وكانوا المتوكلين حقا والتوكل اعتماد القلب
على الرب في ان يلم شعثه ويجمع عليه اربه ثم يتناول الاسباب بمجرد الامر وهذا هو الحق سال رجل الامام
احمد بن حنبل فقال اني اريد الحج على قدم التوكل فقال اخرج وحدك فقال لا الا مع الناس فقال له انت
اذا متكل على اجربتهم وقد اتينا على هذا في باب جمع الحرص بالزهد والقناعة وورد ذم السؤال
بالكف والشفاعة

الرابعة

خرج مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال احب البلاد الى الله مساجدها وابغض البلاد الى الله اسواقها وخرج البزار عن
سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب البلاد الى الله مساجدها لا تكونن ان استطعت
اول من يدخل السوق ولا اخر من يخرج منها فانها معركة الشيطان وبها ينصب رايته اخرجه
ابو بكر البرقاني مسندا عن ابي محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ من رواية عاصم عن ابي عثمان النهدي عن سلمان
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن اول من يدخل السوق ولا اخر من يخرج منها فبها باض
الشيطان وفرخ ففي هذه الاحاديث ما يدل على كراهة دخول الاسواق لا سيما في هذه الازمان
التي يخالط فيها الرجال النسوان وهكذا قال علماؤنا لما كثر الباطل في الاسواق وظهرت فيها المناكر
كره دخولها لارباب الفضل والمقتدى بهم في الدين تنزيها لهم عن البقاع التي يعصى الله فيها فحق على
من ابتلاه الله بالسوق ان يخطر بباله انه قد دخل محل الشيطان ومحل جنوده وانه ان اقام هنالك
هلك ومن كانت هذه حاله اقتصر منه على قدر ضرورته وتحرز من سوء عاقبته وبليته

الخامسة

في تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم السوق بالمعركة تشبيه حسن وذلك ان المعركة موضع القتال سمي بذلك لتعارك الابطال فيه ومصارعة بعضهم بعضا فشبه السوق وفعل الشيطان بها ونيله منهم بما يحملهم من المكر والخديعة والتساهل في البيوع الفاسدة والكذب والايمان الكاذبة واختلاط الاصوات وغير ذلك بمعركة الحرب ومن يصرع فيها السادسة قال ابن العربي اما اكل الطعام فمكروه الحلو لا غاية ولا ادرك فيه واما الاسواق فسمعت مشيخ اهل العلم يقولون لا يدخل الاسواق الا سوق الكتب والسلاح وعندي انه يدخل كل سوق للحاجة اليه ولا يأكل فيها لان ذلك اسقاط للمروءة وهدم للحشمة ومن الاحاديث الموضوعة الاكل في السوق دناءة قال الشيخ المولف رحمه الله ما ذكره مشيخ اهل العلم فنعما هو فان ذلك خال عن النظر الى النسوان ومخالطتهن اذ ليس بكثير جانبهن واما غيرهما من الاسواق فمشحونة منهن وقلة الحياء قد غلبت عليهن حتى ترى المراة في القيساريات وغيرهن قاعدة متبرجة بزينتها وهذا من المنكر الفاشي في زماننا هذا نعوذ بالله من سخطه السابعة خرج ابو داود الطيالسي في مسنده حدثنا حماد بن زيد قال حدثنا عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير عن سالم عن ابيه عن عمر بن الخطاب قال من دخل سوقا من هذه الاسواق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة وبنى له قصرا في الجنة خرجه الترمذي وزاد بعد ومحا عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة وفي رواية وبنى له بيتا في الجنة وقال هذا حديث غريب قال ابن العربي وهذا اذا لم يقصد في تلك البقعة سواه ليعمرها بالطاعة اذ عمرت بالمعصية وليحليها بالذكر اذ عطلت بالغفلة وليعلم الجهلة ويذكر الناسين الثامنة قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون اي ان الدنيا دار بلاء وامتحان فاراد سبحانه ان يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس مومن وكافر فالصحيح فتنة للمريض والغني فتنة للفقير والفقير الصابر فتنة للغني ومعنى هذا ان كل واحد مختبر بصاحبه فالغني ممتحن بالفقير عليه ان يواسيه ولا يسخر منه والفقير ممتحن بالغني عليه ان لا يحسده ولا ياخذ منه الا ما اعطاه وان يصبر كل واحد منهما على الحق كما قال الضحاك في معنى اتصبرون اي على الحق

واصحاب الملاه يقولون لم لم نعاف والاعمى يقول لم لم اجعل بصيرا وهكذا صاحب كل افة
وللرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لاشراف الناس والكفار في عصره ولذلك العلماء وحكام
العدل للاثرى الى قولهم لولا انزل هذا القران على رجل والموسعين عليهم فالفتنة ان يحسد المبتلى
المعافى ويحقر المعافى المبتلى والصبر ان يحبس كلاهما نفسه هذا عن البطر وذاك عن الضجر
اتصبرون محذوف الجواب يعني ام لا تصبرون فيقتضي جوابا كما قاله المزني ومدا اخرجه العالم
فراى خصاما ومراتب ومراتب لحالها بالتى فسمع من يقول الله اتصبرون فقال بلى رب نصبر
ويحتسب وقد ملا ابن القاسم صاحب مالك مدة للحج على اشهب وعبد العزيز في حلقته
عارا عليه من احد نحيف لكونه يتصبر وعن ابي الدردا انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول
ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل للمالك من المملوك وويل للمملوك من المالك وويل
للشديد من الضعيف وويل للضعيف من الشديد وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان بعضهم
لبعض فتنة وهو قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون اسنده الثعلبي وقال مقاتل نزلت
في ابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعقبة بن ابي معيط وعتبة بن ربيعة والنضر
بن الحارث حين راوا ابا ذر وعبد الله بن مسعود وعمارا وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة وسالما مولى ابي
حذيفة ومهجعا مولى عمر بن الخطاب وجبرا مولى الحضرمي وذويهم فقالوا على سبيل الاستهزاء
اسلم فنكون مثل هولاء فانزل الله تعالى يخاطب هولاء المومنين اتصبرون على ما ترون من هذه الحال الشديدة
والفقر فالموقف باتصبرون خاص بالمومنين المحققين من امة محمد صلى الله عليه وسلم كانه جعل امهال
الكفار والتوسعة عليهم فتنة للمومنين اي اختبارا لهم ولما صبر المسلمون نزل فيهم اني جزيتهم اليوم
بما صبروا الاية ـــ قوله تعالى وكان ربك بصيرا اي بمن يصبر او
يجزع وبمن يومن ومن لا يومن وبمن ادى ما عليه من الحق ومن لا يودي وقيل اتصبرون اي اصبروا مثل فهل
انتم منتهون اي انتهوا وامر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر ـــ قوله تعالى
وقال الذين لا يرجون لقانا [illegible] يعني لا يخافون البعث ولقاء الله اي لا يومنون بذلك قال
اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وحالفها في بيت نوب عوامل وقيل لا يرجون لا يبالون

قال لعمرك ما ارجوا اذا الدهر ساعى على اى حسب كان لله مصر على ابن حجر الا المؤمنون قال
ارجوا امه نلت حسن شفاعة جده يوم الحساب لولا انزل اى هلا انزل علينا
الملائكة فيخبرونا ان محمدا صادق او نرى ربنا عيانا فيخبرنا برسالته نظيره قوله تعالى وقالوا
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله او تاتى بالله والملائكة قبيلا قال
الله تعالى لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا حيث سالوا الله الشطط لان
الملائكة لا ترى الا عند الموت او عند نزول العذاب والله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار فلا عين تراه وقال مقاتل عتوا علوا في القول والعتو اشد الكفر وافحش الظلم
واذا لم يكتفوا بالمعجزات وهذا القرآن فكيف يكتفون بالملائكة وهم لا يميزون بينهم وبين الشياطين
ولا بد لهم من معجزة يقيمها من يدعى انه ملك وليس للقوم طلب معجزة بعد ان شاهدوا معجزة يوم
يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين يريد ان الملائكة لا يراها احد الا عند الموت فتبشر المؤمنين
بالجنة وتضرب المشركين والكفار بمقامع الحديد حتى تخرج انفسهم ويقولون حجرا محجورا ويقولون
الملائكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله واقام الصلاة بشرايعها عن ابن عباس
وعن غيره وقيل ان ذلك يوم القيامة قاله مجاهد وعطية العوفي قال عطية اذا كان يوم القيامة
يلقى المؤمن بالبشرى فاذا راى ذلك الكافر تمناه فلم يره من الملائكة وانتصب يوم يرون
بتقدير لا بشرى للمجرمين يوم يرون الملائكة يومئذ تاكيد ليوم يرون قال النحاس لا يجوز ان يكون يوم يرون
منصوبا ببشرى لان ما في حيز النفي لا يعمل فيما قبله ولكن فيه تقدير ان يكون المعنى يمنعون البشارة
يوم يرون الملائكة ودل على هذا الحذف ما بعده ويجوز ان يكون التقدير لا بشرى تكون يوم يرون الملائكة
ويومئذ مؤكد ويجوز ان يكون المعنى اذكر يوم يرون الملائكة ثم ابتدا فقال لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون
حجرا محجورا اى ويقول الملائكة حراما محرما ان تكون لهم البشرى الا للمؤمنين قال الشاعر
الا اصبحت اسماء حجرا محرما واصبحت من ادنى حموتها حما اراد الا اصبحت اسماء حراما محرما
وقال اخر حنت الى النخلة القصوى فقلت لها حجر حرام الا تلك الدهاريس وروى عن الحسن
انه قال ويقولون حجرا وقف من قول المجرمين فقال الله عز وجل محجورا عليهم ان يعاذوا او يجاروا
فحجر الله ذلك عليهم يوم القيامة والاول قول ابن عباس وبه قال الفراء قال ابن الانباري وقرا

الحسن وابو عبيدة حجرا بضم الحاء والباقون على كسرها وقيل ان ذلك من قول الكفار قالوه لانفسهم قاله
قتادة فيما ذكر الماوردي وقيل هو من قول الكفار للملائكة وهي كلمة استعاذة وكانت معروفة في الجاهلية
كان اذا لقي الرجل من يخافه قال حجرا محجورا اي حراما عليك التعرض لي وانتصابه على معنى حجرت عليك
او حجر الله عليك كما تقول سقيا ورعيا اي ان المجرمين اذا راوا الملائكة يلقونهم في النار قالوا نعوذ بالله منكم
ذكره القشيري وحكى معناه المهدوي عن مجاهد وقيل حجرا من قول المجرمين محجورا من قول الملائكة محجورا ان تعاذوا
من شر هذا اليوم قاله الحسن قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل هذا تنبيه على
عظم قدر يوم القيمة اي قصدنا في ذلك الى ما كان يعمله المجرمون من عمل بر عند انفسهم يقال قدم فلان الى امر اذا
اي قصده وقال مجاهد قدمنا اي عمدنا قال الراجز   وقدم الخوارج الضلال الى عباد ربهم فقالوا
ان دماءكم لنا حلال   وقيل هو قدوم الملائكة اخبر به عن نفسه تعالى فاعله فجعلناه هباء منثورا اي لا
ننتفع به اي ابطلناه بالكفر وليس هباء من ذوات الهمز وانما همزت لالتقاء الساكنين والتصغير هبي
في موضع الرفع ومن العرب من يقول هبي في موضع الرفع حكاه النحاس وواحده هباة والجمع اهباء
قال الحارث بن حلزة يصف   ترى خلفها من الرجع والوقع منينا كانه اهباء   وروى الحارث عن علي
قال الهباء المنثور شعاع الشمس الذي يدخل من الكوة وقال الازهري الهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء
الشمس شبيه بالغبار تاويله ان الله احبط اعمالهم حتى صارت بمنزلة الهباء المنثور فاما الهباء
المنبث فهو ما تثيره الخيل بسنابكها من الغبار والمنبث المتفرق وقال ابن عرفة الهبوة والهباء
التراب الدقيق الجوهري ويقال له اذا ارتفع هبا يهبو هبوا واهبيته انا والهبوة الغبرة قال
رؤبة   تبدو لنا اعلامه بعد الغرق في قطع الال وهبوات الدقق   وموضع هابي التراب اي كان
لونه مثل الهباء الروح وقيل انه ما ذرته الرياح من يابس اوراق الشجر قاله قتادة وابن عباس وقال
ابن عباس ايضا انه الماء المهراق وقيل انه الرماد قاله عبيد بن عمير قوله تعالى
اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا تقدم القول فيه عند قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد قال
النحاس والكوفيون يجيزون العسل احلى من الخل وهذا قول مردود لان معنى فلان خير من فلان انه اكثر خيرا منه
ولا حلاوة في الخل والخيرات قال النحاس حكى الهوازي لا يخرجهما يكون احدهما ازيد في الخير ولا يعني
الهوازي من النحاة فعلى هذا كلام العرب ويستوي انتصب على الامتناع اذا ملك على غير باب افعل منك وفي معنى

عالم الخيال هو عالم الرؤيا كذا سمعت من واحد من الطلبة

الدنيا جنة ... ومن ليس بها ...

لم

لهم خير مستقرا واذا كان من باب افعل منك فاسحاه على اللسان قال النحاس والمهدوي قال
فالتقدير واحسن مقيلا منزلا وماوى وقيل هو على ما تعرف العرب من القائلة نصف النهار ومنه
الخبر المرفوع ان الله تبارك وتعالى يفرغ من حساب الخلق في مقدار نصف يوم فيقيل اهل
الجنة في الجنة واهل النار في النار ذكره ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة من نهار الدنيا
حتى يقيل هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار ثم قرا ان مقيلهم لالى الجحيم كذا هي قراءة ابن مسعود وقال
ابن عباس الحساب من ذلك اليوم في اوله فلا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل اهل النار في النار واهل
الجنة في الجنة ومنه ما روي قيلوا فان الشياطين لا تقيل وذكر قاسم بن اصبغ من حديث ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فقلت ما اطول هذا اليوم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف عن المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلاة المكتوبة يصليها في الدنيا
قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام اي واذكر يوم تشقق السماء بالغمام وقرا عاصم
والاعمش ويحيى وحمزة والكسائي وابو عمرو تشقق بتخفيف الشين واصله تتشقق بتشديد الشين
على الادغام واختاره ابو حاتم وكذلك في ق بالغمام اي عن الغمام والباء وعن يتعاقبان كما تقول
رميت بالقوس وعن القوس روي ان السماء تتشقق عن سحاب ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني
اسرائيل في تيههم فتشقق السماء عنه وهو الذي قال تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام
ونزل الملائكة من السموات ويأتي الرب عز وجل في الثمانية الذين يحملون العرش لفصل القضاء على ما يجوز ان
يحمل عليه اتيانه لا على ما تحمل عليه صفات المخلوقين من الحركة والانتقال وقال ابن عباس تتشقق سماء الدنيا
فينزل اهلها وهم اكثر ممن في الارض من الجن والانس ثم تنشق السماء الثانية فينزل اهلها وهم
اكثر من سماء الدنيا ثم كذلك حتى تنشق السماء السابعة ثم ينزل الكروبيون وحملة العرش وهو معنى قوله
ونزل الملائكة تنزيلا اي من السماء الى الارض لحساب الثقلين وقيل ان السماء تنشق بالغمام الذي بينها وبين الناس
فبتشقق الغمام تتشقق السماء فاذا انشقت السماء انتقض تركيبها وطويت ونزلت الملائكة الى مكان سواها
وقرا ابن كثير وننزل الملائكة بالنصب من الانزال الباقون ونزل الملائكة بالرفع دليله تنزيلا ولو كان على الاول
لقال انزالا وقد قيل ان نزل وانزل بمعنى فجاء تنزيلا على نزل وقد قرا عبد الوهاب عن ابي عمرو ونزل الملائكة
وقرا ابن مسعود وانزل الملائكة ابو رجاء ونزل الملائكة وعنه ونزل الملك قوله تعالى

قال الامام النسفي ... الغمام فوق السموات السبع وهو سحاب ابيض غليظ كغلظ السموات السبع ... [illegible]

الملك يومئذ الحق للرحمن الملك مبتدأ والحق صفة له وللرحمن الخبر لأن الملك الذي يزول وينقطع ليس
بملك فبطلت يومئذ أملاك المالكين وانقطعت دعاويهم وزال كل ملك وملكه وبقي الملك الحق لله
وحده وكان يوما على الكافرين عسيرا اي لأنها تهمهم الأهوال وتلحقهم الخزي والهوان ويهون على المؤمنين
أخف من صلاة مكتوبة على ما نطق به الحديث وهذه الآية دالة على أنه اذا كان على الكافرين عسيرا فهو على المؤمنين
يسير يقال عسر يعسر وعسر يعسر قوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه الماضي
عضضت وكل الأسنان عضض مع الحاد الأذى وجاء التوقيف عن أهل التفسير منهم ابن عباس وسعيد
بن المسيب أن الظالم ههنا يراد به عقبة بن أبي معيط وأن خليله أمية بن خلف فعقبة قتله علي بن أبي طالب
وذلك أنه كان في الأسارى يوم بدر فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فقال أأقتل دونهم فقال نعم بكفرك
وعتوك فقال من للصبية فقال النار فقام علي رضي الله عنه فقتله وأمية قتله النبي صلى الله عليه وسلم فكان
هذان الرجلان لا بسم النبي صلى الله عليه وسلم لا حرج عنهما بهذا فعلا على الكفر ولم يسمهما لأن الأمر أبلغ
في الفائدة ليعلم أن هذا سبيل كل ظالم قبل من غيره في معصية الله عز وجل قال ابن عباس وقتادة وغيرهما
وكان عقبة خليلا بالاسلام فعترم أبي بن خلف وكانا خدنين لأن النبي صلى الله عليه وسلم قتلهما جميعا
قتل عقبة يوم بدر صبرا وأبي بن خلف في المبارزة يوم أحد ذكره القشيري والثعلبي والأول ذكره النحاس
وقال السهيلي ويوم يعض الظالم على يديه هو عقبة بن أبي معيط وكان صديقا لأمية بن خلف الجمحي ويروى لأبي
بن خلف أخي أمية وكان قد صنع وليمة فدعا إليها قريشا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يأتيه الا
أن يسلم وكره عقبة أن يتأخر عن طعامه من أشراف قريش أحد فأسلم ونطق بالشهادتين فأتاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأكل من طعامه فعاتبه خليله أمية بن خلف أو أبي بن خلف وكان غائبا فقال عقبة رأيت عظيما أن
لا يحضر طعامي رجل من أشراف قريش فقال له خليله لا أرضى حتى ترجع وتبصق في وجهه وتطأ عنقه وتقول
كيت وكيت ففعل عدو الله ما أمره به خليله فأنزل الله عز وجل ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت
مع الرسول سبيلا قال الضحاك لما بصق عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم رجع بصاقه في وجهه وشوى وجهه
وشفتيه حتى أثر في وجهه وأحرق خديه فلم يزل أثر ذلك في وجهه حتى قتل وعضه يديه فعل النادم الحزين لأجل
طاعة خليله يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا في الدنيا يعني طريقا الى الجنة يا ويلتا دعا بالويل والثبور
على محالفة الكافر ومتابعته ليتني لم أتخذ فلانا خليلا يعني أمية فكنى عنه ولم يصرح باسمه لئلا يكون هذا الوعد
مخصوصا به ولا مقصورا بل يتناول كل من فعل مثل فعلهما وقال مجاهد وأبو رجاء الظالم عام

في كل ظالم وفلان الشيطان واضح لصاحب هذه الدولة ان يعدل وكان الشيطان للانسان خذولا
وقرأ الحسن يا ويلتي وقد مضى في هود بيانه والخليل الصاحب والصديق وقد مضى في النساء بيانه
لقد اضلني عن الذكر اي يقول هذا النادم لقد اضلني من اتخذته في الدنيا خليلا عن القرآن والايمان به وقيل
عن الذكر اي عن الرسول وكان الشيطان للانسان خذولا قيل هذا من قول الله لا من قول الظالم وتمام الكلام
على هذا عند قوله بعد اذ جاءني والخذل الترك من الاعانة ومنه خذلان ابليس للمشركين لما ظهر لهم في صورة
سراقة بن مالك فلما راى الملائكة تبرأ منهم وكل من صد عن سبيل الله واطيع في معصية الله فهو شيطان للانسان
خذولا عند نزول العذاب والبلاء ولقد احسن من قال

تجنب قرين السوء واصرم حباله فان لم تجد عنه محيصا فداره
واحبب حبيب الصدق واحذر مراءه تنل منه صفو الود ما لم تماره
وفي الشيب ما ينهى الحليم عن الصبا اذا اشتعلت نيرانه في عذاره

اخر

اصحب خيار الناس حيث لقيتهم خير الصحابة من يكون عفيفا
والناس مثل دراهم ميزتها فوجدت منها فضة وزيوفا

وفي الصحيح من حديث ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك
اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد ريحا
خبيثة لفظ مسلم واخرجه ابو داود من حديث انس وذكر ابو بكر البزار عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله
اي جلسائنا خير قال من ذكركم بالله رؤيته وزاد في علمكم منطقه وذكركم بالآخرة عمله وقال مالك بن
دينار انك ان تنقل الحجارة مع الابرار خير لك من ان تأكل الخبيص مع الفجار وانشد

وصاحب خيار الناس تنج مسلما وصاحب شرار الناس يوما فتندما

قوله
تعالى وقال الرسول يا رب يريد محمدا صلى الله عليه وسلم يشكوهم الى الله تعالى ان قومي اتخذوا هذا القرآن
مهجورا اي قالوا فيه غير الحق من انه سحر وشعر عن مجاهد والنخعي وقيل معنى مهجورا اي متروكا فعزاه الله تعالى
وسلاه بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين اي كما جعلنا لك يا محمد عدوا من مشركي قومك وهو ابو جهل
في قول ابن عباس فكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من مشركي قومه فاصبر لامري كما صبروا فانني هاديك وناصرك
على كل من ناواك وقد قيل ان قول الرسول يا رب انما يقوله يوم القيامة اي هجروا القرآن وهجروني وكذبوني
وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به

يقول يا رب العالمين ان عندك هذا الحديث مهجورا فاقض مني ونفسه ذى العلي وذى ربك هاديا ونصيرا
نصر على الكل والمبرات سدتك ويضرك فلا تبال من عاداك وقال ابن عباس عدو النبي صلى الله عليه وسلم
ابو جهل لعنه الله وقوله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة اختلفوا في قائل هذا
على قولين احدهما انهم كفار قريش قاله ابن عباس والثاني انهم اليهود حين رأوا نزول القرآن مفرقا هلا انزل عليه
جملة واحدة كما انزلت التوراة على موسى والانجيل والزبور فقال الله تعالى كذلك اي فعلنا كذلك لنثبت به فؤادك
لنقوي به قلبك فتعيه وتحفظه لان الكتب المتقدمة انزلت على انبياء يكتبون ويقرؤون والقرآن نزل على نبي
امي ولان من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سأل عن امور ففرقناه ليكون اوعى لعبد النبي صلى الله عليه
وسلم واسهل على العامل به فكان كلما نزل وحي جديد زاده قوة قلب فان قيل هلا انزل القرآن دفعة واحدة
اذ كان قادرا على ذلك في قدرته قيل في علم الله تعالى ان نزله كذلك والقرآن جملة واحدة ولهذا لم يفعل
ولا معترض على حكمه وقد بينا وجه الحكمة في ذلك وقد قيل ان قوله كذلك من كلام المشركين اي لولا انزل عليه
القرآن جملة واحدة كذلك اي كالتوراة والانجيل فتم الوقف على كذلك ثم يبتدئ لنثبت به فؤادك على معنى
انزلناه عليك متفرقا لنثبت به فؤادك ويجوز ان يكون الوقف على جملة واحدة ثم يبتدئ كذلك لنثبت به فؤادك
اي انزلناه كذلك متفرقا لنثبت به فؤادك قال ابن الانباري والوجه الاول اجود واحسن والقول
الثاني قد جاء في التفسير حدثنا محمد بن عثمان السبتي قال حدثنا بشر بن عمارة عن ابي روق
عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر قال انزل القرآن جملة واحدة من عند الله عز وجل
في اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام الكاتبين في السماء فنجمته السفرة الكرام على جبريل عشرين ليلة ونجمه
جبريل على محمد عليه السلام عشرين سنة قال فهو قوله فلا اقسم بمواقع النجوم يعني نجوم القرآن وانه لقسم لو
تعلمون عظيم انه لقرآن كريم قال فلما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم جملة ولكن قال الذين كفروا لولا نزل عليه
القرآن جملة واحدة فقال الله تبارك وتعالى كذلك لنثبت به فؤادك يا محمد ورتلناه ترتيلا يقول
ورسلناه ترسيلا يقول شيئا بعد شيء ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا يقول لو
انزلنا عليك القرآن جملة واحدة ثم سألوك لم يكن عندك ما تجيب ولكن نمسك عليك فاذا سألوك
اجبت قال النحاس وكان ذلك من علامات النبوة لانهم لا يسألون عن شيء الا اجيبوا عنه وهذا لا يكون
الا من نبي فكان ذلك تثبيتا لفؤاده وافئدتهم ويدل على هذا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن
تفسيرا ولو نزل جملة بما فيه من الفرائض لثقل عليهم وعلم الله عز وجل ان الصلاح في انزاله متفرقا لانهم ينبهون

٢

لا من الحلال ولو كان حلالا واحدا لكان المعنى البتة وفيه ناسخ ومنسوخ فكانوا يتعبدون بالشيء
الى وقت بعينه قد علم الله عز وجل فيه الصلاح ثم يزيل النسخ بعد ذلك فمحال ان يكون حلالا وحراما
افعلوا كذا ولا تفعلوا قال النحاس والاولى ان يكون التمام حلالا واحدا لانه اذا وقف
لذلك صار المعنى كالتوراة ولكان الانجيل والزبور ولم يقع لهذا ذكر قاله الصحابة واحسن تفسيرا
اي تفصيلا والمعنى احسن من مثلهم تفصيلا لحدوث علم السامع وقيل كان المشركون يستمدون
من اهل الكتاب وكان قد غلب على اهل الكتاب التحريف والتبديل فكان ما اتى به النبي صلى الله عليه
احسن تفسيرا مما عندهم لانهم كانوا يخلطون الحق بالباطل والحق المحض احسن من حق مخلوط
بباطل ولهذا قال تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وقيل لا ياتونك بمثل كقولهم في صفة عيسى
انه خلق من غير اب الا جئناك بالحق اي بما فيه نقض حجتهم كادم اذ خلق من غير اب وام
قوله تعالى الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم [illegible] اولئك
شر مكانا لانهم في جهنم وقال مقاتل قال الكفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم هو شر الخلق
فقال الله [illegible] واضل سبيلا اي دينا وطريقا ونظم الاية ولا ياتونك بمثل الا جئناك
بالحق وانت منصور عليهم بالحجة الواضحة وهم يحشرون على وجوههم قوله تعالى
ولقد اتينا موسى الكتاب يريد التوراة وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا [illegible] فقلنا
اذهبا الى القوم [illegible] انما امر موسى صلى الله عليه وسلم بالذهاب وحده في المعنى وهذا
مثل قوله نسيا حوتهما وقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما قال
النحاس وهذا مما لا ينبغي ان يجترا به على كتاب الله عز وجل وقد قال عز وجل فقولا له قولا لينا
لعله يتذكر او يخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع
وارى فاتياه فقولا انا رسولا ربك ونظير هذا او خير منه [illegible] قال جل ثناؤه ثم
ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا قال القشيري وقوله في موضع اخر اذهب الى فرعون انه طغى
لا ينافي هذا لانهما اذا كانا مامورين فكل واحد مامور ويجوز ان يقال امر موسى اولا ثم لما قال
واجعل لي وزيرا من اهلي قال اذهبا الى فرعون الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا
والمعنى فكذبوهما فدمرناهم تدميرا اي اهلكناهم اهلاكا قوله تعالى وقوم نوح لما كذبوا

قوم اربعة اقوال العطف على الها والميم في دمرناهم الثاني بمعنى اذكر الثالث
باضمار فعل يفسره ما بعده والتقدير واغرقنا قوم نوح اغرقناهم الرابع انه منصوب باغرقناهم
قاله الفرا ورده النحاس قال لان اغرقنا ليس مما يتعدى الى مفعولين فيعمل في المضمر وفي قوم نوح
لما كذبوا الرسل ذكر الجنس والمراد نوح وحده لانه لم يكن في ذلك الوقت رسول
اليهم الا نوح وحده فنوح انما بعث بلا اله الا الله وبالايمان بما ينزل الله فلما كذبوه كان
في ذلك تكذيبا لكل من بعث بعده بهذه الكلمة وقيل ان من كذب رسولا فقد كذب الرسل لانهم
لا يفرق بينهم في الايمان ولانه ما من نبي الا يصدق بسائر انبيا الله فمن كذب منهم نبيا فقد كذب
كل من صدقه من النبيين اغرقناهم اي بالطوفان على ما تقدم في هود وجعلناهم للناس اية
اي علامة ظاهرة على قدرتنا واعتدنا للظالمين اي المشركين من قوم نوح عذابا اليما اي في الاخرة
وقيل اي هذه سبيلي في كل ظالم قوله تعالى وعادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك
كثيرا كله معطوف على قوم نوح اذا كان قوم نوح منصوبا على العطف او بمعنى اذكر ويجوز ان يكون
كله منصوبا على انه معطوف على المضمر في دمرناهم او على المضمر في جعلناهم وهو اختيار النحاس لانه
اقرب اليه ويجوز ان يكون منصوبا باضمار فعل اي اذكر عادا الذين كذبوا هودا فاهلكهم الله
بالريح العقيم وثمودا كذبوا صالحا فاهلكوا بالرجفة واصحاب الرس والرس في كلام العرب البير
التي تكون غير مطوية والجمع رساس قال تنابلة يحفرون الرساسا يعني ابار المعادن قال
ابن عباس سالت كعبا عن اصحاب الرس قال صاحب يس الذي قال يا قوم اتبعوا المرسلين فقتله
قومه ورسوه في بير لهم يقال لها الرس طرحوه فيها وكذا قال مقاتل السدي هم اصحاب قصة يس
اهل انطاكية والرس بير بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار مؤمن ال يس فنسبوا اليها وقال
علي رضي الله عنه هم قوم كانوا يعبدون شجرة صنوبر فدعا عليهم نبيهم وكان من ولد يهوذا فيبست
الشجرة فقتلوه ورسوه في بير فاظلتهم سحابة سودا فاحرقتهم وقال ابن عباس هم قوم باذربيجان
قتلوا انبيا فجفت اشجارهم وزروعهم فماتوا جوعا وعطشا وقال وهب بن منبه كانوا اهل بير
يقعدون عليها واصحاب مواشي وكانوا يعبدون الاصنام فارسل الله اليهم شعيبا فكذبوه واذوه
وتمادوا على كفرهم وطغيانهم فبينما هم حول البير في منازلهم انهارت بهم وبديارهم فخسف الله بهم

فأهلكوا جميعا وقال قتادة أصحاب الرس وأصحاب الأيكة أمتان أرسل إليهما شعيبا فكذبوه
فعذبهم الله بعذابين قال قتادة والرس قرية بفلج اليمامة وقال عكرمة هم قوم رسوا نبيهم في بئر حيا
دليله ما روى محمد بن كعب القرظي عن حديثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أول الناس يدخل الجنة يوم القيمة
عبد أسود وذلك أن الله تعالى بعث نبيا إلى قوم فلم يؤمن إلا ذلك الأسود فحفر أهل القرية
بئرا وألقوا فيها نبيهم حيا وأطبقوا عليه حجرا ضخما فكان العبد الأسود يحتطب على ظهره ويبيعه
ويأتيه بطعام وشراب فيعينه الله تعالى على رفع تلك الصخرة فيدليه إليه فبينما هو يحتطب إذ
نام فضرب الله على أذنه سبع سنين نائما ثم هب من نومه فتمطى واتكى لشقه الآخر فضرب الله على
أذنه سبع سنين نائما ثم هب من نومه فاحتمل حزمة الحطب وباعها وأتى بطعام وشراب إلى البئر
فلم يجده وكان قومه قد أراهم الله آية فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه ومات ذلك النبي فقال النبي صلى الله
عليه وسلم إن ذلك العبد الأسود لأول من يدخل الجنة ذكر هذا الخبر المهدوي والثعلبي واللفظ
للثعلبي وقال هؤلاء آمنوا بنبيهم فلا يجوز أن يكونوا أصحاب الرس لأن الله تعالى أخبر عن أصحاب الرس
أنه دمرهم إلا أن يدعوا ما حدث أحدثوه بعد نبيهم وقال الكلبي أصحاب الرس قوم أرسل الله
إليهم نبيا فأكلوه وهم أول من عمل نساؤهم السحق ذكره الماوردي وقيل هم أصحاب الأخدود الذين
حفروا الأخاديد وحرقوا فيها المؤمنين وسيأتي وقيل هم بقايا من قوم ثمود وأن الرس البئر المذكورة
في الحج في قوله وبئر معطلة على ما تقدم وفي الصحاح والرس اسم بئر كانت لبقية من ثمود وقال جعفر
بن محمد عن أبيه أصحاب الرس قوم كانوا يستحسنون لنسائهم السحق وكان نساؤهم كلهن سحاقات
وروى من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن من أشراط الساعة أن يستكفي الرجال
بالرجال والنساء بالنساء وذلك السحق وقيل الرس ما وكل أخدود وقيل البئر المطوية
بالحجارة ذكره القشيري وما ذكرناه أولا هو المعروف وقيل كل حفر احتفر كالقبر والمعدن
والبئر قال أبو عبيدة الرس كل ركية لم تطو وجمعها رساس قال الشاعر

وهم سائرون إلى أرضهم ... فيا ليتهم يحفرون الرساسا

والرس اسم واد في قول زهير

بكرن بكورا واستحرن بسحرة ... فهن لوادي الرس كاليد للفم

رسست رسا حفرت بئرا ورس الميت أي قبر والرس الإصلاح بين الناس والإفساد أيضا وقد رسست بينهم فهو من الأضداد

وقد قيل في أصحاب الرس غير ما ذكرنا ذكره الثعلبي وغيره وقرونا بين ذلك كثيرا أي أمما لا
يعلمهم إلا الله بين قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وعن الربيع بن خثيم أنه اشتكى فقيل له
ألا تتداوى فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر به قال لقد هممت بذلك ثم فكرت فيما بيني وبين
نفسي فإذا عاد وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا كانوا أكثر وأشد حرصا على جمع
المال فكان فيهم أطباء فلا الناعت منهم بقي ولا المنعوت فأبى أن يتداوى فما كان إلا خمسة أيام
حتى مات رحمه الله قوله تعالى وكلا ضربنا له الأمثال قال الزجاج أي وأنذرنا
كلا ضربنا له الأمثال وبينا لهم الحجة ولم نضرب لهم الأمثال الباطلة كما يفعله هؤلاء الكفرة وقيل
انتصب على تقدير ذكرنا كلا ونحوه لأن ضرب الأمثال تذكير ووعظ ذكره المهدوي والمعنى واحد
وكلا تبرنا تتبيرا أي أهلكنا بالعذاب وتبرت الشيء كسرته وقال المؤرج والأخفش دمرناهم تدميرا
تبدلت التاء والباء من الدال والميم قوله تعالى ولقد أتوا على القرية يعني مشركي مكة والقرية
قرية قوم لوط ومطر السوء الحجارة التي أمطروا بها أفلم يكونوا يرونها أي في أسفارهم ليعتبروا قال
ابن عباس كانت قريش في تجارتها إلى الشام تمر بمدائن قوم لوط كما قال الله تعالى وإنكم لتمرون عليهم مصبحين
وقال وإنهما لبإمام مبين وقد تقدم بل كانوا لا يرجون نشورا أي لا يصدقون بالبعث ويجوز أن يكون معنى يرجون
يخافون ويجوز أن يكون على بابه ويكون معناه بل كانوا لا يرجون ثواب الآخرة قوله تعالى
وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا جواب إذا إن يتخذونك لأن معناه يتخذونك وقيل الجواب محذوف
وهو قالوا أو يقولون أهذا الذي وقوله إن يتخذونك إلا هزوا كلام معترض ونزلت في أبي جهل كان يقول
للنبي صلى الله عليه وسلم مستهزئا أهذا الذي بعث الله رسولا والعائد محذوف أي بعثه الله رسولا نصب على
الحال ويجوز أن يكون مصدرا لأن معنى بعث أرسل ويكون معنى رسولا رسالة على هذا والألف للاستفهام على
معناه التقرير والاحتقار والتقدير أهذا الذي بعثه الله رسولا هذا رفع بالابتداء والذي خبره
رسولا نصب على الحال وبعث في صلة الذي واسم الله عز وجل رفع ببعث إن كاد ليضلنا أي قالوا قد كاد
أن يصرفنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها أي حبسنا أنفسنا على عبادتها قوله تعالى
وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا يريد من أضل دينا أهم أم محمد وقد رأوه في يوم بدر قوله تعالى

أرأيت

أرأيت من اتخذ إلهه هواه تعجب نبيه صلى الله عليه وسلم من إصرارهم على الشرك وإصرارهم عليه مع
إقرارهم بأن خالقهم هو الله ثم يعمدون إلى حجر يعبدونه من غير حجة قال الكلبي وغيره كانت العرب
إذا هوي الرجل منهم شيئا عبده من دون الله فإذا رأى أحسن منه ترك الأول وعبد الأحسن فعلى هذا
يعني أرأيت من اتخذ إلهه بهواه فحذف الجار وقال ابن عباس الهوى إله يعبد من دون الله ثم تلا هذه
قال الشاعر لعمر أبيها لو تبدت لناسك قد اعتزل الدنيا بإحدى المناسك
لصلى إليها قبل الصلاة لربه ولارتد في الدنيا بأعمال فاتك
وقيل اتخذ إلهه هواه أي أطاع هواه وعن الحسن لا يهوى شيئا إلا اتبعه والمعنى واحد أفأنت تكون
عليه وكيلا أي حفيظا وكفيلا حتى ترده إلى الإيمان وتخرجه من هذا الفساد أي ليست الهداية والضلالة
موكولتين إلى مشيئتك وإنما عليك التبليغ وهذا رد على القدرية ثم قيل إنها منسوخة بآية القتال
وقيل لم تنسخ لأن الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون
أو يعقلون ولم يقل إنهم لأن منهم من قد علم أنه يؤمن وذمهم جل وعز بهذا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون سماع تدبر
أو يعقلون ما تقول فيعقلونه أي هم بمنزلة من لا يعقل ولا يسمع وقيل المعنى أنهم لما لم ينتفعوا بما يسمعون
فكأنهم لم يسمعوا والمراد أهل مكة وقيل إن بمعنى ما في هذا الموضع أي ما هم إلا كالأنعام أي في الأكل
والشرب لا يفكرون في الآخرة بل هم أضل إذ لا حساب ولا عقاب على الأنعام وقال مقاتل البهائم تعرف
ربها وتهتدي إلى مراعيها وتنقاد لأربابها التي تعقلها وهؤلاء لا ينقادون ولا يعرفون ربهم الذي خلقهم
ورزقهم وقيل إن البهائم إن لم تعقل صحة التوحيد والنبوة لم تعتقد بطلان ذلك قوله
تعالى ألم تر إلى ربك كيف مد الظل يجوز أن تكون هذه الرؤية من رؤية العين ويجوز أن تكون من العلم قال الحسن
وقتادة وغيرهما مد الظل من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وقيل هو من غيبوبة الشمس إلى طلوعها والأول
أصح والدليل على ذلك أنه ليس من ساعة أطيب من تلك الساعة فإن فيها يجد المريض راحة والمسافر وكل
ذي علة وفيها ترد نفوس الأموات والأرواح منهم إلى الأجساد وتطيب نفوس الأحياء فيها وهذه الصفة مفقودة
بعد المغرب وقال أبو العالية نهار الجنة هكذا وأشار إلى ساعة المصلين صلاة الفجر أبو عبيدة الظل بالغداة
والفيء بالعشي لأنه يرجع بعد زوال الشمس سمي فيئا لأنه فاء من المشرق إلى جانب المغرب قال الشاعر وهو حميد بن
ثور يصف سرحة وكنى بها عن امرأة فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفيء من برد العشي تذوق

وقال ابن السكيت الظل ما نسخته الشمس والفيء ما نسخ الشمس وحكى ابو عبيدة عن رؤبة قال كل ما
كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل ولو شاء لجعله ساكنا اي دائما
مستقرا لا تنسخه الشمس ابن عباس يريد الى يوم القيامة وقيل المعنى لو شاء لمنع الشمس الطلوع ثم
جعلنا الشمس عليه دليلا اي جعلنا الشمس بنسخها الظل عند مجيئها دالة على ان الظل شيء ومعنى
ذلك ان الاشياء تعرف باضدادها ولولا الشمس ما عرف الظل ولولا النور ما عرفت الظلمة فالدليل
فعيل بمعنى الفاعل وقيل بمعنى المفعول كالقتيل والدهين والخضيب اي دللنا الشمس على الظل حتى ذهبت
به اي اتبعناها اياه فالشمس دليل اي حجة وبرهان وهو الذي يكشف المشكل ويوضحه ولم يؤنث الدليل وهو
صفة الشمس لانه في معنى الاسم كما يقال الشمس برهان والشمس حق ثم قبضناه يريد ذلك الظل
الممدود الينا قبضا يسيرا اي يسيرا قبضه علينا وكل امر ربنا عليه يسير والظل مكثه في هذا الجو
بمقدار طلوع الفجر الى طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس صار الظل مقبوضا وخلفه في هذا الجو شعاع الشمس
فاشرقت على الارض وعلى الاشياء الى وقت غروبها فاذا غربت فليس هناك ظل انما ذلك بقية نور النهار
وقال قوم قبضه بغروب الشمس لانها ما لم تغرب فالظل فيه بقية وانما يتم زواله بمجيء الليل ودخول الظلمة عليه
وقيل ان هذا القبض وقع بالشمس لانها اذا طلعت اخذ الظل في الذهاب شيئا فشيئا قاله ابو مالك
وابراهيم التيمي وقيل ثم قبضناه اي قبضنا ضياء الشمس بالفيء قبضا يسيرا وقيل يسيرا اي سريعا قاله
الضحاك وقتادة خفيا اي اذا غابت الشمس قبض الظل قبضا خفيا كلما قبض جزء منه جعل مكانه جزء
من الظلمة وليس يزول دفعة واحدة فهذا معنى قول ابن عباس وهو قول مجاهد قوله تعالى

وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا فيه اربع مسائل الاولى
قوله وهو الذي جعل لكم الليل لباسا يعني سترا للخلق يقوم مقام اللباس في ستر البدن قال الطبري وصف الليل
باللباس تشبيها من حيث يستر الاشياء ويغشاها الثانية قال ابن العربي ظن بعض الغفلة
ان من صلى عريانا في الظلام اجزأه لان الليل لباس وهذا يوجب ان يصلي في بيته عريانا اذا اغلق عليه بابه
والستر في الصلاة عبادة تختص بها ليست لاجل نظر الناس ولا حاجة الى الاطناب في هذا الثالثة
قوله تعالى والنوم سباتا اي راحة لابدانكم بانقطاعكم عن الاشتغال واصل السبات التمدد يقال
سبتت المرأة شعرها اي نقضته وارسلته ورجل مسبوت اي ممدود الخلقة وقيل للنوم سبات لانه

بالنوم يكون من السبت بمعنى الراحة وقيل السبت القطع فالنوم انقطاع عن الأعمال وقيل سبب
الهدو لانقطاعهم عن الأعمال فيه وقيل السبت الإقامة في المكان فجعل السبات سكونا ما وسكونا عليه
فالنوم سباتا على معنى أن يسكن عن الاضطراب والحركة وقال الخليل السبات نوم ثقيل أي جعلنا
نومكم ثقيلا ليكمل الإجمام قوله الراحة الرابعة قوله تعالى وجعل النهار نشورا أي
للمعاش أي النهار سبب الإحياء للانتشار في المعاش سكون الإحياء من الإماتة وكان عليه السلام
إذا أصبح قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور قوله تعالى
وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يعني للأعراف وهو قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء طهورا
رحمة عن مثله الأولى قوله تعالى ماء طهورا أي مطهرا كما قال وهو الله الذي يسوغه
به وقيل طهور طاهر وليس كل طاهر طهورا فالطهور بفتح الطاء الاسم ولذلك الوضوء والوقود
وبالضم المصدر هذا هو المعروف في اللغة قال ابن الأنباري فتبين أن المنزل من السماء طاهر
بنفسه مطهر لغيره فإن الطهور بناء المبالغة في طاهر وهذه المبالغة اقتضت أن يكون طاهرا مطهرا
وإلى هذا ذهب الجمهور وقيل إن طهورا بمعنى طاهر وهو قول أبي حنيفة وتعلقوا بقوله تعالى وسقاهم
ربهم شرابا طهورا يعني طاهرا وبقول الشاعر خليلي هل في نظرة بعد توبة أداوي بها قلبي علي فجور
إلى رجح الأكفال غيد من الظبا عذاب الثنايا ريقهن طهور فوصف الريق بأنه طهور وليس
بمطهر وتقول العرب رجل نؤوم وليس ذلك بمعنى أنه منيم لغيره وإنما يرجع ذلك إلى الفعل نفسه وقد
أجاب علماؤنا عن هذا بأنه لما وصف شراب الجنة بأنه طهور يفيد التطهير عن أوضار الذنوب
وعن خسائس الصفات كالغل والحسد فإذا شربوا هذا الشراب يطهرهم الله من رحض الذنوب
وأوضار الاعتقادات الذميمة فجاؤوا الله بقلب سليم ودخلوا الجنة بصفات التسليم وقيل
لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ولما كان حكمه في الدنيا زوال حكم الحدث
كذلك الماء على الأعضاء كانت الحكمة وجهه في الآخرة وأما قول الشاعر ريقهن طهور
فإنه قصد بذلك المبالغة في وصف الريق بالطهورية لعذوبته وتعلقه بالقلوب وطيب النفوس
وتأثيره على غليل المحب بشرحي كان كالماء الطهور وبالجملة فإن الأحكام الشرعية لا تثبت بالمجازات الشعرية
فإن الشعراء يتجاوزون للإكثار حد الصدق في الكلام ويسكنون الغليل حتى يخرجهم ذلك إلى البدعة

والمعصب وربما وصوا في الكور حسلا تسعون الا ارى لها ولبعضهم
ولو لم تلامس صفحة الارض رجله لما كنت ادري علة للتيمم وهذا كرجل نحو دابته
قال القاضي ابو بكر بن العربي هذا منتهى لباب كلام العلماء وهو بالغة في الاداني بالكلية لطهور للعين
لو وجدت في مطالعة اشرفا وهو ان ما يقول للمبالغ الا ان المبالغ قد يكون الفعل المتعدي
قال الشاعر ضروب بنصل السيف سوق سمانها وقد يكون الفعل القاصر كما قال الشاعر
نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل واما وجه طهور بالمبالغة في الحسن بطاهر قال الشيخ طاهر
لقوله عليه السلام لا يقبل الله صلاة بغير طهور واجمعت الامة لغة وشرعا على ان وصف طهور يختص
بالماء ولا يتعدى لها سائر المايعات وهي طاهرة فكان اقتصارهم بذلك على الماء ادل دليل ان الطهور هو
المطهر وقد يأتي فعول لوجه اخر ليس من هذا كله وهو العبارة عن الالة للفعل لا عن الفعل كقولنا وقود
وسحور بفتح الواو فانه عبارة عن الحطب والطعام المتسحر به ووصف الماء بانه طهور يكون القائل
خبرا عن الالة التي يتطهر بها فاذا ضممنا الواو في الوقود والسحور والطهور عاد الى الفعل وكان خبرا عنه
فثبت بهذا ان اسم الفعول يكون للقاصر والمتعدي ويأتي بمعنى المبالغ ويكون خبرا عن الالة وهو الذي خطر ببال الحنفية ولكن
قصرت اشداقها عن [illegible] ان الطهور عن المبالغ وعن الالة على الدليل قوله تعالى وانزلنا من
السماء ماء طهورا وقوله عليه السلام جعلت لي الارض مسجدا وطهورا يحتمل المبالغ ويحتمل العبارة عن الالة
فلا حجة لعلمائنا لكن يبقى قوله ليطهركم به نص ان فعله متعدي الى غيره المسالة
الماء المنزل من السماء والمودع في الارض طاهر مطهر على اختلاف الوانه وطعومه وارياحه حتى
تخالطه غيره والمخالط للماء على ثلاثة اضرب ضرب توافقه في صفاته جميعا فاذا خالطه فغيره لم يسلبه
وصفا منها لموافقته لها وهو التراب والضرب الثاني يوافقه في احدى صفاته وهي الطهارة فاذا خالطه
فغيره لم يسلبه ما خالفه فيه وهو الطاهر كالعود وشبهه والضرب الثالث يخالفه في الصفات جميعا الا انه
فاذا خالطه فغيره سلبه الصفات جميعا لمخالفته لها فيها وهو النجس المسالة الثالثة لعلمائنا البغداديين
واصحاب مالك الى ان قليل الماء يفسده قليل النجاسة وان الكثير لا يفسده الا ما غير لونه او طعمه او ريحه الى ان
فلم يحد في القليل والكثير حدا يوقف عنده الا ان ابن القاسم روى عن مالك في الجنب يغتسل في حوض من الحياض
التي تسقى فيها الدواب ولم يكن غسل ما به من الاذى انه قد افسد الماء وهو مذهب ابن القاسم وقال ابن عبد الحكم

وابن سعيد من البصريين الا ابن وهب فانه يقول بما يقوله المدنيون من اصحاب مالك وقولهم ما حكاه ابو المصعب عنهم
وعن ان الماء لا تفسده النجاسة الحالة فيه قليلا كان او كثيرا الا ان يظهر فيه النجاسة وتغير منه طعما او ريحا
او لونا وذكر احمد بن المعذل ان هذا قول مالك بن انس رحمه الله واليه ذهب اسماعيل القاضي ومحمد بن بكير
وابو الفرج المالكي وسائر المنتحلين لمذهب مالك من البغداديين وهو قول الاوزاعي والليث بن سعد والحسن بن
صالح وداود بن علي ومذهب اهل البصرة وهو الصحيح في النظر وثابت الاثر وقال ابو حنيفة اذا
وقعت نجاسة في الماء افسدته كثيرا كان او قليلا اذا تيقنت عموم النجاسة ووجه تيقنها عنده ان يقع
مثل البول في بركة فان كانت البركة يتحرك طرفاها بتحرك احدهما فالكل نجس وان كان يتحرك احد
الطرفين لا يتحرك الآخر لم ينجس من المجموع هذا مذهب ابي حنيفة وقال الشافعي بحديث القلتين وهو حديث
مطعون فيه اختلف في اسناده ومتنه اخرجه ابو داود والترمذي وخرجه الدارقطني واحتج له
وجمع طرقه قال ابن العربي وقد رام الدارقطني على امامته ان يصحح حديث القلتين فلم يستطع وقال
ابو عمر بن عبد البر واما ما ذهب اليه الشافعي من حديث القلتين فمذهب ضعيف من جهة النظر غير ثابت من الاثر لانه
قد تكلم فيه جماعة من اهل العلم بالنقل ولان القلتين لا يوقف على حقيقة مبلغهما في اثر ثابت ولا اجماع ولو كان
ذلك حدا لازما لوجب على العلماء البحث عنه ليقفوا على حد ما حرم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لانه من اصل دينهم وفرضهم
ولو كان ذلك كذلك ما ضيعوه فلقد بحثوا عما هو ادون من ذلك والطف قال
الشيخ المؤلف رحمه الله وفيما ذكره ابن المنذر في القلتين من الخلاف ما يدل على عدم التوقيف فيهما والتحديد وقد
روى الدارقطني عن حماد بن زيد عن عاصم بن المنذر قال القلال الجوابي العظام وعاصم هذا هو احد رواة حديث
القلتين وظاهر قول الدارقطني انها مثل قلال هجر لسياق حديث الاسراء عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لما رفعت لي سدرة المنتهى في السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر وقد قيل ان ذلك القلال وذكر الحديث
ابن الجوزي وتعلق علماؤنا بحديث ابي سعيد الخدري في بئر بضاعة رواه النسائي والترمذي وابو داود وغيرهم وهو ايضا
حديث ضعيف لا قدم له في الصحيح فلا تعويل عليه وقد افاض العلماء في هذه المسألة فقال ان اخلص
المذاهب في هذه المسألة مذهب مالك وان الماء طهور ما لم يتغير احد اوصافه اذ الحديث الذي يعول عليه
واما المعول على ظاهر القرآن وهو قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا وهو ما بصفاته فاذا تغير عن شيء منها

خرج عن الحكم لخروجه عن الصفة ولذلك لما لم يجد البخاري امام الحديث والفقه في الماء شيئا يعول عليه قال باب
اذا تغير وصف الماء وادخل الحديث الصحيح ما من احد يكلم في سبيل الله الا جاء يوم القيمة وجرحه يثعب دما اللون لون
دم والريح ريح مسك فاخبر صلى الله عليه وسلم ان الدم بحاله وعليه رائحة المسك ولم تخرجه الرائحة عن صفة الدموية
فلذلك قال علماؤنا اذا تغير الماء بريح جيفة على طرفه وساحله لم يمنع ذلك الوضوء ولو تغير بها وقد وقعت
لكان ذلك نجسا للمخالطة وللاول مجاورة قال الشيخ المؤلف رحمه الله وقد استدل به على
بعض ذلك وعنوان الخبر الوارد يخرجه على اصله ووجه هذا الاستدلال ان الدم لما استحال رائحة الى رائحة المسك
خرج عن كونه نجسا وانه صار طاهرا وان المسك بعض دم الغزال فكذلك الماء اذا تغير بالريح قال وهذا
الا دليل مذهب الجمهور لكن والى الاول ذهب عبد الملك قال ابو عمر جعلوا الحكم للرائحة دون اللون وجعلوا الحكم
لها فاستدلوا عليه بزعمهم بهذا الحديث وهذا لا يفهم معنى يسكن اليه النفس ولعل الذي معنى الا اشكال عليه
ولا يشتغل بمثل هذا الفقهاء وليس من شان اهل العلم اللغز وما اشكال وانما هو ايضاح وبيان ولكن
الحكم لما في علمه ليس للكثير دلالة فيه والا لا تخلو الجرة نجاسة او ... فان كان نجاسة وتغير فقد اجمع
العلماء على انه غير طاهر ولا مطهر وكذلك اجمعوا انه اذا تغير بغير نجاسة انه طاهر على اصله وقال الجمهور غير مطهر
الا ان يكون تغيره من تربة وحماة وما اجمعوا عليه هو الحق الذي لا اشكال ولا التباس معه الرابعة
الماء المتغير بقراره او تربة او حب يجري عليه او بعد يتحلل او دود يتخلق فيه لا يمكن الاحتراز منه فالذي عليه العلماء
ان ذلك لا يمنع الوضوء لعدم الاحتراز منه والانفكاك عنه وقد روى ابن وهب عن مالك ان غيره اولى منه الخامسة
قال علماؤنا رحمة الله عليهم ويكون سؤر النصراني وسائر الكفار والمدمن خمرا وما اكل الجيف كالكلاب وغيرها ونحو
يتوضأ به ولا باس الا حتى يستيقن النجاسة قال البخاري وتوضأ عمر من بيت نصرانية وذكر سفيان بن عيينة قال حدثونا عن زيد
بن اسلم عن ابيه قال لما كنا بالشام اتيت عمر بن الخطاب بماء فتوضأ منه فقال من اين جئت بهذا الماء ما رأيت ماء عذبا ولا
ماء سماء اطيب منه قال قلت جئت به من بيت هذه العجوز النصرانية فلما توضأ اتاها فقال ايتها العجوز اسلمي تسلمي
بعث الله محمدا بالحق قال فكشفت عن راسها فاذا مثل الثغامة فقالت عجوز كبيرة وانما اموت الان فقال عمر
اللهم اشهد اخرجه الدارقطني حدثنا الحسين بن اسماعيل حدثنا [illegible] الوشنجي نا سفيان [illegible] ورواه
ابو علي الحسن بن اسماعيل الصفار حدثنا خلاد بن اسلم حدثنا سفيان عن زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر توضأ من بيت نصرانية اتاها
فقال ايتها العجوز اسلمي وذكر الحديث بمثله السادسة واما الجلد اذا دبغ او

فقال مالك يغسل الإناء سبعاً ولا يتوضأ به وهو طاهر وقال الثوري يتوضأ بذلك الماء ويتيمم بعده وهو
قول عبد الملك بن عبد العزيز ومحمد بن مسلمة وقال أبو حنيفة الكلب نجس ويغسل الإناء لا يتحرز وبه
قال الشافعي وأحمد وإسحاق وقد كان مالك يرى يجوز اتخاذ الكلاب ويرى لا يجوز اتخاذها
وفي غسل الإناء من ولوغه وتحصيل مذهبه أنه طاهر عنده لا ينجس ولوغه شيئاً ولغ فيه طعاماً ولا غيره
إلا أنه استحب إهراق ما ولغ فيه من الماء ليسارة مؤونته وكلب البادية والحاضرة سواء ويغسل الإناء منه
على كل حال سبعاً تعبداً هذا تحصيل مذهبه عند المناظرين من أصحابه ذكره ابن عبد البر وقد روي عن عبد
الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء عن أبي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحياض التي تكون
فيما بين مكة والمدينة فقيل له إن الكلاب والسباع ترد عليها فقال لها ما أخذت في بطونها ولنا ما بقي
شراب وطهور أخرجه الدارقطني وهذا نص على طهارة الكلاب وطهارة ما ولغ فيه وروي عن ابن عمر أن
الكلاب كانت تقبل وتدبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكونوا يرشون شيئاً من ذلك وقال عمر بحضرة الصحابة
لصاحب الحوض الذي سأله عمرو بن العاص هل ترد حوضك السباع فقال عمر يا صاحب الحوض لا تخبرنا
فإنا نرد على السباع وترد علينا أخرجه مالك والدارقطني ولم ينزه السباع والكلب جملتها ولا حجة
للمخالف في الأمر بإراقة ما ولغ فيه وأن ذلك للنجاسة وإنما الأمر بإراقته لأن النفس تعافه لا لنجاسته لأن
التنزه عن الأقذار مندوب إليه أو تغليظاً عليهم لأنهم نهوا عن اقتنائها كما قال ابن عمر والحسن فلما لم ينتهوا
عن ذلك غلظ عليهم في الغسل تغليظاً حتى يشق عليهم فيمتنعوا من اقتنائها وأما الأمر
بغسل الإناء فعبادة لا لنجاسة كما ذكرناه ويدل على صحته أن الغسل قد دخله العدد والتراب وقد
جعل للتراب فيه مدخل لقوله عليه السلام وعفروه الثامنة بالتراب ولو كان للنجاسة لما كان للعدد ولا
للتراب فيه مدخل كالبول وقد جعل صلى الله عليه وسلم الهر وما ولغ فيه طاهراً والهر سبع لا خلاف
ذلك لأنه يفترس ويأكل الميتة فكذلك الكلب وما كان مثله من السباع لأنه إذا جاز في أحدهما كان
نظيره مثله وهذا أقوى أنواع القياس هذا القول الذي ليس لنا فيه دليل وقد ذكرنا النص على طهارته فسقط
قول المخالف والحمد لله المسألة السابعة ما مات في الماء مما لا دم له لم ينجس الماء إن لم يغير
ريحه فإن أنتن لم يتوضأ به وكذلك ما كان له دم سائل من دواب الماء كالحوت والضفدع لم ينجس
ذلك الماء بموته فيه إلا أن يتغير رائحته فإن تغيرت رائحته وأنتن لم يجز التطهير به ولا الوضوء فيه بحال

اتن

عند مالك والماء الذي سابح جناب في إناء ووقع منه ماء ولم يتغير لون ولا طعم ولا ريح فهو طاهر
مطهر سواء كان الإناء قليلاً أو كثيراً عند المدنيين واستحب بعضهم أن يريق ذلك الماء لاستطابة
النفس ولا يحدون في ذلك حداً لا يتعدونه ويكرهون استعمال ذلك الماء إلا أن لم يرق إلا أن كان استعماله
في غسل أو وضوء جاز إذا كانت حاله ما وصف وقد كان بعض أصحاب مالك يرى أن لا يتوضأ به إلا
وإن لم يتغير أن يتيمم ويصلي ليصلي بالطهارتين احتياطاً فإن لم يفعل وصلى بذلك الماء أجزأه روى الدارقطني
عن محمد بن سيرين أن زنجياً وقع في زمزم يعني فمات فأمر به ابن عباس فأخرج فأمر بها أن تنزح قال
فغلبتهم عين جاءتهم من الركن فأمر بها فدسمت بالقباطي والمطارف حتى نزحوها فلما نزحوها انفجرت عليهم
وأخرج عن أبي الطفيل أن غلاماً وقع في زمزم فنزفت وهذا يحمل أن يكون للتنزه والله أعلم وبعده
شعر للغرة [illegible] فإن كان ليس [illegible] لا يتوضأ منها ولكن [illegible] والحدا
ولا يحد أداه [illegible] فلا بأس [illegible] وأظنه قد ذكر الوقوع أخرج الدارقطني عن الحسن
بن إسماعيل [illegible] محمد بن الوليد [illegible] محمد [illegible] قدم الشام [illegible]
وسئل [illegible] والصحابة [illegible] وسائر [illegible] بالحجاز والعراق أن [illegible] في الطهر الطاهر والماء
ما بين [illegible] الوضوء [illegible] أخرجه مالك [illegible] وقد [illegible] عن أبي هريرة [illegible] عن
بن أبي رباح وسعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين أنهم أمروا بإراقة ما ولغ فيه الكلب وغسل الإناء [illegible]
عن الحسن ويحتمل أن يكون الحسن رأى [illegible] نجاسة [illegible] قال الترمذي [illegible]
[illegible] عن عائشة وأبي هريرة [illegible] حديث حسن صحيح وهو قول أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] الشافعي وأحمد وإسحاق [illegible] وهذا [illegible] في الباب [illegible]
هذا الحديث عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة [illegible] قال الحافظ أبو عمر [illegible] عبد الله
[illegible] والاختلاف [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] أنه [illegible]
على [illegible] إلا [illegible] قال [illegible] الوضوء [illegible]
أعلم [illegible] الوضوء [illegible] لم [illegible] في الحلب [illegible]
على [illegible] في باب [illegible] غسل الإناء [illegible] وما [illegible]

ومن حجتهم أيضا ما رواه قرة بن خالد عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال طهور الإناء
إذا ولغ فيه الهر أن يغسل مرة أو مرتين شك قرة وهذا الحديث لم يرفعه إلا قرة بن خالد وقرة ثقة ثبت
قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذا الحديث صححه الدارقطني ولفظه طهور الإناء إذا ولغ فيه الكلب
أن يغسل سبع مرات الأولى بالتراب والهر مرة أو مرتين شك قرة قال أبو بكر كذا رواه أبو عاصم
مرفوعا ورواه غيره عن قرة ولوغ الكلب مرفوعا وولوغ الهر موقوفا وروى أبو صالح عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يغسل الإناء من الهر كما يغسل من الكلب قال الدارقطني لا يثبت
هذا مرفوعا والمحفوظ من قول أبي هريرة واختلف عنه وذكر معمر وابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه
أنه كان يجعل الهر مثل الكلب وعن مجاهد أنه قال في الإناء يلغ فيه السنور قال اغسله سبع مرات
قاله الدارقطني الماء المستعمل طاهر إذا كانت أعضاء المتوضئ طاهرة إلا
أن مالكا وجماعة من العلماء يكرهون الوضوء به وقال مالك لا خير فيه ولا أحب لأحد أن يتوضأ به
فإن فعل وصلى لم أر عليه إعادة الصلاة وليتوضأ لما يستقبل وقال أبو حنيفة والشافعي وأصحابهما لا يجوز
استعماله في رفع الحدث ومن توضأ به أعاد لأنه ليس بماء مطلق وتيمم واجده لأنه ليس بواجد ماء وقال
بقولهم في ذلك أصبغ بن الفرج وهو قول الأوزاعي واحتج أحد أصحاب الشافعي بحديث مالك وجماعة عن
بن عيينة لعبد مسلم وعن عطاء بن يسار وقالوا الماء إذا توضئ به خرجت الخطايا معه فوجب التنزه عنه
لأنه ماء الذنوب قال أبو عمر وهذا عندي لا حجة له لأن الذنوب لا تنجس الماء لأنها لا أشخاص لها ولا
أجسام تمازج الماء فتفسده وإنما معنى قوله خرجت الخطايا مع الماء إعلام منه بأن الوضوء للصلاة عمل
يكفر الله به السيئات عن عباده المؤمنين رحمة منه بهم وتفضلا عليهم وقال أبو ثور وداود مثل قول مالك
إن الوضوء بالماء المستعمل جائز لأنه ماء طاهر لا ينضاف إليه شيء فهو ماء مطلق واحتجوا بإجماع الأمة
على طهارته إذا لم يكن في أعضاء المتوضئ نجاسة وإلى هذا ذهب أبو عبد الله المروزي محمد بن نصر وروي
عن علي بن أبي طالب وابن عمر وأبي أمامة وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري والنخعي ومكحول والزهري
قالوا ومن نسي مسح رأسه فوجد في لحيته بللا أنه يجزئه أن يمسح بذلك البلل رأسه فهؤلاء كلهم أجازوا
الوضوء بالماء المستعمل روى عبد الله بن صالح حدثنا إسحاق بن سويد عن العلاء بن زياد عن رجل من أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم رضي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم ذات يوم وقد اغتسل وقد بقيت لمعة

رجس لم ينجسه الماء فقلنا يا رسول الله هذه لمعة لم يصبها الماء فكان له شعر وارد فعصر
شعره عليها على المكان قبله اخرجه الدارقطني وقال عبد الله بن صالح هذا يعرف وليس
بقوي وعن ابن الحباب يرويه عن اسحق عن العلاء مرسلا وهو الصواب قال
الشيخ المؤلف رحمه الله الوادي اشبه عن اسحق بن سعيد العدوي عن العلاء بن زياد العدوي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اغتسل الحديث ذكره ابو هشيم قاله الغوري مسالة
الماء المستعمل انما ينبني على اصل اخر وهو ان الماء اذا ادي به فرض هل يؤدى به فرض اخر ام لا
فمنع ذلك المخالف قياسا على الرقبة اذا ادي بها فرض عتق لم يصلح ان يكون اذا فرض اخر وهذا
باطل من القول فان العتق اذا اتى على الرق ابطله فلا يبقى محل لاداء الفرض الاخر وبالعكس الماء
فانه اذا وقع للاعضاء فان اتصل يؤدى به فرض اخر لسلفه عنه كما لو ملك الرقبة في الرق بالعتق
حكما وهذا ليس بالمفهوم العاشر لم يزل الماء واحكامه الماء
يقع في النجاسة وتقع النجاسة فيه ورد الماء عليها ان الماء وغيره لقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء
لا ينجسه شيء الا ما غلب عليه طعمه او ريحه او لونه ورد الشافعي فقالوا اذا ورد النجاسة
على الماء نجس واختاره ابن العربي وقال في اصول الشريعة في احكام المياه ان ورود النجاسة على
الماء ليس كورود الماء على النجاسة لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح اذا استيقظ احدكم
من نومه فلا يغمس يده في الاناء حتى يغسلها فان احدكم لا يدري اين باتت يده فمنع ورود اليد
على الماء وامر بايراد الماء عليها وهذا اصل بديع في الباب ولولا وروده على النجاسة قليلا
كان او كثيرا ما طهرت وقد شرع النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في بول الاعرابي في المسجد صبوا عليه
ذنوبا من ماء فاستمسكه هو العادي واستدلوا ايضا بحديث القلتين فقالوا اذا كان الماء دون قلتين
فحلته نجاسة نجس وان لم يتغير وان ورد ذلك القدر فاكمل على النجاسة فادبغ عنها بقي الماء
على طهارته وازال النجاسة وهذه مناقضة اذ المخالطة قد حصلت للصورتين وتوهمهم ان وروده
على النجاسة وورودها عليه في الصورتين ليس في الفتوى وليس كذلك فان التعداد يلمح الاشياء
المعاني وفي باب ازالة النجاسة واحكامها من هذا كله مزيد قول اعلم ان الماء طهور لا ينجسه شيء
الا ما غير لونه او طعمه او ريحه قال الشيخ المؤلف رحمه الله اخرجه الدارقطني عن
رشدين بن سعد ابي الحجاج عن معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن ابي امامة الباهلي عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم

ولم

ولیس فی ذکر اللون وقال لم یرفعه غیر رشدین عن معویة بن صالح ولیس بالقوی واحسن الاسناد لا له
ما رواه ابو اسامة عن الولید بن کثیر عن محمد بن جعفر عن عبید الله بن عبد الله بن رافع بن خدیج عن ابی سعید الخدری
قال قیل یا رسول الله انتوضا من بئر بضاعة وهی بئر یلقی فیها الحیض ولحوم الکلاب والنتن فقال رسول
الله صلی الله علیه وسلم ان الماء طهور لا ینجسه شیء اخرجه ابو داود والترمذی والدارقطنی کلهم
بهذا الاسناد قال ابو عیسی هذا حدیث حسن وقد جود ابو اسامة هذا الحدیث لم یرو حدیث
ابی سعید فی بئر بضاعة احسن مما روی ابو اسامة هذا الحدیث نص فی ورود النجاسة علی الماء وقد حکم
صلی الله علیه وسلم بطهارته وطهوریته قال ابو داود سمعت قتیبة بن سعید قال سالت قیم بئر بضاعة
عن عمقها قلت اکثر ما یکون الماء فیها قال الی العانة قلت فاذا نقص قال دون العورة قال ابو
داود قدرت انا بئر بضاعة بردائی مددته علیها ثم ذرعته فاذا عرضها ستة اذرع وسالت الذی
فتح لی باب البستان فادخلنی الیه هل غیر بناؤها عما کانت علیه فقال لا ورایت فیها ماء متغیر
اللون فکان هذا دلیلا علی ما ذکرناه عن ابی اسحاق المروزی قال انها فی وسط السیل فماؤه یکون متغیرا
من ارایحه والله اعلم

الحادیة عشرة الماء الطاهر المطهر الذی یجوز به الوضوء
وغسل النجاسات هو الماء الصافی القراح من ماء السماء والانهار والبحار والعیون والابار ونحوها
عند الکل ما دام مطلقا غیر مضاف الی شیء کما خلقه الله عز وجل صافیا والطهور لو رایته علی ما بیناه
وخالف فی هذه الجملة ابو حنیفة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو فاما ابو حنیفة فاجاز الوضوء بالنبیذ
فی السفر وجوز ازالة النجاسة بکل مایع طاهر واما بالنبیذ والمرق ففیه روایتان لا یجوز ازالتها به
الا ان اصحابه یقولون ازالة النجاسة جائز ولذلک عندهم النار والشمس حتی ان جلد المیتة اذا
جف فی الشمس طهر من غیر دباغ وکذلک النجاسة علی الارض اذا جفت بالشمس فانه یطهر ذلک الموضع
بحیث تجوز الصلاة علیه ولکن لا یجوز التیمم بذلک التراب ودلیلنا ان الله تعالی لما وصف الماء بانه طهور
وامتن بانزاله للتطهیر به دل علی اختصاصه بذلک وایضا قوله علیه السلام لاسماء بنت الصدیق فی
دم الحیض یصیب الثوب حتیه ثم اقرصیه ثم اغسلیه بالماء فلذلک لم یجز غیر الماء لما فی ذلک
من ابطال للامتنان ولان النجاسة حکم شرعی علقه صاحب الشرع بالماء فلا یجوز بغیره اذ لیس
فی معناه ولانه لو جاز لاسقطه ذلک النوع اذا کان الحکم ما الاصل الا اسقاط معنی فی نفسه

وقد كان باح السنة ذو العمر الماضي الدنوي يسمى شرح [illegible] قال الشيخ المؤلف
رحمه الله وأما الاستدلال على استعمال النبيذ فأحاديث واهية ضعاف لا تقوم بها على إثبات
ذكر الدلالة ولكن وصفها ونص عليها ولذلك ضعف ما روي عن ابن عباس توضؤوا بالنبيذ وضوءكم لأن
في طريقه محمد متروك الحديث وكذلك ما روي عن علي أنه قال لا بأس بالوضوء بالنبيذ الحجاج وأبو ليلى
ضعيفان وضعف حديث ابن مسعود وقال ليزيد بن لهيعة وهو ضعيف الحديث وذكر عن علقمة قيل
قال قلت لعبد الله بن مسعود أشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد فقال أتاه داعي الجن قال الآن
قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذا إسناد صحيح لا خلاف في عدالة رواته ولعل الترمذي حديث
ابن مسعود قال سألني النبي صلى الله عليه وسلم ما في إداوتك فقلت نبيذ فقال تمرة طيبة وماء طهور قال فتوضأ
منه قال أبو عيسى وإنما روي هذا الحديث عن أبي زيد عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبو زيد رجل مجهول
عند أهل الحديث لا تعرف له رواية غير هذا الحديث وقد رأى بعض أهل العلم الوضوء بالنبيذ منهم سفيان وغيره
وقال بعض أهل العلم لا يتوضأ بالنبيذ وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق وقال إسحاق إن ابتلي رجل بهذا
فتوضأ بالنبيذ وتيمم أحب إلي قال أبو عيسى وقول من يقول لا يتوضأ بالنبيذ أقرب إلى الكتاب وأشبه لأن الله
تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا وهذه المسألة [illegible] الخلاف وعندهما المحصل [illegible]
الماء [illegible] الباب الثامنة عشرة لما قال الله تعالى وأنزلنا
ماء طهورا وقال ليطهركم به [illegible] في ماء البحر ليس [illegible] عبد الله بن عمرو وابن عمر
لا يتوضأ [illegible] ولكن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] هو الطهور ماؤه
الحل ميتته أخرجه مالك وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وهو قول أكثر الفقهاء من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم منهم أبو بكر وعمر وابن عباس لم يروا بأسا بماء البحر وقد كره بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الوضوء
بماء البحر منهم ابن عمر وعبد الله بن عمرو وقال عبد الله بن عمرو هو نار قال أبو عمر وقد سأله أبو عيسى الترمذي عن حديث
مالك هذا عن صفوان بن سليم فقال هو عندي حديث صحيح قال أبو عيسى فقلت للبخاري هشيم يقول فيه ابن أبي برزة وقال
وهم فيه إنما هو المغيرة بن أبي بردة قال أبو عمر لا أدري ما هذا من البخاري ولو كان صحيحا لأخرجه في مصنفه الصحيح
ولم يفعل لأنه لا يعول في الصحيح إلا على الإسناد وهذا الحديث لا يحتج أهل الحديث بمثل إسناده وهو عندي صحيح
لأن العلماء تلقوه بالقبول والعمل به ولا يخالف في جملته أحد من الفقهاء وإنما الخلاف بينهم في بعض معانيه وقد
لم

أجمع جمهور العلماء وجماعة أئمة الفتوى بالأمصار من الفقهاء أن البحر طهور ماؤه وأن الوضوء جائز
إلا ما روي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص أنهما كرها الوضوء بماء البحر
ولم يتابعهما أحد من فقهاء الأمصار على ذلك ولا عرج عليه ولا التفت إليه لحديث هذا الباب وهذا يدلك
على اشتهار الحديث عندهم وعملهم به وقبولهم له وهو أولى عندهم من الإسناد الظاهر الصحة لمعنى ترده
الأصول وبالله التوفيق قال أبو عمر صفوان بن سليم مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري من عباد
أهل المدينة وأتقاهم لله ناسكا كثير الصدقة بما وجد من قليل وكثير كثير العمل خائفا لله يكنى أبا عبد الله
سكن المدينة لم ينتقل عنها وبها مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة ذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل قال سمعت
أبي يسأل عن صفوان بن سليم فقال هو من خيار عباد الله وفضلاء المسلمين وأما سعيد بن سلمة فلم يرو عنه
فيما علمت إلا صفوان والله أعلم ومن كانت هذه حاله فهو مجهول لا تقوم به حجة عند جميعهم وأما
المغيرة بن أبي بردة فقد قيل عنه إنه غير معروف في حملة العلم كسعيد بن سلمة وقيل ليس بمجهول قال أبو عمر
المغيرة بن أبي بردة وجدت ذكره في مغازي موسى بن نصير بالمغرب وكان موسى يستعمله على الخيل وفتح الله
له في بلاد البربر فتوحات في البر والبحر روى الدارقطني من طريق مالك عن الزهري أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من لم يطهره ماء البحر فلا طهره الله [illegible]
قال ابن العربي توهم قوم أن الماء إذا فضلت منه للجنب فضلة لا يتوضأ به وهو مذهب باطل فقد ثبت
عن ميمونة أنها قالت أجنبت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فاغتسلت من جفنة وفضلت فضلة فجاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغتسل منها فقلت إني قد اغتسلت منه فقال إن الماء ليس عليه جنابة
وأن الماء لا ينجس قال أبو عمر وردت آثار في هذا الباب مرفوعة في النهي عن أن يغتسل الرجل بفضل
المرأة وزاد بعضهم في بعضها وليغترفا جميعا فقالت طائفة لا يجوز أن يغترف الرجل مع المرأة في
إناء واحد لأن كل واحد منهما متوضئ بفضل صاحبه وقال آخرون إنما كره من ذلك أن تنفرد المرأة بالإناء
ثم يتوضأ الرجل بعدها بفضلها وكل واحد منهم روى ما ذهب إليه أثرا والذي ذهب إليه الجمهور من
العلماء وجماعة فقهاء الأمصار أن لا بأس أن يتوضأ الرجل بفضل المرأة وتتوضأ المرأة بفضل [illegible]
المرأة بالإناء أو لم تنفرد وفي مثل هذا آثار صحاح والذي يذهب إليه أن الماء لا ينجسه شيء إلا ما ظهر فيه

النجاسات او على علمه فلا وجه للاستعمال بماء الاستحمام للاماء والاولى والله المستعان

روى الترمذي عن ابن عباس قال حدثتني ميمونة قالت كنت اغتسل انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من
اناء واحد من الجنابة قال هذا حديث حسن صحيح وروى البخاري عن عائشة قالت كنت اغتسل انا والنبي صلى الله
عليه وسلم من اناء واحد يقال له الفرق وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغتسل
بفضل ميمونة وروى الترمذي عن ابن عباس قال اغتسل بعض ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جفنة
فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتوضأ منه فقالت يا رسول الله اني كنت جنبا فقال ان الماء لا يجنب
قال هذا حديث حسن صحيح وهو قول سفيان الثوري ومالك والشافعي وروى الدارقطني عن عمرة عن عائشة قالت
كنت اتوضأ انا والنبي صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وقد اصابت الهرة منه قبل ذلك قال هذا حديث حسن صحيح
وروى [illegible] عن رجل من بني غفار قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فضل طهور المراة وقال [illegible] عن عبد الله
بن سرجس وفي بعض الطرق فضل طهور المراة وهو قول احمد واسحاق **الرابع عشر**
روى الدارقطني عن زيد بن اسلم مولى عمر بن الخطاب ان عمر بن الخطاب كان يسخن له ماء في قمقم ويغتسل به قال
وهذا اسناد صحيح وروي عن عائشة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سخنت ماء في الشمس فقال
لا تفعلي يا حميراء فانه يورث البرص رواه خالد بن اسمعيل المخزومي عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة
وهو متروك ورواه عمرو بن الاعشم عن فليح عن الزهري عن عروة عن عائشة وهو منكر الحديث ولم يروه عن
فليح ولا يصح عن الزهري قاله الدارقطني **الخامس عشر** كل اناء طاهر
يجوز الوضوء منه الا اناء الذهب والفضة لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اتخاذهما وذلك والله اعلم للتشبه
بالاعاجم والجبابرة لا لنجاسة فيهما ومن توضأ فيهما اجزاه وضوءه وكان عاصيا باستعمالهما وقد قيل لا يجزيه الوضوء
في احدهما والاول اكثر قال ابو عمر وكل جلد ذكي يجوز استعماله للوضوء وغيره وكان مالك يكره الوضوء
في اناء جلد الميتة بعد الدباغ على اختلاف من قوله وسيأتي في النحل **قوله**
تعالى لنحيي به بلدة ميتا اي بالمطر بلدا ميتا بالجدوبة والمحل وعدم النبات قال كعب المطر روح الارض يحييها الله
وقال ميتا ولم يقل ميتة لان معنى البلدة والبلد واحد قاله الكسائي وقيل اراد بالبلد المكان ونسقيه [illegible]
[illegible] وقراه عمر بن الخطاب وعاصم ولا عمل [illegible] روى المفضل عنهما نسقيه بفتح النون مما خلقنا

انعاما واناسي كثيرا اي بشرا كثيرا واناسي واحدها انسي نحو جمع القرقور قراقير وقراقر في
قول الاخفش والمبرد واحد قولي الفرا وله قول اخر وهو ان يكون واحده انسانا ثم تبدل من
النون ياء فتقول اناسي والاصل اناسين مثل سرحان وسراحين وبستان وبساتين فجعلوا الياء عوضا
من النون وعلى هذا يجوز سراحي وبساتي لا فرق بينهما قال الفرا ويجوز اناسي بتخفيف الياء كانهم
اسقطوا الياء التي تكون بين لام الفعل وعينه مثل قراقير وقراقر ويقوي قول الكسائي اولم يقل كثيرا لان فعيلا
قد يراد به الكثير نحو وحسن اولئك رفيقا قوله سبحانه تعالى ولقد صرفناه بينهم ليذكروا
وقد تقدم ذكره في اول السورة قوله تبارك الذي نزل الفرقان وقوله لقد اضلني عن الذكر بعد اذ
جاءني وقوله اتخذوا هذا القرآن مهجورا ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وكفرانا وقيل
ولقد صرفناه بينهم يعني المطر وروي عن ابن عباس وابن مسعود انه ليس عام باكثر مطرا من عام ولكن
الله يصرفه حيث يشاء ثم قرا … ولقد صرفناه بينهم وابلا
وطشا وطلا ورهاما ورذاذا الجوهري الرهام الامطار الضعيفة الواحدة رهمة بالكسر
وجمع اطشاش وقيل تصريفه تنويع الانتفاع به في الشرب والسقي والزراعات والطهارات
وسقي البساتين والغسل وشبهه ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا قال عكرمة هو قولهم في الانواء
مطرنا بنوء كذا … ولا نعلم بين اهل التفسير خلافا ان الكفر هنا قولهم مطرنا بنوء كذا وكذا
وان نظيره فعل النجم كذا وان كل من نسب الى فعل النجم فهو كافر وروى الربيع بن صبيح قال مطر الناس على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فلما اصبح قال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح الناس فيها على
شاكر وكافر فاما الشاكر فيحمد الله على سقياه وغياثه واما الكافر فيقول مطرنا بنوء كذا وكذا
… على صحة معناه … في الواقعة وروي من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما
من سنة بامطر من اخرى ولكن اذا عمل قوم بالمعاصي صرف الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله
ذلك الى الفيافي والبحار وقيل التصريف راجع الى الريح وقد مضى في البقرة بيانه وقرا حمزة والكسائي
ليذكروا مخففة الذال المضمومة الباقون مثقلة اي ليتذكروا نعم الله ويعلموا ان من انعم بها
لا يجوز الاشراك به فالتذكير قريب من الذكر غير ان التذكير يطلق فيما بعد عن القلب فيحتاج الى تكلف
التذكير قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا اي رسولا ولكن بعثناك نذيرا للجميع
ليخفف عليك اعباء النبوة ولكنا لم نفعل بل حملناك ثقل نذارة الجميع لتستوجب بذلك ما اعد الله

عليك فلا تطع الكافرين اي جاهد عوك للكفار اتباع الهتهم وجاهدهم به قال ابن عباس بالقرآن ابن زيد
بالاسلام وقيل بالسيف وهذا فيه بعد لان السورة مكية نزلت قبل الامر بالقتال جهادا كبيرا اي كاملا لا يخالطه فتور
قوله تعالى وهو الذي مرج البحرين عاد الكلام الى ذكر النعم ومرج خلى وخلط وارسل قال
مجاهد ارسلهما وافاض احدهما في الآخر قال ابن عرفة مرج البحرين اي خلطهما فهما يلتقيان يقال مرجته اذا
خليته ومرج الدين والامر اختلط واضطرب ومنه قوله تعالى في امر مريج ومنه قوله عليه السلام لعبد الله بن عمرو
بن العاص اذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه
فقلت له كيف اصنع عند ذلك جعلني الله فداك قال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف
ودع ما تنكر وعليك بخاصة امر نفسك ودع عنك امر العامة خرجه النسائي وابو داود وغيرهما
وقال الازهري مرج البحرين خلى بينهما يقال مرجت الدابة اذا خليتها ترعى وقال ثعلب المرج الاجراء
فقوله مرج البحرين اي اجراهما وقال الاخفش ويقول قوم امرج البحرين مثل مرج فعل وافعل بمعنى هذا
عذب فرات اي حلو شديد العذوبة وهذا ملح اجاج اي فيه ملوحة ومرارة وروي عن طلحة انه قرأ وهذا
ملح بفتح الميم وكسر اللام وجعل بينهما برزخا اي حاجزا من قدرته لا يغلب احدهما على صاحبه كما قال في سورة
الرحمن مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وحجرا محجورا اي سترا مستورا يمنع احدهما من الاختلاط
بالاخر فالبرزخ الحاجز والحجر المانع وقال الحسن يعني بحر فارس وبحر الروم وقال ابن عباس وابن جبير يعني بحر
السماء وبحر الارض قال ابن عباس يلتقيان في كل عام وبينهما برزخ قضاء من قضائه وحجرا محجورا حراما محرما ان
يعذب هذا الملح بالعذب او يملح هذا العذب بالملح قوله تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا
فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا اي خلق من النطفة انسانا فجعله اي جعل الانسان
نسبا وصهرا وقيل من الماء اشارة الى اصل الخلق ان كل حي مخلوق من الماء وفي هذه الآية تعديد النعمة على الناس في
ايجادهم بعد العدم والتنبيه على العبرة في ذلك الثانية قوله تعالى فجعله نسبا وصهرا
النسب والصهر معنيان يعمان كل قربى تكون بين ادميين قال ابن العربي النسب عبارة عن خلط الماء بين الذكر
والانثى على وجه الشرع فان كان بمعصية كان خلقا مطلقا ولم يكن نسبا محققا ولذلك لم يدخل تحت قوله حرمت عليكم امهاتكم
وبناتكم بنته من الزنا لانها ليست ببنت له في اصح القولين لعلمائنا واصح القول
في الدين واذا لم يكن نسب شرعا فلا صهر شرعا فلا يحرم الزنا بنت ام ولا ام بنت وما يحرم من الحلال لا يحرم من الحرام

لان

لان الله امتن بالنسب والصهر على عباده ورفع قدرهما وعلق الاحكام في الحل والحرمة عليهما فلا
يلحق الباطل بهما ولا يساويهما قال الشيخ المؤلف رحمه الله اختلف العلماء في نكاح الرجل ابنته
من زنا او اخته بنت امه من زنا فحرم ذلك قوم منهم ابن القاسم وهو قول ابي حنيفة واصحابه واجاز
ذلك اخرون منهم عبد الملك بن الماجشون وهو قول الشافعي وقد مضى هذا في النساء مجودا قال
الفرا النسب الذي لا يحل نكاحه والصهر الذي يحل نكاحه وقال الزجاج وهو قول علي بن ابي طالب
واسحاق الصهر من صهرت الشي اذا خلطته فكل واحد من الصهرين قد خالط صاحبه فسميت المناكح
صهرا لاختلاط الناس بها وقيل الصهر قرابة النكاح فقرابة الزوجة هم الاختان وقرابة الزوج
هم الاحماء والاصهار يقع عاما لذلك كله قاله الاصمعي وقال ابن الاعرابي الاختان ابو المراة
واخوها وعمها كما قال الاصمعي زوج ابنة الرجل واخوه وابوه وعمه وقال محمد بن الحسن في رواية
ابي سليمان الجوزجاني اختان الرجل ازواج بناته واخواته وعماته وخالاته وكل ذات محرم منه
واصهاره كل ذي رحم محرم من زوجته قال النحاس الاولى في هذا ان يكون القول في الاصهار
ما قال الاصمعي وان يكون من قبلهما جميعا يقال صهرت الشي اي خلطته فكل واحد منهما قد
خلط صاحبه والاولى في الاختان ما قال محمد بن الحسن لجهتين احداهما الحديث المرفوع روى
محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابن اسامة بن زيد عن ابيه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اما انت يا علي فختني وابو ولدي وانت مني وانا منك فهذا دليل على ان زوج البنت
ختن والجهة الاخرى ان اشتقاق الختن من ختنه اذا قطعه فكان الزوج قد انقطع عن اهله وقطع
زوجته عن اهلها وقال الضحاك الصهر قرابة الرضاع قال ابن عطية وذلك عندي وهم
اوجبه ان ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر خمس وفي رواية اخرى من الصهر سبع يريد قول
الله عز وجل حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات
الاخت فهذا هو النسب ثم يريد بالصهر قوله تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم الى قوله وان تجمعوا
بين الاختين ثم ذكر المحصنات وحمل هذا ان ابن عباس اراد حرم من الصهر ما ذكر معه فقد
اشار بما ذكر الى عظمه وهو الصهر لا ان الرضاع صهر وانما الرضاع عديل النسب يحرم منه ما يحرم من النسب
بحكم الحديث المأثور فيه ومن روى وحرم من الصهر خمس اسقط من الاية الجمع بين الاختين والمحصنات وهن
ذوات الازواج قال الشيخ المؤلف رحمه الله وابن عطية جعل الرضاع مع

ما بعد نسبا وهو قول الزجاج قال أبو إسحق النسب الذي ليس بصهر قوله جل ثناؤه حرمت عليكم
أمهاتكم الى قوله وأن تجمعوا بين الأختين والصهر من يحل له التزويج قال ابن عطية وحكى الزهراوي
قولا أن النسب من جهة البنين والصهر من جهة البنات قال الشيخ المؤلف رحمه الله
وذكر هذا القول النحاس وقال لأن المصاهرة من جهتين تكون وقال ابن سيرين نزلت هذه الآية
في النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنهما لأنه جمعه معه نسب وصهر قال ابن عطية فاجتماعهما
وكادة حرمة الى يوم القيمة وكان ربك قديرا على خلق ما يريده قوله تعالى
ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم لما عدد نعمه وكمال قدرته عجب المشركين في اشراكهم
من لا يقدر على نفع ولا ضر أي ان الله هو الذي خلق ما ذكرتم ثم هؤلاء لجهلهم يعبدون من دونه أمواتا
جمادات لا تسمع ولا تبصر وكان الكافر على ربه ظهيرا روي عن ابن عباس الكافر هنا أبو جهل
وشرحه أنه يستظهر بعبادة الأوثان على أوليائه وقال عكرمة الكافر إبليس ظهير على عداوة ربه
وقال مطر الكافر هنا الشيطان وقال الحسن ظهيرا أي معينا للشيطان على المعاصي وقيل المعنى
وكان الكافر على ربه هينا ذليلا لا قدر له ولا وزن عنده من قولهم ظهرت به أي جعلته خلف
ظهرك ولم تلتفت إليه ومنه قوله تعالى واتخذتموه وراءكم ظهريا أي هينا ومنه قول الفرزدق

تميم بن بدر لا تكونن حاجتي بظهر ولا يعيى علي جوابها

هذا معنى قول أبي عبيدة وظهير بمعنى
مظهور أي كفر الكافر هين على الله تعالى والله مستهين به لأن كفره لا يضره وقيل وكان الكافر على ربه
الذي يعبده وهو الصنم قويا غالبا يعمل به ما يشاء لأن الجماد لا قدرة له على دفع ونفع قوله
تعالى وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا يريد بالجنة مبشرا ونذيرا من النار وما أرسلناك وكيلا ولا
مسيطرا قل ما أسألكم عليه من أجر يريد على ما جئتكم به من القرآن والوحي من أجر إلا من شاء
لكن من شاء فهو استثناء منقطع والمعنى لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا بإنفاق من ماله في سبيل الله فلينفق
ويجوز أن يكون متصلا ويقدر حذف المضاف التقدير إلا أجر من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا باتباع ديني
حتى ينال كرامة الدنيا والآخرة قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت تقدم معنى التوكل
في آل عمران وهذه السورة وأن اعتماد الخلق على الله تعالى في كل الأمور وأن الأسباب وسائط أمر بها
من غير اعتماد عليها وسبح بحمده أي نزه الله عما يصفه هؤلاء الكفار به من الشركاء والتسبيح التنزيه
وقد تقدم وقيل وسبح أي صل وتسمى الصلاة تسبيحا وكفى به بذنوب عباده خبيرا أي عليما فيجازيهم

بتم

و

قوله تعالى الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش نعت
للاعراف والذي في موضع خفض نعتا للحي وقال بينهما ولم يقل بينهن لانه اراد الصنفين والنوعين
والشيئين كقول القطامي   الم يحزنك ان حبال قيس وتغلب قد تباينتا انقطاعا
اراد وحبال تغلب فثنى والحبال جمع لانه اراد الشيئين والنوعين الرحمن فسئل به خبيرا
قال الزجاج المعنى فسل عنه وقد حكى هذا جماعة من اهل اللغة ان الباء بمعنى عن كما قال سال
سائل بعذاب واقع وقال الشاعر   هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ان كنت
جاهلة بما لم تعلمي وقال امرؤ القيس فان تسألوني بالنساء فانني خبير بادواء النساء طبيب
اي عن النساء وعما لم تعلم وانكر علي بن سليمان وقال اهل النظر ينكرون ان تكون الباء بمعنى عن لان
في هذا افساد المعاني قول العرب لو لقيت فلانا للقيتك به الاسد اي للقيك بلقائك
اياه الاسد المعنى فسل بسؤالك اياه خبيرا وكذلك قال ابن جبير الخبير الله تعالى فخبيرا
نصب على المفعول به بالسؤال قال   الشيخ المولف رحمه الله قول الزجاج يخرج
على وجه حسن وهو ان يكون الخبير غير الله اي فسل عنه خبيرا اي عالما اي بصيرا واي ... وقيل
المعنى فسل له خبيرا فهو نصب على الحال من الهاء المضمر قال المهدوي ولا يحسن حالا اذ لا يخلو
ان تكون الحال من السائل والمسؤول ولا يصح كونها حالا من الفاعل لان الخبير لا يحتاج ان يسأل غيره
ولا تكون من المفعول لان المسؤول عنه وهو الرحمن خبير ابدا والحال اغلبها الانتقال وتسهل
الا ان يحمل على انها حال مؤكدة مثل وهو الحق مصدقا فيجوز واما الرحمن ففي رفعه ثلثة اوجه يكون
بدلا من المضمر الذي في استوى ويجوز ان يكون مرفوعا بالابتداء وخبره فسل عنه خبيرا ويجوز الخفض
بمعنى وتوكل على الحي الذي لا يموت الرحمن يكون نعتا ويجوز النصب على المدح قوله
تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن اي لله تعالى قالوا وما الرحمن على جهة الانكار والتعجب اي ما
نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب وزعم القاضي ابو بكر بن العربي انهم انما جهلوا
الصفة لا الموصوف واستدل على ذلك بقوله وما الرحمن ولم يقولوا ومن الرحمن قال ابن الحصار
رحمه الله لم يقرأ الآية الاخرى وهم يكفرون بالرحمن اسجد لما تامرنا هذه قراءة المدنيين والبصريين اي لما
تامرنا انت يا محمد واختاره ابو عبيد وابو حاتم وقرأ الاعمش وحمزة والكسائي يأمرنا بالياء يعنون
الرحمن كذا قال ابو عبيد قال ولو اقروا ان الرحمن امرهم ما كانوا كفارا قال النحاس وليس يجب ان يتأول
على الكوفيين انهم هذا التأويل البعيد ولكن الاولى ان يكون التأويل لهم اسجد لما يأمرنا النبي صلى الله عليه وسلم

عز

فتح الراء كلمهنا وان كان الاولى اسن واو مشاولا فزادهم نفورا اى زادهم قول القائل لهم اسجدوا
للرحمن نفورا عن الدين وكان سفين الثورى يقول سبحانه الاهى زادنى لك خضوعا ما زاد اعداك
نفورا قوله تعالى تبارك الذى جعل فى السما بروجا اى منازل وقد تقدم ذكرها وجعل فيها سراجا
قال ابن عباس يعنى الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقراه العامة سراجا بالتوحيد وقرا حمزة
والكسائى سرجا يريد النجوم العظام الوقادة والقراة الاولى عند ابى عبيد لقوله لاية تاول الزجاج النجم
وان البروج النجوم فيجى المعنى نجوما وكواكب النحاس ولكن التاويل لهم ان ابان بن تغلب قال السرج
النجوم الدرارى المتعلى فالوهم والمنير محوحل والسائر ونحوه النحاس وقمرا منيرا اى منيرا للارض
اذا طلع وروى عصمة عن الاعمش وقرا بضم القاف واسكان الميم وهذه قراة شاذة ولو لم يكن
فيها الا ان احمد بن حنبل وهو امام المسلمين في وقته قال لا تكتبوا ما يحكيه عصمة الذى يروى القراات وقد
اولع ابو حاتم السجستانى بذكر ما يرويه عصمة هذا قوله تعالى وهو الذى جعل الليل
والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى خلفة قال ابو عبيدة
الخلفة كل شى بعد شى وكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه ويقال للمبطون اصابه خلفة اى قيام وقعود
يخلف هذا ذا السوم خلفة النبات وهو ورق يخرج بعد الورق الاول في الصيف ومن هذا المعنى
قول زهير بن ابى سلمى بها العين والارام يمشين خلفة واطلاوها ينهضن من كل مجثم
الرئم ولد الظبى وجمعه ارام تقول اذا دستوح حافوح وقول الاخر يصف امراة تنتقل من منزل
في الشتا الى منزل في الصيف دابا ولها بالماطرون اذا اكل النمل الذى جمعا
خلفة حتى اذا ارتبعت سكنت من جلق بيعا في بيوت حولها الزيتون قد ينعا
قال مجاهد خلفة من الخلاف هذا ابيض وهذا اسود والاول اقوى وقيل يتعاقبان في الضيا والظلام
والزيادة والنقصان وقيل هو من باب حذف المضاف اى جعل الليل والنهار ذوى خلفة اى اختلاف
لمن اراد ان يذكر اى يتذكر فيعلم ان الله لم يجعله كذلك عبثا فيعتبر في مصنوعات الله ويشكر الله تعالى
على نعمه عليه في العقل والفكر والفهم وقال عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن معناه من فاته شى من الخير
بالليل ادركه بالنهار ومن فاته بالنهار ادركه بالليل وفي الصحيح ما من امرئ تكون له صلاة بالليل فغلبه
عليها نوم فيصلى ما بين طلوع الشمس الى صلاة الظهر الا كتب له اجر صلاته وكان نومه عليه صدقة وروى مسلم
عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه او عن شى منه فقراه ما بين صلاة الفجر
وصلاة الظهر الا كتب له كانما قراه من الليل الثانية قال ابن العربى سمعت ذا

الم

السمد الاكبر نقول ان الله جعل العبد جاهلا بذلك كان وسائل اعلى امر النوم وجزوع
الحدث ونقصان الحلم اذا الحمال للاول الحالو حتى امكن الرجل دفع النوم بعد الاكل
والسهر على طاعة الله فليفعل وقد قيل المعظم ان يعيش الرجل ستين سنة ليلها تذهب
النصف عمره لغوا ونام ستة من النهار وآخر فذهب ثلثاه ويبقى له العمر عشرون سنة
ومن الجهالة والسفاهة ان يتلف الرجل ثلثي عمره في لذة فانية ولا يتلف عمره بسهر في لذة باقية
عند الغني الوفي الذي ليس بعديم ولا ظلوم الثالثـــــة للاشياء اسفاضل
بانفسها فان الجواهر والاعراض من حيث الوجود متماثلة وانما يعني الله افضل بالصفات وقد
اختلف اي الوقتين افضل الليل او النهار وفي الصوم غنية في الدلالة والله اعلم قال ابن العربي
قال الشيـــــخ المولف رحمه الله والليل عظيم قدره امر نبيه بقيامه فقال ومن
الليل فتهجد به نافلة لك وقال قم الليل الا قليلا ومدح المؤمنين على قيامه فقال تتجافى
جنوبهم عن المضاجع وقال عليه السلام والصدقة تطفي الخطيئة كما يطفي الماء النار وصلاة الرجل
في جوف الليل وفيه ساعة يستجاب فيها الدعاء وفيه ينزل الرب تبارك وتعالى حسبما يليق اي ياتي
امر الله تعالى الرابعـــــة واحرم وجهك يذكر بسكون الذال وضم الكاف
وهي قراءة ابن وثاب وطلحة والنخعي من خفف اي يتذكر بزيادة تاء وقرا الباقون يذكر بتشديد
الكاف ويذكر ويتذكر بمعنى واحد وقيل معنى يذكر بالتخفيف اي يذكر ما نسيه في احد الوقتين
في الوقت الثاني او ليذكر تنزيه الله وتسبيحه فيهما او اراد شكورا اي يشكر شكرا
وشكورا مثل كفر كفرا وكفورا وهذا الشكر على اجل النعم فاما المعاني وكانهم لما قالوا وما
الرحمن قال هو الذي يعرف عليه الاسماء قولـــــه تعالى وعباد الرحمن
الذين يمشون على الارض هونا الاية لما ذكر جهالات المشركين وطعنهم في القران والنبوة ذكر
عباد المؤمنين ايضا وذكر صفاتهم واضافهم الى عبوديته تشريفا لهم كما قال سبحان الذي اسرى بعبده
وقد تقدم فمن اطاع الله وعبده وشغل سمعه وبصره ولسانه وقلبه بما امره فهو الذي يستحق
اسم العبودية ومن كان بعكس هذا شمله قوله اولئك كالانعام يعني في عدم الاعتبار
بعكس ما لا عراف ومن قال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض فحذف ثم كقولك زيد
للامر اي زيد هو الامر فالذين خبر ابتدا محذوف قاله الاخفش وقيل الخبر قوله في اخر السورة
اولئك يجزون الغرفة بما صبروا وما بين المبتدا والخبر اوصاف لهم وما تعلق بها قاله الزجاج قال

ويجوز ان يكون الخبر الذين يمشون على الارض ويمشون عبارة عن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم
فذكر من ذلك العظم لا سيما وفي الانتقال في الارض معاشرة الناس وخلطتهم قوله
تعالى هونا الهون مصدر الهين وهو من السكينة والوقار وفي التفسير يمشون على الارض حلماء
متواضعين يمشون في اقتصاد والقصد والتؤدة وحسن السمت من اخلاق النبوة وقال صلى الله
عليه وسلم ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس في الايضاع وروي في صفته صلى الله عليه وسلم انه
كان اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفيا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب والتقلع
رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع
الخطو اي ان مشيه كان يرفع فيه رجله بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك
برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب قاله القاضي عياض وكان عمر بن الخطاب يسرع جبلة
لا تكلفا قال الزهري سرعة المشي تذهب بهاء الوجه قال ابن عطية يريد الاسراع الحثيث لانه يخل
بالوقار والخير في الوسط وقال زيد بن اسلم كنت اسال عن تفسير قوله الذين يمشون على الارض هونا فما
وجدت من ذلك شفاء فرايت في المنام رجلا فقال هم الذين لا يريدون ان يفسدوا في الارض قال القشيري
وقيل لا يمشون لافساد ومعصية بل في طاعة الله والامور المباحة من غير هوان وقد كره بعضهم الركوب في
الاسواق ... ان الله احب ... وقال ابن عباس بالطاعة والمعروف والتواضع الحسن حلماء
ان جهل عليهم لم يجهلوا وقيل لا يتكبرون على الناس قال الشيخ المؤلف رحمه الله
وهذه كلها معان متقاربة ويجمعها العلم بالله والخوف منه والمعرفة باحكامه والخشية من عذابه وعقابه
جعلنا الله منهم بفضله ومنه وذهبت فرقة الى ان هونا مرتبط بقوله يمشون على الارض اي ان المشي هو
هون قال ابن عطية ويشبه ان يتاول هذا على ان تكون اخلاق ذلك الماشي هونا مناسبة لمشيه فيرجع
القول الى نحو ما بيناه واما ان يكون المراد صفة المشي وحده فباطل لانه رب ماش هونا رويدا وهو ذئب
اطلس وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكفا في مشيه كانما يمشي في صبب وهو عليه السلام الصدر في هذه
الامة وقوله عليه السلام من مشى منكم في طمع فليمش رويدا انما اراد في عقد نفسه ولم يرد المشي وحده الا
ترى ان المبطلين المتحلين بالدين تمسكوا بصورة المشي فقط حتى قال فيهم الشاعر ذما لهم وفي مثله انشد الوري
كلهم يمشي رويد كلهم يطلب صيد قال الشيخ المؤلف رحمه الله

لغيره تواضعتَ في العلياء والأصل كابر وحزت قصاب السبق بالهون في الأمر

سكون فلا خبث السريرة أصله وجل سكون الناس من عظم الكبر

قولـــــه تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال النحاس ليس سلاما
من التسليم إنما هو من التسلم تقول العرب سلاما أي تسلما منك أي براءة منك منصوب على أحد أمرين يجوز أن
يكون منصوبا بقالوا ويجوز أن يكون مصدرا وهذا قول سيبويه قال ابن عطية والذي أقول إن قالوا
هو العامل في سلاما لأن المعنى قالوا هذا اللفظ وقال مجاهد معنى سلاما سدادا أي يقول للجاهل
كلاما يدفعه به برفق ولين فقالوا على هذا التأويل عامل في قوله سلاما على طريقة النحويين وذلك أنه بمعنى قولا
وقالت فرقة ينبغي للمخاطب أن يقول للجاهل سلاما بهذا اللفظ أي سلمنا سلاما أو تسليما ونحو هذا
فيكون العامل فيه فعلا من لفظه على طريقة النحويين مسئـــلة هذه الآية كانت قبل آية السيف
فنسخ منها ما يخص الكفرة وبقي أدبها في المسلمين إلى يوم القيامة وذكر سيبويه النسخ في هذه الآية في كتابه
وما تكلم فيه على نسخ سواه ورجح به أن المراد السلامة لا التسليم لأن المؤمنين لم يؤمروا قط بالسلام
على الكفرة والآية مكية فنسخها آية السيف قال النحاس ولا نعلم لسيبويه كلاما في معنى الناسخ
والمنسوخ إلا في هذه الآية قال سيبويه لم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين لكنه على
معنى قوله سلما منكم ولا خير ولا شر بيننا وبينكم قال المبرد كان ينبغي أن يقول لم يؤمر المسلمون
يومئذ بحربهم ثم أمروا بحربهم محمد بن يزيد أخطأ سيبويه في هذا وأساء العبارة ابن العربي
لم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين ولا نهوا عن ذلك بل أمروا بالصفح والهجر الجميل وقد
كان عليه السلام يقف على أنديتهم ويحييهم ويدانيهم ولا يداهنهم وقد اتفق الناس على أن السفيه
والمؤمن إذا جفاك يجوز أن يقول السلام عليك قـــــال الشيخ المؤلف رحمه الله
هذا القول أشبه بدلائل السنة وقد بينا في سورة مريم اختلاف العلماء في جواز التسليم على الكفار
فلا حاجة إلى دعوى النسخ والله أعلم وقد ذكر النضر بن شميل قال حدثني الخليل قال أتيت أبا ربيعة
الأعرابي وكان من أعلم من رأيت فإذا هو على سطح فلما رد علينا السلام قال لنا استووا ادهشنا
متحيرين ولم ندر ما قال فقال لنا أعرابي إلى جنبه أمركم أن ترتفعوا قال الخليل هو من قول الله ثم استوى
إلى السماء وهي دخان فصعدنا إليه فقال هل لكم في خبز فطير ولبن هجير فقلنا الساعة فارقناه
فقال سلاما فلم ندر ما قال فقال الأعرابي إنه سالمكم متاركة لا خير فيها ولا شر فقال الخليل هو
من قول الله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال ابن عطية وقرأت في بعض التواريخ أن

ابن هشيم المهدي وكان من المائلين على علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال يوما بحضرة المامون وعنده جماعة
لست ادري علي بن ابي طالب في النوم فقلت اقول له من انت فجاء يقول علي بن ابي طالب فلما جئنا معه الى قنطرة
فذهب يتقدمني في عبورها فقلت اقول انما تدعي هذا الامر بامراة ونحن احق به منك فما رايت له
في الجواب بلاغة كما يذكر عنه قال المامون وماذا جاوبك قال فجاء يقول لي سلاما سلاما قال
الراوي وكان ابن هشيم المهدي لا يحفظ الاية او ذهب عنه في تلك الوقت فنبه المامون على الاية من حضره
وقال هو والله يا عم علي بن ابي طالب وقد جاوبك بابلغ جواب فخزي ابن هشيم واستحيى فكانت رؤيا لا
محالة صحيحة وقوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما قال الزجاج
يقال بات الرجل يبيت اذا ادركه الليل نام او لم ينم قال امرؤ القيس

فبتنا قياما عند راس جوادنا يزاولنا عن نفسه ونزاوله

وانشدوا في صفة الدلف

امنع جفونك ان تذوق مناما واذر الدموع على الخدود سجاما
واعلم بانك ميت ومحاسب يا من على سخط الجليل اقاما
لله قوم اخلصوا في حبه فرضي بهم واختصهم خداما
قوم اذا جن الظلام عليهم باتوا هنالك سجدا وقياما
خمص البطون من التعفف ضمرا لا يعرفون سوى الحلال طعاما

وقال ابن عباس من صلى ركعتين
او اكثر بعد العشاء فقد بات لله ساجدا وقائما وقال الكلبي من اقام ركعتين بعد المغرب واربعا بعد العشاء
فقد بات ساجدا وقائما قوله تعالى والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم اي هم
مع طاعتهم مشفقون خائفون وجلون من عذاب الله ابن عباس يقولون ذلك في سجودهم وقيامهم
ان عذابها كان غراما اي لازما دائما غير مفارق ومنه سمي الغريم لملازمته ويقال فلان مغرم بكذا اي
ملازم له مولع به هذا معناه في كلام العرب فيما ذكره ابن الاعرابي وابن عرفة وغيرهما وقال الاعشى
ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي قال الحسن قد علموا ان كل غريم يفارق غريمه الا
غريم جهنم وقال الزجاج الغرام اشد العذاب وقال ابن زيد الغرام الشر وقال ابو عبيدة الهلاك
والمعنى واحد وقال محمد بن كعب طالبهم الله تعالى بثمن النعيم في الدنيا فلم ياتوا به فاغرمهم ثمنها بادخالهم
النار انها ساءت مستقرا ومقاما اي بئس المستقر وبئس المقام اي انهم يقولون ذلك عن علم واذا
قالوه عن علم كانوا اعرف بعظم قدر ما يطلبون فيكون ذلك اقرب الى النجح قوله
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الاية الخلف المعروف في تاويل هذه الاية قال النحاس

ومن أحسن ما قيل في معناه أن من أنفق في غير طاعة الله فهو الإسراف ومن أمسك عن طاعة الله فهو
الإقتار ومن أنفق في طاعة الله فهو القوام وقال ابن عباس من أنفق مائة ألف في حق فليس بسرف
ومن أنفق درهما في غير حقه فهو سرف ومن منع درهما من حق فقد قتر وقاله مجاهد وابن زيد وغيرهما
وقال عون بن عبد الله الإسراف أن تنفق مال غيرك قال ابن عطية وهذا ونحوه غير مرتبط
بالآية والوجه أن يقال إن النفقة في معصية أمر قد حظرت الشريعة قليله وكثيره وكذلك
التعدي في مال الغير وهؤلاء الموصوفون منزهون عن ذلك وإنما التأديب في هذه الآية هو في نفقة
الطاعات في المباحات فأدب الشرع فيها ألا يفرط الإنسان حتى يضيع حقا آخر أو عيالا
ونحو هذا وألا يضيق أيضا ويقتر حتى يجيع العيال ويفرط في الشح والحسن في ذلك هو القوام
أي العدل والقوام في كل واحد بحسب عياله وحاله وخفة ظهره وصبره وجلده على الكسب
أو ضد هذه الخصال وخير الأمور أوساطها ولهذا ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق
أن يتصدق بجميع ماله لأن ذلك وسط بنسبة جلده وصبره في الدين ومنع غيره من ذلك ونعم ما قال
إبراهيم النخعي هو الذي لا يجيع ولا يعري ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف وقال يزيد بن أبي
حبيب هم الذين لا يلبسون الثياب للجمال ولا يأكلون طعاما للذة وقال يزيد أيضا في هذه الآية أولئك
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابا للجمال
ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم ومن اللباس ما يستر
عوراتهم ويكنهم من الحر والبرد وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوجه ابنته فاطمة
ما نفقتك فقال له عمر الحسنة بين سيئتين ثم تلا الآية وقال عمر بن الخطاب كفى بالمرء سرفا
ألا يشتهي شيئا إلا اشتراه فأكله وفي سنن ابن ماجه عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت وقال أبو عبيدة لم يزيدوا على المعروف ولم يبخلوا
كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال الشاعر

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد ... كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وقال آخر

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت ... ولم ينهها تاقت إلى كل باطل
وساقت إليه الإثم والعار بالذي ... دعته إليه من حلاوة عاجل

وقال عمر لابنه عاصم
يا بني كل في نصف بطنك ولا تطرح ثوبا حتى تستخلقه ولا تكونن من قوم يجعلون ما رزقهم الله في بطونهم

وعلى طهوهم والحام طى اذا انت قد اعييت بالسك سوله وقد جعلك بالاسنى الله اجمعا

ولم يعروا فواحمرة والكسائى والاعمش وعاصم ويحيى وثاب على اختلاف عنهما بعروا بفتح اليا

وضم النا وهى قراة حسنة من قرئ يعرى وهذا القياس فى اللازم مثل بعد يعد وقرا ابو عمرو وابن كثير

بفتح اليا وكسر النا وهى لغة معروفة حسنة وقرا اهل المدينة وابن عامر وابو بكر عن عاصم بضم اليا وكسر

النا قال الثعلبى فهذه لغات صحيحة النحاس وتجنب ابو حاتم قراة اهل المدينة هذه لان

اهل المدينة عنده لا يتبع فى قراتهم الشاذ وانما يقال اهز شرا اذا امر كما قال جل وعز على المقربين

وتاول ابو حاتم لهم ان المسرف يعفر شرا وهذا تاويل بعيد ولكن التاويل لهم ان ابا عمر الجرمى

حكى عن الاصمعى انه يقال للانسان اذا ضيق فيه يعروهم يعرو افرعوا فعلى هذا يصح القراة وان كان

فتح التاء فيه ا و بسمانا ولا وانهمرا عرف وقرا ابو عمرو والناس وانما فتح القاف يعنى عدلا وقرا

خالد عبد الرحمن وانما كسر القاف اى سلفا وسدادا ومثله الحاكم والعوام بالكسر ما يدوم

عليه الامر وسعة وقيل هما لغتان بمعنى وقوام خبر كان واسمها مقدر فيها اى كان الانفاق بين

الاسراف والقتر قواما قاله الفرا وله قول اخر يجعل بين اسم كان وينصبها لان هذه الالفاظ

لم تستعمل الا ظرفا فتركت على حالها فى موضع الرفع قال النحاس ما ادرى ما وجه هذا لان بينا اذا

كان موضع رفع رفعت كما يقال بين عينيه احمر قوله ـــــــــ تعالى والذين لا

يدعون مع الله الها اخر الاية اخراج لعباد المومنين صفات الكفرة فى عبادتهم الاوثان وقتلهم النفس

بواد البنات وغير ذلك من الظلم والاعمال والغارات من الزنا الذى كان عندهم مباحا وقال القرطبى

فى هذه الاية عن طائفة من اهل المعانى انه ليس من اجاء عبد الرحمن ان اماز الاختصاص وذلك ودمهم

بصفات المومن والشريف ووقع بمن الامور العتيق منهم حتى عد حوايجها لانهم اعلا واشرف

فقال معناها لا يدعون الهوى الها ولا يذلون انفسهم بالمعاصى فيكون قتلا لها ومعنى الا بالحق اى

الا بسكين الصبر وسيف المجاهدة ولا ينظرون الى نساء لسن لهم بمحرم بشهوة فيكون سفاحا بل بالضرورة

فيكون كالنكاح قال ـــــــ شيخنا ابو العباس وهذا الكلام رائق غير انه عند السبر مايق وهى بعد

باطن شرعه باطله واما صح نشر ليز عباد الرحمن باختصاص الاوصاف بعد ان تحلوا بالك الصفات

الحميدة وتحلوا عن نقايض ذلك من الاوصاف الذميمة فبدا فى حدد هذه الايات بصفات التحلى ثم بقايم

ثم عقبها بصفات التحلى بعدها والله اعلم قال ـــــــــ الشيخ المولف رحمه الله

ويا

وجاهدا على بطلان ما ادعاه هذا القائل من ان ملك الانوار ليس على طباعهم ما روى مسلم حديث
عبد الله بن مسعود قال قلت يا رسول الله اي الذنب اكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا
وهو خلقك قال ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزاني حليلة
جارك فانزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله
الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما والاثام في كلام العرب العقاب وقرا ابن مسعود وقتادة
بهذه الاية ومنه قول الشاعر جزى الله ابن عروة حيث امسى عقوقا والعقوق له اثام
اي جزاء وعقوبة وقال عبد الله بن عمرو وعكرمة ومجاهد ان اثاما واد في جهنم جعله الله عقابا
للكفرة قال الشاعر لقيت المهالك في حربنا وبعد المهالك تلقى اثاما
وقال السدي جبل فيها قال وان مقامنا ندعوا عليكم بابطح ذي المجاز له اثام
وفي صحيح مسلم ايضا عن ابن عباس ان ناسا من اهل الشرك قتلوا فاكثروا وزنوا فاتوا محمدا صلى الله
عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن ولو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزل والذين لا
يدعون مع الله الها اخر الاية ونزل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية وقد قيل ان يا عبادي
الذين اسرفوا نزلت في وحشي قاتل حمزة قاله سعيد بن جبير وابن عباس وسياتي في الزمر بيانه ان
قوله تعالى الا بالحق اي بما يحق ان تقتل به النفوس من كفر بعد ايمان او زنا بعد
احصان على ما تقدم بيانه في الانعام ولا يزنون فيستحلون الفروج بغير نكاح ولا ملك يمين
ودلت هذه على ان حد الزنا القتل لمن كان محصنا او اقصى الجلد لمن كان غير محصن قوله
تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف قرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي يضاعف ويخلد
جزما وقرا ابن كثير يضعف بشد العين وطرح الالف وبالجزم يضعف ويخلد وقرا طلحة
بن سليمان نضعف بضم النون وكسر العين المشددة العذاب نصبا ويخلد جزم وهي قراءة ابي
جعفر وشيبة وقرا عاصم في رواية ابي بكر يضاعف ويخلد بالرفع فيهما على الاستيناف والقطع
وقرا طلحة بن سليمان وتخلد بالتاء على معنى مخاطبة الكافر وروي عن ابي عمرو ويخلد بضم الياء
وفتح اللام قال ابو علي وهي غلط من جهة الرواية ويضاعف بالجزم بدل من يلق الذي هو جزاء
الشرط قال سيبويه مضاعفة العذاب لقي الاثام قال الشاعر
متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا
وقال اخر
ان علي الله ان تبايعا تؤخذ كرها او تجيء طايعا
واما الرفع فعلى قول

احدهما ان يقطعه مما قبله والاخر ان يكون محمولا على المعنى كانه قال يلقى الاثام يضاعف له
يضاعف له العذاب ويخلد فيه مهانا معناه ذليلا خاسئا مبعدا مطرودا قوله
تعالى الا من تاب لا اختلاف بين العلماء ان الاستثناء عامل في الكافر والزاني واختلفوا في القاتل
من المسلمين على ما تقدم بيانه في النساء وقد مضى في المائدة القول في جواز التراخي في الاستثناء في
اليمين وهو مذهب ابن عباس مستدلا بهذه الآية قوله تعالى فاولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات قال النحاس من احسن ما قيل فيه انه يكتب موضع كافر مؤمن وموضع عاص مطيع وقال
مجاهد والضحاك اي يبدلهم الله من الشرك الايمان وروي نحوه عن الحسن قال الحسن قوم يقولون التبديل
في الآخرة وليس كذلك انما التبديل في الدنيا يبدلهم الله ايمانا من الشرك واخلاصا من الشك واحصانا
من الفجور وقال الزجاج ليس يجعل مكان السيئة الحسنة ولكن يجعل مكان السيئة التوبة وروى ابو ذر
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان السيئات يبدل بحسنات وروي معناه عن سلمان الفارسي وسعيد بن جبير وغيرهما
وقال ابو هريرة ذلك في الآخرة فيمن غلبت حسناته على سيئاته فيبدل الله السيئات حسنات وفي الخبر
ليتمنين اقوام انهم اكثروا من السيئات فالهم قال الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات رواه ابو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره الثعلبي والقشيري وقيل التبديل عبارة عن الغفران اي يغفر الله لهم تلك
السيئات لا ان يبدلها حسنات قال الشيخ المؤلف رحمه الله ولا يبعد في لطف الله تعالى
اذا صحت توبة العبد ان يضع مكان كل سيئة حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ اتبع السيئة الحسنة تمحها
وخالق الناس بخلق حسن وفي صحيح مسلم عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم آخر اهل
الجنة دخولا الجنة وآخر اهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه
وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا كذا وكذا
فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له فان لك مكان كل سيئة حسنة
فيقول يا رب قد عملت اشياء لا اراها ههنا فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت
نواجذه وقال ابو طويل يا رسول الله ارايت رجلا عمل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئا وهو في ذلك
لم يترك حاجة ولا داجة الا اقتطعها فهل لذلك من توبة قال هل اسلمت قال اما انا فاشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له واشهد انك عبده ورسوله قال نعم تفعل الخيرات وتترك السيئات فيجعلهن الله
لك خيرات قال وغدراتي وفجراتي يا نبي الله قال نعم قال الله اكبر فما زال يكبر حتى توارى ذكره
الثعلبي قال حسن بن عيد وكان عالما بالنحو والعربية الحاجة التي تقطع على الحاج اذا توجهوا

والداجة

الآخرة الى مواضع علمهم اذا اصلحوا وكان الله غفورا رحيما قوله تعالى
ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا لا يقال من قام فانه يقوم فكيف قال من تاب فانه يتوب
فقال ابن عباس المعنى من آمن من اهل مكة وهاجر ولم يكن قتل وزنى بل عمل صالحا وادى الفرائض
فانه يتوب الى الله متابا اي فاني قد فضلتهم وقدمتهم على من قاتل النبي صلى الله عليه وسلم واستحل المحارم
وقال القفال يحتمل ان تكون الآية الاولى فيمن تاب من المشركين ولهذا قال الا من تاب وآمن ثم
عطف عليه من تاب من المسلمين واتبع توبته عملا صالحا فله حكم التائبين ايضا وقيل اي من تاب
بلسانه ولم يحقق ذلك بفعله فليست تلك التوبة نافعة بل من تاب وعمل صالحا فحقق
توبته بالاعمال الصالحة فهو الذي تاب الى الله متابا اي تاب حق التوبة وهي النصوح ولذلك
اكد المصدر فمتابا مصدر معناه التأكيد كقوله وكلم الله موسى تكليما اي فانه يتوب الى الله حقا
فيقبل الله توبته حقا قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور فيه مسألتان
الاولى قوله تعالى لا يشهدون الزور اي لا يحضرون الكذب والباطل ولا يشاهدونه
والزور كل باطل زور وزخرف واعظمه الشرك وتعظيم الانداد وبه فسر الضحاك وابن زيد وابن
عباس وفي رواية عن ابن عباس انه اعياد المشركين عكرمة لعب كان في الجاهلية يسمى بالزور
مجاهد الغناء وقاله محمد بن الحنفية ايضا ابن جريج الكذب وروي عن مجاهد وقال علي بن ابي طلحة
ومحمد بن علي المعنى لا يشهدون بالزور من الشهادة لا من المشاهدة قال ابن العربي اما القول بانه
الكذب فصحيح لان كل ذلك الى الكذب يرجع واما من قال انه لعب كان في الجاهلية فانه يحرم ذلك
اذا كان فيه قمار او جهالة او امر يعود الى الكفر واما القول بانه الغناء فليس ينتهي الى هذا الحد
قال الشيخ المؤلف رحمه الله من الغناء ما ينتهي سماعه الى التحريم وذلك كالا (شعار)
التي يوصف فيها الصور المستحسنات والخمر وغير ذلك مما يحرك الطباع ويخرجها عن الاعتدال
او يثير كامنا من حب اللهو مثل قول بعضهم   ذهبي اللون تحسب من وجنتيه النار تقدح
خوفوني من فضيحة ليته وافى وافضح
لا سيما اذا اقترن بذلك شبابات وطارات مثل ما يفعل اليوم في هذه الازمان على ما [illegible]
عن هذا الموضع واما من قال انه شهادة الزور وهي الثانية وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور
اربعين جلدة ويسخم وجهه ويحلق رأسه ويطوف به في السوق وقال اكثر اهل العلم ولا تقبل له
شهادة ابدا وان تاب وحسنت حاله فامره الى الله ولا تقبل له شهادة وقد قيل انه اذا كان غير

سد لحسبه حالة مثل شهادة حسنة لعلها في سوق الخمر فاعلم ذلك قوله
تعالى وإذا مروا باللغو مروا كراما وقد تقدم الكلام في اللغو وهو كل سقط من فعل أو قول ويدخل
فيه الغناء واللهو وغير ذلك مما قاربه ويدخل فيه سفه المشركين وأذاهم للمؤمنين وذكر النساء وغير ذلك
من المنكر وقال مجاهد إذا أوذوا صفحوا وروي عنه إذا ذكروا النكاح كنوا عنه وقال
الحسن اللغو المعاصي كلها وهذا جامع وكراما معناه معرضين منكرين لا يرضونه ولا يمالئون عليه
ولا يجالسون أهله أي مروا مرور الكرام الذين لا يدخلون في الباطل يقال تكرم فلان عما يشينه أي
تنزه وأكرم نفسه عنه وروي أن عبد الله بن عمر سمع غناء فأسرع وذهب فبلغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لقد أصبح ابن أم عبد كريما وقيل من المرور باللغو كريما أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر
قوله تعالى والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا فيه مسألتان
الأولى قوله تعالى والذين إذا ذكروا بآيات ربهم أي إذا قرئ عليهم القرآن ذكروا آخرتهم ومعادهم
ولم يتغافلوا حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع وقال لم يخروا وليس ثم خرور كما يقال قعد يبكي وإن كان غير
قاعد قاله الطبري واختاره قال ابن عطية وهو أن يخروا صما وعميانا هي صفة للكفار وهي عبارة عن
إعراضهم وقرن ذلك بقولك قعد فلان يشتمني وقام فلان يبكي وأنت لم تقصد الإخبار بقعود ولا قيام
وإنما هي توطئات في الكلام والعبارة قال ابن عطية كأن المستمع للذكر قائم القناة قويم الأمر
فإذا أعرض وضل كان ذلك خرورا وهو السقوط على غير نظام وترتيب وإن كان قد يشبه به الذي
يخر ساجدا لكن أصله على غير ترتيب وقيل أي إذا تليت عليهم آيات الله وجلت قلوبهم فخروا سجدا
وبكيا ولم يخروا عليها صما وعميانا وقال الفراء أي لم يقعدوا على حالهم الأول كأن لم يسمعوا
الثانية قال بعضهم إن من سمع رجلا يقرأ سجدة يسجد معه لأنه قد سمع آيات الله تتلى عليه
قال ابن العربي وهذا لا يلزم إلا القارئ وحده وأما غيره فلا يلزمه ذلك إلا في مسألة واحدة وهو أن
الرجل إذا تلا القرآن وقرأ السجدة فإن كان الذي جلس معه جلس ليستمع فليسجد معه وإن لم يلتزم السماع معه
فلا سجود عليه وقد مضى هذا في الأعراف قوله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا
من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين قال الضحاك أي مطيعين لك وفيه جواز الدعاء بالولد وقد تقدم والذرية
تكون واحدا وجمعا فكونها للواحد قوله هب لي من لدنك ذرية طيبة وهب لي من لدنك وليا وكونها
للجمع ذرية ضعافا وقد مضى في البقرة اشتقاقها مستوفى وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر والحسن وذرياتنا

در

وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وطلحة وعيسى وذريتنا بالافراد من اعين لصبا عل المفعول اي نعم اعين لنا وهذا نحو قوله عليه السلام لانس اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيه وقد تعلق بما في ال عمران ومريم وذلك ان الانسان اذا بورك له في ماله وولده قرت عينه باهله وعياله حتى اذا كانت عنده زوجة اجتمعت له فيها اماني جمالها وعفتها ونظرها وحوطتها او كانت عنده ذرية محافظون على الطاعة معاونون له على وظائف الدين والدنيا لم يلتفت الى زوج احد ولا الى ولده فتسكن عينه عن الملاحظة ولم تمتد عينه الى ما ترى فذلك حين قرة العين وسكون النفس ووحد قرة لانه مصدر تقول قرت عينك قرة وقرة العين يحتمل ان تكون من القرار ويحتمل ان تكون من القر وهو الاشهر والقر البرد لان العرب تتاذى بالحر وتستروح الى البرد وايضا فان دمع السرور بارد ودمع الحزن سخن من هذا يقال اقر الله عينك واسخن الله عين العدو قال الشاعر

فكم سخنت بالامس عين قريرة وقرت عيون دمعها اليوم ساكب

قوله تعالى واجعلنا للمتقين اماما اي قدوة يقتدى بنا في الخير وهذا لا يكون الا ان تكون الداعي تقيا قدوة وهذا هو قصد الداعي وفي الموطا اتكرامة الرهط انه تعدى رحم وكان ابن عمر يقول في دعائه اللهم اجعلنا من ائمة المتقين وقال اماما ولم يقل ائمة على الجمع لان الامام مصدر يقال ام فلان فلانا اماما مثل القيام والصيام وقال بعضهم اراد ائمة كما يقول القائل امير نا هولاء يعني امراءنا وقال الشاعر يا عاذلاتي لا تردن ملامتي ان العواذل لسن لي بامين اي امناء وقال القشيري ابو القاسم شيخ الصوفية يقول الامامة بالدعاء لا بالدعوى يعني بتوفيق الله وتيسيره ومنته لا بما يدعيه كل احد لنفسه وقال ابراهيم النخعي لم يطلبوا الرياسة الا ان يكونوا قدوة في الدين وقال ابن عباس اجعلنا ائمة هدى كما قال وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا وقال مكحول اجعلنا ائمة في التقوى يقتدى بنا المتقون وقيل هذا من المقلوب مجازه واجعل المتقين لنا اماما وقال مجاهد والقول الاول اظهر واليه يرجع قول ابن عباس ومكحول ويكون فيه دليل على ان طلب الرياسة في الدين ندب واماما واحد يدل على جمع لانه مصدر كالقيام قال الاخفش الامام جمع آم من ام يام جمع على فعال نحو صاحب وصحاب وقائم وقيام قوله تعالى اولئك يجزون الغرفة بما صبروا اولئك خبر وعباد الرحمن في قول الزجاج على ما تقدم وهو احسن ما قيل فيه وما تخلل بين المبتدا وخبره اوصافهم من التحلي والتخلي وهي احدى عشرة التواضع والحلم والتهجد والخوف

وترك الإسراف والإقتار والنزاهة عن الشرك والزنا والقتل والتوبة وتجنب الكذب والعفو
عن المسيء وقبول المواعظ والإخلاص إلى الله تعالى والغرفة الدرجة الرفيعة وهي أعلى منازل
الجنة وأفضلها كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا حكاه ابن شجرة وقال الضحاك الغرفة الجنة بما
صبروا أي بصبرهم على أمر ربهم وطاعة نبيهم وقال محمد بن علي بن الحسين بما صبروا على الفقر والفاقة في
الدنيا وقال الضحاك بما صبروا عن الشهوات ويلقون فيها تحية وسلاما وقرأ أبو بكر والمفضل
والأعمش ويحيى وحمزة والكسائي وخلف ويلقون مخففة واختاره الفراء قال لأن العرب تقول
فلان يلقى بالسلام وبالتحية وبالخير بالياء وقلما يقولون فلان يلقى السلام وقرأ الباقون
ويلقون واختاره أبو عبيد وأبو حاتم لقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا قال أبو جعفر النحاس
وما ذكره الفراء واختاره غلط لأنه يزعم أنها لو كانت يلقون كانت في العربية بتحية وسلام قال
كما يقال فلان يلقى بالسلام وبالخير فمن عجب أنه قال يلقى ولا يلقون والفرق بينهما بين
لأنه يقال فلان يلقى بالخير ولا يجوز حذف الباء فكيف يشبه هذا ذاك وأعجب من هذا أن في
القرآن ولقاهم نضرة وسرورا ولا يجوز أن يقرأ بغيره وهذا يبين أن الأولى على خلاف ما قال والتحية من
الله والسلام من الملائكة وقيل التحية البقاء الدائم والملك العظيم والأظهر أنهما بمعنى واحد
وأنهما من قبل الله تعالى دليله قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وسيأتي خالدين نصب على الحال
حسنت مستقرا ومقاما قوله تعالى قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم
هذه آية مشكلة تعلقت بها الملحدة يقال ما عبأت بفلان أي ما باليت به أي ما كان له عندي
وزن ولا قدر وأصل يعبأ من العبء وهو الثقل وقول الشاعر

كأن بصدره وبجانبيه عبيرا بات يعبؤه عروس

أي يجعل بعضه على بعض والعبء الحمل
الثقل والجمع الأعباء والعبء المصدر وما استفهامية ظهر في أقوال الزجاج وصرح به الفراء وليس
يبعد أن تكون نافية لأنك إذا حكمت بأنها استفهام فهو نفي خرج مخرج الاستفهام كما قال هل جزاء
الإحسان إلا الإحسان قال ابن الشجري وحقيقة القول عندي أن موضع ما نصب والتقدير أي عبء
يعبأ بكم أي أي مبالاة يبالي ربي بكم لولا دعاؤكم أي لولا دعاؤه إياكم لتعبدوه فالمصدر الذي هو
الدعاء على هذا القول مضاف إلى مفعوله وهو اختيار الفراء وفاعله محذوف وجواب لولا محذوف كما

حذف في قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال تقديره لم يعبأ بكم ودليل هذا القول قوله
تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون والخطاب لجميع الناس فكأنه قال لقريش منهم
أي ما يبالي الله بكم ولا ينظر إليكم لولا عبادتكم إياه أن لو كانت وذلك الذي
يعبأ بالبشر لأجله ويؤيد هذا قراءة ابن الزبير وغيره فقد كذب الكافرون فالخطاب
بما يعبأ لجميع الناس ثم يقول لقريش فأنتم قد كذبتم ولم تعبدوه فسوف يكون التكذيب
الذي هو سبب العذاب لزاما وقال النقاش وغيره المعنى لولا استغاثتكم إليه
في الشدائد ونحو ذلك بيانه فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين ونحو هذا وقيل
قل ما يعبأ بكم أي يصنع بكم ولا يسوى عنده علم لولا دعاؤكم معه الآلهة والشركاء
بيانه ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وقال الوليد بن أبي الوليد المعنى فيها
إني ما خلقتكم ولي حاجة إلا أن تسألوني فأغفر لكم وأعطيكم وروى وهب بن منبه
قال في التوراة يا ابن آدم وعزتي ما خلقتك لأربح عليك إنما خلقتك لتربح علي فاتخذني
بدلا من كل شيء فإني خير لك من كل شيء قال ابن جني قرأ ابن الزبير وابن عباس فقد كذب
الكافرون قال الزهراوي والنحاس وهي قراءة ابن عباس وهي على التفسير لكنها والتاء في
لكذبتم ونسب القتبي والفارسي لكان أن الدعاء مضاف إلى الفاعل والمفعول والأصل
لولا دعاؤكم آلهة من دونه وجواب لولا محذوف تقديره في هذا الوجه لم يعذبكم ونظير
قوله لولا دعاؤكم آلهة قوله إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فقد كذبتم أي
لديه بما دعيتم إليه هذا على القول الأول وقيل سوء ظنه بالله على الثاني فسوف يكون لزاما
أي يكون تكذيبكم ملازما لكم والمعنى فسوف يكون جزاء التكذيب كما قال ووجدوا ما
عملوا حاضرا أي جزاء ما عملوا وقوله فذوقوا بما كنتم تكفرون أي جزاء ما كنتم تكفرون وحسن
إضمار التكذيب لتقدم ذكر فعله لأنك إذا ذكرت الفعل دل بلفظه على مصدره كما قال
ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم أي لكان الإيمان وقوله وإن تشكروا يرضه لكم أي يرضى
الشكر ومثله كثير وجمهور المفسرين على أن المراد باللزام هنا ما نزل بهم يوم بدر وهو
قول عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وأبي مالك ومجاهد ومقاتل وغيرهم وفي

صحح مسلم عن عبد الله وقد مضت البطشة والدخان واللزام وآية الروم وفي منثاني ورم
الدخان ان سالك وقالت فرقة هو يوعد بعذاب الآخرة وعن ابي مسعود ان اللزام
التكذيب يعني اي لا يعطون التوبة منه ذكره النقاش وقال في هذا يوم بدر وعن
والعذاب الذي يلزمونه وقال ابو عبيدة لزاما فيصلا اي فسوف يكون فيصلا يلزم كل
المؤمن والجمهور القراء على كسر اللام وانشد ابو عبيدة لصخر
وإما ينجوا من حتف ارض فقد لقيا حتوفهما لزاما
وقال والقتبي لزاما يعني عذابا دائما لازما وهلاكا مفنيا يلحق بعضكم ببعض كقول ابي ذويب
ففاجأه بعادية لزام كما يتفجر الحوض اللقيف
يعني باللزام الذي يتبع بعضها بعضا وباللقيف المتساقط الحجارة المنهدم الجانب حكى ابو حاتم عن ابي زيد سمعت قعنبا ابا السمال
يقرأ لزاما بفتح اللام قال ابو جعفر يكون مصدر لزم والكسر اولى يكون مثل قتال ومقاتلة كما
اجمعوا على الكسر في قوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما مثل خاصم خصاما واللزام
بالفتح مصدر لزم لزاما مثل سلم سلاما اي سلامة فاللزام بالفتح اللزوم واللزام الملازمة
والمصدر في القراءتين وقع موقع اسم الفاعل فاللزام وقع موقع ملازم واللزام وقع موقع
لازم كما قال تعالى قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا قال النحاس وللفراء قول في
اسم يكون قال يكون مجهولا وهذا غلط لان المجهول لا يكون خبره الا جملة كما قال النحويون
ان رفع بصر وكما حكى النحويون كان زيد منطلق يكون في كان مجهول ويكون المبتدأ وخبره
خبر المجهول والتقدير كان الحديث فاما ان يقال كان منطلقا ويكون في كان مجهول فلا
يجوز عند احد علمناه ۝ يتلوه سورة الشعراء

المجلد العاشر من تفسير القرطبي

یا کبیکج

الجزء العاشر
من تفسير القرآن العظيم
للقرطبي
تغمده الله برضوانه

لع

من كتب العبد مفتي السلطنة العثمانية
السيد مصطفى ابن الشيخ محمد
عفي عنهما

من عواري الزمان لدى احقر عباد الله الاحد
مصطفى بن عبد الله بن الياس بن شيخ محمد
عفى عنهم المنان الصمد
تاريخ
٩٦٠

تفسير جامع احكام القرآن للشيخ الامام ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي
القرطبي المالكي المتوفى سنة احدى وسبعين وستمائة رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

سوره الشعرا مكيه في قول الجمهور وقال مقاتل منها مدني الايه التي
يذكر فيها الشعرا وقوله اولم يكن لهم ايه ان يعلمه علما بني اسرايل وقال ابن
عباس وقتاده مكيه الا اربع ايات منها نزلت بالمدينه من قوله والشعراء
يتبعهم الغاوون الى اخرها وهي مايه وسبع وعشرون ايه وروايه ست
وعشرون وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم اعطيت السوره التي
تذكر فيها البقره من الذكر الاول واعطيت طه وطسم من الواح موسى واعطيت
فواتح القران وخواتيم سوره البقره من تحت العرش واعطيت المفصل نافله
وعن البرا بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اعطاني السبع
الطوال مكان التوراه واعطاني المبين مكان الانجيل واعطاني الطواسين
مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قراهن نبي قبلي
قوله تعالى طسم قرا الاعمش ويحيى وابو بكر والمفضل وحمزة
والكساي وخلف باماله الطا مشبعا في هذه السوره وفي اختيها وقرا نافع وابو
جعفر وشيبه والزهري بين اللفظين واختاره ابو عبيد وابو حاتم وقرا
الباقون بالفتح مشبعا قال الثعلبي وهي كلها لغات فصيحه وقد مضى في طه
قول النحاس في هذا قال النحاس النون الساكنه والتنوين اربعه اقسام عند
سيبويه يبينان عند حروف الحلق ويدغمان عند الرا واللام والميم والواو والياء
ويقلبان ميما عند البا ويكونان من الخياشيم اي لا يبينان فعلى هذه الاربعه اقسام
التي نصها سيبويه لا تجوز هذه القراه لانه ليس ها هنا حرف من حروف الحلق
فتبين النون عنده ولكن في ذلك وجيه وهو ان حروف المعجم حكمها ان يوقف
عليها فاذا وقف عليها تبينت النون قال الثعلبي الادغام اختيار ابي عبيد وابي
حاتم قياسا على كل القران وانما اظهرها اولئك للتبيين والتمكين وادغمها هولا
لمجاورتها حروف الفم قال النحاس وحكى ابو اسحق في كتابه فيما يجري وما لا
يجري انه يجوز ان يقال طاسين ميم بفتح النون وضم الميم كما يقال هذا
معدي كرب وقال ابو حاتم قرا خالد طسين ميم ابن عباس طسم قسم وهو اسم

من اسما الله تعالى والمقسم عليه ان نشا ننزل عليهم من السما ايه وقال قتاده اسم
من اسما القران اقسم الله به مجاهد هو اسم للسوره الحسن افتتاح السوره
الربيع حساب مده قوم وقيل قارعه تحل بقوم وطسم وطس واحد قال
وفاو اكما كالربع اسجاه طاسمه بان تسعدوا والربع اشغاه ساجمه
وقال القرظي اقسم الله بطوله بطوله وسنايه وملكه وقال عبد الله ابن محمد
ابن عقيل الطا طور سينا والسين اسكندريه والميم مكه وقال جعفر بن محمد بن علي
الطا شجره طوبى والسين سدره المنتهى والميم محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم
وقيل الطا من الطاهر والسين من القدوس وقيل من السميع وقيل من
السلام والميم من المجيد وقيل من الرحيم وقيل من الملك وقد مضى هذا المعنى
في اول البقره والطواسيم والطواسين سور في القران جمعت على غير قياس
وانشد ابو عبيده وبالطواسيم التي قد ثليت وبالحواميم التي قد سبعت
قال الجوهري والصواب ان تجمع بذوات وتضاف الى واحد فيقال ذوات
طسم وذوات حم قوله تعالى تلك ايات رفع على اضمار مبتدا اى هذه
تلك ايات الكتاب المبين التي كنتم وعدتم بها لانهم قد وعدوا في التوراه والانجيل
بانزال القران وقيل تلك بمعنى هذه لعلك باخع نفسك اي قاتل نفسك
وعهاكها وقد مضى في الكهف بيانه ان لا يكونوا مومنين اي لتركهم الايمان
قال الفرا ان في موضع نصب لانها جزا قال النحاس وانما يقال ان مكسوره
لانها جزا هذا التعارف والقول في هذا ما قاله ابو اسحق في كتابه في القران قال
ان في موضع نصب مفعول من اجله والمعنى لعلك قاتل نفسك لتركهم الايمان
ان نشا ننزل عليهم من السما ايه اي معجزه ظاهره وقدره باهره فتصير
معارفهم ضروريه ولكن سبق القضا بان تكون المعارف نظريه وقال ابو
حمزه الثمالي في هذه الايه بلغني انهم هذه الايه صوت يسمع من السما في النصف
من شهر رمضان تخرج به العواتق من البيوت وتضج له الارض وهذا فيه
بعد لان المراد قريش لا غيرهم فظلت اي فتظل اعناقهم لها خاضعين
قال مجاهد اعناقهم كبراوهم قال النحاس ومعروف في اللغه يقال

جاني عنق من الناس اي روسا منهم ابو زيد والاخفش اعناقهم جماعاتهم يقال
جاني عنق من الناس اي جماعه وقيل انما اراد اصحاب الاعناق فحذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه قال قتاده المعنى لو شا لانزل ايه يذلون بها فلا
يلوي احد منهم عنقه الى معصيه وقال ابن عباس نزلت فينا وفي بني اميه
ستكون لنا عليهم الدوله فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبه ذكره الثعلبي والغزنوي
فالله اعلم وخاضعين وخاضعه هنا سوا قاله عيسى بن عمر واختاره المبرد
والمعنى انهم اذا ذلت رقابهم ذلوا فالاخبار عن الرقاب اخبار عن اصحابها ويسوغ
في كلام العرب ان يترك الخبر عن الاول ويخبر عن الثاني قال الراجز
طول الليالي اسرعت في نقضي طوين طولي وطوين عرضي
فاخبر عن الليالي وترك الطول وقال جرير
ارى مر السنين اخذن مني كما اخذ السرار من الهلال وانما جاز ذلك
لانه لو اسقط مر وطول من الكلام لم يفسد معناه فكذلك رد الفعل الى
الكنايه في قوله فظلت اعناقهم لانه لو اسقط الاعناق لما فسد الكلام ولادى
ما بقي من الكلام عنه حتى يقول فظلوا لها خاضعين وعلى هذا اعتمد الفرا
وابو عبيده والكساي يذهب الى ان المعنى خاضعيها هم وهذا خطا عند البصريين
والفرا ومثل هذا الحذف لا يقع في شي من الكلام قاله النحاس قوله
تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين تقدم في
الانبيا فقد كذبوا اي اعرضوا ومن اعرض عن شي ولم يقبله فهو تكذيب له
فسياتيهم انبا ما كانوا به يستهزيون وعيد لهم اي فسوف ياتيهم عاقبه ما
كذبوا والذي استهزوا به قوله تعالى اولم يروا الى الارض كم
انبتنا فيها من كل زوج كريم نبه على عظمته وقدرته وانهم لو راوا بقلوبهم
ونظروا ببصايرهم لعلموا انه الذي يستحق ان يعبد اذ هو القادر على خلق كل
شي والزوج اللون قاله الفرا والكريم حسن شريف واصل الكرم في اللغه
الشرف والفضل فنخله كريمه اي فاضله كثيره الثمر ورجل كريم شريف
فاضل صفوح ونبتت الارض وانبتت بمعنى وقد تقدم في البقره والله

سبحانه

سبحانه المخرج للنبات والمنبت له وروي عن الشعبي انه قال الناس نبات الارض
فمن صار منهم الى الجنه فهو كريم ومن صار منهم الى النار فهو لئيم ان في ذلك لايه
اي فيما ذكر من الانبات في الارض لدلاله على ان الله قادر لا يعجزه شي وما كان
اكثرهم مومنين اي مصدقين لما سبق من علمي فيهم وكان ههنا صله في قول
سيبويه تقديره وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم يريد
المنيع المنتقم من اعدايه الرحيم باوليايه قوله تعالى واذ نادى
ربك موسى اذ في موضع نصب المعنى واتل عليهم اذ نادى ربك موسى ويدل على
هذا ان بعده واتل عليهم نبا ابرهيم ذكره النحاس وقيل المعنى واذكر اذ نادى
كما صرح به في قوله واذكر اخا عاد وقوله واذكر عبادنا ابرهيم وقوله واذكر
في الكتاب مريم وقيل المعنى واذ نادى ربك موسى كان كذا وكذا والندا الدعا
بيا فلان اي قال ربك يا موسى ان ايت القوم الظالمين ثم اخبر من هم فقال
قوم فرعون الا يتقون فقوم بدل ومعنى الا يتقون الا يخافون عقاب الله وقيل
هذا من الايما الى الشي لانه امره ان ياتي القوم الظالمين ودل قوله الا يتقون على
انهم لا يتقون وعلى انه امرهم بالتقوى وقيل المعنى قل لهم الا تتقون وجا بالبا
لانهم غيب وقت الخطاب ولو جا بالتا لجاز ومثله قل للذين كفروا ستغلبون بالبا
والتا وقد قرا عبيد بن عمير وابو حازم الا تتقون بتا بمعنى قل لهم الا تتقون
قال رب اي قال موسى رب اني اخاف ان يكذبون اي في الرساله والنبوه
ويضيق صدري لتكذيبهم اياي وقراة العامة ويضيق ولا ينطلق بالرفع على
الاستيناف وقرا يعقوب وعيسى بن عمر وابو حيوه ويضيق ولا ينطلق بالنصب
فيهما ردا على قوله ان يكذبون قال الكسايي القراه بالرفع يعني في ويضيق صدري
ولا ينطلق لساني يعني نسقا على اني اخاف قال الفرا ويقرا بالنصب حكي ذلك
عن الاعرج وطلحه وعيسى بن عمر وكلاهما له وجه قال النحاس الوجه الرفع
لان النصب عطف على يكذبون وهذا بعيد يدل على ذلك قوله واحلل عقده من
لساني يفقهوا قولي فهذا يدل على ان هذا كذا ومعنى ولا ينطلق لساني في
المحاجه على ما احب وكان في لسانه عقده على ما تقدم في طه فارسل

الى هرون اي ارسل اليه جبريل بالوحي واجعله رسولا معي ليوازرني ويظاهرني
ويعاونني ولم يذكر هنا ليعينني لان المعنى كان معلوما وقد صرح به في طه
قوله واجعل لي وزيرا وفي القصص ارسله معي ردا يصدقني وكان موسى
اذن له في هذا السؤال ولم يكن ذلك استعفا من الرسالة بل طلب من يعينه ففي
هذا دليل على ان من لا يستقل بامر ويخاف من نفسه تقصيرا ان ياخذ من يستعين
به عليه ولا يلحقه في ذلك لوم على ما ياتي في القصص بيانه وقد مضى في طه
ذكره وخاف موسى ان يقتلوه به ودل على ان الخوف قد يصحب الانبيا والفضلا
والاوليا مع معرفتهم بالله وان لا فاعل الا هو اذ قد يسلط من شا على من شا
قال كلا اي كلا لن يقتلوك فهو ردع وزجر عن هذا الظن وامر بالثقة
بالله تعالى اي ثق بالله وانزجر عن خوفك منهم فانهم لا يقدرون على قتلك ولا
يقوون عليه فاذهبا اي انت واخوك فقد جعلته رسولا معك باياتنا
اي ببراهيننا وبالمعجزات وقيل اي مع اياتنا انا معكم يريد نفسه سبحانه
مستمعون اي سامعون ما يقولون وما يجابون وانما اراد بذلك تقوية قلبهما
وانه يعينهما ويحفظهما والاستماع انما يكون بالاصغا ولا يوصف الباري
سبحانه بذلك وقد وصف سبحانه نفسه بانه السميع البصير وقال في طه
اسمع وارى وقال معكم فاجراهما مجرى الجمع لان الاثنين جماعة ويجوز ان يكون
لهما ولمن ارسلا اليه ويجوز ان يكون لجميع بني اسرايل قوله تعالى
فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين قال ابو عبيد رسول بمعنى رسالة
والتقدير على هذا انا ذو رسالة رب العالمين قال الهذلي الكني اليها وخير
الرسول اعلمهم بنواحي الخبر وقال اخر
لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول :: اخر
الا ابلغ ابا عمرو رسولا فاني عن فتاحتكم غني :: وقال العباس ابن مرداس
الا من مبلغ عني خفافا رسولا بيت اهلك منتهاها :: والجميع تقول العرب
هذا رسولي ووكيلي وهذان رسولي ووكيلي وهولا رسولي ووكيلي ومنه
قوله تعالى فانهم عدو لي وقيل معناه ان كل واحد منا رسول رب العالمين

ان

ان ارسل معنا بني اسرايل اي اطلقهم وخل سبيلهم حتى يسيروا معنا الى فلسطين
ولا تستعبدهم وكان فرعون استعبدهم اربعماية سنه وكانوا في ذلك الوقت
ست ماية الف وثلثون الفا فانطلقا الى فرعون فلم يوذن لهما سنه في الدخول
عليه فدخل البواب على فرعون فقال هاهنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين
فقال فرعون ايذن له لعلنا نضحك منه فدخلا عليه واديا الرساله وروى وهب
وغيره انهما لما دخلا على فرعون وجداه وقد اخرج سباعا من اسد ونمور وفهود
يتفرج عليها فخاف سواسها ان تبطش بموسى وهرون فاسرعوا اليها واسرعت
السباع الى موسى وهرون فاقبلت تلحس اقدامهما وتبصبص اليهما باذنابها وتلصق
خدودها بفخذيهما فعجب فرعون من ذلك فقال لهما انتما قالا انا رسول رب العالمين
فعرف موسى لانه نشا في بيته فقال الم نربك فينا وليدا على جهة المن عليه والاحتقار
اي ربيناك صغيرا ولم نقتلك في جملة من قتلنا ولبثت فينا من عمرك سنين
فمتى كان هذا الذي تدعيه ثم قرره بقتل القبطي بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت
والفعله بفتح الفا المره من الفعل وقرا الشعبي فعلتك بكسر الفا والفتح
اولى لانها للمره الواحده والكسر بمعنى الهيئه والحال اي فعلتك التي تعرف
فكيف تدعي مع علمنا احوالك بان الله ارسلك وقال الشاعر ؛
كان مشيتها من بيت جارتها مر السحابه لا ريث ولا عجل ؛ ويقال كان ذلك
ايام الرده والرده وانت من الكافرين قال الضحاك اي في قتلك القبطي
اذ هو نفس لا يحل قتله وقيل اي بنعمتي التي كانت لنا عليك من التربيه والاحسان
اليك قاله ابن زيد الحسن اي من الكافرين في اني الهك السدي من الكافرين
بالله لانك كنت معنا في ديننا هذا الذي تعيبه وكان بين خروج موسى عليه
السلام حين قتل القبطي وبين رجوعه نبيا احد عشر عاما غير اشهر فقال
فعلتها اذا اي فعلت ذلك الفعله يريد قتل القبطي وانا اذا لمن الضالين
اي من الجاهلين فنفى عن نفسه الكفر واخبر انه فعل ذلك على الجهل وكذا
قال مجاهد من الضالين من الجاهلين ابن زيد من الجاهلين بان الوكزه
تبلغ القتل وفي مصحف عبد الله من الجاهلين ويقال لمن جهل شيا ضل عنه

نصر من الله و فتح قريب

وقيل وانا من الضالين من الناسين قاله ابو عبيده وقيل وانا من الضالين عن
النبوه ولم ياتني عن الله فيه شي فليس علي فيما فعلته في تلك الحاله توبيخ وبين بهذا
ان التربيه فيهم لا تنافي النبوه والحلم عن الناس وان القتل خطا او في وقت لم يكن
فيه شرع لا ينافي النبوه قوله تعالى ففررت منكم لما خفتكم اي خرجت
من بينكم الى مدين كما في سوره القصص فخرج منها خايفا يترقب وذلك خوف القتل
فوهب لي ربي حكما يعني النبوه عن السدي وغيره الزجاج تعليمه التوراه
التي فيها حكم الله وقيل علما وفهما وجعلني من المرسلين قوله تعالى
وتلك نعمه تمنها علي ان عبدت بني اسرايل اختلف الناس في معنى هذا الكلام
فقال السدي والطبري والفرا هذا الكلام من موسى عليه السلام على جهه الاقرار
بالنعمه كانه يقول نعم وتربيتك نعمه علي من حيث عبدت غيري وتركتني ولكن لا يدفع
ذلك رسالتي وقيل هو من موسى على جهه الانكار اي اتمن علي بان ربيتني وليدا
وانت قد استعبدت بني اسرايل وقتلتهم اي ليست بنعمه لان الواجب كان ان لا
تقتلهم ولا تستعبدهم فانهم قومي فكيف تذكر احسانك الي على الخصوص قال معناه
قتاده وغيره وقيل فيه تقدير استفهام اي وتلك نعمه قاله الاخفش والفرا
ايضا وانكره النحاس وغيره قال النحاس وهذا لا يجوز لان الف الاستفهام تحدث
معنى وحذفها محال الا ان يكون في الكلام ام كما قال الشاعر
تروح من الحي ام تبتكر ؛؛ ولا اعلم بين النحويين اختلافا في هذا الا شيا قاله
الفرا قال يجوز حذف الف الاستفهام في افعال الشك وحكى ترى زيدا منطلقا
بمعنى اترى وكان علي بن سليمن يقول انما اخذه من الفاظ العامه قال الثعلبي قال
الفرا ومن قال انها انكار قال معناه او تلك نعمه على طريق الاستفهام كقوله هذا
ربي افهم الخالدون قال الشاعر ؛؛
رفوني وقالوا يا خويلد لم ترع فقلت وانكرت الوجوه هم هم ؛؛ وانشد
العزيزي شاهدا على ترك الالف قولهم ؛؛
لم انس يوم الرحيل وقفتها وجفنها من دموعها شرق ؛؛
وقولها والركاب واقفه تتركني هكذا وتنطلق ؛؛ قال الشيخ القرطبي رحمه الله

فعلى هذا احذوف الف الاستفهام مع علمه ام خلاف قول النحاس وقال الضحاك
ان الكلام خرج مخرج التبكيت والتبكيت يكون باستفهام وبغير استفهام والمعنى
لولم تقتل بني اسرايل لرباني ابواي فاي نعمه لك علي فانت تمن علي بما لا يجب ان
تمن به وقيل معناه كيف تمن علي بالتربيه وقد اهنت قومي ومن اهين قومه
ذل وان عبدت في موضع رفع على البدل من نعمه ويجوز ان يكون في موضع نصب
بمعنى لان عبدت بني اسرايل اي اتخذتهم عبيدا يقال عبدته واعبدته بمعنى
قاله الفرا لتلما تعبدني قومي وقد كثرت فيهم ابا عرما شاؤا وعبدان
قوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين لما غلب موسى فرعون بالحجه
ولم يجد اللعين من تقريره على التربيه وغيره لك حجه رجع الى معارضه موسى في
قوله رسول رب العالمين فاستفهمه استفهاما عن مجهول من الاشيا قال مكي
وغيره كما يستفهم عن الاجناس فلذلك استفهم بما قال مكي وقد ورد له استفهام
بمن في موضع اخر ويشبه انهما مواطن فاتى موسى بالصفات الداله على الله من
مخلوقاته التي لا يشاركه فيها مخلوق وقد سال فرعون عن الجنس ولا جنس لله
تعالى لان الاجناس محدثه فعلم موسى جهله فاضرب عن سواله واخبره بعظيم
قدره الله التي تبين للسامع انه لا مشاركه لفرعون فيها فقال فرعون الا تستمعون
على معنى الاغرا والتعجب من سفه المقاله اذ كانت عقيده القوم ان فرعون
ربهم ومعبودهم والفراعنه قبله كذلك فزاد موسى في البيان بقوله ربكم ورب
اباكم الاولين فجابد ليل يفهمونه عنه لانهم يعلمون انه قد كان لهم ابا وانهم قد
فنوا وانه لا بد من مغن وانهم قد كانوا بعد ان لم يكونوا وانهم لا بد لهم من مكون
فقال فرعون حينيذ على جهه الاستخفاف ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
اي ليس يجيبني عما اسل فاجابه موسى عليه السلام عن هذا بان قال رب المشرق
والمغرب اي ليس ملكه كملكك لانك انما تملك بلدا واحدا لا يجوز امرك في
غيره ويموت فيه من لا تحب ان يموت والذي ارسلني يملك المشرق والمغرب
وما بينهما ان كنتم تعقلون وقيل علم موسى عليه السلام ان قصده في السوال معرفه
من سال عنه فاجاب بما هو الطريق الى معرفه الرب اليوم ثم لما انقطع فرعو

لعنه الله في باب الحجه رجع الى الاستعلا والتغلب فتوعد موسى بالسجن ولم يقل
ما دليلك على ان هذا الاله ارسلك لان فيه الاعتراف بان ثم الاها غيره وفي توعده
بالسجن ضعف وكان فيما يروى يفزع منه فزعا شديدا حتى كان اللعين لا يمسك
بوله وروي ان سجنه كان اشد من القتل فكان اذا سجن احدا لم يخرجه من سجنه
حتى يموت فكان مخوفا ولما كان عند موسى عليه السلام من امر الله تعالى ما لا
يزعه توعد فرعون قال له على جهة اللطف به والطمع في ايمانه اولو جيتك
بشي مبين يصح لك به صدقي فلما سمع فرعون ذلك طمع ان يجد اثناه موضع
معارضه فقال له فات به ان كنت من الصادقين ولم يحتج الشرط الى جواب عند سيبويه
لان ما تقدم يكفي منه فالقى موسى عصاه من يده فكان ما اخبر الله من قصته وقد تقدم
بيان ذلك وشرحه في الاعراف الى اخر القصه وقول السحره لما توعدهم فرعون
بقطع الايدي والارجل لا ضير اي لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عذاب الدنيا اي انما
عذابك ساعه فنصبر لها وقد لقينا الله مومنين وهذا يدل على شده استبصارهم
وقوه ايمانهم قال مالك دعا موسى عليه السلام فرعون اربعين سنه الى الاسلام وان
السحره امنوا به في يوم واحد يقال لا ضير ولا ضور ولا ضر ولا ضرر ولا ضاروه
بمعنى واحد قاله الهروي وانشد ابو عبيده
فانك لا يضورك بعد حول اظبي كان امك ام حمار ؛ وقال الجوهري ضاره
يضوره ويضيره ضيرا وضورا اي ضره قال الكسائي سمعت بعضهم يقول لا ينفعني
ذلك ولا يضورني والتضور الصياح والتلوي عند الضرب او الجوع والضوره
بالضم الرجل الحقير الصغير الشان انا الى ربنا منقلبون يريدون ننقلب الى
رب كريم رحيم انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المومنين ان في
موضع نصب اي لان كنا واجاز الفرا كسرها على ان تكون مجازاه ومعنى
اول المومنين اي عند ظهور الايه ممن كان في جانب فرعون الفرا اول مومني
زماننا وانكره الزجاج وقال قد روي انه امن معه ست مايه الف وسبعون الفا
وهم الشرذمه القليلون الذي قال فيهم فرعون ان هولا لشرذمه قليلون روي
ذلك عن ابن مسعود وغيره قوله تعالى واوحينا الى موسى ان اسر

بعبادي انكم متبعون لما كان من سنته تعالى في عباده انجا المومنين المصدقين من اوليايه
المعترفين برسالة رسله وانبيايه واهلاك الكافرين المكذبين لهم من اعدايه امر موسى
ان يخرج من بني اسرايل ليلا وسماهم عباده لانهم امنوا بموسى ومعنى انكم متبعون
اي سيتبعكم فرعون وقومه ليردوكم وفي ضمن هذا الكلام تعريفهم ان الله ينجيهم منهم
فخرج موسى عليه السلام ببني اسرايل سحرا فترك الطريق الى الشام على يساره وتوجه
نحو البحر فكان الرجل من بني اسرايل يقول له في ترك الطريق فيقول هكذا امرت فلما
اصبح فرعون وعلم بسري موسى ببني اسرايل خرج في اثرهم وبعث الى مداين مصر
لتلحقه العساكر فروي انه لحقه ومعه مايه الف ادهم من الخيل حاشا ساير الالوان
وروي ان بني اسرايل كانوا ست مايه الف وسبعين الفا والله اعلم بصحته وانما
اللازم من الايه الذي يقطع به ان موسى عليه السلام خرج بجمع عظيم من بني اسرايل
وان فرعون تبعه باضعاف ذلك قال ابن عباس كان مع فرعون الف جبار كلهم عليه
تاج وكلهم امير خيل والشرذمه الجمع القليل المحتقر والجمع الشراذم قال الجوهري
الشرذمه الطايفه من الناس والقطعه من الشي وثوب شراذم اي قطع وانشد
الثعلبي قول الراجز ؛ جا الشتا وقميصي اخلاق شراذم يضحك منها التواق
التواق من الرجال الذي يروض الامور ويصلحها قاله في الصحاح واللام في قوله
لشرذمه لام توكيد وكثيرا ما تدخل في خبر ان الا ان الكوفيين لا يجيزون ان زيدا
لسوف يقوم والدليل على انه جايز قوله تعالى فلسوف تعلمون وهذه لام التوكيد
بعينها وقد دخلت على سوف قاله النحاس وانهم لنا لغايظون اي اعدا لنا لمخالفتهم
ديننا وذهابهم باموالنا التي استعاروها على ما تقدم وماتت ابكارهم تلك الليله
وقد مضى هذا في الاعراف وطه مستوفى يقال غاظني كذا واغاظني والغيظ
الغضب ومنه التغيظ والاغتياظ اي غاظونا بخروجهم من غير اذن وانا لجميع
حذرون اي مجتمع مستعد اخذنا حذرنا واسلحتنا وقرى حاذرون ومعناه معنى
حذرون وقيل حاذرون اي علينا السلاح وحذرون اي فرقون خايفون قال
الجوهري وقرى وانا لجميع حاذرون وحذرون وحذرون ايضا بضم الدال
حكاه الاخفش ومعنى حاذرون متاهبون ومعنى حذرون خايفون قال النحاس

حذرون قراه المدنيين وابي عمرو وقراه الكوفه حاذرون وهي معروفه عن عبد الله
ابن مسعود وابن عباس وحادرون بالدال الغير معجمه قراه ابي عباد وحكاها
المهدوي عن ابن ابي عمار والماوردي والثعلبي عن شميط ابن عجلان قال
النحاس ابو عبيده يذهب الي ان معني حذرون وحاذرون واحد وهو قول سيبويه
واجاز هو حذر زيدًا كما يقال حاذر زيدًا وانشد
حذر امورًا لا تضير وآمن ما ليس منجيه من الاقدار ؛ وزعم ابو عمر الجرمي
انه يجوز هو حذر زيدًا علي حذف من فاما اكثر النحويين فيفرقون بين حذر وحاذر
منهم الكساي والفرا ومحمد بن يزيد فيذهبون الي ان معني حذر في خلقته الحذر
اي متيقظ متنبه فاذا كان هكذا لم يتعد ومعني حاذر مستعد وبهذا جا
التفسير عن المتقدمين قال عبد الله ابن مسعود في قول الله عز وجل وانا
لجميع حاذرون قال مودون في السلاح والكراع مقوون فهذا ذلك بعينه
وقوله مودون معهم اداه وقد قيل ان المعني معنا سلاح وليس معهم سلاح
يحرضهم علي القتال فاما حادرون بالدال المهمله فمشتق من قولهم عين حدره
اي ممتليه اي نحن ممتلون غيظا عليهم ومنه قول الشاعر
وعين لها حدره بدره شقت مآقيها من اخر ؛ وحكي اهل اللغه انه يقال
رجل حادر اذا كان ممتلي اللحم فيجوز ان يكون المعني الامتلا من السلاح المهدوي
الحادر القوي الشديد قوله تعالي فاخرجناهم من جنات وعيون
يعني من ارض مصر وعن عبد الله بن عمرو قال كانت الجنات بحافتي النيل من
الشقتين جميعا من اسوان الي رشيد وبين الجنات زروع وللنيل سبعه خلجان
خليج الاسكندريه خليج سخا خليج سردوس خليج منف خليج الفيوم خليج
المنهي متصله لا ينقطع منها شي عن شي والزروع ما بين الخلجان كلها وكانت ارض
مصر كلها تروي من سته عشر ذراعا بما قدروا ودبروا من قناطيرها وجسورها
وخلجها ولذلك سمي النيل اذا غلق سته عشر ذراعا نيل السلطان ويخلع علي ابن
ابي الرداد وهذه الحال مستمره الي الان وانما قيل نيل السلطان لانه حينيذ يجب
الخراج علي الناس وكانت ارض مصر جميعا تروي من اصبع واحد من سبعه عشر

ذراعا وكانت اذا غلق النيل سبعة عشر ذراعا ونودي عليه اصبع واحد من ثمانيه
عشر ذراعا ازداد في خراجها الف الف دينار فاذا خرج عن ذلك ونودي عليه
اصبعا واحدًا من تسعه عشر ذراعا نقص عن خراجها الف الف دينار وسبب هذا
ما كان يصرف في المصالح والخلجان والجسور والاهتمام بعمارتها فاما الان فان
اكثرها لا يروي حتى ينادي اصابع من تسعه عشر ذراعا بمقياس مصر فاما
اعمال الصعيد الاعلى فان بها ما لا يتكامل ريه الا بعد دخول الما في الذراع الثاني
والعشرين بالصعيد الاعلى قال الشيخ القرطبي رحمه الله اما ارض مصر
فلا يروي جميعها الان الا من عشرين ذراعا واصابع لعلو الارض وعدم الاهتمام
بعمارة جسورها وهو من عجايب الدنيا وذلك انه يزيد اذا انصبت المياه في جميع
الارض حتى يسيح على جميع ارض مصر وتبقى البلاد كالاعلام لا يوصل اليها الا بالمراكب
والقياسات وروي عن عبد الله ابن عمرو بن العاصي قال نيل مصر سيد الانهار
سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب وذلل الله له الانهار فاذا اراد ان يجري
نيل مصر امر الله كل نهر ان يمده فامده الانهار بمايها وفجر الله له عيونا فاذا
انتهى الى ما اراد الله عز وجل اوحى الله تبارك وتعالى الى كل ما ان يرجع الى عنصره
وقال قيس ابن الحجاج لما فتحت مصر اتا اهلها الى عمرو بن العاصي حين دخل
بونه من اشهر القبط فقالوا له ايها الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجري الا بها فقال
لهم وما ذاك فقال اذا كان لاثني عشره ليله تخلوا من هذا الشهر عمدنا الى جاريه
بكر بين ابويها ارضينا ابويها وحملنا عليها من الحلي والثياب افضل ما يكون ثم القيناها
في هذا النيل فقال لهم عمرو هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام ليهدم ما قبله
فاقاموا بونه وابيب ومسرى لا يجري قليل ولا كثير وهموا بالجلا فلما راى ذلك عمرو بن
العاصي كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاعلمه بالقصه فكتب اليه عمر بن الخطاب
انك قد اصبت بالذي فعلت وان الاسلام يهدم ما قبله ولا يكون هذا وبعث اليه
بطاقه في داخل كتابه وكتب الى عمرو اني قد بعثت اليك ببطاقه في داخل كتابي
فالقها في النيل اذا اتاك كتابي فلما قدم كتاب عمر الى عمرو بن العاصي اخذ البطاقه
ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر امير المومنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت

مطلب في سبب ... [illegible]

انما تجري من قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله
الواحد القهار ان يجريك قال فالقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم وقد تهيأ
اهل مصر للجلا والخروج منها لانه لا تقوم مصلحتهم فيها الا بالنيل فلما القى البطاقة
في النيل اصبحوا يوم الصليب وقد اجراه الله تبارك وتعالى في ليلة واحدة ستة عشر
ذراعا وقطع الله تلك السنين عن اهل مصر من تلك السنة وقال كعب الاحبار
اربعة انهار من الجنة وضعها الله في الدنيا سيحان وجيحان والنيل والفرات فسيحان
نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة والنيل نهر العسل في الجنة والفرات
نهر الخمر وقال ابن لهيعة الدجلة نهر اللبن في الجنة قال الشيخ القرطبي
رحمه الله الذي في الصحيح من هذا حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من انهار الجنة لفظ مسلم وفي حديث
الاسرا من حديث انس عن مالك ابن صعصعة رجل من قومه قال وحدث نبي الله
صلى الله عليه وسلم انه راى اربعة انهار يخرج من اصلها نهران ظاهران ونهران
باطنان فقلت يا جبريل ما هذه الانهار قال اما النهران الباطنان فنهران في الجنة
واما الظاهران فالنيل والفرات لفظ مسلم وقال البخاري من طريق شريك
عن انس فاذا هو في السما الدنيا بنهرين يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل
قال هذا النيل والفرات عنصرهما ثم مضى في السما فاذا هو بنهر اخر عليه قصر
من لولو وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك اذفر فقال ما هذا يا جبريل قال هذا
الكوثر الذي خبا لك ربك وذكر الحديث والجمهور على ان المراد بالعيون عيون الما
وقال سعيد بن جبير المراد عيون الما وقال سعيد بن جبير المراد عيون الذهب
وفي الدخان كم تركوا من جنات وعيون وزروع قيل انهم كانوا يزرعون ما بين الجبلين
من اول مصر الى اخرها وليس في الدخان وكنوز وكنوز جمع كنز وقد مضى في
براه والمراد بها هاهنا الخزاين وقيل الدفاين وقال الضحاك الانهار
وفيه نظر لان العيون تشملها ومقام كريم قال ابن عمر وابن عباس ومجاهد
المقام الكريم المنابر وكانت الف منبر لالف جبار يعظمون عليها فرعون وملكه
وقيل مجالس الرؤسا والامرا حكاه ابن عيسى وهو قريب من الاول وقال

مطلب في انهار الجنة

سعيد بن جبير المنازل الحسان وقال ابن لهيعه سمعت ان المقام الكريم الفيوم وقيل كان يوسف عليه السلام قد كتب على مجالس من مجالسه لا اله الا الله وابرهيم خليل الله فسماها الله كريمه بهذا وقيل مرابط الخيل لتفرد الزعما بارتباطها عده وزينه فصار مقامها الكرم منزول ذكره الماوردي والاظهر انها المساكن الحسان كانت تكرم عليهم والمقام في اللغه يكون الموضع ويكون مصدر النحاس المقام في اللغه الموضع من قولك قام يقوم وكذلك المقامات واحدها مقامه كما قال وفيهم مقامات حسان وجوهها واندية ينتابها العدل والفضل ؛ والمقام ايضا المصدر من قام والمقام بالضم الموضع من اقام والمصدر ايضا من اقام يقيم قوله تعالى كذلك واورثناها بني اسرايل يريد ان جميع ما ذكره الله من الجنات والعيون والكنوز والمقام الكريم اورثه الله بني اسرايل قال الحسن وغيره رجع بنوا اسرايل الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه وقيل اراد بالوراثه هنا ما استعاروا من حلي ال فرعون بامر الله تعالى قال الشيخ القرطبي رحمه الله وكلا الامرين حصل لهم والحمد لله فاتبعوهم مشرقين اي فتبع فرعون وقومه بني اسرايل قال السدي حين اشرقت الشمس بالشعاع وقال قتاده حين اشرقت الارض بالضيا قال الزجاج يقال شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضات واختلف في تاخر فرعون وقومه عن موسى وبني اسرايل على قولين احدهما لاشتغالهم بدفن ابكارهم لان الوبا في تلك الليله وقع فيهم فقوله مشرقين حال لقوم فرعون الثاني ان سحابه اظلتهم وظلمه فقالوا نحن بعيد في الليل فما تقشعت عنهم حتى اصبحوا وقال ابو عبيد معنى فاتبعوهم مشرقين ناحيه المشرق وقرا الحسن وعمرو بن ميمون فاتبعوهم مشرقين بالتشديد والف الوصل اي نحو المشرق ماخوذ من قولهم شرق وغرب اذا صار نحو المشرق والمغرب ومعنى الكلام قدرنا ان يرثها بنوا اسرايل فاتبع قوم فرعون بني اسرايل مشرقين فهلكوا وورث بنوا اسرايل بلادهم قوله تعالى فلما تراى الجمعان اي تقابلا الجمعان بحيث يرى كل فريق صاحبه وهو تفاعل من الرويه قال اصحاب موسى انا لمدركون اي قرب منا العدو ولا طاقه لنا بهم وقراه الجماعه لمدركون بالتخفيف من ادرك

ومنه حتى اذا ادركه الغرق وقرا عبيد بن عمير والاعرج والزهري لمدّركون
بتشديد الدال من ادرك قال الفرا حفر واحتفر بمعنى واحد وكذلك لمدركون
ولمدّركون بمعنى واحد النحاس وليس كذلك يقول النحويون الحذاق انما يقولون مدركون
ملحقون ومدّركون مجتهد في لحاقهم كما يقال كسبت بمعنى اصبت وظفرت واكتسبت
بمعنى اجتهدت وطلبت وهذا معنى قول سيبويه قوله تعالى قال كلا
ان معي ربي سيهدين لما لحق فرعون بجمعه جمع موسى وقرب منهم وراى بنوا اسرايل
العدو القوي والبحر امامهم ساءت ظنونهم وقالوا لموسى على جهة التوبيخ والجفا انا
لمدركون فرد عليهم قولهم وزجرهم وذكرهم وعد الله سبحانه له بالهداية والظفر
كلا اي لم يدركوكم ان معي ربي اي بالنصر على العدو وسيهدين اي سيدلني على
طريق النجاة فلما عظم البلا على بني اسرايل وراوا من الجيوش ما لا طاقة لهم بها امر الله
تعالى موسى ان يضرب البحر بعصاه وذلك انه عز وجل اراد ان تكون الاية متصلة بموسى
ومتعلقة بفعل يفعله والا فضرب العصا ليس يفارق البحر ولا معين على ذلك بذاته
الا بما اقترن به من قدرة الله تعالى واختراعه وقد مضى في البقرة قصة هذا البحر
ولما انفلق صار فيه اثنا عشر طريقا على عدد اسباط بني اسرايل ووقف الما بينهما
كالطود العظيم اي الجبل العظيم والطود الجبل وقال امرو القيس
فبينا المرء في الاحيا طود رماه الناس عن كثب فمالا ؛ وقال الاسود بن يعفر
حلوا بانقرة تسيل عليهم ما الفرات يجي من اطواد ؛ جمع طود اي جبل
فصار لموسى واصحابه طريقا في البحر يبسا فلما خرج اصحاب موسى وتكامل اخر
اصحاب فرعون على ما تقدم في يونس انصب عليهم وغرق فرعون فقال بعض اصحاب
موسى ما غرق فرعون فنبذ على ساحل البحر حتى نظروا اليه وروى ابن القاسم
عن مالك قال خرج مع موسى عليه السلام رجلان من التجار الى البحر فلما اتوا اليه
قالا له بما امرك الله قال امرت ان اضرب البحر بعصاي هذه فيجف فقالا له
افعل ما امرك ربك فلن يخلفك ثم القيا انفسهما في البحر تصديقا له فما زال كذلك
البحر حتى دخل فرعون ومن معه اي قربناهم الى البحر ثم ارتد كما كان وقد مضى
هذا المعنى في البقرة قوله تعالى وازلفنا ثم الاخرين اي قربناهم

الى البحر يعني فرعون وقومه قاله ابن عباس وغيره قال الشاعر
وكل يوم مضى وليلة سلفت فيها النفوس الى الاجال تزدلف ؛؛ ابو عبيد
ازلفنا جمعنا ومنه قيل لليلة المزدلفة ليلة جمع وقرا عبد الله بن الحرث وابي ابن
كعب وابن عباس وازلقنا بالقاف على معنى اهلكناهم من قولهم ازلقت الفرس
فهي مزلق اذا القت ولدها وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين
يعني فرعون وقومه ان في ذلك لاية اي علامة على قدرة الله تعالى وما كان اكثرهم
مومنين لانه لم يومن من قوم فرعون الا مومن ال فرعون واسمه جرقيل وشبه اسيه
امراة فرعون ومريم بنت ذاموسا العجوز التي دلت على قبر يوسف الصديق عليه
السلام وذلك ان موسى صلى الله عليه وسلم لما خرج بني اسرايل من مصر اظلم عليهم القمر
فقال لقومه ما هذا فقال علماوهم ان يوسف عليه السلام لما حضره الموت اخذ علينا موثقا
من الله انا لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال موسى فايكم يدري اين قبره قالوا
ما يعلمه الا عجوز لبني اسرايل فارسل اليها فقال دليني على قبر يوسف قالت لا والله
لا افعل حتى تعطيني حكمي قال وما حكمك قالت حكمي ان اكون معك في الجنة فثقل عليه
فقيل له اعطها حكمها فدلتهم عليه فاحتفروه واستخرجوا عظامه فلما اقلوها فاذا
الطريق مثل ضوء النهار في رواية فاوحى الله اليه ان اعطها ففعل فاتت بهم الى
بحيرة فقالت انضبوا هذا الما فانضبوه واستخرجوا عظام يوسف صلى الله عليه وسلم
فتبينت لهم الطريق مثل ضوء النهار وقد مضى في يوسف فروى ابو بردة عن ابي موسى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل باعرابي فاكرمه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم حاجتك فقال ناقة ارحلها واعنزا احلبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم عجزت ان تكون مثل عجوز بني اسرايل فقال اصحابه وما عجوز بني اسرايل فذكر لهم
حال هذه العجوز التي احتكمت على موسى ان تكون معه في الجنة قوله تعالى
واتل عليهم نبا ابرهيم نبه المشركين على فرط جهلهم اذ رغبوا عن اعتقاد ابرهيم
ودينه وهو ابوهم والنبا الخبر اي اقصص عليهم يا محمد خبره وحديثه وعتبه على
قومه ما يعبدون وانما قال ذلك ملزما لهم الحجة والجمهور من القرا على تخفيف
الهمزة الثانية وهو احسن الوجوه لانهم قد اجمعوا على تخفيف الثانية من كلمة واحدة

نحوادم وان شيت خففتها فقلت بنا ابرهيم وان شيت خففت الاولى وثم وجه خامس لا انه بعيد من العربيه وهو ان تدغم الهمزه في الهمزه كما يقال رآاس للذي يبيع الروس وانما بعد لانك تجمع بين همزتين فانهما كلمه واحده وحسن في فعال لانه لا ياتي الا مدغما اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون اي اي شي تعبدون قالوا نعبد اصناما وكانت اصنامهم من ذهب وفضه ونحاس وحديد وخشب فنظل لها عاكفين اي فنقيم على عبادتها وليس المراد وقتا معينا بل هو اخبار عما هم فيه وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وكانوا في الليل يعبدون الكواكب يقال ظل يفعل كذا اذا فعل نهارا وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا قال هل يسمعونكم قال الاخفش فيه حذف والمعنى هل يسمعون منكم او هل يسمعون دعاكم كما قال القايد الخيل منكوبا دوابرها قد احكمت حكمات القد والابقا قال والابق الكتان فحذف والمعنى واحكمت حكمات الابق وفي الصحاح والابق بالتحريك القنب وروي عن قتاده انه قرا هل يسمعونكم بالياء اي هل يسمعونكم اصواتهم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون اي هل ينفعكم هذه الاصنام وترزقكم وتملك لكم نفعا او ضرا ان عصيتم وهذا استفهام لتقرير الحجه فاذا لم ينفعوا ولم يضروا فما معنى عبادتكم لها قالوا وجدنا اباءنا كذلك يفعلون فرجعوا الى التقليد من غير حجه ولا دليل وقد مضى القول فيه قال ابرهيم افرايتم ما كنتم تعبدون من هذه الاصنام انتم واباوكم الاقدمون الاولون فانهم عدو لي واحد يودي عن جماعه وكذلك يقال للمراه هي عدو الله وعدوه الله حكاهما الفرا قال علي بن سليمن من قال عدوه فاثبت الها قال هي بمعنى معاديه ومن قال عدو للنصب قال عدوا بقصر ث والجميع حمله بمعنى ووصف الجماد بالعداوه بمعنى انهم عدو لي ان عبدتهم يوم القيمه كما قال كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفرا هذا من المقلوب مجازه فاني عدو لهم لان من عاديته عاداك ثم قال الا رب العالمين قال الكلبي الا من عبد رب العالمين اي الا عابد رب العالمين فحذف المضاف قال ابو اسحق الزجاج قال النحويون هذا استثنا ليس من الاول واجاز ابو اسحق ان يكون من الاول على انهم كانوا يعبدون الله عز وجل ويعبدون معه الاصنام واعلمه انه تبرا مما

يعبدون

تعبدون الا الله وتاوله الفرا على الاصنام وحدها والمعنى عنده فانهم لو عبدتهم
عدو لي يوم القيمه على ما ذكرنا وقال الجرجاني تقديره افرايتم ما كنتم تعبدون
انتم واباوكم الاقدمون الا رب العالمين فانهم عدو لي والا بمعنى دون وسوى كقوله
لا يذوقون فيها الموت الا الموته الاولى اى دون الموته الاولى قوله
تعالى الذي خلقني فهو يهدين اي يرشدني الى الدين والذي هو يطعمني ويسقين
اي يرزقني ودخول هو تنبيه على ان غيره لا يطعم ولا يسقي قال مرضت رعايه
للادب والا فالمرض والشفا من الله عز وجل جميعا ونظيره هذا قول فتى موسى
وما انسانيه الا الشيطان والذي يميتني ثم يحيين يريد للبعث وكانوا ينسبون
الموت الى الاسباب فبين ان الله هو الذي يحيي ويميت وكله بغير يا يهدين ويسقين
لان الحروف في روس الاي حسن لتتفق كلها وقد قرا ابن ابي اسحق على جلالته ومحله
من العربيه هذه كلها باليا لان اليا اسم وانما دخلت النون لعله فان قيل فهذه صفه
لجميع الخلق فكيف جعلها ابرهيم دليلا على هدايته ولم يهتد بها غيره قيل انما
ذكرها احتجاجا على وجوب الطاعه لان من انعم وجب ان يطاع ولا يعصى ليلتزم غيره
من الطاعه ما قد التزمها وهذا الزام صحيح قال الشيخ القرطبي رحمه الله وتجوز
بعض اهل الاشارات في غوامض المعاني فعدل عن ظاهر ما ذكرناه الى ما ترفعه
بدايه العقول من انه ليس المراد من ابرهيم فقال والذي هو يطعمني ويسقين اى
يطعمني لذه الايمان ويسقين حلاوه القبول ولهم في قوله واذا مرضت فهو يشفين
وجهان احدهما اذا مرضت بمخالفته شفاني برحمته الثاني اذا مرضت بمقاساه
الخلق شفاني بمشاهده الحق وتاولوا قوله والذي يميتني ثم يحيين على ثلاثه اوجه
فالذي يميتني بالمعاصي يحييني بالطاعات الثاني يميتني بالخوف يحييني بالرجا الثالث
يميتني بالطمع ويحييني بالقناعه وقول رابع يميتني بالعدل ويحييني بالفضل
وقول خامس يميتني بالفراق ويحييني بالتلاق وقول سادس يميتني بالجهل
ويحييني بالعقل الى غير ذلك مما ليس شي منه مرادا من الايه فان هذه التاويلات
الغامضه والامور الباطنه انما تكون لمن صدق وعرف الحق واما من زاغ في
عمي عن الحق ولا يعرف الحق فكيف يرمز له الامور الباطنه ويترك الامور الظاهره

مطلب

هذا المحال والله اعلم قوله تعالى والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
اطمع اي ارجوا وقيل هذا بمعنى اليقين في حقه وبمعنى الرجا في حق المومنين سواه
وقرا الحسن وابن ابي اسحق خطاياي وقال ليست بخطيئة واحدة قال النحاس
خطيئه بمعنى خطايا معروف في كلام العرب وقد اجمعوا على التوحيد في قوله عز
وجل فاعترفوا بذنبهم ومعناه بذنوبهم وكذا واقيموا الصلاة معناه الصلوات فكذا
خطيئتي ان كانت خطايا والله اعلم قال مجاهد يعني بخطيئته قوله بل فعله كبيرهم
هذا وقوله اني سقيم وقوله ان ساره اخته زاد الحسن وقوله للكوكب هذا ربي
وقد مضى بيان هذا مستوفى وقال الزجاج الانبيا بشر فيجوز ان تقع منهم الخطيئه
نعم لا تجري عليهم الكباير لانهم معصومون عنها يوم الدين يوم الجزا حيث جازى
العباد باعمالهم وهذا من ابرهيم اظهار للعبوديه وان كان يعلم انه مغفور له
وفي صحيح مسلم عن عايشه قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهليه يصل الرحم
ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي
يوم الدين قوله تعالى رب هب لي حكما والحقني بالصالحين حكما معرفه
بك وبحدودك واحكامك قاله ابن عباس وقال مقاتل فهما وعلما وهو راجع الى
الاول وقال الكلبي نبوه ورسالة الى الخلق والحقني بالصالحين اي بالنبيين
من قبلي في الدرجه وقال ابن عباس باهل الجنه وهو تاكيد قوله هب لي حكما
قوله تعالى واجعل لي لسان صدق في الاخرين قال ابن عباس هو اجتماع
الامم عليه وقال مجاهد الثنا الحسن قال ابن عطيه هو الثنا وخلد المكانه
باجماع من المفسرين وكذلك اجاب الله دعوته وكل امه تتمسك به وتعظمه وهو
على الحنيفيه التي جا بها محمد صلى الله عليه وسلم قال مكي وقيل معناه سواله ان
يكون من ذريته في اخر الزمان من يقوم بالحق فاجيبت الدعوه في محمد صلى الله عليه
وسلم قال ابن عطيه وهذا معنى حسن الا ان لفظ الايه لا يعطيه الا بتحكم على
اللفظ وقال القشيري اراد الدعا الحسن الى قيام الساعه فان زياده الثواب
مطلوبه في حق كل احد قال الشيخ القرطبي رحمه الله وقد فعل الله ذلك
اذ ليس احد يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم الا وهو يصلي على ابرهيم وخاصه في

الصلوات

الصلوات وعلى المنابر التي هي افضل الحالات وارفع المقامات والصلاه دعا بالرحمه
والمراد باللسان القول واصله جارحه الكلام قال القتبي وضع اللسان موضع
القول على الاستعاره وقد تكنى العرب بها عن الكلمه قال الاعشى
اني اتتني لسان لا اسر بها من علو لا عجب منها ولا سخر منه قال الجوهري يروى
من علو بضم الواو وفتحها وكسرها اي اتاني خبر من اعلى والتانيث للكلمه وكان
قد اتاه خبر مقتل اخيه المنتشر التانيثه روى اشهب عن مالك قال قال الله عز وجل
واجعل لي لسان صدق في الاخرين لا باس ان يحب الرجل ان يثنى عليه صالحا ويرى في
عمل الصالحين اذا قصد به وجه الله تعالى وقد قال الله تعالى والقيت عليك محبه
مني وقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي حبا في
قلوب عباده وثناء حسنا فنبه تعالى بقوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين على
استحباب اكتساب ما يورث الذكر الجميل الليث ابن سليم اذ هي الحياه الثانيه قيل
قد مات قوم وهم في الناس احيا قال ابن العربي وقال المحققون من شيوخ
الزهد في هذا دليل على الترغيب في العمل الصالح الذي يكسب الثنا الحسن قال النبي
صلى الله عليه وسلم اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلثه وفي روايه انه
كذلك في الغرس والزرع وكذلك فيمن مات مرابطا يكتب له عمله الى يوم القيمه وقد
بيناه في اخر ال عمران والحمد لله قوله تعالى واغفر لابي انه كان من
الضالين كان ابوه وعده في الظاهر ان يومن به فاستغفر له لهذا فلما بان انه لا يفي
بما قال تبرأ منه وقد تقدم هذا المعنى انه كان من الضالين اي المشركين وكان زايده
ولا تخزني يوم يبعثون اي لا تفضحني على روس الاشهاد ولا تعذبني يوم القيمه
وفي البخاري عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ابرهيم يرى اباه
يوم القيمه عليه الغبره والقتره الغبره هي القتره وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يلقى ابرهيم اباه فيقول يا رب انك وعدتني ان لا تخزني يوم يبعثون فيقول
الله تعالى اني حرمت الجنه على الكافرين انفرد بهما البخاري رحمه الله قوله
تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم بدل من يوم الاول اي يوم لا ينفع مال ولا
بنون احدا والمراد بقوله ولا بنون الاعوان لان الابن اذا لم ينفع فغيره متى

ينفع وقيل ذكر البنين لانه جرى ذكر والد ابرهيم اي لم ينفعه ابرهيم الا من اتى
الله بقلب سليم هو استثنا من الكافر الذي لا ينفعه ماله ولا بنوه وقيل هو استثنا
من غير الجنس اي لكن من اتى الله بقلب سليم ينفعه لسلامة قلبه وخص القلب
بالذكر لانه الذي اذا سلم سلمت الجوارح واذا فسد فسدت سائر الجوارح وقد تقدم
في اول البقره واختلف في القلب السليم فقيل من الشرك والشك فاما الذنوب
فليس يسلم منها احد قاله قتاده وابن زيد واكثر المفسرين وقال سعيد بن المسيب
القلب السليم الصحيح وهو قلب المومن لان قلب الكافر والمنافق مريض قال الله
تعالى في قلوبهم مرض وقال ابو عثمن السياري هو القلب الخالي عن البدعه
المطمين الى السنه وقال الحسن سليم من افه المال والبنين وقال الجنيد السليم
في اللغه اللديغ فمعناه انه قلب كاللديغ من خوف الله وقال الضحاك السليم الخالص
قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهذا القول يجمع شتات الاقوال بعمومه وهو
حسن اي الخالص من الاوصاف الذميمه والمتصف بالاوصاف الجميله والله اعلم
وقد روي عن عروه انه قال يا بني لا تكونوا لعانين فان ابرهيم لم يلعن شيا قط
قال الله تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم وقال محمد بن سيرين القلب السليم ان يعلم
ان الله حق وان الساعه اتيه وان الله يبعث من في القبور وفي صحيح مسلم
من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة اقوام افيدتهم
مثل افيدة الطير يريد والله اعلم انها مثلها في انها خاليه من كل ذنب سليمه من كل
عيب لا خبرة لهم بامور الدنيا كما روى انس بن ملك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وهو حديث صحيح اي البله عن معاصي الله قال
الازهري الابله هنا هو الذي طبع على الخير وهو غافل عن الشر لا يعرفه
وقال القتبي البله هم الذين غلب عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس
قوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين اي قربت وادنيت لهم
ليدخلوها وقال الزجاج قرب دخولهم اياها ونظرهم اليها وبرزت اي
اظهرت الجحيم يعني جهنم للغاوين اي للكافرين الذين ضلوا عن الهدى اي تظهر
جهنم لاهلها قبل ان يدخلوها حتى يستشعروا اهل الجنه الفرح لعلمهم انهم

مطلب في معنى البله في هذا الحديث الشريف

يدخلون

يدخلون الجنه وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله من الاصنام والانداد هل
ينصرونكم من عذاب الله او ينتصرون لانفسهم وهذا كله توبيخ فكبكبوا فيها
اي قاموا على روسهم وقيل دهوروا والقي بعضهم على بعض وقيل جمعوا ماخوذ
من الكبكبه وهي الجماعه قاله الهروي وقال النحاس هو مشتق من كوكب
الشي اي معظمه والجماعه من الخيل كوكب وكبكبه وقال ابن عباس جمعوا فطرحوا
في النار وقال مجاهد دهدهوا وقال مقاتل قذفوا والمعنى واحد تقول
دهورت الشي اذا جمعته ثم قذفته في مهواه يقال هو يدهور اللقم اذا كبرها ويقال
في الدعا كبّ الله عدو المسلمين ولا يقال اكبّ وكبكبه اي كبّه وقلبه ومنه
قوله تعالى فكبكبوا فيها والاصل كببوا فابدل من الباء الوسطى كافا استثقالا
لاجتماع الباآت قال السدي الضمير في كبكبوا لمشركي قريش والغاوون الالهه
وجنود ابليس من كان من ذريته وقيل كل من دعا الى عباده الاصنام فاتبعه وقال
قتاده والكلبي ومقاتل الغاوون هم الشياطين وقيل انما تلقى الاصنام في النار
وهي حديد ونحاس ليعذب بها غيرهم قالوا وهم فيها يختصمون يعني الانس والشياطين
والغاوين والمعبودين اختصموا حينيذ تالله ان كنا لفي ضلال مبين اي
في خسار وتبار وحيره عن الحق بينه اذ اتخذنا مع الله الهه فعبدناها كما يعبد
وهذا هو معنى قوله اذ نسويكم برب العالمين اي في العباده وانتم لا تستطيعون
الان نصرنا ولا نصر انفسكم وما اضلنا الا المجرمون يعني الشياطين الذين زينوا
لنا عباده الاصنام وقيل اسلافنا الذين قلدناهم قال ابو العاليه وعكرمه
المجرمون ابليس وابن ادم القاتل هما اول من سن الكفر والقتل وانواع المعاصي
فما لنا من شافعين اي شفعا يشفعوا لنا من الملايكه والنبيين والمومنين ولا صديق
حميم اي صديق مشفق وكان علي رضي الله عنه يقول عليكم بالاخوان فانهم عده
الدنيا وعده الاخره الا تسمع الى قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم
الزمخشري وجمع الشافع لكثره الشفعا ووحد الصديق لقلته الا ترى ان الرجل
اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعه وافره من اهل بلده لشفاعته رحمةً له وحسبة
وان لم يسبق باكثرهم معرفه واما الصديق فهو وداك الذي يهمه ما اهمك

فاعز من بيض الانوق وعن بعض الحكما انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له
ويجوز ان يريد بالصديق الحميم والحميم القريب الخاص ومنه حامة الرجل
اي اقرباوه واصل هذا من الحميم وهو الما الحار ومنه الحمام والحما فحامة
الرجل الذي يحرقهم ما احرقه كما يقال هم حزانته اي يحزنهم ما احزنه ويقال
حم الشي واحم اذا قرب ومنه الحمي لانها تقرب من الاجل وقال علي بن عيسى
انما سمي القريب حميما لانه يحمي بغضب صاحبه فجعله ماخوذا من الحمية وقال
قتادة يذهب الله عز وجل يوم القيمة مودة الصديق ورقة الحميم ويجوز ولا صديق
حميم بالرفع على موضع من شافعين لان من شافعين في موضع رفع وجمع صديق
اصدقا وصدقا وصداق ولا يقال صدق للفرق بين النعت وغيره وحكى الكوفيون
انه يقال في جمعه صدقان النحاس وهذا بعيد لان هذا جمع ما ليس بنعت نحو رغيف
ورغفان وحكوا ايضا صديق واصادق وافاعل انما هو جمع افعل اذا لم يكن نعتا
نحو اشجع واشاجع ويقال صديق للواحد والجماعة وللمراة قال الشاعر

نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا ... باعين اعدا وهن صديق

ويقال فلان صديقي اي اخص اصدقاي وانما يصغر على جهة المدح كقول حباب ابن المنذر انا جذيلها
المحكك وعذيقها المرجب ذكره الجوهري النحاس وجمع حميم احماء واحمة
وكره بعضهم افعلة فيه للتضعيف فلو ان لنا كرة ان في موضع رفع المعنى فلو وقع لنا
رجوع الى الدنيا لامنا حتى يكون لنا شفعا تمنوا حين لا ينفعهم التمني وانما قالوا
ذلك حين تشفع الملائكة والمومنون قال جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان الرجل ليقول في الجنة ما فعل فلان وصديقه في الجحيم فلا يزال يشفع له
حتى يشفعه الله فيه فاذا نجا قال المشركون ما لنا من شافعين ولا صديق حميم
وقال الحسن ما اجتمع ملا على ذكر الله فيهم عبد من اهل الجنة الا شفعه الله فيهم
وان اهل الايمان يشفع بعضهم في بعض وهم عند الله شافعون مشفعون وقال
لقمان ان الرجلين كانا صديقين في الدنيا فمر احدهما بصاحبه وهو يجر الى النار
فيقول له اخوه والله ما بقي لي الا حسنة انجو بها خذها انت يا اخي فتنجو بها
مما ارى وابقى انا واياك من اصحاب الاعراف قال فيامر الله بهما جميعا فيدخلان

مطلب [illegible]

الجنة

الجنه ان في ذلك لايه وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم تقدم
والحمد لله قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين قال كذبت والقوم مذكر
لان المعنى كذبت جماعه قوم نوح وقال المرسلين لان من كذب رسولا فقد كذب الرسل
لان كل رسول يامر بتصديق جميع الرسل وقيل كذبوا نوحا من النبوه وفيما
اخبرهم به من مجي المرسلين بعده وقيل ذكر الجنس والمراد نوح وقد مضى هذا في
الفرقان اذ قال لهم اخوهم نوح اي ابن ابيهم وهي اخوه نسب لا اخوه دين وقيل
هي اخوه المجانسه قال الله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقد مضى
هذا في الاعراف وقيل هو من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم
الزمخشري ومنه بيت الحماسه :.
لا يسلون اخاهم حين يندبهم في النايبات على ما قال برهانا :. الا تتقون اي الا
تتقون الله في عباده الاصنام اني لكم رسول امين اي صادق فيما ابلغكم عن الله تعالى
وقيل امين فيما بينكم فانهم كانوا عرفوا امانته وصدقه من قبل كمحمد صلى الله عليه
وسلم في قريش فاتقوا الله اي استتروا بطاعه الله من عقابه واطيعون فيما امركم
به من الايمان وما اسلكم عليه من اجر ان اجري اي ما جزاي الا على رب العالمين
فاتقوا الله واطيعون كرر تاكيدا قوله تعالى قالوا انومن لك واتبعك
الارذلون فيه مسلتان الاولى قوله تعالى قالوا انومن لك اي نصدق قولك
واتبعك الارذلون الواو للحال وفيه اضمار قد اي وقد اتبعك الارذلون جمع
الارذل والمكسر اراذل والانثى الرذلا والجميع الرذل قال النحاس ولا يجوز حذف
الالف واللام في شي من هذا عند احد من النحويين علمناه وقرا ابن مسعود والضحاك
ويعقوب الحضرمي وغيرهم واتباعك الارذلون النحاس وهي قراه حسنه
وهذه الواو اكثر ما تتبعها الاسما والافعال بقد واتباع جمع تبع وتبع يكون للواحد
والجمع قال الشاعر :. له تبع قد يعلم الناس انه على من يداني صيف وربيع
وارتفاع اتباعك يجوز ان يكون بالابتدا والارذلون الخبر التقدير انومن لك
وانما اتباعك الارذلون ويجوز ان يكون معطوفا فنعد منهم وحسن ذلك الفصل
بقوله لك وقد مضى القول في الاراذل في هود مستوفى وتزيده هنا بيانا فا

فقيل ان الذين امن به بنوه ونساؤه وكنائنه وبنوا ابيه واختلف هل كان معهم غيرهم
ام لا وعلى اي الوجهين كان فالكل صالحون وقد قال نوح رب نجني ومن معي من المومنين
والذين معه هم الذين اتبعوه ولا يلحقهم من قول الكفرة شين ولا ذم بل الارذلون هم
المكذبون لهم قال السهيلي وقد اغرى كثير من العوام بمقاله رويت في تفسير هذه
الايه انهم الحاكه والحجامون ولو كانوا حاكه كما زعموا لكان ايمانهم بنبي الله واتباعهم له
مشرفا كما شرف بلال وسلمان بسبقهما للاسلام فهما من وجوه اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ومن اكابرهم فلا ذريه نوح كانوا حاكه ولا حجامين ولا قول الكفرة في
الحاكه والحجامين ان كانوا امنوا به ارذلون ما يلحق اليوم الحاكه ذما ولا نقصا لان هذه
حكايه عن قول الكفرة الا ان يجعل الكفرة حجه ومقالتهم اصلا وهذا جهل عظيم وقد اعلم
الله تعالى ان الصناعات ليست بضائره في الدين قوله تعالى قال وما علمي
بما كانوا يعملون كان زايده والمعنى وما علمي بما يعملون اي لم اكلف العلم باعمالهم انما كلفت
ان ادعوهم الى الايمان والاعتبار بالايمان لا بالحرف والصنايع وكانهم قالوا انما اتبعك
هولا الضعفا طمعا في العزه والمال فقال اني لا اقف على باطن امرهم وانما الى ظاهرهم
وقيل المعنى اي لم اعلم ان الله يهديهم ويضلكم ويرشدهم ويغويكم ويوفقهم ويخذلكم ان
حسابهم اي في اعمالهم وايمانهم الا على ربي لو تشعرون وجواب لو محذوف اي لو
شعرتم ان حسابهم على ربهم لما عبتموهم بصنايعهم وقراه العامه تشعرون بالتا على
المخاطبه للكفار وهو الظاهر وقرا ابن ابي عبله ومحمد بن السميفع لو يشعرون
باليا كانه خبر عن الكفار وترك الخطاب لهم نحو قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم
وروي ان رجلا سال سفين عن امراه زنت وقتلت ولدها وهي مسلمه هل يقطع لها
بالنار فقال سفيان ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وما انا بطارد المومنين اي
لخساسه احوالهم واشغالهم وكانوا طلبوا منه طرد الضعفا كما طلبته قريش
ان انا الا نذير مبين يعني ان الله ارسلني اخص ذوي العناد دون الفقرا انما انا رسول
ابلغكم ما ارسلت به فمن اطاعني فذلك السعيد عند الله وان كان فقيرا قوله
تعالى قالوا لين لم تنته يا نوح اي عن سب الهتنا وعيب ديننا لتكونن من المرجومين
اي بالحجاره قاله قتاده وقال ابن عباس ومقاتل من المقتولين قال الثمالي

كل مرجومين في القران فهو القتل الا في مريم لين لم تنته لارجمنك اي لاسبنك وقيل
من المرجومين المشتومين قاله السدي ومنه قول ابي داود قال نوح رب ان
قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المومنين قال ذلك الما يبس من امامهم
والفتح الحكم وقد تقدم فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون يريد السفينه وقد مضى
ذكرها والمشحون المملو والشحن ملو السفينه بالناس والدواب وغيرهم ولم يونث الفلك
هاهنا لان الفلك هاهنا واحد لا جمع ثم اغرقنا بعد الباقين اي بعد انجانا نوحا
ومن امن ان في ذلك لايه وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله
تعالى كذبت عاد المرسلين التانيث بمعنى القبيله والجماعه وتكذيبهم المرسلين كما
تقدم اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين وقد تقدم قوله تعالى
اتبنون بكل ريع ايه تعبثون الريع ما ارتفع من الارض في قول ابن عباس وغيره جمع
ريعه وكم ريع ارضك اي كم ارتفاعها وقال قتاده الريع الطريق وهو قول الضحاك
والكلبي ومقاتل والسدي وقاله ابن عباس ايضا ومنه قول المسيب بن علس
في الال يخفضها ويرفعها ريع يلوح كانه سحل ؛ شبه الطريق بثوب ابيض النحاس
ومعروف في اللغه ان يقال لما ارتفع من الارض ريع وللطريق ريعه قال الشاعر
طراق الخوافي مشرق فوق ريعه ندى ليله في ريشه يترقرق ؛ وقال عماره
الريع الجبل الواحد ريعه والجمع رياع وقال مجاهد هو الفج بين الجبلين وعنه
الثنيه الصغيره وعنه المنظره وقاله عكرمه ومقاتل كانوا يهتدون بالنجوم اذا سافروا
فبنوا على الطريق اميالا طوالا عبثا ليهتدوا بها يدل عليه قوله ايه اي علامه وعن مجاهد
الريع بنيان الحمام دليله تعبثون اي تلعبون اي تبنون بكل مكان مرتفع ايه علما
تلعبون بها على معنى ابنيه الحمام وبروجها وقيل تعبثون بمن مر بالطريق اي تبنون
بكل موضع مرتفع لتشرفوا على السابله فتسخروا منهم وقال الكلبي انه عبث
العشارين باموال من يمر بهم ذكره الماوردي وقال ابن الاعرابي الريع الصومعه
والريع البرج من الحمام يكون في الصحرا والريع التل العالي وفي الريع لغتان كسر
الرا وفتحها وجمعه ارياع ذكره الثعلبي قوله تعالى وتتخذون مصانع

اي منازل قاله الكلبي وقيل حصونا مشيده قاله ابن عباس ومجاهد ومنه قول
الشاعر ؛ تركن ديارهم منهم قفارا وهدمن المصانع والبروجا ؛ وقيل
قصورا مشيده وقاله مجاهد ايضا وعنه بروج الحمام وقاله السدي قال الشيخ
القرطبي رحمه الله وفيه بعد عن مجاهد لانه تقدم عنه في الريع انه بنيان الحمام
فيكون تكرارا في الكلام وقال قتاده مآجل للما تحت الارض وكذا قال الزجاج
انها مصانع الما واحدتها مصنعه ومصنع ومنه قول لبيد
بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الجبال بعدنا والمصانع ؛ الجوهري المصنعه
كالحوض يجمع فيه ما المطر وكذلك المصنعه بضم النون والمصانع الحصون وقال
ابو عبيده يقال لكل بنا مصنعه حكاه المهدوي وقال عبد الرزاق المصانع عندنا
بلغه اليمن القصور العاديه لعلكم تخلدون اي كي تخلدوا وقيل لعل استفهام بمعنى
التوبيخ اي فهل تخلدون كقولك لعلك تشتمني اي فهل تشتمني روي معناه عن ابن زيد
وقال الفرا كيما تخلدون لا تتفكرون في الموت وقال ابن عباس وقتاده كانكم خالدون
باقون فيها وفي بعض القراات كانكم خالدون قوله تعالى واذا بطشتم بطشتم
جبارين البطش السطوه والاخذ بالعنف وقد بطش به يبطش ويبطش بطشا
وباطشه مباطشه وقال ابن عباس ومجاهد البطش العسف قتلا بالسيف
وضربا بالسوط ومعنى ذلك فعلتم ذلك ظلما وقال مجاهد ايضا هو ضرب بالسياط
ورواه مالك ابن عباس عن نافع عن ابن عمر فيما ذكر ابن العربي وقيل هو القتل
بالسيف في غير حق حكاه يحيى بن سلام وقال الكلبي والحسن هو القتل على الغضب
في غير تثبت وكله يرجع الى قول ابن عباس وقيل انه المواخذه على العمد والخطا
من غير عفو ولا ابقا قال ابن العربي ويويده ما قال مالك قول الله تعالى ذكره
عن موسى فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني
كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وذلك ان موسى
عليه السلام لم يسل عليه سيفا ولا طعنه برمح وانما وكزه وكانت منيته في وكزته
والبطش يكون باليد واقله الوكز والدفع ويليه السوط والعصا ويليه الحديد
والكل مذموم الا بحق والايه نزلت خبرا عمن تقدم من الامم ووعظا من الله لنا

في معاشه ذلك الفعل الذي ذمهم به وانكره عليهم قال الشيخ القرطبي رحمه الله
وهذه الاوصاف قد صارت في كثير من هذه الامه لا سيما بالديار المصريه منذ وليتها
العجم فيبطشون بالناس بالسوط والعصا في غير حق وقد اخبر صلى الله عليه وسلم
ان ذلك يكون كما في صحيح مسلم عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صنفان من اهل النار لم ارهما قوم معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس
ونسا كاسيات عاريات مائلات مميلات روسهن كاسنمه البخت المائله لا يدخلن
الجنه ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيره كذا وكذا وخرج ابو داود من
حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا تبايعتم بالعينه
واخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا
الى دينكم. جبارين قتالين والجبار القتال في غير حق وكذلك قوله تعالى ان تريد الا
ان تكون جبارا في الارض قاله الهروي وقيل الجبار المسلط القاهر ومنه قوله تعالى
وما انت عليهم بجبار اي بمسلط وقال الشاعر ؛

سلبنا من الجبار بالسيف ملكه عشيا واطراف الرماح شوارع ؛ قوله
تعالى فاتقوا الله واطيعون تقدم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون اي من الخيرات
ثم فسرها امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اي سخر ذلك لكم وتفضل بها عليكم
فهو الذي يجب ان يعبد ويشكر ولا يكفر اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان كفرتم
به واصررتم على ذلك قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين كل ذلك عندنا
سوا لا نسمع منك ولا نلوي على ما تقوله وروى العباس عن ابي عمرو وبشر عن الكسائي
اوعظت مدغمه الظا في التا وهو بعيد لان الظاء حرف اطباق انما يدغم فيما قرب منه
جدا وكان مثله ومخرجه ان هذا الا خلق الاولين وقرا ابن كثير والكسائي وابو
عمرو خلق الاولين الباقون خلق قال الهروي وقوله عز وجل ان هذا
الا خلق الاولين اي اخلاقهم ومذهبهم ومن قرا خلق الاولين فمعناه عادتهم والعرب
تقول حدثنا فلان باحاديث الخلق اي بالخرافات والاحاديث المفتعله وقال
ابن الاعرابي الخلق الدين والخلق الطبع والخلق المروه وقال النحاس خلق
الاولين عند الفرا يعني عاده الاولين وحكي لنا عن محمد بن الوليد عن محمد بن يزيد ؛

قال خلق الاولين مذهبهم وما جرى عليه امرهم قال ابو جعفر القولان متقاربان
ومنه الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا اي
احسنهم مذهبا وعاده وما يجري عليه الامر في طاعه الله عز وجل ولا يجوز ان
يكون من كان حسن الخلق فاضلا ولا ان يكون اكمل ايمانا من السيي الخلق الذي ليس
بفاجر قال ابو جعفر وحكى لنا عن محمد بن يزيد ان معنى خلق الاولين تكذيبهم وتخرصهم
غير انه كان يميل الى القراه الاولى لان فيها مدح اباهم واكثر ما جا القران في صفتهم
مدحهم لاباهم وقولهم انا وجدنا اباءنا على امه وعن ابي قلابه انه قرا خُلُق بضم الخا
واسكان اللام تخفيف خلق ورواها ابن جبير عن اصحاب نافع عن نافع وقد قيل ان
معنى خلق الاولين دين الاولين ومنه قوله فليغيرن خلق الله اي دين الله وخلق الاولين
عاده الاولين حياه ثم موت ولا بعث وقيل ما هذا الذي انكرت علينا من البنيان والبطش
الا عاده من قبلنا فنحن نقتدي بهم وما نحن بمعذبين على ما نفعل وقيل المعنى خلق اجسام
الاولين اي ما خلقنا الا كخلق الاولين الذين خلقوا قبلنا وماتوا ولم ينزل بهم شي مما تحذرنا
به من العذاب فكذبوه فاهلكناهم اي بريح صرصر عاتيه على ما ياتي في الحاقه ان في
ذلك لايه وما كان اكثرهم مومنين قال بعضهم اسلم معه ثلاث ماية الف ومايتين
وهلك باقيهم وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذبت ثمود المرسلين
ذكر قصه صالح وقومه وهم ثمود وكانوا يسكنون الحجر كما تقدم في الحجر وهي ذات نخل
وزروع ومياه اتتركون فيما هاهنا ءامنين يعني في الدنيا امنين من الموت والعذاب قال
ابن عباس كانوا معمرين لا يبقى البنيان مع اعمارهم ودل على هذا قوله واستعمركم
فيها فقرعهم صالح ووبخهم وقال اتظنون انكم باقون في الدنيا بلا موت في جنات
وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم قال ابن عباس لطيف ما دام في كُفُرّاه
والهضيم الزمخشري فان قلت لم قال ونخل بعد قوله وجنات والجنه تتناول
النخل اول شي كما تتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون
الجنه ولا يقصدون الا النخل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير
تسقي جنه سحقا معنى النخل والنخله السحوق البعيده الطول قلت
فيه وجهان احدهما ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جمله ساير الشجر

تنبيها على انفراده عنها بفضله والثاني ان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ
يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل والطلعه هي التي تطلع من النخله كنصل السيف في
جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه
وهضيم قال ابن عباس لطيف ما دام في كفراه والهضيم اللطيف الدقيق ومنه
قول امرو القيس هضيم الكشح ريا المخلخل : الجوهري ويقال للطلع هضيم
ما لم يخرج من كفراه لدخول بعضه في بعض والهضيم من النسا اللطيفه الكشحين
ونحوه حكى الهروي قال هو المنضم في وعايه قبل ان يظهر ومنه يقال رجل اهضم
الجنبين اي منضمهما هذا قول اهل اللغه وحكى الماوردي وغيره في ذلك اثني عشر قولا
احدها انه الرطب اللين قاله عكرمه الثاني المذنب من الرطب قاله سعيد بن جبير
قال النحاس وروى ابو اسحق عن يزيد وهو ابن ابي مريم كوفي ويزيد بن ابي مريم
شامي ونخل طلعها هضيم قال منه ما قد ارطب ومنه مذنب الثالث انه الذي ليس
فيه نوى قاله الحسن الرابع انه المتهشم المتفتت اذا مس تفتت قاله مجاهد وقال
ابو العاليه يتهشم في الفم الخامس هو الذي قد ضمر بركوب بعضه بعضا قاله الضحاك
ومقاتل السادس انه المتلاصق بعضه ببعض قاله الضحاك ابو محمد السابع انه الطلع
حين يتفرق ويخضر قاله الضحاك ايضا الثامن انه اليانع النضيج قاله ابن عباس
التاسع انه المكتنز قبل ان ينشق عنه القشر حكاه ابن شجره قال
كان حموله نخل عليه هضيم ما يحسر له شقوق : العاشر انه الرخو قاله الحسن
الحادي عشر انه الرخص اللطيف اول ما يخرج وهو الطلع النضيد قاله الزهري
الثاني عشر انه المري قاله ابن الاعرابي فعيل بمعنى فاعل اي هنيي مري من انهضام
الطعام والطلع اسم مشتق من الطلوع ومنه الظهور ومنه طلوع الشمس والقمر
والنبات قوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين النحت النجر والبرى
نحته ينحته بالكسر نحتا اي براه والنحاته البرايه والمنحت ما ينحت به وفي والصافات
اتعبدون ما تنحتون وكانوا ينحتونها من الجبال لما طالت اعمارهم وتهدم بناوهم من المدر
وقرا ابن كثير وابو عمرو فرهين بغير الف الباقون فارهين بالف وهما بمعنى واحد
في قول ابي عبيده وغيره مثل عظاما نخره وناخره وقاله قطرب وحكى فره يفره

فهو فاره وفره يفره فهو فره وفاره اذا كان نشيطا وهو نصب على الحال وفرق
بينهما قوم فقالوا فارهين حاذقين بنحتها قاله ابو عبيد وروي عن ابن عباس
وابي صالح وغيرهما وقال عبد الله ابن شداد فارهين متجبرين وروي عن ابن
عباس ايضا ان معنى فرهين بغير الف اشرين بطرين وقاله مجاهد وروي عنه
شرهين الضحاك كيسين قتاده معجبين وعنه ناعمين وعنه ايضا امنين وهو
قول الحسن وقيل متخيرين قاله الكلبي والسدي ومنه قول الشاعر
الى فره يماجد كل امر قصدت له لاختبر الطباعا ؛ وقيل معجبين قاله خصيف
وقال ابن ابي نجيح ايضا فرهين فرحين قاله الاخفش والعرب تعاقب
بين الهاء والحاء تقول مدهته ومدحته فالفره الاشر الفرح ثم الفرح بمعنى المرح
مذموم قال الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا وقال ان الله لا يحب الفرحين ؛
فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين قيل المراد الذين عقروا الناقه
وقيل التسعه الرهط الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون قال السدي وغيره
اوحى الله تعالى الى صالح ان قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا
لنفعل فقال لهم صالح انه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على
يديه فقالوا لا يولد في هذا الشهر ذكر الا قتلناه فولد لتسعه منهم في ذلك الشهر
فذبحوا ابناهم ثم ولد للعاشر فابى ان يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك فكان
ابن العاشر ازرق احمر فنبت نباتا سريعا فكان اذا مر بالتسعه فراوه قالوا
لو كان ابناونا احيا فكانوا مثل هذا وغضب التسعه على صالح لانه كان سبب
قتلهم ابناهم فتعصبوا وتقاسموا بالله لنبيتنه واهله قالوا نخرج الى سفر
فيرى الناس سفرنا فنكون في غار حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده
اتيناه فقتلناه ثم قلنا ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقونا ويعلمون
انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم في القريه كان ينام في مسجده
فاذا اصبح اتاهم فوعظهم فلما دخلوا الغار ارادوا ان يخرجوا فسقط عليهم
الغار فقتلهم فراى ذلك ناس ممن كان قد اطلع على ذلك فصاحوا في القريه
يا عباد الله اما رضي صالح ان امر بقتل اولادهم حتى قتلهم فاجمع اهل القريه

على عقر الناقه وقال ابن اسحق لما اجتمع التسعه على سب صالح بعد عقرهم الناقه
وانذارهم العذاب على ما ياتي بيانه في سوره النمل ان شا الله قالوا انما انت من المسحرين
هو من السحر في قول مجاهد وقتاده على ما قال المهدوي اي اصبت بالسحر فبطل
عقلك لانك بشر مثلنا فلم تدعي الرساله دوننا وقيل من المعللين بالطعام
والشراب قاله ابن عباس والكلبي وقتاده ومجاهد ايضا فيما ذكر الثعلبي وهو
على هذا القول من السحر وهي الريه اي بشر لك سحر اي ريه تاكل وتشرب مثلنا
قال امرو القيس :: فان تسالينا فيما نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر
وقال ايضا ونسحر بالطعام وبالشراب :: فات بايه ان كنت من الصادقين
في قولك قال هذه ناقه لها شرب ولكم شرب يوم معلوم قال ابن عباس قالوا
ان كنت صادقا فادع الله يخرج لنا من هذا الجبل ناقه حمرا عشرا فتضع ونحن ننظر
وترد هذا الما فتشرب وتغدو علينا بمثله لبنا فدعا وفعل الله ذلك فقال هذه ناقه
لها شرب اي حظ اي لكم شرب يوم ولها شرب يوم فكانت اذا كان يوم شربها شربت
ماهم كله اول النهار وتسقيهم اللبن اخر النهار واذا كان يوم شربهم كان لانفسهم
ومواشيهم وارضهم ليس لهم في يوم وردها ان يشربوا من شربها شيا ولا لها ان
تشرب في يومهم من مايهم شيا قال الفرا الشرب الحظ من الما قال النحاس
فاما المصدر فيقال فيه شرب شربا وشربا واكثرها المضموم لان المكسوره والمفتوحه
يشتركان مع شي اخر فيكون الشرب الحظ من الما ويكون الشرب جمع شارب كما قال
فقلت للشرب في درنا وقد ثملوا :: الا ان ابا عمرو بن العلا والكسائي يختاران
الشرب بالفتح في المصدر ويحتجان بروايه بعض العلما ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال انها ايام اكل وشرب ولا تمسوها بسو لا يجوز اظهار التضعيف ها هنا لانهما
حرفان متحركان من جنس واحد فياخذكم جواب النهي ولا يجوز حذف الفا منه والجزم
كما جاز في الامر الا شيا روي عن الكسائي انه يجيزه فعقروها فاصبحوا نادمين
اي على عقرها لما ايقنوا بالعذاب وذلك انه انظرهم ثلاثا فظهرت عليهم العلامه
في كل يوم وندموا ولم ينفع الندم عند معاينه العذاب وقيل لم ينفعهم الندم لانهم
لم يتوبوا بل طلبوا صالحا عليه السلام ليقتلوه لما ايقنوا بالعذاب وقيل كانت ندامتهم

علي ترك الولد ادلم يقتلوه معها وهو بعيد ان في ذلك لايه الى اخرها تقدم وتقال
انه ما امن به من تلك الامم الا الفان وثمانمايه رجل وامراه وقيل كانوا اربعه الف
وقال كعب كان قوم صالح اثني عشر الف قبيل كل قبيل نحو اثني عشر الف من سوى
النسا والذريه ولقد كان قوم عاد مثلهم ستة مرات قوله تعالى كذبت قوم
لوط المرسلين مضى معناه وقصته في الاعراف وهو مستوفى والحمد لله قوله
تعالى اتاتون الذكران من العالمين كانوا ينكحونهن في ادبارهن وكانوا يفعلون
ذلك بالغربا على ما تقدم في الاعراف وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم يعني فروج
النسا فان الله خلقها للنكاح قال ابرهيم ابن المهاجر قال لي مجاهد كيف يقرا
عبد الله وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم قلت وتذرون ما اصلح لكم ربكم من
ازواجكم قال الفرج فاتوهن من حيث امركم الله بل انتم قوم عادون اي متجاوزون
لحدود الله قالوا لين لم تنته يا لوط عن قولك هذا لتكونن من المخرجين اي من بلدنا
وقريتنا قال اني لعملكم يعني اللواط من القالين اي من المبغضين والقلى البغض
قليته اقليته قلى وقلا قال فلست بمقلي الخلال ولا قال ؛ وقال اخر
عليك السلام لا مللت قريبه وما لك عندي ان نايت قلا ؛ رب نجني واهلي
مما يعملون اي من عذاب عملهم دعا الله لما ييس من ايمانهم ان لا يصيبه من عذابهم فقال
تعالى فنجيناه واهله اجمعين ولم يكن الا ابنتيه على ما تقدم في هود الا عجوزا في
الغابرين روى سعيد عن قتاده قال غبرت في عذاب الله جل وعز اي بقيت
وابو عبيده يذهب الى ان المعنى من الباقين في الهرم اي بقيت حتى هرمت قال النحاس
يقال للذاهب غابر والباقي غابر كما قال
لا تكسع الشول باغبارها انك لا تدري من الناتج ؛ وكما قال
فما وني محمد مذ ان غفر له الاله ما مضى وما غبر ؛ اي ما بقي والاغبار بقيات
الالبان ثم دمرنا الاخرين اي اهلكناهم بالخسف والحصب قال مقاتل خسف
الله بقوم لوط وارسل الحجاره على من كان خارجا من القريه وامطرنا عليهم مطرا
يعني الحجاره فسا مطر المنذرين وقيل ان جبريل خسف بقريتهم وجعل عاليها
سافلها ثم اتبعها الله بالحجاره ان في ذلك لايه وما كان اكثرهم مومنين لم يكن

فيها مومن الا بيت لوط وابنتاه قوله تعالى كذب اصحاب ليكة المرسلين
الايكة الشجر الكثير الملتف الواحده ايكة ومن قرا اصحاب الايكه فهي الغيضه ومن قرا
ليكه فهو اسم القريه ويقال هما مثل بكه ومكه قاله الجوهري وقال النحاس وقرا
ابو جعفر ونافع كذب اصحاب ليكة المرسلين وكذا قرا في ص واجمع القرا في الخفض
في التي في سوره الحجر والتي في سوره ق فيجب ان يرد ما اختلفوا فيه الى ما اجمعوا
عليه اذ كان المعنى واحدا فاما ما حكاه ابو عبيد من ان ليكه هي اسم القريه التي كانوا
فيها وان الايكه اسم البلد كله فشي لا يثبت ولا يعرف من قاله فيثبت علمه ولو عرف من
قاله لكان فيه نظر لان اهل العلم جميعا من اهل التفسير والعلم بكلام العرب على خلافه
روى عبد الله ابن وهب عن جرير بن حازم عن قتاده قال ارسل شعيب عليه السلام
الى امتين الى قومه من اهل مدين والى اصحاب الايكه قال والايكه غيضه من شجر
ملتف روي سعيد عن قتاده قال كان اصحاب الايكه اهل غيضه وشجر وكانت عامه
شجرهم الدوم وهو شجر المقل وروى ابن جبير عن الضحاك قال خرج اصحاب الايكه
يعني حين اصابهم الحر فانضموا الى الغيضه والشجر فارسل الله اليهم سحابة فاستظلوا
تحتها فلما تناموا تحتها احرقوا ولو لم يكن في هذا الا ما روي عن ابن عباس قال الايكه
الشجر ولا نعلم بين اهل اللغه اختلافا ان الايكه الشجر الملتف فاما احتجاج بعض
من احتج لقراه من قرا في هذين الموضعين بالفتح انه في السواد ليكه فلا حجه فيه
والقول فيه ان اصله الايكه ثم خففت الهمزه فالقيت حركتها على اللام فسقطت واستغنت
عن الف الوصل لان اللام قد تحركت فلا يجوز على هذا الا الخفض كما تقول مالاحمر
تحقق الهمزه ثم تخففها فتقول ملاحمر فان شيت كتبته في الخط على ما كتبته اولا وان
شيت كتبته بالحذف ولم يجز الا الخفض فكذا لا يجوز في ليكة الا الخفض قال سيبويه
واعلم ان ما لا ينصرف اذا دخلت الالف واللام او اضيف انصرف ولا نعلم احدا
خالف سيبويه في هذا وقال الخليل الايكه غيضه تنبت السدر والاراك ونحوهما
من ناعم الشجر اذ قال لهم شعيب ولم يقل اخوهم شعيب لانه لم يكن اخا لاصحاب
الايكه في النسب فلما ذكر مدين قال اخاهم شعيبا لانه كان منهم وقد مضى في الاعراف
القول في نسبه قال ابن زيد ارسل الله شعيبا رسولا الى قومه اهل مدين والى

اهل البادية وهم اصحاب الايكة قاله قتاده وقد ذكرناه الا تتقون تخافون الله
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون الايه وانما كان جواب هولا الرسل واحدًا
على صيغة واحدة لانهم متفقون على الامر بالتقوى والطاعة والاخلاص في العبادة
والامتناع من اخذ الاجر على تبليغ الرسالة اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين
الناقصين للكيل والوزن وزنوا بالقسطاس المستقيم اي اعطوا الحق وقد
مضى في سبحان وغيرها ولا تبخسوا الناس اشياهم ولا تعثوا في الارض مفسدين
تقدم في هود وغيرها واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين قال مجاهد الجبلة
الخليقة وجبل فلان على كذا اي خلق فالخلق جبلة وجُبلة وجِبْلة وجُبْلة ذكره
النحاس والجبلة عطف على الكاف والميم قال الهروي الجِبلة والجُبلة والجِبل
والجُبل والجُبُل لغات وهو الجمع والعدد الكثير من الناس ومنه قوله تعالى
جُبُلًا كثيرًا اي خلقًا كثيرًا وقال النحاس في كتاب اعراب القران ويقال جُبلة والجمع
فيه جبال وتحذف الضمة والكسرة من الباء وكذلك التشديد من اللام فيقال
جُبْلة وجُبَل ويقال جِبْلة وجِبَل ويقال جَبْلة وجبال وتحذف الهاء من هذا كله
وقرا الحسن باختلاف عنه والجُبُلة الاولين بضم الجيم والباء وروي عن شيبة والاعرج
الباقون بالكسر قال: والموت اعظم حادث فيما يمر على الجبلة؛ قالوا انما انت
من المسحرين الذين ياكلون الطعام والشراب على ما تقدم وان نظنك لمن الكاذبين
اي ما نظنك الا من الكاذبين في انك رسول الله فاسقط علينا كسفا من السما
ساقطا اي جانبا من السما وقطعة منه فننظر اليه كما قال وان يروا كسفا من السما
ساقطا يقولوا سحاب مركوم وقيل ارادوا انزل علينا العذاب وهو مبالغة في
التكذيب قال ابو عبيده الكسف جمع كسفة مثل سدر وسدرة وقرا السلمي
وحفص كِسَفًا جمع كسفة وهي القطعة والجانب تقديره كِسرة وكِسَر قال الجوهري
الكسفة القطعة من الشي يقال اعطني كسفة من ثوبك والجمع كِسْف وكِسَف
ويقال الكِسف والكِسفة واحد وقال الاخفش من قرا كسفا من السما جعله
واحدًا ومن قرا كسفا جعله جمعًا وقد مضى هذا في سبحن وقال الهروي
ومن قرا كسفا على التوحيد فجمعه اكساف وكسوف كانه قال وتكسفها علينا

٨٩

طبقا واحدا وهو من كسفت الشي كسفا اذا غطيته ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون تهديد اي انما علي التبليغ وليس العذاب الذي سالتم الي و هو مجازيكم فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظله قال ابن عباس اصابهم حر شديد فارسل الله سبحانه سحابة فهربوا اليها ليستظلوا بها فلما صاروا تحتها صيح بهم فهلكوا وقيل اقامها الله فوق روسهم والهبها عليهم حرا حتى ماتوا من الرمد وكان من اعظم يوم في الدنيا عذابا وقيل بعث الله عليهم سموما فخرجوا الى الايكة يستظلون بها فاضرمها الله عليهم نارا فاحترقوا وعن ابن عباس ايضا وغيره ان الله تعالى فتح عليهم بابا من ابواب جهنم وارسل عليهم هده وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم فدخلوا بيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ما فانضجهم الحر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله سبحانه فاظلتهم فوجدوا لها بردا وروحا طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحاب الهبها الله تعالى عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلى فصاروا رمادا فذلك قوله فاصبحوا في دارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها وقوله فاخذهم عذاب يوم الظله انه كان عذاب يوم عظيم وقيل ان الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة ايام وسلط عليهم الحر حتى اخذ بانفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ما فكانوا يدخلون الاسراب ليتبردوا فيها فيجدوها اشد حرا من الظاهر فهربوا الى البرية فاظلتهم سحابة وهي الظله فوجدوا لها بردا ونسيما فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وقال يزيد الجريري سلط الله عليهم الحر سبعة ايام ولياليهن ثم رفع لهم جبل من بعيد فاتاه رجل فاذا تحته انهار وعيون وشجر وما بارد فاجتمعوا كلهم تحته فوقع عليهم الجبل وهو الظله وقال قتادة بعث الله شعيبا الى امتين اصحاب الايكة واصحاب مدين فاهلك الله اصحاب الايكة بالظله واما اهل مدين فصاح بهم جبريل صيحة فهلكوا اجمعين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين قيل امن بشعيب من الفئتين تسع مايه انسان قوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين عاد الى ما تقدم في اول السوره من اعراض المشركين عن القران نزل به الروح الامين نزل قرا نافع وابن كثير وابو عمرو والباقون نزل مشددا به الروح الامين نصبا وهو اختيار ابي حاتم وابي عبيد لقوله وانه لتنزيل وهو مصدر نزل والحجة لمن قرا بالتخفيف ان يقول ليس هذا بمصدر لان المعنى وان القران

ورجاما

لتنزيل رب العالمين نزل به جبريل اليك كما قال قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على
قلبك اي يتلوه عليك فيفيد قلبك وقيل ليثبت قلبك لتكون من المنذرين بلسان
عربي مبين اي لئلا يقولوا لسنا نفهم ما تقول وانه لفي زبر الاولين اي وان ذكر
نزوله لفي كتب الاولين يعني الانبيا وقيل اي ان ذكر محمد في كتب الاولين كما قال يجدونه
مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل والزبر الكتب الواحد زبور كرسول ورسل وقد
تقدم قوله تعالى اولم يكن لهم ايه ان يعلمه علما بني اسرايل قال مجاهد
يعني عبد الله ابن سلام وسلمان وغيرهما ممن اسلم وقال ابن عباس بعث اهل
مكة الى اليهود وهم بالمدينه يسلوهم عن محمد فقالوا ان هذه الزمان زمانه وانا لنجد في
التوراة نعته وصفته فيرجع لفظ العلما الى كل من كان له علم بكتبهم اسلم اولم
يسلم على هذا القول وانما صارت شهاده اهل الكتاب حجه على المشركين لانهم كانوا
يرجعون في اشيا من امور الدين الى اهل الكتاب لانهم مظنون بهم علم وقرا ابن عامر
اولم تكن لهم ايه الباقون ولم يكن لهم ايه بالنصب على الخبر واسم يكن ان يعلمه والتقدير
اولم يكن لهم علم علما بني اسرايل الذين اسلموا ايه واضحه وعلى القراه الاولى اسم كان
ايه والخبر ان يعلمه اي علم علما بني اسرايل وقرا عاصم الجحدري ان تعلمه علما بني
اسرايل ولو نزلناه على بعض الاعجمين اي على رجل ليس بعربي اللسان فقراه
عليهم بغير لغة العرب لما امنوا ولقالوا لا نفقه نظيره ولو جعلناه قرانا
اعجميا الايه وقيل معناه ولو نزلناه على رجل ليس من العرب لما امنوا به انفة
وكبرا يقال رجل اعجم واعجمي اذا كان غير فصيح وان كان عربيا ورجل عجمي
وان كان فصيحا ينسب الى اصله الا ان الفرا اجاز ان يقال رجل عجمي بمعنى اعجمي
وقرا الحسن على بعض الاعجميين مشدده بياين جعله نسبة ومن قرا الاعجمين فقيل
انه جمع اعجم وفيه بعد لان ما كان من الصفات الذي مونثه فعلا لا يجمع وقيل
ان اصله الاعجميين مونثه بالواو والنون ولا مونثه بالالف والتا لا يقال احمرون
ولا حمراوات وقيل ان اصله الاعجميين كقراه الجحدري ثم حذفت يا النسب وجعل
جمعه بالياء والنون دليلا عليها قاله ابو الفتح عثمان ابن جني وهو مذهب سيبويه
قوله تعالى كذلك سلكناه يعني القران اي الكفر به في قلوب المجرمين

لا يومنون به وقيل سلكنا التكذيب في قلوبهم فكذلك الذي منعهم من الايمان قاله يحيى بن سلام
وقال عكرمه القسوه والمعنى متقارب وقد مضى في الحجر واجاز الفرا الجزم في لا يومنون
لان فيه معنى الشرط والمجازاه وزعم ان من شان العرب اذا وضعت لا في موضع كي لا
في مثل هذا وربما جزمت ما بعدها وربما رفعت فتقول ربطت الفرس لا تنفلت بالرفع
والجزم قال لان معناه ان لم اربطه ينفلت والرفع عنده بمعنى كيلا ينفلت وانشد لبعض
بني عقيل ؛ وحتى راينا احسن الفعل بيننا مساكنة لا يفرق الشر فارق ؛

لا يعرف الفرفارب

فالرفع لما حذف كي ومن الجزم قول الاخر ؛
لطالما حلاتماها لا ترد فخلياها والسجال تبترد ؛ قال النحاس وهذا كله
في يومنون خطا عند البصريين ولا يجوز الجزم بلا جازم ولا يكون شي يعمل عملا فاذا حذف
عمل عملا اقوى من عمله وهو موجود فهذا احتجاج بين حتى يروا العذاب الاليم فياتيهم
بغتة اي العذاب وقرا الحسن فتاتيهم بالتا والمعنى فتاتيهم الساعه بغتة فاضمرت
لدلاله العذاب الواقع فيها ولكثرة ما في القران من ذكرها وقال رجل للحسن وقد
قرا فتاتيهم يا ابا سعيد انما ياتيهم العذاب بغتة فانتهره وقال انما هي الساعه تاتيهم
بغتة اي فجاه وهم لا يشعرون باتيانها فيقولوا هل نحن منظرون اي موخرون
وممهلون يطلبون الرجعه هناك فلا يجابون اليها قال القشيري وقوله فياتيهم
ليس عطفا على قوله حتى يروا بل هو جواب قوله لا يومنون فلما كان جوابا للنفي انتصب
وكذلك فيقولوا قوله تعالى افبعذابنا يستعجلون قال مقاتل قال
المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد الى متى تعدنا بالعذاب ولا تاتي به فنزلت
افبعذابنا يستعجلون افرايت ان متعناهم سنين يعني في الدنيا والمراد اهل مكه
في قول الضحاك وغيره ثم جاهم ما كانوا يوعدون من العذاب والهلاك ما اغنى
عنهم ما كانوا يمتعون ما الاولى استفهام معناه التقرير وهو في موضع نصب باغنى
وما الثانيه في موضع رفع ويجوز ان تكون الثانيه نفيا لا موضع لها وقيل ما الاولى
حرف نفي وما الثانيه في موضع رفع باغنى والها العايده محذوفه التقدير ما اغنى
عنهم الزمان الذي كانوا يمتعونه وعن الزهري ان عمر بن عبد العزيز كان اذا اصبح
امسك بلحيته ثم يقرا افرايت ان متعناهم سنين ثم جاهم ما كانوا يوعدون ما اغنى

عنهم ما كانوا يمتعون ثم يبكي ويقول

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردي لك لازم
فلا انت في الايقاظ يقظان حازم ولا انت في النوام ناج فسالم
تسر بما يفني وتفرح بالمنى كما سر باللذات في النوم حالم
وتسعى الى ما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم قوله

تعالى وما اهلكنا من قرية من صلة المعنى وما اهلكنا قرية الا لها منذرون اي رسل ذكرى قال الكسائي ذكرى في موضع نصب على القطع قال النحاس وهذا لا يحصل والقول فيه قول الفرا وابي اسحق انها في موضع نصب على المصدر قال الفرا اي يذكرون ذكرى وهذا قول صحيح لان معنى الا لها منذرون الا لها مذكرون وذكرى لا يتبين فيه الاعراب لان فيها الفا مقصوره ويجوز ذكرى بالتنوين ويجوز ان يكون ذكرى في موضع رفع على اضمار مبتدا قال ابو اسحق انذارنا ذكرى وقال الفرا ذلك ذكرى وتلك ذكرى وقال ابن الانباري وقال بعض المفسرين ليس في الشعرا وقف تام الا قوله الا لها منذرون فهذا عندنا وقف حسن ثم يبتدي ذكرى على معنى هي ذكرى او يذكرهم ذكرى والوقف على ذكرى اجود وما كنا ظالمين في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم واعذرنا اليهم قوله تعالى وما تنزلت به الشياطين يعني بالقران بل نزل به الروح الامين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون اي برمي الشهب كما مضى في الحجر بيانه وقرا الحسن ومحمد بن السميفع وما تنزلت به الشياطون قال المهدوي وهو غير جايز في العربية ومخالف للخط وقال النحاس وهذا غلط عند جميع النحويين وسمعت علي بن سليمن يقول سمعت محمد بن يزيد يقول هذا غلط العلما انما يكون بدخول شبهه لما راى الحسن في اخره يا ونونا وهو في موضع رفع اشتبه عليه بالجمع المسلم فغلط وفي الحديث احذروا زلة العالم وقد قراه هو مع الناس واذا خلوا الى شياطينهم ولو كان هذا بالواو في موضع رفع لوجب حذف النون للاضافة وقال الثعلبي قال الفرا غلط الشيخ يعني الحسن فقيل ذلك للنضر ابن شميل فقال ان جاز ان يحتج بقول روبة والعجاج ودويهما جاز ان يحتج بقول

الحسن

الحسن وصاحبه مع انا نعلم انهما لم يقرا ابدا ذلك الا وقد سمعا في ذلك شيا وقال المورج
ان كان الشيطان من شاط يشيط كان لقراتهما وجه وقال يونس ابن حبيب سمعت
اعرابيا يقول دخلنا بساتين من ورايها بساتون فقلت ما اشبه هذا بقراه الحسن
قوله تعالى فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين قيل المعنى قل لمن
كفر هذا وقيل هو مخاطبه له عليه السلام وان كان لا يفعل هذا لانه معصوم مختار
ولكنه خوطب بهذا والمقصود غيره ودل على هذا قوله وانذر عشيرتك الاقربين اي
لا يتكلوا على نسبهم وقرابتهم فيدعوا ما يجب عليهم قوله تعالى وانذر عشيرتك
الاقربين فيه مسلتان الاولى قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين خص عشيرته
الاقربين بالانذار لتنحسم اطماع ساير عشيرته واطماع الاجانب في مفارقته اياهم على
الشرك وعشيرته الاقربون قريش وقيل بنو عبد مناف ورفع في صحيح مسلم
وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين وظاهر هذا انه كان قرانا يتلى وانه
نسخ اذ لم يثبت نقله في المصحف ولا تواتر ويلزم على ثبوته اشكال وهو انه كان يلزم عليه
ان لا ينذر الا من امن من عشيرته فان المومنين هم الذين يوصفون بالاخلاص في دين الاسلام
وفي حب النبي صلى الله عليه وسلم لا المشركون لانهم ليسوا على شي من ذلك والنبي صلى الله عليه
وسلم دعا عشيرته كلهم مومنهم وكافرهم وانذر جميعهم ومن معهم ومن ياتي بعدهم صلى الله
عليه وسلم فلم يثبت ذلك نقلا ولا معنى وروى مسلم من حديث ابي هريره قال لما نزلت هذه
الايه وانذر عشيرتك الاقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا
فعم وخص فقال يا بني كعب ابن لوي انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد شمس انقذوا
انفسكم من النار يا بني هاشم انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد المطلب انقذوا انفسكم
من النار يا فاطمه انقذي نفسك من النار فاني لا املك لكم من الله شيا غير ان لكم رحما
سابلها ببلالها الثانيه في هذا الحديث والايه دليل على ان القرب في الانساب
لا ينفع مع البعد في الاسباب ودليل على جواز صله المومن الكافر وارشاده
ونصيحته لقوله ان لكم رحما سابلها ببلالها وقوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين
لم يقاتلوكم في الدين الايه على ما ياتي بيانه هناك قوله تعالى واخفض جناحك
لمن اتبعك من المومنين تقدم في الحجر وسبحان يقال خفض جناحه اذا لان فان عصوك

اي خالفوا امرك فقل اني بري مما تعملون اي بري من معصيتكم اياي لان عصيانهم اياه
عصيان لله جل وعز لانه عليه السلام لا يامر الا بما يرضاه ومن تبرا منه فقد تبرا الله منه
قوله تعالى وتوكل على العزيز الرحيم اي فوض امرك اليه فانه العزيز
الذي لا يغالب الرحيم الذي لا يخذل اولياه وقراه العامه وتوكل بالواو وكذلك
هو في مصاحفهم وقرا نافع وابن عامر فتوكل بالفا وكذلك في مصاحف المدينه والشام
الذي يراك حين تقوم اي حين تقوم الى الصلاه في قول اكثر المفسرين ابن عباس
وغيره وقال مجاهد يعني حين تقوم حيث ما كنت وتقلبك في الساجدين قال مجاهد
وقتاده في المصلين وقال ابن عباس اي في اصلاب الابا ادم ونوح وابرهيم حتى
اخرجه نبيا وقال عكرمه يراك قايما وراكعا وساجدا وقاله ابن عباس ايضا
وقيل المعنى انك ترى بقلبك في صلاتك من خلفك كما ترى بعينك من قدامك روي
عن مجاهد ذكره الماوردي والثعلبي وكان عليه السلام يرى من خلفه كما يرى
من بين يديه وذلك ثابت في الصحيح وفي تاويل الايه بعيد انه هو السميع العليم تقدم
قوله تعالى هل انبيكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم انما
قال تنزل لانها اكثر ما تكون في الهوا وانها تمر مر الريح يلقون السمع واكثرهم
كاذبون تقدم في الحجر فيلقون السمع صفه الشياطين واكثرهم يرجع الى الكهنه
وقيل الى الشياطين قوله تعالى والشعرا يتبعهم الغاوون فيه ست
مسايل الاولى قوله تعالى والشعرا الشعرا جمع شاعر مثل جاهل وجهلا قال
ابن عباس هم الكفار يتبعهم ضلال الجن والانس وقيل الغاوون الزايلون عن الحق
ودل هذا ان الشعرا ايضا غاوون لانهم لو لم يكونوا غاوين ما كان اتباعهم كذلك وقد
قدمنا في سوره النور ان من الشعر ما يجوز انشاده ويكره ويحرم روى مسلم من حديث
عمرو بن الشريد عن ابيه قال ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل معك
من شعر اميه بن ابي الصلت شي قلت نعم قال هيه فانشدته بيتا فقال هيه ثم
انشدته بيتا فقال هيه حتى انشدته مايه بيت هكذا صواب هذا السند وصحيح
روايته وقد وقع لبعض رواه كتاب مسلم عن عمرو بن الشريد عن الشريد عن ابيه
وهو وهم لان الشريد هو الذي اردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه واستنشده

شعر

شعر امية لا ابو الشريد واسم ابى الشريد سويد وفى هذا دليل على حفظ الاشعار
والاعتنا بها اذا اتضمنت الحكم والمعانى المستحسنه شرعا وطبعا وانما استكثر النبى
صلى الله عليه وسلم من شعر اميه لانه كان حكما الا ترى قوله عليه السلام وكاد اميه
ابن ابى الصلت ان يسلم فاما ما تضمن ذكر الله وحمده والثنا عليه فذلك مندوب اليه كقول
القايل؛ الحمد لله العلى المنان صار الثريد فى رؤس العيدان؛ او ذكر
رسوله صلى الله عليه وسلم او مدحه كقول العباس ؛

من قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع حيث يخصف الورق ؛
ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغه ولا علق ؛
بل نطفه تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق ؛
تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق ؛

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك او الذب عنه كقول حسان

هجوت محمدا فاجبت عنه وعند الله فى ذاك الجزا ؛

وهى ابيات ذكرها مسلم فى صحيحه وهى فى السير ايم او الصلاه عليه كما روى زيد بن اسلم قال خرج عمر
ليله يحرس فرى مصباحا فى بيت فاذا عجوز تنفش صوفا وتقول

على محمد صلاه الابرار؛ صلى عليه الطيبون الاخيار؛ قد كنت قواما بكا بالاسحار؛
يا ليت شعرى والمنايا اطوار؛ هل تجمعنى وحبيبى الدار؛

تعنى النبى صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكى ولذلك ذكر اصحابه ومدحهم رضى الله عنهم ولقد احسن
محمد بن سابق حيث قال؛

انى رضيت عليا للهدى علما كما رضيت عتيقا صاحب الغار؛
ولقد رضيت ابا حفص وشيعته وما رضيت بقتل الشيخ فى الدار؛
كل الصحابة عندى قدوه علم فهل على بهذا القول من عار؛
ان كنت تعلم انى لا اجبهم الا من اجلك فاعتقنى من النار؛

وقال ابو فراس؛ حب النبى مفترض وحب اصحابه نور برهان؛

من كان يعلم ان الله خالقه لا يرمين ابا بكر ببهتان؛
ولا ابا حفص الفاروق صاحبه ولا الخليفه عثمان ابن عفان؛
اما على فمشهور فضايله والبيت لا يستوى الا باركان؛

قال ابن

العربي واما الاستعارات في التشبيهات فمادون فيها وان استغرقت الحد
وتجاوزت المعتاد فيدلك يعرف الملك الموكل بالرؤيا المثل ؛ وقد انشد كعب ابن زهير
النبي صلى الله عليه وسلم ؛ بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم اثرها لم يفد مكبول ؛
وما سعاد غداة البين اذ رحلوا الا اغن غضيض الطرف مكحول ؛
تجلوا عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت كانه منهل بالراح معلول ؛ فجاء في
هذه القصيدة من الاستعارات والتشبيهات بكل بديع والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ولا
ينكر من تشبيهه ريقها بالراح وانشد ابو بكر رضي الله عنه ؛

فقدنا الوحي اذ وليت عنا وودعنا من الله الكلام ؛
سوى ما قد تركت لنا رهينا توارثه القراطيس الكرام ؛
فقد اورثتنا ميراث صدق عليك به التحية والسلام ؛

فاذا كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يسمعه وابو بكر ينشده فهل للتقليد والاقتدا موضع ارفع
من هذا قال ابو عمر ولا ينكر الحسن من الشعر احد من اهل العلم ولا من اولي النهى
وليس احد من كبار الصحابة واهل العلم وموضع القدوة الا وقد قال الشعر وتمثل به
او سمعه فرضيه ما كان حكمة او مباحا ولم يكن فيه فحش ولا خنى ولا لمسلم اذى
فان كان كذلك فهو والمنثور من القول سوا لا يحل سماعه ولا قوله روى ابو هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول اصدق كلمة او اشعر كلمة
قالتها العرب قول لبيد الا كل شي ما خلا الله باطل ؛ اخرجه مسلم
وزاد وكاد امية ابن ابي الصلت ان يسلم وروى عن ابن سيرين انه انشد شعرا فقال
له بعض جلسائه مثلك ينشد الشعر يا ابا بكر فقال ويلك يا لكع وهل الشعر الا كلام
لا يخالف سائر الكلام الا في القوافي فحسنه حسن وقبيحه قبيح قال وقد كانوا ايد الرو
الشعر قال وسمعت ابن عمر ينشد ؛ يحب الخمر من مال الندامى ويكره ان تفارقه الفلوس ؛
وكان عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود احد فقها المدينة العشرة ثم المشيخة
السبعة شاعرا مجيدا مقدما فيه ؛ وللزبير ابن بكار القاضي في اشعاره كتاب
وكان له زوجة تسمى عثمة فعتب عليها في بعض الامر وطلقها وله فيها اشعار كثيرة منها
قوله ؛ تغلغل حب عثمة في فوادي فباديه مع الخافي يسير ؛

تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور ؛
اكاد اذا ذكرت العهد منها اطير لو ان انسانا يطير ؛ وقال ابن شهاب
قلت له تقول الشعر في نسكك وفضلك فقال ان المصدور اذا انفث برا الثانيه
واما الشعر المذموم الذي لا يحل سماعه وصاحبه ملوم فهو التكلم بالباطل حتى
يفضلوا اجبن الناس على عنتره واشحهم على حاتم وان يبهتوا البري ويفسقوا التقي
وان يفرطوا في القول بما لم يفعله المرء رغبه في تسليه النفس وتحسين القول كما
روي عن الفرزدق ان سليمن ابن عبد الملك سمع قوله ؛
فبتن بجانبي مصرعات (اي متعارك) وبت افض اغلاق الختام ؛ فقال قد وجب عليك الحد
فقال يا امير المومنين قد درا الله عني الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون وروي ان
النعمان ابن عدي ابن نضله كان عاملا لعمر بن الخطاب فقال ؛
الا هل اتى الحسنا ان حليلها بميسان يسقى في زجاج وحنتم ؛
اذا شئت غنتني دهاقين قريه ورقاصه تجذو على كل منسم ؛
فان كنت ندماني فبالاكبر اسقني ولا تسقني بالاصغر المتثلم ؛
لعل امير المومنين يسوءه تنادمنا بالجوسق المتهدم ؛ فبلغ ذلك عمر
فارسل اليه بالقدوم عليه وقال اي والله يسوءني فقال يا امير المومنين ما
فعلت شيا مما قلت وانما كانت فضله من القول وقد قال الله تعالى والشعرا يتبعهم
الغاوون فقال له عمر اما عذرك فقد درا عنك الحد ولكن لا تعمل لي عملا ابدا
وذكر الزبير ابن بكار قال حدثني مصعب ابن عثمان ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافه
لم يكن له هم الا عمر بن ابي ربيعه والاحوص فكتب الى عامله الى المدينه اني قد عرفت عمر
والاحوص بالخبث والشر فاذا اتاك كتابي هذا فاشدد عليهما واحملهما الي فلما اتاه
الكتاب حملهما اليه فاقبل على عمر فقال هيه ؛
فلم ار كالتجمير منظر ناظر ولا كليالي الحج افتن ذا هوى ؛
ومن مالي عينيه من شي غيره اذا راح نحو الجمره البيض كالدمى ؛ اما والله لو
اهتممت بحجك لم تنظر الى شي غيرك فاذا لم يفلت الناس منك في هذه الايام فمتى يفلتون
ثم امر بنفيه فقال يا امير المومنين او خير من ذلك قال ما هو قال اعاهد الله الا

اعوذ لمثل هذا الشعر ولا اذكر النسا في شعر ابدا واجدد توبة قال اوتفعل قال نعم
فعاهد الله على توبته وخلاه ثم دعا بالاحوص فقال هيه
الله بيني وبين قيمها يهرب بها مني واتبعه   بل الله بين قيمها وبينك ثم امر بنفيه
فكلمه فيه رجال من الانصار فابى وقال والله لا اوده ما كان لي سلطان فانه فاسق
مجاهر فهذا حكم الشعر المذموم وحكم صاحبه فلا يحل سماعه ولا انشاده في مسجد ولا
في غيره كمنثور الكلام القبيح ونحوه   روى اسمعيل بن عياش عن عبد الله ابن عون عن محمد بن
سيرين عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الشعر كحسن الكلام
وقبيح الشعر كقبيح الكلام رواه عن اسمعيل عن عبد الله بن عون الشامي وحديثه عن
اهل الشام صحيح فيما قال يحيى بن معين وغيره وروى عبد الله ابن عمرو بن العاص قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه
كقبيح الكلام الثالثه روى مسلم عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لان يمتلي جوف احدكم قيحا يريه خير من ان يمتلي شعرا وفي الصحيح ايضا عن ابي سعيد
الخدري قال بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج اذ عرض شاعر ينشد
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا الشيطان او امسكوا الشيطان لان يمتلي جوف
رجل قيحا خير له من ان يمتلي شعرا قال علماونا انما فعل النبي صلى الله عليه وسلم هذا مع
هذا الشاعر لما علم من حاله فلعل هذا الشاعر كان ممن قد عرف من حاله انه قد اتخذ
الشعر طريقا للتكسب فيفرط في المدح اذا اعطي وفي الهجو والذم اذا منع فيوذي
الناس في اموالهم واعراضهم ولا خلاف في ان من كان على مثل هذه الحاله فكل ما يكتسبه
بالشعر حرام وكل ما يقوله عليه حرام من ذلك ولا يحل الاصغا اليه بل يجب الانكار
عليه فان لم يكن ذلك لمن خاف من لسانه قطعا تعين عليه ان يداريه ما استطاع
ويدافعه بالممكن ولا يحل ان يعطي شيا ابتدا لان ذلك عون على المعصيه فان لم يجد من ذلك
بدا اعطاه بنيه وقاية العرض فما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقه قوله لان
يمتلي جوف احدكم قيحا حتى يريه القيح المده تخالطها دم يقال منه قاح الجرح يقيح وتقيح
وقيح ويريه قال الاصمعي هو من الوري على مثال الرمي وهو ان يدوي جوفه يقال منه
رجل موري مشدد غير مهموز وفي الصحاح وري القيح جوفه يريه وريا اذا اكله

وانشد

وانشد اليزيدي قالت له وريا اذا تنحنح ،، وهذا الحديث احسن ما قيل في تاويله
انه الذي قد غلب عليه الشعر وامتلا صدره منه دون علم سواه ولا شي من الذكر ممن يخوض
به في الباطل ويسلك به مسالك لا تحمد له كالمكثير من اللغط والهذر والغيبة وقبيح
القول ومن كان الغالب عليه الشعر لزمته هذه الاوصاف المذمومة الدنية لحكم العادة
الادبية وهذا المعنى هو الذي اشار اليه البخاري وصححه لما بوب على هذا الحديث باب
ما يكره من ان يكون الغالب على الانسان الشعر ، وقد قيل في تاويله ان المراد بذلك الشعر
الذي هجي به النبي صلى الله عليه وسلم او غيره وهذا ليس بشي لان القليل من هجو النبي صلى الله
عليه وسلم وكثيره سوا في انه كفر ومذموم وكذلك هجو غير النبي صلى الله عليه وسلم من
المسلمين محرم قليله وكثيره وحينيذ لا يكون لتخصيص الذم بالكثير معنى الرابعة
قال الشافعي الشعر نوع من الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيحه يعني ان الشعر
ليس يكره لذاته وانما يكره لمضمناته وقد كان عند العرب عظيم الموقع حتى قال الاول منهم
وجرح اللسان كجرح اليد وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الشعر الذي يرد به حسان
على المشركين انه لاسرع فيهم من رشق النبل اخرجه مسلم وروى الترمذي وصححه عن
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضا وعبد الله ابن رواحة يمشي
بين يديه ويقول ،، خلوا بني الكفار عن سبيله ،، اليوم نضربكم على تنزيله ،،
،، ضربا يزيل الهام عن مقيله ،، ويذهل الخليل عن خليله ،،
فقال عمر يا ابن رواحة في حرم الله وبين يدي رسول الله فقال النبي صلى الله عليه
وسلم خل عنه يا عمر فلهو اسرع فيهم من نضح النبل الخامسة قوله
تعالى والشعرا يتبعهم الغاوون لم يختلف القرا في رفع الشعرا فيما علمت ويجوز النصب
على اضمار فعل يفسره يتبعهم وبه قرا عيسى بن عمر قال ابو عبيد كان الغالب عليه
حب النصب قراه السارق والسارقة وحمالة الحطب وسورة انزلناها وقرا
نافع وشيبة والحسن والسلمي يتبعهم مخففا والباقون يتبعهم وقال الضحاك تهاجى
رجلان احدهما انصاري والاخر مهاجري على عهد النبي صلى الله عليه وسلم مع كل واحد
غواة قومه وهم السفها فنزلت وقاله ابن عباس وعنه هم الرواة للشعر
وروي عنه علي ابن ابي طلحة انهم الكفار يتبعهم ضلال الجن والانس وقد ذكرناه وروي

غضيف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من احدث هجا في الاسلام فاقطعوا لسانه
وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما افتتح مكه رن ابليس رنه فاجتمع اليه
ذريته فقال ايئسوا ان تريدوا امه محمد على الشرك بعد يومكم هذا ولكن افشوا فيهما
يعني مكه والمدينه الشعر والنوح السادسه قوله تعالى الم تر انهم في كل
واد يهيمون يقول في كل لغو يخوضون ولا يتبعون سنن الحق لان من اتبع الحق وعلم انه
يكتب عليه ما يقوله تثبت ولم يكن هائما يذهب على وجهه ولا يبالي ما قال نزلت في عبد
الله ابن الزبعري وميسره ابن وهب ومسافر بن عبد مناف واميه ابن الصلت وانهم
يقولون ما لا يفعلون يقول اكثرهم يكذبون اي يدلون بكلامهم علي الكرم والخير ولا
يفعلونه قيل انها نزلت في ابي عزه الجمحي حيث قال ؛

الا بلغا عني النبي محمدا بانك حق والمليك حميد ؛

ولكن اذا ذكرت بدرا واهلها تاوه مني اعظم وجلود ؛ ثم استثنى شعرا المومنين حسان
ابن ثابت وعبد الله ابن رواحه وكعب ابن مالك وكعب ابن زهير ومن كان على طريقهم
من القول الحق فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا
في كلامهم وانتصروا من بعد ما ظلموا وانما يكون الانتصار بالحق وبما حده الله عز وجل
فان تجاوز ذلك فقد انتصر بالباطل وقال ابو الحسن المبرد لما نزلت والشعرا
جا حسان وكعب ابن مالك وابن رواحه يبكون الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا
نبي الله انزل الله تعالى هذه الايه وهو تعالى يعلم انا شعرا فقال اقروا ما بعدها
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الايه انتم وانتصروا من بعد ما ظلموا انتم اي بالرد
على المشركين قال صلى الله عليه وسلم انتصروا ولا تقولوا الا حقا ولا تذكروا
الابا والامهات فقال حسان لابي سفيان ؛

؛ هجوت محمدا فاجبت عنه وعند الله في ذاك الجزا ؛

؛ وان ابي ووالدتي وعرضي لعرض محمد منكم وقا ؛

؛ اتشتمه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفدا ؛

؛ لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلا ؛ وقال كعب يا
رسول الله ان الله قد انزل في الشعر ما قد علمت فكيف ترى فيه فقال النبي صلى الله

عليه وسلم ان المومن مجاهد بنفسه وسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكانما ترموهم
به نضح النبل وقال كعب
جات سخينه كي تغالب ربها وليغلبن مغالب الغلاب . فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لقد مدحك الله يا كعب في قولك هذا وروى الضحاك عن ابن عباس انه قال قوله
والشعرا يتبعهم منسوخ بقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات قال المهدوي
والصحيح عن ابن عباس انه استثنا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون في
هذا تهديد لمن انتصر بظلم وقال شريح سيعلم الظالمون كيف يخلصون من بين
يدي الله تعالى فالظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصره وقرا ابن عباس
اي منفلت ينفلتون بالفا والتا ومعناهما واحد ذكره الثعلبي ومعنى اي منقلب
ينقلبون اي مصير يصيرون واي مرجع يرجعون لان مصيرهم الى النار وهو اقبح
مصير ومرجعهم الى العذاب وهو شر مرجع والفرق بين المنقلب والمرجع ان المنقلب
الانتقال الى ضد ما هو فيه والمرجع العود من حال هو فيها الى حال كان عليها فصار كل
مرجع منقلبا وليس كل منقلب مرجعا والله اعلم ذكره الماوردي واي منصوب بينقلبون
وهو بمعنى المصدر ولا يجوز ان يكون منصوبا بسيعلم لان ايا وساير اسما الاستفهام لا يعمل فيها
ما قبلها فيما ذكر النحويون قال النحاس وحقيقه القول في ذلك ان الاستفهام معنى وما
قبله معنى اخر فلو عمل فيه ما قبله لدخل بعض المعاني في بعض تمت السوره والحمد لله على
ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم تسليما كثيرا

سوره النمل مكيه كلها في قول الجميع وهي ثلث وتسعون ايه وقيل اربع وتسعون

قوله تعالى طس تلك ايات القران وكتاب مبين مضى الكلام في الحروف المقطعه
في البقره وغيرها وتلك بمعنى هذه اي هذه السوره ايات القران وايات كتاب مبين
وذكر القران بلفظ المعرفه وقال وكتاب مبين بلفظ النكره وهما في معنى المعرفه
كما تقول فلان رجل عاقل وفلان الرجل العاقل والكتاب هو القران فجمع له بين
الصفتين بانه قران وانه كتاب لانه ما يظهر بالكتابه ويظهر بالقراه وقد مضى اشتقاقهما
في البقره وقال في سوره الحجر الر تلك ايات الكتاب وقران مبين فاخرج الكتابه

بلفظ المعرفه والقران بلفظ النكره وذلك لان القران والكتاب اسمان يصلح لكل واحد
منهما ان يجعل معرفه وان يجعل صفه ووصفه بالمبين لانه بين فيه امره ونهيه وحلاله
وحرامه ووعده ووعيده وقد تقدم قوله تعالى هدى وبشرى للمومنين
هدى في موضع نصب على الحال من الكتاب اي تلك ايات الكتاب هاديه ومبشره ويجوز
فيه الرفع على الابتدا اي هو هدى وان شيت على حذف حرف الصفه اي فيه هدى ويجوز
ان يكون الخبر للمومنين ثم وصفهم فقال الذين يقيمون الصلاه ويوتون الزكاه وهم
بالاخره هم يوقنون وقد مضى في اول البقره بيان هذا قوله تعالى ان
الذين لا يومنون بالاخره اي لا يصدقون بالبعث زينا لهم اعمالهم قيل اعمالهم السيه
حتى راوها حسنه وقيل زينا لهم اعمالهم الحسنه فلم يعملوها وقال الزجاج جعلنا
جزاهم على كفرهم ان زينا لهم ما هم فيه فهم يعمهون اي يترددون في اعمالهم الخبيثه
وفي ضلالتهم عن ابن عباس ابو العاليه يتمادون قتاده يلعبون الحسن يتحيرون
قال الراجز :: ومهمه اطرافه في مهمه اعمى الهدى بالجايرين العمه ::
قوله تعالى اوليك الذين لهم سو العذاب وهو جهنم وهم في الاخره هم
الاخسرون في الاخره تبيين وليس بمتعلق بالاخسرين فان من الناس من خسر
الدنيا وربح الاخره وهولا خسروا الاخره بكفرهم فهم اخسر كل خاسر قوله
تعالى وانك لتلقى القران اي يلقى عليك فتلقاه وتعلمه وتاخذه من لدن حكيم عليم
لدن بمعنى عند الا انها مبنيه غير معربه لانها لا تتمكن وفيها لغات ذكرت في الكهف
وهذه الايه بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق من الاقاصيص وما في ذلك من
لطايف حكمته ودقايق علمه قوله تعالى اذ قال موسى لاهله اذ منصوب
بمضمر وهو اذكر كانه قال على اثر قوله وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم خذ
يا محمد من اثار حكمته وعلمه وقصه موسى اذ قال لاهله اني انست نارا اي ابصرتها
من بعد قال الحرث ابن حلزه :: انست نباه وافزعها القناص عصرا وقد دنا الامسا ::
ساتيكم منها بخبر او اتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون قرا عاصم وحمزه والكسائي
بشهاب قبس بتنوين شهاب والباقون بغير تنوين على الاضافه اي بشعله نار واختاره
ابو عبيد وابو حاتم وزعم الفرا في ترك التنوين انه بمنزله قولهم ولدار الاخره

96

ومسجد الجامع وصلاه الاولى اضاف الشي الى نفسه اذا اختلفت اسماوه قال النحاس
اضافه الشي الى نفسه محال عند البصريين لان معنى الاضافه في اللغه ضم الشي الى
الشي ليبين به معنى الملك او النوع فمحال ان يبين انه مالك نفسه او من نوعها وشهاب
قبس اضافه النوع والجنس كما تقول هذا ثوب خز وخاتم حديد وشبهه والشهاب
كل ذي نور نحو الكوكب والعود الموقد والقبس اسم لما يقتبس من جمر وما اشبهه
فالمعنى شهاب من قبس يقال اقتبست قبسا والاسم قبس كما تقول قبضت قبضا،
والاسم القبض ومن قرا بشهاب قبس جعله بدلا منه المهدوي او صفه له لان
القبس يجوز ان يكون اسما غير صفه ويجوز ان يكون صفه فاما كونه صفه فلانهم
قالوا قبسته اقبسه قبسا والقبس المقبوس واذا كان صفه فالاحسن ان يكون
نعتا والاضافه فيه اذا كان غير صفه احسن وهي اضافه النوع الى جنسه كخاتم فضه
وشبهه ولو قري بنصب قبس على البيان او الحال لجاز النحاس ويجوز في غير القران
بشهاب قبسا على انه مصدر او بيان او حال لعلكم تصطلون اصل الطا تا فابدل منها
طا لان الطا مطبقه والصاد مطبقه فكان الجمع بينهما حسنا ومعناه تستدفون من البرد
يقال اصطلى يصطلى اذا استدفا قال الشاعر ؛

النار فاكهه الشتا فمن يرد اكل الفواكه شاتيا فليصطل ؛ الزجاج كل ابيض

ذي نور فهو شهاب ابو عبيده الشهاب النار قال ابو النجم ؛

كانما كان شهابا واقدا اضا ضوايم صار خامدا ؛ احمد بن يحيى اصل الشهاب عود
في احد طرفيه جمره والاخر لا نار فيه وقول النحاس فيه حسن والشهاب الشعاع
المضي ومنه قيل للكوكب الذي يمد ضوءه في السما وقال الشاعر ؛

في كفه صعده مثقفه فيها سنان كشعله القبس ؛ قوله تعالى فلما
جاها اي فلما جا موسى الذي ظن انه نار وهي نور قال وهب ابن منبه فلما راى موسى
النار وقف قريبا منها فراها تخرج من فرع شجره خضرا شديده الخضره يقال لها
العليق لا تزداد النار الا تضرما وعظما ولا تزداد الشجره الا خضره وحسنا فعجب
منها واهوى اليها بضغث في يده ليقتبس منها فمالت اليه فخافها فتاخر عنها ثم لم
تزل تطمعه ويطمع فيها الى ان وضع امرها على انها مامورة لا يدري من امرها

الى ان نودي ان بورك من في النار ومن حولها وقد مضى هذا المعنى في طه نودي
اي ناداه الله كما قال وناديناه من جانب الطور الايمن ان بورك قال الزجاج
ان في موضع نصب اي بانه قال ويجوز ان تكون في موضع رفع جعلها اسم ما لم يسم
فاعله وحكى ابو حاتم ان في قراءة ابي وابن عباس ومجاهد ان بوركت النار ومن
حولها قال النحاس ومثل هذا لا يوجد باسناد صحيح ولو صح لكان على التفسير
فتكون البركة راجعة الى النار ومن حولها الملائكة وموسى وحكى الكسائي عن العرب
باركك الله وبارك فيك الثعلبي العرب تقول باركك الله وبارك فيك وبارك
عليك وبارك لك اربع لغات قال الشاعر

فبوركت مولودا وبوركت ناشيا وبوركت عند الشيب اذ انت شايب

الطبري قال بورك من في النار ولم يقل بورك على النار على لغة من يقول باركك
الله ويقال باركه الله وبارك له وبارك عليه وبارك فيه بمعنى اي بورك على من في
النار وهو موسى او على من في قرب النار لا انه كان في وسطها وقال السدي كان
في الملائكة ملجلة فالتبريك عايد الى موسى والملائكة ان بورك فيك يا موسى وفي
الملائكة الذين هم حولها وهذا تحية من الله تعالى لموسى وتكرمة له كما حيا ابرهيم
على السنة الملائكة حين دخلوا عليه قال رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت
وقول ثالث قاله ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير قدس من في النار
وهو الله سبحانه عنى به نفسه تقدس وتعالى قال ابن عطيه ومحمد بن كعب
النار نور الله عز وجل نادى الله موسى وهو في النور وتاويل هذا ان موسى عليه
السلام راى نورا عظيما فظنه نارا وهذا لان الله تعالى ظهر لموسى باياته وكلامه
من النار لا انه يتحيز في جهة وهو في السما اله وفي الارض اله لا انه يتحيز فيهما
ولكن يظهر في كل فعل فيعلم به وجود الفاعل وقيل على هذا ان بورك من في النار
سلطانه وقدرته وقيل اي بورك ما في النار من امر الله تعالى الذي جعله علامه
قال الشيخ القرطبي رحمه الله ومما يدل على صحة قول ابن عباس ما خرجه مسلم
في صحيحه وابن ماجه في سننه واللفظ له عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه حجابه

النورُ
النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل شي ادركه بصره ثم قرا ابو عبيدة ان بورك
من في النار ومن حولها وسبحن الله رب العالمين خرجه البيهقي ايضا ولفظ مسلم
عن ابي موسى قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله عز
وجل لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل
النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور وفي رواية ابي بكر النار لو كشفه لاحرقت
سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه قال ابو عبيد يقال السبحه انها جلال
وجهه ومنها قيل سبحان الله انما هو تعظيم له وتنزيه وقوله لو كشفها يعني
لو رفع الحجاب عن اعينهم ولم يثبتهم لرويته لاحترقوا وما استطاعوا الها وقال ابن
جريج النار حجاب من الحجب وهي سبعة حجب حجاب العزه وحجاب الملك وحجاب
السلطان وحجاب النار وحجاب النور وحجاب الغمام وحجاب الما وبالحقيقه
فالمخلوق المحجوب والله لا يحجبه شي فكانت النار نورا وانما ذكره بلفظ النار لان
موسى حسبه نارا والعرب تضع احدهما موضع الاخر وقال سعيد بن جبير كانت
النار بعينها فاسمعه تعالى كلامه من ناحيتها واظهر له ربوبيته من جهتها وهو كما
روي انه مكتوب في التوراة جا الله من سينا واشرق من ساعير واستعلى من جبال
فاران فمجيئه من سينا بعثته موسى منها واستعلاوه من فاران بعثته محمدا صلى الله
عليه وسلم وفاران مكة وسياتي في القصص لا سماعه سبحانه كلامه من الشجرة زيادة بيان
ان شا الله قوله تعالى وسبحن الله رب العالمين تنزيها وتقديسا لله رب العالمين
وقد تقدم في غير موضع والمعنى اي ويقول من حولها وسبحن الله فحذف وقيل ان
موسى قاله حين فرغ من سماع الندا استعانه بالله تعالى وتنزيها له قاله السدي
وقيل هو من قول الله تعالى ومعناه وبورك فيمن سبح الله رب العالمين حكاه ابن شجره
قوله تعالى يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم الها عماد وليست بكناية
في قول الكوفيين والصحيح انها كناية عن الامر والشان اي ان الامر والشان انا الله
العزيز الغالب الذي ليس كمثله شي الحكيم في فعله وامره وقيل قال موسى يا رب من
الذي نادى فقال انه اي اني المنادي لك انا الله قوله تعالى والق
عصاك قال وهب بن منبه ظن موسى ان الله امره ان يرفضها فرفضها وقيل انما

قال له ذلك ليعلم موسى ان المكلم له هو الله وان موسى رسوله وكل نبي فلا بد له من
ايه في نفسه يعلم بها نبوته وفي الايه حذف اي والق عصاك فالقاها من يده فصارت
حيه تهتز كانها جان وهي الحيه الخفيفه الصغيره الجسم وقال الكلبي لا صغيره
ولا كبيره وقيل انما قلبت له اولا حيه صغيره فلما انس بها قلبت حيه كبيره وقيل
انقلبت مره حيه صغيره ومره حيه تسعى وهي الانثى ومره ثعبانا وهو الذكر الكبير من
الحيات وقيل المعنى انقلبت ثعبانا تهتز كانها جان لها عظم الثعبان وخفه الجان
واهتزازه وهي حيه تسعى وجمع الجان جنان ومن الحديث نهى عن قتل الحيات التي في
البيوت ولى مدبرا وخايفا على عاده البشر ولم يعقب اي لم يرجع قاله مجاهد وقال
قتاده لم يلتفت يا موسى لا تخف اي من الحيه وضررها اني لا يخاف لدي المرسلون
وتم الكلام ثم استثنى استثنا منقطعا فقال الا من ظلم وقيل انه استثنا من محذوف
والمعنى اني لا يخاف لدي المرسلون وانما يخاف غيرهم ممن ظلم الا من ظلم ثم بدل حسنا
بعد سو فانه لا يخاف قاله الفرا قال النحاس استثنا من محذوف محال لانه استثنا
من شي لم يذكر ولو جاز هذا لجاز اني لا اضرب القوم الا زيدا بمعنى اني لا اضرب القوم انما
اضرب غيرهم الا زيدا وهذا ضد البيان والمجي بما لا يعرف معناه وزعم الفرا ايضا ان
بعض النحويين يجعل الا بمعنى الواو اي ولا من ظلم قال ؛؛
وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان ؛؛ قال النحاس وكون
الا بمعنى الواو لا وجه له ولا يجوز في شي من الكلام ومعنى الا خلاف الواو لانك اذا
قلت جاني اخوتك الا زيدا اخرجت زيدا مما دخل فيه الاخوه فلا نسبه بينهما ولا تقارب
وفي الايه قول اخر وهو ان يكون الاستثنا متصلا والمعنى الا من ظلم من المرسلين
باتيان الصغاير التي لا يسلم منها احد سوى ما روي في يحيى بن زكريا عليه السلام وما ذكره
الله تعالى في نبينا عليه السلام من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
ذكره المهدوي واختاره النحاس قال علم الله من عصى منهم باستثنائه فقال الا من
ظلم ثم بدل حسنا بعد سو اي فانه يخاف وان كنت قد غفرت له الضحاك يعني
ادم وداود عليهما السلام الزمخشري كالذي فرط من ادم ويونس وداود وسليمن
واخوه يوسف ومن موسى عليه السلام بوكزه القبطي فان قال قايل فما

معنى الخوف بعد التوبه والمغفره قيل له هذه سبيل العلما بالله عز وجل ان يكونوا
خايفين من معاصيهم وجلين وهم ايضا لا يامنون ان يكون قد بقي من اشتراط التوبه شي
لم ياتوا به فهم يخافون من المطالبه به وقال الحسن وابن جريج قال الله تعالى لموسى
اني احفظك لقتلك النفس قال الحسن وكانت الانبيا تذنب فتعاقب قال الثعلبي والقشيري
والماوردي وغيرهم فالاستثنا على هذا صحيح اي الا من ظلم نفسه من المرسلين والنبيين
فيما فعل من صغيره او قبل التوبه وكان موسى خاف من قتل القبطي وتاب منه وقد قيل
انهم بعد النبوه معصومون من الصغاير والكباير وقد مضى هذا في البقره قال الشيخ
القرطبي رحمه الله والاول اصح لتنصلهم من ذلك في القيامه كما في حديث الشفاعه
واذا احدث المقرب حدثا فهو وان غفر له ذلك الحدث فاثر ذلك الحدث باق وما دام
الاثر والتهمه قايمه فالخوف كاين لا خوف العقوبه ولكن خوف العظمه والمتهم عند السلطان
يجد للتهمه حراره تؤديه الى ان تكدر عليه صفا الثقه فموسى صلى الله عليه وسلم قد كان
منه الحدث في ذلك الفرعوني ثم استغفر واقر بالظلم على نفسه فغفر له ثم قال بعد
المغفره رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين ثم ابتلي من الغد بالفرعوني الاخر
واراد ان يبطش فصار حدثا اخر بهذه الاراده وانما ابتلي من الغد لقوله فلن اكون
ظهيرا وتلك كلمه اقتدار من قوله لن افعل فعوقب بالاراده حتى اراد ان يبطش
ولم يفعل فسلط عليه الاسرايلي حتى افشى سره لان الاسرايلي لما راه تشمر للبطش
ظن انه يريده فافشى عليه فقال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس فهرب
الفرعوني واخبر فرعون بما افشى الاسرايلي على موسى وكان القتل بالامس مكتوما
امره لا يدري من قتله فلما علم فرعون بذلك وجه في طلب موسى ليقتله واشتد الطلب
واخذوا مجامع الطرق جا رجل من اقصى المدينه يسعى فقال يا موسى ان الملا ياتمرون
بك ليقتلوك الايه فخرج كما اخبر الله فخوف موسى انما كان خوفه من هذا الحدث فهو
وان قربه ربه واكرمه واصطفاه بالكلام فالتهمه الباقيه ولتت به ولم يعقب
قوله تعالى وادخل يدك في جيبك تخرج بيضا من غير سو تقدم في طه
القول فيه في تسع ايات قال النحاس احسن ما قيل فيه ان هذه الايه داخله في
تسع ايات المعنى الى عصاك وادخل يدك في جيبك فهما ايتان من تسع ايات

وقال معناه القشيري كما تقول خرجت في عشر نفر وانت احدهم اي خرجت عاشر
عشره ففي بمعنى من لقربهما منها كما تقول خذ لي عشره من الابل فيهما فحلان اي منهما
وقال الاصمعي في قول امرء القيس

وهل ينعمن من كان اخر عهده ثلثون شهرا في ثلثه احوال

في بمعنى من وقيل
في بمعنى عن فالايات عشره منها اليد والتسع الفلق والعصا والجراد والقمل
والطوفان والدم والضفادع والسنين والطمسه وقد تقدم بيان جميعه الى
فرعون وقومه قال الفرا الكلام اضمار لدلالة الكلام عليه اي انك مبعوث
او مرسل الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين اي خارجين عن طاعه الله
وقد تقدم قوله تعالى فلما جاتهم اياتنا مبصره اي واضحه بينه قال
الاخفش ويجوز مبصره وهو مصدر كما يقال الولد مجبنه قالوا هذا سحر مبين
جروا على عادتهم في التكذيب ولهذا قال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
اي تيقنوا انها من عند الله وانها ليست سحرا ولكنهم كفروا بها وتكبروا ان يؤمنوا
بموسى وهذا يدل على انهم كانوا معاندين وظلما وعلوا منصوبان على نعت مصدر محذوف
اي وجحدوا بها جحودا ظلما وعلوا والبا زايده اي وجحدوها قاله ابو عبيده
فانظر يا محمد كيف كان عاقبه المفسدين اي جزاء الكافرين الطاغين انظر ذلك بعين
قلبك وتدبر فيه الخطاب له والمراد غيره قوله تعالى ولقد اتينا داود
وسليمن علما اي فهما قاله قتاده وقيل علما بالدين والحكم وغيرهما كما قال وعلمناه صنعه
لبوس لكم وقيل صنعه الكيميا وهو شاذ وانما الذي اتاهما الله النبوه والخلافه في
الارض والزبور وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وفي الايه
دليل على شرف العلم وانافه محله وتقدم حملته واهله وان نعمه العلم من اكل النعم
واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباد الله يرفع الذين امنوا
والذين اوتوا العلم درجات وقد تقدم هذا في غير موضع قوله تعالى
وورث سليمن داود قال الكلبي كان لداود صلى الله عليه وسلم تسعه عشر ولدا
ذكورا فورث سليمن من بينهم نبوته وملكه ولو كان وراثه المال لكان جميع اولاده
فيه سوا وقاله ابن العربي فلو كانت وراثه مال لانقسمت على العدد فخص الله

سليمن بما كان لداود من الحكمه والنبوه وزاده من فضله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
قال ابن عطيه داود من بني اسرايل وكان ملكا وورث سليمن ملكه ومنزلته من
النبوه بمعنى صار اليه ذلك بعد موت ابيه فسمي ميراثا تجوزا وهذا نحو قولهم العلما
ورثه الانبيا ويحتمل قوله عليه السلام انا معشر الانبيا لا نورث ان يريد ان ذلك
من فعل الانبيا وسيرهم وان كان فيهم من ورث ماله كزكريا على اشهر الاقوال فيه
وهذا كما تقول انا معشر المسلمين انما شغلنا العباده والمراد ان ذلك فعل الاكثر
ومنه ما حكى سيبويه انا معشر العرب اقرى الناس لضيف قال الشيخ القرطبي
رحمه الله وقد تقدم هذا المعنى في مريم وان الصحيح القول الاول لقوله عليه السلام
انا معشر الانبيا لا نورث فهو عام ولا يخرج شي منه الا بدليل قال مقاتل كان سليمن
اعظم ملكا من داود واقضى منه وكان داود اشد تعبدا من سليمان قال غيره ولم
يبلغ احد من الانبيا ما بلغ ملكه فان الله سبحانه وتعالى سخر له الانس والجن والطير
والوحش واتاه ما لم يوت احدا من العالمين وورث اباه في الملك والنبوه وقام بشريعته
وكل نبي جا بعد عيسى ممن بعث اولم يبعث فانما كان بشريعه موسى الى ان بعث المسيح
عليه السلام فنسخها وبينه وبين الهجره نحو من الف وثمان مايه سنه واليهود تقول
الف وثلث مايه واثنان وستون سنه وقيل ان بين موته وبين مولد النبي صلى الله
عليه وسلم نحو من الف وسبع مايه سنه واليهود تنقص منها ثلث مايه سنه عاش
نيفا وخمسين سنه قوله تعالى وقال يا ايها الناس اي قال سليمن لبني
اسرايل على جهه الشكر لنعم الله علمنا منطق الطير اي تفضل الله علينا على ما ورثنا
من داود من العلم والنبوه والخلافه في الارض في ان فهمنا من اصوات الطير المعاني
التي في نفوسها قال مقاتل في الايه كان سليمن جالسا اذ مر به طاير يطوف فقال
لجلسايه اتدرون ما يقول هذا الطاير انها قالت لي السلام عليك ايها الملك المسلط
والنبي لبني اسرايل اعطاك الله الكرامه واظهرك على عدوك اني منطلق الى
افراخي ثم امر بك الثانيه وانه سيرجع الينا الثانيه ثم رجع فقال انه يقول السلام
عليك ايها الملك المسلط ان شيت ان تاذن لي كيما اكتسب على افراخي حتى يشبوا
ثم اتيك فافعل بي ما شيت فاخبرهم سليمن بما قال واذن له فانطلق وقال

فرقد السبحي مر سليمن على بلبل فوق شجره يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا لا يا نبي الله قال انه يقول اكلت نصف تمره فعلى الدنيا العفا ومر بهدهد فوق شجره وقد نصب له صبي فخا فقال له سليمن احذر يا هدهد قال يا نبي الله هذا صبي ولا عقل له فانا اسخر به ثم رجع سليمن فوجده قد وقع في حبالة الصبي وهو في يديه فقال هدهد ما هذا قال ما رايتها حتى وقعت فيها يا نبي الله قال ويحك فانت ترى الما تحت الارض اما ترى الفخ قال يا نبي الله اذا وقع القضا عمي البصر وقال كعب صاح ورشان عند سليمن ابن داود فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاخته فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت هذا الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وصاح عنده طاووس فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح عنده هدهد فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد عنده فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول استغفروا الله يا مذنبين فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وقيل ان الصرد هو الذي دل ادم على مكان البيت وهو اول من صام ولذلك يقال له الصرد الصوام روي عن ابي هريرة وصاحت عنده طيطوى فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاحت خطافه عنده فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلها وقال ان ادم خرج من الجنه فاشتكى الى الله الوحشه فانسه الله بالخطاف والزمها البيوت فهي لا تفارق بني ادم انسا لهم قال ومعها اربع ايات من كتاب الله لو انزلنا هذا القران على جبل الى اخرها وتمد صوتها بقوله العزيز الحكيم وهدرت حمامه عند سليمن فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربي الاعلى عدد ما في سمواته وارضيه وصاح قمري عند سليمن فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربي العظيم المهيمن قال كعب وحدثهم سليمن فقال الغراب يقول اللهم العن العشار والحدا تقول كل شي هالك الا وجهه والقطاه تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع يقول سبحن ربي القدوس والبازي يقول سبحان ربي وبحمده

عن ربي الاعلا

والسرطان

والسرطان يقول سبحان المذكور بكل مكان وقال مكحول صاح دراج عند سليمن فقال
اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال الحسن قال النبي
صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح قال اذكروا الله يا غافلين وقال الحسن ابن علي
ابن ابي طالب قال النبي صلى الله عليه وسلم النسر اذا صاح قال يا ابن ادم عش ما شيت
فاخرك الموت واذا صاحت العقاب قالت في البعد من الناس الراحه واذا صاح
القنبر قالت الهي العن مبغضي ال محمد واذا صاح الخطاف قرا الحمد لله رب العالمين
الى اخرها فيقول ولا الضالين ويمد بها صوته كما يمد القاري قال قتاده والشعبي
انما هذا الامر في الطير خاصه لقوله علمناه منطق الطير والنمله طاير اذ قد يوجد
له اجنحه قال الشعبي وكذلك كانت له هذه النمله ذات جناحين وقالت فرقه
بل كان في جميع الحيوان وانما ذكر الطير لانه كان جندا من جند سليمن يحتاجه
في التظليل عن الشمس وفي البعث في الامور فخص بالذكر لكثره مداخلته ولان امر
ساير الحيوان نادر وغير متردد ترداد امر الطير وقال ابو جعفر النحاس والمنطق
قد يقع لما يفهم بغير كلام والله جل وعز اعلم بما اراد قال ابن العربي من قال انه لا يعلم
الا منطق الطير فنقصان عظيم وقد اتفق الناس على انه كان يفهم كلام من لا يتكلم وخلق
له فيه القول من النبات فكان كل نبت يقول له انا شجر كذا انفع من كذا واضر من
كذا فما ظنك بالحيوان قوله تعالى واوتينا من كل شي اي من كل شي بنا اليه
حاجه من النبوه والعلم والحكمه والمال وتسخير الجن والانس والطير والرياح والوحش
والدواب وكل ما بين السما والارض ان هذا لهو الفضل المبين اي الظاهر المظهر
لفضيلتنا قوله تعالى وحشر لسليمن جنوده من الجن والانس والطير فهم

الحشر

يوزعون فيه مسلتان الاولى قوله تعالى وحشر حشر جمع الجمع ومنه قوله جل
وعز وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا واختلف الناس في مقدار جند سليمن عليه السلام
فيقال انه كان معسكره مايه فرسخ في مايه خمسه وعشرين للجن وخمسه وعشرين للانس
وخمسه وعشرين للطير وخمسه وعشرين للوحش وكان له الف بيت من قوارير على
الخشب منها ثلث مايه منكوحه وسبع مايه سريه ابن عطيه اختلف في معسكره
ومقدار جنده اختلافا شديدا غير ان الصحيح ان ملكه كان عظيما ملا الارض وانقادت

له المعمورة كلها فهم يوزعون معناه يرد اولهم الى اخرهم ويكفون قال قتادة كان
لكل صنف وزعة في رتبتهم ومواضعهم من الكرسي ومن الارض اذا مشوا فيها يقال
وزعته ازعه وزعا اي كففته والوازع في الحرب الموكل بالصفوف يزع من تقدم منهم
روى محمد بن اسحق عن اسما بنت ابي بكر قالت لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي
طوى يعني يوم الفتح قال ابو قحافة وقد كف بصره لابنته اظهري بي على ابي قبيس
فاشرفت به عليه فقال ما ترين فقالت ارى سوادا مجتمعا قال تلك الخيل قالت وارى
رجلا بين السواد مقبلا ومدبرا قال ذلك الوازع يمنعها ان تنتشر وذكر تمام الخبر ومن
هذا قوله عليه السلام ما رى الشيطان يوما هو فيه اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا
اغيظ منه في يوم عرفة وما ذلك الا لما راى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب
العظام الا ما راى يوم بدر قيل وما راى يا رسول الله فقال اما انه راى جبريل يزع
الملائكة خرجه الموطا ومن هذا المعنى قول النابغة

على حين عاتبت المشيب على الصبا ... فقلت الما اصح والشيب وازع

اخر

ولا يزع النفس اللجوج عن الهوى ... من الناس الا وافر العقل كامله

وقيل هو
من التوزيع بمعنى التفريق والقوم اوزاع اي طوائف وفي القصة ان الشياطين
نسجت له بساطا ذهبا في ابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع له كرسي من ذهب وحوله
ثلثة الاف كرسي من ذهب وفضة فتقعد الانبيا على كراسي الذهب والعلما على كراسي
الفضة

الثانية في الاية دليل على اتخاذ الامام والحكام وزعة يكفون الناس
ويمنعهم من تطاول بعضهم على بعض اذ لا يمكن ذلك الحكام بانفسهم وقال ابن عون سمعت
الحسن يقول وهو في مجلس قضائه فلما راى ما يصنع الناس قال والله ما يصلح
هولا الناس الا وزعة وقال الحسن ايضا لا بد للناس من وازع اي من سلطان يكفهم
وذكر ابن القاسم قال حدثنا مالك ان عثمان بن عفان كان يقول ما يزع الامام اكثر مما
يزع القران اي من الناس قال ابن القاسم قلت لمالك ما يزع قال يكف قال القاضي
ابو بكر ابن العربي وقد جهل القوم المراد بهذا الكلام فظنوا ان المعنى ان قدرة
السلطان تردع الناس اكثر مما تردعهم حدود القران وهذا جهل بالله وحكمته فان
الله ما وضع الحدود الا مصلحة عامة كافة قائمة لقوام الخلق لا زيادة عليها ولا

نقصان معها ولا مصلحه سواها ولكن الطلمه حاسوا بها وقصروا عنها واتوا اما اتوا بغير
نيه ولم يقصدوا وجه الله في القضا بها فلم يردع الخلق بها ولو حكموا اما العدل واخلصوا
النيه لاستقامت الامور وصلح الجمهور قوله تعالى حتى اذا اتوا على وادي
النمل قالت نمله يا ايها النمل الى قوله فتبسم ضاحكا فيه ست مسايل الاولى قوله
تعالى حتى اذا اتوا على وادي النمل قال قتاده ذكر لنا انه واد بارض الشام وقال كعب
هو بالطايف قالت نمله يا ايها النمل قال الشعبي كان للنمله جناحان فصارت من
الطير فلذلك علم منطقها ولولا ذلك لما علمه وقد مضى هذا وياتي وقرا سليمن التيمي
نمله والنمل بفتح النون وضم الميم وعنه ايضا ضمها جميعا وسميت النمله نمله لتنملها
وهو كثره حركتها وقله قرارها قال كعب مر سليمن عليه السلام بوادي السدير من
اوديه الطايف فاتى على وادي النمل فقالت نمله تمشي وكانت عرجا اسمها شاوس
مثل الذيب في العظم فنادت يا ايها النمل الزمخشري سمع سليمن كلامها من ثلثه اميال
وكانت تمشي وهي عرجا تتكاوس وقيل كان اسمها طاخيه قال السهيلي ذكروا اسم
النمله المكلمه لسليمان عليه السلام وقالوا اسمها حرميا ولا ادري كيف يتصور للنمله
اسم علم والنمل لا يسمي بعضهم بعضا ولا الادميون يمكنهم تسميه واحد منهم باسم علم
لانه لا يتميز للادميين بعضهم من بعض ولا هم ايضا واقعون تحت ملكه بني ادم كالخيل
والكلاب ونحوها فان العلميه فيما كان كذلك موجوده عند العرب فان قلت ان
العلميه موجوده في الاجناس كثعاله واسامه وجعال وقثام في الضبع ونحو هذا
كثير فليس اسم النمله من هذا لانهم زعموا انه اسم علم لنمله واحده معينه من بين ساير
النمل وثعاله ونحوه لا يختص بواحد من الجنس بل كل واحد رايته من ذلك الجنس
فهو ثعاله وكذلك اسامه وابن اوى وابن عرس وما اشبه ذلك فان صح ما قالوه
فله وجه وهو ان تكون هذه النمله الناطقه قد سميت بهذا الاسم في التوراه او في
الزبور او في بعض الصحف سماها الله تعالى بهذا الاسم وعرفها به الانبيا قبل سليمن
او بعضهم وخصت بالتسميه لنطقها وايمانها فهذا وجه ومعنى قولنا بايمانها
انه قالت للنمل لا يحطمنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون فقولها وهم لا يشعرون
التفاته مومن اي من عدل سليمن وفضله وفضل جنوده لا يحطمون نمله فما

فوقها الا بان لا يشعروا وقد قيل ان تبسم سليمن سرورا بهذه الكلمه منها ولذلك اكد
التبسم بقوله ضاحكا اذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضى الا تراهم يقولون
تبسم تبسم الغضبان وتبسم تبسم المستهزيين وتبسم الضحك انما هو عن سرور ولا
يسر نبي بامر دنيا وانما يسر بما كان من الدين وقولها وهم لا يشعرون اشاره الى
الدين والعدل والرافه ونظير قول النمله في جند سليمن وهم لا يشعرون قول الله
تعالى في جند محمد صلى الله عليه وسلم فتصيبكم منهم معره بغير علم التفاتا الى انهم لا يقصدون
هدر مومن الا ان المثني على جند سليمن هي النمله باذن الله والمثني على جند محمد صلى الله
عليه وسلم هو الله جل وعز بنفسه لما لجنود محمد صلى الله عليه وسلم من الفضل على جند
غيره من الانبيا كما لمحمد صلى الله عليه وسلم من الفضل على جميع النبيين صلى الله عليهم اجمعين
وقرا شهر ابن حوشب مسكنكم بسكون السين على الافراد وفي مصحف ابي مساكنكن
لا يحطمنكم مساكنكم وقرا سليمن التيمي لا يحطمنكم ذكره النحاس اي لا يكسرنكم بوطيهم
عليكم وهم لا يعلمون بكم قال المهدوي وافهم الله تعالى النمله هذا لتكون معجزه لسليمن
وقال وهب امر الله تعالى الريح ان لا يتكلم احد بشي الا طرحته في سمع سليمن بسبب
ان الشياطين ارادت كيده وقد قيل ان هذا الوادي كان ببلاد اليمن وانها كانت
نمله صغيره مثل النمل المعتاد قاله الكلبي وقال نوف الشامي وشقيق ابن سلمه
كان نمل ذلك الوادي كهيه الذباب في العظم قال محمد بن علي اليزيدي فان كان على
هذه الخلقه فلها صوت وانما افتقد صوت النمل لا لصغر خلقها والا فالاصوات
في الطيور والبهايم كاينه وذلك منطقهم وفي تلك المناطق معاني التسبيح وغير
ذلك وهو قوله وان من شي الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم قال الشيخ
القرطبي رحمه الله وقوله لا يحطمنكم يدل على صحه قول الكلبي اذ لو كانت كهيه
الذباب والنعاج لما حطمت بالوطي والله اعلم وقال ادخلوا مساكنكم فجا
على خطاب الادميين لان النمل هاهنا اجرى مجرى الادميين حين نطق كما ينطق
الادميون قال ابو اسحق الثعلبي ورايت في بعض الكتب ان سليمن قال لها لم حذرت
النمل اخفت ظلمي اما علمت اني نبي عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمن وجنوده فقالت
النمله اما سمعت قولي وهم لا يشعرون مع اني لم ارد حطم النفوس وانما اردت حطم

القلوب خشيت ان تتمنين مثل ما اعطيت او يفتتن بالدنيا بالنظر الى ملكك عن التسبيح والذكر
فقال لها سليمن عظيني فقالت النمله اما علمت لم سمي ابوك داود قال لا قالت لانه داوى
جرحه فوادا هل علمت لم سميت سليمن قال لا قالت لانك سليم الناحيه على ما اوتيته بسلامه
صدرك وان لك ان تلحق بابيك ثم قالت اتدري لم سخر الله لك الريح قال لا قالت اخبرك
ان الدنيا كلها ريح فتبسم ضاحكا من قولها متعجبا ثم مضت مسرعه الى قومها فقالت
هل عندكم من شي نهديه الى نبي الله سليمن قالوا وما قدر ما نهدي له والله ما عندنا
الا نبقه واحده قالت حسنه ايتوني بها فاتوها بها فحملتها بفيها وانطلقت تجرها
وامر الله الريح فحملتها واقبلت تشق الجن والانس والعلما والانبيا على البساط حتى
وقفت بين يديه ثم وضعت تلك النبقه من فيها في كفه وانشات تقول ؛؛

الم ترنا نهدي الى الله ماله وان كان عنه ذا غنى فهو قابله ؛؛
ولو كان يهدى للجليل بقدره لقصر عنه البحر يوما بساحله ؛؛
ولكننا نهدي الى من نحبه فيرضى بها عنا ويشكر فاعله ؛؛
وما ذاك الا من كريم فعاله والا فما في ملكنا من يشاكله ؛؛

فقال لها
بارك الله فيكم فهم بتلك الدعوه اشكر خلق الله واكثر خلق الله وقال ابن عباس
نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل اربع من الدواب الهدهد والصرد والنمله والنحله
خرجه ابو داود وصححه ابو محمد عبد الحق وروي من حديث ابي هريره وقد مضى في الاعراف
فالنمله اثنت على سليمن واخبرت باحسن ما تقدر عليه بانهم لا يشعرون ان حطموكم ولا
يفعلون ذلك عن عمد منهم فنفت عنه الجور فلذلك نهى عن قتلها وعن قتل الهدهد لانه
كان دليل سليمن على الما ورسوله الى بلقيس وقال عكرمه انما صرف الله شر سليمن
عن الهدهد لانه كان بارا بابويه والصرد يقال له الصرد الصوام وروي عن ابي
هريره قال اول من صام الصرد ولما خرج ابرهيم عليه السلام من الشام الى الحرم
في بنا البيت كانت السكينه معه والصرد فكان الصرد دليله الى الموضع والسكينه
مقداره فلما صار الى البقعه وقعت السكينه على موضع البيت ونادت ابن يا ابرهيم
على مقدار ظلي وقد تقدم في الاعراف سبب النهي عن قتل الضفدع وفي النحل النهي
عن قتل النحل والحمد لله الثانيه قرا الحسن لا يحطمنكم وعنه ايضا لا يحطّمنكم

وعنه ايضا وعن ابي رجا لا يحطمنكم والحطم الكسر وحطمته حطما اي كسرته وحطم
والتحطيم التكسير وهم لا يشعرون يجوز ان يكون حالا من سليمن وجنوده والعامل في
الحال يحطمنكم او حالا من النمله والعامل قالت اي قالت ذلك في حال غفله الجنود
كقولك قمت والناس غافلون او حالا من النمل ايضا والعامل قالت على ان المعنى والنمل
لا يشعرون ان سليمن يفهم مقالتها وفيه بعد وسياتي الثالثه روى مسلم من حديث
ابي هريره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نمله قرصت نبيا من الانبيا فامر بقريه
النمل فاحرقت فاوحى الله اليه ان قرصتك نمله اهلكت امه من الامم تسبح وفي
طريق اخر فهلا نمله واحده قال علماونا يقال ان هذا النبي هو موسى عليه السلام وانه
قال يا رب تعذب اهل قريه بمعاصيهم وفيهم الطايع فكانه احب ان يريه ذلك من عنده
فسلط عليه الحر حتى التجا الى شجره مستروحا الى ظلها وعندها قريه النمل فغلبه النوم
فلما وجد لذه النوم لدغته نمله فاضجرته فدلكهن بقدمه فاهلكهن واحرق تلك الشجره
التي عندها مساكنهم فاراه الله العبره في ذلك انه لما لدغته نمله فكيف اصيب الباقين
بعقوبتها يريد ان ينبهه ان العقوبه من الله تعالى تعم فتصير رحمه على المطيع وطهاره وبركه
وشرا ونقمه على العاصي وعلى هذا فليس في الحديث ما يدل على كراهه ولا حظر في قتل
النمل فان من اذاك حل لك دفعه عن نفسك ولا احد من خلقه اعظم حرمه من المومن
وقد ابيح لك دفعه عنك بقتل وضرب على المقدار فكيف بالهوام والدواب التي قد
سخرت لك وسلطت عليها فاذا اذاك ابيح لك قتله وروي عن ابرهيم ما اذاك من النمل
فاقتله وقوله الا نمله واحده دليل على ان الذي يوذي ويقتل وكلما كان القتل
لنفع او دفع ضرر فلا باس به عند العلما واطلق له نمله واحده ولم يخص تلك النمله
التي لدغت من غيرها لانه ليس المراد القصاص لانه لو اراده لقال الا نملتك التي
لدغتك ولكن قال الا نمله مكان نمله فعم البري والجاني ذلك ليعلم انه اراد ان ينبهه
لمسلته ربه في عذاب اهل قريه وفيهم المطيع والعاصي وقد قيل ان هذا النبي كانت
العقوبه للحيوان بالتحريق جايزه في شرعه ولذلك انما عاتبه الله تعالى في احراق
الكثير من النمل لا في اصل الاحراق الا ترى قوله فهلا نمله واحده اي هلا احرقت واحده
وهذا بخلاف شرعنا فان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التعذيب بالنار وقال

33

لا يعذب بالنار الا الله ولذلك ايضا كان قتل النمل مباحا في شريعة ذلك النبي فان الله
لم يعتبه على اصل قتل النمل واما شرعنا فقد جا من حديث ابن عباس وابي هريرة النهي
عن ذلك وقد كره مالك قتل النمل الا ان يضر ولا يقدر على دفعه الا بالقتل وقد قيل
ان هذا النبي انما عاتبه الله حيث انتقم لنفسه باهلاك الجمع اذاه واحد وكان الاولى
الصبر والصفح لكن وقع للنبي ان هذا النوع موذ لبني ادم وحرمة بني ادم اعظم من حرمة
غيره من الحيوان غير الناطق فلو انفرد له هذا النظر ولم ينضم اليه التشفي الطبعي لم
يعاتب والله اعلم الرابعة قوله افي ان قرصتك نملة اهلكت امة من الامم تسبح
مقتضى هذا انه تسبيح مقال ونطق كما اخبر الله عن النمل ان لها منطقا وفهمه سليمان عليه
السلام معجزة له وتبسم من قولها وهذا يدل دلالة واضحة ان للنمل نطقا وقولا لكن لا
يسمعه كل احد بل من شا الله تعالى ممن خرق له العادة من نبي او ولي ولا ينكر هذا من
حيث انا لا نسمع ذلك فانه لا يلزم من عدم الادراك عدم المدرك في نفسه ثم ان الانسان
يجد في نفسه قولا وكلاما ولا يسمع منه الا اذا نطق بلسانه وقد خرق الله العادة
لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاسمعه كلام النفس من قوم تحدثوا مع انفسهم
واخبرهم بما في نفوسهم كما قد نقل منه الكثير ايمتنا في كتب معجزات النبي صلى الله عليه
وسلم ولذلك قد وقع لكثير ممن اكرمه الله تعالى من الاوليا مثل ذلك في غير ما قضية
واياه عنى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان في امتي محدثون وان عمر منهم وقد مضى هذا
المعنى في الحماد في سبحن وانه يسبح تسبيح لسان ومقال لا تسبيح دلالة وحال والحمد
لله الخامسة قوله تعالى فتبسم ضاحكا وقرا ابن السميفع ضحكا بغير الف
وهو منصوب على المصدر بفعل محذوف يدل عليه تبسم كانه قال ضحك ضحكا هذا مذهب
سيبويه وهو عند غير سيبويه منصوب بنفس تبسم لانه على معنى ضحك ومن قرا
ضاحكا فهو منصوب على الحال من الضمير في تبسم والمعنى تبسم مقدار الضحك لان الضحك
يستغرق التبسم والتبسم دون الضحك وهو اوله يقال بسم بالفتح يبسم بسما فهو
باسم وابتسم وتبسم والمبسم الثغر مثل المجلس من جلس يجلس ورجل مبسام
وبسام كثير التبسم فالتبسم ابتدا الضحك والضحك عبارة عن الابتدا والانتها الا
ان الضحك يقتضي مبدا على التبسم فاذا زاد ولم يضبط الانسان نفسه قيل قهقه

والتبسم ضحك الانبيا عليهم السلام في غالب امرهم وفي الصحيح عن جابر بن سمرة وقيل له اكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم كثيرا كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح او الغداة حتى تطلع الشمس فاذا طلعت قام وكانوا يتحدثون فياخذون في امر الجاهلية فيضحكون ويتبسم وفيه عن سعد قال كان رجل من المشركين قد احرق في المسلمين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارم فداك ابي وامي قال فنزعت له بسهم ليس فيه نصل فاصبت جنبه فسقط فانكشفت عورته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظرت الى نواجذه فكان عليه السلام في اكثر احواله يتبسم وكان ايضا يضحك في احوال اخر ضحكا اعلى من التبسم واقل من الاستغراق الذي تبدو فيه اللهوات وكان في النادر عند افراط تعجبه وربما ضحك حتى بدت نواجذه وقد كره العلما منه الكثرة كما قال لقمان لابنه يا بني اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب وقد روي مرفوعا من حديث ابي ذر وغيره وضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه حين رمى سعد الرجل فاصابه انما كان سرورا باصابته لا بانكشاف عورته فانه المنزه عن ذلك صلى الله عليه وسلم السادسة لا اختلاف عند العلما ان الحيوانات كلها لها افهام وعقول وقد قال الشافعي الحمام اعقل الطير قال ابن عطية والنمل حيوان فطن قوي شمام جدا يدخر القوت ويشق الحب بقطعتين لئلا ينبت ويشق الكزبرة باربع قطع لانها تنبت اذا قسمت شقتين وياكل في عامه نصف ما جمع ويستبقي سايره عدة قال ابن العربي وهذه خواص العلوم عندنا وقد ادركتها النمل بخلق الله ذلك لها قال الاستاذ ابو المظفر شاهبور الاسفرايني ولا يبعد ان تدرك البهايم حدث العالم وحدث المخلوقات ووحدانية الاله ولكنا لا نفهم عنها ولا تفهم عنا اما انا نطلبها وهي تفر منا فبحكم الجنسية قوله تعالى وقال رب اوزعني ان اشكر اي اشكر نعمتك علي وعلى والدي فان مصدرية واوزعني اي الهمني ذلك واصله من وزع فكانه قال كفني عما يسخطك وقال محمد بن اسحق يزعم اهل الكتاب ان ام سليمن هي امراة اوريا التي امتحن الله بها داود وانه بعد موت زوجها تزوجها داود فولدت له سليمن وسيأتي بيان هذا في سورة ص ان شا الله تعالى وادخلني برحمتك في عبادك اي مع عبادك عن ابن زيد وقيل المعنى في جملة عبادك الصالحين

۲

قوله تعالى وتفقد الطير فقال مالي لا ارى الهدهد فيه ثلاث مسايل الاولى
قوله تعالى وتفقد الطير الى اخر قصة الهدهد فيه ثمان عشرة مسلة
الاولى قوله تعالى وتفقد الطير ذكر شيا اخر مما جرى له في مسيره الذي كان فيه
من النمل ما تقدم والتفقد تطلب ما غاب عنك من شي والطير اسم جامع والواحد
طاير والمراد بالطير هنا جنس الطير وجماعتها وكانت تصحبه في سفره وتظله باجنحتها
واختلف الناس في معنى تفقده للطير فقالت فرقة ذلك بحسب ما تقتضيه العناية
بامور الملك والتهمم بكل جزء منها وهذا ظاهر الاية وقالت فرقة بل تفقد الطير لتبين
من اين دخلت الشمس وقال عبد الله بن سلام انما طلب الهدهد لانه احتاج الى معرفة
الما على كم هو من وجه الارض لانه كان نزل في مفازة عدم فيها الما وان الهدهد
كان يرى باطن الارض وظاهرها فكان يخبر سليمن بموضع الما ثم كانت الجن تخرجه في
ساعة يسيرة تسلخ عنه وجه الارض كما تسلخ الشاة قاله ابن عباس فيما روى عن ابن سلام
قال ابو مجلز قال ابن عباس لعبد الله بن سلام اريد ان اسالك عن ثلاث مسايل قال
اتسلني وانت تقرا القران قال نعم ثلث مرات قال لم تفقد سليمن الهدهد دون ساير الطير
قال احتاج الى الما ولم يعرف عمقه او قال مسافته وكان الهدهد يعرف ذلك دون
الطير فتفقده وقال في كتاب النقاش كان الهدهد مهندسا وروى ان نافع ابن الازرق
سمع ابن عباس يذكر شان الهدهد فقال له قف يا وقاف كيف يرى الهدهد باطن الارض
وهو لا يرى الفخ حين يقع فيه فقال له ابن عباس اذا جا القضا عمي البصر وقال مجاهد
قيل لابن عباس كيف تفقد الهدهد من الطير فقال نزل منزلا ولم يدر ما بعد الما وكان
الهدهد مهتديا اليه فاراد ان يسله قال مجاهد فقلت كيف يهتدي والصبي يضع
له الحبالة فيصيده فقال اذا جا القدر عمي البصر قال ابن العربي ولا يقدر على هذا
الجواب الا عالم القران قال الشيخ القرطبي رحمه الله هذا الجواب قد قاله الهدهد
لسليمن كما تقدم وانشدوا

اذا اراد الله امرا بامري ... وكان ذا عقل وراي ونظر
وحيلة يعملها في دفع ما ... ياتي به مكروه اسباب القدر
غطى عليه سمعه وعقله ... وسله من ذهنه سل الشعر

حتى اذا انفد فيه خلمه رد عليه عقله ليعتبر ؛ قال الكلبي لم يكن له في مسيره
الا هدهد واحد والله اعلم الثانيه في هذه الايه دليل على تفقد الامام احوال
رعيته والمحافظه عليهم فانظر الى الهدهد مع صغره كيف لم يخف على سليمن حاله فكيف
بعظام الملك ورحم الله عمر فانه كان على سيرته قال لو ان سخله على شاطي الفرات اخذها
الذيب ليسيل عنها عمر فما ظنك بوال تذهب على يديه البلدان وتضيع الرعيه ويضيع
الرعيان وفي الصحيح عن عبد الله ابن عباس ان عمر ابن الخطاب خرج الى الشام خرج
حتى اذا كان بسرغ لقيه امرا الاجناد ابو عبيده واصحابه فاخبروه ان الوبا قد وقع
بالشام الحديث قال علما وما كان هذا الخروج من عمر بعد ما فتح بيت المقدس سنه
سبع عشره على ما ذكره خليفه ابن خياط وكان يتفقد احوال رعيته واحوال امرايه
بنفسه فقد دل القران والسنه وبينا ما يجب على الامام من تفقد احوال رعيته ومباشره
ذلك بنفسه والسفر الى ذلك وان طال ورحم الله ابن المبارك حيث يقول
وهل افسد الدين الا الملوك واحبار سو ورهبانها الثالثه قوله
تعالى ما لي لا ارى الهدهد اي ما للهدهد لا اراه فهو من القلب الذي تعرف معناه
وهو كقولك ما لي اراك كئيبا اي ما لك والهدهد طير معروف وهدهدته صوته
قال ابن عطيه انما مقصد الكلام الهدهد غاب لكنه اخذ اللازم عن مغيبه وهو ان لا يراه
فاستفهم على جهه التوقيف على اللازم وهذا ضرب من الايجاز والاستفهام الذي في
قوله ما لي ناب مناب الالف التي تحتاجها ام وقيل انما قال ما لي لا ارى الهدهد لانه
اعتبر حال نفسه اذ علم انه اوتي الملك العظيم وسخر له الخلق فقد لزمه حق الشكر
باقامه الطاعه وادامة العدل فلما فقد نعمة الهدهد توقع ان يكون قصر في حق
الشكر فلاجله سلبها فجعل يتفقد نفسه فقال ما لي قال ابن العربي وهذا تفعل
شيوخ الصوفيه اذا فقدوا ما لهم تفقدوا اعمالهم هذا في الاداب فكيف بنا اليوم
ونحن نقصر في الفرايض وقرا ابن كثير وابن محيصن وعاصم والكساي وهشام
وايوب ما لي بفتح اليا وكذلك في يس وما لي لا اعبد واسكنها حمزه ويعقوب وقرا
الباقون المدنيون وابو عمرو بفتح التي في يس واسكان هذه قال ابو عمرو لان هذه
التي في النمل استفهام والاخرى انتفا واختار ابو حاتم وابو عبيد الاسكان فقال

مالي

مالي وقال ابو جعفر النحاس زعم قوم انهم ارادوا ان يفرقوا بين ماكان مبتدا وبين
ماكان معطوفا على ما قبله وهذا ليس بشي وانما هي يا النفس من العرب من يفتحها ومنهم من
يسكنها فقرؤا باللغتين واللغة الفصيحة في يا النفس ان تكون مفتوحة لانها اسم وهي
على حرف واحد فكان الاختيار ان لا تسكن فيجحف بالاسم ام كان من الغايبين بمعنى
بل الرابعة قوله تعالى لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه دليل على
ان الحد في قدر الادب لا على قدر الجسد اما انه يرفق بالمحدود في الزمان والصفة روي
عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج ان تعذيبه للطير كان بان ينتف قال ابن جريج
ريشه اجمع وقال يزيد بن رومان جناحاه وفعل سليمن هذا بالهدهد اغلاظا
على العاصين وعقابا على اخلاله بنوبته ورتبته وكان اباح الله له ذلك كما اباح ذبح
البهايم والطيور للاكل وغيره من المنافع والله اعلم وفي نوادر الاصول حدثنا سليمن بن
حميد ابو الربيع الايادي قال ثنا عون بن عماره عن الحسين الجعفي عن الزبير بن خريت
عن عكرمة قال انما صرف الله شر سليمن عن الهدهد لانه كان بارا بابويه وسياتي
وقيل تعذيبه ان يجعل مع اضداده وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد
وقيل لالزمنه خدمة اقرانه وقيل ايداعه القفص وقيل بان يجعله للشمس بعد
نتفه وقيل بتبعيده عن خدمتي والملوك يؤدبون بالهجران الجسد بتفريق الفه وهو
مؤكد بالنون الثقيلة وهي لازمة هي او الخفيفة قال ابو حاتم ولو قريت لاعذبنه
عذابا شديدا او لاذبحنه جاز ولا بشي بسلطان مبين اي بحجة بينة وليست اللام في لياتيني
لام القسم لانه لا يقسم سليمن على فعل الهدهد ولكن لما جا في اثر قوله لاعذبنه وهو
مما جاز القسم اجراه مجراه وقرا ابن كثير وحده لياتينني بنونين الخامسة قوله
تعالى فمكث غير بعيد اي الهدهد والجمهور من القرا على ضم الكاف وقرا عاصم وحده
بفتحها ومعناه في القراتين اقام قال سيبويه مكث يمكث مكوثا كما قالوا قعد يقعد
قعودا قال ومكث مثل ظرف قال غيره والفتح احسن لقوله تعالى ماكثين اذ هو من
مكث يقال مكث يمكث فهو ماكث ومكث يمكث مثل عظم يعظم فهو مكيث مثل عظيم ومكث
يمكث فهو ماكث مثل حمد يحمد فهو حامد والضمير في مكث يحتمل ان يكون لسليمن والمعنى
بقي سليمن بعد التفقد والوعيد غير طويل اي غير وقت طويل ويحتمل ان يكون الهدهد.

ءَ ابل أم شاة

وهو الهدهد فجا فقال احطت بما لم تحط به وهي السادسة اي علمت ما لم تعلمه من
الامر فكان في هذا رد على من قال ان الانبيا تعلم الغيب وحكى الفرا احط بدغم التا في
الطا وحكى احت بقلب الطا تا وبدغم السابعة قوله تعالى وجيتك من سبا
بنبا يقين اعلم سليمن ما لم يعلمه ودفع عن نفسه ما توعده به من العذاب والذبح وقرا
الجمهور سبا بالصرف وابن كثير وابو عمرو سبا بفتح الهمزة وترك الصرف فالاول على
انه اسم رجل نسب اليه قوم وعليه قول الشاعر
الواردون وتيم في ذرى سبا ۝ قد عض اعناقهم جلد الجواميس ۝ وانكر الزجاج
ان يكون اسم رجل وقال سبا اسم مدينة تعرف بمارب اليمن بينها وبين صنعا ثلثة ايام
وانشد النابغة الجعدي ۝ من سبا الحاضرين مارب اذ يبنون من سيله العرما ۝
قال فمن لم يصرف قال انه اسم مدينة ومن صرف وهو الاكثر فلانه اسم للبلد فيكون
مذكرا سمي به مذكر وقيل اسم امراة سميت بها المدينة والصحيح انه اسم رجل كذلك
في كتاب الترمذي من حديث فروة بن مسيك المرادي عن النبي صلى الله عليه وسلم
وسياتي في سبا ان شا الله تعالى قال ابن عطيه وخفي هذا الحديث على الزجاج
فخبط عشوا وزعم ان الفرا ان الرواسي سال ابي عمرو بن العلا عن سبا قال ما
ادري ما هو قال النحاس وتاول الفرا على ابي عمرو انه منعه من الصرف لانه لم
يعرف الشي لم يصرف قال النحاس وابو عمرو اجل من ان يقول هذا وليس في حكاية
الرواسي عنه دليل انه انما منعه من الصرف لانه لم يعرفه وانما قال لا اعرفه
ولو سيل نحوي عن اسم فقال لا اعرفه لم يكن في هذا دليل على انه منعه من الصرف
بل الحق على غير هذا والواجب اذا لم يعرفه ان يصرفه لان اصل الاسما الصرف وانما
يمنع الشي من الصرف لعلة داخلة عليه فالاصل ثابت بيقين فلا يزول بما لا يعرف
وذكر كلاما كثيرا عن النحاة قال في اخره والقول في سبا ما جا التوقيف فيه انه
في الاصل اسم رجل فان صرفته فلانه قد صار اسما للحي وان لم تصرفه جعلته
اسما للقبيلة مثل ثمود الا ان الاختيار عند سيبويه الصرف وحجته في ذلك قاطعة
لان هذا الاسم لما كان يقع له التذكير والتانيث كان التذكير اولى لانه الاصل
والاخف الثامنة وفي الاية دليل على ان الصغير يقول للكبير والمتعلم للعالم

لانه مجهول وانما اذا لم

لته

عندي ما ليس عندك اذا تحقق ذلك وتيقنه هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه معجلا
وعلمه لم يكن عنده علم بالاستيذان وكان التيمم عند عمار وغيره وغاب عن عمر وابن
مسعود حتى قالا لا يتيمم الجنب وكان حكم الاذن في ان ينفر الحايض عند ابن عباس ولم
يعلمه عمر ولا زيد بن ثابت وكان غسل راس المحرم معلوما عند ابن عباس وخفي على
المسور ابن مخرمه ومثله كثير فلا نطول به التاسعه قوله تعالى اني وجدت
امراه تملكهم لما قال الهدهد وجيتك من سبا بنبا يقين قال سليمن وما ذاك
الخبر قال اني وجدت امراه تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل تملك اهل سبا ويقال
كيف خفي على سليمن مكانها وكانت المسافه بين محطه وبين بلدها قريبه وهي مسيره ثلث
بين صنعا وما آرب فالجواب ان الله عز وجل اخفى ذلك عنه لمصلحه راها كما اخفى مكان
يوسف على يعقوب ويروى ان احد ابويها كان من الجن قال ابن العربي وهذا امر تنكره
السحره ويقولون الجن لا ياكلون ولا يلدون وكذبوا لعنهم الله اجمعين ذلك صحيح
ونكاحهم جايز عقلا وان صح نقلا فبها ونعمت قال الشيخ القرطبي رحمه الله خرج
ابو داود من حديث عبد الله ابن مسعود انه قال قدم وفد الجن على النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا يا محمد انه امتك ان يستنجوا بعظم او روثه او حممه فان الله جاعل لنا فيها
رزقا وفي صحيح مسلم فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون
لحما وكل بعره علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما
طعام اخوانكم وفي البخاري من حديث ابي هريرة قال فقلت ما بال العظم والروثه قال
هما من طعام الجن وانه قد اتاني وفد جن نصيبين ونعم الجن فسالوني الزاد فدعوت
الله ان لا يمروا بعظم ولا روثه الا وجدوا عليها طعاما وهذا كله نص في انهم
يطعمون واما نكاحهم فقد تقدمت الاشاره اليه في سبحن عند قوله وشاركهم في الاموال
والاولاد وروى وهب ابن جرير ابن حازم عن الخليل ابن احمد عن عثمان ابن حاضر قال
كانت ام بلقيس من الجن يقال لها بلمقه بنت شيصان وسياتي لهذا مزيد بيان ان
شا الله تعالى العاشره روى البخاري من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما بلغه ان اهل فارس قد ملكوا ابنت كسرى قال لن يفلح قوم ولوا امرهم امراه
قال القاضي ابو بكر ابن العربي هذا نص في ان المراه لا تكون خليفه ولا خلاف فيه

ونقل عن محمد بن جرير الطبري انه يجوز ان تكون المراة قاضيه ولم يصح ذلك عنه ولعله نقل عنه كما نقل عن ابي حنيفه انها انما تقضي فيما تشهد فيه وليس بان تكون قاضيه على الاطلاق ولا بان يكتب لها مسطور بان فلانه مقدمه على الحكم وانما ذلك كسبيل التحكيم والاستنابه في القضيه الواحده وهذا هو الظن بابي حنيفه وابن جرير وقد روي ان عمر قدم امراه على حسبه السوق ولم يصح فلا تلتفتوا اليه فانما هو من دسائس المبتدعه في الاحاديث وقد ناظر في هذه المسله القاضي ابو بكر بن الطيب المالكي الاشعري مع ابي الفرج ابن طرار شيخ الشافعيه فقال ابو الفرج الدليل على ان المراه يجوز ان تحكم ان الغرض من الاحكام تنفيذ القاضي لها وسماع البينه عليها والفصل بين الخصوم فيها وذلك ممكن من المراه كامكانه من الرجل فاعترض عليه القاضي ابو بكر ونقض كلامه بالامامه الكبرى فان الغرض منه حفظ الثغور وتدبير الامور وحمايه البيضه وقبض الخراج ورده على مستحقه وذلك لا يتاتى من المراه كتاتيه من الرجل قال ابن العربي وليس كلام الشيخين في هذه المسله بشي فان المراه لا يتاتى منها ان تبرز الى المجلس ولا تخالط الرجال ولا تفاوضهم مفاوضه النظير للنظير لانها ان كانت فتاة حرم النظر اليها وكلامها وان كانت برزه لم يجمعها والرجال مجلس واحد تزدحم فيه معهم وتكون مناظره لهم ولن يفلح قوم من تصور هذا ولا من اعتقده الحاديه عشره قوله تعالى واوتيت من كل شي مبالغه اي مما تحتاجه المملكه وقيل المعنى اوتيت من كل شي في زمانها شيا فحذف المفعول لان الكلام دل عليه ولها عرش عظيم اي سرير ووصفه بالعظم في الهيئه ورتبه السلطان قيل كان من ذهب تجلس عليه وقيل العرش هنا الملك والاول اصح لقوله تعالى ايكم ياتيني بعرشها الزمخشري فان قلت كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالاضافه الى عروش ابنا جنسها من الملوك ووصفه عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبه الى ما خلق من السموات والارض قال ابن عباس كان طول عرشها ثمانين ذراعا وعرضه اربعين ذراعا وارتفاعه في السما ثلثين ذراعا مكلل بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر قوايمه من زبرجد اخضر قتاده وقوايمه

لؤلؤ وجوهر وكان مستترا بالديباج والحرير عليه سبعة مغاليق مقاتل كان ثمانين ذراعا
في ثمانين ذراعا وارتفاعه من الارض ثمانون ذراعا وهو مكلل بالجواهر ابن اسحق وكان
يخدمها النساء فكان معها لخدمتها ستمائة امراة قال ابن عطية واللازم من الاية
انها امراة ملكة على مداين اليمن ذات ملك عظيم وسرير عظيم وكانت كافرة من قوم
كفار الثانية عشرة قوله تعالى وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون
الله قيل كانت هذه الامة ممن تعبد الشمس لانهم كانوا زنادقة فيما يروون وقيل كانوا
مجوسا يعبدون الانوار وروي عن نافع ان الوقف على عرش قال المهدوي فعظيم
على هذا متعلق بما بعده وكان ينبغي على هذا ان يكون عظيم ان وجدتها اي عظيم وجودي
اياها كافرة وقال ابن الانباري ولها عرش عظيم وقف حسن ولا يجوز ان يقف على
العرش ويبتدي عظيم وجدتها الا على من فتح لان عظيما نعت للعرش فلو كان متعلقا
بوجدتها لقلت عظيمة وجدتها وهذا محال من كل وجه وقد حدثني ابو بكر محمد بن الحسين
ابن شهريار قال نا ابو عبد الله الحسين ابن الاسود العجلي عن بعض اهل العلم انه قال
الوقف على عرش والابتدا عظيم على معنى عظيم عبادتهم الشمس والقمر قال وقد سمعت
من يويد هذا المذهب ويحتج بان عرشها احقر وادق شانا من ان يصفه الله بالعظم
قال ابن الانباري والاختيار عندي ما ذكرته اولا لانه ليس على اضمار عبادة الشمس
والقمر دليل وغير منكر ان يصف الهدهد عرشها بالعظم اذ راه متناهي الطول
والعرض وجريه على اعراب عرش دليل على انه نعته وزين لهم الشيطان اعمالهم
اي ما هم فيه من الكفر فصدهم عن السبيل اي عن طريق التوحيد وبين بهذا ان ما ليس
بسبيل التوحيد فليس بسبيل ينتفع به على التحقيق فهم لا يهتدون الى الله وتوحيده
الثالثة عشرة قوله تعالى الا يسجدوا لله قرا ابو عمرو وعاصم ونافع وحمزة
الا يسجدوا بتشديد الا قال ابن الانباري فهم لا يهتدون غير تام لمن شدد الا
لان المعنى وزين لهم الشيطان الا يسجدوا قال النحاس هي ان دخلت عليها لا وان
في موضع نصب قال الاخفش بزين اي زين لهم لئلا يسجدوا وقال الكسائي بصدهم
اي فصدهم ان لا يسجدوا وهو في الوجهين مفعول له وقال اليزيدي علي بن سليمن ان
بدل من اعمالهم في موضع نصب وقال ابو عمرو وان في موضع خفض على البدل من

السبيل وقيل العامل فيها لا يهتدون اي فهم لا يهتدون ان يسجدوا لله اي لا
يعلمون ان ذلك واجب عليهم وعلى هذا القول لا زايده كقوله ما منعك ان لا تسجد اي ما
منعك ان تسجد وعلى هذه القراه فليس بموضع سجده لان ذلك خبر عنهم بترك السجود
اما بالتزيين او بالصد او بمنع الاهتدا وقرا الزهري والكساي وغيرهما الا
يسجدوا لله بمعنى الا يا هولا اسجدوا لان يا تنادي بها الاسما دون الافعال
وانشد سيبويه ؛ يا لعنة الله والاقوام كلهم والصالحين على سمعان من جار ؛
قال سيبويه يا لغير اللعنه لانه لو كان للعنه لنصبها لانه كان يصير منادى مضافا
ولكن تقديره يا هولا لعنة الله والاقوام على سمعان وحكى بعضهم سماعا عن العرب
الا يا ارحموا الا يا اصدقوا يريدون الا يا قوم ارحموا اصدقوا فعلى هذه القراه اسجدوا
وقال الكساي ما كنت اسمع الاشياخ يقرونها الا بالتخفيف على نية الامر وفي قراه
عبد الله هلا تسجدون لله بالتا والنون وفي قراه ابي الا تسجدون لله فهاتان القراتان
حجه لمن خفف الزجاج وقراه التخفيف تقتضي وجوب السجود دون التشديد واختار
ابو حاتم وابو عبيد قراه التشديد وقال التخفيف وجه حسن الا ان فيه انقطاع
الخبر عن امر سبا ثم يرجع بعد الى ذكرهم والقراه بالتشديد خبر يتبع بعضه بعضا لا
انقطاع في وسطه ونحوه قال النحاس قال قراه التخفيف بعيده لان الكلام يكون معترضا
وقراه التشديد يكون الكلام بها متسقا وايضا فان السواد على غير هذه القراه لانه قد
حذف منها الفان وانما يختصر مثل هذا بحذف الف واحده نحو يا عيسى بن مريم ابن الانباري
وسقطت الف اسجدوا كما تسقط مع هولا اذا ظهر ولما سقطت الف يا واتصلت بها
الف اسجدوا سقطت بعد سقوطها دلاله على الاختصار وايثار لما يخف ويقل
الفاظه وقال الجوهري اخر كتابه قال بعضهم ان يا في هذا الموضع انما هو للتنبيه
كانه قال الا اسجدوا فلما دخل عليه يا التنبيه سقطت الالف التي في اسجدوا لانها
الف وصل وذهبت الالف التي في يا لاجتماع الساكنين لانها والسين ساكنتان قال
ذو الرمه ؛ الا يا سلمي يا دار مي على البلا ولا زال منهلا بجرعايك القطر ؛
وقال الجرجاني هو كلام معترض من الهدهد او سليمن او من الله اي الا ليسجدوا
كقوله قل للذين امنوا يغفروا قيل انه امر اي ليغفروا وتنتظم على هذا كتابة المصحف

اي ليس بها نفاذا قال ابن عطيه قيل هو من كلام الهدهد الى قوله العظيم وهو قول
ابن زيد وابن اسحق ويعترض بانه غير مخاطب فكيف يتكلم في معنى شرع ويحتمل ان يكون من
الله تعالى فهو اعتراض بين الكلامين وهو الثابت مع التامل وقراه التشديد في ان لا
تعطي ان الكلام للهدهد وقراه التخفيف تمنعه والتخفيف يقتضي الامر بالسجود لله
جل وعز للامر على ما بيناه وقال الزمخشري فان قلت اسجده التلاوه واجبه في القرابين
جميعا ام في احداهما قلت هي واجبه فيهما جميعا لان مواضع السجده اما امر بها او مدح
لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراتين امر بالسجود والاخرى ذم للتارك
قال مصنفه غفر الله له وقد اخبر الله عن الكفار بانهم لا يسجدون كما في
الانشقاق وسجد النبي صلى الله عليه وسلم فيها كما ثبت في الصحيح البخاري وغيره وكذلك
في النمل والله اعلم الزمخشري وما ذكره الزجاج من وجوب السجده مع التخفيف دون
التشديد فغير مرجوع اليه الذي يخرج الخبء خبء السما قطرها وخبء الارض
كنوزها ونباتها وقال قتاده الخبء السر النحاس وهذا اولى اي ما غاب في السموات
والارض ويدل عليه ويعلم ما يخفون وما يعلنون وقرا عكرمه ومالك ابن دينار الخب
بفتح البا من غير همز قال المهدوي وهو التخفيف القياسي وذكر من يترك
الهمز في الوقف وقال النحاس وحكى ابو حاتم ان عكرمه قرا الذي يخرج الخبا
بالف غير مهموزه وزعم ان هذا لا يجوز في العربيه واعتل بانه ان خفف الهمزه القى حركتها
على البا وحذفها فقال الخب في السموات والارض وانه ان حول الهمزه قال الخبي
باسكان البا وبعدها يا قال النحاس وسمعت علي بن سليمن يقول سمعت محمد بن يزيد
يقول كان ابو حاتم دون اصحابه في النحو ولم يلحق بهم الا انه اذا خرج من بلده لم
يلق اعلم منه حكى سيبويه عن العرب انها تبدل من الهمزه الفا اذا كان قبلها ساكن
وكانت مفتوحه وتبدل منها واوا اذا كان قبلها ساكن وكانت مضمومه وتبدل منها يا
اذا كان قبلها ساكن وكانت مكسوره فتقول هذا الوثو وعجبت من الوثي ورايت الوثا
وهذا من وثيت يده وكذلك الخبو وعجبت من الخبي ورايت الخبا وانما فعل هذا لان
الهمزه خفيه فابدل منها هذا الحرف وحكى سيبويه عن قوم من بني تميم وبني اسد
انهم يقولون هذا الخبو فيضمون الساكن اذا كانت الهمزه مضمومه ويثبتون الهمزه

ويكسرون الساكن اذا كانت الهمزه مكسوره ويفتحون الساكن اذا كانت الهمزه مفتوحه
وحكى سيبويه ايضا انهم يكسرون وان كانت الهمزه مضمومه الا ان هذا عن بني
تميم فيقولون الردى وزعم انهم لم يضموا الدال لانهم كرهوا ضمه قبلها كسره لانه ليس
في الكلام فعل وهذه كلها لغات داخله على اللغه التي قرا بها الجماعه وفي قراه
عبد الله الذي يخرج الخب من السموات ومن وفي بيتها قبان يقول العرب
لا يستخرجن العلم منكم يريد فيكلم قوله الفرا ويعلم ما تخفون وما تعلنون قراه
العامه فيهما بيا الغايب وهذه القراه تعطى ان الايه من كلام الهدهد وان الله
تعالى خصه من المعرفه بتوحيده ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته
الى الشيطان وتزيينه لهم ما خص به غيره من الطيور وساير الحيوان من المعارف
اللطيفه التي لا تكاد العقول الراجحه تهتدي لها وقرا الجحدري وعيسى بن عمر
وحفص والكساي تخفون وتعلنون بالتا على الخطاب وهذه القراه تعطى ان الايه
من خطاب الله جل وعز لامه محمد صلى الله عليه وسلم الله لا اله الا هو رب العرش
العظيم قرا ابن محيصن العظيم رفعا نعتا لله الباقون بالخفض نعتا للعرش وخص
بالذكر لانه اعظم المخلوقات وما عداه في ضمنه وقبضته الرابعه عشره قوله
تعالى قال سننظر من النظر الذي هو التامل والتصفح اصدقت ام كنت من الكاذبين
في مقالتك وكنت بمعنى انت وقال سننظر اصدقت ولم يقل سننظر في امرك لان الهدهد
لما صرح بفخر العلم في قوله احطت بما لم تحط به صرح له سليمان بانه سننظر اصدقت
ام كذبت فكان ذلك كفا لما قاله الخامسه عشره في قوله سننظر اصدقت ام
كنت من الكاذبين دليل على ان الامام يجب عليه ان يقبل عذر رعيته ويدرا العقوبه عنهم
في ظاهر احوالهم بباطن اعذارهم لان سليمن لم يعاقب الهدهد حين اعتذر اليه وانما
صار صدق الهدهد عذرا لانه اخبر بما يقتضي الجهاد وكان سليمن حبب اليه الجهاد
وفي الصحيح لا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين وقد قبل عمر عذر النعمان ابن عدي ولم يعاقبه ولكن للامام ان يمتحن
ذلك اذا تعلق به حكم من احكام الشريعه كما فعل سليمن فانه لما قال الهدهد اني
وجدت امراه تملكهم واوتيت من كل شي ولها عرش عظيم لم يستفزه الطمع ولا

استخرج خبا الزياده فی الملك الی ان تعرض له حتی قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس
من دون الله فعاطه حسيد ما سمع وطلب الانتها الی ما اخبر وتحصيل علم ما غاب عنه من
ذلك فقال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين ونحو منه ما رواه الصحيح عن المسور
ابن مخرمه حين استشار عمر الناس فی املاص المراه وهی التی تضرب بطنها فتلقی جنينها
فقال المغيره ابن شعبه شهدت النبی صلی الله عليه وسلم قضی فيه بغره عبدا وامه قال
فقال عمر ايتنی بمن يشهد معك قال فشهد له محمد بن مسلمه فی روايه فقال لا تبرح حتی
تاتی بالمخرج من ذلك فخرجت فوجدت محمد بن مسلمه فجيت به فشهد ونحو حديث ابی
موسی فی الاستيذان وغيره السادسه عشر قوله تعالی اذهب بكتابی هذا
فالقه اليهم قال الزجاج فيها خمسه اوجه فالقی اليهم باثبات اليا فی اللفظ
وبحذف اليا واثبات الكسره داله عليها فالقه اليهم وبضم الها واثبات الواو علی الاصل
فالقهو اليهم وبحذف الواو واثبات الضمه فالقهُ اليهم واللغه الخامسه قراها حمزه
باسكان الها فالقهْ اليهم قال النحاس وهذا عند النحويين لا يجوز الا علی حيله بعيده
تكون بقدر الوقف وسمعت علی ابن سليمن يقول لا يلتفت الی هذه العله ولو جاز ان يصل
وينوی الوقف لجاز ان يحذف الاعراب من الاسما وقال اليهم علی لفظ الجمع ولم يقل اليه
لانها قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فكانه قال فالقه الی الذين هذا دينهم اهتماما
منه بامر الدين واشتغالا به عن غيره وبنی الخطاب فی الكتاب علی لفظ الجمع لذلك وروی
فی قصص هذه الايه ان الهدهد وصل فالقی دون هذه الملكه حجب جدرات فعمد الی كوه
كانت بلقيس صنعتها المدخل منها الشمس عند طلوعها لمعنی عبادتها اياها فدخل منها
ورمی الكتاب علی بلقيس وهی فيما يروی نايمه فلما انتبهت وجدته فراعها وظنت انه
قد دخل عليها احد ثم قامت فوجدت حالها كما عهدت فنظرت الی الكوه تهمما بامر
الشمس فرات الهدهد فعلمت وقال وهب وابن زيد وكانت لها كوه مستقبله
تطلع الشمس فاذا طلعت سجدت فسدها الهدهد بجناحه فارتفعت الشمس ولم
تعلم فلما استبطات الشمس قامت تنظر فرمی بالصحيفه اليها فلما رات الخاتم ارتعدت
وخضعت لان ملك سليمن كان فی خاتمه فقراته فجمعت الملا من قومها فخاطبتهم بما
ياتی بعد وقال مقاتل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره وطار حتی وقف علی راس المراه

وحولها الجنود والعساكر فرفرف ساعه والناس ينظرون اليه فرفع المراة راسها
فالقى الكتاب في حجرها السابعه عشره في هذه الايه دليل على ارسال الكتب الى
المشركين وتبليغهم الدعوه ودعايهم الى الاسلام وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم
الى كسرى وقيصر والى كل جبار كما تقدم في آل عمران الثامنه عشره قوله تعالى
ثم تول عنهم امره بالتولي بحسن ادب ليتنحى حسب ما يتادب به مع الملوك بمعنى وكن قريبا
حتى ترى مراجعتهم قاله وهب ابن منبه وقال ابن زيد امره بالتولي بمعنى الرجوع اليه اي
القه وارجع قال وقوله فانظر ماذا يرجعون في معنى التقديم على قوله ثم تول واتساق
رتبه الكلام اظهر اي القه ثم تول وفي خلال ذلك فانظر اي انتظر وقيل فاعلم كقوله
يوم ينظر المرء ما قدمت يداه اي اعلم ماذا يرجعون اي يجيبون او ماذا يردون من
القول وقيل فانظر ماذا يرتجعون بينهم من الكلام قوله تعالى قالت يا ايها
الملا في الكلام حذف والمعنى فذهب فالقاه اليهم فسمعها تقول يا ايها الملا ثم وصف
الكتاب بالكريم اما لانه من عند عظيم في نفسها ونفوسهم فعظمته اجلالا لسليمن
عليه السلام وهذا قول ابن زيد واما انها اشارت الى انه مطبوع عليه بالخاتم فكر
كرامه الكتاب ختمه روي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لانه بدا
فيه ببسم الله الرحمن الرحيم وقد قال صلى الله عليه وسلم كل كلام لم يبدا فيه ببسم
الله فهو اجذم وقيل لانه بدا فيه بنفسه ولا يفعل ذلك الا الجله وفي حديث ابن
عمر انه كتب الى عبد الملك ابن مروان يبايعه من عبد الله لعبد الملك ابن مروان
امير المومنين اني اقر لك بالسمع والطاعه ما استطعت وان بني قد اقروا لك بذلك
وقيل توهمت انه كتاب جاء من السما اذ كان الموصل طيرا وقيل كريم حسن كقوله
ومقام كريم اي مجلس حسن وقيل وصفته بذلك لما تضمن من لين القول والموعظه
في الدعا الى عباده الله جل وعز وحسن الاستعطاف والاستلطاف من غير ان
يتضمن سبا ولا لعنا ولا ما يغير النفس ومن غير كلام نازل ولا مستغلق على عاده
الرسل في الدعا الى الله عز وجل الا ترى الى قول الله جل وعز لنبيه صلى الله عليه وسلم
ادع الى سبيل ربك بالحكمه والموعظه الحسنه وقوله لموسى وهارون فقولا له
قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وكلها وجوه حسان وهذا احسنها وقد روي انه

كر

لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم احد قبل سليمن وفي قراءة ابي وانه بزيادة واو الثانية
الوصف بالكريم في الكتاب غاية الوصف الا ترى قوله تعالى وانه لقرآن كريم واهل
الزمان يصفون الكتاب بالخطير والاثير وبالمبرور وان كان للملك قالوا العزيز
واسقطوا الكريم غفلة وهو افضلها خصلة واما الوصف بالعزيز فقد وصف به
القران فقال تعالى وانه لكتاب عزيز الاية فهذه عزته وليست لاحد الا له فاجتنبوه
في كتبكم واجعلوا بدلها العالي توفية بحق الولاية وحياطة الديانة قاله القاضي
ابو بكر ابن العربي الثالثة كان رسم المتقدمين اذا كتبوا ان يبدؤوا بانفسهم من
فلان الى فلان وبذلك جاءت الاثار وروى الربيع عن انس قال ما كان احد اعظم حرمة
من النبي صلى الله عليه وسلم وكان اصحابه اذا كتبوا بدؤوا بانفسهم وقال ابن سيرين قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان اهل فارس اذا كتبوا بدؤوا بعظمائهم فلا يبدا الرجل الا بنفسه
قال ابو الليث السمرقندي في كتاب البستان له ولو بدا بالمكتوب اليه جاز لان الامة
قد اجتمعت عليه وفعلوه لمصلحة راوا في ذلك او نسخ ما كان من قبل فالاحسن في زماننا
هذا ان يبدا بالمكتوب اليه ثم بنفسه لان البداية بنفسه تعد منه استخفافا بالمكتوب
اليه وتكبرا عليه الا ان يكتب الى عبد من عبيده او غلام من غلمانه الرابعة
واذا ورد على انسان كتاب بالتحية او نحوها ينبغي ان يرد الجواب لان الكتاب من الغائب
كالسلام من الحاضر وروي عن ابن عباس انه كان يرى رد الكتاب واجبا كما يرى
رد السلام والله اعلم الخامسة واتفقوا على كتب بسم الله الرحمن الرحيم في
اول الكتب والرسائل وعلى ختمها لانه ابعد من الريبة وعلى هذا جرى الرسم وبه جاء
الاثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ايما كتاب لم يكن مختوما فهو اغلف
وفي الحديث كرم الكتاب ختمه وقال بعض الادباء هو ابن المقفع من كتب الى اخيه
كتابا ولم يختمه فقد استخف به لان الختم ختم وقال انس لما اراد النبي صلى الله عليه وسلم
ان يكتب الى العجم قيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه ختم فاصطنع خاتما ونقش على فصه
لا اله الا الله محمد رسول الله فكاني انظر الى وبيصه وبياضه في كفه صلى الله عليه
وسلم السادسة قوله تعالى انه من سليمن وانه بالكسر فيهما اي وان
الكلام او ان مبتدا الكلام بسم الله الرحمن الرحيم واجاز الفراء انه من سليمن

مطلب

وانه بفتحهما جميعا على ان يكونا في موضع رفع بدل من الكتاب بمعنى القي اليّ انه من سليمن
واجاز ان يكونا في موضع نصب على حذف الخافض اي لانه من سليمن ولانه كانها علّلت
كرمه بكونه من سليمن وتصديره بسم الله وقرا اشهب العقيلي ومحمد بن السميقع ان
لا تغلوا بالغين المعجمه وروي عن وهب ابن منبه من غلا يغلوا اذا تجاوز وتكبر وهي
راجعه الى معنى قراه الجماعه واتوني مسلمين اي منقادين طايعين مومنين قوله
تعالى قالت يايها الملا افتوني في امري فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى
قالت يايها الملا اشراف القوم وقد مضى في البقره القول فيه قال ابن عباس كان
معها الف قيل وقيل اثنا عشر الف قيل مع كل قيل مايه الف والقيل الملك دون
الملك الاعظم فاخذت في حسن الادب مع قومها ومشاورتهم في امرها واعلمتهم ان ذلك
مطرد عندها في كل امر يعرض لقولها ما كنت قاطعه امرا حتى تشهدون فكيف في
هذه النازله الكبرى فراجعها الملا بما يقر عينها من اعلامهم اياها بالقوه والباس
ثم سلموا الامر الى نظرها وهذه محاوره حسنه من الجميع قال قتاده ذكر لنا انه كان
لها ثلاث مايه وثلاثه عشر رجلا هم اهل مشورتها كل رجل منهم على عشره الاف
الثانيه في هذه الايه دليل على صحه المشاوره وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه
وسلم وشاورهم في الامر في ال عمران اما استعانه بالارا واما مداراه للاوليا
وقد مدح الله الفضلا بقوله وامرهم شورى بينهم فالمشاوره من الامر القديم وخاصه
في الحرب فهذه بلقيس امراه جاهليه كانت تعبد الشمس قالت يايها الملا افتوني في امري
ما كنت قاطعه امرا حتى تشهدون لتختبر عزمهم على مقاومه عدوهم وحزمهم فيما يقيم
امرهم وامضاهم على الطاعه لها لعلمها بانهم لم يبذلوا انفسهم ودماهم واموالهم دونها
لم يكن لها طاقه بمقاومه عدوها وان لم يجتمع امرهم وحزمهم وجدهم كان ذلك عونا
لعدوهم عليهم وان لم يختبر ما عندهم وتعلم قدر عزمهم على تكن على بصيره من امرهم وربما
كان استبدادها برايها وهنا في طاعتها ودخيله في تقدير رايهم وكان في مشاركتهم
واخذ رايهم عون على ما تريده من قوه شوكتهم وشده مدافعتهم الا ترى الى قولهم في جوابهم
نحن اولوا قوه واولوا باس شديد قال ابن عباس كان من قوه احدهم انه يركض فرسه
حتى اذا احتدم ضم فخذيه فحبسه بقوته قوله تعالى والامر اليك فانظري

ما

ماذا تامرين سلموا الامر الى نظرها علي ما اظهروا لها من القوه والباس والشده فلما
فعلوا ذلك اخبرت عند ذلك بفعل الملوك بالقرى التي يتغلبون عليها وفي هذا الكلام
خوف علي قومها وحيطة لهم واستعظام لامر سليمن عليه السلام وكذلك يفعلون قيل
هو من قول بلقيس تاكيدا للمعنى الذي ارادته وقال ابن عباس هو من قول الله عز
وجل معرفا لمحمد صلي الله عليه وسلم وامته بذلك ومخبرا به وقال وهب لما قرات
عليهم الكتاب لم تعرف اسم الله فقالت ما هذا فقال بعض القوم ما نظن هذا الا عفريت
عظيم من الجن يقتدر به هذا الملك علي ما يريد فسكتوه فقال الاخر اراهم ثلثه من
العفاريت فسكت فقال شاب قد علم يا سيده الملوك ان سليمن ملك قد اعطاه مليك
السما ملكا عظيما فهو لا يتكلم بكلمه الا بدا فيها بتسميه الاهه والله اسم مليك السما والرحمن
الرحيم نعوته فعندها قالت افتوني في امري فقالوا نحن اولوا قوه في القتال واولوا باس
شديد في الحرب واللقا والامر اليك ردوا امرهم اليها لما جربوا علي ما اهامن البركه
فانظري ماذا تامرين فقالت ان الملوك اذا دخلوا قريه افسدوها خربوها وجعلوا
اعزه اهلها اذله اهانوا اشرافها لتستقيم لهم الامور فصدق الله قولها فقال
وكذلك يفعلون قال ابن الانباري وجعلوا اعزه اهلها اذله هذا وقف تام
فقال الله عز وجل تحقيقا لقولها وكذلك يفعلون وشبيه به في سوره الاعراف قال
الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم تم الكلام فقال
فرعون فماذا تامرون وقال ابن شجره هو من قول بلقيس فالوقف وكذلك يفعلون
اي وكذلك يفعل سليمن اذا دخل بلادنا قوله تعالى واني مرسله اليهم
بهديه فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى واني مرسله اليهم بهديه هذا من
حسن نظرها وتدبيرها اي اني اجرب هذا الرجل بهديه واعطيه فيها نفايس الاموال
واغرب عليه بامور المملكه فان كان ملكا دنياويا ارضاه المال وعملنا معه بحسب
ذلك وان كان نبيا لم يرضه المال ولازمنا في امر الدين فينبغي ان نومن به ونتبعه علي
دينه فبعثت اليه بهديه عظيمه اكثر الناس في تفصيلها فقال سعيد بن جبير عن ابن
عباس ارسلت اليهم بلبنه من ذهب فرات الرسل الحيطان من ذهب فصغر عندهم ما
جاوا به وقال مجاهد ارسلت بمايتي غلام ومايتي جاريه وروي عن ابن عباس باثني عشر

وصيفه مذكرين قد البستهم زي الغلمان واثني عشر غلاما مونثين قد البستهم زي النسا
وعلي ايدي الوصايف اطباق مسك وعنبر وباثنتي عشره نجيبه تحمل لبن الذهب وبخرزتين
احداهما غير مثقوبه والاخري مثقوبا ثقبا معوجا وبقدح لا شي فيه وبعصا كان
يتوارثونها ملوك حمير وانفذت الهديه مع جماعه من قومها وقيل كان الرسول
واحدا ولكن كان في صحبته اتباع وخدم وقيل ارسلت رجلا من اشراف قومها
يقال له المنذر ابن عمرو وضمت اليه رجالا ذوي راي وعقول والهديه مايه وصيف
ومايه وصيفه قد خولف بينهم في اللباس وقالت للغلمان اذا كلمكم سليمن فكلموه بكلام
فيه تانيث يشبه كلام النسا وقالت للجواري كلمنه بكلام فيه غلظ يشبه كلام الرجال
فيقال ان الهدهد جا فاخبر سليمن بذلك كله وقيل ان الله اخبر سليمن بذلك فامر
سليمن ان يبسط من موضعه الي تسع فراسخ بلبنات الذهب والفضه ثم قال اي
الدواب رايتم احسن في البر والبحر قالوا يا نبي الله رايتا في بحر كذا دواب منطقه
مختلفه الوانها لها اجنحه واعرف ونواصي فامر بها فجات فشدت علي يمين الميدان
وعلي يساره وعلي لبنات الذهب والفضه والقوا لها علوفاتها ثم قال للجن علي باولادكم
فاقامهم احسن ما يكون من الشباب عن يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمن علي كرسيه
في مجلسه ووضع له اربعه الاف كرسي من ذهب عن يمينه ومثلها عن يساره واجلس
عليها الانبيا والعلما وامر الشياطين والجن ان يصطفوا صفوفا فراسخ وامر السباع
والوحوش والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم من الميدان
ونظروا الي ملك سليمن وراوا الدواب التي لم ترا عينهم احسن منها تقاصرت اليهم انفسهم
ورموا ما معهم من الهدايا وفي بعض الروايات ان سليمن لما امرهم بفرش الميدان بلبنات
الذهب والفضه امرهم ان يتركوا علي طريقهم موضعا علي قدر موضع بساط من الارض
غير مفروشه فلما امروا بها خافوا ان يتهموا بذلك فطرحوا ما معهم في ذلك المكان
فلما نظروا الشياطين راوا منظرا هايلا فظيعا ففزعوا وخافوا فقالت لهم
الشياطين جوزوا لا باس عليكم فكانوا يمرون علي كردوس كردوس من الجن والانس
والبهايم والهوام والطير والسباع والوحوش حتي وقفوا بين يدي سليمن فنظر
اليهم سليمن نظرا حسنا بوجه طلق وقد كانت قالت لرسلها ان نظر اليك نظر

مغضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك منظره فانا اعز منه وان رايته لين لطيفا فاعلم
انه نبي مرسل فتفهم قوله ورد الجواب فاخبر الهدهد سليمن بذلك على ما تقدم وكانت
عمدت الى حقه من ذهب فجعلت فيها دره يتيمه غير مثقوبه وخرزه معوجه الثقب
وكتبت كتابا مع رسلها تقول فيه ان كنت نبيا فميز بين الوصفا والوصايف واخبر بما
في الحقه وانقب الدره ثقبا مستويا وادخل خيط الخرزه واملا القدح ما من ليس
من الارض ولا من السما فلما وصل الرسول ووقف بين يدي سليمن عليه السلام اعطاه
كتاب الملكه فنظر فيه وقال اين الحقه فاتي بها فحركها فاخبره جبريل بما فيها
ثم اخبرهم سليمن فقال له الرسول صدقت فانقب الدره وادخل الخيط في الخرزه
فسال سليمن الجن والانس عن ثقبها فعجزوا فقال للشياطين ما الراي فيها فقال ترسل
الى الارضه فجات الارضه فاخذت شعره في فيها حتى خرجت من الجانب الاخر فقال
لها سليمن حاجتك فقالت تصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزه
تسلكها الخيط فقالت دوده بيضا انا لها يا نبي الله فاخذت الدوده الخيط في فيها
ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الاخر فقال لها سليمن حاجتك قالت تجعل رزقي
في الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان قال السدي امرهم بالوضو فجعل الرجل
يحدر الما على اليد والرجل حدرا وجعل الجواري يصببن من اليد اليسرى على اليمنى ومن
اليمنى على اليسرى فميز بينهم بهذا وقيل كانت الجاريه تاخذ الما من الانيه باحدى يديها
ثم تحمله على الاخرى ثم تضرب به على الوجه والغلام كما ياخذ من الانيه يضرب به في الوجه
والجاريه تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد والجاريه تصب الما صبا والغلام
يحدر على يديه فميز بينهم بهذا وروى يعلا ابن مسلم عن سعيد بن جبير قال ارسلت بلقيس
بماتي وصيف ووصيفه وقالت ان كان نبيا فسيعلم الذكور من الاناث فامرهم فتوضوا فمن
توضا منهم فبدا بمرفقه قبل كفه قال هو من الاناث ومن بدا بكفه قبل مرفقه قال هو
من الذكور ثم ارسل العصا الى الهوا فقال اي الراسين سبق الى الارض فهو اصلها وامر
بالخيل فاجريت حتى عرقت وملا القدح من عرقها ثم رد سليمن الهدهد فيرى كانه
لما صرف الهديه عليها واخبرها رسولها بما شاهد قالت لقومها هذا امر من السما
الثانيه كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهديه ويثيب عليها ولا يقبل الصدقه

وكذلك كان سليمن وجميع الانبيا صلوات الله عليهم وانما حملت بلقيس قبول الهديه
اوردها علامه على ما في نفسها على ما ذكرناه من كون سليمن ملكا او نبيا لانه قال في
كتابه الا تعلوا علي واتوني مسلمين وهذا لا يقبل فيه فديه ولا يوخذ عنه هديه وليس
هذا من الباب الذي تقرر في الشريعه من قبول الهديه بسبيل وانما هو رشوه وبيع
الحق بالباطل وهي الرشوه التي لا تحل واما الهديه المطلقه للتحبب والتواصل فانها
جايزه من كل احد وعن كل احد وهذا ما لم تكن من مشرك الثالثه فان كانت من
مشرك ففي الحديث نهيت عن زبد المشركين يعني رفدهم وعطاياهم وروي عنه عليه
السلام انه قبلها كما في حديث ملك عن ثور ابن زيد الديلي وغيره فقال جماعه من العلما بالنسخ
فيهما وقال اخرون ليس فيهما ناسخ ولا منسوخ والمعنى فيها انه كان لا يقبل هديه من
مطمع بالظهور عليه واخذ بلده ودخوله في الاسلام وبهذه الصفه كانت حاله سليمن
عليه فعن مثل هذا نهي ان تقبل هديته ويهادنه ويقره على دينه مع قدرته عليه لان
في قبوله هديته حملا على الكف عنه وهذا احسن تاويل للعلما في هذا فانه جمع بين الاحاديث
وقيل غير هذا الرابعه الهديه مندوب اليها وهي مما تورث المحبه وتذهب
العداوه روى ملك عن عبد الله ابن عطا الخراساني قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم تصافحوا يذهب الغل وتهادوا وتحابوا وتذهب الشحنا وروى معاويه ابن الحكم
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تهادوا فانه يضعف الود ويذهب
بغوايل الصدر قال الدارقطني تفرد به ابن بجير عن ابيه عن ملك ولم يكن بالرضا
ولا يصح عن ملك ولا عن الزهري وعن ابن شهاب قال بلغنا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال تهادوا بينكم فان الهديه تذهب السخيمه قال ابن وهب سالت
يونس عن السخيمه ما هي فقال الغل وهذا الحديث وصله الوقاصي عثمان عن
الزهري وهو ضعيف وعلى الجمله فقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهديه
وفيه الاسوه الحسنه ومن فضل الهديه مع اتباع السنه انها تزيل حزازات النفوس
وتكسب المهدي والمهدى اليه زينه في اللقا والجلوس ولقد احسن القايل

هدايا الناس بعضهم لبعض تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في الضمير هوى وودا وتكسبهم اذا حضروا جمالا

اخر

ان

ان الهدايا لهاحظ اذا وردت احظى من الابن عند الوالد الحدب ؛ الخامسه
روي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال جلساوكم شركاوكم في الهديه من حديث
واختلف في معناه فقيل هو محمول علي ظاهره وقيل يشاركهم علي وجه الكرم والمروه
فان لم يفعل فلا يجبر عليه وقال ابو يوسف ذلك في الفواكه ونحوها وقال بعضهم هم
شركاوه في السرور لا في الهديه والخبر محمول في مثل اصحاب الصفه والخوانق والربا طات
واما اذا كان فقيها من الفقها اختص بهديته فلا شركه فيها لاصحابه فان اشركهم فذلك
كرما وجودا منه السادسه قوله تعالى فناظره اي منتظره بم يرجع المرسلون
قال قتاده يرحمها الله ان كانت لعاقله في اسلامها وشركها قد علمت ان الهديه تقع
موقعا من الناس وسقطت الالف في بم للفرق بين ما الخبريه وقد يجوز اثباتها قال
علي ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد ؛ قوله تعالى فلما جا سليمن
اي جا الرسول سليمن بالهديه قال اتمدونني بمال قرا حمزه ويعقوب والاعمش بنون
واحده مشدده ويا ثابته بعدها الباقون بنونين وهو اختيار ابي عبيد وابي عبيد
لانها في كل المصاحف بنونين وقد روي اسحق عن نافع انه كان يقرا اتمدوني بنون
واحده مخففه بعدها يا في اللفظ قال ابن الانباري فهذه الروايه يجب فيها اثبات
اليا عند الوقف ليصح لها موافقه هجا المصحف والاصل في النون التشديد فخفف
التشديد من ذا الموضع كما خفف من اشهد انك عالم واصله انك عالم وعلي ذا المعني بني الذي
قرا تشاقون فيهم اتحاجوني في الله وقد قالت العرب الرجال يضربوني ويقصدوني
واصله يضربونني ويقصدونني قال الشاعر ؛
ترهبيني والجيد منك لليلي والحشا والبغام والعينان ؛ والاصل ترهبينني فخفف
ومعنى اتمدونني اتزيدونني مالا الي ما تشاهدونه من اموالي قوله تعالى
فما اتاني الله خير مما اتاكم اي ما اعطاني من الاسلام والنبوه والملك خير مما اعطاكم
فلا افرح بالمال واتان وقعت في كل المصاحف بغير يا وقرا ابو عمرو ونافع وحفص
اتاني الله بيا مفتوحه فاذا وقفوا حذفوا واما يعقوب فانه يثبتها في الوقف ويحذف
في الوصل لالتقا الساكنين الباقون بغير يا في الحالين بل انتم بهديتكم تفرحون
لانكم اهل مفاخره ومكاثره في الدنيا قوله تعالى ارجع اليهم اي قال سليمن

للمنذر ابن عمرو امير الوفد ارجع اليهم بهديتهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها لام قسم والنون لها لازمه قال النحاس وسمعت ابا الحسن ابن كيسان يقول هي لام توكيد وكذا كان عنده ان اللامات كلها ثلاث لا غير لام توكيد ولام امر ولام خفض وهذا قول الحذاق من النحويين لانهم يردون الشي الى اصله وهذا لا يتهيا الا لمن درب في العربيه ومعنى لا قبل لهم بها اي لا طاقه لهم عليها ولنخرجنهم منها اي من ارضهم اذله وهم صاغرون وقيل منها اي من قريه سبا وقد سبق ذكر القريه في قوله ان الملوك اذا دخلوا قريه افسدوها وجعلوا اعزه اهلها اذله قد سلبوا ملكهم وعزهم وهم صاغرون اي مهانون اذلا من الصغر وهو الذل ان لم ياتوا فرجع اليها رسولها فاخبرها فقالت قد عرفت انه ليس بملك ولا طاقه لنا بقتال نبي من انبيا الله ثم امرت بعرشها فجعل في سبعه ابيات بعضها في جوف بعض في اخر قصر من سبع قصور لها وغلقت الابواب وجعلت الحرس عليه وتوجهت الى سليمن في اثني عشر الف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل مايه الف قال ابن عباس وكان سليمن مهيبا لا يبتدا بشي حتى يكون هو يسل عنه فنظر ذات يوم رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس يا نبي الله فقال سليمن لجنوده وقال وهب وغيره للجن ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين وقال عبد الله ابن شداد كان بلقيس على فرسخ من سليمان لما قال ايكم ياتيني بعرشها وكانت خلفت عرشها بسبا ووكلت به حفظه وقيل انها لما بعثت بالهديه بعثت رسلها في جندها لتغافص سليمن عليه السلام بالقتل قبل ان يتاهب سليمن له ان كان طالب ملك فلما علم ذلك قال ايكم ياتيني بعرشها قال ابن عباس كان امره بالاتيان بالعرش قبل ان يكتب الكتاب اليها ولم يكتب اليها حتى جاه العرش قال ابن عطيه وظاهر الايات ان هذه المقاله من سليمن عليه السلام هي بعد مجي هديتها ورده اياها وبعثه الهدهد بالكتاب وعلى هذا جمهور المتاولين واختلفوا في فايده استدعا عرشها فقال قتاده ذكر له بعظم وجوده فاراد اخذه قبل ان يعصمها وقومها الاسلام ويحمي اموالهم والاسلام على هذا الدين وهو قول ابن جريج وقال ابن زيد استدعاه ليريها القدره التي هي من عند الله ويجعله دليلا على نبوته لاخذه من ثقافها دون جيش ولا حرب ومسلمين على هذا التاويل بمعنى مستسلمين وهو قول ابن عباس وقال

ابن

45

ابن زيد ايضا اراد ان يختبر عقلها ولهذا قال نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي وقيل
خافت الجن ان يتزوج بها سليمن عليه السلام فيولد له منها فلا يزالون في السخرة والخدمة
لنسل سليمن فقالت لسليمن في عقلها خللا فاراد ان يمتحنها بعرشها وقيل اراد ان
يختبر صدق الهدهد في قوله ولها عرش عظيم قال الطبري وعن قتادة احب
ان يريه لما وصفه الهدهد والقول الاول عليه اكثر العلما قوله تعالى قبل ان
ياتوني مسلمين ولانها لو اسلمت لحظر عليه مالها فلا يوتي به الا باذنها روي انه كان من
فضة وذهب مرصعا بالياقوت والجوهر وانه كان في جوف سبعة ابيات عليه سبعة
اغلاق قوله تعالى قال عفريت من الجن كذا قرا الجمهور وقرا ابو رجا
وعيسى الثقفي ومحمد بن السميفع عفرية ورويت عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفي
الحديث ان الله يبغض العفرية النفرية اتباع لعفرية وقال قتادة وهي الداهية قال
النحاس يقال للشديد اذا كان معه خبث ودها عفر وعفرية وعفريت وعفارية وقيل
عفريت اي رئيس وقرات فرقة قال عفر بكسر العين حكاه ابن عطية قال النحاس
من قال عفرية جمعه على عفار ومن قال عفريت كان له في الجمع ثلاثة اوجه ان شا قال
عفاريت وان شا قال عفار لان التا زايدة كما يقال طواغ في جمع طاغوت وان شا عوض
من اليا يا فقال عفاري والعفريت من الشياطين القوي المارد والتا زايدة وقد قال
تعفرت الرجل اذا تخلق بخلق الاذاية قال وهب بن منبه اسم هذا العفريت كودن ذكره
النحاس وقيل ذكوان ذكره السهيلي وقال شعيب الجبائي اسمه دعوان وروي
عن ابن عباس انه صخر الجني ومن هذا الاسم قول ذي الرمة

كانه كوكب في اثر عفرية ... مصوب في سواد الليل منقضب

وانشد الكسائي

فقال شيطان لهم عفريت ... ما لكم مكث ولا تبييت

وفي الصحيح عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عفريتا من الجن جعل يفتك علي البارحة ليقطع علي
الصلاة وان الله تعالى امكنني منه فذعته وذكر الحديث وفي البخاري تفلت علي البارحة
مكان جعل يفتك وفي الموطا عن يحيى بن سعيد انه قال اسري برسول الله صلى الله
عليه وسلم فراى عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رسول الله صلى
الله عليه وسلم راه فقال جبريل افلا اعلمك كلمات تقولهن اذا قلتهن طفيت شعلته

يختبر

وخر لفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقال اعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات
الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السما وشر ما يعرج فيها
وشر ما ذرا في الارض وشر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار وشر طوارق الليل
الا طارقا يطرق بخير يا رحمن قوله تعالى انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك
يعني مجلسه الذي يحكم فيه واني عليه لقوي امين اي قوي على حمله امين على ما فيه
ابن عباس امين على فرج المراة ذكره المهدوي فقال سليمن اريد اسرع من ذلك فقال
الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك اكثر المفسرين على ان
الذي عنده علم من الكتاب اصف ابن برخيا وكان صديقا يحفظ اسم الله الاعظم الذي
اذا دعي الله به اجاب واذا سيل به اعطى وقالت عايشه رضي الله عنها قال النبي صلى
الله عليه وسلم ان اسم الله الاعظم الذي دعا به اصف يا حي يا قيوم قيل وهي بلسانهم
اهيا شراهيا وقال الزهري دعا الذي عنده اسم الله الاعظم يا الاهنا واله كل شي
الها واحدا لا اله الا انت ايتني بعرشها فمثل بين يديه وقال مجاهد دعا فقال يا الاهنا
واله كل شي يا ذا الجلال والاكرام قال السهيلي الذي عنده علم من الكتاب هو اصف
ابن برخيا ابن خالة سليمن وكان عنده اسم الله الاعظم من اسما الله تعالى وقيل هو
سليمن نفسه ولا يصح في سياق الكلام هذا التاويل قال ابن عطيه وقالت فرقه
هو سليمن عليه السلام والمخاطبه في هذا التاويل للعفريت لما قال انا اتيك به قبل
ان تقوم من مقامك كان سليمن استبطا ذلك فقال له على جهه تحقيره انا اتيك به قبل
ان يرتد اليك طرفك واستدل قايلوا هذه المقاله بقول سليمن هذا من فضل ربي
قال الشيخ القرطبي رحمه الله ما ذكره ابن عطيه قاله النحاس في معاني القران
له وهو قول حسن ان شا الله تعالى ابن بحر هو ملك بيده كتاب المقادير ارسله
الله عند قول العفريت قال السهيلي وذكر محمد بن الحسن المقري انه ضبة ابن
اد وهذا لا يصح البته لان ضبه هو ابن اد ابن طابخه واسمه عمرو بن الياس ابن مضر
ابن نزار ابن معد ومعد كان في مده بخت نصر وذلك بعد عهد سليمن فكيف ضبه
ابن اد وهو بعده بخمسه ابا وهذا بين لمن تامله ابن لهيعه هو الخضر عليه السلام
وقال ابن زيد الذي عنده علم من الكتاب رجل صالح كان في جزيره من جزاير البحر

خرج ذلك اليوم فنظر من ساكن الارض وهل يعبد الله ام لا فوجد سليمن قد عا باسم من
اسما الله فجي بالعرش وقول سابع انه رجل من بني اسرايل اسمه مليخا كان يعلم اسم
الله الاعظم ذكره القشيري قال ابن ابي بره الرجل الذي عنده علم من الكتاب اسمه
اسطوم كان عابدا في بني اسرايل وقال محمد بن المنكدر انما هو سليمن عليه السلام اما ان
الناس يرون انه كان معه اسم وليس كذلك انما كان رجل من بني اسرايل علم اتاه
الله علما وفقها قال انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قال هات قال انت نبي الله
ابن نبي الله فان دعوت الله جاك به فدعا الله سليمن فجاه الله بالعرش وقول
تاسع انه جبريل عليه السلام قاله النخعي وروي عن ابن عباس وعلم الكتاب على هذا
علمه بكتب الله المنزله او بما في اللوح المحفوظ وقيل علم كتاب سليمن الى بلقيس قال ابن
عطيه والذي عليه الجمهور من الناس انه رجل صالح من بني اسرايل اسمه اصف بن برخيا
روي انه صلى ركعتين ثم قال لسليمن يا نبي الله امدد بصرك فمد بصره نحو اليمن فاذا بالعرش
فما رد سليمن بصره الا وهو عنده قال مجاهد هو اذامه النظر حتى يرتد طرفه خاسيا
حسيرا وقيل اراد مقدار ما يفتح عينه ثم يطرف وهو كما تقول افعل كذا في لحظة عين
وهذا اشبه لانه ان كان هذا الفعل من سليمن فهو معجزه وان كان من اصف او غيره
من اوليا الله تعالى فهي كرامه وكرامة الولي معجزه النبي قال القشيري وقد انكر
كرامات الاوليا من قال ان الذي عنده علم من الكتاب هو سليمن قال للعفريت انا
اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وعندها ولاما فعل العفريت فليس من المعجزات
ولا من الكرامات فان الجن يقدرون على امثال هذا ولا يقطع جوهر في حال واحد
مكانين بل يتصور ذلك بان يعدم الله الجوهر في اقصى الشرق ثم يعيده في الحاله
الثانيه وهي الحاله التي بعد العدم في اقصى الغرب او يعدم الاماكن المتوسطه
ثم يعيدها قاله القشيري ورواه ابن وهب عن مالك وقد قيل بل جي به في الهوا
قال مجاهد وكان بين سليمن والعرش كما بين الكوفه والحيره وقال مالك كانت
باليمن وسليمن عليه السلام بالشام وفي التفاسير انخرق بعرش بلقيس مكانه
الذي هو ثم نبع بين يدي سليمن قال عبد الله ابن شداد وظهر العرش من نفق
تحت الارض فالله اعلم اي ذلك كان قوله تعالى فلما راه مستقرا عنده

اسطوس
ذكره القشيري

اي اتانا عندة قال هذا من فضل ربي اي هذا النصر والتمكين من فضل الله ليبلوني قال الاخفش المعنى لينظر اشكر ام اكفر وقال غيره معنى ليبلوني اي ليتعبدني وهو مجاز والاصل في الابتلا الاختبار اي ليختبرني اشكر نعمته ام اكفرها ومن شكر فانما يشكر لنفسه اي لا يرجع نفع ذلك الا الى نفسه حيث يستوجب بشكره تمام النعمه ودوامها والمزيد منها والشكر قيد النعمه الموجوده وبه تنال النعمه المفقوده ومن كفر فان ربي غني اي عن الشكر كريم في التفضل قوله تعالى
قال نكروا لها عرشها اي غيروه قيل جعل اعلاه اسفله واسفله اعلاه وقيل غير بزياده او نقصان قال الفرا وغيره انما امر بتنكيره لان الشياطين قالوا له ان في عقلها شيا فاراد ان يمتحنها وقيل خافت الجن ان يتزوج بها سليمن فيولد له منها ولد فيبقون مسخرين لال سليمن ابدا فقالوا لسليمن انها ضعيفه العقل ورجلها كرجل حمار فقال نكروا لها عرشها لنعرف عقلها وكان لسليمن ناصح من الجن فقال كيف لي ان ارى قدميها من غير ان اسلها كشفها فقال انا اجعل في هذا القصر ماء واجعل فوق الما زجاجا حتى تظن انه ما فترفع ثوبها فترى قدمها فهذا هو الصرح الذي اخبر الله تعالى عنه قوله تعالى فلما جات يريد بلقيس قيل لها اهكذا عرشك قالت كانه هو شبهته به لانها كانت خلفته تحت الاغلاق فلم تقر بذلك ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلها قال عكرمه كانت حليمه فقالت كانه هو وقال مقاتل عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها ولو قيل لها اهذا عرشك لقالت نعم وقاله الحسين ابن الفضل ايضا وقيل اراد سليمن ان يظهر لها ان الجن مسخرون له وكذلك الشياطين لتعرف انها نبوه وتومن وقيل هذا في مقابله تعميتها الامر في باب الغلمان والجواري واوتينا العلم من قبلها قيل هو من قول بلقيس اي اوتينا العلم بصحه نبوه سليمان من قبل هذه الايه في العرش وكنا مسلمين منقادين لامره وقيل هو من قول سليمن اي اوتينا العلم بقدره الله على ما يشا من قبل هذه المره وقيل واوتينا العلم باسلامها ومجيها طايعه من قبل مجيها وقيل هو من كلام قوم سليمن فالله اعلم قوله تعالى وصدها ما كانت تعبد من الشمس والقمر فما على هذا التاويل في موضع رفع النحاس المعنى اي صدها عبادتها من دون الله وعبادتها

اباها عن ان نعلم ما علمنا ويجوز ان تكون ما في موضع نصب ويكون التقدير وصدها
سليمن عما كانت تعبد من دون الله اي حال بينها وبينه ويجوز ان يكون المعنى وصدها
الله اي منعها الله عن عبادتها غيره فحذف عن وتعدى الفعل نظيره واختار موسى
قومه وانشد سيبويه: نبئت عبد الله بالجو اصبحت كراما مواليها لئيما صميمها
وزعم ان المعنى عنده نبئت عن عبد الله انها كانت من قوم كافرين قرا سعيد بن جبير انها
بفتح الهمزة وهي في موضع نصب بمعنى لانها ويجوز ان تكون بدلا من ما فتكون في موضع رفع
ان كانت ما فاعله او على ان فاعله الصد والكسر على الاستيناف قوله تعالى
قيل لها ادخلي الصرح التقدير عند سيبويه ادخلي الى الصرح فحذف الى وعدى الفعل
وابو العباس يغلطه في هذا قال لان دخل يدل على مدخول وكان الصرح صحنا من زجاج
تحت ما وفيه الحيتان عمله ليريها ملكا اعظم من ملكها قاله مجاهد وقال قتادة كان
من قوارير ما حسبته لجة اي ما وقيل الصرح القصر عن ابي عبيدة كما قال
تحسب اعلامهن الصروحا: وقيل الصرح الصحن كما يقال هذه صرحة الدار وقاعتها بمعنى
وحكى ابو عبيد في الغريب المصنف ان الصرح كل بناء مرتفع وان الممرد الطويل
النحاس اصل هذا انه يقال لكل ما عمل عملا واحدا صرح من قولهم لبن صريح اذا لم يشبه ماء
ومن قولهم صرح بالامر ومنه عربي صريح وقيل عمله ليختبر قول الجن فيها ان امها
من الجن ورجلها رجل حمار قاله وهب بن منبه فلما رات اللجة فزعت وظنت انها قصد
بها الغرق وتعجبت من كون كرسيه على الما ورات ما هالها ولم يكن لها بد من امتثال
الامر فكشفت عن ساقيها فاذا هي احسن الناس ساقا سليمة مما قالت الجن غير انها كانت
كثيرة الشعر فلما بلغت هذا الحد قال لها سليمن بعد ان صرف بصره عنها انه صرح
ممرد من قوارير والممرد المحكوك المملس ومنه الامرد وتمرد الرجل اذا ابطا
خروج لحيته بعد ادراكه قاله الفرا ومنه الشجرة المردا التي لا ورق عليها ورملة
مردا اذا كانت لا تنبت والممرد ايضا المطول ومنه قيل للحصن مارد على ما ياتي
ابو صالح طويل على هيئة النخلة ابن شجرة واسع في طوله وعرضه قال
غدوت صباحا باكرا فوجدتهم قبيل الضحى في السابري الممرد: اي الدروع الواسعة
وعند ذلك استسلمت بلقيس واذعنت واسلمت واقرت على نفسها بالظلم ولما راي سليمن

قدمها قال لنا صحه من الشياطين كيف لي ان اقلع هذا الشعر من غير مضره بالجسد فدله
على عمل النوره فكانت النوره والحمامات من يوميد فيزوي ان سليمن تزوجها عند ذلك
واسكنها الشام قاله الضحاك وقال سعيد بن عبد العزيز في كتاب النقاش تزوجها وردها
الي ملكها باليمن وكان ياتيها على الريح كل شهر مره فولدت له غلاما سماه داود مات في
زمانه وفي بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت بلقيس من احسن نسا العالمين
ساقين وهي من ازواج سليمن في الجنه فقالت عايشه هي احسن ساقين مني فقال عليه السلم
انا احسن ساقين منها في الجنه ذكره القشيري وذكر الثعلبي عن ابي موسى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اول من اتخذ الحمامات سليمن ابن داود عليهما السلام فلما الصق
ظهره الى الجدار فمسه حرها قال اواه من عذاب الله ثم احبها حبا شديدا واقرها على
ملكها باليمن وامر الجن فبنوا لها ثلثه حصون لم يرا الناس مثلها ارتفاعا سيلحون وبينون
وغمدان ثم كان سليمن يزورها في كل شهر مره ويقيم عندها ثلثه ايام وحكى الشعبي
ان ناسا من حمير حفروا امقبره الملوك فوجدوا فيها قبرا معقودا فيه امراه عليها حلل
منسوجه بالذهب وعند راسها لوح رخام فيه مكتوب ؛

يا ايها الاقوام عوجوا معا وارتعوا في مقبري العيسا ؛
لتعلموا اني تلك التي قد كنت ادعى الدهر بلقيسا ؛
وكنت في ملكي وتدبيره ارغم في الله المعا طيسا ؛
بعلي سليمن النبي الذي قد كان للتوراه دريسا ؛
وسخر الريح له مركبا تهب احيانا رواميسا ؛
مع ابن داود النبي الذي قدسه الرحمن تقديسا ؛ وقال محمد بن اسحق

ووهب ابن منبه لم يتزوجها سليمن وانما قال لها اختاري زوجا فقالت مثلي لا ينكح
وقد كان لي من الملك ما كان فقال لابد في الاسلام من ذلك فاختارت ذا تبع ملك
همدان فزوجه اياها وردها الى اليمن وامر زوبعه امير جن اليمن ان يطيعه فبنى
له المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمن وقال قوم لم يرد فيه خبر صحيح في انه تزوجها
ولا في انه زوجها وهي بلقيس بنت السرح ابن الهداهد بن شراحيل بن اددا بن حدر
ابن السرح ابن الحرث ابن قيس ابن صيفي ابن سبا بن يشجب ابن يعرب ابن قحطان ابن عابر بن

سلح ابن ارفخشد بن سام ابن نوح وكان جدها الهدهاد ملكا عظيم الشان قد ولد له
اربعون ولدا كلهم ملوك وكان ملك ارض اليمن كلها وكان ابوها السرح يقول للملوك
الاطراف ليس احد منكم كفوا لي وابى ان يتزوج منهم فزوجوه امراة من الجن يقال لها
ريحانه بنت السكن فولدت له بلقمه وهي بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وقال ابو هريرة
قال النبي صلى الله عليه وسلم كان احد ابوي بلقيس جنيا فمات ابوها واختلف قومها
عليها فرقتين وملكوا امرهم رجلا فساءت سيرته حتى فجر بنساء رعيته فادركت
بلقيس الغيرة فعرضت عليه نفسها فتزوجته فسقته الخمر حتى حزت راسه
ونصبته على باب دارها فملكوها وقال ابو بكرة ذكرت بلقيس عند النبي صلى الله
عليه وسلم فقال لا يفلح قوم ولوا امرهم امراة ويقال ان سبب تزوج ابيها من الجن
انه كان وزيرا لملك غاشم يغتصب نساء الرعيه وكان الوزير غيورا فلم يتزوج فصحب
مرة في الطريق رجلا لا يعرفه فقال هل لك من زوجه قال لا اتزوج ابدا فان ملك
بلدنا يغتصب النساء من ازواجهن قال لين تزوجت ابنتي لم يغتصبها ابدا قال بل يغتصبها
قال انا قوم من الجن لا يقدر علينا فتزوج ابنته فولدت بلقيس ثم ماتت الام وابتنت
بلقيس قصرا في الصحرا فتحدث ابوها بحديثها غلطا فنمى للملك خبرها فقال له يا فلان
تكون عندك هذه البنت الجميله ولا تاتيني بها وانت تعلم حبي للنساء ثم امر بحبسه فارسلت
بلقيس اليه اني بين يديك فتجهز للمسير الى قصرها فلما هم بالدخول بمن معه خرجت اليه
جواري من بنات الجن مثل صورة الشمس وقلن له الا تستحيي قالت لك سيدتنا اتدخل هولا
الرجال معك على اهلك فاذن لهم بالانصراف ودخل وحده فاغلقت عليه الباب وقتلته
بالنعال ثم قطعت راسه ورمت به الى عسكره فرموها عليهم فلم تزل كذلك الى ان بلغ
الهدهد خبرها سليمن عليه السلام وذلك ان سليمن لما نزل في بعض منازلهم قال الهدهد
ان سليمن قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السما فابصر طول الدنيا وعرضها فابصر
الدنيا يمينا وشمالا فرا بستانا لبلقيس فيه هدهد وكان اسم ذلك الهدهد عنفير فقال
عنفير اليمن ليعفور سليمن من اين اقبلت واين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي
سليمن ابن داود قال ومن سليمن قال ملك الجن والانس والشياطين والطير والوحش
والريح وكل ما بين السما والارض فمن اين انت قال من هذه البلاد ملكها امراه يقال لها

بلقيس تحت يدها اثنا عشر الف قايد تحت يد كل قايد مايه الف مقاتل من سوى النسا
والذراري فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها ورجع الى سليمن وقت العصر وكان
سليمن قد فقده وقت الصلاه فلم يجده وكانوا على غير ما قال ابن عباس في روايه وقعت
نفحه من الشمس فنظر فقال لوزير الطير هذا موضع من قال يا نبي الله هذا موضع
الهدهد قال واين ذهب قال لا ادري اصلح الله الملك فغضب سليمن وقال لاعذبنه
الايه ثم دعا بالعقاب سيد الطير واصرمها واشدها باسا فقال له ما تريد يا نبي الله قال
علي بالهدهد الساعه فرفع العقاب نفسه دون السما حتى لزق بالهوا فنظر الى الدنيا
كالقصعه بين يدي احدكم فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض نحوه وانشب
فيه مخلبه فقال له الهدهد اسالك بالله الذي قدرك وقواك على الا ما رحمتني فقال
له الويل لك وثكلتك امك ان نبي الله سليمن حلف ان يعذبك او يذبحك ثم اتى به فتلقته
النسور وساير عساكر الطير وقالوا الويل لك لقد توعدك نبي الله فقال وما قدري
وما انا اما استثنا قالوا بلى انه قال او لياتيني بسلطان مبين ثم دخل على سليمن فرفع
راسه وارخى ذنبه وجناحيه تواضعا لسليمن فقال له سليمن اين كنت عن خدمتك ومكانك
لاعذبنك عذابا شديدا او لاذبحنك فقال له الهدهد يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي
الله اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل وقوفي بين يديك فاقشعر جلد سليمن وارتعد
وعفا عنه وقال عكرمه انما صرف سليمن عن ذبح الهدهد انه كان بارا بوالديه
ينقل الطعام اليهما فيزقهما ثم قال له سليمن ما الذي ابطاك فقال الهدهد ما اخبر الله
عنه عن بلقيس وعرشها حسب ما تقدم بيانه قال الماوردي والقول بان ام بلقيس
جنيه مستنكر من العقول لتباين الجنسين واختلاف الطبعين وتفارق الحسين لان
الادمي جسماني والجن روحاني وخلق الله تعالى الادمي من صلصال كالفخار وخلق
الجان من مارج من نار ويمتنع الامتزاج مع هذا التباين ويستحيل التناسل مع هذا
الاختلاف قال الشيخ القرطبي رحمه الله قد مضى الكلام في هذا والعقل لا
يحيله مع ما جا من الخبر في ذلك واذا نظر الى اصل الخلق فاصله الما على ما تقدم ولا بعد
في ذلك والله اعلم وفي التنزيل وشاركهم في الاموال والاولاد وقد تقدم وقال
لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان على ما ياتي بيانه في الرحمن قوله تعالى

قالت رب اني ظلمت نفسي اي بالشرك التي كانت عليه قال ابن شجره وقال سفين اي
بالظن الذي توهمته في سليمن لانها لما امرت بدخول الصرح حسبته لجة وان سليمن يريد
تغريقها فيه فلما بان لها انه صرح ممرد من قوارير علمت انها ظلمت نفسها بذلك الظن
وكسر ان لانها مبتداه بعد القول ومن العرب من يفتحها فيعمل فيها القول واسلمت مع
سليمن لله رب العالمين اذا سكنت مع فهي حرف جا لمعنى بلا اختلاف بين النحويين واذا فتحتها
ففيها قولان احدهما انها بمعنى الظرف اسم والاخر انها حرف خافض مبني على الفتح قاله
النحاس قوله تعالى ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله تقدم
معناه فاذا هم فريقان يختصمون قال مجاهد اي مومن وكافر قال والخصومة ما
خصمه الله تعالى في قوله اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه الى قوله كافرون وقيل
تخاصمهم ان كل فرقه قالت نحن على الحق دونكم قوله تعالى قال يا قوم لم
تستعجلون بالسيه قبل الحسنه قال مجاهد بالعذاب قبل الرحمه والمعنى لم توخرون
الايمان الذي يجلب اليكم الثواب وتقدمون الكفر الذي يوجب العقاب وكان الكفار
يقولون لفرط الانكار ايتنا بالعذاب وقيل اي لم تفعلون ما تستحقون به المعاجله
بالعقاب لانهم التمسوا تعجيل العذاب لولا تستغفرون الله اي هلا تتوبون الى الله
من الشرك لعلكم ترحمون لكي ترحموا وقد تقدم قوله تعالى قالوا اطيرنا
بك وبمن معك اي تشامنا والشوم النحس ولا شي اضر بالراي ولا افسد للتدبير من
اعتقاد الطيره ومن ظن ان خوار بقره او نعيق غراب يرد قضا او يدفع مقدورا فقد جهل وقال
الشاعر طيرة الدهر لا ترد قضا فاعذر الدهر لا تشبه بلوم
اي يوم تخصه بسعود والمنايا ينزلن في كل يوم
ليس يوم الا وفيه سعود ونحوس تجري لقوم دون قوم وقد كانت العرب
اكثر الناس طيره وكانت اذا ارادت سفرا انفرت طايرا فان طار يمنه سارت وتيمنت و
وان طار شامه رجعت وتشامت فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال اقروا الطير
في وكناتها على ما تقدم في المايده وقال طايركم عند الله اي مصايبكم بل انتم قوم تفتنون
اي تمتحنون وقيل تعذبون بذنوبكم قوله تعالى وكان في المدينه اي مدينه صالح
وهي الحجر تسعه رهط اي تسعه رجال من ابنا اشرافهم قال الضحاك كان هولا

وكان الرجل منهم اذا خرج مسافرا فامر بطاير فطار عن يمينه تيمن وان مر بيساره تشام

التسعه عطا اهل المدينه وكانوا يفسدون ويامرون بالفساد فجلسوا عند صخره عظيمه فقلبها الله عليهم وقال عطا بن ابي رباح بلغني انهم كانوا يقرضون الدراهم والدنانير وذلك من الفساد في الارض وقاله سعيد بن المسيب وقيل فسادهم انهم كانوا يتبعون عورات الناس ولا يسترون عليهم وقيل غير هذا واللازم من الايه ما قاله الضحاك وغيره انهم كانوا من اوجه القوم واقناهم واغناهم وكانوا اهل كفر ومعاصٍ جمه جمله امرهم انهم يفسدون ولا يصلحون والرهط اسم الجماعه فكانهم كانوا روسا يتبع كل واحد منهم رهط والجمع ارهط واراهط قال

مابوس للحرب التي وضعت اراهط فاستراحوا ؛ وهولا المذكورون كانوا اصحاب قدار عاقر الناقه ذكره ابن عطيه قال الشيخ القرطبي رحمه الله واختلف في اسمايهم فقال الغزنوي واسماوهم قدار ابن سالف ومصدع واسلم ودهما ودهيم ودعمي ودعيم وقتال وصدا وابن اسحق راسهم قدار ابن سالف ومصدع ابن مهرع فاتبعهم سبعه هو بلع ابن ميلع ودعير بن غنم وذواب ابن مهرج واربعه لم تحفظ اسماوهم وذكر الزمخشري اسماهم عن وهب بن منبه الهذيل ابن عبد رب غنم ابن غنم رباب ابن مهرج مصدع ابن مهرج عمير بن كرديه عاصم ابن مخرمه سبيط ابن صدقه سمعان ابن صفي قدار ابن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقه وكانوا عتاه قوم صالح وكانوا من ابنا اشرافهم السهيلي ذكر النقاش التسعه الذين كانوا يفسدون في الارض ولا يصلحون وسماهم باسمايهم وذلك لا ينضبط بروايه غير اني اذكره على وجه الاجتهاد والتخمين ولكن نذكره على ما وجدناه في كتاب محمد بن حبيب وهم مصعد ابن دهر ويقال دهيم وقدار ابن سالف وهريم وصواب ورياب وداب ودعمي وهرمي ودعين ابن عمرو قال الشيخ القرطبي رحمه الله وقد ذكر الماوردي ان اسمايهم عن ابن عباس فقال دعمي ودعيم وهرمي وهريم وداب وصواب ورياب ومسطع وقدار وكانوا بارض الحجر وهي ارض الشام قوله تعالى

قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله يجوز ان يكون تقاسموا فعلا مستقبلا وهو امر اي قال بعضهم لبعض احلفوا ويجوز ان يكون ماضيا في معنى الحال كانه قال قالوا متقاسمين بالله ودليل هذا التاويل قراه عبد الله يفسدون في الارض ولا يصلحون تقاسموا

بالله وليس فيهما قالوا لنبيتنه واهله ثم لنقولن قراه العامه بالنون فيهما واختاره
ابو حاتم وقرا حمزه والكسائي بالتا فيهما وضم التا واللام على الخطاب انهم يخاطبوا
بذلك واختاره ابو عبيد وقرا مجاهد وحميد باليا فيهما وضم اليا واللام على الخبر
والبيات مباغته العدو ليلا ومعنى لوليه اي لرهط صالح الذي له ولاية الدم
ما شهدنا مهلك اهله اي ما حضرنا قتله ولا ندري من قتله وقتل اهله وانا لصادقون
في انكارنا القتله والمهلك يعني الاهلاك ويجوز ان يكون الموضع وقرا حفص والسلمي
بفتح الميم واللام اي الهلاك يقال ضرب يضرب مضربا اي ضربا وقرا المفضل وابو بكر
بفتح الميم وجر اللام فيكون اسم المكان كالمجلس لموضع الجلوس ويجوز ان يكون مصدرا
كقوله تعالى اليه مرجعكم اي رجوعكم ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون مكرهم
ما روي ان هولا التسعه لما كان في صدر الثلاثه الايام بعد عقر الناقه وقد اخبرهم
صالح بمجي العذاب واتفقوا وتحالفوا على ان ياتوا دار صالح ليلا فيقتلوه واهله المختص
به قالوا فان كان كاذبا في وعيده اوقعنا به ما يستحق وان كان صادقا كنا عجلنا
قتلنا وشفينا نفوسنا قال معناه مجاهد وغيره قال ابن عباس ارسل الله تعالى الملايكه
تلك الليله فامتلات بهم دار صالح فاتى التسعه الى دار صالح شاهرين سيوفهم فقتلتهم
الملايكه رضخا بالحجاره فيرون الحجاره ولا يرون من يرميها وقال قتاده خرجوا مسرعين
الى صالح فسلط عليهم ملك بيده صخره فقتلهم وقال السدي نزلوا على جرف من الارض
فانهار بهم فاهلكهم الله تحته وقيل اختفوا في غار قريب من دار صالح فانحدرت عليهم
صخره شدختهم جميعا فهذا كان مكرهم ومكر الله مجازاتهم على ذلك فانظر كيف كان عاقبه
مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين اي بالصيحه التي اهلكتهم وقد قيل ان هلاك
الكل كان بصيحه جبريل والاظهر ان التسعه هلكوا بعذاب مفرد ثم هلك الباقون بالصيحه
والدمدمه وكان الاعمش والحسن وابن ابي اسحق وعاصم وحمزه والكسائي يقرون
انا بالفتح قال ابن الانباري فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على عاقبه مكرهم
لان انا دمرناهم خبر كان ويجوز ان يجعلها في موضع رفع على الاستيناف للعاقبه ويجوز
ان يجعلها في موضع نصب من قول الفرا وخفض من قول الكسائي على معنى بانا دمرناهم
ولانا دمرناهم ويجوز ان يجعلها في موضع نصب على الاتباع للموضع كيف فمن هذه المذاهب

لا يحسن الوقف على مكرهم وقرا ابن كثير ونافع وابن عمرو انا دمرناهم بكسر الالف على
الاستيناف فعلى هذا المذهب يحسن الوقف على مكرهم قال النحاس ويجوز ان تنصب
عاقبه على خبر كان وتكون انا في موضع رفع على انها اسم ويجوز ان تكون في موضع رفع
على اضمار مبتدا تبيينا للعاقبه والتقدير هي انا دمرناهم قال ابو حاتم وفي حرف ابي
ان دمرناهم تصديقا لفتحها قوله تعالى فتلك بيوتهم خاويه بما ظلموا قراه العامه
بالنصب على الحال عند الفرا والنحاس وخاليه عن اهلها خرابا ليس بها ساكن وقال
الكسائي وابو عبيده خاويه نصب على القطع مجازه فتلك بيوتهم الخاويه فلما قطع منها
الالف واللام نصب كقوله وله الدين واصبا وقرا عاصم ابن عمر ونصر بن عاصم
والجحدري بالرفع على انها خبر عن تلك وبيوتهم بدل من تلك ويجوز ان تكون بيوتهم
عطف بيان وخاويه خبر عن تلك ويجوز ان تكون بيوتهم وخاويه خبر عن تلك ويجوز
ان تكون رفع خاويه على انها خبر ابتدا محذوف اي هي خاويه او بدل من بيوتهم لان
النكره تبدل من المعرفه ان في ذلك لايه لقوم يعلمون وانجينا الذين امنوا بصالح
وكانوا يتقون الله ويخافون عذابه قيل امن بصالح قدر اربعه الاف رجل والباقون
خرج بابدانهم في قول مقاتل وغيره خراج مثل الحمص وكان في اليوم الاول احمر ثم
صار من الغد اصفر ثم صار في الثالث اسود وكان عقر الناقه يوم الاربعا وهلاكهم
يوم الاحد قال مقاتل تفقت تلك الخراجات وصاح جبريل بهم خلال ذلك صيحه فخمدوا
وكان ذلك ضحوه وخرج صالح بمن امن معه الى حضرموت فلما دخلها مات صالح فسمي
حضرموت قال الضحاك ثم بنى الاربعه الالاف مدينه يقال لها حاضورا على ما تقدم بيانه
في قصه اصحاب الرس قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه اي وارسلنا
لوطا واذكر لوطا اذ قال لقومه وهم اهل سدوم وقال لقومه اتاتون الفاحشه علان
والفعله القبيحه الشنيعه وانتم تبصرون انها فاحشه وذلك اعظم لذنوبكم وقيل
ياتي بعضكم بعضا وانتم تنظرون اليه وكانوا لا يستترون عتوا منهم وتمردا اينكم لتاتون
الرجال شهوه من دون النسا اعاد ذكرها لفرط قبحها وشنعتها بل انتم قوم تجهلون
اما التحريم او العقوبه واختيار الخليل وسيبويه تخفيف الهمزه الثانيه من اينكم فاما
الخط فالسبيل فيه ان تكتب بالياء على الوجوه كلها لانها همزه مبتداه دخلت عليها الف

الاستفهام

الاستفهام قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم
انهم اناس يتطهرون اي عن ادبار الرجال يقولون ذلك استهزاء منهم قال مجاهد وقال
قتادة عابوهم والله بغير عيب بانهم يتطهرون من اعمال السوء فانجيناه واهله
الا امراته قدرناها من الغابرين قرا عاصم قدرنا مخففا والمعنى واحد يقال قدرت
الشي قدرا وقدرا وقدرته وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين اي من انذر
ولم يقبل الانذار وقد مضى بيان هذا في الاعراف وهود قوله تعالى قل
الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى قال الفراء العلماء المعاني قيل للوط قل الحمد
لله على هلاكهم وخالف جماعة من العلماء الفراء في هذا وقالوا هو مخاطبة لنبينا صلى الله عليه
وسلم اي قل الحمد لله على هلاك كفار الامم الخالية قال النحاس وهذا اولى لان القران
منزل على النبي صلى الله عليه وسلم وكل ما فيه فهو مخاطب به عليه السلام الا ما لم يصح
معناه الا لغيره وقيل المعنى اي قل يا محمد الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى يعني
امته عليه السلام قاله الكلبي اصطفاهم الله بمعرفته وطاعته وقال ابن عباس وسفين
هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتلو هذه
الايات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شي وحكمته وان يستفتح
بتحميده والسلام على انبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب
جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى
الى السامعين واصغايهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع ولقد
توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله وصلوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل
خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوايل كتبهم في الفتوح والتهاني من الحوادث
التي لها شان قوله تعالى الذين اصطفى اختار اي لرسالته وهم الانبيا
عليهم السلام الله خير واجاز ابو حاتم آلله خير بهمزتين النحاس ولا نعلم احدا
تابعه على ذلك لان هذه المدة انما جيء بها فرقا بين الاستفهام والخبر وهذه الف التوقيف
وخير ها هنا ليس بمعنى افضل منك وانما هو مثل قول الشاعر

اتهجوه ولست له بكفو، فشركما لخيركما الفدا

والمعنى فالذي فيه الشكر منجيا للذي فيه الخير الغدا ولا يجوز ان يكون بمعنى من كذا
اذا قلت فلان شر من فلان ففي كل واحد منهما شر وقيل المعنى الخير في هذا ام هذا
الذي تشركونه في العباده وحكى سيبويه السعاده احب اليك ام الشقا وهو يعلم ان
السعاده احب اليه وقيل هو على بابه من التفضيل والمعنى آلله خير اما تشركون
اي ثوابه خير ام عقاب ما تشركون وقيل قال لهم ذلك لانهم كانوا يعتقدون ان
في عباده الاصنام خيرا فخاطبهم الله جل وعز على اعتقادهم وقيل اللفظ لفظ
الاستفهام ومعناه الخبر وقرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب يشركون بالياء على الخبر
الباقون بالتاء على الخطاب وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا قراها يقول الله خير وابقى واجل واكرم قوله تعالى امن خلق
السموات والارض قال ابو حاتم تقديره الهتكم خير ام من خلق السموات والارض
وقدر على خلقهن وقيل المعنى اعباده ما تعبدون من اوثانكم خير ام عباده من خلق
السموات والارض فهو مردود على ما قبله من المعنى وفيه معنى التوبيخ لهم والتنبيه
على قدره الله جل وعز وعجز الهتهم فانبتنا به حدايق ذات بهجه الحديقه البستان
الذي عليه حايط والبهجه المنظر الحسن قال الفرا الحديقه البستان المحظر
عليه فان لم يكن عليه حايط فهو البستان وليس بحديقه وقال قتاده وعكرمه الحدايق
النخل ذات بهجه والبهجه الزينه والحسن يبهج به من راه ما كان لكم ان تنبتوا شجرها
ما للنفي ومعناه الحظر والمنع من فعل هذا اي ما كان للبشر ولا يتهيا لهم ولا يقع
تحت قدرتهم ان ينبتوا شجرها اذ هم عجزه عن مثلها لان ذلك اخراج شي من العدم
الى الوجود قال الشيخ القرطبي غفر الله له وقد يستدل من هذا على منع تصوير
شي سوا كان له روح او لم يكن وهو قول مجاهد ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم
قال الله عز وجل ومن اظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي فليخلقوا ذره وليخلقوا حبه
وليخلقوا شعيره رواه مسلم في صحيحه من حديث ابي هريره قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل فذكره فعم بالذم والتهديد والتقبيح كل
من تعاطى تصوير شي مما تعاطاه الله وضاهاه في التشبيه في خلقه فيما انفرد به سبحانه
من الخلق والاختراع وهذا واضح وذهب الجمهور الى ان تصوير ما ليس فيه روح

علا

يجوز هو والاكتساب به وقد قال ابن عباس للذي سأله انه يصنع الصور ان كنت لا بد فاعلا
فاصنع الشجر وما لا نفس له خرجه مسلم ايضا والمنع اولى والله اعلم لما ذكرناه وسياتي
لهذا مزيد بيان في سبا ان شا الله تعالى ثم قال على جهة التوبيخ أاله مع الله اي هل معبود
مع الله يعينه على ذلك بل هم قوم يعدلون بالله غيره وقيل يعدلون عن القصد والحق اي يكفرون
وقيل الاه مرفوع مع تقديره امع الله ويلكم اله والوقف على مع الله حسن قوله
تعالى امن جعل الارض قرارا اي مستقرا وجعل خلالها اي وسطها انهارا مثل
وتجري ما خلالها نهرا وجعل لها رواسي يعني جبالا ثوابت تمسكها وتمنعها من الحركة
وجعل بين البحرين حاجزا اي مانعا من قدرته لئلا يختلط الاجاج بالعذب وقال ابن عباس
سلطانا من قدرته فلا هذا يغير ذاك ولا ذاك يغير هذا والحجز المنع أاله مع الله
اي اذا ثبت انه لا يقدر على هذا غيره فلم تعبدون ما لا يضر ولا ينفع بل اكثرهم لا يعلمون
يعني كانهم يجهلون الله فلا يعلمون ما يجب له من الوحدانية قوله تعالى
امن يجيب المضطر اذا دعاه فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى امن يجيب المضطر
اذا دعاه قال ابن عباس هو ذو الضرورة المجهود وقال السدي الذي لا حول له ولا
قوة وقال ذو النون هو الذي قطع العلائق عما دون الله وقال ابو جعفر وابو عثمن
النيسابوري هو المفلس وقال سهل بن عبد الله هو الذي اذا رفع يديه الى الله داعيا
لم يكن له وسيلة من طاعة قدمها وجاء رجل الى مالك بن دينار فقال انا اسالك بالله ان تدعو
لي فاني والله مضطر قال اذا فاساله فانه يجيب المضطر اذا دعاه قال الشاعر

واني لادعو الله والامر ضيق علي فما ينفك ان يتفرجا
ورب اخ سدت عليه وجوهه اصاب لها لما دعا الله مخرجا

الثانية وفي مسند ابي داود الطيالسي عن ابي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعاء
المضطر اللهم رحمتك ارجوا فلا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله لا اله
الا انت الثالثة ضمن الله سبحانه اجابة المضطر اذا دعاه واخبر بذلك عن نفسه
والسبب في ذلك ان الضرورة اليه باللجا ينشا عن الاخلاص وقطع القلب عما سواه
وللاخلاص عنده سبحانه موقع وذمة وجد من مومن او كافر طايع او فاجر كما قال
تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف

وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم
الى البر اذا هم يشركون فاجابهم عند ضرورتهم ووقوع اخلاصهم مع علمه انهم يعودون
الى شركهم وكفرهم وقال تعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
الآيه فيجيب المضطر لموضع اضطراره واخلاصه وفى الحديث ثلاث دعوات مستجابات
لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده ذكره صاحب الشهاب
وهو حديث صحيح وفى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لمعاذ لما وجهه
الى اليمن واتق دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام يقول الله تبارك وتعالى وعزتى
وجلالى لانصرنك ولو بعد حين وهو صحيح ايضا وخرج الآجرى من حديث ابى ذر
عن النبى صلى الله عليه وسلم فانى لا اردها ولو كانت من فم كافر فيجيب المظلوم
لموضع اخلاصه بضرورته بمقتضى كرمه واجابة لاخلاصه وان كان كافرا وكذلك
ان كان فاجرا فى دينه ففجور الفاجر وكفر الكافر لا يعود منه نقص ولا وهن على
مملكة سيده فلا يمنعه ما قضى للمضطر من اجابته وفسر اجابته للمظلوم بالنصرة
على ظالمه بما شاء سبحانه من قهر له او اقتصاص منه او تسليط ظالم آخر عليه يقهره
كما قال عز وجل وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا واكد سرعة اجابتها بقوله تحمل
على الغمام ومعناه والله اعلم ان الله عز وجل يوكل ملئكته بتلقى دعوة المظلوم وبحملها
على الغمام فيعرجوا بها الى السما قبله الدعا ليراها الملئكة كلهم فيظهر منهم معاونة المظلوم
وشفاعة منهم له فى اجابة دعوته رحمة له وفى هذا تحذير من الظلم جملة لما فيه من
سخط الله ومعصيته ومخالفة امره حيث قال على لسان نبيه فى صحيح مسلم وغيره يا
عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا الحديث فالمظلوم
مضطر ويقرب منه المسافر لانه ينقطع عن الاهل والوطن منفرد عن الصديق
والحميم لا يسكن قلبه الى مسعد ولا معين لغربته فتصدق ضرورته الى المولى فيخلص
اليه فى اللجا وهو المجيب للمضطر اذا دعاه وكذلك دعوة الوالد على ولده لا تصدر منه
مع ما يعلم من حنته عليه وشفقته الا عند تكامل عجزه عنه وصدق ضرورته واياسه
عن بر ولده مع وجود اذيته فيسرع الحق الى اجابته قوله تعالى ويكشف السوء
اى الضر وقال الكلبى الجور ويجعلكم خلفاء الارض اى سكانها يهلك قوما وينشئ اخرين

مطلب

ولا تحاسدوا
ولا تباغضوا
وكونوا فى دين
الله اخوانا

وفي كتاب النقاش اي ويجعل اولادكم خلفا منكم وقال الكلبي خلفا من الكفار ينزلون ارضهم
وطاعه الله بعد كفرهم ايلاه مع الله على جهه التوبيخ كانه قال امع الله ويلكم الاه فالاه
مرفوع بمع ويجوز ان يكون مرفوعا باضمار ايلاه مع الله يفعل ذلك فتعبدوه والوقف
على مع الله حسن قليلا ما تذكرون قرا ابو عمرو وهشام ويعقوب يذكرون باليا
على الخبر لقوله بل اكثرهم لا يعلمون وتعالى الله عما يشركون فاخبر فيما قبلها وبعدها
واختاره ابو حاتم الباقون بالتا خطابا لقوله ويجعلكم خلفا الارض قوله
تعالى امن يهديكم اي يرشدكم الطريق في ظلمات البر والبحر اذا سافرتم الى البلاد
التي تتوجهون اليها بالليل وقيل جعل مفاوز البر التي لا اعلام لها ولجج البحار كانها ظلمات
لانه ليس فيه علم يهتدى به ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته اي قدام المطر باتفاق
اهل التاويل ايلاه مع الله يفعل ذلك ويعينه عليه تعالى الله عما يشركون من دونه
قوله تعالى امن يبدو الخلق ثم يعيده كانوا يقرون بانه الخالق الرازق فالزمهم
الاعاده اي اذا قدر على الابتدا فمن ضرورته القدره على الاعاده وهو اهون عليه ايلاه
مع الله يخلق ويرزق ويبدي ويعيد قل هاتوا برهانكم اي حجتكم ان لي شريكا وحجتكم
في انه صنع احد شيا من هذه الاشيا غير الله ان كنتم صادقين قوله تعالى
قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق
ولم يطلع عليه احدا لئلا يامن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سالوا النبي
صلى الله عليه وسلم عن قيام الساعه ومن في موضع رفع والمعنى قل لا يعلم احد الغيب
الا الله فانه بدل من من قاله الزجاج الفرا وانما رفع ما بعد الا لان ما قبلها جحد
كقولك ما ذهب احد الا ابوك والمعنى واحد قال الزجاج ومن نصب نصب على
الاستثنا يعني في الكلام قال النحاس وسمعته يحتج بهذه الايه على من صدق منجما
وقال اخاف ان يكفر بعموم هذه الايه قال الشيخ القرطبي رحمه الله قد مضى هذا
في الانعام مستوفى وقالت عايشه من زعم ان محمدا يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفريه
والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله خرجه مسلم وروي
انه دخل على الحجاج منجم فاعتقله الحجاج ثم اخذ حصيات فعدهن ثم قال له كم في يدي
من حصاه فحسب المنجم ثم قال كذا فاصاب ثم اعتقله واخذ حصيات لم يعدهن فقال كم

في يدي فحسب فاخطا ثم حسب فاخطا فقال ايها الامير الحنك لا تعرف عددها قال لا
قال فاني لا اصيب قال فما الفرق قال ان ذلك احصيته فخرج عن حد الغيب وهذا لم
تحصه فهو غيب ولا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وقد مضى هذا في ال عمران
قوله تعالى بل ادرك علمهم في الاخرة هذا قراة اكثر الناس منهم عاصم وشيبة
ونافع ويحيى ابن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي وقرا ابو جعفر وابن كثير وابو عمرو
وحميد بل ادرك من الادراك وقرا عطا بن يسار واخوه سليمن ابن يسار والاعمش
بل ادّرك غير مهموز مشددا وقرا ابن محيصن بل آادرك على الاستفهام وقرا ابن عباس
بلى باثبات اليا أادّارك بهمزة قطع والدال مشددة والف بعدها قال النحاس واسناده
اسناد صحيح هو من حديث شعبة يرفعه الى ابن عباس وزعم هارون القاري ان قراة
ابي بل تدارك علمهم القراة الاولى والاخرة معناهما واحد لان اصل ادارك تدارك
ادغمت التا في الدال وجي بالف الوصل وفي معناه قولان احدهما ان المعنى بل تكامل
علمهم في الاخرة لانهم راوا كل ما وعدوا به معاينة فتكامل علمهم به والقول الاخر ان
المعنى بل تتابع علمهم اليوم في الاخرة فقالوا تكون وقالوا لا تكون القراة الثانية
فيها ايضا قولان احدهما ان معناه كمل في الاخرة مثل الاول قال مجاهد معناه
يدرك علمهم في الاخرة ويعلمونها اذا عاينوها حين لا ينفعهم علمهم لانهم كانوا في الدنيا
مكذبين والقول الاخر انه على معنى الانكار وهو مذهب ابي اسحق واستدل على
صحة هذا القول بان بعده بل هم منها عمون اي لم يدرك علمهم علم الاخرة وقيل بل
ضل وغاب علمهم في الاخرة فليس لهم فيها علم القراة الثالثة بل ادّرك فهو بمعنى
بل ادارك وقد يجي افتعل وتفاعل بمعنى ولذلك صحح ازدوجوا حين كان بمعنى
تزاوجوا القراة الرابعة ليس فيها الا قول واحد يكون فيه معنى الانكار كما تقول
آانا قاتلك فيكون المعنى لم يدرك واليه ترجع قراة ابن عباس قال ابن عباس بل
اادارك علمهم في الاخرة اي لم يدرك قال الفرا وهو وجه حسن كانه وجهه الى
الاستهزا بالمكذبين بالبعث كقولك لرجل تكذبه بل لعمري قد ادركت السلف وانت
تروي ما لا اروي وانت تكذبه وقراة سابعة بل ادرك بفتح اللام عدل الى الفتحة
لخفتها وقد حكي نحو ذلك عن قطرب في قم الليل فانه عدل الى الفتح وكذلك وبع

اي بل كمل قال الخطا رح
وحكى الثعلبي انها في حرف ابي ام تدارك والعرب تضع بل موضع ام وام موضع بل اذا كان في اول
الكلام استفهام لقول الشاعر فوالله ما ادري اسلمى تغولت ام النوم ام كل الي حبيب

الثوب

الثوب ونحوه وذكر الزمخشري في الكتاب بل أأدرك بهمزتين بالف بينهما بل آأدرك بلى
أأدرك بلى أدرك ام تدارك ام أدرك فهذه ستا عشره قراه ثم اخذ يعلل وجوه القراات
فقال فان قلت وجه قراه بل أأدرك على الاستفهام قلت هو استفهام على وجه الانكار
لادراك علمهم وكذلك من قرا ام ادرك وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزه واما من
قرا بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى تشعرون متى تبعثون ثم انكر علمهم بكونها بل يجهل بوقت
لهم شعور كونها لان العلم بوقت الكاين تابع للعلم بكون الكاين في الاخره في شان
الاخره ومعناها بل هم في شك منها اي في الدنيا بل هم منها عمون اي بقلوبهم واحدهم
عمو وقيل عم واصله عميون حذفت اليا لالتقا الساكنين ولم يحركوها لثقل
الحركه فيها قوله تعالى وقال الذين كفروا يعني مشركي مكة ايذا كنا
ترابا واباونا اينا لمخرجون هكذا يقرا نافع هنا وفي سوره العنكبوت وقرا ابو عمرو
باستفهامين الا انه خفف الهمزه وقرا عاصم وحمزه ايضا باستفهامين الا انهما حققا
الهمزتين وكل ما ذكرناه في السورتين جميعا واحد وقرا الكساي وابن عامر ورويس
ويعقوب إذا بهمزتين اننا بنونين على الخبر في هذه السوره وفي سوره العنكبوت
باستفهامين قال ابو جعفر النحاس القراه اذا كنا ترابا واباونا اينا موافقه للخط
حسنه وقد عارض فيها ابو حاتم فقال وهذا معنى كلامه اذا ليس باستفهام واينا
استفهام وفيه ان فكيف يجوز ان يعمل ما في حيز الاستفهام فيما قبله وكيف يجوز ان
يعمل ما بعد ان فيما قبلها وكيف يجوز غدا ان زيدا خارج فاذا كان فيه استفهام كان
ابعد وهذا اذا سيل عنه كان مشكلا لما ذكره قال ابو جعفر وسمعت محمد بن
الوليد يقول سالنا ابا العباس عن ايه من القران صعبه مشكله وهي قول الله عز
وجل وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبيكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق
جديد فقال ان عمل في اذا ينبيكم كان محالا لانه لا ينبيهم ذلك الوقت وان عمل فيه ما
بعد ان كان المعنى صحيحا وكان خطا في العربيه ان يعمل ما قبل ان فيما بعدها
وهذا سوال بين رايت ان يذكر في السوره التي هو فيها فاما ابو عبيد فمال الى قراه
نافع ورد على من جمع بين استفهامين واستدل بقوله تعالى افاين مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم وبقوله افاين مت فهم الخالدون وهذا الرد على ابي عمرو وعاصم

وحمزه وطلحه والاعرج لا يلمهم منه شي ولا يشبه ما جابه من الايه شيا والفرق بينهما
ان الشرط وجوابه بمنزله شي واحد ومعنى افاين مت فهم الخالدون افاين مت خلدوا
ونظيره هذا اريد منطلق ولا يقال ازيدا منطلق لانهما بمنزله شي واحد وليس كذا
الايه لان الثاني جمله قايمه بنفسها فصلح فيها الاستفهام والاول كلام مفرد يصلح فيه
الاستفهام فاما من حذف الاستفهام من الثاني واثبته في الاول فقرا اذا كنا وابآونا
انا محذوف من الثاني لان في الكلام دليلا عليه بمعنى الانكار قوله تعالى لقد
وعدنا هذا نحن وابآونا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين تقدم في سوره المومنين
وكان الانبيا يقربون امر البعث مبالغه في التحذير وكلما هو آت فقريب قوله
تعالى قل سيروا في الارض اي قل لهولا الكفار سيروا في بلاد الشام والحجاز واليمن
فانظروا اي بقلوبكم وبصايركم كيف كان عاقبه المكذبين لرسلهم ولا تحزن عليهم
اي على كفار مكه ان لم يومنوا ولا تكن في ضيق حرج مما يمكرون نزلت في المستهزيين
الذين اقتسموا عقاب مكه وقد تقدم ذكرهم وقرى في ضيق وقد مضى في اخر
النحل ويقولون متى هذا الوعد اي وقت يجينا العذاب بتكذيبنا ان كنتم صادقين
قوله تعالى قل عسى ان يكون ردف لكم اي اقترب لكم ودنا منكم بعض الذي
تستعجلون اي من العذاب قاله ابن عباس وقيل معناه معكم وقال ابن شجره
تبعكم ومنه ردف المراه لانه تبع لها من خلفها ومنه قول ابي ذويب
عاد السواد بياضا في مفارقه لا مرحبا ببياض الشيب اذ ردفا
وهو من ردفه واتبعه وجا في اثره وتكون اللام ادخلت لان المعنى اقترب لكم او دنا لكم مقدم
وتكون متعلقه بالمصدر الجوهري واردفه امر لغه في ردفه مثل تبعه واتبعه
بمعنى قال خزيمه ابن مالك ابن نهد
اذا الجوزا اردفت الثريا ظننت بال فاطمه الظنونا يعني فاطمه بنت
يذكر بن عنزه احدا القارظين وقال الفرا ردف لكم دنا لكم ولهذا قال لكم وقيل
ردفه وردف له بمعنى فتزاد اللام للتوكيد عن الفرا ايضا كما تقول نقدته ونقدت له
وكلته وكلت له ووزنته ووزنت له ونحو ذلك بعض الذي تستعجلون من العذاب
فكان ذلك يوم بدر وقيل عذاب القبر وان ربك لذو فضل على الناس اي في تاخير

العقوبه

العقوبه وادرار الرزق ولكن اكثرهم لا يشكرون فضله ونعمه قولــــه تعالى
وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون يظهرون من الامور وقرا ابن محيصن وحميد
ما تكن صدورهم وما يعلنون من كننت الشي اذا استرته هنا وفي القصص تقديره ما تكن صدورهم
فكان الضمير الذي في الصدور كالجسم الساتر ومن قرا تكن فهو المعروف يقال اكننت
الشي اذا اخفيته في نفسك قولــــه تعالى وما من غايبه في السما والارض الا
في كتاب مبين قال الحسن الغايبه هنا القيامه وقيل ما غاب عنهم من عذاب السما
والارض حكاه النقاش وقال ابو شجره الغايبه هنا جميع ما اخفى الله تعالى من خلقه وغيبه
عنهم وهذا عام وانما دخلت الها في غايبه اشاره الى الجمع اي ما من خصله غايبه عن الخلق
الا وهو عالم بها وقد اثبتها في ام الكتاب عنده فكيف يخفى عليه ما يسرونه او ما يعلنون
وقيل اي كل شي هو مثبت في ام الكتاب يخرجه للاجل المؤجل له فالذي تستعجلونه
من العذاب له اجل مضروب لا يتاخر عنه ولا يتقدم عليه والكتاب اللوح المحفوظ اثبت
الله فيه ما اراد ليعلم بذلك من يشا من ملايكته قولــــه تعالى ان هذا القران يقص
على بني اسرايل اكثر الذي هم فيه يختلفون وذلك انهم اختلفوا في كثير من الاشيا حتى لعن
بعضهم بعضا فنزلت والمعنى ان هذا القران يبين لهم ما اختلفوا فيه لو اخذوا به وذلك
ما حرفوه من التوراه والانجيل وما سقط من كتبهم من الاحكام وانه يعني القران لهدى
ورحمه للمومنين خص المومنين لانهم المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم بحكمه اي يقضي
بين بني اسرايل فيما اختلفوا فيه في الاخره فيجازي المحق والمبطل وقيل يقضي بينهم
في الدنيا فيظهر ما حرفوه وهو العزيز المنيع الغالب الذي لا يرد امره العليم الذي
لا يخفى عليه شي قولــــه تعالى فتوكل على الله اي فوض اليه امرك واعتمد عليه
فانه ناصرك انك على الحق المبين اي الظاهر وقيل المظهر لمن تدبر وجه الصواب انك
لا تسمع الموتى يعني الكفار لتركهم التدبر فهم كالموتى الذين لا حس لهم ولا عقل وقيل
هذا فيمن علم الله انه لا يومن ولا تسمع الصم الدعا يعني الكفار الذين هم بمنزله الصم
عن قبول المواعظ فاذا دعوا الى الخير اعرضوا وولوا كانهم لا يسمعون نظيره صم بكم
عمي كما تقدم وقرا ابن محيصن وحميد وابن كثير وابن ابي اسحق وعباس عن ابي عمرو
ولا يسمع بفتح اليا والميم الصم رفعا على الفاعل الباقون تسمع مضارع اسمعت الصم نصبا

مسئله وقد احتجت عايشه رضي الله عنها في انكارها ان النبي صلي الله عليه وسلم اسمع
موتي بدر بهذه الايه ونظرت في الامر بقياس عقلي وو وقفت مع هذه الايه وقد صح ان
النبي صلي الله عليه وسلم قال ما انتم باسمع منهم قال ابن عطيه فيشبه ان قصه بدر
خرق عاده لمحمد صلي الله عليه وسلم في ان يرد الله اليهم ادراكا سمعوا به مقالته ولولا
اخبار رسول الله صلي الله عليه وسلم بسماعهم لحملنا نداه اياهم علي معني التوبيخ لمن بقي
من الكفره وعلي معني شفا صدور المومنين قال الشيخ القرطبي رحمه الله روي
البخاري حدثني عبد الله بن محمد سمع روح بن عباده ح سعيد بن ابي عروبه عن قتاده قال
ذكر لنا انس بن مالك عن ابي طلحه ان نبي الله صلي الله عليه وسلم امر يوم بدر باربعه وعشرين
رجلا من صناديد قريش فقذفوا في طوي من اطوا بدر خبيث مخبث وكان اذا ظهر علي قوم
اقام العرصه ثلث ليال فلما كان ببدر اليوم الثالث امر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشي
واتبعه اصحابه قالوا ما نري ينطلق الا لبعض حاجته حتي قام علي شفه الركي فجعل يناديهم
باسمايهم واسما ابايهم يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان ايسركم انكم اطعتم الله ورسوله
فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قال فقال عمر يا رسول
الله ما تكلم من اجساد لا ارواح لها فقال النبي صلي الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده
ما انتم باسمع لما اقول منهم قال قتاده احياهم الله حتي اسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا
ونقمه وحسره وندما خرجه مسلم ايضا قال البخاري حدثني عثمان قال نا عبده
عن هشام عن ابيه عن ابن عمر قال وقف النبي صلي الله عليه وسلم علي قليب بدر فقال
هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ثم قال انهم الان ليسمعون ما اقول فذكر لعايشه فقالت
انما قال انهم الان ليعلمون ان الذي كنت اقول لهم هو الحق ثم قرات انك لا تسمع الموتي
حتي قرات الايه وقد عورض هذه الايه بقصه بدر وبالسلام علي القبور وبما
روي في ذلك من ان الارواح تكون علي شفير القبور في اوقات وبان الميت يسمع قرع
النعال اذا انصرفوا عنه الي غير ذلك فلو لم يسمع الميت لم يسلم عليه وهذا واضح
وقد ذكرناه في كتاب التذكره قوله تعالي وما انت بهادي العمي عن
ضلالتهم اي لعذرهم اي ليس في وسعك خلق الايمان في قلوبهم وقرا حمزه وما انت تهدي
العمي عن ضلالتهم كقوله افانت تهدي العمي الباقون بهادي وهي اختيار ابي عبيد

وابي حاتم وفي الروم مثله وكلهم وقف على بهادي في هذه السوره وبغير ما في الروم اتباعا
للمصحف الا يعقوب فانه وقف فيهما جميعا باليا واجاز الفرا وابو حاتم وما انت بهادٍ
العمي على الاصل وفي حرف عبد الله وما ان تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع الا من
يومن بآياتنا قال ابن عباس اي الا من خلقته للسعاده فهم مخلصون في التوحيد

قوله تعالى واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابه من الارض تكلمهم اختلف
في معنى وقع القول وفي الدابه فقيل معنى وقع القول عليهم وجب الغضب عليهم قاله قتاده
وقال مجاهد اي حق القول عليهم بانهم لا يومنون وقال ابن عمر وابو سعيد الخدري
رضي الله عنهما اذا لم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وجب السخط عليهم وقال
عبد الله ابن مسعود وقع القول يكون بموت العلما وذهاب العلم ورفع القران قال عبد الله
اكثروا تلاوه القران قبل ان يرفع قالوا هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال
قال يسرى عليه ليلا فيصبحون منه فقرا وينسون لا اله الا الله ويقعون في قول
الجاهليه واشعارهم وذلك حين يقع عليهم القول قال الشيخ القرطبي رحمه الله
اسند ابو بكر البزار قال حدثنا عبيد الله ابن يوسف الثقفي قال نا عبد المجيد بن عبد العزيز
عن موسى بن عبيده عن صفوان ابن سليم عن ابن لعبد الله بن مسعود عن ابيه رضي الله عنه
انه قال اكثروا من زياره هذا البيت من قبل ان يرفع وتنسى الناس مكانه واكثروا
تلاوه القران من قبل ان يرفع قالوا يا ابا عبد الرحمن هذه المصاحف ترفع فكيف بما في
صدور الرجال قال يصبحون فيقولون كنا نتكلم بكلام ونقول قولا فيرجعون الى شعر
الجاهليه واحاديث الجاهليه وذلك حين يقع القول عليهم وقيل القول هو قوله تعالى
ولكن حق القول مني لاملان جهنم فوقوع القول وجوب العقاب على هولا اي فاذا صاروا
الى حد لا تقبل توبتهم ولا يولد لهم ولد مومن فحينيذ تقوم القيمه ذكره القشيري
وقول سادس قالت حفصه بنت سيرين سالت ابا العاليه عن قول الله عز وجل واذا
وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابه من الارض تكلمهم فقال اوحى الله الى نوح انه لن يومن
من قومك الا من قد امن فكانه كان على وجهي غطا كشف قال النحاس هو من احسن
الجواب لان الناس ممتحنون وموروثون لان فيهم مومنين وصالحين ومن قد علم الله
جل وعز انه سيومن ويتوب فلهذا امهلوا وامروا باخذ الجزيه فاذا زال الهذا وجب

مطلب شريف

فوقوع

القول عليهم فصاروا كقوم نوح حين قال الله عز وجل انه لن يومن من قومك الا من قد
آمن قال الشيخ القرطبي رحمه الله وجميع الاقوال عند التامل ترجع الى معنى واحد
والدليل عليه اخر الايه ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون وقرئ ان بفتح الهمزه وسياتي
وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث اذا
خرجن لا ينفع نفسا ايمانها طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابه الارض وقد
مضى في الانعام واختلف في تعيين هذه الدابه وصفتها ومن اين تخرج اختلافا
كثيرا قد ذكرناه في كتاب التذكره ونذكره هنا ان شا الله مستوفى فاول الاقوال
انه فصيل ناقه صالح وهو اصحها والله اعلم لما ذكره ابو داود الطيالسي في مسنده
عن حذيفه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابه فقال لها ثلاث خرجات
من الدهر فتخرج في اقصى الباديه ولا يدخل ذكرها القريه يعني مكه ثم تكمن زمانا
طويلا ثم تخرج خرجه اخرى دون ذلك فيفشوا ذكرها في اهل الباديه ويدخل
ذكرها القريه يعني مكه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بينا الناس في
اعظم المساجد على الله حرمه خيرها واكرمها المسجد الحرام لم ترعهم الا وهي ترغو
بين الركن والمقام تنفض عن راسها التراب فارفض الناس منها شتى ومعه وثبتت عصابه
من المومنين وعرفوا انهم لن يعجزوا الله فبدات بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها
كانها الكوكب الدري وولت في الارض لا يدركها طالب ولا ينجوا منها هارب حتى ان
الرجل ليتعوذ منها بالصلاه فتاتيه من خلفه فتقول يا فلان الان تصلي فتقبل عليه فتسمه
في وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس في الاموال ويصطلحون في الامصار يعرف
المومن من الكافر حتى ان المومن يقول يا كافر اقضني حقي وحتى ان الكافر يقول
يا مومن اقضني حقي وموضع الدليل من هذا الحديث انه الفصيل قوله وهي ترغو
والرغا انما هو للابل وذلك ان الفصيل لما قتلت الناقه هرب فانفتح له حجر فدخل
في جوفه ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه حتى يخرج باذن الله جل وعز ويروى انها
دابه مزغبه شعرا ذات قوايم طولها ستون ذراعا ويقال انها الجساسه وهو
قول عبد الله ابن عمرو وروي عن ابن عمر انها على خلقه الادميين وهي في السحاب
وقوايمها في الارض وروي انها خلقت من كل حيوان وذكر الماوردي والثعلبي

٢

انها دابه راسها راس ثور وعينها عين خنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وعنقها
عنق نعامه وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب
كبش وقوايمها قوايم بعير بين كل مفصل ومفصل اثنا عشر ذراعا الزمخشري بذراع
ادم عليه السلام يخرج معها عصى موسى وخاتم سليمن فتنكت في وجه المومن بعصا موسى
نكته بيضا فيبيض وجهه وتنكت في وجه الكافر بخاتم سليمن فيسود وجهه قاله ابن الزبير
رضي الله عنهما وفي كتاب النقاش عن ابن عباس ان الدابه الثعبان المشرف على جدار الكعبه
التي اقتلعها العقاب حين ارادت قريش بنا الكعبه وحكى الماوردي عن محمد بن كعب عن
علي ابن ابي طالب عليه السلام انه سيل عن الدابه فقال اما والله ما لها ذنب وان لها
للحيه قال الماوردي في هذا القول منه اشاره الى انها من الانس وان لم يصرح به
قال الشيخ القرطبي رحمه الله ولهذا والله اعلم قال بعض المتاخرين من المفسرين
ان الاقرب ان تكون هذه الدابه انسانا متكلما يناظر اهل البدع والكفر ويجادلهم لينقطعوا
فيهلك من هلك عن بينه ويحيى من حي عن بينه قال شيخنا ابو العباس احمد بن عمر القرطبي
في كتاب المفهم له وانما كان عند هذا القايل الاقرب لقوله تعالى تكلمهم وعلى هذا فلا يكون
في هذه الدابه ايه خاصه خارقه للعاده ولا يكون من جمله العشر الايات المذكوره في
الحديث لان وجود المناظرين والمحتجين على اهل البدع كثير فلا ايه خاصه فلا ينبغي ان تذكر
مع العشر ويرتفع خصوصيه وجودها اذا وقع القول ثم فيه العدول عن تسميه هذا
الانسان المناظر الفاضل العالم الذي على اهل الارض باسم الانسان او باسم العالم او بالامام
الا ان يسمى بدابه وهذا خروج عن عاده الفصحا وعن تعظيم العلما وليس ذلك دابُ
العقلا فالاولى ما قاله اهل التفسير والله بحقايق الامور عليم قال الشيخ القرطبي
رحمه الله قد رفع الاشكال في هذه الدابه ما ذكرناه من حديث حذيفه فليعتمد عليه
واختلف من اي موضع تخرج فقال عبد الله ابن عمر تخرج من جبل الصفا يتصدع
فتخرج منه وقال عبد الله بن عمرو نحوه وقال لو شيت ان اضع قدمي على موضع خروجها
لفعلت وروي في خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض تنشق عن الدابه وعيسى
عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون من ناحيه المسعى وانها تخرج من الصفا
فتسم بين عيني المومن هو المومن سمه كانها كوكب دري وتسم بين عيني الكافر نكته

سودا كافر وذكر في الخبر انها ذات وبر وريش ذكره المهدوي وعن ابن عباس
انها تخرج من شعب فيمس راسها السحاب ورجلاها في الارض لم تخرجا وتخرج معها
عصى موسى وخاتم سليمن وعن حذيفه تخرج ثلث خرجات خرجه في بعض البوادي
ثم تكمن وخرجه في القرى يتقاتل فيها الامرا حتى تكثر الدما وخرجه من اعظم المساجد
واكرمها واشرفها وافضلها الزمخشري تخرج من بين الركن حذا دار بني مخزوم عن
يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظاره وروي عن قتاده انها
تخرج من تهامه وروي انها تخرج من مسجد الكوفه من حيث فار تنور نوح عليه السلم
وقيل من ارض الطايف قال ابو قبيل ضرب عبد الله ابن عمرو ارض الطايف برجله
وقال من هنا تخرج الدابه التي تكلم الناس وقيل من بعض اوديه تهامه قاله ابن عباس
وقيل من صخره من شعب اجياد قاله عبد الله بن عمرو وقيل من بحر سدوم قاله وهب
ابن منبه ذكر هذه الاقوال الثلثه الاخيره الماوردي في كتابه وذكر البغوي ابو القسم
عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ثنا علي ابن الجعد عن فضيل ابن مرزوق الرقاشي الاغر
وسيل عنه يحيى بن معين فقال ثقه عن عطيه العوفي عن ابن عمر قال تخرج الدابه
من صدع في الكعبه كجري الفرس ثلثه ايام لا يخرج ثلثها قال الشيخ القرطبي رحمه الله
فهذه اقوال الصحابه والتابعين في خروج الدابه وصفتها وهي ترد قول من قال
من المفسرين ان الدابه انما هي انسان متكلم يناظر اهل البدع والكفر وقد روى ابو
امامه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تخرج الدابه فتسم الناس على خراطيمهم ذكره
الماوردي تكلمهم بضم التا وشد اللام مكسوره من الكلام قراه العامه يدل عليه
قراه ابي تنبيهم وقال السدي تكلمهم ببطلان الاديان سوى دين الاسلام وقيل
تكلمهم بما يسوهم وقيل تكلمهم بلسان ذلق فتقول بصوت يسمعه من قرب وبعد ان
الناس كانوا باياتنا لا يوقنون اي بخروجي لان خروجها من الايات تقول الا لعنه
الله على الظالمين وقرا ابو زرعه وابن عباس والحسن وابو رجا تكلمهم بفتح التا
من الكلم وهو الجرح قال عكرمه اي تسمهم وقال ابو الجوزا سالت ابن عباس عن
هذه الايه تكلمهم او تكلمهم فقال هي والله تكلمهم وتكلمهم تكلم المومن وتكلم الكافر
والفاجر اي تجرحه وقال ابو حاتم تكلمهم كما تقول تجرحهم يذهب الى انه تكثير

من تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون قرا الكوفيون وابن ابي اسحق ان بالفتح
وقرا اهل الحرمين واهل الشام واهل البصره ان بكسر الهمزه قال النحاس في
المفتوحه قولان وكذا المكسوره قال الاخفش المعنى بان وكذا قرا ابن مسعود بان
وقال ابو عبيد موضعها نصب بوقوع الفعل عليها اي تخبرهم ان الناس وقال
الكسائي والفرا ان الناس بالكسر على الاستيناف وقال الاخفش هي بمعنى تقول
ان الناس يعني الكفار باياتنا لا يوقنون يعني بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك
حين لا يقبل الله من كافر ايمانا ولم يبق الا مومنون وكافرون في علم الله قبل خروجها
قوله تعالى ويوم نحشر من كل امه فوجا اي زمره وجماعه ممن يكذب
باياتنا يعني القران وباعلامنا الداله على الحق فهم يوزعون اي يدفعون ويساقون
الى موضع الحساب قال الشماخ
وكم وزعنا من خميس جحفل وكم حبونا من رئيس مسحل وقال قتاده يوزعون
اي يرد اولهم على اخرهم حتى اذا جاءوا قال اي قال الله اكذبتم باياتي التي انزلتها على
رسلي وبالايات التي اقمتها دلاله على توحيدي ولم تحيطوا بها علما اي ببطلانها حتى
تعرضوا عنها بل كذبتم جاهلين غير مستدلين ام ماذا كنتم تعملون تقريع وتوبيخ اي ما
ذا كنتم تعملون حين لم تبحثوا عنها ولم تتفكروا فيها ووقع القول عليهم بما ظلموا اي وجب
العذاب عليهم بظلمهم اي بشركهم فهم لا ينطقون قاله اكثر المفسرين قوله
تعالى الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه اي يستقرون وينامون والنهار مبصرا
اي يبصر فيه لسعي الرزق ان في ذلك لايات لقوم يومنون بالله ذكر الدلاله على الالاهيه
وقدرته اي الم يعلموا كمال قدرتنا فيومنوا قوله تعالى ويوم ينفخ في الصور
اي واذكر يوم او ذكرهم يوم ينفخ في الصور ومذهب الفرا ان المعنى وذلكم يوم ينفخ
في الصور واجاز فيه الحذف والصحيح في الصور انه قرن من نور ينفخ فيه اسرافيل
وقال مجاهد كهيئه البوق وقيل هو البوق بلغه اليمن وقد مضى في الانعام بيانه
وما للعلما في ذلك ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شا الله قال ابو هريره
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه
اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش ينتظر متى يومر بالنفخه

قلت يا رسول الله ما الصور قال قرن والله عظيم والذي بعثني بالحق ان عظم داره فيه
كعرض السما والارض فينفخ فيه ثلاث نفخات النفخه الاولي نفخه الفزع والثانيه نفخه
الصعق والثالثه نفخه البعث والقيام لرب العالمين وذكر الحديث ذكره علي بن معبد
والطبري والثعلبي وغيرهم وصححه ابن العربي وقد ذكرناه في كتاب التذكره وتكلمنا
عليه هناك وان الصحيح في النفخ في الصور نفختان لا ثلاث وان نفخه الفزع اما ان
تكون راجعه الي نفخه الصعق لان الامرين لا زمان لها اي فزعوا فزعا ماتوا منه او الي
نفخه البعث وهو اختيار القشيري وغيره فانه قال في كلامه علي هذه الايه والمراد
النفخه الثانيه اي يحيون فزعين يقولون من بعثنا من مرقدنا هذا ويعاينون من الامر
ما يهولهم ويفزعهم وهذا النفخ كصوت البوق ليجتمع الخلق في ارض الجزا وقال الماوردي
ويوم ينفخ في الصور هو يوم النشور من القبور قال وفي هذا الفزع قولان احدهما انه
الاسراع والاجابه الي الندا من قولهم فزعت اليك في كذا اذا اسرعت الي ندايك في معونتك
والقول الثاني ان الفزع هنا هو الفزع المعهود من الخوف والحذر لانهم ازعجوا من
قبورهم ففزعوا وخافوا وهذا اشبه القولين قال الشيخ القرطبي رحمه الله
والسنه الثابته من حديث ابي هريره وحديث عبد الله ابن عمرو يدل علي انهما نفختان لا ثلث
خرجهما مسلم وقد ذكرناهما في كتاب التذكره وهو الصحيح ان شا الله انهما نفختان قال
الله تعالي ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله فاستثني
هنا كما استثنا في نفخه الفزع فدل انهما واحده وقد روي ابن المبارك عن الحسن قال
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم بين النفختين اربعون سنه الاولي يميت الله بها
كل حي والاخري يحيي الله بها كل ميت فان قيل فان قوله تعالي يوم ترجف
الراجفه تتبعها الرادفه الي ان قال فانما هي زجره واحده وهذا يقتضي بظاهره
انها ثلاث قيل له ليس كذلك وانما المراد بالزجره النفخه الثانيه التي يكون عنها
خروج الخلق من قبورهم كذلك قال ابن عباس ومجاهد وعطا وابن زيد وغيرهم
قال مجاهد هما صيحتان اما الاولي فيميت كل شي باذن الله واما الاخري فيحيي
كل شي باذن الله وقال عطا الراجفه القيامه والرادفه البعث وقال ابن
زيد الراجفه الموت والرادفه الساعه والله اعلم الا من شا الله اختلف في

هذا المستثنى من هم ففى حديث ابي هريره انهم الشهدا عند ربهم يرزقون انما يصل الفزع
الى الاحيا وهو قول سعيد ابن جبير انهم الشهدا متقلدوا السيوف حول العرش وقال القشيري
والانبيا داخلون في جملتهم لان لهم الشهاده مع النبوه وقيل الملايكه وقال الحسن استثنى
طوايف من الملايكه يموتون بين النفختين قال مقاتل يعني جبريل وميكايل واسرافيل
وملك الموت وقيل الحور العين وقيل هم المومنون لان الله تعالى قال عقيب هذا من جا
بالحسنه فله خير منها وهم من فزع يوميذ امنون وقال بعض علمايينا والصحيح انه لم
يرد في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل قال الشيخ القرطبي رحمه الله خفي عليه حديث
ابي هريره وقد صححه القاضي ابو بكر بن العربي فليعول عليه لانه نص في التعيين وغيره
اجتهاد والله اعلم وقيل غير هذا على ما ياتي في الزمر وقوله ففزع من في السموات
ماض وينفخ مستقبل فيقال كيف عطف ماضيا على مستقبل فزعم الفرا ان هذا محمول
على المعنى لان المعنى اذا نفخ في الصور ففزع الا من شا الله نصب على الاستثنا وكل اتوه
داخرين قرا ابو عمرو وعاصم والكساي ونافع وابن عامر وابن كثير آتوه جعلوه فعلا
مستقبلا وقرا الاعمش ويحيى وحمزه وحفص عن عاصم وكل اتوه مقصورا على الفعل
الماضي وكذلك قراه ابن مسعود وعن قتاده وكل اتوه داخرين قال النحاس وفي
كتابي عن ابي اسحق في القران وكل اتوه وحد على لفظ كل ومن قرا آتوه جمع على معناها
وهذا القول غلط قبيح لانه اذا قال وكل اتوه فلم يوحد وانما جمع ولو وحد لقال آتاه
ولكن من قال اتوه جمع على المعنى وجا به ماضيا لانه رده الى ففزع ومن قرا وكل آتوه
حمله على المعنى ايضا وقال آتوه لانها جمله منقطعه من الاول قال ابن نصر قد حكي
عن ابي اسحق رحمه الله ما لم يقله ونص ابي اسحق وكل اتوه داخرين ويقرا آتوه فمن وحد
فللفظ كل ومن جمع فلمعناها يريد ما اتى في القران او غيره من توحيد خبر كل فعلى
اللفظ او جمع فعلى المعنى فلم ياخذ ابو جعفر هذا المعنى قال المهدوي ومن قرا وكل
اتوه داخرين فهو فعل من الاتيان وحمل على معنى كل دون لفظها ومن قرا وكل آتوه
فهو اسم الفاعل من اتى يدلك على ذلك قوله تعالى وكلهم اتيه يوم القيمه فردا ومن
قرا وكل اتاه حمله على لفظ كل دون معناها وحمل داخرين على المعنى ومعناه صاغرين
عن ابن عباس وقتاده وقد مضى في النحل قوله تعالى وترى الجبال

تحسبها جامدة قال ابن عباس اي قايمة وهي تسير سيرا حثيثا قال القتبي وذلك ان
الجبال تجمع وتسير وهي في رويه العين كالقايمة وهي تسير وكذلك كل شي عظيم وجمع
كثير يقصر عنه النظر لكثرته وبعد ما بين اطرافه وهو في حسبان الناظر كالواقف
وهو يسير قال الشاعر وهو النابغة في وصف جيش

بارعن مثل الطود تحسب انهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج

قال القشيري
هذا يوم القيمة اي هي لكثرتها كانها جامدة اي واقفة في مراي العين وان كانت في
انفسها تسير سير السحاب والسحاب المتراكم تظن انها واقفة وهي تسير اي تمر مر
السحاب حتى لا يبقى منها شي قال الله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا ويقال ان
الله تعالى وصف الجبال بصفات مختلفة ترجع كلها الى تفريغ الارض منها وابراز ما كانت
توارية فاول الصفات الاندكاك وذلك قبل الزلزلة ثم تصير كالعهن المنفوش
وذلك اذا صارت السما كالمهل وقد جمع الله بينهما فقال يوم تكون السما كالمهل وتكون
الجبال كالعهن والحالة الثالثة ان تصير كالهبا وذلك ان تتقطع
بعد ان كانت كالعهن والحالة الرابعة ان تنسف لانها مع الاحوال المتقدمة قارة
في مواضعها والارض تحتها غير بارزة فتنسف عنها لتبرز فاذا انسفت فبارسال الرياح
عليها والحالة الخامسة ان الرياح ترفعها على وجه الارض فتظهرها شعاعا في
الهوا كانها غبار فمن نظر اليها من بعد حسبها لتكاثفها اجسادا جامدة وهي بالحقيقة
مارة الا ان مرورها مرور الرياح كانها مندكة متفتتة والحال السادسة ان تكون
سرابا يعني لا شي فمن نظر الى مواضعها لم يجد فيها شيا منها كالسراب قال مقاتل
تقع على الارض فتسوي بها ثم قيل هذا مثل قال الماوردي وفيما ضرب له ثلثة
اقاويل احدها انه مثل ضربه الله تعالى للدنيا يظن الناظر اليها انها واقفة كالجبال
وهي اخذة بحظها من الزوال كالسحاب قاله سهل بن عبد الله الثاني انه مثل
ضرب للايمان تحسبه ثابتا في القلب وعمله صاعدا الى العرش الثالث انه مثل ضرب
للنفس عند خروج الروح والروح تسير الى العرش صنع الله الذي اتقن كل شي اي
هذا من فعل الله وهو فعل منه فهو متقن ومري من رويه العين ولو كانت من
فعل القلب لتعدت الى مفعولين والاصل ترايي فالقيت حركة الهمزة على الرا فتحركت

الرا وحذفت الهمزه وهذا سبيل تخفيف الهمزه اذا كان قبلها ساكن الا ان التخفيف لازم
لترى واهل الكوفه يقرون تحسبها بفتح السين وهو القياس لانه من حسب يحسب
الا انه قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافها انه قرا بالكسر في المستقبل فيكون
على فعل يفعل مثل نعم ينعم وبيس ييس من السالم لا يعرف في كلام العرب غير هذه الاحرف
وهي تمر مر السحاب تقديره تمر مرا مثل مر السحاب فاقيمت الصفه مقام الموصوف
والمضاف مقام المضاف اليه فالجبال تزال من اماكنها من على وجه الارض وتجمع وتسير
كما تسير السحاب ثم تكسر فتعود الى الارض كما قال وبست الجبال بسا صنع الله
منصوب عند الخليل وسيبويه على انه مصدر لانه لما قال عز وجل وهي تمر مر السحاب
دل على انه قد صنع ذلك صنعا ويجوز النصب على الاغرا اي انظروا صنع الله فيوقف
على هذا على السحاب ولا يوقف عليه على التقدير الاول ويجوز رفعه على تقدير ذلك صنع
الله الذي اتقن كل شي اي احكمه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله من عمل
عملا فاتقنه وقال قتاده احسن كل شي والاتقان الاحكام يقال رجل تقن اي حاذق
بالاشيا وقال الزهري اصله من ابن تقن وهو رجل من عاد لم يكن يسقط له سهم فضرب
به المثل يقال ارمى من ابن تقن ثم يقال لكل حاذق تقن انه خبير بما يفعلون قرا ابن
كثير وابو عمرو وهشام بالياء الباقون تفعلون بالتاء على الخطاب قوله تعالى
من جا بالحسنه فله خير منها قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما الحسنه
لا اله الا الله وقال ابو معشر كان ابرهيم يحلف بالله الذي لا اله الا هو ولا يستثني
ان الحسنه لا اله الا الله محمد رسول الله وقال علي بن الحسين ابن علي رضوان الله عليهم
غزا رجل فكان اذا خلا بمكان قال لا اله الا الله وحده لا شريك له فبينما هو في ارض الروم
في ارض حلفا وبردي رفع صوته فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له فخرج عليه
رجل على فرس عليه ثياب بيض فقال له والذي نفسي بيده انها الكلمه التي قال الله تعالى
من جا بالحسنه الايه وروى ابو ذر قال قلت يا رسول الله اوصني قال اتق الله واذا
عملت سيئه فاتبعها حسنه تمحها قال قلت يا رسول الله امن الحسنات لا اله الا الله
قال من افضل الحسنات في روايه قال نعم هي احسن الحسنات ذكره البيهقي وقال
قتاده من جا بالحسنه بالاخلاص والتوحيد وقيل ادا الفرايض كلها قال

مطلب شريف

مطلب شريف

الشيخ القرطبي رحمه الله اذا اتى بلا اله الا الله على حقيقتها وما يجب لها على ما تقدم
بيانه في سوره ابرهيم فقد اتى بالتوحيد والاخلاص والفرايض فله خير منها
قال ابن عباس اي وصل اليه الخير منها وقاله مجاهد وقيل فله الجزا الجميل وهو
الجنه وليس خير للتفضيل قال عكرمه وابن جريج اما ان يكون له خير منها يعني من
الايمان فلا فانه ليس شي خير لمن قال لا اله الا الله ولكن له منها خير وقيل فله خير
منها للتفضيل اي ثواب الله خير من عمل العبد وقوله وذكره وكذلك رضوان
الله خير للعبد من فعل العبد قاله ابن عباس ايضا وقيل يرجع هذا الى الاضعاف فان
الله تعالى يعطيه بالواحده عشرا وبالايمان في مده يسيره الثواب الابدي قاله محمد بن
كعب وعبد الرحمن ابن زيد وهم من فزع يومئذ امنون قرا عاصم وحمزه والكساي
من فزع يومئذ بالتنوين وفتح الميم نافع بفتح الميم من غير تنوين الباقون من فزع
يومئذ بالاضافه قال ابو عبيد وهذا اعجب الي لانه اعم التاويلين ان يكون الامن من
جميع فزع ذلك اليوم واذا قال من فزع يومئذ صار كانه فزع دون فزع قال
القشيري وقرى من فزع بالتنوين ثم قيل يعني به فزعا واحدا كما قال لا يحزنهم الفزع
الاكبر وقيل عنى الكثره لانه مصدر والمصدر صالح للكثره قال الشيخ القرطبي رحمه
الله فعلى هذا تكون القراتان بمعنى قال المهدوي ومن قرا من فزع يومئذ بالتنوين
انتصب يومئذ بالمصدر الذي هو فزع ويجوز ان يكون صفه لفزع ويكون متعلقا بالمحذوف
لان المصادر يخبر عنها باسما الزمان وتوصف بها ويجوز ان يتعلق باسم الفاعل الذي
هو امنون والاضافه على الاتساع في الظروف ومن حذف التنوين وفتح الميم بناه لانه
ظرف زمان وليس الاعراب في ظرف الزمان متمكنا فلما اضيف الى غير متمكن ولا معرب
بني وانشد سيبويه ؎ على حين الهى الناس جل امورهم فندلا زريق المال ندل الثعالب
قوله تعالى ومن جا بالسيه اي بالشرك قاله ابن عباس وابو هريره والنخعي
ومجاهد وقيس ابن سعد والحسن وهو اجماع من اهل التاويل في ان الحسنه لا اله الا
الله وان السيه الشرك في هذه الايه فكبت وجوههم في النار قال ابن عباس القيت
وقال الضحاك طرحت يقال كببت الانا قلبته على وجهه واللازم منه اكب
وقلما ياتي هذا في كلام العرب هل تجزون اي يقال لهم هل تجزون ثم يجوز ان

يكون

60

يكون من قول الله ويجوز ان يكون من قول الملائكة الا ما كنتم تعملون اي الاجزاء اعمالكم

قوله تعالى انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها يعني مكة التي عظم الله حرمتها اي جعلها حرما امنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يصاد فيها صيد ولا يعضد فيها شجر على ما تقدم بيانه في غير موضع وقرا ابن عباس التي حرمها نعتا للبلدة وقراءة الجماعة الذي وهو في موضع نصب نعت لرب ولو كان بالالف واللام لقلت المحرمها فان كان نعتا للبلدة قلت المحرمها هو لا بد من اظهار المضمر مع الالف واللام لان الفعل جرى على غير من هو له فان قلت التي حرمها لم تحتج ان تقول هو وله كل شي خلقا وملكا وامرت ان اكون من المسلمين ان المنقادين لامره الموجودين له وان اتلو القران اي وامرت ان اتلو القران اي اقراه فمن اهتدى فله ثواب هدايته ومن ضل فليس علي الا البلاغ نسختها اية القتال قال النحاس وان اتلو نصب بان قال الفرا وفي احدى القرائين وان اتل وزعم انه في موضع جزم بالامر فلذلك حذفت منه الواو قال النحاس ولا نعرف احدا قرا هذه القراءة وهي مخالفة لجميع المصاحف

قوله تعالى وقل الحمد لله اي على نعمه وعلى ما هدانا سيريكم اياته اي في انفسكم وفي غيركم كما تقدم سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم فتعرفونها اي تعرفون دلايل قدرته ووحدانيته في انفسكم وفي السموات وفي الارض نظيره قوله تعالى وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وما ربك بغافل عما تعملون قرا اهل المدينة واهل الشام وحفص عن عاصم بالتا على الخطاب لقوله سيريكم اياته فتعرفونها فيكون الكلام على نسق واحد الباقون بالبا على ان يرد الى ما قبله من قوله فمن اهتدى فاخبر عن تلك الاية تمت السورة بحمد الله وعونه

تمت السورة

سورة القصص مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطا وقال ابن عباس وقتادة الا اية نزلت بين مكة والمدينة وهي قوله جل وعز ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد وقال مقاتل فيها من المدني الذين اتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين وهي ثمان وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى طسم تقدم الكلام فيه تلك ايات
الكتاب المبين تلك في موضع رفع بمعنى هذه تلك وايات بدل منها ويجوز ان تكون تلك في موضع
نصب بنتلوا وايات بدل منها ايضا وتنصبها كما تقول زيدا ضربت والمبين اي المبين
بركته وخيره والمبين الحق من الباطل والحلال من الحرام وقصص الانبيا ونبوة محمد صلى
الله عليه وسلم ويقال ابان الشي وبان وابان اتضح ثم قال تعالى نتلوا عليك من نبا موسى
وفرعون بالحق لقوم يومنون ذكر قصة موسى وفرعون وقارون واحتج على
مشركي قريش وبين ان قرابة قارون من موسى لم تنفعه مع كفره فكذلك قرابة قريش
لمحمد صلى الله عليه وسلم وبين ان فرعون علا وتجبر فكان ذلك من كفره فليجتنب العلو في
الارض وكذلك التعزز بكثرة المال وهما من سيرة فرعون وقارون نتلوا عليك اي
نقرا عليك جبريل بامرنا من نبا موسى وفرعون اي من خبرهما ومن للتبعيض ومن نبا
مفعول نتلوا اي نتلوا عليك بعض خبرهما كقوله تعالى تنبت بالدهن بالحق اي بالصدق
الذي لا ريب فيه ولا كذب لقوم يومنون اي يصدقون بالقران ويعلمون انه من عند
الله فاما من لم يومن فلا يعتقد انه حق قوله تعالى ان فرعون علا في الارض
اي استكبر وتجبر قاله ابن عباس والسدي وقال قتادة علا في نفسه عن عبادة ربه
بكفره وادعا الربوبية وقيل بملكه وسلطانه فصار عاليا على من تحت يده في الارض
اي ارض مصر وجعل اهلها شيعا اي فرقا واصنافا في الخدمة قال الاعشى
وبلدة يرهب الجواب دلجتها حتى تراه عليها يبتغي الشيعا ؛ يستضعف طايفة
منهم اي من بني اسرايل يذبح ابناهم ويستحيي نساهم انه كان من المفسدين تقدم القول
في هذا في البقرة عند قوله يسومونكم سوا العذاب يذبحون ابناكم الاية وذلك لان
الكهنة قالوا له ان مولودا يولد في بني اسرايل يذهب ملكك على يديه او قال المنجمون
له ذلك او راى رويا فعبرت له كذلك قال الزجاج العجب من حمقه لم يدر ان الكاهن
ان صدق فالقتل لا ينفع وان كذب فلا معنى للقتل وقيل جعلهم شيعا فاستسخر
كل قوم من بني اسرايل في شغل مفرد انه كان من المفسدين اي في الارض بالعمل
بالمعاصي والتجبر قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في
الارض اي نتفضل عليهم وننعم وهذه حكاية مضت ونجعلهم ايمة قال ابن عباس

قال في الخير مجاهد دعاة الى الخير قتادة ولاة وملوكا دليله قوله تعالى وجعلكم
ملوكا قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهذا اعم فان الملك امام يؤتم به ويقتدى
ونجعلهم الوارثين لملك فرعون يرثون ملكه ويسكنون مساكن القبط وهذا معنى
قوله وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرايل بما صبروا قوله تعالى ونمكن
لهم في الارض اي نجعلهم مقتدرين على الارض واهلها حتى يستولوا عليها يعني ارض مصر
والشام ونري فرعون وهامان وجنودهما اي ونريد ان نري فرعون وقرا
الاعمش ويحيى وحمزة والكساى وخلف ويرى بالياء على انه فعل ثلاثي من راى فرعون
وهامان وجنودهما رفعا لانه الفاعل الباقون نري بضم النون وكسر الراء على انه فعل
رباعي من ارى يري وهي على نسق الكلام لان قبله ونريد وبعده ونمكن فرعون وهامان
وجنودهما نصبا بوقوع الفعل واجاز الفرا ويري فرعون بضم اليا وكسر الرا وفتح
اليا بمعنى ويري الله فرعون منهم ما كانوا يحذرون وذلك انهم اخبروا ان هلاكهم
على يدي رجل من بني اسرايل فكانوا على وجل منهم فاراهم الله تعالى ما كانوا يحذرون
قال قتادة كان حازي لفرعون والحازي المنجم قال له سيولد في هذه السنة مولود
يذهب بملكك فامر فرعون بقتل الولدان في تلك السنة وقد تقدم قوله
تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه قد تقدم معنى الوحي ومحامله واختلف في
هذا الوحي الى ام موسى فقالت فرقه كان قولا في منامها وقال قتادة كان الهاما
وقالت فرقه كان بملك تمثل لها قال مقاتل اتاها جبريل بذلك فعلى هذا هو وحي
اعلام لا الهام واجمع الكل على انها لم تكن نبية وانما ارسال الملك اليها على نحو تكليم الملك
للاقرع والابرص والاعمى في الحديث المشهور خرجه البخاري ومسلم وقد ذكرناه
في سورة براءه وغير ذلك مما روي من تكليم الملايكة للناس من غير نبوة وقد سلمت على
عمران بن حصين فلم يكن بذلك نبيا واسمها ايا وخا وقيل ايا ذخت فيما ذكر السهيلي
قال الثعلبي واسم ام موسى لوخا بنت هاند ابن لاوي ابن يعقوب ان ارضعيه
وقرا عمر بن عبد العزيز ان ارضعيه بكسر النون والف وصل حذف همزة ارضع
تخفيفا ثم كسر النون لالتقا الساكنين قال مجاهد وكان الوحي بالرضاع قبل
الولادة وقال غيره بعدها لما عيره لما ولدت ام موسى موسى امرت ان ترضعه

عقيب الولادة وتصنع به ما في الاية لان الخوف كان عقيب الولادة وقال ابن جريج امرت
برضاعه اربعة اشهر في بستان فاذا خافت ان يصيح لان لبنها لا يكفيه صنعت به هذا
والاول اظهر الا ان الاخر يعضده قوله فاذا خفت عليه واذا انما يستقبل من الزمان
ويروى انها اتخذت له تابوتا من بردي وقيرته بالقار من داخله ووضعت فيه موسى
والقته في نيل مصر وقد مضى خبره في طه قال ابن عباس ان بني اسرائيل لما كثروا
بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي فسلط الله عليهم القبط وساموهم سوء
العذاب الى ان نجاهم الله على يد موسى قال وهب بلغني ان فرعون ذبح في طلب موسى
سبعين الف وليد ويقال تسعون الفا ويروى انها حين اقربت وضربها الطلق وكانت
بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل مصافية لها فقالت لينفعني حبك اليوم
فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه
قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما
وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في
تنور مسجور نارا لم تعلم ما تصنع لما طاش عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا
تدري مكانه فسمعت بكاه من التنور وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما قوله
تعالى ولا تخافي فيه وجهان احدهما لا تخافي عليه الغرق قاله ابن زيد
الثاني لا تخافي عليه الضيعة قاله يحيى بن سلام ولا تحزني فيه ايضا وجهان احدهما
لا تحزني لفراقه قاله ابن زيد الثاني لا تحزني ان يقتل قاله يحيى بن سلام فقيل انها
جعلته في تابوت طوله خمسة اشبار وعرضه خمسة اشبار وجعلت المفتاح مع التابوت
وطرحته في اليم بعد ان ارضعته اربعة اشهر وقال اخرون ثلثة اشهر وقال اخرون
ثمانية اشهر في حكاية الكلبي وحكى انه لما فرغ النجار من صنعة التابوت نم الى
فرعون يخبره فبعث معه من ياخذه فطمس الله عينيه وقلبه فلم يعرف الطريق فايقن
انه المولود الذي تخوف منه فرعون فامن من ذلك الوقت وهو مومن ال فرعون
ذكره الماوردي وقال ابن عباس فلما توارى عنها ندمها الشيطان وقالت في نفسها
لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان احب الي من القائه في البحر فقال الله تعالى
انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين اي الى اهل مصر حكى الاصمعي قال

يقول

سمعت جارية اعرابية تنشد وتقول

استغفر الله لذنبي كله قتلت انسانا بغير حله

مثل الغزال ناعما في دله وانتصف الليل ولم اصله ؛ فقلت قاتلك الله ما افصحك فقالت اويعد هذا فصاحة مع قوله تعالى فاوحينا الى ام موسى الايه فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين قوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قال ذلك لما كان التقاطهم اياه يودي الى كونه لهم عدوا وحزنا فاللام في ليكون لام العاقبه ولام الصيروره لانهم انما اخذوه ليكون لهم قرة عين فكان عاقبه ذلك ان كان لهم عدوا وحزنا فذكر الحال بالمال قال الشاعر وللمنايا تربي كل مرضعه ودورنا لخراب الدهر نبنيها ؛ وقال اخر فللموت ما تلدوا الوالدات كما لخراب الدهر تبنى المساكن ؛ اي فعاقبه البنا الخراب وان كان في الحال مفروحا به والالتقاط وجود الشي من غير طلب ولا اراده التقطته التقاطا ولقيت فلانا التقاطا قال الراجز

ومنهل وردته التقاطا لم الق اذ وردته فراطا ؛ ومنه اللقطه وقد مضى في ذلك من الاحكام في سوره يوسف ما فيه كفايه وقرا الاعمش ويحيى بن المفضل وحمزه والكساي وخلف وحزنا بضم الحا وسكون الزاي الباقون بفتحها واختاره ابو عبيد وابو حاتم قال للتفخيم فيه وهما لغتان مثل العدم والعدم والسقم والسقم والرشد والرشد ان فرعون وهامان وكان وزيره من القبط وجنودهما كانوا خاطين اي عاصين مشركين اثمين قوله تعالى وقالت امراه فرعون قره عين لي ولك لا تقتلوه يروى ان اسيه امراه فرعون رات التابوت يعوم في اليم فامرت بسوقه وفتحه فرات فيه صبيا صغيرا فرحمته واحبته فقالت لفرعون قره عين لي ولك اي هو قره عين لي ولك فقره خبر ابتدا مضمر قاله الكساي وقال النحاس وفيه وجه اخر بعيد ذكره ابو اسحق يكون رفعا بالابتدا والخبر لا تقتلوه فانما بعد لانه يصير المعنى انه معروف بانه قره عين له وجوازه ان يكون المعنى اذا كان قره عين لي ولك فلا تقتلوه وقيل تمام الكلام عند قوله ولك النحاس والدليل على هذا ان في قراه عبد الله بن مسعود وقالت امراه فرعون لا تقتلوه قره عين لي ولك

ويجوز النصب بمعنى لا تقتلوا قره عين لي ولك وقالت لا تقتلوه ولم يقل لا تقتله فهي تخاطب
فرعون كما تخاطب الجبارون وكما يخبرون عن انفسهم وقيل قالت لا تقتلوه فان الله
اتى به من ارض اخرى وليس من بني اسرايل عسى ان ينفعنا فنصيب منه خيرا او نتخذه
ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وكان فرعون لما راى
الرويا وقصها على كهنته وعلمايه على ما تقدم قالوا له ان غلاما من بني اسرايل يفسد
ملكك فاخذ بني اسرايل بذبح الاطفال فراى انه يقطع نسلهم فعاد يذبح عاما ويستحيي
عاما فولد هارون في عام الاستحيا وولد موسى في عام الذبح قوله تعالى
وهم لا يشعرون هذا ابتدا الكلام من الله تعالى اي وهم لا يشعرون ان هلاكهم بسببه
وقيل هو من كلام المراه اي وبنوا اسرايل لا يدرون انا التقطناه ولا يشعرون
الا انه ولدنا واختلف المتاولون في الوقت الذي قالت فيه امراه فرعون قره
عين لي ولك فقالت فرقه كان ذلك عند التقاط التابوت لما اشعرت فرعون به
ولما اعلمته سبق الى وهمه انه من بني اسرايل وان ذلك قصد به ليتخلص من الذبح
فقال علي بالذباحين فقالت امراته ما ذكر فقال فرعون اما لي فلا قال النبي صلى الله
عليه وسلم لو قال فرعون نعم لامن بموسى ولكان قره عين له وقال السدي بل ربته
حتى درج فراى فرعون فيه شهامه فظنه من بني اسرايل فاخذه في يده فمد موسى
يده ونتف لحيه فرعون فهم حينيذ بذبحه وحينيذ خاطبته بهذا وجربته له في
الجمره والياقوته فاحترق لسانه وعلق العقده على ما تقدم في طه وقال الفرا
سمعت محمد بن مروان الذي يقال له السدي يذكر عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
انه قال انها قالت قرت عين لي ولك ثم قالت تقتلوه قال الفرا وهو لحن قال
ابن الانباري وانما حكم عليه باللحن لانه لو كان كذلك لكان تقتلونه بالنون لان
الفعل المستقبل مرفوع حتى يدخل عليه الناصب والجازم فالنون فيه علامه الرفع
قال الفرا ويقويك على رده قراه عبد الله بن مسعود وقالت امراه فرعون لا
تقتلوه قره عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه قوله تعالى واصبح فواد ام
موسى فارغا قال ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمه وقتاده والضحاك
وابو عمران الجوني وابو عبيده فارغا اي خاليا من ذكر كل شي في الدنيا الا من ذكر موسى

وقال

وقال الحسن ايضا وابن اسحق وابن زيد فارغا من الوحي اذ اوحي اليها حين امرت ان تلقيه
في البحر ولا تخافي ولا تحزني والعهد الذي عهده اليها ان يرده ويجعله من المرسلين
فقال لها الشيطان يا ام موسى كرهت ان يقتل فرعون موسى فغرقته انت ثم بلغها ان
ولدها وقع في يد فرعون فانساها عظم البلا ما كان من عهد الله اليها وقال ابو عبيده
فارغا من الحزن والغم لعلمها انه لم يغرق وقاله الاخفش ايضا وقال العلا ابن زياد
فارغا نافرا الكسائي ناسيا ذاهلا وقيل والها رواه سعيد بن جبير ابن القاسم
عن مالك هو ذهاب العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها
من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافيدتهم هوا اي جوف لا عقول لها
كما تقدم في سورة ابرهيم وذلك ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله تعالى فتكون
لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراه من قرا فزعا النحاس اصح هذه الاقوال
الاول والذين قالوه اعلم بكتاب الله عز وجل واذا كان فارغا من كل شي الا من ذكر موسى
فهو فارغ من الوحي وقول ابي عبيده فارغا من الغم غلط قبيح لان بعده ان كادت لتبدي
به لولا ان ربطنا على قلبها روى سعيد بن جبير عن ابن عباس وقرا فضاله ابن عبيد
الانصاري رضي الله عنه ومحمد بن السميفع وابو العاليه وابن محيصن فزعا بالفا والعين
من الفزع اي خايفا عليه ان يقتل ابن عباس قرعا بالقاف والراء والعين المهملتين وهي
راجعه الى قراه الجماعه فارغا ولذلك قيل للراس الذي لا شعر فيه اقرع لفراغه من
الشعر وحكى قطرب ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قرا فزغا بالفا والزاء
والغين المعجمه من غير الف وهو كقولك هدرا او باطلا يقال دماوهم بينهم فزغ اي
هدرا والمعنى بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شده ما ورد عليها وفي قوله واصبح
وجهان احدهما انها القته ليلا فاصبح فوادها في النهار فارغا الثاني انه القته نهارا
ومعنى اصبح اي صار كما قال الشاعر ؛

مضى الخلفا بالامر الرشيد ؛ واصبحت المدينه للوشيد ؛ ان كادت اي انها كادت
فلما حذفت الكنايه سكنت النون فهي ان المخففه ولذلك دخلت اللام لتبدي به اي لتظهر
امره من بدا يبدو اذا ظهر قال ابن عباس اي تصيح عند القايه وابناه السدي
كادت تقول لما حملت لارضاعه وحضانته هذا ابني وقيل انها في بنيها عايده الى الوحي

تقديره ان كادت لتبدي بالوحي الذي اوحيناه اليها ان نرده عليها والاول اظهر قال ابن مسعود
كادت تقول انا امه وقال الفرا ان كادت لتبدي باسمه لضيق صدرها لولا ان ربطنا
على قلبها قال قتاده بالايمان السدي بالعصمه وقيل بالصبر والربط على القلب الهام
الصبر لتكون من المومنين اي من المصدقين بوعد الله حين قال لها انا رادوه اليك وقال
لتبدي به ولم يقل لتبديه لان حروف الصفات قد تزاد في الكلام تقول اخذت الحبل
وبالحبل وقيل لتبدي القول به قوله تعالى وقالت لاخته قصيه اي قالت
ام موسى لاخت موسى اتبعي اثره حتى تعلمي خبره واسمها مريم بنت عمران وافق اسمها اسم
مريم ام عيسى عليه السلام ذكره الثعلبي والسهيلي وذكر الماوردي عن الضحاك ان اسمها
كلثمه وقال السهيلي كلثوم جا ذلك في حديث رواه الزبير ابن بكار ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لخديجه ان الله زوجني معك في الجنه مريم بنت عمران وكلثوم اخت
موسى واسيه امراه فرعون فقالت االله اخبرك بهذا فقال نعم فقالت بالرفا والبنين
فبصرت به عن جنب اي بعد قاله مجاهد ومنه الاجنبي قال الشاعر
فلا تحرمني نايلا عن جنابه فاني امرؤ وسط القباب غريب ؛؛ واصله من مكان
جنب وقال ابن عباس عن جنب اي عن جانب وقرا النعمان ابن سالم عن جانب اي ناحيه
وقيل عن شوق وحكى ابو عمرو بن العلا انها لغه جذام يقولون جنبت اليك اي اشتقت
وقيل عن جنب عن مجانبه لها منه فلم يعرفوا انها منه بسبيل وقال قتاده جعلت
تنظر اليه بناحيه لا تريده وكان يقرا عن جنب بفتح الجيم واسكان النون وهم لا يشعرون
انها اخته لانها كانت تمشي على ساحل البحر حتى راتهم قد اخذوه قوله تعالى
وحرمنا عليه المراضع اي منعناه من الارتضاع من قبل اي من قبل مجي امه واخته
والمراضع جمع مرضع ومن قال مراضيع فهو جمع مرضاع ومفعال يكون للتكثير
ولا تدخل الهاء فيه فرقا بين المذكر والمونث لانه ليس بجار على الفعل ولكن من قال مرضاعه
جاء بالهاء للمبالغه كما يقال مطرابه قال ابن عباس لا يوتى بمرضع فيقبلها وهذا تحريم
منع لا تحريم شرع قال امرو القيس
جالت لتصرعني فقلت لها اقصري اني امرو صرعي عليك حرام ؛؛ اي ممتنع فلما
رات اخته ذلك قالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم الايه فقالوا لها عند قولها

وهم له ناصحون وما يدريك لعلك تعرفين اهله فقالت لا ولكنهم يحرصون على مسرة الملك
ويرغبون في طيبه وقال السدي وابن جريج قيل لها لما قالت وهم له ناصحون قد
عرفت اهل هذا الصبي فدلينا عليهم فقالت اردت وهم للملك ناصحون فدلتهم على ام
موسى فانطلقت اليها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو
يبكي يطلب الرضاع فدفع اليها فلما وجد الصبي ريح امه قبل ثديها وقال ابن زيد استهم
ابوها حين قالت ذلك فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون وقيل انها لما قالت هل
ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وكانوا بالغوا في طلب مرضعة يقبل ثديها فقيل من هي
فقالت امي فقيل لها البن فقالت نعم لبن هارون وكان ولد في سنة لا يقتل فيها الصبيان
فقالوا صدقت والله وهم له ناصحون اي فيهم شفقة ونصح فروي انه قيل لام موسى
حين ارتضع منها كيف ارتضع منك ولم يرتضع من غيرك فقالت لاني امراة طيبة الريح طيبة
اللبن لا اكاد اوتى بصبي الا ارتضع مني قال ابو عمران الجوني وكان فرعون يعطي
ام موسى كل يوم دينارا الزمخشري فان قلت كيف حل لها ان تاخذ الاجر على رضاع ولدها
قلت ما كانت تاخذه على انه اجر على الرضاع ولكنه مال حربي كانت تاخذه على
وجه الاستباحة قوله تعالى فرددناه الى امه اي رددناه وقد عطفنا قلب
العدو عليه ووفينا لها بالوعد كي تقر عينها اي بولدها ولا تحزن اي بفراق ولدها
ولتعلم ان وعد الله حق اي لتعلم وقوعه فانها كانت عالمة بان رده عليها سيكون ولكن
اكثرهم يعني اكثر ال فرعون لا يعلمون اي كانوا في غفلة عن التقدير وسر القضا وقيل
اي اكثر الناس لا يعلمون ان وعد الله في كل ما وعد حق قوله تعالى ولما بلغ
اشده واستوى اتيناه حكما وعلما قد مضى الكلام في الاشد في الانعام وقول ربيعة
ومالك انه الحلم اولى ما قيل فيه لقوله تعالى حتى اذا بلغوا النكاح وذلك اول الاشد
واقصاه اربع وثلثون سنه وهو قول سفين الثوري واستوى قال ابن عباس بلغ
اربعين سنه والحكم الحكمة وقيل النبوة وقيل الفقه في الدين وقد مضى بيانها في
البقرة وغيرها والعلم الفهم في قول السدي وقيل النبوة وقال مجاهد الفقه
محمد بن اسحق لما في دينه ودين ابائه وكان له تسعة من بني اسرائيل يسمعون منه ويقتدون
به ويجتمعون اليه وكان هذا قبل النبوة وكذلك نجزي المحسنين اي كما جزينا ام موسى

لما استسلمت لامر الله والقت ولدها في البحر وصدقت بوعد الله فرددنا ولدها اليها
والطرق اليها وهي امنه ثم وهبنا له العقل والحكمه والنبوه فكذلك نجزي كل محسن
قوله تعالى ودخل المدينه على حين غفله من اهلها قيل لما عرف موسى ما هو
عليه من الحق في دينه عاب ما عليه قوم فرعون وفشا ذلك منه فاخافوه وخافهم فكان
لا يدخل على مدينه فرعون الا خايفا مستخفيا وقال السدي كان موسى في وقت هذه
القصه على رسم التعلق بفرعون وكان يركب مراكبه حتى كان يدعى موسى ابن فرعون فركب
فرعون يوما وسار الى المدينه من مداين مصر يقال لها منف يقال هي قريه على فرسخين
من مصر ثم علم موسى بركوب فرعون فركب بعده ولحق بتلك القريه في وقت القايله
وهو وقت الغفله قاله ابن عباس وقال ايضا هو بين العشا والعتمه وقال ابن
اسحق بل المدينه مصر نفسها وكان موسى في هذا الوقت قد اظهر خلاف فرعون وعاب
عليهم عباده فرعون والاصنام فدخل مدينه فرعون يوما على حين غفله قال سعيد بن جبير
وقتاده وقت الظهيره والناس نيام وقال ابن زيد كان فرعون قد نابذ موسى واخرجه
من المدينه وغاب عنها سنين وجاء والناس على غفله بنسيانهم لامره وبعد عهدهم به وكان
ذلك يوم عيد وقال الضحاك طلب ان يدخل المدينه وقت غفله اهلها فدخلها حين علم
منهم ذلك فكان منه من قتل الرجل من قبل ان يومر بقتله فاستغفر ربه فغفر له ويقال
في الكلام دخل المدينه حين غفل اهلها ولا يقال على حين غفل اهلها ودخلت على في هذه الايه
لان الغفله هي المقصوده فصار هذا كما تقول جيت على غفله وان شيت قلت جيت على حين
غفله وكذا الايه فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه والمعنى
اذا نظر اليهما الناظر قال هذا من شيعته اي من بني اسرايل وهذا من عدوه اي من
قوم فرعون فاستغاثه الذي من شيعته اي طلب نصره وعونه وكذا قال في الايه
بعدها فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه اي يستغيث به على قبطي اخر وانما
اغاثه لان نصر المظلوم دين في الملل كلها وفرض في جميع الشرايع قال قتاده
اراد القبطي ان يسخر الاسرايلي ليحمل حطبا لمطبخ فرعون فابى عليه فاستغاث
بموسى قال سعيد بن جبير وكان خبازا لفرعون فوكزه موسى قال قتاده بعصاه
وقال مجاهد بكفه اي دفعه والوكز واللكز واللهز واللهد بمعنى واحد وهو

الضرب بجميع الكف مجموعا كعقده ثلاثه وسبعين وقرا ابن مسعود فلكزه وقيل اللكز في اللحى
والوكز في القلب وحكى الثعلبي ان في مصحف ابن مسعود فنكزه بالنون والمعنى واحد وقال
الجوهري عن ابي عبيد اللكز الضرب بالجمع على الصدر وقال ابو زيد في جميع الجسد واللهز
الضرب بجميع اليد في الصدر مثل اللكز عن ابي عبيده ايضا وقال ابو زيد هو بالجمع في
اللهازم والرقبه والرجل ملهز بكسر الميم وقال الاصمعي نكزه اي ضربه ودفعه الكسائي
نهزه مثل نكزه ووكزه اي ضربه ودفعه ولهده لهدا اي دفعه لذله فهو ملهود وكذلك
لهده قال طرفه يذم رجلا بطي عن الداعي سريع الى الخنا ذلول باجماع الرجال ملهد
اي مدفع وانما شدد للكثره وقالت عايشه رضي الله عنها فلهدني تعني رسول الله صلى الله
عليه وسلم لهده اوجعني خرجه مسلم ففعل موسى عليه السلام ذلك وهو لا يريد قتله
انما قصد دفعه فكانت فيه نفسه وهو معنى فقضى عليه وكل امر اتيت عليه وفرغت منه
فقد قضيت عليه قال قد عضه فقضى عليه الاشجع قال هذا من عمل الشيطان اي
من اغوايه قال الحسن لم يكن يحل قتل الكافر يوميذ في تلك الحال لانها كانت حال كف
عن القتال انه عدو مضل مبين خبر بعد خبر قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ندم موسى
على ذلك الوكز الذي كان فيه ذهاب النفس فحمله ندمه على الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه
قال قتاده عرف والله المخرج فاستغفر ثم لم يزل صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا يعدد ذلك
على نفسه مع علمه بانه قد غفر له حتى انه في القيمه يقول اني قتلت نفسا لم اومر بقتلها وانما
عدده على نفسه ذنبا وقال ظلمت نفسي فاغفر لي من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يومر
وايضا فان الانبيا يشفقون مما لا يشفق منه غيرهم قال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا
للقتل وانما وكزه وكزه يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوه وقال
كعب كان اذ ذاك ابن اثنتي عشره سنه وكان قتله مع ذلك خطا فان الوكزه واللكزه
في الغالب لا تقتل روى مسلم عن سالم ابن عبد الله انه قال يا اهل العراق ما اسئلكم عن
الصغيره واركبكم للكبيره سمعت ابي عبد الله ابن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الفتنه تجي من هاهنا واوما بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان
وانتم يضرب بعضكم رقاب بعض وانما قتل موسى الذي قتل من ال فرعون خطا فقال الله
تعالى وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا قوله تعالى قال رب بما

انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين فيه مسلتان الاولى قوله تعالى قال رب بما
انعمت علي اي من المعرفه والحكمه والتوحيد فلن اكون ظهيرا اي عونا للكافرين قال
القشيري ولم يقل بما انعمت علي من المغفره لان هذا قبل الوحي وما كان عالما بان الله غفر
له ذلك القتل وقال الماوردي بما انعمت علي فيه وجهان احدهما من المغفره وكذلك
ذكر المهدوي والثعلبي قال المهدوي بما انعمت علي بالمغفره فلن اكون معينا بعدها مجرما
وقال الثعلبي بما انعمت علي بالمغفره فلم تعاقبني الوجه الثاني من الهدايه قال
الشيخ القرطبي رحمه الله قوله فغفر له يدل على المغفره والله اعلم الزمخشري قوله
بما انعمت علي يجوز ان يكون قسما تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفره لاتوبن فلن اكون ظهيرا
للمجرمين وان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من الكفره فلن اكون
ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهره المجرمين اما صحبه فرعون وانتظامه
في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون
واما مظاهره من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهره الاسرايلي المودية الى
القتل الذي لم يحل له قتله وقيل اراد اني وان اسات في هذا القتل الذي لم اومر به
فلا اترك نصره المسلمين على المجرمين فعلى هذا كان الاسرايلي مومنا ونصره المومن
واجب في جميع الشرايع وقيل في بعض الروايات ان ذلك الاسرايلي كان كافرا وانما
قيل له انه من شيعته لانه كان اسرايليا ولم يرد الموافقه في الدين فعلى هذا ندم لانه
اعان كافرا على كافر فقال لا اكون بعد هذا ظهيرا للكافرين وقيل ليس هذا خبرا
بل هو دعا اي فلا اكون بعد هذا ظهيرا اي فلا تجعلني يا رب ظهيرا للمجرمين وهذا
قول الكساي والفرا قال الكساي وفي قراه عبد الله فلا تجعلني يا رب ظهيرا
للمجرمين وقال الفرا المعنى اللهم فلن اكون ظهيرا للمجرمين وزعم ان قوله هذا
هو قول ابن عباس قال النحاس وان يكون بمعنى الخبر اولى واشبه بنسق الكلام
كما يقال لا اعصيك لانك انعمت علي وهذا قول ابن عباس على الحقيقه لا ما حكاه
الفرا لان ابن عباس قال لم يستثن فابتلي من ثاني يوم والاستثنا لا يكون في الدعا لا يقال
اللهم اغفر لي ان شيت واعجب الاشيا ان الفرا روى ان ابن عباس قال هذا ثم حكى عنه
قوله قال الشيخ القرطبي رحمه الله قد مضى هذا المعنى ملخصا مبينا في سوره النمل

وانه خير لا دعا وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مره اخرى يعني لم يقل فلن اكون ان شا الله
وهذا نحو قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا التاسعه قال سلمه ابن نبيط بعث عبد الرحمن
ابن مسلم الى الضحاك بعطا اهل بخارى وقال اعطهم فقال اعفني فلم يزل يستعفيه
حتى اعفاه فقيل له ما عليك ان تعطيهم انت ولا ترزاهم شيا قال لا احب ان اعين الظلمه
على شي من امرهم وقال عبد الله ابن الوليد الوصافي قلت لعطا ابن ابي رباح ان لي
اخا ياخذ بقلمه وانما يحسب ما يدخل ويخرج وله عيال ولو ترك ذلك لاحتاج وادان
فقال من الرئيس قلت خالد بن عبد الله القسري فقال اما تقرا ما قال العبد الصالح
رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين قال ابن عباس فلم يستثن فابتلي ثانيه
فاعانه الله فلا يعينهم اخوك فان الله يعينه قال عطا فلا يحل لاحد ان يعين ظالما
ولا يكتب له ولا يصحبه وانه ان فعل شيا من ذلك فقد صار معينا للظالمين وفي الحديث
ينادي مناد يوم القيمه اين الظلمه واشباه الظلمه واعوان الظلمه حتى من لاق لهم دواة
او برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمي به في جهنم وروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من مشى مع مظلوم ليعينه على مظلمته ثبت الله قدميه على الصراط
يوم تدحض فيه الاقدام وفي الحديث من مشى مع ظالم فقد اجرم فالمشي مع الظالم
لا يكون جرما الا اذا مشى معه ليعينه لانه ارتكب نهي الله تعالى في قوله سبحانه ولا
تعاونوا على الاثم والعدوان قوله تعالى فاصبح في المدينه خايفا يترقب
قد تقدم في طه وغيرها ان الانبيا صلوات الله عليهم يخافون ردا على من قال غير ذلك
وان الخوف لا ينافي المعرفه بالله ولا التوكل عليه فقيل اصبح خايفا من قتل النفس
ان يوخذ بها وقيل خايفا من قومه ان يسلموه وقيل خايفا من الله تعالى يترقب قال
سعيد بن جبير يتلفت من الخوف وقيل ينتظر الطلب وينتظر ما يتحدث به الناس وقال
قتاده يترقب اي يترقب الطلب وقيل خرج يستخبر الخبر ولم يكن احد علم بقتل القبطي
غير الاسرايلي واصبح يحتمل ان يكون بمعنى صار اي لما قتل صار خايفا ويحتمل ان يكون
دخل في الصباح اي في صباح اليوم الذي يلي يومه خايفا وخايفا منصوب على خبر اصبح
وان ثبت على الحال ويكون الظرف في موضع الخبر فاذا الذي استنصره بالامس
يستصرخه اي فاذا صاحبه الاسرايلي الذي خلصه امس يقاتل قبطيا اخر اراد ان

مطلب في ذم الظلمه

يستصرخه والاستصراخ الاستغاثة وهو من الصراخ وذلك ان المستغيث يصوت ويصرخ في طلب
الغوث قال :: كنا اذا ما اتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنابيب :: وقيل
كان هذا المستنصر السامري استسخره طباخ فرعون في حمل الحطب الى المطبخ ذكره القشيري
والذي رفع بالابتدا ويستصرخه في موضع الخبر ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال
وامس لليوم الذي قبل يومك وهو مبني على الكسر لالتقا الساكنين فاذا دخله الالف
واللام او الاضافة تمكن فاعرب بالرفع والفتح عند اكثر النحويين ومنهم من يبنيه وفيه
الالف واللام وحكى سيبويه وغيره ان من العرب من يجري مجرى ما لا ينصرف في موضع
الرفع خاصة وربما اضطر الشاعر فيفعل هذا في الخفض والنصب قال الشاعر
لقد رايت عجبا مذ امسا فخفض بمذ ما مضى واللغة الجيدة الرفع فاجرى امس في الخفض
مجراه في الرفع على اللغة الثانية قال له موسى انك لغوي مبين والغوي الخائب
اي لانك تشاد من لا تطيقه وقيل مضل بين الضلال قتلت بسببك امس رجلا وتدعوني
اليوم لاخر والغوي فعيل من اغوى يغوي وهو بمعنى مغو وهو كالوجيع والاليم
بمعنى الموجع والمولم وقيل الغوي بمعنى الغاوي اي انك لغوي في قتال من لا تطيق
دفع شره عنك وقال الحسن انما قال للقبطي انك لغوي مبين في استسخار هذا
الاسرائيلي وهم ان يبطش به يقال بطش يبطش ويبطش والضم اقيس لانه فعل لا يتعدى
قال يا موسى اتريد ان تقتلني قال ابن جبير اراد موسى ان يبطش بالقبطي فتوهم
الاسرائيلي انه يريده لانه اغلظ له في القول فقال اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس
فسمع القبطي الكلام فافشاه وقيل اراد ان يبطش الاسرائيلي بالقبطي فنهاه موسى
فخاف منه فقال اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في
الارض اي قتالا قال عكرمة والشعبي لا يكون الانسان جبارا حتى يقتل نفسين بغير
حق وقيل الجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب
ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله تعالى وما تريد ان
تكون من المصلحين اي الذين يصلحون بين الناس قوله تعالى وجا رجل
قال اكثر اهل التفسير هذا الرجل هو حزقيل ابن صبورا مومن ال فرعون وكان
ابن عم فرعون ذكره الثعلبي وقيل طالوت ذكره السهيلي وقال المهدوي عن

قتادة اسم الرجل شمعون مومن آل فرعون وقيل سمعان قال الدارقطني لا نعرف
شمعان بالشين المعجمة الا مومن آل فرعون وروي ان فرعون امر بقتل موسى فسبق
ذلك الرجل بالخبر فقال يا موسى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك اي يتشاورون في
قتلك بالقبطي الذي قتله بالامس وقيل يامر بعضهم بعضا قال الازهري ائتمر القوم
وتامروا اي امر بعضهم بعضا نظيره قوله وائتمروا بينكم بمعروف وقال النمر ابن
تولب ارى الناس قد احدثوا شيمة وفي كل حادثة يوتمر فاخرج اني لك من الناصحين
فخرج منها خائفا يترقب اي ينتظر الطلب قال رب نجني من القوم الظالمين قوله
تعالى ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل لما خرج موسى
عليه السلام فارا بنفسه منفردا خائفا لا شي معه من زاد ولا راحلة ولا حذاء نحو مدين
للنسب الذي بينه وبينهم لان مدين من ولد ابرهيم وموسى من ولد يعقوب ابن اسحق ابن ابرهيم
ورأى حاله وعدم معرفته بالطريق وخلوه من زاد وغيره اسند امره الى الله بقوله عسى
ربي ان يهديني سواء السبيل وهذه حالة المضطر فروي انه كان يتقوت ورق الشجر
وما وصل حتى سقط خف قدميه قال ابو مالك وكان فرعون وجه في طلبه وقال لهم
اطلبوه في بنيات الطريق فان موسى لا يعرف الطريق فجاءه ملك راكبا فرسا ومعه عنزة
فقال لموسى عليه السلام اتبعني فاتبعه فهداه الى الطريق فيقال انه اعطاه العنزة
فكانت عصاه ويقال انه عصاه انما اخذها لرعيه الغنم من مدين وهو اصح واكثر
وقال مقاتل والسدي ان الله بعث اليه جبريل فالله اعلم وبين مدين ومصر ثمانية
ايام قاله ابن جبير والناس وكان ملك مدين لغير فرعون قوله تعالى
ولما ورد ماء مدين الى قوله وكيل فيه اربع وعشرون مسئلة الاولى قوله تعالى
ولما ورد ماء مدين مشى موسى عليه السلام حتى ورد ماء مدين اي بلغها وورده الماء معناه
بلغه لا انه دخل فيه ولفظة الورود قد تكون بمعنى الدخول في الورود وقد تكون
بمعنى الاطلاع عليه والبلوغ اليه وان لم يدخل فورود موسى هذا الماء كان بالوصول اليه
ومنه قول زهير: فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم
وقد تقدمت هذه المعاني في قوله تعالى وان منكم الا واردها ومدين لا ينصرف
اذ هي بلدة معروفة قال الشاعر

رهبان مدين لو رأوك تنزلوا والعصم من شعف الجبال الفارد ؛ وقيل قبيلة
من ولد مدين بن ابرهيم وقد مضى في الاعراف القول فيه والامة الجمع الكثير
ويسقون معناه ماشيتهم ومن دونهم معناه ناحية الى الجهة التي جاءها فوصل الى
المراتين قبل وصوله للامة ووجدهما تذودان ومعناه تمنعان وتحبسان ومنه
قوله عليه السلام فليذادن رجال عن حوضي وفي بعض المصاحف امراتين حابستين
تذودان يقال ذاد يذود اذا ذهب وجاء وذدت الشي حبسته قال الشاعر
ابيت على باب القوافي كانما اذود بها سربا من الوحش نزعا ؛ اي احبس
وامنع وقيل يذودان تطردان قال
؛
لقد سلبت عصاك بنو تميم فما تدري باي عصا تذود ؛ اي تطرد وتكف
وتمنع ابن سلام تمنعان غنمهما لئلا تختلط بغنم الناس فحذف المفعول اما ايهاما على المخاطب
واما استغنا لعلمه قال ابن عباس تذودان غنمهما عن الماء خوفا من السقاة الاقويا
قتادة تذودان الناس عن غنمهما قال النحاس والاول اولى لان بعده قالتا لا نسقي
حتى يصدر الرعا ولو كانتا تذودان عن غنمهما الناس لم تخبرا عن سبب تاخر سقيهما بقولها
حتى يصدر الرعا فلما راى موسى عليه السلام ذلك منهما قال ما خطبكما اي شانكما قال
روبة يا عجبا ما خطبه وخطبي ؛ ابن عطية وكان استعمال السؤال بالخطب انما
هو في مصاب او مضطهد او من يشفق عليه او ياتي بمنكر من الامر فكانه بالجملة في شر
فاخبرتاه بخبرهما وان اباهما شيخ كبير فالمعنى لا يستطيع لضعفه ان يباشر امر غنمه
وانهما لضعفهما وقلة طاقتهما لا يقدران على مزاحمة الاقويا وان عادتهما التاني حتى
يصدر الناس عن الماء ويخلى وحينئذ تردان وقرا ابن عامر وابو عمرو يصدر من صدر
وهو صدور اي يرجع الرعا الباقون يصدر بضم اليا من اصدر اي حتى يصدروا مواشيهم
من وردهم والرعا جمع راع مثل تاجر وتجار وصاحب وصحاب قالت فرقة
كانت الابار مكشوفة وكان زحم الناس يمنعهما فلما اراد موسى ان يسقي لهما زحم الناس
وغلبهم على الماء حتى سقى فعن هذا الغلب الذي كان منه وصفته احداهما بالقوة وقالت
فرقة انهما كانتا تتبع فضالتهم في الصهاريج فان وجدتا في الحوض بقية كان ذلك
سقيهما وان لم يكن بقية عطشت غنمهما فرق لهما موسى فعمد الى بير كانت مغطاة والناس

يسقون من غيرها وكان حجرها لا يرفعه الا سبعة قاله ابن زيد ابن جريج عشرة ابن عباس
ثلاثون الزجاج اربعون فرفعه وسقى للمراتين فمن رفع الصخرة وصفته بالقوة
وقيل ان بيرهم كانت واحدة وانه رفع عنها الحجر بعد انفصال السقاة اذ كانت عادة
المراتين تشرب الفضلات وروى عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب انه قال لما استقوا
الرعا غطوا على البير صخرة لا يقلها الا عشرة رجال فجا موسى فاقتلعها واستقى ذنوبا واحدا
لم يحتج الى غيره فسقى لهما الثانية ان قيل كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب صلى الله
عليه وسلم ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية قيل له ليس ذلك بمحظور والدين لا يأباه
اما المروة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة واحوال العرب فيه خلاف احوال
العجم ومذهب اهل البدو غير مذهب الحضر خصوصا اذا كانت حالة ضرورة الثالثة
قوله تعالى ثم تولى الى الظل اي الى ظل سمرة قاله ابن مسعود وتعرض لسوال ما يطعمه
بقوله اني لما انزلت الي من خير فقير وكان لم يذق طعاما سبعة ايام وقد لصق بطنه بظهره
فعرض بالدعا ولم يصرح بسوال هكذا روى جميع المفسرين انه طلب في هذا الكلام ما
ياكله فالخير يكون بمعنى الطعام كما في هذه الاية ويكون بمعنى المال كما قال ان ترك خيرا
وقوله وانه لحب الخير لشديد ويكون بمعنى القوة كما قال اهم خير ام قوم تبع ويكون
بمعنى العبادة كقوله واوحينا اليهم فعل الخيرات قال ابن عباس وكان قد بلغ به الجوع
واخضر لونه من اكل البقل في بطنه وانه لاكرم الخلق على الله ويروى انه لم يصل الى
مدين حتى سقط باطن قدميه وفي هذا معتبر واشعار بهوان الدنيا على الله وقال
ابو بكر بن طاهر في قوله تعالى اني لما انزلت الي من خير فقير اي اني لما اهديت الي من
فضلك وغناك فقير الى ان تغنيني بك عمن سواك قال الشيخ القرطبي رحمه الله ما
ذكره اهل التفسير اولى فان الله تعالى انما اغناه بواسطة شعيب الرابعة
قوله تعالى فجاته احداهما تمشي على استحيا في هذا الكلام اختصار يدل عليه هذا الظاهر
قدره ابو اسحق فذهبتا الى ابيهما سريعتين وكانت عادتهما الابطا في السقي فحدثتاه
بما كان من الرجل الذي سقى لهما فامر الكبرى من بنتيه وقيل الصغرى ان تدعوه له
فجاته على ما في هذه الاية قال عمرو بن ميمون ولم تكن بسلفع من النسا خراجة ولاجة
ولا وجه وقيل جاته ساترة وجهها بكم درعها قاله عمر بن الخطاب وروى ان اسم احداهما

ليا والاخرى صفوريا ابنتا يثرون ويثرون هو شعيب وقيل ابن اخي شعيب وان شعيبا
كان قد مات واكثر الناس على انهما ابنتا شعيب عليه السلام وهو ظاهر القران قال الله
تعالى والى مدين اخاهم شعيبا كذا في سورة الاعراف وفي سورة الشعرا كذب اصحاب
ليكة المرسلين اذ قال لهم شعيب قال قتادة بعث الله تعالى شعيبا الى امتين اصحاب
الايكة واصحاب مدين وقد مضى في الاعراف الخلاف في اسم ابيه فروي ان موسى عليه
السلام لما جاءته بالرسالة قام يتبعها وكان بين موسى وبين ابيها ثلاثة اميال فهبت ريح
ضمت قميصها فوصفت عجيزتها فتحرج موسى من النظر اليها فقال ارجعي خلفي وارشديني
الى الطريق بصوتك وقيل ان موسى قال ابدا كوني ورائي فاني رجل عبراني لا انظر
في ادبار النسا ودليني على الطريق يمينا او يسارا فذلك سبب وصفها بالامانة قاله
ابن عباس فوصل موسى الى داعيه فقص عليه امره من اوله الى اخره فانسه بقوله
لا تخف نجوت من القوم الظالمين وكانت مدين خارجة عن مملكة فرعون وقرب اليه
طعاما فقال موسى لا اكل فانا اهل بيت لا نبيع ديننا بملء الارض ذهبا فقال شعيب ليس هذا
عوض السقي ولكن عادتي وعادة ابائي قرى الضيف واطعام الطعام فحينيذ اكل موسى
الخامسة قوله تعالى قالت يا ابت استاجره دليل على ان الاجارة كانت عندهم
مشروعة معلومة وكذلك كانت في كل ملة وهي من ضرورة الخليقة ومصلحة الخلطة
بين الناس خلافا للاصم حيث كان عن سماعها اصم السادسة قوله تعالى اني اريد
ان انكحك الاية فيه عرض الولي ابنته على الرجل وهذه سنة قايمة عرض صالح مدين
ابنته على صالح بني اسرايل وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على ابي بكر وعثمان وعرضت
الموهوبة نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم فمن الحسن عرض الرجل وليته والمراة
نفسها على الرجل الصالح اقتدا بهذا السلف الصالح قال ابن عمر لما تايمت حفصة قال
عمر لعثمن ان شيت انكحتك حفصة بنت عمر الحديث انفرد باخراجه البخاري
السابعة في هذه الاية دليل على ان النكاح الى الولي لا حظ للمراة فيه لان صالح
مدين تولاه وبه قال فقها الامصار وخالف في ذلك ابو حنيفة وقد تقدم الثامنة
هذه الاية تدل على ان للاب ان يزوج ابنته البكر من غير استيمار وبه قال مالك واحتج
بهذه الاية وهو ظاهر قوي في الباب واحتجاجه بها يدل على انه كان يعول على

الاسرايليات كما تقدم ويقول مالك في هذه المسله قال الشافعي وكثير من العلما وقال
ابو حنيفه اذا بلغت الصغيره فلا يزوجها احد الا برضاها لانها بلغت حد التكليف
فاما اذا كانت صغيره فانه يزوجها بغير رضاها لانه لا اذن لها ولا رضي بغير خلاف
التاسعه استدل اصحاب الشافعي بقوله اني اريد ان انكحك علي ان النكاح موقوف
علي لفظ التزويج والانكاح وبه قال ربيعه وابو ثور وابو عبيد وداود ومالك علي
اختلاف عنه وقال علماونا في المشهور ينعقد النكاح بكل لفظ وقال ابو حنيفه ينعقد
بكل لفظ يقتضي التمليك علي التابيد اما الشافعيه فلا حجه لهم في الايه لانه شرع من
قبلنا وهم لا يرونه حجه في شي في المشهور عندهم واما ابو حنيفه واصحابه والثوري
والحسن ابن حي فقالوا ينعقد النكاح بلفظ الهبه وغيرها اذا كان قد اشهد عليه لان
الطلاق يقع بالتصريح وبالكنايه قالوا فكذلك النكاح قالوا والذي خص به النبي
صلى الله عليه وسلم تعري البضع من العوض لا النكاح بلفظ الهبه وتابعهم ابن القاسم
فقال ان وهب ابنته وهو يريد انكاحها فلا احفظ عن مالك فيه شيا وهو عندي جايز
كالبيع قال ابو عمر الصحيح انه لا ينعقد نكاح بلفظ الهبه كما لا ينعقد بلفظ النكاح
هبه شي من الاموال وايضا فان النكاح مفتقر الي التصريح لتقع الشهاده عليه وهو ضد
الطلاق فكيف يقاس عليه وقد اجمعوا ان النكاح لا ينعقد بقوله ابحت لك واحللت لك
الهبه وقال صلى الله عليه وسلم استحللتم فروجهن بكلمه الله يعني القران وليس في
القران عقد النكاح بلفظ الهبه وانما فيه التزويج والنكاح في اجازه النكاح بلفظ
الهبه ابطال بعض خصوصيه النبي صلى الله عليه وسلم العاشره قوله تعالى
احدى ابنتي هاتين يدل علي انه عرض لا عقد لانه لو كان عقدا لعين المعقود عليها لان
العلما وان كانوا قد اختلفوا في جواز البيع اذا قال بعتك احد عبدي هذين بثمن كذا
فانهم اتفقوا علي ان ذلك لا يجوز في النكاح لانه خيار وشي من الخيار لا يلصق بالنكاح
الحادي عشره قال مكي في هذه الايه خصايص في النكاح منها انه لم يعين الزوجه
ولا حد اول الامد وجعل المهر اجاره ودخل ولم ينقد شيا قال الشيخ القرطبي
رحمه الله فهذه اربع مسايل تضمنها الحاديه عشره الاولي من الاربع قال علماونا
اما التعيين فيشبه انه كان في ثاني حال المراوضه وانما عرض الامر مجملا وعين بعد

بل يرونه شرعا لنا
اذا لم يرد في شرعنا
ما ينسخه هذا هو المرجح

ذلك وقد قيل انه زوجه صغوريا وهي الصغرى ويروي عن ابي ذر قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان سيلت اي الاجلين قضى موسى فقال خيرهما واوفاهما وان سيلت اي
المراه تزوج فقل الصغرى وهي التي جات خلفه وهي التي قالت يا ابه استاجره ان خير
من استاجرت القوي الامين قيل ان الحكمه في تزويجه الصغرى منه قبل الكبرى وان
كانت الكبرى احوج الى الرجال لانه توقع ان يميل اليها لانداركها في رسالته وماشاها في
اقباله الى ابيها معها فلو عرض عليه الكبرى ربما اظهر له الاختيار وهو يضمر غيره وقيل
غير هذا والله اعلم وفي بعض الاخبار انه تزوج بالكبرى حكاه القشيري الثانيه
واما ذكر اول المده فليس في الايه ما يقتضي اسقاطه بل هو مسكوت عنه فاما رسماه
والا فهو من اول وقت العقد وقد ترجم البخاري باب من استاجر اجيرا
فبين الثالثه واما النكاح بالاجاره فظاهر من الايات وهو امر قد قرره شرعنا
وجري في حديث الذي لم يكن عنده الا شي من القران رواه الايمه وفي بعض طرقه
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تحفظ من القران فقال سوره البقره والتي
تليها فقال قم فعلمها عشرين ايه وهي امراتك واختلف العلما في هذه المسله على
ثلثه اقوال فكرهه ملك ومنعه ابن القاسم واجازه ابن حبيب وهو قول الشافعي قالوا
يجوز ان يكون منفعه صداقا كالخياطه والبنا وتعليم القران وقال ابو حنيفه لا يجوز
ان يتزوجها بان يخدمها عبده سنه او يسكنها داره سنه لان العبد والدار مال
وقال ابو الحسن الكرخي ان عقد النكاح بلفظ الاجاره جايز لقوله تعالى اللاتي اتيت
اجورهن وقال ابو بكر الرازي لا يصح لان الاجاره عقد موقت وعقد النكاح موبد
فهما متنافيان وقال ابن القاسم يفسخ قبل البنا ويثبت بعد وقال اصبغ ان نقد معه
شيا ففيه اختلاف وان لم ينقد فهو اشد فان نزل مضى على كل حال بدليل قصه شعيب
قاله ملك وابن المواز واشهب وعول على هذه الايه جماعه من المتاخرين والمتقدمين
في هذه النازله قال ابن خواز منداد تضمنت هذه الايه النكاح على الاجاره والعقد صحيح
ويكره ان تجعل الاجاره مهرا وينبغي ان يكون المهر مالا كما قال عز وجل ان تبتغوا باموالكم
محصنين هذا قول اصحابنا جميعا الرابعه واما قوله ودخل ولم ينقد فقد اختلف
الناس في هذا هل دخل حين عقد ام حين سافر فان كان دخل حين عقد فما نقد وقد

منع

منع علما وما من الدخول حتى ينقد ولو ربع دينار قاله ابن القاسم فان دخل قبل ان ينقد مضى لان
المتاخرين من اصحابنا قالوا تعجيل الصداق او شي منه مستحب على انه لو كان الصداق رعيه
الغنم فقد نقدا الشروع في الخدمه وان كان دخل حين سافر وطول الانتظار في النكاح
جايز وان كان مدى العمر بغير شرط واما ان كان بشرط فلا يجوز الا ان يكون الغرض
صحيحا مثل التاهب للبنا او انتظار صلاحيه الزوجه للدخول ان كانت صغيره نص عليه
علماونا الثانيه عشره في هذه الايه اجتماع اجاره ونكاح وقد اختلف علماونا
في ذلك على ثلثه اقوال الاول قاله في ثمانيه ابي زيد يكره ابتدا فان وقع مضى الثاني
قال ملك وابن القاسم في المشهور لا يجوز ويفسخ قبل الدخول وبعده لاختلاف
مقاصدها كساير العقود المتباينه الثالث اجازه اشهب واصبغ قال ابن العربي
وهذا هو الصحيح وعليه تدل الايه وقد قال ملك النكاح اشبه شي بالبيوع واي فرق
بين اجاره وبيع او بين بيع ونكاح فرع وان اصدقها تعلم شعر مباح صح قال المزني
وذلك مثل قول الشاعر: يقول المرء فايدتي ومالي وتقوى الله افضل ما استفادا:
وان اصدقها تعليم شعر فيه هجو او فحش كان كما لو اصدقها خمرا او خنزيرا
الثالثه عشره قوله تعالى على ان تاجرني ثماني حجج جرى ذكر الخدمه
مطلقا وقال ملك انه جايز ويحمل على العرف فلا يحتاج الى التسميه الى الخدمه وهو
ظاهر قصه موسى فانه ذكر اجاره مطلقه وقال ابو حنيفه والشافعي لا يجوز حتى
يسمي لانه مجهول وقد ترجم البخاري باب من استاجر اجيرا فبين له الاجل
ولم يبين له العمل لقوله تعالى على ان تاجرني ثماني حجج قال المهلب ليس كما ترجم لان
العمل عندهم كان معلوما من سقي وحرث ورعي وما شاكل اعمال الباديه في مهنه اهلها
وهذا متعارف وان لم يتبين له اشخاص الاعمال ولا مقاديرها مثل ان يقول له انك
تحرث كذا من السنه فهذا انما هو على المعهود من خدمه الباديه وانما الذي لا يجوز عند
الجميع ان تكون المده مجهوله والعمل مجهول غير معهود لا يجوز حتى يعلم قال ابن العربي
وقد ذكر اهل التفسير انه عين له رعيه الغنم فكان مما علم من حاله قايما مقام التعيين
للخدمه فيه الرابعه عشره اجمع العلما على انه جايز ان يستاجر الراعي شهورا
معلومه باجره معلومه لرعايه غنم معدوده فان كانت معدوده معينه ففيها تفصيل

لعلمائنا قال ابن القاسم لا يجوز حتى يشترط الخلف ان ماتت وهي رواية ضعيفة جدا
وقد استأجر صالح مدين موسى على غنمه وقد راها ولم يشترط خلفا وان كانت مطلقة
غير مسماة ولا معينة جازت عند علمائنا وقال ابو حنيفة والشافعي لا يجوز لجهالتها وعول
علماؤنا على العرف فحسب ما ذكرناه انفا يعطى بقدر ما تحتمل قوته وزاد بعض علمائنا انه
لا يجوز حتى يعلم المستاجر قدر قوته وهذا صحيح فان صالح مدين علم قدر قوة موسى
برفع الحجر الخامسة عشرة قال مالك وليس على الراعي ضمان وهو مصدق فيما
هلك او سرق لانه امين كالوكيل وقد ترجم البخاري باب اذا ابصر الراعي
والوكيل شاة تموت او شيئا يفسد فاصلح ما يخاف الفساد وساق حديث كعب بن مالك
عن ابيه انه كان لهم غنم ترعى بسلع فابصرت جارية لنا شاة من غنمنا موتا فكسرت
حجرا فذبحتها به فقال لهم لا تاكلوا حتى اسال النبي او ارسل الى النبي صلى الله عليه وسلم
من يساله وانه سال النبي صلى الله عليه وسلم او ارسل فامره باكلها قال عبيد الله
فيعجبني انها امة وانها ذبحت قال المهلب فيه من الفقه تصديق الراعي والوكيل
فيما ايتمنا عليه حتى يظهر عليهما دليل الخيانة والكذب وهذا قول مالك وجماعة وقال
ابن القاسم اذا خاف الموت على شاة فذبحها لم يضمن ويصدق اذا جاء بها مذبوحة وقال
غيره يضمن حتى يبين ما قال السادسة عشرة اختلف ابن القاسم واشهب اذا
انزا الراعي على اناث الماشية بغير اذن ربها فهلكت فقال ابن القاسم لا ضمان عليه
لان الانزا من اصلاح المال ونمائه وقال اشهب عليه الضمان وقول ابن القاسم اشبه
بدليل حديث كعب وانه لا ضمان عليه فيما تلف باجتهاده اذا كان من اهل الصلاح
وممن يعلم اشفاقه على المال واما ان كان من اهل الفسوق والفساد واراد صاحب
المال ان يضمنه فعل لانه لا يصدق انه راى بالشاة موتا لما عرف من فسقه السابعة
عشرة لم ينقل ما كانت اجرة موسى ولكن روى يحيى بن سلام ان صالح مدين جعل
لموسى كل سخلة توضع خلاف لون امها فاوحى الله الى موسى ان الق عصاك بينهن يلدن خلاف
شبههن كلهن وقال غير يحيى بل جعل له كل بلقاء تولد فولدت كلهن بلقا وذكر
القشيري ان شعيبا لما استاجر موسى قال له ادخل بيت كذا وخذ عصا من العصي
التي في البيت فاخرج موسى عصا وكان اخرجها ادم من الجنة وتوارثها الانبيا حتى

صار

71

صارت الى شعيب فامره شعيب ان يضعها في البيت وياخذ عصا اخرى فدخل واخرج تلك العصا
وكذلك سبع مرات كل ذلك لا تقع بيده غير تلك فعلم شعيب ان له شانا فلما اصبح قال له سق
الاغنام الى مفرق الطريق فخذ عن يمينك وليس بها عشب كثير ولا تاخذ عن يسارك فان
بها عشبا كثيرا وتنينا كبيرا يقتل المواشي فساق المواشي الى مفرق الطريق فاخذت نحو
اليسار ولم يقدر موسى على ضبطها فنام موسى وخرج التنين فقامت العصا وصارت
شعبتاها حديدا وحاربت التنين حتى قتلته وعادت الى موسى فلما انتبه موسى راى العصا
مخضوبة بالدم والتنين مقتولا فعاد الى شعيب عشا وكان شعيب ضريرا فمس الاغنام
فاذا اثر الخصب باد عليها فساله عن القصه فاخبره بها ففرح شعيب وقال كلما
ولدت هذه المواشي هذه السنه قالب لون اي ذات لونين فهو لك فجا جميع السخال
تلك السنه ذات لونين فعلم شعيب ان لموسى عند الله تعالى مكانه وروى عيينه ابن حصن
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجر موسى نفسه بشبع بطنه وعفه فرجه
فقال له شعيب يعني من نتاج غنمه ما جات به قالب لون واحد ليس فيها عزور ولا فشوش
ولا كموش ولا ضبوب ولا ثعول قال الهروي العزورا لبكيئه ماخوذ
من العزاز وهي الارض الصلبه وقد تعززت الشاه والفشوش التي تنفش لبنها من غير
حلب وذلك لسعه الاحليل ومثله الفتوح والثرور ومن امثالهم لافشنك فش
الوطب اي لاخرجن غضبك وكبرك من راسك ويقال فش السقا اذا اخرج منه الريح
ومنه الحديث ان الشيطان يفش بين اليتي احدكم حتى يخيل اليه انه احدث اي ينفخ نفخا
ضعيفا والكموش الصغيره الضرع وهي الكميشه ايضا سميت بذلك لانكماش ضرعها
وهو تقلصه ومنه يقال رجل كميش الازار والكشور مثل الكموش والضبوب الضيقه
ثقب الاحليل والضب الحلب بشده العصر والثعول الشاه التي لها زيادة حلمه وهي
الثعلا والثعل زيادة السن وتلك الزيادة هي الثعل ورجل اثعل والثعل مخرج اللبن
قال الهروي وتفسير قالب لون في الحديث انها جات على غير الوان امهاتها
الثامنه عشره الاجاره بالعوض المجهول لا تجوز فان ولاده الغنم غير معلومه
وان من البلاد الخصبه ما يعلم ولاده الغنم قطعا وعدتها وسلامه سخالها كديار مصر
وغيرها بيد ان ذلك لا يجوز في شرعنا لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الغرر

ما العزورا الى لعظ ... ولا كميشه

الفشوش التي اذا امست سال لبنها

ما الكموش الصغيره الضرع الذي لا يصطفه الحالب

ونهى عن المضامين والملاقيح والمضامين ما في بطون الاناث والملاقيح ما في اصلاب الفحول
او على حلاوة كذلك قال الشاعر ملقوحة في بطن ناب حامل ؛ وقد مضى في الحجر
بيانه على ان راشد بن معمر اجاز الاجارة على الغنم بالثلث والربع وقال ابن سيرين
وعطا ينسج الثوب بنصيب منه وبه قال احمد التاسعة عشرة الكفاءة في النكاح
معتبرة واختلف العلماء في الدين والمال والحسب او في بعض ذلك والصحيح جواز نكاح
الموالي العربيات والقرشيات لقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقد جاء موسى الى صالح
مدين غريبا طريدا وحيدا جايعا عريانا فانكحه ابنته لما تحقق ورأى من حاله واعرض
عما سوى ذلك وقد تقدمت هذه المسالة موعبة والحمد لله الموفية عشرين
قال بعضهم هذا الذي جرى من شعيب لم يكن ذكرا الصداق المراة وانما كان اشتراطا
لنفسه على ما تفعله الاعراب فانها تشترط صداق بناتها وتقول لي كذا في خاصة نفسي
وترك المهر مفوضا ونكاح التفويض جايز قال ابن العربي هذا الذي تفعله الاعراب
هو حلوان وزيادة على المهر وهو حرام لا يليق بالانبيا فاما اذا اشترط الولي شيا لنفسه
فقد اختلف العلما فيما يخرجه الزوج من يده ولا يدخل في يد المراة على قولين احدهما
انه جايز والاخر لا يجوز والذي يصح عندي التقسيم فان المراة لا يخلو ان تكون بكرا
او ثيبا فان كانت ثيبا جاز لان نكاحها بيدها وانما يكون للولي مباشرة العقد ولا يمتنع اخذ
العوض عليه كما ياخذه الوكيل على عقد البيع وان كانت بكرا كان العقد بيده فكانه عوض
في النكاح لغير الزوج وذلك باطل فان وقع فسخ قبل البنا وثبت بعده على مشهور الرواية
الحادية والعشرون لما ذكر الشرط واعقبه بالطوع في العشر خرج كل واحد منهما
على حكمه ولم يلحق الاخر بالاول ولا اشترط الفرض والطوع ولذلك يكتب في العقود الشروط
المتفق عليها ثم يقال وتطوع بكذا فيجري الشرط على سبيله والطوع على حكمه وانفصل
الواجب من التطوع وقيل ومن لفظ شعيب حسن في لفظ العقود في النكاح انكحه اياها
اولى من انكحها اياه على ما يأتي بيانه في الاحزاب وجعل شعيب الثمانية الاعوام شرطا
ووكل العاشر الى المروة الثانية والعشرون قوله تعالى قال ذلك بيني وبينك
ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي فلما فرغ كلام شعيب قرره موسى عليه السلام وكرر
معناه على جهة التوثق في ان الشرط انما وقع في ثمان حجج وايما استفهام منصوب بقضيت

والاجلين

والاجلين مخفوض باضافه أي اليهما وما صله للتاكيد وفيه معنى الشرط وجوابه فلا
عدوان فان عدوان منصوب بلا وقال ابن كيسان ما في موضع خفض باضافه اي اليها
وهي نكره والاجلين بدل منها وكذلك قال في قوله فبما رحمة من الله ان رحمه بدل من ما
قال مكي وكان يتلطف في ان لا يجعل شيا زايدا في القران ويخرج له وجها يخرجه من
الزياده وقرا الحسن ايما بسكون اليا وقرا ابن مسعود اي الاجلين ما قضيت وقرا
الجمهور عدوان بضم العين وابو حيوه بكسرها والمعنى لا تبعة علي ولا طلبة في الزياده
عليه والعدوان التجاوز في غير الواجب والحجج السنون قال الشاعر
لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر :: الواحده حجه بكسر الحا والله
على ما نقول وكيل قيل هو من قول موسى وقيل هو من قول والد المراه فاكتفى الصالحان
صلوات الله عليهما في الاشهاد بالله ولم يشهدا احدا من الخلق وقد اختلف العلما في وجوب
الاشهاد بالله ولم يشهدا النكاح من الخلق احدا وهي الثالثه والعشرون على قولين
احدهما انه لا ينعقد الا بشاهدين وبه قال ابو حنيفه والشافعي وقال مالك انه
ينعقد دون شهود لانه عقد معاوضه فلا يشترط فيه الاشهاد كالبيع وانما يشترط
فيه الاعلان والتصريح وفرق ما بين النكاح والسفاح الدف وقد مضت هذه
المسله في البقره مستوفي وفي البخاري عن ابي هريره ان رجلا من بني اسرايل سال
بعض بني اسرايل ان اسلفه الف دينار فقال ايتني بالشهدا اشهدهم قال كفى بالله شهيدا
قال ايتني بكفيل قال كفى بالله وكيلا قال صدقت فدفعها اليه وذكر الحديث قوله
تعالى فلما قضى موسى الاجل وسار باهله فيه ثلث مسايل الاولى قوله تعالى
فلما قضى موسى الاجل قال سعيد بن جبير سالني رجل من النصارى اي الاجلين قضى
موسى فقلت لا ادري حتى اقدم على حبر العرب فاسله اعني ابن عباس فقدمت عليه
فسلته فقال قضى اكملهما واوفاهما فاعلمت النصراني فقال صدق هذا والله العالم
وروي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سال في ذلك جبريل فاخبره انه قضى
عشر سنين رواه الحكم ابن ابان عن عكرمه عن ابن عباس وحكى الطبري عن مجاهد
انه قضى عشرا وعشرا بعدها قال ابن عطيه وهذا ضعيف الثانيه
قوله تعالى وسار باهله فيه دليل على ان الرجل يذهب باهله حيث شا لما له عليها

من فضل القوامه وزياده الدرجه الا ان يلتزم اهنا امرا فالمومنون عند شروطهم واحق
الشروط ان توفي به ما استحللتم به الفروج الثالثه قوله تعالى آنس من جانب
الطور نارا الايه تقدم القول في ذلك في طه والجِذوه بكسر الجيم قراه العامه
وضمها حمزه ويحيى والاعمش وفتحها عاصم والسلمي وزر ابن حبيش قال الجوهري
الجِذوه والجُذوه الجمره والجمع جِذى وجُذى وجَذى قال مجاهد في قوله تعالى
او جِذوه من النار اي قطعه من الجمر قال وهي بلغه جميع العرب وقال
والقى على قبس من النار جِذوه شديدا عليها حميها ولهيبها وقال ابو عبيده
الجذوه مثل الجِذمه وهي القطعه الغليظه من الخشب كان في طرفها نارا ولم تكن قال
ابن مقبل باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجِذى غير خوّار ولا دعر كثر
قوله تعالى فلما اتاها يعني الشجره قدم ضميرها عليها نودي من شاطئ الوادي
من الاولى والثانيه لابتدا الغايه اي اتاه الندا من شاطئ الوادي من قبل الشجره ومن الشجره
بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لان الشجره كانت نابته على الشاطئ وشاطئ
الوادي شطه وجانبه والجمع شطان وشواطي ذكره القشيري وقال الجوهري ويقال
شاطي الاوديه ولا يجمع وشاطات الرجل اذا مشيت على شاطي ومشى هو على الشاطي الاخر
الايمن اي عن يمين موسى وقيل عن يمين الجبل في البقعه المباركه وقرا الاشهب العقيلي
في البَقعه بفتح البا وقولهم بقاع يدل بَقعه كما يقال جفنه وجفان ومن قال بقعه قال
بُقع مثل غرفه وغُرف من الشجره اي من ناحيه الشجره قيل كانت شجره العليق
وقيل سمره وقيل عوسج ومنها كانت عصاه ذكره الزمخشري وقيل عناب والعوسج
اذا عظم يقال له الغرقد وفي الحديث انه شجر اليهود فاذا نزل عيسى وقتل اليهود الذين
مع الدجال فلا يختفي احد منهم خلف شجره الا نطقت وقالت يا مسلم هذا يهودي وراي
تعال فاقتله الا الغرقد فانه من شجر اليهود فلا ينطق خرجه مسلم قال المهدوي
وكلم الله تعالى موسى عليه السلام من فوق عرشه واسمعه كلامه من الشجره على ما شا
ولا يجوز ان يوصف الله تعالى بالانتقال والزوال وشبهه الا من صفات المخلوقين
قال ابو المعاليه واهل الحق يقولون من كلمه الله تعالى وخصه بالرتبه العليا والغايه
القصوى فيدرك كلامه القديم المتقدس عن مشابهه الحروف والاصوات والعبارات

والنغمات

والنغمات وضروب اللغات كان من خصه الله بمنازل الكرامات واكمل عليه نعمه ورزقه
رويته برى الله سبحانه منزها عن مماثله الاجسام واحكام الحوادث ولا مثل له سبحانه
في ذاته وصفاته واجمعت الامه علي ان الرب تعالي خصص موسي عليه السلام بكلامه وغيره
من المصطفين من الملئكه بكلامه قال الاستاذ ابو اسحق اتفق اهل الحق علي ان الله تعالي
خلق في موسي عليه السلام معني من المعاني ادرك به كلامه كان اختصاصه في سماعه وانه
قادر علي مثله في جميع خلقه واختلفوا في نبينا عليه السلام هل سمع ليله الاسرا كلام
الله وهل سمع جبريل عليه السلام كلامه علي قولين وطريق احدهما النقل المقطوع به
وذلك مفقود واتفقوا علي ان سماع الخلق له عند قراه القران علي معني انهم سمعوا العباره
التي عرفوا بها معناه دون سماعه له في عينه وقال عبد الله ابن سعيد بن كلاب ان
موسي عليه السلام فهم كلام الله القديم من اصوات مخلوقه اثبتها الله تعالي في بعض الاجسام
قال ابو المعالي وهذا مردود بل يجب اختصاص موسي عليه السلام بادراك كلام الله
خرقا للعاده ولو لم نقل ذلك لم يكن لموسي عليه السلام اختصاص بتكليم الله اياه والحق
تعالي اسمعه كلامه العزيز وخلق له علما ضروريا حتي علم ان سمعه كلام الله وان الذي كلمه
وناداه هو الله رب العالمين وقد ورد في الاقاصيص ان موسي عليه السلام قال سمعت كلام
ربي بجميع جوارحي ولم اسمعه من جهه واحده من جهاتي وقد مضي هذا المعني في البقره
مستوفي ان يا موسي أن في موضع نصب بحذف حرف الجر اي بان يا موسي اني انا الله
رب العالمين نفي لربوبيه غيره سبحنه وصار بهذا الكلام من اصفيا الله عز وجل لا
من رسله لانه لا يصير رسولا الا بعد امره بالرساله والامر بها انما كان بعد هذا الكلام
قوله تعالي وان الق عصاك عطف علي ان يا موسي وتقدم الكلام في هذا
في النمل وطه ومدبرا نصب علي الحال وكذلك موضع قوله ولم يعقب موضع نصب
علي الحال ايضا يا موسي اقبل ولا تخف قال وهب قيل له ارجع الي حيث كنت فرجع
فلف دراعته علي يده فقال له الملك ارايت ان اراد الله ان يصيبك بما تحاذر اينفعك
لفك يدك قال لا ولكني ضعيف خلقت من ضعف وكشف يده فادخلها في فم الحيه
فعادت عصا انك من الامنين اي مما تحاذر قوله تعالي اسلك يدك في
جيبك الايه تقدم القول فيه واضمم اليك جناحك من الرهب من متعلقه بولي

اي ولى مدبرا من الرهب وقرا حفص والسلمي وعيسى بن عمر وابن ابي اسحق من الرهب
بفتح الرا واسكان الها وقرا ابن عامر والكوفيون الا حفص بضم الرا وجزم الها الباقون
بفتح الرا والها واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وكلها
لغات وهو بمعنى الخوف والمعنى اذا هالك امر يدك وشعاعها فادخلها في جيبك
واردها اليه تعد كما كانت وقيل امره الله ان يضم يده الى صدره فيذهب عنه خوف
الحيه عن مجاهد وغيره ورواه الضحاك عن ابن عباس قال فقال ابن عباس ليس من
احد يدخله رعب بعد موسى ثم يدخل يده فيضعها على صدره الا ذهب عنه الرعب وحكي
عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ان كاتبا كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل
وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ
روعك فاني ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها من نفسي وقيل المعنى اضمم يدك الى صدرك
ليذهب الله ما في صدرك من الخوف وكان موسى يرتعد خوفا اما من آل فرعون واما
من الثعبان وضم الجناح هو السكون كقوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمه
يريد الرفق وكذلك قوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين اي ارفق بهم
وقال الفرا اراد بالجناح عصاه وقال بعض اهل المعاني الرهب الكم بلغه حمير
وبني حنيفه قال مقاتل سالتني اعرابيه شيا وانا اكل فملات الكف واومات اليها
فقالت هاهنا في رهبي تريد في كمي وقال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول لاخر اعطني
ما في رهبك فسالته عن الرهب فقال الكم فعلى هذا يكون معناه اضمم اليك يدك واخرجها
من الكم لانه تناول العصا ويده في كمه وقوله اسلك اضمم اليك يدك واخرجها من الكم
يدك في جيبك يدل على انها اليد اليمنى لان الجيب على اليسار ذكره القشيري قال الشيخ
القرطبي رحمه الله وما فسروه من ضم اليد الى الصدر يدل على ان الجيب موضعه الصدر
وقد مضى في سوره النور بيانه الزمخشري ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم
بلغه حمير وانهم يقولون اعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغه وهل
سمع من الاثبات الثقات التي ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الايه
وكيف تطبيقه المفصل كساير كلمات التنزيل على ان موسى صلوات الله عليه ما كان
عليه ليله المناجاه الا زرمانقه من صوف لا كمي لها قال القشيري وقوله

واضمم اليك جناحك اي شمر يريد اليدين ان قلنا اراد الامن من فزع الثعبان وقيل
واضمم اليك جناحك اي تشمر واستعد لتحمل اعبا الرساله قال الشيخ القرطبي رحمه الله
فعلى هذا قيل انك من الامنين اي من المرسلين لقوله تعالى انه لا يخاف لدي المرسلون
قال ابن بحر فصار على هذا التاويل رسولا بهذا القول وقيل انما صار رسولا بقوله فذانك
برهانان من ربك الى فرعون وملايه والبرهانان اليد والعصا وقرا ابن كثير وابو عمرو
فذانك بتشديد النون وخففها الباقون وروى ابو عماره عن ابي الفضل عن ابي بكر عن ابن
كثير فذانيك بالتشديد واليا وعن ابي عمرو ايضا قال لغة هذيل فذانيك بالتخفيف واليا
ولغة قريش فذانك كما قرا ابو عمرو وابن كثير وفي تعليله خمسه اقوال قيل شدد
النون عوضا من الالف الساقطه في ذانك الذي هو تثنيه ذا المرفوع وهو رفع بالابتدا
والف ذا محذوفه لدخول الف التثنيه عليها ولم يلتفت الى التقا الساكنين لان اصله فذاانك
فحذف الالف الاولى عوضا من النون الشديده وقيل التشديد للتاكيد كما ادخلوا اللام في
ذلك ملى وقيل ان من شدد انما بناه على لغة من قال في الواحد ذالك فلما ثنى اثبت اللام
بعد نون التثنيه ثم ادغم اللام في النون على حكم ادغام الثاني في الاول والاصل ان
يدغم الاول ابدا في الثاني الا ان يمنع من ذلك عله فيدغم الثاني في الاول والعله التي
منعت في هذا ان يدغم الاول في الثاني لانه لو فعل ذلك لصار في موضع النون التي تدل على
التثنيه لام مشدده فيتغير لفظ التثنيه فادغم الثاني في الاول لذلك فصار نونا مشدده
وقد قيل انه لما ثنى اثبت اللام في ذلك قبل النون ثم ادغم الاول في الثاني على اصول
الادغام فصارت نونا مشدده وقيل شددت فرقا بينها وبين الظاهر التي تسقط
الاضافه نونه لان ذان لا يضاف وقيل للفرق بين الاسم المتمكن وبينها وكذلك العله
في تشديد النون في اللذين وهذان قال ابو عبيد وانما اختص ابو عمرو هذا الحرف
بالتشديد دون كل تثنيه من جنسه لقلة حروفه فقراه بالتثقيل ومن قرا فذانيك
بيا مع تخفيف النون فالاصل عنده فذانك بالتشديد فابدل من النون الثانيه يا
كراهيه التضعيف كما قالوا لا املاه في لا امله فابدلوا اللام الثانيه الفا ومن قرا
بيا بعد النون الشديده فوجهه انه اشبع كسرة النون فتولد عنها اليا قوله
تعالى فارسله معي ردا يعني معينا مشتق من ازدانه اي اعنته والردي العون

قال الشاعر الم تران اصرم كان ردى وخير الناس في قل ومال ؛ النحاس
وقد اراده وردانه اي اعانه وترك همزه تخفيف وبه قرا نافع وهو بمعنى المهموز
قال المهدوي ويجوز ان يكون ترك الهمز من قولهم اردا على المايه اذا زاد عليها
فكان المعنى ارسله معي زياده في تصديقي قاله مسلم ابن جندب وانشد قول الشاعر
واسمر خطيا كان كعوبه نوى القسب قد اردى دراعا على العشر ؛ كذا انشد
الماوردي هذا البيت قد اردى وانشده الغزيري والجوهري في الصحاح قد اربي
قال والقسب الصلب والقسب تمر يابس يتفتت في الفم صلب النواه قال يصف رمحا
واسمر البيت قال الجوهري ردو الشي يردو رداه فهو ردي اي فاسد واردانه
افسدته واردانه ايضا بمعنى اعنته تقول اردانه بنفسي اي كنت له ردا وهو العون
قال الله تعالى ارسله معي ردا يصدقني قال النحاس وقد حكى ردانه ردا وجمع
ردي اردا وقرا عاصم وحمزه يصدقني بالرفع وجزم الباقون وهو اختيار ابي حاتم
على جواب الدعا واختار الرفع ابو عبيد على الحال من الها في ارسله اي ارسله ردا مصدقا
حاله التصديق كقوله انزل علينا مايده من السما تكون اي كاينه حال صرف الى الاستقبال
ويجوز ان يكون صفة لقوله ردا اني اخاف ان يكذبون اذا لم يكن لي وزير اي معين لانهم
لا يكادون يفقهون عني فقال الله عز وجل له سنشد عضدك باخيك اي نقويك به
وهذا تمثيل لان قوه اليد بالعضد قال طرفه ؛
ابني لبيني لستم بيد الا يدا ليست لها عضد ؛ ويقال في دعا الخير شد الله عضدك
وفي ضده فت الله في عضدك ونجعل لكما سلطانا اي حجه وبرهانا فلا يصلون اليكما
بلا دا باياتنا اي تمتنعان منهم باياتنا فيجوز ان يوقف على اليكما ويكون في الكلام تقديم
وتاخير وقيل التقدير انتما ومن اتبعكما الغالبون باياتنا قاله الاخفش والقشيري
قال المهدوي وفي هذا تقديم الصله على الموصول الا ان تقدر انتما غالبان باياتنا
انتما ومن اتبعكما الغالبون وعني بالايات ساير معجزاته قوله تعالى
فلما جاءهم موسى باياتنا بينات اي ظاهرات مبينات واضحات قالوا ما هذا الا سحر
مفترى مكتسب مختلق وما سمعنا بهذا في ابايا الاولين وقيل ان هذه الايات ما
احتج به موسى في اثبات التوحيد من الحجج العقليه وقيل هي معجزاته

قوله تعالى وقال موسى قراه العامه بالواو وقرا مجاهد وابن كثير وابن
محيصن قال بلا واو وكذلك هو في مصاحف اهل مكه ربي اعلم بمن جا بالهدى اي بالحق شاد
من عنده ومن تكون قرا الكوفيون الا عاصما يكون باليا الباقون بالتا وقد تقدم هذا
عاقبه الدار اي دار الجزا انه الها ضمير الامر والشان لا يفلح الظالمون قوله
تعالى وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري قال ابن عباس كان بينها
وبين قوله انا ربكم الاعلى اربعون سنه وكذب عدو الله بل علم ان ثم ربا هو خالقه
وخالق قومه ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله تعالى فاوقد لي يا هامان على الطين
اي اطبخ لي الاجر عن ابن عباس وقال قتاده هو اول من صنع الاجر وبنى به ولما
امر فرعون وزيره هامان ببنا الصرح جمع هامان العمال خمسين الف بنا سوى الاتباع
والاجرا وامر بطبخ الاجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فبنوا ورفعوا
البنا وشيدوه بحيث لم يبلغه بنيان منذ خلق الله السموات والارض فحاز البناي لا يقدر
ان يقوم على راسه يبني اراد الله ان يفتنهم فيه فحكى السدي ان فرعون صعد الصرح
ورمى بنشابه نحو السما فرجعت اليه متلطخه دما فقال قد قتلت اله موسى فروي
ان جبريل عليه السلام بعثه الله تعالى لهدمه عند مقالته والله اعلم بصحته فضرب
الصرح بجناحه فقطعه ثلاث قطع قطعه على عسكر فرعون قتلت منهم الف الف
وقطعه في البحر وقطعه في الغرب وهلك كل من عمل فيه شيا واني لاظنه من
الكاذبين الظن هنا شك فكفر على الشك لانه قد راى من البراهين ما لا يخيل على
ذي فطره قوله تعالى واستكبر اي تعظم هو وجنوده اي عن الايمان بموسى
في الارض بغير الحق اي بالعدوان اي لم تكن له حجه يدفع ما جا به موسى وظنوا انهم
الينا لا يرجعون اي توهموا انه لا معاد ولا بعث وقرا نافع وشيبه وابن محيصن
وحميد ويعقوب وحمزه والكساي لا يرجعون بفتح اليا وكسر الجيم على انه مسمى الفاعل
الباقون يرجعون على الفعل المجهول وهو اختيار ابي عبيد والاول اختيار ابي حاتم
فاخذناه وجنوده وكانوا الفي الف وستمايه الف فنبذناهم في اليم اي طرحناهم
في البحر الملح قال قتاده بحر من ورا مصر يقال له اساف اغرقهم الله فيه
وقال وهب والسدي المكان الذي اغرقهم الله فيه ناحيه القلزم يقال له بطن

مريه وهو الى اليوم غضبان وقال مقاتل يعني نهر النيل والمشهور الاول فانظر
يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين اي اخر امرهم وجعلناهم ايمه اي جعلناهم زعما
يتبعون على الكفر فيكون لهم وزرهم ووزر من اتبعهم حتى يكون عذابهم اكثر وقيل
جعل الله الملا من قومه روسا السفله منهم فهم يدعون الى جهنم وقيل ايمه ياتم بهم
ذوا العبر ويتعظ بهم اهل البصاير يدعون الى النار اي الى عمل اهل النار ويوم القيمه
لا ينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنه اي امرنا العباد بلعنهم وقيل اي الزمناهم
اللعن اي البعد عن الخير هم من المقبوحين اي من المهلكين الممقوتين قاله ابن كيسان
وابو عبيده وقال ابن عباس المشوهين الخلقه بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل
من المبعدين يقال قبحه الله اي نجاه من كل خير وقبحه اذا جعله قبيحا وقال
ابو عمرو قبحت وجهه بالتخفيف بمعنى قبحت قال الشاعر
الا قبح الله البراجم كلها وقبح يربوعا وقبح دارما ؛ وانتصب يوم على الحمل
على موضع في هذه الدنيا واستغنى عن حرف العطف في قوله هم من المقبوحين كما
استغنى عنه في قوله سيقولون ثلاثه رابعهم كلبهم ويجوز ان يكون العامل في يوم
مضمرا يدل عليه قوله هم من المقبوحين فيكون كقوله يوم يرون الملايكه لا بشرى يوميذ
للمجرمين ويجوز ان يكون العامل في يوم قوله وهم من المقبوحين وان كان الظرف
متقدما ويجوز ان يكون مفعولا على السعه كانه قال واتبعناهم في هذه الدنيا لعنه
ولعنه يوم القيمه قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراه
قاله قتاده قال يحيى بن سلام هو اول كتاب نزل فيه الفرايض والحدود والاحكام
وقيل الكتاب هنا ست من المثاني السبع التي انزلها الله على رسوله محمد صلى الله
عليه وسلم قاله ابن عباس ورواه مرفوعا من بعد ما اهلكنا القرون الاولى
قال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم ما اهلك الله قوما ولا قرنا
ولا امه ولا اهل قريه بعذاب من السما ولا من الارض منذ انزل الله التوراه على
موسى غير القريه التي مسخت قرده الم تر الى قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب
من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اي من بعد قوم نوح وعاد وثمود وقيل اي من بعد
ما اغرقنا فرعون وقومه وخسفنا بقارون بصاير للناس اتينا الكتاب

بصاير اي ليتبصروا وهدي اي من الضلاله لمن عمل بها ورحمه لمن امن بها لعلهم يتذكرون
اي ليذكروا هذه النعمه فيقيموا على ايمانهم في الدنيا ويبقوا ثوابهم في الاخره قوله
تعالى وما كنت اي ما كنت يا محمد بجانب الغربي اي بجانب الجبل الغربي قال الشاعر
اعطاك من اعطى الهدى النبيا نورا يزين المنبر الغربيا اذ قضينا الى موسى الامر
اي كلفناه امرنا ونهيناه والزمناه عهدنا وقيل اي اذ قضينا الى موسى امرك
وذكرناك بخير ذكر وقال ابن عباس اذ قضينا اي اخبرنا ان امه محمد خير الامم
وما كنت من الشاهدين اي من الحاضرين قوله تعالى ولكنا انشانا
قرونا اي من بعد موسى فطال عليهم العمر حتى نسوا ذكر الله اي عهده وامره نظيره
فتطاول عليهم الامد فقست قلوبهم وظاهر هذا يوجب ان يكون جرى لنبينا ذكر في ذلك
الوقت وان الله سيبعثه ولكن طالت المده وغلبت القسوه فنسي القوم ذلك وقيل اتينا
موسى الكتاب واخذنا على قومه العهود ثم تطاول العهد فكفروا فارسلنا محمدا مجددا
للدين وداعيا الخلق اليه قوله تعالى وما كنت ثاويا في اهل مدين اي مقيما
كمقام موسى وشعيب بينهم قال العجاج فبات حيث يدخل الثوي اي الضيف المقيم
تتلوا عليهم اياتنا اي تذكرهم بالوعد والوعيد ولكنا كنا مرسلين اي ارسلناك في اهل
مكه واتيناك كتابا فيه هذه الاخبار ولولا ذلك لما علمتها قوله تعالى وما
كنت بجانب الطور اذ نادينا اي كما لم تحضر جانب الطور اذ نادينا موسى لما اتى الميقات
مع السبعين وروى عمرو بن دينار يرفعه قال نودي يا امه محمد اجبتكم قبل ان تدعوني
واعطيتكم قبل ان تسلوني فذلك قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا وقاله ابو هريره
وفي روايه عن ابن عباس ان الله تعالى قال يا امه محمد اجبتكم قبل ان تدعوني واعطيتكم
قبل ان تسلوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني ورحمتكم قبل ان تسترحموني قال وهب
وذلك ان موسى لما ذكر الله له فضل محمد وامته قال يا رب ارنيهم فقال الله انك لن تدركهم
وان شئت ناديتهم فاسمعتك صوتهم قال بلى يا رب فقال الله تعالى يا امه محمد فاجابوا
من اصلاب ابائهم فقال قد اجبتكم قبل ان تدعوني ومعنى الايه على هذا ما كنت بجانب
الطور اذ كلمنا موسى فنادينا امتك واخبرناه بما كتبناه لك ولامتك من الرحمه الى اخر
الدنيا ولكن فعلنا ذلك رحمه منا بكم قال الاخفش رحمه نصب على المصدر ولكن رحمناك

رحمة وقال الزجاج هو مفعول من اجله اي فعل ذلك بك لاجل الرحمة النحاس
اي لم تشهد قصص الانبيا ولا تليت عليك ولكنا بعثناك واوحيناها اليك للرحمة الكسائي
على خبر كان لتقدير ولكن كان رحمة قال ويجوز الرفع بمعنى ولكن هي رحمة الزجاج
الرفع بمعنى ولكن فعل ذلك رحمة لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك يعني العرب اي لم
تشاهد تلك الاخبار ولكن اوحيناها اليك رحمة بمن ارسلت اليه لتنذرهم بها لعلهم
يتذكرون قوله تعالى ولولا ان تصيبهم يريد قريشا وقيل اليهود مصيبة
اي عقوبة ونقمة بما قدمت ايديهم من الكفر والمعاصي وخص الايدي بالذكر لان الغالب
من الكسب انما يقع بها وجواب لولا محذوف اي لولا ان يصيبهم عذاب بسبب معاصيهم
المتقدمة فيقولوا ربنا لولا اي هلا ارسلت الينا رسولا لما بعثنا الرسل وقيل لعاجلناهم
بالعقوبة وبعثنا الرسل ازاحة لعذر الكفار كما تقدم في سبحن واخر طه فنتبع
اياتك نصب على جواب التحضيض ونكون عطف عليه من المومنين اي المصدقين وقد
احتج بهذه الاية من قال ان العقل يوجب الايمان والشكر لانه قال بما قدمت ايديهم وذلك
موجب للعقاب اذ تقرر الوجوب قبل بعثة الرسل وانما يكون ذلك بالعقل قال
القشيري والصحيح ان المحذوف لولا كذا لما احتيج الى تجديد الرسل اي هولا الكفار غير
معذورين اذ بلغتهم الشرايع السابقة والدعا الى التوحيد ولكن تطاول العهد فلو عذبناهم
فقد يقول قايل منهم طال العهد بالرسل ويظن ان ذلك عذر ولا عذر لهم بعد ان بلغهم
خبر الرسل ولكن اكملنا ازاحة العذر واتممنا البيان فبعثناك يا محمد اليهم وقد حكم
الله بانه لا يعاقب عبدا الا بعد اكمال البيان والحجة وبعثة الرسل قوله
تعالى فلما جاهم الحق من عندنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا يعني كفار مكة لولا
اي هلا اوتي مثل ما اوتي موسى من العصا واليد البيضا وانزل عليه القران جملة واحدة
كالتوراة وكان بلغهم ذلك من امر موسى قبل محمد فقال الله تعالى اولم يكفروا بما اوتي
موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا اي موسى ومحمد تعاونا على السحر قال الكلبي بعثت
قريش الى اليهود وسالوهم عن بعث محمد وشانه فقالوا انا نجده في التوراة بنعته وصفته
فلما رجع الجواب اليهم قالوا ساحران تظاهرا وقال قوم ان اليهود علموا المشركين
وقالوا قولوا لمحمد لولا اوتيت مثل ما اوتي موسى فانه اوتي التوراة دفعة واحدة

فهذا الاحتجاج وارد على اليهود اي اولم يكفروا اهاولا اليهود بما اوتي موسى حين قالوا في
موسى وهارون انهما ساحران وانا بكل كافرون اي وانا كافرون اي وانا كافرون
بكل واحد منهما وقرا الكوفيون سحران بغير الف اي الانجيل والقران وقيل التوراه
والقران قاله الفرا وقيل التوراه والانجيل قاله ابو رزين الباقون ساحران بالف
وفيه ثلاثه اقاويل ايضا احدها موسى ومحمد عليهما السلام وهذا قول مشركي
العرب وبه قال ابن عباس والحسن الثاني موسى وهارون وهذا قول اليهود لهما
في ابتدا الرساله وبه قال سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد فيكون الكلام احتجاجا
عليهم وهذا يدل على ان المحذوف في قوله ولولا ان تصيبهم مصيبه لما جحدوا ما بعثنا الرسل
لان اليهود اعترفوا بالنبوات ولكنهم حرفوا وغيروا واستحقوا العذاب فقال قد
اكملنا ازاحه عذرهم ببعثه محمد عليه السلام الثالث عيسى ومحمد صلى الله عليهما وهذا
قول اليهود اليوم وبه قال قتاده وقيل اولم يكفروا جميع اليهود بما اوتي موسى في التوراه
من ذكر المسيح وذكر الانجيل والقران فراوا عيسى ومحمد ساحرين والكتابين سحرين
قوله تعالى قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه اي قل يا محمد اذ
كفرتم معاشر المشركين بهذين الكتابين فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما ليبلون
ذلك عذرا لكم في الكفر ان كنتم صادقين في انهما سحران او فاتوا بكتاب هو اهدى من كتابي
موسى ومحمد عليهما السلام وهذا يقوي قراه الكوفيين سحران اتبعه قال الفرا بالرفع
لانه صفه للكتاب وكتاب نكره قال واذا جزمت وهو الوجه فعلى الشرط قوله
تعالى فان لم يستجيبوا لك يا محمد ان ياتوا بكتاب من عند الله فاعلم انما يتبعون اهواهم
اي اراء قلوبهم وما يستحسنونه ويحببه لهم الشيطان وانه لا حجه لهم ومن اضل ممن
اتبع هواه بغير هدى من الله اي لا احد اضل منه ان الله لا يهدي القوم الظالمين قوله
تعالى ولقد وصلنا لهم القول اي اتبعنا بعضه بعضا وبعثنا رسولا بعد رسول
وقرا الحسن وصلنا مخففا وقال ابو عبيده والاخفش معنى وصلنا اتممنا كصلتك
الشي وقال ابن عيينه والسدي بينا وقاله ابن عباس وقال مجاهد فصلنا وكذلك
كان يقروها وقال ابن زيد وصلنا لهم خير الدنيا بخير الاخره حتى كانهم عاينوا الاخره
في الدنيا وقال اهل المعاني والينا وتابعنا وانزلنا القران يتبع بعضه بعضا وعدا و

ووعيدا وقصصا وعبرا ونصايح ومواعظ اراده ان يتذكروا فيفلحوا واصلها من وصل
الحبال بعضها الي بعض قال الشاعر ؛
فقل لبني مروان ما بال ذمته وحبل ضعيف ما يزال يوصل ؛؛ وقال امرؤ القيس
دريرٍ كخذروف الوليد امره يقلب كفيه بخيط يوصل ؛؛ والضمير في لهم لقريش عن
مجاهد وقيل هو لليهود وقيل هو لهم جميعا والايه رد على من قال هلا اوتي محمد القران
جمله واحده لعلهم يتذكرون قال ابن عباس يتذكرون محمدا فيومنوا به وقيل يتذكرون
فيخافون ان ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم قاله علي بن عيسى وقيل لعلهم يتعظون بالقران
عن عباده الاوثان حكاه النقاش قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب من
قبله هم به يومنون اخبر ان قوما من اوتوا الكتاب من بني اسرايل من قبل القران
يومنون بالقران كعبد الله ابن سلام وسلمان ويدخل فيه من اسلم من علما النصارى
وهم اربعون رجلا قدموا مع جعفر ابن ابي طالب المدينه اثنان وثلاثون من الحبشه
وثمانيه نفر اقبلوا من الشام وكانوا ايمه النصارى منهم بحيرا وابرهه والاشرف
وعامر وايمن وادريس ونافع كذا سماهم الماوردي وانزل الله فيهم هذه الايه
والتي بعدها الي قوله تعالى اوليك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا قاله قتاده وعنه
ايضا انها نزلت في عبد الله ابن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان
الفارسي اسلموا فنزلت فيهم هذه الايه وعن رفاعه ابن قرظه نزلت في عشره
انا احدهم وقال الزهري نزلت في النجاشي واصحابه ووجه باثني عشر رجلا
فجلسوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو جهل واصحابه قريبا منهم فامنوا
بالنبي صلى الله عليه وسلم فلما قاموا من عنده تبعهم ابو جهل ومن معه فقال لهم خيبكم
الله من ركب وقبحكم من وفد لم تلبثوا ان صدقتموه وما راينا ركبا احمق ولا اجهل
منكم فقالوا سلام عليكم لم نال انفسنا رشدا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وقد تقدم هذا
في المايده عند قوله تعالى واذا سمعوا ما انزل الي الرسول وقال ابو العاليه هولا قوم
امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد ادركه بعضهم من قبله اي من قبل
القران وقيل من قبل محمد عليه السلام هم به اي بالقران او محمد عليه السلام
يومنون واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا اي اذا قري عليهم القران

قالوا صدقنا بما فيه وانا كنا من قبله اي من قبل نزوله او من قبل بعثة محمد عليه السلام
مسلمين اي موحدين او مومنين بانه سيبعث محمد وينزل عليه القران اوليك يوتون
اجرهم مرتين بما صبروا فيه اربع مسايل الاولى ثبت في صحيح مسلم عن ابي موسى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة يوتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب
امن بنبيه وادرك النبي صلى الله عليه وسلم فامن به واتبعه وصدقه فله اجران وعبد
مملوك ادى حق الله عز وجل وحق سيده فله اجران ورجل كانت له امة فغذاها
فاحسن غذاها ثم ادبها فاحسن ادبها ثم اعتقها وتزوجها فله اجران ثم قال الشعبي
للخراساني خذ هذا الحديث بغير شي فقد كان الرجل يرحل فيما دون هذا الى المدينة خرجه
البخاري ايضا قال علماونا لما كان كل واحد من هولا مخاطبا بامرين من جهتين استحق
كل واحد منهم اجرين فالكتابي كان مخاطبا من جهة نبيه ثم انه خوطب من جهة نبينا فاجابه
واتبعه فله اجر الملتين وكذلك العبد هو مامور من جهة الله تعالى ومن جهة سيده
ورب الامة لما قام بما خوطب به من تربية امته وادبها فقد احياها احيا التربية ثم انه
لما اعتقها وتزوجها احياها احيا الحرية التي الحقها فيه بمنصبه فقد قام بما امر فيهما فاجر
كل واحد منهما اجرين ثم ان كل واحد من الاجرين يضاعف في نفسه الحسنة بعشر امثالها
فتضاعف الاجور ولذلك قيل ان العبد الذي يقوم بحق سيده وحق الله تعالى افضل من
الحر وهو الذي ارتضاه ابو عمر بن عبد البر وغيره وفي الصحيح عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم للعبد المملوك المصلح اجران والذي نفس ابي هريرة بيده
لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر امي لاحببت ان اموت وانا مملوك قال سعيد بن
المسيب وبلغنا ان ابا هريرة لم يكن يحج حتى ماتت امه لصحبتها وفي الصحيح ايضا عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعما للعبد المملوك ان يتوفى بحسن عبادة
الله وصحابة سيده نعما له الثانية قوله تعالى بما صبروا عام في صبرهم
على ملتهم ثم على هذه وعلى الاذى الذي يلقونه من الكفار وغير ذلك الثالثة قوله
تعالى ويدرون بالحسنة السيئة اي يدفعون درات اذا دفعت والدرا الدفع
وفي الحديث ادروا الحدود ما استطعتم قيل يدفعون بالاحتمال والكلام الحسن
الاذا وقيل يدفعون بالتوبة والاستغفار الذنوب وعلى الاول فهو وصف لمكارم

الاخلاق او من قال لهم سوا لا يبنوه وقابلوه من القول الحسن بما يدفعه وهذه ايه فهلا انه
وهي من صدر الاسلام وهي مما نسختها ايه السيف وبقي حكمها فيما دون الكفر يتعاطاه
امه محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمه ومنه قوله عليه السلام واتبع السيه الحسنه
تمحها وخالق الناس بخلق حسن ومن الخلق الحسن دفع المكروه والاذى والصبر
على الجفا بالاعراض عنه ولين الجانب الرابعه قوله تعالى ومما رزقناهم
ينفقون اثنى عليهم بانهم ينفقون من اموالهم في الطاعات وفي رسم الشرع وفي ذلك
حض على الصدقات وقد يلون الانفاق من الابدان بالصوم والصلوات ومدحهم ايضا على
اعراضهم عن اللغو كما قال واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا سمعوا ما قال لهم
الـ من الاذى والشتم اعرضوا عنه اي لم يشتغلوا به وقالوا لنا اعمالنا ولكم
اعمالكم سلام عليكم اي متاركه مثل قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اى لنا
ديننا ولكم دينكم سلام عليكم اي امنة لكم منا فانا لا نحاوركم ولا نسابكم وليس من التحيه
في شي قال الزجاج وهذا قبل الامر بالقتال لا نبتغي الجاهلين اي لا نطلبهم للجدال
والمراجعه والمشاتمه قوله تعالى انك لا تهدي من احببت الايه قال
الزجاج اجمع المسلمون انها نزلت في ابي طالب قال الشيخ القرطبي رحمه الله والصواب
ان يقال اجمع جل المفسرين على انها نزلت في شان ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم
وهو نص حديث البخاري ومسلم وقد تقدم الكلام في ذلك في براه وقال ابو روق
قوله ولكن الله يهدي من يشا اشاره الى العباس وقاله قتاده وهو اعلم بالمهتدين
قال مجاهد لمن قدر له ان يهتدي وقيل معنى من احببت اي من احببت ان يهتدي وقال
جبير بن مطعم لم يسمع احد الوحي يلقى على النبي صلى الله عليه وسلم الا ابا بكر الصديق فانه
سمع جبريل وهو يقول يا محمد اقرا انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا
قوله تعالى وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا هذا قول مشركي
قريش قال ابن عباس قايل ذلك الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف القرشي قال
للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان قولك حق ولكن يمنعنا ان نتبع الهدى معك ونومن
بك مخافه ان تتخطفنا العرب من ارضنا يعني مكه لاجماعهم على خلافنا ولا طاقه لنا
بهم وكان هذا من تعللاتهم فاجاب الله تعالى عما اعتل به فقال اولم نمكن لهم حرما

يتغاورون ويتناجرون

امنا اي ذا امن وذلك ان العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا
واهل مكة امنون حيث كانوا لحرمة الحرم فاخبر انه قد امنهم بحرمة البيت ومنع منهم
عدوهم فلا يخافون ان يستحل العرب حرمته في قتالهم والتخطف الانتزاع بسرعة
وقد تقدم قال يحيى بن سلام يقول كنتم امنين في حرمي تاكلون رزقي وتعبدون غيري
فتخافون اذا عبدتموني وامنتم بي تجبى اليه ثمرات كل شي اي تجمع اليه ثمرات كل ارض
وبلد عن ابن عباس وغيره يقال جبى الما في الحوض اي جمعه والجابية الحوض العظيم
وقرا نافع تجبى بالتا لاجل الثمرات الباقون باليا لقوله كل شي واختاره ابو عبيد قال
لانه حال بين الاسم المونث وبين فعله حايل وايضا فان الثمرات جمع وليس بتانيث حقيقي
رزقا من لدنا اي من عندنا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ذلك مما تفضل الله به عليهم
وقال الضحاك لا يعلمون اي لا يعقلون اي هم غافلون عن الاستدلال وان من رزقهم وامنهم
فيما مضى حال كفرهم يرزقهم لو اسلموا ويمنع الكفار عنهم في اسلامهم ورزقا نصب على
المفعول من اجله ويجوز نصبه على المصدر فالمعنى لان معنى تجبى ترزق وقرى نجبي
بالنون من الجبي وتعديته بالى كقولك تجبى الى فيه وتجبى الى الخابية قوله
تعالى وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها بين لمن توهم انه لو امن لقاتله العرب ان الخوف
في ترك الايمان اكثر فكم من قوم كفروا ثم حل بهم البوار والبطر الطغيان بالنعمة قاله
الزجاج معيشتها اي في معيشتها فلما حذف في تعدى الفعل قاله الزجاج والمازني
كقوله واختار موسى قومه الفرا هو منصوب على التفسير قال كما تقول ابطرت مالك
وبطرته ونظيره عنده الا من سفه نفسه وقيل انتصب ببطرت ومعنى بطرت
جهلت فالمعنى جهلت شكر معيشتها وكذا عنده فان طبن لكم عن شي منه نفسا ونصب
المصادر على التفسير محال عند البصريين لان معنى التفسير والتمييز ان يكون واحدا نكرة
يدل على الجنس فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا اى لم تسكن بعد هلاك اهلها
الا قليلا من المساكن واكثرها خراب والاستثنا يرجع الى المساكن اى بعضها يسكن
قاله الفرا واعترض عليه فقيل لو كان الاستثنا يرجع الى المساكن لقال الا قليل لانك
تقول القوم لم يضرب الا قليل يرفع اذا كان المضروب قليلا واذا نصبت كان القليل
صفة للضرب اي لم يضرب الا ضربا قليلا فالمعنى اذا فتلك مساكنهم لم يسكنها الا المسافر

لما اتم حرتهم مدام يستاديها العمل

ومن يمر بالطريق يوما او بعض يوم اي لم تسكن من بعدهم الا سكونا قليلا وكذا قال ابن عباس
لم يسكنها الا المسافر مرا او مارا الطريق يوما او ساعة وكنا نحن الوارثين اي لما خلفوا
بعد هلاكهم قوله تعالى وما كان ربك مهلك القرى اي القرى الكافرة
اهلها حتى يبعث في امها قرئ بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر يعني مكة رسولا يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل في امها في اعظمها رسولا ينذرهم وقال الحسن في اوائلها
قال الشيخ القرطبي رحمه الله ومكة اعظم القرى لحرمتها واولها لقوله ان اول
بيت وضع للناس وخصت بالاعظم لبعثة الرسول فيها لان الرسل تبعث الى الاشراف
وهم يسكنون المداين وهي ام ما حولها وقد مضى هذا المعنى في اخر سورة يوسف
يتلوا عليهم اياتنا يتلوا في موضع الصفة اي تاليا اي يخبرهم ان العذاب ينزل بهم ان لم يومنوا
وما كنا مهلكي القرى وسقطت النون للاضافة مثل ظالمي اهلها الا واهلها ظالمون
اي لم اهلكهم الا وقد استحقوا الاهلاك لاصرارهم على الكفر بعد الاعذار اليهم وفي هذا
بيان لعدله وتقدسه عن الظلم اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم
ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تاكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم
حجة عليهم ونزه ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال وما كان ربك ليهلك القرى
بظلم واهلها مصلحون فنص في قوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما
منه وان حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما
قال وما كان الله ليضيع ايمانكم قوله تعالى وما اوتيتم من شيء يا اهل مكة
فمتاع الحياة الدنيا وزينتها اي تتمتعون بها مدة حياتكم او مدة في حياتكم فاما ان تزولوا
عنها او تزول عنكم وما عند الله خير وابقى اي افضل وادوم يريد الدار الاخرة
وهي الجنة افلا تعقلون ان الباقي افضل من الفاني قرا ابو عمرو يعقلون بالياء
الباقون بالتاء على الخطاب وهو الاختيار لقوله وما اوتيتم قوله تعالى
افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه يعني الجنة وما فيها من الثواب كمن متعناه
متاع الحياة الدنيا فاعطي منها بعض ما اراد ثم هو يوم القيمة من المحضرين اي في
النار ونظيره قوله ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين قال ابن عباس نزلت في حمزة
ابن عبد المطلب وابي جهل ابن هشام وقال مجاهد نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم

وابي جهل وقال محمد بن كعب نزلت في حمزه وعلي وفي ابي جهل وعماره ابن الوليد
وقيل في عمار والوليد بن المغيره قاله السدي قال القشيري والصحيح انها نزلت في
المومن والكافر على التعميم الثعلبي وبالجمله فانها نزلت في كل كافر متع في الدنيا بالعافيه
والغنى وله في الاخره النار وفي كل مومن صبر على بلا الدنيا ثقه بوعد الله وله في
الاخره الجنه قوله تعالى ويوم يناديهم اي ينادي الله يوم القيمه
هولا المشركين فيقول اين شركاي بزعمكم انهم ينصرونكم ويشفعون لكم قال الذين
حق عليهم القول اي حقت عليهم كلمه العذاب وهم الروسا قاله الكلبي وقال قتاده
هم الشياطين ربنا هولا الذين اغوينا اي دعوناهم الى الغي فقيل لهم اغويتموهم قالوا
اغويناهم كما غوينا يعنون اضللناهم كما كنا ضالين تبرانا اليك اي تبرا بعضنا من بعض و الشياطين
يتبرون ممن اطاعهم والروسا يتبرون ممن قبل منهم كما قال الاخلا يومىذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين قوله تعالى وقيل اي للكفار ادعوا شركاكم اي استغيثوا
بالالهه التي عبدتموها في الدنيا لتنصركم وتدفع عنكم فدعوهم اي استغاثوا بهم فلم
يستجيبوا لهم اي فلم يجيبوهم ولا انتفعوا بهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون
لانجاهم الهدى ولما صاروا الى العذاب وقيل اي لو انهم كانوا يهتدون في الدنيا
اذا راوا العذاب يوم القيمه ماذا اجبتم المرسلين اي يقول الله لهم ما كان جوابكم لمن
ارسل اليكم من النبيين لما بلغوكم رسالاتي فعميت عليهم الانبا يومىذ اي خفيت عليهم الحجج
قاله مجاهد لان الله قد اعذر اليهم في الدنيا فلا يكون لهم عذر ولا حجه يوم القيمه
والانبا الاخبار سمى حججهم انبا لانها اخبار يخبرونها فهم لا يتسالون اي لا يسل بعضهم
بعضا عن الحجج لان الله تعالى ادحض حججهم قاله الضحاك وقال ابن عباس لا يتسالون
اي لا ينطقون بحجه وقيل لا يتسالون في تلك الساعه ولا يدرون ما يجيبون به من هول
تلك الساعه ثم يجيبون بعد ذلك كما اخبر عن قولهم والله ربنا ما كنا مشركين وقال
مجاهد لا يتسالون بالانساب وقيل لا يسل بعضهم بعضا ان يحمل من ذنوبه شيا حكاه
ابن عيسى قوله تعالى فاما من تاب اي من الشرك وامن اي صدق وعمل
صالحا ادى الفرايض واكثر من النوافل فعسى ان يكون من المفلحين اي الفايزين بالسعاده
وعسى من الله واجبه قوله تعالى وربك يخلق ما يشا ويختار هذا متصل

بذكر الشركا الذين عبدوهم واختاروهم للشفاعه اي الاختيار الى الله تعالى في الشفعا لا الى المشركين وقيل هو جواب الوليد بن المغيره حين قال لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم يعني نفسه زعم وعروه ابن مسعود الثقفي من الطايف وقيل هو جواب اليهود اذ قالوا لو كان الرسول الى محمد غير جبريل لامنا به قال ابن عباس والمعنى وربك يخلق ما يشا من خلقه ويختار منهم من يشا لطاعته وقال يحيى ابن سلام المعنى وربك يخلق ما يشا من خلقه ويختار من يشا للنبوه وحكى النقاش ان المعنى وربك يخلق ما يشا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ويختار الانصار لدينه قال الشيخ القرطبي رحمه الله وفي كتاب البزار مرفوعا صحيحا عن جابر ان الله اختار اصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من اصحابي اربعه يعني ابا بكر وعمر وعثمان وعلي فجعلهم اصحابي وفي اصحابي كلهم خير واختار امتي على ساير الامم واختار لي من امتي اربعه قرون وذكر سفين ابن عيينه عن عمرو بن دينار عن وهب ابن منبه عن ابيه في قوله عز وجل وربك يخلق ما يشا ويختار قال اختار من النعم الضان ومن الطير الحمام والوقف التام ويختار قال علي بن سليمن وهذا وقف التمام ولا يجوز ان يكون ما في موضع نصب بيختار لانها لو كانت في موضع نصب لم يعد عليها شي قال وفي هذا رد على القدريه قال النحاس التام ويختار الرسل ما كان لهم الخيره اي ليس من رسلي من اختاروه وقال ابو اسحق ويختار هذا وقف التمام المختار ويجوز ان يكون ما في موضع نصب بيختار ويكون المعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيره قال القشيري والصحيح الاول لاطباقهم الوقف على قوله ويختار قال المهدوي وهذا اشبه بمذهب اهل السنه وما من قوله ما كان لهم الخيره نفي عام لجميع الاشيا ان يكون للعبد فيها سوى اكتسابه بقدر الله عز وجل الزمخشري ما كان لهم الخيره بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشا ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيره لله في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمه فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه واجاز الزجاج وغيره ان يكون للعبد فيها سوى اكتسابه ما منصوبا بيختار وانكر الطبري ان تكون ما نافيه ليلا يكون المعنى انهم لم تكن لهم الخيره فيما مضى وهي لهم فيما يستقبل ولانه لم يتقدم كلام بنفي قال المهدوي ولا يلزم ذلك لان ما تنفي

الحال

الحال والاستقبال كلبس ولذلك عملت عملها وان الاي كانت تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم على ما يسل عنه وعلى ما هم عليه مصرون من الاعمال وان لم يكن ذلك في النص وتقدير الايه عند الطبري ويختار لولايته الخيره من خلقه لان المشركين كانوا يختارون خيار اموالهم فيجعلونه لالهتهم فقال الله تبارك وتعالى وربك يخلق ما يشا ويختار للهدايه من خلقه من سبقت له السعاده في علمه كما اختار المشركون خيار اموالهم لالهتهم فما على هذا المن بمعنى الذي والخيره رفع بالابتدا ولهم الخبر والجمله خبر كان وشبهه بقولك كان زيد ابوه منطلق وفيه ضعف اذ ليس لهم الاختيار على الله في الكلام عايد يعود على اسم كان الا ان يقدر حذفه فيجوز على بعد وقد روي معنى ما قاله الطبري عن ابن عباس قال الثعلبي وما نفي اذ ليس لهم الاختيار على الله وهذا اصوب كقوله تعالى وما كان لمومن ولا مومنه اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيره من امرهم فهو الصواب قال محمود الوراق

توكل على الرحمن في كل حاجه ... اردت فان الله يقضي ويقدر
اذا ما يرد ذو العرش امرا بعبده ... يصبه وما للعبد ما يتخير
وقد يهلك الانسان من وجه حذره ... وينجو بحمد الله من حيث يحذر

اخر

العبد ذو ضجر والرب ذو قدر ... والدهر ذو دول والرزق مقسوم
والخير اجمع فيما اختار خالقنا ... وفي اختيار سواه اللوم والشوم

قال العلما لا ينبغي لاحد ان يقدم على امر من امور الدنيا الا حتى يسل الله الخيره في ذلك وذلك بان يصلي ركعتين صلاه الاستخاره يقرا في الركعه الاولى بعد الفاتحه قل يا ايها الكافرون وفي الركعه الثانيه قل هو الله احد واختار بعض المشايخ ان يقرا في الركعه الاولى وربك يخلق ما يشا ويختار الايه وفي الركعه الثانيه وما كان لمومن ولا مومنه اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيره من امرهم وكل حسن ثم يدعو بهذا الدعا بعد السلام وهو ما رواه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخاره في الامور كلها كما يعلمنا السوره من القران فيقول اذا هم احدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضه ثم ليقل اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسالك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم

مطلب في صلاه الاستخاره

وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري
او قال في عاجل امري واجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه اللهم وان كنت تعلم
ان هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري او قال في عاجل امري واجله
فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به قال وتسمي حاجته
وروت عايشة عن ابي بكر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد امرا قال
اللهم خر لي واختر لي وروى انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا
انس اذا هممت بامر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر الى ما يسبق قلبك فان
الخير فيه قال العلما وينبغي ان يفرغ قلبه من جميع الخواطر حتى لا يكون مايلا الى امر
من الامور فعند ذلك ما يسبق الى قلبه يعمل عليه فان الخير فيه ان شا الله تعالى وان
عزم على سفر فيتوخى بسفره يوم الخميس او يوم الاثنين اقتدا برسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم نزه سبحانه نفسه بقوله الحق فقال سبحان الله اي تنزيها وتعالى اي تقدس
وتمجد عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم اي تخفيه وما يعلنون يظهرون وقرا
ابن محيصن وحميد تكن بفتح التا وضم الكاف وقد تقدم هذا في النحل ثم مدح سبحانه
بانه عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة
وله الحكم واليه ترجعون تقدم معناه وانه المنفرد بالوحدانية وان جميع المحامد
انما تجب له فان لا حكم الا له واليه المصير قوله تعالى قل ارايتم ان
جعل الله عليكم الليل سرمدا اي دايما ومنه قول طرفة
لعمرك ما امري علي بغمة نهاري ولا ليلي علي بسرمد بين سبحانه انه مهد
اسباب المعيشة لتقوموا بشكر نعمه من اله غير الله ياتيكم بضيا اي بنور تطلبون
فيه المعيشة وقيل بنهار تبصرون فيه في معايشكم وتصلح فيه الثمار والنبات
افلا تسمعون سماع فهم وقبول قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم
القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون اي تستقرون فيه من النصب افلا تبصرون
ما انتم فيه من الخطا في عبادة غيره واذا اقررتم بانه لا يقدر على ايتا الليل والنهار
غيره فلم تشركون به ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اي فيهما
وقيل الضمير للزمان وهو الليل والنهار ولتبتغوا من فضله اي لتطلبوا من رزقه

مطلب

فيه

فيه اي في النهار فحذف ولعلكم تشكرون الله على ذلك قوله تعالى ويوم
يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون اعاد هذا الاختلاف الحالين ينادون
مره فيقال لهم اين شركاي فيدعون الاصنام فلا يستجيبون فيظهر جزعهم ثم ينادون
مره اخرى فيسكتون وهو توبيخ وزياده خزي والمناداه خزيهم ثم ينادون مره
اخرى هنا ليست من الله لان الله لا يكلم الكفار لقوله تعالى ولا يكلمهم الله يوم القيمه
لكنه تعالى يامر من يوبخهم ويبكتهم ويقيم الحجج عليهم في مكان الحساب ويحتمل ان يكون
من الله وقوله لا يكلمهم الله خبر يقال لهم اخسوا فيها ولا تكلمون وقال شركاوهم
لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم قوله تعالى ونزعنا من كل امه شهيدا
اي نبيا عن مجاهد وقيل هم عدول الاخره يشهدون على العباد باعمالهم في الدنيا والاول
اظهر لقوله تعالى فكيف اذا جينا من كل امه بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا وقوله
ويوم نبعث من كل امه شهيدا وشهيد كل امه رسولها الذي يشهد عليها والشهيد الحاضر
اي احضرنا رسولهم المبعوث اليهم فقلنا هاتوا برهانكم اي حجتكم فعلموا ان الحق لله
اي علموا صدق ما جاءت به الانبيا وضل عنهم اي ذهب عنهم وبطل ما كانوا يفترون اي
يختلقونه من الكذب على الله تعالى من ان معه الهه تعبد قوله تعالى ان
قارون كان من قوم موسى لما قال وما اوتيتم من شي فمتاع الحياه الدنيا بين ان قارون
اوتيها واغتر بها ولم تعصمه من عذاب الله كما لم تعصم فرعون ولستم ايها المشركون
باكثر عددا ومالا من قارون وفرعون فلم ينفع فرعون جنوده وامواله ولم ينفع قارون
قرابته من موسى ولا جنوده قال النخعي وقتاده وغيرهما كان ابن عم موسى لحا
وهو قارون ابن يصهر بن قاهث ابن لاوي ابن يعقوب وموسى بن عمران ابن قاهث
وقال ابن اسحق كان عم موسى لاب وام وقيل كان ابن خالته ولم ينصرف للعجمه
والتعريف وما كان على وزن فاعول اعجميا لا يحسن فيه الالف واللام لم ينصرف
في المعرفه وانصرف في النكره فان حسنت فيه الالف واللام انصرف ان كان اسما
لمذكر نحو طاوس وراقود قال الزجاج ولو كان قارون من قرنت الشي لانصرف
فبغى عليهم بغيه انه زاد في طول ثيابه شبرا قال شهر ابن حوشب وفي الحديث
لا ينظر الله الى من جر ازاره بطرا وقيل بغيه كفره بالله عز وجل قاله الضحاك

وقيل بغيه استخفافه بهم لكثرة ماله وولده قاله قتادة وقيل بغيه نسبته ما اتاه
الله من الكنوز الى نفسه بعلمه وحيلته قاله ابن بحر وقيل بغيه قوله اذا كانت
النبوه لموسى والذبح والقربان في هارون فما لي فروي انه لما جاوزهم موسى البحر
وصارت الرساله والحبوره لهرون يعرف القربان ويكون راسا فيهم وكان القربان الى
موسى فجعله موسى الى اخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست
على شي الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا اصدقك حتى تاتي باية فامر
رؤسا بني اسرايل ان يجي كل واحد منهم بعصاه فحزمها والقاها في القبه التي كان الوحي
ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا واذا العصي هارون تهتز ولها
ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر فبغى
عليهم من البغي وهو الظلم وقال يحيى بن سلام وابن المسيب كان قارون عاملا لفرعون
على بني اسرايل فتعدى عليهم وظلمهم وكان منهم وقول سابع روي عن ابن عباس قال
لما امر الله تعالى موسى برجم الزاني عمد قارون الى امراة بغي فاعطاها مالا وحملها
على ان ادعت على موسى انه زنا بها وانه احبلها فعظم على موسى ذلك واحلفها بالله الذي
فلق البحر لموسى لبني اسرايل وانزل التوراة على موسى الا صدقت فتداركها الله فقالت
اشهد انك بري وان قارون اعطاني مالا وحملني على ان قلت ما قلت وانت الصادق
وقارون الكاذب فجعل الله امر قارون الى موسى وامر الارض ان تطيعه فجاه وجعل
يقول للارض يا ارض خذيه يا ارض خذيه وهي تاخذه شيا شيا وهو يستغيث يا موسى
الى ان ساخ في الارض هو وداره وجلساوه الذين كانوا على مذهبه اي طريقته ويروى ان الله تعالى
اوحي الى موسى يا موسى استغاث بك عبادي فلم ترحمهم اما انهم لو دعوني لوجدوني
قريبا مجيبا ابن جريج بلغنا انه يخسف بهم كل يوم قامه فلا يبلغون الى اسفل الارض
الى يوم القيمه وذكر ابن ابي الدنيا في كتاب الفرج حدثني ابرهيم بن راشد حدثني داود
ابن مهران عن الوليد بن مسلم عن مروان بن جناح عن يونس بن ميسرة ابن حلبس
قال لقي قارون يونس في ظلمات البحر فنادى قارون يونس فقال يا يونس تب الى
الله فانك تجده عند اول قدم ترجع بها اليه فقال يونس ما منعك من التوبة فقال
ان توبتي جعلت الى ابن عمي فابى ان يقبل مني وفي الخبر اذا وصل قارون الى قرار

مطلب

الارض

الارض السابعة نفخ اسرافيل في الصور والله اعلم السدي وكان اسم البغي سبرتا
وبذل لها قارون الفي درهم قتادة وكان قطع البحر مع بني اسرائيل وكان يسمى
المنور من حسن صوته بالتوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري **قوله**
تعالى واتيناه من الكنوز قال عطا اصاب كنزا من كنوز يوسف عليه السلام
وقال الوليد بن مروان انه كان يعمل الكيميا ما ان مفاتحه ان اسمها وخبرها في صلة ما
وما مفعوله اتينا قال النحاس وسمعت علي بن سليمن يقول ما اقبح ما يقول الكوفيون
في الصلات انه لا يجوز ان يكون صلة الذي واخواته ان وما عملت فيه وفي القران ما
ان مفاتحه وهو جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به ومن قال المفتاح قال المفاتيح ومن قال
الخزائن فواحدها مفتح بالفتح لتنوء بالعصبة احسن ما قيل فيه ان المعنى لتنيء العصبة
اي تميلهم بثقلها فلما انفتحت اليا دخلت الباكما قالوا هو يذهب بالبوس ويذهب البوس
واختار لتنوء بالعصبة لتحمل العصبة تنوا اي تنهض متثاقلة كقولك قم بنا اي اجعلنا
نقوم يقال نا ينوا نوا اذا نهض بثقل قال الشاعر
تنوء باخراها فلايا قيامها وتمشي الهوينا عن قريب فتبهر ؛ اخر
اخذت فلم املك ونويت فلم ام كاني من طول الزمان مقيد ؛ وناني واناني اذا
اثقلني عن ابي زيد وقال ابو عبيدة قوله تنوء بالعصبة مقلوب والمعنى لتنوء بها العصبة
اي تنهض بها ابو زيد نؤت بالعمل اذا نهضت به قال الشاعر
انا وجدنا خلفا بيس الخلف عبدا اذا ما ناء بالحمل وقف ؛ والاول المعنى قول ابن
عباس وابي صالح والسدي وهو قول الفرا واختاره النحاس قال كما يقال ذهبت به
واذهبته وجيت به واجاته وانانه ونوت به فاما قولهم عندي ما ساه وناه فهو
اتباع كما يجب ان يقال وانا ومثله هناني الشي ومراني واحدة ما قدم وحدث
وقيل هو ماخوذ من التاني وهو البعد ومنه قول الشاعر ؛
ينوء عنا وما ننا مودتهم فالقلب فيهم رهين حيثما كانوا ؛ وقرا بديل
ابن ميسرة لينوء باليا اي لينوا لواحد منها او المذكور فحمل على المعنى وقال ابو عبيدة
قلت لروبة ابن العجاج في قوله ؛
فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق ؛ ان كنت اردت

الخطوط فعل كلها وان كنت اردت السواد والبلوقعل كلها فقال اردت كل ذلك
واختلف في العصبه وهي الجماعه الذين يتعصب بعضهم لبعض على احد عشر قولا الاول
ثلثه رجال قاله ابن عباس وعنه ايضا من الثلاثه الى العشره وقال مجاهد والعصبه
هنا ما بين العشرين الى خمسه عشر وعنه ما بين العشره الى الخمسه عشر وعنه ايضا
من عشره الى خمسه ذكر الاول الثعلبي والثاني القشيري والماوردي والثالث المهدوي
وقال ابو صالح والحكم ابن عتيبه وقتاده والضحاك اربعون السدي ما بين العشره
الى الاربعين وقاله قتاده ايضا وقال عكرمه منهم من يقول اربعون ومنهم من يقول
سبعون وهو قول ابي صالح ان العصبه سبعون رجلا ذكره الماوردي والاول ذكره
عنه الثعلبي وقيل ستون رجلا وقال سعيد بن جبير ست او سبع عبد الرحمن ابن
زيد وما بين الثلاثه والتسعه وهو النفر الكلبي عشره لقول اخوه يوسف ونحن
عصبه وقاله مقاتل وقال خيثمه وجدت في الانجيل ان مفاتح خزاين قارون وقر
ستين بغلا غرا محجله وانها لتنوء بها من ثقلها ما يزيد مفتح منها على اصبع لكل مفتح منها
كنز قال لو قسم ذلك الكنز على اهل البصره لكفاهم قال مجاهد كانت المفاتيح من جلد
الابل وقيل اتخذها من جلود البقر لتخف عليه فكانت تحمل معه اذا ركب على سبعين
بغلا فيما ذكر القشيري وقيل على اربعين بغلا وهو قول الضحاك وعنه ايضا ان مفاتحه
اوعيته وكذا قال ابو صالح ان المراد بالمفاتح الخزاين والله اعلم اذ قال له قومه
اي المومنون من بني اسرايل قاله السدي وقال يحيى بن سلام القوم هنا موسى
وقاله الفرا وهو جمع اريد به واحد كقوله الذين قال لهم الناس وانما هو نعيم
ابن مسعود على ما تقدم لا تفرح اي لا تاشر ولا تبطر ان الله لا يحب الفرحين اي
البطرين قاله مجاهد والسدي قال الشاعر

ولست بمفراح اذا الدهر سرني ولا ضارع في صرفه المتقلب ؛؛ وقال
الزجاج المعنى لا تفرح بالمال فان الفرح بالمال لا يودي حقه ؛؛ وقال مبشر
ابن عبد الله لا تفرح لا تفسد قال الشاعر

اذا انت لم تبرح تودي امانه وتحمل اخرى افرحتك الودايع ؛؛ اي افسدتك
وقال ابو عمرو وافرحه الدين اثقله وانشد اذا انت البيت وافرحه سره

فهو مشترك قال الزجاج والفرحين والفارحين سوا وفرق بينهما الفرا فقال معنى
الفرحين الذين هم في حال فرح والفارحين الذين يفرحون في المستقبل وزعم ان مثله
طمع وطامع وميت ومايت ويدل على خلافه ما قال قول الله عز وجل انك ميت وانهم
ميتون ولم يقال مايت وقال مجاهد ايضا معنى لا تفرح لا تبغ ان الله لا يحب الفرحين
اي الباغين وقال ابن بحر لا تبخل ان الله لا يحب الباخلين قوله تعالى
وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخره اي اطلب فيما اعطاك الله من الدنيا الدار الاخره
وهي الجنه فان حق المومن ان يصرف الدنيا فيما ينفعه في الاخره لا في التجبر والبغي
ولا تنس نصيبك من الدنيا اختلف فيه فقال ابن عباس والجمهور ولا تضيع عمرك
في ان لا تعمل عملا صالحا في دنياك اذ الاخره انما يعمل لها فنصيب الانسان عمره وعمله
الصالح فيها فالكلام على هذا التاويل شده في الموعظه وقال الحسن وقتاده معناه
لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك اياه ونظرك لعاقبه دنياك
فالكلام على هذا التاويل فيه بعض الرفق به واصلاح الامر الذي يشتهيه وهذا مما
يجب استعماله في الموعوظ خشيه النبوه من الشده قاله ابن عطيه قال الشيخ القرطبي
رحمه الله وهذان التاويلان قد جمعهما ابن عمر في قوله

احرث لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لاخرتك كانك تموت غدا وعن الحسن
قدم الفضل وامسك ما يبلغ وقال مالك هو الاكل والشرب بلا اسرف وقيل اراد
بنصيبه الكفن وهذا وعظ متصل كانهم قالوا لا تنس انك تترك جميع مالك الا نصيبك
هذا الذي هو الكفن ونحو هذا قول الشاعر

نصيبك مما تجمع الدهر كله ردا ان تلوى فيهما وحنوط اخر

هي القناعه لا تبغي بها بدلا فيها النعيم وفيها راحه البدن

انظر لمن ملك الدنيا باجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن ابن العربي
وابدع ما فيه عندي قول قتاده ولا تنس الحلال فهو نصيبك من الدنيا ويا ما احسن
هذا واحسن كما احسن الله اليك اي اطع الله واعبده كما انعم عليك ومنه الحديث
ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه وقيل هو امر بصله المساكين قال
ابن العربي فيه اقوال كثيره جماعها استعمال نعم الله في طاعه الله وقال مالك

هو الاكل والشرب من غير سرف قال ابن العربي اري ملكا اراد الرد على الغالين
في العباده والتقشف فان النبي صلى الله عليه وسلم كان ياكل الحلوا ويشرب العسل
ويستعمل الشوا ويشرب الما البارد وقد مضى هذا المعنى في غير موضع ولا تبغ الفساد
في الارض اي لا تعمل بالمعاصي ان الله لا يحب المفسدين قوله تعالى قال
انما اوتيته على علم عندي يعني علم التوراه وكان فيما روي من اقرا الناس لها واعلمهم
بها وكان احد العلما السبعين الذين اختارهم موسى للميقات وقال ابن زيد اي انما
اوتيته لعلمه بفضلي ورضاه عني فقوله عندي معناه ان عندي ان الله اتاني هذه الكنوز
على علم منه باستحقاقي اياها لفضل في وقيل اوتيته على علم من عندي بوجوه المكاسب
والتجارات قاله علي ابن عيسى ولم يعلم ان الله تعالى لو لم يسهل له اكتسابها لما اجتمعت
عنده وقال ابن عباس على علم عندي بصنعة الذهب واشار الى علم الكيميا وحكى
النقاش ان موسى عليه السلام علمه الثلث من صنعه الكيميا ويوشع الثلث وهارون
الثلث فخدعهما قارون وكان على ايمانه حتى علم ما عندهما وعمل الكيميا فكثرت امواله
وقيل ان موسى علم الكيميا ثلثه يوشع ابن النون وطالوت وقارون واختار الزجاج
القول الاول وانكر قول من قال انه يعمل الكيميا قال لان الكيميا باطل لا حقيقة له
وقيل ان موسى علم اخته علم الكيميا وكانت زوجه قارون وعلمت اخت موسى قارون
فالله اعلم قوله تعالى اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله اي بالعذاب
من القرون اي الامم الخاليه الكافره من هو اشد منه قوه واكثر جمعا اي للمال
ولو كان المال يدل على فضل لما اهلكهم وقيل القوه الالات والجمع الاعوان
والانصار والكلام خرج مخرج التقريع من الله تعالى لقارون اي اولم يعلم
قارون ان الله الايه ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون اي لا يسئلون سوال
استعتاب كما قال ولا هم يستعتبون وما هم من المعتبين وانما يسئلون سوال
تقريع وتوبيخ لقوله فوربك لنسئلنهم اجمعين قاله الحسن وقال مجاهد لا تسئل
الملئكه غدا عن المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم فانهم يحشرون سود الوجوه زرق
العيون وقال قتاده لا يسئل المجرمون عن ذنوبهم لظهورها وكثرتها بل يدخلون
النار بلا حساب وقيل لا يسئل مجرموا هذه الامه عن ذنوب الامم الخاليه الذين

عذبوا في الدنيا وقيل اهلاك من اهلك من القرون عن علم منه بذنوبهم فلم يحتج الي مسئلتهم
عن ذنوبهم قوله تعالى فخرج على قومه في زينته اي على بني اسرايل فيما راه
زينة من متاع الدنيا من الثياب والدواب والتجمل في يوم عيد القبطي في يوم السبت
في زينته اي مع زينته قال :
اذا ما قلوب القوم طارت مخافة من الموت ارسوا بالنفوس المواجد : اي مع النفوس
وكان خرج في سبعين الفا من تبعه عليهم المعصفرات وكان اول من صبغ له الثياب
المعصفرة السدي مع الف جوار بيض على بغال بيض سروج من ذهب على قطف ارجوان
وقال ابن عباس خرج على البغال الشهب والدواب مجاهد على براذين بيض عليها
سروج الارجوان وعليهم المعصفرات وكان ذلك اول يوم رئي فيه المعصفر قتاده
خرج على اربعة الاف دابه عليهم ثياب حمر منها الف بغل ابيض عليها قطف حمر ابن
جريج خرج على بغله شهبا عليها الارجوان ومعه ثلاث مايه جاريه على البغال الشهب
عليهن الثياب الحمر ابن زيد خرج في سبعين الفا عليهم المعصفرات الكلبي خرج
في ثوب اخضر كان الله انزله على موسى من الجنه فسرقه منه قارون وقال جابر ابن
عبد الله رضي الله عنه كانت زينته القرمز قال الشيخ القرطبي رحمه الله القرمز
صبغ احمر مثل الارجوان والارجوان في اللغه صبغ احمر ذكره القشيري قال الذين
يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم اي نصيب وافر من
الدنيا ثم قيل هذا من قول مومني ذلك الوقت تمنوا مثل ماله رغبة في الدنيا وقيل
هو من قول اقوام لم يرغبوا في الاخره وهم الكفار قوله تعالى وقال الذين
اوتوا العلم وهم احبار بني اسرايل للذين تمنوا ويلكم ثواب الله خير يعني الجنه لمن امن
وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون على طاعه الله اي لا يوتي الاعمال الصالحه او
لا يوتي الجنه في الاخره الا الصابرون على طاعه الله وجاز ضميرها لانها المعنيه بقوله
ثواب الله قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض قال مقاتل لما امر موسى
الارض فابتلعته قالت بنوا اسرايل انما اهلكه ليرث ماله لانه كان ابن عمه اخي
ابيه فخسف الله تعالى بداره وجميع امواله بعد ثلاثه ايام واوحى الي موسى اني
لا اعيد طاعه الارض لاحد بعدك ابدا يقال خسف المكان يخسف خسوفا ذهب

في الارض وخسف الله به الارض خسفا اي غاب به فيها ومنه قوله تعالى فخسفنا به
وبداره الارض وخسف هو في الارض وخسف به وخسوف القمر وكسوفه قال ثعلب
كسفت الشمس وخسف القمر هذا اجود الكلام والخسف النقصان يقال رضي فلان بالخسف
اي بالنقيصه فما كان له من فيه اي جماعه وعصابه ينصرونه من دون الله
وما كان من المنتصرين لنفسه اي الممتنعين مما نزل به من الخسف فيروى ان قارون
يسفل كل يوم بقدر رقامه حتى اذا بلغ قعر الارض السفلى نفخ اسرافيل في الصور وقد
تقدم والله اعلم قوله تعالى واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس اي صاروا
يتندمون على ذلك التمني ويقولون ويكان الله حرى تندم قال النحاس احسن ما
قيل في هذا قول الخليل وسيبويه ويونس والكساي ان القوم تنبهوا او نبهوا فقالوا
وي والمتندم من العرب يقول في حال تندمه وي قال الجوهري وي كلمه تعجب
يقال ويك ووي لعبد الله وقد تدخل وي على كان المخففه والمشدده تقول
ويكان الله الخليل هي مفصوله تقول وي ثم تبتدي فتقول كان الثعلبي
وقال الفرا هي كلمه تقرير كقولك اما ترى الى صنع الله واحسانه وروى ان اعرابيه
قالت لزوجها اين ابنك فقال ويك انه ورا البيت اي اما ترينه وقال ابن عباس
والحسن ويك كلمه ابتدا وتحقيق تقديره ان الله يبسط الرزق وقيل هو تنبيه
بمنزله الا في قولك الا يفعل واما في قولك اما بعد قال الشاعر
سالتاني الطلاق اذ راتاني قل مالي قد جيتماني بنكر
وي كان من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر وقال قطرب
انما هو ويلك فاسقطت لامه واضمت الكاف التي في الخطاب الى وي قال عنتره
ولقد شفى نفسي وابرا سقمها قول الفوارس ويك عنتر اقدم وانكره
النحاس وغيره وقالوا ان المعنى لا يصح عليه لان القوم لم يخاطبوا احدا فيقولوا له
ويلك ولو كان كذلك لكان انه بالكسر وايضا فان حذف اللام من ويلك لا يجوز
وقال بعضهم التقدير ويلك اعلم انه فاعلم اضمر اعلم ابن الاعرابي ويكان
اي اعلم وقيل معناه الم تر ان الله وقال القتبي معناه رحمه له بلغه حمير الكساي
وي صله وفيه معنى التعجب وروي عنه ايضا الوقف على وي وقال كلمه تفجع ومن

قال ويك فوقف على الكاف فمعناه اعجب لان الله يبسط الرزق واعجب لانه لا يفلح
الكافرون وينبغي ان يكون الكاف حرف خطاب لا اسما لان وي ليست مما تضاف وانما
كتبت متصله لانها لما كثر استعمالها جعلت مع ما بعدها كشي واحد لولا ان من الله علينا
بالايمان والرحمه وعصمنا من مثل ما كان عليه قارون من البطر والبغي لخسف بنا وقرا
الاعمش لولا من الله علينا وقرا حفص لخسف مسمى الفاعل الباقون على ما لم يسم فاعله
وهو اختيار ابي عبيد لان في حرف عبد الله لانخسف بنا كما تقول انطلق بنا وكذلك
قرا الاعمش وطلحه ابن مصرف واختار قراه الجماعه ابو حاتم لوجهين احدهما قوله
فخسفنا به وبداره والثاني قوله لولا ان من الله علينا فهو بان يضاف الى الله تعالى اقرب
منه اولى ويك انه لا يفلح الكافرون عند الله قوله تعالى تلك الدار
الاخره يعني الجنه وقال تلك على جهه التعظيم لها والتفخيم لشانها يعني تلك التي
سمعت بذكرها وبلغك وصفها نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض اي رفعه وتكبرا
على الايمان والمومنين ولا فسادا عملا بالمعاصي قاله ابن جريج ومقاتل وقال عكرمه ومسلم
البطين الفساد اخذ المال بغير حق وقال الكلبي الدعا الى غير عباده الله وقال يحيى ابن
سلام هو قتل الانبيا والمومنين والعاقبه للمتقين قال الضحاك الجنه وقال ابو معاويه
الذي لا يريد علوا هو من لم يجزع من ذلها ولم ينافس في عزها وارفعهم عند الله اشدهم
تواضعا واعزهم غدا الزمهم لذل اليوم روي سفين ابن عيينه عن اسمعيل بن ابي خالد قال
مر علي ابن الحسين وهو راكب على مساكين ياكلون كسرا لهم فسلم عليهم فدعوه الى طعامهم
فتلى هذه الايه الذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا ثم نزل فاكل معهم ثم قال قد اجبتكم
فاجيبوني فحملهم الى منزله فاطعمهم وكساهم وصرفهم خرجه الطبراني ابو القاسم سليمن
ابن احمد قال نا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني ابي قال نا سفين ابن عيينه فذكره وقيل
لفظ الدار الاخره يشمل الثواب والعقاب والمراد انما ينتفع بتلك الدار من اتقى ومن
لم يتق فتلك الدار عليه لا له لانها تضره ولا تنفعه قوله تعالى من جا
بالحسنه فله خير منها تقدم في النمل وقال عكرمه ليس شي خير من لا اله الا الله
وانما المعنى من جا بلا اله الا الله فله منها خير ومن جا بالسيه اي الشرك فلا يجزى
الذين عملوا السيات الا ما كانوا يعملون اي يعاقب بما يليق بعمله قوله تعالى

ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد ختم السوره ببشاره نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم برده الى مكه قاهرا لاعدايه وقيل هو بشاره له بالجنه والاول اكثر
وهو قول جابر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد وغيرهم قال القتبي معاد الرجل
بلده لانه ينصرف ثم يعود وقال مقاتل خرج النبي صلى الله عليه وسلم من الغار ليلا
مهاجرا في غير الطريق مخافه الطلب فلما رجع الى الطريق ونزل الجحفه عرف الطريق
الى مكه فاشتاق اليها فقال له جبريل ان الله يقول ان الذي فرض عليك القران لرادك
الى معاد اي الى مكه ظاهرا عليها قال ابن عباس نزلت هذه الايه بالجحفه ليست مكيه
ولا مدنيه وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس الى معاد قال الى الموت وعن مجاهد ايضا
وعكرمه والزهري والحسن ان المعنى لرادك الى يوم القيمه وهو اختيار الزجاج يقال
بيني وبينك المعاد اي يوم القيمه لان الناس يعودون فيه احيا وفرض معناه انزل وعن
مجاهد ايضا واي مالك راي صالح الى الجنه وهو قول ابي سعيد الخدري وابن عباس
ايضا لانه دخلها ليله الاسرا وقيل لان اباه ادم خرج منها قل ربي اعلم اي قل لكفار
مكه اذا قالوا انك لفي ضلال ربي اعلم من جا بالهدى ومن هو في ضلال مبين انا ام انتم
قوله تعالى وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اي ما علمت انا نرسلك
الى الخلق وننزل عليك القران الا رحمه من ربك قال الكسايي هو استثنا منقطع بمعنى
لكن فلا تكونن ظهيرا للكافرين اي عونا لهم ومساعدا وقد تقدم في هذه السوره
قوله تعالى ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ انزلت اليك يعني اقوالهم
وكذبهم واذاهم ولا تلتفت نحوه وامض لامرك وشانك وقرا يعقوب يصدنك
مجزوم النون وقرى يصدنك من اصده بمعنى صده وهي لغه في كلب وقال
ايا من اصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن انوف الحوايم وادع
الى ربك اي الى التوحيد وهذا يتضمن المهادنه والموادعه وهذا كله منسوخ بايه
السيف وسبب هذه الايه ما كانت قريش تدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى تعظيم اوثانهم وعند ذلك القى الشيطان في امنيته امر الغرانيق على ما تقدم والله
اعلم قوله تعالى ولا تدع مع الله الها اخر اي لا تعبد معه غيره فانه
لا اله الا هو نفي لكل معبود واثبات لعبادته كل شي هالك الا وجهه قال مجاهد

الا هو وقال الصادق دينه وقال ابو العاليه وسفين الا ما اريد به وجهه اي ما يقصد
اليه بالقربه قال :: استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل
وقال محمد بن يزيد حدثني الثوري قال لما سالت ابا عبيده عن قوله كل شي هالك الا وجهه
فقال الا جاهه كما تقول لفلان وجه في الناس اي جاه له الحكم واليه ترجعون قال
الزجاج وجهه منصوب على الاستثنا ولو كان في غير القران كان الا وجهه بالرفع بمعنى كل
شي غير وجهه هالك كما قال ::
وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان :: والمعنى كل اخ غير الفرقدين مفارقه
اخوه واليه ترجعون بمعنى وترجعون اليه ::

سورة العنكبوت

مكيه كلها في قول الحسن وعكرمه وعطا وجابر ومدنيه
كلها في احد قولي ابن عباس وقتاده وفي القول الاخر لهما وهو قول يحيى بن سلام مكيه
الا عشر ايات من اولها فانها نزلت بالمدينه في شان من كان من المسلمين بمكه وقال علي بن
ابي طالب رضي الله عنه نزلت بين مكه والمدينه وهي تسع وستون ايه
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الم احسب الناس ان يتركوا
تقدم القول في اوايل السور وقال ابن عباس المعنى انا الله اعلم وقيل هو اسم للسوره
وقيل اسم للقران احسب استفهام اريد به التقرير والتوبيخ ومعناه الظن ان يتركوا
في موضع نصب بحسب وهي وصلتها مقام المفعولين على قول سيبويه وان الثانيه من ان
يقولوا في موضع نصب على احدى جهتين بمعنى لان يقولوا او بان يقولوا او على ان يقولوا والجهه
الاخرى ان يكون على التكرير التقدير اي حسب الناس ان يتركوا احسبوا ان يقولوا امنا
وهم لا يفتنون قال ابن عباس وغيره يريد بالناس قوما من المومنين كانوا بمكه وكان
الكفار من قريش يوذونهم ويعذبونهم على الاسلام كسلمه ابن هشام وعياش ابن ابي ربيعه
والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وياسر ابيه وسميه امه وعده من بني مخزوم وغيرهم
فكانت صدورهم تضيق لذلك وربما استنكر ان يمكن الله الكفره من المومنين قال
مجاهد وغيره فنزلت هذه الايه مسليه ومعلمه ان هذه هي سيره الله في عباده اختبارا
للمومنين وفتنه قال ابن عطيه وهذه الايه وان كانت نزلت بهذا السبب او ما في

معناه من الاقوال فهي باقيه في امه محمد صلي الله عليه وسلم موجود حكمها بقيه الدهر
وذلك ان الفتنه من الله تعالي باق في ثغور المسلمين بالاسر ونكايه العدو وغير ذلك
واذا اعتبر ايضا كل موضع فقيه ذلك بالامراض وانواع المحن ولكن التي تشبه نازله
المومنين مع قريش هي ما ذكرناه من امر العدو في كل ثغر قال الشيخ القرطبي رحمه الله
ما احسن ما قال ولقد صدق فيما قال رضي الله عنه وقال مقاتل نزلت في مهجع مولي
عمر بن الخطاب كان اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر ابن الحضرمي بسهم فقتله
فقال النبي صلي الله عليه وسلم يوميذ سيد الشهدا مهجع وهو اول من يدعي الي باب الجنه
من هذه الامه فجزع عليه ابواه وامراته فنزلت الم احسب الناس وقال الشعبي نزل
مفتتح هذه السوره في اناس كانوا بمكه من المسلمين فكتب اليهم اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم
من الحديبيه انه لا يقبل منكم اقرار ولا اسلام حتي تهاجروا فخرجوا فاتبعهم المشركون
فاذوهم فنزلت فيهم الم احسب الناس ان يتركوا فكتبوا اليهم نزلت فيكم كذا وكذا فقالوا نخرج
وان اتبعنا احد قاتلناه فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا ونزل
فيهم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وهم لا يفتنون لا يمتحنون اي اظن الذين
جزعوا من اذي المشركين ان يقنع منهم ان يقولوا انا مومنون ولا يمتحنون في ايمانهم
واموالهم وانفسهم بما يتبين به حقيقه ايمانهم قوله تعالي ولقد فتنا الذين
من قبلهم اي ابتلينا الماضين كالخليل القي في النار وكقوم نشروا وانا المناشير في دين
الله فلم يرجعوا عنه روي البخاري عن جابر بن الارت قال شكونا الي رسول الله صلي
الله عليه وسلم وهو متوسد برده له في ظل الكعبه فقلنا الا تستنصر الا تدعو الينا
فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها فيجا بالمنشار فيوضع
علي راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصرفه ذلك
عن دينه والله ليتمن هذا الامر حتي يصير الراكب من صنعا الي حضرموت لا يخاف
الا الله والذيب علي غنمه ولكنكم تستعجلون وخرج ابن ماجه عن ابي سعيد
الخدري قال دخلت علي النبي صلي الله عليه وسلم وهو يوعك فوضعت يدي عليه
فوجدت حره بين يدي فوق اللحاف فقلت يا رسول الله ما اشدها عليك قال انا
كذلك يضعف لنا البلا ويضعف لنا الاجر قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلا

قال الانبيا قلت يارسول الله ثم من قال الصالحون ان كان احدهم ليبتلى بالفقر حتى
ما يجد الا العبا يجوبها وان كان احدهم ليفرح بالبلا كما يفرح احدكم بالرخا وروى
سعد ابن ابي وقاص قال قلت يارسول الله اي الناس اشد بلا قال الانبيا ثم الامثل
فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان دينه صلبا اشتد بلاوه وان كان في دينه
رقه ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلا بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه من
خطيئه وروى عبد الرحمن بن زيد ان عيسى بن مريم عليه السلام كان له وزير فركب
يوما فاخذه السبع فاكله فقال عيسى يا رب وزيري في دينك وعوني على بني اسرايل وخليفتي
فيهم سلطت عليه كلبا فاكله قال نعم كانت له عندي منزله رفيعه لم اجد عمله يبلغها فابتليته
بذلك لابلغه تلك المنزله وقال وهب قرات في كتاب رجل من الحواريين اذا سلك
بك سبيل البلا فقر عينا فانه سلك بك سبيل الانبيا والصالحين واذا سلك بك سبيل
الرخا فابك على نفسك فقد خولف بك عن سبيلهم قوله تعالى فليعلمن الله
الذين صدقوا اي فليبين الله الذين صدقوا في ايمانهم وقد مضى هذا المعنى في البقره
وغيرها قال الزجاج ليعلم صدق الصادق بوقوع صدقه منه وقد علم الصادق من
الكاذب قبل ان يخلقهما ولكن القصد قصد وقوع العلم بما يجازى عليه وانما يعلم صدق
الصادق واقعا كاينا وقوعه وقد علم انه سيقع وقال النحاس فيه قولان احدهما
ان يكون صدقوا مشتقا من الصدق والكاذبين مشتقا من الكذب الذي هو ضد الصدق
ويكون المعنى فليبين الله الذين صدقوا فقالوا نحن مومنون واعتقدوا مثل ذلك والذين
كذبوا حين اعتقدوا غير ذلك والقول الاخر ان يكون صدقوا مشتقا من الصدق
وهو الصلب والكاذبين مشتقا من كذب اذا انهزم فيكون المعنى فليعلمن الله الذين
ثبتوا في الحرب والذين انهزموا كما قال الشاعر
ليث بعثر يصطاد الرجال اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا ؛؛ فجعل ليعلمن في
موضع فليبينن مجازا وقراه الجماعه فليعلمن بفتح اليا واللام وقرا علي بن ابي طالب
بضم اليا وكسر اللام وهي تبين معنى ما قاله النحاس ويحتمل ثلثه معان الاول ان
يعلم في الاخره هولا الصادقين والكاذبين بمنازلهم من ثوابه وعقابه وبما عملهم
في الدنيا يعني يوقفهم على ما كان منهم الثاني ان يكون المفعول الاول محذوفا تقديره

مطلب

مطلب

مطلب

فليعلمن الناس والعالم بهولا الصادقين والكاذبين اي يفضحهم ويشهرهم هولا في
الخير وهولا في الشر وذلك في الدنيا والاخرة الثالث ان يكون ذلك من العلامه
اي يضع لكل طايفه علامه تشتهر به فالايه على هذا تنظر الى قول النبي صلى الله عليه
وسلم من اسر سريرة البسه الله ردآها قوله تعالى ام حسب الذين يعملون
السيات اي الشرك اي يسبقونا اي يفوتونا ويعجزونا قبل ان نواخذهم بما يفعلون
قال ابن عباس يريد الوليد بن المغيره وابا جهل والاسود والعاصي ابن هشام
وشيبه وعتبه والوليد بن عتبه وعقبه ابن ابي معيط وحنظله ابن ابي سفين
والعاصي ابن وايل سا ما يحكمون اي بيس الحكم حكموا في صفات ربهم انه مسبوق والله
القادر على كل شي وما في موضع نصب بمعنى سا شيا او حكما يحكمون ويجوز ان يكون ما في
موضع رفع بمعنى سا الشي او الحكم حكمهم وهذا قول الزجاج وقدرها ابن كيسان
تقديرين اخرين خلاف ذينك احدهما ان يكون موضع ما يحكمون بمنزله شي واحد كما
تقول اعجبني ما صنعت اي صنيعك فما والفعل مصدر في موضع رفع التقدير سا حكمهم
والتقدير الاخر ان يكون ما لا موضع لها من الاعراب وقد قامت مقام الاسم لسا
وكذلك نعم وبيس قال ابو الحسن ابن كيسان وانا اختار ان اجعل لها موضعا
في كل ما اقدر عليه نحو قوله عز وجل فبما رحمه من الله وكذا فبما نقضهم وكذا ايما
الاجلين ما في موضع خفض في هذا كله وما بعدها تابع لها وكذا ان الله لا يستحي
ان يضرب مثلا ما بعوضة ما في موضع نصب وبعوضة تابعه لها قوله
تعالى من كان يرجوا لقا الله فان اجل الله لات يرجوا بمعنى يخاف من قول الهذلي
في وصف عسال : اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها : واجمع اهل التفسير
على ان المعنى من كان يخاف الموت فليعمل عملا صالحا فانه لابد ان ياتيه ذكره النحاس
الزجاج معنى يرجوا لقا الله ثواب الله ومن في موضع رفع بالابتدا وكان في موضع
الخبر وهي في موضع جزم بالشرط ويرجوا في موضع خبر كان والمجازاه فان اجل
الله لات وهو السميع العليم قوله تعالى ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه
اي ومن جاهد في الدين وصبر على قتال الكفار واعمال الطاعات فانما يسعى لنفسه
اي ثواب ذلك له ولا يرجع الى الله نفع من ذلك ان الله لغني عن العالمين اي عن اعمالهم

وقيل المعنى من جاهد عدوه لنفسه لا يريد وجه الله فليس لله حاجه بجهاده قوله
تعالى والذين امنوا اي صدقوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سياتهم اي لنغطينها عنهم
بالمغفره لهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي باحسن اعمالهم وهو الطاعات
ثم قيل فيحتمل ان تكفر عنهم كل معصيه عملوها في الشرك ويثابوا على ما عملوا من حسنه في
الاسلام ويحتمل ان تكفر عنهم سياتهم في الكفر والاسلام ويثابوا على حسناتهم في الكفر
والاسلام قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا الايه نزلت في سعد بن
ابي وقاص فيما روى الترمذي قال نزلت في اربع ايات فذكر قصته فقالت ام سعد
قد امر الله بالبر والله لا اطعم طعاما ولا اشرب شرابا حتى اموت او تكفر قال
فكانوا اذا ارادوا ان يطعموها شجروا فاها فنزلت هذه الايه ووصينا الانسان
بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي الايه قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح
وروي عن سعد انه قال كنت برا بامي فاسلمت فقالت لتدعن دينك او لا اكل ولا اشرب
حتى اموت فتعيرني ويقال يا قاتل امه وبقيت يوما ثم يوما فقلت يا امه لو كانت لك
مايه نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا فان شيت فكلي وان شيت فلا تاكلي
فلما رات ذلك اكلت ونزلت وان جاهداك لتشرك بي وقال ابن عباس نزلت في
عياش بن ابي ربيعه اخي ابي جهل لامه وقد فعلت امه مثل ذلك وعنه ايضا نزلت
في جميع الامه اذ لا يصبر على بلا الله الا صديق وحسنا نصب عند البصريين على التكرير
اي وصيناه حسنا وقيل على القطع تقديره ووصيناه بالحسن كما تقول وصيته خيرا اي
بالخير وقال اهل الكوفه تقديره ووصينا الانسان ان يفعل حسنا فيقدر له فعل قال
الشاعر عجبت من دهما اذ تشكونا ومن ابي دهما اذ يوصينا
خيرا بها كانما خافونا اي يوصينا ان نفعل بها خيرا لقوله فطفق مسحا
اي يمسح مسحا وقيل تقديره ووصيناه امرا ذا حسن فاقيمت الصفه مقام الموصوف
وحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه الزمناه حسنا وقراه العامه
حسنا بضم الحا واسكان السين وقرا ابو رجا وابو العاليه والضحاك بفتح الحا والسين
وقرا الجحدري احسانا على المصدر وكذلك في مصحف ابي التقدير ووصينا الانسان
ان يحسن اليهما احسانا ولا ينتصب بوصينا لانه قد استوفى مفعوليه الي مرجعكم

وعيد في طاعه الوالدين في معنى الكفر فانبيكم بما كنتم تعملون والذين امنوا وعملوا الصالحات
لندخلنهم في الصالحين كرر تعالى التمثيل لحاله المومنين العاملين ليحرك النفوس الى نيل مراتبهم
وقوله لندخلنهم في الصالحين مبالغه على معنى في الذين هم في نهايه الصلاح وابعد غاياته واذا
تحصل للمومن هذا الحكم تحصل ثمره وجزاوه وهو الجنه قوله تعالى ومن الناس
من يقول امنا بالله الايه نزلت في المنافقين كانوا يقولون امنا بالله فاذا اوذوا في الله
حملوا فتنه الناس اي اذاهم كعذاب الله في الاخره فارتد عن ايمانه وقيل جزع من
ذلك كما يجزع من عذاب الله ولا يصبر على الاذيه في الله ولين جا المومنين نصر من ربك
ليقولن هاولا المرتدون انا معكم وهم كاذبون فقال الله لهم اوليس الله باعلم بما في
صدور العالمين يعني الله اعلم بما في صدورهم منهم بانفسهم قال مجاهد نزلت في ناس
كانوا يومنون بالسنتهم فاذا اصابهم بلا من الله او مصيبه في انفسهم افتتنوا وقال
الضحاك نزلت في ناس من المنافقين بمكه كانوا يومنون فاذا اوذوا رجعوا الى الشرك
وقال عكرمه كان قوم قد اسلموا فاكرههم المشركون على الخروج معهم الى بدر فقتل بعضهم
فانزل الله ان الذين توفاهم الملايكه ظالمي انفسهم فكتب بها المسلمون من المدينه الى المسلمين
بمكه فخرجوا فلحقهم فافتتن بعضهم فنزلت هذه الايه فيهم وقيل نزلت في عياش ابن
ابي ربيعه اسلم وهاجر ثم اوذي وضرب فارتد وانما عذبه ابو جهل والحارث وكانا
اخوته لامه قال ابن عباس ثم عاش بعد ذلك بدهر وحسن اسلامه وليعلمن الله
الذين امنوا وليعلمن المنافقين قال قتاده نزل ذلك في القوم الذين ردهم المشركون
الى مكه قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا اي
ديننا ولنحمل خطاياكم جزم على الامر قال الزجاج والفرا هو امر في تاويل الشرط
والجزا اي ان تتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم كما قال

فقلت ادعي وادع فان اندى لصوت ان ينادي داعيان اي ان دعوت دعوت

قال المهدوي وجاز وقوع انهم لكاذبون بعده على الحمل على المعنى لان المعنى ان اتبعتم
سبيلنا حملنا خطاياكم فلما كان الامر يرجع في المعنى الى الخبر اوقع عليه التكذيب كما
يوقع على الخبر قال مجاهد قال المشركون قريش نحن وانتم لا نبعث فان كان عليكم
وزر فعلينا اي نحن نحمل عنكم ما يلزمكم والحمل ها هنا بمعنى الحماله لا الحمل على الظهر

وروي

وروي ان قايل ذلك الوليد بن المغيره وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم يعني ما يحمل عليهم
من سيات من ظلموه بعد فراغ حسناتهم روي معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم
في ال عمران وقال ابو امامة الباهلي يوتى بالرجل يوم القيمه وهو كثير الحسنات ولا
يزال يقبض منه حتى تفنى حسناته ثم يطالب فيقول الله جل وعز اقتصوا من عبدي
فيقول الملايكه ما بقيت له حسنات فيقول خذوا من سيات المظلوم فاجعلوا عليه
ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقال قتاده
من دعا الى ضلاله كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ولا ينقص من اوزارهم شيا
نظيره قوله تعالى ليحملوا اوزارهم كامله يوم القيمه ومن اوزار الذين يضلونهم بغير
علم وينظر الى هذا قوله عليه السلام من سن في الاسلام سنه سيه فعليه وزرها ووزر
من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شي وروي من حديث ابي هريره وغيره
وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم من دعي الى هدى فاتبع عليه وعمل به فله من
اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيا وايما داع دعا الى ضلاله فاتبع عليها
وعمل بها بعده فعليه مثل اوزار من عمل بها من اتبعه لا ينقص ذلك من اوزارهم
شيا ثم قرا الحسن وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قال الشيخ القرطبي رحمه الله
هذا مرسل وهو معنى حديث ابي هريره خرجه مسلم ونص حديث انس ابن مالك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايما داع دعي الى ضلاله فاتبع فان له مثل اوزار من
اتبعه ولا ينقص من اوزارهم شي وايما داع دعي الى هدي فاتبع كان له مثل اجور
من اتبعه ولا ينقص من اجورهم شي خرجه ابن ماجه في السنن وفي الباب عن ابي
جحيفه وجرير وقد قيل ان المراد اعوان الظلمه وقيل اصحاب البدع اذا اتبعوا عليها
وقيل محدثوا السنن الجايره اذا عمل بها من بعدهم والمعنى متقارب والحديث يجمع
جميع ذلك قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف
سنه الا خمسين عاما ذكر قصه نوح تسليه لنبيه صلى الله عليه وسلم اي ابتلى
النبيون قبلك بالكفار فصبروا وخص نوحا بالذكر لانه اول رسول ارسل الى
الارض وقد امتلات كفرا على ما تقدم بيانه في هود وانه لم يلق نبي من قومه ما
لقي نوح على ما تقدم في هود عن الحسن وروي قتاده عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال اول نبي ارسل نوح قال قتادة وبعث من الجزيرة واختلف في مبلغ عمره فقيل
مبلغ عمره ما ذكر الله في كتابه قال قتادة لبث فيهم قبل ان يدعوهم ثلث مايه سنة
ودعاهم ثلث مايه سنة ولبث بعد الطوفان ثلث مايه سنة وخمسين سنة وقال
ابن عباس بعث نوح لاربعين سنة ولبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد
الغرق ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وعنه ايضا بعث وهو ابن مايتين وخمسين سنة
ولبث فيهم الف سنة الا خمسين وعاش بعد الطوفان مايتي سنة وقال وهب عمر نوح
الفا واربع مايه سنة وقال كعب الاحبار لبث نوح في قومه الف سنة الا خمسين عاما
وعاش بعد الطوفان سبعين عاما فكان مبلغ عمره الف سنة وعشرين سنة وقال
عون بن ابي شداد بعث نوح وهو ابن خمسين وثلث مايه سنة ولبث في قومه الف
سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ثلث مايه وخمسين عاما فكان مبلغ عمره
الف سنة وستماية سنة وخمسين سنة ونحوه عن الحسن قال الحسن لما اتى ملك الموت
نوحا ليقبض روحه قال يا نوح كم عشت في الدنيا قال ثلث مايه قبل ان ابعث والف
سنة الا خمسين عاما في قومي وثلث مايه وخمسين سنة بعد الطوفان قال ملك الموت
كيف وجدت الدنيا قال نوح مثل دار لها بابان دخلت من هذا وخرجت من هذا
وروي من حديث انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث الله نوحا الى قومه
بعثه وهو ابن خمسين ومايتي سنة فلبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وبقي بعد
الطوفان خمسين ومايتي سنة فلما اتاه ملك الموت قال يا نوح يا اكبر الانبيا ويا طويل
العمر ويا مجاب الدعوة كيف رايت الدنيا قال مثل رجل بني له بيت له بابان فدخل
من واحد وخرج من الاخر وقال ابو الورد بنى نوح بيتا من قصب فقيل له لو
بنيت غير هذا فقال هذا كثير لمن يموت وقال ابو المهاجر لبث نوح في قومه الف
سنة الا خمسين عاما في بيت من شعر فقيل له يا نبي الله ابن بيتا فيقول اموت اليوم
اموت غدا وقال وهب ابن منبه مر بنوح خمس مايه لم يقرب النسا وجلا من
الموت وقال مقاتل وجويبر ان ادم عليه السلام حين كبر ورق عظمه فقال
يا رب الى متى اكد واسعى قال يا ادم حتى يولد لك ولد مختون فولد له نوح بعد
عشرة ابطن وهو يوميذ ابن الف سنة الا ستين عاما وقال بعضهم الاربعين عاما

فاله

والله اعلم فكان نوح ابن لامك ابن متوشلخ ابن ادريس وهو خنوخ ابن يرد ابن مهلاييل
ابن قينان ابن انوش ابن شيث ابن آدم وكان اسم نوح السكن وانما سمي السكن لان الناس
بعد آدم سكنوا اليه فهو ابوهم وولد له سام وحام ويافث فولد سام العرب وفارس
والروم وفي كل هولاء خير وولد حام القبط والسودان والبربر وولد يافث الترك
والسقالبة ويأجوج ومأجوج وليس في شي من هولاء خير وقال ابن عباس في ولد
سام بياض وادمة وفي ولد حام سواد وبياض قليل وفي ولد يافث الصفرة والحمرة
وكان له ولد رابع وهو كنعان الذي غرق والعرب تسميه يام وسمي نوح نوحا
لانه ناح على قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله فاذا كفروا بكا وناح
عليهم وذكر القشيري ابو القاسم عبد الكريم في كتاب التحبير يروى ان نوحا عليه
السلام كان اسمه يشكر ولكن لكثرة بكائه على خطيئته اوحى الله تعالى اليه يا نوح كم تنوح
فسمي نوحا فقيل يا رسول الله فايش كانت خطيئته فقال انه مر بكلب فقال في نفسه
ما اقبحه فاوحى الله تعالى اليه اخلق انت احسن من هذا وقال يزيد الرقاشي انما سمي
نوح نوحا لطول ما ناح على نفسه فان قيل فلم قال الف سنة الا خمسين عاما ولم
يقل تسع ماية وخمسين عاما فعنه جوابان احدهما ان المقصود به تكثير العدد وكان
ذكر الالف افخم في اللفظ واكثر في العدد الثاني ما روي انه اعطي من العمر الف
سنة فوهب من عمره خمسين سنة لبعض ولده فلما حضره الوفاة رجع في استكمال الالف
فذكر الله سبحانه ذلك تنبيها على ان النقيصة كانت من جهته فاخذهم الطوفان قال
ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة والسدي المطر الضحاك الغرق وقيل
الموت روته عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ومنه قول الشاعر
"، افناهم طوفان موت جارف ؛، النحاس ويقال لكل كبير مطيف بالجمع من
مطر او قتل وموت او طوفان وهم ظالمون جملة في موضع الحال والف سنة
منصوب على الظرف الا خمسين عاما منصوب على الاستثنا من الموجب وهو عند سيبويه
بمنزلة المفعول لانه مستغنى عنه كالمفعول فاما المبرد ابو العباس محمد بن يزيد
فهو عنده مفعول محض كانك قلت استثنيت زيدا تنبيه روى حسان ابن غالب
ابن نجيح ابو القاسم المصري عن مالك ابن انس عن الزهري عن ابن المسيب عن ابي ابن

مطلب في قصة نوح عليه السلام

كيف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جبريل يذاكرني فضل عمر فقلت له يا جبريل
ما بلغ فضل عمر قال لي يا محمد لو لبثت معك ما لبث نوح في قومه ما بلغت لك فضل عمر
ذكره الخطيب ابو بكر احمد بن ثابت البغدادي وقال تفرد بروايته حسان بن غالب عن
مالك وليس بثابت من حديثه قوله تعالى فانجيناه واصحاب السفينة معطوف
على الها وجعلناها اية للعالمين الها والالف في جعلناها للسفينة او للعقوبة او للنجاة
ثلثة اقوال قوله تعالى وابرهيم قال الكساي وابرهيم منصوب بانجينا
يعني انه معطوف على الها واجاز ان يكون معطوفا على نوح والمعنى وارسلنا ابرهيم
وقول ثالث ان يكون منصوبا بمعنى واذكر ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله اي
افردوه بالعباده واتقوه اي اتقوا عقابه وعذابه ذلكم خير لكم اي من عبادة الاوثان
ان كنتم تعلمون قوله تعالى انما تعبدون من دون الله اوثانا اي اصناما قال
ابو عبيده الصنم ما يتخذ من فضه او ذهب او نحاس والوثن ما يتخذ من جص وحجارة
الجوهري الوثن الصنم والجمع وثن واوثان مثل اسد واساد وتخلقون افكا
قال الحسن معنى تخلقون تنحتون فالمعنى انما تعبدون اوثانا وانتم تصنعونها وقال
مجاهد الافك الكذب فالمعنى تعبدون الاوثان وتخلقون الكذب وقرا ابو عبد الرحمن
وتخلّقون وقرى وتخلقون من خلق بمعنى المكسر في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب
وتخرص وقرى افكا وفيه وجهان ان يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخففا
منه كالكذب واللعب وان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا ذا افك وباطل واوثانا
نصب بتعبدون وما كافه ويجوز في غير القران رفع اوثان على ان تجعل ما اسما لان
وتعبدون صلته وحذفت الها لطول الاسم وجعلت اوثانا خبر ان فاما وتخلقون
افكا فهو منصوب بالفعل لا غير وكذا لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق اي
اصرفوا رغبتكم في ارزاقكم الى الله فاياه فاسلوه ووحدوه دون غيره وان تكذبوا فقد
كذب امم من قبلكم قيل هو من قول ابرهيم اي التكذيب عادة الكفار وليس على الرسل الا
التبليغ قوله تعالى اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق قراءة العامة باليا
على الخبر والتوبيخ لهم وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم قال ابو عبيد لذكر الامم
كانه قال اولم يروا الامم كيف وقرا ابو بكر والاعمش وابن وثاب وحمزه والكساي

وطل

وخلف تروا بالنا خطابا لقوله وان تكذبوا وقد قيل وان تكذبوا خطاب لقريش ليس من
قول ابرهيم ثم يعيده يعني الخلق والبعث وقيل المعنى اولم يروا كيف يبدي الله الثمار فيحيى
ثم يفني ثم نعيدها ابدا وكذلك يبدو خلق الانسان ثم يهلكه بعد ان خلق منه ولدا وخلق
من الولد ولدا وكذلك ساير الحيوان اي فاذا رايتم قدرته على الابتدا والايجاد فهو
القادر على الاعاده ان ذلك على الله يسير لانه اذا اراد امرا قال له كن فيكون قوله
تعالى قل سيروا في الارض اي قل لهم يا محمد سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق
على كثرتهم وتفاوت هياتهم واختلاف السنتهم والوانهم وطبايعهم وانظروا الى
مساكن القرون الماضيه وديارهم واثارهم كيف اهلكهم لتعلموا بذلك كمال قدرة الله
ثم الله ينشي النشاه الاخره وقرا ابو عمرو وابن كثير النشاه بفتح الشين والمد
وهما لغتان مثل الرافه والرافه وشبهه الجوهري انشاه الله خلقه والاسم النشاه والنشاه
بالمد عن ابي عمرو ابن العلا ان الله على كل شي قدير يعذب من يشا اي بعدله ويرحم من يشا
اي بفضله واليه تقلبون ترجعون وتردون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السما
قال الفرا معناه ولا من في السما بمعجزين الله وهو غامض في العربيه للضمير الذي
لم يظهر في الثاني وهو كقول حسان فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سوا
اراد ومن يمدحه وينصره سوا فاضمر من وقاله عبد الرحمن ابن زيد ونظيره قوله سبحانه
وما منا الا له مقام معلوم اي من له والمعنى ان الله لا يعجزه اهل الارض في الارض ولا
اهل السما ان عصوه وقال قطرب ولا في السما لو كنتم فيها كما تقول لا يفوتني فلان
بالبصره لو صار اليها وقيل لا يستطيعون هربا في الارض ولا في السما وقال المبرد
المعنى ولا من في السما على ان من ليس بموصوله ولكن تكون نكره وفي السما صفه لها فاقيمت
الصفه مقام الموصوف ورد ذلك على ابن سليمن وقال لا يجوز وقال ان من اذا كانت
نكره فلا بد من وصفها فصفتها كالصله ولا يجوز حذف الموصول وترك الصله قال
والمعنى ان الناس خوطبوا بما يعقلون والمعنى لو كنتم في السما ما اعجزتم الله كما قال
ولو كنتم في بروج مشيده وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ويجوز نصير بالرفع
على الموضع ويكون من زايده والذين كفروا بايات الله اي بالقران او بما نصب من الادله
والاعلام اوليك ييسوا من رحمتي اي من الجنه ونسب الياس اليهم والمعنى اويسوا

ط من دعاهم

وهذه الايات اعترض بها تعالي تذكيرا وتحذيرا لاهل مكه ثم عاد الخطاب الي قصه
ابرهيم فقال فما كان جواب قومه حتى دعاهم الي الله الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه
ثم اتفقوا على تحريقه فانجاه الله من النار اى من اذى النار ان في ذلك اي في انجايه
من النار العظيمه حتى لم تحرقه بعد ما القي فيها لايات وقراه العامه جواب بنصب
البا على انه خبر كان وان قالوا في محل الرفع اسم كان وان في موضع الخبر نصبا وقال
ابرهيم انما اتخذتم من دون الله اوثانا موده بينكم في الحياه الدنيا قرا حفص وحمزه
موده بينكم وابن كثير وابو عمرو والكساي موده بينكم والاعشى عن ابي بكر وحمزه
موده بينكم عن عاصم وابن وثاب والاعمش موده بينكم الباقون موده بينكم فاما
قراه ابن كثير ففيها ثلاثه اوجه ذكر الزجاج منها وجهين احدهما ان الموده ارتفعت
على خبر ان وتكون ما بمعنى الذين والتقدير ان الذين اتخذتموه من دون الله اوثانا
موده بينكم والوجه الاخر ان تكون على اضمار مبتدا او هي موده او تلك موده بينكم
والمعنى الفتكم وجماعتكم موده بينكم قال ابن الانباري اوثانا وقف حسن لمن
رفع الموده باضمار ذلك موده بينكم ومن رفع الموده على انها خبر ان لم يقف والوجه
الثالث الذي لم يذكره ان تكون موده رفعا بالابتدا وفي الحياه الدنيا خبره واما اضافه
موده الي بينكم فانه جعل بينكم اسما غير ظرف والنحويون يقولون جعله مفعولا على السعه
وحكى سيبويه ؛؛ يا سارق الليله اهل الدار ؛؛ ولا يجوز ان يضاف اليه وهو ظرف
لعله ليس هذا موضع ذكرها ومن رفع موده ونونها فعلى معنى ما ذكرنا وبينكم بالنصب
ظرفا ومن نصب موده ولم ينونها جعلها مفعوله بوقوع الاتخاذ عليها وجعل انما حرفا
واحدا ولم يجعلها بمعنى الذي ويجوز نصب الموده على انه مفعول من اجلها كما تقول جيتك
ابتغا الخير وقصدتك فلانا موده له بينكم بالخفض ومن نصب موده ونصبها فعلى ما
ذكر بينكم بالنصب من غير اضافه قال ابن الانباري ومن قرا موده بينكم وموده
بينكم لم يقف على الاوثان ووقف على الحياه الدنيا ومعنى الايه جعلتم الاوثان تتحابون
عليها وعلى عبادتها في الحياه الدنيا ثم يوم القيامه يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم
بعضا تتبرا الاوثان من عبادها والروسا من السفله كما قال الله جل وعز الاخلا
يوميذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وما واكم النار هو خطاب لعبده الاوثان

الروسا

الرؤسا منهم والاتباع وقيل يدخل فيه الاوثان كقوله تعالى انكم وما تعبدون من
دون الله حصب جهنم قوله تعالى فامن له لوط لوط اول من صدق ابرهيم
حين راي النار عليه بردا وسلاما قال ابن اسحق امن لوط بابرهيم وكان ابن اخيه
فامنت به ساره وكانت بنت عمه وقال اني مهاجر الى ربي قال النخعي وقتاده
الذي قال اني مهاجر الى ربي هو ابرهيم عليه السلام قال قتاده هاجر من كوثا
وهي قريه من سواد الكوفه الى حران ثم الى الشام ومعه ابن اخيه لوط ابن هاران
ابن تارح وامراته ساره الحلبي هاجر من ارض حران الى فلسطين وهو اول من هاجر
من ارض الكفر قال مقاتل هاجر ابرهيم وهو ابن خمس وسبعين سنه وقيل ان
الذي قال اني مهاجر الى ربي لوط عليه السلام وذكر البيهقي عن قتاده قال ان اول من
هاجر الى الله عز وجل باهله عثمان ابن عفان رضي الله عنه قال قتاده سمعت النضر
ابن انس يقول سمعت ابا حمزه يعني انس ابن مالك يقول خرج عثمان ابن عفان ومعه رقيه
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشه فابطا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
خبرهم فقدمت امراه من قريش فقالت يا محمد قد رايت ختنك ومعه امراته قال على
اي حال رايتهما قالت رايته وقد حمل امراته على حمار من هذه الدبابه وهو يسوقها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبهما الله ان عثمان لاول من هاجر باهله بعد لوط
قال البيهقي هذا في الهجره الاولى واما الهجره الثانيه الى الحبشه فهي فيما زعم الواقدي
سنه خمس من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى ربي الى رضى ربي والى حيث امرني انه
هو العزيز الحكيم تقدم وتقدم الكلام في الهجره في النسا وغيرها قوله
تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب اي من الله عليه بالاولاد فوهب له اسحق ولدا ويعقوب
ولد الولد وانما وهب له اسحق من بعد اسمعيل ويعقوب من اسحق وجعلنا في ذريته
النبوه والكتاب فلم يبعث الله نبيا بعد ابرهيم الا من صلبه ووحد الكتاب لانه اراد
المصدر كالنبوه والمراد التوراه والانجيل فهو عباره عن الجمع فالتوراه انزلت على موسى
من ولد ابرهيم والانجيل على عيسى من ولده والفرقان على محمد من ولده صلى الله عليه
وسلم وعليهم اجمعين واتيناه اجره في الدنيا يعني اجتماع اهل الملل عليه قال عكرمه
روي سفين عن حميد بن قيس قال امر سعيد بن جبير انسانا ان يسال عكرمه عن قوله

مطلب في قصه عثمان

جل ثناؤه واتيناه اجره في الدنيا فقال عكرمة اهل الملل كلها تدعيه وتقول هو منا فقال
سعيد بن جبير صدق وقال قتاده هو مثل قوله واتيناه في الدنيا حسنة اي عاقبة
وعملا صالحا وثناء حسنا وذلك ان اهل كل دين يتولونه وقيل اتيناه اجره في الدنيا ان
اكثر الانبيا من ولده وانه في الاخره لمن الصالحين ليس في الاخره داخلا في الصله
وانما هو تبيين وقد مضى في البقره بيانه وكل هذا حث على الاقتدا بابرهيم في الصبر على
الدين الحق قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه قال الكسائي المعنى وانجينا
لوطا او ارسلنا لوطا قال وهذا الوجه احب الي ويجوز ان يكون المعنى واذكر لوطا
اذ قال لقومه موبخا او محذرا ابنكم لتاتون الفاحشه ما سبقكم بها من احد من العالمين
ابنكم تقدم القراه في هذا وبيانها في سوره الاعراف وتقدم قصه لوط وقومه في
الاعراف ايضا وهود وتقطعون السبيل قيل كانوا قطاع الطريق قاله ابن زيد
وقيل كانوا ياخذون الناس من الطرق لقضا الفاحشه حكاه ابن شجره وقيل انه قطع
النسل بالعدول عن النسا الى الرجال قاله وهب بن منبه اي استغنوا بالرجال عن
النسا قال الشيخ القرطبي رحمه الله ولعل الجميع كان فيهم فكانوا يقطعون الطريق
لاخذ الاموال وللفاحشه ويستغنون عن النسا بذلك وتاتون في ناديكم المنكر
النادي المجلس واختلف في المنكر الذي كانوا ياتونه فيه فقالت فرقه كانوا يحذفون
الناس بالحصا ويستخفون بالغريب والخاطر عليهم وروته ام هاني عن النبي صلى الله
عليه وسلم قالت ام هاني سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل
وتاتون في ناديكم المنكر فقال كانوا يحذفون من يمر عليهم ويسخرون منه فذلك
المنكر الذي كانوا ياتون خرجه ابو داود الطيالسي في مسنده وذكره النحاس
والثعلبي والمهدوي والماوردي وذكر الثعلبي وقال معوية قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان قوم لوط كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل قصعه فيها الحصا
للحذف فاذا امر بهم عابر قذفوه فايهم اصاب كان اولى به يعني يذهب به للفاحشه
فذلك قوله وتاتون في ناديكم المنكر وقالت عايشه وابن عباس والقاسم ابن ابي
بزه والقاسم ابن محمد انهم كانوا يتضارطون في مجالسهم وقال مجاهد ومنصور
كانوا ياتون الرجال في مجالسهم وبعضهم يرى بعضا وعن مجاهد كان من امرهم

لعب الحمام وتطريف الاصابع بالحنا والصفير والحذف ونبذ الحيا في جميع امورهم
قال ابن عطيه وقد توجد هذه الامور في بعض عصاة امة محمد صلى الله عليه وسلم
فالتناهي واجب قال مكحول عشرة في هذه الامة من اخلاق قوم لوط مضغ العلك
وتطريف الاصابع بالحنا وحل الازار ونقض الاصابع والعمامة التي تلف حول
الراس والتشابك ورمي الجلاهق والصفير والحذف واللوطية وعن ابن
عباس قال ان قوم لوط كان فيهم ذنوب غير الفاحشه منها انهم يتظالمون فيما بينهم
ويشتم بعضهم بعضا ويتضارطون في مجالسهم ويحذفون ويلعبون بالنرد والشطرنج
ويلبسون المصبغات ويتناقرون بالديكة ويتناطحون بالكباش ويطرفون اصابعهم
بالحنا ويتشبه الرجال بلباس النسا والنسا بلباس الرجال ويضربون المكوس على كل
عابر ومع هذا كله كانوا يشركون بالله وهم اول من ظهر على ايديهم اللوطيه والسحاق
فلما وقفهم لوط عليه السلام على هذه القبايح رجعوا الى التكذيب واللجاج فقالوا ايتنا
بالعذاب اي ان ذلك لا يكون ولا تقدر عليه وهم لم يقولوا هذا الا وهم مصممون على
اعتقاد كونه وليس يصح في الفطره ان يكون معاند يقول هذا ثم استنصر لوط عليه السلم
ربه فبعث عليهم ملايكة لعذابهم فجاوا ابرهيم اولا مبشرين بنصرة لوط على قومه حسب
ما تقدم بيانه في هود وغيرها وقرا الاعمش ويعقوب وحمزة والكساي لننجينه واهله
بالتخفيف وشدد الباقون وقرا ابن كثير وابو بكر وحمزه والكساي انا منجوك واهلك
بالتخفيف وشدد الباقون وهما لغتان انجا ونجى وقد تقدم وقرا ابن عامر انا منزلون
بالتشديد وهي قراة ابن عباس الباقون بالتخفيف وقوله ولقد تركنا منها
اية بينة لقوم يعقلون قال قتادة هي الحجارة التي ابقيت وقاله ابو العاليه وقيل
انه يرجم بها قوم من هذه الامة وقال ابن عباس هي اثار منازلهم الخربة وقال
مجاهد هو الما الاسود على وجه الارض وكل ذلك باق فلا تعارض قوله
تعالى والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا الى مدين وقد تقدم ذكرهم وفسادهم
في الاعراف وهود وارجوا اليوم الاخر قال يونس النحوي اي اخشوا الاخرة
التي فيها الجزا على الاعمال ولا تعثوا في الارض مفسدين اي لا تفسدوا فانه اصل كل
فساد والعثو والعثى اشد الفساد عثا يعثى وعثا يعثو بمعنى واحد وقد تقدم

مطلب عشرة في هذه الامة من اخلاق قوم لوط عليه السلام

وقيل وارجوا اليوم الاخر اي صدقوا به فان القوم كانوا يكذبونه قوله
تعالى وعادا وثمودا قال الكسائي قال بعضهم هو راجع الى اول السوره اي ولقد
فتنا الذين من قبلهم وفتنا عادا وثمودا قال واحب الي ان يكون على فاخذتهم الرجفه
واخذت عادا وثمودا وزعم الزجاج ان التقدير واهلكنا عادا وثمودا وقيل المعنى
واذكر عادا اذ ارسلنا اليهم هودا فكذبوه فاهلكناهم وثمودا ايضا ارسلنا اليهم
صالحا فكذبوه فاهلكناهم بالصيحه كما اهلكنا عادا بالريح وقد تبين لكم يا معشر الكفار
من مساكنهم بالحجر والاحقاف ايات في هلاكهم فحذف فاعل التبيين وزين لهم
الشيطان اعمالهم اي اعمالهم الخسيسه فحسبوها رفيعه فصدهم عن السبيل اي عن
طريق الحق وكانوا مستبصرين فيه قولان احدهما وكانوا مستبصرين في الضلاله
قاله مجاهد والاخر وكانوا مستبصرين قد عرفوا الحق من الباطل بظهور البراهين
وهذا القول اشبه لانه انما يقال فلان مستبصرا اذا عرف الشي على الحقيقه قال الفرا
كانوا عقلا ذوو بصاير فلم تنفعهم بصايرهم وقيل اتوا ما اتوا وقد تبين لهم ان عاقبتهم
العذاب قوله تعالى وقارون وفرعون وهامان قال الكسائي ان شيت
كان محمولا على عاد وكان فيه ما فيه وان شيت كان على فصدهم عن السبيل وصد قارون
وفرعون وهامان وقيل اي واهلكنا هاولا بعد ان جاءهم الرسل فاستكبروا
في الارض عن عباده الله وما كانوا سابقين اي فايتين وقيل سابقين في الكفر بل قد
سبقهم للكفر قرون كثيره فاهلكناهم فكلا اخذنا بذنبه قال الكسائي فكلا منصوب
باخذنا اي فاخذنا كلا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا يعني قوم لوط والحاصب
ريح ياتي بالحصبا وهي الحصا الصغار وتستعمل في كل عذاب ومنهم من اخذته الصيحه
يعني ثمودا واهل مدين ومنهم من خسفنا به الارض قارون ومنهم من اغرقنا قوم
نوح وقوم فرعون وما كان الله ليظلمهم لانه انذرهم وامهلهم وبعث اليهم الرسل
وازاح العذر قوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اوليا كمثل
العنكبوت قال الاخفش كمثل العنكبوت وقف تام ثم قص قصتها فقال اتخذت
بيتا قال ابن الانباري وهذا غلط لان اتخذت صلة للعنكبوت كانه قال كمثل التي
اتخذت بيتا فلا يحسن الوقف على الصله دون الموصول وهو بمنزلة قولك كمثل

الحمار يحمل اسفارا فيحمل صلة الحمار ولا يحسن الوقف علي الحمار دون يحمل وقال الفرا
هو مثل ضربه الله سبحانه لمن اتخذ من دونه الهة لا تنفعه ولا تضره كما ان بيت العنكبوت
لا يقيها حرا ولا بردا ولا يحسن الوقف علي العنكبوت لانه لما قصد بالتشبيه لبيتها
الذي لا يقيها من شي فشبهت الالهة التي لا تنفع ولا تضر به وان اوهن اي اضعف
البيوت لبيت العنكبوت قال الضحاك ضرب مثلا لضعف الهتهم ووهنها فشبهها
ببيت العنكبوت لو كانوا يعلمون لو متعلقة ببيت العنكبوت اي لو علموا ان عبادة
الاوثان كاتخاذ بيت العنكبوت التي لا تغني عنهم شيا وان هذا مثلهم لما عبدوها لا
انهم لا يعلمون ان بيت العنكبوت ضعيف وقال النحاة ان تا العنكبوت اخرها من
بنيه لانها تسقط في التصغير والجمع وهي مونثه وحكي الفرا تذكيرها وانشد
علي هطالهم منهم بيوت كان العنكبوت هو ابتناها ؛؛ ويروى علي هطالهم
منهم بيوت قال الجوهري والهطال اسم جبل والعنكبوت الدويبه المعروفه
التي تنسج نسجا رقيقا فهلهلا من الهوي والجمع عناكبيت وعناكب وعكاب وعكب
واعكب وقد حكي انه يقال عنكب وعكنباه قال الشاعر
كانما يسقط من لغامها . بيت عكنباه علي زمامها ؛؛ فيقال عنيكب وقد حكي عن
يزيد بن ميسرة ان العنكبوت شيطان مسخها الله تعالي وقال عطا الخراساني نسجت
العنكبوت مرتين مره علي داود حين جا الموت يطلبه ومره علي النبي صلي الله عليه وسلم
ولذلك نهي عن قتلها وروي عن علي رضي الله عنه انه قال طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت
فان تركه في البيت يورث الفقر ومنع الخمير يورث الفقر قوله
تعالي ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شي ما بمعني الذي ومن للتبعيض ولو كانت
زايده للتوكيد لانقلب المعني والمعني ان الله يعلم ضعف ما تعبدون من دونه وقرا
عاصم وابو عمرو ويعقوب يدعون باليا وهي اختيار ابي عبيد لذكر الامم قبلها الباقون
بالتا علي الخطاب قوله تعالي وتلك الامثال اي هذا المثل وغيره مما
ذكر في البقره والحج وغيرهما نضربها نبينها للناس وما يعقلها اي يفهمها الا العالمون
اي العالمون بالله كما روي جابر عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال العالم من عقل
عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه قوله تعالي خلق الله السموات

مطلب

مطلب

والارض بالحق اي بالعدل والقسط وقيل بكلامه وقدرته وذلك هو الحق ان في ذلك لاية اي علامة دلالة للمؤمنين المصدقين قوله تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب الاية فيه اربع مسايل الاولى قوله اتل امر بالتلاوة والدوب عليها وقد مضى في طه الوعيد فيمن اعرض عنها وفي مقدمة الكتاب الامر بالحض عليها والكتاب يراد به القران الثانية قوله تعالى واقم الصلاة الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته واقامة الصلاة اداوها في وقتها بقراءتها وركوعها وسجودها وقعودها وتشهدها وجميع شروطها وقد تقدم بيان ذلك في البقرة فلا معنى للاعادة الثالثة قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر يريد ان الصلاة الخمس هي التي تكفر ما بينها من الذنوب كما قال عليه السلام ارايتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيا قالوا لا يبقى من درنه شي قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بهن الخطايا اخرجه الترمذي من حديث ابو هريرة وقال فيه حديث حسن صحيح وقال ابن عمر الصلاة هنا القران والمعنى الذي يتلى في الصلاة ينهى عن الفحشاء وعن الزنا والمعاصي قال الشيخ القرطبي رحمه الله ومنه الحديث الصحيح قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين يريد قراءة الفاتحة وقال حماد ابن ابي سليمن وابن جريج والكلبي العبد ما دام في صلاته لا ياتي فحشا ولا منكرا اي ان الصلاة تنهى ما دمت فيها قال ابن عطية وهذه عجمة وابن يهذا ما رواه انس ابن ملك قال فتى من الانصار يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدع شيا من الفواحش والسرقة الا ركبه فقيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وصلح حاله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم اقل لكم وفي الاية تاويل ثالث وهو الذي ارتضاه المحققون وقال به مشيخة الصوفية وذكره المفسرون فقيل المراد باقم الصلاة ادامتها والقيام بحدودها ثم اخبر حكما منه بان الصلاة تنهى صاحبها وممتثلها عن الفحشا والمنكر وذلك لما فيها من تلاوة المشتمل على الموعظة والصلاة تشغل كل بدن المصلي فاذا دخل المصلي في محرابه وخشع واخبت لربه وتذكر انه واقف بين يدي مولاه وانه مطلع عليه وانه يراه صلحت لذلك نفسه وتذللت وخامرها ارتقاب الله تعالى وظهرت على جوارحه هيبتها ولم يكد يفتر من ذلك

حتى يظله صلاة اخرى يرجع بها الى افضل حاله فهذا معنى هذا الاخبار لان صلاة المومن
هكذا ينبغي ان تكون قال الشيخ القرطبي رحمه الله لسيما وان اشعر نفسه ان هذا
ربما يكون اخر عمله فهو ابلغ في المقصود واتم في المراد فان الموت ليس له سن محدود ولا
زمن مخصوص ولا مرض معلوم وهذا مما لا خلاف فيه روي عن بعض السلف انه كان
اذا قام الى الصلاة ارتعد واصفر لونه فكلم في ذلك فقال اني واقف بين يدي الله تعالى
وحق لي هذا مع ملوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك فهذه صلاة تنهى ولابد عن
الفحشا والمنكر ومن كانت صلاته دايرة حول الاجزا لا خشوع فيها ولا تذكر ولا
فضايل كصلاتنا وليتها تجزى فتلك تترك صاحبها من منزلته حيث كان فان كان على
طريقة معاص تبعده من الله تركته الصلاة يتمادى على بعده وعلى هذا يخرج الحديث
المروي عن ابن مسعود وابن عباس والحسن والاعمش قولهم من لم تنهه صلاته عن
الفحشا والمنكر لم تزده من الله الا بعدا وقد روي ان الحسن ارسله عن النبي صلى الله
عليه وسلم وذلك غير صحيح السند قال ابن عطية سمعت ابي رضي الله عنه يقول
فاذا قررناه ونظر معناه فغير جاير ان تقول ان نفس صلاة العاصي تبعده من الله
حتى كانها معصية وانما يتخرج ذلك على انها لا تؤثر في تقريبه من الله بل تتركه في حاله ومعاصيه
من الفحشا والمنكر تبعده فلم تزده الصلاة الا تقرير ذلك البعد الذي كان بسبيله فكانها
بعدته حين لم تكف بعده عن الله وقيل لابن مسعود ان فلانا كثير الصلاة فقال انها
لا تنفع الا من اطاعها قال الشيخ القرطبي رحمه الله وعلى الجملة فالمعنى المقصود
بالحديث لم تزده من الله الا بعدا ولم يزدد بها من الله الا مقتا اشارة الى مرتكب الفحشا
والمنكر لا قدر لصلاته لغلبة المعاصي على صاحبها وقيل هو خبر بمعنى الامر اي لينته
المصلي عن الفحشا والصلاة بنفسها لا تنهى ولكنها سبب الانتها وهو كقوله هذا كتابنا
ينطق عليكم بالحق وقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون
الرابعة قوله تعالى ولذكر الله اكبر اي ذكر الله لكم بالثواب والثنا
عليكم اكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم قال معناه ابن مسعود وابن عباس
وابو الدردا وسلمان والحسن وابو قره وهو اختيار الطبري وروي مرفوعا من
حديث موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في قول

مطلب

الله عز وجل ولذكر الله اكبر قال ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه وقيل
ذكركم الله في صلاتكم وفي قراءة القران افضل من كل شي وقيل المعنى ان ذكر الله
اكبر مع المداومة من الصلاة في النهي عن الفحشا والمنكر وقال الضحاك ولذكر الله
عند ما يحرم فيترك اجل الذكر وقيل المعنى ولذكر الله للنهي عن الفحشا والمنكر
اكبر اي كبير واكبر يكون بمعنى كبير وقال ابن زيد وقتادة معناه ولذكر الله
اكبر من كل شي اي افضل من العبادات كلها بغير ذكر وقيل ذكر الله يمنع من
المعصية فان من كان ذاكرا له لا يخالفه قال ابن عطية وعندي ان المعنى
ولذكر الله اكبر على الاطلاق اي هو الذي ينهى عن الفحشا والمنكر فالجز الذي
منه في الصلاة يفعل ذلك وكذلك يفعل في غير الصلاة لان الانتها لا يكون الا من
ذاكر الله مراقب له وثواب ذلك الذاكر ان يذكره الله تعالى كما في الحديث من
ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم
والحركات التي في الصلاة لا تاثير لها في نهي والذكر النافع هو مع العلم واقبال
القلب وتفرغه الا من الله واما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة اخرى وذكر
الله تعالى للعبد هو افاضة الهدى ونور العلم عليه وذلك ثمرة الذكر العبد
ربه قال الله عز وجل فاذكروني اذكركم وباقي الاية ضرب من الوعيد والحث
على المراقبة قوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الايه
فيه مسلتان الاولى اختلف العلما في تاويل قوله تعالى ولا تجادلوا فقال مجاهد
هي محكمة فيجوز مجادلة اهل الكتاب بالتي هي احسن على معنى الدعا لهم الى الله عز
وجل والتنبيه على حججه واياته رجا اجابتهم الى الايمان لا على طريق الاغلاظ
والمخاشنة وقوله على هذا الا الذين ظلموا معناه ظلموكم والا فكلهم ظلمة على
الاطلاق وقيل المعنى لا تجادلوا من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب
المومنين كعبد الله ابن سلام ومن امن معه الا بالتي هي احسن اي بالموافقة فيما
حدثوكم به من اخبار اوايلهم وغير ذلك وقوله على هذا التاويل الا الذين ظلموا
يريد به من بقي على كفره كمن كفر وغدر من قريظة والنضير وغيرهم والاية
على هذا ايضا محكمة وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد قال من قاتلك ولم يعط الجزيه

فقاتله بالسيف وقبل هذه الايه منسوخه بايه القتال قوله تعالى قاتلوا الذين لا
يومنون قاله قتاده الا الذين ظلموا اي جعلوا لله ولدا وقال يد الله مغلوله وان
الله فقير فهولا المشركون في سقوط فانتصروا قال النحاس وغيره من قال هي
منسوخه احتج بان الايه مكيه ولم يكن في ذلك الوقت قتال مفروض ولا طلبت جزيه
ولا غير ذلك وقول مجاهد حسن لان احكام الله عز وجل لا ينبغي ان يقال فيها انها
منسوخه الا بخبر يقطع العذر او حجه من معقول واختار هذا القول ابن العربي
قال مجاهد وسعيد بن جبير وقوله الا الذين ظلموا منهم معناه الا الذين نصبوا للمومنين
الحرب فجدالهم بالسيف حتى يسلموا او يعطوا الجزيه الثانيه قوله تعالى وقولوا
امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم روى البخاري عن ابي هريره قال كان اهل الكتاب
يقرون التوراه بالعبرانيه ويفسرونها بالعربيه لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل
الينا وما انزل اليكم وروى عبد الله ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا
تسلوا اهل الكتاب عن شي فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا اما ان تكذبوا بحق واما ان
تصدقوا بباطل وفي البخاري عن حميد بن عبد الرحمن سمع معاويه يحدث رهطا من
قريش بالمدينه وذكر كعب الاحبار فقال ان كان من اصدق هولا المحدثين الذين يحدثون
عن الكتاب وان كان مع ذلك لنبلو عليه الكذب قوله تعالى وما كنت تتلوا
من قبله من كتاب الايه فيه ثلث مسايل الاولى قوله تعالى وما كنت تتلوا من قبله
الضمير في قبله عايد الى الكتاب وهو القران المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وما
كنت يا محمد تقرا قبله ولا تختلف الى اهل الكتاب بل انزلناه اليك في غايه الاعجاز
والتضمن للغيوب وغير ذلك فلو كنت ممن يقرا كتابا ويخط حروفا لارتاب المبطلون
اي من اهل الكتاب وما كان لهم في ارتيابهم متعلق وقالوا الذي نجده في كتبنا
امي لا يكتب ولا يقرا وليس به قال مجاهد كان اهل الكتاب يجدون في كتبهم ان
محمدا صلى الله عليه وسلم لا يخط ولا يقرا فنزلت هذه الايه النحاس دليلا على نبوته
لانه لا يكتب ولا يخالط اهل الكتاب ولم يكن بمكه اهل الكتاب فجاهم باخبار الانبيا
والامم وزال الريبه والشك الثانيه ذكر النقاش في تفسير هذه الايه عن

الشعبي انه قال ما مات النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب واسند ايضا حديثا الى ابن كبشه
السلولي مضمنه انه صلى الله عليه وسلم قرا صحيفه لعيينه ابن حصن واخبر بمعناها
قال ابن عطيه وهذا كله ضعيف وقول الباجي رحمة الله منه قال الشيخ القرطبي
رحمه الله وقع في صحيح مسلم من حديث البرا في صلح الحديبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لعلي اكتب الشرط بيننا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله
فقال له المشركون لو نعلم انك رسول الله تابعناك في روايه بايعناك ولكن اكتب
محمد بن عبد الله فامر عليا ان يمحاها فقال علي والله لا امحاها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ارني مكانها فاراه فمحاها وكتب ابن عبد الله قال علماونا رضي الله
عنهم ظاهر هذا انه عليه السلام محا تلك الكلمه التي هي رسول الله بيده وكتب مكانها
ابن عبد الله وقد رواه البخاري باظهر من هذا فقال فاخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم الكتاب فكتب وزاد في طريق اخرى ولا يحسن ان يكتب فقال جماعه بجواز
هذا الظاهر عليه وانه كتب بيده منهم السمناني وابو ذر والباجي وراوا ان ذلك غير
قادح في كونه اميا ولا معارض لقوله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك ولا لقوله انا امه اميه لا نكتب ولا نحسب بل راوه زياده في معجزاته واستظهارا
على صدقه وصحه رسالاته وذلك انه كتب من غير تعلم الكتابه ولا تعاطي لاسبابها
وانما اجرى الله تعالى على يده وقلمه حركات كانت عنها خطوط مفهومها ابن عبد الله
لمن قراها فكان ذلك خارقا للعاده كما انه عليه السلام علم علم الاولين والاخرين
من غير تعلم ولا اكتساب فكان ذلك ابلغ في معجزاته واعظم في فضايله ولا يزول
عنه اسم الامي بذلك ولذلك قال الراوي عنه في هذه الحاله ولا يحسن ان يكتب
فبقي عليه اسم الامي مع كونه قال كتب قال شيخنا ابو العباس احمد بن عمر وقد انكر
هذا كثير من متفقهه الاندلس وغيرهم وشددوا النكير فيه ونسبوا قايله الى الكفر
وذلك دليل على عدم العلوم النظريه وعدم التوقف في تكفير المسلمين ولم يتفطنوا
لان تكفير المسلم كقتله على ما جا عنه عليه السلام في الصحيح لا سيما رمي من شهد له
اهل عصره بالعلم والفضل والامامه على ان المسله ليست قطعيه بل مستندها
ظواهر اخبار احاد صحيحه غير ان العقل لا يحيلها وليس في الشريعه قاطع يحيل

مطلب
لطيف

ووقوعها قال الشيخ القرطبي رحمه الله وقال بعض المتاخرين من قال هي ايه خارقه فيقال له كانت تكون ايه لا تنكر لولا انها مناقضه لايه اخرى وهو كونه اميا لا يكتب وبكونه اميا في امه اميه قامت الحجه وافحم الجاحد وانحسمت الشبهه فكيف يطلق الله تبارك وتعالى يده فيكتب فتكون ايه وانما الايه ان لا يكتب والمعجزات يستحيل ان يدفع بعضها بعضا وانما معنى كتب واخذ القلم اي امر من يكتب به من كتابه وكان كتبه الوحي بين يديه صلى الله عليه وسلم سته وعشرين كاتبا الثالث ذكر القاضي عياض عن معاويه انه كان يكتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الق الدواه وحرف القلم واقم البا وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم قال القاضي وهذا وان لم تصح الروايه انه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابه والقراه قال الشيخ القرطبي رحمه الله هذا هو الصحيح في الباب انه ما كتب ولا حرفا واحدا وانما امر من يكتب وكذلك ما قرا ولا تهجا فان قيل فقد تهجا النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر الدجال فقال مكتوب بين عينيه ك ف ر وقلتم ان المعجزه قايمه في كونه امي قال الله العظيم وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الايه وقال انا امه اميه لا نكتب ولا نحسب فكيف هذا والجواب ما نصه عليه السلام في حديث حذيفه والحديث كالقران يفسر بعضه بعضا ففي حديث حذيفه يقروه كل مومن كاتب وغير كاتب فقد نص في ذلك على غير الكاتب ممن يكون اميا وهذا من اوضح ما يكون جليا قوله تعالى بل هو ايات بينات يعني القران قاله الحسن وزعم الفرا ان في قراه عبد الله بل هي ايات بينات المعنى بل ايات القران ايات بينات قال ومثله هذا بصاير ولو كانت هذه لجاز ونظيره هذا رحمه من ربي قال الحسن اعطيت هذه الامه الحفظ وكان من قبلهم لا يقرون كتابهم الا نظرا فاذا اطبقوه لم يحفظوا ما فيه الا النبيون فقال كعب في صفه هذه الامه انهم حكما علما وهم في الفقه انبيا في صدور الذين اوتوا العلم اي ليس هذا القران كما يقوله المبطلون من انه سحر او شعر ولكنه علامات ودلايل يعرف بها دين الله واحكامه وهي كذلك في صدور الذين اوتوا العلم وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والمومنون به يحفظونه ويقرونه ووصفهم بالعلم

مطلب في كتبة الوحي

لانهم ميزوا بافهامهم بين كلام الله وكلام البشر والشياطين وقال قتاده وابن عباس
بل هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم من اهل
الكتاب يجدونه في كتبهم بهذه الصفه اميا لا يقرا ولا يكتب ولكنهم ظلموا انفسهم وكتموا
وهذا اختيار الطبري ودليل هذا القول قراه ابن مسعود وابن السميفع بل هذا
ايات بينات وكان عليه السلام ايات لا ايه واحده لانه دل على اشيا كثيره من امر الدين
فلهذا قال بل هو ايات بينات وقيل بل هو ذو ايات بينات فحذف المضاف وما يجحد
باياتنا الا الظالمون اي الكفار لانهم جحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم وما جا به
قوله تعالى وقالوا لولا انزل عليه ايه من ربه هذا قول المشركين لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعناه هلا انزلت عليه ايه كايات الانبيا قيل كما جا صالح
بالناقه وموسى بالعصا وعيسى باحيا الموتى قل لهم يا محمد انما الايات عند الله
فهو ياتي بها كما يريد اذا شا ارسلها وليست عندي وانما انا نذير مبين وقرا ابن كثير
وابو بكر وحمزه والكساي ايه بالتوحيد وجمع الباقون وهو اختيار ابي عبيد لقوله
قل انما الايات قوله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم هذا
جواب لقولهم لولا انزل عليه ايه من ربه اي اولم يكف المشركين من الايات هذا الكتاب
المعجز الذي قد تحديتهم بان ياتوا بمثله او بسوره منه فعجزوا ولو اتيتهم بايات موسى
وعيسى لقالوا سحر ونحن لا نعرف السحر والكلام مقدور لهم ومع ذلك عجزوا عن
المعارضه وقيل ان سبب نزول هذه الايه ما رواه ابن عيينه عن عمرو بن دينار عن
يحيى بن جعده قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم بكتف فيه كتاب فقال كفى بقوم ضلاله
ان يرغبوا عما جا به نبيهم الى ما جا به نبي غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فانزل الله تعالى
اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب الايه اخرجه الدارمي ابو محمد في مسنده وذكره
اهل التفسير في كتبهم وفي مثل هذا قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه لو كان
موسى ابن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي وفي مثله قال صلى الله عليه وسلم ليس
منا من لم يتغن بالقران اي يستغن به عن غيره وهذا تاويل البخاري رحمه الله في
الايه واذا كان لقاريه بكل حرف عشر حسنات واكثر على ما ذكرناه في مقدمه الكتاب
فالرغبه عنه الى غيره ضلال وخسران وغبن ونقصان ان في ذلك اي في القران

لرحمه في الدنيا والاخره وقيل رحمه في الدنيا باستنقادهم به من الضلاله وذكرى
في الدنيا بارشادهم به الى الحق لقوم يومنون قوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
اي قل للمكذبين لك كفى الله شهيدا يشهد لي بالصدق فيما ادعيه من اني رسوله وان
هذا القران كتابه يعلم ما في السموات والارض اي لا يخفى عليه شي وهذا احتجاج
عليهم في صحه شهادته عليهم لانهم قد اقروا بعلمه فلزمهم ان يقروا بشهادته والذين
امنوا بالباطل قال يحيى بن سلام بابليس وقيل بعباده الاوثان والاصنام قاله ابن
شجره وكفروا بالله لتكذيبهم برسله وجحدهم لكتابه وقيل بما اشركوا من الاوثان
واضافوا اليه من الاولاد والاضداد اولئك هم الخاسرون انفسهم واعمالهم في الاخره
قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب لما انذرهم بالعذاب قالوا لفرط الانكار
عجل لنا هذا العذاب وقيل ان قايل ذلك النضر بن الحارث وابو جهل حين قالا اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجاره من السما وقولهم ربنا عجل لنا قطنا
قبل يوم الحساب وقوله ولولا اجل مسمى في نزول العذاب قال ابن عباس يعني
هو ما وعدتك ان لا اعذب قومك واوخرهم الى يوم القيمه بيانه بل الساعه
موعدهم وقال الضحاك مده اعمارهم في الدنيا وقيل المراد بالاجل المسمى النفخه
الاولى قاله يحيى بن سلام وقيل الوقت الذي قدره الله لهلاكهم وعذابهم قاله ابن شجره
وقيل هو القتل ببدر وبالجمله فلكل عذاب اجل لا يتقدم ولا يتاخر دليله قوله لكل
نبا مستقر لجاهم العذاب يعني الذي استعجلوه وليأتينهم بغته اي فجاه وهم لا
يشعرون اي لا يعلمون بنزوله عليهم يستعجلونك بالعذاب اي يستعجلونك وقد
اعد لهم جهنم وانها ستحيط بهم لا محاله فما معنى الاستعجال وقيل نزلت في عبد الله
ابن امية واصحابه من المشركين حين قالوا او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا ؛؛
قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم قيل هو متصل بما قبله اي
يوم يصيبهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم فاذا غشيهم العذاب احاطت
بهم جهنم وانما قال من تحت ارجلهم للمقارنه والا فالغشيان من فوق قال
فاعلفها تبنا وما باردا ؛؛ وقال اخر ؛؛
لقد كان قود الجياد الى العدا عليهن غاب من قنى ودروع ؛؛ ونقول ذوقوا

قرا اهل المدينه والكوفه نقول بالنون الباقون باليا واختاره ابو عبيد لقوله قل
كفى بالله ويحتمل ان يكون الملك الموكل بهم يقول ذوقوا والقراتان ترجع الى
معنى اي يقول الملك بامرنا ذوقوا قوله تعالى يا عبادي الذين امنوا ان
ارضي واسعة هذه الاية نزلت في تحريض المومنين الذين كانوا بمكة على الهجرة
في قول مقاتل والكلبي فاخبرهم تعالى بسعة ارضه وان البقا في بقعه على اذى
الكفار ليس بصواب بل الصواب ان يلتمس عبادة الله في ارضه مع صالحي عباده اي
ان كنتم في ضيق من اظهار الايمان بها فهاجروا الى المدينة فانها واسعة لاظهار
التوحيد بها وقال ابن جبير وعطا ان الارض التي فيها الظلم والمنكر تترتب فيها
هذه الاية ويلزم الهجرة عنها الى بلد حق وقاله مالك وقال مجاهد ان ارضي
واسعة فهاجروا وجاهدوا وقال مطرف بن الشخير ان رحمتي واسعة وعنه
ايضا ان رزقي لكم واسع فابتغوه في الارض وقال سفين اذا كنت بارض غالية فانتقل
الى غيرها تملا فيه جرابك خبزا بدرهم وقيل المعنى ان ارضي التي هي ارض الجنة
واسعة فاعبدوني حتى اورثكموها فاياي فاعبدون اياي منصوب بفعل مضمر اي
فاعبدوا اياي فاستغني باحدى الفعلين عن الثاني والفا في قوله فاياي بمعنى الشرط
اي ان ضاق بكم موضع فاياي فاعبدوا لان ارضي واسعة وقوله كل نفس ذائقة
الموت ثم الينا ترجعون تقدم في ال عمران وجا ذكره هنا تحقيرا لامر الدنيا
ومخاوفها كان بعض المومنين نظر في عاقبة تلحقه في خروجه من وطنه من مكة
انه يموت او يجوع ونحو هذا فحقر الله شان الدنيا اي انتم لا محالة ميتون ومحشورون
الينا فالبدار الى طاعة الله والهجرة اليه والى ما يمتثل ثم وعد المومنين العاملين
بسكنى الجنة تحريضا منه تعالى وذكر الجزا الذي ينالونه ثم نعتهم بقوله الذين
صبروا وعلى ربهم يتوكلون وقرا ابو عمرو ويعقوب والجحدري وابن ابي اسحق
وابن محيصن والاعمش وحمزة والكساي وخلف يا عبادي باسكان اليا وفتحها
الباقون ان ارضي فتحها ابن عامر وسكنها الباقون وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من فر بدينه من ارض الى ارض ولو قيد شبر من الارض استوجب
الجنه وكان رفيق ابرهيم ومحمد عليهما السلام ثم الينا ترجعون قرا السلمي وابو بكر

عن

عن عاصم يرجعون بالياء لقوله كل نفس ذايقة الموت الباقون بالتاء لقوله يا عبادي الذين امنوا وانشد بعضهم

الموت في كل حين ينشر الكفنا ونحن في غفلة عما يراد بنا
لا تركنن الى الدنيا وزهرتها وان توشحت من اثوابها الحسنا
اين الاحبة والجيران ما فعلوا اين الذين هم كانوا لنا سكنا
سقاهم الموت كاسا غير صافية فصيرتهم تحت اطباق الثرى رهنا

وقرا ابن مسعود والاعمش ويحيى ابن وثاب وحمزه والكسائي لنثوينهم بالثاء مكان الباء من الثواء وهو الاقامة اي لنعطينهم غرفا يثوون فيها وقرا رويس عن يعقوب والجحدري والسلمي ليبوينهم بالياء مكان النون الباقون لنبوينهم اي لننزلنهم غرفا جمع غرفه وهي العليه المشرفه وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنه ليتراون اهل الغرف من فوقهم كما تتراون الكوكب الدري الغاير في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبيا لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين وخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنه لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقام اليه اعرابي فقال لمن هي يا رسول الله قال لمن اطاب الكلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام وقد زدنا هذا المعنى بيانا في كتاب الجنه من كتاب التذكره والحمد لله قوله تعالى وكاين من دابه لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم اسند الواحدي عن يزيد بن هارون قال نا الجراح ابن منهال عن الزهري وهو عبد الرحيم ابن عطا عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر ويقول يا ابن عمر ما لك لا تاكل فقلت لا اشتهيه يا رسول الله قال لكني اشتهيه وهذه صبح رابعه لم اذق طعاما ولو شيت لدعوت ربي فاعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبون رزق سنتهم ويضعف اليقين قال والله ما برحنا حتى نزلت وكاين من دابه لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم

قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهذا ضعيف يضعفه انه عليه السلام كان يدخر
لاهله قوت سنتهم اتفق عليه البخاري ومسلم وكانت الصحابه يفعلون ذلك وهم القدوه
واهل اليقين والايمه لمن بعدهم من المتقين المتوكلين وقد روى ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال للمومنين بمكه حين اذاهم المشركون اخرجوا الى المدينه وهاجروا
ولا تجاوروا الظلمه قالوا ليس لنا بها دار ولا عقار ولا من يطعمنا ولا من يسقينا
فنزلت وكاين من دابه لا تحمل رزقها اي ليس معها رزقها مدخرا فكذلك انتم
يرزقكم الله في دار الهجره وهذا اشبه من القول الاول وتقدم الكلام في كاين
وان هذه اي دخلت عليها كاف التشبيه وصار فيها معنى كم والتقدير عند الخليل
وسيبويه كالعدد اي كثير من العدد من دابه قال مجاهد يعني الطير والبهايم
تحمل بافواهها ولا تحمل شيا الحسن تاكل لوقتها ولا تدخر لغد وقيل لا تحمل رزقها اي لا
تقدر على رزقها الله يرزقها اين ما توجهت واياكم وقيل الحمل بمعنى الحماله وحكى النقاش
ان المراد النبي صلى الله عليه وسلم ياكل ولا يدخر قال الشيخ القرطبي رحمه الله وليس
بشي لاطلاق لفظ الدابه وليس مستعملا في العرف اطلاقها على الادمي فكيف على النبي
وقد مضى هذا في النمل عند قوله واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابه من الارض
تكلمهم قال ابن عباس الدواب هو كل ما دب من الحيوان فكله لا يحمل رزقه ولا يدخر
الا ابن ادم والنمل والفار وعن بعضهم رايت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق
مخابي الا انه ينساها الله يرزقها واياكم يسوي بين الحريص والمتوكل في رزقه وبين
الراغب والقانع وبين الحول والعاجز حتى لا يغتر الجلد انه مرزوق بجلده ولا يتصور
العاجز انه ممنوع بعجزه وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لو انكم توكلون على
الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو اخماصا وتروح بطانا وهو السميع
لقولكم لا نجد ما ننفق بالمدينه العليم بما في قلوبكم قوله تعالى ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض لما عير المشركون المسلمين بالفقر وقالوا لو كنتم على حق
لم تكونوا فقرا وكان هذا تمويها وكان في الكفار فقرا ايضا ازال الله هذه الشبهه
وكذا قول من قال ان هاجرنا لم نجد ما ننفق اي فاذا اعترفتم بان الله خالق هذه
الاشيا فكيف تشكون في الرزق فمن بيده تكوين الكاينات لا يعجز عن رزق العبد

[illegible]

ولهذا

ولهذا وصله بقوله الله يبسط الرزق لمن يشا من عباده ويقدر له فاني يوفكون اي بهم
تكفرون بتوحيدي وتنقلبون عن عبادتي الله يبسط الرزق لمن يشا من عباده اي لا
يختلف امر الرزق بالايمان والكفر فالتوسيع والتقتير منه فلا تعيير بالفقر فكل شي بقضا
وقدر ان الله بكل شي عليم من احوالكم وامورهم وقيل عليم بما يصلحكم من اقتار او توسع
قوله تعالي ولين سالتهم من نزل من السما ما اي من السحاب مطرا فاحيي
به الارض من بعد موتها اي جدبها وقحط اهلها ليقولن الله اي فاذا اقررتم بذلك
فلم تشركوا به وتنكرون الاعاده واذا قدر علي ذلك فهو القادر علي اغنا المومنين
فكرر تاكيدا قل الحمد لله اي علي ما اوضح من الحجج والبراهين علي قدرته بل اكثرهم لا
يعقلون اي لا يتدبرون هذه الحجج وقيل الحمد لله علي اقرارهم بذلك وقيل علي انزال
الما واحيا الارض وما هذه الحياه الدنيا الا لهو ولعب اي شي يلهي به ويلعب اي ليس
ما اعطاه الله الاغنيا من الدنيا الا وهو يضمحل ويزول كاللهو الذي لا حقيقه له
ولا ثبات قال بعضهم الدنيا ان بقيت لك لن تبقي لها وانشد

تروح لنا الدنيا بغير الذي غدت ... وتحدث من بعد الامور امور
وتجرى الليالي باجتماع وفرقه ... وتطلع فيها انجم وتغور
فمن ظن ان الدهر باق سروره ... فذلك محال لا يدوم سرور
عفا الله عن من صير الهم واحدا ... وايقن ان الدايرات تدور

قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهذا كله في امور الدنيا من المال والجاه والملبس
الزايد علي الضروري الذي به قوام العيش والقوه علي الطاعات واما ما كان منها
لله فهو من الاخره وهو الذي يبقي كما قال ويبقي وجه ربك ذو الجلال والاكرام
اي ما ابتغي به ثوابه ورضاه وان الدار الاخره لهي الحيوان اي دار الحياه الباقيه
التي لا تزول ولا موت فيها وزعم ابو عبيده ان الحيوان والحياه والحي بكسر الحاء
واحد كما قال وقد نري اذ الحياه حي وغيره يقول ان الحي جمع علي فعول مثل عصي
والحيوان يقع علي كل شي حي وحيوان عين في الجنه وقيل اصل حيوان حييان فابدلت
احداهما واوا لاجتماع المثلين لو كانوا يعلمون يعلمون انها كذلك قوله تعالي
فاذا ركبوا في الفلك يعني السفن وخافوا الغرق دعوا الله مخلصين اي صادقين

في نيابهم وتركوا عبادة الاصنام ودعاها فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون اي يدعون
معه غيره ومالم ينزل به سلطانا وقيل اشراكهم ان يقول قايلهم لولا الله والرئيس
او الملاح غرقنا فيجعلون ما فعل الله لهم من النجاه قسمه بين الله تعالى وبين خلقه
قوله تعالى ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا قيل هي لام كي اي لكي يكفروا
ولكي يتمتعوا وقيل اذا هم يشركون ليكونوا ثمره شركهم ان يجحدوا نعم الله ويتمتعوا
بالدنيا وقيل هي لام امر معناه التهديد والوعيد اي اكفروا بما اعطيناكم من النعمه
والنجاه من البحر وتمتعوا ودليل هذا قراءه ابي وتمتعوا ابن الانباري ويقوي هذا
المذهب قراءه نافع والاعمش وحمزه وليتمتعوا بجزم اللام النحاس وليتمتعوا لام
كي ويجوز ان يكون لام امر لان اصل لام الامر الكسر الا انه امر فيه معنى التهديد
ومن قرا وليتمتعوا باسكان اللام لم يجعلها لام كي لان لام كي لا يجوز اسكانها وهي
قراءه ابن كثير والمسيبي وقالون عن نافع والكسائي وحمزه وحفص عن عاصم الباقون
بكسر اللام وقرا ابو العاليه ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون تهديد
ووعيد قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا قال عبد الرحمن ابن زيد
هي مكة وهم قريش امنهم الله تعالى بها ويتخطف الناس من حولهم قال الضحاك
يقتل بعضهم بعضا ويسبي بعضهم بعضا والخطف الاخذ بسرعه وقد مضى في
القصص وغيرها فاذكرهم الله هذه النعمه ليذعنوا له بالطاعه اي جعلت لهم
حرما امنوا فيه من السبي والغاره والقتل وخلصتهم في البر كما خلصتهم في البحر
فصاروا يشركون في البر ولا يشركون في البحر فهذا تعجيب من تناقض احوالهم
افبالباطل يومنون قال قتاده ابالشرك وقال يحيى بن سلام ابابليس
وبنعمة الله يكفرون قال ابن عباس افبعافيه الله وقال ابن شجره ابعطا
الله واحسانه وقال ابن سلام ابما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى
وحكى النقاش ابما اطعمهم من جوع وامنهم من خوف يكفرون وهذا تعجب
وانكار خرج مخرج الاستفهام قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا اي لا احد اظلم ممن جعل مع الله شريكا وولدا واذا فعل فاحشة قال
وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها او كذب بالحق لما جاءه قال يحيى بن سلام بالقران

السوي

١

السدي بالتوحيد ابن شجره بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله تناول القولين أليس
في جهنم مثوى للكافرين اي مستقر وهو استفهام تقرير قوله تعالى
والذين جاهدوا فينا اي جاهدوا الكفار فينا اي لطلب مرضاتنا وقال السدي
وغيره ان هذه الآية نزلت قبل فرض القتال قال ابن عطيه فهي قبل الجهاد
العرفي وانما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته قال الحسن ابن ابي
الحسن الآية في العباد وقال عباس وابرهيم ابن ادهم هي في الذين يعملون بما
يعلمون وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم علمه الله ما لم يعلم ونزع
بعض العلما لقوله واتقوا الله ويعلمكم الله وقال عمر بن عبد العزيز انما قصر بنا عن
علم ما جهلنا تقصيرنا في العمل بما علمنا ولو عملنا ببعض ما علمنا لاورثنا علما لا نقوم به
ابداننا وقال ابو سليمن الداراني ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط بل هو نصر
الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين وعظمه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ومنه مجاهده النفوس في طاعه الله وهو الجهاد الاكبر وقال سفين ابن عيينه لابن
المبارك اذا رايت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين واهل الثغور فان الله يقول
لنهدينهم وقال الضحاك معنى الآية والذين جاهدوا في الهجره لنهدينهم سبل الثبات
على الايمان ثم قال مثل السنه في الدنيا كمثل الجنه في العقبى من دخل الجنه في العقبى
سلم كذلك من لزم السنه في الدنيا سلم وقال عبد الله ابن عباس والذين جاهدوا
في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وهذا يتناول بعموم الطاعه جميع الاقوال ونحوه
قول عبد الله ابن الزبير قال تقول الحكمه من طلبني فلم يجدني فليطلبني في موضعين
ان يعمل باحسن ما يعلمه ويجتنب سوا ما يعلمه وقال الحسين ابن الفضل فيه تقديم
وتاخير اي الذين هديناهم هم الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا يعني طريق الجنه
قال السدي النقاش يوفقهم لدين الحق وقال يوسف ابن اسباط المعنى لنخلص
نياتهم وصدقاتهم وصلواتهم وصيامهم وان الله لمع المحسنين لام توكيد ودخلت
في مع على احد وجهين ان تكون اسما ولام التوكيد انما تدخل على الاسما او حرفا
فدخل عليها لان فيها معنى الاستقرار كما تقول ان زيدا لفي الدار ومع اذا اسكنت
فهي حرف لا غير واذا فتحت جاز ان تكون اسما وان تكون حرفا والاكثر ان تكو

حرفا حالمعنى وتقدم معنى الاحسان والمحسن في البقرة وغيرها وهو سبحانه معهم بالنصرة والمعونة والحفظ والهداية ومع الجميع بالاحاطة والقدرة فبين المعيتين تمت السورة بحمد الله وعونه

سورة الروم مكية كلها من غير خلاف وهي ستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض روى الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فاعجب ذلك المومنين فنزلت الم غلبت الروم في ادنى الارض الى قوله يفرح المومنون بنصر الله قال ففرح المومنون بظهور الروم على فارس قال هذا حديث غريب من هذا الوجه هكذا قرا نصر ابن علي الجهضمي على غلبت الروم في ادنى الارض قال غلبت وغلبت قال كان المشركون يحبون ان يظهر اهل فارس على الروم لانهم واياهم اهل اوثان وكان المسلمون يحبون ان يظهر الروم على فارس لانهم اهل كتاب فذكروه لابي بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما انهم سيغلبون فذكره ابو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك اجلا فان ظهرنا كان لنا كذا وان ظهرتم كان لكم كذا وكذا فجعل اجل خمس سنين فلم يظهروا فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال الا جعلته الى دون قال اراه العشر قال ابو سعيد والبضع ما دون العشرة قال ثم ظهرت الروم بعد قال فذلك قوله الم غلبت الروم الى قوله ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله قال سفيان سمعت انهم ظهروا عليهم يوم بدر قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب ورواه ايضا عن نيار ابن مكرم الاسلمي قال لما نزلت الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين وكانت فارس يوم نزلت هذه الاية قاهرين للروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لانهم واياهم اهل كتاب وفي ذلك قول الله ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله ينصر من يشا وهو العزيز الرحيم وكانت قريش تحب ظهور فارس لانهم واياهم ليسوا باهل كتاب ولا ايمان ببعث فلما انزل الله هذه الاية خرج ابو بكر الصديق رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين قال ناس من قريش لابي بكر فذلك بيننا وبينكم زعم صاحبك ان الروم

فذكروه لابي بكر

سيغلب

ستغلب فارسا في بضع سنين افلا انراهنك على ذلك قال بلى وذلك قبل تحريم الرهان
فارتهن ابو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان وقالوا لابي بكر كم تجعل البضع
ثلث سنين او تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطا ننتهي اليه قال فسموا بينهم ست سنين
قال فمكث الست سنين قبل ان يظهروا فاخذ المشركون رهن ابي بكر فلما دخلت السنه
السابعه ظهرت الروم على فارس فعاب المسلمون على ابي بكر تسميه ست سنين قال لان
الله تعالى قال في بضع سنين قال واسلم عند ذلك ناس كثير قال ابو عيسى هذا
حديث حسن غريب صحيح وروى القشيري وابن عطيه وغيرهما انه لما نزلت الايات
خرج ابو بكر بها الى المشركين فقال اسركم ان غلبت الروم فان نبينا اخبرنا عن الله
تعالى انهم سيغلبون في بضع سنين فقال له ابي بن خلف واميه اخوه وقيل ابو سفيان
ابن حرب يا ابا فصيل يعرضون بكنيته يا ابا بكر فلنتناحب وتراهن في ذلك فراهنهم
ابو بكر قال قتاده وذلك قبل ان يحرم القمار وجعلوا الرهان خمس قلايص والاجل
ثلث سنين وقيل جعلوا الرهان ثلث قلايص ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
فقال فهلا احتطت فان البضع ما بين الثلث والتسع والعشر ولكن ارجع فزدهم
في الرهان واستزدهم في الاجل ففعل ابو بكر فجعلوا القلايص مايه والاجل
تسعه اعوام فغلبت الروم في اثنا الاجل وقال الشعبي وظهروا في تسع سنين
القشيري المشهور في الروايات ان ظهور الروم كان في السابعه من غلبت فارس للروم
ولعل روايه الشعبي تصحيف من السبع الى التسع من بعض النقله وفي بعض الروايات
انه جعل القلايص سبعه الى تسع سنين ويقال انه اخر فتوح كسرى ابرويز فتح
فيه القسطنطينيه حتى بني فيها بيت النار فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فساه
ذلك فانزل الله هاتين الايتين وحكى النقاش وغيره ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه
لما اراد الهجره مع النبي صلى الله عليه وسلم تعلق به ابي بن خلف وقال له اعطني كفيلا
بالخطر ان غلبت فكفل به ابنه عبد الرحمن فلما اراد ابي الخروج الى احد طلبه عبد
الرحمن بالكفيل فاعطاه كفيلا ثم مات ابي بمكه من جرح جرحه النبي صلى الله عليه
وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبيه على راس تسع سنين من مناحبتهم وقال
الشعبي لم تمض تلك المده حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيلهم بالمداين وبنوا

القلايص جمع قلوص بفتح القاف النوق الشابة
سعدي افندي على القاضي

روميه فقمر ابو بكر ابيا واخذ مال الخطر من ورثته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
تصدق به فتصدق به وقال المفسرون ان سبب غلبه الروم فارس امراة كانت في فارس
لا تلد الا الملوك والابطال فقال لها كسري اريد ان استعمل احد بنيك على جيش
اجهزه الى الروم فقالت هذا هرمز اروغ من ثعلب واحذر من صقر وهذا فرخان
احد من سنان وانفذ من نبل وهذا شهربزان احلم من كذا فاختر قال فاختار
الحليم وولاه فسار الى الروم باهل فارس فظهر على الروم قال عكرمه وغيره
ان شهربزان لما غلب الروم خرب ديارها حتى بلغ الخليج فقال اخوه فرخان
لقد رايتني جالسا على سرير كسرى فكتب كسرى الى شهربزان ارسل الى براس
فرخان فلم يفعل فكتب كسرى الى فارس اني قد استعملت عليكم فرخان وعزلت
شهربزان وكتب الى فرخان اذا ولي ان يقتل شهربزان فاراد فرخان قتل شهربزان
فاخرج له شهربزان ثلث صحايف من كسرى يامره بقتل فرخان وراجعته ابدا في
امرك ثم تقتلني اين بكتاب واحد فرد الملك الى اخيه وكتب شهربزان الى قيصر
ملك الروم فتعاونا على كسرى فغلبت الروم فارس ومات كسرى وجا الخبر الى
النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبيه ففرح من معه من المسلمين فذلك قوله تعالى
الم غلبت الروم في ادنى الارض يعني ارض الشام عكرمه باذرعات وهي ما بين بلاد العرب
والشام وقيل ان قيصر كان بعث رجلا يدعى يحنس وبعث كسري شهربزان فالتقيا
باذرعات وبصرى وهي ادنى بلاد الشام الى ارض العرب والعجم مجاهد بالجزيره
وهو موضع بين العراق والشام مقاتل بالاردن وفلسطين وادنى معناه اقرب
قال ابن عطيه فان كانت الواقعه باذرعات فهي من ادنى الارض بالقياس الى مكه
وهي التي ذكر امرؤ القيس في قوله ؛

تنورتها من اذرعات واهلها بيثرب ادنى دارها نظر عالي ؛ وان كانت
الواقعه بالجزيره فهي ادنى بالقياس الى ارض كسري وان كانت بالاردن فهي ادنى الى
ارض الروم فلما طرا ذلك وغلبت الروم سر الكفار فبشر الله عباده بان الروم
سيغلبون وتكون الدوله لهم في الحرب وقد مضى الكلام في فواتح السور وقرا
ابو سعيد الخدري وعلي ابن ابي طالب ومعويه ابن قره غلبت بفتح الغين واللام

وتاويل

وتاويل ذلك ان الذي ظهر يوم بدر انما كانت الروم غلبت فعنى ذلك على كفار فارس فسر
بذلك المسلمون فبشر الله عباده انهم سيغلبون ايضا في بضع سنين ذكر هذا التاويل
ابو حاتم قال ابو جعفر النحاس قراءة اكثر الناس غلبت بضم الغين وكسر اللام
وروي عن ابن عمر وابي سعيد انهما قرا غلبت الروم وقرا سيغلبون وحكى ابو حاتم
ان عصمة روى عن هارون ان هذه قراءة اهل الشام واحمد بن حنبل يقول ان عصمة
هذا ضعيف وابو حاتم كثير الحكاية عنه والحديث يدل على ان القراءة غلبت بضم الغين
وكان في هذا الاخبار دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان الروم غلبتها فارس
فاخبر الله عز وجل نبيه ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين وان المومنين يفرحون
بذلك لان الروم اهل كتاب فكان هذا من علم الغيب الذي اخبر الله عز وجل به مما لم
يكن وامر ابا بكر ان يراهنهم على ذلك وان يبالغ في الرهان ثم حرم الرهان بعد
ونسخ بتحريم القمار قال ابن عطيه والقراءة بضم الغين اصح واجمع الناس على
سيغلبون انه بفتح اليا يراد به الروم وروي عن ابن عمر انه قرا ايضا بضم اليا
في سيغلبون وفي هذه القراءة قلب للمعنى الذي تظاهرت الروايات به قال ابو
جعفر النحاس ومن قرا سيغلبون فالمعنى عنده وفارس من بعد غلبهم اي من بعد
ان غلبوا سيغلبون وروي ان ايقاع الروم بالفرس كان يوم بدر كما في حديث ابي
سعيد الخدري حديث الترمذي وروي ان ذلك كان يوم الحديبية وان الخبر وصل
يوم بيعة الرضوان قاله عكرمة وقتادة قال ابن عطيه وفي كلا اليومين كان نصر
من الله تعالى للمومنين وقد ذكر الناس ان سبب سرور الناس بغلبة الروم وهمهم
ان تغلب انما هو ان الروم اهل كتاب كالمسلمين فهم اقرب من اهل الاوثان كما تقدم
بيانه في الحديث النحاس وقول اخر وهو ان فرحهما انما كان لانجاز وعد
الله جل وعز اذ كان فيه دليل على النبوة لانه اخبر جل وعز بما يكون في بضع سنين
فكان فيه ابن عطيه ويشبه ان يعلل ذلك بما تقتضيه الفطر من محبة ان يغلب
العدو الاصغر لانه ايسر موونة ومتى غلب الاكبر كثر الخوف منه فتامل هذا المعنى
مع ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجاه من ظهور دينه وشرع الله الذي
بعثه به وغلبته على الامم واراده كفار مكة ان يرميه الله بملك يستاصله ويريحهم منه

وقيل سرورهم انما كان بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين لان جبريل
اخبر بذلك النبي عليه السلام يوم بدر حكاه القشيري قال الشيخ القرطبي رحمه الله
ويحتمل ان يكون سرورهم بالمجموع من ذلك فسروا بظهورهم على عدوهم وبظهور
الروم ايضا وبانجاز وعد الله وقرا ابو حيوه الشامي ومحمد بن السميقع من بعد
غلبهم بسكون اللام وهما لغتان مثل الظعن والظعن وزعم الفرا ان الاصل
من بعد غلبتهم فحذفت التا كما حذفت في قوله عز وجل واقام الصلاه واصله
واقامة الصلاه قال النحاس وهذا غلط لا يخيل على كثير من اهل النحو لان اقام
الصلاه مصدر قد حذف منه لاعتلال فعله فجعلت التا عوضا من المحذوف
وغلب ليس بمعتل ولا حذف منه شي وقد حكى الاصمعي طرد طردا وجلب جلبا
وغلب غلبا فاي حذف في هذا وهل يجوز ان يقال في اكل اكلا وما اشبهها حذف منه
في بضع سنين حذفت الها من بضع فرقا بين المذكر والمونث وقد مضى الكلام فيه
في يوسف وفتحت النون من سنين لانه جمع مسلم ومن العرب من يقول في بضع
سنين كما تقول في غسلين وجاز ان يجمع سنه جمع من يعقل بالواو والنون واليا
والنون لانه قد حذف منها شي فجعل هذا الجمع عوضا من النقص الذي في واحده لان
اصل سنه سنهه او سنوه وكسرت السين منه دلاله على ان جمعه خارج عن
قياسه ونمطه هذا قول البصريين ويلزم الفرا ان يضمها لانه يقول الضمه دليل
على الواو وقد حذف من سنه واو في احد القولين ولا يضمها احد علمناه قوله
تعالى لله الامر من قبل ومن بعد اخبر تعالى بانفراده بالقدره وان ما في
العالم من غلبه وغيرها انما هي منه وبارادته وبقدرته فقال لله الامر اي انفاذ الاحكام
من قبل ومن بعد اي من قبل هذه الغلبه ومن بعدها وقيل من قبل كل شي ومن بعد
كل شي ومن قبل ومن بعد ظرفان بنيا على الضم لانهما تعرفا بحذف ما اضيفا اليه
وصارا متضمنين ما حذف فخالفا تعريف الاسما واشبها الحروف في التضمين فبنيا
وخصا بالضم لشبههما بالمنادى المفرد في انه اذا نكر واضيف زال بناوه وكذلك هما
فضما ويقال من قبل ومن بعد وحكى الكسائي عن بعض بني اسد لله الامر من قبل
ومن بعد الاول مخفوض منون والثاني مضموم بلا تنوين وحكى الفرا من قبل ومن

بعد مخفوض بغير تنوين وانكره النحاس ورده وقال الفرا في كتابه في القران اشيا
كثيره الغلط فيها بين منها انه زعم انه يجوز من قبل ومن بعد وانما يجوز من قبل ومن بعد
على انهما نكرتان قال الزجاج المعنى من متقدم ومن متاخر ويوميذ يفرح المومنون
بنصر الله تقدم ذكره بنصر من يشا يعني من اوليايه لان نصره مختص بغلبه اوليايه
لاعدايه فاما غلبه اعدايه لاوليايه فليس بنصر وانما هو ابتلا وقد يسمى ظفرا وهو
العزيز في نقمته الرحيم لاهل طاعته قوله تعالى وعد الله لا يخلف الله
وعده لان كلامه صدق ولكن اكثر الناس لا يعلمون وهم الكفار وهم اكثر وقيل
المراد مشركو امكه وانتصب وعد الله على المصدر اي وعد ذلك وعدا ثم بين على مقدار
ما يعلمون فقال يعلمون ظاهرا من الحياه الدنيا يعني امر معاشهم ودنياهم متى يزرعون
ومتى يحصدون وكيف يغرسون وكيف يبنون قاله ابن عباس وعكرمه وقتاده وقال
الضحاك هو بنيان قصورها وتشقيق انهارها وغرس اشجارها والمعنى واحد وقيل
هو ما يلقيه الشياطين اليهم من امور الدنيا عند استراقهم السمع من سما الدنيا قاله
سعيد بن جبير وقيل الظاهر الباطل كما قال في موضع اخر ام بظاهر من القول
قال الشيخ القرطبي رحمه الله وقول ابن عباس اشبه بظاهر الحياه الدنيا حتى
لقد قال الحسن بلغني والله من علم احدهم بالدنيا انه ينقد الدرهم فيحرك بوزنه ولا
يحسن ان يصلي وقال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم
ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوايج قال ابن خالويه
ما كان اعرفهم بسياسه دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياه الدنيا وهم عن الاخره اي عن
العلم بها والعمل لها هم غافلون ؛ قال بعضهم

ومن البليه ان ترى لك صاحبا في صوره الرجل السميع المبصر ؛
فطن بكل مصيبه في ماله واذا اصيب بدينه لم يشعر ؛

قوله تعالى اولم يتفكروا في انفسهم قوله في انفسهم قوله في انفسهم ظرف للتفكر وليس
بمفعول تعدى اليه يتفكروا بحرف جر لانهم لم يومروا ان يتفكروا في خلق انفسهم انما
امروا ان يستعملوا التفكر في خلق السموات والارض وانفسهم حتى يعلموا ان الله
لم يخلق السموات وغيرها الا بالحق قال الزجاج في الكلام حذف اي فيعلموا ان

في الكلام دليلا عليه الا بالحق قال الفرا معناه الا للحق يعني الثواب والعقاب وقيل
الا لاقامة الحق وقيل بالحق بالعدل وقيل بالحكمة والمعنى متقارب وقيل بالحق
اي انه هو الحق وللحق خلقها وهو الدال على توحيده وقدرته واجل مسمى اي
للسموات والارض اجل ينتهيان اليه وهو يوم القيمة وفي هذا تنبيه على الفنا وعلى ان
لكل مخلوق اجلا وعلى ثواب المحسن وعقاب المسي وقيل واجل مسمى اي خلق ما خلق
في وقت سماه لان يخلق ذلك الشي فيه وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون اللام
للتوكيد والتقدير لكافرون بلقاء ربهم على التقديم والتاخير اي لكافرون بالبعث بعد
الموت وتقول ان زيدا في الدار لجالس ولو قلت ان زيدا لفي الدار لجالس جاز فان
قلت ان زيدا جالس لفي الدار لم يجز لان اللام انما يوتى بها لتوكيد الاسم ان وخبرها
واذا جيت بهما لم يجز ان تاتي بها وكذا ان قلت ان زيدا الجالس لفي الدار لم يجز
قوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا بابصارهم وقلوبهم كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض اي قلبوها للزراعة لان
اهل مكة لم يكونوا اصحاب حرث قال الله تعالى تثير الارض وعمروها اكثر مما عمروها
اي وعمروها اوليك اكثر مما عمروها هولا فلم تنفعهم عمارتهم ولا طول مدتهم وجاتهم
رسلهم بالبينات اي بالمعجزات وقيل بالاحكام فكفروا ولم يومنوا فما كان الله ليظلمهم
بان يهلكهم من غير ذنب ولا رسول ولا حجة ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالشرك والعصيان
قوله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساوا السواى السواى فعلى من السو تانيث
الاسوا وهو الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن وقيل يعني بها هاهنا النار قاله ابن
عباس ويعني اساوا اشركوا دل عليه ان كذبوا بايات الله فالسواى اسم جهنم كما
ان الحسنى اسم الجنة ان كذبوا بايات الله اي لان كذبوا قاله الكساي وقيل بان كذبوا
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو ثم كان عاقبة الذين بالرفع اسم كان وذكرت لان
تانيثها غير حقيقي والسواى خبر كان والباقون بالنصب على خبر كان السواى
بالرفع اسم كان ويجوز ان يكون اسمها التكذيب فيكون التقدير ثم كان التكذيب عاقبة
الذين اساوا ويكون السواى مصدر الاساة او صفة لمحذوف اي الخلة السواى
وروي عن الاعمش انه قرا ثم كان عاقبة الذين اساوا السو برفع السو قال النحاس

اي الخصلة

106

السوأى اشد السيىء والسوأى الفعلى منه ان كذبوا بايات الله قيل بمحمد والقران قاله الكلبي
مقاتل بالعذاب ان ينزل بهم الضحاك المعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا بها
يستهزيون قوله تعالى الله يبدو الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون قرا
ابو عمرو وابو بكر يرجعون بالياء الباقون بالتاء ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون
وقرا ابو عبد الرحمن السلمي يبلس بفتح اللام والمعروف في اللغه ابلس الرجل اذا اسكت
وانقطعت حجته ولم يومل ان تكون له حجه ولو قربت منه الحيرة كما قال العجاج
يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم اعرفه وابلسا وقد زعم بعض
النحويين ان ابليس مشتق من هذا وانه ابلس لانه انقطعت حجته النحاس ولو كان
كما قال لوجب ان ينصرف وهو في القران غير منصرف وقال الزجاج المبلس الساكت
المنقطع في حجته اليايس من ان يهتدى اليها ولم يكن لهم من شركايهم اي ما عبدوه من
دون الله شفعا وكانوا بشركايهم كافرين قالوا ليسوا بالهة فتبروا منها وتبرات منهم
حسب ما تقدم في غير موضع قوله تعالى ويوم تقوم الساعه يومبذ يتفرقون
يعني المومنين من الكافرين ثم بين كيف تفريقهم فقال فاما الذين امنوا قال النحاس
سمعت الزجاج يقول اما دع ما كنا فيه وخذ في غيره وكذا قال سيبويه ان معناها مهما
يكن في شي اي مهما يكن في شي فخذ في غير ما كنا فيه فهم في روضه يحبرون قال
الضحاك الروضه الجنه والرياض الجنان وقال ابو عبيد الروضه ما كان في تسفل
فاذا كان مرتفعا فهو ترعه وقال غيره احسن ما تكون الروضه اذا كانت في موضع مرتفع
غليظ كما قال الاعشى

ما روضه من رياض الحسن معشبه خضرا جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق موزر بعميم النبت مكتهل
يوما باطيب منها نشر رايحه ولا باحسن منها اذ دنا الاصل

الا انه لا يقال
لها روضه الا اذا كان فيها نبت فان لم يكن فيها نبت وكانت مرتفعه فهي ترعه وقد
قيل في الترعه غير هذا وقال القشيري والروضه عند العرب ما ينبت حول الغدير
من البقول ولم يكن عند العرب شي احسن منه الجوهري والجمع روض ورياض صارت
الواو ياء لكسرة ما قبلها والروض نحو من نصف القربه ما وفي الحوض روضه من ما

اذا اعطى اسفله وانشد ابو عمرو ؛؛ وروضة سقيت منها بصوتي ؛؛ يحبرون
قال الضحاك وابن عباس يكرمون وقيل ينعمون قاله مجاهد وقتاده وقيل
يسرون السدي يفرحون والحبرة عند العرب السرور والفرح ذكره الماوردي
وقال الجوهري والحبر الحبور وهو السرور ويقال حبره يحبره بالضم حبرا وحبره
قال تعالى فهم في روضة يحبرون اي ينعمون ويكرمون ويسرون ورجل
يحبور يفعول من الحبور النحاس وحكى الكساي حبرته اي اكرمته ونعمته وسمعت
علي ابن سليمن يقول هو مشتق من قولهم على اسنانه حبرة اي اثر فيحبرون يتبين عليهم
اثر النعيم والحبر من هذا مشتق قال الشاعر ؛؛
لا تملأ الدلو وعرق فيها اما ترى حبار من يسقيها ؛؛ وقيل اصله من التحبير
وهو التحسين فيحبرون يحسنون يقال فلان حسن الحبر والسبر اذا كان جميلا حسن
الهيئة ويقال ايضا فلان حسن الحبر والسبر بالفتح وهذا كانه مصدر قولك حبرته
حبرا اذا حسنته والاول اسم ومنه الحديث يخرج رجل من النار ذهب حبره
وسبره وقال يحيى بن ابي كثير في روضه يحبرون قال السماع في الجنة وقاله
الاوزاعي قال اذا اخذ اهل الجنة في السماع لم تبق شجرة في الجنة الا ردت
الغنا بالتسبيح والتقديس وقال الاوزاعي ليس شي من خلق الله احسن صوتا
من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على اهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم
زاد غير الاوزاعي فلم تبق شجرة في الجنة الا وردت ولم يبق ستر ولا باب الا ارتج
وانفتح ولم تبق حلقة الا طنت بالوان طنينها ولم تبق اجمة من اجام الذهب الا وقع
اهبوب الصوت في مقاصبها فزمرت تلك المقاصب بفنون الزمر ولم تبق جارية من
جوار الحور العين الا غنت باغانيها والطير بالحانها ويوحي الله تبارك وتعالى
الى الملايكة ان جاوبوهم واسمعوا عبادي الذين نزهوا اسماعهم عن مزامير الشيطان
فيجاوبون بالحان واصوات روحانيين فتختلط هذه الاصوات فتصير رجة
واحدة ثم يقول الله جل ذكره يا داود قم عند ساق عرشي فمجدني فيندفع داود
بتمجيد ربه بصوت يغمر الاصوات ويجليها وتتضاعف اللذة فذلك قوله فهم في روضة
يحبرون ذكره الترمذي الحكيم رحمه الله وذكر الثعلبي من حديث ابي الدردا

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذكر الناس فذكر الجنه وما فيها من الازواج
والنعيم وفي اخريات القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنه من سماع فقال
نعم يا اعرابي ان في الجنه لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضا خمصانيه يتغنين باصوات
لم يسمع الخلايق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنه فسال رجل يا ابا الدردا بماذا يتغنين
فقال بالتسبيح والخمصانيه المرهفه الاعلى الخمصانيه البطن الضخمه الاسفل
قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهذا كله من النعيم والسرور والاكرام فلا تعارض
بين تلك الاقوال واين هذا من قوله الحق فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قره اعين
على ما ياتي وقوله عليه السلام فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر وقد روي ان في الجنه لاشجار عليها اجراس من فضه فاذا اراد اهل
الجنه السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاجراس فتتحرك تلك
الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا ذكره الزمخشري **قوله**
تعالى واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا تقدم الكلام فيه ولقاء الاخره
اي بالبعث فاوليك في العذاب محضرون اي مقيمون وقيل مجموعون وقيل
معذبون وقيل نازلون ومنه قوله تعالى حتى اذا حضر احدكم الموت اي نزل به
قاله ابن شجره والمعنى متقارب **قوله** تعالى فسبحن الله حين تمسون وحين
تصبحون فيه ثلث مسايل الاولى قوله تعالى فسبحن الله الايه فيه ثلاثه اقوال
الاول انه خطاب للمومنين بالامر بالعباده والحض على الصلاه في هذه الاوقات
قال ابن عباس الصلوات الخمس في القران قيل له اين قال قال الله تعالى فسبحن
الله حين تمسون المغرب والعشا وحين تصبحون صلاه الفجر وعشيا العصر وحين
تظهرون الظهر وقاله الضحاك وسعيد بن جبير وعن ابن عباس ايضا وقتاده ان
الايه تنبيه على اربع صلوات المغرب والصبح والعصر والظهر قالوا والعشا الاخره
هي في ايه اخرى في زلفا من الليل وفي ذكر اوقات العوره وقال النحاس اهل
التفسير على ان هذه الايه فسبحن الله حين تمسون وحين تصبحون في الصلوات وسمعت
على ابن سليمن يقول حقيقته عندي فسبحوا الله في الصلوات لان التسبيح يكون في الصلاه
وهو القول الثاني والقول الثالث فسبحوا الله حين تمسون وحين تصبحون ذكره

الماوردي وذكر القول الاول ولفظه فيه فصلوا الله حين تمسون وحين تصبحون
وفي تسمية الصلاه بالتسبيح وجهان احدهما لما تضمنها من ذكر التسبيح في الركوع
والسجود الثاني ماخوذ من السبحه والسبحه الصلاه ومنه قول النبي صلى الله عليه
وسلم يكون لهم سبحه يوم القيمه اي صلاه الثانيه وقوله وله الحمد في السموات
والارض اعتراض بين الكلام يدوب الحمد على نعمه والايه وقيل يكون وله الحمد اي
الصلاه له لاختصاصها بقراه الحمد والاول الظهر فان الحمد لله من نوع تعظيم الله تعالى
والحض على عبادته ودوام نعمته فيكون نوعا اخر خلاف الصلاه والله اعلم وبدا
بصلاه المغرب لان الليل يتقدم النهار وفي سوره سبحن بدا بصلاه الظهر اي هي
اول صلاه صلاها جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم الماوردي وخص صلاه الليل باسم
التسبيح وصلاه النهار باسم الحمد لان الانسان في النهار متقلبا في احوال توجب حمد
الله عليها وفي الليل على خلوه توجب تنزيه الله من الاسواء فيها فلذلك صار الحمد
بالنهار اخص فسميت به صلاة النهار والتسبيح بالليل اخص فسميت به صلاة الليل
الثالثه قرا عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون والمعنى حينا تمسون فيه
وحينا تصبحون فيه فحذف فيه تخفيفا والقول فيه كالقول في واتقوا يوما لا تجزى
نفس عن نفس شيا وعشيا ل الجوهري العشي والعشية من صلاة المغرب
الى العتمه تقول اتيته عشية امس وعشي امس وتصغير العشي عشيان على غير مكبره
كانهم صغروا عشيانا والجمع عشيات وقيل ايضا في تصغيره عشيشيان والجمع
عشيشيات وتصغير العشيه عشيشيه والجمع عشيشيات والعشا بالمد والكسر
مثل العشي والعشا ان المغرب والعتمة وزعم قوم ان العشا من زوال الشمس
الى طلوع الفجر وانشدوا
غدونا غدوه سحرا بليل عشيا بعدما انتصف النهار الماوردي والفرق
بين المساء والعشاء ان المسا بدو الظلام بعد المغيب والعشا اخر النهار عند ميل
الشمس للمغيب وهو ماخوذ من عشا العين وهو نقص النور من الناظر كنقص
نور الشمس قوله تعالى يخرج الحي من الميت الايه بين كمال قدرته
اي كما احيى الارض باخراج النبات بعد همودها كذلك يحييكم بالبعث وفي هذا دليل

موتها

على صحه القياس وقد مضى في ال عمران بيان يخرج الحي من الميت قوله
تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب اي من علامات ربوبيته ووحدانيته ان خلقكم من تراب
اي خلق اباكم منه والفرع كالاصل وقد مضى بيان هذا في الانعام وان في موضع رفع
بالابتدا وكذا ان خلق لكم من انفسكم ازواجا ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم انتم عقلا
ناطقون تتصرفون فيما هو قوام معايشكم فلم يكن ليخلقكم عبثا ومن قدر على هذا فهو
اهل للعباده والتسبيح ومعنى خلق لكم من انفسكم ازواجا اي نسا تسكنون اليها من
انفسكم اي من نطفة الرجال ومن جنسكم وقيل المراد حوا خلقها من ضلع ادم قاله
قتاده . وجعل بينكم موده ورحمه قال ابن عباس ومجاهد الموده الجماع والرحمه
الولد وقاله الحسن وقيل الموده والرحمه عطف قلوب بعضهم على بعض وقال
السدي الموده المحبه والرحمه الشفقه وروي معناه عن ابن عباس قال الموده حب
الرجل امراته والرحمه رحمته اياها ان يصيبها بسو ويقال ان الرجل اصله من الارض
وفيه قوه الارض وفيه الفرج الذي منه بدي خلقه فيحتاج الى سكن وخلقت المراه
سكنا للرجل قال الله تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب الايه وقال ومن اياته
ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فاول ارتفاق الرجل بالمراه سكونه
اليها مما فيه من غليان القوه وذلك ان الفرج اذا اهتاج فيه هيج ما الصلب اليه فاليها
يسكن وبها يتخلص من الهايج وللرجال خلق البضع منهن قال الله تعالى وتذرون
ما خلق لكم ربكم من ازواجكم فاعلم الله جل وعز الرجال ان ذلك الموضع خلق منهن
للرجال فعليها بذله في كل وقت يدعوها الزوج فان منعت فهي ظالمه وفي حرج عظيم
ويكفيك من ذلك ما ثبت في صحيح مسلم من حديث ابي هريره قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امراته الى فراشها فتابا عليه
الا كان الذي في السما ساخطا عليها حتى يرضى عنها وفي لفظ اخر اذا باتت المراه
هاجره فراش زوجها لعنتها الملايكه حتى تصبح ومن اياته خلق السموات والارض
تقدم في البقره فيه وكانوا يعترفون بان الله هو الخالق واختلاف السنتكم
والوانكم اللسان في الفم واختلاف اللغات من العربيه والعجميه والتركيه والروميه
واختلاف الالوان في الصور من البياض والسواد والحمره فلا تكاد ترى احدا الا

وانت تفرق بينه وبين الاخر وليس هذه الاشيا من فعل النطفه ولا من فعل
الابوين فلا بد من فاعل فعلم ان الفاعل هو الله تعالى فهذا من ادل دليل على المدبر
البارى ان فى ذلك لايات للعالمين اى للبر والفاجر وقرا حفص للعالمين بكسر
اللام جمع عالم ومن اياته منامكم بالليل والنهار قيل فى هذه الايه تقديم وتاخير
والمعنى ومن اياته منامكم بالليل وابتغاوكم من فضله بالنهار فحذف حرف الجر
باتصاله بالليل وعطفه عليه والواو تقوم مقام حرف الجر اذا اتصلت بالمعطوف
عليه فى الاسم الظاهر خاصه فجعل النوم بالليل دليلا على الموت والتصرف بالنهار
دليلا على البعث ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون يريد سماع تفهم وتدبر وقيل
يسمعون الحق فيتبعونه وقيل يسمعون الوعظ فيخافونه وقيل يسمعون القران
فيصدقونه والمعنى متقارب وقيل كان منهم من اذا تلى القران وهو حاضر
سد اذنيه حتى لا يسمع فبين الله عز وجل هذه الدلايل عليه ومن اياته يريكم
البرق خوفا وطمعا قيل المعنى ان يريكم فحذف ان لدلالة الكلام عليه قال طرفه
الا ايهذا اللايمى احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدى :. وقيل
هو على التقديم والتاخير اى ويريكم البرق من اياته وقيل اى ومن اياته ايه
يريكم بها البرق كما قال الشاعر ؛

وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغى العيش اكدح ؛ وقيل
اى من اياته انه يريكم البرق خوفا وطمعا من اياته قاله الزجاج فيكون عطف
جمله على جمله خوفا اى للمسافر وطمعا للمقيم قاله قتاده الضحاك خوفا من
الصواعق وطمعا فى الغيث يحيى بن سلام خوفا من البرد ان يهلك الزرع وطمعا
فى المطر ان يحيى الزرع ابن بحر خوفا ان يكون البرق برقا خلبا لا يمطر وطمعا ان
يكون ممطرا وانشد قول الشاعر ؛

لا يكن برقك برقا خلبا انما البرق ما الغيث معه ؛ وقال اخر
فقد ارد المياه بغير زاد سوى عدى لها برق الغمام ؛ والبرق الخلب الذى
لا غيث فيه كانه خادع ومنه قيل لمن يعد ولم ينجز قال
انما انت كبرق خلب ؛ والخلب ايضا السحاب الذى لا مطر فيه وقال

مرفوع بالاضافه ومن ينزل من السما ما فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات
لقوم يعقلون تقدم ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره ان في محل رفع كما تقدم
اي قيامهما واستمساكهما بقدرته بلا عمد وقيل بتدبيره وحكمته اي يمسكها بغير عمد
لمنافع الخلق وقيل بامره باذنه والمعنى واحد ثم اذا دعاكم دعوه من الارض اذا انتم
تخرجون اي الذي فعل هذه الاشيا قادر على ان يخرجكم من قبوركم والمراد سرعة
وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي الطايع مدعوه كما قال القايل
دعوت كليبا فكانما دعوت براس الكلب او هو اسرع :: يريد براس الطود
الصدى او الحجر اذا تدهده وانما عطف هذا على قيام السموات والارض لعظم ما
يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا تبقى
نسمه من الاولين والاخرين الا قامت تنظر كما قال ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام
ينظرون واذا الاولى في قوله اذا دعاكم للشرط والثانيه في قوله اذا انتم للمفاجاه
وهي تنوب مناب الفا في جواب الشرط واجمع القرا على فتح التا هنا في تخرجون
واختلفوا في التي في الاعراف فقرا اهل المدينه ومنها تخرجون بضم التا وقرا اهل
العراق بالفتح واليه يميل ابو عبيد والمعنيان متقاربان الا ان اهل المدينه فرقوا بينهما
لنسق الكلام فنسق الكلام في التي في الاعراف بالضم اشبه اذ كان الموت ليس من فعلهم
وكذا الاخراج والفتح في سوره الروم اشبه بنسق الكلام اي اذا دعاكم خرجتم اي
اطعتم فالفعل اشبه وهو الخروج انما هو عند نفخه اسرافيل النفخه الاخره على ما
تقدم وسياتي وقري تخرجون بضم التا وفتحها ذكره الزمخشري لم يزد على
هذا شيا ولم يذكر ما ذكرناه من الفرق والله اعلم وله من في السموات والارض
خلقا وملكا وعبدا كل له قانتون روي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال كل قنوت في القران فهو طاعه قال النحاس مطيعون طاعة
انقياد وقيل قانتون مقرون بالعبوديه اما قاله واما دلاله قاله عكرمه
وابو مالك والسدي وقال ابن عباس قانتون مصلون الربيع ابن انس كل له
قانتون اي قايم يوم القيمه كما قال يوم يقوم الناس لرب العالمين اي للحساب
الحسن كل له قايم بالشهاده انه عبد له سعيد بن جبير قانتون مخلصون قوله .

تعالى وهو الذي يبدوا الخلق ثم يعيده اما بدو خلقه فبعلوقه في الرحم قبل ولادته
واما اعادته فاحياوه بعد الموت بالنفخه الثانيه للبعث فجعل ما علم من ابتدا
خلقه دليلا على ما يخفى من اعادته استدلالا بالشاهد على الغايب ثم اكد ذلك بقوله
وهو اهون عليه وقرا ابن مسعود وابن عمر يبدي الخلق من ابدا يبدي دليله قوله
تعالى انه هو يبدي ويعيد ودليل قراءه العامه قوله سبحانه كما بداكم تعودون
واهون بمعنى هين اي الاعاده هين عليه قاله الربيع ابن خثيم والحسن فاهون بمعنى
هين لانه ليس شي اهون على الله من شي قال ابو عبيده ومن جعل اهون يعبر عن
تفضيل شي على شي فقوله مردود بقول الله تعالى وكان ذلك على الله يسيرا وبقوله
ولا يؤده حفظهما والعرب تحمل افعل على فاعل ومنه قول الفرزدق

ان الذي سمك السما بنا لنا بيتا دعايمه اعز واطول ؛ اي دعايمه عزيزه طويله
وقال آخر ؛ لعمرك ما ادري واني لاوجل على اينا تعدوا المنيه اول ؛
اراد اني لوجل وانشد ابو عبيده ايضا
اني لامنحك الصدود وانني قسما اليك مع الصدود لاميل ؛ اراد لمايل
وانشد احمد بن يحيى ؛ تمنى رجال ان اموت وان امت فتلك سبيل لست فيها باوحد ؛
اراد بواحد وقال آخر لواطرما
لعمرك ان الزبرقان لباذل لمعروفه عند السنين وافضل ؛ اي وفاضل
ومنه قولهم الله اكبر انما معناه الله الكبير وروى معمر عن قتاده قال في قراءه
عبد الله ابن مسعود وهو عليه هين وقال مجاهد وعكرمه والضحاك ان المعنى
ان الاعاده اهون عليه اي على الله من البدايه اي ايسر وان كان جميعه على الله
تعالى هينا وقاله ابن عباس ووجهه ان هذا مثل ضربه الله تعالى لعباده
يقول اعاده الشي على الخالق اهون من ابتدايه فينبغي ان يكون البعث لمن قدر على
البدايه عندكم وفيما بينكم اهون عليه من الانشا وقيل الضمير في عليه للمخلوق
اي وهو اهون عليه اي على الخلق يصاح بهم صيحه واحده فيقومون ويقال
لهم كونوا فيكونون فذلك اهون عليهم من ان يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم اجنه ثم
اطفالا ثم غلمانا ثم شبانا ثم رجالا او نسا وقاله ابن عباس وقطرب وقيل اهون

علقا

اسهل

اسهل قال وهان على اسما ان شطت النوى يحن اليها واله ويشوق ؛؛ اى سهل
عليها وقال الربيع ابن خثيم فى قوله تعالى وهو اهون عليه قال ما شى على الله
تعالى بعزيز عكرمه تعجب الكفار من احيا الله تعالى الموتى فنزلت هذه الايه وله المثل
الاعلى اى ما اراده جل وعز كان وقال الخليل المثل الصفه اى وله الوصف الاعلى
فى السموات والارض كما قال مثل الجنه التى وعد المتقون اى صفتها وقد مضى الكلام
فى ذلك وعن مجاهد المثل الاعلى قول لا اله الا الله ومعناه اى الذى له الوصف
الاعلى اى الارفع الذى هو الوصف بالوحدانيه وكذا قال قتاده ان المثل الاعلى
شهاده ان لا اله الا الله ويعضده قوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم على ما نبينه
انفا ان شا الله تعالى وقال الزجاج وله المثل الاعلى فى السموات والارض اى
قوله وهو اهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الاول
وقال ابن عباس اى ليس كمثله شى وهو العزيز الحكيم بعده قوله تعالى
ضرب لكم مثلا من انفسكم فيه مسلتان الاولى قوله تعالى من انفسكم ثم قال من
شركا ثم قال من ما ملكت ايمانكم فمن الاولى للابتدا كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من
اقرب شى منكم وهى انفسكم والثانيه للتبعيض والثالثه زايده لتاكيد الاستفهام
والايه نزلت فى كفار قريش كانوا يقولون فى التلبيه لبيك لا شريك لك الا شريكا
هو لك تملكه وما ملك قاله سعيد بن جبير وقال قتاده هذا مثل ضربه الله للمشركين
والمعنى هل يرضى احدكم ان يكون مملوكه فى ماله ونفسه مثله فاذا لم ترضوا بهذا
لانفسكم فكيف جعلتم لله شركا الثانيه قال بعض العلما هذه الايه اصل
فى الشركه بين المخلوقين لافتقار بعضهم الى بعض ونفيها عن الله سبحانه وذلك
انه لما قال جل وعز ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم الايه
فيجب ان يقولوا ليس عبيدنا شركا ونا فيما رزقتنا فيقال لهم فكيف يتصور ان تنزهوا
نفوسكم عن مشاركه عبيدكم وتجعلوا عبيدى شركايى فى خلقى فهذا حكم فاسد
وقله نظر وعمى قلب فاذا بطلت الشركه بين العبيد وساداتهم فيما يملكه
السادة والخلق كلهم عبيد الله تعالى فيبطل ان يكون شيا من العالم شريكا لله
تعالى فى شى من افعاله فلم يبق الا انه واحد يستحيل ان يكون له شريك اذ الشركه

تقتضي المعاونه ونحن مفتقرون الى معونه بعضنا بعضا بالمال والعمل والقديم الازلي
منزه عن ذلك جل وعز وهذه المسله افضل للطالب من حفظ ديوان كامل في الفقه
لان جميع العبادات البدنيه لا تصح الا بتصحيح هذه المسله في القلب فافهم ذلك
قوله تعالى بل اتبع الذين ظلموا اهواهم بغير علم لما قامت عليهم الحجه
ذكر انهم تعبدون الاصنام باتباع اهوايهم في عبادتها وتقليد الاسلاف في ذلك
فمن يهدي من اضل الله اي لا هادي لمن اضله الله تعالى وفي هذا رد على القدريه
وما لهم من ناصرين قوله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله
فيه ثلث مسايل الاولى قوله تعالى فاقم وجهك قال الزجاج منصوب بمعني
اتبع فطره الله قال لان معنى فاقم وجهك للدين اتبع الدين واتبع فطره الله
وقال الطبري فطره الله مصدر من معنى فاقم وجهك لان معنى ذلك فطر الله
الناس على الدين الحسن فطره وقيل معنى ذلك اتبعوا دين الله الذي خلق الناس
له وعلى هذا القول يكون الوقف على حنيفا تام وعلى القولين الاولين يكون متصلا
فلا يوقف على حنيفا وسميت الفطره دينا لان الناس يخلقون له قال جل وعز
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ويقال عليها بمعنى لها كقوله تعالى وان اساتم
فلها والخطاب باقم وجهك للنبي صلى الله عليه وسلم امره باقامه وجهه للدين
المستقيم كما قال فاقم وجهك للدين القيم وهو دين الاسلام واقامه الوجه هو
تقويم المقصد والقوه على الجد في اعمال الدين وخص الوجه بالذكر لانه جامع
جوارح الانسان واشرفه ودخل في هذا الخطاب امته باتفاق من اهل التاويل
وحنيفا معناه معتدلا مايلا عن جميع الاديان المحرفه المنسوخه الثانيه
في الصحيح عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود
يولد الا يولد على الفطره في روايه على هذه المله ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
كما تنتج البهيمه بهيمه جمعا هل تحسون فيها من جدعا ثم يقول ابو هريره واقروا
ان شيتم فطره الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله في روايه حتى تكونوا
انتم تجدعونها قالوا يا رسول الله افرايت من يموت صغيرا قال الله اعلم بما كانوا
عاملين لفظ مسلم الثالثه واختلف العلما في معنى الفطره المذكوره في

الكتاب

الكتاب والسنه على اقوال متعدده منها الاسلام قاله ابو هريره وابن شهاب وغيرهما قالوا وهو المعروف عند عامه السلف من اهل التاويل واحتجوا بالايه وحديث ابي هريره وحصروا ذلك بحديث عياض ابن عمار المجاشعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس يوما الا احدثكم بما حدثني الله في الكتاب ان الله خلق ادم وبنيه حنفا مسلمين واعطاهم المال حلالا لا حرام فيه فجعلوا مما اعطاهم الله حراما وحلالا الحديث وبقوله صلى الله عليه وسلم خمس من الفطره فذكر منها قص الشارب وهي من سنن الاسلام وعلى هذا التاويل فيكون معنى الحديث ان الطفل خلق سليما من الكفر على الميثاق الذي اخذه الله على ذريه ادم حين اخرجهم من صلبه وانهم اذا ماتوا قبل ان يدركوا في الجنه اولاد مسلمين كانوا او اولاد كفار وقال اخرون الفطره هي البداه التي ابتداهم الله عليها اي على ما فطر الله عليه خلقه من انه ابتداهم للحياه والموت والسعاده والشقا والى ما يصيرون اليه عند البلوغ قالوا والفطره في كلام العرب البداه والفاطر المبتدي واحتجوا بما روي عن ابن عباس انه قال لم اكن ما ادري ما فاطر السموات والارض حتى اتى اعرابيان يختصمان في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها قال المروزي كان احمد بن حنبل يذهب الى هذا القول ثم تركه قال ابو عمر في كتاب التمهيد له ما رسمه ملك في موطيه وذكر في ابواب القدر فيه من الاثار يدل على ان مذهبه في ذلك نحو هذا والله اعلم ومما احتجوا به ما روي عن كعب القرظي في قوله تعالى فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلاله قال من ابتدا الله خلقه للضلاله صيره للضلاله وان عمل باعمال الهدى ومن ابتدا الله خلقه على الهدى صيره الى الهدى وان عمل باعمال الضلاله ابتدا الله خلق ابليس على الضلاله وعمل باعمال السعاده مع الملايكه ثم رده الله الى ما ابتدا عليه خلقه قال وكان من الكافرين قال الشيخ القرطبي رحمه الله قول كعب هذا في الاعراف وجا معناه مرفوعا من حديث عايشه رضي الله عنها قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازه غلام من الانصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنه لم يعمل السو ولم يدركه قال او غير ذلك يا عايشه ان الله خلق للجنه اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابايهم وخلق

للنار اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابايهم خرجه ابن ماجه في السنن وخرج ابو عيسى
الترمذي عن عبد الله ابن عمرو قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده
كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان فقلنا لا يا رسول الله الا ان تخبرنا فقال
للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه اسما اهل الجنه واسما ابايهم وقبايلهم
ثم اجمل على اخرهم فقال فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا ثم قال للذي في شماله هذا
كتاب من رب العالمين فيه اسما اهل النار واسما ابايهم وقبايلهم ثم اجمل في اخرهم
فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا وذكر الحديث وقال فيه حديث حسن وقالت
فرقه ليس المراد بقوله تعالى الناس ولا قوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطره
العموم وانما المراد بالناس المومنون اذ لو فطر الجميع على الاسلام لما كفر احد وقد
ثبت انه خلق اقواما للنار كما قال ولقد ذرانا لجهنم واخرج الذريه من صلب
ادم سودا وبيضا وقال في الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا وروى
ابو سعيد الخدري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بنهار وفيه
وكان ما حفظنا ان قال الا ان بني ادم خلقوا طبقات شتى فمنهم من يولد مومنا ويحيى
مومنا ويموت مومنا ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت كافرا ومنهم من يولد
مومنا ويحيى مومنا ويموت كافرا ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت مومنا
ومنهم حسن القضا حسن الطلب ذكره حماد بن زيد كذا قال حدثنا علي ابن زيد عن
ابي نضره عن ابي سعيد قالوا والعموم بمعنى الخصوص كثير في لسان العرب الا ترى الى
قوله عز وجل تدمر كل شي ولم تدمر السموات والارض وقوله فتحنا عليهم
ابواب كل شي ولم تفتح عليهم ابواب الرحمه وقال اسحق ابن راهويه الحنظلي تم الكلام
عند قوله فاقم وجهك للدين حنيفا ثم قال فطره الله اي فطره الله الخلق فطره
اما الجنه او نار واليه اشار النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كل مولود يولد على الفطره
ولهذا قال لا تبديل لخلق الله قال شيخنا ابو العباس من قال هي سابقه السعاده
والشقاوه فهذا انما يليق بالفطره المذكوره في القران لان الله تعالى قال لا تبديل
لخلق الله واما في الحديث فلا لانه قد اخبر في بقيه الحديث بانها تبدل وتغير
وقالت طايفه من اهل الفقه والنظر الفطره هي الخلقه التي خلق عليها المولود

في

في المعرفه بربه فكانه قال كل مولود يولد على خلقه يعرف بها ربه اذا بلغ مبلغ المعرفه
يريد خلقه مخالفه لخلقه البهايم التي لا تصل بخلقتها الى معرفته واحتجوا على ان الفطره
الخلقه والفاطر الخالق بقول الله عز وجل الحمد لله فاطر السموات والارض يعني
خالقهن وبقوله مالي لا اعبد الذي فطرني يعني خلقني وبقوله الذي فطرهن
يعني خلقهن قالوا فالفطره الخلقه والفاطر الخالق وانكروا ان يكون المولود يفطر
على كفر او ايمان او معرفه او انكار قالوا انما المولود على السلامه في الاغلب خلقه
وطبعا وبنيه ليس معها ايمان ولا كفر ولا انكار ولا معرفه ثم يعتقدون الكفر
والايمان بعد البلوغ اذا ميزوا واحتجوا بقوله في الحديث كما تنتج البهيمه بهيمه جمعا
يعني سالمه هل تحسون فيها من جدعا يعني مقطوعه الاذن فمثل قلوب بني ادم بالبهايم
لانها تولد كامله الخلق ليس فيها نقصان ثم تقطع اذانها بعد وانوفها فيقال هذه بحاير
وهذه سوايب يقول فكذلك قلوب الاطفال في حين ولادتهم ليس لهم كفر ولا ايمان
ولا معرفه ولا انكار كالبهايم السايمه فلما بلغوا استهوتهم الشياطين فكفر اكثرهم
وعصم الله اقلهم قالوا ولو كان الاطفال قد فطروا على شي من الكفر والايمان في
اوليه امرهم ما انتقلوا عنه ابدا وقد نجدهم يومنون ثم يكفرون قالوا ويستحيل
في المعقول ان يكون الطفل في حين ولادته يعقل كفرا او ايمانا لان الله اخرجهم في
حال لا يفقهون معها شيا قال الله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا
فمن لا يعلم شيا استحال منه كفر او ايمان او معرفه او انكار قال ابو عمر بن عبد البر
هذا اصح ما قيل في معنى الفطره التي يولد الناس عليها ومن الحجه ايضا في هذا
قوله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون وكل نفس بما كسبت رهينه ومن لم يبلغ وقت
العمل لم يرتهن بشي وقال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولما اجمعوا على دفع
القود والقصاص والحدود والاثام عنهم في دار الدنيا كانت الاخره اولى بذلك والله
اعلم ويستحيل ان يكون الفطره المذكوره الاسلام كما قال ابن شهاب لان الاسلام
والايمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وهذا معدوم من الطفل
لا يجهل ذلك ذو عقل واما قول الاوزاعي سالت الزهري عن رجل عليه رقبه
ايجزي عنه الصبي ان يعتقه وهو رضيع قال نعم لانه ولد على الفطره يعني الاسلام

فاما اجزاعتقه عنه من اجازه لان حكمه حكم ابويه وخالفهم اخرون فقالوا لا يجزي
في الرقاب الواجبه الا من صام وصلى وليس في قوله تعالى كما بدا كم تعودون ولا في
ان يختم الله للعبد بما قضاه له وقدره عليه دليل على ان الطفل يولد حين يولد مومنا
او كافرا لما شهدت له العقول انه في ذلك الوقت ليس ممن يعقل ايمانا ولا كفرا
والحديث الذي جا فيه ان الناس خلقوا على طبقات ليس من الاحاديث التي لا مطعن
فيها لانه انفرد به علي ابن زيد بن جدعان وقد كان شعبه يتكلم فيه على انه يحتمل
قوله يولد مومنا اي يولد ليكون مومنا ويولد ليكون كافرا على سابق علم الله فيه
وليس في قوله في الحديث خلقت هولا للجنه وخلقت هولا للنار اكثر من مراعاه
ما يختم به لهم لا انهم في حين طفوليتهم ممن يستحق جنه او نارا او يعقل كفرا او ايمانا
قال الشيخ القرطبي رحمه الله والى ما اختاره ابو عمر واحتج له ذهب غير واحد
من المحققين ابن عطيه في تفسيره في معنى الفطره وشيخنا ابو العباس قال ابن
عطيه والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظه انها الخلقه والهيئه التي في نفس
الطفل التي هي معده ومهياه لان يميز بها مصنوعات الله ويستدل بها على ربه
ويعرف شرايعه ويومن به فكانه تعالى قال اقم وجهك للدين الذي هو الحنيف
وهو فطره الله الذي على الاعداد له فطر البشر لكن تعرضهم العوارض ومنه
قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطره فابواه يهودانه او ينصرانه
فذكر الابوين انما هو مثال للعوارض التي هي كثيره وقال شيخنا في عبارته
ان الله تعالى خلق قلوب بني ادم موهله لقبول الحق كما خلق اعينهم واسماعهم قابله
للمرئيات والمسموعات فما دامت باقيه على ذلك القبول وعلى تلك الاهليه ادركت
الحق ودين الاسلام هو الدين الحق وقد دل على صحه هذا المعنى قوله كما تنتج البهيمه
بهيمه جمعا هل تحسون فيها من جدعا يعني ان البهيمه تلد ولدها كامل الخلقه
سليما من الافات فلو ترك على اصل تلك الخلقه لبقي كاملا بريا من العيوب لكن
يتصرف فيه فيجدع انفه ويوسم وجهه فتطرا عليه الافات والنقايص فيخرج
عن الاصل وكذلك الانسان وهو تشبيه واقع ووجهه واضح قال
الشيخ القرطبي رحمه الله وهذا القول مع القول الاول موافق في المعنى وان

ذلك

ذلك بعد الادراك حين عقلوا امر الدنيا وتاكدت حجة الله عليهم بما نصب من الايات
الظاهرة من خلق السموات والارض والشمس والقمر والبر والبحر واختلاف الليل
والنهار فلما عملت اهواهم فيهم اتتهم الشياطين فدعتهم الى اليهوديه والنصرانيه فذهبت
باهوايهم يمينا وشمالا وانهم ان ماتوا صغارا فهم في الجنه اعني جميع الاطفال لان الله
تعالى لما اخرج ذريه ادم من صلبه في صوره الذر اقروا اله بالربوبيه وهو قوله تعالى
واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم
قالوا بلى شهدنا ثم اعادهم في صلب ادم بعد ان اقروا اله بالربوبيه وانه الله لا
اله غيره ثم يكتب العبد في بطن امه شقيا او سعيدا على الكتاب الاول فمن كان في
الكتاب الاول شقيا عمر حتى يجري عليه القلم فينقض الميثاق الذي اخذ عليه في
صلب ادم بالشرك ومن كان في الكتاب الاول سعيدا عمر حتى يجري عليه القلم فيصير
سعيدا ومن مات صغيرا من اولاد المسلمين قبل ان يجري عليه القلم فهو مع ابايهم
في الجنه ومن كان من اولاد المشركين فمات قبل ان يجري عليه القلم فليس يكونون
مع ابايهم لانهم ماتوا على الميثاق الاول الذي اخذ عليهم في صلب ادم ولم ينقض الميثاق
ذهب الى هذا جماعة من اهل التاويل وهو يجمع بين الاحاديث ويكون معنى قوله عليه
السلام لما سيل عن اولاد المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين يعني لو بلغوا ودل
على هذا التاويل ايضا حديث البخاري عن سمره ابن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم
الحديث الطويل حديث الرويا وفيه قوله عليه السلام واما الرجل الطويل الذي
في الروضه فابرهيم عليه السلام واما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطره
قال فقيل يا رسول الله واولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
واولاد المشركين وهذا نص يرفع الخلاف وهو اصح شي روي في هذا الباب
وغيره من الاحاديث فيها علل وليست من احاديث الايمه الفقها قاله ابو عمر بن
عبد البر وقد روي من حديث انس قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
اولاد المشركين فقال لم تكن لهم حسنات فيجزوا بها فيكونوا من ملوك الجنه
ولم تكن لهم سيات فيعاقبوا عليها فيكونوا من اهل النار فهم خدم لاهل الجنه
ذكره يحيى بن سلام في التفسير له وقد زدنا هذه المسله بيانا في كتاب التذكره

وذكرنا في كتاب المقتبس في شرح موطا مالك ابن انس ما ذكره ابو عمر من ذلك والحمد لله
وذكر اسحق ابن راهويه قال حدثنا يحيى بن ادم قال انا جرير ابن حازم عن ابي رجا
العطاردي قال سمعت ابن عباس يقول لا يزال امر هذه الامة مواتيا او متقاربا
او كلمة تشبه هاتين حتى يتكلموا او ينظروا في الاطفال والقدر قال يحيى بن ادم
فذكرته لابن المبارك فقال ايسكت الانسان على الجهل قلت فتامرنا بالكلام قال
فسكت وقال ابو بكر الوراق فطرة الله التي فطر الناس عليها هي الفقر والفاقة
وهذا حسن فانه منذ ولد الى حين يموت فقير محتاج نعم وفي الاخرة قوله
تعالى لا تبديل لخلق الله اي هذه الفطرة لا تبديل لها من جهة الخالق ولا يجي
الامر على خلاف هذا بوجه اي لا يشقى من خلقه سعيدا ولا يسعد من خلقه
شقيا وقال مجاهد المعنى لا تبديل لدين الله وقاله قتادة وابن جبير والضحاك
وابن زيد والنخعي قالوا هذا معناه في المعتقدات وقال عكرمة وروي عن ابن
عباس وعمر بن الخطاب ان المعنى لا تغيير لخلق الله من البهايم ان تخصى فحولها فيكون
معناه النهي عن خصا الفحول من الحيوان وقد مضى هذا في النسا ذلك الدين القيم
اي القضا المستقيم قاله ابن عباس وقال مقاتل ذلك الحساب البين وقيل ذلك
الدين القيم اي دين الاسلام هو الدين القيم المستقيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي
لا يتفكرون فيعلمون ان لهم خالقا معبودا والها قديما سبق قضاوه ونفذ حكمه
قوله تعالى منيبين اليه اختلف في معناه فقيل راجعين اليه بالتوبة
والاخلاص وقال يحيى بن سلام والفرا مقبلين اليه وقال عبد الرحمن ابن زيد تائبين
اليه من الذنوب ومنه قول قيس ابن الاسلت
فان تابوا فان بني سليم وقومهم هوازن قد انابوا
والمعنى واحد فان ناب وتاب واب معناه الرجوع وقال الماوردي وفي اصل الانابة قولان
احدهما ان اصله القطع ومنه اخذ اسم الناب لانه قاطع فكان الانابة هي
الانقطاع الى الله جل وعز بالطاعة الثاني اصله الرجوع ماخوذ من ناب ينوب
اذا رجع مرة بعد اخرى ومنه النوبة لانها الرجوع الى عادة الجوهري واناب
الى الله اقبل وتاب والنوبة واحدة النوب تقول جات نوبتك ونيابتك وهم

يتاوبون للتوبه فيما بينهم في الما وغيره وانتصب على الحال قال محمد بن يزيد لان معنى
اقم وجهك فاقيموا وجوهكم منيبين وقال الفرا المعنى فاقم وجهك ومن معك
منيبين وقيل انتصب على القطع اي فاقم وجهك انت وامتك المنيبين اليه لان الامر
له امر لامته فحسن ان يقول منيبين اليه وقد قال يايها النبي اذا طلقتم النسا واتقوه
اي خافوه وامتثلوا ما امركم به واقيموا الصلاه ولا تكونوا من المشركين بين ان العباده
لا تنفع الا مع الاخلاص فلذلك قال ولا تكونوا من المشركين وقد مضى هذا مبينا في النسا
والكهف وغيرهما من الذين فرقوا دينهم تاوله ابو هريره وعايشه وابو امامه انه
لاهل القبله من اهل الاهوا والبدع وقد مضى في الانعام بيانه وقال الربيع ابن
انس الذين فرقوا دينهم اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقاله قتاده ومعمر وقرا
حمزه والكساي فارقوا دينهم وقد قرا بذلك علي ابن ابي طالب اي فارقوا دينهم
الذي يجب اتباعه وهو التوحيد وكانوا شيعا اي فرقا قاله الكلبي وقيل اديانا
قاله مقاتل كل حزب بما لديهم فرحون اي مسرورون معجبون لانهم لم يتبينوا الحق
وعليهم ان يتبينوه وقيل كان هذا قبل ان تنزل الفرايض وقول ثالث ان العاصي لله
عز وجل قد يكون فرحا بمعصيته لذلك الشيطان وقطاع الطريق وغيرهم والله
اعلم وزعم الفرا انه يجوز ان يكون التمام ولا تكونوا من المشركين ويكون المعنى
من الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا على الاستيناف وانه يجوز ان يكون متصلا بما قبله
النحاس اذا كان متصلا بما قبله فهو عند البصريين على البدل باعاده الحرف كما قال
جل وعز وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن امن منهم ولو كان بلا حرف
لجاز قوله تعالى واذا مس الناس ضر اي قحط وشده دعوا ربهم
ان يرفع ذلك عنهم منيبين اليه قال ابن عباس مقبلين عليه بكل قلوبهم لا يشركون
ومعنى هذا الكلام التعجب عجب نبيه من المشركين في ترك الانابه الى الله تعالى مع
تتابع الحجج عليهم اي اذا مس هولا الكفار ضر من مرض وشده دعوا ربهم اي
استغاثوا به في كشف ما نزل بهم مقبلين عليه وحده دون الاصنام لعلمهم بانه
لا فرج عندها ثم اذا اذاقهم منه رحمه اي عافيه ونعمه اذا فريق منهم بربهم يشركون
به في العباده قوله تعالى ليكفروا بما اتيناهم قيل هي لام كي وقيل هي

اذا هم اي يشركون

لام امر فيه معنى التهديد كما قال جل وعز فمن شا فليومن ومن شا فليكفر فتمتعوا
فسوف تعلمون تهديد ووعيد وفي مصحف عبد الله وليتمتعوا اي مكناهم من ذلك
لكي يتمتعوا فهو اخبار عن غايب مثل ليكفروا وهو على خط المصحف خطاب بعد الاخبار
عن غايب اي تمتعوا ايها الغافلون لهذا قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا
فيه معنى التوقيف قال الضحاك سلطان اي كتاب وقاله قتادة والربيع ابن انس
واضاف الكلام الى الكتاب توسع وزعم الفرا ان العرب تونث السلطان تقول قضت
به عليك السلطان فاما البصريون فالتذكير عندهم افصح وبه جا القران والتانيث
عندهم جايز لانه بمعنى الحجه اي حجه تنطق بشرككم قاله ابن عباس والضحاك ايضا
وقال علي ابن سليمن عن ابي العباس محمد بن يزيد قال سلطان جمع سليط مثل
رغيف ورغفان فتذكيره على معنى الجمع وتانيثه على معنى الجماعه وقد مضى في ال
عمران الكلام في السلطان ايضا مستوفى والسلطان ما يدفع به الانسان عن نفسه
امرا يستوجب به عقوبه كما قال لاذبحنه اوليا تيني بسلطان مبين قوله
تعالى واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها يعني الخصب والسعه والعافيه قاله
يحيى بن سلام النقاش النعمه والمطر وقيل الامن والدعه والمعنى متقارب فرحوا
بها اي بالرحمه وان تصبهم سيئه اي بلا وعقوبه قاله مجاهد السدي قحط
المطر بما قدمت ايديهم اي بما عملوا من المعاصي اذا هم يقنطون اي ييا سون من
الرحمه والفرج قاله الجمهور وقال الحسن ان القنوط ترك فرايض الله سبحانه
في السر قنط يقنط وهي قراه العامه وقنط يقنط وهي قراه ابي عمرو والكساي ويعقوب
وقرا الاعمش قنط يقنط بالكسر فيهما مثل حسب يحسب والايه صفه للكافر يقنط
عند الشده ويبطر عند النعمه كما قيل

كحمار السوء ان اعلفته رمح الناس وان جاع نهق ؛؛ وكثير ممن لم يرسخ

الايمان في قلبه بهذه المثابه وقد مضى في غير موضع فاما المومن فيشكر ربه عند
النعمه ويرجوه عند الشده قوله تعالى اولم يروا ان الله يبسط الرزق
لمن يشا ويقدر اي يوسع الخير في الدنيا لمن يشا ويضيق فلا يجب ان يدعوهم الفقر
الى القنوط ان في ذلك لايات لقوم يومنون قوله تعالى فات ذا القربى

حقه فيه ثلث مسايل الاولى لما تقدم انه سبحانه يبسط الرزق ويقدر امر
من وسع عليه الرزق ان يوصل الى الفقير كفايته ليمتحن شكر الغني والخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد هو وامته لانه قال ذلك خير للذين وامر بايتا
ذي القربى لقرب رحمه وخير الصدقه ما كان على القريب وفيها صله الرحم وقد
فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقه على الاقارب على عتق الرقاب فقال
لميمونه وقد اعتقت وليده اما انك لو اعطيتها اخوالك كان اعظم لاجرك
الثانيه واختلف في هذه الايه فقيل هي منسوخه بايه المواريث وقيل لا
نسخ بل للقريب حق لازم في البر على كل حال وهو الصحيح قال مجاهد وقتاده
صله الرحم فرض من الله عز وجل حتى قال مجاهد لا تقبل صدقه من احد ورحمه
محتاجه وقيل المراد بالقربى اقربا النبي صلى الله عليه وسلم والاول اصح فان حقهم
مبين في كتاب الله جل وعز في قوله فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى وقيل
ان الامر بالايتا لذي القربى على جهه الندب قال الحسن حقه المواساه في اليسر
وقول ميسور في العسر هو المسكين قال ابن عباس اي اطعم السايل الطواف
وابن السبيل الضيف فجعل الضيافه فرضا وقد مضى جميع هذا مبسوطا مبينا
في مواضعه والحمد لله الثالثه ذلك خير للذين يريدون وجه الله اي اعطا
الحق افضل من الامساك اذا اريد بذلك وجه الله والتقرب اليه واولئك هم
المفلحون اي الفايزون بمطلوبهم من الثواب في الاخره وقد تقدم في البقره
القول فيه قوله تعالى وما اتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا
يربوا عند الله فيه اربع مسايل الاولى لما ذكر ما يراد به وجهه ويثيب عليه
ذكر غير ذلك من الصفه وما يراد به ايضا وجهه وقرا الجمهور آتيتم بالمد بمعنى
اعطيتم وقرا ابن كثير ومجاهد وحميد بغير مد بمعنى ما فعلتم من ربا كما تقول
اتيت صوابا واتيت خطا واجمعوا على المد في قوله وما اتيتم من زكاه والربا
الزياده وقد مضى في البقره معناه وهو هناك محرم وها هنا حلال وثبت بهذا
انه قسمان منه حلال ومنه حرام قال عكرمه في قوله تعالى وما اتيتم من
ربا ليربوا في اموال الناس قال الربا ربا ان فربا حلال وربا حرام فاما الربا الحلال

فهو الذي يهدى يلتمس ما هو افضل منه وعن الضحاك في هذه الايه هو الربا الحلال
الذي يهدى ليثاب افضل منه لا له ولا عليه ليس له فيه اجر وليس عليه فيه اثم
وكذلك قال ابن عباس قال وما اتيتم من ربا يريد هديه الرجل الشي يرجوا ان يثاب
افضل منه فذلك الذي لا يربوا عند الله ولا يوجر صاحبه ولكن لا اثم عليه وفي
هذا المعنى نزلت الايه قال ابن عباس وابن جبير وطاوس ومجاهد هذه ايه نزلت
في هبه الثواب قال ابن عطيه وما جرى مجراها مما يصنعه الانسان ليجازى
عليه كالسلام وغيره فهو وان كان لا اثم فيه فلا اجر فيه ولا زياده عند الله تعالى
وقال القاضي ابو بكر بن العربي وفي كتاب النساي عن عبد الرحمن ابن علقمه قال
قدم وفد ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم هديه وصدقه فان
كانت هديه فانما يبتغي بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضا الحاجه
وان كانت صدقه فانما يبتغي بها وجه الله قالوا لا بل هديه فقبلها منهم وقعد معهم
يسايلهم ويسايلونه وقال ابن عباس ايضا وابرهيم النخعي نزلت في قوم يعطون
قراباتهم واخوانهم على معنى نفعهم وتمويلهم والتفضل عليهم وليزيد في اموالهم على جهه
النفع لهم وقال الشعبي معنى الايه ان ما خدم الانسان به احدا وخف له لينتفع
به في دنياه فان ذلك النفع الذي يجزي به الخدمه لا يربوا عند الله وقيل هذا
كان حراما على النبي صلى الله عليه وسلم على الخصوص قال الله تعالى ولا تمنن تستكثر
فنهى ان يعطي شيا فياخذ اكثر منه عوضا وقيل انه الربا المحرم فمعنى لا يربوا
عند الله على هذا القول لا يحكم به لاخذه بل هو للماخوذ منه قال السدى نزلت
هذه الايه في ربا ثقيف لانهم كانوا يعملون بالربا ويعمله فيهم قريش الثانيه
قال القاضي ابو بكر بن العربي صريح الايه فيمن يهب يطلب الزياده من اموال
الناس في المكافاه قال المهلب اختلف العلما فيمن وهب هبه يطلب ثوابها
وقال انما اردت الثواب فقال مالك ينظر فيه فان كان مثله ممن يطلب الثواب من
الموهوب له فله ذلك مثل هبه الفقير للغني وهبه الخادم لصاحبه وهبه الرجل
لاميره ومن فوقه وهذا احد قولي الشافعي وقال ابو حنيفه لا يكون له ثواب
اذا لم يشترط وهو قول الشافعي الاخر قال والهبه للثواب باطل لا تنفعه

لانها بيع بثمن مجهول واحتج الكوفي بان موضوع الهبه التبرع فلو وجنا فيها العوض لبطل معنى التبرع وصارت في معنى المعاوضات والعرف قد فرقت بين لفظ البيع ولفظ الهبه فجعلت لفظ البيع على ما يستحق فيه العوض والهبه بخلاف ذلك ودليلنا ما رواه ملك في موطيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ايما رجل وهب هبة يرى انها للثواب فهو على هبته حتى يرضى منها ونحوه عن علي رضي الله عنه قال المواهب ثلاثة موهبة يراد بها وجه الله وموهبه يراد بها وجوه الناس وموهبه يراد بها الثواب فموهبه الثواب يرجع فيها صاحبها اذا لم يثب منها وترجم البخاري رحمه الله باب المكافاه في الهبه وساق حديث عايشه قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهديه ويثيب عليها واثاب على اللقحه ولم ينكر على صاحبها حين طلب الثواب وانما انكر سخطه للثواب وكان زايدا على القيمه الثالثه ما ذكره علي رضي الله عنه وفضله من الهبه صحيح وذلك ان الواهب لا يخلو في هبته من ثلثه احوال احدها ان يريد بها وجه الله تعالى ويبتغي عليها الثواب منه والثاني ان يريد بها وجوه الناس ريا ليحمدوه عليها ويثنوا عليه من اجلها والثالث ان يريد بها الثواب من الموهوب له وقد مضى الكلام فيه وقال صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات وانما لكل امري ما نوى فاما اذا اراد بهبته وجه الله تعالى وابتغى عليه الثواب من عنده فله ذلك عند الله بفضله ورحمته قال الله عز وجل وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون وكذلك من يصل قرابته ليكون غنيا حتى لا يكون كلا فالنيه في ذلك متبوعه فان كان ليتظاهر بدنيا فليس لوجه الله وان كان لما له عليه من حق القرابه وبينهما من شجنة الرحم فانه لوجه الله واما من اراد بهبته وجوه الناس ريا ليحمدوه عليها ويثنوا عليه من اجلها فلا منفعه له في هبته لا ثواب في الدنيا ولا اجر في الاخرى قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله ريا الناس الايه واما من اراد بهبته الثواب من الموهوب له فله ما اراد بهبته وله ان يرجع فيها ما لم يثب بقيمتها على مذهب ابن القاسم او ما لم يرض منها بازيد من قيمتها على ظاهر قول عمر وعلي وهو قول مطرف في الواضحه ان الهبه ما كانت قايمه العين وان زادت ونقصت

فللواهب الرجوع فيها وان اثابه الموهوب فيها اكثر منها وقد قيل انها اذا كانت
قايمه العين لم تتغير فانه ياخذ ما شا وقيل يلزمه القيمه كنكاح التفويض واما
اذا كانت بعد فوت الهبه فليس له الا القيمه اتفاقا قاله ابن العربي الرابعه
قوله تعالى ليربو قرا جمهور القرا ليربو بالياء واسناد الفعل الى الربا
وقرا نافع وحده بضم التا ساكنه على المخاطبه بمعنى تكونوا ذوي زيادات وهذه
قراه ابن عباس والحسن وقتاده والشعبي قال ابو حاتم هي قراتنا وقرا
ابو مالك ليربوها بضمير مونث فلا يربو عند الله اي لا يزكوا ولا يثيب عليه لانه
لا يقبل الا ما اريد به وجهه وكان خالصا له وقد تقدم في النسا وما اتيتم من
زكاه قال ابن عباس اي من صدقه تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون
اي ذلك الذي يقبله ويضاعف له عشره اضعافه او اكثر كما قال من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيره وقال ومثل الذين ينفقون اموالهم
ابتغا مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنه بربوه وقال فاولئك هم المضعفون
ولم يقل فانتم المضعفون لانه رجع من المخاطبه الى الغيبه مثل قوله حتى اذا
كنتم في الفلك وجرين بهم وفي معنى المضعفين قولان احدهما تضاعف لهم
الحسنات كما ذكرنا والاخر انهم قد اضعف لهم الخير والنعيم اي هم اصحاب
اضعاف كما يقال فلان مقو اذا كانت ابله قويه او له اصحاب اقويا ومسمن اذا
كانت ابله سمانا ومعطش اذا كانت ابله عطاش ومضعف اذا كانت ابله ضعيفه
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من الخبيث المخبث الشيطان الرجيم
فالمخبث الذي له اصحاب خبث ويقال فلان ردي او هو ردي في نفسه ومردي
اصحابه اردياء قوله تعالى الله الذي خلقكم ابتدا وخبر وعاد الكلام
الى الاحتجاج على المشركين وانه الخالق الرازق المميت المحيي وقال على جهه
الاستفهام هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شي لا يفعل ثم نزه نفسه عن
الانداد والاضداد والصاحبه والاولاد بقوله الحق سبحانه وتعالى عما يشركون
واضاف الشركا اليهم لانهم كانوا يسمونهم بالالهه والشركا ويجعلون لهم من
اموالهم قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر اختلف في معنى

فلان مقو اذا

الفساد والبر والبحر فقال قتادة والسدي الفساد الشرك وهو اعظم الفساد
وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد فساد البر قتل ابن ادم اخاه قابيل قتل هابيل
وفي البحر بالملك الذي كان ياخذ كل سفينة غصبا وقيل الفساد القحط وقلة النبات
وذهاب البركة ونحوه قال ابن عباس قال هو نقصان البركة باعمال العباد كي يتوبوا
النحاس وهو احسن ما قيل في الاية وعنه ايضا ان الفساد في البحر انقطاع
صيده بذنوب بني ادم وقال عطية فاذا قل المطر قل الغوص عنه واخفق الصيادون
وعميت دواب البحر وقال ابن عباس اذا امطرت السما تفتحت الاصداف في
البحر فما وقع فيها من السما فهو لولو وقيل الفساد كساد الاسعار وقلة المعاش
وقيل الفساد المعاصي وقطع السبيل والظلم اي صار هذا العمل مانعا من الزرع
والعمارات والتجارات والمعنى كله متقارب والبر والبحر هما المعروفان المشهوران
في اللغة وعند الناس لاما قاله بعض العباد ان البحر اللسان والبر القلب لظهور
ما على اللسان وخفا ما في القلب وقيل البر الفيافي والبحر القرى قاله عكرمة
والعرب تسمي الامصار البحار وقال قتادة البر اهل العمود والبحر اهل القرى
والريف وقال ابن عباس ان البر ما كان من المدن والقرى على غير نهر والبحر
ما كان على شط نهر وقاله قتادة ومجاهد وقال اما والله ما هو بحركم هذا ولكن
كل قرية على ما جار فهي بحر وقال معناه النحاس قال في معناه قولان احدهما
ظهر الجدب في البر اي في البوادي وقراها وفي البحر اي في مدن البحر مثل واسئل
القرية اي ظهر قلة الغيث وغلا السعر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم عقاب
بعض الذي عملوا ثم حذف والقول الاخر انه ظهرت المعاصي من قطع السبيل والظلم
فهذا هو الفساد على الحقيقة والاول مجاز الا انه على الجواب الثاني فيكون في
الكلام حذف واختصار دل عليه ما بعده ويكون المعنى ظهرت المعاصي في البر
والبحر فحبس الله عنهما الغيث واغلى سعرهم ليذيقهم عذاب بعض الذي عملوا
لعلهم يرجعون لعلهم يتوبون وقال بعض الذي عملوا لان معظم الجزا في الاخره
والقراة ليذيقهم باليا وقرا ابن عباس بالنون وهي قراه السلمي وابن محيصن
وقنبل ويعقوب على التعظيم اي نذيقهم عقوبة بعض ما عملوا قوله تعالى

قل سيروا في الارض اي قل لهم يا محمد سيروا في الارض ليعتبروا بمن قبلهم وينظروا كيف
كان عاقبة من كذب الرسل كان اكثرهم مشركين اي كافرين فاهلكوا قوله
تعالى فاقم وجهك للدين القيم قال الزجاج اي اقم قصدك واجعل
جهتك اتباع الدين القيم يعني الاسلام وقيل المعنى اوضح الحق وبالغ في الاعذار
واشتغل بما انت فيه ولا تحزن عليهم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله اي
لا يرده الله عنهم قال المبرد لم يهتبل لاحد دفعه ويجوز عند غير سيبويه لا مرد له
وذلك عند سيبويه بعيد الا ان يكون في الكلام عطف والمراد يوم القيمة يومئذ
يصدعون قال ابن عباس معناه يتفرقون وقال الشاعر
وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا اي لن يتفرقا
نظيره قوله يومئذ يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير والاصل يتصدعون
ويقال تصدع القوم اذا تفرقوا ومنه اشتق الصداع لانه يفرق شعب الراس
قوله تعالى من كفر فعليه كفره اي جزا كفره ومن عمل صالحا
فلانفسهم يمهدون اي يوطئون لانفسهم في الاخرة فراشا ومسكنا وقرارا
بالعمل الصالح ومنه مهد الصبي والمهاد الفراش وقد مهدت الفراش مهدا
بسطته ووطاته وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها وتمهيد العذر بسطه وقبوله
والتمهيد التمكن وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد فلانفسهم يمهدون قال في القبر
قوله تعالى ليجزي الذين امنوا اي يمهدون لانفسهم ليجزيهم الله من
فضله وقيل يصدعون ليجزيهم الله اي ليميز الكافر من المسلم انه لا يحب الكافرين
قوله تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات اي بالمطر لانها تتقدمه
وقد مضى في الحجر بيانه وليذيقكم من رحمته يعني الغيث والخصب ولتجري الفلك
اي في البحر عند هبوبها وانما زاد بامره لان الرياح قد تهب ولا تكون مواتية فلا
بد من ارسا السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فاغرقتها بامره ولتبتغوا
من فضله يعني الرزق بالتجارة ولعلكم تشكرون هذه النعم بالتوحيد والطاعة
وقد مضى هذا كله مبينا قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا
الى قومهم فجاوهم بالبينات اي المعجزات والحجج النيرات فانتقمنا اي فكفروا

اي ومن اعلام كمال قدرته ارسال الرياح مبشرات

فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المومنين جو حبركان ونصر المومنين اسمها
وكان ابو بكر يقف على حقا اي فكان عقابنا حقا ثم قال علينا نصر المومنين ابتدا وخبر
اي اخبرنا به ولا خلف في خبرنا وروي من حديث ابي الدردا قال سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله تعالى
ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا وكان حقا علينا نصر المومنين ذكره النحاس
والثعلبي والزمخشري وغيرهم قوله تعالى الله الذي يرسل الرياح
قرا ابن محيصن وابن كثير وحمزه والكساي الريح بالتوحيد الباقون بالجمع قال
ابو عمرو وكل ما كان بمعنى الرحمه فهو جمع وما كان بمعنى العذاب فهو موحد
وقد مضى في البقره معنى هذه الايه وفي غيرها كسفا جمع كسفه وهي القطعه
وفي قراه الحسن وابي جعفر وعبد الرحمن الاعرج وابن عامر كسفا باسكان
السين وهي ايضا جمع كسفه كما يقال سدره وسدر وعلى هذه القراه يكون المضمر
الذي بعده عايدا عليه اي فترى الودق اي المطر يخرج من خلال الكسف لان كل
جمع بينه وبين واحده الهاء لا غير فالتذكير فيه حسن ومن قرا كسفا فالمضمر
عنده عايد على السحاب وفي قراه الضحاك وابي العاليه وابن عباس فترى الودق
يخرج من خلله ويجوز ان يكون خلل جمع خلال فاذا اصاب به اي بالمطر من
يشا من عباده اذا هم يستبشرون يفرحون بنزول المطر عليهم وان كانوا من
قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين اي يايسين مكتيبين قد ظهر الحزن عليهم
لاحتباس المطر عنهم ومن قبله تكرير عند الاخفش معناه التاكيد واكثر النحويين
على هذا القول قال النحاس وقال قطرب ان قبل الاولى للانزال والثانيه
للمطر اي وان كانوا من قبل التنزيل من قبل المطر وقيل المعنى من قبل تنزيل
الغيث عليهم من قبل الزرع ودل على الزرع المطر اذ بسببه يكون ودل عليه
ايضا فراوه مصفرا على ما ياتي وقيل المعنى من قبل السحاب من قبل رويته
واختار هذا القول النحاس اي من قبل رويه السحاب لمبلسين لايسين
وقد تقدم ذكر السحاب قوله تعالى فانظر الى اثر رحمه الله يعني
المطر اي انظروا نظر استبصار واستدلال اي استدلوا بذلك على ان من

قدر عليه قادر علي احيا الموتى وقرا ابن عامر وحفص وحمزه والكسائي اثار بالجمع
والباقون بالتوحيد لانه مضاف الي مفرد والاثر فاعل يحيي ويجوز ان يكون
الفاعل اسم الله عز وجل ومن قرا اثار بالجمع فلان رحمه الله يجوز ان يراد
بها الكثره كما قال وان تعدوا نعمه الله لا تحصوها وقرا الجحدري وابو حيوه
وغيرهما كيف تحيي الارض بتا ذهبا بالتانيث الي لفظ الرحمه لان اثر الرحمه يقوم
مقامها فكانه هو الرحمه اي كيف تحيي الرحمه الارض والاثار ويحيي اي يحيي الله
جل وعز او المطر او الاثر فيمن قرا باليا وكيف يحيي الارض في موضع نصب
علي الحال علي الحمل علي المعنى لان اللفظ لفظ الاستفهام والحال خبر والتقدير
فانظر الي اثر رحمه الله محييه للارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو علي
كل شي قدير استدلال بالشاهد علي الغايب قوله تعالي ولين ارسلنا
ريحا فراوه مصفرا يعني الريح والريح يجوز تذكيره قال محمد بن يزيد لا يمتنع
تذكير كل مونث غير حقيقي نحو اعجبني الدار وشبهه وقيل فراوا السحاب
وقال ابن عباس الزرع وهو الاثر والمعنى فراوا الاثر مصفرا واصفرار الزرع
بعد اخضراره يدل علي يبسه وكذا السحاب يدل علي انه لا يمطر والريح علي انها
لا تلقح لظلوا من بعده يكفرون اي ليظلن وحسن وقوع الماضي في موضع
المستقبل لما في الكلام من معنى المجازاه والمجازاه لا تكون الا بالمستقبل قاله
الخليل وغيره قوله تعالي فانك لا تسمع الموتى اي وضحت الحجج
يا محمد لكنهم لالفهم تقليد الاسلاف في الكفر ماتت عقولهم وعميت بصايرهم
فلا يتهيا لك اسماعهم وهدايتهم وهذا رد علي القدريه ان تسمع الا من يومن
باياتنا اي لا تسمع مواعظ الله الا المومنين الذين يصغون الي ادله التوحيد
وخلقت لهم الهدايه وقد مضى هذا في النمل ووقع قوله بهاد العمي هنا بغير يا
قوله تعالي الله الذي خلقكم من ضعف ذكر استدلالا اخر علي قدرته
في نفس الانسان ليعتبر ومعنى من ضعف من نطفه ضعيفه وقيل من ضعف
اي في حال ضعف وهو ما كانوا عليه في الابتدا من الطفوليه والصغر ثم جعل
من بعد ضعف قوه يعني الشبيبه ثم جعل من بعد قوه ضعفا يعني الهرم وقرا

عوارف المعارف

عاصم وحمزة بفتح الضاد فيهن الباقون بالضم لغتان والضم لغة النبي صلى الله عليه
وسلم وقرأ الجحدري من ضَعف ثم جعل من بعد ضَعف بالفتح فيهما ضُعفا بالضم
خاصة أراد أن يجمع بين اللغتين قال الفراء الضم لغة قريش والفتح لغة تميم
الجوهري الضَّعف والضُّعف خلاف القوة وقيل الضَّعف بالفتح في الرأي
وبالضم في الجسد ومنه الحديث في الرجل الذي كان يخدع في البيوع أنه يبتاع وفي
عقدته ضعف وشيبة مصدر كالشيب والمصدر يصلح للجملة وكذلك القول في
الضعف والقوة يخلق ما يشاء يعني من قوة وضعف وهو العليم بتدبيره القدير
على إرادته وأجاز النحويون الكوفيون من ضَعَف بفتح العين وكذا كل ما كان فيه حرف
من حروف الحلق ثانيا وثالثا ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون أي يحلف المشركون
ما لبثوا غير ساعة ليس في هذا رد لعذاب القبر إذ كان قد صح عن النبي صلى الله
عليه وسلم من غير طريق أنه تعوذ منه وأمر أن يتعوذ منه فمن ذلك ما رواه عبد
الله بن مسعود قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة وهي تقول اللهم أمتعني
بزوجي رسول الله وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم
لقد سألت الله لآجال مضروبة وأرزاق مقسومة ولكن سليه أن يعيذك من عذاب
جهنم أو عذاب القبر في أحاديث مشهورة خرجها مسلم والبخاري وغيرهما وقد
ذكرنا منها جملة في كتاب التذكرة وفي معنى ما لبثوا غير ساعة قولان أحدهما
أنه لا بد من خمدة قبل يوم القيامة فعلى هذا قالوا ما لبثنا غير ساعة والقول
الآخر أنهم يعنون في الدنيا لزوالها وانقطاعها كما قال كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا
إلا عشية أو ضحاها كأن لم يلبثوا إلا ساعة من نهار وإن كانوا قد أقسموا على
غيب وعلى غير ما يدرون قال الله عز وجل كذلك كانوا يؤفكون أي كانوا يكذبون
في الدنيا يقال أفك الرجل إذا صرف عن الصدق والخير وأرض مأفوكة ممنوعة
من المطر وقد زعم جماعة من أهل النظر أن القيامة لا يجوز أن يكون فيها كذب
لما هم فيه والقرآن يدل على غير ذلك قال الله عز وجل كذلك كانوا يؤفكون
أي كما صرفوا عن الحق في قسمهم أنهم ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يصرفون
عن الحق في الدنيا وقال جل وعز يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون

لكم ويحسبون انهم على شي الا انهم هم الكاذبون وقال ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا
والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا قوله تعالى وقال الذين
اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث اختلف في الذين اوتوا
العلم فقيل الملائكة وقيل الانبيا وقيل علما الامم وقيل مومنوا هذه الامه وقيل
جميع المومنين اي يقول المومنون للكفار ردا عليهم لقد لبثتم في قبوركم الى يوم
البعث والفا في قوله فهذا يوم البعث جواب لشرط محذوف دل عليه الكلام مجازه
ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث وحكى يعقوب عن بعض القرا وهي قراه الحسن
الى يوم البعث بالتحريك وهذا مما فيه حرف من حروف الحلق وقيل معنى في كتاب
الله في علم الله وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي وقال الذين اوتوا العلم في كتاب
الله والايمان لقد لبثتم الى يوم البعث قاله مقاتل وقتاده القشيري وعلى هذا اوتوا
العلم بمعنى كتاب الله وقيل الذين حكم لهم في الكتاب بالعلم فهذا يوم البعث اي اليوم
الذي كنتم تنكرونه قوله تعالى فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم
اي لا ينفعهم العلم بالقيامه ولا الاعتذار يومئذ وقيل لما رد عليهم المومنون سالوا
الرجوع الى الدنيا واعتذروا فلم يعذروا ولا هم يستعتبون اي ولا حالهم حال من
يستعتب ويرجع يقال استعتبته فاعتبني اي استرضيته فارضاني وذلك اذا كنت
جانيا عليه وحقيقه اعتبته ازلت عتبه وسياتي في فصلت بيانه وقرا عاصم وحمزه
والكساي فيومئذ لا ينفع بالبا والباقون بالتا قوله تعالى ولقد ضربنا
للناس في هذا القران من كل مثل اي من كل مثل يدلهم على ما يحتاجون اليه وينبههم
على التوحيد وصدق الرسل ولئن جئتهم باية اي معجزه كفلق البحر والعصا وغيرهما
ليقولن الذين كفروا ان انتم يا معشر المومنين الا مبطلون اي تتبعون الباطل
والسحر كذلك اي كما طبع الله على قلوبهم حتى لا يفهموا الايات عن الله فكذلك
يطبع على قلوب الذين لا يعلمون ادله التوحيد فاصبر ان وعد الله حق اي اصبر
على اذاهم فان الله ينصرك ولا يستخفنك اي لا يستفزنك عن دينك الذين
لا يوقنون قيل هو النضر بن الحارث والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
امته يقال استخف فلان فلانا اي استجهله حتى حمله على اتباعه في الغي وهو في

موضع

موضع جمع بالنون كما النون لثقيله فبني على الفتح كما بنى الشيان اذا ضم احدهما الى الاخر الذين لا يوقنون في موضع رفع ومن العرب من يقول الذون في موضع الرفع وقد مضى في الفاتحه تمت السوره

تفسير سورة لقمان بعون الله تعالى وهي مكية غير آيتين قال قتادة اولهما ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الى اخر الآيتين وقال ابن عباس ثلث ايات اولهن ولو ان ما في الارض وهي اربع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم تلك آيات الكتاب الحكيم مضى الكلام في فواتح السور وتلك في موضع رفع على اضمار مبتدا اي هذه تلك ويقال تلك آيات الكتاب الحكيم بدل من تلك والكتاب القران والحكيم المحكم اي لا خلل فيه ولا تناقض وقيل ذو الحكمة وقيل الحاكم هدى ورحمة بالنصب على الحال مثل هذه ناقة الله لكم آية وهذه قراه المدنيين ابي عمرو وعاصم والكسائي وقرا حمزة هدى ورحمة بالرفع وهو من وجهين احدهما على اضمار مبتدا لانه اول آية والاخر ان يكون خبر تلك والمحسن الذي يعبد الله كانه يراه فان لم يكن يراه فانه يراه وقيل هم المحسنون في الدين وهو الاسلام قال الله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله الاية الذين يقيمون الصلاة في موضع الصفة ويجوز الرفع على القطع بمعنى هم الذين والنصب باضمار اعني وقد مضى الكلام في هذه الاية والتي بعدها في البقرة وغيرها قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث من في موضع رفع بالابتدا ولهو الحديث الغنا في قول ابن مسعود وابن عباس وغيرهما النحاس وهو ممنوع بالكتاب والسنة والتقدير من يشتري ذا لهو او ذات لهو مثل واسئل القرية او يكون التقدير لما كان انما اشتراها يشتريها وبالغ في ثمنها كانه اشتراها للهو قال الشيخ القرطبي رحمه الله هذه احدى الثلاث الايات التي استدل بها العلما على كراهة الغنا والمنع منه والآية الثانية قوله وانتم سامدون قال ابن عباس هو الغنا

بالحميرية اسمدي لنا اي غنّ لنا والآية الثالثة قوله تعالى واستفزز من استطعت
منهم بصوتك قال مجاهد الغنا والمزامير وقد مضى في سبحان الكلام فيه وروى
الترمذي عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات
ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام في مثل هذا
انزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله الى
اخر الآية قال ابو عيسى هذا حديث غريب انما يروى من حديث القاسم عن
ابي امامة والقاسم ثقة وعلي ابن يزيد يضعف في الحديث قاله محمد بن اسمعيل
قال ابن عطية وبهذا فسر ابن مسعود وابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد
وذكر ابو الفرج الجوزي عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة والنخعي قال
الشيخ القرطبي رحمه الله هذا اعلى ما قيل في هذه الآية وحلف على ذلك ابن
مسعود بالله الذي لا اله الا هو ثلث مرات انه الغنا روى سعيد بن جبير
عن ابي الصهبا البكري قال سئل عبد الله ابن مسعود عن قوله تعالى ومن الناس
من يشتري لهو الحديث فقال الغنا والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلث مرات
وعن ابن عمر هو الغنا وكذلك قال عكرمة وميمون ابن مهران ومكحول وروى
شعبة وسفين عن الحكم وحماد عن ابرهيم قال قال عبد الله بن مسعود الغنا ينبت
النفاق في القلب وقاله مجاهد وزاد ان لهو الحديث في الآية الاستماع الى
الغنا والى مثله من الباطل وقال الحسن لهو الحديث المعازف والغنا
وقال القاسم ابن محمد الغنا باطل والباطل في النار وقال ابن القاسم سالت
ملكا عنه فقال قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال افحق هو وترجم البخاري
باب ـــــ كل لهو باطل اذا شغل عن طاعة الله ومن قال لصاحبه تعال
اقامرك وقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل
الله ويتخذها هزوا فقوله اذا شغل عن طاعة الله ماخوذ من قوله تعالى
ليضل عن سبيل الله وعن الحسن ايضا هو الكفر والشرك وتاوله قوم على الاحاديث
التي يتلهى بها اهل الباطل واللعب وقيل نزلت في النضر ابن الحرث لانه
اشترى كتب الاعاجم رستم واسفنديار فكان يجلس بمكة فاذا قالت قريشا

ان محمدا قال قد اضحك منه وحدثهم باحاديث ملوك الفرس يقول احديثي هذا احسن
من حديث محمد حكاه الفرا والكلبي وغيرهما وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر
باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول
هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلاه والصيام وان تقاتل بين يديه وهذا القول
والاول ظاهر في الشرا وقالت طايفه الشرا في هذه الايه مستعار وانما نزلت الايه
في احاديث قريش وتلهيهم بامر الاسلام وخوضهم في الباطل قال ابن عطيه
فكان ترك ما يجب فعله وامتثال هذه المنكرات شرا لها على حد قوله تعالى اولئك
الذين اشتروا الضلاله بالهدى اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه
عليه وقال مطرف شرا لهو الحديث استحبابه قتاده ولعله لا ينفق فيه مالا
ولكن سماعه شراوه قال الشيخ القرطبي رحمه الله القول الاول اولى ما قيل به
في هذا الباب للحديث المرفوع فيه وقول الصحابه والتابعين وقد زاد الثعلبي
والواحدي في حديث ابي امامه وما من رجل يرفع صوته بالغنا الا بعث الله عليه
شيطانين احدهما على هذا المنكب والاخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان بارجلهما
حتى يكون هو الذي يسكت وروى الترمذي وغيره من حديث انس وغيره عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال صوتان ملعونان فاجران انهى عنهما صوت مزمار ورنه
شيطان عند نغمه ومرح ورنه عند مصيبه لطم خدود وشق جيوب وروى جعفر
ابن محمد عن ابيه عن جده عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعثت بكسر المزامير خرجه ابو طالب الغيلاني وخرج ابو بشران عن عكرمه
عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت بهدم المزامير والطبل وروى
الترمذي من حديث علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
فعلت امتي خمس عشره خصله حل بها البلا فذكر منها اذا اتخذت القيان والمعازف
وفي حديث ابي هريره وظهرت القيان والمعازف وروى ابن المبارك عن مالك
ابن انس عن محمد بن المنكدر عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من جلس الى قينه يسمع منها صب في اذنه الانك يوم القيمه وروى اسد بن موسى
عن عبد العزيز بن ابي سلمه عن محمد بن المنكدر قال بلغنا ان الله تعالى يقول يوم

القيمه اين عبادي الذين كانوا ينزهون انفسهم واسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان
احلوهم رياض المسك واخبروهم اني قد احللت عليهم رضواني وروى ابن وهب
عن ملك ابن محمد بن المنكدر مثله وزاد بعد قوله المسك ثم يقول للملايكه اسمعوهم
حمدي وشكري وثناي واخبروهم الاخوف عليهم ولاهم يحزنون وقد روى
مرفوعا هذا المعنى من حديث ابي موسى الاشعري انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من استمع الى صوت غنا لم يوذن له ان يسمع الروحانيين فقيل ومن
الروحانيون يا رسول الله قال قرا اهل الجنه خرجه الترمذي الحكيم ابو عبد الله
في نوادر الاصول وقد ذكرناه في كتاب التذكره مع نظايره فيمن شرب الخمر في الدنيا
لم يشربها في الاخره ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخره الى غير ذلك وكل
ذلك صحيح المعنى على ما بيناه هناك ومن روايه مكحول عن عايشه قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مات وعنده جاريه مغنيه فلا تصلوا عليه ولهذه
الاثار وغيرها قال العلما بتحريم الغنا وهي المسله الثانيه وهو الغنا
المعتاد عند المشتهرين به الذي يحرك النفوس ويبعثها على الهوا والغزل والمجون
الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن فهذا النوع اذا كان في شعر يشبب فيه
بذكر النسا ووصف محاسنهن وذكر الخمور والمحرمات لا يختلف في تحريمه لانه
اللهو والغنا المذموم بالاتفاق فاما ما سلم من ذلك فيجوز القليل منه في اوقات
الفرح كالعرس والعيد وعند التنشيط على الاعمال الشاقه كما كان في حفر الخندق
وحدو انجشه وسلمه ابن الاكوع فاما ما ابتدعته الصوفيه اليوم من الادمان على
سماع المغاني بالالات المطربه من الشبابات والطار والمعازف والاوتار فحرام
فاما طبل الحرب فلا حرج فيه لانه يقيم النفوس ويرهب العدو وفي اليراعه
تردد والدف مباح قال القشيري ضرب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يوم دخل
المدينه فهم ابو بكر بالزجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهن يا ابا بكر
حتى تعلم اليهود ان ديننا فسيح فكن يضربن ويقلن نحن بنات النجار حبذا محمد من جار
وقد قيل ان الطبل في النكاح كالدف وكذلك الالات المشهره للنكاح يجوز
استعمالها فيه بما يحسن من الكلام ولم يكن فيه رفث الا انه الاشتغال

الى الراعي القصب وربما سموا [illegible]

بالفلاح

بالغنا على الدوام سفه ترد به الشهادة فان لم يدم لم ترد وذكر اسحق ابن عيسى الطباع
قال سالت مالك ابن انس عن ما يرخص فيه اهل المدينه من الغنا فقال انما يفعله عندنا
الفساق وذكر ابو الطيب طاهر ابن عبد الله الطبري قال اما مالك ابن انس فانه نهى
عن الغناء وعن استماعه وقال اذا اشترى جاريه ووجدها مغنيه كان له ردها بالعيب
وهو مذهب ساير اهل المدينه الا ابرهيم ابن سعد فانه حكى عنه زكريا الساجي انه
كان لا يرى به باسا وقال ابن خواز منداد فاما مالك فيقال عنه انه كان عالما بالصناعه
وكان مذهبه تحريمها وروي عنه انه قال تعلمت هذه الصناعه وانا غلام شاب فقالت
لي امي اي بني ان هذه الصناعه يصلح لها من كان صبيح الوجه ولست كذلك فاطلب
العلوم الدينيه فصحبت ربيعه فجعل الله في ذلك خيرا قال ابو الطيب الطبري
واما مذهب ابي حنيفه فانه يكره الغنا مع اباحته شرب النبيذ ويجعل سماع الغنا من
الذنوب وكذلك مذهب ساير اهل الكوفه ابرهيم والشعبي وحماد والثوري وغيرهم
لا اختلاف بينهم في ذلك وكذلك لا يعرف بين اهل البصره خلاف في كراهته ذلك والمنع
منه الا ما روي عن عبيد الله ابن الحسن العنبري انه كان لا يرى به باسا قال واما
مذهب الشافعي فقال الغنا مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد
شهادته وذكر ابو الفرج الجوزي عن امامه احمد بن حنبل ثلث روايات قال وقد
ذكر اصحابنا عن ابي بكر الخلال وصاحبه عبد العزيز اباحة الغنا وانما اشاروا
الى ما كان في زمانهما من القصايد الزهديات قال وعلى هذا يحمل لم يكرهه احمد ويدل
عليه انه سيل عن رجل مات وخلف ولدا وجاريه مغنيه فاحتاج الصبي الى بيعها
فقال تباع على انها ساذجه لا على انها مغنيه فقيل له انها تساوي ثلاثين الفا ولعلها
اذا بيعت ساذجه تساوي عشرين الفا فقال لا تباع الا على انها ساذجه قال
ابو الفرج وانما قال احمد هذا لان هذه الجاريه المغنيه لا تغني بقصايد الزهد بل
بالاشعار المطربه المثيره الى العشق وهذا دليل على ان الغنا محظورا اذ لو
لم يكن محظورا ما جاز تفويت المال على اليتيم وصار هذا كقول ابي طلحه للنبي
صلى الله عليه وسلم عندي خمر لايتام فقال اريقها فلو جاز استصلاحها لما امر
بتضييع مال اليتامى قال الطبري فقد اجمع علما الامصار على كراهه الغنا

والمنع منه وانما فارق الجماعه ابرهيم ابن سعد وعبد الله العنبري وقد قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواد الاعظم ومن فارق الجماعه مات ميته جاهلية قال ابو الفرج وقال القفال من اصحابنا لا تقبل شهادة المغني والرقاص قال الشيخ القرطبي رحمه الله واذ قد ثبت ان هذا لا يجوز فاخذ الاجره عليه لا يجوز وقد ادعى ابو عمر بن عبد البر الاجماع على تحريم الاجره على ذلك وقد مضى في الانعام عند قوله وعنده مفاتح الغيب وحسبك الرابعه قال القاضي ابو بكر ابن العربي واما سماع القينات فيجوز للرجل ان يسمع غنا جاريته اذ ليس شي منها عليه حرام لا من ظاهرها ولا من باطنها فكيف يمنع من التلذذ بصوتها اما انه لا يجوز انكشاف النسا للرجال ولا هتك الاستار ولا سماع الرفث فاذا اخرج ذلك الى ما لا يحل ولا يجوز منع من اوله واجتث من اصله وقال ابو الطيب الطبري واما سماع الغنا من المراه التي ليست بمحرم فان اصحاب الشافعي قالوا لا يجوز سوا كانت حره او مملوكه قال وقال الشافعي وصاحب الجاريه اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته ثم غلظ القول فيه فقال وهي دياثه وانما جعل صاحبها سفيها لانه دعى الناس الى الباطل ومن دعى الناس الى الباطل كان سفيها الخامسه قوله تعالى ليضل عن سبيل الله قراه العامه بضم اليا اي ليضل غيره عن طريق الهدى واذا اضل غيره فقد ضل وقرا ابن كثير وابن محيصن وحميد وابو عمرو ورويس وابن ابي اسحق بفتح اليا على اللازم اي ليضل هو نفسه ويتخذها هزوا قراه المدنيين وابي عمرو وعاصم بالرفع عطفا على من يشتري ويجوز ان يكون مستانفا وقراه الاعمش وحمزه والكساي ويتخذها بالنصب عطفا على ليضل ومن الوجهين جميعا لا يحسن الوقف على قوله بغير علم والوقف على قوله هزوا والها في يتخذها كنايه عن الايات ويجوز ان تكون كنايه عن السبيل لان السبيل يونث ويذكر اولئك لهم عذاب مهين اي شديد يهينهم قال الشاعر

ولقد جزعت الى النصارى بعدما لقي الصليب من العذاب مهينا

قوله تعالى واذا تتلى عليه اياتنا يعني القران وفي اي اعرض مستكبرا نصب على

الحال كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا ثقلا وصمما وقد تقدم فبشره بعذاب اليم
تقدم ايضا قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم
لما ذكر عذاب الكفار ذكر نعيم المومنين خالدين فيها اي دايمين وعد الله حقا
اي وعدهم الله هذا وعدا حقا لا خلف فيه وهو العزيز الحكيم تقدم ايضا
قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها تكون ترونها في موضع خفض
على النعت لعمد فيمكن ان يكون ثم عمد ولكن لا ترى ويجوز ان تكون في موضع نصب على
الحال من السموات ولا عمد ثم البته النحاس وسمعت على بن سليمن يقول الاولى ان
يكون مستانفا ولا عموم فالمعنى ويكون بغير عمد التمام وقد مضى في الرعد الكلام
في هذه الايه والقى في الارض رواسي اي جبالا ثوابت ان تميد في موضع نصب
اي كراهيه ان تميد والكوفيون يقدرونه بمعنى لئلا تميد وبث فيها من كل دابه
وانزلنا من السما ما فانبتنا فيها من كل زوج كريم عن ابن عباس من كل لون حسن
وتاوله الشعبي على الناس لانهم مخلوقون من الارض قال من كان منهم يصير الى الجنه
فهو الكريم ومن كان منهم يصير الى النار فهو اللييم وقد تاول غيره ان النطفه مخلوقه
من تراب بظاهر القران يدل على هذا ذلك قوله تعالى هذا خلق الله
مبتدا وخبر والخلق بمعنى المخلوق اي هذا الذي ذكرته مما تعاينون خلق الله اي
مخلوق الله اي خلقها من غير شريك فاروني معاشر المشركين ماذا خلق الذين
من دونه يعني الاصنام بل الظالمون اي المشركون في ضلال مبين اي خسران ظاهر
وما استفهام في موضع رفع بالابتدا وخبره ذا وذا بمعنى الذي وخلق واقع على هاء
محذوفه تقديره فاروني اي شي خلق الذين من دونه والجمله في موضع نصب باروني
وتضمر الهاء مع خلق تعود على الذي اي فاروني الاشيا التي خلقها الذين من دونه
وعلى هذا القول تقول ماذا تعلمت انحوام شعر ويجوز ان يكون ما في موضع نصب
باروني وذا زايد وعلى هذا تقول ماذا تعلمت انحوام شعرا قوله
تعالى ولقد اتينا لقمن الحكمه مفعولان ولم ينصرف لقمن لان في اخره الفا ونونا
زايدتين فاشبه فعلان الذي انثاه فعلى فلم ينصرف في المعرفه لان ذلك ثقل
ثان وانصرف في النكره لان احد الثقلين قد زال قاله النحاس وهو لقمن ابن

باعور بن ناحور بن تارح وهو آزر ابو ابراهيم كذا نسبه محمد بن اسحق وقيل هو لقمن
بن عنقا ابن سرون وكان نوبيا من اهل ايلة ذكره السهيلي قال وهب كان ابن
اخت ايوب وقال مقاتل ذكر انه كان ابن خالة ايوب الزمخشري وهو لقمن ابن
باعورا من اخت ايوب وابن خالته وقيل كان من اولاد آزر عاش الف سنة وادرك
داود عليه السلام واخذ عنه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع
الفتوى فقيل له فقال الا اكتفي اذا كفيت وقال الواقدي كان قاضيا في بني
اسرايل وقال سعيد بن المسيب كان لقمن اسود من سودان مصر ذو مشافر
اعطاه الله تعالى الحكمة ومنعه النبوة وعلى هذا جمهور اهل التاويل انه كان وليا ولم
يكن نبيا وقال بنبوته عكرمة والشعبي وعلى هذا يكون الحكمة النبوة والصواب
انه كان رجلا حكيما بحكمة الله تعالى وهي الصواب في المعتقدات والفقه في الدين
والعقل قاضيا في بني اسرايل اسود مشقق الرجلين ذا مشافر اي عظيم الشفتين
قاله ابن عباس وغيره وروي من حديث ابن عمر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لم يكن لقمن نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين احب الله فاحبه فمن
عليه بالحكمة وخيره في ان يجعله خليفة يحكم بالحق فقال رب ان خيرتني قبلت العافية
وتركت البلا وان عزمت علي فسمعا وطاعة فانك ستعصمني ذكره ابن عطية وزاد
الثعلبي فقالت له الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمن قال لان الحاكم باشد المنازل
واكدرها يغشاه المظلوم من كل مكان ان يعن فبالحري ان ينجو وان اخطا اخطا
طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون فيها شريفا ومن يختر
الدنيا على الاخرة تفته الدنيا ولا يصيب الاخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه
فنام نومة فاعطي الحكمة فانتبه يتكلم بها ثم نودي داود بعده فقبلها يعني الخلافة
فلم يشترط ما اشترط لقمن فهوى في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه
وكان لقمان يوازره بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمن لقد اعطيت الحكمة
وصرف عنك البلا واعطي داود الخلافة وابتلي بالبلا والفتنة وقال قتادة
خير الله تعالى لقمن بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة فاتاه جبريل عليه
السلام وهو نايم فذر عليه الحكمة فاصبح وهو ينطق بها فقيل له كيف اخترت

الحكمه على النبوه وقد خيرك ربك فقال انه لو ارسل الي بالنبوه عزمة لرجوت فيها العون منه ولكنه خيرني فخفت عن اضعف عن النبوه فكانت الحكمه احب الي واختلف في صنعته فقيل كان خياطا قاله سعيد بن المسيب وكان لرجل اسود لا خرين من اسود فانه كان من خير الناس ثلثه من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمن وقيل كان يحتطب كل يوم لمولاه حزمه حطب وقال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت تراني اسود فقلبي ابيض وقيل كان راعيا فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال الست عبد بني فلان قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال قدر الله واداي الامانه وصدق الحديث وترك ما لا يعنيني قاله عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر وقال خالد الربعي كان نجارا فقال له سيده اذبح لي شاه وائتني باطيبها مضغتين فاتاه باللسان والقلب فقال له ما كان فيها شي اطيب من هذين فسكت ثم امره ان يذبح شاه اخرى ثم قال له الق اخبثها مضغتين فالقى اللسان والقلب فقال له امرتك ان تاتيني باطيب مضغتين فاتيتني باللسان والقلب وامرتك ان تلقي اخبثها فالقيت اللسان والقلب فقال له ليس شي اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا قال الشيخ القرطبي رحمه الله هذا معناه مرفوع في غير ما حديث من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الا وان في الجسد مضغه اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب وجا في اللسان اثار كثيره صحيحه وشهيره منها قوله عليه السلام من وقاه الله شر اثنتين ولج الجنه ما بين لحييه ورجليه الحديث وحكم لقمن كثيره مانوره هذا منها وقيل له اي الناس اشر قال الذي لا يبالي ان راه الناس مسيا قال المصنف وهذا ايضا مرفوع معنى قال صلى الله عليه وسلم كل امتي معافا الا المجاهرون وان من الجهار ان يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول يا فلان عملت البارحه كذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه رواه ابو هريره خرجه البخاري وقال وهب ابن منبه قرات من حكمة لقمن ارجح من عشره الاف باب وروي انه دخل على داود وهو يسرد الدروع وقد لين الله له الحديد كالطين فاراد ان يساله فادركته الحكمه فسكت

فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له
داود بحق ما سميت حكيما قوله تعالى ان اشكر لله فيه تقديران
احدهما ان يكون ان بمعنى اي مفسرة اي قلنا له اشكر والقول الاخر انها في موضع
نصب والفعل داخل في صلتها كما حكى سيبويه كتبت اليه ان قم الا ان هذا الوجه
عنده بعيد وقال الزجاج المعنى ولقد اتينا لقمن الحكمة لان يشكر الله تعالى
وقيل اي بان اشكر لله فشكر وكان حكيما بشكره لنا والشكر لله طاعته فيما امر به
وقد مضى القول في حقيقته لغة ومعنى في البقرة وغيرها ومن يشكر فانما يشكر
لنفسه اي من يطع الله فانما يعمل لنفسه لان نفع الثواب عايدا اليه ومن كفر
اي كفر النعم فلم يوحد الله فان الله لغني عن عباده خلقه حميد عند الخلق اي محمود
وقال يحيى بن سلام غني عن خلقه حميد في فعله قوله تعالى واذ
قال لقمن لابنه وهو يعظه قال السهيلي اسم ابنه ثاران في قول الطبري والقتبي
وقال الكلبي مشكم وقيل انعم حكاه النقاش وذكر القشيري ان ابنه وامراته
كانا كافرين فما زال يعظهما حتى اسلما قال الشيخ القرطبي رحمه الله ودل
على هذا قوله لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وفي صحيح مسلم وغيره عن
عبد الله قال لما نزلت الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك
لظلم عظيم واختلف في قوله ان الشرك لظلم عظيم فقيل انه من كلام لقمن
وقيل هو خبر من الله منقطعا من كلام لقمن متصلا به في تاكيد المعنى ويويد
هذا الحديث الماثور انه لما نزلت الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اشفق اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اينا لم يظلم فانزل الله تعالى ان الشرك
لظلم عظيم فسكن اشفاقهم وانما يسكن اشفاقهم بان يكون خبرا من الله تعالى
وقد يسكن الاشفاق بان يذكر الله ذلك عن عبد قد وصفه بالحكمة والسداد
واذ في موضع نصب بمعنى اذكر وقال الزجاج في كتابه في القران ان اذ
في موضع نصب باتينا والمعنى ولقد اتينا لقمن الحكمة اذ قال النحاس واحسبه

غلطا لان في الكلام واوا امنع من ذلك وقال يابني بكسر اليا لانها دالة على اليا
المحذوفة ومن فتحها فلخفة الفتحة عنده وقد مضى في يوسف القول في هذا
وقوله يابني ليس هو على حقيقة التصغير وان كان على لفظه وانما هو على وجه
الترقيق كما يقال للرجل يا اخي وللصبي هو كويس قوله تعالى
ووصينا الانسان بوالديه حسنا الى قوله تعملون فيه ثمان مسايل الاولى
قوله ووصينا هذه الايتان اعتراض بين اثنا وصية لقمن وقيل ان هذا مما اوصى
به لقمن ابنه اخبر الله به عنه اي قال لقمن لابنه لا تشرك بالله ولا تطع في
الشرك والديك فان الله وصى بهما في طاعتهما مما لا يكون شركا ومعصية لله تعالى
وقيل اي واذ قال لقمن لابنه فقلنا للقمان فيما اتيناه من الحكمة ووصينا الانسا
بوالديه اي قلنا له اشكر لله وقلنا له ووصينا الانسان وقيل واذ قال لقمن
لابنه لا تشرك ونحن وصينا الانسان بوالديه حسنا وامرنا الناس بهذا وامر
لقمن به ابنه ذكر هذه الاقوال القشيري والصحيح ان هاتين الايتين نزلتا في شان
سعد بن ابي وقاص كما تقدم في العنكبوت وعليه جماعة المفسرين وجملة هذا
الباب ان طاعة الابوين لا تراعى في ركوب كبيرة ولا في ترك فريضة على الاعيان
وتلزم طاعتهما في المباحات ويستحسن في ترك الطاعات الندب ومنه امر الجهاد
الكفاية والاجابة للام في الصلاة مع امكان الاعادة على ان هذا اقوى من الندب لكن
يعلل بخوف هلكة عليها ونحوه مما يبيح قطع الصلاة فلا يكون اقوى من الندب وخالف
الحسن في هذا الفصل فقال ان منعته امه من شهود العشا شفقة فلا يطعها
الثانية لما خص تعالى الام بدرجة ذكر الحمل وبدرجة ذكر الرضاع حصل
لها بذلك ثلث مراتب وللاب واحدة واشبه ذلك قوله صلى الله عليه وسلم حين
قال له رجل من ابر قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من
قال ابوك فجعل له الربع من المبرة كالاية وقد مضى هذا كله في سبحن الثالثة
قوله تعالى وهنا على وهن اي حملته في بطنها وهي تزداد كل يوم ضعفا
على ضعف وقيل المراة ضعيفة الخلقة ثم يضعفها الحمل وقرا عيسى الثقفي
وهنا على وهن بفتح الهاء فيهما ورويت عن ابي عمرو وهما بمعنى واحد قال

قعنب ابن ابي صاحبة: هل للعواذل من ناه فيزجرها ان العواذل فيها الاين والوهن
يقال وهن يهن ووهن يوهن ووهن يهن مثل ورم يرم وانتصب وهنا
على المصدر ذكره القشيري النحاس على المفعول الثاني باسقاط حرف الجر اي
حملته بضعف على ضعف وقرا الجمهور وفصاله وقرا الحسن ويعقوب وفصله
وهما لغتان اي وفصاله في انقضا عامين والمقصود من الفصال الفطام فعبر بغايته
ونهايته ويقال انفصل عن كذا اي تميز وبه سمي الفصيل الرابعة الناس
مجمعون على العامين في مدة الرضاع في باب الاحكام والنفقات واما في تحريم
اللبن فحددت فرقة بالعام لا زيادة ولا نقص وقالت فرقة العامان وما اتصل
بهما من الشهر ونحوه اذا كان متصل الرضاع وقالت فرقة ان فطم الصبي قبل
العامين وترك اللبن فاما ما شرب بعد ذلك في الحولين لا يحرم وقد مضى
هذا في البقرة مستوفى الخامسة قوله تعالى ان اشكر لي ان في موضع
نصب في قول الزجاج وان المعنى ووصينا الانسان بوالديه ان اشكر لي النحاس
واجود منه ان يكون ان مفسرة والمعنى قلنا له ان اشكر لي ولوالديك قيل
الشكر لله على نعمة الايمان وللوالدين على نعمة التربية وقال سفين ابن عيينة من
صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى ومن دعا لوالديه في ادبار الصلوات
فقد شكرهما السادسة قوله تعالى وان جاهداك الاية قد بينا ان
هذه الاية والتي قبلها نزلتا في شان سعد بن ابي وقاص لما اسلم وان امه وهي حمنة
بنت ابي سفين ابن امية حلفت ان لا تاكل كما تقدم في الاية قبلها السابعة
قوله تعالى وصاحبهما في الدنيا معروفا نعت لمصدر محذوف اي مصاحبا
معروفا يقال صاحبته مصاحبة ومصاحبا ومعروفا اي ما يحسن والاية
دليل على صلة الابوين الكافرين بما امكن من المال ان كانا فقيرين والانة
القول والدعا الى الاسلام برفق وقد قالت اسما بنت ابي بكر الصديق للنبي
صلى الله عليه وسلم وقد قدمت عليها خالتها وقيل امها من الرضاعة فقالت
يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي راغبة افاصلها قال نعم وراغبة قيل
معناه عن الاسلام قال ابن عطية والظاهر عندي انها راغبة في الصلة

وماكانت لتقدم على اسما لو لا حاجتها وو الده اسما وهي قتيله بنت عبد العزى ابن
عبد اسعد ولم عايشه وعبد الرحمن هو لم رومان قديمه الاسلام الثامنه
قوله تعالى واتبع سبيل من اناب الي وصيه لجميع العالم كان المامور
الانسان واناب معنا امال ورجع الى الشي وهذه سبيل الانبيا والصالحين
وحكى النقاش ان المامور سعد والذي اناب ابو بكر وقال ان ابا بكر لما اسلم
اتاه سعد وعبد الرحمن ابن عوف وعثمان وطلحه وسعيد والزبير فقالوا امنت
قال نعم فنزلت فيه امن هو قانت انا الليل فلما سمعها السته امنوا فانزل الله فيهم
والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها الى قوله اوليك الذين هداهم الله وقال
الذي اناب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس ولما اسلم سعد اسلم معه
اخواه عامر وعويمر فلم يبق منهم مشرك الا عتبه ثم توعد عز وجل بالبعث
من في القبور والرجوع اليه للجزا والتوقيف على صغير الاعمال وكبيرها قوله
تعالى يا بني انها ان تك مثقال حبه من خردل الايه المعنى وقال لقمن
لابنه يا بني وهذا القول من لقمان انما قصد به اعلامه انه بقدر قدره الله تعالى
وهذه الغايه التي امكنه ان يفهمه لان الخردله يقال ان الحس لا يدرك لها ثقلا اذ
لا ترجح ميزانا او لو كان للانسان رزق مثقال حبه خردل في هذه المواضع جا الله
بها حتى يسوقها الى من هي رزقه اي لا تهتم للرزق حتى تشتغل به عن ادا الفرايض
وعن اتباع سبيل من اناب الي قال الشيخ القرطبي رحمه الله ومن هذا المعنى قول
النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن مسعود ولا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق ياتك
وقد نطقت هذه الايه بان الله تعالى قد احاط بكل شي علما واحصى كل شي عددا سبحانه
لا شريك له وروي ان ابن لقمن سال اباه عن الحبه تقع في سفل البحر ايعلمها الله
فراجعه لقمان بهذه الايه وقيل المعنى انه اراد الاعمال المعاصي والطاعات
اي ان تك الحسنه او الخطيه مثقال حبه يات بها الله اي لا تفوت الانسان المقدر
وقوعها منه وبهذا المعنى تحصل في الموعظه ترجيه وتخويف مضاف الى تبيين
قدره الله تعالى وفي القول الاول ليس فيه ترجيه ولا تخويف قوله
تعالى مثقال حبه عباره تصلح للجواهر اي قدر حبه خردل وتصلح للاعمال اي ما

يزيد على جهد المماثله قدر حبته ومما يويد قول من قال هي من الجواهر هي قراه
عبد الكريم الجزري فتكن بكسر الكاف وشد النون من الكن الذي هو الشي المغطي
وقرا جمهور القرا ان تك بالتا من فوق مثقال بالنصب على خبر كان واسمها مضمر
تقديره مسلتك على ما روي او المعصيه والطاعه على القول الثاني ويدل على صحته
قول ابن لقمان لابيه يا ابت ان عملت الخطيه حيث لا يراني احد كيف تعلمها الله تعالى
فقال لقمن له يا بني انها ان تك مثقال حبه من خردل فتكن في صخره الايه فما زال ابنه
يضطرب حتى مات قاله مقاتل والضمير في انها ضمير القصة لقولك انها هند قايمه اي
القصه انها ان تك مثقال حبه والبصريون يجيزون انها زيد ضربته بمعنى ان القصه
والكوفيون لا يجيزون هذا الا في المونث كما ذكرنا وقرا نافع مثقال بالرفع وعلى
هذا تك يرجع الى معنى خردله اي ان تك حبة من خردل وقيل اسند الى المثقال
فعلا فيه علامه التانيث من حيث انضاف الى مونث هو منه لان مثقال الحبه من
الخردل دل اما سيه او حسنه كما قال فله عشر امثالها فانث وان كان الفعل
مذكر لانه اراد الحسنات وهذا كقول الشاعر

مشين كما اهتزت رماح تسفهت اعاليها مر الرياح النواسم ؛؛ وتك

هاهنا بمعنى تقع فلا تقتضي خبرا قوله تعالى فتكن في صخره قيل معنى
الكلام المبالغه والانتها في التفهيم اي ان قدرته تعالى تنال ما يكون في تضاعيف
صخره وما يكون في السما والارض وقال ابن عباس الصخره تحت الارضين السبع
وعليها الارض وقيل هي الصخره على ظهر الحوت وقال السدي هي صخره ليست
في السموات والارض بل هي ورا سبع ارضين عليها ملك قايم لانه قال او في السموات
او في الارض وفيها غنيه عن قوله فتكن في صخره وهذا الذي قاله ممكن ويمكن
ان يقال قوله فتكن في صخره تاكيد لقوله اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان
من علق وقوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا قوله تعالى يا بني اقم
الصلاه فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى يا بني اقم الصلاه وصى ابنه
بعظم الطاعات وهي الصلاه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو انما يريد
به بعد ان يمتثل ذلك هو في نفسه ويزدجر عن المنكر وهنا هي الطاعات

والفضايل اجمع ولقد احسن من قال

وابدا بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حكيم :: في ابيات تقدم
في البقره ذكرتها الثانيه قوله تعالى واصبر على ما اصابك يقتضي
حضا على تغيير المنكر وازالة الضرر فهو اشعار بان المغير يودي احيانا وهذا القدر
على جهة الندب والقوه في ذات الله واما على اللزوم فلا وقد مضى الكلام في
هذا مستوفى في ال عمران والمايده وقيل امره بالصبر على شدايد الدنيا كالامراض
وغيرها وان لا يخرج من الجزع الى معصيه الله جل وعز وهذا قول حسن لانه
يعم قوله تعالى ان ذلك لمن عزم الامور قال ابن عباس من حقيقه
الايمان الصبر على المكاره وقيل اي اقامه الصلاه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
من عزم الامور اي مما عزمه الله وامر به قاله ابن جريج ويحتمل ان يريد ان ذلك
من مكارم الاخلاق وعزايم اهل الحزم السالكين طريق النجاه وقول ابن جريج
اصوب قوله تعالى ولا تصاعر خدك للناس الايه فيه ثلاث
مسايل الاولى قرا نافع وابو عمرو وحمزه والكسايي وابن محيصن تصاعر بالف
بعد الصاد وقرا ابن كثير وعاصم وابن عامر والحسن ومجاهد تصعر وقرا
الجحدري تصعر بسكون الصاد والمعنى متقارب والصعر الميل ومنه قول الاعرابي
وقد اقام الدهر صعري بعد ان اقمت صعره :: ومنه قول عمرو بن حني التغلبي
وكنا اذا الجبار صعر خده اقمنا له من ميله فيقوم :: وانشد الطبري
فتقوما قال ابن عطيه وهو خطا لان قافيه الشعر مخفوضه وفي بيت اخر
اقمنا له من خده المتصعر :: قال الهروي لا تصاعر اي لا تعرض عنهم تكبرا
عليهم يقال اصاب البعير صعر وصيد اذا اصابه دا يلوي منه عنقه ثم يقال للمتكبر
فيه صعر وصيد فمعنى لا تصعر اي لا تلزم خدك الصعر وفي الحديث ياتي
على الناس زمان ليس فيهم الا اصعر او ابتر والاصعر المعرض بوجهه كبرا
واراد رذالة الناس الذين لا دين لهم وفي الحديث كل صعار ملعون اي كل ذي
ابهه وكبر الثانيه معنى الايه ولا تمل خدك للناس كبرا عليهم واعجابا
واحتقارا لهم وهذا تاويل ابن عباس وجماعه وقيل هو ان تلوي شدقك اذا

مطلب

مطلب

ذكرا لرجل عندك كانك تحتقره فالمعنى اقبل عليهم متواضعا مونسا مستانسا
واذا احتاجك اصغرهم فاصغ اليه حتى يحمل حديثه وكذلك كان النبي صلى الله عليه
وسلم يفعل قال الشيخ القرطبي رحمه الله ومن هذا المعنى ما رواه مالك عن ابن
شهاب عن انس ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تباغضوا ولا
تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا وعلى الخير اعوانا ولا يحل للمسلم
ان يهجر اخاه فوق ثلاث فالتدابر الاعراض وترك الكلام والسلام ونحوه
وانما قيل للاعراض تدابر لان من ابغضته اعرضت عنه ووليته دبرك وكذلك
يصنع هو بك ومن احببته اقبلت عليه بوجهك وواجهته لتسره ويسرك فمعنى
التدابر موجود فيمن صعر خده وبه فسر مجاهد الايه وقال ابن خويزمنداد
قوله ولا تصاعر خدك للناس كانه نهى ان يذل الانسان نفسه من غير حاجه
ونحو ذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس للانسان ان يذل نفسه
الثالثه قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا اي متبخترا متكبرا مصدر في موضع
الحال وقد مضى في سبحان وهو النشاط والمشي فرحا في غير شغل وفي غير
حاجه واهل هذه الخلق ملازمون للفخر والخيلا فالمرح مختال في مشيته روى يحيى بن
جابر الطاي عن ابن عايذ الازدي عن غضيف ابن الحرث قال اتيت بيت المقدس انا
وعبد الله ابن عبيد بن عمير قال فجلسنا الى عبد الله ابن عمرو بن العاصي فسمعته يقول
ان القبر يكلم العبد اذا وضع فيه فيقول يا ابن ادم ما غرك بي الم تعلم اني بيت الوحده
الم تعلم اني بيت الظلمه الم تعلم اني بيت الحق يا ابن ادم ما غرك بي لقد كنت تمشي حولي
فدادا قال ابن عايذ قلت لغضيف ما الفداد يا ابا اسما قال كبعض مشيتك
يا ابن اخي احيانا قال ابو عبيد والمعنى ذا مال كثير وذا خيلا وقال صلى الله
عليه وسلم من جر ثوبه خيلا لا ينظر الله اليه يوم القيمه والفخور هو الذي
يعدد ما اعطي ولا يشكر الله قاله مجاهد وفي اللفظه الفخر بالنسب وغير ذلك
قوله تعالى واقصد في مشيك واغضض من صوتك فيه ست مسايل
الاولى قوله تعالى واقصد في مشيك الايه لما نهاه عن الخلق الذميم رسم له الخلق
الكريم الذي ينبغي ان يستعمله فقال واقصد في مشيك اي توسط فيه والقصد

مطلب نهي ... [illegible]

مطلب ... [illegible]

مابين الاسراع والبطء اي لاتدب دبيب المتماوتين ولاتثب وثب الشطار قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بها الموٴمن فاما ما روي عنه عليه السلام
انه كان اذا مشى اسرع وقول عايشه وعمر رضي الله عنهما كان اذا مشى اسرع فانما
ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب التماوت والله اعلم وقد مدح الله من هذه
صفته حسب ما تقدم بيانه في الفرقان الثانيه قوله تعالى واغضض من
صوتك اي انقص منه اي لاتتكلف رفع الصوت وخذ منه ما تحتاج اليه فان الجهر
باكثر من الحاجة تكلف يوذي والمراد بذلك كله التواضع وقد قال عمر لموذن تكلف
رفع الاذان باكثر من طاقته لقد خشيت ان ينشق مريطاوك والموذن هو ابو
محذوره سمره ابن معير والمريطا ما بين السره الى العانه الثالثه قوله تعالى
ان انكر الاصوات لصوت الحمير اي اقبحها واوحشها ومنه اتانا بوجه منكر
والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمه وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا
انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشيا
المستقذره وقد عد في مساوي الاداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من اولي المروه
ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجله وكان عليه السلام
يركبه تواضعا وتذللا لله جل وعز الرابعه في الايه دليل على تعريف قبح
رفع الصوت في المخاطبه والملاحاه بقبح اصوات الحمير لانها عاليه وفي الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم نهاق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فانها
رات شيطانا وقد روي انه ما صاح حمار ولا نبح كلب الا ان يرى شيطانا وقال
سفين الثوري صياح كل شي تسبيح الا نهيق الحمير وقال عطا نهيق الحمير دعا
على الظلمه الخامسه هذه الايه ادب من الله تعالى بترك الصياح في وجوه
الناس تهاونا بهم او بترك الصياح جمله وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت الجهير
وغير ذلك فمن كان منهم اشد صوتا كان اعز ومن كان اخفض كان اذل حتى قال
شاعرهم ؛؛ جهير الكلام جهير العطاس جهير الرواء جهير النغم ؛؛
؛؛ ويعدو على الاين عدو الظليم ويعلو الرجال بخلق عمم ؛؛
فنهى الله سبحانه عن هذه الخلق الجاهليه بقوله ان انكر الاصوات لصوت الحمير

اي لوان شيا يهاب لصوته لكان الحمار فجعلهم في المثل سوا السيادسه قوله تعالى لصوت اللام للتاكيد ووحد الصوت وان كان مضافا الى الجماعه لانه مصدر والمصدر يدل علي الكثره وهو مصدر صات يصوت صوتا فهو صايت ويقال صوت تصويتا فهو مصوت ورجل صات اي شديد الصوت بمعنى صايت لقولهم رجل مال ونال اي كثير المال والنوال قوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض ذكر نعمه علي بني ادم وانه سخر لهم ما في السموات من شمس وقمر ونجوم وملايكه تحوطهم وتجر اليهم منافعهم وما في الارض عام في الجبال والاشجار والثمار وما لا يحصى واسبغ عليكم نعمه اي اكملها واتمها وقرا ابن عباس ويحيى ابن عماره واصبغ بالصاد علي بدلها من السين لان حروف الاستعلا تجذب السين من سفلها الى علوها فتردها صادا والنعم جمع نعمه كسدره وسدر بفتح الدال وهي قراه نافع وابي عمرو وحفص الباقون نعمه علي الافراد والافراد يدل علي الكثره لقوله وان تعدوا نعمه الله لا تحصوها وهي قراه ابن عباس من وجوه صحاح وقيل ان معناها الاسلام قال النبي صلي الله عليه وسلم لابن عباس وقد سأله عن هذه الايه الظاهره الاسلام وما حسن من خلقك والباطنه ما ستر عليك من سيي عملك النحاس وشرح هذا ان سعيد بن جبير قال في قول الله تعالى ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم قال يدخلكم الجنه وتمام نعمه الله عز وجل علي العبد ان يدخله الجنه فكذا لما كان الاسلام يوول امره الى الجنه سمي نعمه وقيل الظاهره الصحه وكمال الخلق والباطنه المعرفه والعقل وقال المحاسبي الظاهره نعم الدنيا والباطنه نعم العقبى وقيل الظاهره ما يرى بالابصار من المال والجمال والجاه في الناس وتوفيق الطاعات والباطنه ما يجده المرء في نفسه من العلم بالله وحسن اليقين وما يدفع الله عن العبد من الافات وقد سرد الماوردي في هذا اقوالا تسعه كلها ترجع الى هذا قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم تقدم في الحج وغيرها نزلت في يهودي جا الى النبي صلي الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن ربك من اي شي هو فجات صاعقه فاخذته قاله مجاهد وقد مضى هذا في الرعد وقيل انها نزلت في النضر ابن الحارث كان يقول ان الملايكه بنات الله

قال ابن عباس يجادل يخاصم بغير علم اي بغير حجه ولا هدى ولا كتاب منير اي
نير الا الشيطان فيما يلقي اليهم وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم والا
تقليد الاسلاف كما في الايه بعد اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير اي
ولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير يتبعونه قوله تعالى ومن
يسلم وجهه الى الله اي يخلص عبادته وقصده الى الله وهو محسن لان العباده
من غير احسان ولا معرفه القلب لا تنفع نظيره ومن يعمل من الصالحات وهو مومن
وفي حديث جبريل قال فاخبرني عن الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم
تكن تراه فانه يراك فقد استمسك بالعروه الوثقى قال ابن عباس لا اله الا
الله وقد مضى في البقره وقرا علي ابن ابي طالب والسلمي وعبد الله ابن مسلم ابن
يسار ومن يسلم النحاس ويسلم في هذا اعرف كما قال عز وجل فقل اسلمت وجهي لله
ومعنى اسلمت وجهي الى الله قصدت بعبادتي الى الله عز وجل ويكون ان يسلم على
التكثير الا ان المستعمل في سلمت انه بمعنى دفعت يقال سلمت في الحنطه وقد يقال
اسلمت الزمخشري قرا علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ومن يسلم بالتشديد يقال
اسلم امرك وسلم امرك الى الله فان قلت ماله عدي بالى وقد عدي باللام في قوله
بلى من اسلم وجهه قلت معناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما
لله اي خالصا له ومعناه مع الى راجع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل
اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه والى الله عاقبة الامور اي
مصيرها قوله تعالى ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما
عملوا اي نجازيهم ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا اي نبقيهم في الدنيا مده
قليله يتمتعون بها ثم نضطرهم نلجئهم ونسوقهم الى عذاب غليظ وهو عذاب جهنم
ولفظ من يصلح للواحد والجمع فلهذا قال كفره ثم قال مرجعهم وما بعده على المعنى
قوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله اي يعترفون
بان الله خالقهم فلم يعبدون غيره قل الحمد لله اي على ما هدانا له من دينه وليس الحمد
لغيره ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لا ينظرون ولا يتدبرون لله ما في السموات
وما في الارض اي ملكا وخلقا ان الله هو الغني عن خلقه وعن عبادتهم وانما امرهم

لنفعهم الحميد اي المحمود على صنعه قوله تعالى ولو ان ما في الارض من
شجره اقلام الايه لما احتج على المشركين بما احتج بين ان معاني كلامه سبحانه لا
تنفد وانها لا نهايه لها قال القفال لما ذكر انه سخر لهم ما في السموات وما في
الارض وانه اسبغ النعم نبه على ان الاشجار لو كانت اقلاما والبحار مدادا فكتب
بها عجايب صنع الله الداله على قدرته ووحدانيته لم تنفد تلك العجايب قال القشيري
فرد معنى الكلمات الى المقدورات وحمل الايه على الكلام القديم اولى والمخلوق
لا بد له من نهايه واذا نفيت النهايه عن مقدوراته فهو نفي النهايه عما يقدر في
المستقبل على ايجاده فاما ما حصره الوجود وعده فلا بد من تناهيه والقديم لا نهايه
له على التحقيق وقد مضى الكلام في معنى كلمات الله في اخر الكهف وقال ابو علي
المراد بالكلمات والله اعلم ما في المقدور دون ما خرج منه الى الوجود وهذا نحو
ما قاله القفال وانما الغرض الاعلام بكثره معاني كلمات الله وهي في نفسها غير
متناهيه وانما قرب الامر على افهام البشر بما يتناهى لانه غايه ما يعهده البشر من
الكثره لا انها تنفد باكثر من هذه الاقلام والبحور ومعنى نزول الايه يدل على ان المراد
بالكلمات الكلام القديم قال ابن عباس ان سبب هذه الايه ان اليهود قالت يا محمد
كيف عنينا بهذا القول وما اوتيتم من العلم الا قليلا ونحن قد اوتينا التوراه فيها كلام
الله واحكامه وعندك انها تبيان كل شي فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
التوراه قليل من كثير ونزلت هذه الايه والايه مدنيه قال ابو جعفر النحاس
فقد تبين ان الكلمات ها هنا يراد بها العلم وحقايق الاشيا لانه جل وعز علم
قبل ان يخلق الخلق ما هو خالق في السموات والارض من شي وعلم ما فيه من
مثاقيل الذر وعلم الاجناس كلها وما فيها من شعره وعضو وما في الشجره من ورقه
وما فيها من ضروب الخلق وما يتصرف فيه من ضروب المطعم واللون فلو سمي
كل دابه وحدها وسمي اجزاها على ما يعلم من قليلها وكثيرها وما تحولت عليه من
الاحوال وما زاد فيها في كل زمان وليس كل شجره وحدها وما تفرعت اليه وقدر
ما ييبس من ذلك في كل زمان ثم كتب البيان على كل واحد منها ما احاط الله جل
ثناوه به منها ثم كان البحر مدادا لذلك البيان الذي بين الله جل وعز عن تلك

الاشيا

الاشيا يمده من بعده سبعه ابحر كان البيان عن تلك الاشيا اكثر قال الشيخ القرطبي
رحمه الله هذا قول القفال وهو حسن ان شا الله وقال قوم ان قريشا قالت سيتم
هذا الكلام لمحمد وينحسر فنزلت وقال السدي قالت قريش ما اكثر كلام محمد فنزلت
قوله تعالى والبحر يمده من بعده قرا الجمهور بالرفع على الابتدا وخبره في
الجمله التي بعد هذا والجمله في موضع الحال كانه والبحر هذه حالته كذا قدرها سيبويه
وقال بعض النحويين هو عطف على ان لانها في موضع رفع بالابتدا وقرا ابو عمرو
وابن ابي اسحق والبحر بالنصب على العطف على ما وهي اسم ان وقيل اي ولو ان البحر
يمده اي يزيد فيه وقرا ابن هرمز والحسن يمده من امد قالت فرقه هما بمعنى واحد
وقالت فرقه مد الشي بعضه بعضا كما تقول مد النيل الخليج اي زاد فيه وامد الشي
ما ليس منه وقد مضى هذا في البقره وال عمران وقرا جعفر ابن محمد والبحر مداده
ما نفدت كلمات الله تقدم ان الله عزيز حكيم تقدم ايضا وقال ابو عبيده البحر
ههنا الما العذب الذي ينبت الاقلام واما الما الملح فلا ينبت الاقلام قوله
تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحده قال الضحاك المعنى ما ابتدا خلقكم جميعا
الا كخلق نفس واحده وما بعثكم يوم القيمه الا كبعث نفس واحده قال النحاس
وهكذا قدره والنحويون بمعنى الا كخلق نفس مثل واسل القريه وقال مجاهد لانه
يقول للقليل والكثير كن فيكون ونزلت الايه في ابي ابن خلف وابي الاشدين ومنبه
ونبيه ابني الحجاج ابن السباق قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلقنا اطوارا
نطفه ثم علقه ثم مضغه ثم عظاما ثم تقول انا نبعث خلقا جديدا جميعا في ساعه واحده
فانزل الله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحده لان الله تعالى لا يصعب عليه ما يصعب
على العباد وخلقه لجميع العالم كخلقه لنفس واحده ان الله سميع لما يقولون بصير
بما يفعلون قوله تعالى الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل تقدم في الحج والانعام وسخر الشمس والقمر اي ذللهما بالطلوع والافول
تقديرا للاجال واتماما للمنافع كل يجري الى اجل مسمى قال الحسن الى يوم
القيمه قتاده الى وقته في طلوعه وافوله لا يعدوه ولا يقصر عنه وان الله
بما تعملون خبير اي من قدر على هذه الاشيا فلا بد من ان يكون عالما بها والعالم بها عالم

باعالكم وقراه العامه تعلمون بالتا خطابا وقرا السلمي ونصر ابن عاصم والدوري
عن ابي عمرو بالياعلى الخبر ذلك اي فعل الله ذلك لتعلموا وتقروا بان الله هو الحق
وان ما يدعون من دونه الباطل اي الشيطان قاله مجاهد وقيل ما اشركوا به
الله تعالى من الاصنام والاوثان وان الله هو العلي الكبير العلي في مكانته الكبير
في سلطانه قوله تعالى الم تر ان الفلك اي السفن تجري في موضع الخبر
في البحر بنعمة الله اي بلطفه بكم ورحمته لكم في خلاصكم منه وقرا ابن هرمز بنعمات
الله جمع نعمة وهو جمع السلامه وكان الاصل تحريك العين فاسكنت ليريكم
من اياته من للتبعيض اي يريكم الله جري السفن قاله يحيى بن سلام وقال ابن
شجره من اياته ما تشاهدون من قدرة الله تعالى فيه النقاش ما يرزقكم الله منه
وقال الحسن مفتاح البحار السفن ومفتاح الارض الطرق ومفتاح السما
الدعا ان في ذلك لايات لكل صبار شكور اي صبار لقضايه شكور على نعمائه وقال
اهل المعاني اراد لكل مومن بهذه الصفه لان الصبر والشكر من افضل خصال الايمان
والاية العلامه والعلامة لا تستبين في صدر كل مومن انما تستبين لمن صبر على البلا
وشكر على الرخا وقال الشعبي الصبر نصف الايمان والشكر نصف الايمان واليقين
الايمان كله الم تر الى قوله تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وقوله ان في ذلك
لايات للمؤمنين وقال عليه السلام الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر قوله
تعالى واذا غشيهم موج كالظلل قال مقاتل كالجبال قال الكلبي كالسحاب
وقال قتادة جمع ظلة شبه الموج بها لكبرها وارتفاعها قال النابغة في وصف
بحر ؛؛ وغاشيتهن اخضر ذو ظلال على حافاته فلق الدنان ؛؛ وانما شبه
الموج وهو واحد بالظلل وهو جمع لان الموج ياتي شيا بعد شيء ويركب بعضه بعضا
كالظلل وقيل هو بمعنى الجمع وانما لم يجمع لانه مصدر واصله من الحركه والازدحام
ومنه ماج البحر والناس يموجون قال لبيد ؛؛
فجينا الى موج من البحر وسطه احابيش منهم حاسر ومقنع ؛؛ وقرا محمد بن
الحنفيه موج كالظلال جمع ظل دعوا الله مخلصين له الدين موحدين له لا يدعون
لخلاصهم سواه وقد تقدم فلما نجاهم يعني من البحر الى البر فمنهم مقتصد قال

ابن عباس

ابن عباس موف بما عاهد عليه الله في البحر النقاش معنى عدل في العهد وفى في البر بما
عاهد عليه الله في البحر وقال الحسن مقتصد مومن متمسك بالتوحيد والطاعه وقال
مجاهد مقتصد في القول مضمر للكفر وقيل في الكلام حذف والمعنى فمنهم مقتصد
ومنهم كافر ودل على المحذوف قوله تعالى وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور الختار
الغدار والختر اسوا الغدر وقال عمرو بن معدي كرب

فانك لو رايت ابا عمير ملات يديك من غدر وختر ؛ قال الاعشى
بابلق الفرد من تيما منزله حصن حصين وجار غير ختار ؛ قال الجوهري الختر
الغدر يقال ختره فهو ختار الماوردي وهو قول الجمهور وقال عطيه انه الجاحد
ويقال ختر يختر ويختر بالضم والكسر خترا ذكره القشيري وجحد الايات انكار اعيانها
والجحد بالايات انكار دلايلها قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم يعني
الكافر والمومن اي خافوه ووحدوه واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود
هو جاز عن والده شيا تقدم معنى يجزي في البقره وغيرها فان قيل فقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثه من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار الا
تحله القسم وقال من ابتلي بشي من هذه البنات فاحسن اليهن كن له حجابا من النار
قيل له المعنى بهذه الايه انه لا يحمل والد ذنب ولده ولا مولود ذنب والده ولا
يوخذ احدهما عن الاخر والمعنى بالاخبار ان ثواب الصبر على الموت والاحسان الى
البنات يحجب الولد عن النار ويكون الولد سابقا له الى الجنه ان وعد الله حق
اي بالبعث فلا تغرنكم اي تخدعنكم الحياه الدنيا بزينتها وما تدعوا اليه فتتكلوا
عليها وتركنوا اليها وتتركوا العمل للاخره ولا يغرنكم بالله الغرور قراه العامه
هنا وفي سوره الملايكه والحديد بفتح الغين وهو الشيطان في قول مجاهد وغيره
وهو الذي يغر الخلق ويمنيهم الدنيا ويلهيهم عن الاخره وفي سوره النسا يعدهم
ويمنيهم وقرا سماك ابن حرب وابو حيوه وابن السميفع بضم الغين اي لا
تغتروا كانه مصدر غر يغر غرورا قال سعيد بن جبير هو ان يعمل بالمعصيه
ويتمنى المغفره قوله تعالى ان الله عنده علم الساعه الايه زعم الفرا
ان هذا معنى النفي اي ما يعلمه احد الا الله جل وعز قال ابو جعفر النحاس

وانما صار فيه معنى النفي والايجاب بتوقيف الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك
لانه صلى الله عليه وسلم قال في قول الله عز وجل وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا
هو انها هذه قال الشيخ القرطبي رحمه الله قد ذكرنا في سوره الانعام حديث ابن
عمر في هذا خرجه البخاري وفي حديث جبريل قال اخبرني عن الساعه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما المسوول عنها باعلم من السايل هن خمس لا يعلمهن
الا الله ان الله عنده علم الساعه وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الايه فقال الرجل
صدقت لفظ ابي داود الطيالسي وقال عبد الله ابن مسعود كل شي اوتي نبيكم
صلى الله عليه وسلم غير خمس ان الله عنده علم الساعه الايه وقال ابن عباس هذه
الخمسه لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل فمن ادعى انه يعلم شيا من هذه فقد كفر
بالقران لانه خالفه ثم ان الانبيا يعلمون كثيرا من الغيب بتعريف الله اياهم والمراد
ابطال كون الكهنه والمنجمين ومن يستسقي بالانوا وقد يعرف بطول التجارب اشيا
من ذكوره الحمل وانوثته الى غير ذلك حسب ما ذكرنا في الانعام وقد تختلف التجربه
وتنكسر العاده ويبقى العلم لله وحده روي ان يهوديا كان يحسب حساب النجوم
فقال لابن عباس ان شيت انباتك نجم ابنك وانه يموت بعد عشره ايام وانت لا تموت
حتى تعمى وانا لا يحول علي الحول حتى اموت قال فاين موتك يا يهودي قال لا ادري
فقال ابن عباس صدق الله وما تدري نفس باي ارض تموت فرجع ابن عباس فوجد
ابنه محموما ومات بعد عشره ايام ومات اليهودي قبل الحول ومات ابن عباس
اعمى قال علي ابن حسين راوي هذا الحديث هذا اعجب الاحاديث وقال
مقاتل ان هذه الايه نزلت في رجل من اهل الباديه اسمه الوارث ابن عمرو بن حارثه
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان امراتي حبلى فاخبرني ماذا تلد وبلادنا جدبه
فاخبرني متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فاخبرني متى اموت وقد علمت ما
عملت اليوم فاخبرني ماذا اعمل غدا واخبرني متى تقوم الساعه فانزل الله هذه الايه
ذكره القشيري والماوردي وروي ابو المليح عن ابي عزه الهذلي قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله تعالى قبض روح عبد بارض جعل له اليها حاجه
فلم ينته حتى يقدمها ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعه

الى قوله باي ارض تموت ذكره الماوردي وخرجه ابن ماجه من حديث ابن مسعود
بمعناه وقد ذكرناه في التذكره مستوفي وقراه العامه وينزل مشددا وقرا ابن
كثير وابو عمرو وحمزه والكساي مخففا وقرا ابي ابن كعب باية ارض الباقون باي
ارض قال الفرا اكتفي بتانيث الارض من تانيث اي وقيل اراد بالارض المكان فذكر
قال ولا مزنه ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها ؛ وقال الاخفش
يجوز مررت بجاريه اي جاريه وايه جاريه وشبه سيبويه تانيث اي تانيث كل
في قولهم كلتهن ان الله عليم خبير خبير نعت لعليم او خبر بعد خبر
تمت السوره بحمد الله وعونه

سورة السجدة

وهي مكيه غير ثلاث ايات نزلت بالمدينه وهي قوله افمن كان مومنا كمن كان فاسقا
لا يستوون الي تمام تلك ايات قاله الكلبي ومقاتل وقال غيرهما الا خمس ايات
من قوله تتجافى جنوبهم الى الذي كنتم به تكذبون وهي ثلاثون ايه وقيل تسع وعشرون
وفي الصحيح عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا في صلاه الفجر يوم
الجمعه الم تنزيل السجده وهل اتى على الانسان حين من الدهر الحديث وخرج الدارمي
ابو محمد في مسنده عن جابر بن عبد الله قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى
يقرا الم تنزيل السجده وتبارك الذي بيده الملك قال الدارمي وانا ابو المغيره
عبده عن خالد بن معدان قال اقروا المنجيه وهي الم تنزيل فانه بلغني ان رجلا
كان يقراها ما يقرا شيا غيرها وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها عليه وقالت
رب اغفر له فانه كان يكثر قراتي فشفعها الرب فيه وقال اكتبوا له بكل خطيه
حسنه وارفعوا له درجه ؛

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تنزيل الكتاب الاجماع على رفع تنزيل الكتاب ولو كان منصوبا على المصدر لجاز
كما قرا الكوفيون انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم
وتنزيل رفع بالابتدا والخبر لا ريب فيه او خبر على اضمار مبتدا اي هذا تنزيل او
المتلو تنزيل وهذه الحروف تنزيل ودلت الم على ذكر الحروف ويجوز ان يكون لا
ريب فيه في موضع الحال من الكتاب ومن رب العالمين الخبر قال مكي وهو احسنها
ومعنى لا ريب فيه من رب العالمين لا شك فيه انه من عند الله فليس بسحر ولا شعر

ولا كهانه ولا اساطير الاولين قوله تعالى ام يقولون افتراه هذه ام
المنقطعه التي تقدر ببل والف الاستفهام اي بل ايقولون وهي تدل على خروج من
حديث الى حديث فانه عز وجل اثبت انه تنزيله من رب العالمين وان ذلك ما لا ريب
فيه ثم اخبر به عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه اي افتعله واختلقه بل هو الحق
من ربك كذبهم في دعوى الافترا لتنذر قوما قال قتاده يعني قريشا كانوا امه
اميه لم ياتهم نذير من قبل محمد صلى الله عليه وسلم ولتنذر متعلق بما قبلها فلا يوقف
على من ربك ويجوز ان تتعلق بمحذوف التقدير انزله لتنذر قوما فيجوز الوقف
على من ربك وما في قوله ما اتاهم نفي من نذير صله ونذير في محل الرفع وهو
المعلم المخوف وقيل المراد بالقوم اهل الفتره بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما
قاله ابن عباس ومقاتل وقيل كانت الحجه ثابته لله جل وعز عليهم بانذار من
تقدم من الرسل وان لم يروا رسولا وقد تقدم هذا المعنى قوله
تعالى الله خلق السموات والارض في سته ايام عرفهم كمال قدرته ليسمعوا القران
ويتاملوه ومعنى خلق ابدع واوجد بعد العدم وبعد ان لم تكن شيا في سته ايام من
يوم الاحد الى اخر يوم الجمعه قال الحسن من ايام الدنيا وقال ابن عباس ان
اليوم من الايام السته التي خلق الله فيها السموات والارض مقداره الف سنه
من سني الدنيا وقال الضحاك في سته الف سنه اي في مده سته ايام من ايام
الاخره ثم استوى على العرش تقدم في الاعراف والبقره وغيرها وذكرنا ما للعلما
في ذلك مستوفى في الكتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى وليست ثم للترتيب
وانما هي بمعنى الواو ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اي ما للكافرين من ولي
يمنع من عذابهم ولا شفيع ويجوز الرفع على الموضع افلا تتذكرون في قدرته وخلقه فانه
قوله تعالى يدبر الامر من السما الى الارض قال ابن عباس ينزل
القضا والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل وروى عمرو بن مره عن عبد الرحمن
ابن سابط قال يدبر امر الدنيا اربعه جبريل وميكايل وملك الموت واسرافيل
صلوات الله عليهم فاما جبريل فموكل بالرياح والجنود واما ميكاييل فموكل
بالقطر والما واما ملك الموت فموكل بقبض الارواح واما اسرافيل فهو ينزل

بالامر

بالامر عليهم وقد قيل ان العرش موضع التدبير كما ان ما دون العرش موضع التفصيل
قال الله عز وجل ثم استوى على العرش يدبر الامر يفصل الايات وما دون السموات
موضع التصريف قال الله تعالى ولقد صرفناه بينهم ليذكروا قوله
تعالى يعرج اليه قال يحيى بن سلام هو جبريل يصعد الى السما بعد نزوله بالوحي النقاش
هو الملك الذي يدبر الامر من السما الى الارض وقيل انها اخبار اهل الارض
تصعد اليه مع حملتها من الملايكة قاله ابن شجرة في يوم كان مقداره الف سنه مما
تعدون وقيل ثم يعرج اليه اي يرجع ذلك الامر والتدبير اليه بعد انقضا الدنيا
في يوم كان مقداره الف سنه وهو يوم القيمه وعلى الاقوال المتقدمه والكنايه
في يعرج عن الملك ولم يجر له ذكر لانه مفهوم من المعنى وقد جا صريحا في سال
سايل قوله تعرج الملايكة والروح اليه والضمير في اليه تعود على السما على لغه
من يذكرها او على مكان الملك الذي يرجع اليه او على اسم الله تعالى والمراد الى الموضع
الذي اقره فيه واذا رجعت الى الله فقد رجعت الى السما او الى سدره المنتهى فانه
اليها يرتفع ما يصعد به من الارض ومنها ينزل ما يهبط به اليها ثبت معنى ذلك
في صحيح مسلم والها في مقداره راجعة الى التدبير والمعنى كان مقدار ذلك التدبير
الف سنه من سني الدنيا اي يقضي امر كل شي لالف سنه في يوم واحد ثم يلقيه الى
ملايكته فاذا مضت قضى لالف سنه اخرى ثم كذلك ابدا قاله مجاهد وقيل ان الها
للعروج وقيل المعنى انه يدبر امر الدنيا الى ان تقوم الساعه ثم يعرج اليه ذلك
الامر فيحكم فيه في يوم كان مقداره الف سنه وقيل المعنى يدبر امر الشمس في
طلوعها وغروبها ورجوعها الى موضعها من الطلوع في يوم مقداره في المسافه
الف سنه وقال ابن عباس المعنى كان مقداره لو ساره غير الملك الف سنه لان
النزول خمسمايه والصعود خمسمايه وروى ذلك عن جماعه من المفسرين وهو
اختيار الطبري ذكره المهدوي وهو معنى القول الاول اي ان جبريل عليه السلم
لسرعه مسيره يقطع مسيره الف سنه في يوم من ايامكم ذكره الزمخشري وذكر
الماوردي عن ابن عباس والضحاك ان الملك يصعد في يوم الف مسيره الف سنه
وعن قتاده ان الملك ينزل ويصعد في يوم مقداره الف سنه فيكون مقدار نزوله

خمس مايه سنه ومقدار صعوده خمس مايه سنه على قول قتاده والسدي وعلى قول
ابن عباس والضحاك النزول الف سنه والصعود الف سنه مما تعدون اي مما
يحسبون من ايام الدنيا وهذا اليوم عباره عن زمان يتقدر بالف سنه من سني العالم
وليس بيوم يستوعب نهارا بين ليلتين لان ذلك ليس عند الله والعرب قد تعبر
عن مده العصر باليوم كما قال الشاعر
يومان يوم مقامات واندية ويوم سير الى الاعدا تاويب ؛ وليس يريد يومين
مخصوصين وانما اراد ان زمانهم ينقسم شطرين فعبر عن كل واحد من الشطرين بيوم
وقرا ابن ابي عبله يعرج على البنا للمفعول وقرئ يعدون باليا فاما قوله تعالى
في يوم كان مقداره خمسين الف سنه فمشكل مع هذه الايه وقد سال عبد الله ابن
فيروز الديلمي عبد الله ابن عباس عن هذه الايه وعن قوله في يوم كان مقداره خمسين
الف سنه فقال ايام سماها سبحانه وما ادري ما هي واكره ان اقول فيها ما لا اعلم
ثم سيل عنها سعيد بن المسيب فقال لا ادري فاخبرته بقول ابن عباس فقال ابن
المسيب للسايل هذا ابن عباس اتقى ان يقول فيها وهو اعلم مني ثم تكلم العلما في ذلك
فقيل ان ايه سال سايل هو اشاره الى يوم القيمه بخلاف هذه الايه والمعنى ان الله
تعالى جعله في صعوبته على الكفار كخمسين الف سنه قاله ابن عباس والعرب تصف
ايام المكروه بالطول وايام السرور بالقصر قال
ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر ؛ وقيل
ان يوم القيمه فيه ايام فمنه ما مقداره الف سنه ومنه ما مقداره خمسون الف
سنه وقيل اوقات القيمه مختلفه فيعذب الكافر بجنس من العذاب الف سنه
ثم ينقل الى جنس اخر مقداره خمسون الف سنه وقيل مواقف القيمه خمسون موقفا
كل موقف الف سنه فمعنى يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنه اي مقدار وقت
او موقف من يوم القيمه وقال النحاس اليوم في اللغه بمعنى الوقت فالمعنى تعرج
الملايكه والروح اليه في وقت كان مقداره الف سنه وفي وقت اخر كان مقداره
خمسين الف سنه وعن وهب ابن منبه في يوم كان مقداره خمسين الف سنه قال
ما بين اسفل الارض الى العرش وذكر الثعلبي عن مجاهد وقتاده والضحاك في

محه في صعوبته على الكفار

قوله تعالى تعرج الملٰيكه والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنه اراد من
الارض الى سدره المنتهى الذي فيها جبريل يقول تعالى يسير جبريل والملٰيكه
الذين معه من اهل مقامه مسيره خمسين الف سنه في يوم واحد من ايام الدنيا وقوله
اليه يعني الى المكان الذي امرهم الله تعالى ان يعرجوا اليه وهذا كقول ابرهيم
اني ذاهب الى ربي سيهدين اراد ارض الشام وقال ومن يخرج من بيته مهاجرا
الى الله اي الى المدينه وقال ابو هريره قال النبي صلى الله عليه وسلم اتاني ملك من ربي
تعالى برساله ثم رفع رجله فوضعها فوق السما والاخرى على الارض لم يرفعها بعد
هنوز
قوله تعالى ذلك عالم الغيب والشهاده اي علم ما غاب من الخلق وما حضرهم
وذلك يعني انا حسب ما تقدم بيانه في اول البقره وفي الكلام معنى التهديد والوعيد
اي احصوا افعالكم واقوالكم فاني اجازي عليها قوله تعالى الذي احسن كل
شي خلقه قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر خلقه باسكان اللام وفتحها الباقون
واختاره ابو عبيد وابو حاتم طلبا لسهولتها وهو فعل ماض في موضع خفض نعت لشي
والمعنى على ما روي عن ابن عباس احكم كل شي خلقه اي جاء به على ما اراد لم يتغير عن
ارادته وقول اخر ان كل شي خلقه حسن لانه لا يقدر احد ان ياتي بمثله وهو دال
على خالقه ومن اسكن اللام فهو مصدر عند سيبويه لان قوله احسن كل شي يدل على
خلق كل شي خلقا فهو مثل صنع الله وكتاب الله عليكم وعند غيره منصوب على البدل
من كل اي الذي احسن خلق كل شي وهو مفعول ثان عند بعض النحويين على ان يكون معنى
احسن افهم وعلم فيتعدى الى مفعولين اي افهم كل شي خلقه وقيل هو منصوب على
التفسير والمعنى احسن كل شي خلقا وقيل هو منصوب باسقاط حرف الجر والمعنى
احسن كل شي في خلقه وروي معناه عن ابن عباس واحسن اي اتقن واحكم فهو
حسن من جهه ما هو لمقاصده التي اريد لها ومن هذا المعنى قال ابن عباس
وعكرمه ليست است القرد بحسنه ولكنها متقنه محكمه وروى ابن ابي نجيح
عن مجاهد احسن كل شي خلقه قال اتقنه وهو مثل قوله تعالى اعطى كل شي خلقه
اي لم يخلق الانسان على خلق البهيمه ولا خلق البهيمه خلق الانسان ويجوز خلقه بالرفع
على تقدير ذلك خلقه وقيل هو عموم في اللفظ خصوص في المعنى والمعنى حسن خلق

كل شي حسن وقيل هو عموم في اللفظ والمعنى اي كل شي خلقه حسنا حتى جعل الكلب
في خلقه حسنا قاله ابن عباس وقال قتاده في است القرد حسنه قوله
تعالى وبدا خلق الانسان من طين يعني ادم ثم جعل نسله من سلاله من ما مهين
تقدم في المومنين وغيرها وقال الزجاج من ما مهين ضعيف وقال غيره مهين
لا خطر له عند الناس ثم سواه رجع الى ادم اي سوى خلقه ونفخ فيه من روحه
ثم رجع الى ذريته فقال وجعل لكم السمع والابصار والافيده وقيل ثم جعل ذلك
الما المهين خلقا معتدلا وركب فيه الروح واضافه الى نفسه تشريفا وايضا فانه
من فعله وخلقه كما اضاف العبد اليه بقوله عبدي وعبر عنه بالنفخ لان الروح
في جنس الريح وقد مضى هذا مبينا في النسا وغيرها قليلا ما تشكرون اي ثم انتم
لا تشكرون بل تكفرون قوله تعالى وقالوا ايذا ضللنا في الارض هذا قول
منكري البعث اي هلكنا وبطلنا وصرنا ترابا واصله من قول العرب ضل الما
في اللبن اذا ذهب والعرب تقول للشي غلب عليه غيره حتى خفي فيه اثره قد ضل
قال الاخطل كنت القذى في موج اكدر مزبد قذف الاتي به فضل ضلالا
وقال قطرب معنى ضللنا غبنا في الارض وانشد قول النابغه الذبياني
فاب مضلوه بعين جليه وغودر بالجولان حزم ونايل .: وقرا ابن محيصن ويحيى بن
يعمر ضللنا بكسر اللام وهي لغه قال الجوهري وقد ضللت اضل قال الله تعالى
قل ان ضللت فانما اضل على نفسي فهذه لغه نجد وهي الفصيحه واهل العاليه يقولون
ضللت بالكسر اضل وهو ضال تال وهي الضلاله والتلاله واضله اي اضاعه
واهلكه يقال اضل الميت اذا دفن قال واب مضلوه البيت ابن السكيت
اضللت بعيري اذا ذهب منك وضللت المسجد والدار اذا لم تعرف موضعهما وكذلك
كل شي مقيم لا يهتدى له وفي الحديث لعلي اضل الله يريد اضل عنه اي اخفى عليه
من قوله تعالى ايذا ضللنا في الارض اي خفينا واضله الله فضل تقول انك تهدي
الضال ولا تهدي المتضال وقرا الاعمش والحسن صللنا بالصاد اي انتنا وهي قراه
علي بن ابي طالب رضي الله عنه النحاس ولا يعرف في اللغه صللنا ولكن يقال
صل اللحم واصل وخم واخم اذا انتن الجوهري صل اللحم يصل بالكسر صلولا

اي انتن مطبوخا كان او نيا قال الحطيبه

ذاك فتا يبذل ذا قدره لا يفسد اللحم لديه الصلول .:. واصل مثله اما الهي طوق
حديدا اي يخلق بعد ذلك خلقا جديدا ومعنا انا النحاس وفي هذا سوال الصعب من
العربيه يقال ما العامل في اذا وان لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والسوال في الاستفهام
اشد لان ما بعد الاستفهام احدر ان لا يعمل فيما قبله من ان كيف وقد اجتمعا
فالجواب على قراه من قرا انا ان العامل ضللنا وهي قراه من قرا اينا ان العامل
مضمر والتقدير انبعث اذا متنا وفيه ايضا سوال اخر يقال اين جواب اذا
على القراه الاولى لان فيها معنى الشرط فالقول في ذلك ان فعلا ماضيا قبله جاز
هذا بل هم بلقاء ربهم كافرون اي ليس لهم جحود قدره الله تعالى على الاعاده
لانهم يعترفون بقدرته ولكنهم اعتقدوا ان لا حساب عليهم وانهم لا يلقون الله
قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم فيه مسلتان الاولى
قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت لما ذكر استبعادهم للبعث وذكر توفيهم وانه
يعيدهم يتوفاكم من توفى العدد والشي اذا توفاه وقبضه جميعا يقال توفاه الله
واستوفى روحه وتوفيت مالي من فلان اي استوفيته ملك الموت واسمه عزرايل
ومعناه عبد الله كما تقدم في البقره وتصرفه كله بامر الله جل وعز وبخلقه
واختراعه وروي في الحديث ان البهايم كلها يتوفى الله ارواحها دون ملك الموت كانه
يعدم حياتها ذكره ابن عطيه قال الشيخ القرطبي رحمه الله وقد روي خلافه
وان ملك الموت يتوفى جميع ارواح الخلايق حتى البرغوث والبعوضه روى
جعفر بن محمد عن ابيه قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملك الموت عند راس
رجل من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارفق بصاحبي فانه مومن فقال
ملك الموت عليه السلام يا محمد طب نفسا وقر عينا فاني بكل مومن رفيق واعلم
ان ما من اهل بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر الا وانا اتصفحهم في كل يوم خمس
مرات حتى لانا اعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم والله يا محمد لو اني اردت
ان اقبض روح بعوضه ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الامر بقبضها قال
جعفر بن علي بلغني انه يتصفحهم عند مواقيت الصلوات ذكره الماوردي وذكر

الخطيب ابوبكر احمد بن علي ابن ثابت البغدادي حدثني ابو محمد الحسن ابن محمد الخلال
قال نا ابو محمد عبد الله ابن عثمان الصفار قال نا ابو بكر حامد المصري قال نا عيسى ابن
ايوب العلاف قال نا سليمن ابن مهير الكلابي قال حضرت ملك ابن انس فاتاه رجل
فسأله ابا عبد الله البراغيث املك الموت يقبض ارواحها قال فاطرق ملك طويلا
ثم قال الها انفس قال نعم قال ملك الموت يقبض ارواحها الله يتوفى الانفس حين موتها
قال ابن عطيه بعد ذكره الحديث وذلك الامر في بني ادم الا انه نوع شرف بتصرف
ملك وملايكه معه في قبض ارواحهم فخلق الله ملك الموت وخلق على يديه قبض
الارواح واستلالها من الاجسام واخراجها منه وخلق جندا يكونون معه يعملون
عمله بامره فقال تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملايكه وقال توفته رسلنا
وقد مضى هذا المعنى في الانعام والباري خالق الكل الفاعل حقيقه لكل فعل
قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الذي خلق
ملك الموت والحياه يحيي ويميت فملك الموت يقبض والاعوان يعالجون والله
يزهق الروح وهذا هو الجمع بين الاي والاحاديث لكنه لما كان ملك يتولى
ذلك بالوساطه والمباشره اضيف التوفي اليه كما اضيف الخلق للملك كما تقدم
في الحج وروي عن مجاهد ان الدنيا بين يدي ملك الموت كالطست بين يدي الانسان
ياخذ من حيث شا وقد روي هذا المعنى مرفوعا وقد ذكرناه في التذكره وروي
ان ملك الموت لما وكله الله بقبض الارواح قال رب جعلتني اذكر بسوء ويشتمني
بنو ادم فقال الله تعالى له اني اجعل لهم اسبابا من الامراض والاسقام ينسبون
الموت اليها فلا يذكرك احد الا بخير وقد ذكرناه في التذكره مستوفى وذكرنا
انه يدعو الارواح فتجيبه فيقبضها ثم يسلمها الى ملايكه الرحمه او العذاب بما
فيه شفا لمن اراد الوقوف على ذلك الثانيه استدل بهذه الايه بعض
العلما على جواز الوكاله من قوله وكل بكم اي بقبض الارواح قال ابن العربي
وهذا اخذ من لفظه لا من معناه ولو اطرد ذلك لقلنا في قوله تعالى قل يا ايها
الناس اني رسول الله اليكم جميعا انها نيابه عن الله تعالى ووكاله في تبليغ رسالته
ولقلنا ايضا في قوله عز وجل واتوا الزكاه انه وكاله فان الله ضمن الرزق لكل

الموت

مطلب

دابه وخص الاغنيا بالاغذيه واوعدا اليهم بان رزق الفقرا عندهم وامر بتسليمه
اليهم مقدرا معلوما في وقت معلوم دبره بعلمه وانفذه من حكمه وقدره بحكمته
والاحكام لا تتعلق بالالفاظ الا ان ترد على موضوعاتها الاصليه في مقاصدها
المطلوبه فان ظهرت في غير مقصدها لم تتعلق عليها الا ترى ان البيع والشرا معلوم
اللفظ والمعنى وقد قال الله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنه ولا يقال هذه الايه دليل على جواز مبايعه السيد لعبده لان المقصد
مختلفا اما انه اذا لم يكن بد من المعاني فيقال ان هذه الايه دليل على ان للقاضي ان
يستنيب ان ياخذ الحق ممن هو عليه قسرا دون ان يكون له في ذلك فعل او بسطه
رضى اذا وجد ذلك قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا روسهم
عند ربهم ابدا وخبر قال الزجاج والمخاطبه للنبي صلى الله عليه وسلم مخاطبه لامته
فالمعنى ولو ترى يا محمد منكري البعث يوم القيمه لرايت العجب ومذهب ابي العباس
غير هذا وان يكون يا محمد قل للمجرم ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا روسهم عند ربهم
لندمت على ما كان منك ناكسوا روسهم اي من الندم والخزي والحزن والذل والغم
عند ربهم اي عند محاسبته لهم وذكرا عمالهم ربنا اي يقولون ربنا ابصرنا اي
ابصرنا ما كنا نكذب وسمعنا ما كنا نكذب وقيل ابصرنا صدق وعيدك وسمعنا
تصديق رسلك ابصروا حين لا ينفعهم البصر وسمعوا حين لا ينفعهم السمع فارجعنا
الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اي مصدقون بالبعث قاله النقاش وقيل مصدقون
بالذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم انه حق قاله يحيى بن سلام قال سفين فاكذبهم
الله تعالى فقالوا ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقيل معنى انا
موقنون اي قد زالت عنا الشكوك الان وكانوا يبصرون ويسمعون في الدنيا
ولكن لم يكونوا يتدبرون وكانوا كمن لا يبصر ولا يسمع فلما انتبهوا في الاخره
صاروا حينيذ كانهم سمعوا وابصروا وقيل اي ربنا لك الحجه فقد ابصرنا رسلك
وعجايب خلقك في الدنيا وسمعنا كلامهم فلا حجه لنا فهذا اعتراف منهم ثم طلبوا ان
يردوا الى الدنيا ليومنوا قوله تعالى ولو شينا لاتينا كل نفس هداها
قال محمد بن كعب القرظي لما قالوا ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون

رد عليهم بقوله ولو شينا لاتينا كل نفس هداها يقول لو شيت لهديت الناس جميعا
فلم يختلف منهم احد ولكن حق القول مني الايه ذكره ابن المبارك في رقايقه في حديث
فيه طول وقد ذكرناه في التذكره النحاس ولو شينا لاتينا كل نفس هداها في معناه
قولان احدهما انه في الدنيا والاخر ان سياق الكلام يدل على انه في الاخره اي لو
شينا لرددناهم الى الدنيا والمحنه كما سالوا ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنه
والناس اجمعين اي حق القول مني لاعذبن من عصاني بعذاب جهنم وعلم الله جل
وعز ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وهذه الهدايه معناها خلق المعرفه في القلب
وتاويل المعتزله ولو شينا لاكرهناهم على الهدايه باظهار الايات الهايله لكن لا
يحسن منه فعله لانه ينقص الغرض المجري بالتكليف اليه وهو الثواب الذي لا
يستحق الا بما يفعله المكلف باختياره وقالت الاميه في تاويلها انه يجوز ان يريد
هداها الى طريق الجنه في الاخره ولم يعاقب احد الكن حق القول منه انه يملا جهنم
فلا يجب على الله عندنا هدايه الكل اليها قالوا بل الواجب هدايه المعصومين فاما
من له ذنب فجايز هدايته الى النار جزا على افعاله وفي جواز ذلك منع لقطعهم على ان
المراد هداها الى الايمان وقد تكلم العلما عليهم في هذين التاويلين بما فيه كفايه في
اصول الدين واقرب ما لهم في الجواب ان يقال فقد بطل عندنا وعندكم ان يهديهم
سبحانه على طريق الالجا والاجبار فصار يودي ذلك الى مذهب الجبريه وهو مذهب
رذل عندنا وعندكم فلم يبق الا ان المهتدين من المومنين انما هداهم الله الى الايمان
والطاعه على طريق الاختيار حتى يصح التكليف فمن شا امن واطاع اختيارا لا اجبارا
قال الله تعالى لمن شا منكم ان يستقيم وقال فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا ثم عقب
هاتين الايتين بقوله وما تشاون الا ان يشا الله فوقع ايمان المومنين بمشيتهم ونفى
ان يشاوا الا ان يشا الله ولهذا فرطت المجبره لما راوا ان هدايتهم معذوق بمشيه
الله تعالى فقالوا الخلق مجبورون في طاعاتهم كلها التفاتا الى قوله وما تشاون
الا ان يشا الله وفرطت القدريه لما راوا ان هدايتهم الى الايمان معذوق بمشيه
العباد فقالوا الخلق خالقون لافعالهم التفاتا منهم الى قوله تعالى لمن شا منكم ان يستقيم
ومذهبنا هو الاقتصاد في الاعتقاد وهو مذهب بين مذهبي المجبره والقدريه وخير

الامور اوساطها وذلك ان اهل الحق قالوا نحن نفرق بين ما اضطررنا اليه وبين ما
اخترناه وهو انا ندرك تفرقة بين حركة الارتعاش الواقعة في يد الانسان بغير محاولته
وارادته ولا مقرونة بقدرته وبين حركة الاختيار اذا حرك يده حركة مماثلة
لحركة الارتعاش ومن لا يفرق بين الحركتين حركة الارتعاش وحركة الاختيار
وهما موجودتان في ذاته ومحسوستان في يده بمشاهدته وادراك حاسته فهو
معتوه في عقله ومختل في حسه وخارج عن حزب العقلاء وهذا هو الحق المبين وهو طريق
بين طريقي الافراط والتفريط وكلا طرفي قصد الامور ذميم وبهذا الاعتبار اختار
اهل النظر من العلماء ان سموا بهذه المنزلة بين المنزلتين كسبا واخذوا هذه التسمية
من كتاب الله العزيز وهو قوله سبحانه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت **قوله**
تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فيه قولان احدهما انه من النسيان الذي
لا ذكر معه اي لم تعملوا لهذا اليوم فكانوا بمنزلة الناسين والاخر ان نسيتم بما تركتم
وكذا انا نسيناكم واحتج محمد بن يزيد بقوله جل وعز ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي
قال والدليل على انه بمعنى ترك ان الله جل وعز اخبر عن ابليس انه قال ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين فلو كان ادم ناسيا لكان قد ذكره وانشد
كانه خارجا من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مفتاد ؛؛ اي تركوه ولو
كان من النسيان لكان قد عملوا به مرة قال الضحاك نسيتم اي تركتم امري يحيى بن سلام
اي تركتم الايمان بالبعث في هذا اليوم نسيناكم تركناكم من الخير قاله السدي مجاهد
تركناكم في العذاب. وفي استئناف قوله انا نسيناكم وبنا الفعل على ان واسمها تشديد
في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الرووس والخزي والغم
بسبب نسيان الله اوذوقوا العذاب المخلد وهو الدائم الذي لا انقطاع له في خلدهم
بما كنتم تعملون يعني في الدنيا من المعاصي وقد يعبر بالذوق عما يطرا على النفس وان
لم يكن مطعوما لاحساسها به كاحساسها بذوق المطعوم قال عمرو بن ابي ربيعة
فذق هجرها ان كنت تزعم انها فساد الا يا ليت ما كذب الزعم ؛؛ الجوهري وذقت
ما عند فلان اي خبرته وذقت القوس اذا جذبت وترها لتنظر ما شدتها
واذاقه الله وبال امره قال طفيل ؛

وبين حركة الاختيار

كاحساسها

فذوقوا كما ذقنا غداة محجر من الغيظ في اكبادنا والتحوب ؛ وتذوقته اي
ذقته شيا بعد شي وامر مستذاق اي مجرب معلوم قال الشاعر
وعهد الغانيات كعهد قين ونت عنه الجعايل مستذاق ؛ والذواق الملول
قوله تعالى انما يومن باياتنا الذين اذا ذكروا بها هذه تسليه للنبي صلى الله
عليه وسلم اي انهم لالفهم الكفر لا يومنون بك انما يومن بك وبالقران المتدبرون له
والمتعظون به وهم الذين اذا قرى عليهم القران خروا سجدا قال ابن عباس ركعا
قال المهدوي وهذا على مذهب من يرى الركوع عند قراه السجده واستدل بقوله
تعالى وخر راكعا واناب وقيل المراد به السجود وعليه اكثر العلما اي خروا
سجدا لله على وجوههم تعظيما لاياته وخوفا من سطوته وعذابه وسبحوا بحمد
ربهم اي خلطوا التسبيح بالحمد اي نزهوه وحمدوه فقالوا في سجودهم سبحان الله
وبحمده سبحان ربي الاعلى وبحمده اي تنزيها لله عن قول المشركين وقال سفين
وسبحوا بحمد ربهم اي صلوا حمدا لربهم وهم لا يستكبرون عن عبادته قاله يحيى بن سلام
النقاش لا يستكبرون كما استكبر اهل مكه عن السجود قوله تعالى
تتجافى جنوبهم عن المضاجع اي ترتفع وتنبوا عن مواضع الاضطجاع وهو في موضع
نصب على الحال اي متجافيه جنوبهم والمضاجع جمع مضجع وهي مواضع النوم ويحتمل
عن وقت الاضطجاع ولكنه مجاز والحقيقه اولى ومنه قول عبد الله بن رواحه
وفينا رسول الله يتلوا كتابه اذا انشق معروف من الصبح ساطع ؛
يبيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالمشركين المضاجع ؛ قال
الزجاج والرماني التجافي والتجفي الى جهة فوق وكذلك هو في الصفح عن المخطي
في سب ونحوه والجنوب جمع جنب وفيما تتجافى جنوبهم عن المضاجع لاجله قولان
احدهما لذكر الله تعالى اما في صلاه واما في غير صلاه قاله ابن عباس والضحاك
الثاني للصلاه وفي الصلاه التي تتجافى جنوبهم لاجلها اربعه اقوال احدها
التنفل بالليل قاله الجمهور من المفسرين وعليه اكثر الناس وهو الذي فيه المدح
وهو قول مجاهد والاوزاعي ومالك ابن انس والحسن ابن ابي الحسن وابي العاليه
وغيرهم ويدل عليه قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قره اعين لانهم جوزوا

على ما اخفوا فاخفى لهم والله اعلم وسياتي بيانه وفي قيام الليل احاديث كثيره منها
حديث معاذ بن جبل وان النبي صلى الله عليه وسلم قال له الا ادلك على ابواب الخير
الصوم جنه والصدقه تطفي الخطيه كما يطفي الما النار وصلاة الرجل من جوف
الليل قال ثم تلى تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعلمون اخرجه ابو داود الطيالسي
في مسنده والقاضي اسمعيل بن اسحق وابو عيسى الترمذي وقال فيه حديث حسن
صحيح الثاني صلاة العشا التي يقال لها العتمه قاله الحسن وعطا وفي الترمذي عن
انس بن ملك ان هذه الايه تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت في انتظار الصلاة التي
تدعا العتمه قال هذا حديث حسن غريب الثالث التنفل ما بين المغرب والعشا
قاله قتاده وعكرمه وروي ابو داود عن انس بن ملك في هذه الايه تتجافى جنوبهم
عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون قال كانوا يتنفلون
ما بين المغرب والعشا الرابع قال الضحاك تجافي الجنب هو ان يصلي الرجل العشا
والصبح في جماعه وقاله ابو الدردا وقتاده قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهذا
قول حسن وهو يجمع الاقوال بالمعنى وذلك ان منتظر العشا الى ان يصليها في صلاه
وذكر لله جل وعز كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل في صلاة ما انتظر الصلاه
وقال انس المراد بالايه انتظار صلاة العشا الاخره لان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يوخرها الى نحو ثلث الليل قال ابن عطيه وكانت الجاهليه ينامون من اول
الغروب ومن اي وقت شا الانسان فجا انتظار وقت العشا غريبا شاقا ومصلي
الصبح في جماعه لسيما في اول الوقت كما كان عليه السلام يصليها والعاده ان من حافظ
على هذه الصلاه في اول الوقت يقوم سحرا يتوضا ويصلي ويذكر الله جل وعز الى
ان يطلع الفجر فقد حصل التجافي اول الليل واخره هذا مع ما رواه مسلم من حديث
عثمان ابن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى العشا في
جماعه فكانما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعه فكانما قام الليل كله
ولفظ الترمذي وابي داود في هذا الحديث من شهد العشا في جماعه فكانما قام
نصف ليله ومن صلى العشا والفجر في جماعه كان له كقيام ليله وقد مضى في سوره
النور عن كعب فيمن صلى بعد العشا الاخره اربع ركعات كن له بمنزلة ليلة القدر

وجات اثار حسان في فضل الصلاه بين المغرب والعشا وقيام الليل ذكره ابن المبارك
اخبرنا عيسى بن ايوب قال حدثني محمد بن الحجاج او ابن ابي الحجاج انه سمع عبد الكريم يحدث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشا
بني له قصر في الجنه فقال عمر بن الخطاب اذا تكثر قصورنا وبيوتنا يا رسول الله
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكثر وافضل وقال اطيب وعن عبد الله
ابن عمرو بن العاصي قال صلاه الاوابين الخلوه التي بين المغرب والعشا حتى يثوب الناس
الى الصلاه وكان عبد الله ابن مسعود يصلي في تلك الساعه ويقول صلاه الغفله
بين المغرب والعشا ذكره ابن المبارك ورواه الثعلبي مرفوعا عن ابن عمر قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم من جفت جنباه المضاجع ما بين المغرب والعشا بني له قصران
في الجنه مسيره عام وفيهما من الشجر ما لو نزلها اهل المشرق والمغرب لاوسعهم
فاكهه وهي صلاه الاوابين وغفله الغافلين وان من الدعا المستجاب الذي لا يرد
الدعا بين المغرب والعشا فصل في فضل التجافي ذكر ابن المبارك عن ابن
عباس قال اذا كان يوم القيمه نادى مناد ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الحامدون
لله على كل حال فيقومون فيسرحون الى الجنه ثم ينادي ثانيه ستعلمون اليوم من
اصحاب الكرم ليقم الذين كانت جنوبهم تتجافى عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا
ومما رزقناهم ينفقون قال فيقومون فيسرحون الى الجنه قال ثم ينادي ثالثه
ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الذين كانوا لا تلهيهم تجاره ولا بيع عن ذكر الله
واقام الصلاه وايتا الزكاه يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار فيقومون
فيسرحون الى الجنه ذكره الثعلبي مرفوعا عن اسما بنت يزيد قال النبي صلى الله عليه
وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيمه جا مناد فنادى بصوت تسمعه
الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم
عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم ينادي الثانيه ستعلمون اليوم من اولى الكرم
ليقم الذين لا تلهيهم تجاره ولا بيع عن ذكر الله فيقومون ثم ينادي الثالثه ستعلمون
اليوم من اولى بالكرم ليقم الحامدون لله على كل حال في السرا والضرا فيقومون وهم
قليل فيسرحون جميعا الى الجنه ثم يحاسب ساير الناس وذكر ابن المبارك

مطلب

اخبرنا عيسى

اخبرنا معمر عن رجل عن ابي العلا ابن الشخير عن ابي ذر قال ثلثه يضحك الله اليهم
ويستبشر الله بهم رجل قام من الليل وترك فراشه ودفئه ثم توضا فاحسن
الوضو ثم قام الى الصلاه فيقول الله لملايكته ما حمل عبدي على ما صنع فيقولون
ربنا انت اعلم به فيقول انا اعلم به ولكن اخبروني فيقولون رجيته شيا فرجاه
وخوفته فخافه فيقول اني اشهدكم اني قد امنته مما خاف واوجبت له ما رجاه
قال ورجل كان في سريه فلقي العدو فانهزم اصحابه وثبت هو حتى يقتل او يفتح
الله عليهم فيقول الله للمليكه مثل هذه القصه ورجل سرا في ليله حتى اذا كان
في اخر الليل نزل هو واصحابه فنام اصحابه وقام هو يصلي فيقول الله للمليكه
فذكر القصه **قوله** تعالى يدعون ربهم في موضع نصب على الحال اي
داعين ويحتمل ان يكون صفه مستانفه اي تتجافى جنوبهم وهم ايضا في كل حال
يدعون ليلهم ونهارهم خوفا مفعول من اجله ويجوز ان يكون مصدرا وطمعا مثله اي
خوفا من العذاب وطمعا في الثواب ومما رزقناهم ينفقون تكون ما بمعنى الذي وتكون
مصدرا وفي كلا الوجهين يجب ان تكون منفصله من من وينفقون قيل معناه الزكاه
المفروضه وقيل النوافل وهذا القول امدح **قوله** تعالى فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قره اعين قرا حمزه ما اخفي لهم باسكان اليا وفتحها الباقون وفي
قراه عبد الله ما نخفي بالنون مضمومه وروى المفضل عن الاعمش ما يخفي لهم باليا
المضمومه وفتح الفا وقرا ابن مسعود وابو هريره من قرات اعين فمن اسكن اليا
من قوله ما اخفي فهو مستقبل والالف الف المتكلم وما في موضع نصب باخفي وهي
استفهام والجمله في موضع نصب لوقوعها موقع المفعولين والضمير العايد على ما
محذوف ومن فتح اليا فهو فعل ماض مبني للمفعول وما في موضع رفع بالابتدا والخبر
اخفي وما بعده والضمير في اخفي عايد على ما قال الزجاج وتقرا ما اخفي لهم بمعنى
ما اخفى الله لهم وهي قراه محمد بن كعب وما في موضع نصب المهدوي ومن قرا قرات
اعين فهو جمع قره وحسن الجمع فيه لاضافته الى الجمع والافراد لانه مصدر وهو
اسم للجنس وقال ابو بكر الانباري وهذا غير مخالف للمصحف لان تا قره تكتب تا
على لغه من يجري الوصل على الوقف كما كتبوا رحمت الله بالتا ولا يستنكر سقوط

الالف من قرات في الخط وغير موجود في اللفظ كما لم يستنكر سقوط الالف من السموات
وهي ثابته في اللسان والنطق والمعنى المراد انه اخبر تعالى بما لهم من النعيم الذي
لم تعلمه نفس ولا بشر ولا ملك وفي معنى هذه الايه قال النبي صلى الله عليه وسلم
قال الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر ثم اقرا هذه الايه تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا
الى قوله بما كانوا يعملون اخرجه الصحيح من حديث سهل بن سعد الساعدي
وقال ابن مسعود في التوراه مكتوب على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما
لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال ابن عباس الامر في هذا
اجل واعظم من ان يعرف تفسيره قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهذه الكرامه
انما هي لاعلى اهل الجنه منزلا كما جا مبينا في صحيح مسلم عن المغيره ابن شعبه يرفعه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سال موسى عليه السلام ربه فقال يا رب
ما ادنى اهل الجنه منزله قال هو رجل ياتي بعد ما يدخل اهل الجنه الجنه فيقال له
ادخل الجنه فيقول اي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم واخذوا اخذاتهم فيقال
له اترضى ان يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت ربي فيقال لك
ذلك ومثله معه ومثله ومثله ومثله ومثله فيقال في الخامسه رضيت ربي
فيقال هذا لك وعشره امثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول
رضيت ربي قال رب فاعلاهم منزله قال اولئك الذين اردت غرست كرامتهم
بيدي وختمت عليها فلم ترعين ولا تسمع اذن ولم يخطر على قلب بشر قال ومصداقه
من كتاب الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قره اعين الايه وقد روي عن المغيره
مرفوعا قوله وخرج مسلم ايضا عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ذخرا بله ما اطلعتم عليه ثم قرا فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قره اعين وقال ابن سيرين المراد به النظر الى الله تعالى وقال الحسن
اخفى القوم اعمالا فاخفى لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت قوله تعالى
افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى

خطر

افمن

افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون اي ليس المومن كالفاسق فلهذا اتيناها ولا
المومنين الثواب العظيم قال ابن عباس وعطا بن يسار نزلت الايه في علي ابن ابي طالب
والوليد بن عقبه ابن ابي معيط وذلك انهما تلاحيا فقال له الوليد انا ادرب منك ابسط
لسانا واحد سنانا وارد للكتيبه وروي واملا في الكتيبه جسدا فقال له علي اسكت
فانك فاسق فنزلت الايه وذكر الزجاج والنحاس انها نزلت في علي وعقبه ابن
ابي معيط قال ابن عطيه وعلى هذا يلزم ان تكون الايه مكيه لان عقبه لم يكن بالمدينه
وانما قتل في طريق مكه منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر ويعترض
القول الاخر باطلاق اسم الفسق علي الوليد وذلك يحتمل ان يكون في صدر اسلام
الوليد لشي كان في نفسه او لما روي من نقله عن بني المصطلق ما لم يكن حتى نزلت فيه
ان جاكم فاسق بنبا فتبينوا علي ما ياتي في الحجرات بيانه ويحتمل ان تطلق الشريعه
ذلك عليه لانه كان علي طرف مما يبغي وهو الذي شرب الخمر في زمن عثمان وصلي
الصبح بالناس ثم التفت وقال تريدون ان ازيدكم ونحو هذا مما يطول ذكره الثانيه
لما قسم الله تعالي المومنين والفاسقين الذين فسقهم بالكفر لان التكذيب في اخر
الايه يقتضي ذلك اقتضي ذلك نفي المساواه بين المومن والكافر ولهذا منع القصاص
بينهما اذ من شرط وجوب القصاص المساواه بين القاتل والمقتول وبذلك احتج
علماونا علي ابي حنيفه في قتله المسلم بالذمي وقال اراد بنفي المساواه هاهنا في
الاخره في الثواب وفي الدنيا في العداله ونحن حملناه علي عمومه وهو اصح اذ لا دليل
يخصه قاله ابن العربي الثالثه قوله تعالي لا يستوون قال الزجاج
وغيره من يصلح للواحد والجمع النحاس لفظ من يودي عن الجماعه فلهذا قال لا
يستوون هذا قول كثير من النحويين وقال بعضهم لا يستوون لاثنين لان الاثنين
جمع لانه واحد جمع مع اخر وقاله الزجاج ايضا والحديث يدل علي هذا القول
لانه عن ابن عباس وغيره قال نزلت افمن كان مومنا في علي ابن ابي طالب كمن كان
فاسقا في الوليد بن عقبه ابن ابي معيط وقال الشاعر

اليس الموت بينهما سوا ... اذا ماتوا وصاروا في القبور ... **قوله** تعالي
اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوي اخبر عن مقر الفريقين غدا

فللمومنين جنات الماوي اي يا وون الي الجنات فاضاف الجنات الي الماوي لان ذلك الموضع
يتضمن جنات نزلا اي ضيافه والنزل ما يهيا للنازل والضيف وقد مضى في ال عمران
عمران وهو نصب على الحال من الجنات اي لهم الجنات معده ويجوز ان يكون مفعولا له
واما الذين فسقوا اي خرجوا عن الايمان الي الكفر فماواهم النار اي مقامهم فيها
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها اي اذا دفعهم لهب النار الي اعلاها ردوا الي
موضعهم فيه لانهم يطمعون في الخروج منها وقد مضى هذا في الحج وقيل لهم اي تقول
لهم خزنه جهنم او يقول الله لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون والذوق
يستعمل محسوسا ومعنى وقد مضى في هذه السوره بيانه قوله تعالى
ولنذيقنهم من العذاب الادنى قال الحسن وابو العاليه والضحاك وابي ابن كعب
وابرهيم النخعي العذاب الادنى مصايب الدنيا واسقامها مما يبتلي به العبد حتى يتوبوا
وقاله ابن عباس وعنه ايضا انه الحدود وقال ابن مسعود والحسين ابن علي وعبد الله
ابن الحرث هو القتل بالسيف يوم بدر وقال مقاتل الجوع سبع سنين بمكه حتى
اكلوا الجيف وقاله مجاهد وعنه ايضا العذاب الادنى عذاب القبر وقاله البرا
ابن عازب قالوا والاكبر عذاب يوم القيمه قال القشيري وقيل عذاب القبر وفيه
نظر لقوله لعلهم يرجعون قال ومن حمل العذاب على القتل قال لعلهم يرجعون
اي يرجع من بقي منهم ولا خلاف ان العذاب الاكبر عذاب جهنم الا ما روي عن جعفر بن
محمد انه خروج المهدي بالسيف والادنى غلا السعر وقد قيل ان معنى قوله
لعلهم يرجعون على قول مجاهد والبرا اي لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه لقوله فارجعنا
نعمل صالحا وسميت اراده الرجوع رجوعا كما سميت اراده القيام قياما في قوله تعالى
اذا قمتم الي الصلاه ويدل عليه قراه من قرا يرجعون على البنا للمفعول ذكره الزمخشري
قوله تعالى ومن اظلم اي لا احد اظلم لنفسه ممن ذكر بايات ربه اي
بحججه وعلاماته ثم اعرض عنها بترك القبول انا من المجرمين منتقمون لتكذيبهم
واعراضهم قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مريه
من لقايه فلا تكن يا محمد في شك من لقا موسى قاله ابن عباس وقد لقيه ليله الاسرا
والمعنى واحد وقيل فلا تك في شك من لقا موسى قتاده المعنى فلا تك في

شك

شك من انك لقيته ليله الاسرا والمعنى واحد وقيل فلا تكن في شك من لقا موسى
في القيامه وستلقاه فيها وقيل فلا تكن في شك من لقا موسى الكتاب بالقبول قاله
مجاهد والزجاج وعن الحسن انه قال في معناه ولقد اتينا موسى الكتاب فاوذي
وكذب فلا تكن في شك من انه سيلقاك ما لقيه من التكذيب والاذى فالهاء عايده
على محذوف والمعنى من لقا ما لاقى قال النحاس وهذا قول غريب الا انه من روايه عمرو بن
عبيد وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم
فلا تكن في مريه من لقايه فجا معترضا بين ولقد اتينا موسى الكتاب وبين وجعلناه
هدى لبني اسرايل والضمير في جعلناه فيه وجهان احدهما جعلنا موسى قاله قتاده
الثاني جعلنا الكتاب قاله الحسن وجعلنا منهم ايمه اي قاده وقدوه يقتدى بهم
في دينهم والكوفيون يقرون ائمه قال النحاس وهو لحن عند جميع النحويين لانه جمع
بين همزتين في كلمه واحده وهو من دقيق النحو وشرحه ان الاصل أأممه ثم
القيت حركة الميم على الهمزه وادغمت الميم وخففت الهمزه الثانيه لئلا يجتمع همزتان
والجمع بين همزتين في حرفين بعيد فاما في حرف واحد فلا يجوز الا تخفيف الثانيه
نحو قولك ادم واخر ويقال هذا اوم من هذا وايم بالواو واليا وقد مضى
في براه يهدون بامرنا اي يدعون الخلق الى طاعتنا بامرنا اي امرناهم بذلك
وقيل بامرنا اي لامرنا اي يهدون الناس لديننا ثم قيل المراد الانبيا قاله قتاده
وقيل المراد الفقها والعلما لما صبروا قراه العامه لما بفتح اللام وشد الميم وفتحها
اي حين صبروا وقرا يحيى وحمزه والكساي وخلف ورويس عن يعقوب لِما
صبروا اي لصبرهم جعلناهم ايمه واختاره ابو عبيد اعتبارا بقراه ابن مسعود بما
صبروا بالبا وهذا الصبر صبر على الدين وعلى البلا وقيل صبروا عن الدنيا ان
ربك هو يفصل بينهم اي يقضي ويحكم بين المومنين والكفار فيجازي كلا بما يستحق
وقيل يقضي بين الانبيا وبين قومهم حكاه النقاش قولـــــه تعالى اولم
يهد لهم وقرا ابو عبد الرحمن السلمي وقتاده وابو زيد عن يعقوب نهد لهم بالنون
فهذه قراه بينه قال النحاس وبالياء فيها اشكال لانه يقال الفعل لا يخلو من فاعل
فاين الفاعل ليهد فتكلم النحويون في هذا فقال الفرا كم في موضع رفع بيهد وهذا

نقض لاصول النحويين في قولهم ان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ولا في كم بوجه اعني
ما قبلها ومذهب ابي العباس ان يهد يدل على الهدى والمعنى اولم يهد لهم
الهدى والمعنى اولم يهد الله لهم فيكون معنى اليا والنون واحدا اي اولم يبين لهم
اهلاكنا القرون الكافره من قبلهم وقال الزجاج كم في موضع نصب باهلكنا يمشون
في مساكنهم يحتمل الضمير في يمشون ان يعود على الماشين في مساكن المهلكين اي وهاولا
يمشون ولا يعتبرون ويحتمل ان يعود على المهلكين فيكون حالا والمعنى اهلكناهم ماشين
في مساكنهم ان في ذلك لايات افلا يسمعون ايات الله وعظاته فيتعظون قوله
تعالى اولم يروا انا نسوق الما الى الارض الجرز اي اولم يعلموا كمال قدرتنا بسوقنا
الما الى الارض اليابسه التي لا نبات فيها فنحييها الزمخشري الجرز الارض التي
جرز نباتها اي قطع اما لعدم الما واما لانه رعي وازيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ
جرز ويدل عليه قوله فنخرج به زرعا قال ابن عباس هي ارض باليمن وقال
مجاهد هي ابين وقال عكرمه هي الارض الظما وقال الضحاك هي الارض الميته
العطشى وقال الفرا هي الارض التي لا نبات لها وقال الاصمعي هي التي لا تنبت
شيا قال محمد بن يزيد يبعد ان تكون الارض بعينها لدخول الالف واللام الا انه يجوز على
قول من قال العباس والضحاك والاسناد عن ابن عباس صحيح لا مطعن فيه وهذا
انما هو نعت والنعت للمعرفه يكون بالالف واللام وهو مشتق من قولهم رجل جزور
اذا كان لا يبقي شيا الا اكله قال الراجز

ذبت جزور واذا جاع بكى ويأكل التمر ولا يلقي النوى وكذلك ناقه جزور
اذا كانت تاكل شيا تجده وسيف جراز اي قاطع ماض وجرزت الجراد الزرع
اذا استاصلته بالاكل وحكى الفرا وغيره انه يقال ارض جرز وجرز وجرز وجرز
وجرز وكذلك بخل ورغب ورهب في الاربعه اربع لغات وقد روي ان هذه
الارض لا انهار فيها وهي بعيده من البحر وانما ياتيها في كل عام واديان فيزرعون
ثلث مرات في كل عام وعن مجاهد ايضا انها ارض النيل فنخرج به اي بالما زرعا
تاكل منه انعامهم من الكلا والحشيش وانفسهم من الحب والخضر والفواكه
افلا يبصرون هذا فيعلمون انا نقدر على اعادتهم ونخرج تكون معطوفا على

نسوق

نسوق او منقطعا مما قبله تاكل منه انعامهم في موضع نصب على النعت قوله
تعالى ويقولون متى هذا الفتح متى في موضع رفع ويجوز ان يكون في موضع نصب
على الظرف قال قتاده الفتح القضا قال الفرا والقتبي يعني فتح مكه واولى من
هذا ما قاله مجاهد قال يعني يوم القيمه ويروى ان المومنين قالوا سيحكم الله عز
وجل بيننا يوم القيمه فيثيب المحسن ويعاقب المسي فقال الكفار على التهزي متى يوم
الفتح اي هذا الحكم ويقال للحاكم فاتح وفتاح لان الاشيا تنفتح على يديه وتنفصل
وفي القران ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقد مضى هذا في البقره وغيرها
قل يوم الفتح على الظرف واجاز الفرا الرفع لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم
ينظرون اي يوخرون ويمهلون للتوبه ان كان يوم الفتح يوم بدر او فتح مكه ففي
بدر قتلوا ويوم الفتح هربوا فلحقهم خالد بن الوليد فقتلهم قوله تعالى
فاعرض عنهم قيل معناه اعرض عن سفههم ولا تجبهم الا بما امرت به وانتظر انهم
منتظرون اي انتظر يوم الفتح يوم يحكم الله لك عليهم ابن عباس فاعرض عنهم اي
عن مشركي قريش مكه وان هذا منسوخ بالسيف في براه في قوله فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وانتظر اي موعدي لك قيل يعني يوم بدر انهم منتظرون اي ينتظرون
بكم حوادث الزمان وقيل الايه غير منسوخه اذ قد يقع الاعراض مع الامر بالقتال
كالهدنه وغيرها وقيل اعرض عنهم بعد ما بلغت الحجه وانتظر انهم منتظرون ان قيل
كيف ينتظرون القيامه وهم لا يومنون ففي هذا جوابان احدهما ان يكون المعنى انهم
منتظرون الموت وهو من اسباب القيامه فيكون هذا مجاز والاخر ان فيهم من
يشك وفيهم من يوقن بالقيامه فيكون هذا جوابا لهذا الصنفين والله اعلم وقرا
ابن السميفع انهم منتظرون بفتح الظا ورويت عن مجاهد وابن محيصن قال
الفرا لا يصح هذا الا باضمار مجازه انهم منتظرون بهم قال ابو حاتم الصحيح الكسر
اي انتظر هلاكهم انهم منتظرون هلاكك وقد قيل ان قراه ابن السميفع بفتح
الظا ومعناها وانتظر هلاكهم فانهم احقا بان ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون
لا محاله وانتظر ذلك فان الملايكه في السما ينتظرونه ذكره الزمخشري وهو
معنى قول الفرا والله اعلم تمت السوره بحمد الله وعونه

سورة الأحزاب

مدنية في قول جميعهم نزلت في المنافقين
وإيذائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعنهم فيه وفي مناكحته وغيرها وهي
ثلاث وسبعون آية وكانت هذه السورة تعدل سورة البقرة وكانت فيها آية
الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم
ذكره أبو بكر الأنباري عن أبي بن كعب وهذا يحمله أهل العلم على أن الله تعالى رفع
من الأحزاب إليه ما يزيد على ما في أيدينا وأن آية الرجم رفع لفظها وقد حدثنا
أحمد بن الهيثم بن خالد ثنا أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا ابن أبي مريم عن ابن
لهيعة عن أبي الأسود عن عروة عن عائشة قالت كانت سورة الأحزاب تعدل
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتي آية فلما كتب المصحف لم يقدر منها إلا على
ما هي الآن قال أبو بكر فمعنى هذا من قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن الله
تعالى رفع إليه من سورة الأحزاب ما يزيد على ما عندنا قال الشيخ القرطبي
رحمه الله هذا وجه من وجوه النسخ وقد تقدم في البقرة القول فيه
مستوفى والحمد لله وروى زر قال لي أبي بن كعب كم تعدون سورة
الأحزاب قلت ثلاثا وسبعون آية قال والذي يحلف به أبي بن كعب إن كانت
لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا
زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبي أن ذلك من جملة
ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة
فأكلتها الداجن فمن تأليف الملاحدة والروافض

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا أيها النبي
اتق الله الآية ضمت أي لأنه نداء مفرد والتنبيه لازم لها والنبي نعت لأي
عند النحويين إلا الأخفش فإنه يقول إنه صلة لأي مكي ولا يعرف في كلام العرب
اسم مفرد صلة لشيء النحاس وهو خطأ عند أكثر النحويين لأن الصلة لا تكون إلا
جملة والاحتيال له فيما قال أنه لما كان نعتا لازما سمي صلة وهكذا الكوفيون يسمون
نعت النكرة صلة لها ولا يجوز نصبه على الموضع عند أكثر النحويين وأجازه المازني
جعله كقولك يا زيد الظريف بنصب الظريف على موضع زيد مكي وهذا نعت

يستغني

يستغنى عنه ونعت اي لا يستغنى عنه فلا يحسن نصبه على الموضع وايضا فان نعت اي
هو المنادى في المعنى فلا يحسن نصبه وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر
الى المدينه كان يحب اسلام اليهود قريظه والنضير وبني قينقاع وقد تابعه ناس منهم
على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز عنه
وكان يسمع منهم فنزلت وقيل انها نزلت فيما ذكر الواحدي والقشيري والثعلبي
والماوردي وغيرهم في ابي سفين ابن حرب وعكرمه ابن ابي جهل وابي الاعور عمرو بن
سفين نزلوا المدينه على عبد الله ابن ابي ابن سلول راس المنافقين بعد احد وقد
اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله ابن سعد
ابن ابي سرح وطعمة ابن ابيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب
ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعه ومنعه لمن عبدها
وندعك وربك فشق على النبي صلى الله عليه وسلم ما قالوا فقال عمر يا رسول الله ايذن
لنا في قتلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني قد اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا
في لعنة الله وغضبه فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يخرجوا من المدينه فنزلت الايه
يايها النبي اتق الله اي خف الله ولا تطع الكافرين من اهل مكه يعني ابا سفين وابا
الاعور وعكرمه والمنافقين من اهل المدينه يعني عبد الله ابن ابي وطعمه وعبد
الله ابن ابي سرح فيما نهيت عنه ولا تمل اليهم ان الله كان عليما بكفرهم حكيما فيما
يفعل بهم آ الزمخشري روى ان ابا سفين ابن حرب وعكرمه ابن ابي جهل وابا الاعور
السلمي قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم في الموادعه التي كانت بينه وبينهم وقام
فيهم عبد الله ابن ابي ومعتب ابن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ارفض ذكر الهتنا وذكر الخبر بمعنى ما تقدم وان الايه نزلت في نقض
العهد ونقض الموادعه ولا تطع الكافرين من اهل مكه والمنافقين من اهل المدينه
فيما طلبوا اليه وروى ان اهل مكه دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع
عن دينه ويعطوه شطر اموالهم ويزوجه شيبه ابن ربيعه بنته وخوفه منافقوا
المدينه انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت النحاس ودل بقوله ان الله كان عليما حكيما
على انه يميل اليهم استدعا لهم الى الاسلام اي لو علم الله عز وجل ان ميلك اليهم

فيه منفعة لما نهاك عنه لانه حكيم ثم قيل الخطاب له ولامته قوله تعالى
واتبع ما يوحى اليك من ربك يعني القران وفيه زجر عن اتباع مراسم الجاهليه وامر
بجهادهم ومنابذتهم وفيه دليل على ترك اتباع الارا مع وجود النص والخطاب
له ولامته ان الله كان بما تعملون خبيرا قراه العامه بالتا على الخطاب وهو
اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقرا السلمي وابو عمرو وابن ابي اسحق يعملون
بالياء على الخبر وكذلك في قوله بما يعملون بصيرا وتوكل على الله اي اعتمد عليه في
كل احوالك فهو الذي يمنعك ولا يضرك من خذلك وكفى بالله وكيلا حافظا وقال
شيخ من اهل الشام قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد من ثقيف فطلبوا منه
ان يمتعهم باللات سنه وهي الطاغيه التي كانت ثقيف تعبدها وقالوا لتعلم قريش
منزلتنا عندك فهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فنزلت وتوكل على الله وكفى بالله
وكيلا اي كافيا لك ما تخافه منهم وبالله في موضع رفع لانه الفاعل ووكيلا
نصب على البيان او الحال قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه
الى قوله السبيل فيه خمس مسايل الاولى قال مجاهد نزلت في رجل من قريش
كان يدعا ذا القلبين من دهايه وكان يقول ان لي في جوفي قلبين اعقل بكل واحد منهما
افضل من عقل محمد قال وكان من فهر الواحدي والقشيري وغيرهما نزلت في
جميل ابن معمر الفهري وكان رجلا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما يحفظ هذه
الاشيا الا وله قلبان وكان يقول لي قلبان اعقل بهما افضل من عقل محمد فلما انهزم
المشركون يوم بدر ومعهم جميل ابن معمر راه ابو سفيان في العير وهو معلق
احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال ابو سفيان ما حال الناس قال انهزموا
قال فما بال احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك قال ما شعرت الا انهما في
رجلي فعرفوا يوميذ انه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده وقال السهيلي
كان جميل ابن معمر الجمحي وهو ابن معمر بن حبيب ابن وهب ابن حذافه ابن جمح واسم
جمح تيم وكان يدعى ذا القلبين فنزلت فيه الايه وفيه يقول الشاعر
وكيف ثوايي بالمدينه بعدما قضى وطرا منها جميل ابن معمر ؛ قال الشيخ القرطبي
رحمه الله كذا قالوا جميل ابن معمر وقال الزمخشري جميل ابن اسد الفهري وقال

مطلب ما جعل الله [illegible] نزلت في جميل ابن معمر الفهري

مطلب التمثيل كما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا يكون ولد واحد لرجلين

ابن عباس سببها ان بعض المنافقين قال ان محمدا له قلبان لانه ربما كان في شي فنزع
في غيره نزعه ثم عاد الى شانه الاولى فقالوا ذلك عنه فاكذبهم الله عز وجل
وقيل نزلت في عبد الله ابن خطل وقال الزهري وابن حبان نزل ذلك تمثيلا في
زيد بن حارثة لما تبناه النبي صلى الله عليه وسلم فالمعنى كما لا يكون لرجل قلبان كذلك
لا يكون ولد واحد لرجلين قال النحاس وهذا قول ضعيف لا يصح في اللغة
وهو من منقطعات الزهري رواه معمر عنه وقيل هو مثل ضرب للظاهر اي كما
لا يكون للرجل قلبان كذلك لا تكون امراة المظاهر امه حتى يكون له امان وقيل
كان الواحد من المنافقين يقول لي قلب يامرني بكذا وقلب يامرني بكذا فالمنافق ذو
قلبين فالمقصود رد النفاق وقيل لا يجتمع الكفر والايمان بالله في قلب كما لا يجتمع
قلبان في جوف فالمعنى لا يجتمع اعتقادان متغايران في قلب ويظهر من الاية بجملتها
نفي اشيا كانت العرب تعتقدها في ذلك الوقت واعلام بحقيقة الامر والله اعلم
الثانيه القلب بضعة صغيرة على هيئة الصنوبرة خلقها الله في الادمي وجعلها
محلا للعلم فيحصي به العبد من العلوم ما لا يسع في اسفار يكتبه الله فيه بالخط
الالاهي ويضبطه فيها بالحفظ الرباني حتى يحصيه ولا ينسى منه شيا وهو بين
لمتين لمة من الملك ولمة من الشيطان كما قال عليه السلام خرجه الترمذي وقد
مضى في البقره وهو محل الخطرات والوساوس ومكان الكفر والايمان وموضع
الاصرار والانابه ومجرى الانزعاج والطمانينه والمعنى في الايه انه لا يجتمع
في القلب الكفر والايمان والهدى والضلال والانابه والاصرار وهذا نفي لكل
ما توهمه احد في ذلك من حقيقة او مجاز والله اعلم الثالثه اعلم الله عز وجل
في هذه الايه انه لا احد بقلبين ويكون في هذا طعن على المنافقين الذين تقدم ذكرهم
اي انما هو قلب واحد فاما فيه ايمان واما كفر لان درجة النفاق كانها متوسطة
فنفاها الله وبين انه قلب واحد وعلى هذا النحو يستشهد الانسان بهذه الايه
متى نسي شيا او وهم يقول على جهة الاعتذار ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه
الرابعه قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللاي تظهرون منهن امهاتكم
يعني قول الرجل لامراته انت علي كظهر امي وذلك مذكور في سورة المجادله

على ما ياتي ان شا الله تعالى الخامسه قوله تعالى وما جعل ادعياكم ابناكم
اجمع اهل التفسير على ان هذا انزل في زيد بن حارثه روى الايمه ان ابن عمر قال ما كنا
ندعوا زيد بن حارثه الا زيد بن محمد حتى نزلت ادعوهم لابايهم هو اقسط عند الله
وكان زيد فيما روي عن انس ابن ملك وغيره مسبيا من الشام سبته خيل من تهامه
فابتاعه حكيم ابن حزام ابن خويلد فوهبه لعمته خديجه بنت خويلد فوهبته خديجه
للنبي صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه فاقام عنده مده ثم جاء عمه وابوه يرغبان في
فدايه فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل البعث خيراه فان اختاركما فهو لكما
دون فدا فاختار الرق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حريته وقومه فقال
محمد صلى الله عليه وسلم عند ذلك يا معشر قريش اشهدوا انه ابني يرثني وارثه وكان
يطوف على حلق قريش يشهدهم على ذلك فرضي ذلك عمه وابوه وانصرفا وكان ابوه
لما سبي يدور على الشام ويقول

بكيت على زيد ولم ادر ما فعل ... احي فيرجى ام اتى دونه الاجل
فوالله لا ادري واني لسايل ... اغالك بعدي السهل ام غالك الجبل
فيا ليت شعري هل لك الدهر اوبه ... فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها ... ويعرض ذكراه اذا غربها افل
وان هبت الارياح هيجن ذكره ... فيا طول ما حزني عليه وما وجل
ساعمل نص العيس في الارض جاهدا ... ولا اسام التطواف وتسام الابل
حياتي او تاتي علي منيتي ... فكل امري فان وان غره الامل

فاخبر انه بمكه فجا اليه فهلك عنده وروي انه جا اليه فخيره النبي صلى الله عليه
وسلم كما ذكرنا وانصرف وسياتي من ذكره وشرفه وفضله شفا عند قوله فلما
قضى زيد منها وطرا ان شا الله وقتل زيد بموته من ارض الشام سنه ثمان من الهجره
وكان النبي صلى الله عليه وسلم امره في تلك الغزاه وقال ان قتل زيد فجعفر
فان قتل جعفر فعبد الله ابن رواحه فقتل الثلاثه في تلك الغزاه رضوان الله
عليهم ولما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعي زيد وجعفر بكى وقال اخواي
ومونساي ومحدثاي قوله تعالى ادعوهم لابايهم هو اقسط عند الله

الى قوله رحيما فيه ست مسائل الاولى قوله تعالى ادعوهم لاباىهم نزلت في زيد بن
حارثه على ما تقدم بيانه وفي قول ابن عمر ما كنا ندعوا زيد بن حارثه الا زيد بن محمد
دليلا على ان التبني كان معمولا به في الجاهليه والاسلام يتوارث به ويتناصر الى
ان نسخ الله ذلك بقوله ادعوهم لاباىهم هو اقسط عند الله اي اعدل فرفع الله
حكم التبني ومنع من اطلاق لفظه وارشد بقوله الى ان الاولى والاعدل ان
ينسب الرجل الى ابيه نسبا فيقال كان الرجل في الجاهليه اذا اعجبه جلد الرجل
وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب
اليه فيقال فلان بن فلان وقال النحاس هذه الايه ناسخه لما كانوا عليه من
التبني وهو من نسخ السنه بالقران فامر ان يدعوا من دعوا الى ابيه المعروف
المومنون صح
فان لم يكن له اب معروف نسبوه الى وليه فان لم يكن له ولي معروف قال يا اخي
يعني في الدين قال الله تعالى انما اخوه الثانيه لو نسبه انسان الى ابيه من
التبني فان كان على جهه الخطا وهو ان يسبق لسانه الى ذلك من غير قصد فلا اثم
ولا مواخذه لقوله تعالى وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به وكذلك لو دعوت رجلا
لغير ابيه وانت ترى انه ابوه فليس عليك باس قاله قتاده ولا يجري هذا المجرى
ما غلب عليه اسم التبني كالحال في المقداد ابن عمرو فانه كان غلب عليه نسب التبني فلا
يكاد يعرف الا بالمقداد ابن الاسود فان الاسود ابن عبد يغوث كان قد تبناه في الجاهليه
وعرف به فلما نزلت الايه قال المقداد انا ابن عمرو ومع ذلك فبقي الاطلاق عليه
ولم يسمع فيمن مضى من عصى مطلق ذلك عليه وان كان متعمدا وكذلك سالم مولى ابي حذيفه
وكان يدعى لابي حذيفه وغيرهما ولا من تبنى وانتسب لغير ابيه وشهر بذلك
وغلب عليه وذلك بخلاف الحال في زيد بن حارثه فانه لا يجوز ان يقال فيه زيد بن محمد
فان قاله احد متعمدا عصى بقوله تعالى ولكن ما تعمدت قلوبكم اي فعليكم الجناح
والله اعلم ولذلك قال بعده وكان الله غفورا رحيما اي غفورا للعمد رحيما
برفع اثم الخطا الثالثه وقد قيل ان قوله تعالى لا جناح عليكم فيما اخطاتم
مجمل اي وليس عليكم جناح في شي اخطاتم به وكانت فتيا عطا وكثير من العلما على
هذا اذا حلف رجل لا يفارق غريمه حتى يستوفي منه حقه فاخذ منه ما يرى انه

جيد من دنانير فوجدها زجاجا انه لا شي عليه وكذلك عنده اذا حلف ان لا يسلم علي
فلان فسلم عليه وهو لا يعرفه انه لا يحنث لانه لم يتعمد ذلك وما في موضع خفض
ردا على ما التي مع اخطاتم ويجوز ان يكون في موضع رفع على اضمار مبتدا والتقدير
ولكن الذي تواخذون به ما تعمدت قلوبكم قال له قتاده وغيره من نسب رجلا الى
غير ابيه وهو يرى انه ابوه خطا من الذي رفع الله فيه الجناح وقيل هو ان يقول
له في المخاطبة يا بني على غير تبني الرابعه قوله تعالى ذلكم قولكم بافواهكم
بافواهكم تاكيد لبطلان القول اي انه قول لا حقيقة له في الوجود انما هو لساني
فقط وهذا كما تقول انا امشي اليك على قدم فانما تريد بذلك المبره وهذا كثير
وقد تقدم هذا المعنى في غير موضع والله يقول الحق نصب لمصدر محذوف اي
يقول القول الحق يهدي معناه يبين فهو يتعدى بغير حرف جر الخامسه
الادعيا جمع الدعي وهو الذي يدعي ابنا لغير ابيه او يدعيه غير ابيه والمصدر
الدعوه بالكسر فامر تعالى بدعا الادعيا الى ابايهم للصلب فمن جهل ذلك فيه
ولم تشتهر انسابهم كان مولى واخا في الدين وذكر الطبري ان ابا بكره قرا هذه
الايه ثم قال انا ممن لا يعرف ابوه فانا اخوكم في الدين ومولاكم قال الراوي عنه
ولو علم والله ان اباه حمار لانتمى اليه ورجال الحديث يقولون في ابي بكره نفيع ابن
الحرث السادسه روي في الصحيح عن سعد بن ابي وقاص وابي بكره كلاهما
قال سمعته اذناي ووعاه قلبي محمدا صلى الله عليه وسلم يقول من ادعى الى غير ابيه
وهو يعلم انه غير ابيه فالجنه عليه حرام وفي حديث ابي ذر انه سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ليس من رجل ادعى لغير ابيه وهو يعلمه الا كفر قوله
تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم الى قوله مسطورا. فيه تسع مسايل
الاولى قوله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم هذه الايه ازال الله بها
احكاما كانت في صدر الاسلام منها انه عليه السلام كان لا يصلي على ميت عليه
دين فلما فتح الله عليه الفتوح قال انا اولى بالمومنين من انفسهم فمن توفي
وعليه دين فعلي قضاوه ومن ترك مالا فلورثته اخرجه الصحيحان وفيهما
ايضا فايكم ما ترك دينا او ضياعا فانا مولاه قال ابن العربي فانقلبت الان

الحال بالذنوب فان تركوا مالا فلوارثه وان تركوا ضياعا فاسلموا
اليه فهذا تفسير الولاية المذكورة في هذه الاية بتفسير النبي صلى الله عليه وسلم
وتبيينه ولا عطر بعد عروس قال ابن عطيه وقال بعض العلما العارفين
هو اولى بهم من انفسهم لان انفسهم تدعوهم الى الهلاك وهو يدعوهم الى النجاه
قال ابن عطيه ويويد هذا قوله عليه السلام انا اخذ بحجزكم عن النار وانتم تقتحمون
فيها تقحم الفراش قال الشيخ القرطبي رحمه الله هذا قول حسن في معنى
الايه وتفسيرها والحديث الذي ذكر اخرجه مسلم في صحيحه عن ابي هريره
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثلي ومثل امتي كمثل رجل استوقد نارا
فجعلت الدواب والفراش تقعن فيه وانا اخذ بحجزكم وانتم تقتحمون فيه وعن
جابر مثله وقال وانتم تفلتون من يدي قال العلما الحجزه للسراويل والمعقد
للازار واذا اراد الرجل امساك من يخاف سقوطه اخذ بذلك الموضع منه وهذا
مثل لاجتهاد نبينا صلى الله عليه وسلم في نجاتنا وحرصه على تخلصنا من المهلكات
التي بين ايدينا فهو اولى بنا من انفسنا ولجهلنا بقدر ذلك وغلبه شهواتنا علينا
وظفر عدونا اللعين بنا صرنا احقر من الفراش واذل من الفراش ولا حول ولا
قوه الا بالله وقيل اولى بهم اي انه اذا امر بشي ودعت النفس الى غيره كان امر
النبي صلى الله عليه وسلم اولى وقيل اولى بهم اي هو اولى بان يحكم على المومنين
فينفذ حكمه في انفسهم اي فيما يحكمون به لانفسهم مما يخالف حكمه الثانيه قال
بعض اهل العلم يجب على الامام ان يقضي من بيت المال دين الفقرا اقتدا بالنبي صلى الله
عليه وسلم فانه قد صرح بوجوب ذلك عليه حيث قال فعلي قضاوه والضياع بفتح
الضاد مصدر ضاع ثم جعل اسما لكل ما يصدد ان يضيع من عيال المومنين لا كافل
لهم ومال لا قيم له وسميت الارض ضيعه لانها معرضه للضياع وجمع ضياع بكسر
الضاد الثالثه قوله تعالى وازواجه امهاتهم شرف تعالى ازواج
نبيه صلى الله عليه وسلم بان جعلهن امهات المومنين اي في وجوب التعظيم والمبره
والاجلال وحرمه النكاح وحجبهن رضي الله عنهن بخلاف الامهات وقيل لما
كانت شفقتهن عليهم كشفقه الامهات انزلن منزله الامهات ثم هذه الامومه

لا توجب ميراثا كالمومنة التبني وجاز تزويج بناتهن ولا يجعلن اخوات للناس وياتي
عدد ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في اية التخيير ان شا الله تعالى واختلف الناس
هل هن امهات الرجال والنسا ام امهات الرجال خاصة على قولين فروى الشعبي
عن مسروق عن عايشة رضي الله عنها ان امراة قالت لها يا امه فقالت لها لست لك
بام انما انا ام رجالكم قال ابن العربي وهو الصحيح قال الشيخ
لا فايدة لاختصاص الحصر في الاباحة للرجال دون النسا والذي يظهر لي انها امهات
الرجال والنسا تعظيما لحقهن على الرجال والنسا يدل عليه صدر الاية النبي اولى
بالمومنين من انفسهم وهذا يشمل الرجال والنسا ضرورة ويدل على ذلك حديث ابي
هريرة وجابر فيكون قوله وازواجه امهاتهم عايدا الى الجميع ثم ان في مصحف ابي ابن كعب
وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقرا ابن عباس من انفسهم وهو اب وازواجه
وهذا كله يوهن ما رواه مسروق ان صح من جهة الترجيح وان لم يصح فيسقط
الاستدلال به في التخصيص وبقينا على الاصل الذي هو العموم الذي يسبق الى الفهوم
والله اعلم الرابعة قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب
الله من المومنين والمهاجرين قيل انه اراد بالمومنين الانصار وبالمهاجرين قريشا
وفيه قولان احدهما ان هذا ناسخ للتوارث بالهجرة حكى سعيد عن قتادة قال
كان نزل في سورة الانفال والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شي حتى
يهاجروا فتوارث المسلمون بالهجرة فكان لا يرث الاعرابي المسلم من قريبه
المسلم المهاجر شيا حتى ثم نسخ ذلك في هذه السورة بقوله واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض الثاني ان ذلك ناسخ للتوارث بالحلف والمواخاة في الدين
روى هشام ابن عروة عن ابيه عن الزبير واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في
كتاب الله وذلك انا معشر قريش لما قدمنا المدينة قدمنا ولا اموال لنا فوجدنا
الانصار نعم الاخوان فاخيناهم فاورثونا واورثناهم فاخى ابو بكر خارجة ابن
زيد واخيت انا كعب ابن مالك فجيت فوجدته السلاح قد اثقله فوالله لقد
مات عن الدنيا ما ورثه غيري حتى انزل الله هذه الاية فرجعنا الى مواريثنا وثبت
عن عروة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخى بين الزبير وبين كعب ابن مالك فارتث

كعب يوم احد فجا الزبير يقوده بزمام راحلته فلو مات يومئذ كعب عن الضح والريح
لورثه الزبير فانزل الله جل وعز واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب
الله فبين الله ان القرابه اولى من الحلف فتركت الوراثه بالحلف وورثوا بالقرابه
وقد مضى في الانفال الكلام في توريث ذوي الارحام وقوله في كتاب الله يحتمل ان
يريد القران ويحتمل ان يريد اللوح المحفوظ الذي قضى فيه احوال خلقه ومن المومنين
متعلق باولى لا بقوله واولوا الارحام بالاجماع لان ذلك كان يوجب تخصيصا ببعض
المومنين ولا خلاف في عمومها وهذا حل اشكالها قاله ابن العربي النحاس واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المومنين والمهاجرين يجوز ان يتعلق
من المومنين باولوا فيكون التقدير واولوا الارحام من المومنين والمهاجرين ويجوز
ان يكون المعنى اولى من المومنين وقال المهدوي وقيل ان معناه واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في كتاب الله الا ما يجوز لازواج النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعين
امهات المومنين الخامسه واختلف في كونهن كالامهات في المحرم واباحه
النظر على وجهين احدهما هن محرم لا يحرم النظر اليهن الثاني ان النظر اليهن
محرم لان تحريم نكاحهن انما كان حفظا لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
وكان من حفظ حقه تحريم النظر اليهن ولان عايشه رضي الله عنها كانت اذا ارادت
دخول رجل عليها امرت اختها اسما ان ترضعه ليصير ابنا لاختها من الرضاعه فيصير
محرما يستبيح النظر واما اللاتي طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته
فقد اختلف في ثبوت هذه الحرمه لهن على ثلاثه اوجه احدها تثبت لهن
هذه الحرمه تغليبا لحرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالث لا تثبت ذلك
لهن بل هن كساير النسا لان النبي صلى الله عليه وسلم قد اثبت عصمتهن وقال ازواجي
في الدنيا هن ازواجي في الاخره الرابعه من دخل بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم منهن ثبتت حرمتها وحرم نكاحها وان طلقها حفظا لحرمته وحراسه لخلوته
ومن لم يدخل بها لم تثبت لها هذه الحرمه وقد هم عمر بن الخطاب رضي الله عنه
برجم امراه فارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لم هذا وما ضرب علي رسول
الله صلى الله عليه وسلم حجابا ولا سميت ام المومنين فكف عنها الخامسه

قال قوم لا يجوز ان يسمى النبي صلى الله عليه وسلم ابا لقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من
رجالكم ولكن يقال مثل الاب للمومنين كما قال انما انا لكم بمنزله الوالد اعلمكم الحديث
خرجه ابو داود والصحيح انه يجوز ان يقال انه ابو المومنين اي في الحرمه وقوله
ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي في النسب وسياتي وقرا ابن عباس من انفسهم
وهو اب لهم وازواجه وسمع عمر هذه القراه فانكرها وقال حكها يا غلام فقال
له انها في مصحف ابي فذهب اليه فساله فقال له ابي انه كان يلهيني القران
ويلهيك الصفق بالاسواق واغلظ لعمر وقد قيل في قول لوط عليه السلام
هولا بناتي انما اراد المومنات اي تزوجوهن وقد تقدم السادسه قال
قوم لا يقال بناته اخوات المومنين ولا اخوالهن اخوال المومنين وخالاتهم
قال الشافعي تزوج الزبير اسما بنت ابي بكر وهي اخت عايشه ولم يقل هي خاله
المومنين واطلق قوم هذا وقالوا معاويه خال المومنين يعني في الحرمه لا في
النسب السابعه قوله تعالى الا ان تفعلوا الى اوليايكم معروفا يريد
الاحسان في الحياه والوصيه عند الميت اي ان ذلك الوصيه جايزه قاله قتاده
والحسن وعطا وابن الحنفيه قال محمد بن الحنفيه نزلت في اجازه الوصيه لليهودي
وللنصراني اي يفعل والقريب وان كان كافرا فالمشرك ولي في النسب لا في
الدين فتوصي له بوصيه واختلف العلما هل يجعل الكافر وصيا فجوزه بعض ومنع
بعض ورد النظر الى السلطان في ذلك بعض منهم مالك رحمه الله وذهب
مجاهد وابن زيد والرماني الى ان المعنى الى اوليايكم من المومنين ولفظ الايه
تعضد هذا المذهب وتعميم الولي ايضا حسن وولايه النسب لا تدفع الكافر وانما
تدفع ان يلقى اليه بالموده كولي الاسلام الثامنه قوله تعالى كان ذلك
في الكتاب مسطورا الكتاب يحتمل الوجهين المذكورين المتقدمين في كتاب الله
ومسطورا من قولك سطرت الكتاب اذا اثبته اسطارا وقال قتاده اي
مكتوبا عند الله تعالى ان لا يرث كافر مسلما قال قتاده وفي بعض القراه كان
ذلك عند الله مكتوبا وقال القرطبي كان ذلك في التوراه قوله تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي عهدهم على الوفا بما حملوا وان يبشر بعضهم

الله
ببعض ويصدق بعضهم بعضا اي كان مسطورا حين كتب الله ما هو كاين وحين اخذ
المواثيق من الانبيا ومنك يا محمد ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى ابن مريم وانما
خص هولا الخمسه وان دخلوا في زمره النبيين تفضيلا لهم وقيل لانهم اصحاب
الشرايع والكتب واولوا العزم من الرسل وايمه الامم ويحتمل ان يكون هذا تعظيما
في قطع الولايه بين المسلمين والكافرين اي هذا مما يختلف فيه شرايع الانبيا
اي كان في ابتدا الاسلام توارث بالهجره والهجره سبب متاكد في الديانه ثم
توارثوا بالقرابه مع الايمان وهو سبب وكيد فاما التوارث بين مومن وكافر
فلم يكن في دين احد من الانبيا الذين اخذ عليهم المواثيق فلا تواهنوا في الدين ولا تمايلوا
الكفار ونظيره شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى قوله ولا تتفرقوا فيه
ومن ترك التفرق في الدين ترك مولاه الكفار وقيل اي النبي اولى بالمومنين
من انفسهم كان ذلك في الكتاب مسطورا وما خوذا به المواثيق من الانبيا واخذنا
منهم ميثاقا غليظا اي عهدا وثيقا عظيما على الوفا بما التزموا من تبليغ الرساله وان
يصدق بعضهم بعضا والميثاق هو اليمين بالله تعالى فالميثاق الثاني تاكيد للميثاق
الاول باليمين وقيل الاول هو الاقرار بالله والثاني في امر النبوه ونظير
هذا قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاكم رسول
مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه الايه اي اخذ عليهم ان يعلنوا ان محمدا رسول الله
ويعلن محمدا ان لا نبي بعده وقدم محمدا في الذكر لما روى قتاده عن الحسن عن ابي هريره
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن قوله عز وجل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح قال كنت اولهم في الخلق واخرهم في البعث وقال مجاهد
هذا في ظهر ادم عليه السلام قوله تعالى ليسيل الصادقين عن صدقهم
فيه اربعه اوجه احدها ليسيل الانبيا عن تبليغهم الرساله الى قومهم حكاه
النقاش وفي هذا تنبيه اي اذا كان الانبيا يسيلون فكيف من سواهم الثاني
ليسيل الانبيا عن ما اجابهم به قومهم حكاه علي ابن عيسى الثالث ليسيل الانبيا عن
الوفا بالميثاق الذي اخذه عليهم حكاه ابن شجره الرابع ليسيل الافواه الصادقه
عن القلوب المخلصه وفي التنزيل فلنسيلن الذين ارسل اليهم ولنسيلن المرسلين

وقد يعلم وقيل فايده سواله توبيخ الكفار كما قال انت قلت للناس واعددنا
للكافرين عذابا اليما وهو عذاب جهنم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جاتكم جنود الايه يعني يوم الاحزاب غزوة الخندق والاحزاب
وبني قريظه وكانت حالا شديده معقبه بنعمه ورخا وغبطه وتضمنت احكاما كثيره
واياتٍ باهرات عزيزه ونحن نذكر من ذلك بعون الله ما يلغي في عشر مسايل الاولى
اختلف في اي سنه كانت فقال ابن اسحق كانت في شوال من السنه الخامسه وقال
ابن وهب وابن القسم عن مالك كانت وقعة الخندق سنه اربع وهي وبنو قريظه في
يوم واحد وبين بني قريظه والنضير اربع سنين قال ابن وهب وسمعت مالكا يقول
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتال من المدينه وذلك قوله تعالى اذ جاوكم من
فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر قال ذلك يوم
الخندق جات قريش من هاهنا واليهود من هاهنا والنجديه من هاهنا يريد مالك
ان الذين جاوا من فوقكم بنو قريظه ومن اسفل منكم قريش وغطفان وكان سببها
ان نفرا من اليهود منهم كنانه ابن الربيع ابن ابي الحقيق وسلام ابن ابي الحقيق وسلام
ابن مشكم وحيي ابن اخطب النضيريون وهوذه ابن قيس وابو عمار من بني وايل
وهم كلهم يهود هم الذين حزبوا الاحزاب والبوا وجمعوا خرجوا في نفر من بني
النضير ونفر من بني وايل فاتوا مكه فدعوا الى حرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وواعدوهم من انفسهم بعون من انتدب الى ذلك فاجابهم اهل مكه الى ذلك
ثم خرج اليهود المذكورون الى غطفان يدعوهم الى مثل ذلك فاجابوهم فخرجت
قريش يقودهم ابو سفين ابن حرب وخرجت غطفان وقايدهم عيينه ابن حصن
ابن حذيفه ابن بدر الفزاري على فزاره والحرث ابن عوف المري على بني مره ومسعود
ابن رخيله على اشجع فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باجتماعهم وخروجهم
شاور اصحابه فاشار عليه سلمان بحفر الخندق فرضي رايه وقال المهاجرون
يومئذ سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سلمان منا اهل البيت وكان الخندق اول مشهد شهده سلمان مع النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يومئذ حر فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا

فعمل المسلمون في الخندق مجتهدين ونكص المنافقون وجعلوا يتسللون لواذا فنزلت
فيهم آيات من القرآن ذكرها ابن اسحق وغيره وكان من فرغ من المسلمين من حصته
عاد الى غيره حتى كمل الخندق وكانت فيه آيات بينات وعلامات للنبوات قال
الشيخ القرطبي رحمه الله ففي هذا الذي ذكرناه من هذا الخبر من الفقه وهي الثانيه
مشاوره السلطان اصحابه وخاصته في امر القتال وقد مضى ذلك في آل عمران والنمل
وفيه التحصن من العدو بما امكن من الاسباب واستعمالها وقد مضى ذلك في غير
موضع وفيه ان حفر الخندق يكون مقسوما على الناس فمن فرغ منهم عاون من
لم يفرغ فالمسلمون يد على من سواهم وفي البخاري ومسلم عن البراء بن عازب قال
لما كان يوم الاحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته ينقل من تراب
الخندق حتى وارى عني الغبار جلده بطنه وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات
ابن رواحه ويقول اللهم لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينه علينا وثبت الاقدام ان لاقينا ؛ واما ما كان فيه من
الآيات وهي الثانيه خرجه النساي عن ابي سكينه رجل من المحررين عن رجل
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بحفر
الخندق عرضت لهم صخره حالت بينهم وبين الحفر فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم واخذ المعول ووضع رداه ناحيه الخندق وقال وتمت كلمه ربك الآيه
فندر ثلث الحجر وسلمان الفارسي قايم ينظر فبرق مع ضربه رسول الله صلى الله
عليه وسلم برقه ثم ضرب الثانيه وقال وتمت الآيه فندر الثلث الاخر فبرقت برقه
فراها سلمان ثم ضرب الثالثه وقال وتمت الآيه فندر الثلث الباقي وخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخذ رداه وجلس قال سلمان يا رسول الله رايتك حين
ضربت ما تضرب ضربه الا كانت معها برقه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
رايت ذلك يا سلمان قال اي والذي بعثك بالحق يا رسول الله قال فاني حين ضربت
الضربه الاولى رفعت لي مداين كسرى وما حولها ومداين كثيره حتى رايتها بعيني
قال له من حضره من اصحابه يا رسول الله ادع الله ان يفتحها علينا ويغنمنا ديارهم
ويخرب بايدينا بلادهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضربت الضربه الثانيه

فرفعت مداين قيصر وما حولها حتى رايتها بعيني قالوا يا رسول الله ادع الله ان يفتحها
علينا ويغنمنا ذراريهم ويخرب بايدينا بلادهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ضربت الثالثة فرفعت لي مداين الحبشة وما حولها من القرى حتى رايتها بعيني
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا
الترك ما تركوكم وخرجه ايضا عن البرا بن عازب قال لما امرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان نحفر الخندق عرض لنا صخرة لا تاخذ فيها المعاول فاشتكينا ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقى ثوبه واخذ
المعول وقال بسم الله فضرب ضربة فكسر ثلث الصخرة ثم قال الله اكبر اعطيت
مفاتيح الشام اني لابصر الى قصورها الحمر الان من مكاني هذا قال ثم ضرب
اخرى وقال بسم الله فكسر ثلثا اخر ثم قال اعطيت مفاتيح فارس والله اني
لابصر قصر المداين الابيض ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع الحجر وقال
الله اكبر اعطيت مفاتيح اليمن والله اني لابصر باب صنعا صححه ابو محمد عبد الحق
الرابعة فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت قريش
في نحو عشرة الاف بمن معهم من كنانة واهل تهامة واقبلت غطفان بمن معها من
اهل نجد حتى نزلوا الى جانب احد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
حتى نزلوا بظهر سلع في ثلثة الاف وضربوا عسكرهم والخندق بينهم وبين المشركين
واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم في قول ابن شهاب وخرج عدو الله حيي بن
اخطب النضيري حتى اتى كعب بن اسد القرظي وكان صاحب عقد بني قريظة ورئيسهم
وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاقده وعاهده فلما سمع كعب ابن
اسد بحيي بن اخطب اغلق دونه باب حصنه وابى ان يفتح له فقال له افتح لي يا اخي
فقال لا افتح لك فانك رجل مشووم تدعوني الى خلاف محمد وانا قد عاقدته وعاهدته
ولم ار منه الا وفا وصدقا فلست بناقض ما بيني وبينه قال حيي افتح لي حتى اكلمك
وانصرف عنك قال لا افعل قال انما تخاف ان اكل معك جشيشتك فغضب كعب
وفتح له فقال له يا كعب انما جيتك بعز الدهر جيتك بقريش وسادتها وغطفان
وقادتها قد تعاقدوا على ان يستاصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جيتني والله

والله ؟
الله اكبر

بذل الدهر وجهام لا غيث فيه ويحك بما جئتني به فلست بفاعل ما تدعوني اليه فلم
يزل حيي بكعب يعده ويمنيه حتى رجعوا اليه وعاقده على خذلان النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه وان يسير معهم وقال له حيي ابن اخطب ان انصرفت قريش وغطفان دخلت
عندك ابن معي من يهود فلما انتهى خبر كعب وحيي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وسيد الاوس سعد بن معاذ وبعث معهما
عبد الله ابن رواحة وخوات ابن جبير وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
انطلقوا الى بني قريظة فان كان ما قيل لنا حقا فالحنوا لنا لحنا ولا تفتوا في اعضاد
الناس وان كان كذبا فاجهروا به للناس فانطلقوا حتى اتوهم فوجدوهم على اخبث
ما قيل لهم عنهم ونالوا من رسول الله وقالوا لا عهد له عندنا فشاتمهم سعد بن
معاذ وشاتموه وكانت فيه حدة فقال له سعد بن عبادة دع عنك مشاتمتهم فالذي
بيننا وبينهم اكبر من ذلك ثم اقبل سعد وسعد حتى اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في جماعة المسلمين فقالا عضل والقارة يعرضان بغدر عضل والقارة باصحاب
الرجيع خبيب واصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا يا معشر المسلمين
وعظم عند ذلك البلا واشتد الخوف واتى المسلمين عدوهم من فوقهم يعني من
فوق الوادي من قبل المشرق ومن اسفل منهم من بطن الوادي من قبل المغرب
حتى ظنوا بالله الظنونا واظهر المنافقون كثيرا مما كانوا يسرون فمنهم من قال
ان بيوتنا عورة فلننصرف اليها فانا نخاف عليها وممن قال ذلك اوس ابن قيظي
ومنهم من قال لعدنا محمد ان يفتح لنا كنوز كسرى وقيصر واحدنا اليوم لا يامن على نفسه
يذهب الى الغائط وممن قال ذلك معتب ابن قشير احد بني عمرو بن عوف فاقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم واقام المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر
لم يكن بينهم حرب الا الرمي بالنبل والحصا فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه اشتد على المسلمين البلا بعث الى عيينة ابن حصن الفزاري والى الحرث ابن
ابن عوف المري وهما قايدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة ليصرفا بمن معهما
من غطفان ونجدا قريشا ويرجعا بقومهما عنهم وكانت هذه المقاله مراوضه
ولم تكن عقدا فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهما انهما قد انابا اتى سعد بن
ورضيام

معاذ وسعد بن عبادة فذكر ذلك لهما واستشارهما فقالا يا رسول الله هذا
امر تحبه فنصنعه لك او شي امرك الله به فنسمع له ونطيع او امر تصنعه لنا قال
بل امر اصنعه لكم والله ما اصنعه الا اني رايت العرب قد رمتكم عن قوس واحده
فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله والله لقد كنا نحن وهولا القوم على الشرك بالله
وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وما طمعوا قط ان ينالوا منها تمره الا شرا
وقرى افحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك نعطيهم اموالنا والله
لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك وقال انتم وذاك وقال لعيينه والحرث انصرفا فليس لكم عندنا الا السيف
وتناول سعد الصحيفه وليس فيها شهاده فمحاها الخامسه فاقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمشركون على حالهم والمشركون يحاصرونهم ولا قتال
بينهم الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن ود العامري من بني عامر ابن لوى
وعكرمه ابن ابي جهل وهبيره ابن ابي وهب وضرار ابن الخطاب الفهري وكانوا
فرسان قريش وشجعانهم اقبلوا حتى وقفوا على الخندق فلما راوه قالوا ان هذه
لمكيده ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيلهم
فاقتحمت بهم وجاوزوا الخندق وصاروا ابن الخندق وبين سلع وخرج علي ابن
ابي طالب في نفر من المسلمين حتى اخذوا عليهم الثغره التي اقتحموا منها واقبلت
الفرسان نحوهم وكان عمرو بن عبد ود قد اثبته الجراح يوم بدر فلم يشهد احد
واراد يوم الخندق ان يرى مكانه فلما وقف هو وخيله نادى من يبارز فبرز له علي
ابن ابي طالب وقال يا عمرو انك عاهدت الله فيما بلغنا انك لا تدعى الى احدى
خلتين الا اخذت احداهما قال نعم قال فاني ادعوك الى الله والاسلام قال لا حاجه
لي بذلك قال فادعوك الى البراز قال يا ابن اخي والله ما احب ان اقتلك لما كان
بيني وبين ابيك فقال له علي انا والله احب ان اقتلك فحمي عمرو بن عبد ود ونزل
عن فرسه فعقره وصار نحو علي فتنازلا وتجاولا وثارا النقع بينهما حتى حال
دونهما فما انجلى النقع حتى رؤي علي على صدر عمرو يقطع راسه فلما راى اصحابه انه
قد قتله علي اقتحموا بخيلهم الثغره منهزمين هاربين وقال علي رضي الله عنه

في ذلك

في ذلك: نصر الحجارة من سفاهة رايه ونصرت دين محمد بصواب
وعففت عن اثوابه ولو انني كنت المقصر برني اثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه ونبيه يا معشر الاحزاب: قال ابن
هشام واكثر اهل العلم بالسير يشك فيها لعلي قال ابن هشام والقى عكرمة ابن ابي
جهل رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فقال حسان ابن ثابت في ذلك
فروا والقى لنا رمحه لعلك عكرم لم تفعل
ووليت تعدوا كعدو الظليم ما ان تجور عن المعدل
ولم تلق ظهرك مستانسا كان قفاك قفا فرعل: قال ابن هشام فرعل
صغير الضباع وكانت عايشه رضي الله عنها في حصن بني حارثه وام سعد بن معاذ معها
وعلى سعد درع مقلصه قد خرجت منها ذراعه وفي يده حربته وهو يقول
لبث قليلا يلحق الهيجا جمل لا باس بالموت اذا كان الاجل: ورمي يومئذ
سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل واختلف فيمن رماه فقيل رماه حبان ابن
قيس ابن العرقه اخو بني عامر ابن لوي فلما اصابه قال له خذها وانا ابن العرقه فقال
له سعد عرق الله وجهك في النار وقيل ان الذي رماه خفاجه ابن عاصم ابن
حيان وقيل بل الذي رماه ابو اسامه الجشمي حليف بني مخزوم وحسان مع صفيه
بنت عبد المطلب خبر طريف يومئذ ذكره ابن اسحق وغيره قالت صفيه بنت عبد
المطلب يومئذ رضي الله عنها كنا يوم الاحزاب في حصن حسان ابن ثابت وحسان معنا
في النسا والصبيان والنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في نحر العدو لا يستطيعون
الانصراف الينا فاذا يهودي يدور فقلت لحسان انزل اليه فاقتله فقال ما انا
بصاحب هذا يا ابنة عبد المطلب فاخذت عمودا ونزلت من الحصن فقتلته فقلت
يا حسان انزل فاسلبه فلم يمنعني من سلبه الا انه رجل فقال ما لي بسلبه حاجه
يا ابنة عبد المطلب قال فنزلت فسلبته قال ابو عمر بن عبد البر وقد انكر هذا
عن حسان جماعة من اهل السير وقالوا لو كان في حسان من الجبن ما وصفتم لهجاه
بذلك الذين كان يهاجيهم في الجاهليه والاسلام ولهجي بذلك ابنه عبد الرحمن
فانه كان كثيرا ما يهاجي الناس من شعر العرب مثل النجاشي وغيره السادسه

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيم ابن مسعود ابن عامر الاشجعي فقال يا رسول
الله انى قد اسلمت ولم يعلم قومي باسلامي فمرني بما شيت فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما انت رجل واحد من غطفان فلو خرجت فخذلت عنا ان استطعت
كان احب الينا من بقايك فاخرج فان الحرب خدعه فخرج نعيم ابن مسعود حتى اتى
بني قريظه وكان نديمهم في الجاهليه فقال يا بني قريظه قد عرفتم ودي اياكم
وخاصته ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان
ليسوا كانتم البلد بلدكم فيه اموالكم وابناوكم ونساكم وان قريشا وغطفان
قد جاوا لحرب محمد واصحابه وقد ظاهرتموهم عليه فان راوا نهزه اصابوها
وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ولا طاقه لكم به فلا تقاتلوا
مع القوم حتى تاخذوا منهم رهنا ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لهم قد عرفتم ودي
لكم معشر قريش وفراقي محمدا وقد بلغني امر اري من الحق ان ابلغكموه نصحا لكم
فاكتموا علي قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على ما كان من خلافهم
محمدا وقد ارسلوا اليه انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك ان ناخذ من
قريش وغطفان رهنا رجالا ونسلمهم اليك تضرب اعناقهم ثم نكون معك على
من بقي منهم حتى نستاصلهم ثم اتى غطفان فقال مثل ذلك فلما كان ليله السبت وكان
ذلك من صنع الله عز وجل لرسوله والمومنين ارسل ابو سفين الى بني قريظه
عكرمه ابن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان يقول لهم انا لسنا بدار مقام قد
هلك الخف والحافر فاغدوا واصبحوا غدا للقتال حتى نناجز محمدا فارسلوا اليهم ان
اليوم يوم السبت وقد علمتم ما نال منا من تعدي في السبت ومع ذلك فلا نقاتل معكم
حتى تعطونا رهنا فلما رجع الرسول بذلك قالوا صدقنا والله نعيم ابن مسعود
فردوا اليهم الرسل وقالوا والله لا نعطيكم رهنا ابدا فاخرجوا معنا ان شيتم والا
فلا عهد بيننا وبينكم فقالوا بنو قريظه صدق والله نعيم ابن مسعود وخذل الله
بينهم واختلفت كلمتهم وبعث الله عليهم ريحا عاصفا في ليال شديده البرد فجعلت
الريح تقلب انيتهم وتكفا قدورهم السابعه فلما اتصل برسول الله صلى الله
عليه وسلم اختلاف امرهم بعث حذيفه ابن اليمان لياتيه بخبرهم فاتاهم واستتر

معناه

في

في عمارهم وسمع ابا سفين يقول يا معشر قريش ليتعرف كل امري جليسه قال حذيفه
فاخذت بيد جليسي وقلت من انت فقال انا فلان ثم قال ابو سفين يا معشر قريش
انكم والله ما اصبحتم بدار مقام ولقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظه
ولقينا من هذه الريح ما ترون ما يستمسك لنا بنا ولا تثبت لنا قدر ولا تقوم لنا نار
فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جمله فما حل عقاله بيده الا وهو قايم قال حذيفه
ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لي اذ بعثني قال لي مر الى القوم فاعلم ما
هم عليه ولا تحدث شيا لقتلته بسهم ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رحلهم
فوجدته قايما يصلي في مرط لبعض نسايه مراحل قال ابن هشام المراحل ضرب من
وشي اليمن واخبرته فحمد الله قال الشيخ القرطبي رحمه الله وخبر حذيفه هذا
مذكور في صحيح مسلم وفيه ايه عظيمه رواه جرير عن الاعمش عن ابرهيم التيمي عن ابيه
قال كنا عند حذيفه فقال رجل لو ادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه
وابليت فقال حذيفه انت تفعل ذاك لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليله الاحزاب واخذتنا ريح شديده وقر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رجل
ياتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيمه فسكتنا فلم يجبه منا احد ثم قال الا رجل
ياتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيمه فسكتنا فلم يجبه منا احد فقال قم يا حذيفه
فاتنا بخبر القوم فلم اجد بدا اذ دعاني باسمي ان اقوم قال اذهب فاتني بخبر القوم ولا
تذعرهم علي فلما وليت من عنده جعلت كانما امشي في حمام حتى اتيتهم فرايت ابا سفين
يصلي ظهره بالنار فوضعت سهما في كبد القوس فاردت ان ارميه فذكرت قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذعرهم علي ولو رميته لاصبته فرجعت وانا امشي
في مثل الحمام فلما اتيته فاخبرته بخبر القوم وفرغت قررت فالبسني رسول الله
صلى الله عليه وسلم من فضل عباه كانت عليه يصلي فيها فلم ازل نايما حتى اصبحت قال
قم يا نومان ولما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذهب الاحزاب رجع
الى المدينه ووضع المسلمون سلاحهم فاتاه جبريل صلى الله عليه وسلم في صوره
دحيه ابن خليفه الكلبي على بغله عليها قطيفه ديباج فقال له يا محمد ان كنتم قد
وضعتم سلاحكم فما وضعت الملايكه سلاحها ان الله يامرك ان تخرج الى بني قريظه

واني متقدم اليهم فنزل بهم حصونهم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي الثامنه مناديا فنادى لا تصلين احد العصر الا في بني قريظه فتخوف ناس فوت الوقت فصلوا دون بني قريظه وقال اخرون لا نصلي العصر الا حيث امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان فاتنا الوقت فما عنف واحدا من الفريقين وفي هذا من الفقه تصويب المجتهدين وقد مضى بيانه في الانبيا وكان سعد بن معاذ اذا اصابه السهم دعا ربه فقال اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش فابقني لها فانه لا قوم احب ان اجاهدهم من قوم كذبوا رسولك واخرجوه اللهم وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهاده ولا تمتني حتى تقر عيني في بني قريظه وروى ابن وهب عن مالك قال بلغني ان سعد بن معاذ مر بعايشه رضي الله عنها ونسا معها في الاطم الذي فارع وعليه درع مقلصه مشمر الكمين وبه اثر صفره وهو يرتجز

لبث قليلا يدرك الهيجا حمل ❊ لا باس بالموت اذا حان الاجل

فقالت عايشه رضي الله عنها لست اخاف ان يصاب سعد اليوم الا من اطرافه فاصيب في الاكحله وروى ابن وهب وابن القاسم عن مالك قالت عايشه ما رايت رجلا اجمل من سعد بن معاذ حاشى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصيب في الاكحله ثم قال اللهم ان كان حرب قريظه لم يبق منه شي فاقبضني اليك وان كان قد بقيت منه بقيه فابقني حتى اجاهد مع رسولك اعداه فلما حكم في بني قريظه توفي ففرح الناس وقالوا نرجوا ان يكون قد استجيبت دعوته التاسعه ولما خرج المسلمون الى بني قريظه اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرايه علي ابن ابي طالب واستخلف على المدينه ابن ام مكتوم ونهض علي وطايفه معه حتى اتوا بني قريظه ونازلوهم فسمعوا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله لا تبلغ اليهم وعرض له فقال له اظنك سمعت منهم شيئا لو راوني لكفوا عن ذلك ونهض اليهم فلما راوه امسكوا فقال لهم نقضتم العهد يا اخوه القرود اخزاكم الله وانزل بكم نقمته فقالوا ما كنت جاهلا يا محمد فلا تجهل علينا ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم بضعا وعشرين ليله وعرض عليهم سيدهم كعب ثلث خصال ليختاروا ايها شاوا اما ان يسلموا ويتبعوا محمدا على ما

جانبه فيسلموا قال وتحرزوا اموالكم ونساكم وابناكم فوالله انكم لتعلمون انه الذي
تجدونه مكتوبا في كتابكم واما ان تقتلوا ابناهم ونساهم ثم تتقدمون فتقاتلون حتى
يموتوا من اخرهم واما ان يبيتوا المسلمين ليلة السبت في حين طمانينتهم فيقتلونهم
قتلا فقالوا له اما الاسلام فلا نسلم ولا نخالف حكم التوراه واما قتل ابنايانا ونسايانا
فما جزاوهم منا المساكين ان نقتلهم ونحن لا نتعدى في السبت ثم بعثوا الى ابي
لبابه وكانوا حلفا بني عمرو بن عوف وساير الاوس فاتاهم فجمعوا اليه ابناهم
ورجالهم ونساهم وقالوا له يا ابا لبابه اترى ان ننزل على حكم محمد فقال نعم واشار
بيده الى حلقه انه الذبح ان فعلتم ثم ندم ابو لبابه في الحين وعلم انه خان الله ورسوله
وانه امر لا يستره الله عليه عن نبيه صلى الله عليه وسلم فانطلق الى المدينه ولم يرجع
الى النبي صلى الله عليه وسلم فربط نفسه في سارية واقسم لا يبرح مكانه حتى يتوب
الله عليه فكانت امراته تحله لوقت كل صلاه قال ابن عيينه وغيره فيه نزلت
يايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم الايه واقسم ان لا
يدخل ارض بني قريظه ابدا مكانا اصاب فيه الذنب فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم من فعل ابي لبابه قال اما انه لو اتاني لاستغفرت له واما اذ فعل ما فعل
فلست اطلقه حتى يطلقه الله تعالى فانزل الله في امر ابي لبابه واخرون اعترفوا
بذنوبهم الايه فلما نزل فيهم القران امر رسول الله صلى الله عليه وسلم باطلاقه فلما
اصبح بنو قريظه نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبت الاوس الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله قد علمت انهم حلفاونا وقد
اسعفت عبد الله ابن ابي ابن سلول في بني النضير حلفا الخزرج فلا يكن حظنا اوكس
وانقص عندك من حظ غيرنا فهم موالينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا معشر الاوس الا ترضون ان يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن
معاذ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضرب له خيمه في المسجد ليعوده
من قريب في مرضه من جرحه الذي اصابه في الخندق فحكم فيهم بان تقتل المقاتله
وتسبى الذريه والنسا وتقسم اموالهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد
حكمت فيهم بحكم الله تعالى من فوق سبع ارقعه فاخرجوا الى موضع بسوق المدينه

اليوم رومن ابن اسحق فخندق بها خنادق ثم امر عليه السلام فضربت اعناقهم في
تلك الخنادق وقتل يوميذ حيي ابن اخطب وكعب ابن الاسد وكانا راس القوم
وكانوا من الست مايه الى السبع مايه وكان على حيي حله تفاحيه قد شقها عليه
من كل ناحيه كموضع الانمله انمله انمله لئلا يسلبها مجموعه فلما نظر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويداه الى عنقه بحبل قال اما والله ما لمت نفسي في عداوتك
ولكنه من يخذل الله يخذل ثم قال ايها الناس لا باس بامر الله كتاب الله وقدره
وملحمه كتبت على بني اسرايل ثم جلس فضرب عنقه وقتل من نسايهم امراه وهي
بنانه امراه الحكم القرظي التي طرحت الرحا على خلاد ابن سويد فقتلته وامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقتل كل من انبت منهم وترك من لم ينبت وكان عطيه القرظي
ممن لم ينبت فاستحياه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مذكور في الصحابه ووهب
رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت ابن قيس ابن شماس ولد الزبير بن باطا فاستحياهم
منهم عبد الرحمن ابن الزبير اسلم وله صحبه ووهب ايضا عليه السلام رفاعه ابن
شمول القرظي لام المنذر سلمى بنت قيس اخت سليط ابن قيس من بني النجار وكانت
قد صلت القبلتين فاسلم رفاعه وله صحبه وروايه وروى ابن وهب وابن القاسم
عن مالك قال اتى ثابت ابن قيس ابن شماس الى ابن باطا وكانت له عنده يد وقال قد
استوهبتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدك التي لك عندي قال ذلك يفعل
الكريم بالكريم ثم قال وكيف يعيش رجل لا ولد له ولا اهل قال فاتى ثابت الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فاعطاه اهله وولده فاتى فاعلمه فقال كيف
يعيش رجل لا مال له فاتى ثابت النبي صلى الله عليه وسلم فطلبه فاعطاه ماله فرجع
اليه فاخبره فقال ما فعل ابن ابي الحقيق الذي كان وجهه مراه صينيه قال قتل
قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب ابن قريظه وبني عمرو بن قريظه قال قتلوا
قال فما فعلت الفيتان قال قتلنا قال بريت ذمتك ولم اصب فها دلوا ابدا يعني
النخل فالحقني بهم فابى ان يقتله فقتله غيره واليد التي كانت لابن باطا عند
ثابت انه اسره يوم بعاث فجز ناصيته فاطلقه العاشر وقسم صلى الله
عليه وسلم اموال بني قريظه فاسهم للفارس ثلثه اسهم وللراجل سهما وقد

قسم للفارس سهمان وللراجل سهم وكانت الخيل للمسلمين يوميذ سته وثلثين فرسا
ووقع للنبي صلى الله عليه وسلم من سبيهم ريحانه بنت عمرو بن خنافه احدى بني عمرو
ابن قريظه فلم تزل عنده الى ان مات صلى الله عليه وسلم وقيل ان غنيمه قريظه هي
اول غنيمه قسم فيها للفارس والراجل واول غنيمه جعل فيها الخمس وقد تقدم
ان اول ذلك كان في بعث عبد الله ابن جحش فالله اعلم قال ابو عمرو ويحتمل
ذلك ان يكون غنيمه قريظه اول غنيمه جرى فيها الخمس بعد نزول قوله واعلموا
انما غنمتم من شي فان لله خمسه وكان عبد الله ابن جحش قد خمس قبل ذلك في
بعثه ثم نزل القران بمثل ما فعله وذلك من فضايله رحمه الله عليه وكان فتح
قريظه في اخر ذي القعده واول ذي الحجه من السنه الخامسه من الهجره فلما تم
امر بني قريظه اجيبت دعوه الرجل الفاضل الصالح سعد بن معاذ فانفجر جرحه
وانفتح عرقه فجرى دمه ومات رضي الله عنه وهو الذي اتى الحديث فيه اهتز
لموته عرش الرحمن يعني سكان العرش من الملايكه فرحوا بقدوم روحه واهتزوا
له وقال ابن القاسم عن مالك حدثني يحيى بن سعيد قال لقد نزل لموت سعد بن
معاذ سبعون الف ملك ما نزلوا الى الارض قبلها قال مالك ولم يستشهد يوم
الخندق من المسلمين الا اربعه او خمسه قال الشيخ القرطبي رحمه الله الذي
استشهد من المسلمين سته فيما ذكر اهل العلم بالسير سعد بن معاذ ابو عمرو من
بني عبد الاشهل وانس بن اوس بن عتيك وعبد الله بن سهيل وكلاهما ايضا
من بني عبد الاشهل والطفيل بن النعمان وثعلبه ابن غنمه وكلاهما من بني سلمه
وكعب ابن زيد من بني دينار ابن النجار اصابه سهم غرب فقتله رضي الله عنهم وقتل
من الكفار ثلثه منبه ابن عثمان بن عبيد ابن السباق ابن عبد الدار اصابه سهم مات
منه بمكه وقد قيل انما هو عثمان ابن اميه بن منبه ابن عبيد بن السباق ونوفل بن
عبد الله ابن المغيره المخزومي اقتحم الخندق فتورط فيه فقتل وغلب المسلمون
على جسده فروي عن الزهري انهم اعطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
في جسده عشره الف درهم فقال لا حاجه لنا بجسده ولا بثمنه فخلى بينهم
وبينه وعمرو بن ود الذي قتله علي مبارزه وقد تقدم واستشهد يوم

قريظه من المسلمين خلاد ابن سويد بن ثعلبه ابن عمرو من بني الحرث ابن الخزرج
طرحت عليه امراه من بني قريظه رحي فقتلته ومات في الحصار ابو سنان ابن
محصن ابن حرثان الاسدي اخو عكاشه ابن محصن فدفنه رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مقبره بني قريظه التي يتدافن فيها المسلمون السكان بها اليوم ولم يصب
غير هذين ولم يغز كفار قريش المسلمين بعد الخندق واسند الدارمي ابو محمد
في مسنده اخبرنا يزيد بن هارون عن ابن ابي ذيب عن المقبري عن عبد الرحمن ابن ابي سعيد
الخدري عن ابيه قال حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوي من الليل حتى كفينا
وذلك قول الله عز وجل وكفى الله المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا فامر النبي
صلى الله عليه وسلم بلالا فامره فاقام فصلى الظهر فاحسن كما كان يصليها في وقتها
ثم امره فاقام بالعصر فصلاها ثم امره فاقام المغرب فصلاها ثم امره فاقام العشا
فصلاها وذلك قبل ان ينزل فان خفتم فرجالا او ركبانا اخرجه النساي ايضا
وقد مضت هذه المسله في طه وقد ذكرنا في هذه المراه احكاما كثيره لمن
تاملها في مسايل عشر ثم نرجع الى اول الاي وهي تسع عشره ايه تضمنت ما ذكرنا
قوله تعالى اذ جاتكم جنود يعني الاحزاب فارسلنا عليهم ريحا قال مجاهد
هي الصبا ارسلت على الاحزاب يوم الخندق حتى القت قدورهم ونزعت فساطيطهم
قال والجنود الملايكه ولم تقاتل يوميذ وقال عكرمه قالت الجنوب للشمال ليله
الاحزاب انطلقي لنصره النبي صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال محوه لا تسرى بليل
فكانت الريح التي ارسلت عليهم الصبا وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وكانت هذه
الريح معجزه لان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين كانوا قريبا منها لم يكن بينهم وبينها
الا عرض الخندق وكانوا في عافيه منها ولا خبر عندهم بها وجنودا لم تروها
وقرئ بالياء اي لم يرها المشركون قال المفسرون بعث الله عليهم الملايكه
فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط واطفات النيران واكفات القدور
وجالت الخيل بعضها في بعض وارسل الله عليهم الرعب وكثر تكبير الملايكه في جوانب
العسكر حتى كان سيد كل خبا يقول يا بني فلان هلم الي فاذا اجتمعوا قال لهم

ان ج

النجا النجا لما بعث الله عليهم من الرعب وكان الله بما تعملون بصيرا وقرى يعملون باليا
على الخبر وهي قراه ابو عمرو والباقون بالتا يعني من حفر الخندق والتحرز من
العدو قوله تعالى اذ جاوكم من فوقكم اذ في موضع نصب يعني واذكروا اذ
وادقا لت طايفه منهم من فوقكم يعني من فوق الوادي وهو اعلاه من قبل المشرق
جامنه عوف ابن مالك في بني نصر وعيينه ابن حصن في اهل نجد وطليحه ابن خويلد
الاسدي في بني اسد ومن اسفل منكم يعني من بطن الوادي من قبل المغرب جامنه
ابو سفين ابن حرب على اهل مكه ويزيد بن جحش على قريش وجا ابو الاعور السلمي
ومعه حيي ابن اخطب اليهودي في يهود بني قريظه مع عامر ابن الطفيل من وجه
الخندق واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر اي شخصت وقيل مالت
فلم تلتفت الا الى عدوها دهشا من فرط الهول وبلغت القلوب الحناجر اي زالت
عن اماكنها من القلوب حتى بلغت القلوب الحناجر وهي الحلاقيم واحدها حنجره
فلولا ان الحلوق ضاقت عليها لخرجت قاله قتاده وقيل هو على معنى المبالغه على
مذهب العرب على اضمار كاد قال

اذا ما غضبنا غضبة مضريه هتكنا حجاب الشمس او قطرت دما ؛؛ اي كادت
تقطر ويقال ان الريه تنتفخ عند الخوف فيرتفع القلب حتى يكاد يبلغ الحنجره مثلا
ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره وقيل انه مثل مضروب في شده الخوف ببلوغ القلوب
الحناجر وان لم تزل عن اماكنها مع بقا الحياه قال معناه عكرمه وروى حماد بن
زيد عن ايوب عن عكرمه قال بلغ فزعها والاظهر انه اراد اضطراب القلب وضربانه
اي كانه لشده اضطرابه بلغ الحنجره والحنجره والحنجور بزياده النون جوف
الحلق وتظنون بالله الظنونا قال الحسن ظن المنافقون ان المسلمين يستاصلون
وظن المومنون انهم ينصرون وقيل هو خطاب للمنافقين اي قلتم هلك محمد
واصحابه واختلف القرا في قوله الظنونا والرسولا والسبيلا اخر السوره
فاثبت الفاتها في الوصل والوقف نافع وابن عامر وروي عن ابي عمرو والكسائي
تمسكا بخط المصحف مصحف عثمان وجميع المصاحف في جميع البلدان واختاره
ابو عبيد الا انه قال لا ينبغي للقاري ان يدرج القراه بعدهن لكن يقف عليهن

قالوا ولان العرب تفعل ذلك في قوافي اشعارهم ومصاريعها قال

نحن جلبنا القرح القوافلا؛ تستنفر الاواخر الاوايلا ؛ وقرا ابو عمرو والجدري ويعقوب وحمزه بحذفها في الوصل والوقف معا قالوا هي زايده في الخط كما زيدت الالف في قوله ولا اوضعوا خلالكم فكتبوها كذلك وغير هذا واما الشعر فموضع ضروره بخلاف القران فانه افصح اللغات ولا ضروره فيه قال ابن الانباري ولم يخالف المصحف من قرا الظنون والسبيل والرسول بغير الف في الحروف الثلاثه وخطهن في المصحف بالف لان الالف التي في اطعنا والداخله في اول الرسول والظنون والسبيل كفى من الالف المتطرفه المتاخره كما كفت الف ابي جاد من الف هوار وفيه حجه اخرى ان الالف انزلت منزله الفتحه وما يلحق دعامه للحركه التي تسبق والنيه فيه السقوط فلما عمل على بعدا كانت الالف مع الفتحه كالشي الواحد يوجب الوقف سقوطها ويعمل على ان صوره الالف في الخط لا توجب موضعا في اللفظ وانها كالالف في ساحران وفي فاطر السموات وفي واعدنا موسى وما يشبههن مما يحذف من الخط وهو موجود في اللفظ ويثبت في اللفظ وهو مسقط من الخط وفيه حجه ثالثه هي انه كتب على لغه من يقول لقيت الرجلا وقري على لغه من يقول لقيت الرجل بغير الف ا/ احمد بن يحيى عن جماعه من اهل اللغه انهم رووا عن العرب قام الرجلو بواو ومررت بالرجلي بيا في الوصل والوقف ولقيت الرجلا بالف في الحالين كلتيهما قال الشاعر اسايله عميره عن ابيها خلال الجيش تعترف الركابا ؛ فاثبت الالف في الركاب بنا على هذه اللغه وقال الاخر

اذا الجوزا اردفت الثريا ظننت بآل فاطمه الظنونا ؛ وعلى هذه اللغه بني نافع وغيره وقرا ابن كثير وابن محيصن والكسايي باثباتها في الوقف وحذفها في الوصل قال ابن الانباري ومن وصل بغير الف ووقف بالف فجايز ان يحتج بان الالف احتاج اليها عند السكت حرصا على بقا الفتحه وان الالف تدعمها وتقويها قوله تعالى هنالك ابتلي المومنون هنا للقريب من المكان وهنالك للبعيد وهناك للوسط ويشار به الى الوقت اي عند ذلك اختبر المومنو

ليتبين المخلص من المنافق وكان هذا الابتلا بالخوف والقتال والجوع والحصر
والنزال وزلزلوا زلزالا شديدا اي حركوا تحريكا قال الزجاج كل مصدر
من المضاعف على فعلال يجوز فيه الكسر والفتح نحو قلقلته قلقالا وقلقالا وزلزلوا
زلزالا وزلزالا والكسر اجود لان غير المضاعف على الكسر نحو دحرجته دحراجا
وقراه العامه بكسر الزاي وقرا عاصم والجحدري زلزالا بفتح الزاي قال
ابن سلام اي حركوا بالخوف تحريكا شديدا وقال الضحاك هو ازاحتهم عن اماكنهم
حتى لم يكن لهم الا موضع الخندق وقيل انه اضطرابهم عما كانوا عليه فمنهم من اضطرب
في نفسه ومنهم من اضطرب في دينه وهنالك يجوز ان يكون العامل فيه ابتلي فلا
يوقف على هنالك ويجوز ان يكون وتظنون بالله الظنونا فيوقف على هنالك
قوله تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا اي باطلا من القول وذلك ان طعمة ابن ابيرق
ومعتب ابن قشير وجماعه نحو من سبعين رجلا قالوا يوم الخندق كيف يعدنا
كنوز كسرى وقيصر ولا يستطيع احدنا ان يتبرز وانما قالوا ذلك لما فشى في اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم من قوله عند ضرب الصخره على ما تقدم في حديث النساي فانزل
الله هذه الايه قوله تعالى واذ قالت طايفه منهم يا اهل يثرب لا مقام
لكم فارجعوا الطايفه تقع على الواحد فما فوقه وعنى به هنا اوس ابن قيظي
والد عرابه ابن اوس الذي يقول فيه الشماخ
اذا ما رايه رفعت لمجد تلقاها عرابه باليمين ويثرب هي المدينه وسماها
رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبه وطابه وقال ابو عبيده يثرب اسم ارض
والمدينه ناحيه منها السهيلي وسميت يثرب لان الذي نزلها من العماليق اسمه
يثرب ابن عميل ابن مهلاييل ابن عوض ابن عملاق ابن لاوذ ابن ارم وفي بعض هذه
الاسما اختلاف وبنو عميل هم الذين سكنوا الجحفه فاجحفت بهم السيول فيها وبها
سميت الجحفه لا مقام لكم بفتح الميم قراه العامه وقرا حفص والسلمي والجحدري
وابو حيوه بضم الميم يكون مصدرا من اقام يقيم اي لا اقامه او موضعا يقيمون
فيه ومن فتح فهو اسم مكان اي لا موضع لكم تقيمون فيه فارجعوا الى المنازل لكم

امروهم بالهروب من عسكر النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس قالت اليهود
لعبد الله بن ابي ابن سلول واصحابه من المنافقين ما الذي يحملكم على قتل انفسكم
بيد ابي سفين واصحابه فارجعوا الى المدينه فانا مع القوم وانتم امنون قوله
تعالى ويستاذن فريق منهم النبي في الرجوع الى منازلهم بالمدينه وهم بنو حارثه
ابن الحرث في قول ابن عباس وقال يزيد بن رومان قال ذلك اوس ابن قيظي
عن ملاهن قومه يقولون ان بيوتنا عوره اي سايبه ضايعه ليست بحصنه وهي مما
تلي العدو وقيل ممكنه للسراق لخلوها من الرجال يقال دار معوره وذات
عوره اذا كان يسهل دخولها يقال عور المكان عورا فهو عور وبيوت عوره
واعور فهو معور وقيل عوره ذات عوره وكل مكان ليس بممنوع ولا مستور فهو
عوره قاله الهروي وقرا ابن عباس وعكرمه ومجاهد وابو رجا العطاردي
بكسر الواو وعوره بكسر الواو يعني قصيره الجدران فيها خلل تقول العرب دار فلان
عوره اذا لم تكن حصينه وقد اعور الفارس اذا بدا فيه خلل للضرب والطعن
قال الشاعر :: متى ما تلقهم لم تلق في البيت معورا ولا الضيف مفجوعا ولا الجار مرسلا ::
الجوهري والعوره كل خلل يتخوف منه في ثغر او حرب النحاس يقال اعور
المكان اذا تبينت فيه عوره واعور الفارس اذا تبين منه موضع الخلل المهدوي
ومن كسر الواو في عوره فهو شاذ ومثله قولهم رجل عور اي لا شي له وكان
القياس ان يعل فيقال عار كيوم راح ورجل مال اصلهما روح ومول ثم قال
تعالى وما هي بعوره تكذيبا لهم وردا عليهم فيما ذكروه ان يريدون الا فرارا اي
ما يريدون الا الهرب قيل من القتل وقيل من الدين وحكى النقاش ان هذه
الايه نزلت في قبيلتين من الانصار بني حارثه وبني سلمه وهموا ان يتركوا مراكزهم
يوم الخندق وفيهم انزل الله تعالى اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا الايه فلما
نزلت هذه الايه قالوا والله ما ساءنا ما كنا هممنا به اذ الله ولينا وقال السدي
الذي استاذنه منهم رجلان من الانصار من بني الحارثه احدهما ابو عرابه
ابن اوس والاخر اوس ابن قيظي قال الضحاك ورجع ثمانون رجلا بغير
اذنه قوله تعالى ولو دخلت عليهم من اقطارها وهي البيوت اذ

عوره

المدينه اي من نواحيها وجوانبها الواحد قطر وهو الجانب والناحيه وكذلك
القتر لغة في القطر ثم سيلوا الفتنه لاتوها اي لجاوها هذا علي قراه نافع وابن كثير
بالقصر وقرا الباقون بالمد اي لاعطوها من انفسهم وهو اختيار ابي عبيد وابي
حاتم وقد جا في الحديث ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعذبون في الله ويسلون
الشرك فكل اعطي ما سالوه الا بلالا وفيه دليل علي قراه المد من الاعطا ويدل علي
قراه القصر قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار فهذا يدل
علي لاتوها مقصورا وفي الفتنه هنا وجهان احدهما سيلوا القتال في العصبيه
لاسرعوا اليه قاله الضحاك الثاني ثم سيلوا الشرك لاجابوا اليه مسرعين قاله
الحسن وما تلبثوا بها اي بالمدينه بعد اعطا الكفر الا قليلا حتى يهلكوا قاله السدي
والقتبي والحسن والفرا وقال اكثر المفسرين اي وما احتبسوا عن فتنه الشرك
الا قليلا ولاجابوا بالشرك مسرعين وذلك لضعف نياتهم ولفرط نفاقهم فلو
اختلطت بهم الاحزاب لاظهروا الكفر قوله تعالي ولقد كانوا
عاهدوا الله من قبل اي من قبل غزوه الخندق وبعد بدر قال قتاده وذلك انهم
غابوا عن بدر وراوا ما اعطي الله اهل بدر من الكرامه والنصر فقالوا لين اشهدنا
الله قتالا لنقاتلن وقال يزيد بن رومان هم بنو حارثه هموا يوم احد ان
يفشلوا مع بني سلمه فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها فذكر الله
لهم الذي اعطوه من انفسهم وكان عهد الله مسولا اي مسولا عنه قال مقاتل
والكلبي هم سبعون رجلا بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم ليله العقبه وقالوا
اشترط لنفسك ولربك ما شيت فقال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا
واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعوا منه نساكم واموالكم واولادكم فقالوا فما
لنا اذا فعلنا ذلك يا نبي الله قال لكم النصر في الدنيا والجنه في الاخره فذلك
قوله وكان عهد الله مسولا اي ان الله يسالهم عنه يوم القيمه قوله
تعالي قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل اي من حضر اجله مات
او قتل فلا ينفع الفرار واذا لا تمتعون الا قليلا اي في الدنيا بعد الفرار الى ان
تنقضي اجالكم وكل ما هو ات قريب وروى الساجي عن يعقوب الحضرمي واذا لا

يمتعون نيا. وفي بعض الروايات واذا لا يمتعوا نصب باذن والرفع بمعنى ولا يمتعون واذا ملغاه ويجوز اعمالها فهذا حكمها اذا كان قبلها الواو والفا فاذا كانت مبتداه نصب بها فقلت اذا اكرمك قوله تعالى قل من ذا الذي يعصمكم من الله اي يمنعكم منه ان اراد بكم سوا اي هلاكا او اراد بكم رحمه اي خيرا ونصرا وعافيه ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا اي لا قريبا ينفعكم ولا ناصرا ينصركم قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم اي المعترضين منكم لان يصدوا الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشتق من عاقني عن كذا اي صرفني عنه وعوق على التكثير والقايلين لاخوانهم هلم الينا على لغه اهل الحجاز وغيرهم يقولون هلموا للجماعه وهلمي للمراه لان الاصل ها التي للتنبيه ضمت اليها لم ثم حذفت الالف استخفافا وبنيت على الفتح ولم تجز فيها الكسر ولا الضم لانها لا تتصرف ومعنى هلم اقبل وهاو لا طايفتان اي منكم من يثبط ويعوق والعوق المنع والصرف يقال عاقه يعوقه عوقا وعوقه واعتاقه بمعنى واحد قال عبد الله هم عبد الله ابن ابي واصحابه المنافقون والقايلين لاخوانهم هلم فيهم ثلثه اقاويل احدها انهم المنافقون قالوا للمسلمين ما محمد واصحابه الا اكله راس وهو هالك ومن معه فهلم الينا الثاني انهم اليهود من بني قريظة قالوا لاخوانهم من المنافقين هلم الينا اي تعالوا الينا وفارقوا محمد فانه هالك وان ابا سفين ان ظفر لم يبق منكم احد الثالث ما حكاه ابن زيد ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف فقال اخوه وكان من امه وابيه هلم الي قد تبع بك وبصاحبك اي قد احيط بك وبصاحبك فقال له كذبت والله لاخبرنه بامرك وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجده قد نزل عليه جبريل عليه السلام بقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقايلين لاخوانهم هلم الينا ذكره الماوردي والثعلبي ايضا ولفظه قال ابن زيد هذا يوم الاحزاب انطلق رجل من عند النبي صلى الله عليه وسلم فوجد اخاه بين يديه رغيف وشوا ونبيذ فقال انت في هذا ونحن بين الرماح والسيوف فقال هلم الى هذا فقد تبع لك ولاصحابك والذي يحلف به لا يستقل بها محمد ابدا فقال كذبت وذهب الى

النبي صلى الله عليه وسلم بخبره فوجده قد نزل جبريل بهذه الايه ولا ياتون الباس الا
قليلا خوفا من الموت وقيل لا يحضرون القتال الا ريا وسمعه قوله
تعالى اشحه عليكم اي بخلا عليكم اي بالحفر في الخندق والنفقه في سبيل الله
قاله مجاهد وقتاده وقيل بالقتال معكم وقيل بالنفقه على فقرايكم ومساكنكم
وقيل اشحه بالغنايم اذا اصابوها قاله السدي وانتصب على الحال قال
الزجاج ونصبه عند الفرا من اربع جهات احدها ان يكون على الذم ويجوز ان
يكون عنده نصبا بمعنى يعوقون اشحه ويجوز ان يكون للتقدير والقايلين اشحه
ويجوز عنده ولا ياتون الباس الا قليلا ياتونه اشحه يعني اشحه على الفقرا بالغنيمه
حكيا النحاس ولا يجوز ان يكون العامل فيه المعوقين ولا القايلين لئلا يفرق
بين الصله والموصول ابن الانباري الا قليلا غير تام لان اشحه يتعلق بالاول
فهو ينتصب من اربعه اوجه احدها ان ينصبه على القطع من المعوقين كانه
قال قد يعلم الله الذين يعوقون عن القتال ويشحون عن الانفاق على فقرا المسلمين
ويجوز ان يكون منصوبا على القطع من القايلين اي وهم اشحه ويجوز ان ينصبه
على القطع مما في ياتون كانه قال ولا ياتون الباس الا جبنا بخلا ويجوز ان ينصب
اشحه على الذم فمن هذا الوجه الرابع يحسن ان يقف على قوله الا قليلا اشحه
عليكم وقف حسن ومثله اشحه على الخير حال من المضمر في سلقوكم وهو العامل فيه
فاذا جا الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت
وصفهم بالجبن وكذا سبيل الجبان ينظر يمينا وشمالا محددا بصره وربما غشي عليه
وفي الخوف وجهان احدهما من قتال العدو اذا اقبل قاله السدي الثاني
الخوف من النبي صلى الله عليه وسلم اذا غلب قاله ابن شجره رايتهم ينظرون اليك خوفا
من القتال على القول الاول ومن النبي صلى الله عليه وسلم على الثاني تدور اعينهم
لذهاب عقولهم حتى لا يصح منهم النظر الى جهه وقيل لشده خوفهم حذرا ان
ياتيهم القتل من كل جهه فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنه حداد وحكى الفرا
صلقوكم بالصاد وخطيب سلاق وصلاق اذا كان بليغا واصل الصلق الصوت
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الصالقه والحالقه والشاقه قال الاعشى

فيهم المجد والسماحة والنجدة فيهم والخاطب السلاق ؛ قال قتادة معنى
بسطوا السنتهم فيكم في وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطنا اعطنا فانا قد شهدنا
معكم فعند الغنيمة اشح قوم وابسطهم لسانا ووقت البأس اجبن قوم واخوفهم
قال النحاس هذا قول حسن لان بعده اشحة عليكم وقيل المعنى بالغوا في
مخاصمتكم والاحتجاج عليكم وقال القتبي المعنى آذوكم بالكلام الشديد والسلق الاذى
ومنه قول الشاعر ؛ ولقد سلقن هوازنا بنواهل حتى انحنينا ؛
اشحة على الخير اي على الغنيمة قال يحيى بن سلام وقيل على المال ان ينفقوه في
سبيل الله قاله السدي اولئك لم يؤمنوا يعني بقلوبهم وان كان ظاهرهم الايمان
والمنافق كافر على الحقيقة لوصفهم الله جل وعز بالكفر فاحبط الله اعمالهم
اي لم يثبهم عليها اذ لم يقصدوا وجه الله تعالى بها وكان ذلك على الله يسيرا
يحتمل وجهين احدهما وكان نفاقهم على الله هينا الثاني وكان احباط عملهم
على الله هينا قوله تعالى يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي يحسبهم
يظنون الاحزاب لم ينصرفوا وكان انصرفوا ولكنهم لم يتباعدوا في السير وان
يأت الاحزاب اي وان يرجع الاحزاب اليهم للقتال يودوا لو انهم بادون في
الاعراب تمنى ان يكونوا مع الاعراب حذرا من القتل وتربصا للدوائر وقرا طلحة
ابن مصرف لو انهم بدا في الاعراب يقال باد وبدى مثل غاز وغزى ويمد مثل صائم
وصوام بدا فلان يبدو اي خرج الى البادية وهي البداوة والبداوة بالكسر
والفتح واصل الكلمة من البدو وهو الظهور يسألون عن انبائكم اي عن اخبار النبي
صلى الله عليه وسلم يتحدثون اما هلك محمد واصحابه اما غلب ابو سفيان واصحابه
واحزابه اي يودوا لو انهم بادون سائلون عن انبائكم من غير مشاهدة القتال
لفرط جبنهم وقيل هم ابدا لجبنهم يسألون عن اخبار المؤمنين وهل اصيبوا وقيل
كان منهم في اطراف المدينة من لم يحضر الخندق جعلوا يسألون عن اخباركم ويتمنون
هزيمة المسلمين ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا اي رميا بالنبل والحجارة
على طريق الرياء والسمعة ولو كان ذلك لله لكان قليله كثيرا قوله
تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة هذا عتاب للمتخلفين عن القتال

اي كان لكم قدوه في النبي صلى الله عليه وسلم حيث بذل نفسه لنصره دين الله في خروجه
الى الخندق والاسوه القدوه وقرا عاصم اُسوه بضم الهمزه الباقون بالكسر
وهما لغتان والجمع فيهما واحد عند الفرا والعله عنده في الضم على لغه من كسر
في الواحده الفرق بين ذوات الواو وذوات اليا فيقولون كِسوه وكِسا ولِحيه
ولِحى الجوهري والإسوه والأُسوه بالضم والكسر لغتان والجمع إِسى وأُسى وروى
عقبه ابن حسان الهجري عن ملك ابن انس عن نافع عن ابن عمر لقد كان لكم في
رسول الله اسوه حسنه قال في جوع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره الخطيب
ابو بكر احمد وقال تفرد به عقبه ابن حسان عن ملك ولم اكتبه الا بهذا الاسناد
الثانيه قوله تعالى اسوه الاسوه القدوه والاسوه ما يتاسى به اي يتعزى
به فيقتدي به في جميع افعاله ويتعزى به في جميع احواله فلقد شج وجهه
وكسرت رباعيته وقتل عمه حمزه وجاع بطنه ولم يلف الا صابرا محتسبا وشاكرا
راضيا وعن انس ابن ملك عن ابي طلحه قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الجوع ورفعنا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين خرجه
ابو عيسى الترمذي وقال فيه حديث غريب وقال صلى الله عليه وسلم لما شج
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وقد تقدم لمن كان يرجوا الله قال سعيد بن
جبير المعنى لمن كان يرجوا لقا الله بايمانه ويصدق بالبعث الذي فيه جزا
الافعال وقيل اي لمن كان يرجوا ثواب الله في اليوم الاخر ولا يجوز عند
الحذاق من النحويين ان يكتب يرجوا الا بغير الف اذا كان لواحد لان العله التي
في الجمع ليست في الواحد وذكر الله كثيرا خوفا من عقابه ورجا لثوابه وقيل
اي لمن بدلا من قوله لكم ولا يجيزه البصريون لان الغايب لا يبدل من المخاطب
وانما اللام من لمن متعلقه بحسنه واسوه اسم كان ولكم الخبر واختلف فيمن
اريد بهذا الخطاب على قولين احدهما المنافقون عطفا على ما تقدم من خطابهم
الثاني المومنون لقوله لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر واختلف في هذه
الاسوه بالرسول عليه السلام هل هي على الايجاب او على الاستحباب على قولين
احدهما على الايجاب حتى يقوم دليل على الايجاب ويحتمل ان يحمل الايجاب

والثاني على الاستحباب حتى يقوم دليل على [illegible]

في امور الدين وعلى الاستحباب في امور الدنيا قوله تعالى ولما رآ المؤمنون
الاحزاب ومن العرب من يقول راى القلب قالوا هذا ما وعدنا الله يريد قوله
تعالى في سورة البقرة ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
الاية فلما راوا الاحزاب يوم الخندق قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله قاله
قتادة وقول ثان رواه كثير بن عبد الله بن عمرو المزني عن ابيه عن جده
قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم عام ذكرت الاحزاب فقال اخبرني
جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة عليها يعني على قصور الحيرة ومداين كسرى
فابشروا بالنصر فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صادق اذ وعدنا
بالنصر بعد الحصر فطلعت الاحزاب فقال المؤمنون هذا ما وعدنا الله ورسوله
ذكره الماوردي وما وعده ان جعلت ما بمعنى الذي فالهاء محذوفة وان جعلتها
مصدرا لم تحتج الى عايد وما زادهم الا ايمانا وتسليما قال الفرا وما زادهم
النظر الى الاحزاب وقال علي بن سليمن راى يدل على الروية وتانيث الروية
غير حقيقي والمعنى ما زادهم الروية الا ايمانا بالرب وتسليما للقضا قاله الحسن
ولو قال ما زادوهم لجاز ولما اشتد الامر على المسلمين وطال المقام في الخندق
قام عليه السلام على التل الذي عليه مسجد الفتح في بعض الليالي وتوقع ما وعد
الله من النصر وقال من يذهب ليأتينا بخبرهم وله الجنة فلم يجبه احد فقال
ثانيا وثالثا فلم يجبه احد فنظر الى جانبه وقال من هذا فقال حذيفة فقال الم
تسمع كلامي منذ الليلة قال حذيفة فقلت يا رسول الله منعني ان اجيبك الضر
والقر فقال انطلق حتى تدخل في القوم فتسمع كلامهم وتاتيني بخبرهم اللهم
احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله حتى ترده الي انطلق
ولا تحدث شيا حتى تاتيني فانطلق حذيفة بسلاحه ورفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يا صريخ المكروبين ويا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي
وكربي فقد ترى حالي وحال اصحابي فنزل جبريل وقال ان الله سمع دعوتك
وكفاك هول عدوك فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وبسط
يديه وارخى عينيه شكرا كما رحمتني ورحمت اصحابي واخبره جبريل

ان الله مرسل عليهم ريحا فبشر اصحابه بذلك قال حذيفه فانتهيت اليهم واذا
نيرانهم تتقد فاقبلت ريح شديده فيها حصبا فما تركت لهم نارا الا اطفاتها ولا بنا
الا طرحته وجعلوا يتترسون من الحصبا وقام ابو سفين الى راحلته وصاح
في قريش النجا النجا وفعل ذلك عيينه ابن حصن والحرث ابن عوف والاقرع
ابن حابس وتفرقت الاحزاب واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد الى
المدينه وبه من الشعث ما شا الله فجاته فاطمه بغسول فكانت تغسل راسه
فاتاه جبريل فقال وضعت السلاح ولم يضعه اهل السما ما زلت اتبعهم حتى
جاوزت بهم الروحا ثم قال انهض الى بني قريظه وقال ابو سفين ما زلت اسمع
قعقعه السلاح حتى جاوزت الروحا قوله [illegible] تعالى من المومنين رجال
رفع بالابتدا وصلح الابتدا بالنكره لان صدقوا في موضع النعت فمنهم من قضى نحبه
من في موضع رفع بالابتدا وكذا ومنهم من ينتظر والخبر في المجرور والنحب
النذر والعهد تقول منه نحبت انحب بالضم قال الشاعر
واذا نحبت كلب على الناس انهم احق بتاج الماجد المكرم ؛ وقال اخر
قد نحب المجد علينا نحبا ؛ وقال اخر ؛ انحب فيقضى ام ضلال وباطل
وروى البخاري ومسلم والترمذي عن انس قال قال عمي انس ابن النضر سميت به
ولم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر عليه قال اول مشهد شهده
رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه اما والله لين اراني الله مشهدا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما بعد ليرين الله ما اصنع قال فهاب ان يقول غيرها
فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد من العام القابل فاستقبله سعد
ابن مالك فقال يا ابا عمرو اين قال واها لريح الجنه اجدها دون احد فقاتل حتى
قتل فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربه وطعنه ورميه فقالت عمتي
الربيع بنت النضر فما عرفت اخي الا ببنانه ونزلت هذه الايه رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا لفظ الترمذي
وقال هذا حديث حسن صحيح وقالت عايشه رضي الله عنها في قوله تعالى من
المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه منهم طلحه ابن عبيد الله ثبت

مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى اصيبت يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم اوجب طلحه
الجنه وفي الترمذي عنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي
جاهل سله عمن قضى نحبه من هو وكانوا لا يجترون على مسلته يوقرونه ويهابونه
فسله الاعرابي فاعرض عنه ثم ساله فاعرض عنه ثم اني اطلعت من باب المسجد
وعلي ثياب خضر فلما راني النبي صلى الله عليه وسلم قال اين السايل عمن قضى نحبه
قال الاعرابي انا يا رسول الله قال هذا ممن قضى نحبه قال هذا حديث حسن غريب
لا نعرفه الا من حديث يونس ابن بكير وروى البيهقي عن ابي هريره ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين انصرف من احد مر على مصعب ابن عمير وهو مقتول على طريقه
فوقف عليه ودعا له ثم قرا هذه الايه من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه فمنهم من قضى نحبه الايه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان هولا
شهدا عند الله يوم القيمه فاتوهم وزوروهم والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد
الى يوم القيمه الا ردوا عليه وقيل النحب الموت اي مات على ما عاهد عليه عن
ابن عباس والنحب ايضا الوقت والمده يقال قضى فلان نحبه اذا مات وقال ذو الرمه
عشيه فر الحارثيون بعدما قضى نحبه في ملتقى هوبر ؛ والنحب ايضا الحاجه
والهمه يقول قايلهم ما لي عندهم نحب وليس المراد بالايه والمعنى في هذا
الموضع النحب النذر كما قدمنا اولا اي منهم من بذل جهده على الوفا بعهده حتى قتل
مثل حمزه وسعد بن معاذ وانس ابن النضر وغيرهم ومنهم من ينتظر الشهاده وما
عهدهم ونذرهم وقد روي عن ابن عباس انه قرا فمنهم من قضى نحبه ومنهم من
ينتظر ومنهم من بدل تبديلا قال ابو بكر الانباري وهذا الحديث عند اهل
العلم مردود لخلافه الاجماع ولان فيه طعنا على المومنين والرجال الذين مدحهم
الله وشرفهم بالصدق والوفا فما يعرف فيهم مغير وما وجد من جماعتهم مبدل
رضي الله عنهم ليجزي الله الصادقين بصدقهم اي امر الله بالجهاد ليجزي
الصادقين في الاخره بصدقهم ويعذب المنافقين في الاخره ان شا اي ان
شا ان يعذبهم لم يوفقهم للتوبه وان لم يشا ان يعذبهم تاب عليهم قبل الموت
ان الله كان غفورا رحيما قوله تعالى ورد الله الذين كفروا

بغيظهم

يغيظهم لم ينالوا خيرا قال محمد بن عمرو يرفعه الى عايشه رضي الله عنها قال الذين
تعزوا ههنا ابو سفيان وعيينه ابن بدر رجع ابو سفيان الى تهامه ورجع عيينه
الى نجد وكفى الله المومنين القتال بان ارسل عليهم ريحا وجنودا حتى رجعوا
ورجعت بنو قريظه الى صياصيهم فكفى امر قريظه بالرعب وكان الله قويا
امره عزيزا لا يغلب قوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب
يعني الذين عاونوا الاحزاب قريشا وغطفان وهم بنو قريظه وقد مضى خبرهم
من صياصيهم اي حصونهم واحدها صيصيه قال الشاعر
فاصبحت النيران صرعى واصبحت نساء تميم يبتدرن الصياصيا ومنه قيل
لشوكه الحايك التي بها يسوي السداه واللحمه صيصيه قال دريد بن الصمه
فجيت اليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج الممدد ومنه صيصيه
الديك التي في رجله وصياصي البقر قرونها لانها تمتنع بها وربما كانت تركب في الرماح
مكان الاسنه ويقال جد الله صيصيته اي اصله وقذف في قلوبهم الرعب فريقا
تقتلون وهم الرجال وتاسرون فريقا وهم النسا والذريه على ما تقدم واورثكم
ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطوها بعد قال يزيد بن رومان وابن
زيد ومقاتل يعني خيبر ولم يكونوا نالوها فوعدهم الله اياها وقال قتاده كنا
نتحدث انها مكه وقال الحسن هي فارس والروم وقال عكرمه كل ارض تفتح الى
يوم القيمه وكان الله على كل شي مقتدرا فيه وجهان احدهما على ما اراد بعباده
من نقمه او عفو قدير قاله محمد بن اسحق الثاني على ما اراد ان يفتحه من الحصون
والقرى قدير قاله النقاش وقيل وكان الله على كل شي مما وعدكموه قديرا
لا ترد قدرته ولا يجوز عليه العجز تعالى ويقال تاسرون وتاسرون بكسر السين
وضمها حكاه الفرا قوله تعالى يايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن
الحيوه الدنيا وزينتها الى قوله عظيما فيه ثمان مسايل الاولى قوله تعالى
يايها النبي قل لازواجك قال علماونا هذه الايه متصله بمعنى ما تقدم من
المنع من ايذا النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد تاذى ببعض الزوجات
قيل سالنه شيا من عرض الدنيا وقيل زياده في النفقه وقيل اذينه

الحسن

بغيره بعضهن على بعض وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم بتلاوة هذه الايات
عليهن وتخييرهن بين الدنيا والاخره وقال الشافعي رحمه الله ان من ملك
زوجه فليس عليه تخييرها وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخير نساءه
فاخترنه وجملة ذلك ان الله سبحانه خير النبي صلى الله عليه وسلم بين ان يكون
نبيا ملكا وعرض عليه مفاتيح خزاين الدنيا وبين ان يكون نبيا مسكينا فشاور
جبريل فاشار عليه بالمسكنه فاختارها فلما اختارها وهي اعلا المنزلتين امره
الله جل وعز ان يخير زوجاته فربما كان فيهن من يكره المقام معه على الشده
تنزيها له وقيل ان الذي اوجب التخيير لاجله ان امراه من ازواجه سالته
ان يصوغ لها حلقه من ذهب فصاغ لها حلقه من فضه وطلاها بالذهب
وقيل بالزعفران فابت الا ان تكون من ذهب فنزلت ايه التخيير فخيرهن فقلن
اخترن الله ورسوله وقيل ان واحده منهن اختارت الفراق والله اعلم
روى البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر
يستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم
يوذن لاحد منهم قال فاذن لابي بكر ثم جا عمر فاستاذن فاذن له فوجد
النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساه واجما ساكتا قال فقال والله
لاقولن شيا اضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رايت بنت
خارجه سالتني النفقه فقمت اليها فوجات عنقها فضحك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسلنني النفقه فقام ابو بكر الى عايشه
يجا عنقها وقام عمر الى حفصه يجا عنقها كلاهما يقول تسلن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فقلن والله لا نسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا او تسعا وعشرين ثم نزلت
عليه هذه الايه يا ايها النبي قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما
قال فبدا بعايشه فقال يا عايشه اني اريد ان اعرض عليك امرا احب ان
لا تعجلي فيه حتى تستشيري ابويك قالت وما هو يا رسول الله فتلى عليها
الايه قالت افيك يا رسول الله استشير ابوي بل اختار الله ورسوله والدار

الاخره واسلك ان لا تخبر امراه من نسايك ما اخترت قال لا تسلني امراه منهن الا اخبرتها ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا
وروى الترمذي عن عايشه قالت لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير ازواجه بدا بي فقال يا عايشه اني ذاكر لك امرا فلا عليك الا تعجلي حتى تستامري ابويك قالت وقد علم ان ابوي لم يكونا ليامراني بفراقه قالت ثم قال ان الله يقول يايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياه الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما فقلت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخره وفعل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت قال هذا حديث حسن صحيح قال العلما وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم عايشه ان تشاور ابويها لانه كان يحبها وكان يخاف ان يحملها فرط الشباب على ان تختار فراقه ويعلم من ابويها انهما لا يشيران عليها بفراقه الثانيه قوله تعالى قل لازواجك كان للنبي صلى الله عليه وسلم ازواج منهن من دخل بها ومنهن من عقد عليها ولم يدخل بها ومنهن من خطبها فلم يتم نكاحه بها فاولهن خديجه بنت خويلد ابن اسد ابن عبد العزى ابن قصي ابن كلاب وكانت قبله عند ابي هاله واسمه زراره ابن النباش الاسدي وكانت قبله عند عتيق ابن عابد ولدت منه غلاما اسمه عبد مناف وولدت من ابي هاله هند بن ابي هاله وعاش الى زمان الطاعون فمات فيه ويقال ان الذي عاش الى الطاعون هند بن هند وسمعت نادبته تقول حين مات واهند بن هنداه واربيب رسول الله ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجه غيرها حتى ماتت وكانت يوم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت اربعين سنه وتوفيت بعد ان مضى من النبوه سبع سنين وقيل عشر وكان لها حين توفيت خمس وستون سنه وهي اول امراه امنت به وجميع اولاده منه غير ابرهيم قال حكيم ابن حزام توفيت خديجه فخرجنا بها من منزلها حتى دفناها بالحجون ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرتها ولم تكن يوميذ سنه الجنازه الصلاه عليها ومنهن سوده بنت زمعه

مطلب ازواج الرسول من دخل بها ومن لم يدخل ومن لم يتم نكاحه وغيره

ابن قيس ابن شمس العامريه اسلمت قديما وبايعت وكانت عند ابن عم لها يقال له السكران ابن عمرو واسلم ايضا وهاجرا جميعا الى ارض الحبشه في الهجره الثانيه فلما قدما مكه مات زوجها وقيل انه مات بالحبشه فلما حلت خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتزوجها ودخل بها بمكه وهاجر بها الى المدينه فلما كبرت اراد طلاقها فسالته ان لا يفعل وان يدعها في نسايه وجعلت ليلتها لعايشه حسب ما هو مذكور في الصحيح فامسكها وتوفيت بالمدينه في شوال سنه اربع وخمسين ومنهن عايشه بنت ابي بكر الصديق وكانت مسماه لجبير ابن مطعم فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله دعني اسلها من جبير سلا رفيقا فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكه قبل الهجره بسنتين وقيل بثلث سنين وبنا بها بالمدينه وهي بنت تسع ولبثت عنده تسع سنين ومات صلى الله عليه وسلم وهي بنت ثمان عشره ولم يتزوج بكرا غيرها وماتت سنه تسع وخمسين وقيل ثمان وخمسين ومنهن حفصه بنت عمر بن الخطاب القرشيه العدويه تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم طلقها فاتاه جبريل فقال ان الله يامرك ان تراجع حفصه فانها صوامه قوامه فراجعها قال الواقدي وتوفيت في شعبان سنه خمس واربعين في خلافه معاويه وهي ابنه ستين سنه وقيل ماتت في خلافه عثمان بالمدينه ومنهن ام سلمه واسمها هند بنت ابي اميه المخزوميه واسم ابي اميه سهيل تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليال بقين من شوال سنه اربع زوجها منه ابنها سلمه على الصحيح وكان عمر ابنها صغير وتوفيت في سنه تسع وخمسين وقيل سنه اثنتين وستين والاول اصح وصلى عليها سعيد بن زيد وقيل ابو هريره وقبرت بالبقيع وهي ابنه اربع وثمانين سنه ومنهن ام حبيبه واسمها رمله بنت ابي سفين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن اميه الضمري الى النجاشي ليخطب عليه ام حبيبه فزوجه اياها وذاك سنه سبع من الهجره واصدق النجاشي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع مايه دينار وبعث بها مع شرحبيل

ابن

ابن حسنه وتوفيت سنه اربع واربعين وقال الدارقطني وكانت ام حبيبه
تحت عبيد الله ابن جحش فمات بارض الحبشه علي النصرانيه فزوجها النجاشي
النبي صلي الله عليه وسلم وامهرها عنه اربعه الاف درهم وبعث بها اليه مع
شرحبيل ابن حسنه ومنهن زينب بنت جحش ابن رياب الاسديه وكان
اسمها بره فسماها رسول الله صلي الله عليه وسلم زينب وكان اسم ابيها بره فقالت
يا رسول الله بدل اسم ابي فان البره حقيره فقال لها النبي صلي الله عليه وسلم
لو كان ابوك مومنا سميناه باسم رجل منا اهل البيت ولكني قد سميته جحشا
والجحش اكبر من البره ذكر هذا الحديث الدارقطني تزوجها رسول الله صلي الله
عليه وسلم بالمدينه في سنه خمس من الهجره وتوفيت سنه عشرين وهي بنت
ثلاث وخمسين ومنهن زينب بنت خزيمه ابن الحرث ابن عمرو بن عبد
مناف ابن هلال ابن عامر ابن صعصعه الهلاليه كانت تسمي في الجاهليه ام
المساكين لاطعامها اياهم تزوجها رسول الله صلي الله عليه وسلم في رمضان
علي راس احدي وثلثين شهرا من الهجره فمكثت عنده ثمانيه اشهر وتوفيت في
حياته في اخر ربيع الاول علي راس تسعه وثلثين شهرا ودفنت بالبقيع ومنهن
جويريه بنت الحارث ابن ابي ضرار الخزاعيه المصطلقيه اصابها في غزوه بني
المصطلق فوقعت في سهم ثابت ابن قيس ابن شماس فكاتبها فقضي رسول الله
صلي الله عليه وسلم كتابتها وتزوجها وذلك في شعبان سنه ست وكان اسمها
بره فسماها رسول الله صلي الله عليه وسلم جويريه وتوفيت في ربيع الاول
سنه ست وخمسين وقيل سنه خمسين وهي ابنه خمس وستين ومنهن
صفيه بنت حيي ابن اخطب لها رويه سباها النبي صلي الله عليه وسلم يوم
خيبر واصطفاها لنفسه واسلمت واعتقها وجعل عتقها صداقها وفي
الصحيح انها وقعت في سهم دحيه الكلبي فاشتراها رسول الله صلي الله عليه
وسلم بسبعه اروس وماتت في سنه خمسين وقيل سنه اثنين وخمسين
ودفنت بالبقيع ومنهن ريحانه بنت زيد بن عمرو بن خنافه من بني
النضير سباها رسول الله صلي الله عليه وسلم واعتقها وتزوجها في سنه ست

وماتت مرجعه من حجه الوداع فدفنها بالبقيع وقال الواقدي ماتت سنه
ست عشره وصلى عليها عمر قال ابو الفرج الجوزي وقد سمعت من يقول انه
كان يطاها بملك اليمين ولم يعتقها قال الشيخ القرطبي رحمه الله ولهذا
والله اعلم لم يذكرها ابو القاسم عبد الرحمن السهيلي في عداد ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم ومنهن ميمونه بنت الحرث الهلاليه تزوجها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسرف على عشره اميال من مكه وذلك في سنه سبع
من الهجره في عمره القضيه وهي اخر امراه تزوجها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقدر الله تعالى انها ماتت في المكان الذي بنا بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بها ودفنت هنالك وذلك في سنه احدى وستين وقيل ثلث
وستين وقيل ثمان وثلثين فهو لا المشهورات من ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم وهن اللاتي دخل بهن رضي الله عنهن فاما من تزوجهن ولم
يدخل بهن فمنهن الكلابيه واختلفوا في اسمها فقيل فاطمه وقيل
عمره وقيل العاليه قال الزهري تزوج فاطمه بنت الضحاك الكلابيه،
واستعاذت منه وطلقها وكانت تقول انا الشقيه تزوجها في ذي القعده سنه
ثمان من الهجره وتوفيت سنه ستين ومنهن اسما بنت النعمن ابن ابي
الجون ابن الحرث الكنديه وهي الجونيه قال قتاده لما دخل عليها دعاها
فقالت تعال انت وطلقها وقال غيره هي التي استعاذت منه وفي البخاري
قال تزوج النبي صلى الله عليه وسلم اميمه بنت شراحيل فلما دخلت عليه
بسط يده اليها فكانها كرهت ذلك فامر ابا اسيد ان يمهرها ويكسوها
ثوبين وفي لفظ اخر قال ابو اسيد اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجونيه فلما دخل عليها قال هبي لي نفسك فقالت وهل تهب الملكه نفسها
للسوقه فاهوى بيده ليضعها عليها لتسكن فقالت اعوذ بالله منك قال
قد عذت بمعاذ ثم خرج علينا قال يا ابا اسيد اكسها رازقيين والحقها
باهلها ومنهن قتيله بنت قيس اخت الاشعث بن قيس زوجها اياه
الاشعث ثم انصرف الى حضرموت فحملها اليه فبلغه وفاه النبي صلى الله عليه وسلم

فردها

فردها الى بلاده فارتدوا ارتدت معه ثم تزوجها عكرمه ابن ابي جهل فوجد من
ذلك ابو بكر وجدا شديدا فقال له عمر انها والله ما هي من ازواجه ما خيرها ولا
حجبها ولقد برانها الله منه بالارتداد وكان عروه ينكر ان يكون تزوجها ومنهن
ام شريك الازديه واسمها غزيه بنت جابر ابن حليم وكانت قبله عند ابي بكر
ابن ابي سلمى فطلقها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بها وهي التي وهبت نفسها
وقيل ان التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم خوله بنت حكيم ومنهن
خوله بنت الهذيل ابن هبيره تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلكت قبل ان
تصل اليه ومنهن شراف بنت خليفه اخت دحيه تزوجها ولم يدخل
بها ومنهن ليلى بنت الحطيم اخت قيس تزوجها وكان غيورا فاستقالته
فاقالها ومنهن عمره بنت معاويه الكنديه تزوجها النبي صلى الله عليه
وسلم وانكر بعضهم وجود ذلك ومنهن الغفاريه قال بعضهم تزوج امراه
من غفار فامرها فنزعت ثيابها فراى بياضا فقال الحقي باهلك ويقال انما راى
البياض بالكلابيه فهولا اللاتي عقد عليهن ولم يدخل بهن صلى الله
عليه وسلم واما من خطبهن فلم يتم نكاحه معهن ومن وهبت له نفسها فمنهن
ام هاني بنت ابي طالب واسمها فاخته خطبها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
اني امراه مصبيه واعتذرت اليه فعذرها ومنهن ضباعه بنت عامر
ومنهن صفيه بنت بشامه ابن نضله خطبها النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ان شيت انا وان شيت زوجك قالت زوجي فارسلها فلعنها بنو تميم قاله
ابن عباس ومنهن ام شريك وقد تقدم ذكرها ومنهن خوله
بنت حكيم ابن اميه وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فارجاها فتزوجها
عثمان ابن مظعون ومنهن جمره بنت الحرث ابن عوف المزني خطبها
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابوها ان بها سوا ولم يكن بها فرجع اليها ابوها
وقد برصت وهي ام شبيب ابن البرصا الشاعر ومنهن سوده القرشيه
خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مصبيه فقالت اخاف ان
تضغو صبيتي عند راسك فحمدها ودعا لها ومنهن امراه لم يذكر اسمها

قال مجاهد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم امراه فقالت ستامر ابي فلقيت
اباها فاذن لها فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد التحفنا لحافا غيرك
فهولا جميع ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان له من السراري جاريتان
ماريه القبطيه وريحانه في قول قتاده وقال غيره كان له اربع ماريه وريحانه
واخرى جميله اصابها في السبي وجاريه وهبتها له زينب بنت جحش الثالثه
قوله تعالى ان كنتن تردن الحياه الدنيا وزينتها ان شرط وجوابه فتعالين
فعلق التخيير على شرط وهذا يدل على ان التخيير والطلاق المعلقين على شرط
صحيحان فينفذان ويمضيان خلافا للجهال المبتدعه الذين يزعمون ان الرجل
اذا قال لزوجته انت طالق ان دخلت الدار انه لا يقع الطلاق ان دخلت الدار
لان الطلاق الشرعي هو المنجز في الحال لا غير الرابعه قوله تعالى
فتعالين هو جواب الشرط وهو فعل جماعه النساء من قولك تعال وهو دعا
الى الاقبال اليه يقال تعال بمعنى اقبل وضع لمن له جلاله ورفعه ثم صار في
الاستعمال لكل داع الى الاقبال واما في هذا الموضع فهو على اصله فان الداعي
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم امتعكن قد تقدم الكلام في المتعه
وقري امتعكن بضم العين وكذا واسرحكن بضم الحا على الاستيناف والسراح
الجميل هو ان يكون طلاقا للسنه من غير ضرار ولا منع واجب لها الخامسه
اختلف العلما في كيفيه تخيير النبي صلى الله عليه وسلم ازواجه على قولين
الاول انه خيرهن باذن الله في البقا على الزوجيه او الطلاق فاخترن
البقا قالته عايشه ومجاهد وعكرمه والشعبي وابن شهاب وربيعه ومنهم
من قال انما خيرهن بين الدنيا فيفارقهن وبين الاخره فيمسكهن لتكون لهن
المنزله العليا كما كانت لزوجهن ولم يخيرهن في الطلاق ذكره الحسن
وقتاده ومن الصحابه علي فيما رواه عنه احمد بن حنبل انه قال لم يخير رسول
الله صلى الله عليه وسلم نساه الا بين الدنيا والاخره قال الشيخ القرطبي
رحمه الله القول الاول اصح لقول عايشه رضي الله عنها لما سيلت عن الرجل
يخير امراته فقالت قد خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم افكان طلاقا

في روايه فاخترناه فلم يعده طلاقا ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا التخيير المامور بين البقا والطلاق ولذلك قال يا عايشة اني ذاكر لك امرا
فلا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستأمري ابويك الحديث ومعلوم انه لم يرد الا الاستيمار
في اختيار الدنيا وزينتها على الاخره فثبت ان الاستيمار انما وقع في الفرقه والنكاح
والله اعلم السادسه اختلف العلما في المخيره اذا اختارت زوجها
فقال جمهور العلما من السلف وغيرهم وايمه الفتوى انه لا يلزمه طلاق لا
واحده ولا اكثر هذا قول عمر ابن الخطاب وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت
وابن عباس وعايشه ومن التابعين عطا ومسروق وسليمن ابن يسار وربيعه
وابن شهاب وروي عن علي وزيد ايضا ان اختارت زوجها فواحده باينه وهو
وهو قول الحسن البصري والليث وحكاه الخطابي والنقاش عن ملك وتعلقوا
بان قوله اختاري كنايه وايقاع الطلاق فاذا اضافه اليها وقعت طلقه كقوله
انت باين والصحيح الاول لقول عايشه خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخترناه فلم يعده علينا طلاقا اخرجه الصحيحان قال ابن المنذر وحديث
عايشه يدل على ان المخيره اذا اختارت زوجها لم يكن ذلك طلاقا ويدل على ان
اختيارها نفسها يوجب الطلاق ويدل على معنى ثالث وهو ان المخيره اذا اختارت
نفسها انها تطليقه يملك زوجها رجعتها اذ غير جايز ان يطلق رسول الله صلى
الله عليه وسلم خلاف ما امر الله روي هذا عن عمر وابن مسعود وابن عباس وبه
قال ابن ابي ليلى والثوري والشافعي وروي عن علي اذا اختارت نفسها
انها واحده باينه وهو قول ابي حنيفه واصحابه ورواه ابن خواز منداد عن ملك
وروي عن زيد بن ثابت انها اذا اختارت نفسها انها ثلث وهو قول الحسن
البصري وبه قال ملك والليث لان الملك انما يكون بذلك وروي عن علي رضي الله
عنه انها اذا اختارت نفسها فليس بشي وروي عنه ايضا اذا اختارت زوجها
فواحده رجعيه السابعه ذهب جماعه من المدنيين وغيرهم الى ان
التمليك والتخيير سوا والقضا ما قضت فيهما جميعا وهو قول عبد العزيز ابن
ابي سلمه قال ابن شعبان وقد اختاره كثير من اصحابنا وهو قول جماعة من

اهل المدينة قال ابو عمر وعلى هذا قول اكثر الفقهاء والمشهور من مذهب مالك الفرق
بينهما وذلك ان التمليك عند مالك وهو قول الرجل لامراته قد ملكتك اي قد
ملكتك ما جعل الله لي من الطلاق واحدة او اثنتين او ثلاثا فلما جاز ان يملكها
بعض ذلك دون بعض وادعا ذلك كان القول قوله مع يمينه اذا ناكرها وقالت
طايفة من اهل المدينة له المناكرة في التمليك وفي التخيير سوا في المدخول بها
والاول قول مالك المشهور وروى ابن خويز منداد عن مالك ان للزوج ان يناكر
المخيرة في الثلاث وتكون طلقة باينة كما قال ابو حنيفة ومنه قال ابو الجهم
قال سحنون وعليه اكثر اصحابنا وتحصيل مذهب مالك ان المخيرة اذا اختارت
نفسها وهي مدخول بها فهو الطلاق كله وان انكر زوجها فلا نكرة له وان
اختارت واحدة فليس بشي وانما الخيار البتات اما اخذته واما تركته لان
معنى التخيير التسريح قال الله تعالى في اية التخيير فتعالين امتعكن واسرحكن
سراحا جميلا فمعنى التسريح البتات قال الله تعالى الطلاق مرتان فامساك
بمعروف او تسريح باحسان والتسريح باحسان هي الطلقة الثالثة روي
ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم ومن جهة المعنى ان قوله اختاريني
او اختاري نفسك يقتضي ان لا يكون له عليها سبيل اذا اختارت نفسها ولا يملك
منها شيا اذ قد جعل اليها ان تخرج ما يملكه منها او يقيم معها اذا اختارته فاذا
اختارت البعض من الطلاق لم تعمل بمقتضى اللفظ وكانت بمنزلة من خير بين شيين
فاختار غيرهما واما التي لم يدخل بها فله مناكرتها في التخيير والتمليك اذا
زادت على واحدة لانها تبين في الحال الثامنة اختلفت الرواية عن مالك
متى يكون لها الخيار فقال مرة لها الخيار ما دامت في المجلس قبل القيام والاشتغال
بما يدل على الاعراض فان لم تختر ولم تقض شيا حتى افترقا من مجلسهما بطل ما
كان من ذلك اليها وعلى هذا اكثر الفقهاء وقال مرة لها الخيار ابدا ما لم يعلم
انها تركت وذلك يعلم بان تمكنه من نفسها بوطء او مباشرة فعلى هذا ان منعت
نفسها ولم تختر شيا كان له رفعها الى الحاكم لتوقع او تسقط فان ابت اسقط
الحاكم تمليكها وعلى القول الاول اذا اخذت في غير ذلك من حديث او عمل او شي

او ما ليس من التخيير بشي كما ذكرنا سقط تخييرها واحتج بعض اصحابنا لهذا
القول بقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وايضا فان
الزوج اطلق لها القول ليعرف الخيار منها فصار كالعقد بينهما فان قبلته
والا سقط كالذي يقول قد وهبت لك او بايعتك فان قبل والا كان الملك
باقيا بحاله هذا قول الثوري والكوفيين والاوزاعي والليث والشافعي وابي
ثور وهو اختيار ابن القاسم ووجه الرواية الثانية ان ذلك قد صار
في يدها وملكته على زوجها بتمليكه اياها فلما ملكت ذلك وجب ان يبقى في يدها
كبقايه في يد زوجها قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهذا هو الصحيح
لقوله عليه السلام لعايشه اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تعجلي حتى
تستامري ابويك رواه الصحيح وخرجه البخاري وصححه الترمذي وقد
تقدم في اول الباب وهو حجه لمن قال انه اذا خير الرجل امراته او ملكها ان لها
ان تقضي في ذلك وان افترقا من مجلسهما روي هذا عن الحسن والزهري وقاله
مالك في احدى روايتيه قال ابو عبيد والذي عندنا في هذا الباب اتباع السنه
في عايشه في هذا الحديث حين جعل لها التاخير الى ان تستامر ابويها ولم يجعل
قيامها من مجلسها خروجا من الامر قال المروزي هذا اصح الاقاويل
عندي وقاله ابن المنذر والطحاوي قوله تعالى يا نسا النبي من يات
منكن بفاحشه مبينه فيه ثلث مسايل الاولى قال العلما لما اختار نسا
رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم شكرهن الله على ذلك
وقال تكرمه لهن لا يحل لك النسا من بعد الايه وبين حكمهن عن غيرهن فقال
وما كان لكم ان تودوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وجعل
ثواب طاعتهن وعقاب معصيتهن اكثر مما لغيرهن فقال يا نسا النبي من يات
منكن بفاحشه مبينه يضاعف لها العذاب ضعفين فاخبر تعالى ان من جا من
نسا النبي صلى الله عليه وسلم بفاحشه والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في
حديث الافك يضاعف لها العذاب ضعفين لشرف منزلتهن وفضل درجتهن
وتقدمهن على ساير النسا اجمع وكذلك بينت الشريعه في غير ما موضع حسب

ما تقدم بيانه غير مره انه كلما تضاعفت الحرمات فهتكت تضاعفت العقوبات
ولذلك ضوعف حد الحر على العبد والثيب على البكر وقيل لما كان ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم في مهبط الوحي وفي منزل اوامر الله ونواهيه قوي الامر
عليهن ولزمهن بسبب مكانتهن اكثر مما يلزم غيرهن فضوعف لهن الاجر
والعذاب وقيل انما ذلك لعظم الضرر في جرايمهن بايذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكانت العقوبه في قدر عظم الجريمه في ايذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخره
واختار هذا القول الكيا الثانيه قال قوم لو قدر الزنا من واحده
منهن وقد اعاذهن الله عز ذلك لكانت تحد حدين لعظم قدرها كما يزاد
حد الحره على الامه والعذاب بمعنى الحد قال الله تعالى وليشهد عذابهما
طايفه من المومنين وعلى هذا فمعنى الضعفين معنى المثلين او المرتين وقال
ابو عبيده ضعف الشي شيين حتى يكون ثلاثه وقال ابو عمرو فيما حكى الطبري
عنه فيضاف اليه عذابان مثله فيكون ثلثه اعذبه وضعفه الطبري وكذلك
هو غير صحيح وان كان له باللفظ تعلق الاحتمال وكون الاجر مرتين مما يفسد هذا
القول لان العذاب في الفاحشه بازا الاجر في الطاعه قاله ابن عطيه وقال
النحاس فرق ابو عمرو بين يضاعف ويضعف قال يضاعف للمرار الكثيره ويضعف
مرتين وقرا يضعف لهذا وقال ابو عبيده يضاعف لها العذاب يجعل
ثلاثه اعذبه قال النحاس التفريق الذي جا به ابو عمرو وابو عبيده لا يعرفه
احد من اهل اللغه علمته والمعنى في يضاعف ويضعف واحد اي يجعل
ضعفين كما تقول ان دفعت الي درهما دفعت اليك ضعفيه اي مثليه
يعني درهمين ويدل على هذا نوتها اجرها مرتين ولا يكون العذاب اكثر من
الاجر وقال في موضع اخر اتهم ضعفين من العذاب اي مثلين وروى معمر
عن قتاده يضاعف لها العذاب ضعفين قال عذاب الدنيا وعذاب الاخره
قال القشيري ابو نصر الظاهر انه اراد بالضعفين المثلين لانه قال نوتها
اجرها مرتين فاما في الوصايا لو اوصى لانسان بضعفي نصيب ولده فهو

والضعف في كلام العرب

وصيته بان يعطى مثل نصيبه ثلث مرات فان الوصايا تجرى على العرف فيما بين الناس
وكلام الله يرد تفسيره الى كلام العرب المثل الى ما زاد وليس بمقصور على مثلين
يقال هذا ضعف هذا اى مثله وهذا ضعفاه اى مثلاه والضعف فى الاصل
زيادة غير مقصورة قال الله تعالى فاوليك لهم جزا الضعف ولم يرد مثلا
ولا مثلين كل هذا قول الازهرى وقد تقدم فى النور الاختلاف فى حد من قذف
واحدة منهن والحمد لله الثالثة قال ابو رافع كان عمر رضى الله عنه
كثيرا ما يقرا سورة يوسف وسورة الاحزاب فى الصبح وكان اذا بلغ يا نسا
النبى رفع بها صوته فقيل له فى ذلك فقال اذكرهن العهد قرا الجمهور من
يات بالياء وكذلك من يقنت حملا على لفظ من والقنوت الطاعة وقد تقدم
وقرا يعقوب من تات وتقنت بالتاء من فوق حملا على المعنى وقال قوم
الفاحشة اذا وردت معرفة فهى الزنا واللواط واذا وردت منكرة فهى ساير
المعاصى واذا وردت منعوتة فهى عقوق الزوج وفساد عشرته وقالت فرقة
بل قوله فاحشة مبينة هى جميع المعاصى وكذلك الفاحشة كيف وردت
وقرا ابن كثير مبينة بفتح اليا وقرا نافع وابو عمرو بكسرها وقرات فرقة
يضاعف وكسر العين على اسناد الفعل الى الله تعالى وقرا ابو عمرو فيما روى
خارجة نضاعف بالنون المضمومة ونصب العذاب وهذه قراة ابن محيصن وهذه
مفاعلة من واحد كطارقت النعل وعاقبت اللص وقرا نافع وحمزة والكساى
يضاعف باليا وفتح العين العذاب رفعا وهى قراة الحسن وابن كثير وعيسى
وقرا ابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وكسر العين المشددة العذاب نصبا
قال مقاتل هذا التضعيف بالعذاب انما هو فى الاخرة لان ايتا الاجر مرتين
ايضا فى الاخرة وهذا حسن لان نسا النبى صلى الله عليه وسلم لا ياتين بفاحشة
توجب حدا وقد قال ابن عباس ما بغت امراة نبى قط وانما خانتا فى الايمان
والطاعة وقال بعض المفسرين العذاب الذى توعدن به ضعفين هو عذاب
الدنيا وعذاب الاخرة وكذلك الاجر قال ابن عطية وهذا ضعيف اللهم
الا ان يكون ازواج النبى صلى الله عليه وسلم لا ترفع عنهم حدود الدنيا عذاب الاخرة

مطلب لا ... ... للمفسر ...

ان م

على ما هي حال الناس عليه بحكم حديث عباده ابن الصامت وهذا امر لم يروى في ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم ولا حفظ تقريره واهل التفسير على الرزق الكريم الجنه
ذكره النحاس قوله تعالى يا نسا النبي لستن كاحد من النسا ان اتقيتن
يعني في الفضل والشرف وقال كاحد ولم يقل كواحده لان احدا نفي من
المذكر والمونث والواحد والجماعه وقد يقال على ما ليس بادمي يقال ليس فيها
احد لا شاه ولا بعير وانما خص النسا بالذكر لان فيمن تقدم اسيه ومريم وقد
اشار الى هذا قتاده وقد تقدم في ال عمران الاختلاف في التفضيل بينهن فتامله
هناك ثم قال ان اتقيتن اي خفتن الله فبين ان الفضيله انما تتم لهن بشرط
التقوى لما منحهن الله من صحبه الرسول وعظيم المحل منه ونزول القران
في حقهن قوله تعالى فلا تخضعن بالقول في موضع جزم بالنهي
الا انه مبني كما بني الماضي هذا مذهب سيبويه اي لا تلن القول امرهن الله
ان يكون قولهن جزلا وكلامهن فصلا ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقه
بما يظهر عليه من اللين كما كانت الحال عليه في نسا العرب من مكالمة الرجال بترخيم
الصوت ولينه مثل كلام المريبات والمومسات فنهاهن عن مثل هذا قوله
تعالى فيطمع بالنصب على جواب النهي الذي في قلبه مرض اي شك ونفاق
عن قتاده والسدي وقيل تشوق لفجور وهو الفسق والغزل قاله عكرمه
وهذا اصوب وليس للنفاق مدخل في هذه الايه وحكى ابو حاتم فيطمع بفتح اليا
وكسر الميم النحاس احسب هذا غلطا وان يكون قرا فيطمع بفتح اليا وكسر العين
بعطفه على تخضعن فهذا وجه جيد حسن ويجوز فيطمع بمعنى فيطمع الخضوع
او القول قوله تعالى وقلن قولا معروفا قال ابن عباس امرهن
بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمراه تندب اذا خاطبت الاجانب وكذا
المحرمات عليها بالمصاهرة الى الغلظة في القول من غير رفع صوت فان المراه
مامورة بخفض الكلام وعلى الجمله فالقول المعروف هو الصواب الذي لا
تنكره الشريعة ولا النفوس قوله تعالى وقرن في بيوتكن
ولا تبرجن تبرج الجاهليه الاولى فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى

وقرن قرا الجمهور قِرن بكسر القاف وقرا عاصم ونافع بفتحها فاما القراه
الاولى فتحتمل وجهين احدهما ان يكون من الوقار تقول وقَر يقر وقارا اي
سكن والامر قِر وللنسا قِرن مثل عِدن وزن والقول الثاني وهو قول المبرد
ان يكون من القرار تقول قررت بالمكان بفتح الرا اقِر والاصل اقرِرن بكسر
الرا فحذفت الرا الاولى تخفيفا كما قالوا في ظللت ظِلت ومسست مِسْت
ونقلوا حركتها الى القاف واستغني عن الف الوصل لتحرك القاف قال ابو علي
بل على ان تبدل الرا يا كراهة التضعيف كما ابدلت في قيراط او دينار وتصير للبا
حركة الحرف المبدل منه فالتقدير اقيِرن ثم تلقى حركة اليا على القاف كراهة
تحرك اليا بالكسر فتسقط اليا لاجتماع الساكنين وتسكن همزة الوصل لتحرك
ما بعدها فيصير قِرن واما قراه اهل المدينه وعاصم فعلى لغه العرب قررت
في المكان اذا اقمت فيه بكسر الرا اقر بفتح القاف من باب حمد يحمد لغه اهل الحجاز
ذكرها ابو عبيد في الغريب المصنف عن الكساي وهو اجل مشايخه وذكرها
الزجاج وغيره والاصل اقررن حذفت الرا الاولى لثقل التضعيف والقيت
حركتها على القاف فتقول قَرن قال الفرا هو كما تقول احسَسْت صاحبك اي هل
احسسْته وقال ابو عثمان المازني قررت به عينا بالكسر لا غير من قره العين
ولا يجوز قررت في المكان بالكسر وانما هو قرَرْت بفتح الرا وما انكره من هذا
لا يقدح في القراه اذا ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيستدل بما ثبت عنه من
القراه على معنى هذه الايه الامر بلزوم البيت وان كان الخطاب لنسا النبي صلى
الله عليه وسلم فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى هذا ولو لم يرد دليلا يخص جميع
النسا كيف والشريعه طافحه صحه المعنى وزعم ابو حاتم ايضا ان قَرن لا
مذهب له في كلام العرب قال النحاس واما قول ابي حاتم انه لا يذهب له
فقد خولف فيه وفيه مذهبان احدهما ما حكاه الكساي والاخر ما سمعت
علي ابن سليمن يقول قال وهو من قررت به عينا اقَر والمعنى واقررن به عينا
في بيوتكن وهو وجه حسن الا ان الحديث يدل على انه من الاول كما روي ان
عمارا قال لعايشه رضي الله عنها ان الله قد امرك ان تقري في منزلك فقالت

يا ابا اليقظان ما زلت قوالا بالحق فقال الحمد لله الذي جعلني كذلك علي لسانك
وقرا من الي عمله واقررن بالف وصل وابن الاولي مكسوره الثانيه
وحقيقه اظهار ما ستره احسن وهو ماخوذ من السعه معني هذه الايه
الامر بلزوم البيت وان كان الخطاب لنسا النبي صلي الله عليه وسلم فقد
دخل غيرهن فيه بالمعني هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النسا كيف والشريعه
طافحه بلزوم النسا بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها الا الضروره علي ما
تقدم في غير موضع فامر الله تعالي نسا النبي صلي الله عليه وسلم بملازمه بيوتهن
وخاطبهن بذلك تشريفا لهن ونهاهن عن التبرج واعلم انه فعل الجاهليه
الاولي فقال ولا تبرجن تبرج الجاهليه الاولي وقد تقدم معنى التبرج في
النور وحقيقته اظهار ما ستره احسن وهو ماخوذ من السعه يقال في
اسنانه برج اذا كانت متفرقه قاله المبرد واختلف الناس في الجاهليه
الاولي فقيل هو الزمن الذي ولد فيه ابرهيم عليه السلام كانت المراه تلبس
الدرع من اللولو فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها علي الرجال وقال
الحكم ابن عيينه ما بين ادم ونوح وهي ثمان مايه سنه وحكيت لهم سير ذميمه
وقال ابن عباس ما بين نوح وادريس الكلبي ما بين نوح وابرهيم قيل
ان المراه كانت تلبس الدرع من اللولو غير مخيط الجانبين وتلبس الثياب
الرقاق ولا تواري بدنها وقالت فرقه ما بين موسي وعيسي الشعبي
ما بين عيسي ومحمد صلي الله عليه وسلم ابو العاليه هي زمان داود وسليمن
كان فيه للمراه قميص من الدر غير مخيط الجانبين وقال ابو العباس المبرد
والجاهليه الاولي كما تقول الجاهليه الجهلا قال وكان النسا في الجاهليه
الجهلا يظهرن ما يقبح اظهاره حتي كانت المراه تجلس مع زوجها وخلها
فينفرد خلها بما فوق الازار الي الاعلي وينفرد زوجها بما دون الازار الي الاسفل
وربما سال احدهما صاحبه البدل وقال مجاهد كان النسا يتمشين بين
الرجال فذلك التبرج قال ابن عطيه والذي يظهر عندي انه اشار
للجاهليه التي لحقتها فامرن بالنقله عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل

الشرع من سيره الكفره لانهم كانوا لا غيره عندهم فكان امر النسا دون حجبه
وجعلها اولى بالنسبه الى ما كن عليه وليس المعنى ان ثم جاهليه اخرى وقد
اوقع اسم الجاهليه على تلك المده التي قبل الاسلام فقالوا جاهلي في الشعرا
وقال ابن عباس في البخاري سمعت ابي يقول في الجاهليه الى عبد هذا
قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهذا قول حسن ويعترض بان العرب كانت
اهل قشف وضنك في الغالب وان التنعم واظهار الزينه انما جرى في الازمان
السابقه وهي المراد بالجاهليه الاولى وان المقصود من الايه مخالفه من
قبلهن من المشيه على تغنيج وتكسير واظهار المحاسن للرجال الى غير ذلك مما
لا يجوز شرعا وذلك يشمل الاقوال كلها ويعمها فيلزمن البيوت فان مست
الحاجه الى الخروج فليكن على تبذل وتستر تام والله الموفق الثالثه
ذكر الثعلبي وغيره ان عايشه رضي الله عنها كانت اذا قرات هذه الايه تبكي
حتى تبل خمارها وذكر ان سوده قيل لها لم لا تحجين ولا تعتمرين كما يفعل
اخواتك فقالت قد حججت واعتمرت وامرني الله ان اقر في بيتي قال الراوي
فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى اخرجت جنازتها رضوان الله عليها
قال ابن العربي لقد دخلت نيفا على الف قريه فما رايت نسا اصون عيالا ولا
اعف نسا من نسا نابلس التي رمي بها الخليل صلى الله عليه وسلم بالنار فاني اقمت
فيها فما رايت امراه في طريق نهارا الا في يوم الجمعه فانهن يخرجن اليها حتى
يمتلي المسجد منهن فاذا قضيت الصلاه وانقلبن الى منازلهن لم تقع عيني على واحده
منهن الى الجمعه الاخرى وقد رايت بالمسجد الاقصى عفايف ما خرجن من معتكفهن
حتى استشهدن فيه الرابعه قال ابن عطيه بكا عايشه رضي الله عنها
انما كان بسبب سفرها ايام الجمل وحينيذ قال لها عمار ان الله امرك ان تقري
في بيتك قال ابن العربي تعلق الرافضه لعنهم الله بهذه الايه على ام المومنين
عايشه رضي الله عنها اذ قالوا انها خالفت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين خرجت تقود الجيوش وتباشر الحروب وتقتحم مازق الطعن والضرب
فيما لم يفرض عليها ولا يجوز لها قالوا ولقد حصر عثمان فلما رات ذلك امرت

بروا حلها فعزمت لتخرج الى مكه فقال لها مروان اقيمي هنا يا ام المومنين وردي
هاولا الرعاع فان الاصلاح بين الناس خير من حجك قال ابن العربي قال
علماونا رحمه الله عليهم ان عايشه رضي الله عنها نذرت الحج قبل الفتنه فلم تر التخلف
عن نذرها ولو خرجت في تلك الثايره لكان ذلك صوابا لها واما خروجها الى
حرب الجمل فما خرجت لحرب ولكن تعلق الناس بها وشكوا اليها ما صاروا اليه
من عظيم الفتنه وتهارج الناس ورجوا بركتها وطمعوا في الاستحيا منها اذا
وقفت الى الخلق وظنت هي ذلك مقتديه بالله في قوله لا خير في كثير من نجواهم
الا من امر بصدقه او معروف او اصلاح بين الناس وبقوله وان طايفتان
من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما والامر بالاصلاح مخاطب به جميع الناس

قضايه وما قدم

من ذكر وانثى حر او عبد فلم يرد الله سابق حكمه ان يقع اصلاح ولكن جرت
مطاعنات وجراحات حتى كاد يفنى الفريقان فعمد بعضهم الى الجمل فعرقبه فلما
سقط لجنبه ادرك محمد بن ابي بكر عايشه رضي الله عنها فاحتملها الى البصره
وخرجت في ثلثين امراه قرنهن علي بها حتى اوصلوها الى المدينه بره تقيه
مجتهده مصيبه ثابته فيما تاولت ماجوره فيما فعلت اذ كل مجتهد في الاحكام
مصيب وقد تقدم في النحل اسم هذا الجمل وبه يعرف ذلك اليوم قوله
تعالى واقمن الصلاه واتين الزكاه واطعن الله ورسوله اي فيما امر ونهى
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قال الزجاج قيل يراد به
نسا النبي صلى الله عليه وسلم وقيل يراد به نساوه واهله الذين هم اهل
بيته على ما ياتي بيانه واهل نصب على المدح قال وان شيت على البدل قال ويجوز
الرفع والخفض قال النحاس ان خفض على انه بدل من الكاف والميم لم يجز عند
ابي العباس محمد بن يزيد قال لا يبدل من المخاطبه ولا من المخاطب لانهما لا
يحتاجان الى تبيين ويطهركم تطهيرا مصدر فيه معنى التوكيد قوله
تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمه فيه ثلث مسايل
الاولى قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمه هذه
الالفاظ تعطي ان اهل البيت نساوه وقد اختلف اهل العلم في اهل البيت

منهم وقال عطا وعكرمه وابن عباس هم زوجاته خاصه لا رجل معهن وذهبوا
الى ان البيت اريد به مساكن النبي صلى الله عليه وسلم لقوله واذكرن ما يتلى
في بيوتكن وقالت فرقه منهم الكلبي هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصه
وفي هذا احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم واحتجوا بقوله تعالى ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت ويطهركم بالميم ولو كان للنسا خاصه لكان عنكن ويطهركن
الا انه يحتمل الا ان يكون خرج على لفظ الاهل كما يقول الرجل لصاحبه كيف اهلك
اي امراتك ونساوك فيقول هم بخير قال الله تعالى اتعجبين من امر الله
رحمه الله وبركاته عليكم اهل البيت والذي يظهر من الايه انها عامه في جميع اهل
البيت من الازواج وغيرهم وانما قال ويطهركم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعليا وحسنا وحسينا كان فيهم واذا اجتمع المذكر والموث غلب المذكر فاقتضت
الايه ان الزوجات من اهل البيت لان الايه فيهن والمخاطبه لهن يدل عليه
سياق الكلام والله اعلم اما ان ام سلمه قالت نزلت هذه الايه في بيتي فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمه وحسنا وحسينا فدخل معهم تحت كسا
خيبري وقال هولا اهل بيتي وقرا الايه وقال اللهم اذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا قالت ام سلمه وانا معهم يا نبي الله قال انت على مكانك وانت على
خير اخرجه الترمذي وغيره وقال هذا حديث غريب وقال القشيري
وقالت ام سلمه ادخلت راسي في الكسا وقلت انا منهم قال نعم وقال الثعلبي
هم بنو هاشم فهذا على ان البيت يراد به بيت النسب فيكون العباس واعمامه
وبنو اعمامه منهم وروي نحوه عن زيد بن ارقم رضي الله عنه وعلى قول الكلبي
يكون قوله واذكرن ابتدا مخاطبة امر الله عز وجل ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم على جهة الموعظة وتعديد النعمة بذكر ما يتلى في بيوتهن من ايات الله
والحكمة قال اهل العلم بالتاويل ايات الله القران والحكمة السنه والصحيح
ان قوله واذكرن منسوق على ما قبله وقال عنكم لقوله اهل فالاهل مذكر
فسماهن وان كن اناثا باسم التذكير فلذلك صار عنكم ولا اعتبار بقول
الكلبي واشباهه فانه يوجد له اشيا في هذا التفسير ما لو كان في زمان

السلف الصالح المنعوه من ذلك وتحجروا عليه فالآيات كلها من قوله يا ايها النبي
قل لازواجك الى قوله ان الله كان لطيفا خبيرا مسوق بعضها على بعض فكيف
صار في الوسط كلاما منفصلا لغيرهن وانما هذا شي جرى في الاخبار ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه هذه الايه دخل عليه علي وفاطمه والحسن
والحسين فعمد النبي صلى الله عليه وسلم الى كسا فلفها عليهم ثم الوى بيده الى السما
فقال اللهم هولا اهلي اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فهذه دعوه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول الايه احب ان يدخلهم في الايه التي
خوطبت بها الازواج فذهب الكلبي وطايفه فصيرها لهم خاصه وهي
دعوه لهم خارجه من التنزيل **الثانيه** لفظ الذكر يحتمل ثلثه معان
اي اذكرن موضع النعمه اذ صيركن الله في بيوت يتلى فيها ايات الله والحكمه
الثاني اذكرن ايات الله واقدرن قدرها وفكرن فيها حتى تكون منكن على بال
لتتعظن بمواعظ الله ومن كان هذا حاله ينبغي ان يحسن افعاله والثالث
اذكرن بمعنى احفظن واقران والزمنه الالسنه فكانه يقول واحفظن اوامر
الله ونواهيه وذلك هو الذي يتلى في بيوتهن من ايات الله فامر سبحانه
ان يخبرن بما ينزل من القران في بيوتهن وما يرين من افعال النبي صلى الله عليه وسلم
ويسمعن من اقواله حتى يبلغن ذلك الى الناس فيعملون عليه ويقتدون وهذا
يدل على جواز قبول خبر الواحد من الرجال والنسا في الدين **الثالثه** قال
ابن العربي في هذه الايه تسليه بديعه وهي ان الله تعالى امر نبيه عليه السلم
بتبليغ ما انزل عليه من القران وتعليم ما علمه من الدين فكان اذا قرا على واحد
او ما اتفق سقط عنه الفرض وكان على من سمعه ان يبلغه الى غيره ولا يلزمه
ان يذكره لجميع الصحابه ولا كان عليه اذا علم ذلك ازواجه ان يخرج الى الناس
فيقول لهم نزل كذا ولا كان كذا ولهذا قلنا يجوز العمل بخبر بسره في ايجاب
الوضو من مس الذكر لانها روت ما سمعت وبلغت ما وعت ولا يلزم ان يبلغ
ذلك الرجال كما قال ابو حنيفه على انه قد نقل عن سعد بن ابي وقاص وابن عمر
قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الايه **فيه** مسلتان

الاولى

الاولى روى الترمذي عن ام عماره الانصاريه انها اتت النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت ما ارى كل شي الا للرجال وما ارى النسا يذكرن بشي فنزلت هذه الايه
ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات الايه هذا حديث حسن غريب
والمسلمين اسم ان والمسلمات عطف عليه ويجوز عطفهن عند البصريين فاما
الفرا فلا يجوز عنده الا فيما لا يتبين فيه الاعراب الثانيه بدا تعالى
في هذه الايه بذكر الاسلام الذي يعم الايمان وعمل الجوارح ثم ذكر الايمان تخصيصا
له وتنبيها على انه عظم الاسلام ودعامته والقانت العابد المطيع والصادق
معناه فيما عوهد عليه ان يفي به والصابر عن الشهوات وعلى الطاعات في المكره
والمنشط والخاشع الخائف لله والمتصدق بالفرض والنفل وقيل بالفرض
خاصه والاول امدح والصايم كذلك والحافظين فروجهم والحافظات اي
عما لا يحل من الزنا وغيره وفي قوله والحافظات حذف يدل عليه المتقدم تقديره
والحافظاتها فاكتفى بما تقدم وفي الذاكرات ايضا مثله ونظيره قول الشاعر
وكمتا مدماه كان متونها جرى فوقها واستشعرت لون مذهب
وروى سيبويه لون مذهب بالنصب وانما يجوز الرفع على حذف الها كانه
قال واستشعرته فيمن رفع لونا والذاكر قيل في ادبار الصلوات وغدوا
وعشيا وفي المضاجع وعند الانتباه من النوم وقد تقدم هذا كله مفصلا
في مواضعه وما يترتب عليه من الفوايد والاحكام فاغنى عن الاعاده والحمد
لله قال مجاهد لا يكون ذاكرا لله عز وجل كثيرا حتى يذكره قايما وجالسا
ومضطجعا وقال ابو سعيد الخدري من ايقظ اهله بالليل وصليا اربع
ركعات كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات قوله تعالى
وما كان لمومن ولا مومنه اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيره
من امرهم فيه اربع مسايل الاولى روى قتاده وابن عباس ومجاهد
في سبب نزول هذه الايه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب زينب بنت
جحش وكانت بنت عمته فظنت ان الخطبه لنفسه فلما تبين انه يريدها لزيد
كرهت وابت وامتنعت فنزلت الايه فاذعنت زينب حينيذ وتزوجته

في روايه فامتنعت وامتنع اخوها عبد الله لنسبها من قريش وان زيدا كان
بالامس عبدا الى ان نزلت هذه الايه فقال له اخوها مرني بما شيت فزوجها
من زيد وقيل انها نزلت في ام كلثوم بنت عقبه ابن ابي معيط وكانت وهبت
نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد بن حارثه فكرهت ذلك هي
واخوها وقالوا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا غيره فنزلت
الايه بسبب ذلك فاجابا الى تزويج زيد قاله ابن زيد وقال الحسن ليس
لمومن ولا مومنه اذا امر الله جل وعز رسوله صلى الله عليه وسلم بامر ان
يعصياه الثانيه لفظه ما كان وما ينبغي ونحوها معناها الحظر والمنع
فيجي لحظر الشي والحكم بانه لا يكون كما في هذه الايه وربما كان امتناع ذلك الشي
عقلا كقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها وربما كان العلم بامتناعه شرعا كقوله
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وربما كان في المندوبات كما تقول ما كان لك
يا فلان ان تترك النوافل ونحو هذا الثالثه في هذه الايه دليل بل نص
في ان الكفاه لا تعتبر في الاحساب وانما تعتبر في الاديان خلافا لملك والشافعي
والمغيره وسحنون وذلك ان الموالي تزوجت في قريش تزوج زيد زينب بنت
جحش وتزوج المقداد ابن الاسود ضباعه بنت الزبير وزوج ابو حذيفه سالما
من هند بنت الوليد بن عتبه وتزوج بلال اخت عبد الرحمن ابن عوف وقد تقدم
هذا المعنى في غير موضع الرابعه قوله تعالى ان يكون لهم الخيره
قرا الكوفيون ان يكون باليا وهو اختيار ابي عبيد لانه قد فرق بين المونث
وبين فعله الباقون بالتا لان اللفظ مونث فتانيث فعله حسن والتذكير على ان الخيره
بمعنى التخيير فالخيره مصدر بمعنى الاختيار وقرا ابن السميقع الخيره باسكان
اليا وهذه الايه في ضمن قوله النبي اولى بالمومنين من انفسهم ثم توعد تعالى
واخبر ان من يعص الله ورسوله فقد ضل وهذا ادل دليل على ان ما ذهب اليه
الجمهور من فقهاينا وفقها اصحاب الشافعي وبعض الاصوليين من ان صيغه
افعل للوجوب في اصل وضعها لان الله تبارك وتعالى نفى خيره المكلف عند
سماع امره وامر رسوله ثم اطلق على من نفت له خيره عند صدور الامر

اسم المعصيه ثم علق على المعصيه بذلك الضلال فلزم حمل الامر على الوجوب والله
اعلم قولــــه تعالى واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه
الى قوله مفعولا فيـــه تسع مسايل الاولى روى الترمذى عن على ابن حجر
عن داود ابن الزبرقان عن داود ابن ابى هند عن الشعبى عن عايشه قالت لو كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيا من الوحى لكتم هذه الايه واذ تقول للذى انعم
الله عليه يعنى بالاسلام وانعمت عليه بالعتق فاعتقته امسك عليك زوجك
واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
الى قوله وكان امر الله مفعولا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوجها
قالوا تزوج حليله ابنه فانزل الله ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول
الله وخاتم النبيين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبناه وهو صغير فلبث
حتى صار رجلا يقال له زيد بن محمد فانزل الله ادعوهم لابايهم هو اقسط عند
الله قال ابو عيسى هذا حديث قد روى عن داود ابن ابى هند عن الشعبى عن
مسروق عن عايشه قالت لو كان النبى صلى الله عليه وسلم كاتما شيا من الوحى لكتم
هذه الايه واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه هذا الحرف لم يرو بطوله
قال الشيخ القرطبى رحمه الله هذا القدر هو الذى اخرجه مسلم فى صحيحه
وهو الذى صححه الترمذى فى جامعه وفى البخارى عن انس ابن مالك ان هذه الايه
وتخفى فى نفسك ما الله مبديه نزلت فى شان زينب بنت جحش وزيد بن حارثه وقال
عمر وابن مسعود وعايشه والحسن ما انزل الله على رسوله ايه اشد عليه من هذه
وقال الحسن وعايشه لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيا من الوحى
لكتم هذه الايه لشدتها عليه وروى فى الخبر انه امسى زيد فاوى الى فراشه
قالت زينب ولم يستطعنى زيد وما امتنع منه غير ما منعه الله منى فلا يقدر
على هذه روايه ابى عصمه نوح ابن ابى مريم رفع الحديث الى زينب انها قالت ذلك
وفى بعض الروايات ان زيد انورم ذلك منه حين اراد ان يقربها فهذا قريب
من ذلك وجا زيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان زينب توذينى
بلسانها وتفعل وتفعل وانى اريد ان اطلقها فقال له امسك عليك زوجك

واتق الله الايه وطلقها زيد فنزلت واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه الايه

ازم

واختلف الناس في تاويل هذه الايه فذهب قتاده وابن زيد وجماعه من المفسرين
منهم الطبري وغيره الى النبي صلى الله عليه وسلم وقع منه استحسان لزينب بنت
جحش وهي في عصمه زيد وكان حريصا على ان يطلقها زيد فيتزوجها هو ثم ان
زيدا لما اخبره بانه يريد فراقها ويشكو منها غلظه قول وعصيان امر واذى
باللسان وتعظما بالشرف قال له اتق الله اي فيما تقول عنها وامسك عليك
زوجك وهو يخفي الحرص على طلاق زيد اياها وهذا الذي كان يخفي في نفسه
ولكنه لزم ما يجب من الامر بالمعروف وقال مقاتل زوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم زينب بنت جحش من زيد فمكثت عنده حينا ثم انه عليه السلام اتى زيدا
يوما يطلبه فابصر زينب قايمه وكانت بيضا جميله جسيمه من اتم نسا قريش
فهويها وقال سبحن الله مقلب القلوب فسمعت زينب بالتسبيحه فذكرتها
لزيد ففطن زيد فقال يا رسول الله ايذن لي في طلاقها فان فيها كبرا تعظم علي
وتوذيني بلسانها فقال عليه السلام امسك عليك زوجك واتق الله وقيل ان
الله بعث ريحا فرفعت الستر وزينب متفضله في منزلها فراى زينب فوقعت
في نفسه ووقع في نفس زينب انها وقعت في نفس النبي صلى الله عليه وسلم وذلك
لما جا يطلب زيدا فجا زيد فاخبرته بذلك فوقع في نفس زيد ان يطلقها وقال
ابن عباس وتخفي في نفسك الحب لها وتخشى الناس اي تستحييهم وقيل
تخاف وتكره لايمه المسلمين لو قلت طلقها رجلا ان يطلق امراته
ثم نكحها حين طلقها والله احق ان تخشاه في كل الاحوال وقيل والله احق
ان تستحيي منه ولا تامر زيدا بامساك زوجته بعد ان اعلمك الله انها ستكون
زوجتك فعاتبه الله على جميع هذا وروي عن علي ابن الحسين ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان قد اوحى الله اليه ان زيدا يطلق زينب وانه يتزوجها بتزويج
الله اياها فلما تشكى زيد للنبي صلى الله عليه وسلم خلق زينب وانها لا تطيعه
واعلمه بانه يريد طلاقها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهه الادب
والوصيه اتق الله في قولك وامسك عليك زوجك وهو يعلم انه سيفارقها

ويتزوجها وهذا هو الذي اخفى في نفسه ولم يرد ان يامره بالطلاق لما علم انه سيتزوجها
وخشي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلحقه قول من الناس في ان يتزوج زينب
بعد زيد وهو مولاه وقد امره بطلاقها فعاتبه الله على هذا القدر من ان خشي الناس
في شي قد اباحه الله له بان قال امسك مع علمه بانه يطلق واعلمه ان الله احق
بالخشية اي في كل حال قال علماونا هذا القول احسن ما قيل في تاويل هذه الاية
وهو الذي عليه اهل التحقيق من المفسرين والعلما الراسخين كالزهري والقاضي
بكر ابن العلا القشيري والقاضي ابو بكر ابن العربي وغيرهم والمراد بقوله
وتخشى الناس انما هو ارجاف المنافقين بانه نهى عن تزويج نسا الابنا وتزوج
بزوجة ابنه فاما ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم هوى زينب امراة زيد وربما
اطلق بعض المجان لفظ عشق فهذا انما يصدر عن جاهل بعصمة النبي صلى الله عليه
وسلم عن مثل هذا او مستخف بحرمته قال الترمذي الحكيم في نوادر الاصول
واسند الى علي ابن الحسين قوله فعلي ابن حسين جا بهذا من خزانة العلم جوهرا
من الجواهر ودرا من الدرر انه انما عتب الله عليه في انه قد اعلمه ان ستكون
هذه من ازواجك فكيف قال بعد ذلك لهذا الزيد امسك عليك زوجك واخذتك
خشية الناس ان يقولوا تزوج امراة ابنه والله احق ان تخشاه وقال النحاس
قال بعض العلما ليس هذا من النبي صلى الله عليه وسلم خطية الا ترى انه لم يومر
بالتوبة ولا بالاستغفار منه وقد يكون الشي ليس بخطية الا ان غيره احسن منه
واخفى ذلك في نفسه خشية ان يفتتن الناس الثانية قال ابن العربي
فان قيل لاي معنى قال له امسك عليك زوجك وقد اخبره الله انها زوجه
قلنا اراد ان يختبر منه ما لم يعلمه الله من رغبته فيها او رغبته عنها فابدا له
زيد من النفرة عنها والكراهة فيها ما لم يكن علمه منه في امرها فان قيل كيف يامره
بالتمسك بها وقد علم ان الفراق لا بد منه وهذا تناقض قلنا بل هو صحيح
للمقاصد الصحيحة كاقامة الحجة ومعرفة العاقبة الا ترى ان الله تعالى يامر
العبد بالايمان وقد علم انه لا يومن فليس في مخالفته متعلق الامر متعلق
العلم ما يمنع من الامر به عقلا وحكما وهذا من نفيس العلم فتقبلوه وتقبلوه

وقوله واتق الله اي في طلاقها فلا تطلقها واراد نهي تنزيه لا تحريم فان الاولى
ان لا يطلق وقيل اتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج وتخفي في
نفسك قيل تعلق قلبه وقيل مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها
لان الله قد اعلمه بذلك الثالثة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لزيد
ما اجد في نفسي اوثق منك فاخطب زينب علي قال فذهبت ووليتها ظهري توقيرا
للنبي صلى الله عليه وسلم وخطبتها ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيا حتى اوامر
ربي فقامت الى مسجدها ونزل القران فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ودخل
بها قال الشيخ القرطبي رحمه الله معنى هذا الحديث ثابت في الصحيح وترجم
النساي صلاة المراة اذا خطبت واستخارتها ربها روى الايمة واللفظ لمسلم
عن انس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد
فاذكرها علي قال فانطلق زيد حتى اتاها وهي تخمر عجينتها قال فلما رايتها عظمت
في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها
فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب ارسل رسول الله صلى الله عليه
وسلم بذكرك قالت ما انا بصانعة شيا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل
القران وجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قال فقال ولقد
رايتنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار الحديث
في روايه حتى تركوه وفي روايه عن انس ايضا قال ما رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم اولم على امراة ما اولم على زينب فانه ذبح شاة قال علماونا فقوله
عليه السلام لزيد فاذكرها علي اي اخطبها كما بينه الحديث الاول وهذا امتحان
لزيد واختبار له حتى يظهر صبره وانقياده وطوعه قال الشيخ القرطبي
رحمه الله وقد يستنبط من هذا ان يقول الانسان لصاحبه اخطب علي فلانة لزوجه
المطلقة منه ولا حرج في ذلك والله اعلم الرابعة لما وكلت امرها
الى الله وصح تفويضها اليه تولى الله انكاحها ولذلك قال فلما قضى زيد منها وطرا
زوجناكها وروى جعفر بن محمد عن ابايه عن النبي صلى الله عليه وسلم وطرا
زوجتكها ولما اعلمه الله بذلك دخل عليها بغير اذن ولا تجديد عقد ولا تقرير صداق

ولاشي مما يكون شرطا في حقوقها ومشروعا لنا وهذا من خصوصياته صلى الله عليه
وسلم التي لا يشاركه فيها احد باجماع من المسلمين ولهذا كانت زينب تفاخر نسا
النبي صلى الله عليه وسلم وتقول زوجكن اباكن وزوجني الله تعالى وسياتي اخرجه
النسائي وعن انس ابن مالك قال كانت زينب تفخر على نسا النبي صلى الله عليه وسلم
تقول ان الله عز وجل انكحني من السما وفيها نزلت ايه الحجاب الخامسه المنعم
عليه في هذه الايه هو زيد بن حارثه كما بيناه وقد تقدم خبره في اول السوره وروي
ان عمه لقيه يوما وكان ورد مكه في شغل له فقال له ما اسمك يا غلام قال زيد قال ابن
من قال ابن حارثه قال ابن من قال ابن شراحيل الكلبي قال فما اسم امك قال
سعدى وكنت في اخوالي طي فضمه الى صدره وارسل الى اخيه وقومه فحضروا
وارادوا منه ان يقيم معهم فقالوا لمن انت قال لمحمد بن عبد الله فاتوه وقالوا هذا
ابننا فرده علينا فقال اعرض عليه فان اختاركم فخذوا بيده فبعث الى زيد وقال هل
تعرف هولا قال نعم هذا ابي وهذا اخي وهذا عمي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
فاي صاحب كنت لك فبكى وقال لم تسالني عن ذلك قال اخيرك فان احببت ان
تلحق بهم فالحق وان اردت ان تقيم فانا من قد عرفته فقال ما اختار عليك احدا
فجذبه عمه وقال يا زيد اخترت العبوديه على ابيك وعمك فقال اي والله
العبوديه عند محمد احب الي من ان اكون عندكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشهدوا اني وارث وموروث فلم يزل يقال زيد ابن محمد الى ان نزل قوله تعالى
ادعوهم لابايهم ونزل ما كان محمد ابا احد من رجالكم السادسه
قال الامام ابو القاسم عبد الرحمن السهيلي رضي الله عنه كان يقال زيد بن
محمد حتى نزل ادعوهم لاباهم فقال انا زيد بن حارثه وحرم عليه ان يقول انا
زيد بن محمد فلما نزع عنه هذا الشرف وهذا الفخر منه وعلم الله وحشته من
ذلك شرفه بخصيصه لم يكن يخص بها احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وهي انه سماه في القران فقال تعالى فلما قضى زيد منها وطرا يعني من زينب
ومن ذكره الله تعالى باسمه في الذكر الحكيم حتى صار اسمه قرانا يتلى في
المحاريب نوه به غاية التنويه فكان في هذا تانيس له وعوض من الفخر بابوه

محمد صلى الله عليه وسلم له الا ترى الى قول ابى ابن كعب حين قال له النبى صلى الله عليه وسلم ان الله قد امرني ان اقرا عليك سوره كذا فبكى وقال او ذكرت هنالك وكان بكاوه من الفرح حين اخبر ان الله تعالى ذكره فكيف بمن صار اسمه قرانا يتلى مخلد الابيد يتلوه اهل الدنيا اذا قروا القران واهل الجنه كذلك ابدا لا يزال على السنه المومنين كما لم يزل مذكورا على الخصوص عند رب العالمين اذ القران كلام الله القديم وهو باق لا يبيد فاسم زيد هذا فى الصحف المكرمه المرفوعه المطهره تذكره فى التلاوه السفره الكرام البرره وليس ذلك لاسم من اسما المومنين الا النبى من الانبيا ولزيد بن حارثه تعويضا من الله تعالى له عما نزع عنه وزاد فى الايه ان قال واذ تقول للذى انعم الله عليه اي بالايمان فدل على انه من اهل الجنه علم ذلك قبل ان يموت وهذه فضيله اخرى السابعه قوله تعالى الوطر كل حاجه للمرء فيها همه والجمع الاوطار قال ابن عباس اى بلغ ما اراد من حاجته يعنى الجماع وفيه اضمار اى لما قضى وطره منها وطلقها زوجناكها وقراه اهل البيت زوجتكها وقيل الوطر عباره عن الطلاق قاله قتاده الثامنه ذهب بعض الناس من هذه الايه ومن قول شعيب انى اريد ان انكحك الى ان ترتيب هذا المعنى فى المهور ينبغى ان تكون انكحه اياها فتقدم ضمير الزوج كما فى الايتين ولذلك قوله عليه السلام لصاحب الردا اذهب فقد انكحتها بما معك من القران قال ابن عطيه وهذا غير لازم لان الزوج فى الايه مخاطب فحسن تقديمه فى المهور الروحان فقدم من شيت ولم يبق ترجيح الا بدرجه الرجال وانهم القوامون التاسعه قوله تعالى زوجناكها دليل على ثبوت الولى فى النكاح وقد تقدم الخلاف فى ذلك روى ان عايشه وزينب تفاخرا فقالت عايشه انا الذى جانى الملك الى النبى صلى الله عليه وسلم فى شرقه من حرير فيقول هذه امراتك اخرجه الصحيح وقالت زينب انا الذى زوجني الله من فوق سبع سموات وقال الشعبى كانت زينب تقول للرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لادل عليك بثلاث ما من نسايك امراه تدل بهن ان جدى وجدك واحد وان الله انكحك ايايي من السما وان السفير فى ذلك

حومل وروي عن زينب انها قالت لما وقعت في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يستطعني زيد وما امتنع منه غير ما يمنعه الله تعالى مني فلا يقدر عليه قوله
تعالى سنه الله في الذين خلو من قبل هذه مخاطبه من الله تعالى لجميع الامه
اعلمهم ان هذا ونحوه من السنن الاقدم في الانبيا ان ينالوا ما احله لهم اي سن لهم
صلى الله عليه وسلم في التوسعه عليه في النكاح سنه الانبيا الماضيه كداود
وسليمن وكان لداود ماية امراه وثلث ماية سريه ولسليمن ثلث ماية امراه
وسبع ماية سريه وذكر الثعلبي عن مقاتل وابن الكلبي ان الاشاره الى داود
عليه السلام حيث جمع الله بينه وبين من فتن بها وسنه نصب على المصدر اي سن
الله له سنه واسعه والذين خلوا هم الانبيا بدليل وصفهم بعد بقوله الذين
يبلغون رسالات الله قوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم الى
قوله عليما فيه ثلث مسايل الاولى لما تزوج زينب قال الناس تزوج امراه
ابنه فنزلت الايه اي ليس هو بابنه حتى تحرم عليه حليلته ولكنه ابو امته
في التبجيل والتعظيم وان نساه عليهم حرام فاذهب الله بهذه الايه ما وقع في
نفوس المنافقين وغيرهم واعلم ان محمدا لم يكن ابا احد من رجال المعاصرين
له في الحقيقه ولم يقصد بهذه الايه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له ولد فقد
ولد له ذكور ابرهيم والقاسم والطيب والمطهر ولكن لم يعش له ابن حتى
يصير رجلا واما الحسن والحسين فكانا طفلين ولم يكونا رجلين معاصرين له
الثانيه ولكن رسول الله قال الاخفش والفرا اي ولكن كان رسول الله
واجازا ولكن رسول الله وخاتم بالرفع وكذلك قرا ابن ابي عبله وبعض الناس
ولكن رسول الله بالرفع على معنى هو رسول الله وخاتم النبيين وقرات فرقه
ولكن بشد النون ونصب رسول الله على انه اسم كان والخبر محذوف وخاتم
قرا عاصم وحده بفتح التا بمعنى انهم به ختموا فهو كالخاتم والطابع لهم وقرا
الجمهور بكسر التا بمعنى انه ختمهم اي جا اخرهم وقيل الخاتم والخاتم لغتان
مثل طابع وطابع ودانق ودانق وطابق في اللحم وطابق الثالثه
قال ابن عطيه هذه الالفاظ عند جماعه علما الامه خلفا وسلفا متلقاه على

العموم التام مقتضيه نصا انه لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم وما ذكره القاضي ابن
الطيب في كتابه المسمى بالهدايه من تجويز الاحتمال في الفاظ هذه الايه ضعيف
وما ذكره الغزالي في هذه الايه وهذا المعنى في كتابه الذي سماه بالاقتصاد الحاد
عندي وتطرق خبيث الى تشويش عقيده المسلمين في ختم محمد صلى الله عليه
وسلم النبوه فالحذر الحذر منه والله الهادي برحمته قال الشيخ القرطبي
رحمه الله وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا نبي بعدي الا ما
شا الله قال ابو عمر يعني الرويا والله اعلم التي هي جزو منها كما قال ليس يبقى
بعدي من النبوه الا الرويا الصالحه وقرا ابن مسعود من رجالكم ولكن نبيا
ختم النبيين قال الرماني ختم به عليه السلام الاستصلاح فمن لم يصلح
به فميوس من صلاحه قال الشيخ القرطبي رحمه الله ومن هذا المعنى
قوله عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وفي صحيح مسلم عن جابر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الانبيا كمثل رجل بنى دارا فاتمها
واكملها الا موضع لبنه فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا
موضع اللبنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا موضع اللبنه جيت
فختمت الانبيا ونحوه عن ابي هريره غير انه قال فانا اللبنه وانا خاتم النبيين
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا الايه امر تعالى
عباده بان يذكروه ويشكروه ويكثروا من ذلك على ما انعم به عليهم وجعل تعالى
ذلك دون حد لسهولته على العبد ولعظم الاجر فيه قال ابن عباس لم يعذر
احد في ترك ذكر الله الا من غلب على عقله وروى ابو سعيد عن النبي صلى الله
عليه وسلم اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون وقيل الذكر الكثير ما جرى على
الاخلاص من القلب والقليل ما يقع على حكم الاتفاق كالذكر باللسان
قوله تعالى وسبحوه بكره واصيلا اي اشغلوا السنتكم في معظم
احوالكم بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير قال مجاهد وهذه كلمات يقولهن
الطاهر والمحدث والجنب وقيل ادعوه قال جرير
فلا تنس تسبيح الضحى ان يوسفا دعا ربه فاختاره حين سبحا

وقيل المراد صلوا لله بكرة واصيلا والصلاه تسمى تسبيحا وخص الفجر والمغرب
والعشا بالذكر لانها احق ما التحريض عليها لاتصالها باطراف الليل وقال قتاده
والطبري الاشاره الى صلاه الغداه وصلاه العصر والاصيل العشي وجمعه
اصايل والاصل بمعنى الاصيل وجمعه آصال قاله المبرد وقال غيره اصل
جمع اصيل كرغيف ورغف وقد تقدم مسـئـلـه هذه الصلاه مدنيه فلا
تعلق بها لمن زعم ان الصلاه انما فرضت اولا صلاتين في طرفي النهار والروايه
مدلك ضعيفه فلا التفات اليها ولا معول عليها وقد مضى الكلام في كيفيه فرض
الصلاه وما للعلماء في ذلك في سبحن والحمد لله قولـــــه تعالى هو الذي
يصلي عليكم الايه قال ابن عباس لما نزل ان الله ومليكته يصلون على النبي قال
المهاجرون والانصار هذا لك يا رسول الله خاصه وليس لنا فيه شي فانزل
الله هذه الايه قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهذه نعمه من الله تعالى
على هذه الامه من اكبر النعم ودليل على فضيلتها على ساير الامم وقد قال
كنتم خير امه اخرجت للناس والصلاه من الله على العبد هي رحمته له وبركته
لديه وصلاه المليكه دعاوهم للمومنين واستغفارهم لهم كما قال ويستغفرون
للذين امنوا وسياتي وفي الحديث ان بني اسرايل سالوا موسى عليه السلام
ايصلي ربك جل وعز فاعظم ذلك فاوحى الله جل وعز ان صلاتي بان رحمتي
سبقت غضبي ذكره النحاس وقال ابن عطيه وروت فرقه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قيل له يا رسول الله كيف صلاه الله على عباده قال سبوح قدوس
رحمتي سبقت غضبي واختلف في تاويل هذا القول فقيل انه كلمه من كلام محمد
صلى الله عليه وسلم وقدمه بين يدي نطقه باللفظ الذي هو صلاه الله وهو
رحمتي سبقت غضبي من حيث فهم من السايل انه توهم في صلاه الله على عباده
وجها لا يليق بالله عز وجل فقدم التنزيه والتعظيم بين يدي اخباره
قولـــــه تعالى ليخرجكم من الظلمات الى النور اي من الضلاله الى الهدى
ومعنى هذا التثبيت على الهدايه لانهم كانوا في وقت الخطاب على الهدايه
ثم اخبر تعالى برحمته بالمومنين تانيسا لهم فقال وكان بالمومنين رحيما

من كلام الله تعالى وهي صلاته على عباده وقيل سبوح قدوس

قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام اختلف في الضمير الذي في
يلقونه على من يعود فقيل على الله تعالى اي كان بالمومنين رحيما فهو يومنهم
من عذاب الله يوم القيمه وفي ذلك اليوم يلقونه وتحيتهم اي تحيه بعضهم
لبعض سلام اي سلامه لنا ولكم من عذاب الله وقيل هذه التحيه من عذاب
الله تعالى المعنى فيسلمهم من الافات او يبشرهم بالامن من المخافات يوم
يلقونه اي يوم القيمه بعد دخول الجنه قال معناه الزجاج واستشهد
بقوله جل وعز تحيتهم فيها سلام وقيل يوم يلقونه اي يوم يلقون ملك
الموت وقد ورد انه لا يقبض روح مومن الا سلم عليه روي عن البرا بن
عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام فيسلم ملك الموت على المومن عند قبض
روحه لا يقبض روحه حتى يسلم عليه قوله تعالى يا ايها النبي انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا الايه هذه الايه فيها تانيس للنبي صلى الله عليه وسلم
وللمومنين وتكريم لجميعهم وهذه الايه تضمنت من اسمايه صلى الله عليه وسلم
سته اسما ولنبينا صلى الله عليه وسلم اسما كثيره وسماة وردة ذكرها في الكتاب
والسنه والكتب المتقدمه وقد سماه الله في كتابه محمدا واحمد وقال صلى الله
عليه وسلم فيما روى عنه الثقات العدول لي خمسه اسما انا محمد وانا احمد وانا
الماحي الذي يمحوا الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي
وانا العاقب وفي صحيح مسلم من حديث جبير بن مطعم وقد سماه الله رءوفا
رحيما وفيه ايضا عن ابي موسى الاشعري قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسما فقال انا محمد واحمد والمقفي والحاشر
ونبي التوبه ونبي الرحمه وقد تتبع القاضي ابو الفضل عياض في كتابه المسمى
بالشفا ما جا في كتاب الله وفي سنه رسوله صلى الله عليه وسلم ومما نقل
في الكتب القديمه واطلاق الامه اسما كثيره وصفات عديده صدقت عليه
صلى الله عليه وسلم مسمياتها ووجدت فيه معانيها وقد ذكر القاضي
ابو بكر ابن العربي في احكامه في هذه الايه من اسما النبي صلى الله عليه وسلم
سبعه وستين اسما وذكر صاحب وسيله المتعبدين الى متابعه سيد

مطلب في اسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم

المرسلين عن ابن عباس ان لمحمد صلى الله عليه وسلم مايه وثمانين اسما من ارادها
وجدها هناك وقال ابن عباس لما نزلت هذه الايه دعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليا ومعاذا فبعثهما الى اليمن وقال اذهبا فبشرا ولا تنفرا ولا
تعسرا فانه قد انزل علي وقرا الايه قوله شاهدا قال سعيد عن قتاده
شاهدا على امته بالتبليغ اليهم وعلى سائر الامم بتبليغ انبيائهم ونحو ذلك ومبشرا
معناه للمومنين برحمه الله وبالجنه ونذيرا معناه للعصاة والمكذبين من النار
وعذاب الخلد وداعيا الى الله الدعا الى الله هو تبليغ التوحيد والاخذ به
ومكافحة الكفرة وباذنه هنا معناه بامره اياك وتقديره ذلك في وقته واوانه
وسراجا منيرا استعارة النور الذي يتضمنه شرعه وقيل وسراجا اي
هاديا من ظلم الضلاله وانت كالمصباح المضيء ووصفه بالانارة لان من السرج
ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلثه تضني رسول بطي
وسراج لا يضيء ومايده ينتظر لها من يجيء وسيل بعضهم عن الموحشين فقال
ظلام ساتر وسراج فاتر واسند النحاس حدثنا محمد بن ابرهيم الرازي قال
نا عبد الرحمن ابن صالح الازدي قال نا عبد الرحمن ابن محمد المحاربي عن شيبان النحوي
قال نا قتاده عن عكرمه عن ابن عباس قال لما نزلت يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليا ومعاذا فقال انطلقا فبشرا ولا تعسرا فانه قد نزل علي
الليله ايه انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا من النار وداعيا الى الله قال
شهاده ان لا اله الا الله باذنه بامره وسراجا منيرا قال بالقران وقال
الزجاج وسراجا اي وذا سراج منير اي كتاب نير واجاز ايضا ان يكون بمعنى
وتاليا كتاب الله قوله تعالى وبشر المومنين الواو عاطفه جمله
على جمله والمعنى منقطع من الذي قبله امره الله تعالى ان يبشر المومنين
بالفضل الكبير من الله عز وجل وعلى قول الزجاج ذا سراج منيرا وتاليا
سراجا منيرا يكون معطوفا على الكاف في ارسلناك قال ابن عطيه قال
لنا ابي رضي الله عنه هذه من ارجى ايه عندي في كتاب الله لان الله تعالى

قد امر نبيه ان يبشر المومنين بان لهم عنده فضلا كبيرا وقد بين تعالى الفضل
الكبير في قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاون
عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير فالايه التي في هذه السوره خبر والتي في
حم عسق تفسير لها ولا تطع الكافرين والمنافقين اي لا تطعهم فيما يشيرون
عليك من المداهنه في الدين ولا تمايلهم الكافرين ابي سفين وعكرمه وابي
الاعور السلمي ولا تذكر
والمنافقين عبد الله
ابن ابي وعبد الله ابن سعد وطعمه ابن ابيرق حثوا النبي صلى الله عليه وسلم
على اجابتهم بعلة المصلحه ودع اداهم اي دع ان توذيهم مجازاه على اذاتك
اياهم فامره بترك معاقبتهم والصفح عن زللهم فالمصدر على هذا مضاف الى
المفعول ونسخ من الايه على هذا التاويل ما يخص الكافرين وناسخه ايه
السيف وفيه معنى ثان اي اعرض عن اقوالهم وما يوذونك ولا تشتغل به
فالمصدر على هذا التاويل مضاف الى الفاعل وهذا تاويل مجاهد والايه منسوخه
بايه السيف وتوكل على الله امره بالتوكل عليه وانسه بقوله وكفى بالله وكيلا
وفي قوه الكلام وعد بنصر والوكيل الحافظ القايم على الامر قوله
تعالى يايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
فيه سبع مسايل الاولى لما جرت قصة زيد وتطليقه زينب وكانت
مدخولا بها وخطبها النبي صلى الله عليه وسلم بعد انقضا عدتها كما بيناه خاطب
الله المومنين بحكم الزوجه تطلق قبل البنا وبين ذلك الحكم للامه فالمطلقه
اذا لم تكن ممسوسه لا عده عليها بنص الكتاب واجماع الامه فان دخل بها
فعليها العده اجماعا الثانيه النكاح الوط وتسميه العقد نكاحا
لملابسته له من حيث انه طريق اليه وتطيره تسميتهم الخمر اثما لانه سبب
في اقتراف الاثم ولم يرد لفظ العقد في كتاب الله الا في معنى العقد لانه في
معنى الوط وهو من اداب القران الكنايه عنه بلفظ الملامسه والمماسه
والقربان والتغشي والاتيان الثالثه استدل بعض العلما بقوله
تعالى وان طلقتموهن ومهلته ثم على ان الطلاق لا يكون الا بعد النكاح

وان من طلق المراه قبل نكاحها وان عينها فان ذلك لا يلزمه وقال هذا يبف على
ثلثين من صاحب وتابع وامام سمي البخاري منهم اثنين وعشرين وقد روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل نكاح ومعناه ان الطلاق لا يقع حتى
يحصل النكاح قال حبيب ابن ثابت سيل علي ابن الحسين رضي الله عنهما عن رجل
قال لامراه ان تزوجتك فانت طالق فقال ليس بشي ذكر الله عز وجل النكاح
قبل الطلاق وقالت طايفه من اهل العلم ان طلاق المعينه الشخص او القبيله
او البلد لا يلزم قبل النكاح منهم ملك وجميع اصحابه وجمع عظيم من علما الامه وقد
مضى في اخر مراه الكلام فيها ودليل الفريقين والحمد لله فاذا قال كل امراه
اتزوجها وكل عبد اشتريته حر لم يلزمه شي وان قال كل امراه اتزوجها الى
عشرين سنه او ان تزوجت من بلد فلان او من بني فلان فهي طالق لزمه الطلاق
ما لم يخف العنت على نفسه في طول السنين او يكون عمره في الغالب لا يبلغ ذلك فله
ان يتزوج وانما لم يلزمه الطلاق اذا عم لانه ضيق على نفسه المناكح فلو معناه
ان لا يتزوج لحرج وخيف عليه العنت وقد قال بعض اصحابنا انه ان وجد ما يتسرر
به لم ينكح وليس بشي وذلك ان الضرورات والاعذار ترفع الاحكام فيصير هذا من
الضروره كمن لم يحلف قاله ابن خواز منداد الرابعه استدل داود ومن قال
بقوله ان المطلقه الرجعيه اذا راجعها زوجها قبل ان تنقضي عدتها ثم فارقها
قبل ان يمسها انه ليس عليه ان تتم عدتها ولا عده مستقبله لانها مطلقه قبل الدخول
بها وقال عطا ابن ابي رباح وفرقه تمضي في عدتها من طلاقها الاول وهو احد
قولي الشافعي لانه طلاقه لها اذا لم يمسها في حكم من طلقها في عدتها قبل ان يراجعها
ومن طلق امراته في كل طهر مره بنت ولم يستانف وقال ملك اذا فارقها قبل ان
يمسها انها لا تبني على ما مضى من عدتها وانها تبني من يوم طلقها عده مستقبله وقد
ظلم زوجها نفسه واخطا ان كان ارتجعها ولا حاجه له بها وعلى هذا اكثر اهل
العلم لانها في حكم الزوجات المدخول بهن في النفقه والسكنى وغير ذلك
وكذلك تستانف العده من يوم طلقت وهو قول جمهور فقها البصره والكوفه
ومكه والمدينه والشام وقال الثوري اجمع الفقها عندنا على ذلك

الخامسة فلو كانت بائنة غير مبتوتة فتزوجها في العدة ثم طلقها قبل الدخول
فقد اختلفوا في ذلك ايضا فقال مالك والشافعي وزفر وعثمان البتي لها نصف
الصداق وتتم بقية العدة الاولى وهو قول الحسن وعطا وعكرمة وابن شهاب
وقال ابو حنيفة وابو يوسف والثوري والاوزاعي لها مهر كامل للنكاح
الثاني وعدة مستقبلة جعلوها في حكم المدخول بها لاعتدادها من مائه
وقال داود لها نصف الصداق وليس عليها بقية العدة الاولى ولا عدة مستقبلة
والاولى ما قاله مالك والشافعي والله اعلم السادسة هذه الاية مخصصة
لقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولقوله واللاي
يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر وقد مضى في البقرة
ومضى فيها الكلام في المتعة فاغنى عن الاعادة هنا وسرحوهن سراحا جميلا
فيه وجهان احدهما انه دفع المتعة بحسب الميسرة والعسرة قاله ابن عباس
الثاني انه طلاقها طاهرا من غير جماع قاله قتادة وقيل فسرحوهن بعد الطلاق
الى اهلهن فلا يجتمع الرجل والمطلقة في موضع واحد السابعة قوله تعالى
فمتعوهن قال سعيد هي منسوخة بالاية التي في البقرة وهي قوله وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم اي فلم يذكر
المتعة وقد مضى الكلام في هذا في البقرة مستوفى وقوله سرحوهن
طلقوهن والتسريح كناية عن الطلاق عند ابي حنيفة لانه يستعمل في غيره
فيحتاج الى النية وعند الشافعي صريح وقد مضى في البقرة القول فيه فلا معنى
للاعادة جميلا سنة من غير بدعة قوله تعالى يا ايها النبي انا احللنا
لك ازواجك الى قوله رحيما فيه تسع عشرة مسئلة الاولى روى السدي
عن ابي صالح عن ام هاني بنت ابي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن
وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك
وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك فلم اكن احل له لاني لم اهاجر كنت من
الطلقاء خرجه ابو عيسى وقال هذا حديث حسن لا نعرفه الا من هذا الوجه

قال ابن العربي وهو ضعيف جدا ولم يات هذا الحديث من طريق صحيح يحتج
بها الثانية لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم نساه فاخترنه حرم عليه
التزوج لغيرهن والاستبدال بهن مكافاه لهن على فعلهن والدليل على ذلك
قوله تعالى لا يحل لك النسا من بعد الايه وهل كان يحل له ان يطلق واحده
منهن بعد ذلك فقيل لا يحل له ذلك جزا لهن على اختيارهن له وقيل كان
يحل له ذلك كغيره من الناس ولكن لا يتزوج بدلها ثم نسخ هذا التحريم فاباح
له ان يتزوج بمن شا عليهن من النسا والدليل عليه قوله تعالى انا احللنا لك
ازواجك والاحلال يقتضي تقدم حظر وزوجاته اللاتي في حياته لم يكن
محرمات عليه وانما كان يحرم عليه التزوج بالاجنبيات فانصرف الاحلال
اليهن ولانه قال في سياق الايه وبنات عمك الايه ومعلوم انه لم يكن تحته
احد من بنات عمه ولا بنات عماته ولا من بنات خاله ولا من بنات خالاته فثبت
انه احل له التزوج بهذا ابتدا وهذه الايه وان كانت متقدمه في التلاوه
فهي متاخره في النزول على الايه المنسوخه بها كايتي الوفاه في البقره وقد
اختلف الناس في تاويل قوله تعالى احللنا لك ازواجك فقيل المراد بها ان الله
تعالى احل له ان يتزوج كل امراه يوتيها مهرها قاله ابن زيد والضحاك فعلى هذا
تكون الايه مبيحه جميع النسا حاشى ذوات المحارم وقيل المراد احللنا لك
ازواجك اي الكاينات عندك لانهن قد اخترنك على الدنيا والاخره قاله
الجمهور من العلما وهو الظاهر لان قوله اتيت ماض ولا يكون الفعل الماضي
بمعنى الاستقبال الا بشروط ويجي الامر على هذا التاويل ضيقا على النبي صلى الله
عليه وسلم ويويد هذا التاويل ما قاله ابن عباس كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتزوج في اي الناس شا وكان يشق ذلك على نسايه فلما نزلت هذه الايه
وحرم عليه بها الناس الا من سمى سر نساوه بذلك قال الشيخ القرطبي
رحمه الله والقول الاول اصح لما ذكرناه ويدل ايضا على صحته ما خرجه
الترمذي عن عطا قال قالت عايشه ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى احل الله له النسا قال هذا حديث حسن صحيح الثالثه قوله تعالى

وما ملكت يمينك احل الله السراري لنبيه صلى الله عليه وسلم ولامته مطلقا
واحل الازواج لنبيه مطلقا واحله للخلق بعدد وقوله مما افاء الله عليك
اي رده عليك من الكفار والغنيمة قد تسمى فيئا اي مما افاء الله عليك من النساء
الماخوذ على وجه القهر والغلبة الرابعة قوله تعالى وبنات عمك
وبنات عماتك اي احللنا لك ذلك زايدا من الازواج اللاتي اتيت اجورهن
على قول الجمهور لانه لو اراد احللنا لك كل امراة تزوجت واتيت اجرها لما
قال بعد ذلك وبنات عمك وبنات عماتك لان ذلك داخل فيما تقدم قال
الشيخ القرطبي رحمه الله وهذا لا يلزم وانما خصهن بالذكر تشريفا لهن
كما قال فيهما فاكهة ونخل ورمان والله اعلم الخامسة قوله تعالى
اللاتي هاجرن معك فيه قولان الاول لا يحل لك من قرابتك كبنات عمة العباس
وغيره من اولاد عبد المطلب وبنات اولاد بنات عبد المطلب وبنات الخال
من ولد بنات عبد مناف بن زهرة الا من اسلم لقوله صلى الله عليه وسلم المسلم
من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه الثاني
لا يحل لك منهن الا من هاجر الى المدينة لقوله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا
ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ومن لم يهاجر لم يكمل ومن لم يكمل لم
يصلح لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كمل وشرف وعظم صلى الله عليه
وسلم السادسة قوله تعالى معك المعية هنا الاشتراك في
الهجرة لا في الصحبة فيها فمن هاجر حل له كان في صحبته اذ هاجر او لم يكن
يقال دخل فلان معي وخرج معي وكان عمله كعملي وان لم يقترن فيه عملكما
ولو قلت خرجنا معا لاقتضى ذلك المعيتين جميعا الاشتراك في الفعل
والاقتران السابعة ذكر الله عز وجل العم فردا والعمات جمعا وكذلك
قال خالك وخالاتك والحكمة في ذلك ان العم والخال في الاطلاق اسم جنس
كالشاعر والراجز وليس كذلك العمة والخالة وهذا عرف لغوي فجا
الكلام عليه بغاية البيان لرفع الاشكال وهذا دقيق فتاملوه قاله ابن العربي
الثامنة قوله تعالى وامراة مومنة عطف على واحللنا لك امراة

تهب

تهب نفسها من غير صداق وقد اختلف في هذا المعنى فروي عن ابن عباس انه قال
لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امراه الا بعقد نكاح او ملك يمين
فاما الهبه فلم يكن عنده منهن احد وقال قوم بلى كانت عنده موهوبه قال
الشيخ القرطبي رحمه الله والذي في الصحيحين يقوي هذا القول ويعضده روى
مسلم عن عايشه انها قالت كنت اغار على اللاي وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله
عليه وسلم واقول اما تستحيي امراه تهب نفسها لرجل حتى انزل الله ترجي من تشا
منهن وتووي اليك من تشا فقلت والله ما ارى ربك الا يسارع في هواك وروى
البخاري عن عايشه انها قالت كانت خوله بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدل هذا انهن كن غير واحده والله اعلم
الزمخشري وقيل الموهوبات اربع ميمونه بنت الحارث وزينب بنت خزيمه
ام المساكين الانصاريه وام شريك بنت جابر وخوله بنت حكيم قال الشيخ
القرطبي رحمه الله وفي بعض هذا اختلاف قال قتاده هي ميمونه بنت الحرث
وقال الشعبي زينب بنت خزيمه ام المساكين امراه من الانصار وقال علي
ابن الحسين والضحاك ومقاتل هي ام شريك بنت جابر الاسديه وقال عروه
ابن الزبير ام حكيم بنت الاوقص السلميه التاسعه وقد اختلف في اسم
الواهبه نفسها فقيل هي ام شريك الانصاريه اسمها غزيه وقيل غزيله وقيل
ليلى بنت حكيم وقيل هي ميمونه بنت الحرث حين خطبها النبي صلى الله عليه وسلم
فجاها الخاطب وهي على بعيرها فقالت البعير وما عليه لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل هي ام شريك العامريه وكانت عند ابي العكر الازدي
وقيل عند الطفيل ابن الحرث فولدت له شريكا وقيل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تزوجها ولم يثبت ذلك والله اعلم ذكره ابو عمر ابن عبد البر
وقال الشعبي وعروه هي زينب بنت خزيمه ام المساكين والله اعلم
العاشره قرا جمهور الناس ان وهبت بكسر الالف وهذا يقتضي
استينافا لامر اي ان وقع فهو حلال له وقد روي عن ابن عباس ومجاهد انهما
قالا لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امراه موهوبه وقد دللنا على خلافه

وروي الايه من طريق سهل وغيره في الصحاح ان امراه قالت لرسول الله صلي الله
عليه وسلم جيت اهب لك نفسي فسكت حتي قام رجل فقال زوجنيها ان لم يكن
لك بها حاجه فلو كانت هذه الهبه غير جايزه لما سكت رسول الله صلي الله عليه
وسلم لانه لا يقر علي الباطل اذا شهد غيرانه يحتمل ان يكون سكوته منتظرا بيانا
فنزلت الايه بالتحليل والتخيير فاختار تركها وزوجها من غيره ويحتمل ان
يكون سكت ناظرا في ذلك حتي قام الرجل لها طالبا وقرا الحسن وابي ابن كعب
والشعبي ان وهبت بفتح الالف وقرا الاعمش وامراه مومنه وهبت قال
النحاس وكسر ان اجمع للمعاني لانه قيل انهن نسا واذا فتح كان المعني علي
واحده بعينها لان علي البدل من امراه او بمعني لان الحاديه عشره قوله
تعالي مومنه يدل علي ان الكافره لا تحل له قال امام الحرمين وقد اختلف
في تحريم الحره الكافره عليه قال ابن العربي والصحيح عندي تحريمها عليه
وبهذا يتميز علينا فانه من كان من جانب الفضايل والكرامه فحظه فيه اكثر
وما كان من جانب النقايص فجانبه عنها اطهر فجوز لنا نكاح الحراير الكتابيات
وقصر هو صلي الله عليه وسلم لجلالته علي المومنات واذا كان لا يحل له من لم
يهاجر لنقصان فضل الهجره فاحري ان لا تحل له الكتابيه الكافره لنقصان
الكفر الثانيه عشره قوله تعالي ان وهبت نفسها للنبي دليل علي
ان النكاح عقد معاوضه علي صفات مخصوصه قد تقدمت في النسا وغيرها
وقال الزجاج معني ان وهبت نفسها للنبي اي ان وهبت نفسها للنبي حلت
وقرا الحسن ان وهبت بفتح الهمزه وان في موضع نصب قال الزجاج اي لان
وقال غيره ان وهبت بدل الاشتمال من امراه الثالثه عشره قوله
تعالي ان اراد النبي ان يستنكحها اي اذا وهبت المراه نفسها وقبلها النبي صلي
الله عليه وسلم حلت له وان لم يقبلها لم يلزم ذلك كما اذا وهب لرجل شيا فلا يجب
عليه القبول بيد ان من مكارم الاخلاق بيننا ان نقبل من الواهب هبته ويرى
الاكارم ان ردها هجنه في العاده ووصمه علي الواهب واذايه لقلبه فبين
الله ذلك في حق رسوله صلي الله عليه وسلم وجعله قرانا يتلي ليرفع عنه الحرج

ويبطل

ويبطل بطل الناس في عادتهم وقولهم الرابعه عشره قوله تعالى خالصه لك اي هبه النسا انفسهن خالصه ومزيه لا يجوز فلا يجوز ان تهب المراه نفسها لرجل ووجه الخاصيه انها لو طلبت فرض المهر قبل الدخول لم يكن لها ذلك فاما فيما بيننا فللمفوضه طلب المهر قبل الدخول ومهر المثل بعد الدخول الخامسه عشره اجمع العلما على ان هبه المراه نفسها غير جايز وان هذا اللفظ من الهبه لا يتم عليه نكاح الا ما روي عن ابي حنيفه وصاحبيه فانهم قالوا اذا وهبت فاشهد هو على نفسه بمهر فذلك جايز قال ابن عطيه فليس في قولهم الا تجويز العباره ولفظه الهبه والا فالافعال التي اشترطوها هي افعال النكاح بعينه وقد تقدمت هذه المسله في القصص مستوفاه والحمد لله السادسه عشره خص الله رسوله في احكام الشريعه بمعان لم يشاركه فيها احد في باب الفرض والتحريم والتحليل مزيه على الامه وهبت له ومرتبه خص بها فرضت عليه اشيا ما فرضت على غيره وحرمت عليه افعال لم تحرم عليهم وحللت له اشيا لم تحلل لهم منها متفق عليه ومختلف فيه فاما ما فرض عليه فتسعه الاول التهجد بالليل يقال ان قيام الليل كان واجبا عليه الى ان مات لقوله تعالى يا ايها المزمل قم الليل الايه والمنصوص انه كان واجبا عليه ثم نسخ بقوله ومن الليل فتهجد به الثاني الضحى الثالث الاضحى الرابع الوتر وهو يدخل في قسم التهجد الخامس السواك السادس قضا دين من مات معسرا السابع مشاوره ذوي الاحلام في غير الشرايع الثامن تخيير النسا التاسع اذا عمل عملا اثبته زاد غيره وكان يجب عليه اذا راى منكرا انكره واظهره لان اقراره لغيره على ذلك يدل على جوازه ذكره صاحب البيان واما ما حرم عليه فجملته عشره الاول تحريم الزكاه عليه وعلى اله الثاني صدقه التطوع عليه وفي اله تفصيل باختلاف الثالث خاينه الاعين وهو ان يظهر خلاف ما يضمر او يخدع عما يجب وقد ذم بعض الكفار عند اذنه ثم الان له القول عند دخوله الرابع حرم عليه اذا لبس لامته ان يخلعها عنه او يحكم الله بينه وبين محاربه الخامس الاكل متكيا السادس اكل الاطعمه الكريهه الرايحه السابع التبدل بازواجه

مطلب شريعه خص بها عليه السلام

وسيأتي الثامن نكاح امراه تكره صحبته التاسع نكاح الحره الكتابيه العاشر
نكاح الامه وحرم الله عليه اشيا لم يحرمها على غيره تنزيها له وتطهيرا فحرم
الله عليه الكهانه وقول الشعر وتعليمه تاكيدا للحجه وبيانا للمعجزه قال
الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وذكر النقاش
ان النبي صلى الله عليه وسلم ما مات حتى كتب والاول هو المشهور وحرم عليه ان
يمد عينيه الى ما متع به الناس قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به
ازواجا منهم واما ما احل له فجملته سته عشر الاول صفي المغنم الثاني
الاستبداد بخمس الخمس والخمس الثالث الوصال الرابع الزياده على اربع نسوه
الخامس النكاح بلفظ الهبه السادس النكاح بغير ولي السابع النكاح
بغير صداق الثامن نكاحه في حاله الاحرام التاسع سقوط القسم من الازواج
عنه وسياتي العاشر اذا وقع بصره على امراه وجب على زوجها طلاقها وحل
له نكاحها قال ابن العربي هكذا قال امام الحرمين وقد مضى ما للعلما في قصه
زيد من هذا المعنى الحادي عشر انه اعتق صفيه وجعل عتقها صداقها
الثاني عشر دخوله مكه بغير احرام وفي حقنا فيه اختلاف الثالث عشر
القتال بمكه الرابع عشر انه لا يورث وانما ذكر هذا في قسم التحليل لان
الرجل اذا قارب الموت بالمرض زال عنه اكثر ملكه ولم يبق له الا الثلث خالصا
وبقي ملك رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تقرر بيانه في ايه المواريث وسوره
مريم بيانه ايضا الخامس عشر بقا زوجيته من بعد الموت السادس عشر
اذا طلق امراه تبقى حرمته عليها فلا تنكح وهذه الاقسام الثلثه تقدم معظمها
مفصلا في مواضعها ويأتي ان شا الله السابع وابيح له عليه السلام
اخذ الطعام والشراب من الجايع والعطشان وان كان من هو معه يخاف
على نفسه التلاف لقوله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم وعلى كل احد من
المسلمين ان يقي النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه وابيح له ان يحمي لنفسه واكرمه الله
بتحليل الغنايم وجعل الارض له ولامته مسجدا وطهورا وكان من الانبيا
لا تصح صلاتهم الا في المساجد ونصر بالرعب فكان يخافه العدو من مسيره

شهر وبعث الى كافة الخلق وقد كان من قبله من الانبياء يبعث الواحد الى بعض
الناس دون بعض وجعلت معجزاته بحواب الانبياء قبله وزياده وقد كان معجزة موسى
عليه السلام العصا [illegible] البحار الماء الصحيح وقد انشق القمر للنبي صلى الله عليه وسلم
وخرج الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وقد كان معجزة عيسى عليه السلام احيا
الموتى وابرا الاكمه والابرص وقد سبح الحصا في يد النبي صلى الله عليه وسلم وحن الجذع اليه
وهو ابلغ وفضله الله عليهم بان جعل القران معجزته وجعل معجزته باقية الى يوم القيمة
ولهذا جعل نبوته موبدة لا تنسخ الى يوم القيمة السابعة عشر
قوله ان يستنكحها اي يتزوجها فالنكاح والاستنكاح مثل عجب واستعجب وعجل واستعجل ونحو
انه [illegible] الاستنكاح بمعنى طلب النكاح او طلب الوطي وخالصة نصب على الحال قاله
الزجاج وقيل حال من ضمير متصل بفعل مضمر دل عليه المضمر تقديره احللنا لك
ازواجك واحللنا لك امراة مومنة احللناها خالصة لك بلفظ الهبة وبغير صداق
وعن [illegible] الثامنة عشر قوله تعالى من دون المومنين فايدته ان الكفار
[illegible] المخاطبين بفروع الشريعة عندنا فليس لهم في ذلك دخول لان تصرف الاحكام اي
انما يكون فيهم على تقدير الاسلام قوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم
ما اوجبنا على المومنين في ازواجهم ان لا يتزوجوا الا اربع نسوة بمهر وبينة وولي قال قتادة
[illegible] وقتادة وغيرهما التاسعة عشر قوله تعالى لكيلا يكون
عليك حرج اي ضيق في امر انت محتاج اليه اي بينا هذا البيان وشرحنا
هذا الشرح لكيلا يكون عليك حرج وقيل لكيلا متعلق بقوله انا احللنا لك ازواجك
اي فلا تضيق قلبك حتى يظهر منك انك قد اثمت عند ربك في شي ثم انس تعالى
قلب المومنين بغفرانه ورحمته فقال تعالى وكان الله غفورا رحيما (٢١)
متلو قوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتووي اليك من تشاء

ق

م

حك

الحادي عشر من تفسير القرطبي

الحادي عشر من تفسير القرطبي

يا كبيكج

يا كبيكج

102

الجزء الحادي عشر من كتاب جامع احكام القرآن

والمبين لما تضمن من السنه واي الفرقان تأليف الشيخ الامام العلامة ابي عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي ثم القرطبي رحمه الله ورضي عنه

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

من كتب الفقير مفتي السلطنة العثمانية السيد فيض الله ابن الشيخ محمد عفي عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

قوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء فيها احدى عشر
مسئلة الأولى قوله تعالى ترجي من تشاء قرئ مهموزا وغير مهموز
وهما لغتان يقال أرجيت الأمر وأرجأته إذا أخرته وتؤوي تضم يقال
آوى إليه … الألف ضم إليه وأوى مقصورة الألف انضم إليه
الثانية واختلف (العلماء في) تأويل هذه الآية وأصح ما قيل فيها التوسعة
على النبي صلى الله عليه وسلم في ترك القسم فكان لا يجب عليه … ترك القسم
بين زوجاته وهذا القول هو الذي يناسب ما مضى وهو الذي ثبت معناه
في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت أغار على اللاتي وهبن
أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول أتهب المرأة نفسها
لرجل فلما أنزل الله عز وجل ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء
ومن ابتغيت ممن عزلت قالت قلت والله ما أرى ربك إلا يسارع
في هواك قال ابن العربي … الذي ثبت في الصحيح هو الذي ينبغي أن
يعول عليه والمعنى المراد هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مخيرا
في أزواجه إن شاء أن يقسم قسم وإن شاء أن يترك القسم ترك فخص
النبي صلى الله عليه وسلم بأن جعل الأمر إليه فيه لكنه كان يقسم من قبل
نفسه … دون أن يفرض ذلك عليه … للنفوس وصونا لهن عن أقوال
الغيرة التي ترقى إلى ما لا ينبغي وقيل المراد الواهبات روى هشام
عن أبيه عن عائشة … في قوله تعالى ترجي من تشاء منهن

وقف

قالت هذا في الواهبات انفسهن قال ترجي من الواهبات انفسهن
تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم من ... وترك منهن وقال الزهري
ما علمنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجى احدا من ازواجه بل اواهن
كلهن لم ينبه عليه الشيخ والظاهر انه من الاصل وقيل كان القسم
واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نسخ الوجوب عنه بهذه الاية
قال ابو رزين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هم بطلاق بعض
نسائه فقلن له اقسم لنا ما شئت فكان ممن اوى عائشة وحفصة
وام سلمة وزينب فكان قسمتهن من نفسه وماله سوا بينهن
وكان ممن ارجى سودة وجويرية وام حبيبة وميمونة وصفية ارجى
وكان يقسم لهن ما شاء وقال ابن عباس وغيره المعنى في طلاق من
شاء ممن حصل في عصمته وامساك من شاء وقيل غير هذا وعلى
كل معنى فالاية معناها التوسعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
والاباحة وما اخترناه اصح والله اعلم الثالثة ذهب هبة الله
في الناسخ والمنسوخ الى ان قوله تعالى ترجي من تشا منهن الاية ناسخ
لقوله تعالى لا يحل لك النسا من بعد الاية وقال ليس في كتاب الله
ناسخ تقدم المنسوخ سوى هذا وكلامه يضعف من جهات
وفي البقرة عدة الوفاة فيها اربعة اشهر وعشر هذا ناسخ للحول
وقد تقدم عليه الرابعة قوله تعالى ومن ابتغيت ممن
عزلت ابتغيت طلبت والابتغا الطلب وعزلت ازلت والعزلة

الا ازالة اي ان اردت ان تؤوي اليك امراة ممن عزلتهن من القسمة
وتضمها اليك فلا باس عليك في ذلك وكذلك حكم الارجاء فدل احد
الطرفين على الثاني الخامسة قوله تعالى فلا جناح عليك اي لا ميل
يقال جنحت السفينة اي مالت الى الارض اي لا ميل عليك باللوم
والتوبيخ السادسة قوله تعالى ذلك ادنى ان تقر اعينهن
قال قتادة وغيره اي ذلك التخيير الذي خيرناك في صحبتهن ادنى
الى رضاهن اذ كان من عندنا لانهن اذا علمن ان الفعل من الله قرت
اعينهن بذلك ورضين لان المرء اذا علم انه لا حق له في شي كان راضيا
بما اوتي منه وان قل وان علم ان له حقا لم يقنعه ما يؤتى منه واشتد
غيرته عليه وعظم حرصه فيه وكان ما فعل الله لرسوله من تفويض
الامر اليه في احوال ازواجه اقرب الى رضاهن معه والى استقرار
اعينهن بما يسمح به لهن دون ان تتعلق قلوبهن باكثر منه وقرى
تقر اعينهن بضم التاء ونصب الاعين وتقر اعينهن على البناء
للمفعول وكان عليه السلام مع هذا يشدد على نفسه في رعاية
التسوية بينهن تطييبا لنفوسهن ويقول اللهم هذه قدرتي فيما
املك ولا تلمني فيما تملك ولا املك يعني قلبه لايثاره عايشة دون
ان يكون يظهر ذلك في شي من فعله وكان في مرضه الذي توفي فيه
يطاف به محمولا على بيوت ازواجه الى ان استحلهن ان يقيم في
بيت عايشة قالت عايشة اول ما اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم

٣

عليه وسلم في بيت ميمونه فاستاذن ازواجه ان يمرض في بيتها
يعني عايشة فاذن له الحديث خرجه الصحيح وفي الصحيح ايضا
عن عايشة قالت ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتفقد
يقول اين انا اليوم اين انا غدا استبطا ليوم عايشه قالت فلما
كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري صلى الله عليه وسلم
السابعة على الرجل ان يعدل بين نسايه لكل واحدة
منهن يوما وليلة هذا قول عامة العلما وذهب بعضهم الى وجوب
ذلك في الليل دون النهار ولا يسقط حق الزوجة مرضها
ولا حيضتها ويلزمه المقام عندها في يومها وليلتها وعليه ان
يعدل بينهن في مرضه كما يفعل في صحته الا ان يعجز عن الحركة
فيقيم حيث غلبه عليه المرض فاذا صح استانف القسم والاما
والحرايرو الكتابيات والمسلمات في ذلك سوا قال عبد الملك
للحرة ليلتان وللامة ليلة واما السراير فلا قسم بينهن وبين
الحراير ولا حظ لهم فيه الثامنة ولا يجمع بينهن في منزل
واحد الا برضاهن ولا يدخل لاحداهن في يوم الاخرى وليلتها
لغير حاجة واختلفوا في دخوله لحاجة وضرورة فالاكثرون
على جوازه مالك وغيره وفي كتاب ابن حبيب منعه وروى
ابن وهب عن مالك بكير عن مالك عن يحيى بن سعيد ان معاذ بن جبل كانت له
امراتان ماتتا في الطاعون بينهما اسهم بينهما ايتهما تدلى اول

الاخرى
معاذ

التاسعة قال مالك ويعدل بينهن في النفقة والكسوة
اذا كن معتدلات الحال ولا يلزم ذلك في المختلفات المناصب
واجاز مالك ان يفضل احداهما في الكسوة على غير وجه الميل
فاما الحب والبغض فخارجان عن الكسب فلا يتاتى العدل
فيهما وهو المعنى بقوله عليه السلام في قسمته اللهم هذا
فعلي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك اخرجه النسائي
وابو داود عن عايشة رضي الله عنها وفي كتاب ابي داود يعني
القلب واليه الاشارة بقوله تعالى ولن تستطيعوا ان
تعدلوا بين النساء ولو حرصتم وبقوله والله يعلم ما في قلوبكم
وهذا هو وجه تخصيصه بالذكر هنا تنبيها منه لنا على
انه يعلم ما في قلوبنا من ميل بعضنا الى بعض من عندنا من
النسا دون بعض فهو العالم بكل شي لا يخفى عليه شي في الارض
ولا في السما يعلم السر واخفى ثم سمح في ذلك اذ لا يستطيع
العبد ان يصرف قلبه عن ذلك الميل والى ذلك يعود قوله
تعالى وكان الله غفورا رحيما وقد قيل في قوله تعالى
ذلك ادنى ان تقر اعينهن [illegible] العاشرة اي ذلك اقرب
ان لا يحزن اذا لم تجمع احداهن مع الاخرى وتعاين الاثرة
والميل وروى ابو داود عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من كانت له امراتان فمال الى احديهما جا يوم

القيامة وسقفه مايلي ويرضين بما اتيتهن كلهن توكيد للمضمر
اي ويرضين كلهن واجاز ابو حاتم والزجاج ويرضين بما
اتيتهن كلهن على التوكيد للمضمر الذي في اتيتهن والفرا
لا يجيزه لان المعنى ليس عليه اذ كان المعنى وترضى كل واحدة
منهن وليس المعنى بما اعطيتهن كلهن النحاس والذي قاله
حسن **الحادية عشرة** قوله تعالى والله يعلم ما في قلوبكم
خبر عام والاشارة الى ما في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من محبة شخص دون شخص وكذلك يدخل في المعنى ايضا
المومنون وفي البخاري عن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه
وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل فاتيته فقلت اي
الناس احب اليك قال عايشه فقلت من الرجال فقال
ابوها قلت ثم من قال عمر بن الخطاب فعد رجالا وقد
تقدم القول في القلب بما فيه كفاية في اول البقرة وفي
اول السورة يروى ان لقمان الحكيم كان عبدا نجارا فقال له
سيده اذبح شاة وائتني باطيبها بضعتين فاتاه بالقلب
واللسان ثم امره فذبح شاة اخرى فقال له الق اخبثها
بضعتين فالقى اللسان والقلب فقال امرتك ان تاتيني
باطيبها بضعتين فاتيتني باللسان والقلب وامرتك ان
تلقي اخبثها بضعتين فالقيت اللسان والقلب فقال

ليس شي اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا **قوله تعالى**
لا تحل لك النسا من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج فيه سبع مسايل
الاولى اختلف العلما في تاويل قوله لا تحل لك النسا من بعد على اقوال
سبعة الاول انها منسوخة بالسنة والناسخ لها حديث عايشة
قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النسا وقد تقدم
الثاني انها منسوخة باية اخرى روى الطحاوي عن ام سلمة قالت لم يمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له ان يتزوج من النسا ما شا الا
ذات محرم وذلك قول الله عز وجل ترجي من تشا منهن وتووي اليك
من تشا قال النحاس وهذا والله اعلم اولى ما قيل في هذه الاية وهو
وقول عايشة واحد في النسخ وقد يجوز ان تكون عايشة اراد احل
له ذلك بالقران وهو مع هذا قول علي بن ابي طالب وابن عباس وعلي
بن الحسين والضحاك وقد عارض بعض فقها الكوفيين فقال محال ان
تنسخ هذه الاية يعني ترجي من تشا منهن لا يحل لك النسا من بعد
وهي قبلها في المصحف الذي اجمع عليه المسلمون ورجح قول من
قال نسخت بالسنة قال النحاس وهذه المعارضة لا تلزم وقايلها
غالط لان القران بمنزلة سورة واحدة كما صح عن ابن عباس انزل
الله القران جملة واحدة الى السما الدنيا في شهر رمضان ويبين
لك ان اعتراض هذا لا يلزم قوله عز وجل والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج منسوخة

على

على قول اهل التاويل لا نعلم بينهم خلافا بالاية التي قبلها والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة
اشهر وعشرا الثالث انه صلى الله عليه وسلم حظر عليه ان يتزوج
على نسايه لانهن اخترن الله ورسوله والدار الاخرة هذا قول
الحسن وابن سيرين وابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام
قال النحاس وهذا القول يجوز ان يكون هكذا ثم نسخ الرابع
انه لما حرم عليهن ان يتزوجن بعده حرم عليه ان يتزوج
غيرهن قاله ابو امامة بن سهل بن حنيف الخامس لا تحل لك
النسا من بعد اي من بعد الاصناف التي سميت قاله ابي بن كعب
وعكرمة وابو رزين وهو اختيار محمد بن جرير ومن قال بان
الاباحة كانت له مطلقة قال هنا لا تحل لك النسا معناه لا
تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات وهذا تاويل فيه بعد
روي عن مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ايضا وهو القول السادس
قال مجاهد لئلا تكون كافرة اما للمومنين وهذا القول يبعد
لانه يقدره من بعد المسلمات ولم يجر للمسلمات ذكر وكذلك
قدر ولا ان تبدل بهن اي ولا ان تطلق مسلمة لتستبدل بها
كتابية السابع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان له حلال ان يتزوج
من شا ثم نسخ ذلك قال وكذلك كانت الانبيا قبله صلى الله عليه
وسلم قاله محمد بن كعب الثامن الثالثة قوله تعالى ولا

أن تبدل بهن من ازواج قال ابن زيد هذا شي كانت العرب
تفعله يقول احدهم خذ زوجتي واعطني زوجتك روى الدارقطني
عن ابي هريرة قال كان البدل في الجاهليه ان يقول الرجل للرجل تنزل
لي عن امراتك وانزل لك عن امراتي وازيدك فانزل الله تعالى ولا
ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن قال فدخل عيينه بن
حصن الفزاري على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عايشة
فدخل بغير اذن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة
فاين الاستيذان فقال يا رسول الله ما استاذنت على رجل
من مضر منذ ادركت قال من هذه الحميرا الى جنبك فال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه عايشة ام المومنين قال افلا انزل
لك عن احسن الخلق فقال يا عيينة ان الله قد حرم ذلك قال فلما
خرج قالت عايشة يا رسول الله من هذا قال احمق مطاع وانه
على ما ترين لسيد قومه وقد انكر الطبري والنحاس وغيرهما ما
حكاه ابن زيد عن العرب من انها كانت تبادل بازواجها قال
الطبري وما فعلت العرب قط هذا وما روي من حديث عيينة
بن حصن من انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده
عايشه الحديث فليس بتبديل ولا اراد ذلك وانما احتقر
عايشة لانها كانت صبية فقال هذا القول وما ذكرناه
من حديث زيد بن اسلم عن عطا بن يسار عن ابي هريرة من ان البدل

زيد بن
ماه

البدل كان في الجاهلية يدل على خلاف ما انكر امن ذلك والله
اعلم قال المبرد وقرئ لا يحل بالياء والتاء فمن قرا بالتاء فعلى
معنى جماعة النساء وبالياء من تحت على معنى جميع النساء
وزعم الفرا قال اجتمعت القرا على القراة بالبا وهذا غلط
وكيف يقال اجتمعت القرا وقد قرا ابو عمرو بالتاء بلا اختلاف
عنه الثالثة قوله تعالى ولو اعجبك حسنهن قال ابن عباس
نزل ذلك بسبب اسما بنت عميس اعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين مات عنها جعفر بن ابي طالب حسنها فاراد ان يتزوجها
فنزلت الايه وهذا حديث ضعيف قاله ابن العربي الرابعة
في هذه الايه دليل على جواز ان ينظر الرجل الى من يريد زواجها
وقد اراد المغيرة بن شعبة زواج امراة فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم انظر اليها فانه اجدر ان يؤدم بينكما وقال عليه السلام
لاخر انظر اليها فان في اعين الانصار شيا اخرجه الصحيح
قال الحميدي وابو الفرج الجوزي يعني صغرا او زرقا وقيل
رمصا الخامسة الامر بالنظر الى المخطوبة انما هو على جهة
الارشاد الى المصلحة فانه اذا نظر اليها فلعله يرا منها ما يرغبه
في نكاحها ومما يدل على ان الامر على جهة الارشاد ما ذكره ابو
داود من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا
خطب احدكم المراة فان استطاع ان ينظر منها ما يدعوه الى
ان ينظر

نكاحها فليفعل فقوله فان استطاع فليفعل لا يقال مثله في
الواجب وبهذا قال جمهور الفقها الشافعي ومالك والكوفيون
وغيرهم واهل الظاهر وقد كره ذلك قوم لا مبالاة بقولهم للاحاديث
الصحيحة وقوله تعالى ولو اعجبك حسنهن وقال سهل بن ابي حثمة
رايت محمد بن مسلمة يطارد بثينة بنت الضحاك على اجار من
اجاجير المدينة فقلت له اتفعل هذا فقال نعم قال النبي صلى
الله عليه وسلم اذا القى الله في قلب احدكم خطبة امراة فلا
باس ان ينظر اليها **السادسة** اختلف فيما يجوز ان ينظر
منها فقال مالك ينظر الى وجهها وكفيها ولا ينظر الا باذنها وقال
الشافعي باذنها وبغير اذنها اذا كانت مستترة وقال الاوزاعي واحمد
ينظر اليها ويجتهد وينظر مواضع اللحم منها قال داود ينظر
الى ساير جسدها تمسكا بظاهر اللفظ واصول الشرع ترد
عليه في تحريم الاطلاع على العورة والله اعلم **السابعة**
قوله تعالى الا ما ملكت يمينك اختلف العلما في احلال الامة الكافرة
للنبي صلى الله عليه وسلم على قولين تحل لعموم قوله الا ما ملكت
يمينك قاله مجاهد وسعيد بن جبير وعطا والحكم قوله تعالى
لا تحل لك النسا من بعد اي لا تحل لك النسا من بعد اي لا تحل لك النساء من غير المسلمات
فاما اليهوديات والنصرانيات والمشركات فحرام عليك اي لا تحل لك ان تتزوج
كافرة فتكون اما للمومنين ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت
حسنهاه

وقال ابو عبيد ... وقال اللفظ للنكاح ... اهل ... قوم ... واحمد

الا ما ملكت يمينك فان له ان يتسرى بها القول الثاني لا تحل
تنزيها لقدره عن مباشرة الكافرة وقد قال تعالى ولا تمسكوا
بعصم الكوافر فكيف به صلى الله عليه وسلم وما في قوله الا ما
ملكت يمينك في موضع رفع بدل من النسا ويجوز ان يكون
في موضع نصب على استثنا وفيه ضعف ويجوز ان تكون مصد رية
والتقدير الا ملك يمينك وملك بمعنى مملوك وهو في
موضع نصب لانه استثنا من غير الجنس الاول **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الى قوله
عظيما فيه ست عشرة مسله **الاولى** قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الى طعام غير
ناظرين اناه نصب على الحال اي لا تدخلوا في هذه الحال ولا يجوز
في غير الخفض على النعت للطعام لانه لو كان نعتا لم يكن بد من
اظهار الفاعلين وكان يقول غير ناظرين اناه انتم ونظير
هذا من النحو هذا رجل مع رجل ملازم له وان شيت قلت هذا
رجل مع رجل ملازم له هو وان في موضع نصب على معنى
الا بان يوذن لكم ويكون في الاستثنا ليس من الاول وهذه الايه
تضمنت قصتين احدهما الادب في امر الطعام والجلوس والثانيه
امر الحجاب وقال حماد بن زيد الايه نزلت في الثقلا فاما
القصة الاولى فالجمهور من المفسرين على ان سببها ان النبي صلى الله [illegible]

بلغ مقابله

صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش امراة زيد
اولم عليها فدعا الناس فلما طعموا جلس طوايف منهم يتحدثون
في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته مولية ظهرها
الى الحايط فثقلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انس
فما ادري انا اخبرت النبي صلى الله عليه وسلم ان القوم قد
خرجوا او اخبرني قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت
ادخل معه فالقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب قال
ووعظ القوم بما وعظوا به وانزل الله عز وجل يا ايها الذين
امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الى قوله ان ذلكم كان عند الله
عظيما اخرجه الصحيح وقال قتاده ومقاتل في كتاب الثعلبي
ان هذا السبب جرى في ام سلمة والاول الصحيح كما رواه
الصحيح وقال ابن عباس نزلت في ناس من المومنين يتحينون
طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون قبل ان يدرك الطعام
فيقعدون الى ان يدرك ثم ياكلون ولا يخرجون وقال
اسماعيل بن ابي حكيم فهذا ادب ادب الله به الثقلاء ان الشرع
لم يحتملهم واما قصة الحجاب فقال انس بن مالك وجماعة
سببها امر القعود في بيت زينب القصة المذكورة انفا
وقالت عايشة رضي الله عنها وجماعة سببها ان عمر قال قلت يا رسول الله
ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن نزلت

كانوا

وقال الثعلبي حكاية عن الفرا انه كان كان الثقلاء

فنزلت هذه الاية وروى الصحيح عن ابن عمر قال قال عمر وافقت
ربي في ثلث في مقام ابراهيم وفي الحجاب وفي اسارى بدر وهذا
اصح ما قيل في امر الحجاب وما عدا هاذين القولين من الاقوال
والروايات فواهية لا يقوم شي منها على ساق واضعفها
ما روي عن ابن مسعود ان عمر امر نسا النبي صلى الله عليه وسلم
بالحجاب فقالت زينب بنت جحش يا ابن الخطاب انك تغار علينا
والوحي ينزل في بيوتنا فانزل الله تعالى واذا سالتموهن
متاعا فاسلوهن من ورا حجاب وهذا باطل لان الحجاب نزل
يوم البنا بزينب كما بيناه اخرجه البخاري ومسلم والترمذي
وغيرهم وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه
بعض اصحابه فاصاب يد رجل يد عايشة فكره النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت اية الحجاب قال ابن عطية
وكانت سيرة القوم اذا كان لهم طعام وليمة او نحوه ان يبكر
من يشا الى الدعوة ينتظر طبخ الطعام ونضجه وكذلك اذا
فرغوا منه جلسوا كذلك فنهى الله المومنين عن امثال ذلك
في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ودخل في نهيه ساير المومنين والتزم
الناس ادب الله تعالى لهم في ذلك فمنعهم من الدخول الا باذن
عند الاكل لا قبله لانتظار نضج الطعام الثانية في قوله
تعالى بيوت النبي دليل على ان البيت للرجل ويحكم له به فان

رجل منهم

والتزم

الله اضافة فان قيل فقد قال تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن
من ايات الله الاية قلنا اضافة البيوت الى النبي اضافة ملك
واضافة البيوت الى الازواج اضافة محل بدليل انه جعل
فيها الاذن للنبي صلى الله عليه وسلم والاذن انما يكون للمالك
الثالثة واختلف العلما في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم
اذ كان يسكن فيها اهله بعد موته هل هي ملك لهن ام لا على
قولين فقالت طايفة كانت ملكا لهن بدليل انهن سكن
فيها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم الى وفاتهن وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم وهب ذلك لهن في حياته الثاني
ان ذلك كان اسكانا كما يسكن الرجل اهله ولم تكن هبة
وتمادى سكناهن بها الى الموت وهذا هو الصحيح وهو
الذي ارتضاه ابو عمر بن عبد البر وابن العربي وغيرهم
فان ذلك من مونتهن التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
استثناها لهن كما استثنا لهن نفقاتهن حين قال لا يقتسم ورثتي
دينارا ولا درهما ما تركت بعد نفقة اهلي ومونة عاملي
فهو صدقة هكذا قال اهل العلم قالوا ويدل على ذلك ان مساكنهن
لم يرثها عنهن ورثتهن قالوا ولو كان ذلك ملكا لهن كان لا
شك قد ورثه عنهن قالوا وفي ترك ورثتهن ذلك دليل على
انها لم تكن لهن ملكا وانما كان لهن سكنى حياتهن فلما توفين جعل

ملكا

وابن

ذلك

~~فذلك دليل على انها الحمل لهن ما كانوا انما كان لهن سكني حياتهن~~

فلما توفين جعل ذلك زيادة في المسجد الذي يعم المسلمين نفعه

كما جعل ذلك الذي كان لهن من النفقات في تركة رسول الله صلى الله

عليه وسلم لما مضين لسبيلهن فزيد الى اصل المال فصرف

في منافع المسلمين مما يعم جميعه نفعهم والله الموفق وقوله

تعالى غير ناظرين اناه اي غير منتظرين وقت نضجه واناه

مقصور وفيه لغات اني بكسر الهمزة قال الشيباني وكسرى

اذ تقسمه بنوه باسياف كما اقتسم اللحام تمخضت المنون له بيوم

اني ولكل حاملة تمام ، وقرا ابن ابي عبلة غير ناظرين مجرورا

صفة لطعام الزمخشري وليس بالوجه لانه جرى على غير ما هو له

ممن حق ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه

انتم كقولك هند زيد ضاربته هي واناء بفتحها وانا بفتح الهمزة

والمد قال الحطيئة وأخرت العشاء الى سهيل او الشعرى فطال

بي الاناء يعني الى طلوع سهيل واناه مصدر ان الشي يانى اذا

فرغ وحان وادرك الرابعة قوله تعالى ولكن اذا دعيتم

فادخلوا فاذا انتفى المنع وحضر وقت الدخول بان يكون عند

الاذن على جهة الادب وحفظ الحضرة الكريمة من المباسطة

المكروهة قال ابن العربي وتقدير الكلام ولكن اذا دعيتم واذن

لكم في الدخول فادخلوا والا فنفس الدعوة لا تكون اذنا كافيا

في الدخول والفاء في جواب اذا لازمة لما فيهما من معنى المجازاة
الخامسة قوله تعالى فاذا طعمتم فانتشروا امر تعالى بعد
الطعام بان يتفرق جمعهم وينتشر والمراد الزام الخروج من
المنزل عند انقضاء المقصود من الاكل والدليل على ذلك ان الدخول
حرام وانما جاز لاجل الاكل فاذا انقضى الاكل زال السبب
المبيح وعاد التحريم الى اصله السادسة في هذه الاية
دليل على ان الضيف ياكل على ملك المضيف لا على ملك نفسه لانه
قال فاذا طعمتم فلم يجعل له اكثر من الاكل ولا اضاف اليهم سواه
وبقي الملك على اصله السابعة قوله تعالى ولا مستانسين
لحديث عطف على قوله غير ناظرين وغير منصوبة على الحال
من الكاف والميم في لكم اي غير ناظرين ولا مستانسين والمعنى
المقصود لا تمكثوا مستانسين بالحديث كما فعل اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم في وليمة زينب ان ذلكم كان يوذي
النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق اي لا يمتنع من بيانه
واظهاره ولما كان ذلك يقع من البشر لعلة الاستحيا نفى عن الله
العلة الموجبة لذلك في البشر وفي الصحيح عن ام سلمة قالت
جات ام سليم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان
الله لا يستحيي من الحق فهل على المراة من غسل اذا احتلمت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رات الماء الثامنة قوله

بلغ

قوله تعالى وإذا سالتموهن متاعًا الاية روى ابو داود الطيالسي
عن انس بن مالك قال قال عمر وافقت ربي في اربعة الحديث وفيه
قلت يا رسول الله لو ضربت على نسايك الحجاب فانه يدخل عليهن
البر والفاجر فانزل الله عز وجل وإذا سالتموهن متاعًا فاسلوهن
من وراء حجاب واختلف في المتاع فقيل ما يتمتع به من العواري
وقيل فتوى وقيل مصحف القران والصواب انه عام في جميع ما
يمكن ان يطلب من المواعين وساير المرافق للدين والدنيا

التاسعة

استدل بعض العلما باخذ الناس عن ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
من وراء حجاب على جواز شهادة الاعمى وبان الاعمى يطا زوجته
بمعرفته بكلامها وعلى اجازة شهادته اكثر العلما ولم يجزها ابو حنيفة
والشافعي وغيرهما قال ابو حنيفة يجوز في الانساب وقال
الشافعي لا يجوز الا فيما راه قبل ذهاب بصره **الحادية عشرة**
قوله تعالى ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن يريد من الخواطر التي
تعرض للرجال في امر النسا وللنساء في امر الرجال اي ذلك انفى
وابعد للتهمة واقوى في الحماية وهذا يدل على انه لا ينبغي لاحد ان
يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له فان مجانبة ذلك احسن
لحاله واحصن لنفسه واتم لعصمته **الثانية عشرة**
قوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله الاية هذا تكرار
للعلة وتاكيد لحكمها وتاكيد العلل اقوى في الاحكام **الثالثة عشرة**

قوله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا روى
اسماعيل بن اسحاق قال نا محمد بن عبيد قال نا محمد بن ثور عن معمر
عن قتادة ان رجلا قال لو قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
تزوجت عايشه فانزل الله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول
الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الاية ونزلت وازواجه
امهاتهم وقال القشيري ابو نصر عبد الرحيم قال ابن عباس قال
رجل من سادات قريش من العشرة الذين كانوا مع النبي صلى
الله عليه وسلم على حرا في نفسه لو توفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم لتزوجت عايشة وهي بنت عمي قال مقاتل هو طلحة بن
عبيد الله قال ابن عباس وندم هذا الرجل على ما حدث به في نفسه
فمشى الى مكة على رجليه وحمل على عشرة افراس في سبيل الله
واعتق رقيقا فكفر الله عنه وقال ابن عطية روى انها نزلت
بسبب ان بعض الصحابة قال لو مات رسول الله صلى الله عليه
وسلم لتزوجت عايشة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتأذى به هكذا كنى عنه ابن عباس ببعض الصحابة وحكى مكي عن
معمر انه قال هو طلحة بن عبيد الله قلت وكذا حكى النحاس عن
معمر انه طلحة ولا يصح قال ابن عطية لله در ابن عباس وهذا
عندي لا يصح عن طلحة بن عبيد الله قال شيخنا الامام ابو العباس
القرطبي وقد حكى هذا القول عن بعض فضلاء الصحابة وحاشاهم عن مثله

عن نقله وإنما والكذب في نقله وانما يليق مثل هذا بالمنافقين
الجهال روي ان رجلا من المنافقين قال حين تزوج رسول الله صلى
الله عليه وسلم ام سلمة بعد ابي سلمة وحفصة بعد خنيس بن
حذافة ما بال محمد تزوج نسانا والله لو قد مات لاجلنا السهام
على نسايه فنزلت الاية في هذا فحرم الله نكاح ازواجه من
بعده وجعل لهن حكم الامهات وهذا من خصايصه تمييز الشرفه
وتنبيها على مرتبته صلى الله عليه وسلم قال الشافعي رحمه الله
وازواجه صلى الله عليه وسلم اللاي مات عنهن لا يحل لاحد
نكاحهن ومن استحل ذلك كان كافرا لقوله تعالى وما كان لكم
ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا
وقد قيل انما منع من التزوج بزوجاته لانهن ازواجه في الجنة
وان المراة في الجنة لاخر ازواجها قال حذيفة لامراته ان
يسرك ان تكوني زوجتي في الجنة ان جمعنا الله فيها فلا تزوجي
من بعدي فان المراة لاخر ازواجه وقد ذكرنا ما للعلما
في هذا في كتاب التذكرة من ابواب الجنة **الرابعة عشرة**
اختلف العلما في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته هل
بقين ازواجا ام زال النكاح بالموت واذا زال النكاح بالموت
فهل عليهن العدة لانه توفي عنهن لانه توفي عنهن والعدة
عبادة وقيل لا عدة عليهن لانها مدة تربص لا ينتظر بها الاباحة

مطلب
زوجات النبي ع م ونكاحهن
وبقائهن على النكاح ومفارقتهن
ونفقاتهن وغيره الخ اي بعضها

وهو الصحيح لقوله عليه السلام ما تركت بعد نفقة عيالي
ورواية اهلي وهذا اسم خاص بالزوجية فابقى عليهن النفقة
والسكنى مدة حياتهن لكونهن ازواجه في الاخرة قطعًا
بخلاف ساير الناس لان الرجل لا يعلم كونه مع اهله في دار
واحده فربما كان احدهما في الجنة والاخر في النار فهذا انقطع
السبب في حق الخلق وبقي في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقد
قال عليه السلام زوجاتي في الدنيا هن زوجاتي في الاخرة
وقال عليه السلام كل سبب ونسب ينقطع الا سببي ونسبي
فانه باق الى يوم القيامه فرع فاما زوجاته عليه السلام
اللاتي فارقهن في حياته مثل الكلبية وغيرها فهل كان
يحل لغيره نكاحهن فيه خلاف والصحيح جواز ذلك لما
روي ان الكلبية التي فارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم
تزوجها عكرمة بن ابي جهل على ما تقدم وقيل ان الذي
تزوجها الاشعث بن قيس الكندي قال القاضي ابو
الطيب الذي تزوجها مهاجر بن ابي امية ولم ينكر ذلك احد
فدل انه اجماع الخامسة عشرة قوله تعالى ان ذلكم كان
عند الله عظيما يعني اذية رسول الله صلى الله عليه وسلم
او نكاح ازواجه فجعل ذلك من الكباير ولا ذنب اعظم منه
السادسة عشر

السادسة عشرة قد بينا سبب نزول الحجاب من
حديث انس وقول عمر وكان يقول لسودة اذا خرجت
وكانت امراة طويلة قد رايناك يا سودة حرصا على ان
ينزل الحجاب فانزل الله تعالى اية الحجاب ولا بعد في نزول
الاية عند هذه الاسباب كلها والله اعلم سند أنه لما ماتت
زينب بنت جحش قال لا يشهد جنازتها الا ذو محرم
منها مراعاة للحجاب الذي نزل بسببها فدلته اسما بنت
عميس بنت عميس على سترها في النعش في القبة واعلمته
انها رات ذلك في بلاد الحبشة فصنعه عمر وروي أن ذلك
صنع في جنازة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم **قوله**
تعالى ان تبدوا شيا او تخفوه الاية البارى سبحانه وتعالى
عالم ما بدا وما خفا وما كان وما لم يكن لا يخفى عليه ماض تقضى
ولا مستقبل ياتي وهذا على العموم تمدح به وهو اهل المدح
والحمد والمراد هاهنا التوبيخ والوعيد لمن تقدم التعريض
به في الاية قبلها ممن اشير اليه بقوله ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن
ومن اشير اليه في قوله وما كان لكم ان توذوا رسول الله ولا ان
تنكحوا ازواجه من بعده ابدا فقيل لهم في هذه الاية ان الله تعالى
يعلم ما تخفونه من هذه المعتقدات والخواطر المكروهة ويجازيكم
عليها فصارت هذه الاية منعطفة على ما قبلها مبينة لها والله

قوله تعالى لا جناح عليهن في ابايهن فيه ثلث مسايل
الاولى لما نزلت اية الحجاب قال الابا والابنا والاقارب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ونحن ايضا نكلمهن من ورآ حجاب فنزلت
هذه الاية الثانية ذكر الله في هذه الاية من يحل للمراة البروز
له ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد يسمى
العم ابا قال الله تعالى نعبد الهك واله ابايك ابراهيم واسماعيل
واسحاق وكان العم قال الزجاج العم والخال ربما يصفان المراة
لولديهما فان المراة تحل لابن العم وبن الخال فكره لهما الروية وقد
كره الشعبي وعكرمة ان تضع المراة خمارها عند عمها او خالها
وقيل ذكر في هذه الاية بعض المحارم وذكر الجميع في سورة
النور فهذه الاية بعض تلك وقد مضى الكلام هنالك مستوفي
والحمد لله الثالثة قوله تعالى واتقين الله لما ذكر تعالى
الرخصة في هذه الاصناف وانجزمت الاباحة عطف
بامرهن بالتقوى عطف جملة وهذا في نهاية البلاغة والايجاز
كانه قال اقتصرن على هذا الامر لقلة تحفظهن وكثرة استرسالهن
والله اعلم ثم توعد تعالى بقوله ان الله كان على كل شي شهيدا
قوله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي الاية
هذه الاية شرف الله بها رسوله عليه السلام [illegible] حياته
وموته وذكر منزلته منه وطهر بها سو فعل من استصحب

[illegible] النفس الله فيه [illegible] عن [illegible] وعطفهن [illegible] النسا [illegible]

فكرة سوء

في جهة فكرة سوءٍ او في امر زوجاته ونحو ذلك والصلاة
من الله رحمته ورضوانه ومن الملايكة الدعا والاستغفار ومن
الامة الدعا والتعظيم لامره **مسئلة** اختلف العلما في الضمير
في قوله يصلون فقالت فرقة الضمير فيه لله والملايكة
وهذا قول من الله تعالى شرف به ملايكته فلا يصحبه الاعتراض
الذي جا في قول الخطيب من يطع الله ورسوله فقد رشد
ومن يعصهما فقد غوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيس الخطيب انت قل ومن يعص الله ورسوله اخرجه الصحيح
قالوا لانه ليس لاحد ان يجمع ذكر الله مع غيره في ضمير ولله ان
يفعل في ذلك ما يشا وقالت فرقة في الكلام حذف تقديره
ان الله يصلي وملايكته يصلون وليس في الاية اجماع في ضمير
وذلك جايز للبشر فعله ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيس الخطيب انت لهذا المعنى وانما قاله لان الخطيب وقف
على ومن يعصهما وسكت سكتة واسند لوا بما رواه ابو داود
عن عدي بن حاتم ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ومن يطع الله ورسوله ومن يعصهما فقال قم او اذهب
بيس الخطيب لالا انه يحتمل ان يكون لما خطاه في وقفه وقيل
له بيس الخطيب اصلح له بعد ذلك جميع كلامه فقال قل
ومن يعص الله ورسوله كما في كتاب مسلم وهو يويد القول

بلم صحابلم

القول الاول فانه لم يقف على ومن بعضهما وقرا ابن عباس وملايكته
بالرفع على موضع اسم الله قبل دخول ان والجمهور بالنصب عطفا
على المكتوبة **قوله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**
فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا الاية امر
تعالى عباده بالصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم دون انبيايه
وتشريفا له ولا خلاف في ان الصلاة عليه فرض في العمر مرة
وفي كل حين من الواجبات وجوب السنن الموكدة التي لا يسع
تركها ولا يغفلها الا من لا خير فيه الزمخشري فان قلت الصلاة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة ام مندوب اليها قلت
بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من اوجبها
كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي
فدخل النار فابعده الله ويروي انه قيل له يا رسول الله ارايت
قول الله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي فقال عليه السلام
هذا من العلم المكنون ولولا انكم سالتموني عنه ما اخبرتكم به
ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال
ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملايكته جوابا لذانك الملكين
امين ولا اذكر عند مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا
غفر الله لك وقال الله وملايكته جوابا لذينك الملكين امين ومنهم
من قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قال

اية السجده وتشمية العاطس وكذلك في كل دعا في اوله واخره ومنهم من اوجبها في العمر وكذا في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عند كل ذكر لما ورد من الاخبار في ذلك الثانية

واختلفت الاثار في صفة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فروى مالك عن ابي مسعود الانصاري قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عباده فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسئله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صلى على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ال ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على ال ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم ورواه النسائي عن طلحة مثله باسقاط قوله في العالمين وقوله والسلام كما قد علمتم وفي الباب عن كعب بن عجرة وابي حميد الساعدي وابي سعيد الخدري وعلي بن ابي طالب وابي هريرة وبريدة الخزاعي وزيد بن خارجه ويقال ابن حارثه اخرجها ايمة الحديث في كتبهم وصحح الترمذي حديث كعب بن عجره خرجه مسلم في صحيحه مع حديث ابي حميد الساعدي قال ابو عيسى روى شعبه والثوري عن الحكم بن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت يا ايها الذين امنوا

صلوا عليه وسلموا تسليما جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة
فقال قل اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك
حميد مجيد وهذا لفظ حديث الثوري لا حديث شعبه
وهو يدخل في التفسير المسند لقول الله تعالى ان الله
وملايكته يصلون على النبي الايه يا ايها الذين فبين الصلاة
عليه وعلمهم في التحيات كيف السلام عليه وهو قوله السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وروى المسعودي عن
عون بن عبد الله عن ابي فاختة عن الاسود عن عبد الله
انه قال اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة
عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا فعلمنا
قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد
المسلمين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد
عبدك ورسولك امام الخير وقايد الخير ورسول الرحمة
اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه الاولون والاخرون اللهم
صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
انك حميد مجيد وبارك على محمد [illegible] كما باركت على
ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد [illegible] هذا [illegible] المتصل

ورينا بالاسناد

في

في كتاب الشفا للقاضي عياض عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن
في يدي جبريل وقال هكذا انزلت من عند رب العزة اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم
انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على
ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على
محمد وعلى ال ابراهيم محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى ال
ابراهيم انك حميد مجيد قال ابن العربي من هذه الروايات
صحيح ومنها سقيم واصحها ما رواه مالك فاعتمدوه ورواية
غير مالك ورواية غير مالك من زيادة الرحمة مع الصلاة
وغيرها لا يقوى وانما على الناس ان ينظروا في اديانهم نظرهم
في اموالهم وهم لا ياخذون في البيع دينارا معيبا وانما يختارون
السالم الطيب كذلك لا يوخذ من الروايات عن النبي صلى الله
عليه وسلم الا ما صح سنده لئلا يدخل في حيز الكذب على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو يطلب الفضل اذا
به قد اصاب النقص بل ربما اصاب الخسران المبين
الثالثة في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عن عمر رضي الله
انه قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا وقال
سهل بن عبد الله الصلوة على محمد افضل العبادات لانه ليس

اللهم وتحنن على محمد وعلى ال محمد كما تحننت
على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد

لان الله تعالى تولاها هو وملائكته
وسائر العبادات ...

كذلك قال ابو سليمان الداراني من اراد من اراد ان يسل الله حاجة
فليبدا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسل الله حاجته
ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فان الله يقبل الصلاتين
وهو اكرم من ان يرد ما بينهما وروى سعيد بن المسيب عن
عمر بن الخطاب انه قال الدعا يحجب دون السماء حتى يصلى
على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جات الصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم رفع الدعا وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من صلى على في كتاب لم تزل الملايكه يصلون عليه مادام اسمي
في ذلك الكتاب **الرابعة** واختلف العلما في الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فالذى عليه الجم الغفير
والجمهور الكثير ان ذلك من سنن الصلاة ومستحباتها قال
ابن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلاة الا صلى فيها على النبي
صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزية في
مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثوري واهل الكوفة
من اصحاب الراي وغيرهم وهو قول جمل اهل العلم وحكى عن
مالك وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها
في التشهد مسي وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلاة
الاعادة واوجب اسحاق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان
وقال ابو عمر وقال الشافعي اذا لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم

في

مطلب شريف

كذا في تهذيب النووي

في التشهد الاخير بعد التشهد وقبل التسليم اعاد الصلاة
قال وان صلى عليه قبل ذلك لم تجزه وهذا قول حكاه عنه
حرملة بن يحيى لا يكاد يوجد هكذا عن الشافعي الا من
رواية حرملة عنه وهو من كبار اصحابه الذين كتبوا كتبه
وقد تقلده اصحاب الشافعي ومالوا اليه وناظروا عليه وهو
عندهم تحصيل مذهبه وزعم الطحاوي انه لم يقل به
احد من اهل العلم غيره وقال الخطابي وهو من اصحاب
الشافعي وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة
الفقها الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على
انها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح
قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع عليه في هذه المسلة
جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو
الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عنه صلى
الله عليه وسلم وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على
المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا على المنبر
عمر وليس فيه ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قلت
قد قال بوجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة
محمد بن المواز من اصحابنا فيما ذكر ابن القصار عنه وعبد الوهاب

واختاره ابن العربي للحديث الصحيح ان الله امرنا امرنا ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك فعلم الصلاه ووقتها فتعينت كيفيةً ووقتًا وذكر الدارقطني عن ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين انه قال لو صليت صلاةً لم اصلي فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم وروي مرفوعًا عنه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم والصواب انه قول ابي جعفر قاله الدارقطني الخامسة وقوله تعالى وسلموا تسليما قال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الايه على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا عليه عند حضورهم قبره وعند ذكره وروى النسائي عن عبد الله بن ابي طلحة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جا ذات يوم والبشرى في وجهه فقلت انا لنرى البشرى في وجهك قال انه اتاني الملك فقال يا محمد ان ربك يقول اما يرضيك انه لا يصلي عليك احد الا صليت عليه عشرًا ولا يسلم عليك احد الا صليت عليه عشرًا وعن محمد بن عبد الرحمن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من احد يسلم علي اذا مت الا جاءني سلامه مع جبريل يقول يا محمد هذا فلان بن فلان يقرا عليك السلام فاقول وعليه السلام ورحمة الله وبركاته وروى النسائي عن عبد الله

وبركاته

قال النسائي

قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان لله ملايكة سياحين
في الارض يبلغوني من امتي السلام قال القشيري والتسليم
قولك سلام عليك قوله تعالي ان الذين يوذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والاخرة ولهم فيه خمس مسايل الاولي
اختلف العلما في اذايه الله بماذا تكون فقال الجمهور من العلما
معناه بالكفر ونسبة الصاحبة والولد والشريك اليه ووصفه
بما لا يليق به كقول اليهود لعنهم الله وقالت اليهود يد الله
مغلولة والنصاري المسيح ابن الله والمشركين بنات الله والاصنام
شركاوه وفي صحيح البخاري قال الله تعالي كذبني ابن ادم ولم يكن
له ذلك الحديث وقد تقدم في سورة مريم وفي صحيح مسلم عن
ابي هريرة قال قال الله تبارك وتعالي يوذيني ابن ادم يقول يا
خيبة الدهر فلا يقولن احدكم يا خيبة الدهر فاني انا الدهر
اقلب ليله ونهاره فاذا شيت قبضتهما هكذا جا هذا الحديث
موقوفا علي ابي هريرة في هذه الرواية وقد جا مرفوعا يوذيني
ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر اقلب الليل والنهار اخرجه
ايضا مسلم وقال عكرمة معناه بالتصوير والتعرض لفعل
ما لا يفعله الا الله بنحت الصور وغيرها وقد قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم لعن الله المصورين قلت وهذا يقوي
قول مجاهد في المنع من تصوير الشجر وغيرها الا كل ذلك صفة

اختراع وتشبه بفعل الله الذي انفرد به سبحانه وتعالى وقد تقدم
هذا في سورة النمل والحمد لله وقالت فرقة ذلك على حذف مضاف
تقديره يؤذون اوليا الله واما اذاية رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهي كل ما يوذيه من الاقوال في غير معنى واحد ومن الافعال ايضا
ساحر شاعر كاهن مجنون واما فعلهم فكسر رباعيته وشج
وجهه يوم احد وبمكة القا السلا على ظهره وهو ساجد الى غير
ذلك وقال ابن عباس نزلت في الذين طعنوا عليه حين اتخذ
صفية بنت حيي ابذا الله ورسوله وفيه ابذا المومنين والمومنات
فمنه ومنه الثانية قال علماونا والطعن في تامير اسامه
بن زيد اذاية له عليه السلام روى الصحيح عن ابن عمر قال
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وامر عليهم اسامه بن
زيد فطعن الناس في إمرته فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في امرة ابيه من قبل
وايم الله ان كان لخليقا للامارة وان كان لمن احب الناس الي وان
هذا لمن احب الناس الي الناس الي بعده وهذا البعث والله اعلم
هو الذي جهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اسامة وامره
عليهم وامره ان يغزوا ابنى وهي القرية التي عند موته الموضع الذي
قتل فيه زيد ابوه مع جعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحه فامره
ان ياخذ بثار ابيه فطعن من في قلبه ريب في امارته من حيث انه

والطلق

وان يقتل اجب

من الموالي ومن حيث انه كان صغير السن لانه كان اذ ذاك ابن ثمان
عشرة سنة فمات النبي صلى الله عليه وسلم وقد برز هذا البعث عن
المدينة ولم ينفصل بعد عنها فنفذه ابو بكر بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم **الثالثة** في هذا الحديث اوضح دليل على اجازة امامة
المولى والمفضول على غيرهما ما عدى الامامة الكبرى وقد قدم رسول
الله صلى الله سالما مولى ابي حذيفة على الصلاة بقباء فكان يومهم وفيهم
ابو بكر وعمر وغيرهم من كبراء قريش وروى الصحيح عن عامر بن
واثلة الاسقع ان نافع بن عبد الحارث اتى عمر بعسفان وكان عمر
يستعمله على مكة فقال من استعملت على هذا الوادي قال ابن
ابزى قال ومن ابن ابزى قال مولى من موالينا قال فاستخلفت
عليهم مولى قال انه لقارئ لكتاب الله وانه عالم بالفرايض قال اما
ان نبيكم قد قال ان الله يرفع بهذا العلم اقواما ويضع به اخرين
الرابعة وكان اسامة رضي الله عنه الحب بن الحب وبذلك
كان يدعى وكان اسود شديد السواد وكان زيد ابوه ابيض
من القطن هكذا ذكره ابو داود عن احمد بن صالح وقال غير احمد
كان زيد ازهر اللون وكان اسامة شديد الادمة وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يجلس اسامة وهو صغير ويمسح مخاطه
وينقي انفه ويقول لو كان اسامة جارية لزيناه وجهزناه
وحببناه الى الازواج وقد روى ان سبب ارتداد العرب بعد

بعد النبي صلى الله عليه وسلم انه لما كان عليه السلام في حجة الوداع بجبل
عرفه عشية عرفة عند النفر احتبس النبي صلى الله عليه وسلم قليلاً بسبب
اسامة الى ان اتاه فقالوا ما احتبس الا لاجل هذا تحقيرا له فكان قولهم
هذا سبب ارتدادهم ذكره البخاري في التاريخ لمعناه والله اعلم الخامسة
كان عمر رضي الله عنه يفرض لاسامة في العطاء خمسة الاف ولابنه
عبد الله الفين فقال له عبد الله فضلت على اسامة وقد شهدت ما
لم يشهد فقال ان اسامة كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ابيك ففضل رضي الله عنه محبوب رسول الله صلى الله عليه وسلم على
محبوبه وهكذا يجب ان نحب ما احب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونبغض من ابغض وقد قابل مروان هذا الحب بنقيضه وذلك انه
مر باسامة بن زيد وهو يصلي عند باب البيت بيت النبي صلى
الله عليه وسلم فقال له مروان انما اردت ان يرى مكانك فقد راينا
مكانك فعل الله بك وفعل قولا قبيحا فقال له اسامة انك اذيتني
وانك فاحش متفحش وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله يبغض الفاحش المتفحش فانظر ما بين الفعلين وقس
ما بين الرجلين فلقد اذى بنو امية النبي صلى الله عليه وسلم وناقضوه
في محابه قوله تعالى لعنوا معناه ابعد من كل خير واللعن
في اللغة الابعاد ومنه اللعان واعد لهم عذابا مهينا تقدم في
غير موضع قوله تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات

والذين يؤذون المؤمنين
اذا

إذاية المومنين والمومنات هي ايضا بالافعال والاقوال القبيحه
كالبهتان والتكذيب الفاحش المختلق وهذه الايه نظيره للايه
التي في النسا ومن يكسب خطيئةً او اثما ثم يرم به بريا فقد
احتمل بهتانا واثما مبينا وقد بيناه وروي ان عمر بن الخطاب
قال لابي بن كعب قرات البارحة هذه الايه ففزعت منها والذين
يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا والله اني لاضربهم
وانهرهم فقال له ابي يا امير المومنين لست منهم انما انت معلم
او مقوم وقد قيل ان سبب نزول هذه الايه ان عمر راي جاريه
من الانصار فضربها وكره ما راى من زينتها فخرج اهلها فاذوا
عمر باللسان فانزل الله هذه الايه وقيل نزلت في علي فان المنافقين
كانوا يوذونه ويكذبون عليه رضي الله عنه **قوله تعالى**
يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونسا المومنين يدنين عليهن
من جلابيبهن فيه ست مسايل **الاولى قوله تعالى**
قل لازواجك وبناتك قد مضى الكلام في تفصيل
ازواجه واحدة واحدة قال قتادة مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن تسع خمس من قريش عايشة
وحفصة وام حبيبة وسودة وام سلمة وثلاث من
ساير العرب ميمونة وزينب بنت جحش وجويرية وواحدة
من بني هارون صفية [illegible] صلى الله عليه وسلم
واما بناته فكان للنبي صلى الله

مطلب اولاد النبي عم ذكوره واناثه عليهم السلام

اولاد ذكور واناث فالذكور من اولاده القاسم وامه خديجة
وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلم وهو اول من مات من اولاده وعاش
سنتين وقال عروه ولدت خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم القاسم
والطاهر وعبد الله والطيب وقال ابو بكر البرقي ويقال ان
الطاهر هو الطيب وهو عبد الله وابراهيم امه مارية القبطية
ولد في ذي الحجه سنة ثمان من الهجره وتوفي ابن سنه عشر شهرا
وقيل ثمانيه عشر ذكره الدارقطني وتوفي بالبقيع وقال صلى الله
عليه وسلم ان له رضعا تتم رضاعته في الجنه وجميع اولاد النبي
صلى الله عليه وسلم من خديجه سوى ابراهيم وكل اولاده ماتوا
في حياته غير فاطمة واما الاناث من اولاده فمنهن فاطمة الزهرا
بنت خديجة ولدت بمكة وقريش تبني البيت قبل النبوه بخمس
سنين وهي اصغر بناته وتزوجها علي رضي الله عنهما في
السنة الثانية من الهجره في رمضان وبنى بها في ذي الحجه
وقيل تزوجها في رجب وتوفيت بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيسير وهي اول من لحقه باهل بيته رضي الله عنها
ومنهن زينب امها خديجه تزوجها ابن خالتها ابو العاص
بن الربيع وكان ام العاص هالة بنت خويلد اخت خديجة واسم
ابي العاص لقيط وقيل هاشم وقيل هشيم وقيل مهشم وكانت
اكبر بناته صلى الله عليه وسلم وتوفيت سنة ثمان من الهجره
ونزل

الثالث

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها ومنهن رقية امها
خديجة تزوجها عتبة بن ابي لهب قبل النبوة فلما بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانزل عليه تبت يدا ابي لهب قال ابو لهب
لابنه راسي من راسك حرام ان لم تطلق ابنته ففارقها ولم
يكن بنا بها واسلمت حين اسلمت امها خديجة وبايعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم هي واخواتها حين بايعت النسا وتزوجها
عثمان بن عفان وكانت نسا قريش يقلن حين تزوجها عثمان
احسن شخصين راى انسان رقية وبعلها عثمان وهاجرت
معه الى ارض الحبشة الهجرتين وكانت قد اسقطت من عثمان
سقطا ثم ولدت بعد ذلك عبد الله وكان عثمان يكنى به في الاسلام
وبلغ ست سنين فنقره ديك في وجهه فمات ولم تلد له شيا
بعد ذلك وهاجرت الى المدينه ومرضت ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يتجهز الى بدر فخلف عثمان عليها فتوفيت ورسول
الله صلى الله عليه وسلم ببدر على راس سبعة عشر شهرا من الهجرة
وقدم زيد بن حارثه بشيرا من بدر فدخل المدينه حين سوي
التراب على قبر رقيه ولم يشهد دفنها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومنهن ام كلثوم امها خديجة تزوجها عتبة بن ابي
لهب اخو عتيبة قبل النبوة وامره ابوه ان يفارقها للسبب المذكور
في امر رقية ولم يدخل بها فلم تزل بمكة مع رسول الله

اخو عتبة قبل النبوة بيانه

فلم تزل بمكة

صلى الله عليه وسلم واسلمت حين اسلمت امها وبايعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخواتها حين بايعت النسا وهاجرت
الى المدينه حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفيت
رقيه تزوجها عثمان وبذلك سمي ذا النورين وتوفيت في حياة
النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان سنه تسع من الهجره وجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرها ونزل في حفرتها على
والفضل واسامة وذكر الزبير بن بكار ان اكبر ولد النبي صلى
الله عليه وسلم القاسم ثم زينب ثم عبد الله وكان يقال له الطيب
والطاهر وولد بعد النبوه ومات صغيرا ثم ام كلثوم ثم فاطمه
ثم فاطمه ثم رقيه فمات القاسم بمكة ثم مات عبد الله الثانيه
لما كانت عادة العربيات التبذل وكن يكشفن وجوههن
كما يفعل الاما وكان ذلك داعية الى نظر الرجال اليهن وتشعب
الفكرة فيهن امر الله رسوله ان يامرهن بارخا الجلابيب عليهن
اذا اردن الخروج الى حوايجهن وكن يتبرزن في الصحرا قبل
ان تتخذ الكنف فيقع الفرق بينهن وبين الاما فتعرف الحراير
بسترهن فيكف عن معارضتهن من كان عزبا او شابا وكانت
المراه من نسا المومنين قبل نزول هذه الايه تتبرز للحاجه
فيتعرض لها بعض الفجار يظن انها امة فتصيح به فيذهب فشكوا
ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت الايه بسبب ذلك قال

تشعب

معناه نزول الايه

معناه الحسن وغيره **الثالثة** قوله تعالى من جلابيبهن
الجلابيب جمع جلباب وهو ثوب اكبر من الخمار وروي عن ابن
عباس وابن مسعود انه الردا وقد قيل انه القناع والصحيح
انه الثوب الذي يستر جميع البدن وفي صحيح مسلم عن ام
عطية قلت يا رسول الله احدانا لا يكون لها جلباب قال لتلبسها
اختها من جلبابها **الرابعة** واختلف الناس في صورة ارخايه
فقال ابن عباس وعبيدة السلماني ذلك ان تلويه المراة حتى
لا يظهر منها الا عين واحدة تبصر بها وقال ابن عباس ايضا
وقتادة ذلك ان تلويه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على
الانف وان ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه
وقال الحسن تغطي نصف وجهها **الخامسة** امر الله سبحانه
جميع النساء بالتستر وان ذلك لا يكون الا بما لا يصف جلدها
الا اذا كانت مع زوجها فلها ان تلبس ما شات لان له ان
يتمتع بها كيف شا ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ
ليلة فقال سبحان الله ماذا انزل الليلة من الفتن وماذا فتح
من الخزاين من يوقظ صواحب الحجر رب كاسية في الدنيا
عارية في الاخرة وروي ان دحية الكلبي لما رجع من عند هرقل
فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبطية فقال اجعل صديعًا
لك قميصا واعط [illegible] صديعًا تختمر به والصديع النصف

صدیعًا صاحبتك صديعا تختمر به
النصف

ثم قال له مُرها تجعل تحتها شيئا لئلا يصف وذكر ابو هريرة رقة الثياب
النساء فقال الكاسيات العاريات الناعمات الشقيات ودخل نسوة
من بني تميم على عائشة رضي الله عنها عليهن ثياب رقاق فقالت
عائشة ان كنتن مؤمنات فليس هذا بلباس المؤمنات وان
كنتن غير مؤمنات فتمتعينه وادخلت امراة عروس على عائشة
رضي الله عنها وعليها خمار قبطي معصفر فلما رأتها قالت لم تؤمن
بسورة النور امراة تلبس هذا وثبت عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال نسا كاسيات عاريات مائلات مميلات روسهن
مثل اسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وقال
عمر رضي الله عنه ما يمنع المراة المسلمة اذا كانت لها حاجة
ان تخرج في اطمارها او اطمار جارتها مستخفية لا يعلم بها احد
حتى ترجع الى بيتها **السادسة** قوله تعالى ذلك ادنى
ان يعرفن اي الحراير حتى لا يختلطن بالاماء فاذا عرفن لم يقابلن
باذى من المعارضة مراقبة لرتبة الحرية فتنقطع الاطماع
عنهن وليس المعنى ان تعرف المراة حتى تعلم من هي وكان عمر
رضي الله عنه اذا راى امة قد تقنعت ضربها بالدرة محافظة
على زي الحراير وقد قيل انه يجب الستر والتقنع الان في
حق الجميع من الحراير والاماء وهذا كما ان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم منعوا النسا المساجد بعد وفاة رسول الله
صلى

(هامش: مطلب جليل — القبط بالكسر اهل مصر والنسبة اليهم قبطي ... القبطية بالضم على غير القياس وقد يكسر في موسى)

صلى الله عليه وسلم مع قوله لا تمنعوا اما الله مساجد الله
حتى قالت عايشة رضي الله عنها لو عاش رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى وقتنا هذا لمنعهن من الخروج الى المساجد
كما منعت نسا بني اسرايل وكان الله غفورا رحيما تانيس للنسا
في ترك الجلابيب قبل هذا الامر المشروع **قوله تعالى**
لين لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون
في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين
فيه خمس مسايل **الاولى** قوله تعالى لين لم ينته المنافقون
الايه اهل التفسير على ان الاوصاف الثلثه لشي واحد كما
روي سفيان بن سعيد عن منصور عن ابي رزين قال
المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة قال
هم شي واحد يعني انهم قد جمعوا هذه الاشيا والواو مقحمه كما
قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبه في المزدحم ن
اراد الى الملك القرم ابن الهمام ليث الكتيبه وقد مضى في البقرة وقيل
كان قوم منهم يرجفون وقوم يتبعون النسا للزينه وقوم
يشككون المسلمين قال عكرمه وشهر بن حوشب الذين
في قلوبهم مرض يعني الذين في قلوبهم الزنا وقال طاوس نزلت
هذه الاية في امر النسا وقال سلمة بن كهيل نزلت في اصحاب
الفواحش والمعنى متقارب وقيل المنافقون والذين في قلوبهم

مرض شي واحد عبر عنهم بلفظين دليله اية المنافقين في اول
البقرة والمرجفون في المدينة قوم كانوا يخبرون المومنين بما يسوءهم
من عدوهم فيقولون اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم
انهم قد قتلوا وهزموا وان العدو قد اتاكم قاله قتادة وغيره
وقيل كانوا يقولون اصحاب الصفة قوم عزاب فهم الذين كانوا
يتعرضون للنساء وقيل هم قوم من المسلمين ينطقون بالاخبار
الكاذبة حبا للفتنة وقد كان في اصحاب الافك قوم مسلمون
ولكنهم خاضوا حبا للفتنة وقال ابن عباس الارجاف التماس الفتنة
والارجاف اشاعة الكذب والباطل للاغتمام به وقيل تحريك القلوب
يقال رجفت الارض اي تحركت وتزلزلت ترجف رجفا والرجفان
الاضطراب الشديد والرجاف البحر سمي لاضطرابه قال الشاعر
فانا وان عيرتمونا بقتله وارجف بالاسلام باغ وحاسد وقال اخر
ابالاراجيف يا ابن اللوم توعدني وفي الاراجيف خلت اللوم والخور
والارجاف حرام لان فيه اذاية فدلت الاية على تحريم الايذاء
بالارجاف الثانية قوله تعالى لنغرينك بهم اي لنسلطنك
عليهم فتستاصلهم بالقتل وقال ابن عباس لم ينتهوا عن ايذاء
النساء وان الله عز وجل قد اغراه بهم ثم انه قال عز وجل ولا
تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره وانه امره بلعنهم
وهذا هو الاغراء وقال محمد بن يزيد قد اغراه بهم في الاية التي

وقال الثعلبي عن الطعن لانهم كانوا يعيبون الشمس في الرجاف
والارجاف واحد الاراجيف الاخبار وقد ارجفوا في الشي اي خاضوا فيه

تلي هذه مع اتصال الكلام بها وهو قوله عز وجل اينما ثقفوا اخذوا
وقتلوا تقتيلا فهذا فيه معني الامر بقتلهم واخذهم اي هذا
حكمهم اذا كانوا مقيمين علي النفاق والارجاف وفي الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم خمس يقتلن في الحل والحرم فهذا
فيه معني الامر كالاية سوا النحاس وهذا احسن ما قيل في
الاية وقيل انهم قد انتهوا عن الارجاف فلم يغرهم ولام لنغرينك
لام القسم واليمين واقعة عليها وادخلت اللام في ان توطية
لها **الثالثة** قوله تعالي ثم لا يجاورونك فيها الا في المدينة
الا قليلا نصب علي الحال من الضمير في يجاورونك فكان الامر
كما قال جل وعز لانهم لم يكونوا الا اقلا فهذا احد جوابي الفرا
وهو الاولي عنده اي لا يجاورونك الا في حال قلتهم والجواب
الاخر ان يكون المعني الا وقتا قليلا اي لا يبقون معك الا مدة
يسيرة اي لا يجاورونك فيها الا جوارا يسيرا حتي يهلكوا
فيكون نعتا لمصدر او ظرف محذوف ودل علي ان من كان
معك ساكنا بالمدينة فهو جار وقد مضي في النسا **الرابعة**
قوله تعالي ملعونين هذا تمام الكلام عند محمد بن يزيد وهو
منصوب علي الحال وقال ابن الانباري قليلا ملعونين وقف
حسن النحاس ويجوز ان يكون التمام الا قليلا وتنصب ملعونين
علي الشتم كما قرا عيسي بن عمر وامراته حمالة الحطب وقد حكي

عن بعض النحويين انه قال يكون المعنى اينما ثقفوا اخذوا ملعونين

وهذا خطا لا تعمل ما مع المجازاة فيما قبله وقيل معنى الايه ان

اصروا على النفاق لم يكن لهم مقام بالمدينة الا وهم مطرودين

ملعونين وقد فعل بهم هذا فانه لما نزلت سورة براة جمعوا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا فلان قم فاخرج فانك منافق ويا

فلان قم فقام اخوانهم من المسلمين وتولوا اخراجهم من

المسجد **الخامسة** قوله تعالى سنة الله نصب على المصدر

اى سن الله جل وعز فيمن ارجف بالانبيا واظهر نفاقه

ان يوخذ ويقتل ولن تجد لسنة الله تبديلا اى تحويلا

وتغييرا حكاه النقاش وقال السدي يعني ان من قتل بحق

فلا دية على قاتله المهدوي في الايه دليل على جواز ترك

انفاد الوعيد والدليل على ذلك بقا المنافقين معه حتى

مات والمعروف من اهل الفضل اتمام وعدهم وتاخير وعيدهم

وقد مضى هذا في ال عمران وغيرها **قوله تعالى**

يسالك الناس عن الساعة هولاء الموذون رسول الله

صلى الله عليه وسلم توعدوا بالعذاب سالوا عن الساعة

استبعادا وتكذيبا موهمين انها لا تكون قل انما علمها

عند الله اى اجبهم عن سوالهم قل انما علمها عند الله وليس

في اخفا الله وقتها عني ما يبطل نبوتي وليس من شرط النبي

ان

ان يعلم الغيب بغير تعليم من الله عز وجل وما يدريك اي ما
يعلمك لعل الساعة تكون قريبا اي في زمان قريب وقال
صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين واشار
الى السبابة والوسطى خرجه اهل الصحيح وقيل اي ليست
الساعة تكون قريبا فحذف ها التانيث دهابا بالساعة
الى اليوم كقوله تعالى ان رحمت الله قريب من المحسنين
ولم يقل قريبة دهابا بالرحمة الى العفو اذ ليس تانيثها
اصليا وقد مضى هذا مستوفى وقيل انما اخفى وقت
الساعة ليكون العبد مستعدا لها في كل وقت قوله
تعالى يوم تقلب وجوههم في النار قراه العامة بضم
التاء وفتح اللام على الفعل المجهول وقرا عيسى الهمداني
نقلب بنون وكسر اللام ~~على معنى نقلب وهذا التقليب~~
وجوههم نصبا وقرا عيسى ايضا تقلب بضم التاء وكسر اللام
على معنى تقلب السعير وجوههم وقرا ابو حيوة باختلاف
عنه وابو جعفر وشيبة تقلب بفتح التاء واللام على معنى
تتقلب وهذا التقليب تغير الوانهم بلفح النار فتسود
مرة وتخضر اخرى واذا بدلت جلودهم بجلود اخر فحينئذ
يتمنون انهم ما كفروا يا ليتنا اي يقولون يا ليتنا ويجوز
ان يكون المعنى يقولون يوم تقلب وجوههم في النار يا ليتنا

اطعنا الله واطعنا الرسولا اي لم نكفر فننجوا من هذا
العذاب كما نجا المومنون وهذه الالف تقع في الفواصل
فيوقف عليها ولا يوصل بها وكذا السبيلا وقد مضى اول
السوره وقرا الحسن انا اطعنا ساداتنا بكسر التاء جمع
سادة وكان في هذا زجر عن التقليد والسادة والكبرا
بمعنى وقال مقاتل هم المطعمون في غزوة بدر والاظهر
العموم في القادة والروسا في الشرك والضلالة اي
اطعناهم في معصيتك وما دعونا اليه فاضلونا السبيل
اي عن السبيل وهو التوحيد فلما حذف الجار وصل الفعل
فنصب والاضلال لا يتعدى الى مفعولين من غير توسط
حرف الجر لقوله لقد اضلني عن الذكر **قوله تعالى**
ربنا اتهم ضعفين من العذاب والعنهم قال قتادة عذاب
الدنيا وعذاب الاخره وقيل عذاب الكفر وعذاب الاضلال
اي عذبهم مثلي ما تعذبنا فانهم ضلوا واضلوا والعنهم
لعنا كثيرا قرا ابن مسعود واصحابه ويحيى وعاصم بالبا
الباقون بالثا واختاره ابو حاتم وابو عبيد والنحاس لقوله
تعالى اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وهذا المعنى
كثير قال محمد بن ابي السري رايت في المنام كاني في مسجد
عسقلان وكان رجلا يناظرني فيمن يبغض اصحاب محمد

فقال

والسادة جمع السيد وهو فعلة كبيتة وجمعه وساداتنا جمع الجمع

فقال والعنهم لعنا كثيرا ثم كررها حتى غاب عني لا يقولها الا بالثاء
وقراة البا ترجع في المعنى الى الثا لان ما كبر كان كثيرا عظيم المقدار
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى لما
ذكر تعالى المنافقين والكفار الذين اذوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمومنين حذر المومنين من التعرض للايذا ونهاهم
عن التشبه ببني اسرايل في اذايتهم نبيهم موسى واختلف الناس
فيما اوذي به محمد صلى الله عليه وسلم وموسى فحكى النقاش ان
اذايتهم محمدا قولهم زيد ابن محمد وقال ابو وايل اذايته
انه عليه السلام قسم قسما فقال رجل من الانصار ان هذه
القسمة ما اريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم فغضب وقال رحم الله موسى لقد اوذي باكثر
من هذا فصبر واما اذايتهم موسى صلى الله عليه وسلم فقال ابن
عباس وجماعة هي ما تضمنه حديث ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم وذلك انه قال كان بنوا اسرايل يغتسلون عراة
وكان موسى عليه السلام يتستر كثيرا ويخفي بدنه فقال قوم
هو ادر او ابرص او به افة فانطلق ذات يوم يغتسل في عين
بارض الشام وجعل ثيابه على صخرة ففر الحجر بثيابه واتبعه
موسى يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملاء من بني
اسرايل فنظروا اليه وهو من احسنهم خلقا واعدلهم

صورة وليس به الذي قالوا فهو قوله تعالى فبراه الله مما قالوا
اخرجه البخاري ومسلم بمعناه ولفظ مسلم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كانت بنو اسرايل يغتسلون عراة ينظر بعضهم
الى سوءة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا
والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه ادر قال فذهب
يوما يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمح
موسى عليه السلام باثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت
بنو اسرايل الى سوءة موسى وقالوا والله ما بموسى من باس
فقام الحجر حتى نظر اليه فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال
ابو هريرة والله انه بالحجر ندب ستة او سبعة ضرب موسى
بالحجر فهذا قول وروى ابن عباس عن علي بن ابي طالب انه قال
اذوا موسى بان قالوا قتل هارون وذلك ان موسى وهارون خرجا
من فحص التيه الى جبل فمات هارون فيه فجا موسى فقالت بنو
اسرايل انت قتلته وكان الين لنا منك واشد حبا فاذوه بذلك
فامر الله ملايكته فحملته حتى طافوا به في بني اسرايل وراوا
ايه عظيمة دلتهم على صدق موسى ولم يكن فيه اثر وقد قيل
ان الملايكة تكلمت بموته ولم يعرف موضع قبره الا الرخم
وان الله تعالى جعله اصم ابكم ومات هارون قبل موسى في
التيه ومات موسى قبل انقضا مدة التيه بشهرين وحكى

القشيري

القشيري عن علي بن ابي طالب ان الله تعالى احيا هارون فاخبرهم انه لم يقتله ثم مات وقد قيل ان اذاية موسى منهم اياه بالسحر والجنون والصحيح الاول ويحتمل ان فعلوا كل ذلك فبراه الله من جميع ذلك **مسألة** في وضع موسى عليه السلام ثوبه على الحجر ودخوله في الماء عريانا دليل على جواز ذلك وهو مذهب الجمهور ومنعه ابن ابي ليلى واحتج بحديث لم يصح وهو قوله عليه السلام لا تدخلوا الما الا بميزر فان للماء عامرا قال القاضي عياض وهو ضعيف عند اهل العلم قلت اما انه يستحب التستر لما رواه اسرايل عن عبد الاعلى ان الحسن بن علي دخل غديرا وعليه بردة متوشحا به فلما خرج قيل له قال انما استترت ممن يراني ولا اراه من ربي والملايكة فان قيل كيف نادى موسى عليه السلام الحجر ندا من يعقل قيل لانه صدر عن الحجر فعل من يعقل وحجر منادى مفرد محذوف حرف الندا كما قال تعالى يوسف اعرض عن هذا وثوبي منصوب بفعل مضمر التقدير اعطني ثوبي او اترك ثوبي فحذف الفعل لدلالة الحال عليه **قوله تعالى** وكان عند الله وجيها اي عظيما والوجيه عند العرب المعظم القدر الرفيع المنزلة ويروى انه كان اذا سال الله شيا اعطاه اياه وقرا ابن مسعود وكان عبد الله وقيل معنى وجيها اي

كلمة تكليما قال ابو بكر الانباري في كتاب الرد زعم من طعن في
القران ان المسلمين صحّفوا وكان عند الله وجيها وان الصواب
عنده وكان عبدُ الله وجيها وذلك يدل على ضعف مقصده
ونقصان فهمه وقلة علمه وذلك ان الاية لو حُملت على قوله
وقُرِيَتْ وكان عبد الله نقص الثنا على موسى عليه السلام وذلك
ان وجيها يكون عند اهل الدنيا وعند اهل زمانه وعند اهل الاخره
فلا يوقف على مكان المدح لانه ان كان وجيها عند بني الدنيا كان
ذلك انعاما من الله عليه لا يبين عليه معه ثنا مع الله فلما اوضح
الله تعالي موضع المدح بقوله وكان عند الله وجيها استحق
الشرف واعظم الرفعه بان الوجاهة عند الله فمن غير اللفظة
صرف عن نبي الله افخر الثناء واعظم المدح **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا اي قصدا وحقا
وقال ابن عباس اي صوابا وقال قتادة ومقاتل يعني قولوا قولا
سديدا في شان زيد وزينب ولا تنسبوا النبي صلى الله عليه وسلم
الي ما لا يحل وقال عكرمة وابن عباس ايضا القول السديد
لا اله الا الله وقيل هو الذي يوافق ظاهره باطنه وقيل هو ما
اُريد به وجه الله دون غيره وقيل هو الاصلاح بين المتشاجرين
وهو ماخوذ من تسديد السهم ليصاب به الغرض والقول
السديد يعم الخيرات فهو عام في جميع ما ذكر وغير ذلك

ونظائر

وظاهر الايه يعطي انه انما اشار الي ما يكون خلافا للاذي الذي
قيل في جهة الرسول وجهة المومنين ثم وعد جل وعز بانه
يجازي علي القول السداد باصلاح الاعمال وغفران الذنوب
وحسبك بذلك درجة ورفعة منزله ومن يطع الله ورسوله
اي فيما امر به ونهي عنه فقد فاز فوزا عظيما **قوله تعالي**
انا عرضنا الامانة علي السموات والارض والجبال الاية لما بين تعالي
في هذه السورة من الاحكام ما بين امر بالتزامها وامره
والامانه تعم جميع وظايف الدين علي الصحيح من الاقوال
وهو قول الجمهور روي الترمذي الحكيم ابو عبد الله عن
محمد بن يزيد بن جوهر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم قال الله لادم يا ادم اني عرضت الامانة
علي السموات والارض فلم تطقها فهل انت حاملها بما فيها
قال وما فيها يا رب قال ان حملتها اجرت وان ضيعتها عذبت
فاحتملها بما فيها فلم يلبث في الجنة الا قدر ما بين صلاة الاولي
الي العصر حتي اخرجه الشيطان منها فالامانه هي الفرايض
التي ايتمن الله عليها العباد وقد اختلف في تفاصيل بعضها
علي اقوال فقال ابن مسعود هي في امانات الاموال كالودايع
وغيرها وروي عنه انها في كل الفرايض واشدها امانة المال
وقال ابي بن كعب من الامانه ان اوتمنت المراه علي فرجها

فاحملها بما

وقال ابو الدردا غسل الجنابه امانه وان الله تعالي لم يامن ابن
ادم علي شي من دينه غيرها وفي حديث مرفوع الامانة الصلاة ان
شيت ان شيت قلت قد صليت وان شيت قلت لم اصل وكذلك
الصيام وغسل الجنابة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق
الله من الانسان فرجه وقال هذه امانة استودعتكها فلا تلبسها
الا بحق فان حفظتها حفظتك فالفرج امانه والاذن امانة والعين
امانه واللسان امانة والبطن امانه واليد امانه والرجل امانه
ولا ايمان لمن لا امانة له وقال السدي هي ايتمان ادم ابنه قابيل
علي ولده واهله وخيانته اياه في قتل اخيه وذلك ان الله تعالي
قال له يا ادم هل تعلم ان لي بيتا في الارض قال اللهم لا قال فان لي
بيتا بمكة فاته فقال للسما احفظي ولدي بالامانه فابت وقال للارض
احفظي ولدي بالامانة فابت فقال للجبال فابت فقال لقابيل احفظي
ولدي بالامانة فقال نعم تذهب وترجع فتجد ولدك كما يسرك
فرجع فوجده قد قتل اخاه فذلك قوله تعالي انا عرضنا الامانة
علي السموات والارض والجبال فابين الاية وروي معمر عن الحسن ان
الامانه عرضت علي السموات والارض والجبال قالت وما
فيها قالت لها ان احسنت جوزيت وان اسات عوقبت فقالت
لا قال مجاهد فلما خلق الله تعالي ادم عرضها عليه قال وما هي
قال ان احسنت اجرتك وان اسات عذبتك قال فقد حملتها يا
رب

يارب قال مجاهد فما كان بين ان تحملها الى ان اخرج من الجنة
الاقدر ما بين الظهر والعصر وروى على بن ابى طلحة عن
ابن عباس فى قوله تعالى انا عرضنا الامانه على السموات
والارض والجبال قال الامانة الفرايض عرضها الله جل
وعز على السموات والارض والجبال ان ادوها اثابهم
وان ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك واشفقوا من غير
معصية ولكن تعظيما لدين الله عز وجل الا يقوموا به
ثم عرضها على ادم فقبلها بما فيها قال النحاس وهذا
القول الذى عليه اهل التفسير وقيل لما حضرت
ادم صلى الله عليه وسلم الوفاه امر ان يعرض الامانة
على الخلق فعرضها فلم يقبلها الا بنوه وقيل هذه
الامانة هى ما اودعه الله تعالى فى السموات والارض
والجبال والخلق من الدلايل على ربوبيته ان يظهروها
فاظهروها الا الانسان فانه كتمها وجحدها قاله بعض
المتكلمين ومعنى عرضنا اظهرنا كما تقول عرضت الجاريه
على البيع والمعنى انا عرضنا الامانة وتضييعها على
اهل السموات واهل الارض من الملايكه والانس والجن
فابين ان يحملنها اى ان يحملن وزرها كما قال جل وعز
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وحملها الانسان قال

قال الحسن المراد الكافر والمنافق انه كان ظلوما لنفسه
جهولا بربه فيكون على هذا الجواب مجازا مثل وسل القرية
وفيه جواب اخر على ان يكون حقيقة انه عرض على السموات
والارض والجبال الامانة وتضييعها وهي الثواب والعقاب
اي اظهر لهن ذلك فلم يحملن وزرها واشفقت وقالت لا
ابتغي ثوابا ولا عقابا وكل يقول هذا امر لا نطيقه ونحن
لك سامعون ومطيعون فيما امرتنا به وسخرتنا له قاله
الحسن وغيره قال العلما معلوم ان الجماد لا يفهم ولا يجيب
فلا بد من تقدير الحياة على القول الاخير وهذا العرض
في هذه الاية عرض تخيير لا الزام والعرض في هذه الاية
ضرب مثل اي ان السموات والارض على كبر اجرامها لو
كانت بحيث يجوز تكليفها لثقل عليها تقلد الشرائع لما
فيها من الثواب والعقاب اي ان التكليف امر حقه ان
يعجز عنه السموات والارض والجبال وقد كلفه الانسان
وهو ظلوم جهول لو عقل وهذا كقوله تعالى لو انزلنا
هذا القران على جبل ثم قال وتلك الامثال وورد علينا من
الخبر ما لا يخرج الا على ضرب المثل وجب حمله عليه وقال
قوم ان الاية من المجاز اي انا اذا قايسنا ثقل الامانة
بقوة السموات والارض والجبال رأينا انها لا تطيقها
وانها

والعرض على الاشيا ان الزام
وقال القفال العرض على العرض

نضربها للناس قال القفال واذا تقرر هذا فانه تعالى يضرب الامثال

وانها لو تكلمت لابت واشفقت فعبّر عن هذا المعنى بقوله
انا عرضنا الامانة الاية وهذا كما يقول عرضنا الحمل على
البعير فاباه وانت تريد قايست قوته بثقل الحمل فرايت
انها تقصر عنه وقيل عرضنا بمعنى عارضنا الامانة
بالسموات والارض والجبال فضعفت هذه الاشياء عن
الامانة ورجحت الامانة بثقلها عليها وقيل ان عرض الامانة
على السموات والارض والجبال انما كان من ادم عليه السلام
وذلك ان الله تعالى لما استخلفه على ذريته وسلطه على جميع ما
في الارض من الانعام والطير والوحش وعهد اليه عهدا امره
فيه ونهاه وحرّم واحلّ فقبله ولم يزل عاملا به فلما ان حضرته
الوفاه سال الله ان يعلمه من يستخلف بعده ويقلده من الامانة
ما تقلده فامره ان يعرض ذلك على السموات بالشرط الذي اخذ عليه
من الثواب ان اطاع ومن العقاب ان عصى فابين ان يقبلنه منه
شفقا من عذاب الله ثم امره ان يعرض ذلك على الارض والجبال
كلها فابياه ثم امره ان يعرض على ولده فعرضه عليه فقبله
بالشرط ولم يهب منه ما تهيبت السموات والارض والجبال
انه كان ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة ما تقلد لربه قال الترمذي
الحكيم ابو عبد الله محمد بن علي عجبت لهذا القايل ان اتى بهذه
القصه فان نظرنا الى الاثار وجدناها بخلاف ما قال وان

نظرنا الى ظاهره وجدناه بعيدا مما قال وذلك انه ردد ذكر الامانة
ولم يذكر ما الامانة الا انه يومى في مقالته الى انه سلّط على جميع
ما في الارض وعهد الله اليه عهدا فيها امره ونهيه وحله وحرامه
وزعم انه يعرض ذلك على السموات والارض والجبال فما تصنع
السموات والارض والجبال بالحلال والحرام وبالتسليط على
الانعام والطير والوحش وكيف اذا عرضه على ولده فقبله
في اعناق ذريته من بعده في مسند الخبر في التنزيل انه
عرض الامانة على السموات والارض والجبال حتى ظهر الاباء
منهم ثم ذكر انه الانسان حملها اي من قبل نفسه لا انه
حمل ذلك وسماه ظلوما اي لنفسه جهولا بما فيها واما
الاثار التي هي بخلاف ما ذكر فحدثني ابي رحمه الله قال
حدثنا الفيض بن المفضل الكوفي قال ثنا السري ابن
اسماعيل عن عامر الشعبي عن مسروق عن عبد الله ابن
مسعود قال لما خلق الله الامانة مثلها صخرة ثم وضعها
حيث شاء ثم دعا لها السموات والارض والجبال ليحملنها وقال
لهن ان هذه الامانة ولها ثواب وعليها عقاب قالوا يا
رب لا طاقة لنا بها واقبل واقبل الانسان من قبل ان يدعا
فقال للسموات والارض والجبال ما وقفكم قالوا دعانا
ربنا ان نحمل هذه فاشفقن منها ولم نطقها قال فحركها

بيده

الرابع

بيده وقال والله لو شيت ان احملها لحملتها فحملها حتى بلغ
بها الى ركبتيه ثم وضعها وقال والله لو شيت ان ازداد
لازددت قال دونك فحملها حتى بلغ بها حقويه ثم وضعها
وقال والله لو شيت ان ازداد لازددت قالوا دونك فحملها
حتى وضعها على عاتقه فلما اهوى ليضعها قالوا امكانك ان هذه

عقاب

الامانه ولها ثواب وعليها ثواب وامرنا ربنا ان نحملها فاشفقن منها
وحملتها انت من غير ان تدعى لها فهي في عنقك وفي اعناق ذريتك الى
يوم القيامه انك كنت ظلوما جهولا وذكر اخبارا عن الصحابة
والتابعين تقدم اكثرها وحملها الانسان اي التزم القيام بحقها
وهو في ذلك ظلوم لنفسه وقال قتادة للامانة جهول بقدر ما
دخل فيه وهذا تاويل ابن عباس وابن جبير وقال الحسن جهول
بربه قال ومعنى حملها خان فيها وقال الزجاج والاية في الكافر
والمنافق والعصاة على قدرهم على هذا التاويل وقال ابن عباس
واصحابه والضحاك وغيره الانسان ادم تحمل الامانه فما تم له يوم حتى
عصى المعصيه التي اخرجته من الجنه وعن ابن عباس ان الله تعالى
قال له اتحمل هذه الامانه بما فيها قال وما فيها قال ان احسنت جزيت
وان اسات عوقبت قال انا احملها بما فيها بين اذني وعاتقي فقال
الله تعالى له اني سأعينك قد جعلت لبصرك حجابا فاغلقه
عما لا يحل لك ولفرجك لباسا فلا تكشفه الا على ما احللت لك

وقال قوم الانسان النوع كله وهذا حسن مع عموم الامانة كما ذكرناه
اولا وقال السدي الانسان قابيل فالله اعلم ليعذب الله المنافقين
والمنافقات اللام في ليعذب متعلقة بحمل اي حملها ليعذب العاصي
ويثيب المطيع فهي لام التعليل لان العذاب نتيجة حمل الامانة وقيل
بعرضنا اي عرضنا الامانة على الجميع ثم قلدناها الانسان ليظهر شرك
المشرك ونفاق المنافق ليعذبهم الله وايمان المومن ليثيبه الله ويتوب
الله قراة الحسن بالرفع بقطعه من الاول اي يتوب الله عليهم بكل
حال وكان الله غفورا رحيما خبرا بعد خبر لكان ويجوز ان يكون
نعتا للغفور ويجوز ان يكون حالا من المضمر

سورة سبا

مكية في قول الجميع الا اية واحدة واختلف فيها وهي قوله تعالى ويرى
الذين اوتوا العلم الاية فقالت فرقة هي مكية والمراد المومنون اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وقالت فرقة هي مدنية والمراد
بالمومنين من اسلم بالمدينة كعبد الله ابن سلام وغيره قاله مقاتل وقال
قتادة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم المومنون به من كان وهي اربع
وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الحمد لله الذي
له ما في السموات وما في الارض الذي في موضع خفض على النعت او
البدل ويجوز ان يكون في موضع رفع على اضمار مبتدا او ان يكون
في موضع نصب بمعنى اعني وحكى سيبويه الحمد لله اهل الحمد بالرفع
والنصب والخفض والحمد الكامل والثنا الشامل كله لله اذ النعم

كلها

كلها منه وقد مضى الكلام فيه في اول الفاتحة وله الحمد في الاخرة قيل هو
قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل هو قوله واخر دعوىهم
ان الحمد لله رب العالمين فهو المحمود في الاخرة كما انه المحمود في الدنيا
وهو المالك للاخرة كما انه المالك للاولى وهو الحكيم في فعله الخبير بامر
خلقه قوله تعالى يعلم ما يلج في الارض اي ما يدخل فيها من قطر وغيره
كما قال فسلكه ينابيع في الارض ومن الكنوز والدفاين والاموات
وما هي له كفات وما يخرج منها من نبات وغيره وما ينزل من
السما من الامطار والثلوج والبرد والصواعق والارزاق
والمقادير والبركات وقرا علي بن ابي طالب وما ننزل بالنون
والتشديد وما يعرج فيها من الملايكة واعمال العباد قاله الحسن
وغيره وهو الرحيم الغفور قوله تعالى وقال الذين كفروا لا
تاتينا الساعة قيل المراد اهل مكة قال مقاتل قال ابو سفيان
لكفار مكة واللات والعزي لا تاتينا الساعة ابدا ولا نبعث فقال
الله قل يا محمد بلى وربي لتاتينكم وروى هرون عن طلق المعلم قال
سمعت اشياخنا يقرون قل بلى وربي لياتينكم يا، حملوه على المعنى
كانه قال لياتينكم البعث او امره كما قال هل ينظرون الا ان تاتيهم
الملايكة او ياتي امر ربك فهولاء الكفار مقرون بالابتدا منكرون الاعاده
وهو نقض لما اعترفوا بالقدرة على البعث وقالوا ان قدر لا يفعل
فهذا تحكم بعد ان اخبر على السنة الرسل انه يبعث الخلق واذا ورد

الخبر بشي هو ممكن في الفعل مقدور فتكذيب من وجب صدقه
محال عالم الغيب بالرفع قراه نافع وابن كثير علي الابتدا وخبره
لا يعزب عنه وقرا عاصم وابو عمرو عالم الغيب بالخفض اي
الحمد لله عالم فعلى هذه القراه لا يحسن الوقف على قوله لتاتينكم
وقرا حمزه والكسائي علام الغيب على المبالغة والنعت لا يعزب
عنه اي لا يغيب عنه ويعزب ايضا قال والكسر احب الي
النحاس وهي قراه يحيى بن وثاب وهي لغة معروفه يقال عزب
يعزب ويعزب اذا بعد وغاب مثقال ذرة اي قدر نملة
صغيره في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر
وفي قراة الاعمش ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بالفتح فيهما عطفا
علي ذره وقراه العامة بالرفع عطفا علي مثقال الا في كتاب مبين
فهو العالم بما خلق ولا يخفى عليه شي ليجزي منصوب بلام
كي والتقدير لتاتينكم ليجزي الذين امنوا وعملوا الصلحات
بالثواب والكافرين بالعقاب اوليك يعني المومنين لهم مغفره
لذنوبهم ورزق كريم وهو الجنه قوله تعالى والذين
يسعوا في اياتنا اي في ابطال ادلتنا والتكذيب باياتنا
معاجزين مسابقين يحسبون انهم يفوتوننا وان الله لا
يقدر على بعثهم في الاخره وظنوا انا نهملهم فهولاء لهم
عذاب من رجز اليم يقال عاجزه واعجزه اذا غالبه وسبقه

والم

النحاس

والیم قراة نافع بالکسر نعتا للرجز فان الرجز هو العذاب
قال الله تعالی فانزلنا علی الذین ظلموا رجزا من السماء وقرا ابن
کثیر وحفص عن عاصم عذاب من رجز الیم برفع المیم
هنا وفي الجاثیه نعتا للعذاب وقرا ابن کثیر وابن محیصن
وحمید بن قیس ومجاهد وابو عمرو ومعجزین ای مثبطین
ای ثبطوا الناس عن الایمان بالمعجزات وایات القران
قوله تعالی ویری الذین اوتوا العلم الذی انزل الیک
من ربک هو الحق لما ذکر الذین سعوا في ابطال النبوه
بین ان الذین اوتوا العلم یرون ان القران حق قال مقاتل
الذین اوتوا العلم هم مومنوا اهل الکتاب وقال ابن عباس
هم اصحاب محمد صلی الله علیه وسلم وقیل جمیع المسلمین وهو
اصح لعمومه والرویة بمعنی العلم وهي في موضع نصب
عطفا علی لیجزی ولیری قاله الزجاج والفرا وفیه نظر
لان قوله لیجزی متعلق بقوله لتاتینکم الساعة ولا
یقال لتاتینکم الساعة لیری الذین اوتوا العلم ان القران
حق فانهم یرون القران حقا وان لم یاتهم الساعة والصحیح
انه رفع علی الاستیناف ذکره القشیری قلت واذا
کان لیجزی متعلقا بمعنی اثبت ذلک في کتاب مبین فیحسن

عطف ويرى اي واثبت ايضا روية الذين اوتوا العلم ان القران
حق فانهم يرون القران حقا ويجوز ان يكون مستانفا الذى في موضع
نصب على انه مفعول اول ليرى هو الحق مفعول ثان وهو فاصلة
والكوفيون يقولون عماد ويجوز الرفع ان يكون مبتدا والحق خبره والجملة
في موضع نصب على المفعول الثاني والنصب اكثر فيما كانت فيه الالف
واللام عند جميع النحويين وكذا ما كان نكرة لا يدخله الالف واللام
فيشبه المعرفة فان كان الخبر اسما معروفا نحو قولك كان اخوك هو
زيد فزعم الفراء ان الاختيار فيه الرفع وكذا كان محمد هو عمرو
وعلته في اختياره الرفع انه لما لم تكن فيه الالف واللام اشبه النكرة
في قولك كان زيد هو جالس لان هذا لا يجوز فيه الا الرفع ويهدى
الى صراط العزيز الحميد اى يهدى القران الى طريق الاسلام الذى
هو دين الله ودل بقوله العزيز على انه لا يغالب وبقوله الحميد
على انه لا يليق به صفة العجز قوله تعالى وقال الذين كفروا
هل ندلكم على رجل وان شئت ادغمت اللام في النون لقربها
منها ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق وهذا اخبار عن من قال لا
تاتينا الساعة اى هل نرشدكم الى رجل ينبئكم اى يقول لكم
انكم تبعثون بعد البلا في القبور وهذا صادر على فرط انكارهم
الزمخشري فان قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورا
علما

علماً في قريش وكان اباوه بالبعث شايعاً عندهم فما معنى
قولهم هل ندلكم على رجل ينبيكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة
عليه كما يدل على مجهول في امر مجهول قلت كانوا يقصدون
بذلك الطنز والهزؤ والسخرية فاخرجوه مخرج التحلي ببعض
الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبامره
واذا في موضع نصب والعامل فيها مزقتم قاله النحاس ولا
يجوز ان يكون العامل فيها ينبيكم لانه ليس يخبرهم ذلك الوقت
ولا يجوز ان يكون العامل فيها ما بعدان لانه لا يعمل فيما قبله
وان لا يتقدم عليها ما بعدها ولا معمولها واجاز الزجاج ان يكون
العامل فيها محذوفاً والتقدير اذا مزقتم كل ممزق بعثتم او
ينبيكم انكم تبعثون اذا مزقتم المهدوي ولا يعمل فيه مزقتم
لانه مضاف اليه والمضاف اليه لا يعمل في المضاف واجازه
بعضهم على ان تجعل اذا للمجازاه فيعمل فيها حينيذ ما بعدها
لانها غير مضافه اليه واكثر ما يقع اذا للمجازاة في الشعر
ومعنى مزقتم كل ممزق فرقتم كل تفريق والمزق خرق الاشيا
يقال ثوب مزيق وممزوق ومتمزق وممزق قوله تعالى
افترى على الله كذبا لما دخلت الف الاستفهام استغنيت عن
الف الوصل فحذفتها وكان فتح الف الاستفهام فرقا بينها
وبين الف الوصل وقد مضى هذا في سورة مريم عند قوله تعالى

تقدم
اطلع الغيب مستوي ام به جنة هذا مردود على ما تقدم من قول
المشركين والمعنى قال المشركون افترى على الله كذبا والافترى
الاختلاق ام به جنة اي جنون فهو يتكلم بما لا يدري ثم
رد عليهم فقال بل الذين لا يومنون بالاخرة في العذاب والضلال
البعيد اي ليس الامر كما قالوا بل هو اصدق الصادقين ومن
ينكر البعث فهو غدا في العذاب واليوم في الضلال عن
الصواب اذ صاروا الى تعجيز الاله ونسبة الافترا الى من
ايده الله بالمعجزات قوله تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم
من السما والارض اعلم الله تعالى ان الذي قدر على خلق السموات
والارض وما فيهن قادر على البعث وعلى تعجيل العقوبة
لهم فاستدل بقدرته عليهم وان السموات والارض ملكه
وانهما محيطتان بهم من كل جانب فكيف يامنون الخسف
والكسف كما فعل بقارون واصحاب الايكة وقرا حمزة
والكساي ان يشا يخسف بهم الارض او يسقط بالياء في
الثلاث اي ان يشا الله امر الارض فتخسف بهم او السما
فتسقط عليهم كسفا الباقون بالنون على التعظيم وقرا السلمي
وحفص بفتح السين الباقون بالاسكان وقد تقدم بيانه
في سبحان وغيرها ان في ذلك لاية اي في هذا الذي ذكرناه
من قدرتنا لاية اي دلالة ظاهرة لكل عبد منيب اي تايب
رجاع

رجاع الى الله بقلبه وخص المنيب بالذكر لانه المنتفع بالفكرة في
حجج الله واياته **قوله تعالى** ولقد اتينا داود منا فضلا
بين لمنكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ان ارسال الرسل ليس امرا
بدعا بل ارسلنا الرسل وايدناهم بالمعجزات واحللنا بمن
خالفهم العقاب اتينا اعطينا فضلا اي امرا فضلناه به على
غيره واختلف في هذا الفضل على تسعة اقوال الاول النبوة
الثاني الزبور الثالث العلم قال الله تعالى ولقد اتينا داود وسليمان
علما الرابع القوة قال الله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد
الخامس تسخير الجبال والناس قال الله تعالى يا جبال اوبي معه
السادس التوبة فغفرنا له ذلك الاية السابع الحكم بالعدل يا
داود انا جعلناك خليفة في الارض الاية الثامن الانة الحديد
الناسع حسن الصوت وكان داود عليه السلام ذا صوت حسن
ووجه حسن وحسن الصوت هبة من الله تعالى وتفضل منه
وهو المراد بقوله جل وعز يزيد في الخلق ما يشاء على ما ياتي
وقال صلى الله عليه وسلم لابي موسى لقد اوتيت مزمارا من
مزامير ال داود قال العلما المزمار والمزمور الصوت
الحسن وبه سميت الة الزمر مزمارا وقد استحسن
كثير من فقهاء الامصار القراة بالتزيين والترجيع
وقد مضى هذا في مقدمة الكتاب والحمد لله **قوله تعالى**

والنالة الحديد

يا جبال اوبي معه اي وقلنا يا جبال اوبي معه اي سبحي معه
لانه جل وعز قال انا سخرنا الجبال معه يسبحن قال ابو ميسرة
هو التسبيح بلسان الحبشة ومعنى تسبيح الجبال هو ان الله
تعالى خلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها
ما يسمع من المسبح معجزة لداود صلى الله عليه وسلم وقيل
المعنى سيري معه حيث شاء من التاويب الذي هو سير
النهار اجمع وينزل الليل قال ابن مقبل لحقنا بحي اوبوا السير
بعد ما دفعنا شعاع الشمس والطرف مجنح
وقرا الحسن
وقتادة وغيرهما اوبي معه اي ارجعي معه من اب يؤوب
اذا رجع اوبا واوبة وايابا وقيل المعنى تصرفي معه على ما
يتصرف عليه داود بالنهار وكان اذا قرا الزبور صوتت
الجبال معه واصغت اليه الطير فكانها فعلت ما فعل
وقال وهب بن منبه والمعنى نوحي معه والطير تسعده على
ذلك فكان اذا نادى بالنياحة اجابته الجبال بصداها
وعكفت الطير عليه من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعه
الناس انما كان من ذلك اليوم الى هذه الساعة فايدت بمساعدة
الجبال والطير وكان قد اعطي من الصوت ما تتزاحم الوحوش
من الجبال على صوته وكان الماء الجاري ينقطع عن الجري وقوفا
لصوته

لئلا يجد فترة فاذا دخلت الفترة اهتاج وقوي بمساعدة الجبال والطير

لصوته والطيرُ بالرفع قراة ابن ابي اسحق ونصر عن عاصم وابن هرمز
ومسلمة ابن عبد الملك عطفا على لفظ الجبال او على المضمر في اوّبي وحسنه
الفصل بمع الباقون بالنصب عطفا على موضع يا جبال اي نادينا
الجبال والطير قاله سيبويه وعند ابي عمرو بن العلا باضمار فعل على
معنى وسخرنا له الطير وقال الكسائي هو معطوف على اتيناه الطير
حملا على ولقد اتينا داود منا فضلا النحاس ويجوز ان يكون
مفعولا معه كما تقول استوى الما والخشبه وسمعت الزجاج يجيز
قمت وزيدا فالمعنى اوبي معه ومع الطير والناله الحديد قال
ابن عباس صار عنده كالشمع وقال الحسن كالعجين فكان يعمله
من غير نار وقال السدي كان الحديد في يده كالطين المبلول
والعجين والشمع يصرفه كيف يشا من غير ادخال نار ولا ضرب
بمطرقة وقاله مقاتل وكان يفرغ من الدرع في بعض اليوم او
بعض الليل ثمنها الف درهم وقيل اعطى قوة ليثني بها الحديد
وسبب ذلك ان داود لما ملك بني اسرايل لقي ملكا وداود
يظنه انسانا وداود متنكر خرج يسال عن نفسه وسيرته
في بني اسرايل في خفا فقال داود لذلك الشخص الذي تمثل له
ما قولك في هذا الملك داود فقال له الملك نعم العبد لولا
خلة فيه قال داود وما هي قال يرتزق من بيت المال ولو
اكل من عمل يده لتمت فضايله فرجع فدعا الله في ان يعلمه

صنعة ويسهلها عليه فعلمه صنعة لبوس لكما قال عز وجل في سورة
الانبيا والنا له الحديد وصنع الدروع فكان يصنع الدرع فيما بين
يومه وليلته يساوي الف درهم حتى ادخر منها كثيرا وتوسعت
معيشة منزله ويتصدق على الفقرا والمساكين وكان ينفق ثلث
المال في مصالح المسلمين وهو اول من اتخذ الدروع وصنعها وكانت
قبل ذلك صفايح ويقال انه كان يبيع كل درع منها باربعة الاف
والدرع موثثه اذا كانت للحرب ودرع المراة مذكر مسئلة
في هذه الاية دليل على تعلم اهل الفضل الصنايع وان التحرف بها
لا ينقص من مناصبهم بل ذلك زيادة في فضلهم وفضايلهم اذ
يحصل لهم التواضع في انفسهم والاستغنا عن غيرهم وكسب
الحلال الخلي عن الامتنان وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان خير ما اكل المومن عمل يده وان نبي الله داود كان ياكل
من عمل يده وقد مضى هذا في الانعام مجودا **قوله تعالى**
ان اعمل سابغات اي دروعا سابغات اي كوامل تامات واسعات
يقال سبغ الدرع والثوب وغيرهما اذا غطي كلما هو عليه وفضل
منه وقدر في السرد قال قتادة كانت الدروع قبله صفايح
وكانت ثقالا فلذلك امر هو بالتقدير فيما يجمع من الخفة
والحصانة اي قدر ما تاخذ من هذين المعنيين بقسطه اي لا
تقصد الحصانة فتثقل ولا بالخفة فتزيل المنعة وقال ابن زيد

التقدير

التقدير الذي امر به هو في قدر الحلقة اي لا تعملها صغيرة فتضعف
ولا يقوى الدرع على الدفاع ولا تعملها كبيرة فينال لابسها وقال ابن
عباس التقدير الذي امر به هو في المسمار اي لا تجعل مسمار الدرع
رقيقا فيقلق ولا غليظا فيفصم الحلق روي يفصم بالقاف والفا ايضا
روايه في السرد السرد نسج حلق الدروع ومنه قيل لصانع الدروع
السراد والزراد تبدل من السين الزاي كما يقال سراط وزراط والسرد
الخرز يقال سرد يسرد اذا خرز والمسرد الاشفي ويقال سراد
وقال الشماخ فظلت تباعا خيلنا في بيوتكم كما تابعت سرد العنان
الخوارز والسراد السير الذي يخرز به قال لبيد
يشد صفاحها بالروق سردا كما خرج السراد من النقال ويقال قد
سرد الحديث والصوم فالسرد فيهما ان يجيء به ولاء في نسق واحد
ومنه سرد الكلام ومنه حديث عايشة لم يكن النبي صلى الله عليه
وسلم يسرد الحديث كسردكم كان يحدث الحديث لو اراد العاد
ان يعده لاحصاه قال سيبويه ومنه رجل سرندي اي جري
قال لانه يمضي قدما واصل ذلك في سرد الدرع وهو ان يحكمها وتجعل
نظام حلقها ولاء غير مختلف قال لبيد صنع الحديد مضاعفا اسراده
لينال طول العيش غير مروم وقال ابو ذويب وعليهما مسرودتان اي علا صاحبها
قضاهما داود او صنع السوابغ تبع واعملوا صالحا وهذا خطاب
لداود واهله كما قال تعالى اعملوا آل داود شكرا اني بما تعملون بصير . بلغ

قوله تعالى ولسليمان الريح قال الزجاج التقدير وسخرنا لسليمان
الريح وقرأ في رواية ابي بكر عن عاصم الريح بالرفع على الابتدا والمعنى له
تسخير الريح او بالاستقرار اي ولسليمان الريح ثابتة وفيه ذلك
المعنى الاول فان قال قايل اذا اعطيت زيدا درهما ولعمرو دينار
فرفعته لم يكن فيه معنى الاول وجاز ان يكون لم تعطه الدينار
قيل الامر كذا ولكن الاية على خلاف هذا من جهة المعنى لانه قد
علم انه لم يسخرها احد الا الله عز وجل غدوها شهر ورواحها شهر
اي مسيرة شهر قال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر
وبينهما مسيرة شهر للمسرع ثم يروح من اصطخر ويبيت بكابل
وبينهما شهر للمسرع قال السدي كانت تسير به في اليوم
مسيرة شهرين وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان
سليمان اذا جلس نصبت حواليه اربع مائة الف كرسي ثم جلس
روسا الانس مما يليه وجلس سفلة الانس مما يليهم وجلس
روسا الجن مما يلي سفلة الانس وجلس سفلة الجن مما يليهم
وموكل بكرسي طاير لعمل قد عرفه ثم تقلهم الريح والطير يظلهم
من الشمس فيغدو من بيت المقدس الى اصطخر فيبيت ببيت
المقدس ثم قرا ابن عباس غدوها شهر ورواحها شهر وقال
وهب ذكر لي ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيها كتبه بعض
صحابة سليمان اما من الجن واما من الانس نحن نزلنا وما بنيناه
ومبنيا

ومبينا وجدناه غدوها من اصطخر فقلناه ونحن راحلون
منه ان شا الله فبايتون الشام وقال شغلت سليمان الخيل
حتى فاتته صلاة العصر فعقر الخيل فابدله الله خيرا منها
واسرع ابدله الريح تجري بامره حيث شا غدوها شهر
ورواحها شهر وقال ابن زنبل كان مستقر سليمان بمدينة
تدمر وكان امر الشياطين قبل شخوصه من الشام الى العراق
فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الابيض والاصفر وفيه
يقول النابغة الا سليمان اذ قال الاله له
قم في البرية فاحددها عن الفند • وخيس الجن اني قد اذنت
لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد • فمن اطاعك فانفعه
بطاعته كما اطاعك وادلله على الرشد • ومن عصاك
فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد
ووجدت هذه الابيات منقورة في صخرة بارض كسكر
انشاهن بعض اصحاب سليمان عليه السلام ونحن ولا حول
سوى حول ربنا نروح الى الاوطان من ارض تدمر اذا
نحن رحنا كان ريث رواحنا مسيرة شهر والغدو لاخر
اناس شروا لله طوعا نفوسهم بنصر ابن داود النبي المطهر
لهم في معالي الدين فضل ورافة وان نسبوا يوما فمن خير معشر
متى يركبوا الريح المطيعة اسرعت مبادرة عن شهرها لم تقصر

شخوصه صح

بعضهم صح

تظلهم طير صفوف عليهم متى رفرفت من فوقهم لم تنفر
قوله تعالى واسلنا له عين القطر القطر النحاس عن
ابن عباس وغيره اسيلت له مسيرة ثلثة ايام كما تسيل
الماء وكانت بارض اليمن ولم يذب النحاس فيما روى لاحد
قبله وكان لا يذوب ومن وقته داب وانما ينتفع الناس
اليوم بما اخرج الله لسليمان قال قتادة اسال الله عينا
يستعملها فيما يريد وقيل لعكرمة الى اين سالت فقال
لا ادري وقال ابن عباس ومجاهد والسدي اجريت له
عين الصفر ثلثة ايام بلياليهن قال القشيري وتخصيص
الاسالة بثلثة ايام لا يدرى ماخذه ولعله وهم من الناقل
اذ في رواية عن مجاهد انها سالت من صنعا ثلث ليال مما
يليها وهذا يشير الى بيان الموضع لا الى بيان المدة والظاهر
انه جعل النحاس لسليمان في معدنه عينا تسيل
كعيون المياه دلالة على نبوته وقال الخليل القطر النحاس
المذاب قلت دليله قراءة من قرا من قطر ان ومن الجن من يعمل
بين يديه باذن ربه اي بامره ومن يزغ منهم عن امرنا الذي
امرناه به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير اي في
الاخرة قاله اكثر المفسرين وقيل ذلك في الدنيا وذلك
ان الله تعالى وكل بهم فيما روى عن السدي ملكا بيده سوط
من نار

من نار فمن زاغ عن امر سليمان ضربه بذلك المسوط ضربه
من حيث لا يراه فاحرقه ومن في موضع نصب بمعنى
وسخرنا له من الجن من يعمل ويجوز ان تكون في موضع
رفع كما تقدم في الريح قوله تعالى يعملون له ما يشا من
محاريب وتماثيل فيه ثمان مسايل الاول قوله تعالى
من محاريب المحاريب في اللغة كل موضع مرتفع وقيل
للذي يصلى فيه محراب لانه يجب ان يرفع ويعظم وقال
الضحاك من محاريب اي من مساجد وكذا قال قتاده وقال
مجاهد المحاريب دون القصور وقال ابو عبيدة المحراب
اشرف بيوت الدار قال وماذا عليه ان ذكرت اوانسا
كغزلان رمل في محاريب اقيال وقال عدي بن زيد
كدمى العاج في المحاريب او كالبيض في الروضة زهره مستنير
وقيل هو ما يرقى اليه بالدرج كالغرفة الحسنة كما قال
تعالى اذ تسوروا المحراب وقوله تعالى فخرج على قومه
من المحراب اي اشرف عليهم وفي الخبر انه امر ان يعمل
حول كرسيه الف محراب فيها الف رجل عليهم المسوح
يصرخون الى الله دايبا وهو على الكرسي في موكبه
والمحاريب حوله ويقول لجنوده اذا ركب سبحوا الله
الى ذلك العلم فاذا بلغوه قال هللوه الى ذلك العلم فاذا

مستنير بيار

بلغوه قال كبر والي دلك العلم الاخر فنلج الجنود بالتسبيح والتهليل
لجة واحدة **الثانية** قوله تعالى وتماثيل جمع تمثال قيل كانت
من زجاج ونحاس ورخام تماثيل اشيا وليست لحيوان وهو
كل ما صوّر على مثل صورة غيره من حيوان او غير حيوان وذكر
انها صور الانبيا عليهم السلام والعلما وكانت تصور في المساجد
ليراها الناس فيزداد واعبادة واجتهادا قال صلى الله عليه وسلم
ان اولئك كان اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا
وصوروا فيه تلك الصور اي ليتذكروا عبادتهم فيجتهدوا
في العبادة وهذا يدل على ان التصوير كان مباحا في ذلك الزمان
ونسخ ذلك بشرع محمد عليه الصلاة والسلام وسياتي لهذا مزيد
بيان في سورة نوح عليه السلام وقيل التماثيل طلسمات
كان يعملها ويحرم على كل مضر ان يتجاوزها فلا يتجاوزها فيعمل
تمثالا للذباب او للبعوض او للتماسيح في مكان ويامرهم
ان لا يتجاوزوه فلا يتجاوزه واحدة ابدا ما دام ذلك التمثال
قايما وواحد التماثيل تمثال بكسر التا قال وياربّ يوم
قد لهوت وليلة بانسة كانها خط تمثال وقيل ان هذه
التماثيل رجال اتخذهم من نحاس وسال ربه ان ينفخ فيها
الروح ليقاتلوا في سبيل الله ولا يحيك فيهم السلاح ويقال
ان اسفنديار كان منهم والله اعلم وروي انهم عملوا له اسد
ين

في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط
الاسدان له دراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما
الثالثة حكى مكي في الهداية له ان فرقة تجوز التصوير وتحتج
بهذه الاية قال ابن عطية وذلك خطا وما احفظ عن احد
من ايمة العلم من يجوزه قلت ما حكاه مكي ذكره النحاس قبله
قال النحاس قال قوم عمل الصور جايز لهذه الاية ولما اخبر
الله جل وعلا عن المسيح وقال قوم قد صح النهي عن النبي صلى
الله عليه وسلم عنها والتوعد لمن عملها او اتخذها فنسخ
الله عز وجل بهذا ما كان مباحا قبله وكانت الحكمة في
ذلك لانه بعث عليه السلام والصور تعبد فكان الاصلح
ازالتها الرابعة التمثال على قسمين حيوان وموات والموات
على قسمين جماد ونام وقد كانت الجن تصنع لسليمان جميعه
لعموم قوله وتماثيل وفي الاسرايليات ان التماثيل من الطير
كانت على كرسي سليمان فان قيل لا عموم لقوله انما العموم
في النفي في النكرة قلنا كذلك هو بيد انه قد اقترن بهذا
الاثبات في النكرة ما يقتضي حمله على العموم وهو قوله ما
يشا فاقتران المشية به يقتضي العموم له فان قيل كيف
استجاز الصور المنهي عنها قلنا كان ذلك جايزا في شرعه
ونسخ ذلك بشرعنا كما بينا والله اعلم وعن ابي العالية لم يكن

الصور اذ ذاك محرما الخامسة مقتضى الاحاديث يدل
على ان الصور ممنوعة ثم جا الا ما كان رقما في ثوب فخص من
جملة الصور ثم تبين الكراهية فيه بقوله عليه السلام
لعايشة في الثوب اخريه عني فاني كلما رايته ذكرت الدنيا
ثم بهتكه الثوب المصور على عايشة منع منه ثم بقطعها له وسادتين
حتى تغيرت الصورة وخرجت عن هيئتها بان جواز ذلك اذا لم تكن
الصورة فيه متصلة الهيئة ولو كانت متصلة الهيئة لم تجز
لقولها في النمرقة المصورة اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها
فمنع منه وتوعد عليه وتبين بحديث الصلاة الى الصور ان
ذلك جائز في الرقم في الثوب ثم نسخه المنع منه وهكذا
استقر الامر فيه والله اعلم قاله ابن العربي السادسة
روى مسلم عن عايشة قالت كان لنا ستر فيه تمثال طاير
وكان الداخل اذا دخل استقبله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حولي هذا فاني كلما دخلت فرايته ذكرت الدنيا
قالت وكانت لنا قطيفة كنا نقول علمها حرير فكنا نلبسها
وعنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا
مستترة بقرام فيه صور فتلون وجهه ثم تناول الستر
وهتكه ثم قال ان من اشد الناس عذابا يوم القيامة الذين
يشبهون بخلق الله عز وجل وعنها انه كان لها ثوب فيه
تصاوير

بهتكه

الخامس

تصاوير يمدلو دالي سهوه فكان النبي صلى الله عليه وسلم
يصلي اليه فقال اخريه عني قالت فاخرته فجعلته وسادتين
قال بعض العلما ويشبه ان يكون تهتكه عليه السلام الثوب
وامره بتاخيره ورعا لان محل النبوة والرسالة الكمال
فتامله المسالة قال المزني عن الشافعي ان دعي رجل
الى عرس فراى صورة ذات روح او صورا ذات ارواح
لم يدخل ان كانت منصوبة وان كانت توطا فلا باس وان
كانت صور الشجر ولم يختلفوا ان التصاوير في الستور
المعلقة مكروهة غير محرمة وكذلك عندهم ما كان خرطا
او نقشا في البنا واستثنى بعضهم ما كان رقما في ثوب
لحديث سهل بن حنيف قلت لعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم المصورين ولم يستثن وقوله ان اصحاب هذه
الصور يعذبون يوم القيامه ويقال لهم احيوا ما
خلقتم ولم يستثن وفي الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول
يخرج عنق من النار يوم القيمة له عينان تبصران واذنان تسمعان
ولسان ينطق يقول اني وكلت بثلاث بكل جبار عنيد وبكل
من دعى مع الله الها اخر وبالمصورين قال ابو عيسى هذا
حديث حسن غريب صحيح وفي البخاري ومسلم عن عبد الله بن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا

يوم القيامة المصورون يدل على المنع من تصوير شي اي شي كان
وقد قال جل وعز ما كان لكم ان تنبتوا شجرها على ما تقدم بيانه فاعلمه
التامنة وقد استثنى من هذا الباب لعب البنات لما ثبت
عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت سبع سنين
وزفت اليه وهي بنت تسع ولعبها معها ومات عنها وهي بنت
ثمان عشرة سنة وعنها ايضا قالت كنت العب بالبنات عند
النبي صلى الله عليه وسلم وكان لي صواحب يلعبن معي وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل يتقمعن منه فيسربهن الي فيلعبن معي
خرجهما مسلم قال العلما وذلك للضروره الى ذلك وحاجة البنات
حتى يتدربن على تربية اولادهن ثم انه لا بقا لذلك وكذلك ما يصنع
من الحلاوة او من العجين لا بقا له فرخص في ذلك والله اعلم
قوله تعالى وجفان كالجواب فيه **الثانية** الجواب جمع
الجابية وهي حفيرة كالحوض وقال مجاهد كحياض الابل وقال
ابن القاسم عن مالك كالجوبة من الارض والمعنى متقارب وكان
يقعد على الجفنة الواحدة الف رجل النحاس وجفان كالجوابي
الاولى ان تكون باليا ومن حذف اليا قال سبيل الالف واللام
ان تدخل على النكرة فلا تغيرها عن حالها فلما كان يقال جواب
ودخلت الالف واللام اقر على حاله فحذف اليا وواحد الجوابي
جابية وهي القدر العظيمة والحوض العظيم الكبير الذي يجبى فيه الشي
اي يجمع

اي تجمع ومنه جبيت الخراج وجبيت الجراد اي جعلت الكسا
تجمعته فيه الا ان لهنا روي عن مجاهد قال الجوابي جمع جوبة   لبنا ما
والجوبه الحفرة الكبيرة تكون في الجبل يكون فيها ما المطر وقال
الكساي جبوت الما في الحوض وجبيته اي جمعته والجابية
الحوض الذي تجبي فيه الما كالابل قال يروح على ال المحلق
جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق ويروى نفا الدم غير
ال المحلق جفنة لجابيه الشيخ ذكره النحاس قوله تعالى
وقدور راسيات قال سعيد بن جبير هي قدور النحاس
تكون بفارس وقال الضحاك هي قدور تعمل من الجبال غيره قد
نحتت من الجبال الصم مما عملت له الشياطين اثافيها منها
منحوتة هكذا من الجبال ومعنى راسيات ثوابت لا تحمل
ولا تحرك لعظمها قال ابن العربي ولذلك كانت قدور عبد الله   عبد الله صح
بن جدعان يصعد اليها في الجاهلية بسلم وعنها عبر طرفه بن العبد
بقوله كالجوابي لا تني مترعة لقري الاضياف او للمحتضر
قال ابن العربي ورايت برباط ابي سعيد قدر الصوفيه
على نحو ذلك فانهم يطبخون جميعا وياكلون جميعا من
غير استيثار واحد منهم على احد قوله تعالى
اعملوا ال داود شكرا وقليل من عبادي الشكور قد مضى
معنى الشكر في البقره وغيرها وروى النبي صلى الله عليه وسلم   شاح

صعد المنبر فقرا هذه الايه ثم قال ثلث من اوتيهن فقد اوتي
مثل ما اوتي ال داود قال فقلنا ما هن فقال العدل في الرضا
والغضب والقصد في الفقر والغنا وخشية الله في السر
والعلانيه خرجه الترمذي الحكيم ابو عبد الله عن عطا بن يسار
عن ابي هريرة وروي ان داود عليه السلام قال يا رب كيف اطيق
شكرك على نعمك والهامي وقدرتي على شكرك نعمة لك فقال
يا داود الان عرفتني وقد مضى هذا المعنى في سورة ابرهيم
وان الشكر حقيقته الاعتراف بالنعمه للمنعم واستعمالها له
في المعصية وقليل من يفعل ذلك لان الخير اقل من الشر والطاعة
اقل من المعصية بحسب سابق التقدير وقال مجاهد لما
قال الله عز وجل اعملوا ال داود شكرا قال داود لسليمان
ان الله عز وجل قد ذكر الشكر فاكفني صلاة النهار اكفك
صلاة الليل قال لا اقدر قال فاكفني قال الفار يا بني اراه قال
قال الى صلاة الظهر قال نعم فكفاه وقال الزهري اعملوا ال
داود شكرا اي قولوا الحمد لله وشكرا نصب على جهة المفعول
اي اعملوا عملا هو الشكر وكان الصلاة والصيام والعبادات
كلها هي في نفسها الشكر اذ سدت مسده ويبين هذا
قوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وهو المراد
بقوله وقليل من عبادي الشكور وقد قال سفيان بن

عيينة

في طاعته صح

والكفران استعمالها صح

بن عيينه في تاويل قوله تعالى ان اشكر لي ان المراد بالشكر
الصلوات الخمس وفي صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل تتفطر حتى
قدماه فقالت له عايشة اتصنع هذا وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا
انفرد باخراجه مسلم فظاهر القرآن والسنة ان الشكر
بعمل الابدان دون الاقتصار على عمل اللسان فالشكر
بالافعال عمل الاركان والشكر بالاقوال عمل اللسان
فاعلم قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور يحتمل
ان يكون مخاطبة لآل داود ويحتمل ان يكون مخاطبة لمحمد
عليه السلام قال ابن عطية وعلى كل وجه ففيه تنبيه
وتحريض وسمع عمر بن الخطاب رجلا يقول اللهم اجعلني من
القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل اردت قوله
تعالى وقليل من عبادي الشكور فقال عمر رضي الله عنه
كل الناس اعلم منك يا عمر وروي ان سليمان عليه السلام
كان ياكل الشعير ويطعم اهله الخشكار ويطعم المساكين
الدرمك وقد قيل انه كان ياكل الرماد ويتوسده والاول
اصح اذ الرماد ليس بقوت وروي انه ما شبع قط فقيل
له في ذلك فقال اخاف ان شبعت ان انسا الجياع وهذا

مطلب شريف

وهذا من الشكر ومن القليل فتامله **قوله تعالى**
فلما قضينا عليه الموت اي فلما حكمنا على سليمان بالموت
حتى صار كالامر المفروغ منه ووقع به الموت ما دلهم
على موته الا دابة الارض تاكل منسأته وذلك انه كان
متكيا على المنساه وهي العصاه بلسان الحبشه في قول
السدي وقيل هي بلغة اهل اليمن ذكره القشيري فمات
كذلك وبقي خافي الحال الى ان سقط ميتا لانكسار العصا
لاكل الارضة اياها فعلم موته بذلك فكانت الارضة
دالة على موته اي سببا لظهور موته وكان سال الله
ان لا يعلموا بموته حتى تمضي عليه سنة واختلفوا في
سبب سواله لذلك على قولين ما قاله قتادة وغيره — احدهما
قال كانت الجن تدعي علم الغيب فلما مات سليمان وخفي
موته عليهم تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب
ما لبثوا في العذاب المهين ابن مسعود اقام حولا والجن
تعمل بين يديه حتى اكلت الارضة منسأته فسقط
ويروى انه لما سقط لم يعلم منذ مات فوضعت
الارضة على العصا فاكلت منها يوما وليلة ثم
حسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وقيل
كان روسا الجن سبعة وكانوا منقادين لسليمان عليه السلام — ثني
وكان

وكان داود اسس بيت المقدس فلما مات وصى الى سليمان
في اتمام مسجد بيت المقدس فامر سليمان الجن به فلما دنا
وفاته قال لاهله لا تخبروهم بموتي حتى يتموا بنا المسجد
وكان بقي لاتمامه سنة وفي الخبر ان ملك الموت كان صديقه
فساله عن اية موته فقال ان تخرج من موضع سجودك شجرة
يقال لها الخروبة فلم يكن يوم يصبح فيه الا نبتت في بيت
المقدس شجرة فيسالها ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا
وكذا فيقول ولاي شي انت فتقول لكذا وكذا فيامر
بها فتقطع ويغرسها في بستان له ويامر بكتب منافعها
ومضارها واسمها وما تصلح له في الطب فبينما هو يصلي
ذات يوم اذ راى شجرة تنبت بين يديه فقال لها ما
اسمك قالت الخروبة قال ولاي شي انت قالت لخراب هذا
المسجد فقال سليمان ما كان الله ليخربه وانا حي انت الذي
على وجهك هلاكي وهلاك بيت المقدس فنزعها وغرسها
في حايطه ثم قال اللهم عم عن الجن موتي حتى تعلم الانس
ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون
من الغيب اشيا وانهم يعلمون ما في غد ثم لبس كفنه
وتحنط ودخل المحراب فقام يصلي واتكى على عصاه على
كرسيه فمات ولم تعلم الجن الى ان مضت سنة وتم بنا بيت

المقدس قال ابو جعفر النحاس وهذا احسن ما قيل في الاية
ويدل على صحته الحديث المرفوع روى ابراهيم بن طهمان
عن عطا بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال كان نبي الله ابن داود اذا صلى راى شجرة
نابتة بين يديه فيسئلها ما اسمك فان كانت لغرس غرست
وان كانت لدواءٍ كتبت فبينما هو يصلي ذات يوم واذا
شجرة نابتة بين يديه فقال ما اسمك قالت الخرنوب فقال
لاي شي انت قالت لخراب هذا البيت قال اللهم عم على الجن
موتي حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فنحتها عصا
فتوكا عليها حولا لا يعلمون فسقطت فعلمت الانس ان
الجن لا يعلمون الغيب فنظروا مقدار ذلك فوجدوه سنة وفي
قراة ابن مسعود وابن عباس تبينت الانس ان لو كان الجن يعلمون
الغيب وقرا يعقوب في رواية رويس تُبُيِّنَت الجن غير مسمى
للفاعل ونافع وابو عمرو تاكل منساته بالف بين السين والتا
من غير همز والباقون بهمزة مفتوحة موضع الالف لغتان الا
ان ابن ذكوان اسكن الهمزة تخفيفا قال الشاعر في ترك الهمز
اذا دببت على المنساة من كبر فقد تباعد عنك اللهو والغزل
وقال اخر فهمز ضربنا بمنساة وجهه فصار بذاك مهينا ذليلا
وقال اخر وقايم قد قام من تكاته كقومة الشيخ الى منساته واصلها
وقال اخر امن اجل حبل لا اباك ضربته بمنساة قد جر حبلك احبلا

معاهم

من

من نسان الغنم اي زجرتها وسقتها فسميت العصا بذلك
لانه يزجر بها الشي ويساق قال طرفة
امون كالواح الاران نسأتها على لاجب كانه ظهر برجد
فسكن همزها قال النحاس واشتقاقها يدل على انها مهموزه
لانها مشتقة من نسأته اي اخرته ودفعته فقيل لها منساة
لانه يدفع بها الشي ويوخر وقال مجاهد وعكرمه هي العصا
ثم قرا منسأته ابدل من الهمزة الفا فان قيل البدل من الهمز
قبيح جدا وانما يجوز في الشعر على بعد وشذوذ وابو
عمرو بن العلا لا يغيب عنه مثل هذا لا سيما واهل المدينة
على هذه القراه فالجواب على هذا ان العرب استعملت في هذه
الكلمه البدل ونطقوا بها هكذا كما يقع البدل في غير
هذا ولا يقاس عليه حتى قال ابو عمرو ولست ادري ممن هو
الا انها غير مهموزه لان ما كان مهموزا فقد يترك همزه
وما لم يكن مهموزا لم يجز همزه بوجه المهدوي ومن قرا
بهمزة ساكنة فهو شاذ بعيد لان ها التانيث لا يكون
ما قبلها الا متحركا او الفا لكنه يجوز ان يكون مما سكن من
المفتوح استخفافا ويجوز ان يكون لما ابدل الهمزة الفا على
غير قياس قلب الالف همزة كما قلبوها ... في قولهم
العألم والخأتم وروي عن سعيد بن جبير من منصوله سأته

المبدل ... (margin)

مهموزة مكسورة التاء فقيل انه من سية القوس في لغة من همزها وقد روى همز سية القوس عن روبة قال الجوهري سية القوس ما عطف من طرفيها والجمع سيات والهاء عوض من الواو والنسبة اليها سيوي قال ابو عبيدة كان روبة يهمز سية القوس وساير العرب لا يهمزونها في دابة الارض قولان احدها انها الارضة قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما وقد قرئ دابة الارض بفتح الراء وهو واحد الارضة ذكره الماوردي الثاني انها دابة تاكل العيدان قال الجوهري والارضة بالتحريك دويبة تاكل الخشب يقال ارضت الخشبة تورض ارضا بالتسكين فهي ماروضة اذا اكلتها **قوله تعالى فلما خر** اي سقط تبينت الجن قال الزجاج اي تبينت الجن موته وقال غيره المعنى تبين امر الجن مثل واسئل القرية وفي التفسير بالاسانيد الصحاح عن ابن عباس قال اقام سليمان بن داود صلى الله عليهما حولا لا يعلم بموته وهو متكئ على عصاه والجن متصرفة فيما كان امرها به ثم سقط بعد حول فلما خر تبينت الانس ان لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين وهذه القراءة عن ابن عباس على جهة التفسير وفي الخبر ان الجن شكرت ذلك للارضة فاينما كانت ياتونها بالماء قال السدي والطين الم تر الى الطين الذي

يكون

الذي يكون في جوف الخشب فانها جماتاتيها بها الشياطين شكرا
وقالت لوكنت تاكلين الطعام والشراب لاتيناك بهما وان
في موضع رفع على البدل من الجن والتقدير تبين امر الجن بحذف
المضاف اي تبين وظهر للانس وانكشف لهم امر الجن انهم
لا يعلمون الغيب وهذا بدل الاشتمال ويجوز ان
يكون في موضع نصب على تقدير حذف اللام ولبثوا
اقاموا والعذاب المهين السخره والحمل والبنيان
وغير ذلك وعمر سليمان ثلثا وخمسين سنه ومدة
ملكه اربعون سنة فملك وهو ابن ثلاث عشرة سنه
وابتدا في بنيان بيت المقدس وهو ابن سبع عشرة سنه
وقال السدي وغيره كان عمر سليمان سبعا وستين سنه
وملك وهو ابن سبع عشرة سنةً وابتدا في بنيان بيت
المقدس وهو ابن عشرين وكان ملكه خمسين سنه وحكى
ان سليمان عليه السلام ابتدا بنيان بيت المقدس في
السنه الرابعه من ملكه وقرب بعد فراغه منه اثنا
عشر الف ثور ومايه وعشرين الف شاه واتخذ اليوم
الذي فرغ فيه من بنايه عيدا وقام على الصخره رافعا
يديه الى الله تعالى بالدعا فقال اللهم انت وهبت لي
هذا السلطان فقويتني على بنا هذا المسجد اللهم

مطلب في عمر سليمان وموته وابتداء ملكه وانتهايه

فاوزعني شكرك على ما انعمت علي وتوفني على ملتك ولا
تزغ قلبي بعد اذ هديتني اللهم اني اسالك لمن دخل هذا
المسجد خمس خصال لا يدخله مذنب دخل للتوبة
الا غفرت له وتبت عليه ولا خايف الا امنته ولا
سقيم الا شفيته ولا فقير الا اغنيته والخامس ان
لا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه الا من
اراد الحادا او ظلما يارب العالمين ذكره الماوردي
قلت وهذا اصح مما تقدم انه لم يفرغ بناوه الا بعد
موته بسنة والدليل على صحة هذا ما اخرجه النسايي
وغيره باسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت
المقدس سال الله خلالا ثلاثا حكما يصادف حكمه
فاوتيه وسال الله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاوتيه
وسال الله حين فرغ من بناية المسجد لا ياتيه احد لا ان
ينهزه الا الصلاة فيه ان يخرج من خطيته كيوم ولدته
امه وقد ذكرنا هذا الحديث في ال عمران وذكرنا بناه
في سبحان والحمد لله قوله تعالى لقد كان لسبا في
مساكنهم اية قرانا فع وغيره بالصرف والتنوين على
انه اسم حي وهو في الاصل اسم رجل جا بذلك التوقيف
عن النبي

بنهزه حاش

بلغ مقابله

عن النبي صلى الله عليه وسلم روى الترمذي قال حدثنا ابو كريب
وعبد بن حميد قالا حدثنا ابو اسامه عن الحسن بن الحكم النخعي
قال ثنا ابو سبرة النخعي عن فروه بن مسيك المرادي قال
اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله الا اقاتل
من ادبر من قومي بمن اقبل منهم فاذن لي في قتالهم وامرني
فلما خرجت من عنده سال عني ما سال الغطيفي فاخبر
اني قد سرت فارسل في اثري فردني فاتيته وهو في نفر
من اصحابه فقال ادع القوم فمن اسلم منهم فاقبل منه ومن لم
يسلم فلا تعجل حتى احدث اليك قال وانزل في سبا ما انزل
فقال رجل يا رسول الله وما سبا ارض او امراة قال ليس بارض
ولا بامراة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم
سته وتشام منهم اربعه فاما الذين تشاموا فلخم وجذام
وغسان وعامله واما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون
وحمير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل يا رسول الله وما
انمار قال الذين هم خثعم وبجيلة وروي في هذا عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو عيسى هذا حديث حسن
غريب وقرا ابن كثير وابو عمرو لسبأ بغير صرف جعله اسما
للقبيلة وهو اختيار ابي عبيد واستدل على انه اسم قبيلة
ان بعده في مساكنهم النحاس ولو كان كما قال لكان في مساكنها

وقد مضى في النمل زيادة لهذا المعنى وقال الشاعر في الصرف
الواردون وتيم في ذرا سبا قد عض اعناقهم جلد الجواميس
وقال اخر في غير الصرف من سبا الحاضرين مارب اذ يبنون من
دون سيله العرما وقرا قنبل وابو حيوة والجحدري لسبأ باسكان
الهمزة في مسكنهم قراءة العامة على الجمع وهي اختيار ابي عبيد
وابي حاتم لان لهم مساكن كثيرة وليس بمسكن واحد وقرا
ابراهيم وحمزة وحفص مسكنهم موحدا الا انهم فتحوا الكاف
وقرا يحيى والاعمش والكسائي موحدا كذلك الا انهم كسروا الكاف
قال النحاس ومساكن في هذا ابين لانه يجمع اللفظ والمعنى فاذا
قلت مسكنهم كان فيه تقديران احدهما ان يكون واحدا يؤدي
عن الجمع والاخر ان يكون مصدرا لا يثنى ولا يجمع كما قال جل وعز
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم فجا بالسمع موحدا
ولذا مقعد صدق ومسكن مثل مسجد خارج عن القياس ولا يوجد
مثله الا سماعا اية اسم كان اي علامة دالة على قدرة الله عز وجل
على ان لهم خالقا خلقهم وان كل الخلايق لو اجتمعوا على ان يخرجوا
من الخشبة ثمرة لم يمكنهم ذلك ولم يهتدوا الى اختلاف اجناس
الثمار والوانها وطعومها وروايحها وازهارها وفي ذلك ما يدل على
انها لا تكون الا من عالم قادر جنتان يجوز ان تكون بدلا من
اية ويجوز ان تكون خبر ابتدا محذوف فيوقف على هذا الوجه
على

علي ايه وليس بتمام قال الزجاج اي الايه جنتان فجنتان رفع
لانه خبر ابتداء محذوف وقال الفراء رفع تفسير للايه ويجوز
ان تنصب ايه علي انها خبر كان ويجوز ان تنصب الجنتين علي
الخبر ايضا في غير القران وقال عبد الرحمن بن زيد ان الايه التي
كانت لاهل سبا في مساكنهم انهم لم يروا فيها بعوضه قط ولا
ذباب ولا برغوث ولا قمله ولا عقرب ولا حيه ولا غيرها
من الهوام واذا جاءهم الركب في ثيابهم القمل والدواب فاذا
نظروا الي بيوتهم ماتت الدواب وقيل ان الايه هي الجنتان
كانت المراه تمشي فيهما وعلي راسها مكتل فيمتلي من انواع
الفواكه من غير ان تمسها بيدها قاله قتاده وروي ان الجنتين
كانتا بين جبلين باليمن قال سفيان وجد فيهما قصران مكتوب
علي احدهما نحن بنينا سالحين في سبعين خريفا دائبين وعلي
الاخر مكتوب نحن بنينا صرواح مقيل ومراح فكانت
احدي الجنتين عن يمين الوادي والاخري عن شماله قال القشيري
ولم يرد جنتين اثنتين بل اراد من الجنتين يمنه ويسره اي
كانت بلادهم ذات بساتين واشجار وثمار تستتر الناس
بظلالها كلوا من رزق ربكم اي قيل لهم كلوا ولم يكن ثم امر ولكنهم
تمكنوا من تلك النعم وقيل اي قالت الرسل لهم قد اباح الله
لكم هذه النعم فاشكروه بالطاعه من رزق ربكم اي من

ثمار الجنتين واشكروا له يعني على ما رزقكم بلدة طيبة
هذا كلام مستانف اي هذه بلدة طيبة اي كثيرة الثمار غير
سبخة وقيل طيبة ليس فيها هوام لطيب هوايها قال مجاهد
هي صنعا ورب غفور اي والمنعم بها عليكم رب غفور يستر
ذنوبكم فجمع لهم بين مغفرة ذنوبهم وطيب بلدهم ولم يجمع
ذلك الجميع خلقه وقيل انما ذكر المغفرة مشيرا الى ان الرزق
قد يكون فيه حرام وقد مضى القول في هذا في البقرة وقيل انما
امتن عليهم بعفوه عن عذاب الاستيصال بتكذيب من كذبوه
من سالف الانبيا الى ان استداموا الاصرار فاستوصلوا

قوله تعالى فاعرضوا يعني عن امره واتباع رسله بعد
ان كانوا مسلمين قال السدي ووهب بعث الى اهل سبا ثلثة
عشر نبيا فكذبوهم قال القشيري وكان لهم رئيس يلقب بالحمار
وكانوا في زمن الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل
كان له ولد فمات فرفع راسه الى السما فبزق وكفر فلهذا يقال
اكفر من حمار وقال الجوهري وقولهم اكفر من حمار هو رجل من
عاد مات له اولاد فكفر كفرا عظيما فلا يمر بارضه احد الا دعاه
الى الكفر فان اجابه والا قتله ثم لما سال السيل بجنتيهم تفرقوا
في البلاد على ما ياتي ولهذا قيل في المثل تفرقوا ايادي سبا
وقيل الاوس والخزرج منهم فارسلنا عليهم سيل العرم العرم

فيما

فيما روي عن ابن عباس السد فالتقدير سيل السد العرم
وقال عطا العرم اسم الوادي قتاده العرم وادي سبا كان يجتمع
اليه مسايل من الاوديه من البحر واودية اليمن فردموا ردما
بين جبلين وجعلوا في ذلك الردم ثلثة ابواب بعضها فوق
بعض فكانوا يسقون من الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث
على قدر حاجاتهم فاخصبوا وكثرت اموالهم فلما الذبوا الرسل
سلط الله عليهم الفار فنقب الردم فقال وهب كانوا يزعمون
انهم يجدون في علمهم وكهانتهم انه يخرب سدهم فارة فلم يتركوا
صخرة بين صخرتين الا ربطوا الى جانبها هرة فلما جا ما اراد
الله بهم اقبلت فارة حمرا الى بعض تلك الهرر فساورتها حتى
استاخرت عن الجحرة ثم وثبت ودخلت في الفرجة التي كان
عندها وثقبت السد حتى اوهنته للسيل وهم لا يدرون
فلما جا السيل دخل تلك الخلل حتى بلغ السد وفاض الماعلى
اموالهم فغرقها ودفن بيوتهم وقال الزجاج العرم اسم
الجرذ الذي نقب السكر عليهم وهو الذي يقال له الخلد وقاله
قتاده ايضا فنسب السيل اليه لانه سببه وقد قال ابن
الاعرابي ايضا العرم من اسما الفار وقال مجاهد وابن ابي نجيح
العرم ما احمر ارسله الله تعالى في السد فشقه وهدمه
وعن ابن عباس ايضا ان العرم المطر الشديد وقيل العرم

بسكون الراء وعن الضحاك كانوا في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما
السلام وقال عمرو بن شرحبيل العرم المسناه وقاله الجوهري
وقال ولا واحد لها من لفظها ويقال واحدها عرمة وقال محمد
بن يزيد العرم كل شي حاجز بين شيين وهو الذي يسمى السكر
وهو جمع عرمة النحاس وما يجتمع من مطر بين جبلين وفي وجهه
مسناه فهو العرم والمسناه هي التي يسميها اهل مصر الجسر
وكانوا يفتحونها اذا شاوا فاذا رويت جنتاهم سدوها قال
الهروي المسناه الضفيرة تبنى للسيل ترده سميت مسناه
لان فيها مفاتح الما وروي ان العرم سد بنته بلقيس صاحبة
سليمان عليه السلام وهو المسناه بلغة حمير بنته بالصخر والقار
وجعلت له ابوابا ثلثة بعضها فوق بعض وهو مشتق من
العرامة وهي الشرة يقال رجل عارم اي شديد وعرمت العظم
اعرمه واعرمه اذا عرقته ولذلك عرمت الابل الشجر اي
نالت منه والعرام بالضم العراق من العظم والشجر وتعرمت
العظم تعرقته وصبي عارم بين العرام بالضم اي شرس وقد عرم
يعرم ويعرم عرامة بالفتح والعرم العارم عن الجوهري **قوله**
تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط بغير تنوين
مضافا قال اهل التفسير والخليل الخمط الاراك الجوهري الخمط
ضرب من الاراك له حمل يوكل وقال ابو عبيده هو كل شجر
ذي

وقرا ابو عمرو اكل خمط

له [illegible]

ذي شوك فيه مرارة الزجاج كل نبت فيه مرارة لا يمكن اكله
المبرد الخمط كل ما تغير الى ما لا يشتهى واللبن خمط اذا حمض والاولى
عنده في القراة ذواتي اكل خمطٍ بالتنوين على انه نعت لاكلٍ او
بدل منه لان الاكل هو الخمط بعينه عنده فاما الاضافة
فباب جوازها ان يكون تقديرها ذواتي اكل حموضةٍ او اكل   حموضة
مرارة وقال الاخفش والاضافة احسن في كلام العرب
نحو قولهم ثوب خزٍ والخمط اللبن الحامض وذكر ابو عبيد ان
اللبن اذا ذهب عنه حلاوة الحلب ولم يتغير طعمه فهو سامط
وان اخذ شيا من الريح فهو خامط وخميط فان اخذ شيا
شيا من طعم فهو ممحل فاذا كان فيه طعم الحلاوة فوهة   فهو
وتخمط الفحل هدر وتخمط فلان اي تغضب وتكبر وتخمط
البحر اي التطم وخمطت الشاة اخمطها خمطًا اذا نزعت
جلدها وشويتها فهو سميط والخمطة الخمر التي قد اخذت
ريح الادراك كريح التفاح ولم تدرك بعد ويقال هي الحامضة
قاله الجوهري وقال القتبي في ادب الكاتب يقال للحامضة
خمطة ويقال الخمطة التي قد اخذت شيا من الريح وانشد
عقار كماء الني ليست بخمطة ولا خلة يكوي الشروب شهابها
الاثل قال الفرا هو شبيه بالطرفا الا انه اعظم منه طولا
ومنه اتخذ منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وللاثل اصول

غليظه يتخذ منها يتخذ منه الابواب وورقه كورق الطرفا الواحد
أثلة والجمع اثلاث وقال الحسن الاثل الخشب قتاده هو ضرب من
الخشب يشبه الطرفا راينه بفيد وقيل هو السمر وقال ابو عبيده
هو شجر النضار وشي من سدر قليل قال الفرا هو السمر ذكره النحاس
وقال الازهري السدر من الشجر سدران بري لا ينتفع به ولا يصلح
ورقه للغسول وله ثمر عفص لا يوكل وهو الذي يسمى الضال والثاني
سدر ينبت على الماء وثمره النبق وورقه غسول يشبه شجر
العناب قال قتاده بينما شجر القوم من خير شجر اذ صيره الله
من شر الشجر باعمالهم فاهلك اشجارهم المثمره وانبت بدلها
الاراك والطرفا والسدر القشيري واشجار البوادي لا يسمى جنة
وبستانا ولكن لما وقعت الثانيه في مقابلة الاولى اطلق لفظ
الجنه وهو كقوله تعالى وجزا سيية سيية مثلها ويحتمل ان يرجع
قوله قليل الى جمله ما ذكر من الخمط والاثل والسدر قوله
تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا اي هذا التبديل جزا كفرهم وموضع
ذلك نصب اي جزيناهم ذلك بكفرهم وهل نجازي الا الكفور قراه
العامه يجازى بياء مضمومة وزاي مفتوحة الكفور الكفور
رفعا على ما لم يسم فاعله وقرا يعقوب وحفص حمزه والكساي
نجازي بالنون وكسر الزاي الكفور بالنصب اختاره ابو عبيد
وابو حاتم قالا لان قبله جزيناهم ولم يقل جوزوا النحاس والامر
في هذا

بلغ

ابو عبيد

السادس

في هذا واسع والمعنى فيه بين ولو قال قايل خلق الله ادم صلى الله عليه وسلم
من طين وقال اخر خلق ادم من طين لكان المعنى واحدا مسئلة
في هذه الايه سوال ليس في السوره اشد منه وهو ان يقال لم خص
المجازاة بالكفور ولم يذكر اصحاب المعاصي فتكلم العلما في هذا
فقال قوم ليس نجازي بهذا الجزا الذي هو الاصطلام والاهلاك
الا من كفر وقال مجاهد نجازي يعني نعاقب وذلك ان المومن
يكفر الله عنه سياته والكافر نجازي بكل سوء عمله فالمومن يجزا
ولا يجازي لانه لا يثاب وقال طاوس هو المناقشة في الحساب
واما المومن فلا يناقش الحساب وقال قطرب خلاف هذا
جعلها في اهل المعاصي غير الكفار وقال المعنى على من كفر بالنعم وعمل
بالكبابر النحاس واولى ما قيل في هذه الايه واجل ما روى فيها
ان الحسن قال مثلا بمثل وعن عايشة قالت سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول من حوسب هلك فقلت يا نبي الله فاين قوله
تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال انما ذلك العرض ومن
نوقش الحساب هلك وهذا اسناد صحيح وشرحه ان الكافر
يكافا على اعماله ويحاسب عليها ويحبط ما عمل من خير ويبين
هذا قوله جل وعز في الاول ذلك جزيناهم بما كفروا وفي الثاني
وهل نجازي ومعنى نجازي نكافا بكل عمل ومعنى جزيناهم
وفيناهم وهذا حقيقة اللغه وان كان جازي يقع بمعنى جزى

مجازًا قوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى
ظاهرةً قال الحسن يعني بين اليمن والشام والقرى التي بورك فيها الشام
والاردن وفلسطين والبركة قيل انها كانت اربعة الاف وسبع مائة
قرية بورك فيها بالشجر والثمر والماء ويحتمل ان يكون باركنا فيها بكثرة
العدد قرى ظاهرة قال ابن عباس يريد بين المدينة والشام وقال
قتادة معنى ظاهرةً متصلةً على الطريق يغدون فيقيلون في
قريةٍ ويروحون فيبيتون في قريةٍ وقيل كان على كل قريةٍ
سوق وهو سبب امن الطريق قال الحسن كانت المراة تخرج
معها مغزلها وعلى راسها مكتلها ثم تلتهي بمغزلها فلا تاتي بيتها حتى
يمتلي مكتلها من كل الثمار فكان ما بين الشام واليمن كذلك وقيل
ظاهرةً اي مرتفعةً قاله المبرد وانما قيل لها ظاهرةً لظهورها
اي اذا خرجت من هذه ظهرت لك الاخرى فكانت قرى ظاهرةً
اي معروفة يقال هذا امر ظاهر اي معروف وقدرنا فيها السير
اي جعلنا السير بين قراهم وبين القرى التي باركنا فيها سيرًا مقدرًا
من منزل الى منزل ومن قريةٍ الى قريةٍ الغرا اي جعلنا بين
كل قريتين نصف يوم يكون المقيل في قريةٍ والمبيت في اخرى
وانما يبالغ الانسان في السير لعدم الزاد والماء ولخوف الطريق
فاذا وجد الزاد والماء والامن لم يحمل على نفسه المشقة ونزل اينما
اراد سيروا فيها اي وقلنا لهم سيروا فيها اي في هذه المسافة

امر بياد

فهي

فهو امر تمكين اي كانوا يسيرون فيها الى مقاصدهم اذا
ارادوا امنين فهو امر بمعنى الخبر وفيه اضمار القول ليالي
واياما ظرفان امنين نصب على الحال وقيل ليالي واياما
بلفظ النكرة تنبيها على قصر اسفارهم اي كانوا لا يحتاجون
الى طول السفر لوجود ما يحتاجون اليه قال قتادة كانوا
يسيرون غير خائفين ولا جياع ولا ظما كانوا يسيرون مسيرة
اربعة اشهر في امان لا يحرك بعضهم بعضا ولو لقي الرجل قاتل
ابيه لم يحركه قوله تعالى فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا
لما بطروا وطغوا وسئموا الراحة ولم يصبروا على العافية
تمنوا طول الاسفار والكدح في المعيشة كقول بني اسرائيل
ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها الاية وكالنضر
بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء فاجابه الله تعالى وقتل يوم بدر بالسيف
صبرا فكذلك هؤلاء تبددوا في الدنيا ومزقوا كل ممزق
وجعل بينهم وبين الشام فلوات ومفاوز يركبون فيها
الرواحل ويتزودون الازواد وقراءة العامة ربنا بالنصب
على انه نداء مضاف وهو منصوب لانه مفعول به لان معناه
ناديت ودعوت باعد سالوا المباعدة في اسفارهم
وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن محيصن وهشام عن ابن عامر

ربنا كذلك على الدعا بعّد من التبعيد النحاس وباعد وبعّد واحد
في المعنى كما تقول قارب وقرّب وقرا ابو صالح ومحمد بن الحنفيه وابو
العاليه ونصر بن عاصم ويعقوب ويروى عن ابن عباس ربنا رفعا
باعد بفتح العين والدال على الخبر تقديره لقد باعد ربنا بين اسفارنا
كان الله تعالى يقول قربنا لهم اسفارهم فقالوا اشرا وبطرا لقد
بوعدت علينا اسفارنا واختار هذه القراة ابو حاتم
قال لانهم ما طلبوا التبعيد انما طلبوا اقرب من ذلك القرب بطرا
وعجبا مع كفرهم وقراة يحيى بن يعمر وعيسى بن عمر وتروى عن
ابن عباس ربنا بعّد بين اسفارنا بتشديد العين من غير الف
وفسرها ابن عباس قال شكوا ان ربهم باعد بين اسفارهم وقراة
سعيد بن ابي الحسن اخو الحسن البصري ربنا بعد بين اسفارنا
ربنا نداء مضاف ثم اخبر وابعد ذلك فقالوا بعد بين اسفارنا
ورفع بين بالفعل اي بعد ما يتصل باسفارنا وروى الفرا
وابو اسحق قراة سادسه مثل التي قبلها في ضم العين الا انك
التي تنصب بين على انه ظرف وتقديره في العربيه بعد سيرنا
بين اسفارنا النحاس وهذه القرآت اذا اختلفت معانيها
لم يجز ان يقال احدها اجود من الاخرى كما لا يقال ذلك
في اخبار الاحاد اذا اختلفت معانيها ولكن خبر عنهم
انهم دعوا ربهم ان يبعد بين اسفارهم بطرا واشرا وخبر
عنهم

وخبّر عنهم انهم لما فعل ذلك بهم خبّروا به وشكوا كما قال
ابن عباس وظلموا انفسهم اي بكفرهم فجعلناهم احاديث
ومزقناهم كل ممزق اي لما لحقهم ما لحقهم تفرقوا وتمزقوا
قال الشعبي فلحقت الانصار بيثرب وغسان بالشام
والاسد بعمان وخزاعة بتهامة وكانت العرب تضرب بهم
المثل فتقول تفرقوا ايدي سبا وايادي سبا اي مذاهب
سبا وطرقها ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور الصبار
الذي يصبر عن المعاصي وهو تكثير صابر يمدح بهذا الاسم
فان اردت انه صبر عن المعصية لم يستعمل فيه الاصبار
عن كذا شكور لنعمه وقد مضى هذا المعنى في البقرة
قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فيه اربع قراآت
قرا ابو جعفر وشيبة ونافع وابو عمرو وابن كثير وابن عامر
ويروى عن مجاهد ولقد صدق بالتخفيف ابليس بالرفع
ظنه بالنصب اي في ظنه قال الزجاج وهو على المصدر
اي صدق عليهم ظنا ظنه اذ صدق في ظنه فنصب على
المصدر او على الظرف وقال ابو علي ظنه نصب لانه
اي صدق الظن الذي ظنه اذ قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم
وقال لاغوينهم اجمعين ويجوز تعدية الصدق الى المفعول
به ويقال صدق الحديث اي في الحديث وقرا ابن عباس

اي تحدث باخبارهم وتقديره في العبرة ذوي احاديث

والبصري

بضعف

ويحيى بن وثاب والاعمش وعاصم وحمزة والكساي صدّق
بالتشديد ظنه بالنصب بوقوع الفعل عليه قال مجاهد
ظن ظنا فكان كما ظن فصدق ظنه وقرا ابو جعفر بن محمد
وابو الهجهاج صدق عليهم بالتخفيف ابليس بالنصب
ظنه بالرفع قال ابو حاتم لا وجه لهذه القراة عندي والله
اعلم وقد اجاز هذه القراه الفرا وذكرها الزجاج وجعل
الظن فاعل صدق وابليس مفعول به والمعنى ان ابليس
سوّل له ظنه فيهم شيا فصدق ظنه فكانه قال ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه وعلى متعلقه بصدق كما تقول صدقت
عليك فيما ظننته بك ولا تتعلق بالظن لاستحالة تقدم شي
من الصله على الموصول والقراة الرابعه ولقد صدق عليهم
ابليس ظنه برفع ابليس والظن مع التخفيف في صدق
على ان يكون ظنه بدلا من ابليس وهو بدل الاشتمال ثم قيل
هذا في اهل سبا اي كفروا وغيروا وبدلوا بعد ان كانوا
مسلمين الا قوما امنوا برسلهم وقيل هذا عام اي صدق
ابليس ظنه على الناس كلهم الا من اطاع الله قاله مجاهد
وقال الحسن لما اهبط ادم من الجنه ومعه حوا وهبط
ابليس قال ابليس اما اذا اصبت من الابوين ما اصبت فالذريه
اضعف واضعف وكان ذلك ظنا من ابليس فانزل الله

ولقد

ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقال ابن عباس ان ابليس قال
خلقت من نار وخلق ادم من طين والنار تحرق كل شي لاحتنكن
ذريته الا قليلا فصدق ظنه عليهم وقال زيد بن اسلم ان ابليس
قال يا رب ارايت هولاء الذين كرمتهم وشرفتهم وفضلتهم علي
لا تجد اكثرهم شاكرين ظنا منه فصدق عليهم ظنه فاتبعوه
قال الحسن ما ضربهم بسوط ولا بعصا وانما ظن ظنا وكان
كما ظن بوسوسته الا فريقا من المومنين نصب على الاستثنا
وفيه قولان احدهما انه يراد به بعض المومنين لان كثيرا من
المومنين من يذنب وينقاد لابليس في بعض المعاصي اي ما
سلم من المومنين ايضا الا فريق وهم المعني بقوله ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان فاما ابن عباس فعنه انه قال هم المومنون
كلهم فمن على هذا للتبيين لا للبعض فان قيل كيف علم ابليس صدق
ظنه وهو لا يعلم الغيب قيل له لما نفذ له في ادم ما نفذ غلب
على ظنه انه ينفذ له مثل ذلك في ذريته وقد وقع له تحقيق
ما ظن وجواب اخر وهو انه ما اجيب من قوله تعالى واستفزز
من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك فاعطي
القوه والاستطاعه فظن انه يملكهم كلهم بذلك فلما راى انه
تاب على ادم وانه سيكون له نسل يتبعونه الى الجنه وقال
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين

فعلم أن له تبعاً ولآدم تبعاً فظن أن تبعه أكثر من تبع آدم لما
وضع في يديه من سلطان الشهوات ووضعت الشهوات في
أجواف الآدميين فخرج على ما ظن حيث نفخ فيهم وزين في أعينهم
تلك الشهوات وصدهم إليها بالأماني والخدايع فصدق عليهم
الظن الذي ظنه والله أعلم **قوله تعالى** وما كان له عليهم
من سلطان أي لم يقهرهم إبليس على الكفر وإنما كان منه
الدعاء والتزيين والسلطان القوة وقيل الحجة أي لم تكن لهم
حجة يستتبعهم بها وإنما اتبعوه بشهوة وتقليد وهوى
نفس لا الذي يقع به الثواب والعقاب وأما الغيب فقد علمه
جل وعز ومذهب القراء يكون المعنى إلا لنعلم ذلك عندهم كما
قال أين شركاءي أي على قولكم وعندكم وليس قوله إلا لنعلم
بجواب وما كان له عليهم من سلطان في ظاهره إنما هو محمول
على المعنى أي وما جعلنا له عليهم سلطاناً إلا لنعلم فإلا استثناء
منقطع أي لا سلطان له عليهم ولكنا ابتليناهم بوسوسته
لنعلم فإلا بمعنى لكن وقيل هو متصل أي ما كان له عليهم من سلطان
لقوله تعالى كنتم خير أمة وقيل لما اتصل طرق منه بقصة
سبا قال وما كان لإبليس على أولئك الكفار من سلطان وقيل
وما كان له في قضايانا السابق سلطان عليهم وقيل إلا لنعلم
إلا لنظهر وهو كما تقول النار تحرق الحطب فيقول آخر

لا بد

[illegible]

لا بل الحطب يحرق النار فيقول الاول تعالى حتى نجرب النار
والحطب لنعلم ايهما يحرق صاحبه اي ليظهر ذلك وان كان
معلوما لهم ذلك وقيل الا لنعلموا انتم وقيل اي ليعلم اولياونا
والملائكة كقوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله
ورسوله اي يحاربون اولياء الله ورسوله وقيل اي ليميز كقوله تعالى
ليميز الله الخبيث من الطيب وقد مضى هذا المعنى في البقرة
وغيرها وفسر الزهري الا ليعلم على ما لم يسم فاعله وربك
على كل شي حفيظ اي انه عالم بكل شي وقيل يحفظ كل
شي على العبد حتى يجازيه عليه قوله تعالى قل ادعوا
الذين زعمتم من دون الله اي هذا الذي مضى ذكره من امر
داود وسليمان وقصة سبا من اثار قدرتي فقل يا محمد
لهولاء المشركين هل عند شركائكم قدرة على شي من ذلك
وهذا خطاب توبيخ وفيه اضمار اي ادعوا الذين زعمتم
انهم الهة لكم من دون الله لينفعكم او ليدفع عنكم ما
قضاه الله عز وجل عليكم فانهم لا يملكون ذلك ولا يملكون
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك
وما له منهم من ظهير اي ما لله من هولاء من معين على خلق
شي بل الله المتفرد بالايجاد فهو الذي يعبد وعبادة
غيره محال قوله تعالى ولا تنفع الشفاعة اي شفاعة

مطلب موعظة

الملائكة وغيرهم عنده اي عند الله الا لمن اذن له قراءة
العامة أذن بفتح الهمزة لذكر الله جل وجل اولا وقرا
ابو عمرو وحمزة والكسائي أُذن بضم الهمزة على ما لم يسم
فاعله والآذن هو الله جل وعز ومن يجوز ان يرجع
الى الشافعين ويجوز ان يرجع الى المشفوع لهم حتى اذا
فزع عن قلوبهم قال ابن عباس خلى عن قلوبهم الفزع
قطرب اخرج ما فيها من الخوف مجاهد كشف عن قلوبهم
الغطا يوم القيامة اي ان الشفاعة لا تكون من احد
من هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والانبيا
والاصنام الا ان الله يأذن للملائكة والانبيا في الشفا
وهم على غاية الفزع من الله كما قال تعالى وهم من خشيته
مشفقون والمعنى انه اذا اذن لهم في الشفاعة
وورد عليهم كلام الله فزعوا لما يعتريهن تلك الحال
من الامر الهايل والخوف فلن يقع تقصير ما اذن لهم فيه
تقصير فاذا سري عنهم قالوا للملائكة فوقهم وهم الذين
يوردون عليهم الوحي بالاذن ماذا قال ربكم اي ماذا
امر الله فيقولون لهم قال الحق وهو ان اذن لكم في الشفاعة
للمؤمنين وهو العلي الكبير فله ان يحكم في عباده بما يريد
ثم يجوز ان يكون هذا اذنا لهم في الدنيا في شفاعة اقوام

ويجوز

ويجوز ان يكون في الاخرة وفي الكلام اضمار اي ولا تنفع
الشفاعة عنده الا لمن اذن له ففزع لما ورد عليه من
الاذن تهيبا لكلام الله جل وعز حتى اذا ذهب الفزع
عن قلوبهم اجاب بالانقياد وقيل هذا الفزع يكون اليوم
للملائكة في كل امر يأمر به الرب تعالى اي لا تنفع الشفاعة
الا من الملائكة الذين هم فزعون اليوم مطيعون لله تعالى
دون الجمادات والشياطين وفي صحاح الترمذي عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله في
السما امرا ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانها
سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ما
ذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قال والشياطين
بعضهم فوق بعض قال حديث حسن صحيح وقال النواس
بن سمعان قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اذا اراد
ان يوحي بالامر تكلم بالوحي اخذت السموات منه رجفة
ورعدة شديدة خوفا من الله تعالى فاذا سمع اهل
السموات ذلك صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اول من يرفع
راسه جبريل فيكلمه الله ويقول له من وحيه ما اراد
ثم يمر جبريل بالملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها
ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل قال الحق وهو

خضعانا

يومئذ دون الشياطين

اوامر

فيكلمه

العلي الكبير قال فيقول كلهم كما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي حيث
امره الله تعالي وذكر البيهقي عن ابن عباس في قوله تعالي حتى اذا
فزع عن قلوبهم قال كان لكل قبيلة من الجن مقعد من السما يستمعون
منه الوحي وكان اذا نزل الوحي يسمع له صوت كامرار السلسلة
على الصفوان فلا ينزل على اهل سماء الا صعقوا فاذا فزع عن
قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ثم يقول يكون
العام كذا ويكون كذا فتسمعه الجن فيخبرون الكهنة به والكهنة
الناس يكون كذا وكذا فيجدونه كذلك فلما بعث الله محمدا صلى الله
عليه وسلم دحروا بالشهب فقالت العرب حين لم تخبرهم الجن
بذلك هلك من في السماء فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا
وصاحب البقر ينحر كل واحد بقرة وصاحب الغنم شاة
حتى اسرعوا في اموالهم فقالت ثقيف وكانت اعقل العرب
ايها الناس امسكوا على اموالكم فانه لم يمت من في السما وان هذا
ليس بانتثار النجم ترون معالمكم من النجوم كما هي والشمس
والقمر والليل والنهار قال فقال ابليس لقد حدث في الارض
اليوم حدث فاتوني من تربة كل ارض فاتوه بها فجعل يشمها
فلما شم تربة مكة قال من ها هنا جا الحدث فنصتوا فاذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وقد مضى هذا المعنى
مرفوعا مختصرا في سورة الحجر ومضى القول ايضا في

رميهم

رميهم بالشهب واحراقهم بها ويأتي في سورة الجن بيان
ذلك ان شا الله تعالى وقيل انما يفزعون من قيام الساعه
قال الكلبي وكعب كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام فترة
خمس مايه وخمسون لا يجي فيها الرسل فلما بعث الله محمدا سنة
صلى الله عليه وسلم كلم الله جبريل بالرساله فلما سمعت الملايكه
الكلام ظنوا انها الساعه قد قامت فصعقوا مما سمعوا فلما
انحدر جبريل جعل يمر بكل سماء فيكشف عنهم فيرفعون روسهم
ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فلم يدروا ما قال ولكنهم
قالوا قال الحق وهو العلي الكبير وذلك ان محمدا عند اهل السموات
من اشراط الساعة وقال الضحاك ان الملايكه المعقبات
الذين يختلفون الى اهل الارض يكتبون اعمالهم يرسلهم الرب
تبارك وتعالى فاذا انحدروا سمع لهم صوت شديد فيحسب
الذين هم اسفل من الملايكه انه من امر الساعه فيخرون سجدا
ويصعقون حتى يعلموا انه ليس من امر الساعه وهذا تنبيه من
الله تعالى واخبار ان الملايكه مع اصطفايهم ورفعتهم لا يمكنهم
ان يشفعوا لاحد حتى يوذن لهم فاذا اذن لهم وسمعوا
صعقوا وكان هذه حالهم فكيف تشفع الاصنام او كيف
يوملون الشفاعة ولا يعترفون بالقيمة وقال الحسن
وابن زيد ومجاهد حتى اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين

قال مجاهد والحسن بن زيد في الاخرة عند نزول الموت اقامة
للحجة عليهم قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا قالوا الحق
فاقروا حين لا ينفعهم الاقرار قالوا قال الحق وقراءة العامة فُزِّعَ
عن قلوبهم مسمى الفاعل وفاعله ضمير يرجع الى اسم الله عز وجل
والمعنى في القراءتين ازيل الفزع عن قلوبهم حسب ما تقدم
بيانه ومثله اشكاه اذا ازال عنه ما يشكوه وقرا الحسن
فَزَعَ مثل قراءة العامة الا انه خفف الزاي والجار والمجرور
في موضع رفع ايضا وهو كقولك انصرف عن كذا الى كذا معنى وكذا
فُرِّغَ بالراء والغين المعجمة والتخفيف غير مسمى الفاعل رويت
عن الحسن ايضا وقتادة وعنهما ايضا فرَّغ بالراء والغين
المعجمة مسمى الفاعل والمعنى فرّغ الله قلوبهم اي كشف عنها
اي فرغها من الفزع والخوف والى ذلك يرجع البنا للمفعول
على هذه القراءة وعن الحسن ايضا فُرِّغَ قوله تعالى قل من
يرزقكم من السموات والارض لما ذكر ان الهتهم لا يملكون مثقال
ذرة مما تقدر عليه الرب قرر ذلك فقال قل يا محمد للمشركين
من يرزقكم من السموات والارض اي من يخلق لكم هذه الارزاق
الكائنة من السموات اي عن المطر والشمس والقمر والنجوم
وما فيها من المنافع والارض اي الخارجة من الارض عن الماء والنبات
اي لا يمكنهم ان يقولوا هذا فعل الهتنا فيقولون لا ندري فقل
ان الله

ان الله يفعل ذلك الذي يعلم ما في نفوسكم وان قالوا الله يرزقنا
فقد تقررت الحجة فان الله ينبغي ان يعبد وانا واياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين هذا على وجه الانصاف في الحجة كما يقول القايل
احدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وان صاحبه كاذب والمعنى
ما نحن وانتم على امر واحد بل على امرين متضادين واحد
الفريقين مهتد وهو نحن والاخر ضال وهو انتم فكذبهم باحسن
من تصريح التكذيب والمعنى انتم الضالون حين اشركتم بالذي
يرزقكم من السموات والارض واياكم معطوف على اسم ان ولو
عطف على الموضع لكان او انتم ويكون لعلى هدى للاول لا غير
واذا قلت او اياكم كان للثاني اولى وحذفت من الاول وهو وتحو ذا و
اختيار المبرد قال ومعناه معنى قول المستبصر لصاحبه على
صحة الوعيد والاستظهار بالحجة الواضحة احدنا كاذب
وقد عرف المعنى كما تقول انا افعل كذا وتفعل انت كذا واحدنا
مخطي وقد عرف انه المخطي وهكذا انا واياكم لعلى هدى او
في ضلال مبين واو عند البصريين على بابها وليست للشك لكنها
على ما تستعمله العرب في مثل هذا اذ لم يرد المخبر ان يبين
وهو عالم بالمعنى وقال ابو عبيدة والفرا هي بمعنى الواو
وتقديره وانا على هدى واياكم لفي ضلال مبين وقال جرير
اثعلبة الفوارس او رياحا عدلت بهم طهية والربابا
يعني اثعلبة ورياحا وقال اخر فلما اشتد باس الحرب فينا

تاملنا ربا حالا ورزاما اي وزرا اما قوله تعالى قل لا تسئلون
عما اجرمنا اي اكتسبنا ولا نسئل نحن ايضا عما تعملون اي انما اقصد
بما ادعوكم اليه الخير لكم لا انه ينالني ضرر كفركم وهذا كما
قال تعالى لكم دينكم ولي دين والله مجازي الجميع وهذه اية مهادنة
ومتاركة وهي منسوخة بالسيف وقيل نزل هذا قبل اية السيف
قوله تعالى قل يجمع بيننا ربنا في يوم القيامة ثم يفتح
بيننا بالحق اي نقضي فيثيب المهتدي ويعاقب الضال وهو
الفتاح اي القاضي بالحق العليم باحوال الخلق وهذا كله منسوخ
باية السيف قوله تعالى قل اروني الذين الحقتم به شركاء
يكون اروني هنا من روية القلب فيكون شركا المفعول الثالث اي
عرفوني هذه الاصنام والاوثان التي جعلتموها شركا لله عز وجل
هل شاركت في خلق شي فبينوا ما هي والا فلم تعبد ونها
ويجوز ان يكون من روية البصر فيكون شركا حالا كلا اي
ليس الامر كما زعمتم وقيل ان كلا رد لجوابهم المحذوف كانه قال
اروني الذين الحقتم به شركا قالوا هي الاصنام فقال كلا اي
ليس له شركا بل هو الله العزيز الحكيم قوله تعالى
وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا اي وما ارسلناك
الا للناس كافة اي عامة ففي الكلام تقديم وتاخير وقال
الزجاج اي وما ارسلناك الا جامعا للناس بالانذار والابلاغ

والكافة

والكافة بمعنى الجامع وقيل معناه كافيا للناس يكفهم عما هم
فيه من الكفر وتدعوهم الى الاسلام والها للمبالغة وقيل اي
الا كافة بحذف المضاف اي ذا منع للناس من ان يشذوا
عن تبليغك او ذا منع لهم من الكفر ومنه كف الثوب لانه ضم
طرفيه بشيرا اي بالجنة لمن اطاع ونذيرا من النار لمن كفر
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ما عند الله وهم المشركون وكانوا
في ذلك الوقت اكثر من المومنين عددا ويقولون
متى هذا الوعد يعني موعدكم لنا بقيام الساعة ان كنتم
صادقين فقال الله تعالى قل يا محمد لكم ميعاد يوم لا تستاخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون فلا يغرنكم تاخره والميعاد
الميقات وفي هذا الميعاد وقت البعث وقيل وقت
حضور الموت اي لكم قبل يوم القيامة وقت معين
تموتون فيه فتعلمون حقيقة قولي وقيل اراد بهذا
اليوم يوم بدر لان ذلك اليوم كان ميعاد عذابهم في الدنيا
في حكم الله تعالى واجاز النحويون ميعاد يوم على ان يكون
ميعاد ابتدا ويوم بدلا منه والخبر لكم واجازوا ميعاد
يوما يكون ظرفا ويكون الهاء في عنه ترجع الى يوم ولا يصح
ميعاد يوم لا تستاخرون بغير تنوين واضافة يوم
الى ما بعده اذا قدرت الهاء عايدة على اليوم لان ذلك

ويعني بهذا ... في

يكون من اضافة الشي الى نفسه من اجل انها التي في الجملة
ويجوز ذلك على ان تكون انها للميعاد لا لليوم **قوله**
تعالى وقال الذين كفروا يريد كفار قريش لن نومن
بهذا القران ولا بالذي بين يديه قال سعيد عن قتاده
ولا بالذي بين يديه من الكتب والانبيا عليهم السلام
وقيل من الاخره وقال ابن جريج قايل ذلك ابو جهل بن
هشام وقيل ان اهل الكتاب قالوا للمشركين صفة محمد
في كتابنا فسالوه فلما سالوه فوافق ما قال اهل الكتاب
قال المشركون لن نومن بهذا القران ولا بالذي قبله
من التوراة والانجيل بل نكفر بالجميع وكانوا قبل ذلك
يراجعون اهل الكتاب ويحتجون بقولهم فظهر بهذا تناقضهم
وقلة علمهم ثم اخبر الله تعالى عن حالهم فيما لهم فقال ولو
ترى يا محمد اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اي محبوسون
في موقف الحساب يراجعون الكلام فيما بينهم باللوم
والعتاب بعد ان كانوا في الدنيا اخلا متناصرين وجواب
لو محذوف اي لرايت امرا هايلا فظيعا ثم ذكر اي
شي يرجع من القول بينهم فقال يقول الذين استضعفوا
في الدنيا من الكافرين للذين استكبروا وهم القادة
والروسا لولا انتم لكنا مومنين اي اغويتمونا واضللتمونا

فظهر بذلك

واللغة

واللغة الفصيحة لولا انتم ومن العرب من يقول لولا كم
حكاها سيبويه يقول لولا يخفض المضمر ويرتفع المظهر
بعدها بالابتدا ويحذف خبره ومحمد بن يزيد يقول لا
يجوز لولاكم لان المضمر ايضا مرفوعا قال الذين
استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن
الهدى هو استفهام بمعنى الانكار اي ما رددناكم
نحن عن الهدى ولا اكرهناكم بعد اذ جاكم بل كنتم
مجرمين اي مشركين مصرين على الكفر وقال الذين
استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار
المكر اصله في كلام العرب الاحتيال والخديعة وقد
مكر به يمكر فهو ماكر ومكار قال الاخفش هذا
فهو على تقدير هذا مكر الليل والنهار قال النحاس
وهذا والله اعلم بل مكركم بالليل والنهار صدنا
فاضيف المكر اليهما لوقوعه فيهما وهو كقوله تعالى
ان اجل الله اذا جا لا يوخر فاضاف
الاجل الى نفسه ثم قال فاذا جا اجلهم لا يستاخرون
ساعة اذا كان الاجل لهم وهذا من قبيل قولك ليله
قايم ونهاره صايم قال المبرد اي بل مكركم الليل والنهار
كما تقول العرب نهاره صايم وليله قايم وانشد لجرير

عقيب المظهر فلما ه ر المظهر مرفوعا الا خالع وجب ان يكون الضمير

لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ونمت وما ليل المطى بنائم
وانشد سيبويه فنام ليلي وتجلى همي اى نمت فيه ونظيره
والنهار مبصرًا وقرا قتادة بل مكرٌ الليلَ والنهارَ
بتنوين مكر ونصب الليلِ والنهارِ والتقدير بل مكر
كاين في الليل والنهار فحذف وقرا سعيد بن جبير بل مكرُّ
بفتح الكاف وشد الرا بمعنى الكرور وارتفاعه بالابتداء
والخبر محذوف ويجوز ان يرتفع بفعل مضمر دل عليه الخبر
صددناكم كانهم لما قالوا لهم انحن صددناكم عن الهدى قالوا
بل صدنا مكر الليل والنهار وروى عن سعيد بن جبير بل مكر
الليل والنهار قال مر الليل والنهار عليهم فغفلوا وقيل طول
السلامة فيهما كقوله تعالى فطال عليهم الامدُ وقرا راشد بل
مكرَ الليل والنهار بالنصب كما تقول رايته مقدمَ الحاج وانما
يجوز هذا فيما يعرف لو قلت رايته مُقدَّم زيد لم يجز
ذكره النحاس اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادًا
اى اشباهًا وامثالًا ونظراً قال محمد بن يزيد ندٌ فلانٍ فلانٌ
اى مثله ويقال نديد وانشد اينما تجعلون الى ندًا وما
يتم لذى حسب نديد وقد مضى هذا في البقره واسروا
الندامة اى اظهروها وهو من الاضداد يكون بمعنى الاخفاء
والابداء قال امرؤ القيس تجاوزت احراسا واهوال معشر
على

على حاصل لو يبسرون مغتلي ه وروي يشرون وقيل واسروا **السابع**
الندامة اي تبينت الندامه في اسرار وجوههم وقيل الندامة
لا تظهر وانما تكون في القلب وانما تظهر ما يتولد عنها
حسب ما تقدم بيانه في سورة يونس وال عمران وقيل
اظهارهم للندامة قولهم فلو ان لنا كرة فنكون من المومنين
وقيل اسروا الندامه فيما بينهم ولم يجهروا القول بها
كما قال تعالى واسروا الندامة لما راوا العذاب وجعلنا
الاغلال في اعناق الذين كفروا الاغلال جمع غل يقال
في رقبته غل من حديد ومنه قيل للمراة السيئة الخلق
غل قمل واصله ان الغل كان يكون من قد وعليه شعر فيقمل
وغللت يده الي عنقه وقد غل فهو مغلول يقال ماله ال وغل
والغل ايضا والغلة ايضا حرارة العطش وكذلك الغليل يقال منه
غل الرجل يغل غللا فهو مغلول على ما لم يسم فاعله عن الجوهري
اي جعلت الجوامع في اعناق التابعين والمتبوعين قيل من غير هولاء
الفريقين وقيل يرجع الذين كفروا اليهم وقيل تم الكلام عند قوله
لما راوا العذاب ثم ابتدا فقال وجعلنا الاغلال بعد ذلك في اعناق
سائر الكفار هل يجزون الا ما كانوا يعملون **قوله تعالي**
وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها قال قتاده
اي اغنياوها ورؤساوها وجبابرتها وقادة الشر للرسل

انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا اي فضلنا
عليكم بالاموال والاولاد ولو لم يكن ربكم راضيا بما نحن عليه
من الدين والفضل لم يخولنا ذلك وما نحن بمعذبين لانه من احسن
اليه فلا يعذبه فرد الله عليهم قولهم وما احتجوا به من الغنى
فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان ربي يبسط الرزق لمن
يشا اي يوسعه ويقدر اي يقتر اي ان الله هو الذي يفاضل
بين عباده في الارزاق امتحانا لهم فلا يدل شي من ذلك على ما
في العواقب فسعة الرزق في الدنيا لا تدل على سعادة الاخره
فلا تظنوا اموالكم واولادكم تغني عنكم غدا شيا ولكن اكثر الناس
لا يعلمون هذا لانهم لا يتاملون ثم قال تاكيدا وما اموالكم
ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى قال مجاهد اي قربى والزلفة
القربة وقال الاخفش اي ازلافا وهو اسم للمصدر فيكون موضع
قربى نصبا كانه قال بالتي تقربكم عندنا زلفى وزعم الفرا ان التي
تكون للاموال والاولاد جميعا وله قول اخر وهو مذهب ابي
اسحق الزجاج يكون المعنى وما اموالكم بالتي تقربكم عندنا زلفى
ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ثم حذف خبر الاول لدلالة
الثاني عليه وانشد الفرا نحن بما عندنا وانت بما عندك راض
والراي مختلف ويجوز في غير القران باللتين وباللاتي وباللواتي وبالذي
للاولاد خاصة اي لا تزيدكم الاموال عندنا رفعة ودرجة

وبالذين

ولا

ولا تقربكم تقريبا الا من امن وعمل صالحا قال سعيد بن جبير المعنى
الا من امن وعمل فلن يضره ماله وولده في الدنيا وروى ليث عن
طاوس انه كان يقول اللهم ارزقني الايمان والعمل وجنبني المال
والولد فاني سمعت فيما اوحيت وما اموالكم ولا اولادكم بالتي
تقربكم عندنا زلفي الا من امن وعمل صالحا قلت قول طاوس
فيه نظر والمعنى والله اعلم جنبني المال والولد المطغين او
الذين لا خير فيهما فاما المال الصالح والولد الصالح للرجل الصالح
فنعم هذا وقد مضى هذا في ال عمران ومريم والفرقان ومن في
موضع نصب على الاستثنا المنقطع اي لكن من امن وعمل
صالحا فايمانه وعمله يقربانه مني وزعم الزجاج انه في موضع
نصب بالاستثنا على البدل من الكاف والميم التي في تقربكم
النحاس وهذا القول غلط لان الكاف والميم للمخاطب فلا يجوز
البدل ولو جاز هذا لجاز رايتك زيدا وقول ابي اسحق هذا هو
قول الفراء الا ان الفرا لا يقول بدل لانه ليس من لفظ الكوفيين
ولكن قوله يؤول الى ذلك وزعم ان مثله الا من اتى الله بقلب سليم
يكون منصوبا عنده بينفع واجاز الفرا ان تكون من في موضع
رفع بمعنى ما هو الا من امن كذا قال ولست احصل معناه
فاولئك لهم جزا الضعف بما عملوا يعني قوله من جا بالحسنة
فله عشر امثالها فالضعف الزيادة اي لهم جزا الاضعاف

صالحا

فالضعف في معني الجمع واضافة الجزا الى الضعف كاضافة الشئ
الى نفسه نحو حق اليقين وصلاة الاولى اي لهم الجزا المضعف
للواحد عشرة الى ما يريد الله من الزيادة وبهذه الاية استدل
من فضل الغني على الفقر وقال محمد بن كعب ان المومن اذا كان غنيا
اتاه الله اجره مرتين بهذه الاية وهم في الغرفات امنون قراة
العامة جزا الضعف بالاضافة وقرا الزهري ويعقوب ونصر بن
عاصم جزاً منونًا الضعفُ رفعًا اي فاوليك لهم الضعف جزاً على
التقديم والتاخير وجزاً الضعف على انه جاز والضعف وجزاً
الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزا وقرا الجمهور
ايضا في الغرفات على الجمع وهو اختيار ابي عبيد لقوله
تعالى لنبوينهم من الجنة غرفًا وقرا الاعمش ويحيى بن
وثاب وحمزه وخلف في الغرفة على التوحيد لقوله
تعالى اوليك يجزون الغرفة والغرفة قد يراد بها اسم
الجمع واسم الجنس قال ابن عباس هي غرف من ياقوت
وزبرجد ودر وقد مضى بيان ذلك امنون من العذاب
والموت والاسقام والاحزان والذين يسعون في
اياتنا اي في ابطال ادلتنا وحججنا وكتابنا معاجزين
معاندين يحسبون انهم يفوتوننا بانفسهم فاوليك
في العذاب محضرون اي في جهنم تحضرهم الزبانية فيها

قوله تعالى قل

قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشا من عباده ويقدر
له كرر تاكيدا وما انفقتم من شي فهو يخلفه اي قل
يا محمد لهولاء المغترين بالاموال والاولاد ان الله توسع
على من يشا ويضيق على من يشا فلا تغتروا بالاموال
والاولاد بل انفقوها في طاعة الله تعالى وما انفقتم
في طاعة الله فهو يخلفه وفيه اضمار اي فهو يخلفه عليكم
يقال اخلف له واخلف عليه اي يعطيكم خلفه وبدله
وذلك البدل اما في الدنيا واما في الاخرة وفي صحيح مسلم
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما
اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا وفيه ايضا
عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله
تعالى قال لي انفق انفق عليك الحديث وهذه اشارة
الى الخلف في الدنيا بمثل المنفق فيها اذا كانت النفقة في
طاعة الله وقد لا يكون الخلف في الدنيا فيكون كالدعا
كما تقدم سوا في الاجابة او التكفير او الادخار والادخار
ها هنا مثله في الاجر مسئلة روى الدارقطني وابو
احمد بن عدي عن عبد الحميد الهلالي عن محمد بن المنكدر
عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف

هامش: بمعنى قل ما له كرر

صدقه وما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقه
وما وقى الرجل به عرضه صدقه وما انفق الرجل من نفقة
فعلى الله خلفها الا ما كان من نفقة في بنيان او معصية
قال عبد الحميد قلت لابن المنكدر ما وقى الرجل عرضه
قال يعطي الشاعر وذا اللسان عبد الحميد وثقه ابن
معين **قلت** اما ما انفق في معصية فلا خلاف انه غير
مثاب عليه ولا مخلوف له واما البنيان فما كان منه ضروريا
يكن الانسان ويحفظه فذلك مخلوف عليه وما جوز بنيانه
وذلك لحفظ بنيته وستر عورته قال صلى الله عليه وسلم ليس
لابن ادم حق في سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب
يواري عورته وجلف الخبز والماء وقد مضى هذا في
الاعراف مستوفى **قوله تعالى** وهو خير الرازقين
لما كان يقال في الانسان انه يرزق عياله والامير
جنده قال وهو خير الرازقين والرازق من المخلوق
يرزق لكن ذلك من مال يملك عليهم ثم ينقطع والله تعالى
والله تعالى يرزق من خزائن لا تفنى ولا تتناهى ومن
اخرج من عدم فهو الرازق على الحقيقة كما قال تعالى
ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين **قوله تعالى**
ويوم نحشرهم جميعا هذا متصل بقوله ولو ترى اذ
الظالمون

الظالمون موقوفون اي لو تراهم في هذه الحالة لرايت
امرا فظيعًا والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو
وامته ثم قال ولو تراهم ايضًا يوم نحشرهم جميعًا العابدين
والمعبودين اي نجمعهم للحساب ثم نقول للملايكة اهاولاء
اياكم كانوا يعبدون قال سعيد عن قتاده هذا استفهام
كقوله عز وجل لعيسى أانت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله قال النحاس فالمعنى ان الملايكه صلى الله
عليهم اذا اكذبتهم كان في ذلك تبكيت لهم فهو استفهام
توبيخ للعابدين قالوا سبحانك اي تنزيهًا لك انت ولينا
من دونهم اي انت ربنا الذي نتولاه ونطيعه ونعبده
ونخلص في العباده له بل كانوا يعبدون الجن اي يطيعون
ابليس واعوانه وفي التفاسير ان حيًا يقال له بنو مليح
من خزاعه كانوا يعبدون الجن ويزعمون ان الجن تتراءا
لهم وانهم ملايكه وانهم بنات الله وهو قوله تعالى وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبًا **قوله تعالى** فاليوم لا يملك
بعضكم لبعض نفعًا اي شفاعه ونجاة ولا ضرًا اي عذابًا
وهلاكًا وقيل اي لا تملك الملايكه دفع ضر عن عابديهم
فحذف المضاف ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار
التي كنتم بها تكذبون تجوز ان يقول الله لهم او الملايكه

ذوقوا **قوله تعالى** واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعني
القران قالوا ما هذا الا رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم
يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباوكم اي اسلافكم من الالهة
التي كانوا يعبدونها وقالوا ما هذا الا افك مفترى يعنون
القران اي ما هو الا كذب مختلق وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم
ان هذا الا سحر مبين فتارة قالوا سحر وتارة قالوا افك ويحتمل
ان يكون منهم من قال سحر ومنهم من قال افك **قوله تعالى** وما
اتيناهم من كتب يدرسونها اي لم يقرؤوا في كتاب اوتوه بطلان
ما جيت به ولا سمعوه من رسول بعث اليهم كما قال تعالى
ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم
وجه متشبث به ولا شبهة متعلق كما يقول اهل الكتاب
وان كانوا مبطلين نحن اهل كتاب وشرايع ومستندون الى رسل
من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله الحق وكذب الذين من
قبلهم اي كذب قبلهم اقوام كانوا اشد من هولاء بطشا واكثر
اموالا واولادا واوسع عيشا فاهلكتهم كثمود وعاد وما
بلغوا معشار ما اتينا تلك الامم والمعشار والعشر سوا
لغتان وقيل المعشار عشر العشر الجوهري ومعشار الشي
عشره ولا يقولون هذا في شي سوى العشر وقيل ما بلغ الذين
من قبلهم معشار شكر ما اعطيناهم حكاه النقاش وقيل ما
اعطي

اي بلغوا هولاء

اعطى الله تعالى من قبلهم معشار ما اعطاهم من العلم والبيان
والحجة والبرهان قال ابن عباس فليس امة اعلم من امته ولا
كتاب ابين من كتابه وقيل المعشار هو عشر العشير والعشير
عشر العشر فيكون جزءا من الف جزء الماوردي وهو الاظهر
لان المراد به المبالغة في التقليل فكذبوا رسلي فكيف كان نكيري اي
عقابي في الامم وفيه محذوف وتقديره فاهلكناهم فكيف كان
نكيري قوله تعالى قل انما اعظكم بواحدة تمم الحجة على
المشركين اي قل لهم يا محمد انما اعظكم اي اذكركم واحذركم
بسوء عاقبة ما انتم فيه بواحدة اي بكلمة واحدة مشتملة
على جميع الكلام تقتضي نفي الشرك واثبات الالاه قال مجاهد
هي لا اله الا الله وهذا قول ابن عباس والسدي وعن مجاهد
ايضا بطاعة الله وقيل بالقران لانه يجمع كل المواعظ وقيل التقدير
بخصلة واحدة ثم بينها بقوله ان تقوموا لله مثنى وفرادى
فيكون ان في موضع خفض على البدل من واحدة او في موضع
رفع على اضمار مبتداء اي هي ان تقوموا ومذهب الزجاج
انها في موضع نصب بمعنى لان تقوموا وهذا القيام معناه
القيام الى طلب الحق لا القيام الذي هو ضد القعود وهو كما
يقال قام فلان بامر كذا اي لوجه الله والتقرب اليه وكما قال
تعالى وان تقوموا لليتامى بالقسط مثنى وفرادى اي وحدانا

ومجتمعين قاله السدي وقيل منفردًا برايه ومشاورًا لغيره
وهذا قول ماثور وقال القتبي مناظرًا مع غيره ومفكرًا في نفسه
وكله متقارب ويحتمل رابعًا ان المثنى عمل النهار والفرادى عمل الليل
لانه في النهار معان وفي الليل وحيد قاله الماوردي وقيل انما قال
مثنى وفرادى لان الذهن حجة الله تعالى على عباده وهو العقل
فاوفرهم عقلا اوفرهم حظا من الله فاذا كانوا فرادى كانت
فكرة واحدة واذا كانوا مثنى تقابل الذهنان فتراءا من العلم لهما
ما اضعف على الانفراد ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة الوقف
عند ابي حاتم وابن الانباري على ثم تتفكروا وقيل ليس هو بوقف
لان المعنى ثم تتفكروا هل جربتم على صاحبكم كذبا او رايتم منه
جنة او في احواله من فساد او اختلف الى احد ممن يدعي
العلم بالسحر او تعلم الاقاصيص وقرا الكتب او عرفتموه
بالطمع في اموالكم او تقدرون على معارضته في سورة
واحدة فاذا عرفتم بهذا الفكر صدقه فما بال هذه المعاندة
ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد وفي صحيح مسلم
عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الايه وانذر عشيرتك الاقربين
ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف
قالوا محمد فاجتمعوا اليه فقال يا بني فلان يا بني فلان يا بني فلان

يا بني

اليه

يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب فاجتمعوا فقال ارايتكم لو
اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا
ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
قال فقال ابو لهب لعنه الله تبا لك لما جمعتنا الا لهذا ثم قام
فنزلت هذه الايه تبت يدا ابي لهب وقد تب كذا قرا
الاعمش الى اخر السوره قوله تعالى قل ما سالتكم
من اجر اي جعل على تبليغ الرساله فهو لكم اي ذلك الجعل
ان كنت سالتكموه ان اجري الا على الله وهو على كل شي شهيد
اي رقيب وعالم وحاضر لاعمالي واعمالكم لا يخفى عليه شي فهو
يجازي الجميع قوله تعالى قل ان ربي يقذف بالحق اي
يبين الحجة ويظهرها قال قتادة بالحق اي بالوحي وعنه
الحق القران وقال ابن عباس اي يقذف الباطل بالحق علام
الغيوب وقرا عيسى بن عمر علام الغيوب على انه بدل
اي قل ان ربي علام الغيوب يقذف بالحق قال الزجاج والرفع
من وجهين على الموضع لان الموضع موضع رفع او على البدل
مما في يقذف النحاس وفي الرفع وجهان اخران يكون خبرا
بعد خبر ويكون على اضمار مبتدا وزعم الفرا ان الرفع
في مثل هذا اكثر في كلام العرب اذا اتى بعد خبر ان ومثله
ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وقرئ الغيوب معا بالحركات

الثلث فالغيوب بالرفع والخفض كالبيوت والغيوب بالنصب
كالصبور وهو الامر الذي غاب وخفي جدا قوله تعالى
قل جا الحق قال سعيد عن قتاده يريد القران النحاس
والتقدير جا صاحب الحق اي الكتاب الذي فيه البراهين
والحجج وما يبدي الباطل قال قتاده الشيطان اي ما يخلق
الشيطان احدا وما يبعد فما نفي ويجوز ان يكون استفهاما
بمعنى اي شي اي جا الحق فاي شي بقي للباطل حتى يعيده
ويبديه اي فلم يبق منه شي كقوله تعالى فهل ترى لهم من
باقيه اي لا ترى قوله تعالى قل ان ضللت فانما اضل
على نفسي وذلك ان الكفار قالوا تركت دين
اباءك فضللت فقال له قل يا محمد ان ضللت كما تزعمون
فانما اضل على نفسي وقراه العامه ضللت بفتح
اللام وقرا يحيى بن وثاب وعبيد قل ان ضللت بكسر
اللام وفتح الضاد من اضل والضلال والضلاله ضد
الرشاد وقد ضللت بفتح اللام اضل بكسر الضاد
قال الله تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي
وهذه لغة نجد وهي الفصيحه واهل العاليه يقولون
ضللت بالكسر اضل اي اثم ضلالتي على نفسي وان اهتديت
فبما يوحي الي ربي من الحكمة والبيان انه سميع قريب اي

سميع

سميع قريب اي سميع ممن دعاه قريب الاجابه وقيل
وجه النظم قل ان ربي يقذف بالحق ويبين الحجه
وضلال من ضل لا يبطل الحجه ولو ضللت لاضررت
بنفسي لا انه يبطل حجه الله واذا اهتديت فذلك فضل
الله اذ ثبتني علي الحجه انه سميع قريب قوله تعالى
ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت ذكر احوال الكفار في
وقت ما يضطرون فيه الى معرفه الحق والمعنى لو ترى
اذ فزعوا في الدنيا عند نزول الموت او غيره من
باس الله تعالى بهم روى معناه عن ابن عباس الحسن
هو فزعهم في القبور من الصيحه وعنه ان ذلك الفزع
انما هو اذا اخرجوا من قبورهم وقاله قتاده وقال
ابن معقل اذا عاينوا عقاب الله جل جلاله يوم القيامه
السدي هو فزعهم يوم بدر حين ضربت اعناقهم
بسيوف الملايكه فلم يستطيعوا فرارا ولا رجوعا
الى التوبه سعيد بن جبير هو الجيش الذي يخسف بهم
في البيدا فيبقى منهم رجل فيخبر الناس بما لقي اصحابه
فيفزعوا فهذا هو فزعهم فلا فوت فلا نجاة قاله
ابن عباس مجاهد فلا مهرب واخذوا من مكان قريب
قتب ~~ومنهم~~ هذا اي من القبور وقيل من حيث كانوا

فهم من الله قريب لا يبعدون عنه ولا يفوتونه وقال
ابن عباس نزلت في ثمانين الفا يغزون في اخر الزمان
الكعبه ليخربونها فكلما يدخلون البيدا الخسف بهم فهو
الاخذ من مكان قريب قلت وفي هذا المعنى خبر مرفوع
عن حذيفه وقد ذكرناه في كتاب التذكره قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فتنة تكون بين
اهل المشرق واهل المغرب فبيناهم كذلك اذ خرج عليهم
السفياني من الوادي اليابس في فوره ذلك حتى ينزل
دمشق فيبعث جيشين جيشا الى المشرق وجيشا
الى المغرب فيصير الجيش نحو المشرق حتى ينزلوا بارض
بابل في المدينة والبقعة الخبيثة يعني مدينة بغداد قال
فيقتلون اكثر من ثلاثة الاف ويفتضون اكثر من مايه امراه
ويقتلون بها ثلثمايه كبش من اولاد العباس ثم يخرجون
متوجهين الى الشام فتخرج راية مهدي من بني العباس
ثم يخرجون متوجهين الكوفه فتلحق ذلك
الجيش منها على ليلتين فيقتلوهم لا يفلت منهم مخبر
ويستنقذون ما في ايديهم من السبي والغنايم ويحل
جيشه الثاني المدينه فينتهبونها ثلثة ايام ولياليها
ثم يخرجون متوجهين الى مكه حتى اذا كانوا بالبيدا

بعث

بلغ

(في الهامش:) بارض العراق ويفترعون بها اكثر من مايه امراه ويقتلون بها اكثر من ...

بعث الله جبريل عليه السلام فيقول يا جبريل اذهب
فابدهم فيضرب بها برجله ضربة يخسف الله بهم وذلك قوله
تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان
قريب فلا يبقى منهم الا رجلان احدهما بشير والاخر
نذير وهما من جهينه ولذلك جا القول وعند جهينة
الخبر اليقين وقيل اخذوا من مكان قريب اي قبضت
ارواحهم في اماكنها فلم يمكنهم الفرار من الموت
وهذا على قول من يقول هذا الفزع عند النزع و
الذي هو بمعنى الاجابة يقال فزع الرجل اذا اجاب
الصارخ الذي يستغيث به اذا نزل به خوف ومنه
اذ قال للانصار انكم لتقلون عند الطمع وتكثرون
عند الفزع ومن قال اراد الخسف والقتل في الدنيا
كيوم بدر قال اخذوا في الدنيا قبل ان يوخذوا في
الاخره ومن قال هو فزع يوم القيامه قال اخذوا
من بطن الارض الى ظهرها وقيل اخذوا من مكان
قريب من جهنم فالقوا فيها **قوله تعالى** وقالوا
امنا به اي بالقران وقال مجاهد بالله عز وجل الحسن
بالبعث قتادة بالرسول عليه السلام وانا لهم
التناوش من مكان بعيد قال ابن عباس والضحاك

التناوش المرجعة اي يطلبون المرجعة الى الدنيا ليومنوا
وهيهات من ذلك ومنه قول الشاعر تمنى ان توب
الى مي وليس الى تناوشها سبيل وقال السدي هي
التوبة اي طلبوها وقد بعدت لانه انما تقبل التوبة
في الدنيا وقيل التناوش التناول قال ابن السكيت
يقال للرجل اذا تناول رجلا ليأخذ براسه ولحيته
اي تناول ما الحوض من فوق ويشرب شربا كثيرا
وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج الى ماء
اخر قال ومنه المناوشة في القتال وذلك اذا
تدانى الفريقان ورجل نووش اي ذو بطش والتناوش
التناول والانتياش مثله قال الراجز كانت تنوش
العنق انتياشا وقوله تعالى وانى لهم التناوش من
مكان بعيد يقول انى لهم تناول الايمان في الاخرة
وقد كفروا به في الدنيا وقرا ابو عمرو والكسائي والاعمش
وحمزة وانى لهم التناوش بالهمز النحاس وابو عبيد
يستبعد هذه القراءة لان التناؤش بالهمز البعد
فكيف يكون وانى لهم البعد من مكان بعيد قال ابو
جعفر والقراءة جايزة حسنة ولها وجهان في كلام
العرب ولا يتناول بها هذا التناول البعيد فاحد
الوجهين

الوجهين ان يكون الاصل غير مهموز ثم همزت وفي المصحف
الذي نقلته الجماعة عن الجماعة واذا الرسل اقتت والاصل
وقتت لانه مشتق من الوقت ويقال في جمع دار ادور
والوجه الاخر ذكره ابو اسحق قال يكون مشتقا من التنش
وهو الحركة في ابطا اي من اين لهم الحركة فيما قد بعد يقال
ناشت الشي اخذته من بعد والنيش الشي البطي قال
الجوهري التناوش بالهمز التاخر والتباعد وقد ناشت
الامر اناشه ناشا اخرته فانتاش ويقال فعله نئيشا
اي اخيرا قال الشاعر تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد
حدثت بعد الامور امور وقال اخر فعدت زمانا عن
طلابك للعلا وجئت نئيشا بعد ما فاتك الخبر وقال الفرا
الهمز وترك الهمز في التناوش متقارب مثل ذمت الرجل
وذأمته اي عبته من مكان بعيد اي من الاخرة وروى ابو
اسحق التميمي عن ابن عباس وانى لهم قال الرد سالوه وليس
بحين رد

قوله تعالى

وقد كفروا به اي بالله وقيل بمحمد من قبل يعني
في الدنيا ويقذفون بالغيب العرب تقول لكل من يتكلم بما لا
يحقه هو يقذف ويرجم بالغيب من مكان بعيد على جهة
التمثيل لمن يرجم ولا يصيب اي يرمون بالظن فيقولون

لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار رجما منهم بالظن قاله قتادة
وقيل يقذفون اي يرمون في القران فيقولون سحر وشعر واساطير
الاولين وقيل في محمد فيقولون ساحر شاعر كاهن مجنون
من مكان بعيد اي ان الله بعّد لهم ان يعلموا صدق محمد وقيل
اراد البعد عن القلب اي من مكان بعيد عن قلوبهم وقرا مجاهد
ويُقذفون بالغيب غير مسمى الفاعل اي يرمون به وقيل يقذف
به اليهم من يغويهم ويضلهم قوله تعالى وحيل بينهم وبين
ما يشتهون قيل حيل بينهم وبين النجاة من العذاب وقيل حيل
بينهم وبين ما يشتهون في الدنيا من اموالهم واهليهم ومذهب
قتادة ان المعنى انهم كانوا يشتهون لما راوا العذاب ان يقبل
منهم ان يطيعوا الله عز وجل وينتهوا الى ما يامرهم به الله فحيل
بينهم وبين ذلك لان ذلك انما كان في الدنيا وقد زال الكلف في ذلك
والاصل حُوِل فنقلت حركة الواو على الحاء فانقلبت ياء
ثم حذفت حركتها لثقلها كما فعل باشياعهم الاشياع جمع
شيع وشيع جمع شيعة من قبل اي بمن مضى من القرون
السالفة الكافرة انهم كانوا في شك من امر الرسل والبعث
والجنة والنار وقيل في الدين والتوحيد والمعنى واحد
مريب اي من اراب الرجل اي صار ذا ريبة فهو مريب
ومن قال هو من الريب الذي هو الشك والتهمة قال يقال
شك

شكل مريب كما يقال عجب عجيب وشعر شاعر في التاكيد

سورة فاطر مكية في قول الجميع وهي خمس واربعون

ايه بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الحمد لله فاطر السموات

والارض يجوز في فاطر ثلثة اوجه الخفض على النعت والرفع

على اضمار مبتدا والنصب على المدح وحكى سيبويه الحمد لله اهل

الحمد وكذا جاعل الملائكة والفاطر الخالق وقد مضى في يوسف

وغيرها والفطر الشق عن الشيء ويقال فطرته فانفطر

ومنه فطر ناب البعير طلع فهو بعير فاطر وتفطر الشي

تشقق وسيف فطار اي فيه تشقق قال عنترة وسيفي

كالعقيقة فهو كمعي سلاحي لا افل ولا فطارا والفطر

الاختراع قال ابن عباس كنت لا ادري ما فاطر السموات

والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بير فقال احدهما

انا فطرتها اي انا ابتداتها والفطر حلب الناقة بالسبابة

والابهام والمراد بذكر السموات والارض العالم كله ونبه

بهذا على ان من قدر على الابتدا قادر على الاعادة جاعل

الملائكة لا يجوز فيه التنوين لانه لما مضى رسلا مفعول

ثان ويقال على اضمار فعل لان فاعلا اذا كان لما مضي

لم يعمل فيه شيئا واعماله على انه مستقبل حذف التنوين

منه تخفيفا وقرا الضحاك الحمد لله فطر السموات والارض

على الفعل الماضي جاعل الملايكة رسلا الو رسل منهم جبريل وميكايل
واسرافيل وملك الموت صلى الله عليهم اجمعين وفسر الحسن جاعل
الملايكة بالرفع وقراخليد بن نشيط جعل الملايكة وذلك ظاهر
اولي اجنحة نعت اي اصحاب اجنحة مثنى وثلث ورباع اي
اثنين اثنين وثلثة ثلثة واربعة اربعة قال قتادة بعضهم له
جناحان وبعضهم ثلثة وبعضهم اربعة ينزل بها من السماء
الى الارض ويعرجون من الارض الى السما وهي مسيرة كذا في
وقت واحد اي جعلهم رسلا قال يحيى بن سلام الى الانبيا
وقال السدي الى العباد برحمة او نقمة وفي صحيح مسلم عن
ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم راى جبريل عليه السلم
له ست ماية جناح وعن الزهري ان جبريل عليه السلام قال
له يا محمد لو رايت اسرافيل ان له لاثني عشر الف جناح منها
جناح بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش لعلى كاهله
وانه في الاحايين ليتضاءل لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع
والوصع العصفور الصغير حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته
واولوا اسم جمع لذو كما ان هولاء اسم جمع لذا ونظيرهما
في المتمكنة المخاض والخلفة وقد مضى الكلام في مثنى وثلاث
ورباع في النسا وانه غير منصرف يزيد في الخلق ما يشا
اي في خلق الملايكة في قول اكثر المفسرين ذكره المهدوي
وقال الحسن

الثامن

وقال الحسن يزيد في الخلق اي في اجنحة الملايكة ما يشا وقال
الزهري وابن جريج يعني حسن الصوت وقد مضى الكلام فيه
في مقدمة الكتاب وقال الهيثم الفارسي رايت النبي صلى الله
عليه وسلم في منامي فقال انت الهيثم الذي تزين القران
بصوتك جزاك الله خيرا وقال قتادة يزيد في الخلق ما يشا
الملاحة في العينين والحسن في الانف والحلاوة في الفم
وقيل الخط الحسن وقال مهاجر الكلاعي قال النبي صلى الله عليه
وسلم الخط الحسن يزيد الكلام وضوحا وقيل الوجه الحسن
والشعر الحسن ذكره القشيري النقاش هو الشعر الجعد وقيل
العقل والتمييز وقيل العلوم والصنايع ان الله على كل شي قدير
من الزيادة والنقصان الزمخشري والاية مطلقة تتناول
كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام
في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة
في الراي وجراة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة
في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تاني في مزاولة
الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به وصف قوله
تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها واجاز
النحويون في غير القران فلا ممسك له على لفظ ما ولها
على المعنى واجازوا وما يمسك فلا مرسل لها واجازوا

ما يفتح الله للناس من رحمة بالرفع تكون يكون ما بمعنى
الذي اي ان الرسل بعثوا رحمة للناس فلا يقدر
على ارسالهم غير الله وقيل ما ياتيهم به من مطر او رزق
فلا يقدر احد ان يمسكه وما يمسك من ذلك فلا يقدر
احد على ان يرسله وقيل هو الدعا قاله الضحاك وابن عباس
من توبة وقيل من توفيق وهداية قلت ولفظ الرحمة
يجمع ذلك اذ هي منكرة للاشاعة والابهام فهي متناولة
لكل رحمة على البدل فهو عام في جميع ما ذكر وفي الموطا
مالك انه بلغه ان ابا هريرة كان يقول اذا اصبح وقد مطر
الناس مطرنا بنوء الفتح ثم يتلوا هذه الاية ما يفتح الله
للناس من رحمة الاية وهو العزيز الحليم تقدم **قوله تعالى**
يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم معنى هذا الذكر الشكر
هل من خالق غير الله يجوز في غير القران الرفع والنصب
والخفض فالرفع من وجهين احدهما بمعنى هل من خالق الا
الله والوجه الثاني ان يكون نعتا على الموضع لان المعنى
هل خالق غير الله ومن زايدة والنصب على الاستثنا
والخفض على اللفظ قال حميد الطويل قلت للحسن من
خلق الشر فقال سبحان الله هل من خالق غير الله جل
جلاله خلق الخير والشر وقرا حمزة والكسائي هل من خالق
غير الله

غير الله بالخفض الباقون بالرفع يرزقكم من السماء اي المطر
والارض اي النبات لا اله الا هو فانى تؤفكون من الافك
بالفتح وهو الصرف يقال ما افكك عن كذا اي ما
صرفك عنه وقيل من الافك بالكسر وهو الكذب ويرجع
هذا ايضا الى ما تقدم لانه قول مصروف عن الصدق
والصواب اي من اين يقع لكم التكذيب بتوحيد الله والاية
حجة على القدرية لانه نفي خالقا غير الله وهم يثبتون
معه خالقين على ما تقدم في غير موضع **قوله تعالى**
وان يكذبوك يعني كفار قريش فقد كذبت رسل من قبلك
يعزي نبيه ويسليه صلى الله عليه وعلى اله وسلم ولتتاسى بمن
قبله في الصبر والى الله ترجع الامور قرا الاعرج والحسن
ويعقوب وابن عامر وابو حيوه وابن محيصن وحميد والاعمش
وحمزه ويحيى والكسائي وخلف بفتح التاء على انه مسمى الفاعل
واختاره ابو عبيد لقوله تعالى الا الى الله تصير الامور الباقون
ترجع على الفعل المجهول **قوله تعالى** يا ايها الناس ان
وعد الله حق هذا وعظ للمكذبين للرسول بعد ايضاح
الدليل على صحة قوله اي البعث والثواب والعقاب
حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا قال سعيد بن جبير غرور الحياة
الدنيا ان يشتغل الانسان بنعيمها ولذاتها عن عمل الاخرة

حتى يقول يا ليتني قدمت لحياتي ولا يغرنكم بالله الغرور
قال ابن السكيت وابو حاتم الغرور الشيطان وغرور
جمع غر وغر مصدر ويكون الغرور مصدرا وهو بعيد
عند غير ابي اسحاق لان غررته متعد والمصدر المتعدي
انما هو على فعل نحو ضربته ضربا الا في اشياء يسيرة لا
يقاس عليها قالوا لزمته لزوما ونهكه المرض نهوكا
فاما معنى الحرف فاحسن ما قيل فيه ما قاله سعيد بن
جبير قال الغرور بالله ان يكون الانسان يعمل بالمعاصي
ثم يتمنى على الله المغفرة وقراه العامة الغرور بفتح الغين
وهو الشيطان اي لا يغركم بوساوسه في انه يتجاوز عنكم
لفضلكم وقرا ابو حيوه وابو سماك العدوي ومحمد بن السميفع
الغرور برفع الغين وهو الباطل اي لا يغرنكم الباطل وقرا
ابن السكيت والغرور بالضم ما اغتر به من متاع الدنيا
قال الزجاج ويجوز ان يكون الغرور جمع غار مثل قاعد
وقعود الزمخشري او مصدر غره كاللزوم والنهوك
النحاس او جمع غر او تشبيه بقولهم نهكه المرض نهوكا
ولزمه لزوما قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا اي عادوه ولا تطيعوه ويدلكم على عداوته اخراجه
اباكم من الجنة وضمانه اضلالكم في قوله ولاضلنهم ولامنينهم
الاية

وقال

الاية وقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم الاية فاخبرنا جل وعز ان
الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما
فعل بابينا ادم صلوات الله عليه وكيف انتدب لعداوتنا
وغرورنا من قبل وجودنا وبعده ونحن على ذلك نتولاه
ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا وكان الفضيل بن
عياض يقول يا كذاب يا مفتري اتق الله ولا تسب الشيطان
في العلانية وانت صديقه في السر وقال ابن السماك
يا عجبا لمن عصى المحسن بعد معرفته باحسانه واطاع
اللعين بعد معرفته بعداوته وقد مضى هذا المعنى في
البقرة مجودا وعدو يجوز ان يكون بمعنى معاد
فيثنى ويجمع ويونث ويكون بمعنى النسب فيكون
موحدا بكل حال كما قال جل وعز فانهم عدو لي وفي
المونث على هذا ايضا عدو النحاس فاما قول بعض
النحويين ان الواو خفية فجاوا بالهاء فمخطا بل الواو
حرف جلد انما يدعوا حزبه كفت ما ان عن العمل فوقع
بعدها الفعل حزبه اي اشياعه ليكونوا من اصحاب السعير
بفهم عداوته الذين كفروا لهم عذاب شديد يكون في
موضع نصب او يكون بدلا من الواو فيكون في موضع رفع

الذين بدلا من اصحاب فيكون في موضع خفض او يكون بدلا من حزبه فيكون في

بالابتدا ويكون خبره لهم عذابٌ شديد وكانه سبحانه بين حال
موافقته ومخالفته ويكون الكلام قد تم في قوله من اصحاب
السعير ثم ابتدا فقال الذين كفروا لهم عذابٌ شديد والذين
امنوا وعملوا الصالحات في موضع رفع وبالابتدا ايضا وخبره
لهم مغفرةٌ اي لذنوبهم واجرٌ كبيرٌ وهو الجنة **قوله تعالى**
افمن زين له سوء عمله من في موضع رفع بالابتداء وخبره محذوف
قال الكسائي والذي يدل عليه قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات فالمعنى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا ذهبت
نفسك عليهم حسرات قال وهذا كلامٌ عربيٌّ ظريفٌ لا يعرفه
الا قليلٌ وذكره الزمخشري عن الزجاج قال النحاس والذي
قاله الكسائي احسن ما قيل في الاية لما ذكره من الدلالة على
المحذوف والمعنى ان الله عز وجل نهى نبيه عن شدة الاغتمام
بهم والحزن عليهم كما قال عز وجل فلعلك باخعٌ نفسك ∴
قال اهل التفسير قاتلٌ قال نضر بن علي سالت الاصمعي عن
قول النبي صلى الله عليه وسلم عن اهل اليمن هم ارق قلوبا والخع
طاعة ما معنى البخع فقال النصح فقلت له ان اهل التفسير مجاهدا
وغيره يقولون في قول الله عز وجل لعلك باخعٌ نفسك معناه
قاتل نفسك فقال هو من ذاك بعينه كانه من شدة النصح
لهم قاتل نفسه وقال الحسين بن الفضل فيه تقديمٌ وتاخيرٌ

مجازه

مجازه افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل الجواب
محذوف المعنى افمن زين له سوء عمله كمن هدى ويكون يدلك
على هذا المحذوف فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقرا
زيد بن القعقاع فلا تذهب نفسك وفيمن زين له سوء عمله
اربعة اقوال احدها انهم اليهود والنصارى والمجوس قاله
ابو قلابة ويكون سوء عمله الاغواء الرابع كفار قريش قاله
الكلبي ويكون سوء عمله الشرك وقال انها نزلت في العاص
بن وائل السهمي والاسود بن المطلب وقال غيره نزلت
في ابي جهل بن هشام فراه حسنا اي صوابا قاله الكلبي وقيل
جميلا قلت والقول بان المراد كفار قريش اظهر الاقوال
لقوله تعالى ليس عليك هداهم وقوله تعالى ولا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر وقوله فلعلك باخع نفسك على اثارهم
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا وقوله لعلك باخع
نفسك الا يكونوا مؤمنين وقوله في هذه الاية فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات وهذا ظاهر بين اي لا ينفع تاسفك
على مقامهم وعلى كفرهم فان الله اضلهم وهذه الاية ترد
على القدرية قولهم على ما تقدم اي افمن زين له سوء عمله
فراه حسنا تريد ان تهديه وانما ذلك الى الله لا اليك

ومعناه ان الرسول الثاني انهم الخوارج رواه [illegible]
ابن القاسم فيكون سوء عمله على [illegible]
الثالث الشيطان قاله الحسن ويكون [illegible]

والذي اليك هو التبليغ وقرا ابو جعفر وشيبة وابن محيصن
فلا تذهب بضم التاء وكسر الهاء نفسك نصبا على المفعول
والمعنيان متقاربان حسرات منصوب مفعول من اجله اي
فلا تذهب نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك
عليه حبا ومات عليه حزنا وهو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز
ان يتعلق بالحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز
ان يكون حالا كان كلهن صارت حسرات لفرط التحسر كما
قال جرير مشق الهواجر لحمهن مع السرى حتى ذهبن كلاكلا
وصدورا؛ يريد رجعن كلاكلا وصدورا اي لم يبق الا كلاكلها
وصدورها ومنه قول الاخر فعلى اثرهم تساقط نفسي حسرات
وذكرهم لي سقام او مصدر ان الله عليم بما يصنعون قوله
تعالى والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه
الى بلد ميت وميت واحد وكذا ميتة وميتة هذا قول
الحذاق من النحويين وقال محمد بن يزيد هذا قول البصريين
ولم يستثن احدا واستدل على ذلك بدلائل قاطعة وانشد
ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء
انما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء؛ قال
فهل ترى بين ميت وميت فرقا وانشد
هينون لينون ايسار بنو يسر سواس مكرمة ابناء ايسار؛
قال

قال فقد اجمعوا على ان هينون ولينون واحد وكذا ميت وميت
وسيد وسيد وقال فسقناه بعد ان قال الله الذي يرسل الرياح
وهو من باب تلوين الخطاب وقال ابو عبيدة سبيله فتسوقه
لانه قال فتثير سحابا الزمخشري فان قلت لم جا فتثير على
على المضارع دون ما قبله وما بعده قلت ليحكي الحال التي تقع
فيها اثارة الرياح السحاب ويستحضر تلك الصورة البديعة
الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع
تمييز وخصوصية بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير ذلك
كما قال تابط شرا بانی قد لقيت الغول تهوي بسهب
كالصحيفة صحصحان ؛ فاضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين
وللجران لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها
بزعمه على ضرب الغول كانهم يبصرهم اياها ويطلعهم على
كنهها مشاهدة للتعجب من جراته على كل هول وثباته عند
كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت لما كانا من
الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا واحيينا معدولا
بهما عن لفظة الغيبة لما هو ادخل في الاختصاص وادل
عليه وقراة العامة الرياح وقرا ابن محيصن وابن كثير
والاعمش ويحيى وحمزة والكسائي الريح توحيدا وقد
مضى بيان هذه الاية والكلام فيها مستوفى كذلك النشور

اي كذلك تحيون بعد ما متم من نشر الانسان منشورا فالكاف
في محل الرفع اي مثل احيا الموات نشر الاموات وعن ابي رزين
العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما اية ذلك
في خلقه قال اما مررت بوادي اهلك ممحلا ثم مررت به يهتز
خضرا قلت نعم يا رسول الله قال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك
ايته في خلقه وقد ذكرنا هذا الخبر في الاعراف مستوفى في قوله
تعالى من كان يريد العزة التقدير عند الفرا من كان يريد علم
العزة وكذا قال غيره من اهل العلم اي من كان يريد علم العزة التي
لا ذلة معها لان العزة اذا كانت تودي الى ذلة فانما هي
تعرض للذلة والعزة التي لا ذل معها الله عز وجل منصوب
على الحال وقدر الزجاج معناه من كان يريد بعبادته الله
جل وعز العز والعزة له سبحانه فان الله جل وعز يعزه
في الاخرة والدنيا قلت وهذا حسن وروي مرفوعا على ما
ياتي فلله العزة جميعا ظاهر هذا ايناس السامعين من عزته
وتعريفهم انما وجب له من ذلك لا مطمع فيه لغيره فتكون
الالف واللام للعهد عند العالمين به سبحانه وبما وجب
له من ذلك وهو المفهوم من قوله الحق في سورة يونس
ولا يحزنك قولهم ان العزة لله ويحتمل ان يريد سبحانه ان
ينبه ذوي الاقدار والهمم من اين تنال العزة ومن اين تستحق
فتكون

مطلب

فتكون الالف واللام للاستغراق وهو المفهوم من ايات
هذه السوره فمن طلب العزه من الله وصدقه في طلبها
بافتقار وذل وسكون وخضوع وجدها عنده ان شا
الله غير ممنوعه ولا محجوبه عنه قال صلى الله عليه وسلم
من تواضع لله رفعه الله ومن طلبها من غيره وكله الى
من طلبها عنده وقد ذكر قوما طلبوا العزه عند من
سواه فقال الذين يتخذون الكافرين اوليا من دون
المومنين ايبتغون عندهم العزه فان العزه لله جميعا
فانباك صريحا لا اشكال فيه ان العزه له يعز بها من يشا
ويذل من يشا وقال صلى الله عليه وسلم مفسرا لقوله
من كان يريد العزه فلله العزه جميعا من اراد عز
الدارين فليطع العزيز وهذا معنى قول الزجاج
ولقد احسن من قال واذا تذللت الرقاب تواضعا
منا اليك فعزها في ذلها فمن كان يريد يريد العزه
لينال الفوز الاكبر ويدخل دار العزه ولله العزه
فليقصد بالذله الله سبحانه والاعزازبه فانه من
اعتز بالغير فقد اذله الله ومن اعتز بالله اعزه الله
قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه فيه مسلتان الاولى قوله تعالى اليه يصعد

الكلم الطيب وتم الكلام ثم يبتدي بو العمل الصالح يرفعه
على معنى يرفعه الله او يرفع صاحبه ويجوز ان يكون
المعنى والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب فيكون الكلام
متصلا على ما ياتي بيانه والصعود هو الحركة الى
فوق وهو العروج ايضا ولا يتصور ذلك في الكلام
لانه عرض لكن ضرب صعوده مثلا لقبوله لان موضع
الثواب فوق وموضع العذاب اسفل وقال الزجاج
يقال ارتفع الامر الى القاضي اي علمه فهو بمعنى العلم
وخص الكلام الطيب بالذكر لبيان الثواب عليه وقوله
اليه اي الى الله يصعد وقيل يصعد الى سمائه والمحل الذي
لا يجري فيه لاحد غيره حكم وقيل اي يحمل الكتاب الذي
كتب فيه طاعة العبد الى السماء والكلم الطيب هو
التوحيد الصادر عن عقيدة طيبة وقيل هو التحميد
وذكر الله ونحوه وانشدوا لا ترض من رجل حلاوة
قوله حتى يزين ما يقول فعال فاذا وزنت فعاله بمقاله
فتوازنا فاخاء ذاك جمال وقال ابن المقفع قول بلا عمل
كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وفيه
قيل لا يكون الا بفعل كل قول بلا افعال هباء
ان قولا بلا فعال جميل ونكاحا بلا ولي سواء
وقرا

مطلب

والتمجيد

مطلب

التقابل

وقرا الضحاك يصعد بضم التاء وقرا جمهور الناس الكلم
جمع كلمة وقرا ابو عبد الرحمن الكلام قلت فالكلام على
هذا قد يطلق بمعنى الكلم وبالعكس وعليه يخرج
قول ابي القاسم اقسام الكلام ثلثة فوضع الكلم والله
اعلم والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس ومجاهد
وغيرهما المعنى والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب وفي الحديث
لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا وعملا الا بنية
ولا يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة قال ابن
عباس فاذا ذكر العبد الله قال كلاما طيبا وادى فرايضه
ارتفع قوله مع عمله واذا قال ولم يود فرايضه رد
قوله على عمله قال ابن عطية وهذا قول يرده معتقد
اهل السنة ولا يصح عن ابن عباس والحق ان العاصي
التارك للفرايض اذا ذكر الله وقال كلاما طيبا فانه
مكتوب له متقبل منه وله حسناته وعليه سيئاته
والله تعالى يتقبل من كل من اتقى الشرك وايضا فان
الكلم الطيب عمل صالح وانما يستقيم قول من يقول
ان العمل هو الرافع للكلم بان يتاول انه يزيده في رفعه
وحسن موقعه اذا تعاضد معه كما ان صاحب الاعمال
من صلاة وصيام وغير ذلك اذا تخلل اعماله كلام طيب

موضع الكلم

وذكر الله كانت الاعمال اشرف فيكون قوله والعمل الصالح
يرفعه موعظة وتذكرة وحظا على الاعمال واما الاقوال التي
هي اعمال في نفوسها كالتوحيد والتسبيح فمقبوله قال
ابن العربي ان كلام المرء بذكر الله ان لم يقترن به عمل صالح
لم ينفع لان من خالف قوله فعله فهو وبال عليه وتحقيق هذا
ان العمل اذا وقع شرطا في قبول القول او مرتبطا فانه لا
قبول له الا به وان لم يكن شرطا فيه فان كلمة الطيب يكتب
له وعمله السيئ يكتب عليه وتقع الموازنه بينهما ثم يحكم الله
بالفوز والربح والخسران قلت ما قاله ابن العربي
تحقيق والظاهر ان العمل الصالح شرط في قبول القول الطيب
وقد جا في الاثار ان العبد اذا قال لا اله الا الله بنية صادقه
نظرت الملائكه الي عمله فان كان العمل موافقا لقوله صعدا
جميعا وان كان عمله مخالفا وقف قوله حتى يتوب من
عمله فعلي هذا العمل الصالح يرفع الكلم الطيب الي الله تعالى
والكنايه في يرفعه ترجع الى الكلم الطيب وهذا قول
ابن عباس وشهر بن حوشب وسعيد بن جبير ومجاهد
وقتاده وابي العاليه والضحاك وعلي ان الكلم الطيب
هو التوحيد فهو الرافع للعمل الصالح كانه لا يقبل العمل
الصالح الا مع الايمان والتوحيد اي والعمل الصالح يرفعه

الكلم

الكلم الطيب فالكتابة تعود على العمل الصالح وروي هذا
القول عن شهر بن حوشب قال الكلم الطيب القران والعمل
الصالح يرفعه القران وقيل تعود على الله عز وجل اي ان
العمل الصالح يرفعه الله على الكلم الطيب لان العمل تحقيق
الكلام والعامل اكثر تعبا من القايل وهذا هو حقيقة
الكلام لان الله هو الخافض الرافع والثاني والاول
مجاز ولكنه شايع جاير قال النحاس القول الاول اولاهما
واصحهما لعلو من قال به وانه في العربية اولى لان القول
على رفع العمل ولو كان المعنى والعمل الصالح يرفعه الله او
العمل الصالح يرفع الكلم الطيب لكان الاختيار نصب
العمل ولا نعلم احدا قراه منصوبا الا شيا روي عن عيسى
ابن عمر انه قال قراه اناس والعمل الصالح يرفعه الله
وقيل والعمل الصالح يرفعه صاحبه وهو الذي اراد
العزه وعلم انها تطلب من الله تعالى ذكره القشيري الثانيه
ذكروا عن ابن عباس ان الكلب يقطع الصلاة فقرا هذه
الايه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وهذا
استدلال بعموم على مذهب السلف في القول بالعموم
وقد دخل في الصلاة بشروطها فلا يقطعها عليه شي الا
بثبوت ما يجب ذلك من مثل ما انعقدت به من قران

اوسنة او اجماع وقد تعلق من راى ذلك بقوله عليه السلام
يقطع الصلاة والمراة والحمار والكلب الاسود فقلت ما بال الكلب
الاسود من الكلب الابيض من الكلب الاحمر فقال ان الاسود
شيطان خرجه مسلم وقد جا ما يعارض هذا وهو ما خرجه
عن ابن اخي بن شهاب انه سال عمه عن الصلاة يقطعها شي
فقال لا يقطعها شي اخبرني بن الزبير عن عايشة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم قالت لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقوم فيصلي من الليل واني لمعترضة بينه وبين القبلة على
فراش اهله قوله تعالى والذين يمكرون السيات ذكر
الطبري في كتاب اداب النفوس حدثني يونس بن عبد
الاعلى قال نا سفيان عن ليث بن ابي سليم عن شهر بن حوشب
الاشعري في قوله عز وجل والذين يمكرون السيات لهم عذاب
شديد ومكر اوليك هو يبور قال هم اصحاب الربا وهو قول
ابن عباس و مجاهد وقتادة وقال ابو العالية هم الذين مكروا
بالنبي صلى الله عليه وسلم لما اجتمعوا في دار الندوه وقال الكلبي
يعني الذين يعملون السيات في الدنيا مقاتل يعني الشرك فتكون
السيات مفعوله ويقال بار يبور اذا هلك وبطل وبارت
السوق اي كسدت ومنه نعوذ بالله من بوار الايم وقوله
تعالى وكنتم قوما بورا اى هلكا والمكر ما عمل على سبيل

احتيال

احتيال وخديعة وقد مضى في سبا قوله تعالى والله
خلقكم من تراب قال سعيد عن قتادة يعني ادم عليه السلام
والتقدير على هذا خلق اصلكم من تراب ثم من نطفة قال اي
الذي اخرجها من ظهور ابايكم ثم جعلكم ازواجا قال اي زوج
بعضكم بعضا فالذكر زوج الانثى ليتم البقا في الدنيا الى
انقضا مدتها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اي جعلكم
ازواجا فيتزوج الذكر بالانثى فيتناسلان بعلم الله فلا
يكون حمل ولا وضع الا والله عالم به فلا يخرج احد عن
تدبيره وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في
كتاب سماه معمرا بما هو صاير اليه قال سعيد بن
جبير عن ابن عباس وما يعمر من معمر الا كتب عمره كم
هو سنة كم هو شهرا كم هو يوما كم هو ساعة ثم يكتب
في كتاب اخر نقص من عمره يوم نقص من عمره شهر
نقص سنة حتى يستوفي اجله وقاله ابن جبير ايضا
قال فما مضى من اجله فهو النقصان وما يستقبل فهو
الذي يعمره قالها على هذا للمعمر وعن سعيد ايضا
يكتب عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب اسفل ذلك ذهب يوم
ذهب يوما حتى ياتي الى اخره وعن قتادة المعمر
من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل

سنين سنه ومذهب الفراء في معنى وما يعمر من معمر
بلغ
اي ما يكون من عمره ولا ينقص من عمره بمعنى معمر
اخر اي ولا ينقص الاخر من عمره الا في كتاب فالكنايه
في عمره ترجع الى اخر غير الاول وكنى عنه بالهاء كانه
الاول ومثله قولك عندي درهم ونصفه اي نصف اخر
وقيل ان الله كتب عمر الانسان مايه سنة ان اطاع وتسعين
ان عصى فايهما بلغ فهو في كتاب وهذا مثل قوله عليه السلم
من احب ان يبسط له في رزقه وينسا في اجله فليصل
رحمه اي انه يكتب في اللوح المحفوظ عمر فلان كذا سنه
فان وصل رحمه زيد في عمره كذا سنه فبين ذلك في موضع
اخر من اللوح المحفوظ انه سيصل رحمه فمن اطلع
على الاول دون الثاني ظن انه زيادة او نقصان وقد
مضى هذا المعنى عند قوله تعالى يمحوا الله ما يشا
ويثبت والكنايه على هذا ترجع الى المعمر وقيل المعنى
وما يعمر من معمر اي هرم ولا ينقص اخر من عمر
الهرم الا في كتاب اي بقضاء من الله جل وعز روى
معناه عن الضحاك واختاره النحاس قال وهو
اشبهها بظاهر التنزيل وروي نحوه عن ابن عباس
فالها على هذا يجوز ان تكون للمعمر ويجوز ان تكون
لغير

لغير المعمر ان ذلك على الله يسير اى كتابة الاعمال
والاجال غير متعذر عليه وقراه العامة ينقص
بضم اليا وفتح القاف وقرات فرقة منهم يعقوب
ينقص وضم القاف اى لا ينقص من عمره شي يقال نقص
الشي بنفسه ونقصه غيره وزاد بنفسه وزاده
غيره متعد ولازم وقرا الاعرج والزهرى من
عمره بتخفيف الميم وضمها الباقون وهما لغتان
مثل السحق والسحق ويسير اى احصا طويل الاعمار
وقصيرها لا يتعذر عليه شي منها ولا يعزب والفعل
منه يسر ولو سميت به انسانا انصرف لانه فعيل
قوله تعالى وما يستوى البحران هذا عذب فرات
فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى وما يستوى
البحران قال ابن عباس فرات حلو واجاج مر
وقرا طلحة هذا ملح اجاج بفتح الميم وكسر اللام
بغير الف فاما المالح فهو الذى يجعل فيه الملح وقرا عيسى
وابن ابى اسحاق سيغ شرابه مثل سيد وميت ومن كل
تاكلون لحما طريا لا اختلاف فى انه منهما جميعا وقد
مضى فى النحل الكلام فيه الثانية قوله تعالى وتستخرجون
حلية تلبسونها مذهب ابى اسحق ان الحلية انما تستخرج

بفتح اليا

[margin, vertical:] ...صح ...

الاصداف التي فيها الحلية من الدر وغيره من الموضع التي
فيها العذب والملح نحو العيون فهو ماخوذ منهما لان في
البحر عيونا عذبة وبينهما تخرج اللولو عند التمازج وقيل
من مطر السماء وقال محمد بن يزيد قولا رابعا قال انما
تستخرج الحلية من الملح خاصة البحاس وهذا احسنها
وليس هذا عنده لانهما مختلطان ولكن جمعا ثم اخبر
عن احدهما كما قال عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل
والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وكما تقول
لو رايت الحسن والزجاج لرايت خيرا وشرا وكما
تقول لو رايت الاصمعي وسيبويه لملات يدك
لغة ونحوا فقد عرف معنى هذا وهو كلام فصيح كثير
فلذا ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية
تلبسونها فاجتمعا في الاول وانفرد الملح بالثاني
الثالثه وفي قوله تعالى تلبسونها دليل على ان
لباس كل شي بحسبه فالخاتم يجعل في الاصبع والسوار
في الذراع والقلاده في العنق والخلخال في الرجل
وفي البخاري والنسائي عن ابن سيرين قال قلت لعبيده
افتراش الحرير كلبسه قال نعم وفي الصحيح عن انس
فقمنا الى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس الحديث

الرابعه

التاسع

الرابعة قوله تعالى وترى الفلك فيه مواخر قال
النحاس اي ما الملح خاصة ولولا ذلك لقال فيهما وقد
مخرت السفينه تمخر اذا شقت الما وقد مضى هذا
في النحل لتبتغوا من فضله قال مجاهد التجارة
في الفلك الى البلدان البعيده في مدة قريبه كما تقدم
في البقره وقيل ما يستخرج من حليته ويصاد من
حيتانه ولعلكم تشكرون الله على ما اتاكم من فضله
وقيل على ما انجاكم من هوله قوله تعالى يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل تقدم في ال عمران وغيرها
وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى تقدم في لقمان
بيانه ذلكم الله ربكم له الملك اي هذا الذي من صنعه ما
تقدم هو الخالق المدبر والقادر المقتدر فهو الذي
يعبد والذين تدعون من دونه يعني الاصنام ما يملكون
من قطمير اي لا يقدرون عليه ولا على خلقه والقطمير
القشرة الرقيقة البيضا التي بين التمرة والنواة
قاله اكثر المفسرين وقال ابن عباس هو شق النواة
وهو اختيار المبرد وقاله قتادة وعن قتادة
ايضا ان القطمير القمع الذي على راس النواة الجوهري
ويقال هي النكتة البيضا التي في ظهر النواة تنبت

منها النخلة قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاكم اي ان
تستغيثوا بهم في النوايب لا يسمعوا دعاكم لانها جماد ات
لا تبصر ولا تسمع ولو سمعوا ما استجابوا لكم اذ ليس كل سامع
ناطقا وقال قتادة المعنى لو سمعوا لم ينفعوكم وقيل اي لو
جعلنا لهم عقولا وحياة فسمعوا دعاكم لكانوا اطوع لله
منكم ولما استجابوا لكم على الكفر ويوم القيامة يكفرون بشرككم
اي يجحدون انكم عبدتموهم ويتبرون منكم ثم يجوز ان ترجع
هذا الى المعبودين مما يعقل كالملايكة والجن والانبيا والشياطين
اي يجحدون ان يكون ما فعلتموه حقا وانهم امروكم بعبادتهم كما
اخبر عن عيسى بقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ويجوز
ان يندرج فيه الاصنام ايضا اي يحييها الله حتى تخبر بانها
ليست اهلا للعبادة ولا ينبيك مثل خبير هو الله جل وعز
اي لا احد اخبر بخلق الله من الله ولا ينبيك مثله في علمه
قوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله اي المحتاجون
اليه في بقايكم وكل احوالكم الزمخشري قال فلم لم عرف
الفقرا قلت قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم
اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلايق كلهم مفتقرين
اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما
كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله سبحانه على

الانسان

الانسان بالضعف في قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال تعالى
الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقرا
فان قلت قد قوبل الفقرا بالغنى فما فايده الحميد قلت لما
اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه
الا اذا كان الغني جوادا منعما واذا جاد وانعم حمده المنعم
عليهم واستحق عليهم الحمد ليدل به على انه الغني النافع
بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم
ان يحمدوه وتخفيف الهمزه الثانيه اجود الوجوه عند
الخليل ويجوز تخفيف الاولى وحدها وتخفيفهما جميعا والله
هو الغني الحميد يكون هو زايده فلا يكون لها موضع
من الاعراب وتكون مبتداه فيكون موضعها رفعا
قوله تعالى ان يشا يذهبكم فيه حذف المعنى ان يشا
يذهبكم اي يفنيكم ويات بخلق جديد اي اطوع منكم وازكى
وما ذلك على الله بعزيز اي ممتنع غير متعذر وقد مضى
هذا في ابراهيم قوله تعالى ولا تزر وازره وزر اخرى
تقدم الكلام فيه وهو مقطوع مما قبله والاصل توزر حذفت
الواو اتباعا ليزر وازره نعت لمحذوف اي نفس وازره
وكذا وان تدع مثقلة قال الفرا اي نفس مثقله او دابه
قال وهذا يقع للمذكر والمونث قال الاخفش اي وان تدع

متثقلة انسانا الى حملها وهو ذنوبها والحمل ما كان على الظهر
والحمل حمل المراة وحمل النخلة حكاهما الكسائي بالفتح لا غير
وحكى ابن السكيت ان حمل النخلة يفتح ويكسر لا تحمل منه شي
ولو كان ذا قربى التقدير على قول الاخفش ولو كان الانسان
المدعو ذا قربى واجاز الفرا ولو كان ذو قربى وهذا جائز
عند سيبويه ومثله وان كان ذو عسرة فتكون كان بمعنى
وقع او يكون الخبر محذوفا اي وان كان فيمن تطالبون ذو
عسرة وحكى سيبويه الناس مجزون باعمالهم ان خير فخير
على هذا او خيرا فخير اعل الاول وروى عن عكرمة انه قال
بلغني ان اليهودي والنصراني يرى الرجل المسلم يوم القيامة
فيقول له الم اكن اسديت اليك يدا الم اكن قد احسنت
اليك فيقول بلى فيقول انفعني فلا يزال المسلم يسال الله
تعالى حتى ينقص من عذابه وان الرجل لياتي الى ابيه يوم القيامة
فيقول الم اكن بك بارا وعليك مشفقا واليك محسنا وانت
ترى ما انا فيه فهب لي حسنة من حسناتك او احمل عني سيئة
فيقول ان الذي سالتني ليسير ولكني اخاف مثل ما تخاف
وان الاب ليقول لابنه مثل ذلك فيرد عليه نحوا من هذا
وان الرجل ليقول لزوجته الم اكن حسن العشيرة لك
فاحملي عني خطيئة لعل انجوا فتقول ان ذلك ليسير ولكني

اخاف

اخاف مما تخاف منه ثم تلى علي منه وان تدع مثقلة الى حملها لا
يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى وقال الفضيل بن عياض هي
المراة تلقى ولدها فتقول يا بني الم يكن بطني لك وعاء الم يكن حجري
لك وطاء الم يكن ثديي لك سقاء فيقول بلى يا اماه فتقول يا
بني قد اثقلتني ذنوبي فاحمل عني منها ذنبا واحدا فيقول
اليك عني يا اماه فاني بذنبي عنك مشغول انما تنذر الذين يخشون
ربهم بالغيب اي انما يقبل انذارك من يخشى عقاب الله وهو
كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب
ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه اي ومن اهتدى فانما يهتدي
لنفسه وقرى ومن ازكى فانما يزكى لنفسه والى الله المصير
اي اليه جميع الخلق **قوله تعالى** وما يستوي الاعمى
والبصير اي الكافر والمومن والجاهل والعالم مثل قل لا يستوي
الخبيث والطيب ولا الظلمات ولا النور قال الاخفش سعيد
لا زايدة والمعنى ولا الظلمات والنور ولا الظل والحرور قال
الاخفش والحرور لا يكون الا مع شمس النهار والسموم يكون
بالليل وقيل عكسه وقال روبة بن العجاج الحرور يكون بالليل
خاصة والسموم يكون بالليل خاصة حكاه المهدوي وقال
الفرا السموم لا يكون الا بالنهار والحرور يكون فيهما النحاس وهذا
اصح لان الحرور فعول من الحر وفيه معنى التكثير اي الحر الموذي

قلت وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قالت النار رب اكل بعضي بعضا فاذن لي
اتنفس فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف
فما وجدتم من برد او زمهرير فمن نفس جهنم وما وجدتم من
حر او حرور فمن نفس جهنم وروي من حديث الزهري عن
سعيد عن ابي هريرة فما تجدون من الحر من سمومها وشدة
ما تجدون من البرد من زمهريرها وهذا يجمع تلك الاقوال
وان السموم والحرور يكون بالليل والنهار فتامله وقيل المراد
بالظل والحرور الجنة والنار فالجنة ذات ظل دايم كما قال
تعالى اكلها دايم وظلها والنار ذات حرور قال معناه
السدي وقال ابن عباس اي ظل الليل وحر السموم
بالنهار قطرب الحرور الحر والظل البرد وما يستوي
الاحيا ولا الاموات قال ابن قتيبة الاحيا العقلا والاموات
الجهال قتاده هذه كلها امثال اي كما لا تستوي هذه الاشيا
كذلك لا يستوي الكافر والمومن ان الله يسمع من يشا اي
يسمع اوليا‌ه الذين خلقهم لجنته وما انت بمسمع من
في القبور اي الكفار الذين امات قلوبهم اي كما لا تسمع من
مات قلبه وقرا الحسن وعيسى الثقفي وعمرو بن ميمون
بمسمع من في القبور بحذف التنوين تخفيفا اي هم بمنزلة
القبور

القبور في انهم لا ينتفعون بما يستمعونه ولا يقبلونه
قوله تعالى ان انت الا نذير اى رسول منذر فليس
عليك الا التبليغ ليس لك من الهدى شى انما الهدى بيد
الله عز وجل قوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا
ونذيرا اى بشيرا بالجنة اهل طاعته ونذيرا بالنار اهل
معصيته وان من امة الا خلا فيها نذير اى سلف فيها نبى
قال ابن جريج الا العرب قوله تعالى وان يكذبوك
يعنى كفار قريش فقد كذب الذين من قبلهم انبياهم يسلى
رسوله صلى الله عليه وسلم جاتهم رسلهم بالبينات اى
بالمعجزات الظاهرات والشرايع الواضحات وبالزبر
اى الكتب المكتوبة وبالكتاب المنير الواضح وكرر الزبر
والكتاب وهما واحد لاختلاف اللفظين وقيل يرجع
البينات والزبر والكتاب الى معنى واحد وهو ما
انزل على الانبيا من الكتب ثم اخذت الذين كفروا فكيف
كان نكير اى كيف كان عقوبتى لهم واثبت ورش عن
نافع وشيبة اليا في نكيرى حيث وقعت في الوصل
دون الوقف واثبتها يعقوب في الحالين وحذفها
الباقون في الحالين وقد مضى هذا كله والحمد لله قوله تعالى
الم تر ان الله انزل من السما ما هذه الروية روية القلب

والعلم اي الم بيفتنه علمك ورايت بقلبك ان الله انزل فان
واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي الرويه فاخرجنا
به ثمرات هو من باب تلوين الخطاب مختلفا الوانها نصب
مختلفا نعتا الثمرات الوانها رفع بمختلف وصلح ان يكون
نعتا الثمرات لما عاد عليه من ذكره ويجوز في غير
القران رفعه ومثله رايت رجلا خارجا ابوه به
اي بالماء وهو واحد والثمرات مختلفه ومن الجبال
جدد بيض وحمر مختلف الوانها الجدد جمع جده وهي
الطرايق المختلفة الالوان وان كان الجميع حجرا او ترابا
قال الاخفش ولو كان جمع جديد لقال جدد بضم الجيم
والدال نحو سرير وسرر وقال زهير كانه اسفع الخدين
ذو جدد طاو ويرتع بعد الصيف عريانا وقيل
ان الجدد القطع ماخوذ من جددت الشي اذا قطعته
حكاه ابن بحر قال الجوهري والجده الخطه التي في ظهر
الحمار تخالف لونه والجده الطريقه والجمع جدد
وقال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها
اي طرايق تخالف لون الجبل ومنه قولهم ركب فلان
جده من الامر اذا راى فيه رايا وكسا مجدد فيه
خطوط مختلفه الزمخشري وقرا الزهري جدد
بالضم

سرير
سار
التي

بالضم جمع جديده وهي الجدة يقال جديدة وجُدُد وجدايد
كسفينة وسفاين وسفن وقد فسر بها قول ابي دويب
جون السراة له جدايد اربع ،، وروي عنه جَدَد بفتحتين
وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع الطرايق
والخطوط الواضحه المنفصل بعضها من بعض ومن الناس
والدواب قري بن الدواب مخففا ونظير هذا التخفيف قراة
من قرا ولا الضالين لان كل واحد منهما فر من التقا الساكنين
فحرك ذاك اولهما وحذف هذا اخرهما قاله الزمخشري ٥
والانعام مختلف الوانه اي فيهم الاحمر والابيض والاسود
وغير ذلك وكل ذلك دليل علي صانع مختار وقال مختلف الوانه
فذكر الضمير مراعاة لمن قاله المورج وقال ابو بكر بن عياش
انما ذكر العناية لاجل انها مردودة الى ما مضمره
مجازه ومن الناس ومن الدواب ومن الانعام ما هو
مختلف الوانه اي ابيض واحمر واسود وغرابيب سود
قال ابو عبيده الغربيب الشديد السواد ففي الكلام
تقديم وتاخير والمعنى ومن الجبال سود غرابيب والعرب
تقول للشديد السواد الذي لونه كلون الغراب اسود
غربيب قال الجوهري وتقول هذا اسود غربيب اي
شديد السواد واذا قلت غرابيب سود تجعل السود

بدلا من غرابيب لان توكيدا الالوان لا يتقدم وفي الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الشيخ الغربيب
يعني الذي يختضب بالسواد قال امرؤ القيس
العين طامحة واليد سابحة والرجل لائحة والوجه
غربيب ∴ وقال اخر يصف كرما ومن تعاجيب
خلق الله غاطية يخرج منها ملاحي وغربيب ∴ اذلك
هنا تمام الكلام اي كذلك يختلف احوال العباد في
الخشية ثم استانف فقال انما يخشى الله من عباده
يعني بالعلماء الذين يخافون قدرته فمن علم انه جل
وعز قدير ايقن بمعاقبته على المعصية كما روي
على بن ابي طلحة عن ابن عباس انما يخشى الله من عباده
العلما قال الذين علموا ان الله على كل شيء قدير وقال الربيع
بن انس من لم يخش الله فليس بعالم وقال مجاهد
انما العالم من خشي الله عز وجل وعن ابن مسعود
كفى بخشية الله علما وبالاغترار جهلا وقيل لسعد
بن ابراهيم من افقه هذه المدينة قال اتقاهم لربه
عز وجل وعن مجاهد قال انما الفقيه من خاف الله
وعن علي رضي الله عنه قال ان الفقيه حق الفقيه من لم
يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معاصي الله

ولم

والبد بالمد

ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يدع القران رغبة عنه الى غيره
انه لا خير في عبادة لا علم فيها ولا علم لا فقه فيه ولا قراءة
لا تدبر فيها واسند الدارمي ابو محمد عن مكحول قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فضل العالم على العابد
كفضلي على ادناكم ثم تلى هذه الايه لذلك انما يخشى الله من
عباده العلما ان الله وملايكته واهل سمواته وارضيه والنون
في البحر يصلون على الذين يعلمون الناس الخير الخير مرسل
قال الدارمي وحدثنا ابو النعمان قال نا حماد بن زيد عن
يزيد بن حازم قال حدثني عمي جرير بن يزيد ان تبيعا حدث
عن كعب قال اني لاجد نعت قوم يتعلمون لغير العمل ويتفقهون
لغير العبادة ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة ويلبسون جلود
الضان قلوبهم امر من الصبر فبي يغترون اياي يخادعون
فبي حلفت لاتيحن لهم فتنة تذر الحليم فيها حيرانا اخرجه
الترمذي مرفوعا من حديث ابي الدردا وقد كتبناه في مقدمة
الكتاب والحمد لله الزمخشري فان قلت فما وجه قراءة من
قرا انما يخشى الله بالرفع من عباده العلما بالنصب وهو عمر
بن عبد العزيز وتحكى عن ابي حنيفة قلت الخشية في هذه
القراة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل
المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده

ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبته
العصاه وقهرهم واثابة اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب
والمثاب حقه ان يخشى قوله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله
واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية هذه
ايه القرا العاملين العالمين الذين يقيمون الصلاة الفرض والنفل
وكذا في الانفاق وقد مضى في مقدمه الكتاب ما ينبغي ان يتخلق
به قاري القران يرجون تجارة لن تبور قال احمد بن يحيى خبر
ان يرجون ويزيدهم من فضله قيل الزياده الشفاعه في الاخرة
وهذا مثل الايه الاخرى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
ذكر الله الى قوله ويزيدهم من فضله وقوله تعالى في اخر النسا
فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله وهناك بيناه انه غفور للذنوب شكور يقبل القليل
من العمل الخالص ويثيب عليه الجزيل من الثواب قوله تعالى
والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القران هو الحق مصدقا
لما بين يديه اي من الكتب ان الله بعباده لخبير بصير قوله
تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم
ظالم لنفسه ومنهم مقتصد الى قوله ولا يمسنا فيها لغوب
فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب
الذين اصطفينا هذه الايه مشكله لانه قال عز وجل اصطفينا
من

بلغ

من عبادنا ثم قال فمنهم ظالم لنفسه وقد تكلم العلما فيها
من الصحابة والتابعين ومن بعدهم قال النحاس فمن اصح
ما روي في ذلك ما روي عن ابن عباس فمنهم ظالم لنفسه
قال الكافر رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن
عطا عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال
نجت فرقتان ويكون التقدير في العربية فمنهم من
عبادنا ظالم لنفسه اي كافر وقال الحسن اي فاسق
ويكون الضمير الذي في يدخلونها عايدا على المقتصد
والسابق لا على الظالم وعن عكرمة وقتادة والضحاك
والفرا ان المقتصد المومن العاصي والسابق التقي على
الاطلاق قالوا وهذه الاية نظير قوله في سورة الواقعة
وكنتم ازواجا ثلثة الاية قالوا وبعيد ان يكون ممن
يصطفي ظالم لنفسه اصحاب المشئمة ومنهم مقتصد
اصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات السابقون
من الناس كلهم وقيل الضمير في يدخلونها يعود على
الثلاثة الاصناف على ان لا يكون الظالم هاهنا كافرا
ولا فاسقا وممن روي عنه هذا القول عمر وعثمان
وابو الدردا وابن مسعود وعقبة بن عمرو وعايشة

والتقدير على هذا القول ان يكون الظالم لنفسه الذي عمل الصغاير والمقتصد قال محمد بن يزيد هو الذي يعطي الدنيا حقها والاخرة حقها فتكون جنات عدن يدخلونها عايدًا على الجميع على هذا الشرح والتبيين وروي عن ابي سعيد الخدري وقال كعب الاحبار استوت مناكبهم ورب الكعبة وتفاضلوا باعمالهم وقال ابو اسحق السبيعي اما الذي سمعت منذ ستين سنه فكلهم ناج وروي اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الايه وقال كلهم في الجنه وقرا عمر بن الخطاب هذه الايه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فعلى هذا القول يقدر مفعول الاصطفي من قوله اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا مضافا فحذف كما حذف المضاف في واسئل القرية اي اصطفينا دينهم فبقي اصطفيناهم فحذف العايد الى الموصول كما حذف في قوله ولا اقول للذين تزدري اعينكم اي تزدريهم فالاصطفا اذًا موجه الى دينهم قال تعالى ان الله اصطفى لكم الدين قال النحاس وقول ثالث يكون الظالم صاحب الكباير والمقتصد الذي لم يستحق الجنه بزيادة حسناته على سياته فتكون جنات عدن

يدخلونها

للذين سبقوا بالخيرات لا غير وهذا قول جماعه من اهل
النظر لان الضمير في حقيقه النظر لما يليه اولى قلت
القول الوسط اولاها واصحها ان شا الله لان الكافر
والمنافق لم يصطفوا بحمد الله ولا اصطفى دينهم وهو
قول ستة من الصحابه وحسبك وسنزيده بيانا وايضا حا
في باقي الايه الثانيه قوله اورثنا الكتاب اي اعطينا والميراث
عطا حقيقة او مجازا فانه يقال فيما صار للانسان
بعد موت الاخر والكتاب هاهنا يريد به معاني الكتاب
وعلمه واحكامه وعقايده وكان الله تعالى لما اعطى امة
محمد صلى الله عليه وسلم القران وهو قد تضمن معاني
الكتب المنزله فكانه ورث امة محمد عليه السلام
الكتاب الذي كان في الامم قبلنا اصطفينا اي اخترنا
واشتقاقه من الصفو وهو الخلوص من شوايب الكدر
واصله اصتفونا فابدلت التا طا والواو يا من عبادنا
قيل المراد امه محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وغيره
وكان اللفظ يحتمل جميع المومنين من كل امة الا ان عبارة
توريث الكتاب لم تكن الا لامة محمد صلى الله عليه وسلم
والاول لم يرثوه وقيل المصطفون الانبيا توارثوا الكتاب
بمعنى انه انتقل عن بعضهم الى اخر قال الله تعالى وورث

سليمان داود وقال تعالى يرثني ويرث من ال يعقوب فاذا
جاز ان تكون النبوه موروثه فكذلك الكتاب فمنهم ظالم لنفسه
من وقع في صغيره قال ابن عطية وهذا قول مردود من غير
ما وجه قال الضحاك معني فمنهم ظالم لنفسه اي من ذريتهم
ظالم لنفسه وهو المشرك الحسن من امهم على ما تقدم ذكره
من الخلاف في الظالم والاية في امة محمد صلى الله عليه وسلم
وقد اختلفت عبارات ارباب القلوب في الظالم والمقتصد
والسابق فقال سهل بن عبد الله السابق العالم والمقتصد
المتعلم والظالم الجاهل وقال ذو النون المصري الظالم الذاكر
الله بلسانه فقط والمقتصد الذاكر بقلبه والسابق الذي
لا ينساه وقال الانطاكي الظالم صاحب الاقوال والمقتصد
صاحب الافعال والسابق صاحب الاحوال وقال ابن
عطا الظالم الذي يحب الله من اجل الدنيا والمقتصد الذي
يحبه من اجل العقبى والسابق الذي اسقط مراده لمراد
الحق وقيل الظالم الذي يعبد الله خوفا من النار والمقتصد
الذي يعبد الله طمعا في الجنه والسابق الذي يعبده لوجهه
لا للسبب وقيل الظالم الزاهد في الدنيا لانه ظلم نفسه
فترك لها حظا وهي المعرفه والمحبه والمقتصد العارف
والسابق المحب وقيل الظالم الذي يجزع عند البلا والمقتصد

العارف

المتصوفين

مطلب في بيان الظالم والمقتصد والسابق

والسابق

والمقتصد الصابر على البلاء والمتلذذ بالبلاء وقيل الظالم
الذي يعبد الله على الغفلة والعادة والمقتصد الذي يعبده
على الرغبة والرهبة والسابق الذي يعبده على الهيبة وقيل
الظالم الذي اعطي فمنع والمقتصد الذي اعطي فبذل والسابق
الذي منع فشكر واثر ويروى ان عابدين التقيا فقال
كيف حال اخوانكم بالبصرة قال بخير ان اعطوا شكروا
وان منعوا صبروا فقال هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ
عبادنا ان منعوا شكروا وان اعطوا آثروا وقيل الظالم
من استغنى بماله والمقتصد من استغنى بدينه والسابق
من استغنى بربه وقيل الظالم التالي للقران ولا يعمل به
والمقتصد التالي للقران ويعمل به والسابق القاري للقران
والعالم به وقيل السابق الذي يدخل المسجد قبل تأذين
المؤذن والمقتصد الذي يدخل المسجد وقد اذن والظالم
الذي يدخل المسجد وقد اقيمت الصلاة لانه ظلم نفسه
الاجر فلم يحصل له ما حصل لغيره وقال بعض اهل العلم
في هذا ان السابق الذي يدرك الوقت والجماعة فيدرك
الفضيلتين والمقتصد الذي ان فاتته الجماعة لم يفرط في
الوقت والظالم الغافل عن الصلاة حتى يفوت الوقت
والجماعة فهو اولى بالظلم وقيل الظالم الذي يحب نفسه

والمقتصد الذي يحب دينه والسابق الذي يحب ربه
وقيل الظالم الذي ينتصف ولا ينتصف والمقتصد
الذي ينتصف وينتصف والسابق الذي ينصف ولا ينتصف
وقالت عايشه رضي الله عنها السابق الذي اسلم قبل الهجره
والمقتصد من اسلم بعد الهجره والظالم من لم يسلم الا بالسيف
بالسيف وهم كلهم مغفور لهم قلت ذكر هذه الاقوال
وزيادة عليها الثعلبي في تفسيره وبالجملة فهما طرفان
وواسطة وهو المقتصد الملازم للقصد وهو ترك
الميل ومنه قول جابر بن حني التغلبي نعاطي الملوك
السلم ما قصدوا لنا وليس علينا قتلهم بمحرم اي
نعاطيهم الصلح ما ركبوا بنا القصد اي ما لم يجوزوا
وليس قتلهم بمحرم علينا ان جاروا فلذلك كان المقتصد
منزلة بين المنزلتين فهو فوق الظالم ودون السابق
بالخيرات ذلك هو الفضل الكبير يعني ايتانا الكتاب لهم
وقيل ذلك الاصطفا مع علمنا بعيوبهم هو الفضل الكبير
وقيل وعد الجنة لهولاء الثلثه فضل كبير التالته
وتكلم الناس في تقديم الظالم على المقتصد والسابق
فقيل التقديم في الذكر لا يقتضي تشريفا كقوله تعالى
لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنه وقيل قدم الظالم
للكثره

لكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وان المقتصدين قليل
بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل ذكره الزمخشري
ولم يذكره غيرها وقيل قدم الظالم لتاكيد الرجا في حقه
اذ ليس له شي يتكل عليه الا رحمة ربه واتكل المقتصد
على حسن ظنه والسابق اتكل على طاعته وقيل قدم
الظالم لئلا ييئس من رحمة الله واخر السابق لئلا يعجب بعمله
وقال جعفر بن محمد بن الامام علي الصادق صلوات الله عليهم
قدم الظالم ليخبر انه لا يتقرب اليه الا بصرف رحمته وكرمه
وان الظلم لا يوثر في الاصطفائية اذا كانت ثم عناية
ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجا ثم ختم بالسابقين
لئلا يامن احد مكر الله وكلهم في الجنة بحرمة كلمة الاخلاص
لا اله الا الله محمد رسول الله وقال محمد بن علي الترمذي
جمعهم في الاصطفا ازالة للعلل عن العطا لان الاصطفا
يوجب الارث لا الارث يوجب الاصطفا وكذلك قيل
في الحكمة صحح النسبة ثم ادعي في الميراث وقيل اخر السابق
ليكون اقرب الى الجنات والثواب كما قدم الصوامع
والبيع في سورة الحج على المساجد لتكون الصوامع اقرب
الى الهدم والخراب وتكون المساجد اقرب الى ذكر الله
وقيل ان الملوك اذا ارادوا الجمع بين الاشيا بالذكر قدموا

الادبي كقوله تعالى لشديد العقاب والله لغفور رحيم،
وقوله تعالى يهب لمن يشا اناثا ويهب لمن يشا الذكور وقوله
لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة قلت ولقد احسن من
قال وغاية هذا الجود انت واسا بوافي الي الغايات في اخر الامر
الرابعة قوله تعالى جنات عدن يدخلونها جمعهم في
الدخول لانه ميراث والعاق والبار في الميراث سوا اذا كانوا
معترفين النسب فالعاصي والمطيع مقرين بالرب وقرى
جنة عدن على الانفراد كانها جنة مختصة بالسابقين لقلتهم
على ما تقدم وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره
الظاهر اي يدخلون جنات عدن يدخلونها وهذا للجميع
وهو الصحيح ان شا الله وقرا ابو عمرو يدخلونها بضم اليا
وفتح الخاء قال كقوله يحلون وقد مضى في الحج الكلام في قوله
تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها
حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن قال ابو ثابت
دخل رجل المسجد فقال اللهم ارحم غربتي وانس وحدتي
ويسر لي جالسا صالحا فقال ابو الدردا لئن كنت صادقا
فلانا اسعد بذلك منك سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه
ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال فيجي هذا السابق
فيدخل

العاشر

فيدخل الجنه بغير حساب واما المقتصد فيحاسب
حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيحبس في المقام
ويوبخ ويقرع ثم يدخل الجنة فهم الذين قالوا الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وفي لفظ
آخر واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في
طول المحشر ثم هم الذين يتلافاهم الله برحمته فهم
الذين يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا
لغفور شكور الى قوله ولا يمسنا فيها لغوب وقيل
هو الذي يؤخذ منه في مقامه يعني يكفر عنه بما يصيبه
من الهم والحزن ومنه قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به
يعني في الدنيا قال الثعلبي وهذا التأويل اشبه بالظاهر
لانه قال جنات عدن يدخلونها ولقوله الذين اصطفينا
من عبادنا والكافر والمنافق لم يصطفوا قلت وهذا
هو الصحيح وقد قال صلى الله عليه وسلم ومثل المنافق
الذي يقرا القران مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها
مر فاخبر ان المنافق يقروه واخبر الحق سبحانه بان
المنافق في الدرك الاسفل من النار وكثير من الكفار
اليهود والنصارى يقروه في زماننا هذا وقال
مالك قد يقرا القران من لا خير فيه والنصب التعب

واللغوب الاعيا قوله تعالى والذين كفروا لهم نار
جهنم لما ذكر اهل الجنة واحوالهم ومقالتهم ذكر اهل
النار واحوالهم ومقالتهم لا يقضى عليهم فيموتوا مثل
لا يموت فيها ولا يحيى ولا يخفف عنهم من عذابها مثل
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا
العذاب كذلك نجزي كل كفور اي كافر بالله ورسوله
وقرا الحسن فيموتون بالنون ولا يكون للنفي حينئذ
جواب ويكون فيموتون عطفا على يقضى تقديره
لا يقضى عليهم ولا يموتون كقوله تعالى ولا يؤذن
لهم فيعتذرون قال الكسائي ولا يؤذن لهم
فيعتذرون بالنون في المصحف لانه راس اية
ولا يقضى عليهم فيموتوا لانه راس اية ويجوز في
كل واحد منهما ما جاز في صاحبه وهم يصطرخون
فيها اي يستغيثون في النار بالصوت العالي والصرخ
الصوت العالي والصارخ المستغيث والمصرخ
المغيث قال كنا اذا ما اتانا صارخ فزع كان
الصراخ له قرع الظنابيب ربنا اخرجنا اي
يقولون ربنا اخرجنا من جهنم وردنا الى الدنيا
نعمل صالحا قال ابن عباس نقل لا اله الا الله

ومعنى

صوابه ولا يكون

[illegible]

ومعنى قولهم غير الذي كنا نعمل اي من الشرك اي نومن
بدل الكفر ونطيع بدل المعصية ونمتثل امر الرسل
اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر هذا جواب دعائهم
اي فيقال لهم فالقول مضمر وترجم البخاري باب
من بلغ ستين سنة فقد اعذر الله اليه في العمر
لقوله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
وجاكم النذير يعني الشيب نا عبد السلام بن مطهر
قال نا عمر بن علي قال نا معن بن محمد الغفاري عن
سعيد بن ابي سعيد المقبري عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اعذر الله الى امرئ اخر اجله
حتى بلغ ستين سنة قال الخطابي اعذر اليه اي بلغ
به اقصى العذر ومنه قولهم قد اعذر من انذر اي
اقام عذر نفسه في تقديم نذارته والمعنى ان من
عمره الله ستين سنة لم يبق له عذر لان الستين
قريب معترك المنايا وهو سن الانابة والخشوع
وترقب المنية ولقاء الله تعالى ففيه اعذار بعد
اعذار الاول بالنبي عليه السلام والمرتان في الاربعين
والستين قال علي وابن عباس وابو هريرة في تاويل
قوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر انه

سنون سنه وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال في موعظته ولقد ابلغ في الاعذار من تقدم في الانذار
وانه لينادي مناد من قبل الله تعالى ابنا الستين اولم
نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير وذكر
الترمذي الحكيم من حديث عطا ابن ابي رباح عن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا كان يوم القيامه نودي ابنا الستين وهو
العمر الذي قال الله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
وعن ابن عباس ايضا انه اربعون سنة وعن الحسن
البصري ومسروق مثله ولهذا القول ايضا وجه
وهو صحيح والحجة له قوله جل وعز حتى اذا بلغ اشده
وبلغ اربعين سنة الاية ففي الاربعين تناهي العقل وما
قبل ذلك وما بعده منتقص عنه والله اعلم وقال
مالك ادركت اهل العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا
والعلم ويخالطون الناس حتى ياتي لاحدهم اربعون
سنة فاذا اتت عليهم اعتزلوا الناس واشتغلوا
بالقيامة حتى ياتيهم الموت وقد مضى المعنى في سورة
الاعراف والحمد لله وخرج ابن ماجه عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعمار امتي ما

بين

بين الستين الى السبعين واقلهم من تجاوز ذلك قوله
تعالى وجاءكم النذير وقرئ وجاءكم النذر واختلف
فيه فقيل القران وقيل الرسول قاله زيد بن علي وابن
زيد وقال ابن عباس وعكرمة وسفيان ووكيع
والحسين بن الفضل والفراء والطبري هو الشيب وقيل
النذير الحمى وقيل موت الاهل والاقارب وقيل كمال
العقل والنذير بمعنى الانذار قلت فالشيب والحمى
وموت الاهل كله انذار بالموت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحمى رائد الموت قال الازهري معناه
ان الحمى رسول الموت اي كانها تشعر بقدومه وتنذر
بمجيئه والشيب نذير ايضا لانه ياتي في سن الاكتهال
وهو علامة المفارقة بين الصبا الذي هو سن اللهو
واللعب قال رايت الشيب من نذر المنايا لصاحبه
وحسبك من نذير وقال اخر فقلت لها المشيب نذير
عمري ولست مسودا وجه النذير واما موت الاهل
والاقارب والاصحاب والاخوان فانذار بالرحيل في كل
وقت واوان وحين وزمان قال اراك تحملهم ولست
تردهم وكاني بك قد حملت فلم ترد وقال اخر الموت
في كل حين ينشر الكفنا ونحن في غفلة عما يراد بنا واما

كمال العقل فبه تعرف حقايق الامور ويفصل بين الحسنات والسيات
فالعاقل يعمل لاخرته ويرغب فيما عند ربه فهو نذير واما محمد صلى
الله عليه وسلم فبعثه الله جل وعز مبشرا ونذيرا الى عباده
قطعا لحججهم قال الله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
وقال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قوله تعالى فذوقوا يريد
عذاب جهنم لانكم ما اعتبرتم ولا اتعظتم فما للظالمين من نصير اي
مانع من عذاب الله قوله تعالى ان الله عالم غيب السموات
والارض انه عليم بذات الصدور تقدم معناه في غير موضع
والمعنى علم انه لو ردكم الى الدنيا لم تعملوا صالحا كما قال ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه وعالم اذا كان بغير تنوين صلح
ان يكون للماضي والمستقبل واذا كان منونا لم يجز ان يكون للماضي
قوله تعالى هو الذي جعلكم خلايف في الارض قال قتادة
خلفا بعد خلف وقرنا بعد قرن والخلف هو التالي للمتقدم ولذلك
قيل لابي بكر يا خليفة الله فقال لست بخليفة الله ولكني
خليفة رسول الله وانا راض بذلك فمن كفر فعليه كفره وهو
العقاب والعذاب ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا
اي بغضا وغضبا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا
اي هلاكا وضلالا قوله تعالى قل ارايتم شركاكم الذين
شركاكم تدعون منصوب بالروية ولا يجوز رفعه وقد يجوز الرفع

اي جزا كفره

وقد يجوز الرفع عند سيبويه في قولهم علمت زيدا ابو من
هو لان زيدا في المعنى مستفهم عنه ولو قلت ارايت زيدا
ابو من هو لم يجز الرفع والفرق بينهما ان معنى هذا اخبرني عنه
وكذا معنى هذا اخبروني عن شركايكم الذين تدعون من
دون الله أعبدتموهم لان لهم شركة في خلق السموات ام خلقوا
من الارض شيا ام اتيناهم كتابا اي ام عندهم كتاب انزلناه اليهم
بالشركة وكان في هذا رد على من عبد غير الله جل وعز لانهم لا
يجدون في كتاب من الكتب ان الله عز وجل امر ان يعبد غيره
فهم على بينة منه قرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وحفص
عن عاصم على بينة بالتوحيد وجمع الباقون والمعنيان
متقاربان الا ان قراة الجمع اولى لانه لا يخلوا من قراة
على بينة من ان يكون خلاف السواد الاعظم او يكون
جاء على لغة من قال جاني طلحت فوقف بالتاء وهذه
لغة شاذة قليلة قاله النحاس وقال ابو حاتم وابو
عبيد الجمع اولى لموافقته الخط لانها في مصحف عثمان
بينات بالالف والتاء بل ان يعد الظالمون اي ما
يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا اي باطلا
تغر وهو قول الشادة السفلة ان هذه الالهة تشفع لكم
وتقربكم وقيل ان وان الشياطين تعد المشركين ذلك ان

وفي غيره بالتاء [illegible]

قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
لما بين ان الهتهم لا تقدر على خلق شي من السموات والارض
بين ان خالقهما وممسكهما هو الله فلا يوجد حادث الا
بايجاده ولا يبقى الا بابقايه وان في موضع نصب كراهة
ان تزولا او لئلا تزولا او يحمل على المعنى لان المعنى ان الله
يمنع السموات والارض ان تزولا فلا حاجة على هذا
الى اضمار وهذا قول الزجاج ولئن زالتا ان امسكهما من
احد من بعده قال الفراء اي ولو زالتا ما امسكهما من
احد وان بمعنى ما قال وهو مثل قوله تعالى ولئن
ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون
وقيل المراد زوالهما يوم القيامة وعن ابراهيم قال
دخل رجل من اصحاب ابن مسعود الى كعب الاحبار
يتعلم منه العلم فلما رجع قال له ابن مسعود ما الذي
اصبت من كعب قال سمعت كعبا يقول ان السما تدور
على قطبة الرحا في عمود على منكبي ملك فقال له عبد الله
وددت انك انقلبت براحلتك ورحلها كذب كعب
ما ترك يهوديته ان الله تعالى يقول ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا ان السموات لا تدور ولو
كانت تدور لكانت قد زالت وعن ابن عباس
نحوه

من

مطلب

مثل قطبة

لان كعبا كان اولا من علماء اليهود

قال
نحوه وانه لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا
قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات
على منكب ملك قال كذب كعب ما ترك يهوديته بعد ان
الله تعالى يقول ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
ان السموات لا تدور ولو كانت تدور لكانت قد زالت
وعن ابن عباس نحوه وانه قال لرجل مقبل من الشام من
لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول
ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب ما ترك يهوديته
بعد ان الله تعالى يقول ان الله يمسك السموات والارض بلغ
ان تزولا والسموات سبع والارضون سبع ولكن لما ذكرهما
اجراهما مجرى شيئين فعادت الكناية اليهما وهو كقوله
تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم ختم الاية
بقوله ان الله كان حليما غفورا لان المعنى فيما ذكره بعض اهل
التاويل ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا من كفر
الكافرين وقولهم اتخذ الله ولدا قال الكلبي لما قالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله كادت السموات
والارض ان تزولا عن امكنتهما فمنعهما الله وانزل هذه الاية
فيه وهو كقوله تعالى لقد جئتم شيئا إدّا تكاد السموات
يتفطرن منه الاية قوله تعالى واقسموا بالله جهد

أيمانهم لئن جاهم نذير قريش اقسموا قبل ان يبعث
الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم حين بلغهم ان
اهل الكتاب كذبوا رسلهم فلعنوا من كذب نبيه منهم
واقسموا بالله جل اسمه لئن جاهم نذير اي نبي
ليكونن اهدى من احدى الامم يعني ممن كذب الرسل
من اهل الكتاب وكانت العرب تتمنى ان يكون منهم
رسول كما كان الرسل في بني اسرايل فلما جاهم
ما تمنوه وهو النذير من انفسهم نفروا عنه
ولم يومنوا به استكبارا اي عتوا عن الايمان
ومكر السيء اي مكر العمل السيء وهو الكفر وخدع
الضعفا وصدهم عن الايمان ليكثر اتباعهم
وانث من احدى الامم لتانيث امه قاله الاخفش
وقرا حمزه والاعمش ومكر السيء ولا يحيق المكر
السيء فحذف الاعراب من الاول واثبته في الثاني
قال الزجاج وهو لحن وانما صار لحنا لانه حذف
الاعراب منه وزعم المبرد انه لا يجوز في كلام ولا
في شعر لان حركات الاعراب لا يجوز حذفها
لانها دخلت للفرق بين المعاني وقد اعظم بعض
النحويين ان يكون الاعمش على جلالته ومحله
يقرا

يقرا هذا قال انما يقف عليه فغلط من ادعى عنه
قال والدليل على هذا انه تمام الكلام وان الثاني لما لم
يكن تمام الكلام اعرب باتفاق والحركة في الثاني
اثقل منها في الاول لانها ضمة بين كسرتين وقد احتج
بعض النحويين لحمزة في هذا بقول سيبويه وانه
انشد هو وغيره اذا اعوججن قلت صاحب قوم
وقال الاخر فاليوم اشرب غير مستحقب اثما
من الله ولا واغل وهذا لا حجة فيه لان سيبويه
لم يجزه وانما حكاه عن بعض النحويين والحديث
اذا قيل فيه عن بعض العلما لم يكن فيه حجة فكيف
وانما جا به على الشذوذ ولضرورة الشعر وقد
خولف فيه وزعم الزجاج ان ابا العباس انشده
اذا اعوججن قلت صاح قوم وانه انشد فاليوم
اشرب غير مستحقب ذكر جميعه النحاس الزمخشري
وقرا حمزة ومكر السيئ باسكان الهمزة وذلك
لاستثقاله الحركات ولعله اختلس فظن سكونا
او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدا ولا يحيق وقرا
ابن مسعود ومكرا سيئا وقال المهدوي ومن
سكن الهمزة من قوله ومكر السيئ فهو على تقدير

الوقف عليه ثم اجرى الوصل مجرى الوقف او على
انما سكن الهمزة لتوالي الكسرات والياآت كما قال
فاليوم اشرب غير مستحقب قال القشيري وقرا
حمزة ومكر السيء بسكون الهمزة وخطاه اقوام
وقال قوم لعله وقف عليه لانه تمام الكلام
فغلط الراوي وروى ذلك عنه في الادراج
وقد سبق الكلام في امثال هذا وقلنا ما ثبت بالاستفاضة
او التواتر ان النبي صلى الله عليه وسلم قراه فلا بد من
جوازه ولا يجوز ان يقال انه لحن ولعل مراد من
صار الى التخطية ان غيره افصح منه وان كان هو
فصيحا ولا يحيق المكر السيء الا باهله اى لا تنزل
عاقبة الشرك الا بمن اشرك وقيل هذا اشارة
الى قتلهم ببدر وقال الشاعر وقد رفعوا المنية
فاستقلت ذراعا بعد ما كانت تحيق اي تنزل
وهذا قول قطرب وقال الكلبي تحيق بمعنى تحيط
والحوق الاحاطة يقال حاق به كذا اى احاط به وعن
ابن عباس ان كعبا قال له اني اجد في التوراة من حفر
لاخيه المسلم حفرة وقع فيها فقال ابن عباس فاني
اوجدك في القران ذلك قال فقرا ولا يحيق المكر

السيء

بالعتم الي زهرة بن كلاب
نسبة الكتاب
في الان

مطلب في الموعظة

السيء الا باهله وفي امثال العرب من حفر لاخيه جبًّا وقع
فيه منكبًّا وروى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تمكر ولا تعن ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق
المكر السيء الا باهله ولا تبغ ولا تعن باغيا فان الله تعالى يقول
فمن نكث فانما ينكث على نفسه وقال تعالى انما بغيكم على
انفسكم وقال بعض الحكما يا ايها الظالم في فعله والظلم مردود
على من ظلم الى متى انت وحتى متى تحصي المصيبات وتنسى النعم
وفي الحديث المكر والخديعة في النار فقوله في النار يعني في
الاخرة تدخل اصحابها في النار لانها من اخلاق الكفار لا من
اخلاق المومنين المكر والخديعة والخيانة وفي هذا ابلغ تحذير
عن التخلق بهذه الاخلاق الذميمة والخروج عن اخلاق الايمان
الكريمة **قوله تعالى** فهل ينظرون الا سنة الاولين
اي انما ينتظرون العذاب الذي نزل بالكفار الاولين
فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اي
اجرى الله العذاب على الكفار ويجعل ذلك سنة فيهم فهو
يعذب بمثله من استحقه لا يقدر احد ان يبدل ذلك
ولا ان يحول العذاب عن نفسه الى غيره والسنة الطريقة
والجمع سنن وقد مضى في ال عمران واضافها الى الله عز وجل
وقال في موضع اخر سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا

مطلب في معنى هذه الحديث

فاضاف الي القوم لتعلق الامر بالجانبين وهو كالاجل تارة
يضاف الى الله وتارة الى القوم قال الله تعالى ان اجل الله لات وقال
تعالى فاذا جاء اجلهم قوله تعالى اولم يسيروا في الارض بين
السنة التي ذكرها اي اولم يروا ما انزلنا بعاد وثمود
ومدين وامثالهم لما كذبوا الرسل فيتدبروا اذلك بنظرهم
الى مساكنهم ودورهم وبما سمعوا على التواتر مما حل بهم
افليس فيه عبرة وبيان لهم ليسوا خيرا من اولئك ولا
اقوى بل كان اولئك اقوى دليله قوله تعالى وكانوا اشد
منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في
الارض اي اذا اراد انزال العذاب بقوم لم يعجزه ذلك انه كان
عليما قديرا قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا
يعني من الذنوب ما ترك على ظهرها من دابة قال ابن مسعود
يريد جميع الحيوان مما دب ودرج قال قتادة وقد فعل
ذلك زمن نوح عليه السلام وقال الكلبي من دابة يريد
الجن والانس دون غيرهما لانهما مكلفان بالعقل وقال ابن
جريج والاخفش والحسين بن الفضل اراد بالدابة هنا
الناس وحدهم دون غيرهم قلت والاول اظهر لانه عن
صحابي كبير قال ابن مسعود كاد الجعل ان يعذب في جحره
بذنب ابن ادم وقال يحيى بن ابي كثير امر رجل بالمعروف
ونهى

اي انزل

مشيره
وسوى

بر اصل
شاه
بوطيد
راضي
بر

ونهى عن المنكر فقال له رجل عليك بنفسك فان الظالم لا يضر
الا نفسه فقال ابو هريرة كذبت والله الذي لا اله الا هو ثم
قال والذي نفسي بيده ان الحبارى لتموت هزلا في وكرها
بظلم الظالم وقال الثمالي ويحيى ابن سلام في هذه الاية
يحبس الله المطر فيهلك كل شي وقد مضى في البقرة نحو
عن عكرمة ومجاهد في تفسير ويلعنهم اللاعنون انهم الحشرات
والبهايم يصيبهم الجدب بذنوب علما السو الكاتمين فيلعنونهم
وذكرنا هنالك حديث البرا ابن عازب قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى ويلعنهم اللاعنون قال دواب
الارض ولكن يوخرهم الى اجل مسمى قال مقاتل الاجل المسمى
هو ما وعدهم في اللوح المحفوظ وقال الحسن هو يوم القيامة
فان الله كان بعباده اي بمن يستحق العقاب منهم بصيرا ولا
يجوز ان يكون العامل في اذا بصيرا كما لا يجوز اليوم ان
زيدا خارج ولكن العامل فيها جا لشبهها بحروف المجازاة
والاسما التي يجازى بها يعمل فيها ما بعدها وسيبويه
لا يرى المجازاة باذا الا في الشعر كما قال
اذا قصرت اسيافنا كان وصلها خطانا الى اعدائنا فنضارب

سورة يس مكية باجماع وهي ثلث وثمانون
اية الا ان فرقة قالت ان قوله تعالى ونكتب ما قدموا

الحبارى طائر يقع على الذكر والانثى قاموس

وآثارهم نزلت في بني سلمة من الانصار حين ارادوا
ان يتركوا ديارهم وينتقلوا الى جوار مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ما ياتي وفي كتاب ابي داود عن
معقل بن يسار قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرؤا
يس على موتاكم وذكر الآجري من حديث ام الدرداء
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من ميت يقرأ عليه
سورة يس الا هون عليه وفي مسند الدارمي عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له في تلك الليلة
خرجه ابو نعيم الحافظ ايضا وروى الترمذي عن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا
وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة
القرآن عشر مرات قال هذا حديث غريب وفي
اسناده هارون ابو محمد شيخ مجهول وفي الباب
عن ابي بكر الصديق ولا يصح حديث ابي بكر من قبل اسناده
واسناده ضعيف وعن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان في القرآن لسورة تشفع
لقارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس
تدعى في التوراة المعمة قيل يا رسول الله وما

المعمة

وما المعمّة قال تعم صاحبها بخير الدنيا وتدفع عنه اهاويل
الآخرة وتدعى الدافعة والقاضية قيل يا رسول الله وكيف
ذلك قال تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضى له كل حاجة
ومن قراها عدلت له عشرين حجه ومن سمعها كانت
له كالف دينار تصدق بها في سبيل الله ومن كتبها وشربها
ادخلت جوفه الف دواء والف نور والف يقين والف
رافة والف رحمة والف هدى ونزع عنه كل داء وغل
ذكره الثعلبي من حديث عايشة والترمذي الحكيم في نوادر
الاصول من حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه مسندا
وفي مسند الدارمي عن شهر بن حوشب قال قال ابن عباس
من قرا يس حين يصبح اعطي يسر يومه حتى يمسي ومن
قراها في صدر ليلة اعطي يسر ليلته حتى يصبح وذكر النحاس
عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال لكل شئ قلب وقلب القران
يس من قراها نهارا كفي همه ومن قراها ليلا غفر له ذنبه
وقال شهر بن حوشب يقرا اهل الجنة طه ويس فقط
رفع هذه الاخبار الثلثة الماوردي فقال روى الضحاك
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شي
قلبا وان قلب القرآن يس ومن قراها في ليلة اعطي يسر تلك
الليلة ومن قراها في يوم اعطي يسر ذلك اليوم وان اهل الجنة

يرفع عنهم القران فلا يقرون شيا الا طه ويس وقال يحيى
بن ابي كثير بلغني ان من قرا سورة يس ليلا لم يزل في فرح حتى
يصبح ومن قراها حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي وقد
حدثني من جربها ذكره الثعلبي وابن عطية قال ابن عطية
ويصدق ذلك التجربة وذكر الترمذي الحكيم في نوادر
الاصول عن عبد الاعلى قال حدثنا محمد بن الصلت عن عمر
بن ثابت عن محمد بن مروان عن ابي جعفر قال من وجد في قلبه
قساوة فليكتب يس في جام بزعفران ثم يشربه حدثني
ابي رحمه الله قال نا اصرم بن حوشب عن تقية بن
الوليد عن المعتمر بن اشرف عن محمد بن علي قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم القران افضل من كل شي دون الله
وفضل القران على ساير الكلام كفضل الله على خلقه فمن
وقر القران فقد وقر الله ومن لم يوقر القران لم يوقر الله
وحرمة القران عند الله كحرمة الوالد على ولده القران شافع
مشفع وماحل مصدق فمن شفع له القران شفع ومن
محل به القران صدق ومن جعله امامه قاده الى الجنة ومن
جعله خلفه ساقه الى النار حملة القران هم المحفوفون
برحمة الله الملبسون نور الله المعلمون كلام الله من والاهم
فقد والا الله ومن عاداهم فقد عادا الله يقول الله تعالى

يا

مطلب في خواص سورة يس وثوابه

يا حملة القران استجيبوا لربكم بتوقير كتابه يلوي الدنيا وبلوي الاخره ومن استمع ايةً من كتاب الله كان له افضل مما تحت العرش الى التخوم وان في كتاب الله لسورة تدعى القريرة يدعى صاحبها الشريف يوم القيامة تشفع لصاحبها اكثر من ربيعه ومضر وهي سورة يس وذكر الثعلبي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة يس ليلة الجمعة اصبح مغفورا له وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل المقابر فقرا سورة يس خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يس في يس اوجه من القراات قرا اهل المدينة والكسائي يس والقران الحكيم بادغام النون في الواو وقرا ابو عمرو والاعمش وحمزه يس باظهار النون وقرا عيسى بن عمر يس بنصب النون وقرا ابن عباس وابن ابي اسحق ونصر بن عاصم يس بالكسر وقرا هارون الاعور ومحمد بن السميفع يس بضم النون فهذه خمس قراات القراءة الاولى بالادغام على ما يجب في العربية لان النون تدغم في الواو ومن بين قال سبيل حروف الهجا يوقف عليها وانما يكون الادغام في الادراج وذكر سيبويه النصب وجعله من جهتين

احداهما ان يكون مفعولاً ولا ينصرف لانه عنده اسم اعجمي بمنزلة
هابيل والتقدير اذكر يس وجعله سيبويه اسماً للسورة
وقوله الاخر ان يكون مبنياً على الفتح مثل كيف واين واما
الكسر فزعم الفرا انه مشبه بقول العرب جير لا افعل فعلى
هذا يكون يس قسماً وقاله ابن عباس وقيل شبه بامس وحذام
وهولاء ورقاش واما الضم فمشبه بمنذ وحيث وقط
وبالمنادي المفرد اذا قلت يا رجل قال ابن السميفع وهارون
وقد جا في تفسيرها يا رجل فالاولى بها الضم قال ابن الانباري
يس وقف حسن لمن قال هو افتتاح للسورة ومن قال معنى
يس يا رجل لم يقف عليه وروي عن ابن عباس وغيرهما ان معناه
يا انسان وقالوا في قوله تعالى سلام على الياسين اي على ال
محمد وقال سعيد بن جبير هو اسم من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم
دليله انك لمن المرسلين قال السيد الحميري يا نفس لا تمحضي
بالنصح جاهدة على المودة الا ال ياسينا ،، وقال ابو بكر الوراق
معناه يا سيد البشر وقيل انه اسم من اسماء الله قاله
مالك روى عنه اشهب قال سالته هل ينبغي لاحد ان يتسمى
بيس قال ما اراه ينبغي لان يقول الله يس والقران الحكيم
يقول هذا اسمي ياسين قال ابن العربي هذا كلام بديع
وذلك ان العبد يجوز له ان يتسمى باسم الرب اذا كان فيه معنى
منه

بلغ

الحادي عشر

منه كقوله عالم وقادر ومريد ومتكلم وانما منع مالك
من التسمية بيس لانه اسم من اسما الله لا يدري معناه فربما
كان معناه منفرد به الرب فلا يجوز ان يقدم عليه
العبد فان قيل فقد قال الله تعالى سلام على ال ياسين قلنا
ذلك مكتوب بهجاء فيجوز التسمية وهذا الذي ليس
بمتهجي هو الذي تكلم مالك عليه لما فيه من الاشكال والله اعلم
وقال بعض العلما افتتح الله هذه السورة بالياء والسين وفيهما
مجمع الخير ودل المفتتح على انه قلب والقلب امير على الجسد
ولذلك يس امير على ساير السور مشتمل على جميع القران
ثم اختلفوا فيه ايضا فقال سعيد بن جبير وعكرمة
هو بلغة الحبشة وقال الشعبي هو بلغة طي الحسن
بلغة كلب الكلبي هو بالسريانية فتكلمت به العرب فصار
من لغتهم وقد مضى هذا المعنى في طه وفي مقدمة الكتاب
مستوفي وقد سرد القاضي عياض اقوال المفسرين في
معنى يس فحكى ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لي عند ربي عشرة اسما ذكر ان منها طه
ويس اسمان له قلت وذكر الماوردي عن علي رضي الله عنه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى سماني
في القرآن بسبعة اسماء محمد واحمد وطه ويس

في
بيان

والمزمل والمدثر وعبد الله قاله القاضي وحكى ابو عبد
الرحمن السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة
لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس يس يا انسان
اراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم وهو من اسما
الله سبحانه وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا
رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن
كعب يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السما والارض
بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال والقران الحكيم
فان قدر انه من اسمايه صلى الله عليه وسلم وصح فيه
انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم وتوكد فيه
القسم عطف القسم الاخر عليه وان كان بمعنى النداء
فقد جا قسم اخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة
بهدايته اقسم تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين
بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه
اى طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال
النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيايه بالرسالة
في كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل
من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام انا سيد
ولد ادم انتهى كلامه وحكى القشيري قال ابن عباس
قال

قالت كفار قريش لست مرسلا وما ارسلك الله لنا
فاقسم الله بالقران المحكم ان محمدا لمن المرسلين والحكيم
المحكم حتى لا يتعرض لبطلان وتناقض كما قال احكمت
اياته ولذلك احكم في نظمه ومعانيه فلا يلحقه خلل
وقد يكون الحكيم في حق الله بمعنى المحكم بكسر الكاف كالاليم
بمعنى المولم على صراط مستقيم اي دين مستقيم وهو
الاسلام وقال الزجاج على طريق الانبياء الذين تقدموك
قال وانك لمن المرسلين خبران وانك على صراط مستقيم
خبر ثان انك لمن المرسلين وانك على صراط مستقيم وقيل
المعنى لمن المرسلين على استقامة فيكون قوله على صراط
مستقيم من صلة المرسلين اى انك لمن المرسلين الذين
ارسلوا على طريقة مستقيمة كقوله تعالى وانك
لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله اى الصراط الذي
امر الله به **قوله تعالى** تنزيل العزيز الرحيم قرا
ابن عامر وحفص والاعمش ويحيى وحمزة والكسائي
وخلف تنزيل بنصب اللام على المصدر اي نزل ذلك
تنزيلا او اضاف المصدر فصار معرفة كقوله تعالى
فضرب الرقاب اى فضربا للرقاب الباقون تنزيل بالرفع
على خبر ابتداء محذوف اى هو تنزيل او الذي انزل

اليك تنزيل العزيز الرحيم هذا وقرى تنزيل بالجر على البدل
من القران والتنزيل يرجع الى القران وقيل الى النبي صلى الله
عليه وسلم اي انك لمن المرسلين وانك تنزيل العزيز الرحيم
فالتنزيل على هذا بمعنى الارسال قال الله تعالى قد انزل الله
اليكم ذكرا رسولا يتلوا ويقال ارسل الله المطر وانزله بمعنى
ومحمد صلى الله عليه وسلم رحمة الله انزلها من السماء ومن
نصب قال انك لمن المرسلين ارسالا من العزيز الحكيم والعزيز
المنتقم ممن خالفه الرحيم باهل طاعته **قوله تعالى**
لتنذر قوما ما انذر اباوهم ما لا موضع لها من الاعراب
عند اكثر اهل التفسير منهم قتادة لانها نفي والمعنى لتنذر
قوما ما اتى اباهم قبلك نذير وقيل هي بمعنى الذي فالمعنى
لتنذرهم مثل ما انذر اباوهم قاله ابن عباس وعكرمة
وقتادة ايضا وقيل ان ما والفعل مصدر اى لتنذر قوما
انذارا ابايهم ثم يجوز ان تكون العرب قد بلغتهم بالتواتر اخبار
الانبيا فالمعنى لم ينذروا برسول من انفسهم ويجوز ان يكون
بلغهم الخبر ولكن غفلوا واعرضوا ونسوا ويجوز ان يكون هذا
خطابا بالقوم لم يبلغهم خبر نبي وقد قال الله تعالى وما اتيناهم
من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وقال تعالى
لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون

اي

اي لم يأتهم نبي على قول من قال بلغهم خبر الانبيا فالمعنى فهم
معرضون الان متغافلون عن ذلك ويقال للمعرض عن الشي
انه غافل عنه وقيل فهم غافلون عن عقاب الله قوله تعالى
لقد حق القول على اكثرهم اي وجب العذاب على اكثرهم فهم
لا يومنون بانذارك وهذا فيمن سبق في علم الله انه يموت
على كفره ثم بين سبب تركهم الايمان فقال تعالى انا جعلنا
في اعناقهم اغلالا قيل نزلت في ابي جهل بن هشام وصاحبيه
المخزوميين وذلك ان اباجهل حلف لين راى محمدا يصلي ليرضخن
راسه بحجر فلما راه ذهب فرفع حجرا ليرميه فلما اوما
اليه رجعت يده الى عنقه والتصق الحجر بيده قاله ابن
عباس وعكرمة وغيرهما فهو على هذا تمثيل اي هو بمنزلة
من غلت يده الى عنقه فلما عاد الى اصحابه اخبرهم بما راى
فقال الرجل الثاني وهو الوليد بن المغيرة انا ارضخ راسه
فاتاه وهو يصلي على حالته ليرميه بالحجر فاعمى الله بصره
فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى
نادوه فقال والله ما رايته ولقد سمعت صوته فقال
الثالث والله لاشدخن انا راسه ثم اخذ الحجر وانطلق فرجع
القهقري ينكص على عقبيه حتى خر على قفاه مغشيا عليه فقيل
له ما شانك قال عظيم رايت الرجل فلما دنوت منه واذا فحل يخطر

بلغ

بل نبه ما رايت وطحى لا اعظم منه حال بيني وبينه فواللات
والعزى لو دنوت منه لاكلني فانزل الله تعالى انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وقرا ابن عباس انا جعلنا في ايمانهم
وقال الزجاج انا جعلنا في ايديهم قال النحاس وهذه القراءة تفسير
ولا يقرا بما خالف المصحف وفي الكلام حذف على قراءة الجماعة
التقدير انا جعلنا في اعناقهم وفي ايديهم اغلالا فهي الى الاذقان
فهي كناية عن الايدي لا عن الاعناق والعرب تحذف مثل هذا
ونظيره سرابيل تقيكم الحر وتقديره وسرابيل تقيكم البرد
فحذف لان ما وقى من الحر وقى من البرد لان الغل اذا كان
في العنق فلا بد ان يكون في اليد ولاسيما وقد قال الله عز وجل
فهي الى الاذقان فقد علم انه يراد به الايدي فهم مقمحون
اي رافعوا رؤسهم لا يستطيعون الاطراق لان من غلت
يده الى ذقنه ارتفع راسه روى عبد الله بن يحيى ان علي بن ابي
طالب عليه السلام اراهم الاقماح فجعل يديه تحت لحيته
والصقهما ورفع راسه قال النحاس وهذا اجل ما روي فيه
وهو ماخوذ مما حكاه الاصمعي قال يقال اقمحت الدابة اذا جذبت
لجامها لترفع راسها قال النحاس والقاف مبدلة من الكاف
لقربها منها كما يقال قهرته وكهرته قال الاصمعي يقال
اكمحت الدابة اذا جذبت عنانه حتى ينتصب راسه قال
ومنه

ومنه قول الشاعر والراس مُكمح ويقال كمحتها واكمحتها
وكبحتها هذه وحدها بلا الف عن الاصمعي وقمح البعير
قموحًا اذا رفع راسه عند الحوض وامتنع من الشرب
فهو بعير قامح وقمح يقال شرب فتقمح وانقمح بمعنى اذا
رفع راسه وترك الشرب ريا وقد قامحت ابلك اذا اوردت
ولم تشرب ورفعت راسها من داءٍ يكون بها او بردٍ وهي
ابل مقامحة وبعير مقامح وناقة مقامح ايضا والجمع قماح
على غير قياس قال بشر يصف سفينة ؛؛ ونحن على جوانبها
قعودٌ نغض الطرف كالابل القماح والاقماح رفع الراس
وغض البصر يقال اقمحه الغل اذا ترك راسه مرفوعا من
ضيقه وشهرا قماح اشد ما يكون من البرد وهما الكانونان
سُميا بذلك لان الابل اذا اوردت اذاها برد الماء تقامحت
رؤسها ومنه اقتحمت السويق وقيل هو مثل ضربه الله
تعالى لهم في امتناعهم من الهدى كامتناع المغلول قاله يحيى
ابن سلام وابو عبيدة وكما يقال فلان حمار اي لا يبصر الهدى
وكما قال لهم عن الرشد اغلال واقياد ؛؛ وفي الخبر ان ابا ذؤيب
كان يهوى امراة في الجاهلية فلما اسلم راودته فابى وانشا يقول
فليس كعهد الدار يا ام مالك ولكن احاطت بالرقاب السلاسل
وعاد الفتى كالكهل ليس بقايل سوى العدل شيا فاستراح العواذل

٥ اراد منعنا بموانع الاسلام عن تعاطي الزنا والفسق وقال الفرا
وقال الفرا ايضا هذا ضرب مثل اي حبسناهم عن الانفاق في سبيل
الله وهو كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وقاله الضحاك
وقيل ان ها ولا اصاروا في الاستكبار عن الحق حتى جعل في يده غل
فجمعت الى عنقه فبقي رافعا راسه لا يخفضه وغاضا بصره لا يفتحه
والمتكبر يوصف بانتصاب العنق وقال الازهري ان ايديهم
لما غلت عند الله اعناقهم رفعت الاغلال اذقانهم ورؤسهم
صعدا كالابل وهذا المنع خلق الكفر في قلوب الكفار وعند قوم
سلبهم التوفيق عقوبة لهم على كفرهم وقيل الاية اشارة الى ما يفعل
باقوام غدا في النار من وضع الاغلال في اعناقهم والسلاسل
واخبر عنه بلفظ الماضي فهم مقمحون تمام تفسيره وقال مجاهد
مقمحون مغللون عن كل خير قوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم
سدا ومن خلفهم سدا قال مقاتل لما عاد ابو جهل الى اصحابه ولم
يصل الى النبي صلى الله عليه وسلم وسقط الحجر اخذ الحجر اخر
اخر من بني مخزوم وقال انا اقتله بهذا الحجر فلما دنا من النبي صلى
الله عليه وسلم طمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم
فرجع الى اصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه فهذا معنى الاية وقال
محمد بن اسحق في روايته جلس عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل
وامية بن خلف يرصدون النبي صلى الله عليه وسلم ليبلغوا من اذاه
فخرج

٥ قال رضي في الاغلال اعناقهم والسلاسل

فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم وهو يقرا يس وفي يده تراب
فرماهم به وقرا وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا
فاطر قوا حتى مر عليهم عليه السلام وقد مضى هذا في سورة سبحان
ومضى في الكهف الكلام في سدا بضم السين وفتحها وهما لغتان
فاغشيناهم اي غطينا ابصارهم وقد مضى في اول البقرة وقرا
ابن عباس وعكرمة ويحيى بن يعمر فاعشيناهم بالعين غير معجمة
من العشا في العين وهو ضعف بصره حتى لا يبصر بالليل قال
متى تاته تعشو الى ضوء ناره ، وقال تعالى ومن يعش عن ذكر
الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين والمعنى متقارب كما قال
ومن الحوادث لا ابالك انني ضربت على الارض بالاسداد
لا اهتدي فيها لموضع تلعة بين العذيب وبين ارض مراد
اي فهم لا يبصرون الهدى قاله قتادة وقيل محمدا حين ائتمروا
على قتله قاله السدي وقال الضحاك وجعلنا من بين ايديهم
سدا اي الدنيا ومن خلفهم سدا اي الاخرة اي عموا عن
البعث وعموا عن قبول الشرايع في الدنيا قال الله تعالى
وقيضنا لهم قرنا فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم
اي زينوا لهم الدنيا ودعوهم الى التكذيب بالاخرة
وقيل على هذا من بين ايديهم سدا اي اغتروا بالدنيا ومن
خلفهم سدا اي كذبوا بالاخرة وقيل ما بين ايديهم

محمد حين بات عندهم حجر وقد طمس الله

الاخره وما خلفهم الدنيا وسوا عليهم آانذرتهم ام لم تنذرهم
لا يومنون تقدم في البقره والاية رد على القدرية وغيرهم
وعن ابن شهاب ان امير المومنين عمر بن عبد العزيز احضر
غيلان القدري فقال يا غيلان بلغني انك تتكلم بالقدر فقال
يكذبون علي يا امير المومنين ثم قال يا امير المومنين ارايت قول
الله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه
سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا
فقال اقرا يا غيلان فقرا حتى انتهى الى قوله فمن شا اتخذ
الى ربه سبيلا فقال اقرا فقال وما تشاون الا ان يشا
الله فقال والله يا امير المومنين ان شعرت ان هذا في كتاب
الله قط فقال له يا غيلان اقرا اول سورة يس فقرا حتى
بلغ وسوا عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون فقال
غيلان والله يا امير المومنين لكاني لم اقراها قط قبل اليوم
اشهد يا امير المومنين اني تايب فقال عمر اللهم ان كان صادقا
فتب عليه وثبته وان كان كاذبا فسلط عليه من لا يرحمه
واجعله اية للمومنين فاخذه هشام فقطع يديه ورجليه
وصلبه قال ابن عون فانا رايته مصلوبا على باب دمشق
فقلنا ما شانك يا غيلان فقال اصابتني دعوة الرجل الصالح
عمر بن عبد العزيز قوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر
يعني

يعني القران وعمل به وخشي الرحمن بالغيب اي ما غاب
من عذابه وناره قاله قتاده وقيل اي لخشاه في مغيبه
عن ابصار الناس وانفراده بنفسه فبشره بمغفرة
اي لذنبه واجر كريم اي الجنه قوله تعالى انا نحن
نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم فيه اربع
مسايل الاولى قوله تعالى انا نحن نحيي الموتى
اخبر تعالى باحيايه الموتى ردا على الكفره وقال
الضحاك والحسن اي نحييهم بالايمان بعد الجهل
والاول اظهر اي نحييهم بالبعث للجزا ثم توعدهم
بذكره كتب الاثار وهي الثانيه واحصا كل شي وكل
ما يصنعه الانسان قال قتاده معناه من عمل
وقال مجاهد وابن زيد ونظيره قوله تعالى علمت
نفس ما قدمت واخرت وقوله تعالى ينبا
الانسان يومئذ بما قدم واخر وقال تعالى يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت
لغد فاثار المرء التي تبقى وتذكر الانسان من خير
او شر يجازي عليها من اثر حسن كعلم علموه
او كتاب صنفوه او حبس احبسوه او بناء بنوه
من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك او

توعدهم
لغد

سيئ كوضيفة وضعها بعض الظلام على المسلمين وسكة
اخذتها فيها تخسيرهم وشي احدثه فيه صد عن ذكر الله من
الحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها
وقيل هي اثار المشايين الى المساجد وعلى هذا المعنى تاول
الايه عمر وابن عباس وسعيد بن جبير وعن ابن عباس ايضا
ان معنى واثارهم خطاهم الى المساجد قال النحاس وهو
اولى ما قيل فيه لانه قال نزلت في ذلك لان الانصار كانت
منازلهم بعيدة عن المسجد وفي الحديث مرفوعا الى النبي صلى
الله عليه وسلم يكتب له برجل حسنة ويحط عنه برجل سيئة
ذاهبا وراجعا اذا خرج الى المسجد قلت وفي الترمذي عن ابي
سعيد الخدري قال كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فارادوا
النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الاية انا نحن نحيي الموتى ونكتب
ما قدموا واثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اثاركم
تكتب فلم تنتقلوا قال هذا حديث غريب من حديث
الثوري وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال اراد سلمة
ان يتحولوا الى قرب المسجد قال والبقاع خالية قال فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا بني سلمة دياركم تكتب اثاركم
فقالوا ما كان يسرنا انا كنا تحولنا وقال ثابت البناني
مشيت مع انس بن مالك الى الصلاة فاسرعت فحبسني
فلما

(margin: ان الاية؛ قال؛ المسجد؛ ابي؛ خطا)

مشيت مع النبي صلى الله عليه وسلم ... الصلاة ...

فلما انقضت الصلاة قال اما علمت ان الاثار تكتب فهذا احتجاج
بالاية وقال قتادة ومجاهد ايضا والحسن الاثار في هذه الاية الخطا
وحكى الثعلبي عن انس انه قال الاثار هي الخطا الى الجمعة وواحد الاثار
اثر ويقال اثر الثالثة في هذه الاحاديث المفسرة لمعنى الاية
دليل على ان البعد من المسجد افضل فلو كان بجوار مسجد فهل له
ان يجاوزه الى الابعد اختلف فيه فروي عن انس انه كان يجاوز
المحدث الى القديم وروي عن غيره الابعد فالابعد من المسجد اعظم
اجرا وكره الحسن وغيره هذا وقال لا يدع مسجدا قربه ويأتي
غيره وهذا مذهب مالك وفي تخطي مسجده الى مسجد الاعظم فيه
قولان وخرج ابن ماجه من حديث انس بن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل في بيته بصلاة وصلاته في
مسجد القبايل بخمس وعشرين صلاة وصلاته في المسجد الذي
يجمع فيه بخمس مائة صلاة الرابعة ديارهم منصوب على
الاغراء اي الزموا ويكتب جزم على جواب ذلك الامر وكل نصب
بفعل مضمر يدل عليه احصيناه كانه قال واحصينا كل شيء
احصيناه ويجوز رفعه بالابتدا الا ان نصبه اولى ليعطف
ما عمل فيه الفعل على ما عمل فيه الفعل وهو قول الخليل وسيبويه الخامسة
والامام المقتدى به الذي هو حجة وقال مجاهد وقتادة وابن
زيد اراد اللوح المحفوظ وقالت فرقة اراد صحايف الاعمال

قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاها المرسلون
هذه القرية هي انطاكيه في قول جميع المفسرين فيما ذكر الماوردي
نسبت الى اهل انطبيس وهو اسم الذي بناها ثم غير لما عرب
ذكره السهيلي ويقال فيها انتاكيه بالتا بدل الطاء وكان بها
فرعون يقال له انطيخس يعبد الاصنام ذكره المهدوي وحكاه
ابو جعفر النحاس عن كعب ووهب فارسل الله تعالى اليه
ثلثة وهم صادق وصدوق وشلوم هو الثالث هذا قول
الطبري وقال غيره شمعون ويوحنا وحكى النقاش شمعان
ويحيى ولم يذكر صادقا ولا صدوقا ويجوز ان يكون
مثلا واصحاب القريه مفعولين لاضرب واصحاب القريه بدلا
من مثلا اي اضرب لهم مثل اصحاب القرية فحذف المضاف امر مثلا
النبي صلى الله عليه وسلم بانذار هولاء المشركين ان يحل بهم
ما حل بكفار اهل القريه المبعوث اليهم ثلثة رسل قيل رسل
من الله على الابتدا وقيل ان عيسى بعثهما الى انطاكيه للدعا
الى الله وهو قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين فاضاف
الرب ذلك الى نفسه لان عيسى ارسلهما باذن الرب وكان
ذلك حين رفع عيسى الى السما فكذبوهما فضربوهما
وسجنوهما فعززنا بثالث اي فقوينا وشددنا
الرساله بثالث وقرا ابو بكر عن عاصم فعززنا بثالث

عل

على التخفيف وشدد الباقون قال الجوهري وقوله
تعالى فعززنا بثالث تخفف وتشدد اى قوينا
وشددنا قال الاصمعي انشدني فيه ابو عمرو بن العلا
للمتلمس اجداذا رحلت تعزز لحمها واذا تشد
بنسعها لا تنبس اى لا ترعوا فعلى هذا تكون القراتان
بمعنى وقيل التخفيف بمعنى غلبنا وقهرنا ومنه وعزني
في الخطاب والتشديد بمعنى قوينا وكثرنا وفي القصة
ان عيسى ارسل اليهم رسولين فلقيا شيخا يرعى غنيمات
له وهو حبيب النجار صاحب يس فدعوه الى الله وقالا
نحن رسولا عيسى ندعوكم الى طاعة الله فطالبهما بالمعجزة
فقالا نحن نشفي المرضى وكان له ابن مجنون وقيل مريض
على الفراش فمسحاه فقام باذن الله صحيحا فامن
الرجل بالله وقيل هو الذي جا من اقصى المدينة يسعى
ففشا امرهما وشفيا كثيرا من المرضى فارسل الملك اليهما
وكان يعبد الاصنام يستخبرهما فقالا نحن رسولا عيسى
عليه السلام قال وما ايتكما قالا نبرئ الاكمه والابرص
ونبرئ المريض باذن الله وندعوك الى عبادة الله وحده
فهم الملك بضربهما وقال وهب حبسهما الملك وجلدهما
مائة جلدة فانتهى الخبر الى عيسى فارسل ثالثا قيل شمعون

الصفا راس الحواريين ليبصرهما فعاشر حاشية
الملك حتى تمكن منهم واستانسوا به ورفعوا خبره
الى الملك فانس به واظهر موافقته في دينه فرضي
الملك طريقته ثم قال يوما للملك بلغني انك حبست
رجلين دعواك الى الله فلو سالت عنهما ما وراهما
فقال ان الغضب حال بيني وبين سوالهما قال فلو احضرتهما
فامر بذلك فقال لهما شمعون ما برهانكما على ما تدعيان
فقالا نبرئ الاكمه والابرص فجيء بغلام ممسوح العينين
موضع عينيه كالجبهة فدعوا ربهما فانشق موضع
البصر فاخذا بندقتين طينا فوضعاها في حدقتيه
فصارتا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك وقال ان ههنا
غلاما مات منذ سبعة ايام ولم ادفنه حتى يجي ابوه
فهل يحييه ربكما فدعوا الله علانية ودعا شمعون
سرا فقام الميت حيا فقال للناس اني منذ سبعة
ايام فوجدت مشركا فادخلت في سبعة اودية
من النار فاحذركم ما انتم فيه فامنوا بالله ثم فتحت
ابواب السما فرايت شابا حسن الوجه يشفع
لهولاء الثلثة وشمعون صاحبه حتى احياني الله
وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان عيسى
روح الله

روح الله وكلمته وان هولاء هم رسل الله فقالوا له
وهذا شمعون ايضا معهم قال نعم وهو افضلهم فاعلمهم
شمعون ان الله رسول المسيح اليهم فاثر قوله في الملك
ودعاه الى الله فامن الملك مع قوم اكثر وكفر اخرون
وحكى القشيري ان الملك امن ولم يومن قومه وصاح
جبريل صيحة فمات كل من بقي منهم من الكفار وروى
ان عيسى لما امرهم ان يذهبوا الى تلك القرية قالوا يا نبي الله
انا لا نعرف ان نتكلم بالسنتهم ولغاتهم فدعا الله لهم
فناموا بمكانهم فهبوا من نومتهم وقد حملتهم الملائكة
فالقتهم بارض انطاكيه فتكلم كل واحد منهم صاحبه
بلغة القوم فذلك قوله وايدناه بروح القدس
فقالوا جميعا انا اليكم مرسلون فقالوا ما انتم الا
بشر مثلنا تاكلون الطعام وتمشون في الاسواق
وما انزل الرحمن من شي يامر به ولا ينهى عنه ان انتم الا
تكذبون في دعواكم الرساله فقالت الرسل ربنا يعلم
انا اليكم لمرسلون وان كذبتمونا وما علينا الا البلاغ
المبين في ان الله واحد فقالوا لهم انا تطيرنا بكم اي تشامنا
بكم قال مقاتل حبس عنهم المطر ثلث سنين فقالوا
هذا بشومكم ويقال انهم اقاموا ينذرونهم عشر سنين

مطلب في الوعظ

هبطوا الى منتهوا

لين لم تنتهوا اي عن انذارنا لنرجمنكم قال الفرا لنقتلنكم
قال وعامة ما في القران من الرجم معناه القتل وقال
قتاده هو على بابه من الرجم بالحجاره وقيل لنشتمنكم
وقد تقدم جميعه وليمسنكم منا عذاب اليم قيل هو
القتل وقيل هو التعذيب المولم وقيل القتل كالسلخ
والقطع والصلب فقالوا الرسل طايركم معكم اي
شومكم معكم اي حظكم من الخير والشر معكم ولازم
في اعناقكم وليس هو من شومنا قال معناه الضحاك
وقال قتاده اعمالكم ابن عباس معناه الارزاق والاقدار
تتبعكم الفرا طايركم معكم رزقكم وعملكم والمعنى واحد
وقرا الحسن طيركم اي تطيركم ان ذكرتم قال قتاده
ان ذكرتم تطيرتم وفيه سبع اوجه من القراات قرا
اهل المدينه اين ذكرتم بتخفيف الهمزتين والوجه
الثالث ا ان ذكرتم بهمزتين بينهما الف ادخلت الالف
كراهة الجمع بين الهمزتين والوجه الرابع ا ان بهمزة
بعدها الف وبعد الالف همزة محققة والقراة الخامسه
ا ان بهمزتين مفتوحتين بينهما الف والوجه السادس
الف بهمزتين محققتين مفتوحتين وحكى الفرا ان هذه
قراة ابي رزين قلت وحكاها الثعلبي عن زر بن

حبيش

حبيش وابن السميفع وقرا عيسى بن عمر والحسن البصري
قالوا طايركم معكم اين ذكرتم بمعنى حيث وقرا زيد بن القعقاع
والحسن وطلحة ذكرتم بالتخفيف ذكر جميعه النحاس وذكر
المهدوي عن طلحة بن مصرف وعيسى الهمداني آن ذكرتم بالمد
على ان همزة الاستفهام دخلت على همزة مفتوحة الماجشون
آن ذكرتم بهمزة واحدة مفتوحة فهذه تسع قراآت وقرا
ابن هرمز طيركم معكم اين ذكرتم اي لاين وعظتم وهو كلام
مستانف اي ان وعظتم تطيرتم وقيل انما تطيروا لما بلغهم
ان كل نبي دعا قومه فلم يجيبوه كان عاقبة قومه الهلاك بل
انتم قوم مسرفون قال قتاده مسرفون في تطيركم يحيى
بن سلام مسرفون في كفركم وقال ابن بحر السرف ها هنا
الفساد ومعناه بل انتم قوم مفسدون وقيل مسرفون
مشركون والاسراف مجاوزة الحد والمشرك يجاوز الحد
قوله تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب
بن مري وكان نجارا وقيل اسكافا وقيل قصارا وقال ابن عباس
ومجاهد ومقاتل هو حبيب بن اسرايل النجار وكان ينحت
الاصنام وهو ممن امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وبينهما ست
مايه سنه كما امن به تبع الاكبر وورقه بن نوفل وغيرهما
ولم يومن بنبي احدا الا بعد ظهوره قال وهب وكان حبيب

حذرا من اضحى اوليا الفتن سعوا اعليه بسيدن نعقدوا بالخنعا لمن واحد

مجد وما و منزله عند اقصى باب من ابواب المدينه وكان
عكف على عبادة الاصنام سبعين سنه يدعوهم لعلهم يرحمونه
ويكشفون ضره فما استجابوا له فلما ابصر الرسل دعوه الى عبادة
الله فقال هل من اية قالوا نعم ندعوا ربنا القادر فيفرج عنك
ما بك فقال ان هذا العجب لي ادعوا هذه الالهه سبعين سنة
لتفرج عني فلم تستطع يفرجه ربكم في غداة واحدة قالوا نعم ربنا على
ما يشا قدير وهذه لا تنفع شيئا ولا تضر فامن ودعوا ربهم
فكشف الله ما به كان لم يكن به باس فحينئذ اقبل على التكسب
فاذا امسى تصدق بكسبه فاطعم عياله نصفا وتصدق بنصفه
فلما هم قومه بقتل الرسل جاهم فقال يا قوم اتبعوا المرسلين
اتبعوا من لا يسالكم اجرا الايه وقال قتاده كان يعبد الله
في غار فلما سمع بخبر المرسلين جا يسعى فقال للمرسلين اتطلبون
على ما جيتم به اجرا قالوا لا ما اجرنا الا على الله قال ابو العاليه
فاعتقد صدقهم وامن بهم واقبل على قومه فقال يا قوم
اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم اجرا اي لو كانوا متهمين
لطلبوا منكم المال وهم مهتدون فاهتدوا بهم وما لي لا اعبد
الذي فطرني قال قتاده قال له قومه انت على دينهم فقال وما
لي لا اعبد الذي فطرني اي خلقني واليه ترجعون وهذا
احتجاج منه عليهم واضاف الفطرة الى نفسه لان ذلك نعمة
عليه

عليه توجب الشكر والبعث البهم لان ذلك وعيد يقتضي الثاني عشر
الزجر فكان اضافة النعمة الى نفسه اظهر شكرا واضافة
البعث الى الكافر ابلغ اثرا ءاتخذ من دونه الهة يعني اصناما
ان يردن الرحمن بضر يعني ما اصابه من السقم لا تغن عني شفاعتهم
شيا ولا ينقذون يخلصون مما انا فيه من البلا اني اذا لفي
ان فعلت ذلك لفي ضلال مبين اي خسران ظاهر اني امنت
بربكم فاسمعون اي فاشهد واي كونوا شهود لي بالايمان
وقال كعب ووهب انما قال ذلك لقومه اني امنت بربكم الذي
كفرتم به وقيل انه قال لقومه اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا
يسئلكم اجرا رفعوه الى الملك وقالوا قد تبعت عدونا فطول
معهم الكلام ليشغلهم بذلك عن قتل الرسل الى ان قال اني
امنت بربكم فوثبوا عليه فقتلوه قال ابن مسعود وطئوه
بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره والقي في بير وهي الرس
وهم اصحاب الرس وفي رواية انهم قتلوا الرسل الثلثة
وقال السدي رموه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد
قومي حتى قتلوه وقال الكلبي حفروا حفرة وجعلوه
فيها وردموا فوقه التراب فمات ردما وقال الحسن
حرقوا حرقا وعلقوه من سور المدينة وقبره في سور
انطاكيه حكاه الثعلبي وقال القشيري قال الحسن لما اراد
القوم

القوم ان يقتلوه رفعه الله الى السماء فهو في الجنة لا يموت
الا بفناء السماء وهلاك الجنه فاذا اعاد الله الجنه ادخلها
وقيل نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه فوالله
ما خرجت روحه الا الى الجنة فدخلها فذلك قوله
العزيز قيل ادخل الجنة فلما شاهدها قال يا ليت قومي
يعلمون بما غفر لي ربي اي بغفران ربي لي فما مع الفعل
بمنزلة المصدر وقيل بمعنى الذي والعايد من الصلة
محذوف ويجوز ان يكون استفهاما فيه معنى التعجب
كانه قال ليت قومي يعلمون باي شي غفر لي ربي قاله
الفرا واعترضه الكسائي فقال لو صح هذا لقال بم بغير
الف وقال الفرا يجوز ان يقال بما بالالف وهو استفهام
وانشد فيه ابياتا الزمخشري بم غفر غفر لي ربي بطرح
الالف اجود وان كان اثباتها جايز يقال قد علمت بما
صنعت هذا وبم صنعت المهدوي واثبات الالف
في الاستفهام قليل فيوقف على هذا على يعلمون وقال
جماعة معنى قيل ادخل الجنة وجبت لك الجنة فهو خبر
بانه قد استحق دخول الجنة لان دخولها يستحق بعد البعث
قلت والظاهر من الاية انه لما قتل قيل له ادخل الجنة
قال قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق اراد
قوله

اراد قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون فرحين بما تقدم
في آل عمران بيانه والله اعلم **قوله تعالى** قال يا ليت قومي
يعلمون مرتب على سوال سايل عما وجد من قوله عند
ذلك القول العظيم الذي هو بما غفر لي ربي وجعلني من
المكرمين وقري من المكرمين وفي معنى تمنيه قولان احدهما
انه تمنى ان يعلموا بحاله ليعلموا حسن مآله وحميد عاقبته
الثاني تمنى بذلك ليومنوا مثل ايمانه فيصير والى مثل
حاله قال ابن عباس نصح قومه حيا وميتا رفعه القشيري
قال وفي الخبر انه عليه السلام قال في هذه الاية نصح لهم في
حياته وبعد موته وقال ابن ابي ليلى سباق الامم ثلثة
لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن ابي طالب وهو افضلهم
ومومن آل فرعون وصاحب يس فهم الصديقون
ذكره الزمخشري مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي هذه الاية تنبيه عظيم ودلالة على وجوب كظم
الغيظ والحلم عن اهل الجهل والترؤف على من ادخل
نفسه في غمار الاشرار واهل البغي والتشمر في تخليصه
والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به
والدعا عليه الا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له

العوابل وهم كفره عباد الاصنام فلما قتل حبيب غضب الله له
وعجل النقمة على قومه من بعده وما انزلنا على قومه من بعده من
جند من السما وما كنا منزلين اي ما انزلنا عليهم من رسالة ولا
نبي بعد قتله قاله قتادة ومجاهد والحسن قال الحسن الجند
الملايكة النازلون بالوحي على الانبيا وقيل الجند العساكر اي
لم احتج في هلاكهم الى ارسال جنود ولا جيوش ولا عساكر
بل اهلكناهم بصيحة واحدة من بعد ذلك الرجل او من بعد
رفعه الى السما وقيل المعنى وما كنا منزلين على من كان قبلهم الزمخشري
فان قلت فلم انزل الجنود من السما يوم بدر والخندق فقال
فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وقال بالف من الملايكة
مردفين بثلاثة الاف من الملايكة منزلين مسومين بخمسة الاف من
الملايكة مسومين قلت انما كان يكفي ملك واحد فقد اهلكت
مداين قوم لوط بريشه من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم
صالح بصيحة ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بكل شي على
كبار الانبيا واولي العزم من الرسل فضلا على حبيب النجار
واولاه من اسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوته احدا فمن
ذلك انه انزل له جنودا من السماء وكانه اشار بقوله وما
انزلنا وما كنا منزلين الى ان انزال الجنود من عظايم الامور
الذي لا يوهل لها الا مثلك وما كنا نفعله بغيرك ان كانت الا صيحة
واحدة

واحدة قراة العامة صيحة واحدة بالنصب على تقدير ما كانت
عقوبتهم الا صيحة واحدة وقرا ابو جعفر بن القعقاع وشيبة
والاعرج صيحة بالرفع هنا وفي قوله ان كانت الا صيحة واحدة
فاذا هم جميع لدينا جعلوا الكون بمعنى الوقوع والحدوث
فكانه قال ما وقعت عليهم الا صيحة واحدة وانكر هذه القراة وكثر
ابو حاتم من النحويين بسبب التانيث فهو ضعيف كما تقول
ما قامت الا هند ضعيفا من حيث كان المعنى ما قام احد
الا هند قال ابو حاتم فلو كان كما قرا ابو جعفر لقال ان
كان الا صيحة قال النحاس لا يمتنع شي من هذا يقال ما جاتني
الا جاريتك بمعنى ما جاتني امراة او جارية الا جاريتك
والتقدير في القراة بالرفع ما قاله ابو اسحق قال المعنى ان كانت
عليهم صيحة الا صيحة واحدة وقدره غيره ما وقعت عليهم
الا صيحة واحدة وكان بمعنى وقع لشي في كلام العرب
وقرا عبد الرحمن بن الاسود ويقال انه في حرف عبد الله ا ه مر
كذلك ان كانت الا زقية واحدة وهذا مخالف للمصحف
وايضا فان اللغة المعروفة زقا يزقو اذا صاح ومنه
المثل اثقل من الزواقي فكان يجب على هذا ان يكون زقوه
ذكره النحاس قلت وقال الجوهري الزقو والزقي مصدر
وقد زقي الصدا يزقو زقاء اي صاح وكل صايح زاق

والزفية الصيحة قلت وعلى هذا يقال زفوة وزفية لغتان
فالقراءة صحيحة لا اعتراض عليها فاذا هم خامدون اى ميتون
هامدون تشبيها بالرماد الخامد وقال قتادة هلكى والمعنى
واحد قوله تعالى يا حسرة على العباد منصوب لانه نداء
نكرة ولا يجوز فيه غير النصب عند البصريين وفي حرف
ابي يا حسرة العباد على الاضافة وحقيقة الحسرة في
اللغة ان يلحق الانسان من الندم ما يصير به حسيرا وزعم
الفراء ان الاختيار النصب وانه لو رفعت النكرة الموصولة بالصلة
كان صوابا واستشهد باشيا منها انه سمع من العرب يا
مهتم بامرنا لا تهتم معناه وانشد يا دار غيرها البلى
تغييرا قال النحاس وفي هذا ابطال باب النداء او اكثره
لانه يرفع النكرة المحضة ويرفع ما هو في المعنى مفعول
بغير علة اوجبت ذلك فاما ما حكاه عن العرب فلا
يشبه ما اجازه لان تقديره يا مهتم بامرنا لا تهتم على
التقديم والتاخير والمعنى يا ايها المهتم لا تهتم بامرنا وتقدير
البيت يا ايتها الدار ثم حول المخاطبة اى يا هذا ولا يغير
هذه الدار البلى كما قال الله جل وعز حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم فحسرة منصوب في النداء كما تقول يا رجلا
اقبل ومعنى النداء هذا موضع حضور الحسرة الطبري

المعنى

المعني يا حسرة من العباد على انفسهم وتندما وتلهفا في
استهزائهم برسل الله عليهم السلام ابن عباس يا حسرة على
العباد اي يا ويلا على العباد وعنه ايضا حل هاولاء محل من
يتحسر عليهم وروى الربيع ابن انس عن ابي العاليه ان العباد
ها هنا الرسل وذلك ان الكفار لما راوا العذاب قالوا
يا حسرة على العباد فتحسروا على قتلهم وترك الايمان
بهم فتمنوا الايمان حين لم ينفعهم الايمان وقاله مجاهد
وقال الضحاك انها حسرة الملائكه على الكفار حين كذبوا
الرسل وقيل يا حسرة على العباد من قول الرجل الذي
جا من اقصى المدينه يسعى لما وثب القوم لقتله وقيل
ان الرسل الثلثه هم الذين قالوا لما قتل القوم ذلك الرجل
الذي جا من اقصى المدينة وحل بالقوم العذاب يا حسرة
على هولاء كانهم تمنوا ان يكونوا قد امنوا وقيل هذا من
قول القوم قالوا لما قتلوا الرجل وفارقتهم الرسل او
قتلوا الرجل مع الرسل الثلثه على اختلاف الروايات
يا حسرة على هولاء الرسل وعلى هذا الرجل ليتنا امنا بهم
في الوقت الذي ينفع الايمان وتم الكلام على هذا ثم ابتدا
فقال ما ياتيهم من رسول وقرا ابن هرمز ومسلم بن جندب
وعكرمة يا حسرة على العباد يسلون الهاء للحرص على البيان

وتقرير المعنى في النفس اذ كان موضع وعظ وتنبيه والعرب
تفعل ذلك في مثله وان لم يكن موضعا للوقف ومن ذلك ما
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقطع قراته حرفا
حرفا حرصا على البيان والافهام ويجوز ان يكون على العباد
متعلقا بالحسرة ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف لا بالحسرة
فكانه قدر الوقف على الحسرة فاسلن اليها ثم قال على العباد
اي الحسر على العباد وعن ابن عباس والضحاك وغيرهما يا حسرة
العباد مضافا بحذف على وهو خلاف المصحف وجاز ان يكون
من باب الاضافة الى الفاعل فيكون العباد فاعلين كانهم
اذا شاهدوا العذاب تحسروا فهو كقولك يا قيام زيد
ويجوز ان يكون من باب الاضافة الى المفعول فيكون العباد
مفعولين فكان العباد يتحسر عليهم من يشفق لهم وقراة
من قرا يا حسرة على العباد مقوية لهذا **قوله تعالى**
الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون
قال سيبويه ان بدل من كم ومعنى كم هاهنا الخبر فلذلك
جاز ان يبدل منها ما ليس باستفهام والمعنى الم يروا ان
القرون الذين اهلكناهم انهم اليهم لا يرجعون وقال الفرا
كم في موضع نصب من وجهين احدهما يروا واستشهد
على هذا بانه في قراة ابن مسعود الم يروا من اهلكنا والوجه
الاخر

المعنى

الاخر ان تكون كم في موضع نصب باهلكنا قال النحاس القول
الاول محال لان كم لا يعمل فيها ما قبلها لانها استفهام ومحال
ان يدخل الاستفهام في خبر ما قبله وكذا حكمها اذا كانت
خبرًا وان كان سيبويه قد اوما الى بعض هذا فجعل انهم بدلا
من كم وقد رد ذلك محمد بن يزيد اشد رد وقال كم في موضع
نصب باهلكنا وانهم في موضع نصب والمعنى عنده بانهم
اي الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون بالاستيصال قال
والدليل على هذا انها في قراة عبد الله من اهلكنا قبلهم من القرون
انهم اليهم لا يرجعون بكسر الهمزة على الاستيناف وهذه
الايه على من زعم ان من الخلق من يرجع قبل القيامة بعد
الموت وان كل لما جميع لدينا محضرون يريد يوم القيامة للجزا
وقرا ابن عامر وعاصم وحمزه وان كل لما بتشديد لما وخفف
الباقون فان مخففة من الثقيلة وما و ما بعدها مرفوع
بالابتدا وما بعده الخبر وبطل عملها حين تغير لفظها
ولزمت اللام في الخبر فرقا بينها وبين ان التي بمعنى ما وما عند
ابي عبيده زايده والتقدير عنده وان كل لجميع قال الفرا
ومن شدد جعل لما بمعنى الا وان بمعنى ما اي ما كل الا
لجميع كقوله تعالى ان هو الا رجل به جنة وحكى سيبويه
في قوله سالتك بالله لما فعلت وزعم الكساي انه لا يعرف

هذا وقد مضى هذا المعنى في هود وفي حرف ابي وان منهم الا جميع
لدينا محضرون قوله تعالى وآية لهم الارض الميتة احييناها
نبههم الله تعالى بهذا على احيا الموتى وذكرهم توحيده وكمال
قدرته وهي الارض الميتة احياها بالنبات واخراج الحب
منها اي من الحب يأكلون وبه يتغذون وشدد اهل المدينة
الميّتة وخفف الباقون وقد تقدم وجعلنا فيها اي في الارض
جنات اي بساتين من نخيل واعناب وخصصهما بالذكر
لأنهما اعلى الثمار وفجرنا فيها من العيون اي في البساتين
ليأكلوا من ثمره الها في ثمره تعود على ما العيون لان الثمر
منه اندرج قاله الجرجاني والمهدوي وغيرهما وقيل اي ليأكلوا
من ثمر ما ذكرنا كما قال وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما
في بطونها وقرا حمزة والكسائي من ثمره بضم الثاء والميم
وفتحها الباقون وعن الاعمش ضم الثاء واسكان الميم وقد
مضى الكلام فيه في الانعام وما عملته ايديهم في موضع خفض
على العطف على من ثمره اي ومما عملته ايديهم وقرا الكوفيون
وما عملت بغير هاء الباقون عملته على الاصل من غير حذف
وحذف الصلة ايضا في الكلام كثير لطول الاسم ويجوز ان تكون
ما نافية لا موضع لها فلا تحتاج الى صلة ولا راجع اي ولم تعمله
ايديهم من الزرع الذي انبته الله لهم وهذا قول ابن عباس
والضحاك

والضحاك ومقاتل وقال غيرهم المعنى ومن الذي عملته ايديهم
اي من الثمار ومن اصناف الحلاوات والاطعمه ومما اتخذوا
من الحبوب بعلاج كالخبز والدهن المستخرج من السمسم والزيتون
وقيل يرجع ذلك الى ما يغرسه الناس روي معناه عن ابن
عباس ايضا افلا يشكرون نعمهم قوله تعالى سبحان الذي
خلق الازواج كلها نزه نفسه سبحانه عن قول الكفار اذ
عبدوا غيره مع ما راوه من نعمه واثار قدرته وفيه تقدير
الامر اي سبحوه ونزهوه عما لا يليق به وقيل فيه معنى التعجب
اي عجبا لهولاء في كفرهم مع ما يشاهدونه من هذه الايات
ومن تعجب من شيء قال سبحان الله والازواج الانواع والاصناف
فكل صنف زوج لانه مختلف في الالوان والطعوم والاشكال
والصغر والكبر فاختلافها هو ازدواجها وقال قتادة
يعني الذكر والانثى مما تنبت الارض يعني من النبات لانه اصناف
ومن انفسهم يعني وخلق منهم اولادا ولدوا اجاذكورا وانا ثا
ومما لا يعلمون اي من اصناف خلقه في البر والبحر والسماء
والارض ثم يجوز ان يكون ما يخلقه لا يعلمه البشر وتعلمه
الملايكة ويجوز ان لا يعلمه مخلوق ووجه الاستدلال
في الايه انه اذا انفرد بالخلق فلا ينبغي ان يشرك به
قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار اي وعلامة

دالة على توحيد الله وقدرته ووجوب الالهية والسلخ الكشط
والنزع يقال سلخه الله من دينه ثم يستعمل بمعنى الاخراج
وقد جعل ذهاب الضوء ومجي الظلمة كالتسلخ من الشيء وظهور
المسلوخ فهو استعارة ومظلمون داخلون في الظلام يقال
اظلمنا اي دخلنا في ظلام الليل واظهرنا دخلنا في وقت الظهر
وكذلك اصبحنا واضحينا وامسينا وقيل منه بمعنى عنه والمعنى
نسلخ عنه ضياء النهار فاذا هم مظلمون اي في ظلمة لان
ضوء النهار يتداخل في الهواء فيضيء فاذا خرج منه اظلم
قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها يجوز ان يكون تقديره
وآية لهم الشمس ويجوز ان يكون مرفوعا باضمار فعل يفسره
الثاني ويجوز ان يكون مرفوعا بالابتداء تجري في موضع
الخبر اي جارية وفي صحيح مسلم عن ابي ذر قال سألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل والشمس تجري لمستقر
لها قال مستقرها تحت العرش وفيه عن ابي ذر قال النبي صلى
الله عليه وسلم قال يوما اتدرون اين تذهب هذه الشمس
قالوا الله ورسوله اعلم قال ان هذه تجري حتى تنتهي الى مستقرها
تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي
اصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها فقال
صلى الله عليه وسلم اتدرون متى ذاكم حين لا ينفع نفسا ايمانها
فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي
الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى
يقال لها ارتفعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها
ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي الى مستقرها
فيقال لها ارتفعي

الشمس

لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ولفظ البخاري
عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي ذر حين
غربت الشمس تدري اين تذهب قلت الله ورسوله اعلم قال
فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستاذن فيوذن لها ويوشك
ان تسجد فلا يقبل منها فتستاذن فلا يوذن لها يقال لها ارجعي
من حيث جيت فتطلع من مغربها فذلك قوله عز وجل والشمس
تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ولفظ الترمذي
عن ابي ذر قال دخلت المسجد حين غابت الشمس والنبي صلى
الله عليه وسلم جالس فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر
اتدري اين تذهب هذه قال قلت الله ورسوله اعلم قال فانها
تذهب فتستاذن في السجود فيوذن لها وكانها قيل لها اطلعي
من حيث جيت فتطلع من مغربها قال ثم قرا وذلك مستقر
لها قال وذلك قراة عبد الله قال ابو عيسى هذا حديث حسن
صحيح وقال عكرمة ان الشمس اذا غربت دخلت محرابا تحت
العرش تسبح الله حتى تصبح فاذا اصبحت استعفت ربها
من الخروج فيقول لها الرب ولم ذلك قالت اني اذا خرجت
عُبدتُ من دونك فيقول الرب تبارك وتعالى اخرجي فليس
عليك من ذلك شي ساىعث اليهم جهنم مع سبعين الف ملك
يقودونها حتى يدخلونهم فيها وقال الكلبي وغيره معناه تجري

مطلب

استعفت من الخروج فاعفاه بالالاجل الى طلب الرزق فاجابه مصباح المنير

الي ابعد منازلها في الغروب ثم ترجع الي ادني منازلها فمستقرها
بلوغها الموضع الذي لايتجاوزه بل ترجع منه كالانسان يقطع
مسافة حتى يبلغ اقصى مقصوده فيقضي وطره ثم يرجع الى
منزله الاول الذي ابتدا منه سفره وعلي تبليغ الشمس اقصى منازلها
وهو مستقرها اذا طلعت الهنعة وذلك اليوم اطول الايام
في السنة وتلك الليلة اقصر الليالي فالنهار خمسة عشر ساعة
والليل تسع ساعات ثم ياخذ في النقصان وترجع الشمس
فاذا طلعت الثريا استوي الليل والنهار وكل واحد اثنا
عشر ساعة ثم تبلغ ادني منازلها وتطلع النعايم وذلك
اليوم اقصر الايام والليل خمسة عشر ساعة حتي اذا طلع
فرغ الدلو الموخر استوي الليل والنهار فياخذ الليل من النهار
كل يوم عشر ثلث ساعة وكل عشرة ايام ثلث ساعة وكل
شهر ساعة تامة حتى يستويا وياخذ الليل حتى يبلغ خمس
عشرة ساعة وياخذ النهار من الليل كذلك وقال الحسن ان
للشمس في السنة ثلثماية وستين مطلعا تنزل في كل يوم
مطلعا ثم لاتنزله الي الحول فهي تجري في تلك المنازل وهي مستقرها
وهو معني الذي قبله سوا وقال ابن عباس انها اذا غربت وانتهت
الي الموضع الذي لاتتجاوزه استقرت تحت العرش الي ان تطلع
قلت ما قاله ابن عباس يجمع الاقوال فتامله وقيل الي انتهاء

احدها

امدها عند انقضا الدنيا وقرا ابن مسعود وابن عباس والشمس
تجري لا مستقر لها اي انها تجري في الليل والنهار لا وقوف لها
ولا قرار الى ان يكورها الله يوم القيامة وقد احتج من خالف المصحف
فقال انا اقرا بقراة ابن مسعود وابن عباس قال ابو بكر الانباري
وهذا باطل مردود على من نقله لان ابا عمرو روى عن مجاهد
عن ابن عباس وابن كثير روى عن مجاهد عن ابن عباس والشمس
تجري لمستقر لها فهذان المسندان عن ابن عباس اللذان يشهد
بصحتهما الاجماع يبطلان ما روي بالسند الضعيف مما
يخالف مذهب الجماعه وما اتفقت عليه الامه قلت والاحاديث
الثابته التي ذكرناها ترد قوله فما اجراه على كتاب الله قاتله
وقوله لمستقر لها اي الى مستقرها والمستقر موضع القرار
ذلك تقدير اي الذي ذكر من امر الليل والنهار والشمس تقدير
العزيز العليم **قوله تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد
كالعرجون القديم** فيه ثلث مسايل الاولى قوله تعالى
والقمر يكون تقديره واية لهم القمر ويجوز ان يكون والقمر
مرفوعا على الابتداء وقرا الكوفيون والقمرَ بالنصب على
اضمار فعل وهو اختيار ابي عبيد قال لان قبله فعلا وبعده
فعلا قبله نسلخ وبعده قدرناه النحاس واهل العربيه جميعا
فيما علمت على خلاف ما قال منهم الفرا قال الرفع اعجب الي وانما

كان الرفع عندهم اولي لانه معطوف علي ما قبله ومعناه وايه لهم القمر وقولد ان قبله نسلخ فقبله ما هو اقرب منه وهو تجري وقبله والشمس بالرفع اول لانك شغلت الفعل عنه بالضمير فرفعته بالابتداء فان قال القمر ليس هو المنازل فكيف قال قدرناه منازل ففي هذا جوابان احدها قدرناه ذا منازل مثل واسئل القرية والتقدير الاخر قدرنا له منازل ثم حذفت اللام وكان حذفها حسنا التعدي الفعل الي مفعولين مثل واختار موسي قومه سبعين رجلا والمنازل ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة منها بمنزل وهي الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الخرتان الصرفة العوا السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعايم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية الفرغ المقدم الفرغ المؤخر بطن الحوت فاذا صار القمر في آخرها عاد الي اولها فيقطع الفلك في ثمان وعشرين ليلة ثم يستتر ثم يطلع هلالا فيعود في قطع الفلك علي المنازل وهي منقسمة علي البروج لكل برج منزلتان وثلث فللحمل الشرطين والبطين وثلث الثريا وللثور ثلثا الثريا والدبران وثلثا الهقعة ثم لذلك الي سايرها واعلم ان السنة منقسمة علي اربعة فصول لكل فصل سبع منازل

مطلب منازل القمر

وهو قدرناه ... علي الهاء وقال ابو حاتم الرفع ...

مطلب منازل كل فصل من اربعة فصول

اي اول الفصول

اي آذار

منازل فاولها الربيع واوله خمسة عشر يوما من اذار
وعدد ايامه اثنان وتسعون يوما تقطع فيه الشمس
ثلثة بروج الحمل والثور والجوزا وسبعة منازل الشرطين
والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع
ثم يدخل فصل الصيف في خمسة عشر يوما من حزيران
وعدد ايامه ~~وعدد ايامه~~ اثنان وتسعون يوما تقطع
الشمس فيه ثلثة بروج السرطان والاسد والسنبلة
وسبعة منازل وهي النثره والطرف والجبهة والخرتان
والصرفة والعوا والسماك ثم يدخل فصل الخريف في

اي ايلول

خمسة عشر يوما من ايلول وعدد ايامه احد وتسعون
يوما تقطع الشمس فيه ثلثة بروج وهي الميزان والعقرب
والقوس وسبعة منازل الغفر والزبانا والاكليل
والقلب والشولة والنعايم والبلدة ثم فصل الشتا في
خمسة عشر يوما من كانون الاول وعدد ايامه
تسعون يوما وربما كان احدا وتسعون يوما تقطع
فيه الشمس ثلثة بروج وهي الجدي والدلو والحوت
بسبعة منازل سعد الذابح سعد بلع سعد السعود
سعد الاخبية الفرغ المقدم الفرغ الموخر بطن الحوت
وهذه قسمة السنة بالشهور اولها تشرين الاول

تشرين الثاني كانون الاول كانون الثاني اشباط اذار
نيسان ايار حزيران تموز اب ايلول وكلها احد
وثلثون الا تشرين الثاني ونيسان وحزيران وايلول
فهي ثلثون واشباط ثمانيه وعشرين يوما وربع يوم
وانما اردنا بهذا ان ننظر في قدره الله تعالى فذلك قوله
تعالى والقمر قدرناه منازل فاذا كانت الشمس في منزل
اهل الهلال بالمنزل الذي بعده وكان الفجر بمنزلتين من
قبله واذا كانت الشمس بالثريا في خمسة وعشرين يوما
من نيسان كان الفجر بالشرطين واهل الهلال بالدبران
ثم يكون له في كل ليلة منزلة حتى يقطع في ثلاث وعشرين
ليلة ثمانية وعشرين منزلة وقد قطعت الشمس منزلتين
فيقطعهما ثم تطلع في المنزلة التي بعد منزلة الشمس
فذلك تقدير العزيز العليم وقد مضى في النسا تسمية
البروج تاما والحمد لله وقيل ان الله تعالى خلق الشمس
والقمر من نار ثم كسى النور عند الطلوع فاما نور
الشمس فمن نور العرش واما نور القمر فمن نور الكرسي
فذلك اصل الخلقة وهذه الكسوة فاما الشمس فتركت
كسوتها على حالها تتشعشع وتشرق واما القمر فامر الله
الروح الامين جناحه على وجهه فمحا ضوءه بسلطان الجناح
وذلك

وذلك انه روح والروح سلطانه غالب على الاشياء فبقي
ذلك المحو على ما يراه الخلق ثم جعل في غلاف من ماء ثم
جعل له مجرى فكل ليلة يبدو للخلق من ذلك الغلاف
قمرا بمقدار نقمر لهم حتى ينتهي مدده ويراه الخلق
بكماله واستدارته ثم لا يزال يعود الى الغلاف كل ليلة
شي منه فينقص من الرويه والاقمار بمقدار ما زاد في
البدي ويبتدي في النقصان من الناحية التي لا تراه
الشمس وهو ناحية المغرب حتى يعود كالعرجون القديم
وهو العذق المتقوس ليبسه ودقته وانما قال القمر
لانه يقمر اي يبيض الجو ببياضه الى ان يستتر الثانيه
حتى عاد كالعرجون قال الزجاج هو عود العذق الذي
عليه الشماريخ وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف اي
سار في منازله فاذا كان في اخرها دق واستقوس وصار
حتى صار كالعرجون القديم وعلى هذا فالنون زايده وقال
قتاده هو العذق اليابس المنحني من النخلة ثعلب كالعرجون
القديم قال العرجون الذي يبقى من الكباسه في النخلة اذا
قطعت والقديم البالي الخليل في باب الرباعي العرجون
اصل العذق وهو اصفر عريض يشبه به الهلال اذا
انحنى الجوهري العرجون اصل العذق الذي يعوج ويقطع

الغلاف ظرف كل شي

منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا وعرجنه ضربه
بالعرجون فالنون على قول هولاء اصليه ومنه شعر
اعشى بني قيس شرق المسك والعبير بها فهي صفر كعرجون
القمر فالعرجون اذا عتق ويبس وتقوس يشبه القمر
في دقته وصفرته ويقال له ايضا الاهان والكباسة والقنو
واهل مصر يسمونه الاسباطه وقرى العرجون بوزن
الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون ذكره
الزمخشري وقال وعود العذق ما بين شماريخه الى منبته
من النخله الثالثه قوله القديم قال الزمخشري القديم
المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه القمر به
من ثلثة اوجه وقيل اول الموصوف بالقديم الحول فلو ان
رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر وكتب ذلك على وصيته
عتق من مضى له حول او اكثر قلت قد مضى في البقره
ما يترتب على الاهلة من الاحكام والحمد لله قوله تعالى
لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر رفعت الشمس بالابتدا
ولا يجوز ان تعمل لا في معرفة وقد تكلم العلما في معنى هذه
الايه فقال بعضهم معناها ان الشمس لا تدرك القمر فيبطل
معناه اي لكل واحد منهما سلطان على حاله فلا يدخل احدهما
على الاخر فيذهب سلطانه الى ان يبطل الله ما دبر من
ذلك

الثالث عشر

ذلك فتطلع الشمس من مغربها على ما تقدم في اخر سورة الانعام
بيانه والحمد لله وقيل اذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء واذا طلع
القمر لم يكن للشمس ضوء روي معناه عن ابن عباس والضحاك
وقال مجاهد اي لا يشبه ضوء احدهما ضوء الاخر وقال قتادة
لكل حد وعلم لا يعدوه ولا يقصر دونه اذا جا سلطان
هذا ذهب هذا وقال الحسن انهما لا يجتمعان في السما ليلة
الهلال خاصة اي لا تبقى الشمس حتى يطلع القمر ولكن
اذا غربت طلع القمر يحيى بن سلام لا تدرك الشمس القمر
ليلة البدر خاصة لانه يبادر بالمغيب قبل طلوعها وقيل
معناه اذا اجتمعا في السما كان احدهما بين يدي الاخر في
منازل لا يشتركان فيها قاله ابن عباس ايضا وقيل القمر
في السما الدنيا والشمس في السما الرابعة فهي لا تدركه
ذكره النحاس والمهدوي قال النحاس واحسن ما قيل
في معناها وابينه مما لا يدفع ان سير القمر سير سريع
والشمس لا تدركه في السير ذكره المهدوي ايضا فاما
قوله سبحانه وجمع الشمس والقمر فذلك حين حبس
الشمس عن الطلوع على ما تقدم بيانه في اخر الانعام
ويأتي في سورة القيامة ايضا وجمعهما علامة لانقضاء
الدنيا وقيام الساعة يعني من الشمس والقمر والنجوم

في فلك يسبحون اي يجرون وقيل يدورون ولم يقل يسبح
لانه وصفها بفعل من يعقل وقال الحسن الشمس والقمر والنجوم
في فلك بين السماء والارض غير ملصقة ولو كانت ملصقة لما
جرت ذكره الثعلبي والماوردي واستدل بعضهم بقوله تعالى
ولا الليل سابق النهار على ان النهار مخلوق قبل الليل وان الليل
لم يسبقه بخلق وقيل كل واحد منهما يجي وقته ولا يسبق صاحبه
الى ان يجمع بين الشمس والقمر يوم القيامة كما قال تعالى وجمع
الشمس والقمر وانما هذا التعاقب لان ليتم مصالح العباد
ولتعلموا عدد السنين والحساب ويكون الليل للاجمام والاستراحة
والنهار للتصرف كما قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل
والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وقال تعالى وجعلنا
نومكم سباتا اي راحة لابدانكم من عمل النهار فقوله ولا
الليل سابق النهار اي غالب النهار يقال سبق فلان فلانا
اي غلبه وذكر المبرد قال سمعت عمارة يقرا ولا الليل
سابق النهار فقلت ما هذا قال اردت سابقٌ النهار
فحذفت التنوين لانه اخف قال النحاس يجوز ان يكون
النهار منصوبا بغير تنوين ويكون التنوين حذف لالتقاء
الساكنين قوله تعالى واية لهم الليل يحتمل ثلثة معان
احدها عبرة لهم لان في الايات اعتبارا الثاني نعمة عليهم

الثالث

الثالث انذارا لهم لان في الايات انذارا انا حملنا ذريتهم في
الفلك المشحون من اشكل ما في السورة لانهم هم المحمولون فقيل
المعنى واية لاهل مكة انا حملنا ذرية القرون الماضية في الفلك
المشحون فالضميران مختلفان ذكره المهدوي وحكاه النحاس
عن علي بن سليمان انه سمعه يقوله وقيل الضميران جميعا
لاهل مكة على ان يكون ذرياتهم اولادهم وضعفاهم فالفلك
على القول الاول سفينة نوح وعلى الثاني يكون اسما للجنس
خبّر جل وعز بلطفه وامتنانه وانه خلق السفن يحمل
فيها من يصعب عليه المشي والركوب من الذرية والضعفا
فيكون الضميران على هذا متفقين وقيل الذرية الابا والا
جداد حملهم الله تعالى في سفينة نوح عليه السلام فالابا ذرية
والابنا ذرية بدليل هذه الاية قاله ابو عثمان وسمي الاباء
ذرية لان منهم ذرا الابنا وقول رابع ان الذرية النطف
حملها الله تعالى في بطون النسا تشبيها بالفلك المشحون
قاله علي بن ابي طالب رضي الله عنه ذكره الماوردي وقد
مضى في البقرة اشتقاق الذرية والكلام فيها مستوفى
والمشحون المملو الموقر والفلك يكون واحدا وجمعا وقد
تقدم في يونس القول فيه قوله تعالى وخلقنا لهم
من مثله ما يركبون والاصل يركبونه فحذفت الهاء

لطول الاسم وانه راس اية وفي معناه ثلثة اقوال من ذهب مجاهد
وقتادة وجماعة من اهل التفسير وروى عن ابن عباس ان معنى
من مثله للابل خلقها لهم للركوب في البر مثل السفن المركوبة
في البحر والعرب تشبه الابل بالسفن قال طرفة كان حدوج المالكية
غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد جمع خلية وهي السفينة
العظيمة والقول الثاني انه للابل والدواب وكل ما يركب والقول
الثالث انه للسفن النحاس وهو اصحها لانه متصل الاسناد
عن ابن عباس وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال خلق لهم سفنا
امثالها يركبون فيها وقال ابو مالك انها السفن الصغار خلقها
مثل السفن الكبار وروى عن ابن عباس ايضا والحسن وقال
الضحاك وغيره هي السفن المتخذة بعد سفينة نوح قال
الماوردي ويجي على مقتضي تاويل على رضي الله عنه في ان الذرية
في الفلك المشحون هي النطف في بطون النسا قول خامس في
قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ان يكون تاويله النسا
خلقن لركوب الازواج لكن لم اره محكيا قوله تعالى
وان نشا نغرقهم اي في البحر فترجع الكناية الى اصحاب الذرية
او الى الجميع وهذا يدل على صحة قول ابن عباس ومن قال ان
المراد من مثله السفن لا الابل فلا صريخ لهم اي لا مغيث
لهم رواه سعيد عن قتادة وروى شيبان عنه فلا منعة لهم

ومعناها

ومعناهما استغاثتان وصريخ بمعنى مصرخ فعيل بمعنى فاعل ويجوز
فلا صريخ لهم لان بعده ما لا يجوز فيه الا الرفع لانه معرفه وهو ولا هم
ينقذون والنحويون يختارون لا رجل في الدار ولا زيد ومعنى ينقذون
يخلصون من الغرق وقيل من العذاب الا رحمة منا قال الكسائي
هو نصب على الاستثناء وقال الزجاج نصب مفعول من اجله
اي للرحمة ومتاعا معطوف عليه الى حين الى الموت قاله قتادة
يحيى بن سلام الى القيامة اي الا ان يرحمهم ويمتعهم الى اجالهم
وان الله عجل عذاب الامم السالفة واخر عذاب امة محمد صلى
الله عليه وسلم وان كذبوه الى الموت والقيامة **قوله تعالى**
واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم قال قتادة معنى اتقوا
ما بين ايديكم اي من الوقايع فيمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم
من الاخرة ابن عباس وابن جبير ومجاهد ما بين ايديكم
ما مضى من الذنوب وما خلفكم ما ياتي من الذنوب الحسن
ما بين ايديكم ما مضى من اجلكم وما خلفكم ما بقي منه وقيل
ما بين ايديكم من الدنيا وما خلفكم من عذاب الاخرة قاله
سفيان وحكى عكس هذا القول الثعلبي عن ابن عباس
قال ما بين ايديكم من امر الاخره وما عملوا لها وما خلفكم
من امر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين
ايديكم ما ظهر لكم وما خلفكم ما خفي عنكم والجواب محذوف والتقدير

اذا قيل لهم ذلك اعرضوا دليله قوله تعالى وما تاتيهم من
اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين فاكتفى بهذا عن ذلك
قوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اى تصدقوا
على الفقرا قال الحسن يعني اليهود امروا باطعام الفقرا
وقيل هم المشركون قال لهم فقرا اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم اعطونا ما زعمتم من اموالكم انها لله وذلك قوله
تعالى وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا
فحرموهم وقالوا لو شا الله اطعمكم استهزا فلا نطعمكم
حتى ترجعوا الى ديننا قالوا انطعم اى انرزق وعن ابن
عباس كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على
المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وكانوا
يسمعون المومنين يعلقون افعال الله بمشيته فيقولون
لو شا الله لاغنى فلانا ولو شا لاعز ولو شا لكان كذا
وكذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزا بالمومنين وبما
كانوا يقولون من تعليق الامور بمشية الله تعالى وقيل
قالوا هذا تعلقا بقول المومنين لهم انفقوا مما رزقكم الله
اي فاذا كان الله رزقنا فهو قادر على ان يرزقكم فلم
تلتمسوا الرزق منا وكان هذا الاحتجاج باطلا لان
الله عز وجل اذا ملك عبدا مالا ثم اوجب عليه فيه
حقا

حقا فكانه انتزع ذلك القدر منه فلا معنى للاعتراض
وقد صدقوا في قولهم لو شاء الله اطعمهم ولكن كذبوا في
الاحتجاج ومثله سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما
اشركنا وقوله قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك
لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ان انتم الا
في ضلال مبين قيل هو من قول الكفار للمومنين اي في
سوال المال وفي اتباعكم محمدا قال معناه مقاتل وغيره
وقيل هو من قول اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم
وقيل هو من قول الله تعالى للكفار حين ردوا بهذا الجواب
وقيل ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان يطعم مساكين
المسلمين فلقيه ابو جهل فقال يا ابا بكر اتزعم ان الله
قادر على اطعام هولاء قال نعم قال فما باله لم يطعمهم
قال ابتلا قوما بالفقر وقوما بالغنى وامر الفقرا بالصبر
وامر الاغنيا بالاعطا فقال والله يا ابا بكر ما انت الا في
ضلال اتزعم ان الله قادر على اطعام هولاء وهو لا
يطعمهم ثم تطعمهم انت فنزلت هذه الايه ونزل
قوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى الايتين وقيل نزلت الايه في
قوم من الزنادقه وقد كان فيهم اقوام يتزندقون

فلا يومنون بالصانع واستهزوا بالمسلمين بهذا القول
ذكره القشيري والماوردي قوله تعالى ويقولون
متى هذا الوعد لما قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم
قالوا متى هذا الوعد وكان هذا استهزا منهم ايضا اي
لا تحقيق لهذا الوعيد قال الله تعالى ما ينظرون اي ما
ينتظرون الا صيحة واحدة وهي نفخة اسرافيل تاخذهم
وهم يخصمون اي يختصمون في امور دنياهم فيموتون
في مكانهم وهذه نفخة الصعق وفي يخصّمون خمس
قراآت قرا ابو عمرو وابن كثير وهم يخصمون بفتح اليا
والخا وتشديد الصاد وكذا روى ورش عن نافع فاما
اصحاب القرآن واصحاب نافع سوى ورش فرووا عنه
وهم يخصمون باسكان الخاء وتشديد الصاد على الجمع بين
ساكنين وقرا يحيى بن وثاب والاعمش وحمزه وهم يخصمون
باسكان الخاء وتخفيف الصاد من خصمه وقرا عاصم والكسائي
وهم يخِصّمون بكسر الخاء وتشديد الصاد ومعناه يخصم
بعضهم بعضا وقيل تاخذهم وهم عند انفسهم يختصمون
فادغمت التاء في الصاد فقلبت في الحجه انهم لا يبعثون
وقد روى بن جبير عن ابي بكر عن عاصم وحماد عن عاصم
كسر اليا والخاء والتشديد قال النحاس القراة الاولى
ابينها

ابينهما

ابليهما والاصل فيها يختصمون فادغمت التا في الصاد فقلبت حركتها على
الخا وفي حرف ابي وهم يختصمون واسكان الخاء لا يجوز لانه جمع بين
ساكنين وليس احدهما حرف مد ولين وقيل اسكنوا الخا على اصلها
والمعنى يخصم بعضهم بعضا فحذف المضاف وجاز ان يكون المعنى
يخصمون مجادلهم عند انفسهم فحذف المفعول قال الثعلبي وفي
قراءة ابي بن كعب قال النحاس فاما يخصمون فالاصل فيه ايضا يختصمون
فادغمت التا في الصاد ثم كسرت الخا لالتقاء الساكنين وزعم الفرا
ان هذه القراءة اجود واكثر فترك ما هو اولى من القاء حركة التاء على الخا
واجتلب حركة اخرى وجمع بين يائين وكسره وزعم انه اجود
واكثر فكيف يكون اكثر وبالفتح قراءة الخلق من اهل مكة واهل البصرة
واهل المدينة وما روي عن عاصم من كسر اليا والخا فللاتباع
وقد مضى هذا في البقرة في يخطف ابصارهم وفي يونس
في يهدي وقال عكرمة في قوله عز وجل الا صيحة واحدة
قال هي النفخة الاولى في الصور وقال ابو هريرة ينفخ في الصور
والناس في اسواقهم فمن حالب لقحة ومن ذارع ثوبا ومن مار في حاجة
وروى نعيم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تقوم الساعة والرجل يلبط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى
تقوم الساعة والرجل يخفض ميزانه فما يرفعه حتى تقوم الساعة
والرجل يرفع اكلته الى فيه فما يبتلعها حتى تقوم الساعة

والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتى تقوم الساعة

وفي حديث عبد الله بن عمر واول من يسمعه رجل يلوط حوض
ابله قال فيصعق ويصعق الناس الحديث فلا يستطيعون توصية
اي لا يستطيع بعضهم ان يوصي بعضا لما في يده من حق وقيل
لا يستطيع ان يوصي بعضهم بعضا بالتوبة والاقلاع بل يموتون
في اسواقهم ومواضعهم ولا الى اهلهم يرجعون اذا ماتوا وقيل
ان المعنى ولا الى اهلهم يرجعون لا يرجعون اليهم قولا وقال
قتادة ولا الى اهلهم يرجعون اي الى منازلهم لانهم قد اعجلوا
عن ذلك قوله تعالى ونفخ في الصور هذه النفخة للنشاة
وقد بينا في سورة النحل انهما نفختان لا ثلاث وهذه الاية
دالة على ذلك وروى المبارك بن فضالة عن الحسن قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين النفختين اربعون سنة الاولى
يميت الله بها كل حي والاخرى يحيي الله تعالى كل ميت وقال
قتادة الصور جمع صورة اي نفخ في الصور الارواح وصورة
وصور مثل سورة البنا وسور قال العجاج
ورب ذي سرادق محجور سرت اليه في اعالي السور
وقد روى عن ابي هريرة انه قرأ ونفخ في الصور النحاس
والصحيح ان الصور باسكان الواو القرن جا بذلك
التوقيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك معروف
من كلام العرب انشد اهل اللغة نحن نطحناهم غداة
الغورين

الغورين بالضالحات في غبار النقعين نطحا شديدا لا كنطح
الصورين؛ وقد مضى هذا في الانعام مستوفى فاذا هم من
الاجداث اي القبور وقرئ بالفاء من الاجداف ذكره الزمخشري
يقال جدث وجدف واللغة الفصيحة الجدث بالثاء والجمع
أجدث وأجداث قال المتنخل الهذلي عرفت باجدث
فنعاف عرق عاملات كتحبير النماط واختدث اي اتخذ
جدثا الى ربهم ينسلون اي يخرجون قال ابن عباس وقتادة
ومنه قول امرئ القيس فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
ومنه قيل للولد نسل لانه يخرج من بطن امه وقيل يسرعون
والنسلان والعسلان الاسراع في السير ومنه مشية
الذيب قال عسلان الذيب امسى قاربا برد الليل عليه
فنسل؛ يقال عسل الذيب ونسل يعسل وينسل من باب
ضرب يضرب ويقال ينسل بالضم ايضا وهو الاسراع في
المشي فالمعنى يخرجون مسرعون وفي التنزيل ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة وقال تعالى يخرجون من الاجداث
كانهم جراد منتشر وفي سأل سائل يوم يخرجون من الاجداث
سراعا كانهم الى نصب يوفضون اي يسرعون وفي الخبر
شكونا الى النبي صلى الله عليه وسلم الضعف فقال عليكم
بالنسل اي بالاسراع في المشي فانه ينشط قوله تعالى

قالوا يا ويلنا قال ابن الانباري يا ويلنا وقف حسن ثم يبتدي
من بعثنا وروي عن بعض القرا يا ويلنا من بعثنا بكسر من
والثاء من البعث روي ذلك عن علي رضي الله عنه فعلى هذا
المذهب لا يحسن الوقف على قوله يا ويلنا حتى يقول من مرقدنا
وفي قراة ابي بن كعب من اهبنا بالوصل من مرقدنا فهذا
دليل على صحة مذهب العامه قال المهدوي قرا ابن ابي
ليلى قالوا يا ويلتنا بزيادة تاء وهو تانيث الويل ومنه
يا ويلتي الد وانا عجوز وقرا علي رضي الله عنه يا ويلنا
فمن متعلقة بالويل او حال من ويلنا فتتعلق بمحذوف
كانه قال يا ويلنا كاينا من بعثنا وكما يجوز ان يكون خبرا
عنه كذلك يجوز ان يكون خبرا عنه كذلك يجوز حالا
منه ومن من قوله من مرقدنا متعلقه بنفس البعث
ثم قيل كيف قالوا هذا وهم من المعذبين في قبورهم فالجواب
ان ابي بن كعب قال ينامون نومة فيقولون يا ويلنا
من بعثنا من مرقدنا قال ابو بكر الانباري لا يحمل هذا الحديث
على ان اهبنا من لفظ القران كما قاله من طعن في القران ولكنه
تفسير بعثنا او معبر عن بعض معانيه قال ابو بكر وكذا
حفظته من اهبنا بغير الف في هبنا مع تسكين نون من
والصواب فيه على طريقة اللغه من اهبنا بفتح النون
على

بلغ
من بعثنا
من
هبنا

على ان فتحة همزه اهب القيت على نون من واسقطت الهمزة
كما قالت العرب من اخبرك من اعلمك وهم يريدون من اخبرك ويقال
اهببت النايم فهب النايم انشدنا احمد بن يحيى النحوي
وعاذلة هبت بليل تلومني ولم تغتمزني قبل ذاك عذول
وقال ابو صالح اذا نفخ النفخة الاولى رفع العذاب عن اهل القبور
وهجعوا هجعة الى النفخة الثانية وبينهما اربعون سنة فذلك قولهم
من بعثنا من مرقدنا فيها من انواع العذاب صار ما عذبوا به
في قبورهم الى جنب عذابها كالنوم قال مجاهد فقال لهم
المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وقال قتاده فقال لهم من
هدى الله هذا ما وعد الرحمن وقال الفرا يقال لهم الملايكة هذا
ما وعد الرحمن النحاس وهذه الاقوال متفقه لان الملايكة من
المومنين وممن هدى الله عز وجل وعلى هذا تاول قول الله
عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البريه
ولان الحديث المومن عند الله خير ما خلق ويجوز ان يكون
الملايكة صلى الله عليهم وغيرهم من المومنين قالوا لهم هذا ما
وعد الرحمن وقيل ان الكفار لما قال بعضهم لبعض من بعثنا
من مرقدنا صدقوا الرسل لما عاينوا ما اخبروهم به ثم قالوا
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فكذبنا به اقروا حين
لا ينفعهم الاقرار وكان حفص يقف على من مرقدنا ثم

يبتدي فيقول هذا قال ابن الانباري من بعثنا من مرقدنا وقف حسن
ثم يبتدي هذا ما وعد الرحمن ويجوز ان يقف على مرقدنا هذا على الاتباع
للمرقد ويبتدي ما وعد الرحمن على معنى بعثكم ما وعد الرحمن النحاس
التمام على من مرقدنا وهذا في موضع رفع بالابتدا وخبره ما وعد الرحمن
ويجوز ان يكون في موضع خفض على النعت لمرقدنا فيكون التمام من
مرقدنا هذا ما وعد الرحمن في موضع رفع من ثلاث جهات ذكر ابو
اسحق منها اثنتين قال يكون باضمار هذا والجهة الثانية ان يكون
بمعنى حق ما وعد الرحمن بعثكم والجهة الثالثة ان يكون بمعنى بعثكم
ما وعد الرحمن ان كانت الا صيحة واحدة يعني ان بعثهم واحياهم
كان بصيحة واحدة وهو قول اسرافيل ايتها العظام البالية
والاوصال المتقطعة والعظام المتفرقة والشعور المتمزقة
ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضا وهذا معنى قوله الحق وهذا
يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج وقال تعالى مهطعين
الى الداعي علما باني وفي قراة ابن مسعود وان صح عنه ان كانت
الا زقية واحدة والزقية الصيحة وقد تقدم هذا فاذا هم
جميع لدينا محضرون فاذا هم جميع مبتدا وخبره وجميع
نكرة ومحضرون من صفته ومعنى محضرون مجموعون احضروا
موقف الحساب وهو كقوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح
البصر او هو اقرب فقوله تعالى فاليوم لا تظلم نفس شيئا
اي لا

اي لا ننقص من ثواب عمل ولا تجزون الا ما كنتم تعملون في محل
نصب من وجهين الاول انه مفعول ثان لما لم يسم فاعله والثاني
بنزع حرف الصفة تقديره الا بما كنتم تعملون اي تعملونه فحذف
قوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون قال ابن مسعود
وابن عباس وقتادة ومجاهد شغلهم بافتضاض العذارى
وذكر الترمذي الحكيم في كتاب مشكل القران له نا محمد بن حميد الرازي
نا يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن
شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى ان
اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون قال شغلهم افتضاض العذارى
نا محمد بن حميد قال حدثنا هرون بن المغيرة عن نهشل عن الضحاك
عن ابن عباس مثله وقال ابو قلابة بينما الرجل من اهل الجنة مع اهله
اذ قيل له تحول الى اهلك فيقول انا مع اهلي مشغول فيقال
تحول الى اهلك ويقال اصحاب الجنة في شغل بما هم فيه من
اللذات والنعيم عن الاهتمام باهل المعاصي ومصيرهم الى النار
وما هم فيه من اليم العذاب وان كان فيهم اقرباوهم واهلوهم
قاله سعيد بن المسيب وغيره وقال وكيع يعني في السماع
وقال ابن كيسان في شغل اي في زيارة بعضهم بعضا وقيل
في ضيافة الله تعالى وروي انه اذا كان يوم القيامة نادى
مناد اين عبادي الذين اطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب

انا اصطفيتكم وانا احببتكم وانا اخترتكم اذهبوا فادخلوا
الجنة بغير حساب فلا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
فيمرون على الصراط كالبرق الخاطف فتفتح لهم ابوابها ثم ان
الخلق في المحشر موقوفون فيقول بعضهم لبعض يا قوم
اين فلان وفلان وذلك حين يسال بعضهم بعضا فينادي
مناد ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون وشغل وشغل
لغتان قرئ بهما مثل الرعْب والرعُب والسحْت والسحُت
وقد تقدم فاكهون قال الحسن مسرورون قال ابن عباس فرحون
مجاهد والضحاك معجبون السدي ناعمون والمعنى متقارب
والفكاهة المزاح والكلام الطيب وقرا ابو جعفر وشيبة
والاعرج فكهون بغير الف وهما لغتان كالفاره والفره
والحاذر والحذر قاله الفرا وقال الكسائي وابو عبيدة
الفاكه ذو الفاكهة مثل شاحم ولاحم وتامر ولابن
والفكه المتفكه والمتنعم وفكهون بغير الف في قول
قتادة معجبون وقال ابو زيد يقال رجل فكه اذا
كان طيب النفس ضحوكا وقرا طلحة بن مصرف فاكهين
نصبه على الحال هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون
مبتدا وخبره ويجوز ان يكون هم توكيدا وازواجهم
عطفا على المضمر ومتكئون نعت لقوله فاكهون

وقراه

وقراءة العامة في ظلال بكسر الظاء والالف وقرا ابن مسعود
وعبيد بن عمير والاعمش ويحيى وحمزة والكسائي وخلف في
ظلل بضم الظاء من غير الف فالظلال جمع ظل وظلل جمع ظلة
على الارائك يعني السرر في الحجال واحدها اريكة مثل
سفينة وسفاين قال الشاعر

كان احمرار الورد فوق غصونه بوقت الضحى في روضة المتضاحي
خدود عذارى قد خجلن من الحيا تهادين بالريحان فوق الارائك

وفي الخبر عن ابي سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان اهل الجنة كلما جامعوا نساهم عادوا ابكارا وقال
ابن عباس ان الرجل من اهل الجنة ليعانق الحوراء
سبعين سنة لا يملها ولا تمله كلما اتاها وجدها بكرا
وكلما رجع اليها عادت اليه شهوته فيجامعها بقوة
سبعين رجلا لا يكون بينهما مني ياتي من غير مني منه
ولا منها لهم فيها فاكهة ابدا وخير ولهم ما يدعون
الدال الثانية مبدلة من تاء لانه يفتعلون من دعا
اي من دعا بشي اعطيه قال ابو عبيدة فمعنى يدعون
يتمنون من الدعا وقيل المعنى ان من ادعى منهم شيا
فهو له لان الله تعالى قد طبعهم على ان لا يدعي احد
الا ما يجمل ويحسن ان يدعيه وقال يحيى بن سلام

مطلب في الوعظ

يدعون يشتهون ابن عباس يسئلون والمعنى متقارب
قال ابن الانباري ولهم ما يدعون وقف حسن ثم يبتدي سلام
على معنى ذلك لهم سلام ويجوز ان ترفع السلام على معنى لهم ما
يدعون مسلم خالص فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على
ما يدعون قال الزجاج سلام مرفوع على البدل مما اي ولهم
ان يسلم الله عليهم وهذا منى اهل الجنة وروى من حديث جرير
بن عبد الله البجلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما اهل
الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا روسهم فاذا الرب
تعالى قد اطلع عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل
الجنة فذلك قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم فينظر
اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شي من النعيم ما داموا
ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركاته عليهم
في ديارهم ذكره الثعلبي والقشيري ومعناه ثابت في صحيح
مسلم قد بيناه في يونس عند قوله تعالى للذين احسنوا
الحسنى وزيادة ويجوز ان تكون ما نكرة وسلام نعتا
لها اي ولهم ما يدعون مسلم ويجوز ان يكون ما رفعا بالابتدا
سلام خبر عنها وعلى هذا الوجوه لا يوقف على ولهم ما
يدعون وفي قراة ابن مسعود سلاما يكون مصدرا
وان شيت في موضع الحال اي ولهم ما يدعون ذا سلام

او

او سلامة او مسلما فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على
يدعون وقرا محمد بن كعب القرظي بسلم على الاستينناف كانه
قال ذلك سلم لهم لا يتنازعون فيه ويكون ولهم ما يدعون
تام ويجوز ان يكون سلام بدلا من قوله ولهم ما يدعون وخبر
ما يدعون لهم ويجوز ان يكون خبرا آخر ويكون معنى الكلام
انه لهم خالص من غير منازع فيه قولا مصدر على معنى
قال الله لهم ذلك قولا او يقول قولا ودل على الفعل المحذوف
لفظ مصدره ويجوز ان يكون معنى ولهم ما يدعون قولا
اي عدة من الله فعلى هذا المذهب الثاني لا يحسن الوقف
على ما يدعون وقال السجستاني الوقف على قوله سلام
تام وهذا خطا لان القول خارج مما قبله **قوله تعالى**
وامتازوا اليوم ايها المجرمون ويقال تميزوا وامازوا
وامتازوا بمعنى واحد ومزته فانماز وميزته فتميز
اي يقال لهم هذا عند الوقوف للسوال حين يومر باهل
الجنة الى الجنة اي اخرجوا من جملتهم قال قتادة عزلوا
عن كل خير وقال الضحاك يمتاز المجرمون بعضهم من بعض
فيمتاز اليهود فرقة والنصاري فرقة والمجوس فرقة والصا
فرقه وعبدة الاوثان فرقة وعنه ايضا ان لكل فرقة
في النار بيتا يدخل فيه ويردم بابه فيكون فيه ابدا لا يرى

وامتازوا

سلام

يعني

بلغ مقابلة

ولا يُري وقال داود بن الجراح فيمتاز المسلمون من المجرمين الا اصحاب الاهواء فيكونون مع المجرمين قوله تعالى
الم اعهد اليكم يا بني ادم العهد هنا بمعنى الوصية اي الم اوصكم وابلغكم على السنة الرسل ان لا تعبدوا الشيطان اي لا تطيعوه في معصيتي قال الكسائي لا للنهي وان اعبدوني بكسر النون على الاصل ومن ضم كره كسرة بعدها ضمة هذا صراط مستقيم اي عبادتي دين قويم قوله تعالى ولقد اضل منكم اي اغوى جبلا كثيرا اي خلقا كثيرا قاله مجاهد قتادة جموعا كثيرة الكلبي امما كثيرة والمعنى واحد وقرا اهل المدينة وعاصم جبلا بكسر الجيم والباء وابو عمرو وابن عامر جُبْلا بضم الجيم واسكان الباء الباقون جُبُلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام وشددها الحسن وابن ابي اسحق وعيسى بن عمر وعبد الله بن عبيد والنظر ابن انس وقرا ابو يحيى والاشهب العقيلي جِبْلا بكسر الجيم واسكان الباء وتخفيف اللام فهذه خمس قراآت قال المهدوي والثعلبي وكلها لغات بمعنى الخلق النحاس ابينها القرأة الاولى والدليل على ذلك انهم قد اجمعوا على ان قرؤا والجبلة الاولين فيكون جبلا جمع جبلة والاشتقاق فيه كله واحد وانما هو من جبل الله عز وجل الخلق اي خلقهم وقد ذكرت قراة سادسة وهي ولقد اضل منكم جيلا كثيرا

بالياء

الرابع عشر

بالبا وحكي عن الضحاك ان الجبل الواحد عشرة الاف والكثير
ما لا يحصيه الا الله عز وجل ذكره الما وردي فلم تكونوا
تعقلون عداوته وتعلموا ان الواجب طاعة الله هذه جهنم
اي يقول لهم خزنة جهنم هذه جهنم التي وعدتم فكذبتم
بها وروى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الانس والجن والاولين
والاخرين في صعيد واحد ثم اشرف عنق من النار على الخلايق
فاحاط بهم ثم ينادي مناد هذه جهنم التي كنتم توعدون
اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون فحينئذ تجثو الامم على ركبها
وتضع كل ذات حمل حملها وتذهل كل مرضعة عما ارضعت
وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد
قوله تعالى اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد
ارجلهم بما كانوا يكسبون في صحيح مسلم عن انس بن مالك
قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل
تدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة
العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى فيقول
فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك
عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه
فيقال لاركانه انطقي قال فتنطق باعماله قال ثم يخلى بينه

وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناظل
خرجه ايضا من حديث ابي هريره وفيه ثم يقال الان نبعث
شاهدا عليك فيفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم
على فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه
بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي سخط
الله عليه وخرج الترمذي عن معاويه بن حيده عن النبي
صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال واشار بيده الى
الشام فقال ها هنا الى ها هنا تحشرون ركبانا ومشاة
وتحشرون على وجوهكم يوم القيامة على افواهكم الفدام
توفون سبعين امة انتم خيرهم واكرمهم على الله وان
اول ما يعرب عن احدكم فخذه في روايه اخرى فخذه وكفه
الفدام مصفاة الكوز والابريق قاله الليث قال ابو عبيد
انهم منعوا الكلام حتى تكلم افخاذهم فشبه ذلك بالفدام الذي
يجعل على الابريق ثم قيل في سبب الختم اربعة اوجه
احدها لانهم قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فختم الله على
افواههم حتى نطقت جوارحهم قاله ابو موسى الاشعري
الثانيه ليعرفهم اهل الموقف فيتميزون منهم قاله ابن زياد
الثالث لان اقرار غير الناطق ابلغ في الحجة من اقرار الناطق
لخروجه مخرج الاعجاز وان كان يوما لا يحتاج الى اعجاز

الرابع

الرابع ليعلم ان اعضاه التي كانت اعوانا في حق نفسه
صارت عليه شهودا في حق ربه فان قيل لم قال وتكلمنا
ايديهم وتشهد ارجلهم فجعل ما كان من اليد كلاما وما كان
من الرجل شهادة قيل لان الايدي مباشرة للعمل والارجل
حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة وقول الفاعل على نفسه
اقرار بما قال او فعل فلذلك عبر عما صدر من الايدي بالقول
وعما صدر من الارجل بالشهادة وقد روي عن عقبة بن عامر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول عظم
من الانسان يتكلم يوم يختم على الافواه فخذه من الرجل
اليسرى ذكره الماوردي و المهدوي وقال ابو موسى الاشعري
اني لاحسب ان اول ما ينطق منه فخذه اليمنى ذكره المهدوي
ايضا قال الماوردي فاحتمل ان يكون تقدم الفخذ بالكلام
على ساير الاعضا لان لذة معاصيه يدركها بحواسها
التي هي في الشطر الاسفل منها الفخذ فجاز لقربه منها
ان تقدم في الشهادة عليها قال وتقدمت اليسرى لان
الشهوة في ميامن الاعضا اقوى منها في مياسرها فلذلك
تقدمت اليسرى على اليمنى لقلة شهوتها قلت او بالعكس
لغلبة الشهوة او كلاهما معا والكف فان مجموع ذلك يكون
تمام الشهوة واللذة والله اعلم قوله تعالى ولو نشا

بلغ

لطمسنا علي اعينهم فاستبقوا الصراط فاني يبصرون حكي اللسانى
طمس يطمس ويطمس والطميس عند اهل اللغة الاعمى الذي ليس
في عينيه شق قال ابن عباس المعنى لاعميناهم عن الهدى فلا يهتدون
ابدا الى طريق الحق وقال الحسن والسدي المعنى لتركناهم عميا
يترددون فالمعنى لاعميناهم فلا يبصرون طريقا الى تصرفهم في
منازلهم ولا غيرها وهذا اختيار الطبري وقوله فاستبقوا
الصراط اي استبقوا الطريق ليجوزوا فاني يبصرون اي فمن
اين يبصرون وقال عطا ومقاتل وقتادة وروي عن ابن عباس
ولو نشا لفقانا اعين ضلالتهم واعميناهم عن غيهم وحولنا
ابصارهم من الضلالة والهدى فاهتدوا وابصروا ارشدهم
وتبادروا الى طريق الاخرة ثم قال فاني يبصرون ولم يفعل
ذلك بهم اي فكيف يهتدون وعين الهدى مطموسة على
الضلال باقيه وقد روي عن عبد الله بن سلام في تاويل هذه الاية
غير ما تقدم وتاولها انها في يوم القيامة وقال اذا كان يوم
القيامة ومد الصراط نادي مناد ليقم محمد صلى الله عليه وسلم
وامته فيقومون برهم وفاجرهم يتبعونه ليجوزوا الصراط
فاذا صاروا عليه طمس الله اعين فجارهم فاستبقوا الصراط
فمن اين يبصرونه حتى يجاوزوه ثم ينادي مناد ليقم عيسى
صلى الله عليه وسلم فيقوم فيتبعونه برهم وفاجرهم فيكون

سبيلهم

والمطموس

على

سبيلهم تلك السبيل وكذا ساير الانبيا ذكره النحاس وقد ذكرناه
في التذكرة بمعناه حسب ما ذكره بن المبارك في رقايقه وذكر
القشيري وقال ابن عباس اخذ الاسود بن عبد الاسود حجرا
ومعه جماعة من بني مخزوم ليطرحه على النبي صلى الله عليه وسلم
فطمس الله على بصره والصق الحجر بيده فما ابصره وما اهتدى
ونزلت الاية فيه والمطموس هو الذي لا يكون بين جفنيه
شق ماخوذ من طمس الريح الاثر قاله الاخفش والقتبي
قوله تعالى ولو نشا لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا
مضيا ولا يرجعون المسخ تبديل الخلقة وقلبها حجرا او
جمادا او بهيمة قال الحسن اي لاقعدناهم فلا يستطيعون
ان يمضوا امامهم ولا يرجعوا وراهم وكذلك الجماد لا يتقدم
ولا يتاخر وقد يكون المسخ تبديل صورة الانسان بهيمة ثم
تلك البهيمة لا تعقل موضعا تقصده تتحير فلا تقبل ولا تدبر
ابن عباس المعنى لو نشا لاهلكناهم في مساكنهم وقيل المعنى
لو نشا لمسخناهم في المكان الذي اجترءوا فيه على المعصية ابن
سلام هذا كله يوم القيامة يطمس الله اعينهم على الصراط
وقرا الحسن والسلمي وزر بن حبيش وعاصم في رواية ابي بكر
مكاناتهم على الجمع الباقون بالتوحيد وقرا ابو حيوة فما
استطاعوا مَضيا بفتح الميم والمُضي بضم الميم مصدر مضى

يمضي مضيا اذا ذهب قوله تعالى ومن نعمره ننكسه في
الخلق قرا عاصم وحمزة ننكّسه بضم النون الاولى وتشديد الكاف
من التنكيس الباقون ننكسه بفتح النون الاولى وضم الكاف من نكست
الشي انكسه نكسا قلبته على راسه فانتكس قال قتاده المعنى
انه يصير الى حال الهرم الذي يشبه حال الصبي وقال سفيان في
قوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق اذا بلغ ثمانين سنة تغير
جسمه وضعفت قوته قال الشاعر من عاش اخلقت الايام جدته
وخانه ثقتاه السمع والبصر، فطول العمر يصير الشباب هرما
والقوة ضعفا والزياده نقصا وهذا هو الغالب وقد تعوذ صلى
الله عليه وسلم من ان يرد الى ارذل العمر وقد مضى في النحل بيانه
افلا يعقلون ان من فعل هذا بكم قادر على بعثكم وقرا نافع وابن
ذكوان تعقلون بالتاء الباقون بالياء قوله تعالى وما علمناه
الشعر فيه اربع مسايل الاول اخبر تعالى عن حال نبيه
صلى الله عليه وسلم ورد قول من قال من الكفار انه شاعر وان القران
شعر بقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ولذلك كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقول الشعر ولا يزنه وكان
اذا حاول انشاد بيت قديم متمثلا كسر وزنه وانما
كان يحرز المعاني فقط من ذلك انه انشد يوما قول طرفة
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك من لم تزوده بالاخبار
وانشد يوما

وانشد يوماً وقد قيل من اشعر الناس فقال الذي يقول
الم تريا اني كلما جيت طارقا وجدت بها وان لم تطيب طيبا
وانشد يوماً انجعل نهبي ونهب العبيد بين الاقرع وعيينه
وقد كان عليه السلام ربما انشد البيت المستقيم في النادر روي
انه انشد بيت ابن رواحة يبيت يجافي جنبه عن فراشه
اذا استثقلت بالمشركين المضاجع :. وقال الحسن بن ابي الحسن
انشد النبي عليه السلام كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا :. فقال
ابو بكر يا نبي الله انما قال الشاعر هريرة ودع ان تجهزت غاديا
كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا :. فقال ابو بكر او عمر اشهد
انك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له
وعن الخليل بن احمد كان الشعر احب الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم من كثير من الكلام ولكن لا يتاتى له الثانية اصابة الوزن
احيانا لا يوجب انه يعلم الشعر وكذلك ما ياتي احيانا من نثر
كلامه ما يدخل في وزن كقوله يوم حنين وغيره هل انت الا
اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت وقوله انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب :. فقد ياتي مثل ذلك في ايات القران وفي كل
كلام وليس كل ذلك شعرا ولا في معناه كقوله تعالى لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله تعالى نصر من الله وفتح
قريب وبشر المومنين وقوله تعالى وجفان كالجواب وقدور

الصبيان الى غير ذلك من الايات وقد ذكر ابن العربي
منها ابيات وتكلم عليها واخرجها عن الوزن على ان ابا الحسن
الاخفش قال في قوله انا النبي لا كذب ليس بشعر وقال
الخليل في كتاب العين ان ما جا من السجع على جزوين لا يكون
شعرا وروي عنه انه من منهوك الرجز وقد قيل لا يكون
منهوك الرجز الا بالوقف على البا من قوله لا كذب ومن
قوله عبد المطلب ولم يعلم كيف قاله النبي صلى الله عليه وسلم
قال ابن العربي والاظهر من حاله انه قال لا كذب البا مرفوعة
ويخفض البا من عبد المطلب على الاضافة قال النحاس وقال
بعضهم انما الرواية بالاعراب لم يكن شعرا الا انه اذا
فتح البا من البيت الاول او ضمها او نونها وكسر البا من
البيت الثاني خرج عن وزن الشعر وقال بعضهم ليس
هذا الوزن من الشعر وهذا مكابرة العيان لان اشعار
العرب على هذا قد رواها الخليل وغيره واما قوله هل
انت الا اصبع دميت فقيل انه من بحر السريع وذلك لا يكون
الا اذا كسرت التا من دميت فان سكن لم يكن شعرا بحال لان
هاتين الكلمتين على هذه الصفة لا تكون فعولا ولا مدخل
لفعول في بحر السريع ولعل النبي صلى الله عليه وسلم قالها
ساكنة التا او متحركة التا من غير اشباع والمعول عليه

واذا اطلقت الاعراب خرج

في

في الانفصال على تسليم ان هذا شعر ويسقط الاعتراض
ولا يلزم منه ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم عالما بالشعر ولا شاعرا
ان التمثيل بالبيت النزر واضافة القافيتين من الرجز وغيره لا
يوجب ان يكون قايلها عالما بالشعر ولا يسمى شاعرا باتفاق العلما
كما ان من خاط خيطا لا يكون خياطا قال ابو اسحاق الزجاج
معنى وما علمناه الشعر وما علمناه ان يشعر اي ما جعلناه
شاعرا وهذا لا يمتنع ان ينشد شيا من الشعر قال
النحاس وهذا احسن ما قيل في هذا وقد قيل انما اخبر الله
جل وعز انه ما علمه الله الشعر ولم يخبر انه لا ينشد شعرا
وهذا ظاهر الكلام وقيل فيه قول مبين زعم صاحبه
انه اجماع من اللغة وذلك انهم قالوا كل من قال قولا موزونا
لا يقصد به الى شعر فليس بشعر وانما وافق الشعر وهذا
قول بين قالوا وانما الذي نفاه الله عن نبيه عليه السلام
فهو العلم بالشعر واصنافه واعاريضه وقوافيه والاتصاف
بقوله ولم يكن موصوفا بذلك بالاتفاق الا ترى ان قريشا تراوضت
فيما يقولون للعرب فيه اذا قدموا عليهم الموسم فقال بعضهم
نقول انه شاعر فقال اهل الفطنة منهم والله لتكذبنكم العرب
فانهم يعرفون اصناف الشعر فوالله ما يشبه شيا منها وما
قوله بشعر وقال انيس اخو ابي ذر لقد وضعت قوله على اقرا

السعر فلم يلتبس انه شعر اخرجه مسلم وكان ابيس من اشعر العرب
و لذلك قال عتبة بن ربيعه لما كلمه والله ما هو بالشعر ولا الكهانة ولا السحر
على ما ياتي من خبره في سورة فصلت ان شا الله تعالى وكذلك
قال غيرهما من فصحا العرب العربا والالسن البلغا ثم ان ما يجري
على اللسان من موزون الكلام لا يعد شعرا وانما يعد منه
ما يجري على وزن الشعر مع القصد اليه فقد يقول القايل حدثنا
شيخ لنا وينادي يا صاحب الكساي ولا يعد هذا شعرا وقد
كان رجلا ينادي في مرضه وهو من عرض العامة العقلا
اذهبوا بي الى الطبيب وقولوا قد اكتوا الثالثة روى
ابن القاسم عن مالك انه سيل عن انشاد الشعر فقال لا تكثرن
به فمن عيبه ان الله يقول وما علمناه الشعر وما ينبغي له قال
ولقد روى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى ابي موسى
الاشعري ان اجمع الشعرا قبلك واسلهم عن الشعر وهل بقي معهم
معرفة واحضر لبيدا ذلك قال فجمعهم فسالهم فقالوا انا لنعرفه
ونقوله وسال لبيدا فقال ما قلت بيت شعر منذ سمعت
الله عز وجل يقول الم ذلك الكتاب لا ريب فيه قال ابن العربي
هذه الايه ليست من عيب الشعر كما لم يكن قوله وما
كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك من عيب
الكتابة فلما لم تكن الامية من عيب الخط كذلك لا يكون نفي
النظم

النظم عن النبي صلى الله عليه وسلم من عيب الشعر روي ان المامون
قال لابي علي المنقري بلغني انك امي وانك لا تقيم الشعر وانك تلحن
فقال يا امير المومنين اما اللحن فربما سبق لساني منه شي واما
الاميه وكسر الشعر فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكتب
ولا يقيم الشعر فقال له سالتك عن ثلثة عيوب فيك فزدتني رابعا
وهذا الجهل يا جاهل ان ذلك كان للنبي صلى الله عليه وسلم فضيلة
وهو فيك وفي امثالك نقيصة وانما منع النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك لنفي الظنة عنه لا العيب في الشعر والكتابة **الرابعة**
قوله تعالى وما ينبغي له اي وما ينبغي له ان يقوله وجعل الله
جل وعز ذلك علما من اعلام نبيه عليه السلام لئلا يدخل الشبهة
على من ارسل اليه فيظن انه قوي على القران بما في طبعه من
القوة على الشعر ولا اعتراض لملحد على هذا بما يتفق الوزن
فيه من القران وكلام الرسول لان من وافق وزنه وزن الشعر
ولم يقصد به الى الشعر ليس بشعر ولو كان شعرا لكان كل من نطق
بموزون من العامة الذين لا يعرفون الوزن شاعرا على ما تقدم
بيانه وقال الزجاج معنى وما ينبغي له اي ما يتسهل له قول
الشعر لا الانشاد ان هو الا ذكر هذا الذي يتلوه عليكم الا
ذكر وقران مبين **قوله تعالى** لينذر من كان حيا اي
حي القلب قاله قتادة الضحاك عاقلا وقيل المعنى لينذر من

كان مومنا في علم الله هذا على قراة التاء خطابا للنبي عليه السلام
وهي قراة نافع وابن عامر وقرا الباقون بالياء على معنى لينذر الله عز
وجل او لينذر محمد صلى الله عليه وسلم او لينذر القران وروى عن
ابن السميفع لينذر بفتح الياء والذال ويحق القول على الكافرين
اي وتجب الحجة بالقران على الكفرة **قوله تعالى** اولم يروا
انا خلقنا لهم هذه روية القلب اي اولم ينظروا او يعتبروا ويتفكروا
مما عملت ايدينا اي مما ابدعناه وعملناه من غير واسطة ولا وكالة
ولا شركة وما بمعنى الذي وحذفت الهاء لطول الاسم وان جعلت
ما مصدرية لم تحتج الى اضمار الهاء انعاما جمع نعم والنعم مذكر
فهم لها مالكون ضابطون قاهرون وذللناها لهم اي سخرناها
لهم حتى يقود الصبي الجمل العظيم ويضربه ويصرفه كيف يشا
لا يخرج من طاعته فمنها ركوبهم قراة العامة بفتح الراء اي
مركوبهم كما يقال ناقة حلوب اي محلوب وقرا الاعمش والحسن
وابن السميفع فمنها ركوبهم بضم الراء على المصدر وروى عن
عايشة انها قرات فمنها ركوبتهم وكذا في مصحفها والركوب
والركوبة واحد مثل الحلوب والحلوبة والحمول والحمولة وحكى
النحويون الكوفيون ان العرب تقول امراة صبور وشكور
بغير هاء ويقولون شاة حلوبة وناقة ركوبة لانهم ارادوا
ان يفرقوا بين ما كان له الفعل وبين ما كان الفعل واقعا عليه
محذوفوا

فحذفوا الهاً مما كان فاعلاً واثبتوها مما كان مفعولاً كما قال
فيها اثنتان واربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الاسحم
فيجب ان يكون على هذا ركوبتهم فاما البصريون فيقولون
حذفت الها على النسب والحجة للقول الاول ما رواه الحرمي
عن ابي عبيدة قال الركوبة تكون للواحد والجماعة والركوب لا
يكون الا للجماعة فعلى هذا يكون لتذكير الجمع وزعم ابو حاتم انه لا
يجوز فمنها ركوبهم بضم الراء لانه مصدر والركوب ما يركب
واجاز الفرا فمنها ركوبهم بضم الرا كما تقول فمنها اكلهم ومنها
شربهم ومنها ياكلون من لحمانها ولهم فيها منافع من اصوافها
واوبارها واشعارها وشحومها ولحومها وغير ذلك ومشارب
يعني البانها ولم ينصرفا لانهما من الجموع الذي لا نظير لها في الاحاد
افلا يشكرون الله على نعمه **قوله تعالى** واتخذوا من دون الله
الهة اي قدرا واهذه الايات من قدرتنا ثم اتخذوا من دوننا
الهة لا قدرة لها على فعل لعلهم ينصرون اي لما يرجون من
نصرتها لهم ان نزل بهم عذاب ومن العرب من يقول لعله ان نفعل
لا يستطيعون نصرهم يعني الالهة وجمعوا بالواو والنون لانه
اخبر عنهم بخبر الادميين وهم يعني الكفار لهم اي للالهة جند
محضرون قال الحسن يمنعون منهم ويدفعون عنهم وقال
قتادة اي يغضبون لهم في الدنيا وقيل المعنى انهم يعبدون

الالهة ويقومون بها فهم لهم بمنزلة الجند وهي لا تستطيع ان
تنصرهم وهذه الاقوال الثلثة متقاربة المعنى وقيل اي الالهة جند
للعابدين محضرون معهم في النار فلا يدفع بعضهم عن بعض وقيل
معناه وهذه الاصنام لهولاء الكفار جند الله عليهم في جهنم
لانهم يلعنونهم ويتبرؤن من عبادتهم وقيل الالهة جند لهم
محضرون يوم القيامة لاعانتهم في ظنونهم وفي الخبر انه يمثل
لكل قوم ما كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله فيتبعونه الى
النار فهم لهم جند محضرون قلت ومعنى هذا الخبر ما ثبت في صحيح
مسلم من حديث ابي هريرة وفي الترمذي عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد ثم يطلع عليهم
رب العالمين فيقول الا يتبع كل انسان ما كان يعبد فيمثل لصاحب
الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب
النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون
وذكر الحديث بطوله فلا يحزنك قولهم هذه اللغة الفصيحة
ومن العرب من يقول يحزنك والمراد تسلية نبيه عليه السلام
اي لا يحزنك قولهم شاعر ساحر وتم الكلام ثم استانف فقال
انا نعلم ما يسرون من القول والعمل وما يظهرون فيجازيهم
بذلك قوله تعالى اولم ير الانسان قال ابن عباس الانسان
هو عبد الله بن ابي وقال سعيد بن جبير هو العاص بن وايل

السهمي وقال الحسن هو امية بن خلف وقال قتادة ومجاهد هو
ابي بن خلف الجمحي وقاله ابن اسحق ورواه ابن وهب عن مالك
انا خلقناه من نطفة وهو اليسير من الماء نطف اذا قطر
فاذا هو خصيم مبين اي مجادل في الخصومة مبين للحجة يريد
بذلك انه صار بعد ان لم يكن شيئا مذكورا خصيما مبينا وذلك
انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم حايل فقال يا محمد اترى الله
يحيي هذا بعد ما رم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك
الله ويدخلك النار فنزلت هذه الاية قوله تعالى وضرب لنا
مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم فيه مسلتان
الاول قوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه اي ونسي انا انشاناه
من نطفة ميتة فركبنا فيه الحياة اي جوابه من نفسه حاضر
ولهذا قال عليه السلام نعم يحييك الله ويدخلك النار ففي هذا دليل
على صحة القياس لان الله جل وعز احتج على منكري البعث بالنشاة
الاولى قال من يحيي العظام وهي رميم اي باليه رم العظم فهو
رميم ورمام وانما قال رميم ولم يقل رميمة لانها معدول
عن فاعله وما كان معدولا عن وجهه ووزنه كان مصروفا
عن اعرابه كقوله وما كانت امك بغيا اسقط الهاء لانها مصروفة
عن باغيه وقيل ان هذا الكافر قال للنبي صلى الله عليه وسلم
ارايت ان سحقتها واذريتها في الرياح ايعيدها الله فنزلت

قل يحييها الذي انشاها اول مرة اي من غير شي فهو قادر على اعادته

في النشاه من شي وهو عجب الذنب ويقال عجب الذنب بالبا وهو

بكل شي عليم اي كيف يبدو ويعيد الثانية في هذه الايه دليل

على ان في العظام حياه وانها تنجس بالموت وهو قول ابي حنيفه

وبعض اصحاب الشافعي وقال الشافعي رضي الله عنه لا حياه فيه

وقد تكلم هذا في النحل فان قيل اراد بقوله من يحيي العظام

اصحاب العظام واقامه المضاف مقام المضاف اليه كثير في اللغه

موجود في الشريعه قلت انما يكون اذا احتيج اضرورة وليس

هنا ضروره تدعوا الى هذا الاضمار ولا يفتقر الى هذا التقدير

اذ الباري سبحانه قد اخبر به وهو قادر عليه والحقيقه

تشهد له فان الاحساس الذي هو علامه الحياه موجود

فيه قاله ابن العربي قوله تعالى الذي جعل لكم من

الشجر الاخضر نارا نبه تعالى على وحدانيته ودل على كمال

قدرته في احيا الموتى بما يشاهدونه من اخراج المحروق اليابس

من العود الندي الرطب وذلك ان الكافر قال النطفه حاره

رطبه بطبع الحيوه فخرج منها الحيوه والعظم بارد يابس بطبع الموت

فكيف يخرج منه الحيوه فانزل الله تعالى الذي جعل لكم من الشجر

الاخضر نارا اي ان الشجر الاخضر من الما والما بارد رطب

ضد النار وهما لا يجتمعان فاخرج الله منه النار فهو القادر على

اخراج

اخراج الضد من الضد وهو على كل شي قدير ويعني بالاية ما في المرخ
والعفار وهي زيادة العرب ومنه قولهم في كل شجر نار واستمجد
المرخ والعفار فالعفار الزند وهو الاعلى والمرخ الزندة وهي الاسفل
يوخذ منهما غصنان مثل المسواكين يقطران ماء فيحك بعضهما الى بعض
فيخرج منهما النار وقال من الشجر الاخضر ولم يقل الخضر وهو
جمع لانه رده الى اللفظ ومن العرب من يقول الشجر الخضر كما قال عز وجل
من شجر من زقوم فمالئون منها البطون ثم قال تعالى محتجا اوليس
الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم اي امثال
المنكرين للبعث وقرا سلام ابو المنذر ويعقوب الحضرمي يقدر
على ان يخلق مثلهم على انه فعل بلى اي ان خلق السموات والارض
اعظم من خلقهم فالذي خلق السموات والارض يقدر على ان يبعثهم
وهو الخلاق العليم وقرا الحسن باختلاف عنه الخالق **قوله**
تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون قرا الكسائي
فيكون بالنصب عطفا على يقول اي اذا اراد خلق شيء لا يحتاج
الى تعب ومعالجة وقد مضى هذا في غير موضع فسبحان
الذي بيده ملكوت كل شيء نزه نفسه تعالى عن العجز
والشرك وملكوت وملكوتى في كلام العرب بمعنى ملك
والعرب تقول جبروتي خير من رحموتي وقال سعيد عن قتادة

ملكوت كل شي مفاتح كل شي وقرا طلحة بن مصرف وابراهيم التيمي
والاعمش ملكت وهو بمعني ملكوت الا انه خلاف المصحف
واليه ترجعون اي تردون وتصيرون بعد مماتكم وقراة العامة
بالتاء على الخطاب وقرا السلمي وزر بن حبيش واصحاب عبد الله يرجعون
بالياء على الخبر ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة والصافات مكية في قول الجميع

قوله تعالى والصافات
صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا هذه قراة اكثر القراء وقرا
حمزة بالادغام فيهن وهذه القراة التي نفر منها احمد بن حنبل لما سمعها
النحاس وهي بعيدة في العربية من ثلث جهات ان التاء ليست من
مخارج الصاد ولا من مخرج الزاء ولا من مخرج الدال ولا من اخواتهن
وانما اختاها الطا والدال واخت الزاء الصاد والسين واخت
الدال الطا والذال والجهة الثانية ان التاء في كلمة وما بعدها
في كلمة اخرى والجهة الثالثة انك اذا ادغمت جمعت بين ساكنين
من كلمتين وانما يجوز الجمع بين ساكنين في مثل هذا اذا كان
في كلمة واحدة نحو دابه وشابه ومجاز قراة حمزه ان التا
قريبة المخرج من هذه الحروف والصافات قسم الواو بدل من
الباء والمعنى برب الصافات والزاجرات عطف عليه ان الهكم
لواحد جواب القسم واجاز الكسائي فتح ان في القسم والمراد
بالصافات

بالصافات وما بعدها الى قوله فالتاليات ذكرا ذكر الملايكه في
قول ابن عباس وابن مسعود وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد
وقتاده تصف في السماء كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة وقيل
تصف اجنحتها في الهوي واقفة فيه حتى يامرها الله بما يريد
وهذا كما يقوم العبيد بين ايدي ملوكهم صفوفا وقال الحسن
صفا الصفوفهم عند ربهم في صلاتهم وقيل هي الطير دليله
قوله تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات والصف
ترتيب الجمع على خط كالصف في الصلاة والصافات
جمع الجمع يقال جماعة صافة ثم تجمع صافات وقيل
الصافات جماعة الناس المومنين اذا قاموا صفا في الصلاة
او في الجهاد ذكره القشيري فالزاجرات الملايكه في قول
ابن عباس وابن مسعود ومسروق وغيرهم على ما ذكرناه
اما لانها تزجر السحاب وتسوقه في قول السدي واما لانها
تزجر عن المعاصي بالمواعظ والنصايح وقال قتاده هي زواجر
القران فالتاليات ذكرا الملايكه تقرا كتاب الله تعالى قاله
ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وابن جبير
والسدي وقيل المراد جبريل وحده فذكر بلفظ الجمع
لانه كبير الملايكه فلا يخلوا من جنود واتباع وقال قتاده
المراد كل من تلا ذكر الله تعالى وكتبه وقيل هي ايات القران

وصفها بالتلاوة كما قال تعالى ان هذا القران يقص على
بني اسرايل ويجوز ان يقال لايات القران تاليات لان بعض
الحروف يتبع بعضا ذكره القشيري وذكر الماوردي
ان المراد بالتاليات الانبيا يتلون الذكر على اممهم فان
قيل ما حكم الفا اذا جات عاطفة في الصفات قيل له
اما ان تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله
يا لهف زيابة للحرب الصالح فالغانم فالايب كانه
قال الذي صبح فغنم فاب واما على ترتبها في التفاوت
من بعض الوجوه كقولك خذ الاكمل فالاكمل والاعمل الاحسن
فالاحسن واما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقوله
رحم الله المحلقين والمقصرين فعلى هذه القوانين الثلثة
تنساق امر العاطفة في الصفات قال الزمخشري ان
الهكم لواحد جواب القسم قال مقاتل وذلك ان الكفار
بمكة قالوا اجعل الالهة الها واحدا وكيف يسع هذا
الخلق فرد اله فاقسم الله بهولاء تشريفا ونزلت الاية
قال ابن الانباري وهو وقف حسن ثم يبتدي رب السموات
والارض على معنى هو رب السموات والارض النحاس ويجوز
ان يكون نعتا لواحد قلت وعلى هذين الوجهين
لا يوقف على لواحد وحكي الاخفش رب السموات
ورب المشارق

بلغ

الخامس عشر

ورب المشارق بالنصب على النعت لاسم ان بين سبحانه
معنى وحدانيته والوهيته وكمال قدرته بانه رب السموات
والارض اي خالقهما ومالكهما وما بينهما ورب المشارق
اي مالك مطالع الشمس ابن عباس للشمس كل يوم مشرق ومغرب
وذلك ان الله تعالى خلق للسموات ثلثماية وخمسة وستين كوة
في مطلعها ومثلها في مغربها على ايام عدد السنة الشمسية
تطلع في كل يوم في كوة منها وتغيب في كوة لا تطلع في
تلك الكوة الا في ذلك اليوم من العام المقبل ولا تطلع الا وهي
كارهة فتقول رب لا تطلعني على عبادك فاني اراهم يعصونك
ذكره ابو عمر في كتاب التمهيد وابن الانباري في كتاب الرد
عن عكرمة قال قلت لابن عباس ارايت ما جاء عن النبي صلى الله
عليه وسلم في امية بن ابي الصلت آمن شعره وكفر قلبه قال
هو حق فما انكرتم من ذلك قلنا انكرنا قوله والشمس تطلع
كل اخر ليلة حمرا يصبح لونها يتورد ليست بطالعة
لهم في رسلها الا معذبة والا تجلد ما بال الشمس تجلد
فقال والذي نفسي بيده ما طلعت شمس قط حتى ينخسها
سبعون الف ملك فيقولون لها اطلعي اطلعي فتقول لا
اطلع على قوم يعبدونني من دون الله فياتيها ملك
فيستقل لضيا بني ادم فياتيها شيطان يريد ان يصدها

عن الطلوع فتطلع بين قرنيه فيحرقه الله تعالى تحتها وذلك
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طلعت الا بين قرني شيطان
ولا غربت الا بين قرني شيطان وما غربت قط الا خرت لله
ساجدة فياتيها شيطان يريد ان يصدها عن السجود فتغرب
بين قرنيه فيحرقه الله تعالى تحتها فذلك قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا غربت الا بين قرني شيطان لفظ ابن الانباري
وذكر عن عكرمة عن ابن عباس قال صدق رسول الله صلى الله عليه
وسلم امية ابن ابي الصلت في هذا الشعر: رجل وثور تحت
رجل يمينه والنسر للاخرى وليث مرصد: والشمس
تطلع كل اخر ليلة حمرا يصبح لونها يتورد: ليست
بطالعة لهم في رسلها الا معذبة والا تجلد: قال عكرمة
فقلت لابن عباس يا مولاه اتجلد الشمس فقال انما اضطره
الروي الى الجلد لكنها تخاف العقاب ودل بذكر المطالع على
المغارب فلهذا لم يذكر المغارب وهو كقوله تعالى سرابيل
تقيكم الحر وخص المشارق بالذكر لان الشروق قبل الغروب
وقال في سورة الرحمن رب المشرقين ورب المغربين اراد
بالمشرقين اقصى مطلع تطلع منه الشمس في الايام الطوال
واقصر يوم في الايام القصار على ما تقدم في يس والله اعلم
قوله تعالى انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب قال قتادة
خلقت

خلقت النجوم ثلاث رجوما للشياطين ونورا يهتدي بها
وزينة السما الدنيا وقرا مسروق والاعمش والنخعي وعاصم
وحمزه بزينةٍ مخفوض منون الكواكب خفض على البدل من
الزينة لانها هي وقرا ابو بكر كذلك الا انه نصب الكواكب بالمصدر
الذي هو زينة والمعنى بان زينا الكواكب فيها ويجوز ان يكون
منصوبا باضمار اعني كانه قال انا زيناها بزينة اعني الكواكب
وقيل هي بدل من زينة على الموضع ويجوز بزينةِ الكواكبُ
المعنى بان زينتها الكواكب او بمعنى هي الكواكب الباقون بزينة
الكواكب على الاضافة والمعنى زينا السما الدنيا بتزيين الكواكب
اي بحسن الكواكب ويجوز ان يكون لقراة من نون الا انه حذف
التنوين استخفافا وحفظا مصدر اي حفظناها حفظا
من كل شيطان مارد لما اخبر ان الملايكة تنزل بالوحي من السما
بين انه حرس السما عن استراق السمع بعد ان زينها بالكواكب
والمارد العاتي من الجن والانس والعرب تسميه شيطانا
قوله تعالى لا يسمعون الى الملاء الاعلى قال ابو حاتم اي
لان لا يسمعوا ثم حذف ان فرفع الفعل والملاء الاعلى
اهل السما الدنيا فما فوقها وسمي الكل منهم اعلى بالاضافة
الى ملاء الارض والضمير في يسمعون للشياطين وقراة جمهور
الناس يسمعون بسكون السين وتخفيف الميم وقرا حمزة وعاصم

في رواية حفص لا يسّمّعون بتشديد السين والميم من
التسميع فتنتفي على القراءة الاولى سماعهم وان كانوا
يستمعون وهو المعنى الصحيح ويعضده قوله تعالى انهم
عن السمع لمعزولون وتنتفي على القراءة الاخيرة ان يقع منهم
استماع او سماع قال مجاهد كانوا يستمعون ولكن لا
يسمعون وروى عن ابن عباس لا يسمعون الى الملإ قال
هم لا يسمعون ولا يستمعون واصل يسّمّعون يتسمّعون
فادغمت التاء في السين لقربها منها واختاره ابو عبيد لان
العرب لا تكاد تقول سمعت اليه وتقول تسمّعت اليه
ويقذفون من كل جانب اي يرمون من كل جانب اي
بالشهب دحورًا مصدرٌ لان معنى يقذفون يدحرون دحرته
دحورًا اي طردته وقرا السلمي ويعقوب الحضرمي دَحورًا
بفتح الدال تكون مصدرًا على فعول واما الفرا فقدره على
انه اسم الفاعل اي ويقذفون بما يدحرهم اي بدحورٍ
ثم حذفت البا والكوفيون يستعملون هذا كثيرًا نمرون
الديار تعوجوا واختلف هل كان هذا القذف قبل البعث
او بعده لاجل البعث على قولين وجات الاحاديث بذلك
على ما ياتي من ذكرها في سورة الجن عن ابن عباس وقد يمكن
الجمع بينهما ان يقال ان الذين قالوا لم تكن الشياطين ترمي

بالنجوم

الكلمة ع

وربما الشهب تحرقه على ما بيناه في الانعام فينزل تلك الى الكفار
فيكذبون معها ما يكذبه وتصدق تلك فيصدق الجاهلون
الجميع كما بيناه في الانعام فلما جاء الله بالاسلام حرست السماء
بشدة فلا يغلب شيطان سمع بتة والكواكب الراجمة
هي التي يراها الناس تنقض قال النقاش ومكي وليست بالكواكب
الجارية في السماء لان تلك لا ترى حركتها وهذه الراجمة ترى
حركتها لانها قريبة منا وقد مضى في هذا الباب في سورة
الحجر من البيان ما فيه كفاية وذكرنا في سبا حديث ابي هريرة
وفيه والشياطين بعضهم فوق بعض وقال فيه الترمذي حديث
حسن صحيح وفيه عن ابن عباس ويختطف الشياطين السمع
فيرمون فيقذفونه الى اوليائهم فما جاؤا به على وجهه
فهو حق ولكنهم يحرفونه ويزيدون قال هذا حديث حسن
صحيح والخطف اخذ الشي بسرعة خطف وخطف وخطف
وخطف وخطف والاصل في المشدد اختطف فادغم التاء
في الطاء لانها اختها وفتحت الخاء لان حركة التاء القيت عليها
ومن كسرها فلالتقاء الساكنين ومن كسر التاء اتبع الكسر الكسر
فاتبعه شهاب ثاقب اي مضئ قاله الضحاك والحسن وغيرهما
وقيل المراد كواكب النار تتبعهم حتى تسقطهم في البحر وقال
ابن عباس في الشهب قال تحرقهم من غير موت وليست الشهب

التي يرجم بها من الكواكب الثوابت يدل على ذلك رؤيته حركاتها
والثابتة تجري ولا ترى حركاتها لبعدها وقد مضى هذا وجمع
شهاب شهب والقياس في القليل اشهبة وان لم يسمع من العرب
وثاقب معناه مضيء قاله الحسن ومجاهد وابو مجلز ومنه قوله
وزندك اثقب ازنادها اي اضوأ وحكى الاخفش في الجمع شهب
ثقب وثواقب وثقاب وحكى الكسائي ثقبت النار تثقب
ثقابة وثقوبا اذا اتقدت واثقبتها انا وقال زيد بن اسلم
في الثاقب انه المستوقد من قولهم اثقب زندك اي استوقد
نارك وقاله الاخفش وانشد قول الشاعر بينما المرء
شهاب ثاقب ضرب الدهر سناه فخمد **قوله تعالى**
فاستفتهم اي سلهم يعني اهل مكة من استفتا المعنى اهم اشد
خلقا ام من خلقنا اي من خلقنا من السموات والارض والجبال والبحار
وقيل تدخل فيه الملايكة ومن سلف من الامم الماضية يدل على
ذلك انه اخبر عنهم بمن قال سعيد بن جبير الملايكة وقال غيره
من الامم الماضية وقد هلكوا وهم اشد خلقا منهم نزلت في
ابي الاشد ابن كلدة سمي بابي الاشد يعني لشدة بطشه وقوته
وسياتي في البلد ذكره ونظير هذه لخلق السموات والارض
اكبر من خلق الناس وقوله تعالى انتم اشد خلقا ام السما بناها
انا خلقناهم من طين لازب اي لاصق قال ابن عباس ومنه قول علي
رضي الله عنه

فالكناية — marginal note: فالكناية هي

رضي الله عنه تعلم فان الله زادك بسطة واخلاق خير كلها
لك لازب وقال قتاده وابن زيد يعني لازق الماوردي والفرق
بين اللاصق واللازق ان اللاصق هو الذي قد لصق بعضه
ببعض واللازق هو الذي يلتزق بما اصابه وقال عكرمة لازب
لزج سعيد بن جبير اي جيد حر يلصق باليد مجاهد لازب لازم
والعرب تقول طين لازب ولازم تبدل البا من الميم ومثله قولهم
لاتب ولاتم على بدل البا من الميم واللازب الثابت تقول
صار الشي ضربة لازب وهذا يصح من لازم قال النابغه
ولا تحسبون الخير لا شر بعده ولا تحسبون الشر ضربة لازب
وحكى الفرا عن العرب طين لاتب بمعنى لازم واللاتب الثابت
يقول منه لتب يلتب لتبا ولتوبا مثل لزب يلزب بالضم
لزوبا وانشد ابو الجراح في اللاتب فان يك هذا من
نبيذ شربته فاني من شرب النبيذ لتايب صداع
وتوصيم العظام وفترة وغم مع الاشواق في الجوف لاتب
واللاتب ايضا اللاصق مثل اللازب عن الاصمعي حكاه
الجوهري وقال السدي والكلبي في اللازب انه الخالص
مجاهد والضحاك هو المنتن قوله تعالى بل عجبت
ويسخرون قراة اهل المدينه وابي عمرو وعاصم بفتح
التاء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم اي بل عجبت مما

نزل عليك من القران وهم يسخرون به وهي قراة شريح وان
الله لا يعجب من شي وانما يعجب من لا يعلم وقيل المعنى بل عجبت
من انكارهم البعث وقرا الكوفيون الا عاصما بضم التاء
واختارها ابو عبيد والفرا وهي مروية عن علي وابن مسعود
رواه شعبة عن الاعمش عن ابي وايل عن عبد الله بن
مسعود انه قرا بل عجبتُ بضم التاء ونروي عن ابن
عباس قال الفرا في قوله سبحانه بل عجبتَ ويسخرون قراها
الناس بنصب التا ورفعها والرفع احب الي لانها عن علي
وعبد الله وابن عباس قال ابو زكريا الفرا العجب ان اسند
الى الله جل وعز فليس معناه من الله كمعناه من العباد
وكذلك قوله الله يستهزي بهم ليس ذلك من الله كمعناه
من العباد وفي هذا بيان الكسر لقول شريح حيث انكر
القراة بها روى جرير عن الاعمش وعن ابي وايل
شقيق بن سلمه قال قراها عبد الله يعني ابن مسعود.
بل عجبتُ ويسخرون قال شريح ان الله لا يعجب انما من شي
يعجب من لا يعلم قال الاعمش فذكرته لابراهيم فقال
ان شريحا كان يعجبه رايه ان عبد الله كان اعلم من
شريح وكان يقراوها عبد الله بل عجبتُ قال الهروي
وقال بعض الايمة معنى قوله بل عجبت بل جازيتهم
على

على تعجبهم لان الله تعالى اخبر عنهم في غير موضع بالتعجب من
الحق فقال تعالى وعجبوا ان جاهم منذر منهم وقالوا ان هذا
لشي عجاب اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم فقال تعالى
بل عجبت بل جازيتهم على التعجب قلت وهذا تمام قول الفرا معنى
واختاره البيهقي وقال علي بن سليمان معنى القرائتين واحد
والتقدير قل يا محمد بل عجبت لان النبي صلى الله عليه وسلم
مخاطب بالقران النحاس وهذا قول حسن واضمار القول كثير
البيهقي والاول اصح المهدوي ويجوز ان يكون اخبار الله
عن نفسه بالعجب محمولا على انه ظهر من امره وسخطه على من
كفر به ما يقوم مقام العجب من المخلوقين كما يحمل اخباره تعالى
عن نفسه بالضحك لمن رضي عنه على ما جا في الخبر عن النبي صلى الله
عليه وسلم على انه اظهر له من رضاه عنه ما يقوم له مقام الضحك
من المخلوقين مجازا واتساعا قال الهروي ويقال معنى عجب ربكم
اي رضي واثاب فسماه عجبا وليس بعجب في الحقيقة كما قال تعالى
ويمكرون ويمكر الله معناه ويجازيهم الله على مكرهم ومثله في
الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم وقد يكون العجب بمعنى وقوع
ذلك العمل عند الله عظيما فيكون معنى قوله بل عجبت اي بل
عظم فعلهم عندي قال البيهقي ويشبه ان يكون هذا معنى حديث
عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله عليه وسلم يقول يعجب

ربك من شاب ليست له صبوة قال البيهقي وقد يكون هذا الحديث
وما ورد من امثاله انه يعجب ملايكته من كرمه ورافته بعباده
حين حملهم على الايمان به بالقتال والاسر في السلاسل حتى اذا
امنوا ادخلهم الجنة وقيل معنى بل عجبت بل انكرت حكاه
النقاش وقال الحسن بن الفضل التعجب من الله انكار الشي
وتعظيمه وهو لغة العرب وقد جا في الخبر عجب ربكم من
الكم وقنوطكم ويسخرون قيل الواو واو الحال اي عجبت منهم
في حال سخريتهم وقيل تم الكلام عند قوله بل عجبت ثم استانف
فقال ويسخرون اي مما جيت به اذا تلوته عليهم وقيل
ويسخرون منك اذا دعوتهم قوله تعالى واذا ذكروا اي وعظوا
بالقران في قول قتادة لا يذكرون لا ينتفعون به وقال سعيد
اي اذا ذكر لهم ما حل بالمكذبين من قبلهم اعرضوا عنه ولم يتدبروا
واذا راوا اية اي معجزة يستسخرون اي يسخرون في قول
قتادة ويقولون انها سحر واستسخر وسخر بمعنى مثل
استقر وقر واستعجب وعجب وقيل يستسخرون اي يستدعون
السخري من غيرهم وقال مجاهد يستهزون وقيل اي يظنون
ان تلك الاية سخرية وقالوا ان هذا الا سحر مبين اي اذا عجزوا
عن مقابلة المعجزات بشي قالوا هذا سحر وتخييل وخداع
ابذا متنا اي انبعث اذا متنا فهو استفهام انكار منهم
وسخرية

وسخرية او اباؤنا الاولون اي او تبعث اباؤنا دخلت الف
الاستفهام على حرف العطف وقرا نافع اوْ اباؤنا بسكون
الواو وقد مضى هذا في سورة الاعراف في قوله تعالى او امن
اهل القرى قوله تعالى قل نعم اي نعم تبعثون وانتم داخرون
اي صاغرون ذلا لانهم اذا راوا وقوع ما انكروه فلا محالة
يذلون وقيل اي ستقوم القيامة وان كرهتم فهو امر واقع
على رغمكم وان انكرتموه اليوم بزعمكم فانما هي زجرة واحدة
اي صيحة واحدة قاله الحسن وهي النفخة الثانية وسميت
الصيحة زجرة لان مقصودها الزجر التي يزجر بها كزجر
الابل والخيل عند السوق فاذا هم ينظرون اي ينظر
بعضهم الى بعض وقيل المعنى ينتظرون ما يفعل بهم وقيل هي
مثل قوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وقيل اي
ينظرون الى البعث الذي انكروه قوله تعالى وقالوا يا
ويلنا هذا يوم الدين نادوا على انفسهم بالويل لانهم يومئذ
يعلمون ما حل بهم وهو منصوب على انه مصدر عند البصريين
وزعم الفرا ان تقديره يا وي لنا ووي بمعنى حزن النحاس
ولو كان كما قال لكان منفصلا وهو في المصحف متصل ولا نعلم
احدا يكتبه الا متصلا ويوم الدين يوم الحساب وقيل يوم
الجزا هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون قيل هو من قول

بعضهم لبعض اي هذا يوم الحكم بين الناس فيبين الحق من المبطل
ففريق في الجنة وفريق في السعير قوله تعالى احشروا الذين
ظلموا وازواجهم هو من قول الله تعالى للملايكة اي احشروا المشركين
وازواجهم اي اشياعهم في الشرك والشرك الظلم قال الله تعالى
ان الشرك لظلم عظيم فيحشر الكافر مع الكافر قاله قتادة
وابو العالية وقال عمر بن الخطاب في قول الله عز وجل
احشروا الذين ظلموا وازواجهم قال الزاني مع الزاني
وشارب الخمر مع شارب الخمر وصاحب السرقة مع اصحاب
السرقة وقال ابن عباس وازواجهم اي اشباههم وهذا
يرجع الى قول عمر وقيل وازواجهم نساوهم الموافقات
على الكفر قاله مجاهد والحسن ورواه النعمان بن بشير
عن عمر بن الخطاب وقال الضحاك وازواجهم قرناوهم من
الشياطين وهذا قول مقاتل ايضا يحشر كل كافر مع
شيطانه في سلسلة وما كانوا يعبدون من دون الله
اي من الاصنام والشياطين وابليس فاهدوهم الى صراط
الجحيم اي سوقوهم الى النار وقيل فاهدوهم اي دلوهم
يقال هديته الى الطريق وهديته الطريق اي دللته
عليه واهديت الهدية وهديت العروس ويقال
اهديتها اي جعلتها بمنزلة الهدية قوله تعالى

وقفوهم

وقيل تاتوننا عن اليمين التي نحبها ونتفال بها التعرّض وتابذلك
من جهة النصح والعرب تتفال بما جا عن اليمين وتسميه السانح
وقيل تاتوننا عن اليمين تاتوننا مجي من اذا حلف لنا صدقناه
وقيل تاتوننا من قبل الدين فتهونون علينا امر الشرع وتنفروننا
عنها قلت وهذا القول حسن جدًا لان من جهة الدين يكون الخير
والشر واليمين بمعنى الدين اي كنتم تزينون لنا الضلالة وقيل
اليمين بمعنى القوه اي تمنعوننا بقواةٍ وغلبةٍ وقهر قال الله تعالى
فراغ عليهم ضربا باليمين اي بالقوة وقوة الرجل في يمينه وقال
اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابه باليمين اي بالقوة
والقدره وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد تاتوننا عن اليمين
اي من قبل الحق انه معكم وكله متقارب المعنى قالوا بل لم تكونوا
مومنين قال قتادة هذا قول الشياطين لهم وقيل من قول الروسا
اي لم تكونوا مومنين قط حتي ننقلكم منه الي الكفر بل كنتم على الكفر
فاقمتم عليه للالف والعادة وما كان لنا عليكم من سلطان
اي من حجةٍ في ترك الحق بل كنتم قوما طاغين اي ضالين
متجاوزين الحد فحق علينا قول ربنا هو ايضا من قول المتبوعين
اي وجب علينا وعليكم قول ربنا فكلنا ذائقوا العذاب
كما كتب الله واخبر على السنة الرسل لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين وهذا موافق للحديث ان الله عز وجل كتب

للنار اهلاً وللجنة اهلاً لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم فاغوينا لكم اي
زينا لكم ما كنتم عليه من الكفر انا كنا غاوين بالوسوسة والاسناد على
ثم قال خبراً عنهم فانهم يومئذ في العذاب مشتركون الضال والمضل
انا كذلك اي مثل هذا الفعل نفعل بالمجرمين اي المشركين انهم
كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي اذا قيل لهم قولوا
فاضمر القول ويستكبرون في موضع نصب على خبر كان
ويجوز ان يكون في موضع رفع على انه خبر ان وكان ملغاة
ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي طالب عند موته واجتماع
قريش قولوا لا اله الا الله تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم
ابوا وانفوا من ذلك وقال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال انزل الله تعالى في كتابه فذكر قوماً استكبروا فقال انهم
كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وقال تعالى اذ جعل
الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته
على رسوله وعلى المومنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا
احق بها واهلها وهي لا اله الا الله محمد رسول الله استكبر
عنها المشركون يوم الحديبية يوم كاتبهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم على قضية المدة ذكر هذا الخبر البيهقي والذي
قبله القشيري قوله تعالى ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا
لشاعر مجنون اي لقول شاعر مجنون فرد الله جل وعلا
عليهم

عليهم فقال بل جا بالحق يعني القران وصدق المرسلين فيما جاوا
به من التوحيد انكم لذايقوا العذاب الاليم الاصل لذايقون
فحذفت النون استخفافا وخفضت للاضافة ويجوز النصب
كما انشد سيبويه :: فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله
الا قليلا :: واجاز سيبويه والمقيمي الصلاة على هذا وما
تجزون الا ما كنتم تعملون اي الا بما عملتم من الشرك الا عباد
الله المخلصين استثنا ممن يذوق العذاب وقراة اهل المدينة
والكوفة المخلصين بفتح اللام يعني الذين اخلصهم الله لطاعته
ودينه ومن قراه بكسر اللام اي الذين اخلصوا لله العبادة
وقيل هو استثنا منقطع اي انكم ايها المجرمون ذايقوا العذاب
لكن عباد الله المخلصين لا يذوقون العذاب **قوله تعالى**
اوليك لهم رزق معلوم يعني المخلصين اي لهم عطية معلومة
لا تنقطع قال قتاده يعني الجنة وقال غيره يعني رزق الجنة
وقيل هي الفواكه التي ذكر قال مقاتل حين يشتهونه وقال
ابن السايب انه بمقدار الغداة والعشي قال الله تعالى ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا فواكه جمع فاكهة قال الله تعالى وامددناهم
بفاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها قاله ابن عباس وهم مكرمون
اي ولهم اكرام من الله جل وعز برفع الدرجات وسماع كلامه
ولقايه في جنات النعيم اي في بساتين يتمتعون فيها وقد تقدم

ان الجنان سبع في سورة يونس منها النعيم **قوله تعالى** على
سرر متقابلين قال عكرمة ومجاهد لا ينظر بعضهم في قفا بعض
تواصلا وتحاببا وقيل الاسرة تدور كيف شاوا فلا يرى احد
قفا احد وقال ابن عباس على سرر مكللة بالدر والياقوت
والزبرجد السرير ما بين صنعا الى الجابية وما بين عدنان
الى ايلة وقيل تدور باهل المنزل الواحد والله اعلم **قوله تعالى**
يطاف عليهم بكاس من معين لما ذكر مطاعمهم ذكر شرابهم
والكاس عند اهل اللغة اسم شامل لكل اناء مع شرابه
فان كان فارغا فليس بكاس قال الضحاك والسدي كل كاس في
القران فهي الخمر والعرب تقول للاناء اذا كان فيه خمر كاس
فاذا لم يكن فيه خمر قالوا اناء وقدح النحاس وحكى من يوثق به
من اهل اللغة ان العرب تقول للقدح اذا كان فيه خمر كاس
فاذا لم يكن فيه خمر فهو قدح كما يقال للخوان اذا كان عليه
طعام مايدة فاذا لم يكن عليه طعام لم يقل له مايدة قال ابو
الحسن بن كيسان ومنه ظعينة للهوادج اذا كانت فيه
المراة وقال الزجاج بكاس من معين اي من خمر تجري كما تجري
العيون على وجه الارض والمعين الماء الجاري الظاهر بيضا صفة
للكاس وقيل للخمر لذة للشاربين قال الحسن خمر الجنة اشد
بياضا من اللبن لذة قال الزجاج اي ذات لذة فحذف المضاف

وقيل هو

السادس عشر

وقيل هو مصدر جعل اسمًا اي بيضا لذيذة يقال شراب لذة
ولذيذ مثل بنات غض وغضيض فاما قول القايل
ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدا من خشية الحدثان
فانه يريد النوم وقيل بيضا اي لم يعصرها الرجال باقدامهم
لا فيها غول اي لا تغتال عقولهم ولا يصيبهم منها مرض ولا
صداع ولا هم عنها ينزفون اي لا تذهب عقولهم بشربها
يقال الخمر غول الحلم والحرب غول للفرس اي تذهب بها
ويقال نزف الرجل نزف فهو منزوف ونزيف اذا
سكر قال امرؤ القيس ‹‹ واذ هي تمشي كمشي النزيف يصرعه
بالكثيب البهر ›› وقال ايضا نزيف اذا قامت لوجه
تمايلت تراشي الفواد الرخص الا تختّرا ›› وقال اخر
فلثمت فاها اخذا بقرونها شرب النزيف ببرد ما الحشرج
وقرا حمزة والكساي بكسر الزاء من انزف القوم اذا حان
منهم النزف وهو السكر يقال احصد الزرع اذا حان
حصاده واقطف الكرم اذا حان قطافه واركب المهر اذا
حان ركوبه وقيل المعنى لا ينفدون شرابهم لانه دابهم يقال
انزف الرجل فهو منزوف اذا فنيت خمرة قال الحطيه
لعمري لين انزفتم او صحوتم لبيس الندامى كنتم ال ابحرا
النحاس والقراة الاولى ابين واصح في المعنى لان معنى

ينزفون عند جلة اهل التفسير منهم مجاهد لا تذهب عقولهم
فنفى الله عز وجل عن خمر الجنة الآفات التي تلحق في الدنيا من
خمرها من الصداع والسكر ومعنى ينزفون الصحيح فيه
انه يقال انزف الرجل اذا انفد شرابه وهو يبعد ان يوصف
به شراب الجنة ولكن مجازه ان يكون بمعنى لا ينفد ابدا وقيل
لا ينزفون بكسر الزاي لا يسكرون ذكره الزجاج وابو علي
على ما ذكره القشيري المهدوي ولا يكون معناه يسكرون
لان قبله لا فيها غول اي لا تغتال عقولهم فيكون تكريرا ويسوغ
ذلك في الواقعة ويجوز ان يكون معنى لا فيها غول لا يمرضون
فيكون معنى ولا هم عنها ينزفون يسكرون او لا ينفد شرابهم
قال قتادة الغول وجع البطن وكذا روى ابن ابي نجيح
عن مجاهد لا فيها غول قال لا فيها وجع بطن الحسن صداع وهو
قول ابن عباس لا فيها غول لا فيها صداع وحكى الضحاك عنه
انه قال في الخمر اربع خصال السكر والصداع والقيء والبول
فذكر الله خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال مجاهد ذا
ابن كيسان مغص وهذه الاقوال متقاربة وقال الكلبي لا
فيها غول اي اثم نظيره لا لغو فيها ولا تاثيم وقال الشعبي
والسدي وابو عبيد لا تغتال عقولهم فتذاهب بها ومنه
قول الشاعر: وما زالت الكاس تغتالنا وتذهب بالاول الاول

اي

اي تصرع واحدا واحدا وانما صرف الله تعالى السكر عن اهل الجنة
لئلا ينقطع الالتذاذ عنهم بنعيمهم وقال اهل المعاني الغول
فساد يلحق في خفاء يقال اغتاله اغتيالا اذا افسد عليه
امره في خفية ومنه الغول والغيلة وهو القتل خفية **قوله**
تعالى وعندهم قاصرات الطرف اتراب اي نساء قد قصر
طرفهن على ازواجهن ولا ينظرن الى غيرهم قاله ابن عباس
ومجاهد ومحمد بن كعب وغيرهم علم منه قاصرات الطرف اي
محبوسات على ازواجهن والتفسير الاول ابين لانه ليس في
الاية مقصورات ولكن في موضع اخر مقصورات يأتي
بيانه وقاصرات ماخوذ من قولهم قد اقتصر على كذا اذا اقتنع به
وعدل عن غيره قال امرء القيس من القاصرات الطرف لو دب
محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا ويروى فوق
الخد والاول ابلغ والاتب القميص والمحول الصغير
من الذر وقال مجاهد ايضا معناه لا يغرن عين عظام
العيون الواحدة عيناء قاله السدي مجاهد عين حسان
العيون الحسن الشديدات بياض العين والجميع عين واصله
فعل بالضم فكسرت العين لئلا تنقلب الواو ياء ومنه
قيل لبقر الوحش عين والثور اعين والبقرة عيناء كانهن
بيض مكنون اي مصون قال الحسن وابن زيد شبههن

[هامش: لعوده ... الطرف ... عين ... اللفظ ...]

ببيض النعام تكنها النعامة بالريش من الريح والغبار
فلونه ابيض في صفرة وهو احسن الوان النسا وقال
ابن عباس وابن جبير والسدي شبههن ببطن البيض
قبل ان يقشر وتمسه الايدي وقال عطا شبههن بالسحا
الذي يكون بين القشرة العليا ولباب البيض ونحوه قول
الطبري قال هو القشر الرقيق الذي على البيضة من داخل
وروي نحو ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم والعرب تشبه المراه
بالبيضة لصفائه وبياضه قال امرؤ القيس وبيضة
خدر لا يرام خباوها تمتعت من لهو بها غير معجل
وتقول العرب اذا وصفت الشي بالحسن والنضافة كانه بيض
النعام المغطى بالريش وقيل المكنون المصون عن الكسر اي
انه عذارى وقيل المراد بالبيض اللولو لقوله تعالى وحور
عين كامثال اللولو المكنون اي في اصدافه قاله ابن عباس
ومنه قول الشاعر وهي بيضا مثل لولوة الغواص ميزت من
جوهر مكنون وانما ذكر المكنون والبيض جمع لانه رد النعت
الى اللفظ قوله تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتسالون اي
يتقاولون فيما بينهم احاديثهم في الدنيا وهو من تمام الانس
في الجنة وهو معطوف على معنى يطاف عليهم المعنى يشربون
فيتحادثون على الشراب كعادة الشراب قال بعضهم وما

بقيت

وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على عادة الله تعالى في اخباره

قوله تعالى قال قائل منهم اي من اهل الجنة اني كان لي قرين اي صديق ملازم يقول ائنك لمن المصدقين اي بالبعث والجزاء وقال سعيد بن جبير قرينه شريكه وقد مضى في الكهف ذكرهما وقصتهما والاختلاف في اسميهما مستوفى عند قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين وفيهما انزل الله جل وعز قال قائل منهم اني كان لي قرين الى قوله تعالى من المحضرين وقيل اراد بالقرين قرينه من الشياطين كان يوسوس اليه بانكار البعث وقرئ ائنك لمن المصدقين بتشديد الصاد رواه علي بن كيسة عن سليم عن حمزة قال النحاس ولا يجوز ائنك لمن المصدقين لانه لا معنى للصدقة ها هنا وقال القشيري وفي قراءة عن حمزة ائنك لمن المصدقين بتشديد الصاد واعترض عليه بان هذا من التصديق والاعتراض باطل لان القراءة اذا ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا مجال للطعن فيها فالمعنى ائنك لمن المصدقين بالمال طلبا في ثواب الآخرة ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اي مجزيون محاسبون بعد الموت فقال الله تعالى لاهل الجنة هل انتم مطلعون وقيل هو من قول

وقو

المومن لاخوانه في الجنه هل انتم مطلعون الى النار لننظر كيف
حال ذلك القرين وقيل هو من قول الملايكه وليس هل انتم مطلعون
باستفهام انما هو بمعنى الامر اطلعوا قاله ابن الاعرابي وغيره
ومنه لما نزلت اية الخمر قام عمر قايما بين يدي النبي صلى الله عليه
وسلم ثم رفع راسه الى السماء ثم قال يارب بيانا اشفى من هذا
في الخمر فنزلت فهل انتم منتهون قال فنادى عمر انتهينا
يا ربنا انتهينا يا ربنا وقرا ابن عباس هل انتم مطلعون باسكان
الطا خفيفة فاطلع بقطع الالف مخففة على معنى هل انتم
مقبلون فاقبل قال النحاس فاطلع انا ويكون منصوبا على انه
جواب الاستفهام والقول الثاني ان يكون فعلا ماضيا ويكون
اطلع واطلع واحدا قال الزجاج يقال طلع واطلع واطلع
بمعنى واحد وقد حكى هل انتم مطلعون بكسر النون وانكره
ابو حاتم وغيره النحاس وهو لحن ولا يجوز لانه جمع بين
النون والاضافة ولو كان مضافا لكان هل انتم مطلعي
وان كان سيبويه والفرا قد حكيا مثله وانشدا
هم القايلون الخير والامرونه اذا ما خشوا من محدث الامر معظما
وانشد الفرا والفاعلونه وانشد سيبويه وحده
ولم يرتفق والناس محتضرونه وهذا شاذ خارج
عن كلام العرب وما كان مثل هذا لم يحتج في كتاب الله عز وجل
ولا يدخل

ولا يدخل في النصح وقد قيل في توجيهه انه اجرى اسم الفاعل
مجرى المضارع لقربه منه فجرى مطلعون مجرى يطلعون ذكره
ابو الفتح عثمان بن جني وانشد :: ارايت ان جيت به املودا
مرجلا ويلبس البرودا :: اقايلين احضروا المشهودا ::
فاجرى اقايلين مجرى ايقولن وقال ابن عباس في قوله تعالى
هل انتم مطلعون فاطلع فراه ان في الجنة كوى ينظر اهلها
منها الى النار واهلها وكذلك كعب فيما ذكر ابن المبارك قال
ان بين الجنة والنار كوى فاذا اراد المومن ان ينظر الى عدو
كان له في الدنيا اطلع من بعض الكوى قال الله تعالى فاطلع فراه
في سواء الجحيم اي في وسط النار والحسك حواليه قاله
ابن مسعود ويقال تعبت حتى انقطع سواي اي وسطي
وعن ابي عبيدة قال لي عيسى بن عمر اكتب يا ابا عبيدة حتى
ينقطع سواي وعن قتادة قال بعض العلماء لولا ان الله جل
وعز عرفه اياه لما عرفه لقد تغير حبره وسبره فعند ذلك
يقول تالله ان كدت لتردين ان مخففة الثقيلة دخلت على كاد
كما تدخل على كان ونحوه ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها
وبين النافية ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين في النار
وقال الكسائي لتردين اي لتهلكني والردى الهلاك وقال
المبرد لو قيل لتردين لتوقعني في النار لكان جايزا ولولا

بنعمة ربي اي عصمته وتوفيقه بالاستمساك بعروة الاسلام
والبراة من القرين السو وما بعد لولا مرفوع بالابتدا عند
سيبويه والخبر محذوف لكنت من المحضرين قال الفرا اي لكنت
معك في النار محضرا واحضر لا يستعمل مطلقا الا في الشر قاله
الماوردي قوله تعالى افما نحن بميتين وفرئ بمايتين والهمزة
في افما للاستفهام دخلت علي فاء العطف والمعطوف محذوف
معناه نحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين الا موتتنا
الاولي يكون استثنا ليس من الاول ويكون مصدرا لانه منعوت
وهو من اهل الجنة للملايكة حين يذبح الموت ويقال يا اهل الجنة
خلود لا موت ويا اهل النار خلود لا موت وقيل هو من قول
المومن علي جهة الحديث بنعمة الله في انهم لا يموتون ولا
يعذبون اي هذه حالنا وصفتنا وقيل هو من قول المومن
توبيخا للكافر لما كان ينكره من البعث وانه ليس الا الموت
في الدنيا ثم قال المومن مشيرا الى ما هو فيه ان هذا لهو
الفوز العظيم يكون هو مبتدا وما بعده خبر عنه والجملة
خبر ان ويجوز ان يكون هو فاصلا لمثل هذا فليعمل العاملون
يحتمل ان يكون من كلام المومن لما راى ما اعد الله له في الجنة
وما اعطاه قال لمثل هذا العطا والفضل فليعمل العاملون

نظير

نظير ما قال له الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا ويحتمل
ان يكون من قول الملايكه وقيل هو من قول الله عز وجل لاهل
الدنيا اي قد سمعتم ما في الجنة من الخيرات والجزاء ولمثل
هذا الجزاء فليعمل العاملون النحاس وتقدير الكلام والله اعلم
فليعمل العاملون لمثل هذا فان قال قايل الفا في العربية تدل
على ان الثاني بعد الاول فكيف صار ما بعدها ينوي به
التقديم فالجواب ان التقديم بمثل التاخير لان حق حروف
الخفض وما بعدها ان يكون متاخرة قوله تعالى
اذلك خير مبتدا وخبر وهو من قول الله عز وجل نزلا
على البيان والمعنى انعيم الجنة خير نزلا ام شجرة الزقوم
خير نزلا والنزل في اللغة الرزق الذي له سعة النحاس
وكذا النزل والنزل الا انه يجوز ان يكون النزل باسكان
الزاء لغة ويجوز ان يكون اصله النزل ومنه اقيم للقوم
نزلهم واشتقاقه انه الغذا الذي يصلح ان ينزلوا معه
ويقيموا فيه وقد مضى هذا في اخر سورة ال عمران وشجرة
الزقوم مشتقة من التزقيم وهو البلع على جهد لكراهيتها
ونتنها قال المفسرون وهي في الباب السادس وانها تحيى
بلهب النار كما تحيى الشجرة ببرد الما فلابد لاهل النار
من ان يتحدر من كان فوقها فيا كلون منها وكذلك يصعد اليها

من كان اسفل واختلف فيها هل هي من شجر الدنيا ومن قال
بهذا اختلفوا فيها فقال قطرب انها شجرة مرة تكون بتهامه
من اخبث الشجر وقال غيره بل هو كل نبات قاتل القول الثاني
انها لا تعرف في شجر الدنيا فلما نزلت هذه الاية في شجرة الزقوم
قال كفار قريش ما نعرف هذه الشجرة فقدم عليهم رجل من افريقيه
فسالوه فقال هو عندنا الزبد والتمر فقال ابن الزبعري
اكثر الله في بيوتنا الزقوم فقال ابو جهل لجاريته زقمينا
فاتته بزبد وتمر ثم قال لاصحابه تزقموا هذا الذي يخوفنا
به محمد بن عم ان النار تنبت الشجر والنار تحرق الشجر قوله
تعالى انا جعلناها فتنة للظالمين اي المشركين وذلك انهم
قالوا كيف تكون في النار شجرة وهي تحرق الشجر وقد مضى
هذا المعنى في سبحان واستخفافهم في هذا كقولهم في قوله
تعالى عليها تسعة عشر ما الذي يخصص هذا العدد حتى
قال بعضهم انا اكفيكم منهم كذا فاكفوني الباقين فقال الله
تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا والفتنة الاختبار
وكان هذا القول منهم جهلا ولا يستحيل في العقل ان
يخلق الله في النار شجرا من جنسها لا تاكله النار كما يخلق الله
فيها الاغلال والقيود والحيات والعقارب وخزنة النار
وقيل هذا الاستبعاد الذي وقع للكفار هو الذي وقع
الان

التي نص فيها العرب ام لا على قولين احدهما انها معروفة من شجر الدنيا

الان للملحدة حتى حملوا الجنة والنار على نعيم او عقاب تتحلله
الارواح وحملوا وزن الاعمال والصراط واللوح والقلم على معاني
زوّروها في انفسهم دون ما فهمه المسلمون من موارد
الشرع واذا ورد خبر الصادق بشيء موهوم في العقل
فالواجب تصديقه وان جاز ان يكون له تاويل ثم التاويل
في موضع اجماع المسلمين على انه تاويل باطل لا يجوز والمسلمون
مجمعون على الاخذ بهذه الاشيا كما قال تعالى ذوقوا فتنتكم
هذا الذي كنتم به تستعجلون قوله تعالى انها شجرة
تخرج في اصل الجحيم اي قعر النار ومنها منشاها ثم هي متفرعة
في جهنم طلعها ثمرها سمي طلعا لطلوعه كانه رووس الشياطين
قيل يعني الشياطين باعيانهم شبهها برووسهم لقبحهم ورووس
الشياطين متصورة في النفوس وان كان غير مرئي ومن ذلك
قولهم لكل قبيح هو كصورة الشيطان ولكل صورة حسنة هو
كصورة ملك ومنه قوله تعالى مخبرا عن صواحب يوسف
ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا التشبيه تخييلي روي
معناه عن ابن عباس والقرظي ومنه قول امرئ القيس
ومسنونة زرق كانياب اغوال وان كانت الغول لا تعرف
لكن لما تصور من قبحها في النفوس وقد قال الله تعالى شياطين
الانس والجن فمردة الانس شياطين مريدة وفي الحديث

الصحيح ولكأن نخلها رؤوس الشياطين وقد ادعى كثير من العرب
رؤية الشياطين والغيلان وقال الزجاج والفراء الشياطين
حيات لها رؤوس واعراف وهي من اقبح الحيات واخبثها واخفها
جسما قال الراجز وقد شبه المرأة بحية لها عرف عنجرد تحلف حين احلف
كمثل شيطان الحماط اعرف الواحدة حماطة والاعرف الذي له عرف
الواحدة حماطة والاعرف الذي له عرف وقال الشاعر يصف ناقته
تلاعب مثنى حضرمي كانه تعمج شيطان بذي خروع قفر
والتعمج الاعوجاج في السير وسهم عموج يتلوى في ذهابه
وتعمجت الحية اذا تلوت في مرها وقال يصف زمام الناقة
تلاعب مثنى حضرمي كانه تعمج شيطان بذي خروع قفر
وقيل انما شبه ذلك بنبت قبيح في اليمن يقال له الاستن والشيطان
قال النحاس وليس ذلك معروفا عند العرب الزمخشري هو شجر
خشن منتن مر منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس الشياطين
النحاس وقيل الشياطين ضرب من الحيات قباح فانهم لآكلون
منها فمالئون البطون فهذا طعامهم وفاكهتهم بدل رزق
اهل الجنة وقال في الغاشية ليس لهم طعام الا من ضريع وسيأتي
ثم ان لهم عليها اي بعد الاكل من الشجرة لشوبا من حميم بلغ
الشوب الخلط والشوب والشوب لغتان كالفقر والفقر
والفتح اشهر قال الفراء شاب طعامه وشرابه اذا خلطهما
بشيء

يشي يشوبهما شوبا وشيابة فاخبر انه يشاب لهم والحميم
الما الحار ليكون اشنع قال الله تعالى وسقوا ما حميما فقطع امعاهم
الذي يشاب لهم الحميم يقسا في اعينهم وصديد من قيحهم
ودمايهم وقيل يمزج لهم الزقوم بالحميم ليجمع لهم بين حرارة الزقوم
وحرارة الحميم تغليظا لعذابهم وتجديدا لبلائهم ثم ان مرجعهم
لالى الجحيم قيل ان هذا يدل على انهم كانوا حين اكلوا الزقوم في
عذاب غير النار ثم يردون اليها وقال مقاتل الحميم خارج
الجحيم فهم يوردون الحميم لشربه ثم يردون الى الجحيم لقوله تعالى
هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم ان
وقرا ابن مسعود ثم ان منقلبهم لالى الجحيم وقال ابو عبيدة
يجوز ان يكون ثم بمعنى الواو القشيري ولعل الحميم في
موضع من جهنم على طرف منها **قوله تعالى** ثم انهم القوا
اباهم ضالين اي صادفوهم كذلك فاقتدوا بهم فهم على اثارهم
يهرعون اي يسرعون عن قتادة وقال مجاهد كهيئة الهرولة
قال الفرا الاهراع الاسراع برعدة وقال ابو عبيدة يهرعون
يستحثون من خلفهم ونحوه قول المبرد قال المهرع المستحث
يقال جا فلان يهرع الى النار اذا استحثه البرد اليها وقيل
يزعجون من شدة الاسراع قاله المفضل الزجاج يقال هرع
واهرع اذا استحث **قوله تعالى** ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين

ليجمع
واهرع

اي من الامم الماضيه ولقد ارسلنا فيهم منذرين اى رسلاً
انذروهم العذاب فكفروا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اى اخر
امرهم الا عباد الله المخلصين اى الذين استخلصهم الله من الكفر
وقد تقدم ثم قيل هو استثنا من المنذرين وقيل هو من قوله
تعالى ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين **قوله تعالى** ولقد نادانا
نوح من الندا الذى هو استغاثه ودعا قيل بمسئلة هلاكه
فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فلنعم المجيبون
له كنا ونجيناه واهله يعنى اهل دينه وهم من امن معه وكانوا
ثمانين على ما تقدم من الكرب العظيم وهو الغرق وجعلنا ذريته
هم الباقين قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من
معه من الرجال والنسا الا ولده ونساوه فذلك قوله وجعلنا
ذريته هم الباقين وقال سعيد بن المسيب كان لنوح ولده
ثلثة والناس والناس كلهم من ولد نوح فسام ابو العرب
وفارس والروم واليهود والنصاري وحام ابو السودان
من المشرق الى المغرب السند والهند والنوب والزنج والحبشه
والقبط وبربر وغيرهم ويافث ابو الصقالب والترك والابر
والخزر وياجوج وماجوج وما هنالك وقال غيرهم كان
لغير ولد نوح ايضا نسل بدليل قوله ذرية من حملنا مع نوح
وقوله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى
امم

أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم فعلى
هذا معنى الآية وجعلنا ذريته هم الباقين دون ذرية
من كفر فانا اغرقنا اوليك قوله تعالى وتركنا
عليه في الاخرين اي تركنا عليه ثنا حسنا في كل امة
فانه محبب الى الجميع حتى ان في المجوس من يقول انه
افريدون روي معناه عن مجاهد وغيره وزعم الكساي
ان فيه تقديرين احدهما وتركنا عليه هذا الثنا الحسن
وهذا مذهب ابي العباس المبرد اي تركنا عليه هذه الكلمة
باقية يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من
الكلام المحكي كقوله تعالى سورة انزلناها والقول الاخر
ان يكون المعنى وابقينا عليه وتم الكلام ثم ابتدا فقال
سلام على نوح اي سلامة له من ان يذكر بسوء في الاخرين
قال الكساي وفي قراة ابن مسعود سلاما منصوب بتركنا
اي تركنا عليه ثنا حسنا سلاما وقيل في الاخرين اي
في امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل في الانبيا اذ لم يبعث
بعده نبي الا امر بالاقتدا به قال الله تعالى شرع لكم من
الدين ما وصى به نوحا وقال سعيد بن المسيب وبلغني
انه قال من قال حين يمسي سلام على نوح في العالمين لم تلدغه
عقرب ذكره ابو عمر في التمهيد وفي الموطا عن خولة

بنت حكيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نزل منزلا
فليقل اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق فانه لم
يضره شي حتى يرحل وفيه عن ابي هريرة ان رجلا من اسلم
قال ما نمت هذه الليلة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اي شي فقال لدغتني عقرب فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اما انك لو قلت حين امسيت اعوذ بكلمات
الله التامات من شر ما خلق لم يضرك **قوله تعالى**
انا كذلك نجزي المحسنين اي نبقي عليهم الثنا الحسن والكاف
في موضع نصب اي جزا كذلك انه من عبادنا
المومنين هذا بيان احسانه **قوله تعالى** ثم اغرقنا
الاخرين اي من كفر وجمعه اخر والاصل فيه ان
يكون معه من الا انها حذفت لان المعنى معروف
ولا يكون اخرا الا وقبله شي من جنسه وثم ليس للتراخي
هاهنا بل هو لتعديد النعم كقوله تعالى او مسكينا
ذا متربة ثم كان من الذين امنوا اي ثم اخبركم اني قد
اغرقت الاخرين وهم الذين تاخروا عن الايمان ○
قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم قال ابن عباس
اي من اهل دينه وقال مجاهد اي على منهاجه وسنته
قال الاصمعي الشيعة الاعوان وهو ماخوذ من
الشياع

الشياخ وهو الحطب الصغار الذي يوقد مع الكبار حتى
يستوقد وقال الكلبي والفرا المعنى وان من شيعته محمد
لابراهيم فالها في شيعته على هذا لمحمد عليه السلام وعلى
الاول لنوح وهو اظهر لانه هو المذكور اولا وما كان
بين نوح وابراهيم الانبيا الا هود وصالح وكان بين نوح
وابراهيم الفان وست مايه واربعون سنة حكاه الزمخشري
قوله تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم اي مخلص من الشرك
والشك وقال عوف الاعرابي سالت محمد بن سيرين ما القلب
السليم فقال الناصح لله جل وعز في خلقه وذكر
الطبري عن غالب القطان وعوف وغيرهما عن محمد بن سيرين
انه كان يقول للحجاج مسكين ابو محمد ان عذبه الله فبذنبه
وان غفر له فهنيا له وان كان قلبه سليما فقد اصاب
الذنوب من هو خير منه قال عوف فقلت لمحمد ما القلب السليم
قال ان تعلم ان الله حق وان الساعة قايمة وان الله
يبعث من في القبور وقال هشام بن عروة كان ابي
يقول لنا يا بني لا تكونوا لعانين الم تروا الى ابراهيم لم يلعن
شيا قط فقال تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم ويحتمل
مجيه الى ربه وجهين احدهما عند دعايه الى توحيده
وطاعته الثاني عند القايه في النار اذ قال لابيه وهو

ازر وقد مضى الكلام فيه وقومه ماذا تعبدون تكون ما
في موضع رفع بالابتدا وذا خبره ويجوز ان تكون ما وذا
في موضع نصب بتعبدون أافكا نصب على المفعول به
بمعنى اتريدون افكا قال المبرد والافك اسوا الكذب وهو
الذي لا يثبت ويضطرب ومنه ائتفكت بهم الارض الهة
بدل من افك دون الله تريدون اي تعبدون ويجوز ان يكون
حالا بمعنى اتريدون الهة من دون الله افكين فما ظنكم برب
العالمين اي ما ظنكم به اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره
فهو تحذير مثل قوله ما غرك بربك الكريم وقيل المعنى
اي شي توهمتموه حتى اشركتم به غيره **قوله تعالى**
فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم قال ابن زيد عن
ابيه ارسل اليه ملكهم ان غدا عيدنا فاخرج معنا فنظر
الى نجم طالع فقال ان هذا يطلع مع سقمي وكان علم النجوم
مستعملا عندهم منظورا فيه فاوهمهم هو من تلك الجهة
واراهم من معتقدهم عذرا لنفسه وذلك انهم كانوا اهل
رعاية وفلاحة وهاتان المعيشتان تحتاج فيهما الى نظر
في النجوم وقال ابن عايشة كان علم النجوم من النبوه فلما
حبس الله تعالى الشمس على يوشع بن نون ابطل ذلك فنظر
ابراهيم فيها علما نبويا وحكى جويبر عن الضحاك كان علم

النجوم

النجوم باقيا الى زمن عيسى عليه السلام حتى دخلوا عليه
في موضع لا يطلع عليه فقالت لهم مريم من اين علمتم بموضعه
قالوا من النجوم فدعى ربه عند ذلك فقال اللهم فوّهمهم
في علمها فلا يعلم علم النجوم احد فصار حكمها في الشرع
محظورًا وعلمها في الناس مجهولاً قال الكلبي وكانوا بقرية
بين البصرة والكوفة يقال له هرمزجرد وكانوا ينظرون
في النجوم فهذا قول وقال الحسن المعنى انهم لما كلفوه الخروج
معهم تفكر فيما يعمل فالمعنى على هذا انه نظر فيما نجم له من
الراي اى فيما طلع له منه فعلم ان كل حي يسقم فقال اني سقيم
الخليل والمبرد يقال للرجل اذا فكر في نفسه يدبره نظر في النجوم
وقيل كانت الساعة التي دعوه الى الخروج معهم فيها ساعة
تعتاده فيها الحمى وقيل المعنى فنظر فيما نجم من الاشياء
فعلم ان لها خالقا ومدبرا وانه يتغير كتغيرها فقال اني سقيم
وقال الضحاك معنى سقيم سأسقم سقم الموت لان من كتب
عليه الموت يسقم في الغالب ثم يموت وهذا تورية وتعريض
كما قال للملك لما سأله عن سارة هي اختي يعني اخوة الدين
وقال ابن عباس وابن جبير والضحاك ايضا اشار لهم الى
مرض وسقم يعدي كالطاعون وكانوا يهربون من
الطاعون فلذلك تولوا عنه مدبرين اي فارين منه خوفا

من العدوي وروي الترمذي الحكيم قال حدثنا ابي قال حدثنا
عمرو بن حماد عن اسباط عن السدي عن ابي مالك وابي صالح
عن ابن عباس وعن مرة عن الهمداني عن ابن مسعود قال قال
ابو ابراهيم ان لنا عيداً لو خرجت معنا لاعجبك ديننا
فلما كان يوم العيد خرجوا اليه وخرج معهم فلما كان
ببعض الطريق القي نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي
فوطوا رجله وهو صريع فلما مضوا نادى في اخرهم
وتالله لاكيدن اصنامكم قال ابو عبد الله وهذا ليس بمعارض
لما قال ابن عباس وابن جبير لانه يحتمل ان يكون قد اجتمع
له امران قلت وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لم
يكذب ابراهيم النبي عليه السلام الا ثلث كذبات الحديث
وقد مضى في سورة الانبيا وهو يدل على انه لم يكن سقيما
وانما عرض لهم وقد قال جل وعز انك ميت وانهم ميتون
فالمعنى اني سقيم فيما استقبل فتوهموا هم انه سقيم الساعة
وهذا من معاريض الكلام على ما ذكرنا ومنه المثل السائر
كفى بالسلامة داً وقول لبيد ،، يدعوت ربي بالسلامة
جاهداً ليصحني فاذا السلامة دا ،، وقد مات رجل فجاة
فالتفت عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال
اعرابي اصحيح من الموت في عنقه فابراهيم صادق
لكنه

السابع عشر

لكنه لما كان للانبيا القرب محلهم واصطفا بهم عدد هذا ذنبا
ولهذا قال والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
وقد مضى هذا كله مبينا والحمد لله وقيل اراد سقيم النفس
لكفركم والنجوم يكون جمع نجم ويكون واحدا مصدرا **قوله**
تعالى فراغ الي الهتهم قال السدي ذهب اليهم وقال ابو
مالك جا اليهم وقال قتادة مال اليهم وقيل عدل والمعنى
متقارب فراغ يروغ روغا وروغانا اذا مال وطريق
رايغ اي مايل وقال الشاعر ويريك من طرف اللسان حلاوة
ويروغ عنك كما يروغ الثعلب فقال الا تاكلون فخاطبها
كما يخاطب من يعقل لانهم انزلوها بتلك المنزلة وكذا ما لكم
لا تنطقون قيل كان بين يدي الاصنام طعام تركوه ليا كلوه
اذا رجعوا من العيد وانما تركوه لتصيبه بركة اصنامهم
بزعمهم وقيل تركوه للسدنة وقيل قرب هو اليها طعاما
على جهة الاستهزاء فقال الا تاكلون ما لكم لا تنطقون فراغ
عليهم ضربا باليمين خص الضرب باليمين لانها اقوى والضرب
بها اشد قاله الضحاك والربيع بن انس وقيل المراد باليمين
اليمين التي حلفها حين قال وتالله لاكيدن اصنامكم وقال الفرا
وثعلب ضربا بالقوة واليمين القوة وقيل بالعدل واليمين
هاهنا العدل ومنه قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل

لاخذنا منه باليمين اي بالعدل فالعدل اليمين والجور الشمال الا ترى
ان العدو عن الشمال والمعاصي عن الشمال والطاعه عن اليمين
وكذلك انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل الطاعات فاليمين
هو الموضع العدل من المسْلِم والشمال موضع الجور الا ترى
انه بايع الله بيمينه يوم الميثاق فالبيعة باليمين فلذلك
يُعطي كتابه غدا بيمينه لانهُ وفىّ بالبيعه ويعطي الناكث
للبيعة الهارب برقبته من الله بشماله لان الجور هناك فقوله
فراغ عليهم ضربا باليمين اي بذلك العدل الذي كان بايع
اللهُ عليه يوم الميثاق ثم وفىّ له هاهنا فجعل تلك الاوثان
جُذاذا اي فتاتا كالجديدة وهي السويق وليس من قبيل
القوه قاله الترمذي الحكيم فاقبلوا اليه يزفون قرا
حمزة يُزفون بضم الياءِ الباقون بفتحها اي يسرعون
قاله ابن زيد قتادة والسُدي يمشون وقيل المعنى يمشون
بجمعهم على مهل امنين ان يصيب احد الهتهم بضر وقيل
المعنى يتسللون تسللا بين المشي والعدو ومنه زفيف
النعامة وقال الضحاك يسعون وحكى يحيى بن سلام يرعدون
غضبا وقيل يختالون وهو مشي الخيلا قاله مجاهد ومنه
اخذ زفاف العروس الى زوجها وقال الفرزدق وجاء
قريع الشول قبل افالها يزف وجات خلفه وهي زفف

ومن

ومن قرا يزفون فمعناه يزفون غيرهم اي يحملونهم على
التزفيف وعلى هذا فالمفعول محذوف قال الاصمعي ازففت
الابل اي حملتها على ان تزف وقيل هما لغتان يقال زف القوم
وازفوا وزففت العروس وازففتها واردفتها بمعنى والمزفة
المحفة التي تزف فيها العروس حكى ذلك عن الخليل النحاس
يزفون بضم الياء زعم ابو حاتم انه لا يعرف هذه اللغة
وقد عرفها جماعة من العلماء منهم الفراء وشبهها بقولهم
اطردت الرجل اي صيرته الى ذلك وطردته نحيته وانشد
هو وغيره :. تمنى حصين ان يسود جداعة فامسى حصين
قد اذل واقهرا :. اي صير الى ذلك فكذلك يزفون يصيرون
الى الزفيف قال محمد بن يزيد الزفيف الاسراع وقال ابو اسحق
الزفيف اول عدو النعام وقال ابو حاتم وزعم الكساي
ان قوما قروا فاقبلوا اليه يزفون خفيفة من وزف يزف
مثل وزن يزن قال النحاس وهذه حكاية ابي حاتم وابو
حاتم لم يسمع من الكساي شيا وروى الفرا وهو صاحب
الكساي عن الكساي انه لا يعرف يزفون مخففة قال الفرا
وانا لا اعرفها قال ابو اسحاق وقد عرفها غيرها وزف يزف
اذا اسرع قال النحاس ولا نعلم احدا قرا يزفون قلت هي قراه
عبد الله بن يزيد فيما ذكر المهدوي والزمخشري ويزفون

على البناء للمفعول وبزفون من زفاه اذا حداه كان
بعضهم يزفوا بعضاً النسار عهم اليه وذكر الثعلبي عن
الحسن ومجاهد وابن السميفع بالراء زعيف النعام وهو
ركض بين المشي والطيران قوله تعالى قال اتعبدون
ما تنحتون فيه حذف اي قالوا من فعل هذا بالهتنا
فقال محتجا اتعبدون ما تنحتون اي تعبدون ٥
اصناما انتم تنحتونها بايديكم والنحت النجر والبري
نحته ينحته بالكسر نحتا اي براه والنحاته البراية
والمنحت ما ينحت به والله خلقكم وما تعملون ما في
موضع نصب اي وخلق ما تعملونه من الاصنام يعني
الخشب والحجارة وغيرهما كقوله تعالى بل ربكم رب
السموات والارض الذي فطرهن وقيل ان ما استفهام
ومعناه التحقير لعملهم وقيل هو نفي والمعنى وما
تعملون ذلك لكن الله خالقه والاحسن ان تكون ما
مع الفعل مصدرا والتقدير والله خلقكم وعملكم
وهذا مذهب اهل السنة ان الافعال خلق لله عز وجل
واكتساب للعباد وفي هذا ابطال مذاهب القدرية
والجبرية وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله خالق كل صانع وصنعته ذكره الثعلبي

وخرجه

يزفون

وخرجه البيهقي من حديث حذيفه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل صنع كل صانع وصنعته
فهو الخالق وهو الصانع سبحانه وقد بيناهما في الكتاب
الاسنى في شرح اسما الله الحسنى قوله تعالى قالوا ابنوا
له بنيانا اي تشاوروا في امره لما غلبهم بالحجة حسب ما
تقدم في الانبيا بيانه فقالوا ابنوا له بنيانا تملونه حطبا
فتضرمونه ثم القوه فيها وهو الجحيم قال ابن عباس بنوا
حايطا من حجارة طوله في السما ثلثون ذراعا وملوه نارا
وطرحوه فيها وقال عبد الله بن عمرو بن العاص فلما صار
في البنيان قال حسبي الله ونعم الوكيل والالف واللام
في الجحيم تدل على الكناية اي في جحيمه اي جحيم ذلك
البنيان وذكر الطبري ان قايل ذلك اسمه الهيزن
رجل من اعراب فارس وهم الترك وهو الذي جا
فيه الحديث بينما رجل يمشي في حلة له يتبختر فيها
فخسف به فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيامة
فارادوا به كيدا اي بابراهيم والكيد المكر اي احتالوا
لاهلاكه فجعلناهم الاسفلين المقهورين المغلوبين
اذ نقضت حجته من حيث لم يمكنهم دفعها ولم ينفذ
فيه مكرهم ولا كيدهم قوله تعالى وقال اني ذاهب

الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فيه مسئلتان الاولى
هذه الايه اصل في الهجره والعزله واول ما فعل ذلك ابراهيم
عليه السلام وذلك حين خلصه الله من النار قال اني ذاهب
الى ربي اي مهاجر من بلد قومي ومولدي الى حيث اتمكن من
من عبادة ربي فانه سيهدين فيما نويت الى الصواب قال
مقاتل هو اول من هاجر من الخلق مع لوط وساره الى الارض
المقدسه وهي ارض الشام وقيل ذاهب بعملي وعبادتي وقلبي
ونيتي فعلى هذا ذهابه بالعمل لا بالبدن وقد مضى بيان هذا
في الكهف مستوفى وعلى الاول بالمهاجره الى الشام وبيت
المقدس وقيل خرج الى حران فاقام بها مدة ثم قيل قال
ذلك لمن فارقه من قومه فيكون ذلك توبيخا لهم وقيل قاله
لمن هاجر معه من اهله فيكون ذلك منه ترغيبا وقيل قال هذا
قبل القائه في النار وفيه على هذا القول تاويلان احدهما
اني ذاهب الى ما قضاه علي ربي الثاني اني ميت كما
يقال لمن مات قد ذهب الى الله تعالى لانه عليه السلام
تصور انه يموت بالقائه في النار على المعهود من حالها
في تلف ما يلقى فيها الى ان قيل لها كوني بردا وسلاما فحينئذ
سلم ابراهيم منها وفي قوله سيهدين على هذا القول تاويلان
احدهما سيهدين الى الخلاص منها الثاني الى الجنه وقال

سليمان

سليمان بن صُرَد وهو ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم لما
ارادوا القاء ابراهيم في النار جعلوا يجمعون له الحطب فجعلت
المراه العجوز تحمل على ظهرها وتقول اذهب به الى هذا الذي
يذكر الهتنا فلما ذُهِب به ليطرح في النار قال اني ذاهب
فلما طُرح في النار قال حسبي الله ونعم الوكيل فقال الله تعالى
يا نار كوني بردًا وسلامًا فقال ابو لوط وكان ابن عمه ان النار
لم تحرقه من اجل قرابته مني فارسل الله عنقًا من نارٍ فاحرقه
الثانيه قوله تعالى رب هب لي من الصالحين لما عرفه
الله انه مخلصه دعا الله ليعضده بولدٍ يأنس به في غربته
وقد مضى في آل عمران القول في هذا وفي الكلام حذف اي
هب لي ولدًا صالحًا من الصالحين وحذف مثل هذا كثير قال
الله تعالى فبشرناه بغلامٍ حليم اي انه يكون حليمًا في كبره
فكانه بُشِّر ببقاء ذلك الولد لان الصغير لا يوصف بذلك
وكانت البشرى على السنة الملايكه كما تقدم في هود ويأتي
ايضا في الذاريات قوله تعالى فلما بلغ معه السعي
الى قوله تعالى ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين
فيه سبع عشرة مسالة الاولى قوله تعالى فلما بلغ معه
السعي اي فهو هبنا له الغلام فلما بلغ معه المبلغ الذي
يسعى مع ابيه في امور دنياه معينًا له على اعماله

قال يا بني اني اري في المنام اني اذبحك وقال مجاهد فلما بلغ معه
السعي اي شب وادرك سعيه سعي ابراهيم وقال الفرا كان
يوميذ ابن ثلاث عشرة سنة وقال ابن عباس هو الاحتلام قتادة
مشي مع ابيه الحسن ومقاتل هو سعي العقل الذي تقوم به
الحجة ابن زيد هو السعي في العبادة ابن عباس صام وصلي
الم تسمع الله عز وجل يقول وسعي لها سعيها واختلف
العلما في المامور بذبحه فقال اكثرهم الذبيح اسحاق
وممن قال بذلك العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله
وهو الصحيح عنه روي الثوري وابن جريج يرفعانه الي ابن
عباس قال الذبيح اسحاق وهو الصحيح عن عبد الله بن مسعود
ان رجلا قال له يا ابن الاشياخ الكرام فقال عبد الله ذلك
يوسف بن يعقوب بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله
صلي الله عليه وقد روي حماد بن زيد يرفعه الي رسول الله
صلي الله عليه وسلم قال ان الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صلي الله عليهم وسلم
وروي ابو الزبير عن جابر قال الذبيح اسحق وذلك مروي
ايضا عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وعن عبد الله بن عمر
ان الذبيح اسحق وهو قول عمر رضي الله عنه وهاولاء
سبعة من الصحابة والتابعين وغيرهم علقمة والشعبي
ومجاهد

ومجاهد وسعيد بن جبير وكعب الاحبار وقتادة ومسروق
وعكرمة والقاسم بن ابي بزة وعطا ومقاتل وعبد الرحمن
بن سابط والزهري والسدي وعبد الله بن ابي الهذيل ومالك
بن انس كلهم قالوا الذبيح اسحاق وعليه اهل الكتابين اليهود
والنصارى واختاره غير واحد منهم النحاس والطبري وغيرهما
قال سعيد بن جبير اُري ابراهيم ذبح اسحق في المنام فسار به
مسيرة شهر في غداة واحدة حتى اتى به المنحر بمنى فلما صرف
الله عنه الذبح وامره ان يذبح الكبش فذبحه وسار به مسيرة
شهر في روحة واحدة طويت له الاودية والجبال وقال
اخرون هو اسماعيل وممن قال ذلك ابو هريرة وابو الطفيل
عامر بن واثلة وروي ذلك عن ابن عمر وابن عباس ايضا ومن
التابعين سعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران
ومجاهد والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وعلقمة
وسُئل ابو سعيد الضرير عن الذبيح فانشد

ان الذبيح هديت اسماعيل نطق القران بذاك والتنزيل
شرف به خص الاله نبينا واتى به التفسير والتاويل
ان كنت امته فلا تنكر له شرفا به قد خصه التفضيل

وعن الاصمعي قال سالت ابا عمرو ابن العلا عن الذبيح فقال يا
اصمعي اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحاق بمكه وانما كان

اسماعيل بمكه وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكه وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الذبيح اسماعيل والاول اكثر عن النبي
صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه وعن التابعين واحتجوا بان
الله عز وجل قد اخبرهم عن ابراهيم حين فارق قومه فهاجر
الى الشام مع امراته ساره وابن اخيه لوط فقال اني ذاهب
الى ربي سيهدين انه دعا فقال رب هب لي من الصالحين
فقال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له
اسحق ويعقوب ولان الله تعالى قال وفديناه بذبح عظيم فذكر
انه في الغلام الحليم الذي بشر به ابراهيم وانما بشر باسحاق
لانه قال وبشرناه باسحاق وقال هنا بغلام حليم وذلك قبل
ان يعرف هاجر وقبل ان يصير له اسماعيل وليس في القران
انه بشر بولد الا اسحاق احتج من قال انه اسماعيل بان الله
تعالى وصفه بالصبر دون اسحاق في قوله تعالى واسماعيل
واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح
ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد
لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله تعالى
قال فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فكيف يومر بذبح
اسحاق قبل انجاز الوعد في يعقوب وايضا ورد في الاخبار
تعليق قرن الكبش في الكعبه فدل على ان الذبيح اسماعيل ولو
كان

كان اسحاق لكان الذبح يقع ببيت المقدس وهذا الاستدلال
كله ليس بقاطع اما قولهم كيف يامره بذبحه وقد وعده انه
يكون نبيا فانه يحتمل ان يكون المعنى وبشرناه بنبوته بعد ان
كان من امره ما كان قاله ابن عباس وسيباني ولعله لم يذبح
اسحق بعد ان ولد لاسحق يعقوب او يقال لم يرد في القران
ان يعقوب يولد له من اسحق واما قولهم ولو كان الذبيح
اسحق لكان الذبح يقع ببيت المقدس فالجواب عنه
ما قاله سعيد بن جبير على ما تقدم وقال الزجاج الله اعلم
ايهما الذبيح وهذا مذهب ثالث الثانية قوله تعالى قال
يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال مقاتل
راى ذلك ابراهيم عليه السلام ثلاث ليال متتابعات وقال
محمد بن كعب كانت الرسل ياتيهم الوحي من الله تعالى ايقاظا
ورقودا فان الانبيا لا تنام قلوبهم وهذا ثابت في الخبر المرفوع
قال صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبيا تنام اعيننا ولا تنام
قلوبنا وقال ابن عباس رويا الانبيا وحي واستدل بهذه
الاية وقال السدي لما بشر ابراهيم باسحق قبل ان يولد له
قال هو اذا لله ذبيح فقيل له في منامه قد نذرت نذرا
فف بنذرك ويقال ان ابراهيم راى في ليلة التروية كان
قايلا يقول ان الله يامرك بذبح ابنك فلما اصبح روى في نفسه

اي فكر اهذا الحلم من الله او من الشيطان فسمي يوم التروية فلما
فلما كانت الليلة الثانية راي ذلك ايضا وقيل له الوعد فلما اصبح
عرف ان ذلك من الله فسمي يوم عرفة ثم راي مثله في الليلة الثالثة
فهم بنحره فسمي يوم النحر وروي انه لما ذبحه قال جبريل الله
اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم
الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة وقد اختلف الناس في وقوع هذا
الامر وهي الثالثة فقال اهل السنة ان نفس الذبح لم يقع ولو
وقع لم يتصور رفعه فكان هذا من باب النسخ قبل الفعل لانه
لو حصل الفراغ من امتثال الامر بالذبح ما تحقق الفدا
وقوله تعالى قد صدقت الرويا اي حققت ما نبهناك عليه
وفعلت ما امكنك ثم امتنعت لما منعناك هذا اصح ما قيل به في
هذا الباب وطايفة ليس هذا مما ينسخ بوجه لان معني ذبحت
الشي قطعته واستدل على هذا بقول مجاهد قال اسحق لابراهيم
لا تنظر اليّ فترحمني ولكن اجعل وجهي الى الارض فاخذ ابراهيم
السكين فامرّ بها علي حلقه فانقلبت فقال له ما لك قال انقلبت
السكين فقال اطعني بها طعنا وقال بعضهم كان كلما قطع جزءا
التام وقالت طايفة وجد حلقه نحاسا او مغشيا بنحاس وكان
كلما اراد قطعا وجد منعا وهذا كله جايز في القدرة الالهية
لكنه يفتقر الي نقل صحيح فانه امر لا يدرك بالنظر وانما
طريقه

قال ابن العربي

طريقة الخبر ولو كان قد جرى ذلك لبيّنه الله تعالى تعظيماً لرتبة
اسماعيل وابراهيم صلوات الله عليهما وكان اولى بالبيان من الفدا
وقال بعضهم ان ابراهيم ما امر بالذبح الحقيقي الذي هو فري الاوداج
وانهار الدم وانما راى انه اضجعه للذبح فتوهم انه امر بالذبح
الحقيقي فلما اتى ما امر به من الاضجاع قيل له قد صدّقت الرؤيا
وهذا كله خارج عن المفهوم ولا يظن بالخليل والذبيح ان يفهما
من هذا الامر ما ليس له حقيقة حتى يكون منهما التوهم وايضاً
لو صحت هذه الاشيا لما احتيج الى الفدا الرابعة قوله تعالى
فانظر ماذا ترى قرا اهل الكوفة عن عاصم ماذا تُري بالتاء
وكسر الراء من أرى يُري قال الفرا اي فانظر ماذا تري
من صبرك وجزعك قال الزجاج لم يقل هذا احد غيره وانما
قال العلما ماذا تشير اي ما تريك نفسك من الراي وانكر ابو
عبيد تُري وقال انما يكون هذا من رؤية العين خاصة وكذا
قال ابو حاتم النحاس وهذا غلط وهذا يكون من رؤية العين
وغيرها وهو مشهور يقال اريت فلاناً الصواب واريته
رشده وهذا ليس من رؤية العين الباقون ترى مضارع رأيت
وقد روي عن الضحاك والاعمش تُرى غير مسمى الفاعل ولم
يقل له ذلك على جهة المؤامرة في امر الله قال يا ابت افعل
ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله

وانما شاوره ليعلم صبره لامر الله او ليعلم عزمه اذا راى جزع ابنه طاعة الله في امر الله

امرتك الخير فافعل ما امرت به فوصل الفعل الى الضمير فصار
تومره ثم حذفت الها لقوله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
اي اصطفاهم على ما تقدم وما بمعنى الذي ستجدني ان شا الله من
الصابرين قال بعض اهل الاشاره لما استثنى وفقه الله للصبر وقد
مضى الكلام في يا ابت ولذلك في يا بني في يوسف وغيرها
الخامسة قوله تعالى فلما اسلما انقادا لامر الله وقرا ابن
مسعود وابن عباس وعلي رضوان الله عليهم فلما سلما اي فوضا
امرهما الى الله وقال ابن عباس استسلما وقال قتادة اسلم احدهما
نفسه لله جل وعز واسلم الاخر ابنه وتله للجبين قال قتادة
لبه وحول وجهه الى القبلة وجواب لما محذوف عند
البصريين تقديره فلما اسلما وتله للجبين فديناه بكبش وقال
الكوفيون الجواب ناديناه والواو زايدة مقحمة كقوله تعالى
واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اي اوحينا وقوله
تعالى وهم من كل حدب ينسلون واقترب اي اقترب وقوله
تعالى حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها وقال اي قال لهم وقال
امرؤ القيس فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى اي انتحى والواو زايده
وقال ايضا حتى اذا احلت بطونكم ورايتم ابناكم شبوا وقلبتم
ظهر المجن لنا ان اللئيم الفاجر الخب * الخبر ان الذبيح قال لابراهيم
عليه السلام حين اراد ذبحه يا ابت اشدد رباطي حتى لا اضطرب

في والواو في المعاني الاخر ان تزاد وفي

اصطرب

اضطرب واكفف ثيابك لئلا ينتضح عليها شيء من دمي فتراه
امي فتحزن واسرع مر السكين على حلقي ليكون الموت اهون علي
واقذفني للوجه لئلا تنظر الى وجهي فترحمني ولئلا انظر الى
الشفرة فاجزع واذا اتيت امي فاقراها مني السلام فلما جر ابراهيم
السكين ضرب الله عليه صحيفة من نحاس فلم تعمل السكين شيئا قال ذلك
قوله تعالى وتله للجبين كذلك قال ابن عباس معناه كبه على جبهته
فنودي يا ابراهيم قد صدقت الرويا فالتفت فاذا بكبش ذكره
المهدوي وقد تقدمت الاشارة الى عدم صحته وان المعنى لما
اعتقد الوجوب وتهيئا للعمل هذا بهيئة الذبح وهذا
بصورة المذبوح اعطيا محلا للذبح فداء ولم يكن هناك مر
بسكين وعلى هذا يتصور النسخ قبل الفعل على ما تقدم والله
اعلم قال الجوهري وتله للجبين اي صرعه كما تقول كبه لوجهه
الهروي والتل الدفع والصرع ومنه حديث ابي الدرداء
رضي الله عنه وتركوك لمتلك اي لمصرعك وفي حديث اخر
فجا بناقة كوما فتلها اي اناخها وفي الحديث بينا انا نايم
اتيت بمفاتيح خزاين الارض فتلت في يدي قال ابن الانباري اي
فالقيت في يدي يقال تللت الرجل اذا القيته وقال ابن
الاعرابي فصبت في يدي والتل الصب يقال تل يتل اذا صب
وتل يتل بالكسر اذا سقط قلت وفي صحيح مسلم عن سهل بن

سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بشراب
فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره اشياخ فقال للغلام
اتاذن لي ان اعطي هاولاء فقال الغلام لا والله لا اوثر بنصيبي
منك احدا قال فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده يريد جعله
في يده وقال بعض اهل الاشارة ان ابراهيم ادعى محبة الله ثم نظر
الى الولد بالمحبة فلم يرض حبيبه بمحبة مشتركة فقيل له يا
ابراهيم اذبح ولدك في مرضاتي فشمر واخذ السكين واضجع
ولده ثم قال اللهم تقبله مني في مرضاتك فاوحى الله اليه يا
ابراهيم لم يكن المراد ذبح الولد وانما المراد ان ترد قلبك الينا
فلما رددت قلبك بكليته الينا رددنا ولدك اليك وقال
كعب وغيره لما ارى ابراهيم ذبح ولده في منامه قال
الشيطان والله لين لم افتن عند هذا ال ابراهيم لا افتن
منهم احدا ابدا فتمثل الشيطان لهم في صورة الرجل ثم اتى
ام الغلام وقال اتدرين اين يذهب ابراهيم بابنك قالت
لا قال انه يذهب به ليذبحه قالت كلا هو ارافق به من ذلك
فقال انه يزعم ان ربه امره بذلك قالت فان كان ربه قد
امره بذلك فقد احسن ان يطيع ربه ثم اتى الغلام فقال
اتدري اين يذهب بك ابوك قال لا قال فانه يذهب بك ليذبحك
قال ولم قال زعم ان ربه امره بذلك قال فليفعل ما امره الله به
سمعا

بلغ

لامر الله
سمعا وطاعة الله تعالى ثم جا ابراهيم فقال ابن تريد والله انى
لاظن ان الشيطان قد جاك في منامك فامرك بذبح ابنك فعرفه
ابراهيم فقال اليك عنى يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربي فلم
يصب الملعون منهم شيا قال ابن عباس لما امر ابراهيم بذبح ابنه
عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات
حتى ذهب ثم عرض عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات
حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الاخرى فرماه بسبع حصيات
حتى ذهب ثم مضى ابراهيم لامر الله تعالى واختلف في المراد
الذي اراد ذبحه فقيل بمكة في المقام وقيل في المنحر بمنى
عند الجمار الذي رمى بها ابليس قاله ابن عباس وابن عمر ومحمد بن
كعب وسعيد بن المسيب وحكى عن سعيد بن جبير انه ذبحه
على الصخرة التي باصل ثبير بمنى وقال ابن جريج ذبحه بالشام
وهو من بيت المقدس على ميلين والاول اكثر فانه ورد في
الاخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة فدل على انه ذبح بمكة
وقال ابن عباس فو الذي نفسي بيده لقد كان اول الاسلام وان
راس الكبش لمعلق بقرنيه من ميزاب الكعبة قد وحش
يعني يبس اصاب من قال بان الذبح وقع بالشام لعل الراس
حمل من الشام الى مكة والله اعلم السادسه قوله تعالى
انا كذلك نجزي المحسنين اي نجزيهم بالخلاص من الشدايد في الدنيا

والاخره ان هذا لهو البلا المبين اي النعمة الظاهره يقال ابلاه الله
تعالى ابلا وبلا اذا انعم عليه وقد يقال بلاه قال زهير فابلاهما
خير البلا الذي يبلوا فزعم قوم انه جا باللغتين وقال اخرون
بل الثاني من بلاه يبلوه اذا اختبره ولا يقال من الاختبار الا بلاه
يبلوه ولا يقال من الابتلا يبلوه واصل هذا كله من الاختبار ان
يكون بالخير والشر قال الله جل وعز ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال
ابو زيد هذا في البلا الذي نزل به في ان يذبح ابنه قال وهذا
من البلا المكروه السابعة قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم
الذبح اسم المذبوح وجمعه ذبوح كالطحن اسم المطحون والذبح
بالفتح المصدر عظيم اي عظيم القدر ولم يرد عظيم الجثة
وانما عظم قدره لانه فدي به الذبيح او لانه متقبل قال
النحاس عظيم في اللغة يكون للكبير او للشريف واهل التفسير
على انه ها هنا للشريف اي المتقبل وقال ابن عباس هو الكبش
الذي تقرب به هابيل وكان في الجنة يرعى حتى فدا الله به اسماعيل
وعنه ايضا انه كبش ارسله الله من الجنة كان قد رعى في
الجنة اربعين خريفا وقال الحسن ما فدي اسماعيل الا بتيس من
الاروى اهبط عليه من ثبير فذبحه ابراهيم فدا عن ابنه
وهذا قول علي رضي الله عنه فلما راه ابراهيم اخذه فذبحه
واعتق ابنه وقال يا بني اليوم وهبت لي وقال ابو اسحاق

الزجاج

الزجاج قد قيل انه فدي بوعل والوعل التيس الجبلي واهل
التفسير على انه فدي بكبش الثامنه في هذه الايه دليل
على ان الاضحية بالغنم افضل من الابل والبقر وهذا مذهب
مالك واصحابه قالوا افضل الضحايا الفحول من الضان واناث
الضحايا خير من فحول المعز وفحول المعز خير من اناثها واناث
المعز خير من الابل والبقر وحجتهم قوله سبحانه وفديناه
بذبح عظيم اي ضخم الجثه سمين وذلك كبش لا جمل ولا بقره
وروي مجاهد وغيره عن ابن عباس انه ساله رجل اني نذرت
ان انحر ابني فقال يجزيك كبش سمين ثم قرا وفديناه بذبح
عظيم وقال بعضهم لو علم الله حيوانا افضل من الكبش لفدي
به اسحق وضحي رسول الله صلي الله عليه وسلم بكبشين املحين
واكثر ما ضحي به الكباش وذكر ابن ابي شيبة عن ابن علية عن
ليث عن مجاهد قال الذبح العظيم الشاه التاسعة واختلفوا
ايما افضل الاضحية والصدقة بثمنها فقال مالك واصحابه
الضحية افضل الا بمنى لانه ليس موضع الاضحية حكاه ابو عمر
وقال ابن المنذر روينا عن بلال انه قال ما ابالي ان لا اضحي الا بديك
ولان اضعه في يتيم قد ترب فيه هكذا قال المحدث احب الي
من ان اضحي به وهذا قول الشعبي ان الصدقه افضل وبه قال
مالك وابو ثور وفيه قول ثان وهو ان الضحيه افضل

الضان

هذا قول ربيعة وابي الزناد وبه قال اصحاب الرأي زاد ابو عمر واحمد بن حنبل من
الصدقة لان الضحية سنة وكيدة كصلاة العيد ومعلوم ان صلاة
العيد افضل من ساير النوافل وكذلك صلوات السنن افضل من
التطوع كله قال ابو عمر وقد روي في فضل الضحايا آثار حسان
فمنها ما رواه سعيد بن داود بن ابي زنبر عن مالك عن ثور بن زيد
عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
من نفقة بعد صلة الرحم افضل عند الله من اهراق الدم قال
ابو عمر وهو حديث غريب من حديث مالك وعن عايشة
قالت يا ايها الناس ضحوا وطيبوا انفسا فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد توجه باضحيته
الى القبلة الا كان دمها وفرثها وصوفها حسنات محضرات
في ميزانه يوم القيامة فان الدم ان وقع في التراب فانما
يقع في حرز الله حتى يوفيه صاحبه يوم القيامة ذكره
ابو عمر في كتاب التمهيد وخرجها الترمذي ايضا عنها وخرج
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل آدمي من عمل يوم
النحر احب الى الله من اهراق الدم انه ليأتي يوم القيامة بقرونها
واشعارها واظلافها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع
الى الارض فطيبوا بها نفسا قال وفي الباب عن عمران بن حصين
وزيد بن ارقم وهذا حديث حسن العاشرة الضحية ليست
بواجبة ولكنها سنة ومعروف وقال عكرمة كان ابن عباس
يبعثني

يبعثني يوم الاضحى بدرهمين اشترى له لحما ويقول من لقيت فقل هذه اضحية ابن عباس قال ابو عمر ومحل هذا وما روى عن ابي بكر وعمر انهما لا يضحيان عند اهل العلم لئلا يعتقد في المواظبة عليها انها واجبة فرض وكانوا ايمة يقتدي بهم من بعدهم ممن ينظر في دينه اليهم لانهم الواسطة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين امته فساغ لهم من الاجتهاد في ذلك ما لا يسوغ اليوم لغيرهم وقد حكى الطحاوي في مختصره قال ابو حنيفة الاضحية واجبة على المقيمين الواجدين من اهل الامصار ولا تجب على المسافر قال وتجب على الرجل من الاضحية على ولده الصغير مثل الذي يجب عليه عن نفسه وخالفه ابو يوسف ومحمد فقالا ليست بواجبة ولكنها سنة غير مرخص لمن وجد السبيل اليها في تركها قال وبه ناخذ قال ابو عمر وهذا قول مالك قال لا ينبغي لاحد تركها مسافرا او مقيما فان تركها فبيس ما صنع الا ان يكون له عذر الا الحاج بمنى وقال الشافعي هي سنة على جميع الناس وعلى الحاج بمنى وليست بواجبة وقد احتج من اوجبها بان النبي صلى الله عليه وسلم امر ابا بردة بن نيار ان يعيد ضحية اخرى لان ما لم يكن فرضا لم يومر فيه بالاعادة احتج الاخرون بحديث ام سلمة

عن الناس

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل العشر واراد
احدكم ان يضحي قالوا فلو كان كرلك واجبا لم يجعل ذلك الى ارادة
المصلي وهو قول ابي بكر وعمر وابي مسعود البدري وبلال
الحاذية عشرة والذي يضحي به باجماع المسلمين الازواج
الثمانية وهي الضان والمعز والابل والبقر قال ابن المنذر
وقد حكي عن الحسن بن صالح انه قال يضحي ببقرة الوحش عن
سبعة وبالظبي عن رجل وقال الامام الشافعي لو نزا
ثور وحشي بقرة انسية او ثور انسي لا يجوز شي من هذا
اضحية وقال اصحاب الراي جايز لان ولدها بمنزلة امه
وقال ابو ثور يجوز اذا كان منسوبا الى الانعام الثانية
عشرة قد مضى في سورة الحج الكلام في وقت الذبح
والاكل من الاضحية مستوفى وفي صحيح مسلم عن انس قال
ضحى النبي صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين اقرنين ذبحهما بيده
وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما في رواية قال ويقول
بسم الله والله اكبر وقد مضى في اخر الانعام حديث عمران
بن حصين ومضى في المايدة القول في الذكية وبيانها
وما يذكى به وان ذكاة الجنين ذكاة امه مستوفى وفي
صحيح مسلم عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
امر بكبش اقرن يطا في سواد وينظر في سواد فاتي به
ليضحي به

ليضحي به فقال لها يا عايشة هلمي المدية ثم قال اشحذيها
ففعلت ثم اخذها واخذ الكبش فاضجعه ثم ذبحه
ثم قال بسم الله اللهم تقبل من محمد وال محمد ومن امة محمد ثم ضحى
به وقد اختلف العلما في هذا فكان الحسن البصري يقول في
الاضحية بسم الله والله اكبر هذا منك ولك تقبل من فلان
وقال مالك ان فعل ذلك فحسن وان لم يفعل وسمى الله اجزاه
وقال الشافعي والتسمية على الذبيحة بسم الله فان زاد
بعد ذلك شيا من ذكر الله او صلى على محمد عليه السلام
لم اكرهه او قال اللهم تقبل مني او قال تقبل من فلان فلا
باس وقال النعمان يكره ان يذكر مع اسم الله غيره يكره
ان يقول اللهم تقبل من فلان عند الذبح وقال لا باس
اذا كان قبل التسمية وقبل ان يضجع للذبح وحديث عايشة
يرد هذا القول وقد تقدم ان ابراهيم عليه السلام قال
لما اراد ذبح ابنه الله اكبر والحمد لله فبقي سنة الثالثة
عشرة روى البرا بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سيل ماذا يتقى من الضحايا فاشار بيده وقال اربع
وكان البرا يشير بيده ويقول يدي اقصر من يد رسول الله
صلى الله عليه وسلم العرجا البين ظلعها والعورا البين عورها
والمريضة البين مرضها والعجفا التي لا تنقي لفظ مالك

ولا خلاف فيه واختلف في اليسير من ذلك وفي الترمذي عن علي
رضي الله عنه قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نستشرف العين
والاذن وان لا نضحي بمقابلة ولا مدابرة ولا شرقا ولا خرقا قال
والمقابلة ما قطع طرف اذنها والمدابرة ما قطع من جانب الاذن
والشرقا المشقوقة والخرقا المثقوبة قال هذا حديث حسن
صحيح وفي الموطا عن نافع بن عبد الله بن عمر كان يتقي من الضحايا
والبدن التي لم تسنن والتي نقص من خلقها قال مالك وهذا احب
ما سمعت الي قال القتيبي لم تسنن اي لم تنبت اسنانها كانها
لم تعط اسنانا وهذا كما يقال فلان لم يلبن اي لم يعط لبنا
ولم يسمن اي لم يعط سمنا ولم يعسل اي لم يعط عسلا وهذا
مثل النهي في الاضاحي عن الهتما قال ابو عمر ولا باس ان يضحي عند
مالك بالشاة الهتما اذا كان سقوط اسنانها من الكبر والهرم
وكانت سمينة فان كانت ساقطة الاسنان وهي فتية لم يجز
ان يضحي بها لانه عيب غير خفيف والنقصان كله مكروه وشرحه
وتفصيله في كتب الفقه وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم
استشرفوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم ذكره الزمخشري
الرابعة عشرة ودلت الاية على ان من نذر نحر ابنه او ذبحه
انه يفديه بكبش كما فدى به ابراهيم ابنه قاله ابن عباس وعنه
رواية اخرى ينحر مائة من الابل كما فدى بها عبد المطلب ابنه

روي الروايتين عنه الشعبي وروي عنه القاسم بن محمد تجزيه
كفارة يمين وقال مسروق لاشي عليه وقال الشافعي هو معصية
يستغفر الله منها وقال ابو حنيفة هي كلمة يلزمه بها في
ولده ذبح شاة ولا يلزمه في غير ولده شي وقال محمد عليه
في الحلف بنحر عبده مثل الذي عليه في الحلف بنحر ولده اذا
حنث وذكر ابن عبد الحكم عن مالك فيمن قال انا انحر ولدي عند
مقام ابراهيم في يمين ثم حنث فعليه هدي قال ومن نذر
ان ينحر ابنه ولم يقل عند مقام ولا اراده فلا شي عليه قال
ومن جعل ابنه هديا اهدي عنه قال القاضي بن العربي يلزمه شاة
كما قال ابو حنيفة لان الله تعالى جعل ذبح الولد عبارة عن ذبح
الشاة شرعا فالزم الله ابراهيم ذبح الولد واخرجه عنه بذبح
شاة وكذلك اذا نذر العبد ذبح ولده يلزمه ان يذبح شاة
لان الله تعالى قال ملة ابيكم ابراهيم والايمان التزام اصلي
والنذر التزام فرعي فيجب ان يكون محمولا عليه فان قيل كيف
يومر ابراهيم بذبح الولد وهي معصية والامر بالمعصية لا يجوز
قلنا هذا اعتراض على كتاب الله تعالى ولا يكون ذلك ممن يعتقد
الاسلام فكيف ممن يفتي في الحلال والحرام وقد قال الله تعالى
افعل ما تومر والذي يجلوا الالباس عن قلوب الناس في ذلك
ان المعاصي والطاعات ليست باوصاف ذاتية للاعيان وانما

الطاعة عبارة عن ما تعلق به الامر من الافعال فلما تعلق الامر
بذبح الولد اسماعيل من ابراهيم صار طاعة وابتلاء ولهذا قال
الله تعالى ان هذا لهو البلاء المبين في الصبر على ذبح الولد والنفس
ولما تعلق النهي بنا في ذبح ابنائنا صار معصية فان قيل كيف يصير
نذرا وهو معصية قلنا انما يكون معصية لو كان يقصد ذبح
الولد بنذره ولا ينوي الفدا فان قيل فلو وقع ذلك وقصد المعصية
ولم ينو الفدا قلنا لو قصد ذلك لم يضره في قصده ولا اثر في
نذره لان ذبح الولد صار عبارة عن ذبح الشاة شرعا
الخامسة عشره قوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين اي على
ابراهيم ثنا جميلا في الامم بعده فما من امة الا تصلي عليه
وتحبه وقيل هو دعا ابراهيم عليه السلام واجعل لي لسان صدق
في الاخرين وقال عكرمة هو السلام على ابراهيم اي سلاما منا وقيل
سلامة له من الافات مثل سلام على نوح في العالمين حسب ما
تقدم لذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين اي من الذين
اعطوا العبودية حقها حتى استحقوا الاضافة الى الله تعالى
السادسه عشره قوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من
الصالحين قال ابن عباس بشر بنبوته جزاء على صبره ورضاه بامر ربه
واستسلامه له وباركنا عليه وعلى اسحق اي ثنينا عليهما النعم وقيل
كثرنا ولدهما اي باركنا على ابراهيم واولاده وعلى اسحق حين اخرج

ابنيا

انبيا بني اسرايل من صلبه وقد قيل ان الكناية في عليه تعود على اسماعيل
وانه هو الذبيح قال المفضل الصحيح الذي يدل عليه القران ان اسماعيل
وذلك انه قص قصة الذبيح فلما قال في اخر القصة وفديناه بذبح
عظيم ثم قال سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين قال وبشرناه باسحق
نبيا من الصالحين وباركنا عليه اي على اسماعيل وعلى اسحق كنى عنه
لانه قد تقدم ذكره ثم قال ومن ذريتهما فدل على انهما ذريه اسماعيل
واسحاق وليس تختلف الرواه في ان اسماعيل كان اكبر من اسحق بثلث
عشرة سنه قلت قد ذكرنا اولا ما يدل على ان اسحق اكبر من اسماعيل
وان المبشر به هو اسحق بنص التنزيل فاذا كانت البشاره باسحق
نصا فالذبيح لاشك هو اسحق وبشر به ابراهيم مرتين الاولى لولادته
والثانيه بنبوته كما قال ابن عباس ولا تكون النبوه الا في الكبر حال
ونبيا نصب على الحال والهاء في باركنا عليه عايده الى ابراهيم وليس
لاسماعيل في الايه ذكر حتى ترجع الكناية اليه واما ما روى من طريق
معاويه قال سمعت رجلا يقول للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال معاويه ان عبد المطلب لما حفر
بير زمزم نذر لله ان سهل الله عليه امرها ليذبحن احد ولده لله
فسهل الله عليه امرها فوقع السهم على عبد الله فمنعه اخواله
بنو مخزوم وقالوا افد ابنك ففداه بماية من الابل وهو الذبيح
واسماعيل هو الذبيح الثاني فلا حجة فيه لان مسنده لا يثبت

على ما ذكرناه في كتاب الاعلام في معرفة رسوله عليه الصلاة والسلام
ولان العرب تجعل العم ابا قال الله تعالى نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل
واسحق وقال تعالى ورفع ابويه على العرش وهما ابوه وخالته وكذلك
ما روي عن الشاعر الفرزدق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
لو صح اسناده فليف والفرزدق في نفسه مقال السابعة عشرة
قوله تعالى ومن ذريتهما محسن وظالم لما ذكر البركة في الذرية والكثرة
قال منهم محسن ومنهم مسيء وان المسيء لا ينفعه نبوة النبوة فاليهود
والنصارى وان كانوا من ولد اسحق والعرب وان كانوا من ولد اسماعيل
فلا بد من الفرق بين المحسن والمسيء والمومن والكافر وفي التنزيل
وقالت اليهود والنصارى نحن ابنا الله واحباوه الاية اي ابنا رسل
الله فراوا لانفسهم فضلا وقد تقدم قوله تعالى ولقد
مننا على موسى وهارون لما ذكر انجا اسحق من الذبح وما من به
عليه بعد من النبوة ذكر ما من به ايضا على موسى وهارون
من ذلك وقوله من الكرب العظيم قيل من الرزق الذي لحق بني اسرايل
وقيل من الغرق الذي لحق فرعون ونصرناهم قال الفرا الضمير
لموسى وهارون وحدهما وهذا على ان الاثنين جمع دليله قوله
وانتناهما وهديناهما وقيل الضمير لموسى وهارون وقومهما
وهذا هو الصواب لان قبله ونجيناهما ونحوهما والكتاب المستبين
التوراة يقال استبان كذا اي صار بينا واستبانه فلان مثل
تبين

تبين الشي بنفسه وتبينه فلان والصراط المستقيم الدين القويم
الذي لا اعوجاج فيه وهو دين الاسلام وتركنا عليهما في الاخرين
يريد الثنا الجميل سلام على موسى وهارون انا كذلك نجزي المحسنين
انهما من عبادنا المومنين تقدم **قوله تعالى** وان الياس لمن المرسلين
قال المفسرون الياس نبي من بني اسرايل وروي عن ابن مسعود
قال اسرايل هو يعقوب والياس هو ادريس وقرا وان ادريس
وقاله عكرمة وقال هو في مصحف عبد الله وان ادريس لمن
المرسلين وانفرد بهذا القول وقال ابن عباس هو عم اليسع
وقال ابن اسحاق وغيره كان القيم بامر بني اسرايل بعد يوشع
كالب بن يوقيا ثم حزقيل ثم لما قبض الله حزقيل النبي عظمت
الاحداث في اسرايل ونسوا عهد الله وعبدوا الاوثان
من دونه فبعث الله اليهم الياس نبيا وتبعه اليسع وامن
به فلما عتا عليه بنو اسرايل دعا ربه ان يريحه منهم فقيل
له اخرج يوم كذا وكذا الى موضع كذا فما استقبلك من شي
فاركبه ولا تهبه فخرج ومعه اليسع فقال يا الياس ما
تامرني فقذف اليه بكسايه من الجو الاعلا فكان ذلك
علامة استخلافه اياه على بني اسرايل وكان ذلك اخر
العهد به وقطع الله عن الياس لذة المطعم والمشرب وكساه
الريش والبسه النور وطار مع الملايكة فكان انسيا ملكا

سمّا ايضا ارضيا قال ابن قتيبه وذلك ان الله تعالي قال لالياس
سلني اعطك قال ترفعني اليك وتوخر عني مذاقه الموت
فصار يطير مع الملايكه وقال بعضهم كان قد مرض واحس
الموت فبكا فاوحي الله اليه لم تبكي حرصا علي الدنيا او جزعا
من الموت او خوفا من النار قال لا ولا لشي من هذا وعزتك انما
جزعي كيف يحمدك الحامدون بعدي ولا احمدك ويذكرك الذاكرون
بعدي ولا اذكرك ويصوم الصايمون بعدي ولا اصوم
ويصلي المصلون ولا اصلي فقيل له يا الياس وعزتي لاوخرنك
الي وقت لا يذكرني فيه ذاكر يعني يوم القيامه وقال
عبد العزيز بن ابي رواد ان الياس والخضر عليهما السلام يصومان
شهر رمضان في كل عام ببيت المقدس ويوافيان الموسم في
كل عام وذكر ابن ابي الدنيا انهما يقولان عند افتراقهما من
الموسم ما شا الله ما شا الله لا يسوق الخير الا الله ما شا الله
ما شا الله ما شا الله لا يصرف السوا الا الله ما شا الله ما
شا الله ما شا الله ما يكون من نعمة فمن الله ما شا الله ما
شا الله ما شا الله توكلت علي الله حسبنا الله ونعم الوكيل
وقد مضي في الكهف وذكر من طريق مكحول عن انس قال غزونا
مع رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي اذا كنا بفج الناقة عند الحجر
اذا نحن بصوت يقول اللهم اجعلني من امة محمد المرحومه

المغفور

المغفور لهما المتوب عليها المستجاب لهما فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا انس انظر ما هذا الصوت فدخلت الجبل
فاذا انا برجل ابيض اللحيه والراس عليه ثياب بيض طوله
اكثر من ثلثماية ذراع فلما نظر الي قال انت رسول النبي قلت
نعم قال ارجع اليه فاقريه مني السلام وقل هذا اخوك الياس
يريد لقاك فجا النبي صلى الله عليه وسلم وانا معه حتى اذا كنا
قريبا منه تقدم النبي صلى الله عليه وسلم وتاخرت فتحدثا
طويلا فنزل عليهما شي من السما يشبه السفرة فدعواني
فاكلت معهما فاذا فيها كماة ورمان وكرفس فلما اكلت قمت
فتنحيت وجات سحابة فاحتملته فاذا انا انظر الي بياض
ثيابه فيها تهوي به فقلت للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت
وامي هذا الطعام الذي اكلنا امن السما نزل عليه فقال النبي صلى
الله عليه وسلم سالته عنه فقال ياتيني به جبريل في كل اربعين
يوما اكلة وفي كل حول شربة من ما زمزم وربما رايته
على الجب بملا بالدلو فيشرب وربما سقاني **قوله تعالى**
اذ قال لقومه يعني لبني اسرايل الا تتقون يعني الله جل وعز
وتخافون عقابه اتدعون بعلا اسم صنم لهم كانوا يعبدونه
وبذلك سميت مدينتهم بعلبك قال ثعلب اختلف الناس
في قوله جل وعز ها هنا بعلا فقالت طايفة البعل ها هنا

الصنم وقالت طايفة البعل هاهنا ملك وقال ابن اسحاق
امراة كانوا يعبدونها والاول اكثر وروى الحكم بن ابان عن عكرمة
عن ابن عباس اتدعون بعلا قال صنما وروى عطا بن السايب
عن عكرمة عن ابن عباس اتدعون بعلا قال ربا النحاس والقولان
صحيحان اي اتدعون صنما عملتموه ربا يقال هذا بعل الدار
اي ربها فالمعنى اتدعون ربا اختلقتموه واتدعون بمعنى
اتسمون حكى ذلك سيبويه وقال مجاهد وعكرمة وقتادة
والسدي البعل الرب بلغة اليمن وسمع ابن عباس رجلا من
اهل اليمن يسوم ناقة بمنى فقال من بعل هذه اي من ربها
ومنه سمي البعل زوجا قال ابو دواد ورايت بعلك في
الوغا متقلدا سيفا ورمحا مقال صنم كسره الياس وهرب
منهم وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله
اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربع مائة
سادن وجعلوهم انبياه وكان الشيطان يدخل في جوف
بعل ويتكلم بشريعة الضلاله والسدنة يحفظونها ويعلمونها
الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك
كما ذكرنا وتذرون احسن الخالقين اي احسن من يقال له خالق
وقيل المعنى احسن الصانعين لان الناس يصنعون ولا يخلقون
الله ربكم ورب ابايكم الاولين بالنصب في الاسما الثلثة قرا الربيع
بن خثيم

مقاتل

بن حنيش والحسن بن ابي اسحاق وابن وثاب والاعمش وحمزة
والكسائي والهايد يذهب ابو عبيد وابو حاتم وحكى ابو عبيد
انها على النعت النحاس وهو غلط وانما هو على البدل ولا
تجوز النعت لانه ليس بتحلية وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم
وابو جعفر وشيبة ونافع بالرفع قال ابو حاتم بمعنى هو
الله ربكم النحاس واولى مما قال انه مبتدا وخبر بغير اضمار
ولا حذف ورايت علي بن سليمان يذهب الى ان الرفع اولى
واحسن لان قبله راس اية قال فالاستينافا اولى ابن الانباري
من نصب او رفع لم يقف على احسن الخالقين على جهة التمام
لان الله عز وجل مترجم عن احسن الخالقين من الوجهين
جميعا قوله تعالى فكذبوه اخبر عن قوم الياس انهم
كذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب الا عباد الله المخلصين
اي من قومه فانهم نجوا من العذاب وقرى المخلصين وقد تقدم
وتركنا عليه في الاخرين تقدم سلام على ال ياسين قراءة
الاعرج وشيبة ونافع وقرا عكرمة وابو عمرو وابن كثير وحمزة
والكسائي سلام على الياسين وقرا الحسن سلام على الياسين
بوصل الالف كانها ياسين دخلت عليها الالف واللام
التي للتعريف والمراد الياسين عليه السلام وعليه وقع التسليم
ولكنه اسم اعجمي والعرب تضطرب في هذه الاسما الاعجمية

ويكثر تغييرهم لها قال ابن جني العرب تتلاعب بالاسما الاعجمية
تلاعبا فياسين والياس والياسين شي واحد الزمخشري وكان
حمزة اذا وصل نصب واذا رفع وقري على الياسين وادريس
وادريسين وادراسين على انها لغات في الياس وادريس
ولعل الزيادة اليا والنون في السريانية معنى النحاس ومن
قرا سلام على ال ياسين وكانه والله اعلم جعل اسمه وياسين
ثم سلم على اله اي اهل دينه ومن كان على مذهبه وعلم
انه اذا سلم على اله من اجله فهو داخل في السلام كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ال ابي اوفى وقال الله
عز وجل ادخلوا ال فرعون اشد العذاب ومن قرا الياسين
فللعلماء فيه غير قول فروى هارون عن ابن ابي اسحاق قال
الياسين مثل ابراهيم يذهب الى انه اسم له وابو عبيدة
يذهب الى انه جمع التسليم على انه واهل بيته سلم عليهم
وانشد قدني من نصر الخبيبين قدي يقال قدني وقدي
لغتان بمعنى حسب وانما يريد ابا خبيب عبد الله بن الزبير فجمعه
على ان من كان على مذهبه داخل معه وغير ابي عبيدة يرويه
الخبيبين على التثنية يريد عبد الله ومصعبا ورايت علي بن سليمان
يشرحه بالنزم هذا قال العرب تسمي قوم الرجل باسم الرجل الجليل
منهم فيقولون المهالبة على انهم سموا كل رجل منهم بالمهلب

بلغ

جمع

قال

قال فعلى هذا سلامٌ على الياسين سمّى كل رجل منهم بالياسين
وقد ذكر سيبويه في كتابه شيا من هذا الا انه ذكر ان العرب
تفعل هذا على جهة النسبة فيقولون الاشعرون يريدون
به النسب المهدوي ومن قرا إلياسين فهو جمعٌ يدخل فيه
الياس ... فهو جمع الياسي تحذف يا النسبة كما
حذفت يا النسبة في الجمع المكسر في نحو المهالبة في جمع
مهلبي كذلك حذفته في المسلم فقيل المهلبون وقد حكى سيبويه
الاشعرون والنميرون يريد الاشعريين والنميريين
السهيلي وهذا لا يصح بل هي لغة في الياس ولو اراد
ما قالوه لادخل الالف واللام كما تدخل في المهالبة والاشعريين
فكان يقول سلام على الالياسين لان العلم اذا جمع تنكر حتى
يعرف بالالف واللام لا يقول سلامٌ على زيدين بل على
الزيدين بالالف واللام فالياس عليه السلام فيه ثلث لغات
النحاس واحتج ابو عبيد في قراته سلامٌ على ال ياسين وانه
اسمه كما ان اسمه الياس لانه ليس في السورة سلام على
ال لغيره من الانبيا صلى الله عليهم وسلم فكما سمى الانبيا كذا
سمي هو وهذا الاحتجاج اصله لابي عمرو وهو غير لازم
لانا بينا قول اهل اللغة انه اذا سلم على اله من اجله فهو سلام
عليه والقول بان اسمه الياسين يحتاج الى دليل ورواية فقد

وقع في الامر اشكال قال الماوردي وقرا الحسن سلام علي
ياسين باسقاط الالف واللام وفيه وجهان احدهما انهم ال محمد
قاله ابن عباس الثاني انهم ال الياسين فعلي هذا في دخول الزيادة
في ياسين وجهان احدهما انها زيدت لتساوي الاي كما قال في
موضع طور سينا وفي موضع اخر طور سينين فعلي هذا يكون
السلام علي اهله دونه وتكون الاضافة اليه تشريفا له الثاني انها
دخلت للجمع فيكون داخلا في جملتهم فيكون السلام عليه وعليهم
قال السهيلي قال بعض المتكلمين في معاني القران ال ياسين
ال محمد عليه السلام ونزع الي قول من قال في تفسير ياسين
يا محمد وهذا القول يبطل من وجوه كثيرة احدها ان سياقة
الكلام في قصة الياسين يلزم ان تكون كما هي في قصة ابراهيم
ونوح وموسي وهارون وان التسليم راجع عليهم ولا معني
للخروج عن مقصود الكلام لقول قيل في تلك الاية الاخري
مع ضعف ذلك القول ايضا فان يس وحم والم ونحو ذلك
القول فيها واحد انما هي حروف مقطعة اما ماخوذه
من اسماء الله تعالي كما قال ابن عباس واما من صفات القران
واما كما قال الشعبي لله في كل كتاب سر وسره في القران
فواتح القران وايضا فان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال لي خمسة اسماء ولم يذكر فيها يس وايضا فان
يس

يس رجحان التلاوه فيها بالسكون والوقف ولو كان اسما
للنبي صلى الله عليه وسلم لقال ياسينُ بالضم كما قال تعالى
يوسف ايه الصديق واذا بطل هذا القول لما ذكرناه
فالياسين هو الياس المذكور وعليه وقع التسليم وقال ابو
عمرو بن العلا هو مثل ادريس وادراسين وكذلك هو
في مصحف ابن مسعود وان ادريس لمن المرسلين ثم قال
سلام على ادراسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا
المومنين تقدم قوله تعالى وان لوطا لمن المرسلين
اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين تقدم
قصة لوط ثم دمرنا الاخرين اي بالعقوبة وانكم لتمرون
عليهم مصبحين وقت الصباح وبالليل تمرون عليهم ايضا
وتم الكلام ثم قال افلا تعقلون تعتبرون وتتدبرون
قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك
المشحون الى قوله للبث في بطنه الى يوم يبعثون فيه
ثمان مسايل الاولى قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين
يونس هو ذو النون وهو ابن متى وهو ابن العجوز التي نزل
عليها الياس فاستخفا عندها من قومه ستة اشهر ويونس
صبي يرضع وكانت ام يونس تخدمه بنفسها وتوانسه
ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها ثم ان الياس سيم ضيق البيوت

فلحق بالجبال ومات ابن المرأة يونس فخرجت في اثر الياس
تطوف وراه في الجبال حتى وجدته فسألته ان يدعوا الله لها
لعله يحيي لها ولدها فجا الياس الى الصبي بعد اربعة عشر يوما
من موته فتوضى وصلى ودعا الله فاحيا الله يونس بن متى بدعوة
الياس عليه السلام ارسل الله يونس الى اهل نينوى من ارض
الموصل وكانوا يعبدون الاصنام ثم تابوا حسب ما تقدم
بيانه في سورة يونس ومضى في الانبيا قصة يونس في خروجه
مغاضبا واختلف في رسالته هل كانت قبل التقام الحوت اياه
او بعده فقال الطبري عن شهر بن حوشب ان جبريل عليه السلام
اتى يونس فقال انطلق الى اهل نينوى فانذرهم ان العذاب قد
حضرهم فقال التمس دابة فقال الامر اعجل من ذلك قال التمس
حذا قال الامر اعجل من ذلك قال فغضب فانطلق الى السفينة
فساهم فقرع فلما ركب احتبست السفينة لا تقدم ولا تاخر قال فسهم
فجا الحوت يتبصبص بذنبه فنودي الحوت يا حوت انا لم نجعل
لك يونس رزقا انما جعلناك له حرزا ومسجدا قال فالتقمه
الحوت من ذلك المكان حتى مر به على الايلة ثم انطلق حتى مر به على
دجلة ثم انطلق حتى القاه في نينوى حدثني الحارث قال حدثني
الحسن قال نا ابو هلال قال محمد ثنا شهر بن حوشب عن
ابن عباس قال انما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت
واستدل

ايلة
اسم مكان

دجلة

نينوى

واستدل هؤلاء بان الرسول لا يخرج مغاضبا لربه فكان ما جرى
منه قبل النبوة وقال آخرون كان ذلك منه بعد دعائه من
ارسل الى ما امره الله بدعائهم اليه وتبليغه اياهم رسالة ربه
ولكنه وعدهم نزول ما كان حذرهم من بأس الله في وقت وقته
لهم ففارقهم اذ لم يتوبوا ولم يراجعوا طاعة الله فلما اظل القوم
العذاب وغشيهم كما قال الله تعالى في تنزيله تابوا الى الله
فرفع الله عنهم العذاب وبلغ يونس سلامتهم وارتفاع العذاب
الذي كان وعدهموه فغضب من ذلك وقال وعدتهم وعدا
فكذب وعدي فذهب مغاضبا ربه وكره الرجوع اليهم
وقد جربوا عليه الكذب رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس
وقد مضى بيان هذا في الانبيا وهو الصحيح على ما ياتي عند
قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ولم ينصرف
يونس لانه اسم اعجمي ولو كان عربيا لانصرف وان كانت
في اوله اليا لانه ليس في الكلام يفعل كما انك اذا سميت
بيعفر صرفته وان سميته بيعفر لم تصرفه **الثانية** قوله
تعالى اذ ابق قال المبرد اصل ابق تباعد ومنه غلام ابق
وقال غيره انما قيل ليونس ابق لانه خرج بغير امر الله جل وعز
مستترا من الناس الى الفلك المشحون اي المملوء والفلك يذكر ويونث
ويذكر ويكون واحدا وجمعا وقد تقدم وقال الترمذي الحكيم

سماه ابقا لانه ابق عن العبودة وانما العبودة ترك الهوي وبذل
النفس عند امور الله فلما لم يبذل النفس عند ما اشتدت عليه
العزمة من الملك حسب ما تقدم بيانه في الانبيا واثر هواه
لزمه اسم الابق وكانت عزمة الملك في امر الله لا في امر
نفسه ولحظ حق الله لا لحظ نفسه فتحري يونس فلم يصب
الصواب الذي عند الله فسماه ابقا ومليما الثالثه قوله تعالي
فساهم قال المبرد اي فقارع قال واصله من السهام التي
تجال فكان من المدحضين قال من المغلوبين قال الفرا دحضت
حجته وادحضها الله واصله من الزلق قال الشاعر
قتلنا المدحضين بكل فج فقد قرت بقتلهم العيون اي المغلوبين
الرابعه قوله تعالي فالتقمه الحوت وهو مليم اي اتي بما
يلام عليه فاما الملوم فهو الذي يلام استحق ذلك او لم يستحق
وقيل المليم المعيب يقال لام الرجل اذا عمل شيا وصار معيبا
بذلك العمل فلولا انه كان من المسبحين قال الكسائي لم تكسر ان
لدخول اللام لان اللام ليست لها والامر كما قال انما اللام
في جواب لولا فلولا انه كان من المسبحين اي من المصلين للبث في
بطنه الي يوم يبعثون عقوبة له اي يكون بطن الحوت قبرا
له الي يوم القيامة عطا سبعة ايام واختلف كم اقام في بطن
الحوت فقال السدي والكلبي ومقاتل بن سليمان اربعين يوما
الضحاك

التاسع عشر

الضحاك عشرين يوما مقاتل بن حيان ثلثة ايام وقيل
ساعة واحده الخامسة روى الطبري من حديث
ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد
الله تعالى ذكره حبس يونس في بطن الحوت اوحى الى الحوت
ان خذه ولا تخدش لحما ولا تكسر عظما فاخذه ثم هوى به
الى مسكنه من البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس
حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله تبارك وتعالى اليه
وهو في بطن الحوت في […] قال فسمعت الملايكة تسبيحه
فقالوا يا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة قال ذلك
عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر
قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه كل يوم
وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت
فقذفه في الساحل كما قال الله تعالى وهو سقيم وكان سقمه
الذي وصفه به الله تعالى ذكره انه القاه الحوت على الساحل
كالصبي المنفوس وقد نشر اللحم والعظم وروى ان الحوت
سار مع السفينه رافعا راسه يتنفس فيه ويونس يسبح
لم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه
شي فاسلموا ذكره الزمخشري في تفسيره وقال ابن
العربي اخبرني غير واحد من اصحابنا عن امام الحرمين

ابي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني انه سيل
عن الباري في جهة قال لا هو يتعالى عن ذلك قيل له ما
الدليل عليه قال الدليل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم
لا تفضلوني على يونس بن متى فقيل له ما وجه الدليل من
هذا الخبر فقال لا اقوله حتى ياخذ ضيفي هذا الف
دينار يقضي بها دينا فقام رجلان فقالا هي علينا فقال لا
واحد يتبع بها اثنين لانه يشق عليه فقال هي علي فقال ان يونس
بن متى رما بنفسه في البحر فالتقمه الحوت وصار في بطن
قعر البحر في ظلمات ثلاث ونادى لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين كما اخبر الله ولم يكن محمد حين جلس على الرفرف
الاخضر وارتقى به صعدا حتى انتهى به الى موضع يسمع
صرير الاقلام وناجاه ربه بما ناجاه به واوحى اليه ما اوحى
باقرب الى الله من يونس في بطن الحوت في ظلمة البحر ٥
السادسة ذكر الطبري ان يونس عليه السلام لما ركب
في السفينة اصاب اهلها عاصف من الريح فقالوا هذه
خطية احدكم فقال يونس وعرف انه هو صاحب الذنب
فقال هذه خطيتي فالقوني في البحر وانهم ابو عليه حتى
افاضوا بسهامهم فساهمهم فكان من المدحضين فقال
لهم قد اخبرتكم ان هذا الامر بذنبي وانهم ابو عليه حتى

افاضوا

افاضوا اسهامهم الثانيه فكان من المدحضين فلما راى ذلك
نفسه ... في البحر وذلك تحت الليل فابتلعه الحوت
وروى انه لما ركب السفينه تقنع ورقد فساروا غير
بعيد اذ جاتهم ريح كادت السفينه ان تغرق فاجتمع
قد علوا اهل السفينه فدعوا فقال ايقظوا الرجل النائم يدعوا معنا
فدعى الله معهم فرفع الله عنهم تلك الريح ثم انطلق يونس الى
مكانه فرقد فجاءت ريح كادت السفينه ان تغرق
فايقظوه ودعوا الله فارتفعت الريح قال فبيناهم كذلك
اذ رفع حوت عظيم راسه اليهم اراد ان يبتلع السفينه
فقال لهم يونس يا قوم هذا من اجلي فلو طرحتموني في البحر
لسرتم ولذهب الريح عنكم والروع قالوا لا نطرحك حتى
نتساهم فمن وقعت عليه رميناه في البحر قال فتساهموا
وقع على يونس فقال لهم يا قوم اطرحوني فمن اجلي اتيتم
فذلك قول الله عز وجل فساهم فكان من المدحضين اي
وقع السهم عليه فانطلقوا به الى صدر السفينة ليلقوه في
البحر فاذا الحوت فاتح فاه ثم جاءوا به الى جانب السفينه
فاذا بالحوت ثم رجعوا به الى الجانب الاخر فاذا بالحوت
فاتح فاه فلما راى ذلك القى بنفسه فالتقمه الحوت فاوحى
الله تعالى الى الحوت اني لم اجعله لك رزقا ولكن جعلت بطنك
[illegible]

وانهم ارادوا ان يلقوه في البحر حتى اعادوا اسهامهم الثالثه فكان من المدحضين في ... الاخر

له دعا فمكث في بطن الحوت اربعين ليلة فنادي في الظلمات
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه
من الغم وكذلك ننجي المومنين وقد تقدم وياتي وفي هذا من الفقه
ان القرعة كانت معمولا بها في شرع من قبلنا وجات في شرعنا
علي ما تقدم في ال عمران بيانه قال ابن العربي وقد وردت
القرعة في الشرع في ثلثة مواطن الاول كان النبي صلي الله عليه وسلم
اذا اراد سفرا اقرع بين نسايه فايتهن خرج سهمها خرج
بها معه الثاني ان النبي صلي الله عليه وسلم رفع اليه ان رجلا
اعتق ستة اعبد لا مال له غيرهم فاقرع بينهم فاعتق اثنين
وارق اربعة الثالث ان رجلين اختصما اليه في مواريث قد
درست فقال اذهبا وتوخيا الحق واستهما وليحلل كل
واحد منهما صاحبه فهذه ثلثة مواطن وهي القسم في النكاح
والعتق والقسمه وجريان القرعه فيها لرفع الاشكال وحسم
داء التشهي واختلف علماونا في القرعة بين الزوجات في الغزو
علي قولين الصحيح منهما الاقتراع وبه قال فقها الامصار
وذلك ان السفر بجميعهن لا يمكن واختيار واحدة منهن
ايثار فلم يبق الا القرعه وكذلك في مسلة الاعبد السته
فان كل اثنين منهما ثلث وهو القدر الذي يجوز له فيه
العتق في مرض الموت وتعيينها بالتشهي لا يجوز شرعا
فلم

فلم يبق الا القرعه وكذلك التشاجر اذا وقع في اعيان المواريث
لم يميز الحق الا القرعه فصارت اصلا في تعيين المستحق اذا
اشكل قال والحق عندي ان تجري في كل مشكل فذلك ابين
لها واقوى لفصل الحكم فيها واجلى لرفع الاشكال عنها ولذلك
قلنا ان القرعة بين الزوجات في الطلاق كالقرعة بين الاماء
في العتق **السابعه** الاقتراع على القاء الآدمي في البحر لا يجوز
وانما كان ذلك في يونس وزمانه مقدمة لتحقيق برهانه
وزيادة في ايمانه فانه لا يجوز لمن كان عاصيا ان يقتل ولا
يرمى به في النار والبحر وانما يجري عليه الحدود والتعزير
على مقدار جنايته وقد ظن بعض الناس ان البحر اذا هال
على القوم فاضطروا الى تخفيف السفينة ان القرعة تضرب
عليهم فيطرح بعضهم تخفيفا وهذا فاسد فانها لا تخف
برمي بعض الرجال وانما ذلك في الاموال ولكنهم يصبرون
على قضاء الله عز وجل **الثامنه** اخبر الله جل وعز ان يونس
كان من المسبحين وان تسبيحه كان سبب نجاته ولذلك قيل
ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر قال ابن عباس
من المسبحين من المصلين قال قتادة كان يصلي قبل ذلك فحفظ
الله جل وعز له فنجاه وقال الربيع بن انس لولا انه كان له
قبل ذلك عمل صالح للبث في بطنه الى يوم يبعثون قال

ومكتوب في الحكمة ان العمل الصالح يرفع ربه اذا عثر وقال
مقاتل من المسبحين من المصلحين المطيعين قبل المعصية وقال
وهب من العابدين وقال الحسن ما كان له صلاة في بطن الحوت
ولكنه قدم عملا صالحا في حال الرخا فذكر الله به في حال البلا
وان العمل الصالح ليرفع عن صاحبه واذا عثر وجد متكاء
قلت ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم من استطاع
منكم ان يكون له خبية من عمل صالح فليفعل فيجتهد العبد
ويحرص على خصلة من صالح عمله يخلص فيها بينه وبين ربه
ويدخرها ليوم فاقته وفقره ويخباها بجهده ويسترها
عن خلقه يصل اليه نفعها احوج ما كان اليه وقد خرج
البخاري ومسلم من حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال بينما ثلثة نفر في رواية ممن كان قبلكم يتماشون
اخذهم الطوفان فاووا الى غار في جبل فانحطت على فم الغار
صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض
انظروا اعمالا عملتموها صالحة لله فادعوا الله بها لعله
يفرجها عنكم الحديث بكماله وهو مشهور شهرته اغنت
عن تمامه وقال سعيد بن جبير لما قال في بطن الحوت
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فقذفه الحوت
وقيل من المسبحين من المصلين في بطن الحوت قلت والاظهر
انه

انه تسبيح اللسان الموافق للجنان وعليه يدل حديث ابي
هريره المذكور قبل الذي ذكره الطبري قال فسبح في بطن
الحوت قال فسمعت الملايكه تسبيحه فقالوا يا ربنا انا نسمع
صوتا ضعيفا بارض غريبة وتكون كان على هذا القول زايده
اي فلولا انه كان من المسبحين وفي كتاب ابي داود عن سعد بن
ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعا ذي النون في بطن
الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين لم يدع به رجل
مسلم في شي قط الا استجيب له وقد مضى هذا في سورة الانبيا
فيونس عليه السلام كان قبل مصليا مسبحا وفي بطن الحوت كذلك وفي
الخبر فنودي الحديث انا لم نجعل يونس لك رزقا انما جعلناك له
حرزا ومسجدا وقد تقدم قوله تعالى فنبذناه بالعراء
وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين الراوي ان الحوت قذفه
بساحل قريب من الموصل وقال ابن قسيط عن ابي هريره طرح
يونس بالعراء وانبت الله عليه يقطينة فقلنا يا ابا هريره
وما اليقطينه قال شجرة الدبا هيا الله له اروية
وحشية تاكل من خشاش الارض او هشاش الارض
فتفشخ عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى
نبت وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج
به بعني الحوت حتى لفظه في ساحل البحر فطرحه مثل

الصبي المنفوس لم ينقص من خلقه شي وقيل ان يونس لما القاه
الحوت على ساحل البحر انبت الله عليه شجره من يقطين وهي
فيما ذكر شجره القرع تتقطر عليه من اللبن حتى رجعت اليه
قوته ثم رجع ذات يوم الى الشجره فوجدها يبست
فحزن وبكى عليها فعوتب فقيل له احزنت على شجره
وبكيت عليها ولم تحزن على مايه الف او يزيدون من بني
اسرايل من اولاد ابراهيم خليلي اسرى في ايدي العدو
واردت اهلاكهم جميعا وقيل هي شجرة التين وقيل
شجرة الموز فتغطى بورقها واستظل بقضبانها وافطر
على ثمارها والاكثر على انها شجرة اليقطين على ما ياتي
ثم ان الله تبارك وتعالى اجتباه فجعله من الصالحين
ثم امره ان ياتي قومه ويخبرهم ان الله تعالى قد تاب عليهم
فعمد اليهم حتى لقي راعيا فساله عن قوم يونس وعن حالهم
وكيف هم فاخبره انهم بخير وانهم على رجا ان يرجع اليهم
رسولهم فقال له فاخبرهم اني قد لقيت يونس فقال
لا استطيع الا بشاهد فسمى له عنزا من غنمه فقال
هذه تشهد لك انك لقيت يونس قال وهذه البقعه التي
انت فيها تشهد لك انك لقيت يونس قال وماذا قال
وهذه الشجره تشهد لك انك لقيت يونس وانه

رجع

رجع الراعي الى قومه فاخبرهم انه قد لقي يونس فكذبوه
وهموا به شرا فقال لا تعجلوا علي حتى اصبح فلما اصبح غدا
الى البقعة التي لقي فيها يونس فاستنطقها فاخبرتهم انه
لقي يونس واستنطق الشاة والشجرة فاخبرتاهم انه لقي
يونس ثم ان يونس اتاهم بعد ذلك ذكر هذا الخبر
وما قبله الطبري رحمه الله ونبذناه طرحناه وقيل
تركناه بالعرا بالصحرا قاله ابن الاعرابي الاخفش بالفضاء
ابو عبيدة الواسع من الارض الفرا العرا المكان الخالي قال
وقال ابو عبيدة العرا وجه الارض وانشد لرجل من خزاعة
رفعت رجلا لا اخاف عثارها ونبذت بالبلد العراء ثيابي
وحكى الاخفش في قوله وهو سقيم جمع سقيم وسقامى
وسقام وقال في هذه السورة فنبذناه بالعراء وقال
في ن والقلم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء
وهو مذموم والجواب ان الله جل وعز خبر ها هنا انه نبذه
بالعراء وهو غير مذموم ولولا رحمة الله عز وجل لنبذ بالعراء
وهو مذموم قاله النحاس وقوله وانبتنا عليه شجرة من
يقطين يعني عليه اي عنده لقوله تعالى ولهم علي ذنب اي
عندي وقيل عليه بمعنى له شجرة من يقطين اليقطين شجر
الدبا وقيل غيرها ذكره ابن الاعرابي وفي الخبر الدبا والبطيخ

فاخبرتهم

سقم

من الجنه وقد ذكرناه في كتاب التذكره وقال المبرد يقال
لكل شجرة ليس لها ساق يفترش ورقها على الارض يقطينه
نحو الدبا والبطيخ والحنظل فان كان لها ساق يقلها فهي شجره
فقط وان كانت قايمة اي بعروق يفترش نجمة وجمعها نجم قال
الله تعالى والنجم والشجر يسجدان وروى نحوه عن ابن عباس
والحسن ومقاتل قالوا كل نبت يمتد ويبسط على الارض ولا
يبقى على استواء وليس له ساق نحو القثا والبطيخ والقرع
والحنظل فهو يقطين وقال سعيد بن جبير هو كل شي ينبت
ثم يموت من عامه فيدخل في هذا الموز قلت وهو مماله ساق
الجوهري واليقطين ما لا ساق له كشجر القرع ونحوه الزجاج
اشتقاق اليقطين من قطن بالمكان اي اقام فهو يفعيل وقيل
هو اسم اعجمي وقيل انما خص اليقطين بالذكر لانه لا ينزل عليه
ذباب وقيل ما كان ثم يقطين فانبته الله في الحال القشيري
وفي الايه ما يدل على انه كان مفروشا ليكون له ظل الثعلبي
كانت تظله فراى خضرتها فاعجبته فيبست فجعل يحزن
عليها فقيل له فقيل له يا يونس انت الذي لم تخلق ولم تسق
ولم تنبت تحزن على شجرة فانا الذي خلقت مايه الف من الناس
او يزيدون تريد مني ان استاصلهم في ساعة واحده وقد
تابوا وتبت عليهم فاين رحمتي يا يونس وانا ارحم الراحمين

وروى

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ياكل الثريد باللحم والقرع
وكان يحب القرع ويقول انها شجرة اخي يونس وقال انس قدم
للنبي صلى الله عليه وسلم مرق فيه دبا وقديد فجعل يتبع الدبا من
حوالي القصعة وقال انس فلم ازل احب الدبا من يومئذ خرج
الايمة قوله تعالى وارسلناه الى ماية الف او يزيدون
قد تقدم عن ابن عباس ان رسالة يونس عليه السلام انما كانت
بعد ما نبذه الحوت وليس له طريق الا عن شهر بن حوشب
النحاس واجود منه اسناد واصح ما حدثناه علي بن الحسين
قال نا الحسن بن محمد قال نا عمرو العنقزي قال نا
اسرايل عن ابي اسحق عن عمرو بن ميمون قال نا عبد الله بن
مسعود في بيت المال عن يونس النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
يونس وعد قومه العذاب واخبرهم ان ياتيهم الى ثلثة ايام
ففرقوا بين كل والدة وولدها وخرجوا فجاروا الى الله عز وجل
واستغفروا فكف الله عز وجل عنهم العذاب وغدا يونس عليه
ينتظر العذاب فلم ير شيا وكان من كذب ولم تكن له بينة قتل
فخرج يونس مغاضبا فاتى قوما في سفينة فحملوه وعرفوه
فلما دخل السفينة ركدت السفينة والسفن تسير يمينا وشمالا
فقالوا ما لسفينتكم فقالوا لا ندري فقال يونس عليه السلام
ان فيها عبدا ابق من ربه جل وعز وانها لن تسير حتى تلقوه

بلغ في مقابلة الاستاذ

قالوا اما انت يا نبي الله فانا لا نلقيك قال فاقترعوا فمن قرع
فليقع فاقترعوا فقرعهم يونس فابوا ان يدعوه قال فاقترعوا
ثلثا فمن قرع فليقع فاقترعوا فقرعهم يونس ثلث مرات
او قال ثلثا فوقع وقد وكل الله به جل وعز وعلا حوتا فابتلعه
وهو يهوي به الى قرار الارض فسمع يونس عليه السلام تسبيح
الحصى فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
قال ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت قال فنبذناه
بالعراء وهو سقيم قال كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس عليه
ريش قال وانبت الله عليه شجرة من يقطين فنبتت فكان
يستظل بها ويصيب منها فيبست فبكى عليها فاوحى الله
جل وعز اليه اتبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف
او يزيدون اردت ان تهلكهم قال وخرج رسول الله يونس
فاذا هو بغلام يرعى قال يا غلام من انت قال من قوم يونس
قال فاذا جئت اليهم فاخبرهم انك لقد لقيت يونس قال ان كنت
يونس فقد علمت ان من كذب قتل اذا لم تكن له بينة فمن يشهد لي
قال هذه الشجرة وهذه البقعة قال فمرهما فقال لهما يونس
اذا جاكما هذا الغلام فاشهدا له قالتا نعم قال ورجع الغلام
الى قومه وكان في منعة وكان له اخوة فاتى الملك فقال اني
قد لقيت يونس وهو يقرا عليك السلام قال فامر به ان يقتل
فقالوا

فقالوا ان له بينةً فارسلوا معه فاتى الشجره والبقعه فقال لهما
نشدتكما بالله جل وعز اتشهدان انى لقيت يونس قالتا نعم
قال فرجع القوم مذعورين يقولون شهدت له الشجره
والارض فاتوا الملك فاخبروه بما راوا فقال عبد الله فتناول
الملك يد الغلام فاجلسه فى مجلسه فقال انت احق بهذا المكان
منى قال عبد الله فاقام لهم ذلك الغلام امرهم اربعين سنةً قال
ابو جعفر النحاس فقد تبين فى هذا الحديث ان يونس كان قد
ارسل قبل ان يلتقمه الحوت وندموا قبل ان يروا العذاب لان
فيه انه اخبرهم انه ياتيهم العذاب الى ثلثة ايام ففرقوا بين
كل والدةٍ وولدها وهذا هو الصحيح فى الباب وانه لم يكن
حكم الله عز وجل فيهم كحكمه فى غيرهم فى قوله عز وجل فلم
يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقوله جل وعز وليست التوبة
للذين يعملون السيات حتى اذا حضر احدهم الموت الاية وقال
بعض العلما انهم راوا مخايل العذاب فتابوا وهذا لا يمتنع
وقد تقدم ما للعلما فى هذا فى سورة يونس فلينظر هناك
قوله تعالى او يزيدون قد مضى فى البقره مجاز او فى
قوله تعالى او اشد قوه وقال الفرا او بمعنى بل وقال غيره
انها بمعنى الواو ومنه قول الشاعر فلما اشتد امر الحرب
فينا تاملنا رياحًا او رزاما اي ورزاما وهذا كقوله تعالى

وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقرا جعفر بن محمد
الي مائة الف ويزيدون بغير همزة فيزيدون في موضع رفع
بانه خبر مبتدا محذوف اي وهم يزيدون النحاس ولا يصح
هذان القولان عند البصريين وانكروا كون او بمعنى بل
وبمعنى الواو ولان بل للاضطراب عن الاول والايجاب لما
بعده وتعالى الله جل وعز عن ذلك او الخروج من شي الي شي
وليس هذا موضع ذلك والواو معناه خلاف معنى او فلو
كان احدهما بمعنى الاخر لبطلت المعاني ولو جاز ذلك لكان
وارسلناه الي اكثر من مائتي الف اخصر وقال المبرد المعنى وارسلناه
الي جماعة لو رايتموهم لقلتم هم مائة الف او اكثر وانما خوطب
العباد علي ما يعرفون وقيل هو كما تقول جاني زيد او عمرو
وانت تعرف من جاك منهما الا انك ابهمت علي المخاطب وقال
الاخفش والزجاج اي او يزيدون في تقديركم قال ابن عباس
زادوا علي مائة الف عشرين الفا ورواه ابي بن كعب مرفوعا
وعن ابن عباس ايضا ثلاثين الفا الحسن والربيع بضعا وثلاثين
الفا وقال مقاتل بن حيان سبعين الفا فامنوا فمتعناهم الي
حين اي الي منتهى اجالهم قوله تعالى فاستفتهم الربك البنات
ولهم البنون لما ذكر اخبار الماضين تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم احتج علي كفار قريش في قولهم ان الملايكة بنات الله فقال
فاستفتهم

بلغ

فاستفتهم وهو معطوف على مثله في اول السورة وان تباعدت
بينهم المسافه اي فاسل يا محمد اهل مكه الربك البنات وذلك
ان جهينة وخزاعه وبني مليح وبني سلمة وعبد الدار زعموا
ان الملايكه بنات الله وهذا سوال توبيخ ام خلقنا الملايكة اناثا
وهم شاهدون اي حاضرون لخلقنا اياهم اناثا وهذا كما قال جل
وعز وجعلوا الملايكة الذين هم عند الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم
ثم قال الا انهم من افكهم وهو اسوا الكذب ليقولون ولد الله
وانهم لكاذبون في قولهم ان لله ولدا وهو الذي لا يلد ولا يولد
وان بعد الا مكسوره لانها مبتدا وحكى سيبويه انها تكون
بعدا اما مفتوحه ومكسورة فالفتح على ان تكون اما بمعنى حقا
والكسر على ان تكون اما بمعنى الا النحاس وسمعت علي بن سليمان
يقول تجوز فتحها بعد الا تشبيها باما فاما في الاية فلا تجوز
الا كسرها لان بعدها الرفع وتمام الكلام لكاذبون ثم تبتدي
اصطفى على معنى التقريع والتوبيخ كانه قال ويحكم اصطفى البنات
اي اختار البنات وترك البنين وقراة العامه اصطفى بقطع الالف
لانها الف الاستفهام مفتوحه مقطوعه على حالها مثل اطلع
الغيب على ما تقدم وقرا ابو جعفر وشيبة ونافع وحمزه
اصطفى بوصل الالف على الخبر بغير استفهام واذا ابتدا كسر
الهمزه وزعم ابو حاتم انه لا وجه لها لان بعدها ما لكم كيف تحكمون

فالكلام جار على التوبيخ من جهتين احداهما ان يكون تبيينا وتفسيرا
لما قالوه من الكذب ويكون ما لكم كيف تحكمون منقطعا مما قبله
والجهة الثانية انه قد حكى النحويون منهم الفراء ان التوبيخ يكون
باستفهام وبغير استفهام كما قال جل وعز اذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا وقيل هو على اضمار القول اي ويقولون اصطفى
البنات ويكون بدلا من قوله ولد الله لان ولادة البنات واتخاذهن
اصطفا لهن فابدل مثال الماضي من مثال الماضي فلا يوقف على هذا
على لكاذبون افلا تذكرون في انه لا يجوز ان يكون له ولد ام لكم سلطان
مبين حجة وبرهان فاتوا بكتابكم اي بحجتكم ان كنتم صادقين في قولكم
قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا اكثر اهل التفسير
ان الجنة ههنا الملائكة روى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال قالوا
يعني كفار قريش الملائكة بنات الله جل وتعالى فقال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه فمن امهاتهن قالوا مخدورات الجن وقال اهل الاشتقاق
قيل لهم جنة لانهم لا يرون وقال مجاهد انهم بطن من بطون الملائكة
يقال لهم الجنة وروى عن ابن عباس وروى اسرائيل عن السدي عن
ابي مالك قال انما قيل لهم جنة لانهم خزان على الجنان والملائكة
كلهم جنة نسبا مصاهرة قال قتادة والكلبي ومقاتل قالت
اليهود لعنهم الله ان الله صاهر الجن وكانت الملائكة من بينهم
وقال مجاهد والسدي ومقاتل ايضا القايل ذلك كنانة وخزاعة
قالوا

قالوا ان الله خطب الى سادات الجن فزوجوه من سروات بناتهم
فالملائكة بنات الله من سروات بنات الجن وقال الحسن اشركوا
الشيطان في عبادة الله فهو النسب الذي جعلوه قلت قول
الحسن في هذا احسن دليله قوله تعالى اذ نسويكم برب العالمين
اي في العبادة وقال ابن عباس والضحاك والحسن ايضا هو
قولهم ان الله تعالى وابليس اخوان تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا
قوله تعالى ولقد علمت الجنة اي الملائكة انهم يعني قائل
هذا القول لمحضرون في النار قاله قتاده وقال مجاهد
للحساب الثعلبي الاول اولى لان الاحضار تكرر في هذه
السورة ولم يرد الله به غير العذاب سبحان الله عما يصفون
اي تنزيها لله عما يصفون الا عباد الله المخلصين فانهم ناجون
من النار **قوله تعالى** فانكم وما تعبدون ما انتم عليه
بفاتنين الا من هو صالي الجحيم فيه ثلث مسايل الاولى
قوله تعالى فانكم وما تعبدون ما بمعنى الذي وقيل بمعنى
الذي [illegible] بمعنى المصدر اي فانكم وعبادتكم لهذه الاصنام
وقيل اي فانكم مع ما تعبدون من دون الله يقال جا فلان
وفلان وجا فلان مع فلان ما انتم عليه اي على الله بفاتنين
بمضلين النحاس اهل التفسير مجمعون فيما علمت ان المعنى
ما انتم بمضلين احدا الا من قدر الله جل وعز عليه ان يضل

وقال الشاعر فرد بنعمته كيده عليه وكان لنا فاتنا اي
مضلا الثانيه في هذه الايه رد على القدريه قال عمرو بن
ذر لو اراد الله ان لا يعصى ما خلق ابليس وهو راس الخطيه
وان في ذلك لعلما في كتاب الله جل وعز عرفه من عرفه وجهله
من جهله ثم قرا انكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا
من كتب الله جل وعز عليه انه يصلى الجحيم وقال فصلت هذه
الايه بين الناس وفيها من المعاني ان الشياطين لا يصلون الى
اضلال احد الا من كتب الله عليه انه لا يهتدي ولو علم الله
جل وعز انه يهتدي لحال بينه وبينهم وعلى هذا قوله تعالى
واجلب عليهم بخيلك ورجلك اي لست تصل منهم الى شي الا
الى ما في علمي وقال لبيد بن ربيعه في تثبيت القدر فاحسن
ان تقوى ربنا خير نفل وباذن الله ريثي وعجل احمد الله فلا ند
له بيديه الخير ما شا فعل من هداه سبل الخير اهتدى ناعم
البال ومن شا اضل قال الفرا اهل الحجاز يقولون فتنته واهل
نجد يقولون افتنته الثالثه روي عن الحسن انه قرا الا من
هو صال الجحيم بضم اللام النحاس اهل التفسير يقولون انه لحن
لانه لا يجوز هذا قاض المدينه ومن احسن ما قيل فيه
ما سمعت علي بن سليمان يقوله قال هو محمول على المعنى
لان معنى من جماعه فالتقدير صالون فحذفت النون
للاضافه

جماعه

للاضافة وحذفت الواو لالتقا الساكنين وقيل اصله
فاعل الا انه قلب من صال الى صايل وحذفت اليا وبقيت
اللام مضمومة فهو مثل شفا جرف هار ووجه ثالث اي ان
تحذف لام صال تخفيفا وتجري الاعراب على عينه كما حذف
من قولهم ما باليت به بالة واصلها بالية من بالى كعافية
من عافى ونظيره قراه من قرا وجنى الجنتين دان وله الجوار
المنشات اجرى الاعراب على العين والاصل في قراه الجماعة
صالي باليا فحذفها الكاتب من الخط لسقوطها في اللفظ
قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم هذا اخر قول
الملائكة تعظيما لله جل وعز وانكارا منهم عبادة من
عبدهم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون قال
مقاتل هذه الثلاث الايات نزلت ورسول الله صلى
الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى فتاخر جبريل فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اهنا تفارقني فقال ما استطيع
ان اتقدم عن مكاني وانزل الله تعالى حكاية عن قول الملائكة
وما منا الا له مقام معلوم الايات والتقدير عند
الكوفيين وما منا الا من له مقام معلوم فحذف
الموصول وتقديره عند البصريين وما منا ملك
الا له مقام معلوم اي مكان معلوم في العبادة قاله

مطلب في الموعظة

ابن مسعود وابن جبير وقال ابن عباس ما في السموات موضع
شبر الا وعليه ملك يصلي ويسبح وقالت عايشة قال النبي
صلى الله عليه وسلم ما في السماء موضع قدم الا عليه ملك ساجد
او قايم وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السما
وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك
واضع جبهته لله ساجدا والله لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنسا على
الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله
لوددت اني كنت شجرة تعضد اخرجه ابو عيسى
الترمذي وقال فيه حديث حسن غريب ويروى
من غير هذا الوجه ان ابا ذر قال لوددت اني كنت
كنت شجرة تعضد ويروى عن ابي ذر موقوفا وقال
قتاده كان يصلي الرجال والنسا جميعا حتى نزلت هذه
الايه وما منا الا له مقام معلوم قال فتقدم الرجال
وتاخر النسا وانا لنحن الصافون قال الكلبي صفوفهم
كصفوف اهل الدنيا في الارض وفي صحيح مسلم عن جابر
بن سمرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن في المسجد فقال الا تصفون كما تصف الملايكه
عند ربها

عند ربها فقلنا يا رسول الله كيف تصف الملايكه عند ربها قال
يتمون الصفوف الاول ويتراصون في الصف وكان عمر
يقول اذا قام الى الصلاة اقيموا صفوفكم فاستووا انما يريد الله
بكم هدي الملايكه ويقرا وانا لنحن الصافون تاخر يا فلان تقدم
يا فلان ثم يتقدم فيكبر وقد مضى في سورة الحجر بيانه وقال
ابو مالك كان الناس يصلون متبددين فانزل الله تعالى وانا
لنحن الصافون فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يصطفوا وقال
الشعبي جا جبريل او ملك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تقوم
ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه ان الملايكه لتصلي وتسبح ما في
السماء ملك فارغ وقيل اي لنحن الصافون اجنحتنا في الهوى
وقوفا ننتظر ما نومر به وقيل نحن الصافون حول العرش
وانا لنحن المسبحون اي المصلون قاله قتادة وقيل اي المنزهون
الله عما اضافه اليه المشركون والمراد انهم يخبرون انهم يعبدون
الله بالتسبيح والصلاة وليسوا معبودين ولا بنات الله وقيل
وما منا الا له مقام معلوم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم
والمومنين للمشركين اي لكل واحد منا ومنكم في الاخرة
مقام معلوم وهو مقام الحساب وقيل اي منا من له مقام
الرجا ومنا من له مقام الاخلاص ومنا من له مقام الشكر الى
غيرها من المقامات قلت والاظهر ان ذلك راجع الى وما منا

الامقام معلوم والله اعلم قوله تعالى وان كانوا ليقولون عاد
الى الاخبار عن المشركين اي كانوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم
اذا عيروا بالجهل قالوا لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي لو بعث الينا
نبي ببيان الشرايع لاتبعناه ولما خففت إنْ دخلت على الفعل
ولزمتها اللام فرقا بين النفي والايجاب الكوفيون يقولون ان
بمعنى ما واللام بمعنى الا وقيل معنى لو ان عندنا ذكرا اي كتابا
من كتب الانبيا لكنا عباد الله المخلصين اي لو جانا ذكر كما جا
الاولين لاخلصنا العبادة فكفروا به اي بالذكر والفرا يقدره
على حذف اي فجاهم محمد صلى الله عليه وسلم بالذكر فكفروا به
وهذا تعجب منهم اي فقد جاهم نبي وانزل عليهم كتاب فيه بيان
ما يحتاجون اليه فكفروا وما وفوا بما قالوا فسوف يعلمون قال
الزجاج يعلمون مغبة كفرهم قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين قال الفرا اي بالسعاده وقيل اراد بالكلمة قوله
جل وعز كتب الله لاغلبن انا ورسلي قال الحسن لم يقتل من اصحاب
الشرايع قط احد انهم لهم المنصورون اي سبق الوعد بنصرهم
بالحجة والغلبة وان جندنا لهم الغالبون على المعنى ولو كان على
اللفظ لكان هو الغالب مثل جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب
وقال الشيباني جا هاهنا على الجمع من اجل انه راس اية
قوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم حتى حين قال قتادة
الى

فرقا بين

الى الموت وقال الزجاج الى الوقت الذي امهلوا اليه وقال ابن
عباس يعني القتل ببدر وقيل يعني فتح مكة وقيل الاية منسوخة
باية السيف وابصرهم فسوف يبصرون قال قتادة سوف
سوف يبصرون حين لا ينفعهم الابصار وعسى من الله للوجوب
وعبر بالابصار عن تقريب الامر اي عن قريب يبصرون وقيل
المعنى فسوف يبصرون العذاب يوم القيامة افبعذابنا يستعجلون
كانوا يقولون من فرط تكذيبهم متى هذا العذاب اي لا تستعجلوه
فانه واقع بكم قوله تعالى فاذا نزل بساحتهم اي العذاب قال
الزجاج وكان عذاب هولاء بالقتل ومعنى بساحتهم اي بدارهم
عن السدي وغيره والساحة والسحسحة في اللغة فناء الدار
الواسع الفرا نزل بساحتهم ونزل بهم سواء فساء صباح
المنذرين اي بئس صباح الذين انذروا بالعذاب وفيه اضمار
اي فساء الصباح صباحهم وخص الصباح بالذكر لان العذاب
كان ياتيهم فيه ومنه الحديث الذي رواه انس رضي الله عنه
قال لما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين
الى مزارعهم ومعهم المساحي فقالوا محمد والخميس ورجعوا
الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا
نزلنا بقوم فساء صباح المنذرين وهو يبين معنى فاذا نزل
بساحتهم يريد النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى سبحان

ربك رب العزة عما يصفون فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى
سبحان ربك نزه نفسه عما اضاف اليه المشركون رب العزة على
البدل ويجوز النصب على المدح والرفع بمعنى هو رب العزة عما
يصفون اي من الصاحبة والولد وسيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن معنى سبحان الله فقال هو تنزيه الله عن كل سوء وقد
مضى في البقرة مستوفا الثانية سيل محمد بن سحنون عن
معنى رب العزة لم جاز ذلك والعزة من صفات الذات ولا يقال
رب القدرة ونحوها من صفات ذاته جل وعز فقال العزة تكون
صفة ذات وصفة فعل فصفة الذات نحو قوله فلله العزة
جميعا وصفة الفعل نحو قوله رب العزة والمعنى رب العزة
التي يتعازّ بها الخلق فيما بينهم فهي من خلق الله عز وجل قال وقد
جا في التفسير ان العزة هاهنا يراد بها الملايكة قال وقال بعض علماينا
من حلف بعزة الله فان اراد عزته التي هي صفته فحنث فعليه الكفارة
وان اراد التي جعلها الله بين عباده فلا كفارة عليه الماوردي
رب العزة يحتمل وجهين احدهما مالك العزة الثاني رب كل شيء
متعزز من ملك او متجبر قلت وعلى الوجهين فلا كفارة اذا
نواها الحالف الثالثة روي من حديث ابي سعيد الخدري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول قبل ان يسلم سبحان
ربك رب العزة عما يصفون الى اخر السورة ذكره الثعلبي قلت

قراته

قرات علي الشيخ الامام المحدث الحافظ ابي علي الحسن بن محمد
بن محمد بن محمد بن عمروك البكري بالجزيرة قبالة المنصورة
من الديار المصرية قال اخبرتنا الحرة ام المويد زينب بنت
عبد الرحمان بن الحسن الشعري بنيسابور في المرة الاولى قال
انا ابو محمد اسماعيل بن ابي بكر القاري قال نا ابو الحسن عبد
الغافر بن محمد الفارسي قال نا ابو سهل بشر بن احمد الاسفرايني
قال نا ابو سليمان داود بن الحسين البيهقي قال نا ابو زكريا
يحيي بن يحيى بن عبد الرحمن التميمي النيسابوري قال نا هشيم
عن ابي هارون العبدي عن ابي سعيد الخدري قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول
في اخر صلاته او حين ينصرف سبحان ربك رب العزة
عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين
قال الماوردي روى الشعبي قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم
القيامة فليقل اخر مجلسه حين يريد ان يقوم سبحان
ربك رب العزة عما يصفون وسلام علي المرسلين والحمد لله
رب العالمين ذكره الثعلبي من حديث علي رضي الله عنه مرفوعا
الرابعة قوله تعالى وسلام على المرسلين اي الذين بلغوا عن
الله تعالى التوحيد والرسالة وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم

اذا سلمتم علي فسلموا علي المرسلين فانما انا رسول من المرسلين
وقيل معني وسلام علي المرسلين اي امن لهم من الله جل وعز
لهم يوم الفزع الاكبر والحمد لله رب العالمين قلت
والكل مراد اي علي ارسال الانبيا مبشرين ومنذرين
وقيل اي علي جميع ما انعم الله به علي الخلق اجمعين وقيل
اي علي هلاك المشركين دليله فقطع دابر القوم الذين
ظلموا والحمد لله رب العالمين قلت والكل مراد والحمد
يعم ومعني يصفون يكذبون والتقدير عما يصفون
من الكذب والله اعلم سورة ص مكية ع
قول الجميع وهي ست وثمانون اية وقيل ثمان
وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالي ص
قراة العامة ص بجزم الدال علي الوقف لانه حرف من
حروف الهجا مثل الم والمر وقرا ابي بن كعب والحسن
وابن ابي اسحق ونصر بن عاصم صادِ بكسر الدال بغير تنوين
ولقراته مذهبان احدهما انه من صادي يصادي اذا عارض
ومنه فانت له تصدي اي تعرض والمصاداة المعارضة
ومنه الصدي وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الخالية
فالمعني صادِ القران بعملك اي عارضه بعملك وقابله به
فاعمل باوامره وانته عن نواهيه النحاس هذا المذهب يروي
عن

بلغ

فسر سان
فسر سان
فسر

عن الحسن انه فسّره به قرآته رواية صحيحة وعنه ان المعنى أتله وتعرّض لقرآنه والمذهب الاخر ان تكون الدال مكسورة لالتقاء الساكنين وقرا عيسى بن عمر صادَ بفتح الدال ومثله قَ ونَ بفتح آخرها وله في ذلك ثلثة مذاهب احدهن ان يكون بمعنى أتل صادَ والثاني ان يكون فتح لالتقاء الساكنين واختار الفتح لِلاتباع ولانه اخف الحركات والثالث ان يكون منصوبًا على القسم بغير حرف كقولك الله لافعلنّ وقيل نصب على الاغراء وقيل معناه صاد محمد قلوب الخلق واستمالها حتى آمنوا به وقرا ابن ابي اسحاق ايضا صادٍ بكسر الدال والتنوين على ان يكون مخفوظا على حذف حرف القسم وهذا بعيد وان كان سيبويه قد اجاز مثله ويجوز ان يكون مشبهًا بما لا يتمكن من الاصوات وغيرها وقرأها رون الاعور ومحمد بن السميقع صُ وقُ ونُ بضم آخرهن لانه المعروف بالبنا في غالب الحال نحو منذُ وقطُ وقبلُ وبعدُ وصادُ اذا جعلته اسمًا للصورة لم ينصرف كما انك اذا سمّيت مؤنثا بمذكر لم ينصرف وان قلتَ حروفه وقال ابن عباس وجابر بن عبد الله وقد سُئلا عن ص فقالا لا ندري ما هي وقال عكرمة سأل نافع بن الازرق ~~عص~~ ابن عباس عن ص قال ص كان

على نزع الخافض

مطلب في المعقله

الحرام بمكة وكان عليه عرش الرحمن اذ لا ليل ولا نهار
وقال سعيد بن جبير ص بحر يحيي الله به الموتى بين النفختين
وقال الضحاك معناه صدق الله وعنه ان ص قسم اقسم الله
به وهو من اسمائه تعالى وقاله السدي وروي عن ابن
عباس وقال محمد بن كعب هو مفتاح اسم الله تعالى صمد
وصانع المصنوعات وصادق الوعد وقال قتادة
هو اسم من اسماء الرحمن وعنه انه اسم من اسما القران
وقال مجاهد هو فاتحة السور وقيل هو مما استاثر الله
تعالى بعلمه وهو معنى القول الاول وقد تقدم جميع هذا
في البقره **قوله تعالى** والقران خفض بواو القسم والواو
بدل من الباء اقسم بالقران تنبيها على جلالة قدره فان فيه
بيان كل شي وشفا لما في الصدور ومعجزة للنبي صلى الله
عليه وسلم ذي الذكر خفض على النعت وعلامة خفضه
اليا وهو اسم معتل والاصل فيه ذوي على فعل قال ابن
عباس ومقاتل معنى ذي الذكر ذي البيان الضحاك ذي الشرف
اي من امن به كان شرفا له في الدارين كما قال تعالى لقد انزلنا
اليكم كتابا فيه ذكركم اي شرفكم وايضا القران تشريف في نفسه
لاعجازه واشتماله على ما لا يشتمل عليه غيره وقيل ذي الذكر
اي فيه ذكر ما يحتاج اليه من امر الدين وقيل ذي الذكر

وهو قول ابن عباس وجابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما

اي

اي فيه ذكر اسما الله وتمجيده وقيل اي ذي الموعظه
والذكر وجواب القسم محذوف واختلف فيه على اوجه
فقيل جواب القسم ص لان معناه حق فهي جواب لقوله
والقران كما تقول حقا والله نزل والله وجب والله
فيكون الوقف من هذا الوجه على قوله والقران ذي الذكر
حسنا وعلى في عزة وشقاق تماما قاله ابن الانباري وحكى
معناه الثعلبي عن الفراء وقيل الجواب بل الذين كفروا في عزة
وشقاق عن قبول الحق وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم اي
والقران ذي الذكر ما الامر كما يقولون من انك ساحر كذاب
لانهم يعرفونك بالصدق والامانه بل هم في تكبر عن قبول الحق
وهو كقوله ق والقران المجيد بل عجبوا وقيل الجواب كم اهلكنا
كانه قال والقران لكم اهلكنا فلما تاخرت كم حذفت اللام
منها كقوله تعالى والشمس وضحاها ثم قال قد افلح اي لقد
افلح قال المهدوي وهذا مذهب الفرا ابن الانباري
فمن هذا الوجه لا يتم الوقف على قوله في عزة وشقاق
وقال الاخفش جواب القسم ان كل الا كذب الرسل فحق
عقاب ونحو منه قوله تعالى تالله ان كنا لفي ضلال مبين
وقوله والسماء والطارق ان كل نفس ابن الانباري وهذا
قبيح لان الكلام قد طال فيما بينهما وكثرت الايات والقصص

لا يبعض ... سبعا من المثاني والقران العظيم ه
فالقه ... كانه ... والقران ذي
الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق

وقال الكسائي جواب القسم قوله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار
ابن الانباري وهذا اقبح من الاول لان الكلام اشد طولا
فيما بين القسم وجوابه وقيل الجواب قوله ان هذا لرزقنا
ما له من نفاد وقال قتادة الجواب محذوف تقديره والقران
ذي الذكر لتبعثن ونحوه قوله تعالى بل الذين كفروا في
عزة وشقاق اي في تكبر وامتناع من قبول الحق كما قال
جل وعز واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم والعزة
عند العرب الغلبة والقهر يقال من عز بز يعني من غلب
سلب ومنه وعزني في الخطاب اراد غلبني وقال جرير
يعز على الطريق بمنكبيه كما ابترك الخليع على القداح
اراد يغلب وشقاق اي في اظهار خلاف ومباينة
وهو من الشق وكان هذا في شق وذلك في شق وقد مضى
في البقرة مستوفى قوله تعالى كم اهلكنا من قبلهم من
قرن اي من قوم كانوا امنع من هولاء وكم لفظة التكثير
فنادوا اي بالاستغاثة والتوبة والندا رفع الصوت
ومنه الخبر القه على بلال فانه اندى منك صوتا اي ارفع
ولات حين مناص قال الحسن نادوا بالتوبة وليس حين
التوبة ولا حين ينفع العمل النحاس وهذا تفسير منه
لقوله جل وعز ولات حين مناص فاما اسرايل فروى

عن

عن ابي اسحاق عن التميمي عن ابن عباس ولات حين مناص
قال ليس بحين نزو ولا فرار قال ضبط القوم جميعا قال
الكلبي كانوا اذا قاتلوا فاضطروا قال بعضهم لبعض مناص
اي عليكم بالفرار والهزيمة فلما اتاهم العذاب قالوا مناص
فقال الله جل وعز ولات حين مناص قال القشيري وعلى
هذا فالتقدير فنادوا فنادوا مناص فحذف لدلالة بقية
الكلام عليه اي ليس الوقت وقت ما تنادون به وفي هذا
نوع تحكم اذ يبعد ان يقال كل من هلك من القرون كانوا يقولون
مناص عند الاضطرار وقيل معنى ولات حين مناص
اي لا خلاص وهو نصب بوقوع لا عليه قال القشيري
وفيه نظر لانه لا معنى على هذا للواو في ولات حين مناص
وقال الجرجاني اي فنادوا حين لا مناص اي ساعة لا
منجا ولا فوت فلما قدم لا واخر حين اقتضى ذلك الواو كما
يقتضي الحال اذا جعل ابتدا وخبرا مثل قولك جا زيد راكبا
فاذا جعلته مبتدا وخبرا اقتضى الواو مثل جاني زيد وهو
راكب فحين ظرف لقوله فنادوا والمناص بمعنى التاخر
والفرار والخلاص اي نادوا بطلب الخلاص في وقت لا يكون
يكون لهم فيه خلاص قال الفرا النوص التاخر وانشد لامرئ القيس
امن ذكر ليلى اذ نانك تنوص يقال ناص عن قرنه ينوص

نوصا ومناصا اي فرّ وراغ النحاس ويقال ناص ينوص
اذا تقدم قلت فعلى هذا يكون من الاضداد والنوص الحمار
الوحشي واستناص اي تاخر قاله الجوهري وتكلم النحويون
في ولات حين وفي الوقف عليه وكثّر فيه ابو عبيد القاسم
بن سلام في كتاب القرآن وكل ما جاء به الا يسيرا مردود
فقال سيبويه لات مشبهة بليس والاسم فيها مضمر
اي ليست احياننا حين مناص وحكى ان من العرب من يرفع
بها فيقول ولات حين مناص وحكى ان الرفع قليل ويكون
الخبر محذوفا كما كان الاسم محذوفا في النصب ولات
حين مناص لنا والوقوف عليها عند سيبويه والفرا ولات
بالتاء ثم يبتدي حين مناص وهو قول ابن كيسان والزجاج
قال ابو الحسن بن كيسان والقول كما قال سيبويه لانه
شبهها بليس فكما يقال ليست يقال لات والوقوف
عليها عند الكسائي بالها ولاه وهو قول المبرد محمد بن يزيد
وحكى عنه علي بن سليمان ان الحجة في ذلك انها دخلت عليها
الها لتانيث الكلمة كما يقال ثمة وربة وقال القشيري وقد
يقال ثمت بمعنى ثم وربت بمعنى رب فكانهم زادوا في
لا ها فقالوا لاه كما قالوا في ثم ثمة ثم عند الوصل صارت
تا وقال الثعلبي وقال اهل اللغة ولات حين مفتوحتان كانها

كلمة

كلمةٌ واحده وانما هي لا زيدت فيها التا نحو ربَ وربت
وثم وثمت قال ابو زبيد الطاعي طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا
أن ليس حين بقاءُ ✓ وقال اخر تذكر حب ليلى لات حينا وامسى
الشيب قد قطع القرينا ✓ ومن العرب من يخفض بها وانشد
فلتعرفن خلايقا مشمولةً ولتندمن ولات ساعة مندم
وكان الكسايي والفرا والخليل وسيبويه والاخفش يذهبون
الى ان ولات حين التا منقطعه من حين ويقولون معناها
وليست وكذلك هو في المصاحف الجدد والعتق بقطع التاء
من حين والى هذا كان يذهب ابو عبيده معمر بن المثنى وقال
ابو عبيد القاسم بن سلام الوقف عندي على هذا الحرف
ولا والابتدا تحين مناص فتكون التا مع حين وقال بعضهم
لات ثم يبتدي فيقول حين مناص قال المهدوي وذكر
ابو عبيد ان التا في المصحف متصله بحين وهو غلط عند
النحويين وهو خلاف قول المفسرين ومن حجة ابي عبيد
ان قال انا لم نجد العرب تزيد هذه التا الا في حين واوان والان
وانشد لابي وجزة السعدي العاطفون تحين ما من عاطف
والمطعمون زمان اين المطعم ✓ وانشد لابي زبيد الطاي
طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان ليس حين بقاءُ ✓ فادخل
التا في اوان قال ابو عبيد ومن ادخالهم التا في الان حدثنا حديد

ابن عمر وساله رجل عن عثمان بن عفان رضي الله عنه فذكر
مناقبه ثم قال اذهب به تلان معك ولذ لك قول الشاعر
تولي قبل يوم برحبانا وصلينا كما زعمت تلانا،، قال ابو عبيد
ثم مع هذا كله اني تعمدت النظر في الذي يقال له الامام
مصحف عثمان فوجدت التا متصله مع حين قد كتبت تحين
قال ابو جعفر النحاس اما البيت الاول الذي انشده لابي وجزة
فرواه العلما باللغة علي اربعة اوجه كلها علي خلاف ما انشده
وفي احدها تقديران ورواه ابو العباس محمد بن يزيد العاطفون
ولات ما من عاطف والروايه الثانيه العاطفون ولات حين
تعاطف والروايه الثالثه رواها ابن كيسان العاطفونه
حين ما من عاطف ~~والرواية~~ جعلها ها في الوقف وتا
في الادراج وزعم انها لبيان الحركة شبهت بهاء التانيث
والروايه الرابعه العاطفونه حين ما من عاطف وفي هذه
الروايه تقديران [illegible] ها وهو مذهب اسماعيل بن اسحاق
ان الها في موضع نصب كما تقول الضاربون زيدا فجا اسماعيل
بالبيت على مذهب سيبويه في اجازته مثله والتقدير الاخر
العاطفونه على ان الها لبيان الحركة كما تقول مر بنا المسلمونه
في الوقف ثم اجريت في الوصل مجراها في الوقف كما قرا اهل
المدينه ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه واما البيت الثاني
فلا

بيان احدها

فلا حجة له فيه لانه يوقف ولات اوان غير ان فيه شيئا مشكلا
لانه يروى ولات اوان بالخفض وانما يقع ما بعد لات مرفوعا
او منصوبا وان كان قد روي عن اسماعيل بن عمر انه قرا ولات
حين مناص فبنا لات على الكسر ونصب حين فاما ولات اوان
ففيه تقديران قال الاخفش فيه مضمر اي ولات حين اوان
قال النحاس وهذا القول بين الخطا والتقدير الاخر عن ابي اسحاق
قال تقديره ولات اواننا فحذف المضاف اليه فوجب ان لا
يعرب وكسره لالتقاء الساكنين وانشده محمد بن يزيد ولات
اوان بالرفع واما البيت الثالث فبيت مولد لا يعرف قايله
ولا تصح حجة على ان محمد بن يزيد رواه كما زعمت الان
فاسقط الهمزة من انت والنون واما احتجاجه بحديث
ابن عمر لما ذكر الرجل مناقب عثمان فقال له اذهب بها
تلان الى اصحابك فلا حجة فيه لان معنى الامام انه امام
المصاحف فان كان مخالفا لها فليس بامام لها وفي المصاحف
فان كان مخالفا لها فليس بامام لها وفي المصاحف كلها ولات
فلو لم يكن في هذا الاحتجاج لكان مقنعا وجمع مناص مناوص
الا هذا
قوله تعالى وعجبوا ان جاءهم منذر منهم ان في موضع نصب
والمعنى من ان جاءهم قيل هو متصل بقوله في عزة وشقاق
اي في عزة وشقاق وعجبوا وقوله كم اهلكنا معترض وقيل

لا بل هذا ابتدا كلام اي ومن جهلهم انهم اظهروا التعجب من
ان جاهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر اي يجي بالكلام
المموه الذي يخدع به الناس وقيل يفرق بسحره بين الوالد
وولده والرجل وزوجته كذاب اي في دعوى النبوه فقوله
تعالى اجعل الالهة الها واحدا مفعولان اي صير الالهة
الها واحدا ان هذا الشي عجاب اي عجيب وقرا السلمي عجّاب
بالتشديد والعجاب والعجّاب والعجب سوا بمعنى وقد
فرق الخليل بين عجيب وعجاب فقال العجيب العجب
والعجاب الذي قد تجاوز حد العجب قال والطويل الذي فيه
طول والطوال الذي قد تجاوز حد الطول وقال الجوهري
العجيب الامر الذي يتعجب منه وكذلك العجاب بالضم والعجّاب
بالتشديد اكثر منه وكذلك الاعجوبه وقال مقاتل عجاب
لغة ازد شنوءه وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
مرض ابو طالب فجات قريش اليه وجا النبي صلى الله عليه وسلم
وعند راس ابي طالب مجلس رجل فقام ابو جهل كي يمنعه
قال وشكوه الى ابي طالب فقال يا ابن اخي ما تريد من قومك
فقال يا عم انما اريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب وتودي لهم
اليهم بها الجزيه العجم فقال كلمة واحده فقال ما هي قال لا اله
الا الله قال فقالوا اجعل الالهة الها واحدا قال فنزل فيهم القران

ص والقران

ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة حتى بلغ
ان هذا الا اختلاق فخرجه الترمذي ايضا بمعناه وقال
هذا حديث حسن صحيح وقيل لما اسلم عمر بن الخطاب رضي
الله عنه شق على قريش اسلامه فاجتمعوا الى ابي طالب
وقالوا اقض بيننا وبين ابن اخيك فارسل ابو طالب الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي هاولاء قومك
يسالونك السواء ولا تمل كل الميل على قومك فقال
وماذا يسئلوني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك
والهك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتعطوني كلمة واحده
تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل
لله ابوك لنعطينكها وعشر امثالها فقال النبي صلى الله عليه
وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقاموا فقالوا
اجعل الالهة الها واحدا فكيف يسع الخلق كلهم اله واحد
فانزل الله فيهم هذه الايات الى قوله كذبت قبلهم قوم نوح
قوله تعالى وانطلق الملا منهم ان امشوا الملا الاشراف
والانطلاق الذهاب بسرعة اي انطلق هاولاء الكافرون
من عند الرسول عليه السلام يقول بعضهم لبعض ان
امشوا اي امضوا على ما كنتم عليه ولا تدخلوا في دينه
واصبروا على الهتكم وقيل هو اشارة الى مشيهم الى

ابي طالب في مرضه كما سبق وفي روايه محمد بن اسحاق
انهم ابو جهل بن هشام وشيبه وعتبه ابنا ربيعه بن
عبد شمس وامية بن خلف والعاص بن وايل وابي بن
ابي معيط جاوا الى ابي طالب فقالوا انت سيدنا وانصفنا
في انفسنا فاكفنا امر ابن اخيك وسفهاً معه فقد تركوا
الهتنا وطعنوا في دينا فارسل ابو طالب الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال له ان قومك يدعونك الى
السواء والنصفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما ادعوهم
الى كلمة واحدة فقال ابو جهل وعشراً قال تقولون
لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل الالهة الها واحدا
ان هذا الا يات ان امشوا ان في موضع نصب والمعنى
بان امشوا وقيل ان بمعنى اي وانطلق الملا منهم اي
امشوا وهذا تفسير انطلاقهم لا انهم تكلموا بهذا
اللفظ وقيل المعنى وانطلق الاشراف منهم فقالوا للعوام
امشوا واصبروا على الهتكم اي على عبادة الهتكم ان هذا
اي هذا الذي جا به محمد عليه السلام لشي يراد اي يراد
بأهل الارض من زوال النعم وعين تنزل بهم وقيل ان هذا
لشي يراد كلمة تحذير اي انما يريد محمد بما يقولون
الانقياد له ليعلوا علينا ونكون له اتباعا فيتحكم فينا
بما يريد

بما يريد فاحذروا ان تطيعوه وقال مقاتل ان عمر لما
اسلم وقوي به الاسلام شق ذلك على قريش فقالوا
ان اسلام عمر في قوة الاسلام لشي يراد قوله تعالى
ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة قال ابن عباس والقرظي
وقتادة ومقاتل والكلبي والسدي يعنون ملة
عيسى النصرانية وهي اخر الملل والنصارى يجعلون
مع الله الها وقال مجاهد وقتادة ايضا يعنون
ملة قريش وقال الحسن ما سمعنا ان هذا يكون في اخر
الزمان وقيل اي ما سمعنا من اهل الكتاب ان
محمدا رسول حق ان هذا الا اختلاق اي كذب وتخرص
عن ابن عباس وغيره يقال خلق واختلق اي ابتدع وخلق
الله عز وجل الخلق من هذا اي ابتدعهم على غير مثال
قوله تعالى أانزل عليه الذكر من بيننا هو استفهام
انكار والذكر هاهنا القران انكروا اختصاصه
بالوحي من بينهم فقال الله تعالى بل هم في شك من ذكري
اي من وحيي وهو القران اي علموا انك لم تزل صدوقا
فيما بينهم وانما شكوا في ما انزلته عليك هل هو من عندي
ام لا بل لما يذوقوا عذابي اي لما اغتروا بطول الامهال
ولو ذاقوا عذابي على الشرك لزال عنهم الشرك ولما

قالوا ذلك وكان لا ينفع الايمان حينيذ ولما بمعنى لم وما
زايدة لقوله عما قليل وبما نقضهم ميثاقهم قوله تعالى
ام عندهم خزاين رحمة ربك العزيز الوهاب قيل ام لهم
هذا فيمنعوا محمدا عليه السلام مما انعم الله عز وجل به
عليه من النبوه وام قد ترد بمعنى التقريع اذا كان الكلام
متصلا بكلام قبله كقوله تعالى الم تنزيل الكتاب لا
ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه وقد قيل
ان قوله ام عندهم خزاين رحمت ربك متصل بقوله
وعجبوا ان جاهم منذر منهم فالمعنى ان الله عز وجل
يرسل من يشا لان خزاين السموات والارض له ام
لهم ملك السموات والارض وما بينهما اى فان ادعوا ذلك
فليرتقوا في الاسباب اى فليصعدوا الى السموات
وليمنعوا الملايكة من انزال الوحي على محمد يقال رقى
يرقى وارتقى اذا صعد ورقى يرقى رقيا مثل رمى يرمي
رميا من الرقيه وقال الربيع بن انس الاسباب ارق
من الشعر واشد من الحديد ولكن لا ترى والسبب
في اللغة كل ما يوصل به الى المطلوب من حبل او غيره
وقيل الاسباب ابواب السموات التي تنزل الملايكه
منها قاله مجاهد وقتادة قال زهير ولو رام اسباب
السماء بسلم

بلغ

السماء بسلم :. وقيل الاسباب السموات نفسها اي فليصعدوا الحادي والعشرون
سماً سماً وقال السدي في الاسباب في الفضل والدين وقيل
اي فليعلوا في اسباب القوة ان ظنوا انها مانعة. وهو معنى
قول ابي عبيدة وقيل الاسباب الحبال يعني ان وجدوا حبلا او
سببا يصعدون فيه الى السماء فليرتقوا وهذا امر توبيخ وتعجيز
ثم وعد نبيه صلى الله عليه وسلم النصر عليهم فقال جند ما هنالك
ما صلة وتقديره هم جند فجند خبر ابتداء محذوف مهزوم
اي مقموع ذليل قد انقطعت حجتهم لانهم لا يصلون الى ان
يقولوا هذا لنا ويقال تهزمت القربة اذا انكسرت وهزمت
الجيش كسرته والكلام مرتبط بما قبل اي بل الذين كفروا في
عزة وشقاق وهم جند من الاحزاب مهزومون فلا يغمك
عزتهم وشقاقهم فاني اهزم جمعهم واسلب عزهم وهذا
تانيس للنبي صلى الله عليه وسلم وقد فعل بهم هذا يوم بدر في ع
وقال قتادة وعد الله انه سيهزمهم وهم بمكة فجاء تاويلها
يوم بدر وهنالك اشارة لبدر وهو موضع تحزبهم لقتالهم
لمحمد وقيل المراد بالاحزاب الذين اتوا المدينة وتحزبوا على
النبي صلى الله عليه وسلم وقد مضى ذلك في الاحزاب والاحزاب
الجند كما يقال جند من قبائل شتى وقيل اراد بالاحزاب
القرون الماضية من الكفار اي هؤلاء جند على طريقة

اولئك كقوله تعالى فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني
اي على ديني ومذهبي وقال الفرا المعنى هم جند مغلوب اي
ممنوع ان يصعد الى السماء وقال القتبي يعني انهم جند لهذه
الالهة مهزوم فهم لا يقدرون على ان يدعوا الشي من الهتهم
ولا لانفسهم شيئا من خزاين رحمة الله ولا من ملك السموات
والارض قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح الاية ذكرها
تعزية لنبيه عليه السلام وتسلية له اي هولاء من قومك
يا محمد جند من الاحزاب المتقدمين الذين تحزبوا على انبيايهم
وقد كانوا اقوى من هولاء فاهلكوا وذكر الله تعالى القوم بلفظ
التانيث واختلف اهل العربية في ذلك على قولين احدهما انه قد يجوز
فيه التذكير والتانيث الثاني انه مذكر اللفظ لا يجوز تانيثه
الا ان يقع المعنى على العشيرة والقبيلة فيغلب في اللفظ حكم
المعنى المضمر تنبيها عليه كقوله تعالى كلا انها تذكرة فمن شا
ذكره ولم يقل ذكرها لانه لما كان المضمر فيه مذكرا اذ كره
وان كان اللفظ مقتضيا للتانيث ووصف فرعون بانه ذو
الاوتاد وقد اختلف في تاويل ذلك فقال ابن عباس المعنى
ذو البنا المحكم وقال الضحاك كان كثير البنيان والبنيان
يسمى اوتادا وعن ابن عباس ايضا وقتادة وعطا انه كانت
له اوتاد وارسان وملاعب يلعب له عليها وعن الضحاك ايضا

ذو القوة

ذوا القوة والبطش وقال الكلبي ومقاتل كان يعذب الناس
بالاوتاد وكان اذا غضب على احد مده مستلقيا بين اربعة
اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات حتى يموت
وقيل كان يشبح المعذب بين اربع سوار كل طرف من اطرافه
الى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت
وقيل ذو الاوتاد اي ذو الجنود الكثيرة فسميت الجنود اوتادا
لانهم يقوون امره كما يقوي الوتد البيت وقال ابن قتيبة
العرب تقول هم في عز ثابت الاوتاد وملك ثابت الاوتاد
يريدون دايما شديدا واصل هذا ان البيت من بيوت الشعر
انما يثبت ويقوم بالاوتاد قال الاسود بن يعفر ولقد
غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد وواحد
الاوتاد وتد بالكسر وبالفتح لغة وقال الاصمعي يقال وتد
واتد كما يقال شغل شاغل وانشد لاقت على الماء جذيلا
واتدا ولم يكن يخلفها المواعدا قال شبه الرجل بالجذل وثمود
وقوم لوط واصحاب ليكة اي الغيطة وقد مضى ذكرها في الشعرا
وقرا نافع وابن كثير وابن عامر بفتح اللام والتاء من غير همز وهمز
الباقون وكسروا التاء وقد تقدم هذا اولئك الاحزاب اي هم
الموصوفون بالقوة والكثرة كقولك فلان هو الرجل ان كل بمعنى
ما كل الا كذب الرسل فحق عقاب اي فنزل بهم العذاب لذلك

التكذيب واثبت يعقوب اليا في عذابي وعقابي في الحال
ونظير هذه الايه قوله جل وعز وقال الذي امن يا قوم اني اخاف
عليكم مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود فسمى
هذه الامم احزابا قوله تعالى وما ينظر هولاء الا صيحة واحدة
اي نفخة القيامة اي ما ينظرون بعد ان اصيبوا ببدر الا صيحة
القيامة وقيل ما ينظر احياوهم الان الا الصيحة التي هي
النفخة في الصور كما قال تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة
تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية وهذا اخبار
عن قرب القيامة والموت وقيل اي ما ينتظر كفار اخر هذه
الامة المتدينين بدين اوليك الا صيحة واحدة وهي النفخة وقال
عبد الله بن عمرو لم تكن صيحة في السماء الا بغضب من الله
عز وجل على اهل الارض ما لها من فواق اي من ترداد عن ابن عباس
مجاهد ما لها من رجوع قتادة من مثنويه السدي ما لها من
افاقة وقرا حمزة والكسائي ما لها من فواق بضم الفاء الباقون
بالفتح الجوهري الفواق والفواق ما بين الحلبتين من الوقت
لانها تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب
يقال ما اقام عنده الا فواقا وفي الحديث العيادة قدر فواق
ناقة و قوله تعالى ما لها من فواق يقرا بالفتح والضم
اي ما لها من نظرة وراحة وافاقة والفيقة بالكسر اسم اللبن
الذي

الذي يجتمع بين الحلبتين صارت الواو يا لكسرة ما قبلها قال
الاعشي يصف بقرة حتى اذا فيقة في ضرعها اجتمعت جات
لترضع شق النفس لو رضعا والجمع فيق ثم افواق مثل شبر
واشبار ثم افاويق قال ابن همام السلولي وذموا لنا الدنيا
وهم يرضعونها افاويق حتى ما يدر لها ثعل والافاويق
ايضا ما اجتمع في السحاب من ما فهو يمطر ساعة بعد ساعة
وافاقت الناقة افاقة اي اجتمعت الفيقة في ضرعها فهي مفيق
ومفيقة عن ابي عمرو والجمع مفاويق وقال الفرا وابو عبيدة وغيرهما
من فواق بفتح الفا اي راحة اي لا يفيقون فيها كما يفيق المريض
والمغشي عليه ومن فواق بضم الفا من انتظار وقد تقدم انها
بمعنى وهو ما بين الحلبتين قلت والمعنى المراد انها ممتدة لا
تقطيع فيها وروي ابو هريرة قال حدثنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن في طايفة من اصحابه الحديث وفيه يامر الله
جل وعز اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فتفزع
اهل السموات واهل الارض الا من شا الله ويامره فيمدها
ويديمها ويطولها يقول الله عز وجل ما ينظر هولا الا صيحة
واحدة ما لها من فواق وذكر الحديث خرجه علي بن معبد
وغيره كما ذكرناه في كتاب التذكرة **قوله تعالي** وقالوا
ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قال مجاهد عذابنا وكذا

قال قتاده نصيبنا من العذاب الحسن نصيبنا من الجنه لنتنعم
به في الدنيا وقاله سعيد بن جبير و معروف في اللغه ان
يقال للنصيب قط وللكتاب المكتوب بالجايزه قط قال الفرا
قال الفرا القط في كلام العرب الحظ والنصيب ومنه قيل
... قط وقال ابو عبيده والكساي القط الكتاب بالجوايز
والجمع القطوط قال الاعشى ولا الملك النعمان يوم
لقيته بغبطته يعطي القطوط ويافق يعني كتب الجوايز
ويروي بامته بدل بغبطته اي بنعمته وحاله الجليله ويافق
يصلح ويقال في جمع قط ايضا قططه وفي القليل اقط واقطاط
ذكره النحاس وقال السدي سالوا ان يمثل لهم منازلهم من الجنه
ليعلموا حقيقة ما يوعدون به وقال اسمعيل بن ابي خالد المعنى
عجل لنا ارزاقنا وقيل معناه عجل لنا ما يكفينا من قولهم قطني
اي يكفيني وقيل انهم قالوا ذلك استعجالا ... لكتبهم التي يعطونها
بايمانهم وشمايلهم حين تلي عليهم بذلك القران وهو قوله تعالى
فاما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه وراء ظهره
واصل القط القط وهو القطع ومنه قط القلم فالقط اسم
للقطعه من الشي كالقسم والقسم فاطلق على النصيب والكتاب
والرزق لقطعه عن غيره الا انه في الكتاب اكثر استعمالا واقوى
حقيقه قال اميه بن ابي الصلت: قوم لهم ساحه العراق

وما

وما يحتج اليه والقط والقلم قبل يوم الحساب اي قبل القيامة
في الدنيا ان كان الامر على ما يقول محمد وكل هذا استهزا
منهم قوله تعالى اصبر على ما يقولون امر نبيه صلى الله
عليه وسلم بالصبر لما استهزوا به وهذه منسوخة باية
السيف قوله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد
من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون
من قبلهم امر نبيه عليه السلام بالصبر على اذاهم وسلاه
بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبيا
ليتسلى بصبر من صبر منهم وليعلم ان له في الاخرة اضعاف
ما اعطيه داود وغيره من الانبيا وقيل المعنى اصبر على
قولهم واذكر لهم اقاصيص الانبيا ولتكون برهانا على صحة
نبوتك ذا الايد اي ذا القوة في العبادة وكان يصوم يوما
ويفطر يوما وذلك اشد الصوم وافضله وكان يصلي نصف
الليل وكان لا يفر اذا التقى العدو وكان قويا في الدعا الى الله
تعالى وقوله عبدنا اظهار التشريف بهذه الاضافة ويقال
الايد والآد كما تقول العيب والعاب قال لم يك ينآد
فامسى انآدا ومنه رجل ايد اي قوي وتايد الشي
تقوى قال الشاعر اذا القوس وترها ايد رمى فاصاب الكلى
والذرى يقول اذا الله تعالى وتر القوس التي في السحاب رمى

كلى الابل واسمنها بالسخم يعني من النبات الذي يكون من المطر
انه اواب قال الضحاك اي ثواب وعن غيره انه كلما ذكر ذنبه
او خطر على باله استغفر منه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
اني لاستغفر الله في اليوم والليله مايه مره ويقال اب يوب
رجع كما قال وكل ذي غيبة يوب وغايب الموت لا يوب
وكان داود رجاعا الى طاعة الله ورضاه في كل امر فهو اهل ان
يقتدى به **قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن** يسبحن
في موضع نصب على الحال ذكر الله تعالى ما اتاه من البرهان
والمعجزة وهو تسبيح الجبال معه وكان يفقه تسبيح الجبال وقال
ابن عباس يسبحن يصلين وانما يكون هذا معجزة اذا راوه الناس
وعرفوه وقال محمد بن اسحق اوتي داود من حسن الصوت ما
يكون له في الجبال دوي حسن وما تصغى لحسنه وتصوت معه
فهذا تسبيح الجبال والطير وقيل سخرها الله عز وجل لتسير
معه فذلك تسبيحها لانها دالة على تنزيه الله عن شبه المخلوقين
وقد مضى القول في هذا في سبا وفي سبحان عند قوله تعالى
وان من شي الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وان ذلك
تسبيح مقال على الصحيح من الاقوال والله اعلم بالعشي والاشراق
الاشراق ابيضاض الشمس بعد طلوعها يقال شرقت الشمس
اذا طلعت واشرقت اذا اضات فكان داود يسبح اثر صلاته

قال سخرها لداود الله عز وجل [illegible]

عند

عند طلوع الشمس وعند غروبها الناشئة روي عن ابن عباس
انه قال كنت امر بهذه الايه بالعشي والاشراق ولا ادري ما هي
حتى حدثتني ام هاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها
فدعا بوضوء فتوضا ثم صلى صلاة الضحى وقال يا ام هاني هذه
صلاة الاشراق وقال عكرمة قال ابن عباس كان في نفسي شي
من صلاة الضحى حتى وجدتها في القران يسبحن بالعشي والاشراق
قال عكرمة وكان ابن عباس لا يصلي صلاة الضحي ثم صلاها
بعد وروي وروي ان كعب الاحبار قال لابن عباس اني اجد
في كتاب الله صلاة بعد طلوع الشمس هي صلاة الاوابين
فقال ابن عباس وانا اوجدك في القران ذلك في قصة داود
يسبحن بالعشي والاشراق الثالثه صلاة الضحى نافلة
مستحبه وهي في الغداة بازاء العصر في العشي لا ينبغي ان
تصلى الا حتى تبيض الشمس طالعة وترتفع كدرها وتشرق
بنورها كما لا يصلى العصر اذا اصفرت الشمس وفي صحيح مسلم
عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة الاوابين
حين ترمض الفصال والفصال والفصلان جميع فصيل وهو
الذي يفطم عن الرضاعة من الابل والرمضا شدة الحر في
الارض وخص الفصال هنا بالذكر لانها هي التي ترمض قبل انتها
شدة الحر التي ترمض بها امهاتها لقلة جلدها وذلك يكون

في الضحى او بعده بقليل و هو الوقت المتوسط بين طلوع
الشمس وزوالها قاله القاضي ابو بكر بن العربي ومن الناس
من يبادر بها قبل ذلك استعجالا لاجل شغله فيخسر عمله
لانه يصليها في الوقت المنهي عنه ويأتي بعمل هو عليه
لا له رابعة روى الترمذي من حديث انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الضحى ثنتي
عشرة ركعة بنى الله له قصرا من ذهب في الجنة قال حديث
غريب وفي حديث مسلم عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال يصبح على كل سلامى من احدكم صدقة فكل
تسبيحة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وامر
بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزي من ذلك
ركعتين يركعهما من الضحى وفي الترمذي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حافظ على شفعة
الضحى غفر له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وروى
البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال اوصاني خليلي بثلاث لا
ادعهن حتى اموت صوم ثلثة ايام من كل شهر وصلاة الضحى
ونوم على وتر لفظ البخاري وقال مسلم وركعتي الضحى وخرجه
من حديث ابي الدرداء كما خرجه البخاري من حديث ابي
هريرة وهذا كله يدل على ان اقل الضحى ركعتان واكثره
ثنتا عشر

ثنتا عشرة والله اعلم واصل السلامى بضم السين عظام الاصابع
والاكف والارجل ثم استعمل في سائر عظام الجسد ومفاصله
وروي من حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه
خلق كل انسان من بني ادم على ستين وثلثمائة مفصل فمن كبر
وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرا عن
طريق الناس او شوكة او عظما عن طريق الناس وامر بمعروف
اونهى عن منكر عدد تلك الستين والثلثمائة سلامى فانه يمشي يومئذ
وقد زحزح نفسه عن النار وقال ابو توبة وربما قال يمسي حرجه
مسلم وقوله ويجزي من ذلك ركعتان اي يكفي من هذه الصدقات
عن هذه الاعضاء ركعتان وذلك ان الصلاة عمل لجميع اعضا الجسد
فاذا صلى فقد قام كل عضو بوظيفته التي عليه في الاصل والله اعلم
قوله تعالى والطير محشورة معطوف على الجبال قال الفراء
ولو قرئت والطير محشورة لجاز لانه لم يظهر الفعل قال ابن
عباس كان داود عليه السلام اذا سبح جاوبته الجبال واجتمعت
اليه الطير فسبحت معه فاجتماعها اليه حشرها فالمعنى وسخرنا
الطير مجموعة اليه لتسبح لله معه وقيل اي وسخرنا الريح
لتحشر الطيور اليه لتسبح معه او امرنا الملائكة تحشر الطيور
كل له اي لداود اواب اي مطيع اي تائبه وتسبح معه وقيل
الى الله عز وجل **قوله تعالى** وشددنا ملكه اي قويناه

حتى ثبت قيل بالهيبة والقا الرعب منه في القلوب وقيل بكثرة
الجنود وقيل بالتاييد والنصر وهذا اختيار ابن العربي ولا
ينفع الجيش الكثير التقافه على غير منصور وغير معان وقال
ابن عباس رضي الله عنه كان داود اشد ملوك الارض سلطانا
كان يحرس محرابه كل ليلة نيف وثلاثون الف رجل فاذا اصبح قيل
ارجعوا فقد رضي عنكم نبي الله والملك عبارة عن كثرة الملك فقد
يكون للرجل ملك ولكن لا يكون مليكا حتى يكثر ذلك فلو ملك
الرجل دارا او امراة لم يكن ملكا حتى يكون له خادم يكفيه مونة
التصرف في المنافع التي يفتقر اليها الضرورة الادمية وقد
مضى هذا المعنى في براه وحقيقة الملك في النمل مستوفى
قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب فيه مسئلتان
الاولى قوله تعالى وآتيناه الحكمة اى النبوه عن السدي مجاهد
العدل ابو العاليه العلم بكتاب الله تعالى قتاده السنه شريح العلم
والفقه وفصل الخطاب قال ابو عبد الرحمان السلمي وقتادة
يعني الفصل في القضاء وهو قول ابن مسعود والحسن والكلبي
ومقاتل وقال ابن عباس بيان الكلام على بن ابى طالب هو البينة
على المدعي واليمين على من انكر وقاله شريح والشعبي وقتادة
ايضا وقال ابو موسى الاشعري والشعبي ايضا هو قوله
اما بعد وهو اول من تكلم بها وقيل فصل الخطاب البيان الفاصل

بين

بين الحق والباطل وقيل هو الايجاز بجعل المعنى الكثير في اللفظ
القليل والمعنى في هذه الاقوال متقارب وقول علي رضي الله عنه
الجمعه لان مدار الحكم عليه في القضا ما عدا قول ابي موسى انما بين
قال القاضي ابو بكر بن العربي فاما علم القضا فلعمر الهك انه لنوع
من العلم مجرد وفصل منه موكد غير معرفة الاحكام والتبصر
بالحلال والحرام معاذ بن جبل فقد يكون الرجل بصيرا باحكام الافعال
عارفا بالحلال والحرام ولا يقوم بفصل القضا يروى ان علي
بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم
حفر قوم زبية للاسد فوقع فيها الاسد وازدحم الناس على
الزبيه فوقع فيها رجل وتعلق باخر وتعلق الاخر باخر حتى
صاروا اربعة فجرحهم الاسد فيها فهلكوا وحمل القوم
السلاح وكاد يكون بينهم قتال فقال فاتيتهم فقلت اتقتلون
مائتي رجل من اجل اربعة اناسي فقالوا اقض بينكم بقضاء
فان رضيتم فهو قضا بينكم وان ابيتم رفعتم ذلك الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فهو احق بالقضا فجعل للاول ربع
الدية وجعل للثاني ثلث الدية وجعل للثالث نصف الدية
وجعل للرابع الدية وجعل الديات على من حضر الزبية على
القبايل الاربع فسخط بعضهم ورضي بعضهم ثم قدموا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقصوا عليه القصه فقال انا اقضي

بينكم فقال قايل ان عليا قد قضى بيننا فاخبروه بما قضى علي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القضا كما قضى علي في رواية
فامضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قضا علي وكذلك يروى في
المعرفة بالقضا ان ابا حنيفة جا اليه رجل فقال ان ابن ابي ليلى
وكان قاضيا بالكوفة جلد امراة مجنونة قالت لرجل يا ابن الزانيين
حدين في المسجد وهي قايمة فقال اخطا من ستة اوجه قال
ابن العربي وهذا الذي قاله ابو حنيفة بالبديهة لا يدركه
بالروية الا العلما فاما قضية علي فلا يدركها الشادي فلا
يلحقها بعد التمرن في الاحكام الا العاكف المتمادي وتحقيقها
ان هولاء الاربعة المقتولون خطا بالتدافع على الحفرة من الحاضرين
عليها فلهم الديات على من حضر على وجه الخطا بيد ان الاول
مقتول بالمدافعة قاتل ثلاثة بالمجاذبة فله الدية بما قتل
وعليه ثلاثة ارباع الدية بالثلاثة الذين قتلهم واما الثاني
فله ثلث الدية وعليه الثلثان بالاثنين اللذين قتلهما بالمجاذبة
واما الثالث فله نصف الدية وعليه نصف لانه قتل واحدا
بالمجاذبة فوقعت المحاصة وغرم العواقل هذا التقدير
بعد القضاء الجاري فيه وهذا من بديع الاستنباط واما ابو
حنيفة فانه نظر الى المعاني المتعلقة فراها ستة الاول المجنون
لا حد عليه لان الجنون يسقط التكليف وهذا اذا كان القذف

بلغ

في

في حالة افاقته الثاني قولها يا ابن الزانيين فجلدها حدين
لكل ابٍ حدٌّ فانما اخطاه ابو حنيفه على مذهبه
في ان حد القذف يتداخل لانه عنده حق الله تعالى
كحد الخمر والزنا واما الشافعي ومالك فانهما يريان ان
الحد بالقذف حق للادمي فيتعدد بتعدد المقذوف
الثالث انه جلد بغير مطالبه المقذوف ولا يجوز اقامه
حد القذف باجماع من الايمه الا بعد المطالبه باقامته
من يقول انه حق لله تعالى ومن يقول انه حق الادمي
اذ لو كان حقا لله لما وقف على المطالبه كحد الزنا
الرابع انه والى بين الحدين ومن وجب عليه حدان
لم يوال عليه بينهما بل يحد لاحدهما ثم يترك حتى يندمل
الضرب ثم يقام عليه الحد الاخر الخامس انه حدها
قايمة ولا تحد المراه الا جالسه مستوره قال
بعض الناس في زنبيل السادس انه اقام الحد في المسجد
ولا تقام الحدود فيه اجماعا وفي القضا في المسجد
والتعزير فيه خلاف قال القاضي فهذا هو فصل
الخطاب وعلم القضا الذي وقعت الاشاره اليه
على احد التاويلات في الحديث المروي اقضاكم
علي واما من قال انه الانجاز فذلك للعرب دون العجم

ولمحمد صلى الله عليه وسلم دون العرب وقد بين هذا
بقوله واوتيت جوامع الكلم واما من قال انه قوله
اما بعد فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته
اما بعد ويروى ان اول من قالها في الجاهلية سحبان بن
وايل اول من امن بالبعث واول من توكا على عصا وعمر
مايه وثمانين سنه ولو صح ان داود قالها لم يكن ذلك
منه بالعربيه على هذا النظر وانما كان بلسانه والله
اعلم قوله تعالى وهل اتاك نبا الخصم اذ تسوروا
المحراب الى قوله وحسن ماب فيه اربع وعشرون
مسله الاولى قوله تعالى وهل اتاك نبا الخصم
الخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعه لان اصله المصدر قال
وخصم غضاب ينفضون لحاهم كنفض البراذين العراب المخاليا
النحاس ولا خلاف بين اهل التفسير انه يراد به هاهنا ملكان
وقيل تسوروا وان كانا اثنين حملا على الخصم اذ كان بلفظ الجمع
ومضارعا له مثل الركب والصحب وتقديره للاثنين ذوا
خصم وللجماعة ذوو خصم ومعنى تسوروا المحراب اتوه
من اعلى سوره يقال تسور الحايط تسلقه والسور حايط
المدينه وهو بغير همز وكذلك السور جمع سورة مثل بسرة
وبسر وهي كل منزلة من البناء ومنه سورة القران لانها
منزلة

منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الاخرى وقد مضى في مقدمة
الكتاب بيان هذا وقول النابغة :. الم تر ان الله اعطاك
سورة يرى كل ملك دونها يتذبذب يريد شرفا ومنزلة
فاما السؤر بالهمز فهو بقية الطعام في الاناء ابن العربي
والسور الوليمة بالفارسية وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يوم الاحزاب ان جابرا قد صنع لكم سورا فحي هلا بكم
والمحراب هنا الغرفة لانهم تسوروا عليه فيها قاله يحيى بن
سلام وقال ابو عبيدة انه صدر المجلس ومنه محراب
المسجد وقد مضى القول فيه في غير موضع اذ دخلوا على
داود جاءت اذ مرتين لانهما فعلان وزعم الفراء ان احداهما
بمعنى لما وقول اخر ان تكون الثانية مع ما بعدها تبيينا
لما قبلها قيل انهما كانا انسيين بعثهما الله اليه في يوم عبادته
فمنعهما الحرس الدخول فتسوروا المحراب عليه فما شعر
وهو في الصلاة الا وهما بين يديه جالسين وهو قوله تعالى
وهل اتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب اي علوا ونزلوا عليه من
فوق المحراب قاله سفيان الثوري وغيره وسبب ذلك ما حكاه
ابن عباس ان داود عليه السلام حدث نفسه ان ابتلي ان يعتصم
فقيل له انك ستبتلى وتعلم اليوم الذي تبتلى فيه فخذ حذرك
فاخذ الزبور ودخل المحراب ومنع من الدخول عليه فبينا هو

يقرا الزبور إذ جاءه طائر كاحسن ما يكون من الطير فجعل
يدرج بين يديه فهم ان يتناوله بيده فاندرج حتى وقع في
كوة المحراب فدنا منه ليأخذه فانتفض فاطلع ليبصره فاشرف
على امراة تغتسل فلما راته غطت جسدها بشعرها قال السدي
فوقعت في قلبه قال ابن عباس وكان زوجها غازيا في سبيل الله
وهو اوريا بن حنان فكتب داود الى امير الغزاه ان يجعل زوجها في
حملة التابوت وكان حملة التابوت اما ان يفتح الله عليهم او
يقتلوا فقدمه فيهم فقتل فلما انقضت عدتها خطبها داود
واشترطت عليه ان ولدت غلاما ان يكون الخليفة بعده
وكتبت عليه بذلك كتابا واشهدت عليه خمسين رجلا من بني
اسرايل فلم تستنعر نفسه حتى ولدت سليمان وشب وتسور
الملكان وكان من شانهما ما قص الله في كتابه ذكره الماوردي
وغيره ولا يصح قال ابن العربي وهو امثل ما روي في ذلك قلت
ورواه مرفوعا بمعناه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول
عن يزيد الرقاشي سمع انس بن مالك يقول سمعنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان داود عليه السلام حين نظر الى
المراة فهم بها قطع على بني اسرايل بعثا واوصى صاحب البعث
فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا وسماه قال فقربه بين يدي
التابوت وكان ذلك التابوت في ذلك الزمان يستنصر به

فمن

فمن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل او ينهزم
عنه الجيش الذي يقاتله فقدم فقتل زوج المراه ونزل
الملكان على داود فقصا عليه القصه وقال سعيد عن قتاده
كتب الى زوجها وذلك في حصار عمان مدينة بلقا ان ياخذوا
بحلقة الباب وفيه الموت الاحمر فتقدم فقتل وقال الثعلبي
قال قوم من العلماء انما امتحن الله داود بالخطيه لانه تمنى
يوما على ربه منزلة ابراهيم واسحق ويعقوب وساله
ان يمتحنه نحو ما امتحنهم ويعطيه نحو ما اعطاهم وكان
داود قد قسم الدهر ثلثة ايام يوم يقضي فيه بين الناس
ويوم يخلوا فيه بعبادة ربه ويوم يخلوا فيه بنسايه
واشغاله وكان يجد فيما يقرا من الكتب فضل ابراهيم واسحاق
ويعقوب فقال يارب ان الخير كله قد ذهب به الى ابايي
فاوحى الله اليه انهم ابتلوا ببلايا لم يبتل بها غيرهم فصبروا
عليها ابتلي ابراهيم بنمرود وبالنار وبذبح ابنه وابتلي اسحاق
بالذبح وابتلي يعقوب بالحزن على يوسف وذهاب بصره ولم
تبتل انت بشي من ذلك فقال داود عليه السلام فابتلني بمثل
ما ابتليتهم واعطني مثل ما اعطيتهم فاوحى الله تعالى اليه
انك مبتلى في شهر كذى في يوم الجمعه فلما كان ذلك اليوم دخل
محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرا الزبور فبينا هو

لذلك اذ مثل له الشيطان في صورة حمامة من ذهب
فيها من كل لون حسن فوقفت بين رجليه فمد يده ليأخذها
فيدفعها لابن له صغير فطارت غير بعيد ولم تويسه من
نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى
وقعت في كوة فذهب ليأخذ فطارت فنظر داود يرتفع
في اثرها ليبعث اليها من يأخذها فنظر امراة في بستان
علي شط بركة تغتسل قاله الكلبي وقال السدي تغتسل
عريانة علي سطح لها فراي اجمل النسا خلقا فابصرت ظله
فنفضت شعرها فغطي بدنها فزاده اعجابها وكان زوجها
اوريا بن حنان في غزوة مع ايوب بن صوريا بن اخت داود
فكتب داود الي ايوب ان ابعث باوريا الى مكان كذي وكذي
وقدمه قبل التابوت وكان من قدم قبل التابوت لا يحل
له ان يرجع وراه حتى يفتح الله عليه او يستشهد فقدمه
ففتح له فكتب الى داود يخبره بذلك قال الكلبي وكان اوريا
سيف الله في ارضه في زمان داود وكان اذا ضرب ضربة
وكبر كبر جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله وكبرت ملائكة
السما بتكبيره حتي ينتهي ذلك الى العرش فتكبر ملائكة العرش
بتكبيره قال وكان سيوف الله هكذا ثلثة كالب بن يوقنا
في زمن موسي واوريا في زمان داود وحمزه بن عبد المطلب
في زمن

بلغ

مطلب في سيوف الله في ارضه

الثاني والعرون

في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كتب ايوب الى داود
بخبره ان الله قد فتح على اوريا كتب داود اليه ان ابعثه في
بعث كذا وقدمه قبل التابوت ففتح الله عليه فقتل في الثالثة
شهيدًا فتروج داود تلك المراه حين انقضت عدتها
فهي ام سليمان بن داود وقيل سبب امتحان داود عليه
السلام ان نفسه حدثته انه يطيق قطع يوم بغير
مقارفة شي قال الحسن ان داود جزا الدهر اربعة
اجزا جزا لنسايه وجزا للعباده وجزا لبني اسرايل
يذاكرونه ويذاكرهم ويبكونه ويبكيهم ويوما للقضا
فتذاكروا هل يمر على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا
فاضمر داود انه يطيق ذلك فاغلق الباب على نفسه
يوم عبادته وامر ان لا يدخل عليه احد واكب على
قراة الزبور فوقعت حمامه من ذهب بين يديه وذكر
نحو ما تقدم قال علماونا وفي هذا دليل وهي الثانيه
على انه ليس على الحاكم ان ينتصب للناس كل يوم وانه ليس
للانسان ان يترك وطي نسايه وان كان مشغولا بالعباده
وقد مضى هذا المعنى في النسا وحكم كعب بذلك في زمن
عمر بحضره رضي الله عنهما وقد قال عليه السلام لعبد
الله بن عمرو ان لزوجك عليك حقا الحديث وقال الحسن ايضا

مطلب في ام سليمان عليه السلام

ومجاهد ان داود عليه السلام قال لبني اسرائيل حين استخلف
والله لاعدلن بينكم ولم يستثن فابتلي بهذا وقال ابو بكر
الوراق كان داود كثير العباده فاعجب بعمله وقال هل
في الارض احد يعمل كعملي فاوحى الله تعالى اليه مع جبريل
فقال ان الله تعالى يقول لك عجبت بعبادتك
والعجب ياكل ياكل العباده كما تاكل النار الحطب
فان اعجبت ثانيه وكلتك الى نفسك قال يارب كلني
الى نفسي سنة قال ان ذلك لكثير قال شهرا قال ان ذلك
لكثير قال ~~شهرا قال ان ذلك لكثير~~ قال فيوما قال ان ذلك لكثير
قال يارب فكلني الى نفسي ساعة قال فشانك بها فوكل
الاحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور
بين يديه فبينما هو في عبادته اذ وقع الطائر بين يديه
فكان من امر المراة ما كان وقال سفيان الثوري قال
داود ذات يوم يارب ما من يوم الا ومن ال داود لك
فيه صائم وما من ليلة الا ومن ال داود لك فيها قائم
فاوحى الله اليه يا داود منك ذلك او مني وعزتي لاكلنك
الى نفسك قال يارب اعف عني قال اكلك الى نفسك سنة
قال لا بعزتك قال شهرا قال لا بعزتك قال فاسبوعا
قال لا بعزتك قال يوما قال لا بعزتك قال ساعة

قال لا بعزتك

قال لابعزنك قال فلحظة فقال له الشيطان وما قدر لحظة قال
كلني الي نفسي لحظة فوكله الله الي نفسه لحظة وقيل له هي في
يوم كذا في وقت كذا فلما جا ذلك اليوم جعله للعبادة ونوكل
الاحراس حول مكانه قيل اربعة الاف وقيل ثلاثين الفا
اوثلثه وثلاثين الفا وخلي بعبادة ربه ونشو الزبود بين
يديه فجات الحمامه فوقعت له وكان من امره في لحظته مع
المراه ما كان وارسل الله جل وعز اليه الملكين بعد
ولادة سليمان وضربا له المثل بالنعاج فلما سمع المثل ذكر
خطيته فخر ساجدا اربعين ليلة على ما ياتي ان شا الله قوله
تعالى ففزع منهم لانهما اتياه ليلا في غير دخول الخصوم
وقيل اي لدخولهم عليه بغير اذنه وقيل لانهم تسوروا عليه
المحراب ولم ياتوه من الباب قال ابن العربي وكان محراب
داوود عليه السلم من الامتناع بالارتفاع بحيث لا يرتقي
اليه ادمي بحيلة الا ان يقيم اياما فيها واشهرا بحسب طاقته
مع اعوان يكثر عددهم والات جمة مختلفة الانواع ولو قلنا
انه يوصل اليه من باب المحراب لما قال الله تعالى مخبرا عن ذلك
تسوروا المحراب اذ لا يقال تسور المحراب والغرفة لمن
طلع من درجها وجاها من اسفلها الا ان يكون ذلك
مجازا واذا شاهدت الكوة التي منها دخل الخصمان

مطلب اول لازم علم المعتبر

علمت قطعا انهما ملكان لانهما من العلو بحيث لا ينالها الا
علوي قال الثعلبي وقد قيل كان المشهوران اخوين من بني
اسرائيل لاب وام فلما قضى داود بينهما بقضيته قال له ملك من
الملائكة فهلا قضيت بذلك على نفسك يا داود قال الثعلبي
والاول احسن انهما كانا ملكين نبها داود على ما فعل قلت على
هذا اكثر اهل التاويل فان قيل فكيف يجوز ان يقول الملكان
خصمان بغى بعضنا على بعض وذلك كذب والملائكة عن
مثله منزه فالجواب عنه انه لا بد في الكلام من تقدير فكانهما
قالا قدرنا كانا خصمين بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا
بالحق وعلى ذلك يحمل قولهما ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة
لان ذلك وان كان بصورة الخبر فالمراد ايراده على طريق
التقرير لينبه داود عليه السلم على ما فعل والله اعلم
الرابع ان قيل لم فزع داود وهو نبي قد قويت نفسه
بالنبوة واطمانت بالوحي ووثقت بما اتاه الله من المنزلة
واظهر على يديه من الايات فان من الشجاعة في غاية المقام
قيل له ذلك سبيل الانبياء قبله لم يامنوا القتل والاذاية
ومنها كان يخاف الاتري لموسى وهرون عليهما
السلم لقنا لا انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى
فقال الله جل وعز لا تخافا وقالت الرسل للوط لا تخف

انا

انا رسل ربك لن يصلوا اليك وكذا قال الملكان هنا لا تخف
قال محمد ابن اسحق بعث الله اليه ملكين يختصمان اليه وهو
في محرابه مثلا ضربه الله له ولداود فراهما واقفين على راسه
فقال لما ادخلهما علي قالا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض
على بعض فجنبا للتقصي بمسالة الخامسة قال ابن العربي
فان قيل كيف لم يامر باخراجهما اذ قد علم مطلبهم وانهم
وقد دخلوا عليه بغير اذن فالجواب عنه من اربعة اوجه الاول
انا لم نعلم كيفية شرعه في الحجاب والاذن فيكون الجواب
بحسب تلك الاحكام وقد كان ذلك في ابتداء شرعنا
مهملا عن هذه الاحكام حتى اوضحها الله بالبيان
الثاني انا لو نزلنا الجواب على احكام الحجاب لاحتمل ان
يكون الفزع الطاري عليه اذهله عما كان يجب في ذلك
له الثالث انه اراد ان يستوفي كلامهما الذي دخلا له
حتى يعلم اخر الامر منه ويرى هل يحتمل التقحم بغير اذن
ام لا وهل يقترن بذلك عذر لهما ام لا يكون لهما عذر
فيه فكان من اخر الحال ما انكشف انه بلاء ومحنة
ومثال ضربه الله في القصة وادب وقع على دعوى
العصمة الرابع انه يحتمل ان يكون في مسجد ولا اذن
في المسجد لاحد اذ لا حجر فيه على احد قلت وقول خامس

مطلب

عليه الاحتجاب بمان

وجد بخط

ذكره القشيري وهو انهما قالا لما لم يادن لنا الموكلون بالحجاب توصلنا الى الدخول بالتسور وخفنا ان يتفاقم الامر بيننا فقيل داود عذرهما واصغى الى قولهما السادسة قوله تعالى خصمان ان قيل كيف قال خصمان وقبل هذا اذ تسوروا فقيل لان الاثنين جمع قال الخليل كما تقول نحن فعلنا اذا كنا اثنين وقال الكسائي جمع لما كان خبرا فلما انقضى الخبر وجاءت المخاطبة خبر الاثنان عن انفسهما فقالا خصمان وقال الزجاج المعنى نحن خصمان وقال غيره القول محذوف اي نقول خصمان بغى بعضنا على بعض قال الكسائي ولو كان بغى بعضهما على بعض لجاز الماوردي وكانا ملكين ولم يكونا خصمين ولا باغيين ولا ياتي منهما كذب وتقديره ما انهما ما تقول ان اتاك خصمان قالا بغى بعضنا على بعض وقيل اي نحن فريقان من الخصوم بغى بعضنا على بعض وعلى هذا يحتمل انه كانت الخصومة بين اثنين ومع كل واحد جمع ويحتمل ان يكون لكل واحد من هذا الفريق خصومة مع كل واحد من الفريق الاخر فحضروا الخصومات ولكن ابتدا منهم اثنان فعرف داود بذكر النكاح القصة واغنى ذلك عن التعرض للخصومات الاخر والبغي التعدي والخروج عن الواجب يقال بغى الجرح اذا افرط وجعه وترامى الى ما يفحش ومنه بغت المراة اذا اتت الفاحشة السابعة قوله تعالى فاحكم بيننا بالحق ولا

ولا تشطط اي لا تجر قاله السدي وحكى ابو عبيد شططت
عليه واشططت اي جرت وفي حديث تميم الداري انك
لشاطي اي جاير علي في الحكم وقال قتادة لا تمل الاخفش
لا تسرف وقيل لا تفرط والمعنى متقارب والاصل فيه البعد
من شطت الدار اي بعدت شطت الدار تشط وتشط
شطا وشطوطا بعدت واشط في القضية اي جار واشط
في السوم واشتط اي ابعد واشطوا في طلبي اي امعنوا
قال ابو عمرو والشطط مجاوزة القدر في كل شي وفي الحديث
لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط اي جورا من القول وبعدا
عن الحق واهدنا الى سواء الصراط اي ارشدنا الى قصد السبيل
الثامنة قوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون
نعجة اي قال الملك الذي تكلم عن اوريا ان هذا اخي اي على ديني
واشار الى المدعى عليه وقيل اخي اي صاحبي له تسع وتسعون
نعجة وقرا الحسن تسع وتسعون نعجه بفتح التاء فيهما
وهي لغة شاذة وهي الصحيحة من قراة الحسن قاله النحاس
والعرب تكني عن المراة بالنعجة والشاة لما هي عليه من السكون
والمعجزه وضعف الجانب وقد يكنى عنها بالبقرة والحجر والناقة
لان الكل مركوب قال ابو فرعون انا ابو هن ثلاث هنه
رابعة في البيت صغراهنه ونعجتي خمسا توفيهنه

الا فتى سمحا يغتدي بمهنته طي البنا في الجوع يطوي بهنته ويبل الرغيف
وبله منهنته وقال غيره يا شاه ما قنص لمن حلت له حرمت
علي وليتها لم تحرم فبعثت جاريتي فقلت لها اذهبي فتجسسي
اخبارها لي واعلمي قالت رايت من الاعادي غرة والشاه ممكنة
لمن هو مرتم فكانما التفتت بجيد جدايه رشاء من الغزلان حر
ارثم وقال اخر فرميت غفلة عينه عن شاته فاصبت حبة
قلبها وطحالها وهذا من احسن التعريض حيث كني بالنعاج
عن النسا وقال الحسن بن الفضل هذا من الملكين تعريض وتنبيه
كقولهم ضرب زيد عمرا وما كان ضرب ولا نعاج على التحقيق
كانه قال نحن خصمان هذه حالنا وقال ابو جعفر النحاس واحسن
ما قيل في هذا ان المعنى يقول خصمان بغى بعضنا على بعض على جهة
المسالة كما تقول رجل يقول لامراته كذا ما يجب عليه قلت
وقد تاول المزني صاحب الشافعي هذه الاية وقوله صلى الله
عليه وسلم في حديث ابن شهاب الذي خرجه الموطا وغيره هو
لك يا عبد بن زمعه على نحو هذا قال المزني يحتمل هذا الحديث عندي
والله اعلم ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم اجاب عن المسئلة فاعلمهم
بالحكم ان هذا يكون اذا ادعى صاحب فراش وصاحب زنى
لا انه قبل على عتبة قول اخيه سعد ولا على زمعه قول ابنه
انه ولد زنا لان كل واحد منهما اخبر عن غيره وقد اجمع المسلمون
انه

قول

انه لا يقبل اقرار احد على غيره وقد ذكر الله سبحانه في كتابه
مثل ذلك في قصة داود والملائكة اذ دخلوا عليه ففزع منهم
قالوا لا تخف ولم يكونوا خصمين ولا كان لواحد منهم تسع وتسعون
نعجة ولكنهم كلموه على المسئلة ليعرف بها ما ارادوا تعريفه
فيحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم حكم في هذه القصة على
المسئلة وان لم يكن احد يوسني على هذا التاويل في الحديث
فانه عندي صحيح والله اعلم **التاسعة** قال النحاس وفي قراءة
ابن مسعود ان هذا اخي كان له تسع وتسعون نعجة انثى
وكان هنا مثل قوله عز وجل وكان الله غفورا رحيما فاما قوله
انثى فهو تاكيد كما يقال هو رجل ذكر وهو تاكيد وقيل لما كان
يقال هذه مائة نعجة وان كان فيها من الذكور شيء يسير
جاز ان يقال انثى ليعلم انه لا ذكر فيها وفي التفسير له تسع وتسع
وتسعون امراة قال ابن العربي ان كان جميعهن احرارا فذلك شرعه
وان كن اماء فذلك شرعنا والظاهر ان شرع من تقدم قبلنا
لم يكن محصورا بعدد وانما الحصر في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم
لضعف الابدان وقلة الاعمار وقال القشيري ويجوز ان
يقال لم يكن له هذا العدد بعينه ولكن المقصود ضرب مثل كما تقول
لو جئتني مائة مرة لم اقض حاجتك اي مرارا كثيرة قال ابن العربي
قال بعض المفسرين لم يكن لداود مائة امراة وانما ذكر التسعة والتسعين

مطلب انما الحصر

غنى مثلاً المعنى هذا عن الزوجة وانا مفتقر اليها وهذا فاسد
من وجهين احدهما ان العدول عن الظاهر بغير دليل لا معنى
ولا دليل يدل عليه ان شرع من قبلنا كان مقصوراً من النساء
على ما في شرعنا الثاني انه روى البخاري وغيره ان سليمان
عليه السلام قال لاطوفن الليلة على مايه امراه تلد كل
امراة غلاما يقاتل في سبيل الله ونسي ان يقول ان شاء الله
وهذا نص العاشرة قوله تعالى ولى نعجة واحدة اى
امراة واحدة فقال اكفلنيها اى انزل لى عنها حتى اكفلها
وقال ابن عباس اعطنيها وعنه تحول لي عنها وقاله ابن مسعود
وقال ابو العاليه ضمها الي حتى اكفلها وقال ابن كيسان
اجعلها كفلى ونصيبى وعزنى فى الخطاب اى غلبنى قال
الضحاك ان تكلم كان افصح منى وان حارب كان ابطش
منى يقال عزه يعزه بضم العين فى المستقبل عزا غلبه
وفى المثل من عز بز اى من غلب سلب والاسم العزه
وهى القوة والغلبه قال قطاة عزها شرك فباتت
تجاذبه وقد علق الجناح وقرا عبد الله بن مسعود وعبيد
بن عمير وعازنى فى الخطاب اى غالبنى من المعازه وهى
المغالبه عازه اى غالبه قال ابن العربي واختلف فى سبب
الغلبه فقيل معناه غلبنى ببيانه وقيل غلبنى بسلطانه
لانه

لانه لما ساله لم يستطع خلافه كان ببلاد امير يقال له سيرين
بن ابي بكر فكلمته في ان يسال لي رجلا حاجة فقال لي اما
علمت ان طلب السلطان للحاجة غضب لها فقلت اما اذا
كان اذا اعدلا فلا فعجبت من عجمته وحفظه لما تمثل به
وفطنته كما عجب من جوابي له واستغربه الحادية
عشرة قوله تعالى قال لقد ظلمك بسوال نعجتك الى نعاجه
قال النحاس فيقال ان هذه كانت خطيئة داود لانه قال
لقد ظلمك من غير تثبت ببينة ولا اقرار من الخصم هل كان
هذا كذا ام لم يكن فهذا قول قلت وسياتي بيانه في
المسئلة بعد هذا وهو حسن ان شا الله تعالى قال ابو جعفر
النحاس فاما قول العلما الذين لا يدفع قولهم منهم عبد الله
بن مسعود وابن عباس فانهم قالوا مازاد داود صلى الله على
نبينا وعليه على ان قال للرجل انزل لي عن امراتك قال
ابو جعفر فعاتبه الله عز وجل على ذلك ونبهه عليه وليس
هذا بكبير من المعاصي ومن تخطى الى غير هذا فانما ياتي بما لا
يصح عن عالم ويلحقه فيه اثم عظيم كذا قال في كتاب اعراب القران
وقال في كتاب معاني القران له بمثله قال رضي الله عنه قد جاءت
اخبار وقصص في امر داود عليه السلام واوريا واكثرها
لا يصح ولا يتصل اسناده ولا ينبغي ان تجترا على مثلها الا

بعد المعرفة بصحتها واصح ما روي في ذلك ما رواه مسروق
عن عبد الله بن مسعود قال ما زاد داود عليه السلام على ان
قال اكفلنيها اي انزل لي عنها وروى المنهال عن سعيد
بن جبير قال ما زاد داود صلى الله عليه وسلم على ان قال اكفلنيها
اي تحول لي عنها وضمها الي قال ابو جعفر فهذا اجل ما روي
في هذا والمعنى عليه ان داود عليه السلام سال اوريا ان يطلق
امراته كما يسال الرجل الرجل ان يبيعه جاريته فنبهه الله
جل وعز على ذلك وعاتبه لما كان نبيا وكان له تسع وتسعون
انكر عليه ان يتشاغل بالدنيا بالتزيد منها فاما ما غير هذا
فلا ينبغي الاجترا عليه قال ابن العربي واما قولهم انها لما اعجبته
امر بتقدم زوجها للقتل في سبيل الله فهذا باطل قطعا فان
داود صلى الله عليه وسلم لم يكن ليريق دمه في غرض نفسه وانما
كان من الامر ان داود قال لبعض اصحابه انزل لي عن اهلك وعزم
عليه في ذلك كما يطلب الرجل من الرجل الحاجة برغبة صادقة
كانت في الاهل او في المال وقد قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن
عوف حين اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ان لي زوجتين
انزل لك عن احسنهما فقال له بارك الله لك في اهلك وما يجوز
فعله ابتدا يجوز طلبه وليس في القران ان ذلك كان ولا انه تزوجها بعد
زوال العصمة الرجل عنها ولا ولادتها لسليمان فعمن يروى هذا

وعمن

ويسند

ويستند وعلى من في نقله يعتمد ولبس بانزه عن الثقات الاثبات
احد امان في سورة الاحزاب نكتة تدل ان داود قد صارت له
المراة زوجه وذلك قوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض
الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل يعني في احد الاقوال تزويج
داود المراة التي نظر اليها كما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب
بنت جحش الا ان تزويج زينب كان من غير سوال الزوج في فراق
بل امره بالتمسك بزوجتها وكان تزويج داود للمراة بسوال زوجها
الزوج فراقها فكانت هذه المنقبة لمحمد صلى الله عليه وسلم على
داود مضافة الى مناقبه العلية ولكن قد قيل ان معنى سنة
الله في الذين خلوا من قبل تزويج الانبيا من غير صداق
من وهب نفسه لهم من النساء وقيل اراد بقوله سنة الله في
الذين خلوا من قبل ان الانبيا صلوات الله عليهم فرض لهم ما
يمتثلونه في النكاح وغيره وهذا اصح الاقوال وقد روى
المفسرون ان داود صلى الله عليه وسلم نكح مايه امراه وهذا
نص القران وروى ان سليمان كانت له ثلثمايه امراه وسبع مايه
جاريه فربك اعلم وذكر الكيا الطبري في احكامه في قوله تعالى
وهل اتاك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب الايه ذكر المحققون
الذين يرون تنزيه الانبيا عليهم السلام عن الكباير ان داود
كان قد اقدم على خطبة امراة قد خطبها غيره يقال هو اوريا

فقال القوم الى ان تزوجها من داود راغبين فيه وزاهدين
في الخاطب الاول ولم يكن بذلك داود عليه السلام عارفا
وقد كان يمكنه ان يعرف ذلك فيقول عن هذه الرغبه
وعن الخطبة بها فلم يفعل ذلك من حيث اعجب بها اما
وصفا او منشا هداه على غير تعمد وقد كان لداود
عليه السلام من النساء العدد الكثير وذلك الخاطب
لا امراة له فنبهه الله تعالى على ما فعل بما كان من
تسور الملكين وما اورداه من التمثيل على وجه
التعريض لكي يفهم من ذلك موقع العتب فيعدل عن
هذه الطريقه ويستغفر ربه من هذه الصغيرة
الثانية عشرة قوله تعالى لقد ظلمك بسوال
نعجتك الى نعاجه فيه الفتوى في النازلة بعد السماع
من احد الخصمين وقبل ان يسمع من الاخر بظاهر
هذا القول قال ابن العربي وهذا مما لا يجوز عند
احد ولا في ملة من الملل ولا يمكن ذلك للبشر
وانما تقدير الكلام ان احد الخصمين ادعى والاخر
سلم في الدعوى فوقعت بعد ذلك الفتوى وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم اذا جلس اليك الخصمان فلا
تقض لاحدهما حتى تسمع من الاخر وقيل ان داود

عليه السلام

عليه السلام لم يقض للاخر حتى اعترف صاحبه بذلك
وقيل تقديره لقد ظلمك ان كان كذلك والله اعلم بتعيين
ما يمكن من هذه الوجوه قلت ذكر هذين الوجهين
القشيري والماوردي وغيرهما قال القشيري وقوله
لقد ظلمك بسوال نعجتك من غير ان يسمع كلام الخصم
مشكل فيمكن ان يقال انما قال هذا بعد مراجعة
الخصم الاخر وبعد اعترافه وقد روي هذا وان لم تثبت
روايته فهو معلوم من قراين الحال او اراد لقد ظلمك
ان كان الامر على ما تقول فسكّته بهذا وصبّره الى ان
يسال خصمه قال ويحتمل ان يقال كان من شرعهم التعويل
على قول المدعي عند سكوت المدعى عليه اذا لم يظهر
منه انكار بالقول وقال الحليمي ابو عبد الله في كتاب
منهاج الدين له ومما جا في شكر النعمة المنتظره
اذا حضرت او كانت خافية فظهرت السجود لله عز وجل
قال والاصل في ذلك قوله عز وجل وهل اتاك نبو الخصم
اذ تسوروا المحراب الى قوله لزلفى وحسن مآب
اخبر الله جل وعز عن داود انه سمع قول المتظلم
من الخصمين ولم يخبر عنه انه سال الاخر انما حكى انه
ظلمه فكان ظاهر ذلك انه راى في المتكلم مخايل الضعف

والهضيمه فحمل امره على انه مظلوم كما يقول ودعاه
ذلك الى ان لا يسال الخصم فقال له مستعجلاً لقد ظلمك
مع امكان انه لو ساله لكان يقول كانت لي مايه نعجه
ولا شي لهذا فسرق مني هذه النعجه فلما وجدتها عنده
قلت له اردد ها وما قلت له اكفلنيها وعلم اني مرافع
اليك فجرني قبل ان اجره وجاك متظلماً مني قبل ان احضره
لتظن انه هو المحق واني انا الظالم ولما تكلم داود بما
حملته العجله عليه علم ان الله عز وجل خلاه ونفسه
في ذلك الوقت وهو الفتنه التي ذكرها وان ذلك لم يكن
الا عن تقصير منه فاستغفر ربه وسجد لله تعالى
شكرا على ان عصمه بان اقتصر على تظليم المشكو ولم
يزده على ذلك شيا من اشهار او ضرب او غيرهما
مما يليق بمن تصور في القلب انه ظالم فغفر الله له
ثم اقبل عليه يعاتبه فقال يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله فبان بما اقتصه الله تعالى
من هذه الموعظه التي توخاه بها بعد المغفره ان
خطيته انما كانت التقصير في الحكم والمبادره الى
تظليم من لم يثبت عنده ظلمه ثم جا عن ابن عباس
رضي

داود

رضي الله عنه انه قال سجدها شكرا وسجدها النبي صلى
الله عليه وسلم اتباعا فثبت ان السجود للشكر سنة
متواترة عن الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين بسوال
نعجتك اي بسواله نعجتك فاضا في المصدر الى المفعول
والغي الهاتين السوال وهو كقوله تعالى لا يسام
الانسان من دعا الخير اي من دعايه الخير الثالثة
عشرة قوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء يقال خليط
وخلطا ولا يقال طويل وطولا لثقل الحركة في الواو
وفيه وجهان احدهما انهما الاصحاب الثاني الشركا قلت
اطلاق الخلطا على الشركا فيه بعد وقد اختلف العلما
في صفة الخلطا فقال اكثر العلما هو ان ياتي كل واحد
بغنمه فيجمعها راع واحد والدلو والمراح وقال
طاووس وعطا لا تكون الخلطا الا الشركا وهذا خلاف
الخبر وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا يجمع بين مفترق
ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة وما كان من خليطين
فانهما يتراجعان بينهما بالسوية وروي فانهما يترادان
الفضل ولا موضع لتراد الفضل بين الشركا فاعلمه
واحكام الخلطه مذكورة في كتب الفقه ومالك واصحابه
وجمع من العلما لا يرون على من ليس في حصته ما يجب

زكاةً

فيه الزكاه وقال ربيعة والليث وجمع من العلما منهم الشافعي
اذا كان في جميعهما ما تجب فيها الزكاه اخذت منها الزكاةُ
قال مالك وان اخذ المصدق بهذا تراددوا بينهم للاختلاف
في ذلك ويكون الحكم حاكم اختلف فيه الرابعه عشرة
قوله تعالى ليبغي بعضهم على بعض اي يتعدي ويظلم الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات فانهم لا يظلمون احدا وقليل ما هم يعني
الصالحين اي وقليل هم فما زايده وقيل بمعنى الذي وتقديره
وقليل الذين هم وسمع عمر رضي الله عنه رجلا يقول في دعايه
اللهم اجعلني من عبادك القليل فقال له عمر ما هذا الدعا فقال
اردت قول الله عز وجل الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل
ما هم فقال عمر الناس افقه منك يا عمر الخامسه عشره
قوله تعالى وظن داود انما فتناه اي ابتليناه وظن معناه
ايقن قال ابو عمرو والفراظن بمعنى ايقن الا ان الفرا شرحه
بانه لا يجوز في المعاين ان يكون الظن الا بمعنى اليقين والقراه
فتناه بتشديد التا والنون على المبالغه وقرا قتادة وعبيد
بن عمير وابن السميقع فتناه بتخفيفهما ورواه علي بن نصر عن
ابي عمرو والمراد به الملكان اللذان دخلا على داود عليه السلام
السادسه عشرة قيل لما قضى داود بينهما في المسجد
نظر احدهما الى صاحبه فضحك فلم يفطن داود فاحيا ان
يعرفهما

دون
مقدم

يعرفهما فصعدا الى السما حيال وجهه فعلم داود عليه السلام
ان الله تعالى ابتلاه بذلك ونبهه علي ما ابتلاه قلت وليس في
القران ما يدل علي القضاء في المسجد الا هذه الاية وبها استدل
من قال بجواز القضا في المسجد ولو كان ذلك لا يجوز كما قال الشافعي
لما اقرهم داود علي ذلك ويقول انصرفا الي موضع القضا وكان
النبي صلي الله عليه وسلم والخلفا يقضون في المسجد وقد قال
مالك القضا في المسجد من الامر القديم يعني في اكثر الامور ولا باس
بان تجلس في رحبته ليصل اليه الضعيف والمشرك والحايض
ولا يقيم فيه الحدود ولا باس بخفيف الادب وقد قال اشهب
يقضي في منزله واين احب السابعه عشره قال مالك
رحمه الله وكان الخلفا يقضون بانفسهم واول من استقضى
معاويه قال مالك وينبغي للقضاه مشاورة العلماء وقال
عمر بن عبد العزيز لا يستقضى حتى يكون عالما با ثار من مضى
مستشيرا لذوي الراي حليما نزها ورعا قال مالك وينبغي
ان يكون متيقظا كثير التحذر من الحيل وان يكون عالما بالشروط
عارفا بما لا بد له منه من العربيه فان الاحكام تختلف باختلاف
العبارات والدعاوي والاقرار والشهادات والشروط التي
تتضمن حقوق المحكوم له وينبغي له ان يقول قبل انجاز الحكم
للمطلوب ابقيت لك حجه فان قال لا حكم عليه ولا يقبل منه حجه

بعد انفاذ حكمه الا ان ياتي بما له وجه او بينة واحكام القضا
والقضاة وفيما لهم وعليهم مذكورة في غير هذا الموضع الثامنة
عشرة قوله تعالى فاستغفر ربه اختلف المفسرون
في الذنب الذي استغفر منه على اقوال ستة الاول انه نظر
الى المراة حتى شبع منها قال سعيد بن جبير انما كانت فتنته
النظرة قال ابو اسحاق ولم يتعمد داود النظر الى المراة لكنه
عاود النظر اليها وصارت الاولى والثانية عليه الثاني انه
اغزا زوجها في حمل التابوت الثالث انه نوى ان مات زوجها
ان يتزوجها الرابع ان اوريا كان خطب تلك المراة فلما غاب خطبها
داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك اوريا فعتب الله
على داود اذ لم يتركها لخاطبها وقد كانت عنده تسع وتسعون
امراة الخامس انه لم يجزع على قتل اوريا كما كان يجزع على من
هلك من الجند ثم تزوج امراته فعاتبه الله تعالى على ذلك
لان ذنوب الانبيا وان صغرت فهي عظيمة عند الله تعالى
السادس انه حكم لاحد الخصمين قبل ان يسمع من الاخر
قال القاضي ابن العربي اما قول من قال انه حكم لاحد الخصمين
قبل ان يسمع من الاخر فلا يجوز على الانبيا وكذلك تعريض
زوجها للقتل واما من قال انه نظر اليها حتى شبع فلا يجوز
ذلك عندي لان طموح النظر لا يليق بالاوليا المتجردين للعبادة
فكيف

بلغ

محال

فكيف بالانبيا الذين هم وسايط الله المكاشفون بالغيب
وحكى السدي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال
لو سمعت رجلا يذكر ان داود عليه السلام قارف
من تلك المراة محرما لجلدته ستين ومايه لان حد الناس
ثمانون وحد الانبيا ستون ومايه ذكره الماوردي
والثعلبي ايضا قال الثعلبي وقال الحارث الاعور عن
علي من حدث بحديث داود على ما ترويه القصاص
معتقدا جلدته حدين لعظم ما ارتكب برمي من قد رفع
الله محله وارتضاه من خلقه رحمة للعالمين وحجة للمجتهدين
قال ابن العربي وهذا مما لم يصح عن علي فان قيل فما حكمه
عندكم قلنا اما من قال ان نبيا زنا فانه يقتل واما
من نسب اليه ما دون ذلك من النظر او الملامسة
فقد اختلف الناس في ذلك فان صمم احد على ذلك
يصره على امراة تغتسل عريانة فلما راته اسبلت شعرها
فسترت جسدها فهذا لا حرج عليه فيه باجماع من
الامة لان النظرة الاولى تكشف المنظور اليه ولا
ياثم الناظر بها فاما النظرة الثانية فلا اصل لها
واما قولهم انه خطب على خطبة اوريا فباطل يرده
القران والاثار التفسيرية كلها وقد روى اشهب

عن مالك قال بلغني ان تلك الحمامه اتت فوقعت قريبا
من داود عليه السلام وهي من ذهب فلما راها اعجبته
فقام لياخذها فكانت قرب يده ثم صنع مثل ذلك
مرتين ثم طارت واتبعها ببصره فوقعت عينه على تلك
المراة وهي تغتسل ولها شعر طويل فبلغني انه اقام
اربعين ليلة ساجدا حتى نبت العشب من دموع عينيه
قال ابن العربي اما قول المفسرين ان الطاير درج عنده
فهم باخذه واتبعه فهذا لا يناقض العباده لانه مباح
فعله لا سيما وهو حلال وطلب الحلال فريضة وانما
اتبع الطير لذاته لا لجماله فانه لا منفعة له فيه وانما
ذكرهم لحسن الطاير خرق في الجهالة اما انه روي
انه كان طايرا من ذهب فاتبعه لياخذه لانه من فضل
الله سبحانه كما روي في الصحيح ان ايوب عليه السلام
كان يغتسل عريانا فخر عليه رجل من جراد فجعل يحثي
منه ويجعل في ثوبه فقال الله تعالى له يا ايوب الم اكن
اغنيتك قال بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك وقال
القشيري فهم داود بان ياخذه ليدفعه الى ابن له صغير
فطار ووقع في كوة البيت وقاله الثعلبي ايضا وقد تقدم
التاسعة عشرة قوله تعالى وخر راكعا واناب

اي خر

أي خرّ ساجدًا وقد يعبّر عن السجود بالركوع قال الشاعر
فخرّ على وجهه راكعًا وتاب الى الله من كل ذنب ۰۰ قال ابن
العربي لا خلاف بين العلماء ان المراد بالركوع ها هنا السجود
لان السجود هو الميل والركوع هو الانحنا واحدهما يدخل على الاخر
فسمي الركوع سجودا ولكنه قد تختص كل واحد بهيئته ثم جا هذا
على تسمية احدها بالاخر فسمي السجود ركوعًا وقال
المهدوي وكان ركوعهم سجودا وقيل بل كان سجودهم ركوعًا
وقال مقاتل فوقع من ركوعه ساجدًا لله عز وجل اي
لما احس بالامر قام الى الصلاة ثم وقع من الركوع الى السجود
لاشتمالهما جميعًا على الانحنا وانا ب اي تاب من خطيئته
ورجع الى الله وقال الحسين بن الفضل سالني عبد الله
بن طاهر وهو الوالي عن قول الله عز وجل وخرّ راكعًا
هل يقال للراكع خرّ قلت لا قال فما معنى الاية قلت معنا ها
فخرّ بعد ان كان راكعًا اي سجد الموفية عشرين
واختلف في سجدة داود هل هي من عزايم السجود المامور
به في القران ام لا فروي ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله
عليه وسلم قرا على المنبر ص والقران ذي الذكر فلما بلغ
السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم
اخر قراها فتشزّن الناس للسجود فقال رسول الله

صلى الله عليه

انها توبة نبي ولكني رايتكم تشزنتم للسجود ونزل وسجد
وهذا لفظ ابي داود وفي البخاري وغيره عن ابن عباس انه قال
ص ليست من عزائم القران وقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم
يسجد فيها وقد روي من طريق عن ابن مسعود انه قال ص توبة
نبي ولا يسجد فيها وعن ابن عباس انها توبة نبي ونبيكم ممن
امر ان يقتدي به قال ابن العربي والذي عندي انها ليست
موضع سجود ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها فسجدنا
بالاقتداء به ومعنى السجود ان داود سجد خاضعا لربه معترفا
بذنبه تايبا من خطيئته فاذا سجد احد فيها فليسجد بهذه
النية فلعل الله ان يغفر له بحرمة داود الذي اتبعه وسوا
قلنا ان شرع من قبلنا شرع لنا ام لا فان هذا امر مشروع
في كل امة لكل احد والله اعلم الحاكية والعشرون قال
ابن خويز منداد قوله وخر راكعا واناب فيه دلالة على
ان السجود للشكر مفرد الا يجوز لانه ذكر معه الركوع وانما الذي
يجوز ان ياتي بركعتين شكرا فاما سجدة مفردة فلا وذلك
ان البشارات كانت تاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمة
بعده فلم ينقل عن احد منهم انه سجد شكرا ولو كان ذلك مفعولا
لهم لنقل نقلا متظاهرا لحاجة العامة الى جوازه وكونه قربة
قلت وفي سنن ابن ماجه عن عبد الله بن ابي اوفى ان رسول الله
صلى

صلي الله عليه وسلم صلى يوم بشر براس ابي جهل ركعتين وخرج
من حديث ابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اتاه
امر يسره او بشر به خر ساجدا شكرا لله وهذا قول الامام الشافعي
انها توبة نبي ولكني رايتكم تشزنتم للسجود ونزل وسجد وهذا
لفظ ابي داود وفي البخاري وغيره عن ابن عباس انه قال ص
ليست من عزايم القران وقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم
يسجد فيها وقد روي من طريق عن ابن مسعود انه قال
ص توبة نبي ولا يسجد فيها وعن ابن عباس انها توبة نبي ونبيكم
ممن امر ان يقتدي به قال ابن العربي والذي عندي انها ليست
موضع سجود ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها فسجدنا
بالاقتداء به ومعني السجود ان داود سجد خاضعا لربه
معترفا بذنبه تايبا من خطيته فاذا سجد احد فيها فليسجد
بهذه النيه فلعل الله ان يغفر له بحرمة داود الذي

الثانيه والعشرون قوله تعالى فغفرنا له ذلك اي
فغفرنا له ذنبه قال ابن الانباري فغفرنا له ذلك تام
ثم يبتدي وان له وقال القشيري ويجوز الوقف على
فغفرنا له ثم يبتدي ذلك وان له كقوله هذا وان للطاغين
اي الامر ذلك وقال عطا الخراساني وغيره ان داود سجد
اربعين يوما حتي نبت المرعي حول وجهه وغمر راسه

فنودي اجايع فنطعم او عار فتكسى فنحب نحبة هاج المرعى
من حر خوفه فغفر له وسنن بها فقال يارب هذا ذنبي
فيما بيني وبينك قد غفرته فكيف بفلان وكذا وكذا
رجلا من بني اسرائيل تركت اولادهم ايتاما ونساهم
ارامل قال يا داود لا يجاورني يوم القيامة ظلم امكنه
منك ثم استوهبك منه بثواب الجنة قال يارب هكذا
تكون المغفره الهنيه ثم قيل يا داود ارفع راسك فذهب
ليرفع راسه فاذا به قد نشب في الارض فاتاه جبريل
فاقتلعه عن وجه الارض كما يقتلع من الشجره صمغها
رواه الوليد بن مسلم عن ابن جابر عن عطا قال الوليد
واخبرني منذر بن الزبير قال فلزق موضع مساجده
على الارض من فروة وجهه ما شا الله قال الوليد
قال ابن لهيعة فكان يقول في سجوده سبحانك هذا
شرابي دموعي وهذا طعامي في رماد بين يدي في
رواية انه سجد اربعين يوما لا يرفع راسه الا للصلاة
المكتوبة فبكى حتى نبت العشب من دموعه وروى
مرفوعا من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان داود مكث اربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من
دموعه على راسه واكلت الارض من جبينه وهو يقول

في سجوده

في سجوده يارب داود زل زلة بعد بها ما بين المشرق
والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه
جعلت ذنبه حديثا في الخلق من بعده فقال له جبريل
بعد اربعين سنة يا داود ان الله قد غفر لك الهم الذي
هممت به وقال وهب ابن منبه ان داود عليه السلام
نودي اني قد غفرت لك فلم يرفع راسه حتى جاءه جبريل
فقال لم لا ترفع راسك وربك قد غفر لك فقال يارب
كيف وانت لا تظلم احدا فقال الله لجبريل اذهب الى داود
فقل له يذهب الى قبر اوريا فيتحلل منه فانا اسمعه بذلك فلبس
داود المسوح وجلس عند قبر اوريا ونادا يا اوريا فقال
لبيك من هذا الذي قطع عني لذتي وايقظني فقال انا اخوك
داود اسالك ان تجعلني في حل فاني عرضتك للقتل قال
عرضتني للحسنة فانت في حل وقال الحسن وغيره كان داود
عليه السلام بعد الخطية لا يجالس الا الخاطيين ويقول
تعالوا الى داود الخطا ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع
عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال
يبكي حتى يبتل بدموعه وكان يذر عليه الرماد والملح فياكل
ويقول هذا اكل الخاطيين وكان قبل الخطيه يقوم نصف
الليل ويصوم نصف الدهر ثم صام بعده الدهر كله

وقام الليل كله وقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت
خطيئته منقوشة في كفه وكان لا يبسطها لطعام ولا
شراب ولا شي الا راها فابكته وان كان ليوتى بالقدح
ثلثاه ما فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه عن شفته حتى
يفيض من دموعه وروى الوليد بن مسلم حدثني ابو عمرو
الاوزاعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل
عيني داود مثل القربتين تنطفان ولقد خدد الدموع
في وجه داود خديد الماء في الارض قال الوليد وحدثنا
عثمان بن ابي العاتكة انه كان من قول داود اذ
هو خلو من الخطيئة شده قوله في الخطايين ان كان يقول
اللهم لا تغفر للخطايين ثم صار الى ان يقول اللهم رب
اغفر للخطايين لكي تغفر لداود معهم سبحان خالق النور
الهي خرجت اسال اطبا عبادك ان يداووا خطيتي
فكلهم عليك يدلني الهي اخطات خطيئة قد خفت ان
تجعل حصادها عذابك يوم القيامه ان لم تغفرها
سبحان خالق النور الهي اذا ذكرت خطيتي ضاقت
الارض بما رحبت علي واذا ذكرت رحمتك ارتد الي
روحي وفي الخبر ان داود عليه السلام كان اذا علا
المنبر رفع يمينه فاستقبل بها الناس ليريهم نقش
خطيئته

برحبها
صح

خطيئته فكان ينادي الهي اذا ذكرت خطيتي ضاقت
علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتد الي روحي
رب اغفر للخطايين كي تغفر لداود معهم وكان يقعد
على سبعة افرشة من الليف محشوه بالرماد فكان
يستنقع دموعه تحت رجليه حتى تنفد الافرشه
كلها وكان اذا كان يوم نوحه نادي مناديه في
الطرق والاسواق والاوديه والشعاب وعلي روس
الجبال وافواه الغيران الا ان هذا يوم نوح داود
فمن اراد ان يبكي علي ذنبه فلياتِ داود فيسعده ان
فيهبط السياح من الغيران والاوديه وترتج الاصو
حول منبره والوحوش والسباع والطير عكف وبنو
اسرايل حول منبره فاذا اخذ في العويل والنوح واثارت
الحرقات منابع دموعه صارت الجماعه صيحة واحدة
نوحا وبكا حتى يموت حول منبره بشر كثير في مثل
ذلك اليوم ومات داود عليه السلام فيما قيل يوم
السبت فجاة اتاه ملك الموت وهو يصعد في محرابه
وينزل فقال جيت لاقبض روحك فقال دعني حتى
انزل او ارتقي فقال مالي الي ذلك سبيل نفدت الايام
والشهور والسنون والاثار والارزاق فما انت

بموتي بعدها اثرا قال فسجد داود على مرقاه من الارج
فقبض نفسه على تلك الحاله وكان بينه وبين موسى
عليهما السلام خمس مايه وتسع وتسعون سنه وقيل
تسع وسبعون وعاش مايه سنه واوصى الى ابنه
سليمان بالخلافه **الرابعه والعشرون** قوله تعالى
وان له عندنا الزلفى وحسن ماب قال محمد بن كعب ومحمد
بن قيس وان له عندنا الزلفى قربه بعد المغفره وحسن
ماب قال والله ان اول من يشرب الكاس يوم القيامه
داود وقال مجاهد عن عبد الله بن عمر الزلفى الدنو
من الله عز وجل يوم القيامه وعن مجاهد يبعث داود
يوم القيامه وخطيته منقوشه في يده فاذا راى
اها ويك يوم القيامه لم يجد منها محرزا الا ان يلجا
الى رحمه الله تعالى قال ثم يرى خطيته فيقلق
فيقال له ها هنا ثم يرى فيقلق فيقال له ها هنا
ثم يرى فيقلق فيقول له ها هنا فذلك قوله عز وجل
وان له عندنا الزلفى وحسن ماب ذكره الترمذي
الحكيم قال ثنا الفضل بن محمد قال ثنا عبد الملك
بن الاصبغ قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا ابراهيم
بن محمد الفزاري عن عبد الملك بن ابي سليمان عن مجاهد
فذكره

فذكره قال الترمذي ولقد كنت امر زمانا طويلا
بهذه الايات فلا ينكشف لي المراد والمعنى من قوله
ربنا عجل لنا قطنا والقط الصحيفه في اللغه وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا عليهم فامن
اوتي كتابه بيمينه وقال لهم انكم ستجد ون هذا
كله في صحايف تعطونها بشمالكم فقالوا ربنا عجل
لنا قطنا اي صحيفتنا قبل يوم الحساب قال الله تعالى
اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد
فقص قصة خطيته الى منتهاها فكنت اقول امره
بالصبر على ما قالوا وامره بذكر داود فاي شي اريد
من هذا الذكر وكيف اتصل هذا بذاك فلا اقف على شي
يسكن قلبي عليه حتى هداني الله له يوما فالهمته
ان هولاء انكروا قوله انهم يعطون كتبهم بشمايلهم
فيها ذنوبهم وخطاياهم استهزاءً بامر الله وقالوا
ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فاوجد ذلك
من استهزايهم فامره بالصبر على مقالتهم وان يذكر عبده
داود سال ان يجعل خطيته ان يراها منقوشه في كفه
فنزل بعد ما نزل من الله كان اذا راها اضطرب وامتلا
القدح من دموعه وكان اذا راها بكي حتى تنفد سبعة

افرشة من الليف محشوة بالرماد فانما سالها بعد
المغفره وبعد تبعه ضمان الخصم وان الله تبارك وتعالى
اسمه يستوهبه منه وهو حبيبه ووليه وصفيه
فرويه نفس الخطيه بصورتها مع هذه المرتبه صنعت
به هكذا فكيف كان يحل باعداء الله وبعصاته من خلقه
واهل حزبه لو عجلت لهم صحايفهم فنظروا الى صور تلك
الخطايا التي عملوها على الكفر والجحود وماذا الحل بهم
اذا نظروا اليها في تلك الصحايف وقد اخبر الله عنهم
فقال فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا
مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
فداود صلوات الله عليه مع المغفره والبشرى والعطف
لم يقم لروية صورتها وقد روينا في الحديث اذا راها
يوم القيامة منقوشة في كفه قلق حتى يقال له ها هنا
ثم يرى فيقلق ثم يقال له ها هنا ثم يرى فيقلق حتى
يغرب فيسكن قوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة
في الارض فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى انا جعلناك
خليفة في الارض اي ملكناك لتامر بالمعروف وتنهى عن
المنكر فتخلف من كان قبلك من الانبيا والايمة الصالحين
وقد مضى في البقرة القول في الخليفه واحكامه

يلح

مستوفي

مسئلة في والحمد لله الثانية قوله تعالى فاحكم بين الناس
بالحق اي بالعدل وهو امر على الوجوب وقد ارتبط
هذا بما قبله وذلك ان الذي عوتب عليه داود طلبه
المراة من زوجها وليس ذلك بعدل فقيل له بعد هذا
فاحكم بين الناس بالعدل ولا تتبع الهوى اي لا تقتدي
بهواك المخالف لامر الله فيضلك عن سبيل الله اي عن طريق
الجنة ان الذين يضلون عن سبيل الله اي يحيدون عنها ويتركونها
لهم عذاب شديد في النار بما نسوا يوم الحساب اي بما يضلون ويعدلون
تركوا من سلوك طريق الله فقوله نسوا اي تركوا الايمان
به او تركوا العمل به فصاروا كالناسين ثم قيل هذا
لداود لما اكرمه الله بالنبوة وقيل بعد ان تاب عليه
وغفر خطيئته الثالثة الاصل في الاقضية قوله
تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين
الناس بالحق وقوله وان احكم بينهم بما انزل الله اليك
وقوله تعالى لتحكم بين الناس بما اراك الله وقال تعالى
يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط
الاية وقد تقدم الكلام فيه الرابعة قال ابن عباس
في قوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض
فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله

قال ان ارتفع لك الخصمان وكان لك في احدهما هوى فلا
تشتهي في نفسك الحق له ليفلج على صاحبه فان فعلت
محوت اسمك من نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا اهل
كرامتي فدل هذا على وجوب الحكم بالحق وان لا يميل الى
احد الخصمين لقرابة او رجا نفع او سبب يقتضي
الميل من صحبة او صداقة او غيرهما وقال ابن عباس
انما ابتلي سليمان بن داود عليهما السلام لانه تقدم
اليه خصمان فهوى ان يكون الحق لاحدهما وقال عبد
العزيز بن ابي رواد بلغني ان قاضيا كان في زمن بني
اسرائيل بلغ من اجتهاده ان طلب الى ربه ان يجعل بينه
وبينه علما اذا هو قضى بالحق عرف ذلك واذا هو
قصر عرف ذلك فقيل له ادخل منزلك ثم مد يدك
في جدارك ثم انظر حيث تبلغ اصابعك من الجدار
فاخطط عندها خطا فاذا انت قمت من مجلس القضا
فارجع الى ذلك الخط فامدد يدك اليه فانك متى ما
كنت على الحق فانك ستبلغه وان قصرت عن الحق قصر
بك فكان يغدو الى القضا وهو مجتهد فكان لا يقضي
الا بالحق واذا قام من مجلسه وفرغ لم يذق طعاما ولا
شرابا ولم يفض الى اهله بشي من الامور حتى ياتي ذلك
الخط

بيان

مطلب في الموعظة

[illegible]

الخط فاذا بلغه حمد الله وافضى الى ما احل الله له من
اهل ومطعم او مشرب فلما كان ذات يوم وهو في
مجلس القضا اقبل اليه رجلان يريدانه فوقع في نفسه
انهما يريدان ان يختصما اليه وكان احدهما له صديق وخدن
فتحرك قلبه عليه محبة ان يكون الحق له فيقضي له فلما ان
فلما ان تكلما دار الحق على صاحبه فقضى عليه فلما قام من
مجلسه ذهب الى خطه كما كان يذهب كل يوم فمد يده
الى الخط فاذا الخط قد ذهب وتشمر الى السقف واذا
هو لا يبلغه فخر ساجدا وهو يقول يا رب شيئا لم
اتعمده ولم اورده فبينه لي فقيل له الحسن ان الله
لم يطلع على جناية قلبك حيث احببت ان يكون الحق
لصديقك فتقضي له به قد اردته واحببته ولكن
الله قد رد الحق الى اهله وانت كاره وعن ليث قال
تقدم الى عمر بن الخطاب خصمان فاقامهما ثم عادا فاقامهما
ثم عادا ففصل بينهما فقيل له في ذلك فقال تقدما
الي فوجدت لاحدهما ما لم اجد لصاحبه
فكرهت ان افصل بينهما على ذلك ثم عادا فوجدت بعض
ذلك ثم عادا وقد ذهب ذلك ففصلت بينهما وقال الشعبي
كان بين عمر وابي خصومة فتقاضيا الى زيد بن ثابت

فلما دخلا عليه اشار لعمر الى وسادة ثم فقال عمر هذا
اول جورك اجلسني واياه مجلسا واحدا اجلسا بين يديه
الخامسة هذه الايه تمنع من حكم الحاكم بعلمه لان
الحكام لو مكنوا ان يحكموا بعلمهم لم يشا احدهم اذا اراد
ان يحفظ وليه ويهلك عدوه الا ادعى علمه فيما حكم به
ونحو ذلك روي عن جماعة من الصحابه منهم ابو بكر قال
لو رايت رجلا على حد من حدود الله ما احدته حتى يشهد
على ذلك غيري وروى ان امراة جات الى عمر فقالت له
احكم لي على فلان بكذا فانك تعلم مالي عنده فقال لها ان
اردت اشهد لك فنعم واما الحكم فلا وفي صحيح مسلم عن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بيمين
وشاهد وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اشترى
فرسا فجحده البايع فلم يحكم عليه بعلمه وقال من يشهد
لي فقام خزيمه يشهد فحكم خرج الحديث ابو داود
وغيره وقد مضى في البقره **قوله تعالى وما خلقنا**
السما والارض وما بينهما باطلا اي هزلا ولعبا اي ما
خلقناهما الا لامر صحيح وهو الدلاله على قدرتنا ذلك
ظن الذين كفروا اي حسبان الذين كفروا ان الله خلقهما
باطلا فويل للذين كفروا من النار ثم وبخهم فقال ام نجعل
الذين

الذين امنوا وعملوا الصالحات والميم صلة تقديره انجعل
الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض وكان
في هذا رد على المرجئة لانهم يقولون يجوز ان يكون
المفسد كالصالح او ارفع درجة منه وبعده ايضا ام
نجعل المتقين كالفجار اي انجعل اصحاب محمد عليه السلام
كالكفار قاله ابن عباس وقيل هو عام في المسلمين المتقين
والفجار الكافرين وهو احسن وهو رد على منكري البعث
الذين جعلوا مصير المطيع والعاصي الى شيء واحد قوله تعالى
كتاب اي هذا كتاب انزلناه اليك يا محمد ليدبروا فادغمت
التاء في الدال وفي هذا دليل على معرفة معاني القران
ودليل على ان الترتيل افضل من الهذ اذ لا يصح التدبر
مع الهذ على ما بيناه في كتاب التذكار وقال الحسن
تدبر ايات الله اتباعها وقراة العامة ليدبروا
وقرا ابو جعفر وشيبة لتدبروا بتاء وتخفيف
الدال وهي قراة علي رضي الله عنه والاصل لتتدبروا
فحذف احدى التائين تخفيفا وليتذكر اولوا الالباب
اي اصحاب العقول واحدها لب وقد جمع على البب كما
جمع بوس على ابوس ونعم على انعم قال ابو طالب قلبي
اليه مشرف الالبب وربما اظهروا التضعيف في

المرجئة

اي ليتدبروا

ضرورة الشعر قال الكميت : اليكم ذوي ال النبي تطلعت
نوازع من قلبي ظماً والبُ قوله تعالى ووهبنا
لداود سليمان نعم العبد انه اواب لما ذكر داود ذكر
سليمان واواب معناه مطيع اذ عرض عليه بالعشي
الصافنات الجياد يعني الخيل جمع جواد للفرس اذا كان
شديد الحضر كما يقال للانسان جواد اذا كان كثير العطية
غزيرها يقال قوم اجواد وخيل جياد جاد الرجل
بماله يجود جوداً فهو جواد وقوم جود مثال قذال
وقذل وانما سكنت الواو لانها حرف علة واجواد
واجاود وجوداً ولذلك امراة جواد ونسوة جود
مثل نوار ونور قال الشاعر صناع باشفاها حصان
بشكرها جواد بقوت البطن والعرق زاخر :
ويقول سرنا عقبة جواداً او عقبتين جوادين وعقبا
جياداً وجاد الفرس اي صار رائعاً يجود جودة
بالضم فهو جواد للذكر والانثى من خيل وهو العنق
لان طوال الاعناق الخيل من صفات فراهتها وفي
الصافنات ايضا وجهان احدهما ان صفونها قيامها
قال القتيبي والفرا الصافن في كلام العرب الواقف
من الخيل او غيرها ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه

انه قال من سره ان يقوم له الرجال صفوناً فليتبوأ
مقعده من النار اي يديمون له القيام حكاه قطرب
ايضا وانشد قول النابغة لنا قبة مضروبة بفنائها
عتاق المهاري والجياد الصوافن وهذا قول قتادة وقيل
الثاني ان صفونها رفع احدى اليدين على طرف الحافر
حتى تقوم على ثلاث كما قال الشاعر
الف الصفون فما يزال كانه مما يقوم على الثلاث كسيرا
تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة اعنتها صفونا وهذا
قول مجاهد قال الكلبي غزا سليمان اهل دمشق ونصيبين
فاصاب منهم الف فرس وقال مقاتل ورث سليمان عليه السلام
من ابيه داود الف فرس وكان ابوه اصابها من العمالقة
وقال الحسن بلغني انها كانت خيلا خرجت من البحر
وكانت لها اجنحة وكذلك قال علي رضي الله عنه
كانت عشرين فرسا ذوات اجنحة وقيل كانت مائة
فرس وفي الخبر عن ابراهيم التيمي انها كانت عشرين الفا
والله اعلم وقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي يعني
بالخير الخيل والعرب تسميها لذلك وتعاقب بين الراء
واللام تقول انهملت العين وانهمرت وختلت وخترت
اذا خدعت قال الفراء الخير في كلام العرب والخيل واحد

النحاس في الحديث الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة
فكانها سميت خيرا لهذا وفي الحديث لما وفد زيد الخيل
على النبي صلى الله عليه وسلم قال له انت زيد الخير وهو زيد
بن مهلهل الشاعر وقيل انما سميت خيرا لما فيها من المنافع
وفي الخبر ان الله تعالى عرض على ادم جميع الدواب وقيل له
اختر منها واحدا فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك
فصار اسمه الخير من هذا الوجه وسمي خيلا لانها موسومة
بالعز وسمي فرسا لانه يفترس مسافات الجو افتراس
الاسد وثبانا ويقطعها كالالتهام بيديه على كل شي
خبطا وتناولا وسمي عربيا لانه جيء به من بعد ادم
لاسماعيل جزاء عن رفع قواعد البيت واسماعيل عربي
فصارت له نحلة من الله فسمي عربيا وحب مفعول
في قول الفرا المعنى اني اثرت حب الخير وغيره يقدره
مصدرا اضيف الى المفعول اي احببت فقعدت وتاخرت
من قولهم احب البعير اذا برك وتاخر واحب فلان اي
طاطا راسه قال ابو زيد يقال بعير محب وقد احب
احبابا وهو ان يصيبه مرض او كسر ولا يبرح مكانه
حتى يبرا او يموت وقال ثعلب يقال ايضا للبعير
الحسير الكبير محب فالمعنى قعدت عن ذكر ربي وحب
على

بلغ

الحسير

على هذا مفعول له وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب
التبيان احببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء
اذا احبا حتى توارت بالحجاب يعني الشمس كناية عن
غير مذكور مثل قوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة اي على
ظهر الارض ويقول العرب هاجت باردة اي هاجت الريح
باردة وقال الله تعالى حتى اذا بلغت الحلقوم وقال تعالى انها
ترمي بشرر كالقصر ولم يتقدم للنار ذكر وقال الزجاج انما
يجوز الاضمار اذا جرى ذكر الشي او دليل الذكر وقد جرى هاهنا
الدليل وهو قوله بالعشي والعشي ما بعد الزوال والتواري
الاستتار عن الابصار والحجاب جبل اخضر محيط بالخلايق
قاله قتادة وكعب وقيل جبل دون قاف والحجاب الليل
سمي حجابا لانه يستر ما فيه وقيل حتى توارت اي الخيل في المسابقة
وذلك ان سليمان كان له ميدان مستدير يسابق فيه بين الخيل
حتى توارى عنه وتغيب عن عينه في المسابقة لان الشمس لم
يجر لها ذكر وذكر النحاس ان سليمان عليه السلام كان في
صلاة فجي اليه بخيل لتعرض عليه قد غنمت فاشار بيده
لانه كان يصلي حتى توارت الخيل وسترتها جدر الاصطبلات
فلما فرغ من صلاته قال ردوها علي فطفق مسحا بالسوق اي
فاقبل يمسحها مسحا وفي معناه قولان احدها انه اقبل يمسح

سوقها واعناقها بيده اكراما منه لها ويرى ان الخليل لا يفيح ان
يفعل مثل هذا الحيله وقال قايل هذا القول كيف يقتلها وفي ذلك
افساد المال ومعاقبه من لا ذنب له وقيل المسح هاهنا هو القطع
اذن له في قتلها قال الحسن والكلبي ومقاتل صلى سليمان الصلاه
الاولى وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه وكانت الف فرس تعرض
عليه منها تسع مايه فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس
قد غربت وفاتت الصلاه ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم فقال
ردوها علي فردت فعقرها بالسيف قربة لله وبقي منها
مايه فما في ايدي الناس من الخيل العتاق اليوم فهي من نسل
تلك الخيل قال القشيري وقيل ما كان في ذلك الوقت صلاة
ظهر ولا صلاة عصر بل كانت تلك الصلاه نافلة فشغل
عنها وكان سليمان عليه السلام رجلا مهيبا فلم يذكره
احد ما نسي من الفرض او النفل فظنوا التاخر مباحا
فتذكر سليمان تلك الصلاه الفايته وقال على سبيل التلهف
اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اي عن الصلاه وامر
برد الافراس اليه وامر بضرب عراقيبها واعناقها
ولم يكن ذلك معاقبة للافراس اذ ذبح البهايم جايز اذا
كانت ماكولة بل يعاقب نفسه حتى لا تشغله الخيل
بعد ذلك عن الصلاة ولعله عرقبها ليذبحها فحبسها
بالعرقبه

بالعرقبة عن النفار ثم ذبحها في الحال ليتصدق بلحمها او
لان ذلك كان مباحًا في شرعه فاتلفها لما شغلته عن
ذكر الله حتى يقطع عن نفسه ما يشغله عن الله فاثنى
الله عليه بهذا وبين انه اثابه بان سخر له الريح فكان
يقطع عليها من المسافة في يوم ما يقطع مثله على الخيل
في شهرين غدوًا ورواحًا وقد قيل ان الهاء في قوله
ردوها على للشمس لا للخيل قال ابن عباس سالت عليًا
عن هذه الاية فقال ما بلغك فيها فقلت سمعت كعبًا يقول
ان سليمان لما اشتغل بعرض الافراس حتى توارت الشمس
بالحجاب وفاتته الصلاة قال اني احببت حب الخير عن
ذكر ربي اي اثرت الخير عن ذكر ربي الاية ردوها علي يعني
الافراس وكانت اربع عشرة فضرب سوقها واعناقها
بالسيف وان الله سلبه ملكه اربع عشرة يومًا لانه ظلم
الخيل فقال علي بن ابي طالب كذب كعب لكن سليمان
اشتغل بعرض الافراس للجهاد حتى توارت اي غربت الشمس
بالحجاب فقال بامر الله للملائكة الموكلين بالشمس ردوها
يعني الشمس فردوها حتى صلى العصر في وقتها وان انبيا
الله لا يظلمون لانهم معصومون قلت الاكثر في التفسير
ان الذي توارت بالحجاب هي الشمس وتركها لدلالة السامع

عليها بما ذكر مما يرتبط بها ويتعلق بذكرها حسب ما تقدم
بيانه وكثيرا ما يضمرون الشمس قال لبيد :

حتى اذا القت يدا في كافر واجن عورات الثغور ظلامها

والها في ردوها للخيل ومسحها قال الزهري وابن كيسان
كان يمسح سوقها واعناقها ويكشف الغبار عنها حبا لها وقاله
الحسن وقتاده وابن عباس وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
رئي وهو يمسح فرسه بردايه وقال اني عوتبت الليله في
الخيل خرجه الموطا عن يحيى بن سعيد مرسلا وهو في غير الموطا
مسند متصل عن مالك عن يحيى بن سعيد عن انس وقد مضى
في الانفال قوله عليه السلام وامسحوا بنواصيها واكفالها
وروي ابن وهب عن مالك انه مسح اعناقها وسوقها
بالسيوف قلت وقد استدل الشبلي وغيره من الصوفية
في تقطيع ثيابهم وتخريقها بفعل سليمان هذا وهو استدلال
فاسد لانه لا يجوز ان ينسب الى نبي معصوم انه فعل الفساد
والمفسرون اختلفوا في معنى الايه فمنهم من قال مسح على اعناقها
وسوقها اكراما لها وقال انت في سبيل الله فهذا اصلاح
ومنهم من قال عرقبها ثم ذبحها وذبح الخيل واكل لحمها جايز وقد
مضى في النحل بيانه وعلى هذا فما فعل شيا عليه فيه جناح
فاما افساد ثوب صحيح لا لغرض صحيح فانه لا يجوز ومن الجايز

ان

ان يكون في شريعة سليمان جواز ما فعل ولا يكون في شرعنا
وقد قيل انما فعل بالخيل ما فعل باباحة الله جل وعز له ذلك
وقد قيل ان مسحه اياها وسمها بالكي وجعلها في سبيل الله والله
اعلم وقد ضعف هذا القول من حيث ان السوق ليست بمحل
الوسم بحال وقد يقال للكي على الساق علاط وعلى العنق وثاق
والذي في الصحاح للجوهري علط البعير علطا كواه في عنقه
بسمة العلاط والعلاطان جانبا العنق قلت ومن قال
ان الهاء في ردوها ترجع للشمس فذلك من معجزاته وقد اتفق
مثل ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم خرج الطحاوي في مشكل
الحديث عن اسما بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يوحى اليه وراسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت
الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت يا علي
قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ان كان في طاعتك
وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسما فرايتها
غربت ثم رايتها بعد ما غربت طلعت على الجبال والارض
وذلك بالصهباء في خيبر قال الطحاوي وهذان الحديثان
ثابتان ورواتهما ثقات قلت وضعف ابو الفرج الجوزي
هذا الحديث فقال وغلو الرافضة في حب علي عليه السلام
حملهم على ان وضعوا احاديث كثيرة في فضايله منها ان الشمس

غابت فقاتت عليا عليه السلام العصر فردت له
الشمس وهذا من حيث النقل محال ومن حيث المعنى
فان الوقت قد فات وعودها طلوع متجدد لا يرد
الوقت ومن قال ان الها ترجع الى الخيل وانها كانت
تبعد عن عين سليمان في السباق ففيه دليل على المسابقة
بالخيل وهو امر مشروع وقد مضى القول فيه في يوسف
قوله تعالى ولقد فتنا سليمان الايه قيل فتن سليمان
بعد ما ملك عشرين سنه وملك بعد الفتنة عشرين
سنه ذكره الزمخشري وفتنا اي ابتلينا وعاقبنا
وسبب ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال اختصم الى سليمان عليه السلام فريقان احدهما
من اهل جراده امراة سليمان كان يحبها فهوي ان
يقع القضا لهم ثم قضى بينهما بالحق فاصابه الذي اصابه
عقوبه لذلك الهوى وقال سعيد بن المسيب ان
سليمان عليه السلام احتجب عن الناس ثلثة ايام لا
يقضي بين احد ولا ينصف مظلوما من ظالم فاوحى
الله تعالى اليه اني لم استخلفك لتحتجب عن عبادي
ولكن لتقضي بينهم وتنصف مظلومهم وقال شهر بن
حوشب ووهب بن منبه ان سليمان سبا بنت ملك
غزاه

غزاه في البحر في جزيره من جزاير البحر يقال لها صيدون
فالقيت عليه محبتها وهي تعرض عنه لا تنظر اليه الا
شزرا ولا تكلمه الا نزرا وكان لا يرقى لها دمع حزنا
على ابيها وكانت في غاية من الجمال ثم انها سالته ان
يصنع لها تمثالا على صورة ابيها حتى تنظر اليه فامر
فصنع لها فعظمته وسجدت له وسجدت معها جواريها
وصار صنما معبودا في داره وهو لا يعلم حتى مضت
اربعون ليلة وفشا خبره في بني اسرايل وعلم به سليمان
فكسره وحرقه ثم ذراه في البحر وقيل ان سليمان لما
اصاب ابنة ملك صيدون واسمها جراده فيما ذكر
الزمخشري اعجب بها فعرض عليها الاسلام فابت وخوفها
فقالت اقتلني ولا اسلم فتزوجها وهي مشركه وكانت
تعبد صنما لها من ياقوت اربعين يوما في خفية من سليمان
الى ان اسلمت فعوقب سليمان بزوال ملكه اربعين يوما
وقال كعب الاحبار انه لما ظلم الخيل بالقتل سلب ملكه
وقال الحسن انه قارب بعض نسايه في شي من حيض
او غيره وقيل انه امر ان لا تتزوج الا من بني اسرايل امراة
فتزوج امراة من غيرهم فعوقب عن ذلك والله اعلم
قوله تعالى ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا قيل شيطان

في قول اكثر اهل التفسير القي الله شبهه سليمان عليه السلام عليه
واسمه صخر بن عمير صاحب البحر وهو الذي دل سليمان علي
الناس حين امر سليمان ببنا بيت المقدس فضربت الحجارة
والفصوص وغيرها ولا يصوت قال ابن عباس كان ماردا لا
يقوي عليه جميع الشياطين ولم يزل يحتال حتى ظفر بخاتم
سليمان بن داود وكان سليمان لا يدخل الكنيف بخاتمه فجا
صخر في صورة سليمان حتى اخذ الخاتم من امراة من نساء سليمان
ام ولد له يقال لها الامينة قاله شهر ووهب وقال ابن عباس
وابن جبير اسمها جرادة فقام اربعين يوما علي ملك سليمان
وسليمان هارب حتى رد الله عليه الخاتم والملك وقال سعيد
بن المسيب كان سليمان قد وضع خاتمه تحت فراشه فاخذه
الشيطان من تحته وقال مجاهد اخذه الشيطان من يد سليمان
لان سليمان سال الشياطين وكان اسمه اصف كيف يضلون
الناس فقال له الشيطان اعطني خاتمك حتى اخبرك فاعطاه
خاتمه فلما اخذ الشيطان الخاتم جلس علي كرسي سليمان متشبها
بصورته داخلا علي نسايه يقضي بغير الحق ويامر بغير الصواب
واختلف في اصابته لنساء سليمان فحكي عن ابن عباس ووهب
بن منبه انه كان ياتيهن في حيضهن وقال مجاهد منع من
اتيانهن وزال عن سليمان ملكه فخرج هاربا الي ساحل البحر

يتضيف

الصنعة بكل بلد واحد والها س يجعلوا السطور
الهمسا سرياد

يتضيف الناس ويحمل سموك الصيادين بالاجر واذا اراد اخبر
الناس انه سليمان كذبوه قال قتادة ثم ان سليمان بعد ان
استنكر بنو اسرائيل حكم الشيطان اخذ حوتة من صياد وقيل
انه استطعمها وقال ابن عباس اخذها اجرة في حمل حوت وقيل
ان سليمان صادها فلما شق بطنها وجد خاتمه فيها وذلك
بعد اربعين يوما من زوال ملكه وهي عدد الايام التي عبد
الصنم في داره وانما وجد الخاتم في بطن الحوت لان الشيطان
الذي اخذه القاه في البحر وقال علي ابن ابي طالب بينا سليمان
على شاطي البحر وهو يعبث بخاتمه اذ سقط منه في البحر وكان
ملكه في خاتمه قال جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم
كان نقش خاتم سليمان عليه السلام لا اله الا الله محمد رسول الله
وحكى يحيى بن ابي عمرو الشيباني ان سليمان وجد خاتمه
بعسقلان فمشى منها الى بيت المقدس تواضعا لله تعالى
قال ابن عباس وغيره ثم ان سليمان لما رد الله عليه ملكه
اخذ صخرا الذي اخذ خاتمه ونقر له صخرة وادخله فيها
وسد عليه باخرى واوثقها بالحديد والرصاص وختم
عليها بخاتمه والقاها في البحر وقال هذا محبسك الى يوم
القيامه وقال علي رضي الله عنه لما اخذ سليمان الخاتم اقبلت
اليه الشياطين والجن والانس والطير والوحش والريح وهرب

الشيطان الذي خلف في اهله فاتي جزيرة في البحر فبعث اليه الشياطين
فقالوا لا نقدر عليه ولكنه يرد عينا في الجزيره في كل سبعة ايام يوما
ولا نقدر عليه حتي يسكر قال فنزح سليمان ماءها وجعل فيها خمرا
فجاء يوم ورده فاذا هو بالخمر فقال والله انك لشراب طيب الا انك
تطيشين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا ثم عطش عطشا شديدا ثم
اتاها فقال مثل مقالته ثم شربها فغلبت علي عقله واروه الخاتم
فقال سمعا وطاعه فاتوا به سليمان فاوثقه وبعث به الي جبل فذكروا
انه جبل الدخان فقالوا ان الدخان الذي يرون من نفسه والماء
الذي يخرج من الجبل من بوله وقال مجاهد اسم ذلك الشيطان
اصف وقال السدي اسمه حبقيق والله اعلم وقد ضعف هذا
القول من حيث ان الشيطان لا يتصور بصورة الانبيا ثم من
المحال ان يلتبس علي اهل مملكة سليمان الشيطان بسليمان حتي
يظنوا انهم مع نبيهم في حق وهم مع الشيطان في باطل وقيل
ان الجسد ولد ولد لسليمان وانه لما ولد اجتمعت الشياطين
وقال بعضهم لبعض ان عاش له ابن لم ننفك مما نحن فيه من
البلاء والسخرة فتعالوا نقتل ولده او نخبله فعلم سليمان
بذلك فامر الريح حتي حملته الي السحاب وغدا ابنه في السحاب خوفا
من مضرة الشياطين فعاقبه الله بخوفه من الشياطين فلم يشعر
الا وقد وقع علي كرسيه ميتا قال فعناه الشعبي فهو الجسد

الذي

الذي قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا وحكى النقاس
وغيره ان اكثر ما وطى سليمان جواريه طلبا للولد فولد له
نصف انسان فهو كان الجسد الملقى على كرسيه جاءت القابله
فالقته هناك وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليله
على تسعين امراه كلهن ياتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له
صاحبه قل ان شا الله فلم يقل ان شا الله فطاف عليهن جميعا
فلم تحمل منهن الا امراه واحده جات بشق رجل وايم الذي
نفس محمد بيده لو قال ان شا الله لجاهدوا في سبيل الله
فرسانا اجمعون وقيل ان الجسد هو اصف بن برخيا الصديق
كاتب سليمان وذلك ان سليمان لما افتتن بسقط الخاتم من يده
وكان فيه ملكه فاعاده الى يده فسقط فايقن بالفتنة فقال
له اصف انك مفتون ولذلك لا يتماسك الخاتم في يدك ففر
الى الله تعالى تايبا من ذلك وانا اقوم مقامك في عالمك الى ان
يتوب الله عليك ولكن من حيث افتتنت اربعة عشر يوما
ففر سليمان هاربا الى ربه واخذ اصف الخاتم فوضعه في
يده فثبت وكان عنده علم من الكتاب واقام اصف في ملك
سليمان وعياله بسير بسيره ويعمل بعمله الى ان رجع سليمان
الى منزله تايبا الى الله تعالى ورد الله عليه ملكه فاقام اصف

من مجلسه وجلس علي كرسيه واعاد الخاتم وقيل ان الجسد سليمان
نفسه وذلك انه مرض مرضا شديدا حتى صار جسدا وقد
يوصف به المريض المضني فيقال كالجسد الملقي **صفة**
كرسي سليمان وملكه روي عن ابن عباس قال

صفة كرسي سليمان عليه السلام وملكه

كان سليمان يوضع له ستمائة كرسي ثم يجي اشراف الناس فيجلسون
مما يليه ثم ياتي اشراف الجن فيجلسون مما يليه ثم ياتي اشراف
الجن فيجلسون مما يلي الانس ثم يدعو الطير فتظلهم ثم يدعو
الريح فتنقلهم وتسير بالغداة الواحدة مسيرة شهر قال
وهب وكعب وغيرهما ان سليمان عليه السلام لما ملك بعد
ابيه امر باتخاذ كرسي ليجلس عليه للقضاء وامر ان يعمل
بديعا مهولا بحيث اذا راه مبطل او شاهد زور ارتدع
وتهيب فامر ان يعمل من انياب الفيلة مفضضة بالدر
والياقوت والزبرجد وان يحف بنخيل الذهب فحف باربع
نخلات من ذهب شماريخها الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر
علي راس نخلتين منها طاوسان من ذهب وعلي راس نخلتين
نسران من ذهب بعضها مقابل بعض وجعلوا من جنبتي الكرسي
اسدين من ذهب علي راس كل واحد منهما عمود من الزمرد
الاخضر وقد عقد واعلي النخلات اشجار كروم من الذهب الاحمر
واتخذ واعناقيدها من الياقوت الاحمر بحيث اظل عريش
الكرم

الكروم النخل والكرسي وكان سليمان عليه السلام اذا اراد
صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي
كله بما فيه دوران الرحى المسرعه وتنشر تلك النسور
والطواويس اجنحتها ويبسط الاسدان ايديهما ويضربان
الارض باذنابهما وكذلك يفعل في كل درجة يصعدها
سليمان فاذا استوى باعلاه اخذ النسران اللذان
على النخلتين تاج سليمان فوضعاه على راسه ثم
يستدير الكرسي بما فيه ويدور معه النسران
والطاووسان والاسدان مايلات بروسهما الى
سليمان وينضحن عليه من اجوافهن المسك والعنبر
ثم تناوله حمامة من ذهب قايمة على عمود من
الجمدة الجواهر فوق الكرسي التوراة فيفتحها
سليمان عليه السلام ويقروها على الناس ويدعوهم
الى فصل القضا قالوا ويجلس عظما بني اسرايل على كراسي
الذهب المفصصة بالجوهر وهي الف كرسي عن يمينه
ويجلس عظما الجن على كراسي الفضة عن يساره وهي
الف كرسي ثم تحفهم الطير تظلهم ويتقدم الناس
لفصل القضاء فاذا تقدم من الشهود للشهادات
دار الكرسي بما فيه وعليه دوران الرحى المسرعه

ويبسط الاسدان ايديهما ويضربان الارض باذنابهما وتنشر
النسران والطاووسان اجنحتهما فتفزع الشهود فلا
يشهدون الا بالحق وقيل ان الذي كان يدور بذلك الكرسي
تنين من ذهب ذلك الكرسي عليه وهو عظيم مما عمله
له صخر الجني فاذا احست بدورانه تلك النسور
والاسد والطواويس التي في اسفل الكرسي الى اعلاه
درن معه فاذا وقفن وقفن كلهن واقفات على راس
سليمان وهو جالس ثم ينضحن جميعا على راسه ما
في اجوافهن من المسك والعنبر فلما توفي سليمان بعث
بخت نصر فاخذ الكرسي فحمله الى انطاكية فاراد ان
يصعد اليه ولم يكن له علم كيف يصعد عليه فلما وضع
رجله ضرب الاسد رجله فكسرها وكان سليمان اذا
صعد وضع قدميه جميعا ومات بخت نصر وحمل
الكرسي الى بيت المقدس فلم يستطع قط ملك ان يجلس
عليه ولكن لم يدر احد عاقبة امره ولعله رفع
قوله تعالى قال رب اغفر لي اي اغفر لي ذنبي
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فقال كيف
اقدم سليمان على طلب الدنيا مع ذمها من الله تعالى
وبغضه فيها لدينه فالجواب ان ذلك محمول عند العلما
يرجع الى الله وتاب وقد تقدم

على

(في اجوافهن ظ)

علي اداء حقوق الله تعالى وسياسة ملكه وترتيب منازل
خلقه واقامة حدوده والمحافظة على رسومه وتعظيم
شعايره وظهور عبادته ولزوم طاعته ونظم قانون
الحكم النافذ عليهم منه وتحقيق الموعود في انه يعلم ما
لا يعلم احدا من خلقه حسب ما صرح بذلك للملايكه
فقال اني اعلم ما لا تعلمون وحوشي سليمان عليه السلام
من ان يكون سواله طلبا لنفس الدنيا لانه هو والانبيا ازهد
خلق الله فيها وانما سال مملكتها لله كما سال نوح دمارها
وهلاكها وكانا محمودين مجابين الى ذلك فاجيب نوح
فاهلك من عليها واعطي سليمان المملكه وقد قيل ان ذلك كان
بامر من الله جل وعز على الصفة التي علم الله انه لا يضبطه
الا هو وحده دون ساير عباده او اراد ان يقول ملكا عظيما
فقال لا ينبغي لاحد من بعدي وهذا فيه نظر والاول
اصح ثم قال له هذا عطاونا الايه قلت وهذا يرد ما روي
في الخبر ان اخر الانبيا دخولا الجنه سليمان بن داود عليه السلام
لمكان ملكه في الدنيا وفي بعض الاخبار يدخل الجنه بعد الانبيا
باربعين خريفا ذكره صاحب القوت وهو حديث لا اصل
له لانه سبحانه اذا كان عطاوه لا تبعة فيه لانه من طريق
المنه فكيف يكون اخر الانبيا دخولا الجنه وهو سبحانه

يقول وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وفي الصحيح لكل نبي
دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته الحديث وقد تقدم
فجعل له من قبل السؤال حاجة مقتضية فلذلك لم تكن عليه
تبعة ومعنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي اي لن يسئله فكانه
سال منع السوال بعده حتى لا يتعلق به امل لاحد ولم
يسئل منع الاجابة وقيل ان سواله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
ليكون محله وكرامته من الله ظاهرا في خلق السموات والارض
فان الانبيا عليهم السلام لهم تنافس في المحل عنده فكل يحب
ان تكون له خصوصية يستدل بها على محله عنده ولهذا لما
اخذ النبي صلى الله عليه وسلم العفريت الذي اراد ان يقطع
عليه صلاته وامكنه الله منه اراد ربطه ثم تذكر قول
اخيه سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
فرده خاسيا فلو اعطى احد بعده مثله ذهبت الخصوصية
فكانه كره صلى الله عليه وسلم ان يزاحمه في تلك الخصوصية
بعد ان علم انه شي هو الذي خص به من سخرة الشياطين وانه
اجيب الى ان لا يكون لاحد بعده والله اعلم **قوله تعالى**
فسخرنا له الريح تجري بامره رخا اي لينة مع قوتها وشدتها
حتى لا تضر باحد وتحمله بعسكره وجنوده وموكبه وكان موكبه
فيما روي فرسخان في فرسخ مائة درجة مع جواريه وحشمه
وخدمه

وخدمه صلوات الله وسلامه عليه وذكر ابو نعيم الحافظ
قال ثنا احمد بن جعفر قال ثنا عبد الله بن احمد بن حنبل قال
ثنا احمد بن محمد بن ايوب قال ثنا ابو بكر بن عياش عن ادريس
بن وهب بن منبه قال حدثني ابي قال كان لسليمان بن
داود عليه السلام الف بيت اعلاه قوارير واسفله حديد
فركب الريح يوما فمر بحراث فنظر اليه الحراث فقال لقد
اوتي آل داود ملكا عظيما فحملت الريح كلامه فالقته في اذن
سليمان قال فنزل حتى اتى الحراث فقال اني سمعت قولك
وانما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه لتسبيحة
واحدة يقبلها الله منك خير مما اوتي آل داود فقال الحراث
اذهب الله همك كما اذهبت همي قوله تعالى حيث اصاب
اي اراد قاله مجاهد والعرب تقول اصاب الصواب واخطا
الجواب اي اراد الصواب واخطا الجواب قاله ابن الاعرابي وقال الشاعر
اصاب الكلام فلم يستطع فاخطا الجواب لذي المفصل
وقيل اصاب اراد بلغة حمير وقال قتادة هو بلسان هجر
وقيل حيث اصاب حيث ما قصد وهو ماخوذ من اصابة
السهم الغرض المقصود والشياطين كل بناء وغواص اي
وسخرنا له الشياطين وما سخرت لاحد قبله كل بناء بدل
من الشياطين اي كل بناء منهم فهم يبنون له ما يشا قال

الا سليمان اذ قال الجليل له قم في البريه فاحددها عن الفند
وخيس الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد
وغواص يعني في البحر يستخرجون له الدر فسليمان اول
من استخرج له اللولو من البحر واخرين مقرنين في الاصفاد
اي وسخرنا له مردة الشياطين حتى قرنهم في سلاسل الحديد
وقيود الحديد قاله قتاده السدي في الاغلال ابن عباس
في وثاق ومنه قول الشاعر فاتوا بالنهاب وبالسبايا
وابنا الملوك مصفدينا قال يحيى بن سلام ولم يكن يفعل
ذلك الا بكفارهم فاذا امنوا اطلقهم ولم يسخرهم ٥٥
قوله تعالى هذا عطاونا الاشاره بهذا الى الملك
اي هذا الملك عطاونا فاعط من شيت او امنع من شيت
لا حساب عليك عن الحسن والضحاك وغيرهما قال الحسن
ما انعم الله على احد نعمة الا عليه فيها تبعة الا سليمان
عليه السلام فان الله تعالى يقول هذا عطاونا فامنن او
امسك بغير حساب وقال قتادة الاشاره في قوله تعالى
هذا عطاونا الى ما اعطيه من القوه على الجماع وكانت له
ثلثمايه امراه وسبعمايه سريه وكان في ظهره ماء ماية
رجل رواه عكرمة عن ابن عباس ومعناه في البخاري
وعلى هذا فامنن من المني يقال امنى يمني ومنى يمني
لغتان

لغتان فاذا امرت من امنى قلت امن ويقال من منى يمنى
فى الامر امن فاذا جيت بنون الفعل نون الحقيقة قلت
امنن فيروى فى الخبر ان الله سخر له الشياطين فمن شا من
عليه بالعتق والتخليه وان شا امسكه وقاله قتادة
والسدي وعلى ما روى عكرمة عن ابن عباس اى جامع
من شيت من نسائك واترك جماع من شيت منهن لاحساب
عليك وان له عندنا الزلفى وحسن ماب اى الذى انعمنا عليه
فى الدنيا فله فى الاخرة قربة وحسن مرجع قوله تعالى
واذكر عبدنا ايوب امر النبى صلى الله عليه وسلم بالاقتداء
بهم فى الصبر على المكاره ايوب بدل اذ نادى ربه انى
مسنى الشيطان بنصب وعذاب وقرا عيسى بن عمر
انى بكسر الهمزة اى فقال قال الفرا واجمعت القرا على ان
قروا بنصب بضم النون والتخفيف النحاس وهذا غلط
وبعده مناقضة وغلط ايضا لانه قال اجمعت القرا
على هذا وحكى بعده انهم ذكروا عن يزيد بن القعقاع
انه قرا بنصب بفتح النون والصاد فغلط على ابى جعفر
وانما قرا ابو جعفر بنصب وهذا كله عند اكثر النحويين
يعنى النصب ونصب ونصب كحزن وحزن وقد يجوز
ان يكون نصب جمع نصب كوثن ووثن ويجوز ان يكون

نصب بمعنى نصب حذفت منه الضمة فاما وما دخ على
النصب فقيل انه جمع نصاب وقال ابو عبيدة وغيره
النصب الشر والبلا والنصب التعب والاعيا وقد
قيل الى معنى انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب اى ما
يلحقه من وسوسته لاغير والله اعلم ذكره النحاس
وقيل ان النصب ما اصابه في بدنه والعذاب ما اصابه
في ماله وفيه بعد وقال المفسرون ان ايوب كان روميا
من البثنية وكنيته ابو عبد الله في قول الواقدى اصطفاه
الله بالنبوة واتاه جملة عظيمة من الثروة في انواع الاموال
والاولاد وكان شاكرا لانعم الله مواسيا لعباد الله
برا رحيما ولم يومن به الا ثلثة نفر وكان لابليس موقف
من السماء السابعة في يوم من العام فوقف به ابليس
على عادته فقال الله له او قيل له عنه اقدرت من عبدي
ايوب على شي فقال يا رب وكيف اقدر منه على شي وقد
ابتليته بالمال والعافية فلو ابتليته بالبلاء والفقر
ونزعت منه ما اعطيته لحال عن حاله ولخرج عن
طاعتك قال الله قد سلطتك على اهله وماله فانحط
عدو الله فجمع عفاريت الجن واعلمهم وقال قائل منهم
اكون اعصارا فيه نار اهلك ماله فكان فجا ايوب في
صورة

بلغ

والعروتم الخامس

صورته فيم ماله فاعلمه بما جرا فقال الحمد لله هو اعطاه
وهو منعه ثم جا قصره باهله وولده فاحتمل القصر
من نواحيه حتى القاه على اهله وولده ثم جا اليه واعلمه
فالقى التراب على راسه وصعد ابليس الى السما فسبقته
نوبة ايوب قال يارب سلطني على بدنه فقال قد سلطتك
على بدنه الا على لسانه وقلبه وبصره فنفخ في جسده
نفخة اشتعل فصار في جسده اثاليل فحك
باظفاره حتى دميت ثم بالفخار حتى تساقط لحمه
وقال عند ذلك مسني الشيطان ولم يخلص الى شي من
حشوة البطن لانه لا بقا للنفس الا بها فهو ياكل
ويشرب فمكث كذلك ثلاث سنين فلما غلبه ايوب اعترض
لامراته في هيئة اعظم من هيئة بني ادم في القدر والجمال
فقال انا اله الارض وانا الذي صنعت بصاحبك ما
صنعت ولو سجدت لي سجدة واحدة لرددت عليه
حاله وماله وهم عندي وعرض لها في بطن الوادي
ذلك كله في صورته اي اظهره لها فاخبرت ايوب
فاقسم ان بصرتها ان عافاه الله وذكروا كلاما طويلا
في مراجعته لربه وترحمه من البلا الذي نزل به
وان النفر الثلاثة الذين امنوا به نهوه عن ذلك

واعترضوا عليه وقيل استعان به مظلوم فلم ينصره فابتلي
من سبب ذلك وقيل استضاف يوما الناس فمنع فقير الدخول
فابتلي بذلك وقيل كان ايوب يغزوا ملكا وكان له غنم في ولايته
فداهنه لاجلها بترك غزوه فابتلي وقيل كان الناس يعدون
امرانه ويقولون نخشي العدوي وكانوا يستقذرونها فلهذا
قال مسني الشيطان وامرانه ليا بنت يعقوب وكان ايوب في
زمان يعقوب وكانت امه ابنة لوط وقيل كانت زوجة
ايوب رحمة ابنة افرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام
ذكر القولين الطبري رحمه الله قال ابن العربي ما ذكره المفسرون
من ان ابليس كان له مكان في السماء السابعة يوم من العام فقول
باطل لانه اهبط منها باللعنة وسخط الى الارض فكيف يرقى الى
محل الرضا ويجول في مقامات الانبيا ويخترق السموات
العلي ويعلوا الى السابعة الى منازل الانبيا فيقف موقف الخليل
ان هذا الخطب من الجهالة عظيم واما قولهم ان الله تعالى قال
له هل قدرت من عبدي ايوب على شي فباطل قطعا لان
الله عز وجل لا يكلم الكفار الذين هم من جند ابليس الملعون
فكيف يكلم من تولى اضلالهم واما قولهم ان الله قال قد سلطتك
على ماله وولده فذلك ممكن في القدرة ولكنه بعيد في
هذه القصه وكذلك قولهم انه نفخ في جسده حتى سلطه
عليه

عليه فهو ابعد والباري سبحانه قادر على ان يخلق ذلك كله
من غير ان يكون للشيطان فيه كسب حتى تقر له لعنه الله عليه
عين بالتمكن من الانبيا في اموالهم واهليهم وانفسهم واما قولهم
انه قال لزوجته انا اله الارض ولو تركت ذكر الله وسجدت
لي لعافيته واعلموا وانكم لتعلمون انه لو عرض لاحدكم وبه الم
وقال هذا الكلام ما جاز عنده ان يكون الها في الارض وانه يسجد له
وانه يعافي من البلا فكيف ان تستريب زوجة نبي ولو كانت
زوجة سوداوي او خادم بربري ما ساغ ذلك عندها واما
تصوره الاموال والاهل في واد للمراة فذلك ما لا يقدر عليه
ابليس بحال ولا هو في طرق السحر فيقال انه من جنسه
ولو تصور لعلمت المراة انه سحر كما نعلمه نحن وهي فوقنا في المعرفة
بذلك فانه لم يخل زمان قط من السحر وحديثه وجريه بين
الناس وتصويره قال القاضي والذي جراهم على ذلك وتذرعوا
به الى ذكر هذا قوله تعالى اذ نادى ربه اني مسني الشيطان
بنصب وعذاب فلما راوه قد شكى مس الشيطان اضافوا اليه
من رايهم ما سبق اليه من التفسير في هذه الاقوال وليس الامر
كما زعموا والافعال كلها خيرها وشرها في ايمانها وكفرها
طاعتها وعصيانها خالقها هو الله لا شريك له في خلقه
ولا في خلق شي غيرها ولكن الشر لا ينسب اليه ذكرا وان كان

موجوداً امنه خلقا ادبا ادبنا به وتحميداً علمناه وكان من ذكر
محمد صلى الله عليه وسلم لربه به قوله من جملته والخير في يديك
والشر ليس اليك على هذا المعنى ومنه قول ابراهيم واذا مرضت
فهو يشفين وقال الفتى للكليم وما انسانيه الا الشيطان واما
قولهم انه استعان به مظلوم فلم ينصره فمن لنا بصحة هذا
القول ولا يخلو ان يكون قادراً على نصره فلا يحل لاحد تركه
فيلام على انه عصى وهو منزه عن ذلك او كان عاجزاً فلا شي
عليه في ذلك وكذلك قولهم انه منع فقيراً من الدخول ان كان
علم فهو باطل عليه وان لم يعلم به فلا شيء عليه فيه واما قولهم
انه داهن على غنمه الملك الكافر فلا نقل داهن ولكن قل دارا
ودفع الكافر والظالم عن النفس او المال بالمال جايز نعم
ويحسن الكلام قال ابن العربي القاضي ابو بكر رضي الله عنه
ولم يصح عن ايوب في امره الا ما اخبرنا الله عنه في كتابه في
ايتين الاولى قوله تعالى وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر
و الثانية في ص اني مسني الشيطان بنصب وعذاب واما
النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصح عنه انه ذكره بحرف واحد
الا قوله بينا ايوب يغتسل اذ خر عليه رجل من جراد من
ذهب الحديث واذ لم يصح عنه فيه قرانا ولا سنة الا
ما ذكرناه فمن الذي يوصل السامع الى ايوب خبره ام على

اي

اي لسان سمعه والاسرائيليات مرفوضة عند العلما على البتات
فاعرض عن سطورها بصرك واصمم عن سماعها اذنك فانها
لا تعطي فلوك الا خبالا ولا تزيد فواد لا اخبالا وفي الصحيح
واللفظ للبخاري ان ابن عباس قال يا معشر المسلمين تسالون اهل
الكتاب وكتابكم الذي انزل على نبيكم احدث الاخبار بالله تقرونه
محضا لم يشب وقد حدثكم ان اهل الكتاب قد بدلوا من
كتب الله وغيروا وكتبوا بايديهم الكتب فقالوا هذا من عند
الله ليشتروا به ثمنا قليلا ولا ينهاكم ما جاكم من العلم من
مسئلتهم فلا والله ما راينا رجلا منهم يسلكم عن الذي
انزل عليكم وقد انكر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الموطا
على عمر قراة التوراة **قوله تعالى** اركض برجلك
الركض الدفع بالرجل يقال ركض الدابة وركض ثوبه برجله
وقال المبرد الركض التحريك ولهذا قال الاصمعي يقال ركضت
الدابه ولا يقال ركضت هي لان الركض انما هو تحريك راكبها
رجليه ولا فعل لها في ذلك وحكى سيبويه ركضت الدابه
فركضت مثل جبرت العظم فجبر وحزنته فحزن وفي
الكلام اضمار اي قلنا له اركض قاله الكساي وهذا لما
عافاه الله هذا مغتسل بارد وشراب اي فركض فنبعت
عين ماء فاغتسل به فذهب الدا من ظاهره ثم شرب منه

فذهب الدا من باطنه وقال قتاده هما عينان بارض الشام في ارض
يقال لها الجابيه فاغتسل من احداهما فاذهب الله تعالى ظاهر دايه
وشرب من الاخري فاذهب الله تعالى باطن دايه ونحوه عن
الحسن ومقاتل قال مقاتل نبعت عين جاريه واغتسل فيها
فخرج صحيحا ثم نبعت عين اخري فشرب منها ما عذبا وقيل
امر بالركض بالرجل ليتناثر عنه كل داء في جسده والمغتسل
الما البارد الذي يغتسل به قاله القتبي وقيل انه الموضع
الذي يغتسل فيه قاله مقاتل الجوهري واغتسلت بالماء
والغسول الما الذي يغتسل به وكذلك المغتسل تقول هذا
مغتسل بارد وشراب والمغتسل ايضا الذي يغتسل فيه
والغسل والمغسل بكسر السين وفتحها مغسل الموتي والجمع
المغاسل واختلف كم بقي ايوب في البلا فقال ابن عباس سبع
سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات وقال
وهب ابن منبه اصاب ايوب البلا سبع سنين وترك يوسف
في السجن سبع سنين وعذب بختنصر وحول في السباع
سبع سنين ذكره ابو نعيم وقيل عشر سنين وقيل ثمان عشره
سنه رواه انس مرفوعا فيما ذكر الماوردي قلت وذكره
ابن المبارك اخبرنا يونس بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما ايوب وما اصابه
من البلا

من البلا وذكر ان البلا الذي اصابه كان به ثمان عشرة
سنة وذكر الحديث القشيري وقيل اربعين سنة **قوله**
تعالى ووهبنا له اهله ومثلهم معهم تقدم في الانبيا
الكلام فيه رحمة منا اي نعمة منا وذكرى لاولي الالباب
اي عبرة لذوي العقول **قوله تعالى** وخذ بيدك
ضغثا فاضرب به ولا تحنث فيه سبع مسايل
الاولى كان ايوب حلف في مرضه ان يضرب امراته مايه
جلدة وفي سبب ذلك اربعة اقوال احدها ما حكاه
ابن عباس ان ابليس لقيها في صورة طبيب فدعته
لمداواة ايوب فقال اداويه على انه اذا بري قالت انت
شفيتني لا اريد جزا سواه قالت نعم فاشارت على ايوب
بذلك فحلف ليضربنها وقال ويحك ذلك الشيطان الثاني
ما حكاه سعيد بن المسيب انها جاته بزيادة على ما
كانت تاتيه من الخبز فخاف خيانتها فحلف ليضربنها
الثالث ما حكاه يحيى بن سلام وغيره ان الشيطان
اغواها ان تحمل ايوب على ان يذبح سخلة تقربا اليه
وانه يبرا فذكرت ذلك له فحلف ليضربنها ان عوفي مايه
وقيل باعت ذوايبها برغيفين اذ لم تجد شيا الى ايوب
وكان ايوب يتعلق بها اذا اراد القيام فلهذا حلف ليضربنها

بيانه
شفيتني

فلما شفاه الله امره الله ان ياخذ ضغثا فيضرب به فاخذ
شماريخ قدر مايه فضربها ضربة واحده وقيل الضغث
قبضه حشيش مختلطه الرطب باليابس وقال ابن
عباس انه اثكال النخل الجامع بشماريخه **الثانيه**
تضمنت الايه جواز ضرب الرجل امراته تاديبا وذلك
ان امراة ايوب اخطات فحلف ليضربنها مايه فامره الله
تعالى ان يضربها بعثكول من عثاكيل النخل وهذا لا يجوز
في الحدود انما امر الله بذلك ليلا يضرب امراته فوق
حد الادب وذلك انه ليس للزوج ان يضرب امراته فوق
حد الادب ولهذا قال عليه السلام واضربوهن ضربا غير
مبرح على ما تقدم في النسا بيانه **الثالثه** واختلف
العلما في هذا الحكم هل هو عام او خاص بايوب وحده
فروي عن مجاهد انه عام للناس ذكره ابن العربي وحكي
عنه القشيري ان ذلك خاص بايوب وحكى المهدوي عن
عطا بن ابي رباح انه ذهب الى ان ذلك حكم باق وانه اذا
ضرب بمايه قضيب ونحوه ضربة واحده ابر وروى
نحوه عن الشافعي وروي نحوه عن النبي صلى الله عليه وسلم
في المقعد الذي حملت منه الوليده وامر ان يضرب
بعثكول فيه مايه شمراخ ضربه واحده وقال القشيري
وقيل

وقيل لعطا هل يعمل بهذا اليوم فقال ما انزل القران الا
ليعمل به ويتبع ابن العربي وروي عن عطا انه لا يوب
خاص ولذلك روي ابو زيد عن ابن القاسم عن مالك من حلف
ليضربن عبده ما يه فجمعها فضربه ضربة واحدة لم يبر
قال بعض علمايا يريد مالك بقوله تعالى لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا اي ان ذلك منسوخ بشريعتنا قال ابن
المنذر وقد روينا عن علي انه جلد الوليد بن عقبة بسوط
له طرفان اربعين جلدة وانكر مالك هذا وتلا قول الله
تعالى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وهذا مذهب
اصحاب الراي وقد احتج الشافعي لقوله بحديث وقد تكلم
في اسناده والله اعلم قلت الحديث الذي احتج به الشافعي
خرجه ابو داود في سننه قال ثنا احمد بن سعيد الهمداني
قال ثنا ابن وهب قال اخبرني يونس عن ابن شهاب
قال اخبرني ابو امامة بن سهل بن حنيف انه اخبره
بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار انه اشتكى
رجل منهم حتى اضنا فعاد جلدة على عظم فدخلت عليه جارية
لبعضهم فهش لها فوقع عليها فلما دخل عليه رجال قومه
يعودونه اخبرهم بذلك وقال استفتوا لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاني قد وقعت على جارية دخلت علي

فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما رأينا
بأحد من الناس من الضر مثل الذي هو به لو حملناه إليها
لتفسخت عظامه ما هو إلا جلد على عظم فأمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يأخذوا له مائة شمراخ فضربوه
بها ضربة واحدة قال الشافعي إذا حلف ليضربن فلانا مائة
جلدة أو ضربا ولم يقل ضربا شديدا ولم ينو ذلك بقلبه
يكفيه مثل هذا الضرب المذكور في الآية ولا يحنث قال
ابن المنذر وإذا حلف الرجل ليضربن عبده مائة
فضربه ضربا خفيفا فهو بار عند الشافعي وأبو ثور
وأصحاب الرأي وقال مالك ليس الضرب إلا الضرب الذي
يؤلم **الرابعة** قوله تعالى ولا تحنث دليل على أن
الاستثناء في اليمين لا يرفع حكمها إذا كان متراخيا
وقد مضى القول فيه في المائدة يقال حنث في يمينه
يحنث إذا لم يبر بها وعند الكوفيين الواو مقحمة
أي فاضرب لا تحنث **الخامسة** قال ابن العربي قوله
تعالى فاضرب به ولا تحنث يدل على أحد وجهين إما أن
يكون أنه لم يكن في شرعهم كفارة وإنما كان البر والحنث والثاني
أن يكون صدر منه نذر لا يمين وإذا كان النذر معينا
فلا كفارة فيه عند مالك وأبي حنيفة وقال الشافعي

في

في كل نذر كفارة قلت قوله لم يكن في شرعهم كفارة فليس
بصحيح فان ايوب عليه السلام لما بقي في البلا ثمان عشرة
سنة كما في حديث ابن شهاب قال له صاحباه لقد اذنبت
ذنبا ما اظن احدا بلغه فقال ايوب صلى الله عليه وسلم ما
ادري ما تقولان غير ان ربي عز وجل يعلم اني كنت امر
على الرجلين يتنازعان وكل يحلف بالله او على النفر يتزاعمون
فانقلب الى اهلي فاكفر عن ايمانهم ارادة ان لا ياثم احد
يذكره ولا يذكره الا بحق فنادى ربه اني مسني الضر
وانت ارحم الراحمين وذكر الحديث فقد افادك هذا
الحديث ان الكفارة كانت من شرع ايوب وان من كفر
عن غيره بغير اذنه فقد قام بالواجب عنه وسقطت عنه
الكفارة **السادسة** استدل بعض جهال المتزهدة
وطعام المتصوفة بقوله تعالى لايوب اركض برجلك
على جواز الرقص قال ابو الفرج الجوزي وهذا احتجاج
نادر لانه لو كان امر بضرب الرجل فرحا كان لهم فيه شبهة
وانما امر بضرب الرجل لينبع الما قال ابن عقيل اين الدلالة
في مبتلى امر عند كشف البلاء بان يضرب برجله الارض لينبع
الما اعجازا من الرقص ولين جاز ان يكون تحريك رجل قد
انحلها تحكم الهوام دلالة على جواز الرقص في الاسلام

بطلان الرقص

جاز ان تجعل قوله سبحانه لموسى اضرب بعصاك الحجر دلالة
على ضرب المخاد بالقضبان نعوذ بالله من التلاعب بالشرع
وقد احتج بعض قاصريهم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لعلي انت مني وانا منك فحجل وقال لجعفر اشبهت خلقي
وخلقي فحجل وقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل ومنهم
من احتج بان الحبشه زفنت والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر
اليهم والجواب اما الحجل فهو نوع من المشي يفعل عند الفرح
فاين هو والرقص وكذلك زفن الحبشه نوع من المشي يفعل
عند اللقا للحرب السابعه قوله تعالى انا وجدناه
صابرا اي على البلا نعم العبد انه اواب اي تواب رجاع
مطيع وسئل سفيان عن عبدين ابتلي احدهما فصبر وانعم على
الاخر فشكر فقال كلاهما سوا لان الله تعالى اثنى على
عبدين احدهما صابر والاخر شاكر ثنا واحدا فقال
في وصف ايوب نعم العبد انه اواب وقال في وصف
سليمان نعم العبد انه اواب قلت وقد رد هذا الكلام
صاحب القوت واستدل بقصه ايوب في تفضيل الفقير
على الغني وذكر كلاما كثيرا نشيد به كلامه وقد ذكرناه
في غير هذا الموضع من كتاب منهاج العباد ومحجة السالكين
والزهاد وخفي عليه ان ايوب عليه السلام كان احد
الاغنيا

هو بالفتح
زفنت

الاغنيا من الانبيا فنك البلا و بعده وانما ابتلي بذهاب
ماله وولده وعظيم الداء في جسده وكذلك الانبيا صلوات
الله عليهم وسلامه صبر واعلى ما به امتحنوا وفتنوا فايوب
عليه السلام دخل في البلاء على صفة فخرج منه كما دخل
فيه وما تغير منه حال ولا مقال فقد اجتمع مع ايوب
في المعنى المقصود وهو عدم التغير الذي يفضل فيه
بعض الناس بعضا وبهذا الاعتبار يكون الغني الشاكر
والفقير الصابر سوا وهو كما قال سفيان والله اعلم وفي
حديث ابن شهاب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ايوب
خرج لما كان يخرج اليه من حاجة فاوحى الله اليه
اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فاغتسل
فاعاد الله لحمه وشعره وبشره على احسن ما كان
ثم شرب فاذهب الله كل ما كان في جوفه من الم
او ضعف وانزل الله عليه ثوبين من السماء ابيضين
فاتزر باحدهما وارتدى بالاخر ثم اقبل يمشي الى منزله
وراث على امراته فاقبلت حتى لقيته وهي لا تعرفه فسلمت
عليه وقالت اي يرحمك هل رايت هذا الرجل المبتلى
قال من هو قالت نبي الله ايوب اما والله ما رايت احدا
قط اشبه به منك اذ كان صحيحا قال فاني ايوب واخذ

ضغثا فضرب بها به فزعم ابن شهاب ان ذلك الضغث كان
فيما ثنا وردّ الله اليه اهله ومثلهم معهم فاقبلت سحابة
حتى سجلت في اندر قمحه ذهبا حتى امتلأ واقبلت سحابة
اخرى الى اندر شعيره وقطانيه فسجلت فيه ورقا حتى امتلا
قوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب
وقرا ابن عباس عبدنا باسناد صحيح رواه ابن عيينه
عن عمرو عن عطاء عنه وهي قراة مجاهد وحميد وابن محيصن
وابن كثير فعلى هذه القراة يكون ابراهيم بدلا من عبدنا واسحق
ويعقوب عطف والقراة بالجمع ابين وهي اختيار ابي عبيد
وابي حاتم ويكون ابراهيم وما بعده على البدل النحاس
وشرح هذا من العربيه انك اذا قلت رايت اصحابنا زيدا
وعمرا وخالدا فزيد وعمرو وخالد بدل وهم الاصحاب
واذا قلت رايت صاحبنا زيدا وعمرا وخالدا فزيد
وحده بدل وهو صاحبنا وزيد وعمرو عطف على صاحبنا
وليسا بداخلين في المصاحبة الا بدليل غير هذا غير انه
قد علم ان قوله واسحق ويعقوب داخل في العبوديه
وقد استدل بهذه الايه من قال ان الذبيح اسحاق لا اسماعيل
وهو الصحيح على ما ذكرناه في كتاب الاعلام بمولد النبي عليه
السلام اولي الايدي والابصار قال النحاس اما الابصار
فمتفق

فمتفق على تاويلها انها البصاير في الدين والعلم واما الايدي
فمختلف في تاويلها فاهل التفسير يقولون انها القوه
في الدين وقوم يقولون الايدي جمع يد وهي النعمه اي هم
اصحاب النعم اي الذين انعم الله عز وجل عليهم وقيل هم اصحاب
النعم والاحسان لانهم قد احسنوا وقدموا خيرا وهذا
اختيار الطبري وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار اي
الذين اصطفاهم من الناس واختارهم لرسالته ومصطفين
جمع مصطفى وقد مضى في البقره عند قوله ان الله اصطفى لكم
الدين والاخيار جمع خير وقرا الاعمش وعبد الوارث
والحسن وعيسى والثقفي اولي الايد بغير يا في الوصل والوقف
على معنى اولي القوه في طاعة الله ويجوز ان يكون لمعنى
قراة الجماعة وحذفت اليا تخفيفا **قوله تعالى انا
اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار** قراة العامه بخالصة
منونة وهي اختيار ابي عبيده وابي حاتم وقرا نافع
وشيبة وابو جعفر وهشام عن ابن عامر بخالصة ذكرى
الدار بالاضافه التقدير انا اخلصناهم بان يذكروا الدار
الاخره ويتاهبوا لها ويرغبوا فيها ويرغبوا الناس ويجوز
ان يكون خالصة مصدرا لخلص وذكرى في موضع رفع بانها
فاعلة والمعنى اخلصناهم بان خلصت لهم ذكرى الدار

اي بذكر الدار الاخره ويجوز ان يكون خالصة مصدرًا لأخلصت فحذفت الزيادة فيكون ذكرًا على هذا في موضع نصب التقدير بان اخلصوا ذكرى الدار والدار يجوز ان يراد بها الدنيا اي ليذكروا الدنيا ويزهدوا فيها وليخلص لهم بالثناء الحسن عليهم كما قال تعالى وجعلنا لهم لسان صدق عليا ويجوز ان يراد بها الدار الاخره وتذكير الخلق بها ومن اضاف خالصة الى الدار فهي مصدر بمعنى الاخلاص والذكرى مفعول به اضيف اليه المصدر اي باخلاصهم ذكرى الدار ويجوز ان يكون المصدر مضافًا الى الفاعل والخالصه مصدر بمعنى الخلوص اي بان خلصت لهم ذكرى الدار وهي الدار الاخره او الدنيا على ما تقدم وقال ابن زيد معنى اخلصناهم اي بذكر الاخره اي يذكرون الاخره ويرغبون فيها ويزهدون في الدنيا وقال مجاهد المعنى انا اخلصناهم بان ذكرنا الجنة لهم **قوله تعالى**

واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل مضى ذكر اليسع في الانعام وذا الكفل في الانبيا وكل من الاخيار اي من اختير للنبوه هذا ذكر اي هذا ذكر جميل في الدنيا وشرف يذكرون به في الدنيا ابدا وان للمتقين لحسن مآب اي لهم مع هذا الذكر الجميل في الدنيا حسن

المرجع

المرجع في القيامة ثم بين ذلك بقوله تعالى جنات عدن والعدن
في اللغة الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام وقال عبد الله
بن عمر وجنة عدن قصر في الجنة له خمسة الاف باب على كل
باب خمسة الاف خيرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد
مفتحة حال لهم الابواب رفعت الابواب لانها اسم ما لم
يسم فاعله قال الزجاج اي مفتحة لهم الابواب منها وقال الفرا
مفتحة لهم ابوابها واجاز الفرا مفتحة لهم الابواب بالنصب قال الفراء
اي مفتحة الابواب ثم جئت بالتنوين فنصبت وانشد هو
وسيبويه ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام
وانما قال مفتحة ولم يقل مفتوحه لانهم تفتح لهم بالامر لا
بالمس قال الحسن تكلم انفتحي فتنفتح انغلقي فتنغلق وقيل تفتح لهم
الملايكة الابواب قوله تعالى متكين فيها هو حال قد مشى على
العامل فيها وهو قوله يدعون فيها اي يدعون في الجنات متكين
فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة اي بالوان الفواكه وشراب اي
وشراب كثير فحذف لدلالة الكلام عليه قوله تعالى وعندهم
قاصرات الطرف اي على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم وقد مضى
في الصافات اتراب على سن واحد وميلاد امراة واحدة قد
تساوين في الحسن والشباب بنات ثلث وثلاثين سنة قال
ابن عباس يريد الادميات والاتراب جمع ترب وهو نعت

لقاصرات لان قاصرات نكرة وان كان مضافا الى معرفة والدليل
على ذلك ان الالف واللام تدخلانه كما قال ٭ من القاصرات الطرف
لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا ٭ قوله تعالى
هذا ما توعدون ليوم الحساب اي هذا الجزا الذي وعدتم به وقراة
العامة بالتاء اي ما توعدون ايها المومنون وقرا ابن كثير
وابن محيصن وابو عمرو ويعقوب بالياء على الخبر وهي قراة
السلمي واختيار ابي عبيد وابي حاتم لقوله تعالى وان للمتقين
فهو خبر ليوم الحساب اي في يوم الحساب قال الاعشى
المهينين ما لهم لزمان السوء حتى لها افاق افاقوا ٭ اي في
زمان السوء قوله تعالى ان هذا لرزقنا ما له من نفاد دليل
على ان نعيم الجنة دايم لا ينقطع كما قال تعالى عطا غير مجذوذ
وقال تعالى لهم اجر غير ممنون قوله تعالى هذا وان للطاغين
لشر ماب لما ذكر ما للمتقين ذكر ما للطاغين قال الزجاج
هذا خبر ابتداء محذوف اي هذا الامر او الامر هذا فيوقف
على هذا قال ابن الانباري هذا وقف حسن ثم تبتدي وان للطاغين
وهم الذين كذبوا الرسل لشر ماب اي منقلب يصيرون اليه
ثم بين ذلك بقوله جهنم يصلونها فبيس المهاد اي بيس ما مهدوا
لانفسهم او بيس الفراش لهم ومنه مهد الصبي وقيل فيه حذف
اي بيس موضع المهاد وقيل اي هذا الذي وصفت لها ولا
المتقين

المتقين ثم قال وان للطاغين لشر مرجع فيوقف على هذا ايضا
قوله تعالى هذا فليذوقوه حميم وغساق هذا في موضع
رفع بالابتدا وخبره حميم على التقديم والتاخير اي
هذا حميم وغساق فليذوقوه ولا يوقف على فليذوقوه
ويجوز ان يكون هذا في موضع رفع بالابتدا وفليذوقوه
في موضع الخبر ودخلت الفا للتنبيه الذي في هذا فيوقف
على فليذوقوه ويرتفع حميم على تقدير هذا حميم قال النحاس
ويجوز ان يكون المعنى الامر هذا وحميم وغساق اذا لم تجعلهما
خبرا ورفعتهما على معنى هو حميم وغساق والفرا يرفعهما
بمعنى منه وغساق وانشد: حتى اذا ما اضا الصبح في غلس
وغودر البقل ملوي ومحصود، وقال اخر لها متاع واعوان
غدون لها قتب وغرب اذا ما افرغ انسحقا ويجوز ان يكون
هذا في موضع نصب باضمار فعل يفسره فليذوقوه كما تقول
زيدا اضربه والنصب في هذا اولى فيوقف على فليذوقوه ويبتدي
حميم وغساق على تقدير هذا حميم وغساق وقراة اهل المدينه
واهل البصره وبعض الكوفيين بتخفيف السين في وغساق
وقرا يحيى بن وثاب والاعمش وحمزه والكسائي وغسّاق
بالتشديد وهما لغتان بمعنى واحد في قول الاخفش وقيل
معناهما مختلف فمن خفف فهو اسم مثل عذاب وجواب

وصواب ومن شدد قال هو اسم فاعل نقل الى فعال للمبالغة
نحو ضرّاب وقتّال وهو فعال من غسق يغسق فهو غسّاق
وغاسق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده وقال
مجاهد ومقاتل هو الثلج البارد الذي قد انتهى برده وقال
غيرهما انه يحرق ببرده كما يحرق الحميم بحرّه وقال عبد الله بن
عمرو هو قيح غليظ لو وقع منه شي بالمشرق لانتن من في المغرب
ولو وقع منه شي في المغرب لانتن من في المشرق وقال قتادة
هو ما يسيل من فروج الزناة ومن نتن لحوم الكفرة وجلودهم
من الصديد والقيح والنتن وقال محمد بن كعب هو عصارة
اهل النار وهذا القول اشبه باللغة يقال غسق الجرح
يغسق غسقا اذا خرج منه ما اصفر قال الشاعر
اذا ما تذكرت الحياة وطيبها الي جرى دمع من الليل غاسق
اي بارد ويقال الليل غاسق لانه ابرد من النهار قال السدي
الغساق الذي يسيل من اعينهم ودموعهم يسقونه مع الحميم
وقال ابن زيد الحميم دموع اعينهم تجمع في حياض النار فيسقونه
والصديد الذي يخرج من جلودهم والاختيار على هذا وغسّاق
حتى يكون مثل سيّال وقال كعب الغسّاق عين في جهنم يسيل
اليها سم كل ذي حمة من عقرب وحية وقيل هو ماخوذ من
الظلمة والسواد والغسق اول ظلمة الليل وقد غسق الليل
يغسق

بلغ

والعشرون السادس

يغسق اذا اظلم وفي الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لو ان دلوا من غساق يهراق في
الدنيا لانتن اهل الدنيا قلت وهذا اشبه على الاشتقاق الاول
كما بينا الا انه يحتمل ان يكون الغساق مع سيلانه اسود مظلما
فيصح الاشتقاقان والله اعلم قوله تعالى وآخر من شكله

وأُخر

ازواج قرا ابو عمرو جمع اخرى مثل الكبرى في الكبر الباقون
وآخر مفرد مذكر وانكر ابو عمرو وآخر لقوله تعالى ازواج
اي لا يخبر بواحد عن جماعة وانكر عاصم الجحدري وأُخر قال
ولو كانت واخر لكان من شكلها وكلا الردين لا يلزم
والقراتان صحيحتان وآخر اي وعذاب آخر سوى الحميم
والغساق من شكله قال قتادة من نحوه قال ابن مسعود
هو الزمهرير وارتفع وآخر بالابتداء وازواج مبتدا ثان
ومن شكله خبره والجملة خبر آخر ويجوز ان يكون وآخر
مبتدا والخبر مضمر دل عليه هذا فليذوقوه حميم وغساق
لان فيه دليلا على انه لهم فكانه قال ولهم آخر ويكون من
شكله ازواج صفة لآخر فالمبتدا متخصص بالصفة
وازواج مرفوع بالظرف ومن قرا وأخر اراد وانواع
من العذاب أخر ومن جمع وهو يريد الزمهرير فعلى انه
جعل الزمهرير اجناسا فجمع لاختلاف الاجناس او على

انه جعل لكل جزء منه زمهريرا ثم جمع كما قالوا شابت مفارقه
او على انه جمع لما في الكلام من الدلالة على جواز الجمع لانه جعل الزمهرير
الذي هو نهاية البرد بازا الجمع في قوله هذا فليذوقوه حميم وغساق
والضمير في شكله يجوز ان يعود على الحميم او الغساق او على
معنى وآخر من شكل ما ذكرنا ورفع آخر على قراة الجمع بالابتدا
ومن شكله صفة له وفيه ذكر يعود على المبتدا وازواج خبر
المبتدا ولا يجوز ان يحمل على تقدير ولهم اخر ومن شكله صفة
لاخر وازواج مرتفعة بالظرف كما جاز في الافراد لان الصفة
لا ضمير فيها من حيث ارتفع ازواج بالظرف ولا ضمير في الظرف
والها في شكله لا تعود على اخر لانه جمع والضمير مفرد قاله
ابو على وازواج اي اصناف والوان من العذاب وقال يعقوب
الشكل بالفتح المثل وبالكسر الدل قوله تعالى هذا فوج مقتحم
قال ابن عباس هو ان القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم
الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعني الاتباع والفوج
الجماعه مقتحم معكم اي داخل النار معكم فقالت السادة
لا مرحبا بهم اي لا اتسعت منازلهم في النار والرحب السعه
ومنه رحبة المسجد وغيره وهو في مذهب الدعاء فلذلك نصب
قال النابغه لا مرحبا بغد ولا اهلا به ان كان تفريق الاحبة في غد
قال ابو عبيدة العرب تقول لا مرحبا بك اي لا رحبت عليك
الارض

الارض ولا اتسعت انهم صالوا النار قيل هو من قول القاده
اي انهم صالوا النار كما صليناها وقيل هو من قول الملايكه
متصل بقولهم هذا فوج مقتحم معكم قالوا بل انتم لا مرحبا
بكم هو من قول الاتباع وحكى النقاش ان الفوج الاول
قادة المشركين ومطعموهم يوم بدر والفوج الثاني
اتباعهم ببدر والظاهر من الاية انها عامة في كل تابع
ومتبوع انتم قدمتموه لنا اي دعوتمونا الى العصيان
فبيس القرار لنا ولكم قالوا يعني الاتباع ربنا من قدم لنا
هذا قال الفرا من سوغ لنا هذا وسنه وقال غيره من
قدم لنا هذا العذاب بدعايه ايانا فصار ذلك ضعفا وقال
ابن مسعود معنى عذابا ضعفا في النار الحيات والافاعي
ونظير هذه الاية قوله ربنا هولاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا
من النار قوله تعالى وقالوا يعني اكابر المشركين ما لنا
لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قال ابن عباس يريد
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقول ابو جهل ابن بلال
ابن صهيب ابن عمار او ليك في الفردوس واعجبا لابي جهل
مسكين اسلم ابنه عكرمة وبنته جويريه واسلمت امه
واسلم اخوه وكفر هو قال ش ونورا اضا الارض شرقا
ومغربا وموضع رجلي منه اسود مظلم . اتخذناهم

سخريا في الدنيا فاخطانا ام زاغت عنهم الابصار فلم نعلم
مكانهم قال الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت
عنهم ابصارهم في الدنيا حقرية لهم وقيل معنى ام زاغت
عنهم الابصار اي اهم معنا في النار فلا نراهم وكان ابن كثير
والاعمش وابو عمرو وحمزة والكساي يقرون من
الاشرار اتخذناهم بحذف الالف في الوصل وكان ابو جعفر
وشيبه ونافع وعاصم وابن عامر يقرون اتخذناهم
بقطع الالف على الاستفهام وسقطت الف الوصل لانه
قد استغني عنها فمن قرا بحذف الالف لم يقف على الاشرار
لان اتخذناهم حال وقال النحاس والسجستاني هو نعت
لرجال قال ابن الانباري وهذا خطا لان النعت لا يكون
ماضيا ولا مستقبلا ومن قرا اتخذناهم بقطع الالف
وقف على الاشرار قال الفرا والاستفهام هنا بمعنى التوبيخ
والتعجب ام زاغت عنهم الابصار اذا قرات بالاستفهام
بالاستفهام كانت ام للتسويه واذا قرات بغير
استفهام فهي بمعنى بل وقرا ابو جعفر ونافع
وشيبه والمفضل وهبيرة ويحيى والاعمش وحمزة
والكساي سخريا بضم السين الباقون بالكسر قال
ابو عبيدة من كسر جعله من الهزء ومن ضم جعله
من

[illegible]

من التسخير وقد تقدم ان ذلك لحق تخاصم اهل النار لحق خبر
إنّ وتخاصم خبر مبتدا محذوف بمعني هو تخاصم ويجوز ان يكون
بدلا من حق ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون
بدلا من ذلك علي الموضع اي ان تخاصم اهل النار في النار يعني لحق
قولهم لا مرحبا بكم الايه وشبهه من قول اهل النار
قوله تعالي قل انما انا منذر اي مخوف عقاب الله
لمن عصاه وقد تقدم وما من اله اي معبود الا الله الواحد
القهار الذي لا شريك له رب السموات والارض وما بينهما العزيز
الغفار بالرفع علي النعت وان نصبت الاول نصبته ويجوز
رفع الاول ونصب ما بعده علي المدح والعزيز معناه المنيع
الذي لا مثل له الغفار الستار لذنوب خلقه **قوله تعالي**
قل هو نبا عظيم اي وقل لهم يا محمد هو نبا عظيم اي ما انذركم
به من الحساب والثواب والعقاب خبر عظيم القدر فلا
ينبغي ان يستخف به قال معناه قتادة نظيره قوله تعالي
عم يتساءلون عن النبإ العظيم وقال ابن عباس ومجاهد
وقتاده يعني القران الذي انبانكم به خبر جليل وقيل عظيم
المنفعه انتم عنه معرضون **قوله تعالي** ما كان لي من
علم بالملإ الاعلي اذ يختصمون الملا الاعلي هم الملايكه
في قول ابن عباس والسدي اختصموا في امر آدم حين خلق

ثمانية

فقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وقال ابليس انا خير
منه وفي هذا بيان ان محمدا صلى الله عليه وسلم اخبر
عن قصة ادم وغيره وذلك لا يتصور الا بتأييد
الهي وقد قامت المعجزة على صدقه فما بالهم اعرضوا
عن تدبير القران ليعرفوا صدقه ولهذا وصل قوله
بقوله قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون وقول
ثان رواه ابو الاشهب عن الحسن قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سالني ربي فقال يا محمد فيم
اختصم الملأ الأعلى قلت في الكفارات والدرجات
قال وما الكفارات قلت المشي على الاقدام الى الجماعات
واسباغ الوضوء في السبرات والتعقيب في المساجد
انتظار الصلوات بعد الصلوات قال وما الدرجات
قلت افشا السلام واطعام الطعام والصلاه بالليل
والناس نيام خرجه الترمذي بمعناه عن ابن عباس
وقال فيه حديث غريب وعن معاذ بن جبل ايضا
وقال حديث حسن صحيح وقد كتبناه بكماله في الكتاب
الاسنى في اسماء الله الحسنى واوضحنا اشكاله والحمد لله
وقد مضى في يس القول في المشي الى المساجد وان
الخطا تكفر السيئات وترفع الدرجات وقيل الملأ

الاعلى

الاعلى الملايكه والضمير في يختصمون لقريش يعني
قول من قال منهم الملائكة بنات الله وقيل الملاء الأعلى
ها هنا قريش يعني اختصامهم فيما بينهم سرا فاطلع
الله نبيه على ذلك ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين
يوحى الي الا الانذار وقرا ابو جعفر بن القعقاع الا
انما بكسر الهمزة لان الوحي قول كانه قال يقال
لي انما انت نذير مبين ومن فتح جعلها في موضع رفع
لانها اسم ما لم يسم فاعله قال الفرا كانك قلت ما
يوحى الي الا الانذار النحاس ويجوز ان يكون في
موضع نصب بمعنى الا لانما قوله تعالى اذ قال ربك
للملائكة اذ من صلة يختصمون المعنى ما كان لي
من علم بالملاء الاعلى حين يختصمون حين قال ربك
للملايكه اني خالق بشرا من طين وقيل واذ قال بدل
من اذ يختصمون ويختصمون يتعلق بمحذوف لان
المعنى ما كان لي من علم بكلام الملاء الاعلى وقت اختصامهم
فاذا سويته اذا ترد الماضي الى المستقبل لانها
تشبه حروف الشرط وجوابها كجوابه اي خلقته
ونفخت فيه من روحي اي من الروح الذي املكه
ولا يملكه غيري فهذا معنى الاضافة وقد مضى هذا

المعنى مجوداً في النسا في قوله في عيسى وروح منه ::
فقعوا له ساجدين نصب على الحال وهذا سجود
تحية لا سجود عبادة وقد مضى في البقرة فسجد الملائكة
كلهم اجمعون اى امتثلوا الامر وسجدوا له خضوعاً
له وتعظيماً لله بتعظيمه الا ابليس انف من السجود
له جهلاً بان السجود له طاعة لله والانفة من طاعة الله
استكباراً كفر ولذلك كان من الكافرين باستكباره
عن امر الله وقد مضى هذا الكلام في البقرة مستوفى
قوله تعالى قال يا ابليس ما منعك اى صرفك وصدك
ان تسجد لما خلقت بيدي اضاف خلقه الى نفسه
تكريماً له وان كان خالق كل شيء وهذا كما اضاف
الى نفسه الروح والبيت والناقة والمساجد
فخاطب الخلق بما يعرفونه في تعاملهم فان الرئيس
من المخلوقين لا يباشر شيئاً بيده الا على سبيل الاعظام
والتكرم فذكر اليد هنا بمعنى هذا قال مجاهد اليد
هنا بمعنى التاكيد والصلة مجازه لما خلقت انا
كقوله جل وعز دليل على انه ليس بمعنى النعمة والقوة
والقدرة وانما هما صفتان من صفات ذاته تعالى
وقيل اراد باليد القدرة يقال ما لي بهذا الامر يد وما لي
بالحمل

اى عن السجود

بالحمل الثقيل بداك ويدل عليه ان الخلق لا يقع الا
بالقدرة بالاجماع وقال الشاعر تحملت من ذلفاء ما
ليس لي به ولا للجبال الراسيات يدان وقيل
لما خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطه استكبرت
اي عن السجود ام كنت من العالين اي من المتكبرين على
ربك وقرأ محمد بن صالح عن شبل عن ابن كثير واهل مكة
بيدي استكبرت موصولة الالف على الخبر ويكون
ام منقطعة بمعنى بل مثل ام يقولون افتراه وشبهه
ومن استفهم فأم معادلة لهمزة الاستفهام وهو
تقرير وتوبيخ اي استكبرت بنفسك حين ابيت
عن السجود لآدم ام كنت من القوم الذين يتكبرون
فتكبرت لهذا قوله تعالى قال انا خير منه قال الفراء
ومن العرب من يقول انا اخير منه واشر وهذا هو
الاصل الا انه حذف منه لكثرة الاستعمال خلقتني
من نار وخلقته من طين فضل النار على الطين وهذا
جهل منه لان الجواهر متجانسة فقاس فاخطا القياس
وقد مضى في الاعراف بيانه قال فاخرج منها يعني
من الجنة فانك رجيم اي مرجوم بالكواكب والشهب
وان عليك لعنتي اي طردي وابعادي من رحمتي الى

منقطعة بمعنى بل

الى يوم الدين تعريف باصراره على الكفر لان اللعن
منقطع حينئذ ثم بدخوله النار يظهر تحقيق اللعن قال
رب فانظرني الى يوم يبعثون وهي النفخة الاخرة اراد
الملعون الا يموت فلم يجب الى ذلك واخر الى يوم الوقت
المعلوم وهو يوم يموت الخلق فيه فاخر اليه تهاونا به
قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين لما طرده بسبب ادم حلف
بعزة الله انه يضل بني ادم بتزيين الشهوات وادخال
الشبه عليهم فمعنى لاغوينهم لاسند عنهم الى المعاصي
وقد علم انه لا يصل الا الى الوسوسة ولا يفسد الا من
كان لا يصلح لو لم يوسوسه ولهذا قال الا عبادك منهم
المخلصين اي الذين اخلصتهم لعبادتك وعصمتهم مني
وقد مضى في الحجر بيانه قوله تعالى قال فالحق والحق اقول
هذه قراة اهل الحرمين واهل البصرة والكسائي وقرا ابن
عباس ومجاهد وعاصم والاعمش وحمزه برفع الاول
واجاز الفرا فيه الخفض ولا اختلاف في الثاني انه منصوب
بأقول ونصب الاول على الاغراء اي فاتبعوا الحق واستمعوا
الحق والثاني بايقاع القول عليه وقيل هو بمعنى احق الحق اي
افعله قال ابو علي الحق الاول منصوب بفعل مضمر اي
يحق الله الحق او على القسم وحذف حرف الجر كما تقول الله
لافعلن

لعبادك بيان

القول

لافعلن ومجازه قال فالحق وهو الله تعالى اقسم بنفسه
والحق اقول جملة اعترضت بين المقسم والمقسم عليه وهي
توكيد القصة واذا جعل الحق منصوبا باضمار فعل كان
لاملان على ارادة القسم وقد اجاز الفرا وابو عبيد
ان يكون الحق منصوبا بمعنى حقا لاملان جهنم وذلك
عند جماعة من النحويين خطا لا يجوز زيدا لاضربن
لان ما بعد اللام مقطوع مما قبلها فلا يعمل فيه والتقدير
على قولهما لاملان جهنم حقا ومن رفع الحق رفعه
بالابتدا اي فانا الحق والحق مني روبا جميعا عن مجاهد
ويجوز ان يكون التقدير هذا الحق وقول ثالث
على مذهب سيبويه والفرا ان معنى فالحق لاملان
جهنم بمعنى فالحق ان املا جهنم وفي الخفض قولان
وهي قراة ابن السميفع وطلحه بن مصرف احدهما انه على
حذف حرف القسم هذا قول الفراء كما تقول الله عز
وجل لافعلن وقد اجاز مثل هذا سيبويه وغلطه فيه
ابو العباس ولم يجز الخفض لان حروف الخفض لا تضمر
والقول الاخر ان تكون الفا بدلا من واو القسم كما انشدوا
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا، لاملان جهنم منك اي
من نفسك وذريتك وممن تبعك من بني ادم اجمعين

قوله تعالى قل ما اسئلكم عليه من اجر اي من جعل
على تبليغ الوحي وكنى به عن غير مذكور وقيل هو راجع
الى قوله اوانزل عليه من بيننا وما انا من المتكلفين اي
لا اتكلف ولا اتخرص ما لم اومر به وروى مسروق
عن عبد الله بن مسعود قال من سيل عما لا يعلم فليقل
لا اعلم ولا يتكلف فان قوله لا اعلم علم وقد قال الله جل وعز
لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسالكم عليه من اجر وما
انا من المتكلفين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى
ما لا ينال ويقول ما لا يعلم وروى الدارقطني
من حديث نافع عن ابن عمر قال خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم في بعض اسفاره فسار ليلا فمرّوا
على رجل جالس على مقراة له فقال له عمر يا صاحب
المقراة اولغت السباع الليلة في مقراتك فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم يا صاحب المقراة لا تخبره
هذا متكلف لها ما حملت في بطونها ولنا ما بقي شراب
وطهور وفي الموطا عن يحيى بن عبد الرحمان بن حاطب
ان عمر بن الخطاب خرج في ركب فيهم عمرو بن العاص حتى
وردوا حوضا فقال عمرو بن العاص لصاحب الحوض

يا

ذكناية

الذكر

حملت

يا صاحب الحوض هل ترد حوضك السباع فقال عمر
بن الخطاب يا صاحب الحوض لا تخبرنا فانا نرد على
السباع وترد علينا وقد مضى القول في المياه في
سورة الفرقان ان هو الا ذكر يعني القران للعالمين
من الجن والانس ولتعلمن نباه بعد حين اي نبا الذكر
وهو القران انه حق بعد حين قال قتادة بعد الموت
وقاله الزجاج وقال ابن عباس وعكرمة وابن زيد
يعني يوم القيامه وقال الفرا بعد الموت وقبله اي
ليظهرن لكم حقيقة ما اقول بعد حين اي في المستانف
اذا اخذتكم سيوف المسلمين قال السدي وذلك يوم
بدر وكان الحسن يقول يا ابن ادم عند الموت
ياتيك الخبر اليقين وسيل عكرمة عمن حلف ليصنعن
كذا الى حين قال ان من الحين ما لا يدركه كقوله تعالى
ولتعلمن نباه بعد حين ومنه ما يدركه كقوله تعالى
توتي اكلها كل حين باذن ربها من صرام النخل الى
طلوعه ستة اشهر وقد مضى القول في هذا في
البقره وابراهيم والحمد لله

سورة الزمر

وتقال الغرف قال وهب بن منبه من احب ان

يعرف قضا الله عز وجل في خلقه فليقرا سورة الغرف وهي مكيه
في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر بن زيد وقال ابن عباس الا
ايتين نزلتا بالمدينه احداهما الله نزل احسن الحديث الايه
والاخرى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله وقال اخرون الى سبع ايات من قوله قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم الى اخر السبع نزلت في وحشي واصحابه على
ما ياتي وروى الترمذي عن عايشة قالت كان النبي صلى الله عليه
وسلم لا ينام حتى يقرا الزمر وبني اسرايل وهي خمس وسبعون
ايه وقيل ثمان وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم قوله
تعالى تنزيل الكتاب تنزيل رفع بالابتدا وخبره من الله
العزيز الحكيم ويجوز ان يكون مرفوعًا بمعنى هذا تنزيل
قاله الفرا واجاز الكساي والفرا ايضًا تنزيل بالنصب
على انه مفعول به قال الكساي اي اتبعوا واقروا تنزيل
الكتاب وقال الفرا هو على الاغرا مثل قوله كتاب الله عليكم
اي الزموا والكتاب القران سمي بذلك لانه مكتوب قوله
تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق اي هذا تنزيل الكتاب
من الله وقد انزلناه بالحق اي بالصدق وليس بباطل
وهزل فاعبد الله مخلصًا فيه مسلتان الاولى مخلصًا
نصب على الحال اي موحدًا لا تشرك به شيا له الدين

اي

اى الطاعه وقيل العباده وهو مفعول به الا لله الدين
الخالص اى الذى لا يشوبه شى وفى حديث الحسن عن
ابى هريرة ان رجلا قال يا رسول الله انى اتصدق بالشى
واصنع الشى اريد به وجه الله وثنا الناس فقال النبى
صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لا يقبل الله
شيا شورك فيه ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لله
الدين الخالص وقد مضى هذا المعنى فى البقره والنساء
والكهف مستوفى الثانية قال ابن العربى هذه الايه
دليل على وجوب النية الخالصه فى كل عمل واعظمه
الوضو الذى هو شطر الايمان خلافا لابى حنيفه
والوليد بن مسلم عن مالك اللذين يقولان ان الوضو
يكفى من غير نيه وما كان ليكون من الايمان شطرا
ولا ليخرج الخطايا من بين الاظافر والشعر بغير نيه
قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اوليا يعنى الاصنام
والخبر محذوف اى قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى قال قتاده كانوا اذا قيل لهم من ربكم وخالقكم
ومن خلق السموات والارض وانزل من السما ما قالوا
الله فيقال لهم ما معنى عبادتكم الاصنام قالوا ليقربونا

الى الله زلفى وفي حرف ابي والذين اتخذوا من دونه اولياء ما
نعبدكم الا لتقربونا الى الله زلفى ذكره النحاس قال والحكاية
في هذا بينة ان الله يحكم بينهم اي بين اهل الاديان يوم
القيامه فيجازي كلا بما يستحق ان الله لا يهدي من هو
كاذب كفار اي من سبق له القضا بالكفر لم يهتد اي
للدين الذي ارتضاه وهو دين الاسلام كما قال تعالى ورضيت
لكم الاسلام دينا وفي هذا رد على القدريه وغيرهم على
ما تقدم قوله تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى
مما يخلق ما يشا لو اراد الله ان يسمي احدا من خلقه بهذا
ما جعله عز وجل اليهم سبحانه اي تنزيها له من الولد هو
الله الواحد القهار قوله تعالى خلق السموات والارض
بالحق اي هو القادر على الكمال المستغني عن الصاحبه والولد
ومن كان هكذا فحقه ان يفرد بالعباده لا ان يشرك به
ونبه بهذا على ان له ان يتعبد العباد بما شا وقد فعل
قوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل
قال الضحاك اي يلقي هذا على هذا وهذا على هذا على معنى التكوير
في اللغه وهو طرح الشي بعضه على بعض يقال كور المتاع
اي القى بعضه على بعض ومنه كور العمامه وقد روي عن
ابن عباس هذا في معنى الايه قال ما نقص من الليل دخل في النهار
وما

وما نقص من النهار دخل في الليل وهو معنى قوله تعالى يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل وقيل تكوير الليل على
النهار تغشيته اياه حتى يذهب ضوءه ويغشي النهار على
الليل فيذهب ظلمته وهذا قول قتادة وهو معنى قوله تعالى
يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا وسخر الشمس والقمر
اي بالطلوع والغروب لمنافع العباد كل يجري لاجل
مسمى اي في فلكه الى ان تنصرم الدنيا وهو يوم القيامة
حتى تنفطر السما وتنتثر الكواكب وقيل الاجل المسمى
هو الذي ينتهي فيه سير الشمس والقمر الى المنازل المرتبة
لغروبها وطلوعها قال الكلبي يسيران الى اقصى منازلهما
ثم يرجعان الى ادنى منازلهما لا يجاوزانه وقد تقدم
بيان هذا في سورة يس الا هو العزيز الغفار الا تنبيه
اي تنبهوا فاني انا العزيز الغالب الغفار اي الساتر
لذنوب خلقه برحمته قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة
يعني ادم عليه السلام ثم جعل منها زوجها يعني حوا ليحصل
التناسل وقد مضى هذا في الاعراف وغيرها وانزل لكم
من الانعام ثمانية ازواج اخبر عن الازواج بالنزول
لانها تكونت بالنبات والنبات بالما المنزل وهذا يسمى
التدريج ومثله قوله تعالى قد انزلنا عليكم لباسا الاية وقيل

انزل انشا وجعل وقال سعيد بن جبير خلق وقيل
ان الله تعالى خلق هذه الانعام في الجنة ثم انزلها الى الارض
كما قيل في قوله تعالى وانزلنا الحديد فيه باس شديد فان
ادم لما اهبط الى الارض انزل معه الحديد وقيل انزل
لكم من الانعام اي اعطاكم وقيل جعل الخلق انزالا لان الخلق
انما يكون بامر ينزل من السما فالمعنى خلق لكم لذا بامره
النازل قال قتاده من الابل اثنين ومن البقر اثنين
ومن الضان اثنين ومن المعز اثنين كل واحد زوج
وقد تقدم هذا يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد
خلق قال قتاده والسدي نطفة ثم علقة ثم مضغة
ثم عظاما ثم لحما ابن زيد خلقا خلقا في بطون امهاتكم
من بعد خلقكم في ظهر ادم وقيل خلقا في ظهر الاب ثم
خلقا في بطن الام ثم خلقا بعد الوضع ذكره الماوردي
في ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة
قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك
وقال ابن جبير ظلمة المشيمه وظلمة الرحم وظلمة الليل
والقول الاول اصح وقيل ظلمة صلب الرجل وظلمة بطن
المراه وظلمه الرحم وهذا مذهب ابي عبيدة اي لا
تمنعه الظلمه كما يمنع المخلوق ذلكم الله ربكم
لا اله الا هو

هذه الاية ... الى الله ...

لا اله الا هو فانى تصرفون اى كيف تنقلبون و تنصرفون
عن عبادته الى عبادة غيره وقرا حمزه امهاتكم بكسر
الهمزة والميم والكسائى بكسر الهمزه وفتح الميم والباقون
بضم الهمزة وفتح الميم **قوله تعالى** ان تكفروا فان
الله غنى عنكم شرط وجوابه ولا يرضى لعباده الكفر
اى ان يكفروا لا يحب ذلك منهم وقال ابن عباس والسدى
معناه لا يرضى لعباده المومنين الكفر وهم الذين قال الله
فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكقوله تعالى عينا
يشرب بها عباد الله اى المومنون وهذا على قول من
لا يفرق بين الرضى والارادة وقيل لا يرضى الكفر وان
اراده فالله تعالى يريد الكفر من الكافر وبارادته كفر
ولا يرضاه ولا يحبه فهو يريد كون ما لا يرضاه وقد اراد
الله جل وعز خلق ابليس وهو لا يرضاه فالاراده غير
الرضا وهذا مذهب اهل السنه **قوله تعالى** وان تشكروا
يرضه لكم اى يرضى الشكر لكم لان تشكروا يدل عليه وقد
مضى القول فى الشكر فى البقره وغيرها ويرضى بمعنى
يثيب ويثنى فالرضى على هذا اما ثوابه فيكون صفة
فعل لئن شكرتم لازيدنكم واما ثناؤه فهو صفة ذات

ويرضه بالاسكان في الهاء قرا ابو جعفر وابو عمرو وشيبة
وهبيره عن عاصم واشبع الضمه ابن ذكوان وابن كثير وابن محيصن
والكسائي وورش عن نافع واختلس الباقون ولا تزر وازرة
وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم
بذات الصدور تقدم في غير موضع قوله تعالى واذا
مس الانسان يعني الكافر الضر اي الشدة من الفقر والبلا
دعا ربه منيبا اليه اي راجعا اليه مخبتا مطيعا له مستغيثا
به في ازالة تلك الشدة عنه ثم اذا خوله نعمة منه اي اعطاه
وملكه يقال خولك الله الشي اي ملكك اياه وكان ابو عمرو
بن العلا ينشد ؛ هنالك ان يستخولوا المال يخولوا وان
يسلوا يعطوا وان ييسروا يغلوا ؛ وخول الرجل حشمه
الواحد خايل وقال ابو النجم ؛ اعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم
الذرى من خول المخول نسي ما كان يدعو اليه من قبل اي
نسي ربه الذي كان يدعوه من قبل في كشف الضر عنه
فما على هذا الوجه لله جل وعز وهي بمعنى الذي وقيل بمعنى
من كقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى واحد
وقيل نسي الدعا الذي كان يتضرع به الى الله جل وعز اي ترك
كون الدعا منه الى الله فما والفعل على هذا القول مصدر
وجعل لله اندادا اي اوثانا واصناما وقال السدي يعني
اندادا من الرجال يعتمدون عليهم في جميع امورهم ليضل عن
سبيله

الثامن والعشرون

غير ذي لبس وقال بكر بن عبد الله المزني غير ذي لحن
وقيل غير ذي شك قاله السدي فيما ذكر الماوردي
قال وقد اتاك يمين غير ذي عوج من الاله وقول غير
مكذوب لعلهم يتقون الكفر والكذب قوله تعالى
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركا متشاكسون قال الكسائي
نصبت رجلا لانه ترجمة للمثل وتفسير له وان
شئت نصبته بنزع الخافض مجازه ضرب الله مثلا
برجل فيه شركا متشاكسون قال الفرا اي مختلفون
وقال المبرد اي متعاسرون من شكس يشكس شكسا
فهو شكس مثل عسر يعسر عسرا فهو عسر يقال
رجل شكس وشرس وضرس وضبس ويقال رجل
ضبس وضبيس اي شرس عسر شكس قاله الجوهري
الزمخشري والتشاكس والتشاخس الاختلاف يقال
تشاكست احواله وتشاخست اسنانه ويقال
شاكسني فلان اي ماكسني وشاحني في حقي قال الجوهري
رجل شكس بالتسكين اي صعب الخلق قال الراجز
شكس عبوس عنبس عذور والقوم شكس مثال رجل
صدق وقوم صدق وقد شكس بالكسر شكاسة
وحكى الفرا رجل شكس وهو القياس وهذا مثل من عبد

الهه كثيرة ورجلا سالما للرجل اي خالصا لسيد واحد
وهو مثل من يعبد الله وحده هل يستويان مثلا هذا
الذي يخدم جماعة شركا اخلافهم مختلفه ونياتهم متباينه
لا يلقاه رجل الا جره واستخدمه فهو يلقى منهم العنا
والنصب والتعب العظيم وهو مع ذلك كله لا يرضي
واحدا بخدمته لكثرة الحقوق في رقبته والذي
يخدم واحدا لا ينازعه فيه احد اذا اطاعه وحده
عرف ذلك له وان اخطا صفح عن خطايه فايهما اقل
تعبا او على هدي مستقيم وقراة اهل الكوفه واهل
المدينه ورجلا سلما وقرا ابن عباس ومجاهد والجحدري
وعاصم الجحدري وابو عمرو وابن كثير ويعقوب
ورجلا سالما واختاره ابو عبيد لصحة التفسير
فيه قال لان السالم الخالص ضد المشترك والسلم صح
ضد الحرب ولا موضع للحرب هنا النحاس وهذا الاحتجاج
لا يلزم لان الحرف اذا كان له معنيان لم يحمل الا على
اولاهما فهذا وان كان السلم ضد الحرب فله موضع
آخر كما يقال لك في هذا المنزل شركا فصار سلما
لك ويلزمه ايضا في سالم ما الزم غيره لانه يقال
شي سالم اي لا عاهة به والقرآتان حسنتان قرا
بهما.

بهما الائمة واختار ابو حاتم قراءة اهل المدينة
سلما قال وهذا لا تنازع فيه وقرا سعيد بن جبير
وعكرمة وابو العالية ونصر سلما بكسر السين وسكون
اللام وسلما وسلما مصدران والتقدير فرجلا ذا
سلم فحذف المضاف ومثلا صفة على التمييز والمعنى
هل يستوي صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر في التمييز
على الواحد لبيان الجنس الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون
الحق فيتبعونه قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون
وقرا ابن محيصن وابن ابي عبلة وعيسى بن عمر وبن ابي
اسحاق انك مايت وانهم مايتون وهي قراءة حسنة
وبها قرا عبد الله بن الزبير النحاس ومثل هذه الالف
تحذف في السواد ومايت في المستقبل كثير في كلام
العرب ومثله ما كان مريضا وانه لمارض من هذا
الطعام وقال الحسن والفرا والكسائي الميت بالتشديد
من لم يمت وسيموت والميت بالتخفيف من فارقته
الروح فلذلك لم يخفف هنا قال قتادة نعيت
الى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ونعيت اليكم
انفسكم وقال ثابت البناني نعى رجل الى صلة بن
اشيم اخا له فوافقه ياكل فقال ادن فكل فقد

النعي الاخبار بالموت

نعى إلي أخي منذ حين قال وكيف وانا اول من اتاك
بالخبر قال ان الله تعالى نعاه إلي فقال انك ميت وانهم
ميتون وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اخبره
بموته وموتهم فاحتمل خمسة اوجه احدها ان
يكون ذلك تحذيرا من الآخرة الثاني ان يذكره
حثا على العمل الثالث ان يذكره توطية للموت
الرابع لئلا يختلفوا في موته كما اختلفت الامم في غيره
حتى ان عمر رضي الله عنه لما انكر موته احتج ابو بكر
رضي الله عنه بهذه الاية فامسك الخامس ليعلمه ان
الله تعالى قد سوى فيه بين خلقه مع تفاضلهم في
غيره لتكثر فيه السلوة وتقل فيه الحسرة ثم انكم
يوم القيامة عند ربكم تختصمون يعني تخاصم الكافر
والمؤمن والظالم والمظلوم قاله ابن عباس وغيره
وفي خبر فيه طول ان الخصومة تبلغ يوم القيامة
الى ان تحاج الروح الجسد وقال الزبير لما نزلت
هذه الآية قلنا يا رسول الله ايكرر علينا ما كان
بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن
عليكم حتى يؤدي الى كل ذي حق حقه فقال الزبير
والله ان الامر لشديد وقال ابن عمر لقد عشنا برهة

سلوت
فرح وسرور

من

من دهرنا ونحن نرى هذه الايه نزلت فينا وفي
اهل الكتابين ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون
فقلنا وكيف نختصم ونبينا واحد ودينا واحد
حتى رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف
فعرفت انها فينا نزلت وقال ابو سعيد الخدري
كنا نقول ربنا واحد ودينا واحد ونبينا واحد
فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا
على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وقال ابراهيم
النخعي لما نزلت هذه الاية جعل اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقولون ما خصومتنا بيننا
فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا
بيننا وقيل تخاصمهم هو تحاكمهم الى الله تعالى
فيستوفي من حسنات الظالم بقدر مظلمته
ويردها في حسنات من وجبت له وهذا عام
في جميع المظالم كما في حديث ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون من المفلس
من امتي من ياتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة
وياتي قد شتم هذا وضرب هذا واكل مال هذا وسفك
دم هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته

قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من

فان فنيت حسناته قبل انقضا ما عليه احد من
خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار خرجه
مسلم وقد مضى هذا المعنى مجودا في ال عمران وفي
البخاري عن ابي هريره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من كانت عنده لاخيه مظلمة من عرضه او شي
فليتحلله منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم
ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم
يكن له حسنات اخذ من سيات صاحبه فحمل عليه
وفي الحديث المسند اول ما تقع الخصومات في
الدما وقد ذكرنا هذا الباب كله في التذكره مستوفي
قوله تعالى ومن اظلم اي لا احد اظلم ممن كذب على
الله فزعم ان له ولدا وشريكا وكذب بالصدق
يعني القران اليس في جهنم استفهام تقرير مثوى
للكافرين اي مقاما للجاحدين وهو مشتق من ثوى
بالمكان اذا اقام به يثوي ثواه وثويا مثل مضى مضا
ومضيا ولو كان من اثوى لكان مثوا وهذا يدل على
ان ثوى هي اللغة الفصيحة وحكى ابو عبيد اثوى
وانشد قول الاعشى اثوا وقصر ليلة ليزودا
فمضت واخلف من قتيلة موعدا والاصمعي
لا يعرف

ثوى بالمكان

تم الجزو الخامس والعشرين من تفسير القرآن العظيم

لايعرف الاثوابا ويروى البيت اثوى واثويت غيرى
يتغدى ولا يتغدى قوله تعالى والذى جا بالصدق
فى موضع رفع بالابتدا وخبره اوليك هم المتقون واختلف
فى الذى جا بالصدق وصدق به فقال على رضى الله عنه
الذى جا بالصدق النبى صلى الله عليه وسلم وصدق به ابو بكر
رضى الله عنه وقال مجاهد النبى عليه السلام وعلى رضى الله عنه
السدى الذى جا بالصدق جبريل صلى الله عليه وسلم والذى
صدق به محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد ومقاتل
وقتاده الذى جا بالصدق وصدق به المومنون واستدلوا
على ذلك بقوله اوليك هم المتقون كما قال هدى للمتقين وقال
النخعى ومجاهد الذى جا بالصدق وصدق به المومنون
الذين يجيون بالقران يوم القيامه فيقولون هذا الذى
اعطيتمونا فقد اتبعنا ما فيه فتكون الذى على هذى
بمعنى جمع كما تكون من بمعنى جمع وقيل بل حذفت منه
النون لطول الاسم وتاوله الشعبى على انه واحد وقال
الذى جا بالصدق محمد صلى الله عليه وسلم فيكون على هذا
خبره جماعه كما يقال لمن يعظم هو فعلوا وزيد فعلوا
كذا وكذا وقيل ان ذلك عام فى كل من دعا الى توحيد الله عز وجل
قاله ابن عباس وغيره واختاره الطبرى وفى قراه ابن مسعود

الشعبى الله عليه وسلم

والذي جا بالصدق وصدقوا به وهذه قراة على التفسير
وفي قراة ابي صالح الكوفي والذي جا بالصدق وصدق به
مخففا على معنى وصدق بمجيه به اي صدق في طاعة الله
عز وجل وقد مضى في البقرة الكلام في الذي وانه يكون
واحدا ويكون جمعا لهم ما يشاون عند ربهم اي من النعم
في الجنة كما تقال لك اكرام عندي اي ينالك مني ذلك
ذلك جزا المحسنين الثنا في الدنيا والثواب في الاخرة
قوله تعالى ليكفر الله عنهم اي صدقوا ليكفر الله عنهم
اسوأ الذي عملوا اي يكرمهم ولا يواخذهم بما عملوا
قبل الاسلام ويجزيهم اجرهم اي يثيبهم على الطاعات
في الدنيا باحسن الذي كانوا يعملون وهي الجنة
قوله تعالى اليس الله بكاف عبده حذفت اليا من
كاف لسكونها وسكون التنوين بعدها وكان الاصل
ان لا تحذف في الوقف لزوال التنوين الا انها
حذفت ليعلم انها كذلك في الوصل ومن العرب
من يثبتها في الوقف على يقول كافي وقراة العامة
عبده بالتوحيد يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يكفيه
الله وعيد المشركين وكيدهم وقرا حمزه والكساي
عباده وهم الانبيا او الانبيا والمومنون بهم
واختار

الدنيا

الاصل صح

واختار ابو عبيد قراة الجماعة لقوله عقيبه ويخوفونك
بالذين من دونه ويحتمل ان يكون العبد لفظ الجنس كقوله
عز من قايل ان الانسان لفي خسر وعلى هذا تكون القراة
الاولى راجعه الى الثانيه والاية نشر الاصنام فانهم
كانوا يخوفون المومنين بالاصنام حتى قال ابراهيم عليه السلم
وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله
وقال الجرجاني ان الله كاف عبده المومن وعبده الكافر
هذا بالثواب وهذا بالعقاب قوله تعالى ويخوفونك
بالذين من دونه وذلك انهم خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم
مضرة الاوثان فقالوا اتسب الهتنا لين لم تكف عن
ذكرها لتخبلنك او تصيبنك بسوء وقال قتادة تمشا
خالد بن الوليد الى العزى ليكسرها بالفاس فقال له
سادنها احذركها يا خالد فان لها شدة لا يقوم لها
شي فعمد خالد الى العزى فهشم انفها حتى كسرها
بالفاس وتخويفهم لخالد تخويف للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه الذي وجه خالدا ويدخل في الاية تخويفهم
النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة جمعهم وقوتهم كما قال
ام يقولون نحن جميع منتصر ومن يضلل الله فما له من
هاد تقدم ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله بعزيز

ذي انتقام اي ممن عاداه وعادى رسله قوله تعالى
ولئن سالتهم اي ولئن سالتهم يا محمد من خلق السموات
والارض ليقولن الله يعني انهم مع عبادتهم الاوثان
مقرون بان الخالق هو الله واذا كان الله هو الخالق
فكيف يخوفونك بالهتهم التي هي مخلوقة لله تعالى
وانت رسول الله الذي خلقها وخلق السموات والارض
قل افرايتم اي قل لهم يا محمد بعد اعترافهم بهذا افرايتم
ان ارادني الله بضر يعني بشدة وبلاء هل هن كاشفات
ضره يعني هذه الاصنام او ارادني برحمة نعمة ورخاء
هل هن ممسكات رحمته قال مقاتل فسالهم النبي
صلى الله عليه وسلم فسكتوا وقال غيره قالوا لا
تدفع شيئا قدرة الله ولكنها تشفع فنزلت قل حسبي
الله وترك الجواب لدلالة الكلام عليه يعني فسيقولون
لا فقل حسبي الله اي عليه توكلت اي اعتمدت وعليه
فليتوكل المتوكلون يعتمد المعتمدون وقد تقدم الكلام
في التوكل وقرا نافع وابن كثير والكوفيون ما عدا
عاصما كاشفات ضره بغير تنوين وقرا ابو عمرو
وشيبة وهي المعروفة من قراءة الحسن وعاصم هل هن
كاشفات ضره ممسكات رحمته بالتنوين على الاصل

وهو

وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم لانه اسم فاعل
في معنى الاستقبال واذا كان لذلك كان التنوين
اجود قال الشاعر الضاربون عميرا عن بيوتهم
بالتل يوم عمير ظالم عادي ولو كان ماضيا لم يجز فيه التنوين
وحذف التنوين على التخفيف فاذا حذفت التنوين لم يبق
بين الاسمين حاجز فخفضت الثاني بالاضافة وحذف التنوين
كثير في كلام العرب موجود حسن قال الله تعالى هديا بالغ
الكعبة وقال تعالى انا مرسلوا الناقة قال سيبويه ومثل ذلك
غير محلي الصيد وانشد سيبويه هل انت باعث دينار
لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق وقال النابغة
احكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت الى حمام شراع وارد الثمد
معناه وارد الثمد فحذف التنوين مثل كاشفات ضره قوله
تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل اي على مكانتي
اي على جهتي التي تمكنت عندي فسوف تعلمون وقرا
ابو بكر مكاناتكم وقد مضى في الانعام من ياتيه عذاب يخزيه
اي يهينه ويذله اي في الدنيا وذلك بالجوع والسيف ويحل
عليه اي في الاخرة عذاب مقيم قوله تعالى انا انزلنا عليك
الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل
عليها وما انت عليهم بوكيل تقدم الكلام في هذه الاية

مستوفى في غير موضع قوله تعالى الله يتوفى الانفس
حين موتها فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى الله يتوفى الانفس
اي يقبضها عند فنا اجالها والتي لم تمت في منامها اختلف
فيه فقيل يقبضها عن التصرف مع بقا ارواحها في اجسادها
فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى وهي النايمه
فيطلقها بالتصرف الى اجل موتها قاله ابن عيسى وقال الفرا
المعنى ويقبض التي لم تمت في منامها عند انقضا اجلها
قال وقد يكون توفيها نومها فيكون التقدير على هذا والتي
لم تمت وفاتها نومها وقال ابن عباس وغيره من المفسرين
ان ارواح الاحيا والاموات تلتقي في المنام فيتعارف ما
شا الله منها فاذا اراد جميعها الرجوع الى الاجساد امسك
الله ارواح الاموات عنده وارسل ارواح الاحيا الى
اجسادها وقال سعيد بن جبير ان الله يقبض ارواح الاموات
اذا ماتوا وارواح الاحيا اذا ناموا فتتعارف ما شا الله
ان يتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى
فيعيدها قال علي رضي الله عنه فما راته نفس النايم وهي
في السما قبل ارسالها الى جسدها فهي الرويا الصادقه
وما راته بعد ارسالها وقبل استقرارها في جسدها
تلقيها الشياطين وتخيل اليها الاباطيل فهي الرويا الكاذبه
وقال

وقال ابن زيد النوم وفاة والموت وفاة وعن النبي صلى الله
عليه وسلم قال كما تنامون فكذلك تموتون وكما توقظون
فكذلك تبعثون وقال عمر النوم اخو الموت وروي مرفوعا
من حديث جابر بن عبد الله قيل يا رسول الله اينام اهل
الجنة قال لا النوم اخو الموت والجنة لا موت فيها خرجه
الدارقطني وقال ابن عباس في ابن ادم نفس وروح بينهما
مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح
التي بها النفس والتحريك فاذا نام العبد قبض الله نفسه
ولم يقبض روحه وهذا قول ابن الانباري والزجاج قال
القشيري ابو نصر وفي هذا بعد اذ المفهوم من الاية ان
النفس المقبوضة في الحالين شي واحد ولهذا قال فيمسك
التي قضي عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى فاذا
يقبض الله الروح في حالين في حالة النوم وحالة الموت فما
قبضه في حال النوم فمعناه انه يغمره بما يحبسه عن
التصرف فكانه شي مقبوض وما قبضه في حال الموت
فهو يمسكه ولا يرسله الى يوم القيامه وقوله ويرسل
الاخرى اي يرسل الحابس عنه فيعود كما كان فتوفي
الانفس في حال النوم بازالة الحس وخلق الغفلة والافه
في محل الادراك وتوفيها في حالة الموت بخلق الموت

وازالة الحس بالكلية فيمسك التي قضى عليها الموت بان لا يخلق
فيها الادراك كيف وقد خلق فيها الموت ويرسل الاخرى
بان يعيد اليها الاحساس الثانية وقد اختلف الناس
من هذه الايه في النفس والروح هل هما شي واحد او شيان
على ما ذكرنا والاظهر انهما شي واحد وهو الذي تدل عليه
الاثار الصحاح على ما نذكره في هذا الباب من ذلك حديث
ام سلمه قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي
سلمه وقد شق بصره فاغمضه ثم قال ان الروح اذا
قبض تبعه البصر وحديث ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الم تروا الانسان اذا مات شخص بصره
قال فذلك حين يتبع بصره نفسه خرجهما مسلم وعنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال تحضر الملايكه فاذا كان الرجل
صالحا قالوا اخرجي ايتها النفس الطيبه كانت في الجسد الطيب
اخرجي حميده وابشري بروح وريحان ورب راض غير
غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها
الى السما وذكر الحديث واسناده صحيح خرجه ابن ماجه
وقد ذكرناه في التذكره وفي صحيح مسلم عن ابي هريره
قال اذا خرجت روح المومن تلقاها ملكان يصعدانها
وذكر الحديث وقال بلال في حديث الوادي اخذ بنفسي

يا رسول الله

يارسول الله الذي اخذ بنفسك وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مقابلا له في حديث زيد بن اسلم في حديث الوادي يا ايها
الناس ان الله قبض ارواحنا ولو شا الردها في حين غير هذا الينا
الثالثة والصحيح فيه انه جسم لطيف مشابك للاجسام
المحسوسة يجذب ويخرج وفي اكفانه يلف ويدرج وبه
الى السما يعرج لا يموت ولا يفنى وهو حماله اول وليس له
اخر وهي بعينين ويدين وانه ذو ريح طيب وخبيث كما في
حديث ابي هريره وهذه صفة الاجسام لا صفة الاعراض
وقد ذكرنا الاخبار بهذه كلها في كتاب التذكره باحوال الموتى
وامور الاخره وقال تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم يعني النفس
عند خروجها من الجسد وهذه صفه الجسم والله اعلم الرابعه
خرج البخاري ومسلم من حديث ابي هريره ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا اوى احدكم الى فراشه فليأخذ
داخلة ازاره فلينفض بها فراشه وليسم الله فانه لا يعلم
ما خلفه بعد على فراشه فاذا اراد ان يضطجع فليضطجع
على شقه الايمن وليقل سبحانك ربي بك وضعت جنبي وبك
ارفعه ان امسكت نفسي فاغفر لها وقال البخاري وابن ماجه
والترمذي فارحمها بدل فاغفر لها وان ارسلتها فاحفظها
بما تحفظ به عبادك الصالحين زاد الترمذي واذا استيقظ

فليقل الحمد لله الذي عافاني في جسدي ورد علي روحي
واذن لي بذكره وخرج البخاري عن حذيفه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اخذ مضجعه من
الليل وضع يده تحت خده ثم يقول اللهم باسمك
اموت واحيى واذا استيقظ قال الحمد لله الذي
احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور قوله تعالى
فيمسك التي قضى عليها الموت هذه قراة العامه
على انه مسمى الفاعل الموت نصبا اي قضى الله عليها
وهو اختيار ابي حاتم وابي عبيد لقوله في اول الايه
الله يتوفى الانفس فهو يقضي عليها وقرا الاعمش
ويحيى بن وثاب وحمزه والكساي قضي عليها الموت
ما لم يسم فاعله النحاس والمعنى واحد غير ان القراه
الاولى ابين واشبه بنسق الكلام لانهم قد اجمعوا
على ويرسل ولم يقروا ويرسل وفي الايه تنبيه على
عظيم قدرته وانفراده بالالوهيه وانه يفعل ما
يشا ويحيي ويميت لا يقدر على ذلك سواه ان في
ذلك لايات يعني في قبض الله نفس الميت والنايم
وارساله نفس النايم وحبسه نفس الميت لقوم
يتفكرون وقال الاصمعي سمعت معتمرا يقول
روح

روح الانسان مثل كبة الغزل فترسل الروح فتمضي
ثم تمضي ثم تطوى فتجيء فتدخل فمعنى الاية انه يرسل
من الروح اشيء في حال النوم ومعظمها في البدن
متصل بما يخرج منها اتصالا خفيا فاذا استيقظ
المرء جذب معظم روحه ما انبسط منها فعاد وقيل
غير هذا وفي التنزيل ويسألونك عن الروح قل الروح
من امر ربي اي لا يعلم حقيقته الا الله وقد تقدم في سبحان
قوله تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء اي بل
اتخذوا يعني الاصنام وفي الكلام ما يتضمن وام اي ان في
ذلك لايات لقوم يتفكرون ولكنهم اتخذوا آلهتهم
شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا من الشفاعة
ولا يعقلون لانها جمادات وهذا استفهام انكار
قل لله الشفاعة نص في ان الشفاعة لله وحده
كما قال تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فلا شافع
الا من شفاعته ولا يشفعون الا لمن ارتضى جميعا
نصب على الحال فان قيل جميعا انما تكون للاثنين فصاعدا
والشفاعة واحدة فالجواب ان الشفاعة مصدر
والمصدر يؤدي عن الاثنين والجميع له ملك السموات
والارض ثم اليه ترجعون قوله تعالى واذا ذكر

والجمع بيان

الله وحده نصب على المصدر عند الخليل وسيبويه
وعلى الحال عند يونس اشمازت قال المبرد انقبضت
وهو قول ابن عباس ومجاهد وقال قتادة نفرت
واستكبرت وكفرت وتعصت وقال المورج انكرت
واصل الاشمزاز النفور والازورار قال عمرو بن كلثوم
اذا عض الثقاف بها اشمازت وولته عشوزنة زبونا
نصب على الحال وقال ابو زيد اشماز الرجل ذعر من
الفزع وهو المذعور وكان المشركون اذا قيل لهم
لا اله الا الله نفروا وكفروا واذا ذكر الذين من دونه
يعني الاوثان حين القى الشيطان في امنيته النبي صلى
الله عليه وسلم عند قراته والنجم تلك الغرانيق العلى
وان شفاعتهن لترتجى قاله جماعة من المفسرين اذا هم
يستبشرون اي يظهر في وجوههم السرور قوله
تعالى قل اللهم فاطر السموات والارض نصب
لانه ندا مضاف وكذا عالم الغيب ولا يجوز عند
سيبويه ان يكون نعتا انت تحكم بين عبادك فيما
كانوا فيه يختلفون وفي صحيح مسلم عن ابي سلمة
بن عبد الرحمن بن عوف قال سالت عايشه ام المومنين
باي شي كان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح صلاته
اذا

سورة
البشرح

اذا قام من الليل قالت اذا قام من الليل افتتح صلاته بان يقول
اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من
الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ولما
بلغ الربيع بن خثيم قتل الحسين بن علي رضي الله عنهم
قرا قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون وقال
سعيد بن جبير اني لاعرف موضع اية ما قراها
احد قط فسال الله شيا الا اعطاه اياه قوله تعالى
قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون قوله
تعالى ولو ان للذين ظلموا اي كفروا واشركوا
ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء
العذاب اي من سوء عذاب ذلك اليوم وقد مضى هذا
في ال عمران والرعد وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون من اجل ما روي فيه ما رواه منصور
عن مجاهد قال عملوا اعمالا توهموا انها حسنات
فاذا هي سيات وقاله السدي وقيل عملوا

اعمالا توهموا انهم يتوبون منها قبل الموت فادركهم
الموت قبل ان يتوبوا وقد كانوا اطنوا انهم ينجون
بالتوبة ويجوز ان يكونوا توهموا انه يغفر لهم
من غير توبة فبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
من دخول النار وقال سفيان الثوري في هذه الاية
ويل لاهل الريا ويل لاهل الريا هذه ايتهم وقصتهم
وقال عكرمة بن عمار جزع محمد بن المنكدر عند
موته جزعا شديدا فقيل له ما هذا الجزع قال
اخاف اية من كتاب الله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون فانا اخشى ان يبدو لي ما لم اكن احتسبه
وبدا لهم اي ظهر لهم سيات ما كسبوا اي عقاب
ما كسبوا من الكفر والمعاصي وحاق بهم اي احاط
بهم ونزل ما كانوا به يستهزءون قوله تعالى
فاذا مس الانسان ضر دعانا قيل انها نزلت في
ابي حذيفة بن المغيرة ثم اذا خولناه نعمة منا
قال انما اوتيته على علم عندي بوجوه المكاسب
وعنه ايضا على علم على خير عندي وقيل على علم اي
على علم من الله بفضلي وقال الحسن على علم اي بعلم علمني
الله اياه وقيل المعنى انه قال قد علمت اني اذا اوتيت
هذا

فاذا بيان

بلغ

والعرون الناسخ

هذا في الدنيا ان لي عند الله منزلة فقال الله تعالى بل هي فتنة اي
بل النعم التي اوتيتها فتنة تختبر بها قال الفرا انث هي لتانيث
الفتنة ولو كان بل هو فتنة لجاز النحاس التقدير بل عطيته
فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لا يعلمون ان اعطاهم المال
اختبارا قوله تعالى قد قالها انث على تانيث الكلمة
الذين من قبلهم يعني الكفار قبلهم كقارون وغيره حيث قال انما
اوتيته على علم عندي فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما
للجحد لم تغن عنهم اموالهم ولا اولادهم من عذاب شيئا اي
وقيل اي فما الذي اغنى اموالهم فما استفهام فاصابهم سيات
ما كسبوا اي جزا سيات اعمالهم وقد يسمى جزا السيية سية
والذين ظلموا اي اشركوا من هولاء الامة سيصيبهم سيات
ما كسبوا اي بالجوع والسيف وما هم بمعجزين اي فايتين
الله ولا سابقيه وقد تقدم قوله تعالى اولم يعلموا
ان الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر ان في ذلك لايات
لقوم يومنون خص المومن بالذكر لانه هو الذي يتدبر
الايات وينتفع بها ويعلم ان سعة الرزق قد يكون مكرا
واستدراجا وتقتيره رفعة واعظاما قوله تعالى
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
وان شيت حذفت اليا لان الندا موضع حذف النحاس

ومن اجل ما روي فيه ما رواه محمد بن اسحاق عن نافع عن ابن عمر
عن عمر قال لما اجتمعنا على الهجره اتعدت انا وهشام بن العاصي
بن وايل السهمي وعياش بن ابي ربيعه بن عتبه فقلنا الموعد
اضاه بني غفار وقلنا من تاخر منا فقد حبس فليمض
صاحبه فاصبحت انا وعياش بن عتبه وحبس عنا
هشام واذا به قد فتن فافتتن وكنا نقول بالمدينه هولاء
قد عرفوا الله جل وعز وامنوا برسوله صلى الله عليه وسلم
ثم افتتنوا البلاء لحقهم لا نرى لهم توبه وكانوا هم ايضا
يقولون هذا في انفسهم فانزل الله جل وعز في كتابه قل
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
الى قوله تعالى اليس في جهنم مثوى للمتكبرين قال عمر فكتبتها
بيدي ثم بعثتها الى هشام قال هشام فلما قدمت علي
خرجت بها الى ذي طوى فقلت اللهم فهمنيها فعرفت
انها نزلت فينا فرجعت فجلست على بعيري فلحقت
برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال كان قوم من المشركين قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا
فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم او بعثوا اليه ان ما تدعوا
اليه لحسن او تخبرنا ان لنا توبة فانزل الله عز وجل هذه
الايه يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
ذكره

عتبه

ذكره البخاري بمعناه وقد مضى في اخر الفرقان وعن ابن عباس
ايضا نزلت في اهل مكه قالوا يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل
النفس التي حرم الله لم يغفر له وكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا
مع الله الها اخر وقتلنا النفس التي حرم الله فانزل الله هذه الايه
وقيل نزلت في قوم من المسلمين اسرفوا على انفسهم في العباده
وخافوا ان لا يتقبل منهم لذنوب سبقت لهم في الجاهليه وقال
ابن عباس ايضا وعطا نزلت في وحشي قاتل حمزه لانه ظن ان الله
لا يقبل اسلامه وروى ابن جريج عن عطا عن ابن عباس قال اتى وحشي
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اتيتك مستجيرا فاجرني حتى
اسمع كلام الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنت احب
ان اراك على غير جوار فاما اذ اتيتني مستجيرا فانت في جواري
حتى تسمع كلام الله قال فاني اشركت بالله وقتلت النفس التي
حرم الله وزنيت هل يقبل الله مني توبة فصمت رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى انزلت والذين لا يدعون مع الله الها
اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الى
اخر الايه فتلاها عليه فقال ارى شرطا فلعلي لا اعمل صالحا
انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فنزلت ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فدعا به فتلاها عليه
فقال فلعلي ممن لا يشا انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فنزلت

يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله فقال نعم الان لا ارى شرطا فاسلم وروى حماد بن سلمة
عن ثابت عن شهر بن حوشب عن اسما انها سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم يقرا قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا
ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم وفي مصحف ابن مسعود
ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشا وقد عرف الله عز وجل
من يشا قال ابو جعفر النحاس وهاتان القراءتان على
التفسير اي يغفر الله لمن يشا ان يغفر له وهو التائب
ما بعده وانيبوا الى ربكم فالتائب مغفور له ذنوبه
جميعا يدل على ذلك واني لغفار لمن تاب فهذا لا اشكال
فيه وقال علي بن ابي طالب ما في القران اية اوسع من
هذه الاية قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله وقد مضى هذا في سبحان
وقال عبد الله بن عمر وهذه ارجى اية من القران
فرد عليهم ابن عباس وقال ارجى اية في القران قوله
تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وقد
مضى في الرعد وقرى بكسر النون وفتحها وقد مضى
في الحجر

في الجن بيانه قوله تعالى وانيبوا الى اي ارجعوا ربكم
اليه بالطاعه لما بين ان من تاب من الشرك يغفر له
امر بالتوبة والرجوع اليه والانابه الرجوع الى
الله بالاخلاص واسلموا له اي اخلصوا له واتبعوا
من قبل ان ياتيكم العذاب في الدنيا ثم لا تنصرون
اي لا تمنعون من عذابه وروي من حديث جابر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من السعادة ان يطيل
الله عمر المرء في طاعة الله ويرزقه الانابه وان
من الشقوه ان يعمل المرء ويعجب بعمله قوله تعالى
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم
العذاب بغتة وانتم لا تشعرون احسن ما انزل
هو القران وكله حسن والمعنى ما قال الحسن الزموا
طاعته واجتنبوا معصيته الذي الاحسن ذكر
ما امر الله به في كتابه وقال ابن زيد يعني المحكمات
وكلوا علم المتشابه الى عالمه وقيل انزل الله كتبا
التوراة والانجيل والزبور ثم انزل القران وامر
باتباعه فهو الاحسن وهو المعجز وقيل هذا احسن
لانه ناسخ قاض على جميع الكتب وجميع الكتب منسوخ
وقيل يعني العفو لان الله تعالى خير نبيه عليه السلام

بين العفو والقصاص وقيل ما علّم الله النبي عليه السلام
وليس بقران فهو حسنٌ وما اوحي اليه من القران فهو الاحسن
وقيل احسن ما انزل اليكم من اخبار الامم الماضية **قوله تعالى**
ان تقول نفس يا حسرتا ان في موضع نصب اي كراهة ان
تقول وعند الكوفيين لئلا تقول وعند البصريين حذرا
ان تقول وقيل اي من قبل ان تقول نفس لانه قال قبل هذا
من قبل ان ياتيكم العذاب الزمخشري فان قلت لم نكرت
قلت لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر ويجوز
ان يريد نفسا متميزة من الانفس اما بلجاج في الكفر شديدا
او بعقاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير كما قال الاعشى
وربّ بقيع ان هتفت بجوه اتاني كريم ينفض الراس مغضبا
وهو يريد افواجا من الكرام ينظرونه لا كريما واحدا
ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل قارعت ولا يقصد
الا التكثير يا حسرتي والاصل يا حسرتي فابدل من اليا
الفا لانها اخف وامكن في الاستغاثة بمد الصوت وربما
الحقوا بها الهاء انشد الفراء يا مرحباه بحمار ناجية اذا
اتى قربته للسانية ورُبما الحقوا بها اليا بعد الالف لتدل
على الاضافة فلذلك قراها ابوجعفر يا حسرتاي والحسرة
الندامة على ما فرطت في جنب الله ~~اي في~~ ~~قول الله~~ قال
الحسن

الحسن في طاعة الله وقال الضحاك اي في ذكر الله جل وعز قال
يعني القران والعمل به وقال ابو عبيدة في جنب الله اي في ثواب
الله وقال الفرا الجنب القرب والجوار يقال فلان يعيش في جنب
فلان اي في جواره ومنه والصاحب بالجنب اي على ما فرطت
في طلب جواره وقربه وهو الجنة وقال الزجاج اي على ما
فرطت في الطريق الذي هو طريق الله الذي دعاني اليه والعرب
تسمي السبب والطريق الى الشي جنبا تقول تجرعت في جنبك
غصصا اي لاجلك وسببك ولاجل مرضاتك وقيل في جنب
الله اي في الجانب الذي يودي الى رضى الله عز وجل وثوابه
والعرب تسمي الجانب جنبا قال الشاعر قسم مجهود الذل القلب
للناس جنب والامير جنب ؛ يعني الناس من جانب والامير من
جانب وقال ابن عرفة اي تركت من امر الله يقال ما فعلت ذلك
في جنب حاجتي قال كثير ؛ الا تتقين الله في جنب عاشق له
كبد حرا عليك تقطع ؛ وكذا قال مجاهد اي ضيعت من امر الله
ويروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما جلس رجل
مجلسا ولا مشى ممشى ولا اضطجع مضطجعا لم يذكر الله
عز وجل فيه الا كان عليه ترة يوم القيامة اي حسرة
خرجه ابو داود بمعناه وقال ابرهيم التيمي من الحسرات
يوم القيامة ان يرى الرجل ماله الذي اتاه الله في الدنيا

ترة اي عطش و ... ومعنى

يوم القيامه في ميزان غيره فقد ورثه وعمل فيه بالحق كان له
اجره وعلى الاخر وزره ومن الحسرات ان يرى الرجل عبده الذي
خوله الله اياه في الدنيا اقرب منزلة من الله عز وجل او يرى رجلا
يعرفه اعمى في الدنيا قد ابصر يوم القيامة وعمي هو وان كنت
لمن الساخرين اي وما كنت الا من المستهزئين بالقران وبالرسو
في الدنيا وباولياء الله قال قتاده لم يكفه ان ضيع طاعة الله
حتى سخر من اهلها ومحل ان كنت النصب على الحال كانه
قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي
وقيل وما كنت الا في سخرية ولعب وباطل اي كان
سعيي في عبادة غير الله تعالى قوله تعالى او
تقول هذه النفس لو ان الله هداني اي ارشدني الى
دينه لكنت من المتقين اي الشرك والمعاصي وهذا القول
لو ان الله هداني لاهتديت قول صدق وهو قريب
من احتجاج المشركين فيما اخبر الرب جل وعز عنهم
في قوله سيقول الذين اشركوا لو شا الله ما اشركنا
فهي كلمة حق اريد بها باطل كما قال علي رضي الله
عنه لما قال قايل من الخوارج لا حكم الا لله او تقول
يعني هذه النفس حين ترى العذاب لو ان لي كرة
اي رجعه فاكون نصب على جواب التمني وان شيت
كان

كان معطوفا على كرة لان معناه ان اكرة : كما قال الشاعر
للبس عباة وتقر عيني احب الي من لبس الشفوف
وانشد الفرا : فما لك منها غير ذكرى وخشية
ونسل عن ركبانها اين يمموا فنصب ونسل على
موضع الذكرى لان معنى الكلام فما لك منها الا ان
تذكر ومنه للبس عباة اي لان البس عباة وتقر
وقال ابو صالح كان رجل عالم في بني اسرايل وجد رقعة
ان العبد ليعمل الزمان الطويل بطاعة الله فيختم له
عمله بعمل اهل النار فيدخل النار وان الرجل ليعمل الزمان
الطويل بمعصية الله ثم يختم له عمله بعمل
رجل من اهل الجنة فيدخل الجنة فقال ولاي شي اتعب
نفسي فترك عمله واخذ في الفسوق والمعصية
وقال له ابليس لك عمر طويل فتمتع في الدنيا ثم توب
فاخذ في الفسوق وانفق ماله في الفجور فاتاه
ملك الموت في الدنيا كان فقال يا حسرتا على ما فرطت
في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان فندم
حين لا ينفعه الندم فانزل الله خبره في القران
وقال قتادة هولاء اصناف صنف منهم قال يا
حسرتا على ما فرطت في جنب الله وصنف منهم قال

لو ان الله هداني لكنت من المتقين وقال اخر لو ان لي
كرة فاكون من المحسنين فقال الله تعالى رداً لكلامهم
بلى قد جاتك اياتي قال الزجاج بلى جواب النفي وليس
في الكلام لفظ النفي ولكن معنى لو ان الله هداني ما هداني
وكان هذا القايل قال ما هديت فقيل بلى قد بين
لك طريق الهدى فكنت بحيث لو اردت ان تومن
امكنك ان تومن اياتي اي القران وقيل عنى بالايات
المعجزات اي وضح الدليل فانكرته وكذبته واستكبرت
اي تكبرت عن الايمان وكنت من الكافرين وقال استكبرت
وكنت وهو خطاب الذكر لان النفس تقع على الذكر
والانثى يقال ثلثة انفس وقال المبرد تقول العرب
نفس واحد اي انسان واحد وروى الربيع بن انس
عن ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قرا قد جاتك
اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين
وقرا الاعمش بلى قد جاته اياتي وهذا يدل على
التذكير والربيع بن انس لم يلحق ام سلمه الا ان القراه
جايزه لان النفس تقع للمذكر والمونث وقد انكر
هذه القراه بعضهم وقال يجب اذا كسر التا ان يقول
وكنت من اللواتي او من الكافرات قال النحاس وهذا
لا يلزم

لا يلزم الا ترى ان قبله ان تقول نفس ثم قال وان كنت من
الساخرين ولم يقل من السواخر ولا من الساخرات والتقدير
في العربية على كسر التاء واستكبرت وكنت من الجميع الساخرين
او من الناس الساخرين او من القوم الساخرين قوله تعالى
ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اي
مما احاط بهم من غضب الله ونقمته وقال الاخفش ترى غير
عامل في قوله وجوههم مسودة انما هو ابتدا وخبر الزمخشري
جملة في موضع الحال ان كان ترى من روية البصر ومفعول ثان
ان كان من روية القلب اليس في جهنم مثوى للمتكبرين وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الكبر فقال عليه السلام
سفه الحق وغمص الناس اي احتقارهم وقد مضى في البقرة
وغيرها وفي حديث عبد الله بن عمر وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يحشر المتكبرون يوم القيامة كالذر يلحقهم الصغار حتى
يوتى بهم الى سجن جهنم قوله تعالى وينجي الله الذين اتقوا
وقرى وينجي اي الشرك والمعاصي بمفازتهم على التوحيد قراه
العامه لانها مصدر وقرا الكوفيون بمفازاتهم وهو جايز
كما تقول بسعاداتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم تفسير
هذه الايه من حديث ابي هريره قال يحشر الله مع كل امرء
عمله فيكون عمل المومن معه في احسن صوره واطيب ريح

فكلما كان رعب او خوف قال له لا تزع فما انت بالمراد به
ولا انت بالمعني به فاذا كثر ذلك عليه قال فما احسنك فمن
انت فيقول اما تعرفني انا عملك الصالح حملتني على ثقلي فوالله
لاحملنك ولادفعن عنك فهي التي قال وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم
لا يمسهم السو ولا هم يحزنون الله خالق كل شي وهو على كل شي
وكيل اي حافظ قايم به وقد تقدم قوله تعالى له مقاليد
السموات والارض واحدها مقليد وقيل مقلاد والكثر ما يستعمل
فيه اقليد والمقاليد المفاتيح عن ابن عباس وغيره وقال السدي
خزاين السموات والارض قال غيره خزاين السموات المطر
وخزاين الارض النبات وفيه لغة اخرى اقاليد وعليها يكون
واحدها اقليدا قال الجوهري والاقليد المفتاح والمقلد
مفتاح كالمنجل وربما تقلد به الكلا كما تقلد القت اذا جعل
حبالا اي يفتل والجمع المقاليد واقلد البحر على خلق كثير
اي غرقهم كانه اغلق عليهم وخرج البيهقي عن ابن عمر ان عثمان
بن عفان رضي الله عنه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما سالني عنها احد لا اله الا الله
والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم هو الاول والاخر والظاهر والباطن

يحيي

يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شي قدير ذكره
الثعلبي في تفسيره زاد من قالها اذا اصبح او امسى عشر
مرات اعطاه الله ستة خصال اولها يحرس من ابليس
والثانية تحضره اثنا عشر الف ملك والثالثه يعطي قنطارا
من الاجر والرابعه ترفع له درجه والخامسه يزوجه
الله من الحور العين والسادسه يكون له من الاجر كمن قرا
القران والتوراه والانجيل والزبور وله ايضا من الاجر كمن
حج واعتمر فقبلت حجته وعمرته فان مات من ليلته مات
شهيدا وروى الحارث عن علي قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم
عن تفسير المقاليد فقال يا علي لقد سالت عن عظيم المقاليد
هو ان تقول عشرا اذا اصبحت وعشرا اذا امسيت لا اله الا الله
والله اكبر وسبحان الله والحمد لله واستغفر الله ولا حول ولا قوة
الا بالله الاول والاخر والظاهر والباطن له الملك وله الحمد
بيده الخير وهو على كل شي قدير من قالها عشرا اذا اصبح
وعشرا اذا امسى اعطاه الله خصالا ستا اولها يحرسه من
الشيطان وجنوده فلا يكون لهم عليه سلطان والثانيه
يعطي قنطارا في الجنه هو اثقل في ميزانه من جبل احد والثالثه
ترفع له درجة لا ينالها الا الابرار والرابعه يزوجه الله
من الحور العين والخامسة تشهده اثنا عشر الف ملك

يكتبونها في ورق منشور ويشهدون له بها يوم القيامة
والسادسة يكون له من الاجر كمن قرا التوراة والانجيل والزبور
والفرقان وكمن حج واعتمر فقبل الله حجته وعمرته وان مات
في يومه او ليلته او شهره طبع بطابع الشهدا وقيل المقاليد
الطاعه يقال القى الي فلان بالمقاليد اي اطاعه فيما يامره
فمعنى الاية له طاعة من في السموات والارض **قوله تعالى**
والذين كفروا بايات الله اي بالقران والحجج والدلالات اولئك هم
الخاسرون تقدم **قوله تعالى** قل افغير الله تامروني اعبد
وذلك حين دعوا النبي صلى الله عليه وسلم الى ما هم عليه من
عبادة الاصنام وقالوا هو دين ابائك وغير نصب باعبد
على تقدير اعبد غير الله فما تامروني ويجوز ان ينتصب
بتامروني على حذف حرف الجر التقدير اتامروني بغير الله
ان اعبده لان ان مقدره وان والفعل مصدر وهي بدل
من غير التقدير اتامروني بعبادة غير الله وقرا نافع تامروني
بنون واحده مخففه وفتح اليا وقرا ابن عامر تامرونني بنونين
مخففتين على الاصل الياقون بنون واحدة مشدده على
الادغام واختاره ابو عبيد وابو حاتم لانها وقعت في
مصحف عثمان بنون واحده وقراة نافع على حذف النون
الثانيه وانما كانت المحذوفه الثانيه لان التكرير والتثقيل
يقع

يقع بها وايضا حذف الاولى لا يجوز لا نهاد لا له الرفع وقد
مضى في الانعام بيانه عند قوله تعالى اتحاجوني اعبد اي
ان اعبد فلما حذف ان رفع قاله الكسائي ومنه قول الشاعر
الا ايها ذا الزاجري احضر الوغا . والدليل على صحة هذا
الوجه قراة من قرا اعبد بالنصب قوله تعالى ولقد اوحي
اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت قيل ان في الكلام تقديما
وتاخيرا والتقدير ولقد اوحي اليك لئن اشركت واوحي
الى الذين من قبلك كذلك وقيل هو على بابه قال مقاتل اي اوحي
اليك والى الانبيا قبلك بالتوحيد والتوحيد محذوف ثم
قال لئن اشركت يا محمد ليحبطن عملك وهو خطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم خاصة وقيل الخطاب له والمراد منه اذ قد
علم الله انه لا يشرك ولا يقع منه اشراك والاحباط الابطال
والفساد قال القشيري فمن ارتد لم تنفعه طاعاته السابقة
ولكن احباط الردة والعمل مشروطا بالموافاة على الكفر ولهذا
قال تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك
حبطت اعمالهم فالمطلق ها هنا محمول على المقيد ولهذا
قلنا من حج ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام لا يجب عليه
اعادة الحج قلت هذا مذهب الشافعي وعند مالك تجب
عليه الاعادة وقد مضى في البقرة بيان هذا مستوفى

قوله تعالى بل الله فاعبد النحاس في كتابي عن ابي
اسحق لفظ اسم الله عز وجل منصوب باعبد قال ولا
اختلاف في هذا بين البصريين والكوفيين قال النحاس
فقال الفرا يكون منصوبا باضمار فعل وحكاه
المهدوي عن الكساي فاما الفا فقال الزجاج انها
للمجازاة وقال الاخفش هي زايده وقال ابن عباس
فاعبد اي فوحد وقال غيره بل الله فاطع وكن من
الشاكرين لنعمه بخلاف المشركين قوله تعالى
وما قدروا الله حق قدره قال المبرد ما عظموه حق
عظمته من قولك فلان عظيم القدر قال النحاس والمعنى
على هذا وما عظموه حق عظمته وقال والارض جميعا
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه
ثم نزه نفسه عن ان يكون ذلك بجارحة فقال سبحانه
وتعالى عما يشركون وفي الترمذي عن عبد الله قال
جا يهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان
الله يمسك السموات على اصبع والخلايق على اصبع
ثم يقول انا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى
بدت نواجذه ثم قال وما قدروا الله حق قدره قال هذا
حديث حسن صحيح وفي البخاري ومسلم عن ابي هريرة

قال

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض الله الارض
يوم القيامة وتطوى السما بيمينه ثم يقول انا الملك
اين ملوك الارض وفي الترمذي عن عايشة انها سالت
النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله والارض جميعا قبضته
يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه قالت
قلت فاين الناس يومئذ يا رسول الله قال على جسر
جهنم في رواية قال على الصراط يا عايشه قال حديث
حسن صحيح فقوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة
ويقبض الله الارض عبارة عن قدرته واحاطته لجميع
مخلوقاته يقال ما فلان الا في قبضتي بمعنى ما فلان الا
في قدرتي والناس يقولون الاشيا في قبضته
يريدون في ملكه وقدرته وقد يكون معنى القبض
والطي افنا الشي واذهابه فقوله جل وعز والارض
جميعا قبضته تحتمل ان يكون المراد به والارض جميعا ن
ذاهبة فانية يوم القيامة والمراد بالارض الارضون
السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله
والسموات مطويات بيمينه ليس يريد به طيا بعلاج
وانتصاب وانما المراد بذلك الفنا والذهاب يقال
قد انطوى عنا ما كنا فيه وجانا غيره وانطوى عنا

دهر بمعنى المضي والذهاب واليمين في كلام العرب قد تكون بمعنى القدرة والملك ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم يريد به الملك وقال تعالى لاخذنا منه باليمين اي بالقوة والقدرة وانشد اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين وقال اخر ولما رايت الشمس اشرق نورها تناولت منها حاجتي بيمين فتلت شنيفا ثم فارات بعده وكان على الايات غير امين وانما خص يوم القيامة وان كانت قدرته شاملة لكل شي ايضا لان الدعاوي تنقطع ذلك اليوم كما قال تعالى والامر يومئذ لله وقال ملك يوم الدين حسب ما تقدم في الفاتحة ولذلك قال في الحديث ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض وقد زدنا هذا الباب في التذكرة بيانا وتكلمنا على ذكر الشمال في حديث ابن عمر قوله ثم تطوي الارض بشماله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون بين ما يكون بعد قبض الارض وطي السما وهو النفخ في الصور وانما هو نفختان يموت الخلق في الاولى منهما ويحيون في الثانية وقد مضى الكلام في هذا في النمل والانعام

مار المضي

والانعام ايضا والذي ينفخ في الصور هو اسرافيل عليه السلام
وقد قيل انه يكون معه جبريل لحديث ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبي الصور
بايديهما او في ايديهما قرنان يلاحظان النظر متى يومران
خرجه ابن ماجه في السنن وفي كتاب ابي داود عن
ابي سعيد الخدري قال ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم صاحب الصور وقال عن يمينه جبريل وعن
يساره ميكايل واختلف في المستثنى من هم فقيل هم
الشهدا متقلدين اسيافهم حول العرش روي مرفوعا
من حديث ابي هريرة فيما ذكر القشيري من حديث
عبد الله بن عمر فيما ذكر الثعلبي وقيل جبريل وميكايل
واسرافيل وملك الموت عليهم السلام وروي من حديث
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم تلى ونفخ في الصور
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله
فقالوا يا نبي الله من هم الذين استثنى الله تعالى قال
هم جبريل وميكايل واسرافيل وملك الموت فيقول
الله لملك الموت يا ملك الموت من بقي من خلقي وهو اعلم
فيقول يا رب بقي جبريل وميكايل واسرافيل وعبدك
الضعيف ملك الموت فيقول الله تعالى خذ نفس اسرافيل

ومبكايل يتحران ميتان كالطودين العظيمين فيقول امت
يا ملك الموت فيموت فيقول الله تعالى لجبريل يا جبريل
من بقي فيقول تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام
وجهك الباقي الدايم وجبريل الميت الفاني فيقول الله
تعالى يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه
يقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان فضل خلقه على خلق
ميكايل كالطود العظيم على الظرب من الظراب ذكره
الثعلبي وذكره النحاس ايضا من حديث محمد بن اسحاق
عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله تعالى فصعق من في السموات ومن
في الارض الا من شا الله قال جبريل وميكايل وحملة
العرش وملك الموت واسرافيل وفي هذا الخبر ان اخرهم
موتا جبريل صلى الله عليه وسلم وحديث ابي هريرة في الشهدا
اصح على ما تقدم في النمل وقال الضحاك هو رضوان و
والحور ومالك والزبانية وقيل عقارب اهل النار
وحياتها وقال الحسن هو الله الواحد القهار وما
يدع احدا من اهل السموات والارض الا اذاقه الموت
قال قتادة والله اعلم بثنياه وقيل الاستثنا في قوله

الا من

جل

بلغ

الا من شا الله يرجع الى من مات قبل النفخه الاولى اي ان
فيموت من في السموات والارض الا من سبق موته لانهم
كانوا قد ماتوا وفي الصحيحين وابن ماجة واللفظ له عن
ابي هريرة قال قال رجل من اليهود بسوق المدينة والذي
اصطفى موسى على البشر فرفع رجل من الانصار يده
فلطمه قال تقول هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال قال الله عز وجل ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شا الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم
قيام ينظرون فاكون اول من رفع راسه فاذا انا
بموسى اخذ بقايمة من قوايم العرش فلا ادري ارفع
راسه قبلي او كان ممن استثنى الله ومن قال انا خير من
يونس بن متى فقد كذب وخرجه الترمذي ايضا
وقال فيه حديث حسن صحيح قال القشيري ومن حمل
الاستثنا على موسى والشهدا فهولاء قد ماتوا غير
انهم احيا عند الله فيجوز ان تكون الصعقة بزوال
العقل دون زوال الحياة ويجوز ان تكون بالموت ولا
يبعد ان يكون الموت والحياة فكل ذلك مما يجوزه العقل
والامر في وقوعه موقوف على خبر صدق قلت جاء

الصور

اللاثون

في بعض طرق ابي هريرة انه عليه السلام قال لا تخيروني
على موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق
فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري كان فيمن
صعق فافاق قبلي ام كان ممن استثنى الله خرجه مسلم
ونحوه عن ابي سعيد الخدري والافاقة انما تكون عن
غشية ويقال عقل لا عن موت برد الحياة والله اعلم
قوله تعالى فاذا هم قيام ينظرون اي فاذا الاموات
من اهل الارض والسما احيا بعثوا من قبورهم واعيدت
اليهم ابدانهم وارواحهم فقاموا ينظرون ماذا يومرون
وقيل قيام على ارجلهم ينظرون الى البعث الذي وعدوا
به وقيل هذا النظر بمعنى الانتظار اي ينتظرون ماذا
يفعل بهم واجاز الكسائي قياما بالنصب كما تقول
خرجت فاذا زيد جالسا قوله تعالى واشرقت
الارض بنور ربها اشراقها اضاتها يقال اشرقت الشمس
اذا اضات وشرقت اذا طلعت ومعنى بنور ربها
بعدل ربها قاله الحسن وغيره وقال الضحاك الحكم ربها
والمعنى واحد اي انارت واضات بعدل الله وقضائه
بالحق بين عباده والظلم ظلمات والعدل نور وقيل
ان الله يخلق نورا يوم القيامة يلبسه وجه الارض
فتشرق

فتشرق الارض به وقال ابن عباس النور المذكور هاهنا ليس
من نور الشمس والقمر بل هو نور يخلقه الله فتضي به الارض
وروي ان الارض يوميذ من فضة تشرق بنور الله حين ياتي
لفصل القضا والمعنى انها اشرقت بنور خلقه الله تعالى
فاضاف النور اليه على حد اضافة الملك الى المالك وقيل انه
اليوم الذي يقضي فيه بين خلقه لانها نهار لا ليل معه
وقرا ابن عباس وعبيد بن عمير واشرقت الارض على ما
لم يسم فاعله وهي قراة على التفسير وقد ضل قوم هاهنا
فتوهموا ان الله عز وجل من جنس النور والضيا المحسوس
وهو متعال عن مباينة المحسوسات بل هو منور السموات
والارض فمنه كل نور خلقا وانشا وقال ابو جعفر النحاس
وقوله جل وعز واشرقت الارض بنور ربها يبين هذا
الحديث المرفوع من طرق كثيرة صحاح تنظرون الى الله جل
وعز لا تضامون في رويته وهو يروى على اربعة اوجه
لا تضامون ولا تضارون ولا تضامّون ولا تضارّون
فمعنى تضامون لا يلحقكم ضيم كما يلحقكم في الدنيا في النظر
الى الملوك ولا تضارون لا يلحقكم ضير ولا تضامّون لا
ينضم بعضكم الى بعض ليسله ان يريه ولا تضارّون
لا يخالف بعضكم بعضا يقال ضاررته مضارة وضرارا

[هامش: الضيم الظلم]

اي خالقته قوله تعالى ووضع الكتاب قال ابن عباس
يريد اللوح المحفوظ وقال قتاده يعني الكتب والصحف
التي فيها اعمال بني ادم فاخذ بيمينه واخذ بشماله وجي بالنبيين
اي جي بهم فيسئلوا عما اجابتهم به اممهم والشهدا الذين
يشهدون على الامم من امة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى
ولذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس
وقيل المراد بالشهدا الذين استشهدوا في سبيل الله فيشهدون
يوم القيامه لمن ذب عن دين الله قاله السدي وقال ابن
زيد هم الحفظه الذين يشهدون على الناس باعمالهم قال الله تعالى
وجات كل نفس معها سايق وشهيد فالسايق يسوقها
الى الحساب والشهيد يشهد عليها وهو الملك الموكل بالانسان
على ما ياتي بيانه في ق وقضي بينهم بالحق اي بالصدق
والعدل وهم لا يظلمون قال سعيد بن جبير لا ينقص من حسناتهم
ولا يزاد على سياتهم ووفيت كل نفس ما عملت من خير او
شر وهو اعلم بما يفعلون في الدنيا ولا حاجة به جل وعز
الى كتاب ولا الى شاهد ومع ذلك فتشهد الكتب والشهود
الزاما للحجه قوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا
هذا بيان توفية كل نفس عملها فيساق الكافر الى النار
والمومن الى الجنه والزمر الجماعات واحدتها زمرة كظلمة
وغرفه

وغرفة وقال الاخفش وابو عبيدة زمرا جماعات
متفرقة بعضها إثر بعض قال الشاعر
وترى الناس الى منزله زمرة تنتابه بعد زمرة وقال
آخر حتى احزألت زمر بعد زمر وقيل دفعا وزجرا
بصوت كصوت المزمار حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها
جواب اذا وهي سبعة ابواب وقد مضى في الحجر وقال
لهم خزنتها واحدهم خازن نحو سادن وسدنة
يقولون لهم تقريعا وتوبيخا الم يأتكم رسل منكم
اي من انفسكم يتلون عليكم آيات ربكم اي الكتب المنزلة
على الانبياء وينذرونكم اي يخوفونكم لقاء يومكم
هذا قالوا بلى اي قد جاءنا وهذا اعتراف منهم بقيام
الحجة عليهم ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين
وهي قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
قيل ادخلوا ابواب جهنم اي يقال لهم ادخلوا جهنم
وقد مضى الكلام في ابوابها قال وهب تستقبلهم الزبانية
بمقامع من نار فيدفعونهم بمقامعهم فانه ليقع في
الدفعة الواحدة الى النار بعدد ربيعة ومضر فبئس
مثوى المتكبرين تقدم بيانه قوله تعالى وسيق
الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا يعني من الشهداء والزهاد

والعلما والقراء وغيرهم ممن اتقى الله تعالى وعمل بطاعته
وقال في حق الفريقين وسيق بلفظ واحد فسوق اهل
النار طردهم اليها بالخزي والهوان كما يفعل بالاساري
والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل
وسوق اهل الجنان سوق مراكبهم الى دار الكرامه والرضوان
لانه لايذهب بهم الا راكبين كما يفعل بمن يشرف
ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين
السوقين حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها قيل
الواو ها هنا للعطف عطف على جمله والجواب محذوف
قال المبرد اي سعدوا وفتحت وحذف الجواب
بليغ في كلام العرب وانشد فلو انها نفس تموت
جميعة ولكنها نفس تساقط انفسا :: فحذف جواب
لو والتقدير لكان اروح وقال الزجاج حتى اذا
جاوها دخلوها وهو قريب من الاول وقيل الواو
قاله الكوفيون وهو خطا عند البصريين وقد قيل
ان زيادة الواو دليل على ان الابواب فتحت لهم قبل
ان ياتوا لكرامتهم على الله تعالى والتقدير حتى اذا جاوها
وابوابها مفتحة بدليل قوله تعالى جنات عدن
مفتحة لهم الابواب وحذف الواو في قصة اهل النار
لانهم

لانهم وقفوا على النار وفتحت بعد وقوفهم اذلالا
وترويعا لهم ذكره المهدوي وحكى معناه النحاس فاما
فاما الحكمة في اثبات الواو في الثاني وحذفها من الاول
فقد تكلم فيه بعض اهل العلم بقول لا اعلم انه سبقه
اليه احد وهو انه لما قال الله جل وعز في اهل النار حتى
اذا جاوها فتحت ابوابها دل بهذا على انها كانت مغلقة
قبل ان يجيوها والله اعلم وقيل انها واو الثمانية وذلك
ان من عادة قريش انهم يعدون من الواحد فيقولون
خمسة ستة سبعة وثمانية فاذا بلغوا السبعة
قالوا وثمانية قاله ابو بكر بن عياش قال الله تعالى
سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام وقال التايبون
العابدون ثم قال في الثامن والناهون عن المنكر
وقال ويقولون سبعة وثامنهم وقال ثيبات وابكارا
وقد مضى القول في هذا في براة مستوفى وفي الكهف
ايضا قلت وقد استدل بهذا من قال ان ابواب الجنة
ثمانية وذكروا حديث عمر بن الخطاب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يتوضا
فيبلغ او فيسبغ الوضو ثم قال اشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة

الثمانيه يدخل من ايها شا اخرجه مسلم وغيره وقد
خرج الترمذي حديث عمر هذا وقال فيه فتح له من
ابواب الجنه ثمانيه ابواب يوم القيامة بزيادة من
وهو يدل على ان ابوابها اكثر من ثمانيه وقد ذكرنا ذلك
في كتاب التذكره وانتهى عددها الى ثلثة عشر بابا وذكرنا
هناك عظم ابوابها وسعتها حسب ما ورد في الحديث
من ذلك فمن اراده وقف عليه هناك وقال لهم خزنتها
قيل الواو ملغاة تقديره حتى اذا جاوها وفتحت
ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم اي في
الدنيا قال مجاهد بطاعة الله عز وجل وقيل
بالعمل الصالح حكاه النقاش والمعنى واحد وقال
مقاتل اذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطره
بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم
كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا وطيبوا قال
لهم رضوان واصحابه سلام عليكم بمعنى التحية طبتم
فادخلوها خالدين قلت خرج البخاري حديث
القنطرة هذا في جامعه من حديث ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المومنون
من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص
لبعضهم

لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا
ونقوا اذن لهم في دخول الجنه فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم
اهدى بمنزله في الجنه منه بمنزله كان في الدنيا وحكى النقاش
ان على باب الجنه شجرة ينبع من ساقها عينان يشرب المومنون
من احداهما فتطهر اجوافهم وذلك قوله تعالى وسقاهم
ربهم شرابا طهورا ثم يغتسلون من الاخرى فتطيب ابشارهم
فعندها يقول لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين وهذا يروى معناه عن علي رضي الله عنه وقالوا الحمد لله
الذي صدقنا وعده اي اذا دخلوا الجنه قالوا هذا واورثنا
الارض اي ارض الجنة قيل انهم ورثوا الارض التي كانت تكون
لاهل النار لو كانوا مؤمنين قاله ابو العالية وابو صالح
وقتادة والسدي واكثر المفسرين وقيل انها ارض الدنيا
على التقديم والتاخير مجازه
فنعم اجر العاملين قيل هو من قولهم اي نعم الثواب هذا وقيل
هو من قول الله تعالى اي نعم ثواب المحسنين هذا الذي اعطيتهم
قوله تعالى وترى الملائكة يا محمد حافين اي محدقين
من حول العرش في ذلك اليوم يسبحون بحمد ربهم متلذذين
بذلك لا متعبدين به اي يصلون حول العرش شكرا لربهم
والحافون احدقوا من حافات الشيء ونواحيه قال الاخفش

فلما هذا الى النساخ في الاصل

واحدهم حاف وقال الفرا لا واحد له اذ لا يقع لهم الاسم
الا مجتمعين ودخلت من على حول لانه ظرف والفعل
يتعدي الي الظرف بحرف وبغير حرف وقال الاخفش
من زايده اي حافين حول العرش وهو كقولك ما جاني
من احد فمن توكيد الثعلبي والعرب تدخل البا احيانا
في التسبيح وتحذفها احيانا فيقولون سبح بحمد ربك وسبح
حمد الله قال الله تعالي سبح اسم ربك الاعلي وقال وسبح باسم
ربك العظيم وقضي بينهم بالحق بين اهل الجنة والنار وقيل
قضي بين النبيين الذين جي بهم مع الشهدا وبين اممهم بالحق
والعدل وقيل الحمد لله رب العالمين اي يقول المومنون
الحمد لله علي ما اثابنا من نعمه واحسانه ونصرنا علي من
ظلمنا وقال قتاده في هذه الايه افتتح الله اول الخلق بالحمد لله
فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور
وختم بالحمد فقال وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين
فلزم الاقتدا به والاخذ في كل امر بحمده وخاتمته بحمده
وقيل قول الحمد لله رب العالمين من قول الملايكه فعلي هذا
يكون حمدهم لله تعالي علي عدله وقضايه وروي من حديث
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا علي المنبر اخر
سوره الزمر فتحرك المنبر مرتين ٥ بسوره غافر
وهي

وهي سورة المومن وتسمى سورة الطول وهي مكيه
في قول الحسن وعطا وعكرمة وجابر وعن الحسن الا قوله
وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينه وقال ابن عباس
وقتاده الا اثنتين منها نزلتا بالمدينه وهما ان الذين يجادلون
في ايات الله والتي بعدها وهي خمس وثمانون ايه وقيل ثنتان
وثمانون ايه وفي مسند الدارمي قال حدثنا جعفر بن عون
عن مسعر عن سعد بن ابراهيم قال كن الحواميم يسمين العرايس
وروي من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الحواميم ديباج القران وروي عن ابن مسعود قوله قال الجوهري
وابو عبيد والحم سور في القران قال ابن مسعود ال حم
ديباج القران قال الفرا انما هو كقولك ال فلان وال فلان
كانه نسب السورة كلها الى حم قال الكميت وجدنا لكم في
ال حم ايه تاولها منا تقي ومعرب قال ابو عبيد هكذا
رواها الاموي بالزاي وكان ابو عمرو يرويها بالراء فاما
قول العامة الحواميم فليس من كلام العرب وقال ابو عبيدة
الحواميم سور في القران على غير قياس وانشد
وبالحواميم التي قد سبعت قال والاولى ان تجمع بذوات حم
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شي ثمرة
وان ثمرة القران ذوات حم هن روضات حسان مخصبات

متجاورات فمن احب ان يرتع في رياض الجنة فليقرا الحواميم
وقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل الحواميم في القران كمثل الحبرات
في الثياب ذكرهما الثعلبي وقال ابو عبيد وحدثني حجاج بن محمد
عن ابي معشر عن محمد بن قيس قال راى رجل سبع جوار حسان
مزينات في النوم فقال لمن انتن بارك الله فيكن فقلن نحن لمن
قرانا نحن الحم بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى حم**
اختلف في معناه فقال عكرمة قال النبي صلى الله عليه وسلم حم اسم
من اسما الله تعالى وهي مفاتيح خزاين ربك وقال ابن عباس حم اسم
الله الاعظم وعنه الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة وعنه ايضا
اسم من اسما الله تعالى اقسم به وقال قتاده انه اسم من اسما القران
مجاهد فواتح السور وقال عطا الخراساني الحا افتتاح اسمه
حميد وحليم وحنان وحكم والميم افتتاح اسمه ملك ومجيد
ومنان ومتكبر ومصور يدل عليه ما روى انس ان اعرابيا
سال النبي صلى الله عليه وسلم ما حم فانا لا نعرفها في لساننا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم بدو اسما وفواتح سور وقال الضحاك
والكساي معناه قضي ما هو كاين كانه اراد الاشارة الى التهجي
حم لانها تصير حُمّ بضم الحاء وتشديد الميم اي قضي ووقع قال
كعب بن مالك :: فلما التقيناهم ودارت بنا الرحا وليس لامر
حمه الله دافع :: وعنه ايضا ان المعنى حم امر الله اي قرب
كما

كما قال الشاعر: قد حم يومي فسر قوم قوم بهم غفلة ونوم
ومنه سميت الحمى لانها تقرب من المنيه والمعنى المراد قرب
نصره لاوليايه وانتقامه من اعدايه كيوم بدر وقيل حروف
هجا قال الجرمي ولهذا تقرا ساكنة الحروف فخرج مخرج
التهجي واذا سميت سورة بشي من هذه الحروف فاعربت
فتقول قرات حم فتنصب قال الشاعر تذكرني حم والرمح
شاجر فهلا تلا حم قبل التقدم وقرا عيسى بن عمر الثقفي حم
بفتح الميم على معنى اقرا حم او لالتقا الساكنين وابن ابي اسحق
وابو السمال بكسرها والامالة والكسر لالتقا الساكنين
او على وجه القسم وقرا ابو جعفر بقطع الحا من الميم
الباقون بالوصل وكذلك في حم عسق وقرا ابو عمرو
وابو بكر وحمزة والكساى وخلف وابن ذكوان بالامالة
في الحا وروي عن ابي عمرو بين اللفظين وهي قراة نافع
وابي جعفر وشيبة الباقون بالفتح مشبعا **قوله**
تعالى تنزيل الكتاب ابتدا والخبر من الله العزيز العليم
ويجوز ان يكون تنزيل خبر المبتدا محذوف اي هذا
تنزيل الكتاب ويجوز ان يكون حم مبتدا وتنزيل خبره
والمعنى ان القران انزله الله وليس منقولا ولا مما
يجوز ان يكذب به **قوله تعالى** غافر الذنب وقابل

النوب شديد العقاب قال الفرا جعلها كالنعت للمعرفة
وهي نكرة وقال الزجاج هي خفض على البدل النحاس
وتحقيق الكلام في هذا وتلخيصه أن غافر الذنب وقابل
التوب يجوز أن يكونا معرفتين على أنهما لما مضى فيكونا
نعتين على هذا ولكن يكون خفضهما على البدل ويجوز النصب
على الحال فأما شديد العقاب فهو نكرة ويكون خفضه
على البدل قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله
وقابل التوب ممن قال لا إله إلا الله شديد العقاب لمن لم
يقل لا إله إلا الله وقال ثابت البناني كنت إلى جنب سرادق
مصعب بن الزبير في مكان لا تمر فيه الدواب قال
فاستفتح حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب
~~قال يا غافر الذنب اغفر لي~~ قال قل يا غافر الذنب اغفر لي
ذنبي فلما قلت قابل التوب قال قل يا قابل التوب تقبل
توبتي فلما قلت شديد العقاب قال قل يا شديد العقاب
~~فلما قلت ذي الطول قال قل يا شديد العقاب~~
اعف عني فلما قلت ذي الطول قال قل يا ذا الطول طل
~~اعف عني~~ فلما قلت ذي الطول قال قل يا ذا الطول
علي بخير فقمت إليه فأخذ بصري فالتفت يمينا
وشمالا فلم أر شيئا وقال أهل الإشارة غافر الذنب
فضلا وقابل التوب وعدا شديد العقاب عدلا

لا إله إلا هو ١١٧

ويجوز أن يكونا نكرتين على أنهما للمستقبل والحال فيكونا بدلين ويجوز أن يكونا نعتين

لا اله الا هو اليه المصير فردًا وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
افتقد رجلًا ذا باس شديد من اهل الشام فقيل له تتابع في هذا
الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك
وانا احمد الله اليك الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل
الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد
العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير وختم الكتاب
وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيًا ثم امر من
عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقرؤها
ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح
يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته
فلما بلغ عمر امره قال هكذا فاصنعوا اذا رايتم احدكم قد
زل زلة فسددوه وادعوا الله له ان يتوب عليه
ولا تكونوا اعوانًا للشياطين عليه والتوب يجوز ان يكون
مصدرًا تاب يتوب توبًا ويحتمل ان يكون جمع توبة نحو
دومة ودوم وعزمة وعزم ومنه قوله فنحو ساعة
ونهب ساعات ويجوز ان يكون التوب بمعنى التوبة قال
ابن العباس والذي يسبق الى قلبي ان يكون مصدرًا اي يقبل
هذا الفعل كما تقول قال قولًا واذا كان جمعًا فمعناه يقبل
التوبات ذي الطول على البدل وعلى النعت لانه معرفة

واصل الطول الانعام والفضل يقال منه اللهم طل علينا اي
انعم وتفضل قال ابن عباس ذي الطول ذي النعم وقال مجاهد
ذي الغني والسعة ومنه قوله تعالى ومن لم يستطع منكم
طولا اي غني وسعة وعن ابن عباس ايضا ذي الطول ذي الغني
عن من يقول لا اله الا الله وقال عكرمة ذي الطول ذي المن قال
الجوهري والطول بالفتح المن يقال منه طال عليه ويطول عليه
اذا امتن عليه وقال محمد بن كعب ذي الطول ذي التفضل
قال الماوردي والفرق بين المن والفضل ان المن عفو عن
ذنب والتفضل احسان غير مستحق والطول ماخوذ
من الطول كانه طال بانعامه على غيره وقيل لانه طالت مدة
انعامه لا اله الا هو اليه المصير اي المرجع **قوله تعالى**
ما يجادل في ايات الله اي في دفع ايات الله الا الذين كفروا سجل
سبحانه على المجادلين في ايات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل
من الطعن فيها والقصد الى ادحاض الحق واطفا نور الله وقد
دل على ذلك في قوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به
الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها
ومفادحة اهل العلم في استنباط معانيها ورد اهل الزيغ
بها وعنها فاعظم جهاد في سبيل الله وقد مضي هذا المعنى في
البقرة عند قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه
مستوفي

مستوفي فلا يغررك وقرئ ولا يغرك تقلبهم اي
تصرفهم في البلاد فاني وان امهلتهم لا اهملهم بل اعاقبهم
قال ابن عباس يريد بالتجارة تهم من مكة الي الشام والي اليمن
وقيل لا يغررك ما هم فيه من الخير والسعة في الرزق فانه
متاع قليل في الدنيا وقال الزجاج لا يغررك سلامتهم
بعد كفرهم فان عاقبتهم الهلاك وقال ابو العالية ايتان
ما اشدهما علي الذين يجادلون في القرآن قوله تعالي ما
يجادل في ايات الله الا الذين كفروا وقوله وان الذين اختلفوا
في الكتاب لفي شقاق بعيد قوله تعالي كذبت قبلهم قوم
نوح علي تانيث الجماعة اي كذبت الرسل والاحزاب من
بعدهم اي والامم الذين تحزبوا علي انبيائهم بالتكذيب
نحو عاد وثمود فمن بعدهم وهمت كل امة برسولهم
لياخذوه اي ليحبسوه ويعذبوه وقال قتادة والسدي
ليقتلوه والاخذ يرد بمعني الاهلاك لقوله تعالي فاخذتهم
فكيف كان عقاب والعرب تسمي الاسير الاخيذ لانه ماسور
للقتل وانشد قطرب قول الشاعر فاما تاخذوني تقتلوني
ومن اخذ فليس الي خلود ؛ وفي وقت اخذهم لرسولهم قولان
احدهما عند دعايه لهم الثاني عند نزول العذاب بهم وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به الحق اي ليزيلوا به ليزيلوا ومنه مكان

نكير

دحض اي من لغة والباطل دحض لانه يزلق ويزل فلا يستقر
قال يحيى بن سلام جادلوا الانبيا بالشرك ليبطلوا به الايمان
فاخذتهم اي بالعذاب فكيف كان عقاب اي عاقبة الامم المكذبة
اي اليس وجدوه حقا قوله تعالى وكذلك حقت اي
وجبت ولزمت ماخوذ من الحق لانه اللازم كلمة ربك هذه
قراة العامة على التوحيد وقرا نافع وابن عامر كلمات جمعا على
الذين كفروا انهم قال الاخفش اي لانهم وبانهم قال الزجاج ويجوز
إنهم بكسر الهمزة اصحاب النار اي المعذبون بها وتم الكلام ثم ابتدا
فقال الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويومنون
به ويستغفرون للذين امنوا وروي ان حملة العرش ارجلهم في
الارض السفلى ورووسهم قد خرقت العرش وهم خشوع
لا يرفعون طرفهم وهم اشراف الملايكه وافضلهم ففي الحديث
ان الله تبارك وتعالى امر جميع الملايكه ان يغدوا ويروحوا
بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على ساير الملايكه ويقال
خلق الله العرش من جوهرة خضرا وبين القايمتين من قوايمه
خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون
الف صف من الملايكه يطوفون به مهللين مكبرين ومن وراءهم
سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم ورافعين
اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن وراءهم مائة الف صف قد وضعوا
الايمان

الايمان على الشمايل ما منهم احد الا وهو يسبح بما يسبح به
الاخر وقرا ابن عباس العرش بضم العين ذكر جميعه الزمخشري
رحمه الله وقيل اتصل هذا بذكر الكفار لان المعنى والله اعلم الذين الاول
يحملون العرش ومن حوله ينزهون الله عز وجل عما يقوله
الكفار ويستغفرون للذين امنوا اي يسالون لهم المغفره
من الله تعالى واقاويل اهل التفسير على ان العرش هو السرير
وانه جسم مجسم خلقه الله عز وجل وامر ملايكته بحمله
وتعبدهم بتعظيمه والطواف به كما خلق في الارض بيتا
وامر بني ادم بالطواف به واستقباله في الصلاة وروى
ابن طهمان عن موسى بن عقبه عن محمد بن المنكدر عن
جابر بن عبد الله الانصاري قال قال رسول الله صلى الله بلغ
عليه وسلم اذن لي ان احدث عن ملك من ملايكه الله
من حمله العرش ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبع
مايه عام ذكره البيهقي وقد مضى في البقره في اية الكرسي عظم
العرش وانه اعظم المخلوقات وروى ثور بن يزيد عن خالد
بن معدان عن كعب الاحبار انه قال لما خلق الله تعالى العرش
قال لن يخلق الله خلقا اعظم مني فاهتز فطوقه الله بحية للحية
سبعون الف جناح في الجناح سبعون الف ريشه في كل ريشه
سبعون الف وجه في كل وجه سبعون الف فم في كل فم

سبعون الف لسان تخرج من افواهها في كل من التسبيح عدد
قطر المطر وعدد ورق الشجر وعدد الحصا والثرا وعدد
ايام الدنيا وعدد الملايكة اجمعين فالنون الحية بالعرش فالعرش
الى نصف الحية وهي ملتوية به وقال مجاهد بين السماء السابعة
وبين العرش سبعون الف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب
نور وحجاب ظلمة ربنا اي يقولون ربنا وسعت كل شي رحمة
وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك كل شي فلما نقل الفعل عن
الرحمة والعلم نصب على التفسير فاغفر للذين تابوا اي من
الشرك والمعاصي واتبعوا سبيلك اي دين الاسلام وقهم عذاب
الجحيم اي اصرفه عنهم لا يصل اليهم قال ابراهيم النخعي كان اصحاب
عبد الله يقولون الملايكة خير من ابن الكوا هم يستغفرون
لمن في الارض وابن الكوا يشهد عليهم بالكفر قال ابراهيم وكانوا
يقولون لا يحجبون الاستغفار عن احد من اهل القبلة وقال
مطرف بن عبد الله وجدنا انصح عباد الله لعباد الله الملايكة
ووجدنا اغش عباد الله لعباد الله الشيطان وتلي هذه الاية
افهموها فما في العالم جنة ارجى منها ان ملكا واحدا لو سال
الله ان يغفر لجميع المومنين لغفر لهم كيف وجميع الملايكة
وحملة العرش يستغفرون للمومنين وقال خلف بن هشام
البزار القاري كنت اقرا على سليم بن عيسى فلما بلغت

ويستغفرون

وقال يحيى بن معاذ الرازي لاصحابه في هذه الاية

ويستغفرون للذين امنوا بكا ثم قال يا خلف ما اكرم المومن
على الله نايما على فراشه والملايكه يستغفرون له قوله تعالى
ربنا وادخلهم جنات عدن يروى ان عمر بن الخطاب قال لكعب
الاحبار ما جنات عدن قال قصور من ذهب في الجنه يدخلها
النبيون والصديقون والشهدا وايمة العدل التي وعدتهم
التي في محل نصب نعتا للجنات ومن صلح من في محل نصب عطفا
على الها والميم في قوله وادخلهم ومن صلح بالايمان من ابايهم
وازواجهم وذرياتهم وقد مضى في الرعد نظير هذه الايه قال
سعيد بن جبير يدخل الرجل الجنه فيقول يا رب اين ابي وجدي
وامي واين ولدي وولد ولدي واين زوجاتي فيقال انهم لم يعملوا
كعملك فيقول يا رب كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنه
ثم تلا الذين يحملون العرش ومن حوله الى قوله ومن صلح من ابايهم وازواجهم
وذرياتهم ويقرب من هذه الايه قوله والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم
بايمان الحقنا بهم ذرياتهم قوله تعالى وقهم السيات قال قتادة
اي وقهم ما يسوهم وقيل التقدير وقهم عذاب السيات وهو
امر من وقاه الله يقيه وقايه بالكسر اي حفظه ومن تق
السيات يومئذ فقد رحمته اي بدخول الجنه وذلك الفوز
العظيم النجاة الكبيره قوله تعالى ان الذين كفروا ينادون
لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم قال الاخفش لمقت هذه

لام الابتدا ووقعت بعد ينادون لان معناه يقال لهم قول وقال
غيره المعنى يقال لهم لمقت الله اياكم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان
فتكفرون اكبر من مقت بعضكم بعضا يوم القيامة لان بعضهم
عادى بعضا ومقته يوم القيامه فاذعنوا عند ذلك وخضعوا
وطلبوا الخروج من النار وقال الكلبي يقول كل انسان من اهل النار
لنفسه مقتتك يا نفس فتقول الملايكة لهم وهم في النار لمقت الله
اياكم اذ انتم في الدنيا وقد بعث اليكم الرسل فلم تومنوا اشد
من مقتكم انفسكم اليوم وقال الحسن يعطون كتابهم فاذا نظروا
الى سياتهم مقتوا انفسهم فينادون لمقت الله اياكم في الدنيا
اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم اليوم وقال
معناه مجاهد وقال قتادة المعنى لمقت الله لكم اذ تدعون الى
الايمان اكبر من مقتكم انفسكم اذ عاينتم النار فان قيل كيف يصح
ان يمقتوا انفسهم ففيه وجهان احدهما انهم احلوها بالذنوب
محل الممقوت الثاني انهم لما صاروا الى حال زال عنهم الهوى وعلموا
ان نفوسهم هي التي اوبقتهم في المعاصي مقتوها وقال محمد بن كعب
القرظي ان اهل النار لما يىسوا جا عند الخزنه وقال لهم مالك انكم
ماكثون على ما ياتي قال بعضهم لبعض يا هولاء انه قد نزل بكم من
البلاء والعذاب ما قد ترون فهلم فلنصبر فلعل الصبر ينفعنا
كما صبر اهل الطاعه على طاعة الله فنفعهم الصبر اذ صبروا فاجمعوا

رايهم

رايهم على الصبر فصبروا فطال صبرهم ثم جزعوا فنادوا سواء
علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص اي من ملجا فقال ابليس
عند ذلك فقال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما
كان لي عليكم من سلطان الى قوله ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي
يقول بمغن عنكم شيئا اني كفرت بما اشركتموني من قبل فلما
سمعوا مقالته مقتوا انفسهم قال فنودوا لمقت الله اكبر
من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون الى قوله فهل
الى خروج من سبيل قال فرد عليهم ذلكم بانه اذا دعي الله
وحده كفرتم وان يشرك به تومنوا فالحكم لله العلي الكبير ذكره
ابن المبارك قوله تعالى قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا
اثنتين قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والضحاك كانوا
امواتا في اصلاب ابائهم ثم احياهم ثم اماتهم الموتة التي
لا بد منها في الدنيا ثم احياهم للبعث والقيامة فهما احياتان
وموتتان وهو كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون وقال السدي اميتوا في الدنيا
ثم احياهم في قبورهم للمسالة ثم اميتوا ثم احيوا في الاخرة
وانما صار الى هذا لان لفظ الميت لا ينطلق في العرف على
النطفة واستدل العلماء بهذا في اثبات سوال القبر ولو
كان الثواب والعقاب للروح دون الجسد فما معنى الاحياء

والامانة والروح عند من يقصر احكام الاخرة على الارواح
لا تموت ولا تتغير ولا تفسد وهو حي لنفسه لا يتطرق
اليه موت ولا غشية ولا فنا وقال ابن زيد في قوله ربنا
امتنا اثنتين الاية قال خلقهم في ظهر ادم واستخرجهم واحياهم
واخذ عليهم الميثاق ثم اماتهم ثم احياهم في الدنيا ثم اماتهم
وقد مضى هذا في البقرة فاعترفنا بذنوبنا اعترفوا حين
لا ينفعهم الاعتراف وندموا حين لا ينفع الندم
فهل الى خروج من سبيل اي هل نرد الى الدنيا لنعمل بطاعتك
نظيره فهل الى مرد من سبيل وقوله فارجعنا نعمل صالحا
وقوله يا ليتنا نرد الاية قوله تعالى ذلكم بانه اذا
دعي الله وحده كفرتم ذلكم في موضع رفع اي الامر
ذلكم او ذلكم العذاب الذي انتم فيه بكفركم وفي الكلام
متروك تقديره فاجيبوا بان لا سبيل الى الرد وذلك لانكم
اذا دعي الله اي وحد الله وحده كفرتم وانكرتم ان تكون
الالوهية له خاصة وان اشرك به مشرك صدقتموه وامنتم
بقوله قال الثعلبي وسمعت بعض العلما يقول وان يشرك به
بعد الرد الى الدنيا لو كان تؤمنوا تصدقوا للشرك نظيره
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فالحكم لله العلي الكبير عن ان
تكون له صاحبة او ولد قوله تعالى هو الذي يريكم اياته

الي

اي دلايل توحيده وقدرته وينزل لكم من السماء رزقا جمع بين
اظهار الايات وانزال الرزق لان بالايات قوام الاديان
وبالرزق قوام الابدان وهذه الايات هي السموات والارضون
وما فيهما وما بينهما من الشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب
والبحار والانهار والعيون والجبال والاشجار واثار قوم هلكوا
وما يتذكر الا من ينيب اي لا يتعظ بهذه الايات فيوحد
الله الا من ينيب اي يرجع الى طاعة الله فادعوا الله
اي اعبدوه مخلصين له الدين اي العبادة وقيل الطاعة
ولو كره الكافرون عبادة الله فلا تعبدوا انتم غيره
قوله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش على اضمار مبتدا
قال الاخفش ويجوز نصبه على المدح ومعنى رفيع الدرجات
اي رفيع الصفات وقال ابن عباس والكلبي وسعيد بن
جبير رفيع السماوات السبع وقال يحيى بن سلام هو رفعه
درجات اوليايه في الجنة فرفيع على هذا بمعنى رافع
فعيل بمعنى فاعل وهو على القول الاول من صفات الذات
ومعناه الذي لا ارفع قدرا منه وهو المستحق لدرجات
المدح والثنا وهي اصنافها وابوابها لا مستحق لها غيره
قاله الحليمي وقد ذكرناه في الكتاب الاسني والحمد لله ذو
العرش اي خالقه ومالكه لا انه محتاج
اليه

محتاج الله

بس صحيح

س صحيح

سه صحيح

محتاج اليه

محتاج اليه وقيل هو من قولهم ثل عرش فلان اي زال ملكه
وعزه فهو سبحانه ذو العرش بمعنى ثبوت ملكه وسلطانه
وقد بيناه في الاسنا في شرح اسما الله الحسنى يلقي الروح
اي الوحي والنبوه على من يشا من عباده وسمي ذلك روحا
لان الناس يحيون به اي يحيون من موت الكفر كما تحيي
الابدان بالارواح وقال ابن زيد الروح القران قال
الله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقال تعالى
قل نزله روح القدس من ربك بالحق من امره اي من قوله
وقيل من قضايه وقيل من بمعنى الباء اي بامره على من
يشا من عباده وهم الانبيا يشاء هو ان يكونوا انبيا
وليس لاحد فيهم مشيه لينذر يوم التلاق اي انما
يبعث الرسول لانذار يوم البعث فقوله لينذر
يرجع الى الرسل وقيل اي لينذر الله بعثه الرسل
الى الخلايق يوم التلاق وقرا ابن عباس والحسن
وابن السميفع لتنذر بالتاء خطابا للنبي عليه السلام
يوم التلاق قال ابن عباس وقتاده يوم يلتقي اهل
السما واهل الارض وقال قتاده ايضا وابو العاليه
ومقاتل يلتقي فيه الخلق والخالق وقيل العابد
والمعبود وقيل الظالم والمظلوم وقيل يلتقي كل

(margin:) وكذا قال الله او حما الذي روحا من امرنا و قال جبريل ... الروح ...

انسان جزاء عمله وقيل بالمنفي الاولون والاخرون في صعيد
واحد روي معناه عن ابن عباس وذلك صحيح المعنى يوم
هم بارزون يكون بدلا من يوم الاول وقيل هم في موضع
رفع بالابتداء وبارزون خبره والجملة في موضع خفض
بالاضافة فلذلك حذف التنوين من يوم وانما يكون هذا
عند سيبويه اذا كان الظرف بمعنى اذ تقول لقيتك
يوم زيد امير فان كان بمعنى اذا لم يجز اتيتك يوم
زيد امير ومعنى بارزون خارجون من قبورهم لا يسترهم
شي لان الارض يومئذ قاع صفصف لا عوج فيها ولا امتى
على ما تقدم في طه بيانه لا يخفى على الله منهم شي قيل
ان هذا هو العامل في يوم هم بارزون اي لا يخفى عليه
شي منهم ومن اعمالهم يوم هم بارزون لمن الملك اليوم وذلك
عند فنا الخلق قال الحسن هو السايل تعالى وهو المجيب
لانه يقول ذلك حين لا احد يجيبه فيجيب نفسه فيقول
لله الواحد القهار النحاس واصح ما قيل فيه ما رواه ابو
وايل عن ابن مسعود قال يحشر الناس على ارض بيضا
مثل الفضه لم يعص الله تعالى عليها فيومر منادٍ ينادي
لمن الملك اليوم فيقول العباد مومنهم وكافرهم لله
الواحد القهار فيقول المومنون هذا سرورا وتلذذا
ويقول

ويقول الكافر هذا رغما وانقيادا وخضوعا فاما ان يكون
هذا والخلق غير موجودين فبعيد لانه لا فايدة فيه والقول
صحيح عن ابن مسعود وليس هو مما يوخذ بالقياس ولا بالتاويل
قلت والقول الاول ظاهر جدا لان المقصود اظهار انفراده
تعالى بالملك عند انقطاع دعاوي المدعين وانتساب المنتسبين
اذ قد ذهب كل ملك وملكه ومتكبر وملكه وانقطعت نسبهم
ودعاويهم ودل على هذا قوله الحق عند قبض الارواح وطي السما
انا الملك اين ملوك الارض كما تقدم في حديث ابي هريرة
وفي حديث ابن عمر ثم يطوي الارض بشاله ثم يقول انا الملك
اين الجبارون اين المتكبرون وعند قوله سبحانه لمن الملك
اليوم هو انقطاع زمن الدنيا وبعده يكون البعث والنشر
قال محمد بن كعب قوله سبحانه لمن الملك اليوم بين النفختين حين
فني الخلايق وبقي الخالق فلا يرى غير نفسه مالكا ولا مملوكا
فيقول لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد لان الخلق اموات فيجيب
نفسه فيقول لله الواحد القهار لانه بقي وحده وقهر خلقه
وقيل انه ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه اهل الجنة
لله الواحد القهار فالله اعلم **قوله تعالى اليوم تجزى كل**
نفس بما كسبت اي يقال لهم اذا اقروا بالملك يومئذ لله
وحده اليوم تجزى كل نفس بما كسبت من خير او شر

لا ظلم اليوم اي لا ينقص احد شيا مما عمله ان الله سريع الحساب
اي لا يحتاج الى تفكر وعقد يد كما يفعله الحساب لانه العالم
الذي لا يعزب عن علمه شي فلا يوخر جزا احد للاشتغال بغيره
وكما يرزقهم في ساعة واحدة يحاسبهم كذلك في ساعة واحدة
وقد مضى هذا المعنى في البقرة وفي الخبر لا ينتصف النهار حتى
يقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار **قوله تعالى**
وانذرهم يوم الازفة اي يوم القيامة سميت بذلك
لانها قريبة اذ كل ما هو ات قريب وازف فلان اي قرب
يازف ازفا قال النابغة :. ازف الترحل غير ان ركابنا لما تزل
برحالنا وكان قد :. اي قرب ونظير هذه الايه ازفت الازفة
اي قربت الساعة وكان بعضهم يتمثل ويقول
ازف الرحيل وليس لي من زاد غير الذنوب لشقوتي ونكاد
اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين على الحال وهو محمول على المعنى
قال الزجاج المعنى اذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كظمهم
واجاز الفرا ان يكون التقدير وانذرهم كاظمين على انه خبر
للقلوب وقال المعنى اذ هم كاظمون وقال الكساي يجوز
رفع كاظمين على الابتداء وقد قيل ان المراد بيوم الازفة
يوم حصول المنية فاله قطرب وكذا اذ القلوب لدى الحناجر
عند حصور المنية والاول اظهر قال قتاده وقعت في الحناجر
من المخافة

من المخافه فهي لا تخرج ولا تعود في امكنتها وهذا لا يكون
الا يوم القيامه كما قال وافيدتهم هوا وقيل هذا اخبار
عن نهاية الجزع كما قال وبلغت القلوب الحناجر واضيف
اليوم الى الازفه على تقدير يوم القيامه الازفه او يوم
المجادله الازفة وعند الكوفيين هو من باب اضافة الشي
الى نفسه مثل مسجد الجامع وصلاة الاولى ما للظالمين من
حميم اي من قريب يشفع وشفيع يطاع فيشفع فيهم قوله
تعالى يعلم خاينة الاعين قال المورج فيه تقديم وتاخير
اي يعلم الاعين الخاينه وقال ابن عباس هو الرجل يكون
جالسا مع القوم فتمر المراة فيسارقهم النظر اليها
وعنه هو الرجل ينظر الى المراة فاذا نظر اليه اصحابه
غض بصره فاذا راى منهم غفلة تدسس بالنظر فاذا
نظروا اليه اصحابه غض بصره وقد علم الله جل وعز منه
ان يود لو نظر الى عورتها وقال مجاهد هي مسارقة نظر الاعين
الى ما نهى الله عنه وقال قتادة هي الهمزة بعينه واغماضه
فيما لا يحب الله تعالى وقال الضحاك هو قول الانسان ما رايت
وقد راى ورايت وما راى وقال السدي انه الرمز بالعين
وقال سفيان هي النظره بعد النظره وقال الفرا خاينة
الاعين النظرة الثانيه وما تخفي الصدور النظره الاولى

وقال ابن عباس وما تخفي الصدور اي هل يزني بها لو خلا بها
ام لا وقيل وما تخفي الصدور اي هل يزني نكتة وتضميره
ولما جي بعبد الله بن ابي سرح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد ما اطمان اهل مكة وطلب له الامان عثمان رضي الله عنه
صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا ثم قال نعم فلما
انصرف عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله
ما صمت الا ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه فقال رجل
من الانصار فهلا اومات الي يا رسول الله فقال ان النبي
لا تكون له خاينة اعين والله يقضي بالحق اي يجازي من
غض بصره عن المحارم ومن نظر اليها ومن عزم على مواقعة
الفواحش اذا قدر عليها والذين تدعون من دونه يعني الاوثان
لا يقضون لانها لا تعلم شيا ولا تقدر عليه ولا تملك وقراة
العامة بالياء على الخبر عن الظالم وهي اختيار ابي عبيد وابي
حاتم وقرا نافع وشيبة وهشام تدعون بالتاء ان الله هو
السميع البصير هو زايدة فاصلة ويجوز ان تكون في موضع رفع
بالابتدا وما بعدها خبر عنها والجملة خبر ان قوله تعالى
اولم يسيروا في الارض فينظروا في موضع جزم عطف على
يسيروا ويجوز ان تكون في موضع نصب على انه جواب
والجزم والنصب في التثنية والجمع واحد كيف كان عاقبة

اسم كان

اسم كان والخبر في كيف وواف في موضع خفض معطوفاً على
اللفظ ويجوز ان يكون في موضع رفع على الموضع فرفعه وخفضه
واحد لان اليا تحذف وتبقى الكسره داله عليها وقد مضى الكلام
في معنى هذه الايه في غير موضع فاغنى عن الاعاده قوله تعالى
ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهي التسع الايات المذكوره في قوله
تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات وقد مضى تعيينها
وسلطان مبين اي حجة بينة واضحه وهو يذكر ويونث
وقيل اراد بالسلطان التوراه الى فرعون وهامان وقارون
خصهم بالذكر لان مدار التدبير في عداوة موسى كان عليهم
ففرعون الملك وهامان الوزير وقارون صاحب الاموال
والكنوز فجمعه الله معهما لان عمله في الكفر والتكذيب كاعمالهما
فقالوا ساحر كذاب لما عجزوا عن معارضته حملوا المعجزات
على السحر قوله تعالى فلما جاهم بالحق من عندنا وهي المعجزه
الظاهره قالوا اقتلوا ابنا الذين امنوا معه قال قتاده
هذا قتل غير القتل الاول لان فرعون كان قد امسك عن قتل
الولدان وقت ولادة موسى فلما بعث الله موسى اعاد القتل
على بني اسرايل عقوبة لهم فيمتنع الانسان من الايمان ولئلا
يكثر جمعهم فيتعضدوا بالذكور من اولادهم فشغلهم الله عن
ذلك بما انزل عليهم من انواع العذاب كالضفادع والقمل

بلغ

والدم والطوفان الى ان خرجوا من مصر فاغرقهم الله وهذا
معنى قوله تعالى وما كيد فرعون الا في ضلال اي في خسران
وهلاك وان الناس لا ينتفعون من الايمان وان فعل بهم مثل
هذا فكيده يذهب باطلا قوله تعالى وقال فرعون
ذروني اقتل موسى وليدع ربه اقتل جزم لانه جواب الامر
وليدع جزم لانه امر وذروني ليس بمجزوم وان كان امرا
ولكن لفظه لفظ المجزوم وهو مبني وقيل هذا يدل على انه
قيل لفرعون انا نخاف ان يدعوا عليك فيجاب فقال وليدع
ربه اي لا يهولنكم ما يذكر من ربه فانه لا حقيقة له وانا
ربكم الاعلى اني اخاف ان يبدل دينكم اي عبادتكم لي الى عبادة
ربه وان يظهر في الفساد ان لم يبدل دينكم فانه يظهر الارض صح
في الارض الفساد اي يقع بين الناس بسببه الخلاف وقراة
المدنيين وابي عبد الرحمن السلمي وابن عامر وابي عمرو وان
يظهر في الارض الفساد وقراة الكوفيين او ان يظهر بفتح
اليا الفساد بالرفع وكذلك هي في مصاحف الكوفيين
او بالف واليه يذهب ابو عبيد قال لان فيه زيادة حرف
وفيه فصل ولان او تكون بمعنى الواو النحاس وهذا
عند حذاق النحويين لا يجوز ان تكون بمعنى الواو لان في
ذلك بطلان المعاني ولو جاز ان تكون بمعنى الواو لما احتيج
الى

الى هذا ها هنا الان معنى الواو انى اخاف الامرين جميعا
ومعنى او لاحد الامرين اى انى اخاف ان يبدل دينكم فان
اعوزه ذلك اظهر فى الارض الفساد قوله تعالى
وقال موسى انى عذت بربى وربكم لما هدده فرعون بالقتل
استعاذ موسى بالله من كل متكبر اى متعظم عن الايمان
بالله وصفته انه لا يؤمن بيوم الحساب قوله
تعالى وقال رجل مومن من ال فرعون يكتم
ايمانه فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى وقال
رجل مومن ذكر بعض المفسرين ان اسم هذا الرجل
حبيب وقيل شمعان بالشين المعجمة قال السهيلي
وهو اصح ما قيل فيه وفى تاريخ الطبرى رحمه الله
اسمه خبر وقيل حزقيل ذكره الثعلبى عن ابن عباس
واكثر العلما الزمخشرى واسمه سمعان او حبيب
وقيل حزمبيل او حزبيل واختلف هل كان اسرائيليا
او قبطيا فقال الحسن وغيره كان قبطيا ويقال انه
كان ابن عم فرعون قاله السدى قال وهو الذى
نجا مع موسى عليه السلام ولهذا قال من ال فرعون
وهو المراد بقوله وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى
قال يا موسى الايه وهذا قول مقاتل وقال ابن عباس

لم يكن من آل فرعون غيره وامرأة فرعون وغير المؤمن
الذي انذر موسى فقال ان الملأ يأتمرون بك وفي
هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا تعجب من
مشركي قومك فقد كان هذا الرجل لهو حاجة عند فرعون
فلهذا لم يتعرض له بسوء وقيل كان هذا الرجل من
بني اسرائيل يكتم ايمانه من آل فرعون عن السدي ايضا
ففي الكلام على هذا تقديم وتأخير والتقدير وقال
رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون من آل
الرجل فمن جعل الرجل قبطيا فمن عنده
متعلقة بمحذوف صفة لرجل التقدير وقال رجل
مؤمن منسوب من آل فرعون ومن جعله اسرائيليا
فيه بعد لانه يقال كتمه امر كذا ولا يقال كتم منه
قال الله تعالى ولا يكتمون الله حديثا وايضا ما كان
فرعون فمن متعلقة بيكتم في موضع مفعول ثان
بيكتم القشيري ومن جعله اسرائيليا فيه بعد
لانه يقال كتمه امر كذا ولا يقال كتم منه قال
الله تعالى ولا يكتمون الله حديثا وايضا ما كان
فرعون يحتمل من بني اسرائيل مثل هذا القول الثانية
قوله تعالى اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله اي لان
يقول

يكتم القشيري ومن جعله اسرائيليا فمن متعلقة بيكتم في موضع مفعول ثان

يقول ومن اجل ان يقول ربي الله فان في موضع نصب بنزع
الخافض وقد جاكم بالبينات يعني الايات التسع من ربكم وان يك كاذبا
فعليه كذبه ولم يكن ذلك لشك منه في رسالته وصدقه ولكن
تلطفا في الاستكشاف واستنزالا عن الاذي ولو كان وان يكن
بالنون جايز ولكن حذفت النون لكثرة الاستعمال على قول
سيبويه ولانها نون الاعراب على قول ابي العباس وان يك
صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم اي ان لم يصبكم الا بعض الذي
يعدكم به هلكتم ومذهب ابي عبيدة ان معنى بعض الذي يعدكم
كل الذي يعدكم وانشد قول لبيد
تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها
فبعض بمعنى كل لان البعض اذا اصابهم اصابهم الكل لا محالة
لدخوله في الوعيد وهذا ترقيق الكلام في الوعظ وذكر
الماوردي ان البعض قد يستعمل في موضع الكل تلطفا في
الخطاب وتوسعا في الكلام كما قال الشاعر
قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
وقيل ايضا قال ذلك لانه حذرهم انواعا من العذاب كل نوع
منها مهلك فكانه حذرهم ان يصيبهم بعض تلك الانواع وقيل
وعدهم موسى بعذاب الدنيا او بعذاب الاخرة ان كفروا فالمعنى
يصبكم احد العذابين وقيل اي يصبكم هذا العذاب الذي يقوله

في الدنيا وهو بعض الوعد ثم يترادف العذاب في الاخرة ايضا
وقيل وعدهم العذاب ان كفروا والثواب ان امنوا فاذا كفروا
يصيبهم بعض ما وعدوا ان الله لا يهدي من هو مسرف على نفسه
كذاب على ربه اشارة الى موسي ويكون هذا من قول المومن
وقيل مسرف في عناده كذاب اي في ادعائه اشارة الى فرعون
ويكون هذا من قول الله تعالى **الثالثة** قوله تعالى يكتم ايمانه
قال القاضي ابو بكر بن العربي ظن بعضهم ان المكلف اذا كتم ايمانه
ولم يلفظ بلسانه انه لا يكون مومنا وقد قال مالك ان الرجل
اذا نوى بقلبه طلاق زوجته انه يلزمه كما يكون مومنا
بقلبه وكافرا بقلبه فجعل مدار الايمان على القلب وانه كذلك
لكن ليس على الاطلاق وقد بيناه في اصول الفقه لبابه ان
المكلف اذا نوى الايمان بقلبه فلا يكون مومنا بحال حتى
يتلفظ بلسانه ولا تمنعه التقية والخوف من ان يتلفظ بلسانه
فيما بينه وبين الله وبين الله تعالى انما تمنعه التقية من ان يسمعه
غيره وليس من شرط الايمان ان يسمعه الغير في صحته من التكليف
وانما يشترط سماع الغير له ليكف عن نفسه وماله **الرابعة**
روى البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير قال قلت لعبد الله
بن عمرو بن العاص اخبرني باشد ما صنعه المشركون برسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وان كان مومنا اذا نوى الكفر بقلبه كان كافرا وان لم يتلفظ بلسانه

بفناء

بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة ابن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا
فاقبل ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاكم بالبينات من ربكم
لفظ البخاري خرجه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من
حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي رضي الله عنه قال اجتمعت
قريش بعد وفاة ابي طالب بثلاث فارادوا قتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاقبل هذا يجاه وهذا يتلتله فاستغاث
النبي صلى الله عليه وسلم فلم يغثه يوميذ احد الا ابو بكر وله
ضفيرتان فاقبل يجا ذا ويتلتل ذا ويقول باعلى صوته ويلكم
اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله والله انه لرسول الله
فقطعت احدى ضفيرتي ابي بكر يوميذ فقال علي رضه والله
ليوم ابي بكر خير من مومن ال فرعون ان ذاك رجل كتم
ايمانه فاثنى عليه الله في كتابه وهذا ابو بكر اظهر ايمانه
وبذل ماله ودمه لله عز وجل قلت قول علي رضي الله عنه
ان ذلك رجل كتم ايمانه يريد في اول امره بخلاف الصديق
فانه اظهر ايمانه ولم يكتمه والا فالقران مصرح بان مومن
ال فرعون اظهر ايمانه لما ارادوا قتل موسى عليه السلام على
ما ياتي بيانه وفي نوادر الاصول ايضا عن اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما

قالوا لها ما اشد شي رايت المشركين بلغوا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت كان المشركون قعودا في المسجد وبتذاكرون
رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم ما يقول في الهتهم فبينا هم
كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاموا اليه باجمعهم
فكانوا اذا سالوه عن شي صدقهم فقالوا الست تقول كذا
في الهتنا قال بلى قال فتشبثوا به باجمعهم فاتى الصريخ الى ابي بكر
فقال له ادرك صاحبك فخرج من عندنا وان له غدايرة فدخل
المسجد وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاكم
بالبينات من ربكم فلهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبلوا
على ابي بكر فرجع الينا ابو بكر فجعل لا تمس شيئا من غدايره الا
جامعه وهو يقول تباركت ياذا الجلال والاكرام اكرام اكرام
قوله تعالى يا قوم لكم الملك اليوم هذا من قول مومن ال فرعون
وفي قوله يا قوم دليل على انه قبطي ولذلك اضافهم الى نفسه
فقال يا قوم لكونوا اقرب الى قبول وعظه لكم الملك فاشكروا الله
الله على ذلك ظاهرين في الارض اي عالين وهو نصب على الحال
اي في حال ظهوركم والمراد بالارض ارض مصر في قول
السدي وغيره كقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض
اي في ارض مصر فمن ينصرنا من باس الله ان جانا اي من
عذاب الله تحذير لهم من نقمه ان كان موسى صادقا فذكر
وحذر

وحذر فعلم فرعون ظهور حجته فقال ما اريكم الا ما ارى
قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ما اشير عليكم الا بما ارى
لنفسي وما اهديكم الا سبيل الرشاد في تكذيب موسى والايمان
بي قوله تعالى وقال الذي امن يا قوم زادهم في الوعظ اني
اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب يعني ايام العذاب الذي عذب
فيها المتحزبون على الانبيا والمذكورون فيما بعد قوله تعالى
ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد زاد في الوعظ والتخويف
وافصح عن ايمانه اما مستسلما موطنا نفسه على القتل او
واثقا بانهم لا يقصدونه بسوء وقد وقاه الله شرهم بقوله
الحق فوقاه الله سيات ما مكروا وقراة العامة التناد
بتخفيف الدال وهو يوم القيامة قال امية بن ابي الصلت
وبث الخلق فيها اذ دحاها فهم سكانها حتى التناد سمي بذلك
لمناداة الناس بعضهم بعضا فينادي اصحاب الاعراف رجالا
يعرفونهم بسيماهم وينادي اصحاب الجنة اصحاب النار
ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا وينادي اصحاب
النار ان افيضوا علينا من الما وينادي المنادي ايضا
بالشقوة والسعادة الا ان فلان بن فلان قد شقي
شقاوة لا يسعد بعدها ابدا الا ان فلان بن فلان
قد سعد سعادة لا يشقى بعدها وهذا عند وزن

الاعمال وينادي الملايكه اهل الجنه ان تلكموا الجنه
اورثتموها بما كنتم تعملون وينادي حين يذبح الموت
يا اهل الجنة خلودا لا موت ويا اهل النار خلودا لا
موت وينادى كل قوم بامامهم الى غير ذلك من النداء
وقرا الحسن وابن السميفع ويعقوب وابن كثير
ومجاهد التنادي باثبات اليا في الوصل والوقف
على الاصل وقرا ابن عباس والضحاك وعكرمة يوم التناد
بتشديد الدال قال بعض اهل العربيه هذا لحن لانه
من ند يند اذا مر على وجهه هاربا كما قال الشاعر
وبرك هجود قد اثارت مخافتي نوادبها اسعى بعضب مجرد
قال فلا معنى لهذا في القيامة قال ابو جعفر النحاس
وهذا غلط والقراة به حسنة على معنى يوم التنافر
قال الضحاك ذلك اذا سمعوا بزفير جهنم ندوا هربا
فلا ياتون قطرا من اقطار الارض الا وجدوا
صفوفا من الملايكه فيرجعون الى المكان الذى كانوا
فيه فذلك قوله يوم التناد وقوله يا معشر الجن
والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات
والارض الايه وقوله والملك على ارجايها ذكره
ابن المبارك بمعناه قال واخبرنا عبد الرحمن بن يزيد
بن جابر

بن جابر قال حدثنا عبد الجبار بن عبد الله بن سلمان في قوله
اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ثم تستجيب
لهم اعينهم بالدمع فيبكون حتى ينفد الدمع ثم تستجيب لهم
اعينهم بالدم فيبكون حتى ينفد الدم ثم تستجيب لهم
اعينهم بالقيح قال يرسل عليهم من الله امر فيولون مدبرين
ثم تستجيب لهم اعينهم بالقيح فيبكون القيح حتى تنفد
القيح فتغور اعينهم كالخرق في الطين وقيل ان هذا يكون
عند نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور نفخة الفزع ذكره علي
بن معبد والطبري وغيرهما من حديث ابي هريرة وفيه فتكون
الارض كالسفينة في البحر تضربها الامواج فتميد الناس على
ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل ما في بطونها وتشيب
الولدان وتطاير الشياطين هاربة فتلقاها الملائكة فتضرب
وجوهها وتولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهي التي
يقول الله تعالى يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من
الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد الحديث بكماله
وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وتكلمنا عليه هناك وروى
علي بن نصر عن ابي عمرو اسكان الدال من التناد في الوصل
خاصة وهو مذهب ورش والمشهور عن ابي عمرو حذفها
في الحالين وكذلك قرا سائر السبعة سوى ورش على ما ذكرنا عنه

وروى ابو معمر عن عبد الوارث زيادة الياء في الدعا وصلا صح

وسوي ابن كثير على ما تقدم وقيل سمي يوم القيامة يوم التناد لان
الكافر ينادي فيه بالويل والثبور والحسرة قاله ابن جريج وقيل
فيه اضمار اي اني اخاف عليكم عذاب يوم التناد فالله اعلم
يوم تولون مدبرين على البدال من يوم التناد ومن يضلل الله
فماله من هاد اي من خلق الله في قلبه الضلال فلا هادي له وفي
قايله قولان احدهما موسى الثاني مؤمن آل فرعون وهو الاظهر
والله اعلم قوله تعالى ولقد جاكم يوسف من قبل بالبينات
قيل ان هذا من قول موسى وقيل هو من تمام وعظ مؤمن آل
فرعون ذكرهم قديم عتوهم على الانبياء واراد يوسف بن يعقوب
جاهم بالبينات ارباب متفرقون خير ام الله الواحد
القهار قال ابن جريج هو يوسف بن يعقوب بعثه الله
تعالى رسولا الى القبط بعد موت الملك من قبل موسى بالبينات
وهي الرؤيا وقال ابن عباس هو يوسف بن افرائيم بن يوسف
بن يعقوب اقام فيهم نبيا عشرين سنة وحكى النقاش
عن الضحاك ان الله تعالى بعث اليهم رسولا من الجن يقال له
يوسف وقال وهب بن منبه ان فرعون موسى هو فرعون
يوسف عمر وغيره يقول هو اخر الحاسر وليس في الاية
ما يدل على انه هو لانه اذا اتى بالبينات نبي لمن معه ولمن
بعده فقد جاهم جميعا بها وعليهم ان يصدقوه بها

فما

فما زلتم في شك مما جاكم به اي الاسلام فلم كانوا في شك حتى اذا هلك
قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا اي من يدعي الرسالة كذلك
يضل الله اي مثل ذلك الضلال يضل الله من هو مسرف مشرك
مرتاب شاك في وحدانية الله تعالى **قوله تعالى** الذين
يجادلون في ايات الله اي في حججه الظاهره بغير سلطان اي
بغير حجه وبرهان والذين في موضع نصب على البدل
من من وقال الزجاج اي كذلك يضل الله الذين يجادلون في
ايات الله فالذين نصب قال ويجوز ان يكون رفعا على معنى
الذين هم او على الابتدا والخبر كبر مقتا ثم قيل هذا من كلام
مومن ال فرعون وقيل ابتدا خطاب من الله تعالى مقتا
على البيان اي كبر جدالهم مقتا كقوله تعالى كبرت كلمة
ومقت الله تعالى ذمه لهم ولعنه اياهم واحلال العذاب
بهم كذلك اي كما طبع على قلوب هولاء المجادلين فكذلك يطبع
اي يختم على كل قلب متكبر جبار باضافة قلب الى المتكبر
واختاره ابو حاتم وابو عبيد وفي الكلام حذف والمعنى
كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار فحذف كل الثانية
لتقدم ما يدل عليه واذا لم يقدر حذف كل لم يستقيم
المعنى لانه يصير معناه انه يطبع على جميع قلبه وليس المعنى
عليه وانما المعنى انه يطبع على قلوب المتكبرين الجبارين

قلبًا قلبًا ومما يدل على حذف كل قول ابي دُواد أكلّ امرئٍ تحسبين
أمرًا ونارٍ توقد بالليل نارًا، بوبيد وكل بايد وفي قراة بن مسعود
على قلب كل متكبر فهذه قراة على التفسير والاضافة وقرا ابو
عمرو وابن محيصن وابن ذكوان عن اهل الشام قلبٍ منون على ان
متكبرًا نعت للقلب فكني بالقلب عن الجملة لان القلب هو الذي
يتكبر وساير الاعضا تبع له ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان في الجسد مضغة اذا اصلحت صلح ساير الجسد واذا فسدت
فسد ساير الجسد الا وهي القلب ويجوز ان يكون على حذف
المضاف اي على كل ذي قلبٍ متكبر فجعل الصفة لصاحب
القلب قوله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحًا
لما قال مومن فرعون ما قال وخاف فرعون ان يتمكن كلام
هذا المومن في قلوب القوم اوهم انه يمتحن ما جا به موسى
من التوحيد فان بان له صوابه لم يخفه عنهم وان لم يصح
ثبتهم على دينهم فامر وزيره هامان ببنا الصرح وقد مضى
في القصص ابلغ الاسباب اسباب السموات بدل من الاول
واسباب السما ابوابها في قول قتادة والزهري والسدي
والاخفش وانشد، ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ولو
رام اسباب السما بسلم، وقال ابو صالح اسباب السموات طرقها
وقيل الامور التي يستمسك بها السموات وكرر اسباب تفخيمًا
لان

لان الشي اذا ابهم ثم اوضح كان تفخيما لشانه فاطلع الى اله موسى
فانظر اليه نظر مشرف عليه توهم انه جسم تحويه الاماكن
وكان فرعون يدعي الالهية ويرى تحقيقها بالجلوس في مكان
مشرف وفي قراة العامة فاطلع بالرفع نسقا على قوله ابلغ
وقرا الاعرج والسلمي وعيسى وحفص فاطلع بالنصب
قال ابو عبيد على جواب لعل بالفا النحاس ومعنى النصب
خلاف معنى الرفع لان معنى النصب متى بلغت الاسباب اطلعت
ومعنى الرفع لعلي ابلغ الاسباب ثم لعلي اطلع بعد ذلك الا
ان ثم اشد تراخيا من الفاء واني لاظنه كاذبا اي واني
لاظن موسى كاذبا في ادعايه الها دوني وانما افعل ما افعل
لازاحة العلة وهذا يوجب شك فرعون في امر الله وقيل
ان الظن بمعنى اليقين اي وانا اتيقن انه كاذب وانما
اقول ما اقوله لازالة الشبهة عن من لا يتيقن ما اتيقنه
قوله تعالى وكذلك زين لفرعون سوء عمله اي كما قال
هذه المقالة وارتاب زين له الشيطان او زين الله له
سوء عمله اي الشرك والتكذيب وصد عن السبيل قراة
الكوفيون وصد على ما لم يسم فاعله وهو اختيار ابي
عبيد وابي حاتم ويجوز على هذه القراءة وصد بكسر
الصاد نقلت كسرة الدال على الصاد وهي

قراة يحيى بن وثاب وعلقمة وقرا ابن ابي اسحاق وعبد الرحمن
بن ابي بكرة وصدّ عن السبيل بالرفع والتنوين وصدّ الباقون
بفتح الصاد والدال اى صد فرعون الناس عن السبيل
وما كيد فرعون الا في تباب اى في خسران وضلال ومنه
تبت يدا ابي لهب وقوله تعالى وما زادوهم غير تتبيب
وفي موضع غير تخسير فهذا الله صرحه وغرقه هو
وقومه على ما تقدم قوله تعالى وقال الذي امن يا
قوم اتبعون هذا من تمام ما قاله مومن ال فرعون اى اقتدوا
بي في الدين اهدكم سبيل الرشاد اى طريق الهدى وهو الجنة
وقيل من قول موسى وقرا معاذ بن جبل سبيل الرشّاد
بتشديد الشين وهو لحن عند اكثر اهل العربية لانه انما
يقال ارشد يرشد ولا يكون فعّال من افعل انما يكون
من الثلاثي فان اردت التكثير من الرباعي قلت مفعال
قال النحاس يجوز ان يكون رشاد بمعنى يرشد لا على
انه مشتق منه ولكن كما يقال لآل من اللولو فهو
بمعناه وليس جاريا عليه ويجوز ان يكون رشاد من
رشد يرشد اى صاحب رشاد كما قال هني لهم با
امته إمّه ناصب الزمخشري وقرى الرشاد بتعال من
ارشد بالكسر كعلام او من رشد بالفتح كعباد وقيل من
ارشد

ارشد كجبار من اجبر وليس بذاك لان فعالا من افعل لم
يجي الا في عده احرف نحو دراك وساار وقصار وجبار
ولا يصح القياس على القليل ويجوز ان يكون نسبته الى الرشد
كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل ووقع في المصحف
اتبعون بغير يا وقراها يعقوب وابن كثير بالاثبات
في الوصل والوقف وحذفها ابو عمرو ونافع في الوقف واثبتوها
في الوصل الا ورشا حذفها في الحالين ولذلك الباقون لانها
وقعت في المصحف بغير يا ومن اثبتها فعلى الاصل قوله
تعالى يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع اي يتمتع بها
قليلا ثم تنقطع وتزول وان الاخره هي دار القرار اي
الاستقرار والخلود ومراده بالدار الاخره الجنه والنار
لانها لا يفنيان بين ذلك بقوله من عمل سيئه يعني الشرك
فلا يجزى الا مثلها وهو العذاب ومن عمل صالحا قال ابن
عباس يعني لا اله الا الله وهو مومن مصدق بقلبه لله
وللانبيا فاولئك يدخلون الجنة بضم اليا على ما لم يسم
فاعله وهي قراة ابن كثير وابن محيصن وابي عمرو
ويعقوب وابي بكر عن عاصم يدل عليه يرزقون فيها
بغير حساب الباقون يدخلون بفتح اليا قوله تعالى
ويا قوم مالي ادعوكم الى النجاة اي الى طريق الايمان الموصل

الي الجنان وتدعونني الي النار بين ان ما قال فرعون من
قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد سبيل الغي عاقبته
النار وكانوا دعوه الي اتباعه ولهذا قال تدعونني لاكفر
بالله واشرك به ما ليس لي به علم وهو فرعون وانا ادعوكم
الي العزيز الغفار لا جرم تقدم الكلام فيه ومعناه حقا
انما تدعونني اليه ما يعني الذي ليس له دعوة قال الزجاج
ليس له استجابة دعوة تنفع وقال غيره ليس له دعوة
توجب له الالوهية في الدنيا ولا في الاخرة وكان فرعون
اولا يدعو الناس الي عبادة الاصنام ثم دعاهم الي
عبادة البقر فكانت تعبد ما كانت شابة فاذا
هرمت امر بذبحها ثم دعي باخرى لتعبد ثم لما طال
عليه الزمان قال انا ربكم الاعلي وان المسرفين هم اصحاب
النار قال قتاده وابن سيرين يعني المشركين وقال مجاهد
والشعبي هم السفها السفاكون للدما بغير حقها
وقال عكرمة الجبارون والمتكبرون وقيل هم الذين تعدوا
حد الله وهذا جامع لما ذكر وان في المواضع في
موضع نصبه باسقاط حرف الجر وعلي ما حكاه سيبويه
عن الخليل ان لا جرم رد للكلام يجوز ان يكون في موضع
ان رفعا علي تقدير وجب ان ما تدعونني اليه كانه وجب
بطلان

وقال الطبري ليس له شفاعة في الدنيا ولا في الاخرة

بطلان ما تدعونني اليه والمرد الى الله وكون المسرفين اصحاب النار
قوله تعالى فستذكرون ما اقول لكم تهديد ووعيد وما
يجوز ان يكون بمعنى الذي اقوله لكم ويجوز ان يكون مصدرية
اي فستذكرون قولي لكم اذا حل بكم العذاب وافوض
امري الى الله اي اتوكل عليه واسلم امري اليه وقيل هذا يدل
على انهم ارادوا قتله وقال مقاتل هرب هذا المومن الى الجبل
فلم يقدروا عليه وقد قيل القايل موسى والاظهر انه مومن ال
فرعون وهو قول ابن عباس قوله تعالى فوقاه الله سيات
ما مكروا اي من الحاق انواع العذاب به فطلبوه فما وجدوه
لانه فوض امره الى الله قال قتادة كان قبطيا فنجاه الله مع
بني اسرايل فالها على هذا للمومن ال فرعون وقيل انها لموسى
على ما تقدم من الخلاف وحاق بال فرعون سو العذاب قال
الكسايي يقال حاق يحيق حيقا وحيوقا اذا نزل ولزم ثم
بين العذاب فقال النار يعرضون عليها وفيه ستة اوجه
يكون رفعا على البدل من سو ويجوز ان يكون بمعنى هو النار
ويجوز ان يكون مرفوعا بالابتدا وقال الفرا يكون مرفوعا
بالعايد على معنى النار عليها يعرضون فهذه اربعة اوجه في
الرفع واجاز الفرا النصب لان بعدها عايدا وقبلها ما يتصل
به واجاز الاخفش الخفض على البدل من العذاب والجمهور

على ان هذا العرض في البرزخ واحتج بعض اهل العلم في تثبيت
عذاب القبر بقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ما دامت
الدنيا كذلك قال مجاهد وعكرمة ومقاتل ومحمد بن كعب كلهم
قال هذه الايه تدل على عذاب القبر في الدنيا الا تراه يقول
عن عذاب الاخره يوم القيامة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب
وفي الحديث عن ابن مسعود ان ارواح ال فرعون ومن كان
مثلهم من الكفار يعرض على النار بالغداة والعشي فيقال
هذه داركم وعنه ايضا ان ارواحهم في جوف طير سود تغدوا
على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها وروى شعبه
عن يعلى عن عطاء قال سمعت ميمون بن ميسره يقول كان
ابو هريرة اذا اصبح ينادي اصبحنا والحمد لله وعرض ال فرعون
على النار فاذا امسى نادى امسينا والحمد لله وعرض ال فرعون
على النار فلا يسمع ابا هريرة احد الا تعوذ بالله من النار
وفي حديث صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الكافر اذا مات عرض على النار
بالغداة والعشي ثم تلا النار يعرضون عليها غدوا
وعشيا وان المومن اذا مات عرض روحه على الجنة
بالغداة والعشي وخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا
مات

مات عرض عليه مقعده بالغداه والعشي ان كان من
اهل الجنه فمن اهل الجنه وان كان من اهل النار فمن اهل
النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامه
قال الفرا في الغداة والعشي بمقادير ذلك في الدنيا
وهو قول مجاهد قال غدوا وعشيا قال من ايام الدنيا
وقال حماد بن محمد الفزاري قال رجل للاوزاعي راينا
طيورا تخرج من البحر تاخذ ناحية الغرب بيضا
صغارا فوجا فوجا لا يعلم عددها الا الله فاذا
كان العشا رجعت مثلها سودا قال تلك الطيور
في حواصلها ارواح ال فرعون يعرضون على النار
غدوا وعشيا فترجع الى اوكارها وقد احترقت
رياشها وصارت سودا فينبت عليها من الليل
رياشا بيضا وتتناثر السود ثم تغدو وتعرض
على النار غدوا وعشيا ثم ترجع الى وكرها فذلك
دابها ما كانت في الدنيا فاذا كان يوم القيامة
قال الله تعالى ادخلوا ال فرعون اشد العذاب
وهو الهاويه قال الاوزاعي فبلغنا انهم الفا الف
وستمايه الف وغدوا مصدر جعل ظرفا على السعه
وعشيا عطف عليه وتم الكلام ثم تبتدي ويوم

ويوم تقوم الساعة على ان ينصب يوما بقوله ادخلوا
ويجوز ان يكون منصوبا بيعرضون على معنى يعرضون
على النار في الدنيا ويوم تقوم الساعة فلا يوقف عليه
وقرا نافع واهل المدينة وحمزة والكساي ادخلوا بقطع
الالف وكسر الخا من ادخل وهي اختيار ابي عبيد اي يامر
الله الملايكة ان يدخلوهم ودليله النار يعرضون عليها
الباقون ادخلوا بوصل الالف وضم الخا من دخل اي
يقال لهم ادخلوا يا ال فرعون اشد العذاب وهو
اختيار ابي حاتم قال في القراة الاولى مفعول اول
واشد مفعول ثان بحذف الجر وفي القراة الثانية
منصوب لانه نداء مضاف وال فرعون من كان على
دينه ومذهبه في اشد العذاب كان هو اقرب الى
ذلك وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان العبد يولد مومنا ويحيى مومنا ويموت مومنا
منهم يحيى بن زكريا ولد مومنا وحيي مومنا ومات مومنا
وان العبد يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت كافرا منهم
فرعون ولد كافرا وحيي كافرا ومات كافرا ذكره
النحاس وجعل الفرا في الاية تقديما وتاخيرا مجازه
ادخلوا ال فرعون اشد العذاب النار يعرضون
عليها

عليها غدوا وعشيا فجعل العرض في الاخره وهو خلاف
ما ذهب اليه الجمهور من انتظام الكلام على سياقه على
ما تقدم والله اعلم **قوله تعالى** واذ يتحاجون في
النار اي يختصمون فيها فيقول الضعفا للذين استكبروا
عن الانقياد للانبيا انا كنا لكم فيما دعوتمونا اليه من
الشرك في الدنيا فهل انتم مغنون اي متحملون عنا نصيبا
من النار اي جزوا من العذاب والتبع يكون واحدا ويكون
جمعا في قول البصريين واحده تابع وقال اهل الكوفه هو
جمع لا واحد كالمصدر فلذلك لم يجمع ولم يقل اتباعنا
قال الذين استكبروا انا كل فيها اي في جهنم قال الاخفش
كل مرفوع بالابتدا واجاز الكساي والفرا انا كلا فيها
بالنصب على النعت والتاكيد للمضمر في انا ولذلك قرا
ابن السميفع وعيسى بن عمر والكوفيون يسمون التاكيد
نعتا ومنع ذلك سيبويه قال لان كلا لا تنعت ولا ينعت
بها ولا يجوز البدل فيه لان المخبر عن نفسه لا يبدل منه
غيره وقال معناه المبرد قال لا يجوز ان يبدل من المضمر
هنا لانه مخاطب ولا يبدل من المخاطب ولا من المخاطب
لانهما لا يشكلان فيبدل منهما هذا نص كلامه ان الله قد
حكم بين العباد اي لا يواخذ احد بذنب غيره فكل منا كافر

قوله تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب

قوله تعالى وقال الذين في النار الامم الكافره ومن العرب من يقول اللذون على انه جمع مسلم معرب ومن قال الذين في الرفع بناه كما كان في الواحد مبنيا وقال الاخفش ضمت النون الى الذي فاشبه خمسة عشر فبني على الفتح لخزنة جهنم خزنه جمع خازن ويقال خزان وخزن ادعوا ربكم يخفف جواب مجزوم وان كان بالفاء كان منصوبا الا ان الاكثر في كلام العرب في جواب الامر وما اشبهه ان يكون بغير فاء وعلى هذا جا القران بافصح اللغات كما قال قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل قال محمد بن كعب القرظي بلغني او ذكر لي ان اهل النار استغاثوا بالخزنه فقال الله تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا يوما واحدا يخفف عنهم فيه العذاب فردت عليهم اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعا الكافرين الا في ضلال الخبر بطوله وفي الحديث عن ابي الدردا خرجه الترمذي وغيره قال يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ماهم فيه من العذاب فيستغيثون منه فيغاثون بالضريع لا يسمن ولا يغني من جوع فياكلونه ولا يغني عنهم شيئا فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيغصون به فيذكرون انهم كانوا في الدنيا يجيزون

يجيرون الغصص بالماء فيستغيثون بالشراب فيرفع لهم
الحميم بالكلاليب فاذا دنا من وجوههم شواها فاذا وقع
في بطونهم قطع امعاهم وما في بطونهم فيستغيثون بالملايكه
يقولون ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيجيبونهم
الم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعا
الكافرين الا في ضلال اي خسار وتبار قوله تعالى انا
لننصر رسلنا ويجوز حذف الضمه لثقلها فيقال رسلنا والمراد
موسى عليه السلام والذين امنوا في موضع نصب عطفا على
الرسل والمراد المومن الذي وعظ وقيل هو عام في الرسل
والمومنين ونصرهم باعلاء الحجج واولاها في قول ابي العاليه
وقيل بالانتقام من اعدايهم قال السدي ما قتل قوم قط
نبيا او قوما من دعاة الحق من المومنين الا بعث الله عز وجل
من ينتقم لهم فصاروا منصورون فيها وان قتلوا قوله
تعالى ويوم يقوم الاشهاد يعني يوم القيامه قال زيد
بن اسلم الاشهاد اربعه الملايكه والنبيون والمومنون
والاشهاد وقال مجاهد والسدي الاشهاد الملايكه تشهد
للانبيا بالابلاغ وعلى الامم بالتكذيب وقال قتادة الملايكه
والانبيا ثم قيل الاشهاد جمع شهيد مثل شريف واشراف
وقال الزجاج الاشهاد جمع شاهد مثل صاحب واصحاب

النحاس ليس باب فاعل ان يجمع علي افعال ولا يقاس عليه
ولكن ما جا منه مسموعا ادي علي ما يسمع وكان علي حذف الزايد
واجاز الاخفش والفرا ويوم تقوم الاشهاد بالتا علي تانيث
الجماعه وفي الحديث عن ابي الدردا وبعض المحدثين يقول عن
النبي صلي الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه المسلم كان حقا
علي الله عز وجل ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا انا لننصر رسلنا والذين
امنوا وعنه عليه السلام انه قال من حمي مومنا من منافق يغتابه
بعث الله عز وجل ملكا يحمي لحمه يوم القيامه من النار ومن
ذكر مسلما بشي يشينه به اوقفه الله عز وجل علي جسر جهنم
حتي يخرج مما قال يوم لا من يوم الاول لا ينفع الظالمين معذرتهم
قرا نافع والكوفيون ينفع بالياالباقون بالتاء ولهم اللعنه ولهم
سو الدار اللعنه البعد من رحمة الله وسو الدار جهنم قوله
تعالي ولقد اتينا موسي الهدي هذا داخل في نصرة الرسل
في الدنيا والاخره اي اتيناه التوراة والنبوه وسميت التوراه
هدي بما فيها من الهدي والنور وفي التنزيل انا انزلنا التوراة
فيها هدي ونور واورثنا بني اسرايل الكتاب يعني التوراة جعلناها
لهم ميراثا هدي بدلا عن الكتاب ويجوز يعني هو هدي يعني
ذلك الكتاب وذكري لاولي الالباب اي موعظه لاصحاب العقول
قوله تعالي فاصبر ان وعد الله حق اي فاصبر يا محمد علي
اذي المشركين

بلغ

اذى المشركين كما صبر من قبلك ان وعد الله حق بنصرك
واظهارك كما نصرت موسى وبنى اسرايل وقال الكلبى
نسخ هذا باية السيف واستغفر لذنبك قيل لذنب امتك
حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل الذنب
نفسك على من يجوز الصغاير على الانبيا ومن قال لا يجوز
قال هذا تعبد للنبى صلى الله عليه وسلم بالدعا كما قال تعالى
واتنا ما وعدتنا والفايدة زيادة الدرجات وان
يصير الدعا سنة لمن بعده وقيل فاستغفر الله من ذنب
صدر منك قبل النبوة وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار
يعنى صلاة الفجر وصلاة العصر قاله الحسن وقتاده
وقيل هى صلاة كانت بمكة قبل ان تفرض الصلوات
الخمس ركعتان غدوة وركعتان عشية عن الحسن
ايضا ذكره الما وردى فيكون هذا مما نسخ والله اعلم
وقوله بحمد ربك اى بالشكر له والثنا عليه وقيل وسبح
بحمد ربك اى استدم التسبيح فى الصلاة وخارجا منها لتشتغل
بذلك عن استعجال النصر قوله تعالى ان الذين يجادلون
يخاصمون فى ايات الله بغير سلطان اى حجة اتاهم ان فى
صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال الزجاج المعنى ما فى
صدورهم الا كبر ما هم بالغى ارادتهم فيه قدره على الحذف

المعنى
وقال غيره ما هم ببالغي الكبر على غير حذف لان هولاء
قوم راوا انهم ان اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم قل ارتفاعهم
ونقصت احوالهم وانهم يرتفعون اذا لم يكونوا اتبعا
فاعلم الله جل وعز انهم لا يبلغوا الارتفاع الذي املوه
بالتكذيب والمراد المشركون وقيل اليهود فالاية مدنية
على هذا كما تقدم اول السورة والمعنى ان تعظموا عن اتباع
محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الدجال سيخرج عن قريب
فيرد الملك الينا وتسير معه الانهار وهو اية من ايات الله
فنزلت الاية فيهم قاله ابو العالية وغيره وقد تقدم في ال
عمران انه يخرج ويطا البلاد كلها الا مكة والمدينة وقد
ذكرنا خبره في كتاب التذكرة وهو يهودي واسمه صاف
ويكنى ابا يوسف وقيل كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم
وهذا احسن لانه يعم وقال مجاهد معناه في صدورهم
عظمة ما هم ببالغيها والمعنى واحد وقيل المراد بالكبر
الامر الكبير ان يطلبون النبوة او امرا كبيرا يصلون به اليك
من القتل ونحوه ولا يبلغون ذلك ويتمنون موتك قبل ان
يتم دينك ولا يبلغونه قوله تعالى فاستعذ بالله قيل من
فتنة الدجال على قول من قال ان الاية نزلت في اليهود وم
وعلى القول الاخر من شر الكفار وقيل من مثل ما

ابتلوا به

ابتلوا به من الكفر والكبر انه هو السميع البصير هو يكون فاصلا
ويكون مبتدا وما بعده وخبره والمعنى خبر أن على ما تقدم
قوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق خلق الناس
مبتدا وخبره قال ابو العاليه اي اعظم من خلق الدجال حين
عظمته اليهود وقال يحيى بن سلام هو احتجاج على منكري
البعث اي هما اكبر من اعادة خلق الناس فلم اعتقدوا عجزي
عنها ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك قوله تعالى وما يستوي
الاعمى والبصير اي المومن والكافر والضال والمهتدي والذين
امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء الذي يعمل السيئات قليلا
ما يتذكرون قراءة العامه بالياء على الخبر واجازه ابو عبيد وابو
حاتم لاجل ما قبله من الخبر وما بعده وقرا الكوفيون بالتاء
على الخطاب قوله تعالى ان الساعة لاتية هذه لام التاكيد
حذفت في خبر ان وسبيلها ان يكون في اول الكلام لانها
توكيد الجملة الا انها تزحلق عن موضعها كذا قال سيبويه
تقول ان عمرا لخارج وانما اخرت عن موضعها لئلا يجمع بينها
وبين ان لانهما يوديان عن معنى واحد ولذا لا يجمع بين ان وان
عند البصريين واجاز هشام ان ان زيدا منطلق حق فان حذفت
حقا لم يجز عند احد من النحويين علمته قاله النحاس لا ريب
فيها لا شك ولا مرية ولكن اكثر الناس لا يومنون اي لا يصدقون

بها وعندها يبين فرق ما بين الطايع والعاصي قوله تعالى
وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي
سيدخلون جهنم داخرين قال ابو عيسى هذا حديث حسن
صحيح فدل هذا على ان الدعا هو العباده وكذا اكثر المفسرين قال
وان المعنى وحدوني واعبدوني اتقبل عبادتكم واغفر لكم وقيل
هو الذكر والدعا والسوال قال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم
ليسال احدكم ربه حاجته كلها حتى في شسع نعله ويقال الدعا
هو ترك الدعا هو ترك الذنوب وحكى قتاده ان كعب الاحبار
قال اعطيت هذه الامه ثلثا لم يعطهن امة قبلهم الا نبي كان
اذا ارسل نبي قيل انت شاهد على امتك وقال الله تعالى
لهذه الامه لتكونوا شهدا على الناس وكان يقال للنبي ليس
عليك في الدين من حرج وقال لهذه الامه وما جعل عليكم في
الدين من حرج وكان يقال للنبي ادعني استجب لك وقال لهذه
الامه ادعوني استجب لكم قلت مثل هذا لا يقال من جهة
الراي وقد جا مرفوعا رواه ليث عن شهر بن حوشب
عن عباده بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اعطيت امتي ثلثا لم تعط الا للانبيا
كان الله تعالى اذا بعث النبي قال ادعني استجب لك وقال
لهذه الامه ادعوني استجب لكم وكان الله اذا بعث النبي
قال

استجب لكم ... الاية وروى النعمان بن بشير قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الدعا هو العباده ثم قرا وقال ربكم ادعوني

قال له ما جعل عليك في الدين من حرج وقال لهذه الامه وما
جعل وما جعل عليكم في الدين من حرج وكان الله اذا بعث النبي
جعله شهيدا على قومه وجعل هذه الامه شهدا على الناس
ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وكان خالد الربعي
يقول عجبت لهذه الامه قيل لها ادعوني استجب لكم امرها
بالدعا ووعدها الاجابه وليس بينهما شرط قال له قايل مثل
ماذا قال مثل قوله تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم
صدق فليس فيه شرط العمل ومثل قوله فادعوا الله مخلصين
له الدين فها هنا شرط وقوله تعالى ادعوني استجب لكم
ليس فيه شرط فكانت الامه تفزع الى انبيايها في حوايجهم
حتى تسال الانبيا لهم ذلك وقد قيل ان هذا من باب المطلق
والمقيد على ما تقدم في البقره بيانه اي استجب لكم ان
شيت لقوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شا
وقد تكون الاستجابه في غير عين المطلوب على حديث ابي
سعيد الخدري على ما تقدم في البقره بيانه فتامله هناك
وقرا ابن كثير وابن محيصن ورويس عن يعقوب وعباس
عن ابي عمرو وابو بكر والمفضل عن عاصم سيدخلون بضم
اليا وفتح الخا على ما لم يسم فاعله الباقون يدخلون بفتح
اليا وضم الخا ومعنى داخرين صاغرين اذلا وقد تقدم

وعملوا الصالحات فها هنا شرط وقوله وبشر الذين امنوا

قوله تعالى الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه جعل
هنا بمعنى خلق والعرب تفرق بين جعل اذا كانت
بمعنى خلق وبين جعل اذا لم تكن بمعنى خلق فاذا كانت
بمعنى خلق فلا تعديها الا الى مفعول واحد
واذا لم تكن بمعنى خلق عدتها الى مفعولين نحو قوله
انا جعلناه قرانا عربيا وقد مضى هذا المعنى في غير
موضع والنهار مبصرا اي مضيئا لتبصروا فيه حوائجكم
وتتصرفوا في طلب معايشكم ان الله لذو فضل على
الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون فضله وانعامه
عليهم قوله تعالى ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله
الا هو فاني تؤفكون اي كيف تنقلبون وتنصرفون
عن الايمان بعد ان تبينت لكم دلائله لذلك اي كما صرفتم
عن الحق مع قيام الدليل عليه كذلك يصرف عن الحق
الذين كانوا بايات الله يجحدون قوله تعالى الله الذي
جعل لكم الارض قرارا ارادفي بالكل التعريف والدليل
اي جعل لكم الارض مستقرا لكم في حياتكم وبعد الموت
والسماء بناء تقدم وصوركم فاحسن صوركم اي خلقكم
في احسن صورة وقرا ابو رزين والاشهب العقيلي
صوركم بكسر الصاد قال الجوهري والصور

بكسر

بين الله لا اله غيره وحده لا شريك له وقد رد

بكسر الصاد لغة في الصور جمع صورة وينشد هذا البيت
على هذه اللغة يصف الجواري اشبهن من بقر الخلصاء اعينها
وهن احسن من صيرانها صورا، وقد جمعها الشاعر بقوله
اذا لاح الصوار ذكرت ليلى واذكرها اذا نفح الصوار
والصيار لغة فيه ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم
فتبارك الله رب العالمين تقدم هو الحي اي الباقي الذي لا يموت
لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين اي الطاعة والعبادة
الحمد لله رب العالمين قال الفرا هو خبر وفيه اضمار امر
اي ادعوه واحمدوه وقد مضى هذا كله مستوفى في البقرة
وغيرها وقال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل الحمد لله
رب العالمين قوله تعالى قل اني نهيت اي قل يا محمد
نهاني الله الذي هو الحي القيوم ولا اله غيره لما جاني البينات
من ربي اي دلايل توحيده وامرت ان اسلم اذل واخضع
لرب العالمين وكانوا دعوه الى دين ابايه فامران يقول
هذا قوله تعالى هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة
ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا وقد تقدم هذا
ثم لتبلغوا اشدكم وهي حالة اجتماع القوة وتمام العقل
وقد مضى في الانعام بيانه ثم لتكونوا شيوخا بضم الشين
قراة نافع وابن محيصن وحفص وهشام ويعقوب وابو عمرو

بلغ

اي عبدة غيره

على الاصل لانه جمع فعل نحو قلب وقلوب وراس وروس
وقرا الباقون بكسر السين لمراعات الياء وكلاهما جمع كثرة
وفي العدد القليل اشياخ والاصل اشيخ مثل فلس وافلس الا
ان الحركة في الياء ثقيله وقرئ شيخا على التوحيد لقوله طفلا
والمعنى كل واحد منكم واقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس
وفي الصحاح جمع الشيخ شيوخ واشياخ وشيخه وشيخان
~~ومشيخه ومشايخ وشيوخا والمراة شيخه~~ قال عبيد
كانها شيخة وقوب وقد اشاخ الرجل يشيخ شيخا بالتحريك
على اصله وشيخوخه واصل اليا متحركه فسكنت لانه ليس
في الكلام فعلول وشيخ تشييخا اى شاخ ودعوته شيخا
للتبجيل وتصغير الشيخ شييخ وشييخ ايضا بكسر الشين
ولا تقل شويخ النحاس وان اضطر شاعر جاز ان يقول
اشيخ مثل عين واعين الا انه حسن في عين لانها مونثه
والشيخ ما جاوز اربعين سنه ومنكم من يتوفى من قبل
قال مجاهد اى من قبل ان يكون شيخا او من قبل هذه الاحوال
اذا خرج سقطا ولتبلغوا اجلا مسمى قال مجاهد الموت
للكل واللام لام العاقبه ولعلكم تعقلون ذلك فتعلموا ان لا
اله غيره قوله تعالى هو الذي يحيي ويميت زاد في
التنبيه اى هو الذي يقدر على الاحيا والاماته فاذا قضى

امرا

امرا اي اراد فعله قال له كن فيكون ونصب فيكون ابن عامر
على جواب الامر وقد مضى في البقره القول فيه قوله تعالى
الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون قال ابن زيد
هم المشركون بدليل قوله الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا
به رسلنا وقال اكثر المفسرين نزلت في القدريه قال ابن
سيرين ان لم تكن هذه الايه نزلت في القدريه فلا ادري فيمن
نزلت وقال ابو قبيل لا احسب المكذبين بالقدر الا الذين
يجادلون الذين امنوا وقال عقبه بن عامر قال النبي صلى الله
عليه وسلم نزلت هذه الايه في القدريه ذكره المهدوي
قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم اي عن قريب يعلمون
بطلان ما هم فيه اذا دخلوا النار وغلت ايديهم الى اعناقهم
قال التيمي لو ان غلا من اغلال جهنم وضع على جبل لوهصه
حتى يبلغ الما الاسود والسلاسل بالرفع قراة العامه
عطفا على الاغلال قال ابو حاتم يسحبون مستانف على هذه
القراه وقال غيره هو في موضع نصب على الحال والتقدير
اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل مسحوبين وقرا ابن عباس
وابو الجوزا وعكرمه وابن مسعود والسلاسل بالنصب
يسحبون بفتح اليا والتقدير في هذه القراه ويسحبون
السلاسل قال ابن عباس اذا كانوا يجرونها فهو اشد

عليهم وحكى عن بعضهم والسلاسل بالجر ووجهه انه محمول
على المعنى لان المعنى اعناقهم في الاغلال والسلاسل قاله الفرا
وقال الزجاج ومن قرا والسلاسل بالخفض فالمعنى عنده وفي
السلاسل قاله ابن الانباري والخفض على هذا المعنى غير جائز
لانك اذا قلت زيد في الدار لم تجز ان تضمر في فتقول زيد الدار
ولكن الخفض جائز على معنى اذ الاغلال والسلاسل فتخفض
السلاسل على النسق على تاويل الاغلال لان الاغلال في تاويل
خفض كما تقول خاصم عبد الله زيدا العاقلين فتنصب
العاقلين ويجوز رفعهما لان احدهما اذا خاصم صاحبه
فقد خاصمه صاحبه انشد الفرا: قد سالم الحيات منه
القدما الافعوان والشجاع الشجعما: فنصب الافعوان
على الاتباع للحيات اذا سالمت القدم فقد سالمتها القدم
فمن نصب السلاسل او خفضها لم يقف عليها والحميم المتناهي
في الحر وقيل الصديد المغلي ثم في النار يسجرون اي يطرحون
فيها فيكونون وقودا لها قاله مجاهد يقال سجرت التنور اي
اوقدته وسجرته ملاته ومنه والبحر المسجور اي المملو فالمعنى على
هذا تملا بهم النار وقال الشاعر يصف وعلا: اذا شاء طالع
مسجوره ترى حولها النبع والسماسما: اي عينا مملوءة
ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله وهذا تقريع وتوبيخ
قالوا ضلوا

قالوا ضلوا عنا اي هلكوا وذهبوا عنا وتركونا في العذاب من ضل الما
في اللبن اي خفي وقيل اي صاروا بحيث لا يبصرون لا يسمع ولا يبصر
ولا ينفع وليس هذا انكار العبادة الاصنام بل هو اعتراف بان
عبادتهم الاصنام ~~الاصنام~~ كانت باطلة قال الله تعالى كذلك
يضل الله الكافرين اي كما فعل بهاولاء من الاضلال يفعل بكل كافر
قوله تعالى ذلكم اي ذلكم العذاب بما كنتم تفرحون بالمعاصي يقال
لهم ذلك توبيخا اي انما نالكم هذا بما كنتم تظهرون في الدنيا
من السرور بالمعصية وكثرة المال والاتباع والصحة وقيل ان
فرحهم بما عندهم انهم قالوا للرسل نحن نعلم انا لا نبعث ولا نعذب
ولذا قال مجاهد في قوله عز وجل فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
فرحوا بما عندهم من العلم وبما كنتم تمرحون قال مجاهد وغيره
اي تبطرون وتاشرون وقد مضى في سبحان بيانه وقال
الضحاك الفرح السرور والمرح العدوان وروى خالد
عن ثور عن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله يبغض البذخين الفرحين ويحب كل قلب حزين
ويبغض اهل بيت لحمين ويبغض كل حبر سمين فاما
اهل بيت لحمين الذين ياكلون لحوم الناس بالغيبة واما
الحبر السمين فالمتحبر بعلمه ولا يخبر بعلمه الناس يعني
المستكثر من علمه ولا ينتفع به الناس ذكره الماوردي

وقد قيل في الجحيم انهم الذين يكثرون اكل اللحم ومنه
قول عمر اتقوا هذه المجازر فان لها ضراوة كضراوة
الخمر ذكره المهدوي والاول قول سفيان الثوري
ادخلوا ابواب جهنم اي يقال لهم ذلك اليوم ثم قال
الله تعالى لها سبعة ابواب فبيس مثوى المتكبرين تقدم جميعه
قوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق هذا تسلية للنبي عليه
السلام اي انا ننتقم لك منهم اما في حياتك او في الاخرة فاما نرينك
في موضع جزم بالشرط وما زايدة للتوكيد ولذا النون وزال الجزم
وبني الفعل على الفتح او نتوفينك عطفا عليه فالينا يرجعون
الجواب قوله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك عزاه ايضا
بما لقيت الرسل قبله منهم من قصصنا عليك اي انباناك باخبارهم
وما لقوا من قومهم ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول
ان ياتي باية اي من قبل نفسه الا باذن الله فاذا جا امر الله
اي اذا جا الوقت المسمى لعذابهم اهلكهم الله وانما التاخير
لاسلام من علم الله اسلامه منهم ولمن في اصلابهم من المومنين
وقيل اشار بهذا الى القتل ببدر قضي بينهم بالحق وخسر
هنالك المبطلون اي الذين يتبعون الباطل والشرك
قوله تعالى الله الذي جعل لكم الانعام قال ابو اسحق الزجاج
الانعام هاهنا الابل لتركبوا منها ومنها تاكلون فاحتج من
منع

منع اكل الخيل واباح اكل الجمال بان الله عز وجل قال في الانعام
ومنها تاكلون ثم قال في الخيل والخيل والبغال والحمير لتركبوها
ولم يذكر اباحة اكلها وقد مضى هذا في النحل مستوفى في قوله
تعالى ولكم فيها منافع في الوبر والصوف والشعر واللبن
والزبد والسمن والجبن وغير ذلك ولتبلغوا عليها حاجة
في صدوركم اي تحمل الاثقال والاسفار وقد مضى في النحل
بيان هذا كله فلا معنى لاعادته ثم قال وعليها يعني الانعام
في البر وعلى الفلك في البحر تحملون ويريكم اياته الدالة على
وحدانيته وقدرته فيما ذكر فاي ايات الله تنكرون نصبت
ايا بتنكرون لان الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما
قبله ولو كان مع الفعل ها لكان الاختيار في اي الرفع ولو
كان الاستفهام بالالف او هل وكان بعدها اسم بعده
فعل معه ها لكان الاختيار النصب اي اذا انتم لا تنكرون
ان هذه الاشيا من الله فلم تنكرون قدرته على البعث والنشر
قوله تعالى افلم يسيروا في الارض حتى يشاهدوا اثار
الامم السالفة كانوا اكثر منهم عددا واشد قوة فما اغنى
عنهم ما كانوا يكسبون من الابنية والاموال وما ادالوا
به من الاولاد والاتباع وعلى هذا ما للجحد اي فلم يغن
عنهم ذلك شيا وقيل ما للاستفهام اي اي شي اغنى

[illegible]

عنهم كسبهم حين هلكوا ولم ينصرف اكثر لانه على وزن افعل وزعم
الكوفيون ان كل ما لا ينصرف فانه يجوز ان ينصرف الا افعل
من كذا فانه لا يجوز صرفه بوجه في معرفة ولا نكرة اذا كانت
معه من قال ابو العباس ولو كانت من المانعة من صرفه لوجب
ان لا يقال مررت بخير منك وشر من عمرو **قوله تعالى**
فلما جاءتهم رسلهم بالبينات اي بالايات الواضحات فرحوا
بما عندهم من العلم قالوا نحن اعلم منهم لن نعذب ولن
نبعث وقيل فرح الكفار بما عندهم من علم الدنيا نحو
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وقيل الذين فرحوا الرسل
لما كذبهم قومهم اعلمهم الله عز وجل انه مهلك الكافرين
ومنجيهم والمومنين ففرحوا بما عندهم من العلم بنجاة المومنين
وحاق بهم اي بالكفار ما كانوا به يستهزءون اي عقاب
استهزائهم بما جاء به الرسل **قوله تعالى** فلما راوا
باسنا اي عاينوا العذاب قالوا امنا بالله وحده وكفرنا
اي بالاوثان التي اشركناهم في العبودية فلم يك ينفعهم
ايمانهم بالله عند معاينة العذاب وحين راوا الباس
سنة الله مصدر لان العرب تقول سن يسن سنا
وسنة اي سن الله عز وجل في الكفار انه لا ينفعهم الايمان
اذا راوا العذاب وقد مضى هذا مبينا في النساء ويونس
وال

وقيل فرحوا بما عندهم من العلم قال مجاهد ان الكفار الذين فرحوا بما عندهم من العلم

وان التوبه لا تقبل بعد روية العذاب وحصول العلم الضروري
وقيل اي احذروا يا اهل مكه سنة الله في اهلاك الكفره فسنة
منصوب على التحذير والاغرا وخسر هنالك الكافرون قال
الزجاج وقد كانوا خاسرين من قبل ذلك الا انه بين لنا
الخسران لما راوا العذاب وقيل فيه تقديم وتاخير
اي لم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وخسر هنالك
الكافرون كسنتنا في جمع الكافرين فسنة نصب بنزع
الخافض اي كسنة الله في الامم **تمام سوره فصلت**
مكيه في قول الجميع وهي اربع وخمسون وقيل ثلاث
وخمسون ايه بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
حم تنزيل من الرحمن الرحيم قال الزجاج تنزيل رفع بالابتدا
وخبره كتاب فصلت اياته وهذا قول البصريين وقال
الفرا يجوز ان يكون رفعه على اضمار هذا ويجوز ان يقال
كتاب بدل من قوله تنزيل وقيل نعت لقوله تنزيل وقيل
حم اي هذه حم كما تقول باب كذا اي هو باب كذا فحم
خبر ابتدا مضمر اي هو حم وقوله تنزيل مبتدا اخر وقوله
وقوله كتاب خبره فصلت اياته اي بينت وفسرت قال قتاده
ببيان حلاله من حرامه وطاعته من معصيته الحسن بالوعد

والوعيد سفيان بالثواب والعقاب وقرى فصلت اى فرقت
بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها
من قولك فصل اى تباعد من البلد قرانا عربيا فى نصبه وجوه
قال الاخفش هو نصب على المدح وقيل على اضمار فعل اى
اذكر قرانا عربيا وقيل على اعادة الفعل اى فصلنا قرانا عربيا
وقيل على الحال اى فصلت اياته فى كونه قرانا عربيا حال او قيل
~~على الحال اى فصلت اياته فى كونه قرانا عربيا وقيل على اعاده~~
على القطع لقوم يعلمون قال الضحاك اى ان القران منزل من عند الله
وقال مجاهد اى يعلمون انه اله واحد فى التوراه والانجيل
وقيل يعلمون العربيه فيعجزون عن مثله ولو كان غير عربي لما
علموه قلت هذا اصح والسوره نزلت تقريعا وتوبيخا لقريش
فى اعجاز القران بشيرا ونذيرا حالان من الايات والعامل فيه
فصلت وقيل هما نعتان للقران بشيرا لاولياء الله نذيرا
لاعدائه وقرى بشير ونذير صفة للكتابة او خبر مبتدا
محذوف فاعرض اكثرهم يعنى اهل مكة فهم لا يسمعون سماعا
ينتفعون به روى ان الربان بن حرمله قال قال الملا
من قريش وابو جهل قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم
رجلا عالما بالشعر والكهانه والسحر فكلمه ثم اتانا
ببيان من امره فقال عتبه بن ربيعه والله لقد سمعت

الكهانه

لو قوي السابق على [illegible] ع
وقرى [illegible] على [illegible]

بلغ
[illegible] على القران

الكهانه والشعر والسحر وعلمت من ذلك علما لا يخفي علي ان كان
كذلك فقالوا ايته فحدثه فاتي النبي صلي الله عليه وسلم فقال
له يا محمد انت خير ام قصي بن كلاب انت خير ام هاشم
انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم
الهتنا وتضلل اباانا وتسفه احلامنا وتذم ديننا فان
كنت انما تريد الرياسة عقدنا لك الويتنا فكنت رئيسنا
ما بقيت وان كنت تريد الباة زوجناك عشر نساء من
اي بنات قريش ما شيت وان كنت تريد المال جمعنا
لك ما تستغني به انت وعقبك من بعدك وان كان هذا
الذي ياتيك رئيا من الجن قد غلب عليك بذلنا لك
اموالنا في الطب ما نتداوي به او نغلب فيك والنبي
صلي الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال قد فرغت يا ابا
الوليد قال نعم قال اسمع بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن
الرحيم كتاب فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون الي قوله
فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
فوثب عتبه ووضع يده الي اهله ولم يخرج الي قريش فجاه
ابو جهل وقال اصبوت الي محمد ام اعجبك طعامه فغضب
عتبه واقسم ان لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد تعلمون
اني من اكثر قريش مالا ولكني لما اقتصصت عليه القصه

(في الهامش:) ع وفي رواية فوثب ووضع يده علي فم النبي صلي الله عليه وسلم وناشده الله او الرحم ليسكت ورجع

اجابني بشي والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ثم
تلى عليهم ما سمع منه الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود
وامسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد
علمتم ان محمدا اذا قال شيا لم يكذب فوالله لقد خفت
ان ينزل بكم العذاب يعني الصاعقة وقد روى هذا
الخبر ابو بكر الانباري في كتاب الرد له عن محمد بن
كعب القرظي وان النبي صلى الله عليه وسلم قرا حم
فصلت حتى انتهى الى السجدة فسجد وعتبة مصغ
يستمع قد اعتمد على يديه من وراء ظهره فلما قطع
رسول الله صلى الله عليه وسلم القراءة قال له يا ابا
الوليد قد سمعت الذي قرات عليك فانت وذاك
فانصرف عتبة الى قريش في ناديها فقالوا والله لقد
جاكم ابو الوليد بغير الوجه الذي مضى به من عندكم
قالوا ما وراك ابا الوليد قال والله لقد سمعت كلاما
من محمد ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر
ولا بالسحر ولا بالكهانة فاطيعوني في هذه
وانزلوها بي خلوا محمدا وشانه واعتزلوه فوالله
ليكونن لما سمعت من كلامه نبا فان اصابته العرب
كفيتموه بايدي غيركم وان كان ملكا او نبيا كنتم اسعد
الناس

الناس به لان ملكه ملككم وشرفه شرفكم فقالوا
هيهات سحرك محمد يا ابا الوليد فقال هذا رايي
لكم فاصنعوا ما شئتم قوله تعالى وقالوا
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه الاكنة جمع كنان
وهو الغطا وقد مضى في البقرة قال مجاهد
الكنان للقلب كالجنة للنبل وفي اذاننا وقر
اي صمم فكلامك لا يدخل اسماعنا وقلوبنا مستورة
عن فهمه ومن بيننا وبينك حجاب اي خلاف
في الدين لانهم يعبدون الاصنام وهو يعبد الله
عز وجل قال معناه الفرا وغيره وقيل ستر
مانع عن الاجابة وقيل ان ابا جهل استغشى على راسه
ثوبا وقال يا محمد بيننا وبينك حجاب استهزا منه حكاه
النقاش وذكره القشيري فالحجاب هنا الثوب فاعمل اننا
عاملون اي اعمل في هلاكنا فانا عاملون في مثل ذلك قاله
الكلبي وقال مقاتل اعمل لالهك الذي ارسلك فانا نعمل
لالهتنا التي نعبدها وقيل اعمل بما يقتضيه دينك فانا عاملون
بما يقتضيه ديننا ويحتمل خامسا فاعمل لاخرتك فانا
نعمل لدنيانا ذكره الماوردي قوله تعالى قل انما انا بشر
مثلكم اي لست بملك بل انا من بني ادم قال الحسن علمه الله تعالى

التواضع يوحى الى اى من السماء على ايدى الملايكه انما الهكم اله
واحد فامنوا به واستقيموا اليه اى وجهوا وجوهكم بالدعا
له والمسلة اليه كما يقول الرجل استقم الى منزلك اى لا
تعرج على شي غير المقصد الى منزلك واستغفروه اى من
شرككم وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكاة قال ابن عباس
لا يشهدون ان لا اله الا الله وهي زكاة الانفس وقال قتاده
لا يقرون بالزكاة انها واجبه وقال الضحاك ومقاتل لا يتصدقون
ولا ينفقون في الطاعه قرعهم بالشح الذي يانف منه الفضلا
وفيه دلالة على ان الكافر يعذب بكفره مع منع وجوب
الزكاة عليه وقال الفرا وغيره كان المشركون ينفقون النفقات
ويسقون الحجيج ويطعمونهم فحرموا ذلك على من امن بمحمد صلى
الله عليه وسلم فنزلت فيهم هذه الايه وهم بالاخرة هم كافرون
فلهذا لا ينفقون في الطاعه ولا يستقيمون ولا يستغفرون
الزمخشري فان قلت لم خص من بين اوصاف المشركين منع
الزكاة مقرونا بالاخرة قلت لان احب شي الى الانسان ماله
وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل
على ثباته الا ترى الى قوله عز وجل وعلا ومثل الذين ينفقون
اموالهم ابتغا مرضات الله وتثبيتا من انفسهم اى يثبتون
انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال واما خدع المولفة
قلوبهم

باللين

قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقويت عصبتهم ولانت شكيمتهم
[...] الوده بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا الا
منع الزكاه فنصبت لهم الحروب وجوهدوا وفيه بعث
للمؤمنين على اداء الزكاة وتخويف شديد من منعها حيث
جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالاخرة **قوله**
تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون
قال ابن عباس غير مقطوع ماخوذ من مننت الحبل اذا
قطعته ومنه قول ذي الاصبع ‹‹ اني لعمرك ما ابي
بذي غلق على الصديق ولا خيري بممنون ‹‹ وقال اخر
فترى خلفها من الرجع والوقع منينا كانه اهباء
يعني بالمنين الغبار المنقطع الضعيف وعن ابن عباس ايضا
ومقاتل غير منقوص ومنه المنون لانها تنقص منة الانسان
اي قوته وقال قطرب وانشد قول زهير فضل الجواد على
الخيل البطاء فما يعطي بذلك ممنونا ولا نزقا ‹‹ قال الجوهري
والمن القطع ويقال النقص ومنه قوله تعالى لهم اجر
غير ممنون ‹ قال لبيد غبسا كواسب لا يمن طعامها
و قال مجاهد غير ممنون غير محسوب وقيل غير ممنون
عليهم به وقال السدي نزلت في الزمنى والمرضى والهرمى
اذا ضعفوا عن الطاعة كتب لهم من الاجر كاصح ما كانوا

ملخص في الموعظة والتعليم

يعملون فيه قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق
في يومين ائنكم بهمزتين الثانية بين بين وأإنكم بالف بينهما
وهو استفهام معناه التوبيخ اخره تنوبيخهم والتعجب من فعلهم
اي لم تكفرون بالله وهو خالق السموات والارض في يومين الاحد
والاثنين وتجعلون له اندادا اي اضدادا او شركا ذلك رب
العالمين وجعل فيها اي في الارض رواسي من فوقها يعني الجبال
قال وهب لما خلق الله الارض مادت على وجه الماء فقال
لجبريل ثبتها يا جبريل فنزل فامسكها فغلبته الرياح
قال يا رب انت اعلم لقد غلبت فيها فثبتها بالجبال وارساها
وبارك فيها بما خلق فيها من المنافع قال السدي انبت فيها شجرها
وقدر فيها اقواتها قال السدي والحسن ارزاق اهلها وما يصلح
لمعايشهم ومصالحهم وقال قتادة ومجاهد خلق فيها انهارها
واشجارها ودوابها في يوم الثلثا والاربعا وقال عكرمه
والضحاك معنى قدر فيها اقواتها اي ارزاق اهلها وما
يصلح لمعايشهم من التجارات والاشجار والمنافع
في كل بلدة ما لم تجعله في الاخرى ليعيش بعضهم
من بعض بالتجاره والاسفار من بلد الى بلد قال عكرمه
حتى انه في بعض البلاد ليتبايعون الذهب بالملح
مثلا بمثل وقال مجاهد والضحاك السابري من سابور
والطيالسه

من بلد

والطيالسة من الرى والحز اليمانية من اليمن في اربعة
ايام يعني في تتمة اربعة ايام ومثاله قول القايل خرجت
من البصرة الى بغداد في عشرة ايام والى الكوفة في خمسة
عشر يوما اي في تتمة خمسة عشر يوما قال معناه
ابن الانباري نحو غيره سوا للسايلين قال الحسن
المعنى في اربعة ايام مستوية تامة الفرا في الكلام
تقديم وتاخير والمعنى وقدر فيها اقواتها سوا
للمحتاجين واختاره الطبري وقرا الحسن البصري
ويعقوب الحضرمي سواء للسايلين بالجر وعن
ابن القعقاع سوا بالرفع فالنصب على المصدر
سوا بمعنى استوا اي استوت استوا وقيل على
الحال والقطع والجر على النعت لايام او لاربعة
اي في اربعة ايام مستوية تامة والرفع على الابتداء
والخبر للسايلين او على تقدير هذه سوا للسايلين
وقال اهل المعاني معنى سوا للسايلين وبغير السايلين
اي خلق الارض وما فيها لمن سال ولمن لم يسال
ويعطي من سال ومن لا يسال قوله تعالى ثم
استوى الى السما وهي دخان اي عمد الى خلقها وقصد
لتسويتها والاستوا من صفة الافعال على اكثر

١٠

وقف

الاقوال يدل عليه قوله تعالى ثم استوى الى السما فسواهن
سبع سموات وقد مضى القول هناك وروى ابو صالح
عن ابن عباس في قوله تعالى ثم استوى الى السما يعني صعد
امره الى السما قاله الحسن ومن قال انه صفة ذاتية
زايدة قال استوى في الازل بصفاته وثم ترجع الى
نقل السماء من صفة الدخان من تنفس الماء حين تنفس
على ما مضى في البقره عن ابن مسعود وغيره فقال
لها وللارض ايتيا طوعا او كرها اي جيا بما خلقت فيكما
من المنافع والمصالح واخرجاها الخلق قال ابن عباس
قال الله للسما اطلعي شمسك وقمرك وكواكبك واجري
رياحك وسحائبك وقال للارض شقي انهارك واخرجي
شجرك وثمارك طايعتين او كارهتين قالتا اتينا طايعين
وفي الكلام حذف اي اتينا امرك طايعين وقيل معنى
هذا الامر التسخير اي كونا فكانتا كما قال تعالى انما
قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فعلى هذا
قال ذلك قبل خلقهما وعلى القول الاول قال ذلك بعد
خلقهما وهو قول الجمهور وفي قوله تعالى لهما وجهان
احدهما انه قول تكلم به الثاني انها قدرة منه ظهرت
لهما فقام مقام الكلام في بلوغ المراد ذكره الماوردي

قالتا

جنب أوراق
٢٣٠١

قالتنا اتينا طائعين فيه ايضا وجهان احدهما اية ظهور
الطاعة منهما حيث انقادا واجابا بافتقار مقام قولهما
ومنه قول الراجز امتلأ الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد
ملأت بطني يعني ظهر ذلك فيه وقال اكثر اهل العلم بل خلق
الله فيهما الكلام فتكلما كما اراد تعالى قال ابو نصر السكسكي
فنطق من الارض موضع الكعبه ونطق من السما ما بحيالها
فوضع الله تعالى فيه حرمه قال طائعين ولم يقل طايعتين
على اللفظ ولا طايعات على المعنى لانهما سموات وارضون
لانه اخبر عنهما وعن من فيهما وقيل لما وصفهن بالقول
والاجابه وذلك من صفات من يعقل اجراهما في الكنايه
مجرى من يعقل ومثله رايتهم لي ساجدين وقد تقدم
وفي حديث ان موسى عليه السلام قال يارب لو ان السموات
والارض حين قلت لهما ايتيا طوعا او كرها عصتاك ما كنت
صانعا بهما قال كنت امر دابه من دوابي فتبلعهما قال يارب
واين تلك الدابه قال في مرج من مروجي قال يارب واين ذلك
المرج قال علم من علمي ذكره الثعلبي وقرا ابن عباس ومجاهد
وسعيد بن جبير وعكرمة آتيا بالمد والفتح وكذلك قوله
آتينا طايعين على معنى اعطيتا الطاعة من انفسكما
قالتا اعطينا طايعين فحذف المفعولين جميعا ويجوز

وهو احسن ان يكون انبيا فاعلنا فحذف مفعول واحد
ومن قرأ انبئنا فالمعنى جئنا بما فينا على ما تقدم بيانه
في غير ما موضع والحمد لله تم الجزء الحادي عشر من الجامع
لاحكام القرآن والمبين لما تضمنته السنة وآي
الفرقان والحمد لله الملك الودود وصلواته على نبيه
الوفي بالعهود وعلى صحبه اهل الفضل والجود وسلم
وشرف وكرم ووافق الفراغ من نسخه على يد العبد
الفقير الى رحمة ربه المقر بذنبه الراجي عفو ربه
احمد بن ابراهيم بن موسى الشافعي عفا الله عنه يوم
الاحد الحادي عشر شهر جمادى الآخر سنة ست وسبعين وسبعمائة
احسن الله خاتمتها بمنه وكرمه

يتلوه الجزء الثاني عشر قوله تعالى
فقضاهن سبع سموات في يومين الآية

من الاحزاب
من قوله تعالى ترجي من تشاء
الى اثنا فصلت

الثاني عشر من تفسير القرطبي

الجزء الثالث من شرح القطبيه

الثاني عشر من تفسير القرطبي

يا كبيكج

یا کبیکج

الجزء الثاني عشر من كتاب

جامع احكام القران والمبين لما تضمن
من السنة واي الفرقان تاليف الشيخ الامام العالم
العلامة المحدث ابي عبد الله محمد بن احمد بن
ابي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي ثم
القرطبي رحمه الله تعالى ونفع المسلمين

من كتب العبد مفتي السلطنة العثمانية
السيد فيض الله ابن السيد محمد
عفي عنهما

من سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يسر

قوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين اي احكمهن وفرغ منهن وقيل احكمهن كما قال

وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع

في يومين سوى الاربعة الايام التي خلق فيهن الارض فوقع خلق السموات والارض في ستة ايام كما قال تعالى خلق السموات والارض في ستة ايام على ما تقدم في الاعراف بيانه قال مجاهد ويوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون وعن عبد الله بن سلام قال خلق الله الارض في يومين وقدر فيها اقواتها في يومين وخلق السموات في يومين خلق الارض في يوم الاحد والاثنين وقدر فيها اقواتها يوم الثلثا ويوم الاربعا وخلق السموات يوم الخميس ويوم الجمعة وآخر ساعة في يوم الجمعة خلق الله آدم في عجل وهي التي تقوم فيها الساعة وما خلق الله من دابة الا وهي تفزع من يوم الجمعة الا الانس والشياطين على هذا اهل التفسير ما رواه مسلم من حديث ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت الحديث وقد تكلمنا على اسناده في اول سورة الانعام واوحى في

الايام

على هذا اتفاق

كل

وفي

كل سماء امرها قال قتادة والسدي خلق فيها شمسها وقمرها
ونجومها وافلاكها وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق
الذي فيها من البحار وجبال البرد والثلوج وهو قول ابن عباس
قال ولله في كل سما بيت تحج اليه وتطوف به الملائكة بحذاء
الكعبة والذي في السماء الدنيا هو البيت المعمور وقيل اوحى
الله في كل سما اي اوحى فيها ما اراده وما امر به فيها والايحا
قد يكون امرا كقوله بان ربك اوحى لها وقوله واذ اوحيت
الى الحواريين اي امرتهم وهو امر تكوين وزينا السما الدنيا
بمصابيح اي بكواكب تضيء وقيل بل الكواكب مختصة بالسما
الدنيا وحفظا اي وحفظناها حفظا اي من الشياطين الذين
يسترقون السمع وهذا الحفظ بالكواكب التي ترجم بها الشياطين
على ما تقدم في الحجر بيانه وظاهر هذه الاية يدل على ان الارض
خلقت قبل السما وقال في اية اخرى ام السما بناها ثم قال
والارض بعد ذلك دحاها وهذا يدل على خلق السما اولا وقال
قوم خلقت الارض قبل السما فاما ثم دحى الارض اي مدها
وبسطها قاله ابن عباس وقد مضى هذا المعنى مجودا في البقرة
والحمد لله ذلك تقدير العزيز العليم قوله تعالى فان اعرضوا
يعني كفار قريش عما تدعوهم اليه يا محمد من الايمان فقل انذرتكم
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اي خوفتكم هلاكا مثل هلاك

عادٍ وثمود اذ جاتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم يعني من
ارسل اليهم والي من قبلهم ان لاتعبدوا الا الله موضع ان نصبٌ باسقاط
الخافض اي بان لاتعبدوا قالوا لو شاء ربنا لانزل ملايكة بدل الرسل
فانا بما ارسلتم به كافرون من الانذار والتبشير قيل هذا استهزا
منهم وقيل اقرارٌ منهم بارسالهم ثم بعده جحودٌ وعنادٌ قوله
تعالى فاما عادٌ فاستكبروا في الارض على عباد الله هود ومن امن
معه بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اغتروا باجسامهم حين
تهددهم بالعذاب وقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عن انفسنا
بفضل قوتنا وذلك انهم كانوا ذوي اجسامٍ طوالٍ وخلقٍ عظيم
وقد مضى في الاعراف عن ابن عباس ان اطولهم كان مايةَ ذراعٍ واقصرهم
كان ستين ذراعا فقال الله تعالى ردًّا عليهم اولم يروا ان الله الذي
خلقهم هو اشدُّ منهم قوةً وقدرةً وانما يقدر العبد باقدار
الله فالله اقدر اذًا وكانوا باياتنا يجحدون اي بمعجزاتنا يكفرون
قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا صرصرا هذا تفسير الصاعقة
التي ارسلها عليهم اي ريحا باردة شديدة البرد وشديدة الصوت
والهبوب ويقال اصلها صررٌ من الصر فابدلوا مكان الراء
الوسطى فا الفعل كقولهم كبكبوا اصله كببوا وتجفجف
الثوب اصله تجفف ابو عبيدة معنى صرصرٍ شديدةٍ عاصفة
عكرمة وسعيد بن جبير شديدة البرد وانشد قطرب قول الحطيئة

المطعون

المطعمون اذا هبت بصرصرة والحاملون اذا استود واعلي الناس
استودوا اذا سئلوا الدية مجاهد الشديدة السموم وروي معمر
عن قتادة قال باردة وقاله عطا لان صرصرا ماخوذ من صر والصر
في كلام العرب البرد كما قال لها غدر كقرون النسار ركبن في يوم ريح وصر
وقال السدي الشديدة الصوت ومنه صر القلم والباب يصر
صريرا اي صوت ويقال درهم صري وصري للذي له صوت
اذا انقد قال ابن السكيت صرصر يجوز ان يكون من الصر وهو
البرد ويجوز ان يكون من صرير الباب ومن الصرة وهي الصيحة
ومنه فاقبلت امراته في صرة وصرصر اسم نهر بالعراق في ايام
نحسات اي مشومات قاله مجاهد وقتادة كن اخر شوال
من يوم الاربعا وذلك سبع ليال وثمانية ايام حسوما قال ابن عباس
ما عذب قوم الا في يوم الاربعا وقيل نحسات باردات حكاه
النقاش وقيل متتابعات عن ابن عباس وعطية الضحاك شداد
وقيل ذات غبار حكاه ابن عيسى ومنه قول الراجز ۵
قد اغتدي قبل طلوع الشمس للصيد في يوم قليل النحس ۵
قال الضحاك وغيره امسك الله عنهم المطر ثلث سنين ودرت الريح
عليهم من غير مطر وخرج منهم قوم الى مكة يستسقون بها لعاد
وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء او جهد طلبوا الله
تعالي الفرج منه وكانت طلبتهم ذلك من الله تعالي عند بيته الحرام

الى يوم الاربعا

الي

مكة مسلمهم وكافرهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة

اديانهم وكلهم معظم لمكة عارف حرمتها ومكانها من الله تعالى

وقال جابر بن عبد الله والتميمي اذا اراد الله بقوم خيرا ارسل عليهم

المطر وحبس عنهم كثرة الرياح واذا اراد بقوم شرا حبس

عنهم المطر وسلط عليهم كثرة الرياح وقرا نافع وابن كثير

وابو عمرو نحسات باسكان الحاء على انه جمع نحس الذي هو

مصدر وصف به الباقون نحسات بكسر الحاء اي ذوات نحس

ومما يدل على ان النحس مصدر قوله في يوم نحس مستمر ولو

كان صفة لم يضف اليوم اليه وبهذا كان يحتج ابو عمرو على

قرائته واختاره ابو حاتم واختار ابو عبيد القراة الثانية

وقال لا تصح حجة ابي عمرو لانه اضاف اليوم الى النحس فاسكن

وانما كان يكون حجة لو نون اليوم ونعت واسكن فقال في

يوم نحس وهذا لم يقرا به احد نعلمه وقال المهدوي ولم يسمع

في نحس الا الاسكان قال الجوهري وقرى في قوله في يوم نحس

على الصفة والاضافة اكثر واجود وقد نحس الشي بالكسر

فهو نحس ايضا قال الشاعر

ابلغ جذاما ولخما ان اخوتهم طيا وبهرا قوم نصرهم نحس

ومنه قيل ايام نحسات لنذيقهم اي لكي نذيقهم عذاب الخزي

في الحياة الدنيا بالريح العقيم ولعذاب الاخرة اخزى اي

اعظم

اعظم واشد وهم لا ينصرون **قوله تعالى** واما ثمود
فهدينا هم اي بينا لهم الهدى والضلال عن ابن عباس
وغيره وقرا الحسن وابن ابي اسحاق وغيرهما واما ثمود بالنصب
وقد مضى الكلام فيه في الاعراف فاستحبوا العمى على الهدى
اي اختاروا الكفر على الايمان وقال ابو العاليه اختاروا
العمى على البيان السدي اختاروا المعصيه على الطاعه فاخذتهم
صاعقة العذاب الهون الهون بالضم الهوان في هون ابن خزيمه
بن مدركه بن الياس بن مضر اخو كنانه واسد واهانه استخف
به والاسم الهوان والمهانه واضيفت الصاعقه الى العذاب
لان الصاعقه اسم للمبير المهلك فكانه قال مهلك العذاب اي
العذاب المهلك والهون وان كان مصدرا فمعناه الاهانه
والاهانه عذاب فجاز ان يجعل احدهما وصفا للاخر فكانه قال
صاعقة الهون وهو كقولك عندي علم اليقين وعندي العلم
اليقين ويجوز ان يكون الهون اسما مثل الدون يقال عذاب
هون اي مهين كما قال ما لبثوا في العذاب المهين وقيل اي صاعقه
العذاب ذي الهون بما كانوا يكسبون من تكذيبهم صالحا
وعقرهم الناقه على ما تقدم ونجينا الذين امنوا يعني صالحا
ومن امن به اي ميزناهم عن الكفار فلم يحل بهم ما حل بالكفار
وهكذا يفعل يا محمد بمومني قومك وكفارهم **قوله تعالى**

ويوم يحشر اعدا الله الى النار فهم يوزعون قراه نافع نحشر
اعدا الله بالنصب الباقون يحشر بياء مضمومة اعدا بالرفع
ومعناهما بين واعدا الله الذين كذبوا رسله وخالفوا
امره فهم يوزعون يساقون ويدفعون الى جهنم قال
قتادة والسدي يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا
قال ابو الاحوص فاذا تكاملت العدة بدي بالاكابر
فالاكابر جرما وقد مضى في النمل الكلام في يوزعون مستوفى
قوله تعالى حتى اذا ما جاوها ما زايده شهد عليهم
سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون الجلود يعني
بها الجلود باعيانها في قول اكثر المفسرين وقال السدي
وعبيد الله بن ابي جعفر والفرا اراد بالجلود الفروج وانشد
بعض الادبا لعامر بن حوية :: المر يسعى للسلامه والسلامة
حسبه او سالم من قد تثنى جلده وابيض راسه وقال
جلده كنا به عن فرجه وقالوا يعني الكفار لم شهدتم علينا
وانما كنا نجادل عنكم قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي
لما خاطبت وخوطبت اجريت مجرى من يعقل وهو خلقكم
اول مرة اي ركب الحياة فيكم بعد ان كنتم نطفا فمن قدر عليه
قدر على ان ينطق الجلود وغيرها من الاعضا وقيل وهو خلقكم
اول مرة ابتدا كلام من الله واليه ترجعون وفي صحيح

مسلم

مسلم عن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قال قلنا الله ورسوله
اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني
من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فاني لا اجيز على نفسي
الا شاهدا قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا
وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لاركانه
انطقي فتنطق باعماله قال ثم يخلي بينه وبين الكلام قال
فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وفي حديث
ابي هريرة ثم يقال الان نبعث شاهدا عليك فيفكر في نفسه
من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي
فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر
من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي سخط الله عليه
خرجه ايضا مسلم قوله تعالى وما كنتم تستترون
ان يشهد عليكم سمعكم يجوز ان يكون هذا من قول الجوارح
لهم ويجوز ان يكون من قول الله جل وعز او الملائكة وفي
صحيح مسلم عن ابن مسعود قال اجتمع عند البيت ثلثة
نفر قرشيان وثقفي او ثقفيان وقرشي قليل فقه قلوبهم كثير شحم
بطونهم فقال احدهم اترون الله يسمع ما نقول فقال الاخر يسمع
ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الاخر ان كان يسمع اذا جهرنا فهو

بسمع اذا اخفينا فانزل الله عز وجل وما كنتم تستترون ان يشهد
عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم الاية خرجه الترمذي
فقال اختصم عند البيت ثلثة نفر ثم ذكر بلفظه حرفا حرفا
وقال حديث حسن صحيح حدثنا هناد قال ثنا ابو معاوية
عن الاعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد قال قال
عبد الله كنت مستترا باستار الكعبة فجا ثلثة نفر كثير شحم
بطونهم قليل فقه قلوبهم قرشي وختناه ثقفيان او ثقفي
وختناه قرشيان فتكلموا بكلام لم افهمه فقال احدهم
اترون الله يسمع كلامنا هذا فقال الاخر ان سمع منه شيا
سمعه كله فقال عبد الله فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم
ولا جلودكم الى قوله فاصبحتم من الخاسرين قال هذا حديث حسن
قال الثعلبي والثقفي عبد ياليل وختناه ربيعه وصفوان بن
امية ومعنى تستترون تستخفون من انفسكم حذرا من شهادة
الجوارح عليكم لان الانسان لا يمكنه ان يخفي من نفسه عمله
فيكون الاستخفا بمعنى ترك المعصيه وقيل الاستتار بمعنى
الاتقا اي ما كنتم تتقون في الدنيا ان تشهد عليكم جوارحكم
في الاخره فتتركوا المعاصي خوفا من هذه الشهاده قال معناه
مجاهد وقال قتادة وما كنتم تستترون اي تظنون ان يشهد

اذا رفعنا اصواتنا سمعه واذا لم نرفع اصواتنا لم يسمعه فقال الاخر

عليكم

عليكم سمعكم بان يقول سمعت الحق وما وعيت وسمعت ما
لا يجوز من المعاصي ولا ابصاركم فيقول رايت ايات الله وما
اعتبرت ونظرت فيما لا يجوز ولا جلودكم نقدم ولكن ظننتم
ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من اعمالكم فجادلتم على ذلك حتى
شهدت عليكم جوارحكم باعمالكم روى بهز بن حكيم عن ابيه
عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ان يشهد عليكم
سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم قال يدعون يوم القيامة
مقدمة افواههم بفدام فاول ما يبين عن الانسان فخذه وكفه
قال عبد الله بن عبد الاعلى الشامي فاحسن العمر ينقص والذنوب
تزيد ويقال عثرة الفتى فيعود هل يستطيع جحود ذنب
واحد رجل جوارحه عليه شهود والمرء يسأل عن سنيه
فيشتهي تقليلها وعن الممات يحيد وعن معقل بن يسار عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم ياتي على ابن ادم
الا ينادي يا ابن ادم انا خلق جديد وانا فيما تعمل غدا عليك شهيد
فاعمل فيّ خيرا اشهد لك به غدا فاني لو قد مضيت لم تريني
ابدا ويقول ويقول الليل مثل ذلك ذكره ابو نعيم الحافظ وقد
ذكرناه في كتاب التذكرة في باب شهادة الارض والليالي
والايام والمال وقال محمد بن بشير فاحسن
مضى امسك الادنى شهيدا معدلا ويومك هذا بالفعال شهيد

فان تك بالامس اقترفت اساءة فثن باحسان وانت حميد
ولا ترج فعل الخير منك الى غد لعل غدا ياتي وانت فقيد
قوله تعالى وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم اي
اهلككم فاوردكم النار قال قتادة الظن هنا بمعنى العلم وقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن بالله الظن
فان قوما اساوا الظن بربهم فاهلكهم فذلك قوله وذلكم ظنكم
الذى ظننتم بربكم اردالكم وقال الحسن البصري ان قوما الهتهم
الاماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة ويقول احدهم
انى احسن الظن بربي وكذب لو احسن الظن لاحسن العمل
وتلى قول الله تعالى وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم
فاصبحتم من الخاسرين وقال قتادة من استطاع منكم ان
يموت وهو حسن الظن بربه فليفعل فان الظن اثنان ظن
ينجي وظن يردي وقال عمر بن الخطاب فى هذه الاية هولاء
قوم كانوا يدمنون المعاصي ولا يتوبون منها ويتوكلون على
المغفرة حتى خرجوا من الدنيا مفاليس ثم قرا وذلكم ظنكم الذى
ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين قوله تعالى
فان يصبروا فالنار مثوى لهم اى فان يصبروا فى الدنيا على اعمال
اهل النار فالنار مثوى لهم نظيره فما اصبرهم على النار على
ما تقدم وان يستعتبوا في الدنيا وهم مقيمون على كفرهم

فما هم

فما هم من المعتبين وقيل المعنى فان يصبروا في النار او يجزعوا
فالنار مثوى لهم اي لا محيص لهم عنها ودل على الجزع قوله وان
يستعتبوا لان المستعتب جزع والمعتب المقبول عتابه قال النابغة
فان اك مظلوما فعبد ظلمته وان تك ذا عتبى فمثلك يعتب اي
مثلك من قبل الصلح والمراجعة اذا سيل قال الخليل العتاب مخاطبة
الادلال ومذاكرة الموجدة تقول عاتبته معاتبة وبينهم
اعتوبة يتعاتبون بها يقال اذا تعاتبوا اصلح ما بينهم العتاب
واعتبني فلان اذا عاد الى مسرتي راجعا عن الاساءة والاسم
منه العتبى وهو رجوع المعتوب عليه الى ما يرضي المعاتب
واستعتب واعتب بمعنى واستعتب ايضا طلب ان يعتب تقول
استعتبته فاعتبني اي استرضيته فارضاني فمعنى فان يستعتبوا
اي طلبوا الرضى لم ينفعهم ذلك بل لا بد لهم من النار وفي التفاسير
وان يستقيلوا ربهم فما هم من المقالين وقرا عبيد بن عمير وابو
العالية وان يستعتبوا بفتح التاء الثانية وضم الياء على الفعل
المجهول فما هم من المعتبين بكسر التاء اي ان اقالهم الله وردهم
الى الدنيا لم يعملوا بطاعته لما سبق لهم في علم الله تعالى من الشقا
قال الله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا ذكره الهروي وقال
ثعلب يقال اعتب اذا غضب واعتب اذا رضي **قوله تعالى**
وقيضنا لهم قرنا قال النقاش اي هيانا لهم شياطين وقيل

سلطنا عليهم قرنا يزينون عندهم المعاصي وهولاء القرنا من الجن
والشياطين ومن الانس ايضا اي سببنا لهم قرنا يقال قيض الله
فلانا لفلان اي جاه به واتاحه له ومنه قوله تعالى وقيضنا لهم
قرنا القشيري ويقال قيض الله لي رزقا اي اتاحه كما كنت اطلبه
والتقييض الابدال ومنه المقايضه قايضت الرجل مقايضة
اي عاوضته بمتاع وهما قيضان كما تقول بيعان فزينوا لهم ما بين
ايديهم من امر الدنيا فحسنوه لهم حتى اثروه على الاخره وما خلفهم
حسنوا لهم من بعد مماتهم ودعوهم الى التكذيب بامور الاخره
عن مجاهد وقيل المعنى قيضنا لهم قرنا في النار فزينوا لهم اعمالهم
في الدنيا والمعنى قدرنا عليهم ان ذلك سيكون وحكمنا به عليهم
وقيل المعنى احوجناهم الى الاقران اي احوجنا الفقير الى الغني
لينال منه والغني الى الفقير ليستعين به فزين بعضهم لبعض
المعاصي وليس قوله وما خلفهم عطفا على ما بين ايديهم بل المعنى
وانسوهم ما خلفهم ففيه هذا الاضمار قال ابن عباس ما بين
ايديهم تكذيبهم بامور الاخره وما خلفهم التسويف والترغيب
في الدنيا الزجاج ما بين ايديهم ما عملوه وما خلفهم ما عزموا
على ان يعملوه وقد تقدم قول مجاهد وقيل المعنى لهم مثل ما
تقدم من المعاصي وما خلفهم ما يعمل بعدهم وحق عليهم القول
في امم اي وجب عليهم من العذاب ما وجب على الامم الذين

من

من قبلهم الذين كفروا ككفرهم وقيل في بمعنى مع فالمعنى هم
داخلون مع الامم الكافرة قبلهم فيما دخلوا فيه وقيل في امم
في جملة امم ومثله قول الشاعر ان تك عن احسن الصنيعة
مافوكا ففي اخرين قد افكوا يريد فانت في جملة اخرين
لست في ذلك باوحد ومحل في امم النصب على الحال من
الضمير في عليهم اي حق عليهم القول كاينين في جملة
امم انهم كانوا خاسرين اعمالهم في الدنيا وانفسهم واهليهم
يوم القيامة **قوله تعالى** وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا
القران والغوا فيه لما اخبر تعالى عن كفر قوم هود وصالح
وغيرهم اخبر عن مشركي قريش وانهم كذبوا القران فقالوا
لا تسمعوا وقيل معنى لا تسمعوا الا تطيعوا يقال سمعت
لك اي اطعتك والغوا فيه قال ابن عباس قال ابو جهل
اذا قرا محمد فصيحوا في وجهه حتى لا يدري ما يقول
وقيل انهم فعلوا ذلك لما اعجزهم القران وقال مجاهد المعنى
والغوا فيه بالمكاء والتصفيق والتخليط في المنطق حتى
يصير لغوا وقال الضحاك اكثروا الكلام ليختلط عليه
ما يقول وقال ابو العالية وابن عباس ايضا قعوا فيه وعيبوه
لعلكم تغلبون محمدا على قراته فلا تظهر ولا تستميل القلوب
وقرا عيسى بن عمر والجحدري وابن ابي اسحاق وابو حيوة

وبكر بن حبيب السهمي والغوا بضم الغين وهي لغة من لغا يلغو
وقراة الجماعة من لغي يلغا قال الهروي وقوله والغوا فيه قيل
قيل عارضوه بكلام لا يفهم يقال لغوت الغوا والغي ولغي يلغي
ثلث لغات وقد مضي معني اللغو في البقره وهو ما لا يعلم له
حقيقه ولا تحصيل قوله تعالي فلنذيقن الذين كفروا عذابا
شديدا قد تقدم ان الذوق يكون محسوسا ومعني والعذاب
الشديد ما يتوالا فلا ينقطع وقيل هو العذاب في جميع اجزايهم
ولنجزينهم اسوا الذي كانوا يعملون اي ولنجزينهم في الاخرة
جزا قبح اعمالهم التي عملوها في الدنيا واسوا الاعمال الشرك
قوله تعالي ذلك جزا اعداء الله النار اي ذلك العذاب الشديد
ثم بينه بقوله النار وقرا ابن عباس ذلك جزا اعدا الله النار
دار الخلد ترجم بالدار عن النار وهو مجاز الاية وذلك ابتدا
وجزا الخبر والنار بدل من جزاء او خبر مبتدا مضمر والجملة في
موضع بيان الجملة الاولي قوله تعالي وقال الذين كفروا
يعني في النار وذكره بلفظ الماضي والمراد المستقبل ربنا ارنا
اللذين اضلانا من الجن والانس يعني ابليس وابن ادم الذي قتل
اخاه عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ويشهد لهذا القول
الحديث المرفوع ما من مسلم يقتل ظلما الا كان علي ابن ادم الاول
كفل من ذنبه لانه اول من سن القتل ويروي اسن القتل خرجه

الترمذي وقيل هو بمعنى الجنس وثنى على التثنية لاختلاف الجنسين
نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين سالوا ذلك حتى يتشفوا
منهم بان يجعلوهم تحت اقدامهم ليكونا من الاسفلين في النار وهو
الدرك الاسفل سالوا ان يضعف الله عذاب من كان سبب ضلالهم
من الجن والانس وقرا ابن محيصن والسوسي عن ابي عمرو وابن عامر
وابو بكر والمفضل ارنا باسكان الرا وعن ابي عمرو ايضا باختلاسها
واشبع الباقون كسرتها وقد تقدم في الاعراف قوله تعالى
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية قال عطا عن ابن عباس
نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك ان المشركين
قالوا ربنا الله والملايكة بناته وهؤلاء شفعاونا عند الله فلم
يستقيموا وقال ابو بكر ربنا الله وحده لا شريك له ومحمد صلى الله عليه
وسلم عبده ورسوله فاستقام وفي الترمذي عن انس بن مالك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
قال قد قال الناس ثم كفر اكثرهم فمن مات عليها فهو ممن استقام قال
حديث غريب ويروى في هذه الاية عن النبي صلى الله عليه وسلم
وابي بكر وعمر وعثمان وعلي معنى استقاموا وفي صحيح مسلم عن سفين
بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا
لا اسال عنه احدا بعدك في رواية غيرك قال قل امنت بالله ثم
استقم زاد الترمذي قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي

فاخذ بلسان نفسه وقال هذا وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
انه قال ثم استقاموا لم يشركوا بالله شيئا وروي عنه الاسود بن
هلال انه قال لاصحابه ما تقولون في هاتين الايتين ان الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا والذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فقالوا
استقاموا فلم يذنبوا ولم يلبسوا ايمانهم بخطيئة فقال ابو بكر
لقد حملتموها على غير المحمل قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا
الى اله غيره ولم يلبسوا ايمانهم بشرك اولئك لهم الامن وهم مهتدون
وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر وهو يخطب ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا فقال استقاموا والله على الطريقة لطاعته
ثم لم يروغوا روغان الثعالب وقال عثمان رضي الله عنه ثم اخلصوا
العمل لله وقال علي رضي الله عنه ثم ادوا الفرايض واقوال التابعين
بمعناها قال ابن زيد وقتادة استقاموا على الطاعة لله الحسن
استقاموا على امر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته وقال
مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى ماتوا
وقال سفيان الثوري عملوا على وفاق ما قالوا وقال الربيع اعرضوا
عما سوى الله وقال الفضيل بن عياض زهدوا في الفانية ورغبوا
في الباقية وقيل استقاموا اسرارا كما استقاموا اقرارا وقيل
استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وقال انس لما نزلت هذه الاية
قال النبي صلى الله عليه وسلم هم امتي ورب الكعبة وقال الامام

بلغ

ابن فورك

ابن فورك السين سين الطلب مثل استسقى اي سالوا من الله ان يثبتهم
على الدين وكان الحسن اذا قرأ هذه الاية قال اللهم انت ربنا فارزقنا
الاستقامة قلت وهذه الاقوال وان تداخلت فتلخيصها اعتدلوا على طاعة الله عقدا وقولا وفعلا وداموا على ذلك تتنزل
عليهم الملائكة قال ابن زيد ومجاهد عند الموت وقال مقاتل وقتاده
اذا قاموا من قبورهم للبعث وقال ابن عباس هي بشرى تكون لهم
من الملائكة في الاخرة وقال وكيع وابن زيد البشرى في ثلثة مواطن
عند الموت وفي القبر وعند البعث ان لا تخافوا اي بان لا تخافوا
تحزنوا [illegible] قال مجاهد لا تخافوا الموت ولا تحزنوا على اولادكم
فان الله خليفتكم عليه وقال عطا بن ابي رباح ان لا تخافوا رد ثوابكم
فانه مقبول ولا تحزنوا على ذنوبكم فاني اغفرها لكم وقال عكرمة
لا تخافوا امامكم ولا تحزنوا على ما خلفكم وابشروا بالجنة التي كنتم
توعدون قوله تعالى نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة
اي تقول لهم الملائكة الذين تنزل عليهم بالبشارة نحن اولياؤكم
قال مجاهد اي نحن قرناؤكم الذين كانوا معكم في الدنيا فاذا كان يوم
القيامة قالوا لا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة وقال السدي اي نحن
الحفظة لاعمالكم في الدنيا واولياؤكم في الاخرة ويجوز ان يكون هذا
من قول الله تعالى والله ولي المومنين ومولاهم ولكم فيها ما تشتهي
انفسكم اي من الملاذ ولكم فيها ما تدعون وتسئلون وتتمنون نزلا

اي من الاولياء

اي رزقا وضيافة وقد تقدم في آل عمران وهو منصوب على
المصدر اي انزلناه نزلا وقيل على الحال وقيل هو جمع نازل اي لكم
ما تدعون نازلين فيكون حالا من الضمير المرفوع في تدعون او من
المجرور في لكم قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
وعمل صالحا هذا توبيخ للذين تواصوا باللغو في القران والمعنى
اي كلام احسن من القران ومن احسن قولا من الداعي الى الله وطاعته
وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن سيرين والسدي وابن زيد والحسن
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الحسن اذا تلى هذه الآية يقول
هذا رسول الله هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا
خيرة الله هذا والله احب اهل الارض الى الله اجاب الله في دعوته
ودعا الناس الى ما اجاب اليه وقالت عايشة رضي الله عنها وعكرمة
وقيس بن ابي حازم ومجاهد نزلت في المؤذنين قال فضيل بن
رفيدة كنت مؤذنا لاصحاب عبد الله بن مسعود فقال لي عاصم
بن هبيرة اذا اذنت فقلت الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله فقل
وانا من المسلمين ثم قرا هذه الايه قال ابن العربي والاول اصح
لان الايه مكيه والاذان مدني فانما يدخل فيها بالمعنى لا بانه كان
المقصود وقت القول ويدخل فيه ابو بكر الصديق حين قال
في النبي صلى الله عليه وسلم وقد خنقه الملعون اتقتلون رجلا
ان يقول ربي الله ويتضمن كل كلام حسن فيه ذكر التوحيد

والايمان

والايمان قلت وقول ثالث وهو احسنها قال الحسن هذه الاية
عامة في كل من دعا الى الله وكذا قال قيس بن ابي حازم قال نزلت
في كل مؤمن قال ومعنى وعمل صالحا الصلاة بين الاذان والاقامة
وقاله ابو امامة قال صلى ركعتين بين الاذان والاقامة وقال عكرمة
وعمل صالحا صلى وقام وقال الكلبي ادا الفرايض قلت وهذا
احسنها مع اجتناب المحارم وكثرة المندوب والله اعلم وقال
انني من المسلمين قال ابن العربي وما تقدم يدل على الاسلام لكن
لما كان الدعا بالقول والسيف يكون للاعتقاد ويكون للحجة
وكان العمل للريا والاخلاص دل على انه لا بد من التصريح بالاعتقاد
لله في ذلك وان العمل لوجهه **مسئلة** لما قال تعالى وقال
انني من المسلمين ولم يقل له اشترط ان شا الله كان في ذلك
رد على من يقول انا مسلم ان شا الله **قوله تعالى** ولا تستوي
الحسنة ولا السيئة قال الفرا لا صلة اي ولا تستوي الحسنة
والسيئة وانشد ما كان يرضي رسول الله فعلهم والطيبان ابو بكر
ولا عمر اراد ابو بكر وعمر اي لا تستوي ما انت عليه من التوحيد
وما المشركون عليه من الشرك قال ابن عباس الحسنة لا اله الا الله
والسيئة الشرك وهو الاول بعينه وقيل الحسنة المداراة والسيئة
الغلظة وقيل الحسنة العفو والسيئة الانتصار وقال الضحاك
الحسنة العلم والسيئة الفحش وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه

وقيل الحسنة الطاعة والسيئة الشرك

المداراة

الحسنة حب آل الرسول صلى الله عليه وسلم والسيئة بغضهم
قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن نسخت بالسيف وبقي
المستحب من ذلك حسن العشرة والاحتمال والاغضا قال ابن عباس
اي ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك وعنه ايضا هو الرجل يسب الرجل
فيقول الاخر ان كنت صادقا علي فغفر الله لي وان كنت كاذبا
فغفر الله لك ولذلك يروى في الاثر ان ابابكر رضي الله عنه
قال لرجل نال ذلك منه وقال مجاهد بالتي هي احسن يعني السلام
اذا لقي من يعاديه وقاله عطا وقول ثالث ذكره القاضي ابوبكر
بن العربي في الاحكام وهو المصافحة وفي الاثر تصافحوا
يذهب الغل ولم ير مالك المصافحة وقد اجتمع مع سفيان
فتكلما فيها فقال سفيان قد صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم
جعفرا حين قدم من ارض الحبشة فقال له مالك ذلك خاص فقال
له سفيان ما خص رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصنا وما
عمه يعمنا والمصافحة ثابتة فلا وجه لانكارها وقد روى
قتادة قال قلت لانس هل كانت المصافحة في اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وهو حديث صحيح وفي الاثر
من تمام المحبة الاخذ باليد ومن حديث محمد بن اسحق وهو امام
مقدم عن الزهري عن عروة عن عايشة قالت قدم زيد بن
حارثة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فقرع الباب

فقام

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه عريانا يجر ثوبه والله
ما رايته عريانا قبله ولا بعده فاعتنقه وقبله قلت قد
روي عن مالك جواز المصافحة وعليها جماعة العلماء وقد مضى ذلك
في يوسف وذكرنا هناك حديث البراء بن عازب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فياخذ احدهما
بيد صاحبه مودة بينهما ونصيحة الا القيت ذنوبهما بينهما
قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
اي قريب صديق قال مقاتل نزلت في ابي سفيان بن حرب
كان موذيا للنبي صلى الله عليه وسلم فصار له وليا بعد ان كان عدوا
بالمصاهرة التي وقعت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم ثم
اسلم فصار وليا في الاسلام حميما بالقرابة وقيل هذه الاية
نزلت في ابي جهل بن هشام وكان يوذي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فامره الله تعالى بالصبر عليه والصفح عنه ذكره الماوردي
والاول ذكره الثعلبي والقشيري وهو اظهر لقوله تعالى فاذا
الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقيل كان هذا قبل الامر
بالقتال قال ابن عباس امره الله تعالى في هذه الاية بالصبر عند
الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعل
الناس ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم
روي ان رجلا شتم قنبرا مولى علي بن ابي طالب فناداه علي

يا قنبر دع شاتمك واله عنه ترضي الرحمن وتسخط الشيطان
وتعاقب شاتمك فما عوقب الاحمق بمثل السكوت عنه وانشدوا
وللكف عن شتم اللئيم تكرما اضر له من شتمه حين يشتم
وقال اخر وما شيء احب الى سفيه اذا سب الكريم من الجواب
متاركة السفيه بلا جواب اشد على السفيه من السباب
وقال محمود الوراق سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب وان
وان كثرت منه لدي الجرايم وما الناس الا واحد من ثلثة شريف
ومشروف ومثل مقاوم فاما الذي فوقي فاعرف قدره واتبع فيه
الحق والحق لازم واما الذي دوني فان قال صنت عن اجابته عرضي
وان لام لايم واما الذي مثلي فان زل او هفى تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم
وما يلقاها يعني هذه الفعلة الكريمة والخصلة الشريفة الا الذين
صبروا بكظم الغيظ واحتمال الاذى وما يلقاها الا ذو حظ عظيم
اي نصيب وافر من الخير قاله ابن عباس وقال قتادة الحظ العظيم
الجنة قال الحسن والله ما عظم حظ قط دون الجنة وقيل الكناية
في يلقاها عن الجنة اي ما يلقاها الا الصابرون والمعنى متقارب
قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ تقدم في اخر
الاعراف مستوفى فاستعذ بالله من كيده وشره انه هو
السميع لاستعاذتك العليم بافعالك واقوالك **قوله تعالى**
اي ومن اياته علاماته الدالة على وحدانيته وقدرته الليل والنهار

والشمس

والشمس والقمر وقد مضى في غير موضع ثم نهى عن السجود لهما
لانهما وان كانا خلقين فليس ذلك الفضيلة لهما في انفسهما فيستحقان
بها العبادة مع الله لان خالقهما هو الله ولو شا لاعدمهما او اطمس
نورهما واسجدوا لله الذي خلقهن وسخرهن فالكناية ترجع الى الشمس
والقمر والليل والنهار وقيل للشمس والقمر خاصة لان الاثنين
جمع وقيل الضمير عايد على معنى الايات ان كنتم اياه تعبدون وانما
انث على جمع التكسير ولم يجر على طريق التغليب للمذكر
والمؤنث فيما لا يعقل فان استكبروا يعني الكفار عن السجود لله لانه
فالذين عند ربك من الملايكه يسبحون له بالليل والنهار وهم لا
يسئمون اي لا يملون عبادته قال زهير سيمت تكاليف
الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا اباك يسأم ** مسلة ** هذه
الاية ايه سجدة بلا خلاف واختلفوا في موضع السجود منها فقال
مالك موضعه ان كنتم اياه تعبدون لانه متصل بالامر وكان علي
وابن مسعود يسجدان عند قوله اياه تعبدون وقال ابن وهب
والشافعي موضعه وهم لا يسئمون لانه تمام الكلام وغاية العباده
والامتثال وبه قال ابو حنيفة وكان ابن عباس يسجد عند قوله
يسئمون وقال ابن عمر اسجده بالاخرة منهما وكذلك يروي عن
مسروق وابي عبد الرحمن السلمي وابراهيم النخعي وابي صالح
ويحيى بن وثاب وطلحة وزبيد اليامين والحسن وابن سيرين

وكان ابو وايل وقتادة وبكر بن عبد الله يسجدون عند قوله يسئمون
قال ابن العربي والامر قريب **مسئلة** ذكر ابن حواز منداد ان
هذه الاية تضمنت صلاة كسوف الشمس والقمر وذلك ان العرب
كانت تقول ان الشمس والقمر لا ينكسفان الا لموت عظيم فصلى
النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف قلت صلاة الكسوف ثابتة
في الصحاح البخاري ومسلم وغيرهما واختلفوا في كيفيتها اختلافا
كثيرا لاختلاف الاثار وحسبك بما في صحيح مسلم من ذلك وهو العمدة
في الباب والله الموفق للصواب **قوله تعالى** ومن اياته انك ترى
الارض خاشعة الخطاب لكل عاقل اي ومن اياته الدالة على انه
يحيي الموتى انك ترى الارض خاشعة اي يابسة جدبة هذا وصف
للارض بالخشوع قال النابغة
رماد ككحل العين لايا ابينه ونوى كجذم الحوض اثلم خاشع
والارض الخاشعة الغبرا الذي لا تنبت وبلدة خاشعة اي مغبرة
لا منزل بها ومكان خاشع فاذا انزلنا عليها الما اهتزت اي بالنبات
قاله مجاهد يقال اهتز الانسان اي تحرك ومنه
تراه كنصل السيف يهتز للندا اذا لم تجد عند امرئ السوء مطعما
وربت اي انتفخت وعلت قبل ان تنبت قاله مجاهد اي تصعدت
عن النبات بعد موتها وعلى هذا التقدير يكون في الكلام تقديم
وتاخير وتقديره ربت واهتزت والاهتزاز والربو قد يكونان

قبل

قبل الخروج من الارض وقد يكون ان بعد خروج النبات الى وجه الارض
فربوها ارتفاعها ويقال للموضع المرتفع ربوة ورابيه فالنبات
يتحرك للبروز ثم يزداد في جسمه بالكبر طولا وعرضا وقرا ابو
جعفر وخالد وربات ومعناه عظمت من الربيه وقيل اهتزت
اي استبشرت بالمطر وربت اي انتفخت بالنبات والارض
اذا انشقت بالنبات وصفت بالضحك فيجوز وصفها بالاستبشار
ايضا ويجوز ان يقال الربو والاهتزاز واحدة وهي حالة خروج
النبات وقد مضى هذا المعنى في الحج ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شي قدير
تقدم في غير موضع قوله تعالى ان الذين يلحدون في اياتنا اي
يميلون عن الحق في ادلتنا والالحاد الميل والعدول ومنه اللحد في
القبر لانه أميل الى ناحيه منه يقال الحد في دين الله اي حاد عنه
وعدل ولحد لغة فيه وهذا يرجع الى الذين قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن
القران والعوافيه وهم الذين الحدوا في اياته ومالوا عن الحق فقالوا ليس
القران من عند الله او هو شعر او سحر فالايات ايات القران قال مجاهد
يلحدون في اياتنا اي عند تلاوة القران بالمكاء والتصديه واللغو والغنا
وقال ابن عباس هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه وقال قتادة
يلحدون في اياتنا يكذبون في اياتنا وقال السدي يعاندون
ويشاقون وقال ابن زيد يشركون ويكذبون والمعنى متقارب وقال
مقاتل نزلت في ابي جهل وقيل الايات المعجزات وهو يرجع الى الاول

فان القران معجزا فمن يلقى في النار على وجهه وهو ابو جهل في قول
ابن عباس وغيره خير ام من ياتي امنا يوم القيامة قيل النبي صلى الله
عليه وسلم قاله مقاتل وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر وقيل حمزه
وقيل عمر بن الخطاب وقيل ابو سلمة بن عبد الاسد المخزومي
وقيل المومنون وقيل انها على العموم فالذي يلقى في النار الكافر والذي
ياتي امنا يوم القيامة المومن قاله ابن بحر اعملوا ما شيتم امر تهديد
اي بعد ما علمتم انهما لا يستويان فلا بد لكم من الجزاء انه بما تعملون
بصير وعيد بتهديد وتوعد قوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر
لما جاهم الذكر ها هنا القران في قول الجميع لان فيه ذكر ما يحتاج
اليه من الاحكام والخبر محذوف هالكون او معذبون وقيل
الخبر اوليك ينادون من مكان بعيد واعترض قوله ما
يقال لك ثم رجع الى الذكر فقال ولو جعلناه قرانا اعجميا
ثم قال اوليك ينادون والاول الاختيار قال النحاس عند النحويين جميعا
فيما علمت وانه لكتاب عزيز اي على الله قاله ابن عباس وعنه
عزيز من عند الله وقيل كريم على الله وقيل عزيز اي اعزه الله
فلا يتطرق اليه باطل وقيل ينبغي ان يعز ويجل وان لا يلغى
فيه وقيل عزيز من الشيطان ان يبدله قاله السدي مقاتل
منيع من الشيطان والباطل السدي غير مخلوق فلا مثل له
وقال ابن عباس ايضا عزيز اي ممتنع عن الناس ان يقولوا

مثل

مثله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اى لا
يكذبه شى مما انزل الله من قبل ولا ينزل بعده كتاب يبطله
وينسخه قاله الكلبى وقال السدى وقتاده لا ياتيه الباطل
يعنى الشيطان من بين يديه ولا من خلفه لا يستطيع ان يغير
ولا يزيد ولا ينقص وقال سعيد بن جبير لا ياتيه التكذيب
من بين يديه ولا من خلفه ابن جريج لا ياتيه الباطل فيما
اخبر عن ما مضى ولا فيما اخبر عما يكون وعن ابن عباس
من بين يديه من الله تعالى ولا من خلفه يريد من جبريل
صلى الله عليه وسلم ولا من محمد صلى الله عليه وسلم تنزيل من
حكيم حميد ابن عباس حكيم فى خلقه حميد اليهم قتاده
حكيم فى امره حميد الى خلقه **قوله تعالى ما يقال**
لك اى من الاذى والتكذيب الا ما قد قيل للرسل من
قبلك يعزى نبيه ويسليه ان ربك لذو مغفرة لك
ولاصحابك وذو عقاب اليم يريد لاعدايك وجميعا
وقيل اى ما يقال لك من اخلاص العباده لله الا ما قد اوحى
الى من قبلك ولا خلاف بين الشرايع فيما يتعلق بالتوحيد
وهو كقوله ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لين اشركت
ليحبطن عملك اى لم تدعهم الا الى ما دعوا اليه جميع
الانبيا فلا معنى لانكارهم عليك وقيل هو استفهام اى

أي شيء يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقيل ان ربك كلام مبتدا
وما قبله كلام تام اذا كان الخبر مضمرا وقيل هو متصل بما يقال لك
ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم اي انما امرت بالانذار
والتبشير قوله تعالى ولو جعلناه قرانا اعجميا اي بلغة غير
العرب لقالوا لولا فصلت اياته اي بينت بلغتنا فاننا عرب لا
نفهم الاعجمية فبين انه انزله بلسانهم ليتقرر به معنى الاعجاز
اذ هم اعلم الناس بانواع الكلام نظما ونثرا واذا عجزوا عن معارضته
كان من ادل الدليل على انه من عند الله ولو كان بلسان العجم لقالوا
لا علم لنا بهذا اللسان الثانية واذا ثبت هذا ففيه دليل على
ان القران عربي وانه نزل بلغة العرب وانه ليس اعجميا وانه اذا
نقل عنها الى غيرها لم يكن قرانا الثالثة قوله تعالى اعجمي وعربي
قرا ابو بكر وحمزة والكسائي أأعجمي وعربي بهمزتين محققتين والعجمي
الذي ليس من العرب كان فصيحا او غير فصيح والاعجمي الذي لا
يفصح كان من العرب او من العجم فالاعجم ضد الفصيح وهو الذي
لا يبين كلامه ويقال للحيوان غير الناطق اعجم ومنه صلاة النهار
عجماء اي لا يجهر فيها بالقراءة فكانت النسبة الى الاعجم اكد لان العجمي
الذي ليس من العرب قد يكون فصيحا بالعربية والعربي قد يكون
غير فصيح فالنسبة الى الاعجمي اكد في البيان والمعنى أقرآن اعجمي
ونبي عربي وهو استفهام انكار وقرا الحسن وابو العالية

فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى ولو جعلناه قرانا اعجميا

ونصر

ونصر بن عاصم والمغيرة وهشام عن ابن عامر أعجمي بهمزة واحدة
على الخبر والمعنى لولا فصلت اياته فكان منها عربي تفهمه العرب
واعجمي تفهمه العجم وروي سعيد بن جبير قال قالت قريش لولا
انزل القران اعجميا او عربيا فيكون بعض اياته عجميا وبعضها
عربيا فنزلت الاية وانزل في القران من كل لغة فمنه السجيل
وهي فارسيه واصلها سنك كيل اي طين وحجر ومنه الفردوس
روميته وكذلك القسطاس وقرا اهل الحجاز وابو عمرو وابن ذكوان
وحفص على الاستفهام الا انهم لينوا الهمزة على اصولهم والقراة
الصحيحة قراة الاستفهام والله اعلم **قوله تعالى**
قل هو للذين امنوا هدى وشفا اعلم الله ان القران هدى وشفا
لكل من امن به من الشك والريب والاوجاع والذين لا يومنون
في اذانهم وقر اي صمم عن سماع القران ولهذا تواصوا باللغو
فيه ونظير هذه الاية وننزل من القران ما هو شفا ورحمة
للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقد مضى مستوفى وقراة
العامة عما على المصدر وقرا ابن عباس وعبد الله بن الزبير
وعمرو بن العاص ومعاويه وسليمان بن قتة وهو عليهم عمٍ
بكسر الميم اي لا يتبين لهم واختار ابو عبيد القراة الاولى
لاجماع الناس فيها ولقوله اولا هدى وشفا ولو كان هادٍ
وشافٍ لكان الكسر في عمٍ اجود ليكون نعتا مثلهما نقديره

والذين لا يومنون في آذانهم وقر فيوله بمنزلة من في اذانهم وقر وهو نعني القران
عليهم ذو عمى لانهم لا يفقهون فحذف المضاف وقيل المعنى والوقر
عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد تقول ذلك لمن لا يفهم عن
التمثيل وحكى اهل اللغة انه يقال للذي يفهم انت تسمع من قريب
ويقال للذي لا يفهم انت تنادي من بعيد اي كانه ينادي من موضع
منه فهو لا يسمع النداء ولا يفهمه وقال الضحاك ينادون يوم
القيامة باقبح اسمائهم من مكان بعيد فيكون ذلك اشد لتوبيخهم
وفضيحتهم وقيل اي من لم يتدبر القران صار كالاعمى الاصم
فهو ينادي من مكان بعيد فينقطع صوت المنادي عنه وهو لم
يسمع وقال علي رضي الله عنه ومجاهد اي بعيد من قلوبهم
وفي التفسير كانما ينادون من السما ولا يسمعون وحكى معناه
النقاش قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة
فاختلف فيه اي امن به قوم وكذب به قوم والكناية ترجع
الى الكتاب وهي تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا يحزنك
اختلاف قومك في كتابك فقد اختلف من قبلهم في كتابهم وقيل
الكناية ترجع الى موسى ولولا كلمة سبقت من ربك اي في امهالهم
لقضي بينهم اي بتعجيل العذاب وانهم لفي شك منه من القران مريب
اي شديد الريبة وقد تقدم وقد تقدم وقال الكلبي في هذه الاية
لولا ان الله اخر عذاب هذه الامة الى يوم القيامة لاتاهم العذاب

كما

كما فعل بغيرهم من الامم وقيل تاخير العذاب لما يخرج من اصلابهم
من المؤمنين قوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه شرط وجوابه
وكذا ومن اسا فعليها والله جل وعز مستغن عن طاعة العباد
فمن اطاع فالثواب له ومن اسا فالعقاب عليه وما ربك بظلام
للعبيد نفي الظلم عن نفسه جل وعز قليله وكثيره واذا انتفت
المبالغه انتفى غيرها دليله قوله الحق ان الله لا يظلم الناس
شيا وروى العدول الثقات والايمة الاثبات عن الزاهد
العدل عن امين الارض عن امين السما عن الرب جل جلاله
(اي عن النبي عليه السلام) (اي عن جبريل عليه السلام)
يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا
تظالموا الحديث وايضا فهو الحليم المالك وما يفعله المالك
في ملكه لا اعتراض عليه اذ له التصرف في ملكه بما يريد
قوله تعالى اليه يرد علم الساعة اي حين وقتها وذلك
انهم قالوا يا محمد ان كنت نبيا فخبرنا متى قيام الساعه
فنزلت وما تخرج من ثمرة من زايده اي وما تخرج ثمره
من اكمامها اي من اوعيتها فالاكمام اوعيه الثمره واحدها
كمة وهي كل ظرف لمال او غيره وكذلك سمي قشر الطلع اعني
كفراه الذي ينشق عن الثمره كمة قال ابن عباس الكمه الكفرى
قبل ان ينشق فاذا انشقت فليست بكمة وسياتي لهذا مزيد
بيان في سورة الرحمن وقرا نافع وابن عامر وحفص من ثمرات

علي الجمع الباقون ثمرة بالتوحيد والمراد الجمع لقوله وما تحمل
من انثى والمراد الجمع يقول اليه يرد علم الساعة كما يرد اليه
علم الثمار والنتاج ويوم يناديهم اي ينادي الله المشركين
اين شركاي الذين زعمتم في الدنيا انها الهه تشفع قالوا يعني
الاصنام وقيل المشركون ويحتمل ان يريدهم جميعا العابد
والمعبود قالوا اذناك اسمعناك واعلمناك يقال اذن يوذن
اذا اعلم قال اذنتنا ببينها اسما رب ثاو يمل منه الثواء
ما منا من شهيد اي يعلمك ما منا احد يشهد بان لك شريكا
لما عاينوا القيامة تبروا من الاصنام وتبرات الاصنام منهم كما
تقدم في غير موضع وضل عنهم اي بطل عنهم ما كانوا يدعون من
قبل في الدنيا وظنوا اي ايقنوا وعلموا ما لهم من محيص اي فرار عن
النار وما هنا حرف وليس باسم فلذلك لم يعمل فيه الظن وجعل
الفعل ملغا تقديره وظنوا انهم ما لهم محيص ولا مهرب حاص يحيص
حيصا ومحيصا اذا هرب وقيل ان الظن هنا الذي هو اغلب
الراي لا يشكون في انهم اصحاب النار ولكن يطمعون ان يخرجوا
منها وليس يبعد ان يكون لهم ظن ورجا الي ان ييسوا قوله تعالى
لا يسام الانسان من دعاء الخير اي لا يمل من دعايه بالخير والخير
هنا المال والصحة والسلطان والعز قال السدي والانسان هاهنا
يراد به الكافر قيل الوليد بن المغيره وقيل عتبه وشيبه ابني ربيعة

وامية

وامية بن خلف وفي قراة عبد الله لا يسام الانسان من دعا المال
وان مسه الشر الفقر والمرض فيوس من روح الله قنوط من
رحمته وقيل يوس من اجابة الدعا قنوط بسو الظن بربه
وقيل يوس اي ييس من زوال مابه من المكروه قنوط اي يظن انه
يدوم والمعني متقارب قوله تعالي ولين اذقناه رحمة
منا عافية ورخا وغني من بعد ضرا مسته ضر وسقم وشدة
وفقر ليقولن هذا لي اي هذا شي استحقه علي الله لرضاه بعملي
فيري النعمة حتما واجبا علي الله تعالي ولم يعلم انه ابتلاه بالنعمة
والمحنة ليتبين شكره وصبره وقال ابن عباس هذا لي اي هذا
من عندي وما اظن الساعة قايمة ولين رجعت الي ربي ان لي
عنده للحسني اي الجنه واللام للتاكيد يتمني الاماني بلا عمل قال
الحسن بن محمد بن علي بن ابي طالب للكافر امنيتين اما في الدنيا
فيقول لين رجعت الي ربي ان لي عنده للحسني واما في الاخره
فيقول يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ويا ليتني كنت ترابا
فلننبين الذين كفروا بما عملوا اي لنخبرنهم قسم اقسم الله عليه
ولنذيقنهم من عذاب غليظ شديد قوله تعالي واذا انعمنا
علي الانسان يريد الكافر اعرض وناي بجانبه وقال ابن عباس
يريد عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعه وامية بن خلف اعرضوا
عن الاسلام وتباعدوا عنه ومعني ناي بجانبه اي ترفع عن

الانقياد الى الحق وتكبر على انبياء الله وقيل ناى تباعد يقال نايته
ونايت عنه نايا بمعنى تباعدت عنه وانايته فانتاى اى ابعدته فبعد
وتناءوا تباعدوا والمنتاى الموضع البعيد قال النابغه
فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع
وقرا يزيد بن القعقاع وناء بجانبه بالالف قبل الهمزة فيجوز ان يكون
من ناء اذا نهض ويجوز ان يكون على قلب الهمزة بمعنى الاول واذا مسه
الشر اى اصابه المكروه فذو دعاء عريض كثير والعرب تستعمل
الطول والعرض في الكثرة يقال اطال فلان في الكلام واعرض في الدعا
اذا اكثر وقال ابن عباس فذو دعاء عريض فذو تضرع واستغاثة
والكافر يعرف ربه في البلاء ولا يعرفه في الرخا **قوله تعالى**
قل ارايتم اى قل لهم يا محمد يا معشر المشركين ان كان هذا القران من
عند الله ثم كفرتم به من اضل اى فاي الناس اضل اي لا احد اضل منكم
لفرط شقاقكم وعداوتكم وقيل قوله ان كان من عند الله يرجع الى
الكتاب المذكور في قوله اتينا موسى الكتاب والاول اظهر وهو قول
ابن عباس **قوله تعالى** سنريهم اياتنا في الافاق اى علامات
وحدانيتنا وقدرتنا في الافاق يعني خراب منازل الامم الخاليه
وفي انفسهم بالبلايا والامراض وقال ابن زيد في الافاق افاق
السماء وفي انفسهم حوادث الارض وقال مجاهد في الافاق
فتح القرى فبشر الله جل وعز لرسوله صلى الله عليه وسلم

ولخلفاء

وللخلفاء من بعده ونصاره في افاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي ناحية العرب خصوصا من الفتوح التي لم تتيسر امثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على اقويائهم واجرائه على ايديهم امورا خارجة من المعهود خارقة للعادات وفي انفسهم فتح مكه وهذا اختيار الطبري وقاله المنهال بن عمرو والسدي وقال قتادة والضحاك في الافاق وقايع الله في الامم وفي انفسهم يوم بدر وقال عطا وابن زيد ايضا في الافاق يعني اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والامطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والاشجار والجبال والبحار وغيره وفي الصحاح الافاق النواحي واحدها افق وافق مثل عسر وعسر ورجل افقي بفتح الهمزة والفا اذا كان من افاق الارض حكاه ابو نصر وبعضهم يقول افقي بضمهما وانشد عن الجوهري اخذنا بافاق السما عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع وفي انفسهم من لطيف الصنعه وبديع الحكمة حتى سبيل الغايط والبول فان الرجل يشرب وياكل من مكان واحد ويتميز ذلك من مكانين وبديع صنعة الله وحكمته في عينيه اللتين هما قطرة ماء ينظر بهما من السما الى الارض مسيرة خمس مائة عام وفي اذنه التي يفرق بها بين الاصوات المختلفة وغير ذلك من بديع حكمة الله فيه وقيل في انفسهم من كونهم نطفا الى غير

ذلك من انتقال احوالهم كما تقدم في المومنين بيانه وقيل المعنى
سيرون ما اخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن
واخبار الغيوب حتى يتبين لهم انه الحق فيه اربعة اوجه
احدها انه القران والثاني الاسلام جاهم به الرسول ودعاهم
اليه والثالث ان ما يريهم الله ويفعل من ذلك هو الحق والرابع
ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو الرسول الحق اولم يكف بربك في
موضع رفع بانه فاعل يكفي وانه بدل من ربك فهو رفع ان
قدرته بدلا على الموضع وجر ان قدرته بدلا على اللفظ ويجوز
ان يكون نصبا بتقدير حذف اللام والمعنى اولم يكفهم بربك
ما دلهم عليه من توحيده لانه على كل شي شهيد واذا شهد
جازا عليه وقيل المعنى اولم يكف بربك في معاقبة الكفار وقيل
المعنى اولم يكف ربك يا محمد انه شاهد على اعمال الكفار وقيل
اولم يكف بربك شاهدا على ان القران من عند الله وقيل اي
اولم يكفك من ربك انه على كل شي مما يفعله العبد شهيد والشهيد
بمعنى العالم او هو من الشهادة التي هي الحضور الا انهم في
مرية في شك من لقاء ربهم في الاخرة وقال السدي اي من
البعث الا انه بكل شي محيط اي احاط علمه بكل شي قاله
السدي وقال الكلبي احاطت قدرته بجميع خلقه وهو
الذي احاط بكل شي علما واحصى كل شي عددا وهذا الاسم

بلغ

اكثر

اكثر ما يجي في معرض الوعيد وحقيقته الاحاطه بكل شي
واستيصال المحاط به واصله محيط نقلت حركة الياء الى الحا
فسكنت يقال منه احاط يحيط احاطة وحيطة ومن ذلك
حايط الدار واحيط بثمره نحوطها ها هنا واحاطت الخيل بفلان
اذا اخذه اخذا حاصرا من كل جهة ومنه قوله تعالى واحيط بثمره

سورة الشورى مكية في قول الحسن وعكرمة

وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا اربع ايات منها انزلت
بالمدينة قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى الى اخرها
وهي ثلث وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
حم عسق قال عبد المومن سالت الحسين بن الفضل لم قطع حم من
عسق ولم يقطع كهيعص والمر والمص فقال لان حم عسق بين
سور اولها حم فجرت مجرى نظايرها قبلها وبعدها فكان حم
مبتدا وعسق خبره ولانها عدت اثنين وعدت اخواتها
اللواتي كتبت جملة اية واحدة وقيل ان الحروف المعجمة كلها في
المعنى واحد من حيث انها اس البيان وقاعدة الكلام
ذكره الجرجاني وكتبت حم عسق منفصلا وكهيعص
متصلا لانه قيل حم اي حم ما هو كاين ففصلوا بين ما
يقدر فيه فعل وبين ما لا يقدر ثم لو فصل هذا ووصل
ذا لجاز حكاه القشيري وفي قراة ابن مسعود وابن

١

عباس حم سق قال ابن عباس وكان علي رضي الله عنه
يعرف الفتن بها وقال ارطاه بن المنذر قال رجل لابن
عباس وعنده حذيفة بن اليماني اخبرني عن تفسير قوله
تعالى حم عسق فاعرض عنه حتى اعاد عليه ثلاثا فاعرض
عنه فقال حذيفة بن اليماني انا انبئك بها قد عرفت
لم تركها نزلت في رجل من اهل بيته يقال له عبد الاله
او عبد الله ينزل على نهر من انهار المشرق يبني عليه
مدينتين يشق النهر بينهما شقا فاذا اراد الله زوال
ملكهم وانقطاع دولتهم بعث على احداها نارا ليلا فتصبح
سوداء مظلمة فتحرق كلها كانها لم تكن مكانها فتصبح
صاحبتها متعجبة كيف قلبت فما هو الا بياض يومها
حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد ثم يخسف الله بها
وبهم جميعا فذلك قوله حم عسق اي عزيمة من عزمات
الله وفتنه وقضا حم ع عدلا منه س سيكون
ق واقع في هاتين المدينتين ونظير هذا التفسير ما روى
جرير بن عبد الله البجلي قال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل
والصراة تجتمع فيها جبابرة الارض تجبى اليها الخزاين
يخسف بها وفي رواية باهلها فلهي اسرع ذهابا

في

في الارض من الوتد الجيد في الارض الرخوة وقرا ابن عباس حم سق
بغير عين وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود حكاه الطبري وروى
نافع عن ابن عباس الحا حكمه والميم مجده والعين علمه والسين سناه
والقاف قدرته اقسم الله بها وعن محمد بن كعب اقسم الله بحلمه ومجده
وعلوه وسناه وقدرته ان لا يعذب من عاذ بلا اله الا الله مخلصا
من قلبه وقال جعفر بن محمد وسعيد بن جبير الحا من الرحمن والميم من
المجيد والعين من العليم والسين من القدوس والقاف من القاهر
وقال مجاهد فواتح السور وقال عبد الله بن بريدة انه اسم الجبل المحيط
بالدنيا وذكر القشيري واللفظ للثعلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما نزلت هذه الاية عرفت الكابة في وجهه فقيل له يا رسول الله
ما احزنك قال اخبرت ببلايا تنزل بامتي من خسف وقذف ونار
تحشرهم وريح تقذفهم في البحر وايات متتابعات متصلات بنزول
عيسى وخروج الدجال والله اعلم وقيل هذا في شان النبي صلى الله عليه
وسلم فالحا حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين عزه
الموجود والسين سناه المشهود والقاف قيامه في المقام
المحمود وقال ابن عباس ليس من نبي صاحب كتاب الا وقد اوحي
اليه حم عسق ولذلك قال يوحي اليك والى الذين من قبلك
المهدوي وقد جا في الخبر ان معنى حم عسق معناه اوحيت
الى الانبيا المتقدمين فقرا ابن محيصن وابن كثير ومجاهد يوحى

بفتح الحا على ما لم يسم فاعله وروي عن ابن عمر فيكون الجار والمجرور
في موضع رفع لقيامه مقام الفاعل ويجوز ان يكون اسم ما لم يسم
فاعله مضمرا اي يوحي اليك القران الذي تضمنته هذه السورة ويكون
اسم الله مرفوع باضمار فعل التقدير يوحيه الله اليك كقراءة ابن عامر
وابي بكر يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال اي يسبحه رجال وانشد
سيبويه ليبك يزيد ضارع لخصومة واشعث ممن طوحته الطوايح فقال
ليبك يزيد ثم بين من ينبغي ان يبكيه فالمعنى يبكيه ضارع ويجوز ان
يكون مبتدا والخبر محذوف كانه قال الله يوحيه او على تقدير اضمار
مبتدا اي الموحي الله او يكون مبتدا والخبر العزيز الحكيم وقرا الباقون
يوحي اليك بكسر الحا ورفع الاسم على انه الفاعل له ما في السموات وما في
الارض وهو العلي العظيم تقدم في غير موضع **قوله تعالى** تكاد
السموات قراه العامة بالتاء وقرا نافع وابن وثاب والكسائي بالياء
ينفطرن قرا نافع وغيره بالياء والتاء والتشديد في الطاء وهي قراه
العامة وقرا ابو عمرو وابو بكر والمفضل وابو عبيد ينفطرن من الانفطار
لقوله تعالى اذا السما انفطرت وقد مضى في سورة مريم بيان هذا
وقال ابن عباس تكاد السموات ينفطرن اي تكاد كل واحدة منها
تنفطر فوق التي تليها من قول المشركين اتخذ الله ولدا وقال الضحاك
والسدي يتفطرن اي يتشققن من عظمة الله وجلاله فوقهن
وقيل فوقهن فوق الارضين من خشية الله لو كن مما يعقل **قوله تعالى**

والملايكة

والملايكة يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه عما لا يجوز في وصفه
وما لا يليق بجلاله وقيل يتعجبون من جراة المشركين فيذكر التسبيح
في موضع التعجب وعن علي رضي الله عنه ان تسبيحهم تعجب مما
يرون من تعرضهم لسخط الله وقال ابن عباس تسبيحهم خضوع
لما يرون من عظمة الله ومعنى بحمد ربهم بامر ربهم قاله السدي
ويستغفرون لمن في الارض قاله الضحاك لمن في الارض من المومنين
وقاله السدي بيانه في سورة المومن ويستغفرون للذين امنوا
وعلى هذا يكون الملايكه هنا حملة العرش وقيل جميع ملايكه السما
وهو الظاهر من قول الكلبي وقال وهب بن منبه هو منسوخ
بقوله ويستغفرون للذين امنوا قال المهدوي والصحيح انه
ليس بمنسوخ لانه خبر وهو خاص للمومنين وقال ابو الحسن
الماوردي عن الكلبي ان الملايكه لما رات الملكين اللذين اختيرا وبعثا
الى الارض ليحكما بينهم فافتتنا بالزهره وهربا الى ادريس وهو
جد ابي نوح عليهما السلام وسالاه ان يدعو لهما سبحت الملايكه
بحمد ربهم واستغفرت لبني ادم قال ابو الحسن بن الحصار وقد
ظن بعض من جهل ان هذه الاية نزلت بسبب هاروت وماروت
وانها منسوخة بالاية التي في المومن وما علموا ان حملة العرش
مخصوصون بالاستغفار للمومنين خاصة ولله ملايكة اخر
يستغفرون لمن في الارض الماوردي وفي استغفارهم لهم قولان

احدهما من الذنوب والخطايا وهو ظاهر قول مقاتل الثاني انه طلب
الرزق لهم والسعة عليهم قاله الكلبي قلت وهو اظهر لان الارض
تعم الكافر وغيره وعلى قول مقاتل لا يدخل فيه الكافر وقد روي في
هذا الباب خبر رواه عاصم الاحول عن ابي عثمان عن سلمان قال ان
العبد اذا كان يذكر الله في السراء فنزلت به الضرا قالت الملايكه
صوت معروف من ادمي ضعيف كان يذكر الله في السراء فنزلت به
الضرا فيستغفرون له فاذا كان لا يذكر الله في السراء فنزلت به
الضرا قالت الملايكه صوت منكر من ادمي كان لا يذكر الله في السرا
فنزلت به الضرا فلا يستغفرون له وهذا يدل على ان الايه في الذاكرين
لله تعالى في السراء والضراء فهي خاصة ببعض من في الارض من
المومنين والله اعلم ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم
والغفران في قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
الى ان قال انه كان حليما غفورا وقوله تعالى وان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم والا يعاجلهم بالانتقام فيكون
عاما قاله الزمخشري وقال مطرف وجدنا انصح عباد الله لعباد
الله الملايكه ووجدنا اغش عباد الله لعباد الله الشياطين وقد
تقدم الا ان الله هو الغفور الرحيم قال بعض العلما هيب وعظم عز
وجل في الابتدا والطف وبشر في الانتهاء فقوله تعالى والذين
اتخذوا من دونه اوليا يعني اصناما يعبدونها الله حفيظ عليهم

اي

ولم يتقدم لها ذكر ليس كمثله شي وهو السميع البصير
قيل ان الكاف زايده للتوكيد اي ليس مثله شي قال
وصاليات ككما يوثفين فادخل على الكاف كافا تاكيدا
للتشبيه وقيل المثل زايده للتوكيد وهو قول ثعلب
وهو قول ثعلب اي ليس مثله شي نحو قوله تعالى
فان امنوا بمثل ما امنتم به وفي حرف ابن مسعود فان
امنوا بما امنتم به فقد اهتدوا قال اوس بن حجر
وقتلى كمثل جذوع النخل يغشاهم مطر منهمر اي كجذوع
والذي يعتقد في هذا الباب ان الله جل اسمه في عظمته
وكبريايه وملكوته وحسن اسمايه وعلي صفاته لا يشبه
شيا من مخلوقاته ولا يشبه به وانما جا مما اطلقه الشرع
على الخالق والمخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي
اذ صفات القديم جل وعز بخلاف صفات المخلوق فاذ
صفاتهم لا تنفك عن الاغراض والاعراض وهو منزه
عن ذلك بل لم يزل باسمايه وبصفاته على ما بيناه في الكتاب
الاسنا في شرح اسما الله الحسنى وكفى في هذا قوله الحق
ليس كمثله شي وقد قال بعض العلما المحققين التوحيد
اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطله من الصفات
وزاد الواسطي رحمه الله بيانا فقال ليس كذاته ذات

ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة
الا من جهة موافقة اللفظ وجلت الذات القديمة ان
يكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة
صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة
رضي الله عنهم **قوله تعالى** له مقاليد السموات والارض
تقدم في الزمر بيانه النحاس الذي يملك المفاتيح يملك
الخزاين يقال للمفتاح اقليد وجمعه على غير قياس كمحاسن
والواحد حسن يبسط الرزق لمن يشا ويقدر انه بكل
شي عليم تقدم ايضا في غير موضع **قوله تعالى** شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا فيه مسئلتان **الاولى قوله**
تعالى شرع لكم من الدين اي الذي له مقاليد السموات
والارض شرع لكم من الدين ما شرع لقوم نوح وابراهيم
وموسى وعيسى ثم بين ذلك بقوله تعالى ان اقيموا الدين
وهو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم
الجزا وساير ما يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد
الشرايع التي هي مصالح الامم على حسب احوالها فانها
مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا وقد تقدم القول فيه ومعنى شرع اي نهج
واوضح وبين المسالك وقد شرع لهم يشرع شرعا

اي سن

اي سن والشارع الطريق الاعظم وشرع المنزل اذا كان
على طريق نافذ وشرعت الابل اذا امكنتها من الشريعه
وشرعت الاديم اذا سلخته وقال يعقوب اذا اشفقت
ما بين الرجلين قال وسمعته من ام الحمارس البكريه
وشرعت في هذا الامر شروعا اي خضت ان اقيموا
الدين ان في محل رفع على تقدير والذي وصى به نوحا
ان اقيموا الدين ويوقف على هذا الوجه على عيسى وقيل
هو نصب اي شرع لكم اقامة الدين وقيل هو جر بدلا من
الهاء في به كانه قال به اقيموا الدين ولا يوقف على عيسى
على هذين الوجهين ويجوز ان يكون ان مفسرة مثل ان
امشوا فلا يكون لها محل من الاعراب **الثانيه** قال
القاضي ابو بكر بن العربي ثبت في الحديث الصحيح ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث الشفاعه المشهور
الكبير ولكن ايتوا نوحا فانه اول رسول بعثه الله الى
اهل الارض فياتون نوحا فيقولون له انت اول رسول
بعثه الله الى اهل الارض وهذا صحيح لا اشكال فيه
كما ان ادم اول رسول نبي بغير اشكال الا ان ادم لم
تكن معه الا نبوه ولم تفرض له الفرايض ولا شرعت له
المحارم وانما كان تنبيها على بعض الامور واقتصارا على

ضرورات المعاش واخذ ابو ضايف الحياة والبقاء واستقر المدى الى نوح
فبعثه الله بتحريم الامهات والبنات والاخوات ووضع عليه
الواجبات واوضح له الاداب في الديانات ولم يزل ذلك يتاكد
بالرسل ويتناصر بالانبياء صلوات الله عليهم واحدا بعد واحد
وشريعة اثر شريعة حتى ختمها الله بخير الملل ملتنا على لسان
اكرم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكان المعنى اوصيناك يا
محمد ونوحا دينا واحدا يعني في الاصول التي لا تختلف فيها الشريعه
وهي التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج والتقرب الى الله تعالى
بصالح الاعمال والزلف اليه بما يرد القلب والجارحة اليه
والصدق والوفا بالعهد واداء الامانه وصلة الرحم وتحريم الكفر
والقتل والزنا والاذاية للخلق كيف ما تصرفت والاعتدا
على الحيوان كيف ما دار واقتحام الدنات وما يعود بخرم المروات
فهذا كله مشروع دينا واحدا وملة متحدة لم تختلف على
السنة الانبيا وان اختلفت اعدادهم وذلك قوله تعالى ان
اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه اي اجعلوه قايما يريد دايما
مستمرا محفوظا مستقرا من غير خلاف فيه ولا اضطراب فمن
الخلق من وفا بذلك ومنهم من نكث ومن نكث فانما ينكث على نفسه
واختلفت الشرايع وراء هذا في معاني حسب ما اراده الله مما
اقتضت المصلحة واوجبت الحكمة وضعه في الازمنة على

الامم

بلغ

الامم والله اعلم قال مجاهد لم يبعث الله نبيا قط الا وصاه باقامة
الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذي شرع
لهم وقاله الوالبي عن ابن عباس وهو قول الكلبي وقال قتادة
يعني تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الحكم تحريم الامهات
والاخوات والبنات وما ذكره القاضي يجمع هذه الاقوال
ويزيد عليها وخص نوحا وابراهيم وموسى وعيسى بالذكر لانهم
ارباب الشرايع قوله تعالى كبر على المشركين اي عظم عليهم
ما تدعوهم اليه من التوحيد ورفض الاوثان قال قتادة
كبر على المشركين واشتد عليهم شهادة ان لا اله الا الله وحده
وضاق بها ابليس وجنوده فابى الله عز وجل الا ان ينصرها
ويعليها ويظهرها على من ناواها ثم قال الله يجتبي اليه من يشا
اي يختار والاجتبا الاختيار اي يختار للتوحيد من يشا ويهدي
اليه من ينيب اي يستخلص لدينه من رجع اليه وما تفرقوا
قال ابن عباس يعني قريشا الا من بعد ما جاهم العلم محمد صلى
الله عليه وسلم وكانوا يتمنون ان يبعث اليهم نبي دليله قوله
تعالى في سورة فاطر واقسموا بالله جهد ايمانهم لين جاهم نذير
يريدون نبيا وقال في سورة البقره فلما جاهم ما عرفوا كفروا به
على ما تقدم بيانه هناك وقيل امم الانبيا المتقدمين فانهم فيما بينهم
اختلفوا لما طال بهم المدا فامن قوم وكفر قوم وقال ابن عباس

ايضا يعني اهل الكتاب ح ليله في سورة المنفكين وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاتهم البينة فالمشركون قالوا لم خص
بالنبوة واليهود حسدوه لما بعث وكذا النصارى بغيا بينهم اى
بغيا من بعضهم على بعض طلبا للرياسة فليس تفرقهم لقصور في البيان
والحجج ولكن البغي والظلم والانشغال بالدنيا ولولا كلمة سبقت من
ربك في تاخير العقاب عن هولاء الى اجل مسمى قبل القيامة لقوله
تعالى بل الساعة موعدهم وقيل الى الاجل الذي قضى فيه بعذابهم
لقضي بينهم اى بين من امن وبين من كفر بنزول العذاب وان
الذين اورثوا الكتاب يريد اليهود والنصارى من بعدهم اى من
بعد المختلفين في الحق لفي شك من الذي اوصى به الانبيا ؛ الكتاب
والكتاب هنا التوراة والانجيل وقيل ان الذين اوتوا الكتاب
قريش من بعدهم من بعد اليهود والنصارى لفي شك من
القران او من محمد وقال مجاهد معنى من بعدهم من قبلهم يعني
من قبل مشركي مكه وهم اليهود والنصارى **قوله تعالى**
فلذلك فادع واستقم لما جاز ان يكون الشك لليهود والنصارى
اولقريش قيل له فلذلك فادع اي فتبيينت شكهم فادع الى الله
اى الى ذلك الدين الذي شرعه الله للانبيا ووصاهم به فاللام
بمعنى الى كقوله تعالى بان ربك اوحى لها اي اليها وذلك بمعنى هذا
وقد تقدم اول البقره والمعنى فلهذا القران فادع وقيل في الكلام
تقديم

تقديم وتاخير والمعنى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فلذلك فادع
وقيل ان اللام على بابها والمعنى من اجل ذلك الذي تقدم ذكره فادع
واستقم قال ابن عباس اي الى القران فادع الخلق واستقم خطاب
له عليه السلام قال قتادة اي استقم على امر الله وقال سفيان
اي استقم على القران وقال الضحاك استقم على تبليغ الرساله
ولا تتبع اهواهم اي لا تنظر الى خلاف من خالفك وقل امنت
بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم اي ان اعدل كقوله
تعالى وامرت ان اسلم لرب العالمين وقيل هي لام كي اي لكي اعدل
قال ابن عباس وابو العالية لاسوي بينكم في الدين فاؤمن بكل
كتاب وبكل رسول وقال غيرهما لاعدل في جميع الاحوال وقيل هذا
العدل هو العدل في الاحكام وقيل في التبليغ الله ربنا وربكم لنا
اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم قال ابن عباس ومجاهد
الخطاب لليهود اي لنا ديننا ولكم دينكم قال ثم نسخت بقوله
قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر الايه قال مجاهد
ومعنى لا حجة بيننا وبينكم لا خصومة بيننا وبينكم وقيل ليس
بمنسوخ لان البراهين قد ظهرت والحجج قد قامت فلم يبق
الا العناد وبعد العناد لا حجة ولا جدال قال النحاس ويجوز ان يكون معنى
لا حجة بيننا وبينكم على ذلك القول لم يومر ان نحتج عليكم
ونقاتلكم ثم نسخ هذا كما ان قايلا لو قال من قبل ان تحول

القبلة لا نصلي الي الكعبه ثم حول الناس بعد جاز ان يقال فنسخ ذلك
الله يجمع بيننا يريد يوم القيامة واليه المصير اي فهو يحكم بيننا اذا
صرنا اليه ويجازي كلا بما كان عليه وقيل ان هذه الايه نزلت
في الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة وقد سالا رسول الله صلي
الله عليه وسلم ان يرجع عن دعوته ودينه الي دين قريش علي
ان يعطيه الوليد نصف ماله ويزوجه شيبة بابنته
قوله تعالي والذين يحاجون في الله رجع الي المشركين
من بعد ما استجيب له قال مجاهد من بعد ما اسلم الناس قال
وهولاء قد توهموا ان الجاهلية تعود وقال قتادة الذين يحاجون
في الله اليهود والنصاري ومحاجتهم قولهم نبينا قبل نبيكم
وكتابنا قبل كتابكم وكانوا يرون لانفسهم الفضيلة بانهم
اهل كتاب وانهم اولاد الانبيا وكان المشركون يقولون اي الفريقين
خير مقاما واحسن نديا فقال الله تعالي ان هولاء الذين يحاجون
في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم اي
لا ثبات لها كالشيء الذي يزل عن موضعه والهاء في له يجوز
ان يكون لله عز وجل اي من بعد ما وحدوا الله وشهدوا له
بالوحدانية ويجوز ان يكون للنبي صلي الله عليه وسلم اي من بعد ما
استجيب لمحمد صلي الله عليه وسلم في دعوته من اهل بدر ونصر
الله المومنين يقال دحضت حجته دحوضا بطلت وادحضها

الله

الله والادحاض الازلاق ومكان دحض ودحض ايضا بالتحريك
اي زلق ودحضت رجله تدحض دحضا زلقت ودحضت الشمس
عن كبد السما زالت وعليهم غضب بريد في الدنيا ولهم عذاب
شديد بريد في الاخرة عذاب دايم قوله تعالى الله الذي
نزل الكتاب يعني القران وساير الكتب المنزله بالحق اي بالصدق
والميزان اي العدل قاله ابن عباس واكثر المفسرين والعدل يسمي
ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والعدل وقيل الميزان ما بين في الكتب مما يجب على كل انسان ان يعمل به وقال قتاده الميزان العدل
فيما امر به ونهى عنه وهذه الاقوال متقاربة المعني وقيل هو
الجزا على الطاعه بالثواب وعلى المعصية بالعقاب وقيل انه
الميزان نفسه الذي يوزن به انزله من السما وعلم العباد الوزن
به لئلا يكون بينهم تظالم وتباخس قال الله تعالى لقد ارسلنا
رسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم
الناس بالقسط قال مجاهد هو الذي يوزن به ومعني انزل الميزان
هو الهامه للخلق ان يعملوه ويعملوا وقيل الميزان محمد صلى الله عليه وسلم
يقضي بينكم بكتاب الله وما يدريك لعل الساعة قريب فلم
تخبره بها تخصه على العمل بالكتاب والعدل والسوية والعمل
بالشرايع قبل ان يفاجي اليوم الذي تكون فيه المحاسبة ووزن الاعمال
فيوفي لمن اوفي ويطفف لمن طفف فلعل الساعة قريب اي منك

وانت لا تدري وقال قريب ولم يقل قريبه لان تانيثها غير حقيقي
لانها كالوقت قاله الزجاج والمعنى لعل البعث او لعل مجي الساعة
قريب وقال الكسائي قريب نعت ينعت به المذكر والمونث
والجمع بمعنى ولفظ واحد قال الله تعالى ان رحمة الله قريب من
المحسنين قال الشاعر وكنا قريبا والديار بعيدة فلما وصلنا
نصب اعينهم غبنا قوله تعالى يستعجل بها الذين لا يومنون بها
بمعنى على طريق الاستهزاء ظنا منهم انها غير اتية او ابهاما
للضعفة انها لا تكون والذين امنوا مشفقون منها اي خايفون
وجلون لاستقصارهم انفسهم مع الجهد في الطاعة كما قال
والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون
ويعلمون انها الحق اي التي لا شك فيها الا ان الذين يمارون في الساعة
اي يشكون ويخاصمون في قيام الساعة لفي ضلال بعيد اي عن
الحق وطريق الاعتبار اذ لو تذكروا لعلموا ان الذي انشاهم من
تراب ثم من نطفة الى خلق سوي قادر على بعثهم قوله تعالى
الله لطيف بعباده قال ابن عباس حفي بهم وقال عكرمة بار بهم
وقال السدي رفيق بهم وقال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث
لم يقتلهم جوعا بمعاصيهم وقال القرظي لطيف بهم في العرض
والمحاسبة قال قال عزلا عند مولى الخلق للخلق موقف يسائلهم
فيه الجليل فيلطف وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين يلطف

ما يلغو

غدا

بهم في الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات
والثاني انه لم يدفعه اليك مرة واحدة فتبذره وقال الحسين بن
الفضل لطيف بهم في القران وتفصيله وتفسيره وقال الجنيد
لطيف باوليايه حتى عرفوه ولو لطف باعدايه لما جحدوه
وقال محمد بن علي الكتاني اللطيف لمن لجا اليه من عباده اذا يئس
من الخلق توكل عليه ورجع اليه فحينيذ يقبله ويقبل عليه
وجاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يطلع على القبور
الدوارس فيقول عز وجل امحت اثارهم واضمحلت صورهم
وبقي عليهم العذاب وانا اللطيف وانا ارحم الراحمين خففوا
عنهم العذاب فيخفف عنهم العذاب قال ابو علي الثقفي رضي الله عنه
امر بافناء القبور كانني احق فطنة والثوب فيه تخيف ومن شق
فاه الله قدر رزقه وربي بمن يلجا اليه لطيف وقيل اللطيف الذي
ينشر من عباده المناقب ويستر عليهم المثالب وعلى هذا قال
النبي صلى الله عليه وسلم يا من اظهر الجميل وستر القبيح وقيل هو
الذي يقبل القليل ويبذل الجزيل وقيل هو الذي يجبر الكسير وييسر
العسير وقيل هو الذي لا يخاف الا عدله ولا يرجي الا فضله وقيل
هو الذي يبذل لعبده النعمة فوق الهمة ولا يكلفه الطاعة فوق
الطاقة قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واسبغ عليكم
نعمه ظاهرة وقال وما جعل عليكم في الدين من حرج يريد الله

ان يخفف عنكم وقيل هو الذي يعين على الخدمه ويكثر المدحه وقيل هو
الذي لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه وقيل هو الذي لا
يرد سايله ولا يويس امله وقيل هو الذي يعفوا عن
من يهفوا وقيل هو الذي يرحم من لا يرحم نفسه وقيل هو
الذي اوقد في اسرار العارفين من المشاهدة سراجا
وجعل الصراط المستقيم لهم منهاجا واجزل لهم من
سحايب بره ما ثجاجا وقد مضى في الانعام قول ابي
العاليه والجنيد ايضا وقد ذكرنا جميع هذا في الكتاب
الاسنى في شرح اسما الله الحسنى عند اسمه اللطيف الحمد لله بلغ
يرزق من يشا ويحرم من يشا وفي تفضيل قوم بالمال
حكمة ليحتاج البعض الى البعض كما قال ليتخذ بعضهم
بعضا سخريا فكان هذا لطفا بالعباد وايضا ليمتحن
الغنى بالفقير والفقير بالغني كما قال وجعلنا بعضكم
لبعض فتنة اتصبرون على ما تقدم بيانه وهو القوي
العزيز قوله تعالى من كان يريد حرث الاخره
نزد له في حرثه الحرث العمل والكسب ومنه قول
عبد الله بن عمر واحرث لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل
لاخرتك كانك تموت غدا ومنه سمي الرجل حارثا والمعنى
اي من طلب بما رزقناه حرثا لاخرته فادى حقوق الله

وانفق

وانفق في اعزاز الدين فانا نعطيه ثواب ذلك للواحد
عشرا الى سبع مائة فاكثر ومن كان يريد حرث الدنيا اي
طلب بالمال الذي آتاه الله رياسة الدنيا والتوصل
الى المحظورات فانا لا نحرمه الرزق اصلا ولكن لا حظ
له في الآخرة من ماله قال الله تعالى من كان يريد العاجلة
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها
مذموما مدحورا ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها
وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا وقيل نزد
له في حرثه توفقه للعبادة ونسهلها عليه وقيل حرث
الآخرة الطاعة اي من اطاع فله الثواب وقيل نزد له
في حرثه اي نعطه الدنيا مع الآخرة وقيل الآية في الغزو
اي من اراد بغزوه الآخرة اوتي الثواب ومن اراد
بغزوه الغنيمة اوتي منها قال القشيري والظاهر
ان الآية في الكافر يوسع له في الدنيا اي لا ينبغي ان
يغتر بذلك لان الدنيا لا تبقى وقال قتادة ان الله يعطي
على نية الآخرة ما شاء من امر الدنيا ولا يعطي على نية
الدنيا الا الدنيا وقال ايضا يقول الله تعالى من عمل
لآخرته زدناه في عمله واعطيناه من الدنيا ما كتبنا له
ومن آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيبا في الآخرة

الرابع

قال الشيخ نزلت في اليهود سيوطي

الا النار ولم يصب من الدنيا الا رزقا قد قسمناه له لا بد ان كان يوتاه
مع ايثار او غير ايثار وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال وقوله
عز وجل من كان يريد حرث الاخرة من كان من الابرار يريد بعمله الصالح
ثواب الاخرة نزد له في حرثه اي في حسناته ومن كان يريد حرث الدنيا
اي من كان من الفجار يريد بعمله الحسن الدنيا نؤته منها ثم نسخ ذلك
في سبحان من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد والصواب
ان هذا ليس بنسخ لان هذا خبر والاشيا كلها بارادة الله عز وجل
الا ترى انه قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقل احدكم
اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت وقد قال قتادة ما تقدم
ذكره وهو يبين لك ان لا نسخ وقد ذكرنا في هود ان هذا من باب المطلق
والمقيد وان النسخ لا يدخل في الاخبار والله المستعان **مسئلة**
هذه الاية تبطل مذهب ابي حنيفة في قوله انه من توضأ تبردا
انه يجزيه عن فريضة الوضوء الموظف عليه فان فريضة الوضوء
من حرث الاخرة والتبرد من حرث الدنيا فلا يدخل احدهما على الاخر
يقينا عند ظاهر الاية قاله ابن العربي **قوله تعالى** ام لهم شركا
اي الهم والميم صلة والهمزة للتقريع وهذا متصل بقوله شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا وقوله الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان
كانوا لا يؤمنون به فهل لهم الهة شرعوا لهم الشرك الذي لم
ياذن به الله واذا استحال هذا فالله لم يشرع الشرك فمن اين

تدينون به ولولا كلمة الفصل يوم القيامة حيث قال بل الساعة
موعدهم لقضي بينهم في الدنيا فعاجل الظالم بالعقوبة واثاب
الطايع وان الظالمين اي المشركين لهم عذاب اليم في الدنيا القتل والاسار
والقهر وفي الاخرة عذاب النار وقرا ابن هرمز وان بفتح الهمزة
على العطف على ولولا كلمة والفصل بين المعطوف والمعطوف
عليه بجواب لولا جايز ويجوز ان يكون موضع ان رفعا على تقدير
وجب ان الظالمين لهم عذاب اليم فيكون منقطعا مما قبله كقراءة الكسر
فاعلمه قوله تعالى ترى الظالمين مشفقين اي خايفين مما كسبوا
اي من جزاء ما كسبوا والظالمون هاهنا الكافرون بدليل التقسيم
بين المومن والكافر وهو واقع بهم اي نازل بهم والذين امنوا وعملوا
الصالحات في روضات الجنات الروضة الموضع النزه الكثير الخضرة
وقد مضى في الروم لهم ما يشاون عند ربهم اي من النعيم والثواب
الجزيل ذلك هو الفضل الكبير اي لا يوصف ولا تهتدي العقول
الى كنه صفته لان الحق اذا قال كبير فمن ذا الذي يقدر قدره بلغ
قوله تعالى ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا قرئ يبشر
من بشره ويبشر من ابشره ويبشر من بشره وفيه حذف اي يبشر
الله عباده المومنين ليتعجلوا السرور ويزدادوا وجدا في الطاعة
قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى فيه مسلتان
الاولى قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا اي قل يا محمد لا اسالكم على تبليغ الرسالة

جعلا الا المودة في القربى استثنا ليس من الاول اي الا ان تودوني لقرابتي
فتحفظوني والخطاب لقريش خاصة قاله ابن عباس وعكرمة
ومجاهد وابو مالك والشعبي وغيرهم قال الشعبي اكثر الناس علينا
في هذه الاية فكتبنا الى ابن عباس لنسئله عنها فكتب ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان اوسط الناس في قريش فليس بطن من بطونهم الا وقد
ولده فقال الله له قل لا اسئلكم عليه اجرا الا ان تودوني في قرابتي
منكم اي تراعوا ما بيني وبينكم فتصدقوني فالقربى ها هنا قرابة
الرحم كانه قال اتبعوني للقرابة ان لم تتبعوني للنبوة قال عكرمة
وكانت قريش تصل ارحامها فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قطعته
فقال صلوني كما كنتم تفعلون فالمعنى على هذا قل لا اسالكم عليه اجرا
لكن اذكركم قرابتي على انه استثنا ليس من الاول ذكره النحاس
وفي البخاري عن طاوس عن ابن عباس انه سئل عن قوله تعالى الا المودة
في القربى فقال سعيد بن جبير قربى ال محمد فقال ابن عباس عجلت
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة
فقال الا ان تصلوا ما بينكم من القرابة فهذا قول وقيل القربى
قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم اي لا اسالكم اجرا الا ان تودوا
قرابتي واهل بيتي كما امر باعظامهم ذوي القربى وهذا قول علي
بن حسين وعمرو بن شعيب والسدي وفي رواية سعيد بن
جبير عن ابن عباس لما انزل الله جل وعز قل لا اسالكم عليه اجرا

الا المودة في القربى قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين نودهم
قال علي وفاطمة وابناهما ويدل عليه ايضا ما روي عن علي رضي
الله عنه شكوت الى النبي صلى الله عليه وسلم حسد الناس لي فقال
اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا وانت والحسن
والحسين وازواجنا عن ايماننا وشمائلنا وذريتنا خلف ازواجنا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي واذاني
في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم
يجازه عليها فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيامة وقال
الحسن وقتادة المعنى الا ان تتوددوا الى الله وتتقربوا اليه
بطاعته فالقربى على هذا بمعنى القربة يقال قربة وقربى بمعنى
كالزلفة والزلفى وروى قزعة بن سويد عن ابن ابي نجيح عن
مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قل لا اسالكم على
ما اتيتكم به اجرا الا ان توادوا او تقربوا اليه بالطاعة وروى
منصور وعوف عن الحسن قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في
القربى قال تتوددون الى الله عز وجل وتتقربون منه بطاعته
وقال قوم الاية منسوخة وانما نزلت بمكة وكان المشركون
يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وامرهم
الله بمودة نبيه صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر اوته
الانصار ونصروه واراد الله ان يلحقه باخوانه من الانبياء حيث

قالوا وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين فانزل الله تعالى
قل ما سالتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله فنسخت بهذه الاية
وبقوله قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقوله ام تسالهم
خرجا فخراج ربك خير وقوله ام تسئلهم اجرا فهم من مغرم مثقلون
قاله الضحاك والحسن بن الفضل ورواه جويبر عن الضحاك عن ابن
عباس قال الثعلبي وليس بالقوي وكفى قبحا بقول من يقول ان التقرب
الى الله بطاعته ومودة نبيه صلى الله عليه وسلم من مات على حب
آل محمد مات شهيدا ومن مات على حب آل محمد جعل الله زوار
قبره الملائكة والرحمة ومن مات على بغض آل محمد جا يوم القيامة
مكتوبا بين عينيه ايس اليوم من رحمة الله ومن مات على بغض آل محمد
لم يرح رائحة الجنة ومن مات على بغض آل بيتي فلا نصيب له في شفاعتي
قلت وذكر هذا الخبر الزمخشري في تفسيره باطول من هذا
تعالى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على حب آل محمد
مات شهيدا الا ومن مات على حب آل محمد مات مومنا مستكمل
الايمان الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم
منكر ونكير الا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى
الجنة الا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة
الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات
على بغض آل محمد جا يوم القيامة مكتوب بين عينيه ايس من رحمة الله

الا ومن

مطلب حب آل محمد صلى الله عليه وسلم

[illegible] بلفظه [illegible] وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم

الا ومن مات علي بغض ال محمد مات كافرا الا ومن مات
علي بغض ال محمد لم يشم رايحة الجنه قال النحاس ومذهب
عكرمه ليست بمنسوخة قال كانوا يصلون ارحامهم فلما
بعث النبي صلي الله عليه وسلم قطعوه فقال قل لا اسالكم عليه
اجرا الا ان تودوني وتحفظوني لقرابتي ولا تكذبوني قلت
وهذا هو معني قول ابن عباس في البخاري والشعبي عنه بعينه
وعليه لا نسخ قال النحاس وقول الحسن حسن ويدل علي صحته
الحديث المسند عن رسول الله صلي الله عليه وسلم كما حدثنا
احمد بن محمد الازدي قال نا الربيع بن سليمان المرادي قال انا
اسد بن موسي قال نا قزعة وهو ابن يزيد البصري قال نا
عبد الله بن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم قال لا اسالكم علي ما انبيكم به من البينات والهدي
اجرا الا ان تودوا الله جل وعز وان تتقربوا اليه بطاعته
فهذا المبين عن الله جل وعز قد قال هذا وكذا قالت الانبيا
صلي الله عليهم قبله ان اجري الا علي الله **الثانية** واختلفوا
في سبب نزولها فقال ابن عباس لما قدم النبي صلي الله عليه وسلم
المدينة كانت تنوبه نوايب وحقوق لا يسعها ما في يديه
فقالت الانصار ان هذا الرجل هداكم الله به وهو ابن اختكم
وتنوبه نوايب وحقوق لا يسعها ما في يديه فنجمع له

ففعلوا ثم اتوه به فنزلت وقال الحسن نزلت حين تفاخرت
الانصار والمهاجرون فقالت الانصار نحن فعلنا وفخرت
المهاجرون المهاجرون بقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه
وسلم روى مقسم عن ابن عباس قال سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم شيا فخطب فقال للانصار الم تكونوا اذلا فاعزكم الله
بي الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي الم تكونوا خايفين فامنكم
الله بي الا تردون علي فقالوا بم نجيبك قال تقولون الم يطردك
قومك فاويناك الم يكذبك قومك فصدقناك فعدد عليهم
قال فجثوا على ركبهم فقالوا انفسنا واموالنا لك فنزلت قل
لا اسالكم عليه اجرا الا المودة وقال قتادة قال المشركون
لعل محمدا فيما يتعاطاه يطلب اجرا فنزلت هذه الاية ليحثهم
على مودته ومودة اقربايه قال الثعلبي وهذا اشبه بالاية
لان السورة مكية قوله تعالى ومن يقترف حسنة
اي يكتسب واصل القرف الكسب يقال فلان يقرف لعياله
بيان الاكتساب
اي يكتسب والاقتراف الاكتساب وهو ماخوذ من
قولهم رجل قرفة اذا كان محتالا وقد مضى في الانعام
القول فيه وقال ابن عباس ومن يقترف حسنة قال المودة
لال محمد صلى الله عليه وسلم نزد له فيها حسنا اي نضاعف
له الحسنة بعشر فصاعدا ان الله غفور شكور قال قتادة

غفور

غفور للذنوب شكور للحسنات وقال السدي غفور لذنوب
آل محمد عليه السلام شكور لحسناتهم **قوله تعالى**
ام يقولون افترى على الله كذبا الميم صلة والتقدير ايقولون
افترى واتصل الكلام بما قبل لان الله تعالى لما قال وقل امنت
بما انزل الله من كتاب وقال الله الذي نزل الكتاب بالحق قال
انما ما للبيان ام يقولون افترى على الله كذبا يعني كفار قريش
شرطا وجوابا لهم
قالوا ان محمدا اختلق الكذب فان يشا الله يختم على قلبك قال
قتادة يطبع على قلبك فينسيك القران فاخبرهم الله انه
لو افترى عليه لفعل بمحمد ما اخبرهم به في هذه الاية وقال
بلغ
مجاهد ومقاتل ان يشا الله يربط على قلبك بالصبر على اذاهم
حتى لا يدخل قلبك مشقة من قولهم وقيل المعنى ان يشا يزل
تمييزك وقيل المعنى لو حدثت نفسك ان تفتري على الله كذبا
لطبع على قلبك قاله ابن عيسى وقيل فان يشا الله يختم على قلوب
الكفار وعلى السنتهم وعاجلهم بالعقاب فالخطاب له والمراد
الكفار ذكره القشيري ثم ابتدا فقال ويمح الله الباطل قال
ابن الانباري يختم على قلبك تام وقال الكسائي فيه تقديم
وتاخير مجازه والله يمح الباطل فحذف منه الواو في المصحف
وهو في موضع رفع كما حذفت من قوله سندع الزبانية ويدع
الانسان ولانه عطف على قوله يختم على قلبك وقال الزجاج

قوله ام يقولون افتري علي الله كذبا تمام وقوله ويمح الله الباطل
~~[illegible]~~ واحتجاج علي من انكر ما اتي به النبي صلى الله عليه وسلم
اي لو كان ما اتي به باطلا لمحاه كما جرت به عادته في المفترين ويحق
الحق اي الاسلام فيبينه بكلماته اي بما انزله من القران انه عليم
بذات الصدور عام اي بما في قلوب العباد وقيل خاص والمعني
انك لو حدثت نفسك ان تفتري علي الله كذبا لعلمه وطبع
علي قلبك قوله تعالي وهو الذي يقبل التوبة عن عباده
قال ابن عباس لما نزل قوله تعالي قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة
في القربي قال قوم في نفوسهم ما يريد الا ان يحثنا علي اقاربه من
بعده فاخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وانهم قد اتهموه
فانزل ام يقولون افتري علي الله كذبا الاية فقال القوم يا رسول
الله فانا نشهد انك صادق ونتوب فنزلت وهو الذي يقبل
التوبة عن عباده قال ابن عباس اي عن اوليايه واهل طاعته
والاية عامة وقد مضي الكلام في معني التوبة واحكامها ومضي
هذا اللفظ في براة ويعفوا عن السيات اي عن الشرك قبل الاسلام
ويعلم ما يفعلون اي من الخير والشر وقرا حمزة والكساي
وحفص وخلف بالتا علي الخبر واختاره ابو عبيدة وابو حاتم
لانه بين خبرين الاول وهو الذي يقبل التوبة عن عباده
والثاني ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات قوله تعالي

ويستجيب

ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات الذين في موضع نصب
اي ويستجيب الله الذين امنوا اي يقبل عبادة من اخلص
له بقلبه واطاع ببدنه وقيل يعطيهم مسألتهم اذا دعوه وقيل
ويجيب دعا المومنين بعضهم لبعض يقال اجاب واستجاب بمعنى
وقد مضى في البقره وقال ابن عباس ويستجيب الذين امنوا
وعملوا الصالحات يشفعهم في اخوانهم ويزيدهم من فضله
قال يشفعهم في اخوان اخوانهم وقال المبرد معنى ويستجيب الذين
امنوا وليستدعي الذين امنوا الاجابة هذا حقيقة معنى
استفعل فالذين في موضع رفع والكافرون لهم عذاب شديد
قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فيه
مسلتان الاولى في نزولها قيل انها نزلت في قوم من اهل الصفه
تمنوا سعة الرزق وقال خباب بن الارت فينا نزلت نظرنا
الى اموال بني النضير وقريظه وبني قينقاع فتمنيناها فنزلت
ولو بسط معناه وسع وبسط الشي نشره وبالصاد ايضا
لبغوا في الارض طغوا وعصوا وقال ابن عباس بغيهم طلبهم
منزلة بعد منزله ودابة بعد دابة ومركبا بعد مركب وملبسا
بعد ملبس وقيل اراد لو اعطاهم الكثير لطلبوا ما هو اكثر منه
لقوله لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثا وهذا
هو البغي وهو معنى قول ابن عباس وقيل لو جعلناهم سوا

في المال لما انقاد بعضهم لبعض ولتعطلت الصنايع وقيل اراد
بالرزق المطر الذي هو سبب الرزق اي لو ادام المطر لتشاغلوا
به عن الدعا فيقبض تارة ليتضرعوا ويبسط اخرى ليشكروا
وقيل كانوا اذا اخصبوا اغار بعضهم على بعض فلا يبعد حمل البغي
على هذا الزمخشري لبغوا من البغي وهو الظلم اي لبغى هذا على
ذاك وذاك على هذا لان البغي مع الفقر اقل ومع البسط اقوى واكثر
ذلك وذلك على هذا لان البغي مبطرة ماشرة وكفى بقارون عبرة
ومنه قوله عليه السلام اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا
وكثرتها ولبعض العرب وقد جعل الوسمي ينبت بيننا وبين بني
رومان نبعا وشوحطا. يعني انهم احيوا فحدثوا انفسهم
بالبغي والتغابن او من البغي وهو البذخ والكبر اي لتكبروا في الارض
وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد ولكن ينزل بقدر
ما يشا اي ينزل ارزاقهم بقدر ما يشا لكفايتهم وقال مقاتل
ينزل بقدر ما يشا يجعل من يشا غنيا ومن يشا فقيرا **الثانية**
قال علماونا افعال الرب سبحانه لا تخلوا عن مصالح وان لم يجب
على الله الاستصلاح فقد يعلم من حال عبد انه لو بسط عليه
قاده ذلك الى الفساد فيزوي عنه الدنيا مصلحة له فليس ضيق
الرزق هوانا ولا سعة الرزق فضيلة وقد اعطى اقواما مع
علمه بانهم يستعملونه في الفساد ولو فعل بهم خلاف ما فعل
لكانوا اقرب من الصلاح والامر على الجملة مفوض الى مشيئته

والاولى

ولا يمكن التزام مذهب الاستصلاح في كل فعل من افعال الله تعالى
وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى
قال من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربه واني لاسرع شي الى
نصرة اوليايي واني لاغضب لهم كما يغضب الليث الحرد وما
ترددت عن شي انا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المومن
يكره الموت وانا اكره اساته ولا بد له منه وما تقرب الي عبدي
المومن بمثل ما افترضت عليه وما يزال العبدي المومن يتقرب الي
بالنوافل حتى احبه وان من عبادي المومنين من يسالني الباب من
العباده واني عليم اني لو اعطيته اياه لدخله العجب فافسده
وان من عبادي المومنين من لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لافسده
الفقر وان من عبادي المومنين من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته
لافسده الغنى واني لادبر عبادي لعلمي بقلوبهم فاني عليم خبير
ثم قال انس اللهم اني من عبادك المومنين الذين لا يصلحهم الا الغنى
فلا تفقرني برحمتك **قوله تعالى** وهو الذي ينزل الغيث من
بعد ما قنطوا قرا ابن كثير وابن محيصن وحميد ومجاهد وابو
عمرو ويعقوب وابن وثاب والاعمش وحمزه والكسايي
ينزل مخففا الباقون بالتشديد وقرا ابن وثاب ايضا والاعمش
وغيرهما قنطوا بكسر النون وقد تقدم جميع هذا والغيث المطر
وسمي الغيث غيثا لانه يغيث الخلق وقد غاث الغيث الارض

اي اصابها وغاث الله البلاد يغيثها غيثا وغيثت الارض تغاث غيثا فهي ارض مغيثة ومغيوثة وعن الاصمعي قال مررت ببعض قبايل العرب وقد مطروا فسالت عجوزا منهم كم اتاكم المطر فقالت غثنا ما شينا غثنا اي مطرنا وقال ذو الرمة قاتل الله امة بهلال ما افصحها قلت لها كيف كان المطر عندكم فقالت غثنا ما شينا ذكر الاول الثعلبي والثاني الجوهري وربما سمي السحاب والنبات غيثا والقنوط الاياس قاله قتاده وغيره قال قتاده ذكر ان رجلا قال لعمر بن الخطاب يا امير المومنين قحط المطر وقل الغيث وقنط الناس فقال مطرتم ان شا الله ثم قرا وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا والغيث ما كان نافعا في وقته والمطر قد يكون نافعا وضارا في وقته قاله الماوردي وينشر رحمته قيل المطر وهو قول السدي وقيل ظهور الشمس بعد المطر ذكره المهدوي وقال مقاتل نزلت في حبس المطر عن اهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم انزل الله المطر وقيل نزلت في الاعرابي سال رسول الله صلي الله عليه وسلم عن المطر يوم الجمعه في خبر الاستسقا ذكره القشيري والله اعلم وهو الولي الحميد الولي الذي ينصر اولياه الحميد المحمود بكل لسان **قوله تعالى** ومن اياته خلق السموات والارض اي علاماته الداله على قدرته وما بث فيهما من دابة قال مجاهد يدخل في هذا الملايكه والناس وقد قال تعالى ويخلق ما لا يعلمون وقال

الفرا اراد ما نبت في الارض دون السما كقوله يخرج منهما اللولو
والمرجان وانما يخرج من الملح دون العذب وقال ابو علي تقديره
وما نبت في احدهما فحذف المضاف وقوله يخرج منهما اي من
احدهما وهو على جمعهم اي يوم القيامة اذا يشا قدير
قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم قرا
نافع وابن عامر بما كسبت بغير فا والباقون فبما بالفاء واختاره
ابو عبيد وابو حاتم الزيادة في الحرف والاجر قال المهدوي ان
قدرت انما الموصوله جاز حذف الفا واثباتها والاثبات
احسن وان قدرتها التي للشرط لم يجز الحذف عند سيبويه
واجازه الاخفش واحتج بقوله تعالى وان اطعتموهم انكم لمشركون
والمصيبة هنا الحدود على المعاصي قاله الحسن وقال الضحاك
ما تعلم رجل القران ثم نسيه الا بذنب قال الله تعالى وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم ثم قال واي مصيبة اعظم من نسيان
القران ذكره ابن المبارك عن عبد العزيز بن ابي رواد قال ابو عبيد
انما هذا على الترك فاما الذي هو دايب في تلاوته حريص على حفظه
الا ان النسيان يغلبه من ذلك في شي ومما يحقق ذلك ان النبي صلى الله فلس
عليه وسلم كان ينسى الشي من القران حتى يذكره من ذلك حديث عايشه
عن النبي صلى الله عليه وسلم سمع قراة رجل في المسجد فقال ما له رحمه
الله لقد اذكرني ايات كنت انسيتها من سورة كذا وكذا وقبل

ما بمعنى الذي والمعنى الذي اصابكم فيما مضى بما كسبت ايديكم وقال
علي رضي الله عنه هذه الاية ارجى اية في كتاب الله عز وجل واذا كان يكفر
عني بالمصايب ويعفوا عن كثير فما يبقى بعد كفارته وعفوه وقد روى
هذا المعنى مرفوعا عنه رضي الله عنه قال علي بن ابي طالب الا اخبركم
بافضل اية في كتاب الله تعالى حدثنا بها النبي صلى الله عليه وسلم وما
اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم الاية يا علي ما اصابكم من مرض
او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان
يثني عليكم العقوبة في الاخرة وما عفى عنه في الدنيا فالله احلم
من ان يعاقب به بعد عفوه وقال الحسن لما نزلت هذه الاية
قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش
عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفوا الله عنه اكثر
وقال الحسن دخلنا على عمران بن حصين فقال رجل لابد ان
اسالك عما ارى بك من الوجع فقال عمران يا اخي لا تفعل فوالله
اني لاحب الوجع ومن احبه كان احب الناس الى الله قال
الله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فهذا مما
كسبت يدي وعفو ربي عما بقي اكثر وقال مرة الهمداني رايت
على ظهر كف شريح قرحة فقلت يا ابا امية ما هذا قال هذا
بما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقال ابن عون ان محمد بن
سيرين لما ركبه الدين اغتم لذلك فقال اني لاعرف هذا الغم

هذا

مطلب
ما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم
وحديث ما من
اختلاج عرق وغيره
الا بذنب

وما يعفوا الله عنه
اكثر

هذا بذنب اصبته منذ اربعين سنة وقال احمد بن ابي الحواري قلت
لابي سليمان الداراني ما بال العقلاء ازالوا اللوم عن من اساء اليهم
فقال لانهم علموا ان الله تعالى انما ابتلاهم بذنوبهم قال الله تعالى
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقال عكرمة
ما من نكبة اصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفر
له الا بها او لينال درجة لم يكن يوصله اليها الا بها وروي ان
رجلا قال لموسى يا موسى سل الله لي في حاجة يقضيها لي هو اعلم
بها ففعل موسى فلما نزل اذا هو بالرجل قد مزق السبع لحمه
وقتله فقال موسى يا رب ما بال هذا فقال الله تعالى يا موسى انه
سالني درجة علمت انه لا يبلغها بعمله فاصبته بما ترى
لاجعلها وسيلة له في نيل تلك الدرجة فكان ابو سليمان
الداراني اذا ذكر هذا الحديث يقول سبحان من كان قادرا على
ان ينيله تلك الدرجة بلا بلوى ولكنه يفعل ما يشاء **قلت**
ونظير هذه الاية في المعنى قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به وقد
مضى القول فيه قال علماؤنا وهذا في حق المومنين فاما الكافر
فعقوبته موخرة الى الاخرة وقيل هذا خطاب للكفار وكان
اذا اصابهم شر قالوا هذا بشوم محمد فرد عليهم وقال بل ذلك
بشوم كفركم والاول اكثر واظهر واشهر وقال ثابت البناني
انه كان يقال الاذى يذهبن ساعات الخطايا ثم فيها قولان

مطلب

ساعات

احدهما انها خاصة في البالغين ان تكون عقوبة لهم وفي الاطفال
ان تكون لهم مثوبة لهم الثاني انها عقوبة عامة للبالغين في انفسهم
والاطفال في غيرهم من والد ووالدة ويعفوا عن كثير اي عن كثير
من المعاصي ان لا يكون عليها حدود وهو مقتضى قول الحسن وقيل
اي يعفو عن كثير من العصاة ان لا يعجل عليهم بالعقوبة وما انتم
بمعجزين في الارض اي بفايتين الله اي لن تعجزوه ولن تفوتوه
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير تقدم في غير موضع
قوله تعالى ومن اياته الجواري في البحر كالاعلام اي ومن
علاماته الدالة على قدرته السفن الجارية في البحر كانها من
عظمها اعلام والاعلام الجبال وواحد الجواري جارية قال
الله تعالى انا لما طغا الما حملناكم في الجارية سميت جارية
لانها تجري في الما والجارية هي المراة الشابة سميت بذلك
لانها تجري فيها ما الشباب وقال مجاهد الاعلام القصور
واحدها علم ذكره الثعلبي وذكر الماوردي عنه انها
الجبال وقال الخليل كل شي مرتفع عند العرب فهو علم قالت
الخنسا ترثي اخاها صخرا وان صخرا لتاتم الهداة به كانه
علم في راسه نار ان يشا يسكن الرياح كذا قراه اهل
المدينة الرياح بالجمع فيظللن رواكد على ظهره اي
فتبقا السفن سواكن على ظهر البحر لا تجري كذلك

الماء ركودًا سكن وكذلك الريح والسفينة والشمس اذا قام
قايم الظهيرة وكل ثابت في مكان فهو راكد وركد
الميزان استوى وركد القوم هدوا والمراكد المواضع
التي يركد فيها الانسان وغيره وقرا قتادة فيظللن بكسر
اللام على ان يكون لغة مثل ظللت اظل وفتح اللام هي اللغة
المشهورة ان في ذلك لايات اي دلالات وعلامات لكل
صبار شكور اي صبار على البلوى شكور على النعماء
قال قطرب نعم العبد الصبار الشكور الذي اذا اعطى
شكر واذا ابتلي صبر قال عون ابن عبد الله فكم
من منعم عليه غير شاكر وكم من مبتلى غير صابر
قوله تعالى او يوبقهن بما كسبوا اي وان
يشا يجعل الرياح عواصف فيوبق السفن اي
يغرقهن بذنوب اهلها وقيل يوبق اهل السفن ويعف
عن كثير من اهلها قال فلا يغرقهم معها حكاه الماوردي
وقيل ويعف عن كثير اي ويتجاوز عن كثير من الذنوب فينجيهم
الله من الهلاك قال القشيري والقراءة الفاشية ويعف
بالجزم وفيها اشكال لان المعنى ان يشا يسكن الرياح
فتبقى تلك السفن رواكد ويهلكها بذنوب اهلها

فلا يحسن عطف يعف على هذا لانه يصير المعنى ان يشا يعف وليس
المعنى ذلك بل المعنى الاخبار عن العفو من غير شرط المشيه فهو اذا
عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى وقد قرا قوم ويعفو
بالرفع وهي جيده في المعنى ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من
محيص يعني الكفار اي اذا توسطوا البحر وغشيتهم الرياح من كل
مكان او بقيت السفن رواكد علموا انه لا ملجا لهم سوى الله ولا
دافع لهم ان اراد الله اهلاكهم فيخلصون له العباده وقد مضى هذا
المعنى في غير موضع ومضى القول في ركوب البحر في البقره وغيرها
بما يغني عن اعادته وقرا نافع وابن عامر ويعلم بالرفع الباقون
بالنصب فالرفع على الاستيناف بعد الشرط والجزا كقوله في
سورة التوبه ويخزهم وينصركم عليهم ثم قال ويتوب الله على من
يشا رفعا ونظيره في الكلام ان تاتني اتك وينطلق عبد الله او
على انه خبر ابتدا محذوف والنصب على الصرف كقوله تعالى
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين صرف من حال الجزم
الى النصب استخفافا كراهية لتوالي الجزم كقول النابغه
فان يهلك ابو قابوس يهلك ربيع الناس والبلد الحرام .: ونمسك
بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام .: وهذا معنى
قول الفراء قال ولو جزم ويعلم جاز وقال الزجاج نصب على
اضمار ان لان قبلها جزما تقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك

بلغ

وان شيت

وان شئت قلت واكرمك بالجزم وفي بعض المصاحف وليعلم
وهذا يدل على ان النصب بمعنى وليعلم او لان يعلم وقال ابو علي
والمبرد النصب باضمار ان على ان تجعل الاول في تقدير المصدر
اي ويكون منه عفو وان يعلم فلما حمله على الاسم اضمر ان كما
تقول ان تاتني وتعطني اكرمك فتنصب تعطيني اي ان يكن منك
اتيان وان تعطيني ومعنى من محيص اي من فرار ومهرب
قاله قطرب السدي من ملجا وهو ماخوذ من قولهم حاص به
البعير حيصة اذا رمى به ومنه قولهم فلان يحيص عن الحق اي
يميل عنه **قوله تعالى** فما اوتيتم من شيء يريد من الغنى والسعة
في الدنيا فمتاع اي فانما هو متاع في ايام قليلة ينقضي ويذهب
فلا ينبغي ان يتفاخر به والخطاب للمشركين وما عند الله خير وابقى
يريد من الثواب على الطاعة للذين امنوا صدقوا ووحدوا وعلى
ربهم يتوكلون نزلت في ابي بكر الصديق حين انفق جميع ماله
في طاعة الله تعالى فلامه الناس وجاء في الحديث انه انفق ثمانين الفا
قوله تعالى والذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش واذا ما غضبوا
هم يغفرون وفيه مسئلتان الاولى قوله تعالى الذين يجتنبون
الذين في موضع جر معطوف على قوله خير وابقى للذين امنوا اي
وهو للذين يجتنبون كباير الاثم وقد مضى القول في الكباير في النسا
وقرا حمزه والكساي كبير الاثم والواحد قد يراد به الجمع

الخامس

الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش

عند الاضافة لقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكما
جاء في الحديث منعت العراق درهمها وقفيزها الباقون بالجمع
هنا وفي النجم والفواحش قال السدي يعني الزنا وقاله ابن عباس
وقال كبير الاثم الشرك وقال قوم كباير الاثم ما تقع الصغاير
مغفورة عند اجتنابها والفواحش داخلة في الكباير ولكنها
تكون افحش واشنع كالقتل بالنسبة الى الجرح والزنا بالنسبة
الى المراودة وقيل الفواحش والكباير بمعنى واحد فكرر لتعدد
اللفظ اي يجتنبون المعاصي لانها كباير وفواحش وقال مقاتل
الفواحش موجبات الحدود **الثانية** قوله تعالى واذا ما غضبوا
هم يغفرون اي يتجاوزون ويحلمون عن ظلمهم قيل نزلت في عمر
حين شتم بمكة وقيل في ابي بكر حين لامه الناس على انفاق ماله
كله وحين شتم فحلم وعن علي رضي الله عنه قال اجتمع لابي بكر
مال مرة فتصدق فيه كله في سبيل الخير فلامه المسلمون وخطاه
الكافرون فنزلت فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند
الله خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون الى قوله واذا ما
غضبوا هم يغفرون وقال ابن عباس شتم رجل من المشركين
ابا بكر ولم يرد عليه شيئا فنزلت الاية وهذه من محاسن
الاخلاق يشفقون على ظالمهم ويصفحون لمن جهل عليهم يطلبون
بذلك ثواب الله وعفوه لقوله تعالى في ال عمران والكاظمين الغيظ

وهو

وهو ان يثنا ولك الرجل فتكظم غيظك عنه وانشد بعضهم،
اني عفوت لظالمي ظلمي ووهبت ذلك له على علمي ما زال يظلمني
وارحمه حتى بكيت له من الظلم، قوله تعالى والذين
استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما
رزقناهم ينفقون فيه ثلث مسايل الاولى قوله تعالى
والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة قال عبد الرحمن بن زيد
هم الانصار بالمدينة استجابوا الى الايمان بالرسول حين انفذ
اليهم اثني عشر نقيبا منهم قبل الهجره واقاموا الصلاة اي اداموها
لمواقيتها بشروطها وهيأتها الثانية قوله تعالى وامرهم
شورى بينهم اي يتشاورون في الامور والشورى مصدر
شاورته مثل البشرى والذكرى ونحوه فكانت الانصار قبل
قدوم النبي صلى الله عليه وسلم اليهم اذا ارادوا امرا تشاوروا
فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالى به قاله النقاش وقال
الحسن اي انهم لانقيادهم الى الراي في امورهم متفقون لا
يختلفون فمدحوا باتفاق كلمتهم قال الحسن ما تشاور قوم
قط الا هدوا لارشد امورهم وقال الضحاك هو تشاورهم
حين سمعوا بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد النقبا
اليهم حتى اجتمع رايهم في دار ابي ايوب على الايمان به والنصرة
له وقيل تشاورهم فيما يعرض لهم فلا يستاثر بعضهم بخير

دون بعض وقال ابن العربي الشورى الفة للجماعة ومسبار
للعقول وسبب الى الصواب وما تشاور قوم قط الا هدوا
وقد قال الحكيم اذا بلغ الراي المشورة فاستعن برأي لبيب او مشورة
حازم ولا تجعل الشورى عليك غضاضة مكان الخوافي نافع للقوادم
فمدح الله المشاورة في الامور بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون
ذلك وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يشاور اصحابه في الاراء
المتعلقة بمصالح الحروب وذلك في الاراء كثير ولم يكن يشاورهم
في الاحكام لانها منزلة من عند الله على جميع الاقسام من الفرض
والندب والمكروه والمباح والحرام فاما الصحابة بعد استيثار
الله تعالى به علينا فكانوا يتشاورون في الاحكام ويستنبطونها
من الكتاب والسنة واول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة فان
النبي صلى الله عليه وسلم لم ينص عليها حتى كان فيها بين ابي بكر والانصار
ما سبق بيانه وقال عمر رضي الله عنه نرضى لدنيانا من رضيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وتشاوروا في اهل الردة
فاستقر راي ابي بكر على القتال وتشاوروا في الجد وميراثه
وفي حد الخمر وعدده وتشاوروا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الحروب حتى شاور عمر الهرمزان حين وفد عليه مسلما
في المغازي فقال له الهرمزان مثلها ومثل من فيها من الناس
من عدد المسلمين مثل طاير له ريش وله جناحان ورجلان

فان

فان كسر احد الجناحين نهضت الرجلان بجناح والراس وان
كسر الجناح الاخر نهضت الرجلان والراس وان شدخ
الراس ذهب الرجلان والجناحان والراس كسرى والجناح
الواحد قيصر والاخر فارس فمر المسلمين فلينفروا الى
كسرى وذكر الحديث وقال بعض العقلا ما اخطات قط اذ
احزبني امر شاورت قومي ففعلت الذي يرون فان اصبت فهم
المصيبون وان اخطات فهم المخطيون **الثالثه** وقد مضى
في ال عمران ما تضمنته الشوري من الاحكام عند قوله تعالى
وشاورهم في الامر والمشوره بركة والمشوره الشورى وكذلك
المشورة بضم الشين تقول منه شاورته في الامر واستشرته
بمعنى وروى الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا كان امراوكم خياركم واغنياوكم سمحاوكم
وامركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها واذا
كانت امراوكم شراركم واغنياوكم بخلاوكم واموركم الى
نسايكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها قال حديث غريب
ومما رزقناهم ينفقون اي ومما اعطيناهم يتصدقون وقد
تقدم في البقره **قوله تعالى** والذين اذا اصابهم البغي هم
ينتصرون الى قوله لمن عزم الامور فيه احدى عشرة مسله
الاولى قوله تعالى والذين اذا اصابهم البغي اي اصابهم بغي المشركين

قال ابن عباس وذلك ان المشركين بغوا علي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعلى اصحابه واخرجوهم من مكة فاذن الله تعالى لهم بالخروج
ومكن لهم في الارض ونصرهم على من بغى عليهم وذلك قوله في سورة
الحج اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير
الذين اخرجوا الايات كلها وقيل هو عام في بغي كل باغ من كافر وغيره
اي اذا نالهم ظلم من ظالم لم يستسلموا لظلمه وهذه اشارة الى
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة الحدود قال ابن العربي
ذكر الله الانتصار في البغي في معرض المدح وذكر العفو عن الجرم
في موضع اخر في معرض المدح فاحتمل ان يكون احدهما رافعا
للاخر واحتمل ان يكون ذلك راجعا الى حالتين احداهما ان يكون
الباغي معلنا في الفجور وقحا في الجمهور موذيا للصغير والكبير
فيكون الانتقام منه افضل وفي مثله قال ابراهيم النخعي كانوا
يكرهون ان يذلوا انفسهم فتجترئ عليهم الفساق الثانية ان
تكون الفلتة او يقع ذلك ممن يعرف بالزلة ويسأل المغفرة
فالعفو هاهنا افضل وفي مثله نزلت وان تعفوا اقرب للتقوى
وقوله فمن تصدق به فهو كفارة له وقوله وليعفوا وليصفحوا
الا تحبون ان يغفر الله لكم قلت هذا حسن وهكذا ذكر الكيا الطبري
في احكامه قال قوله تعالى والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون
يدل ظاهره على ان الانتصار في هذا الموضع افضل الا ترى انه

فقرنه

مطلب الخروج والانتقام وموذ في كل باغ وغيره كافرا كان او غيره

قرينة الي ذكر الاستجابة لله سبحانه واقام الصلاة وهو محمول على ما
ذكر ابراهيم النخعي انهم كانوا يكرهون للمومنين ان يذلوا انفسهم فيجتري
عليهم الفساق فهذا فيمن تعدّي واصرّ على ذلك والموضع المامور
فيه بالعفو اذا كان الجاني نادمًا مقلعًا وقد قال عقيب هذه الاية
ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل ويقتضي ذلك اباحة
الانتصار لا الامر به وقد عقبه بقوله ولمن صبر وغفر انّ
ذلك لمن عزم الامور وهو محمول على الغفران عن غير المصر فاما
المصر على البغي والظلم فالافضل الانتصار منه بدلالة الاية
التي قبلها وقيل اي اذا اصابهم البغي تناصروا عليه حتى يزيلوه
عنهم ويدفعوه قاله ابن بحر وهو راجع الى العموم على ما ذكرنا
الثانيه قوله تعالي وجزاء سيئة سيئة مثلها قال علماونا
جعل الله المومنين صنفين صنف يعفون عن الظالم فبدا بذكرهم
في قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم
ثم بيّن حد الانتصار بقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فينتصر ممن
ظلمه من غير ان يعتدي قال مقاتل وهشام بن حجيره هذا في
المجروح ينتقم من الجارح بالقصاص دون غيره من سبّ او
شتم وقاله الشافعي وابو حنيفه وسفيان قال سفيان وكان
ابن شبرمة يقول ليس بمكة مثل هشام وتاول الشافعي في
هذه الاية ان للانسان ان ياخذ من مال من خانه مثل ما خانه

من غير علمه واستشهد في ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم
لهند زوج ابي سفيان خذي من ماله ما يكفيك وولدك فاجاز لها
اخذ ذلك بغير اذنه وقد مضى الكلام في هذا مستوفى في البقره
الثالثه قوله تعالى فمن عفى واصلح قال ابن عباس من ترك
القصاص واصلح بينه وبين الظالم بالعفو فاجره على الله اي ان
الله ياجره على ذلك قال مقاتل وكان العفو من الاعمال الصالحه
وقد مضى في ال عمران في هذا ما فيه كفايه والحمد لله وذكر ابو نعيم الحافظ
عن علي بن الحسين رضي الله عنهم قال اذا كان يوم القيامه نادى مناد
ايكم اهل الفضل فيقوم ناس من الناس فيقال انطلقوا الى الجنه
فتلقاهم الملايكه فيقولون الى اين فيقولون الى الجنه قالوا قبل
الحساب قالوا نعم قالوا من انتم قالوا اهل الفضل قالوا وما كان
فضلكم قالوا كنا اذا جهل علينا حلمنا واذا ظلمنا صبرنا واذا
اسي الينا غفرنا قالوا ادخلوا الجنه فنعم اجر العاملين وذكر الحديث
انه لا يحب الظالمين اي من بدا بالظلم قاله سعيد بن جبير وقيل لا يحب
من يتعدى في الاقتصاص ويجاوز الحد قاله ابن عيسى الرابعه
قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه اي المسلم اذا انتصر من الكافر
فلا سبيل الى لومه بل يحمد على ذلك مع الكافر ولا لوم ان انتصر
الظالم من المسلم فالانتصار من الكافر حتم ومن المسلم مباح
والعفو مندوب الخامسه في قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه

فاوليك

فاولئك ما عليهم من سبيل دليل على ان له ان يستوفي ذلك بنفسه وهذا
ينقسم ثلثة اقسام احدها ان يكون قصاصا في بدن يستحقه ادمي
فلا حرج عليه ان استوفاه من غير عدوان وثبت حقه عند الحكام
لكن يزجره الامام في تفويته بالقصاص لما فيه من الجراة على سفك
الدم وان كان حقه غير ثابت عند الحاكم فليس عليه فيما بينه
وبين الله حرج وهو في الظاهر مطالب وبفعله مواخذ
ومعاقب والقسم الثاني ان يكون حد الله تعالى لا حق لادمي
فيه كحد الزنا وقطع السرقة فان لم يثبت ذلك عند حاكم اخذ به
وعوقب عليه وان ثبت عند حاكم نظر فان كان قطعا في سرقة
سقط به الحد لزوال العضو المستحق قطعه ولم يجب عليه في ذلك
حق لان التعزير ادب وان كان جلدا لم يسقط به الحد لتعديه
به مع بقا محله وكان ماخوذا بحكمه القسم الثالث بلغ
ان يكون حقا في مال فيجوز لصاحبه ان يغالب على حقه حتى
يصل اليه ان كان ممن هو عالما به وان كان غير عالم نظر فان
امكنه الوصول اليه عند المطالبه لم يكن الا الاستسرار
باخذه وان كان لا يصل اليه بالمطالبه لجحود من هو عليه من
عدم بينة تشهد له ففي جواز استسراره باخذه مذهبان
احدها جوازه وهو قول مالك والشافعي الثاني المنع وهو قول وهو
ابي حنيفه السادسه قوله تعالى انما السبيل على الذين

يظلمون الناس اي بعدوانهم عليهم في قول اكثر العلما وقال ابن
جريج اي يظلمونهم بالشرك المخالف لدينهم ويبغون في الارض
بغير الحق اي في النفوس والاموال في قول الاكثرين وقال مقاتل
بغيهم عليهم بالمعاصي وقال ابو مالك هو ما يرجوه كفار قريش
ان يكون بمكة غير الاسلام دينا وعلى هذا الحد قال ابن زيد
إن هذا كله منسوخ بالجهاد وان هذا للمشركين خاصة وقول قتادة
انه عام ولذا بد ان ظاهر الكلام وقد بيناه والحمد لله السابعة
قال ابن العربي هذه الاية في مقابلة الاية المتقدمة في براءة وهي
قوله تعالى ما على المحسنين من سبيل فكما نفى الله السبيل عمن احسن
فكذلك نفاها عن من ظلم واستوفى بيان القسمين
الثامنة واختلف علماؤنا في السلطان يضع على اهل بلد مالا
معلوما يأخذهم به ويؤدونه على قدر اموالهم هل لمن قدر
على الخلاص من ذلك ان يفعل وهو اذا تخلص اخذ ساير اهل
البلد بتمام ما جعل عليهم فقيل لا وهو قول سحنون من علمائنا وقيل
نعم له ذلك ان قدر على الخلاص واليه ذهب ابو جعفر احمد بن
نصر الداودي ثم المالكي قال ويدل عليه قول مالك في الساعي
يأخذ من احد غنم الخلطا شاة وليس في جميعها نصاب انها
مظلمة على من اخذت له لا يرجع على اصحابه بشي قال ولست
اخذ بما روي عن سحنون لان الظلم لا اسوة فيه ولا يلزم احد
ان

عليهم

مطلب ما على المحسنين من سبيل

مطلب انما السبيل على الذين يظلمون الناس

ان يولج نفسه في ظلم مخافة ان يضاعف الظلم على غيره والله
سبحانه يقول انما السبيل على الذين يظلمون الناس الناسعه
واختلف العلما في التحليل فكان ابن المسيب لا يحلل احدا من عرض
ولا مال وكان سليمان بن يسار ومحمد بن سيرين يحللان من العرض
والمال وراى مالك التحليل من المال دون العرض روى ابن القاسم
وابن وهب عن مالك وسيل عن قول سعيد بن المسيب لا احلل
احدا فقال ذلك يختلف فقلت له يا ابا عبد الله الرجل يسلف الرجل
فيهلك ولا وفا له قال ارى ان يحلله وهو افضل عندي فان الله
تعالى يقول الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه فقيل له
الرجل يظلم الرجل فقال لا ارى ذلك هو عندي مخالف للاول يقول
الله تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويقول تعالى ما
على المحسنين من سبيل فلا ارى ان يجعله من ظلمه في حل قال ابن
العربي فصار في المسئلة ثلثة اقوال احدها لا يحلله بحال قاله
سعيد بن المسيب الثاني يحلله قاله محمد بن سيرين الثالث
ان كان مالا حلله وان كان ظالما لم يحلله وهو قول مالك وجه الاول
ان لا يحلل ما حرم الله فيكون كالتبديل لحكم الله ووجه الثاني
انه حقه فله ان يسقط كما يسقط دمه وعرضه ووجه الثالث
الذي اختاره مالك هو ان الرجل غلب على اداء حقك فمن الرفق
به ان يحلله وان كان ظالما فمن الحق ان لا تتركه لئلا تغتر الظلمة

مطلب انما السبيل المذكوره

ويستبشرون في افعالهم القبيحه وفي صحيح مسلم حديث ابي اليسر
الطويل وفيه انه قال لغريمه اخرج الي فقد علمت اين انت فخرج فقال
ما حملك علي ان اختبات مني قال انا والله احدثك ثم لا اكذبك خشيت
والله ان احدثك فاكذبك وان اعدك فاخلفك وكنت صاحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكنت والله معسرا قال قلت آلله قال الله
قال فاتي بصحيفة فمحاها فقال ان وجدت قضا فاقض والا فانت
في حل وذكر الحديث قال ابن العربي وهذا في الحي الذي لا يرجي له
الادا لسلامة الذمة ورجا التحمل فكيف بالميت الذي لا محالة له
ولا ذمة معه العاشرة قال بعض العلماء ان من ظلم واخذ له مال
فانما له ثواب ما احتبس عنه الي موته ثم يرجع الثواب الي ورثته
ثم كذلك الي اخرهم لان المال يصير بعده للوارث قال ابو جعفر
الداودي المالكي هذا صحيح في النظر وعلي هذا القول ان مات
الظالم قبل من ظلمه ولم يترك شيا او ترك ما لم يعلم وارثه فيه
بظلم لم ينتقل تباعة المظلوم الي ورثته المظالم لانه لم يبق للظالم ما
يستوجبه ورثة المظلوم **قوله تعالى** ولمن صبر وغفر اي
صبر علي الاذي وغفر ترك الانتصار لوجه الله وهذا فيمن
ظلمه مسلم ويحكي ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه الله
وكان المسبوب يكظم ويعرق ويمسح العرق ثم قام فتلي هذه
الاية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون

وبالجملة

وبالجملة العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر في بعض
الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه كما تقدم وذلك اذا
احتيج الى كف زيادة البغي وقطع مادة الاذى وعن النبي صلى الله
عليه وسلم ما يدل عليه وهو ان زينب اسمعت عايشة رضي
عنهما بحضرته فكان ينهاها فلا تنتهي فقال لعايشة دونك فانتصري
خرجه مسلم في صحيحه بمعناه وقيل صبر عن المعاصي وستر
على المساوي ان ذلك لمن عزم الامور اي من عزايم الله التي امر بها
وقيل من عزايم الصواب التي وفق لها وذكر الكلبي والفرا
ان هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه مع ثلث
ايات قبلها وقد شتمه بعض الانصار فرد عليه ثم امسك وهي
المدنيات من هذه السورة وقيل هذه الايات في المشركين وكان هذا
في ابتدا الاسلام قبل الامر بالقتال ثم نسختها اية القتال وهو
قول ابن زيد وقد تقدم وفي تفسير ابن عباس ولمن انتصر بعد ظلمه
يريد حمزة وعبيدة وعليا وجميع المهاجرين رضوان الله عليهم
فاولئك ما عليهم من سبيل يريد حمزة بن عبد المطلب وعبيدة وعليا
رضوان الله عليهم اجمعين انما السبيل على الذين يظلمون الناس
يريد عتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وابا جهل والاسود وكل وشيبة ابن ربيعة
من قاتل من المشركين يوم بدر ويبغون في الارض يريد بالظلم
والكفر اولئك لهم عذاب اليم يريد وجيع ولمن صبر وغفر يريد

ابا بكر وعمر وابا عبيدة بن الجراح ومصعب بن عمير وجميع اهل بدر
رضوان الله عليهم اجمعين ان ذلك من عزم الامور حيث قبلوا الفدا
وصبروا على الاذى **قوله تعالى** ومن يضلل الله اي يخذله فما له
من ولي من بعده هذا فيمن اعرض عن النبي صلى الله عليه وسلم فيمن دعاه
اليه من الايمان بالله والمودة في القربى ولم يصدقه في البعث وان
متاع الدنيا قليل اي من اضله الله عن هذه الاشياء فلا يهديه هادٍ
قوله تعالى وترى الظالمين اي الكافرين لما راوا العذاب يعني جهنم
وقيل راوا العذاب عند الموت يقولون هل الى مرد يطلبون ان
يردوا الى الدنيا ليعملوا بطاعة الله فلا يجابون الى ذلك **قوله تعالى**
وتراهم يعرضون عليها اي على النار لانها عذابهم فكنى عن العذاب
المذكور بحرف التانيث لان ذلك العذاب هو النار وان شئت
جهنم عند انطلاقهم اليها قاله الاكثرون وقيل آل فرعون خصوصا
تحبس ارواحهم في جوف طير سود تغدوا على جهنم وتروح
فهو عرضهم عليها قاله ابن مسعود وقيل انهم عامة المشركين
تعرض عليهم ذنوبهم في قبورهم ويعرضون على العذاب في قبورهم
وهذا معنى قول ابي الحجاج خاشعين من الذل ذهب بعض القرا
الى الوقف على خاشعين وقوله من الذل متعلق بينظرون وقيل
هو متعلق بخاشعين والخشوع الانكسار والتواضع ومعنى ينظرون
من طرف خفي اي لا يرفعون ابصارهم للنظر رفعا تاما لانهم ناكسوا
الرووس

او لم يرد الا عا اللفظ لنا رعليه ثم قتلهم اكثر كون حقيقتا لهم ضرر عليه

الرووس والعرب تصف الذليل بغض الطرف كما يستعملون في ضده حديد النظر اذا لم يتهم ريبة فيكون عليه منها غضاضة وقال مجاهد من طرف خفي اي ذليل قال وانما ينظرون بقلوبهم لانهم يحشرون عميا وعين القلب طرف خفي وقال قتادة والسدي والقرظي وسعيد بن جبير يسارقون النظر من شدة الخوف وقيل المعنى ينظرون من عين ضعيفة النظر وقال يونس من بمعنى الباء اي ينظرون بطرف خفي اي ضعيف من الذل والخوف ونحوه عن الاخفش وقال ابن عباس بطرف ذابل ذليل وقيل اي يفزعون ان ينظروا اليها بجميع ابصارهم لما يرون من اصناف العذاب وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة اي يقول المومنون في الجنة لما عاينوا ما حل بالكفار ان الخسران في الحقيقة ما صار اليه هولاء فانهم خسروا انفسهم لانهم في العذاب المخلد وخسروا اهليهم لان الاهل ان كان في النار فلا انتفاع بهم وان كان في الجنة فقد حيل بينه وبينهم وقيل خسران الاهل انهم لو امنوا لكان لهم اهل في الجنة من الحور العين وفي سنن ابن ماجة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فاذا مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى اوليك هم الوارثون وقد تقدم وفي مسند الدارمي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه

وقيل اي انكار على ما ينزل بكم من العذاب

مامن احد يدخله الله الجنة الا زوجه الله اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين وسبعين من ميراثه من اهل النار ما منهن واحدة الا ولها قبل شهي وذكر لا ينثني قال هشام بن خالد من ميراثه من اهل النار يعني رجالا دخلوا النار فورث اهل الجنة نساءهم كما ورثت امراة فرعون الا ان الظالمين في عذاب مقيم اي دايم لا ينقطع ثم يجوز ان يكون هذا من قول المومنين ويجوز ان يكون ابتدا من الله تعالى **قوله تعالى** وما كان لهم من اوليا اي اعوانا ونصرا ينصرونهم من دون الله اي من عذابه ومن يضلل الله فما له من سبيل اي طريق يصل به الى الحق في الدنيا والجنة في الاخرة لانه قد سدت عليه طريق النجاة **قوله تعالى** استجيبوا لربكم اي اجيبوه الى ما دعاكم اليه من الايمان والطاعة استجاب واجاب بمعنى وقد تقدم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يريد يوم القيامة اي لا يرده احد بعد ما حكم الله به وجعله اجلا ووقتا ما لكم من ملجا اي من منجا يجيكم من العذاب وما لكم من نكير اي من ناصر ينصركم قاله مجاهد وقيل النكير بمعنى المنكر كالاليم بمعنى المولم اي لا تجدون يوميذ منكرا لما ينزل بكم من العذاب والنكير والانكار تغيير المنكر **قوله تعالى** فان اعرضوا اي عن الايمان فما ارسلناك عليهم حفيظا اي حافظا لاعمالهم حتى تحاسبهم عليها وقيل موكلا بهم لا تفارقهم دون ان يومنوا اي ليس لك اكراههم على الايمان ان عليك الا البلاغ

وقيل

وقال الكلبي والزجاج معناه انهم لا يقدرون ان ينكروا ... الله يوم القيامة

وقيل نسخ هذا باية القتال وانا اذا اذقنا الانسان الكافر منا رحمة
رخاو صحة فرح بها وان تصبهم سيئة بلاء وشدة فان الانسان
لكفور اي لما تقدم من النعمة فيعدد المصايب وينسى النعم **قوله**
تعالى لله ملك السموات والارض يخلق ما يشا فيه اربع مسائل
الاولى قوله تعالى لله ملك السموات والارض ابتدا وخبر يخلق
ما يشا من الخلق يهب لمن يشا اناثا ويهب لمن يشا الذكور
قال عبيدة وابو مالك ومجاهد والحسن والضحاك يهب لمن يشا
اناثا لا ذكور معهن ويهب لمن يشا ذكورا لا اناث معهم وادخل
الالف واللام على الذكور دون الاناث لانهم اشرف فميزهم بسمة
التعريف وقال واثلة ابن الاسقع ان من يمن المراة تبكيرها بالانثى
قبل الذكر وذلك ان الله تعالى قال يهب لمن يشا اناثا ويهب لمن
يشا الذكور فبدا بالاناث او يزوجهم ذكرانا واناثا قال مجاهد
هو ان تلد المراة غلاما ثم تلد جارية ثم تلد غلاما ثم تلد جارية
وقال محمد بن الحنفية هو ان تلد توما غلاما وجارية او يزوجهم
ذكرانا واناثا قال القتيبي التزويج هاهنا هو الجمع بين البنين والبنات
تقول العرب زوجت ابلي اذا جمعت بين الصغار والكبار ويجعل
من يشا عقيما اي لا يولد له يقال رجل عقيم وامراة عقيم وعقمت
المراة تعقم عقما مثل حمد يحمد وعقمت تعقم مثل عظم يعظم
واصله القطع ومنه الملك العقيم اي تقطع فيه الارحام بالقتل

(الصغار)

والعقوق خوفا على الملك وريح عقيم اي لا تلقح سحابا ولا شجرة
ويوم القيامة يوم عقيم لانه لا يوم بعده ويقال نسا عقم
وعقم قال الشاعر عقم النسا فلا يلدن شبيهه ان النسا
بمثله عقم وحكى النقاش ان هذه الاية نزلت في الانبياء
خصوصا وان عم حكمها وهب للوط البنات ليس معهن
ذكر ووهب لابراهيم الذكور ليس معهم انثى ووهب لاسماعيل
واسحاق الذكور والاناث وجعل عيسى ويحيى عقيمين ونحوه
عن ابن عباس واسحاق بن بشر قال اسحاق نزلت في الانبياء
ثم عمت يهب لمن يشا اناثا يعني لوطا عليه السلام لم يولد
له ذكر وانما ولد له ابنتان ويهب لمن يشا الذكور يعني
ابراهيم عليه السلام لم تولد له انثى بل ولد له ثمانية ذكور
او يزوجهم ذكرانا واناثا ادم كانت حوا تلد له في كل بطن
توامين ذكرا وانثى ويزوج الذكر من هذا البطن من الانثى
من البطن الاخر حتى احكم الله التحريم في شرع نوح صلى
الله عليه وسلم وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم كان له ذكور
واناث من الاولاد القاسم والطيب والطاهر وعبد الله وزينب
وام كلثوم ورقية وفاطمة وكذلك قسم الله الخلق من لدن
ادم الى زماننا الى ان تقوم الساعة على هذا التقدير المحدود
بحكمته البالغة ومشيته النافذة ليبقى النسل ويتمادى
الخلق

يعني

وهم من خديجة رضي الله عنها وابراهيم وهو من مارية القبطية

الخلق وينفذ الوعد ويحق الامر وتعمر الدنيا وناخذ الجنة
وجهنم ما يملا كل واحدة ويبقى ففي الحديث ان النار لن تملى
حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط واما الجنة فيبقى
منها فينشي الله لها خلقا اخر الثانية قال ابن العربي
ان الله تعالى لعموم قدرته وشديد قوته يخلق الخلق
ابتداء من غير شي وبعظيم لطفه وبالغ حكمته يخلق
شيا من شي لا عن حاجة فانه قدوس عن الحاجات
سلام عن الافات كما قال القدوس السلام فخلق
ادم من الارض وخلق حوا من ادم وخلق النشاة من
بينهما منها مرتبا على الوطي كاينا عن الحمل موجودا
في الجنين بالوضع كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا
سبق ما الرجل ما المراة اذكر واذا سبق ما المراة
ما الرجل انثى ولذلك في الصحيح ايضا اذا علا ما
الرجل ما المراة اشبه الرجل اعمامه واذا علا ما
المراة ما الرجل اشبه الولد اخواله قلت هذا
معنى حديث عايشة لا لفظه خرجه مسلم من حديث
عروة بن الزبير عنها ان امراة قالت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم هل تغتسل المراة اذا احتلمت
وابصرت الما فقال نعم فقالت لها عايشة تربت يداك

مطلب سبق ماء الرجل ماء المراة عند الجماع وبيان كون الولد ذكرا وانثى عند الولادة باذن الله تعالى

وأُلْنثْ قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعيها
وهل يكون الشبه الا من قبل ذلك اذا علا ماوها ماءُ
الرجل اشبه الولد اخواله واذا علا ماء الرجل ماها
اشبه اعمامه قال علماونا فعلى مقتضى هذا الحديث
ان العلو يقتضي الشبه وقد خرج حديث ثوبان خرجه
مسلم ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لليهودي
ماء الرجل ابيض وماء المراة اصفر فاذا اجتمعا فعلا
مني الرجل مني المراة اذكرا باذن الله واذا علا مني
المراة مني الرجل آنثا باذن الله الحديث فجعل في هذا
الحديث ايضا العلو يقتضي الذكوره والانوثه
فعلى مقتضى الحديثين يلزم اقتران الشبه للاعمام
والذكوره ان علا مني الرجل وكذلك يلزم اذا علا مني
المراة اقتران الشبه للاخوال والانوثه لانهما معلولا
علة واحدة وليس الامر كذلك بل الوجود بخلاف ذلك لانا
نجد الشبه للاخوال والذكوره والشبه للاعمام والانوثه
فتعين تاويل احد الحديثين والذي يتعين تاويله الذي في حديث
ثوبان فيقال ان ذلك العلو معناه سبق الماء الى الرحم ووجهه
ان العلو لما كان معناه الغلبه من قولهم سابقني فلان فسبقته

ای غلبته

بلغ

اي غلبته ومنه قوله تعالى وما نحن بمسبوقين اي مغلوبين
قيل غلبه علا ويويد هذا التاويل قوله في الحديث اذا
سبق ما الرجل ما المراة اذكرا واذا سبق ما المراه ما
الرجل انثا وقد بنى القاضي ابو بكر بن العربي على هذه
الاحاديث بنا فقال ان للماين اربعة احوال الاول ان
يخرج ما الرجل اولا الثاني ان يخرج ما المراة اولا الثالث
ان يخرج ما الرجل اولا ويكون اكثر الرابع ان يخرج ما المراة
اولا ويكون اكثر ويتم التقسيم بان يخرج ما الرجل اولا ثم
يخرج ما المراة بعده فيكون اكثر او بالعكس فاذا خرج
ما الرجل اولا وكان اكثر جا الولد ذكرا بحكم السبق واشبه الولد
اعمامه بحكم الكثره وان خرج ما المراة اولا وكان اكثر جا الولد
انثى بحكم السبق واشبه اخواله بحكم الغلبه وان خرج ما الرجل
اولا لكن لما خرج ما المراة بعده كان اكثر كان الولد ذكرا بحكم
السبق واشبه اخواله بحكم غلبة ما المراه وان سبق ما المراه
لكن لما خرج ما الرجل كان اعلى من ما المراة كان الولد انثى بحكم
سبق ما المراة واشبه اعمامه بحكم غلبة ما الرجل قال وبانتظام
هذه الاقسام يستتب الكلام ويرتفع التعارض عن الاحاديث
فسبحان الخالق العليم الثالثه قال علماونا كانت الخلقه مستمره
ذكرا وانثى الى ان وقع في الجاهلية الاولى الخنثى فاتي به فريض العرب

ومعمرها عامر بن الظرب فلم يدر ما يقول فيه وأرجاهم عنه فلما
جن عليه الليل أنكر موضعه وأقض عليه مضجعه وجعل يتقلى ويتقلب
وتجيء له الأفكار وتذهب إلى أن أنكرت خادمه حاله فقالت ما لك
قال لها سهرت لأمر قصدت به فلم أدر ما أقول فيه فقالت ما
هو قال لها رجل له ذكر وفرج كيف يكون حاله في الميراث قالت له
الأمة ورثه من حيث يبول فعقلها وأصبح فعرضها عليهم
وانقلبوا بها راضين وجاء الإسلام على ذلك فلم تنزل إلا في عهد علي رضي
الله عنه فقضى فيها وقد روى الفرضيون عن الكلبي عن أبي صالح عن
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم عن مولود له قبل وذكر من
أين يورث قال من حيث يبول وروي أنه أتي بخنثى من الأنصار
فقال ورثوه من أول ما يبول وكذا روى محمد بن الحنفية عن علي رضه
ونحوه عن ابن عباس وبه قال ابن المسيب وأبو حنيفة وأبو
يوسف ومحمد وحكاه المزني عن الشافعي وقال قوم لا دلالة
في البول فإن خرج البول منهما جميعا قال أبو يوسف يحكم بالأكثر
وأنكره أبو حنيفة وقال أتكيله ولم يجعل أصحاب الشافعي للكثرة
حكما وحكي عن علي والحسن أنه قال تعد أضلاعه فإن المرأة تزيد
على الرجل بضلع واحد وقد مضى ما للعلماء في هذا في آية المواريث
في النساء مجودا والحمد لله الرابعة قال القاضي أبو بكر بن العربي
وقد أنكر قوم من رؤوس العوام باللغة وغباوة عن مقطع الفصاحة
... لأن الله تعالى قسم الخلق إلى ذكر وأنثى قلنا هذا جهل
وفصوص

وقصور عن معرفة سعة القدرة اما قدرة الله سبحانه فانه
واسع عليم واما ظاهر القران فلا يخفى وجود الانثى لان الله تعالى
قال لله ملك السموات والارض يخلق ما يشا فهذا عموم مدح
فلا يجوز تخصيصه لان القدرة تقتضيه واما قوله يهب لمن
يشا اناثا ويهب لمن يشا الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا
ويجعل من يشا عقيما فهذا اخبار عن الغالب والموجودات
وسكت عن النادر لدخوله تحت عموم الكلام الاول والوجود
يشهد له والعيان يكذب منكره وقد كان يقرا معنا برباط
ابي سعد على الامام الشهيد من بلاد المغرب خنثى ليس له لحية
وله ثديان وعنده جارية فربك اعلم به ومع طول الصحبة
عقلني الحيا عن سواله ويودي اليوم لو كاشفته عن حاله

قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا فيه
مسئلتان الاولى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا
وحيا سبب ذلك ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا
تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه
فانا لن نومن لك حتى تفعل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان موسى لم ينظر اليه فنزلت قوله الا وحيا ذكره النقاش
والواحدي والثعلبي وحيا قال مجاهد نفث ينفث في
قلبه فيكون الهاما ومنه قوله عليه السلام ان روح القدس

نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها واجلها
فاتقوا الله واجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم
او من وراء حجاب كما كلم موسى او يرسل رسولا كارساله جبريل
عليه السلام وقيل الا وحيا رؤيا يراها في منامه قاله محمد بن
زهير او من وراء حجاب قال زهير كما كلم موسى او يرسل رسولا
قال زهير هو جبريل عليه السلام فيوحي باذنه ما يشاء وهذا
الوحي من الرسل خطاب منهم للانبياء يسمعونه نطقا ويرونه
عيانا وهكذا كانت حال جبريل عليه السلام اذا نزل بالوحي
على النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس نزل جبريل عليه السلام
على كل نبي فلم يره منهم الا محمد وعيسى وموسى ويحيى وزكريا
عليهم السلام فاما غيرهم فكان وحيا الهاما في المنام وقيل
الا وحيا بارسال جبريل او من وراء حجاب كما كلم موسى او يرسل
رسولا الى الناس كافة وقرأ الزهري وشيبة ونافع او يرسل
رسولا فيوحي برفع الفعلين الباقون بنصبهما فالرفع على الاستئناف
اي وهو يرسل وقيل يرسل بالرفع في موضع الحال والتقدير
الا موحيا او مرسلا ومن نصب عطفوه على محل الوحي
لان معناه وما لبشر ان يكلمه الله الا ان يوحي او يرسل
ويجوز ان يكون النصب على تقدير حذف الجار من ان المضمرة
ويكون في موضع الحال التقدير او بان يرسل رسولا ولا

يجوز

كان

ولا يجوز ان يعطف او يرسل بالنصب على ان يكلم لفساد المعنى
لانه يصير ما كان لبشر ان يرسله او ان يرسل اليه رسولا وهو
قد ارسل الرسل من البشر وارسل اليهم الثانية احتج بهذه
الاية من راى فيمن حلف ان لا يكلم رجلا فارسل اليه رسولا انه
حانث لان المرسل قد سمي فيها مكلما للمرسل اليه الا ان ينوي
الحالف المواجهة بالخطاب قال ابن المنذر واختلفوا في الرجل
ان لا يكلم فلانا فكتب اليه كتابا او ارسل اليه رسولا فقال الثوري
الرسول ليس بكلام وقال الشافعي لا يبين ان يحنث وقال النخعي
والحكم في الكتاب يحنث وقال مالك يحنث في الكتاب والرسول
وقال مرة الرسول اسهل من الكتاب وقال ابو عبيد الكلام سوى
الخط والاشارة وقال ابو ثور لا يحنث في الكتاب قال ابن المنذر
لا يحنث في الكتاب والرسول قلت وهو قول مالك قال ابو عمر
من حلف ان لا يكلم رجلا فسلم عليه عامدا او ساهيا او سلم
على جماعة هو فيهم فقد حنث في ذلك كله عند مالك وان
ارسل اليه رسولا او سلم عليه في الصلاة لم يحنث قلت
يحنث في الرسول الا ان ينوي المشافهة للاية وهو قول
مالك وابن الماجشون وقد مضى في اول سورة مريم هذا
المعنى عن علمائنا مستوفى والحمد لله قوله تعالى وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا فيه اربع مسائل الاولى قوله

بجلفم

وكذلك اوحينا اليك اي وكالذي اوحينا الى الانبيا من قبلك اوحينا
اليك روحا اي نبوة قاله ابن عباس الحسن وقتاده رحمة
من عندنا السدي وحيا الكلبي كتابا الربيع هو
جبريل الضحاك هو القران وهو قول مالك بن دينار
وسماه روحا لانه حياة من موت الجهل وجعله من امره
بمعنى انزله كما شا على من يشا من النظم المعجز والتاليف
المعجب ويمكن ان يحمل قوله ويسالونك عن الروح على
القران ايضا قل الروح من امر ربي اي يسالونك من
اين لك هذا القران قل انه من امر الله انزله علي معجزا
ذكره القشيري وكان مالك بن دينار يقول يا اهل
القران ماذا زرع القران في قلوبكم فان القران ربيع
القلوب كما ان الغيث ربيع الارض النابتة ما
كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي لم تكن تعرف
الطريق الى الايمان وظاهر هذا يدل على انه ما كان قبل
الايحا متصفا بالايمان قال القشيري وهو من مجوزات
العقول والذي صار اليه المعظم ان الله ما بعث نبيا
الا كان مومنا به قبل البعثة وفيه تحكم الا ان يثبت
ذلك بتوقيف مقطوع به قال القاضي ابو الفضل عياض
واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه

فللناس
خلاف

خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته
والتشكك في شي من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار
عن الانبيا بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم
علي التوحيد والايمان بل علي اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف
السعادة ومن طالع سيرهم منذ صباهم الي مبعثهم حقق
ذلك كما عرف من حال موسي وعيسي ويحيي وسليمان وغيرهم عليهم
السلام قال الله تعالي وانيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطي
يحيي العلم بكتاب الله في حال صباه قال معمر كان ابن سنتين او ثلاث
فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت وقيل في
قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيي بعيسي وهو ابن ثلاث
سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في
بطن امه فكانت ام يحيي تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد
لما في بطنك تحية له وقد نص الله علي كلام عيسي لامه عند ولادتها
اياه بقوله لا تحزني علي قراة من فتحها وعلي قول من قال ان المنادي
عيسي ونص علي كلامه في مهده قال اني عبد الله اتاني الكتاب
وجعلني نبيا وقال ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما
وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة
وفي قصة الصبي ما اقتدي به ابوه داود وحكي الطبري ان
عمره حين اوتي الملك اثنا عشر عاما وكذلك قصة موسي عليه السلام

و التشكك في بيان

مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله
تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا
قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه قبل ابداء خلقه
وقال بعضهم لما ولد ابراهيم عليه السلام بعث الله اليه ملكا
يامره عن الله تعالى يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد
فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القا ابراهيم في النار
ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلا اسحاق
بالذبح وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر
والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحي الي يوسف
عليه السلام وهو صبي عند ما هم اخوته بالقايه في الجب بقوله
تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الي غير ذلك
من اخبارهم وقد حكي اهل السير ان امنة بنت وهب اخبرت
ان نبينا محمدا صلي الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه
الي الارض رافعا راسه الي السما وقال في حديثه صلي الله عليه
وسلم لما نشات بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم
اهم بشي مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منها
ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق
انوار المعارف في قلوبهم حتي يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء
الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل الخصال الشريفة النهاية دون
ممارسة ولا رياضة قال الله تعالي ولما بلغ اشده واستوي

آتيناه

انبياه حكما وعلما قال القاضي ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا
نبي واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا
الباب النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر عن من كانت
هذه سبيله قال القاضي وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا
عليه السلام بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياها بكل ما
امكنها واختلفته مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواه ولم
نجد في شي من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه الهته وتقريعه
بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك
مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له
بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع واقطع في الحجه من توبيخه
بنهيهم عن تركه الهتهم وما كان يعبد اباوهم من قبل ففي
اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا
اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل
القبله وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه
الله عنهم الثالثه وتكلم العلما في نبينا صلى الله عليه وسلم هل
كان متعبدا بدين قبل الوحي ام لا فمنهم من منع ذلك مطلقا واحاله
عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا
على التحسين والتقبيح وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره عليه
السلام وترك قطع الحكم عليه بشي في ذلك اذ لم يحل الوجهين

منهما العقل ولا استبان عندهما في احدهما طريق النقل وهذا مذهب
ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان متعبدا بشرع من قبله وعاملا
به ثم اختلف هولاء في التعيين فذهبت طايفة الى انه كان على دين
عيسى فانه ناسخ لجميع الاديان والملل قبلها فلا يجوز ان يكون النبي
على دين منسوخ وذهبت طايفة الى انه كان على دين ابراهيم
لانه من ولده وهو ابو الانبيا وذهبت طايفة الى انه كان على
دين موسى لانه اقدم الاديان وذهبت المعتزلة الى انه لا بد
ان يكون على دين ولكن عين الدين غير معلومة عنده وقد ابطل هذه
الاقوال كلها ايمتنا اذ هي اقوال متعارضة وليس فيها دلالة
قاطعة وان كان العقل يجوز ذلك والذي يقطع به انه عليه
السلام لم يكن منسوبا الى واحد من الانبيا نسبة تقتضي ان يكون
واحدا من امته ومخاطبا بكل شريعته بل شريعته مستقلة بنفسها
مفتتحة من عند الله الحاكم جل وعز وانه صلى الله عليه وسلم كان
مومنا بالله عز وجل ولا سجد لصنم ولا اشرك بالله ولا زنا ولا شرب
الخمر ولا شهد السامر ولا حضر حلف المطر ولا حلف المطيب بل
نزهه الله وصانه عن ذلك فان قيل فقد روى عثمان بن ابي شيبة
حديثا بسنده عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد
مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه
اذهب حتى تقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده

باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد فالجواب ان هذا حديث انكره
الامام احمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع
وقال الدارقطني ان عثمان وهم في اسناده والحديث بالجمله منكر
غير متفق علي اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبي صلي الله
عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله بُغِّضَتْ اليَّ الاصنام وقوله
في قصة بحيرا حين استحلف رسول الله صلي الله عليه وسلم باللات
والعزي اذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه ابي طالب وهو
صبي وراي فيه علامات النبوه فاخبره بذلك فقال له النبي صلي
الله عليه وسلم لا تسلني بهما فوالله ما ابغضت شيا قط بغضها
فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال سل عما بدا
لك ولذلك المعروف من سيرته عليه السلام وتوفيق الله اياه
له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفه
في الحج وكان يقف هو بعرفه لانه كان موقف ابراهيم عليه السلام
فان قيل فقد قال الله تعالي قل بل ملة ابراهيم وقال ان اتبع ملة ابراهيم
وقال شرع لكم من الدين الايه وهذا يقتضي ان يكون متعبدا بشرع
فالجواب ان ذلك فيما لا يختلف فيه الشرايع من التوحيد واقامة
الدين علي ما تقدم بيانه في غير موضع وفي هذه السوره عند
قوله شرع لكم من الدين والحمد لله الرابعة اذا تقرر هذا
فاعلم ان العلما اختلفوا في تاويل قوله تعالي ما كنت تدري ما

الكتاب ولا الايمان فقال جماعة معنى الايمان في هذه الايه شرايع
الايمان ومعالمه ذكره الثعلبي وقيل تفاصيل هذا الشرع اي كنت
غافلا عن هذه التفاصيل وتجوز اطلاق لفظ الايمان على تفاصيل
الشرع ذكره القشيري وقيل ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا القران
ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان ونحوه عن ابي العاليه وقال بكر القاضي
ولا الايمان الذي هو الفرايض والاحكام قال وكان مومنا بتوحيده
ثم نزلت الفرايض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا

قيل

وهذه الاقوال الاربعة متقاربه وقال ابن خزيمه
عني بالايمان الصلاه لقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم
اي صلاتكم الى بيت المقدس فيكون اللفظ عاما والمراد الخصوص
وقال الحسين بن الفضل اي ما كنت تدري ما الكتاب ولا اهل
الايمان وهو من باب حذف المضاف اي من الذي يومن ابو
طالب او العباس او غيرهما وقيل ما كنت تدري شيا اذ كنت
في المهد وقبل البلوغ وحكى الماوردي نحوه عن علي بن عيسى
قال ما كنت تدري ما الكتاب لولا الرساله ولا الايمان لولا
البلوغ وقيل ما كنت تدري ما الكتاب لولا انعامنا عليك
ولا الايمان لولا هدايتنا لك وهو محتمل وفي هذا الايمان
وجهان احدهما انه الايمان بالله وهذا يعرفه بعد بلوغه وقبل
نبوته الثاني انه دين الاسلام وهذا لا يعرفه الا بعد النبوه .

قلت

بلغ

قلت الصحيح انه صلى الله عليه وسلم كان مومنا بالله جل وعز
من حين نشا الى حين بلوغه على ما تقدم وقيل ما كنت تدري ما
الكتاب ولا الايمان اي لست من قوم اميين لا يعرفون الكتاب ولا
الايمان حتى تكون قد اخذت ما جيتهم به عمن كان يعلم ذلك
منهم وهو كقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
اذا لارتاب المبطلون روي معناه عن ابن عباس ولكن جعلناه
قال ابن عباس والضحاك يعني الايمان السدي القران وقيل الوحي
اي جعلنا هذا الوحي نورا نهدي به من نشا اي من نختاره للنبوة
لقوله تعالى يختص برحمته من يشا ووحد الكناية لان الفعل
في كثرة اسمايه بمنزلة الفعل في الاسم الواحد الا ترى انك تقول
اقبالك وادبارك يعجبني فتوحد وهما اثنان وانك لتهدي اي
تدعوا وترشد الى صراط مستقيم دين قويم لا اعوجاج فيه
وقال علي الى كتاب مستقيم وقرا عاصم الجحدري وحوشب
وانك لتهدى غير مسمى الفاعل اي لتدعى الباقون لتهدي
مسمى الفاعل وفي قراة ابي وانك لتدعوا قال النحاس وهذا لا يقرا
به لانه مخالف للسواد وانما يحمل ما كان مثله على انه من قايله
على جهة التفسير كما قال وانك لتهدي اي لتدعوا وروى معمر
عن قتادة في قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم قال ولكل قوم
هاد صراط الله بدل من الاول بدل المعرفة من النكرة قال علي

بيان من قبله

لان الفعل

هو القران وقيل الاسلام ورواه النواس بن سمعان عن النبي
صلى الله عليه وسلم الذي له ما في السموات وما في الارض ملكا
وعبيدا وخلقا الا الى الله تصير الامور وعيد بالبعث والجزاء
قال سهل بن ابي الجعد احترق مصحف فلم يبق الا قوله الا
الى الله تصير الامور وغرق مصحف فامحي كله الا قوله الا الى
الله تصير الامور ه **سورة الزخرف مكية**
باجماع وقال مقاتل الا قوله واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا
وهي تسع وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** تعالى
حم والكتاب تقدم الكلام فيه وقيل حم قسم والكتاب المبين قسم
ثان ولله ان يقسم بما شا والجواب انا جعلناه وقال ابن الانباري
من جعل جواب والكتاب حم كما تقول نزل والله وجب والله
وقف على الكتاب المبين ومن جعل جواب القسم انا جعلناه لم يقف
لم يقف على والكتاب المبين ومعنى جعلناه اي سميناه ووصفناه
ولذلك تعدى الى مفعولين كقوله تعالى ما جعل الله من بحيرة وقال
السدي اي انزلناه قرانا مجاهد قلناه الزجاج وسفيان الثوري
بيناه عربيا اي انزل بلسان العرب لان كل نبي انزل كتابه بلسان
قومه قاله سفيان الثوري وغيره وقال مقاتل لان لسان اهل
السما عربي وقيل المراد بالكتاب جميع الكتب المنزله على الانبيا
لان الكتاب اسم جنس فكانه اقسم بجميع ما انزل من الكتب انه جعل

القران

بسم الله الرحمن الرحيم

القران عربيا والكناية في قوله جعلناه ترجع الى القران وان لم
يجر له ذكر في هذه السورة لقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر
لعلكم تعقلون اي تفهمون احكامه ومعانيه فعلى هذا القول
يكون خاصا للعرب دون العجم قاله ابن عيسى وقال ابن زيد المعنى
لعلكم تتفكرون فعلى هذا يكون خطابا للعرب والعجم ونعت الكتاب
بالمبين لان الله بين فيه احكامه وفرايضه على ما تقدم في غير
موضع **قوله تعالى** وانه في ام الكتاب يعني القران في اللوح
المحفوظ لدينا لعلي حكيم اي رفيع محكم لا يوجد فيه اختلاف ولا تناقض
قال الله تعالى انه لقران كريم في كتاب مكنون وقال تعالى بل هو
قران مجيد في لوح محفوظ وقال ابن جريج المراد بقوله وانه اعمال
الخلق من ايمان وكفر وطاعة ومعصية لعلي اي رفيع عن ان
ينال فيبدل حكيم اي محفوظ من نقص وتغيير وقال ابن عباس
اول ما خلق الله القلم فامره ان يكتب ما يريد ان يخلق فالكتاب
عنده ثم قرا وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وكسر الهمزة من
ام الكتاب حمزة والكسائي وضم الباقون وقد تقدم **قوله تعالى**
افنضرب عنكم الذكر يعني القران عن الضحاك وغيره وقيل
المراد بالذكر العذاب اي افنضرب عنكم العذاب ولا نعاقبكم
على اسرافكم وكفركم قاله مجاهد وابو صالح والسدي ورواه
العوفي عن ابن عباس وقال ابن عباس المعنى افحسبتم ان نصفح عنكم

العذاب ولما تفعلوا ما امرتم به وعنه ايضا ان المعنى أتكذبون
بالقران ولا تعاقبون وقال السدي ايضا المعنى افنترككم سدى
فلا نامركم ولا ننهاكم وقال قتادة المعنى افنهلككم ولا نامركم
ولا ننهاكم وعنه ايضا افنمسك عن انزال القران من قبل انكم
لا تومنون فلا ننزله عليكم وقاله ابن زيد قال قتادة والله به
لو كان هذا القران رفع حين ردته اوائل هذه الامة لهلكوا
ولكن الله كرره عليهم برحمته وقال الكسائي افنطوي عنكم الذكر
طيا فلا توعظون ولا تومرون وقيل الذكر التذكر فكانه قال
انترك تذكيركم لان كنتم قوما مسرفين في قراة من فتح ومن كسرها
جعلها للشرط وما قبلها جوابا لها لانها لم تعمل في اللفظ ونظيره
وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مومنين وقيل الجواب محذوف
دل عليه ما تقدم كما تقول انت ظالم ان فعلت ومعنى الكسر
عند الزجاج الحال لان في الكلام معنى التقرير والتوبيخ ومعنى
صفحا إعراضا يقال صفحت عن فلان اذا اعرضت عن ذنبه
وقد ضربت عنه صفحا اذا اعرضت عنه وتركته والاصل فيه
صفحة العنق يقال اعرضت عنه اي وليته صفحة عنقي قال
الشاعر صفوحا فما تلقاك الا بخيلة فمن مل منها ذلك الوصل ملت
وانتصب صفحا على المصدر لان معنى افنضرب افنصفح وقيل التقدير
افنضرب عنكم الذكر صافحين يقال جا فلان مشيا ومعنى مسرفين
مشركين

مُشركين واختار ابو عبيد الفتح في أَنْ وهي قراة ابن كثير وابي
عمرو وعاصم وابن عامر قال الازلية تعالى عاتبهم على ما كان
منهم وعلمه قبل ذلك من فعلهم **قوله تعالى** وكم ارسلنا
من نبي في الاولين كم هنا خبرية والمراد بها التكثير والمعنى ما
اكثر ما ارسلنا من الانبيا كما قال كم تركوا من جنات وعيون
اي ما اكثر ما تركوا وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزون
كاستهزاء قومك بك يعزي نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ويسليه
فاهلكنا اشد منهم بطشا اي قوما اشد منهم قوة والكناية
في منهم ترجع الى المشركين المخاطبين بقوله افنضرب عنكم الذكر
صفحا فكنى عنهم بعد ان خاطبهم واشد نصب على الحال
وقيل هو مفعول اي فقد اهلكنا اقوى من هولاء المشركين
في ابدانهم واتباعهم ومضى مثل الاولين اي عقوبتهم عن قتادة
وقيل صفة الاولين فخبرهم بانهم اهلكوا على كفرهم حكاه
النقاش والمهدوي والمثل الوصف والخبر **قوله تعالى**
ولين سالتهم يعني المشركين من خلق السموات والارض ليقولن
خلقهن العزيز العليم فاقروا له بالخلق والايجاد ثم عبدوا
معه غيره جهلا منهم وقد مضى في غير موضع **قوله تعالى**
الذي جعل لكم الارض مهادا وصف نفسه سبحانه بكمال القدرة
وهذا ابتدا اخبار عنه عن نفسه ولو كان هذا اخبارا عن قول

ارسلنا من نبي

الكفار لقال الذي جعل لنا الارض مهادا افراشا وبساطا وقد
تقدم وقرا الكوفيون مهدا وجعل لكم فيها سبلا اي معايش
وقيل طرقا لتسلكوا منها الى حيث اردتم لعلكم تهتدون
في اسفاركم قاله ابن عيسى وقيل لعلكم تعرفون نعمة الله عليكم
قاله سعيد بن جبير وقيل تهتدون الى معايشكم قوله تعالى
والذي نزل من السماء ماء بقدر قال ابن عباس اي لا كما انزل
على قوم نوح بغير قدر حتى اغرقهم بل هو بقدر لا طوفان
مغرق ولا قاصر عن الحاجة حتى يكون معاشا لكم ولانعامكم
فانشرنا اي احيينا به اي بالماء بلدة ميتا اي مقفرة من
النبات كذلك تخرجون اي من قبوركم لان من قدر على هذا
قدر على ذلك وقد مضى في الاعراف مجودا وقرا يحيى بن
وثاب والاعمش وحمزة والكسائي وابن ذكوان عن ابن عامر
يخرجون بفتح التاء وضم الراء الباقون على الفعل المجهول
قوله تعالى والذي خلق الازواج كلها فيه خمس مسائل
الاولى قوله تعالى والذي خلق الازواج اي والله هو الذي
خلق الازواج قال سعيد بن جبير اي الاصناف كلها وقال الحسن
الشتا والصيف والليل والنهار والسموات والارض والشمس
والقمر والجنة والنار وقيل ازواج الحيوان من ذكر وانثى قاله
ابن عيسى وقيل اراد ازواج النبات كما قال تعالى وانبتنا فيها

من

من كل زوج بهيج ومن كل زوج كريم وقيل ما يتقلب فيه
الانسان من خير وشر وايمان وكفر ونفع وضر وفقر وغنى
وصحة وسقم قلت وهذا القول يعم الاقوال ويجمعها
بعمومه وجعل لكم من الفلك السفن والانعام الابل ما تركبون
في البر والبحر لتستووا على ظهوره ذكر الكناية لانه رده
الى ما في قوله ما تركبون قاله ابو عبيد وقال الفرا اضاف
الظهور الى واحد لان المراد به الجنس فصار الواحد في معنى
الجمع بمنزلة الجنس وبالجند فلذلك ذكر وجمع الظهور
اي على ظهور هذا الجنس الثانية قال سعيد بن جبير الانعام
هنا الابل والبقر وقال ابو معاذ الابل وحدها وهو الصحيح
لقوله عليه السلام بينما رجل راكب بقرة اذ قالت له لم
اخلق لهذا انما خلقت للحرث فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم امنت بهذا انا وابو بكر وعمر وما هما في القوم
وقد مضى هذا في اول سورة النحل مستوفى والحمد لله الثالثة
قوله تعالى لتستووا على ظهوره يعني به الابل خاصة بدليل
ما ذكرنا ولان الفلك انما تركب بطونها ولكنه ذكرهما جميعا في
اول الاية وعطف اخرها على احدهما ويحتمل ان تجعل ظاهرها باطنها
لان الما غمره وستره وباطنها ظاهرا لانه انكشف للظاهرين
وظهر للمبصرين الرابعة قوله تعالى ثم تذكروا نعمة ربكم

اذا استويتم عليه اي ركبتم عليه وذكر النعمة هو الحمد لله
على تسخير ذلك لنا في البر والبحر وتقولوا سبحان الذي سخر لنا
هذا اي ذلل لنا هذا المركب وفي قراة علي بن ابي طالب سبحان من
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين اي مطيقين في قول ابن عباس
والكلبي وقال الاخفش وابو عبيده مقرنين ضابطين وقيل
مماثلين في الايد والقوه من قولهم هو قرن فلان اذا كان مثله
في القوه ويقال فلان مقرن لفلان اي ضابط له واقرنت كذا
اي اطقته واقرن له اي اطاقه وقوي عليه كانه صار له قرنا
قال الله تعالى وما كنا له مقرنين اي مطيقين وانشد قطرب
قول عمرو بن معدي كرب، لقد علم القبايل ما عقيل لنا في النايبات
بمقرنينا، وقال اخر ركبتم صعبتي اشرا وجبنا ولستم
للصعاب بمقرنينا والمقرن ايضا الذي غلبته ضيعته تكون
له ابل او غنم ولا معين له عليها او يكون يسقي ابله ولا ذايد له
يذودها قاله ابن السكيت وفي اصله قولان احدهما انه ماخوذ
من الاقران يقال اقرن يقرن اقرانا اذا اطاق واقرنت كذا
اذا اطقته وحكمته كانه جعله في قرن وهو الحبل فاوثقه به
وشده والثاني انه ماخوذ من المقارنة وهو ان يقرن بعضها
ببعض في السير تقول قرنت كذا بكذا اذا ربطته به وجعلته
قرينه الخامسة علمنا الله سبحانه ما نقول اذا ركبنا

السادس

الدواب

الدواب وعرفنا في اية اخرى على لسان نوح صلى الله عليه وسلم
ما نقول اذا ركبنا السفن وهي قوله تعالى وقال اركبوا فيها
بسم الله مجراها ومرساها ان ربي غفور رحيم فكم من راكب
دابة عثرت به او شمست او تقحمت او طاح من ظهرها
فهلكت وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما
كان الركوب مباشرة امر محظور واتصالا باسباب من
اسباب التلف امر ان لا ينسى عند اتصاله به يومه وانه
هالك لا محالة فمنقلب الى الله غير منفلت من قضايه ولا
يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله
باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون ركوبه ذلك من
اسباب موته في علم الله وهو غافل عنه حكى سليمان بن يسار
ان قوما كانوا في سفر فكانوا اذا ركبوا قالوا سبحان الذي
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وكان فيهم رجل على ناقة له رازم
وهي التي لا تتحرك هزالا فقال اما انا فاني لهذه لمقرن قال
فقمصت به فدقت عنقه ذكر الاول الماوردي والثاني
ابن العربي قال وما ينبغي لعبد ان يدع قول هذا وليس بواجب
ذكره باللسان فيقول متى ما ركب وخاصة في السفر اذا
تذكر سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى
ربنا لمنقلبون اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل

والمال يعني بالحور بعد الكور تشتت امر الرجل بعد اجتماعه
وقال عمرو بن دينار ركبت مع ابي جعفر الي ارض له نحو حا
يطٍ يقال لها مُدرِكة فركب علي جمل صعب فقلت له ابا جعفر
اما تخاف ان يصرعك فقال ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال علي سنام كل بعير شيطان اذا ركبتموها فاذكروا اسم الله
كما امركم ثم امتهنوها لانفسكم فانما يحمل الله وقال علي بن
ربيعة شهدت علي بن ابي طالب ركب دابة يوما فلما
وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوي علي الدابة
قال الحمد لله ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له
مقرنين وانا الي ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله والله اكبر
ثلثا اللهم لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر
الذنوب الا انت ثم ضحك فقلت له ما اضحكك قال رايت
رسول الله صلي الله عليه وسلم صنع كما صنعت وقال كما قلت
ثم ضحك فقلت له ما يضحكك يا رسول الله قال العبد او قال
عجبا للعبد ان يقول اللهم لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر
لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت يعلم انه لا يغفر الذنب غيره
خرجه ابو داود الطيالسي في مسنده وابو عبد الله محمد
بن خواز منداد في احكامه وذكر الثعلبي نحوه مختصرا
عن علي رضي الله عنه ولفظه عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم

كان

اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور
وسوء المنظر في الاهل والمال

كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوي
قال الحمد لله علي كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا
له مقرنين وانا الي ربنا لمنقلبون واذا نزلتم من الفلك
والانعام فقولوا اللهم انزلنا منزلا مباركا وانت خير
المنزلين وروي ابن ابي نجيح عن مجاهد قال من ركب ولم
يقل سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال له
الشيطان تغنه فان لم يحسن قال له تمنه ذكره النحاس
ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه
علي الخيل او في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع انفسهم
اواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتي تمل طلاهم
وهم علي ظهور الدواب او في بطون السفن وهي تجري بهم
لا يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون الا اوامره الزمخشري
ولقد بلغني ان بعض السلاطين ركب وهو يشرب الخمر من
بلد الي بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا بعد ما اطمانت
به الدار فلم يشعر بمسيره ولا احس به فكم بين فعل اوليك
الراكبين وبين ما امر الله به في هذه الاية **قوله تعالي**
وجعلوا له من عباده جزءا اي عدلا عن قتاده يعني ما عبد
من دون الله عز وجل الزجاج والمبرد الجزء هاهنا البنات
عجب المومنين من جهلهم اذ اقروا بان السموات والارض خالق

هو الله ثم جعلوا له شركا او ولدا ولم يعلموا ان من قدر علي
خلق السموات والارض لا يحتاج الي شي يعتضد به او يستانس
به لان هذا من صفات النقص قال الماوردي والجزء عند اهل العربيه
البنات يقال قد اجزات المراة اذا ولدت البنات قال الشاعر
ان اجزات حرة يوما فلا عجب قد تجزي الحرة المذكار احيانا
الزمخشري ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث
وادعا ان الجزء في لغة العرب اسم للاناث وما هو الا كذب علي
العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتي اشتقوا
منه اجزات المراة ثم صنعوا بيتا وبيتا ان اجزات حرة يوما فلا عجب
زوجتها من بنات الاوس مجزية وانما قوله وجعلوا له من عباده
جزءا متصل بقوله ولين سالتهم اي ولين سالتهم عن خالق السموات
والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده
جزءا فوصفوه بصفات المخلوقين ومعني من عباده جزءا ان قالوا
الملايكه بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا كما يكون الولد بضعة
من والده وجزءا له وقرئ جزءا بضمتين ان الانسان يعني
الكافر لكفور مبين قال الحسن يعد المصايب وينسي النعم
مبين مظهر الكفر قوله تعالي ام اتخذ مما يخلق بنات
الميم صلة تقديره اتخذ مما يخلق بنات كما زعمتم ان الملايكه
بنات الله فلفظه لفظ الاستفهام ومعناه التوبيخ واصفاكم
بالبنين

بالبنين يقال اصفيته بكذا اي اثرته به واصفيته الود
اخلصته له وصافيته وتصافينا تخالصنا تعجب من اضافتهم
الى الله اختيار البنات مع اختيارهم لانفسهم البنين وهو
مقدس عن ان يكون له ولد ان توهم جاهل انه اتخذ لنفسه
ولدا فهلا اضاف اليه ارفع الجنسين ولم جعل هولاء لانفسهم
اشرف الجنسين وله الاخس وهذا كما قال تعالى الكم الذكر
وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى قوله تعالى واذا بشر
احدهم بما ضرب للرحمن مثلا اي بانه ولدت له بنت ظل وجهه
اي صار وجهه مسودا قيل يبطلان مثله الذي ضربه
وقيل بما بشر به من الانثى دليله في سورة النحل واذا بشر
احدهم بالانثى ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت
له بنت اغتم وازبد وجهه غيظا وتاسفا وهو مملوء من
الكرب وعن بعض العرب ان امراته وضعت انثى فهجر البيت
الذي فيه المراة فقالت ما لابي حمزة لا ياتينا يظل في البيت
الذي يلينا غضبان ان لا نلد البنينا وانما ناخذ ما اعطينا
وقرئ مسود ومسواد وعلى قراة الجماعة يكون وجهه اسم
ظل ومسودا خبره ويجوز ان يكون في ظل ضمير عايد
على احد وهو اسمها ووجهه بدل من الضمير ومسودا
خبر ظل ويجوز ان يكون رفع وجهه بالابتدا وبرفع مسودا

قال عيسى عليه السلام

علي انه خبره وفي ظل اسمها والجملة خبرها وهو كظيم اي حزين
قاله قتادة وقيل مكروب قاله عكرمة وقيل ساكت حكاه
ابن ابي حاتم وذلك لفساد مثله وبطلان حجته ومن اجاز ان
يكون الملائكة بنات الله فقد جعل الملائكة شبيها بالله لان الولد
من جنس الوالد وشبهه ومن اسود وجهه بما يضاف اليه مما
لا يرضى اولى ان يسود وجهه باضافة مثل ذلك الى من هو اجل
منه فكيف الى الله عز وجل وقد مضى في النحل في معنى هذه الاية
ما فيه كفاية **قوله تعالى اومن ينشا في الحلية** فيه مسئلتان
الاولى قوله تعالى اومن ينشا اي يربى ويشب والنشو
التربية يقال نشات في بني فلان نشا ونشوا اذا شببت فيهم
ونشي وانشي بمعنى وقرا ابن عباس والضحاك وابن وثاب وحفص
وحمزة والكساي وخلف ينشا بضم الياء وفتح النون وتشديد
الشين اي يربى ويكبر في الحلية واختاره ابو عبيد لان
الاسناد فيها اعلى وقرا الباقون ينشا بفتح الياء واسكان
النون واختاره ابو حاتم اي يرسخ وينبت واصله من
نشا اي ارتفع قاله الهروي فينشا متعد وينشا لازم
الثانية قوله تعالى في الحلية اي في الزينة قال ابن عباس
وغيره هن الجواري زيهن غير زي الرجال قال مجاهد رخص
للنساء في الذهب والحرير وقرا هذه الاية قال الكيا فيه

دلالة

دلالة على اباحة الحلي للنساء والاجماع منعقد عليه والاخبار
فيه لا تحصى قلت روى عن ابي هريرة انه كان يقول لابنته
يا بنية اياك والتحلي بالذهب فاني اخاف عليك اللهب قوله
تعالى وهو في الخصام غير مبين اي في المجادلة والادلاء
بالحجة قال قتادة ما تكلمت امراة ولها حجة الا جعلتها على
نفسها وفي مصحف عبد الله وهو في الكلام غير مبين ومعنى
الاية ايضا فالى الله من هذا وصفه اي لا يجوز ذلك وقيل
المنشا في الحلية اصنامهم التي صاغوها من ذهب وفضة
وحلوها قاله ابن زيد والضحاك ويكون معنى وهو في الخصام
غير مبين على هذا القول اي ساكت عن الجواب ومن في محل
نصب اي اتخذوا لله من ينشا في الحلية ويجوز ان يكون
رفعا على الابتدا والخبر مضمر قاله الفرا وتقديره او من
كان على هذه الحالة يستحق العبادة وان شئت قلت خفض
ردا الى اول الكلام وهو قوله بما ضرب او على ما في قوله
مما يخلق بنات وكون البدل في هذين الموضعين ضعيف
لكون الف الاستفهام حايلة بين البدل والمبدل منه وجعلوا
الملايكة الذين هم عند الرحمن اناثا قرا الكوفيون عباد بالجمع
واختاره ابو عبيد لان الاسناد فيها اعلى ولان الله تعالى
انما كذبهم في قولهم انهم بنات الله فاخبرهم انهم عبيد وانهم

ليسوا ببناته وعن ابن عباس انه قرا عباد الرحمن فقال سعيد
بن جبير ان في مصحفي عند الرحمن فقال امحها واكتبها عباد
الرحمن وتصديق هذه القراة قوله تعالى بل عباد مكرمون وقوله
تعالى افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اوليا
وقوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقرا
الباقون عند الرحمن بنون ساكنة واختاره ابو حاتم
وتصديق هذه القراة ان الذين عند ربك وقوله وله ما في السموات
وما في الارض ومن عنده والمقصود ايضاح كذبهم وبيان
جهلهم في نسبة الاولاد الى الله ثم في حكمهم بان الملايكة اناث
وهم بنات الله وذكر العباد مدح لهم اي كيف عبدوا من هو
في نهاية العبادة ثم كيف حكموا بانهم اناث من غير دليل
والجعل هنا بمعنى القول والحكم تقول جعلت زيدا اعلم
الناس اي حكمت له بذلك اشهدوا خلقهم اي احضروا
حالة خلقهم حتى حكموا بانهم اناث فقالوا سمعنا ذلك
من اباينا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا في انهم اناث فقال
الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسالون اي يسالون
عنها في الاخرة وقرا نافع ءأشهدوا بهمزة استفهام
داخلة على همزة مضمومة مسهلة ولا يمد سوى ما
روى المسيبي عنه انه يمد وروى المفضل عن عاصم مثل

ذلك

[illegible]

ذلك وبحقق الهمزتين والباقون أشهدوا بهمزة واحدة
للاستفهام وروي عن الزهري اشهدوا خلقهم على الخبر سنكتب
قراة العامه بضم التا على الفعل المجهول شهادتهم رفعا
وقرا السلمي وابن السميقع وهبيرة عن حفص سنكتب بنون
شهادتهم نصبا بتسمية الفاعل وعن ابي رجا سنكتب
شهاداتهم بالجمع قوله تعالى وقالوا لو شا الرحمن يعني
قال المشركون يعني على طريق الاستهزاء والسخرياء لو شا
الرحمن على زعمكم ما عبدنا هذه الملايكه وهذا منهم
كلمة حق اريد بها باطل وكل شي بارادة الله وارادته تجب
وكذا علمه فلا يمكن الاحتجاج بهما وخلاف المعلوم والمراد مقدور
وان لم يقع ولو عبدوا الله بدل الاصنام لعلمنا ان الله اراد
منهم ما حصل منهم وقد مضى هذا المعنى في الانعام عند
قوله سيقول الذين اشركوا لو شا الله ما اشركنا وفي يس
انطعم من لو يشا الله اطعمه وقوله ما لهم بذلك من علم
مردود الى قوله وجعلوا الملايكة الذين هم عند الرحمن
اناثا اي ما لهم بقولهم الملايكه بنات الله من علم قاله
قتادة ومقاتل والكلبي وقال مجاهد وابن جريج يعني
الاوثان من علم من صله انهم الا يخرصون اي يحدسون
ويكذبون فلا عذر لهم في عبادة غير الله عز وجل

وكان فيمن ضمن كلامهم ان الله امرنا بهذا او رضي ذلك منا ولهذا لم ينهنا
ولم يعاجلنا بالعقوبة **قوله تعالى** ام اتيناهم كتابا
من قبله هذا معادل لقوله اشهدوا خلقهم والمعنى احضروا خلقهم
ام اتيناهم كتابا من قبله اي من قبل القران بما ادعوه فهم
به مستمسكون يعملون بما فيه **قوله تعالى** بل قالوا انا
وجدنا اباءنا على امة فيه مسئلتان الاولى **قوله تعالى** على امة
اي طريقة ومذهب قاله عمر ابن عبد العزيز وكان يقرا
هو ومجاهد وقتادة على إمة بكسر الالف والإمة طريقه
قال الجوهري والامة بالكسر النعمة والامة ايضا لغة في
الامة وهي الطريقة والدين عن ابي عبيد قال عدي ابن زيد
في النعمة : ثم بعد الفلاح والملك والامه وارتهم هناك
القبور : عن غير الجوهري وقال قتادة وعطية على امة على
دين ومنه قول قيس ابن الخطيم : كنا على امة اباينا
ويقتدي الاخر بالاول : قال الجوهري والامة الطريقة والدين
يقال فلان لا امة له اي لا دين له ولا نحلة قال الشاعر
وهل يستوي ذو امة وكفور : وقال مجاهد وقطرب
على دين على ملة وفي بعض المصاحف قالوا انا وجدنا اباءنا
على ملة وهذه الاقوال متقاربة وحكي عن الفرا على ملة
على قبلة الاخفش على استقامة وانشد قول النابغة

خلفت

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وهل ياثمن ذو امة وهو طايع
الثانية وانا على اثارهم مهتدون اى نهتدى بهم وفي الاية
الاخرى مقتدون اى نقتدى بهم والمعنى واحد قال قتادة
مقتدون متبعون وفي هذا دليل على ابطال التقليد لذمه
اياهم على تقليد ابايهم وتركهم النظر فيما دعاهم اليه الرسول
صلى الله عليه وسلم وقد مضى القول في هذا في البقرة مستوفي
وحكى مقاتل ان هذه الاية نزلت في الوليد بن المغيرة وابي
سفيان وابي جهل وعتبة وشيبة ابني ربيعة من قريش
اى وكما قال هولاء فقد قال من قبلهم ايضا يعزي نبيه
صلى الله عليه وسلم ونظيره ما يقال لك الا ما قد قيل
للرسل من قبلك والمتراف المنعم والمراد هنا الملوك والجبابرة
قوله تعالى قل اولو جيتكم اى قل يا محمد لقومك
اوليس قد جيتكم من عند الله باهدى يريد بارشد مما
وجدتم عليه اباكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون يعني بكل
ما ارسل به الرسل فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
ولفظه لفظ الجمع لان تكذيبه تكذيب لمن سواه وقرى
قل وقال اجيتكم وجينا كم يعني اتتبعون اباكم ولو جيتكم
بدين اهدى من دين اباكم قالوا انا ثابتون على دين ابانا
لا ننفك عنه وان جيتنا بما هو اهدى وقد مضى في البقرة

القول في التقليد وذمه فلا معنى لاعادته قوله تعالى
فانتقمنا منهم بالقحط والقتل والسبي فانظر كيف كان عاقبة
المكذبين اخرا امر من كذب الرسل وقراة العامة قل اولو
جيتكم وقرا ابن عامر وحفص قال اولو اعلى الخبر عن النذير
انه قال لهم هذه المقاله وقرا ابو جعفر قل اولو اجيناكم
بنون والف على ان المخاطبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن جميع الرسل قوله تعالى واذ قال اي ذكرهم اذ قال
ابراهيم لابيه وقومه انني برا مما تعبدون البرا يستعمل
الواحد فما فوقه فلا يثنى ولا الجمع ولا يونث لانه مصدر
وضع موضع النعت لا يقال البراان والبراون لان المعنى ذو
البراو وذوا البراء قال الجوهري وتبرات من كذا وانا منه برا
وخلا منه لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر في الاصل لانه سمع
سماعا فاذا قلنا بري منه وخلى ثنيت وجمعت وانثت
وقلت في الجمع نحن منه برا مثل فقيه وفقها وبرا ايضا
مثل كريم وكرام وابرا مثل شريف واشراف وابريا مثل نصيب
وانصبا وبريون وامراة برية وهما بريتان وهن بريات وبرايا
ورجل بري وبرا مثل عجيب وعجاب والبرا بالفتح اول ليلة
من الشهر سميت بذلك لتبري القمر من الشمس الا الذي
فطرني استثنا متصل لانهم عبدوا الله مع الهتهم قال قتاده

كانوا

كانوا يقولون الله ربنا مع عبادة الاوثان ويجوز ان يكون
منقطعًا اي لكن الذي فطرني فهو يهدين قال ذلك ثقة بالله
وتنبيهًا لقومه ان الهداية من ربه قوله تعالى وجعلها
كلمةً باقيةً في عقبه فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى
وجعلها كلمة باقية الضمير في جعلها عايد على قوله الا الذي
فطرني وضمير الفاعل في جعلها الله عز وجل اي وجعل الله
هذه الكلمة والمقالة له باقية في عقبه وهم ولده وولد ولده اي
انهم توارثوا البراة عن عبادة غير الله واوصى بعضهم بعضا
في ذلك والعقب من ياتي بعده وقال السدي هم ال محمد صلى
الله عليه وسلم وقال ابن عباس قوله في عقبه اي في خلفه
وفي الكلام تقديم وتاخير والمعنى فانه سيهدين لعلهم يرجعون
وجعلها كلمة باقية في عقبه اي قال لهم ذلك لعلهم يتوبون
عن عبادة غير الله قال مجاهد وقتادة الكلمة لا اله الا الله
قال قتاده لا يزال من عقبه من يعبد الله الى يوم القيامة
وقال الضحاك الكلمة ان لا تعبدوا الا الله عكرمه الاسلام لقوله
تعالى هو سماكم المسلمين القرطى وجعل وصيةً ابراهيم التي
وصّى بها بنيه وهو قوله يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين الاية
المذكورة في البقره كلمةً باقيةً في ذريته وبنيه وقال ابن زيد
الكلمة قوله اسلمت لرب العالمين وقرا هو سماكم المسلمين من قبل

وقيل الكلمة النبوه الثانية قال ابن العربي انما كانت لابراهيم
في الاعقاب موصولة بالاحقاب بدعوتيه المجابتين احداهما
في قوله اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي
الظالمين فقد قال نعم الا من ظلم منهم فلا عهد ثانيتها قوله
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وقيل بل الاولى قوله واجعل لي
لسان صدق في الاخرين فكل امة تعظمه بنوه وغيرهم فمن
يجتمع معه في سام او نوح الثالثة قال ابن العربي جرى ذكر
العقب هاهنا موصولا في المعنى وذلك مما يدخل في الاحكام
وترتب عليه عقود العمري والتحبيس قال النبي صلى الله
عليه وسلم ايما رجل اعمر عمري له ولعقبه فانها الذي اعطيها
لا ترجع الى الذي اعطاها لانه اعطي عطا وقعت فيه المواريث
وهي ترد على احد عشر لفظا اللفظ الاول الولد وهو عند
الاطلاق عبارة عن من وجد من الرجل وامراته في الاناث والذكور
وعن ولد الذكور دون الاناث لغة وشرعا ولذلك وقع الميراث على
الولد العين واولاد المذكور من العين دون ولد الاناث لانه من قوم
اخرين ولذلك لم يدخلوا في الحبس بهذا اللفظ قاله مالك في
المجموعة وغيرها قلت هذا مذهب مالك وجميع اصحابه
المتقدمين ومن حجتهم على ذلك الاجماع على ان ولد البنات لا
ميراث لهم مع قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم وقد ذهب

جماعة

جماعة من العلما الي ان ولد البنات من الاولاد والاعقاب يدخلون
في الاحباس بقول المحبس حبست علي ولدي او علي عقبي وهذا
اختيار ابي عمر بن عبد البر وغيره واحتجوا بقول الله عز وجل
حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم قالوا فلما حرم الله البنات فحرمت
بذلك بنت البنت باجماع علم انها بنت ووجب ان تدخل في
حبس ابيها اذا حبس علي ولده او عقبه وقد مضى هذا المعنى
في الانعام مستوفي اللفظ الثاني البنون فان قال هذا حبس
علي ابني فلا يتعدي الولد المعين ولا يتعدد ولو قال ولدي
لتعدي وتعدد في كل من ولد وان قال علي بني دخل فيه
الذكور والاناث قال مالك من تصدق علي بنيه وبني بنيه
فان بناته وبنات بناته يدخلن في ذلك مع بنات صلبه والذي
عليه جماعة اصحابه ان ولد البنات لا يدخلون في البنين
فان قيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحسن بن ابنته
ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين
من المسلمين قلنا هذا مجاز وانما اشار به الي التشريفه
وتقديمه الا تري انه يجوز نفيه عنه فيقول الرجل
في ولد بنته ليس بابني ولو كان حقيقة ما جاز نفيه عنه
فيقول الرجل في ولد بنته ليس بابني ولو كان حقيقة ما
جاز نفيه عنه لان الحقايق لا تنفي عن مسمياتها الا تري

انه ينتسب الي ابيه دون امه وكذلك قيل في عبد الله بن عباس
انه هاشمي وليس بهلالي وان كانت امه هلاليه قلت هذا
الاستدلال غير صحيح بل هو ولد على الحقيقه في اللغه لوجود
معنى الولاده فيه ولان اهل العلم قد اجمعوا على تحريم بنت البنت
من قول الله تعالي حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم وقال تعالى ومن
ذريته داود وسليمان الي من الصالحين فجعل عيسى من ذريته
وهو ابن ابنته على ما تقدم بيانه هنالك فان قيل فقد قال الشاعر
بنونا بنوا ابنائنا وبناتنا بنوهن ابنا الرجال الاباعد قيل
لهم هذا لا دليل فيه لان معنى قوله انما هو ان ولد بنيه الذكران
هم الذين لهم حكم بنيه في الموارثه والنسب وان ولد بناته ليس
لهم حكم بناته في ذلك اذ ينتسبون الي غيره فاخبر بافتراقهم
بالحكم مع اجتماعهم في التسميه ولم ينف عن ولد البنات
اسم الولد لانه ابنا وقد يقول الرجل في ولده ليس هو بابني
اذ لا يطيعني ولا يري لي حقا ولا يريد بذلك نفي اسم الولد عنه
وانما يريد ان ينفي عنه حكمه ومن استدل بهذا البيت
على ان ولد البنت لا يسمى ولدا فقد افسد معناه وابطل
فايدته وتاول على قايله ما لا يصح اذ لا يمكن ان يسمي ولد
الابن في اللسان العربي ابنا ولا يسمي ولد الابنه ابنا من
اجل ان معنى الولاده الذي اشتق منها اسم الولد فيه ابين

وافوي

واقوي لان ولد الابنة هو ولدها بحقيقة الولاده وولد
الابن انما هو ولده بما له مما كان سببا للولاده ولم يخرج
مالك رحمه الله اولاد البنات من حبس من حبس على
ولده من اجل ان اسم الولد غير واقع عليه عنده في اللسان
وانما اخرجهم منه قياسا على المواريث وقد مضى هذا في
الانعام والحمد لله اللفظ الثالث الذرية وهي ملخوذه
من ذرا الله الخلق فيدخل فيه ولد البنات لقوله ومن
ذريته داود وسليمان الى ان قال وزكريا ويحيى وعيسى
وانما كان من ذريته من قبل امه وقد مضى في البقره اشتقاق
الذريه وفي الانعام الكلام على ومن ذريته الايه فلا
معنى للاعاده اللفظ الرابع العقب وهو في اللغة عبارة
عن شي بعد شي كان من جنسه او من غير جنسه يقال اعقب
الله بخير اي جا بعد الشدة بالرخا واعقب الشيب السواد
وعقب يعقب عقوبا وعقبا اذا جا شيا بعد شي ولهذا
قيل لولد الرجل عقبه والمعقاب من النسا التي تلد ذكرا بعد
انثى هكذا ابدا وعقب الرجل ولده وولد ولده الباقون
بعده والعاقبة الولد قال يعقوب ولد لك فسره مجاهد
هنا وقال ابن زيد ها هنا هم الذريه وقال ابن شهاب هم
الولد وولد الولد وقيل غيره على ما تقدم عن السدي في

في القران وجعلها كلمة باقية في عقبه وقيل [illegible] الورثة كلهم عقب والعاقبة الولد

الصحاح والعقب بكسر القاف مؤخر القدم وهي مونثة وعقب
الرجل ايضا ولده وولد ولده وفيه لغتان عقب وعقب بالتسكين
وهي ايضا مونثة عن الاخفش وعقب فلان مكان ابيه عاقبة اي
خلفه وهو اسم جا بمعنى المصدر كقوله تعالي ليس لوقعتها كاذبة
ولا فرق عند احد من العلما بين لفظ العقب والولد في المعني واختلف
في الذرية والنسل فقيل انهما بمنزلة الولد والعقب لا يدخل ولد
البنات فيهما على مذهب مالك وقيل انهم يدخلون فيهما وقد مضي
الكلام في الذرية هنا وفي الانعام **اللفظ الخامس** نسلي
وهو عند علماينا كقوله ولدي وولد ولدي فانه يدخل فيه
ولد البنات ويجب ان يدخلوا لان نسل بمعنى خرج وولد البنات
قد خرجوا منه بوجه ولم يقترن به ما يخصه كما اقترن بقوله
عقبي ما تناسلوا وقال بعض علماينا ان النسل بمنزلة الولد
والعقب لا يدخل فيه ولد البنات الا ان يقول المحبس نسلي
ونسل نسلي كما اذا قال عقبي وعقب عقبي واما اذا قال ولدي
او عقبي مفردا فلا يدخل فيه البنات **اللفظ السادس**
الال وهم الاهل وهو اللفظ السابع قال ابن القاسم هما سوا وهم
العصبة والاخوة والبنات والعمات ولا يدخل فيه الخالات
واصل الاهل الاجتماع يقال مكان اهل اذا كان فيه جماعة وذلك
بالعصبة ومن دخل في العقد والعصبة مشتقة منه

وهي

وهي اخص به وفي حديث الافك يا رسول الله اهلك ولا نعلم
الا خيرا يعني عايشه ولكن لا يدخل فيه الزوجه باجماع
وان كانت اصل التاهل لان ثبوتها ليس بيقين اذ قد
يتبدل ربطها وينحل بالطلاق وقد قال مالك في كتاب محمد كل
نفي وليس من هذا الباب وانما اراد ان الايمان اخص من
القرابه فاستعملت عليه الدعوه وقصد بالرحمه وقد
قال ابو اسحاق التونسي يدخل في الاهل كل من كان من
جهة الابوين فهو في الاشتقاق حقيقه وعقل عن العرف
ومطلق الاستعمال وهذه المعاني انما تنبني علي الحقيقة
او علي العرف المستعمل عند الاطلاق وهذان لفظان
اللفظ الثاني من قرابة فيه اربعة اقوال الاول قال
مالك في كتاب محمد وابن عبدوس انهم الاقرب فالاقرب
بالاجتهاد ولا يدخل فيه ولد البنات ولا ولد الخالات
الثاني يدخل فيه اقاربه من قبل ابيه وامه قاله علي بن زياد
الثالث قال اشهب يدخل فيه كل رحم من الرجال والنسا
الرابع قال ابن كنانة يدخل فيه الاعمام والعمات والاخوال
والخالات وبنات الاخت وقد قال ابن عباس في تفسير قوله
تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال الا
ان تصلوا قرابة ما بيني وبينكم وقال لم يكن بطن من قريش

الا كانت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم قرابة فهذا يضبطه
والله اعلم **اللفظ التاسع العشيره** ويضبطه الحديث
الصحيح ان الله تعالى لما انزل وانذر عشيرتك الاقربين دعا
النبي صلى الله عليه وسلم بطون قريش وسماهم كما تقدم ذكره
وهم العشيره الاقربون وسواهم عشيرة في الاطلاق
واللفظ يحمل على الاخص الاقرب بالاجتهاد كما تقدم من
قول علمائنا **اللفظ العاشر القوم** يحمل ذلك على الرجال
خاصة من العصبة دون النسا والقوم يشمل الرجال والنساء
وان كان الشاعر قد قال

السابع

وما ادري وسوف اخال ادري اقوم آل حصن ام نساء
ولكنه اراد ان الرجل اذا دعى قومه للنصرة عنى الرجال

بلغ

واذا دعاهم للحرمة دخل فيه الرجال والنسا فتعمه الصفة
وتخصه القرينة **اللفظ الحادي عشر الموالي** قال
مالك يدخل فيه موالي ابيه وابنه مع مواليه وقال ابن وهب
يدخل فيه اولاد مواليه قال ابن العربي والذي يتحصل منه
انه يدخل فيه من يرثه بالولاء قال وهذه فصول الكلام
واصوله المرتبطة بظاهر القرآن والسنة المبينة له
والتفريع والتتميم في كتاب المسائل والله اعلم
قوله تعالى بل متعتُ وقرئ بل متعنا هؤلاء وآباءهم
اي في الدنيا

اي في الدنيا بالامهال حتى جاهم الحق اي محمد صلى الله عليه وسلم
بالتوحيد والاسلام الذي هو اصل دين ابراهيم وهو الكلمه
التي بقاها الله في عقبه ورسول مبين اي بين لهم ما بهم
اليه حاجه ولما جاهم يعني القران قالوا هذا سحر وانا
به كافرون جاحدون وقالوا لولا نزل هذا القران على
رجل وقرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين عظيم
اي من احدى القريتين كقوله تعالى يخرج منهما اللولو
والمرجان اي من احدهما او على احد رجلين من القريتين
القريتان مكة والطايف والرجلان الوليد بن المغيرة
بن عبد الله بن عمر بن مخزوم عم ابي جهل والذي من الطايف
ابو مسعود عروة بن مسعود الثقفي قاله قتادة وقيل
عمير بن عبد ياليل الثقفي من الطايف وعتبة بن ربيعة
من مكه وهو قول مجاهد وعن ابن عباس ان عظيم الطايف
حبيب بن عمرو الثقفي وقال السدي كنانة بن عبد بن
عمرو وروي ان الوليد بن المغيره وكان يسمى ريحانة قريش
كان يقول لو كان ما يقول محمد حقا لنزل علي او على ابي
مسعود فقال الله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك يعني
النبوه فيضعونها حيث شاوا نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحياة الدنيا اي افقرنا قوما واغنينا قوما فاذا لم يكن

امور الدنيا اليهم فكيف يفوض امر النبوة اليهم قال قتادة تلقاه
ضعيف القوة قليل الحيلة عيي اللسان وهو مقتر عليه وقرا ابن
عباس ومجاهد وابن محيصن في رواية عنه معايشهم وقيل
اي نحن اعطينا عظيم القريتين ما اعطينا الا لكرامتهما علي وانا
قادر على نزع النعمة عنهما فاي فضل وقدر لهما ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات اي فاضلنا بينهم فمن فاضل ومفضول ورئيس
ومرؤوس قاله مقاتل وقيل بالحرية والرق فبعضهم غني وبعضهم
فقير وبعضهم ملوك وقيل بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا قال السدي وابن زيد خولا وخداما
يسخر الاغنيا الفقرا فيكون بعضهم سببا لمعاش بعض وقال
قتادة والضحاك يعني ليملك بعضهم بعضا وقيل هو من السخرية التي
بمعنى الاستهزا اي يستهزي الغني بالفقير قال الاخفش سخرت
به وسخرت منه وضحكت منه وضحكت به والسخري بالضم
والكسر وكل الناس ضموا سخريا الا ابن محيصن ومجاهد فانهما
قرا‌ا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون اي افضل مما يجمعون
من الدنيا ثم قيل الرحمة النبوة وقيل الجنة وقيل تمام الفرايض
خير من كثرة النوافل وقيل ما يتفضل به عليهم خير مما يجازيهم
عليه من اعمالهم قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة فيه خمس مسايل

الاولى

الاولى قال العلما ذكر حقارة الدنيا وقلة خطرها وانها عنده
من الهوان بحيث كان يجعل بيوت الكفره ودرجها ذهبا وفضة
لولا غلبة حب الدنيا على القلوب فيحمل ذلك على الكفر قال
الحسن المعنى لولا ان يكفر الناس جميعا بسبب ميلهم الى الدنيا
وتركهم الاخره لاعطيناهم في الدنيا ما وصفناه لهوان
الدنيا عند الله جل وعز وعلا وعلى هذا اكثر المفسرين ابن
عباس والسدي وغيرهم وقال الكسائي المعنى لولا ان يكون في
الكفار غني وفقير وفي المسلمين مثل ذلك لاعطينا الكفار
من الدنيا هذا لهوانها **الثانيه** قرا ابن كثير وابو عمرو
سقفا بفتح السين واسكان القاف على الواحد ومعناه
الجمع اعتبارا بقوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم
وقرا الباقون بضم السين والقاف على الجمع مثل رهن ورهن
قال ابو عبيد ولا ثالث لهما وقيل هو جمع سقيف نحو كثيب
وكثب ورغيف ورغف قاله الفرا وقيل هو جمع سقوف
فيصير جمع الجمع سقف وسقوف نحو فلس وفلوس ثم
جعلوا فعولا كانه اسم واحد فجمعوه على فعل وروي عن
مجاهد سقفا باسكان القاف وقيل اللام في لبيوتهم بمعنى
على اي على بيوتهم وقيل بدل كما تقول فعلت هذا لزيد
لكرامته قال الله تعالى ولابويه لكل واحد منهما السدس

كذلك قال هنا لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم **الثالثه** قوله
تعالى ومعارج يعني الدرج قاله ابن عباس وهو قول الجمهور
واحدها معراج والمعراج السلم ومنه ليلة المعراج والجمع
معارج ومعاريج مثل مفاتح ومفاتيح لغتان ومعاريج
قرا ابو رجاء العطاردي وطلحة بن مصرف وهي المراقي
والسلالم قال الاخفش ان شيت جعلت الواحد معرج
ومعرج مثل مرقاة ومرقاة عليها يظهرون اي على المعارج
يرتقون ويصعدون يقال ظهرت على البيت اي علوت
سطحه وهذا لان من علا شيا وارتفع عليه ظهر للناظرين
ويقال ظهرت على الشي اي علمته وظهرت على العدو اي غلبته
وانشد نابغة بني جعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله
علونا السما عزة ومهابة وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا
اي مصعدا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الى اين
قال الى الجنة قال اجل ان شا الله قال الحسن والله لقد مالت
الدنيا باهلها وما فعل ذلك فكيف لو فعل **الرابعه**
استدل بعض العلما بهذه الاية على ان السقف لا حق فيه
لرب العلو لان الله تعالى جعل السقوف للبيوت كما جعل
الابواب لها وهذا مذهب مالك رحمه الله قال ابن العربي
وذلك لان البيت عبارة عن قاعة وجدار وسقف وباب

من

ثمن له البيت فله اركانه ولا اختلاف ان العلو له الى السما واختلفوا
في السفل فمنهم من قال هو له ومنهم من قال ليس له في باطن
الارض شئ وفي مذهبنا القولان وقد بين حديث الاسرايلي
الصحيح فيما تقدم ان رجلا باع من رجل دارا فبناها فوجد
فيها جرة من ذهب فجا بها الى البايع فقال انما اشتريت الدار
دون الجره وقال البايع انما بعت الدار بما فيها وكلهم يدافعها
فقضى بينهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يزوج احدهما ولده من
بنت الاخر ويكون المال لهما والصحيح ان العلو والسفل له الا
ان يخرج عنهما بالبيع فاذا باع احدهما احد الموضعين فله منه
ما ينتفع به وباقيه للمبتاع منه الخامسه من احكام
العلو والسفل اذا كان العلو والسفل بين رجلين فيعتل
السفل او يريد صاحبه هدمه فذكر سحنون عن اشهب
انه قال اذا اراد صاحب السفل ان يهدم او اراد صاحب العلو
ان يبني علوه فليس لصاحب السفل ان يهدم الا من ضرورة
ويكون هدمه له ارفق لصاحب العلو لئلا ينهدم بانهدامه
العلو وليس لرب العلو ان يبني على علوه شيا لم يكن قبل ذلك
الا الشئ الخفيف الذي لا يضر بصاحب السفل ولو انكسرت
خشبة من سقف العلو لادخل مكانها خشبة مالم تكن
اثقل منها ويخاف ضررها على صاحب السفل قال اشهب

وباب الدار على صاحب السفل قال ولو انهدم السفل اجبر
صاحبه على بنايه وليس على صاحب العلو ان يبني السفل
فان ابي صاحب السفل من البنا قيل له بع ممن يبني وروي ابن
القاسم عن مالك في السفل لرجل والعلو لاخر فاعتل السفل
فان صلاحه على رب السفل وعليه تعليق العلو حتى يصلح سفله
لان عليه اما ان يحمله على بنيان او على تعليق ولذلك لو كان
على العلو علو فتعليق العلو الثاني على صاحب الاوسط وقد
قيل ان تعليق العلو الثاني على رب العلو حتى يبني الاسفل
وحديث النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
مثل القايم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا
على سفينة فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها فكان
الذين في اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم
قالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نوذ من فوقنا فان
يتركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا
ونجوا جميعا اصل في هذا وهو حجة لمالك واشهب وفيه دليل
على ان صاحب السفل ليس له ان يحدث على صاحب العلو
ما يضر به وانه ان احدث عليه ضررا لزمه اصلاحه دون
صاحب العلو وان لصاحب العلو منعه من الضرر لقوله
عليه السلام فان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا ولا يجوز

الاحد

الاخذ الا على يد الظالم او من هو ممنوع من احداث ما لا يجوز له
في السنة وفيه دليل على استحقاق العقوبة بترك الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وقد مضى في الانفال وفيه دليل على جواز
القرعة واستعمالها وقد مضى في ال عمران فتامل كلا في موضعه
تجده مبينا والحمد لله قوله تعالى ولبيوتهم ابوابا اي
وجعلنا لبيوتهم وقيل لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر
بالرحمن ابوابا اي من فضة وسررا كذلك وهو جمع السرير وقيل
جمع الاسرة والاسرة جمع السرير فيكون جمع الجمع يتكيون
عليها الاتكا والتوكو والتحامل على الشي ومنه اتوكا عليها
ورجل تكأ مثال همزة كثير الاتكا والتكأة ايضا ما يتكا عليه
واتكا على الشي فهو متكي والموضع متكاة وطعنه حتى اتكاه
على افعله اي القاه على هيئة المتكي وتوكات على العصا
واصل التا في جميع ذلك واو فيفعل به ما فعل باتزن
واتعد وزخرفا الزخرف هنا الذهب عن ابن عباس
وغيره نظيره او يكون لك بيت من زخرف وقد تقدم
وقال ابن زيد هو ما يتخذه الناس في منازلهم من الامتعة
والاثاث وقال الحسن النقوش واصله الزينة يقال زخرفت
الدار اي زينتها وتزخرف فلان اي تزين وانتصب زخرفا
على معنى وجعلنا لهم مع ذلك زخرفا وقيل بنزع الخافض

مطلب في استحقاق العقوبة بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

والمعنى لجعلنا لهم سقفا وابوابا وسررا من فضة ومن ذهب
فلما حذف من قال وزخرفا فنصب وان كل ذلك لما متاع الحياة
الدنيا قرا عاصم وحمزة وهشام عن ابن عامر وان كل ذلك
لما متاع الحياة الدنيا بالتشديد الباقون بالتخفيف وقد ذكر هذا
وروي عن ابي رجا كسر اللام من لما فما عنده بمنزلة الذي والعايد
عليها محذوف والتقدير وان كل ذلك للذي هو متاع الحياة
الدنيا وحذف الضمير ها هنا كحذفه في قراة من قرا مثلا ما
بعوضة فما فوقها وتماما على الذي احسن ابو الفتح ينبغي
ان يكون كل على هذه القراة منصوبة لان ان مخففة من الثقيلة
وهي اذا خففت وبطل عملها الزمتها اللام في اخر الكلام للفرق
بينها وبين ان النافية التي بمعنى ما نحو ان زيد لقايم ولا لام
هنا سوى الجارة والاخرة عند ربك للمتقين يريد الجنة لمن
اتقى وخاف وقال كعب اني لاجد في بعض كتب الله المنزله
لولا ان يحزن عبدي المومن لكللت راس عبدي الكافر
بالاكليل ولا يتصدع ولا ينبض منه عرق بوجع وفي صحيح
الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدنيا سجن المومن وجنة الكافر وعن سهل بن سعد قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند
الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة وفي الباب عن

ابي هريره

ابي هريرة وقال حديث صحيح غريب وانشد وا ؞ ؞
فلو كانت الدنيا جزا المحسن اذا لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الانبيا كرامة وقد شبعت فيها بطون البهايم
وقال اخر تمتع من الايام ان كنت حازما فانك فيها بين ناه وامر
اذا ابقت الدنيا علي المرء دينه فما فاته منها فليس بضاير
فلم تزن الدنيا جناح بعوضة ولا وزن زف من جناح لطاير
فلم يرض بالدنيا ثوابا لمحسن ولا رضي الدنيا عقابا بالكافر
قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين وقرا ابن عباس وعكرمة ومن يعش الشين
ومعناه يعمى يقال منه عشي يعشى عشا اذا عمي ورجل
اعشى وامراة عشوا اذا كان لا يبصر ومنه قول الاعشى
رات رجلا غايب الوافدين ومختلف الخلق اعشى ضريرا
وقوله اان رايت رجلا اعشى اضربه ريب المنون ودهر
مفند خبل ؞ الباقون بالضم من عشا يعشوا اذا لحقه
ما يلحق الاعشى ؞ وقال الخليل العشو هو النظر ببصر
ضعيف وانشد متى تاته تعشوا الى ضوء ناره تجد
خير نار عندها خير موقد ؞ وقال اخر لنعم الفتى يعشوا
الى ضوء ناره اذا الريح هبت والمكان جديب الجوهري
والعشى مقصور مصدر الاعشى وهو الذي لا يبصر بالليل

ويبصر بالنهار والمراة عشوا وامراتان عشواوان واعشاه الله
فعشي بالكسر يعشي عشا وهما يعشيان ولم يقولوا يعشوان
لان الواو لما صارت في الواحد ياء لكسرة ما قبلها تركت
في التثنيه على حالها وتعاشي اذا اري من نفسه انه اعشي
والنسبة الي اعشي اعشوي والي العشية عشوي والعشوا
الناقة التي لا تبصر امامها فهي تخبط بيديها كل شي وركب
فلان العشوا اذا خبط امره على غير بصيرة وفلان خابط
خبط عشوا وهذه الايه تتصل بقوله اول السوره افنضرب
عنكم الذكر صفحا اي نواصل لكم الذكر فمن يعش عن ذلك الذكر
بالاعراض عنه الي اقاويل المضلين واباطيلهم نقيض له شيطانا
اي نسبب له شيطانا جزا له على كفره فهو له قرين قيل
في الدنيا يمنعه من الحلال ويبعثه على الحرام وينهاه عن الطاعه
ويامره بالمعصيه وهو معني قول ابن عباس وقيل في الاخره
اذا قام من قبره قاله سعيد الجريري وفي الخبر ان الكافر
اذا خرج من قبره شفع بشيطان لا يزال معه حتى يدخلا
النار وان المومن يشفع بملك حتى يقضي الله بين خلقه ذكره
المهدوي وقال القشيري والصحيح فهو له قرين في الدنيا
والاخرة وقال ابو الهيثم والازهري عشوت الي كذا اي
قصدته وعشوت عن كذا اي اعرضت عنه فتفرق بين

الي

الى وعن مثل ملت اليه وملت عنه وكذا قال قتاده يعش يعرض
وهو قول الفرا النحاس وهو غير معروف فى اللغه وقال القرظي
يولي ظهره والمعنى واحد وقال ابو عبيدة والاخفش يظلم
عينه وانكر القتبي عشوت بمعنى اعرضت قال وانما الصواب
تعاشيت والقول قول ابي الهيثم والازهري ولذلك قال
جميع اهل المعرفه وقرا السلمي وابن ابي اسحاق ويعقوب
وعصمة عن عاصم وعن الاعمش يقيض بالياء لذكر الرحمن اولا
اي يقيض له الرحمن شيطانا الباقون بالنون وعن ابن عباس
يقيض له شيطان فهو له قرين اي ملازم ومصاحب قيل
فهو كناية عن الشيطان على ما تقدم وقيل عن المعرض عن القران
اي هو قرين للشيطان وانهم ليصدونهم عن السبيل اي وان الشيطان
ليصدونهم عن سبيل الهدى وذكر بلفظ الجمع لان من في قوله ومن
يعش في معنى الجمع ويحسبون اي ويحسب الكفار انهم مهتدون
وقيل ويحسب الكفار ان الشياطين مهتدون ~~وقيل ويحسب~~
فيطيعونهم حتى اذا جانا على التوحيد قرا ابو عمرو وحمزة
والكساي وحفص يعني الكافر يوم القيامة الباقون جاانا
على التثنية يعني الكافر وقرينه وقد جعلا في سلسلة واحدة
فيقول الكافر باليت بيني وبينك بعد المشرقين اي مشرق
الشتاء ومشرق الصيف كما قال تعالى رب المشرقين ورب المغربين

الشياطين اصوب
محرره ابن الهنود

ونحوه قول مقاتل وقراة التوحيد وان كان ظاهرها الافراد
فالمعنى لهما جميعا لانه قد عرف ذلك بما بعده كما قال وعين
لها حدرة بدرة شقت ما فيهما من اخر قال مقاتل يتمنى الكافر
ان بينهما بعد مشرق اطول يوم في السنة الى مشرق اقصر يوم
في السنة ولذلك قال بعد المشرقين وقال الفرا اراد المشرق
والمغرب فغلب اسم احدها كما يقال القمران للشمس والقمر
والعمران لابي بكر وعمر والبصرتان للكوفة والبصرة والعصران
للغداة والعصر وقال الشاعر
اخذنا بافاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع
وانشد ابو عبيدة لجرير
ما كان يرضى رسول الله فعلهم والعمران ابو بكر ولا عمر
وانشد سيبويه قدني من نصر الخبيبين قدي يريد
عبد الله ومصعبا ابني الزبير وانما ابو خبيب عبد الله
فبئس القرين اي فبئس الصاحب انت لانه يورده الى النار
قال ابو سعيد الخدري اذا بعث الكافر زوج بقرينه من
الشياطين فلا يفارقه حتى يصير به الى النار **قوله تعالى**
ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم اذ بدل من اليوم اي يقول الله للكافر
لن ينفعكم اليوم اذا اشركتم في الدنيا هذا الكلام وهو قول الكافر
ياليت بيني وبينك بعد المشرقين اي لا تنفع الندامة اليوم إنكم

صوارم والطيبان

بالكسر

بالكسر في العذاب مشتركون وهي قراءة ابن عامر باختلاف عنه
الباقون بالفتح وهي في موضع رفع تقديره ولن ينفعكم اليوم
اشتراككم في العذاب لان لكل واحد نصيبه الاوفر منه
اعلم الله تعالى انه منع اهل النار التاسي كما يتاسى اهل المصايب
في الدنيا وذلك ان التاسي يستروحه اهل الدنيا فيقول احدهم
لي في البلاء والمصيبة اسوة فيسكن ذلك من حزنه كما قالت
فلولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل اخي ولكن أعزي النفس عنه بالتاسي
فاذا كان في الاخرة لم ينفعهم التاسي شيئا لشغلهم بالعذاب
وقال مقاتل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم لان قرناكم
وانتم في العذاب مشتركون كما اشتركتم في الكفر **قوله تعالى**
افانت تسمع الصم او تهدي العمي يا محمد ومن كان في ضلال مبين
اي ليس لك ذلك فلا يضيق صدرك ان كفروا ففيه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه رد على القدرية وغيرهم وان الهدى
والرشد والخذلان في القلب خلق الله يضل من يشا ويهدي
من يشا **قوله تعالى** فاما نذهبن بك يريد نخرجنك من مكة
من اذى قريش فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم
وهو الانتقام منهم في حياتك فانا عليهم مقتدرون قال ابن عباس
قد اراه الله ذلك يوم بدر وهو قول اكثر المفسرين وقال الحسن

وقتاده هي في اهل الاسلام يريد ما كان بعد النبي صلى الله عليه
وسلم من الفتن ونذهبن بك على هذا نتوفينك وقد كان بعد النبي
صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة فاكرم الله نبيه صلى الله عليه
وسلم وذهب به فلم يره في امته الا التي تقر به عينه وابقي
النقمة بعده وليس من نبي الا وقد اري النقمة في امته
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ما لقيت امته
من بعده فما زال منقبضا ما انبسط ضاحكا حتى لقي الله
عز وجل وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا اراد الله بامة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا
وسلفا واذا اراد الله بامة عذابا عذبها ونبيها حي لتقر
عينه لما كذبوه وعصوا امره قوله تعالى فاستمسك
بالذي اوحي اليك يريد القران وان كذب به من كذب فانك على صراط
مستقيم يوصلك الى الله ورضاه وثوابه وانه لذكر لك ولقومك
يعني القران شرف لك ولقومك من قريش اذ نزل بلغتهم وعلى
رجل منهم نظيره لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم اي شرفكم
فالقران نزل بلسان قريش واياهم خاطب فاحتاج اهل
اللغات كلها الى لسانهم كل من امن بذلك فصاروا اعيانا
عليهم لان اهل كل لغة احتاجوا الى ان ياخذوه من لغتهم
حتى يقفوا على المعنى الذي عنى به من الامر والنهي وجميع

ما فيه

ما فيه من الانبا فتشرفوا بذلك على سائر اهل اللغات
ولذلك سمي عربيا وقيل بيان لك ولامتك فيما بكم اليه حاجة
وقيل تذكرة تذكرون به امر الدين وتعملون به وقيل وانه
لذكر لك ولقومك يعني الخلافة فانها في قريش لا تكون في غيرهم
قال النبي صلى الله عليه وسلم الناس تبع لقريش في هذا الشان
مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم وقال مالك
هو قول الرجل حدثني ابي عن ابيه حكاه ابن ابي سلمة
عن ابيه عن مالك بن انس فيما ذكر الماوردي والثعلبي وغيرهما
قال ابن العربي ولم اجد في الاسلام هذه الرتبة لاحد
الا ببغداد فان بني التميمي بها يقولون حدثني ابي الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبذلك شرفت اقدارهم وعظم
الناس شانهم وتهممت الخلافة بهم ورايت بمدينة السلام
ابني ابي محمد رزق الله بن عبد الوهاب ابي الفرج بن عبد
العزيز بن الحارث بن اسد بن الليث بن سليمان بن اسود
بن سفيان بن يزيد بن اكينة بن عبد الله التميمي وكانا
يقولان سمعنا ابانا رزق الله يقول سمعت ابي يقول
سمعت ابي يقول سمعت ابي يقول سمعت ابي يقول
سمعت ابي يقول سمعت ابي يقول سمعت ابي يقول سمعت
علي بن ابي طالب يقول وقد سئل عن الحنان المنان ٥

مطلب الحنان والمنان

فقال الحنان الذي يقبل على من اعرض عنه والمنان الذي يبدأ
بالنوال قبل السؤال والقائل سمعت عليا الكبنة بن
عبد الله جدهما لاعلى والاقوي ان يكون المراد بقوله وانه
لذكر لك ولقومك يعني القران فعليه ابتني الكلام واليه
يرجع المصير والله اعلم قال الماوردي ولقومك فيهم قولان
احدهما من اتبعك من امتك قاله قتاده وذكره الثعلبي
عن الحسن الثاني لقومك من قريش فيقال ممن هذا فيقال من العرب
فيقال من اي العرب فيقال من قريش قاله مجاهد قلت والصحيح
انه شرف لمن عمل به كان من قريش او غيرهم روي ابن عباس
قال اقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم من سرية او غزاة فدعا
فاطمة فقال يا فاطمة اشتري نفسك من الله فاني لا اغني عنك
من الله شيئا وقال مثل ذلك لنسوته وقال مثل ذلك لعترته
ثم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم ما بنو هاشم باولي الناس
بامتي ان اولى الناس بامتي المتقون ولا قريش باولي الناس
بامتي ان اولى الناس بامتي المتقون ولا الانصار باولي الناس
بامتي ان اولى الناس بامتي المتقون ولا الموالي باولي الناس
بامتي ان اولى الناس بامتي المتقون انما انتم من رجل وامراة
وانتم كجمام الصاع ليس لاحد على احد فضل الا بالتقوى
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لينتهين

لينتهين اقوام يفتخرون بفحم من فحم جهنم او ليكونوا اشر
عند الله من الجعلان التي تدفع النتن بانفها كلهم بنوا ادم
وادم من تراب ان الله اذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها
بالاباء مومن تقي وفاجر شقي خرجهما الطبري وسياتي
لهذا مزيد بيان في الحجرات ان شا الله تعالى وسوف تسالون
اي عن الشكر عليه قاله مقاتل والفرا وقال ابن جريج اي
تسئلون انت ومن معك على ما اتاك وقيل تسالون عما عملتم
فيه والمعنى متقارب قوله تعالى واسل من ارسلنا من
قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون قال
ابن عباس وابن زيد لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو مسجد بيت المقدس
بعث الله له ادم ومن ولد من المرسلين وجبريل مع النبي
صلى الله عليه وسلم فاذن جبريل صلى الله عليه وسلم ثم اقام الصلاه
ثم قال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له جبريل صلى الله عليهما سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من
رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا اسال قد اكتفيت قال ابن عباس
وكانوا سبعين نبيا منهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام
فلم يسالهم لانه كان اعلم بالله منهم في غير رواية ابن عباس

فصلوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع صفوف فالمرسلون
ثلثة صفوف والنبيون اربعة وكان يلي ظهر رسول الله
صلى الله عليه وسلم خليل الله ابراهيم وعلى يمينه اسماعيل
وعلى يساره اسحاق ثم موسى ثم ساير المرسلين فامهم ركعتين
فلما انفتل قام فقال ان ربي اوحى الي ان اسالكم هل ارسل
احد منكم يدعوا الى عبادة غير الله فقالوا يا محمد انا نشهد
انا ارسلنا اجمعين بدعوة واحدة ان لا اله الا الله وان ما
يعبدون من دونه باطل وانك خاتم النبيين وسيد المرسلين
قد استبان ذلك لنا بما مثل ايانا وان لا نبي بعدك الى يوم القيامة
الا عيسى ابن مريم فانه مامور ان يتبع اثرك وقال سعيد بن
جبير في قوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
قال لقي الرسول ليلة اسري به وقال الوليد بن مسلم في قوله
تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا قال سالت عن ذلك
قال سالت عن ذلك خليد بن دعلج فحدثني عن قتادة قال
فحدثني عن قتاده قال سالهم ليلة اسري به لقي الانبيا ولقي
ادم ومالك خازن النار قلت هذا هو الصحيح في تفسير
هذه الاية ومن التي قبل رسلنا على هذا القول غير زايده
وقال المبرد وجماعة من العلما ان المعنى واسئل امم من قد
ارسلنا من قبلك من رسلنا وهذه قراة مفسرة لابن من علي

هو زايده

وذكر ان في قراة ابن مسعود واسئل الذين ارسلنا اليهم قبلك رسلنا

هذا زايدة وهو قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة
وعطا والحسن وابن عباس ايضا اي وسل مومني اهل الكتابين
التوراة والانجيل وقيل المعنى سلنا يا محمد عن الانبيا الذين
ارسلنا قبلك فحذف من والوقف على رسلنا على هذا تام
ثم ابتدا بالاستفهام على طريق الانكار وقيل المعنى واسل
تباع من ارسلنا من قبلك من رسلنا فحذف المضاف والخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته اجعلنا من دون
الرحمن الهة يعبدون اخبر عن الالهة كما اخبر عن من
يعقل فقال يعبدون ولم يقل يعبد ولا يعبدن لان
الالهة جرت عندهم مجرى من يعقل فاجري الخبر عنهم
مجرى الخبر عن من يعقل وسبب هذا الامر بالسوال ان
اليهود والمشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان ما جيت
به مخالف لمن كان قبلك فامره الله بسواله الانبيا على جهة
التوقيف والتقرير لا لانه كان في شك منه واختلف
اهل التاويل في سوال النبي صلى الله عليه وسلم لهم على قولين
احدهما انه سالهم فقالت الرسل بعثنا بالتوحيد قاله
الواقدي الثاني انه لم يسالهم ليقينه بالله عز وجل حتى
حكى ابن زيد ان ميكايل قال لجبريل هل سالك محمد عن ذلك
فقال جبريل هو اشد ايمانا واعظم يقينا من ان يسال عن ذلك

وقد تقدم هذا المعنى في الروايتين حسب ما ذكرناه
قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين
لما علم النبي صلى الله عليه وسلم بانه منتقم له من عدوه واقام
الحجة باستشهاد الانبيا واتفاق الكل على التوحيد اكد
ذلك بقصة موسى وفرعون وما كان من فرعون من التكذيب
وما نزل به وبقومه من الاغراق والتكذيب اي ارسلنا موسى
بالمعجزات وهي التسع الايات فكذب فجعلت العاقبة الجميلة
له فكذلك انت ومعنى يضحكون استهزاء وسخرية يوهموا
اتباعهم ان تلك الايات سحر وتخييل وانهم قادرون عليها
وقوله وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها اي كانت ايات
موسى من كبار الايات وكانت كل واحدة اعظم مما قبلها
وقيل الا هي اكبر من اختها لان الاولى تقتضي علما والثانية
تقتضي علما فتنضم الثانية الى الاولى فيزداد الوضوح ومعنى
الاخوة المشاكلة والمناسبة كما يقال هذه صاحبة هذه
اي هما قريبتان في المعنى واخذناهم بالعذاب اي على تكذيبهم
بتلك الايات وهو كقوله تعالى ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين
ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع
وكانت هذه الايات الاخر عذابا لهم وايات لموسى لعلهم
يرجعون من كفرهم وقالوا يايه الساحر لما عاينوا العذاب

الثامن
بلغ

قالوا

قالوا يا ايها الساحر نادوه بما كانوا ينادونه به من قبل ذلك على
حسب عادتهم وقيل كانوا يسمون العلما سحرة فنادوه
بذلك على سبيل التعظيم قال ابن عباس يا ايها الساحر يا ايها العالم
وكان الساحر فيهم عظيما يوقرونه ولم يكن السحر صفة
ذم وقيل يا ايها الذي غلبنا بسحره يقال ساحرته فسحرته
اي غلبته بالسحر لقول العرب خاصمته فخصمته اي غلبته
بالخصومة وفاضلته ففضلته ونحوها ويحتمل ان يكونوا ارادوا
به الساحر على الحقيقة على معنى الاستفهام فلم يلمهم على ذلك
رجا ان يومنوا وقرا ابن عامر وابو حيوة ويحيى بن وثاب
ايه الساحر بغير الف والها مضمومه وعلتها ان الها
خلطت بما قبلها والزمت ضم اليا الذي اوجبه الندا
المفرد وانشد الفرا يا ايها القلب اللجوج النفس:
افق عن البيض الحسان اللعس فضم الها حملا على ضم اليا
وقد مضى في النور معنى هذا ووقف ابو عمرو وابن ابي اسحق
ويحيى والكساي ايها بالالف على الاصل والباقون بغير الف
لانها لذلك وقعت في المصحف ادع لنا ربك بما عهد عندك
اي بما اخبرتنا عن عهده اليك انا ان امنا كشف عنا فاسله
يكشف عنا اننا لمهتدون اي فيما يستقبل فلما كشفنا عنهم
العذاب اي فدعا فكشفنا اذا هم ينكثون اي ينقضون العهد

الذي جعلوه على انفسهم فلم يومنوا وقيل قولهم اننا لمهتدون
اخبار منهم عن انفسهم بالايمان فلما كشف عنهم العذاب ارتدوا
قوله تعالى ونادى فرعون في قومه قيل لما راى تلك
الايات خاف ميل القوم اليه فجمع قومه فقال فنادى بمعنى
قال قاله ابو مالك فيجوز ان يكون عنده عظما القبط فرفع
صوته بذلك فيما بينهم ثم ينتشر عنه في جموع القبط وكانه
نودي به بينهم وقيل انه امر من ينادي في قومه قاله
ابن جريج قال يا قوم اليس لي ملك مصر اي لا ينازعني فيه
احد قيل انه ملك منها اربعين فرسخا في مثلها حكاه النقاش
وقيل المراد بالملك هنا الاسكندرية وهذه الانهار تجري
من تحتي يعني انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر
طولون ونهر ونهر دمياط ونهر تنيس قال قتاده كانت
جنانا وانهارا تجري من تحت قصوره وقيل من تحت سريره
وقيل من تحتي اي تصرفي نافذ فيها من غير صانع وقيل كان اذا
امسك عنانه امسك النيل عن الجري قال القشيري ويجوز
ظهور خوارق العادة على مدعي الربوبية اذ لا حاجة في
تمييز الاله من غير الاله الى فعل خارق للعادة وقيل
معنى وهذه الانهار تجري من تحتي اي القواد والروسا والجبابرة
يسيرون تحت لوائي قاله الضحاك وقيل اراد بالانهار الاموال

وعبر

وعبر عنها بالانهار لكثرتها وظهورها وقوله تجري من تحتي
اي امر قيها علي من يعني لان الترغيب والقدرة في الاموال
دون الانهار افلا تبصرون عظمتي وقوتي وضعف موسي
وقيل قدرتي علي نفقتكم وعجز موسي والواو في وهذه يجوز
ان تكون عاطفة للانهار علي ملك مصر وتجري نصب علي الحال
منها ويجوز ان يكون واو الحال واسم الاشارة مبتدا او
الانهار صفة لاسم الاشارة وتجري خبر للمبتدا وفتح
الياء من تحتي اهل المدينه والبزي وابو عمرو واسكن الباقون
وعن الرشيد انه لما قراها قال لاولينها اخس عبيدي فولاها
الخصيب وكان علي وضوءه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها
فخرج اليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال اهذه القرية
التي افتخر بها فرعون حتي قال اليس لي ملك مصر والله لهي عندي
اقل من ان ادخلها فثني عنانه ثم صرح بحاله فقال ام انا خير
قال ابو عبيدة والسدي ام بمعني بل وليست بحرف عطف
علي قول اكثر المفسرين والمعني قال فرعون لقومه بل انا خير
من هذا الذي هو مهين اي لا عز له فهو يمتهن نفسه في حاجاته
لحقارته وضعفه ولا يكاد يبين يعني ما كان في لسانه من
العقده علي ما تقدم في طه وقال الفرا في ام وجهان ان
شيت جعلتها من الاستفهام الذي جعل بام لاتصاله بكلام

قبله وان شيت جعلتها نسقا على قوله اليس لي ملك مصر وقيل
هي زايده وروى ابو زيد عن العرب انهم يجعلون ام زايده
والمعنى انا خير من هذا الذي هو مهين وقال الاخفش في الكلام
حذف والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون كما قال

ايا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا أانت ام ام سالم

اي انت احسن ام ام سالم ثم ابتدا فقال انا خير وقال الخليل
وسيبويه المعنى افلا تبصرون ام انتم بصرا فعطف بام على افلا
تبصرون لان معنى ام انا خير اي ام تبصرون وذلك انهم
اذا قالوا انت خير منه كانوا عنده بصرا وروى عن عيسى
الثقفي ويعقوب الحضرمي انهما وقفا على ام على ان يكون التقدير
افلا تبصرون فحذف تبصرون الثاني وقيل من وقف على ام
جعلها زايده وكانه وقف على تبصرون من قوله افلا تبصرون
عند الخليل وسيبويه لان ام تقتضي الاتصال بما قبلها وقال
قوم الوقف على قوله افلا تبصرون ثم ابتدا ام انا خير بمعنى
بل انا خير انشد الفرا

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها ام انت في العين املح

فمعناه بل انت املح وذكر الفرا ان بعض القراء قرا اما انا خير
ومعنى هذا الست خيرا وروى عن مجاهد انه وقف على ام ثم
يبتدي انا خير وقد ذكر قوله تعالى فلولا اي فهل لا

الغني

القي عليه اساورة من ذهب انما قال ذلك لانه كان عادة
الوقت وزي اهل الشرف وقرا حفص اسورة جمع سوار
كحمار واحمرة وقرا ابي اساور وهو جمع إسوار وابن مسعود
اساوير الباقون اساورة جمع الاسورة فهو جمع الجمع
ويجوز ان يكون اساورة جمع اسوار والحقت الهاء في الجمع
عوضا من الياء فهو مثل زناديق وزنادقة وبطاريق
وبطاريق وبطارقة وشبهه وقال ابو عمرو بن العلا واحد
الاساورة والاساور والاساوير اسوار وهي لغة في
سوار قال مجاهد كانوا اذا سوروا رجلا يسوروه
بسوارين وطوقوه بطوق ذهب علامة لسيادته فقال
فرعون هلا القي رب موسى عليه اساورة من ذهب ان كان
صادقا او جاء معه الملائكة مقترنين يعني متتابعين في قول
قتادة مجاهد يمشون معا ابن عباس يعاونونه على من خالفه
والمعنى هلا ضم اليه الملائكة التي يزعم انها عند ربه حتى يتكثر
بهم ويصرفهم على امره ونهيه فيكون ذلك اهيب في القلوب
فاوهم قومه ان رسل الله ينبغي ان يكونوا كرسل الملوك
في الشاهد ولم يعلم ان رسل الله انما ايدوا بالجنود
السماوية وكل عاقل يعلم ان حفظ الله موسى مع تفرده ووحدته
من فرعون مع اتباعه وامداد موسى بالعصا واليد البيضا

كان ابلغ من ان يكون له اسورة او ملايكة يكونون معه اعوانا في قول
مقاتل او دليلا على صدقه في قول الكلبي وليس يلزم هذا لان الاعجاز
كاف وقد كان في الجايز ان يكذب مع مجي الملايكة حكاية عن لفظ
موسى لانه لا يومن بالملايكة من لا يعرف خالقهم **قوله تعالى**
فاستخف قومه قال ابن الاعرابي المعنى فاستجهل قومه فاطاعوه
لخفة احلامهم وقلة عقولهم يقال استخفه الفرح اي ازعجه
واستخفه اي حمله على الجهل ومنه ولا يستخفنك الذين لا يوقنون
وقيل استفزهم بالقول فاطاعوه على التكذيب وقيل استخف
قومه اي وجدهم خفاف العقول وهذا لا يدل على انه
يجب ان يطيعوه فلا بد من اضمار بعيد تقديره وجدهم
خفاف العقول فدعاهم الى الغواية فاطاعوه وقيل اي
استخف بقومه وقهرهم حتى اتبعوه يقال استخفه خلاف
استثقله واستخف به اي اهانه انهم كانوا قوما فاسقين
اي خارجين عن طاعة الله **قوله تعالى** فلما اسفونا انتقمنا
روى الضحاك عن ابن عباس اي غاظونا واغضبونا وروى عنه
علي بن ابي طلحة اي اسخطونا قال الماوردي ومعناهما مختلف
والفرق بينهما ان السخط اظهار الكراهية والغضب ارادة
الانتقام القشيري والاسف هاهنا بمعنى الغضب والغضب
من الله اما ارادة العقوبة فلون من صفات الذات واما

عين

عن العقوبة فيكون من صفات الفعل وهو معنى قول الماوردي
وقال عمر بن ذر يا اهل معاصي الله لا تغتروا بطول حلم الله
عنكم واحذروا اسفه فانه قال فلما اسفونا انتقمنا منهم
وقيل اسفونا اي اغضبوا رسلنا واوليانا المومنين نحو
السحرة وبني اسرايل وهو كقوله تعالى يوذون الله ويحاربون
الله اي اولياه ورسله قوله تعالى فجعلناهم سلفا اي
جعلنا قوم فرعون سلفا قال ابو مجلز سلفا لمن عمل عملهم
ومثلا لمن يعمل عملهم وقال مجاهد سلفا اخبار الامة محمد صلى
الله عليه وسلم ومثلا اي عبرة لهم وعنه ايضا سلفا الكفار
قومك يتقدمونهم الى النار قتاده سلفا الى النار ومثلا
عظة لمن ياتي بعدهم والسلف المتقدم يقال سلف يسلف
مثل طلب طلبا اي تقدم ومضى وسلف له عمل صالح
اي تقدم والقوم السلاف المتقدمون وسلف الرجل اباوه
المتقدمون والجمع اسلاف وسلاف وقراة العامة سلفا
بفتح السين واللام قال الفرا هو جمع سليف نحو سرير
وسرر وقال ابو حاتم هو جمع سلف نحو خشب وخشب
وثمر وثمر ومعناهما واحد وقرا علي وابن مسعود
وعلقمة وابو وايل والنخعي وحميد بن قيس سلفا
بضم السين وفتح اللام جمع سلفة اي فرقة متقدمة

ويجوز ... وجمع سلف سلف ... جمع سلفة ... السين ...

قال المؤرج والنضر بن شميل سلفا جمع سلفة نحو غرفة وغرف وطرفة وطرف وظلمة وظلم قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون لما قال تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون تعلق المشركون بامر عيسى وقالوا ما يريد محمد الا ان نتخذه الها كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم الها قاله قتادة ونحوه عن مجاهد قال ان قريشا قالت ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى فانزل الله تعالى هذه الاية وقال ابن عباس اراد به مناظرة عبد الله بن الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في شان عيسى وان الضارب لهذا المثل هو عبد الله بن الزبعرى السهمي حالة كفره لما قالت له قريش ان محمدا يتلوا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية فقال لو حضرته لرددت عليه قالوا وما كنت تقول له قال كنت اقول له هذا المسيح تعبده النصارى واليهود تعبد عزيرا فهما من حصب جهنم فعجبت قريش من مقالته وراوا انه قد خصم وذلك معنى قوله يصدون فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون ولو تامل ابن الزبعرى الاية ما اعترض عليها لانه قال وما تعبدون ولم يقل ومن تعبدون وانما اراد الاصنام

ونحوها

ونحوها مما لا يعقل ولم يرد المسيح ولا الملايكه وان كانوا
معبودين وقد مضى هذا في اخر سورة الانبيا وروى ابن
عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش يا
معشر قريش لا خير في احد يعبد من دون الله قالوا اليس
تزعم ان عيسى كان عبدا نبيا وعبدا صالحا فان كان كما تزعم
فقد كان يعبد من دون الله فانزل الله تعالى ولما ضرب
ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون اي يضجون
لضجيج الابل عند حمل الاثقال قرا نافع وابن عامر والكساي
يصدون بضم الصاد ومعناه يعرضون قاله النخعي
وكسر الباقون قال الكساي هما لغتان مثل يعرشون
ويعرشون وينمون وينمون ومعناه يضجون قاله
الجوهري وصد يصد صديدا اي ضج وقيل انه بالضم
من الصدود وهو الاعراض وبالكسر من الضجيج قاله
قطرب قال ابو عبيد لو كانت من الصدود عن الحق
لكانت اذا قومك عنه يصدون الفرا هما سوا وعنه (منه)
وقال ابن المسيب يصدون يضجون الضحاك يعجون (يعجون)
ابن عباس يضحكون ابو عبيده من ضم فمعناه يعدلون
فيكون المعنى من اجل المثل يعدلون ولا يعدى يصدون
بمن ومن كسر فمعناه يضجون فمن متصله بيصدون

والمعنى يضجون منه **قوله تعالى وقالوا الهتنا خير ام**
هو اي الهتنا خير ام عيسى قاله السدي وقال خاصموه
وقالوا ان كل من عبد من دون الله في النار فنحن نرضى ان
تكون الهتنا مع عيسى والملايكة وعزير فانزل الله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون الاية
وقال قتادة ام هو يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وفي
قراة ابن مسعود الهتنا خير ام هذا وهو يقوي قول قتادة
فهو استفهام تقرير في ان الهتهم خير وقرا الكوفيون
ويعقوب أالهتنا [illegible] بتحقيق الهمز ولين الباقون وقد
تقدم ما ضربوه لك الا جدلا حال اي جدلين يعني ما
ضربوا لك هذا المثل الا [illegible] ارادة للجدل لانهم علموا ان المراد
بحصب جهنم ما اتخذوه من الموات بل هم قوم خصمون
مجادلون بالباطل وفي صحيح الترمذي عن ابي امامة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى
كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه الاية ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون
قوله تعالى ان هو الا عبد انعمنا عليه اي ما عيسى الا
عبد انعم الله عليه بالنبوة وجعله مثلا لبني اسرايل اي
اية وعبرة يستدل بها على قدرة الله تعالى فان عيسى كان

من غير اب ثم جعل اليه من احيا الموتى وابراء الاكمة
والابرص والاسقام كلها ما لم يجعل لغيره في زمانه مع
ان بني اسرايل كانوا يومئذ خير الخلق واحبه الى الله عز
وجل والناس دونهم ليس احد عند الله عز وجل مثلهم
وقيل المراد بالعبد المنعم عليه محمد صلى الله عليه وسلم
والاول اظهر ولو نشا لجعلنا منكم اي بدلا منكم ملايكة
يكونون خلفا عنكم قاله السدي ونحوه عن مجاهد قال ملايكة
يعمرون الارض بدلا منكم وقال الازهري ان من قد يكون
للبدل بدليل هذه الاية قلت قد تقدم هذا المعنى في براءة
وغيرها وقيل لو نشا لجعلنا من الانس ملايكة وان لم تجر العادة
بذلك والجواهر جنس واحد والاختلاف بالاوصاف والمعنى
لو نشا لاسكنا الارض الملايكة وليس في اسكاننا اياهم السماء
شرف حتى يعبدوا ويقال لهم بنات الله ومعنى يخلفون
يخلف بعضهم بعضا قاله ابن عباس قوله تعالى وانه
لعلم للساعة قال الحسن وقتاده وسعيد بن جبير يريد القران
لانه يدل على قرب مجي الساعة او به تعلم الساعة واهوالها
واحوالها وقال ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي وقتاده
ايضا انه خروج عيسى عليه السلام وذلك من اعلام الساعة
وقرا ابن عباس وابو هريرة وقتاده ومالك بن دينار وانه

لان الله ينزله من السما قبل قيام الساعة كما ان خروج الدجال من اعلام الساعة
والضحاك

لعلم للساعة بفتح العين واللام اي أمارة وقد روي عن عكرمة
وانه للعلم بلامين وذلك خلاف للمصاحف وعن عبد الله
بن مسعود قال لما كان ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم
لقي ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا الساعة
فبدؤا بابراهيم فسالوه عنها فلم يكن عنده منها علم ثم
سالوا موسى فلم يكن عنده منها علم فرد الحديث الي عيسى
بن مريم قال قد عهد الي فيما دون وجبتها فاما وجبتها
لا يعلمها الا الله عز وجل فذكر خروج الدجال قال
فانزل فاقتله وذكر الحديث خرجه ابن ماجة في سننه
وفي صحيح مسلم فبينما هو يعني المسيح الدجال اذ بعث الله
المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضا بشرقي دمشق
بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا
طاطا راسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللولو
فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الامات ونفسه حيث ينتهي
طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله الحديث وذكر
الثعلبي والزمخشري وغيرهما من حديث ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسى بن مريم عليه السلام
على ثنية من الارض المقدسة يقال لها افيق بين ممصرتين
وشعر راسه دهين وبيده حربة يقتل بها الدجال

فياتي

فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر والامام
يؤمّ بهم فيتأخر الامام فيقدّمه عيسى ويصلي خلفه
على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم يقتل الخنازير ويكسر
الصليب ويخرّب البيع والكنايس ويقتل النصارى الا من
امن به وروى خالد عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الانبيا اخوة لعلّات امهاتهم شتى ودينهم
واحد وانا اولى الناس بعيسى بن مريم انه ليس بيني وبينه
نبي وانه اول نازل فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقاتل
الناس على الاسلام قال الماوردي وحكى ابن عيسى عن قوم
انهم قالوا اذا نزل عيسى رفع التكليف لئلا يكون رسولا
الى ذلك الزمان يامرهم عن الله تعالى وينهاهم وهذا قول
مردود ودليل ثلاثة امور منها الحديث ولان بقا الدنيا يقتضي
التكليف فيها ولانه ينزل امرا بمعروف وناهيا عن منكر
وليس يستنكر ان يكون امر الله تعالى له مقصورا على تأبيد
الاسلام والامر به والدعا اليه **قلت** ثبت في صحيح
مسلم وابن ماجه عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لينزلنّ ابن مريم حكما عادلا فليكسرنّ الصليب
وليقتلنّ الخنزير وليضعنّ الجزية ولتتركنّ القلاص فلا يسعى
عليها ولتذهبنّ الشحنا والتباغض والتحاسد وليدعونّ

الى المال فلا يقبله احد وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفي رواية
فامكم منكم قال ابن ابي ذئب تدري ما امكم منكم قلت
تخبرني قال فامكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم صلى الله عليه
وسلم قال علماونا رحمة الله عليهم فهذا نص على انه ينزل
مجددا الدين النبي صلى الله عليه وسلم الذي درس منه لا بشرع
مبتدا والتكليف باق على ما بيناه هنا وفي كتاب التذكرة
وقيل وانه لعلم للساعة اي وان احيا عيسى الموتى دليل على
الساعة وبعث الموتى قاله ابن اسحق قلت ويحتمل ان يكون
المعنى وانه وان محمدا صلى الله عليه وسلم لعلم للساعة بدليل
قوله عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين وضم السبابة
والوسطى خرجه البخاري ومسلم وقال الحسن اول اشراطها
محمد صلى الله عليه وسلم فلا تمترن بها فلا تشكون فيها يعني
الساعة قاله يحيى بن سلام وقال السدي فلا تكذبون بها
ولا تجادلوا فيها فانها كائنة لا محالة واتبعوني اي في التوحيد
وفيما ابلغكم عن الله هذا صراط مستقيم اي طريق قويم
الى الله اي الى جنته واثبت اليا يعقوب في قوله واتبعوني
في الحالين وكذلك والمطيعون وابو عمرو واسماعيل عن نافع
في الوصل دون الوقف وحذف الباقون في الحالين ولا

يصدنكم

ولا يصدنكم الشيطان اي لا تغتروا بوساوسه وشبه
الكفار المجادلين فان شرايع الانبيا لم تختلف في التوحيد
ولا فيما اخبروا به من علم الساعه وغيرها بما تضمنته من
جنة ونار انه لكم عدو مبين تقدم في البقره وغيرها قوله
تعالى ولما جا عيسى بالبينات قال ابن عباس يريد احيا
الموتى وابرا الاسقام والخلق الطير والمايدة وغيرها والاخبار
بكثير من الغيوب وقال قتاده البينات هنا الانجيل قال
قد جيتكم بالحكمة اي النبوه قاله السدي ابن عباس علم
ما يودي الى الجميل ويكف عن القبيح وقيل الانجيل ذكره
القشيري والماوردي ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه
وبين لهم في غير الانجيل ما احتاجوا اليه وقيل بين لهم بعض
الذي اختلفوا فيه من احكام التوراة على قدر ما
سالوه ويجوز ان يختلفوا في اشيا غير ذلك لم يسلوه
عنها وقيل ان بني اسرايل اختلفوا بعد موت موسى في اشيا
من امر دينهم واشيا من امر دنياهم فبين لهم امر دينهم
ومذهب ابي عبيده ان البعض بمعنى الكل ومنه قوله تعالى
يصبكم بعض الذي يعدكم وانشد الاخفش قول لبيد
تراك امكنة اذا لم ارضها او يعتلق بعض النفوس حمامها
والموت لا يعتلق بعض النفوس دون بعض ويقال المنية علوق

وعلاقة قال المفضل النكري

وسائله بثعلبة بن سير وقد علقت بثعلبة العلوق
وقال مقاتل هو كقوله ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم
يعني ما احل في الانجيل مما كان محرما في التوراة كلحم الابل
والشحم من كل حيوان وصيد السمك يوم السبت فاتقوا الله
اي اتقوا الشرك ولا تعبدوا الا الله وحده واذا كان هذا
قول عيسى فكيف يجوز ان يكون الها او ابن اله واطيعون
فيما ادعوكم اليه من التوحيد وغيره ان الله هو ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي عبادة الله صراط مستقيم
وما سواه معوج لا يودي سالكه الى الحق قوله تعالى
فاختلف الاحزاب من بينهم قال قتادة يعني ما بينهم وفيهم
قولان احدهما انهم اهل الكتاب من اليهود والنصارى خالف
بعضهم بعضا قاله مجاهد والسدي والثاني فرق النصارى
من النسطورية والملكية واليعاقبة اختلفوا في عيسى
فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت اليعاقبة هو الله
وقالت الملكية ثالث ثلاثة احدهم الله قاله الكلبي ومقاتل
وقد مضى هذا في سورة مريم من عذاب يوم اليم اي اليم
عذابه ومثله ليل نايم اي ينام فيه هل ينظرون يريد الاحزاب
لا ينتظرون الا الساعة يريد القيامة ان تاتيهم بغتة اي فجاة

وهم

يعني ... اي لهم ... انهم ... يعلمون

وهم لا يشعرون يفطنون وقد مضي في غير موضع وقيل المعني
لا ينتظر مشركوا العرب الا الساعة ويكون الاحزاب علي
هذا الذين تحزبوا علي النبي صلى الله عليه وسلم وكذبوه من
المشركين ويتصل هذا بقوله تعالى ما ضربوه لك الا جدلا
قوله تعالى الاخلا يومئذ بعضهم يريد يوم القيامة بعضهم
لبعض عدوا اي اعدا يعادي بعضهم بعضا الا المتقين فانهم
اخلا في الدنيا والاخرة قال معناه ابن عباس ومجاهد وغيرهما
وحكي النقاش ان هذه الاية نزلت في امية بن خلف الجمحي وعقبة
بن ابي معيط كانا خليلين وكان عقبة يجالس النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت قريش قد صبا عقبة بن ابي معيط فقال له امية
وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا ولم تتفل في وجهه
ففعل عقبة ذلك فنذر النبي صلى الله عليه وسلم قتله فقتله
يوم بدر صبرا وقتل امية في المعركة وفيهم نزلت هذه
الاية قال كان خليلان مومنان وخليلان كافران فمات
احد المومنين فقال يا رب ان فلانا كان يامرني بطاعتك وطاعة
رسولك وكان يامرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني اني
ملاقيك يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني واكرمه
كما اكرمتني فاذا مات خليله المومن جمع الله بينهما فيقول
الله تعالى ليثن كل واحد منكما علي صاحبه فيقول يا رب انه

يلعن بعضهم بعضا صح

كان يامرني بطاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالخير وينهاني
عن الشر ويخبرني اني ملاقيك فيقول الله تعالى نعم الخليل
ونعم الاخ ونعم الصاحب كان قال في يموت احد الكافرين
فيقول يارب ان فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك
ويامرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني اني غير ملاقيك
فاسئلك يارب الا تهديه بعدي وان تضله كما اضلني وان تهينه
كما اهنتني فاذا مات خليله الكافر قال الله تعالى لهما ليثن كل
واحد منكما على صاحبه فيقول يارب انه كان يامرني بمعصيتك
ومعصية رسولك ويامرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني
اني غير ملاقيك فاسئلك ان تضاعف عليه العذاب فيقول
الله تعالى بيس الصاحب والاخ والخليل كنت فيلعن كل واحد
منهما صاحبه قلت والايه عامة في كل مومن ومتق
وكافر ومضل قوله تعالى يا عبادي لا خوف عليكم اليوم
ولا انتم تحزنون قال مقاتل ورواه المعتمر بن سليمان عن
ابيه ينادي مناد في العرصات يا عبادي لا خوف عليكم
فيرفع اهل العرصة روسهم فيقول المنادي الذين امنوا
باياتنا وكانوا مسلمين فينكس اهل الاديان روسهم غير
المسلمين وذكر المحاسبي في الرعاية وقد روي في هذا الحديث
ان المنادي ينادي يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم

ولا انتم

ولا انتم تحزنون فيرفع الخلايق روسهم يقولون نحن عباد الله
ثم ينادي المنادي الثانيه الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فينكس
الكفار روسهم ويبقى الموحدون رافعي روسهم ثم ينادي
الثالثه الذين امنوا وكانوا يتقون فينكس اهل الكباير روسهم
ويبقى اهل التقوى رافعي روسهم فقد ازال عنهم الخوف والحزن
كما وعدهم لانه اكرم الاكرمين لا يخذل وليه ولا يسلمه عند
الهلكه وقرى يا عباد قوله تعالى الذين امنوا قال الزجاج
الذين نصب على النعت لعبادي لان عبادي منادى مضاف وقيل
الذين امنوا ابتدا وخبره محذوف تقديره هم الذين امنوا
او الذين امنوا يقال لهم ادخلوا الجنه وقرا ابو بكر وزر بن
حبيش يا عبادي بفتح اليا واثباتها في الحالين ولذلك اثبتها
نافع وابن عامر وابو عمرو ورويس ساكنة في الحالين لانها
وقعت مثبتة في مصاحف المدينه والشام لا غير ادخلوا
الجنه اي يقال لهم ادخلوا الجنه او يا عبادي الذين ادخلوا
الجنه انتم وازواجكم المسلمات في الدنيا وقيل قرناوكم من
المومنين وقيل زوجاتهم من الحور العين تحبرون تكرمون
قاله ابن عباس والكرامة في المنزله الحسن تفرحون
والفرح في القلب قتاده تنعمون والنعيم في البدن مجاهد
تسرون والسرور في العين ابن ابي نجيح تعجبون والعجب ها هنا

درك ما يستنظرف يحيى بن ابي كثير هو التلذذ بالسماع وقد مضى
هذا في الروم قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب
فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب
واكواب اي لهم في الجنة اطعمة واشربة يطاف بها عليهم في
صحاف من ذهب واكواب ولم يذكر الاطعمة والاشربة لانه
يعلم انه لا معنى للاضافة بالصحاف والاكواب عليهم من غير ان
يكون فيها شي وذكر الذهب في الصحاف واستغني به عن الاعاده
في الاكواب كقوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وفي
الصحيحين عن حذيفة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول
لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في انية الذهب والفضة
ولا تاكلوا في صحافها فانها لهم في الدنيا ولكم في الاخرة وقد
مضى في سورة الحج ان من اكل فيهما في الدنيا او لبس الحرير
في الدنيا ولم يتب حرم ذلك في الاخرة تحريما موبدا والله
اعلم وقال المفسرون يطوف على ادناهم في الجنة منزلة سبعون
الف غلام بسبعين الف صحيفة من ذهب تغدى عليه بها
في كل واحدة منها لون ليس في صاحبتها ياكل من اخرها
كما ياكل من اولها ويجد طعم اخرها كما يجد طعم اولها لا يشبه
بعضه بعضا ويراح عليه بمثلها ويطوف على ارفعهم
درجة كل يوم سبع مائة الف غلام مع كل غلام صحيفة من ذهب

الثانية قوله تعالى ... فيها ما تشتهيه الانفس ...

بلغ

من ذهب فيها لون من الطعام ليس في صاحبتها يأكل من
اخرها كما يأكل من اولها ويجد طعم اخرها كما يجد طعم اولها
لا يشبه بعضه بعضا واكواب اي ويطاف عليهم بالاكواب
كما قال تعالى ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب
وذكر ابن المبارك قال انا معمر عن رجل عن ابي قلابة قال
يؤتون بالطعام والشراب فاذا كان في اخر ذلك اوتوا
بالشراب الطهور فتضمر لذلك بطونهم ويفيض عرقا
من جلودهم اطيب من ريح المسك ثم قرا شرابا طهورا
وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون
ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون قالوا فما بال الطعام
قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد
والتكبير في رواية كما تلهمون النفس الثانية روى الائمة
من حديث ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الذي
يشرب في انية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه
نار جهنم وقال لا تشربوا في انية الذهب والفضة ولا
تأكلوا في صحافها وهذا يقتضي التحريم ولا خلاف في ذلك
واختلف الناس في استعمالها في غير ذلك قال ابن العربي
والصحيح انه لا يجوز للرجال استعمالها في شيء لقول

بلغ

النبي صلى الله عليه وسلم في الذهب والحرير هذان حرام لذكور
امتي حل لاناثها والنهي عن الاكل والشرب فيهما يدل على
تحريم استعمالها لانه نوع من المتاع فلم يجز اصله الاكل
والشراب ولان العلة في ذلك استعجال امر الاخرة وذلك
يستوي فيه الاكل والشرب وساير اجزا الانتفاع ولانه
صلى الله عليه وسلم قال هي لهم في الدنيا ولنا في الاخرة فلم يجعل
لنا فيها حظا في الدنيا **الثالثة** اذا كان الانا مضببا بها
او فيه حلقة منها فقال مالك لا يعجبني ان يشرب فيه
وكذلك المراة تكون فيها الحلقة من الفضة ولا يعجبني ان
ينظر فيها وجهه وقد كان عند انس انا مضبب بفضة
وقال لقد سقيت فيه النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن سيرين
كانت فيه حلقة حديد فاراد انس ان يجعل فيه حلقة
فضة فقال ابو طلحة لا اغير شيئا مما صنعه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتركه **الرابعة** اذا لم يجز استعمالها
لم يجز اقتناؤها لان ما لا يجوز استعماله لا يجوز اقتناوه
كالصنم والطنبور وفي كتب علمائنا انه يلزم الغرم في قيمتها
لمن كسرها وهو معنى فاسد فان كسرها واجب ولا ثمن
لقيمتها ولا يجوز تقويمها في الزكاة بحال وغير هذا لا يلتفت اليه
قوله تعالى بصحاف قال الجوهري الصحفة كالقصعة
والجمع

والجمع صحاف قال الكساي اعظم القصاع الجفنه ثم القصعه
تليها تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم المكيلة
تشبع الرجلين والثلاثه ثم الصحيفه تشبع الرجل والصحيفه
الكتاب والجمع صحف وصحايف قوله تعالى واكواب
قال الجوهري الكوب كوز لا عروة له والجمع اكواب
قال الاعشى يصف الخمر صريفية طيب طعمها لها زبد بين
كوب ودن وقال اخر متكيا تصفق ابوابه يسعى
عليه العبد بالكوب وقال قتاده الكوب المدور القصير
العنق القصير العروه والابريق المستطيل العنق الطويل
العروه وقال الاخفش الاكواب الاباريق التي لا خراطيم لها
وقال قطرب هي الاباريق التي ليست لها عرى وقال مجاهد
انها الانية المدورة الافواه السدي هي التي لا اذان لها ابن
عزيز اكواب اباريق لا عرى لها ولا خراطيم واحدها كوب
قلت وهو معنى قول مجاهد والسدي وهو مذهب اهل اللغة
انها التي لا اذان لها ولا عرى قوله تعالى وفيها ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين روى الترمذي عن سليمان بن بريدة عن
ابيه ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
هل في الجنة من خيل قال ان الله ادخلك الجنه فلا تشا ان
تحمل فيها على فرس من ياقوته حمرا يطير بك حيث شيت

قال وسأله رجل فقال يا رسول الله هل في الجنة من ابل قال فلم
يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة لك فيها ما [اشتهت]
اشتهت نفسك ولذت عينك وقرأ اهل المدينة وابن عامر
في اهل الشام وفيها ما تشتهيه الانفس الباقون تشتهي الانفس
اي تشتهيه الانفس تقول الذي ضربت زيدا اي الذي ضربته
زيد وتلذ الاعين تقول لذ الشيء يلذ لذاذا ولذاذة ولذذت
بالشيء الذ بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل لذاذا ولذاذة
اي وجدته لذيذا والتذذت به وتلذذت به بمعنى اي في الجنة
ما تستلذه العين فكان حسن المنظر وقال سعيد بن جبير وتلذ
الاعين النظر الى الله عز وجل كما في الخبر اسألك لذة النظر الى
وجهك وانتم فيها خالدون باقون دائمون لانها لو انقطعت
لتبغضت **قوله تعالى** وتلك الجنة اي يقال لهم هذه تلك
الجنة التي كانت توصف لكم في الدنيا وقال ابن خالويه اشار
تعالى الى الجنة بتلك والى جهنم بهذه ليخوف بجهنم ويؤكد
التحذير وجعلها بالاشارة القريبة كالحاضرة التي ينظر اليها
التي اورثتموها بما كنتم تعملون قال ابن عباس خلق الله لكل نفس
جنة ونارا فالكافر يرث نار المسلم والمسلم يرث جنة الكافر
وقد تقدم هذا مرفوعا في قد افلح المؤمنون من حديث ابي هريرة
وفي الاعراف ايضا **قوله تعالى** لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون

الفاكهة

الفاكهه معروفه واجناسها الفواكه والفاكهاني الذي يبيعها
وقال ابن عباس هي الثمار كلها رطبها و يابسها اي لهم في الجنة
سوى الطعام والشراب فاكهة كثيرة يأكلون منها قوله تعالى
ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لما ذكر احوال اهل الجنة
ذكر احوال اهل النار ايضا ليبين فضل المطيع على العاصي
لا يفتر عنهم اي لا يخفف عنهم ذلك العذاب وهم فيه مبلسون
اي ايسون من الرحمة وقيل ساكتون سكوت يائس وقد
مضى في الانعام وما ظلمناهم بالعذاب ولكن كانوا هم الظالمين
انفسهم بالشرك ويجوز ولكن كانوا هم الظالمون بالرفع
على الابتدا والخبر والجملة خبر كان قوله تعالى ونادوا
يا مالك وهو خازن جهنم خلقه لغضبه اذا زجر النار
زجرة اكل بعضها بعضا وقرأ علي وابن مسعود رضي الله عنهما
ونادوا يا مال باللام خاصة يعني رخم الاسم وحذف الكاف
والترخيم الحذف ومنه ترخيم الاسم في الندا وهو ان يحذف
من اخره حرف او اكثر فتقول في مالك يا مال وفي حارث
يا حار وفي فاطمة يا فاطم وفي عايشة يا عايش وفي مروان
يا مرو وهكذا قال يا حار لا ارمين منكم بداهية لم يلقها
سوقة قبلي ولا ملك ٥ه وقال امرؤ القيس
احار ترى برقا اريك وميضه كلمع اليدين في حبي مكلل حنبم

وقال ايضا افاطم مهلا بعض هذا التدلل وان كنت قد
ازمعت صرمي فاجملي وقال اخر
يا مروان مطيتي محبوسة ترجو الحبا وربها لم ييئس
وفي صحيح الحديث اي قل هلم ولك في اخر الاسم المرخم وجهان
احدهما ان تبقيه على ما كان عليه قبل الحذف والاخر
ان تبنيه على الضم مثل يا زيد كانك انزلته منزلته ولم
تراع المحذوف وذكر ابو بكر الانباري قال حدثنا محمد بن يحيى
المروزي قال ثنا محمد وهو ابن سعدان قال ثنا حجاج
عن شعبة عن الحكم بن عيينة عن مجاهد قال كنا لا ندري
ما الزخرف حتى وجدناه في قراة عبد الله بيت من ذهب
وكنا لا ندري ونادوا يا مالك او يا ملك بفتح اللام وكسرها
حتى وجدناه في قراة عبد الله ونادوا يا مال على الترخيم
قال ابو بكر لا يعمل على هذا الحديث لانه مقطوع لا يقبل مثله
في الرواية عن الرسول عليه السلام وكتاب الله احق بان
يحتاط له وينفي عنه الباطل قلت وفي صحيح البخاري
عن صفوان بن يعلى عن ابيه قال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقرا على المنبر ونادوا يا ملك ليقض علينا ربك باثبات
الكاف وقال محمد بن كعب القرظي بلغني او ذكر لي ان اهل النار
استغاثوا بالخزنة فقال الله تعالى وقال الذين في النار لخزنة

جهنم

جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فسالوا يوما
واحدا يخفف عنهم فيه العذاب فردت عليهم اولم تك تاتيكم
رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعا الكافرين
الا في ضلال قال فلما يئسوا مما عند الخزنه نادوا مالكا
وهو عليهم وله مجلس في وسطها وجسور تمر عليها ملايكة
العذاب فهو يرى اقصاها كما يرى ادناها فقالوا يا مالك
ليقض علينا ربك قال سالوا الموت قال فسكت عنهم لا يجيبهم
ثمانين سنة قال والسنه ستون وثلاث مايه يوم والشهر
ثلاثون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون ثم لحظ اليهم
بعد الثمانين فقال انكم ماكثون وذكر الحديث ذكره ابن
المبارك وفي حديث ابي الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال فيقولون ادعوا مالكا فيقولون يا مالك ليقض علينا
ربك قال انكم ماكثون قال الاعمش نبيت ان بين دعايهم
وبين اجابة مالك اياهم الف عام خرجه الترمذي وقال
ابن عباس يقولون ذلك فلا يجيبهم الف سنة ثم يقول
انكم ماكثون وقال مجاهد ونوف البكالي بين ندايهم
واجابته اياهم مايه سنة وقال عبد الله بن عمرو اربعون
سنة ذكره ابن المبارك قوله تعالى لقد جيناكم بالحق
يحتمل ان يكون هذا من قول مالك لهم اي انكم ماكثون

في النار لأنا جيناكم في الدنيا بالحق فلم تقبلوا ويحتمل ان يكون
من كلام الله لهم اليوم اي بينا لكم الادله وارسلنا اليكم الرسل
ولكن اكثركم قال ابن عباس ع ولكن اكثركم اي ولكن كلكم
وقيل اراد بالكثره الروسا والقاده منهم واما الاتباع
فما كان لهم اثره للحق اي للاسلام في دين الله كارهون قوله
تعالى ام ابرموا امرا فانا مبرمون قال مقاتل نزلت في
تدبيرهم بالمكر بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوه حتى
استقر امرهم على ما اشار به ابو جهل عليهم ان يبرز من
كل قبيله رجل ليشتركوا في قتله فتضعف المطالبه بدمه
فنزلت هذه الايه وقتل الله جميعهم ببدر ابرموا احكموا
والابرام الاحكام ابرمت الشي احكمته وابرم القتال
اذا احكم القتل وهو القتل الثاني والاول سحيل كما قال
من سحيل ومبرم؛ فالمعنى ام ابرموا كيدا فانا محكمون
لهم كيدا قاله ابن زيد ومجاهد قتاده ام اجمعوا على التكذيب
فانا مجمعون على الجزا بالبعث الكلبي ام قضوا امرا فانا
قاضون عليهم بالعذاب وام بمعنى بل وقيل ام ابرموا
عطف على قوله اجعلنا من دون الرحمن الهه يعبدون
وقيل اي ولقد جيناكم بالحق فلم تسمعوا ام سمعوا فاعرضوا
لانهم في انفسهم ابرموا امرا امنوا به العقاب

بالكثره
ما ر

احكموا
ع

قوله تعالى

قوله تعالى ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم اي
ما يسرونه في انفسهم وبما يتناجون به بينهم بلى نسمع ونعلم
ورسلنا لديهم يكتبون اي الحفظة عندهم يكتبون عليهم
وروي ان هذا نزل في ثلثة نفر كانوا بين الكعبة واستارها
فقال احدهم ان الله يسمع كلامنا وقال الثاني اذا جهرتم
سمع واذا اسررتم لم يسمع وقال الثالث ان كان يسمع اذا
اعلنتم فهو يسمع اذا اسررتم قاله محمد بن كعب القرظي
وقد مضى هذا المعنى عن ابن مسعود في سورة فصلت قوله
تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اختلف في
معناه فقال ابن عباس والحسن والسدي المعنى ما كان للرحمن
ولد فان بمعنى ما ويكون الكلام على هذا تاما ثم تبتدي فانا
اول العابدين اي الموحدين من اهل مكة على انه لا ولد له
والوقف على العابدين تام والمعنى قل يا محمد ان ثبت لله
ولد فانا اول من يعبد ولده ولكن يستحيل ان يكون له ولد
وهو كما يقول لمن يناظره ان ثبت ما قلت بالدليل فانا
اول من يعتقده وهذا مبالغة في الاستبعاد اي لا سبيل
الى اعتقاده وهذا ترقيق في الكلام كقوله وانا او اياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين والمعنى على هذا فانا اول العابدين
لذلك الولد لان تعظيم الولد تعظيم للوالد وقال مجاهد المعنى

ان كان للرحمن ولد فانا اول من عبده وحده على انه لا ولد له
وقال السدي ايضا المعنى لو كان له ولد لكنت اول من عبده
على ان له ولدا ولكن لا ينبغي ذلك قال المهدوي فان على هذه
الاقوال للشرط وهو الاجود وهو اختيار الطبري
لان كونها بمعنى ما يتوهم معه ان المعنى لم يكن له فيما
مضى وقيل ان معنى العابدين الانفين وقال بعض العلما
لو كان كذلك لكان العبدين بغير الف يقال عبد يعبد
عبدا بالتحريك اذا انف وغضب فهو عبد والاسم
العبدة مثل الانفة عن ابي زيد قال الفرزدق
اولئك احلاسي فجئني بمثلهم واعبد ان اهجو كليبا بدارم
وينشد ايضا
اولئك ناس لو هجوني هجوتهم واعبد ان يهجا كليب بدارم
قال الجوهري وقال ابو عمرو وقوله تعالى فانا اول العابدين
من الانف والغضب وقاله الكسائي والقتبي حكاه
الماوردي عنهما وقال الهروي وقوله تعالى فانا اول العابدين
قيل هو من عبد يعبد وقيل هو من عبد يعبد ~~فهو عبد~~
وقال ابن عرفه انما يقال عبد يعبد فهو عبد وقل
ما يقال عابد والقران لا ياتي بالقليل من اللغة ولا الشاذ
ولكن المعنى فانا اول من يعبد الله عز وجل على انه واحد

لا ولد له

لا ولد له وروي ان امراة دخلت علي زوجها فولدت منه
لستة اشهر وحمله وفصاله ثلثون شهرا وقال في اية
اخري وفصاله في عامين فوالله ما عبد عثمان ان بعث
اليها ترد قال عبد الله بن وهب يعني ما استنكف ولا
انف وقال ابن الاعرابي اول العابدين اي الغضاب اي
الانفين وقيل فانا اول العابدين اي انا اول من يعبده
علي الوحدانية مخالفا لكم ابو عبيد معناه الجاحدين
وحكي عبدني حقي اي جحدني وقرا اهل الكوفة الا عاصما
وُلْدًا بضم الواو وسكون اللام الباقون وعاصم
وَلَدًا وقد تقدم سبحان رب السموات والارض اي
تنزيها له وتقديسا نزه نفسه عن كل ما يقتضي الحدوث
وامر النبي صلى الله عليه وسلم بالتنزيه عما يصفون اي عما
يقولون من الكذب قوله تعالى فذرهم يخوضوا ويلعبوا
يعني كفار مكة حين لهوا بعذاب الاخرة اي اتركهم يخوضوا
في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي
يوعدون اما العذاب في الدنيا او في الاخرة وقيل ان
هذا منسوخ باية السيف وقيل هو محكم وانما اخرج
مخرج التهديد وقرا ابن محيصن ومجاهد وحميد وابن
القعقاع وابن السميفع حتى يلقوا بفتح اليا واسكان اللام

ورد ذلك لعثمان فامر برجمها فقال له علي قال الله تعالى

من غير الف وفتح القاف هنا وفي الطور والمعارج الباقون
يلاقوا قوله تعالى وهو الذي في السما اله وفي الارض اله
هذا تكذيب لهم في ان لله شريكا وولدا اي هو المستحق
العبادة في السما والارض وقال عمر رضي الله عنه وغيره المعنى
وهو الذي في السما الله في الارض وكذلك قرا والمعنى انه يعبد
فيهما وروى انه قرا هو وابن مسعود وغيرهما وهو الذي في
السماء الله وفي الارض الله وهذا خلاف المصحف والاله
رفع على انه خبر مبتدا محذوف اي وهو الذي في السما هو
اله قاله ابو علي وحسن حذفه لطول الكلام وقيل في بمعنى
على كقوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل اي هو القادر
على السما والارض وهو العليم الحكيم تقدم قوله تعالى
وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما
تبارك تفاعل من البركة وقد تقدم وعنده علم الساعة
اي وقت قيامها واليه ترجعون قرا ابن كثير وحمزة و
والكسائي واليه يرجعون بالياء الباقون بالتاء وكان
ابن محيصن وحميد ويعقوب وابن ابي اسحاق يفتحون
اوله على اصولهم وضم الباقون قوله تعالى ولا يملك
الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم
يعلمون فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى الا من شهد بالحق

من في

من في موضع الخفض واراد بالذين يدعون عيسى وعزيرا والملايكة
والمعنى ولا يملك هؤلاء الشفاعة الا لمن شهد بالحق وامن
على علم وبصيرة قاله سعيد بن جبير وغيره قال وشهادة الحق
لا اله الا الله وقيل من في محل رفع اي ولا يملك الذين يدعون
من دونه الشفاعة يعني الالهة في قول قتادة اي لا يشفعون
لعابديها الا من شهد بالحق يعني عزيرا وعيسى والملايكة
فانهم يشهدون بالحق والوحدانية لله وهم يعلمون حقيقة
ما شهدوا به وقيل انها نزلت بسبب ان النظر بن الحارث
ونفرا من قريش قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن نتولى
الملايكة وهم احق بالشفاعة لنا منه فانزل الله ولا يملك الذين
يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق اي اعتقدوا
ان الملايكة او الاصنام او الجن او الشياطين تشفع لهم ولا
شفاعة لاحد يوم القيامة الا من شهد بالحق يعني المومنين
اذا اذن لهم قال ابن عباس الا من شهد بالحق اي شهد ان لا
اله الا الله وان محمدا رسول الله وقيل اي لا يملك هؤلاء
العابدون من دون الله ان يشفع لهم احد الا من شهد بالحق
وان من شهد بالحق يشفع له ولا يشفع لمشرك والا
بمعنى لكن اي لا ينال المشركين الشفاعة لكن ينال الشفاعة
من شهد بالحق فهو استثناء منقطع ويجوز ان يكون متصلا

لان في جملة الذين يدعون من دون الله الملايكة ويقال شفعته وشفعت له مثل كلته وكلت له وقد مضى في البقرة معنى الشفاعة واشتقاقها فلا معنى لاعادتها وقيل الا من شهد بالحق الا من تشهد له الملايكة بانه كان على الحق في الدنيا مع علمهم بذلك منه بان يكون الله اخبرهم به او بان شاهدوه على الايمان الثانية قوله تعالى الا من شهد بالحق وهم يعلمون يدل على معنيين احدهما ان الشهادة بالحق غير نافعة الا مع العلم وان التقليد لا يغني مع عدم العلم بصحة المقالة والثاني ان شرط سائر الشهادات في الحقوق وغيرها ان يكون الشاهد عالما بها ونحوه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا رايت مثل الشمس فاشهد والا فدع وقد مضى في البقرة قوله تعالى ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله اي لاقروا بان الله خلقهم بعد ان لم يكونوا شيا فانى يوفكون اي كيف ينقلبون عن عبادته وينصرفون عنها حتى اشركوا به غيره رجا شفاعتهم له يقال افكه يافكه افكا اي قلبه وصرفه عن الشي ومنه قوله تعالى قالوا اجيتنا لتافكنا عما وجدنا عليه اباءنا وقيل اي ولين سالت الملايكة وعيسى من خلقهم لقالوا الله فانى يوفكون اي فانى يوفك هولاء في ادعايهم اياهم الهة قوله تعالى وقيله يا رب ان هولاء قوم لا يومنون فيه

ثلث قراات النصب والجر والرفع فاما الجر فهي قراه
عاصم وحمزه وبقية السبعه بالنصب واما الرفع فهي قراه
الاعرج وقتاده وابن هرمز ومسلم بن جندب فمن جر
حمله على معنى وعنده علم الساعه وعلم قيله ومن نصب
فعلى معنى وعنده علم الساعه ويعلم قيله وهذا اختيار
الزجاج وقال الفرا والاخفش يجوز ان يكون قيله عطفا
على قوله انا لا نسمع سرهم ونجواهم قال ابن الانباري سالت
ابا العباس احمد بن يزيد المبرد باي شي ينتصب القيل
فقال انصبه على وعنده علم الساعه ويعلم قيله فمن هذا
الوجه لا يحسن الوقف على ترجعون ولا على يعلمون ويحسن
الوقف على يكتبون واجاز الفرا والاخفش ان ينصب القيل
على معنى لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله كما ذكرنا عنهما فمن هذا
الوجه لا يحسن على يكتبون واجاز الاخفش والفرا ايضا
ان ينصب على المصدر كانه قال وقال قيله وشكى شكواه الى
الله عز وجل كما قال كعب بن زهير: يمشي الوشاة جنابيها
وقيلهم انك يا ابن ابي سلمى لمقتول: اراد ويقولون قيلهم ومن
رفع قيله فالتقدير وعنده قيله وقيله مسموع او وقيله
هذا القول الزمخشري والذي قالوه ليس بالقوي في المعنى
مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن

اعتراضا ومع تنافر النظم واقوى من ذلك واوجه ان يكون
الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم
ايمن الله وامانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله ان هولاء
قوم لا يومنون جواب القسم كانه قال واقسم بقيله يا رب او
قيله يا رب قسمي ان هولاء قوم لا يومنون وقال ابن الانباري
ويجوز في العربية وقيله بالرفع على ان ترفعه بان هولاء قوم
لا يومنون المهدوي او يكون على تقدير وقيله قيله يا رب
فحذف قيله الاول الذي هو خبر [illegible] حذف بعض الموصول
وبقي بعضه لان حذف القول قد كثر حتى صار بمنزلة المذكور
والها في قيله لعيسى وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد جرى ذكره
اذ قال قل ان كان للرحمن ولد وقرا ابو قلابة يا رب بفتح البا
والقيل مصدر كالقول ومنه الخبر نهي عن قيل وقال ويقال قلت
قولا وقيلا وقالا وفي النسا ومن اصدق من الله قيلا قوله تعالى
فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون قال قتادة امره بالصفح عنهم
ثم امره بقتالهم فصار الصفح منسوخا بالسيف ونحوه عن
ابن عباس قال فاصفح عنهم اي اعرض عنهم وقل سلام اي معروفا
اي قل للمشركي اهل مكه فسوف تعلمون ثم نسخ هذا في سوره براه
بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الايه وقيل هي
محكمة لم تنسخ وقراة العامة فسوف يعلمون بالياء على انه

خبر

خبر من الله تعالى لنبيه بالتهديد وسلام رفع باضمار
عليكم قاله الفرا ومعناه الامر بتوديعهم بالسلام ولم يجعله
تحية لهم حكاه النقاش وروى شعيب بن الحجاب
انه عرفه بذلك ليبلغ السلام عليهم والله اعلم

سورة الدخان مكية باتفاق الا قوله

انا كاشفوا العذاب قليلا وهي سبع وخمسون اية وقيل
تسع وفي مسند الدارمي عن ابي رافع قال من قرا الدخان
في ليلة الجمعة اصبح مغفورا له وزوج من الحور العين
رفعه الثعلبي من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من قرا الدخان في ليلة الجمعة اصبح مغفورا
له وفي لفظ اخر عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قرا الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون
الف ملك وعن ابي امامة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول من قرا حم الدخان ليلة الجمعة او يوم الجمعة بنى
الله له بيتا في الجنة بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
حم والكتاب المبين ان جعلت حم جواب القسم تم الكلام
عند قوله المبين ثم تبتدي انا انزلناه وان جعلت انا كنا
منذرين جواب القسم الذي هو الكتاب وقفت على منذرين
وابتدات فيها يفرق كل امر حكيم وقيل الجواب انا انزلناه

وقرا ابن عامر تعلون بالتا على الخطاب النبي صلى الله عليه وسلم الشريد...

مطلب في قراءة الدخان

وانكره بعض النحويين من حيث كان صفة للمقسم به ولا
يكون صفة المقسم به جوابا للقسم والها في انزلناه للقران
ومن قال اقسم بساير الكتب فقوله انا انزلناه كني به
عن غير القران على ما تقدم بيانه في اول الزخرف والليله
المباركه ليله القدر ويقال ليلة النصف من شعبان ولها
اربعة اسما الليله المباركه وليلة البراه وليله الصك وليلة
القدر ووصفها بالبركه لما ينزل الله فيها على عباده من
البركات والخيرات والثواب وروى قتاده عن واثله
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انزلت صحف ابراهيم في اول
ليلة من رمضان وانزلت الزبور لاثني عشرة من رمضان
وانزل الانجيل لثمان عشرة خلت من رمضان وانزل القران
لاربع وعشرين مضت من رمضان ثم قيل انزل القران كله
الى السما الدنيا في هذه الليله ثم انزل نجما نجما في ساير الايام على
حسب اتفاق الاسباب وقيل كان ينزل في كل ليله القدر
ما ينزل في ساير السنه وقيل كان ابتدا الانزال في هذه
الليله وقال عكرمه الليلة المباركه ها هنا ليله النصف من
شعبان والاول اصح لقوله تعالى انا انزلناه في ليله القدر
قال قتاده وابن زيد انزل الله القران كله في ليله القدر
من ام الكتاب الى بيت العزه في سما الدنيا ثم انزله الله على

في هامش: الصحيح ليله النصف من شعبان

نبيه صلى الله عليه وسلم في الليالي والايام في ثلث وعشرين
سنه وقد مضى هذا المعنى في البقره عند قوله تعالى شهر
رمضان الذي انزل فيه القران وياتي ايضا ان شا الله
قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم قال ابن عباس
يحكم الله امر الدنيا الى قابل في ليلة القدر ما كان من
حياة او موت او رزق وقاله قتادة ومجاهد والحسن
وغيرهم وقيل الا الشقا والسعاده فانهما لا يتغيران قاله
ابن عمر قال المهدوي ومعنى هذا القول ان امر الله عز وجل الملايكه
بما يكون في ذلك العام ولم يزل ذلك في علمه عز وجل وقال
عكرمة هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امر السنه
وتنسخ الاحيا من الاموات ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم احد
ولا ينقص منهم احد وروى عثمان بن المغيرة قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم تقطع الاجال من شعبان الى
شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه
في الموتى وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة
النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا يومها فان
الله ينزل لغروب الشمس الى سما الدنيا يقول الا مستغفر
فاغفر له الا مبتلى فاعافيه الا مسترزق فارزقه الا كذا
الا كذا حتى يطلع الفجر ذكره الثعلبي وخرج الترمذي

بمعناه عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز
وجل ينزل ليلة النصف من شعبان الى سما الدنيا فيغفر لاكثر
من عدد شعر غنم كلب وفي الباب عن ابي بكر الصديق قال
ابو عيسى حديث عايشة لا نعرفه مرفوعا الا من حديث الحجاج
بن ارطاة لم يسمع من يحيى بن ابي كثير قلت وقد ذكر حديث
عايشة مطولا صاحب كتاب العروس واختار ان الليلة
التي يفرق فيها كل امر حكيم ليلة النصف من شعبان وانها
ليلة البراة وقد ذكرنا قوله والرد عليه في غير هذا الموضع
وان الصحيح انما هي ليلة القدر على ما بيناه روى حماد
بن سلمه قال انا ربيعه بن كلثوم قال سال رجل الحسن
وانا عنده فقال يا ابا سعيد ارايت ليلة القدر افي كل
رمضان هي قال اي والذي لا اله الا هو انها في كل رمضان
انها الليلة التي يفرق فيها كل امر حكيم فيها يقضي الله كل
خلق واجل ورزق وعمل الى مثلها وقال ابن عباس يكتب
من ام الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت
وحياة ورزق ومطر حتى الحج يقال يحج فلان ويحج فلان
وقال في هذه الاية انك لترى الرجل يمشي في الاسواق
وقد وقع اسمه في الموتى وهذه الابانة لاحكام السنة
انما هي للملايكة الموكلين باسباب الخلق وقد ذكرنا هذا
المعنى انفا

والله اعلم وقيل يرجع هذا الاختيار الى تخليصهم من الغرق
وايراثهم الارض بعد فرعون قوله تعالى واتيناهم
من الايات اى من معجزات موسى ما فيه بلاء مبين قال
قتادة الايات انجاؤهم من فرعون وفلق البحر لهم وظل
الغمام عليهم وانزال المن والسلوى ويكون هذا الخطاب
متوجها الى بنى اسرايل وقيل انها العصا واليد ويشبه
ان يكون قول الفرا ويكون الخطاب متوجها الى قوم فرعون
وقول ثالث انه الشر الذى كفهم عنه والخير الذى امرهم
به قاله عبد الرحمن بن زيد ويكون الخطاب متوجها الى الفريقين
معا من قوم فرعون وبنى اسرايل وفى قوله بلاء مبين اربعة
اوجه احدها نعمة ظاهرة قاله الحسن وقتادة كما قال الله
تعالى وليبلى المومنين منه بلاء حسنا وقال زهير فابلاهما خير
البلا الذى يبلوا الثانى عذاب شديد قاله الفرا الثالث
اختيار يتميز به المومن من الكافر قاله عبد الرحمن بن زيد
وعنه ايضا ابتلاهم بالرخا والشده ثم قرا ونبلوكم بالشر
والخير فتنة قوله تعالى ان هولاء ليقولون يعنى كفار
قريش ان هى الا موتتنا الاولى ابتدا وخبر مثل ان هى الا
فتنتك ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمنشرين اى بمبعوثين
فاتوا بابائنا ان كنتم صادقين ان ينشر الله الموتى فينشر واوقد

وقد تقدم والمنشورون المبعوثون قيل ان قايل هذا من كفار
قريش ابو جهل قال يا محمد ان كنت صادقاً في قولك فابعث لنا
رجلين من ابآينا احدهما قصي بن كلاب فانه كان رجلا صادقا
لنسئله عما يكون بعد الموت وهذا القول من ابي جهل من
اضعف الشبهات لان الاعادة انما هي للجزاء لا للتكليف
فكانه قال ان كنت صادقا في اعادتهم للجزاء فاعدهم للتكليف
وهو كقول قايل لو قال ان كان ينشا بعدنا قوم من الابناء فلم لا
يرجع من مضى من الاباء حكاه الماوردي ثم قيل فاتوا بابآينا
مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحده كقوله رب ارجعون
قاله الفرا وقيل مخاطبة له ولاتباعه قوله تعالى
اهم خير ام قوم تبع هذا استفهام انكار اي انهم مستحقون
في هذا القول العذاب اذ ليسوا خيرا من قوم تبع والامم المهلكة
واذا اهلكنا اولئك فكذا هؤلاء وقيل المعنى اهم اظهر نعمة
واكثر اموالا ام قوم تبع وقيل اهم اعز واشد وامنع ام قوم
تبع وليس المراد بتبع رجلا واحدا بل المراد به ملوك اليمن
وكانوا يسمون ملوكهم التبابعة فتبع لقب للملك منهم
كالخليفه للمسلمين وكسرى للفرس وقيصر للروم وقال ابو
عبيده سمي كل واحد منهم تبعا لانه يتبع صاحبه قال الجوهري
والتبابعة ملوك اليمن واحدهم تبع والتبع ايضا الظل وقال

الواحد كسكر قاموس

برد

يرد المياه حضيرة وتغيضة ورد القطاة اذا اسمال التبع والتبع ايضا ضرب من الطير وقال السهيلي تبع اسم لكل مليك ملك اليمن والشحر وحضرموت وان ملك اليمن وحدها لم يقل له تبع قاله المسعودي فمن التبابعة الحارث الرايش وهو ابن همال ذي شدد وابرهة ذو المنار وعمرو ذو الاذعار وشمر بن مالك الذي تنسب اليه سمرقند وافريقيس بن قيس الذي ساق البربر الى افريقية من ارض كنعان وبه سميت افريقية والظاهر من الايات ان الله سبحانه انما اراد واحدا من هولاء وكانت العرب تعرفه بهذا الاسم اشد من معرفة غيره ولذلك قال عليه السلام ولا ادري اتبع العين ام لا ثم قد روي عنه انه قال لا تسبوا تبعا فانه كان مومنا فهذا يدلك على انه كان واحدا بعينه وهو والله اعلم ابو كرب الذي اكسى البيت بعدما اراد غزوه وبعدما غزا المدينة واراد خرابها ثم انصرف عنها لما اخبر انها مهاجر نبي اسمه احمد وقال شعرا اودعه عند اهلها فكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر الى ان هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فادوه اليه ويقال كان الكتاب والشعر عند ابي ايوب خالد بن زيد وفيه

شهدت على احمد انه رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره لكنت وزيرا له وابن عم

وذكر الزجاج

مطلب في الوعظ

وابن ابي الدنيا والزمخشري وغيرهم انه حفر قبر بصنعا
ويقال بناحية حمير في الاسلام فوجد فيه امراتان صحيحتان
وعند روسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر
حبا ولميس ويروى ايضا حبا وتماضر ويروى ايضا هذا
قبر رضوى وقبر حبى ابنتا تبع ماتتا وهما يشهدان
ان لا اله الا الله ولا يشركان به شيئا وعلى ذلك مات الصالحون
قبلهما قلت وروى ابن اسحاق وغيره انه كان في الكتاب
الذي كتبه اما بعد فاني امنت بك وبكتابك الذي انزل عليك
وانا على دينك وسنتك وامنت بربك ورب كل شي وامنت
بكل ما جاء من ربك من شرايع الاسلام فان ادركتك فبها ونعمت
وان لم ادركك فاشفع لي ولا تنسني يوم القيامة فاني من
امتك الاولين وبايعتك قبل مجيئك وانا على ملتك وملة ابيك
ابراهيم عليه السلام ثم ختم الكتاب ونقش عليه لله الامر
من قبل ومن بعد وكتب على عنوانه الى محمد بن عبد الله نبي
الله ورسوله خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله
عليه وسلم من تبع الاول وقد ذكرنا بقية خبره واوله
في اللمع اللولوية في شرح العشرينيات النبوية للفازازي
رحمه الله وكان من اليوم الذي مات فيه تبع الى اليوم الذي
بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم الف سنة لا تزيد ولا تنقص

واختلف

في كتاب

مطلب شريف

واختلف هل كان نبيا او ملكا فقال ابن عباس كان تبع نبيا
وقال كعب كان تبع ملكا من الملوك وكان قومه كهانا
وكان معهم قوم من اهل الكتاب فامر الفريقين ان يقرب
كل فريق منهم قربانا ففعلوا فتقبل قربان اهل الكتاب فاسلم
وقالت عايشة رضي الله عنها لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا
صالحا وحكى قتادة ان تبعا كان رجلا من حمير سار بالجيوش
حتى عبر الحيرة واتى سمرقند فهدمها حكاه الماوردي
وحكى الثعلبي عن قتادة انه تبع الحميري وكان سار بالجيوش
حتى عبر الحيرة وبنى سمرقند وقتل وهدم البلاد وقال
الكلبي تبع هو ابو كرب اسعد بن ملكيكرب وانما
سمي تبعا لانه تبع من قبله وقال سعيد بن جبير هو الذي
كسا البيت الحبرات وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه
وضرب بهم لقريش مثلا لقربهم من دارهم وعظمهم في
نفوسهم فلما اهلكهم الله تعالى ومن قبلهم كانوا مجرمين
كان من اجرم مع ضعف اليد وقلة العدد احرى بالهلاك
وافتخر اهل اليمن بهذه الاية اذ جعل الله قوم تبع خيرا
من قريش وقيل سمي اولهم تبعا لانه اتبع قرن الشمس وسافر
في الشرق مع العساكر قوله تعالى والذين من قبلهم اهلكناهم
الذين في موضع رفع عطف على قوم تبع اهلكناهم صلته ويكون

من قبلهم متعلقا به ويجوز ان يكون من قبلهم صلة الذين
ويكون في الظرف عايد الى الموصول واذا كان كذلك كان
اهلكناهم على احد امرين اما ان تقدر معه قد فيكون
في موضع الحال او يقدر حذف موصوف كانه قال قوم
اهلكناهم والتقدير افلا يعتبرون انا اذا قدرنا على اهلاك
هولاء المذكورين قدرنا على اهلاك المشركين ويجوز ان يكون
والذين من قبلهم ابتدا خبره اهلكناهم ويجوز ان يكون الذين
في موضع جر عطفا على تبع كانه قال قوم تبع المهلكين من قبلهم
ويجوز ان يكون الذين في موضع نصب باضمار فعل دل
عليه اهلكناهم **قوله تعالى** وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما لاعبين اي غافلين قاله مقاتل وقيل لاهين وهو
قول الكلبي ما خلقناهما الا بالحق اي الا بالامر الحق قاله مقاتل
وقيل الا للحق قاله الكلبي والحسن وقيل الا لاقامة الحق واظهاره
من توحيد الله والتزام طاعته وقد مضى هذا المعنى في الانبيا
ولكن اكثرهم يعني اكثر الناس لا يعلمون ذلك **قوله تعالى**
ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم الفصل هو يوم القيامه
وسمي بذلك لان الله يفصل فيه بين خلقه دليله قوله تعالى
لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم
ونظيره ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فيوم الفصل

ميقات

ميقات الكل كما قال تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا اى الوقت
المجعول لتمييز المسئ من المحسن والفصل بينهما فريق في الجنة
وفريق في السعير وهذا غاية في التحذير والوعيد ولا خلاف
بين القرا في رفع ميقاتهم على انه خبر ان واسمها يوم الفصل
واجاز الكساي والفرا نصب ميقاتهم بان ويوم الفصل
ظرف في موضع خبر ان اي ان ميقاتهم يوم الفصل **قوله**
تعالى يوم لا يغني مولى عن مولى شيا يوم ما بدل من يوم
الاول والمولى الولي وهو ابن العم والناصر اى لا يدفع ابن عم
عن ابن عمه ولا قريب عن قريبه ولا صديق عن صديقه ولا هم
ينصرون اى لا ينصر المومن الكافر لقرابته ونظير هذه
الاية واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا الاية الا من رحم الله
من رفع على البدل من المضمر في ينصرون كانك قلت لا
يقوم احد الا فلان او على الابتدا والخبر مضمر كانه قال
الا من رحم الله فهي عند الكساي والفرا نصب على الاستثنا
المنقطع اى لا لكن من رحم الله لا ينالهم ما يحتاجون فيه الى
من يغيثهم من المخلوقين ويجوز ان يكون استثنا متصلا
اي لا يغني قريب عن قريب الا المومنين فانه يوذن لهم في
شفاعة بعضهم لبعض انه هو العزيز الرحيم اى المنتقم
من اعدايه الرحيم باوليايه كما قال شديد العقاب ذى

ولا تجزي ... فهو مفعول او فيغني عنه وتنفع ... على البدل من ... الا ... لا يغني

الطول فقرن الوعد بالوعيد فقوله تعالى ان شجرت
الزقوم كل ما في كتاب الله من ذكر الشجره فالوقف عليه بالهاء
الاجر فا واحدا واحسنه في سورة الدخان ان شجرة الزقوم طعام
الاثيم قاله ابن الانباري والاثيم الفاجر قاله ابو الدردا ولذلك
قراهو وابن مسعود وقال همام بن الحارث كان ابو الدردا يقرى
رجلا ان شجرت الزقوم طعام الاثيم والرجل يقول طعام اليتيم
فلما لم يفهم قال له طعام الفاجر قال ابو بكر الانباري
حدثني ابي قال ثنا نصر ابو عبيد قال ثنا نعيم بن حماد عن
عبد العزيز بن محمد عن ابن عجلان عن عون بن عبد الله بن عتبه
بن مسعود قال علم عبد الله بن مسعود رجلا ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم فقال الرجل طعام اليتيم فاعاد عبد الله الصواب
واعاد الرجل الخطا فلما راى عبد الله ان لسان الرجل ما يستقيم
عن الصواب قال له اما تحسن ان تقول طعام الفاجر قال بلى
قال فافعل ولا حجة في هذا للجهال من اهل الزيغ انه يجوز
ابدال الحرف من القران بغيره لان ذلك انما كان من عبد الله
تقريبا للمتعلم وتوطيه منه له للرجوع الى الصواب واستعمال
الحق والتكلم بالحرف على انزال الله وحكاية رسوله صلى الله عليه
وسلم وقال الزمخشري وبهذا استدل على ان ابدال كلمه
مكان كلمه جايز اذا كانت موديه معناها ومنه اجاز

ابو حنيفه

ابو حنيفه القراة بالفارسية على شريطة وهي ان يودى القارى
المعاني على كمالها عير ان يخرم منها شيا قالوا وهذه الشريطة من
تشهد انها اجارة كلا اجارة لان في كلام العرب خصوصا
في القران الذى هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه
من لطايف المعاني والاغراض ما لا يستقل باداية لسان
من فارسية وغيرها وما كان ابو حنيفة رحمه الله يحسن
الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر وروى علي بن الجعد
عن ابي يوسف عن ابي حنيفة مثل قول صاحبيه في انكار
القراة بالفارسية وشجرة الزقوم الشجرة التي خلقها الله
في جهنم وسماها الشجرة الملعونة فاذا جاع اهل النار التجوا
اليها فاكلوا منها فغليت بطونهم كما يغلي الما الحار وشبه ما
يصير منها الى بطونهم بالمهل وهو النحاس المذاب وقراه العامه
تغلي بالتاء حملا على الشجرة وقرا ابن كثير وحفص وابن محيصن
ورويس عن يعقوب يغلي بالياء حملا على الطعام وهو في المعنى
الشجرة ولا يحمل على المهل لانه ذكر للتشبية والاثيم الاثم من
اثم باثم اثما قاله القشيري وابن عيسى وقيل هو المشرك المكتسب
للاثم قاله يحيى بن سلام وفي الصحاح وقد اثم الرجل بالكسر اثما
وماثما اذا وقع في الاثم فهو اثم واثيم واثوم ايضا فمعنى طعام
الاثيم اي ذو الاثم الفاجر وهو ابو جهل وذلك انه قال يعدنا

محمد ان في جهنم الزقوم وانما هو التزيد بالزبد والتمر فبين الله
خلاف ما قاله وحكى النقاش عن مجاهد ان شجرة الزقوم ابو
جهل قلت ولا يصح هذا عن مجاهد وهو مردود بما ذكرناه
في هذه الشجرة في سورة الصافات وسبحان ايضا **قوله تعالى**
خذوه فاعتلوه اي يقال للزبانية خذوه يعني الاثيم فاعتلوه
اي جروه وسوقوه والعتل ان تاخذ بتلابيب الرجل فتعتله
اي تجره اليك لتذهب به الى حبس او بلية عتلت الرجل
اعتله واعتله عتلا اذا جذبته جذبا عنيفا ورجل معتل
بالكسر وقال يصف فرسا   نفرعه فرعا ولسنا نعتله
وفيه لغتان عتله وعتنه باللام والنون جميعا قاله
ابن السكيت وقرا الكوفيون وابو عمرو فاعتلوه بالكسر
وضم الباقون الى سواء الجحيم وسط الجحيم ثم صبوا فوق راسه
من عذاب الحميم قال مقاتل يضرب مالك خازن النار ضربة
على راس ابي جهل بمقمع من حديد فيتفتت راسه عن دماغه
فيجري دماغه على جسده ثم يصب الملك فيه ماء حميما قد
انتهى حره فيقع في بطنه فيقول الملك ذق العذاب ونظيره
يصب من فوق رؤسهم الحميم **قوله تعالى** ذق انك انت
العزيز الكريم قال ابن الانباري اجمعت العوام على كسر ان
وروى عن الحسن عن علي رحمه الله ذق انك بفتح ان وبها
يقرا

يقرا الكسائي فمن كسر ان وقف على ذق ومن فتحها لم يقف
على ذق لان المعنى ذق لانك وبانك انت العزيز الكريم قال
قتادة نزلت في ابي جهل وكان يقول ما فيها اعز مني
ولا اكرم فلذلك قيل له ذق انك انت العزيز الكريم وقال
عكرمه التقى النبي صلى الله عليه وسلم وابو جهل فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ان الله امرني ان اقول لك اولى لك فاولى فقال
باي شي تهددني والله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي
شيئا اني لمن اعز هذا الوادي واكرمه على قومه فقتله
الله يوم بدر واذله ونزلت هذه الايه اي يقول له الملك
ذق انك انت العزيز الكريم بزعمك وقيل هو على معنى الاستخفاف
والتوبيخ والاستهزاء والاهانة والتنقيص اي قال له انك
انت الذليل المهان وهو كما قال قوم شعيب انك لانت الحليم
الرشيد يعنون السفيه الجاهل في احد التاويلات على ما
تقدم وهذا قول سعيد بن جبير ان هذا ما كنتم به تمترون اي
تقول له الملائكه ان هذا ما كنتم تشكون فيه في الدنيا قوله
تعالى ان المتقين في مقام امين لما ذكر مستقر الكافرين
وعذابهم ذكر نزل المومنين ونعيمهم وقرا نافع وابن عامر
في مقام بضم الميم الباقون بالفتح قال الكسائي المقام المكان
والمقام الاقامه كما قال عفت الديار محلها فمقامها

قال الجوهري واما المقام والمقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى
موضع القيام لانك اذا جعلته من قام يقوم فمفتوح وان جعلته
من اقام يقيم فمضموم لان الفعل اذا جاوز الثلاثة فالموضع
مضموم الميم لانه مشبه ببنات الاربعة نحو دحرج وهذا
مدحرجنا وقيل المقام بالفتح المشهد والمجلس وبالضم يمكن
ان يراد به المكان ويمكن ان يكون مصدرا ويقدر فيه المضاف
اي في موضع اقامة امين يومن فيه من الافات في جنات وعيون
بدل من مقام امين يلبسون من سندس واستبرق متقابلين
لا يرى بعضهم قفا بعض متواجهين يدورون مجلسهم حيث
داروا والسندس مارق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه
وقد مضى في الكهف قوله تعالى كذلك اي الامر كذلك الذي
ذكرناه فيوقف على كذلك وقيل اي كما ادخلناهم الجنة وفعلنا
بهم ما تقدم ذكره كذلك اكرمناهم بان زوجناهم حورا عينا
وقد مضى الكلام في العين في والصافات والحور البيض في قول
قتادة والعامة جمع حورا والحورا البيضا التي يرى ساقها
من وراء ثيابها ويرى الناظر وجهه في كعبها كالمراة من رقة
الجلد وبضاضة البشره وصفا اللون ودليل هذا التاويل
انها في حرف ابن مسعود بعيس عين وذكر ابو بكر الانباري
اخبرنا احمد بن الحسين قال ثنا حسين قال حدثنا عمار بن محمد
قال

(في الهامش: الاقامه وقد يكون بمعنى — بلغ)

قال صليت خلف منصور بن المعتمر فقرا في حم الدخان
بعيس عين لا يذوقون طعم الموت الا الموتة الاولى والعين
البيض ومنه قيل للابل البيض عيس واحدها بعير اعيس
وناقة عيسا قال امرؤ القيس يرعن الى صوتي اذا
ما سمعنه كما يرعوي عيط الى صوت اعيسا :: فمعنى
الحور هنا الحسان النافيات البياض بحسن وذكر ابن
المبارك اخبرنا معمر عن ابي اسحاق عن عمرو بن ميمون
الاودي عن ابن مسعود قال ان المراة من الحور العين ليرى
مخ ساقها من ورا اللحم والعظم ومن تحت سبعين حلة
كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضا وقال مجاهد
انما سميت الحور حورا لانهن يحار الطرف في حسنهن
وبياضهن وصفا لونهن وقيل انما قيل لهن حور لحور
اعينهن والحور شدة بياض العين في شدة سوادها
امراة حورا بينة الحور يقال احورت عينه احورارا
واحور الشي ابيض قال الاصمعي ما ادري ما الحور في العين
وقال ابو عمرو الحور ان تسود العين كلها مثل اعين الظبا
والبقر قال وليس في بني ادم حور وانما قيل للنسا حور
العين لانهن يشبهن بالظبا والبقر وقول العجاج باعين
محورات بيض يعني الاعين النقيات البياض الشديدات

سواد الحدق والعين جمع عيناء وهي الواسعة العظيمة العينين
وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مهور الحور العين
قبضات التمر وفلق الخبز وعن ابي قرفاصة سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول اخراج القمامة من المسجد مهور
العين وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنس المساجد
مهور العين ذكره الثعلبي رحمه الله وقد افردنا لهذا المعنى
بابا مفردا في كتاب التذكرة والحمد لله واختلف ايما افضل
في الجنة نساء الادميات ام الحور فذكر ابن المبارك قال واخبرنا
رشدين عن ابن انعم عن حبان بن ابي جبلة قال ان نساء الادميات
من دخل منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا
وروي مرفوعا ان الادميات افضل من الحور العين بسبعين
الف ضعف وقيل ان الحور العين افضل لقوله عليه السلام
في دعائه وابدله زوجا خيرا من زوجه والله اعلم وقرأ
عكرمة بحور عين مضاف والاضافة والتنوين في بحور
عين سواء قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة امنين
قال قتادة امنين من الموت والوصب والشيطان وقيل
امنين من انقطاع ما هم فيه من النعيم او من ان ينالهم من اكلها
اذى او مكروه قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا
الموتة الاولى اي لا يذوقون فيها الموت البتة لانهم خالدون

فيها

فيها ثم قال الا الموتة الاولى على الاستثناء المنقطع اي لكن الموتة
الاولى قد ذاقوها في الدنيا وانشد سيبويه
من كان اسرع في تفرق فالج فلبونه جربت معا واغدت
ثم استثنى بما ليس من الاول فقال
الا كناشرة التي ضيعتم كالغصن في غلوائه المتنبت وقيل
ان الا بمعنى بعد لقولك ما كلمت رجلا اليوم الا رجلا
عندك اي بعد رجل عندك وقيل الا بمعنى سوى اي سوى
الموتة التي ماتوها في الدنيا لقوله تعالى ولا تنكحوا ما
نكح اباؤكم من النسا الا ما قد سلف اي سوى ما قد سلف
وهو كما تقول ما ذقت اليوم طعاما سوى ما اكلت امس
وقال القتبي الا الموتة الاولى معناه ان المومن اذا اشرف على
الموت استقبلته ملايكة الرحمة ويلقى الروح والريحان
وكان موته في الجنة لاتصاله باسبابها فهو استثنا صحيح والموت
عرض لا يذاق ولكن جعل كالطعام الذي يكره ذوقه فاستعير
فيه لفظ الذوق ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك اي
فعل ذلك بهم تفضلا منه عليهم ففضلا مصدر عمل فيه
يدعون وقيل العامل فيه ووقاهم وقيل فعل مضمر وقيل
معنى الكلام الذي قبله لانه تفضل منه عليهم اذ وفقهم في
الدنيا الى اعمال يدخلون بها الجنة ذلك هو الفوز العظيم

مراد المتنبت

مطلب مجي الا بمعنى بعد وسوى

مطلب عرض لا يذاق

اي السعادة والربح العظيم والنجاة العظيمة وقيل هو من قولك
فاز بكذا اي ناله وظفر به قوله تعالى فانما يسرناه بلسانك
يعني القران اي سهلناه بلغتك عليك وعلى من يقراه لعلهم
يتذكرون يتعظون وينزجرون ونظيره ولقد يسرنا
القران للذكر فهل من مدكر فختم السورة بالحث على اتباع
القران وان لم يكن مذكورا كما قال في مفتتح السورة انا
انزلناه في ليلة مباركة انا انزلناه في ليلة القدر على ما تقدم
فارتقب انهم مرتقبون اي انتظر ما وعدتك من النصر عليهم
انهم منتظرون لك الموت حكاه النقاش وقيل انتظر الفتح
من ربك انهم منتظرون بزعمهم قهرك وقيل انتظر ان يحكم
الله بينك وبينهم فانهم ينتظرون بك ريب الحدثان والمعنى
متقارب وقيل ارتقب ما وعدتك من الثواب فانهم
كالمنتظرين لما وعدتهم من العقاب وقيل ارتقب يوم
القيامة فانه يوم الفصل وان لم يعتقدوا وقوع القيامة
جعلوا كالمرتقبين لان عاقبتهم ذلك

سورة الجاثية مكية كلها في قول الحسن
وجابر وعكرمة وقال ابن عباس وقتادة الا اية هي قل للذين امنوا
يغفروا للذين لا يرجون ايام الله نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ذكره الماوردي وقال المهدوي والنحاس عن ابن عباس انها نزلت

في عم

في عمر رضي الله عنه شتمه رجل من المشركين بمكه قبل الهجره
فاراد ان يبطش به فانزل الله قل للذين امنوا يغفروا للذين لا
يرجون ايام الله ثم نسخت بقوله اقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم فالسوره كلها مكية على هذا من غير خلاف
وهي سبع وثلثون اية وقيل ست بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم
حم مبتدأ وتنزيل خبره وقال بعضهم حم اسم السوره وتنزيل
الكتاب مبتدأ وخبره من الله والكتاب القران والعزيز المنيع
الحكيم في فعله وقد تقدم جميع هذا قوله تعالى ان في السموات
والارض اي في خلقهما لايات للمومنين وفي خلقكم وما يبث
من دابة ايات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما
انزل الله من السما من رزق يعني المطر فاحيى به الارض بعد
موتها وتصريف الرياح ايات لقوم يعقلون تقدم جميعه
مستوفي في البقره وغيرها وقراه العامه وما يبث من
دابة ايات وتصريف الرياح ايات بالرفع فيهما وقرا حمزه
والكساي بكسر التاء فيهما ولا خلاف في الاول انه بالنصب
على اسم ان وخبرها في السموات ووجه الكسر في ايات
الثاني العطف على ما عملت فيه التقدير وان في خلقكم
وما يبث من دابة ايات فاما الثالث فقيل ان وجه

النصب فيه تكرير ايات لما طال الكلام كما تقول ضربت زيدا
زيدا وقيل انه على الحمل على ما عملت فيه ان على تقدير حذف
في التقدير و في اختلاف الليل والنهار ايات فحذفت في
التقدم ذكرها وانشد سيبويه في الحذف
اكل امرء تحسبين امراء ونار توقد بالليل نارا
فحذف كل المضاف الى نار المجرورة لتقدم ذكرها وقيل
هو من باب العطف على عاملين ولم يجزه سيبويه واجازه
الاخفش وجماعة من الكوفيين فعطف اختلاف على قوله
وفي خلقكم ثم قال و تصريف الرياح آيات فتحتاج الى العطف
على عاملين و العطف على عاملين قبيح من اجل ان حروف العطف
تنوب مناب العامل فلم تقو ان تنوب مناب عاملين
مختلفين اذ لو ناب مناب رافع وناصب لكان رافعا
ناصبا في حال واما قراة الرفع فحملا على موضع ان
مع ما عملت فيه وقد الزمت النحويون في ذلك ايضا
العطف على عاملين لانه عطف على واختلاف على وفي خلقكم
وعطف ايات على موضع آيات الاول ولكنه يقدر على تكرير
ويجوز في ان ترفع على القطع مما قبله فيرتفع بالابتدا وما قبله
خبره ويكون عطف جملة على جملة وحكى الفرا رفع اختلاف
وآيات جميعا وجعل الاختلاف هو الايات قوله تعالى

تلك ايات الله

تلك ايات الله اي هذه ايات الله اي حججه وبراهينه الداله على وحدانيته وقدرته نتلوها عليك بالحق اي بالصدق الذي لا باطل ولا كذب فيه وقري يتلوها بالياء فباي حديث بعد الله وقيل بعد قرانه واياته يومنون وقراة العامه بالياء على الخبر وقرا ابن محيصن وابو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي تومنون بالتاء على الخطاب **قوله تعالى** ويل لكل افاك اثيم ويل وادٍ في جهنم يوعد من ترك الاستدلال باياته والافاك الكذاب والافك الكذب اثيم اي مرتكب للاثم والمراد فيما روي النضر بن الحارث وعن ابن عباس انه الحارث بن كلدة وحكي الثعلبي انه ابو جهل واصحابه يسمع ايات الله تتلى عليه يعني ايات القران ثم يصر مستكبرا اي يتمادى على كفره متعظما في نفسه عن الانقياد ماخوذ من صر الصرة اذا شدها قال معناه ابن عباس وغيره وقيل اصله من اصرار الحمار على العانه وهو ان ينحي عليها صارا اذنيه وان من كان مخففة من الثقيلة كانه لم يسمعها والضمير ضمير الشان كما في قوله كان ظبية تعطوا ان ناضر السلم ٭ ومحل الجملة النصب اي يصير مثل غير السامع وقد تقدم في اول لقمان القول في معنى هذه الاية وتقدم معنى فبشره بعذاب اليم في البقره **قوله تعالى** واذا علم من اياتنا شيا اتخذها هزوا

نحو قوله في الزقوم انه الزبد والتمر وقوله في خزنة جهنم
إن كانوا تسعة عشر فانا الفاهم وحدي اولئك لهم عذاب مهين
مثل يجزي من ورائهم جهنم اي من وراء ما هم فيه من التعزز
بالدنيا والتكبر عن الحق جهنم وقال ابن عباس من ورائهم جهنم
اي امامهم نظيره من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد اي
من امامه قال الشاعر اليس ورائي ان تراخت منيتي اذب
مع الولدان ازحف كالنسر ولا يغني عنهم ما كسبوا
شيئا اي من المال والولد نظيره لن تغني عنهم اموالهم ولا
اولادهم من الله شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء
يعني الاصنام ولهم عذاب عظيم اي دائم مولم **قوله تعالى**
هذا هدى ابتدا وخبر يعني القران وقال ابن عباس يعني
كل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والذين كفروا بايات ربهم
اي جحدوا دلايله لهم عذاب من رجز اليم الرجز العذاب
اي لهم عذاب من عذاب اليم دليله قوله تعالى فانزلنا على
الذين ظلموا رجزا من السماء اي عذابا وقيل الرجز القذر
مثل الرجس وهو كقوله تعالى ويسقى من ماء صديد اي
لهم عذاب من تجرع الشراب القذر وضم الراء من الرجز
ابن محيصن حيث وقع وقرا ابن كثير وابن محيصن وحفص
اليم بالرفع على معنى لهم عذاب اليم من رجز الباقون بالخفض
نعتا للرجز

بلغ

الثاني عشر

نعتنا للرجز قوله تعالى الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك
فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ذكر كمال قدرته
وتمام نعمته على عباده وبين انه خلق ما خلق لمنافعهم
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه
يعني ان ذلك فعله وخلقه واحسان منه وانعام وقرا
ابن عباس والجحدري وغيرهما جميعا منة بكسر الميم وتشديد
النون وتنوين الهاء منصوبا على المصدر قال ابو عمرو
ولذلك سمعت مسلمة يقروها منة اي تفضلا وكرما
وعن مسلمة بن محارب ايضا جميعا منه على اضافة
المن الى هاء الكناية وهو عند ابي حاتم خبر ابتداء محذوف
اي ذلك او هو منه وقراة الجماعة ظاهرة ان في ذلك
لايات لقوم يتفكرون قوله تعالى قل للذين امنوا
يغفروا جزم على جواب قل تشبيها بالشرط والجزاء
كقولك قم تصب خيرا وقيل هو على حذف اللام وقيل
على معنى قل لهم اغفروا يغفروا فهو جواب امر محذوف
دل الكلام عليه قاله علي بن عيسى واختاره ابن العربي
ونزلت الاية بسبب ان رجلا من قريش شتم عمر بن الخطاب
فهم ان يبطش به قال ابن العربي وهذا لم يصح وذكر
الواحدي والقشيري وغيرهما عن ابن عباس ان الاية

الثالث

نزلت في عمر مع عبد الله بن أبيّ في غزوة بني المصطلق فانهم
نزلوا على بير يقال لها المريسيع فارسل عبد الله غلامه ليستقي
وابطا عليه فقال ما حبسك قال غلام عمر بن الخطاب قعد
على فم البير فما ترك احدا يستقي حتى ملأ قرب النبي صلى الله
عليه وسلم وقرب ابي بكر وملأ لمولاه فقال عبد الله ما
مثلنا ومثل هولاء الا كما قيل سمّن كلبك ياكلك فبلغ عمر
رضي الله عنه قوله فاشتمل على سيفه يريد التوجه اليه
ليقتله فانزل الله هذه الاية هذه رواية عطا عن ابن عباس
وروى عنه ميمون بن مهران قال لما نزلت من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا قال يهوديّ بالمدينة يقال له فنحاص
احتاج رب محمد قال فلما سمع عمر بذلك اشتمل على سيفه
وخرج في طلبه فجا جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ان ربك يقول لك قل للذين امنوا يغفروا
للذين لا يرجون ايام الله فبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم في طلبه فلما جا قال يا عمر ضع سيفك قال يا رسول
الله صدقت اشهد انك ارسلت بالحق قال فان ربك يقو[ل]
قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله قال لا جرم
والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي قلت
وما ذكره المهدوي والنحاس فهو رواية الضحاك عن

ابن عباس

اليهودي [illegible]

ابن عباس وهو قول القرظي والسدي وعليه يتوجه النسخ
في الاية وعلي ان الاية نزلت بالمدينة او في غزوة بني
المصطلق فليست بمنسوخة ومعنى يغفروا يعفوا
ويتجاوزوا ومعنى لا يرجون ايام الله اي لا يرجون ثوابه
وقيل اي لا يخافون باس الله ونقمه وقيل الرجا بمعنى
الخوف كقوله مالكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون
له عظمة والمعنى لا يخشون مثل عذاب الامم الخالية
والايام يعبر بها عن الوقايع وقيل لا يأملون نصر الله
لاوليايه وايقاعه باعدايه وقيل المعنى لا يخافون البعث
ليجزي قوما بما كانوا يكسبون قراة العامة ليجزي بالياء
على معنى ليجزي الله وقرا حمزة والكساي وابن عامر لنجزي
بالنون على التعظيم وقرا ابو جعفر والاعرج وشيبة
ليجزي بياء مضمومة وفتح الزاي على الفعل المجهول
قوما بالنصب قال ابو عمرو وهذا لحن ظاهر وقال
الكساي معنى ليجزى الجزا قوما نظيره وكذلك نجي المومنين
على قراة ابن عامر وابي بكر في سورة الانبيا قال الشاعر
ولو ولدت قفيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلابا
اي لسب السب قوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه
ومن اسا فعليها ثم الى ربكم ترجعون تقدم قوله تعالى

ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب يعني التوراة والحكم والنبوة
الحكم الفهم في الكتاب وقيل الحكم على الناس والقضا والنبوة يعني
الانبيا من وقت يوسف عليه السلام الى زمن عيسى عليه السلام
ورزقناهم من الطيبات اي الحلال من الاقوات والثمار والاطعمة
التي كانت بالشام وقيل يعني المن والسلوى في التيه وفضلناهم
على العالمين اي على عالمي زمانهم على ما تقدم في الدخان بيانه
وآتيناهم بينات من الامر قال ابن عباس يعني امر النبي صلى الله
عليه وسلم وشواهد نبوته بانه يهاجر من تهامة الى يثرب
وينصره اهل يثرب وقيل بينات الامر شرايع واضحات
في الحلال والحرام ومعجزات فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم
يريد يوشع بن نون فآمن بعضهم وكفر بعضهم حكاه النقاش
وقيل من بعد ما جاءهم العلم نبوة النبي صلى الله عليه وسلم
فاختلفوا فيها بغيا بينهم اي حسدا على النبي صلى الله عليه
وسلم قال معناه الضحاك وقيل معنى بغيا اي بغي بعضهم على
بعض بطلب الفضل والرياسة وقتلوا الانبيا فكذا
مشركوا عصرك يا محمد قد جاءتهم البينات ولكن اعرضوا
عنها للمنافسة في الرياسة ان ربك يقضي بينهم اي يحكم
ويفصل يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا
قوله تعالى ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها

مطلب في الوعظ

فيه

فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى ثم جعلناك على شريعة
الشريعة في اللغة المذهب والملة ويقال لمشرعة الماء
وهي مورد الشاربة شريعة ومنه الشارع لانه طريق
الى المقصد فالشريعة ما شرع الله لعباده من الدين
والجمع الشرايع والشرايع في الدين المذاهب التي شرعها
الله لخلقه فمعنى جعلناك على شريعة من الامر اي على
منهاج واضح من امر الدين يشرع بك الى الحق وقال
ابن عباس على شريعة اي على هدى من الامر قتاده
الشريعة الامر والنهي والحدود والفرايض مقاتل
البينة لانها طريق الى الحق الكلبي السنة لانه يستن
بطريقة من قبله من الانبيا ابن زيد الدين لانه طريق
النجاه ابن العربي والامر يرد في اللغة بمعنيين احدهما
بمعنى الشان كقوله واتبعوا امر فرعون وما امر فرعون
برشيد والثاني احد اقسام الكلام الذي يقابله النهي
وكلاهما يصح ان يكون مرادا ها هنا وتقديره ثم جعلناك
على طريقة من الدين وهي ملة الاسلام كما قال تعالى ثم اوحينا
اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ولا
خلاف ان الله تعالى لم يغاير بين الشرايع في التوحيد
والمكارم والمصالح وانما خالف بينهما في الفروع حسب ما

علمه سبحانه التنابيه قال ابن العربي طن بعض من يتكلم
في العلم ان هذه الايه دليل على ان شرع من قبلنا ليس بشرع
لنا لان الله افرد النبي صلى الله عليه وسلم وامته في هذه
الايه بشريعة ولا ينكر ان النبي صلى الله عليه وسلم وامته
منفردان بشريعة وانما الخلاف فيما اخبر النبي صلى الله
عليه وسلم عنه من شرع من قبلنا في معرض المدح والثنا
هل يلزم اتباعه ام لا قوله تعالى ولا تتبع اهواء
الذين لا يعلمون يعني المشركين وقال ابن عباس قريظه
والنظير وعنه نزلت لما دعته قريش الى دين ابائه
قوله تعالى انهم لن يغنوا عنك من الله شيا اي ان اتبعت
اهواهم لا يدفعون عنك من عذاب الله شيا وان الظالمين
بعضهم اوليا بعض اي اصدقا وانصار واحباب قال
ابن عباس يريد ان المنافقين اوليا اليهود والله ولي المتقين
اي ناصرهم ومعينهم والمتقون هنا الذين اتقوا الشرك
والمعاصي قوله تعالى هذا بصاير للناس ابتدا وخبر
اي هذا الذي انزلت عليك براهين ودلايل ومعالم للناس
في الحدود والاحكام وقري هذه بصاير اي هذه الايات
وهدى اي رشد وطريق يودي الى الجنة لمن اخذ به
ورحمة في الاخرة لقوم يوقنون قوله تعالى

ام حسب

ام حسب الذين اجترحوا السيات اي اكتسبوها والاجتراح
الاكتساب ومنه الجوارح وقد تقدم في المايده ان نجعلهم كالذين
امنوا وعلوا الصالحات قال الكلبي الذين اجترحوا عتبه
وشيبه ابنا ربيعه والوليد بن عتبه والذين امنوا علي وحمزه
وعبيده بن الحارث رضي الله عنهم حين برزوا اليهم يوم بدر
فقتلوهم وقيل نزلت في قوم من المشركين قالوا انهم
يعطون في الاخره خيرا مما يعطاه المومن كما اخبر
الرب عنهم في قوله ولين رجعت الي ربي ان لي عنده للحسني
وقوله ام حسب استفهام معطوف معناه الانكار واهل
العربيه يجوزون ذلك من غير عطف اذا كان متوسطا
للخطاب وقوم يقولون فيه اضمار اي والله ولي المتقين افيعلم
المشركون ذلك ام حسبوا انا نسوي بينهم وقيل هي ام
المنقطعه ومعني الهمزه فيها انكار الحسبان وقراه العامه
سوا بالرفع علي انه خبر ابتدا مقدم اي محياهم ومماتهم
سوا والضمير في محياهم ومماتهم يعود علي الكفار اي محياهم
محيا سوء ومماتهم كذلك وقرا حمزه والكساي والاعمش
سوا بالنصب واختاره ابو عبيد قال معناه نجعلهم
سوا وقرا الاعمش ايضا وعيسى بن عمر ومماتهم بالنصب
علي معني سوا في محياهم ومماتهم فلما اسقط الخافض انتصب

ويجوز ان يكون محياهم ومماتهم بدلا من الهاء والميم في نجعلهم
المعنى ان نجعل محياهم ومماتهم سوا كمحيا الذين امنوا ومماتهم
ويجوز ان يكون الضمير في محياهم ومماتهم للكفار والمومنين
جميعا قال مجاهد المومن يموت مومنا ويبعث مومنا
والكافر يموت كافرا ويبعث كافرا وذكر ابن المبارك اخبرنا
شعبه عن عمرو بن مرة عن ابي الضحى عن مسروق قال
قال رجل من اهل مكة هذا مقام تميم الداري لقد رايته
ذات ليلة حتى اصبح او قرب ان يصبح يقرا اية من كتاب الله ويركع
ويسجد ويبكي ام حسب الذين اجترحوا السيات ان نجعلهم
كالذين امنوا وعملوا الصالحات الاية كلها وقال بشير بت عند
الربيع بن خثيم ذات ليلة فقام يصلي فمر بهذه الاية فمكث
ليلة حتى اصبح لم يعدها ببكاء شديد وقال ابراهيم بن الاشعث
كثيرا ما رايت الفضيل بن عياض يردد من اول الليل الى اخره
هذه الاية ونظيرها ثم يقول ليت شعري من اي الفريقين انت
وكانت هذه الاية تسمى مبكاة العابدين لانها محكمة قوله تعالى
وخلق الله السموات والارض بالحق اي بالامر الحق ولتجزى اي
ولكي تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون قوله تعالى
افرايت من اتخذ الهه هواه قال ابن عباس والحسن وقتادة
ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوا شيا الا ركبه

مطلب في الوعظ

وقال عكرمة

وقال عكرمة افرايت من جعل الهه الذي يعبده ما يهواه او
يستحسنه فاذا استحسن شيا وهويه اتخذه الها قال سعيد
بن جبير كان احدهم يعبد الحجر فاذا راى ما هو احسن منه
رمى به وعبد الاخر وقال مقاتل نزلت في الحرث بن قيس
السهمي احد المستهزين لانه كان يعبد ما يهواه نفسه وقال
سفيان بن عيينه انما عبدوا الحجاره لان البيت حجاره وقيل
المعنى افرايت من ينقاد لهواه ومعبوده تعجبا لذوي العقول
من هذا الجهل وقال الحسن بن الفضل في الايه تقديم وتاخير
مجازه افرايت من اتخذ هواه الهه وقال الشعبي انما سمي
الهوى لانه يهوي بصاحبه في النار وقال ابن عباس ما ذكر
الله هوى في القران الا ذمه قال الله تعالى واتبع هواه
فمثله كمثل الكلب وقال تعالى واتبع هواه وكان امره فرطا
وقال تعالى بل اتبع الذين ظلموا اهواهم بغير علم فمن يهدي
من اضل الله وقال تعالى ومن اضل ممن اتبع هواه بغير
هدى من الله وقال تعالى فلا تتبع الهوى فيضلك عن
سبيل الله وقال عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي
صلى الله عليه وسلم لا يومن احدكم حتى يكون هواه تبعا
لما جيت به وقال ابو امامة سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول ما عبد تحت السما اله ابغض الى الله من الهوى

مطلب لطيف في الوعظ

مطلب في ذم اتباع الهوى

وقال شداد بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الكيس
من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاجر من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله وقال عليه السلام اذا رايت شحا مطاعا
وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي راي برايه
فعليك بخاصة نفسك ودع عنك امر العامة وقال صلى
الله عليه وسلم ثلث مهلكات وثلث منجيات فالمهلكات
شح مطاع وهوا متبع واعجاب المرء بنفسه والمنجيات
خشية الله في السر والعلانيه والقصد في الغنى والفقر
والعدل في الرضا والغضب وقال ابو الدردا رضي الله عنه
اذا اصبح الرجل اجتمع هواه وعمله وعلمه فان كان عمله
تبعا لهواه فيومئذ يوم سوء وان كان عمله تبعا لعلمه
فيومئذ يوم صالح وقال الاصمعي سمعت رجلا يقول
ان الهوان هو الهوى قلب اسمه فاذا هويت فقد لقيت هوانا
وسئل ابن المقفع عن الهوى فقال هوان سرقت نونه فنظمه
شاعر فقال نون الهوان من الهوى مسروقة فاذا
هويت فقد لقيت هوانا ۞ وقال اخر ان الهوى
لهو الهوان بعينه فاذا هويت فقد كسبت هوانا
واذا هويت فقد تعبدك الهوى فاخضع لحبك كاينا من كانا
ولعبد الله بن المبارك

ومن البلا

ومن البلاء للبلاء علامة ان لا يرى لك عن هواك نزوع
العبد عبد النفس في شهواتها والحر يشبع تارة ويجوع

ولابن دريد

اذا طالبتك النفس يوما بشهوة وكان اليها للخلاف طريق
فدعها وخالف ما هويت فانما هواك عدو والخلاف صديق

ولابي عبيد الطوسي

والنفس ان اعطيتها مناها فاغرة نحو هواها فاها

وقال احمد بن ابي الحواري مررت براهب فوجدته نحيفا فقلت له انت عليل قال نعم قلت مذ كم قال مذ عرفت نفسي قلت فتداوي قال قد اعيا بي الدوي وقد عزمت على الكي قلت وما الكي قال مخالفة الهوى وقال سهل بن عبد الله التستري هواك داؤك فان خالفته فدواؤك وقال وهب اذا سلكت في امرين ولم تدر خيرهما فانظر ابعدهما من هواك فاته وللعلماء في هذا الباب في ذم الهوى ومخالفته كتب وابواب اشرنا الى ما فيه كفاية منه وحسبك بقوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى

قوله تعالى واضله الله على علم اي على علم قد علمه منه وقيل اضله عن الثواب على علم منه بانه لا يستحقه وقال ابن عباس اي على علم قد سبق عنده انه سيضل مقاتل على

علم منه انه ضال والمعنى متقارب وقيل على علم من عابد الصنم
انه لا ينفع ولا يضر ثم قيل على علم يجوز ان يكون حالا من الفاعل
المعنى اضله على علم منه به اي اضله عالما بانه من اهل
الضلال في سابق علمه ويجوز ان يكون حالا من المفعول فيكون
المعنى اضله في حال علم الكافر بانه ضال وختم على سمعه
وقلبه اي طبع على سمعه حتى لا يسمع الوعظ وطبع على
قلبه حتى لا يفقه الهوى وجعل على بصره غشاوة اي
غطا حتى لا يبصر الرشد وقرا حمزه والكساى غشوه بفتح
الغين من غير الف وقد مضى في البقره وقال الشاعر
اما والذي انا عبد له يمينا وما لك ابدي اليمينا
لين كنت البستني غشوة لقد كنت اصفيتك الود حينا
فمن يهديه من بعد الله اي من بعد ان اضله افلا تذكرون
تتعظون وتعرفون انه قادر على ما يشا وهذه الايه
ترد على القدريه والاماميه ومن سلك سبيلهم في الاعتقاد
اذ هي مصرحة بمنعهم الهدايه ثم قيل وختم على سمعه وقلبه
انه خارج مخرج الخبر عن احوالهم وقيل انه خارج
مخرج الدعا بذلك عليهم كما تقدم في اول سورة البقره
وحكى ابن جريج انها نزلت في الحارث بن قيس من العياطله
وحكى النقاش انها نزلت في الحارث بن نوفل بن عبد مناف

وقال

وقال مقاتل نزلت في ابي جهل وذلك انه طاف بالبيت ذات
ليلة ومعه الوليد بن المغيرة فتحدثا في شان النبي صلي الله عليه
وسلم فقال ابو جهل والله اني لاعلم انه لصادق فقال له
مه وما ذلك علي ذلك قال يا ابا عبد شمس كنا نسميه في
صباه الصادق الامين فلما تم عقله وكمل رشده نسميه
الكذاب الخاين والله اني لاعلم انه لصادق قال فما منعك
ان تصدقه وتومن به قال تتحدث عني بنات قريش اني
قد اتبعت يتيم ابي طالب من اجل كسرة واللات والعزي
ان اتبعته ابدا فنزلت وختم علي سمعه وقلبه **قوله**
تعالي وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي هذا
انكار منهم للاخره وتكذيب للبعث وابطال للجزا
ومعني نموت ونحيي اي نموت نحن ويحيي اولادنا قاله
الكلبي وقري ونُحيى بضم النون وقيل يموت بعضنا
ونحيي بعضنا وقيل فيه تقديم وتاخير اي نحيي ونموت
وهي قراة ابن مسعود وما يهلكنا الا الدهر قال مجاهد
يعني السنين والايام وقال قتاده الا العمر والمعني واحد
وقري الا دهر يمر وقال ابن عيينة كان اهل الجاهلية يقولون
الدهر هو الذي يهلكنا وهو الذي يحيينا ويميتنا فنزلت
هذه الايه وقال قطرب وما يهلكنا الا الموت وانشد قول ابي ذويب

امن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع
وقال عكرمه اي وما يهلكنا الا الله وروى ابو هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم كان اهل الجاهليه يقولون ما يهلكنا الا الليل
والنهار وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا فيسبون الدهر
فقال الله تعالى يوذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر
بيدي الامر اقلب الليل والنهار قلت قوله فقال الله الى اخره
نص البخاري ولفظه وخرجه مسلم ايضا وابو داود
في الموطا عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يقولن احدهم يا خيبة الدهر فان الله هو الدهر
وقد استدل بهذا الحديث من قال ان الدهر من اسما الله
وقال من لم يجعله من العلما اسما انما خرج ردا على العرب كما
اخبر الله عنهم في هذه الايه فكانوا اذا اصابتهم ضر او
ضيم او مكروه نسبوا ذلك الى الدهر فقيل لهم على ذلك
لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي ان الله هو الفاعل لهذه
الامور التي تضيفونها الى الدهر فيرجع السب اليه سبحانه
فنهوا عن ذلك ودل على صحة هذا ما ذكرناه من حديث ابي
هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك
وتعالى يوذيني ابن ادم الحديث ولقد احسن من قال وهو
ابو علي الثقفي : يا عاتب الدهر اذا نابه لا تلم الدهر على غدره

الدهر

الدهر ماموز له امر ينهى الدهر الى امره :: كم كافر اموالله
جمة يزداد اضعافا على كفره :: ومومن ليس له درهم
يزداد ايمانا على فقره :: وروي ان سالم بن عبد الله
بن عمر كان كثيرا ما يذكر الدهر فزجره ابوه وقال اياك يا
بني وذكر الدهر وانشد
فما الدهر بالجاني لشي لحينه ولا جالب البلوى فلا تشتم الدهرا
ولكن متى ما يبعث الله باعثا على معشر يجعل مياسيرهم عسرا
وقال ابو عبيد ناظرت بعض الملحدة فقال الا ترا
يقول فان الله هو الدهر فقلت وهل كان احد يسب الله
في اباد الدهر بل كانوا يقولون كما قال الاعشى
ان محلا وان مرتحلا وان في السفر اذ مضوا مهلا
استاثر الله بالوفاء وبالعدل وولى الملامة الرجلا
قال ابو عبيد ومن شان العرب ان يذموا الدهر عند
المصايب والنوايب حتى ذكروه في اشعارهم ونسبوا
الاحداث اليه قال عمرو بن قميئة
رمتني بنات الدهر من حيث لا ارى فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو انها نبل اذا لاتقيتها ولكنني ارمى بغير سهام ::
على الراحتين مرة وعلى العصا انوء ثلاثا بعدهن قيامي
ومثله كثير في الشعر ينسبون ذلك الى الدهر ويضيفونه

اليه والله سبحانه الفاعل لا رب سواه وما لهم بذلك من علم
اي علم ومن زايدة اي قالوا ما قالوا شاكين ان هم الا يظنون
اي ما هم الا يتكلمون بالظن وكان المشركون اصنافا منهم
هولاء ومنهم من كان يثبت الصانع وينكر البعث ومنهم من
كان يشك في البعث ولا يقطع بانكاره وحدث في الاسلام
اقوام ليس يمكنهم انكار البعث خوفا من المسلمين فيتاولون
ويرون القيامة موت البدن ويرون الثواب والعقاب
الى خيالات تقع للارواح بزعمهم فشر هولاء اضر من شر
جميع الكفار لان هولاء يلبسون على الحق ويغتر بتلبيسهم الظاهر
والمشرك المجاهر يتبشر كله يحذره المسلم وقيل نموت ونحيي
اثارنا فهذه حياة الذكر وقيل اشار الى التناسخ اي يموت
الرجل فيجعل روحه في موات فيحيا به قوله تعالى واذا
تتلى عليهم اياتنا بينات اي واذا تقرا على هولاء المشركين اياتنا
المنزلة في جواز البعث لم يكن ثم دفع الا ان قالوا ايتوا
باباينا حجتهم خبر كان والاسم الا ان قالوا ايتوا باباينا الموتى
نسالهم عن صدق ما تقولون فرد الله عليهم بقوله قل الله
يحييكم يعني بعد كونكم نطفا امواتا ثم يميتكم ثم يجمعكم الى
يوم القيامة كما احياكم في الدنيا ولكن فيه ولكن اكثر الناس
ان الله يعيدهم كما بداهم الزمخشري فان قلت لم سمي قولهم

حجة

حجة وليس بحجة قلت لانهم أدلوا به كما يدلي المحتج بحجته
وساقوه مساقها فسميت حجة على التهكم اولانه في سبيل
حسبانهم وتقديرهم حجة اولانه في اسلوب قولهم تحية بينهم
ضرب وجيع كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد
نفي ان تكون لهم حجة البتة قال قلت كيف وقع قوله
قل الله يحييكم جوابا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين
قلت لما انكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا ان ما
قالوه قول مبكت الزموا ما هم مقرون به من ان الله عز وجل
هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو
واجب الاقرار به ان انصفوا واصغوا الى داعي الحق وهو
جمعهم الى يوم القيامة ومن كان قادرا على الاتيان بابائهم
وكان اهون شي عليه قوله تعالى ولله ملك السموات
والارض خلقا وملكا ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر
المبطلون يوم الاول منصوب بيخسر ويومئذ تكرير للتاكيد
او بدل وقيل انه التقدير وله الملك يوم تقوم الساعة
والعامل في يومئذ يخسر ومفعول يخسر محذوف والمعنى
يخسرون منازلهم في الجنة قوله تعالى وترى كل
امة جاثية اي من هول ذلك اليوم والامة هنا اهل كل ملة
وفي الجاثية تاويلان خمس الاول قال مجاهد مستوفزة

على الاتيان كان قادرا

قاله مجاهد وقال سفيان المستوفز الذي لا تصيب الارض
منه الا ركبتاه واطراف انامله الضحاك ذلك عند الحساب
الثاني مجتمعة قاله ابن عباس الفرا المعنى وترى اهل كل دين
مجتمعين الثالث متميزة قاله عكرمة الرابع خاضعة بلغة
قريش قاله مورج الخامس باركة على الركب قاله الحسن والجثو
الجلوس على الركب جثى على ركبتيه يجثو ويجثي جثوا وجثيا
على فعول فيهما وقد مضى في مريم والحمد لله واصل الجثوة
الجماعة من كل شي قال طرفة يصف قبرين ترى جثوتين من
تراب عليهما صفايح صم من صفيح منضد ثم قيل هو خاص
بالكفار قاله يحيى بن سلام وقيل انه عام للمومن والكافر
انتظار للحساب وقد روى سفيان بن عيينة عن عمرو
عن عبد الله بن باباه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كاني اراكم
بالكوم جاثين دون جهنم ذكره الماوردي وقال سلمان ان
في يوم القيامة لساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها
جثاة على ركبهم حتى ان ابراهيم عليه السلام لينادي لا اسالك
اليوم الا نفسي كل امة تدعى الى كتابها قال يحيى بن سلام الى
حسابها وقيل الى كتابها الذي كان يستنسخ لها فيه ما عملت
من خير وشر قاله مقاتل وهو معنى قول مجاهد وقيل
كتابها ما كتب الملايكة عليها وقيل كتابها المنزل عليها لينظر

هل

في النسخة

هل عملوا بما فيه وقيل الكتاب هاهنا اللوح المحفوظ وقرا
يعقوب الحضرمي كل امة بالنصب على البدل من كل الاولى
لما في الثانية من الايضاح الذي ليس في الاولى اذ ليس في
جثوها شي من حال شرح الجثو كما في الثانية من ذكر السبب
الداعي اليه وهو استدعاوها الى كتابها وقيل انتصب باعمال
ترى مضمرا والرفع على الابتداء اليوم تجزون ما كنتم تعملون
من خير او شر **قوله تعالى** هذا كتابنا قيل من قول الله
لهم وقيل من قول الملايكة ينطق عليكم بالحق اي يشهد وهو
استعارة يقال نطق الكتاب بكذا اي بين وقيل انهم يقرونه
فيذكرهم الكتاب ما عملوا فكانه ينطق عليهم دليله **قوله**
ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا
كبيرة الا احصاها وفي المومنين ولدينا كتاب ينطق بالحق
وهم لا يظلمون وقد تقدم و ينطق في موضع الحال من الكتاب
او من ذا او خبر ثان لذا او يكون كتابنا بدلا من هذا
وينطق الخبر انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي نامر بنسخ
ما كنتم تعملون قال علي رضي الله عنه ان لله ملايكة ينزلون
كل يوم بشي يكتبون فيه اعمال بني ادم ~~وقال ابن عباس فيه~~
~~اعمال بني ادم~~ وقال ابن عباس ان لله وكل ملايكة مطهرين
فينسخون من ام الكتاب في رمضان كل ما يكون من اعمال

بني ادم فيعارضون حفظة الله على العباد كل خميس فيجدون
ما جا به الحفظة من اعمال العباد موافقا لما في كتابهم الذين
لا زيادة فيه ولا نقصان قال ابن عباس وهل تكون النسخ
الا من كتاب الحسين يستنسخ ما كتبته الحفظة على بني ادم
لان الحفظة ترفع الى الخزنة صحايف الاعمال وقيل تحمل الحفظة
كل يوم ما كتبوا على العبد ثم اذا عادوا الى مكانهم نسخ منه
الحسنات والسيات ولا تحول المباحات الى النسخة الثانيه
وقيل ان الملايكة اذا رفعت اعمال العباد الى الله جل وعز
امر بان يثبت عنده منها ما فيه ثواب وعقاب ويسقط
من جملتها ما لا ثواب فيه ولا عقاب **قوله تعالى**
فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في
رحمته اي الجنة ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا
افلم تكن اياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم ذلك وهو استفهام
توبيخ فاستكبرتم عن قبولها وكنتم قوما مجرمين اي مشركين
تكسبون المعاصي يقال فلان جريمة اهله اذا كان كاسبهم
فالمجرم من اكتسب لنفسه المعاصي وقد قال الله سبحانه
افنجعل المسلمين كالمجرمين فالمجرم ضد المسلم فهو المذنب
بالكفر اذا **قوله تعالى** واذا قيل ان وعد الله حق اي
البعث كاين والساعة لا ريب فيها وقرا حمزة والساعة
بالنصب

(في الهامش: استنسخوا من اللوح؛ بلغ؛ مشركين)

بالنصب عطفا على وعد الباقون بالرفع على الابتداء او
العطف على موضع ان وعد الله ولا يحسن على الضمير الذي
في المصدر لانه غير مؤكد والضمير المرفوع انما يعطف
عليه بغير تاكيد في الشعر قلتم ما ندري ما الساعة
هل هي حق ام باطل ان نظن الا ظنا تقديره عند المبرد
ان نحن الا نظن ظنا وقيل التقدير ان نظن الا انكم تظنون
ظنا وقيل اي وقلتم ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين
ان الساعة اتية قوله تعالى وبدا لهم سيات ما عملوا اي
ظهر لهم جزا سيات ما عملوا وحاق بهم اي نزل بهم واحاط
ما كانوا به يستهزون من عذاب الله قوله تعالى
وقيل اليوم ننساكم اي نترككم في النار كما تركتم لقا يومكم
هذا اي تركتم العمل له وماواكم اي مسكنكم ومستقركم
وما لكم من ناصرين من ينصركم قوله تعالى ذلكم بانكم اتخذتم
ايات الله يعني القران هزوا وغرتكم الحياة الدنيا اي خدعتكم
باباطيلها وزخارفها فظننتم ان ليس ثم غيرها وان لا بعث
فاليوم لا يخرجون منها اي من النار ولا هم يستعتبون
يسترضون وقد تقدم وقرا حمزه والكساي فاليوم لا
يخرجون بفتح اليا وضم الرا لقوله تعالى كلما ارادوا
ان يخرجوا منها اعيدوا فيها الباقون بضم اليا وفتح الرا

لقولهم ربنا اخرجنا ونحوه قوله تعالى فلله الحمد رب

السموات ورب الارض رب العالمين وقرأ مجاهد وحميد

وابن محيصن رب السموات ورب الارض رب العالمين بالرفع

فيهما كلها على معنى هو رب وله الكبريا اي العظمة والجلال

والبقا والسلطان والقدرة والكمال في السموات والارض

وهو العزيز الحكيم سورة الاحقاف مكية

في قول جميعهم وهي اربع وثلثون اية وقيل خمس وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم تنزيل الكتاب

من الله العزيز الحكيم تقدم ما خلقنا السموات والارض

وما بينهما الا بالحق تقدم ايضا واجل مسمى يعني القيامة

في قول ابن عباس وغيره وهو الاجل الذي تنتهي اليه السموات

والارض وقيل انه الاجل المقدور لكل مخلوق والذين

كفروا عما انذروا خوفوه معرضون مولون لاهون غير

مستعدين له ويجوز ان تكون ما مصدرية اي عن

انذارهم ذلك اليوم قوله تعالى قل ارايتم ما تدعون

من دون الله اروني ماذا خلقوا الى قوله صادقين فيه

خمس مسايل الاولى قوله تعالى قل ارايتم ما تدعون

من دون الله اي ما تعبدون من الاصنام والانداد من دون

الله اروني ماذا خلقوا اي هل خلقوا شيا من الارض

ام لهم

ام لهم شرك اي نصيب في السموات اي في خلق السموات مع الله.
ايتوني بكتاب من قبل هذا اي من قبل هذا القران المسالة الثانية
قوله تعالى او اثارة من علم قراة العامة او اثارة بالف بعد
الثاء قال ابن عباس هو خط كانت تخطه العرب في الارض ذكره
المهدوي والثعلبي قال ابن العربي ولم يصح وفي مشهور الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان نبي من الانبيا يخط فمن
وافق خطه فذاك ولم يصح ايضا قلت هو ثابت من حديث
معاوية ابن الحكم السلمي خرجه مسلم واسند النحاس حدثنا
محمد بن احمد يعرف بالجراحي قال نا بندار قال نا يحيى بن سعيد
عن سفيان الثوري عن صفوان بن سليم عن ابي سلمة عن
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل او
اثارة من علم قال الخط وهذا صحيح قال ابن العربي واختلفوا
في تاويله فمنهم من قال جا لاباحة الضرب لان بعض الانبيا
كان يفعله ومنهم من قال جا للنهي عنه لانه صلى الله عليه وسلم
قال فمن وافق خطه فذاك ولا سبيل الى معرفة طريق النبي
المتقدم فيه فاذا لا سبيل الى العمل به :: لعمرك ما تدري الضوارب
بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع :: وحقيقته عند
اربابه ترجع الى صور الكواكب فيدل ما يخرج منها على ما
تدل عليه تلك الكواكب من سعد او نحس يحل بهم فصار ظنا

مبنيا على ظن وتعلقا بامر غايب قد درست طريقه وفات
تحقيقه وقد نهت الشريعه عنه واخبرتنا ان ذلك مما
اختص الله به وقطعه عن الخلق وان كانت لهم قبل ذلك اسباب
يتعلقون بها في درك الاشيا المغيبه فان الله قد رفع تلك
الاسباب وطمس تلك الابواب وافرد نفسه بعلم الغيب
فلا يجوز من احد منه في ذلك ولا يحل لاحد دعواه وطلبه
عنا ولو لم يكن فيه نهي فاذ وقد ورد النهي فطلبه معصيه
او كفر بحسب قصد الطالب قلت ما اختاره هو قول
الخطابي قال الخطابي فمن وافق خطه فذاك هذا يحتمل الزجر
اذ كان ذلك علما للنبوته وقد انقطعت فنهينا عن التعاطي
لذلك قال القاضي عياض الاظهر من اللفظ خلاف هذا وتصويب
خط من يوافق خطه لكن من اين تعلم الموافقه والشرع منع
من التخريص وادعا الغيب جملة فانما معناه ان من وافق خطه
فذاك الذي يجدون اصابته لا انه يريد اباحة ذلك لفاعله
على ما تاوله بعضهم وحكى مكي في تفسير قوله كان نبي من
الانبيا يخط انه كان يخط باصبعه السبابه والوسطى في
الرمل ثم يزجر وقال ابن عباس في تفسير قوله ومنا رجال
يخطون هو الخط الذي الحازي فيعطيه حلوانا فيقول
اقعد حتى اخط لك وبين يدي الحازي غلام معه ميل

ثم ياتي الى الارض رخوه فيخط الاستاد خطوطا معجلة
ليلا يلحقها العدد ثم يرجع فيمحوا على مهل خطين خطين
فان بقي خطان فهو علامة النجح وان بقي خط فهو علامه الخيبه
قال ابن العربي ان الله سبحانه لم يبق من الاسباب الداله
على الغيب التي اذن في التعلق بها والاستدلال منها الا
الرويا فانه اذن فيها واخبر انها جزو من النبوه وكذلك
الفال واما الطيرة والزجر فانه نهى عنهما والفال هو الاستدلال
بما يسمع من الكلام على ما يريد من الامر اذا كان حسنا فان
سمع مكروها فهو تطير امره الشرع بان يفرح بالفال
ويمضي على امره مسرورا واذا سمع المكروه اعرض عنه
ولم يرجع لاجله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا
طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك وقد روى
بعض الادبا الفال والزجر والكهان كلهم مضللون
ودون الغيب اقفال فهذا كلام صحيح الا في الفال فان
الشرع استثناه وامر به فلا يقبل من هذا الشاعر ما
نظمه فيه فانه تكلم بجهل وصاحب الشرع اعلم واصدق
واحكم قلت قد مضى في الطيرة والفال وفي الفرق بينهما
ما يكفي في المايده وغيرها ومضى في الانعام ان الله سبحانه
منفرد بعلم الغيوب وان احدا لا يعلم من ذلك الا ما اعلمه الله

او يجعل علي ذلك دلالة عادية يعلم بها ما يكون علي جري العاده
وقد تخلف مثاله اذا راى نخلة قد اطلعت فانه يعلم انها
ستثمر واذا راها قد تناثر طلعها علم انها لا تثمر وقد
يجوز ان ياتي عليها افة تهلك ثمرها فلا تثمر كما انه جايز
ان تكون النخلة التي قد تناثر طلعها يطلع الله فيها طلعا
ثانيا فتثمر وكما انه جايز ايضا ان لا يلي شهره شهر
ولا يومه يوم ان اراد الله افنا العالم ذلك الوقت الي
غير ذلك مما تقدم في الانعام بيانه **الرابعة** قال ابن
خواز منداذ قوله تعالي او اثارة من علم يريد الخط وقد
كان مالك يحكم بالخط اذا عرف للشاهد خطه واذا عرف
الحاكم او خط من كتب اليه حكم به ثم رجع عن ذلك حتي
ظهر في الناس ما ظهر من الحيل والتزوير وقد روي عنه
انه قال يحدث الناس فجورا فيحدث للناس اقضية فاما
اذا شهد الشهود علي الخط المحكوم به مثل ان هذا خط
الحاكم وكتابه اشهدنا علي ما فيه وان لم يعلموا ما في الكتاب
وكذلك الوصيه او خط الرجل باعتراف بمال لغيره يشهدون
انه خطه ونحو ذلك فلا يختلف مذهبه انه يحكم به وقيل او
اثارة من علم او بقية من علم قاله ابن عباس والكلبي وابو بكر
بن عياش وغيرهم وفي الصحاح واثارة من علم بقية منه

ولذلك

وكذلك الاثره بالتحريك ويقال سمنت الابل على اثارة
اى بقية شحم كان قبل ذلك الماوردي والثعلبي قول الراعي
وذات اثارة اكلت عليها نباتا في اكمته فصارا
وقال الهروي والاثارة والاثر البقية يقال ما ثم عين
ولا اثر وقال ميمون بن مهران وابو سلمة بن عبد الرحمن
وقتادة او اثارة من علم خاصة من علم وقال مجاهد رواية
تاثرونها عمن كان قبلكم وقال عكرمة ومقاتل رواية
عن الانبيا وقال القرطبي هو الاسناد الحسن المعني شي يثار
او يستخرج وقال الزجاج او اثارة اى علامة والاثارة
مصدر كالسماحة والشجاعة واصل الكلمة من الاثر وهي
الرواية تقول اثرت الحديث اثره اثرة واثارة واثرا
فانا اثر اذا ذكرته عن غيرك ومنه قيل حديث ماثور
اى نقله خلف عن سلف قال الاعشى
ان الذي فيه تماريتما بين للسامع والاثر معا ويروى
بين وقرى او اثرة بضم الهمزة وسكون التاء ويجوز
ان يكون معناه بقية من علم ويجوز ان يكون معناه شيئا
ماثورا من كتب الاولين والماثور ما يتحدث به مما صح
سنده عمن تحدث به عنه وقرا السلمي والحسن وابو
رجا بفتح الهمزة والتا من غير الف اى خاصة من علم

او تيتموها او اوثرتم بها على غيركم وروي عن الحسن
ايضا وطايفة أثرة مفتوحة الالف ساكنة التا ذكر
الاولى الثعلبي والثانية الماوردي وحكى الثعلبي عن عكرمة
او ميراث من علم ان كنتم صادقين الخامسة قوله تعالى
ايتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم فيه بيان مسالك
الادلة باسرها فاولها المعقول وهو قوله تعالى قل ارايتم
ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام
لهم شرك في السموات وهو احتجاج بدليل العقل في ان الجماد
لا يصح ان يدعى من دون الله فانه لا يضر ولا ينفع ثم قال
ايتوني بكتاب من قبل هذا فيه بيان ادلة السمع او اثارة
من علم قوله تعالى ومن اضل اي لا احد اضل واجهل ممن
يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهي
الاوثان وهم عن دعايهم غافلون يعني لا يسمعون ولا
يفهمون فاخرجها وهي جماد مخرج ذكور بني ادم اذ قد
مثلتها عبدتها بالملوك والامرا التي تخدم قوله تعالى
واذا حشر الناس يريد يوم القيامة كانوا لهم اعداء اي هولاء
المعبودون اعدا الكافرين يوم القيامه فالملايكة اعدا
الكفار والجن والشياطين يتبرون غدا من عبدتهم ويلعن
بعضهم بعضا ويجوز ان يكون الاصنام للكفار الذين عبدوها

اعدا على

اعدا على تقدير خلق الحياة لهاد ليله قوله تعالى تبرانا
اليك ما كانوا ايانا يعبدون وقيل معبودا لهم لانهم كانوا
يتسبب هلاكهم وجحدوا المعبود دون عبادتهم وهو قوله
وكانوا بعبادتهم كافرين قوله تعالى واذا تتلى عليهم
اياتنا بينات يعني القران قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا
سحر مبين قوله تعالى ام يقولون افتراه الميم صلة التقدير
ايقولون افتراه اي تقوّله محمد وهو اضراب عن ذكر تسميتهم
الايات سحرا ومعنى الهمزة في ام الانكار والتعجب كانه قال
ادع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك ان
محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر
عليه دون امة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها
العادة فلا يكون مفتريا والضمير للحق والضمير الايات قل
ان افتريته على سبيل الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اي
لا تقدروا على ان تردوا عني عذاب الله فكيف افتري على الله
لاجلكم هو اعلم بما تفيضون فيه اي تقولونه عن مجاهد وقيل
تخوضون فيه من التكذيب والافاضة في الشيء الخوض فيه
والاندفاع افاضوا في الحديث اي اندفعوا فيه وافاض البعير
اي دفع جرته من كرشه فاخرجها ومنه قول الشاعر ::
وافضن بعد كظومهن بجرة :: وافاض الناس من عرفات

الي متى اي دفعوا وكل دفعة افاضه كفى به شهيدا نصب على
التمييز بيني وبينكم اي هو يعلم صدقي وانتم مبطلون وهو
الغفور الرحيم بعباده المومنين قوله تعالى قل ما كنت
بدعا من الرسل اي اول من ارسل قد كان قبلي رسل عن ابن
عباس وغيره والبدع الاول وقرا عكرمة وغيره بدعا
بفتح الدال على تقدير حذف المضاف والمعنى ما كنت صاحب
بدع وقيل بدع وبديع بمعنى مثل نصف ونصيف وابدع
الشاعر جا بالبديع وشي بدع بالكسر اي مبتدع وفلان
بدع في هذا الامر اي بديع وقوم ابداع عن الاخفش
وانشد قطرب قول عدي بن زايد
فلا انا بدع من حوادث تعتري رجالا عرت من بعد بوسى باسعد
وما ادري ما يفعل بي ولا بكم بريد يوم القيامه ولما
نزلت فرح المشركون واليهود والمنافقون وقالوا كيف
نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا وانه لا فضل له علينا
ولولا انه ابتدع الذي يقوله من تلقا نفسه لاخبره الذي
بعثه بما يفعل به فنزلت ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فنسخت هذه الايه وارغم الله انف الكفار
وقالت الصحابه هنيا لك يا رسول الله لقد بين الله لك ما
يفعل بك فليت شعرنا ما هو فاعل بنا فنزلت ليدخل

المومنين

المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار الايه
ونزلت وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا قاله
انس وابن عباس وقتاده والحسن وعكرمة والضحاك
وقالت ام العلا امراة من الانصار اقتسمنا المهاجرين
فطار لنا عثمان بن مضعون بن خالد بن جمح فانزلناه
ابياتنا فتوفي فقلت رحمة الله عليك ابا السايب لقد اكرمك الله
اكرمك فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله
اكرمه فقلت بابي وامي يارسول الله فمن قال اما هو
فقد جاءه اليقين وما راينا الا خيرا فوالله اني لارجوا
له الجنه ووالله اني لرسول الله وما ادري ما يفعل بي
ولا بكم قالت فوالله لا ازكي بعده احدا ابدا ذكره
الثعلبي وقال وانما قال هذا حين لم يعلم بغفران ذنبه
وانما غفر الله له ذنبه في غزوة الحديبيه قبل موته
باربع سنين قلت حديث ام العلا خرجه البخاري
وروايتي فيه وما ادري ما يفعل به ليس فيه بي ولا بكم
وهو الصحيح ان شا الله على ما ياتي بيانه والايه ليست
بمنسوخه لانها خبر قال النحاس محال ان يكون في هذا
ناسخ ولا منسوخ من جهتين احدهما انه خبر والاخر انه
من اول السوره الى هذا الموضع خطاب للمشركين واحتجاج

عليهم وتوبيخ لهم فوجب ان يكون هذا ايضا خطابا
للمشركين كما كان قبله وما بعده ومحال ان يقول صلى الله
عليه وسلم للمشركين ما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الاخرة
ولم يزل صلى الله عليه وسلم من اول مبعثه الى وفاته يخبر ان
من مات على الكفر مخلد في النار ومن مات على الايمان واتبعه
واطاعه فهو في الجنه فقد راى صلى الله عليه وسلم ما يفعل
به وبهم في الاخره وليس يجوز ان يقول لهم ما ادري ما
يفعل بي ولا بكم في الاخره فيقولوا كيف نتبعك وانت لا تدري
انصير الى خفض ودعة ام الى عذاب وعقاب والصحيح
في الاية قول الحسن كما قرئ على محمد بن جعفر بن حفص عن
يوسف بن موسى قال ثنا وكيع قال ثنا ابو بكر الهذلي
عن الحسن وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا قال
ابو جعفر وهذا اصح قول واحسنه لا يدري صلى الله
عليه وسلم ما يلحقه واياهم من مرض وصحة ورخص وغلاء
وغنى وفقر ومثله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير
وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير وذكر الواحدي
وغيره عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس لما اشتد
البلا باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راى في المنام
انه هاجر الى ارض ذات نخل وشجر وماء فقصها على

اصحابه

اصحابه فاستبشر وابدلكو راوافيها فرجا مما هم فيه من اذى المشركين
ثم انهم مكثوا برهة لا يرون ذلك فقالوا يا رسول الله متى نهاجر
الى الارض التي رايت فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فانزل
الله تعالى وما ادري ما يفعل بي ولا بكم يعني ما ادري اخرج
الى الموضع الذي رايته في منامي ام لا ثم قال انما هو شي رايته
في منامي ما اتبع الا ما يوحى الي اي لم يوح الي الا ما اخبرتكم
به قال القشيري فعلى هذا لا نسخ في الايه وقيل المعنى ما
ادري ما يفرض علي وعليكم من الفرايض واختار الطبري ان
يكون المعنى ما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا
اتومنون ام تكفرون ام تعاجلون بالعذاب ام تو خرون
قلت وهو معنى قول الحسن والسدي وغيرهما قال الحسن
ما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا اما في الاخرة فمعاذ
الله قد علم انه في الجنة حين اخذ ميثاقه في الرسل ولكن
قال ما ادري ما يفعل بي في الدنيا اخرج كما اخرجت
الانبيا قبلي او اقتل كما قتلت الانبيا قبلي ولا ادري ما
يفعل بكم أامتي المصدقه ام المكذبة ام امتي المرميه
بالحجاره من السما قذفا او مخسوف بها خسفا ثم نزلت
هو ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
يقول سيظهر دينه على الاديان ثم قال في امته وما

وماكان الله ليعذبهم وانت فيهم فاخبره الله بما يصنع
به وبامته ولا نسخ على هذا كله والحمد لله وقال الضحاك ايضا
ما ادري ما يفعل بي ولا بكم اي ما تومرون به وتنهون
عنه وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول للمومنين ما
ادري ما يفعل بي ولا بكم في القيامه ثم بين الله تعالى ذلك في
قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وبين فيما
بعد ذلك حال المومنين ثم بين حال الكافرين قلت وهذا
معنى القول الاول الا انه اطلق فيه النسخ بمعنى البيان وانه
امر ان يقول ذلك للمومنين والصحيح ما ذكرناه عن الحسن
وغيره وما فيما يفعل يجوز ان تكون موصوله وان تكون استفهاميه
مرفوعه ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير مبين وقري
يوحى اي الله عز وجل تقدم في غير موضع قوله تعالى
قل ارايتم ان كان من عند الله يعني القران وكفرتم به وقال
الشعبي المراد محمد صلى الله عليه وسلم وشهد شاهد من بني
اسرايل على مثله قال ابن عباس والحسن وعكرمه وقتاده ومجاهد
هو عبد الله بن سلام شهد على اليهود ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مذكور في التوراة وانه نبي من عند الله وفي
الترمذي عنه ونزلت في ايات من كتاب الله نزلت في
وشهد شاهد من بني اسرايل على مثله فامن واستكبرتم ان الله

لا يهدي

لا يهدي القوم الظالمين وقد تقدم في اخر سوره الرعد وقال
مسروق هو موسي والتوراه لا ابن سلام لانه اسلم بالمدينة
والسورة مكية وقال وقوله وكفرتم به مخاطبة لقريش
الشعبي هو من امن من بني اسرايل بموسي والتوراه لان ابن
سلام انما اسلم قبل وفاة النبي صلي الله عليه وسلم بعامين والسوره
مكية قال القشيري ومن قال الشاهد موسي قال السوره مكيه
واسلم ابن سلام قبل موت النبي صلي الله عليه وسلم بعامين
ويجوز ان تكون الايه نزلت بالمدينه وتوضع في سوره مكيه
فان الايه كانت تنزل فيقول النبي صلي الله عليه وسلم ضعوها
في سوره كذا والايه في محاجة المشركين ووجه الحجة انهم
كانوا يراجعون اليهود في انبيا اي بينها دينهم لهم وشهادة
نبيهم لي من اوضح الحجج فلا يبعد ان تكون السوارة في محاجة
اليهود ولما جا ابن سلام مسلما من قبل ان تعلم اليهود با
باسلامه قال يا رسول الله اجعلني حكما بينك وبين اليهود
فسالهم عنه اي رجل هو فيكم قالوا سيدنا وعالمنا فقال
انه قد امن بي فاساوا القول فيه الحديث وقد تقدم قال
ابن عباس رضيت اليهود بحكم ابن سلام وقالت للنبي صلي
الله عليه وسلم ان يشهد لك امنا بك فسيل فشهد ثم اسلم
علي مثله اي علي مثل ما جيتكم به فشهد موسي علي التوراه

و محمد على القران وقال الجرجاني مثل صلة اي و شهد شاهد
عليه انه من عند الله فامن اي هذا الشاهد واستكبرتم انتم
عن الايمان وجواب ان كان محذوف تقديره فامن اتومنون
قاله الزجاج وقيل فامن واستكبرتم البس قد ظلمتم يبينه
ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقيل فامن واستكبرتم افتامنون
عذاب الله وارايتم لفظ موضوع للسوال والاستفهام؛
ولذلك لا يقتضي مفعولا وحكى النقاش وغيره ان في الاية
تقديما وتاخيرا وتقديره قل ارايتم ان كان من عند الله
وشهد شاهد من بني اسرايل فامن هو وكفرتم ان الله لا يهدي
القوم الظالمين قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين
امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اختلف في سبب نزولها
على اقوال ستة الاول ان ابا ذر الغفاري دعاه النبي صلى
الله عليه وسلم الى الاسلام بمكة فاجاب واستجار به قومه
فاتاه زعيمهم فاسلم ثم دعاهم الزعيم فاسلموا فبلغ ذلك قريشا
فقالوا غفار الحلفا لو كان هذا خيرا ما سبقونا اليه فنزلت
هذه الاية قاله ابو المتوكل الثاني ان زنيرة اسلمت فاصيب
بصرها فقالوا لها اصابك اللات والعزى فرد الله عليها بصرها
فقال عظما قريش لو كان ما جا به محمد خيرا ما سبقتنا اليه
زنيرة فانزل الله تعالى هذه الاية قاله عروة بن الزبير؛

الثالث

وقف

الثالث ان الذين كفروا هم بنو عامر وغطفان وتميم
واسد وحنظله واشجع قالوا لمن اسلم من غفار واسلم
وجهينه ومزينه وخزاعه لو كان ما جابه محمد خيرا
ما سبقتنا اليه رعاة البهم اذ نحن اعز منهم قاله الكلبى
والزجاج وحكاه القشيرى عن ابن عباس وقال قتاده
نزلت في مشركى قريش قالوا لو كان ما يدعونا اليه محمد
خيرا ما سبقنا اليه بلال وصهيب وعمار وفلان وفلان
وهو القول الرابع القول الخامس ان الذين كفروا
من اليهود قالوا للذين امنوا يعني عبد الله بن سلام واصحابه
لو كان دين محمد حقا ما سبقونا اليه قاله اكثر المفسرين
حكاه الثعلبي وقال مسروق ان الكفار قالوا لو كان خيرا
ما سبقونا اليه اليهود فنزلت هذه الايه وهذه المعارضه
من الكفار في قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه من اكبر
المعارضات بانقلابها عليهم لكل من خالفهم حتى يقال
لهم لو كان ما انتم عليه خيرا ما عدلنا عنه ولو كان تكذيبكم
للرسول خيرا ما سبقونا اليه يجوز ان يكون من قول
الكفار لبعض المومنين ويجوز ان يكون على الخروج من الخطاب
الى الغيبه كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح
طيبه واذ لم يهتدوا به يعني الايمان وقيل القران وقيل محمد
صلى الله عليه وسلم

البهم بيان

ذكره الماوردي كم قالوا فقوله ما سبقونا اليه

فسيقولون هذا افك قديم اي لما لم يصيبوا الهدى بالقران ولا
بمن جاء به عادوه ونسبوه الى الكذب وقالوا هذا افك قديم
كما قالوا اساطير الاولين وقيل لبعضهم هل في القران من
جهل شيئا عاداه فقال نعم قال الله تعالى واذ لم يهتدوا
به فسيقولون هذا افك قديم ومثله بل كذبوا بما لم
يحيطوا بعلمه **قوله تعالى** ومن قبله اي من قبل القران
كتاب موسى اي التوراة اماما يقتدى بما فيه ورحمة من الله
وفي الكلام حذف اي فلم يهتدوا به وذلك انه كان في التوراة
بعث النبي صلى الله عليه وسلم والايمان به فتركوا ذلك واماما
نصب على الحال لان المعنى وتقدمه كتاب موسى اماما ورحمة
معطوف عليه وقيل انتصب باضمار فعل اي انزلناه اماما
ورحمة قال الاخفش على القطع لان كتاب موسى معرفة بالاضافة
لان النكرة اذا اعيدت او اضيفت او دخل عليها الالف واللام
صارت معرفة وهذا كتاب يعني القران مصدق يعني
للتوراة ولما قبله من الكتب وقيل مصدق للنبي صلى الله عليه
وسلم لسانا عربيا منصوب على الحال اي مصدقا لما قبله
عربيا ولسانا توطية للحال اي تاكيد كقولهم جاءني زيد
رجلا صالحا فذكر رجلا توكيدا وقيل نصب باضمار فعل
تقديره وهذا كتاب مصدق اعني لسانا عربيا وقيل نصب

باسقاط

مطلب شريف

باسقاط حرف الخفض تقديره بلسان عربي وقيل
ان لسانا مفعول والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم اى
وهذا كتاب مصدق للنبي صلى الله عليه وسلم لانه معجزته
والتقدير مصدق ذا لسان عربي فاللسان منصوب
بمصدق وهو النبي صلى الله عليه وسلم ويبعد ان
يكون اللسان القران لان المعنى يكون مصدق نفسه
لينذر الذين ظلموا قراة العامة لينذر باليا خبرا عن
الكتاب اى لينذر ظلموا انفسهم بالكفر والمعصية وقيل
هو خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وقرا نافع وابن
عامر والبزي بالتاء واختاره ابو عبيد وابو حاتم على
خطاب النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انما انت منذر
وبشرى للمحسنين بشرى في موضع رفع اي وهو بشرى
وقيل عطفا على الكتاب اى وهذا كتاب مصدق وبشرى
ويجوز ان يكون منصوبا باسقاط حرف الخفض اى لينذر
الذين ظلموا وللبشرى فلما حذف الخافض نصب وقيل
على المصدر اي وتبشر المحسنين بشرى فلما جعل مكان
ونبشر بشرى او بشارة نصب كما تقول اتيتك لازورك
وكرامة لك وقضا لحقك يعنى لازورك واكرمك واقضي حقك
فنصب الكرامة بفعل مضمر قوله تعالى ان الذين قالوا

ربنا الله ثم استقاموا الاية تقدم معناها وقال ابن عباس
نزلت في ابي بكر الصديق والاية نعم جزاً نصب على المصدر
قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا الى
قوله واني من المسلمين فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى
ووصينا الانسان بوالديه حسنا بين اختلاف حال الانسان
مع ابويه فقد يطيعهما وقد يخالفهما اي فلا يبعد مثل هذا
في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقومه حتى يستجيب له البعض
ويكفر البعض فهذا وجه اتصال الكلام بعضه ببعض
قاله القشيري الثانيه قوله تعالى حسنا قراة العامه
حسنا وكذا هو في مصاحف اهل الحرمين والبصره والشام
وقرا ابن عباس والكوفيون احسانا وحجتهم قوله تعالى
في سورة الانعام وبني اسرايل وبالوالدين احسانا وكذا
هو في مصاحف الكوفه وحجة القراة الاولى قوله تعالى
في العنكبوت ووصينا الانسان بوالديه حسنا ولم يختلفوا
فيها والحسن خلاف القبح والاحسان خلاف الاساة
والتوصية الامر وقد مضى القول في هذا وفيمن نزلت
الثالثه قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها
اي بكره ومشقه وقراة العامه بفتح الكاف واختاره
ابو عبيد قال وكذلك لفظ الكره في كل القران بالفتح الا

التي في سوره

التي في سورة البقرة كتب عليكم القتال وهو كره لكم لان ذلك
اسم وهذه كلها مصادر وقرا الكوفيون كرها بالضم قيل
هما لغتان مثل الضعف والضعف والشهد والشهد قاله
الكسائي وكذلك هو عند جميع البصريين وقال الكسائي ايضا
والفرا في الفرق بينهما ان الكره بالضم ما حمل الانسان على
نفسه والفتح ما حمل على غيره اي قهرا وغصبا ولهذا قال بعض
اهل العربية ان كرها بفتح الكاف لحن الرابعة قوله
تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا قال ابن عباس اذا حملت
تسعة اشهر ارضعت احدي وعشرين شهرا وان حملت
ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا وروي
ان عثمان اتي بامراة قد ولدت لستة اشهر فاراد ان يقضي
عليها بالحد فقال له علي رضي الله عنه ليس ذلك عليها قال
الله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا وقال تعالى
والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين فالرضاع اربعة
وعشرون شهرا والحمل ستة اشهر فرجع عثمان عن قوله
ولم يحدها وقد مضى في البقرة وقيل لم يعد ثلثة اشهر
في ابتدا الحمل لان الولد فيها نطفة وعلقة ومضغة
فلا يكون له ثقل يحس وهو معنى قوله تعالى فلما تغشاها
حملت حملا خفيفا فمرت به والفصال الفطام وقد تقدم

عن الحرامي

في لقمان الكلام فيه وقرا الحسن ويعقوب وغيرهما وفَصْلُه
بفتح الفا وسكون الصاد وروي ان الاية نزلت في ابي بكر
الصديق رضي الله عنه وكان حمله وفصاله في ثلثين شهرا
وفي الكلام حذف واضمار اي ومُدَّة حمله ومُدَّة فصاله
ثلثون شهرا ولولا هذا الاضمار لنصب ثلثون على الظرف
وتغير المعني قوله تعالي حتى اذا بلغ اشده قال ابن عباس
ثمان عشره سنه وقال في رواية عطا عنه ان ابا بكر صحب
النبي صلي الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنه والنبي
صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنه وهم يريدون الشام
للتجاره فنزلوا منزلا فيه سدره فقعد النبي صلى الله عليه
وسلم في ظلها ومضي ابو بكر الى راهب هناك فساله عن
الدين فقال الراهب من الرجل الذي في ظل السدره
فقال ذاك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال هذا والله
نبي وما استظل تحتها احد بعد عيسي فوقع في قلب
ابي بكر اليقين والتصديق وكان لا يكاد يفارق رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اسفاره وحضره فلما نبى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين سنه صدق ابو بكر
رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو ابن ثمانيه وثلثين سنه
فلما بلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي

العمل

انعمت علي الايه وقال الشعبي وابن زيد الاشد الحلم وقال
الحسن هو بلوغ الاربعين وعنه قيام الحجة عليه وقد مضي في
الانعام الكلام في الاية وقال السدي والضحاك نزلت في
سعد بن ابي وقاص وقد تقدم وقال الحسن هي مرسله
نزلت علي العموم والله اعلم السادسة قوله تعالي
قال رب اوزعني اي الهمني ان اشكر في موضع نصب علي
المصدر اي شكر نعمتك علي اي ما انعمت به علي من
الهداية وعلي والدي بالتحنن والشفقة حتي ربياني صغيرا
وقيل انعمت علي بالصحة والعافيه وعلي والدي بالغني
والثروه وقال رضي الله عنه هذه الايه نزلت في ابي بكر
الصديق رضي الله عنه اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد
من المهاجرين ابواه غيره فاوصاه الله بهما ولزم ذلك من
بعده ووالده هو ابو قحافه عثمان بن عامر بن عمرو بن
كعب بن سعد بن تيم وامه ام الخير واسمها سلمي بنت
صخر بن عمرو بن سعد وام ابيه ابي قحافه قيله بالياء
المعجمه باثنتين من تحتها وامراة ابي بكر اسمها قتله بالتاء
المعجمة باثنتين من فوقها بنت عبد العزي وان اعمل
صالحا ترضاه قال ابن عباس فاجابه الله فاعتق تسعة
من المومنين يعذبون في الله منهم بلال وعامر بن فهيره

ولم يدع شيئا من الخير الا اعانه الله عليه وفي الصحيح عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح منكم
اليوم صايما قال ابو بكر انا قال فمن تبع منكم اليوم جنازة
قال ابو بكر انا قال فمن اطعم منكم اليوم مسكينا قال ابو بكر
انا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمعن في امرئ
الا دخل الجنة السابعة قوله تعالى واصلح لي في ذريتي
اي اجعل ذريتي صالحين قال ابن عباس فلم يبق له ولد ولا
والد ولا والدة الا امنوا بالله وحده ولم يكن احد من اصحاب
النبي صلى الله هو وابواه واولاده وبناته كلهم الا ابو بكر وقال
سهل بن عبد الله المعنى اجعلهم لي خلف صدق ولك عبيد حق
وقال ابو عثمان اجعلهم ابرارا مطيعين لك وقال ابن عطا وفقهم
بصالح اعمال ترضى بها عنهم وقال محمد بن علي لا تجعل للشيطان
والنفس والهوى عليهم سبيلا وقال مالك بن مغول اشتكى
ابو معشر ابنه الى طلحة بن مصرف فقال استعن عليه بهذه
الاية وتلى رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلي
وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي اني
تبت اليك واني من المسلمين اني تبت اليك قال ابن عباس رجعت
عن الامر الذي كنت عليه واني من المسلمين اي المخلصين بالتوحيد
قوله تعالى اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا

ونتجاوز

ويتجاوز عن سيئاتهم قراة العامة بضم الياء فيهما وقرئ
يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما الله عز وجل
وقرا حفص وحمزة والكسائي نتقبل ونتجاوز بالنون فيهما
اي يغفرها ويصفح عنها والتجاوز اصله من جزت الشي
اذا لم يقف عليه وهذه الاية تدل على ان الاية قبلها
ووصينا الانسان الى اخرها مرسلة نزلت على العموم
وهو قول الحسن ومعنى يتقبل عنهم اي يتقبل منهم الحسنات
الحسنات ويتجاوز عن السيئات قال زيد بن اسلم ويحكيه
مرفوعا انهم اسلموا فقبلت حسناتهم وغفرت سيئاتهم
وقيل الاحسن ما يقتضي الثواب من الطاعات وليس في
الحسن المباح ثواب ولا عقاب حكاه ابن عيسى في اصحاب
الجنة في بمعنى مع اي مع اصحاب الجنة تقول الرمل واحسن
البلد في جميع اهل البلد اي مع جميعهم وعد الصدق نصب
لانه مصدر موكد لما قبله اي وعد الله اهل الايمان ان يتقبل
من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وعد الصدق وهو من باب
اضافة الشي الى نفسه لان الصدق هو ذلك الوعد الذي وعده
الله وهو كقوله تعالى حق اليقين وهذا عند الكوفيين
فاما عند البصريين فتقديره وعد الكلام الصدق او
الكتاب الصدق فحذف الموصول وقد مضى في غير موضع

والحمد لله الذي كانوا ابو عدون في الدنيا على السنة
الرسل وذلك الحسنة **قوله تعالى** والذي قال لوالديه
اف لكما اتعدانني ان اخرج اي ان ابعث وقد خلت القرون
من قبلي قراة نافع وحفص وغيرهما اف مكسور منون
وقرا ابن كثير وابن محيصن وابن عامر عن عاصم اف بالفتح
من غير تنوين الباقون بالكسر غير منون وكلها لغات وقد
مضى في بني اسرايل وقراة العامه اتعدانني بنونين مخففتين
وفتح ياه اهل المدينه ومكه واسكن الباقون وقرا ابو حيوه
والمغيره وهشام اتعداني بنون واحده مشدده وكذلك
هي في مصاحف اهل الشام والعامه على ضم الالف وفتح
الراء من ان اخرج وقرا الحسن ونصر وابو العاليه والاعمش
وابو معمر بفتح الالف وضم الراء قال ابن عباس والسدي
وابو العاليه ومجاهد نزلت في عبد الله بن ابي بكر رضي الله
عنهما وكان يدعوه ابواه الي الاسلام فيجيبهما بما اخبر الله
عز وجل وقال قتاده والسدي ايضا هو عبد الرحمن بن
ابي بكر قبل اسلامه وكان ابوه وامه ام رومان يدعوانه
الي الاسلام ويعدانه بالبعث فيرد عليهما بما حكاه الله
عز وجل عنه وكان هذا منه قبل اسلامه وروي ان عايشة
رضي الله عنها انكرت ان تكون نزلت في عبد الرحمن وقال

الحسن

الحسن وقتادة ايضا هي نعت عبد كافر عاق لوالديه
وقال الزجاج كيف يقال نزلت في عبد الرحمن قبل اسلامه
والله عز وجل يقول اولئك الذين حق عليهم القول اي العذاب
ومن ضرورته عدم الايمان وعبد الرحمن من افاضل المومنين
فالصحيح انها نزلت في عبد كافر عاق لوالديه وقال محمد
بن زياد كتب معاوية الى مروان حتى يبايع الناس ليزيد
فقال عبد الرحمن بن ابي بكر لقد جيتم بها هرقلية اتبايعون
لابنايكم فقال مروان هو الذي يقول الله فيه والذي قال
لوالديه اف لكما الاية فقال والله ما هو به ولو شيت
لسميت ولكن الله لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض
من لعنة الله قال المهدوي ومن جعل الاية في عبد الرحمن
كان قوله بعد ذلك اولئك الذين حق عليهم القول يراد به
من اعتقد ما تقدم ذكره فاول الاية خاص واخرها
عام وقيل ان عبد الرحمن لما قال وقد خلت القرون من قبلي
قال مع ذلك فاين عبد الله بن جدعان وابن عثمان بن عمرو وابن
عامر بن كعب ومشايخ قريش حتى اسالهم عما يقولون فقوله
اولئك الذين حق عليهم القول يرجع الى اوليك الاقوام قلت
قد مضى من خبر عبد الرحمن بن ابي بكر في سورة الانعام
عند قوله له اصحاب يدعونه الى الهدى ما يدل على نزول

هذه الاية اذا كان كافرا وعند اسلامه وفضله تعين انه
ليس المراد بقوله اولئك الذين حق عليهم القول وهما يعني
والديه يستغيثان الله اي يدعوان الله له بالهداية او
يستغيثان بالله من كفره فلما حذف الجار وصل الفعل فنصب
وقيل الاستغاثة الدعا فلا حاجة الى الباء قال الفرا اجاب
الله دعاءه وغواثه ويلك امن اي صدق بالبعث
ان وعد الله حق اي صدق لا خلف فيه فيقول ما هذا
اي ما يقوله والده الا اساطير الاولين اي احاديثهم وما
سطروه مما لا اصل له اولئك الذين حق عليهم القول يعني
الذين اشار اليهم ابن ابي بكر في قوله احيوا لي مشايخ قريش
وهم المعنيون بقوله وقد خلت القرون من قبلي فاما ابن
ابي بكر عبد الله او عبد الرحمن فقد اجاب الله فيه دعا
ابيه في قوله واصلح لي في ذريتي على ما تقدم ومعنى حق
عليهم القول اي وجب عليهم العذاب وهي كلمة الله
هولاء في الجنة ولا ابالي وهولاء في النار ولا ابالي في امم
اي مع امم قد خلت تقدمت ومضت من قبلهم من
الجن والانس الكافرين انهم اي تلك الامم الكافرة كانوا
خاسرين لاعمالهم اي ضاع سعيهم وخسروا الجنة
قوله تعالى ولكل درجات اي ولكل واحد من الفريقين

المومنين والكافرين من الجن والانس مراتب عند الله
يوم القيامة باعمالهم قال ابن زيد درجات اهل النار
في هذه الاية تذهب سفالا ودرج اهل الجنة علوا وليوفيهم
اعمالهم قرا ابن كثير وابن محيصن وعاصم وابو عمرو ويعقوب
بالياء لذكر الله قبله وهو قوله تعالى ان وعد الله حق واختاره
ابو حاتم الباقون بالنون ردا على قوله تعالى ووصينا الانسان
بوالديه وهو اختيار ابي عبيد وهم لا يظلمون اي لا يزاد
على مسي ولا ينقص من محسن قوله تعالى ويوم يعرض
اي ذكرهم يا محمد يوم يعرض الذين كفروا على النار اي
يكشف الغطا فيقربون من النار وينظرون اليها اذهبتم
طيباتكم اي يقال لهم اذهبتم فالقول مضمر وقرا الحسن ونصر
وابو العالية ويعقوب وابن كثير ااذهبتم بهمزتين محققتين
واختاره ابو حاتم وقرا ابو حيوة وهشام اذهبتم بهمزة
واحدة مطولة على الاستفهام الباقون بهمزة واحدة من
غير مد على الخبر وكلها لغات فصيحة ومعناها التوبيخ
والعرب توبخ بالاستفهام وبغير الاستفهام وقد تقدم
واختار ابو عبيد ترك الاستفهام لانه قراة اكثر الايمة
السبعة نافع وعاصم وابو عمرو وحمزة والكساي مع من
وافقهم شيبة والزهري وابن محيصن والمغيرة بن ابي شهاب

ويحيى بن الحارث والاعمش ويحيى بن وثاب وغيرهم فهذه
عليها جلة الناس وترك الاستفهام احسن لان اثباته يوهم
انهم لم يفعلوا ذلك كما تقول انا ظلمتك تريد الم اظلمك
واثباته حسن ايضا يقول القايل اذهبت فعلت كل ذلك
جايز ومعنى اذهبتم طيباتكم اى تمتعتم بالطيبات في
الدنيا واتبعتم الشهوات واللذات يعني المعاصي فاليوم
تجزون عذاب الهون اى عذاب الخزي والفضيحة قال مجاهد
الهون الهوان قتادة بلغة قريش بما كنتم تستكبرون في الارض
بغير الحق اي تستعلون على اهلها بغير استحقاق وبما كنتم تفسقون
في اعمالكم بغيا وظلما وقيل اذهبتم طيباتكم اى افنيتم شبابكم
في الكفر والمعاصي قولهم ذهب اطيباه شبابه وقوته قال
الماوردي ووجدت الضحاك قاله ايضا قلت القول الاول اظهر
روى الحسن عن الاحنف بن قيس انه سمع عمر بن الخطاب رضي
الله عنه يقول لانا اعلم بخفض العيش ولو شيت لجعلت اكبادا
وصلا وصنابا وصلايق ولكني استبقي حسناتي فان الله عز وجل
وصف اقواما فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
واستمتعتم بها وقال ابو عبيد في حديث عمر لو شيت لدعوت
بصلايق وصناب وصلايق وكراكر واسنمة وفي بعض
الحديث وافلاذ قال ابو عمرو وغيره الصلا بالكسر والمد

الشوا

الشوا سمي بذلك لانه يصلى بالنار والصلا ايضا صلا النار
فان فتحت الصاد قصرت وقلت صلا النار والصناب
الاصبغة المتخذة من الخردل والزبيب قال ابو عمرو ولهذا
قيل للبرذون صنابي انما شبه لونه بذلك قال والسلايق
بالسين هو ما سلق من البقول وغيرها وقال غيره هي الصلايق
بالصاد قال جرير تكلفني معيشة آل زيد ومن لي بالصلايق
والصناب والصلايق الخبز المرقاق العريض وقد مضى هذا
المعنى في الاعراف واما الكراكر فكركرة الابل واحدتها
كركرة وهي معروفة هذا قول ابي عبيد وفي الصحاح
والكركرة زور البعير وهي احدى الثفنات الخمس والكركرة
ايضا الجماعة من الناس وابو مالك عمرو بن كركرة رجل
من علماء اللغة قال ابو عبيد واما الافلاذ فان واحدها فلذ
وهي القطعة من الكبد قال اعشى باهلة
تكفيه حزة فلذان الم بها من الشوا ويروي شربه الغمر
وقال قتاده ذكر لنا ان عمر رضي الله عنه قال لو شئت كنت
اطيبكم طعاما والينكم لباسا ولكني استبقي طيباتي للآخرة
ولما قدم عمر الشام صنع له طعام لم ير قط مثله قال هذا لنا فما
لفقراء المسلمين الذين ماتوا وما شبعوا من خبز الشعير فقال
خالد بن الوليد لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر بالدموع وقال

لئن كان حظنا من الدنيا هذا الحطام وذهبوا هم في حظهم
بالجنة فلقد باينونا بونًا بعيدًا وفي صحيح مسلم وعن ابن عمر
رضي الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مشربة
حين هاجر نساءه قال فالتفت فلم ار شيئا يرد البصر الا
اهبا جلودا معطونة قد سطع ريحها فقلت يا رسول الله
انت رسول الله وخيرته وهذا كسرى وقيصر في الديباج
والحرير قال فاستوى جالسا وقال افي شك انت يا ابن الخطاب
اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم الدنيا فقلت استغفر لي
فقال اللهم اغفر له وقال حفص بن ابي العاص كنت اتغدى
عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخبز والزيت والخل
والخبز واللبن والخبز والقديد واقل ذلك اللحم الغريض وكان
يقول لا تنخلوا الدقيق فانه طعام كله فجيء بخبز متفلع
غليظ فجعل ياكل ويقول كلوا فجعلنا لا نأكل فقال ما لكم
لا تأكلون فقلنا والله يا امير المومنين نرجع الى طعام الين
من طعامك هذا فقال يا ابن ابي العاص اما ترى باني عالم
ان لو امرت بعناق سمينة فيلقى عنها شعرها ثم تخرج
مصلية كانها كذا وكذا اما ترى باني عالم ان لو امرت بصاع
او صاعين من زبيب فاجعله في سقاء ثم اسن عليه من
الماء فيصبح كانه دم غزال فقلت يا امير المومنين اجادما
تنعت

تتبعت العيش قال اجل والله الذي لا اله الا هو لولا اني
اخاف ان ينقص حسناتي يوم القيامة لشاركتهم في
العيش ولكني سمعت الله عز وجل يقول لقوم اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون
عذاب الهون اي الهوان بما كنتم تستكبرون في الارض بغير
الحق اي تتعظمون عن طاعة الله وعلى عباد الله وبما كنتم
تفسقون تخرجون عن طاعة الله وقال جابر اشتهى اهلي
لحما فاشتريته لهم فمررت بعمر بن الخطاب فقال ما هذا
يا جابر فاخبرته فقال او كلما اشتهى احدكم شيا جعله في
بطنه اما تخشى ان تكون من اهل هذه الايه اذهبتم طيباتكم
الايه قال ابن العربي وهذا عتاب منه له على التوسع بابتياع
اللحم والخروج عن جلف الخبز والما فان تعاطي الطيبات من
الحلال تستشري بها الطباع وتستمر بها العاده فاذا
فقدتها استسهلت في تحصيلها بالشبهات حتى تقع في الحرام
المحض بغلبة العاده واستشراء الهوى على النفس الامارة
بالسوء فاخذ عمر الامر من اوله وحماه من ابتدايه كما يفعله
مثله والذي يضبط هذا الباب ويحفظ قانونه على الميزان
باكل ما وجد طيبا كان او قفارا ولا يتكلف الطيب ويتخذه
عاده وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتشبع اذا وجد

ويصبر اذا عدم ويأكل الحلوي اذا قدر عليها ويشتري
العسل اذا اتفق له ويأكل اللحم اذا تيسر ولا يعتمده اصلا
ولا يجعله ديدنا ومعيشة النبي صلى الله عليه وسلم معلومه
وطريقة الصحابة منقوله فاما اليوم عند استيلا الحرام
وفساد الحطام فالخلاص عسير والله يهب الاخلاص ويعين
على الخلاص برحمته وقيل ان التوبيخ واقع على ترك الشكر
لا على تناول الطيبات المحلله وهو حسن فان تناول الطيب
الحلال ماذون فيه فاذا ترك الشكر عليه واستعان به على
ما لا يحل له فقد اذهبه والله اعلم قوله تعالى واذكر
اخا عاد هو هود بن عبد الله بن رباح عليه السلام كان
اخاهم في النسب لا في الدين اذ انذر قومه بالاحقاف اي
اذكر لهولاء المشركين قصة عاد ليعتبروا بها وقيل امره بان
يتذكر في نفسه قصة هود ليقتدي به ويهون عليه
تكذيب قومه له والاحقاف ديار عاد وهي الرمال العظام
مذكور وبينه قوله عارضا فالضمير يعود الى السحاب اي
فلما راوا السحاب عارضا فعارضا نصب على التكرير سمي
بذلك لانه يبدو في عرض السما وقيل نصب على الحال وقيل
يرجع الضمير الى قوله فاتنا بما تعدنا فلما راوه حسبوه
سحابا يمطرهم وكان المطر قد ابطا عنهم فلما راوه مستقبل

اودتيهم

او دينهم استبشروا وكان قد جاءهم من واد جرت العادة
ان ما جاء منه يكون غيثا قاله ابن عباس وغيره قال الجوهري
والعارض السحاب يعترض في الافق ومنه قوله تعالى هذا
عارض ممطرنا اي ممطر لنا لانه معرفة لا يجوز ان يكون
صفة لعارض وهو نكرة والعرب انما تفعل مثل هذا
في الاسماء المشتقة من الافعال دون غيرها قال جرير
يا رب غابطنا لو كان يطلبكم لاقى مباعدة منكم وحرمانا
ولا يجوز ان يقول هذا رجل غلامنا وقال اعرابي بعد الفطر
رب صايمه لن يصومه وقايمه لن يقومه فجعله نعتا
للنكره واضافه الي المعرفه قلت قوله لا يجوز ان يكون
صفة لعارض خلاف قول النحويين والاضافة في تقدير
الانفصال فهي اضافة لفظية لا حقيقية لانها لم تفد الاول
تعريفا بل الاسم نكرة على حاله فلذلك جرى نعتا على النكره
وهذا قول النحويين في الآية والبيت ونعت النكره نكره
ورب لا تدخل الا على النكره بل هو اي قال هود لهم والدليل
عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرئ قل بل ما استعجلتم
به هي ريح اي قال الله قل بل هو ما استعجلتم به يعني قولهم
فائتنا بما تعدنا ثم بين ما هو فقال ريح فيها عذاب اليم
والريح التي عذبوا بها نشأت من ذلك السحاب الذي راوه

مطلب شريف

وخرج هود من بين اظهرهم فجعلت تحمل الفساطيط وتحمل
الضعينة فترفعها كانها جرادة ثم تضرب بها الصخور قال
ابن عباس اول ما راوا العارض قاموا فمدوا ايديهم فاول ما
عرفوا انه عذاب رأوا ما كان خارجا من ديارهم من الرجال
والمواشي يطير بهم الريح ما بين السماء والارض مثل الريش
فدخلوا بيوتهم واغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب
وصرعتهم وامر الله الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا
تحت الرمل سبع ليال وثمانية ايام حسوما ولهم انين
ثم امر الله الريح فكشفت عنهم الرمال واحتملتهم فرمتهم
في البحر فهي التي قال الله تعالى تدمر كل شيء بامر ربها اي كل شيء
مرت به من رجال عاد واموالها قال ابن عباس اي كل شيء بعثت
اليه والتدمير الهلاك وكذلك الدمار وقرئ تدمر كل شيء
من دمر دمارا يقال دمره تدميرا ودمارا ودمر عليه
بمعنى ودمر يدمر دمورا ادخل بغير اذن وفي الحديث من
سبق طرفه استيذانه فقد دمر مخفف الميم وتدمر بلد
بالشام ويربوع تدمري اذا كان صغيرا قصيرا بامر ربها
باذن ربها وفي البخاري عن عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
قالت ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا حتى ارى منه
لهواته انما كان يتبسم قال وكان اذا راى غيما او ريحا عرف

في وجهه

في وجهه قالت يا رسول الله الناس اذا راوا الغيم فرحوا
رجا ان يكون فيه المطر واراك اذا رايته عرف في وجهك
الكراهية فقال يا عايشة ما يومنني ان يكون فيه عذاب
عذب قوم بالريح وقد راى قوم العذاب فقالوا هذا عارض
ممطرنا اخرجه مسلم والترمذي وقال فيه حديث حسن
وفي صحيح مسلم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وذكر الماوردي ان
القايل هذا عارض ممطرنا من قوم عاد بكر بن معاوية ولما
راى السحاب قال اني لارى سحابا مرمدا لا تدع من عاد
احدا فذكر عمرو بن ميمون انها كانت تاتيهم بالرجل
الغايب حتى تقذفه في ناديهم قال ابن اسحاق واعتزل هود
ومن معه من المومنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه
منها الا ما تلين على ثيابهم وتلتذ الانفس به وانها
لتمر من عاد بالظعن بين السما والارض وتدمغهم بالحجارة
حتى هلكوا وحكى الكلبي ان شاعرهم قال في ذلك

فدعا هود عليهم دعوة اضحوا همودا
عصفت ريح عليهم تركت عادا خمودا
سخرت سبع ليال لم تدع في الارض عودا

وعمر هود
في قومه بعدهم مايه وخمسين سنة فاصبحوا الا ترى

الامساكنهم قرا عاصم وحمزه لا يرى الامساكنهم
بالياء غير مسمى الفاعل وكذلك روى حماد بن سلمه عن ابن
كثير الا انه قرا ترى وقد روى ذلك عن ابي بكر عن عاصم
الباقون ترى بتاء مفتوحة مساكنهم بالنصب اى لا
ترى يا محمد الا مساكنهم قال المهدوي ومن قرا بالتاء
غير مسمى الفاعل فعلى لفظ الظاهر الذي هو المساكن المونثه
وهو قليل لا يستعمل الا في الشعر وقال ابو حاتم لا يستقيم
هذا في اللغة الا ان يكون فيها اضمار كما تقول في الكلام
اما ترى النسا الا زينب ولا يجوز لا ترى الا زينب وقال
سيبويه معناه لا ترى اشخاصهم الا مساكنهم واختار
ابو عبيد وابو حاتم قراة عاصم وحمزه قال الكسائي
معناه لا يرى شي الا مساكنهم فهو محمول على المعنى كما تقول
ما قام الا هند والمعنى ما قام احد الا هند وقال الفرا
لا يرى الناس لانهم كانوا تحت الرمل وانما ترى مساكنهم
لانها قايمه كذلك نجزي القوم المجرمين اى مثل هذه العقوبه
يعاقب بها المشركين **قوله تعالى** ولقد مكناهم
فيما ان مكناكم فيه قيل ان ان زايدة تقديره ولقد مكناهم
فيما مكناكم فيه وهذا قول القتيبي وانشد الاخفش
يرجي المر ما ان لم يراه وتعرض دون ادناه الخطوب

وقال اخر

وقال آخر فما إن طبنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا
وقيل إن بمعنى الذي وإن بمعنى ما والتقدير ولقد
مكناهم في الذي ما مكناكم فيه قاله المبرد وقيل
شرطية وجوابها مضمر محذوف وتقديره ولقد
مكناهم فيما إن مكناكم فيه كان بغيكم أكثر وعنادكم أشد
وتم الكلام ثم ابتدأ فقال وجعلنا لهم سمعا وأبصارا
وأفئدة يعني قلوبا يفقهون بها فما أغنى عنهم سمعهم
ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء من عذاب الله إذ كانوا
يجحدون يكفرون بآيات الله وحاق بهم أحاط بهم ما
كانوا به يستهزءون **قوله تعالى** ولقد أهلكنا ما حولكم
من القرى يريد حجر ثمود وقرى لوط ونحوهما مما كان
يجاور بلاد الحجاز وكانت أخبارهم متواترة عندهم
وصرفنا الآيات يعني الحجج والدلالات وأنواع البينات
والعظات أي بيناها لأهل تلك القرى لعلهم يرجعون
فلم يرجعوا وقيل أي صرفنا آيات القرآن في الوعد والوعيد
والقصص والإعجاز لعل هؤلاء المشركين يرجعون **قوله**
تعالى فلولا نصرهم لولا بمعنى هلا أي هلا نصرهم آلهتهم
التي تقربوا بها بزعمهم إلى الله لتشفع لهم حيث قالوا
هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومنعتهم من الهلاك الواقع بهم
قال الكسائي القربان كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من طاعة

ونسيكة والجمع قرابين كالرهبان والرهابين واحد
مفعولي لتخذ الى الذين المحذوف والثاني آلهة وقربانا
حال ولا يصح ان يكون قربانا مفعولا ثانيا والهة
بدل منه لفساد المعني قاله الزمخشري وقرئ قربانا
بضم الراء بل ضلوا عنهم اي هلكوا عنهم وقيل بل ضلوا
عنهم اي ضلت عنهم الهتهم لانها لم تصبهم ما اصابهم اذ
هي جماد وقيل ضلوا عنهم اي تركوا الاصنام وتبرؤا منها
وذلك افكهم اي والآلهة التي ضلت عنهم افكهم في قولهم
انها تقربهم الى الله زلفى وقراءة العامة افكهم بكسر
الهمزة وسكون الفاء اي كذبهم والافك الكذب وكذلك
الافيكة والجمع الافايك ورجل افّاك اي كذّاب وقرا
ابن عبّاس ومجاهد وابن الزبير وذلك أَفَكَهُم بفتح
الهمزة والفاء والكاف على الفعل اي ذلك القول صرفهم
عن التوحيد والافك بالفتح مصدر قولك أَفَكَهُ يَأْفِكُهُ
أفكا اي قلبه وصرفه عن الشيء وقرا عكرمة أَفَّكَهُم
بتشديد الفاء على التاكيد والتكثير قال ابو حاتم يعني
قلبهم عما كانوا عليه من النّعيم وذكر المهدوي عن ابن عباس
ايضا آفِكُهُم بالمدّ وكسر الفاء فجاز ان يكون افعلهم
اي صارهم الى الافك وجاز ان يكون فاعلهم كخادعهم
ودليل قراءة العامّة افكهم قوله وما كانوا يفترون اي

يكذبون

يكذبون وقيل افكهم مثل افكهم الافك والافك كالحذر والحذر قاله
المهدوي قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن هذا توبيخ لمشركي
قريش اي ان الجن سمعوا القران فامنوا به وعلموا انه من عند الله وانتم معرضون
مصرون على الكفر ومعنى صرفنا وجهنا اليك وبعثنا وذلك انهم صرفوا عن
استراق السمع من السماء برجوم الشهب على ما ياتي ولم يكونوا بعد عيسى قد صرفوا عنه
الا عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال المفسرون ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد
وغيرهم لما مات ابو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم وحده الى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة
فقصد عبد ياليل ومسعودا وحبيبا وهم اخوة بنو عمرو بن عمير وعندهم امراة من قريش
من بني جمح فدعاهم الى الايمان وسالهم ان ينصروه على قومه فقال احدهم هو يمرط ثياب
الكعبة ان كان الله ارسلك قط وقال الاخر ما وجد الله احدا يرسله غيرك وقال الثالث والله لا اكلمك ابدا لئن كنت رسولا كما تقول لانت اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام ولئن كنت
تكذب فما ينبغي لي ان اكلمك ثم اغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويضحكون به حتى اجتمع عليه
الناس والجوه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة فقال للجمحية ماذا لقينا من احمائك ثم
قال اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين
انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني او الى عدو ملكته امري ان لم يكن
بك غضب علي فلا ابالي ولكن عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات
ان يحل علي غضبك او ينزل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك فرحمه ابنا ربيعة وقالا
لغلام لهما نصراني يقال له عداس خذ قطفا من العنب وضعه في هذا الطبق ثم ضعه بين يدي
هذا الرجل فلما وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله
ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلاد فقال النبي

ان ابوا له عليه الصلوة والسلام الايمان بعد مضي الوفد سنة ١٠ الا ان الكتاب على ما رواه ابن عبد البر في التمهيد ... المعتبرة فافهم

صلى الله عليه وسلم من اي البلاد انت يا عداس وما دينك قال انا نصراني من اهل نينوى فقال النبي
صلى الله عليه وسلم امن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال وما يدريك ما يونس بن متى قال
ذاك اخي كان نبيا وانا نبي فاكب عداس حتى قبل راس النبي صلى الله عليه وسلم ويديه ورجليه فقال
له ابنا ربيعة اما غلامك فقد افسده عليك فقال يا سيدي ما في الارض خير من هذا لقد اخبرني بامر لا يعلمه الا نبي ثم انصرف
النبي صلى الله عليه وسلم حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من الليل يصلي فمر به نفر من
اهل نصيبين وقال ابن عباس ان الجن كانوا يسترقون السمع فلما حرست السماء ورموا بالشهب قال
ابليس ان هذا الذي حدث في السماء لشيء حدث في الارض فبعث سراياه ليعرف الخبر اولهم ركب نصيبين
وهم اشراف الجن الى تهامة فلما بلغوا بطن نخلة سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الغداة ببطن نخلة
ويتلو القرآن فلما سمعوه قالوا انصتوا وقالت طائفة بل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن
ويدعوهم الى الله تعالى ويقرا عليهم القرآن فصرف الله عز وجل اليه نفرا من الجن من نينوى وجمعهم له فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اني اريد ان اقرا القرآن على الجن الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا ثم قال الثانية فاطرقوا ثم قال
الثالثة فاطرقوا فقال ابن مسعود انا يا رسول الله قال ابن مسعود ولم يحضر معه احد غيري فانطلقنا
حتى اذا كنا باعلى مكة دخل النبي صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا وامرني
ان اجلس فيه قال ولا تخرج منه حتى اعود اليك ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فجعلت ارى امثال
النسور تهوي وتمشي في رفرفها وسمعت لغطا وغمغمة حتى خفت على النبي صلى الله عليه وسلم وغشيته
اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى
فرغ النبي صلى الله عليه وسلم مع الفجر فقال انمت قلت لا والله ولقد هممت مرارا ان استغيث بالناس حتى
سمعتك تقرعهم بعصاك تقول اجلسوا فقال لو خرجت لم آمن عليك ان يتخطفك بعضهم ثم قال
هل رايت شيئا قلت نعم رايت رجالا سودا مستثفرين ثيابا بيضا قال اولئك جن نصيبين سالوني
المتاع والزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يا رسول الله يقذرها الناس علينا
فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروثة قال فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم قال انهم لا يجدون
عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم اكل فقلت يا رسول الله لقد

سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارأت في قتيل منهم فتحاكموا الى فقضيت بينهم بالحق
ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتاني فقال هل معك ماء فقلت يا رسول الله معي اداوة فيها شيء من نبيذ التمر
فصببت على يديه فتوضأ وقال تمرة طيبة وماء طهور روى معناه معمر عن قتادة وابو اسحاق السبيعي ايضا
عن ابن مسعود وليس فيه ذكر نبيذ التمر وروى عن ابي عثمان النهدي ان ابن مسعود ابصر
زطا فقال ما هؤلاء قالوا هؤلاء الزط قال ما رأيت شبههم الا الجن ليلة الجن وكانوا مستنفرين
يتبع بعضهم بعضا وذكر الدارقطني عن عبد الله بن لهيعة حدثني قيس بن الحجاج عن حنش عن ابن عباس
عن ابن مسعود انه وضأ النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن بنبيذ فتوضأ به وقال ماء وشراب طهور ابن
لهيعة لا يحتج به وبهذا السند عن ابن مسعود انه خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم امعك ماء يا ابن مسعود فقال معي نبيذ في اداوة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اصبب علي منه فتوضأ وقال هو شراب وطهور تفرد به ابن لهيعة وهو ضعيف الحديث
قال الدارقطني وقيل ان ابن مسعود لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن كذلك رواه
علقمة بن قيس وابو عبيدة بن عبد الله وغيرهما عنه انه قال ما شهدت ليلة الجن حدثنا ابو محمد
بن صاعد حدثنا ابو الاشعث حدثنا بشر بن المفضل حدثنا داود بن ابي هند عن عامر عن علقمة بن
قيس قال قلت لعبد الله بن مسعود اشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم احد منكم ليلة اتاه داعي
الجن قال لا قال الدارقطني هذا اسناد صحيح لا يختلف في عدالة رواته وعن عمرو بن مرة قال قلت
لابي عبيدة احضر عبد الله بن مسعود ليلة الجن فقال لا وقال ابن عباس كان الجن سبعة نفر من جن
نصيبين فجعلهم النبي صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وقال زر بن حبيش كانوا تسعة احدهم
زوبعة وقال قتادة انهم من اهل نينوى وقال مجاهد من اهل حران وقال عكرمة من جزيرة
الموصل وقيل انهم كانوا سبعة ثلاثة من اهل حران واربعة من اهل نصيبين وروى ابن ابي الد
ان النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ذكر نصيبين فقال رفعت الي حتى رأيتها فدعوت الله
ان يكثر مطرها وينضر شجرها وان يغزر نهرها وقال السهيلي ويقال كانوا سبعة وكانوا يهودا
فاسلموا ولذلك قالوا انزل من بعد موسى وقيل في اسمائهم شاصر وماصر ومنشي وماشي والاحقب

ذكر مولا الجهمه ابن زيد دفنهم عمرو بن جابر ذكر ابن سلام من طريق ابي اسحق السبيعي عن اشياخه عن ابن
مسعود انه كان في نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يمشون فرفع لهم اعصار ثم جاء اعصار اعظم منه فاذا
حية قتيل فعمد رجل منا الى رداء فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما جن الليل اذا امراتان
تسالان ايكم دفن عمرو بن جابر فقلنا لا ندري من عمرو بن جابر فقالتا ان كنتم ابتغيتم الاجر فقد وجدتموه
ان فسقة الجن اقتتلوا مع المومنين فقتل عمرو وهو الحية التي رايتم وهو من النفر الذين استمعوا القران
من محمد صلى الله عليه وسلم ثم ولوا الى قومهم منذرين وذكر ابن سلام في رواية اخرى ان الذي كفنه صفوان بن
المعطل قلت ـــــ وذكر هذا الخبر الثعلبي بنحوه فقال وقال ثابت بن قطبة جاء اناس الى
ابن مسعود فقالوا انا كنا في سفر فراينا حية متشحطة في دمائها واخذها رجل منا فواريناه
فاذا هم ناس فقالوا ايكم دفن عمرا فقالوا وما عمرو قالوا الحية التي دفنتم في مكان كذا اما انه كان
من النفر الذين سمعوا القران من النبي صلى الله عليه وسلم وكان بين حيين من الجن مسلم وكافر قتال فقتل
ففي هذا الخبر ان ابن مسعود لم يكن في سفر ولا حضر حضر الدفن والله اعلم وذكر ابن ابي الدنيا
عن رجل من التابعين ان حية دخلت عليه في خبائه تلهث عطشا فسقاها ثم انها ماتت
فدفنها فاتي من الليل وسلم وشكر واخبر ان تلك الحية كانت رجلا من جن نصيبين اسمه زوبعة
قال السهل وبلغني ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما حدثنا ابو بكر طاهر لله يسلي ان عمر بن
عبد العزيز كان يمشي بارض فلاة فاذا حية ميتة فكفنها بفضلة من ردائه ودفنها فاذا قائل يقول
يا سرق اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستموت بارض فلاة فيكفنك ويدفنك رجل
صالح فقال ومن انت يرحمك الله فقال رجل من الجن الذين استمعوا القران من رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يبق منهم الا انا وسرق وهذا سرق قد مات وقد قتلت عائشة رضي الله عنها حية راتها
في حجرها تسمع وعائشة تقرا القران فاتيت في المنام فقيل لها انك قتلت رجلا مومنا من الجن
الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لو كان مومنا ما دخل على حرم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقيل لها ما دخل عليك الا وانت متقنعة وما جاء الا ليسمع الذكر فاصبحت عائشة
فزعة واشترت رقابا فاعتقتهم ـــــ وقد ذكرنا اسماء هولاء الجن كما حضرنا

فان

فإن كانوا سبعة فالأحقاف بهم وصف لا اسم وليس باسم علم فإن الذي ذكرناه إنها
يمانية بالأحقاف والله أعلم قلت ـــــــــــ وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه هامة
بن الهيم بن لاقيس بن إبليس قيل إنه من مؤمني الجن وممن لقي النبي صلى الله عليه وسلم وعلمه سورا
إذا وقعت والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت والحمد والمعوذتين وذكر أنه حضر
قتل هابيل وشرك في دمه وهو غلام ابن أعوام وأنه لقي نوحا وتاب على يديه وهودا وصالحا
ويعقوب ويوسف وإلياس وموسى بن عمران وعيسى بن مريم عليهم السلام وقد ذكر الماوردي
أسماءهم عن مجاهد فقال حسى ومسى وشاصر وماصر والأرد وإنيان والأحقم
وذكر أبو عمرو عثمان بن أحمد المعروف بابن السماك قال حدثنا محمد بن البراء قال الزبير بن بكار
قال كان حمزة بن عتبة بن أبي لهب يسمي الجن الذين وفدوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيقول حسا وحسا وشاصر وناصر والأحقب ووردان وإنيان قوله
تعالى فلما حضروه أي حضروا النبي صلى الله عليه وسلم وهو من باب تلوين الخطاب
وقيل لما حضروا القرآن واستماعه قالوا أنصتوا أي قال بعضهم لبعض اسكتوا لاستماع القرآن
قال ابن مسعود هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه
قالوا أنصتوا قالوا صه وكانوا سبعة أحدهم زوبعة فأنزل الله تعالى وإذ صرفنا إليك
نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا
يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم
يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم إلى قوله أولئك في ضلال مبين
وقيل أنصتوا لسماع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى متقارب فلما قضي وقرأ
لاحق بن حميد وحبيب بن عبد الله بن الزبير فلما قضى بفتح القاف والضاد يعني النبي صلى
الله عليه وسلم قبل الصلاة وذلك أنهم خرجوا حين حرست السماء من استراق السمع ليستخبروا
ما أوجب ذلك فجاؤوا وادي نخلة والنبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الفجر وكانوا سبعة فسمعوه
وانصرفوا إلى قومهم منذرين ولم يعلم بهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل بل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان سيد الجن وبعوا عليهم القرآن وصرف لسا الغيبة بقول الجن يستمعون منه وسكتوا

قومهم فلما تلا عليهم القرآن وفرغ انصرفوا الى قومهم داعين من وراءهم قومهم من الجن منذرين لهم

مخالفة القرآن ومحذرين اياهم باس الله ان لم يومنوا وهذا يدل على انهم امنوا بالنبي صلى الله

عليه وسلم وانه ارسلهم ويدل على هذا قوله يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به ولولا ذلك

لما انذروا قومهم وقد نقل عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم جعلهم رسلا الى قومهم فجعل هذا

لبيان الحق للسامعين وقد علم هذا المعنى مستوفا في صحيح مسلم ما يدل على ان الجن على ما بيناه وقد

اوحى في صحيح مسلم عن معن قال سالت مسروقا من اذن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة

استمعوا الجن القرآن فقال حدثني ابوك يعني ابن مسعود انه اذنته بهم شجرة قوله

تعالى يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى اي القرآن وقالوا من بعد موسى قال عطا

كانوا يهودا فاسلموا ولذلك قالوا انزل من بعد موسى وعن ابن عباس ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى

فلذلك قالوا من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يعني ما قبله من التوراة يهدي الى الحق والى طريق مستقيم

دين الله القويم يا قومنا اجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على انه كان

مبعوثا الى الجن والانس قال مقاتل ولم يبعث الله نبيا الى الجن والانس قبل محمد صلى الله عليه وسلم

قلت ويدل عليه ما في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله الانصاري قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل

احمر واسود واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة طهورا ومسجدا فايما رجل

ادركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة قال مجاهد الاحمر

والاسود الجن والانس وفي رواية من حديث ابي هريرة وبعثت الى الخلق كافة وختم بي النبيون وامنوا

به اي بالداعي وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل به اي بالله لقوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم قال

ابن عباس فاستجاب لهم من قومهم سبعون رجلا فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فوافقوه في

البطحاء فقرا عليهم القرآن وامرهم ونهاهم مسئله هذه الآية تدل على ان الجن كالانس

في

في الامر والنهي والثواب والعقاب وقال الحسن ليس لمؤمني الجن ثواب غير نجاتهم من النار يدل
على قوله عز وجل يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم وبه قال ابو حنيفة قال ليس ثواب الجن
الا ان يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم وقال آخرون انهم كما يعاقبون
في الاساءة يجازون في الاحسان مثل الانس واليه ذهب مالك والشافعي وابن ابي ليلى رضي
الله عنهم كلهم وقد قال الضحاك الجن يدخلون الجنة وياكلون ويشربون قال القشيري
والصحيح ان هذا امر لم يقطع فيه بشيء والعلم عند الله قلت قوله تعالى ولكل درجات
مما عملوا يدل على انهم يثابون ويدخلون الجنة لانه قال في اول الاية يا معشر الجن والانس
الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي الى ان قال ولكل درجات مما عملوا والله اعلم وسياتي لهذا في
سورة الرحمن مزيد بيان ان شاء الله تعالى قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله
فليس بمعجز في الارض اي لا يفوت الله ولا يسبقه وليس له من دونه اولياء اي انصار يمنعونه من عذاب
اولئك في ضلال مبين قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض الرؤية
هنا بمعنى العلم وان واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي الرؤية ولم يعي بخلقهن بقادر على
ان يحيي الموتى احتجاج على منكري البعث ومعنى لم يعي لم يعجز ويضعف عن ابداعهن
يقال عيي بامره اي عجز اداء لم يهتد لوجهه والادغام اكثر وتقول في الجمع عيوا مخففا
وعيوا ايضا بالتشديد قال عيوا بامرهم كما عيت ببيضتها الحمامة
وعييت بامري اذا لم تهتد لوجهه واعياني هو وقرا الحسن ولم يعي بكسر العين واسكان
الياء وهو شاذ فلم ياتي اعلال العين وتصحيح اللام الا في اسماء قليلة نحو غاية وآية
ولم ياتي في الفعل سوى بيت انشده الفراء وهو قول الشاعر وكانها بين النساء سبيكة
تمشي بسدة بيتها فتعيي بقادر قال ابو عبيدة والاخفش الباء زائدة للتوكيد كالباء
في قوله وكفى بالله شهيدا وقوله تعالى تنبت بالدهن وقال الكسائي والفراء والزجاج
الباء فيه خلف الاستفهام والجحد في اول الكلام قال الزجاج والعرب تدخلها مع الجحد تقول
ما ظننت ان زيدا بقائم ولا تقول ظننت ان زيدا بقائم وهو لدخول ما ودخول ان للتوكيد

والمعنى أليس الله بقادر لقوله أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر وقرأ ابن مسعود
والأعرج والجحدري وابن أبي إسحاق ويعقوب يقدر واختاره أبو حاتم لأن دخول الباء في خبر
أن قبيح واختار أبو عبيد قراءة العامة لأنها في قراءة عبد الله خالق السموات والأرض
قادر بغير باء قوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار أي ذكرهم
يوم يعرضون فيقال لهم أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا فيقول لهم المقرر فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون أي بكفركم قوله تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل قال ابن
عباس ذوو الحزم والصبر وقال مجاهد هم خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه
وسلم وهم أصحاب الشرائع وقال أبو العالية أولو العزم نوح وهود وإبراهيم فأمر الله
نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكون رابعهم وقال السدي هم ستة إبراهيم وموسى وداود
وسليمان وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى وهم
المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء وقال نوح صبر على أذى قومه مدة وإبراهيم
صبر على النار وإسحاق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر ويوسف صبر على
البئر والسجن وأيوب صبر على الضر وقال ابن جريج إن منهم إسماعيل ويعقوب وأيوب وليس منهم
يونس ولا سليمان ولا آدم وقال الشعبي والكلبي ومجاهد أيضا الذين أمروا بالقتال
فأظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة وقيل هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام وهم
ثمانية عشر إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون
وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا واختاره الحسين بن الفضل
لقوله في عقبه أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال ابن عباس كل الرسل كانوا
أولي العزم واختاره علي بن مهدي الطبري قال وإنما دخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقول
اشتريت أردية من البز وأكسية من الخز أي اصبر كما صبر الرسل وقيل كل الأنبياء أولو العزم

بن نوح ص

الا يونس من اجل الاترى ان النبي صلى الله عليه وسلم نهي ان يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت منه حين ولى مغاضبا
لقومه فابتلاه الله بثلاث سلط عليه العمالقة حتى اغاروا على اهله وماله وسلط الذئب على ولده
فاكله وسلط عليه الحوت فابتلعه قال ابو القاسم الحكيم وقال بعض العلماء اولو العزم
اثنا عشر نبيا ارسلوا الى بني اسرائيل بالشام فعصوهم فاوحى الله الى الانبياء اني مرسل
عذابي على عصاة بني اسرائيل فشق ذلك على المرسلين فاوحى الله اليهم اختاروا لانفسكم
ان شئتم انزلت بكم العذاب وانجيت بني اسرائيل وان شئتم انجيتكم وانزلت ببني اسرائيل العذاب
فتشاوروا بينهم فاجتمع رأيهم على ان ينزل بهم العذاب وينجي الله بني اسرائيل فانجى الله بني اسرائيل
وانزل باولئك العذاب وذلك انه سلط عليهم ملوك الارض فمنهم من نشر بالمناشير ومنهم
من سلخ جلدة راسه ووجهه ومنهم من صلب على الخشب ومنهم من حرق بالنار والله اعلم وقال
الحسن اولو العزم اربعة ابراهيم وموسى وداود وعيسى فاما ابراهيم فقيل له اسلم قال
اسلمت لرب العالمين ثم ابتلي في ماله وولده ووطنه ونفسه فوجد صادقا وافيا في جميع
ما ابتلي به واما موسى فعزمه حين قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين
واما داود فاخطأ خطيئة فنبه عليها فاقام يبكي اربعين سنة حتى نبتت من دموعه شجرة فقعد
تحت ظلها واما عيسى فعزمه انه لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبرة فاعبروها
ولا تعمروها فكان الله تعالى يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم اصبر اي كن صادقا
فيما ابتليت به مثل صدق ابراهيم واثقا بنصرة مولاك مثل ثقة موسى مهتما بما سلف من هفواتك
مثل اهتمام داود زاهدا في الدنيا مثل زهد عيسى قيل هي منسوخة باية السيف وقيل
محكمة والاظهر انها منسوخة لان السورة مكية وذكر مقاتل ان هذه الاية نزلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم احد فامره الله تعالى ان يصبر على ما اصابه كما صبر اولو العزم من الرسل
تسهيلا عليه وتثبيتا له والله اعلم قوله تعالى

ولا تستعجل لهم قال مقاتل بالدعاء عليهم وقيل في احلال العذاب بهم فان العذاب نازل بهم
يوم القيمة ومفعول لكم تستعجل محذوف وهو العذاب كأنهم يوم يرون ما يوعدون
قال يحيى من العذاب الفاسق الآخرة لم يلبثوا في الدنيا حين جاءهم العذاب وهو معنى
قول يحيى وقال الفاسق في قبورهم حتى بعثوا الا ساعة من نهار يعني حين يوم
القيمة وقيل انساهم هول ما عاينوا من العذاب طول لبثهم في الدنيا قال بلاغ اي
هذا القرآن بلاغ قاله الحسن فبلاغ رفع على اضمار مبتدا دليله قوله تعالى هذا بلاغ
للناس ولينذروا به وقوله ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين والبلاغ بمعنى التبليغ وقيل
اي ان ذلك اللبث بلاغ قاله ابن عيسى فيوقف على هذا على بلاغ وعلى نهار وذكر ابو حاتم
ان بعضهم وقف على ولا تستعجل ثم لهم على معنى لهم بلاغ قال ابن الانباري وهذا خطا
لانك قد فصلت البلاغ من اللام وهي رافعة له لانها ليس منها ويجوز في العربية بلاغا
وبلاغ النصب على معنى الا ساعة بلاغا على المصدر او على النعت للساعة والخفض على معنى
من نهار بلاغ وبالنصب قرأ عيسى بن عمر والحسن وروي عن بعض القراء بلغ على الامر فعلى هذه
القراءة يكون الوقف على من نهار ثم يبتدئ بلغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون عن امر الله
قاله ابن عباس رضي الله عنه وقرأ ابن محيصن فهل يهلك الا القوم على اسناد الفعل الى القوم
وقال ابن عباس اذا عسر على المرأة ولدها تكتب هاتين الآيتين والكلمتين في صحيفة ثم تغسل وتسقى
منها وهي بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله العظيم الحليم الكريم سبحان الله
رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها
كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون
صدق الله العظيم وعن قتادة لا يهلك الله الا هالكا مشركا وقيل هذه اقوى آية في الرجاء

تمت.

سورة القتال وهي سورة محمد
سيدنا صلى الله عليه وسلم مدنية في قول ابن عباس ذكره
النحاس وقال الماوردي في قول الجميع إلا ابن عباس وقتادة فإنهما قالا إلا
آية منها نزلت عليه بعد حجة الوداع حين خرج من مكة وجعل ينظر إلى البيت
وهو يبكي حزنا عليه فنزل عليه وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك وقال
الثعلبي إنها مكية وحكاه ابن هبة الله عن الضحاك وسعيد بن جبير وهي تسع وثلاثون آية
وقيل ثمان بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم قال
ابن عباس ومجاهد هم أهل مكة كفروا بتوحيد الله وصدوا أنفسهم والمؤمنين
عن دين الله وهو الإسلام بنهيهم عن الدخول فيه قاله السدي وقال الضحاك
عن سبيل الله عن بيت الله بمنع قاصديه ومعنى أضل أعمالهم أبطل
كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم
قاله وقيل أبطل ما عملوا في كفرهم بما كانوا يسمونه
مكارم من صلة الأرحام وفك الأسارى وقرى الأضياف
وحفظ الجوار وقال ابن عباس نزلت في المطعمين ببدر
وهم اثنا عشر رجلا أبو جهل الحارث بن هشام وعتبة
وشيبة ابنا ربيعة وأبي وأمية ابنا خلف ومنبه ونبيه
ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم
بن حزام والحارث بن عامر بن نوفل قوله تعالى

والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد قال
ابن عباس ومجاهد هم الانصار وقال مقاتل انما نزلت خاصة في
ناس من قريش وقيل هما عامتان فمن كفر واس ومعنى اضل اعمالهم
ابطلها وقيل اضلهم عن الهدى بما صدهم عنه والذين امنوا وعملوا
الصالحات قال ابن عباس الانصار يعني المواساة في مساكنهم
واموالهم وقال ابن عباس يعني النجم وقال العموم فالصالحات الاعمال التي
يرضى الله تعالى وامنوا بما نزل على محمد لم يحالف في شيء قال سفين الثوري
وقيل صدقوا محمدا فيما جاء وهو الحق من ربهم يريد ان ايمانهم هو الحق من ربهم وقيل اي
القران هو الحق من ربهم نسخ به ما قبله كفر عنهم سيئاتهم اي ما مضى من سيئاتهم وقيل الايمان
واصلح بالهم اي شانهم عن مجاهد وغيره وقال قتادة حالهم وقال ابن عباس امورهم
الثلاثة متقاربة وهي تاول على اصلاح ما تعلق بدنياهم وحكى النقاش ان المعنى اصلح
نياتهم ومنه قول الشاعر فان تقبلي بالود اقبل بمثله وان تدبري اذهب الى حال باليا
وهو على هذا التاويل محمول على صلاح دينهم والبال كالمصدر ولا يعرف منه فعل ولا تجمعه العرب
الا في ضرورة الشعر فيقولون فيه بالات المبرد وقد يكون البال في موضع القلب يقال ما يخطر فلان على
البال والبال الحال يقال ما بالك وقولهم ليس هذا من بالي اي مما ابالية والبال
الحوت العظيم من حيتان البحر وليس بعربي والبالة وعاء الطيب فارسي معرب واصله
بالفارسية بيله قال ابو ذويب كان عليها بالة لطمية لها من خلال الدايتين اريج
قوله تعالى ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان
الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم ذلك في موضع رفع

اد

ذكرهما
اي الامر ذلك او ذلك الاضلال والهدى المتقدم
شبيه هذا فالكافر اتبع الباطل والمومن اتبع الحق والباطل
الشرك والحق التوحيد والايمان كذلك يضرب الله للناس
امثالهم اي كهذا البيان الذي بين بين الله للناس امر
الحساب كفر السيات والضمير في امثالهم يرجع الى الذين
كفروا والذين امنوا قوله تعالى فاذا لقيتم الذين
كفروا فضرب الرقاب لما ميز بين الفريقين امر
بجهاد الكفار قال ابن عباس الكفار المشركون عبدة الاوثان
وقيل كل من خالف دين الاسلام من مشرك او كتابي اذا لم
يكن صاحب عهد ولا ذمة ذكره الماوردي واختاره
ابن العربي وقال وهو الصحيح لعموم الايه فيه فضرب
الرقاب مصدر قال الزجاج اي فاضربوا الرقاب ضربا
وخص الرقاب بالذكر لان القتل اكثر ما يكون بها وقيل
نصب على الاغرا قال ابو عبيده هو كقولك يا نفس
صبرا وقيل التقدير اقصدوا اضرب الرقاب وقال
فضرب الرقاب ولم يقل فاقتلوهم لان في العبارة بضرب
الرقاب من الغلظه والشده ما ليس في لفظ القتل لما
فيه من تصوير القتل باشنع صوره وهو حز العنق
واطارة العضو الذي هو راس البدن وعلوه واوجه

اعضا آية الثانية قوله تعالى حتى اذا اثخنتموهم اى
اكثرتم القتل وقد مضى في الانفال عند قوله تعالى
حتى يثخن في الارض فشدوا الوثاق اي اذا اسرتموهم
والوثاق اسم من الايثاق وقد يكون مصدرا يقال اوثقته
ايثاقا ووثاقا واما الوثاق بالكسر فهو اسم الشي الذي
يوثق به كالرباط قاله القشيري وقال الجوهري واوثقه
في الوثاق اي شده وقال تعالى فشدوا الوثاق والوثاق
بكسر الواو لغة فيه وانما امر بشد الوثاق لئلا يفلتوا
فاما منا عليهم بالاطلاق من غير فدية واما فدا ولم
يذكر القتل هاهنا اكتفا بما تقدم من القتل في صدر
الكلام ومنا وفداء نصب باضمار فعل وقرى فدى
بالقصر مع فتح الفا اي فاما ان تمنوا عليهم منا واما
ان تفادوهم فداء روى عن بعضهم انه قال كنت واقفا
على راس الحجاج حين اتي بالاسرى من اصحاب عبد الرحمن
بن الاشعث وهم اربعة الاف وثماني مائة فقتل منهم
نحو من ثلاثة الاف حتى قدم اليه رجل من كندة فقال
يا حجاج لاجزاك الله عن السنة والكرم خيرا قال
ولم ذلك قال لان الله تعالى قال يا ايها الذين امنوا اذا
لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم

فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فدا في حق الذين
كفروا فوالله ما مننت ولا فديت وقد قال شاعركم
فيما وصف به قومه من مكارم الاخلاق ولا نقتل
الاسارى ولكن نفكهم اذا اثقل الاعناق حمل المغارم
فقال الحجاج اف لهذه الجيف اما كان فيهم من يحسن
مثل هذا الكلام خلوا سبيل من بقي فخلى يومئذ عن
بقية الاسرى وهم زهاء الفين بقول ذلك الرجل
الثالثه واختلف العلماء في تاويل هذه الاية على
خمسة اقوال الاول انها مفتوحه وهي في اهل الاوثان
لا يجوز ان يفادوا ولا يمن عليهم والناسخ لها عندهم
قوله فاقتلوا المشركين كافة الاية قاله قتاده والضحاك
والسدي وابن جريج والعوفي عن ابن عباس وقاله كثير
من الكوفيين وقال عبد الكريم الجوزي كتب الى ابي بكر
في اسير اسر فذكروا انهم التمسوه بفدا كذا وكذا
فقال اقتلوه لقتل رجل من المشركين احب الي من كذا وكذا
الثاني انها في الكفار جميعا وهي منسوخة على قول جماعة
من العلماء واهل النظر منهم قتادة ومجاهد قالوا اذا اسر
المشرك لم يجز ان يمن عليه ولا ان يفادي به فيرد الى

المشركين ولا يجوز ان يفادى عندهم الا بالمراة لانها لا
تقتل والناسخ لها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
اذا كانت براءة اخر ما نزلت بالتوقيف فوجب ان
يقتل كل مشرك الا من قامت الدلالة على تركه من النسا
والصبيان ومن تؤخذ منه الجزية وهو المشهور من مذهب
ابي حنيفة ان يعودوا حربا للمسلمين ذكره عبد الرزاق
اخبرنا معمر عن قتادة فاما منا بعد واما فداء قال نسخها
فشرد بهم من خلفهم وقال مجاهد نسخها فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وهو قول الحكم الثالث انها ناسخة
قاله الضحاك وغيره روى الثوري عن جويبر عن الضحاك
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم قال نسخها فاما منا
بعد واما فداء قال ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء فاما
منا بعد واما فداء فلا يقتل المشرك ولكن يمن عليه ويفادى
كما قال الله جل وعز قال اشعث كان الحسن يكره ان تقتل
الاسير ويتلو فاما منا بعد واما فداء وقال الحسن ايضا
في الاية تقديم وتاخير فكانه قال فضرب الرقاب
حتى تضع الحرب اوزارها ثم قال حتى اذا اثخنتموهم
فشدوا الوثاق وزعم انه ليس للامام اذا حصل الاسير

بيديه

في يديه ان يقتله لكنه بالخيار في ثلثة منازل اما
ان يمن او يفادي او يسترق الرابع قول سعيد بن
جبير لا يكون فدا ولا اسر الا بعد الاثخان والقتل بالسيف
لقوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض
فاذا اسر بعد ذلك فللامام ان يحكم بما راه من قتل او غيره
الخامس ان الاية محكمة والامام مخير في كل حال رواه
علي بن ابي طلحة عن ابن عباس وقاله كثير من العلما منهم
ابن عمر والحسن وعطا وهو مذهب مالك والشافعي
والثوري والاوزاعي وابي عبيد وغيرهم وهو الاختيار
لان النبي صلى الله عليه وسلم والخلفا الراشدين فعلوا
كل ذلك قتل النبي صلى الله عليه وسلم عقبة بن ابي معيط
والنضر بن الحارث يوم بدر صبرا وفادى سائر اسارى
بدر ومن على ثمامة بن اثال الحنفي وهو اسير في يده
واخذ من سلمة بن الاكوع جارية ففدى بها اناسا من
المسلمين وهبط عليه السلام قوم من اهل مكة فاخذهم
النبي صلى الله عليه وسلم ومن عليهم وقد من على سبي هوازن
وهذا كله ثابت في الصحيح وقد مضى جميعه في الانفال
وغيرها قال النحاس وهذا على ان الايتين محكمتان معمول
بهما وهو قول حسن لان النسخ انما يكون لشي قاطع فاذا

امكن الحمل بالاثنين فلا معنى للقول بالنسخ اذا كان يجوز
ان يقع التعبد اذا لقينا الذين كفروا فقتلناهم فاذا كان
الاسر جاز القتل والاسترقاق والمفاداة والمن على ما فيه
الصلاح للمسلمين وهذا القول يروى عن اهل المدينة
والشافعي وابي عبيد وحكاه الطحاوي مذهبا عن ابي
حنيفة والمشهور عنه ما قدمناه وبالله عز وجل
التوفيق **الرابعة** قوله تعالى حتى تضع الحرب اوزارها
قال مجاهد وابن جبير هو خروج عيسى عليه السلام وعن مجاهد
ايضا ان المعنى حتى لا يكون دين الا دين الاسلام فيسلم كل
يهودي ونصراني وصاحب ملة وتامن الشاة من الذيب
ونحوه عن الحسن والكلبي والفرا والكسائي قال الكسائي
حتى يسلم الخلق وقال الفرا حتى يومنوا ويذهب الكفر
وقال الكلبي حتى يظهر الاسلام على الدين كله وقال الحسن
حتى لا يعبدوا الا الله وقيل معنى الاوزار السلاح فالمعنى
شدوا الوثاق حتى تامنوا وتضعوا السلاح وقيل
معناه حتى تضع الحرب اي الاعدا المحاربين اوزارهم
وهو سلاحهم بالهزيمة او الموادعة ويقال للكراع
اوزار قال الاعشى واعددت للحرب اوزارها رماحا
طوالا وخيلا ذكورا ۞ ومن نسج داود يحدى بها على

اثر

اثر الحي عيرا فعيرا . وقيل حتي تضع الحرب اوزارها
اي اثقالها والوزر الثقل ومنه وزير الملك لانه يتحمل
عنه الاثقال واثقالها السلاح لثقل حملها قال ابن العربي
قال الحسن وعطا في الاية تقديم وتاخير المعني فضرب
الرقاب حتي تضع الحرب اوزارها فاذا اثخنتموهم
فشدوا الوثاق وليس للامام ان يقتل الاسير وقد
روي عن الحجاج انه دفع اسيرا الي عبد الله بن عمر
ليقتله فابي وقال ليس بهذا امرنا الله وقرا حتي اذا اثخنتموهم
فشدوا الوثاق قلنا ذلك قاله رسول الله صلي الله عليه
وسلم وفعله وليس في الزنا حكم الجلد وبين النبي صلي الله
عليه وسلم حكم الرجم ولعل ابن عمر كره ذلك من يد الحجاج فاعتذر
بما قال وربك اعلم قوله تعالي ذلك ولو يشا الله لانتصر
منهم ذلك في موضع رفع علي ما تقدم اي الامر ذلك الذي
ذكرت وبينت وقيل هو منصوب علي معني افعلوا
ذلك ويجوز ان يكون مبتدا المعني ذلك حكم الكفار وهي
كلمة يستعملها الفصيح عند الخروج من كلام الي كلام
وهو كما قال هذا وان للطاغين لشر ماب اي هذا حق وانا
اعرفكم ان للظالمين كذا ومعني لانتصر منهم اي اهلكهم
بغير قتال وقال ابن عباس لاهلكهم بجند من الملايكة

فعل ابن عمر منع الفدا [illegible] الله [illegible] الحكم
بين الله [illegible]

ولكن ليبلو بعضكم ببعض اي امركم بالحرب ليبلو ويختبر
بعضكم ببعض فنعلم المجاهدين والصابرين كما في السورة
نفسها والذين قتلوا في سبيل الله يريد قتلى احد من
المومنين فلن يضل اعمالهم قراة العامة قاتلوا وهو
اختيار ابي عبيد وقرا ابو عمرو وحفص قتلوا بضم القاف
وكسر التاء وكذلك قرا الحسن الا انه شدد التاء على التكثير
وقرا الجحدري وعيسى بن عمر وابو حيوة قتلوا بفتح
القاف والتاء من غير الف يعني الذين قتلوا المشركين
قال قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت يوم احد ورسول
الله صلى الله عليه وسلم في الشعب وقد فشت فيهم الجراحات
والقتل وقد نادى المشركون اعل هبل ونادى المسلمون
الله اعلى واجل فقال المشركون يوم بيوم بدر والحرب
سجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا لا سوا قتلانا
احيا عند ربهم يرزقون وقتلاكم في النار يعذبون
فقال المشركون ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال المسلمون
الله مولانا ولا مولى لكم وقد تقدم ذكر ذلك في ال عمران
قوله تعالى سيهديهم قال القشيري قراة ابي عمرو
قتلوا بعيدة لقوله تعالى سيهديهم ويصلح بالهم والمقتول
لا يوصف بهذا قال غيره يكون المعنى سيهديهم الى الجنة

او

اعلى هبل

او سيهدي من بقي منهم اي يحقق لهم الهداية وقال
ابن زياد يهديهم الى محاجة منكر ونكير في القبر قال
ابو المعالي وقد ترد الهداية والمراد بها ارشاد المومنين
الى مسالك الجنان والطرق المفضية اليها من ذلك قوله
تعالى في صفة المجاهدين فلن يضل اعمالهم سيهديهم
ومنه قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم معناه
فاسلكوا بهم اليها **قوله تعالى** ويدخلهم الجنة
عرفها لهم اي اذا دخلوها يقال لهم تفرقوا الى منازلكم
فهم اعرف بمنازلهم من اهل الجمعة اذا انصرفوا الى منازلهم
قال معناه مجاهد واكثر المفسرين وفي البخاري ما يدل
على صحة هذا القول عن ابي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المومنون من النار
فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار حتى اذا هذبوا
ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد
بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة بمنزله كان في
الدنيا وقيل عرفها لهم اي بينها لهم حتى عرفوها من
غير استدلال قال الحسن وصف الله تعالى لهم الجنة
في الدنيا فلما دخلوها عرفوها بصفتها وقيل فيه حذف
اي عرف طرقها ومساكنها وبيوتها لهم فحذف المضاف

وقيل هذا التعريف بدليل وهو الملك الموكل بعمل العبد يمشي بين يديه ويتبعه العبد حتى ياتي العبد منزله ويعرفه الملك جميع ما جعل له في الجنة وحديث ابي سعيد الخدري يرده وقال ابن عباس عرفها لهم اي طيبها لهم بانواع الملاذ ماخوذ من العرف وهو الرائحة الطيبة وطعام معرف اي مطيب تقول العرب عرفت القدر اذا طيبتها بالملح والابزار وقال الشاعر يخاطب رجلا وعدحه عرفت كاتب عرفته اللطايم :. يقول كما عرف الاتب وهو البقير والبقير والبقيرة والاتب وهو قميص لا كمي له تلبسه النسا وقيل هو من وضع الطعام بعضه على بعض من كثرته يقال حرير معرف اي بعضه على بعض وهو من العرف المتتابع كعرف الفرس وقيل عرفها لهم اي وفقهم للطاعة حتى استوجبوا الجنة وقيل عرفي اهل السما انها لهم اظهارا للكرامتهم فيها وقيل للمطيعين انها لهم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا دين الله ينصركم على الكفار نظيره ولينصرن الله من ينصره وقد تقدم وقال قطرب ان تنصروا نبي الله ينصركم الله والمعنى واحد ويثبت اقدامكم اي عند القتال وقيل على الاسلام :

وقيل

وقيل على الصراط وقيل المراد تثبيت الاقدام عبارة
عن النصر والمعونة في موطن الحرب وقد مضى في
الانفال هذا المعنى وقال هناك اذ يوحي ربك الى الملائكة
اني معكم فثبتوا الذين امنوا فاثبت هناك واسقطه
ونفاها هنا لقوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت ثم
نفاه بقوله عز وجل هو الذي خلقكم ثم يميتكم الذي
خلق الموت والحياة ومثله كثير فلا فاعل الا الله وحده
قوله تعالى والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتدا
والنصب بما يفسره فتعسا لهم كانه قال اتعس الذين
كفروا وتعسا لهم نصب على المصدر بسبيل الدعا
قاله الفرا مثل سقيا له ورعيا وهو نقيض لعا له قال
الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا. وفيه
عشرة اقوال **الاول** بعدا لهم قاله ابن عباس وابن
جريج الثاني حزنا لهم قاله السدي الثالث شقا لهم
قاله ابن زيد الرابع شتما لهم من الله الخامس هلاكا لهم
قاله ثعلب السادس خيبة لهم قاله الضحاك وابن زياد
السابع قبحا لهم حكاه النقاش الثامن رغما لهم قاله الضحاك
ايضا التاسع شرا لهم قاله ثعلب ايضا العاشر شقوة
لهم قاله ابو العالية وقيل ان التعس الانحطاط والعثار

قال ابن السكيت التعس ان يخر على وجهه والنكس ان
يخر على راسه قال والتعس ايضا الهلاك قال الجوهري
واصله الكب وهو ضد الانتعاش وقد تعس بفتح
العين يتعس تعسا واتعسه الله قال مجمع بن هلال
تقول وقد افردتها من خليلها تعست كما اتعستني يا مجمع
يقال تعسا لفلان اي الزمه الله هلاكا قال القشيري
وجوز قوم تعِس بكسر العين قلت ومنه حديث ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد
الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة ان اعطي رضي
وان لم يعط لم يرض خرجه البخاري في بعض طرق هذا
الحديث تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش خرجه
ابن ماجه قوله تعالى واضل اعمالهم اي ابطلها
لانها كانت في طاعة الشيطان ودخلت الفا في قوله
فتعسا لاجل الابهام الذي في الذين وجا واضل اعمالهم
على الخبر حملا على لفظ الذي لانه خبر في اللفظ فدخول
الفا حملا على المعنى واضل حملا على اللفظ قوله تعالى
ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله اي ذلك الاضلال والاتعاس
لانهم كرهوا ما انزل الله من الكتب والشرايع فاحبط
اعمالهم اي ما لهم من صور الخيرات كعمارة المسجد وقري
الضيف

الا من
الضيف واصناف القرب ولا يقبل الله العمل
موٴمن وقيل احبط اعمالهم اي عبادة الصنم قوله تعالى
افلم يسيروا في الارض بين احوال الموٴمن والكافر تنبيها
على وجوب الايمان ثم وصل هذا بالنظر اي الم يسير
هوٴلاء في ارض عادٍ وثمود وقوم لوطٍ وغيرهم ليعتبروا
بهم فينظروا بقلوبهم كيف كان آخر امر الكافرين قبلهم
دمّر الله عليهم اي اهلكهم واستأصلهم يقال دمّره تدميرا
ودمّر عليه بمعنى ثم تواعد مشركي مكّة فقال وللكافرين
امثالها اي امثال هذه الفعلة يعني التدمير وقال الزجاج
والطبري انها تعود على العاقبة اي وللكافرين من قريش
امثال عاقبة تكذيب الامم السالفة ان لم يوٴمنوا قوله
تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى
لهم اي وليهم وناصرهم وفي حرف ابن مسعود ذلك بان
الله ولي الذين امنوا فالمولى الناصر هاهنا قاله ابن عباس
وغيره قال فعدت كل الفرجين تحسب انه مولى
المخافة خلفها وامامها قتاده نزلت يوم احد والنبي
صلى الله عليه وسلم في الشعب اذ صاح المشركون يوم
بيوم لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
قولوا الله مولانا ولا مولى لكم وقد تقدم وان الكافرين لا

مولى لهم اي لا ينصرهم احد من الله قوله تعالى
ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار تقدم في غير موضع والذين كفروا
يتمتعون في الدنيا كانهم انعام ليس لهم همة الا بطونهم
وفروجهم ساهون عما في غدهم وقيل المومن في
الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع والنار
مثوى لهم اي مقام ومنزل قوله تعالى وكاين
من قرية تقدم الكلام في كاين في ال عمران فهي هنا
بمعنى كم اي وكم من قرية وانشد الاخفش قول لبيد
وكاين راينا من ملوك وسوقة ومفتاح قيد للاسير
المكبل فيكون معناه وكم من اهل قرية هي اشد قوة
من قريتك التي اخرجتك اي اخرجك اهلها فلا ناصر لهم
قال قتادة وابن عباس لما خرج النبي صلى الله عليه
وسلم من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال اللهم
انت احب البلاد الى الله وانت احب البلاد الي
ولولا المشركون اهلك اخرجوني لما خرجت منك فنزلت
ذكره الثعلبي قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون
لما قال جل وعز ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار وصف تلك الجنات اي

صفة

صفة الجنة المعدة للمتقين وقد مضى الكلام في هذا
في الرعد وقال علي بن ابي طالب مثال الجنة التي وعد
المتقون فيها انهار من ماء غير آسن اي غير متغير
الرائحة والآسن من الماء مثل الآجن وقد اسن الماء
يأسن ويأسن اسونا اذا تغيرت ريحه وكذا اجن
الماء يأجن ويأجن اجنا واجونا ويقال بالكسر فيهما
اسن واجن يأسن ويأجن اسنا واجنا قاله اليزيدي
واسن الرجل ايضا يأسن بالكسر لا غير اذا دخل في
البير فاصابته ريح منتنة من ريح البير او غير ذلك
فغشي عليه او دار راسه قال زهير

قد اترك القرن مصفرا انامله يميد في الرمح ميد المائح الاسن

ويروى الوسن وتاسن الماء تغير ابو زيد تاسن
علي تاسنا اعتل وابطا ابو عمرو تاسن الرجل اباه
اخذ اخلاقه وقال اللحياني اذا نزع اليه في الشبه وقراه
العامه اسن بالمد وقرا ابن كثير وحميد اسن بالقصر
وهما لغتان مثل حاذر وحذر وقال الاخفش اسن
للحال واسن مثل فاعل يراد به الاستقبال وانهار من
لبن لم يتغير طعمه اي لم يحمض بطول المقام يتغير
البان الدنيا الى الحموضة وانهار من خمر لذة للشاربين

اي لم تدنسها الارجل ولم ترنقها الايدي لخمر الدنيا
فهي لذيذة الطعم طيبة الشرب لا يتكرهها الشاربون
يقال شراب لذ ولذيذ بمعنى واستلذه عده لذيذا
وانهار من عسل مصفى العسل ما يسيل من لعاب النحل
مصفى اي من الشمع والقذى خلقه الله كذلك لم يطبخ
على نار ولا دنسه النحل وفي الترمذي عن حكيم بن
معاوية عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر
ثم تنشق الانهار بعد قال حديث حسن صحيح
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات
كل من انهار الجنة وقال كعب نهر دجلة نهر ماء
الجنة ونهر الفرات نهر لبنها ونهر مصر نهر خمرها
ونهر سيحان نهر عسلها وهذه الانهار الاربعة
تخرج من نهر الكوثر والعسل يذكر ويؤنث وقال
ابن عباس من عسل مصفى اي لم يخرج من بطون النحل
ولهم فيها من كل الثمرات من زيادة للتاكيد ومغفرة
من ربهم اي لذنوبهم كمن هو خالد في النار قال
الفراء المعنى افمن يخلد في هذا النعيم كمن يخلد في النار

وقال الزجاج

مطلب انهار الجنة

وقال الزجاج اي افمن كان على بينة من ربه واعطي هذه
الاشيا كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار فقوله
كمن بدل من قوله افمن زين له سوء عمله وقال ابن كيسان
مثل هذه الجنة التي فيها الثمار والانهار كمثل النار التي
فيها الحميم والزقوم ومثل اهل الجنة في النعيم المقيم
كمثل اهل النار في العذاب المقيم وسقوا ماء حميما اي
حارا شديد الغليان اذا دنا منهم شوي وجوههم
ووقعت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع امعاهم
واخرجها من دبورهم والامعا جمع معي والتثنية
معيان وهو جميع ما في البطن من الحوايا فقوله تعالى
ومنهم من يستمع اليك اي من هولاء الذين يتمتعون
وياكلون كما تاكل الانعام وزين لهم سوء عملهم قوم
يستمع اليك وهم المنافقون عبد الله بن ابي بن سلول
ورفاعة بن التابوت وزيد بن الصليت والحارث بن
عمرو ومالك بن دخشم كانوا يحضرون الخطبة يوم
الجمعة فاذا سمعوا ذكر المنافقين فيها اعرضوا عنه
فاذا خرجوا سالوا عنه قاله الكلبي ومقاتل وقيل كانوا
يحضرون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المومنين
فيستمعون منه ما يقول فيعيه المومن ولا يعيه

صح من دبرهم

في المنافقين

الكافر فاذا خرجوا من عندك اي اذا فارقوا مجلسك
قالوا للذين اوتوا العلم قال عكرمة هو عبد الله بن العباس
قال ابن عباس كنت ممن يسئل اي كنت من الذين اوتوا العلم
وفي رواية عن ابن عباس انه يريد عبد الله بن مسعود
ولذا قال عبد الله بن بريدة هو عبد الله بن مسعود وقال
القاسم بن عبد الرحمن هو ابو الدرداء وقال ابن زيد انهم
الصحابة ماذا قال انفا اي الان على جهة الاستهزاء اي
انا لم التفت الى قوله وانفا يراد به الساعة التي هي
اقرب الاوقات من قولك استانفت الشيء اذا ابتدات
به ومنه امر انف وروضة انف اي لم يرعها احد
وكاس انف اذا لم يشرب منها شي كانه استونف شربها
مثال روضة انف قال الشاعر
ويحرم سر جارتهم عليهم ويا كل جارهم انف القصاع
وقال اخر ان الشوا والتشيل والرغف والقينة الحسنا والكاس
الانف للطاعنين الخيل والخيل خنف وقال امرؤ القيس
قد غدا يحملني في انفه اي في اوله وانف كل شي اوله
وقال قتادة في هولاء المنافقين الناس رجلان رجل عقل
عن الله فانتفع بما سمع ورجل لم يعقل ولم ينتفع بما سمع
وكان يقال الناس ثلثة فسامع عامل وسامع عاقل وسامع
غافل

غافل تارك قوله تعالى فهل ينظرون الا الساعة
ان تاتيهم بغتة اي فجاة وهذا وعيد للكافرين
اولئك الذين طبع الله على قلوبهم فلم يومنوا واتبعوا
اهواهم في الكفر والذين اهتدوا اي للايمان زادهم
الله هدى وقيل زادهم النبي صلى الله عليه وسلم هدى وقيل
ما يستمعونه من القران هدى اي يتضاعف يقينهم
وقال الفرا زادهم اعراض المنافقين واستهزاوهم
هدى وقيل زادهم نزول الناسخ هدى وفي الهدى
الذي زادهم اربعة اقاويل احدها زادهم علما قاله
الربيع بن انس الثاني انهم علموا ما سمعوا وعملوا بما
علموا قاله الضحاك الثالث زادهم بصيرة في دينهم
وتصديقا لنبيهم قاله الكلبي الرابع شرح صدورهم
بما هم عليه من الايمان واتاهم تقواهم اي الهمهم
اياها وقيل فيه خمسة اوجه احدها اتاهم الخشية
قاله الربيع الثاني ثواب تقواهم في الاخرة قاله السدي
الثالث وفقهم للعمل الذي فرض عليهم قاله مقاتل
الرابع بين لهم ما يتقون قاله ابن زياد والسدي ايضا
الخامس انه ترك المنسوخ والعمل بالناسخ قاله عطيه
الماوردي ويحتمل سادسا انه ترك الرخص والاخذ

بالعزايم وقرب واعطاهم بدل وآتاهم وقال عكرمة
هذه نزلت فيمن آمن من اهل الكتاب قوله تعالى
فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة اى فجاة
وهذا وعيد للكافرين فقد جا اشراطها اى اماراتها
وعلاماتها وكانوا قد قروا في كتبهم ان محمدا صلى الله عليه
آخر الانبيا فبعثته من اشراطها وادلتها قاله الضحاك
والحسن وفي الصحيح عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين وضم السبابة
والوسطى لفظ مسلم وخرجه البخاري والترمذي
وابن ماجة ويروى بعثت والساعة كفرسي رهان
وقيل اشراط الساعة اسبابها التي هي دون معظمها
ومنه يقال للدون من الناس الشرط وقيل يعني بعلامات
الساعة انشقاق القمر والدخان قاله الحسن ايضا
وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع
الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وقد اتينا على هذا
الباب في كتاب التذكرة مستوفى والحمد لله وواحد
الاشراط شرط واصله الاعلام ومنه قيل الشرط
لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها ومنه
الشرط في البيع وغيره قال ابو زيد الاسود ::
فان كنت

مطلب اشراط الساعة

فان كنت قد ازمعت بالصرم بينتا فقد جعلت اشراط اوله تبدو

ويقال اشرط فلان نفسه علم لذا اي اعلمها وجعلها له قال

اوس بن حجر يصف رجلا تدلى بحبل من راس جبل الى

نبعة ليقطعها يتخذ منها قوسا ::

فاشرط نفسه فيها وهو معصم والقى باسباب له وتوكلا

ان تاتيهم بغتة ان بدل الاشتمال من الساعة نحو قوله

ان تطؤهم من قوله رجال مومنون ونسا مومنات وقرى

بغتة بوزن جربة وهي غريبة لم ترد في المصادر اختها

وهي مروية عن ابي عمرو الزمخشري وما اخوفني

ان تكون غلطة من الراوي عن ابي عمرو وان يكون

الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراة الحسن

وروى ابو جعفر الرواسي وغيره عن اهل مكة ان تاتيهم

بغتة قال المهدوي ومن قرا ان تاتيهم بغتة كان الوقف

على الساعة ثم استانف الشرط وما يحمله الكلام من

الشك مردود الى الخلق كانه قال ان تشكوا في مجيئها

فقد جا اشراطها فانى لهم اذا جاتهم ذكراهم ابتدا وانى

لهم الخبر والضمير المرفوع في جاتهم الساعة التقدير

فمن اين لهم التذكر اذا جاتهم الساعة قال معناه

قتادة وغيره وقيل فكيف لهم بالنجاة اذا جاتهم الذكرى

النبع شجر تتخذ منه القسي الواحدة نبعة وتخلص مرنا عصا رنبا البشام

النبع نبات

عند مجي الساعة قاله ابن زيد وفي الذكري وجهان احدهما
تذكيرهم بما عملوه من خير او شر الثاني هو دعاوهم باسمايهم
تبشيرا وتخويفا روي ابان عن انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال احسنوا اسماكم فانكم تدعون بها يوم القيامة
يا فلان قم الى نورك يا فلان قم لا نور لك ذكره الماوردي
قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله قال الماوردي وفيه
وان كان الرسول عالما بالله ثلاثة اوجه يعني اعلم ان
الله اعلمك ان لا اله الا الله الثاني ما علمته استدلالا فاعلمه
خبرا يقينا الثالث يعني فاذكر ان لا اله الا الله فعبر عن
الذكر بالعلم لحدوثه عنه وعن سفيان بن عيينة انه
سيل عن فضل العلم فقال الم تسمع قوله حين بدا به
فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فامر بالعمل
بعد العلم وقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الى
قوله سارعوا الى مغفرة وقال اعلموا انما اموالكم فتنة
ثم قال بعد فاحذروهم وقال تعالى واعلموا انما غنمتم
من شي فان لله خمسه ثم امر بالعمل بعد قوله تعالى
واستغفر لذنبك يحتمل وجهين احدهما يعني استغفر
الله ان يقع منك ذنب الثاني استغفر الله ليعصمك من
الذنوب وقيل لما ذكر له حال الكافرين والمومنين

احره

أمره بالثبات على الإيمان اي اثبت على ما انت عليه
من التوحيد والاخلاص والحذر عما تحتاج معه الى
استغفار وقيل الخطاب له والمراد به الامة وعلى
هذا القول توجب الاية استغفار الانسان لجميع
المسلمين وقيل كان عليه السلام يضيق صدره من كفر
الكفار والمنافقين فنزلت الاية اي فاعلم انه لا كاشف
يكشف ما بك الا الله فلا تعلق قلبك باحد سواه
وقيل امر بالاستغفار لتقتدي الامم وللمؤمنات
اي ولذنوبهم وهذا امر بالشفاعة وروى مسلم
عن عاصم الاحول عن عبد الله بن سرجس المخزومي
قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واكلت من طعامه
فقلت يا رسول الله غفر الله لك فقال له صاحبي هل
استغفر لك النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم ولك ثم تلى
هذه الاية واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ثم
تحولت فنظرت الى خاتم النبوة بين كتفيه جمع خيلان
كانه الثاليل والله يعلم متقلبكم ومثواكم فيه خمسة اقوال
احدها يعلم اعمالكم في تصرفكم واقامتكم الثاني متقلبكم
في اعمالكم نهارا ومثواكم في ليلكم نياما وقيل متقلبكم
في الدنيا ومثواكم في الدنيا والاخرة قاله ابن عباس

والضحاك وقال عكرمة منقلبكم في اصلاب الاباء الى ارحام
الامهات ومثواكم مقامكم في الارض وقال ابن كيسان منقلبكم
من ظهر الى بطن الى الدنيا ومثواكم في القبور قلت والعموم
يأتي على هذا كله ولا يخفى عليه سبحانه شيء من حركات
بني آدم وسكناتهم وكذا جميع خلقه فهو عالم بجميع
ذلك قبل كونه جملة وتفصيلا اولى واخرى سبحانه لا اله
الا هو قوله تعالى ويقول الذين آمنوا اي المؤمنون
المخلصون لولا نزلت سورة اشتياقا للوحي وحرصا
على الجهاد وثوابه ومعنى لولا هلا فاذا انزلت سورة
محكمة لا نسخ فيها قال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد
فهي محكمة وهي اشد القران على المنافقين وفي قراءة عبد الله
فاذا انزلت سورة محدثة اي محدثة النزول وذكر
فيها القتال اي فرض فيها الجهاد وقرئ فاذا انزلت سورة
وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال رايت
الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق ينظرون اليك
نظر المغشي عليه من الموت اي نظر مغمومين مغتاظين
بتحديد وتحديق كمن يشخص بصره عند الموت وذلك لجبنهم
عن القتال جزعا وهلعا ولميلهم في السر الى الكفار
قوله تعالى فاولى لهم طاعة وقول معروف

اولى لهم

اولى لهم قال الجوهري وقولهم اولى لك تهدد ووعيد
قال الشاعر: فاولى ثم اولى ثم اولى وهل للدر يحلب من مرد
قال الاصمعي معناه قاربه ما يهلكه اي نزل به وانشد
فعادى بين هاديتين منها واولى ان يزيد على الثلاث
اي قارب ان يزيد قال ثعلب ولم يقل احد في اولى احسن
مما قال الاصمعي وقال المبرد يقال لمن هم بالعطب ثم
افلت اولى لك اي قاربت العطب كما روي ان اعرابيا كان
يوالي رمي الصيد فيفلت منه فيقول اولى لك ثم رمى
صيدا فقاربه ثم افلت منه فقال
فلو كان اولى يطعم القوم صيدهم ولكن اولى يترك القوم جوعا
وقيل هو كقول الرجل لصاحبه يا محروم اي شي فاتك وقال
الجرجاني هو ماخوذ من الويل فهو افعل ولكن فيه
قلب وهو ان عين الفعل وقع موقع اللام وقد تم الكلام
على قوله فاولى لهم قال قتاده كانه قال العقاب اولى لهم
وقيل اي وليهم المكروه ثم قال طاعة وقول
معروف اي طاعة وقول معروف امثل واحسن وهو
مذهب الخليل وسيبويه وقيل ان التقدير امرنا طاعة
وقول معروف فحذف المبتدا فيوقف على فاولى لهم
ولذا من قرا يقولون منا طاعة وقيل ان الاية الثانية

متصلة بالاولى واللام في قوله لهم بمعنى الباء اي الطاعه اولى واليق واحق لهم من ترك امتثال امر الله وهي قراءة ابي يقولون طاعة وقيل ان طاعة نعت لسورة على تقدير فاذا انزلت سورة ذات طاعة فلا يوقف على هذا فاولى لهم وقال ابن عباس ان قولهم طاعه اخبار من الله عز وجل عن المنافقين والمعنى لهم طاعة وقول معروف قبل وجوب الفرائض عليهم فاذا نزلت الفرائض شق عليهم نزولها فيوقف على هذا فاولى

قوله تعالى فاذا عزم الامر اي جد القتال او وجب فرض القتال كرهوه فلن هوه جواب اذا وهو محذوف وقيل المعنى فاذا عزم اصحاب الامر فلو صدقوا الله اي في الايمان والجهاد لكان خيرا لهم من المعصيه والمخالفه قوله تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى فهل عسيتم ان توليتم اختلف في معنى ان توليتم فقيل هو من الولاية قال ابو العاليه المعنى فهل عسيتم ان توليتم الحكم فجعلتم حكاما ان تفسدوا في الارض باخذ الرشا وقال الكلبي اي فهل عسيتم ان توليتم ~~الامر ان يقتل بعضكم بعضا~~ امر الامه ان تفسدوا في الارض بالظلم

بالظلم وقال ابن جريج المعنى فهل عسيتم ان توليتم عن
الطاعه ان تفسدوا في الارض بالمعاصي وقطع الارحام
وقال كعب المعنى فهل عسيتم ان توليتم الامر ان يقتل
بعضكم بعضا وقيل من الاعراض عن الشي قال قتاده
اي فهل عسيتم ان توليتم عن كتاب الله ان تفسدوا
في الارض بسفك الدما الحرام وتقطعوا ارحامكم
وقيل فهل عسيتم اي فلعلكم ان اعرضتم عن القتال
وفارقتم احكامه ان تفسدوا في الارض فتعودوا
الى جاهليتكم وقري بفتح السين وكسرها وقد مضى
في البقره مستوفي القول فيه وقال بكر المزني انها
نزلت في الحروريه والخوارج وفيه بعد والاظهر
انه انما عني بها المنافقون وقال ابن حيان قريش
ونحوه قال المسيب بن شريك والفرا قالا نزلت في بني
امية وبني هاشم ودليل هذا التاويل ما روى عبد الله
بن مغفل قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض ثم قال
هم هذا الحي من قريش اخذ الله عليهم ان ولوا الناس
الا يفسدوا في الارض ولا يقطعوا ارحامهم وقرا
علي بن ابي طالب ان توليتم ان تفسدوا في الارض

بضم التاء والواو وكسر اللام وهي قراءة ابن ابي اسحق
ورواها رويس عن يعقوب بقول ان وليتكم ولاة
جايرة خرجتم معهم في الفتنة وحاربتموهم وتقطعوا
ارحامكم بالبغي والظلم والقتل وقرا يعقوب وسلام
وعيسى وابو حاتم وتقطعوا بفتح التا وتخفيف القاف
من القطع اعتبارا بقوله تعالى ويقطعون ما امر الله
به ان يوصل وروى هذه القراة هارون عن ابي عمرو
وقرا الحسن وتقطعوا مفتوحة الحروف مشدده
اعتبارا بقوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم
الباقون وتقطعوا بضم التا مشدده الطاء من
التقطيع على التكثير وهو اختيار ابي عبيد وتقدم
ذكر عسيتم في البقرة وقال الزجاج في قراة نافع لو
جاز هذا لجاز عسي بالكسر قال الجوهري ويقال عسيت
ان افعل ذلك وعسيت بالكسر وقري فهل عسيتم
بالكسر قلت ويدل قوله هذا على انهما لغتان وقد
مضى القول فيه في البقرة مستوفي اوليك الذين
لعنهم الله اي طردهم وابعدهم من رحمته فاصمهم
عن الحق واعمى ابصارهم اي قلوبهم عن الخير فاتبع
الاخبار بان من فعل ذلك حقت عليه لعنته وسلبه
الانتفاع

الانتفاع بسمعه وبصره حتى لا ينقاد للحق وان سمعه
فجعله كالبهيمه التي لا تعقل وقال فهل عسيتم قال الم
اولئك الذين لعنهم الله فرجع من الغيبه على عادة العرب
في ذلك الثانيه قوله تعالى افلا يتدبرون القران اي
يتفهمونه فيعلمون ما اعد الله للذين لم يتوبوا
عن الاسلام ام على قلوب اقفالها اي بل على قلوب
اقفال اقفلها الله عز وجل عليهم فهم لا يعقلون
وهذا يرد على القدريه والامامية مذهبهم وفي حديث
مرفوع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عليها اقفالا
كاقفال الحديد حتى يكون الله يفتحها واصل القفل
اليبس والصلابه ويقال لما يبس من الشجر القفل
والقفيل مثله والقفيل ايضا نبت والقفيل السوط
قال الراجز لما اتاك يابسا قرشبا قمت اليه بالقفيل ضربا
كيف قريت شيخك الازبا القرشب بكسر القاف المسن
عن الاصمعي واقفله الصوم اي ايبسه قاله القشيري
والجوهري فالاقفال هاهنا اشارة الى ارتتاج
القلب وخلوه عن الايمان اي لا يدخل قلوبهم الايمان
ولا يخرج منها الكفر لان الله طبع على قلوبهم وقال على
قلوب لانه لو قال على قلوبهم لم يدخل قلب غيرهم

الخطاب

في هذه الجمله والمراد ام على قلوبٍ هولاءِ وقلوب من كان
بهذه الصفة اقفالها **الثالثه** في صحيح مسلم عن ابي هريره
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى
اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العايذ
من القطيعه قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من
قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اقروا ان شيتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في
الارض وتقطعوا ارحامكم اوليك الذين لعنهم الله فاصمهم
واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها
وظاهر الاية انها خطاب لجميع الكفار وقال قتادة وغيره
معنى الايه فلعلكم او يخاف عليكم ان اعرضتم عن الايمان ان
تعودوا الى الفساد في الارض بسفك الدما قال قتادة
كيف رايتم القوم حين تولوا عن كتاب الله تعالى الم
يسفكوا الدما الحرام ويقطعوا الارحام وعصوا
الرحمن فالرحم على هذا رحم دين الاسلام والايمان التي
قد سماها الله اخوة لقوله تعالى انما المومنون اخوة
وعلى قول الفراء الاية نزلت في بني هاشم وبني امية
والمراد من اضمر منهم نفاقا فاشار بقطع الرحم الى
ما كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم من القرابة

بتلذبهم

بتلذ بهم النبي صلى الله عليه وسلم وذلك يوجب القتال
وبالجمله فالرحم على وجهين عامة وخاصة فالعامة رحم
الدين وتجب مواصلتها بملازمة الايمان والمحبة لاهله
ونصرتهم والنصيحة وترك مضارتهم والعدل بينهم
والنصفة في معاملتهم والقيام بحقوقهم الواجبه
كتمريض المرضى وحقوق الموتى من غسلهم والصلاة
عليهم ودفنهم وغير ذلك من المترتبة لهم واما الرحم
الخاصة وهي رحم القرابه من طرفي الرجل ابيه وامه
فتجب لهم الحقوق الخاصة وزيادة كالنفقه وتفقد
احوالهم وترك التغافل عن تعاهدهم في اوقات ضروراتهم
وتتاكد في حقهم حقوق الرحم العامه حتى اذا تزاحمت
الحقوق بدئ بالاقرب فالاقرب وقال بعض اهل العلم
ان الرحم التي تجب صلتها هي كل رحم محرم وعليه فلا
تجب في بني الاعمام وبني الاخوال وقيل بل هذا في كل
رحم ممن ينطلق عليه ذلك من ذوي الارحام في المواريث
محرما كان او غير محرم فيخرج من هذا ان رحم الام التي
لا يتوارث بها لا يجب صلتهم ولا يحرم قطعهم وهذا ليس
بصحيح والصواب ان كل ما يشمله ويعمه الرحم يجب
صلته على كل حال قربة ودينية على ما ذكرناه اولا

والله اعلم وقد روى ابو داود الطيالسي في مسند
قال ثنا شعبة قال اخبرني محمد بن عبد الجبار قال
سمعت محمد بن كعب القرظي يحدث عن ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان للرحم
لسانا يوم القيامة تحت العرش تقول يا رب قطعت
يا رب ظلمت يا رب أسيء الي فيجيبها ربها الا ترضين ان
اصل من وصلك واقطع من قطعك وفي صحيح مسلم عن
جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل
الجنة قاطع قال ابن ابي عمر قال سفيان يعني قاطع رحم
ورواه البخاري **الرابعة** قوله عليه السلام ان
الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم خلق بمعنى
اخترع واصله التقدير كما تقدم والخلق هنا بمعنى
المخلوق ومنه قوله تعالى هذا خلق الله اي مخلوقه
ومعنى فرغ منهم كمل خلقهم لا انه اشتغل بهم ثم
فرغ من شغله بهم اذ ليس فعله بمباشرة ولا مناولة
ولا خلقه باله ولا محاولة تعالى عن ذلك وقوله فقامت
الرحم فقالت يحمل على احد وجهين احدهما ان يكون
الله تعالى اقام من يتكلم عن الرحم من الملايكة فيقول
ذلك وكانه وكل بهذه العبادة من يناضل عنها
ويكتب

ويكتب ثواب من وصلها ووزر من قطعها كما وكل الله
بساير الاعمال كراما كاتبين وبمشاهدة اوقات الصلوات
ملايكة متعاقبين وثانيهما ان ذلك على جهة التقدير
والتمثيل المفهم للاعيا وشدة الاعتنا فكانه قال
لو كانت الرحم ممن تعقل وتتكلم لقالت هذا الكلام
كما قال تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله ثم قال وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون وقوله هذا مقام العايذ فعالم
بك من القطيعة مقصود هذا الكلام الاخبار بتاكيد
امر صلة الرحم وانه تعالى قد نزلها بمنزلة من استجار
به فاجاره وادخله في ذمته وخفارته واذا كان
كذلك فجار الله عز وجل غير مخذول وعهده غير منقوض
ولذلك قال مخاطبا للرحم اما ترضين ان اصل من وصلك
واقطع من قطعك وهذا كما قال عليه السلام من صلى الصبح
فهو في ذمة الله فلا يطلبنكم الله من ذمته بشي فانه من
يطلبه بذمته بشي يدركه ثم يكبه في النار على وجهه
قوله تعالى ان الذين ارتدوا على ادبارهم قال قتادة
هم كفار اهل الكتاب كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد
ما عرفوا نعته عندهم وقاله ابن جريج وقال ابن عباس

والضحاك والسدي هم المنافقون قعدوا عن القتال
بعد ما علموه في القران الشيطان سول لهم اي زين لهم
خطاياهم قاله الحسن واملى لهم اي مد لهم الشيطان في
الامل ووعدهم طول العمر عن الحسن ايضا وقال ان الذي
املى لهم في الامل ومد في اجالهم هو الله عز وجل قاله
الفرا والمفضل وقال الكلبي ومقاتل ان معنى املى لهم
امهلهم فعلى هذا يكون الله تعالى املى لهم بالامهال في
عذابهم وقرا ابو عمرو وابن ابي اسحاق وعيسى بن عمر
وابو جعفر وشيبة واملي لهم بضم الهمزة وكسر اللام
وفتح اليا على ما لم يسم فاعله وكذلك قرا ابن هرمز ومجاهد
والجحدري ويعقوب الا انهم سكنوا اليا على وجه الخبر
من الله عز وجل عن نفسه انه يفعل ذلك بهم كانه قال وانا
املي لهم واختاره ابو حاتم قال لان فتح الهمزة يوهم
ان الشيطان يملي لهم وليس كذلك فلهذا عدل الى الضم
قال المهدوي ومن قرا واملى لهم فالفاعل اسم الله تعالى
وقيل الشيطان واختار ابو عبيد قراة العامة قال
لان المعنى معلوم لقوله لتومنوا بالله ورسوله وتعزروه
وتوقروه وتسبحوه رد التسبيح على اسم الله والتوقير
والتعزير على اسم الرسول قوله تعالى ذلك بانهم

قالوا

قالوا اي ذلك الاملا لهم حتى يتمادوا في الكفر بانهم
قالوا يعني المنافقين واليهود للذين كرهوا ما نزل الله
وهم المشركون سنطيعكم في بعض الامر اي في مخالفة
محمد والتظاهر على عداوته والقعود عن الجهاد معه
والتوهين امره في السر وهم انما قالوا ذلك سرا فاخبر الله
نبيه وقراه العامه اسرارهم بفتح الهمزه جمع سر
وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقرا الكوفيون وابن
وثاب والاعمش وحمزه والكساي وحفص عن عاصم ∴
إسرارهم بكسر الهمزه على المصدر نحو قوله تعالى واسررت
لهم اسرارا جمع لاختلاف ضروب السرور قوله تعالى
فكيف اي فكيف تكون حالهم اذا توفتهم الملايكه يضربون
اي ضاربين فهو في موضع الحال ومعنى الكلام التخويف
والتهديد اي ان تاخر عنهم العذاب فالى انقضا العمر
وقد مضى في الانفال والنحل وقال ابن عباس لا يتوفى
احد على معصيه الا يضرب شديد لوجهه وقفاه وقيل
ذلك عند القتال نصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب
الملايكه وجوههم عند الطلب وادبارهم عند الهرب
وقيل ذلك في القيامه عند سوقهم الى النار قوله تعالى
ذلك اي ذلك جزاوهم بانهم اتبعوا ما اسخط الله قال ابن عباس

هو كتمانهم ما في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم
وان حملت على المنافقين فهو اشارة الى ما اضمروا عليه
من الكفر وكرهوا رضوانه يعني الايمان فاحبط اعمالهم
اي ما عملوه من صدقة وصلة رحم وغير ذلك على ما تقدم
قوله تعالى ام حسب الذين في قلوبهم مرض نفاق
وشك يعني المنافقين ان لن يخرج الله اضغانهم الاضغان
ما يضمر من المكروه واختلف في معناه فقال السدي
غشهم وقال ابن عباس حسدهم وقال قطرب عداوتهم
وانشد قول الشاعر قل لابن هند ما اردت بمنطق
ساء الصديق وشيد الاضغانا :: وقيل احقادهم واحدها
ضغن قال وذي ضغن كففت النفس عنه :: وقد تقدم
وقال عمرو بن كلثوم وان الضغن بعد الضغن يفشو
عليك ويخرج الداء الدفينا :: قال الجوهري الضغن
والضغينة الحقد وقد ضغن عليه بالكسر ضغنا وتضاغن
القوم واضطغنوا ابطنوا على الاحقاد واضغنت الصبي
اذا اخذته تحت حضنك وانشد الاحمر ::
كانه مضطغن صبيا :: اي حامله في حجره وقال ابن مقبل
اذا اضطغنت سلاحي عند مغرضها ومرفق كرئاس السيف اذ
شسفا

شفصفا وفرس صاغر لا يعطي ما عنده من الجري الا
بالضرب والمعني ام حسبوا ان لن يظهر الله عدا وتهم
وحقدهم لاهل الاسلام ولو نشا لارينا كهم اي لعرفنا لهم
قال ابن عباس وقد عرفهم اياهم في سورة براه يقول العرب
ساريك ما اصنع اي ساعلمك ومنه قوله تعالى بما اراك
الله اي بما اعلمك فلعرفتهم بسيماهم اي بعلاماتهم قال
انس ما خفي علي النبي صلي الله عليه وسلم بعد هذه الايه
احد من المنافقين كان يعرفهم بسماهم وقد كنا في غزاة
وفيها سبعة من المنافقين يشكونهم الناس فاصبحوا ذات
ليلة وعلي جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق فذلك
سيماهم وقال ابن زيد قدر الله اظهارهم وامر ان يخرجوا
من المسجد فابوا الا ان يتمسكوا بلا اله الا الله فحقنت دماهم
ونكحوا وانكحوا بها ولتعرفتهم في لحن القول اي في فحواه
ومعناه ومنه قول الشاعر ... وخير الكلام ما كان لحنا
اي ما عرف بالمعني ولم يصرح به ماخوذ من اللحن في الاعراب
وهو الذهاب عن الصواب ومنه قول النبي صلي الله عليه وسلم
انكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من
بعض اي اذهب بها في الجواب لقوته علي تصريف الكلام
ابو زيد لحنت له بالفتح الحن لحنا اذا قلت له قولا يفهمه

فحواه

عنك ولحفي علي غيره ولحنه لحوعني بالكسر بلحنه لحنا اي
فهمه والحنته انا اياه ولاحنت الناس فاطنتهم قال الفزاري
وحديث الذه هو مما يبعث الناعتون يوزن وزنا
منطق رايع وتلحن احيانا وخير الحديث ما كان لحنا
بريد انها تتكلم وهي تريد غيره وتعرض في حديثها فتزيله
عن جهته من فطنتها وذكايها وقد قال تعالى ولتعرفنهم في
لحن القول وقال القتال الكلابي ولقد وحيت لكم لكيما
تفهموا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب وقال مرار الاسدي
ولحنت لحنا فيه غش ورابني صدوده ترضي الوشاة الاعاديا
قال الكلبي فلم يتكلم بعد نزولها منافق عند النبي صلى الله عليه
وسلم بكلام تواضعوه فيما بينهم والنبي صلى الله عليه وسلم
يسمع ذلك ويأخذ بالظاهر المعتاد فنبهه الله تعالى
عليه فكان بعد هذا يعرف المنافقين اذا سمع كلامهم قال
انس فلم يخف منافق بعد هذه الاية على رسول الله صلى
الله عليه وسلم عرفه الله ذلك بوحي او علامة عرفها
بتعريف الله اياه والله يعلم اعمالكم اي لا يخفى عليه شي منها
قوله تعالى ولنبلونكم اي نتعبدكم بالشرايع وان
علمنا عواقب الامور وقيل لنعاملنكم معاملة المختبرين
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين عليه قال ابن عباس
حتى

[illegible]

معامله

حتى يعلم حتى يتميز وقال علي رضي الله عنه حتى نعلم حتى نرى
وقد مضى في البقره وقراه العامه بالنون في نبلونكم
ونعلم ونبلوا وقرا ابو بكر عن عاصم بالياء فيهن وروى رويس
عن يعقوب اسكان الواو من نبلو على القطع مما قبل
ونصب الباقون ردا على قوله حتى نعلم وهذا العلم هو
العلم الذي يقع به الجزا لانه انما يجازيهم باعمالهم لا بعلمه
القديم عليهم فتاويله حتى نعلم المجاهدين علم شهادة
لانهم اذا امروا بالعمل يشهد منهم ما عملوا فالجزا بالثواب
والعقاب يقع على علم الشهادة ونبلوا اخباركم نختبرها
ونظهرها قال ابراهيم بن الاشعث كان الفضيل بن عياض
اذا قرا هذه الايه بكا وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان
بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا **قوله تعالي**
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله يرجع الى المنافقين
او الى اليهود وقال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر
نظيرها ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن
سبيل الله الايه وشاقوا الرسول اي عادوه وخالفوه
من بعد ما تبين لهم الهدى اي علموا انه نبي بالحجج والايات
لن يضروا الله شيا بكفرهم وسيحبط اعمالهم اي ثواب ما
عملوا **قوله تعالي** يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله

واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فيه مسائل

الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله

واطيعوا الرسول لما بين حال الكفار امر المومنين بلزوم
الطاعة في اوامره والرسول في سننه ولا تبطلوا
اعمالكم اي حسناتكم بالمعاصي قاله الحسن وقال الزهري
بالكبائر ابن جريج بالريا والسمعه وقال مقاتل والثعالبي
بالمن وهو خطاب لمن كان يمن على النبي صلى الله عليه وسلم
باسلامه وكله متقارب وقول الحسن يجمعه وفيه اشارة
الى ان الكبائر تحبط الطاعات والمعاصي تخرج عن الايمان
الثانية احتج علماونا وغيرهم بهذه الاية على ان التحلل
من التطوع صلاة كان او صوما بعد التلبس به لا يجوز لان
فيه ابطال العمل وقد نهى الله عنه وقال من اجاز ذلك
وهو الامام الشافعي وغيره المراد بذلك ابطال ثواب
العمل المفروض فنهى الرجل عن احباط ثوابه فاما ما
كان نفلا فلا لانه ليس واجبا عليه فان زعموا ان اللفظ
عام فالعام يجوز تخصيصه ووجه تخصيصه ان النفل
تطوع والتطوع يقتضي تخييرا وعن ابي العالية كانوا
يرون انه لا يضر مع الاسلام ذنب حتى نزلت هذه
الاية فخافوا الكبائر ان تحبط الاعمال وقال مقاتل

بلغ

عشر الثامن

يقول الله تعالى

يقول الله تعالى اذا عصيتم الرسول فقد ابطلتم اعمالكم
قوله تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم بين ان الاعتبار
بالوفاة على الكفر يوجب الخلود في النار وقد مضى في
البقرة الكلام فيه وقيل ان المراد بالاية اصحاب
القليب وحكمها عام قوله تعالى فلا تهنوا وتدعوا
الى السلم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى فلا تهنوا
اي تضعفوا عن القتال والوهن الضعف وقد وهن الانسان
ووهنه غيره يتعدى ولا يتعدى قال انني لست بموهون فقر
ووهن ايضا بالكسر وهنا اي ضعف وقرئ فما وهنوا
بضم الهاء وكسرها وقد مضى في ال عمران الثانية
قوله تعالى وتدعوا الى السلم اي الصلح وانتم الاعلون
في الحجة وقيل المعنى وانتم الغالبون لانكم مومنون وان
غلبوكم في الظاهر في بعض الاحوال وقال قتادة لا
تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها الثالثة
واختلف العلما في حكمها فقيل انها ناسخة لقوله تعالى
وان جنحوا للسلم فاجنح لها لان الله تعالى منع من الميل
الى الصلح اذا لم يكن بالمسلمين حاجة الى الصلح وقيل
منسوخة بقوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها

وقيل هي محكمة والايتان نزلتا في وقتين مختلفي الحال وقيل
ان قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها مخصوص في قوم
باعيانهم والاخرى عامة فلا يجوز مهادنة الكفار الا عند
الضرورة وذلك اذا عجزنا عن مقاومتهم لضعف المسلمين
وقد مضى هذا المعنى مستوفى والله معكم اي بالنصر والمعونة
مثل وان الله لمع المحسنين ولن يتركم اعمالكم اي لن ينقصكم
عن ابن عباس وغيره ومنه الموتور الذي قتل له قتيل فلم
يدرك بدمه تقول منه وتره يتره وترا وتره ومنه قوله
عليه السلام من فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله
اي ذهب بهما وكذلك وتره حقه اي نقصه وقوله
تعالى لن يتركم اعمالكم اي لن ينقصكم في اعمالكم كما تقول
دخلت البيت وانت تريد في البيت قاله الجوهري الفرا
ولن يتركم هو مشتق من الوتر وهو الدخل وقيل
هو مشتق من الوتر وهو الفرد فكان المعنى ولن
يفردكم بغير ثواب قوله تعالى انما الحياة الدنيا
لعب ولهو تقدم في الانعام وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم
اجوركم شرط وجوابه ولا يسالكم اموالكم اي لا يامركم
باخراج جميعها في الزكاة بل امر باخراج البعض
قاله ابن عيينة وغيره وقيل لا يسالكم اموالكم لنفسه
اوالحاجة

او لحاجة منه اليها انما يامركم بالانفاق في سبيله ليرجع
ثوابه اليكم وقيل لا يسالكم اموالكم وانما يسالكم امواله لانه
املك لها وهو المنعم باعطايها وقيل ولا يسالكم محمد
اموالكم اجرا علي تبليغ الرسالة نظيره قل ما اسالكم عليه
من اجر الايه ان يسالكموها فيحفكم يلح عليكم يقال احفا
بالمساله والحف والح بمعني واحد والحفي المستقصي
في السوال وكذلك الاحفاء الاستقصا في الكلام والمنازعة
ومنه احفي شاربه اي استقصي في اخذه تبخلوا ويخرج
اضغانكم اي يخرج البخل اضغانكم قال قتاده قد علم الله ان
في سوال المال خروج الاضغان وقرا ابن عباس ومجاهد
وابن محيصن وحميد وتخرج بتاء مفتوحه وراء مضمومه
اضغانكم بالرفع لكونه الفاعل وروي الوليد عن يعقوب
الحضرمي ونخرج بالنون وابو معمر عن عبد الوارث عن
ابي عمرو ويخرج بالرفع في الجيم علي القطع والاستيناف
والمشهور عنه ويخرج كسا ير القراء عطف علي ما تقدم
قوله تعالى هانتم هولاء تدعون اي ها انتم هولاء
ايها المومنون تدعوا ان لتنفقوا في سبيل الله اي في الجهاد
وطريق الخير فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه
اي علي نفسه بمنعها الاجر والثواب والله الغني اي انه

ليس بمحتاج الى اموالكم وانتم الفقرا اليها وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم اي اطوع لله منكم روى الترمذي عن ابي هريرة
قال تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية وان تتولوا
يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا ومن يستبدل
بنا قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب
سلمان ثم قال هذا وقومه هذا وقومه قال حديث غريب
في اسناده مقال وقد روى عبد الله بن جعفر بن نجيح
والد علي بن المديني ايضا هذا الحديث عن العلا بن عبد الرحمن
عن ابيه عن ابي هريرة قال قال اناس من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من هولاء الذين ذكر الله
ان تولينا استبدلوا ثم لا يكونوا امثالنا قال وكان سلمان
جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان قال هذا واصحابه
والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله
رجال من فارس وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس
والروم قال المحاسبي فلا احد بعد العرب من جميع اجناس
الاعاجم حسن دينا ولا كانت منهم العلما الا الفرس وقيل
انهم اليمن وهم الانصار قاله شريح بن عبيد وكذا قال
ابن عباس هم الانصار وعنه انهم الملايكة وعنه هم التابعون

وقال مجاهد

وقال مجاهد انهم من بينها من سائر الناس ثم لا يكونوا امثالكم
قال الطبري اي في البخل بالانفاق في سبيل الله وحكي
عن ابي موسى الاشعري انه لما نزلت هذه الاية فرح بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هي احب الي من الدنيا

سورة الفتح مدنية باجماع وهي تسع

وعشرون اية ونزلت ليلا بين مكة والمدينة في شان
الحديبية من اولها الى اخرها روى محمد بن اسحاق عن
الزهري عن عروة بن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم
قالا نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شان الحديبية
من اولها الى اخرها وفي الصحيحين عن زيد بن اسلم عن ابيه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض اسفاره
وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا فساله عمر عن شي فلم يجبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ساله فلم يجبه ثم ساله
فلم يجبه فقال عمر بن الخطاب ثكلتك ام عمر نزرت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلث مرات كل ذلك لا يجيبك قال
عمر فحركت بعيري ثم تقدمت امام الناس وخشيت
ان ينزل في قران فما نشبت ان سمعت صارخا يصرخ
بي فقلت لقد خشيت ان يكون نزل في قران فجئت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزلت علي

مخرمة

الليلة سورة لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرا انا
فتحنا لك فتحا مبينا لفظ البخاري وقال الترمذي حديث
حسن غريب وفي صحيح مسلم عن قتادة ان انس بن مالك حدثهم صحيح
قال لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر الى قوله فوزا عظيما مرجعه من
الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكابة وقد نحر الهدي
بالحديبية فقال لقد انزلت علي اية هي احب الي من الدنيا
جميعا وقال عطا عن ابن عباس ان اليهود شمتوا النبي صلى
الله عليه وسلم والمسلمين لما نزلت قوله تعالى وما ادري
ما يفعل بي ولا بكم وقالوا كيف نتبع رجلا لا يدري ما
يفعل به فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله
تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر ونحوه قال مقاتل بن سليمان قال لما نزل قوله
تعالى وما ادري ما يفعل بي ولا بكم فرح المشركون والمنافقون
وقالوا كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به ولا باصحابه
فنزلت بعد ما رجع من الحديبية انا فتحنا لك فتحا مبينا
اي قضينا لك قضا فنسخت هذه الاية تلك وقال النبي
صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورة ما يسرني بها
حمر النعم وقال المسعودي بلغني انه من قرا سورة الفتح
في اول

في اول ليلة من رمضان في صلاة التطوع حفظه الله
سنة ذلك العام بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
انا فتحنا لك فتحا مبينا اختلف في هذا الفتح ما هو ففي
البخاري حدثني محمد بن بشار قال حدثنا غندر قال
حدثنا شعبة قال سمعت قتادة عن انس انا فتحنا
لك فتحا مبينا قال الحديبية وقال جابر ما كنا نعد فتح مكة
الا يوم الحديبية وقال الفرا تعدون انتم الفتح فتح مكة
وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان
يوم الحديبية كنا نعد مع النبي صلى الله عليه وسلم اربع
عشرة مائة والحديبية بئر وقال الضحاك انا فتحنا
لك فتحا مبينا بغير قتال وكان الصلح من الفتح وقال
مجاهد هو منحره بالحديبية وحلقه راسه وقال
كان الحديبية اية عظيمة نزح ماوها فمج فيها فدرت
بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقال موسى بن عقبة
قال رجل منصرفهم عن الحديبية ما هذا بفتح لقد صدونا
عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هو اعظم
الفتوح قد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم
بالراح ويسالونكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان
وقد راوا منكم ما كرهوا وقال الشعبي في قوله تعالى

انا فتحنا لك فتحا مبينا قال هو فتح الحديبيه لقد اصاب فيها
ما لم يصب في غزوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما
تأخر وبويع بيعة الرضوان واطعموا نخل خيبر
وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح
المؤمنون بظهور اهل الكتاب على المجوس وقال الزهري
لقد كان الحديبية اعظم الفتوح وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم جا اليها في الف واربع مائة فلما وقع
الصلح مشى الناس بعضهم في بعض وعلموا وسمعوا عن الله
فما اراد احد الاسلام الا تمكن منه فما مضت تلك
السنتان الا والمسلمون قد جاوا الى مكة في عشرة
الاف وقال مجاهد ايضا والعوفي هو فتح خيبر والاول
اكثر وخيبر انما كانت وعدا وعدوه على ما ياتي بيانه
في قوله تعالى سيقول المخلفون اذا انطلقتم وقوله وعدكم
الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه وقال مجمع بن
جارية وكان احد القرا الذين قروا القران شهدنا
الحديبيه مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها
اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعض الناس لبعض
ما بال الناس قالوا اوحي الله الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال فخرجنا نرجف فوجدنا نبي الله صلى الله عليه وسلم
عند

عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرا النبي صلى الله عليه
وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر بن الخطاب او فتح
هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده انه لفتح
فقسمت خيبر على اهل الحديبية لم يدخل فيها احد
الا من شهد الحديبية وقيل ان قوله تعالى فتحا يدل
على ان مكة فتحت عنوة لان اسم الفتح لا يقع مطلقا
الا على ما فتح عنوة هذا هو حقيقة الاسم وقد يقال
فتح البلد صلحا فلا يفهم الصلح الا بان يقترن بالفتح فصار
الفتح في الصلح مجازا والاخبار دالة على انها فتحت
عنوة وقد مضى القول فيها ويأتي قوله تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال
ابن الانباري فتحا مبينا غير تام لان قوله ليغفر لك
الله ما تقدم متعلق بالفتح كانه قال انا فتحنا لك فتحا
مبينا لكي يجمع الله لك مع الفتح المغفره فيجمع لك به
ما تقر به عينك في الدنيا والاخره وقال ابو حاتم
السجستاني هي لام القسم وهذا خطا لان لام القسم
لا تكسر ولا ينصب بها ولو جاز هذا لجاز ليقوم زيد
بتاويل ليقومن زيد الزمخشري فان قلت كيف
جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفره

ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعه وهي المغفره
واتمام النعمه والهدايه الصراط المستقيم والنصر العزيز
كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك
عز الدارين واعراض العاجل والاجل ويجوز ان يكون
فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب
وفي الترمذي عن انس قال انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر مرجعه من
الحديبيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت على
اية احب الي مما على وجه الارض ثم قراها النبي صلى الله
عليه وسلم عليهم فقالوا هنيئا مريا يا رسول الله
لقد بين الله لك ماذا يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه
ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار
حتى بلغ فوزا عظيما قال حديث حسن صحيح وفيه عن
مجمع بن جارية واختلف اهل التاويل في معنى ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قبل الرسالة وما
تاخر بعدها قاله مجاهد ونحوه قال الطبري وسفيان
الثوري قال الطبري هو راجع الى قوله تعالى اذا جا نصر
الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ليغفر لك الله

ما تقدم

ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة وما تاخر الى وقت نزول هذه
الاية وقال سفيان الثوري ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
ما عملته في الجاهلية من قبل ان يوحى اليك وما تاخر كل
شي لم تعمله وقال الواحدي وقد مضى الكلام في جريان
الصغاير على الانبيا في سورة البقره فهذا قول وقيل ما
تقدم قبل الفتح وما تاخر بعد الفتح وقيل ما تقدم قبل
نزول هذه الاية وما تاخر بعدها وقال عطا الخراساني
ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب ابيك ادم وحوي وما
تاخر من ذنوب امتك وقيل من ذنب ابيك ابراهيم وما
تاخر من ذنوب النبيين وقيل ما تقدم من ذنب يوم بدر
وما تاخر من ذنب يوم حنين وذلك ان الذنب المتقدم
يوم بدر انه جعل يدعوا ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابه
لا تعبد في الارض ابدا وجعل يردد هذا القول دفعات
فاوحى الله اليه من اين تعلم اني لو اهلكت هذه العصابه
لا اعبد ابدا فكان هذا الذنب المتقدم واما الذنب
المتاخر فيوم حنين لما انهزم الناس قال لعمه العباس
ولابن عمه ابي سفيان ناولاني كفا من حصبا الوادي
فناولاه فاخذه بيده ورمى به في وجوه المشركين وقال
شاهت الوجوه حم لا ينصرون فانهزم القوم عن

اخرهم فلم يبق احد الا امتلات عيناه رملا وحصباء
ثم نادى في اصحابه فرجعوا فقال لهم عند رجوعهم لو لم
ارمهم لم ينهزموا فانزل الله عز وجل وما رميت اذ
رميت ولكن الله رمى فكان هذا الذنب المتاخر وقال
ابو علي الروذباري يقول لو كان لك ذنب قديم او
حديث لغفرناه لك قوله تعالى ويتم نعمته عليك
قال ابن عباس في الجنة وقيل بالنبوة والحكمة وقيل بفتح مكة
والطايف وخيبر وقيل بخضوع من استكبر وطاعة من
تجبر ويهديك صراطا مستقيما اي يثبتك على الهدى الى ان
يقبضك اليه وينصرك الله نصرا عزيزا اي غالبا منيعا
لا يتبعه ذل قوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب
المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم السكينة السكون
والطمانينة قال ابن عباس كل سكينة في القران هي الطمانينة
الا التي في البقرة وتقدم معنى زيادة الايمان في ال عمران
وقال ابن عباس بعث النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا
اله الا الله فلما صدقوه فيها زادهم الصلاة فلما صدقوه
زادهم الحج ثم اكمل لهم دينهم فذلك قوله تعالى ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم اي تصديقا بشرايع الايمان مع تصديقهم
بالايمان وقال الربيع بن انس خشية مع خشيتهم وقال
الضحاك

مطلب في الوعد

[margin:] هم ... صدقوه ... الضحاك [illegible]

الضحاك يقينا مع يقينهم ولله جنود السموات والارض قال
ابن عباس يريد الملايكة والجن والشياطين والانس
وكان الله عليما باحوال الخلقه حكيما فيما يريده قوله تعالى
ليدخل المومنين والمومنات جنات اي انزل السكينة
ليزدادوا ايمانا ثم تلك الزيادة لسبب ادخالهم الجنة
وقيل اللام في ليدخل تتعلق بما تتعلق اللام في قوله
ليغفر لك الله وكان ذلك اي ذلك الوعد من دخول مكة
وغفران الذنوب عند الله فوزا عظيما اي نجاة من كل
غم وظفرا بكل مطلوب وقيل لما قرا النبي صلى الله عليه
وسلم على اصحابه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
قالوا هنيئا لك يا رسول الله فما ذا لنا فنزل ليدخل المومنين
والمومنات جنات ولما قرا ويتم نعمته عليك قالوا هنيئا
لك فنزلت واتممت عليكم نعمتي فلما قال ويهديك صراطا
مستقيما نزل في حق الامة ويهديكم صراطا مستقيما ولما
قال وينصرك الله نصرا عزيزا نزل وكان حقا علينا نصر المومنين
وهو كقوله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي ثم قال
وهو الذي يصلي عليكم ذكره القشيري قوله تعالى ويعذب
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات اي بايصال
الهموم اليهم بسبب علو كلمة المسلمين وبان يسلط

النبي عليه السلام قتلاً واسرًا واسترقاقا الظانين بالله
ظن السوء يعني ظنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يرجع
الى المدينه ولا احد من اصحابه حين خرج الى الحديبيه
وان المشركين يستاصلونهم كما قال بل ظننتم ان لن ينقلب
الرسول والمومنون الى اهليهم ابدًا وقال الخليل وسيبويه
السوء هنا الفساد عليهم دايرة السوء في الدنيا بالقتل
والسبي والاسر وفي الاخرة بجهنم وقرا ابن كثير وابو عمرو
دايرة السوء بالضم وفتح الباقون قال الجوهري ساءه
يسوءه سوءًا بالفتح ومساءة ومسايية نقيض سره
والاسم السوء بالضم وقرئ عليهم دايرة السوء يعني
الهزيمه والشر ومن فتح فهو من المساءه وغضب الله
عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود
السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما تقدم في غير
موضع جميعه والحمد لله وقيل لما جرى صلح الحديبيه
قال ابن ابي بطن محمد انه اذا صالح اهل مكه او فتحها
لا يبقى له عدو فاين فارس والروم فبين الله عز وجل
ان جنود السموات والارض اكثر من فارس والروم وقيل
يدخل فيه جميع المخلوقات وقال ابن عباس ولله جنود
السموات والارض المومنون واعاد لان الذي سبق
عقيب

بلغ قراءة

عقيب ذكر المشركين والمنافقين من قريش وهذا عقيب
ذكر المنافقين وساير المشركين والمراد في الموضعين
التخويف والتهديد فلو اراد اهلاك المشركين والمنافقين
لم يعجزه ذلك ولكن يوخرهم الى اجل مسمى قوله تعالى
انا ارسلناك شاهدا فاوقفته على امتك بالبلاغ وقيل
شاهدا عليهم باعمالهم من طاعة او معصية وقيل مبينا
لهم ما ارسلناك به اليهم وقيل شاهدا عليهم يوم القيامة
فهو شاهد افعالهم اليوم والشهيد عليهم يوم القيامة
وقد مضى في النسا عن سعيد بن جبير هذا المعنى مبينا
ومبشرا لمن اطاعه بالجنة ونذيرا من النار لمن عصى
قاله قتاده وغيره وقد مضى في البقرة اشتقاق البشارة
والنذارة ومعناهما وانتصب شاهدا ومبشرا ونذيرا على
الحال المقدرة حكى سيبويه مررت برجل معه صقر
صايدا به غدا فالمعنى انا ارسلناك مقدرين بشهادتك
يوم القيامة وعلى هذا تقول رايت عمرا قايما غدا
لتومنوا بالله ورسوله قرا ابن كثير وابن محيصن وابو
عمرو ليومنوا بالياء ولذلك يعزروه ويوقروه ويسبحوه
كله بالياء على الخبر واختاره ابو حاتم ويعزروه اي
يعظموه ويفخموه قاله الحسن والكلبي والتعزير التعظيم

مطلب في التعزير والتعزيز

والتوقير وقال قتادة ينصروه ويمنعوا منه ومنه التعزير في الحد لانه مانع قال القطامي :: الا بكرت مي بغير سفاهة تعاتب والمودود ينفعه العزر :: وقال ابن عباس وعكرمة يقاتلون معه بالسيف وقال بعض اهل اللغة تطيعوه وتوقروه اي تسودوه قاله السدي وقيل تعظموه :: والتوقير التعظيم والتوزير ايضا والهاء فيهما للنبي صلى الله عليه وسلم وهنا وقف تام ثم تبتدي وتسبحوه اي تسبحوا الله بكرة واصيلا اي عشيا وقيل الضماير كلها لله تعالى فعلى هذا يكون تاويل تعزروه وتوقروه اي تثبتوا له صحة الربوبية وتنفوا عنه ان يكون له ولد او شريك واختار هذا القول القشيري والاول قول الضحاك وعليه يكون بعض الكلام راجعا الى الله سبحانه وهو وتسبحوه من غير خلاف وبعضه راجعا الى رسوله وهو تعزروه وتوقروه اي تدعوه بالرساله والنبوة لا بالاسم والكنية وفي تسبحوه وجهان احدهما تسبيحه بالتنزيه له سبحانه من كل قبيح والثاني هو فعل الصلاة التي فيها التسبيح بكرة واصيلا اي غدوة وعشيا وقد مضى القول فيه وقال الشاعر ::

لعمري

لعمري لانت البيت اكرم اهله واجلس في افيايه بالاصايل
قوله تعالى ان الذين يبايعونك بالحديبية يا محمد
انما يبايعون الله يعني ان بيعتهم لنبيه صلى الله عليه وسلم
انما هي بيعة الله كما قال تعالى من يطع الرسول فقد
اطاع الله وهذه المبايعة هي بيعة الرضوان على ما
ياتي بيانها في هذه السورة ان شاء الله يد الله فوق
ايديهم قيل المعنى يده في الثواب فوق ايديهم في الوفا
ويده في المنة عليهم بالهداية فوق ايديهم في الطاعة
وقال الكلبي معناه نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا
من البيعة وقال ابن كيسان قوة الله ونصرته فوق
قوتهم ونصرتهم فمن نكث بعد البيعة فانما ينكث على
نفسه اي يرجع ضرر النكث عليه لانه حرم نفسه
الثواب والزمها العقاب ومن اوفى بما عاهد عليه
الله قيل في البيعة وقيل في ايمانه فسيؤتيه اجرا عظيما
يعني في الجنة وقرا حفص والزهري عليه بضم الهاء
وجرها الباقون وقرا نافع وابن كثير وابن عامر فسنؤتيه
بالنون واختاره الفرا وابو معاذ وقرا الباقون
بالياء وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم لقرب اسم الله منه
قوله تعالى سيقول لك المخلفون من الاعراب

اي ان نبي بنوه الله ... لك نانيهم ... بالنصر

اي انه ... يحفظ ... عيون ...

قال مجاهد وابن عباس يعني اعراب غفار ومزينة وجهينة
واسلم واشجع والديل فهم الاعراب الذين كانوا حول المدينة
تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم حين اراد السفر الى
مكة عام الفتح بعد ان كان استنفرهم ليخرجوا معه
حذرا من قريش واحرم بعمرة وساق معه الهدي ليعلم
الناس انه لا يريد حربا فتثاقلوا عنه واعتلوا بالشغل فنزلت
وانما قال المخلفون لان الله خلفهم عن صحبة نبيه والمخلف
المتروك وقد مضى في براءة شغلتنا اموالنا واهلونا
اي ليس لنا من يقوم بهما فاستغفر لنا جاءوا يطلبون
الاستغفار واعتقادهم بخلاف ظاهرهم ففضحهم
الله تعالى بقوله يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم
وهذا هو النفاق المحض قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان
اراد بكم ضرا قرا حمزة والكسائي ضرا بضم الضاد هنا فقط
اي امرا يضركم وقال ابن عباس الهزيمة الباقون بالفتح
وهو مصدر ضررته ضرا وبالضم لما ينال الانسان
من الهزال وسوء الحال والمصدر يودي عن المرة والكثر
واختاره ابو عبيد وابو حاتم قالا لانه قابله بالنفع
وهو ضد الضر وقيل هما لغتان بمعنى كالفقر والفقر
والضعف والضعف او اراد بكم نفعا اي نصرا وغنيمة
وهذا رد

وهذا رد عليهم حين ظنوا ان التخلف عن الرسول
يدفع عنهم الضرر ويعجل لهم النفع **قوله تعالى** بل ظننتم
ان لن ينقلب الرسول والمومنون الى اهليهم ابدا وذلك
انهم قالوا ان محمدا واصحابه اكلة راس لا يرجعون وزين
ذلك اي النفاق في قلوبكم وهذا التزيين من الشيطان
او يخلق الله ذلك في قلوبهم وظننتم ظن السوء ان الله لا ينصر
رسوله وكنتم قوما بورا اي هلكى قاله مجاهد وقال
قتاده فاسدين لا تصلحون لشي من الخير قال الجوهري
البور الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه قال عبد الله بن الزبعرى
يا رسول المليك ان لساني راتق ما فتقت اذ انا بور
وامراة بور ايضا حكاه ابو عبيد وقوم بور هلكى
قال الله تعالى وكنتم قوما بورا وهو جمع باير مثل حايل
وحول وقد بار فلان اي هلك وابارهُ الله اهلكه
وقيل بورا اشرارا قاله ابن بحر وقال حسان بن ثابت
لا ينفع الطول من نوك القلوب وقد يهدي الاله سبيل المعشر البور
اي الهالك **قوله تعالى** ومن لم يومن بالله ورسوله
فانا وعيد لهم وبيان انهم كفروا بالنفاق **قوله تعالى**
ولله ملك السموات والارض اي هو غني عن عباده وانما
ابتلاهم بالتكليف ليثيب من امن ويعاقب من كفر وعصا

قوله تعالى سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم
لتاخذوها يعني مغانم خيبر لان الله عز وجل وعد اهل
الحديبيه فتح خيبر وانها لهم خاصة من غاب منهم
ومن حضر ولم يغب منهم عنها غير جابر بن عبد الله
فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضر قال
ابن اسحاق وكان المتولي للقسمه بخيبر جبار بن صخر
الانصاري من بني سلمه وزيد بن ثابت من بني النجار كانا
حاسبين قاسمين ذرونا نتبعكم اي دعونا تقول ذره
اي دعه وهو يذره اي يدعه واصله وذره يذره
مثال وسعه يسعه وقد اميت صدره لا يقال
وذره ولا واذر ولكن تركه وهو تارك قال مجاهد
تخلفوا عن الخروج الى مكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم
واخذ قوما وتوجه بهم قالوا ذرونا نتبعكم فنقاتل
معكم يريدون ان يبدلوا كلام الله اي يغيروا قال
ابن زيد هو قوله تعالى فاستاذنوك للخروج
فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا الايه
وانكر هذا القول الطبري وغيره بسبب ان غزوه
تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكه وقيل المعنى
يريدون ان يغيروا وعد الله الذي وعد لاهل الحديبيه
وذلك ان الله تعالى

وذلك أن الله تعالى جعل لهم غنائم خيبر عوضا من فتح مكة
إذ رجعوا من الحديبية على صلح قاله مجاهد وقيل المعنى
وقتادة واختاره الطبري وعليه عامة أهل التأويل
وقرا حمزة والكسائي كلم باسقاط الالف وكسر اللام
جمع كلمة نحو سلمة وسلم الباقون كلام على المصدر
واختاره ابو عبيد وابو حاتم اعتبارا بقوله اني اصطفيتك
على الناس برسالاتي وبكلامي والكلام ما استقل بنفسه
من الجمل قال الجوهري الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير
والكلم لا يكون اقل من ثلاث كلمات لانه جمع كلمة مثل نبقة
ونبق ولهذا قال سيبويه هذا باب علم ما الكلم من العربية
ولم يقل ما الكلام لانه اراد نفس ثلاثة اشيا الاسم والفعل
والحرف فجا بما لا يكون الا جمعا وترك ما يمكن ان يقع على
الواحد والجماعة وتميم تقول هي كلمة بكسر الكاف وقد
مضى في براءة القول فيها كذلكم قال الله من قبل اي من قبل
رجوعنا من الحديبية ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية
خاصة فسيقولون بل تحسدونا ان نصيب معكم من
المغانم وقيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خرجتم لم
امنعكم الا انه لا سهم لكم فقالوا هذا حسد فقال المسلمون
قد اخبرنا الله في الحديبية بما سيقوله وهو قوله تعالى

فسيقولون بل تحسدوننا فقال الله تعالى بل كانوا لا يفقهون
الا قليلا يعني لا يعلمون الا امر الدنيا وقيل لا يفقهون من امر الدنيا
الا قليلا وهو من ترك النفاق قوله تعالى قل للمخلفين
من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد فيه اربع مسائل
الاولى قوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب ستدعون اي قل
لهولاء الذين تخلفوا عن الحديبيه ستدعون الى قوم اولي
باس شديد قال ابن عباس وعطا بن ابي رباح ومجاهد وابن
ابي ليلى وعطا الخراساني هم فارس وقال كعب والحسن وعبد
الرحمن بن ابي ليلى الروم وعن الحسن ايضا فارس والروم وقال
ابن جبير هوازن وثقيف وقال عكرمه هوازن وقال قتادة
هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري ومقاتل بنو
حنيفه اهل اليمامه اصحاب مسيلمه وقال رافع بن خديج والله
لقد كنا نقرا هذه الايه فيما مضى ستدعون الى قوم اولي باس
شديد فلا نعلم من هم حتى دعانا ابو بكر الى قتال بني حنيفه
فعلمنا انهم هم وقال ابو هريرة لم تات هذه الايه بعد وظاهر
الايه يرده الثانيه في هذه الايه دليل على صحة امامة ابي بكر
وعمر رضي الله عنهما لان ابا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفه
وعمر دعاهم الى قتال فارس والروم واما قول عكرمه
وقتاده ان ذلك في هوازن وغطفان يوم حنين فلا لانه

يمتنع

يمتنع ان يكون الداعي لهم الرسول عليه السلام لانه قال
لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا فدل على ان
المراد بالداعي غير النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم انه لم
يدع هؤلاء القوم بعد النبي صلى الله عليه وسلم الا ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما الزمخشري فان صح ذلك عن قتاده
فالمعنى لن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من
مرض القلوب والاضطراب في الدين او على قول مجاهد
كان الموعد انهم لا يتبعون رسول الله عليه وسلم الا
متطوعين لا نصيب لهم في المغنم والله اعلم الثالثه
قوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون هذا حكم من لا تؤخذ منه
الجزية وهو معطوف على تقاتلونهم اي يكون احد الامرين
اما المقاتله واما الاسلام لا ثالث لهما وفي حرف ابي
او يسلموا بمعنى حتى يسلموا كما تقول كل او تشبع اي
حتى تشبع قال فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا
او نموت فنعذرا وقال الزجاج او يسلمون لان المعنى
او هم يسلمون من غير قتال وهذا في قتال المشركين لا في
اهل الكتاب الرابعه قوله تعالى فان تطيعوا يؤتكم
الله اجرا حسنا الغنيمة والنصر في الدنيا والجنه في
الاخره وان تتولوا كما توليتم من قبل عام الحديبيه

يعذبكم عذابا اليما وهو عذاب النار قوله تعالى ليس على
الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج الايه قال ابن عباس لما نزلت
وان تتولوا يعذبكم عذابا اليما قال اهل الزمانه كيف بنا يا
رسول الله فنزلت ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج
ولا على المريض حرج اى لا اثم عليهم في التخلف عن الجهاد لعماهم
وزمانتهم وضعفهم وقد مضى في براه وغيرها الكلام فيه
مبينا والعرج افة تعرض لرجل واحدة واذا كان
ذلك مخلا للرجلين اولى ان يوثر وقال مقاتل هم اهل الزمانه
الذين تخلفوا عن الحديبيه وقد عذرهم اى لمن شاان يسير
منهم معكم الى خيبر فليفعل ومن يطع الله ورسوله فيما امره
يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار قرا نافع وابن عامر
ندخله بالنون على التعظيم الباقون بالياء واختاره ابو عبيد
وابو حاتم لتقدم اسم الله اولا ومن يتول يعذبه عذابا
اليما قوله تعالى لقد رضى الله عن المومنين اذ يبايعونك
تحت الشجره هذه بيعة الرضوان وكانت بالحديبيه
وهذا خبر الحديبيه على اختصار وذلك ان النبي صلى الله عليه
وسلم اقام منصرفه من غزوة بنى المصطلق في شوال
وخرج في ذى القعده معتمرا واستنفر الاعراب الذين حول
المدينه فابطا عنه اكثرهم وخرج صلى الله عليه وسلم

بمن معه

بمن معه من المهاجرين والانصار ومن اتبعه من المهاجرين
والانصار ومن اتبعه من العرب وجميعهم نحو الف واربع
مايه وقيل الف وخمس مايه وقيل غير هذا على ما ياتي وساق
معه الهدي فاحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلم الناس
انه لم يخرج لحرب فلما بلغه خروجه قريشا جمعهم صادين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام ودخول مكه
وانه ان قاتلهم قاتلوه دون ذلك وقدموا خالد بن الوليد
في خيل الى كراع الغميم فورد الخبر بذلك على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو بعسفان وكان المخبر له بشر بن
سفيان الكعبي فسلك طريقا يخرج به في ظهورهم وخرج
الى الحديبيه من اسفل مكه وكان دليله فيهم رجل من اسلم
فلما بلغ ذلك خيل قريش التي مع خالد جرت الى قريش تعلمهم
بذلك فلما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبيه
بركت ناقته صلى الله عليه وسلم فقال الناس خلات خلات
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلات وما هو لها بخلق
ولكن حبسها حابس الفيل عن مكه لا تدعوني قريش اليوم
الى خطه يسلوني فيها صلة رحم الا اعطيتهم اياها ثم نزل صلى الله
عليه وسلم هناك فقيل يا رسول الله ليس بهذا الوادي ماء
فاخرج عليه السلام سهما من كنانته فاعطاه رجلا من

اصحابه فنزل في قليب من تلك القلب وغرزه في جوفه فجاش
بالماء الوادي حتى كفى جميع اهل الجيش وقيل ان الذي نزل بالسهم
في القليب ناجية بن جندب بن عمير الاسلمي وهو سايق
بدن النبي صلى الله عليه وسلم يوميذ وقيل نزل بالسهم في
القليب البرا ابن عازب ثم جرت السفرا بين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش وطال التراجع
والتنازع الى ان جاه سهيل بن عمرو العامري فقاضاه
على ان ينصرف عليه السلام عامه ذلك فاذا كان من
قابل اتى معتمرا ودخل هو واصحابه مكه بلا سلاح حاشى
السيوف في قربها فيقيم بها ثلثا ويخرج وعلى ان يكون
بينه وبينهم صلح عشرة اعوام يتداخل فيها الناس
ويامن بعضهم بعضا وعلى ان من جا من الكفار الى المسلمين
مسلما من رجل او امراة رد الى الكفار ومن جا من المسلمين
الى الكفار مرتدا لم يردوه الى المسلمين فعظم ذلك على المسلمين
حتى كان لبعضهم فيه كلام وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اعلم لما علمه الله من انه سيجعل للمسلمين فرجا
فقال لاصحابه اصبروا فان الله يجعل هذا الصلح سببا لظهور
دينه فانس الناس الى قوله هذا بعد نفار منهم وابى
سهيل بن عمرو ان يكتب في صدر صحيفه الصلح من محمد
رسول الله

رسول الله وقالوا له لو صدقناك بذلك ما دفعناك عما تريد
ولابد ان تكتب باسمك اللهم فقال لعلي وكان يكتب صحيفة الصلح
امح يا علي واكتب باسمك اللهم فابى علي ان يمحوا بيده محمد
رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضه
علي فاشار اليه فمحاه صلى الله عليه وسلم بيده وامره ان
يكتب من محمد بن عبد الله واتى ابو جندل بن سهيل يوصيد بأثر
كتاب الصلح وهو يرسف في قيوده فرده رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى ابيه فعظم ذلك على المسلمين فاخبرهم
صلى الله عليه وسلم واخبر ابا جندل ان الله سيجعل له
فرجا ومخرجا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل الصلح قد بعث عثمان بن عفان الى مكة رسولا فجا خبر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بان اهل مكة قتلوه فدعى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ الى المبايعة له على
الحرب والقتال لاهل مكة فروي انه بايعهم على الموت
وروي انه بايعهم على ان لا يفروا وهي بيعة الرضوان
تحت الشجرة التي اخبر الله تعالى انه رضي عن المبايعين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها واخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم انهم لا يدخلون النار وضرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيمينه على شماله لعثمان فهو كمن شهدها

وذكر وكيع عن اسماعيل بن ابي خالد عن الشعبي قال اول من
بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبيه ابو سفيان
الاسدي وفي صحيح مسلم عن ابي الزبير عن جابر قال كنا
يوم الحديبية الفا واربع مايه فبايعناه وعمر اخذ بيده
تحت الشجره وهي سمرة قال بايعناه على ان لا نفر ولم
نبايعه على الموت وعنه انه سمع جابرا يسئل كم كانوا
يوم الحديبية قال كنا اربع عشره مايه فبايعناه وعمر اخذ
بيده تحت الشجره وهي سمرة فبايعناه غير جد بن
قيس الانصاري اختبا تحت بطن بعيره وعن سالم بن ابي
الجعد قال سالت جابر بن عبد الله عن اصحاب الشجرة
فقال لو كنا مايه الف لكفانا كنا الفا وخمسمايه في رواية
كنا خمس عشرة مايه وعن عبد الله بن ابي اوفى قال كان
اصحاب الشجره الفا وثلث مايه وكانت اسلم ثمن المهاجرين
وعن يزيد بن ابي عبيد قال قلت لسلمة على اي شي بايعتم
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال على الموت
وعن البرا ابن عازب قال كتب علي رضي الله عنه الصلح بين
النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين يوم الحديبيه فكتب
هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا لا تكتب رسول الله فلو نعلم انك رسول الله لم نقاتلك

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي امحه فقال ما انا بالذي
امحاه فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده وكان فيما اشترطوا
ان يدخلوا مكة فيقيموا فيها ثلاثا ولا يدخلها بسلاح الا جلبان
السلاح القراب وما فيه وعن انس ان قريشا صالحوا النبي
صلى الله عليه وسلم فيهم سهيل بن عمرو فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل
بن عمرو اما بسم الله فما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن
اكتب ما نعرف باسمك اللهم فقال اكتب من محمد رسول الله
قالوا لو علمنا انك رسوله لاتبعناك ولكن اكتب اسمك واسم
ابيك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب من محمد بن عبد الله
فاشترطوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان من جا منكم لم نرده
عليكم وان من جا منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله
انكتب هذا قال نعم انه من جا منا اليهم فابعده الله ومن جاء
منهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا وعن ابي وايل قال قام
سهل بن حنيف يوم صفين فقال يايها الناس اتهموا انفسكم
لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية
ولو نرى قتالا لقاتلنا وذلك في الصلح الذي كان بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين فجا عمر
بن الخطاب رضي الله عنه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال يا رسول الله السنا على حق وهم على باطل قال بلى قال
اليس قتلانا في الجنه وقتلاهم في النار قال بلى قال ففيم
نعطي الدنية في دينا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم
قال يا ابن الخطاب اني رسول الله ولن يضيعني الله ابدا
قال فانطلق عمر فلم يصبر متغيظا فاتى ابا بكر فقال
يا ابا بكر السنا على حق وهم على باطل قال بلى قال اليس
قتلانا في الجنه وقتلاهم في النار قال بلى قال فعلام نعطي
الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم
فقال يا ابن الخطاب انه رسول الله ولن يضيعه الله ابدا
قال فنزل القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح
فارسل الى عمر فاقراه اياه فقال يا رسول الله او فتح هو
قال نعم فطابت نفسه ورجع قوله تعالى فعلم ما في
قلوبهم من الصدق والوفا قاله الفرا وقال ابن جريج وقتادة
من الرضى بامر البيعة على ان لا يفروا وقال مقاتل من كراهة
البيعة على ان يقاتلوا معه على الموت فانزل السكينة
عليهم حتى بايعوا وقيل فعلم ما في قلوبهم من الكابة بصد
المشركين اياهم وتخلف رويا النبي صلى الله عليه وسلم عنهم
اذ راى انه يدخل الكعبة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما ذلك رويا منام وقال الصديق لم يكن فيها الدخول في

هذا العام

هذا العام والسكينة الطمأنينة وسكون النفس الى صدق
الوعد وقيل الصبر واثابهم فتحا قريبا قال قتادة وابن ابي
ليلى فتح خيبر وقيل فتح مكة وقرئ واتاهم ومغانم كثيرة
ياخذونها يعني اموال خيبر وكانت خيبر ذات عقار
واموال وكانت خيبر بين الحديبية ومكة فمغانم على هذا
بدل من فتحا قريبا والواو مقحمة وقيل ومغانم فارس
والروم **قوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها**
قال ابن عباس ومجاهد انها المغانم التي تكون الى يوم
القيامة وقال ابن زيد هي مغانم خيبر فعجل لكم هذه اي
خيبر قاله مجاهد وقال ابن عباس عجل لكم صلح الحديبية
وكف ايدي الناس عنكم يعني اهل مكة كفهم عنكم بالصلح وقال
قتادة كف ايدي اليهود عن المدينة بعد خروج النبي صلى
الله عليه وسلم الى الحديبية وخيبر وهو اختيار الطبري
لان كف ايدي المشركين بالحديبية مذكور في قوله وهو
الذي كف ايديهم عنكم وقال ابن عباس في كف ايدي الناس
عنكم يعني عيينة بن حصن الفزاري وعوف بن مالك النضري
ومن كان معهما اذ جاؤوا لينصروا اهل خيبر والنبي صلى
الله عليه وسلم محاصر لهم فالقى الله عز وجل في قلوبهم
الرعب وكفهم عن المسلمين ولتكون اية للمومنين

اي ولتكون هزيمتهم وسلامتكم اية للمومنين فيعلموا ان الله
يحرسهم في مشهدهم ومغيبهم وقيل اي ولتكون هذه التي
عجلها لكم اية للمومنين على صدقك حيث وعدتهم ان يصيبوها
وعلى الواو في ولتكون مقحمة عند الكوفيين وقال البصريون
عاطفة على مضمر اي وكف ايدي الناس عنكم لتشكروه ولتكون
اية للمومنين ويهديكم صراطا مستقيما اي يزيدكم هدى او
يثبتكم على الهداية **قوله تعالى** واخرى اخرى معطوفة
على هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا
عليها قد احاط الله بها قال ابن عباس هي الفتوح التي فتحت
على المسلمين كارض فارس والروم وجميع ما فتحه المسلمون
وهو قول الحسن ومقاتل وابن ابي ليلى وعن ابن عباس ايضا
والضحاك وابن زيد وابن اسحاق هي خيبر وعدها الله نبيه
قبل ان يفتتحها ولم يكونوا يرجونها حتى اخبرهم الله بها
وعن الحسن ايضا وقتادة هو فتح مكة وقال عكرمة حنين
لانه قال لم تقدروا عليها وهذا يدل على تقدم محاولة
لها وفوات درك المطلوب في الحال كما كان في مكة قاله
القشيري وقال مجاهد هي ما يكون الى يوم القيامة
ومعنى قد احاط الله بها اي اعدها لكم فهي كالشيء الذي
قد احيط به من جوانبه فهو محصور لا يفوت

فانتم

وقيل [illegible] عاطفة

فانتم وان لم تقدروا عليها في الحال فهي محبوسة عليكم
لا تفوتكم وقيل احاط الله بها علم انها ستكون لكم كما قال
وان الله قد احاط بكل شي علما وقيل حفظها الله عليكم ليكون
فتحها لكم وكان الله على كل شي قديرا **قوله تعالى** ولو
قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار قال قتاده يعني كفار
قريش في الحديبيه وقيل ولو قاتلكم غطفان واسد
والذين ارادوا نصرة اهل خيبر لكانت الدايره عليهم ثم لا
يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل يعني
طريقة الله وعادته السالفه نصر اوليايه على اعدايه وانتصب
سنة على المصدر وقيل سنة الله اي كسنة الله والسنه
الطريقه والسيره قال فلا تجزعن من سنة انت سرتها
فاول راض سنة من يسيرها والسنة ايضا ضرب من
تمر المدينة ولن تجد لسنة الله تبديلا **قوله تعالى**
وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة وهي الحديبية
من بعد ان اظفركم عليهم روى يزيد بن هارون قال انا حماد
بن سلمة عن ثابت عن انس ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا
على النبي صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون
غرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذناهم سلما
فاستحييناهم فانزل الله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم

وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وقال عبد الله بن
مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في
اصل الشجرة التي قال الله في القران فبينا نحن كذلك اذ خرج علينا
ثلثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعى عليهم
النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل جيتم في عهد احد وهل جعل لكم
احدا مانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فانزل الله تعالى وهو
الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم الاية وذكر ابن هشام عن
وكيع وكانت قريش قد جا منهم نحو سبعين رجلا او ثمانين
رجلا للايقاع بالمسلمين وانتهاز الفرصة في اطرافهم
ففطن المسلمون لهم فاخذوهم اسرى وكان ذلك والسفرا
يمشون بينهم في الصلح فاطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهم الذين يسمون العتقا ومنهم معاوية وابوه وقال مجاهد
اقبل النبي صلى الله عليه وسلم معتمرا اذ اخذ اصحابه ناسا
من الحرم غافلين فارسلهم النبي صلى الله عليه وسلم فذلك الاظفار
ببطن مكة وقال قتادة ذكر لنا ان رجلا من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم يقال له زنيم اطلع الثنية من الحديبية
فرماه المشركون بسهم فقتلوه فبعث النبي صلى الله عليه
وسلم خيلا فاتوا باثني عشر فارسا من الكفار فقال لهم
النبي

النبي صلى الله عليه وسلم هل لكم علي ذمة قالوا لا فارسلهم
فنزلت وقال ابن ابزا والكلبي هم اهل الحديبية كف
الله ايديهم عن المسلمين حتى وقع الصلح وكانوا خرجوا
باجمعهم وقصدوا المسلمين وكف ايدي المسلمين عنهم وقد تقدم
ان خالد بن الوليد كان في خيل المشركين قال القشيري فهذه
رواية والصحيح انه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك
الوقت وقد قال سلمة بن الاكوع كانوا في امر الصلح اذا اقبل
ابو سفيان فاذا الوادي يسيل بالرجال والسلاح قال
فجيت بستة من المشركين اسوقهم متسلحين لا يملكون لانفسهم
نفعا ولا ضرا فاتيت بهم رسول الله وكان عمر قال في الطريق
يا رسول الله تاتي قوما حربا وليس معنا سلاح ولا كراع
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة من الطريق
فاتوه بكل سلاح وكراع كان فيها واخبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان عكرمة بن ابي جهل خرج اليك في خمس
مائة فارس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن
الوليد هذا ابن عمك اتاك في خمس مائة فقال ها انا ذا انا
سيف الله وسيف رسوله فيومئذ سمي سيف الله فخرج
ومعه خيل وهزم الكفار ودفعهم الى حوائط مكة وهذه
الرواية اصح وكان بينهم قتال بالحجارة وقيل بالنبل والظفر

وقيل اراد بكفّ اليد انه شرط في الكتاب ان من جاءنا منهم
فهو ردّ عليهم فخرج اقوام من مكة مسلمون وخافوا ان
يردّهم الرسول عليه السلام الى المشركين فلحقوا بالساحل
ومنهم ابو بصير وجعلوا يغيرون على الكفار ويأخذون عيرهم
حتى جاء كبار قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا اضممهم
اليك حتى نأمن ففعل وقيل همّت غطفان واسد منع المسلمين
من يهود خيبر لانهم كانوا حلفاءهم فمنعهم الله عن ذلك
فهو كف اليد ببطن مكة فيه قولان احدها يريد به
مكة الثاني الحديبية لان بعضها مضاف الى الحرم قال
الماوردي وفي قوله من بعد ان اظفركم عليهم يفتح مكة
وتكون هذه نزلت بعد فتح مكة وفيها دليل على
ان مكة فتحت صلحا لقوله تعالى كفّ ايديهم عنكم وايديكم
عنهم قلت الصحيح ان هذه الاية نزلت في الحديبية قبل
فتح مكة حسب ما قدّمناه عن اهل التأويل من الصحابة
والتابعين وروى الترمذي قال ثنا عبد بن حميد قال
حدثني سليمان بن حرب قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت
عن انس ان ثمانين هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الصبح وهم يريدون
ان يقتلوه فاخذوا اخذا فاعتقهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم
عنهم الآية قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقد تقدم
واما فتح مكة فالذي تدل عليه الاخبار انها انما فتحت
عنوة وقد مضى القول في ذلك في الحج وغيرها وكان الله
بما تعملون بصيرا قوله تعالى هم الذين كفروا يعني قريشا
وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله
فيه ثلث مسائل الاولى قوله تعالى هم الذين كفروا
يعني قريشا منعوكم دخول المسجد الحرام عام الحديبية حين
احرم النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه بعمرة ومنعوا
الهدي وحبسوه عن ان يبلغ محله وهذا كانوا لا يعتقدونه
ولكنه حملهم الانفة ودعتهم حمية الجاهلية الى ان يفعلوا
ما لا يعتقدونه دينا فوبخهم الله على ذلك وتوعدهم عليه
وادخل الانس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيانه ووعده
الثانية قوله تعالى والهدي معكوفا اي محبوسا وقيل
واقفا قال ابو عمرو بن العلا مجموعا الجوهري عكفه
اي حبسه ووقفه يعكفه ويعكفه عكفا ومنه قوله تعالى
والهدي معكوفا يقال ما عكفك عن كذا ومنه الاعتكاف
في المسجد وهو الاحتباس ان يبلغ محله اي منحره قال الفراء
وقال الشافعي الحرم وكذا قال ابو حنيفة المحصر محل هديه

الحرم والمحل بكسر الحاء غاية الشي وبالفتح هو الموضع الذي
يحله الناس وكان الهدي سبعين بدنة ولكن الله بفضله جعل
ذلك الموضع له محلا وقد اختلف العلما في هذا على ما تقدم بيانه
في البقرة عند قوله فان احصرتم والصحيح ما ذكرناه وفي
صحيح مسلم عن ابي الزبير عن جابر بن عبد الله قال نحرنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية البدنة عن سبعة
والبقرة عن سبعة وعنه قال اشتركنا مع النبي صلى الله عليه
وسلم في الحج والعمرة كل سبعة في بدنة فقال رجل لجابر
ايشترك في البدنة ما يشترك في الجزور قال ما هي الا
من البدن وحضر جابر الحديبية قال ونحرنا يومئذ سبعين
بدنة اشتركنا كل سبعة في بدنة وفي البخاري عن ابن عمر
قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال
كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بدنه وحلق راسه فقيل ان الذي حلق راسه يومئذ خراش
بن امية بن ابي العيص الخزاعي وامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم المسلمين ان ينحروا ويحلوا ففعلوها بعد
توقف كان منهم اغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت له ام سلمة لو نحرت لنحروا فنحر رسول الله
صلى الله عليه وسلم هديه ونحروا بنحره وحلق رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم راسه ودعا للمحلقين ثلثا وللمقصرين
مرة راى كعب بن عجرة والقمل يسقط على وجهه فقال ايوذيك
هوامك قال نعم فامره ان يحلق وهو بالحديبية خرجه
البخارى والدارقطنى وقد مضى فى البقرة الثالثة قوله
تعالى والهدى الهدى والهدى لغتان وقرى حتى يبلغ
الهدى محله بالتخفيف والتشديد الواحد هديه وقد
مضى فى البقرة ايضا وهو معطوف على الكاف والميم من
صدوكم ومعكوفا حالا وموضع ان من قوله ان يبلغ محله
نصب على تقدير الحمل على صدوكم اى صدوكم وصدوا
الهدى على ان يبلغ ويجوز ان يكون مفعولا له كانه قال
وصدوا الهدى كراهية ان يبلغ محله ابو على لا يصح حمله
على العكف لانا لا نعلم عكف جا متعديا ومجى معكوفا
فى الاية يجوز ان يكون محمولا على المعنى كانه لما كان حبسا
حمل المعنى على ذلك كما حمل الرفث على معنى الافضا
فعدى بالى فان حمل على ذلك كان موضعه نصبا على قياس
قول سيبويه وجرا على قياس قول الخليل او يكون مفعولا
له كانه قال محبوسا كراهة ان يبلغ محله ويجوز تقدير
الخبر فى ازلان عن تقدمت فكانه قال وصدوكم عن المسجد
الحرام وصدوا الهدى عن ان يبلغ محله ومثله ما حكاه

سيبويه عن يونس مررت برجل ان زيد وان عمرو فاضمر
الجار لتقدم ذكره قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون
ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم منهم معرة
بغير علم فيه ثلث مسايل الاولى قوله تعالى ولولا
رجال مؤمنون يعني المستضعفين من المؤمنين بمكه وسط
الكفار كسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة وابي جندل
ابن سهيل واشباههم لم تعلموهم اي تعرفوهم وقيل لم تعلموهم
انهم مومنون اي تطوهم بالقتل والايقاع بهم يقال وطيت
القوم اي وقعت بهم وان يجوز ان يكون رفعا على البدل
من رجال ونساء كانه قال ولولا وطؤكم رجالا مؤمنين
ونساء مومنات ويجوز ان يكون نصبا على البدل من
الهاء والميم في تعلموهم فيكون التقدير لم تعلموا وطاهم
وهو في الوجهين بدل الاشتمال وقوله تعلموهم نعت لرجال
ونساء وجواب لولا محذوف والتقدير ولولا ان تطؤا
رجالا مومنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم لاذن الله لكم
في دخول مكة ولسلطكم عليهم ولكنا صنا من كان فيها
يكتم ايمانه خوفا وقال الضحاك لولا من اصلاب الكفار
وارحام نسابهم من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات
لم تعلموا ان تطؤا اباهم فيهلك ابناؤهم الثانية قوله تعالى
فتصيبكم منهم

فتصيبكم منهم معرة بغير علم المعرة العيب وهي مفعلة من
العر وهو الجرب اي يقول المشركون قد قتلوا اهل دينهم
وقيل المعنى يصيبكم من قتلهم ما يلزمكم من اجله كفارة قتل الخطا
لان الله تعالى انما اوجب على قاتل المومن في دار الحرب اذا لم
يكن هاجر منها ولم يعلم بايمانه الكفارة دون الدية في قوله
فان كان من قوم عدو لكم وهو مومن فتحرير رقبة مومنة قاله
الكلبي ومقاتل وغيرهما وقد مضى في النسا القول فيه وقال
ابن زيد معرة اثم وقاله الجوهري ابن اسحاق غرم الدية
قطرب شدة وقيل غم **الثالثة** قوله تعالى بغير علم
تفضيل للصحابة واخبار عن صفتهم الكريمة عن العفة
عن المعصية والعصمة عن التعدي حتى انهم لو اصابوا
من ذلك احدا لكان عن غير قصد وهذا كما وصفت النملة عن
جند سليمان في قولها لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا
يشعرون **قوله تعالى** ليدخل الله في رحمته من يشاء
لو تزيلوا فيه اربع مسايل **الاولى** قوله تعالى ليدخل الله
الله في رحمته من يشا اللام في ليدخل متعلقة بمحذوف
اي لو قتلتموهم لادخلهم الله في رحمته ويجوز ان يتعلق
بالايمان ولا يحمل على مومنين دون مومنات ولا على مومنات
دون مومنين لان الجميع يدخلون في الرحمة وقيل المعنى لم ياذن

الله لكم في قتال المشركين ليسلم بعد الصلح من قضى ان يسلم من اهل
مكة ولذلك كان اسلم الاكثر منهم وحسن اسلامه ودخلوا في
رحمته اي جنته **الثانية** قوله تعالى لو تزيلوا اي تميزوا
قاله القتبي وقيل لو تفرقوا قاله الكلبي وقيل لو زال المومنون
من بين اظهر الكفار لعذب الكفار بالسيف قاله الضحاك ولكن الله
يدفع بالمومنين عن الكفار وقال علي رضي الله عنه سالت النبي صلى
الله عليه وسلم عن هذه الاية لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا فقال
هم المشركون من اجداد نبي الله ومن كان بعدهم وفي عصرهم كان
في اصلابهم قوم مومنون فلو تزيل المومنون عن اصلاب الكافرين
الكافرين لعذب الله تعالى الكافرين عذابا اليما **الثالثة** هذه
الاية دليل على مراعاة الكافر في حرمة المومن اذ لا يمكن اذاية
الكافر الا باذاية المومن قال ابو زيد قلت لابن القاسم ارايت
لو ان قوما من المشركين في حصن من حصونهم حصرهم اهل
الاسلام وفيهم قوم من المسلمين اسارى في ايديهم ايحرق
هذا الحصن ام لا قال سمعت مالكا وسئل عن قوم من المشركين
في مراكبهم ايرمى في مراكبهم بالنار ومعهم الاسارى في مراكبهم
قال فقال مالك لا ارى ذلك لقول الله تعالى لاهل مكة لو تزيلوا
لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما ولذلك لو تترس كافر
بمسلم لم يجز رميه وان فعل ذلك فاعل فاتلف احدا من المسلمين

فعليه

فعليه الدية والكفارة فان لم يعلموا فلا دية ولا كفارة
وذلك انهم اذا علموا فليس لهم ان يرموا فاذا فعلوه
صاروا قتله خطا والدية على عواقلهم فان لم يعلموا فلهم
ان يرموا واذا ابيحوا الفعل لم يجز ان يبقى عليهم فيها تباعه
قال ابن العربي وقد قال جماعه ان معناه لو تزيلوا عن بطون
النساء واصلاب الرجال وهذا ضعيف لان من في الصلب
او في البطن لا يوطا ولا تصيب منه معره وهو سبحانه قد
صرح فقال ولولا رجال مومنون ونسا مومنات لم تعلموهم
ان تطوهم وذلك لا ينطلق على من في بطن المراه وصلب
الرجال وانما ينطلق على مثل الوليد بن الوليد وسلمه ابن هشام
وعياش بن ابي ربيعه وابي جندل بن سهيل ولذلك قال
مالك وقد حاصرنا مدينة الروم فحبس عنهم الما فكانوا
ينزلون الاسارى يستقون لهم الما فلا يقدر احد على
رميهم بالنبل فيحصل لهم الما بغير اختيارنا وقد جوز ابو
حنيفة واصحابه والثوري الرمي في حصون المشركين
وان كان فيهم اسارى من المسلمين واطفالهم ولو تترس
كافر بولد مسلم رمي المشرك وان اصيب احد من المسلمين
فلا دية فيه ولا كفاره وقال الثوري فيه الكفاره ولا دية وقال
الشافعي بقولنا وهذا ظاهر فان التوصل الى المباح بالمحظور

لا يجوز سيما بروح المسلم فلا قول الا ما قاله مالك والله اعلم
قلت قد يجوز قتل الترس ولا يكون فيه اختلاف ان شا الله
وذلك اذا كانت المصلحة ضرورية انها لا يحصل الوصول
الى الكفار الا بقتل الترس ومعنى انها كلية انها قاطعة لكل
الامة حتى يحصل من قتل الترس مصلحة كل المسلمين فان لم يفعل
قتل الكفار الترس واستولوا على كل الامة ومعنى كونها
قطعية ان تلك المصلحة حاصلة من قتل الترس قطعا قال
علماونا وهذه المصلحة بهذه القيود لا ينبغي ان يختلف
في اعتبارها لان الغرض ان الترس مقتول قطعا فاما بايدي
العدو فتحصل المفسدة العظيمة التي هي استيلاء العدو
على كل المسلمين واما بايدي المسلمين فيهلك العدو وينجو
المسلمون اجمعون ولا يتاتى لعاقل ان يقول لا يقتل الترس
في هذه الصورة بوجه لانه يلزم منه ذهاب الترس والاسلام
والمسلمين لكن لما كانت هذه المصلحة غير خالية من المفسدة
نفرت منها نفس من لم يمعن النظر فيها فان تلك المفسدة
بالنسبة الى ما يحصل منها عدم او كالعدم والله اعلم
الرابعة قراة العامة لو تزيلوا الا ابا حيوة فانه
قرا تزايلوا وهو مثل تزيلوا في المعنى والتزايل التباين
وتزيلوا تفعلوا من زلت وقيل هي تفعلوا العذبنا الذين
كفروا

قيل اللام جواب لكلا منهما لولا رجال والثاني
لو تزيلوا وقيل جواب لولا محذوف وقد تقدم ولو
تزيلوا ابتدا كلام **قوله تعالى اذ جعل الذين كفروا**
في قلوبهم الحمية العامل في اذ قوله لعذبنا اي
لعذبناهم اذ فعلوا هذا او فعل مضمر تقديره
واذكروا الحمية فعيلة وهي الانفة يقال حميت
عن كذا حمية بالتشديد ومحمية اذا انفت وداخلك
عار وانفة ان تفعله ومنه قول المتلمس
الا انني منهم وعرضي عرضهم كذا الراس يحمي انفه ان يهشما
قال الزهري حميتهم انفتهم من الاقرار للنبي صلى الله عليه
وسلم بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم
ومنعهم من دخول مكة وكان الذي امتنع من كتاب
بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله سهيل بن عمرو
على ما تقدم وقال ابن بحر حميتهم عصبيتهم لالهتهم
التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى والانفة
ان يعبدوا غيرها وقيل حمية الجاهلية انهم قالوا
قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا في منازلنا
واللات والعزى لا يدخلها ابدا فانزل الله سكينته
اي الطمانينة والوقار على رسوله وعلى المومنين

وقيل ثبتهم على الرضا والتسليم ولم يدخل قلوبهم ما
ادخل قلوب اوليك من الحمية والزمهم كلمة التقوى
قيل لا اله الا الله روي مرفوعا من حديث ابي بن كعب
عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو قول علي وابن عمر
وابن عباس وعمرو بن ميمون ومجاهد وقتادة
وعكرمة والضحاك وسلمة بن كهيل وعبيد بن عمر
وطلحة بن مصرف والربيع والسدي وابن زيد وقاله
عطا الخراساني وزاد محمد رسول الله وعن علي وابن
عمر ايضا هي لا اله الا الله والله اكبر وقال عطا بن ابي
رباح ومجاهد ايضا هي لا اله الا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال الزهري
هي بسم الله الرحمن الرحيم ان المشركين لم تقر بهذه الكلمة
فخص الله بها المومنين وكلمة التقوى هي التي تتقي بها
من الشرك وعن مجاهد ايضا ان كلمة التقوى الاخلاص
وكانوا احق بها واهلها اي احق بها من كفار مكة لان
الله تعالى اختارهم لدينه وصحبة نبيه وكان الله
بكل شيء عليما قوله تعالى لقد صدق الله رسوله
الرؤيا بالحق الاية قال قتادة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم راي في المنام انه يدخل مكة على هذه

الصفة

ومن عيون: والوجه اخر البعد

الصفة فلما صالح قريشا بالحديبية ارتاب المنافقون
حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يدخل
مكة فانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا
فاعلمهم انهم سيدخلون في غير ذلك العام وان
رؤياه صلى الله عليه وسلم حق وقيل ان ابا بكر رضي
الله عنه هو الذي قال ان المنام لم يكن موقتا بوقت
وانه سيدخل وروي ان الرؤيا كانت بالحديبية
ورؤيا الانبيا حق والرؤيا احد وجوه الوحي الى
الانبيا لتدخلن اي في العام القابل المسجد الحرام
ان شا الله قال ابن كيسان انه حكاية ما قيل للنبي
صلى الله عليه وسلم في منامه خوطب في منامه
بما جرت به العادة فاخبر الله عن رسوله انه
قال ذلك ولهذا استثنى تادب باداب الله حيث
قال تعالى ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان
يشا الله وقيل خاطب الله العباد بما يجب ان
يقولوه كما قال ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا
ان يشا الله وقيل استثنى فيما يعلم ليستثني الخلق
فيما لا يعلمون قاله ثعلب وقيل كان الله علم انه
يميت بعض هولاء الذين كانوا معه بالحديبية فوقع

الاستثنا لهذا المعنى قاله الحسين بن الفضل وقيل الاستثنا
من امنين وذلك راجع الى مخاطبه العباد على ما جرت به
العاده وقيل معنى ان شا الله ان امركم الله بالدخول وقيل
اي ان سهل الله وقيل ان شا الله اي كما شا الله وقال ابو
عبيد فان بمعنى اذ اي اذ شا الله كقوله تعالى اتقوا الله
وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مومنين اى اذ كنتم وفيه بعد
لان اذ في الماضي من الفعل واذا في المستقبل وهذا الدخول
في المستقبل فوعدهم دخول المسجد الحرام وعلقه بشرط
المشيه وذلك عام الحديبيه فاخبر اصحابه بذلك
فاستبشروا ثم تاخر ذلك عن العام الذي طمعوا فيه
فساهم ذلك واشتد عليهم وصالحهم ورجع ثم اذن الله
في العام المقبل فانزل الله لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق
وانما قيل له في المنام فليس هنا شك كما زعم بعضهم ان الاستثنا
يدل على الشك والله تعالى لا يشك ولتدخلن تحقيق فكيف
يكون شك فان بمعنى اذا امنين اى من العدو محلقين روسكم
ومقصرين والتحليق والتقصير جميعا للرجال ولذلك
غلب المذكر على المونث والحلق افضل وليس للنسا الا
التقصير وقد مضى القول في هذا في البقره وفي الصحيح
ان معاويه اخذ من شعر النبي صلى الله عليه وسلم على المروه

بمشقص

يستنقص وهذا كان في العمرة لا في الحج لان النبي صلى الله عليه
وسلم حلق في حجته لا تخافون حال من المحلقين والمقصرين
والتقدير غير خايفين فعلم ما لم تعلموا انتم وذلك انه
عليه السلام لما رجع مضى منها الى خيبر واخذ من العدة
والقوة اضعاف ما كان فيه في ذلك العام واقبل الى مكة على
هيبة وقوة وعدة باضعاف ذلك وقال الكلبي اي علم ان
دخولها الى سنة ولم تعلموه انتم وقيل علم ان بمكة رجالا
مؤمنين ونسا مؤمنات لم تعلموهم فجعل من دون ذلك فتحا
قريبا اي من دون رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فتح خيبر
قاله ابن زيد والضحاك وقيل فتح مكة وقال مجاهد هو صلح
الحديبية لانه انما كان القتال حين يلتقي الناس فلما كانت
الهدنة وضعت الحرب اوزارها وامن الناس بعضهم بعضا
فالتقوا وتفاوضوا الحديث والمناظرة فلم يكلم احد
بالاسلام يعقل شيا الا دخل فيه فلقد دخل في تلك
السنتين في الاسلام مثل ما كان في الاسلام قبل ذلك واكثر
يدلك على ذلك انهم كانوا سنة ست يوم الحديبية الفا واربع
مائة وكانوا بعد عام الحديبية سنة ثمان في عشرة آلاف
قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

وقال الزهري ما فتح في الاسلام فتح كان اعظم من صلح الحديبية

اي بعليه علي كل الاديان فالدين اسم بمعني المصدر ويستوي
لفظ الواحد والجمع فيه وقيل اي ليظهر رسوله علي الدين
كله اي علي الدين الذي هو شرعه بالحجة ثم باليد والسيف
ونسخ ما عداه وكفي بالله شهيدا نصب علي التفسير والبا
زايدة اي كفي الله شهيدا لنبيه صلي الله عليه وسلم وشهادته
له يبين صحة نبوته ثم بالمعجزات وقيل شهيدا علي ما ارسل
لان الكفار ابوا ان يكتبوا هذا ما صالح عليه محمد رسول الله
قوله تعالي محمد رسول الله والذين معه اشدا علي الكفار
رحما بينهم تراهم ركعا سجدا الي اخر السوره فيه خمس مسايل
الاولي قوله تعالي محمد رسول الله محمد مبتدا ورسول خبره
وقيل محمد ابتدا ورسول الله نعته والذين معه عطف علي
الابتدا والخبر فما بعده فلا يوقف علي هذا التقدير علي رسول
الله وعلي الاول يوقف علي رسول الله لان صفاته عليه السلام
تزيد علي ما وصف به اصحابه فيكون محمد ابتدا ورسول الله الخبر
والذين معه ابتداء ثاني واشدا خبره ورحما خبر ثاني
وكون الصفات في جملة اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم هو
الاشبه قال ابن عباس اهل الحديبية اشدا علي الكفار
اي غلاظ عليهم كالاسد علي فريسته وقيل المراد بالذين
معه جميع المومنين رحما بينهم اي يرحم بعضهم بعضا
وقيل

وقيل متعاطفون متوادون وقرأ الحسن اشدّآءَ على الكفّار
رحمآء بينهم بالنصب على الحال كانه قال والذين معه في حال شدتهم
على الكفار وتراحمهم بينهم تراهم ركّعًا سجّدًا اخبار عن
كثرة صلاتهم يبتغون فضلًا من الله ورضوانا اي يطلبون
الجنّة ورضى الله تعالى الثانية قوله تعالى سيماهم في وجوههم
من اثر السجود السيما العلامة وفيها لغتان المدّ والقصر
اي لاحت علامات التهجّد بالليل وامارات السّهر وفي
سنن ابن ماجه ثنا اسماعيل بن محمد الطلحيّ قال ثنا ثابت
بن موسى ابو يزيد عن شريك عن الاعمش عن ابي سفيان
عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثر صلاته
بالليل حسن وجهه بالنهار وقال ابن العربي ودسّه قوم
في حديث النبي صلى الله عليه وسلم على وجه الغلط وليس
على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ذكر بحرف وقد روى ابن
وهب عن مالك سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك
مما يتعلق بجباههم من الارض عند السجود وبه قال سعيد
بن جبير وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
صبيحة احدى وعشرين من رمضان وقد وكف المسجد
وكان على عريش فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته وعلى
جبهته وارنبته اثر الما والطين وقال الحسن هو بياض

يكون في الوجه يوم القيامة وقاله سعيد بن جبير ايضا ورواه
العوفي عن ابن عباس قاله الزهري وفي الصحيح عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث ابي هريرة وفيه
حتى اذا فرغ الله من القضا بين العباد واراد ان يخرج
برحمته من اراد من اهل النار امر الملايكة ان يخرجوا من
النار من كان لا يشرك بالله شيا ممن اراد الله ان يرحمه
ممن يقول لا اله الا الله فيعرفونهم في النار يعرفونهم
باثر السجود تاكل النار ابن ادم الا اثر السجود حرم الله
على النار ان تاكل اثر السجود وقال شهر بن حوشب
تكون موضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقال ابن
عباس ومجاهد السيما في الدنيا وهو السمت الحسن وعن
مجاهد ايضا هو الخشوع والتواضع قال منصور سالت
مجاهدا عن قوله تعالى سيماهم في وجوههم اهو اثر يكون بين
عيني الرجل قال لا ربما يكون بين عيني الرجل مثل ركبة العنز
وهو اقسى قلبا من الحجارة ولكنه نور في وجوههم من الخشوع
وقال ابن جريج هو الوقار والبها وقال شمر بن عطية هو
صفرة الوجه من قيام الليل قال الحسن اذا رايتهم حسبتهم
مرضى وما هم بمرضى وقال الضحاك اما انه ليس بالندب
في وجوههم ولكنه الصفرة وقال سفيان الثوري يصلون
بالليل

التحمة بيان

بالليل فاذا اصبحوا رئي ذلك في وجوههم بيانه قوله
صلي الله عليه وسلم من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار
وقد مضي القول فيه انفا وقال عطا الخراساني دخل في
هذه الايه كل من حافظ علي الصلوات الخمس الثالثه
قوله تعالي ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل قال
الفرا فيه وجهان ان شئت قلت المعني ذلك مثلهم في التوراة
وفي الانجيل ايضا كمثلهم في القران فيكون الوقف علي الانجيل
وان شئت قلت تمام الكلام ذلك مثلهم في التوراة ثم
ابتدا فقال ومثلهم في الانجيل وكذا قال ابن عباس وغيره
هما مثلان احدهما في التوراة والاخر في الانجيل فيوقف
علي هذا علي التوراة قال مجاهد هو مثل واحد يعني ان
هذه صفتهم في التوراة والانجيل فلا يوقف علي التوراة
علي هذا ويوقف علي الانجيل ويبتدي كزرع اخرج شطاه
علي يعني وهم كزرع وشطاه يعني فراخه واولاده قاله
ابن زيد وغيره وقال مقاتل هو نبت واحد فاذا خرج
ما بعده فقد شطاه قال الجوهري شطا الزرع والنبات
فراخه والجمع اشطا وقد اشطا الزرع خرج شطوه
قال الاخفش في قوله اخرج شطاه اي طرفه وحكاه الثعلبي
عن الكسائي وقال الفراء اشطا الزرع فهو مشطي

كازرع

اذا خرج قال الشاعر : اخرج الشطأ على وجه الثرى
ومن الاشجار افنان الثمر : الزجاج اخرج شطأه اي
نباته وقيل ان الشطأ شوك السنبل والعرب ايضا تسميه
السفا والبهمى قاله قطرب وقيل السنبل فيخرج
من الحبة عشر سنبلات وتسع وثمان قاله الفرا حكاه
الماوردي وقرا ابن كثير وابن ذكوان شطأه بفتح الطاء
واسكن الباقون وقرا انس ونصر بن عاصم وابن وثاب
شطاه مثل عصاه وقرا الجحدري وابن ابي اسحاق شطه
بغير همز وكلها لغات فيها وهذا مثل ضربه الله
تعالى لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعني انهم يكونون
قليلا ثم يزدادون ويكثرون فكان النبي صلى الله عليه
وسلم حين بدا بالدعا الى دينه ضعيفا فاجابه الواحد
بعد الواحد حتى قوي امره كالزرع يبدو بعد البذر
ضعيفا ثم يقوى حالا بعد حال حتى يغلظ ساقه واغرامه
فكان هذا من اصح مثل واوضح بيان وقال قتادة
مثل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل مكتوب
انه سيخرج من قوم ينبتون نبات الزرع يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر فآزره اي قواه واعانه
وشده اي قوى الشطأ الزرع ~~الزرع~~ وقيل بالعكس

اي قوي

اي قوي الزرع الشطأ وقراة العامة آزره بالمد وقرا ابن
ذكوان وابو حيوة وحميد بن قيس فأزره مقصورة مثل
فعلمه وهو المعروف المد قال امرؤ القيس
بمحنية قد آزر الضال نبتها مجر جيوش غانمين وخيب
فاستوى على سوقه على عوده الذي يقوم عليه فيكون
ساقا له والسوق جمع الساق يعجب الزراع اي يعجب
هذا الزرع زراعه وهو مثل كما بينا فالزرع محمد صلى الله
عليه وسلم والشطأ اصحابه كانوا قليلا فكثروا وضعفا
فقووا قاله الضحاك وغيره ليغيظ بهم الكفار اللام متعلقة
بمحذوف اي فعل الله هذا بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه
ليغيظ بهم الكفار الرابعة قوله تعالى وعد الله الذين
آمنوا اي وعد الله هاؤلاء الذين مع محمد وهم المؤمنون
الذين اعمالهم صالحة مغفرة واجرا عظيما اي ثوابا لا ينقطع
وهو الجنة وليست من في قوله منهم مبعضة لقوم من
الصحابة دون قوم ولكنها عامة مجنسة مثل قوله
تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان لا يقصد للتبعيض
لكنه يذهب الى الجنس اي فاجتنبوا الرجس من جنس
الاوثان اذ كان الرجس يقع من اجناس شتى منها الزنا
والربا وشرب الخمر والكذب فادخل من يفيد بها الجنس

فكذا منهم اي من هذا الجنس وقد خصص اصحاب محمد
بوعد المغفرة تفضيلا لهم وان وعد جميع المؤمنين المغفرة
وفي الاية جواب اخر وهو ان من مؤكدة للكلام والمعنى وعدهم
الله كلهم مغفرة واجرا عظيما فجرى مجرى قول العرب قطعت
من الثوب قميصا يريد قطعت الثوب كله قميصا
ومن لم تبعض شيا وشاهد هذا من القران وننزل من
القران ما هو شفا معناه وننزل القران شفا لان كل
حرف منه يشفي وليس الشفا مختصا به بعضه دون بعض
على ان من اللغويين من يقول من مجنسة تقديرها ننزل
الشفا من جنس القران ومن جهة القران ومن ناحية القران
قال زهير امن ام اوفى دمنة لم تكلم : اراد امن
ناحية ام اوفى دمنة ام من منازلها دمنة وقال الاخر
اخو رغائب يعطيها ويسألها يابى الظلامة منه النوفل
الزفر والنوفل الكثير العطا والزفر حامل الاثقال والمؤن
عن الناس الخامسة روى ابو عروة الزبيري من ولد
الزبير كنا عند مالك بن انس فذكروا رجلا ينتقص اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا مالك هذه الاية محمد
رسول الله والذين معه حتى بلغ يعجب الزراع ليغيظ بهم
الكفار فقال مالك من اصبح من الناس في قلبه غيظ على احد
من اصحاب

[هامش: يعني لم ينقص شيئا اذا كان للفصل اي التطلب مثلا من نوفل]
[هامش: منه صح]

من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اصابته
هذه الاية ذكره الخطيب ابو بكر قلت لقد احسن مالك
في مقالته واصاب في تاويله فمن تنقص واحدا منهم
او طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين وابطل
شرايع المسلمين قال الله تعالى محمد رسول الله والذين
معه اشداء على الكفار الاية وقال لقد رضي الله عن المومنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة الى غير ذلك من الاي التي تضمنت
الثنا عليهم والشهادة لهم بالصدق والفلاح قال الله
تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال
للفقراء الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون
فضلا من الله ورضوانا الى قوله فاولئك هم المفلحون
وهذا كله مع علمه تبارك وتعالى بحالهم ومآل امرهم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الناس قرني
ثم الذين يلونهم وقال لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم
انفق مثل احد ذهبا لم يدرك مد احدهم ولا نصيفه
خرجها البخاري وفي حديث اخر فلو ان احدكم انفق
ما في الارض لم يدرك مد احدهم ولا نصيفه قال ابو عبيد
معناه لم يدرك مد احدهم اذا تصدق به ولا نصف
المد فالنصيف هو النصف هنا وكذلك يقال للعشر عشير

وللخمس تخميس وللتسع تتسيع وللثمن تثمين وللسبع تسبيع
وللسدس تسديس وللربع تربيع ولم يقل للثلث تثليث
وفي البزار عن جابر مرفوعا صحيحا ان الله اختار اصحابي
على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من اصحابي
اربعة يعني ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم اصحابي
وقال في اصحابي كلهم خير وروى عويم بن ساعدة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اختارني
واختار لي اصحابي فجعل لي منهم وزراء واختانا واصهارا
فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل
الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا والاحاديث بهذا
المعنى كثير فحذار من الوقوع في احد منهم كما فعل من طعن
في الدين فقال ان المعوذتين ليستا من القرآن وما صح
حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تثبيتهما
ودخولهما في جملة التنزيل الا عن عقبة بن عامر وعقبة
ابن عامر ضعيف لم يوافقه غيره عليها فروايته مطرحة
وهذا رد لما ذكرناه من الكتاب والسنة وابطال لما
نقلته لنا الصحابة من الملة فان عقبة بن عامر بن عبس الجهني
ممن روى لنا الشريعة في الصحيحين البخاري ومسلم وغيرهما
فهو ممن مدحهم الله ووصفهم واثنى عليهم ووعدهم مغفرة

واجرا عظيما

العرب

واجرا عظيما فمن ينسبه او واحدا من الصحابة الى الكذب فهو
خارج عن الشريعة مبطل للقرآن طاعن على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومتى الحق واحدا منهم تكذيبا فقد
سب لانه لا عار ولا عيب بعد الكفر بالله اعظم من
الكذب وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب
اصحابه فالمكذب لاصغرهم ولا اصغر فيهم داخل في لعنة
الله التي شهد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والزمها
كل من سب واحدا من اصحابه وطعن عليه وعن عمر بن
حبيب قال حضرت مجلس هارون الرشيد فجرت مسئلة
تنازعها الحضور وعلت اصواتهم فاحتج بعضهم بحديث
يرويه ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع
بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال
قايلون منهم لا يقبل هذا الحديث على رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم لان ابا هريرة متهم فيما يرويه وصرحوا
بتكذيبه ورايت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قولهم
فقلت انا الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن النبي
صلى الله عليه وسلم وغيره فنظر الى الرشيد نظر مغضب
وقمت من المجلس فانصرفت الى منزلي فلم البث حتى

قبل صاحب البريد بالباب فدخل فقال لي اجب امير المومنين
اجابة مقتول وتحنط وتكفن فقلت اللهم انك تعلم اني
دفعت عن صاحب نبيك واجللت نبيك ان يطعن على
اصحابه فسلمني منه فدخلت على الرشيد وهو جالس
على كرسي من ذهب حاسر عن ذراعيه بيده السيف
وبين يديه النطع فلما بصر بي قال لي يا عمر بن حبيب
اتتلقاني من الرد والدفع بما تلقيتني به فقلت يا امير المومنين
ان الذي قلته وجادلت عنه فيه ازرا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا كان اصحابه كذابين فالشريعة
باطلة والفرايض والاحكام في الصيام والصلاة والطلاق
والنكاح والحدود كله مردود غير مقبول فرجع الى
نفسه ثم قال احييتني يا عمر بن حبيب احياك الله وامر
لي بعشرة الاف قلت فالصحابة كلهم عدول اوليا الله
تعالى واصفياوه وخيرته من خلقه بعد انبيايه
ورسله هذا مذهب اهل السنه والذي عليه الجماعه
من ايمة هذه الامه وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة
بهم الى ان حال الصحابه كحال غيرهم فيلزم البحث عن
عدالتهم ومنهم من فرق بين حالهم في بداة الامر فقال
انهم كانوا على العداله اذ ذاك ثم تغيرت بهم الاحوال

فظهرت فيهم

فظهرت فيهم الحروب وسفك الدما فلا بد من البحث
وهذا مردود فان خيار الصحابة وفضلاهم كعلي وطلحة
والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ممن اثنى الله عليهم وزكاهم
ورضي عنهم وارضاهم ووعدهم بقوله تعالى واجرا
عظيما وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة باخبار
الرسول هم القدوه مع علمهم بكثير من الفتن والامور
الجارية عليهم بعد نبيهم وفضلهم اذ كانت تلك الامور
مبينة على الاجتهاد وكل مجتهد مصيب وسياتي
الكلام في تلك الامور في سورة الحجرات مبينه ان شا الله تعالى

تفسير سورة الحجرات مدنية

باجماع وهي ثماني عشرة ايه بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله
ورسوله فيه ثلث مسايل الاولى قوله تعالى يايها
الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قال العلما
كان في العرب جفا وسو ادب في خطاب النبي صلى الله
عليه وسلم وتلقيب الناس فالسورة في الامر بمكارم
الاخلاق ورعاية الاداب وقرا الضحاك ويعقوب
الحضرمي لا تقدموا بفتح التاء والدال من التقدم الباقون
تقدموا بضم التاء وكسر الدال من التقديم ومعناهما

ولابد ان يعلم ان ذلك لم يكن عن ... منهم ... (marginal note, partly illegible)

ظاهر اي لا تقدموا قولاً ولا فعلاً بين يدي الله وقول رسوله
وفعله فيما سبيله ان ياخذوه عنه من امر الدين والدنيا
ومن قدم قوله او فعله على الرسول صلى الله عليه وسلم
فقد قدمه على الله تعالى لان الرسول صلى الله عليه وسلم انما
يامر عن امر الله عز وجل الثانية واختلف في سبب
نزولها على اقوال ستة الاول ما ذكره الواحدي من
حديث ابن جريج قال حدثني ابن ابي مليكة عن عبد الله بن
الزبير اخبره انه قدم ركب من بني تميم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امّر القعقاع بن
معبد وقال عمر امّر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما
اردت الا خلافي وقال عمر ما اردت خلافك فتماريا
حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت في ذلك يا ايها الذين
امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الى قوله ولو
انهم صبروا رواه البخاري عن الحسن بن محمد بن الصباح
ذكره المهدوي ايضاً الثاني ما روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم اراد ان يستخلف على المدينة رجلا اذ مضى الى
خيبر فاشار اليه عمر برجل اخر فنزل يا ايها الذين
امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ذكره المهدوي
ايضا الثالث ما ذكره الماوردي عن الضحاك عن ابن
عباس

عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم انفذ اربعة
وعشرين رجلا من اصحابه الى بني عمرو فقتلوهم الا ثلثة
تاخروا عنهم فسلموا وانكفوا الى المدينة فلقوا رجلين من
بني سليم فسالوهما عن نسبهما فقالا من بني عامر لانهم
اعز من سليم فقتلوهما فجا نفر من بني سليم الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان بيننا وبينك عهدا
وقد قتل منا رجلان فوداهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم بماية بعير ونزلت عليه هذه الايه ابن عباس نهوا
ان يتكلموا بين يدي كلامه مجاهد لا تفتاتوا على الله
ورسوله حتى يقضي الله على لسان رسوله ذكره البخاري
ايضا الحسن نزلت في نزلت في قوم ذبحوا قبل ان
يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يعيدوا
الذبح ابن جرير لا تقدموا اعمال الطاعات قبل وقتها
الذي امر الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم
قلت هذه الاقوال الخمسه المتاخره ذكرها القاضي
ابو بكر بن العربي في سردها قبله الماوردي قال القاضي وهي
كلها صحيحه تدخل تحت العموم فالله أعلم ما كان السبب
المثير للايه منها ولعلها نزلت دون سبب والله اعلم قال
القاضي اذا قلنا انها نزلت في تقديم الطاعات على اوقاتها

فهو صحيح لان كل عباده موقتة بميقات لا يجوز نقل بمها
عليه كالصلاة والصوم والحج وذلك ان العلما اختلفوا في
الزكاة لما كانت عبادة مالية وكانت مطلوبة لمعنى مفهوم
وهو سد خلة الفقير ولان النبي صلى الله عليه وسلم استعجل
من العباس صدقة عامين ولما جا من جمع الصدقة الفطر
قبل يوم الفطر حتى تعطى لمستحقيها يوم الوجوب وهو يوم
الفطر فاقتضى ذلك كله جواز تقديمها العام والاثنين
فان جا راس العام والنصاب بحاله وقعت موقعها وان
جا راس العام وقد تغير النصاب تبين انها صدقة
تطوع وقال اشهب لا يجوز تقديمها على الحول لحظة
كالصلاة وكانه طرد الاصل في العبادات فراى انها
احدى دعايم الاسلام فوفاها حقها في النظام وحسن
الترتيب وراى سائر علمائنا الى التقديم اليسير فيها
جايز لانه معفو عنه في الشرع بخلاف الكثير وما قاله
اشهب اصح فان مفارقة اليسير الكثير في اصول الشريعة
صحيح ولكنه لمعان تختص باليسير دون الكثير فاما
في مسئلتنا فاليوم فيه كالشهر والشهر كالسنة فاما
تقديم كلي كما قال الشافعي وابو حنيفة واما حفظ
العبادة على ميقاتها كما قال اشهب الثالثة قوله تعالى
لا تقدموا

لا تقدموا بين يدي الله اصل في نزل التعرض لاقوال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانجاب اتباعه والاقتدا
به ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه مروا
ابا بكر فليصل بالناس فقالت عايشه لحفصه رضي
الله عنها قولي له ان ابا بكر رجل اسيف وانه متى يقم
مقامك لا يسمع الناس من البكا فمر عمر فليصل بالناس
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انكن لانتن صواحب يوسف
فمروا ابا بكر فليصل بالناس فمعنى قوله صواحبات يوسف
الفتنة بالرد على الجاير الى غير الجاير وربما احتج نفاة
القياس بهذه الايه وهو باطل منهم فانما قامت دلالته
فليس في فعله تقدم بين يديه وقد قامت دلالة الكتاب
والسنه على وجوب القول بالقياس في فروع الشرع فليس
اذا تقدم بين يديه واتقوا الله يعني في التقدم المنهي عنه
ان الله سميع لقولكم عليم بفعلكم **قوله تعالى** يا ايها
الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا
تجهروا له بالقول فيه ست مسايل **الاولى** قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
روى البخاري والترمذي عن ابن ابي مليكة قال حدثني
عبد الله بن الزبير ان الاقرع بن حابس قدم على النبي صلى

الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله استعمله على
قومه فقال عمر لا تستعمله يا رسول الله فتكلما عند النبي
صلى الله عليه وسلم حتى ارتفعت اصواتهما فقال ابو بكر
لعمر ما اردت الا خلافي فقال ما اردت خلافك قال
فنزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي قال فكان عمر بعد ذلك اذا تكلم عند
النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمع كلامه حتى يستفهمه
قال وما ذكر ابن الزبير جده يعني ابا بكر قال هذا
حديث غريب حسن وقد رواه بعضهم عن ابن ابي مليكة
مرسلا لم يذكر فيه عن عبد الله بن الزبير قلت هو البخاري
قال عن ابن ابي مليكة كاد الخيران يهلكا ابو بكر وعمر رفعا
اصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه
ركب بني تميم فاشار احدهما بالاقرع بن حابس اخي بني مجاشع
واشار الاخر برجل اخر فقال نافع لا احفظ اسمه فقال
ابو بكر لعمر ما اردت الا خلافي فقال ما اردت فارتفعت
اصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فانزل الله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية
فقال ابن الزبير فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد هذه الاية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن ابيه يعني

ابا بكر الصلاح

ابا بكر الصديق وذكر المهدوي عن علي رضي الله عنه انزل
قوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي فينا لما ارتفعت
اصواتنا انا وجعفر وزيد بن حارثة نتنازع ابنة حمزة
لما جا بها زيد من مكة فقضى بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم لجعفر لان خالتها عنده وقد تقدم هذا الحديث
في آل عمران وفي الصحيحين عن انس بن مالك ان النبي صلى
الله عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس فقال رجل يا رسول
الله انا اعلم لك علمه فاتاه فوجده جالسا في بيته منكسا
راسه فقال له ما شانك قال شر كان يرفع صوته فوق
صوت النبي صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو من اهل
النار فاتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره انه قال
كذا وكذا فقال موسى فرجع اليه المره الاخره ببشارة
عظيمة فقال اذهب اليه فقل له انك لست من اهل النار
ولكنك من اهل الجنة لفظ البخاري وثابت هذا هو ثابت
بن قيس بن شماس الخزرجي يكنى ابا محمد بابنه محمد وقيل [شماس]
ابا عبد الرحمن قتل له يوم الحرة ثلثة من الولد محمد ويحيى
وعبد الله وكان خطيبا بليغا معروفا بذلك وكان يقال
له خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقال لحسان
شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما [illegible] قدم تميم وفد

على رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا المفاخرة فقام خطيبهم
فافتخر ثم قام ثابت بن قيس فخطب خطبة بليغة جزلة فغلبهم وقام
شاعرهم وهو الاقرع بن حابس فانشد

اتيناك كيما يعرف الناس فضلنا اذا خالفونا عند ذكر المكارم
وانا رؤوس الناس من كل معشر وان ليس في ارض الحجاز كدارم
وان لنا المرباع في كل غارة تكون بنجد او بارض التهائم

فقام حسان فقال

بني دارم لا تفخروا ان فخركم يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وانتم لنا خول من بين ظئر وخادم

في ابيات لهما فقالوا خطيبهم اخطب من خطيبنا وشاعرهم
اشعر من شاعرنا فارتفعت اصواتهم فانزل الله تعالى لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول وقال
عطا الخراساني حدثتني ابنة ثابت بن قيس قالت لما نزلت
يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية دخل
ابوها بيته واغلق عليه بابه ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فارسل
اليه يسله ما خبره فقال انا رجل شديد الصوت اخاف ان يكون
حبط عملي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست منهم بل تعيش
بخير وتموت بخير قال ثم انزل الله ان الله لا يحب كل مختال
فخور فاغلق بابه وطفق يبكي ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فارسل
اليه فاخبره فقال يا رسول الله اني احب الجمال واحب ان

اسود

أسود قومي فقال لست منهم بل تعيش حميدا او تقتل شهيدا
وتدخل الجنة قال فلما كان يوم اليمامه خرج مع خالد بن الوليد
الى مسيلمه فلما التقوا انكشفوا فقال ثابت وسالم مولى ابي
حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم حفر كل واحد منهما له حفرة فثبت وقاتل حتى قتلا
وعلى ثابت يومئذ درع نفيسه فمر به رجل من المسلمين
فاخذها فبينا رجل نايم اتاه ثابت في منامه فقال
له اوصيك بوصية فاياك ان تقول هذا حلم فتضيعه اني
لما قتلت امس مر بي رجل من المسلمين فاخذ درعي ومنزله
في اقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد
كفا على الدرع برمة وفوق البرمه رحل فأت خالدا فامره
ان يبعث الى درعي فياخذها واذا قدمت المدينه على خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ابا بكر فقل له
ان علي من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق
وفلان فاتى الرجل خالدا فاخبره فبعث الى الدرع
فاتى بها وحدث ابا بكر برؤياه فاجاز وصيته قال
ولا نعلم احدا اجيزت وصيته بعد موته غير ثابت
رحمه الله ذكره ابو عمر في الاستيعاب الثانيه
قوله تعالى ولا تجهروا له بالقول اي لا تخاطبوه

يا محمد ويا احمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله توقيرا له وقيل
كان المنافقون يرفعون اصواتهم عند النبي صلى الله عليه وسلم
ليقتدي بهم ضعفة المسلمين فنهى المسلمون عن ذلك وقيل لا تجهروا
له اي لا تجهروا عليه كما يقال سقط لفيه اي على فيه كجهر بعضكم
لبعض الكاف كاف التشبيه في محل النصب اي لا تجهروا
له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا دليل انهم لم ينهوا
عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان يكلموه بالهمس
والمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعني
الجهر المنعوت بمماثله ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو
الخلو من مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط
سائر الرتب وان جلت عن رتبتها ان تحبط اعمالكم اي من
اجل ان تحبط اي تبطل هذا قول البصريين وقال الكوفيون
اي لئلا تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون الثالثة معنى الاية
الامر بتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيره وخفض
الصوت بحضرته وعند مخاطبته اي اذا نطق ونطقتم
فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته
وان تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره
باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته
واضحة وامتيازه عن جمهوركم كشية الابلق لا ان

تغمروا

نغمروا صوته بلفظكم وبنهره وامنطقه بصحتكم وفي قراءة
ابن مسعود لا ترفعوا باصواتكم وقد كره بعض العلما
رفع صوته عند قبره صلى الله عليه وسلم وكره بعض العلما
رفع الصوت في مجالس العلما تشريفا لهم اذهم ورثة الانبيا.
الرابعة قال القاضي ابو بكر بن العربي حرمة النبي صلى
الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا وكلامه الماثور بعد موته
في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه فاذا قرئ كلامه
وجب على كل حاضر ان لا يرفع صوته عليه ولا يعرض عنه
كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به وقد نبه
الله سبحانه على دوام الحرمة المذكورة على مرور الازمنة
بقوله تعالى واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا
وكلام النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي وله من الحكمة
مثل ما للقران الا معاني مستثناة بيانها في كتب الفقه
الخامسة وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر
بما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون
مومنون وانما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع
من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظما ويوقر الكبرا
فيتكلف الغض منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين
فيه المامور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهي

مطلب
مطلب تعظيم [illegible]

ايضًا رفع الصوت الذي ينادي به رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو ما كان منهم في حربٍ او مجادلةٍ معاند او ارهاب
عدوا او ما اشبه ذلك ففي الحديث انه قال صلى الله عليه
وسلم للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين
اصرخ بالناس وكان العباس اجهر الناس صوتا يروي
ان غارة اتتهم يومًا فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت
الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بني جعدة
زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان تختلطن بالغنم
زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق
مرارة السبع في جوفه **السادسة** قال الزجاج ان
تحبط اعمالكم التقدير لان تحبط اي فتحبط اعمالكم فاللام
المقدرة لام الصيرورة وليس قوله ان تحبط اعمالكم
وانتم لا تشعرون بموجب ان يكفر الانسان وهو لا
يعلم فكما لا يكون الكافر مؤمنًا الا باختياره الايمان
على الكفر كذلك لا يكون المؤمن كافرا من حيث لا يقصد الى
الكفر ولا يختاره باجماع كذلك لا يكون الكافر كافرا من حيث
لا يعلم **قوله تعالى** ان الذين يغضون اصواتهم عند
رسول الله اي يخفضون اصواتهم عنده اذا تكلموا
اجلالا له او تكلموا غيره بين يديه اجلالا له قال ابو هريرة

لما نزلت

لما نزلت لا ترفعوا اصواتكم قال ابو بكر رضي الله عنه والله
لا ارفع صوتي الا كاخي السرار وذكر سنيد قال نا عباد
بن العوام عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة قال لما نزلت لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله قال ابو بكر والذي بعثك بالحق لا اكلمك
بعد هذا الا كاخي السرار وقال عبد الله بن الزبير لما نزلت
لا ترفعوا اصواتكم ما حدث عمر عند النبي صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك فيسمع كلامه حتى يستفهمه مما يخفض فنزلت
ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن
الله قلوبهم للتقوى قال الفرا اي اخلصها للتقوى وقال
الاخفش اي اختصها للتقوى وقال ابن عباس امتحن الله
قلوبهم للتقوى طهرهم من كل قبيح وجعل في قلوبهم الخوف
من الله والتقوى وقال عمر رضي الله عنه اذهب عن
قلوبهم الشهوات والامتحان افتعال من محنت الاديم
محنا حتى اوسعته فمعنى امتحن الله قلوبهم للتقوى
وشرحها للتقوى وعلى الاقوال المتقدمة امتحن قلوبهم
فاخلصها كقولك امتحنت الفضة اي اختبرتها حتى خلصت
ففي الكلام حذف يدل عليه الكلام وهو الاخلاص وقال
ابو عمرو كل شي جهدته فقد محنته وانشد
اتت رذايا باديا كلالها قد محنت واضطربت اطالها

لهم مغفرة واجر عظيم **قوله تعالى** ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون قال مجاهد وغيره
نزلت في أعراب بني تميم قدم الوفد منهم على النبي صلى الله
عليه وسلم فدخلوا المسجد ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم
من وراء حجرته ان اخرج الينا فان مدحنا زين وذمنا
شين وكانوا سبعين رجلا قدموا الفداء ذراري لهم وكان
النبي صلى الله عليه وسلم نام للقايلة وروي ان الذي نادى
الاقرع بن حابس وانه القايل ان مدحي زين وذمي شين
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك الله ذكره الترمذي
عن البرا بن عازب ايضا وروى زيد بن ارقم فقال اتى
اناس النبي صلى الله عليه وسلم قالوا انطلق بنا الى هذا الرجل
فان يكن نبيا فنحن اسعد الناس باتباعه وان يكن ملكا
نعش في حياته فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه
وهو في حجرته يا محمد يا محمد فانزل الله تعالى هذه الاية
قيل انهم كانوا من بني تميم قال مقاتل كانوا تسعة عشر
قيس بن عاصم والزبرقان بن بدر والاقرع بن حابس
وسويد بن هاشم وخالد بن مالك وعطا بن حابس والقعقاع
بن معبد ووكيع بن وكيع وعيينة بن حصن وهو الاحمق
المطاع وكانوا من الجرار بن عشرة الاف قناة اي تتبعه
وكان اسمه

وكان اسمه حذيفه وسمي عيينه لشتر كان في عينيه ذكر
عبد الرزاق في عيينة هذا انه الذي نزلت فيه ولا تطع
من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وقد مضى في اخر الاعراف
من قوله لعمر رضي الله عنه ما فيه جفا ذكره البخاري وروي
انهم وفدوا وقت الظهيره ورسول الله صلى الله عليه
وسلم راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ
وخرج الينا ونزلت وسيل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عنهم فقال هم جفاة بنو تميم لولا انهم من اشد
الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم
والحجرات جمع حجره كالغرفات جمع غرفه والظلمات جمع
ظلمه وقيل الحجرات جمع الحجر والحجر جمع حجره فهو جمع
الجمع وفيه لغتان ضم الجيم وفتحها قال
ولما راونا باديا ركباتنا على موطن لا نخلط الجد بالهزل
والحجره الرقعة من الارض المحجوزة لحايط يحوط عليها
وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعله بمعنى مفعوله وقرا
ابو جعفر بن القعقاع الحجرات بفتح الجيم استثقالا
للضمتين وقري الحجرات بتسكين الجيم تخفيفا واصل الكلمه
المنع وكلما منعت ان يوصل اليه فقد حجرت عليه ثم
يحتمل ان يكون المنادي بعضا من الجملة فلهذا قال اكثرهم

لا يعقلون اي ان الذين ينادونك من جملة قوم الغالب عليهم
الجهل قوله تعالى ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم
اي لو انتظروا اخروجك لكان اصلح لهم في دينهم ودنياهم
وكان صلى الله عليه وسلم لا يحتجب عن الناس الا في اوقات
يشتغل فيها بمهمات نفسه فكان ازعاجه في تلك الحالة من
سوء الادب وقيل كانوا جاوا شفعا في اسارى بني عنبر
فاعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم نصفهم وفادا على
النصف ولو صبروا لاعتق جميعهم بغير فدا والله غفور رحيم
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاكم فاسق بنبا
فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة الاية فيه سبع مسايل
الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاكم فاسق بنبا
قيل ان هذه الاية نزلت في الوليد بن عقبة ابن ابي معيط
وسبب ذلك ما رواه سعيد عن قتادة ان نبي الله صلى
الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق
فلما ابصروه اقبلوا نحوه فهابهم في رواية لاحنة كانت
بينه وبينهم فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
انهم قد ارتدوا عن الاسلام فبعث نبي الله صلى الله عليه
وسلم خالد بن الوليد وامره ان يتثبت ولا يعجل فانطلق
خالد حتى اتاهم ليلا فبعث عيونه فلما جاوا اخبروا خالدا
انهم

انهم متمسكون بالاسلام وسمعوا اذانهم وصلاتهم فلما
اصبحوا اتاهم خالد وراي صحة ما ذكروه فعاد الى نبي
الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فنزلت هذه الاية فكان
يقول نبي الله التاني من الله والعجلة من الشيطان في
رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الى بني المصطلق
بعد اسلامهم فلما سمعوا به ركبوا اليه فلما سمع بهم
خافهم فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره
ان القوم قد هموا بقتله ومنعوا صدقاتهم فهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم بغزوهم فبينما هم كذلك اذ قدم
وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا
رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا اليه لنكرمه
ونودي اليه ما قبلنا من الصدقة فاستمر راجعا
وبلغنا انه يزعم لرسول الله انا خرجنا لنقاتله
والله ما خرجنا لذلك فانزل الله تعالى هذه الاية
وسمي الوليد فاسقا اي كاذبا قال ابن زيد ومقاتل
وسهل بن عبد الله الفاسق الكذاب وقال ابو الحسين
الوراق هو المعلن بالذنب وقال ابن طاهر الذي لا
يستحي من الله وقرا حمزة والكسائ فتثبتوا من التثبت
الباقون فتبينوا من التبين ان تصيبوا اي لئلا تصيبوا

فان في محل نصب باسقاط الخافض قوما بجهالة اي خطا فتصبحوا نادمين على العجلة وترك التاني الثانية في هذه الاية دليل على قبول خبر الواحد اذا كان عدلا لانه انما امر فيها بالتثبت عند نقل خبر الفاسق ومن ثبت فسقه بطل قوله في الاخبار اجماعا لان الخبر امانة والفسق قرينة يبطلها وقد استثنى الاجماع من جملة ذلك ما يتعلق بالدعوى والجحود واثبات حق مقصود على الغير مثل ان يقول هذا عبدي فانه يقبل قوله واذا قال قد انفذ فلان هذا لك هدية فانه يقبل ذلك وكذلك يقبل في مثله خبر الكافر وكذلك اذا اقر لغيره بحق على نفسه فلا يبطل اجماعا واما في الانشا على غيره فقال الشافعي وغيره لا يكون وليا في النكاح وقال ابو حنيفة ومالك يكون وليا لانه يلي مالها فيلي بضعها كالعدل وهو ان كان فاسقا في دينه الا ان غيرته موفرة وبها يحمي الحريم وقد يبذل المال ويصون الحرمة واذا ولي المال فالنكاح اولى الثالثة قال ابن العربي ومن العجب ان يجوز الشافعي ونظراؤه امامة الفاسق ومن لا يؤتمن على حبة مال يصح ان يؤتمن على قنطار دين وهذا انما كان اصله ان الولاة الذين كانوا يصلون بالناس لما فسدت

اديانهم

اذيا بهم ولم يمكن ترك الصلاه وراهم ولا استطيعت
ازالتهم صلي معهم وراهم كما قال عثمان الصلاه احسن
ما يفعل الناس فاذا احسنوا فاحسن واذا اساوا
فاجتنب اساتهم ثم كان من الناس من اذا صلي معهم تقيه
اعادوا الصلاة لله ومنهم من كان يجعلها صلاته وبوجوب
الاعاده اقول فلا ينبغي لاحد ان يترك الصلاة مع من لا
يرضي من الايمه ولكن يعيد سرا في نفسه ولا يوثر
ذلك عند غيره الرابعه واما احكامه ان كان واليا
فينفذ منها ما وافق الحق ويرد ما خالفه ولا ينقض
حكمه الذي امضاه بحال ولا تلتفتوا الى غير هذا القول
من روايه او قول يحكي فان الكلام كثير والحق ظاهر
الخامسه لا خلاف في انه يصح ان يكون رسولا عن
غيره في قول يبلغه او شي يوصله او اذن يعلمه اذا لم
يخرج عن حق المرسل والمبلغ فان تعلق به حق لغيرهما
لم يقبل قوله وهذا جايز للضروره الداعيه اليه فانه
لو لم يتصرف بين الخلق في هذه المعاني الا العدول لم
يحصل منها شي لعدمهم في ذلك والله اعلم السادسه
وفي الايه دليل على فساد قول من قال ان المسلمين كلهم عدول
حتى تثبت الجرحه لان الله تعالى امر بالتثبت قبل القبول

التعود

ولا معنى للتثبت قبل انفاد الحكم فان حكم الحاكم قبل التثبت
فقد اصاب المحكوم عليه بجهالة السابعه فان قضى بما
يغلب على الظن لم يكن ذلك عملا بجهالة كالقضا بالشاهدين
العدلين وقبول قول العالم المجتهد وانما العمل بالجهالة قبول
قول من لا يحصل عليه الظن بقوله ذكر هذه المسله القشيري
والتي قبلها المهدوي قوله تعالى واعلموا ان فيكم رسول
الله فلا تكذبوا فان الله يعلمه انباكم فتفتضحوا لو يطيعكم
في كثير من الامر لعنتم اي لو تسارع الى ما اردتم قبل
وضوح الامر لنالكم مشقه واثم فانه لو قتل القوم الذين
سعى بهم الوليد بن عقبه اليه لكان خطا ولعنت من
اراد ايقاع الهلاك باولئك القوم لعداوه كانت بينه
وبينهم ومعنى طاعة الرسول لهم الايتمار بما يامرونه فيما
يبلغونه عن الناس والسماع منهم والعنت الاثم يقال
عنت الرجل والعنت ايضا الفجور والزنا كما في سورة
النسا والعنت ايضا الوقوع في امر شاق وقد مضى في
ال عمران القول في عنتم بالكثر من هذا ولكن الله حبب
اليكم الايمان هذا خطاب للمومنين المخلصين الذين لا
يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم ولا يخبرون بالباطل اي
جعل الايمان احب الاديان اليكم وزينه بتوفيقه في قلوبكم
اي حسنه

بلغ

اي حسنه اليكم حتى اخترتموه وفي هذا رد على القدريه
والاماميه وغيرهم حسب ما تقدم في غير موضع
فهو سبحانه المنفرد بخلقه وان الخلق وخلق افعالهم وصفاتهم
واختلاف السنتهم والوانهم لا شريك له وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان قال ابن عباس يريد به الكذب خاصه
وقال ابن زيد وقيل كلما اخرج عن الطاعه مشتق من
فسقت الرطبه خرجت من قشرها والفاره من جحرها
وقد مضى في البقره القول فيه مستوفى والعصيان جميع
المعاصي ثم انتقل من الخطاب الى الخبر فقال اولئك هم الرا
شدون
كقوله تعالى وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك
هم المضعفون قال النابغة يا دارميه بالعليا فالسند
اقوت وطال عليها سالف الامد والرشد استقامه على
طريق الحق مع تصلب فيه من الرشاد وهي الصخره قال
ابو الوازع كل صخره رشاده وانشد وغير مقلد وموشمات
صلين الصو من صم الرشاد . فضلا من الله ونعمه اي فعل الله
ذلك بكم فضلا اي الفضل والنعمه فهو مفعول له والله عليم
حكيم عليم بما يصلحكم حكيم في تدبيركم **قوله تعالى**
وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الايه فيه
عشر مسايل الاولى قوله تعالى وان طايفتان من المومنين

روي المعتمر بن سليمان عن انس بن مالك قال قلت يا نبي الله لو
اتيت عبد الله بن ابي فانطلق النبي صلي الله عليه وسلم فركب
حمارا وانطلق المسلمون يمشون وهي ارض سبخه فلما اتاه
النبي صلي الله عليه وسلم قال اليك عني فوالله لقد اذاني نتن حمارك
فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلي الله عليه
وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه وغضب
لكل واحد منهما اصحابه فكان بينهم حرب بالجريد والايدي والنعال
فبلغنا انه انزل فيهم وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا
بينهما وقال مجاهد نزلت في الاوس والخزرج قال مجاهد تقاتل
حيان من الانصار بالعصي والنعال فنزلت الاية ومثله عن
سعيد بن جبير ان الاوس والخزرج كان بينهم علي عهد رسول
الله صلي الله عليه وسلم قتال بالسيف والنعال ونحوه
فانزل الله تعالي هذه الاية فيهم وقال قتاده نزلت في رجلين
من الانصار كانت بينهما مداراة في حق بينهما فقال احدهما
لاخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته ودعاه الاخر الي ان
يحاكمه الي النبي صلي الله عليه وسلم فابي ان يتبعه فلم يزل
الامر بينهما حتي تواقعا وتناول بعضهم بعضا بالايدي
والنعال والسيوف فنزلت هذه الايه وقال الكلبي نزلت
في حرب سمير وحاطب وكان سمير قتل حاطبا فاقتتل

الاوس

الاوس و الخزرج حتي اتاهم النبي صلي الله عليه وسلم فنزلت
وامر الله نبيه صلي الله عليه وسلم و المومنين ان يصلحوا بينهما
وقال السدي كانت امراة من الانصار يقال لها ام زيد تحت
رجل من غير الانصار فتخاصمت مع زوجها ارادت ان تزور
قومها فحبسها زوجها وجعلها في علية لا يدخل عليها احد
من اهلها وان المراة بعثت الي اهلها فجا قومها فانزلوها لينطلقو
بها فخرج الرجل فاستغاث اهله فجا بنو عمه ليحولوا بين المراة
واهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فنزلت الاية والطايفة
تتناول الرجل الواحد والجميع والاثنين فهو مما حمل علي المعني
دون اللفظ لان الطايفتين في معني القوم و الناس وفي قراة
عبد الله حتي يفيوا الي امر الله فان فاوا فخذوا بينهم بالقسط
وقرا ابن ابي عبلة اقتتلا علي لفظ الطايفتين وقد مضي في اخر
براة القول فيه وقال ابن عباس في قوله عز وجل وليشهد
عذابهما طايفة من المومنين قال الواحد فما فوقه والطايفة من
الشي قطعة منه فاصلحوا بينهما بالدعا الي كتاب الله لهما وعليهما
فان بغت احداهما علي الاخري تعدت ولم تجب الي حكم الله
وكتابه والبغي التطاول والفساد فقاتلوا التي تبغي حتي
تفي الي امر الله اي ترجع الي كتابه فان فات رجعت فاصلحوا
بينهما بالعدل اي احملوهما علي الانصاف واقسطوا ايها الناس

فلا تقتتلوا وقيل اقسطوا اي اعدلوا ان الله يحب المقسطين
اي العادلين المحققين الثانية قال العلما لا تخلوا الفيتان من
المسلمين في اقتتالهما اما ان يقتتلا على سبيل البغي منهما
اولا فان كان الاول فالواجب في ذلك ان تمشي بينهما بما يصلح
ذات البين ويتمر المكافة والموادعة فان لم يتحاجوا ولم يصطلحا
واقاما الى البغي صير الى مقاتلتهما واما ان كان الثاني وهو ان
تكون احدهما باغية على الاخرى فالواجب ان تقاتل فية
البغي الى ان تكف وتتوب فان فعلت اصلح بينهما وبين المبغي
عليها بالقسط والعدل فان التحم القتال بينهما لشبهة دخلت
عليهما وكلتاهما عند انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة
بالحجج والبراهين القاطعة على مراشد الحق فان ركبنا متن
اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحنا به من
اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفيتين الباغيتين
والله اعلم الثالثة في هذه الاية دليل على وجوب قتال
الفية الباغية المعلوم بغيها على الامام او على احد من
المسلمين وعلى فساد قول من منع من قتال المومنين
واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم قتال المومن كفر
ولو كان قتال المومن الباغي كفرا لكان الله تعالى قد امر
بالكفر تعالى الله عن ذلك وقد قاتل الصديق رضي الله عنه
من تمسك

من تمسك بالاسلام وامتنع من الزكاة وامر ان لا يتبع مولّ
ولا يجهز على جريح ولم تحل اموالهم بخلاف الواجب في الكفار
وقال الطبري لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين
الهرب منه ولزوم المنازل لما اقيم حد ولا ابطل باطل ولو
جد اهل النفاق والفجور سبيلا الى استحلال كل ما حرم
الله عليهم من اموال المسلمين وسبي نسائهم وسفك دمائهم
ان يتحزبوا عليهم ويكف المسلمون ايديهم عنهم وذلك
مخالف لقوله صلى الله عليه وسلم خذوا على ايدي سفهائكم
الرابعة قال القاضي ابو بكر بن العربي هذه الاية
اصل في قتال المسلمين والعمدة في حرب المتاولين وعليها عول
الصحابة واليها لجا الاعيان من اهل الملة واياها عنى النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله تقتل عمار الفئة الباغية وقوله
صلى الله عليه وسلم في شان الخوارج يخرجون على حين
فرقة او على خير فرقة والرواية الاولى اصح لقوله صلى
الله عليه وسلم تقتلهم اولى الطائفتين الى الحق وكان
الذي قتلهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومن كان معه
فتقرر عند علما المسلمين وثبت بدليل الدين ان عليا
رضي الله عنه كان اماما وان كل من خرج عليه باغ وان
قتاله واجب حتى يفي الى الحق وينقاد الى الصلح لان عثمان

رضي الله عنه قتل والصحابة برآء من دمه لانه منع من قتال من ثار عليه وقال لا اكون اول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في امته بالقتل فصبر على البلا واستسلم للمحنه وفدا بنفسه الامة ثم لم يمكن ترك الناس سدى فعرضت على باقي الصحابة الذين ذكرهم في الشورى وتدافعوها وكان علي كرم الله وجهه احق بها واهلها فقبلها حوطة على الامة ان تسفك دماؤها بالتهارج والباطل او يتخرق امرها الى ما لا يتحصل فربما تغير الدين وانقض عمود الاسلام فلما بويع له طلب اهل الشام في شرط البيعة التمكن من قتلة عثمان واخذ القود منهم فقال لهم علي عليه السلام ادخلوا في البيعة واطلبوا الحق تصلوا اليه فقالوا لا تستحق بيعة وقتلة عثمان معك نراهم صباحا ومسا فكان علي في ذلك اشد رايا واصوب قيلا لان عليا رضي الله عنه لو تعاطى القود منهم لتعصبت لهم قبايل وصارت حربا ثالثة فانتظر بهم ان يستوسق الامر وتنعقد البيعة ويقع الطلب من الاوليا في مجلس الحكم فيجري القضا فيه بالحق ولا خلاف بين الامة انه يجوز للامام تاخير القصاص اذا ادى ذلك الى اثارة الفتنة او تشتيت الكلمة وكذلك جرى لطلحة والزبير فانهما ما خلعا عليا من ولاية ولا اعترضا عليه

عليه في جبايته وانما رأوا ان البداية بقتل اصحاب عثمان أولى
قلت فهذا قول في سبب الحرب الواقع بينهم وقال جلة
من اهل العلم ان الموقعة بالبصرة بينهم كانت على غير عزيمة
منهم على الحرب بل فجاءة وعلى سبيل دفع كل واحد من الفريقين
عن انفسهم لظنه ان الفريق الاخر قد غدر به لان الامر
كان انتظم بينهم وتم الصلح والتفرق على الرضا فخاف
قتلة عثمان رضي الله عنه من التمكن منهم والاحاطة
بهم فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا ثم اتفقت
اراؤهم على ان يفترقوا فريقين ويبدؤوا بالحرب سحرة
في العسكرين وتختلف السهام بينهم ويصيح الفريق الذي في
عسكر علي غدر طلحة والزبير والفريق الذي عسكر
طلحة والزبير غدر علي فتم لهم ذلك على ما دبروه ونشبت
الحرب فكان كل فريق دافعا للمكر به عند نفسه ومانعا
من الاشاطة بدمه وهذا صواب من الفريقين وطاعة
لله تعالى اذ وقع القتال والامتناع منهما على هذه السبيل
وهذا هو الصحيح المشهور والله اعلم **الخامسة** قوله
تعالى فقاتلوا التي تبغي امر بالقتال وهو فرض على الكفاية
اذا قام به البعض سقط عن البعض الباقين ولذلك تخلف
قوم من الصحابة رضي الله عنهم عن هذه المقامات كسعد

بن ابي وقاص وعبد الله بن عمرو ومحمد بن مسلمة وغيرهم
وصوب ذلك ابن ابي طالب لهم واعتذر اليه كل واحد منهم
بعذر قبله منه ويروى ان معاوية رضي الله عنه لما افضي
اليه الامر عاتب سعدا علي ما فعل وقال له لم تكن ممن
اصلح بين الفئتين حتى اقتتلا ولا ممن قاتل الفئة الباغية
فقال له سعد ندمت علي تركي قتال الفئة الباغية
فتبين انه ليس علي الكل درك فيما فعل وانما كان تصرفا
بحكم الاجتهاد واعمالا بمقتضي الشرع والله اعلم **السادسة**
قوله تعالى فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل ومن العدل
في صلحهم ان لا يطالبوا بما جرى بينهم من دم ولا مال
فانه تلف علي تاويل وفي طلبهم تنفير لهم عن الصلح واستشراء
في البغي وهذا اصل في المصلحة وقد قال لسان الامة ان
حكمة الله تعالى في حرب الصحابة التعريف منهم لاحكام
قتال اهل التاويل اذ كان احكام قتال اهل الشرك قد
عرفت علي لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله
السابعة اذا خرجت علي الامام بالمسلمين كافة
او من فيه كفاية ويدعوهم قبل ذلك الى الطاعة والدخول
في الجماعة فان ابوا من الرجوع والصلح قوتلوا ولا يقتل
اسيرهم ولا يتبع مدبرهم ولا يذفف علي جريحهم ولا تسبى
ذراريهم

دارهم ولا اموالهم واذا قتل العادل الباغي او الباغي العادل
وهو وليه لم يتوارثا ولا يرث قاتل عمدا على حال وقد قيل
ان العادل يرث الباغي قياسا على القصاص الثامنة
وما استهلكه البغاة والخوارج من دم او مال ثم تابوا لم
يؤاخذوا به وقال ابو حنيفة يضمنون وللشافعي قولان
وجه قول ابي حنيفة انه اتلاف بعدوان فيلزم الضمان
والمعول في ذلك عندنا ان الصحابة رضي الله عنهم لم
يتبعوا مدبرا ولا دففوا على جريح ولا قتلوا اسيرا ولا
ضمنوا نفسا ولا مالا وهم القدوة وقال ابن عمر قال
النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الله اتدري كيف حكم الله
فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله اعلم فقال لا يجهز
على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم
فيئها فاما ما كان قائما بعينه رد بعينه هذا كله فيمن خرج بتاويل
يسوغ له وذكر الزمخشري في تفسيره ان كانت الباغية
من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفية ما
جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا
عند محمد بن الحسن رحمه الله فانه كان يفتي بان الضمان يلزمها
اذا فات واما قبل التجمع والتجند او حين تتفرق عند
وضع الحرب اوزارها ما جنته ضمنته عند الجميع لمحل

الاصلاح بالعدل في قوله فاصلحوا بينهما بالعدل على مذهب
محمد واصح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه
ان يحمل على كون الفئة الباغية قليلة العدد والذي ذكروا
ان الغرض اماتة الضغاين وسبيل الاحقاد دون ضمان
الجنايات ليس بحسن الطباق بالمامور به من اعمال العدل
ومراعاة القسط قال الزمخشري فان قلت فلم قرن
بالاصلاح الثاني العدل دون الاول قلت لان المراد بالاقتتال
في اول الاية ان يقتتلا باغيين او راكبتي شبهة وايهما
كان فالذي يجب على المسلمين ان ياخذوا به في شانهما اصلاح
ذات البين وتسكين الدما باراءة الحق والمواعظ الشافية
ونفي الشبهة الا اذا اصرتا فحينئذ تجب المقاتلة واما
الضمان فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت احداهما فان الضمان
متجه على الوجهين المذكورين النا سعه ولو تغلبوا
على بلد فاخذوا الصدقات واقاموا الحدود وحكموا فيهم
بالاحكام لم تثن عليهم الصدقات ولا الحدود ولا ينقض
من احكامهم الا ما كان خلافا للكتاب والسنة او الاجماع ابن
كما تنقض احكام اهل العدل والسنة قاله مطرف والماجشون
وقال ابن القاسم لا يجوز بحال وروي عن اصبغ انه جايز
وروي عنه ايضا لا يجوز كقول ابن القاسم وبه قال
ابو حنيفه

ابو حنيفه لانه عمل بغير حق فيمن لا تجوز توليته فلم تجز
كما لم يلو نوا بغاه والعمدة لنا ما قدمناه من ان الصحابه
رضي الله عنهم لما انجلت الفتنة وارتفع الخلاف بالهدنة
والصلح لم تعرضوا لاحد منهم في حكم قال القاضي ابو بكر بن
العربي النبي عندي ان ذلك لا يصلح لان الفتنه لما انجلت
كان الامام هو الباغي ولم يكن هنالك من يعترضه والله اعلم
العاشره لا يجوز ان ينسب الى احد من الصحابه خطا
مقطوع به اذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه واردوا الله
عز وجل وهم كلهم لنا ايمة وقد تعبدنا بالكف عما شجر
بينهم وان لا نذكرهم الا باحسن الذكر حرمة الصحبه ولنهي
النبي صلى الله عليه وسلم عن سبهم وان الله غفر لهم واخبر
بالرضي عنهم هذا مع ما قد ورد من الاخبار من طرق مختلفه
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان طلحة شهيد يمشي على وجه
الارض فلو كان ما خرج اليه من الحرب عصيانا لم يكن
بالقتل فيه شهيدا وكذلك لو كان ما خرج اليه خطا
في التاويل وتقصير في الواجب عليه لان الشهادة لا
تكون الا بقتل في طاعة فوجب حمل امرهم على ما بيناه
ومما يدل على ذلك ما قد صح وانتشر من اخبار علي بان
قاتل الزبير في النار وقوله سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول بشر قاتل ابن صفية بالنار واذا كان كذلك
فقد ثبت ان طلحة والزبير غير عاصيين ولا اثمين بالقتال
لان ذلك لو كان كذلك لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم في
طلحة شهيد ولم تخبر ان قاتل الزبير في النار وكذلك
من قعد غير مخطئ في التاويل بل صواب اراهم الله الاجتهاد
واذا كان كذلك لم توجب ذلك لعنهم والبراة منهم
وتفسيقهم وابطال فضايلهم وجهادهم وعظيم غنايهم
في الدين رضي الله عنهم وقد سيل بعضهم عن الدماء التي
اريقت فيما بينهم فقال تلك امة قد خلت لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم ولا تسلون عما كانوا يعملون وسيل بعضهم
عنها ايضا فقال تلك دما قد طهر الله منها يدي فلا
اخضب بها لساني يعني في التحرز من الوقوع في خطا
والحكم علي بعضهم بما لا تكون مصيبا فيه قال ابن فورك
ومن اصحابنا من قال ان سبيل ما جرت بين الصحابة
من المنازعات كسبيل ما جري بين اخوة يوسف مع
يوسف ثم انهم لم يخرجوا بذلك عن حد الولاية والنبوة
فكذلك الامر فيما جري بين الصحابة وقال المحاسبي فاما
الدما فقد اشكل علينا القول فيها باختلافهم وقد
سيل الحسن البصري عن قتالهم فقال قتال شهده

اصحاب

اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وغبنا وعلموا وجهلنا واجتمعوا
فاتبعنا واختلفوا فوقفنا فقال المحاسبي فنحن نقول كما قال
الحسن ونعلم ان القوم كانوا اعلم بما دخلوا فيه منا ونتبع ما
اجتمعوا عليه ونقف عند ما اختلفوا فيه ولا نبتدع
رايا منا ونعلم انهم اجتهدوا وارادوا الله عز وجل اذ كانوا
غير متهمين في الدين ونسل الله التوفيق قوله تعالى
انما المومنون اخوة فيه ثلث مسايل الاولى قوله تعالى انما
المومنون اخوة اي في الدين والحرمة لا في النسب ولهذا
قيل اخوة الدين اثبت من اخوة النسب فان اخوة النسب
تنقطع بمخالفة الدين واخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب
وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا
ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم
على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه
ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير الى صدره ثلث
مرات بحسب امري من الشر ان يحقر اخاه المسلم
كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه لفظ مسلم
وفي غير الصحيحين عن ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه
المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يعيبه ولا يخذله ولا يتطاول

ولمسلم وكونوا عباد الله اخوانا [illegible]

عليه في البنيان فيستر عليه الريح الا باذنه ولا يوذيه
بقتار قدره الا ان يغرف له غرفة ولا يشتري لبنيه الفاكهة
فيخرجون بها الى صبيان جاره ولا يطعمونهم منها ثم قال
النبي صلى الله عليه وسلم احفظوا ولا يحفظ منكم الا القليل
الثانية قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم اي بين كل مسلمين
تخاصما وقيل بين الاوس والخزرج على ما تقدم وقال ابو علي
اراد بالاخوين الطائفتين لان لفظ التثنية يرد
والمراد به الكثرة كقوله تعالى بل يداه مبسوطتان وقال
ابو عبيدة اي اصلحوا بين كل اخوين فهو ات على الجميع
وقرا ابن سيرين ونصر بن عاصم وابو العالية والجحدري
ويعقوب بين اخوتكم بالتاء على الجمع وقرا الحسن اخوانكم
الباقون اخويكم بالياء على التثنية الثالثة في هذه الاية
والتي قبلها دليل على ان البغي لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى
سماهم مومنين مع كونهم باغين قال الحارث الاعور سيل
علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو القدوة عن قتال اهل
البغي من اهل الجمل وصفين امشركون هم قال لا من الشرك فروا
فقيل له امنافقون هم قال لا ان المنافقين لا يذكرون الله
الا قليلا قيل له فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان
يكونوا

مطلب الاية في السخرية والاستهزاء والضحك

يكونوا

خيرا منهم فيه ثلث مسايل الاولى قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم قيل
عند الله وقيل خيرا منهم اى معتقدا واسلم باطنا والسخرية
الاستهزاء سخرت منه اسخر سخرا بالتحريك ومسخرا
وسخرا بالضم وحكى ابو زيد سخرت به وهو اردأ اللغتين
وقال الاخفش سخرت منه وسخرت به وضحكت منه
وضحكت به وهزيت منه وهزيت به كل يقال والاسم
السخرية والسخري والسخري وقرئ به وقوله تعالى
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وقد تقدم وفلان سخرة يتسخر
في العمل يقال خادم سخرة ورجل سخرة ايضا
يسخر منه وسخرة بفتح الخاء يسخر من الناس الثانية
واختلف في سبب نزولها فقال ابن عباس نزلت في ثابت
ابن قيس بن شماس كان في اذنه وقر فاذا سبقوه الى مجلس
النبي صلى الله عليه وسلم اوسعوا له اذا اتى حتى يجلس
الى جنبه ليسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته من
صلاة الفجر ركعة مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما انصرف
النبي صلى الله عليه وسلم اخذ اصحابه مجالسهم منه
فربض كل رجل بمجلسه وعضوا فيه فلا يكاد يوسع
احد لاحد حتى يظل الرجل لا يجد مجلسا فيظل قايما فلما

مطلب اول

مطلب ثاني

انصرف ثابت من الصلاة تخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا
تفسحوا فتفسحوا له حتى انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم
وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل قد وجدت
مجلسا فاجلس فجلس ثابت من خلفه مغضبا ثم قال من
هذا قالوا فلان فقال ثابت ابن فلانة يعيره بها يعني امها
له في الجاهلية فاستحيا الرجل فنزلت وقال الضحاك نزلت
في وفد تميم الذي تقدم ذكرهم في اول السورة استهزؤا
بفقراء الصحابة مثل عمار بن ياسر وخباب وابن فهيرة
وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى ابي حذيفة وغيرهم
لما راوا من رثاثة حالهم فنزلت في الذين امنوا منهم وقال
مجاهد هو سخرية الغني من الفقير وقال ابن زيد لا يسخر
من ستر الله عليه ذنوبه ممن كشفه الله فلعل اظهار
ذنوبه في الدنيا خير له في الاخرة وقيل نزلت في عكرمة
بن ابي جهل حين قدم المدينة مسلما وكان المسلمون اذا
راوه قالوا ابن فرعون هذه الامة فشكى ذلك الى النبي صلى
الله عليه وسلم فنزلت وبالجملة فينبغي ان لا يجترى احد
على الاستهزاء بمن يقتحمه بعينه اذا راى رث الحال
او ذا عاهة في بدنه او غير لبق في محادثته فلعله
اخلص ضميرا واتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم

لنفسه

لقبسته متحقير من وقره الله والاستهزا بمن عظمه الله
ولقد بلغ بالسلف افراط توقيهم وتصونهم من ذلك
ان قال عمرو بن شرحبيل لو رايت رجلا برا طع عنما
فضحكت منه خشيت ان اصنع مثل الذي صنع وعن عبد الله
بن مسعود البلا موكل بالقول لو سخرت من كلب خشيت
ان احول كلبا وقوم في اللغه للمذكورين خاصه قال زهير
وما ادري وسوف اخال ادري اقوم آل حصن ام نسا
وسموا قوما لانهم يقومون مع داعيهم في الشدايد وقيل
انه جمع قايم ثم استعمل في كل جماعة وان لم يكونوا قايمين
وقد يدخل في القوم النسا مجازا وقد مضى في البقره
بيانه الثالثه قوله تعالى ولا نسا من نساء عسى ان
يكن خيرا منهن افرد النسا بالذكر لان السخرية منهن اكثر
وقد قال الله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه فتشمل الجميع
قال المفسرون نزلت في امراتين من ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم سخرتا من ام سلمة وذلك انها ربطت حضنيها
بسبنية وهو ثوب ابيض ومثلها السبيب وسدلت طرفها
خلفها وكانت تجرها فقالت عايشة لحفصة رضي الله
عنها انظري ما تجر خلفها كانه لسان كلب فهذه كانت
سخريتهما وقال انس وابن زيد نزلت في نسا النبي صلى الله
عليه وسلم

في مطلب السخرية والاستهزا

حكاية السخرية والعام ... هو قد تقدم

عيرن ام سلمه بالقصر ويقال نزلت في عايشه اشارت
بيدها الى ام سلمة يا نبي الله انها لقصيره وقال عكرمة عن ابن
عباس ان صفيه بنت حيي بن اخطب اتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النسا يعيرنني
ويقلن يا يهوديه بنت يهوديين فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هلا قلت ان ابي هارون وان عمي موسى وان
زوجي محمد فانزل الله تعالى هذه الايه الرابعه في صحيح
الترمذي عن عايشة قالت حكيت للنبي صلى الله عليه وسلم
رجلا فقال ما يسرني اني حكيت رجلا وان لي كذا وكذا قالت
فقلت يا رسول الله ان صفيه امراة وقالت بيدها هكذا
يعني انها قصيره فقال لقد مزجت بكلمة لو مزج بها
البحر لمزج وفي البخاري عن عبد الله بن زمعة قال نهى النبي
صلى الله عليه وسلم ان يضحك الرجل مما يخرج من الانفس وقال
لم يضرب احدكم امراته ضرب الفحل ثم لعله يعانقها
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر
الى قلوبكم واعمالكم وهذا حديث عظيم يترتب عليه
ان لا يقطع بعيب احد لما يرى عليه من صور اعمال
الطاعه او المخالفه فلعل من يحافظ على الاعمال الظاهره
يعلم الله

يعلم الله من قلبه وصفا مذموما لا تصح معه تلك الاعمال
ولعل من راينا عليه تفريطا او معصية يعلم الله من قلبه
وصفا محمودا يغفر له بسببه فالاعمال امارات ظنية
لا ادلة قطعية او يترتب عليها عدم الغلو في تعظيم من
راينا عليه افعالا صالحة وعدم الاحتقار لمسلم راينا
عليه افعالا سيئة بل تحقر وتذم تلك الحالة السيئة
لا تلك الذات المسيئة فتدبر هذا فانه نظر دقيق وبالله
التوفيق **قوله تعالى** ولا تلمزوا انفسكم فيه ثلاث مسائل
الاولى قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم اللمز العيب وقد
مضى في براءة عند قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات وقال
الطبري اللمز باليد والعين واللسان والاشارة والهمز
لا يكون الا باللسان وهذه الاية مثل قوله تعالى ولا تقتلوا
انفسكم اي لا يقتل بعضكم بعضا لان المومنين كنفس واحدة
فكان اخيه قاتل نفسه وكقوله تعالى فسلموا على انفسكم
يعني يسلم بعضكم على بعض والمعنى لا يعب بعضكم بعضا
وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير
لا يطعن بعضكم على بعض وقال الضحاك لا يلعن بعضكم بعضا
وقرئ ولا تلمزوا بالضم وفي انفسكم تنبيه على ان العاقل
لا يعيب نفسه فلا ينبغي ان يعيب غيره لانه كنفسه قال

مطلب

قاتل صح

صلى الله عليه وسلم المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى عضو
منه تداعى له ساير الجسد بالسهر والحمى وقال بكر بن عبد الله
المزني اذا اردت ان تنظر العيوب جمة فتامل عيابا فانه
انما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب وقال النبي صلى
الله عليه وسلم يبصر احدكم القذاة في عين اخيه ويدع
الجذع في عينه وقيل من سعادة المرء ان يشتغل بعيوب
نفسه عن عيوب غيره قال الشاعر
المرء ان كان عاقلا ورعا اشغله عن عيوبه ورعه
كما السقيم المريض يشغله عن وجع الناس كلهم وجعه
وقال آخر لا تكشفن مساوي الناس ما ستروا فيهتك الله سترا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا ولا تعب احدا منهم بما فيكا
الثانية قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب النبز بالتحريك
اللقب والجمع الانباز والنبز بالتسكين المصدر تقول
نبزه ينبزه نبزا اي لقبه وفلان ينبز بالصبيان اي
يلقبهم شدد للكثرة ويقال النبز والنزب لقب السوء
وتنابزوا بالالقاب اي لقب بعضهم بعضا وفي الترمذي
عن ابي جبيرة بن الضحاك قال كان الرجل منا يكون له الاسمين
والثلاثة فيدعا ببعضها فعسى ان يكره فنزلت هذه
الآية ولا تنابزوا بالالقاب قال هذا حديث حسن وابو
جبيرة هذا

وابو جبيرة هذا هو اخو ثابت بن الضحاك بن خليفة الانصاري
وابو زيد سعد بن الربيع صاحب الهروي ثقة وفي مصنف
ابي داود عنه قال فينا نزلت هذه الايه في بني سلمه ولا
تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان قال
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل الا وله
اسمان او ثلثه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يا فلان فيقولون مه يا رسول الله انه يغضب من هذا
الاسم فنزلت هذه الآية ولا تنابزوا بالالقاب فهذا قول
وقول ثاني قال الحسن ومجاهد كان الرجل بعد اسلامه يعير
بكفره يا يهودي يا نصراني فنزلت وروى عن قتادة
وابي العالية وعكرمة وقال قتادة هو قول الرجل للرجل
يا فاسق يا منافق وقاله مجاهد والحسن ايضا بئس
الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس ان يسمى الرجل
كافرا او زانيا بعد اسلامه وتوبته قاله ابن زيد وقيل
المعنى ان من لقب اخاه او سخر منه فهو فاسق وفي الصحيح
من قال لاخيه كافر فقد باء بها احدهما ان كان كما قال والا
رجعت عليه فمن فعل ما نهى الله عنه من السخرية والهمز
والنبز فذلك فسوق وذلك لا يجوز وقد روى ان ابا ذر
رضي الله عنه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فنازعه رجل

بلغ

مطلب

فقال له ابو ذر يا ابن اليهودية فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما ترى ها هنا من احمر واسود ما انت بافضل منه يعني
بالتقوى ونزلت ولا تنابزوا بالالقاب وقال ابن عباس
التنابز بالالقاب ان يكون الرجل قد عمل السيئات ثم تاب
فنهى الله ان يعير بما سلف يدل عليه ما روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال من عير مؤمنا بذنب تاب منه كان
حقا على الله ان يبتليه به ويفضحه فيه في الدنيا والآخرة
الثالثة وقع مستثنى ما غلب عليه الاستعمال كالاعرج
والاحدب ولم يكن له فيه كسب يجد في نفسه منه عليه
فجوزته الامة واتفق على قوله اهل اللغة قال ابن العربي
وقد ورد لعمر والله من ذلك في كتبهم ما لا ارضاه في صالح
جزرة لانه صحف خرزة فلقب بها وكذلك قولهم في محمد
بن سليمان الحضرمي مطين لانه وقع في طين ونحو ذلك مما
غلب على المتاخرين ولا اراه سايغا في الدين وقد كان
موسى بن علي بن رباح المصري يقول لا اجعل احدا صغر اسم
ابي وكان الغالب على اسمه التصغير بضم العين والذي يضبط
هذا كله ان كل ما يكرهه الانسان اذا نودي به فلا يجوز
لاجل الاذاية والله اعلم قال المؤلف رضي الله عنه وعلى هذا
المعنى ترجم البخاري رضي الله عنه في كتاب الادب من الجامع

الصحيح

الصحيح في باب ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم الطويل
والقصير لا يراد به شين الرجل قال وقال النبي صلى الله عليه
وسلم ما يقول ذو اليدين قال ابو عبد الله بن خويز منداد
تضمنت الاية المنع من تلقيب الانسان بما يكره ويجوز
تلقيبه بما يحب الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم لقب
عمر الفاروق وابا بكر الصديق وعثمان ذو النورين
وخزيمة ذا الشهادتين وابا هريرة وذا الشمالين وذا
اليدين في اشباه ذلك الزمخشري روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم في حق المومن على المومن ان يسميه باحب
اسمائه اليه ولهذا كانت التكنية من السنة والادب
الحسن قال عمر رضي الله عنه اشيعوا الكنى فانها منبهة
ولقد لقب ابو بكر بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق
وحمزة باسد الله وخالد بسيف الله وقل من المشاهير
في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه
الالقاب الحسنة في الامم كلها من العرب والعجم تجري
في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير وقال الماوردي
فاما مستحب الالقاب ومستحسنها فلا نكره وقد وصف
رسول الله صلى الله عليه وسلم عددا من اصحابه صارت
لهم من اجل الالقاب قلت فاما ما يكون ظاهرها الكراهة

اذا اريد بها الصفة لا العيب فذلك كثير وقد سيل ابن
المبارك عن الرجل يقول حميد الطويل و سليمان الاعمش
وحميد الاعرج ومروان الاصفر فقال اذا اردت صفته
ولم ترد عيبه فلا باس به وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن
جبير قال رايت الاصلع يعني عمر يقبل الحجر في رواية
الاصيلع قوله تعالى ومن لم يتب اي عن هذه الالقاب
الذي يتاذي بها السامعون فاولئك هم الظالمون لانفسهم
بارتكاب هذه المناهي قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اجتنبوا كثيرا من الظن الى قوله تواب رحيم فيه عشر
مسايل الاول قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا
كثيرا من الظن قيل انها نزلت في رجلين من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم اغتابا رفيقهما وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان اذا سافر ضم الرجل المحتاج الى الرجلين
الموسرين فيخدمهما فضم سلمان الى رجلين فتقدم سلمان
الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيي لهما شيا فجا‌ا
فلم يجدا طعاما وادا ما فذهبا فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم اذهب الى اسامة بن زيد فقل له ان كان عندك
فضل من طعام فليعطك وكان اسامة خازن النبي
صلى الله عليه وسلم فذهب اليه فقال اسامة ما عندي

شي

شي فرجع اليهما فاخبرهما فقالا قد كان عنده ولكنه
بخيل ثم بعثا سلمان الى طايفة من الصحابه فلم يجد عندهم
شيا فقالا لو بعثنا سلمان الى بير سميحة لغار ماوها
ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامه شيا فراهما النبي
صلى الله عليه وسلم فقال مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما
فقالا يا نبي الله والله ما اكلنا في يومنا هذا لحما ولا غيره
فقال ولكنكما ظلتما تاكلان لحم سلمان واسامة فنزلت
يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض
الظن اثم ذكره الثعلبي اي لا تظنوا باهل الخير سوا
اذا كنتم تعلمون من ظاهر امرهم الخير **الثانيه**
ثبت في الصحيحين عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا
تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا
ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا
لفظ البخاري قال علماونا فالظن هنا وفي الاية هو التهمة
ومحل التحذير والنهي انما هو تهمة لا سبب لها يوجبها
كمن يتهم بالفاحشة او بشرب الخمر مثلا ولم يظهر
عليه ما يقتضي ذلك ودليل كون الظن هنا بمعنى
التهمه قوله بعد هذا ولا تجسسوا وذلك انه قد

يقع له خاطر التهمة ابتداً فيريد ان يتجسس خبر
ذلك و يبحث عنه و يتبصر و يتسمع ليحقق ما وقع له
من تلك التهمة فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وان شئت
قلت والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها
ان كل ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كان
حراما واجب الاجتناب وذلك اذا كان المظنون به
ممن شوهد منه الستر والصلاح واونست منه الامانة
في الظاهر فظن الفساد به والخيانة محرم بخلاف من اشتهره
الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه
وان يظن به ظن السو وعن الحسن كنا في زمن الظن بالناس
فيه حرام وانت اليوم في زمن اعمل واسكت وظن
في الناس ما شيت الثالثة للظن حالتان حالة
تعرف وتقوى بوجه من وجوه الادلة فيجوز الحكم بها
واكثر احكام الشريعة مبنية على غلبة الظن كالقياس
وخبر الواحد وغير ذلك من قيم المتلفات وارش الجنايات
والحالة الثانية ان يقع في النفس شي من غير دلالة فلا
يكون ذلك اولى من ضده فهذا هو الشك فلا يجوز الحكم
به وهو المنهي عنه على ما قررناه انفا وقد انكرت جماعة

من المبتدعة

من المبتدعة تعبد الله بالظن وجواز العمل به تحكما في
الدين ودعوى في المعقول وليس في ذلك اصل يعول
عليه فان الباري تعالى لم يذم جميعه وانما ورد الذم في
بعضه وربما تعلقوا بحديث ابي هريرة اياكم والظن وهذا
لا حجة فيه لان الظن في الشريعة قسمان محمود ومذموم
فالمحمود منه ما سلم معه دين الظان والمظنون به عند
بلوغه والمذموم ضده بدلالة قوله تعالى ان بعض الظن
اثم وقوله ولولا اذ سمعتموه ظن المومنون والمومنات
بانفسهم خيرا وقوله تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان احدكم مادحا اخاه
فليقل احسب كذا ولا ازكي على الله احدا وقال اذا ظننت فلا
تحقق واذا حسدت فلا تبغ واذا تطيرت فامض خرجه
ابو داود واكثر العلماء على ان الظن القبيح بمن ظاهره
الخير لا يجوز وانه لا حرج في الظن القبيح بمن ظاهره القبيح
قاله المهدوي الرابعة قوله تعالى ولا تجسسوا وقرا
ابو رجا والحسن باختلاف وغيرهما ولا تحسسوا بالحاء
واختلف هل هما بمعنى واحد او بمعنيين فقال الاخفش
ليس تبعد احدهما من الاخرى لان التجسس البحث عما
يكتم عنك والتحسيس بالحاء طلب الاخبار والبحث عنها

وقيل ان التجسس بالجيم هو البحث ومنه قيل رجل جاسوس
اذا كان يبحث عن الامور وبالحاء هو ما ادركه الانسان
ببعض حواسه وقول ثان في الفرق انه بالحاء تطلبه
لنفسه وبالجيم ان يكون رسولا لغيره قاله ثعلب والاول
اعرف جسست الاخبار وتجسستها اى تفحصت
عنها ومنه الجاسوس ومعنى الايه خذوا ما ظهر ولا
تتبعوا عورات المسلمين اى لا يبحث احدكم عن عيب اخيه
حتى يطلع عليه بعد اذ ستره الله وفى كتاب ابى داود عن
معاويه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انك
ان اتبعت عورات الناس افسدتهم او كدت ان تفسدهم
قال ابو الدردا كلمة سمعها معاويه من رسول الله صلى الله
عليه وسلم نفعه الله بها وعن المقدام بن معدى كرب عن
ابى امامه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الامير اذا
ابتغى الريبه فى الناس افسدهم وعن زيد بن وهب قال
اتى ابن مسعود فقيل هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال
عبد الله انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شى
ناخذ به وعن ابى برزة الاسلمى قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا معشر من امن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه
لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من اتبع
عوراتهم

عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه
في بيته وقال عبد الرحمن بن عوف حرست ليلة مع عمر بن
الخطاب بالمدينة اذ تبين لنا سراج في بيت بابه مجاف على
قوم لهم اصوات مرتفعة ولغط فقال عمر هذا بيت ربيعة
بن امية بن خلف وهم الان شرب فما ترى قلت ارى انا قد
اتينا ما نهى الله عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد
تجسسنا فانصرف وتركهم وقال ابو قلابة حدث عمر بن
الخطاب ان ابا محجن الثقفي يشرب الخمر مع اصحاب له في بيته
فانطلق عمر حتى دخل عليه فاذا ليس عنده الا رجل فقال
ابو محجن ان هذا لا يحل لك قد نهاك الله عن التجسس
فخرج عمر وتركه وقال زيد بن اسلم خرج عمر وعبد
الرحمن يعسان اذ تبينت لهما نار فاستاذنا ففتح
الباب فاذا رجل وامراة تغني وعلى يد الرجل قدح فقال
عمر وانت بهذا يا فلان فقال وانت بهذا يا امير المومنين
قال عمر فمن هذه منك قال امراتي قال فما القدح قال ماء
زلال فقال للمراة وما الذي تغنين فقالت
تطاول هذا الليل واسود جانبه وارقني الا خليل الاعبه
فوالله لولا الله اني اراقبه لزعزع من هذا السرير جوانبه
ولكن عقلي والحيا يكفني واكرم بعلي ان تنال مراكبه

ثم قال الرجل ما بهذا امر يا امير المومنين قال الله تعالى
ولا تجسسوا قال صدقت قلت لا يفهم من هذا الخبر ان المراة
كانت غير زوجة الرجل لان عمر لا يقر على الزنا وانما عنت
بتلك الابيات تذكار الزوجها وانها قالتها في مغيبه عنها
والله اعلم وقال عمرو بن دينار كان رجل من اهل المدينة له
اخت فاشتكت وكان يعودها فماتت فدفنها وكان
هو الذي نزل في قبرها فسقط من كمه كيس فيه دنانير
فاستعان ببعض فنبشوا قبرها فاخذ الكيس ثم قال
لاكشفن حتى انظر ما آل حال اختي اليه فكشف عنها
فاذا القبر مشتعل نارا فجا الى امه فقال اخبريني
ما كان عمل اختي فقالت قد ماتت اختك فما سوالك
عن عملها فلم يزل بها حتى قالت له كان من عملها انها كانت
توخر الصلاه عن مواقيتها وكانت اذا نام الجيران
قامت الى بيوتهم فالقمت اذنها ابوابهم فتجسس عليهم
وتخرج اسرارهم فقال بهذا اهلكت الخامسة قوله
تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا نهى جل وعز عن الغيبة
وهو ان يذكر الرجل بما فيه فان ذكرته بما ليس فيه فهو
البهتان ثبت معناه في صحيح مسلم عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا

الله ورسوله

الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قال افرايت ان
كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته
وان لم يكن فيه فقد بهته يقال اغتابه اغتيابا اذا
وقع فيه والاسم الغيبة وهي ذكر العيب بظهر
الغيب قال الحسن الغيبة ثلثة اوجه كلها في كتاب الله
تعالى الغيبة والافك والبهتان فاما الغيبة فهو ان تقول
في اخيك ما هو فيه واما الافك فان تقول فيه ما بلغك عنه
واما البهتان فان تقول فيه ما ليس فيه وعن شعبة قال
قال لي معاوية يعني ابن قرة لو مر بك رجل اقطع
فقلت هذا اقطع كان غيبة قال شعبة فذكرته لابي
اسحاق فقال صدق وروى ابو هريرة ان الاسلمي ماعزا
جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد على نفسه
بالزنا فرجمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع نبي الله صلى الله عليه وسلم
رجلين من اصحابه يقول احدهما للاخر انظر الى هذا الذي
ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب
فسكت عنهما ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل
برجله فقال اين فلان وفلان فقالا نحن ذا يا رسول الله
قال انزلا وكلا من جيفة هذا الحمار فقالا يا نبي الله ومن
ياكل من هذا قال فما نلتما من عرض اخيكما اشد من الاكل منه

والذي نفسي بيده انه الان في انهار الجنه ينغمس فيها

السادسه قوله تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا مثل الله تعالى الغيبة باكل الميتة لان الميت لا يعلم باكل لحمه كما ان الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه وقال ابن عباس انما ضرب الله هذا المثل للغيبة لان اكل لحم الميت حرام مستقذر ولذلك الغيبة حرام في الدين وقبيح في النفوس وقال قتاده كما يمتنع احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا كذلك يجب ان يمتنع من غيبته حيا واستعمل اكل اللحم مكان الغيبه لان عادة العرب بذلك جارية قال الشاعر

فان اكلوا لحمي وفرت لحومهم وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما صام من ظل ياكل لحوم الناس فشبه الوقيعه في الناس باكل لحومهم فمن تنقص مسلما او ثلم عرضه فهو كالاكل لحمه حيا ومن اغتابه فهو كالاكل لحمه ميتا وفي كتاب ابي داود عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هولاء يا جبريل قال هولاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وعن المستورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اكل برجل مسلم اكلة فان

الله يطعم

الا يطعمه مثلها من جهنم ومن كسي ثوبا برجل مسلم
فان الله يكسوه مثله من جهنم ومن قام برجل مقام سمعة
وريا فان الله يقوم به مقام سمعة وريا يوم القيامة وقد
تقدم قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر من امن بلسانه ولم
يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين وقوله للرجلين ما
لي اري خضرة اللحم في افواهكما وقال ابو قلابة الرقاشي سمعت
ابا عاصم يقول ما اغتبت احدا مذ عرفت ما في الغيبة
وكان ميمون بن سياه لا يغتاب احدا ولا يدع احدا
يغتاب عنده ينهاه فان انتهى والا قام وذكر الثعلبي
من حديث ابي هريرة قال قام رجل من عند النبي صلى الله
عليه وسلم فراوا في قيامه عجزا فقالوا يا رسول الله
ما اعجز فلانا قال اكلتم لحم اخيكم واغتبتموه وعن
سفيان الثوري قال ادني الغيبة ان تقول ان فلانا
جعدا قططا الا انه يكره ذلك وقال عمر بن الخطاب رضي
الله عنه اياكم وذكر الناس فانه دا وعليكم بذكر الله فانه
شفا وسمع علي بن الحسين رضي الله عنهما رجلا يغتاب اخر
فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس وقيل لعمر
بن عبيد لقد وقع فيك فلان حتى رحمناك قال اياه فارحموا
وقال رجل للحسن بلغني انك تغتابني فقال لم يبلغ قدرك

عندي ان احكمك في حسناتي المسابعه ذهب قوم ان
الغيبة لا تكون الا في الدين ولا تكون في الخلقه والحسب وقالوا
ذلك فعل الله به وذهب اخرون الى عكس هذا فقالوا لا تكون
الغيبه الا في الخلق والخُلق والحسب والغيبه في الخلق اشد
لان من عيب صنعة فانما عيب صانعها وهذا كله مردود
اما الاول فيرده حديث عايشه حين قالت في صفيه
انها امراة قصيرة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لقد
قلت كلمة لو مزج بها البحر لمزجته خرجه ابو داود
وقال فيه الترمذي حديث حسن صحيح وما كان في معناه
حسب ما تقدم واجماع العلما قديما على ان ذلك غيبه اذا
اريد به العيب واما الثاني فمردود ايضا عند جميع
العلما لان العلما من اول الدهر من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم والتابعين بعدهم لم تكن الغيبه عندهم في شيء
اعظم من الغيبه في الدين لان عيب الدين اعظم العيب فكل
مومن يكره ان يذكر في دينه اشد مما يكره في ابدنه وكفى
ردا لمن كان هذا القول قوله عليه السلام اذا قلت في
اخيك ما يكره فقد اغتبته الحديث فمن زعم ان ذلك
ليس بغيبة فقد رد ما قال النبي صلى الله عليه وسلم
نصا وكفى بعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم دماؤكم
واموالكم

واموالكم واعراضكم عليكم عليكم حرام وذلك عام للدين
والدنيا ولقول النبي صلى الله عليه وسلم من كانت عنده
لاخيه مظلمه في عرضه او ماله فليتحلله منه فعم كل
عرض فمن خص من ذلك شيا دون شي فقد عارض ما قال
النبي صلى الله عليه وسلم **الثامنة** لا خلاف ان الغيبة
من الكبائر وان على من اغتاب احدا التوبة الى الله عز وجل
وهل يستحل المغتاب اختلف فيه فقالت فرقة ليس عليه
استحلاله وانما هي خطيئة بينه وبين ربه واحتجت بانه
لم ياخذ من ماله ولا اصاب من بدنه ما ينقصه فليس ذلك
بمظلمة يستحلها منه وانما المظلمه ما يكون منه البدل
والعوض في المال والبدن وقالت فرقة هي مظلمه
وكفارتها الاستغفار لصاحبها الذي اغتابه واحتجت
بحديث يروى عن الحسن قال كفارة الغيبه ان تستغفر
لمن اغتبته وقالت فرقة هي مظلمه وعليه الاستحلال
منها واحتجت بقول النبي صلى الله عليه وسلم من كانت لاخيه
عنده مظلمه في عرض او مال فليتحلله منه من قبل ان
ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يوخذ من حسناته
فان لم تكن له حسنات اخذ من سيات صاحبه فتزيد
على سياته خرجه البخاري من حديث ابي هريرة قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له مظلمة لأخيه
من عرضه او شي فليتحلله منه اليوم قبل ان لا يكون دينار
ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان
لم يكن له حسنات اخذ من سيات صاحبه فحمل عليه وقد
تقدم هذا المعنى في سورة ال عمران عند قوله تعالى ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا وقد روي
من حديث عايشة ان امراة دخلت عليها فلما قامت
قالت امراة ما اطول ذيلها فقالت لها عايشة لقد اغتبتيها
فاستحليها فقد لنا الاثار عن النبي صلى الله عليه وسلم انها مظلمة
تجب على المغتاب استحلالها واما قول من قال انما الغيبة في
البدن والمال فقد اجمعت العلما على ان على القاذف للمقذوف
مظلمة باخذه بالحد حتى يقيمه عليه وذلك ليس في البدن
ولا في المال ففي ذلك دليل ان الظلم في العرض والبدن والمال
وقد قال الله تعالى في القاذف فان لم ياتوا باربعة شهدا الى
قوله فاولئك هم ~~الفاسقو~~ عند الله هم الكاذبون
وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بهت مومنا بما ليس فيه
حبسه الله في طينة الخبال وذلك كله في غير المال
والبدن واما من قال انها مظلمة وكفاره المظلمة ان
يستغفر لصاحبها لان قوله مظلمة يثبت ظلامة المظلوم

فما كفارة
ثما هما مظلمة ثم قال الكفارة ان يستغفر لصاحبها صح

فاذا ثبت

فاذا ابيت الظلامه لم تزلها عن الظالم الا احلال المظلوم له
واما قول الحسن فليس بحجه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
من كانت له عند اخيه مظلمه في عرض او مال فليستحلله منه
وقد ذهب بعضهم الى ترك التحليل لمن ساله وراى انه لا
تحل له ما حرم الله عليه منهم سعيد بن المسيب قال لا احلل
من ظلمني وقيل لابن سيرين يا ابا بكر هذا رجل سالك ان تحلله
من مظلمة هي لك عنده قال اني لم احرمها عليه فاحلها
الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحل ما حرم الله عليه ابدا
وخبر النبي صلى الله عليه وسلم يدل على التحليل وهو الحجة
والمبين والتحليل يدل على الرحمه وهو من وجه العفو
وقد قال تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله التاسعة
ليس من هذا الباب غيبه الفاسق المعلن به المجاهر فان
في الخبر من القى جلباب الحيا فلا غيبه له وقال النبي صلى الله
عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس فالغيبة
اذا في المرء الذي يستر نفسه وروى عن الحسن انه قال
ثلثة ليست لهم حرمه صاحب الهوى والفاسق
المعلن والامام الجاير وقال الحسن لما مات الحجاج اللهم
انت امته فاقطع عنا سنته وفي روايه تشبيه فانه
اتانا اخيفش اعيمش يمد بيد قصيره البنان والله

ما عرف فيها غبار في سبيل الله يرجّل جمّته ويخطر
في مشيته ويصعد المنبر فيهدر حتى تفوته الصلاة
لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي فوقه الله وتحته مائة
ألف أو يزيدون لا يقول له قائل الصلاة يا أيها الرجل ثم يقول
الحسن هيهات حال دون ذلك السيف والسوط وروى
الربيع بن صبيح عن الحسن قال ليس لأهل البدع غيبة وكذلك
قولك للقاضي تستعين به على أخذ حقك ممن ظلمك فتقول
فلان ظلمني وغصبني أو خانني أو ضربني أو قذفني أو أسا
الي ليس بغيبة وعلماء الأمة على ذلك مجمعة وقال النبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك لصاحب الحق مقال وقال مطل الغني ظلم
وقال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته ومن ذلك الاستفتا
كقول هند للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان رجل
شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي واخذ من غير
علمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم فخذي فذكرته
بالشح والظلم لها ولولدها ولم يرها مغتابة لانه لم يغير عليها
بل اجابها عليه السلام بالفتيا لها وكذلك اذا كان في ذكره
بالسوء فائدة كقوله صلى الله عليه وسلم اما معاوية
فصعلوك لا مال له واما ابو جهم فلا يضع عصاه عن
عاتقه فهذا جائز وكان مقصوده ان لا تغتر فاطمة

بنت قيس

العاشره

بنت قيس بهما قال جميعه المحاسبي رحمه الله
قوله تعالى ميتا وقري ميّتا وهو نصب على الحال من اللحم
ويجوز ان ينصب على الاخ ولما قررهم عز وجل بان
احدا منهم لا يحب لاكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله
فكرهتموه وفيه وجهان احدهما فكرهتم اكل الميته فلذلك
فاكرهوا الغيبه روي معناه عن مجاهد الثاني فكرهتم
ان يغتابكم الناس فاكرهوا غيبة الناس وقال الفرا اي
فقد كرهتموه فلا تفعلوه وقيل لفظه خبر ومعناه
امر اي اكرهوه واتقوا الله عطف عليه وقيل عطف
على قوله اجتنبوا ولا تجسسوا ان الله تواب رحيم
قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى
فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى يعني ادم وحوا ونزلت الايه في ابي هند
ذكره ابو داود في المراسيل حدثنا عمرو بن عثمان وكثير
بن عبيد قالا ثنا بقية بن الوليد قال حدثني الزهري
قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني بياضه ان يزوجوا
ابا هند امراة منهم فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
نزوج بناتنا موالينا فانزل الله عز وجل انا خلقناكم
من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا الايه

قال الزهري نزلت في ابي هند خاصة وقيل انها نزلت في
ثابت بن قيس بن شماس وقوله في الرجل الذي لم يتفسح
له ابن فلانه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظر في وجوه
القوم فنظر فقال ما رايت قال رايت ابيض واسود
واحمر قال فانك لا تفضلهم الا بالتقوى فنزلت في ثابت
هذه الايه ونزلت في الرجل الذي لم يتفسح له يا ايها الذين
امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس الايه قاله ابن عباس
وقال مقاتل لما كان يوم فتح مكه امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبه فاذن فقال
عتاب بن اسيد بن ابي العيص الحمد لله الذي قبض ابي
حتى لا يرى هذا اليوم وقال الحارث بن هشام ما وجد
محمد غير هذا الغراب الاسود موذنا وقال سهيل بن عمرو
ان يرد الله شيا وقال ابو سفيان اني لا اقول شيا اخاف
ان يخبر به رب السما فاتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه
وسلم واخبره بما قالوا فدعاهم وسالهم عما قالوا فاقروا
فانزل الله تعالى هذه الايه زجرهم عن التفاخر بالانساب
والتكاثر بالاموال والازدرا بالفقرا فان المدار على التقوى
اي الجميع من ادم وحوا انما الفضل بالتقوى في الترمذي

عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب بمكة
فقال يا ايها الناس

فتح مكه بلال عتاب وقال ...

بلغ الرابع عشر

فقال يا أيها الناس ان الله قد اذهب عنكم عبية الجاهلية
وتعاظمها بآبائها فالناس رجلان رجل بر تقي كريم على
الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو ادم وخلق
الله ادم من تراب قال الله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان
اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير خرجه من
حديث عبد الله بن جعفر والد علي بن المديني وهو ضعيف
ضعفه يحيى بن معين وغيره وخرج الطبري في كتاب اداب
النفوس وحدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا اسماعيل
قال حدثنا سعيد الجريري عن ابي نضرة قال حدثني او
حدثنا من شهد خطبة النبي صلى الله عليه وسلم بمنى في
وسط ايام التشريق وهو على بعير فقال يا أيها الناس الا
ان ربكم واحد وان اباكم واحد الا لا فضل لعربي على
عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لاسود على احمر ولا احمر على
اسود الا بالتقوى الا هل بلغت قالوا نعم قال
ليبلغ الشاهد الغايب وفيه عن ابي مالك الاشعري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا ينظر
الى احسابكم ولا الى اجسامكم ولا الى اموالكم ولكن ينظر
الى قلوبكم فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه وانما

انتم بنو ادم احبكم اليه اتقاكم ولعلي رضي الله عنه في هذا المعنى
وهو مشهور من شعره يقول

الناس في جهة التمثيل اكفا ابوهم ادم والام حوا
نفس كنفس وارواح مشاكلة واعظم خلقت فيهم واعضا
فان يكن لهم في نسلهم حسب يفاخرون به فالطين والما
ما الفضل الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلا
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه وللرجال على الافعال سيما
وضد كل امرئ ما كان يجهله والجاهلون لاهل العلم اعدا

الثانية بين الله سبحانه في هذه الاية ان خلق الخلق
من الذكر والانثى وكذلك في اول سورة النسا ولو شا
لخلقه دونهما كخلقه لادم او دون ذكر كخلقه لعيسى بن مريم
عليه السلام او دون انثى كخلقه لادم من احدى الجهتين
وهذا الجايز في القدرة لم يرد به الوجود وقد جا ان
ادم خلق الله منه حوا من ضلع انتزعها من اضلاعه
فلعله هذا القسم قاله ابن العربي الثالثة خلق الله
الخلق بين الذكر والانثى انسابا واصهارا وقبايل
وشعوبا وخلق لهم منها التعارف وجعل لهم بها
التواصل للحكمة التي قدرها وهو اعلم بها فصار كل
احد يحوز نسبه فاذا نفاه رجل عنه استوجب الحد

بقذفه

بقذفه مثل ان ينفيه عن رهطه ونسبه بقوله للعربي
يا عجمي او للعجمي يا عربي ونحو ذلك مما يقع به النفي حقيقة
الرابعه ذهب قوم من الاوايل الى ان الجنين انما يكون
من ماء الرجل وحده ويتربى في رحم الام ويستمد من
الدم الذي يكون فيه واحتجوا بقوله تعالى الم نخلقكم
من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين وقوله تعالى الم يك
نطفة من مني تمنى فدل على ان الخلق من ماء واحد والصحيح
ان الخلق انما تكون من ماء الرجل والمراه لهذه الايه فانها
نص لا يحتمل التاويل وقوله تعالى خلق من ماء دافق يخرج
من بين الصلب والترايب والمراد منه اصلاب الرجال
وترايب النسا على ما ياتي بيانه واما ما احتجوا به فليس
فيه اكثر من ان الله تعالى ذكر خلق الانسان من الما
والسلاله والنطفه ولم يضفها الى احد الابوين دون
الاخر فدل على ان الما والسلاله لهما والنطفه منهما بدلاله
ما ذكرنا وبان المراه تمني كما يمني الرجل وعلى ذلك يكون عن
الشبهة حسب ما تقدم بيانه في اخر الشورى وقد
قال في قصة نوح فالتقى الما على امر قد قدر وانما
اراد ما السما وما الارض لان الالتقا لا يكون الا من اثنين
فلا ينكر ان يكون ولقد خلقنا الانسان من سلاله من ماء

مهين وقوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين وبريد ما بين والله اعلم
الخامسة قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا
الشعوب رؤس القبايل مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج
واحدها شعب بفتح الشين سموا به لتشعبهم واجتماعهم
كشعب اغصان الشجرة والشعب من الاضداد يقال
شعبته اذا جمعته ومنه المشعب بكسر الميم وهو الاشفى
لانه يجمع به ويشعب قال فكان على حر الجبين ومتق بمدرية
كانه ذلق مشعب وشعبته اذا فرقته ومنه سميت
المنية شعوب لانها مفرقة فاما الشعب بالكسر فهو
الطريق في الجبل والجمع الشعاب قال الجوهري الشعب
ما تشعب من قبايل العرب والعجم والجمع الشعوب
والشعوبية فرقة لا تفضل العرب على العجم واما الذي
في الحديث ان رجلا من الشعوب اسلم فانه يعني من العجم
والشعب القبيلة العظيمة وهو ابو القبايل الذي ينتسبون
اليه اي يجمعهم ويضمهم قال ابن عباس الشعوب الجمهور
مثل مضر والقبايل الافخاذ وقال مجاهد الشعوب
البعيد من النسب والقبايل دون ذلك وعنه ايضا
ان الشعوب النسب الاقرب قاله قتادة ذكر الاول
عنه المهدوي والثاني الماوردي قال الشاعر

رايت

رايت سعودا من شعوب كثيرة فلم ار سعدا مثل سعد بن مالك
وقال اخر قبايل من شعوب ليس فيهم كريم قد يعد ولا نجيب
وقيل الشعوب عرب اليمن من قحطان والقبايل من ربيعه
ومضر وسائر عدنان وقيل ان الشعوب بطون العجم والقبايل
بطون العرب وقال ابن عباس في روايه ان الشعوب الموالي
والقبايل العرب قال القشيري وعلى هذا فالشعوب من لا
يعرف له اصل ونسب كالهند والجبل والترك والقبايل
من العرب الماوردي ويحتمل ان الشعوب هم المضافون الى
النواحي والشعاب والقبايل هم المشتركون في الانساب
قال الشاعر وتفرقوا شعبا بكل جزيرة فيها امير المومنين ومنبر
وحكى ابو عبيد عن ابن الكلبي عن ابيه الشعب اكبر من القبيله
ثم الفصيله ثم العماره ثم البطن ثم الفخذ وقيل الشعب ثم
القبيله ثم العماره ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيله ثم العشيره
وقد نظمها بعض الادبا فقال

افصد الشعب فهو اكثر حي عددا في الحوايم القبيلة
ثم تتلوها العماره ثم البطن والفخذ بعدها والفصيلة
ثم من بعدها العشيره لكن هي في جنب ما ذكرنا قليله
وقال اخر قبيلة قبلها شعب وبعدهما عمارة ثم بطن تلوه فخذ
وليس يووي الفتى الا فصيلته ولا سداد لسهم ماله قذذ

السادسة قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقد
تقدم في سورة الزخرف عند قوله تعالى وانه لذكر لك
ولقومك وفي اول هذه الاية ما يدل على ان التقوى هي المراعي
عند الله تعالى وعند رسوله دون الحسب والنسب وقرى
ان بالفتح كانه قيل لم لا نتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم
عند الله اتقاكم لا انسبكم وفي الترمذي عن سمرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال الحسب المال والكرم التقوى قال
هذا حديث حسن غريب صحيح وذلك يرجع الى قوله تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقد جا منصوصا عنه عليه
السلام من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله والتقوى
معناها مراعاة حدود الله سبحانه امرا ونهيا والاتصاف
بما امرك ان تتصف به والتنزه عما نهاك عنه وقد مضى هذا
في غير موضع وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية
ابي هريرة ان الله تعالى يقول يوم القيامة اني جعلت نسبا
وجعلتم نسبا فجعلت اكرمكم اتقاكم وابيتم الا ان تقولوا
فلان بن فلان وانا اليوم ارفع نسبي واضع انسابكم اين
المتقون ان المتقون وروى الطبري من حديث ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اوليائي المتقون يوم
القيامة وان كان نسب اقرب من نسب يانى الناس
بالاعمال

عن التقوى

بالاعمال وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد
فاقول هكذا وهكذا واعرض في كلي عطفيه وفي صحيح مسلم
من حديث عبد الله بن عمرو قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
جهارا غير سر يقول ان آل ابي ليسوا لي باوليا انما وليي
الله وصالح المومنين وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم سئل من اكرم الناس فقال يوسف بن يعقوب
بن اسحق بن ابراهيم قالوا ليس عن هذا نسلك قال فاكرمهم
عند الله اتقاهم فقالوا ليس عن هذا نسلك فقال عن
معادن العرب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام
اذا فقهوا وانشدوا :: ما يصنع العبد بعز الغنى
والعز كل العز للمتقي :: من عرف الله فلم تغنه معرفة الله
فذاك الشقي :: **السابعة** ذكر الطبري حدثني عمرو
بن محمد قال حدثنا عبيد بن اسحق العطار قال ثنا مندل
بن علي عن ثور بن يزيد عن سالم بن ابي الجعد قال تزوج
رجل من الانصار امراة فطعن عليها في حسبها فقال الرجل
اني لم اتزوجها لحسبها انما تزوجتها لدينها وخلقها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك الا تكون من آل حاجب
بن زرارة ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى
جا بالاسلام فرفع به الخسيسة واتم به الناقصة واذهب

به اللوم فلا لوم على مسلم انما اللوم لوم الجاهليه وقال
النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجوا ان اكون احشاكم لله
واعلمكم بما اتقي ولذلك كان اكرم البشر على الله تعالى قال
ابن العربي وهذا لحظ مالك في الكفاة في النكاح روى
عبد الله عن مالك بتزوج المولى العربيه واحتج بهذه الايه
وقال ابو حنيفه والشافعي يراعى الحسب والمال وفي الصحيح
عن عايشة ان ابا حذيفة بن عتبه بن ربيعه وكان ممن
شهد بدرًا مع النبي صلى الله عليه وسلم تبنى سالمًا وانكحه
هندًا بنت اخيه الوليد بن عتبه بن ربيعة وهو مولى
لامراة من الانصار وضباعة بنت الزبير كانت تحت
المقداد بن الاسود قلت واخت عبد الرحمن بن عوف
كانت تحت بلال وزينب بنت جحش كانت تحت زيد
بن حارثة فدل على نكاح المولى العربية وانما تراعى
الكفاءة في الدين والدليل عليه ايضًا ما روى سهل بن
سعد في صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم مر عليه
رجل فقال ما تقولون في هذا فقالوا حري ان خطب ان ينكح
وان شفع ان يشفع وان قال ان يسمع قال ثم سكت فمر رجل
من فقراء المسلمين فقال ما تقولون في هذا قالوا حري
ان خطب ان لا ينكح وان شفع لا يشفع وان قال لا يسمع فقال

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء الارض مثل
هذا وقال صلى الله عليه وسلم تنكح المراة لمالها وجمالها ودينها
وفي رواية ولحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك وقد
خطب سلمان الى ابي بكر ابنته فالتوى عليه ثم ساله ان
ينكحها فلم يفعل سلمان وخطب بلال بنت البكير فابى
اخوتها فقال بلال يا رسول الله ماذا لقيت من بني البكير
خطبت اليهم اختهم فمنعوني واذوني فغضب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اجل بلال فبلغهم الخبر فاتوا اختهم
فقالوا ماذا لقينا من سببك فقالت اختهم امري بيد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فزوجوها وقال النبي صلى الله عليه
وسلم في ابي هند حين حجمه ابو طيبة انكحوا ابا هند
وانكحوا اليه وهو مولى بني بياضة وروى الدارقطني
من حديث الزهري عن عروة عن عايشة ان ابا هند مولى
بني بياضة كان حجاما فحجم النبي صلى الله عليه وسلم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى من صور الله
الايمان في قلبه فلينظر الى ابي هند وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انكحوه وانكحوا اليه قال القشيري ابو
نصر قد يعتبر النسب في الكفاة في النكاح وهو الاتصال
بشجرة النبوه او بالعلما الذين هم ورثة الانبيا او بالمومنين

في الزهد والصلاح والتقي المومن افضل من الفاجر النسيب
فان كانا تقيين فحينئذ يقدم النسيب منهما كما يقدم
الشيخ على الشاب في الصلاة اذا استويا في التقوى قوله
تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا
نزلت في اعراب من بني اسد بن خزيمة قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سنة جدبة واظهروا الشهادتين
ولم يكونوا مومنين في السر وافسدوا طرق المدينة بالعذرات
واغلوا اسعارها وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك
بنو فلان فاعطنا من الصدقة وجعلوا يمنون عليه فانزل
الله تعالى فيهم هذه الاية وقال ابن عباس نزلت في اعراب
ارادوا ان يتسموا باسم الهجرة قبل ان يهاجروا فاعلم الله
انهم اسماء الاعراب لا اسماء المهاجرين وقال السدي نزلت
في الاعراب المذكورين في سورة الفتح اعراب مزينة وجهينة
واسلم وغفار والديل واشجع قالوا امنا ليامنوا على
انفسهم واموالهم فلما استنفروا الى المدينة تخلفوا فنزلت
وبالجملة فالاية خاصة لبعض الاعراب لان منهم من يومن
بالله واليوم الاخر كما وصف الله تعالى ومعنى ولكن قولوا
اسلمنا اي استسلمنا خوف القتل والسبي وهذه صفة

المنافقين

المنافقين لانهم اسلموا في ظاهر ايمانهم ولم تومن قلوبهم
وحقيقة الايمان التصديق بالقلب واما الاسلام فقبول
ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر وذلك يحقن الدم
وان تطيعوا الله ورسوله يعني ان تخلصوا الايمان لا يلتكم
اي لا ينقصكم من اعمالكم شيئا لاته يليته ويلوته نقصه
وقرا ابو عمرو لا يالتكم بهمزة من ألت يألت التا وهي
اختيار ابي حاتم اعتبارا بقوله تعالى وما التناهم من
عملهم من شيء قال الشاعر
ابلغ بني ثعل عني مغلغلة جهد الرسالة لا التا ولا كذبا
واختار الاولى ابو عبيد قال رؤبة
وليلة ذات ندى سريت ولم يلتني عن سراها ليت
اي لم يمنعني عن سراها مانع وكذلك لاته عن وجهه فعل
وافعل بمعنى ويقال ايضا ما لاته من عمله شيئا اي
ما نقصه مثل التة قاله الفراء وانشد
وياكلن ما اعنى الولي فلم يلث كان بحافات النهاء المزارعا
قوله فلم يلت اي لم ينقص منه شيئا واعنى بمعنى انبت يقال
ما اعنت الارض شيئا اي ما انبتت والولي المطر
بعد الوسمي سمي وليا لانه يلي الوسمي ولم يقل لا يلتاكم
لان طاعة الله طاعة الرسول قوله تعالى انما المومنون

الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اي صدقوا ولم يشكوا وحققوا ذلك بالجهاد والاعمال الصالحه اولئك هم الصادقون في ايمانهم لا من اسلم خوف القتل ورجا الكسب فلما انزلت حلف الاعراب انهم مومنون في السر والعلانيه وكذبوا فنزلت قل اتعلمون الله بدينكم الذي انتم عليه والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شي عليم قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا اشارة الى قولهم جيناك بالاثقال والعيال وان في موضع نصب على تقدير لان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان في موضع نصب تقديره بان وقيل لان وفي مصحف عبد الله اذ هداكم ان كنتم صادقين ولا يقال يمن عليكم ان يهديكم ان صدقتم والقراة الظاهرة ان هداكم وهذا لا يدل على انهم كانوا مومنين لان تقدير الكلام ان امنتم فذلك منة الله عليكم ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما يعملون قرا ابن كثير وابن محيصن وابو عمرو بالياء على الخبر ردا على قوله قالت الاعراب الباقون بالتاء على الخطاب ٥٥٥

سوره ق مكيه كلها في قول الحسن

وعكرمه وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتاده الا ايه وهي قوله

وهي قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما
بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب وهي خمس واربعون
اية وفي صحيح مسلم عن ام هشام بنت حارثة بن
النعمان قالت لقد كان تنورنا وتنور رسول الله صلى
الله عليه وسلم واحدا سنتين او سنة او بعض سنة
وما اخذت ق والقران المجيد الا عن لسان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقروها كل يوم جمعة على المنبر اذا
خطب الناس وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سال
ابا واقد الليثي ما كان يقرا به رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الاضحى والفطر فقال كان يقرا فيهما بقاف والقران المجيد
واقتربت الساعة وانشق القمر وعن جابر بن سمرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا في الفجر بقاف
والقران المجيد وكانت صلاته بعد تخفيفا بسم الله
الرحمن الرحيم **قوله تعالى ق والقران المجيد**
قراة العامة قاف بالجزم وقرا الحسن وابن ابي اسحق
ونصر بن عاصم قاف بكسر الفا لان الكسر اخو الجزم فلما
سكن اخره حركوه بحركة الخفض وقرا عيسى الثقفي
بفتح الفا حركه الى اخف الحركات وقراها هارون ومحمد بن
السميفع قاف بالضم لانه في غالب الامر حركة البنا نحو

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقران المجيد

منذ وقط وقيل وبعد واختلف في معنى قاف ما هو
فقال ابن زيد وعكرمه والضحاك هو جبل محيط بالسموات
والارض من زمردة خضرا احضرت السما منه وعليه طرف
السما والسما عليه مقبيه وما اصاب الناس من زمرد
كان مما تساقط من ذلك الجبل ورواه ابو الجوزا عن عبد الله
بن عباس قال الفرا كان يجب على هذا ان يظهر الاعراب في
ق لانه اسم وليس بهجا وقال ولعل القاف وحدها ذكرت
من اسمه كقول القايل قلت لها قفي فقالت قاف اي انا
واقفه وهذا وجه حسن وقد تقدم اول البقره
وقال وهب اشرف ذو القرنين على جبل قاف فراى تحته
جبالا صغارا فقال له ما انت قال انا قاف قال فما
هذه الجبال حولك قال هي عروقي وما من مدينه الا
وفيها عرق من عروقي فاذا اراد الله ان يزلزل مدينه
امرني فحركت عرقي ذلك فتزلزل تلك الارض فقال له
يا قاف اخبرني بشي من عظمة الله قال ان شان ربنا العظيم
وان وراي ارضا مسيرة خمس مايه عام في خمس مايه
عام من جبال ثلج يحطم بعضها بعضا ولولا هي لاحترقت
من حر جهنم قال زدني قال جبريل عليه السلام واقف
بين يدي الله ترعد فرايصه يخلق الله من كل رعده

مايه الف

مایة الف ملك فاولئك الملائكة وقوفا بين يدي الله تعالى
منكسوا رووسهم فاذا اذن الله لهم في الكلام قالوا لا اله الا
الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا يعني قول لا
اله الا الله وقال الزجاج قوله قاف اي قضي الامر كما قيل
في حم اي حم الامر وقال ابن عباس قاف اسم من اسما الله تعالى
اقسم به وعنه ايضا انه اسم من اسما القران وهو قول
قتادة وقال القرظي افتتاح اسما الله جل وعز قدير وقاهر
وقريب وقاض وقابض وقال الشعبي فاتحة السورة
وقال ابو بكر الوراق معناه قف عند امرنا ونهينا ولا
تعدهما وقال محمد بن عاصم الانطاكي هو قرب الله من
عباده بيانه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقال ابن
عطا اقسم الله بقوة قلب محمد صلى الله عليه وسلم حيث
حمل الخطاب ولم يوثر ذلك فيه لعلو حاله والقران المجيد
اي الرفيع القدر وقيل الكريم قاله الحسن وقيل الكثير ماخوذ
من كثرة القدر والمنزلة لا من كثرة العدد من قولهم كثير
فلان في النفوس ومنه قول العرب في المثل السائر لها في
كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اي استكثرها
ذان النوعان من النار فزادا علي سائر الشجر قاله ابن بحر

[illegible]

وجواب القسم قيل هو قد علمنا ما تنقص الارض منهم على ارادة
اللام اي لقد علمنا وقيل هو ان في ذلك لذكرى وهو اختيار
الترمذي محمد بن علي قال ق قسم باسم هو اعظم الاسما التي
خرجت الى العباد وهو القدرة واقسم ايضا بالقران المجيد
ثم اقتص ما خرج من القدرة من خلق السموات والارضين
وارزاق العباد وخلق الادميين وصفة يوم القيامة والجنة
والنار ثم قال ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فوقع القسم
على هذه الكلمة كانه قال قاف اي بالقدرة والقران المجيد
اقسمت ان فيما اقتصصت في هذه السورة لذكرى لمن كان
له قلب او القى السمع وهو شهيد قال ابن كيسان جوابه ما
يلفظ من قول وقال اهل الكوفة جواب هذا القسم بل عجبوا
وقال الاخفش جوابه محذوف كانه قال ق والقران المجيد
لتبعثن يدل عليه ايذا متنا وكنا ترابا **قوله تعالى**
بل عجبوا ان جاهم ان في موضع نصب على تقدير لان جاهم
منذر منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير للكفار
وقيل للمومنين والكفار ثم ميز بينهم بقوله فقال الكافرون
ولم نقل فقالوا بل قبح حالهم ووصفهم بالكفر كما تقول
جا فلان فاسمعني المكروه وقال في الفاسق انت كذا وكذا
هذا شي عجيب العجيب الامر الذي يتعجب منه وكذلك

العجاب

ق

العُجاب بالضم والعجّاب بالتشديد اكثر منه وكذلك الاعجوبه
وقال قتاده عجبهم ان دعوا الى الاه واحد وقيل من
انذارهم بالبعث والنشور الذي يقص عليه القران
اولى قوله تعالى ايذا متنا وكنا ترابا نبعث ففيه
اضمار ذلك رجع بعيد الرجع الرد اي هو رد بعيد
اي محال يقال رجعته ارجعه رجعا ورجع هو يرجع
رجوعا وفيه اضمار اخر اخواي وقالوا انبعث اذا
متنا وذكر البعث وان لم يجر هاهنا فقد جرى في
مواضع والقران كالسوره الواحده وايضا ذكر
البعث منطوي تحت قوله بل عجبوا ان جاهم منذر
منهم لانه انما ينذر بالعقاب والحساب في الاخره
قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي ما
تاكل من احسادهم فلا يضل عنا شي حتى يتعذر
علينا الاعاده وفي التنزيل قال فما بال القرون الاولى
قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وفي
الصحيح كل ابن ادم ياكله التراب الا عجب الذنب
منه خلق وفيه يركب وقد تقدم وثبت ان الانبيا
والاوليا والشهدا لا تاكل الارض اجسادهم حرم
الله على الارض ان تاكل اجسادهم وقد بيناه هذا في

كتاب التذكره وتقدم ايضا في هذا الكتاب وقال السدى
النقص ها هنا الموت يقول قد علمنا منهم من يموت ومن
يبقى لان من مات دفن فكان الارض تنقص من الناس وعن
ابن عباس هو من يدخل في الاسلام من المشركين وعندنا
كتاب حفيظ اي بعدتهم واسمايهم فهو فعيل بمعنى فاعل
وقيل اللوح المحفوظ اي محفوظ من الشياطين او
محفوظ فيه كل شي وقيل الكتاب عبارة عن العلم والاحصا
كما تقول كتبت عليك هذا اي حفظته وهذا ترك الظاهر
من غير ضروره وقيل اي وعندنا كتاب حفيظ لاعمال
بني ادم ليحاسبهم عليها قوله تعالى بل كذبوا بالحق
اي القران في قول الجميع حكاه الماوردي وقال الثعلبي
بالحق القران وقيل الاسلام وقيل محمد صلى الله عليه وسلم
فهم في امر مريج اي مختلط يقولون مرة ساحر ومرة شاعر
ومرة كاهن قاله الضحاك وابن زيد وقال قتاده مختلف
الحسن ملتبس والمعنى متقارب وقال ابو هريرة فاسد
ومنه ومنه مرجت امانات الناس اي فسدت ومرج
الدين والامر اختلط قال ابو دواد
مرج الدين فاعددت له مشرف الحارك محبول الكتد
وقال ابن عباس المريج الامر المنكر وقال عنه عمران بن ابي
عطاء

عطاء مزج مختلط وانشد

فجالت والتمست به حشاها فخر كانه خوط مزج

الخوط الغصن وقال عنه العوفي في امر ضلالة وهو قولهم

ساحر شاعر مجنون كاهن وقيل منهي واصل المرج

الاضطراب والقلق يقال مرج امر الناس ومرج الدين

ومرج الخاتم في اصبعي اذا قلق من الهزال وفي الحديث

كيف بك يا عبد الله اذا كنت في قوم قد مرجت عهودهم

واماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وهكذا وشبك بين

اصابعه خرجه ابو داود وقد ذكرناه في كتاب التذكرة

قوله تعالى افلم ينظروا الى السماء فوقهم نظر اعتبار

وتفكر وان القادر على ايجادها قادر على الاعادة بنيناها

رفعناها بلا عمد وزيناها بالنجوم وما لها من فروج

جمع فرج وهو الشق ومنه قول امرئ القيس تسد بها

فرجها من دبر وقال الكسائي ليس فيها تفاوت ولا اختلاف

ولا فتوق والارض مددناها والقينا فيها رواسي تقدم

في الرعد بيانه وانبتنا فيها من كل زوج اي من كل نوع

من النبات بهيج اي حسن يسر الناظرين وقد تقدم

في الحج تبصرة اي جعلنا ذلك تبصرا وتنبيها على قدرتنا

وذكرى معطوف عليه لكل عبد منيب راجع الى الله

مفكر في قدرته قوله تعالى ونزلنا من السماء اي من
السحاب ماء مباركا اي كثير البركه فانبتنا به جنات
وحب الحصيد وهو كل ما يحصد هذا قول البصريين
وقال الكوفيون هو من باب اضافة الشي الى نفسه
كما يقال مسجد الجامع وربيع الاول وحق اليقين وحبل
الوريد ونحوها قاله الفرا والاصل بالحب الحصيد
فحذفت الالف واللام واضيف المنعوت الى النعت
وقال الضحاك حب الحصيد البر والشعير وقيل كل
حب يحصد ويدخر ويقتات والنخل باسقات
نصب على الحال ردا على قوله وحب الحصيد وباسقات
حال والباسقات الطوال قاله مجاهد وعكرمه وقتاده
وقال عبد الله بن شداد بسوقها استقامتها في الطول
وقال سعيد بن جبير مستويات وقال الحسن وعكرمه
ايضا والفرا مواقير هو اهل يقال للشاة اذا اسقت
ولدت قال الشاعر فلما تركنا الدار ظلت منيفة
بقران فيها الباسقات المواقرا والاول في اللغه
اشهر واظهر بسق النخل بسوقا اي طال قال
لنا خمر وليست خمر كرم ولكن من نتاج الباسقات
كرام في السماء ذهبن طولا وفات ثمارها ايدي الجنات
ويقال بسق

عز
الحاسي

ويقال يسبق فلان على اصحابه اي علاهم وابسقت الناقه
اذا وقع في ضرعها اللبا قبل النتاج فهو مبسق ونوق
مباسيق وقال قطبه بن مالك سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقرا باصقات بالصاد ذكره الثعلبي قلت الذي
في صحيح مسلم عن قطبة بن مالك قال صليت وصلى بنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقرا ق والقران المجيد حتى قرا
والنخل باسقات قال فجعلت اردد دها ولا ادري ما قال
الا انه يجوز ابدال الصاد من السين لاجل القاف لها طلع
نضيد الطلع هو اول ما يخرج من ثمرة النخل يقال طلع
الطلع طلوعا واطلعت النخله وطلعها كفراها قبل ان
ينشق نضيد اي متراكب قد نضد بعضه على بعض
وفي البخاري النضيد الكفرى ما دام في اكمامه ومعناه
منضود بعضه على بعض فاذا خرج من اكمامه فليس
بنضيد رزقا للعباد اي رزقناهم رزقا او على معنى
انبتناها رزقا لان الانبات في معنى الرزق او على انه
مفعول له اي انبتناها للرزق والرزق ما كان
مهيا للانتفاع به وقد تقدم القول فيه واحيينا
به بلدة ميتا كذلك الخروج اي من القبور اي كما
احيى الله هذه الارض الميته فكذلك تخرجكم احيا بعد

مونكم فالكاف في محل رفع على الابتدا وقد مضى هذا
المعنى في غير موضع وقال مبينا الان المقصود المكان
ولو قال مبينة لجاز قوله تعالى كذبت قبلهم قوم
نوح اي كما كذبت هولاء فلذلك كذب اوليك فحل بهم العقاب
ذكرهم نبأ من كان قبلهم من المكذبين وخوفهم ما اخذهم
وقد ذكرنا قصصهم في غير موضع عند ذكرهم كل كذب
الرسل من هذه الامم المكذبة فحق عليهم وعيدي
وعقابي قوله تعالى افعيينا بالخلق الاول اي
افعيينا به فنعيا بالبعث وهذا توبيخ لمنكري البعث
وجواب قولهم ذلك رجع بعيد يقال عييت بالامر
اذا لم تعرف وجهه بل هم في لبس من خلق جديد اي في
حيرة من البعث منهم مصدق ومنهم مكذب يقال لبس
عليه الامر يلبسه لبسا قوله تعالى ولقد خلقنا
الانسان يعني الناس وقيل ادم ونعلم ما توسوس به
نفسه اي ما تختلج في سره وقلبه وضميره وفي هذا
زجر عن المعاصي التي يستخفي بها ومن قال ان المراد بالانسان
ادم قال الذي وسوست به نفسه هو الاكل من الشجرة
ثم هو عام لولده والوسوسة حديث النفس بمنزلة الكلام
الخفي قال الاعشى

تسمع

تسمع للحلى وسواسا اذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل

وقد مضى في الاعراف ونحن اقرب اليه من حبل الوريد هو حبل العاتق وهو ممتد من ناحية حلقه الى عاتقه وهما وريدان من عن يمين وشمال روى معناه عن ابن عباس وغيره وهو العروق في اللغة والحبل هو الوريد فاضيف الى نفسه لاختلاف اللفظين وقال الحسن الوريد الوتين وهو عرق معلق بالقلب وهذا تمثيل القرب اى نحن اقرب اليه من حبل وريده الذى هو منه وليس على وجه قرب المسافة وقيل اى ونحن املك به من حبل وريده الذى هو من نفسه لانه عرق يخالط القلب فعلم الرب اقرب اليه من علم القلب روى معناه عن مقاتل قال الوريد عرق يخالط القلب وهذا القرب قرب العلم والقدرة وابعاض الانسان يحجب البعض ولا يحجب علم الله شئ

قوله تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد اى نحن اقرب اليه من حبل وريده حين يتلقى المتلقيان وهما الملكان الموكلان به اى نحن اعلم باحواله فلا نحتاج الى ملك يخبر ولكنهما وكلا به الزاما للحجة وتوكيدا للامر عليه وقال الحسن ومجاهد وقتاده المتلقيان ملكان يتلقيان عملك احدهما عن يمينك يكتب

قال الكازروني في حاشية تفسير الامام البيضاوي معنى قوله ونحن اقرب اليه وعلمنا اقرب منه من علم من كان اقرب اليه من حبل الوريد

حسناتك والاخر عن شمالك يكتب سياتك قال الحسن اذا مت طويت صحيفة عملك وقيل لك يوم القيامة اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا عدل والله عليك اذ جعلك حسيب نفسك وقال مجاهد وكل الله بالانسان مع علمه باحواله ملكين بالليل وملكين بالنهار يحفظان عمله ويكتبان اثره الزاما للحجة احدهما عن يمينه يكتب الحسنات والاخر عن شماله يكتب السيات فذلك قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد وقال سفيان بلغني ان كاتب الحسنات امين على كاتب السيات فاذا اذنب قال لا تعجل لعله يستغفر الله روي معناه من حديث ابي امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر تنبيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك فلا تستحي من الله ولا منهما قال الضحاك مجلسهما تحت الشعر على الحنك ورواه عوف عن الحسن قال وكان الحسن يعجبه ان ينظف عنفقته وانما قال قعيد ولم يقل قعيدان وهما اثنان لان المراد عن اليمين قعيد

وعن

وعن الشمال قعيد فحذف الاول لدلالة الثاني عليه قاله
سيبويه ومنه قول الشاعر
نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والامر مختلف وقال الفرزدق
اني ضمنت لمن اتاني ما جنا وابي وكان وكنت غير غدور
ولم يقل راضيان ولا غدورين ومذهب المبرد ان الذي
في اول اخر اتساعا وحذف الثاني لدلالة الاول عليه ومذهب
الاخفش والفراء ان الذي في الثاني يودي عن الاثنين والجمع
ولاحذف في الكلام وقعيد بمعنى قاعد كالسميع والعليم
والقدير والشهيد وقيل قعيد بمعنى مقاعد مثل اكيل
ونديم بمعنى مواكل ومنادم وقال الجوهري وفعيل
وفعول مما يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع لقوله
انا رسول رب العالمين وقوله والملايكة بعد ذلك ظهير
وقال الشاعر في الجمع انشد ه النعلبي الكني اليها وخير الرسول
اعلمهم بنواحي الخبر والمراد بالقعيد هاهنا الملازم الثابت
لا ضد القايم قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد اي ما يتكلم بشي الا كتب عليه ماخوذ
من لفظ الطعام وهو اخراجه من الفم وفي الرقيب ثلثه
اوجه احدها انه المتتبع للامور الثاني انه الحافظ
قاله السدي الثالث انه الشاهد قاله الضحاك

وفي العتيد وجهان احدها انه الحاضر الذي لا يغيب والثاني
انه الحاضر المعد اما للحفظ واما للشهاده قال الجوهري
العتيد الحاضر المهيا وقد عتده تعتيدا واعتده اعتادا
اي اعده ليوميه ومنه قوله تعالى واعتدت لهن متكا
وفرس عتد وعتد بفتح التاء وكسرها المعد للجري
قلت وكانه يرجع الى معنى الحضور ومنه قول الشاعر
لئن كنت مني في العيان مغيبا فذكرك عندي في الفواد عتيد
قال ابو الجوزا ومجاهد يكتب على الانسان كل شي حتى الانين
في مرضه وقال عكرمه لا يكتب عليه الا ما يوجر به او
يوزر عليه وقيل يكتب عليه كلما يتكلم فاذا كان اخر
النهار محي عنه ما كان مباحا نحو انطلق اقعد كلما لا
يتعلق به اجر ولا وزر والله اعلم وروى عن ابي هريره
وانس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من حافظين
يرفعان الى الله ما حفظا فيرى الله في اول الصحيفه
خيرا وفي اخرها خيرا الا قال الله تعالى للملايكته
اشهدوا اني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفه
وقال علي رضي الله عنه لله ملايكه معهم صحف بيض
فاملوا في اولها وفي اخرها خيرا يغفر الله لكم ما بين
ذلك وخرج ابو نعيم الحافظ قال حدثنا ابو طاهر محمد

الفضل

الحافظ

الفضل بن محمد بن اسحق بن خزيمه قال حدثنا جدي محمد
بن اسحق قال حدثنا محمد بن موسى الحرشي قال حدثنا
سهيل بن عبد الله قال سمعت الاعمش يحدث عن زيد
بن وهب عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الحافظين اذا نزلا على العبد او الامه معهما
كتاب مختوم فيكتبان ما يلفظ العبد او الامه فاذا
ارادا ان ينهضا قال احدهما للاخر فك الكتاب المختوم الذي
معك فيفك له فاذا فيه ما كتب سوا فذلك قوله
تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد غريب
من حديث الاعمش عن زيد لم يروه عنه الا سهيل
ويروى من حديث انس ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله وكل بعبده ملكين يكتبان عمله فاذا مات قالا
ربنا قد مات فلان فاذن لنا ان نصعد الى السما فيقول
الله تعالى ان سمواتي مملوة من ملايكتي يسبحوني
فيقولان ربنا فنقيم في الارض فيقول الله تبارك
وتعالى ارضي مملوة من خلقي يسبحوني فيقولان
يارب فاين نكون فيقول فيقول الله تعالى قوما
على قبر عبدي فكبراني وهللاني واذكراني واكتبا
ذلك لعبدي الى يوم القيامه قوله تعالى وجات

مطلب

سكرة الموت بالحق اي غمرته وشدته فالانسان ما دام
حيا تكتب عليه اقواله وافعاله ليحاسب عليها
ثم تجيه الموت وهو ما يراه عند المعاينة من ظهور
الحق فيما كان الله تعالى وعده واوعده وقيل الحق
هو الموت وقيل الحق هو الحق سمي حقا اما لاستحقاقه
واما لانتقال الى دار الحق فعلى هذا يكون في الكلام
تقديم وتاخير وتقديره وجات سكرة الحق بالموت
ولذلك في قراة ابي بكر وابن مسعود رضي الله عنهما
لان السكرة هي الحق فاضيفت الى نفسها لاختلاف
اللفظين وقيل يجوز ان يكون الحق على هذه القراة
هو الله تعالى اي جات سكرة امر الله بالموت وقيل
الحق هو الموت والمعنى وجات سكرة الموت بالموت
ذكره المهدوي وقد زعم من طعن على القران فقال
اخالف المصحف كما خالفه ابو بكر الصديق فقرا
وجات سكرة الحق بالموت فاحتج عليه بان ابا بكر
رويت عنه روايتان احداهما موافقة المصحف فعليها
العمل والاخرى مرفوضة تجري مجرى النسيان
منه ان كان قالها او الغلط من بعض من نقل الحديث

قال ابو بكر

قال ابو بكر الانباري حدثنا اسماعيل بن اسحاق القاضي
قال حدثنا علي بن عبد الله ساحر بن عن منصور عن
ابي وايل عن مسروق قال لما حضر ابو بكر ارسل الى
عايشة فلما دخلت عليه قالت هذا كما قال الشاعر:
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر: فقال لها ابو بكر
الا قلت كما قال الله تعالى وجات سكرة الموت بالحق ذلك
ما كنت منه تحيد وذكر الحديث والسكرة واحدة
السكرات وفي الصحيح عن عايشة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كانت بين يديه ركوة او علبة فيها
ما فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه
ويقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب
يده فجعل يقول في الرفيق الاعلى حتى قبض ومالت
يده خرجه البخاري وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان العبد الصالح ليعالج الموت وسكراته وان
مفاصله لتسلم بعضها على بعض يقول عليك السلام
تفارقني وافارقك الى يوم القيامة وقال عيسى
بن مريم عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا
الله ان يهون عليكم هذه السكرة يعني سكرات الموت
وروي ان الموت اشد من ضرب بالسيوف ونشر

بالمناشير وقرض بالمقاريض ذلك ما كنت منه تحيد
اي يقال لمن جاته سكرة الموت ذلك ما كنت تفر منه
وتميل عنه يقال حاد عن الشي يحيد حيودا وحيدة
وحيدودة مال عنه وعدل واصله حيدودة
بتحريك الياء فسكنت لانه ليس في الكلام فعلول
غير صعفوق وتقول في الاخبار عن نفسك حدت
عن الشي واحيد حيدا ومحيدا اذا ملت عنه قال طرفة
ابا منذر رمت الوفا فهبته وحدت كما حاد البعير عن
الدحض قوله تعالى ونفخ في الصور هي النفخة
الاخرة للبعث ذلك يوم الوعيد الذي وعده الله
للكفار ان يعذبهم فيه وقد مضى الكلام في النفخ
في الصور مستوفى والحمد لله قوله تعالى
وجات كل نفس معها سايق وشهيد اختلف في
السايق والشهيد فقال ابن عباس السايق من
الملايكة والشهيد من نفسه وقال الضحاك السايق
من الملايكة والشهيد من انفسهم الايدي والارجل
ورواه العوفي عن ابن عباس وقال ابو هريرة
السايق الملك والشهيد العمل وقال الحسن وقتادة
المعني سايق يسوقها وشاهد يشهد عليها بعملها
وقال ابن

وقال ابن مسلم السابق قرينها من الشيا طين سمي سابقا لانه
يتبعها وان لم يحثها وقال مجاهد السابق والشهيد ملكان
وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه قال وهو على المنبر وجات
كل نفس معها سايق وشهيد ملك يسوقها الى امر الله وشهيد
ملك يشهد عليها بعملها قلت هذا اصح فان في حديث جابر
بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان ابن ادم لفي غفلة مما خلقه الله عز وجل له ان الله لا اله غيره
اذا اراد خلقه قال للملك اكتب اكتب رزقه واثره واجله
واكتب شقيا او سعيدا ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله
ملك اخر يحفظه حتى يدرك ثم يبعث الله ملكين يكتبان
حسناته وسياته فاذا جاءه الموت ارتفع ذلك الملكان
ثم جاءه ملك الموت عليه السلام فيقبض روحه فاذا ادخل
حفرته رد الروح في جسده ثم يرتفع ملك الموت ثم جاءه
ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فاذا قامت الساعه انحط
عليه ملك الحسنات وملك السيات فانتشطا كتابا معقودا في
عنقه ثم حضرا معه واحد سايق والاخر شهيد ثم قال الله
جل وعز لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاك
فبصرك اليوم حديد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن
طبقا عن طبق قال حالا بعد حال ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم

ان قد املكم امر اعظيما فاستعينوا بالله العظيم خرجه ابو
نعيم الحافظ من حديث جابر تفرد به الجعفي وعنه المفضل
ثم في الاية قولان احدهما انها عامة في المسلم والكافر وهو قول
الجمهور الثاني انها خاصة في الكافر قاله الضحاك قوله
لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاك قال ابن زيد
المراد به النبي صلى الله عليه وسلم اي لقد كنت يا محمد في غفلة
من الرسالة مع قريش في جاهليتهم وقال ابن عباس والضحاك
ان المراد به المشركون اي كانوا في غفلة من عواقب امورهم
وقال اكثر المفسرين ان المراد به البر والفاجر وهو
اختيار الطبري وقيل اي لقد كنت ايها الانسان في غفلة
عن ان كل نفس معها سائق وشهيد لان هذا لا يعرف الا بالنصوص
الالهية فكشفنا عنك غطاك اي عماك وفيه اربعة اوجه
احدها اذ كان في بطن امه قوله قاله السدي الثاني اذ كان
في القبر فنشر وهذا معنى قول ابن عباس الثالث وقت العرض
في القيامة قاله مجاهد الرابع انه نزول الوحي وتحمل
الرسالة وهذا معنى قول ابن زيد فبصرك اليوم حديد
قيل يراد به بصر القلب كما يقال بصره بالفقه فبصر القلب
وبصيرته يبصر بها شواهد الافكار ونتايج الاعتبار
كما تبصر العين ما قابلها من الاشخاص والاجسام وقيل
المراد به

مطلب في التفسير والتذكير

المراد به بصر العين وهو الظاهر اي بصر عينك اليوم
حديد اي قوي نافذ يرى ما كان محجوبا عنك قال مجاهد
فبصرك اليوم حديد يعني نظرك الى لسان ميزانك حين
توزن سيئاتك وحسناتك وقاله الضحاك وقيل يعاين
ما يصير اليه من ثواب وعقاب ومعنى قول ابن عباس
وقيل يعني ان الكافر يحشر وبصره حديد ثم يزرق ويعمى
وقرئ لقد كنتِ عنكِ فبصركِ بالكسر على خطاب النفس
قوله تعالى وقال قرينه يعني الملك الموكل به في قول
الحسن وقتادة والضحاك هذا ما لدي عتيد اي هذا
ما عندي من كتابة عمله معد محفوظ وقال مجاهد
يقول هذا الذي وكلتني به من بني ادم قد احضرته واحضرت
ديوان عمله وقيل المعنى هذا ما عندي من العذاب حاضر
وعن مجاهد ايضا قرينه الذي من الانس فيقول الله
تعالى لقرينه القيا في جهنم قال الخليل والاخفش هذا
كلام العرب الفصيح ان يخاطب الواحد بلفظ الاثنين
فيقول ويلك ارحلاها وازجراها وخذاه واطلقاه للواحد
قال الفرا تقول للواحد قوما عنا واصل ذلك ان ادنى
اعوان الرجل في ابله وغنمه ورفقته في سفره اثنان
فجرى كلام الرجل على صاحبيه ومنه قولهم للواحد في

الشعر خليلي ثم نقول اصاح قال امرا القيس :
خليلي مرا بي على ام جندب نقض لبانات الفواد المعذب
وقال ايضا قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين
الدخول فحومل ، وقال اخر فان تزجراني يا ابن عفان
انزجر وان تدعواني احم عرضا ممنعا ، وقيل جا
لذلك لان القرين يقع للجماعة والاثنين وقال المازني قوله
القيا يدل على القي القي وقال المبرد هي تثنيه على التوكيد
المعنى القي القي فناب القيا مناب التكرار ويجوز ان يكون
القيا تثنيه على خطاب الحقيقه من قول الله تعالى للخاطب
بها الملكين وقيل هو مخاطبه السايق والحافظ وقيل ان الاصل
القين بالنون الخفيفه وهي تقلب في الوقف الفا فحمل الوصل
على الوقف وقرا الحسن القين بالنون الخفيفه نحو قوله تعالى
وليكونا من الصاغرين وقوله تعالى لنسفعا كل كفار
عنيد اي معاند قاله مجاهد وعكرمه وقال بعضهم العنيد
المعرض عن الحق يقال عند يعند بالكسر عنودا اي
خالف ورد الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعاند وجمع
العنيد عند مثل رغيف ورغف مناع للخير يعني
الزكاة المفروضه وكل حق واجب معتد في منطقه
وسيرته وامره ظالم مريب شاك في التوحيد قاله
الحسن

الحسن وقتاده يقال اراب الرجل فهو مريب اذا جا بالريبه
وهذا المشرك يدل عليه قوله تعالى الذي جعل مع الله الها
اخر وقيل نزلت في الوليد بن المغيره واراد بقوله مناع
للخير انه كان يمنع بني اخيه للاسلام فالقياه في العذاب
الشديد تاكيد للامر الاول قال قرينه ربنا ما اطغيته
يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر العنيد تبرا منه
وكذبه ولكن كان في ضلال بعيد عن الحق وكان طاغيا باختياره
اينما دعوته فاستجاب لي وقرينه هنا هو شيطانه بغير
اختلاف حكاه المهدوي وحكى الثعلبي وقال ابن عباس
ومقاتل قرينه الملك وذلك ان الوليد بن المغيره يقول
للملك الذي كان يكتب سيئاته رب انه اعجلني فيقول الملك ربنا
ما اطغيته اي ما اعجلته وقال سعيد بن جبير يقول
الكافر ربنا انه زاد علي في الكتابه فيقول الملك ربنا ما
اطغيته اي ما زدت عليه في الكتابه فحينئذ يقول الله تعالى
لا تختصموا لدي يعني الكافرين وقرناهم من الشياطين
قال القشيري وهذا يدل على ان القرين الشيطان وقد
قدمت اليكم بالوعيد اي ارسلت الرسل وقيل هذا
خطاب لكل من اختصم وقيل هو الاثنين وجا بلفظ الجمع
ما يبدل القول لدي قيل هو قوله من جا بالحسنه فله

مطلب

مطلب

لان التخاصم لا ينفع بين اهل النار عندي لانكم عرفتم تقصيركم

عشر امثالها ومن جا بالسيئة فلا يجزي الا مثلها وقيل هو قوله
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال الفرا اي ما يكذب
عندي اي ما يزاد في القول ولا ينقص لعلمي بالغيب وما انا بظلام
للعبيد اي ما انا بمعذب من لم يجرم قاله ابن عباس وقد مضي
القول في معناه في الحج وغيرها قوله تعالى يوم نقول
لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد قرا نافع وابو بكر
يوم يقول بالياء اعتبارا بقوله لا تختصموا لدي الباقون بالنون
علي الخطاب من الله تعالى وهي نون التعظيم وقرا الحسن
يوم اقول وعن ابن مسعود وغيره يوم يقال وانتصب
يوم علي معني ما يبدل القول لدي يوم وقيل بفعل
مقدر معناه وانذرهم يوم نقول لجهنم هل امتلات
لما سبق من وعده اياها انه يملاها وهذا الاستفهام
علي سبيل التصديق لخبره والتحقيق بوعده والتقريع
لاعدايه والتنبيه لجميع عباده وتقول جهنم هل
من مزيد اي ما بقي في موضع للزياده لقوله صلي
الله عليه وسلم هل ترك لنا عقيل من ربع او منزل
اي ما ترك فمعني الكلام الجحد ويحتمل ان يكون
استفهاما بمعني الاستزاده اي هل من مزيد فازاد
وانما صلح هذا الوجهين لان في الاستفهام ضربا
من الجحد

من الجهد وقيل لبس ثم قول وانما هو على طريق المثل
اي انها فيما تظهر من حالها بمنزلة الناطقة بذلك
كما قال الشاعر امتلا الحوض وقال قطني مهلا رويدا
قد ملات بطني وهذا التفسير مجاهد وغيره اي
هل في مسلك قد امتلات وقيل ينطق الله النار
حتى تقول هذا كما تنطق الجوارح فهذا اصح على ما
بيناه في سورة الفرقان وفي صحيح البخاري
ومسلم والترمذي عن انس بن مالك عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل
من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول
قط قط وعزتك فينزوي بعضها الى بعض وتقول
قط قط وعزتك وكرمك ولا تزال في الجنة فضل
حتى ينشي الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة لفظ مسلم
وفي رواية اخرى من حديث ابي هريرة فاما النار فلا
تمتلي حتى يضع الله عليها رجله فتقول قط قط فهنالك
تمتلي وينزوي بعضها الى بعض فلا يظلم الله من خلقه
احدا واما الجنة فان الله ينشي لها خلقا قال علماونا
رحمة الله عليهم اما معنى القدم هنا فقوم يقدمهم
الله الى النار فقد سبق في علمه انهم من اهل النار

من م

وكذلك الرجل وهو العدد الكثير من الناس وغيرهم
يقال رايت رجلا من الناس ورجلا من الجراد
قال الشاعر فمر بنا رجل من الناس وانزوى اليهم من الحي
اليمانين ارجل فنا بل من لخم وغل وحمير على ابني
نزار بالعداوة احفل وبين هذا المعنى ما روي
عن ابن مسعود انه قال ما في جهنم لنا ربيت ولا
سلسله ولا مقمع ولا تابوت الا وعليه اسم
صاحبه فكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه
الذي قد عرف اسمه وصفته فاذا استوفى منهم
ما امر به وما ينتظره ولم يبق منهم احد قالت
الخزنه قط قط حسبنا حسبنا اي اكتفينا اكتفينا
وحينئذ تنزوي جهنم على من فيها وتنطبق اذ لم
يبق احد ينتظر فعبر عن ذلك الجمع المنتظر
بالرجل والقدم ويشهد لهذا التاويل قوله
في نفس الحديث ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشي
الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة وقد زدنا هذا
المعنى بيانا ومهدناه في كتاب الاسما والصفات
من كتاب الاسنى والحمد لله النضر بن شميل في معنى
قوله عليه السلام حتى يضع الجبار فيها قدمه

اي من يسبق في علمه انه من اهل النار قوله تعالى
وازلفت الجنة للمتقين اي قربت من
قلوبهم حين قيل لهم اجتنبوا المعاصي وقيل بعد
الدخول قربت لهم مواضعهم فيها فلا تبعد غير
بعيد اي منهم وهو تاكيد هذا ما توعدون اي
ويقال لهم هذا الجزا الذي وعدتم في الدنيا على السنة
الرسل وقراءة العامة توعدون بالتا على الخطاب
وقرا ابن كثير بالياء على الخبر لانه اتى بعد ذكر المتقين
لكل اواب حفيظ اي رجاع الى الله تعالى عن المعاصي
يذنب ثم يرجع ويذنب ثم يرجع هكذا قاله الضحاك
وغيره وقال ابن عباس وعطا الاواب المسبح من قوله
يا جبال اوبي معه وقال الحكم بن عتيبة هو الذاكر
الله تعالى في الخلوة وقال الشعبي ومجاهد هو الذي
يذكر ذنوبه في الخلوة فيستغفر الله تعالى منها وهو
قول ابن مسعود وقال عبيد بن عمير هو الذي
لا يجلس مجلسا حتى يستغفر الله فيه وعنه قال كنا
نحدث ان الاواب الحفيظ الذي اذا قام من مجلسه
قال سبحان الله وبحمده اللهم اني استغفرك مما اصبت
في مجلسي هذا وفي الحديث من قال اذا قام من مجلسه

اي حافظا لتوبته من النقض ابو

سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت استغفرك واتوب
اليك غفر الله له ما كان في ذلك المجلس وهكذا
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول وقال بعض
العلما انا احب ان اقول استغفرك واسالك التوبة
ولا احب ان اقول واتوب اليك الا على حقيقة
قلت هذا استحسان واتباع الحديث اولى
وقال ابو بكر الوراق هو التوكل على الله في السراء
والضراء وقال القاسم هو الذي لا يشتغل الا
بالله جل وعز حفيظ قال ابن عباس هو الذي
حفظ ذنوبه حتى رجع عنها وقال قتادة حفيظ
لما استودعه الله من حقه ونعمته وايتمنه عليه
وعن ابن عباس ايضا هو الحافظ لامر الله مجاهد
هو الحافظ لحق الله تعالى بالاعتراف ولنعمه بالشكر
الضحاك الحافظ لوصية الله تعالى بالقبول وروى
مكحول عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من حفظ على اربع ركعات من اول النهار
كان اوابا حفيظا ذكره الماوردي قوله تعالى
من خشي الرحمن بالغيب من في محل خفض على البدل
من قوله لكل اواب او في موضع الصفة لاواب
ويجوز الرفع

السادس عشر

فاعلموا يا عباد الله

ويجوز الرفع على الاستيناف والخبر ادخلوها على تقدير
حذف جواب الشرط والتقدير فيقال لهم ادخلوها والخشية
بالغيب ان تخافه ولم تره وقال الضحاك والسدي يعني
في الخلوة حين لا يراه احد وقال الحسن اذا ارخى الستر
واغلق الباب وجا بقلب منيب مقبل على الطاعه وقيل
مخلص وقال ابو بكر الوراق علامه المنيب ان يكون عارفا
لحرمته مواليا متواضعا لجلاله تاركا لهوى نفسه
قلت ويحتمل ان يكون القلب المنيب القلب السليم كما قال تعالى
الا من اتى الله بقلب سليم على ما تقدم والله اعلم ادخلوها
اي يقال لاهل هذه الصفات ادخلوها بسلام اي
بسلامة من العذاب وقيل بسلام من الله وملايكته عليهم
وقيل بسلامة من زوال النعم وقال ادخلوها وفي اول
الكلام من خشي لان من تكون بمعنى الجمع قوله تعالى
لهم ما يشاون فيها ولدينا مزيد من النعم مما لم يخطر على
بالهم وقال انس وجابر المزيد النظر الى الله جل وعلا
بلا كيف وقد ورد ذلك في اخبار مرفوعه الى النبي
صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى
وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الله الكريم وذكر
ابن المبارك ويحيى بن سلام قالا انا المسعودي عن

مما تشتهيه انفسهم وتلذ اعينهم

المنهال بن عمرو عن ابي عبيدة بن عبد الله بن عتبة عن
ابن مسعود قال تسارعوا الى الجمعة فان الله تبارك وتعالى
يبرز لاهل الجنة كل يوم جمعة في كثيب من كافور ابيض
فيكونون منه في القرب قال ابن المبارك على قدر تسارعهم
الى الجمعة في الدنيا وزاد فيحدث الله لهم من الكرامة شيئا
لم يكونوا راوه قبل ذلك قال يحيى وسمعت عن المسعودي
يزيد فيه وهو قوله تعالى ولدينا مزيد **قلت**
في قوله في كثيب يريد اهل الجنة اي وهم على كثيب كما
في مرسل الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
اهل الجنة ينظرون الى ربهم في كل يوم جمعة على كثيب
من كافور الحديث وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وقيل
ان المزيد ما يزوجون به من الحور العين رواه ابو
سعيد الخدري مرفوعا **قوله تعالى** وكم اهلكنا
قبلهم من قرن اي كم اهلكنا يا محمد قبل قومك من امة
هم اشد منهم بطشا وقوة فنقبوا في البلاد قاله
ابن عباس وقال مجاهد ضربوا وطافوا وقال النضر
بن شميل دوروا وقال قتادة طوفوا وقال المورج
تباعدوا ومنه قول امرئ القيس
وقد نقبت في الافاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب
ثم قيل

وقال الحسن ... تسارعهم الى الجمعة في الدنيا

ثم قيل طافوا في اقاصي البلاد طلبا للتجارات وهل وجدوا
من الموت محيصا وقيل طوفوا في البلاد يلتمسون محيصا من
الموت قال الحارث بن حلزة

نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض كل مجال

وقرا الحسن وابو العاليه فنقبوا في البلاد بفتح القاف وتخفيفها
والنقب هو الخرق والدخول في الشي وقيل النقب الطريق
في الجبل وكذلك المنقب والمنقبه عن ابن السكيت ونقب
الجدار نقبا واسم تلك النقبة نقب ايضا وجمع النقب
النقوب اي خرقوا البلاد وساروا في نقوبها وقيل اثروا
فيها كتاثير الحديد فيما ينقب وقرا السلمي ويحيى بن
يعمر فنقبوا بكسر القاف والتشديد على الامر للتهديد
والوعيد اي طوفوا البلاد وسيروا فيها فانظروا
هل من الموت محيص او مهرب ذكره الثعلبي وحكى القشيري
فنقبوا بكسر القاف مع التخفيف اي اكثروا السير فيها
حتى نقبت دوابهم الجوهري ونقب البعير بالكسر اذا
رقت اخفافه وانقب الرجل اذا ونقب الخف الملبوس
اي تخرق والمحيص مصدر حاص عنه يحيص حيصا
وحيوصا ومحيصا ومحاصا وحيصانا اي عدل وحاد
يقال ما عنه محيص اي محيد ومهرب والانحياص مثله

نقب بعيره

يقال للاوليا احاصوا عن العدو وللاعدا انهزموا قوله تعالى ان في ذلك لذكرى اي فيما ذكرناه في هذه السوره تذكره وموعظة لمن كان له قلب اي عقل يتدبر به فكنى بالقلب عن العقل لانه موضعه قال معناه مجاهد وغيره وقيل لمن كان له حياة ونفس مميزه فعبر عن النفس الحية بالقلب لانه وطنها ومعدن حياتها كما قال امرء القيس
اغرك مني ان حبك قاتلي وانك مهما تامري القلب يفعل
وفي التنزيل لينذر من كان حيا وقال يحيى بن معاذ القلب قلبان قلب محتشي باشغال الدنيا حتى اذا احضر امر من امور الاخره لم يدر ما يصنع وقلب قد احتشى باهوال الاخرة حتى اذا احضر امر من امور الدنيا لم يدر ما يصنع لذهاب قلبه في الاخره او القى السمع اي استمع القران تقول للعرب القى الي سمعك اي استمع وقد مضى في طه كيفية الاستماع وثمرته وهو شهيد اي شاهد القلب قال الزجاج اي وقلبه حاضر فيما يسمع وقال سفيان اي لا يكون حاضرا وقلبه غايب ثم قيل الايه لاهل الكتاب قاله مجاهد وقتاده وقال الحسن انها في اليهود والنصارى خاصة وقال محمد بن كعب وابو صالح انها في اهل القران خاصة قوله تعالى ولقد

خلقنا

له

خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب تقدم في الاعراف وغيرها واللغوب التعب والاعيا تقول منه لغب يلغب بالضم لغوبا ولغب بالكسر يلغب لغوبا لغة ضعيفة فيه والعينة انا اي انصبته قال قتادة والكلبي هذه الاية نزلت في يهود المدينة زعموا ان الله تعالى خلق السموات والارض في ستة ايام اولها يوم الاحد واخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت فجعلوه راحة فاكذبهم الله تعالى في ذلك قوله تعالى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك فيه خمس مسايل

الاولى قوله تعالى فاصبر على ما يقولون خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره بالصبر على ما يقوله المشركون اي هون امرهم عليك ونزلت قبل الامر بالقتال فهي منسوخة وقيل هو ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم وامته وقيل معناه فاصبر على ما تقوله اليهود من قولها ان الله استراح يوم السبت الثانية قوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب الاية قيل انه يراد به الصلوات الخمس قال ابو صالح قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل الغروب صلاة العصر

ورواه جرير بن عبد الله مرفوعًا قال كنا جلوسًا عند
النبي صلى الله عليه وسلم اذ نظر الى القمر ليلة البدر فقال
اما انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في
رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع
الشمس وقبل الغروب متفق عليه واللفظ لمسلم وقال
ابن عباس قبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل فسبحه
يعني صلاة العشاين وقيل المراد تسبيحه بالقول
تنزيها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قاله عطا
الخراساني وابو الاحوص وقال بعض العلما في قوله
تعالى قبل طلوع الشمس قال ركعتي الفجر وقبل الغروب
الركعتين قبل المغرب وقال ثمامه بن عبد الله بن انس
كان ذووا الالباب من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
يصلون الركعتين قبل المغرب وفي صحيح مسلم عن انس
بن مالك قال كنا بالمدينة فاذا اذن المؤذن لصلاة
المغرب ابتدروا السواري فركعوا ركعتين حتى ان الرجل
الغريب ليدخل المسجد فيحسب ان الصلاة قد صليت
من كثرة من يصليها وقال قتادة ما ادركت احدا
يصلي الركعتين قبل المغرب الا انسا وابا برزة الاسلمي

الثالثه قوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار السجود

فيه

فيه اربعة اقوال الاول هو تسبيح الله تعالى في الليل
والنهار قاله ابو الاحوص الثاني انها صلاة الليل كله قاله
مجاهد الثالث انها ركعتي الفجر قاله ابن عباس الرابع
انها صلاة العشا الاخرة قاله ابن زيد قال ابن العربي
من قال انه التسبيح في الليل فيعضده الصحيح من تعار
من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شي قدير سبحان الله والحمد لله والله
اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله واما من قال انه الصلاة
بالليل فان الصلاة تسمى تسبيحا لما فيها من تسبيح الله ومنه
سبحة الضحى واما من قال انها صلاة الفجر والعشا
فلانها من صلاة الليل والعشا اوضحه الرابعة قوله
تعالى وادبار السجود قال عمر وعلي وابو هريره والحسن
بن علي والحسن البصري والنخعي والشعبي والاوزاعي
والزهري ادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار
النجوم الركعتان قبل الفجر ورواه العوفي عن ابن عباس
وقد رفعه عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
ركعتان بعد المغرب ادبار السجود ذكره الثعلبي ولفظ
الماوردي وروي عن ابن عباس قال بت ليلة عند النبي
صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين قبل الفجر ثم خرج

الى الصلاة فقال يا ابن عباس ركعتان قبل الفجر ادبار
النجوم وركعتان بعد المغرب ادبار السجود وقال
انس قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين بعد المغرب
قبل ان يتكلم كتبت صلاته في عليين قال انس تقرا في الاولى
قل يا ايها الكافرون وفي الثانية قل هو الله احد قال مقاتل
ووقتها ما لم يغب الشفق وعن ابن عباس ايضا هو الوتر
وقال ابن زيد هو النوافل بعد الصلوات ركعتان بعد
كل صلاة مكتوبة قال النحاس والظاهر يدل على هذا
الا ان الاولى اتباع الاكثر وهو صحيح عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه وقال ابو الاحوص هو التسبيح
في ادبار السجود قال ابن العربي وهو الاقوى في النظر
وفي صحيح الحديث ان النبي كان يقول في دبر الصلاة
المكتوبة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شي قدير اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي
لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وقيل انه منسوخ
بالفرايض فلا يجب على احد الا خمس صلوات نقل ذلك
الجماعة الخامسة قرا نافع وابن كثير وحمزة وادبار
السجود بكسر الهمزة على المصدر من ادبر الشي ادبارا
اذا ولى الباقون بفتحها جمع دبر وهي قراة علي وابن عباس
ومثالها

ومثالها طنب والطناب ودبر كقفل واقفال وقد
استعملوه ظرفا نحو جئتك في دبر الصلاه وفي ادبار
الصلوات والاخلاف في اخر والطور وادبار النجوم انه
بالكسر مصدر وهو ذهاب ضوئها اذا طلع الفجر الثاني
وهو البياض المنشق من سواد الليل **قوله تعالى**
واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب مفعول الاستماع
محذوف اي استمع النداء او الصوت او الصيحه وهي صيحة
القيامه وهي النفخه الثانيه والمنادي جبريل وقيل اسرافيل
الزمخشري وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي فينادي
بالحشر ويقول هلموا الى الحساب فالندا على هذا في المحشر
وقيل واستمع نداء الكفار بالويل والثبور من مكان قريب
اي يستمع الجميع فلا يبعد احد عن ذلك الندا قال عكرمه
ينادي منادي الرحمن فكانما ينادي في اذانهم وقيل المكان
القريب صخرة بيت المقدس ويقال انها وسط الارض واقرب
الارض الى السما باثني عشر ميلا ذكر الاول القشيري والزمخشري
والثاني الماوردي فيقف جبريل او اسرافيل على الصخره فينادي
بالحشر ايتها العظام الباليه والاوصال المنقطعه ويا
عظاما نخره ويا الفانا فانيه ويا قلوبا خاويه ويا ابدانا
فاسده ويا عيونا سايلة قوموا العرض رب العالمين قال

قتاده هو اسرافيل صاحب الصور يوم يسمعون الصيحة
بالحق يعني صيحة البعث ومعنى بالخروج والاجتماع الى الحساب
ذلك يوم الخروج من القبور انا نحن نحيي ونميت الاحيا
اثبت هنا الحقيقة يوم تشقق الارض عنهم سراعا الى المنادي
صاحب الصور الى بيت المقدس ذلك حشر علينا يسير
اي هين سهل وقرا الكوفيون تشقق بتخفيف الشين
على حذف التاء الاولى الباقون بالادغام التا في الشين
واثبت ابن محيصن وابن كثير ويعقوب يا المنادي في الحالين
على الاصل واثبتها نافع وابو عمرو في الوصل لا غير
وحذف الباقون في الحالين قلت وقد زادت السنة
هذه الاية بيانا فروى المهدوي عن معاوية بن حيدة عن
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال واشار بيده
الى الشام فقال ها هنا تحشرون ركبانا ومشاة وتجرون
على وجوهكم يوم القيامة على افواهكم الفدام توفون سبعين
امة انتم خيرهم واكرمهم على الله عز وجل وان اول ما
يعرب عن احدكم فخذه في رواية اخرى فخذه ولفه وخرج
علي بن معبد عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث ذكره ثم يقول يعني الله تعالى لاسرافيل انفخ
نفخة البعث فينفخ فتخرج الارواح كامثال النحل

قد ملات

قد ملات ما بين السما والارض فيقول الله عز وجل وعزتي وجلالي
ليرجعن كل روح الى جسده فتدخل الارواح في الارض الى
الاجساد ثم تدخل في الخياشيم فتمشي في الاجساد مشي
السم في اللديغ ثم تنشق الارض عنكم وانا اول من تنشق
الارض عنه تخرجون منها شبابا كلكم ابنا ثلاث وثلثين
واللسان يومئذ بالسريانيه وذكر الحديث وقد ذكرنا
جميع هذا وغيره في التذكره مستوفى والحمد لله قوله
تعالى نحن اعلم بما يقولون اي من تكذيبك وشتمك
وما انت عليهم بجبار اي مسلط تجبرهم على الاسلام
فتكون الايه منسوخه بالامر بالقتال والجبار من
الجبريه والتسليط اذ لا يقال جبار بمعنى مجبر لست
تجبرهم كما لا يقال خراج بمعنى مخرج حكاه القشيري
النحاس وقيل معنى جبار لست تجبرهم وهو خطا لانه لا يكون
فعال من افعل وحكى الثعلبي وقال ثعلب قد جات احرف
فعال بمعنى مفعل وهي شاذه جبار بمعنى مجبر ودراك
بمعنى مدرك وسراع بمعنى مسرع وبكا بمعنى مبكي
وعداء بمعنى معدي وقد قري وما اهديكم الا سبيل
الرشاد بتشديد الشين بمعنى المرشد وهو موسى وقيل
هو الله عز وجل ولذلك قري واما السفينه فكانت

لمساكين يعني بمسكين وقال ابو حامد الخارزنجي تقول
العرب سيف سقاط بمعني مسقط وقيل الجبار بمصيطر
كما في الغاشية لست عليهم بمصيطر وقال الفرا سمعت من
العرب من يقول جبره على الامر اي قهره فالجبار من هذه
اللغة بمعني القهر صحيح وقيل الجبار من قولهم جبرته على الامر
اي اجبرته وهي لغة كنانيه وهما لغتان الجوهري واجبرته
على الامر اكرهته عليه واجبرته ايضا نسبته الى الكفر
كما تقول اكفرته نسبته الى الكفر فذكر بالقران من
يخاف وعيد قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو خوفتنا
فنزلت فذكر بالقران من يخاف وعيد اي ما اعددته
لمن عصاني من العذاب فالوعيد العذاب والوعد الثواب
قال الشاعر واني وان اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي
وكان قتاده يقول اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو
موعدك واثبت اليا في وعيدي يعقوب في الحالين
واثبتها ورش في الوصل دون الوقف وحذف الباقون
في الحالين **سوره والذاريات** مكيه في قول
الجميع وهي ستون ايه بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى والذاريات ذروا قال ابو بكر الانباري
حدثنا عبد الله بن ناجيه نا يعقوب بن ابراهيم نا مكي
بن ابراهيم

ابن ابراهيم قال حدثنا الجعيد بن عبد الرحمن عن يزيد بن
خصيفة عن السايب بن يزيد ان رجلا قال لعمر رضي الله عنه
اني مررت برجل يسئل عن تفسير مشكل القران فقال
عمر اللهم امكني منه فدخل الرجل على عمر يوما وهو لابس
ثيابا وعمامة وعمر يقرا القران فلما فرغ قام اليه الرجل
فقال يا امير المومنين ما الذاريات ذروا فقام عمر فحسر
عن ذراعيه وجعل يجلده ثم قال البسوه ثيابا واحملوه على
قتب وابلغوا به حيه ثم ليقم خطيبا فليقل ان صبيغا طلب
العلم فاخطاه فلم يزل وضيعا في قومه بعد ان كان
سيدا فيهم وعن عامر بن واثلة ان ابن الكوا سال عليا
رضي الله عنه فقال يا امير المومنين ما الذاريات ذروا
فقال له ويلك سل تفقها ولا تسل تعنتا والذاريات
ذروا الرياح فالحاملات وقرا السحاب فالجاريات يسرا
السفن فالمقسمات امرا الملايكه وروى الحارث عن علي والذاريات
ذروا قال الرياح فالحاملات وقرا قال السحاب يحمل الما
كما تحمل دوات الاربع الوقر فالجاريات يسرا قال السفن
وقوله فالمقسمات امرا قال الملايكه تاتي بامر مختلف جبريل
بالغلظه وميكايل صاحب الرحمه وملك الموت ياتي بالموت
وقال الفرا وقيل تاتي بامر مختلف من الخصب والجدب

والمطر والموت والحوادث ويقال ذرت الريح التراب
تذروه ذروا واذرته تذريه ذريا ثم قيل والذاريات
وما بعده اقسام واذا اقسم الرب بشي اثبت له شرفا
وقيل المعنى ورب الذاريات والجواب انما توعدون اي
الذي توعدون من الخير والشر والثواب والعقاب
لصادق لا كذب فيه ومعنى لصادق لصدق وقع الاسم
موقع المصدر وان الدين لواقع يعني الجزا بازايكم
ثم ابتدا قسما اخر فقال والسماء ذات الحبك انكم لفي قول
مختلف وقيل ان الذاريات النسا الولود ان لا ان في ترايبهن
ذرو الخلق لانهن يذرين الاولاد فصرن ذاريات واقسم
بهن لما في ترايبهن من خيرة عباده الصالحين وخص النسا
بذلك دون الرجال وان كان كل واحد منهما ذاريا لامرين
احدهما لانهن اوعية دون الرجال فلاجتماع الذروين
فيهن خصص بالذكر الثاني ان الذرو فيهن اطول زمان وهن
بالمباشرة اقرب عهدا فالحاملات السحاب وقيل الحاملات
من النسا اذا اثقلن بالحمل والوقر بكسر الواو ثقل الحمل على
ظهر او في بطن يقال جا يحمل وقره وقد اوقر بعيره والكثر
ما يستعمل الوقر في حمل البغل والحمار والوسق في حمل البعير
وهذه امراة موقرة بفتح القاف اذا حملت حملا ثقيلا
واوقرت

مطلب في الوعظ

وأوقرت النخلة كثر حملها يقال نخلة موقرة وموقر
وموقرة وحكي موقر وهو على غير القياس لان الفعل
للنخلة وانما قيل موقر بكسر القاف على قولك امراة
حامل لان حمل الشجر مشبه بحمل النسا فاما موقر
بالفتح فشاذ وقد روي في قول لبيد يصف نخيلا
عصب كوارع في خليج محلم حملت فمنها موقر مكموم
والجمع مواقر فاما الوقر بالفتح فهو ثقل الاذن وقد
وقرت اذنه توقر وقرا اي صمت وقياس مصدره
التحريك الا انه جا التسكين وقد تقدم في الانعام
القول فيه فالجاريات يسرا السفن تجري بالرياح
يسرا الى حيث سيرت وقيل السحاب وفي جريها
يسرا على هذا القول وجهان احدهما الى حيث سيرها
الله تعالى من البلاد والبقاع الثاني هو سهولة تسييرها
وذلك معروف عند العرب كما قال الاعشى
كان مشيتها من بيت جارتها مشي السحابة لا ريث ولا عجل
قوله تعالى والسماء ذات الحبك قيل المراد بالسماء
هاهنا السحاب التي تظل الارض وقيل السما المرفوعة
ابن عمر هي السابعة ذكره المهدوي والثعلبي والماوردي
وغيرهم وفي الحبك اقوال سبعة الاول قال ابن عباس وقتادة

ومجاهد والربيع ذات الخلق الحسن المستوي وقاله عكرمة
قال الم تر الي النساج اذا نسج الثوب فاجاد نسجه يقال
منه حبك الثوب يحبكه بالكسر حبكا اي اجاد نسجه قال
ابن الاعرابي كل شي احكمته واحسنت عمله فقد احتبكته
الثاني ذات الزينة قاله الحسن وسعيد بن جبير وعن
الحسن ايضا ذات النجوم وهو الثالث الرابع قال الضحاك
ذات الطرايق يقال لما ترا٥ في الماء والرمل اذا اصابته
الريح حبك ونحوه قول الفراء قال الحبك تكسر كل شي
كالرمل اذا مرت به الريح الساكنة والما القايم اذا
مرت به الريح ودرع الحديد لها حبك والشعرة
الجعدة تكسرها حبك وفي حديث الدجال ان شعره
حبك حبك قال زهير

مكلل باصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مايه حبك
ولكنها تبعد من العباد فلا يرونها الخامس ذات الشدة
قاله ابن زيد وقرا وبنينا فوقكم سبعا شدادا والمحبوك
الشديد الخلق من الفرس وغيره قال امرو القيس

قد غدا يحملني في انفه لاحق الاطلين محبوك ممر

وقال اخر مرج الدين فاعددت له مشرف الحارك محبوك الكتد
وفي الحديث ان عايشة رضي الله عنها تحتبك تحت الدرع
في الصلاه

في الصلاة اي تشد الازار ونحكمه السادس ذات الصفاقة
قاله خصيف ومنه ثوب صفيق ووجه صفيق بين الصفاقة
السابع ان المراد بالطرق المجرة التي في السماء سميت بذلك
لانها كاثر المجر والحبك جمع حباك قال الزاجر
كانما جللها الحواك طنفسة في وشيها حباك
والحباك والحبيكة الطريقة في الرمل ونحوه وجمع الحباك
حبك وجمع الحبيكة حبائك والحبكة مثل العبكة
وهي الحبة من السويق عن الجوهري وروي عن الحسن
في قوله ذات الحبك الحبك والحبك والحبك والحبل
والحبك واحدتها حبيكة والحبك مخفف منه والحبك
واحدتها حبكة ومن قرا الحبك فالواحدة حبكة كبرقة
وبرق او حبكة كظلمة وظلم ومن قرا الحبك فهو كابل
واطل والحبك مخفف منه ومن قرا الحبك فهو شاذ
ليس في كلام العرب فعل وهو محمول على تداخل اللغات
كانه كسر الحاء ليكسر الباء ثم تصور الحبك فضم الباء قال
قال جميعه المهدوي **قوله تعالى** انكم لفي قول مختلف
هذا جواب القسم الذي هو والسماء اي انكم يا اهل مكة
في قول مختلف في محمد والقران فمن مصدق ومكذب
وقيل نزلت في المقتسمين وقيل اختلافهم قولهم ساحر

بل شاعر بل افتراه بل هو مجنون بل هو كاهن بل هو
اساطير الاولين وقيل اختلافهم ان منهم من نفى الحشر
ومنهم من شك فيه وقيل المراد عبدة الاوثان والاصنام
يقرون بان الله خالقهم ويعبدون غيره **قوله تعالى**
يوفك عنه من افك اي يصرف عن الايمان من اراده بقولهم
هو سحر وكهانة واساطير الاولين وقيل المعنى يصرف عن
ذلك الاختلاف من عصمه الله افكه يافكه افكا اي
قلبه وصرفه عن الشيء ومنه قوله تعالى قالوا اجئتنا
لتافكنا وقال مجاهد معنى يوفك عنه من افك يوفن عنه
من افن اي يحرمه من حرم من افن الضرع اذا نهكه حلبا
وقال قطرب يخدع عنه من خدع وقال اليزيدي يدفع عنه
من دفع والمعنى واحد وكله راجع الى معنى الصرف
قوله تعالى قتل الخراصون في التفسير لعن الكذابون
وقال ابن عباس اي قتل المرتابون يعني الكهنة وقال
الحسن هم الذين يقولون لسنا نبعث ومعنى قتل اي
هولاء ممن يجب ان يدعى عليهم بالقتل على ايدي المومنين
وقال الفراء معنى قتل لعن قال والخراصون الكذابون
الذين يتخرصون بما لا يعلمون فيقولون ان محمدا مجنون
كذاب ساحر شاعر وهذا دعا عليهم لان من لعنه الله

فهو

فهو بمنزلة المقتول الهالك قال ابن الانباري علمنا الدعا
عليهم اي قتل الخراصون وهو جمع خارص والخرص الكذب
والخراص الكذاب وقد خرص يخرص بالضم خرصا اي كذب
يقال خرص واخترص وخلق واختلق وشبك واشتبك
وسدح وسرح ومان بمعني كذب حكاه النحاس والخرص
ايضا حزر ما علي النخل من الرطب تمرا وقد خرصت
النخل والاسم الخرص بالكسر يقال كم خرص نخلك والخراص
الذي يخرصها فهو مشترك واصل الخرص القطع علي ما
تقدم بيانه في الانعام ومنه الخريص للخليج لانه ينقطع
اليه الما والخرص حبة القرط اذا كانت منفرده لانقطاعها
عن اخواتها والخرص العود لانقطاعه عن نظايره بطيب
رايحته والخرص الذي به جوع وبرد لانه منقطع به يقال
خرص الرجل بالكسر فهو خرص اي جايع مقرور ولا
يقال للجوع بلا برد خرص ويقال للبرد بلا جوع خصر
والخرص والخرص والخرص بالضم والكسر الحلقة من الذهب
او الفضه والجمع الخرصان ويدخل في الخرص قول
المنجمين وكل من يدعي الحدس والتخمين وقال ابن عباس
هم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا
القول في نبي الله صلي الله عليه وسلم ليصرفوا الناس

عن الايان به قوله تعالى الذين هم في غمره ساهون الغمره ما ستر الشي وغطاه ومنه نهر غمر اي يغمر من دخله ومنه غمرات الموت ساهون اي لاهون غافلون عن امر الاخره قوله تعالى يسالون ايان يوم الدين اي متى يوم الحساب يقولون ذلك استهزا وشكا في القيامة يوم هم على النار يفتنون نصب يوم على تقدير الجزا اي هذا الجزا يوم هم على النار يفتنون اي يحرقون وهو من قولهم فتنت الذهب اي احرقته لتختبره واصل الفتنه الاختبار وقيل انه مبني بالاضافه الى غير متمكن وموضعه نصب على التقدير المتقدم او رفع على البدل من يوم الدين وقال الزجاج تقول يعجبني يوم انت قايم ويوم انت تقوم وان شيت فتحت وهو موضع رفع وانما انتصب هذا وهو في المعنى رفع وقال ابن عباس يفتنون يعذبون ومنه قول الشاعر

كل امرء من عباد الله مضطهد ببطن مكة مقهور ومفتون

قوله تعالى ذوقوا فتنتكم اي يقال لهم ذوقوا عذابكم قاله ابن زيد مجاهد حريقكم ابن عباس اي تكذيبكم يعني جزاه الفرا اي عذابكم الذي كنتم تستعجلون به في الدنيا

السابع عشر

به في الدنيا وقال هذا ولم يقل هذه لان الفتنه هذا
بمعني العذاب قوله تعالى ان المتقين في جنات
وعيون لما ذكر مال الكفار ذكر مال المومنين اي هم
في بساتين فيها عيون جاريه على نهايه ما يتنزه به
اخذين ما اتاهم ربهم اي اعطاهم من الثواب وانواع
الكرامات قاله الضحاك وقال ابن عباس وسعيد
بن جبير اخذين ما اتاهم ربهم اي عاملين بالفرايض انهم
كانوا قبل ذلك محسنين اي قبل دخولهم الجنه في الدنيا
محسنين بالفرايض وقال ابن عباس المعنى كانوا قبل
ان يفرض عليهم الفرايض محسنين في اعمالهم قوله تعالى
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون الى قوله للسايل والمحروم
فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى كانوا قليلا من
الليل ما يهجعون ينامون والهجوع النوم ليلا والتهجاع
النومه الخفيفه قال ابو قيس بن الاسلت
قد حصت البيضة راسي فما اطعم نوما غير تهجاع
وقال عمرو بن معدي كرب يتشوق اخته وكان
اسرها الصمه ابو دريد بن الصمه
امن ريحانه الداعي السميع يورقني واصحابي هجوع
يقال هجع يهجع هجوعا وهبع يهبع هبوعا بالغين

نصب على الحال اي اخذين

المعجمه اذا نام قاله الجوهري واختلف في ما فقيل صلة
زايدة قاله ابراهيم النخعي والتقدير كانوا قليلا من الليل
يهجعون اي ينامون قليلا من الليل ويصلون اكثره قال
عطا وهذا لما امروا بقيام الليل وكان ابو ذر يحتجز ثم
ياخذ العصا فيعتمد عليها حتى نزلت الرخصه قم الليل
الا قليلا الاية وقيل ليس ما صلة بل الوقف عند قوله
قليلا ثم يبتدي من الليل ما يهجعون قال ابن الانباري
وهذا فاسد لان الاية انما تدل على قلة نومهم لا على قلة
عددهم وبعد فلو ابتدانا من الليل ما يهجعون على معنى
من الليل يهجعون لم يكن في هذا مدح لهم لان الناس كلهم يهجعون
من الليل الا ان نجعل ما جحدا قلت وعلى ما تاوله بعض الناس
وهو قول الضحاك من ان عددهم كان يسيرا يكون الكلام متصلا
بما قبل من قوله انهم كانوا محسنين اي كان المحسنون قليلا
ثم استانف فقال من الليل ما يهجعون وهو قول الضحاك
وعلى التاويل الاول والثاني يكون كانوا من الليل خطابا
مستانفا بعد تمام ما تقدمه ويكون الوقف على ما
يهجعون فكذلك ان جعلت قليلا خبر كان وترفع ما
بمعنى قليل كانه قال كانوا قليلا من الليل هجوعهم فما
يجوز ان تكون نافية ويجوز ان تكون مع الفعل مصدرا

ويجوز

ويجوز ان تكون رفعا على البدل من اسم كان التقدير كان
هجوعهم قليلا من الليل وانتصاب قوله قليلا ان قدرت
ما زايده موكده بيهجعون وان لم تقدر ما زايده كان
قوله قليلا خبر كان ولم يجز نصبه بيهجعون لانه اذا قدر
نصبه بيهجعون مع تقدير ما مصدرا قدمت الصلة
على الموصول وقال انس وقتادة في تاويل الايه اي كانوا
يصلون بين العشايين بين المغرب والعشا ابو العاليه
كانوا لا يناموون بين العشايين وقاله ابن وهب وقال
نزلت في الانصار كانوا يصلون العشاين في مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم ثم يمضون الى قبا وقال محمد بن علي بن الحسين
كانوا لا يناموون حتى يصلوا العتمة قال الحسن كان هجوعهم
قليلا في جنب يقظتهم للصلاة وقال ابن عباس ومطرف قل
ليلة لا تاتي عليهم الا يصلون لله فيها إمّا من اولها واما من
وسطها **النانسه** روي عن بعض المجتهدين انه اتاه آت
في منامه فانشده ، وكيف ينام الليل عين قريرة ولم تدر
في اي المجالس تنزل ، وروي عن رجل من الازد انه قال
كنت لا انام الليل فنمت في اخر الليل فاذا انا بشابين
احسن ما رايت ومعهما حلل فوقفوا على كل مصل وكسوه
حلة ثم انتهوا الى النيام فلم يكسوهم فقلت لهما اكسواني

من حلل كل هذه فقال الى انها لبست حلة لباس انما هي
رضوان الله يحل على كل مصل ويروى عن ابي خلاد انه قال
حدثني صاحب لي قال بينما انا نائم ذات ليلة اذ مثلت
لي القيامة فنظرت الى اقوام من اخواني قد اضاءت وجوههم
واشرقت الوانهم وعليهم الحلل من دون الخلايق فقلت ما بال
هولاء مكتسون والناس عراة ووجوههم مشرقة ووجوه
الناس مغبرة فقال لي قائل الذين رايتهم المكتسون فهم
المصلون بين الاذان والاقامة والذين وجوههم مشرقة
فاصحاب السهر والتهجد قال ورايت اقواما على نجائب
فقلت ما بال هولاء ركبانا والناس مشاة حفاة فقالوا
لي هولاء الذين قاموا على اقدامهم تقربا بالله فاعطاهم الله
بذلك خير الثواب قال فصحت في منامي واها للعابدين
ما اشرف مقامهم ثم استيقظت من منامي وانا خائف

الثالثة قوله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون مدح
ثان وبستغفرون اي من ذنوبهم قال الحسن والسحر
وقت ترجى فيه اجابة الدعا وقد مضى في ال عمران القول
فيه وقال ابن عمر ومجاهد اي يصلون وقت السحر فسموا
الصلاة استغفارا وقال الحسن في قوله تعالى كانوا قليلا من
الليل ما يهجعون مدوا الصلاة من اول الليل الى السحر

ثم استغفروا

مطلب شريف

ثم استغفروا في السحر ابن وهب هي في الانصار يعني انهم
كانوا يغدون من قبا فيصلون في مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم ابن وهب عن ابن لهيعه عن يزيد بن ابي حبيب قال
كانوا ينضحون لناس من الانصار بالدلا على الثمار ثم يهجعون
قليلا ثم يصلون اخر الليل الضحاك صلاة الفجر وقال
الاحنف بن قيس عرضت على اعمال اهل الجنه فاذا قوم
قد باينونا بونا بعيدا لا نبلغ اعمالهم كانوا قليلا من الليل
ما يهجعون وعرضت على اعمال اهل النار فاذا قوم
لا خير فيهم يكذبون بكتاب الله وبرسول الله وبالبعث
بعد الموت فوجدنا خيرنا منزلة قوما خلطوا عملا
صالحا واخر سيئا **الرابعة قوله تعالى** وفي اموالهم
حق للسايل والمحروم مدح ثالث قال محمد بن سيرين وقتاده
الحق هنا هو الزكاة المفروضه وقيل انه حق سوى الزكاه
تصل به رحما او تقري به ضيفا او تحمل به كلا او تغني به
محروما وقاله ابن عباس لان السوره مكية وفرضت
الزكاه بالمدينه ابن العربي والاقوى في هذه الايه
انه الزكاه لقوله تعالى في سورة سال سايل والذين
في اموالهم حق معلوم للسايل والمحروم والحق المعلوم
هو الزكاه التي بين الشرع قدرها وجنسها ووقتها فاما

غيرها لمن يقول به فليس بمعلوم لانه غير مقدر ولا مجنس
ولا موقت الخامسة قوله تعالى للسايل والمحروم
السايل الذي يسال الناس لفاقته قاله ابن عباس وسعيد
بن المسيب وغيرهما والمحروم الذي حرم المال واختلف
في تعيينه فقال ابن عباس وسعيد بن المسيب المحروم
المحارف الذي ليس له في الاسلام سهم وقالت عايشة
رضي الله عنها المحروم المحارف الذي لا يتيسر مكسبه
تقال رجل محارف بفتح الراء اي محدود محروم وهو
خلاف قولك مبارك وقد حورف كسب فلان اذا
شدد عليه في معاشه كانه ميل برزقه عنه وقال
قتادة والزهري المحروم المتعفف الذي لا يسال الناس
شيا ولا يعلم بحاجته وقال الحسن ومحمد بن الحنفية المحروم
الذي يجي بعد الغنيمة وليس له فيها سهم روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم بعث سرية فاصابوا وغنموا فجا قوم
بعد ما فرغوا فنزلت هذه الاية وفي اموالهم وقال عكرمة
المحروم الذي لا يبقى له مال وقال زيد بن اسلم هو الذي
اصيب ثمرة او زرعه او نسل ماشيته وقال القرظي
المحروم الذي اصابته الجايحة ثم قرا انا لمغرمون بل نحن
محرومون نظيره في قصة اصحاب الجنة حيث قالوا بل نحن

محرومون

له

محرومون وقال ابو قلابة كان رجل من اهل اليمامة له مال فجا
بسيل فذهب بماله فقال رجل من الصحابة هذا المحروم فاقسموا
له وقيل انه الذي يطلب الدنيا وتدبر عنه وهو مروي عن
ابن عباس ايضا وقال عبد الرحمن بن حميد المحروم المملوك
وقيل انه الكلب روي ان عمر بن عبد العزيز كان في طريق
مكة فجا كلب فانتزع عمر رحمه الله كتف شاة فرمى
بها اليه وقال تقولون انه المحروم وقيل انه من وجبت
نفقته بالفقر من ذوي الانساب لانه قد حرم كسب
نفسه حتى وجبت نفقته في مال غيره وروى ابن وهب
عن مالك انه الذي يحرم الرزق وهذا قول حسن فانه
يعم جميع الاقوال وقال الشعبي لي اليوم سبعين سنه
مذ احتلمت اسال عن المحروم فما انا اليوم باعلم مني فيه
يومئذ رواه شعبة عن عاصم الاحول عن الشعبي
واصله في اللغة الممنوع من الحرمان وهو المنع قال علقمة
ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه أنا توجه والمحروم محروم
وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ويل للاغنيا من
الفقرا يوم القيامة يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا الذي
فرضت لنا عليهم فيقول الله تعالى وعزتي لاوتينكم ولاعدنهم
ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي اموالهم حق للسائل

والمحروم ذكره الثعلبي قوله تعالى وفي الارض ايات
للموقنين لما ذكر امر الفريقين بين ان في الارض علامات
تدل على قدرته على البعث والنشور فمنها عود النبات
بعد ان صار هشيما ومنها انه قدر الاقوات فيها قواما
للحيوانات ومنها سيرهم في البلدان التي يشاهدون فيها
اثار الهلاك النازل بالامم المكذبة والموقنون هم
العارفون المحققون وحدانية ربهم وصدق نبوة نبيهم
خصصهم بالذكر لانهم المنتفعون بتلك الايات وتدبرها
قوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون قيل التقدير
وفي الارض وفي انفسكم ايات للموقنين وقال قتاده المعنى
من تسار في الارض راى ايات وعبرا ومن تفكر في نفسه
علم انه خلق ليعبد الله ابن الزبير ومجاهد المراد سبيل
الخلاء والبول وقال السايب بن شريك ياكل ويشرب من
مكان واحد ويخرج من مكانين ولو شرب لبنا محضا
لخرج منه الما ومنه الغايط فتلك الايه في النفس وقال ابن
زيد المعنى انه خلقكم من تراب وجعل لكم السمع والابصار
والافيده ثم اذا انتم بشر تنتشرون السدي وفي انفسكم
اي في حياتكم وموتكم وفيما يدخل ويخرج من طعامكم
الحسن في الكبر بعد الشباب والضعف بعد القوه والشيب

بعد السواد وقيل المعني وفي خلق انفسكم من نطفة وعلقة
ومضغة ولحم وعظم الى نفخ الروح وفي اختلاف الالسنة
والالوان والصور الى غير ذلك من الايات الباطنة والظاهرة
وحسبك بالقلوب وما ذكر فيها من العقول وخصت به
من انواع المعاني والفنون وبالالسن والنطق ومخارج
الحروف والابصار والاطراف وساير الجوارح وتاتيها
لما خلقت له ولما سوي في الاعضا من المفاصل للانعطاف
والتثني فانه اذا جسا شي منها جا العجز واذا استرخى
اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين افلا تبصرون يعني
بصر القلب ليعرفوا كمال قدرته وقيل انه نجح العاجز وحرمان
الحازم قلت كل ما ذكر مراد في الاعتبار وقد قدمنا في
اية التوحيد من سورة البقرة ان ما في بدن الانسان
الذي هو العالم الصغير شي الا وله نظير في العالم الكبير
وذكرنا هناك من الاعتبار ما يكفي ويغني لمن تدبر
قوله تعالي وفي السماء رزقكم وما توعدون قال
سعيد بن جبير والضحاك الرزاق فهنا ما ينزل من السماء
من مطر وثلج ينبت به الزرع ويحيي به الخلق قال سعيد
كل عين قايمة فانها من الثلج وعن الحسن انه كان اذا راي
السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه

بخطايا كم وقال اهل المعاني وفي السماء رزقكم معناه وفي
المطر رزقكم سمي المطر سما لانه عن السما ينزل قال اذا سقط
السما بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا
وقال ابن كيسان يعني وعلي رب السما رزقكم نظيره
وما من دابة في الارض الا علي الله رزقها وقال سفيان الثوري
وفي السماء رزقكم اي عند الله في السماء رزقكم وقيل المعنى وفي
السماء تقدير ارزقكم وما قسم لكم مكتوب في ام الكتاب
وعن سفيان قال قرا واصل الاحدب وفي السماء رزقكم
فقال الا ارى رزقي في السماء وانا اطلبه في الارض فدخل
خربة فمكث ثلثا لا يصيب شيا فاذا هو في الثالثة
بدوخلة رطب وكان له اخ احسن نية منه فدخل
معه فصارتا دوخلتين فلم يزل ذلك دابهما حتى فرق
الله بينهما بالموت وقرا ابن محيصن ومجاهد وفي السماء
رازقكم بالالف ولذلك في اخرها ان الله هو الرازق وما
توعدون قال مجاهد يعني من خير وشر وقال غيره من
خير خاصة وقيل الشر خاصة وقيل الجنة عن سفيان
بن عيينة الضحاك وما توعدون من الجنة والنار وقال
ابن سيرين وما توعدون من امر الساعة وقاله الربيع
قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق كما اخبرهم
به من البعث

الدوخلة هي السفيفة المنسوجة من الخوص يجعل فيه الرطب

به من البعث وما خلق في السماء من الرزق واقسم عليه
بانه لحق ثم اكده بقوله مثل ما انكم تنطقون وخص
النطق من بين ساير الحواس لان ما سواه من الحواس يدخله
التشبيه كالذي يرى في المراة واستحالة الذوق عند
غلبة الصفرا ونحوها والدوي والطنين في الاذن
والنطق سالم من ذلك ولا يعترض بالصدا لانه لا يكون
الا بعد حصول الكلام من الناطق غير مشوب بما
يشكل به وقال بعض الحكما كما ان كل انسان ينطق بنفسه
ولا يمكنه ان ينطق بلسان غيره فلذلك كل انسان ياكل
رزقه ولا يمكنه ان ياكل رزق غيره وقال الحسن بلغني ان
نبي الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله اقواما اقسم
لهم ربهم بنفسه ثم لم يصدقوه قال الله تعالى فورب
السماء والارض انه لحق وقال الاصمعي اقبلت ذات
مرة من مسجد البصره اذ طلع اعرابي خلف جاف على
قعود له متقلدا سيفه وبيده قوسه فدنا وسلم وقال
ممن الرجل قلت من اصمع قال انت الاصمعي قلت نعم
قال ومن اين اقبلت قلت من موضع يتلا فيه كلام الرحمن
قال وللرحمن كلام يتلوه الادميون قلت نعم قال فاتل
علي منه شيا فقرات والذاريات ذروا الى قوله وفي

السماء رزقكم فقال يا اصمعي حسبك ثم قام الى ناقته فنحرها وقطعها
لجلدها وقال اعني على توزيعها ففرقناها على من اقبل
وادبر ثم عمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وجعلهما تحت
الرحل وولى نحو البادية وهو يقول وفي السماء رزقكم وما
توعدون فمقت نفسي ولمتها ثم حججت مع الرشيد فبينما
انا اطوف اذا بصوت رقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي
ناحل مصفر فسلم علي واخذ بيدي وقال اتل كلام الرحمن
علي واجلسني من وراء المقام فقرات والذاريات حتى
وصلت الى قوله تعالى وفي السماء رزقكم فقال الاعرابي لقد
وجدنا ما وعدنا الرحمن حقا وقال وغير هذا قلت نعم
يقول الله تعالى فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم
تنطقون قال فصاح الاعرابي يا سبحان الله من الذي اغضب
الجليل حتى حلف الم يصدقوه في قوله حتى الجوه الى اليمين
فقالها ثلثا وخرجت بها نفسه وقال يزيد بن مرثد
ان رجلا جاع بمكان ليس فيه شي فقال اللهم رزقك
الذي اوعدتني فاتني به فشبع وروى من غير طعام
ولا شراب وعن ابي سعيد الخدري قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم فر من رزقه لتبعه
كما يتبعه الموت اسنده الثعلبي رحمه الله وفي
سنن

اهل

مطلب

سنن ابن ماجة عن حبة وسواء ابني خالد قالا دخلنا
على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعالج شيئاً فأعناه عليه
فقال لا تيئسا من الرزق ما تهززت روسكما فان الانسان
تلده امه احمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله وروي ان
قوماً من الاعراب زرعوا زرعاً فاصابته جائحة فحزنوا
لاجله فخرجت عليهم اعرابية فقالت مالي اراكم قد نكستم
رؤوسكم وضاقت صدوركم هو ربنا والعالم بنا رزقنا
عليه ياتينا به من حيث شاء ثم انشات تقول
لوكان في صخرة في البحر راسية صما ململمة ملس نواحيها
رزق لنفس براها الله لانفلقت حتى يؤدي اليها كل ما فيها
اوكان بين طباق السبع مسلكها لسهل الله في المرقي مراقيها
حتى تنال الذي في اللوح خط لها ان لم تنله والا سوف ياتيها
قلت وفي هذا المعنى قصة الاشعريين حين ارسلوا رسولهم
الى النبي صلى الله عليه وسلم فسمع قوله تعالى وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها فرجع ولم يكلم النبي صلى الله
عليه وسلم وقال ليس الاشعريون باهون على الله من
الدواب وقد ذكرناه في سورة هود وقال لقمان يا بني
انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او
في السموات او في الارض يات بها الله الاية وقد مضى

في لقمان وقد استوفينا هذا الباب في كتاب قمع الحرص
بالزهد والقناعة والحمد لله وهذا هو التوكل الحقيقي
الذي لا يشوبه شيء وهو فراغ القلب مع الرب رزقنا
الله اياه ولا احالنا على احد سواه بمنه وكرمه
قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون مثل قراة العامة
بالنصب اي كمثل نطقكم وما زايده قاله بعض الكوفيين
وقال الزجاج والفرا يجوز ان ينتصب على التوكيد
اي لحق حقا مثل نطقكم فكانه نعت لمصدر محذوف
وقول سيبويه انه مبني حين اضيف الى غير
متمكن وما زايده للتوكيد المازني مثل مع ما بمنزلة
شي واحد فبني على الفتح كذلك واختاره ابو عبيد
وابو حاتم قال ولان من العرب من يجعل مثلا منصوبا
ابدا فيقول قال لي رجل مثلك ومررت برجل مثلك
نصب وقرا ابو بكر وحمزة والكساي والاعمش مثل
بالرفع على انه صفة لحق لانه نكره وان اضيفت الى معرفة
اذ لا تختص بالاضافة لكثرة الاشيا التي تقع بعدها
التماثل من المتماثلين ومثل مضاف الى انكم وما
زايده ولا تكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر
اذ لا فعل معها تكون معه مصدرا ويجوز ان يكون
بدلا

بدلا من الحق قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم
المكرمين ذكر قصة ابراهيم عليه السلام ليبين بها انه اهلك
المكذب باياته كما فعل بقوم لوط هل اتاك اي الم ياتك
وقيل هل بمعنى قد كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين
من الدهر وقد مضى الكلام في ضيف ابراهيم في هود والحجر
المكرمين اي عند الله دليله قوله تعالى بل عباد مكرمون
قال ابن عباس يريد جبريل وميكايل واسرافيل زاد عثمان
بن محيصن ورفاييل عليهم السلام وقال محمد بن كعب كان
جبريل ومعه تسعة وقال عطا وجماعة كانوا ثلثة جبريل
وميكاييل ومعهما ملك اخر قال ابن عباس سماهم مكرمين لانهم
غير مدعوين وقال مجاهد وسماهم مكرمين لخدمة ابراهيم
مدعوين خ
اياهم بنفسه قال عبد الوهاب قال لي علي بن عياض
عندي هريسة ما رايك فيها قلت ما احسن رايي فيها
قال امض بنا فدخلت الدار فنادى الغلام فاذا هو
غايب فما راعني الا به ومعه القمقمة والطست وعلى
عاتقه المنديل فقلت انا لله وانا اليه راجعون لو
علمت يا ابا الحسن ان الامر هكذا قال هون عليك فانك
عندنا مكرم والمكرم انما يخدم بالنفس انظر الى قوله
تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين

قوله تعالى اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما تقدم في الحجر
قال سلام اي عليكم سلام ويكون بمعنى امري سلام او
ردي لكم سلام وقرا اهل الكوفة الا عاصما سلم بكسر
السين قوم منكرون اي انتم قوم منكرون غربا لا
نعرفكم وقيل لانه راهم على غير صور البشر وعلى غير
صور الملائكة الذين كان يعرفهم فنكرهم فقال قوم منكرون
وقيل انكرهم لانهم دخلوا عليه من غير استيذان وقال
ابو العالية انكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض
وقيل خافهم يقال انكرته اذا خفته قال الشاعر
فانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا
قوله تعالى فراغ الى اهله قال الزجاج اي عدل
الى اهله وقد مضى في والصافات ويقال اراغ وارتاغ
بمعنى طلب وما ترتغ اي تريد وتطلب واراغ الى
كذا اي مال اليه سرا وحاد فعلى هذا يكون راغ
واراغ لغتان بمعنى فجا بعجل سمين اي جا ضيفه بعجل
قد شواه لهم كما في هود فما لبث ان جا بعجل حنيذ ويقال
ان ابراهيم انطلق الى منزله كالمستخفي من ضيفه لئلا
يظهروا على ما يريد ان يتخذه لهم من الطعام قوله
تعالى فقربه اليهم يعني العجل فقال الا تاكلون قال

قتاده

قتاده كان عامه مال ابراهيم البقر واختاره لهم سمينا
زيادة في اكرامهم وقيل العجل في بعض اللغات الشاه
ذكره القشيري وفي الصحاح العجل ولد البقرة والعجول
مثله والجمع العجاجيل والانثى عجلة عن ابن الجراح وبقرة
معجل ذات عجل وعجل قبيلة من ربيعة قوله تعالى
فاوجس منهم خيفة اي احس في نفسه خوفا وقيل اضمر
لما لم يتحرموا بطعامه ومن اخلاق الناس ان من تحرم
بطعام انسان امنه وقال عمرو بن دينار قالت الملايكة
لا ناكل الا بالثمن قال كلوا وادوا ثمنه قالوا وما ثمنه قال
تسمون الله اذا اكلتم وتحمدونه اذا فرغتم فنظر بعضهم
الى بعض وقالوا لهذا اتخذه الله خليلا وقد تقدم هذا
في هود ولما راوا ما بابراهيم من الخوف قالوا لا تخف
واعلموه انهم ملايكة الله ورسله وبشروه بغلام عليم
اي بولد له من ساره زوجته وقيل لما اخبروه انهم
ملايكة لم يصدقهم فدعوا الله فاحيى العجل الذي قربه
اليهم وروى عون بن ابي شداد ان جبريل مسح العجل
بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه وام العجل في الدار
ومعنى عليم اي يكون بعد بلوغه من اولي العلم بالله وبدينه
والجمهور على ان المبشر به هو اسحاق وقال مجاهد وحده

هو اسماعيل وليس بشي فان الله تعالي يقول فبشرناها باسحاق
وهذا نص قوله تعالى فاقبلت امراته في صرة اي صيحة
وضجة عن ابن عباس وغيره ومنه اخذ صرير الباب وهو
صوته وقال عكرمة وقتادة انها الرنة والفاوة ولم
يكن هذا الاقبال من مكان الى مكان قال الفرا وانما هو
كقولك اقبل يشتمني اي اخذ في شتمي وقيل اقبلت في صرة
اي في جماعة من النسا تسمع كلام الملايكة قال الجوهري الصرة
الضجة والصيحة والصرة الجماعة والصرة الشدة من
كرب وغيره قال امرؤ القيس: فالحقه بالهاديات ودونه
جواهرها في صرة لم تزيل: يحتمل هذا البيت الوجوه
الثلثه وصرة القيظ شدة حره فلما سمعت ساره
البشاره صكت وجهها اي لطمته ضربت يدها الى وجهها
على عادة النسوان عند التعجب قاله سفيان الثوري وغيره
وقال ابن عباس صكت وجهها لطمته واصل الصك الضرب
صكه اي ضربه قال الزاجر: يا كروانا صك فاكبانا
قال الاموي كبن الصبي اذا الطا بالارض واكبانت انقبض
وقالت عجوز عقيم اي انلد عجوز عقيم الزجاج اي وقالت
انا عجوز عقيم فكيف الد كما قال يا ويلتى الد وانا عجوز
قالوا كذلك اي كما قلنا لك واخبرناك قال ربك فلا تشكي فيه

وكان

وكان بين البشارة والولاده سنة وكانت ساره لم تلد قبل
ذلك فولدت وهي بنت تسع وتسعين وابراهيم يوميذ
ابن مايه سنه وقد مضى هذا انه هو الحكيم العليم حليم فيما
يفعله عليم بمصالح خلقه قوله تعالى قال فما خطبكم
ايها المرسلون لما تيقن ابراهيم ابراهيم عليه السلام
انهم ملايكة باحيا العجل والبشاره قال لهم فما خطبكم
اي شانكم وقصتكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى
قوم مجرمين يريد قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من
طين اي لنرجمهم بها مسومة اي معلمة قيل كانت مخططه
بسواد وبياض وقيل بسواد وحمره وقيل مسومة
اي معروفة بانها حجارة العذاب وقيل على كل حجر
اسم من يهلك به وقيل عليها امثال الخواتيم وقد مضى هذا
كله في هود فجعلت الحجاره تتبع مسافريهم وشذاذهم
فلم يفلت منهم مخبر عند ربك اي عند الله وقد اعدها
لرجم من قضى برجمه ثم قيل كانت مطبوخة طبخ الاجر
قاله ابن زيد وهو معنى قوله تعالى حجارة من سجيل على
ما تقدم بيانه في هود وقيل هي الحجارة التي تراها واصلها
طين وانما تصير حجارة باحراق الشمس اياها على مر الدهور
وانما قال من طين ليعلم انها ليست حجاره الماء التي هي البرد

حكاه القشيري قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين
اي لما اردنا اهلاك قوم لوط اخرجنا من كان في قومه من
المومنين لئلا يهلك المومنون وذلك قوله تعالى فاسر باهلك
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين يعني لوطا وبنتيه وفيه
اضمار اي فما وجدنا فيها غير اهل بيت وقد يقال بيت شريف
يراد به الاهل وقوله فيها كناية عن القريه ولم يتقدم لها
ذكر لان المعنى مفهوم وايضا فقوله تعالى انا ارسلنا الى
قوم مجرمين يدل على القرية لان القوم انما يسكنون قرية
وقيل الضمير فيها للجماعة والمومنون والمسلمون هاهنا سوا
فجنس اللفظ لئلا يتكرر كما قال انما اشكو بثي وحزني الى
الله وقيل الايمان تصديق القلب والاسلام الانقياد
بالظاهر وكل مومن مسلم وليس كل مسلم مومنا فسماهم
في الاية الاولى مومنين لانه ما من مومن الا وهو مسلم
وقد مضى الكلام في هذا المعنى في البقره وغيرها وقوله
تعالى قالت الاعراب امنا الايه يدل على الفرق بين الايمان
والاسلام وهو مقتضى حديث جبريل عليه السلام في
صحيح مسلم وغيره وقد بيناه في غير موضع قوله
تعالى وتركنا فيها ايه اي عبره وعلامه لاهل
ذلك الزمان ومن بعدهم نظيره ولقد تركنا منها ايه
بينه

عن الناس

بينة لقوم يعقلون ثم قيل الاية المتروكة نفس القرية
الخربة وقيل الحجارة المنضودة التي رجموا بها هي الاية
للذين يخافون لانهم المنتفعون قوله تعالى وفي موسى
اي وتركنا ايضا في قصة موسى اية وقال الفرا هو معطوف
على قوله وفي الارض ايات وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون
بسلطان مبين اي بحجة بينة وهي العصا وقيل اي
بالمعجزات من العصا وغيرها قوله تعالى فتولى بركنه
يعني فرعون اعرض عن الايمان بركنه اي بجموعه واجناده
قاله ابن زيد وهو معنى قول مجاهد ومنه قوله تعالى او اوي
الى ركن شديد يعني المنعة والعشيره وقال ابن عباس
وقتاده بقوته ومنه قول عنترة فما اوهى مراس الحرب
ركني ولكن ما تقادم من زماني وقيل بنفسه وقال الاخفش
بجانبه كقوله تعالى اعرض ونأى بجانبه وقاله المورج الجوهري
وركن الشي جانبه الاقوى وهو ياوي الى ركن شديد
اي عز ومنعه القشيري والركن جانب البدن وهذا
عبارة عن المبالغة في الاعراض عن الشي وقال ساحر او مجنون
او بمعنى الواو لانهم قد قالوهما جميعا قاله المورج والفرا
وانشد بيت جرير اثعلبة الفوارس او رياحا عدلت بهم
طهية والخشابا وقد توضع او بمعنى الواو لقوله تعالى

ولا تطع منهم اثما او كفورا والواو بمعنى او كقوله تعالى فانكحوا
ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وقد تقدم جميع
هذا فاخذناه وجنوده بكفرهم وتوليهم عن الايمان فنبذناهم
اي طرحناهم في اليم وهو مليم يعني فرعون لانه اتى ما يلام
عليه قوله تعالى وفي عاد اي وتركنا في عاد اية لمن
تامل اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وهي التي لا تلقح سحابا
ولا شجرا ولا رحمة فيها ولا بركة ولا منفعة ومنه امراة
عقيم لا تحمل ولا تلد ثم قيل هي الجنوب روى ابن ابي ذيب
عن الحارث بن عبد الرحمن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
الريح العقيم الجنوب وقال مقاتل هي الدبور كما في الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد
بالدبور وقال ابن عباس هي النكبا وقال عبيد بن عمير
مسكنها الارض الرابعة وما فتح على عاد منها الا قدر
منخر الثور وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد انها الصبا
فالله اعلم قوله تعالى ما تذر من شي اتت عليه
الا جعلته كالرميم اي كالشي الهشيم يقال للنبت اذا
يبس وتفتت رميم وهشيم قال ابن عباس كالشي الهالك
البالي وقاله مجاهد ومنه قول الشاعر
تركتني حين كف الدهر من بصري واذ بقيت كعظم الرمة البالي
وقال قتاده

وقال قتاده انه الذى ديبس من يابس النبات وقال ابو
العاليه والسدى كالتراب المدفوف فطرب الرميم الرماد
وقال يمان ما رمته الماشية من الكلا يمرمتها ويقال للشفة
المرمة والمقمة بالكسر والمرمة بالفتح لغة فيه واصل
الكلمة من رم العظم اذا بلي تقول منه رم العظم يرم
بالكسر رمة فهو رميم قال وراي عواقب خلف عند
ذاك مزمنة تبقي عليه والعظام رميم والرمة بالكسر
العظام البالية والجمع رمم ورمام وتظير هذه الاية
تدمر كل شي حسب ما تقدم **قوله تعالى وفي ثمود**
اي وفيهم ايضا عبرة واية حين قال لهم عيشوا متمتعين
بالدنيا حتى حين اي الى وقت الهلاك وهو ثلثة ايام
كما في هود فقال تمتعوا في داركم ثلثة ايام وقيل معنى
تمتعوا اي اسلموا وتمتعوا الى وقت فنا اجالكم فعتوا
عن امر ربهم اي خالفوا امر الله فعقروا الناقة فاخذتهم
الصاعقة اي الموت وقيل هي كل عذاب مهلك قال
الحسن بن واقد كل صاعقة في القران فهو العذاب وقرا
عمر بن الخطاب وحميد وابن محيصن ومجاهد والكسائي
الصعقة يقال صعق الرجل صعقة وتصعا قا اي غشي
عليه وصعقتهم السما اذا القت عليهم الصاعقة والصاعقة

ايضا صيحة العذاب وقد مضي في البقرة وغيرها وهم ينظرون
اليها نهارا فما استطاعوا من قيام قيل معناه من نهوض وقيل
اي ما طاقوا ان يستقلوا بعذاب الله وان يتحملوه ويقوموا
به ويدفعوه عن انفسهم تقول لا اقوم لهذا الامر اي لا
اطيقه وقال ابن عباس اي ذهبت اجسامهم وبقيت ارواحهم
في العذاب وما كانوا منتصرين اي ممتنعين من العذاب حين
اهلكوا اي ما كان لهم ناصر قوله تعالي وقوم نوح من
قبل قرا حمزة والكساي وابو عمرو وقوم نوح بالخفض
اي وفي قوم نوح اية ايضا الباقون بالنصب علي معني
واهلكناهم قوم نوح او يكون معطوفا علي الهاء والميم
في نبذناهم او الهاء في اخذناه اي فاخذتهم الصاعقة
واخذ قوم نوح او نبذناهم في اليم ونبذنا قوم نوح او
يكون بمعني اذكر قوله تعالي والسما بنيناها بايد
لما بين هذه الايات قال وفي السما ايات وعبر تدل علي ان
الصانع قادر علي الكمال فعطف امر السما علي قصة قوم
نوح لانهما ايتان ومعني بايد اي بقوة وقدرة عن ابن عباس
وغيره وانا لموسعون قال ابن عباس لقادرون وقيل
اي وانا لذو سعة بخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا
شي من يده وقيل اي وانا لموسعون الرزق علي خلقنا
عن ابن عباس

عن ابن عباس ايضا الحسن وانا لمطيقون وعنه ايضا وانا لموسعون
الرزق بالمطر وقال الضحاك اغنيناكم دليله على الموسع قدره
وقال القتيبي ذو سعة على خلقنا والمعنى متقارب وقيل
جعلنا بينها وبين الارض سعة الجوهري واوسع الرجل
اي صار ذا سعة وغنى ومنه قول الله تعالى والسماء
بنيناها بايد وانا لموسعون اي اغنيا قادرون فشمل جميع
الاقوال والارض فرشناها اي بسطناها كالفراش على
وجه الماء ومددناها فنعم الماهدون اي فنعم الماهدون
نحن والمعنى في الجمع التعظيم مهدت الفراش مهدا بسطته
ووطاته وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها قوله
تعالى ومن كل شي خلقنا زوجين اي صنفين ونوعين
مختلفين قال ابن زيد ذكرا وانثى وحلوا وحامضا ونحو
ذلك مجاهد يعني الذكر والانثى والسما والارض والشمس
والقمر والليل والنهار والنور والظلام والسهل والجبل
والجن والانس والشر والخير والبكرة والعشا والاشيا
المختلفة الالوان من الطعوم والارايح والاصوات اي
جعلنا هذا هكذا دلالة على قدرتنا ومن قدر على هذا
فليقدر على الاعاده وقيل ومن كل شي خلقنا زوجين لتعلموا
ان خالق الازواج فرد فلا يقدر في صفته حركة ولا سكون

والضيق و... والشقاء والشمس والقمر ... والليل والنهار والغنى ... والاشياء ... كل ... زوجين ... والله ...

ولا صبا ولا ظلام ولا قعود ولا قيام ولا ابتدا ولا انتها
اذ هو عز وجل وتنزه ليس كمثله شي لعلكم تذكرون قوله
تعالى ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين لما تقدم من
تكذيب اممهم لانبيايهم واهلاكهم لذلك قال الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد اي قل لقومك
ففروا الى الله اي فروا من معاصيه الى طاعته وقال
ابن عباس ففروا الى الله بالتوبة من ذنوبكم وعنه فروا
منه اليه واعملوا بطاعته وقال محمد بن عبد الله بن عمرو
بن عثمان بن عفان ففروا الى الله اخرجوا الى مكة وقال
الحسين بن الفضل احترزوا من كل شي دون الله فمن فر
الى غيره لم يمتنع منه وقال ابو بكر الوراق فروا من
طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن وقال الجنيد الشيطان
داع الى الباطل ففروا الى الله يمنعكم منه وقال ذو النون
المصري ففروا من الجهل الى العلم ومن الكفر الى الشكر وقال
عمرو بن عثمان فروا من انفسكم الى ربكم وقال ايضا فروا
الى ما سبق لكم من الله ولا تعتمدوا على حركاتكم وقال
سهل بن عبد الله فروا مما سوى الله الى الله اني لكم منه نذير
مبين اي انذركم عقابه على الكفر والمعصية قوله تعالى
ولا تجعلوا مع الله الها اخر امر محمدا صلى الله عليه وسلم
ان يقول

ان يقول هذا للناس وهو النذير وقيل هو خطاب من الله
للخلق اي انى لكم منه اي من محمد وسبق فيه نذير اي انذركم
بأسه وسيقه ان اشركتم بي قاله ابن عباس قوله تعالى
كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول هذا تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم اي كما كذبك قومك وقالوا ساحر
او مجنون كذب من قبلهم وقالوا مثل قولهم والكاف من
كذلك يجوز ان يكون نصبا على تقدير انذركم انذارا
كانذار من تقدمني من الرسل الذين انذروا قومهم او رفعا
على تقدير الامر اي كالاول والاول تخويف لمن عصاه
من الموحدين والثاني لمن اشرك به من الملحدين والتمام
على قوله كذلك عن يعقوب وغيره قوله تعالى
اتواصوا به اي وصى اولهم اخرهم بالتكذيب وتواطوا
عليه والالف للتوبيخ والتعجب بل هم قوم طاغون اي لم
يرض بعضهم بعضا بل جمعهم الطغيان وهو مجاوزة الحد
في الكفر قوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم واصفح
عنهم فما انت بملوم عند الله لانك اديت ما عليك من
تبليغ الرسالة ثم نسخ هذا بقوله تعالى وذكر فان الذكرى
تنفع المومنين وقيل نسخ بآية السيف والاول قول الضحاك
قال لانه قد امر بالاقبال عليهم بالموعظة وقال مجاهد

فتول عنهم فما انت بملوم اي ليس يلومك ربك على تقصير
كان منك وذكر اي بالعظة فان العظة تنفع المومنين قتاده
وذكر بالقران فان الذكرى به تنفع المومنين وقيل ذكرهم
بالعقوبة وايام الله وخص المومنين لانهم المنتفعون بها
قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
قيل ان هذا خاص فيمن سبق في علم الله انه يعبده فجا بلفظ
العموم ومعناه الخصوص المعنى وما خلقت اهل السعاده
من الجن والانس الا ليوحدون قال القشيري والايه دخلها
التخصيص على القطع لان المجانين والصبيان ما امروا
بالعباده حتى يقال اراد منهم العباده وقد قال ولقد
ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس ومن خلق لجهنم لا يكون
ممن خلق للعباده فالايه محموله على المومنين منهم وهو
كقوله تعالى قالت الاعراب امنا وانما قال فريق منهم
ذكره الضحاك والكلبي والفرا والقتبي وفي قراة عبد الله
وما خلقت الجن والانس من المومنين الا ليعبدون وقال
علي رضي الله عنه اي ما خلقت الجن والانس الا لامرهم
بالعباده واعتمد الزجاج على هذا القول ويدل عليه قوله
تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا فان قيل كيف كفروا
وقد خلقهم للاقرار بربوبيته والتذلل لامره ومشيته

قيل قد

قيل قد تذللوا لقضايه عليهم لان قضاه جار عليهم لا يقدرون
علي الامتناع منه وانما خالفه من كفر في العمل بما امره به
فاما التذلل لقضايه فانه غير ممتنع منه وقيل الا ليعبدون
الا ليقروا لي بالعبادة طوعا او كرها رواه علي بن ابي طلحة
عن ابن عباس فالكره ما يري فيهم من اثر الصنعه مجاهد
الا ليعرفوني الثعلبي وهذا قول حسن لانه لو لم يخلقهم
لما عرف وجوده وتوحيده ودليل هذا التاويل قوله
تعالي ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولين سالتهم من
خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم وما
اشبه هذا من الايات وعن مجاهد ايضا الا لامرهم وانهاهم
زيد بن اسلم هو ما جبلوا عليه من الشقوة والسعادة
فخلق السعدا من الجن والانس للعبادة وخلق الاشقيا
منهم للمعصية وعن الكلبي ايضا الا ليعبدون الا ليوحدون
فاما المومن فيوحده في الشده والرخا واما الكافر فيوحده
في الشدة والبلاء دون النعمه والرخا يدل عليه قوله تعالى
واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين الاية
وقال عكرمة الا ليعبدون ويطيعون فاثيب العابد واعاقب
الجاحد وقيل المعني الا لاستعبدهم والمعني متقارب يقول
عبد بين العبودة والعبودية واصل العبودية الخضوع

والذل والتعبد التذليل يقال طريق معبد قال وظيفا
وظيفا فوق مور معبد والتعبد الاستعباد وهو
ان تتخذه عبدا وكذلك الاعتباد والعبادة الطاعة وا
والتعبد التنسك فمعنى ليعبدون ليذلوا ويخضعوا ويعبدوا
ما اريد منهم من رزق من صلة اي رزقا بل انا الرازق والمعطي
وقال ابن عباس وابو الجوزا اي ما اريد ان يرزقوا انفسهم
ولا ان يطعموها وقيل المعنى ما اريد ان يرزقوا عبادي ولا ان
يطعموهم ان الله هو الرزاق وقرا ابن محيصن وغيره الرازق
ذو القوة المتين اي الشديد القوي وقرا الاعمش ويحيى بن
وثاب والنخعي المتين بالجر على النعت للقوة الباقون
بالرفع على النعت للرازق او ذو من قوله ذو القوة او
يكون خبرا ابتدا محذوف او نعتا لاسم ان على الموضع
او خبرا بعد خبر قال الفرا كان حقه المتينة فذكره لانه
ذهب بها الى الشيء المبرم المحكم الفتل يقال حبل متين
وانشد الفرا لكل دهر قد لبست اثوبا حتى اكتسا الراس قناعا
اشيبا :. من ريطة واليمنة المعضبا فذكر المعضب لان
اليمنة صنف من الثياب ومن هذا الباب فمن جاءه موعظة
اي وعظ واخذ الذين ظلموا الصيحة اي الصياح والصوت
قوله تعالى فان للذين ظلموا اي كفروا من اهل مكة
ذنوبا

وقضيم اي قطع وكذلك القضيم
والقضب والقضب القطع

ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم اي نصيبا من العذاب مثل
نصيب الكثار من الامم السالفة وقال ابن الاعرابي يقال
يوم ذنوب اي طويل الشر لا ينقضي واصل الذنوب
في الذنوب الدلو العظيمة وكانوا يستقون الما فيقتسمون
ذلك على الانصبا فقيل للذنوب نصيب من هذا قال الراجز
لنا ذنوب ولكم ذنوب فان ابيتم فلنا القليب
وقال علقمة وفي كل يوم قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب
وقال اخر لعمرك والمنايا طارقات لكل بني اب منها ذنوب
الجوهري والذنوب الفرس الطويل الذنب والذنوب
النصيب والذنوب لحم اسفل المتن والذنوب الدلو الملأ
ما وقال ابن السكيت فيها ما قريب من الملء يونث ويذكر
ولا يقال لها وهي فارغة ذنوب والجمع في ادني العدد اذنبة
والكثير ذنايب مثل قلوص وقلايص فلا تستعجلون اي
فلا تستعجلوا نزول العذاب بهم لانهم قالوا يا محمد ايتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين فنزل بهم يوم بدر ما
حقق الله تعالي به وعده وعجل به انتقامه ثم لهم
في الاخرة العذاب الدايم والخزي القايم الذي لا انقطاع
له ولا نفاد ولا غاية ولا اباد سورة الطور
مكية في قول الجميع وهي ثمان واربعون ايه

روى الايمه عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرا بالطور في المغرب متفق عليه
قوله تعالى والطور الطور اسم الجبل الذي كلم الله عليه
موسى عليه السلام اقسم الله به اقسم الله به تشريفا
وتكريما وتذكيرا بما فيه من الايات وهو احد جبال الجنه
روى اسماعيل بن اسحاق قال انا اسماعيل بن ابي اديس
قال حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن ابيه عن
جده انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة
اجبال من جبال الجنه واربعه انهار من انهار الجنه واربعة
ملاحم من ملاحم الجنه قيل فمن الاجبل قال جبل احد يحبنا
ونحبه والطور جبل من جبال الجنه ولبنان جبل من جبال
الجنه وذكر الحديث وقد استوفيناه في كتاب التذكره
قال مجاهد هو بالسريانيه والمراد به طور سينا وقاله
السدي وقال مقاتل بن حيان هما طوران يقال لاحدهما
طور سينا وللاخر طور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون
وقيل هو جبل بمدين واسمه زبير قاله الجوهري
والزبير الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام
قلت ومدين بالارض المقدسه وهي قرية شعيب عليه
السلام وقيل ان الطور كل جبل انبت وما لا ينبت فليس
بطور

اجبل بيان

بطون قاله ابن عباس وقد مضى في البقرة مسنو في
قوله تعالى وكتاب مسطور اي مكتوب يعني القران
يقروه المومنون من المصاحف وتقروه الملايكه
من اللوح المحفوظ كما قال الله تعالى انه لقران كريم
في كتاب مكنون وقيل يعني ساير الكتب المنزله
على الانبيا وكان كل كتاب في رق ينشره اهله لقراته
وقال الكلبي هو ما كتب الله لموسى بيده من التوراة وموسى
يسمع صرير القلم وقال الفرا هو صحايف الاعمال فمن اخذ
كتابه بيمينه واخذ كتابه بشماله نظيره ونخرج له يوم
القيامة كتابا يلقاه منشورا وقوله واذا الصحف
نشرت وقيل انه الكتاب الذي كتبه الله تعالى للملايكه
في السماء يقرون فيه ما كان وما يكون وقيل المراد
ما كتب الله في قلوب الاوليا من المومنين بيانه اولئك
كتب في قلوبهم الايمان قلت وفي هذا القول تجوز
لانه عبر بالقلوب عن الرق قال المبرد الرق ما رقق
من الجلد ليكتب فيه والمنشور المبسوط وكذا قال
الجوهري في الصحاح قال والرق بالفتح ما يكتب
فيه وهو جلد رقيق ومنه قوله تعالى في رق منشور
والرق ايضا العظيم من السلاحف قال ابو عبيد وجمعه

وكان كلما مر القلم
على حرف الى
مكان وكان
يحب الضر وكان
كتابا وحبان
تعلمي

رقوق والمعنى المراد ما قاله الفرا والله اعلم وكل
صحيفة فهي رق لرقة حواشيها ومنه قول المتلمس
فكانما هي من تقادم عهدها رق اتيح كتابها مسطور
واما الرق بالكسر فهو الملك يقال عبد مرقوق وحكى
الماوردي عن ابن عباس ان الرق بالفتح ما بين المشرق
والمغرب **قوله تعالى** والبيت المعمور قال علي
وابن عباس وغيرهما هو بيت في السما حيال الكعبه
يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم يخرجون
منه ولا يعودون اليه قال علي رضي الله عنه هو
في السما السادسه وقيل في السماء الرابعه روى
انس بن مالك عن مالك بن صعصعه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتي بي الى السماء الرابعه فرفع لنا
البيت المعمور فاذا هو حيال الكعبه لو خر خر عليها
يدخله كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا منه لم
يعودوا فيه ذكره الماوردي وحكى القشيري عن
ابن عباس انه في السماء الدنيا وقال ابو بكر الانباري سال
ابن الكوا عليا رضي الله عنه قال فما البيت المعمور قال
بيت فوق سبع سموات تحت العرش يقال له الضراح
وكذا في الصحاح والضراح بالضم بيت في السماء وهو

البيت المعمور

البيت المعمور عن ابن عباس وعمرانه لكثرة غاشيته من الملايكه
وقال المهدوي عنه حذا العرش والذي في صحيح مسلم عن مالك
بن صعصعه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الاسرا
ثم رفع لي البيت المعمور فقلت يا جبريل ما هذا قال
هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك
اذا خرجوا منه لم يعودوا اليه اخر ما عليهم وذكر الحديث
وفي حديث ثابت عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اتيت بالبراق الحديث وفيه ثم عرج بنا الى السماء
السابعه فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من هذا قال
جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد
بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابراهيم عليه
السلام مسند ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله
كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه وعن ابن عباس
ايضا قال قال الله في السموات والارضين خمسة عشر بيتا
سبعه في السموات وسبعه في الارضين والكعبه وكلها
مقابلة للكعبه وقال الحسن البيت المعمور هو الكعبه
البيت الحرام الذي هو معمور من الناس يعمره الله كل
سنه بستماية الف فان عجزة الناس عن ذلك اتمه الله بالملايكه
وهو اول بيت وضعه الله للعباده في الارض وقال الربيع

بن انس ان البيت المعمور كان في الارض موضع الكعبة في زمان
ادم عليه السلام فلما كان زمان نوح امرهم ان يحجوه فابوا
عليه وعصوه فلما طغي الما رفع فجعل بحذابه في السما الدنيا
فيعمره كل يوم الف ملك ثم لا يرجعون اليه حتى ينفخ في
الصور قال فبوا الله عز وجل لابراهيم مكان البيت الحرام
حيث كان قال الله تعالي واذ بوانا لابراهيم مكان البيت
الا تشرك بي شيا وطهر بيتي للطايفين والعاكفين
والركع السجود والسقف المرفوع يعني السما سماها
سقفا لانها للارض كالسقف للبيت بيانه وجعلنا
السما سقفا محفوظا وقال ابن عباس هو العرش وهو
سقف الجنة والبحر المسجور قال مجاهد الموقد وقد
جا في الخبر ان البحر يسجر يوم القيامة فيكون نارا وقال
قتادة المملو وانشد النحويون للنمر بن تولب
اذا شا طالع مسجورة تري حولها النبع والساسما
يريد وعلا يطالع عينا مسجورة مملوة فيجوز ان يكون المملو
نارا فيكون كالقول المتقدم ولذا قال الضحاك وشمر بن عطية
ومحمد بن كعب والاخفش انه الموقد المحمي بمنزلة التنور
المسجور ومنه قيل للمسعر مسجر ودليل هذا التاويل
قوله تعالي واذا البحار سجرت مخففة ~~وقال عبد الله بن عمر~~
اي وقلت سجرت التنور
اسجره

اسجره سجرا اذا احميته وقال سعيد بن المسيب قال علي
رضي الله عنه لرجل من اليهود اين جهنم قال البحر قال ما اراك الا
صادقا وتلى والبحر المسجور واذا البحار سجرت مخففة
وقال عبد الله بن عمرو لا يتوضا بماء البحر لانه طبق جهنم
وقال كعب يسجر البحر غدا فيزاد في نار جهنم فهذا قول
وقال ابن عباس المسجور الذي ذهب ماؤه وقاله ابو
العالية وروى عطية وذو الرمة الشاعر عن ابن عباس
قال خرجت امة لتستقي فقالت ان الحوض مسجور اي
فارغ قال ابن ابي داود ليس لذي الرمة حديث الا هذا
وقيل المسجور اي المفجور دليله واذا البحار فجرت اي
تنشفها الارض فلا يبقى فيها ماء وقول ثالث قاله علي
رضي الله عنه وعكرمة قال ابو مكين سالت عكرمة
عن البحر المسجور فقال هو بحر دون العرش وقال علي
تحت العرش فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر
العباد منه بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون
في قبورهم وقال الربيع بن انس المسجور المختلط العذب بالملح
قلت واليه يرجع معنى فجرت في احد التاويلين اي فجر
عذبها في مالحها والله اعلم وسيأتي وروى علي بن ابي طلحه
عن ابن عباس قال المسجور المحبوس ان عذاب ربك لواقع

مطلب

هذا جواب القسم اي واقع بالمشركين قال جبير بن مطعم
قدمت المدينة لاسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في
اسارى بدر فوافيته يقرا في صلاة المغرب والطور الى قوله
ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع قلبي فاسلمت
خوفا من نزول العذاب وما كنت اظن ان اقوم من مقامي
الا حتى يقع بي العذاب وقال هشام بن حسان انطلقت
انا ومالك بن دينار الى الحسن وعنده رجل يقرا والطور
حتى بلغ ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فبكى الحسن وبكى
اصحابه وجعل مالك يضطرب حتى غشي عليه ولما ولي بكار
القضا جا اليه رجلان يختصمان فتوجهت على احدهما
اليمين فرغب الى الصلح بينهما وانه يعطي خصمه من عنده
عوضا من يمينه فابى الا اليمين فاحلفه باول الطور الى
ان قال له قل ان عذاب ربك لواقع ان كنت كاذبا فقالها
فخرج فلسر من جنبه قوله تعالى يوم تمور السما مورا
العامل في يوم قوله واقع اي يقع العذاب بهم يوم القيامة
وهو اليوم الذي تمور فيه السما قال اهل اللغة مار الشي
يمور مورا اي تحرك وجا وذهب كما تتكفا النخلة العيدانة
اي الطويلة والتمور مثله وقال الضحاك بعضها في بعض
مجاهد تدور دورا ابو عبيدة والاخفش تكفا وانشد الاعشى

كأن

كأن مشيتها من بيت جارتها مور السحابة لا ريث ولا عجل
وقيل تجري جريا ومنه قول جرير
وما زالت القتلى تمور دماؤها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل
وقال ابن عباس تمور السماء يومئذ بما فيها وتضطرب وقيل
يدور اهلها فيها ويموج بعضهم في بعض والمور ايضا الطريق
ومنه قول طرفه فوق مور معبد والمور الموج وناقة
موارة اليد اي سريعة والبعير يمور عضداه اذا ترددا
في عرض جنبه قال الشاعر على ظهر موار الملاط
حصان الملاط الجيب وقولهم لا ادري اغار ام مار
اي اتى غورا ام دار فرجع الى نجد والمور بالضم الغبار
بالريح وقيل ان السماء هاهنا الفلك وموره اضطراب نظمه
واختلاف سيره قاله ابن بحر وتسير الجبال سيرا
قال مقاتل تسير عن اماكنها حتى تستوي بالارض وقيل
تسير كسير السحاب اليوم في الدنيا بيانه وترى الجبال
تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وقد مضى هذا
المعنى في الكهف فويل يومئذ للمكذبين وويل كلمة تقال
للهالك وانما دخلت الفا لان في الكلام معنى المجازات
الذين هم في خوض يلعبون اي في تردد في الباطل وهو
خوضهم في امر محمد بالتكذيب وقيل في خوض في اسباب

الدنيا يلعبون لا يذكرون حسابا ولا جزا وقد مضى في
براه قوله تعالى يوم يدعون يوم بدل من يومئذ
ويدعون معناه يدفعون الى جهنم بشدة وعنف
يقال دععته ادعه دعا اي دفعته ومنه قوله تعالى
فذلك الذي يدع اليتيم وفي التفسير ان خزنة جهنم يغلون
ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ثم يدفعونهم
في النار دفعا على وجوههم وزجا في اعناقهم حتى يردوا
النار وقرا ابو رجا العطاردي وابن السميفع يوم يدعون
الى نار جهنم دعا بالتخفيف من الدعا فاذا دنوا من النار
قالت لهم الخزنه هذه النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا
قوله تعالى افسحر هذا استفهام معناه التوبيخ
والتقريع اي يقال لهم افسحر هذا الذي ترون الان
باعينكم ام انتم لا تبصرون وقيل ام بمعنى بل اي بل
كنتم لا تبصرون في الدنيا ولا تعقلون قوله تعالى
اصلوها اي تقول لهم الخزنه ذوقوا حرها بالدخول
فيها فاصبروا او لا تصبروا سوا عليكم اي سوا كان لكم
فيها صبر او لم يكن فسوا خبره محذوف اي سوا
عليكم الجزع والصبر لا ينفعكم شي كما اخبر عنهم انهم يقولون
سوا علينا اجزعنا ام صبرنا انما تجزون ما كنتم تعملون

قوله تعالى ان المتقين

قوله تعالى ان المتقين في جنات ونعيم لما ذكر حال الكفار ذكر
حال المومنين ايضا فاكهين اي ذوو فاكهة كثيرة يقال رجل فاكه اي
ذو فاكهة كما قيل لابن وتامر اي ذو لبن وتمر قال
وغررتني وزعمت انك لابن بالصيف تامر اي ذو لبن
وتمر وقرا الحسن وغيره فكهين بغير الف ومعناه معجبين
ناعمين في قول ابن عباس وغيره يقال فكه الرجل بالكسر فهو
فكه اذا كان طيب النفس مزاحا والفكه ايضا الاشر البطر وقد
مضى في الدخان القول في هذا بما اتاهم اي اعطاهم ربهم
ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا اي يقال لهم ذلك هنيا
الهنا ما لا تنغيص فيه ولا نكد ولا كدر قال الزجاج اي
ليهنئكم ما صرتم اليه هنيا وقيل اي متعتم بنعيم الجنة امتاعا
هنيا وقيل اي كلوا واشربوا هنيتم هنيا فهو صفة في موضع
المصدر وقيل هنيا اي حلالا وقيل لا اذى فيه ولا غايلة
وقيل هنيا اي لا تموتون فان ما لا يبقى او لا يبقى الانسان معه
منغص غير هني **قوله تعالى** متكين على سرر سرر
جمع سرير وفي الكلام حذف تقديره متكين على نمارق
على سرر مصفوفة قال ابن بحر اي موصوله بعضها الى بعض
حتى تصير صفا وفي الاخبار انها تصف في السماء بطول كذا
وكذا فاذا اراد العبد ان يجلس عليها تواضعت له فاذا

جلس عليها عادت الى حالها قال ابن عباس هي سرر من ذهب
مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير ما بين مكة
وايلة وزوجناهم بحور عين اي قرناهم بها قال يونس
بن حبيب تقول العرب زوجته امراة وتزوجت بامراة
وليس من كلام العرب تزوجت بامراة قال وقول الله عز وجل
وزوجناهم بحور عين اي قرناهم بهن من قول الله عز وجل
احشروا الذين ظلموا وازواجهم اي وقرناهم قال الفرا تزوجت
بامراة لغة في ازد شنوءة وقد مضى القول في معنى الحور العين

قوله تعالى والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم قراة العامة
واتبعتهم بوصل الالف وتشديد التا وفتح العين والتاء
وقرا ابو عمرو واتبعناهم بقطع الالف واسكان التاء ونون
اعتبارا بقوله الحقنا هم ليكون الكلام على نسق واحد
فاما قوله ذريتهم الاول فقراها بالجمع ابن عامر وابو عمرو
ويعقوب ورواها عن نافع الا ان ابا عمرو كسر التا على
المفعول وضم باقيهم الباقون ذريتهم على التوحيد وضم
التاء وهو المشهور عن نافع فاما الثانية فقراها نافع
وابن عامر وابو عمرو ويعقوب بكسر التاء على الجمع الباقون
ذريتهم على التوحيد وفتح التا واختلف في معناه فقيل
عن ابن عباس اربع روايات الاولى انه قال ان الله ليرفع

ذرية

ذريةِ المومن اليه وان كانوا دونه في العمل ليقر عينه وتلى هذه الاية
ورواه مرفوعاً النحاس في الناسخ والمنسوخ له عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس اربع روايات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الله عز وجل ليرفع ذرية المومن معه في درجته وان كانوا لم يبلغوها
بعمله لتقر بهم عينه ثم قرأ والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم
بايمانٍ الحقنا بهم ذرياتهم الاية قال ابو جعفر فصار الحديث
مرفوعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا يجب ان يكون لان ابن
عباس لا يقول هذا الا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهُ
اخبارٌ عن الله عز وجل بما يفعله وبمعنى انه انزلها جل ثناوه
الزمخشري فيجمع الله لهم انواع السرور بسعادتهم في
انفسهم وبمزاوجة الحورِ العين وبموانسة الاخوان المومنين
وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم وعن ابن عباس ايضا انه قال ان الله
ليلحق بالمومن ذريته الصِغار الذين لم يبلغوا الايمان قال المهدوي
والذرية تقع للصغار والكبار فان جعلت الذرية هاهنا للصغار
كان قوله تعالى بايمان في موضع الحال من المفعولين وكان التقدير
بايمان من الاباء وان جعلت الذريه للكبار كان قوله بايمان
حالا من الفاعلين القول الثالث عن ابن عباس ان المراد
بالذين امنوا المهاجرين والانصار والذرية التابعون وفي
رواية عنه ان كان الاباء ارفع درجة رفع الله الابناء الى الاباء

وان كان الابنا ارفع درجة رفع الله الابا الى الابنا فالابا داخلون في اسم الذرية لقوله تعالى واية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وعن ابن عباس ايضا يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة سال احدهم عن ابويه وعن زوجته وولده فيقال انهم لم يدركوا ما ادركت فيقول يا رب فاني عملت لي ولهم فيومر بالحاقهم به وقالت خديجة سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين لي ماتا في الجاهلية فقال لي هما في النار فلما راى الكراهية في وجهي قال لو رايت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال ان المومنين واولادهم في الجنة والمشركون واولادهم في النار ثم قرا والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم الاية وما التناهم من عملهم من شي اي ما نقصنا الابنا من ثواب اعمالهم لقصر اعمارهم وما نقصنا الابا من ثواب اعمالهم شيا بالحاق الذريات بهم والها والميم راجعان الى قوله تعالى والذين امنوا وقال ابن زيد المعنى واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بالذرية ابناهم الصغار الذين لم يبلغوا العمل فالها والميم على هذا القول للذرية وقرا ابن كثير وما التناهم بكسر اللام وفتح الباقون وعن ابن هرمز التناهم بالمد قال ابن الاعرابي يقال الته يالته التا والته يالته ايلاتا ولاته يليته ليتا كلها اذا نقصه

مطلب الحاق الرجل بابويه وزوجته

الحلم

قوله

نقصه وفي الصحاح ولاته عن وجهه يلوته ويليته اي حبسه
عن وجهه وصرفه وكذلك الاته عن وجهه فعل وافعل
بمعنى ويقال ايضا ما الاته من عمله شيئا اي ما نقصه مثل
التّه وقد مضى في الحجرات كل امرئ بما كسب رهين قيل يرجع
الى اهل النار قال ابن عباس ارتهن اهل جهنم باعمالهم وصار
اهل الجنة الى نعيمهم ولهذا قال كل نفس بما كسبت رهينة
الا اصحاب اليمين وقيل هو عام لكل انسان مرتهن بعمله فلا
ينقص احد عن ثواب عمله فاما الزيادة على ثواب العمل فهي
تفضّل من الله ويحتمل ان يكون هذا في الذرية الذين لم يؤمنوا
فلا يلحقون آباءهم المؤمنين بل يكونون مرتهنين بكفرهم
قوله تعالى وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اي اكثرنا
لهم من ذلك زيادة من الله امدّهم بها غير الذي كان لهم
قوله تعالى يتنازعون فيها كأسا اي يتناولها بعضهم
من بعض وهو المؤمن وزوجاته وخدمه في الجنه والكاس
اناء الخمر وكل اناء مملوء من شراب فاذا فرغ لم يسم كاسا
وشاهد التنازع والكاس في اللغه قول الاخطل
وشارب مربح في الكاس نازعني لا بالحصور ولا فيها بسوّار
نازعته طيب الراح الشمول وقد صاح الدجاج وحانت وقعة الساري
وقال امرؤ القيس فلما تنازعنا الحديث واسمحت هصرت بغصن ذي شماريخ
ميال

وقد مضى هذا في والصافات لا لغو فيها اي في الكاس اي لا يجري بينهم
لغو ولا تاثيم ولا ما فيه اثم والتاثيم تفعيل من الاثم اي تلك
الكاس لا تجعلهم اثمين لانه مباح لهم وقيل لا لغو فيها اي في
الجنة قال ابن عطا اي لغو يكون في مجلس محله جنة عدن
وسقاتهم الملايكة وشربهم على ذكر الله وريحانهم وتحيتهم
من عند الله والقوم اضياف الله ولا تاثيم اي ولا كذب
قاله ابن عباس الضحاك يعني لا يكذب بعضهم بعضا وقرا ابن كثير
وابن محيصن وابو عمرو لا لغو ولا تاثيم بفتح اخره الباقون بالرفع
والتنوين وقد مضى هذا في البقره عند قوله تعالى لا بيع فيه ولا خلة
ولا شفاعة والحمد لله **قوله تعالى** ويطوف عليهم غلمان
لهم اي بالفواكه والتحف والطعام والشراب دليله يطاف
عليهم بصحاف من ذهب يطاف عليهم بكاس من معين ثم
قيل هم الاطفال من اولادهم الذين سبقوهم فاقر الله تعالى بهم
اعينهم وقيل انهم من اخذهم الله تعالى اياهم من اولاد غيرهم
وقيل هم غلمان خلقوا في الجنة قال الكلبي لا يكبرون ابدا كانهم
في الحسن والبياض لولو مكنون في الصدف والمكنون المصون
وقوله تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون قيل هم اولاد المشركين
وهم خدم اهل الجنة وليس في الجنة نصب ولا حاجة الى
خدمة ولكنه اخبر بانهم على نهاية التنعيم وعن عايشة
رضي الله عنها

في مجلس الموعظة

رضي الله عنها ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادني اهل
الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدمه فيجيبه الف كلهم
لبيك لبيك وعن عبد الله بن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام كل غلام على
عمل ليس على صاحبه وعن الحسن انهم قالوا يا رسول الله اذا كان
الخادم كاللولو فكيف يكون المخدوم فقال بينهما كما بين القمر
ليلة البدر وبين اصغر الكواكب قال الكسائي كننت الشي
سترته وصنته من الشمس واكننته في نفسي اسررته
وقال ابو زيد كننته واكننته بمعنى في الكن وفي النفس
جميعا تقول كننت العلم واكننته فهو مكنون ومكن
وكننت الجارية واكننتها فهي مكنونة ومكنة قوله
تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال ابن عباس
اذا بعثوا من قبورهم سال بعضهم بعضا وقيل في الجنة
يتساءلون اي يتذاكرون ما كانوا فيه في الدنيا من التعب
والخوف من العاقبة ويحمدون الله على زوال الخوف عنهم وقيل
يقول بعضهم لبعض بم صرت في هذه المنزلة الرفيعة
قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين اي قال كل مسوول منهم
لسايله انا كنا قبل اي في الدنيا خايفين وجلين من عذاب
الله فمن الله علينا بالجنة والمغفرة وقيل بالتوفيق والهداية

ووقانا عذاب السموم قال الحسن السموم اسم من اسماء النار وطبقة
من طبقات جهنم وقيل هو النار كما تقول جهنم وقيل اي عذاب
السموم والسموم الريح الحاره تؤنث يقال منه سم يومنا فهو
مسموم والجمع سمايم قال ابو عبيده السموم بالنهار وقد يكون
بالليل والحرور بالليل وقد يكون بالنهار وقد يستعمل السموم
في لفح البرد والشمس اكثر قال الراجز

اليوم يوم بارد سمومه من جزع اليوم فلا تلومه

قوله تعالى انا كنا من قبل ندعوه اي في الدنيا بان يمن
علينا بالمغفره عن تقصيرنا وقيل ندعوه اي نعبده انه هو
البر الرحيم قرا نافع والكساي انه بفتح الهمزه اي لانه الباقون
بالكسر على الابتدا والبر اللطيف قاله ابن عباس وعنه ايضا
الصادق فيما وعد وقاله ابن جريج قوله تعالى فذكر اي
فذكر يا محمد قومك بالقران فما انت بنعمة ربك يعني برساله
ربك بكاهن يبتدع القول ويخبر بما في غد من غير وحي
ولا مجنون وهذا رد لقولهم في النبي صلى الله عليه وسلم
فعقبه بن ابي معيط قال انه مجنون وشيبه بن ربيعه قال ساحر
وغيرهما قال كاهن فاكذبهم الله ورد عليهم ثم قيل ان معنى فما انت
بنعمة ربك القسم اي ونعمة الله ما انت بكاهن ولا مجنون وقيل
ليس قسما وانما هو كما تقول ما انت بحمد الله بجاهل اي قد برّاك الله
من ذلك

من ذلك قوله تعالى ام يقولون شاعر اي بل ايقول محمد شاعر
قال سيبويه خوطب العباد بما جرى في كلامهم قال ابو جعفر
النحاس وهذا كلام حسن الا انه غير مبين ولا مشروح يريد سيبويه
ان ام في كلام العرب للخروج من حديث الى حديث كما قال
اتهجوا اغانية ام تلم: فتم الكلام ثم خرج الى شي اخر فقال
ام الحبل وادٍ بها مخدم: فما جاء في كتاب الله تعالى من هذا
فمعناه التقدير والتوبيخ والخروج من حديث الى حديث
والنحويون يمثلونها ببل نتربص به ريب المنون قال
قتادة قال ناس من الكفار تربصوا بمحمد الموت يكفيكموه
كما كفى شاعر بني فلان فقال الضحاك هاولاء بنو عبد الدار
نسبوه الى انه شاعر اي يهلك عن قريب كما هلك من الشعرا
وان اباه مات شابا فربما يموت كما مات ابوه وقال الاخفش
نتربص به الى ريب المنون فحذف حرف الجر كما تقول قصدت
زيدا وقصدت الى زيد والمنون الموت في قول ابن عباس قال
ابو الغول الطهوي هم منعوا حمى الوقبى موضع بضرب يؤلف
بين اشتات المنون: اي المنايا يقول ان الضرب يجمع بين قوم
متفرقين في الامكنة لو اتتهم منايا هم في امكنتهم لاتتهم متفرقة
فاجتمعوا في موضع واحد فاتتهم المنايا مجتمعة وقال
السدي عن ابي مالك عن ابن عباس ريب شك الا مكانا

واحدا في نصور ريب المنون يعني حوادث الامور قال وقال ابن عباس
نربص بها ريب المنون لعلها تطلق يوما او يموت حليلها
وقال مجاهد ريب المنون حوادث الدهر والمنون هو الدهر قال ابو ذويب
امن المنون وريبة تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع وقال الاعشى
أأن رايت رجلا اعشى اضر به ريب المنون ودهر متبل خبل قال
الاصمعي المنون الليل والنهار وسميا بذلك لانهما بنقصان الاعمار ويقطعان
الاجال وعنه انه قيل للدهر منون لانه يذهب بمنة الحيوان اي قوته
وكذلك المنية ابو عبيده قيل للدهر منون لانه مضعف من قولهم
حبل منين اي ضعيف والمنين الغبار الضعيف قال الفرا
والمنون مونثه وتكون واحدا وجمعا الاصمعي المنون واحد لا جماعة
له لا واحد له والمنون يونث ويذكر فمن ذكره جعله الدهر او الموت
ومن انث فعلى الحمل على المعنى كانه اراد المنية قوله تعالى
قل تربصوا اي قل لهم يا محمد تربصوا اي انتظروا فاني معكم من المتربصين
اي من المنتظرين بكم العذاب فعذبوا يوم بدر بالسيف ام تامرهم
احلامهم اي عقولهم بهذا اي بالكذب عليك ام هم قوم طاغون
اي ام طغوا بغير عقول وقيل ام بمعنى بل اي كفروا طغيانا
وان ظهر لهم الحق وقيل لعمرو بن العاص ما بال قومك لم
يومنوا وقد وصفهم الله بالعقل فقال تلك عقول كادها الله
اي لم يصحبها بالتوفيق وقيل احلامهم اي اذهانهم لان العقل

لا يعطى للكافر ولو كان عقل لآمن وانما يعطى الكافر الذهن فصار
فصار عليه حجة والذهن يقبل العلم جملة والعقل يميز العلم
ويقدر المقادير لحدود الامر والنهي وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان رجلا قال يا رسول الله ما اعقل فلان النصراني فقال
مه ان الكافر لا عقل له اما سمعت قول الله تعالى وقالوا لو كنا
نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وفي حديث ابن عمر فزجره
النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال مه فان العاقل من يعمل بطاعة الله ذكره
الترمذي الحكيم ابو عبد الله باسناده ام يقولون تقوله اي افتعله
وافتراه يعني القران والتقول تكلف القول وانما يستعمل في الكذب
في غالب الامر ويقال قولتني ما لم اقل اي ادعيته علي وتقول عليه اي
كذب عليه واقتال عليه تحكم قال ومنزلة في دار صدق وغبطة
وما اقتال من حكم علي طبيب فام الاولى للانكار والثانية للايجاب
اي ليس كما تقولون بل لا يؤمنون جحدا واستكبارا فليأتوا بحديث
مثله اي بقران يشبهه من تلقاء انفسهم ان كانوا صادقين في ان
محمدا افتراه وقرأ الجحدري فليأتوا بحديث مثله بالاضافة والها
في مثله للنبي صلى الله عليه وسلم واضيف الحديث الذي يراد
به القران اليه لانه المبعوث به والها على قراءة الجماعة للقران
قوله تعالى ام خلقوا من غير شي ام صلة زايدة والتقدير
اخلقوا من غير شي قال ابن عباس من غير رب خلقهم وقدرهم

وقيل من غير ام ولا اب فهم كالجماد لا يعقلون ولا تقوم لله عليهم حجة ليسوا كذلك اليس قد خلقوا من نطفة ومضغة قاله ابن عطا وقال ابن كيسان ام خلقوا عبثا وتركوا سدى من غير شيء اي لغير شيء فمن بمعنى اللام ام هم الخالقون اي يقولون انهم خلقوا انفسهم فلا يأتمرون لامر الله وهم لا يقولون ذلك واذا اقروا ان ثم خالقا غيرهم فما الذي يمنعهم من الاقرار له بالعبادة دون الاصنام ومن الاقرار بانه قادر على البعث ام خلقوا السموات والارض اي ليس الامر كذلك فانهم لم يخلقوا شيئا بل لا يوقنون بالحق ام عندهم خزاين ربك فيستغنوا عن الله ويعرضوا عن امره قال ابن عباس خزاين ربك المطر والرزق وقيل مفاتيح الرحمة وقال عكرمة النبوة اي افبايديهم مفاتيح ربك بالرسالة ليضعوها حيث شاؤوا وضرب المثل بالخزاين لان الخزانة بيت يهيأ لجميع انواع مختلفة من الذخاير ومقدورات الرب كالخزاين التي فيها من كل الاجناس فلا نهاية له ام هم المسيطرون قال ابن عباس المسلطون الجبارون وعنه ايضا المبطلون وقاله الضحاك وعن ابن عباس ايضا اهم المتولون عطا ام هم ارباب قاهرون قال عطا وقال تسيطرت علي اي اتخذتني خولا لك وقاله ابو عبيدة وفي الصحاح والمسيطر والمصيطر المسلط على الشي ليشرف عليه ويتعهد احواله ويكتب عمله واصله من السطر لان الكتاب مسطر والذي يفعله مسطر ومسيطر يقال سيطرت علينا ابن بحير

ام هم

ام هم المصيطرون اي هم الحفظة ماخوذ من تسطير الكتاب
الذي يحفظ ما كتب فيه فصار المسيطر هنا حافظ ما كتبه الله في
اللوح المحفوظ وفيه ثلاث لغات الصاد وبها قرا العامة والسين وهي قراءة
ابن محيصن وحميد ومجاهد وقنبل وهشام وابي حيوة وباشمام الصاد
الزاي وهي قراءة حمزة كما تقدم في الصراط قوله تعالى ام لهم سلم
اي يدعون ان لهم مرتقى الى السماء ومصعدا وسببا يستمعون فيه
اي عليه الاخبار ويصلون به الى علم الغيب كما يصل اليه محمد صلى الله
عليه وسلم بطريق الوحي فليات مستمعهم بسلطان مبين اي بحجة
وبينة ان هذا الذي هم عليه حق والسلم واحد السلاليم التي
يرتقى عليها وربما سمي الغرز بذلك قال ابو الربيس التغلبي يصف ناقته
مصارة قلب ان ثنى الرحل ربها بسلم غرز في مناخ نعاجله
وقال زهير ومن هاب اسباب المنية يلقها ولو رام اسباب السما بسلم
وقال اخر تجنيت لي ذنبا وما ان جنيته لتتخذي عذرا الى الهجر سلما
وقال ابن مقبل في الجمع لا تحرز المرا احجا البلاد ولا يبنى له في السماوات السلاليم
الاحجا النواحي مثل الارجا واحدها حجى ورجا مقصور ويروى اغنا
البلاد والاغنا ايضا الجوانب والنواحي واحدها غنو بالكسر وقال
ابن الاعرابي واحدها غنى مقصور وجانا اغنا من الناس واحدهم
غنو بالكسر وهم قوم من قبايل شتى يستمعون فيه اي عليه
كقوله تعالى في جذوع النخل اي عليها قاله الاخفش وقال ابو عبيدة

النبي عليه السلام

يستمعون فيه وقال الزجاج اي الهم كجبريل الذي يأتي بالوحي **قوله تعالى** ام له البنات ولكم البنون سفه احلامهم نوبخالهم وتقريعا اي اتضيفون الى الله البنات مع انفتكم منهم ومن كان عقله هكذا فلا يستبعد منه انكار البعث ام تسئلهم اجرا اي على تبليغ الرسالة فهم من مغرم مثقلون اي فهم من المغرم الذي تطلبهم به مثقلون مجهودون لما كلفتهم به ام عندهم الغيب فهم يكتبون اي يكتبون للناس ما ارادوه من علم الغيوب وقيل اي ام عندهم علم ما غاب عن الناس حتى علموا ان ما اخبرهم به الرسول من امر القيامة والجنة والنار والبعث باطل وقال قتادة هو لما قالوا نتربص به ريب المنون قال الله تعالى ام عندهم الغيب حتى علموا متى يموت محمد او الى ما يؤول اليه امره وقال ابن عباس ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس بما فيه وقال القتبي يكتبون يحكمون والكتاب الحكم ومنه قوله تعالى كتب ربكم اي حكم وقوله عليه السلام والذي نفسي بيده لاحكمن بينكم بكتاب الله اي بحكم الله **قوله تعالى** ام يريدون كيدا اي مكرا بك في دار الندوة فالذين كفروا هم المكيدون اي الممكور بهم ولا يحيق المكر السيء الا باهله وذلك انهم قتلوا ببدر ام لهم اله غير الله يخلق ويرزق ويمنع سبحان الله انزه نفسه عن ان يكون له شريك قال الخليل كل ما في سورة والطور من ذكر ام فكلمة استفهام وليس بعطف **قوله تعالى** وان يروا كسفا من السماء سا قطا

قال ذلك

قال ذلك جوابا لقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء وقولهم او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا فاعلم انه لو فعل ذلك لقالوا سحاب مركوم اي بعضه فوق بعض سقط علينا وليس سما وهذا فعل المعاند او فعل من استولى عليه التقليد وكان في المشركين القسمان والكسفان جمع كسفة وهي القطعة من الشي يقال اعطني كسفة من ثوبك ويقال في جمعها ايضا كسف ويقال الكسف والكسفة واحد وقال الاخفش من قرا كسفا من السماء جعله واحدا ومن قرا كسفا جعله جمعا وقد تقدم القول في هذا في سبحان وغيرها والحمد لله قوله تعالى فذرهم منسوخ باية السيف حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون بفتح الياء قراة العامة وقرا ابن عامر وعاصم بضمها قال الفرا هما لغتان صعق وصعق مثل سعد وسعد قال قتادة يوم يموتون وقيل هو يوم بدر وقيل عند النفخة الاولى وقيل يوم القيامة يأتيهم فيه من العذاب ما يزيل عقولهم وقيل يصعقون بضم الياء من اصعقه الله قوله تعالى يوم لا يغني عنهم كيدهم شيا اي ما كادوا به النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا ولا هم ينصرون من الله ويوم منصوب على البدل من يومهم الذي فيه يصعقون قوله تعالى وان للذين ظلموا اي كفروا عذابا دون ذلك قيل قبل موتهم ابن زيد مصايب الدنيا من الاوجاع والاسقام والبلايا وذهاب الاموال والاولاد

هو الجوع بياه

مجاهد هو الجوع والجهد سبع سنين ابن عباس هو القتل وعنه عذاب القبر وقاله
البرا بن عازب وعلي رضي الله عنهم فرون يعني غير وقيل عذابا اخف من
عذاب الاخرة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان العذاب نازل بهم وقيل ولكن اكثرهم
لا يعلمون ما يصيرون اليه قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا
فيه مسلتان الاولى قوله تعالى واصبر لحكم ربك قيل لقضا ربك فيما حملك
من رسالته وقيل لبلاية فيما ابتلاك به من قومك ثم نسخ باية السيف
الثانية قوله تعالى فانك باعيننا اي بمراي ومنظر منا نرى
ونسمع ما تقول وتفعل وقيل بحيث نراك ونحفظك ونحرسك
ونرعاك والمعنى واحد ومنه قوله تعالى لموسى ولتصنع على عيني اي
بحفظي وحراستي وقد تقدم قوله تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم
ومن الليل فسبحه وادبار النجوم فيه مسلتان الاولى قوله تعالى
وسبح بحمد ربك حين تقوم اختلف في تاويل قوله تعالى حين تقوم فقال
عوف بن مالك وابن مسعود وعطا وسعيد بن جبير وسفيان الثوري
وابو الاحوص يسبح الله حين يقوم من مجلسه فيقول سبحان الله وبحمده
او سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت فيه احسانا وان كان
غير ذلك كان كفارة له ودليل هذا التاويل ما خرجه الترمذي عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس في مجلس فكثر
فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك اشهد
ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه
ذلك

ذلك قال حديث حسن صحيح غريب وفيه عن ابن عمر رضي الله عنه
قال كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة من
قبل ان يقوم رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الغفور قال حديث
حسن صحيح غريب وقال محمد بن كعب والضحاك والربيع المعنى حين
تقوم الى الصلاة قال الضحاك يقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان
الله بكرة واصيلا قال الكيا الطبري وهذا فيه بعد فان قوله حين تقوم
لا يدل على التسبيح بعد التكبير فان التكبير هو الذي يكون بعد القيام
والتسبيح يكون وراء ذلك فدل ان المراد به حين تقوم من كل مكان
كما قال ابن مسعود رضي الله عنه وقال ابن الجوزا وحسان بن عطية
المعنى حين تقوم من منامك قال حسان ليكون مفتتحا العمل بذكر الله
وقال الكلبي واذكر الله باللسان حين تقوم من فراشك الى ان تدخل
الصلاة وهي صلاة الفجر وفي هذا روايات مختلفة صحاح منها
حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل
فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل
شي قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله
ثم قال اللهم اغفر لي او دعا استجيب له فان توضا وصلى قبلت صلاته
خرجه البخاري تعار الرجل من الليل اذا هب من نومه مع صوت
ومنه عار الظليم يعار عرارا وهو صوته وبعضهم يقول عر
الظليم يعر عرارا كما قالوا زمر النعام يزمر زمارا وعن

ووهـ

وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام
الى الصلاة من جوف الليل اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض
ومن فيهن ولك الحمد انت قيام السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد
انت رب السموات والارض ومن فيهن انت الحق ووعدك الحق وقولك
الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون
حق ومحمد حق اللهم لك اسلمت وعليك توكلت وبك امنت واليك
انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت
واسررت واعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت ولا
اله غيرك متفق عليه وعن ابن عباس ايضا انه عليه السلام كان اذا
استيقظ من الليل مسح النوم عن وجهه ثم قرا العشر الايات الاواخر
من سورة ال عمران وقال زيد بن اسلم المعنى حين تقوم من نوم القايلة
لصلاة الظهر قال ابن العربي اما نوم القايلة فليس فيه اثر وهو
ملحق بنوم الليل وقال الضحاك انه التسبيح في الصلاة اذا قام اليها
الماوردي وفي هذا التسبيح قولان احدهما وهو قوله سبحان ربي العظيم
في الركوع سبحان ربي الاعلى في السجود الثاني انه التوجه في الصلاة
تقول سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك
قال ابن العربي من قال انه تسبيح الصلاة فهو افضله والاثار في ذلك
كثيرة اعظمها ما ثبت عن علي بن ابي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه
انه كان اذا قام الى الصلاة قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض الحديث
وقد ذكرناه

وقد ذكرناه وغيره في آخر سورة الانعام وفي البخاري عن ابي بكر
الصديق قال قلت يا رسول الله علمني دعاء ادعو به في صلاتي فقال
قل اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لي
من عندك مغفرة وارحمني انك انت الغفور الرحيم الثانية
قوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم تقدم في ق مستوفى
عند قوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار السجود واما ادبار النجوم
فقال علي وابن عباس وجابر وانس هي ركعتا الفجر وحمل بعض العلما
الامر على هذا القول على الندب وجعلها منسوخة بالصلوات الخمس
وعن الضحاك وابن زيد ان قوله وادبار النجوم يريد به صلاة الصبح
وهو اختيار الطبري وعن ابن عباس انه التسبيح في ادبار الصلوات
ويكسر الهمزة في ادبار النجوم قرا القرا السبعة على المصدر حسب ما
بيناه في ق وقرا سالم بن ابي الجعد ومحمد بن السميفع وادبار بالفتح
ومثله روي عن يعقوب وسلام وايوب وهو جمع دبر ودبر
ودبر الامر ودبره اخره وروى الترمذي من حديث محمد
بن فضيل عن رشدين بن كريب عن ابيه عن ابن عباس
[عن ال]نبي صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتين قبل
[الفجر] وادبار السجود الركعتين بعد المغرب قال حديث غريب
[لا نعر]فه مرفوعا الا من هذا الوجه من حديث محمد بن فضيل عن
رشدين بن كريب وسالت محمد بن اسماعيل عن محمد ورشدين ابني كريب

ما اقربهما ومحمد عندي ارجح قال وسالت عبد الله
عن هذا فقال ما اقربهما ورشدين بن كريب
قال الترمذي والقول عندي ما قال ابو محمد
ارجح من محمد واقدم وقد ادرك رشدين
وفي صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنها
النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل اشد
على ركعتين قبل الصبح وعنها عن النبي عليه
ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها

تم الجزء الثاني عشر من كتاب جامع احكام القران والمبين
لما تضمنه من السنة واي الفرقان تصنيف الشيخ الفقيه الامام
العالم العامل الزاهد الورع ابي عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر
بن فرح الانصاري الخزرجي ثم القرطبي رضي الله عنه والحمد لله
وصلواته على محمد خير النبيين كتبه العبد الفقير الى رحمة
احمد بن ابرهيم بن موسى عرف بالقطوري غفر الله له ولوالديه
المسلمين امين وكان الفراغ منه يوم الثلثا سادس
الفضل في سنة ست وستين وسبعماية احسن الله
بمنه وكرمه وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما
وغفل عن ذكره الغافلون وحسبنا الله ونعم الوكيل يتلوه
في الجزء الثالث عشر سورة والنجم ان شا الله تعالى اللهم يسر بخير

٧٦٦